لُبابُ التَّفاسِيرِ

تأليفُ الإمامِ المُفسِّرِ

تاجِ القُرّاءِ الكَرْمانيِّ

بُرْهانِ الدِّينِ أبي القاسمِ محمودِ بنِ حمزةَ بنِ نصرٍ الكَرْمانيِّ

المُتوفَّى بعدَ سنةِ ٥٠٠هـ

يُطبعُ أوَّلَ مرةٍ محقَّقاً على ثلاثِ نُسخٍ خطِّيةٍ

تحقيقُ وتعليقُ

محمد عبد الحليم بعّاج

المجلّد الأوّل

دارُ اللُّبابِ

لُبَابُ التَّفَاسِيرِ

(١)

حُقُوق الطَّبع مَحفُوظَة

الطبعَة الأولىٰ
١٤٤٣هـ - ٢٠٢١م

يُمنع طباعةُ هذا الكتاب أو ترجمته أو تصويرُه ورقياً أو إلكترونياً
إلا بإذن خطي من الدار الناشرة
تحت المُساءلة الدُّنيوية والأُخروية

9 789933 930271

دار اللُّباب
للدِّراسات وتحقيق التُّراث
DAR-ALLOBAB
Lubab Yazma Eserleri İhya ve İlmi Araştırma Yayınları

اسطنبول - تركيا
00902125255551
00905454729850

دمشق - سوريا
00963993151546
info@allobab.com
Www.allobab.com

بيروت - لبنان
009615813966
0096170112990

İskenderpaşa mh. Kıztaşı cd. No:7 D:5 Fatih (Özel Fatih Hastanesi Karşısı)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة التحقيق

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ۝١ قَيِّمٗا لِّيُنذِرَ بَأۡسٗا شَدِيدٗا مِّن لَّدُنۡهُ وَيُبَشِّرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا حَسَنٗا﴾ [الكهف: ١ ـ ٢].

والصَّلاةُ والسَّلامُ على مَن أرسلَه الله مبشِّراً ونذيراً، ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٤٦].

ورضوانُ الله على أهلِ بيتِه الطَّيِّبين، وأصحابِه الغُرِّ الميامين، سكَّانُ القِمم، وهُداةُ الأُمم، مَن أجابوا داعيَ ربِّهم، واتَّبعوا هديَ رسولهم، فكانوا غرسَ مولاهم، وغيظَ مَن عاداه وعاداهم.

أمّا بعدُ:

فإنَّ كتابَ الله هو حبلُ الله المتين، وهو الذِّكرُ الحكيم، وهو الصِّراطُ المستقيم.

وقد كان العربُ قبلَ إسلامِهم أُمّةً أُمّيّةً، ليسَ لها كتابٌ تدرسُه، أو علمٌ تتداولُه، اللَّهمَّ إلّا ثقافةً شفهيّةً لا تصلحُ أن تكونَ منارة، ولا يمكن أن تقومَ عليها حضارة، فلمّا أنزلَ الله ـ سبحانه وتعالى ـ هذا الكتاب، وآتى نبيَّه محمَّداً ـ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ الحكمةَ وفَصلَ الخِطاب، واختارَ هذه الأمّةَ لتحملَ رسالةَ السَّماء، وجعلها أمّةً وسطاً لتكونَ شاهدةً على أهلِ الأرض؛ اتَّبعت هذه الأمّةُ نورَ ربِّها، واستنارت بهديِ نبيِّها، ومع نزولِ الكتابِ بالأمر الإلهيِّ ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ تعلَّمتِ الأمّةُ القراءة، ولمّا شرعَت

هذه الأمّةُ الأميّةُ بالكتابةِ بدأت رحلةُ الحضارةِ العربيةِ الإسلامية، رحلةٌ رافقَتها حركةُ تَدوينٍ لم يعرف لها التّاريخُ مثيلاً، وليسَ لأمّةٍ أخرى لمثلِها سبيلاً؛ لأنَّ هذه الحركةَ كانت تنهلُ من نبعٍ واحد، وتدورُ في فَلَكٍ واحد؛ إنَّه كتابُ الله.

وهكذا كان القرآنُ زادَ العلماء، وإمامَ الأصوليِّينَ والفقهاء، ونبراسَ اللُّغويينَ والنُّحاة والبلغاء، وهذا ما جعلَ كثيراً من الباحثينَ يرونَ أنَّ عطاءَ الفِكرِ العربيِّ الإسلاميِّ وإبداعَه ما هو إلّا انعكاسٌ لنورِ الكلامِ الرَّبّانيِّ، وأنَّه إنَّما نشأ أساساً من خلالِ تعاملِه المباشرِ مع النَّصِّ القرآنيِّ، ذلك أنَّ فهمَ القرآنِ الكريمِ كان هو المقصودَ بذاتِه، وكانت سائرُ العلومِ أدواتٍ تُعينُ عليه، أو تتعلَّقُ به، أو تتفرَّعُ عنه، وقد تنوَّعَتِ التَّآليفُ حولَ القرآنِ الكريمِ وتحتِ رايتِه، فمنها ما هو مهتمٌّ بمعانيه وأحكامِه، ومنسوخِه وناسخِه، ونَقْطِه ورَسْمِه، وقراءاتِه وأحرفِه، وغريبِه ومُشْكِلِه، وإعرابِه ولُغتِه، وإعجازِه وبلاغتِه، حتَّى ازدهرَت في الثَّقافةِ الإسلاميّةِ ضروبٌ من العلومِ والفنونِ ما كانَت لتُبصرَ النُّورَ لولا العنايةُ بكتابِ الله.

وقد بلغَ علمُ التَّفسيرِ في القرنِ الخامسِ حالةً من النُّضجِ والتَّطوُّرِ والزَّخمِ ليست مسبوقةً، فظهرَ عددٌ من العلماء أفرغوا جهوداً عظيمةً في تفسيرِ القرآنِ وعلومِه، فلم يعد البحثُ عن المشهورِ المعروفِ كافياً، ولكنَّ طلبةَ العلمِ راحوا يتطلَّعون لغيرِ ذلك؛ فصارَت الغرائبُ والعجائبُ طِلبةَ الطَّلبةِ، وهذا ما نجدُ الشَّيخَ الإمامَ تاجَ القُرّاءِ محمودَ بنَ حمزةَ بنِ نصرٍ الكرمانيَّ يصرِّحُ به، فقد وقفَ تاجُ القُرّاءِ الكرمانيُّ على هذا الكمِّ الهائلِ من التَّفاسير، وحاولَ أن يجمعَ أقوالَ المفسِّرينَ ويُهذِّبُها، ويلتقطَ من كتبِ التَّفاسيرِ كلَّ غريبٍ وعجيبٍ، وقد تركَ تفسيرين:

التَّفسيرَ الموسومَ بـ«غرائبِ التَّفسيرِ وعجائبِ التَّأويل»، وقد طُبعَ في مجلَّدين.

والأصلَ الذي أخذَ منه الكَرمانيُّ ذلك الكتاب، وهو: «لُباب التَّفاسيرِ»، وهو هذا الكتاب الذي يُطبَعُ لأوَّلِ مرّة، وها نحن نضعُه بين أيدي طلبةِ العلمِ راجين من الله أن يعمَّ به النَّفع، ويَكتبَ له القَبول.

وتاجُ القُرّاءِ الكرمانيُّ إمامٌ كبيرٌ محقِّقٌ، ذو شخصيّة متميِّزة، ونظرة متفرِّدة، ورؤية مستقلّة، وكانَ عجَباً في دقّةِ الفَهمِ، وحُسْنِ الاستِنباطِ، وكان من أهلِ التَّدقيق والتحقيق، وكانَ رأساً في العلمِ يُسألُ ويُقصد، ويُلتمَسُ عنده حلُّ المشكلات، وكشفُ المعضلات، وكانَ هذا الإمامُ داعيةَ تفكيرٍ واجتهادٍ وتدبُّرٍ، وليسَ داعيةَ تعصُّبٍ، فهو متحرِّرٌ في عقلِهِ وفكرِه، غيرُ متقيِّدٍ في آرائه، وأظهرُ دليلٍ على هذا حاجتُنا للبحثِ في مذهبِه.

وكان تاجُ القُرّاءِ الكرمانيُّ إماماً في استحضارِ الآيات، إماماً في القراءات، إماماً في النَّحو، إماماً في اللغة، بالإضافةِ إلى مشاركته في شتى علوم عصره، وقد ظهر هذا في كتابه «لبابِ التَّفاسير»، فهو تفسيرٌ لغويٌّ اشتقاقيٌّ تأصيليٌّ، وهو موسوعةٌ لزخمٍ من الرِّواياتِ ومعاني القراءات، وقد جمعَ فيه تاجُ القُرّاء بين التفسيرِ بالمأثورِ والتَّفسير بالرأي، وضمَّنه توجيهات تربويّة إيمانيّة، ولطائف بيانيّة بلاغية، فجعلَه تاجُ القُرّاء للتفاسيرِ في عصره تاجاً.

وقد كان الكرمانيُّ في «لُباب التَّفاسيرِ» صاحبَ نظرةٍ شموليّةٍ للأسلوبِ القرآنيِّ؛ فهو يرى أنَّ القرآنَ كلَّه كأنَّه سورةٌ واحدة، وهو يتعاملُ مع القرآن على هذا الأساسِ، فهو يقارنُ بين كثيرٍ من الآياتِ وما يُشبهُها في مواضعَ أخرى من القرآنِ الكريمِ مبيِّناً في ذلك خفايا من أسرارِ التّكرارِ، ولمحاتٍ من لطائفِ الإعجاز،

ويمكنُ أن نعدَّ هذه النَّظرة من بوادرِ التفسير الموضوعيِّ الذي يثارُ في هذا العصر حوله الاهتمام.

وقد تميَّزَ تاجُ القرّاء في «لبابِ التَّفاسير» باهتمامِه بصياغةِ تعاريفَ دقيقة، كما تميَّزَ باهتمامِه بالفروقِ اللُّغويّةِ، وذلك كثيرٌ جدًّا في «اللبابِ»، من مثلِ تفريقِه بين المسِّ واللَّمسِ، والسرعةِ والعَجلةِ، والطاعة والإسعاف، والمجادلة والمناظرة، والغمرة والغفلة والنسيان والسَّهو، وهذا جانبٌ طريفٌ وممتعٌ مما تميَّز به «لبابُ التَّفاسير».

ولكنَّ «لبابَ التَّفاسير» اشتملَ على جانبٍ آخرَ، وهو الغرائبُ والعجائبُ، وهو من مُلَحِ العلم، والغايةُ منه سبرُ أغوارِ العقولِ وإثارةُ التَّفكير، وقرعُ طبولِ الخطرِ وجرسِ التَّحذيرِ.

وتكمنُ أهمِّيّةُ هذا النَّوعِ في رأينا من ناحيةٍ أخرى، وهي: أنَّه يعكسُ توسُّعاً في البحث، وسَعةً في الاطِّلاع، فهذا النَّوعُ لا يمكنُ جمعُه إلّا لمن كثرَت مطالعتُه، وتنوَّعَت مشاربُه، وكان ممَّن لا يهابَ أن يُقحِمَ يدَه في خليّةِ النَّحل؛ رغبةً في اجتناءِ العسل، وهذا ما يظهرَ جليّاً عند تاجِ القُرّاءِ الكرمانيِّ.

وثمَّةَ جانبٌ في «لبابِ التَّفاسير» لا يجوزُ إغفالُه، وهو الجانبُ الإبداعيُّ فيه؛ فكان تاجُ القُرّاءِ يبذلُ جهدَه في إضافةِ أقوالٍ جديدةٍ إلى الأقوالِ التي بذل جهداً في جمعها وترتيبِها، وكان يوردُ مثلَ هذه الأقوالِ بصيغة الاحتمال، وكأنَّه يريدُ بذلك أن يميِّزَ لنا ثمارَ اجتهادِ المطالعةِ والتَّنقير من ثمارِ اجتهادِ التأمُّلِ والتَّفكير.

وبين هذين النَّوعين يظهرُ الكرمانيُّ في اجتهادٍ دائم، وهو مع ذلك يخفي جهدَه، ويستحي من المباهاةِ بكثيرٍ منه، ولكنَّ المطالعَ لـ«لباب التَّفاسير» لا يعدمُ

عباراتٍ صريحةً تشيرُ لهذا الجانب؛ فيجده يقول: هذا القولُ لم أُسبَقْ إليه، وهو حَسَنٌ، ويجده يقول: كنتُ سُئِلْتُ عن هذه الآيةِ فاستخرجْتُ لها عشرةَ أوجُهٍ سوى ما حكيتُ عن الأئمَّةِ. ويلفتُ الانتباهَ أنَّ تاجَ القراءِ يبدأ مثل هذه الآراءِ التي ابتكرها بكلمةِ (يحتمِلُ)، ويختمُه بكلمة (والله أعلمُ)، فلله درُّه!

وقد عكسَت أقوالُ تاجِ القُرّاءِ الكرمانيِّ في التَّرجيحِ أسساً وقواعدَ هامّة، منها مبدأ تفسيرِ القرآنِ بالقرآن، فقد تميَّزَ بإيرادِه الآياتِ المشابهةَ للآيةِ التي يفسرُها، واستحضارِه لها، وقد صرَّح بهذا المبدأ، ووسَّعَ تطبيقَه، فكان ينقلَ اختلافَ المفسِّرين ويقارنُ بينها معتمداً أنَّ أحسنَ الأقاويلِ ما وافقَ القرآن، فإن لم يجد نصًّا قرآنيًّا يوافقُ القولَ بحث عمّا يوافقُ الأحاديثَ وكلامَ الصحابةِ والتَّابعين، وكان مع ذكرِه الغرائبَ والعجائبَ يؤكِّدُ دائماً أنَّ قولَ الجمهورِ أولى بالاتباعِ.

وقد اتَّبعَ تاجُ القُراء الكَرمانيُّ أسلوباً يقومُ على الإيجازِ والاختصارِ، وكان ذا مُكنةٍ في اللغة واطلاعٍ على غرائبها، ولكنَّه لم يتركْ لمعرفتِه بالغريبِ العنان، وهذا ما جعلَ أسلوبَه وسطاً بين السُّهولةِ والصُّعوبة، فليست عباراتُه ساذجةً مباشرة، ولا عسِرةً مستغلقة.

ويمكنُ أن يخلصَ الباحثُ في «لباب التَّفاسير» إلى أنَّ هذا الكتابَ خلاصةُ جهودٍ عظيمةٍ أفادها الكرمانيُّ ممَّن سبقَه وتقدَّمَه، وزادها فوائدَ تدلُّ على سَبْقِه وتقدُّمِه، وهو دليلٌ مشاهَدٌ على أنَّ الجولاتِ بين السُّطورِ والأسفار، قد تغني أولي الألبابِ والأفكار، عن رحلاتٍ كثيرةٍ وأسفار.

وقد نالَ هذا السِّفرُ ما يستحقُّه من اهتمامِ العلماء؛ فأكثروا عنه النُّقول، واستودعوه القلوبَ والعقول، وكانَ أبو عليٍّ الحسنُ بنُ الخطير الفارسيُّ المعروفُ

بالظّهيرِ (ت: ٥٩٨هـ) يحفظُ في كلِّ فنٍّ كتاباً، فاختارَ في هذا الفنِّ «لبابَ التَّفاسير»، فاستودعَه قلبَه وعقلَه، وكان يحفظُه عن ظهرِ قلب.

لكنَّ اهتمامَ العلماءِ بالكرمانيِّ وكتابِه «لبابَ التَّفاسير» تبدَّدَ وتلاشى مع تطاولِ الزَّمان، وأصبح مَن يعرفونَ الكرمانيَّ يعرفونَ أنَّه صاحبُ «الغرائبِ والعجائب» أو «البرهانِ في متشابهِ القرآن»، أمّا الأصلُ العظيمُ لهذينِ الكتابينِ ـ وهو «لبابُ التَّفاسير» ـ فقد طواه النِّسيان، ولم يعد صاحبُه الكرمانيُّ يُذكَرُ في كتبِ التَّفسيرِ إلّا في القليلِ من الأحيان، وقد استمرَّ التَّجاهُلُ لهذا السِّفرِ وما فيه من الفوائد، والإهمالُ لما أودعَ فيه مصنِّفُه من الفرائد، فبقيَ حبيسَ رفوفِ المكتبات، مدفوناً بينَ رُكامِ المخطوطات، حتَّى أذنَ الله لشمسِه أن تسطعَ بعد طولِ غياب، وأرادَ لجناه أن يدنوَ من أولي الألباب، فحرَّكَ سبحانه وتعالى لإخراجِ «اللُّباب» همّةَ صاحبِ (دارِ اللُّباب)، فوجَّهَ أخونا الكريمُ الأستاذُ أبو عبدِ الله محمَّدُ خلوف العبد الله لهذا السِّفرِ كلَّ اهتمامِه، وحرَّكَ لإحيائِه جهودَ أعوانِه، وهِممَ إخوانِه، فقدحَ بجهودِه المباركةِ وهمَّتِه العاليةِ هِمماً، وبعثَت فينا عزيمتُه عزماً.

وقد أذكى هذه العزيمةَ أنَّ صِلتَنا بالكرمانيِّ كانت في بدايةِ الطَّلب، فرأينا في «برهانِه» ما أثارَ فينا العجب، فبقيَت له في القلبِ ذكرى يفوحُ بين الحينِ والحينِ شَذاها، ورغبةٌ في الاطِّلاعِ على مزيدٍ من لفتاتِه ولطائفِه يشعُّ بعدَ سِناتِ السِّنينِ سَناها، فكان لذاك ولهذا بعد عونِ اللهِ وتوفيقِه أثرٌ في انطلاقِ الرِّحلة، فابتدأ مركبُ تحقيقِ هذا السِّفرِ الجليلِ المسير، وكانَت غايتُه إحياءَ «لبابِ التَّفاسير»، وقد علمنا أنَّ المرادَ غيرُ يسير، فالطَّريقُ طويل، والحِمْلُ ثقيل، ولكنَّ لذّةَ العبادةِ تهوِّنُ القيامَ على النّاسك، وغنائمُ الرِّحلةِ تدعو المغامرَ لاجتيازِ المهالك، فجدَّدنا العزمَ وحرَّرنا النِّيَّة، وطلبنا من الله عونَه وتوفيقَه؛ فعونُ الله لمَن ابتغى وجهَه خيرُ رفيق، وتوفيقُه

خيرُ دليلٍ في مجاهلِ الطَّريق؛ فقد آنَ لـ«لبابِ التَّفاسير» أن يبصرَ بعد الظَّلامِ نوراً، ويُنشَرَ بين النّاسِ بعد أن كان في ضيقِ المكتباتِ محشوراً، وحُقَّ له أن يخرجَ بعد أن يُنفَضَ عنه الغبار، وتُهتَكَ دونَ نفيسِ معدنِه الحُجُبُ والأستار، علَّه يكشفُ عن مكانةِ مصنِّفِه، ويرفعُ الظُّلمَ الَّذي ألحقَه الجهلُ والوهمُ به وبمؤلِّفِه.

وقد بذلنا ما استطعنا من جهدٍ لإخراجِ هذا الكتابِ في صورةٍ تُرضي صاحبَه، وتسرُّ طالبَه، وتضعُه في المكان الذي يليقُ به بين كتبِ التَّفسير والتَّأويل، والموضعِ الذي يستحقُّه بين أسفارِ تراثنا الجليل.

وأخيراً فلا يَفوتُنا أن نتوجَّهَ بالشُّكرِ الجزيل لكلِّ مَن ساهمَ في إخراجِ هذا الكتاب، وهم الأخوةُ الكرامُ في (دار اللُّباب) الذين عملوا على نسخِه ومقابَلَتِه وإخراجِه، ولم يدَّخروا جهداً في مساعدتِنا على تجاوزِ محنٍ وصعوباتٍ رافقَت عملنا فيه، ما كانَت مراتُها تزيدُ على ما رافقَها من حلاوةٍ جميلٍ لطفِ الله الكريمِ الوهّاب، وكريمِ وفاءِ الأهلِ والأحبابِ، وما كنّا لنَجوزها وصولاً إلى هذه المرحلة في إخراج الكتاب، لولا عونُ الله المنان، ثمَّ مساعدةُ هؤلاءِ الإخوان، وما استخدامي لضمير الجمع أحياناً إلا تعبيراً عن إقراري بأنَّ جهدَهم لا يقلُّ عن جهدي، فنحن جميعاً شركاءُ هنا في هذا الفضل، ونسألُ الله أن يجعلنا شركاءَ هناك في الأجر، وأخصُّ بالشُّكر أيضاً الأستاذ أبا مالك أنس عبود، والأستاذَ والأخ أبا أسامة ماهر حبوش، والأخ الأستاذ أبا محمد جمال فارس، والأخ الأستاذ خالد ياسين علوان على حسن إخراجه للكتاب، فقد كان كلٌّ منهم لي يداً تنفعني وجناحاً يرفعني، ثم الشكرُ موصولٌ لدارِ اللُّبابِ، وصاحِبها الذي كان لي أخاً لم تلده أُمِّي؛ أبي عبد الله محمد خَلُّوف العبدالله.

واللهَ نسألُ أن يرزقَنا في هذا العملِ الإخلاصَ لوجهِهِ الكريم، ويُعظمَ لكلِّ مَن ساهمَ فيه الأجرَ والثَّواب، وينفعَ به مَن طالعَه من أهلِ العلمِ والطُّلّاب، ويكتبَ له عنده وعندهم القَبول، إنَّه أكرمُ مسؤول.

وصلِّ اللَّهمَّ على نبيِّنا محمَّد وآلِه الطَّيِّبين، وأصحابِه الغُرِّ الميامين، وآخرُ دعوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين.

وكتبه

محمد عبد الحليم بَعّاج

دمشق الشام

٤/ ذو الحجة/ ١٤٤٢هـ

١٣/ ٧/ ٢٠٢١م

* * *

لمحةٌ عن تطوُّرِ علمِ التَّفسيرِ قبلَ تاجِ القرّاءِ الكَرْمانيِّ

أنزلَ اللهُ تعالى كتابَه على رسولِه، وتكفَّلَ له بحفظِه وبيانِه، فقال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]، وقال: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٧ ـ ١٩]، وكلَّفَه سبحانه وتعالى بتبيينِه للنّاسِ فقال: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٤٤].

فكان كتابُ الله سبحانه وتعالى بيِّناً عند نبيِّه ـ صلوات الله عليه ـ بما عرفَ من لسانِ قومِه، وبما أكرمَه الله من بيانِ كتابِه، وكان الصَّحابةُ ـ رِضوانُ الله عليهم ـ يفهمونَ القرآنَ؛ لأنَّه نزل بلغتِهم، ولأنَّهم سمعوا بعضَ بيانِه من نبيِّهم، فقد كان القرآنُ الكريمُ ينزلُ في هذا الشَّأنِ أو ذاك، فيُتبعُه رسولُ الله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ ببيانٍ قوليٍّ أو فعليٍّ يوضِّحه، فحينَ نزل قولُه تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢] شقَّ ذلك على أصحابِ رسولِ الله رِضوان الله عليهم، وقالوا: أيُّنا لم يظلمْ نفسَه؟ فقال رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ مبيِّناً مرادَ ربِّه في كتابِه: «ليسَ كما تظنُّونَ، إنَّما هوَ كما قالَ لُقمانُ لابنِهِ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان: ١٣]؟»(١).

وعن عقبةَ بنِ عامرٍ قال: سمعتُ رسولَ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يقولُ

---

(١) رواه البخاري (٦٩٣٧)، ومسلم (١٢٤)، والإمام أحمد في المسند (٤٢٤٠).

وهو على المنبرِ: «﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ﴾ [الأنفال: ٦٠]؛ ألا وإنَّ القُوّةَ الرَّميُ»[١].

وقد أفردَت كثيرٌ من كُتبِ السُّنّةِ بابًا للتَّفسيرِ المرويِّ عن النَّبيِّ صلوات الله عليه، وشاعَ في عصرِنا مصطلحُ (التَّفسيرِ النَّبويِّ)[٢].

وقد كان رسولُ الله ـ صلواتُ الله عليه وسلامُه ـ حريصاً على بيانِ كلِّ ما يدخلُ في صميمِ الحياةِ العمليّةِ لأصحابِه، ويتوقَّفُ عليه تسديدُ خُطاهم في هذه الحياة؛ ليكونُوا النَّموذجَ الأسمى للأجيالِ القادمة، لكنَّ العقلَ البشريَّ له استفساراتُه وتساؤلاتُه، فيما يراه ويَغيبُ عنه، وفيما يدركُه وما يعجِزُ عنه، وفيما ينفعُه ويضرُّه، وكثيراً ما يدفعُه الفضولُ أو الرَّغبةُ في الاطِّلاعِ على مجهولٍ إلى أسئلةٍ لا خيرَ له في معرفةِ الإجابةِ عنها، ولقد نزلَ القرآنُ موجزاً مُجملاً حمّالَ أوجهٍ، ففتحَ لهذا العقلَ أبوابَ التَّساؤلات، وتركَ له أن يكتشفَ مع تطوُّرِه ومرورِ الزَّمنِ الإجابات، لكنَّ الله

---

(١) رواه مسلم (١٩١٧)، والإمام أحمد في المسند (١٧٤٣٢).

(٢) قدَّم الدكتور خالد بن عبد العزيز الباتلي رسالة دكتوراه في جامعة الإمام بالرياض بعنوان: «التَّفسير النَّبويُّ مقدِّمة تأصيليّة مع دراسة حديثيّة لأحاديث التَّفسير النَّبويِّ الصَّريح»، وقد طبعت في دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع في الرياض عامَ ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م. وقد استخدم هذا المصطلح كثير من الباحثين المعاصرين مثل: د. مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار في كتاب: «مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر»، و د. عبير بنت عبد الله النعيم في دراسة بعنوان: «قواعد الترجيح المتعلقة بالنص عند ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير ـ دراسة تأصيلية تطبيقية»، وأحمد عمر أبو شوفة في كتاب: «المعجزة القرآنية حقائق علمية قاطعة»، د. عبد الرحمن بن معاضة الشهري في دراسة بعنوان: «الشاهد الشعري في تفسير القرآن الكريم أهميته، وأثره، ومناهج المفسرين في الاستشهاد به».

ـ سبحانه وتعالى ـ نهاه أن يلقيَ نفسَه في غياهبِ المجاهلِ والظُّلمات، فقال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [المائدة: ١٠١].

وقالَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم: «ذَرُوني ما تَركتُكم؛ فإنَّما أهلَكَ مَن كانَ قَبلَكُم كَثرةُ سُؤالِهم، واختِلافُهُم عَلى أنبيائِهِم»[(١)].

ولقد تأدَّبَ الصَّحابةُ ـ رِضوانُ الله عليهم ـ بما أدَّبَهم به ربُّهم، وانتصحُوا بما أرشدَهم إليه نبيُّهم، فتمسَّكُوا بكتابِ ربِّهم، وتركُوا أمرَ بيانِه لنبيِّهم، وأعرضُوا عن المسألةِ التي يمكنُ أن تكونَ سبباً في عَنَتٍ وتشديدٍ، فعن أنسٍ ـ رضيَ الله عنه ـ قال: كُنّا نُهينا أن نسألَ رسولَ اللهِ ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ عن شيءٍ، وكانَ يُعجِبُنا أن يَجيءَ الرَّجلُ من أهلِ الباديةِ العاقلُ، فيسألَه ونحنُ نَسمعُ[(٢)].

فلمّا التحقَ رسولُ الله بالرَّفيقِ الأعلى كانت مواقفُ علماءِ الصَّحابةِ من تفسيرِ كتابِ الله مُتباينةً؛ فمنهم مَن كان يُعظِمُه ويتوقَّفُ عنه تورُّعاً، ويدلُّ لذلك ما رُويَ عن أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ رضيَ الله عنه: أنَّه سُئلَ عن آيةٍ فقال: أيُّ أرضٍ تُقلُّني، وأيُّ سماءٍ تُظلُّني، إذا قلتُ في القرآنِ ما لا أعلمُ[(٣)]؟

وقال عُبيدُ اللهِ بنُ عمرَ: لقد أدركتُ فقهاءَ المدينة، وإنَّهم ليُعظِمونَ القولَ في التَّفسير[(٤)].

---

(١) رواه مسلم (١٣٣٧).

(٢) رواه مسلم (١٢)، والإمام أحمد في المسند (١٢٤٥٦).

(٣) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (٢٠٧٩).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٧٩).

وكان سعيدُ بنُ المسيَّبِ إذا سُئِلَ عن الحلالِ والحرامِ تكلَّم، وإذا سُئلَ عن التَّفسيرِ سكتَ؛ كأنَّه لا يسمعُ[1].

وكانَ مسروقٌ يقولُ: اتَّقوا التَّفسيرَ؛ فإنَّما هو الرِّوايةُ عن الله عزَّ وجلَّ[2].

وكانَ الشَّعبيُّ يقولُ: واللهِ ما مِن آيةٍ إلا قد سألتُ عنها، ولكنَّها الرِّوايةُ عن اللهِ[3].

وكان من علماءِ الصَّحابةِ مَن يتكلَّمُ في كتابِ الله بما تستدعيه الحاجة، ويتوقَّفُ عليه العملُ، وينهى عمّا سوى ذلك، وكان على رأسِ هؤلاءِ عمرُ بنُ الخطّاب رضي الله عنه، فعن أنسِ بنِ مالكٍ: أنَّه سمعَ عمرَ ـ رضيَ الله عنه ـ يقول: قال الله: ﴿وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس: ٢٨ ـ ٣١]، كلُّ هذا قد علمناه، فما الأبُّ؟ ثمَّ ضربَ بيدِه، وقال: لعمرُكَ إنَّ هذا لهو التَّكلُّفُ، اتَّبعوا ما يتبيَّنُ لكم في هذا الكتابِ... وما لا فدعُوه[4].

وكان في الصَّحابةِ في المقابلِ مَن رأوا أنَّ مِن تعظيمِ القرآنِ فهمَ معانيه، وبيانَ مَراميه، وكشفَ المكنونِ من علومه، وتسليطَ الضَّوءِ على المخزونِ من فنونه، وكان عبدُ الله بنُ مسعودٍ ـ رضيَ الله عنه ـ يقول: مَن أرادَ العلمَ فليُثوِّرِ القرآنَ؛ فإنَّ فيه علمَ الأوَّلينَ والآخِرين[5].

وقد استجابَ كثيرٌ من العلماءِ في عصرِ الصَّحابةِ ـ رضيَ الله عنهم ـ ومَن بعدهم لهذه الدَّعوة، فكان علمُ التَّفسيرِ أوَّلَ علومِ القرآنِ ميلاداً، وأسبقَها عهداً،

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٨٠).

(٢) رواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ٣٧٧).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٨١).

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ ٣٩٣)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٢٣).

(٥) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٨٦٦٦)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٢٣).

وكان لعليِّ بنِ أبي طالبٍ ـ رضيَ الله عنه ـ فيه قَصَبُ السَّبق؛ فهو القائلُ: لو أردْتُ أن أُمليَ وِقرَ بعيرٍ على الفاتحةِ لفعلتُ[1].

وكان عبدُ الله بنُ عبّاسٍ ـ رضيَ الله عنهما ـ حبرَ الأُمّة وبحرها، الذي اختصَّ بالتَّفسيرِ وعلمِ التَّأويلِ فيها[2]، وقد قال فيه عبدُ الله بنُ مسعود: نِعمَ ترجمانُ القرآنِ عبدُ الله بنُ عبّاس[3].

وقال الإمامُ المفسِّرُ ابنُ عطيّةَ (ت: ٥٤٢هـ): فأمّا صدرُ المفسِّرينَ والمؤيَّدُ فيهم فعليُّ بنُ أبي طالب، ويتلوه ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما، وهو تجرَّدَ للأمرِ وكمَّلَه وتتبَّعَه، وتَبِعَه العلماءُ عليه؛ كمجاهدٍ وسعيدِ بنِ جُبيرٍ وغيرهما[4].

وهكذا صارَ تفسيرُ كتابِ الله تعالى عِلماً له قواعدُه ومختصُّوه، وأصبحَ الغايةَ التي يطمحُ لها كثيرٌ من العلماء، وقد وقفَ كثيرٌ منهم دونَ هذه الغاية؛ لأنَّهم قيَّدوا أنفسَهم بضوابطَ متينة، جعلوها حِصناً يُبعدُ مَن لا يجدُ في نفسِه الثِّقةَ والعزيمةَ عن الخوضِ في كتابِ الله، فقد عدَّ الإمامُ أبو القاسمِ محمَّدُ بنُ أحمدَ؛ ابنُ جُزيٍّ الكلبيُّ

(١) انظر: «البرهان في علوم القرآن» للزركشي (١/ ٨)، و«إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري» للقسطلاني (٧/ ٤٥٩).

(٢) وقد جمع العلاّمة مجد الدين الفيروزآبادي ما رُوي عن ابن عبّاس ـ رضي الله عنهما ـ في كتاب سمّاه «تنوير المقباس من تفسير ابن عبّاس»، وهو مطبوع متداول، ولكن ينبغي التَّنبُّه إلى خطورة الاعتماد عليه؛ فالفيروزآبادي ـ رحمه الله وغفر له ـ اعتمد على رواية محمَّد بن مروان عن الكلبيِّ عن أبي صالح عن ابن عبّاس، وقد قال السُّيوطيُّ في «الإتقان» (٤/ ٢٣٩): إنَّ أوهى الطُّرق عن ابن عبّاس طريق الكلبيِّ عن أبي صالح عنه، فإن انضمَّ إلى ذلك رواية محمَّد بن مروان السُّدِّيِّ الصَّغير فهي سلسلة الكذب.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٨٤).

(٤) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (١/ ٤١).

(ت: ٧٤١هـ) اثني عشرَ فنًّا من العلومِ يستدعيها الكلامُ على كتابِ الله[١].

أمّا تدوينُ التَّفسيرِ فقد بدأ في أواخرِ عهدِ بني أُميّةَ وأوائلِ عهدِ بني العبّاس، إذ كان بابًا من أبوابِ الحديثِ التي حظيَ تدوينُها باهتمامِ العلماء، ولكنَّ التَّفسيرَ في هذا العصرِ لم يُفرد له تأليفٌ خاصٌّ يُفسَّرُ فيه القرآنُ سورةً سورة، وآيةً آية، من مَبدئِه إلى مُنتهاه.

ثـمَّ جـاءَ مَـن أفـردَ التَّفسـيرَ بالتَّأليـف، وجعلَه عِلمًـا قائمًـا بنفسِـه منفصلًا عن الحديـث، ففسَّـرَ القرآنَ حسبَ ترتيـبِ المصحـف، ويُعدُّ تفسـيرُ الإمامِ سُـفيانَ بنِ سـعيدٍ الثَّـوريِّ (ت: ١٦١هـ) مـن أقدمِ التَّفاسـيرِ التي وصلَت إلينا، وتفسـيرُه محاولةٌ لجمـعِ الرِّوايـاتِ المتعلِّقةِ بتفسـيرِ بعـضِ الآيات، وقد اشـتملَ علـى (٩١١) رواية، ويظهـرُ منهجُـه فـي التَّفسـيرِ فيمـا رُويَ عـن عبـدِ الرَّحمـنِ بن مهـدي أنَّه قـال: كان سُـفيانُ يأخـذُ المصحـف، فلا يـكادُ يمرُّ بآيـةٍ إلّا فسَّـرها، فربَّـما مرَّ بالآيـة؛ فيقول: أيُّ شـيءٍ عنـدكَ في هـذه؟ فأقول: ما عنـدي فيها شـيء، فيقول: تضيعُ مثلُ هذه، لا يكونُ عنـدكَ فيها شـيء[٢]!

وقد سارَ الإمام عبدُ الرَّزّاقِ بنُ همّامِ الصَّنعانيُّ (ت: ٢١١هـ) على هذا المنهج، وتركَ تفسيراً واسعاً[٣].

وقد حاولَ العلماءُ في هذه الطَّريقةِ أن يُفسِّروا القرآنَ اعتماداً على ما أُثِرَ عن السَّلفِ من روايات، وقد سُمِّيت هذه الطَّريقةُ التَّفسيرَ بالمأثور، وصارت منهجاً

---

(١) انظر: «التسهيل لعلوم التنزيل» لابن جُزي (١/ ١٥).

(٢) انظر: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (١/ ١١٦).

(٣) وهو مطبوع بتحقيق أ. د. مصطفى مسلم، وصدر عن مكتبة الرشد بالرياض عام ١٤١٠هـ.

واضحاً سارَ عليه جملةٌ من العلماءِ فيما بعدُ، ولا يزالُ لهذه الطَّريقةِ حضورُها في عصرنا هذا[1].

وقد تميَّزَت هذه الطَّريقةُ في بدايةِ الأمرِ بالإسناد، ولكن جاء بعد ذلك جماعةٌ من المفسِّرينَ لم يتجاوزوا حدودَ التَّفسيرِ بالمأثور، ولكنَّهم اختصرُوا الأسانيدَ، وجمعُوا شتاتَ الأقوالِ دونَ أن ينسبُوها إلى قائليها، وبهذا التبسَ الأمر، ولم يتميَّزِ الصَّحيحُ من السَّقيم.

وفي مقابلِ هذه الطَّريقةِ ظهرَت طريقةٌ أُخرى أرادَ فيها جملةٌ من العلماءِ أن يفسِّروا القرآنَ انطلاقاً من اللُّغةِ العربيّة، وممّا وصلَ إلينا من هذه التَّفاسيرِ «معاني القرآن» لأبي زكريّا يحيى بنِ زيادٍ الفرّاءِ (ت: ٢٠٧هـ)، و«مجازُ القرآنِ» لأبي عُبيدةَ معمرِ بنِ المثنَّى (ت: ٢٠٩هـ).

وقد اعتمدَ العلماءُ الَّذين سلكُوا هذه الطَّريقَ في الأساسِ على اللُّغةِ العربيّة، واللُّغةُ علمُ روايةٍ، لكنَّها سوَّغَت لما عُرفَ فيما بعدُ بالتَّفسيرِ بالرَّأي.

ثمَّ جاء شيخُ المفسِّرينَ الإمامُ أبو جعفرٍ ابنُ جريرٍ الطَّبريُّ (ت: ٣١٠هـ)، فجمعَ كثيراً من الرِّواياتِ بالإسنادِ إلى رسولِ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وإلى الصَّحابةِ والتَّابعينَ وتابعيهم، مع النَّقدِ والتَّرجيحِ أحيانًا، لكنَّه جمعَ إلى ذلك ما أفاده من كلامِ أئمّةِ اللُّغةِ وأصحابِ المعاني، وأضافَ إليه استنباطَ بعضِ الأحكام، والإعرابَ عندَ الحاجة، فكان كتابُه موسوعةً لعلوم شتَّى، وأصبحَ إماماً لـمَن بعدَه.

---

(١) وقد قام أ. د. حكمت بن بشير بن ياسين بجمع الروايات ودراستها في «موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور»، وطبعت في دار المآثر في المدينة النبوية، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م. وانظر: «بحوث في أصول التفسير ومناهجه» لفهد الرومي (ص: ٧١ و٨٦).

وقد قال الدكتورُ محمَّد الذَّهبيُّ (ت: ١٣٩٨هـ): هذا الكتابُ أعظمُ الكتبِ المؤلَّفةِ في التَّفسيرِ بالمأثور، كما أنَّ ما جاء في الكتابِ من إعراب، وتوجيهاتٍ لُغويّة، واستنباطاتٍ في نواحٍ متعدِّدة، وترجيحٍ لبعضِ الأقوالِ على بعض، كان نقطةَ التَّحوُّلِ في التَّفسير، ونواةً لما وُجِدَ بعدُ من التَّفسيرِ بالرَّأي[١].

ثمَّ كثُرَتِ المصنَّفاتُ في علمِ التَّفسيرِ، فلا تكادُ تدخلُ تحتَ حدٍّ وحصر، منها ما طُبِعَ في عصرنا، ومنها ما يزالُ مخطوطاً، ومنها المفقود، وقد بلغَ بعضُها من الاتِّساعِ حدًّا يصعبُ تصوُّرُه، فقد ذُكِرَ أنَّ تفسيرَ الحافظِ أبي حفصٍ بنِ شاهين (ت: ٣٨٥هـ) في ألفِ جزء، وأنَّ تفسيرَ «أنوار الفجر» لأبي بكرٍ ابنِ العربيِّ (ت: ٥٤٣هـ) كان في ثمانينَ ألفَ ورقة[٢].

وكانَ العلماءُ يُدركونَ عظمةَ كلامِ الله، ومقدارَ عجزِهم عن الإحاطةِ به، فكان سهلُ بنُ عبدِالله (ت: ٢٨٣هـ) يقولُ: لو أُعطِيَ العبدُ بكلِّ حرفٍ من القرآنِ ألفَ فَهمٍ لم يبلغْ نهايةَ ما أودعَه الله في آيةٍ من كتابِه؛ لأنَّه كلامُ الله وكلامُه صفتُه، وكما أنَّه ليسَ لله نهايةٌ، فكذلك لا نهايةَ لفهمِ كلامِه، وإنَّما يفهمُ كلٌّ بمقدارِ ما يفتحُ الله عليه، وكلامُ الله غيرُ مخلوقٍ، ولا تبلغُ إلى نهايةِ فهمِه فُهومٌ محدَثةٌ مخلوقةٌ[٣].

وقد اتَّسعَت في القرونِ الثّالثِ والرّابعِ والخامسِ العلوم، وتمَّ تدوينُها، وتشعَّبَت فروعُها، وكثُرَ الاختلاف، وأُثيرَت مسائلُ الكلام، وظهرَ التَّعصُّبُ المذهبيُّ، واختلطَت علومُ الفلسفةِ العقليّةِ بالعلومِ النَّقليّة، وظهرَت الفِرَقُ الإسلاميّة، وحرصَت كلُّ فرقةٍ

---

(١) انظر: «التفسير والمفسرون» للدكتور محمَّد الذهبي (١/ ١٥٩)، ويُنظر مفهوم التفسير بالرأي ومنهجه في: «بحوث في أصول التفسير ومناهجه» لفهد الرومي (ص: ٧٨).

(٢) انظر: «التفسير والمفسرون» للدكتور محمَّد الذهبي (٢/ ٣٣٠).

(٣) انظر: «البرهان في علوم القرآن» للزركشي (١/ ٩).

منها على دعمِ مذهبِها، فأصابَ التَّفسيرَ من هذا الجوِّ غبارُه، وأصبحَ بعضُ المفسِّرينَ يعتمدونَ في تفسيرِهم على فهومٍ شخصيّة، ويتجَّهونَ اتِّجاهاتٍ متعدِّدة، وأثَّرت في بعضِهم الاصطلاحاتُ العلميّة، والعقائدُ المذهبيّة، والثَّقافةُ الفلسفيّة، واهتمَّ كثيرٌ منهم بحشوِ تفسيرِه بما برزَ فيه من العلومِ الأخرى، وحمَّلَ آخرونَ آياتِ القرآنِ ما لا تتحمَّلُه انتصارًا لمذهبِهم، وردًّا على خصومِهم، وفَقَدَ التَّفسيرُ عند بعضِهم وظيفتَه الأساسيّة؛ فلم يعد يقرِّبُ قارئَه من كتابِ ربِّه، وإنَّما أصبحَ عِلماً يعكسُ جانباً من التَّرفِ الفكريِّ الذي كانت تعيشُه الأمّة، وهكذا أصبحَت كتبُ التَّفسيرِ تحملُ في طيّاتِها الغثَّ والسَّمين، والصّالحَ والفاسد، والنّافعَ والضّارَّ.

كما أنَّ بعضَ التَّفاسيرِ خرجَت إلى أغراضٍ أخرى، وأصبحَت أقربَ إلى فروعٍ أخرى من العلمِ؛ فمسائلُ النَّحوِ في «معاني القرآنِ» للزَّجّاجِ (ت: ٣١١هـ) لا تقلُّ عن أيِّ كتابٍ في النَّحو، وهو رغمَ أنَّه كتابٌ في معاني القرآنِ، لكنَّه مصدرٌ من مصادرِ النَّحو أيضاً[1].

والأخبارُ والقصصُ التي أوردَها مقاتلُ بنُ سليمانَ (ت: ١٥٠هـ) في «تفسيرِه» عن بني إسرائيلَ كثيرٌ منها تثيرُ في النَّفسِ ما تُثيرُه القصصُ من الدَّهشةِ، لا ما يقودُ إليه كلامُ الله من الإيمانِ والهُدى[2].

---

(١) وقد تفاقم هذا الاتجاه بعد القرن السادس، فيجد الباحث أنَّ المسائلَ العقليّةَ التي ناقشها الرازي (ت: ٦٠٦هـ) في «مفاتيح الغيب» لا تقلُّ عنها في كتب علم الكلام، ومسائلَ الفقهِ وأدلَّتَها التي عرضها الإمام القرطبيُّ (ت: ٦٧١هـ) في «الجامع لأحكام القرآن» لا تقلُّ عن نظائرها في كتب الفقه الموسَّعة.

(٢) وقد نقل تاج القراء الكرماني بعض هذه الأخبار مقدِّماً بعبارة: (ذُكِرَ في القصصِ) أو (جاء في القصصِ)، كما فعل في تفسير قوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ [البقرة: ٢٥٩].

كما أنَّ كثيراً من المعاني التي أوردَها أبو القاسمِ القُشيريُّ (ت: ٤٦٥هـ) في «لطائفِ الإشاراتِ» إنَّما هي مواجيدُ وفُهوماتٌ، وليست تفسيراً للقرآن.

وثمّةَ أمرٌ آخرُ، وهو أنَّ بعضَ أصحابِ المذاهبِ الباطلةِ والأقاويلِ المنحرفةِ لجؤوا إلى التَّفسير؛ لنصرةِ مذاهبِهم، ونشرِ مقالاتِهم؛ فمَن يطالعْ تفسيرَ الشِّيعيِّ يجدْ آياتِ العذابِ تتَّجهُ لمن خالفَ آلَ البيتِ، وآياتِ الرحمةِ والبشارةِ تتَّجهُ للأئمّةِ المعصومين في زعمِه ومن ساندَهم(١)، ومَن يطالعْ تفسيرَ المعتزليِّ يجدْ أنَّه لا يفوِّتُ فرصةً ليدسَّ دسيسةَ اعتزالٍ إلّا استغلَّها، حتَّى قال أبو حيّان الأندلسيُّ (ت: ٧٤٥هـ) في الزَّمخشريِّ (ت: ٥٣٨هـ): ما أولعَ هذا الرَّجلَ بمذهبِ الاعتزالِ، يدسُّه متى أمكنَه في كلِّ ما يتكلَّمُ به(٢).

وقد بلغَ علمُ التَّفسيرِ في القرنِ الخامسِ حالةً من النُّضجِ والتَّطوُّرِ والزَّخمِ ليسَت مسبوقةً، فظهرَ عددٌ من العلماء أفرغوا جهوداً عظيمةً في تفسيرِ القرآنِ وعلومِه، ومن هؤلاء:

ـ أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ الحسنِ بن فُورك الأنصاريُّ الأصبهانيُّ (ت: ٤٠٦هـ)، وله تفسيرٌ عُرِفَ بـ: «تفسيرِ ابنِ فورك»، وقد طُبعَت منه ثلاثةُ مجلَّداتٍ.

ـ أبو إسحاقَ أحمدُ بنُ إبراهيمَ الثَّعلبيُّ (ت: ٤٢٧هـ)، وله كتابٌ كبيرٌ في التَّفسيرِ

---

(١) انظر: «اختلاف المفسرين: أسبابه وآثاره» للدكتور سعود بن عبد الله الفنيسان (ص: ٥٢). وقد نقل تاج القراء الكرماني بعض أقوال هؤلاء، من مثل قولِ بعضهم في تفسير قوله تعالى: ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾ [الشورى: ١ ـ ٢]: الحاءُ حربُ عليٍّ ومعاويةَ، والميمُ ولايةُ المروانيَّةِ، والعينُ ولايةُ العبَّاسيَّةِ، والسِّينُ ولايةُ السُّفيانيَّةِ، والقافُ قدرةُ مهديٍّ. ثم قال: **أردْتُ بذكرِ ذلك أن يُعلمَ أنَّ في مَن يدَّعي العلمَ أيضًا حمقَى.**

(٢) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (١٠/ ٤٣٦).

سمّاه: «الكشفَ والبيانَ عن تفسيرِ القرآن»، وقد طُبِعَ في ثلاثةٍ وثلاثين مجلَّداً.

ـ أبو الحسنِ عليُّ بنُ إبراهيمَ بنِ سعيدٍ الحُوفيُّ (ت: ٤٣٠هـ)، وله كتابٌ في التَّفسيرِ سمّاه: «البرهانَ في تفسيرِ القرآن»، طُبِعَ منه مجلَّد.

ـ أبو محمَّدٍ مكيُّ بنُ أبي طالبٍ القيسيُّ القيروانيُّ ثم الأندلسيُّ القرطبيُّ المالكيُّ (ت: ٤٣٧هـ)، وله كتابٌ في التَّفسيرِ سمّاه: «الهدايةَ إلى بلوغِ النِّهايةِ في علمِ معاني القرآنِ وتفسيرِه، وأحكامِه، وجُملٍ من فنونِ علومِه»، وقد طُبِعَ في ثلاثةَ عشرَ مجلَّداً.

ـ أبو الحسنِ عليُّ بنُ محمَّدٍ البصريُّ البغداديُّ الشّافعيُّ الشَّهيرُ بالماورديِّ (ت: ٤٥٠هـ)، وله كتابٌ في التَّفسيرِ سمّاه: «النُّكتَ والعيونَ»، وقد طُبِعَ في ستّةِ مجلَّدات.

ـ أبو القاسمِ عبدُ الكريمِ بنُ هوازنَ بنِ عبدِ الملكِ القُشيريُّ الصُّوفيُّ (ت: ٤٦٥هـ)، وله تفسيرٌ سمّاه: «لطائفَ الإشاراتِ»، وقد طُبِعَ في ثلاثةِ مجلَّدات.

ـ أبو الحسنِ عليُّ بنُ أحمدَ بنِ محمَّدِ بنِ عليٍّ الواحديُّ النَّيسابوريُّ الشّافعيُّ (ت: ٤٦٨هـ)، وله تفاسيرُ، منها: «البسيطُ»، وهو تفسيرٌ كبيرٌ طُبِعَ في خمسةٍ وعشرينَ مجلَّداً، و«الوسيطُ»، وقد طُبِعَ في أربعةِ مجلَّدات، و«الوجيزُ»، وقد طُبِعَ في مجلَّدين.

ـ أبو بكرٍ عبدُ القاهرِ بنُ عبدِ الرَّحمنِ بنِ محمَّدٍ الفارسيُّ الأصلِ، الجرجانيُّ الدّارِ (ت: ٤٧١هـ)، وله تفسيرٌ سمّاه: «درجُ الدُّررِ في تفسيرِ الآيِ والسُّور»، وقد طُبِعَ في أربعةِ مجلَّدات.

ـ أبو المظفرِ منصورُ بنُ محمَّدٍ المروزيُّ السَّمعانيُّ التَّميميُّ الحنفيُّ ثم الشّافعيُّ (ت: ٤٨٩هـ)، وله تفسيرٌ عُرِفَ بـ: «تفسيرِ السَّمعانيِّ»، وقد طُبِعَ في ستّةِ مجلَّدات.

ـ أبو القاسمِ الحسينُ بنُ محمَّدٍ المعروفُ بالرّاغبِ الأصفهانيِّ (ت: ٥٠٢هـ)، وله تفسيرٌ عُرفَ بـ: «تفسيرِ الرّاغبِ الأصفهانيِّ»، وقد طُبعَ منه خمسةُ مجلَّدات.

فإذا ما نبَّهنا إلى أنّا لم نذكر فيما مضى إلا ما وقفنا عليه من المطبوعِ من تفاسيرِ علماءِ هذا القرن، تبيَّنَ لنا أنَّ علمَ التَّفسيرِ بلغَ حالةً من الزَّخمِ نادرة، فلم يعد البحثُ عن المشهورِ المعروفِ كافياً.

وقد وقفَ تاجُ القُرّاءِ الكرمانيُّ على هذا الكمِّ الهائلِ من التَّفاسير، وحاولَ أن يجمعَ أقوالَ المفسِّرينَ ويُهذِّبُها، ويلتقطَ من كتبِ التَّفاسيرِ كلَّ غريبٍ وعجيبٍ، وقد تركَ تفسيرين؛ التَّفسيرَ الموسومَ بـ«غرائبِ التَّفسيرِ وعجائبِ التَّأويل»، وقد طُبعَ في مجلَّدين، والأصلَ الذي أخذَ منه الكَرمانيُّ ذلك الكتاب، وهو: «لُباب التَّفاسيرِ»، وهو هذا الكتاب.

* * *

عصرُ الكَرمانيِّ

لاشكَّ أنَّ الإنسانَ ابنُ الظُّروفِ التي يعيشُها، فهو يتأثَّرُ بالبيئةِ المحيطةِ به؛ أرادَ ذلكَ أو لا؛ علمَ به أو لم يَعلَم، ولذلك كانَ تسليطُ الضَّوءِ على البيئةِ التي عاشَها أيُّ عَلَمٍ منَ أعلامِ التّاريخِ والتَّعرُّفُ على الأوضاعِ التي كانَت سائدةً في عصرِه مفتاحاً للكشفِ عن جوانبَ كثيرةٍ من شخصيَّته وإنتاجِه، وعقليَّته ومنهجِه، ومن هنا جرَت عادةُ الباحثين في حياةِ شخصيّةٍ من شخصيّات التّاريخِ أو تراثِها أن يُقدِّموا بين يدي دراستِهم لمحةً تكشفُ عن العصرِ الذي عاشَت فيه تلك الشَّخصيّةُ من النَّواحي السِّياسيّةِ والاجتماعيّةِ والعلميّةِ والثَّقافيّة.

أوَّلاً ـ الحياةُ السِّياسيّةُ:

تؤثِّرُ الحياةُ السياسيّةُ في مكانٍ ما وزمانٍ ما في كثير من الأحيانِ على حياةِ النّاسِ عامّةً والعلماءِ خاصّة؛ لأنَّ الواقعَ السِّياسيَّ غالباً ما يُفرزُ أنماطاً من التَّربية، ويُسوِّقُ لجملةٍ من الأفكارِ والعقائد، فالواقعُ السِّياسي يحاولُ صبغَ المجتمعِ بصبغتِه الخاصّة، والمجتمعُ غالباً ما يُلقي بشيءٍ من ذلك على أفرادِه، فيؤثِّرُ ذلك في حياتِهم الاجتماعيّة، ويؤثِّرُ في تحصيلِهم العلميِّ وإنتاجِهم الثَّقافيِّ.

وقد قضى تاجُ القرّاءِ الكرمانيُّ معظمَ حياتِه في القرنِ الخامسِ الهجريِّ، وقضى آخرَها في صدرِ القرنِ السّادسِ، وهذه الفترةُ من تاريخِنا ما هي إلا جزءٌ ممّا اصطُلِحَ على تسميتِه بالعصرِ العباسيِّ الثّاني.

وإن كانَ العصرُ العباسيُّ قد جاء فتحوَّلَت معه الخلافةُ إلى خلافاتٍ، والدَّولةُ إلى دولٍ ودويلاتٍ، فإنَّ العصرَ الأوَّلَ منه قد امتازَ بالقوّةِ والاستقرارِ والتَّقدُّمِ الحضاريِّ، أمّا العصرُ الثّاني منه فامتازَ بالضَّعفِ والقلقِ في الجانبِ السِّياسيِّ، لكنَّ رَكْبَ الحضارةِ خالفَ التَّوقُّعات، وواصلَ تقدُّمَه فيه وإن لم يخلُ من العراقيلِ والعثراتِ.

وقد شهدَ هذا العصرُ خسارةَ الدَّولةِ العربيّةِ الإسلاميّةِ هيبتَها، فبدأت الحملاتُ الصَّليبيّةُ الآثمةُ سنة ٤٨٩هـ، وتمكَّنَ الصَّليبيُّون من دخولَ بيتِ المقدسِ سنةَ ٤٩٢هـ، فظلموا العبادَ والبلاد، وعاثوا في الأرضِ الفساد[١].

وقد اضطربَ شأنُ خلفاءِ بني العبّاسِ في هذا العصرِ، فأصبحوا بعدَ العزِّ والمَنَعةِ كالأسرى في قصورِهم، لا يدرونَ متى يُمكَرُ بهم؛ فيُقتلون، أو يُخلعون، أو تُكحَلُ عيونُهم بالنّار، ويُرمَون في الحبس.

ولم يكن ذلك نتيجةَ تسلُّطِ أعدائِهم عليهم، لكنَّه نتيجةُ ما فعلَه خلفاؤُهم أنفسُهم، فقد بدأ ضعفُ هذه الدَّولةِ من دارِ الخلافةِ نفسِها؛ فسُنَّةُ اعتمادِ العبّاسيِّين على قادةٍ أقوى من الخليفةِ نفسِه انتهَت بسيطرةِ بعضِ رجالِ الدَّولةِ على السُّلطةِ، فأنشؤوا دولاً إقليميّةً محيطةً بالدَّولةِ العبّاسيّةِ، ثم ما لبثَ مركزُ الخلافةِ أن خضعَ لسيطرةِ دولٍ حكمَت البلادَ والعبادَ باسمِ خليفةٍ تحكمُه ولا يحكمُها.

وسُنّةُ قتلِ الخلفاءِ التي سنَّها طاهرُ بنُ الحسينِ قائدُ جيشِ المأمونِ عندما قتلَ الأمينَ في دار السَّلامِ تفاقمَت وتعاظمَت مع الأيّامِ حتى قالَ ابنُ حِبّانَ في ترجمةِ

---

(١) انظر: «البداية والنهاية» لابن كثير (١٦/ ١٦٨)، و«تاريخ الإسلام السياسي» لحسن إبراهيم حسن (٤/ ٢٤٥).

المطيعِ لله ابنِ المقتدرِ: «هو باقٍ! لا أدري ما اللهُ صانعٌ به، إلا أنَّه خليفةٌ يموتُ أو يُقتلُ لا محالةَ؛ لأنَّ له أسوةً بمَن فقدَهم»[1].

وليسَت هذه النَّظرةُ التَّشاؤميّةُ من ابن حِبّانَ بغريبةٍ؛ ففي هذا العصرِ انطلقَت الدَّولةُ البُويهيّةُ التي بدأت أوّلَ أمرِها بالسَّيطرةِ على كرمانَ وسجستانَ والأهوازِ، ولم تنتهِ طموحاتُ قادتِها إلا بالاستيلاءِ على بغدادَ، ووضعِ الخلافةِ العبّاسيّةِ تحتَ جناحِها، حيث عادَ أحمدُ بنُ بويه الدَّيلميُّ[2] إلى بغداد، فاستقبلَه المستكفي، وجعلَه أميرَ الأمراء، لكنَّه انقلبَ عليه، وخلعَه من الخلافة، وأمرَ به، فسُمِلَتْ عيناه وحُبس، ومالَ للفضلِ بن المقتدرِ، فبايعَه بالخلافةِ سنةَ ٣٣٤هـ، فتسمَّى المطيعَ لله، ولكنَّ ابنُ بويه هو الذي سلَّمَه الخلافةَ، وأجلسَه على سريرِ الملكِ، فكان عاجزاً أمامَه، وكان السُّلطانُ لابنِ بُويه[3]، وهكذا أصبحَت الخلافةُ العبّاسيّةُ رهينةً بيدِ البُويهيِّين، وسقطَت في هوّةٍ سحيقةٍ تختلفُ عن الإخفاقاتِ السّابقةِ كلِّها، فقد كان بنو بُويه ومَن معهم من الدَّيلمِ قُساةً في طباعِهم، غُلاة في تشيُّعِهم، وقد عاصرَ هذه المرحلةَ من تاريخِ الدَّولةِ العبّاسيّةِ من المؤرِّخينَ المسعوديُّ (ت: ٣٤٦هـ)، فأهملَ ذكرَ جملةً من خلفاءِ بني العبّاسِ، وقالَ: «ولم نعرضْ لوصفِ أخلاقِ المتَّقي والمستكفي

---

(١) انظر: «الثقات» لابن حبان (٢/ ٣٣٦).

(٢) هو معزُّ الدولة أحمد بن بويه، أبو الحسن، من سلالة سابور الساساني، فارسي الأصل، أبوه صياد سمك، وكان هو حطاباً في صغره، ثم ملك هو وأخواه عماد الدولة وركن الدولة البلاد، تولى أول أمره كرمان وسجستان والأهواز، ثم امتلك بغداد سنة ٣٣٤هـ في خلافة المستكفي، ودام ملكه في العراق أزيد من ٢٠ سنة، وكان يتشيَّع، توفي ببغداد سنة ٣٥٦هـ. انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٦/ ١٨٩).

(٣) انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٥/ ١١٣)، و«الوافي بالوفيات» للصفدي (٤/ ٢٤٥).

والمطيعِ ومذاهبِهم؛ إذ كانوا كالـمُولَّى عليهم، لا أمرَ ينفذُ لهم... تفرَّدَ بالأمورِ غيرُهم، فصاروا مقهورينَ خائفين، قد قنعُوا باسمِ الخلافة، ورضوا بالسَّلامة»(١).

وقد بقيَت دولةُ بني بُويه أزيدَ من قرنٍ من الزَّمنِ إلى أن سقطَت على أيدي السَّلاجقةِ سنةَ (٤٤٧هـ).

وكان السَّلاجقة من أهل السُّنة، وكان أشهرُ قادتِهم، ومؤسِّسُ دولتِهم، طُغْرُلْبِك(٢)، فهو الذي هزمَ جيشَ الدَّولةِ الغزنويّةِ سنةَ (٤٣١هـ)، واستولى على بلادِ خراسانَ، ثم واصل السَّلاجقةُ زحفَهم حتَّى استولوا على أكثرِ بلادِ فارس، وطردوا عنها بني بُويه، وعندما أظهرَ أرسلانُ بنُ عبد الله البساسيريُّ (ت: ٤٥١هـ) ما كان عند البويهيِّين من ميلٍ للباطنيّة، وحاولَ أن ينقلبَ على الخلافةِ العباسيّة، وخطبَ للمستنصرِ الفاطميِّ سنةَ ٤٥٠هـ، استنجدَ الخليفةُ العباسيُّ القائمُ بأمرِ اللهِ (ت: ٤٦٧هـ) بطُغرُلْبِك، فسارَ إليه ودخلَ بغدادَ سنةَ ٤٤٧هـ، وأزالَ دولةَ بني بويه، وقد ذكرَ ابنُ كثيرٍ (ت: ٧٧٤هـ): أنَّ بني بُويه كانَت تُقوِّي الرَّوافضَ وتنصرُهم، فزالُوا

---

(١) انظر: «التنبيه والإشراف» للمسعودي (ص: ٣٤٦)، وانظر: «الإنباء في تاريخ الخلفاء» لابن العمراني (ص: ١٦٨ ـ ١٧٥)، و«تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس» لحسين بن محمَّد الدِّيار بَكْري (٢/ ٣٥٢).

(٢) هو ركن الدين، أبو طالب، محمد بن ميكائيل، أول ملوك السلاجقة، وُلدَ نحو ٣٨٥هـ، ابتدأ أمره بالاستيلاء على خراسان سنةَ (٤٣١هـ)، وكانت له يد عظيمة على الخليفة القائم بأمر الله في إعادة الخلافة إليه سنةَ (٤٤٧هـ)، وكان خيِّراً محافظاً على الصلاة في أوقاتها، يديم صيام الإثنين والخميس، حليماً عمن أساء إليه، ولما تمهَّدت له البلاد خطب بنت الخليفة، فتألم واستعفى فلم يعفه، فزوجه بها، ولم يرزق طغرلبك ولداً، وعاش سبعين عاماً، وكان بيده خوارزم ونيسابور وبغداد والري وأصبهان، وامتدَّ ملكه نحو ٣٠ سنة، وتوفي بالري سنة ٤٥٥هـ. انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٨/ ١٠٧).

وبادُوا، وأذهبَ الله دولتَهم، وجاءَ الله بقومٍ آخرينَ من الأتراكِ السَّلجوقيّةِ يُحبُّون السُّنةَ، ويُوالونَ أهلَها، ويعترفونَ برفعةِ قدرِها، ويرفعونَ محلَّها[1].

وقد عظُمَ نفوذُ السَّلاجقةِ بعدَ إعادتِهم أمرَ الخلافةِ العبّاسيّةِ إلى نصابِها، وامتدَّ إلى بغدادَ والعراق، ثم ازدادَ نفوذُهم في عهدِ ألب أرسلان خليفةِ طُغرُلْبك، وخليفتِه ملك شاه الذي اتَّسعَ ملكُه اتِّساعاً عظيماً، ودانَت له معظمُ بلادِ الشَّرقِ الإسلاميِّ، فخُطبَ له من حدودِ الصِّينِ شرقاً إلى الشّامِ غرباً، ومن أقاصي بلادِ الإسلامِ في الشِّمالِ إلى اليمنِ في الجنوب، وقد تميَّزت أيّامُ حكمِه بالأمنِ والأمانِ، وكانت له هيبةٌ في نفوسِ أعدائِه، فحَملَت الرُّومُ إليه الجزية.

وقد كانَت كَرْمانُ تتمتَّعُ بنَوعٍ من الاستِقرارِ السِّياسيِّ منذ قضاءِ القائِدِ طُغرُلْبك مؤسِّسِ الدَّولةِ السَّلجوقيّةِ على الدَّولةِ البُوَيهيّةِ فيها، فقد تمكَّنَ ابنُ أخيه قاروِدُ من فتحِها سنةَ ٤٣٣هـ، وقد توالى على حكمِها أبناؤُه سلطان شاه، ثم توران شاه، ولمّا تُوفِّي سنةَ ٤٨٩هـ جلسَ على العرشِ ابنُه إيران شاه، وكان فاسقاً ظالماً يميلُ إلى اللَّهو، فخرجَ عليه أهلُ كَرمانَ وقتلوه سنةَ ٤٩٤هـ، ورغبوا بأن يليَ أمرَهم أرسلان شاه، فكانَ ما أرادوا، فأحبُّوه والتفُّوا حولَه إلى أن ماتَ سنةَ ٥٣٦هـ، وكان عالماً عادلاً محسناً[2].

وأغلبُ الظنِّ أنَّ تاجَ القُرّاءِ قضَى معظمَ حياتِه في ظلِّ هذا الاستقرار، والذي استمرَّ إلى ما بعدِ وفاةِ الإمامِ الكرْمانيِّ، إذ أعقبَ ذلكَ عودةُ النِّزاعاتَ التي أدَّت إلى تفكُّكِ الدَّولةِ السَّلجوقيّةِ بعدَ وفاةِ الملِكِ سنجرَ السَّلجوقيِّ (٥٥٢هـ)[3].

---

(١) انظر: «البداية والنهاية» لابن كثير (١٥/ ٧٣٦).

(٢) انظر: «السَّلاجقة في التاريخ والحضارة» للدكتور أحمد كمال الدين حلمي (ص: ٨٤).

(٣) انظر ترجمة سنجر بن ملك شاه بن ألب أرسلان في: «سير أعلام النُّبلاء» للذَّهبي (٢٠/ ٣٦٢)، وللتوسُّع في تفاصيل الحياة السياسية في هذا العصر يُنظر: «دولة السلاجقة وبروز مشروع إسلامي =

ولا يظهرُ للكَرمانيِّ أيُّ اهتمامٍ بسياسةِ البلادِ التي نشأ فيها، فقد كانَ منشغلاً بالتَّحصيلِ العلميِّ، لكنَّه أفادَ من ذلك الاستقرارِ؛ فمَن المعلومِ أنَّ الاستِقرارَ السِّياسيَّ غالِباً ما تُرافِقُه نهضةٌ حَضاريّةٌ وثَقافيّةٌ.

ثانياً ـ الحياةُ الاجتماعيّةُ:

قد لا تكونُ مقولةُ: (النّاسُ على دينِ ملوكِهم)[1] مُسلَّمةً في عصرِنا من كلِّ ناحية، لكنَّها كانَت شبهَ مسلَّمةٍ في العصرِ العبّاسيِّ، فقد جرَت مجرى الأمثال، وشاعَت على الألسنة، وهي تدلُّ على حقيقةٍ ثابتة، وهي أنَّ الحياةَ الاجتماعيّةَ للنّاسِ تتأثَّرُ بالحياةِ السِّياسيّةِ للملوكِ والحكّام، فالاستقرارُ السِّياسيُّ والأمنيُّ يؤدِّي إلى استقرارٍ اقتصاديٍّ واجتماعيٍّ.

وإنَّ حياةَ التَّرفِ والبذخِ التي عاشَها الخلفاءُ العبّاسيُّون في عصرِ قوَّتِهم لم يتخلَّ عنها ورثتُهم على الرَّغمِ من ضعفِ الدَّولةِ العبّاسيّةِ في العصورِ التي تسلَّطَ فيها غيرُهم على الدَّولة، فقد كانَت لهم مجالسُ طربٍ ولهوٍ يحضرُها الشُّعراءُ والأدباءُ والمغنُّون، وكذلك انتشرَت حياةُ البَذخِ والتَّرفِ بينَ بعضِ الأمراء، وغيرِهم من القادةِ الذين يَتبَعونَ للخليفةِ العبّاسيِّ[2].

وكانَ لحياةِ التَّرفِ التي رسمَها هؤلاءِ ملامحُ متنوِّعةٌ؛ فقد أسرَفَ بعضُ الخلفاءِ

= لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي» للدكتور علي الصلابي، و«السلاجقة تاريخهم السياسي والعسكري» للدكتور محمد يوسف أبو نصر.

(١) انظر: «التمثيل والمحاضرة» للثَّعالبي (ص: ١٣١).

(٢) انظر: «الإنباء في تاريخ الخلفاء» لابن العمراني (ص: ١٤٤)، و«شذرات الذهب في أخبار من ذهب» لابن العماد (٣/ ٣٢٦)، و«تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي» للدكتور حسن إبراهيم حسن (٣/ ٤٣٨ ـ ٤٤١).

والأمراءِ والأغنياءِ في الطَّعامِ والشَّراب، ويُذكَرُ أنَّ المعتضدَ (ت: ٢٨٩هـ) مرضَ وماتَ من كثرةِ أكلِ اللُّحومِ والسَّمكِ وأطايبِ الطَّعام[1]، وأنَّ المتَّقي (ت: ٣٣٥هـ) كانَ يحتاجُ في مؤنةِ مطبخِه كلَّ يومٍ إلى خمسةِ آلافِ درهم[2]، كما اهتمُّوا ببناءِ القصورِ وزخرفتِها وبَذَخوا في عمارتِها[3]، فقد أنشأ معزُّ الدَّولةِ ابنُ بويه داراً غرمَ عليها أربعين ألفَ ألفِ درهم، فبقيَت إلى بعدِ الأربعِ مائة فتهدَّمت، فاشتروا ما في سقوفِها من الذَّهبِ بثمانيةِ آلافِ دينار[4].

وقد عانى النَّاسُ في سنةِ ٤٤٨هـ كثيراً، فغلَت الأسعارُ جدًّا، ومع ذلك عقدَ الخليفةُ القائمُ بأمرِ الله (ت: ٤٦٧هـ) على خديجةَ بنتِ أخي السُّلطانِ طُغرلْبك على صَداقٍ مبلغُه مائةُ ألفِ دينار[5].

ومع ذلك كان للخلفاءِ العبّاسيِّين جوانبُ مُشرقةٌ كثيرةٌ لا تُنكَر، فقد كان لبعضِهم زهدٌ وإعراضٌ عن التَّرفِ وحرصٌ على بيتِ المال[6]، وعُرِفَ بعضُهم بالجلوسِ للمظالمِ والإنفاقِ وتفقُّدِ أحوالِ الرَّعيّة[7].

وقد كان المجتمعُ العبّاسيُّ مكوَّناً من عناصرِ متنوِّعة؛ فالعربُ هم السَّوادُ

(١) انظر: «الإنباء في تاريخ الخلفاء» لابن العمراني (ص: ١٤٩).

(٢) المصدر السابق (ص: ١٧١).

(٣) انظر: «المنتظم في تاريخ الأمم والملوك» لابن الجوزي (١٣/ ٥٦)، و«مروج الذهب» للمسعودي (٤/ ١٩٧)، و«سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٣/ ٤٧٩).

(٤) انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٦/ ١٩٠).

(٥) انظر: «المنتظم في تاريخ الأمم والملوك» لابن الجوزي (١٦/ ٤).

(٦) انظر: «الإنباء في تاريخ الخلفاء» لابن العمراني (ص: ١٣٦).

(٧) انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٥/ ٢٩٨).

الأعظـم، ثـم الفرس، ثـم التُّـرك، بالإضافـةِ إلـى الأكـرادِ والمغاربـةِ وطوائفَ من أهـلِ الذِّمّة[1].

وكان هذا المجتمعُ على طبقاتٍ؛ فطبقةُ القيادة، وفيها الخليفةُ والأمراءُ العبّاسيُّونَ والوزراءُ والحُجّاب، وطبقةُ الأثرياءِ من التُّجارِ وبعضِ الشُّعراء، والطَّبقةُ الوسطى، وفيها عامّةُ النّاسِ والعلماءُ والكُتّابُ والشُّرطة، وطبقةُ الفقراءِ من سُكّانِ الأرياف، وطبقةُ الرِّقيق، وفيها كثيرٌ من الزُّنوج[2].

ولمّا كانَ النّاس على دينِ ملوكِهم فقد تغيَّرت ملامحُ الواقعِ الاجتماعيِّ تبعاً لاختلافِ مذاهبِ مَن كانَت بيدِه مقاليدُ الأمورِ، فانتشرَت العقائدُ الباطنيّةُ والتَّشيُّعُ في عهدِ دولةِ بني بويهِ؛ فقد كانوا غلاةً في التَّشيُّعِ باطنيّةً حتَّى وصلَ الأمرُ بآخرِهم أن يأخذَ البيعةَ للمستنصرِ الفاطميِّ، فتعالى أصحابُ هذه المذاهبِ وجاهروا بسبِّ الصَّحابةِ رضوان الله عليهم وانتقاصِ أهلِ السُّنة، لكنَّ هذا الأمرَ انحسرَ بوصولِ السَّلاجقةِ الذين كانوا أهلَ سُنّةٍ، فحاربوا مظاهرَ خُبثِ الباطنيّة، وغلوِّ الشِّيعة، وأظهروا شعائرَ الإسلامِ، وحاربوا أَيّةَ شعيرةٍ مخالفةٍ لتعاليمِه، وقد عملَ طغرلبك على رفعِ أهلِ الإسلامِ والسُّنّةِ، فألزمَ أهلَ الذِّمّةِ بلبسِ الغيارِ[3].

ولم يكن حالُ الدُّولِ التي قامَت على أطرافِ الدَّولةِ العبّاسيّةِ بمختلفٍ كثيراً، فقد شاعَ في ملوكِهم التَّرفُ والغنى، وشاعَ في الشُّعوبِ الفقر.

---

(١) انظر: «تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي» للدكتور حسن إبراهيم حسن (٣/ ٤٣٠ ـ ٤٣٣).

(٢) المصدر السابق (٣/ ٢٥٢).

(٣) انظر: «البداية والنهاية» لابن كثير (١٥/ ٧٣٦ و٧٣٨).

وقد تفشَّت في سنواتٍ من العصرِ العبّاسيِّ الأمراضُ، ووقف الطبُّ عاجزاً أمامَ بعضِها، فطالَت العامّة، ولم تسلمْ منها الخاصّة، فأصابَ النّاسَ في بغدادَ وباءٌ وغلاءٌ سنةَ ٤٣٩هـ. وفي سنة ٤٤٩هـ وقعَ وباءٌ عظيمٌ في أذربيجانَ والأهوازِ وأعمالِها وواسطَ ومطيرآباذَ والكوفة، ولم يكن للنّاسِ شغلٌ إلا دفنَ موتاهم، وكان أكثرَ سببِ ذلك الجوعُ(١)، وماتَ الأميرُ السّاسانيُّ السَّعيدُ بمرضِ السلِّ(٢).

أمّا كَرمانُ فقد وصفَها ياقوت الحَمَويُّ فقال: هي ولايةٌ مشهورة، وناحيةٌ كبيرةٌ معمورة، ذاتُ بلادٍ وقرى ومدنٍ واسعة، بينَ فارسَ ومكرانَ وسجستانَ وخراسان... وهي بلادٌ كثيرةُ النَّخلِ والزَّرعِ والمواشي والضَّرع، تُشبَّهُ بالبصرةِ في كثرةِ التُّمورِ وجَودتِها وسعةِ الخيرات... وأهلُها أخيارٌ، أهلُ سُنّةٍ وجماعةٍ وخيرٍ وصلاح، إلّا أنَّها قد تشعَّثَت بقاعُها، واستوحشَت معاملُها، وخربَت أكثرُ بلادِها؛ لاختلافِ الأيدي عليها، وجَورِ السُّلطانِ بها؛ لأنَّها منذ زمنٍ طويلٍ خلَت من سلطانٍ يقيمُ بها، إنَّما يتولّاها الولاة، فيجمعونَ أموالَها ويحملونَها إلى خراسان، وكلُّ ناحيةٍ أُنفقَت أموالُها في غيرِها خربَت، إنَّما تَعمَرُ البلدانُ بسُكنى السُّلطان، وقد كانَت في أيّامِ السَّلجوقيّةِ والملوكِ القارونيّةِ من أعمرِ البلدانِ وأطيبِها(٣).

وهذا يثبتُ أنَّ الحياةَ الاقتصاديّةَ والاجتماعيّةَ كانَت في ظلِّ الدَّولةِ السَّلجوقيّةِ التي عاشَ في ظلِّها تاجُ القُرّاءِ الكَرمانيُّ تتمتَّعُ بالاستقرار، فقد انتشرَ الأمنُ بين النّاس، وعمَّت السَّكينةُ والطُّمأنينة، وآتى الاستقرارُ السِّياسيُّ والاقتصاديُّ فيها أُكُلَه، فظهرَت ملامحُ التَّطوُّرِ الاجتماعيِّ والتَّقدُّمِ الحضاريِّ.

---

(١) انظر: «المنتظم في تاريخ الأمم والملوك» لابن الجوزي (١٥/ ٣٠٨) و(١٦/ ١٧).

(٢) انظر: «نهاية الأرب في فنون الأدب» للنويري (٢٥/ ٣٥٠).

(٣) انظر: «معجم البلدان» لياقوت الحموي (٤/ ٤٥٤).

ثالثاً ـ الحياةُ العلميّةُ والثّقافيّةُ:

كثيراً ما يرتبطُ النُّهوضُ العلميُّ بقوّةِ الدُّولِ ومَنَعتِها، وكثيراً ما يؤدِّي الضَّعفُ السِّياسيُّ إلى تراجعٍ في العلومِ والفنون، ولكنَّ العصرَ العبّاسيَّ يكسرُ هذه القاعدة؛ فالنَّهضةُ العلميّةُ التي بدأت في عصرِ أبي جعفرٍ المنصورِ (ت: ١٥٨هـ) وتنامَت في عصرِ الرَّشيدِ والمأمونِ لم تنحسرْ بضعفِ الخلفاءِ العبّاسيِّين، بل تابعَت تقدُّمَها كنهرٍ غزُرَ ماؤُه وكثُرَت روافدُه، فبعدَ المرحلةِ التي حرصَ العلماءُ فيها على الجمعِ والتَّدوين، جاء هذا العصرُ ليشهدَ حركةً واسعةً لإعادةِ التَّرتيبِ والتَّهذيبِ لما جُمِعَ من العلوم.

وقد كانَ لتشجيعِ الخلفاءِ في بغدادَ والملوكِ والأمراءِ في الدُّولِ الإقليميّةِ للعلمِ والعلماءِ أثرٌ كبيرٌ في هذه النَّهضة، فقد كان هؤلاءِ الملوكُ يتنافسونَ على العلماءِ كما يتنافسونَ على الممالك، وكان ملوكُ السّامانيِّينَ وملوكُ البويهيِّينَ والخوارزميِّينَ يُعنَونَ بحشدِ العلماءِ والأدباءِ في بلاطِهم وحولَ قصورِهم، أمّا السَّلاجقةُ فيكفي للحديثِ عنهم أن نذكرَ أنَّ التَّعليمَ في عهدِهم تحوَّلَ إلى تعليمٍ مدرسيٍّ لأوَّلَ مرّة في تاريخِ الدَّولةِ الإسلاميّة، وذلكَ أنَّ الوزيرَ نظامَ الملك أبا عليٍّ الحسنَ بنَ عليِّ بنِ إسحاقَ الطُّوسيَّ (ت: ٤٨٥هـ) اهتمَّ بالعلمِ والعلماء، فبنى المدرسةَ النّظاميّةَ الشَّهيرةَ ببغدادَ، وبنى بنيسابورَ مدرسة، وبطوسَ أخرى، وبنى بمرو مدرسة، وبهراةَ مدرسة، وببلخٍ مدرسة، وبالبصرةِ مدرسة، وبأصبهانَ مدرسة، وكانَ لكثيرٍ من هذه المدارسِ مكتباتٌ ملحقةٌ بها، وبذلَ الأموالَ للعلماء، وجعلَ لهم رواتبَ تكفيهم همَّ المعيشة، فوُصفَت أيّامُه بأنَّها دولةُ أهلِ العلم(١)، وأكملَ التَّعليمُ المدرسيُّ مسيرةَ التقدُّمِ الحضاريِّ التي بدأها التَّعليمُ المسجديُّ، وقد كانَت المدارسُ النظاميّةُ

---

(١) انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٩/ ٩٤).

مخصَّصةً للمذهبِ الشافعيِّ؛ لأنَّ نظامَ الملكِ كان شافعيًّا، ولكن كانَ كثيرٌ من ملوكِ السَّلاجقةِ ووزرائِهم أحنافاً، فانتشرَت لذلك مدارسُ المذهبِ الحنفيِّ في البلاد، وبعذا يُعلمُ أنَّ احترامَ العلمِ والعلماءِ هو السِّمةُ الواضحةُ والسَّجيّةُ اللازمةُ للدَّولةِ السَّلجوقيّةِ منذ ظهورِها(١).

وكان ذلك كلُّه مبعثَ نهضةٍ علميةٍ وأدبيّةٍ ولا سيَّما في مجالِ الكتابةِ والصِّناعةِ الدِّيوانيّةِ تعلو على كلِّ نهضةٍ سبقتها، وتتفوَّقُ على كلِّ حركةٍ تقدَّمَتها، إذ أُترِفَ الذَّوقُ الكتابيُّ لهذا العصرِ بسببِ ترفِ الملوكِ والأمراءِ الذين كانوا يقومونَ عليه(٢).

وكانَ لتمازجِ الثَّقافاتِ في هذا العصرِ أثرٌ كبيرٌ في نهضتِه، فقد تُرجِمَت بعضُ الكتبِ في هذه الفترةِ من لغاتٍ متعدِّدةٍ إلى اللُّغةِ العربيّةِ(٣).

وقد بقي الاعتزالُ الذي دعمَه خلفاءُ العبّاسيِّين في عصرِهم الأوَّلِ منتشراً، وكانَ هناكَ أعلامٌ تبنَّوا هذا المذهبَ، ودافعوا عنه، وجادلوا أهلَ السُّنةِ في عقائدِه، كما انتشرَت العقائدُ الباطنيّةُ والتَّشيُّعُ في عهدِ دولةِ بني بويهِ، وقد وقفنا على كثيرٍ من المواضعِ التي ردَّ فيها تاجُ القُرّاءِ الكَرمانيُّ على هؤلاءِ أو هؤلاءِ(٤).

---

(١) انظر: «السلاجقة في التاريخ والحضارة» للدكتور أحمد كمال الدين حلمي (ص: ٢٢٣ و٣٧٤).

(٢) انظر: «الفن ومذاهبه في النثر العربي» لشوقي ضيف (ص: ٢٠٤ ـ ٢٠٥).

(٣) انظر: «تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام» للذهبي (٧/ ١١٠)، و«الوافي بالوفيات» للصفدي (٥/ ١١).

(٤) فقد صرَّح بدفع قولِ الشيعة وتقديم أبي بكر رضي الله عنه على مَن دونَه من المسلمين، فقال في تفسير قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا﴾ [الحديد: ١٠]: وفي هذه الآيةِ دليلٌ واضحٌ وبرهانٌ لائحٌ على فضلِ أبي بكرٍ وتقديمِه؛ لأنَّه أوَّلُ مَن أسلَمَ. وصرَّح بدفع قول المعتزلة في افتتاح كتابه بقوله: الحمدُ لله مُنزِلِ القرآنِ غيرَ مُحدَثٍ ولا مخلوق.

يُضافُ إلى ذلك أنَّ كثيراً من الفرقِ والطَّوائفِ اتَّخذَت العلمَ وسيلةً لتسويقِ مزاعمِها، وتحقيقِ مآربِها الدِّينيّةِ أو السِّياسيّة، فكثُرَت النِّقاشاتُ بين دُعاةِ هذه الطَّوائف، وانتشرَ الجدلُ بينهم من جهةٍ وبين أهلِ السُّنةِ من جهةٍ ثانية، فأسهمَ ذلك بطريقةٍ مباشرةٍ أو غيرِ مباشرةٍ في النَّهضةِ العلميّةِ التي عرفَها ذلك العصر[1].

وقد جرَت عادةُ العلماءِ بأن يُطوِّفوا في البلادِ الإسلاميّة؛ ليأخذوا فنونَ العلمِ ممَّن اشتَهرَ بها في البلادِ كلِّها، وقد كان للرِّحلةِ أثرٌ في تمازجِ الثَّقافاتِ وتنوُّعِ العلومِ وتقدُّمِها[2]، وهنا يقفُ الباحثُ أمامَ نصِّ ياقوت الذي ذكرَ فيه أنَّ تاجَ القُرّاءِ الكَرمانيَّ لم يَرتحِلْ ولم يُفارِقْ وطَنَهُ[3] محتاراً، ويترجَّح عندي أنَّه ارتحل، ولكن لم يطَّلع ياقوت على رحلته.

وقد اهتمَّ الملوكُ والأمراءُ والوزراءُ بالكتبِ والمكتباتِ والمدارس، وعدُّوا الكتبَ من أنفسِ الهدايا التي تُهدى إليهم، فراحَ العلماءُ والأدباءُ يتقرَّبون إليهم بصناعةِ الكتبِ ووضعِها بين أيديهم، ومن تلك الكتبِ كتابُ «المنصوريِّ» الذي ألَّفه الطَّبيبُ أبو بكرٍ محمَّدُ بن زكريّا الرّازيُّ (ت: ٣١٣هـ)[4] وأهداه للأميرِ منصورٍ

---

(١) انظر: «تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي» للدكتور حسن إبراهيم حسن (٣/ ٣٣٩).

(٢) وقد ألَّف الخطيب البغدادي كتاباً سماه: «الرحلة في طلب الحديث»، وقد طُبع ضمن مجموعة رسائل في علوم الحديث بعناية صبحي البدري السامرائي، ونشرته المكتبة السلفية في المدينة المنورة عام ١٩٦٩م، ثم أعاد الدكتور نور الدين عتر تحقيقه وطبعه، ونشرته دار الكتب العلمية عام ١٩٧٥م.

(٣) انظر: «معجم الأدباء» لياقوت الحموي (٦/ ٢٦٨٦).

(٤) انظر: «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» لابن أبي أصيبعة (ص: ٤١٤).

السّامانيِّ (ت: ٣٦٦هـ)[١]، وألَّفَ أحمدُ بنُ فارسٍ كتاب «الصّاحبيِّ في فقهِ اللُّغةِ العربيّةِ ومسائلِها وسُننِ العربِ في كلامِها» وأهداه للصّاحبِ بنِ عبّاد (ت: ٣٨٥هـ)[٢]، كما أَلَّفَ الثَّعالبيُّ كتابَ «لطائفِ المعارفِ» له أيضاً، وأهدى كتابَ «فقهِ اللُّغةِ» للأميرِ أبي الفضلِ الميكاليِّ (ت: ٤٣٦)[٣].

ويغلبُ على ظنّي أنَّ تاجَ القُرّاءِ قد صنعَ مثلَ ذلك في كتابِه الموسومِ بـ«النِّظاميّ» وهو اختصارٌ لكتابِ «اللُّمَعِ» لابنِ جني، فربَّما يكونُ قد أهداه للوزيرِ نظامِ الملك، فقد كانَ الوزيرُ مشهوراً ببِرِّه لأهلِ العلم، فلا يُستغربُ أن يُتحفَه تاجُ القُرّاءِ بكتابٍ يُسمِّيه باسمِه، كما فعلَ ابنُ فارسٍ للصّاحبِ بنِ عبّاد، لكن يبقى هذا مجرَّدَ ظنٍّ قد تُسعفُ الأيّامُ بتحقيقِه.

هذا حالُ النَّهضةِ الثَّقافيّةِ في ظلِّ الدَّولةِ العبّاسيّةِ في بلادِ المشرقِ العربيِّ عامّة، أمّا إقليمُ كَرْمانَ فقد عُرِفَ بالعِلمِ والعُلماءِ؛ إذْ نُسِبَ إلَيهِ جَمٌّ غفيرٌ مِن أهلِ العِلمِ والفَضلِ، مِن أبرزِهم: محمَّدُ بن يوسُفَ الكَرْمانيُّ صاحِبُ «الكواكِبِ الدَّراري في شرحِ صحيحِ البُخاريِّ»، وابنُ مَلَكٍ الكَرْمانيُّ الحَنَفيُّ صاحِبُ «شرحِ الوِقايةِ» و«شرحِ المصابيحِ»، وأبو محمَّدٍ حربُ بن إسماعِيلَ الكَرْمانيُّ الفَقيهُ الحنبليُّ

---

(١) ذكر هذا الإمام الذهبي في: «سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٣٥٤)، وذكر ابن النديم في «الفهرست» (ص: ٣٦٠) أنّه كان ينتقل في البلدان وبينه وبين منصور بن إسماعيل صداقة، وله ألف كتاب المنصوري، ومنصور بن إسماعيل هذا فقيه شافعي مصري، توفي سنة ٣٠٦هـ.

(٢) انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٦/ ٥١١).

(٣) انظر: «يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر» للثعالبي (٣/ ١٩٦ و٤٧٦)، و«فوات الوفيات» لابن شاكر (٢/ ٤٢٨)، و«الفن ومذاهبه في النثر العربي» لشوقي ضيف (ص: ٢٠٤ ـ ٢٠٥).

صاحِبُ «المسائلِ» أو «مسائلِ الكَرْمانيِّ»، وأبو العَلاءِ الكَرْمانيُّ الحنفيُّ صاحبُ «مفاتيحِ الأغاني في القراءاتِ والمَعاني».

في هذا البلدِ الطَّيِّب، وفي ظلِّ هذه النَّهضةِ العلميّةِ والفكريّةِ والأدبيّةِ الواسعة، سلكَ تاجُ القُرّاءِ الكَرمانيُّ طريقَ العلم، فأسهمَ في هذه النَّهضةِ العلميّةِ المباركة، وتركَ من كنوزِ العلمِ إرثاً نفيساً.

❋ ❋ ❋

ترجَمةُ العلّامةِ
تاجِ القُرّاءِ الكَرْمانيِّ[1]

أوَّلاً ـ اسمُهُ ونَسبُهُ وكُنيتُهُ ولقبُهُ:

هو الإمامُ العلّامةُ، تاجُ القُرّاءِ، وأحدُ العُلماءِ الفُقهاءِ النُّبلاءِ، المُفسِّرُ، المُقرِئُ، النَّحْويُّ، صاحبُ التَّصانيفِ والفضلِ، أبو القاسمِ، برهانُ الدِّينِ، محمودُ بنُ حمزةَ بنِ نَصرٍ الكَرْمانيُّ[2]، المشهورُ بـ: تاجِ القرَّاءِ الكَرمانيِّ.

---

(١) انظر: «معجم الأدباء» لياقوت الحموي (٦/ ٢٦٨٦)، و«غاية النِّهاية في طبقات القرّاء» لابن الجزري (٢/ ٢٩١)، و«كشف الظُّنون» لحاجي خليفة (١/ ٨١)، (١/ ٢٤١)، (١/ ٤٢٧)، (٢/ ١١٢٦)، (٢/ ١١٧٧)، (٢/ ١١٩٧)، (٢/ ١٥٤١)، و«بُغية الوُعاة» للسيوطي (٢/ ٢٧٧)، و«طبقات المفسِّرين» للدّاودي (٢/ ٣١٢)، و«هديّة العارفين» للبغدادي (٢/ ٤٠٢)، و«طبقات المفسِّرين» للأدنَوَيه (١/ ١٤٩)، و«الأعلام» للزِّركلي (٧/ ١٦٨).

(٢) والكَرْمانيُّ: نسبة إلى كَرمان بفتح الكاف ـ وهو الصحيح ـ غير أنه اشتهر بكسرها كما قال السمعاني في «الأنساب» (٥/ ٥٦)، وقال ابن بري: بفتح الكاف، وقد أولعت العامة بكسرها، كما نقله عنه ابن منظور في «اللسان» مادة: (ك ر م)، وكرمان: إقليمٌ ـ يقع الآن في إيران ـ يشمل عدداً من المدنِ، خرج مِن بلادِها جماعةٌ من أهلِ العِلمِ، ويقع بين إقليمِ فارِس غرباً، وإقليمِ مكران والمفازةِ الكبرى شرقاً، والخليجِ العربيِّ جنوباً، وفيهِ يمتدُّ رأس هرمز، ومركزها مدينة كرمان. انظر: «البلدان» لابن الفقيه (ص: ٤١٤)، و«المسالك والممالك الكبرى» لأبي عبيد البكري (١/ ٤٤)، و«الأنساب المتَّفقة» لابن القيسراني (ص: ١٢٩)، «تصحيح التَّصحيف وتحرير التَّحريف» للصَّفدي (ص: ٤٣٩).

وذكر ابن القيسراني في «الأنساب المتَّفقة» أنَّ للكرمانيِّ نسبةً أخرى، وهي قريةٌ بالقرب من بخارى =

وقدْ يُنسبُ تاجُ القرّاءِ إلى نيسابورَ فيقالُ: محمودُ بنُ حمزةَ النَّيسابوريُّ[١].

ثانياً ـ ولادَتُه ونشأتُهُ:

لم تَذكُرِ المصادِرُ الَّتي بينَ أيدينا تاريخَ ولادةِ الإمامِ محمودٍ الكَرْمانيِّ، وَلا حتَّى شيئاً من حياتِه، وهذه سمةٌ بارِزةٌ في أهلِ تلكَ البلادِ؛ فلمْ يكونوا يَعتَنون بتَسجِيلِ سِيَرِ حياتِهم كما هو الحالُ في غيرِها مِن البلادِ.

= يقال لها: كرمينيّة، حدَّث منها جماعةٌ، لكنَّ النِّسبة المشهورة عند أهل بخارى لمن كان من أهل هذه القرية الكرمينيُّ، إلّا أنَّ أبا القاسم بن الثّلّاج حدَّث عن حفص بن عمر بن هبيرة أبي عمرٍو البخاريِّ، فقال: الكرمانيُّ من أهل قرية يقال لها: كرمينيّة. انظر: «الأنساب المتَّفقة» لابن القيسراني (ص: ١٢٩).

وذكر ياقوت أيضاً: أنَّ كرمان أيضاً مدينةٌ بين غزنة وبلاد الهند، وهي من أعمال غزنة، وكرمينيّة بالقرب من بخارى، وآل كرمان بحجر اليمامة من ديار العرب. انظر: « معجم البلدان» لياقوت الحموي (٤/ ٤٥٥)، و« المشترك وضعًا والمفترق صقعًا » لياقوت للحموي (ص: ٣٧٦).

قال ابن الكلبيِّ: سمِّيت كرمان بكرمان بن فلوج من بني ليطيٍّ بن يافث بن نوحٍ عليه السَّلام. انظر: «البلدان» لابن الفقيه (ص: ٤١٣).

وأمّا فتح إقليم كرمان، فقد ذكر الطَّبريُّ في «تاريخه» أنَّ من فتحها هو الصَّحابيُّ سهيل بن عديّ، وكان معه عبد الله بن عبد الله بن عتبان، وعلى مقدِّمة سهيل بن عدي النُّسير بن عمرٍو العجليِّ رضي الله عنهم.

ونقل عن المدائنيِّ: أنَّ من فتحها هو الصَّحابيُّ عبد الله بن بديلِ بن ورقاء الخزاعيِّ رضي الله عنه، في خلافة عمر بن الخطّاب رضي الله عنه. انظر: «تاريخ الطَّبريِّ» (٤/ ١٨٠).

ولعلَّ الجمع بين هذه الأقوال يكون بأنَّ مدن الإقليم تعدَّد فاتحوها، فكلُّ عددٍ من المدن اختصَّ بفتحها عددٌ من صحابة رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم.

(١) انظر: «غاية النهاية في طبقات القراء» لابن الجزري (٢/ ١١٤).

وذكَرَ ياقوت الحموِيُّ أنَّ الإمامَ الكَرْمانيَّ عاشَ في حدودِ ٥٠٠هـ، وماتَ بعدها، وأنَّه لم يَرتحِلْ ولم يُفارِقْ وطَنَهُ(١).

ولكنَّ هذا فيه إشكالٌ؛ فمن ناحيةٍ هذا يخالفُ عادةَ العلماءِ في ذلك العصر، وقد سبقَت الإشارةُ إلى هذا، ومن ناحيةٍ أخرى ذكرَ تاجُ القرّاءِ الكَرْمانيُّ في كتابِه «النِّهايةِ في شرحِ الغايةِ»: أنَّه رحَلَ إلى بغدادَ، والتَقى بعلمائِها، واطَّلعَ على كتابِ «الهِدايةِ في شرحِ مشْكِلاتِ الغايةِ» لأحمدَ بن أبي بكرٍ البَغَويِّ.

فلعلَّ ياقوت الحمويَّ قد غَفَلَ عَن هذه الرِّحلةِ التي ذكرَها الإمامُ، أو أنَّ المرادَ بعبارتِه أنَّ تاجَ القرّاءِ قضى جلَّ حياةٍ في كَرْمانَ ولم يُفارِقْها.

وهذا الاحتمالُ الأخيرُ هو الغالبُ، فقد نشأ تاجُ القُرّاءِ الكَرمانيُّ في كَرمانَ نشأةً لم تحدِّثنا كتبُ التّاريخِ وتراجمِ الرِّجالِ عن تفاصيلِها، لكنَّنا نستطيعُ أن نجزمَ أن الكرمانيَّ قد نشأ في بيتِ علمٍ؛ فقد كانَ والدُه حمزةُ بنُ نصرٍ من علماءِ القراءاتِ، وعنه تلقَّى تاجُ القُرّاءِ هذا العلم.

كما أنَّنا عرفنا أنَّ أهلَ كَرمانَ أخيارٌ، أهلُ سُنّةٍ وجماعةٍ وخيرٍ وصلاح، وأنَّها كانَت في أيّامِ حكمِ السَّلاجقةِ التي عاشَ في كَنفِها الإمامُ تاجُ القُرّاء الكَرمانيُّ من أعمرِ البلدانِ وأطيبِها(٢).

من خلالِ هذا كلِّه يُمكِنُ أنْ نتصوَّرَ الوسَطَ الاجتِماعِيَّ الذي نشَأ فيهِ تاجُ القُرّاء الكَرمانيُّ، واستَقى منه العلومَ والمعرِفة.

---

(١) انظر: «معجم الأدباء» لياقوت الحموي (٦/ ٢٦٨٦).

(٢) المصدر السابق (٤/ ٤٥٤).

وقد ذكرَ الدكتور شمران العجليُّ احتمالَ رحلتِه قبلَ بغدادَ إلى مروٍ وخراسان[1]، لكنَّه لم يذكر على ذلك دليلاً، ولعلَّ هذا الاحتمال وردَ عليه لما سبقَ التَّنبيهُ إليه من عادةِ العلماء.

ثالثاً ـ شيوخُه:

لم تذكر أكثرُ المصادرِ شيئاً ذا بالٍ عن شيوخِ تاجِ القرّاءِ الكرمانيِّ أو تلاميذِه، ولا نشكُّ أنَّ مردَّ ذلك إلى أنَّ الرَّجلَ قضى معظمَ حياتِه في بلدِه، ولم يتَّجهْ إلى مراكزِ الإشعاعِ الحضاريِّ والتقدُّمِ الفكريِّ في عصرِه، ولطالما كانَت سُكنى الكُفورِ لأهلِ العلمِ وطَلَبتِه كسُكنى القبور.

ولكنَّ ما خلَّفَه تاجُ القرّاءِ يثبتُ أنَّه تلقَّى العلومَ عن أهلِها، وأنَّه نهلَ المعرفةَ من نبعِها، ومن الأعلامِ الذين رفعوا الكرمانيَّ؛ ليغدوَ تاجاً للقرّاء، ونفعوه ليصطفَّ في مصافِّ العلماء:

الشَّيخُ حمزةُ بنُ نصرٍ الكرمانيُّ؛ والدُ التّاج:

فقد ذكر تاجُ القرّاءِ أنَّه قرأ عليه كتابَ «الغايةِ» لابنِ مهرانَ فقال: قرأتُ القرآنَ بجميعِ روايات الكتابِ وطرقِه واحداً واحداً على والدي حمزةَ بنِ نصرٍ، رحمه الله[2].

وقال عنه ابنُ الجزريِّ: حمزةُ بنُ نصرٍ أبو محمودٍ الأصبهانيُّ، مُقرِئٌ

---

(١) انظر مقدمة: «غرائب التفسير وعجائب التأويل» لتاج القراء الكرماني (١/ ٣٠).

(٢) مخطوطة النهاية في شرح الغاية للكرماني ورقة٣، نقلًا عن مقدمة تحقيق «غرائب التَّفسير» للدكتور شمران العجلي، (١/ ٢٩).

متصدِّر، قرأ بالعشرِ وغيرِها على أبي نصرٍ بنِ محمَّدِ بنِ أحمدَ الكركانجيِّ(١)، قرأ عليه ابنُه محمود(٢).

ولم أقف في كتبِ الفهارسِ والتَّراجمِ على مَن ذكرَ له كتاباً، ولكنِّي وجدتُ أنَّ إبراهيمَ بنَ عمرَ البقاعيَّ نقلَ عن كتابٍ سمَّاه: جوامعِ التَّفسير، ونسبَه لحمزةَ بن نصرٍ الكرمانيِّ، ووصفَه بالأستاذ(٣).

ومنهم الشَّيخُ محمَّدُ بنُ حامدِ بنِ الحسنِ الخيّاميُّ الطُّوسيُّ:

قالَ عنه ابنُ الجزريِّ: مُقرِئٌ متصدِّر، روى القراءاتِ عن عُبيدِ الله بنِ محمَّدٍ الطُّوسيِّ وعبدِ الله بنِ الحسينِ النَّيسابوريِّ، روى القراءاتِ عنه محمودُ بنُ حمزةَ النَّيسابوريُّ(٤).

وقد ذكرَ تاجُ القُرّاءِ في «لبابِ التَّفاسيرِ» رجلين نقلَ عنهما التَّفسير، ولم نهتدِ إلى ترجمةٍ لهما، وهما:

الإمامُ أبو سهلٍ محمَّدُ بنُ عبدِ الرَّحمنِ بنِ أبي الفضلِ النَّيسابوريُّ:

ذكرَ تاجُ القُرّاءِ أنَّه حدَّثه عن الواحديِّ، وقد ذكرَه في تفسير (الفاتحة) و(آل عمران).

---

(١) إمام مقرئ أستاذ رحّال، ولد سنة ٣٩٠هـ، قرأ بمرو ونيسابور وبغداد ودمشق وحران ومصر، وله مصنفات، توفي ٤٨١ أو ٤٨٤هـ. انظر: «غاية النهاية في طبقات القراء» لابن الجزري (٢/ ٧٢).

(٢) انظر: «غاية النهاية في طبقات القراء» لابن الجزري (١/ ٢٦٥).

(٣) انظر: «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور» للبقاعي (١٥/ ٣٩٢) و(١٩/ ٥٧ و١٦٢) و(٢٠/ ٣٨).

(٤) انظر: «غاية النهاية في طبقات القراء» لابن الجزري (٢/ ١١٤).

شيخُ الإسلامِ القاضي أبو المعالي:

ذكـرَ تاجُ القُرّاءِ أنَّه سـمعَه يقولُ في تفسـيرِ قولِه تعالـى: ﴿اذهب أنت وربك﴾: إنَّ المـرادَ بـه أخـوه هـارون. وربَّما كانَ المـرادُ به هبةَ الله الشِّـيرازيَّ قاضـي كَرمانَ (ت: ٥٢٠هـ)[1].

وقد وقفتُ في «لبابِ التَّفاسيرِ» على قولِ الكرمانيِّ:

قلتُ: لـم أرَ فيما سمعتُ وطالعتُ منَ التَّفاسيرِ مع جموعِها مَن تكلَّمَ على لفظَي: (يهلك) و(هلك)، وكذلك في مُغايرةِ لفظَي (ويحيا) و(حيّ)...

فالكرمانيُّ يذكرُ نوعين من التلقِّي؛ ما سمعَه، وما طالعَه، وبالتالي نستطيعُ أن نفسِّرَ غزارةَ علمِه مع احتمالِ لزومِ بلدِه وتركِ الرِّحلة بأنَّه استعاضَ برحلاتِه بين الكتبِ والأسفار، عن الرّحلاتِ بين البلدانِ وكثرةِ الأسفار.

رابعاً ـ تلامِذَتُهُ:

تقدَّمَ سابِقاً أنَّ المصادرَ لم تذكُرِ الكثيرَ عن حياةِ الإمامِ الكَرمانيِّ، ولم يصِلْنا منها إلّا ما قدَّمَه للأُمّةِ مِن كُتبٍ فيها النَّفعُ والخيرُ، ولكن كانَ لتاجِ القُرّاءِ الكرمانيِّ تلاميذُ ولا شكَّ، وكانَ له شهرةٌ في عصرِه، ودليلُ ذلكَ أنَّ لقبَ تاجِ القُرّاءِ قد لازمَ ترجمته، ولم يكن هذا اللَّقبُ ليُطلَقَ عليه لولا اشتهارُه بعلمِ القراءات، وتستوقفُ المطالعَ في مقدمةِ كتابِه «النِّهايةِ في شرحِ الغاية» أنَّه ذكرَ أنَّ أصحابَه اقترحوا عليه أن يشرحَ «الغايةَ»[2]، وكلمةُ الأصحابِ كثيراً ما يُعبَّرُ بها العلماءُ عن تلاميذهم.

---

(١) انظر: «الوافي بالوفيات» للصفدي (٢/ ١١٤).

(٢) انظر: مقدمة تحقيق «غرائب التَّفسير» للدكتور شمران العجلي (١/ ٣١).

نجد في «لباب التَّفاسير» عباراتٍ مثلِ (قَالَ الشَّيخُ الإِمامُ) (قَالَ الشَّيخ رحمه الله) (قال شيخُنا أبو القاسم) ونحوها، وهذه العباراتُ يُقصدُ بها المصنِّف نفسُه على الغالب، وهي تدلُّ على أنَّ الكتابَ صنَّفَه تاج القُرّاء إملاء، وذلك يستدعي أن يمليَ كتابَه على تلاميذِه، وهذا يشيرُ إلى توفُّرِهم وكثرتِهم.

كما أنَّ في قولِه: وكنتُ سُئِلْتُ عن هذه الآيةِ، فاستخرجْتُ لها عشرةَ أوجُهٍ سوى ما حكيتُ عن الأئمَّةِ... ما يدلُّ على أنَّه كانَ رأساً في العلمِ يُسأَلُ ويقصد، وتُلتمس عنده حلول المشكلات، وكشف المعضلات.

وبعد ذلك فتلاميذُ الإمامِ تاجِ القُرّاءِ والَّذِين نَشَروا عِلمَهُ، قد عُرِفوا واشتُهِروا بين أقرانِهِم:

فمِنهُم الإمامُ فخرُ الدِّينِ أبو عبدِ اللهِ نصرُ بن عليٍّ بنِ محمَّدَ المعروفُ بابنِ أبي مَريَمَ الشِّيرازيُّ:

كانَ فريدَ الدَّهرِ، وأوحَدَ العَصرِ، مُلَقَّباً بينَ العُلَماءِ بصَدرِ الإسلامِ، وكانَ لهُ العَديدُ من التَّلاميذِ الَّذينَ صاروا قُضاةً وعُلماءَ؛ كمَجدِ الدِّينِ إسماعيلِ بن نَيكَروزَ، والقاضي سِراجُ الدِّينِ مُكرَّمُ بنِ العَلاءِ.

وألَّفَ التَّصانيفَ المُفيدةَ كـ «الكشفِ والبَيانِ في تَفسيرِ القُرآنِ»، و«المُوَضَّحُ في علَلِ القِراءاتِ» وغيرها، ومَدَحَهُ العَلّامةُ أحمَدُ بن محمَّدَ بن عليٍّ الغَزْنَويُّ لمّا أتمَّ كتابَ «الإفصاحِ في شرحِ الإيضاحِ» فقالَ فيهِ:

أوضَحَ الإيضاحَ فَخرُ الدِّينِ في شرحِهِ بلْ حَلَّهُ مِن مُشكِلِ

عَلَّلَ النَّحوَ وذا مِن سِحرِهِ أنْ أرانا صِحّةً في العِلَلِ
نَصَرَ العِلمَ وأعلَى قَدْرَهُ مَتِّعِ اللَّهُمَّ نَصرَ بنَ عَلِي

وكانَت وَفاتُهُ سنةَ (٥٦٥هـ)[١].

ومنهم رضيُّ الدِّينِ شمسُ القُرّاءِ أبو عبدِ الله محمَّدُ بنُ أبي نصرٍ الكَرمانيُّ:

هو مصنِّفُ «شواذِّ القراءاتِ» و«قراءةِ الكسائيِّ»، وقد ذكرَ في «شواذِّ القراءاتِ» سماعَه من تاجِ القُرّاءِ الكَرمانيِّ فقالَ: سمعتُ شيخَنا الخطيبَ الإمامَ تاجَ القُرّاءِ أبا القاسمِ محمودَ بنَ حمزةَ بنِ نصرٍ ـ قدَّسَ الله روحَه العزيز ـ يقولُ: (الصبر) قراءةُ أبي عمرٍو؛ يعني: بكسرِ الباء[٢].

وقال في «قراءةِ الكسائيِّ»: قرأتُ على الشَّيخِ الإمامِ تاجِ القُرّاءِ برهانِ الدِّينِ زينِ الفريقينِ ضياءِ الأمّةِ سعدِ الإسلامِ أبي القاسمِ محمودِ بنِ حمزةَ بنِ نصرٍ، رحمة الله ورضوانه عليه[٣].

وهو من علماءِ القرنِ السّادسِ على ما رجَّحَه محقِّقُ الكتابِ الدكتور شمران العجليُّ، وقد ذكرَه بروكلمان في الفصلِ الخاصِّ بمجهولي العصرِ والمكان[٤].

ومِنهُم الإمامُ السَّعيدُ أبو عليٍّ الفَضلُ بن الحَسَنِ الطَّبْرِسِيُّ:

---

(١) انظر: «شدُّ الإزار في حطِّ الأوزار عن زوّار المزار» لمعين الدِّين الجنيد بن محمود الشِّيرازي (١/ ٤٠٦)، و«بغية الوعاة» للسّيوطي (٢/ ٣١٤).

(٢) انظر: «شواذ القراءات» لشمس القراء الكرماني (ص: ٨).

(٣) انظر: «قراءة الكسائي» لشمس القراء الكرماني (ص: ١٥).

(٤) انظر: «تاريخ الأدب العربي» لبروكلمان (٢/ ٩٨٢).

كانَ فريدَ عَصرِهِ في النَّحوِ، وكانَ يختَلِفُ إلى الإمامِ الكرْمانيِّ، واستَفادَ منهُ الكَثيرَ، وكانَ برسمِه مدرسةٌ ينشُرُ فيها عِلمَهُ، وله أشعارٌ كثيرةٌ.

وله تفسيرٌ ضخمٌ في عشَرةِ مجلَّداتٍ، وكُتُبٌ كثيرةٌ، وكان يختارُ اختياراتٍ حَسنةً من الكُتُبِ، كـ«تَفسيرِ الزَّمخشرِيِّ»، و«المُقتَصِدِ في النَّحوِ»، و«شرحِ حَماسةِ المَرزوقيِّ».

توفِّيَ رحمَهُ اللهُ تعالى سنةَ (٥٤٨هـ)[1].

ومنهم جارُ الله أبو القاسمِ محمودُ بنُ عمرَ الزَّمخشريُّ الخوارزميُّ:

كبيرُ المعتزلةِ في عصرِه، صاحبُ «الكشّافِ» في التَّفسير، و«المفصَّلِ» في النَّحو، و«الأنموذج» فيه، و«أساسِ البلاغةِ» في اللُّغة، و«الفائقِ» في غريبِ الحديث، و«ربيع الأبرار ونصوص الأخبار» في الحكايات، و«متشابه أسماء الرواة»، و«الرائض» في الفرائض، و«المنهاج» في الأصول.

وُلد سنة ٤٦٧هـ بزمخشرَ، ورحلَ إلى بغدادَ، وجاورَ بمكّةَ زماناً.

وكانَ رأساً في البلاغةِ والعربيّةِ والمعاني والبيانِ، وكان علّامةَ الأدبِ، ونسّابةَ العرب، وله نظمٌ جيّد.

قال السَّمعانيُّ: برعَ في الآداب، وصنَّفَ التَّصانيفَ... ما دخلَ بلداً إلّا واجتمعوا عليه، وتلمذوا له.

توفِّيَ رحمَهُ اللهُ تعالى سنةَ (٥٣٨هـ)[2].

---

(١) انظر: «تاريخ بيهق» لظهير الدين البيهقي (ص: ٤٣٧).

(٢) انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٢٠/ ١٥١ ـ ١٥٦)، و«طبقات المفسرين» للسيوطي (ص: ١٢٠).

ولم أجد أحداً ممَّن ترجمَ لتاجِ القُرّاءِ عدَّ الزَّمخشريَّ من تلاميذِه، لكن صرَّحَ به الإمامُ السُّيوطيُّ (ت: ٩١١هـ) فقالَ: إنَّ من علومِ القرآنِ العظيمِ مناسبةَ مطالعِ السُّورِ ومقاطعِها، كما أوضحتُه في «الإتقانِ» وكتابِ «أسرارِ التَّنزيل»، وقد صرَّحَ بذلك المحقِّقونَ كصاحبِ «الكشّافِ» وشيخِه محمودِ بنِ حمزةَ الكَرمانيِّ صاحبِ «البرهانِ في متشابهِ القرآن» و«الغرائبِ والعجائبِ» في التَّفسير، والإمامِ فخرِ الدِّين، والأصبهانيِّ، وغيرِهم[١].

وهذه القضيّةُ وإن لم نجد ما يدعمُها في كتبِ التَّراجم، لكن لها ما يشهدُ لها في كتابي الرَّجلين، وليس المقصودُ بذلك أنَّ الزَّمخشريَّ نقلَ عن «لبابِ التَّفاسير» أو ذكرَ الكرمانيَّ في «كشّافِه»، ولكنَّ المرادَ أنَّ بعضَ محاولاتِ الكرمانيِّ في توضيحِ مفهومِ الإعجازِ من خلالِ تحليلِ النَّصِّ القرآنيِّ وَفقَ ما تقتضيه أساليبُ العربيّة، وأنَّ نظرتَه إلى الأسلوبِ القرآنيِّ كمظهرٍ من مظاهرِ الإعجاز، هو ما نجدُه عند الزَّمخشريِّ.

ومنهم الفَضلُ المُزَنيُّ، والدُ أبي الحسنِ عليِّ بنِ الفَضلِ المُزَنيِّ النَّحويِّ:

لم أقف لـه على ترجـمةٍ مستقلّةٍ، لكن قالَ ياقوت الحمويُّ في ترجمةِ ابنِه عليِّ بنِ الفَضلِ: نَقَلتُ من خطِّ أبي سعيدٍ عبدِ الرَّحمنِ بن عليٍّ اليَزْداديِّ في كتابِهِ المُسمَّى «جلاءُ المعرِفةِ»: وكانَ قرأ كتابَ الكَرْمانيِّ في النَّحوِ، وقَرَأ هو على أبيهِ، وأبوهُ على الكَرْمانيِّ[٢].

وهذا يدلُّ على أنَّ الفضلَ المزنيَّ قرأ أحدِ كتبِ الكَرمانيِّ النحويّةِ عليه، وأنَّ بعضَ هذه الكتبِ على الأقلِّ كانَ معروفاً لليزداديِّ.

---

(١) انظر: «مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع» للسيوطي (ص: ٤٥).

(٢) انظر: «معجم الأدباء» لياقوت الحموي (٤/ ١٨٣٨).

خامساً ـ مذهبُه:

إنَّ السِّمةَ التي تظهرُ على تاجُ القُرّاءِ الكَرمانيِّ أنَّه رجلٌ متحرِّرُ الفكرِ، يبحثُ بكثيرٍ من التَّجرُّدِ والاتِّساع، ويعرضُ الآراءَ باعتدالٍ وإن كانَ لا يتبناها، ويبذلُ جهدَه في التَّوفيقِ بينها، أو ترجيحِ بعضِها على بعضٍ؛ ولو بإشارة عابرةٍ أو طريقةٍ في التَّرتيب، أو يكتفي بعرضِها من غير تعليقٍ.

وقد ساهمَ هذا بالإضافةِ إلى ما تقدَّمَ من شحٍّ في مصادرِ ترجمتِه في لفِّ مذهبِه بشيءٍ من الغموضِ، فلم يبقَ أمامَ الباحثِ إلا أن يغوصَ في أعماقِ مصنَّفاتِه بحثاً عن ضوءٍ يُذهبُ الظُّلمة، أو قبسٍ يزيلُ الحيرة.

١ ـ مذهبُه العقديُّ:

قبلَ أن أتحدَّثَ عن مذهبِ الكَرمانيِّ العقديِّ أحبُّ أن أذكرَ حادثةً جرت لي في بدايةِ طلبِ العلمِ، فقد ذهبتُ يوماً إلى أحدِ معارضِ الكتبِ، فوقعَت عيني على كتابِ البرهانِ في متشابهِ القرآن، فوقعَ حبُّه في قلبي، وفتحتُ صفحاتٍ منه فطالعتُها واقفاً، فجذبني، واشتريتُه، فلمّا رجعتُ به إلى المنزلِ بدا لي أن أسألَ أستاذاً لي عنه، فقال لي: لا بأسَ أن تقرأ فيه، ولكن احذر؛ فمؤلِّفُه من المعتزلة.

ورغم أنِّي لم أكن أعرفُ المعتزلة، لكنِّي طالعتُ الكتابَ على حذر، وسجَّلتُ فوائدَه في دفتري، ثمَّ اعتزلتُه خوفاً من المعتزلة.

لذلك أحبُّ أن أبدأ الكلامَ بالتأكيدِ على أنَّ تاجَ القُرّاءِ الكَرمانيَّ ليس من المعتزلة؛ فهو يصرِّحُ أنَّه من أهلِ السُّنّةِ والجماعة، والدَّليلُ على ذلك في مقدِّمةِ «لبابِ التَّفاسير» التي افتتحَها الكرمانيُّ بما يشبهُ الحربَ على المعتزلةِ بقولِه: الحمدُ لله مُنزلِ القرآنِ غيرَ مُحدَثٍ ولا مخلوق، الخالقِ الرّازقِ قبلَ كلِّ مخلوقٍ

ومرزوق، العالمِ القادرِ المريدِ بعلمٍ وقدرةٍ وإرادة، مدبِّرِ الخيرِ والشَّرِّ ومقدِّرِ الشَّقاوة والسَّعادة، بعث الرُّسلَ وأزاح العِللَ وأنار السُّبُل؛ لئلّا يكونَ للنّاس على الله حجّةٌ بعد الرُّسل، أوضحَ الآياتِ بخلقِ الأرضِ والسّماواتِ بدعًا، فوجبَ عليهم النَّظرُ فيها شرعًا لا عقلًا وطبعًا، دعاهم إلى طاعته، وأعانهم عليها برأفته، فالاستطاعةُ والفعل مقرونان، ووعدهم على الطّاعة نعيمًا، وأوعدهم على العصيان جحيمًا، فالجنّةُ والنّارُ مخلوقتان، بشَّر المؤمنين في الحياة الدُّنيا بالرُّؤية في الآخرة، فقال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]، وحُرِمَ الرُّؤيةَ والنّعيمَ الجاحدون، فقال: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]».

فلا تكادُ تجدُ أصلاً من أصولِ المعتزلةِ إلا وجدتَ في هذه المقدِّمةِ ما ينقضُه تصريحاً أو تلميحاً.

وربَّما يكونُ في نقلِه عن أئمَّةِ المعتزلةِ الذينَ عُرفَ عنهم الاعتزال، وضاعَت كثيرٌ من كتبِهم بعد أفولِ نجمِهم وانقراضِ زمانِهم ـ ومن هؤلاء أبو مسلمٍ محمَّدُ بنُ بحرٍ الأصبهانيُّ (ت: ٣٢٢هـ)، وله تفسيرٌ كبيرٌ سمّاه «جامعُ التَّأويلِ لمحكمِ التَّنزيل»، ومنهم أبو الحسنِ عليُّ بنُ عيسى الرُّمّانيُّ (ت: ٣٨٤هـ) الذي كان من أئمّةِ النَّحو، وألَّفَ تفسيراً كبيراً، وقد عُدَّ هذان التَّفسيران من جملةِ المفقودِ من التُّراثِ الحضاريِّ الإسلاميِّ، كما نقلَ عن أبي مسلمٍ محمَّدِ بنِ عليٍّ ابن مهربزد الأصبهانيِّ (ت: ٤٥٩هـ) ـ أثرٌ في إيهامِ ميلِه إلى المعتزلة.

لكنَّ هذا الوهم يزولُ تماماً عند مَن يتتبَّعُ كلامَ الكَرمانيِّ، فقد قالَ في تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾: والجنّة: هي جنّةُ الخُلْدِ التي وُعِدَ المتَّقون دخولَها، وهي مخلوقةٌ، وهذا مذهب أهل السُّنةِ والجماعةِ.

وقالَ في تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾: والجنّةُ مخلوقةٌ، ومحلُّها السَّماوات... وقيل: لم تُخلَق بعدُ، والأوَّلُ مذهبُ أهلِ السُّنةِ والجماعة.

ومن المعروفِ أنَّ طائفةً من المعتزلةِ والخوارجِ قد ذهبَت إلى أن الجنّة والنّار لم يُخلقا بعدُ[1]، فأغلبُ الظَّنِّ أنَّ كلامَه ردٌّ لمذهبِ المعتزلةِ، لكنَّه عرضَ الخلافَ بأسلوبٍ علميٍّ بعيدٍ عن الجدلِ والنِّقاش.

وقالَ في تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾: وأوَّلوا الإشهادَ على وجهَين:

أحدُهما: بما رُكِّبَ فيهم من العقلِ.

والثّاني: ببعثِ الرُّسلِ.

والأوَّلُ هو مذهبُ السُّنَّةِ والجماعةِ؛ لأنَّ جُلَّ المُفسِّرين على ذلك؛ لأنَّ الأخبارَ في ذلك شاعَتْ وذاعَتْ.

وفي كلامِ تاجِ القُرّاء هذا ردٌّ لمذهبِ المعتزلةِ بالتَّحسينِ والتَّقبيح العقليَّين.

وكذلك نقلَ في تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا﴾ قولَ السُّدِّيِّ: قتلُ المؤمنِ للمؤمنِ يخرجُه عن كونِه مؤمنًا إلّا أن يكونَ خطأً. ثمَّ قال: فيكون الاستثناءُ صحيحًا، وليس هذا معتقدَ أهلِ السُّنّةِ والجماعة.

وفي كلامِ الكَرمانيِّ ردٌّ لمذهبِ المعتزلةِ الشَّهيرِ في مرتكبِ الكبيرةِ، وأنَّه في منزلةٍ بين المنزلتين[2].

---

(١) انظر: «الفِصَل في الملل والأهواء والنحل» لابن حزم (٤/ ٦٨)، و«تأويلات أهل السنة» للماتريدي (١/ ٤٢٥).

(٢) انظر: «مقالات الإسلاميين» للأشعري (ص: ٢١٣)، و«الكشاف» للزمخشري (١/ ٥٥١)، و«شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز (٢/ ٥٢٤).

إذن يعلنُ الكَرمانيُّ انتسابَه للسُّنّةِ والجماعةِ، لكنَّ الذي يظهر لنا عند التَّوقُّفِ على مواضعَ من كلامِ الكَرمانيِّ أنَّ دائرةَ السُّنّة والجماعةِ تتَّسعُ عنده؛ لتضمَّ مذهبي السَّلفِ والخلفِ؛ فنراه يقولُ في تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾: مذهبُ السُّنَّةِ والجماعةِ: أنَّ الاستواءَ هاهنا لا يُفسَّرُ بما لم يَصفِ اللهُ ذاتَه به. ثمَّ ذكرَ تأويلاتٍ وردَت عن بعضِ المفسِّرينَ مناقشاً بعضَها ومعرضاً عن بعض.

وإنَّا لنشعرُ في هذا الموضعِ أنَّه أقربُ إلى مذهبِ أهلِ التَّفويضِ من السَّلف، لكنَّنا نجزمُ في مواضعَ أخرى أنَّ الرَّجلَ على مذهبِ أهلِ التَّأويلِ من الخلف، فهو يذكِّرنا بطريقةِ المتأخِّرين من أمثالِ ابنِ الصَّلاحِ والقاضي عياضٍ والنَّوويِّ.

ورغم تشابهِ مذهبِ المتأخِّرينَ من المؤوِّلةِ من أشاعرةٍ وماتريديّة، لكن يغلبُ على الظَّنِّ أنَّ الكَرمانيَّ له ميلٌ للأشعريّةِ، وهو ما يظهرُ في قولِه في تفسيرِ ﴿أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾: وهذا دليلٌ على أنَّ التَّقليدَ في التَّوحيدِ كفرٌ.

فمن المعروفِ أنَّ هذا قولُ الأشاعرةِ[1]؛ ولا نستطيعُ أنْ نجزمَ إنْ كانَ تاجُ القرّاء قالَه تقليداً لمذهبِهم، أو دعوةً إلى الاجتهادِ ونبذاً للتَّقليدِ، لا سيَّما أنَّ هذه الدَّعوةَ قد تكرَّرت منه مرّاتٍ، كما في قوله في تفسيرِ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾: دلَّت الآيةُ على وجوبِ النَّظر والتَّدبُّر وبطلانِ التَّقليد.

وتكرَّرَ مثلُه في تفسيرِ ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ قال: أي: يتأمَّلون في معانيه ومبانيه.

---

(١) انظر: «الفصل» لابن حزم (٤/ ٢٨ ـ ٢٩).

والتَّدبُّرُ: تصرُّفُ القلبِ بالنَّظرِ في العواقب.

والتَّفكُّرُ: تصرُّفُ القلبِ بالنَّظرِ في الدَّلائل.

وهذا قاطعٌ لقولِ مَن زعمَ منَ الرّافضةِ أنَّ القرآنَ لا يُفهَم معناه إلّا بتفسيرِ الرَّسولِ له.

فتاجُ القُرّاء ولا شكَّ داعيةُ تفكيرٍ واجتهادٍ وتدبُّرٍ، وليسَ داعيةَ تعصُّبٍ، وأظهرُ دليلٍ على هذا حاجتُنا للبحثِ في مذهبِه.

ونقفُ على النَّقلِ الأخيرِ الذي حملَ ردَّ تاجِ القُرّاءِ على الرّافضةِ في زعمِهم عجزَ النّاسِ عن فهمِ القرآن، وهذه الدَّعوى إنَّما هي بطانةُ الباطنيّة، فعجزُ النّاسِ عن فهمِ القرآنِ يلزمُ منه أن يكونُ ما يفهمُه عامّةُ النّاسِ من ظاهرِ النُّصوصِ غيرَ صحيح، وأنَّ للنُّصوصِ باطناً يخالفُ ظواهرَها، ومثلُ هذا يمكنُ أن يُسحبَ ليؤدِّي إلى التَّفلُّتِ من تعاليمِ الإسلامِ بالكلِّيّة.

ونجدُ مِثلَ هذا الموقفِ الصُّلبِ لتاجِ القُرّاءِ في تفسيرِ ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾، فإنه قال: ذهبتِ الرَّافضةُ إلى أنَّ هذا تغييرٌ منَ الكاتبِ، ولم يكُنْ في القرآنِ الظَّالِمُ وفلانٌ بالكنايةِ، بل كانا اسمَينِ صريحَين منَ الصَّحابةِ؛ يَعْنُون: الصِّدِّيقَ والفاروقَ، رضي الله عنهما، ولعَنَ مُبغِضيهما، وخذَلَهم.

كما صرَّحَ بتقديمِ أبي بكرٍ رضي الله عنه على عليٍّ رضي الله عنه وغيرِه، فقال في تفسير قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟﴾ [الحديد: ١٠]: وفي هذه الآيةِ دليلٌ واضحٌ وبرهانٌ لائحٌ على فضلِ أبي بكرٍ وتقديمِه؛ لأنَّه أوَّلُ مَن أسلَمَ.

وقالَ في تفسيرِ ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾: فإنْ طلَّقَها في حيضٍ أو طُهرٍ جامعَها فيه يقعُ الطَّلاقُ لغيرِ السُّنَّةِ. وذهبَ بعضُهم إلى أنَّه إذا طلَّقها ثلاثًا تقعُ واحدةً. وذهبَ بعضُهم إلى أنَّها لا تقعُ أصلًا؛ لأنَّها ليست كما أمرَ الله. وهذانِ القولانِ مذهبا الشِّيعةِ، وهو خلافٌ للمسلمينَ؛ لأنَّ النَّهيَ لا يُوجِبُ فسادَ المنهيِّ عنه، بل يُوجِبُ العصيانَ.

٢ ـ مذهبُه الفقهيُّ:

لم يُصرِّح تاجُ القُرّاءِ الكَرمانيُّ بمذهبِه الفقهيِّ في «لباب التَّفاسير»، ولم نقف على تصريحِه بذلك في كتابٍ آخرَ من كتبِه، وربَّما كانَ لوضعِ الدَّولةِ السَّلجوقيّةِ أثرٌ في ذلك؛ فقد تناوبَ ملوكُها ووزراؤهم على تبنِّي مذهبِ الحنفية أو الشّافعيّة، ودعمِ علمائهما.

وقد اختلفَت مصادرُ ترجمةِ الكَرمانيِّ على قلَّتها في مذهبِه الفقهيِّ؛ فقيلَ: حنفيٌّ[١]، وقيلَ: شافعيٌّ[٢]، والذي ترجَّحَ عندنا أنَّه حنفيٌّ.

ومن طُرَفِ ما وقعَ في الكتابِ أنِّي وجدتُ لهذا الخلافِ جذراً في النُّسخِ الخطيّةِ؛ فعندَ تفسيرِ ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ جاءَ في نسخةِ (نور بانو المرموز لها بـ: ن): قوله: ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: في الدارِ الآخرة، وقيل: في حُكمِ الله، كما تقولُ: هذا عندَ الشافعيِّ جائزٌ؛ أي: في حُكْمِه.

---

(١) انظر: «الحاوي» للسيوطي (١٩/ ٢٠٣) ضمن مجموع رسائل العلامة السيوطي ـ ط دار اللباب، وقد وصفه السيوطي في هذا الموضع بأنه من أئمة الحنفية.

(٢) انظر: «كشف الظُّنون» لحاجي خليفة (١/ ٢٤١)، و«معجم المؤلفين» لعمر رضا كحالة (١٢/ ١٦١)، و«هدية العارفين» للبغدادي (٢/ ٤٠٢).

وهذه العبارةُ لو سلمَت لكانَت مؤشِّراً إلى انتمائِه لمذهبِ الشّافعيّة، ولكن جاء في (نسخةِ الفاتحِ المرموز لها بـ: ف): كما تقولُ: هذا عندَ أبي حنيفةَ جائزٌ؛ أي: في حُكْمِه.

وقد وقفتُ على موضعٍ آخرَ عند تفسير ﴿فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰ﴾ قال: و(رأيتُ) هذا منَ الرَّأيِ، كما تقولُ: فلانٌ يَرى رأيَ أبي حنيفةَ.

وهذا موضعٌ سلمَ من اختلافِ النُّسخِ، وفيه إشارةٌ إلى انتمائِه لمذهبِ أبي حنيفةَ، فمن عادةَ العلماءِ أن يمثِّلوا بأئمَّتِهم.

وأصرحُ من هذا ما جاء في قولِه: هذا مذهبُ الفقهاء، والمرويُّ عن أبي حنيفةَ رضي الله عنه[1]؛ فتخصيصُ أبي حنيفةَ رحمه الله بعد عمومِ الفقهاءِ فيها دلالةٌ على خصوصيّةِ مذهبِه عند الكَرمانيِّ.

وكذلك نجدُه في تفسيرِ ﴿فَكُلُواْ مِمَّآ أَمۡسَكۡنَ عَلَيۡكُمۡ﴾ يذكرُ قولَ أبي حنيفةَ أوَّلاً، ويُعقبُه بعبارة (رضي الله عنه)، ثم يذكرُ قولَ الشافعيِّ ثانياً، ويُعقبُه بعبارة (رحمه الله)، ثم يذكرُ قولَ مالكٍ والأوزاعيِّ، ويُعقبُه بعبارة (رحمهما الله)، فالتخصيصُ لأبي حنيفةَ أيضاً.

وثمّةَ مسلكٌ آخرُ سلكناه لمعرفةِ مذهبِه الفقهيِّ، وهو العودةُ إلى المسائلِ الخلافيّةِ، ومقارنةُ رأيه فيها بالمشهورِ من مذاهبِ الأئمّةِ، وقد حصلَ عندنا من خلالِ هذا المسلكَ ظنٌّ قاطعٌ بما كنَّا توصَّلنا إليه بظنونٍ وإشاراتٍ، ومن هذه المواضعِ:

---

(١) انظر: «المبسوط» للسرخسي (٣٠/ ٢٦٦)، و«المغني» لابن قدامة (٨/ ٢٥٩).

قولُه: العمرةُ: زيارةُ البيت، وإتمامُها بالإحرامِ والطَّوافِ والسَّعيِ وحلقِ الرَّأس، وهي سُنّةٌ عندنا، وليس بفرضٍ؛ لقولِه تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ [آل عمران: ٩٧].

وكلمةُ (عندنا) التي استخدمَها تاجُ القُرّاءِ تشيرُ إلى الانتماءِ المذهبيِّ، ولم يستخدمها الكَرمانيُّ إلا نادراً، وقد ذهبَ إلى سُنيّةِ العمرةِ أبو حنيفة ومالكٌ، بينما ذهبَ إلى وجوبِها الشَّافعيُّ وأحمد(١)، ولمّا كان التَّردُّدُ عندنا بين كونِه حنفيّاً أو شافعيّاً، فالعبارةُ تدلُّ على أنَّه حنفيٌّ، والله أعلمُ.

ومنها قولُه في تفسيرِ ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ﴾: والاعتكافُ: لزومُ عبادةِ الله في مسجدٍ تُقامُ فيه الجماعةُ مع الصَّوم؛ والصَّومُ شرطٌ للاعتكافِ عند أبي حنيفةَ ومالكٍ، وليس بشرطٍ عند الشافعيِّ(٢).

ومنها قولُه في تفسيرِ ﴿وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ﴾: والمفروضُ قدرُ الربع، ولا يستوعب الرَّأس خلافًا لمالكٍ، ولا يقتصرُ على ما دونه خلافًا للشَّافعيِّ رحمه الله. وهذا أصرحُ ممّا قبله؛ فقد أقرَّ مذهبَ أبي حنيفةَ وردَّ غيرَه(٣).

ومنها: اختيارُه أنَّ القرءَ الحيضُ عند تفسير ﴿ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾، لكنَّ هذا الاختيارَ ظهرَ من خلالِ ترتيبِه للأقوال، ولم يصرِّح به.

وقد وقفتُ على مواضعَ فيها إشكالٌ، منها: قولُه: الدِّيةُ: مئةُ إبلٍ، أو ألفُ دينارٍ، أو اثنا عشرَ ألفِ درهمٍ، تُوزَّعُ على عاقلتِه، فتُؤدَّى في ثلاثِ سنين. وتحديدُ الدِّيةِ

---

(١) » انظر: «الإشراف» لابن المنذر (٣/ ٣٧٦).

(٢) » انظر: «الإشراف» لابن المنذر (٣/ ٣٧٦).

(٣) انظر: «الأم» (١/ ٤١)، و «تفسير الثعلبي» (١١/ ١٩١)، و«فتح القدير» لابن الهمام (١/ ١٣)، و«الجامع لمسائل المدونة» (١/ ١٩)، و«التمهيد» (٢٠/ ١٢٥).

باثني عشرَ ألفِ درهمٍ قولُ مالكٍ والشّافعيِّ في القديم، أمّا الحنفيّةُ فيرونَ أنَّه عشرةُ آلافِ درهمٍ، ولكنَّ هذا الإشكالُ زال عندما وجدتُ أنَّه روايةٌ عن أبي حنيفةَ[1].

٣ ـ مذهبُه النَّحويُّ:

استخدمَ تاجُ القُرّاءِ الكَرمانيُّ مصطلحاتِ البصريِّينَ تارة، ومصطلحاتِ الكوفيِّينَ تارةً أخرى؛ فكانَ يقولُ: خفضٌ وجرٌّ[2]، ويقول: ضميرٌ وكناية[3]، ويقول: ضميرُ عمادٍ وفصلٍ[4]، ويقول: صلةٌ وزيادة[5]، ويقول: نعتٌ وصفة[6]، وهو يعرضُ رأيَ الفريقينِ في كثيرٍ من الأحيانِ دونَ تشنيعٍ على أحدِهما[7]، لكنَّه أميلُ إلى مذهبِ

---

(١) انظر: «الحجة على أهل المدينة» لمحمد بن الحسن (٤/ ٢٥٨)، و«مختصر المزني» (٧/ ٣٥١)، و«التجريد» للقدوري (١١/ ٥٧١١)، و«المبسوط» للسرخسي (٢٦/ ٧٧)، و«تبيين الحقائق» للزيلعي (٦/ ١٢٧).

(٢) استخدم الأوّل في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧١]، واستخدم الثاني في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ﴾ [البقرة: ١٠٢].

(٣) استخدم الأوّل في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧١]، واستخدم الثاني في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ﴾ [البقرة: ١٠٢].

(٤) استخدم الأوّل في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠]، واستخدم الثاني في تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ﴾ [البقرة: ٣١].

(٥) استخدم الأوّل في تفسير قوله تعالى: ﴿فَقَلِيلٗا مَّا يُؤۡمِنُونَ﴾ [البقرة: ٨٨]، واستخدم الثاني في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ﴾ [البقرة: ١٠٢].

(٦) استخدم الأوّل في تفسير قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞ﴾ [الزمر: ١٠]، واستخدم الثاني في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا﴾ [البقرة: ٢٦].

(٧) كما في كلامه على اشتقاق لفظ الجلالة، وفي مجيء (أو) بمعنى الواو، وبناء (يوم) على الفتح، وانظر في هذا: رسالة «المسائل النحوية في غرائب التفسير» للدكتور حسن قابور (ص: ٢٥٣)، ورسالة «ردود الكرماني على النحاة في كتابه غرائب التفسير وعجائب التأويل» لعلي عبد الله =

البصريِّين، فقد أكثرَ من ذكرِ أئمّةِ البصريِّين، ولا سيَّما سيبويهِ والخليلُ والمبرِّد، وقد ردَّ مذهبَ الكوفيِّينَ في مسائلَ ليست بالقليلة، كما في تفسيرِ قولِه: ﴿وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ﴾، فقد ذكرَ مذهبَ البصريِّينَ بأنَّه أُكِّدَ بـ(إنَّ)، ثمَّ خُفِّفَت، ودخلَت اللّامُ بعدَه لزوماً، ثم قال: والكوفيُّون يجعَلون (إنْ) للنَّفي، واللامَ بمعنى: إلّا، وهذا لا يُعرَف له أصلٌ.

وقالَ في تفسيرِ قولِه: ﴿فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾: وقال الكوفيُّونَ: مجرورٌ للجِوارِ، وفيه ضعفٌ.

وقال في تفسيرِ قولِه: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ﴾: حذفُ تاءِ (طالق) للنَّسب؛ كتامرٍ ولابنٍ، وقولُ مَن قال: «لعدمِ المشاركةِ» باطلٌ، بـ(طلقَتْ) و(حاضَتْ).

فمعنى (طالق) عند الكَرمانيِّ: ذاتُ طلاق، كما أنَّ التّامرَ صاحبُ التَّمر، واللابنُ صاحبُ اللَّبن، ولذا حُذفَت التّاء، وهو مذهبُ الخليلِ وسيبويهِ والبصريِّين، وهو يرى أنَّ مَن زعمَ أنَّ حذفَ التّاءِ بسببِ كونِ كلمةِ (طالق) مختصّةً بالمؤنَّث، فقولُه مردودٌ بدخولِ تاءِ التّأنيثِ على الفعل، وهذا القولُ الذي ردَّه تاجُ القُرّاءِ للفرّاءِ والكوفيِّين[1].

سادساً ـ مؤلفاتُه:

تنوَّعَت كتُبُ الشَّيخِ الكرمانيِّ بشَكلٍ واسِعٍ وكبيرٍ، وتَناوَلتْ مختَلَفَ العُلومِ من التَّفسيرِ والقِراءاتِ وعلومِ القرآنِ والنَّحوِ: منها كتابُنا هذا الموسومُ بـ«لُبابِ

= محيسن (ص: ١٢)، ومقدمة تحقيق «العنوان» للمصنِّف (ص: ٢٧).

(١) انظر: «الكتاب» لسيبويه (٣/ ٣٨٣)، و«معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢١٤)، و«المذكر والمؤنث» للأنباري (١/ ١٤٨)، و«الدر المصون» للسمين الحلبي (٨/ ٢٢٤).

التَّفاسيرِ»، وجاء في بعضِ المصادرِ «لُبابُ التَّأويلِ»، ولعلَّه هو، وكتابُ «غرائبِ التَّفسيرِ وعجائبِ التَّأويل»[1]، ربَّما سُمِّي في بعضِ المصادر «العَجائِب والغَرائِبِ»، و«النِّهايةُ في شرحِ الغايةِ»[2] في القراءات العشر، و«خَطُّ المَصاحِفِ»، و«البُرهانُ في مُتَشابِهِ القُرآنِ»[3]، وهو في بيانِ أسرارِ التّكرارِ في القرآن، وربَّما سُمِّي بذلك، و«العنوانُ» في النَّحو[4]، و«الإفادةُ» فيه أيضاً، و«شرحُ اللُّمَع لابن جنِّي»، و«النِّظاميُّ» وهو اختصارُ «اللُّمَعِ»، و«الإيجازُ» مختصِرُ «الإيضاحِ» للفارِسيِّ، وله أيضاً كتاب بعنوان «غُنيةُ الطالبِ في شرحِ رسالةِ الصدِّيقِ لعليِّ بن أبي طالب»[5].

سابعاً ـ ثناءُ العُلماءِ علَيه:

على الرَّغمِ مِن عدَمِ وُجودِ سيرةٍ حافلةٍ بتاريخِ الشَّيخِ، إلّا أنَّه بالنَّظرِ إلى ما قدَّمَهُ في عُلومِ الفِقهِ، والقِراءاتِ، والنَّحوِ، والتَّفسيرِ أيضاً، فقد حازَ إعجابَ العُلماءِ

(١) طُبِعَ في دار القبلة بجدة ومؤسسة علوم القرآن ببيروت بتحقيق الدكتور شمران العجلي.

(٢) قام بتحقيقه مجموعة من الباحثين في رسائل جامعية في الجامعة الإسلامية في المدينة المنوّرة، ولم أقف عليه مطبوعاً.

(٣) قام الدكتور منصور محمد الحفناوي بتحقيقه، ونال فيه درجة الماجستير في جامعة القاهرة سنة ١٩٧٥م، وطُبِعَ في دار الاعتصام في القاهرة بتحقيق عبد القادر أحمد عطا بعنوان: أسرار التكرار في القرآن، وله طبعات وتحقيقات أخرى.

(٤) قام الدكتور حازم سعيد البياتي والدكتورة منال صلاح الدين عزيز بتحقيقه، وطُبِعَ في دار البحوث للدراسات الإسلاميّة وإحياء التراث بدبي.

(٥) انظر: «معجم الأدباء» لياقوت الحموي (٦/ ٢٦٨٦)، و«غاية النِّهاية في طبقات القرّاء» لابن الجزري (٢/ ٢٩١)، و«كشف الظُّنون» لحاجي خليفة (١/ ٨١)، (١/ ٢٤١)، (١/ ٤٢٧)، (٢/ ١١٢٦)، (٢/ ١١٧٧)، (٢/ ١١٩٧)، (٢/ ١٥٤١)، و«بُغية الوُعاة» للسيوطي (٢/ ٢٧٧)، و«طبقات المفسِّرين» للدّاودي (٢/ ٣١٢)، و«هديّة العارفين» للبغدادي (٢/ ٤٠٢)، و«الأعلام» للزِّركلي (٧/ ١٦٨).

وامتِداحَهُم، وبذَلوا في ذلكَ له الألقابَ، حتَّى صارَ مَعروفاً بينَهُم بتاجِ القُرّاءِ، وقد تركَ العلماءُ فيه شهاداتٍ رفيعة، وعباراتٍ في الثَّناءِ بديعة، ومن ذلك:

قولُ ياقوت الحمويِّ: هو تاجُ القُرّاءِ، وأحَدُ العُلماءِ الفُقَهاءِ النُّبَلاءِ، صاحِبُ التَّصانيفِ والفَضلِ، كانَ عجَباً في دقّةِ الفَهمِ، وحُسْنِ الاستِنباطِ(١).

وقال ابنُ الجزَريِّ: إمامٌ كبيرٌ محقِّقٌ ثقةٌ كبيرُ المَحلِّ(٢).

وقال الأدنَوَيه: العالِمُ الفاضِلُ المحقِّقُ العَلّامةُ بُرهانُ الدِّينِ أبو القاسِمِ(٣).

وقد وصفه السُّيوطيُّ بأنَّه من أهلِ التَّدقيق، وأنَّه من المحقِّقين، وأنَّه من أئمّةِ الحنفيّة، ولم تأتِ هذه الأوصافُ في سياقِ ترجمةِ الكَرمانيِّ، وإنَّما جاءت عند الحديثِ عن أنواعٍ من علمِه(٤).

ومن ذلكَ شهادةُ تلميذِه شمسِ القراءِ الكَرمانيِّ، فقد وصفَه بالشَّيخِ الإمامِ تاجِ القُرّاءِ برهانِ الدِّينِ زينِ الفريقينِ ضياءِ الأمّةِ سعدِ الإسلامِ أبي القاسمِ محمودِ بنِ حمزةَ بنِ نصرٍ، رحمة الله ورضوانه عليه(٥).

ثامناً ـ وفاتُهُ:

ذكَرَ ياقوت الحمويُّ وهو صاحبُ أقدمِ ترجمةٍ بين أيدينا لتاجِ القُرّاءِ

---

(١) انظر: «معجم الأدباء» لياقوت الحموي (٦/ ٢٦٨٦).

(٢) انظر: «غاية النّهاية في طبقات القرّاء» لابن الجزري (٢/ ٢٩١).

(٣) انظر: «طبقات المفسِّرين» للأدنويه (١/ ١٤٩).

(٤) انظر: «الحاوي» للسيوطي (١٧/ ٤٨٨) ضمن مجموع رسائل العلامة السيوطي، ط دار اللباب، و«مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع» للسيوطي (ص: ٤٥).

(٥) انظر: «قراءة الكسائي» لمحمد بن أبي نصر الكرماني (ص: ١٥).

الكَرمانـيّ: أنَّـه كانَ فـي حـدودِ المئـةِ الخامِسـةِ وتُوفِّـيَ بعدهـا[١].

وقال الإمامُ السيوطيُّ في حدودِ الخمسِ مائة[٢]، وقد تكرَّرَ هذا عند معظمِ مَن ترجمَ لتاجِ القُرّاء[٣]، لكنَّ حاجي خليفة الذي تكرَّرت عبارتُه لتفيدَ هذا المعنى في مواضعَ ذكرَ عبارةً أخرى في مواضعَ أخرى فقال: المتوفَّى في حدودِ (٥٠٠)[٤]، أمّا الزِّركليُّ فذكرَ أنَّه تُوفِّي نحوَ (٥٠٥هـ)[٥].

وبينَ هذه العباراتِ فرقٌ كبيرٌ؛ فعبارةُ ياقوت لا تحدِّدُ سنةَ وفاةِ تاجِ القُرّاءِ، بل تُثبتُ أنَّه كان حيًّا في سنة ٥٠٠هـ، وتُوفِّي بعدها؛ فقد يكونُ تُوفِّي بعدَها بـ٢٠ أو ٣١ أو ٣٥ سنةً، أمَّا العبارةُ الثّانيةُ ففيها تحديدٌ.

وقد ذهبَ محقِّقُ كتابِ «غرائبِ التَّفسيرِ وعجائبِ التَّأويلِ» الدكتور شمران العجليُّ إلى غيرِ هذا، فاعتمدَ على عبارةٍ في (نسخةِ بني جامع) في إسطنبول قالَ فيها النّاسخُ: (قالَ سيِّدُنا الشَّيخُ الإمامُ... أبو القاسمِ محمودُ بنُ حمزةَ بنِ نصرٍ أدامَ الله أيّامَه وعصمَ ساحتَه عن المكارهِ والنَّوائبِ بحقِّ محمَّدٍ وآلِه)، ورأى أنَّ هذه العبارةَ تفيدُ أنَّ المصنِّفَ كان حيّاً عندَ نسخِ الكتاب، وقد فُرِغَ من نسخِه في المحرَّمِ سنةَ خمسٍ وثلاثينَ وخمسمائة، كما جاءَ في آخرِ الجزءِ الأوَّل، فخلصَ إلى أنَّه تُوفِّي سنةَ ٥٣٥هـ تقريباً[٦].

---

(١) انظر: «معجم الأدباء» لياقوت الحموي (٦/ ٢٦٨٦).

(٢) انظر: «التحبير لعلم التفسير» للسيوطي.

(٣) انظر: «غاية النِّهاية في طبقات القرّاء» لابن الجزري (٢/ ٢٩١)، و«كشف الظُّنون» لحاجي خليفة (٢/ ١١٢٦)، (٢/ ١١٧٧)، و«معجم المؤلفين» لعمر رضا كحالة (١٢/ ١٦١).

(٤) انظر: «كشف الظُّنون» لحاجي خليفة (١/ ٢١١).

(٥) انظر: «الأعلام» للزركلي (٧/ ١٦٨).

(٦) انظر: «غرائب التفسير وعجائب التأويل» لتاج القراء الكرماني (١/ ٢٩ و٣٤)، و«شواذ القراءات» =

وهذه العبارةُ تدلُّ على ما ذهبَ إليه الدكتور شمران في الظّاهر، لكنَّ دلالتَها على ذلك ليست قاطعة؛ لاحتمالِ أن يكونَ النّاسخُ قد نسخَ العبارةَ كما هي من أصلٍ سابقٍ اعتمدَ عليه، ولاحتمالِ أن تكونَ تلك العبارةُ قد جرَت على لسانِ النّاسخِ اتِّباعاً لعادةٍ أَلِفَها؛ فأمثالُ تلك العباراتِ كانت مألوفةً متردِّدةً على ألسنةِ الكُتّاب والنُّساخ، ومع ذلك يبقى ما ذهبَ إليه الدكتور شمران هو الظّاهرُ.

وقد دعمَ الدكتور شمران ما ذهبَ إليه بما جاءَ في آخرِ نسخةِ مجلسِ الشُّورى بطهرانَ حيثُ قالَ النّاسخُ: قد انتسخْتُ هذه النُّسخةَ من التَّفسيرِ الموسومِ بـ«الغرائبِ والعجائبِ»... من نسخةٍ قديمة... مؤرَّخةٍ بتاريخِ سنةِ ٦٧٥هـ، وقد كُتبَ في تلكَ النُّسخةِ: (فرغَ المصنِّفُ ـ وهو الشَّيخُ الإمامُ تاجُ القُرّاءِ برهانُ الدِّينِ رحمه الله تعالى ـ من تحريرِه وتصنيفِه في شهرِ ربيعِ الأوَّلِ سنةَ إحدى وثلاثينَ وخمسمائة) وهذه العبارةُ على صراحتِها في الدِّلالةِ على ما ذهبَ إليه الدكتور شمران، لكنَّ فيها ما قالَه العلماءُ في الوِجادة[1]، أو هي دونَ ذلك.

وقد ذكرَ تاجُ القُرّاءِ الكَرمانيُّ في «لباب التَّفاسير» أنَّه سمعَ شيخَ الإسلامِ القاضي أبا المعالي، فإن صحَّ ما يغلبُ على ظنِّي أنَّه هبةُ الله بنُ عليِّ بنِ إبراهيمَ الشِّيرازيُّ قاضي كَرمانَ، فهو دليلٌ على تأخُّر وفاتِه إلى ما بعدَ سنةِ ٥٢٠هـ[2]، فقد تُوفِّيَ القاضي في تلكَ السَّنةِ، وترحَّم عليه تاجُ القُرّاءِ الكَرمانيُّ، لكنَّ هذا أيضاً وإن كانَ دليلاً على تأخُّرِ وفاةِ الكَرمانيِّ، لكنَّه دليلٌ غيرُ قاطعٍ لما تبيَّنَ، والله أعلمُ.

* * *

= لشمس القراء الكرماني (ص: ٨).

(١) هو من باب المنقطع، ولكن فيه شوب اتصال. انظر: «فتح المغيث» للسخاوي (٣/ ٢٣)، و«تدريب الراوي» للسيوطي (١/ ٤٨٧).

(٢) انظر: «الوافي بالوفيات» للصفدي (٢/ ١١٤).

دراسةُ كتابِ «لبابِ التَّفاسير»

أوَّلاً ـ عنوانُ الكتابِ ونسبتُه إلى مؤلِّفِه:

اختلفت المصادرُ التي ترجمَت لتاجِ القُرّاءِ والتي ذُكرَ فيها هذا الكتابُ في اسمِه؛ فقد سمَّاه المصنِّفُ في مقدّمتِه: لبابَ التَّفاسير، وكذلك سمّاه في مقدِّمة «غرائبِ التَّفسيرِ وعجائبِ التَّأويلِ»، وفي مواضعَ منه[1]، وهو كذلك في «هديّة العارفين» للبغدادي، و«غاية النِّهاية في طبقات القرّاء» لابن الجزري[2].

وهذا الاسمُ هو المثبتُ على النُّسخِ الخطيَّةِ التي سيأتي الحديثُ عنها، إلا أنَّه جاء في (نسخةِ الفاتح): لبابُ تفسيرِ القرآن.

وقد سمَّاه ياقوت في «معجمِ الأدباء»: لبابَ التَّفسير[3]، وكذا فعلَ ابنُ السّاعي في «الدُّرِ الثَّمين»[4]، وبهذا الاسمِ ذكرَه المصنِّفُ في «البرهان»[5].

---

(١) انظر: «غرائبِ التَّفسيرِ وعجائبِ التَّأويلِ» للمصنِّف (١/ ٨٨ و١٠٨ و٢٤٢ و٢٨٢ و٣٠٠) و(٢/ ٧٥٤ و٧٦٢).

(٢) انظر: «هديّة العارفين» للبغدادي (٢/ ٤٠٢)، و«غاية النِّهاية في طبقات القرّاء» لابن الجزري (٢/ ٢٩١)، و«فهرس الخزانة التيمورية» (٣/ ١٦٠).

(٣) انظر: «معجم الأدباء» لياقوت الحموي (٦/ ٢٦٨٦).

(٤) انظر: «الدر الثمين في أسماء المصنفين» لابن الساعي (ص: ٣٥٧).

(٥) انظر: «البرهان» للمصنف (ص: ١١٧).

وقد تداولَ العلماءُ الاسمين، واختصرُوا أحياناً فقالوا: اللُّباب[١].

وذكرَه المصنِّفُ في «البرهان» أيضاً باسمِ: لبابِ التَّفسيرِ وعجائبِ التَّأويل[٢].

والذي يظهرُ لي أنَّ المصنِّفَ ألَّفَ «البرهان» و«غرائب التفسير» بعد «لباب التفاسير»، وبدا له أن يُعدِّلَ اسمَ الكتاب؛ ليكونَ أكثرَ دلالةً على ما يحتويه؛ لأنَّ الكتابَ الذي بين أيدينا يحتوي على أقوالٍ منتقاةٍ هي (لباب التفسير)، وعلى أقوالٍ مرجوحةٍ هي (عجائب التأويل)، والكَرمانيُّ قصدَ الجمعَ بينَ الاثنينِ لغايةٍ في نفسِه قضاها، والله أعلم.

وقد وقعَ خلطٌ أحياناً بين كتابِه «لبابِ التَّفاسير» الذي جمعَ فيه أهمَّ ما وقفَ عليه من آراءِ المفسِّرين في رحلاتِه بين كتبِهم، وبين كتابِه «غرائبِ التَّفسيرِ وعجائبِ التَّأويلِ» الذي ألَّفَه بعدَ ذلك، وخصَّه بالغريبِ والعجيبِ من أقوالِ المفسِّرين، وقد وقعَ هذا الخلطُ في «كشفِ الظُّنون» حيثُ تحدَّثَ حاجي خليفة عن كتابِ «الغرائبِ والعجائبِ» ثمَّ قال: سمّاه: «لبابَ التَّفسير»[٣].

وظهـرَ هذا الخلطُ في قولِ الزّركلـيِّ مترجماً للكَرمانيِّ: محمـودُ بنُ حمزةَ بنِ نصرٍ، أبو القاسـمِ، برهـانُ الدِّينِ الكرمانيُّ، ويُعـرَفُ بتاجِ القُرّاء... نقلَ في التَّفسـيرِ آراءً مُسـتنكرةً فـي معـرضِ التَّحذيرِ منهـا، كان الأولى إهمالُها، أثنـى عليه الجزريُّ وذكـرَ بعـضَ كتبِه، ومنهـا: «لبابُ التَّفاسـير»... وهـو المعروفُ بكتـابِ «العجائبِ والغرائـب» فـي مجلَّديـن، ضمَّنَه أقـوالاً فـي معاني بعـضِ الآيات، قال السُّـيوطيُّ

---

(١) انظر: «اللباب في علوم الكتاب» لابن عادل (٦/ ٧٠).

(٢) انظر: «البرهان» للمصنف (ص: ٦٤)، وكذا في «طبقات المفسرين» للداودي (٢/ ٣١٢).

(٣) انظر: «كشف الظُّنون» لحاجي خليفة (٢/ ١١٢٦).

فـي «الإتقان»: لا يحـلُّ الاعتمادُ عليهـا، ولا ذكرُها، إلّا للتَّحذيـرِ منها[1].

ومردُّ هذا الخلطِ في رأيي هو الكلامُ عن الكتابينِ من غيرِ وقوفٍ عليهما، فالفرقُ بينهما ظاهرٌ لا يحتاجُ إلى إيضاحٍ، ويكفي في الدَّلالةِ عليه قولُ الكرمانيِّ في مقدِّمةِ «غرائبِ التَّفسيرِ وعجائبِ التَّأويل» بعدَ ذِكرِ غايتِه في تأليفِه ومنهجِه فيه: **ولم أشتغلْ بذكرِ الآياتِ الظّاهرة، والوجوهِ المعروفةِ المتظاهرة، ولا بذكرِ الأسبابِ والنُّزول، والقَصصِ والفصول؛ فإنِّي قد أودعتُ جميع ذلك في كتابي الموسومِ بـ«لباب التَّفاسير»**[2].

وعلى هذا فاسمُ كتابِنا الذي ينبغي أن نُثبتَه له، ونعرِّفَه به هو: «لبابُ التَّفاسير».

ومـا سـوى ذلك فقد أجمعَـت المصادرُ التـي ذكَرت الكتابَ مـن مخطوطاتٍ وكتـبِ تراجـمٍ وفهـارسَ علـى إثباتِ نسبةِ «لبـاب التَّفاسـير» لمصنِّفـه تـاجِ القُرّاءِ الكَرمانيِّ.

ثانياً ـ أهمِّيّةُ «لبابِ التَّفاسير»:

تكمنُ أهمِّيّةُ هذا الكتابِ من نواحٍ عدّة:

أوّلُها: أنَّ تاجَ القُرّاءِ الكرمانيَّ جمعَ ما وردَ عمّن قبلَه من المفسِّرينَ من نقلٍ واجتهاد، وجمعَ فيه أقاويلَ السَّلفِ والخلف، ولم يُخلِ كتابَه من نقولٍ عن بعضِ أهلِ الاعتزالِ والتَّشيُّع مع التنبيهِ عليها، وقرَّبَ كلَّ ذلك من مُريدِه بعبارةٍ سهلةٍ غلبَ عليها الإيجاز، فكان كمَن وضعَ قِطافاً في طبقٍ وأدناه؛ ليتخيَّرَ منه ما شاءَ مَنِ اشتهاه.

---

(١) انظر: «الأعلام» للزركلي (٦/ ١٦٨).

(٢) انظر: «غرائبِ التَّفسيرِ وعجائبِ التَّأويلِ» للمصنِّف (١/ ٨٨).

وقد تجنَّبَ الكرمانيُّ كثيراً ممّا ظهرَ معناه اكتفاءً بفهمِ قارئِه، وتصوُّرِ تاليه، ولعلَّه فعلَ ذلك ليكونَ أقرب مأخذاً، وأسهل مطلباً.

وتذكِّرُ هذه الطَّريقةُ بأسلوب الماورديِّ في «النُّكت والعيون» وابن الجوزيِّ في «زاد المسير»، ولهذه الطَّريقةِ فائدةٌ كبيرةٌ في توفيرِ الجهدِ والوقت، ولكن يُؤخَذُ عليها أنَّ قصدَ الاختصارِ قد يؤدِّي إلى إخلال، وأنَّ كثرةَ النُّقولِ قد يرافقُها سهوٌ أو ذُهول.

ثانيها: أكثرَ الكرمانيُّ النَّقلَ عن مصادرَ مفقودةٍ في عصرنا كتفسيرِ المفضَّلِ والرُّمّانيِّ وابنِ بحرٍ وابن مهربزدَ، ونقلَ عن المبرِّدِ وابن السَّرّاجِ والقفّالِ وقطرب وابن الأنباريِّ وابن كيسان وابن مِهرانَ وغيرِهم نقولاً كثيرةً لم نقف عليها في المعروفِ عند النّاسِ اليومَ من كتبِهم، ونقلَ عن ابن عباسٍ والحسنِ والضحاك أقوالاً لم نقف عليها في كتبِ التفسير التي بين أيدينا ممَن تقدَّمَه، ويظهرُ هذا جليًّا لمن يتتبَّعُ مثل هذه النُّقولِ في «لبابِ التَّفاسير».

ففي قول الله تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ ﴾ نقلَ عن الحسنِ قولَه: الملائكةُ أيضاً منويُّون في الآيةِ؛ لأنَّهم لا يقدرون أيضاً على الإتيانِ بمثلِ القرآنِ.

وهذا القول ذكره تاجُ القُرّاءِ في «غرائب التفسير»[1]، لكنِّي لم أجده عندَ غيرِه بعد طولِ بحث.

ولا يقتصرُ هذا على أقوالِ المفسِّرين، بل نجد مثله في أسبابِ النُّزولِ، فقد ذكر: أنَّ أحبارَ اليهودِ قالوا: إنْ كنتَ نبيًّا فائتنا بآيةٍ كآيةِ موسى، فإنَّ القرآنَ وإن عجزَ

---

(١) انظر: «غرائب التفسير» (١/ ٦٤١).

عن الإتيانِ بمثله حاضروك، فلعلَّ في الغائبين مَن لا يعجزُ عنه، فأنزلَ: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ ﴾. وهذا ما لم أجده عندَ غيرِه.

والأمرُ ذاتُه نجدُه في أبياتِ الشِّعرِ، فقد ذكرَ قولَ الشّاعرِ:

فما لله تابَ أبو كبيرٍ ولكنْ تابَ خوفَ سعيدِ زيرِ

ولم أقف عليه.

وكذلك قالَ تاج القُرّاء عن سورةِ (السَّجدة): ويُقالُ لها: سورةُ الجُرُزِ. ولم أقف على تسميتها بسورة الجرز عند غيرِه.

وأمثلةُ ذلك أكثرُ من أن تُحصى في الكتابِ، فثمّةَ أقوالٌ لم نجدها إلا في «لبابِ التَّفاسير»، وثمّة أقوالٌ وجدناها بلفظِها ونسبتِها في «غرائب التَّفسير» أيضاً، وأقوالٌ لم نجدها إلا عنده وعندَ مَن أخذَ عن «لبابِ التَّفاسير» مثل أبي حيّانَ في «البحر المحيط»، ممّا يؤكِّدُ أنَّ كتبَ تاجِ القرّاءِ هي مصدرُها الأساسيُّ، وليس مردُّ ذلك في رأيي إلا اعتمادَ الكرمانيِّ على كتبٍ ومصادرَ غيرِ موجودةٍ الآن، أو غيرِ معروفةٍ ومتداولة.

وقد ذكرتُ سابقاً أنَّ الكرمانيَّ ضمَّنَ كتابَه أقوالاً وآراء عن بعضِ العلماءِ الذينَ عُرفَ عنهم الاعتزال، وضاعَت كثيرٌ من كتبِهم بعد أفولِ نجمِهم وانقراضِ زمانِهم، فكان لنقلِ الكرمانيِّ عنهما فضلٌ في اطِّلاعِنا على نُبَذٍ من كتبِهم، ومثلُ هذا يقالُ عن الأقوالِ والآراءِ التي نقلَها، ولم نجدها عند غيرِه، أو وجدناها عند مَن نقلَها عنه، وأخذَها منه.

ثالثُها: أنَّ الكرمانيَّ اهتمَّ بجانبٍ أهملَه أكثرُ المفسِّرين، وهو الغرائبُ والعجائبُ

التي نُقلَت عن بعضِ المفسِّرين، وزخرَت بها بعضُ كتبِ التَّفسير، والظّاهرُ أنَّ اهتمامَ الكرمانيِّ بهذا الجانبِ كان استجابةً للذَّوقِ العامِّ في عصرِه وبلدِه؛ فإنَّه قال في مقدِّمةِ كتابِه «غرائبِ التَّفسيرِ وعجائبِ التَّأويلِ»: إنَّ أكثرَ العلماءِ والمتعلِّمينَ في زمانِنا يرغبونَ في غرائبِ تفسيرِ القرآنِ وعجائبِ تأويلِه، ويميلونَ إلى المشكلاتِ المعضلاتِ في أقاويلِه، فجمعتُ في كتابي هذا منها ما أقدِّرُ أنَّ فيه مَقنعاً لرغبتِهم ومُكتفَى لطِلْبتِهم(١).

وليس هذا الجانبُ من متينِ العلم، والكرمانيُّ يعلمُ ذلك ويصرِّحُ به وينبِّه عليه ويحذر منه، فقد نقلَ في تفسيرِ ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾ [الشورى: ١ ـ ٢] أنَّها رموزٌ كان عليُّ بنُ أبي طالبٍ ـ رضيَ الله عنه ـ يعرفُ بها الفتن، ثمَّ قال: الحاءُ حربُ عليٍّ ومعاويةَ، والميمُ ولايةُ المروانيَّةِ، والعينُ ولايةُ العبَّاسيَّةِ، والسِّينُ ولايةُ السُّفيانيَّةِ، والقافُ قدرةُ مهديٍّ. ثم قال: أردْتُ بذكرِ ذلك أن يُعلمَ أنَّ في مَن يدَّعي العلمَ أيضًا حمقَى، والسَّلام.

وقد صرَّحَ بذلك في «غرائبِ التَّفسيرِ وعجائبِ التَّأويلِ» فنقلَ أقوالاً في تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ [الفلق: ٣]، ثمَّ قال: وهذا تفسيرٌ يَسمُجُ ذِكرُه، لكنِّي أوردتُه لكونِه في عدادِ العجيبِ من الأقوال، وكلُّ ما وصفتُه بالعجيبِ ففيه أدنى خللٍ ونظرٍ(٢).

ولكن مع أنَّ الغرائبَ والعجائبَ ليست من متينِ العلم، لكنَّ الإمامَ السُّيوطيَّ (ت: ٩١١هـ) عدَّها نوعاً قائماً بذاتِه في «الإتقانِ في علومِ القرآن»، ولم يجد كتاباً

---

(١) انظر: «غرائب التفسير» للمصنِّف (١/ ٨٨).

(٢) المصدر السابق (٢/ ١٤١٣).

يمثِّلُ به لهذا النَّوعِ إلّا كتابَ الكرمانيِّ، وقد حاولتُ أن أبحثَ عمّن اشتغلَ بغرائبِ التَّفسيرِ وعجائبِه، وعُني بجمعِها، فلم أجد إلّا أبا المظفَّرِ محمَّدَ بنَ آدمَ بنِ كمالٍ الهرويَّ (ت: ٤١٤هـ)[1]، ذُكرَ أنَّ له اهتماماً بغرائبِ التَّفسير، وأنَّه يُضرَبُ به المثلُ في ذلك، لكن لم يُذكَر أنَّه جمعَ ذلك وصنَّفَه.

وتكمنُ أهمِّيَّةُ هذا النَّوعِ في رأينا من ناحيةٍ أخرى، وهي: أنَّه يعكسُ توسُّعاً في البحث، وسَعةً في الاطِّلاع، فهذا النَّوعُ لا يمكنُ جمعُه إلّا لمن كثُرَت مطالعتُه، وتنوَّعَت مشاربُه، وكان ممَّن لا يهابُ أن يُقحِمَ يدَه في خليّةِ النَّحل؛ رغبةً في اجتناءِ العسل، وهذا ما يظهرَ جليّاً عند الكرمانيِّ.

وقد تسبَّبَ اهتمامُ الكرمانيِّ بهذا النَّوعِ في وقوعِ ظلمٍ عليه وعلى كتابه «لبابِ التَّفاسير»؛ فقد ظنَّ النَّاسُ أنَّ الكرمانيَّ لا يعرفُ غيرَ هذه الغرائبِ والعجائب، وخلطُوا بين كتابِه «لبابِ التَّفاسير» الذي جمعَ فيه أهمَّ ما وقفَ عليه من آراءِ المفسِّرين في رحلاتِه بين كتبِهم، وبين كتابِه «غرائبِ التَّفسيرِ وعجائبِ التَّأويلِ» الذي ألَّفَه بعدَ ذلك، وخصَّه بالغريبِ والعجيبِ من أقوالِ المفسِّرين، وقد تقدَّمت الإشارةُ لهذا.

ونخلصُ بعد هذا كلِّه إلى أنَّ هذا الكتابَ كان خلاصةَ جهودٍ عظيمةٍ أفادها الكرمانيُّ ممَّن سبقَه وتقدَّمَه، وزادها فوائدَ عظيمةً تدلُّ على سَبْقِه وتقدُّمِه، وهو دليلٌ مشاهَدٌ على أنَّ الرَّحلاتِ بين السُّطورِ والأسفار، قد تغني أولي الألبابِ والأفكار، عن قطعِ المسافاتِ والتَّنقُّلِ بين الأمصار.

---

(١) انظر: «إنباه الرواة على أنباه النحاة» للقفطي (٣/ ١٢٦).

رابعُها: أظهرَ الإمامُ تاجُ القرّاءِ الكَرمانيِّ اهتماماً بقضيّةِ الإعجازِ القرآنيِّ، وحاولَ أن يتلمَّسَ شيئاً من مظاهرِها.

ومن ذلكَ قولُه في تفسيرِ سورةِ (الكافرون): وقيلَ: في هذا التّكرارِ اختصارٌ وإيجازٌ هوَ إعجازٌ؛ لأنَّهُ سبحانهُ نفَى عن نبيِّه صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عبادةَ الأصنامِ في الحالِ والماضي والاستقبالِ، ونفَى عنِ الكفَّارِ المذكورينَ عبادةَ اللهِ في الأزمنةِ الثلاثَةِ أيضًا، فكانَ القياسُ يقتضي تكرارَ هذهِ اللَّفظةِ ستَّ مراتٍ، فذكرَ لفظي الحالِ، لأنَّ الحالَ هو الزَّمانُ الموجودُ، واقتصرَ منَ الماضي على المُسنَدِ إليهم فقال: ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ﴾: فكانَ اسمُ الفاعلِ بمعنى الماضي، واقتصرَ منَ المستقبلِ على المُسندِ إليهِ فقالَ: ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ﴾ فكانَ اسمُ الفاعِلِ بمعنى المستقبَلِ، ولهذا نظائرُ.

وقد يُظنُّ أنَّ هذا من جملةِ الأقوالِ التي نقلَها تاجُ القُرّاء عن غيرِه، لا سيَّما أنَّه ذكر هذا القيلَ في «غرائب التفسير» واستغربه[1]، لكنَّ معرفتي بطريقةِ تاجِ القرّاءِ لا تتركُ لهذا الظنِّ في نفسي مكاناً، وأظنُّ أنَّ أيَّ قارئٍ سيكونُ في مكاني ويقفُ موقفي إذا وقفَ على كلامِ تاجِ القُرّاءِ في «البرهان» فقد جاء فيه: قَالَ الشَّيخُ الإِمامُ: وَأَقُولُ: هَذَا التّكرارُ اخْتِصَارٌ، وَهُوَ إعجازٌ، ثمَّ ذكرَ نحوَ عبارتِه هنا.

والبلاغـةُ عنـد الكرمانـيِّ كما عند كثيـرٍ غيره الإيجـازُ، وهو يؤكِّدُ علـى قضيّةِ الإيجـاز بقولِـه: ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ جوابُـه مُضمَـرٌ؛ أي: لَفضَحَكـم، وقيـل: لَعاجلَكـم بالعقوبةِ، وهذا موضـعٌ أنطَقُ ما يكـونُ المتكلِّمُ إذا سكتَ.

---

(١) انظر: «غرائب التفسير» (٢/ ١٤٠٠).

فعبارةُ (قَالَ الشَّيخُ الإِمامُ) ونحوها إنَّما تُستخدمُ عندَ ذكرِ ما يضيفُه تاجُ القرّاءِ أو يؤكِّدُ عليه، والمقصودُ بها المصنِّف نفسُه على ما ترجَّحَ عندي، وسيأتي الكلامُ على هذا في أسلوبِه.

والإعجازُ القرآنيُّ عند الكرمانيِّ إعجازُ نظمٍ وحسن بيان، وقد ظهرَ ذاك جليًّا في مواضعَ من كلامِه، منها:

قولُه في تفسيرِ ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: لا تهمةَ أنَّه من عندِ الله؛ لأنَّه في أعلى طبقاتِ البلاغةِ بحُسنِ النِّظامِ والجزالةِ.

ومن ذلكَ قولُه في تفسيرِ ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾: (ما) صلةٌ مؤكِّدةٌ للكلام، تحسِّنُ النِّظام. والمعنى: دمثَتْ أخلاقُكَ ولانَتْ، وتلك منّةٌ من الله عظيمةٌ، ونعمةٌ عليك جسيمةٌ، حتى استأنَسْتَ بهم، ونعمةٌ عليهم حيث أهَّلْتَهم بمجالستِك، وقرَّبْتَهم من مجالسِك.

وهو يُطبِّقُ نظريّةَ **معنى المعنى** بطريقةٍ لم نقف على مَن سبقَه فيها، فيقول في تفسير ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾: ويحتملُ أنَّ المُرادَ منه المعنى؛ لأنَّ الكلامَ على ضربَين؛ ضربٌ يصِلُ إلى الغرضِ بدلالةِ اللَّفظِ وحدَه، نحو: قامَ زيدٌ وجلسَ عمرٌو، وضربٌ آخرُ لا يصِلُ إلى الغرضِ بدلالةِ اللَّفظِ وحدَه، ولكن يدلُّكَ اللَّفظُ على معناه الذي يقتَضيه موضوعُه في اللُّغة، ثمَّ تجدُ لذلك المعنى معنًى تصِلُ به إلى الغرضِ؛ كقولِه: ﴿سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ﴾ [الأعراف: ١٤٩]، و: ﴿ضربنا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ [الكهف: ١١]، و: فلانٌ طويلُ النَّجادِ كثيرُ الرَّمادِ، وكلُّ واحدٍ من هذه يدلُّ لفظُه على معنًى، والمعنى على معنًى آخرَ، وكذلك ﴿مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ دلَّ على الأبدِ بواسطةِ ألفاظٍ هي غيرُ مُرادةٍ لها، بل لمعنَى المعنَى.

فالكرمانيُّ يعتمدُ ما يُعرف بنظريّةِ النَّظم في إعجاز القرآن الكريم، وهذه النظريّةُ مرتبطةٌ في ثقافتنا المعاصرة باسم الإمام عبد القاهر الجرجانيِّ، **وقد أجريتُ مقارنةً في مواضعَ متعدِّدةٍ بين «لباب التَّفاسير» و«درج الدرر» للجرجانيِّ فوجدتُ تاجَ القرّاءَ أكثرَ اهتماماً بهذه النَّظريّة من الناحيّة التَّطبيقية، وقد أثبتُّ هذه المقارنةَ في حواشيَ متفرِّقةٍ في هذا الكتاب.**

وقد أكثرَ الكرمانيُّ من الكلامِ على تحقُّقِ الأخبارِ كوجهٍ من وجوهِ الإعجاز، ومن ذلك ما جاء في قولِه تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ﴾، فقد نقل قولَ الضَّحّاكِ: هاتان الآيتان نَزَلَتا في أبي جهلٍ وخمسةٍ من أهل بيته، ثم قال: أعلمَ اللهُ أنَّهم لا يؤمنون، وكان كما أعلمَ، فصار من أعظم المعجزات.

وقد سبقَ الكلامُ في أنَّ الإمامَ السُّيوطيَّ (ت: ٩١١هـ) الذي تقدَّمَ ذكرُ تحذيرِه من الاعتمادِ على ما في «العجائبِ والغرائبِ» وصفَ الكرمانيَّ بأنَّه من أهلِ التَّدقيقِ في كتابِه «الحاوي»، وأنَّه ذكرَ في مقدِّمةِ «مراصدِ المطالعِ في تناسبِ المقاطعِ والمطالع»: أنَّ محمودَ بنَ حمزةَ الكرمانيَّ شيخُ الزَّمخشريِّ، ووصفَهما بأنَّهما من المحقِّقينَ(١).

وقد تميَّزَ «الكشّافُ» باهتمامِه ببلاغةِ القرآن وإعجازه، ووُصفَ بأنَّه صاحبُ السَّبقِ في هذا الميدان، وتوالى العلماءُ على وصفِه بذلكَ على مرِّ الأزمان، فقد قالَ العلّامةُ ابنُ خلدونَ في معرضِ كلامِه عن علمِ البيان: وأحوجُ ما يكونُ إلى هذا الفنِّ المفسِّرون، وأكثرُ تفاسيرِ المتقدِّمين غُفلٌ عنه، حتّى ظهرَ جارُ الله الزَّمخشريُّ

---

(١) انظر: «مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع» للسيوطي (ص: ٤٥).

ووضعَ كتابَه في التّفسيرِ، وتتبَّعَ آيَ القرآنِ بأحكامِ هذا الفنِّ بما يُبدي البعضَ من إعجازِه، فانفردَ بهذا الفضلِ على جميعِ التّفاسير[1].

وقال الدكتور محمَّدُ الذهبيُّ مبيِّناً قيمة «الكشّافِ» العلميّة: وأمّا قيمةُ هذا التَّفسيرِ فهو ـ بصرفِ النَّظرِ عمّا فيه مِن الاعتزال ـ تفسيرٌ لم يُسبَق مؤلِّفُه إليه؛ لما أبانَ فيه من وجوهِ الإعجازِ في غيرِ ما آيةٍ من القرآنِ، ولما ظهرَ فيه من جمالِ النَّظمِ القرآنيِّ وبلاغتِه، وليسَ كالزَّمخشريِّ مَن يستطيعُ أن يكشفَ لنا عن جمالِ القرآنِ وسحرِ بلاغته؛ لما برعَ فيه من المعرفةِ بكثيرٍ من العلومِ، لا سيَّما ما برزَ فيه من الإلمامِ بلغةِ العربِ، والمعرفةِ بأشعارهم، وما امتازَ به من الإحاطةِ بعلومِ البلاغةِ والبيانِ والإعرابِ والأدب، ولقد أضفى هذا النُّبوغُ العلميُّ والأدبيُّ على تفسيرِ «الكشّافِ» ثوباً جميلاً، لفتَ إليه أنظارَ العلماءِ، وعلَّقَ به قلوبَ المفسِّرين[2].

ولستُ أقلِّلُ من قيمةِ «الكشّافِ» وما فعلَه الزَّمخشريُّ فيه، ولكنِّي أجدُ في كلامِ السُّيوطيِّ إشارةً إلى أنَّ ما تميَّزَ به الزَّمخشريُّ في «كشّافِه» من اهتمامٍ بقضيَّةِ الإعجازِ، والذي وُصفَ بأنَّه كانَ فيه إماماً، كان فيه مؤتمّاً بالكرمانيِّ، فبعضُ محاولاتِ الكرمانيِّ في توضيحِ مفهومِ الإعجازِ من خلالِ تحليلِ النَّصِّ القرآنيِّ وَفقَ ما تقتضيه أساليبُ العربيّة، ونظرتُه إلى الأسلوبِ القرآنيِّ كمظهرٍ من مظاهرِ الإعجاز، هو ما نجدُه عند الزَّمخشريِّ، لكن بعمقٍ أكثر، وذوقٍ أعلى، وعبارةٍ أبلغ، ويبقى مع ذلك للكرمانيِّ سبقُ التَّوجُّهِ وفضلُ الزِّيادة.

---

(١) انظر: «تاريخ ابن خلدون» (١/ ٧٦٢).

(٢) انظر: «التفسير والمفسرون» للدكتور محمَّد الذهبي (١/ ٣٠٦). وانظر أيضاً: «البرهان في علوم القرآن» للزركشي (١/ ٣١١)، و«نواهد الأبكار» للسيوطي (١/ ٣).

والذي أراه أنَّ الزَّمخشريَّ تتلمذَ للكَرمانيِّ؛ إن لم يكن عليه، فعلى كتبِه، فقد سارَ على خطاه، وتابعَ كلامَه، فأخذ عنه كثيراً من الأقوالِ التي لم أقف عليها عند مَن تقدَّمَه، ويغلبُ على ظنِّي أنَّها من بناتِ أفكارِه، واعتمدَها، وبنى عليها دونَ إشارةٍ أو نسبة، كما أنَّه خالفَه في بعضِ أقوالِه، وناقضَه من غير تصريحٍ أو تجريح.

ومردُّ هذا في نظري إلى الحالةِ الخاصّةِ التي بينَ الرَّجلين؛ فالزَّمخشريُّ معجبٌ به إعجابَ التِّلميذِ بأستاذِه، ناقمٌ نقمةَ مَن قُتلَ أهلُه، وسُلبَ كنزُه، وذلك أنَّ الكرمانيَّ عادَ إلى كتبِ المعتزلةِ الآباءِ الرَّوحانيِّين للزَّمخشريِّ، فأخذَ ما استحسَنَه من أقوالِهم، ولم يدَّخر جهداً في ردِّ مذهبِهم، ولكلٍّ منَّا أن يتخيَّلَ ما يشعرُ به الزَّمخشريُّ بعد هذا تجاهَ الكرمانيِّ.

ويمكنُ أن نقفَ على شيءٍ من هذا عند المقارنةِ بين مقدِّمةِ «لبابِ التَّفاسير» التي افتتحَها الكرمانيُّ بقولِه: (الحمدُ لله مُنزلِ القرآنِ غيرَ مُحدَثٍ ولا مخلوق) وبينَ مقدِّمةِ «الكشاف» التي افتتحَها الزَّمخشريُّ (الحمدُ لله الذي أَنزل القرآنَ كلاماً مؤلَّفاً منظَّماً، ونزَّله بحسَب المصالح منجَّماً، وجعَله بالتَّحميدِ مُفتَتَحاً، وبالاستعاذةِ مختَتَماً)[1]؛ فالزَّمخشريُّ يريدُ من المقدِّمةِ أن يؤكِّدَ موقفَه من قضيّةِ خلقِ القرآن، وهي القضيّةُ نفسُها التي أكَّدَ الكرمانيُّ موقفَه منها في مقدِّمته، فقد قال الإمامُ الذَّهبيُّ: كانَ ـ أي: الزَّمخشري ـ متظاهِراً بالاعتزال، وقد استفتحَ «الكشاف» بـ: الحمدُ لله الذي خلقَ القرآن، فقالوا له: متى تركتَه هكذا هجرَه النّاسُ، فغيَّرَها بـ: جعلَ القرآن، وهي عندهم ـ أي: المعتزلة ـ بمعنى: خلق[2].

---

(١) انظر: «الكشاف» للزمخشري (المقدمة/ ١).

(٢) انظر: «تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام» للذهبي (١١/ ٦٩٧).

ومن المواضعِ التي تظهرُ فيها متابعةُ الزَّمخشريِّ للكرمانيِّ:

في قولِه تعالى: ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ قال الكرمانيُّ: في الآية مضمَرٌ تقديره: أيتَّبعونهم... وهذا حثٌّ على النَّظرِ ونهيٌ عن التَّقليد.

وهذا التَّقديرُ نفسُه الذي ذكرَه الزَّمخشريُّ فقال: والهمزةُ بمعنى الردِّ والتَّعجيب، معناه: أيتبعونهم ولو كانَ آباؤُهم لا يعقلونَ شيئاً من الدِّينِ ولا يهتدونَ للصَّواب؟[1].

فهذا التَّقديرُ ممّا لم نجده عند أحدٍ قبل تاجِ القُرّاء، فالزَّمخشريُّ أخذَ كلامَ الكرمانيِّ وزادَه إيضاحاً، وجوَّدَ عبارته.

وفي قولِه تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟﴾ ذكرَ الكرمانيُّ الأقوالَ الواردةَ في تعلُّقِ ﴿أَن تَبَرُّوا۟﴾ وإعرابِها، ثم قال: ويجوز أن يتعلَّقَ بـ(عرضة)؛ أي: مانعًا من أن تَبَرُّوا، فلا يحتاجُ إلى إضمار (لا).

وهذه الصِّيغةُ يستخدمُها تاجُ القُراء غالباً لذكرِ ما يخطرُ له ممّا لم يقف عليه، وهو وجهٌ لم نجده عند مَن تقدَّمَه، ولكنَّا وجدنا الزَّمخشريَّ يجيزُه، وأبو حيّان يردُّه[2]، وأبو حيَّان يصرِّحُ بأخذِه عن الكرمانيِّ بخلافِ الزَّمخشريِّ.

وفي قولِه تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ﴾ نقلَ الكرمانيُّ عن الزَّجّاجِ أنَّه قال: ألم ينتهِ علْمُكَ إليهم؟ قال: ولهذا عُدِّيَ بـ(إلى).

ولكنَّ الكرمانيَّ تصرَّف بالعبارةِ، ونقلَ معنى عبارةِ الزَّجّاج، وصاغَها بنفسه،

---

(١) انظر: «الكشاف» للزمخشري (١/ ٢١٣).

(٢) انظر: «الكشاف» للزمخشري (١/ ٢٦٧)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٢/ ٤٤٢).

ولم نقف على التَّقديرِ الذي ذكره الكرمانيُّ عند غيرِه، ولكنَّ الزَّمخشريَّ أخذه، وهذَّبَ العبارةَ، وزادها بياناً، فقال: (أَلَمْ تَرَ) من رؤية القلب، وعُدِّي بـ(إلى)، على معنى: ألم ينته علمك إليهم؟ أو بمعنى: ألم تنظر إليهم؟[1].

وقالَ تاج القرّاءِ الكرمانيُّ في سورة (المؤمنون): بدأ بالسُّورةِ بقولِه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ وختمَ بقولِه: ﴿لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

وقد أفاد ذلك الزمخشريُّ، فنقلَه السُّيوطيُّ عنه، وكأنَّه صاحب السبق فيه[2].

وأمثلةُ هذا أكثرُ من أن تُحصى، وقد أشرتُ في مواضعَ كثيرةٍ من «لبابِ التَّفاسير» إلى متابعةِ الزَّمخشريِّ لتاجِ القرّاء.

خامسُها: إن كان في المتقدِّمين من المفسِّرينَ مَن يعتمدُ في إيضاحِ المعنى على أقوالِ السَّلفِ كالإمامِ عبدِ الرّزّاقِ الصَّنعانيِّ، وإن كانَ فيمَن جاء بعدَهم مَن حاولَ أن يستخرجَ المعنى بالاعتمادِ على فهمِه وتحليلِه اللغويِّ؛ كالفرّاءِ والزجّاجِ وأبي عليٍّ الفارسيِّ، وإن كانَ في العلماءِ مَن ذكرَ أقوالَ السَّلفِ ومعانيَ اللُّغةِ كالطبريِّ والثَّعلبيِّ والواحديِّ، فللكرمانيِّ أسلوبٌ خاصٌّ يؤصِّلُ فيه للأقوالِ معتمداً على الاشتقاقِ اللُّغويِّ، وهو لا يؤصِّلُ للفظِ القرآنيِّ فقط، بل يؤصِّلُ للأقوالِ المأثورةِ في تفسيرِ الآية، وقد ظهرَ ذلك جليًّا في تعريفاتِه وتعليقاتِه وتعليلاتِه، ومن أمثلةِ ذلك:

١ ـ قال تاجُ القُرّاء: الاعتمارُ: زيارةُ المكانِ العامر.

وقال كُراعُ النَّمل (ت: ٣٠٩هـ) في «المنتخب»: الاعتمارُ: الزِّيارةُ ما كان[3]،

---

(١) انظر: «الكشاف» للزمخشري (١/ ٥١٥).

(٢) انظر: «مراصد الاطلاع» للسيوطي (ص: ٥٦).

(٣) انظر: «المنتخب» لكراع النمل (ص: ٤٠٠).

وقالَ في «المنجد»: والاعتِمارُ: مِنْ عُمْرةِ الحَجِّ. والاعتِمارُ: الزِّيارة. والاعتِمارُ: الاعتِصامُ بالعِمامة[1].

وقال أبو بكرٍ الأنباريُّ (ت ٣٢٨هـ) في «الزّاهرِ»: والاعتمارُ معناه في كلامِهم: الزِّيارة. هذا قولُ جماعةٍ من أهل اللُّغة... وقالَ آخرون: معنى الاعتمارِ والعمرةِ في كلامِهم: القصدُ[2].

وقال الأزهريُّ (ت ٣٧٠هـ) في «تهذيبِ اللُّغة»: الاعتمارُ وهو الزِّيارة... ويُقال: الاعتمارُ: القَصْد[3].

وقال ابنُ فارسٍ (ت ٣٩٥هـ) في «مجملِ اللُّغة»: والاعتمارُ في الحجِّ: أصله الزِّيارة[4].

فإذا قارنّا قولَ الكرمانيِّ بكلامِ أئمّةِ اللُّغةِ ومصنِّفي المعاجمِ انكشفَ لنا حرصُ الكرمانيِّ على كشفِ الصِّلةِ بينَ الأصلِ الاشتقاقيِّ ومعاني المفرداتِ اللُّغويّة، لا سيَّما أنِّي لم أجد من شرحَ الاعتمارَ بهذا اللَّفظِ وبهذه الطَّريقةِ قبلَه.

٢ ـ قال تاجُ القُرّاءِ في معنى ﴿تَتْلُواْ﴾: قال ابنُ عبّاسٍ: تتبَعُ، من (التُّلُوِّ).

قتادةُ: تقصُّ وتقرأ، من (التِّلاوة).

فقد نقلَ تاجُ القُرّاءِ قولي ابنِ عبّاسٍ وقتادةَ، وبيَّن وجهَ كلِّ قولٍ من ناحيةِ الاشتقاق.

---

(١) انظر: «المنجد» لكراع النمل (ص: ١٢٧).

(٢) انظر: «الزاهر» للأنباري (١/ ٩٩).

(٣) انظر: « تهذيب اللغة » للأزهري (٢/ ٢٣٣).

(٤) انظر: «مجمل اللغة» لابن فارس (ص: ٦٢٩).

٣ـ قال تاجُ القُرّاءِ: والملّةُ: الدِّينُ، مشتقٌّ من (أمللْتُ)؛ لأنَّها تُبْتَنى على مسموعٍ ومَتْلُوٍّ.

فقد ظهرَ في تعليلِه مجيءَ (الملّةِ) بمعنى الدِّينِ اهتمامَه بالتَّأصيلِ الاشتقاقيِّ لمعاني المفردات.

وهذا الجانبُ الذي تجلَّى لنا في طريقةِ الكَرمانيِّ لا تفتقرُ إليه كثيرٌ من كتب التَّفسير فقط، بل تفتقرُ إليه كثيرٌ من كتبِ اللُّغةِ والمعاجمُ العربيّة.

وقد تميَّزَ تاجُ القرّاء في «لبابِ التَّفاسير» باهتمامِه بصياغةِ تعاريفَ دقيقة، كما في قولِه: ﴿وَٱلۡيَتَـٰمَىٰ﴾: جمعُ يتيمٍ، وهو الَّذي فقدَ أباه قبل الحُلُمِ إلى الحُلُمِ.

وقولِه: الاعتكافُ: لزومُ عبادةِ الله في مسجدٍ تُقامُ فيه الجماعةُ مع الصَّوم.

وقولِه: الغفلةُ: ذهابُ المعنى عن القلبِ بحضورِ ما يُضادُّه.

كما تميَّزَ باهتمامِه بالفروقِ اللُّغويّةِ، وذلك كثيرٌ جدًّا في «اللبابِ»، ومن ذلك:

تفريقُه بين المسِّ واللَّمسِ بقوله: المسُّ: الجمعُ بين الشَّيئين على نهايةِ القُرْبِ، واللَّمسُ مثلُه، لكنَّه معَ الإحساس.

وتفريقُه بين السرعة والعجلة بقوله: العجلةُ: طلبُ الشَّيءِ قبلَ وقته، والسُّرعةُ: عملُ الشَّيءِ في أوَّلِ وقته.

وتفريقُه بين الطاعة والإسعاف بقوله: إنَّ الطَّاعةَ جوابُ الأَمرِ، والإسعافَ جوابُ المسألةِ.

وتفريقُه بين المجادلة والمناظرة بقوله: المُجادلةُ تُستعمَلُ بين مُبطلَين، أو مُبطِلٍ ومُحِقٍّ، والمُناظرةُ تُستعملُ بينَ مُحِقَّين، أو مُحِقٍّ ومُبطِلٍ.

وتفريقُه بين الغفلة والنسيان بقوله: الغَفْلةُ: ذَهابُ المعنى عن النَّفسِ، والنِّسيانُ: ذَهابُ المعنى عن النَّفسِ بعد حُضورِه.

وبين الغمرة والغفلة والسَّهو بقوله: ﴿فِي غَمْرَةٍ﴾: غفلةٍ مُتناهيةٍ، والغمرةُ فوقَ الغفلةِ، والسَّهوُ دونَ الغفلةِ.

وغير ذلك كثيرٌ، وهذا جانبٌ طريفٌ وممتعٌ مما تميَّز به «لبابِ التَّفاسير»، وقد حاولنا أن نقارنَ بين ما جاء به تاجُ القرّاء الكرماني، وما ذكرَه أئمَّة هذا الشأن، ولا سيَّما العسكري في «الفروق اللُّغويّة»، فوجدنا الكرمانيَّ ينفردُ بأشياء كثيرةٍ لم نقف عليها عند غيره.

ثالثاً ـ اهتمامُ العلماءِ بـ«لبابِ التَّفاسير»:

هذا الكتابُ سِفرٌ جليل، خيرُه كثيرٌ، يعكسُ ثقافةَ رجلٍ واسعِ الاطِّلاع، وعالمٍ طويلِ الباع، خبيرٍ باللُّغةِ والنَّحوِ وفنونِ العربيّة، متحرِّرٍ من قيودِ التَّقليدِ ونَيرِ العصبيّة(١)، وقد نالَ هذا السِّفرُ ما يستحقُّه من اهتمامِ العلماء؛ فأكثروا عنه النُّقول، واستودعوه القلوبَ والعقول، فقد ذُكرَ في ترجمةِ الحسنِ بنِ الخطير؛ أبي عليٍّ الفارسيِّ، المعروفِ بالظَّهيرِ (ت: ٥٩٨هـ): أنَّه كان يحفظُ في كلِّ فنٍّ كتاباً، وأنَّه اختارَ من التَّفاسيرِ «لبابَ التَّفسير» لتاجِ القُرّاءِ الكرمانيِّ، فكان يحفظُه عن ظهرِ قلب(٢).

وقد نقلَ أبو حيّان الأندلسيُّ (ت: ٧٤٥هـ) في «البحرِ المحيطِ» عن الكرمانيِّ

(١) وهو داعية إلى نبذ التقليد، فقد علَّق على الآية الكريمة ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ فقال: وهذا حثٌّ على النَّظر ونهيٌ عن التَّقليد.

(٢) انظر: «الدر الثمين في أسماء المصنفين» لابن الساعي (ص: ٣٥٧).

في قرابةِ مائةِ موضع، وقد ظهرَ بتتبِّعِ كثيرٍ من هذه المواضعِ أنَّها من «لبابِ التَّفاسير»، وقد لاحظتُ أنَّ أبا حيّانَ الأندلسيَّ (ت: ٧٤٥هـ) ينقلُ كلامَ الكرمانيِّ في «اللُّبابِ» في مواضعَ، وينسبُه إلى العلماءِ أو المحقِّقين، وفي هذا إعلاءٌ لشأنِ كلامِ الكرمانيِّ، وإن كان في تركِ نسبتِه هضمٌ لحقِّه.

وأكثرُ المواضعِ التي نقلَها أبو حيَّانَ من المسائلِ اللغويّةِ التي تميَّزَ بها الكرمانيُّ، ومنها:

١ ـ قالَ تاجُ القُرّاءِ الكرمانيُّ: إن كانَ المرادُ أعمالَ الحجِّ وما يُفعلُ في المواقف؛ كالطَّوافِ والسَّعيِ والوقوفِ والصَّلاة، فتكونُ المناسكُ جمعَ مَنْسَكٍ المصدرِ، جُمِعَ لاختلافِها. وإن كانَ أرادَ المواقفَ التي يُقامُ فيها شرائعُ الحجِّ؛ كمنى وعرفةَ والمزدلفة، فيكونُ جمعَ مَنْسَكٍ، وهو موضعُ العبادة(١).

٢ ـ قال الكرمانيُّ: (أرأيتكم) كلمةُ استفهامٍ وتعجُّبٍ، وليس لها نظيرٌ(٢).

٣ ـ الحَكَمُ أبلغُ من الحاكمِ؛ لأنَّه مَن عُرِفَ منه الحُكمُ مرّةً بعدَ أخرى، والحاكمُ اسمُ فاعلٍ يصدقُ على المرّةِ الواحدة(٣).

وقد نقلَ عنه بعضَ اللَّطائفِ غيرِ اللغويّةِ التي ضمَّنها تاجُ القرّاء كتابَه، ومنها قولُه: خصَّ الأنبياءَ بذكرِ الصَّلاحِ لأنَّه لا يتخلَّلُ صلاحَهم خلافُ ذلك(٤).

وقد نقلَ أبو حيَّانَ عن تاجِ القُرّاءِ الكرمانيِّ أقوالاً نقلَها الكرمانيُّ بدورِه عن مفسِّرين قبلَه، فقد جاء في «البحرِ المحيطِ»:

---

(١) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيّان (١/ ٦٢٢).

(٢) المصدر السابق (٤/ ٥٠٧).

(٣) المصدر السابق (٤/ ٦٢٧).

(٤) المصدر السابق (٣/ ١٣٤).

وقالَ الكرمانيُّ: هذا شرطٌ في الظّاهرِ وليسَ بشرطٍ كقوله: ﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾، ومع أنَّه وإن كانَ لم يعلم خيراً صحَّتِ الكتابة.

وقالَ ابنُ عيسى: جاءَ بصيغةِ الشَّرطِ لتفحيشِ الإكراهِ على ذلك، وقالَ: لأنَّها نزلَت على سببٍ فوقعَ النَّهي على تلكَ الصِّفةِ. انتهى[١].

وهذا يدلُّ في الظاهرِ على أنَّ أبا حيّانَ نقلَ عن الكرمانيِّ، ثم نقلَ عن ابن عيسى، ولكنَّ الحقيقةَ أنَّ النَّقلَ كلَّه عن الكرمانيِّ، فالعبارةُ في «لبابِ التَّفاسير»:

هذا شرطٌ في الظَّاهرِ وليس بمُشترَطٍ، وكذلك ﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾؛ لأنَّه إنْ لـم يَعْلَم خيرًا صحَّتِ الكتابةُ.

وقال ابنُ عيسى: جاءَتْ بصيغةِ الشَّرطِ لتفحيشِ الإكراهِ على ذلك.

وقيل: لأنَّها نزلَتْ على سببٍ، فوقعَ النَّهيُ على تلك الصِّفةِ.

وعندما نقارنُ ما نقلَه أبو حيّانَ مع عبارةِ الكرمانيِّ نجدُه تصرَّفَ في اللَّفظِ قليلاً، لكنَّه أخذَ عن الكرمانيِّ كلامَه وكلامَ غيرِه، وقد وجدتُ في مواضعَ كثيرةٍ في «لبابِ التَّفاسير» أقوالاً لم أجدها عند أحدٍ إلا الكرمانيَّ وأبا حيّانَ، والذي يغلبُ على ظنِّي أنَّ أبا حيّانَ أخذها عن الكرمانيِّ؛ لأنَّها جاءت بلفظِه، ومن عادتِه أن يتصرَّفَ بالألفاظِ، كما سيأتي الكلامُ عليه في منهجِه.

وقد نقلَ أبو حيّانَ عن الكرمانيِّ في مواضعَ، وردَّ عليه، ومن ذلك:

١ ـ ذكرَ في قولِه تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ أقوالاً ثمَّ قال:

وقيل: (فعيلٌ) هنا بمعنى: المفعول؛ أي: مقرَّبة، فيصيرُ من بابِ كفٍّ

---

(١) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيّان (٨/ ٤١).

خضيبٍ وعينٍ كحيلٍ. قاله الكرمانيُّ، وليس بجيِّدٍ؛ لأنَّ ما وردَ من ذلك إنَّما هو منَ الثُّلاثيِّ غيرِ المزيدِ، وهذا بمعنى: مقرَّبةٍ، فهو من الثُّلاثيِّ المزيدِ، ومع ذلك فهو لا ينقاسُ[١]...

وعندما نعودُ نجدُ أنَّ عبارةَ الكرمانيِّ لم تكن جازمةً، فقد قال: ويحتمِلُ أنَّ المُرادَ به المفعولُ؛ أي: مُقرَّبةٌ...

لكنَّنا نجدُ أنَّ أبا حيّانَ كانَ دقيقاً في نسبةِ هذا القولِ للكرمانيِّ؛ فأغلبُ ما يذكرُه الكرمانيُّ بهذه الصِّيغةِ أقوالٌ يراها هو، ولا ينقُلُها عن غيرِه.

٢ ـ وقد نقلَ أبو حيّان عن أبي البقاءِ العكبريِّ وابن عطيّةَ وجهين في إعرابِ كلمةِ (مجرميها) في قولِه تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَـٰبِرَ مُجْرِمِيهَا ﴾ ثم قال: وما أجازاه خطأٌ وذهولٌ عن قاعدةٍ نحويّة... وقد تنبَّهَ الكرمانيُّ لهذه القاعدةِ فقال: أضافَ الأكابرَ إلى مجرميها؛ لأنَّ أفعلَ لا يُجمعُ إلا مع الألفِ واللامِ أو مع الإضافةِ. انتهى. لكنَّ أبا حيَّانَ استدركَ على تاجِ القُراء بعد ثنائِه عليه، فقال: وكانَ ينبغي أن يُقيِّدَ فيقولَ: أو مع الإضافةِ إلى معرفةٍ[٢]...

ولم يكن أبو حيَّان هو الوحيدَ الذي أفادَ من «لبابِ التَّفاسير»، فقد نقلَ السَّمينُ الحلبيُّ (ت: ٧٥٦هـ) عن تاجِ القرّاءِ الكرمانيِّ في «الدُّرِّ المصون»[٣]، وابنُ عادلٍ الحنبليُّ (ت: ٧٧٥هـ) في تفسيره المسمَّى بـ«اللُّبابِ في علومِ الكتاب»[٤]،

---

(١) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيّان (٥/ ٧١).

(٢) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيّان (٤/ ٦٣٦).

(٣) انظر: «الدُّرِّ المصون» للسَّمينِ الحلبيِّ (٣/ ٤٩٨).

(٤) انظر: «اللُّباب في علومِ الكتاب» لابن عادل (٦/ ٧٠).

ولاحظتُ أيضاً أنَّ مجدَ الدِّينِ الفيروزآباديَّ (ت: ٨١٧) ينقلُ عن الكرمانيِّ في كتابِه الجليلِ «بصائرِ ذوي التَّمييزِ في لطائفِ الكتابِ العزيزِ»[١]، ويسمِّيه مرَّةً بتاجِ القُرّاء ومرّةً بأبي القاسمِ الكرمانيِّ.

وقد وقفتُ على نقلٍ للعلامةِ ابنِ مالكٍ (ت: ٦٧٢) عن «غرائبِ التَّفسير» لتاجِ القُرّاء[٢]، وكذلك أكثرَ الإمامُ السُّيوطيُّ (ت: ٩١١) من النَّقلِ عن تاجِ القُرّاء في كتبِه؛ فنقلَ عنه في «الحاوي للفتاوي» في خمسةِ مواضعَ، ونقلَ عنه في «الإتقان» في مواضع كثيرة، ونقلَ عنه في كثير من رسائله، لكن يغلبُ على ظنِّي أنَّه كان إنما كان ينقلُ عن «غرائبِ التَّفسير» و«البرهان».

كما نقلَ إبراهيمُ بنُ عمرَ البقاعيُّ (ت: ٨٨٥هـ) عن الكرمانيِّ في «نظمِ الدُّررِ في تناسُبِ الآياتِ والسُّور»، لكنَّه صرَّحَ في مواضعَ أنَّه من «جوامعِ التفسير» لحمزةَ بنِ نصرٍ والدِ تاجِ القرّاء، فلعلَّ بقيَّةَ المواضعَ منه أيضاً[٣].

ومع ذلك فقد وقفتُ في الكتبِ التي ذكرتُها على عشراتِ النُّقولِ عن «اللُّباب»، وما كثرةُ النَّقلِ عن هذا الكتابِ إلا دليلٌ على أهمِّيّته.

لكنَّ الاهتمامَ بالكرمانيِّ وكتابِه «اللباب» تبدَّدَ وتلاشى، وأصبح الذينَ يعرفونَ الكرمانيَّ يعرفونَ أنَّه صاحبُ «الغرائبِ والعجائب»، أمّا «لبابُ التَّفاسير» فقد طواه النِّسيان، ولم يعد صاحبُه الكرمانيُّ يُذكَرُ إلّا في القليلِ من الأحيان.

---

(١) انظر: «بصائرِ ذوي التَّمييزِ في لطائفِ الكتابِ العزيزِ» للفيروزآبادي (١/ ١٦٣ و٢٠٦ و٢٢٥ و٥٤٨).

(٢) انظر: «شرح التسهيل» لابن مالك (٢/ ٣٨٧).

(٣) انظر: «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور» للبقاعي (١٥/ ٣٩٢) و(١٩/ ٥٧ و١٦٢) و(٢٠/ ٣٨).

ولكنَّ الحالَ تغيَّرت عندما طُبِعَ «البرهانِ في متشابهِ القرآن»، فراحَ طلبةُ العلمِ يبحثونَ عن صاحبِ «البرهان»، فلمّا طُبِعَ «غرائبِ التَّفسير وعجائب التَّأويل» توجَّهت له الأنظارُ من جديد، وأُجريت دراساتٌ حولَه منها:

ـ «الآراء الغريبة في تخريج بعض الألفاظ والتراكيب في القرآن الكريم في كتاب غرائب التّفسير وعجائب التأويل للشيخ تاج القراء الكرماني» لعبد الرشيد هأمني، ماجستير، كلية اللغة العربية، القاهرة، ١٩٩٨م.

ـ «المسائل النّحويّة والصرفية في غرائب التّفسير وعجائب التأويل لمحمود بن حمزة بن نصر الكرماني» للدكتور عبد الحميد السيد خضر دومة، دكتوراه، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية، ٢٠٠٠م.

ـ «الظـواهر اللغوية فـي كتاب غـرائب التّفـسير وعجائب التأويل» لأحمد عبد الرحيم عبد العال حميدة، ماجستير، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية، ٢٠٠٤م.

ـ «موافقات الكرماني للبصريين في كتابه غرائب التّفسير وعجائب التأويل» للدكتور عاطف محمد عبد الحميد، جامعة المجمعة.

ـ «المسائل النّحويّة في كتاب غرائب التّفسير وعجائب التّأويل» للدكتور حسن إبراهيم قابور، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية.

ـ ورسالةُ «ردود الكرمانيِّ على النُّحاة في كتابه غرائب التفسير وعجائب التّأويل» لعلي عبد الله محيسن، جامعة ديالى، كلية التربية، قسم اللغة العربية، ماجستير، ٢٠١٢م.

ولعلَّ طبعَ «لباب التَّفاسير» سيزيدُ جذوةَ الاهتمامِ بتاجِ القراء الكرمانيِّ اتِّقاداً، وسيزيدُ همَّةَ طلبةِ العلمِ لاكتشافِ كنوزِه ازدياداً.

رابعاً ـ منهجُ الكرمانيِّ في «لبابِ التَّفاسير»:

أرادَ الكرمانيُّ أن يكونَ «لبابُ التَّفاسيرِ» مرجعاً قريباً يُغني طلّابَ العلمِ عن حملِ الكُتبِ والأسفار، ويطوفُ بهم في جولةٍ تغنيهم عن مشقّاتِ الرِّحَل والأسفار، فجمعَ بين مُعتمَدِ الأقوالِ وغريبِها، ومُحتملِها وعجيبِها؛ لينتفعَ قارئُه بما طابَ وراق، وتتوسَّعُ أمامَ ناظريه الآفاق.

وقد بيَّنَ الكرمانيُّ جانباً هامًّا مـن منهجِه في مقدِّمةِ «لبابِ التَّفاسيرِ» **فقال: جمعْتُ في هذا الكتابِ من أقاويلِ الأئمّة، ونحاريرِ الأُمّة، الذينَ عُنُوا بعلمِ القرآنِ ومعانيه، وتفسيرِه وتأويلِه ومبانيه؛ ما يجري مجرى فُصوصِ النُّصوص، بعدَ الخَلاصِ والخُلوصِ، وسمَّيتُ الكتابَ: «لبابَ التَّفاسير»**.

والملاحظُ من هذا الكلامِ أنَّ الكرمانيَّ لا يدَّعي فضلاً أكثرَ من الجمعِ والاختيار، كما أنَّه بيَّنَ أنَّ غايتَه جمعَ أكبرَ قدرٍ من الأقوالِ بغضِّ النَّظرِ عن قيمتِها في رأي المصنِّفِ نفسَه، فقد ذكرَ في سورة (الكهف) أقوالاً كثيرةً في اسمِ كلبِ أصحابِ الكهفِ ولونِه ثم قال: ولولا أنَّ المفسِّرين ذكروا ذلك لكانَ الإضرابُ عنه أولى.

كما أنَّه نقلَ قولاً عن قتادة ثم قال: هذا تفسيرٌ لا يخفى على أحد.

فهو يلزم نفسَه بتعدادِ أقوال المفسِّرين وجمعِها، لكنَّ المطالِعَ للكتابِ يجدُ أنَّ له جهداً أكبرَ من ذلك بكثير؛ فأوَّلُ ما يُلاحظُ أنَّ الكرمانيَّ الَّذي كان مُشتهراً بالقراءةِ معروفاً بتاجِ القُرّاءِ يحرَصُ على ذكرِ القراءاتِ وتوجيهِها، وربَّما ذكرَ شيئاً من الشَّواذِّ.

وهو يذكرُ عندما يفسِّرُ الآيةَ اللَّفظَ القرآنيَّ، ويبيِّنُ اشتقاقَه اللُّغويَّ، وقد تميَّزَ باهتمامِ هذا الجانب كما سبقت الإشارة.

ثمَّ يذكرُ بعد ذلك أقوالَ المفسِّرين، وينسبُ كثيراً منها إلى أصحابِها، وهو يقدِّمُ على الغالبِ من الأقوالِ ما يراه أولى بالتَّقديم، وأبعدَ عن النَّقد.

ثمُّ يذكرُ الأقوالَ التي يراها دونَ ذلك مقدِّماً لها بكلمةِ (قيل)، وهو يشعرُنا بهذه اللَّفظةِ أنَّه لا يعتمدُ هذا القول، أو هو غيرُ مسلَّمٍ به.

وقد يذكرُ مستندَ القولِ الذي يحكيه من آيةٍ أو حديث.

وقد يذكرُ عبارةً يُوضِّحُ بها المعنى، ويُقرِّبُه من قارئِه، إن شعرَ أنَّ كثرةَ الأقوالِ قد تشتِّتُه وتُبعدُه عن المراد.

وإن كانت في التَّركيبِ القرآنيِّ ناحيةٌ إعجازيّةٌ أو لفتةٌ بلاغيّةٌ أو فائدةٌ إعرابيّةٌ أشارَ إليها، ووقفَ عليها.

كما أنَّه حين ينقلُ من أقوالِ المفسِّرين من الصَّحابةِ والتّابعين ما فيه تخصيصٌ لعمومِ اللَّفظِ القرآنيِّ يحيدُ عن هذه الأقوال، ويعودُ بالنَّصِّ إلى عمومِه، كما في قوله:

قوله: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى ﴾ الضَّحاك: المؤمنون، الكلبيُّ: اليهود، مجاهدٌ والحسن: الصَّحابة، والأحسنُ أن يُجعَلَ عامًّا.

ويغلبُ على الظَّنِّ أنَّ للكرمانيِّ جهداً غيرَ قليلٍ في إعادةِ ترتيبِ النُّقولِ والأقوال، وصياغةِ بعضِ التَّعاريف، وتحريرِ بعضِ الجوانبِ اللُّغويّةِ والنَّحويّة.

وكلُّ هذا يمكنُ أن يندرجَ تحت مُسمَّى (لبابِ التَّفاسير)، **ولكنَّ الكرمانيّ لم يقف عند ذلك، بل ذكرَ أقوالاً يرى فسادَها، وانتقدَها وبيَّنَ بُطلانها، وذكرَ أقوالاً يعدُّها ضعيفةً مقدِّماً لها بكلمةِ (قيل)، كما تقدَّم**، وهذا يصعبُ أن يندرجَ

تحت مُسمَّى (لبابِ التَّفاسير)، إلا أن يريدَ أنَّه ضمَّن كتابَه زُبدةَ وخلاصةَ ما جاء في التفاسيرِ قبلَه.

وقد تميَّزَ الكَرمانيُّ بنظرةٍ شموليّةٍ للأسلوبِ القرآنيِّ؛ فهو عندما يتكلَّمُ عن التَّقوى في قوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ يعقِّبُ بالقول: وجاء ذلك في القرآنِ في مئتين وستّةٍ وثلاثينَ موضعًا.

والكرمانيُّ يصرِّحُ في أكثرِ من موضعٍ أنَّ القرآنَ كلَّه كأنُّه سورةٌ واحدة، وهو يتعاملُ مع القرآن على هذا الأساسِ، فهو يقارنُ بين كثيرٍ من الآياتِ وما يُشبهُها في مواضعَ أخرى من القرآنِ الكريمِ مبيِّناً في ذلك خفايا من أسرارِ التّكرارِ، ولمحاتٍ من لطائفِ الإعجاز.

وهو يقولُ في سورة (المؤمنون): بدأَ بالسُّورةِ بقولِه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ وختمَ بقولِه: ﴿لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

وقد لاحظنا أنَّه يستحضرُ الآياتِ المتشابهةِ بطريقةٍ تلفتُ الانتباه، وليس هذا بغريب فهو مؤلِّف «البرهان في توجيه متشابه القرآن»، وهو العليم بأسرار التكرار في القرآن الكريم.

ولمّا كانَ غرضُ الكرمانيِّ في «لبابِ التَّفاسير» جمعَ أقاويلِ الأئمّة، ونحاريرِ الأمّة، الذين عُنُوا بعلمِ القرآنِ ومعانيه، وتفسيرِه وتأويلِه ومبانيه؛ كانَ لا بدَّ من التَّنبيهِ على طريقتِه في جمعِ الأقوالِ ونقلِها:

١ ـ نقلَ من بعضِ المصادرِ مصرِّحاً بالنَّقل، ذاكراً اسمَ الكتاب، كما في قولِه: واعتمدتُ في إعرابِ الآية على ما ذكره أبو عليٍّ في «الحجّة» والزَّجّاجُ في «المعاني». وهذا قليلٌ.

وربَّما يفعلُ ذلك أحياناً تبرُّؤاً من عهدةِ النَّقل، كما في قوله: ورُوِيَ عن ابنِ عبّاسٍ عن عليٍّ بنِ أبي طالبٍ رضي الله عنهم: أنَّ موسى وهارونَ صَعِدا الجبلَ فماتَ هارونُ، فقال بنو إسرائيلَ لموسى: أنتَ قتلتَه، فأمرَ الله الملائكةَ فحملَتْه حتَّى مرُّوا به على بني إسرائيلَ، وتكلَّمتِ الملائكةُ بموتِه حتَّى عرفَتْ بنو إسرائيلَ أنَّه ماتَ، فبرَّأه الله من ذلك، فانطلَقُوا به فدفَنُوه فلم يُطلَعْ على قبرِه أحدٌ من خلقِ الله إلّا الرَّخَمُ، فجعلَه الله أصمَّ أبكَمَ، ذكره الثَّعلبيُّ والنَّقَّاشُ، وعليهما العُهدةُ.

٢ ـ نقلَ من بعضِ المصادرِ مصرِّحاً بالنَّقلِ من غيرِ ذكرِ اسمِ الكتاب، وأكثرُ ما فعلَ ذلك عن علي بنِ عيسى الرُّمّانيِّ وابنِ بحرٍ والنَّقاشِ، فهو يذكرُهم مصرِّحاً بالنَّقلِ عنهم.

٣ ـ نقلَ كثيراً عن الماورديِّ والثَّعلبيِّ، وصرَّحَ بذلك أحياناً، لكنَّه تركَ التَّصريحَ غالباً، فمن المواضعِ التي صرَّحَ فيها:

قولُه: لهذه السُّورة ـ فيما حدَّثنا به الإمام أبو سهلٍ محمَّد بن عبد الرَّحمن بن أبي الفضل النَّيسابوريُّ عن الواحديِّ عن الثَّعلبيِّ ـ عشرةُ أسماءٍ...

وقولُه: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ اسمٌ عبرانيٌّ عُرِّبَ، ولهذا أنكرَه العرب، وقالوا: ﴿وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾، حكاه أقضى القضاةِ لثعلبٍ.

فالكرمانيُّ هنا يصرِّحُ بالنَّقل عن الثَّعلبيِّ والماورديِّ، ولكنَّه ينقلُ عن الماورديِّ من غيرِ تصريحٍ، كما في قولِه:

العالَم عند الزَّجّاج: اسمٌ لما خلقَه الله في الدُّنيا والآخرة.

فهذا القولُ عن الزجّاجِ نقلَه الكرمانيُّ عن الماورديِّ من غيرِ الرُّجوعِ إلى

«معاني القرآن» للزجّاج، والدَّليلُ على ذلك أنَّ هذا اللَّفظَ هو ما حكاه الماورديُّ عن الزجّاج، ولكنَّه معنى ما قاله الزجّاجُ في «المعاني»(١).

٤ ـ إذا أرادَ أن ينتقدَ قولاً فإنَّه لا يصرِّحُ غالباً باسمِ مَن ينتقدُه، فينقلُ القولَ غُفلاً من غيرِ نسبةٍ، أو ينسبَه بما لا يفيدُ التَّعيين، كما فعلَ عندما نقلَ كلامَ الثَّعلبيِّ منتقداً:

وما ذهبَ إليه بعضُ المفسِّرين من أنَّه مشتقٌّ من: ولِهْتُ.... فغيرُ مرضيٍّ عند ذوي التَّحقيق...

فتاجُ القُرّاءِ لم يصرِّح باسمِ الثعلبيِّ في هذا الموضعِ رغم تصريحِه به في مواضعَ كثيرةٍ؛ لأنَّه يريدُ أن يُنبِّه على الخطأ لتلافيه، ولا يريدُ أن يُشنِّعَ على مَن وقعَ فيه.

وهذه قضيَّة يحسنُ التَّنبيهُ عليها، فكثيراً ما يجدُ الباحثُ في الكتبِ التُّراثيّةِ أنَّها تناقشُ الأقوالَ من غيرِ أن تعزوها إلى أصحابِها، لا سيَّما في موضعِ المخالفة، وهذه ظاهرةٌ نجدها عند أئمَّةٍ أجلاء يُقتدى بهم كالإمامِ الشَّافعيِّ؛ فقد استخدمَ عباراتٍ مثل: قالَ لي قائلٌ، أو: بعضُ المشرقيين، أو نحو ذلك(٢).

ولو حصلَ مثلُ هذا في زماننا لظُنَّ بصاحبِه التَّدليسُ أو قلّةُ الضَّبط، لكنَّه تكرَّرَ عند أئمَّةً كبار، حتى يكادُ يكونُ سمةً عند بعضِهم، والذي أراه أن المتقدِّمينَ من المصنِّفين إنَّما فعلوا ذلك ليكونَ نقاشُهم للفكرةِ لا لصاحبِها، ولكنَّ هذه الظّاهرةَ

---

(١) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» للزَّجّاج (١/ ٤٦)، و«تفسير الماوردي» (١/ ٥٥).

(٢) انظر: «الأم» للشافعي (٢/ ١٢١) و (٧/ ٢٧٦).

توسَّعت بعدَ ذلك، وأخذَت بُعداً سلبياً، فراحَ بعضُ المصنِّفينَ ينسخُ ممَّن قبلَه من غيرِ عزوٍ أو تنبيهٍ(١).

٥ ـ نقلَ الكرمانيُّ كثيراً من أقوالِ السَّلفِ وذكرَها وكأنَّه أخذَها من مصادرِ رواياتها، لكنَّ مراجعةَ كثيرٍ من هذه الرِّواياتِ أظهرَت تبايناً بين ألفاظِ هذه الرِّواياتِ في مصادرِها الأصليّةِ وبين ما ذكرَه الكرمانيُّ؛ فالكرمانيُّ يذكرُ معنى الرِّوايةِ بإيجازٍ غالباً، وهذا يدلُّ على أنَّه ربَّما كانَ يأخذُ هذه الرِّواياتِ من مصادرَ وسيطةٍ، ونظنُّ أنَّه أكثرَ ما كانَ يعتمدُ على تفسير الرُّمّانيِّ والثَّعلبيِّ والواحديِّ، وممّا يدلُّ على هذا تصريحُه بالنَّقلِ عن الرُّمّانيِّ في سورة (النساء) فقال:

ابنُ عيسى: فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

الحسنُ في جماعةٍ: هو إمساكٌ بمعروفٍ أو تسريحٌ بإحسانٍ.

الثّاني: مجاهدٌ وابنُ زيدٍ: هو كلمةُ النّكاحِ التي يُستحَلُّ بها الفرج.

الثّالثُ: من قولِه عليه السَّلام: «أخذتُموهُنَّ بأمانةِ الله واستحللتُم فُروجَهنَّ بكلمةِ الله».

وهـذه الطَّريقـةُ التـي نقلَهـا عـن الرُّمّانيِّ تشـبهُ كثيراً طريقتَـه التـي انتهجَها في أكثرِ تفسـيرِه...

٦ ـ ظاهرُ الأمرِ أنَّه يلتزمُ أحياناً بنقلِ الكلامِ بحروفِه؛ فعبارةُ: (الرَّحمةُ: الإنعامُ على المحتاجِ) ـ التي نقلَها عن ابنِ عيسى ـ كرَّرَها بحروفِها في «البرهان»، ولكنَّه كانَ كثيراً ما يتصرَّفُ بالكلام، فيعيدُ صياغتَه، وربَّما توسَّع فعمدَ إلى تحليلِ القول أو ذكرِ مستنده القرآنيِّ أو الحديثيِّ أو اللُّغويِّ.

---

(١) انظر مثلًا: «التقرير والتحبير» لابن الموقت (١/ ٢٧٩)، و«تيسير التحرير» لأمير بادشاه (١/ ٣١٤).

ومن أمثلةِ ذلك أنَّه ذكرَ عن الحسَن تفسيرَ الرجسِ بأنَّه: رجاسةُ الكفرِ وقَذارتُه.

ولم أجد هذا اللَّفظَ، وإنَّما ذكرَ ابنُ الجوزيِّ عن الحسنِ في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ﴾ قال: الشِّرك[1].

ومن الأمثلةِ الظَّاهرةِ على ذلك ما جاء من قولِه:

قتادةُ: الضَّميرُ يعودُ إلى القَتَلَةِ، أي: يُسأَلُ القَتلَةُ لمَ قَتلوها.

ومثلُ هذا لا يقولُه قتادة، فلا يُعرَفُ في عصرِه مصطلحُ الضَّميرِ والعائد، وقد رواه الطَّبريُّ بلفظ: هي في بعضِ القراءاتِ: (سألَتْ بأيِّ ذنبٍ قُتِلْتُ)؛ لا بذنبٍ[2]. فالكرمانيُّ عبَّرَ عن معنى كلامِ قتادةَ بلغتِه واصطلاحِه.

ولم يفعلِ الكرمانيُّ هذا في موضعٍ أو اثنين، وإنَّما كان هذا منهجاً انتهجَه، وسبيلاً سلكَه، فهو يروي عمَّن تقدَّمَ من المفسِّرين، لكنَّه يعقِّبُ على كثيرٍ من الرِّواياتِ بما يزيدُها وضوحاً، أو يزيدُ المطالعَ لها فائدةً، فمن ذلك:

ذكرَ في تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْ﴾ قولَ سفيانَ الثَّوريِّ: كان يأمرُهم بالزَّكاةِ، ثم قال: حكاه الماورديُّ، وإنَّما يصحُّ هذا على القراءةِ الشّاذَّةِ.

فقد ذكرَ كلامَ سفيانَ الثَّوريِّ، وبيَّنَ وجهَه، وهو يريدُ بالقراءةِ الشاذَّةِ قراءةَ السّلميِّ والضَّحّاكِ بنِ قيسٍ: (أو أن تفعل في أموالنا ما تشاء)[3].

---

(١) انظر: «زاد المسير» لابن الجوزي (٣/ ٤٦٢).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٢٤/ ١٤٧).

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦٥).

ومن ذلك أيضاً ما قاله تاجُ القُرّاءِ في معنى ﴿تَتْلُواْ﴾: قال ابنُ عبّاسٍ: تتبَعُ، من (التُّلُوِّ).

قتادةُ: تقصُّ وتقرأ، من (التِّلاوة).

فقد نقلَ تاجُ القُرّاءِ قولي ابنِ عبّاسٍ وقتادةَ، وبيَّن وجهَ كلِّ قولٍ من ناحيةِ الاشتقاق، وهذه قضيَّة هامّةٌ، وقد سبق الحديثُ عنها.

والخلاصةُ أنَّ الأكثر عند تاجِ القرّاء هو التصرُّفُ في عبارةِ مَن ينقلُ عنهم على وجه الاختصار، ولكنَّه قد ينقل باللفظ، وقد ينقل باللفظ وينبِّه على ذلك، كما نقل عن الزَّجَّاجِ قوله: ﴿مَّلْعُونِينَ﴾: منصوبٌ على الحالِ، والمعنى: لا يُجاورنَّك إلّا وهم ملعونون. ثم قال: هذا لفظُه.

٧ـلتاجِ القرّاءِ الكرمانيِّ طريقةٌ في ترتيبِ الأقوالِ وتنظيمها يمكنُ أن تلاحظَ عند التأمُّلِ، ويمكنُ أن تُلخَّصَ بتقديمِ الأصحِّ، والاعتمادِ على المأثور، وتجميعِ الأقوالِ المتشابهة، وإضافةِ أقوالٍ بصيغةِ الاحتمال، لكنَّه لم يتعهَّد بالتزامِها، ولا صرَّحَ بها، لكنَّ استشفافَها ساعدَنا في فهمِ مرادِه في كثيرٍ من الأحيان، فتأمَّل ما يأتي:

﴿فَوَيْلٌ﴾ روى أبو سعيدٍ الخدْريُّ عن النَّبيِّ ﷺ: «ويلٌ وادٍ في جهنَّمَ يَهوِي فيه الكافرُ أربعينَ خَريفًا قَبلَ أنْ يَبلُغَ قَعْرَهُ».

عثمانُ بنُ عفّانَ: هو جبلٌ في النَّار.

وقيل: وادٍ من صديدٍ في جهنَّم.

الكلبيُّ: الشَّديدُ من العذاب.

الأصمعيُّ: الويلُ: تقبيحٌ.

وقيل: الويلُ: الهلاكُ، يُستعمَلُ لمن لا يُرجَى خلاصُه.

٨ ـ يحاولُ تاجُ القرّاءِ الكرمانيُّ غالباً أن يتجنَّبَ الدخولَ في خلافاتٍ عقديّةٍ أو مذهبيّة، لذلك نجده عندما يُناقش قضيّة من قضايا الخلافِ العقديِّ أو المذهبيِّ يرجعُ بالمسألةِ إلى جذورِها، وينسبُ الأقوالَ إلى مَن قالَ بها من المتقدِّمين من علماء التفسير، ويناقشَ هذه الأقوالَ إن بدا له ذلك بعيداً عن التّيّارات المذهبيّة والطائفيّة، ممّا جعلَه ألطفَ تعبيراً وأكثرَ إنصافاً وأبعدَ عن التَّعصُّبِ.

هذه بعضُ السِّماتِ الدّالّةِ على طريقةِ تاجِ القرّاءِ في جمعِ الأقوالِ ونقلِها، والتي أحببتُ التَّنبيهَ عليها انطلاقاً من حقيقةِ أنَّ تاجَ القرّاءِ صنَّفَ «لبابَ التَّفاسير»، وكانَ غرضُه جمعَ أقوالِ مَن قبلَه وتقريبَها.

لكن ثمَّةَ جانبٌ في «لباب التَّفاسير» لا يجوزُ إغفالُه، وهو الجانبُ الإبداعيُّ فيه؛ فقد كانَ تاجُ القُرّاءِ الكرمانيُّ داعيةَ اجتهاد، نابذاً للتَّقليد، وقد ظهرَ ذلك في مواضعَ كثيرةٍ في «لباب التَّفاسير» منها:

* قولُه في تفسيرِ ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [المائدة: ١٠٤]؛ أي: في النّاس علماء وسفهاء، فما يُؤمِنُكم أنْ يكونَ آباؤكم الذين غيَّروا دينَ الله سفهاءَ، فتتَّبعونهم على جهالةٍ؟! فدلَّت الآيةُ على وجوبِ النَّظر والتَّدبُّر وبطلانِ التَّقليد.

* وقولُه في تفسيرِ ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾: وهذا حثٌّ على النَّظر ونهيٌ عن التَّقليد.

فتاجُ القُرّاء ولا شكَّ داعيةُ تفكيرٍ واجتهادٍ وتدبُّرٍ مستمرٍّ، ولم تكن هذه الدَّعوةُ منه دعوى بلا دليل، أو تصوُّراتٍ بلا تمثيل، فقد طبَّقَ عمليًّا ما دعا إليه نظريًّا، وكان

يبذلُ جهدَه في إضافةِ أقوالٍ جديدةٍ إلى الأقوالِ التي بذل جهداً في جمعَها وترتيبِها، ولكنَّه يوردُ مثلَ هذه الأقوالِ بصيغة الاحتمال، وكأنَّه يريدُ بذلك أن يميزَ لنا ثمارَ اجتهادِ المطالعةِ والتَّنقير من ثمارِ اجتهادِ التأمُّلِ والتَّفكير، ومن أمثلةِ ذلكَ: قولُه في تفسيرِ ﴿قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ [البقرة: ٩٣]: يحتملُ أنَّ ذلك كانَ منهم قولًا، ويحتملُ أنَّ حالَهم دلَّتْ على ذلك.

ـ وربَّما اقتصرَ أحياناً في اجتهادِه على التَّرجيحِ بين الأقوال، كما في قوله:

الزَّجّاجُ: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى الجملة، وردَّ عليه أبو عليٍّ في «إصلاحِ الإغفالِ»، والحقُّ مع أبي عليٍّ.

ـ وقد عكسَت أقوالُه في التَّرجيحِ أسساً وقواعدَ هامّة:

منها: مبدأ تفسيرِ القرآنِ بالقرآن، فقد تميَّزَ بإيرادِه الآياتِ المشابهةِ للآيةِ التي يفسرُها، واستحضارِه لها، وقد صرَّح بهذا المبدأ، ووسَّعَ تطبيقَه، فنقلَ اختلافَ المفسِّرين في تفسير ﴿سِجِّيلٍ﴾، ثم قال: أحسنُ الأقاويلِ ما وافقَ القرآن، وهو قولُ ابن عبّاس.

ويقول أيضاً: أحسنُ الأقوال ما وافقَ القرآنَ والخبرَ وكلامَ الصحابةِ والتَّابعين.

ومنها: رفضُ الاعتمادِ على الآراء الشاذّةِ، فقد نقلَ أقوالَ المفسِّرين في تفسير ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ [ص: ٤٣]، ثم ذكر قولين لابن بحرٍ، ثم قال: وقولُ الجمهورِ أولى بالاتباعِ.

والكرمانيُّ يظهرُ في اجتهادٍ دائم؛ فهو ينوِّعُ بين ترجيحاتِه، ويُغيِّرُ في تفسيراتِه، ومَن يتتبَّعُ طريقته في تفسيرِ التَّقوى يرى عجباً؛ فالتقوى عنده أحياناً تركٌ لعبادةِ الأصنام، وأحياناً ليست أكثرَ من تركِ الأكلِ والشُّرب، وهي عنده

أحيانـاً طاعـةٌ لله، وأحياناً خوفٌ مـن عذاب الله، وهـي أحياناً متصلةٌ بالدُّنيـا، وأحياناً أخـرى ممتـدَّةٌ إلـى الآخرة.

ـ وهو مع ذلك يخفي جهدَه، ويستحي من المباهاةِ بكثيرٍ منه، ولكنَّنا لا نعدمُ عباراتٍ كانَت صريحةً في إثباتِ ما ذهبنا إليه، ومنها:

قوله في تفسير ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ [الأعراف: ١٩٠]: ويحتمِلُ أنَّ الهاءَ يعودُ إلى الولدِ على تقديرِ: جعلا للولدِ الصَّالحِ الذي آتاهُما الله... نصيبًا فيما آتاهُما منَ الرِّزقِ في الدُّنيا، وكانا قبلَه يأكُلانِ ويشرَبانِ وحدَهما، ثمَّ استأنفَ فقال: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾؛ يعني: الكفَّار...

وهذا القولُ لم أُسبَقْ إليه، وهو حَسَنٌ؛ لأنَّه تنزيهٌ لآدمَ وحوَّاءَ عن الشِّركِ، وثناءٌ عليهما، والله أعلمُ.

ـ ويلفت الانتباهَ أنَّ تاجَ القراءِ لم يطر فرحاً بما سبقَ إليه، ولم يجعله الوجهَ الصَّحيحَ الذي اكتشفَه وقد غفلت عنه الأمّة من قبل، ولكنَّه بدأ قولَه بكلمةِ (ويحتمِلُ)، وختمه بكلمة (والله أعلمُ)، فلله درُّه ما أرفقَ كلامَه وأحسنَ تواضعَه!

ومن المواضع التي تدلُّ على ذلك قوله في ﴿وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡهِم مِّن قَبۡلِهِۦ﴾ [الروم: ٤٩]: وكنتُ سُئِلْتُ عن هذه الآيةِ فاستخرجْتُ لها عشرةَ أوجُهٍ سوى ما حكيتُ عن الأئمَّةِ...

وهذا يدلُّ على ما تميَّزَ بـه تاج القُراء من دقَّةِ الفهمِ وحسنِ الاستنباط، كما وصفَه العلماء.

ونخلصُ بعد هذا كلِّه إلى أنَّ هذا الكتابَ كان خلاصةَ جهودٍ عظيمةٍ أفادها الكرمانيُّ ممَّن سبقَه وتقدَّمَه، وزادها فوائدَ عظيمةً تدلُّ على سَبْقِه وتقدُّمِه.

خامساً ـ أسلوبُه:

ـ اتَّبعَ تاجُ القُراء الكَرمانيُّ أسلوباً يقومُ على الإيجازِ والاختصارِ، وقد كان ذا مُكنةٍ في اللغة، واطلاعٍ واسع عليها، ولكن كانت غايتُه تقريبَ هذا العلم إلى طلبته، وهذا ما جعلَ أسلوبَه وسطاً بين السُّهولةِ والصُّعوبة، فلا يمكن أن نعدَّه من الكتب المعقَّدة ذات العبارات المستغلقة، كما لا يمكنُ أن ندرجَه ضمن الكتبِ السَّهلة ذات العبارة المباشرة.

ـ وهو مع ذلك كانَ يقفُ عندَ بعضِ الجوانبِ اللغويّةِ فيحلِّلُها، ويحاولُ أن يُؤدِّي ما يريدُ من المعنى فيها بأقلِّ عبارةٍ ممكنة، وقد بالغَ في إيجازِه أحياناً، فأضرَّ ذلك بجماليَّة تعبيره، ونضارةِ عبارتِه، وقد استغلقَت بعضُ معانيه، واحتاجَت إلى شرحٍ وبيان.

ـ وقد تميَّزَ بدقَّةِ الفهمِ وحسنِ الاستنباط، كما وصفَه العلماء، ومن المواضع التي تدلُّ على ذلك قوله في ﴿وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡهِم مِّن قَبۡلِهِۦ﴾ [الروم: ٤٩]: وكنتُ سُئِلْتُ عن هذه الآيةِ فاستخرجْتُ لها عشرةَ أوجُهٍ سوى ما حكيتُ عن الأئمَّةِ، منها: أنَّ الهاءَ يعودُ إلى الاستبشارِ، وتقديرُه: من قبلِ الإنزالِ من قبلِ الاستبشارِ؛ لأنَّه قرنَه بالإبلاسِ، ولأنَّه مَنَّ عليهم بالمطرِ وبالاستبشارِ، والله أعلمُ. وأضربتُ عن إيرادِ التِّسعةِ الباقيةِ لأنَّ في الاستبشارِ مَقْنعًا ومَغْنًى.

ـ وربَّما استخدمَ أحياناً عباراتٍ بليغة، تعكسُ ذوقاً عالياً، ومعرفة باللُّغةِ سامعة، من مثل قوله: المؤمن يُجزى والكافرُ يُجازَى؛ لأنَّ لفظَ المُفاعلةِ يقتَضي المكافأةَ، والمُماثلةُ تكونُ في السَّيِّئةِ، وأمَّا الحسناتُ فإنَّها مُضاعَفةٌ أضعافًا.

ـ ومع ذلك فلربَّما وقعَ في كلامِه شبهُ خللٍ نتيجةَ الخلطِ في بعضِ العباراتِ

بين ما حقُّه التذكير وما حقُّه التأنيث، ورغم أنَّ كثيراً من أمثلة هذه القضيّة يمكن أن تُحمل على النّاسخ، لكنّي وقفت على مواضعَ يظهرُ لي أنَّ الخلل فيها في أصلِ التَّركيب، ومن ذلك قوله: وتأتي مُفتقرةً إلى اسمٍ وخبرٍ كـ(كانَ)، ويلزَمُه حرفُ النَّفيِ، ومعناه: لا يزالُ.

فكان ينبغي أن يقول: ويلزَمُها حرفُ النَّفيِ، ومعناها: لا يزالُ.

لكنَّنا وجدنا الكرمانيُّ يصرِّحُ بجوازِ الحمل على المعنى، فقد يكون هذا منه؛ فـ(انفكَّ) كلمة، ولكنَّها لفظٌ أيضاً، وهذا وجه جوازِ عبارة المصنِّف.

ـ وقد استخدمَ أسلوبَ الفنقلة الذي أكثرَ منه الزَّمخشريُّ فيما بعد، وهو أسلوبٌ مناسبٌ عند طرحِ قضيّةٍ للنِّقاش، وقد سبق إلى هذا الأسلوب الإمام الطَّبريُّ والماتريديُّ.

ـ وهو ليِّنٌ في طريقةِ كلامِه، يحاولُ أن يقولَ ما عنده من غيرِ أن يسبِّبَ الأذى لأحد، فيقولُ في انتقادِ قولٍ خالفه: وما ذهبَ إليه بعض المفسِّرين من أنَّه مشتقٌّ من: ولِهْتُ.... فغير مرضيٍّ عند ذوي التَّحقيق...

وربَّما وجَّه النقدَ أحياناً، لكنَّه يحاولُ أن يجدَ للكلام وجهاً؛ ليرفعَ عن قائله الحرجَ، ويلتمسَ له العذر، ومن ذلك:

في تفسير ﴿فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ﴾ [الشعراء: ١٣] النقَّاشُ: أرسِلْ معي هارونَ، قال: ومثلُه: ﴿أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَالِكُمْ﴾ [النساء: ٢]؛ أي: مع، وهذا منَ النقَّاشِ سهوٌ؛ لأنَّه يقتَضي (إليَّ) بتشديدِ الياءِ؛ فإنْ لم يكُنْ بدٌّ: فأرسِلْني مع هارونَ، فيكونُ المفعولُ محذوفًا، لكنَّ النقَّاشَ نظرَ إلى الآيةِ الأخرى وهي: ﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا﴾ [القصص: ٣٤]، فجعلَ ﴿هَٰرُونَ﴾ في الآيةِ مفعولًا، والآيةُ لا تحتمِلُه إلّا على الوجهِ الذي ذكرتُ.

ومن ذلك قولُه في ﴿وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ﴾ [لقمان: ٢٧]...

قال أبو عبيدةَ: البحرُ هاهنا: الماءُ العذبُ؛ لأنَّ المِلْحَ لا يُنبِتُ الأقلامَ.

قال القفَّالُ: قولُ أبي عبيدةَ: البحرُ المِلْحُ لا يُنبِتُ الأقلامَ، يُوجِبُ أنَّه جعلَ المعنى: البحرُ يمدُّه من بعدِه سبعةُ أبحرٍ فأنبتَتْ أقلامًا، وقولُ أبي عبيدةَ ضعيفٌ؛ لأنَّ الله سبحانَه أرادَ التَّكثيرَ والمُبالغةَ، وليس فيما ذكرَ أبو عبيدةَ كثيرُ مُبالغةٍ.

وعُذرُ القفَّالِ عنه حسَنٌ، كأنَّه جعلَ هذه الآيةَ مُشتمِلةً على ذكرِ الأقلامِ فحسبُ، كما أنَّ ما في الكهفِ للمِدادِ فحسب؛ اكتفاءً بذكرِ أحدِهما عنِ الآخرِ، كما اكتفَى بذكرِ الأقلامِ والمِدادِ عن القِرْطاسِ أو ما يُكتَبُ عليه، أو عنِ الكَتَبةِ؛ لأنَّ تقديرَ الآيةِ: لو جُعِلتِ الأشجارُ أقلامًا، والبحرُ بعدَ المَدَدِ مِدادًا، والسَّماواتُ والأرضُ قِرْطاسًا، والملائكةُ والجنُّ والإنسُ كُتّابًا، ثمَّ كتبُوا به منه عليه، لنفِدَتْ هذه الأشياءُ وأعيَتِ الكتَبةُ قبلَ أن تنفَدَ كلماتُ ربِّي، واللهُ أعلَمُ.

فالكَرمانيُّ يريدُ أن يلتمسَ لكلٍّ من أبي عبيدة والقفّالِ عُذرَه، ويحملَ كلامَهما على أحسنِ محملٍ.

وقد ينقلُ قولاً وينتقدُه، لكنَّه لا يشنِّعُ على صاحبه؛ فقد نقلَ قولاً عن قتادة ثم قال: هذا تفسيرٌ لا يخفى على أحد.

وقد يعرضُ تاجُ القرّاء للخلافِ، لكنَّه يعرضُه بأسلوبٍ علميٍّ بعيدٍ عن الجدلِ والنِّقاش، فقد قالَ في تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾

[آل عمران: ١٣٣]: والجنّةُ مخلوقةٌ، ومحلُّها السَّماوات... وقيل: لم تُخلَق بعدُ، والأوَّلُ مذهبُ أهلِ السُّنةِ والجماعة.

فأغلبُ الظَّنِّ أنَّ كلامَه ردٌّ لمذهبِ المعتزلةِ، لكنَّه عرضَه بأسلوبٍ ليِّنٍ تجنَّبَ فيه الإساءة إلى المخالفين.

سادساً ـ مصادرُ «لبابِ التَّفاسير»:

اعتمدَ تاجُ القرّاءِ الكرمانيُّ في «لبابِ التَّفاسير» على مصادرَ كثيرة جدًّا؛ من علماءَ أخذ عنهم، وكتبٍ أفادَ منها، وقد صرَّح بذلكَ في قولِه: لم أرَ فيما سمعتُ وطالعتُ منَ التَّفاسيرِ مع جموعِها.

وقد بيَّنَّا أنَّ كثيراً من المصادر التي ينقلُ عنها صراحةً، ويذكرها باسمها غير متوفِّرةٍ بين أيدينا، ومن ذلك:

ـ تفسير الرمانيِّ، وتفسير ابن بحر، وابن الهيضم، وتفسير «نظم القرآن» للجرجاني، والذي يشير إليه بصاحب «النظم»، وليس هو الإمام عبد القاهر، وتفسير القاضي عبد الجبار، والذي يشير إليه أحياناً بأبي عليٍّ، وابن كيسان، وتفسير القفال، وتفسير النقاش، ومعاني القرآن للمبرد، وقطرب، وغيرها الكثير.

ومع ذلك نلاحظ أنَّ أهمَّ المفسِّرين الذين اعتمد عليهم هم: ابن عباس، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وقتادة، ونلاحظ أنه نقلَ كثيراً عن الحسن، وكثيرٌ من الأقوال التي نقلها عنه غير موجودة فيما بين أيدينا من مصادر ومراجع.

ـ أما علماءُ القراءات فقد كان للسبعة منهم حضورٌ كثيف، وأقلُّ منهم حضورُ بقيّةِ العشرة، كما كان للقراءات الشاذَّة حضورٌ لا يُستهان به في «لبابِ التَّفاسير».

ومن كتب القراءات التي اعتمد عليها: «الغاية» و«الشَّواذ» لابن مهران، كما أحال على كتابِه فقال: وقد ذكرنا هذا مشروحًا في كتاب «النِّهاية في شرح الغاية».

ـ وأهمُّ التَّفاسيرِ التي يظهرُ أنَّها كانت حاضرةً عنده: تفسير مقاتل بن سليمان، وتفسير الطَّبريِّ، وتفسير أبي اللَّيث السَّمرقنديِّ، وتفسير الثعلبيِّ، و«النكت والعيون» للماورديِّ، و«البسيط» للواحديِّ.

ـ ومن كتب «معاني القرآن» وجدناه يرجع إلى الفراء والمبرد والأخفش والزجاج وقطرب والنحاس، كما رجع مرات إلى كتاب «الإغفال» لأبي عليٍّ الفارسي، وهو تعليقاتٌ على «معاني القرآن» للزجاج.

ومن الكتب التي رجع إليها «مجاز القرآن» لأبي عبيدة، و«مشكل القرآن» لابن قتيبة، و«إعراب القرآن» للنَّحاس، و«النسخ والمنسوخ» له أيضاً، و«درة التَّنزيل» للخطيب الإسكافيِّ.

ـ أما في اللغة فقد أكثرَ عن «العين»، وكان ينسبُه للخليل غيرَ شاكٍّ في ذلك، و«تهذيب اللغة» للأزهريِّ، وقد نقل عن الأزهري في غير «التهذيب»، ونقل عن شيء من كتبِه لم نهتدِ إليه، ولم نقف عليه.

وأما في النحو فأكثر النقلَ عن سيبويه، وذكر «الكتاب» مرّات، ومن الواضح أنَّه كان على صلة وثيقة به، واطلاع جيِّد عليه.

ونقل عن الخليل ويونس معتمداً على «الكتاب»، وذكر الكسائي، والفراء، وذكر من كتبه: «معاني القرآن» و«اللغات»؛ أي: لغات القرآن.

واعتمد أيضاً أقوال الزجاج وابن السراج والنحاس وأبي عليٍّ الفارسيِّ وابن عيسى الرمانيِّ وابن جني.

سابعاً ـ وصفُ النُّسخِ الخطِّيَّة:

وقفْنا بفضلِ اللهِ تعالى على عـدّةِ نسـخٍ خطيّةٍ منَ المكتباتِ التركيةِ، وقمْنا بفحصِها والنظرِ فيها مـنْ حيثُ جَودتُها، وضبطُها، ومعرفةُ ناسخيها، وغيرُ ذلك، وهذا وصفُ كلِّ واحدةٍ منها مرتَّبةً على حسبِ تواريخِ نسخِها:

١ ـ النُّسخةُ الأولى (ف):

وهـي مـنْ محفوظاتِ مكتبـةِ (الفاتـح) الموجـودةِ في المكتبـةِ السُّـليمانيةِ في إسـطنبولَ، وهي عبارةٌ عـن جزأينِ، أرقامُهما على التَّوالـي: (٤١٧)، و(٤١٨)، وهي نسـخةٌ غيـرُ تامّـة، ملوّنةٌ، كتبـتْ بخطٍّ واضـحٍ، بضبطٍ قليلٍ فـي الجـزءِ الأوَّلِ، وأكثرَ من المتوسِّـطِ في الجـزءِ الثّاني، وتـمَّ تمييزُ الآيـاتِ القرآنيةِ بخطٍّ كبيـرٍ، وكُتِبتْ هذهِ النُّسـخةُ بمـدادٍ أسـودَ، وكُتبتْ أسـماءُ السُّـورِ فيهـا وبعضُ الكلمـاتِ بمـدادٍ أحمرَ، وناسـخُها علـيُّ بـنُ عبـدِ الله بـنِ محمـودٍ المـؤذِّنُ بجامعِ غربي عسـكر مكـرم، وقد أتـمَّ نسـخها سـنةَ (٦٥٤هـ) كما جاءَ عنـدَ انتهـاءِ جزأيهـا الأوَّلِ والثّانـي، والهوامشُ فـي كلا الجزأينِ ليسـت بالكثيرة.

وجاءَ على غلافِ هذهِ النُّسخةِ في كلا الجزأين عدّةُ تملُّكاتٍ وتصحيحاتٍ، منْ ذلكَ تصحيحُ مصطفى بنِ لطفِ الله، ولعلَّه هو قاضي أدرنه في زمنِ الدَّولةِ العثمانية، عاشَ في القرنِ الحادي عشرَ الهجري(١)، والله أعلم.

وجاء على غلاف الجزء الأوَّل: الرُّبعُ الثَّالثُ منْ كتابِ لبابِ تفسيرِ القرآن، تصنيفُ الشَّيخِ الإمامِ تاجِ القرّاءِ أبي القاسمِ محمودِ بنِ حمزةَ بنِ نصرٍ الكَرمانيِّ قدَّس اللهُ روحَه العزيز.

---

(١) انظر: «معجم تاريخ التراث الإسلام» لعلي رضا بلوط، (٥/ ٣٧١٧).

وجاءَ في خاتمةِ الجزءِ الأوَّلِ: تمَّ الرُّبعُ الثالثُ منْ كتابِ لبابِ تفسيرِ القرآن، ويتلوهُ في الربعِ الرّابعِ أوَّلُ سورةِ ص، والحمدُ للهِ ربِّ العالمين، وصلّى اللهُ على سيِّدِنا محمَّدٍ المصطفى وآلِهِ الطّاهرين.

ويقعُ هذا الجزءُ في (٣١٠) لوحة، كلُّ لوحةٍ منْ صفحتينِ، وكلُّ صفحةٍ تتكوَّن منْ (٢١) سطراً، وكلُّ سطرٍ من (١٠) كلمات.

وجاءَ على غلافِ الجزءِ الثّاني: الرُّبعُ الرّابعُ من كتابِ لبابِ تفسيرِ القرآن، تصنيفُ الشَّيخِ الإمامِ تاجِ القرّاءِ أبي القاسمِ محمودِ بنِ حمزةَ بنِ نصرٍ الكَرمانيِّ قدِّس سرُّه.

وجاءَ في خاتمةِ الجزءِ الثّاني:

تمَّ الكتابُ، وربُّنا محمودُ ولهُ الفضائلُ والعُلا والجُودُ

اتفقَ الفراغُ من كتبتِه يومَ السَّبت منتصفَ شهرِ جمادى الأوَّل من سنةِ أربعٍ وخمسين وستِّمائةٍ هجريّة.

كاتبُه العبدُ الضَّعيفُ المحتاجُ إلى رحمةِ الله تعالى عليُّ بنُ عبدِ الله بنِ محمودٍ المؤذِّنُ بجامعٍ غربي عسكر مكرم، غفرَ الله له ولوالديه ولجميع المؤمنين، آمين ربَّ العالمين.

ثمَّ جاءَ في هامشِ هذهِ الخاتمةِ بخطٍّ آخرَ: استنسخَ الكتابَ كلَّه إبراهيمُ بنُ محمَّدٍ الحمويُّ، جعلَه اللهُ منَ الفائزينَ برحمتِه، وذلكَ منْ شهورِ سنةِ ٦٧٣ هجرية.

ويقعُ هذا الجزءُ في (٣٨٤) لوحة، كلُّ لوحةٍ صحفتانِ، وكلُّ صفحةٍ تتكوَّن منْ (٢١) سطراً، وكلُّ سطرٍ من (١٠) كلمات.

٢ ـ النُّسخةُ الثانية (و):

وهي منْ محفوظاتِ مكتبةِ (ولي الدين أفندي) الموجودةِ في المكتبةِ السُّليمانيةِ بإسطنبولَ، وهي عبارةٌ عنْ مجلَّدٍ واحدٍ رقمُها (٢٤٩)، تبدأُ منْ أولِ الكتابِ إلى نهايةِ سورةِ الكهفِ، وهذهِ النُّسخةُ كتِبتْ بمدادٍ أسودَ بخطٍّ واضحٍ وجميل، وهناك بعضُ الإشاراتِ باللونِ الأحمر، وكُتبت الآياتُ بخطٍّ كبير، وهي مضبوطةٌ ضبطاً فوقَ المتوسِّطِ، وتقعُ في (٢٩٥) لوحة، وكلُّ لوحةٍ صفحتانِ، وفي كلِّ صفحةٍ (٢٧) سطراً تقريباً، وفي كلِّ سطرٍ (١٥) كلمةً تقريباً، والهوامشُ أكثرُ منَ القليلِ ودونَ المتوسِّط، وناسخُها حسينُ بنُ أبانٍ النحويُّ، وقد أتمَّ نسخها سنةَ (٦٧٣هـ).

وهذه النُّسخةُ من النَّفاسةِ بمكانٍ، إذْ أنَّ ناسخَها منْ أئمةِ العلم، كما ذكرَ ذلكَ الفَيروزآباديُّ في «البلغة» حيثُ قال: الحسينُ بنُ أبانٍ النَّحويُّ البغداديُّ المنعوتُ بالجمال، إمامٌ متأخِّرٌ أخذَ عنِ الأستاذِ أبي عثمانَ سعدِ بنِ أبي أحمدَ بنِ أحمدَ الجذاميِّ البيانيِّ البغداديِّ، وله مصنَّفاتٌ منها: «شرح الفصول»، و«قواعد المطارحة»، و«شرح ضروري التصريف» لابن مالك، و«كتاب المسائل الخلافية»، وكان ذا حفظٍ حسنٍ، ثقةً فيما يكتبُ ويقولُ، مدرِّسَ النَّحو بالمستَنصرية، ماتَ سنةَ (٦٧٤هـ)[1]؛ أي: بعد إنهائه لهذهِ النُّسخةِ بسنة.

وفي بدايةِ هذهِ النُّسخةِ فِهرسٌ لأسماءِ السُّورِ، وجاءَ في العنوان: النِّصفُ الأوَّلُ منْ كتابِ لبابِ التَّفاسيرِ، تصنيفُ الشَّيخِ الإمامِ تاجِ القرّاءِ أبي القاسمِ محمودِ بن حمزةَ بنِ نصرٍ الكرمانيِّ، شكرَ اللهُ سعيَه وقدَّس روحَه.

---

(١) انظر: «البلغة» للفيروزآبادي (ص: ١٢٢).

وتحتَ العنوانِ نقلٌ عنْ عبدِ العزيزِ بنِ أحمدَ في مختصره «شفاء الظَّمآن في فضائل القرآن».

وجاءَ في خاتمةِ النُّسخةِ: تمَّ الجزءُ الأوَّلُ منْ كتابِ لبابِ التفاسيرِ، على يدِ العبدِ الفقيرِ اللاجئِ إلى عفوِ اللهِ ورحمتِه حسينِ بنِ أبانٍ النَّحويِّ، في العَشرِ الأوسطِ منْ شهرِ اللهِ الأصمِّ رجب، منْ شهورِ سنةِ ثلاثٍ وسبعينَ وستِّ مئة، والحمدُ للهِ كما هو أهلُه، والصَّلاةُ التّامّةُ الزّاكيةُ على سيِّدِنا نبيِّ الرَّحمةِ محمَّد، وعلى آله الطّاهرينَ وصحبِه الأكرمينَ، وحسبُنا اللهُ ونعمَ الوكيل.

٣ ـ النُّسخةُ الثالثة (ن):

وهي من محفوظاتِ مكتبةِ (نوربانو سلطان) الموجودةِ في المكتبةِ السُّليمانيّةِ بإسطنبول، وهي عبارةٌ عنْ جزأينِ، أرقامُهما على التَّوالي (٢٨) و(٢٩)، ينتهي الجزءُ الأوَّلُ في نهايةِ سورةِ طه، والجزءُ الثّاني من بدايةِ سورةِ ص إلى نهايةِ القرآن، فهي نسخةٌ تامّةٌ، ملوَّنةٌ، كُتِبتْ بمدادٍ أسودَ، وكُتبتْ أسماءُ الآياتِ بمدادٍ أحمر، ومُيِّزت الآياتُ فيها بخطٍّ أحمرَ منْ فوقِها، وضبطُها قليلٌ جدًّا، ناسخُها أشرفُ الحسينيُّ الحنفيُّ الغَزنويُّ، فرغَ من نسخِ الجزءِ الأوَّلِ سنةَ (٧٩٣هـ)، ومنْ نسخِ الجزءِ الثّاني سنةَ (٧٩٤هـ).

وهذه النُّسخةُ منقولةٌ من نسخةٍ بخطِّ الشَّيخِ أبي طاهرٍ محمَّدِ بنِ روذبهان بنِ الشيخِ أحمدَ بنِ عليٍّ، وتمَّت المقابلةُ عليها كما ذكرَ في آخرِ الجزأينِ سنةَ (٧٩٥هـ). ولم أستطع الوقوفَ على ترجمةٍ للشَّيخِ المذكورِ، ولا على النّاسخِ.

وعلى هامشِ النُّسخةِ حواشٍ قليلةٌ، وعدّةُ بلاغات، وإثباتٌ لبعضِ فروقِ النُّسخِ.

ويقعُ الجزءُ الأوَّلُ في (٣٢٤) لوحةٍ، كلُّ لوحةٍ صفحتانِ، والصَّفحةُ الواحدةُ فيها (٣١) سطراً تقريباً، وكلُّ سطرٍ فيه (١٥) كلمةً تقريباً.

وجاء في غلافِه: الجزءُ الأوَّلُ من كتابِ لبابِ التَّفاسيرِ، من مصنَّفاتِ الإمامِ العلّامةِ برهانِ الدِّينِ تاجِ القرّاءِ أبي القاسمِ محمودِ بنِ حمزةَ بنِ نصرٍ الكرمانيِّ، تغمدَه اللهُ بغفرانِه وأسكنَه أعلى غرفِ جنانِه بمنِّه ولطفه، والحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلّى اللهُ على سيِّدنا محمَّدٍ وآلِه وصحبِه أجمعين.

وجاءَ في خاتمةِ الجزءِ الأوَّل: تمَّ الجزءُ الأوَّلُ من كتابِ اللُّباب، بعونِ الملكِ الوهابِ، على يدِ العبدِ الضَّعيفِ النَّحيفِ الرّاجي رحمةَ ربِّه اللَّطيف، خويدمِ العلماءِ والفقراء النَّظيفِ، المرتجي غفرانَ اللهِ الكريمِ، الملتجي إلى جوارِ هذا النَّبيِّ الرَّحيمِ، الفقيرِ إلى اللهِ الغنيِّ الوفيِّ، أشرفَ الحسينيِّ الحنفيِّ الغزنويِّ، غفر اللهُ له ولوالديه، وأحسنَ إليهما وإليه، ولكافَّةِ المسلمينَ أجمعين، بالمدينةِ المشرَّفةِ على مشرِّفها منَ الصَّلواتِ أفضلُها، ومن التَّحيّاتِ أكملُها، برباطِ الأصفهانيِّ في قبّة بانيها رحمه اللهُ، المحاذيةِ شباكُها بشبّاكِ مسجدِ النَّبيِّ عند قدمهِ الشَّريفةِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، في سادسِ شهرِ اللهِ الحرامِ شوّالٍ سنةَ ٧٩٣.

تمَّت المقابلةُ بالنُّسخةِ المذكورةِ في أوَّلِ الكتابِ بالمدينة المشرَّفة، على مشرِّفها منَ الصَّلواتِ أفضلُها، ومنَ التَّحيّاتِ أكلُمها، ١٦ من شهرِ الله الأصمِّ رجب سنةَ ٧٩٤.

وفي الصَّفحةِ الأخيرةِ يوجدُ وقفٌ لهذهِ النُّسخةِ، وهو وقفٌ من السُّلطانة نوروبانو والدةِ السُّلطان مراد خان (ت: ١٠٠٣هـ)، منشئةُ مدرسةٍ ومكتبةٍ التي تحملُ اسمَها، وواقفتها، وهذا نصُّه: الحمدُ للهِ الواقفِ بالأعمالِ الصَّالحةِ والأوقاف، والصَّلاةُ على مَن نطقَ بالقرآن سيِّدنا محمَّدٍ أشرفِ آلِ عبدِ مَناف، وعلى آلهِ

وأصحابِه وتابعيهِم المختصينَ بأحسنِ النعوتِ والأوصاف، صلاةً دائمةً منشرةً في الأطراف والأكناف، وبعد:

فقد وقفَتْ لوجهِ اللهِ الكريمِ السبحانِ، هذا التَّفسيرَ الجميلَ الجليلَ الشّانِ، حضرةُ مَن خصَّها اللهُ بأنواعِ الخيراتِ والحسناتِ، واختارها لتمهيدِ أصنافِ المبرّاتِ والصَّدقاتِ، جنابُها سماءُ العصمةِ والجلالِ، وبابُها فلكُ العفّةِ والإقبالِ، مظهرُ نورِ الخلافةِ، مطلعُ شمسِ السّلطنةِ؛ أعني: والدةَ سلطان بنِ السّلطانِ السّلطانِ؛ مراد خانَ ابنِ السّلطانِ سليم خانَ ابنِ السّلطانِ سليمانَ خانَ، اللهمَّ خلِّد أيّامَ خلافتِه وزِدْ أعوامَ عمرِه إلى انقراضِ الدُّهورِ والأزمانِ، وأدمْ سعادتَها وعمرَها في ظلِّ ظلِّكَ يا ذا المجدِ والإحسانِ.

وشرطَتْ أنْ يُوضعَ في المدرسةِ الشَّريفةِ والمحفلِ المنيفِ الذي بنتْ حضرتُها المعظَّمةُ في قصبةِ أسكودارَ، للقارئينَ المسلمينَ المسافرينَ والقانطينَ التّالينَ كتابَ اللهِ آناءَ الليلِ وأطرافَ النّهارِ، تقبّلَ اللهُ عنها الملكُ الغفّارُ، وقفاً صحيحاً شرعيّاً مؤبّداً مخلَّداً مرعيًّا على قولِ مَن جوَّزَ وقفَ المنقولاتِ من المجتهدينَ، ولا يُوهبُ ولا يُورثُ ولا يُرهنُ ولا يُنقلُ عن محلِّه المذكورِ إلى القرى والمدائنِ، ولا يحلُّ لأحدٍ أنْ يبدلَّه، ﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ وأجرُها عليه إنَّه هو البرُّ الرحيم، حُرِّرَ ذلك في الصَّفرِ المظفّرِ في سنةِ ٩٨٨هـ.

ويقعُ الجزءُ الثّاني في (٣٢٧) ورقةٍ، كلُّ ورقةٍ صفحتانِ، في الصَّفحةِ الواحدةِ (٣١) سطراً تقريباً، وفي كلِّ سطرٍ (١٥) كلمةً تقريباً.

وجاءَ في غلافِه: الجزءُ الثّاني مِن كتابِ لبابِ التّفاسيرِ، مِن مصنَّفاتِ الإمامِ العلّامةِ برهانِ الدينِ تاجِ القرّاءِ أبي القاسمِ محمودِ بنِ حمزةَ بنِ نصرٍ الكرمانيِّ،

تغمَّده اللهُ بغفرانِه وأسكنَه بحبوحةَ جنانِه بمنِّه وفضلِه، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، وصلَّى اللهُ على سيدِنا محمَّدٍ وآله وصحبه أجمعينَ.

وقد جاء عليه تملُّكاتٌ لناسخه: مِن كتبِ الفقيرِ إلى اللهِ الغنيِّ الوفيِّ أشرف الحسينيّ الحنفيّ عفا اللهُ عنه ولطفَ بهِ.

ثم إلياس الملطي: نُقِلَ إلى مُلكِ الفقيرِ إلى اللهِ العليِّ إلياسُ الملطيُّ عفا الله عنه ذنوبَه الخفيِّ والجليِّ، الحمدُ لله وحدَه وصلّى اللهُ على سيدِنا محمَّدٍ.

وعليه إشعارٌ بأنَّه من وقف السُّلطانة نوروبانو والدةِ السُّلطان مراد، وأشير إليه بعبارة: وقفُ والدةِ سلطان.

وجاءَ في خاتمتِه:

تمَّ الجزءُ الثّاني مِن كتابِ لبابِ التّفاسيرِ، بتوفيقِ الملكِ الخالقِ البصيرِ، على يدِ العبدِ الضَّعيفِ النّحيفِ، الرّاجي رحمةَ ربّه اللّطيفِ، خُوَيدمِ العلماءِ والفُقراءِ النّظيفِ، المُرتجي عفوَ اللهِ الكريمِ، المُلتَجئِ إلى جوارِ هذا النّبيِّ الرَّحيمِ، الفَقيرِ إلى اللهِ الغنيِّ الوفيِّ، أشرف الحسينيِّ الحنفيِّ الغزنويِّ، عفا اللهُ عنه وعن والديه، وأحسنَ إليهما وإليه، وعن كافّةِ المُسلمينَ؛ بالمدينةِ المُشرّفةِ على مشرِّفها مِن الصَّلواتِ أفضلُها، ومِن التّحياتِ أكملُها، بِرباطِ الأصفهانيِّ في قبّةِ مُنشِئِها رحمَه اللهُ المحاذيةُ شُبّاكها بشبّاكِ مسجدِ النّبيِّ، عندَ قدمِه الشَّريفةِ صلى الله عليه، في اليومِ العيدِ الأضحى سنةَ أربعٍ وتسعينَ وسبعِ مئةٍ؛ حامداً ومصلّياً ومسلِّماً.

تمَّت المُقابلةُ مع النُّسخةِ المَنقولِ عنها، وهي التي كانَت بخطِّ الشَّيخِ العالمِ العاملِ الفاضلِ الكاملِ المحقِّقِ المدقِّقِ السَّالكِ في الطَّريقينِ المَحظوظِ

عـن الفريقيـنِ أبـي طاهرٍ محمَّـدِ بـنِ الشّـيخِ السّـالكِ روذبهان بـن أحمدَ بـنِ عليٍّ، رحمهـم الله، وكانَ اختتـامُ المقابلـةِ بالمدينـةِ المشـرَّفةِ، صلـواتُ الله علـى مشـرِّفها بالرِّبـاطِ المذكـورِ تحـتَ هذه الأسـطرِ فـي ٢١ مـن شـهرِ الله الحرامِ الأصـمِّ رجب عمَّـت ميامنُـه مِن سـنةَ ٧٩٥.

ثم وقفتُ بأَخَرةٍ على نسخةٍ خطيةٍ من محفوظاتِ مكتبةِ جامعةِ الملكِ سعود برقم (٦٨١٦) وهي عبارةٌ عن جزءٍ واحدٍ، ووقعَ في أوَّلها خَرمٌ فاتَ بسببهِ مقدمةُ الكتابِ وبعضُ البسملةِ، وينتهي هذا الجزءُ بختامِ تفسيرِ سورةِ الكهفِ، وناسخُها هو محمَّدُ بنُ أبي طاهر، أتمَّ نسخَها في شوَّال سنةَ (٦٠٩هـ)، ويقع هذا الجزءُ في (١٧١) لوحة، وقد أَفدتُ من هذه النسخة في مواضع كثيرة بحمد الله تعالى، ورمزت لهذه النسخة بالرمز (ط).

* * *

عملُنا في الكتاب

ذكرنا أنَّ «لبابَ التَّفاسير» لحقَه الظُّلمُ بسببِ الخلطِ الَّذي وقعَ بينه وبين أخيه الأصغر؛ «غرائبِ التَّفسيرِ وعجائبِ التَّأويل»، والجهلِ بغايةِ تاجِ القُرّاء الكرمانيِّ من ذكرِ الغرائبِ والعجائب، وقد انطلقنا في عملِنا على هذا الكتاب، وقد جعلنا نُصبَ أعينِنا أن نقرِّبَ الغايةَ التي أرادَها المصنِّف، ونبدِّدَ الغيايةَ التي أحاطَت بمنهجِ المؤلِّف، وأردنا أن نقدِّمَه بصورةٍ تُدني مِن طالبِه جناه، وتُتيحُ لأهلِ العلمِ أن يضعوه في المكانةِ التي يستحقُّها، وينزلوه المنزلةَ التي تليقُ به، وقد حاولنا بلوغَ ذلك من خلالِ الآتي:

١ ـ نسخُ الكتابِ من النسخةِ الخطيّةِ لمكتبة (نور بانو) المرموز لها بـ (ن) وذلك لتمامِها، ثم مقابلتها على بقيةِ النسخِ الخطية الأخرى، وقد بذلنا جهدَنا لاعتمادِ الأصوبِ واختيارِ الأنسب، وإثباتِه في المتن، وأثبتنا في الحواشي من فوارقِ النُّسخِ ما في إثباتِه فائدةٌ أو له وجه، ولم نثقلْها بما لا طائلَ فيه.

٢ ـ تصحيحُ النَّصِّ، وإعادةُ ما وقعَ فيه من تصحيفٍ أو تحريفٍ إلى جادّةِ الصَّواب؛ ليظهرَ بالصُّورةِ التي أرادَها مؤلِّفُه.

٣ ـ تقسيمُ النَّصِّ وترقيمُه بما يُناسبُ الطَّريقةَ التي نهجَها مؤلِّفُه، ويعينُ على الغايةِ التي يريدُها قارئُه.

٤ ـ ضبطُ ما أشكلَ من ألفاظِ النَّصِّ، وما يكشفُ المعنى من تراكيبِه، والعنايةُ بضبطِ القراءاتِ والنُّصوصِ الحديثيّة، وما أوردَه المصنِّفُ من اللُّغاتِ وما استشهدَ

به من الأساليبِ العربيّة، وذلك بالاستفادةِ من ضَبطِ النُّسخِ الخطيّةِ التي وافقَ ضبطُها وجهَ الصَّوابِ في الغالِبِ، مع الاستعانةِ بالتَّفاسيرِ وكتبِ المعاني والقراءاتِ والأحاديثِ النَّبويّة، وأمَّهاتِ كتبِ اللُّغةِ ومعاجمِ العربيّة.

٥ ـ تخريجُ الآياتِ القرآنيّةِ التي يستشهدُ بها المصنِّفُ في تفسيرِه، وذكرُ سورِها وأرقامِها بين معكوفتين.

٦ ـ تخريجُ القراءاتِ القرآنيّة، ونسبةُ كلِّ قراءةٍ إلى قارئِها، وتبيينُ المتواترِ من الشّاذِّ منها، وذلك بالاعتمادِ على الكتبِ المختصّةِ في هذا الشَّأن.

وقد التزمنا منهجاً لتمييزِ متواترِ القراءاتِ من شاذِّها، وذلك بوضعِ القراءاتِ المتواترةِ بين قوسينِ مُزهَّرين، والشّاذّةِ بين قوسينِ عاديَّين.

ولمّا كانَ الكَرمانيُّ معروفاً بتاجِ القُرّاء، ولمّا كانت معرفتُه بالقراءاتِ القرآنيّةِ وعنايتُه بها بارزةً في كلامِه، فقد أولينا عنايةً خاصّةً لضبطِ القراءاتِ ضبطاً سليماً، لا سيَّما أنَّ النُّساخَ أثبتوا في كثيرٍ من الأحيانِ القراءةَ المشهورةَ عندهم غافلين عمّا أرادَه المصنِّف، وقد حاولنا أن نعيدَ ذلك إلى جادّةِ الصَّوابِ، وقد حاولنا ما استطعنا ألا نُغفلَ نسبةَ قراءةٍ مهما طالَت رحلتُنا في البحثِ عن مصدرٍ لها، ولكنَّا لم نستطع في مواضعَ قليلةٍ إلا أن نعلنَ عجزَنا عن مجاراةِ هذا الفارسِ في ميدانِه.

وقد التزمنا عندَ عزوِ القراءاتِ منهجاً لم نخالفْه إلا لسببٍ بيِّنٍ عندنا؛ فإن كانت القراءةُ من السَّبعةِ المتواترةِ كانَ العزوُ إلى كتابِ «السَّبعة» لابن مجاهدٍ، وكتابِ «التَّيسير»، لأبي عمرو الدَّاني.

أمّا تمامُ العشرةِ المتواترةِ فالعزوُ لكتاب «النشر» لابن الجزريِّ.

أما القراءاتُ الشّاذّةُ فالعزوُ لكتاب «المختصر في القراءات الشاذة» لابن خالويه و«المحتسب» لابن جِنِّي و«شواذ القراءات» لشمس القراء الكرماني بدايةً؛ فإن لم

نهتد لمرادنا انتقلنا إلى «معاني القرآن» للفرَّاء، وللزَّجَّاج، وللنَّحاس، و«إعراب القرآن» له أيضاً، و«المصاحف» لابن أبي داود، فإن لم نجد بغيتَنا وسَّعنا البحثَ في عمومِ التَّفاسيرِ ومشاهيرِ كتبِ اللُّغةِ التَّي تقدَّمَت على المصنِّف، فإن عجزنا كان آخرُ طبِّنا الكيُّ، والكيُّ في نظرنا العودةُ للتخريجِ ما يذكرُ المصنِّفُ ممّن تأخُّروا عنه، كالزَّمخشريِّ في «الكشَّاف» وأبي حيّانَ في «البحر المحيط»، وغيرِهما.

وقد كانَ الكرمانيُّ يتوقَّف لنقاشِ بعض القراءات وإعرابها، وقد كانَت عمدتُه في هذا كتاب «الحجَّة» لأبي علي الفارسيِّ، فلذلك كان هذا الكتابُ حاضراً في تخريجاتنا.

٧ ـ تخريجُ الأحاديثِ النَّبويّةِ الشَّريفةِ من دواوينِ السُّنّةِ المعتمدة، وبيانُ درجتِها، وذلك بالرُّجوعِ إلى كلامِ أئمّةِ علمِ الحديثِ ونَقَدةِ الآثار.

٨ ـ تخريجُ الآثارِ التي ذكرَها المصنِّفُ عن السَّلَفِ من الصَّحابةِ والتّابعينَ وتابِعِيهم ما وجدنا إلى ذلك سبيلاً.

٩ ـ نسبةُ الشَّواهدِ الشِّعريّةِ والأرجازِ إلى قائليها ما لم يكونوا مجهولين، وتخريجُها من دواوينِهم، وأمّهاتِ كتبِ اللُّغةِ والآداب، والتَّفاسيرِ وكتبِ المعاني والإعراب، هذا مع إتمامِ الشّاهدِ إن لم يُذكَر بتمامِه، وتفسيرِ مُشكِلِه، وبيانِ وجهِ الاستشهادِ به عند الحاجة.

١٠ ـ تخريجُ الأقوالِ التي ذكرَها المصنِّفُ عن المصنِّفينَ والمفسِّرينَ والعلماءِ قبله، وعزوُها إلى كتبِهم إن وُجدَت فيها، وإلى أهمِّ المصادرِ التي نقلتها، مع الانتباهِ إلى ما ينقلُه المصنِّفُ من مصادرِه مباشرةً أو بواسطةٍ، وما يتصرَّفُ فيه، والتَّنبيهِ على ذلك عند الحاجة.

١١ ـ ترجمةُ غيرِ المشهورينَ من الأعلامِ ترجمةً مختصرة، وذكرُ أهمِّ مصادرِ التَّرجمة.

وقد عمدنا إلى الاقتصارِ في التَّراجمِ ـ والتَّخريجاتِ عموماً ـ على ما فيه فائدةٌ للقارئ، وأعرضنا عن التَّوسُّعِ فيه خشيةَ الخروجِ بالكتابِ عن الغايةِ التي أُريدَ له تحقيقُها.

١٢ ـ مقارنةُ ما ذكرَه المصنِّفُ في «لبابِ التَّفاسير» بما ذكرَه في «غرائبِ التَّفسيرِ وعجائبِ التَّأويل»، و«البرهانِ في متشابهِ القرآن»؛ لبيانِ ما كان يعتمدُه من الأقوال، وما كان يستغربُه وينكرُه.

١٣ ـ شرحُ ما غمُضَ من كلامِ المصنِّف، وبيانُ ما أشكلَ من تعابيرِه، وما أبهمَه الإيجازُ من نقولِه وتقاريرِه، وتعقُّبِه في بعضِ الآراءِ والمسائلِ التي أوردَها إن كان لذلك ضرورة.

١٤ ـ تسليطُ شيءٍ من الضوءِ على الملكةِ اللُّغويّةِ الرائعة والقدرةِ الاشتقاقيّةِ الواسعةِ التي امتازَ بها المؤلِّف، وإيضاحُ بعضِ المعاني الغامِضَةِ التي أشارَ إليها في هذا المجال، وذلك بالرُّجوعِ لكتبِ اللُّغةِ والغريبِ كـ«المنتخبِ» و«المُنجِدِ» لكُراعِ النَّمل و«الزّاهرِ» للأنباريِّ و«تهذيبِ اللُّغة» للأزهريِّ و«مجملِ اللُّغة» لابنِ فارسٍ و«الصِّحاح» و«أساس البلاغة» و«النِّهايَة في غريبِ الحديث» و«القاموس» و«تاج العروس» وغيرِها.

وقد أشرنا في أهميّةِ «لباب التَّفاسيرِ» إلى قضيَّة الاشتقاقِ التي حازَ فيها المصنِّف قصبَ السَّبق، وقد جَعَلنا اهتمامُه بها ملزَمين بمتابعتِه، ولو بعُدتْ علينا الشُّقّة، وقد وجدنا المصنِّفَ ينقلُ كثيراً عن «العين»، فقرَّبناه وكنَّا قبلُ نبعدُه، وقدَّمناه وكنّا قبلُ نؤخِّره.

كما أنّا رجعنا عندَ البحثِ في هذا الجانبِ لكثيرٍ من كتبِ الأدبِ والأمثالِ كشُروحِ «الحَمَاسةِ»، و«الأمثالِ» لأبي عُبيدٍ، و«جمهرةِ الأمثالِ» للعَسكريِّ، و«مَجْمَعِ الأمثالِ» للمَيْدانيِّ، وغيرها.

١٥ ـ ولمّا كانَ تاجُ القُرّاءِ مهتمّاً ببيانِ المتشابهِ من ألفاظِ القرآن، وكانَ يولي عنايتَه لأسرارِ التكرارِ في كتاب الله عزَّ وجلَّ، وهو ينظرُ إلى القرآنِ الكريمِ نظرةً كليّةً شموليّة، فقد وجدنا أن من واجبنا أن نسلِّطَ الضَّوءَ على هذا الجانبِ في «لبابِ التَّفاسير»، ونربطَه بأخيه «البرهان»، كما وجدنا أنَّ للقارئ فائدةً في البحثِ عن جذورٍ أعمقَ لكلامِ الكرمانيِّ في كتبِ مَن تقدَّمَ من المفسِّرين واللغويِّين، ومَن اعتنى بهذا الشَّأنِ من المتقدِّمين كالباقلانيِّ في «الانتصارِ للقرآن» والخطيب الإسكافي في «درّةِ التنزيل وغرّة التأويل».

١٦ ـ كتابةُ دراسةٍ تفصيليّةٍ لتاجِ القُرّاء الكَرمانيِّ، وكتابِه «لبابِ التَّفاسير»، وقد جعلتُها في تمهيدٍ، وثلاثةِ مباحثَ.

أمَّا التَّمهيدُ فكانَ بعنوان: لمحةٌ عن تطوُّرِ علمِ التَّفسيرِ قبلَ تاجِ القرّاءِ الكَرْمانيِّ.

وأمَّا المبحثُ الأوَّلُ فكانَ بعنوان: عصرُ الكَرمانيِّ.

وقد تمَّ البحثُ فيه من ثلاثةِ جوانب:

أوّلاً ـ الحياةُ السِّياسيّةُ.

ثانياً ـ الحياةُ الاجتماعيّةُ.

ثالثاً ـ الحياةُ العلميّةُ والثَّقافيّةُ.

وأمَّا المبحثُ الثّاني فكانَ بعنوان: ترجَمةُ العلّامةِ تاجِ القُرّاءِ الكَرْمانيِّ.

وقد تمَّ البحثُ فيه من جوانبَ متعدِّدة، وهي:

أوَّلاً ـ اسمُهُ ونَسبُهُ وكُنيتُهُ ولقبُهُ.

ثانياً ـ ولادَتُه ونشأتُهُ.

ثالثاً ـ شيوخُه.

رابعاً ـ تلامِذَتُهُ.

خامساً ـ مذهبُه (العقديُّ ـ الفقهيُّ ـ النَّحويُّ).

سادساً ـ مؤلَّفاتُه.

سابعاً ـ ثناءُ العُلماءِ عليه.

ثامناً ـ وفاتُهُ.

وأمَّا المبحثُ الثّالثُ فكانَ بعنوان: دراسةُ كتابِ «لبابِ التَّفاسير».

وقد تمَّ البحثُ فيه من ستَّةِ جوانبَ، وهي:

أوَّلاً ـ عنوانُ الكتابِ ونسبتُه إلى مؤلِّفِه.

ثانياً ـ أهمِّيَّةُ «لبابِ التَّفاسير».

ثالثاً ـ اهتمامُ العلماءِ بـه.

رابعاً ـ منهجُ الكرمانيِّ فيه.

خامساً ـ أسلوبُ الكرمانيِّ فيه.

سادساً ـ مصادرُ «لبابِ التَّفاسير».

سابعاً ـ وصفُ النُّسخِ الخطِّيَّة.

وقد ختمنا هذه الدِّراسةِ ببيانِ عملِنا في الكتاب.

١٧ ـ وضعُ فهارسَ علميّةٍ للكتاب، تسهِّلُ للباحثِ الاطِّلاعَ عليه، وللقارئِ الرُّجوعَ إليه، وقد اشتملَتْ هذه الفهارسُ على: فهرسِ الآياتِ القرآنيةِ الكريمةِ، وفهرسِ الآياتِ التي ذُكر فيها وجوهُ القراءاتِ المتواترةِ، وفهرسِ القراءات الشَّواذ، وفهرسِ الأحاديث النَّبوية الشَّريفة، والآثارِ، والأَشعارِ والأَرجازِ والأَعلامِ والمصادرِ والمراجعِ.

وفي الختام نسألُ اللهَ أن يرزقَنا الإخلاصَ، ولا يحرمنا الأجرَ والثَّواب، وينفعَ به العلماء والطُّلّاب، وصلَّى الله على نبيِّنا محمَّد وآلِه وصحبِه، والحمدُ لله ربِّ العالمين.

صور المخطوطات

الجزء الأول من كتاب لباب التفاسير
من مصنفات الإمام العلامة برهان الدين
تاج القرا أبي القسم محمود بن حمزة بن
نصر تغمده الله بغفرانه وأسكنه
أعلى غرف جنانه بمنه ولطفه
والحمد لله رب العالمين
وصلى الله على سيدنا
محمد وآله وصحبه
أجمعين

٤٨

صورة غلاف الجزء الأول من النسخة الخطية من مكتبة نور بانو والمرموز لها بـ (ن)

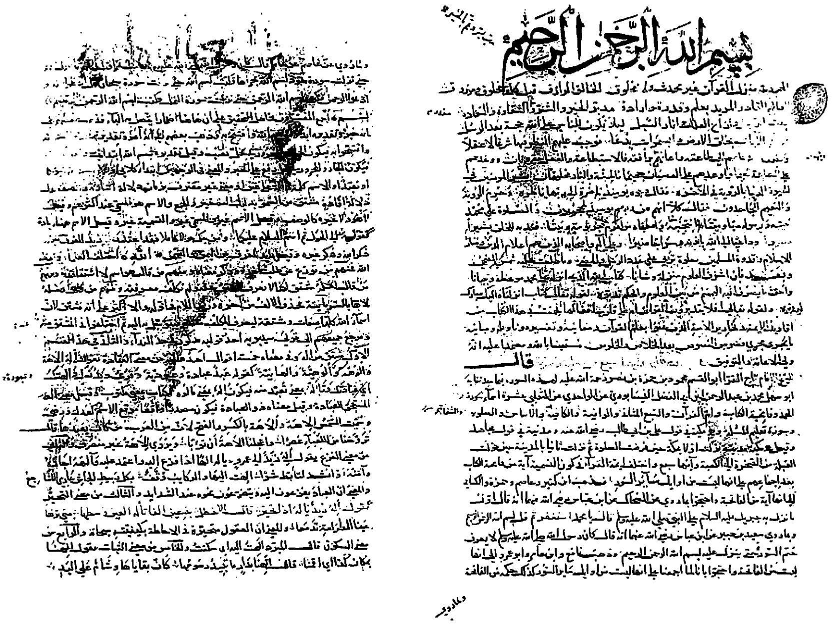

صورة اللوحة الأولى من الجزء الأول من النسخة الخطية من مكتبة نور بانو والمرموز لها بـ (ن)

صورة اللوحة الأخيرة من الجزء الأول من النسخة الخطية من مكتبة نور بانو والمرموز لها بـ (ن)

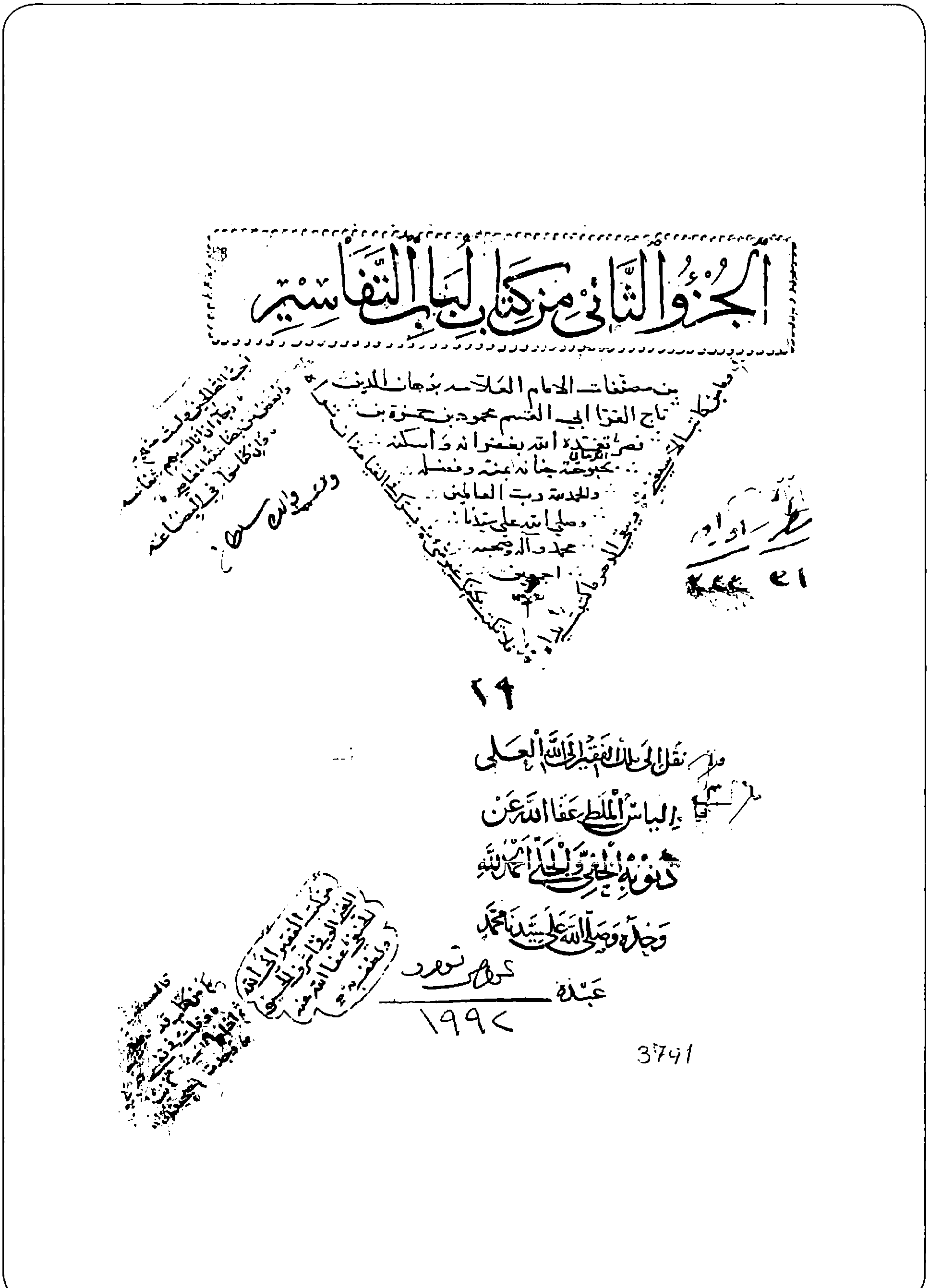

صورة غلاف الجزء الثاني من النسخة الخطية من مكتبة نور بانو والمرموز لها بـ (ن)

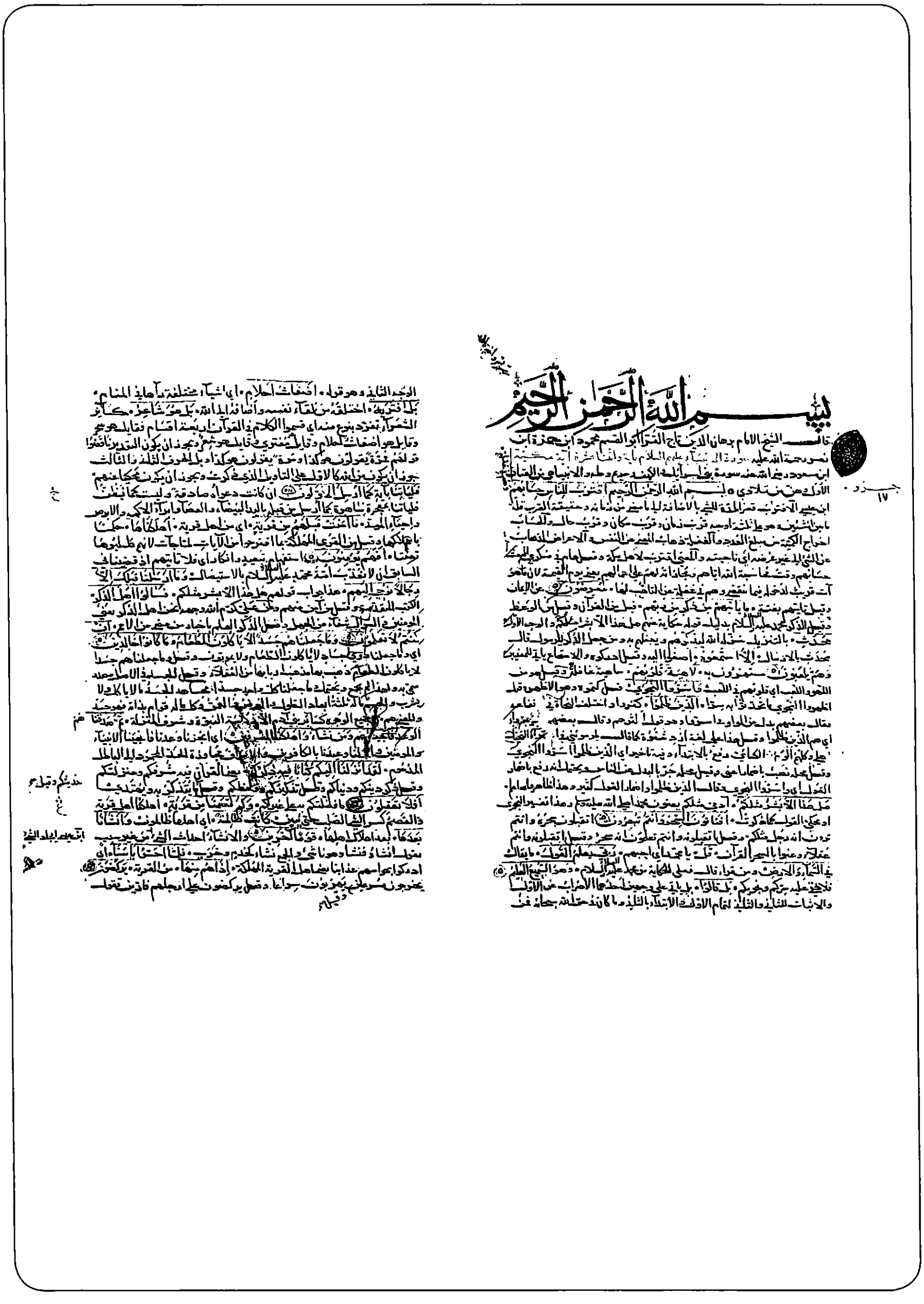
بسم الله الرحمن الرحيم

صورة اللوحة الأولى من الجزء الثاني من النسخة الخطية من مكتبة نور بانو والمرموز لها بـ (ن)

على المعوذ منهم يتلطف عليه والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب
قال … رضي الله عنه كمل كتاب لباب التفاسير
اسال الله عز اسمه ان يعم نفع المسلمين فاني جمعته
ذلك خالصا لوجه الله تعالى فان العلم ينبغي ان
يكون لله … عسى ان يذكرني من يستفيد منه
بكلمة او بمسألة في صالح دعائه فان ذلك
عند الله بمكان والصلوة والسلام
على خير خلقه واله وعترته وكان
بين الابتداء والشروع فيه وبين
البلوغ آخره مدة سبع
سنين وحسبنا الله
ونعم الوكيل نعم المولى
ونعم النصير

تم الجزء الثاني من كتاب
لباب التفاسير بتوفيق الملك الخالق
البصير على يد العبد الضعيف النحيف الراجي رحمة
ربه اللطيف خويدم العلماء والفقراء النظيف المرتجي
عفو الله الكريم الملتجي الى جوار هذا النبي الرحيم
الفقير الى الله الغني [illegible]
عفا الله عنه وعن والديه واحسن اليهما واليه وعن كافة المسلمين
بالمدينة المشرفة على [illegible] من الصلوات افضلها ومن التحيات
اكملها برباط الاصفهاني في قبة [illegible]
شباكها بشباك مسجد النبي عند قدمه الشريفة صلى
الله عليه في اليوم العيد الاضحى سنة
اربع وتسعين وتسعمائة حامدا
ومصليا ومسلما

يا ناظرا فيه سل بالله مرحمة … على المؤلف واستغفر لصاحبه
واطلب لنفسك من خير تريد بها … من بعد ذلك غفرانا لكاتبه
والحمد لله على التمام … على النبي افضل السلام
تم الكتاب وربنا المحمود … وله المكارم والعلى والجود

صورة اللوحة الأخيرة من الجزء الثاني من النسخة الخطية من مكتبة نور بانو والمرموز لها بـ (ن)

الربع الثالث
من كتاب لباب تفسير القرآن
تصنيف الشيخ الامام تاج القراء ابي القسم
محمود بن حمزه بن نصر الكرماني قدس الله
روحه العزيز

صورة غلاف الجزء الثالث من النسخة الخطية من مكتبة الفاتح والمرموز لها بـ (ف)

صورة اللوحة الأولى من الجزء الثالث من النسخة الخطية من مكتبة الفاتح والمرموز لها بـ (ف)

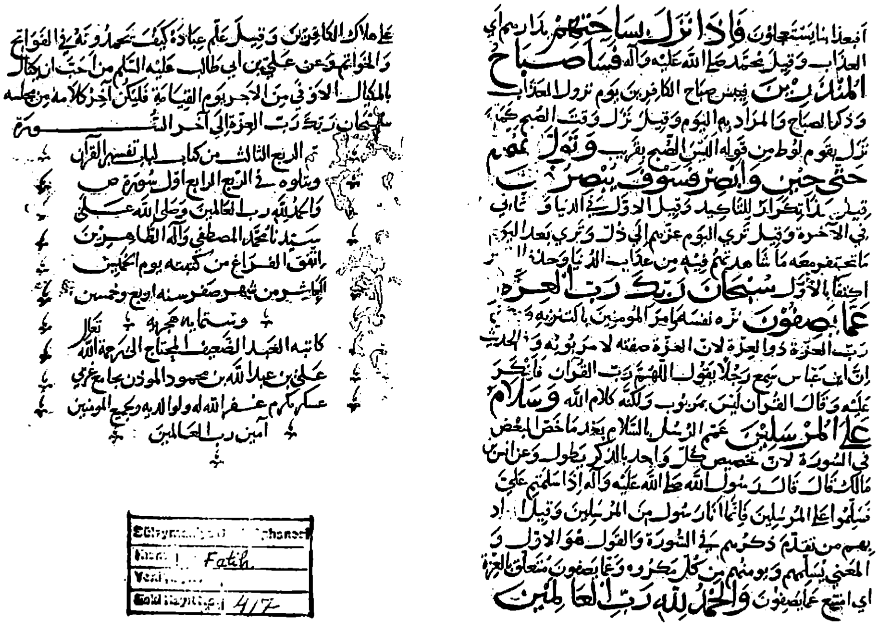

أفبعذابنا يستعجلون فإذا نزل بساحتهم بدارهم أي
العذاب وقيل محمد صلى الله عليه وآله فساء صباح
المنذرين فبئس صباح الكافرين يوم نزول العذاب
وذكر الصباح والمراد به اليوم وقيل نزل وقت الصبح كما
نزل بقوم لوط من قوله أليس الصبح بقريب وتول عنهم
حتى حين وأبصر فسوف يبصرون
قيل هذا تكرار للتأكيد وقيل الأول في الدنيا و الثاني
في الآخرة وقيل ترى اليوم عزتهم إلى ذل وترى بعد اليوم
ما تحتقر معه ما شاهدتم فيه من عذاب الدنيا وحذف
اكتفاءً بالأول سبحان ربك رب العزة
عما يصفون نزه نفسه أمير المؤمنين بالتنزيه و
رب العزة ذو العزة لأن العزة صفته لا مربوبه وفي الحديث
أن ابن عباس سمع رجلاً يقول اللهم رب القرآن فأنكر
عليه وقال القرآن ليس بمربوب ولكنه كلام الله وسلام
على المرسلين عمم الرسل بالسلام بعد ما خص البعض
في السورة لأن تخصيص كل واحد بالذكر يطول وعن أنس بن
مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله إذا سلمتم علي
فسلموا على المرسلين فإنما أنا رسول من المرسلين وقيل إذ
بهم من تقدم ذكرهم في السورة والقول هو الأول و
المعنى يسلمهم ويؤمنهم من كل مكروه وعما يصفون متعلق بالعزة
أي امتنع عما يصفون والحمد لله رب العالمين

على هلاك الكافرين وقيل علم عباده كيف يحمدونه في الفواتح
والخواتم وعن علي بن أبي طالب عليه السلام من أحب أن يكتال
بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه من مجلسه
سبحان ربك رب العزة إلى آخر السورة

تم الربع الثالث من كتاب لباب تفسير القرآن
ويتلوه في الربع الرابع أول سورة ص
والحمد لله رب العالمين وصلى الله على
سيدنا محمد المصطفى وآله الطاهرين
اتفق الفراغ من كتبته يوم الخميس
العاشر من شهر صفر سنة أربع وخمسين
وستمائة هجرية
كاتبه العبد الضعيف المحتاج إلى رحمة الله تعالى
علي بن عبد الله بن محمود المؤذن بجامع غربي
عسكر مكرم غفر الله له ولوالديه ولجميع المؤمنين
آمين رب العالمين

Fatih
417

صورة اللوحة الأخيرة من الجزء الثالث من النسخة الخطية من مكتبة الفاتح والمرموز لها بـ (ف)

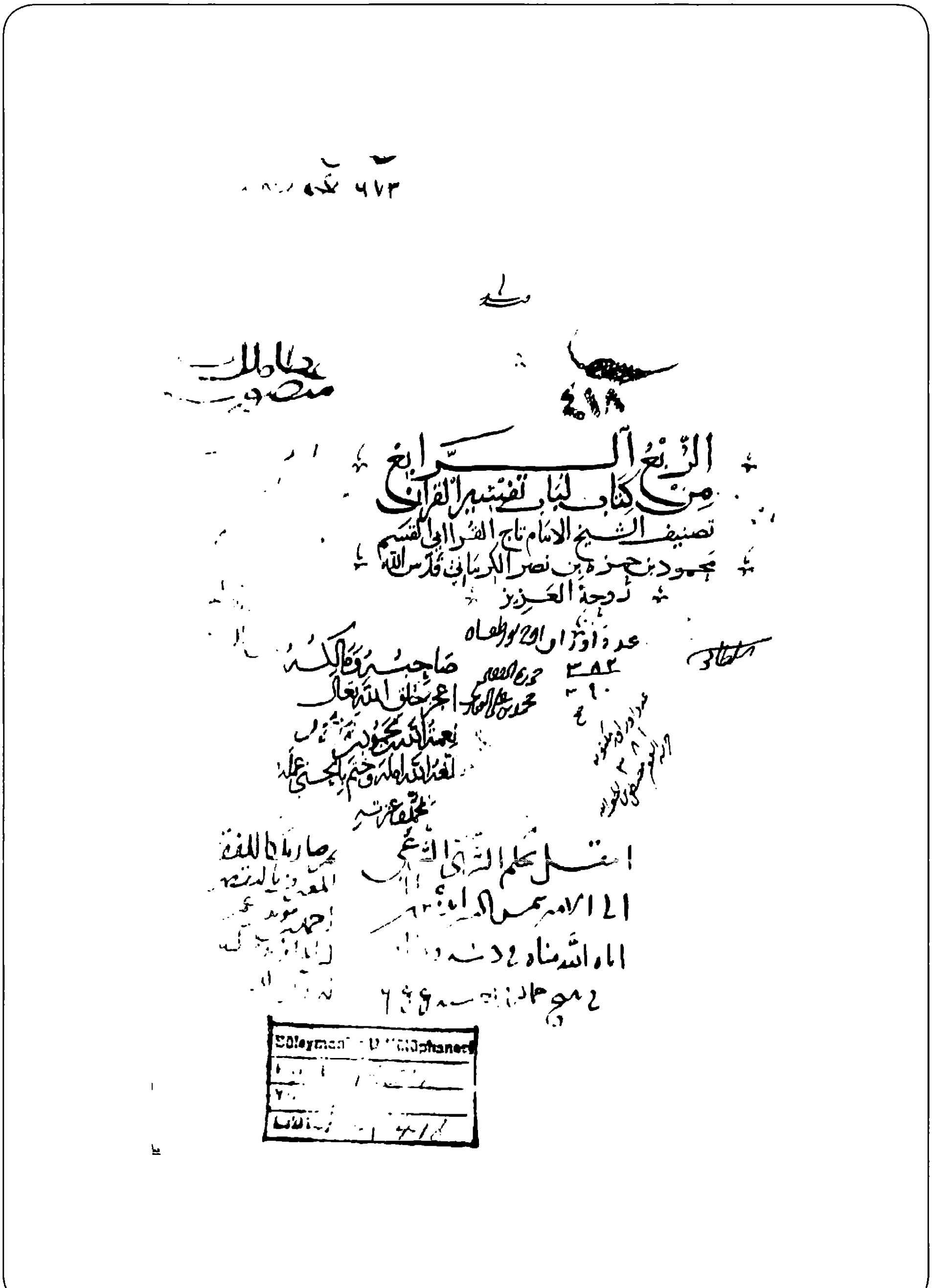

صورة غلاف الجزء الرابع من النسخة الخطية من مكتبة الفاتح والمرموز لها بـ (ف)

صورة اللوحة الأولى من الجزء الرابع من النسخة الخطية من مكتبة الفاتح والمرموز لها بـ (ف)

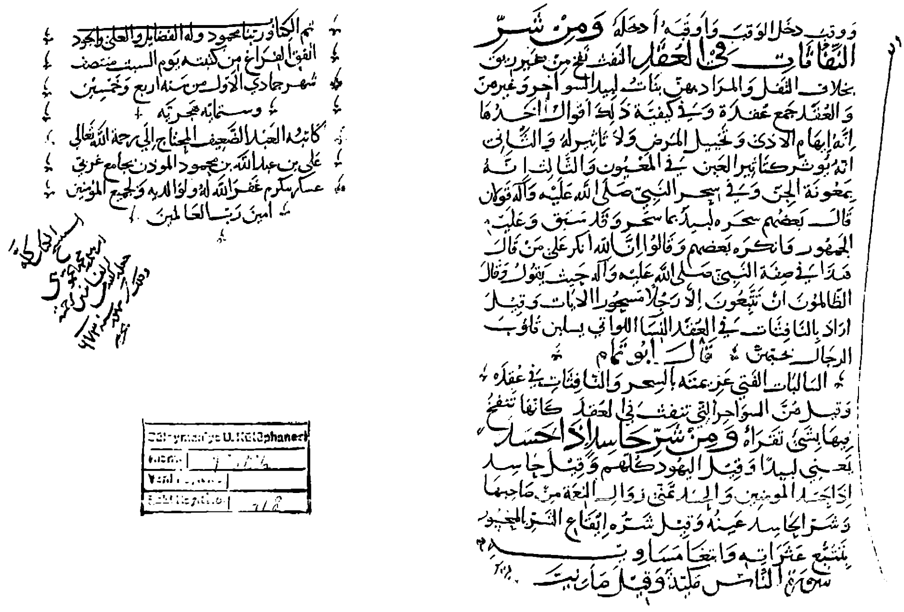

صورة اللوحة الأخيرة من الجزء الرابع من النسخة الخطية من مكتبة الفاتح والمرموز لها بـ (ف)

تصنيف الشيخ الإمام تاج القراء
أبي القاسم محمود بن حمزة بن نصر الكرماني
شكر الله سعيه وقدس روحه

قال الشيخ الصالح عبد العزيز بن أحمد في مختصره شفاء الظمآن في فضائل القرآن
اعلم أن الله تعالى كتب القرآن بقدرته في اللوح المحفوظ ثم كتبه في صحف وأرسله إلى سماء
الدنيا فجعله في بيت العزة وذلك في الرابع والعشرين من شهر رمضان وكانت ليلة القدر في
ذلك العام فهو قوله تعالى إنا أنزلناه في ليلة القدر وقوله تعالى شهر رمضان الذي أنزل فيه
القرآن يعني من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة وقوله تعالى في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدي سفرة كرام بررة
موكلون به في بيت العزة وقوله تعالى إنه لقرآن كريم أي رفيع القدر في كتاب مكنون أي مصون في السماء

صورة غلاف النصف الأول من النسخة الخطية من مكتبة ولي الدين أفندي والمرموز لها بـ (و)

صورة اللوحة الأولى من النصف الأول من النسخة الخطية من مكتبة ولي الدين أفندي والمرموز لها بـ (و)

تم الجزء الأول من كتاب لباب التفاسير على يد العبد الفقير
اللاجي إلى عفو الله ورحمته حسن بن اباز الجوي في العشر
الأوسط من شهر الله الأصم رجب من شهور سنة [illegible] وسبعين
وستمائة والحمد لله كما هو أهله والصلاة التامة الزاكية
على سيدنا نبي الرحمة محمد وعلى آله الطاهرين وصحبه الأكرمين
وحسبنا الله ونعم الوكيل

صورة اللوحة الأخيرة من النصف الأول من النسخة الخطية من مكتبة ولي الدين أفندي والمرموز لها بـ (و)

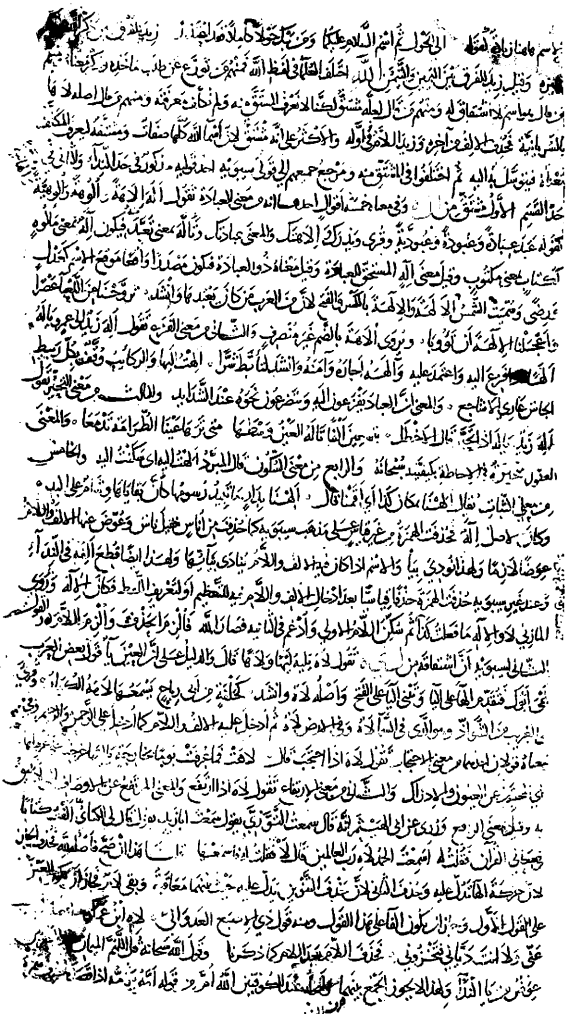

صورة اللوحة الأولى من النسخة الخطية من مكتبة جامعة الملك سعود والمرموز لها بـ(ط)

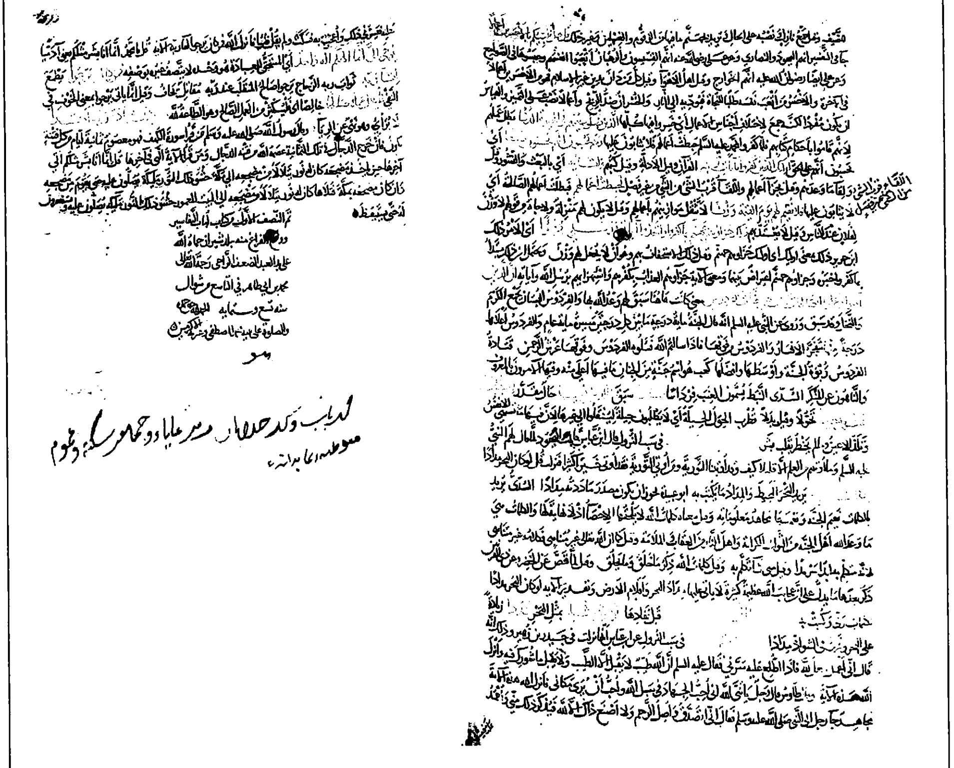

صورة اللوحة الأخيرة من النسخة الخطية من مكتبة جامعة الملك سعود والمرموز لها بـ (ط)

لباب التفاسير

تأليف الإمام المفسر

تاج القُرّاء الكرماني

برهان الدين أبي القاسم محمود بن حمزة بن نصر الكرماني الحنفي

المتوفى بعد سنة ٥٠٠هـ

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم
وبالله العصمة والتَّوفيق

الحمدُ لله مُنزلِ القرآنِ غيرَ مُحدَثٍ ولا مخلوق، الخالقِ الرّازقِ قبلَ كلِّ مخلوقٍ ومرزوق، العالمِ القادرِ المريدِ بعلمٍ وقدرةٍ وإرادة، مدبِّرِ الخيرِ والشَّرِّ ومقدِّرِ الشَّقاوة والسَّعادة، بعث الرُّسلَ وأزاح العِلَلَ وأنار السُّبُل؛ لئلّا يكونَ للنّاس على الله حجّةٌ بعد الرُّسل، أوضح الآيات بخلق الأرض والسَّماوات بدعًا، فوجبَ عليهم النَّظرُ فيها شرعًا لا عقلًا وطبعًا، دعاهم إلى طاعته، وأعانهم عليها برأفته، فالاستطاعةُ والفعل مقرونان، ووعدهم على الطّاعة نعيمًا، وأوعدهم على العصيان جحيمًا، فالجنّةُ والنّارُ مخلوقتان، بشَّر المؤمنين في الحياة الدُّنيا بالرُّؤية في الآخرة، فقال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ ـ ٢٣]، وحُرِمَ الرُّؤيةَ والنّعيمَ الجاحدون، فقال: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥].

والصَّلاةُ على محمَّدٍ نبيِّه ورسوله حيًّا وميتًا، انتخبَه[١] واصطفاه مِن أكرمِ خلقِه جُرثومةً[٢] وبيتًا، فندَبَه للخلق بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا؛ وعلى آله وأصحابه الذين هم أعلام الدِّين، ومنار الإسلام وقدوة المسلمين؛ صلاةً تُربي على عددِ الرَّمْلِ والحَصى، وما طلعَتْ عليه شمسُ الضُّحى.

---

(١) أُشير في (ن) إلى جواز قراءة الكلمة بالجيم والخاء، ومعنى (انتجبه): استخلصه واصطفاه. انظر: «تاج العروس» للزَّبيدي (٤/ ٢٣٨) مادة (ن ج ب).

(٢) الجرثومة: أصل كلِّ شيء ومجتمعه. انظر: «الفائق في غريب الحديث» للزمخشري (٣/ ١٦٣).

وبعدُ:

فإنَّ أشـرفَ العلوم منزلةً وشـأنًا كلامُ[١] الله الذي أنزلَه على نبيِّه محمَّدٍ موعظةً وبيانـًا، وأحـقَّ ما تُصـرَفُ إليه الهممُ مـن بين العلـوم والحكم تدبُّـرُه؛ لقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ﴾ [ص: ٢٩] الآيـة، ولقولـه تعالـى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمـد: ٢٤].

فجمعْتُ في هذا الكتاب من أقاويل الأئمّة، ونحارير الأمّة، الذين عنُوا بعلمِ القرآن ومعانيه، وتفسيرِه وتأويلِه ومبانيه؛ ما يجري مجرى فُصوص النُّصوص، بعدَ الخَلاص والخُلوص، وسمَّيت الكتاب:

«لُبَابُ التَّفَاسِيرِ»

مستعينًا بالله، ومعتمدًا عليه، إنَّه وليُّ الإعانة والتَّوفيق.

* * *

(١) في (ن): «كتاب».

سُورَةُ الفَاتِحَةِ

سورة الحمد

وآياتُها سبعٌ، وهي مكيّةٌ ومدنيّة[1]

قال الشيخ الإمام تاج القرّاء أبو القاسم محمود بن حمزة بن نصرٍ رحمة الله عليه: لهذه السُّورة ـ فيما حدَّثنا به الإمام أبو سهلٍ محمَّد بن عبد الرَّحمن بن أبي الفضل النَّيسابوريُّ عن الواحديِّ عن الثَّعلبيِّ ـ عشرةُ أسماءٍ: سورةُ الحمد، وفاتحةُ الكتاب، وأمُّ القرآن، والسَّبعُ المثاني، والوافية، والكافية، والشِّفاء، والأساس[2]، والصَّلاة، وسورةُ تعليمِ المسألة[3].

وهي مكيّةٌ في قول عليِّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه[4]، مدنيّةٌ في قول مجاهدٍ[5]، وقيل: هي مكيّةٌ مدنيّةٌ[6]؛ نزلَتْ أوَّلاً بمكّة حين فُرضَت الصَّلاة، ثم نزلت ثانيًا بالمدينة حين حُوِّلت القِبلةُ من الصَّخرة إلى الكعبة.

---

(١) «سورة الحمد، وآياتها سبع، وهي مكية أو مدنية» من (ن).

(٢) في (و): «والشافية»، والمثبت موافق لمصدر التخريج.

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢/ ٤٨٨ ـ ٥٠٨). وقد ذُكرت فيه الأسماء العشرة مرتبة كما يأتي: فاتحة الكتاب، سورة الحمد، أمّ الكتاب والقرآن، السبع المثاني، الوافية، الكافية، الأساس، الشفاء، الصلاة، سورة تعلم المسألة.

(٤) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ١٧)، وهذا القول هو الذي عليه الأكثر.

(٥) رواه مقاتل في «تفسيره» (١/ ٣٥)، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (١/ ١٥)، والواحدي في «أسباب النزول» (١/ ٢٠).

(٦) حكى الثعلبي هذا القول، وذكر أنه لبعض العلماء لفَّق به بين القولين السابقين. انظر: «تفسير الثعلبي» (٢/ ٢٦٣).

وآيُها سبعٌ.

واختلف أئمّة القرّاء في كون التَّسمية آيةً من فاتحة الكتاب بعد إجماعِهم على أنَّها ليست بآيةٍ من أوائل سائر السُّور[1]؛ فذهب ابنُ كثيرٍ وعاصمٌ وحمزةُ والكسائيُّ[2] إلى أنَّها آية من الفاتحة، واحتجُّوا بما رُوِيَ عن الضَّحاك عن ابن عبّاسٍ أنَّه قال: أوَّل ما نزل به جبريل عليه السَّلام على النَّبيِّ ﷺ قال: «يا محمَّد، استغفر[3] ثم قل: بسم الله الرَّحمن الرَّحيم»[4]، وبما روى سعيد بن جبير عن ابن عبّاس أنَّه قال: كان رسولُ الله ﷺ لا يعرف ختمَ السُّورة حتى يُنزَل عليه بسم الله الرَّحمن الرَّحيم[5].

---

(١) الإجماع الذي ذكره المصنِّف هنا إجماع خاصٌّ، وهو إجماع أئمة القراء، وهم: ابن كثير وأبو عمرو والكسائيّ ونافع وابن عامر وعاصم وحمزة، وإجماع هؤلاء الأئمة إنما انعقد بعد اختلاف بين أئمة الاجتهاد في عصر الصحابة ومَن بعدهم، ففي «البيان» للداني (ص: ٥٠): (باب ذكر من رأى التّسمية في أوائل السّور آية)، ثم رواه عن ابن عباس وعلي وابن عمر وجمع من التابعين.
وفي «الكشاف» للزمخشري (١/ ٢): (وقرّاء مكة والكوفة وفقهاؤهما على أنها آيةٌ من الفاتحة ومن كلّ سورةٍ، وعليه الشافعيّ رحمه الله وأصحابه رحمهم الله، ولذلك يجهرون بها، وقالوا: قد أثبتها السّلف في المصحف مع توصيتهم بتجريد القرآن، ولذلك لم يثبتوا آمين، فلولا أنها من القرآن لما أثبتوها).
وفي «التيسير في التفسير» للنسفي: (ثم التسمية عند مالكٍ آيةٌ من رأس كلّ سورةٍ، وعند الشافعيّ آيةٌ من رأس الفاتحة، وعن محمد بن الحسن: أنّها آيةٌ أنزلت للفصل بين السّور).
(٢) انظر: «جامع البيان في القراءات السبع» للداني (١/ ٣٩٧) وما بعدها، و«التيسير» للداني أيضاً (ص: ١٧)، و«النشر» لابن الجزري (١/ ٢٥٩).
(٣) كذا في النسخ الخطية، وفي مصادر التخريج: (قل: أستعيذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم).
(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ١١١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٦)، وقال ابن كثير في «تفسيره» (١/ ١١٣): (وهذا الأثر غريب، وإنما ذكرناه ليُعرَف؛ فإنَّ في إسناده ضعفًا وانقطاعًا).
(٥) رواه الواحدي في «الوسيط» (١/ ٦٢).

وذهب نافعٌ وابنُ عامر وأبو عمرٍو إلى أنَّها ليست من الفاتحة[١]، واحتجُّوا بأنّا لمَّا أجمعنا على أنَّها ليست من أوائل سائر السُّور[٢] كذلك حكمُه من الفاتحة، ولِما رُوِيَ عن عاصم عن عامرٍ[٣]، قال: كان رسول الله ﷺ يكتب في أوَّل الأمر: «باسمك اللَّهمَّ»، حتى نزلت سورة هود: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا﴾ [هود: ٤١]، فكتب: «بسم الله»، حتى نزلت سورة سبحان: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾ [الإسراء: ١١٠]، فكتب: «بسم الله الرَّحمن»، حتى نزلت سورة النَّمل، فكتب: «بسم الله الرَّحمن الرَّحيم»[٤].

* * *

(١) ـ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

﴿بِسْمِ﴾: أجمع المفسِّرون وأهل التَّحقيق على أنَّ هاهنا إضمارًا يتَّصل به الباء؛ فذهب بعضهم إلى أنَّه خبرٌ، وتقديره: أبدأُ بسم الله وأفتتحُ به، وذهب بعضهم إلى أنَّه أمرٌ، وتقديره: ابدؤوا بسم الله وافتتحوا به، فيكون الجارُّ والمجرور في محلِّ نصبٍ، وقيل: تقديره: بسم الله ابتدائي وافتتاحي، فيكون الجارُّ والمجرور في محلِّ رفعٍ على الخبر[٥].

---

(١) انظر: «جامع البيان في القراءات السبع» للداني (١/ ٣٩٧) وما بعدها، و«التيسير» للداني أيضاً (ص: ١٧)، و«النشر» لابن الجزري (١/ ٢٥٩).

(٢) تقدم توضيح المراد بهذا الإجماع.

(٣) في (و): «ابن عامر»، والمثبت من (ن)، وعامر هذا هو الشعبي.

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٤٧٦)، وأبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ٢١٦)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٥٨٩٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٣٣).

(٥) هذا تقدير أبي عبيدة وأكثر البصريين، والذي سبقه للفراء، والأول للزَّجّاج. انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ١٢)، و«معاني القرآن وإعرابه» للزَّجّاج (١/ ٣٩)، و«إعراب القرآن» للنحاس (١/ ١٤)، و«معاني القرآن» له (١/ ٥٠ ـ ٥١)، و«النكت والعيون» للماوردي (١/ ٤٨).

والمعنى في الوجهين: ابتداءُ كلامي أو عملي بسم الله تبرُّكًا أو تعبُّدًا.

والاسم: كلمةٌ دالّة على عينٍ أو معنًى غيرِ مقترنٍ بزمانٍ دلالةَ إشارةٍ، والصِّفة تدلُّ دلالة إفادةٍ، مشتقٌّ من (السُّموِّ) بدليل التَّصغير والجمع[١].

والاسم هو المسمَّى عند أكثرهم، وقيل: لا هو ولا غيره كالوصف، وقيل: الاسم غيرٌ، والمسمَّى غيرٌ، والتَّسمية غيرُهما[٢].

وقيل: الاسم هاهنا زيادة كقول الشاعر:

إلى الحولِ ثمَّ اسمُ السَّلامِ عليكما ومَنْ يبكِ حولًا كاملًا فقدِ اعتذرْ[٣]

= زِيْدَ للفرقِ بين ذكر الله وذكر غيره، وقيل: زيد للفرق بين اليمين والتَّيمُّن[٤].

﴿ٱللَّهِ﴾: اختلف العلماء في لفظ (الله)؛ فمنهم مَن تورَّع عن طلب مأخذه وذكر معناه، ومنهم من قال: هو اسمٌ لا اشتقاقَ له، ومنهم من قال: لعلَّه مشتقٌّ لكنّا لا نعرف المشتقَّ عنه، ولم نُكلَّف معرفتَه، ومنهم من قال: أصله (لاها) بالسُّريانيّة، فحُذف الألف من آخره وزِيد اللّام في أوَّله، والأكثر على أنَّه مشتقٌّ[٥]؛ لأنَّ

---

(١) هذا مذهب البصريين، أما الكوفيون فيرون أنه من (الوسم). انظر: «الإنصاف في مسائل الخلاف» لأبي البركات الأنباري (١/ ٨).

(٢) هذا القول الأخير منسوب لسيبويه، ويُروى عن الفراء أنَّه توقَّف في المسألة، واختاره الطبري، وذهب إليه أبو عبيدة وأبو عُبيد إلى أن الاسم هو المسمى، أما الراغب فاختار أنَّ الاسم هو المسمى باعتبار، وهو غيره باعتبار آخر. انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ١٦)، و«تفسير الطبري» (١/ ١١٥)، و«تفسير الراغب الأصفهاني» (١/ ٤٧)، و«البسيط» للواحدي (١/ ٤٤٢).

(٣) البيت للبيد بن ربيعة، كما في «ديوانه» (ص: ٢١٤)، و«تفسير الطبري» (١/ ١١٥).

(٤) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ١٦)، و«البسيط» للواحدي (١/ ٤٤٣).

(٥) ذهب أبو حيّان إلى عكس هذا، وذكر أنَّ الأكثرين على أنَّه مرتجل غير مشتق. انظر: «البحر المحيط» =

أسماءَ الله كلَّها صفاتٌ ومشتقّةٌ؛ ليعرفَ المكلَّف معناه، فيتوسَّل به إليه.

ثم اختلفوا في المشتقِّ عنه، ومرجعُ جميعهم إلى قولَي سيبويه[1]؛ أحد قوليه مذكورٌ في حدِّ النِّداء، والثّاني في حدِّ القسم.

الأوَّل: مشتقٌّ من (أ ل هـ)، وفي معناه خمسة أقوالٍ:

أحدها: أنَّه من معنى العبادة تقول: ألِهَ إلاهةً وألوهةً وألوهيّةً وأُلهانيّةً، كقوله: عبدَ عبادةً وعبودةً وعبوديّةً، وقرئ: (ويذرَكَ وإلاهتك)[2]؛ أي: عبادتك، وتألَّهَ ـ بمعنى: تعبَّد ـ منه، فيكون (إلَه) بمعنى: مألوه، ككتابٍ بمعنى: مكتوبٍ.

وقيل: معنى (إلَه): المستحقُّ للعبادة.

= لأبي حيان (١/ ٢٧).

(١) بل مرجع أكثر الأقوال إلى قولي سيبويه، إذا سلَّمنا أن له قولين، وخلاصة الكلام أن القائلين بالاشتقاق اختلفوا على أربعة أقوال؛

فقيل: هو مشتق من (أ ل هـ)، وهو قول سيبويه الأول، وهو صريح كلامه، وإليه مرجع أكثر الأقوال.

وقيل: من (ل ي هـ)، وهو قول سيبويه الثاني على ما فهمه الأكثرون من كلامه في القسم، وأنكره ابن ولاد.

وقيل: من (ل و هـ)، وهو قول من قال بأنه مشتق من (لاه) بمعنى احتجب، وقد ذكره الراغب الأصفهاني.

وقيل: من (و ل ه)، والهمزة فيه منقلبة عن واو، وهو قول الخليل، ولم يرضه المصنِّف.

انظر: «العين» المنسوب للخليل (٤/ ٩١)، و«الكتاب» (٢/ ١٩٥) و(٣/ ٤٩٩)، و«معاني القرآن وإعرابه» للزَّجّاج (١/ ٤٣)، و«اشتقاق أسماء الله» للزَّجّاجيِّ (ص: ٢٩)، و«تفسير الثعلبي» (٢/ ٢٩٢)، و«المخصص» لابن سيده (٥/ ٢١٦).

(٢) نسبت هذه قراءة إلى ابن عباس رضي الله عنهما، كما في «فضائل القرآن» لأبي عبيد (ص: ٣٠٠)، و«غريب الحديث» لابن قتيبة (٣/ ٧٢٨)، و«المحتسب» لابن جني (١/ ٢٥٦).

وقيل: معناه: ذو العبادة، فيكون مصدرًا واقعًا موقعَ الاسم كعدلٍ ورضًى(١).

وسُـمِّيت الشَّـمسُ إلاهـةً وألاهةً ـ بالكسـر والفتـح ـ لأنَّ من العـرب مَن كان يعبدهـا، قال:

تروَّحنـا مِـنَ اللَّعبـاءِ عَـصرًا ... وأعجلْنا الإلاهـةَ أنْ تَؤُوبـا(٢)

ويُروى: أُلاهةَ؛ بالضَّمِّ غير منصرفٍ(٣).

والثاني: من معنى الفزع(٤) تقول: أَلِهَ زيدٌ إلى عمرٍو يأْلَه ألَهًا؛ إذا فزعَ إليه واعتمد عليه، وآلَهَهُ: أجارَه وآمنَه، وأنشد لتأبَّط شرًّا:

أَلِـهْـتُ إلـيها والـرَّكـائـبُ وُقَّـفٌ ... بكلِّ رَبيطِ الجأشِ عاري الأشاجعِ(٥)

والمعنى: أنَّ العبادَ يفزعون إليه ويتضرَّعون نحوه عند الشَّدائد.

والثالث: من معنى التَّحيُّر تقول: أَلِهَ زيدٌ يأْلَه؛ إذا تحيَّر(٦)، قال الأخطل:

---

(١) انظر: «الحجة للقراء السبعة» لأبي علي الفارسي (٥/ ٢٥)، و«الصحاح» للجوهري (٦/ ٢٢٢٣)، و«المخصص» لابن سيده (٥/ ٢١٦)، و«البسيط» للواحدي (١/ ٥٠).

(٢) البيت لبنت عتيبة بن الحارث اليربوعي، كما في «تفسير الطبري» (١٠/ ٣٦٩).

(٣) أي: بضمِّ الهمزة، كما في «المحتسب» لابن جني (٢/ ١٢٣)، فـ(ألاهة) من المثلث، كما في «القاموس المحيط» (ص: ١٢٤٢) مادة (أ ل ه)، وهو غير منصرف للعلمية والتأنيث.

(٤) وهو قول ابن إسحاق. انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (١٠/ ٦٤٥)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (١/ ٢٨).

(٥) شطر البيت الأول بلا نسبة في «تفسير الثعلبي» (٢/ ٢٩٢)، و«تفسير البغوي» (١/ ٥٠)، ولم أقف عليه في المطبوع من «ديوان تأبَّط شرًّا» تحقيق: علي شاكر، دار الغرب الإسلامي، ط٢، ١٩٩٩م.

(٦) ذكر هذا ابن قتيبة، ونُسب لأبي عمرو بن العلاء، ونبَّه ابن فارس أن أصله على هذا المعنى (و ل ه). انـظر: «غريب الحديث» لابن قتيبة (٣/ ٧٢٨)، و«مقاييس اللغة» لابن فارس (١/ ١٢٧) مادة =

بِتِسْعينَ ألفًا تَأْلَهُ العينُ وَسْطَها متى تَرَها عَيْنُ الطَّرامةِ تَدْمَعا[١]

والمعنى: أن العقول متحيِّرة في الإحاطة بكيفيَّته سبحانه.

والرّابع: من معنى السُّكون، قال المبرِّد: أَلِهْتُ إليه؛ أي: سكنت[٢].

والخامس: من معنى الثَّبات، تقول: أَلِهْنا بمكان كذا؛ أي: أقمنا، قال:

أَلِهْنا بِدارٍ ما تَبِيْدُ رُسُومُها كأنَّ بقاياها وِشامٌ على اليَدِ[٣]

وكان الأصل (إلاه)، فحُذفت الهمزة من غير قياسٍ على مذهب سيبويه، كما حُذف من أناسٍ فقيل: ناسٌ، وعُوِّض عنها الألف واللّام عوضًا لازمًا، ولهذا نُودي بـ(يا)، والاسم إذا كان فيه الألف واللّام ينادى بـ(يا أيُّها)، ولهذا أيضًا قُطع ألفُه في النِّداء[٤].

وعند غير سيبويه حُذفت الهمزةُ حذفًا قياسيًّا[٥] بعد إدخال الألف واللّام فيه للتَّعظيم أو لتعريف اللَّفظ، فكان (الإله)، وروى المازنيُّ: (لا والإلهِ ما فعلْتُ كذا)، فنُقلت حركةُ الهمزة إلى اللّام فسَقطَت الهمزةُ فصار: (اَلِلاه)، ثم

= (أ ل ه)، و«تفسير الثعلبي» (٢/ ٢٩٢).

(١) انظر: «ديوان الأخطل» (ص: ١٩٨)، و«غريب الحديث» لابن قتيبة (٣/ ٧٢٨).

(٢) لم أقف على كلامه هذا فيما بين يدي من كتبه، وهو منقول عنه. انظر: «تفسير الثعلبي» (٢/ ٢٩٤)، و«تفسير البغوي» (١/ ٥٠)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (١/ ٢٨).

(٣) ذكره بلا نسبة الثعلبي في «تفسيره» (٢/ ٢٩٧)، والزبيدي في «تاج العروس» (٣٦/ ٣٢٥) مادة (أ ل ه).

(٤) انظر: «الكتاب» (٢/ ١٩٥ ـ ١٩٦)، وقد أطال ابن سيده النفس في الدفاع عن مذهب سيبويه في هذه المسألة. انظر: «المخصص» (٥/ ٢١٦ ـ ٢٢٥).

(٥) مراده بالحذف القياسي هنا ما كان لكثرة الاستعمال أو للتخفيف.

سُكِّن اللّام الأولى وأُدغم في الثّانية فصار: (الله)، فأُلزِمَ الحذفَ وأُلزِمَ اللّام[١].

والقول الثّاني لسيبويه: أنَّ اشتقاقه من: (ل ي ه)، تقول: لاهَ يَلِيْهُ لَيْهًا ولاهًا، قال: والدَّليلُ على أنَّ العينَ ياءٌ قولُ بعضِ العرب: لَـهْيَ أبوك، فقُدِّم الهاء على الياء، وبُنِيَ الياء على الفتح، وأصله: لاه[٢]، وأنشد:

كَحَلْفَـةٍ مِـنْ أبـي رِيـاحٍ يَسْـمعُها لاهُـهُ الكُبَـارُ[٣]

وقرئ في الغريب من الشَّواذِّ: (وهو الَّذي في السَّماءِ لاهٌ وفي الأرضِ لاهٌ)[٤]، ثمّ أُدخل عليه الألف واللّام كما أُدخل على (الرَّحمن الرَّحيم).

وفي معناه قولان:

أحدهما: من معنى الاحتجاب، تقول: لاهَ؛ إذا احتجَب، قال الشّاعر:

لاهَتْ فما عُرِفَتْ يومًا بخارِجةٍ يا ليتَها خَرَجَتْ حتَّى عَرَفْناها[٥]

ويُروى: حتى رأيْناها.

---

(١) المشهور عن المازني أنه كان يذهب إلى عدم اشتقاق لفظ الجلالة، وإليه مال ابن مالك. انظر: «اشتقاق أسماء الله» للزَّجّاجيِّ (ص: ٢٩)، و«شرح التسهيل» لابن مالك (١/ ١٧٧).

(٢) هذا مفهوم من كلام سيبويه، ولذلك اتهمه المبرد بالتناقض، لكنَّ كلامه يحتمل وجهاً آخر، وهو أنَّ الألف زائدة لكنَّها عُوملت معاملة عين الفعل، فعدَّها عيناً، وبهذا دفع ابن ولاد التناقض عن سيبويه. انظر: «الكتاب» (٣/ ٤٩٨ ـ ٤٩٩)، و«الانتصار» لابن ولّاد (ص: ٢٣٣)، و«التعليقة» لأبي علي الفارسي (١/ ٢٧٨).

(٣) البيت للأعشى. انظر: «ديوانه» (ص: ٧٢).

(٤) ذكر هذه القراءة المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٩٤)، ونقله عنه السيوطي في «حاشيته على تفسير البيضاوي» (١/ ١٤١)، وكذا الخفاجي في «حاشية الشهاب على البيضاوي» (١/ ٥٦).

(٥) ذكره بلا نسبة الثعلبي في «تفسيره» (٢/ ٢٩٦)، والقرطبي في «تفسيره» (١٧/ ١٠١).

أي: المحتجِب عن العيون والإدراك.

والثانـي: مـن معنى الارتفـاع، تقـول: لاهَ؛ إذا ارتفـع، والمعنـى: المرتفِع عن الأوصـاف التـي لا تَليق به.

وقيل: بمعنى الرّافع.

ورُوي عن أبي الهيثم أنَّه قال: سمعت الثَّوريَّ يقول: سمعت أبا زيدٍ يقول: قال لي الكسائيُّ: أَلَّفْتُ كتابًا في معاني القرآن، فقلت له: أسمعْتَ: (الحمدُ لاهِ ربِّ العالمين)؟ فقال: لا، فقلْتُ له: فاسمعْها[1].

قـال الشَّـيخ رحمـه الله: هـذا إنْ صحَّ فأصلـه: لله، فحُـذف الجـارُّ؛ لأنَّ حركةَ الهـاءِ تـدلُّ عليه، وحُذف الـلّام الثّانـي؛ لأنَّ حذف التَّنويـن يدلُّ عليه حيـث بينهما معاقبـة، وبقـي لامٌ؛ فجاز أن يكـون العينَ على القـول الأوَّل، وجـاز أن يكون الفاءَ على هـذا القول.

ومنه قول ذي الإصبع العَدْوانيِّ:

لاهِ ابـنُ عَمِّـكَ لا أفضَلْتَ فـي حَسَبٍ ... عنِّـي ولا أنْـتَ ديّانـي فَتَخْزوني[2]

فحُذفَ اللّام بعد اللّام كما ذكرنا[3].

---

(١) رواه الأزهري في «تهذيب اللغة» (٦/ ٢٢٣)، (باب الهاء واللام)، وقال: (لا يجوز في القراءة إلَّا ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ بمدّة اللّام، وإنّما يقرأ ما حكاه أبو زيد الأعرابُ ومَن لا يعرف سنة القراءة).

(٢) انظر: «المفضليات» (ص: ١٦٠)، و«الألفاظ» لابن السكيت (ص: ٤٢٨)، و«أدب الكاتب» لابن قتيبة (ص: ٥١٣).

(٣) انظر: «الإنصاف» للأنباري (١/ ٣٢٥).

وقولُ اللهِ تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ﴾ [آل عمران: ٢٦]: الميمان عند البصريِّين[١] عوضٌ من ياء النِّداء، ولهذا لا يجوز الجمعُ بينهما.

وأصله عند الكوفيِّين[٢]: اللهُ أمَّ، من قوله: أمَّه يؤمُّه؛ إذا قصدَه، حُذف همزُه لكثرة الاستعمال، وأنشدوا:

وما عليكِ أنْ تَقولي كلَّما
صلَّيْتِ أو سبَّحْتِ يا اللَّهمّا
اردُدْ علينا شيخَنا مُسَلَّما[٣]

وقال الآخر:

إنِّي إذا ما حَدَثٌ ألَمّا
أقولُ يا اللَّهمَّ يا اللَّهمّا[٤]

والبيتان عند البصريِّين من الشَّواذِّ التي لا يُعرَّج عليها، ولذلك وُصِل الألف مع (يا)[٥].

---

(١) كالخليل وسيبويه. انظر: «الزاهر في معاني كلام الناس» لأبي بكر الأنباري (١/ ٥١ ـ ٥٢).

(٢) كالفراء، ووافقه المبرد وثعلب. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٠٣)، و«المقتضب» للمبرد (٤/ ٢٣٩)، و«الإنصاف» للأنباري (١/ ٢٧٩).

(٣) الرجز بلا نسبة في «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٠٣)، و«تفسير الطبري» (٥/ ٣٠٠)، و«معاني القرآن وإعرابه» للزّجّاج (١/ ٣٩٤).

(٤) نُسب الرجز لأبي خراش الهذلي، كما في «شرح أشعار الهذليين» (١٣٤٦)، و«مختصر الشواهد» للعيني (٣١٢). وقال البغدادي في «خزانة الأدب» (٢/ ٢٩٥): (وهذا البيت أيضًا من الأبيات المتداولة في كتب العربية ولا يعرف قائله ولا بقيته، وزعم العيني أنه لأبي خراش الهذلي).

(٥) أي: سقطت الهمزة وصلاً في هذه الأبيات التي دخلت فيها (يا) على لفظ (اللهمّ). وانظر =

وأمّا ألفُه فزيادةٌ بإزاء ألف (فِعالٍ) على القولِ الأوّل، وعلى القول الثّاني أصلٌ، وهو عين الفعل.

وما جاء في الشّعر من قولِه:

ألا لا بـاركَ اللهْ فـي سُـهيـلٍ إذا مـا اللهُ بـاركَ فـي الرِّجـالِ[١]

وقولِ الآخر:

أقبلَ سَيلٌ جاءَ مِنْ عِنْدِ اللهْ[٢] يَـحْـرُدُ حَـرْدَ الجَـنّةِ المُغِلَّهْ[٣]

ويُروى: من أمْرِ اللهْ.

= فمن باب قصر الممدود، وذلك جائزٌ في الشّعر، غيرُ جائزٍ في القرآن، بل تفسد الصَّلاةُ، ولا تنعقدُ اليمينُ به[٤]، وهذا على القول الأوّل، وأمّا على القول الثّاني فلا يجوز في الشّعر أيضًا البتّة.

وتختصُّ أيضًا لفظة (الله) تعالى بخمسة أشياء لا يشاركه فيها غيرُه من أسماء الله تعالى ولا اسمُ غيرِه سبحانه:

= المسألة في: «اشتقاق أسماء الله» للزّجّاجيِّ (ص: ٣٢)، و«شرح الكتاب» للسيرافي (١/ ١٨٥)، و«الإنصاف» للأنباري (١/ ٢٧٩ ـ ٢٨٢).

(١) هذا البيت بلا نسبة في «الحجة» لأبي علي الفارسي (٤/ ٣٨٢)، و«المحتسب» لابن جني (١/ ١٨١). والبيت شاهد لحذف الألف بعد اللام من (الله)، كما يُنطق في بعض اللهجات والشعر النبطي، فتُلفظ: لابارَكَلْلَهْ؛ بتفخيم اللامين، وحذف الألف، وتسكين الهاء.

(٢) تُلفظ: من عندِللهْ؛ بترقيق اللامين، وحذف الألف، وتسكين الهاء.

(٣) هذا البيت بلا نسبة في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٧٦)، و«مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ٢٦٦)، و«إصلاح المنطق» لابن السكيت (١/ ٤٢).

(٤) قول المصنف هذا ذكره البيضاوي في «تفسيره» (١/ ٢٧)، ونقله بعضهم عن البيضاوي، ونسبه إليه.

أحدها: أن ينادى بـ(يا)، والاسم إذا كان فيه الألف واللّام يُنادى بـ: يا أيُّها[١].

والثّاني: قطعُ ألِفِه في باب النِّداء أيضًا والقسم[٢] نحو: يا ألله، و: ها ألله ما فعلت[٣].

والثّالث: زيادة الميمين عوضًا من حرف النِّداء[٤].

والرّابع: دخول التّاء فيه نحو: (تالله) في القسم[٥].

والخامس: أن يبقى مجرورًا بعد حذف الجارِّ في القسم[٦].

---

(١) انظر: «الكتاب» (٢/ ١٩٥ و١٩٧)، و«أسرار العربية» للأنباري (ص: ١٧٥).

(٢) يجوز قطع همزة اسم الجلالة في النداء والقسم، ولا يجب، أما قطع الهمزة في غيره فلا يجوز أصلاً. انظر: «الكتاب» (٣/ ٤٩٩)، و«الأصول» لابن السَّرّاج (٢/ ١١٤).

(٣) لم أقف على العبارة التي ذكرها المصنف بحروفها، ووقفت على ما يشهد لها ممّا مثّل به سيبويه، أما الذي ذكره سيبويه وغيره عن العرب فقولهم: (إي، ها اللهِ ذا) و(لا، ها اللهِ ذا) فـ(ها) عوض عن واو القسم، والمعنى: والله للأمرِ هذا، فحذف (الأمر) لكثرة استعمالهم، وقُدِّم (ها) كما في: (ها هو ذا). انظر: «الكتاب» (٢/ ١٦٠) و(٣/ ٤٩٩ و٥٠٣)، وقد وقع خلل في طريقة ضبط العبارة في «العين» (٨/ ٢٠٨)، وفي هذه العبارة أمر آخر يختصُّ به اسم (الله) تعالى، وهو وقوع (ها) التنبيه عليه في القسم، ذكر ذلك أبو حيان في «ارتشاف الضرب» (٤/ ١٧٦٨).

(٤) هذا على مذهب الخليل وسيبويه، ويخالفهما في هذا الفراء والمبرد وثعلب. انظر: «المقتضب» للمبرد (٤/ ٢٣٩)، و«الزاهر» للأنباري (١/ ٥١ ـ ٥٢).

(٥) صرّح سيبويه والمبرد والفراء باختصاص اسم (الله) بهذا، وخالف فيه الأخفش. انظر: «الكتاب» (١/ ٥٩)، و«معاني القرآن» للفراء (٢/ ٥١)، و«المقتضب» للمبرد (٢/ ٣٢٠)، و«شرح الكافية الشافية» لابن مالك (٢/ ٧٩٢)، و«شرح الرضي على الكافية» (٤/ ٣٠٠).

(٦) أما غير اسم (الله) فينتصب عند حذف الجار؛ هذا على مذهب البصريين عدا الجرمي والأخفش، أما الكوفيون فيجيزون الجر والرفع في اسم (الله) وغيره، ويمنعون النصب إلا في (كعبة الله) و(قضاء الله). انظر: «الكتاب» (٣/ ٤٩٨)، و«الارتشاف» لأبي حيان (٤/ ١٧٦٨).

وهاهنا **سادسٌ** خُصَّ اسمُ (الله) به، وهو تفخيم اللّام إذا انفتحَ ما قبله أو انضمَّ نحو: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾، و﴿يَضْرِبُ ٱللَّهُ﴾[1]، ومن القرّاء من يفخِّمه مع الكسر أيضًا نحو: ﴿لِلَّهِ﴾[2]، وقد ذكرنا هذا مشروحًا في كتاب «النِّهاية في شرح الغاية».

وما ذكره بعض المفسِّرين بأنَّه مخصوصٌ بما إذا حُذف ألفُه بقي (لله)، وإذا حُذف لامُه بقي (له)، وإذا حُذف اللّام الثّاني بقي (هو)[3] = فكلامٌ مدخولٌ مزيَّف، ثمَّ لا يختصُّ به اسم (الله) دون غيره من زيدٍ وعَمرٍو وبكرٍ وخالدٍ.

وما ذهبَ إليه بعض المفسِّرين من أنَّه مشتقٌّ من: ولهْتُ؛ أي: تحيَّرت، وأصله: وِلاه، قُلبَتْ واوه همزةً كإعاء وإشاحٍ، فصار إلهًا[4]، ومعناه: القلوب تَوْلَهُ بمحبَّته وتشتاقُ عند ذكره، من قول الشّاعر:

وَلِهَـتْ نفسـيَ الطَّـروبُ إليـكُم ... وَلَهًا حـالَ دُونَ طَعْـمِ الطَّعـامِ[5]

---

(١) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٩)، و«أمالي ابن الشجري» (٢/ ١٩٦)، و«المرتجل» لابن الخشاب (ص: ١٩٥)، و«اللباب» للعكبري (١/ ٣٣٦).

(٢) ذكر المصنِّف هذا في «غرائب التفسير» (١/ ٩٥) أيضاً، ولم أقف على من فخَّم لام اسم الجلالة (الله) إذا جاء بعد كسر، والقراء العشرة مجمعون على ترقيقها في هذه الحالة. انظر: «التيسير» للداني (ص: ٥٨)، و«شرح طيبة النشر» لابن الجزري (ص: ١٤١).

وجاء في «الكامل في القراءات» لليشكري (ص: ٩٤): (ولينظر إلى ما قبل اسم (الله)، فإن كان كسرة نحو (بِسْمِ اللهِ)، (بِاللهِ)، و(فِي اللهِ)، و(عن الله) رُقِّق، وتفخيمه لحن، وإن انفتح ما قبله أو انضم فُخِّم؛ كي لا يشبه اللات، إلا ما حكى ابن مِقْسَمٍ عن أهل البصرة في ترقيقه).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢/ ٢٩٠)، وابن العربي في «الفتوحات المكية» (٤/ ٤٩١).

(٤) يُنسب هذا القول للخليل كما في «اشتقاق أسماء الله» للزَّجّاجيِّ (ص: ٢٦)، و«أمالي ابن الشجري» (٢/ ١٩٧).

(٥) البيت للكميت. انظر: «ديوانه» (ص: ٥٠٨)، وفيه: (إليهم) بدل (إليكم).

= فغير مرضيٍّ عند ذوي التَّحقيق؛ لأنَّه ليس لقائله عليه دليلٌ، فإنَّه لم يُسمع فيه: وِلاهٌ، كما سُمع: وِشاحٌ ووِعاءٌ، ولا تقول في جمعه: أَوْلِهة، كما تقول: أوعية، بل تقول: آلهة، وتقول في الفعل: تألَّهَ، ولا تقول: تولَّهَ.

والمرضيُّ عند أهل اللُّغة وأصحاب النَّظر من الأقاويل قولا سيبويه، ومن المعاني التي تقدَّمت معنى التَّعبُّد من (أَلِهَ) ومعنى احتجَبَ من (لاهَ)، فحسب.

﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾: الرَّحمةُ من الله: إرادةُ الخير بالعباد، والرَّحمةُ من الخَلق: رِقَّةٌ تظهر في القلب[1].

ابن عيسى[2]: الرَّحمةُ: الإنعام على المحتاج[3].

و(الرَّحمن) و(الرَّحيم) بناءان للمبالغة، والرَّحمنُ أكثرُ مبالغةً من الرَّحيم؛ لأنَّ الرَّحيمَ أقربُ إلى لفظ الفاعل من الرَّحمن، وكلَّما كان العُدولُ عن لفظ الفاعل أكثرَ كانت المبالغةُ فيه أبينَ[4]، ولهذا جاء في الدُّعاء: «يا رحمن

---

(١) انظر: «تفسير الماتريدي» (٩/ ٥٩١)، و«تفسير الراغب الأصفهاني» (١/ ٥٠).

(٢) هو علي بن عيسى: أبو الحسن الرمّاني النَّحوي المفسِّر المتكلِّم المعتزلي، من أوعية العلم، أصله من سرَّ من رأى، أدرك الزَّجّاج وابن السَّرّاج وقرأ عليهما «كتاب سيبويه»، له نحو مئة مصنف، ومن تصانيفه كتابه الكبير: «معاني القرآن وشرح إعرابه»، وهو كتاب مفقود اليوم، وينقل عنه المصنف كثيرًا، توفي سنة ٣٨٤هـ. انظر: «تاريخ العلماء النحويين» للتنوخي (ص: ٣٠ ـ ٣١)، و«سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٦/ ٥٣٣)، و«طبقات المفسرين» للسيوطي (ص: ٨١).

(٣) انظر: «معجم الفروق اللغوية» لأبي هلال العسكري (ص: ٢٥٣)، و«تفسير الماوردي» (١/ ٥٢)، و«البرهان» للمصنِّف (ص: ٦٥).

(٤) ذكر هذا ابن فارس والعسكري. انظر: «الصاحبي» (ص: ٥١)، و«معجم الفروق اللغوية» للعسكري (ص: ٢٥١).

الدُّنيـا»؛ لأنَّـه يعـمُّ الكافـر والمؤمـن، و«رحيـم الآخـرة»[١]؛ لأنَّه يخـصُّ المؤمن.

وقُدِّم (الرَّحمن) لتقدُّم الدُّنيا، وقيل: قُدِّم لأنَّه يشبه الاسم حيث لا يُوصَف به غيرُه[٢].

وقيل: (الرَّحمن) اسمٌ عبرانيٌّ عُرِّب، ولهذا أنكره العرب، وقالوا: ﴿وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ [الفرقان: ٦٠] حكاه أقضى القضاة[٣] لثعلبٍ[٤].

أبو عبيدة[٥]: الرَّحمن: ذو الرَّحمة، والرَّحيم: الرّاحم[٦].

---

(١) رواه الطبري في «التفسير» (١/ ١٢٦): عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، ولفظه: قال رسول الله ﷺ: «إن عيسى ابن مريم قال: الرَّحمن: رحمن الآخرة والدُّنيا، والرَّحيم: رحيم الآخرة...» الحديث. لكن قال ابن عدي في «الكامل»: هذا حديث باطل. ورواه الثعلبي في «تفسيره» (٢/ ٣٠٢) عن مجاهد بلفظ: «الرَّحمن بأهل الدُّنيا، والرَّحيم بأهل الآخرة».

(٢) انظر: «الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي» للأزهري (ص: ٦٦)، و«الحجة» لأبي علي (١/ ١٩)، وقد ذكر أبو علي أنه من تقديم العام على الخاص.

(٣) يقصد بأقضى القضاة: الماوردي، وهو أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي الشافعي، ولي القضاء ببلدان شتى، ثم سكن بغداد، له التصانيف الكثيرة النافعة، منها: «النكت والعيون» في التفسير، و«الحاوي» في الفقه، و«الأحكام السلطانية»، و«أدب الدنيا والدين»، توفي سنة ٤٥٠هـ. انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٨/ ٦٤ ـ ٦٨)، و«طبقات المفسرين» للسيوطي (ص: ٨٣).

(٤) ثعلب هو: أحمد بن يحيى بن يسار الشيباني البغدادي، إمام الكوفيين في النحو واللغة، توفي سنة ٢٩١هـ. انظر: «إنباه الرواة على أنباه النحاة» للقفطي (١/ ١٧٣)، وانظر قوله في: «الزاهر» للأنباري (١/ ٥٩)، و«النكت والعيون» للماوردي (١/ ٥٢)، و«البسيط» للواحدي (١/ ٢٥٧).

(٥) هو معمر بن المثنى التيمي، وكان من أجمع الناس للعلم، وأعلمهم بأيام العرب وأخبارها، وأكثر الناس رواية، توفي سنة ٢٠٩هـ. انظر: «طبقات النحويين واللغويين» للإشبيلي (ص: ١٧٥).

(٦) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٢١). وهو يريد أنَّ الرحمن صفة مشبهة من الفعل اللازم =

وقيل: (الرَّحمن) خاصٌّ في التّسمية عامٌّ في المعنى، و(الرّحيم) عامٌّ في التّسمية خاصٌّ في المعنى؛ لأنَّ (الرَّحمن) خاصٌّ لا يُوصَف به غيرُ الله، عامٌّ في المعنى لأنَّه يعمُّ الكافرين والمؤمنين[1]، و(الرّحيم) عامٌّ يُوصَف به هو وغيره، خاصٌّ للمؤمنين[2].

* * *

(٢) ـ ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ ليس في اللُّغة من هذا التَّركيب على هذا التَّرتيب غيرُ هذه اللَّفظة، وقولهم: (حُماداكَ أن تفعل كذا)[3]؛ أي: ما يُحمَد منك.

واختلف في معناها؛ فقال اللَّيث[4]: الحمد: نقيضُ الذَّمِّ، والحميد: المحمود[5].

وقيل: الحمد والشُّكر بمعنًى واحدٍ، لكنَّ الحمدَ على جميل صفات الموصوف، والشُّكرَ على إنعامه، واللهُ يحمدُ نفسَه ولا يشكره[6].

= رحُم، والرحيم مبالغة من الفعل المتعدي رحِم.

(١) في (ن): «الكافر والمؤمن».

(٢) وهذا ما ذهب إليه المصنِّف في «البرهان» (ص: ٦٥).

(٣) معناه: غاية أمرك الذي تُحمد عليه. انظر: «العين» (٣/ ١٨٨) مادة (ح م د).

(٤) هو الليث بن المظفر ـ أو ابن نصر ـ الخراساني، تلميذ الخليل وراوي «العين»، فالخليل ـ كما قال ثعلب ـ رسم معجم «العين» ولم يحشه، فحشاه الليث، وقد شكَّك الأزهري والقالي في نسبة «العين» إلى الخليل، ونسب الأزهري ما فيه إلى الليث، ومن هنا جاءت عبارة (قال الليث) في المعاجم، وقد رد محقِّق «العين» هذه الدعوى وفنَّدها. انظر: «العين» (١/ ٢٠ ـ ٢٧)، و«تهذيب اللغة» للأزهري (١/ ٢٥)، و«إنباه الرواة» للقفطي (٣/ ٤٢)، و«البلغة» للفيروزابادي (ص: ٢٤٢).

(٥) انظر: «العين» (٣/ ١٨٨)، و«تهذيب اللغة» للأزهري (٤/ ٢٥١) مادة (ح م د).

(٦) القول بأنهما معنى واحد مفهوم من كلام أبي جعفر الطبري والزمخشري، وهو منسوب للمبرد =

وقيل: الشُّكر أن يشكرَه لسابقةِ إحسانٍ، والثَّناء أن يذكرَ فضائله، والحمدُ أعمُّ الثَّلاثة حيث يُستعمل لهما[١].

وقال ابن الأنباريِّ: الحمدُ مقلوب المدح وبمعناه[٢].

وقيل: بل المدح أعمّ؛ لوقوعه على الفعل وغير الفعل، والحمد يختصُّ بالفعل[٣]؛ لأنّه يجوز المدح على صفات ذات الله كالعلم والقدرة، وعلى صفات فعله كالخلق والرّزق، ولا يجوز الحمد إلا على[٤] صفات الفعل.

﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ الرّبُّ من التّربية، والتّربيةُ: تبليغ الشّيء إلى كماله على التّدريج.

ابن عيسى: الرّبُّ: المالك للشّيء من كلّ وجهٍ يصحّ ملكه منه، ويستعمل لغير الله مضافًا، ولا يجوز استعماله مطلقًا إلّا لله[٥].

= والأخفش، وقد أنكر أبو بكر الأنباري أن يكون الحمد والشكر بمعنى، وعدَّه من خطأ العامة، واستدلَّ على الفرق بعموم الحمد وخصوص الشُّكر. انظر: «تفسير الطبري» (١/ ١٣٧)، و«الزاهر» للأنباري (٢/ ٧٨)، و«تهذيب اللغة» (٤/ ٢٥١)، و«الفائق» للزمخشري (١/ ٣١٤)، و«تفسير القرطبي» (١/ ١٣٣).

(١) انظر: «معجم الفروق اللغوية» للعسكري (١/ ٢٠٢).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢/ ٣٧٦)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٩٦) دون نسبة وعدَّه من الغرائب، وهو مفهوم كلام الأنباري، لكني لم أقف على هذا اللفظ عنده. انظر: «الزاهر» للأنباري (٢/ ٧٨).

(٣) هذا ما مال إليه الراغب الأصفهاني في «تفسيره» (١/ ٥٢)، و«المفردات» (ص: ٢٥٦).

(٤) في (ن): «في».

(٥) انظر: «تفسير الماتريدي» (٢/ ٣٤٥)، و«تفسير الراغب» (١/ ٥٤).

والرَّبُّ: السَّيِّد، والرَّبُّ: الملك أيضًا[١].

العالَـمُ عند الزَّجّاج[٢]: اسمٌ لما خلقه الله في الدّنيا والآخرة[٣].

وقيل: العالَـم: الدُّنيا وما فيها.

ابن عبّاسٍ: العالَمون: الملائكة والجنُّ والإنس[٤].

وقيل: العالَمون: اسمٌ للعقلاء وغيرهم من السّماوات والأرض وما بينهما، جُمِعَ جمعَ السّلامة للمشاركة.

وقيل: العالَم: اسمٌ لأشياء مختلفةٍ، لا واحدَ له من لفظه.

واشتقاقه من العِلْم، وقيل: من العلامة[٥].

وقيل: أهلُ كلِّ زمانٍ عالَـمٌ، قال الله تعالى: ﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الجاثية: ١٦]؛ أي: على عالمي زمانهم[٦].

* * *

---

(١) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٩)، و«الزاهر» للأنباري (١/ ٤٦٧)، و«تفسير الطبري» (١٣/ ١٦٩ ـ ١٧٠).

(٢) هو إبراهيم بن السري، أبو إسحاق الزَّجّاج، توفي ببغداد سنة ٣١١هـ، كتابه «معاني القرآن وإعرابه» مشهور، وينقل عنه المصنف كثيراً. انظر: «وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان» لابن خلكان (١/ ٤٩).

(٣) هذا معنى قوله، وقد نقله الماوردي بهذا اللفظ. انظر: «معاني القرآن وإعرابه» للزّجّاج (١/ ٤٦)، و«تفسير الماوردي» (١/ ٥٥).

(٤) روى الطبري نحوه في «تفسيره» (١/ ١٤٥)، وما ذكره المصنف منقول عن الماوردي في «تفسيره» (١/ ٥٤).

(٥) انظر: «تفسير الماوردي» (١/ ٥٥).

(٦) ذكر هذا الطبري في «تفسيره» (١/ ١٥٠) و(٢١/ ٨٤)، ورُوي عن ابن عباس ما يدل عليه. انظر: «البسيط» للواحدي (٢٠/ ١٤١).

(٣) ـ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

﴿الرَّحمن الرَّحيم﴾: تكرارٌ فيمَنْ ذهب إلـى أنَّ التَّسمية من الفاتحة، كُرِّرَ للتَّأكيد[١]، كما قال:

هـلّا سـألـتَ جُمـوعَ كِنْـ ـدةَ يـومَ ولَّـوا: أيْـنَ أيْنـا[٢]

* * *

(٤) ـ ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾.

﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّيْنِ﴾ ابن عيسى: الملك: القـادرُ الـواسـعُ المقدورِ الذي له السِّياسة والتَّدبير، والمالك: هو القادر على ما له أن يصرِّفَه[٣].

واشتقاق (مَلِكِ) من الملْكِ والـمَمْلَكة؛ بالفتح والضَّم والكسر[٤]، واشتقاق (مالك) من المِلْك؛ بالكسر، ورُوي فيه الفتح والضَّم[٥].

والمعنى الذي يجمع هذا التَّركيب: الشَّدُّ والرَّبط عند ابن السَّرّاج[٦].

---

(١) نسب المصنف هذا الرأي للرماني في «البرهان» (ص: ٦٥)، وذكر فيه قول قاسم بن حبيب: (أي: وجب الحمد لله؛ لأنه الرحمن الرحيم)، ورأى أن التكرار هنا لأنه ذكر المنعِم أولاً وحده، ثم ذكره مع المنعَم عليهم.

(٢) البيت لعبيد بن الأبرص الأسدي. انظر: «ديوانه» (ص: ١٤٢).

(٣) انظر: «معجم الفروق اللغوية» للعسكري (ص: ٤٧٣)، و«المخصص» لابن سيده (٥/ ٢٣٠).

(٤) يرى الأخفش أنه اسم غير مشتق على هذه القراءة. انظر: «معاني القرآن» له (١/ ١٥).

(٥) أي: المَلْك، والمُلْك، والـمِلْك، وقد قرأ عاصم والكسائي ويعقوب وخلف: ﴿مَٰلِكِ﴾ بالألف، وباقي العشرة بغير ألف. انظر: «التيسير» للداني (١/ ١٨)، و«النشر» لابن الجزري (١/ ٢٧١).

(٦) انظر: «الحجة» لأبي علي (١/ ١٣)، و«المخصص» لابن سيده (٥/ ٢٢٩).

تقول: مَلَكْتُ العجينَ، و:

مَلَكْتُ بها[١] كفِّي.........[٢] ....

وقال:

ومَلَّـكَ باللِّيْـطِ الَّـذي تَحْـتَ قِشْـرِها كَغِرْقِيءِ بَيْـضٍ كَنَّـهُ القَيْـضُ مِـنْ عَلُ[٣]

وقال:

أصبحْـتُ لا أمْلِكُ السِّـلاحَ ولا أمْـلِكُ رأسَ البعيـرِ إنْ نَفَرا[٤]

وقال تعالى: ﴿فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ﴾ [يس: ٧١].

وقيل: معنى التَّركيب القدرة.

واليوم: اسمٌ لامتداد الضِّياء العام، ويوم الدُّنيا: عبارةٌ عن وقت طلوع الفجر إلى غروب الشَّمس.

وإضافة الاسم إليه على السَّعةِ، وتنزيلِه منزلةَ المفعول به، كقوله:

يـا سـارقَ اللَّيلـةِ أهْـلَ الـدّارِ[٥]

---

(١) في (و): «وملكت ما في».

(٢) قطعة من بيت لقيس بن الخطيم يصف طعنة، كما في «ديوانه» (ص: ٨)، وتمام البيت:

ملكـت بهـا كفّـي فأنهـرت فتقهـا يـرى قائـمٌ مـن دونهـا مـا وراءهـا

(٣) البيت لأوس بن حجر، كما في «ديوانه» (ص: ٩٧). وملك: شدد؛ أي: ترك شيئًا من القشر على قلب القوس ليتمالك به. انظر: «لسان العرب» لابن منظور (٧/ ٣٩٦) مادة (ل ي ط).

(٤) البيت للربيع بن ضبع الفزاري، كما في «الكتاب» (١/ ٨٩)، و«النوادر» لأبي زيد الأنصاري (ص: ٤٤٦)، و«المحكم» لابن سيده (٨/ ٢١٥). وفيها: (لا أحمل) بدل (لا أملك).

(٥) رجز لا يعرف قائله. انظر: «الكتاب» (١/ ١٧٦)، و«معاني القرآن» للفراء (٢/ ٨٠)، و«كتاب الشعر» لأبي علي الفارسي (ص: ١٧٩).

= والمفعول محذوفٌ، وهو الأحكام والجزاء[١].

وقيـل: اليـوم مفعولٌ بـه على الحقيقـة[٢]، ومعناه: منشـئُه ومثبتُـه والقادرُ على إيجاده.

والظاهر في ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ النَّكرة[٣]؛ لأنَّه بمعنى الاستقبال، و(يوم الدِّين) ممّا لم يأتِ بعد، وإضافة اسم الفاعل إلى المعرفة إذا كان بمعنى الاستقبال لا يفيد تعريفًا، كقوله تعالى: ﴿عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ [الأحقاف: ٢٤]، و﴿هَدْيًا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾ [المائدة: ٩٥]، و﴿بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾ [الطلاق: ٣]، و﴿مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الأنفال: ١٨]؛ لأنَّ التَّنوين مقدَّرٌ معه، ولهذا جاز تنوينُه فيمن قرأ: ﴿بالغٌ أمره﴾[٤]، و﴿موهنٌ كيد الكافرين﴾[٥]، و﴿وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ﴾ [البقرة: ٧٢][٦].

---

(١) هذا ما ذهب إليه أبو علي الفارسي، والتقدير على هذا: مالكٌ يومَ الدين الأحكامَ والجزاءَ. انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (١/ ١٩ ـ ٢٠)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (١/ ٧٠).

(٢) هـذا مذهب ابن السَّرّاج في المسـألة. انظـر: «الحجة» لأبي علـي الفارسـي (١/ ١٥)، و«المحرر الوجيز» لابن عطيـة (١/ ٧٠).

(٣) أعاد المصنِّف عبارته هنا في «غرائب التفسير» (١/ ١٠١)، وقد جاء فيها: (فلا يجري وصفاً على ما قبله)، وهذه العبارة تبيِّن المراد بمناقشة تعريف لفظ (مالك) أو تنكيره، وهو تجويز إعرابه صفة لما قبله.

(٤) قرأ حفص (بالغ) بغير تنوين و(أمره) بالخفض، والباقون بالتنوين ونصب (أمره). انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢١١).

(٥) للقراء السبعة فيها ثلاث قراءات؛ الحرميان وأبو عمرو (موهّنٌ كيد) بفتح الواو وتشديد الهاء، والباقون بإسكان الواو وبخفض الهاء، وحفص يترك التنوين، ويخفف الدال من (كيد) على الإضافة، والباقون ينونون وينصبون الدال. انظر: «التيسير» للداني (ص: ١١٦).

(٦) هي قراءة القراء العشر، ولم أقف على من قرأها على الإضافة، وقد ذكر ابن خالويه أنها قراءة بعضهم، وقد ذكر الزَّجّاج وجه الإضافة، وجوَّزه لغةً، ولم ينقل عن أحد أنه قرأ به. انظر: «معاني =

ويُروى عن خلفٍ وأبي عُبيدٍ وسهلٍ واليماني: (مالكٌ) بالتَّنوين (يومَ) بالنَّصب(١).

= غير أنَّ ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ حُمل على الماضي لتحقُّق لفظِه(٢)، كما حُمل عليه ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ١]، و﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ﴾ [المائدة: ١١٠]، فأفاد التَّعريف(٣).

وقيل: هو بدل من (الله)(٤).

واختلفوا؛ فقال بعضهم: ﴿ملك﴾ أمدح، وقال بعضهم: ﴿مَٰلِكِ﴾ أمدح، ولكلٍّ احتجاجٌ.

و﴿ملك﴾ أمدح لاستغنائه عن الإضافة، واحتياج ﴿مَٰلِكِ﴾ إليها(٥).

وخُصَّ بالإضافة إلى ﴿يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ وهو يوم القيامة تعظيمًا لذلك اليوم، ولتفرُّدِه في ذلك اليومِ بنفوذ الأمر والسُّلطان.

= القرآن وإعرابه» للزَّجّاج (١/ ١٥٤)، و«مختصر في شواذّ القرآن» لابن خالويه (ص: ١٥).

(١) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (١/ ٣٦)، وعزا هذه القراءة إلى عون العقيلي وخلف بن هشام وأبي عبيد وأبي حاتم. وذكرها ابن الجزري في أول كتابه «النشر» (١/ ٤٨) عن عاصم الجحدري.

(٢) أراد: لتحقق وقوعه.

(٣) أي: فجاز أن يكون ﴿مَٰلِكِ﴾ صفة لاسم الجلالة، وهذا أوجه وجوه إعرابه، قال النَّحّاس: (وفيه من العربية خمسة وعشرون وجهاً). انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ١٥)، و«إعراب القرآن» للنحاس (١/ ١٩)، و«إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم» لابن خالويه (ص: ٢٢).

(٤) انظر: «التبيان» للعكبري (١/ ٦).

(٥) هذا رأي المصنف، وقد مال الأزهري إلى عكسه فقال: (القراءتان كلتاهما ثابت بالسنة، غير أنّ ﴿مَٰلِكِ﴾ أحَبُّ إليَّ؛ لأنه أتم). انظر: «معاني القرءات» للأزهري (١/ ١١٠).

والدِّين: الجزاء، وهو الحقيقة فيه عند أكثرهم[(١)].

والدِّين: الحساب والقضاء أيضًا، ويُستعمَل للطّاعة والعبادة والمملكة.

والدِّين: الملّة[(٢)] اسمٌ شرعيٌّ.

ومعنى هذه الآيات: نحمدُ الله على تربيتِه إيّانا وإنعامِه علينا عاجلاً وآجلاً، وتفرُّدِه بالقضاءِ يومَ الجزاء لِيُوفِّرَ على المحسنِ ما استحقَّه فضلاً، وعلى المسيءِ عدلاً.

***

(٥) ـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: رجع من الغيبة إلى الخطاب على إضمار: قولوا: الحمد لله، وقولوا: إيّاك نعبد وإيّاك نستعين[(٣)].

وقيل: هذا من تلوين الخطاب.

إيّا: ضميرُ المنصوب المنفصل، والكاف: للخطاب لا محلَّ له من الإعراب، وهي مسألة خلافٍ[(٤)].

---

(١) انظر: «العين» (٨/ ٧٣) مادة (د ي ن)، و«مجاز القرآن» لابن قتيبة (١/ ٢٣)، و«معاني القرآن وإعرابه» للزّجّاج (١/ ٤٧).

(٢) انظر: «إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم» لابن خالويه (ص: ٢٥).

(٣) ذكر كُثُرٌ أنَّ هذا من الانتقال من الغيبة إلى الخطاب، ولكن زاد ابن جني فأجاد، فذكر أنَّ الحمد معنًى دون العبادة، فاستعمل لفظ (الحمد) مع الغيبة، ولم يقل: لك، ولـمّا صار إلى العبادة التي هي أقصى أمدِ الطاعة قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾. انظر: «تفسير الطبري» (١/ ١٣٧ و١٥٠)، و«معاني القرآن» للنحاس (١/ ٦٥)، و«الحجة» لأبي علي (٢/ ٣٣١)، و«المحتسب» لابن جني (١/ ١٤٦).

(٤) ما ذكره المصنف هو مذهب سيبويه والفارسي، وذهب الخليل إلى أن الياء والكاف والهاء =

والعبادةُ: الطّاعةُ مع الخضوع.

ابن عيسى: هي خضوعٌ ليس فوقَه خضوعٌ.

وهي في اللُّغة: التَّذلُّل، من قولهم: طريقٌ معبَّدٌ؛ أي: مذلَّلٌ بكثرة الوَطء عليه[1].

والاستعانة: طلب المعونة، والمعونة: الزِّيادة على القوّة بما يسهِّل الوصول إلى البُغية.

وأخَّر الاستعانةَ ـ والتَّقديم بها أولى ـ لأنَّ المعنى: إيّاك نعبد وإيّاك نستعين على عبادةٍ نستأنفها، ولأنَّ الواو لا توجِبُ ترتيبًا.

ومعنى الآية: نخصُّك بالعبادة فتقبَّلْها، ونسألُكَ المعونةَ عليها فتمِّمها.

* * *

(٦) ـ ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾.

﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾: الهداية: الدِّلالة، تقول: هديته الطَّريقَ وللطَّريقِ وإلى الطَّريق[2].

ابن عيسى: حقيقةُ الهدايةِ الدِّلالة على طريق الحقِّ.

= المتصلات بـ(إيّا) ضمائر، وثمة مذاهب أخرى للفراء والمبرِّد والزجّاج وابن كيسان والكوفيين. انظر: «الكتاب» (١/ ٢٧٩)، و(٢/ ٣٥٥)، و«معاني القرآن وإعرابه» للزّجّاج (١/ ٤٨ ـ ٤٩)، و«الإغفال» لأبي علي الفارسي (٥٤ و٥٥)، و«الإنصاف» للأنباري (٢/ ٥٧٠)، و«شرح التّسهيل» لابن مالك (٢/ ١٤٥ ـ ١٤٦).

(١) انظر: «معاني القرآن» للنحاس (١/ ٦٤)، و«الغريبين» للهروي (٤/ ١٢١٧).

(٢) فالفعل متعدٍّ بنفسه وباللام وبـ إلى. انظر: «تفسير الراغب الأصفهاني» (١/ ٥٨).

ومعنى ﴿ ٱهْدِنَا﴾: ابن عبّاسٍ: أرشدنا[١].

الزَّجّاج في جماعةٍ: ثبِّتنا على الطَّريق[٢] الواضح[٣].

ابن جرير: هو مسألة التَّوفيق للثَّبات على الهدى[٤].

وقيل: هو سؤال الألطاف التي بها يكمل الاهتداء[٥].

والصِّراط: الطَّريق، وهو المكان المهيَّأ للسُّلوك، والمرادُ به هاهنا عند عليٍّ وابن عبّاسٍ: كتاب الله[٦].

ابنُ مسعود: الدِّين والإسلام[٧].

الحسنُ وأبو العالية: محمَّد عليه السَّلام[٨].

---

(١) نقل المصنف هذا عن «تفسير الماتريدي» (١/ ٣٦٦). وقد روى الطبري في «تفسيره» (١/ ١٧٣) عن ابن عباس: (ألهمنا الطريق الهادي، وهو دين الله الذي لا عوج له).

(٢) في (ن): «المنهاج».

(٣) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» للزّجّاج (١/ ٤٩)، و«معاني القرآن» للنحاس (١/ ٦٦)، و«الزاهر» للأزهري (ص: ٦٧).

(٤) انظر: «تفسير الطبري» (١/ ١٦٦).

(٥) ذكر أبو علي الفارسي قريباً من هذا المعنى. انظر: «الحجة» لأبي علي (١/ ١٨٥)، و«البسيط» للواحدي (٦/ ٥٧٣).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ١٧٣) عن علي وعبد الله رضي الله عنهما.

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ١٧٣) عن ابن مسعود وجابر بن عبد الله وابن عباس رضي الله عنهم.

(٨) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ١٧٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٣٠).

وقيل: طريق الجنّة[١]، وقيل: هو عامٌّ[٢].

وأصلُه السِّينُ؛ لأنَّ اشتقاقَه من (سرطْت الطَّعام)، قُلِبَ صادًا ليوافِقَ الطّاءَ في الإطباق، ويجوز بإشمام الزّاي ليوافق الطّاء في الجهر[٣].

والاستقامة: الاستواء.

ابن عيسى: المرورُ في جهةٍ واحدةٍ[٤].

***

(٧) ـ ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾.

﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾: (صراط) بدلٌ من الأوّل[٥]، والَّذين: اسمٌ موصولٌ وُضِعَ لوصف المعارف بالجُمل[٦].

والإنعام: حقيقتُه النَّفع الذي يُستحَقُّ به الشُّكر، وأصله من النِّعمة، وهي اللِّين والنَّعيم والخفض والدَّعة، وهو لينُ العيشِ ورفاهيَّتُه.

---

(١) أي: أرشدنا إلى طريق الجنة في المعاد، وقد أنكر الطبري هذا المعنى. انظر: «تفسير الطبري» (١/ ١٦٦).

(٢) هذا هو اختيار الإمام الطبري. انظر: «تفسير الطبري» (١/ ١٧١).

(٣) قرأ خلف: ﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾ و﴿صِرَٰطَ﴾ حيث وقعا بإشمام الصاد الزاي، وخلاد بإشمامها الزاي في قوله عز وجل: ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ هنا خاصة، وقنبل ويعقوب الحضرمي بالسين، والباقون بالصاد، وقد رُوي عن أبي عمرو وحمزة وعاصم بالزاي. انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (١٣/ ١٢٤) مادة (ز ر ط)، و«معاني القراءات» للأزهري أيضاً (١/ ١١١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨ ـ ١٩).

(٤) ذكر الواحدي نحوه فقال: (الاستقامة استمرار الشيء في جهة واحدة). انظر: «البسيط» للواحدي (١/ ٥٢٨).

(٥) انظر: «المقتضب» (٤/ ٢٩٦)، و«إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٠).

(٦) انظر: «التعليقة» لأبي علي الفارسي (١/ ٢٦٨)، و«اللباب» للعكبري (٢/ ١١٣).

والمُنعَمُ عليهم؛ قيل: الأنبياء، وقيل: الملائكة، وقيل: المؤمنون، وقيل: هو النَّبيُّ ﷺ وأصحابُه[١]، وقيل: هم قوم موسى وعيسى عليهما السَّلام قبل أن غيَّروا نِعَمَ اللهِ عليهم[٢].

﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾: حقيقة (غير) ما صحَّ أن يُثنَّى مع المضاف إليه، ويدلُّ على مغايرة الوصف، أو الذّات، أو الذّات والوصف جميعًا.

والغضب: إرادة الانتقام.

وقيل: الغضب من الله: الذَّمُّ للعصاة على قبيح أفعالهم[٣].

والمغضوب عليهم: اليهود[٤]، وقيل: اليهود والنَّصارى[٥].

ولم يقل: المغضوبين؛ لأنَّ حرفَ الجرِّ مع المفعولِ كالجزء منه، فلا يُثنَّى ولا يُجمَع دونَه[٦].

---

(١) في (ن): «وقيل: وأصحابه».

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١/ ١٧٨)، و«معاني القرآن» للنحاس (١/ ٦٨)، و«تفسير الماوردي» (١/ ٥٩)، و«تفسير الثعلبي» (٢/ ٤٥٦).

(٣) في هامش (و): «فائدة: معنى الغضب من الله تعالى: تغير النعمة وإرادة العقوبة، ومن الخلق: تغير الطبع».

(٤) قال الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٦١): (وهو قول جميع المفسرين)، وقد ذهب الرازي إلى أنهم الفساق أو الكفار. انظر: «تفسير الرازي» (١/ ١٦٦ و٢٢٣).

(٥) ذكر المصنف هذا القول في «غرائب التفسير» (١/ ١٠٥)، ولم أقف على مَن قاله.

(٦) ذكره نحوه الواحدي، أما العكبري فذكر أنَّ اسم الفاعل والمفعول إذا عمل فيما بعده لم يُجمع جمع السلامة. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢١)، و«البسيط» للواحدي (١٠/ ٣٤٠)، و«التبيان» للعكبري (١/ ١٠).

﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾: (لا): زيادةٌ دلَّتْ على تضمُّن (غير) معنى النَّفي، قال:

ما كان يرضَى رسولُ اللهِ دينَهمُ والطَّيِّبانِ أبو بكرٍ ولا عُمرُ[(١)]

زيدَ (لا) لَمّا تضمَّن أوَّلُ الكلام معنى النَّفي[(٢)].

والضَّلالُ: نقيض الهدى، وأصله من الضَّياع، والضّالة التي تبقى بمضيعةٍ لا يعرفُ صاحبُها بها، وفيه لغتان: ضلَّ يضِلُّ، وضلَّ يضَلُّ[(٣)].

وأضلَّه الله، وضلَّله، ويقال: أضلَّه: عاقبه بضلاله[(٤)]، وقيل: حكم بضلاله[(٥)].

والضّالُّون: النَّصارى[(٦)].

وقيل: المغضوب عليهم: اليهود والنَّصارى، والضّالُّون: الكفّار[(٧)].

ومعنى الآيات: ثبِّتنا على منهاج أنبيائك وأوليائك غيرَ مغضوبٍ علينا ولا ضالِّين.

---

(١) البيت لجرير. انظر: «ديوانه» (ص: ٢٠١).

(٢) انظر: «العين» (٨/ ٣٤٩)، و«معاني القرآن» للفراء (١/ ٨).

(٣) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزآبادي (ص: ١٠٢٤) مادة (ض ل ل).

(٤) انظر: «الغريبين» للهروي (٤/ ١٣٠٤).

(٥) ذكر هذا أبو علي الفارسي في «الحجة» (٥/ ٦٥)، وقيل: أضلَّه الله: وجده ضالاًّ، وقيل: معناه ضلَّ عن الله. انظر: «تفسير الماتريدي» (٩/ ١٣٧)، و«المحتسب» لابن جني (١/ ٢٢٨)، «النكت والعيون» للماوردي (٥/ ٢٦٥).

(٦) ذُكر هذا في أحاديث مرفوعة صحيحة. انظر: «مسند الإمام أحمد» (٢٠٣٥١)، و«تفسير الطبري» (١/ ١٩٤). وقال الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٦١): (وهو قول جميع المفسرين).

(٧) لم أقف على مَن قال هذا، ولكن ذهب الرازي إلى أن الضالين الكفار وكل مَن أخطؤوا في الاعتقاد، وذكر أنه يُحتمل أن يُراد بهم المنافقون. انظر: «تفسير الرازي» (١/ ١٦٦ و٢٢٣).

(آمين) وفيه لغتان: القصر والمدُّ[١].

وفي معناه قولان:

أحدهما: أنَّه اسمٌ من أسماء الله تعالى[٢].

والثّاني: أنَّها من الأسماء التي سُمِّيت بها الأفعال، ومعناه: اللَّهمَّ استجب[٣]، عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما[٤]، وقيل: كذلك يكون[٥].

***

---

(١) ذكرهما ابن قتيبة في «غريب القرآن» (ص: ١٢ ـ ١٣)، واختار المدَّ، وذكرهما ثعلب في «الفصيح» (ص: ٣١٥)، وذكر ابن درستويه في «تصحيح الفصيح» (ص: ٤٦٧) أن القصر ضرورة، وأنَّ الرواة رووه عن النبيِّ ﷺ بالمدِّ.

(٢) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٢٦٥١) عن أبي هريرة، وذكره ابن قتيبة من قوله في «غريب القرآن» (ص: ١٢)، ورأى أبو علي الفارسي في «الحلبيات» (ص: ١٠١): أن قائل هذا ذهب إلى أنَّ الضمير المستتر في اسم الفعل يعود على الله تعالى، لا أنَّ هذا اللفظ من أسماء الله سبحانه وتعالى.

(٣) هذا قول الزَّجّاج في «معاني القرآن وإعرابه» (١/ ٥٤)، وذكره أبو علي الفارسي في «الحلبيات» (ص: ٩٨)، والهروي في «الغريبين» (١/ ١١٠)، والماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٤٤٨) عن الحسن.

(٤) لم أقف على من ذكر هذا اللفظ عن ابن عباس، وقد روى الثعلبي في «تفسيره» (٢/ ٤٧٧) بإسناد واهٍ عن ابن عباس مرفوعاً أنَّ معناه: افعل.

(٥) ذكره الأنباري في «الزاهر» (١/ ٦٦)، والسمرقندي في «تفسيره» (١/ ١٩)، والثعلبي في «تفسيره» (٢/ ٤٧٧)، وقال الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٤٤٨): (فرق ابن عباس في معنى آمين بين وروده بعد الدعاء وبين وروده بعد فاتحة الكتاب فقال: معناه بعد الدعاء: اللهم استجب، ومعناه بعد الفاتحة: كذلك فليكن).

سُورَةُ البَقَرَةِ

سُورَةُ البَقَرَةِ

مئتان وثمانون وستُّ آياتٍ[1]، مدنيّة.

بسم الله الرّحمن الرّحيم

(١) ـ ﴿الٓمٓ﴾.

﴿الٓمٓ﴾: اختلف المفسِّرون في تأويل الحروف التي تقع أوائل السُّور، فذهب ابن عبّاسٍ في ﴿الٓمٓ﴾ إلى: أنَّه قسمٌ أقسم الله تعالى به[2].

السُّدِّي: هو اسم الله الأعظم[3].

قتادة: اسمٌ من أسماء القرآن[4].

وقيل: اسم السُّورة[5]، وكذلك سائرها أسماءٌ للسُّور، تُعرَف كلُّ سورةٍ بما بُدئَت به.

أبو عبيدة ـ رحمة الله عليه ـ قال في كتاب «المجاز»: إنَّها لافتتاح الكلام،

---

(١) «مئتان وثمانون وست آيات» من (ن).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٢٠٧).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٢٠٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٣٢) عن السدي عن ابن عباس.

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٣٣) عن مجاهد، وذكره عن قتادة وزيد بن أسلم.

(٥) في (ن): «اسم للسورة».

كقولـه: ألا[١]. وإليـه ذهب الأخفش، وقـال: هو لافتتاح كلامٍ وانتهـاء كلامٍ[٢].

الزَّجّاج: كلُّ واحدٍ من هذه الحروف مأخوذٌ من كلامٍ يعرفُه المخاطب[٣].

قال: ونظيرُه من كلامهم قول الشّاعر:

قلْتُ لها قـفـي فقالَتْ[٤] قـاف ... لا تحسبي أنّا نَسِيْنا الإيجاف[٥]

تريد: وقفْتُ، فاستُغْنِيَ عنها بحرفٍ منها.

ومثل هذا أو قريبٌ منه ما رُوي عن ابن عبّاسٍ أيضًا أنّه قال: ﴿الٓر﴾ و﴿حمٓ﴾ و﴿نٓ﴾ مجموع الرَّحمن[٦].

وعنه: الألف: آلاء الله، واللّام: لطفه، والميم: ملكه[٧].

ومثله: الألف: الله سبحانه، واللّام: جبريل، والميم: محمَّد عليه السلام، فكأنَّه قال: من الله إلى جبريل إلى محمَّد ﷺ[٨].

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٢٨).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ٢١).

(٣) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» للزَّجّاج (١/ ٦٢).

(٤) في النسخ الخطية: «فقالت لي»، وكذا وردت في بعض المصادر، وجاء في بعضها: (فقالت) فقط، وفي أخرى (قالت) فقط، وجاء أيضاً: (قلنا لها قفي لنا قالت)، وجاء غير ذلك.

(٥) نُسب البيت للوليد بن عقبة بن أبي مُعَيطٍ في «الأغاني» للأصفهاني (٤/ ١٨١)، وهو بلا نسبة في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٧٥)، و«تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (ص: ١٨٩)، و«تفسير الطبري» (١/ ٢١٦)، و«معاني القرآن وإعرابه» للزَّجّاج (١/ ٦٢).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ١٠٣).

(٧) انظر: «تنوير المقباس من تفسير ابن عباس» للفيروزآبادي (ص: ٣)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١/ ١٣٩)، والبغوي في «تفسيره» (١/ ٥٩) عن محمد بن كعب.

(٨) ذكره الواحدي في «البسيط» (٥/ ١٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما من رواية عطاء، وإسناده ساقط.

الفرّاء وقُطْرُب: المراد بها جميع حروف المعجم، فاقتصر على بعضه[١]، كما يقول القائل: (فلانٌ يتعلّم ا ب ت ث) والمراد جميعه، وكذلك: (يتعلّم أبجد) والمراد تمامه، و(الحمد) والمراد به السُّورة، ويكون المعنى: هذه السُّورة وسائرها من هذه الحروف التي تعرفونها، فَأْتوا بسورةٍ من مثله.

ويُروى عن أبي بكرٍ أنَّه قال: لله عزَّ وجلَّ في كلِّ كتابٍ سرٌّ، وسرُّه في القرآن هذا[٢].

ورُوي عن عليِّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه أنَّه قال: لكلِّ كتابٍ صفوة، وصفوةُ هذا الكتاب التَّهجِّي به[٣].

الضَّحّاك: هي[٤] الصَّوافي الخوالص التي لا يعلمُها إلّا الله تعالى.

وقيل: لمَّا قال المشركون: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ﴾ [فصلت: ٢٦] افتتح اللهُ السُّورة بما لا يعرفونه؛ لتتطلَّعَ نفوسُهم إلى سماع ما بعدَها؛ ليعرفوا منه ما قبله، فيصير ذلك داعيًا إلى سماعه وتفهُّم معانيه[٥].

وقيل: هي من المتشابهات التي تُعبِّدنا بالإيمان بها دون الوقوف عليها.

ورُوي عن أبي العالية أنه قال: ما منها[٦] حرفٌ إلّا وهو في مدّة قومٍ وآجال آخرين[٧].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٦٨)، وذكره الزَّجّاج في «معاني القرآن وإعرابه» (١/ ٥٥) عن قطرب.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ١٩)، والرازي في «تفسيره» (٢/ ٢٥٠).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ١٩)، والبغوي في «تفسيره» (١/ ٥٩).

(٤) في (ن): «هي من».

(٥) ذكر الزَّجّاج نحوه عن قطرب في «معاني القرآن وإعرابه» (١/ ٦٢).

(٦) في (و): «من».

(٧) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٣٣)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٢١).

(٢) ـ ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾: (ذا): إشارةٌ إلى الحاضر المذكَّر، واللّام يُنبئ عن الغيبة وقطع الإضافة.

واختلفوا في المشار إليه؛ فقال أبو عبيدة: هو القرآن، وقام (ذلك) مقام (هذا)[١]، كقوله:

أقُولُ لَهُ والرُّمْحُ يأطِرُ مَتْنَهُ ... تَأمَّلْ خُفافًا إنَّني أنا ذَلِكا[٢]

أي: أنا هذا.

وقيل: إذا لم يكن المشار إليه جثةً جاز العبارة عنه بـ: (ذلك) و(هذا).

قال الأصمُّ: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ إشارةٌ إلى ما تقدَّم من القرآن[٣].

وقيل: إشارةٌ إلى ذكر القرآن في التَّوراة والإنجيل.

وقيل: إشارةٌ إلى ما وعد الله به نبيَّه في قوله: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ٥].

وقال سعيد بن جبيرٍ: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى اللَّوح المحفوظ[٤].

وقيل: إشارةٌ إلى التَّوراة والإنجيل.

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٢٨ ـ ٢٩).

(٢) البيت لخفاف بن ندبة كما في «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٢٨ ـ ٢٩)، و«تفسير الطبري» (١/ ٢٣١)، و«النكت والعيون» للماوردي (١/ ٦٧).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٦٧)، وذكره الطبري في «تفسيره» (١/ ٢٣٠) دون نسبة.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٤٢).

والكاف في ﴿ذَٰلِكَ﴾ خطابٌ للنَّبيِّ ﷺ، وقيل: لليهود فيمن قال: ﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾: التَّوراة والإنجيل.

و(الكتاب): المكتوب؛ فجاز أن يكون مكتوبًا في اللَّوح المحفوظ، وجاز أن يكون المعنى: من شأنه أن يُكتَب.

وقيل: هو من (الكَتْب)؛ الذي هو الجمع، لا من (الكتابة).

﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ ابن عيسى: الرَّيب: الشَّكُّ مع تهمة المشكوك فيه، تقول: أرابني الرَّجل؛ إذا اتَّهمتَه بشيءٍ غير متحقِّقٍ، ورابني: تيقَّنته[1].

وكلُّ ريبٍ في القرآن غير ريب المنون شكٌّ[2].

والمعنى: لا سببَ ريبٍ فيه.

ابن عيسى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أنَّه هدًى وبيانٌ.

وقيل: ﴿لَا رَيْبَ﴾ أنَّه من عند الله؛ أي: حقٌّ أنَّه من عنده.

ابن بحرٍ[3]: الرَّيب: الظَّنُّ السَّيِّئ، وقوله: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ إزالةُ ما ادَّعاه الكفرةُ في القرآن من الكهانة والكذب والسِّحر وأنَّه يعلِّمه بشرٌ[4].

---

(١) أي: هناك فرق بين (أرابني) و(رابني) بغير ألف، فأرابني: شككني وأوهمني الريبة، فإذا استيقنته، قلت: رابني؛ بغير ألف. انظر: «الغريبين» للهروي (٣/ ٨٠٣).

(٢) ذكر ذلك أبو حيان في «البحر المحيط» (٨/ ٤٢٨).

(٣) نقل عنه المصنف هنا وفي «غرائب التفسير»، وهو: أبو مسلم محمد بن بحر الأصبهاني الكاتب، كان نحويًّا كاتباً بليغًا، مترسِّلاً جدلاً، متكلِّمًا معتزليًّا، عالـمًا بالتفسير وغيره من صنوف العلم، وصار عالم أصبهان وفارس، مولده سنة ٢٥٤هـ، وتوفي سنة ٣٢٢هـ، له «جامع التأويل لمحكم التنزيل» أربعة عشر مجلداً. انظر: «بغية الوعاة» للسيوطي (١/ ٥٩)، و«طبقات المفسرين» للداودي (٢/ ١٠٩ ـ ١١٠).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ١١٤).

وقيل: ظاهره نفيٌ والمعنى نهيٌ؛ أي: لا ترتابوا فيه.

﴿هُدًى﴾: مصدر هديت، ومثله السُّرى والتُّقى؛ أي: دالٌّ ومرشدٌ.

﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ابن عبّاسٍ: الذين يحذرون عقوبته[1].

الحسن: اتَّقوا ما حُرِّم عليهم[2].

وقيل: يتَّقون الشِّرك.

وخصَّهم بالذِّكر لظهور تأثيره فيهم وتفرُّدهم بقبوله، ولأنَّ تخصيصَ الشَّيء بالذِّكر لا يدلُّ على نفي ما عداه، وجاء ذلك في القرآن في مئتين وستّة وثلاثين موضعًا.

وأصل الاتِّقاء: الحجز بين الشَّيئين، يُقال: اتَّقاه بتُرْسٍ، ومنه: الوقاية، ووقاهُ الله، والتَّقيّة، والتَّقوى[3].

* * *

(٣) ـ ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾.

﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾: أصل الإيمان التَّصديق، من قوله: ﴿وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ [يوسف: ١٧]، وقيل: أصلُه الأمن؛ أي: يُؤمِنون أنفسَهم من النّار[4]، وقيل: أصله الطُّمأنينة.

والغيب: ابن عبّاسٍ: ما جاء من عند الله[5].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٢٣٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٣٥).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٢٣٧).

(٣) انظر: «المخصص» لابن سيده (٤/ ٦١).

(٤) «وقيل أصله الأمن أي يؤمنون أنفسهم من النار» من (ن).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٢٤٢)،

عطاء: الغيب هو الله سبحانه[(١)].

الحسن وغيره: بالدّار الآخرة، والثّواب والعقاب، والبعث والحساب[(٢)].

وقيل: يؤمنون بظهر الغيب، كقوله: ﴿يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ [الأنبياء: ٤٩]، فيكون حالاً، والمفعول به محذوفٌ[(٣)].

وعلى القول الأوَّل: مفعول به[(٤)].

ابن عيسى: الغيب: ما غابَ عن الحاسّة ممّا يُعلَم بالأدلّة.

الأخفش: يؤمنون بما غابَ عن أفهامِهم من متشابهات القرآن[(٥)].

﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: يؤدُّونها، وسمَّى أداء الصَّلاة إقامةً؛ لما فيها من القيام حقيقةً[(٦)].

وقيل: هو من تقويم الشَّيء.

الزَّجّاج: يأتون بها تامَّةً بجميع حقوقها[(٧)].

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٣٦).

(٢) ذكر الثعلبي في «تفسيره» (١٣/ ٢٠) خبراً عن الحسن يفيد ما ذكر المصنف، وقد رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٢٤٢) عن قتادة وعن الربيع بن أنس، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٣٦) عن أبي العالية والسدي.

(٣) والمعنى: يؤمنون إذا غابوا عنكم، ولم يكونوا كالمنافقين الذين يُظهرون الإيمان إذا كانوا معكم فقط.

(٤) المراد: أن الغيب على الوجه الأول ـ وهو كلُّ ما سبق الوجه الأخير ـ في موضع المفعول، فهو مُؤْمَنٌ به.

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ١١٥).

(٦) في (ن): «على الحقيقة».

(٧) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» للزَّجّاج (١/ ٧٢).

والقيام: الانتصاب في جهة العلوِّ على الاستواء، والإقامة: جعل الغير قائمًا، والمقاومة[١]: المساواة.

والصلاة: عبادةٌ تحريمها التَّكبير وتحليلها التسليم.

ابن عيسى: أصلها الدُّعاء.

وقيل: هو من رفعِ (الصَّلا) في الرُّكوع والسُّجود، وهو عظمٌ في العَجْب[٢].

وقيل: أصلها اللُّزوم، ومنه: صَلَى النّارِ[٣].

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾: أعطيناهم.

الزَّجّاج: ملَّكناهم[٤].

والرِّزق: العطاء، وقيل: الملك، وقيل: الحظُّ، وضدُّه الحرمان، وكلُّ ما يصل إلى العبد من عطيّةٍ فهو رزق الله؛ حلالاً كان أو حرامًا.

﴿يُنفِقُونَ﴾: يخرجونه من ملكهم بالتَّرجِّي إلى الثَّواب[٥] كالزَّكاة والصَّدقة والجهاد، وأصل الكلمة من الخروج والإخراج.

***

(٤) ـ ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾.

---

(١) كذا في النسخ الخطية، ولعل المراد: الاستقامة.

(٢) أي: عجب الذَّنَب. انظر: «جمهرة اللغة» لابن دريد (٢/ ٨٩٧) مادة (ص ل و).

(٣) أي: دفؤها، وهو قول الزَّجّاج. انظر: «معاني القرآن وإعرابه» له (١/ ٢٣٢).

(٤) ذهب الزَّجّاج إلى أن الرزق هو المِلك في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾ [النحل: ٧١]. انظر: «معاني القرآن وإعرابه» للزَّجّاج (٣/ ٢١٢).

(٥) «إلى الثواب» من (ن).

﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾ يعني: القرآن.

﴿وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾: سائر كتب الله المنزَّلة على النَّبيِّين.

﴿وَبِٱلْءَاخِرَةِ﴾؛ أي: بالدَّار الآخرة، وقيل: بالنَّشأة الآخرة.

﴿هُمْ يُوقِنُونَ﴾: يعلمون بالدَّلائل.

وأصل الإنزال: التَّصيير إلى جهة السُّفل، وكذلك التَّنزيل، والنُّزول: الانتقال إلى جهة السُّفل.

و(قَبْل): لِما مضى من الزَّمان، و(بعد): لِما يأتي.

والآخِرُ: الموجودُ بعد الشَّيء.

﴿هُمْ﴾: يجوز أن يكون فصلاً، ويجوز أن يكون مبتدأً.

والإيقان: علمُ الشَّيء بالاستدلال.

* * *

(٥) ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾؛ أي: الموصوفون بما تقدَّم من الوصف ﴿عَلَىٰ هُدًى﴾: بيانٍ ورشدٍ ﴿مِّن رَّبِّهِمْ﴾: من عند الله.

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾: الظَّافرون بالبُغية، وأصل الفلاح: الظَّفر بالبُغية.

وقيل: هم الباقون في النَّعيم، والفلاح: البقاء.

وقيل: أصله النَّجاح، وقيل: أصله القطع.

* * *

(٦) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: ستروا وجحدوا نعم الله ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ﴾: متساوٍ عندهم ﴿ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ﴾: أحذَّرتهم أم تركْتَ التَّحذير ـ واللَّفظُ للاستفهام، والمعنى التَّسوية ـ ﴿لَا يُؤۡمِنُونَ﴾.

الكفر في الشَّرع: اسمٌ وُضِع على المعاصي التي يُستَحَقُّ بها العذابُ الأشدُّ، وهو في اللُّغة: السَّتر، والكافر: الزَّارع، والكافر: اللَّيل، ومنه: كُفُرَّى الطَّلع[1].

والسَّواء: الاعتدال.

والإنذار: الإعلام بالمخافة لتُتَّقى، وقيل: التَّحذير.

ويظهر معنى الآية بالإعراب:

﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم ﴿إِنَّ﴾، و﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ﴾: خبرُه، ﴿لَا يُؤۡمِنُونَ﴾: خبرٌ بعدَ خبرٍ.

ويحتمل أن يكون ﴿لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ الخبر، و﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ﴾ اعتراضٌ لا محلَّ له من الإعراب.

وقيل: ﴿لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ استئنافٌ؛ أي: هم لا يؤمنون، وقيل: دعاءٌ؛ أي: لا آمَنُوا.

* * *

(٧) ـ ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾.

﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞ﴾.

الختم: الطَّبع بالخاتم.

---

(١) أي: وعاء طلعِ النخل، وهو الكافور أيضاً. انظر: «المحكم» لابن سيده (٧/ ٥) مادة (ك ف ر).

والقلب: الفؤاد، سُمِّي قلبًا لتقلُّبه بالخواطر والعُزوم، وهو محلُّ العَزْم والفِكْر، وكذلك العلم والقَصد.

أي: طبَعَ عليها.

وقيل: جعل عليها نكتةً سوداء.

وقيل: إنَّما هو ذمٌّ؛ أي: كأنَّها مختومةٌ، مثل قوله: ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ ﴾ [البقرة: ١٨].

والسَّمْع والسَّماع: مصدران لـ(سَمِعَ)، والسَّمْع: الأُذُن أيضًا.

وللتَّوحيد[١] وجهان:

أحدهما: أنَّ المراد به المصدر، فلا يُثنَّى ولا يُجمَع، والتَّقدير: على مواضع سمعهم.

والثاني: المراد به الجارحة، ولَمّا كان المضافُ إليه جمعًا اكتُفِيَ به، كقوله:

.... فــي حَلْقِكُــم عَظْــمٌ وقَــدْ شُــجِيْنا[٢]

و﴿أَبْصَـٰرِهِمْ﴾: جمع بصرٍ، وهي حاسّـةٌ يُدرَكُ بها الـمُبْصَرُ، ويُستعمَل للمصدر أيضًا.

والغشاوة: الغطاءُ الشّامل.

والمعنى: جعل قلوبَهم بحيثُ لا تَفهم، وآذانَهم بحيثُ لا تَنتفع بالمسموع، وأبصارهم بحيثُ لا تَنتفِع بالمرئيِّ.

---

(١) أي: إفراد السمع مع أنه لجماعة.

(٢) هو عجز بيت للمسيب بن زيد مناة الغنوي، والشاهد فيه: قوله: حلقكم، والمراد: حلوقكم. انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ١٩٥)، و«لسان العرب» (١٤/ ٤٢٣) مادة (ش ج ي)، وصدره:

لا تنكــروا القتــل وقــد سُــبينا

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: العذاب: إيصالُ الألم حالاً بعد حالٍ.

ابن عيسى: أصل العذاب: استمرارُ الشَّيء.

والعظيم: الدّائم الذي لا ينقطع، والعِظَم في الأصل: الزِّيادة على المقدار، ثم ينقسم إلى: عظم الشَّأن، وعظم الأجسام، والله عظيمٌ من عِظم الشَّأن.

وقال الضَّحّاك: هاتان الآيتان نَزَلَتا في أبي جهلٍ وخمسةٍ من أهل بيته[1]؛ أعلمَ اللهُ أنَّهم لا يؤمنون، وكان كما أعلمَ، فصار من أعظم المعجزات.

الكلبيُّ: نزلت في اليهود[2].

* * *

(٨) - ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾: نزلت في المنافقين.

والنّاس والإنس: البشر، واشتقاقه عند بعضهم من (النَّوْس) وهو الحركة، و(نُوَيسٌ)[3] يشهد له، وعند بعضِهم من (الأُنس)، وأصله: أناسٌ؛ فحُذِفَت الهمزة، وقيل: من (النِّسيان) بدليل (الأُنَيْسِيان)[4]، وفيه بعدٌ.

والقولُ: كلامٌ يقتضي الحكاية، يقعُ على المفيد وغير المفيد.

واليوم الآخر: لأنَّه بعد أيّام الدُّنيا، وقيل: لأنَّه آخرُ يومٍ ليس بعدَه ليلةٌ.

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (١/ ٢٩٢)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٢٩).

(٢) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (١/ ٢٤)، والواحدي في «الوسيط» (١/ ٨٣)، والبغوي في «تفسيره» (١/ ٦٤)، وذكره الطبري في «تفسيره» (١/ ٢٥٩) دون نسبة.

(٣) وهو تصغير ناس. انظر: «الكتاب» (٣/ ٤٨٦)، و«الحلبيات» لأبي علي الفارسي (ص: ١٧٢).

(٤) وهو تصغير إنسان. انظر: «العين» (٧/ ٣٠٤)، و«الكتاب» (٣/ ٤٨٦).

والمعنى: من النّاس منافقون يُظهرون خلافَ ما يُبطنون وليسوا هم بمؤمنين، فدلَّ أنَّ الإيمانَ إقرارٌ واعتقادٌ، خلافًا للكرّاميّة لأنَّهم يقولون: إقرار باللِّسان[1].

***

(٩) ـ ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾.

﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ الزَّجّاج: يُبطنون خلاف ما يُظهرون[2].

وأصل الخَدْع: الإخفاء، ومنه: (المِخْدَع) للخزانة، و(الأخدعان) في اللَّبَّتَيْنِ؛ لخفائهما[3].

وقيل: أصله الفساد، قال الشّاعر:

أَبْيَضُ اللَّوْنِ لَذِيذٌ طَعْمُهُ ... طَيِّبُ الرِّيقِ إذا الرِّيْقُ خَدَعْ[4]

أي: يفسدون ما يُظهرون بما يُضمرون.

وقال أبو عليٍّ: يخادعون رسولَ الله، فحذفَ المضاف[5].

---

(١) «خلافاً للكرامية لأنهم يقولون إقرار باللسان» من (ن). والكرامية فرقة منسوبة إلى محمد بن كرام (ت: ٢٥٥هـ)، وهم يثبتون الصفات، ويميلون إلى التجسيم، ويزعمون أن الإيمان هو الإقرار بشهادة الإسلام لفظاً، وأن المنافقين والزنادقة مؤمنون حقّاً إن أقروا بالشهادة. انظر: «الفرق بين الفرق» للإسفراييني (ص: ٩)، و«الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ١٠٨)، و«شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز (٢/ ٤٦٠).

(٢) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» للزّجّاج (١/ ٨٥).

(٣) واللبتان: في صفحة العنق. انظر: «العين» (١/ ١١٥)، و«تهذيب اللغة» للأزهري مادة (خ د ع).

(٤) البيت لسويد بن أبي كاهل. انظر: «أمالي القالي» (٢/ ٣١٧)، و«الصحاح» (٣/ ١٢٠٢) مادة (خ د ع)، و«المخصص» لابن سيده (١/ ٢٨٩).

(٥) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (١/ ٣٢٤).

وقيل: يعملون عملَ المخادع.

ابن عيسى: الخِداع: الإيهامُ بخلاف الحقِّ بالتَّمويه والتَّغرير.

و(فاعَلَ) هاهنا بمعنى: فَعَلَ، كقولهم: عافاهُ اللهُ، وطارقْتُ النَّعْلَ، وغيره[1].

وقيل: نزَّلَ ما يخطرُ ببالِه ويهجسُ في ضميره من الخدع منزلةَ آخر يجاريه ذلك ويعارضه إيّاه، ومثل هذا: ﴿قالَ اعْلَمْ﴾ [البقرة: ٢٥٩] بالوصل[2].

﴿**وما يُخادِعُونَ إلّا أنفسَهُم**﴾ لأنَّهم علموا أنَّ اللهَ لا يُخدَع ولا يخفى عليه شيءٌ، وقيل: لأنَّ وبالَ خداعهم عادَ عليهم.

ومن قرأ: ﴿يَخْدَعُونَ﴾[3]، فمعناه: لا يغلبون في الخداع إلا أنفسهم، كما تقول: قامرْتُه فقمَرْتُه.

ونفْسُ الشَّيءِ: ذاتُه، وأصلُها من النَّفاسة، يقال: نَفِسَ بالشَّيء؛ إذا ضنَّ به لجلالته، ويُذكَر للرُّوح، ويُذكَر للتَّأكيد أيضًا.

﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾؛ أي: وما يعلمون ذلك، وقيل: هذا متَّصل بقوله: ﴿يُخَادِعُونَ ٱللَّهَ﴾، وما يشعرون أنَّ الله يعلم ما يسرُّون وما يعلنون.

---

(١) أي: لا يدلُّ على المشاركة. انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٢/ ٣٣٨).

(٢) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم وابن عامر: ﴿قَالَ أَعْلَمُ﴾، وقرأ حمزة والكسائي: ﴿قالَ اعْلَمْ﴾، والمعنى لـمّا تبيَّن لصاحب هذه المعجزة ما تبيَّن من قدرة الله أنزل نفسه منزلة غير المُتيَقِّنِ وخاطبها لتزداد يقيناً. انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ١٨٩)، و«الحجة» لأبي علي الفارسي (٢/ ٣٨٣).

(٣) قرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي: ﴿يُخَادِعُونَ﴾ بفتح الياء بغير ألف، وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بالألف والياء المضمومة. انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ١٤١)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٢).

الزَّجّاج: أراد بقوله: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أنَّهم يخدعونها[١].

والشِّعْرُ: العلمُ بالشَّيء من وجهٍ يدِقُّ ويلطُف، ومنه: الشِّعر والشَّعيرة، وقيل: هو العلم يحصل بالحسِّ[٢]؛ من (الشِّعار)، وهو الثَّوب الذي يلي[٣] الجسد ويُحَسُّ به.

* * *

(١٠) - ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾.

﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: شكٌّ.

مقاتلٌ: نفاقٌ[٤].

وقيل: فسادٌ.

وقال ثعلبٌ: ﴿مَّرَضٌ﴾: اللّيل، والمرض: الظّلمة[٥]، وأنشد:

فـي ليلـةٍ مَرِضَـتْ فـي كلِّ نـاحيةٍ   فما يضـيءُ لهـا شـمسٌ ولا قَمَـرُ[٦]

وأصل المرض: خروج المزاج من الاعتدال.

---

(١) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» للزَّجّاج (١/ ٨٥)، وفيه: (تأويله أن الخداع يرجع عليهم بالعذاب والعقاب).

(٢) ذُكر هذا عن الطبرسي. انظر: «معجم الفروق اللغوية» (ص: ٣٧٣).

(٣) في (و): «على».

(٤) انظر: «تفسير مقاتل بن سليمان» (١/ ٩٠).

(٥) انظر كلام ثعلب في: «الزاهر» للأنباري (١/ ٤٧٥)، و«تهذيب اللغة» للأزهري (١٢/ ٢٦) مادة (م ر ض).

(٦) البيت لأبي حية النميري. انظر: «العشرات في غريب اللغة» لغلام ثعلب (ص: ٦٨)، و«التكملة والذيل» للصغاني (٤/ ٩٣).

والمعنى: شكُّوا فيما أنزل الله من الكتب، ﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ بما أنزلَ من القرآن، فشكُّوا فيه كما شكُّوا في الذي قبله.

وقيل: في معتقدهم خللٌ يمنع من الصِّحة، كما يمنع المرضُ الصِّحةَ من العليل.

وقيل: في قلوبهم غمٌّ بظهور النَّبيِّ عليه السَّلام، فزادهم الله مرضًا بنصره.

وقيل: هذا دعاء عليهم؛ أي: ﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾: شكًّا ونفاقًا وغمًّا وظلمةً.

والزِّيادةُ: الإلحاقُ[1] بالمقدار ما ليس منه، والنُّقصانُ: الإخراجُ عن المقدار ما هو منه، والتَّمامُ: البلوغُ حدَّ المقدارِ من غير زيادةٍ ولا نقصانٍ.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: مؤلِم، وفَعِيل يأتي على وجوهٍ[2].

ابن عيسى: الألم يعمُّ كلَّ أذًى صَغُرَ أو كَبُرَ.

﴿بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ﴾ (ما) هاهنا في تأويل المصدر، وهو حرفٌ عند سيبويه، ولا عائدَ بعده[3].

والكذبُ: ضدُّ[4] الصِّدق، وهو الإخبار بالشَّيء على خلاف ما هو.

وقال أبو عليٍّ: حقيقة الكذبِ انتفاءُ الشَّيء[5]، ومنه:

---

(١) في (و): «والإلحاق: الزِّيادة».

(٢) منها أنه يأتي بمعنى الفاعل كـ (أليم)، ويأتي بمعنى المفعول كـ (قتيل).

(٣) انظر: «التبيان في إعراب القرآن» للعكبري (١/ ٢٧).

(٤) في (ن): «نقيض».

(٥) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (١/ ٣٣٥).

.... كَذَبَ القَراطِفُ والقُروفُ[1]

والكذب: انتفاء الصِّدق.

وقرئ بالتَّشديد[2]؛ أي: بتكذيبهم آيات الله ورسوله، والتَّكذيب: نسبةُ المخبِرِ إلى الكذب.

***

(١١ ـ ١٢) ـ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ﴾: (إذا): ظرفٌ للمستقبل، وفيه معنى الشَّرط.

﴿لَهُمْ﴾: لمن تقدَّم ذكرهم من المنافقين.

وعن سلمان الفارسيّ رضي الله عنه أنَّ أهل هذه الصِّفة لم يأتوا بعد[3].

﴿لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ ابن عبّاس: بالكفر والمعصية[4]، وقيل: بتعويق النّاس عن الإيمان.

---

(١) البيت لمعقّر بن حمار البارقي، كما في «الجيم» لأبي عمرو الشيباني (٣/ ٧٩)، و«غريب الحديث» لأبي عبيد (٤/ ١٤٩)، و«إصلاح المنطق» لابن السكيت (ص: ١٩)، وتمامه:

وذبيانيّــةٍ أوصَــتْ بنيهــا بأنْ كذبَ القراطفُ والقروف

أي: عليكم بالقراطف والقروف فاغتنموها، فجاء الكذب هنا بمعنى الإغراء، والقراطف: الأكسية، والقروف: الأوعية.

(٢) قرأ الكوفيون ـ عاصم وحمزة والكسائي ـ بفتح الياء وتخفيف الذال، وقرأ الباقون بالضم والتشديد. انظر: «التيسير» للداني (ص: ٧٢)، و«النشر» لابن الجوزي (٢/ ٢٠٧).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٢٩٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٤٥).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٢٩٧).

الحسن: بإبطان الكفر وإظهار الإيمان[١].

وقيل: بممايلة[٢] الكفّار.

والإفساد: التَّغيير عن استقامة الحال، والفساد: التَّغيُّر عنها، تقول: فسدت التُّفّاحة؛ إذا تغيَّرت[٣].

والأرض: هي الغبراء التي عليها مستقرُّ الخلق.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ﴾ ابن عيسى: على جهة الإظهارِ لذلك والانطواءِ[٤] على خلافه.

الجمهور: أي: الذي نحن عليه صلاحٌ عند أنفسنا[٥].

وقيل: لأنَّ الغَلَبة أخيرًا لهم، فيُبقون[٦] علينا، فيمن جعل الفساد الممايلة[٧].

والإصلاح: التَّغيير[٨] إلى استقامة الحال.

---

(١) ذكره الماتريدي دون نسبة في «تأويلات أهل السنة» (١/ ٣٨٤).

(٢) الممايلة: المصالحة والمهاودة. انظر: «القاموس المحيط» للفيروزابادي مادة (ه و د).

(٣) في (ن): «عفنت».

(٤) في (و): «والانطلاء».

(٥) انظر: «تفسير الطبري» (١/ ٢٠٠)، وقد ذكر أن في تفسير ﴿مُصۡلِحُونَ﴾ قولين؛ الأول: الإصلاح بين المؤمنين وأهل الكتاب، والثاني ما ذكره المصنف هنا، وهو: ادعاؤهم أنَّهم على هدى وخير في دينهم.

(٦) في (و): «فيتَّفقون».

(٧) أي: أن هؤلاء يدعون أن محاولتهم التودد لغير المسلمين أحسن لحالهم في دنياهم، ولا سيما أنهم يتوهمون أن الغلبة ستكون لغير المسلمين.

(٨) في (و): «التغير».

فردَّ الله عليهم قولَهم بقوله:

﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ﴾؛ أي: لا يشعرون أنَّهم مفسدون.

وقيل: ولكن لا يشعرون أنَّ الممايلة لا تُجدي.

وقيل: ولكن[1] لا يشعرون أنَّ الذي يظنُّونه بخلافِ ما يتوهَّمونه.

* * *

(١٣ ـ ١٤) ـ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾: محمّدٌ ﷺ، وقيل: عبد الله بن سلام.

﴿قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾؛ أي: لا نفعل كما فعلوا.

والسُّفهاء: جمع سفيهٍ، والسَّفهُ في اللُّغة: الخفّة، وثوبٌ سفيهٌ؛ أي: خفيفٌ بالٍ، والسَّفهُ: القبح الذي يدلُّ على خفّة الحلم[2].

فردَّ الله عليهم فقال: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ﴾.

﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾؛ أي: إذا اجتمعوا مع المؤمنين قالوا: آمنا؛ استدفاعًا عن دمائهم.

واللِّقاء: الاجتماع مع الشَّيء على طريق المقاربة.

---

(١) «ولكن» من (ن).

(٢) في كلام الماتريدي ما يدلُّ على أنه يرى السفهَ قبحاً في العقل، وذكر النَّحّاس أن السفه كلُّ ما يقبح فعله. انظر: «تأويلات أهل السنة» (٧/ ٣٩)، و«معاني القرآن» للنحاس (١/ ٣١٦).

﴿وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾: انصرفوا إلى إخوانهم.

ابن عبّاسٍ: رؤساؤهم من الكفّار(١).

الكلبيُّ: هم شياطين الجنِّ(٢).

أبو عبيدة: كلُّ عاتٍ متمرِّدٍ من الجنّ والإنسِ والدَّوابِّ شيطانٌ(٣).

واشتقاقه من (شَطَنَ)؛ إذا بَعُدَ، وقيل: من (شاطَ)؛ إذا بطل، وقيل: من (تشيَّط)(٤)، والأوَّل أظهر.

والخَلاءُ من الشَّيء: الفراغ منه، وضدُّه الـمَلاءُ(٥)، يقال: خلوْتُ به، وخلوْتُ إليه، وخلوْتُ معه.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ﴾ بالنَّصر والإعانة.

﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾: مظهرون غيرَ ما نُضمر، وذلك حين لاموهم على إظهار كلمة الإيمان.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٣٠٧).

(٢) ذكر نحوه السمرقندي في «تفسيره» (١/ ٢٩)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٩٦).

(٣) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٣٢).

(٤) أي: غضب وغلا الدم فيه، أو لفحته النار. انظر: «العين» (٦/ ٢٧٥)، و«جمهرة اللغة» (٢/ ٨٦٧) مادة (ش ط ن)، و«المنصف» لابن جني (ص: ١٠٩).

(٥) لم تُثبَتِ الهمزة في النسخ الخطية على العادة في ذلك، وقد جاء في هامش (ن): «الخلا والملا مقصوران»، وليس هذا بصواب، فقد ذكر الباحثون في المقصور والممدود أنَّ (الخلاء) ممدود إن كان من (الخلوة)، وأن (الخلا) المقصور على غير هذا المعنى، وكذا ذكروا في (الملاء) أنَّه ممدود إن كان من (الملْء)، وأن المقصور على غير هذا المعنى. انظر: «المقصور والممدود» لابن ولاد (ص: ٤٠ و١١٥)، ولأبي عمر الزاهد (ص: ٢٦)، ولأبي علي القالي (ص: ٣٢٩ و٣٦١).

والاستهزاء: الإيهام لِما[1] يُحَبُّ في الظّاهر، والأمرُ على خلافه في الباطن؛ على جهة الاغترار.

والـهُزْءُ: نقيضُ الجدِّ.

ابن عيسى: الهزءُ: الإظهارُ خلافَ الإبطان؛ على جهة العبث بمن يُظهرُ له ذلك.

***

(١٥) ـ ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾.

﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ هذا على مزاوجة الكلام[2]، كقوله: ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ ﴾ [البقرة: ١٩٤]، و﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾ وكقول الشّاعر:

ألا لا يجهَلَـنْ أحـدٌ عـلـيـنـا   فنجهَلَ فـوقَ جهـلِ الجاهلينا[3]

والثّاني ليس باعتداءٍ، ولا سيِّئةٍ، ولا مفاخرةٍ في الجهل، بل كلُّ هذا على وجه المزاوجة.

وقيل: هذا على أصل الاستهزاء في اللُّغة؛ لأنَّ اللهَ أظهر للمنافقين في الدُّنيا ما يحبُّون، ولهم في الآخرة ما يكرهون، ومثلُه قوله تعالى: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ [الدخان: ٤٩]، وكذلك حين يقولون: ﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ فيُقال لهم: ﴿ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ [الحديد: ١٣]، فخابوا[4] ما أمَّلوا، ومُنِعوا ما حاولوا.

---

(١) في (و): «ولما».

(٢) انظر موضوع مزاوجة الكلام وتشابه الألفاظ مع اختلاف المعنى في: «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (ص: ١٧١)، و«الحجة» لأبي علي الفارسي (١/ ٣١٥ـ٣١٦).

(٣) البيت لعمرو بن كلثوم من معلقته. انظر: «ديوانه» (ص: ٧٨)، و«جمهرة أشعار العرب» (ص: ٣٠٠).

(٤) أي: خسروا. انظر: «تاج العروس» للزبيدي (٢/ ٣٨٨) مادة (خ ي ب).

وقيل: لَمّا عابَهم على فعلِهم كان ذلك كالاستهزاء بهم.

﴿وَيَمُدُّهُمْ﴾ ابن عبّاسٍ وابن مسعود: يملي لهم ويطوِّل أعمارهم[1].

والمدُّ: الجَذْب.

ابن عيسى: المدُّ: الزِّيادةُ على الشَّيء في جهة القدّام دون جهة اليمين والشِّمال.

﴿فِي طُغْيَـٰنِهِمْ﴾ ابن عبّاسٍ: في كفرهم وضلالتهم[2].

وأصل الطُّغيان: مجاوزة الحدِّ.

﴿يَعْمَهُونَ﴾: يتردَّدون ويتحيَّرون، وأصل العَمَهِ في العين، وهو أنْ يحارَ بصرُه فلا يرى في تلك الحالة وإن كان يرى في غيرها[3].

وعن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّها نزلت في عبد الله بن أُبيٍّ وأصحابه، وذلك أنَّهم خرجوا ذات يومٍ فاستقبلهم نفرٌ من أصحاب رسول الله ﷺ، فقال عبد الله بن أبيٍّ: انظروا كيف أردُّ هؤلاء السُّفهاء عنكم، فذهبَ وأخذَ بيد أبي بكرٍ، فقال: مرحبًا بالصِّدِّيق؛ سيِّد بني تيم، وشيخ الإسلام، وثاني رسول الله ﷺ في الغار، الباذلِ نفسَه ومالَه لرسول الله ﷺ، ثم أخذ بيد عمر فقال: مرحبًا بسيِّد بني عديِّ بن كعبٍ؛ الفاروقِ القويِّ في دين الله، الباذلِ نفسَه ومالَه لرسول الله ﷺ، ثم أخذَ بيد عليٍّ رضي الله عنه فقال: مرحبًا بابن عمِّ رسول الله ﷺ وخَتَنه، وسيِّد بني هاشمٍ ما خلا رسولَ الله ﷺ، ثم افترقوا فقال عبد الله: كيف رأيتموني فعلتُ؟! فإذا رأيتموهم

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٣١٨).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٣٢١).

(٣) في قوله هذا ردٌّ على مَن خصَّ العمه بالبصيرة والعمى بالبصر. انظر: «فقه اللغة» للثعالبي (ص: ٣٣)، و«المفردات» للراغب الأصفهاني (ص: ٥٨٨)، و«تاج العروس» للزبيدي (٣٦/ ٤٤٨) مادة (ع م ه).

فافعلوا كما فعلْتُ، فأثنوا عليه خيرًا، فرجع المسلمون إلى رسول الله ﷺ فأخبروه بذلك، فأنزل الله هذه الآية(١).

***

(١٦) ـ ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾.

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ﴾؛ أي: الذين تقدَّم ذكرُهم هم الذين بدَّلوا الإيمانَ بالكفرِ.

وأصل الاشتراء: الاستبدال، مشتقٌّ من الشَّرْوَى، وهو المِثل؛ لأنَّ المشتري يعطِي شيئًا ويأخذ شيئًا، والاشتراء: الاستبدالُ بالعوضِ من الثَّمنِ، وهو الابتياع.

والشِّرى: البيعُ، يُمَدُّ ويُقصَر، ومنه: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ [يوسف: ٢٠]، ويُستعمَل للابتياع أيضًا، كما يُستعمَل الاشتراءُ للبيع أيضًا.

وقيل: ﴿اشْتَرَوُا﴾: اختاروا، وهو مزيَّفٌ؛ لقولِه: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ﴾(٢).

مجاهِدٌ: كانوا قد آمنوا ثم كفروا(٣).

محمَّد بن كعب: المراد به اليهود؛ كانوا مؤمِنين بمحمَّد ﷺ، فلمّا جاءهم كفروا به(٤).

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ١١٢)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٢) من طريق محمد بن مروان، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقال ابن حجر في «الكافي الشاف» (ص: ٥): (محمد بن مروان متروك متهم بالوضع، وسياقه في غاية النكارة).

(٢) توسَّع الطبري في بيان هذا القول وردِّه. انظر: «تفسيره» (١/ ٣٢٦).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٣٢٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٥٠).

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٩١)، وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٣٥) عن قتادة والسدي ومقاتل.

وقيل: الضَّلالة هاهنا: النّار، والهدى: الجنّة.

﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ﴾: الرِّبحُ: الزِّيادةُ على رأسِ المالِ، والتِّجارةُ: طلب الرِّبح بالسِّلعة، وأضاف الرِّبح إلى التِّجارةِ توسُّعًا، كما يقال: ليلُه قائمٌ ونهارُه صائمٌ، والتَّقدير: فما ربحوا في تجارتهم[1].

﴿وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾: قيل: تأكيدٌ للأوَّل، وقيل: معناه: وما كانوا مهتدين إلى التِّجارةِ؛ لأنَّ التّاجرَ ربَّما لا يربح وهو على هدًى في تجارتهِ، وهؤلاء لم يربحوا وخسِروا رؤوس أموالهم.

* * *

(١٧) ـ ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾.

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ المَثَلُ والمِثْلُ لغتانِ، كالشَّبَهِ والشِّبْهِ.

ابن عيسى: المثل: العَلَمُ على معنًى سائرٍ، يُشبَّهُ فيهِ الثّاني بالأوَّلِ[2].

والاستيقاد والإيقاد لغتان، كالإجابة والاستجابة.

وقيل: السِّين للطَّلبِ؛ أي: طلب الإيقادِ.

والوُقودُ: ظهورُ النّارِ فيما يقبل الاحتراق[3].

والوَقودُ بالفتح: ما تُوقَد به النّارُ.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ٥٢)، وللزَّجّاج (١/ ٩٢).

(٢) انظر: «الوسيط» للواحدي (١/ ٩٣).

(٣) فهو المصدر بمعنى التلهُّب. انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٣٤).

والنّارُ: الجوهرُ المضيء[1] الحارُّ المحرِقُ، مشتَقٌّ من النُّورِ.

﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ﴾؛ أي: أضاءت النّارُ ما حولَه.

و(أضاءَ) و(ضاءَ) بمعنى إذا كثُرَ نورُه وتبيَّنَ، و(أضاء) لازمٌ ومتعدٍّ[2].

وحَولُ الشَّيءِ وحواليهِ: جوانبُه.

﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ﴾: يجوز أن يكون جوابَ (فلمّا)، ويجوز أن يكون الجوابُ مضمرًا، تقديره: طُفِئَتْ.

والذَّهاب: الانطلاق، والإذهاب: الحمل عليهِ، وكذلك الذَّهاب به، ويُستعمل الذَّهاب به للإهلاك[3].

والنُّورُ: جوهرٌ فيهِ عرضٌ ينافي الظُّلمة، وقيل: هو ما يُرَى ويُرَى به.

﴿وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ﴾: التَّرك: نقيضُ الأخذ.

والظُّلمات: جمع ظُلمةٍ، والظُّلمة والظَّلام: عَرَضٌ يُنافِي الضِّياء.

والإبصار: الإدراك بحاسّة العين، ويقال: أبصرَ إبصارًا، وبَصُرَ بَصَرًا أيضًا.

أي: مَثَلُ المنافقين في إظهارِهم كلمةَ الإيمانِ واعتِزازِهم بها كحالِ هذا المستوقِدِ في أمنِهِ ممّا يخاف ويحذر، فلمّا طُفِئَتْ عاد إلى ما كان عليه من الخوف، كذلك المنافقون يؤول أمرُهم في الدُّنيا والآخرة إلى المكروه.

---

(١) «المضيء» من (ن).

(٢) والذي في الآية متعدٍّ، و(أضاء) لغة أعلى من (ضاء). انظر: «معاني القرآن» للزَّجّاج (١/ ٩٦)، و«البسيط» للواحدي (٢/ ١٨٨).

(٣) في (و): «للهلاك». وانظر: «الصحاح» (٤/ ١٤٠٤) مادة (ع ص ف)، و«القاموس المحيط» مادة (ذ ه ب).

ووحَّدَ (الذي) وجمعَ ما بعدَه؛ لأنَّه اسمٌ مبهمٌ مبنيٌّ يجرِي مجرى (مَن) في وقوعِهِ على الواحدِ والجمعِ، وهذا كلامُ الشَّيخ أبي عليٍّ[١].

وقيل: أراد (الذين)، فحذف النُّون[٢].

وقيل: أراد: كمثل أصحاب الذي استوقد.

وقيل: شبَّه الاستِضاءةَ بالاستِضاءةِ، لا الأشخاصَ بالأشخاصِ، فكان التَّوحيدُ والجمعُ سواءً.

***

(١٨) ـ ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾.

﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ ﴾؛ أي: هم[٣].

والصَّمم: داءٌ في الأذن يمنعُ من السَّمع، وأصلُه الصَّلابة، يُقال: قَناةٌ صمّاء، وقيل: أصلُه السَّدُّ.

والبُكْمُ: جمع أبكم، والبَكَمُ: الآفةُ في اللِّسانِ المانعةُ عنِ الكلامِ.

والأبكَمُ: الذي يُولَدُ أخرس، وقيل: الأبكمُ: المسلوبُ الفؤادِ الذي لا يعي شيئًا ولا يفهمُه[٤].

والعُمْيُ: جمع الأعمى، والعَمى: الآفةُ[٥] في العينين المانعةُ عن إدراكِ المبصَر[٦].

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (١/ ١٥٠).

(٢) انظر: «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (ص: ٢١٣)، و«تفسير الثعلبي» (٣/ ١٣٢).

(٣) في (ن): «هم صم».

(٤) في (ن): «يفهم». والقول للأنباري في «الزاهر» (١/ ٢٧٧).

(٥) في (و): «آفة».

(٦) في (و): «عن البصر».

والمعنى: صمٌّ عن استماع الحقِّ، بُكْمٌ عن التَّكلُّم به، عميٌ عن الإبصار له.

﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾؛ أي: عن الجهل والعمى إلى الحقِّ والهدى.

ابن عبّاسٍ: هذا ذمٌّ واستبطاءٌ[١].

ابن مسعود: إلى الإسلامِ[٢].

ابن عيسى: الرُّجوعُ على وجهينِ:

رجوعٍ إلى الشَّيءِ، وهو الذَّهابُ إليهِ بعد الانصرافِ.

ورجوعٍ[٣] عنه، وهو الذَّهابُ عنه بعد المصيرِ إليهِ.

***

(١٩) ـ ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ الزَّجّاج: (أو) هاهنا للإباحةِ والتَّخيير[٤].

والإباحة في (أو) إنَّما تكون في الأمرِ دون الخبرِ، وهذا خبرٌ[٥].

---

(١) روى معناه الطبري في «تفسيره» (١/ ٣٤٩).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٣٤٩).

(٣) في (و): «والرجوع».

(٤) ما نقله المصنف فيه نظر؛ فهناك فرق بين الإباحة والتخيير، وهو أن التخيير يمنع الجمع أما الإباحة فلا تمنعه، والزَّجّاج يرى أنَّ هذا من أمثلة الإباحة لا التخيير. انظر: «معاني القرآن» للزَّجّاج (١/ ٩٦).

(٥) نصَّ الجوهري على ما قاله المصنِّف، أما متقدمو النحويين فذكروا معنى الإباحة في (أو) في سياق الأمر، وفي كلام النَّحّاس ما يُشير إلى الفرق، فقد قال: (ومعنى (أو) هاهنا التصرف مرة كذا ومرة =

وقال الكوفيُّون: (أو) هاهنا بمعنى الواوِ، والبصريُّون ينكرون هذا[١].

والوجهُ هو الأوَّلُ على تقديرِ: مَثِّلْهم إنْ شئتَ بالأوَّلِ، وإنْ شئتَ بالثّاني.

والصَّيِّبُ: المطر، وهو الجاري من عَلٍ[٢]، مِن (صابَ يصوبُ)، والصَّيِّبُ: السّحابُ أيضًا.

الزَّجّاج[٣]: أو كأصحابِ صيِّبٍ[٤].

والسَّماء: سقفُ الأرضِ.

والرَّعدُ ـ عن ابنِ عبّاسٍ ومجاهدٍ ـ: مَلَكٌ[٥]، والمسموعُ من السَّحابِ صوتُه، والبرقُ ضربُه السَّحاب.

ويُقال: الرَّعد: هو الصَّوت المسموع.

ابن عيسى: الرَّعد: الصَّوت الشَّديد لاصطكاكِ أجرامِ السَّحابِ.

والبرق: اللَّمعُ المنقدحُ من السَّحابِ، وقيل: البرقُ: وميضُ السَّحابِ.

= كذا، وهي بمنزلة (أو) التي تكون للإباحة في الأمر). انظر: «الكتاب» (٣/ ١٨٤)، و«المقتضب» للمبرد (١/ ١١)، و«الأصول» لابن السَّرّاج (٢/ ٥٦)، و«شرح كتاب سيبويه» للسيرافي (٣/ ٤٢٧)، و«معاني القرآن» للنَّحّاس (٣/ ٩)، و«الصحاح» للجوهري (٦/ ٢٢٧٤).

(١) انظر: «الإنصاف» للأنباري (٢/ ٣٩١)، و«الدر المصون» للسمين الحلبي (١/ ١٦٧).

(٢) الأصل في هذه الكلمة الجرُّ، وقد ترفعها العرب إن أرادتِ الغاية. انظر: «العين» (٢/ ٢٤٧) مادة (ع ل و)، و«الكتاب» (٣/ ٢٨٧) و(٤/ ٢٢٨)، و«مقاييس اللغة» لابن فارس (٤/ ١١٦) مادة (ع ل و).

(٣) في (ن): «أراد أو...».

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزَّجّاج (١/ ٩٤).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٣٥٧ـ٣٥٩).

﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾: الجَعْلُ: تحصيلُ الشَّيءِ على حقيقةٍ لم يكن عليها قبلُ.

والأصابع: واحدها أصبعٌ، كيفما تلفَّظتَ به ممّا له نظِيرٌ جازٌ[1]، وهي الجارحةُ التي يُعقَدُ بها العدد.

والحذرُ: طلبُ السَّلامةِ من الضَّررِ الواقعِ وما لا يُؤمَنُ أن يقع.

والموتُ: عَرَضٌ يعقبُ الحياة.

﴿وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾: مهلكُهم وجامِعُهم في النّارِ، والإحاطة: حَصْرُ الشَّيءِ بالمنعِ له من كلِّ جهةٍ.

والصّاعقةُ: الهائلةُ من صوت الرَّعدِ تصحبُه نارٌ تُحرِقُ ما مسَّته.

ابن عبّاس: الصَّيِّبُ مشبَّهٌ بالقرآنِ، والظُّلماتُ بما فيهِ من الابتِلاءِ، والرَّعدُ بزواجِرِه، والبرقُ ببيانِه، والصَّواعقُ بوعيدِهِ[2].

الحسن: شبَّه المطرَ بالإسلامِ، وإبطانَ المنافقِ الكفرَ بالظُّلماتِ، والرَّعدَ بفرضِ الجهاد، والبرقَ بحقْنِ الدِّماءِ، والصَّواعقَ بالمزاجرِ[3].

وقيل: شبَّهَ جَعْلَ المنافقِين أصابِعَهم في آذانِهم كراهةَ استِماعِ القرآنِ بجعلِ أصحابِ الصَّيِّبِ أصابِعَهم في آذانِهم خوفًا من أن تَسْلُبَ الصَّواعِقُ قلوبَهم فيموتوا.

***

---

(١) الأصبع مثلَّثة الهمزةِ، ومع كلِّ حركةٍ تُثلَّث الباء الموحَّدة، فهي تسع لغات. انظر: «تاج العروس» للزبيدي مادة (ص ب ع).

(٢) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (١/ ٣٦٩).

(٣) ذكر نحوه الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (١/ ٣٩٦)، والرازي في «مفاتيح الغيب» (٢/ ٣١٥) دون نسبة. والمزاجر: جمع مزجرة، وهي ما يدعو إلى المنع.

(٢٠) ـ ﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَـٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَـٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾.

﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَـٰرَهُمْ ﴾: كادَ: فِعلٌ يُستعمَل لتقريبِ الفعلِ جدًّا، ولا يُستعمَل معه (أنْ) لأنَّه عَلَمُ الاستقبالِ.

والخَطْفُ: الاختلاسُ السَّريعُ(١).

أي: يكادُ البرقُ يخطَفُ أبصارَ أصحابِ الصَّيِّبِ كما تكاد الدَّلائلُ تخطَفُ قلوبَ هؤلاءِ؛ لِما معها من الإزعاجِ إلى النَّظرِ والدُّعاءِ إلى الحقِّ.

﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ ﴾: المشيُ: نقلُ الأقدامِ في لينٍ.

والمشيئةُ: الإرادةُ.

ابن عيسى: المشيئةُ: تضادُّ الكراهة(٢).

﴿لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَـٰرِهِمْ ﴾؛ أي: ولو شاءَ اللهُ لأعماهم وأصمَّهم، فلا ينتفعون بالظّاهر منها، كما لا ينتفعون بالباطن.

---

(١) في (ن) زيادة: «ابن عيسى».

(٢) قول ابن عيسى هذا فيه رائحة جبرٍ وقدرٍ؛ لأن المحبة والرضا هما نقيض الكراهة، والمشيئة والإرادة معناهما واحد، فالمشيئة شيء والمحبة والرضا شيء آخر، وقد سوَّى بينهما الجبرية والقدرية، ثم اختلفوا، فقالت الجبرية: الكون كله بقضائه وقدره، فيكون محبوباً مرضياً، وقالت القدرية النفاة: ليست المعاصي محبوبة لله ولا مرضية له، فليست مقدَّرة ولا مقضية، فهي خارجة عن مشيئته وخلقه، وقد دلَّ الكتاب والسنة والفطرة الصحيحة على الفرق بين المشيئة والمحبة.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ الشَّيء: أعمُّ الأسماءِ[1].

ابن عيسى: ما صحَّ أن يُذكَرَ ويُخبَرَ عنه.

والقدرة: الاستِطاعة، ونقيضُه العجزُ.

والمعنى: إذا سمعوا ما أحبَّوا صدَّقوا، وإذا سمعوا ما كرهوا كذَّبوا.

وقيل: كلَّما غنموا تبعوا المسلمين، وإذا لم يصيبوا غنيمةً قعدوا عن الجهاد، وهذا تهديدٌ ووعيدٌ؛ أي: هم في قبضتِه سبحانَه لا يفوتونَه.

* * *

(٢١) - ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ عن علقمة: كلُّ ما في القرآنِ من قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ فهو خطابٌ لأهلِ مكّة، وما فيهِ من قولِهِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فهو خِطابٌ لأهل المدينة[2].

ومعنى ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾: وحِّدوه.

قال ابن عبّاسٍ: كلُّ عبادةٍ في القرآنِ فهي توحيدٌ[3].

﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾: ابتدأكم ولم تكونوا شيئًا، والخلقُ: الإيجادُ على تقديرٍ وترتيبٍ.

﴿وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾؛ أي: آباءَكم وأسلافكم، فعبادةُ الخالق أولى من عبادةِ الصَّنم المخلوق.

---

(١) في (ن): «الأشياء». وانظر: «المقتضب» للمبرد (٣/ ١٨٦).

(٢) رواه الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٢).

(٣) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (١/ ٣٦٣)، والسمرقندي في «تفسيره» (١/ ٣٠١)، والقرطبي في «تفسيره» (١٨/ ١٩٣).

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ مجاهدٌ: تطيعون[١].

قال قطرب: لكي تتَّقوا عقوبته[٢].

وقال سيبويه[٣]: أي: اعبدوا على رجاء أن تتَّقوا[٤].

واتِّصاله[٥] يحتملُ أن يكونَ بالعبادة، ويحتملُ أن يكونَ بالخلق.

* * *

(٢٢) - ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾؛ أي: صيَّرها لكم بساطًا.

الزَّجّاج: ﴿فِرَٰشًا﴾ يمكن الاستقرار عليها، ولم يجعلها حَزْنةً غَليظةً[٦].

﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾: سقفًا.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٣٨٦).

(٢) أي: (لعل) بمعنى (كي)، وقد ذكر ذلك المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ١٢٤)، والواحدي في «البسيط» (٢/ ٢٢٠)، وذكر ابن السَّرّاج هذا القول، وهو منقول عن الكسائي والأخفش. انظر: «الأصول» لابن السَّرّاج (١/ ٢٥٩)، و«ارتشاف الضرب» لأبي حيان (٣/ ١٢٤٠).

(٣) «سيبويه» من (ن).

(٤) ذهب سيبويه إلى أن (لعل) تدلُّ على الطمع والإشفاق، وهو الذي عُبِّر عنه بالترجِّي والرجاء، وعبارة المصنف مستفادة من الواحدي. انظر: «الكتاب» (٣/ ١٦٠) و(٤/ ٢٣٣)، و«معاني القرآن» للزَّجّاج (١/ ٩٨)، و«إعراب القرآن» للنَّحّاس (٤/ ٢٣٩)، و«البسيط» للواحدي (٢/ ٢١٩).

(٥) لعلَّ مراده: المرجو له التقوى يحتمل أن يكون العابدين أو المخلوقين، والله أعلم.

(٦) انظر: «معاني القرآن» للزَّجّاج (١/ ٩٩)، والحزن: ما غلظ من الأرض، وهو خلاف السهل. انظر: «المصباح المنير» للفيومي مادة (ح ز ن).

الزَّجّاج: ما علا الأرضَ فهو بناءٌ(١).

والبناءُ في اللُّغةِ: الوضعُ على الأساس(٢).

﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: السَّحاب، وقيل: من جانبِ السَّماءِ.

﴿مَآءً﴾: مطرًا، والماء(٣): جوهرٌ سيّالٌ به قِوامُ الحيوانِ.

﴿فَأَخْرَجَ﴾: أظهر، والإخراجُ: النَّقلُ عن محيطٍ، والخروجُ: الانتقالُ عن محيطٍ.

﴿بِهِۦ﴾: بالمطرِ.

﴿مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾: حَمْلِ الأشجارِ.

﴿رِزْقًا لَّكُمْ﴾: قوتًا لكم ومعاشًا.

يجوز أن ينتصِب (الرِّزق) بالإخراجِ، و(من) لابتداء الغايةِ، ويجوز أن تكون (الثَّمرات) مفعولًا، و(من) زائدةٌ، و(رزقًا) حالٌ.

﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾: أمثالًا، والنِّدُّ: المِثْلُ المناوئ، من (ندَّ البعير)؛ إذا شرد.

وقيل: هي أندادٌ بعضُها لبعضٍ.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزَّجّاج (١/ ٩٩).

(٢) قد توحي عبارة المصنِّف أنه ينقل ما ذكره عن أئمة اللغة، ولكنَّنا لم نجد عبارته هذه ـ وكثيراً من تعاريفه التي تقدَّم ذكرها ـ فيما بين أيدينا من كتب اللغة، فأغلب الظنِّ أنَّه يصوغ عبارات للتعريف ببعض الأشياء وَفقَ معرفتِه باللغة مستفيداً مما ذكره أئمة اللغة قبله، فالمبرد مثلاً ذكر أنَّ الأساس أصل البناء، والظاهر أنَّ المصنف أفاد من ذلك، فأعاد صياغة تعريفه للبناء. انظر: «الكامل» للمبرد (٨/٤).

(٣) في (و): «والمطر».

المفضَّل[1]: ﴿أَندَادًا﴾: أضدادًا[2].

﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنَّها لا تخلق ولا ترزق، واللهُ الخالقُ الرّازق.

وقيل: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾ عن علمٍ منكم؛ لأنَّ الذَّنب من ذي العلم أعظم.

وقيل: معنى ﴿تَعْلَمُونَ﴾: تعقلون.

ثم احتجَّ على منكِري نبوّةِ محمّدٍ عليه السَّلام فقال:

***

(٢٣) ـ ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾.

﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ﴾: في شكٍّ.

﴿مِّمَّا نَزَّلْنَا﴾؛ أي: القرآن.

﴿عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾: محمَّدٍ.

والعبدُ: المملوكُ من نوع ما يعقِل، مشتقٌّ من التَّعبُّد، وهو التَّذلُّل.

= وقلتم: لا ندرِي أهو من عندِ اللهِ أم لا؟ ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾: يجوز أن

---

(١) هو المفضَّل بن سلمة، كان لغوياً أديباً علامة، توفي ٢٩٠هـ، له كتاب «معاني القرآن»، وله كتاب «ضياء القلوب في معاني القرآن وغريبه ومشكله»، وقد أخذ عنه المصنف. انظر: «الفهرست» لابن النديم (ص: ٥٤)، و«سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٤/ ٣٦٢).

(٢) انظر: «النكت والعيون» للماوردي (١/ ٨٣)، وكذا فسَّره أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (١/ ٣٤١)، وسهل التستري في «تفسيره» (ص: ٢٧).

تكون ﴿مِّن﴾ للتَّبعيضِ؛ أي: بعض كلامٍ يماثل القرآن، ويجوز أن تكون للتَّبيينِ، ويجوز أن تكون زيادةً.

والهاء في ﴿مِّثۡلِهِۦ﴾ تعود إلى القرآنِ[١].

قتادة في جماعةٍ: تعود إلى النَّبيِّ ﷺ[٢].

وقيل: الخِطابُ لليهودِ الذين كانوا عالِمين بما في التَّوراة؛ أي: فَلْيُحْضِروا سورةً من سُوَرِ التَّوراةِ حتى يعلموا وِفاقَهما.

﴿وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم﴾: واستعينوا بآلهتكم، والدُّعاء: الطَّلب لأمرٍ أنْ يُفعَلَ.

والشَّهادةُ: الإخبارُ بالشَّيءِ عن مشاهدةٍ، والإخبارُ بالشَّيءِ عن يقينٍ شهادةٌ تشبيهًا بذلك[٣].

ابن جريج: هو جمع شاهدٍ؛ أي: مَن يشهدُ بأنَّ ما أَتَيْتُم مثلُه[٤].

ابن جريرٍ والزَّجّاج: جمع شهيد؛ أي: مَن شَهِدْتم حضرتَه ورجوتم معونَته؛ أي: اجتمعوا أنتم واسألوا آلهتكم أن يُعينوكم[٥].

﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ ومعنى ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: تأتون عبادَتَه من مكانٍ دونَ مكانِ عبادةِ اللهِ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٣٩٦_٣٩٧) عن قتادة ومجاهد.

(٢) لم أقف على من نسب هذا القول لقتادة، وقد ذكره الطبري في «تفسيره» (١/ ٣٩٧) من غير ذكر قائله، وكذا فعل الزَّجّاج في «معاني القرآن» (١/ ١٠٠)، والثعلبي في «تفسيره» (١/ ١٦٨)، والماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٨٤).

(٣) كذا في النسخ الخطية، ولعل المراد: وتسميةُ الإخبارِ بالشَّيءِ عن يقينٍ شهادةً تشبيهٌ بذلك.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٤٠٠).

(٥) انظر: «تفسير الطبري» (١/ ٤٠١)، و«معاني القرآن» للزَّجّاج (١/ ١٠٠).

ويحتمل: استعِينوا مَن[1] شئتم من دونِ اللهِ؛ أي: لا يأتي به إلَّا الله.

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أنَّ ذلك من كلامِ محمَّدٍ ﷺ.

والصِّدق: الإخبار بالشَّيءِ على ما هو به.

وجوابُ الشَّرطِ محذوفٌ يدلُّ عليه ما قبله؛ أي: إن كنتم صادقِين في دعوتكم فأتوا بسورة من مثله.

* * *

(٢٤) ـ ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾.

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟﴾؛ أي: إن لم تأتوا بالسُّورةِ فاتَّقوا النّار.

وقوله: ﴿وَلَن تَفْعَلُوا۟﴾ قال بعض المفسِّرين معناه: فإن لم تفعلوا هذا فيما مضى ولن تفعلوا هذا فيما يُستقبل أبدًا فاتَّقوا، فحمل ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟﴾ على المضيِّ، وهذا تدفعُه قضِيّة الإعرابِ والفِقهِ جميعًا، وليس هنا موضع شرحه[2].

وقال بعضهم: في الآيةِ تقدِيمٌ، والتَّقدير: فأتوا بسورةٍ من مثلهِ وادعوا شهداءكم من دونِ اللهِ إن كنتم صادِقين ولن تفعلوا، ثم استأنف فقال: فإن لم تفعلوا فاتَّقوا النّار.

---

(١) يتعدَّى الفعل (استعان) بنفسه وبالباء، وقد عدّاه المصنف بنفسه. انظر: «المحكم» لابن سيده (٢/ ٣٦٨) مادة (ع و ن).

(٢) شرحه المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ١٢٦) فقال: (هذا غير مرضيٍّ عند الفقهاء والنحاة؛ لأنه إذا قال: «إن دخلتِ الدار فأنتِ طالق، وإن لم تدخلي الدار فأنت طالق»، يقع على دخول مستأنف، ولا يتعلق بالماضي ألبتة، وهذا إجماع. وقال النحويون: (لم) إذا دخل المستقبلَ نقله إلى معنى الماضي، و(إن) الشرطية إذا دخل الماضي أو ما بمعنى الماضي نقله إلى معنى المستقبل).

وهذا ضعيفٌ؛ لأنَّ الشَّيء لا يُزالُ عن موضعه إلّا لضرورة، ولا ضرورةَ هنا.

والوجه الذي عليه المحقِّقون: أنَّ قوله: ﴿وَلَن تَفْعَلُواْ﴾ اعتراضٌ بين الشَّرطِ والجزاءِ، لا محلَّ له من الإعرابِ، وباب الاعتراضِ بابٌ واسِعٌ، وحَسُنَ هذا الاعتراضُ لأنَّ الشَّرطَ لفظُه للتَّردُّدِ، فقطعَ التَّردُّدَ بقولِهِ: ﴿وَلَن تَفْعَلُواْ﴾.

﴿فَاتَّقُواْ النَّارَ﴾؛ أي: فاحذروا أن تصلوها.

﴿الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾: الوَقودُ: ما يُوقَدُ به، والوُقودُ: المصدر.

و﴿وَالْحِجَارَةُ﴾: قيل: هي حجارة الكِبريت، وهي أشدُّها حرًّا إذا أُحمِيَتْ.

وقيل: حِجارةٌ يُعذَّبون بها.

وقيل: هي الأصنام من قولِهِ: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨].

وقيل: كنوز الذَّهب والفضة.

﴿أُعِدَّتْ﴾: ادُّخِرَتْ وهُيِّئَتْ.

وفي لفظِ: ﴿أُعِدَّتْ﴾ دليلٌ على أنَّ النّار مخلوقةٌ(١).

﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ خصَّهم بالذِّكرِ لِعظَمِ ذنبِهم، وقيل: هذه لهم، ولغيرِهم غيرُها.

وفي الآيةِ دلالة النُّبوّةِ من وجهين:

أحدِهما: عَجْزِهم عن الإتيانِ بمثلِهِ.

والثّاني: صِدْقِه في قولِهِ: ﴿وَلَن تَفْعَلُواْ﴾.

---

(١) ذهبت طائفة من المعتزلة والخوارج إلى أن الجنة والنار لم يُخلقا بعدُ، وجمهور المسلمين على أنهما مخلوقتان. انظر: «الفِصَل في الملل والأهواء والنحل» لابن حزم (٤/ ٦٨).

والمعنى: إذا ظهرَ عجزُكم عن الإتيانِ بمثلِهِ صحَّتْ نبوَّتُه ووجبَ تصديقُه، فإنْ لم تؤمنوا به، فاتَّقوا النّارَ المُعدّةَ للكفّار.

***

(٢٥) ـ ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾؛ أي: أخبرهم خبرًا يظهرُ أثرُه على البشرة، وهي ظاهِرُ الجلدِ، يقال: بَشَرْتُهُ فأبشَرَ واستبْشَرَ، وبشَّرْتُهُ فتبشَّرَ، والبَشارةُ المصدر، والبِشارةُ الاسم، يُستعمَلُ في الخيرِ، واستعمالُه في الشَّرِّ مجازٌ، وقيل: يُستعمَل فيهما حقيقةً.

﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾؛ أي: الطّاعاتِ.

والعملُ: إيجادُ الشَّيءِ بعد أنْ لم يكن.

والصَّلاح: الفِعلُ المستقيم.

﴿أَنَّ لَهُمْ﴾: بأنَّ لهم ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى﴾: الجنّة: دارُ اللهِ في الآخرةِ، وفي اللُّغة: البستان فيه نخلٌ وشجرٌ، فإذا انضاف إليها الكرمُ فهي الفِردوس، مشتقّةٌ من (جَنَنْتُهُ)؛ أي: سترتُه.

﴿مِن تَحْتِهَا﴾ ابن عبّاسٍ: من تحتِ أشجارها[1].

وقيل: منازلها[2] وأشجارها.

---

(١) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (١/ ٤٠٣)، والسمرقندي في «تفسيره» (١/ ٣٦)، والثعلبي في «تفسيره» (١/ ١٧٠) وغيرهم بلا نسبة.

(٢) في (ن) زيادة: «ومن بمعنى في وتحتمل منابعها من تحت منازلها».

وقيـل: ﴿مِن تَحْتِهَا﴾: مـن جهتِهـا، كقولـهِ: ﴿وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ﴾ [الزخـرف: ٥١]؛ أي: مـن جهتـي.

والجريُ: الاطِّراد.

﴿ٱلْأَنْهَٰرُ﴾: جمع نهرٍ، وأصله السَّعة.

﴿كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا﴾: كلَّما أُطعِموا فاكِهةً منها.

﴿قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ ابن عبّاسٍ: في الدُّنيا[١]؛ أي: من نوع ذلك.

الحسنُ في جماعةٍ: أي: في الجنّةِ[٢].

وقيل: وُعِدناه في الدُّنيا.

﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾: خيارًا كُلَّه، لا يشوبُه عَجَمٌ[٣] ولا نَوًى.

ابن عبّاسٍ: متشابهًا[٤] في اللَّون مختلِفًا في الطَّعم[٥].

عكرمة: يُشبهُ ثمرَ الدُّنيا غير أنَّ ثمرةَ الجنّةِ أطيبُ[٦].

والتَّشابه: التَّماثل.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٤٠٨).

(٢) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ١٠٩) عن الحسن ومجاهد، ورواه الطبري في «تفسيره» (٤١٠) عن يحيى بن أبي كثير.

(٣) العجم: النوى، وحبُّ كلِّ شيء: عَجَمُه. انظر: «جمهرة اللغة» لابن دريد (١/ ٤٨٤) مادة (ع ج م).

(٤) في (و): «مشتبهاً».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٤١٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٦٦).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٤١٥).

﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ﴾: جمع زوجٍ، والزَّوج: الرَّجلُ له امرأةٌ، والمرأةُ لها بَعلٌ، ويُقال لها: الزَّوجة أيضًا.

﴿مُّطَهَّرَةٌ﴾: من البولِ والغائطِ والحيضِ والنِّفاسِ وسوءِ الأخلاقِ.

والتَّطهير: التَّقدِيس.

﴿وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾: دائمون لتمامِ النِّعمةِ.

والخلودُ: البقاءُ في الشَّيء من غير آخرٍ.

* * *

(٢٦) ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا﴾: ابن عبَّاسٍ قال: لـمّا ضربَ اللهُ المثلَينِ اللَّذَينِ تقدَّما من قولِه: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ [البقرة: ١٧] وقولِه: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ١٩] للمنافقِين، قالوا: اللهُ أجلُّ وأعلا من أن يضرِبَ الأمثال، فأنزل اللهُ هذه الآية(١).

الحسن وقتادة: لـمّا ذكرَ اللهُ الذُّبابَ والعنكبوتَ في كتابه وضرَبَ الأمثالَ، ضحكَتِ اليهود وقالوا: ما يُشبِهُ هذا كلامَ اللهِ، فأنزل اللهُ هذه الآية(٢).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٤٢٣).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٧)، والطبري في «تفسيره» (١/ ٤٢٤) عن قتادة، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٦٨ ـ ٦٩) عن السدي وقتادة، ثم قال: ورُوي عن الحسن وإسماعيل بن أبي خالد نحوُ قول السدي وقتادة.

والمعنى: أنَّ اللهَ لا يتركُ ضرْبَ المثلِ تركَ ما يُستَحيا منه.

وقيل: لا يمتنعُ عنه.

وقيل: لا يخشى.

والاستحياءُ: الامتناع والارتداع.

والمعنى: ليس محلُّ ضربِ المثلِ بالبعوضِ محلَّ ما يُستَحيا منه.

و﴿أَن يَضْرِبَ﴾: يُبيِّن ويصِف، وضَرْبُ المثلِ يتعدَّى إلى مفعولَين لتضمُّنِهِ معنى (جعل).

والمَثَلُ: الشَّبَهُ.

﴿مَّا بَعُوضَةً﴾ الزَّجّاج: ﴿مَّا﴾ زائدة مؤكِّدة.

وقيل: نكرة بمعنى (شيئًا)، و﴿بَعُوضَةً﴾: بدلٌ عنه أو صفةٌ له.

وقيل: هي موصولةٌ، وهذا على قِراءةِ مَن قرأ: (بعوضةٌ)[1].

وقيل: زائدةٌ للعموم، فيحسن الوقف عليه.

الفرّاء: ما بين بعوضة إلى ما فوقها، كما قالتِ العرب: مُطِرنا[2] ما بين زُبالةَ فالثَّعلبيّة[3].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزّجّاج (١/ ١٠٤)، وقراءة الرفع قراءة شاذة قرأ بها رؤبة بن العجاج. انظر: «الوقف والابتداء» لأبي بكر الأنباري (١/ ٣٥٥)، و«المحتسب» لابن جني (١/ ٦٤).

(٢) «مطرنا» من (ن).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٢)، وزبالة والثعلبية: موضعان بطريق مكة من الكوفة. انظر: «معجم البلدان» لياقوت (٢/ ٧٨) و(٣/ ١٢٩).

والبعوضُ: صِغارُ البقِّ، مشتقٌّ من (البعضِ)[1].

﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ قيل: في الكِبَر.

وقيل: في الصِّغر، كما يُقال: فلانٌ رفيعٌ، فيقول: وفوقَ ذلك، يريد: وفوقَ ذلك في الصِّغرِ.

وقيل: ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾؛ أي: فما دونها.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ﴾: أنَّ المثلَ -ويحتمِل: ضربَ المثلِ- ﴿الْحَقُّ﴾؛ أي: المثلُ الذي ضربَه اللهُ مثلٌ لِما ضربَهُ له.

وقيل: إنَّ اللهَ ضربَ هذا المَثَلَ، لا غيرَه.

والحقُّ: نقيضُ الباطلِ.

﴿مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾؛ أي: أيُّ شيءٍ أرادَ اللهُ بهذا المثلِ؟! إنكارًا منهم للحقِّ.

والإرادةُ: المشيئةُ.

وقيل[2]: الكلامُ تمَّ عندَ قولِهِ: ﴿مَاذَا﴾، فأجاب الله تعالى فقال: ﴿أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾.

﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا﴾ من الكافرين؛ لإنكارِهم الحقَّ.

والكثيرُ: نقيضُ القليل.

---

(١) في (و): «البق»، والصواب ما أُثبت، وذلك أنَّ هذه الحشرة اشتُقَّت من ذلك؛ لصغر جسمها عند مقارنتها بسائر الحيوانات.

(٢) «وقيل» من (ن).

﴿وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗا﴾ من المؤمنين؛ لتصديقهم.

وقيل: يضلُّ بالتَّكذيب ويهدي بالتَّصديقِ.

وقيل: يضلُّ عن طريقِ الجنّة.

وقيل: ﴿وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗا﴾ أيضًا من تمامِ الحكايةِ.

والوجهُ هو الأوَّل.

﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾: الخارجين من الدِّينِ. والفُسُوقُ: الخروجُ والتَّرك.

* * *

(٢٧) - ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ﴾: ينكثون. والنَّقضُ: إفسادُ ما أبرمْتَ من حبلٍ أو بناءٍ.

﴿عَهۡدَ ٱللَّهِ﴾: عقْده.

والعَهْدُ: الوصيّةُ، والعَهْدُ: الاستيثاقُ بالأيمانِ، والعَهْدُ: الالتقاءُ والرُّؤية، والعَهْدُ: المَنْزِلُ.

والمراد بالعَهْدِ هاهنا عند أكثرِهم: ما عَهِدَ اللهُ إلى عباده يومَ الميثاقِ في قوله: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

وعند بعضهم: ما عهد إليهم في الكتب المتقدِّمة في قولِهِ: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [آل عمران: ٨١].

وقيل: عَهْدُه: ما جعل في عقولهم من الحجّة على توحيده وصدق رسوله.

وقيل: هو من قولهِ: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ﴾ [فاطر: ٤٢].

﴿مِنۢ بَعْدِ﴾: ﴿مِنۢ﴾: زيادة، وقيل: لابتداء الغاية؛ لأنَّ ابتداءَ النَّقضِ مِن بعدِ ميثاقه.

﴿مِيثَٰقِهِۦ﴾: تأكيدِه ذلك. والميثاقُ: ما وقعَ التَّوثيقُ به، وأصلُه من الوَثاقةِ، وهي إحكامُ الشَّيءِ.

والهاء تعود إلى الله سبحانه، وقيل: إلى العهد.

﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾: الحسن: أمرَهم بصلةِ النَّبيِّ ﷺ والمؤمنين، فقطعوهم بقتالِهم إيّاهم(١).

قتادة: يعني: الرَّحم؛ فإنَّهم قطعوها بالمعاداةِ مع النَّبيِّ ﷺ(٢).

ويحتمل أن يُوصَلَ بالتَّصديقِ بجميع الأنبياء، فقطعوا بتصديق البعض وتكذيب البعض.

والقَطْعُ: عبارةٌ عن جعلِ الشَّيءِ عن الشَّيءِ بحيث يمكِنُ أن يكون بينهما حاجزٌ غيرهما.

﴿وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: بالكفرِ وقطعِ السَّبيلِ والتَّعويقِ عن الإيمانِ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾؛ أي: الموصوفون بالصِّفاتِ المتقدِّمةِ خسِروا الثَّواب ونالوا العِقاب.

والخُسرانُ: الذَّهابُ من رأس المال، ويُستعملُ للهلاك.

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٩٠)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٤٨) عن الحسن، وذكره الطبري في «تفسيره» (١/ ٤٤١) دون نسبة.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٤٤١).

(٢٨) ـ ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾ قيل: استفهام توبيخٍ، وقيل: استفهامٌ يتضمَّن التَّعجِيبَ للمؤمنين والتَّوبيخَ للكفَّار. وموضوع (كيف) للاستفهام.

﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا﴾ الواو للحالِ، و(قد) مقدَّرة؛ أي: وقد كنتم أمواتًا.

ابن عبّاسٍ وابن مسعود: أي: لم تكونوا شيئًا(١).

﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾: خلقكم، ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾؛ أي: في الدُّنيا، ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾؛ أي: في القِيامةِ.

قتادة: ﴿أَمْوَاتًا﴾ في أصلاب الآباء، ﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾ بأن جعلَ فيكم الحياةَ وأخرجَكم من بطونِ أمَّهاتكم، ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ في الدُّنيا، ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ للبعث(٢).

المفضَّل: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا﴾ بسبب مفارقةِ النُّطفةِ وانتقالها إلى الرَّحم؛ لأنَّ ما بانَ من الحيِّ فهو ميِّتٌ، ﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾(٣).

وقيل: كنتم أمواتًا خاملِي الذِّكرِ. وهذا مزيَّفٌ.

وقيل: كنتم أمواتًا، فأحياكم في القبرِ، ثم يميتكم بعد ذلك، ثم يحييكم للبعث.

وقيل: كنتم أمواتًا في صُلْبِ آدم، فأحياكم لأخذِ المِيثاقِ، ثم أماتكم بعد أخذِ الميثاقِ، ثم أحياكم وأخرجَكم من بطونِ الأمَّهات.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٤٤٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٧٣).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٤٤٦).

(٣) ذكره الطبري في «تفسيره» (١/ ٤٤٦)، والسمرقندي في «تفسيره» (١/ ٣٩)، والماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٩١) دون نسبة.

وقيل: الكلامُ تمَّ عندَ قولهِ: ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾؛ احتجَّ عليهم بما كانوا مقرِّين به، ثم استأنف فقال: ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾.

﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: تصيرون، فيجازِيكم على أعمالِكم.

وقيل: ترجعون بعد الحياةِ الثّانيةِ إلى مثلِ ما في ابتداءِ الحياة الأولى، لا تملكون لأنفسِكم شيئًا، وللهِ الحُكْم عليكم.

و(الميْتُ) يُذكَرُ والمرادُ به ما فارقَه الرُّوح، ويُذكَرُ والمرادُ به المواتُ الذي لم يكن له الرُّوحُ أصلًا.

***

(٢٩) - ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾: ﴿هُوَ﴾؛ أي: الله ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ﴾: أبدع ﴿لَكُم﴾: لأجلِكم ﴿مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾: كلَّها.

والجَمْعُ: نقيضُ التَّفريقِ.

و﴿جَمِيعًا﴾: مصدرٌ منصوبٌ على الحالِ.

أي: تنتفعون ببعضٍ وتعتبرون ببعضٍ.

وقيل: لا يخلو شيءٌ من منفعةٍ وإن خفِيَتْ عنّا.

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾؛ أي: بعد خلقِ الأرضِ ﴿ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾: قصد إلى بنائِها.

ابن عبّاسٍ: صَعِدَ أمرُه[1].

---

(١) ذكره الزَّجّاج في «تفسيره» (١/ ١٠٧).

المفضل: قصد وعلا وأقبل[١].

وقيل: خلق الأرض وخلق بعدها السَّماء، وأفاد قولُه: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ﴾: أنَّه لم يخلق بعد الأرض وما فيها إلَّا السَّماء، وهذا قولٌ حسنٌ.

﴿فَسَوَّىٰهُنَّ﴾: جعلهنَّ لا تفاوتَ فيها.

الزَّجّاج: (السَّماءُ) اسمُ الجنسِ، قال: ويحتمل أنَّها جمع سماوةٍ[٢].

﴿سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾: السَّبع من العدد: ما دون الثَّمان وفوق السِّتِّ.

﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾: علمَ انتفاعَكم واعتبارَكم.

وقيل: معناه: إذ بالعِلم يصحُّ الإتقان والإحكام.

* * *

(٣٠) ـ ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾ الزَّجّاج: (إذ): اسمٌ معناه الماضِي، وتقديره: ابتداءُ خلقِكم حينَ ﴿قَالَ﴾[٣].

وقيل: تقديره: واذكر إذ قال.

أبو عبيدة: (إذ) زيادة[٤].

---

(١) ذكره الماوردي في «تفسيره» (١/ ٩٢).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزَّجّاج (١/ ١٠٧).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزَّجّاج (١/ ١٠٨).

(٤) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٣٦ ـ ٣٧).

ويحتمل أنَّه ظرفٌ لقولِهِ: ﴿قَالُوٓاْ﴾.

﴿لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ﴾: جمع مَلَكٍ، واشتقاقه من (الأَلُوكِ) و(المأْلَكةِ)؛ أي: الرِّسالة، قال الشّاعر:

وغـلامٍ أرْسَلَتْـهُ أُمُّـهُ بِأَلُوكٍ فَبَذَلْنا ما سَأَلْ[١]

وأصلُه: (مَأْلَك)، ثم قُدِّمَ العين، فصار (مَلْأَكاً)، قال:

فَلَسْتَ لإنسِيٍّ ولكِنْ لِمَلْأَكٍ تَنَزَّلَ مِنْ جَوِّ السَّماءِ يَصُوبُ[٢]

ثم نُقِلَ فصارَ (مَلَكًا)، فلمّا جُمع عاد الهمزةُ، والتّاء لتَّأنيثِ الجمع، وقد جاء بغيرها قال:

.... أبا خالدٍ صَلَّتْ عَلَيْكَ المَلائِكُ[٣]

وسُمُّوا ملائِكةً لـمَن فيهم من الرُّسُلِ، وهم الكِرامُ البرَرة، الذين لا يعصون اللهَ ما أمرهم ويفعلون ما يُؤمَرون.

والخطابُ عامٌّ لهم، وقيل: الخطاب للملائكة الذين كانوا سُكّانَ الأرض، فأراد نقلَهم إلى جملة ملائكةِ السَّماء.

﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾: ﴿ٱلْأَرْضِ﴾: قيل: هي مكّة، وقيل: هي الأرض المعروفة.

---

(١) البيت للبيد بن ربيعة، كما في «ديوانه» (ص: ١٧٨)، و«غريب الحديث» للقاسم بن سلام (٣/ ٤٠٧)، و«تفسير الطبري» (١/ ٤٧٤).

(٢) البيت لعلقمة بن عبدة بن النعمان، كما في «المفضليات» للضبي (ص: ٣٩٤)، و«الزاهر» للأنباري (٢/ ٢٥٥)، ونُسب لغيره.

(٣) عجز بيت لكثير، كما في «ديوانه» (ص: ١٢٣)، وصدره:

كما قد عَمَمْتَ المؤمنينَ بنائِلٍ

أي: خليفةً عنكم يا ملائكتي.

والخليفة: هو القائمُ مقامَ غيرِه في الأمرِ الذي جُعِل إليه.

وقيل: خلِيفةً عن الجنِّ بني الجانِّ.

وسمِّي خليفةً؛ لأنَّه تخلَّف عمَّن تقدَّم.

وقيل: ﴿خَلِيفَةً﴾: أممًا يخلُفُ بعضُهم بعضًا، إذا هلكَتْ أمّةٌ خلفَتْها أمَّةٌ.

ابن عبّاسٍ وابن مسعود: خليفةً عن اللهِ؛ يعني: آدم عليه السَّلام يحكمُ في الأرض بالحقِّ[١].

وقيل: يزرع ويحصد ويبني ويُجري الأنهار.

﴿قَالُوٓاْ﴾؛ أي: الملائكة: ﴿أَتَجۡعَلُ﴾: أتخلق.

الزَّجّاج في جماعةٍ: الألف هاهنا للتَّقرير[٢]، كقول الشّاعر:

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المَطايا   وأنْدَى العالَمِينَ بُطُونَ راحِ[٣]

غيرُهم: هو للاستخبار[٤].

﴿فِيهَا﴾: في الأرض.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٤٧٩).

(٢) أي: همزة الاستفهام خرجت عن معناها الأصلي إلى معنى التقرير على سبيل الإنكار. انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ٦٣)، وللزَّجّاج (١/ ١٠٩)، و«شرح المفصل» لابن يعيش (٥/ ١٠٠).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزَّجّاج (١/ ١٠٩)، والبيت لجرير، كما في «ديوانه» (ص: ٨٥).

(٤) أي: همزة الاستفهام بقيت على معناها الأصلي وهو الاستفهام، ويسمى الاستخبار والاستعلام، وقد رجَّح الراغب الأصفهاني أنَّ هذا هو المعنى المراد في الآية. انظر: «تفسير الراغب الأصفهاني» (١/ ١٤٠)، و«اللباب» للعكبري (٢/ ١٢٩).

﴿مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ بتركِ أوامرك.

﴿وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾: يقتلُ النَّفسَ بغيرِ حِلِّها؛ أي: فيهم ومنهم مَن يفعلُ ذلك.

والسَّفْكُ: صبُّ الدَّمِ خاصّةً، ويُستعمَل لنثرِ الكلام.

والدَّم: أحد الأخلاط الأربعة التي جعل الله بها قوام البَدنِ[١].

وفي معرفتِهم ذلك أقوالٌ[٢]:

قال بعضهم: أخبرهم اللهُ بذلك.

وقيل: قال لهم: إنِّي جاعلٌ في الأرضِ خليفةً يفسدون فيها ويسفِكون الدِّماء، فحذَفَ الوصفَ من «القرآن»[٣]، ودلَّ ما بعدَه عليه.

وقيل: قاسوا على الغائب، وأوَّلُ مَن قاسَ الملائكةُ[٤].

وقيل: أطلعَهم اللهُ على الكائنات كلِّها، فسألوه عن معرفة وجهِ الحكمة.

وقيل: فهِمُوا ذلك من لفظ (الخليفة)؛ لأنَّ (الخليفةَ) هو القائمُ مقامَ الغيرِ موصوفًا بصِفتِه، وكان الجنُّ بهذه الصِّفة.

---

(١) «الأربعة»: ليس في (ن). والأخلاط الأربعة: الدم والبلغم والمرة الصفراء والمرة السوداء، التي عليها قوام البدن. انظر: «مفاتيح العلوم» للخوارزمي (ص: ١٠٦).

(٢) ذكر هذه الأقوال في «غرائب التفسير» (١/ ١٣١)، وزاد قولًا: (أنهم رأوا ذلك في اللوح المحفوظ، وهو مشتمل على الكائنات).

(٣) «من القرآن» من (ن).

(٤) ذكر القاضي أبو يعلى الحنبلي هذا القول من غير أن ينسبه مقابلًا لقول محمد بن سيرين: (أول من قاس إبليس). انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٥٨٠٦)، و«العدة» للقاضي أبي يعلى (٤/ ١٢٧٨).

وقيل: الملائكة شكُّوا في حال أنفسهم؛ أنكون مع جَعْلِ اللهِ[١] الخليفةَ وعدمِ[٢] جعلِهِ سواءً، أم الأمرُ بِخلافِ ذلك؟

وجمعُ الخليفة: الخلائِفُ، والخلفاءُ: جمعُ الخَلِيف.

﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾: نبرِّئُكَ وننزِّهُكَ عمّا لا يليقُ بوصفِك.

والتَّسبيح: التَّنزيه، ومنه: سبحانَ الله.

قال الشّاعر:

أقـولُ لـمّا جـاءَني فَـخْـرُهُ ... سُبْحانَ مِـنْ عَلْقَمـةَ الفاخِـرِ[٣]

وهو مصدرٌ تُرِكَ فِعلُه اكتفاءً بـ(سبَّحَ تسبيحًا).

وتسبيحُ الملائكة فيما روى ابنُ عبّاسٍ: سبحانَ ذِي الـمُلْكِ والـمَلَكوتِ، سبحانَ ذِي العِزّةِ والجبروتِ، سبحانَ الحيِّ الذي لا يموت[٤].

---

(١) اسم الجلالة: «الله» من (ن).

(٢) في (ن): «وترك».

(٣) البيت للأعشى. انظر: «ديوانه» (ص: ١٠٦)، و«تفسير الطبري» (١/ ٥٠٣). والمعنى: سبحان الله من فخرِ علقمة؛ أي: تنزيهًا لله مما أتى علقمة من الافتخار.

(٤) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ١٤٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وفي دعاء الملائكة عدة أحاديث وآثار منها ما رواه المروزي في «الصلاة» (٢٥٦)، وأبو الشيخ الأصبهاني في «العظمة» (٥٣٤)، والحاكم في «المستدرك» (٤٥٠٢) عن عبد الله بن عمر عن عمر رضي الله عنهما في حديث طويل وفي آخره: «أما أهل السماء الدنيا فيقولون: سبحان ذي الملك والملكوت، وأما أهل السماء الثانية فيقولون: سبحان ذي العزة والجبروت، وأما أهل السماء الثالثة فيقولون: سبحان الحي الذي لا يموت». وصححه الحاكم، وقال الذهبي: منكر غريب.

وفي حديث آخر عن رواه إسحاق بن راهويه في «مسنده» (١٠)، والطبري في «تفسيره» =

وقيل: التَّسبيح: الصَّلاة.

المفضَّل: السَّبحُ[١] رفعُ الصَّوتِ بذكر الله[٢]، وأنشد لجرير:

قَبَحَ الإلهُ وُجُوهَ تَغْلِبَ كُلَّمـا سَبَحَ الحَجِيجُ وكَبَّروا إهْلالا[٣]

﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾: المفضَّل: نعظِّمُك وننزِّهُك.

والتَّقدِيس: التَّطهِير.

الزّجّاج: ومنه القَدَسُ، وهو السَّطْل؛ لأنَّه يُتطهَّرُ منه[٤].

واللَّام في قولِهِ: ﴿لَكَ﴾ متعلِّقٌ بالمعنى؛ أي: تقديسُنا لك، كما تقول: سعيًا لك، وقيل: نقدِّس أفعالَنا لك، والأوَّل أحسن.

والباء في ﴿بِحَمْدِكَ﴾ مثله في قولِهِ: (سبحانَه وبحمدِهِ)؛ أي: والحمدُ لله على ما هدانا له.

= (٣/ ٦١١)، وأبو الشيخ الأصبهاني في «العظمة» (٣٨٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وهو حديث الصور الطويل، وفيه: «لهم زجل من التسبيح، وتسبيحهم أن يقولوا: سبحانك ذي الملك ذي الملكوت، سبحان رب العرش ذي الجبروت، سبحان رب الملائكة والروح، قدوس قدوس، سبحان ربنا الأعلى، سبحان رب الملكوت والجبروت والكبرياء والسلطان والعظمة، سبحانه أبد الأبد، سبحان الحي الذي لا يموت، سبحان الذي يميت الخلائق ولا يموت».

(١) في (و): «التسبيح».

(٢) ذكر المصنف قول المفضل هذا في «غرائب التفسير» (١/ ١٣٢) واستغربه، ونقل الماوردي في «تفسيره» (١/ ٩٨) عن المفضل أن المراد بالتسبيح هو التسبيح المعروف.

(٣) انظر: «ديوان جرير» (١/ ٥٢)، و«تفسير الماوردي» (٦/ ٢٥١)، و«غرائب التفسير» (١/ ١٣٢). وفي «الديوان»: (شبح) بدل (سبح)، والشبح: رفع الأيدي بالدعاء.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزّجّاج (١/ ١١٠).

وعلى قول المفضَّلِ: نرفعُ أصواتَنا بحمدِك.

وقيل: الباء للحالِ؛ أي: نسبِّحُكَ حامدين، كما تقول: خرج بثيابِه وبسلاحِه.

﴿قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ من انطِواء إبليس على الكِبْرِ والمخالفةِ والعزمِ على المعصية.

وقيل: إنَّ هؤلاء يُمتحَنون بالتَّكليفِ، فلهذا يكون من بعضِهم العصيانُ، ولو كُلِّفتم لعصيتم أيضًا.

وقيل: سؤالُ الملائكةِ لم يكن إلَّا بعدَ استئذانِ اللهِ فيه، فأذِنَ لهم.

* * *

(٣١) ـ ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾.

﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ﴾: ابن عبّاسٍ: علَّمَه معانيَ الأسماء[1].

الرَّبيع: علَّمَه أسماءَ الملائكة[2].

وقيل: أسماءَ ذرِّيَّته، وقيل: علَّمَه اسمَ كلِّ مخلوقٍ بكلِّ اللُّغات.

وعن ابن عبّاسٍ أيضًا: علَّمه اسمَ كلِّ شيءٍ حتى القَصْعة والـمِغْرَفة[3].

وقيل: عامٌّ في حقائقِ الأشياءِ وخواصِّها وأفعالِها وأسمائِها؛ لأنَّ لكلِّ شيءٍ منها اسمًا، وتعليمُه معجزةٌ تدلُّ على كونِه رسولًا.

---

(١) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (١/ ٥١٤).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٥١٧).

(٣) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (١/ ٥١٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٨٠).

﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾؛ أي: خلقَهم ثم عرضَهم، وقيل: صوَّرهم في قلوب الملائكة.

وذكرَ الكِنايةَ[1] لأنَّهم عقلاء، أو لأنَّ الغلبةَ للعقلاءِ.

وقيل: لأنَّ الاسم والمسمَّى واحدٌ[2].

﴿ءَادَمَ﴾: أبو البشر عليه السَّلام، واشتقاقُه من (أديمِ الأرض)، لا ينصرِفُ في المعرفة، وينصرِفُ في النَّكرة[3].

وقيل: اشتقاقُه من (الأُدْمة)، وهي شُرْبةٌ من سوادٍ في النّاس، وفي[4] غيرهم بياض[5]، لا ينصرف في المعرفةِ والنَّكرةِ إن أردْتَ بقاءَ معنى الوصفيّة فيه[6].

---

(١) أي: استعمل الضمير (هم).

(٢) فالمعروض هو مسميات الأسماء، وأعيان الخلق. انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٤٦)، و«غرائب التفسير» (١/ ١٣٢).

(٣) قال الأخفش: إذا سَمَّيْتَ به رجلاً فقد أخرجته من باب الصفة، فيجب إذا نكَّرته أن تصرفه، وذلك كقولك: «مررت بآدمَ وآدمٍ آخر»، وذلك على معنى: مررت برجل اسمُه آدمُ ورجل آخر اسمُه آدمُ أيضاً؛ فالأول لم يُصرف لأنه معرفة، والثاني صُرف لأنه نكرة، وفي هذه المسألة خلاف بين النحويين. انظر: «معاني القرآن» للزَّجّاج (١/ ١١٣)، و«إعراب القرآن» للنَّحّاس (١/ ٤٣).

(٤) «وفي» من (ن).

(٥) انظر: «العين» (٨/ ٨٨) مادة (أ د م).

(٦) وذلك كقولك: «مررت بآدمَ وآدمَ آخر»؛ بمعنى: مررت برجل اسمُه آدمُ ورجل آخر صفته أنه آدمُ؛ فالأول لم يُصرف لأنه معرفة، والثاني لم يُصرَف لأنه صفة على وزن أفعل، وهذا مذهب الخليل وسيبويه. انظر: «الكتاب» (٣/ ٢٠٣)، و«المقتضب» للمبرد (٣/ ٣٨٣)، و«معاني القرآن» للزَّجّاج (١/ ١١٣).

والكلُّ: اسمٌ موضوعُهُ للإحاطةِ بالأجزاءِ، وكذلك (أجمعون) غيرَ أنَّه لا تلِيهِ العوامِلُ[(١)].

وعرضُ الشَّيءِ: إظهارُه حتى تُعرَفَ جهتُه.

﴿فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾: هذا أمر تعجيزٍ وتوبيخٍ، لا أمر تكليفٍ[(٢)].

وقيل: أمرٌ بشرطٍ؛ أي: إن أمكن أن تخبروني بالصِّدقِ فيه فافعلوا.

والإنباء: الإعلام، وقيل: الإخبار.

والنَّبأ: الخبرُ، وذلك أنَّ اللهَ سبحانَه لـمّا أخبرهم بقولِه: ﴿إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ﴾ [البقرة: ٣٠]، وقع في نفوسِهم أنَّ الله لا يخلق خلقًا أعلم منهم، فقال الله: أنبئوني إن كنتم صادقين في هذا الظَّنِ.

وقال الأخفشُ: ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ فيما تخبرون به مِن أسمائهم. قال: وهذا كقولك لرجل: أخبرني بما في يدي إن كنْتَ صادِقًا؛ أي: إن كنْتَ تعلمُ ما تخبِرُ به[(٣)].

وقيل: لمّا سمعوا: ﴿إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ﴾ هجَسَ في نفوسِهم: لو كانوا مكان آدمَ وذريَّتِه لم يكن فسادٌ ولا سَفْكُ دمٍ، فقال: ﴿أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ فيما ظننتم؛ ليعلموا أنَّهم إذا لم يعلموا باطنَ ما شاهدوا كانوا عن علمِ باطنِ ما غابَ عنهم أبعدَ.

---

(١) لعل المراد: لا تليه الضمائر التي تعود على العوامل في الجمل قبله، والله أعلم.

(٢) فظاهره الأمر، وهو يحتمل التوعد والمعاتبة. انظر: «تفسير الماتريدي» (١/ ٤١٨)، و«الوسيط» للواحدي (١/ ١١٧).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ٦٣).

وقيل: (إن) بمعنى (إذ)[1]، وهو مزيَّفٌ.

***

(٣٢) ـ ﴿ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾.

﴿ قَالُواْ ﴾ اعترافًا[2] بالعجزِ: ﴿سُبْحَٰنَكَ ﴾: تنزيهًا لك عن ادِّعائِنا علم الغيبِ وعن الاعتراضِ عليك في تدبيرِك.

وقيل: ﴿سُبْحَٰنَكَ ﴾: تعظِيمًا لك.

﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ﴾ وليس فيه علمُ الأسماءِ.

﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ﴾: العالِـمُ غيرُ المعلَّم.

﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: الحاكم، وقيل: المحكِم، وأصلُ الكلمة من (المنع).

***

(٣٣) ـ ﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾.

﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم ﴾: أخبرهم ﴿بِأَسْمَآئِهِمْ ﴾ فأنبأهم بها، وسمَّى كلَّ شيءٍ باسمِهِ، وألحقَ كلَّ شيءٍ بجنسِهِ.

﴿فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾؛ أي: ما غابَ فيهما عنكم ممّا كان وممّا يكون.

---

(١) نقل هذا ابن قتيبة والطبري وغيرهم عن بعض المفسرين، ولم يُقرّوه. انظر: «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (ص: ٢٩٤)، و«تفسير الطبري» (١/ ٥٢٦).

(٢) في (و): «اعترفوا».

ويحتمل أنَّه قال لهم ذلك حيث قال: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾.

﴿وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ﴾: هو قولهم: ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا﴾.

﴿وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ﴾: هو ما هجَسَ في أنفسِهم أنَّه لن يخلقَ ربُّنا خلقًا أعلم منّا.

وقيل: هو عامٌّ؛ أي: علانِيَّتكم وسِرَّكم.

ابن عبّاسٍ: ﴿مَا تُبۡدُونَ﴾ يعني: الملائكة من الطّاعةِ، ﴿وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ﴾: من إبطانِ إبليسَ العزمَ على المعصية[1].

والإبداءُ: الإظهارُ، والبُدُوُّ[2]: الظُّهور، والكَتْمُ والكِتْمانُ: الإخفاء.

* * *

(٣٤) ـ ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾.

﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ﴾: السُّجود والإسجاد: الخضوع وخفض الرَّأسِ.

ابن عبّاسٍ: كان ذلك[3] انحناءً، ولم يكنِ الخُرورَ على الذَّقن[4].

ابن مسعود: أُمِروا بأن يَأْتَمُّوا بآدمَ، فسجدَ وسجدوا للهِ[5].

أُبيُّ بن كعبٍ: اخضعوا له، وأقرُّوا بالفَضْل له[6].

---

(١) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (١/ ٥٣١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٨٢).

(٢) في (و): «البدء». وانظر: «طلبة الطلبة» للنسفي (ص: ٦٨).

(٣) «ذلك»: ليس في (ن).

(٤) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (١/ ١٢٤).

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٢٢٤)، وقد ذكره المصنف بلا نسبة في «غرائب التفسير» (١/ ١٣٣).

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٢٢٤)، والواحدي في «البسيط» (٢/ ٣٦٦).

﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ﴾: امتثلوا إلّا إبليس، وهو استثناءٌ صحيحٌ، وإبليس من قبيلةٍ من الملائكةِ يُقال لهم: الجنُّ؛ لاستتارهم عنّا.

وقال الحسن: الاستثناء منقطع، وليس هو منهم[١].

وإبليس: اسمٌ أعجميٌّ لا ينصرِف.

وقيل: هو مشتقٌّ من (أبْلَسَ)، وتَرْكُ الصَّرفِ يدفعُه[٢].

عن ابنِ عبّاسٍ: كان اسمه عَزازِيل[٣].

﴿أَبَىٰ﴾: امتنعَ عن السُّجودِ، والإباء: الامتِناع.

﴿وَٱسۡتَكۡبَرَ﴾: تكبَّر وتعظَّم.

﴿وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ قيل: كان في سابقِ علمِ الله.

وقيل: صار منهم، كقوله: ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ﴾ [هود: ٤٣][٤].

***

---

(١) روى الطبري في «تفسيره» (١/ ٥٣٩) عن الحسن: (ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قط، وإنه لأصل الجن كما أن آدم أصل الإنس)، وهذه العبارة هي ما أراده المصنف، كما يظهر من كلامه في «غرائب التفسير» (١/ ١٣٤)، أما أن يكون الحسن استخدم مصطلح الاستثناء المنقطع فغير مراد ولا وارد.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٥٣٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٨٤).

(٣) ذكر هذا الوجه والذي قبله ابن قتيبة، وذكر المانع من الصرف على هذا الوجه، وهو أنه لا سَمِيَّ له فاستُثقِل. انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٢٣).

(٤) ذكر هذا والذي قبله الماتريدي في «تفسيره» (١/ ٤٢٥).

(٣٥) ـ ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾: اتخذاها مسكنًا تسكنان[1] فيه.

والسُّكون: ضِدُّ الحركةِ[2].

والجنّة: هي جنّةُ الخُلْدِ التي وُعِدَ المتَّقون دخولَها، وهي مخلوقةٌ، وهذا مذهب أهل السُّنةِ والجماعةِ[3].

وقيل: كانت جنّةً في السَّماءِ، أسكن الله آدم وحوّاء فيها، ولم تكن جنّة الخلد.

وقيل: كانت جنّةً في الأرضِ.

﴿وَكُلَا مِنْهَا﴾؛ أي: من ثمارها، والأكلُ: الالتِقامُ.

﴿رَغَدًا﴾: الزَّجّاج: الرَّغدُ[4]: الكثير الذي لا يُعنِّيكَ[5].

---

(١) في (و): «تسكنون».

(٢) ذكر المصنف في «البرهان» (ص: ٧٠) أن (اسكن) ليس من (السكون) الذي هو ضدُّ الحركة، وإنما من (السكون) الذي هو الإقامة، وذكر أن حمل المعنى على اتخاذ الجنة مسكناً يناسب آية الأعراف، لا آية البقرة.

(٣) أي: أن الجنة مخلوقة، ولم يخالف في هذا إلا طائفة من المعتزلة والخوارج، وأما إسكان آدم عليه السلام جنة الخلد فهو الشائع الراجح الظاهر، وقد ذكر المصنف أنه مذهب أهل السنة في «غرائب التفسير» (١/ ١٣٤)، لكن قال الماتريدي في «تفسيره» (١/ ٤٢٥): (ليس في الآية بيان ذلك)، وقد توسَّع ابن حزم وابن حبان في بحث المسألة. انظر: «الفِصَل في الملل والأهواء والنحل» لابن حزم (٤/ ٦٨)، و«البحر المحيط» (١/ ٢٥٣).

(٤) «الرغد» من (ن).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزَّجّاج (١/ ١١٤)، ومعنى يعنِّيك: يشقُّ عليك.

مقاتل[١]: عطاءً[٢] موسَّعًا عليكما[٣].

﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾: متى شئتما، وأينَ شئتما، وكيفَ شئتما.

مجاهدٌ: لا حسابَ عليكما[٤].

﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾: لا تحوما حولَها بالأكلِ منها.

والقُرْبُ: ضدُّ البُعْدِ، و(قَرُب الشَّيءُ) لازِمٌ، و(قَرَّبْتُه) متعدٍّ.

والشَّجرةُ من النَّباتِ: ما تقومُ على ساقٍ.

واختلفوا في هذهِ الشَّجرةِ؛ فقال ابنُ عبّاسٍ: البرُّ[٥].

عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه: الكافور[٦].

السُّديُّ: العِنَب[٧].

وقيل: التِّين[٨].

---

(١) «مقاتل» ليست في (و).

(٢) «عطاء» من (و).

(٣) ذكر أبو حيان في «تفسيره» (١/ ٢٥٥) نحوه عن مقاتل، وروى الطبري في «تفسيره» (١/ ٥٥٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (الرغد: سعة المعيشة)، وذُكر نحوه بلا نسبة في: «تفسير السمرقندي» (١/ ٤٤)، و«تفسير الثعلبي» (١/ ٢٠١)، و«تفسير البغوي» (١/ ٩٩).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٥٥٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١١٧).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٥٥٣).

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١/ ١٨٢)، والماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٢٠٩).

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٥٥٥).

(٨) ذكره الواحدي في «الوسيط» (١/ ١٢٢) عن ابن جريج، وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٥٥) عنه وعن الحسن، وعطاء بن أبي رباح.

الكلبيُّ: شجرةُ العِلمِ عليها من كلِّ نوعٍ[(١)]؛ أي: هي شجرةٌ من أكلَ منها عَلِمَ الخيرَ والشَّرَّ.

وقيل: هي شجرةُ الخُلْدِ التي تأكلُ منها الملائكة.

وقيل: هي شجرةٌ مَن أكلَ منها أحدثَ.

وقال أهل الكتاب: هي شجرةُ الحنظل، حكاه الماورديُّ[(٢)].

﴿فَتَكُونَا﴾: فتصِيرا، يجوز أن يكون جزمًا عطفًا على النَّهي، ويجوز أن يكون نصبًا جوابًا للنَّهي.

﴿مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: الذين وضعوا أمرَ اللهِ غيرَ موضعِهِ، والظُّلم بالإجماعِ: وَضْعُ الشَّيءِ في غيرِ موضِعِهِ.

* * *

(٣٦) ـ ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾.

﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: بعَّدَهما، تقول: زلَّ[(٣)] الشَّيءُ عن موضعِهِ، و(أزلَّ)[(٤)] مُتعدِّيه، والمعنى: حملهما على الزَّلَّةِ، وقيل: سأل منهما الزَّلَّة.

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٢٠٩) عن الكلبي، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١/ ١٨٢) عن قتادة.

(٢) انظر: «النكت والعيون» للماوردي (٢/ ٢٠٩). وقد ذكر المصنف هذه الأقوال في «غرائب التفسير» (١/ ١٣٥)، وذكرها أبو حيان في «البحر المحيط» (١/ ٢٥٦)، ونبَّه على أنَّ الأظهر أنها شجرة لم يعلمنا الله ما هي؛ إذ لا يتعلَّق بعرفانها كبير أمر، وإنما المقصود إعلامنا أنَّ فعلَ ما نُهينا عنه سببٌ للعقوبة.

(٣) في (و): «زال».

(٤) في (و): «وأزال».

وقُرئ: (أزالَ) متعدِّي (زالَ)(١)، والمعنى سواء.

﴿عَنْهَا﴾: عن الجنّة، وقيل: عن الطّاعةِ.

المفضَّل: عن الشَّجرة(٢)، والمعنى: بسببها، ويحتمل: من أجلِها، وذلك حين أكلا من الشَّجرةِ.

وقيل: أكلَ ناسيًا من قولِهِ: ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥].

ابن المسيِّب: أكلَ سكران(٣).

وقيل: أكلَ متأوِّلًا، تأوَّلَ النَّهيَ على عينِ الشَّجرةِ لا على جنسِها، فأكلَ من غيرِها من الجنسِ، واللَّفظُ صالحٌ لهما.

وقيل: تأوَّلَ النَّهيَ على التَّنزيهِ لا على التَّحريمِ.

وقيل: أكلَ عامِدًا؛ لقولِهِ: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١]، وذلك أنَّ إبليسَ حملَه على الأكلِ حيث قال: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [طه: ١٢٠]، وغرَّهُ بالمقاسمةِ حيث قال: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٢١].

﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾: نحّاهما من الزِّينةِ والرُّتبةِ ولينِ العيش.

وقال بعضهم: كان آدم يخرج من الجنّة إلى السَّماءِ، فخاطبَه إبليسُ في السَّماء.

وقيل: دخل بطنَ الحيّة، فدخل الجنّة(٤)، ثم خاطبَه.

---

(١) قرأ حمزة: ﴿فأزالهما﴾. انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ١٥٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٧٨).

(٢) ذكره ابن الجوزي في «تفسيره» (١/ ٥٦) دون نسبة.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٥٦٦)، والثعلبي في «تفسيره» (١/ ١٨٣).

(٤) «فدخل الجنة» من (ن).

وقيل: خاطبه من الأرض.

وقيل: لم تكن مخاطبةً، بل كان وسوسةً؛ لقولهِ تعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ [الأعراف: ٢٠].

﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟﴾: انزِلوا.

والخِطابُ لآدم وحوّاء وإبليس[١]، وإن كان خطابُ[٢] إبليسَ أسبقَ.

وقيل: الحيّة والطاووس.

وقيل: لآدم وحواء وذرِّيتهما؛ لأنَّهم كانوا في ظهره.

﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾؛ يعني: العداوة التي بينهما وبين إبليس والحيّة، وكذلك بين ذرِّيَّتِهما.

والبعضُ: نقيضُ الكلِّ، وهو الجزءُ من الشَّيءِ.

والعداوةُ: اختلافُ القلوبِ، واشتقاقُه من (عدوَتَي الوادي)، كالمحادّة والمشاقّة.

﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾: قرارٌ، ومستقرٌّ: موضعُ قرارٍ وسكونٍ.

﴿وَمَتَٰعٌ﴾: ما تتمتَّعون وتعيشون به.

﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ قيل: حين الموتِ، وقيل: إلى انقِضاءِ الدُّنيا.

والحينُ: اسمٌ للزَّمانِ مبهمٌ، وقد يتعيَّنُ بالقرائنِ.

* * *

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣١)، وللأخفش (١/ ٧٤).

(٢) «خطاب» من (ن).

(٣٧) ـ ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ﴾؛ أي: لقّاهنَّ اللهُ فتلقَّى، من (اللُّقية).

أبو عبيدة: قَبِلَها[١].

الزَّجّاج: اعترفَ بالذَّنب[٢].

وقرئ: ﴿آدمَ﴾ بالنَّصب[٣] ﴿كلِماتٌ﴾ بالرَّفع[٤][٥]؛ لأنَّ ما لَقِيتَه فقد لَقِيَكَ، والمعنى: نزلَ عليه وأتتْهُ الكلماتُ.

والكلمات: جمع كلمةٍ، والكلمةُ: المتكلَّمُ به، عامٌّ في القليلِ والكثيرِ، والكلامُ خاصٌّ في المفيدِ، وأصلُ البابِ من التَّأثير، ومنه: الكَلْمُ.

ابن عبّاسٍ: الكلماتُ هي التي في (الأعراف): ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ...﴾ الآية[٦].

مجاهد[٧]: اللَّهمَّ لا إلهَ إلّا أنت، سبحانَك وبحمدِك، ربِّ إنِّي ظلمْتُ نفسِي فاغفِرْ لي، إنَّك أنت خير الغافرين، اللَّهمَّ لا إلهَ إلَّا أنت، سبحانَك وبحمدِك، ربِّ إنِّي ظلمْتُ نفسِي فارحمنِي، إنَّك أنتَ خير الرّاحِمين، اللَّهمَّ لا إلهَ إلّا أنت، سبحانَك

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٣٨).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزَّجّاج (١/ ١١٦).

(٣) في (و): «نصب».

(٤) في (و): «رفع».

(٥) هي قراءة ابن كثير المكي. انظر: «التيسير» للداني (١/ ٢٧٨).

(٦) انظر: «تفسير الثعلبي» (٣/ ٢٤٩)، و«زاد المسير» (١/ ٥٧)، و«الدر المنثور» للسيوطي (١/ ١٤٤)، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٤٥) عن قتادة، ورواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٥٧٩ ـ ٥٨٦) عن قتادة ومجاهد وابن زيد وأبي العالية.

(٧) في النسخ الخطية: «ابن مجاهد»، ولكن على كلمة (ابن) علامة إلغاء في (ن)، وهو الصواب.

وبحمدِك، ربِّ إنِّي ظلمْتُ نفسي فتُبْ عليَّ، إنَّك أنت التَّوّاب الرَّحيم[(١)].

﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾: فعاد عليه بالرَّحمةِ، وأصلُه الرُّجوع، والتَّوبةُ من العبدِ: رجوعٌ وإقلاعٌ عن الذَّنبِ، ومن اللهِ: قَبولٌ ورحمةٌ.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ﴾: الكثيرُ القَبولِ لتوبةِ العبدِ، وقيل: المعينُ عليها.

﴿ٱلرَّحِيمُ﴾: المتجاوزُ عن العبدِ برحمتِه.

وتركَ ذِكْرَ حواءَ؛ لكونِها تَبَعًا له، أو اكتفاءً بذكرِ أحدِهما عن الآخر، كقولِهِ: ﴿ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا﴾ [الجمعة: ١١][(٢)]، وقولِهِ: ﴿أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة: ٦٢][(٣)].

* * *

(٣٨) - ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا﴾ كرَّرَ الأمرَ بالهبوطِ للتَّأكيد.

وقيل: لأنَّ الأوَّل من الجنّة، والثّاني من السَّماء[(٤)].

والهبوط: النُّزول.

المفضَّل: الهبوط: الخروج، ويُستعمَل للدُّخول، كقولِهِ: ﴿ٱهْبِطُواْ مِصْرًا﴾

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٥٨٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٩١).

(٢) أعاد الضمير على التجارة وحدها اكتفاء بذكرها عن اللهو الذي تقدَّم ذكره في الآية.

(٣) أعاد الضمير على اسم الجلالة وحده اكتفاء بذكره عن الرسول صلوات الله عليه الذي تقدَّم ذكره في الآية.

(٤) ذكر المصنف القولين في «غرائب التفسير» (١/ ١٣٦)، لكنه ذكر هذا أولًا، واقتصر عليه في «البرهان» (ص: ٧١).

[البقرة: ٦١][1]، وحقيقتُه: الانتقالُ من مكانٍ إلى مكانٍ دونَه.

﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى﴾: بيانٌ وكتابٌ ورسولٌ، ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ﴾ بالقَبولِ والإيمانِ به، ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

الخوف: توقُّع مكروهٍ في المستقبلِ[2]، وضدُّه الأمن.

والحزنُ: غلَظُ الهمِّ لفواتِ[3] المرغوبِ فيهِ[4] في الماضِي والحالِ[5]، وضدُّه السُّرورُ.

* * *

(٣٩) ـ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بهداي ﴿وَكَذَّبُوا﴾ رسلَنا ﴿بِآيَاتِنَا﴾ بردِّ آياتِنا وتركِ قَبولها.

والآياتُ: الكتبُ، وقيل: المعجزاتُ، ويحتملُ الدِّلالةَ على التَّوحيدِ من السَّماوات والأرضِ.

﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾: يصحبونها فلا يفارقونها.

﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾: دائمون.

* * *

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ١٠٧).

(٢) انظر: «معجم الفروق اللغوية» (ص: ٤٠٤)، و«زاد المسير» (١/ ٥٨).

(٣) في (ن): «لفوت».

(٤) «فيه»: ليس في (ن).

(٥) انظر: «معجم الفروق اللغوية» (ص: ٥٦٠).

(٤٠) ـ ﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِيٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ﴾.

﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: يا أولادَ يعقوب، ﴿ٱذْكُرُوا۟﴾: اشكروا.

وذِكْرُ النِّعمةِ: شكرُها، والذِّكْرُ باللِّسانِ.

وقيل: لا تغفلوا عنها، وليكن ذلك منكم على ذُكْرٍ، والذُّكْرُ مضموم: بالقلبِ.

وقيل: هما لغتانِ[١].

﴿نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ قيل: هي من النِّعمِ العامّةِ على الكافّةِ، من قولهِ تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [النحل: ١٨].

وقيل: ﴿عَلَيْكُمْ﴾: على آبائِكم من إنجائِهم من فرعونَ وإغراقِهِ، وجَعْلِهم ملوكًا، وإيتائِهم ما لم يؤتِ أحدًا من العالمين، والنِّعمةُ على آبائِهم نعمةٌ عليهم.

ابن عبّاسٍ: هو ما استُودِعوه من التَّوراةِ، وفيها صفةُ محمَّدٍ ﷺ ونعتُه وبِعثتُه[٢].

﴿وَأَوْفُوا۟﴾: أدُّوه وافيًا تامًّا، والوفاءُ: تمامُ الشَّيءِ، (وفى) و(وفَّى) و(أوفى) لغاتٌ كلُّها[٣].

﴿بِعَهْدِيٓ﴾ ما عهِدْتُه إليكم ولزمَكُمُ[٤] الوفاءُ به من قولِهِ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ

---

(١) انظر: «تصحيح الفصيح» لابن درستويه (ص: ٣٤١)، و«تهذيب اللغة» (١٠/ ٩٤) مادة (ذ ك ر).

(٢) في (ن): «وبعثه». ذكره السمرقندي في «تفسيره» (١/ ٤٧)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٥٩).

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» (١٥/ ٤٢٠) مادة (و ف ي).

(٤) في (ن): «إليهم ولزمهم».

﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، ومن قولِهِ: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ﴾ [الأعراف: ١٥٧] الآية.

﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾: من الإعزاز في الدُّنيا، والثَّوابِ في العُقْبى.

وسمِّي الثّاني عهدًا؛ لأنَّه جزاءُ وفاءِ العهد[1].

﴿وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾: خافون، والرَّهبةُ: الخوفُ.

و﴿وَإِيَّٰىَ﴾ منصوبٌ بفعلٍ مُضمَرٍ دلَّ عليه ما بعدَه، وتقديرُه: وإيّاي فارهبوا فارهبوني، وحُذِفَ الأوَّل؛ لأنَّ الثّاني يدلُّ عليهِ.

وقيل: تقديره: فارهبوني فارهبوني، فحُذِفَ الفعلُ الأوَّل، وجُعلَ الضَّميرُ المتَّصلُ[2] منفصِلًا.

وحَذفُ الياءِ[3] للفاصلة، والفواصِلُ للآي كالقوافي للشِّعر.

* * *

(٤١) ـ ﴿وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ﴾.

﴿وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ﴾؛ يعني: القرآن ﴿مُصَدِّقًا﴾: موافِقًا ﴿لِّمَا مَعَكُمْ﴾: ما في التَّوراةِ من التَّوحيدِ والعبادةِ.

وقيل: ﴿مُصَدِّقًا﴾ أنَّ التَّوراة من عند الله.

وقيل: لِما فيها من ذِكْرِ محمَّدٍ ﷺ والقرآنِ.

---

(١) «من الإعزاز في الدنيا والثواب في العقبى وسمي الثاني عهدا لأنه جزاء وفاء العهد» من (ن).

(٢) أي: من الفعل الأول.

(٣) أي: من الفعل الثاني.

﴿وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦ﴾؛ أي: من اليهود، فتكونوا أئمّةً في الضَّلالة.

ووحَّد كافرًا[١]؛ قال الفرّاء: لأنَّ التَّقديرَ أوَّل مَن يكفرُ به، فوحَّد على لفظ (مَن)[٢].

الأخفش: أوَّل فريقٍ كافرٍ به[٣].

وقوله: ﴿بِهِۦ﴾ يعود إلى (ما أنزلْتُ)، وهو القرآن.

وقيل: إلى محمَّدٍ عليه السّلام[٤].

الزَّجّاج: إلى ما معَكم؛ يعني: التَّوراة؛ لأنَّكم إذا لم تؤمنوا بمحمَّد ﷺ والقرآنِ وقد أمرتم بذلك في التَّوراةِ، فقد كفرتم بكتابكم[٥].

﴿وَلَا تَشۡتَرُواْ﴾: تستبدلوا ﴿بِـَٔايَٰتِي﴾: بتغييرها وتحريفِها.

وذلك أنَّ اليهودَ غيَّروا أحكامَ التَّوراة، فحرَّفوا معناها، وفسَّروا على خِلافِ مقتضاها، وغيَّروا صفةَ محمَّدٍ ﷺ، وأخذوا عليه الرُّشَى من كبرائِهم.

وقال أبو العالية: هو ما أخذوا على تعليمِها؛ لأنَّ في التَّوراةِ: ابنَ آدم علِّم مجّانًا كما عُلِّمْتَ مجّانًا[٦].

﴿ثَمَنٗا قَلِيلٗا﴾: عِوضًا، والثَّمن: البدلُ في المدفوعِ من العَينِ والوَرِقِ[٧].

---

(١) في (ن): «الكافر».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٢).

(٣) نقل الزَّجّاج والنَّحّاس عن الأخفش مثل قول الفراء، ونقل هذا القول عن بعض البصريين. انظر: «معاني القرآن» للزَّجّاج (١/ ١٢٣)، و«إعراب القرآن» للنَّحّاس (١/ ٤٩).

(٤) ذكره الماوردي عن أبي العالية. انظر: «تفسير الماوردي» (١/ ١١٢).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزَّجّاج (١/ ١٢٣).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٦٠٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٩٧).

(٧) العَين: الذهب، والوَرِق: الدراهم المضروبة. انظر: «جمهرة اللغة» (٢/ ٩٥٥)، و«مختار الصحاح» (ص: ٣٣٦)، و«معجم الفروق اللغوية» (ص: ١٥٠).

والباء دخل في (آياتي)، ومحلُّه الثَّمنُ، كقوله تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ [يوسف: ٢٠]، و: اشتريْتُ بدينارٍ.

قال الفرّاء: العروضُ يصلُحُ فيها دخولُ الباءِ على كلِّ واحدٍ من المتاعَين، وإنْ كانَ يدخل الباءُ الدِّينارَ والدِّرهمَ(١).

وقيل: لأنَّ معناه: لا تتوصَّلوا بها إلى دنياكم.

وقال أبو عليٍّ: تقديره حيث وقع(٢): لا تشتروا بآياتي ذا ثمنٍ، قال: لأنَّ الثَّمنَ لا يُشتَرى، وإنَّما يُشتَرى المبيع(٣).

قلت: الباء تدخلُ في بابِ الشِّرَى الشَّيءَ المبذولَ، ولـمّا بذلوا الآياتِ دخلَها الباء، وهذا مطَّردٌ.

والقليل: اليَسير، وضدُّه الكثير، والدُّنيا عن آخرها قليلةٌ بالإضافة إلى ما يفوتكم.

﴿وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ﴾: فخافونِ.

***

(٤٢) ـ ﴿وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ أصل اللَّبسِ: التَّغطِية، تقول: لبَسْتُ الأمرَ ألبِسُ لَبْسًا: إذا خلطْتَه وأزلْتَ بيانَه، ولبِسْتُ الثَّوبَ ألبَسُه لُبْسًا: إذا غطَّيْتَ بدَنَكَ به.

الزَّجّاج: ﴿ٱلْحَقَّ﴾ هاهنا: أمرُ النَّبيِّ ﷺ وما أتى به من كتاب الله.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٠).

(٢) في (و): «حيث ولا» بدل «تقديره حيث وقع لا».

(٣) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٣/ ٢٦٦).

﴿بِٱلْبَٰطِلِ﴾؛ أي: بما يحرِّفون(١).

ابن جرير: الصِّدق بالكذب(٢).

المفضَّل: كانوا يُـخبرونَ بأشياءَ ممّا في التَّوراة على صحّةٍ، فيثِقُ بهم السّائلُ، فإذا جاء ذِكْرُ محمَّدٍ ﷺ حرَّفوه، فهذا لَبسُهم الحقَّ بالباطلِ(٣).

وقيل: صفة محمَّدٍ ﷺ بصفةِ الدَّجّال.

﴿وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ﴾ قيل: هو عطفٌ على النَّهي؛ أي: ولا تكتموا الحقَّ، وقيل: نصبٌ(٤).

والخطابُ لليهودِ.

وقيل: للمنافقين، والحقُّ: إظهار الإيمان، والباطل: إبطانُ الكفرِ.

﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الحقَّ من الباطلِ.

وقيل: وأنتم علماء، والتَّخليطُ منهم أقبحُ.

***

(٤٣) ـ ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾.

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: هي المفروضة.

﴿وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾: هي ما يجبُ في الأموالِ من الصَّدقة والزَّكاة.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزَّجّاج (١/ ١٢٤).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٦٠٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) ذكر نحوه الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ١١٢) دون نسبة.

(٤) ذكر المصنف الوجهين في «غرائب التفسير» (١/ ١٣٧).

والزَّكاةُ في اللُّغةِ: النَّماءُ والزِّيادة، وتأدِيةُ الزَّكاةِ تنمِي المال.

وتأتي الزَّكاة والزَّكاء بمعنى الطَّهارة، وتأديةُ الزَّكاة تطهِّرُ الأموالَ من الحرام، وأربابَها من الآثامِ.

﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾: اخضعوا.

والرُّكوعِ: الخضوع، وقال الأضبطُ السَّعديُّ:

ولا تُذِلَّ الضَّعِيْفَ عَلَّكَ أنْ تَرْكَعَ يومًا والدَّهْرُ قَدْ رفَعَهْ[1]

وقيل: هو الرُّكوعُ في الصَّلاةِ، وكانت صلاةُ اليَهودِ بغير ركوعٍ.

وقيل: أراد الصَّلاةَ في الجماعة، ولهذا قال: ﴿مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾، فعبَّر بالرُّكوعِ عن جميع الصَّلاة.

وقيل: كونوا منهم وفيهم.

***

(٤٤) ـ ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ﴾ ابن عبّاسٍ: الآية نزلت في يهودِ أهلِ المدينة، كان الرَّجلُ منهم[2] يقولُ لصِهرِهِ ولذوي قرابتِهِ ولمن بينَه وبينَهم رضاعٌ من المسلِمين: اثبت على الدِّينِ الذي أنتَ عليه، وما يأمرُك به هذا الرَّجلُ ـ يعنون

(١) البيت للأضبط بن قريع السعدي، كما في «البيان والتبيين» للجاحظ (٣/ ٢٢٣)، و«الشعر والشعراء» لابن قتيبة (١/ ٣٧١)، وفي «البيان والتبيين»: «لا تحقرن الفقير»، وفي «الشعر والشعراء»: «لا تهين الفقير»، وفيه: «تخشع» بدل «تركع».

(٢) «منهم» من (ن).

محمَّدًا ﷺ ـ فإنَّ أمرَه حقٌّ، وكانوا يأمرون النّاسَ بذلك، ولا يفعلونَه[1].

والبرُّ على هذا: الإيمانُ والدِّين.

وقيل: البرُّ: الصِّدق؛ أي: أتأمرون النّاس بالصِّدقِ وتكذبون؟

وقيل: البرُّ: العطفُ والصَّدقة؛ أي: أتأمرون النّاس بالصَّدقة وتبخلون؟

والبرُّ: الصِّلةُ[2].

وفي ذلك كلِّه: بَرِرْتُ أَبَرُّ بِرًّا، فأنا بارٌّ وبَرٌّ.

﴿وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾: تتركونها، ولا تأمرونها به.

والنِّسيان: التَّركُ.

﴿وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾: تقرؤون التَّوراة، وأصل التِّلاوةِ: التَّتبُّع.

وفيها الحثُّ على البِرِّ المذكورِ.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ وليس من قضيّةِ العقلِ أن تأمرَ بالمعروفِ ولا تأتيَه.

والعقل: نقيضُ الحُمْقِ، وقيل: ضِدَّ الجهلِ، وأصله الشَّدُّ؛ لأنَّه يشدُّ على المعنى الذي يفهمُه في قلبِهِ.

***

(٤٥) ـ ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾.

﴿وَٱسْتَعِينُوا۟﴾ هذهِ الآية متَّصِلةٌ بما قبلَها في خطابِ اليهود؛ أي: استعينوا على أداءِ ما فرضْتُ عليكم من الوفاءِ بالعهد والانتهاءِ عن الكفرِ واللَّبسِ.

---

(١) رواه الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٤)، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (١/ ٦١٤).

(٢) في (ن) «الدين والصدق والصدقة» بدل «الصلة».

﴿بِٱلصَّبۡرِ﴾: وهو حبسُ النَّفسِ عمّا تنازع إليه.

وقيل: الصَّبر هاهنا: الصَّوم.

﴿وَٱلصَّلَوٰةِ﴾: الصَّلاة: الدُّعاء.

وقيل: هي ذات الرُّكوع والسُّجود.

وعن ابن عبّاسٍ: ﴿بِٱلصَّبۡرِ﴾ على أداءِ الفرائض، ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ على تمحيصِ الذُّنوب[١].

وقيل: ﴿بِٱلصَّبۡرِ﴾ عن المعاصِي، ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ على تكثيرِ الطّاعات.

﴿وَإِنَّهَا﴾: قيل: الصَّلاة.

وقيل: أراد: وإنَّهما، فاكتفى بأحدِهما عن الآخر[٢].

وقيل: وإنَّ الاستعانةَ.

وقيل: وإنَّ إجابةَ محمَّدٍ ﷺ.

وقيل: وإنَّ هذه الموعظة.

﴿لَكَبِيرَةٌ﴾: لثقيلةٌ ﴿إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ﴾: المتواضِعين.

والخشوع: التَّواضع، وقيل: الخشوعُ في الصَّوتِ والبصرِ فحسب.

---

(١) انظر: «تنوير المقباس» للفيروزآبادي (ص: ٨)، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (١/ ٤٩) بلا نسبة، وذكره الواحدي في «البسيط» (٣/ ٤٢٢) عن مقاتل.

(٢) أي: وإن الصبر والصلاة، فاكتفى بضمير أحدهما عن الآخر، ولعل في عبارة المصنف هنا اجتزاءً، فقد قال في «غرائب التفسير» (١/ ١٣٧): (وقيل: للصبر والصلاة، ونُزِّلا منزلة الجمع ما لم يلتبس قياساً على باب ﴿صَغَتۡ قُلُوبُكُمَا﴾. وقيل: تقديره: واستعينوا بالصبر وإنه لكبير، واستعينوا بالصلاة وإنها لكبيرة، فاكتفى بذكر أحدهما).

(٤٦) ـ ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾: يتيقَّنون.

وأصل الظّنِّ: وقوع معنًى في النَّفسِ قبل تحقيقهِ أو تزييفِهِ، فيستعمل مرّةً للتَّحقيق فيكون اليقينَ، ويستعمل مرّةً للتَّزييف فيكون الكذبَ والباطلَ، كقولهِ: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [النجم: ٢٨].

﴿أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾؛ أي: إنَّهم يرَون الله تعالى، من (اللِّقاءِ)، وقيل: يرَون الثَّواب.

﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾: مبعوثون ومحاسَبون بعد الموت، كما كانوا في بدء الخلق، لا يملكون ضرًّا ولا نفعًا.

وقيل: ﴿يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾ بذنوبِهم؛ إشفاقًا من المعاصِي.

وقيل: أنَّهم ميِّتون.

* * *

(٤٧) ـ ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: اذكروها مرّةً بعد أخرى.

﴿وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ﴾: أعطيتكم الزِّيادة، من قوله: ﴿إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ﴾ [المائدة: ٢٠] الآية. وأصل الفضل: الزِّيادة.

﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ يريد: عالَمِي زمانِهم بإجماعِ[1] المفسِّرين.

* * *

(١) في (ن): «بإجماع من».

(٤٨) ـ ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾.

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا﴾ أي: يوم الحشرِ والنَّشْرِ، وهو مفعول به.

﴿لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا﴾ المفضَّل: ﴿لَّا تَجْزِي﴾: لا تقضي[1]، يُقال: جَزَى دينَه: قضاه، وتَجازَى دينَه: تقاضاه، ويُقالُ: جَزى عنه حقَّه؛ إذا قضى عنه غيرُه حقَّه.

ويُقالُ: ﴿لَّا تَجْزِي﴾: لا تنوبُ، من قولهم: جزى عمرٌو عن زيدٍ؛ إذا ناب عنه، فيكون ﴿شَيْئًا﴾ نُصِبَ على المصدر[2].

والتَّقدير: يومًا لا تجزِي فيه، فحذف الضَّمير بعد حذف الجارِّ.

﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ﴾؛ أي: لم يأذن اللهُ في الشَّفاعةِ للكفّار.

وقيل: ليس لها شفاعةٌ، فيكون لها قَبولٌ.

والشَّفاعة من (الشَّفعِ) الذي ضدُّه الوترُ؛ لأنَّ الشَّفيعَ ينضمُّ إلى الطّالب[3] في تحصيل ما يطلبُه.

﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ المفضَّل: لا يُؤخَذُ من الرَّجلِ رجلٌ مكانَه غيرُه فداءً[4]، وأصل العدل: المساواة.

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ١١٧) عن المفضل، وذكره الطبري في «تفسيره» (١/ ٦٣٦) بلا نسبة.

(٢) لأن الفعل على هذا المعنى لازم، أما الفعلُ على المعنى الأول فمتعدٍّ، و(شيئاً) مفعول به.

(٣) في (و): «طالب».

(٤) لو قال: رجلٌ غيرُه مكانَه، لكان أولى، وقد فسَّر العدلَ بالفداء كثيرون، فقد رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٦٣٨) عن أبي العالية وابن زيد، وانظر: «تفسير مقاتل بن سليمان» (١/ ١٠٣)، و«مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٥٣)، و«تفسير السمرقندي» (١/ ٥٠)، و«تفسير الثعلبي» (١/ ١٩٠).

﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾: يُمنَعون من عذابِ الله.

والنَّصرُ: هو سائرُ أسبابِ الخَلاصِ.

أبو عليٍّ في «الحجّة»: قَبولُ الشَّيءِ: تلقِّيهِ والأخذُ به، خلافُ الإعراضِ عنه، ومنه: قُبالةُ الشَّيء(١).

والنَّصرُ: عونُ المظلوم، والنُّصرةُ: أحسنُ المعونة.

«الحجّة»: يجوزُ أن تكونَ خِطابًا لليهود حيث قالوا: يشفعُ لنا أباؤُنا(٢).

***

(٤٩) ـ ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾.

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾: خلَّصناكم منهم(٣)، والإنجاءُ: التَّخليصُ، وكذلك التَّنجيةُ، وأصله من (النَّجوةِ)(٤)؛ أي: صيَّرناكم إليها؛ لأنَّ مَن صار إليها تباعَدَ عن مُؤذِياتِ وجهِ الأرض.

و﴿ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ قيل: أهل بيتِه، وقيل: مَياسِره(٥)، وقيل: أهل دينِه.

وأصله: أهل، قُلِبَ الهاءُ همزةً، ثم قُلِبَتْ ألفًا، تقولُ في تصغيره: أُهَيْل.

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٢/ ٤٦).

(٢) المصدر السابق، الموضع نفسه.

(٣) في (و): «منه».

(٤) هي الربوة المشرفة المرتفعة. انظر: «التقفية في اللغة» للبندنيجي (ص: ٦٨٤)، و«جمهرة اللغة» لابن دريد (١/ ٤٩٧) مادة (ن ج و).

(٥) كتب فوقها في (ن): «أغنياؤه».

وهو اسمٌ فيه فخامةٌ، يُستعمَلُ للأكابرِ.

وقيل: اشتقاقُه من (آلَ يؤول)، وآلُ الرَّجلِ مَن يؤولُ إليه، وتصغيرُه على هذا: أُوَيل.

وفرعونُ[1]: اسمٌ يُستعمَلُ للعظيم من العمالقة كقيصر وكسرى، واسمُه فيما أورده المفسِّرون: وليد بن مصعب[2].

﴿يَسُومُونَكُمْ﴾: يُولونكم أشدَّ العذابِ.

المفضَّل: أي: يزيدونكم على ذلك، قال: ومنه مساومةُ البيع[3]، قال:

إذا ما المَلْكُ سامَ النَّاسَ خَسْفًا ... أَبَيْنا أنْ نُقِرَّ الخَسْفَ فِيْنا[4]

ابن عيسى: يرفعونَ عذابَكم إلى أشدِّهِ، قال[5]: وأصلُ السَّومِ: الارتفاعُ في المرعى.

﴿سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ﴾: أشدَّه، والسُّوءُ: اسمٌ جامعٌ للآفاتِ، ثمّ فسَّرَ، فقال:

﴿يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ﴾: يقتلونهم بفَرْيِ الأوداجِ، وأصله الشَّقُّ.

---

(١) «قيل أهل بيته وقيل مياسره، وقيل أهل دينه وأصله أهل قلب الهاء همزة ثم قلبت ألفًا تقول في تصغيره أهيل وهو اسم فيه فخامة يستعمل للأكابر وقيل اشتقاقه من آل يؤول وآل الرجل من يؤول إليه وتصغيره على هذا أويل وفرعون» من (ن).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٦٤٢)، وابن أبي حاتم «في تفسيره» (٩/ ٢٩٤٤)، عن محمد بن إسحاق.

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ١١٨).

(٤) البيت لعمرو بن كلثوم من معلقته. انظر: «ديوانه» (ص: ٣٤٩)، و«جمهرة أشعار العرب» للقرشي (ص: ٢٧٢).

(٥) «قال» من (ن).

﴿وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡ﴾: يستبقونَهنَّ للخِدمةِ والنِّكاحِ على وجهِ الاسترقاقِ.

وقيل: ليتوجَّعْنَ[1] على الأبناءِ.

واستحيى: اسْتَفْعَلَ من الحياةِ.

وذكر أقضى القضاة وجهينِ آخرَينِ: من (الحياة) و(الحياء)[2]، وكلاهما بعيدٌ.

والنِّساءُ جمعٌ، واحدُها: المرأة.

وقيل: المرادُ بهنَّ هنا: البناتُ والأطفال، من تسميةِ الشَّيءِ بما يؤولُ إليه.

وقيل: بل اللَّفظُ يشتملُ عليهنَّ.

﴿وَفِي ذَٰلِكُم﴾ قيل: إشارة إلى التَّنجيةِ، وقيل: إلى السَّوم، وما فُسِّرَ به.

﴿بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٌ﴾: اختبارٌ، يُستعمَلُ للخيرِ والشَّرِّ، قال الله تعالى: ﴿وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥]، وقال: ﴿وَلِيُبۡلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡهُ بَلَآءً حَسَنًا﴾ [الأنفال: ١٧].

* * *

(١) في (ن): «استوجعن».

(٢) ذكر أقضى القضاة الماوردي المعنى المشهور، وهو أن (يستحيون) بمعنى يستبقون، وهي من (الحياة)، ولم أقف في «تفسيره» على أنها من (الحياء)، أما الماتريدي فذكر المعنى المشهور، لكنه جعله من (الإحياء)، وذكر معنى ثانياً من (الحياء)، وهو أنهم استحيوا من قتل النساء، وقد ذكر المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ١٣٨) المعنى المشهور، وذكر وجهين على اعتبار الكلمة من (الحياء):

الأول: أنهم لا يتعرضون للخنا صيانةً للنساء، وهو من الحياء المحمود، لكنه مستبعد.

الثاني: أنهم كانوا يفتِّشون أحياء النساء عمّا في بطونهنَّ من الجنين، وعما يلدن من الأولاد؛ فالاستحياء هو طلب الحياء، وهو الفرج.

(٥٠) ـ ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾.

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ﴾: أصل الفَرْقِ: الفصلُ، تقول: فَرَقْتُ بينَ المعنيَيْنِ فافترَقَ، وفَرَّقْتُ بينَ الجثَّتَيْنِ فتفرَّقَ[١]، والفِرْقُ: البعضُ من المتفرِّقِ.

ومعنى ﴿فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ﴾: جعلنا اثني عشرَ فِرقًا بسببِكم.

ويحتمل أن تكونَ الباء للحالِ؛ أي: فرقنا البحرَ وكنتم فيه[٢].

والبحرُ: المتَّسعُ من الأرض، مشتقٌّ من (بحرتُهُ)؛ أي: شققْتُه[٣].

﴿فَأَنجَيْنَاكُمْ﴾: خلَّصناكم من فرعونَ.

﴿وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾: أهلكناهم بالماءِ.

والمرادُ: فرعونُ وآلُه.

ويحتملُ أن يكونَ ﴿آلَ فِرْعَوْنَ﴾ شخصَه؛ فقد رُوي عن الحسنِ أنَّه كان يقول: (اللَّهمَّ صلِّ على آلِ محمَّدٍ؛ أي: شخصه)[٤]،...............................

(١) ظاهر كلام ابن سيده والزبيدي أنَّ (فَرَقَ) و(فَرَّقَ) لغتان، ومن اللغويين من خصَّص كلّاً منهما بمعنى؛ فذكر ابن سيده أنَّ (فَرَقَ فرقاً) للصلاح و(فَرَّقَ تفريقاً) للإفساد، وذكر المصنِّف أنَّ (فَرَق) للكلام و(فرَّق) للأجسام، انظر: «معجم الفروق اللغوية» للعسكري (ص: ٤٠٢)، و«المحكم» (٦/ ٣٨٣)، و«تاج العروس» (٢٦/ ٢٧٩) مادة (ف ر ق).

(٢) في النسخ الخطية «فيها»، والتصويب من «غرائب التفسير» (١/ ١٣٩).

(٣) ذهب إلى هذا الأزهري، وذهب ابن فارس إلى أنَّ أصل معناه الاتساع. انظر: «الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي» للأزهري (ص: ١٧٣)، و«تهذيب اللغة» (٥/ ٢٥) مادة (ب ح ر)، و«مقاييس اللغة» (١/ ٢٠١) مادة (ب ح ر).

(٤) ذكره ابن بطّال في «شرح صحيح البخاري» (١٠/ ٢٧٧)، وأبو العباس القرطبي في «المفهم» (٢/ ٤٠)، وابن المنير في «المتواري على أبواب البخاري» (ص: ٣٢٤)، والبيضاوي في =

واقتصرَ على ذكرِ فرعونَ، والمرادُ: فرعونُ وأتباعُه.

﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ إلى انطباقِ البحرِ عليهم بعدَ خروجِكم منه.

قال الفرّاءُ: وأنتم تعلمون؛ لأنَّهم كانوا في شُغُلٍ[1] عن معاينةِ ما يجري عليه[2].

* * *

(٥١) ـ ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾.

﴿وإذ وَعَدْنا مُوسَى أربعِين ليلةً﴾: (موسى) عند المفسِّرينَ عِبرانيٌّ مركَّبٌ من (مو) و(شا)؛ أي: ماءٌ وشجرٌ؛ لأنَّه وُجِدَ عندهما[3].

«الحجّة»: وعدنا تتمّةَ أربعين، فحذفَ المضاف[4].

وقيل: وعدنا إقامةَ أربعين.

= «تفسيره» (١/ ٣٢٢) وغيرهم.

وقد روى أبو إسحاق الأزدي في «فضل الصلاة على النبي ﷺ» (ص: ٦٥): عن الحسن قال: (لما نزلت: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦] قالوا: يا رسول الله، هذا السلام قد علمنا كيف هو، فكيف تأمرنا أن نصلِّي عليك؟ قال: «تقولون: اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد كما جعلتها على آل إبراهيم؛ إنك حميد مجيد»).

(١) في (و): «شك».

(٢) في (ن): «عليهم». انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٦).

(٣) ذكره الطبري في «تفسيره» (١/ ٦٦٥)، والماوردي في «النكت والعيون» (١/ ١٢٠)، والسمين الحلبي في «الدر المصون» (١/ ٣٥٤)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٥٠٩)، وقد ذكر هؤلاء المفسرون أن اسم (موسى) معناه الماء والشجر في لغة القبط.

(٤) انظر: «الحجة» لأبي علي (٢/ ٦٥).

والمعنى: واعدنا موسى أن نكلِّمَ معه أو نوحيَ إليه عندَ انقضاءِ أربعينَ ليلةً.

وقيل: ﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ ظرفٌ للوعدِ[1]؛ أي: كنّا نعدُه كلَّ ليلةٍ منها أن نوحيَ إليه.

وذكرَ اللَّيلةَ، والمرادُ: اللَّيلُ والنَّهار؛ لأنَّ أوَّلَ الشَّهرِ ليلة الهلال، ولهذا يؤرَّخ باللَّيالي.

ومَن جعلَ ﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ ظرفًا، فالمرادُ عنده: اللَّيلُ دونَ النَّهار.

واللَّيل: عبارةٌ عن امتدادِ الظُّلمةِ العامّة، وقيل: اللَّيلُ: عبارةٌ عن وقتِ غروبِ الشَّمسِ إلى طلوعها.

والجمهورُ على أنَّه كان ذا القعدة وعشرًا من ذي الحجّة، وقيل: كان ذا الحجّة وعشرًا من المحرَّم.

وقُرِئ: ﴿وعدنا﴾ و﴿وَٰعَدْنَا﴾[2].

وجهُ (وعدَ) ظاهِرٌ، ووجهُ (واعدَ) أنَّ قَبولَ موسى الوعدَ وإنجازَه به وعدٌ، ولا يمتنعُ أيضًا أن يكونَ من موسى وعدٌ، فيكون ﴿وَٰعَدْنَا﴾ على أصلِ الوضعِ[3]، ويحتملُ أن يكونَ من بابِ: عافاه الله، وطارقْتُ النَّعلَ[4].

﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾: الاتِّخاذ: ابتداءُ عملِ الشَّيءِ، وهو على وجهَينِ:

---

(١) «ظرف للوعد» من (ن).

(٢) في (و): «وأوعدنا». وقد قرأ أبو عمرو بغير ألف: ﴿وعدنا﴾، وقرأ باقي السبعة: ﴿وَٰعَدْنَا﴾. انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٥٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٣).

(٣) أي: دالاًّ على المشاركة بين اثنين مثل: قاتل.

(٤) أي: أن وزن (فاعَلَ) قد يُطلَق ولا يدلُّ على مشاركة، بل يُراد به واحد، فهو بمعنى (فَعَلَ) نحو: سافرتُ، وطارقتُ النعل، وعافاه الله.

ـ اتِّخاذِ صنعةٍ، وهو يتعدَّى إلى مفعولٍ واحدٍ، نحو: اتَّخذْتُ آنيةً؛ أي: صنعتُها.

ـ اتِّخاذِ وصفٍ، نحو: اتَّخذْتُ زيدًا أمينًا، وعَمرًا وكيلًا.

والآيةُ تحتمِلُ الوجهَين:

الوجهُ الأوَّلُ معناه: ثم صنعْتُم عجلًا بعدَ انطلاقِ موسى لموعود ربِّهِ، وذلك أنَّ السّامريَّ كان صائغًا، وكان مع القومِ شيءٌ من حُليِّ القِبطِ، فأمرَهم بإلقائِه، وألقى ما كانَ معه، واتَّخذَ منه شكلَ عجلٍ، وهو ولدُ البقرةِ، وكان معه قبضةٌ من ترابِ أثرِ حافرِ فرسِ جبريلَ، فنبذَها مع الحُليِّ، فصارَ عجلًا من لحمٍ ودمٍ يخورُ[١].

وقيل: لم يصِرْ عِجلًا، بل بقيَ على شكلِ العجلِ، فخارَ بمَخْرقةٍ[٢] اخترقَها[٣] السّامريُّ.

والوجه الثّاني: اتَّخذتم العجلَ الذي صنعَه السّامِريُّ معبودًا وإلهًا.

---

(١) نقل الرازي في «التفسير الكبير» (٢٢/ ٩٥) عن أبي مسلم الأصفهاني وجهًا آخر، قال: «ليس في القرآن تصريح بهذا الذي ذكره المفسرون، فهاهنا وجه آخر، وهو أن يكون المراد بالرسول: موسى عليه السلام، وبأثره: سنته ورسمه الذي أمر به، فقد يقول الرجل: فلان يقفو أثر فلان ويقبض أثره؛ إذا كان يمتثل رسمه، والتقدير: أن موسى عليه السلام لما أقبل على السامري باللوم والمسألة عن الأمر الذي دعاه إلى إضلال القوم في باب العجل، فقال: بصرت بما لم يبصروا به؛ أي: عرفت أن الذي أنتم عليه ليس بحق، وقد كنت قبضت قبضة من أثرك أيها الرسول؛ أي: شيئاً من سنتك ودينك، فقذفته؛ أي: طرحته، فعند ذلك أعلمه موسى عليه السلام بما له من العذاب في الدنيا والآخرة»، وقد أيَّده الرازي لوجوه.

(٢) أي: بحيلة احتالها السامري، والمَخْرقةُ: إظهارُ الخُرْقِ توصُّلاً إلى حيلةٍ، وهي كلمة مولَّدة. انظر: «الصحاح» (٤/ ١٤٦٨)، و«المفردات» للراغب الأصفهاني (ص: ٢٨٠).

(٣) الفعل الذي ذكره المصنف موافق للجوهري والراغب الذين عدّا الميم زائدة، أما الزبيدي فذكر أنَّ الفعل منها (مَخْرَقَ). انظر: «تاج العروس» للزبيدي (٢٦/ ٣٨٠) مادة (م خ ر ق).

وقولِه: ﴿مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾؛ أي: من بعدِ انطِلاقِه إلى الطُّورِ.

﴿وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ﴾؛ أي: أنتم واضعونَ العبادةَ غيرَ موضعِها.

وقيل: ضارُّونَ أنفسَكم.

قال أبو العالية: سمِّي ما اتَّخذه السّامريُّ عجلًا لأنَّهم عَجِلوا فاتَّخذوه إلهًا[1].

* * *

(٥٢) ـ ﴿ثُمَّ عَفَوۡنَا عَنكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾.

﴿ثُمَّ عَفَوۡنَا عَنكُم﴾: محونا ذنوبَكم ولم نعاقبْكم عليها.

وعفا الشَّيءُ: درَسَ أثرُه، لازمٌ ومتعدٍّ.

﴿مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾: من بعدِ اتِّخاذِ العِجلِ ﴿لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾: لكي تشكروا[2].

والشُّكرُ: الاعترافُ بالنِّعمةِ والثَّناءُ على المنعِمِ.

* * *

(٥٣) ـ ﴿وَإِذۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡفُرۡقَانَ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾.

﴿وَإِذۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ﴾؛ أي: التَّوراة.

﴿وَٱلۡفُرۡقَانَ﴾ قيل: هو التَّوراةُ أيضًا؛ لقولِه: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلۡفُرۡقَانَ وَضِيَآءً وَذِكۡرًا﴾ [الأنبياء: ٤٨]، فعطفَ عليه لاختلافِ اللَّفظَينِ، قال:

ألا حبَّذا هِندٌ وأرضٌ بها هندُ ... وهِنْدٌ أتى من دونِها النَّأْيُ والبُعْدُ[3]

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٦٧٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٠٨)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ١٤٠).

(٢) تقدم الكلام على مثل هذا في تفسير قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾.

(٣) البيت للحطيئة، كما في «ديوانه» (ص: ١٤٠). والشاهد فيه: عطف (البعد) على (النأي) ومعناهما واحد.

وقيل: الفرْقُ بينَ الحقِّ والباطلِ.

وقيل: انفراقُ البحرِ.

وقيل: الـمَخْلَصُ من عذابِ فرعونَ.

الفرّاء والمفضَّل: وإذ آتينا موسى الكتابَ ومحمَّدًا الفرقانَ، واكتفى بذكرِ كتابِه عنه[١].

﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾: لكي تهتدوا[٢].

سيبويه: لتكونوا على رجاء الهداية[٣].

* * *

(٥٤) ـ ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٧)، ونقله الثعلبي في «تفسيره» (١/ ١٩٧)، والواحدي في «البسيط» (٢/ ٥٢٧) عن قطرب، وقد أنكره النَّحّاس في «إعراب القرآن» (١/ ٥٣) فقال: (هذا خطأ في الإعراب والمعنى، أمّا الإعراب فإنَّ المعطوفَ على الشيء مثلُه، وعلى هذا القول يكون المعطوفُ على الشيء خلافَه، وأمّا المعنى فقد قال فيه جلّ وعزّ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ [الأنبياء: ٤٨]).

(٢) ذكر هذا الطبري وابن فارس. انظر: «تفسير الطبري» (١٠/ ٥٠٠)، و«الصاحبي في فقه اللغة» لابن فارس (ص: ١٢٤)، وقد تقدم الكلام على مثل هذا في تفسير قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

(٣) هذا لازم قوله؛ لأنه جعل (لعل) للطمع والإشفاق، كما نبَّهنا عليه سابقاً، وإلا فليس في «كتابه» كلام على هذه الآية. انظر: «معاني القرآن» للزَّجّاج (١/ ٩٨)، و«البسيط» للواحدي (٢/ ٢٢٠)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (١/ ١٠٥).

بَارِيِكُمْ ﴾: خالِقكم، برأ اللهُ الخلقَ يبرَؤُه بُرأً، فهو بارِئٌ، والبريّةُ من هذا الخلقِ.

﴿فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾؛ أي: ليقتلْ بعضُكم بعضًا[1].

قيل: القتلةُ هم الَّذين كانُوا اختارَهم موسى، من قوله: ﴿وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ﴾ [الأعراف: ١٥٥] الآية[2].

وقيل: هم الَّذين اعتزلُوا منهم مع هارون، وكانوا اثني عشر ألفًا.

وقيل: قتلوا أنفسَهم بأيديهم، وفيه بُعدٌ.

﴿ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾؛ أي: التَّوبةُ والقتلُ خيرٌ لكم ﴿عِندَ بَارِئِكُمۡ﴾: خالِقكم من الإقامةِ على المعصية.

﴿فَتَابَ عَلَيۡكُمۡ﴾؛ أي: فعلْتُم ما أُمِرْتم به[3]، فتابَ عليكم.

وقيل: فيتوبُ عليكم.

وذلك أنَّ الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السَّلام: قل لبني إسرائيل: إنَّ توبَتكم أن تقتلوا أنفسَكم، فاصطفُّوا صفَّينِ، ثم ليقتلْ بعضُكم بعضًا، ففعلوا، وأقبلَ بعضُهم يقتلُ بعضًا، لا يحتشِمُ الأبُ ابنَه، ولا الابنُ أباه، من غَدوةٍ إلى العشيِّ، ثم أوحى الله إلى موسى أن قد قبلْتُ توبتَهم، فمن قُتِلَ فهو شهِيدٌ، ومن لم يُقتَلْ فقد تبْتُ عليه وغفرْتُ له، وكان المقتولون سبعِينَ ألفَ قتيلٍ.

والقتلُ: إماتةُ[4] الحركةِ، ومنه: قتلتَ الخمرَ؛ إذا مزجتَها بالماءِ.

---

(١) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٤٩).

(٢) ذكر الزَّجّاج هذا في «معاني القرآن» (١/ ١٣٧)، ورأى أن عدم تحديد القتلة أشبه بالآية.

(٣) «به» من (ن).

(٤) في (ن): «إزالة»، والمثبت موافق لعبارة الماوردي في «تفسيره» (١/ ١٢٢).

وقيل: أصلُه من قولك: قتلتُه؛ أي: أصبْتُ قَتالَه؛ أي: نفسَه[١]، كما تقولُ: رَأَسْتُه وجَبهْتُه.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ﴾: المتجاوزُ عن ذنبِ العباد ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾: حيثُ رخَّصَ في التَّوبة.

* * *

(٥٥) ـ ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾.

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ﴾: لن نصدِّقك ﴿حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ ابن عبّاسٍ: علانيةً[٢]، غيرُه: عيانًا لا يسترُه شيءٌ.

وأصل الجَهْرِ: الظُّهور والإظهار، تقول: جهرْتُ بالبئر؛ إذا نزحْتَ حمأتها، و(جَهَرَ بالقراءةِ) و(رجلٌ جَهْوَرِيُّ الصَّوتِ) و(الجوهرُ) من هذا.

و﴿جَهْرَةً﴾: صفةُ مصدرٍ محذوفٍ؛ أي: رؤيةً جهرةً.

وقيل: ﴿جَهْرَةً﴾ متَّصلٌ بالقول؛ أي: قولًا جهرُوا به[٣].

﴿فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾: وهي نارٌ جاءَت من السَّماءِ فأحرقَتهم.

الكلبيُّ: إنَّ السَّبعين الَّذين كانوا مع موسى قالوا له: نحن[٤] لم نعبدِ العجلَ كما عبدَه هؤلاء، فأرنا الله جهرةً، فقال موسى عليه السّلام: سألْتُه ذلك فأباه عليَّ، فقالوا:

---

(١) «أي نفسه»: ليس في (ن).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٦٨٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١١١).

(٣) ففي الكلام تقديم وتأخير، والتقدير: وإذ قلتم جهرةً: يا موسى لن نؤمن لك حتّى نرى الله.

(٤) «نحن» من (ن).

لن نؤمنَ لك حتى نرى الله جهرةً، فبعثَ الله عليهم صاعقةً، فأحرقتهم، وماتوا[١].

قال الزَّجّاج: والدَّليلُ على أنَّهم ماتُوا قولُه: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ [البقرة: ٥٦][٢].

وقيل: لم يموتوا، بل صاروا مغشِيًّا عليهم، كقوله: ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣].

والصَّحيح هو الأوَّل.

﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾: تعلمون.

وقيل: تنظرونَ إلى أوائلِ ما كانَ ينزلُ[٣] من الصّاعقةِ قبلَ الموت.

***

(٥٦) ـ ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم﴾: أعدناكم أحياءً؛ لتستوفوا بقيّةَ آجالِكم.

والبعْثُ: الإثارة، والبعْثُ: الإرسال أيضًا، وهو منه[٤]، وأصله: إزالةُ ما يَحبِسُ عن التَّصرُّف.

وقيل: بعثناكم رُسلًا.

﴿مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾: غَشْيَتكم.

﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمةَ البعثِ بعدَ الموت، وقيل: نعمة النُّبوّة.

---

(١) ذكره ابن أبي زمنين في «تفسيره» (٢/ ١٤٥)، ومكي في «الهداية» (٤/ ٢٥٧٨).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزّجّاج (١/ ١٣٧).

(٣) في (ن) زيادة: «بهم».

(٤) أي: معنى الإرسال من معنى الإثارة.

(٥٧) ـ ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ﴾: ستَرناكم عن الشَّمس.

والظِّلُّ: فقدانُ ضوءِ الشَّمسِ من المكان.

والغمامُ: السَّحابُ الرَّقيق، مشتَقٌّ من (غممْتُه)؛ أي: ستَرْتُه.

ابن عبّاسٍ: الغمامُ غير السَّحاب، بل هو من قولِه: ﴿فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠][١].

الكلبيُّ: كان الغمامُ يستُرهم من الشَّمس، وكان عمودٌ من نارٍ[٢] ينزلُ من السَّماءِ فيضيءُ لهم باللَّيل ويسيرُ معهم[٣].

الحسن: لـمّا قطعَ بنو إسرائيلَ البحرَ خرجوا إلى أرضٍ طيِّبةٍ بيضاءَ ليس فيها نباتٌ ولا ماء، فآذتهم الشَّمسُ بحرِّها، فظلَّلَ اللهُ عليهم الغمامَ، وهو السَّحابُ الأبيض[٤].

وقيل: هذا من قصّة التِّيهِ[٥]، وإنَّما ذُكِرَ هذا القدرُ هاهنا في تَعدادِ النِّعمِ عليهم.

﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ﴾ اختلفَ المفسِّرون فيه:

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٦٠٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٣٧٢) عن مجاهد.

(٢) في (و): «النار».

(٣) ذكر نحوه «مقاتل بن سليمان» (١/ ١٠٠)، وكذا الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٢٦٢) دون نسبة.

(٤) ذكر ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١١٣) عن الحسن أن التظليل كان في البرية.

(٥) ذكر كثير من المفسرين أن التظليل كان في التيه، وقد رواه الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما والسدي وابن إسحاق والربيع. انظر: «تفسيره الطبري» (١/ ٧٠٧ـ٧٠٨) و(٢/ ٦).

ابنُ عبّاسٍ: هو شيءٌ يسقطُ على الشَّجرِ فيأكلُه النَّاس[١].

قتادة: الطَّرَنْجَبِيْن[٢]، قال: وكان ينزِلُ كهيئةِ الثَّلجِ من طلوعِ الفجرِ إلى طلوعِ الشَّمس، فيأكلُه النَّاس[٣].

السُّدِّيُّ: هو الزَّنجبيل[٤].

وهب: الخبز الرِّقاق[٥].

مجاهدٌ: ﴿المنّ﴾: الصَّمغة[٦].

الرَّبيع: كان ماءً يشربونه[٧].

الزَّجّاج: ما منَّ الله به عليهم ممّا لا تعبَ فيه ولا نصَبَ[٨].

ابن جريرٍ: ﴿المنُّ﴾: العسل[٩].

﴿وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ ابن عبّاسٍ: هو طيرٌ يُشبهُ السُّمانَى[١٠].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٧٠٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١١٤).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٧٠١) عن السدي.

(٣) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (١/ ٧٠٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١١٤).

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١١٤).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٧٠١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١١٥).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٧٠٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١١٤).

(٧) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (١/ ٧٠٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١١٥).

(٨) انظر: «معاني القرآن» للزّجّاج (١/ ١٣٨).

(٩) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٧٠١) عن ابن زيد وعامر، ومال ابن جرير إلى أنه كالعسل أو هو العسل. انظر: «تفسيره» (١/ ٧٠٣ ـ ٧٠٤).

(١٠) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٧٠٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١١٥).

قال الخليل: واحدُها سَلْواةٌ[١]، وأنشد:

.... كمـا انتفَضَ السَّـلْواةُ مِنْ بَلَلِ القَطْرِ[٢]

وقيل: هو العسلُ، وأنشد:

وقاسَمَـها بـاللهِ جَـهْـدًا لأنْـتُـمُ ألذُّ مِنَ السَّلْوى إذا ما نَشُورُها[٣]

تقول: شُرْتُ العسلَ: إذا استخرَجْتَه.

المفضَّل: غلط الشّاعرُ في قوله: (نَشُورُها)، وأراد: نَصِيدُها[٤].

ويحتملُ أنَّ السَّلوى معناها: ما كان لهم فيه التَّسلِّي عن الطَّعام[٥]؛ وِزانَ قولِ الزَّجّاج في المنِّ[٦].

﴿كُلُوا﴾: وقلنا لهم: كلوا.

﴿مِن طَيِّبَٰتِ﴾: حلالاتِ ﴿مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾، وكانوا يأخذون منها ما يكفيهم

---

(١) انظر: «العين» للخليل (٧/ ٢٩٨).

(٢) عجز بيت لأبي صخر الهذلي، كما في «الشعر والشعراء» لابن قتيبة (٢/ ٥٤٩)، وصدره:

وإنّـــي لتعرونـــي لذكـــراكِ هـــزّة

ويروى: كما انتفض العصفور بلَّله القطر.

(٣) البيت لخالد بن زهير الهذلي، كما في «الغريب المصنف» لأبي عبيد (٢/ ٤٦٥)، و«ديوان الهذليين» (١/ ١٥٨)، و«تفسير الطبري» (١٠/ ١٠٨).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ١٤٢)، ونقل ابن سيده عن الزَّجّاج أنه قال: (أخطأ خالد، إنَّما السَّلوى طائرٌ). انظر: «المحكم» لابن سيده (٨/ ٦١١) مادة (س ل و).

(٥) اختار أبو علي القالي قريباً من هذا. انظر: «المقصور والممدود» للقالي (ص: ١٣٦).

(٦) هذا رأي المصنف، وقد ذكره في «غرائب التفسير» (١/ ١٤٢)، ومراده: أنَّه خلص إلى هذا القول بالنَّظر إلى العموم، كما خلص الزَّجّاج إلى معنى (المنِّ) بالنظر إلى العموم.

ليومهم وليلتهم إلّا يوم الجمعة، فإنَّهم كانوا يأخذون فيه ليوم الجمعة والسَّبت، ومَن زاد على ذلك فسد.

وقال رسول الله ﷺ: «لولا بَنُو إسرائيلَ ما خَنَزَ الخبْزُ»(١)؛ أي: إنَّهم زادوا على مقدار الحاجة، ففسد.

وقيل: ﴿مِن طَيِّبَٰتِ﴾؛ أي: من لذيذاتِ ما رزقناكم.

وقيل: من المباح.

وقيل: بدلَ طيِّباتِ ما رزقناكم(٢)، ولهذا قال(٣): ﴿فَٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُخۡرِجۡ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ﴾ [البقرة: ٦١] الآية، و(من) تأتي بمعنى البدل، قال الله تعالى: ﴿لَجَعَلۡنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً﴾ [الزخرف: ٦٠]؛ أي: بدلكم، قال الشّاعر:

فَلَيْتَ لنا مِنْ ماءِ زَمْزَمَ شَرْبةً ... مُبَرَّدةً باتَتْ على الطَّهْيانِ(٤)

﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ ابن عبّاسٍ: ما نقصونا(٥)، وقيل: ما ضرُّونا.

---

(١) روى نحوه البخاري (٣٣٣٠)، ومسلم (١٤٧٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ولفظ البخاري: «لولا بنو إسرائيل لم يخنز اللحم».

وأما الرواية بلفظ: «الخبز» فقد عزاها السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٢٣٦) إلى سفيان بن عيينة عن عكرمة. ورواها العقيلي في «الضعفاء» (٣/ ٣٢٧) عن ابن عمر رضي الله عنهما، وضعَّفها بعمار بن مطر الرهاوي.

(٢) «وقيل من المباح وقيل بدل طيبات ما رزقناكم» من (ن).

(٣) في (ن): «قالوا».

(٤) البيت للأحولِ الكندي، كما في «تهذيب اللغة» للأزهري (٦/ ٢٠٠) مادة (ط ه و)، و«معجم البلدان» لياقوت (٤/ ٥٢). والطهيان: خشبة تُعلَّق عليها أوعية الماء ليبرد، وقيل: موضع، وقيل: جبل. ويروى: (حمنان) بدل (زمزم)، و(شدوان) بدل (طهيان).

(٥) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٦٨)، وانظر: «تنوير المقباس» للفيروزآبادي (ص: ٩)، =

ومعناه: ما ظلمونا بقولهم: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةً﴾ [النساء: ١٥٣].

وقيل: وما ظلمونا بادِّخارهم المنَّ والسَّلوى.

وقيل: وما ظلمونا بإبائهم على موسى دخولَ قريةِ الجبّارِين.

﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾: ينقصون ويضرُّون.

* * *

(٥٨) ـ ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ فَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ رَغَدٗا وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡۚ وَسَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾.

﴿وَإِذۡ قُلۡنَا ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ﴾ الكلبيُّ: هي أريحا[1]، وقيل: إيليا، وقيل: بيت المقدس.

وقيل: أريحا قريةٌ بالأرض المقدَّسة، وفيها مسجدٌ هو بيتُ المقدس، وفي المسجدِ بيتٌ يُسمَّى إيليا.

والقريةُ: هي المكان الَّذي يجمعُ الخلْقَ، مشتقّةٌ من (قَرَيْتُ)؛ أي: جمعْتُ.

﴿فَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ﴾: فاستمتعوا بما شِئْتم من طعامِ القُرى وثمارها.

﴿رَغَدٗا﴾: موسَّعًا.

﴿وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ﴾ قيل: بابًا من أبوابِها.

= وروى الطبري في «تفسيره» (١/ ٧١٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾، قال: يضرون.

(١) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (١/ ٥٥) عن الكلبي، ورواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٧١٣) عن ابن زيد.

وقيل: باب القُبّةِ الَّتي كان يُصلِّي فيها موسى؛ لأنَّهم دخلوا البابَ زمنَ موسى، ودخلوا بيت المقدس بعده.

﴿سُجَّدًا﴾: مُنْحَنين متواضعين غيرَ باغينَ بالظَّفر الَّذي نِلْتُموه مستغفرينَ اللهَ.

﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ الحسن وقتادة: أي: حُطَّ عنا ذنوبَنا[(١)].

عكرمة: قُولوا: لا إله إلّا الله[(٢)].

سعيد بن جبير: الحِطّةُ المغفرةُ، أُمِروا بالاستغفار[(٣)].

ابن عبّاسٍ: أي: قولوا: هذا الأمرُ حقٌّ، كما قيلَ لكم[(٤)].

وقيل: أُمِروا بهذهِ اللَّفظة من غيرِ تعرُّضٍ لمعنى.

وقيل: ﴿حِطَّةٌ﴾: باب البلد.

وقيل: ﴿حِطَّةٌ﴾: باب المسجد.

﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ﴾: نعفُ عنكم، ونسترْ ذنوبَكم، من (غفرْتُ الشَّيءَ)؛ أي: سترتُه، ومنه: الـمِغْفَرُ، والغَفِيرةُ[(٥)].

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٥٨)، والطبري في «تفسيره» (١/ ٧١٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١١٩).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٥٧)، والطبري في «تفسيره» (١/ ٧١٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١١٨).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٧١٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١١٨)، والحاكم في «المستدرك» (٣٠٤٠) عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٧١٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١١٨).

(٥) المغفر: حَلَقٌ يُغطى بها الرأس والعنق في الحرب، والغفيرة: شعر في الأذن. انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (٨/ ١١٣).

﴿خَطَٰيَٰكُمْ﴾: جمع خطيئةٍ، وهي الذَّنب، تقول: خَطِئ؛ إذا قصدَ الذَّنب، واسمه: الخِطْءُ[1]، و: أخطأ؛ إذا كان من غيرِ قَصْدٍ، واسمُه: الخَطَأُ[2].

﴿وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: الَّذين لم يكونوا من أهل تلك الخطيئة.

وقيل: معناه: مَنْ أحسنَ بعد ذلك زِدْناه ثوابًا ودرجاتٍ.

* * *

(٥٩) - ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾.

﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾: التَّبديل: جعلُ شيءٍ مكانَ شيءٍ، والبَدلُ: الخَلَفُ.

أي: تركوا ما أُمِروا به، وقالوا قولًا فسقُوا به.

المفضَّل: دخلوا الباب زَحفًا على أستاهِهم[3]، وقالوا: (حِطًّا سمقاثا)؛ أي: حِنطةً حمراء.

وقيل: قالوا: حنطة بيضاء مثقوبة فيها شعيرةٌ[4]؛ استهزاءً.

﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾؛ أي: غيَّروا ﴿رِجْزًا﴾: عذابًا، وقيل: طاعونًا، وأصله من قولهم: ناقةٌ رَجْزاءُ؛ إذا كانت ترتعدُ قوائِمُها عند القيام.

---

(١) في (ن): «الخطاء».

(٢) انظر: «الغريبين» للهروي (٢/ ٥٦٧)، و«درة الغواص» للحريري (ص: ١٣٤).

(٣) «على أستاههم» من (ن).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ١٤٣)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٧٢٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١١٩) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، ويُروى: (فيها شعرة).

﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: مبالغة، فمات منهم في ساعةٍ أربعةٌ وعشرون ألفًا من كبرائهم وشيوخهم، وبقي الأبناء.

﴿بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾: بخروجِهم عمّا أمرهم اللهُ تعالى، والفُسُوقُ: الخروجُ.

* * *

(٦٠) - ﴿وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ فَقُلۡنَا ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۖ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ مِن رِّزۡقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾.

﴿وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ﴾ الحسن: لـمَّا قطعوا البحر عطِشوا، فشكوا إلى موسى[١].

غيره: كان ذلك في التِّيهِ؛ أي: استسقى اللهَ موسى لبني إسرائيل.

والاستسقاءُ: طلبُ السَّقي.

﴿فَقُلۡنَا ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ﴾؛ أي: أمرنا موسى أن يضربَ بعصاه الحجرَ، وكانت من آسٍ[٢] الجنّةِ، يُقال لها: عُلَيْق[٣].

﴿ٱلۡحَجَرَ﴾ قيل: الألف واللّام فيه للجِنس؛ أي: أيَّ حجرٍ كان.

وقيل: للعهد، والإشارة إلى حجرٍ مُعَيَّنٍ[٤].

﴿فَٱنفَجَرَتۡ﴾؛ أي: فضربَ فانفجرَتْ.

---

(١) ذكر أبو حيان نحو هذا القول بلا نسبة في «البحر المحيط» (١/ ٣٦٦).

(٢) الآس: شجر ورقه معطر. انظر: «العين» (٧/ ٣٣١).

(٣) كذا ضُبطت في (ن).

(٤) وفي صفة هذا الحجر أقوال ذكرها المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ١٤٣).

والانفجارُ: انصبابُ الماء بكثرةٍ، مطاوِعُ (فَجَرَ)، وهو الشَّقُّ[١].

والانبجاسُ: ابتداءُ الانفجار؛ لأنَّه خروجُ الماء قليلًا قليلًا[٢].

﴿مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾؛ أي: على عددِ الأسباط.

والعينُ: اسمٌ مشتركٌ، والمراد بها هاهنا: عينُ الماء.

﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ﴾ يأتي كلُّ سِبْطٍ مَشْرَبَه فلا يتعدّاه.

وكان حجرًا مثل رأسِ الرَّجل.

وقيل: كان ذِراعًا في ذراعٍ.

أبو عبيدة: كان مع كلِّ سبطٍ حجرٌ يحملونه على حمارٍ[٣].

وقيل: هو الحجرُ الَّذي وضعَ موسى ثوبَه عليه، ويأتي ذكره في (الأحزاب)[٤].

﴿كُلُوا﴾؛ أي: وقلنا لهم: كلوا من المنِّ والسَّلوى، ﴿وَاشْرَبُوا﴾ من الماءِ.

﴿مِنْ رِزْقِ اللَّهِ﴾؛ أي: وكلاهما من رزقِ الله.

﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ ابن عبّاسٍ: العُثُوُّ والعِثِيُّ: أشدُّ الفساد[٥].

---

(١) في (ن): «سعة الشق».

(٢) ذكره المصنف للتنبيه على الفرق بين ما في هذا الموضع وما في سورة الأعراف، فانظره في «البرهان» للمصنف (ص: ٧٤)، وللراغب الأصفهاني رأي في الفرق بين الانفجار والانبجاس يخالف رأي المصنف، فانظره في «تفسيره» (١/ ٢٠٦).

(٣) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٤٢).

(٤) في تفسير قوله تعالى: ﴿فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا﴾، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ١٤٣).

(٥) هذا الكلام ذكره الطبري في «تفسيره» (٢/ ١٠) بعد أن روى عن ابن عباس رضي الله عنهما تفسيره ﴿وَلَا تَعْثَوْا﴾ بـ: (لا تسعوا)، فهو من كلام الطبري، وليس من كلام ابن عباس رضي الله عنهما.

وفيه لغاتٌ[1] (عَثِيَ) و(عَثَا) و(عاثَ)، من (التَّعييثِ)، وهو طلبُ الشَّيءِ في الظُّلمةِ، وكذلك طلبُ الأعمى.

وقوله: ﴿مُفْسِدِينَ﴾ تكرارٌ للتَّأكيدِ؛ لاختلافِ اللَّفظَين.

وقيل: العَثْيُ: التَّخليطُ؛ أي: لا تُخلِّطوا مفسدين.

***

(٦١) - ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّۦنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾.

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ﴾: الطَّعام: اسمٌ جامعٌ لِما يُؤكَل.

والواحد: المنفرد، والوحدة: الانفراد، وحقيقةُ الواحدِ: هو الَّذي لا يتبعَّض.

وإنَّما قالوا: طعام واحد؛ لأنَّهم كانوا يأكلونه بالسَّلوى.

وقيل: كان يأتِيهم المنُّ مدّةً فانقطع، وأتاهم بعدَه السَّلوى، فكانوا يأكلون منها.

وقيل: استنكفوا من تساويهم فيه، وأرادوا الامتياز في الأطعمة[2].

﴿فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾: أصلُ الدُّعاءِ للنِّداء، ثم يُستعارُ للسُّؤالِ والعبادةِ والتَّسميةِ؛ لأنَّها لا تخلو من نداءٍ.

---

(١) «وفيه لغات» من (ن).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ١٤٤)، واستغربه.

والمعنى: سَلْهُ بدعائِكَ إيّاه ﴿يُخْرِجْ لَنَا﴾؛ أي: وقل له: أخرِجْ يخرِجْ لنا.

﴿مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ﴾: يخرجُه من النَّبات، ثم فسَّرَ فقال:

﴿مِنْ بَقْلِهَا﴾: وهو ما اخضرَّ من النَّباتِ، والمرادُ به هاهنا: المعتادُ للأكل.

﴿وَقِثَّائِهَا﴾ الخليل: هي الخيار[1].

﴿وَفُومِهَا﴾ قال الفرّاء: هو الثُّوم؛ قُلِبَتْ ثاؤُه فاءً، كجَدَفٍ ومُغْفُور[2].

وإليه ذهب الكسائيُّ أيضًا في جماعةٍ[3]، وقالوا: هو أليقُ بالبقلِ والقِثّاء والعدس والبصل، ولِما في قِراءةِ ابنِ مسعودٍ: (وثومِها)[4]، ولقولِهِ سبحانه وتعالى: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾، ومعلومٌ أنَّ الحِنطةَ خيرُ مأكولِ بني آدم[5].

قال الزَّجّاج في جماعةٍ: الفوم: الحِنطةُ، وسائر الحبوب الَّتي تُخبَزُ يلحقها اسم

---

(١) انظر: «العين» للخليل (٥/ ٢٠٣).

(٢) في (و): «المغثور». والجدف: لغة في (الجدث)، وهو القبر. انظر: «جمهرة اللغة» لابن دريد مادة (ج د ف). والمغفور: لغة في (المغثور)، واحد المغافير، وهو شيء ينضحه العرفطُ حلو الطعم، وهو كريه الرائحة. انظر: «إصلاح المنطق» لابن السكيت (ص: ٢٢٢). أما كلام الفراء فظاهره ما نقله المصنِّف؛ فقد ذكر أن الفوم قيل فيه: إنه الحنطة وما يُخبزُ، ورأى أنَّ الأشبه فيه أنه الثوم، وذكر ابن السكيت أنه فسَّر الفوم والثوم بالحنطة. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٤١)، و«الكنز اللغوي» لابن السكيت (ص: ٣٥).

(٣) كالكلبي والنضر بن شميل. انظر: «تفسير الثعلبي» (١/ ٢٠٥).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٤١)، و«تفسير الطبري» (٢/ ١٨)، و«مختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ١٤)، و«المحتسب» لابن جني (١/ ٨٨).

(٥) انظر: «زاد المسير» لابن الجوزي (١/ ٧١).

الفوم، قال الزَّجّاج: ومحالٌ أن يطلب القوم طعامًا لا بُرَّ فيه، وهو أصل الغذاء(١).

وقيل: الفوم: الخبز، تقول العرب: فَوِّمَ؛ إذا خبزَ(٢).

ابن عبّاسٍ: الفوم: الحنطة، وأنشد قول أبي محجنٍ الثّقفيِّ:

قد كنْتُ أحسَبُني كأغنى واحِدٍ وَرَدَ المدينةَ عَنْ زراعةِ فُومِ(٣)

وقيل: الفُومُ: كلُّ لُقْمةٍ كبيرةٍ وقطعةٍ من اللّحمِ عظيمةٍ(٤).

﴿وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾: هما المعروفانِ.

﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾: أتُبدِّلون الّذي هو ﴿أَدْنَىٰ﴾: أقرب؛ أي: أقلُّ قيمة، من قولهم: هذا شيءٌ مقارِبٌ؛ أي: قليل الثّمنِ دونٌ.

وقيل: أصله (أدْنَأُ) ـ بالهمزة ـ من (الدَّناءةِ)، وهي الخِسَّةُ والحقارة، فخُفِّف، وقد قُرِئ بالهمزة(٥).

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزَّجّاج (١/ ١٤٣).

(٢) في (ن): «فوّمت إذا خبزت».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ١٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٢٣)، وورد فيهما الشطر الأول:

قد كنت أغنى الناس شخصًا واحداً

وجاء فيهما البيت منسوبًا لأحيحة بن الجلاح، وقد نسب البيت لأبي محجن الثقفي أيضًا، كما في «غريب القرآن» للسجستاني (ص: ٣٦٧)، و«رسالة الملائكة» لأبي العلاء المعري (ص: ١٦)، و«الإبانة» للصُحاري (٣/ ٤٤٠)، و«لسان العرب» لابن منظور (١٢/ ٤٦٠).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ١٤٥)، واستغربه.

(٥) نسبت هذه القراءة لزهير الفرقبي، كما في «مختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ١٤)، و«تفسير الثعلبي» (٣/ ٣٤٢).

وقيل: مقلوبٌ من (أدْوَن)[١].

﴿بِٱلَّذِي هُوَ خَيۡرٌ﴾: أشرف وأرفع؛ فالأدنى والخيرُ في جنسِ الطَّعامِ.

ويحتملُ أن يكونَ أدنى لاختياركم، وخيرٌ لاختياره تعالى[٢].

﴿ٱهۡبِطُواْ﴾: ادخلوا وانزلوا ﴿مِصۡرٗا﴾؛ فإنَّ الَّذي تطلبونَه يوجد في القُرى والأمصار.

و(مِصْر) نكرة؛ أي: مِصرٌ من الأمصار.

الحسن: مصر فرعون[٣]، وصُرِفَ لسكونِ عينِها، وقُرِئَ غيرَ مصروفٍ[٤].

وقيل: بيت المقدسِ؛ لقوله: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ [المائدة: ٢١].

والمِصرُ: الحدُّ، ومُصُورُ الدّارِ[٥]: حدودُها، قال:

وجاعِلُ الشَّمسِ مِصرًا لا خَفاءَ بِهِ ... بينَ النَّهارِ وبينَ اللَّيلِ قد فَصلا[٦]

---

(١) ذكره الثعلبي عن بعض النحويين، ونصَّ الواحدي على أنه خطأ. انظر: «تفسير الثعلبي» (٣/ ٣٤٢)، و«البسيط» للواحدي (٢/ ٥٨٦)، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ١٤٥).

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٣/ ٣٤٢).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ١٢٩)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٢٣) عن أبي العالية والربيع، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٢٤) عن أبي العالية، والكلمة على هذا معرفة تستحقُّ المنع من الصرف للعلمية والعُجمة، ولكن يجوز صرفها للخفة، فلذلك قال المصنف: وصُرِف...

(٤) قرأ بها الأعمش، كما في «مختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ١٤).

(٥) في (و): «والمصور للدار».

(٦) البيت لعدي بن زيد العبادي، كما في «ديوانه» (ص: ١٥٩)، و«غريب الحديث» لابن قتيبة =

﴿فَإِنَّ لَكُم﴾؛ أي: فيها ﴿مَّا سَأَلْتُمْ﴾: طلبْتُم.

﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾: أُلْزِمُوها إلزامًا لا يَبرحُ، ومنه: الضَّريبةُ.

و﴿ٱلذِّلَّةُ﴾: الـهَوان، وأصلُه من اللِّينِ[١]، ضِدُّ العِزَّةِ.

﴿وَٱلْمَسْكَنَةُ﴾: الفقرُ، ومنه: المسكين؛ لأنَّ الفقرَ أسكنَه، فلا حراكَ به.

والمسكنةُ: الضَّعفُ والصَّغارُ أيضًا، والتي ضُرِبَتْ بها[٢] اليهودُ من هذا؛ لأنَّ فيهم الفقيرَ والغنيَّ.

وجمهور المفسِّرين على أنَّ الـمُرادَ بالمضروبِ عليهمِ الذِّلَّةُ والمسكنةُ: اليهودُ الَّذين كانوا في زمنِ النَّبيِّ ﷺ، وفسَّروا الذِّلَّةَ بالجزيةِ وزِيِّ اليهوديّة، وقيل: الكُسْتِيج[٣].

وقيل: هو لآبائهم الَّذين كفروا بآياتِ الله، وقتلوا الأنبياءَ، وهذا أظهر.

﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ قال الكسائيُّ: باؤوا: رجعوا[٤]، والبَوءُ[٥]: الرُّجوعُ بالخير والشَّرِّ[٦].

= (١/ ٤٧٧)، و«تفسير الطبري» (١/ ١٦٠)، ونُسب لأمية بن الصلت في «ديوانه» (ص: ٤٦٠).

(١) انظر: «إسفار الفصيح» للهروي (١/ ٥٣١).

(٢) في (ن): «بها».

(٣) الكستيج: خيط غليظ بقدر الأصبع يشدُّه الذمِّيُّ فوق ثيابه دون ما يتزينون به من الزنانير المتخذة من الإبريسم. انظر: «المغرب» للمطرزي (ص: ٤٠٧)، و«تاج العروس» (٦/ ١٧٤) مادة (ك س ت ج).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٣٤٦).

(٥) في (و): «والبواء».

(٦) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ١٣٠) عن الكسائي، وذهب ابن خالويه والحريري =

المبرِّد: ﴿وَبَآءُو﴾: أُنزِلُوا، من قولِه: ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ﴾ [النحل: ٤١]، ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ﴾[١] [الحشر: ٩][٢].

الزَّجّاج: أصل البَوْءِ: التَّسوية[٣].

غيرهم: احتملوا[٤]، وقيل: اعترفوا بما استحقّوا.

والغضب: هو ما حلَّ بهم من البلاء والنِّقمِ في الدُّنيا.

وقيل: ما ينالهم في العُقبى.

المفضَّل: رجعوا إلى الله بعدَ الموت، وهو غضبان عليهِم.

﴿ذَٰلِكَ﴾: إشارةٌ إلى الضَّربِ والغضبِ.

﴿بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ بتركهم العملَ بما في التَّوراة، وقيل: بالقرآن.

﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ﴾: زكريّا ويحيى وغيرهما، صلوات اللهِ عليهم أجمعين.

وقيل: يتولَّون أولئك الَّذين فعلوا.

و﴿النَّبِيِّينَ﴾: جمع نبيٍّ، وكذلك الأنبياء والنُّبَآءُ.

= إلى أن (باء) لا يكون إلا في الشرِّ. انظر: «ليس في كلام العرب» لابن خالويه (ص: ١٨٧)، و«درة الغواص» للحريري (ص: ٩٤).

(١) في النسخ الخطية: «وإذ تبوأ»، ولعل الصواب المثبت.

(٢) ذكر الماوردي والواحدي نحوه في «النكت والعيون» (١/ ١٣٠)، و«البسيط» (٢/ ٥٩٤)، وقد ذكر المبرد في «الكامل» (٢/ ١٧٢) أن (باء) يأتي بمعنى: قُتل بغيره، ويأتي بمعنى: أقرَّ، وبمعنى: احتمل.

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ١٣٠).

(٤) ذكره الزّجّاج في «معاني القرآن» (١/ ١٤٥)، والسمرقندي في «تفسيره» (١/ ٥٨).

والنَّبـيُّ: هـو الَّذي يخبـر عن الله سـبحانه، فَعيلٌ بمعنـى مُفْعِل، وقيـل: بمعنى مُفْعَـل[١]، واشـتقاقُه مـن (النَّبأ) وهو الخبـر، وقيل: هو مـن (النَّبْوة)[٢]، وقـراءةُ مَن همـزَ[٣] تدفعُه[٤].

وقيل: النَّبيُّ الطَّريق، وسُمِّيَ الرَّسولُ نبيًّا؛ لأنَّه الطَّريقُ إلى الله.

﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾؛ أي: بغير الحقِّ الَّذي يُقتَلُ المرءُ به، وهو قولُه: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١٥١].

﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟﴾ قيل: هو إشارةٌ إلى الكُفْرِ والقَتْلِ، وقيل: إشارةٌ إلى الأوَّلِ.

والعصيانُ: مخالفةُ الأمر.

﴿وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾: يجاوزونَ ما حُدَّ لهم.

والاعتداءُ: مجاوزةُ الحقِّ إلى الباطلِ.

وقيل: الاعتداءُ والعُدوانُ: الظُّلم[٥].

* * *

---

(١) «وقيل بمعنى مفعل» من (ن).

(٢) وهو الارتفاع من الأرض. انظر: «إصلاح المنطق» لابن السِّكِّيت (ص: ١٢١).

(٣) في (و): «يهمز».

(٤) همـز نافـع: ﴿ٱلنَّبِيِّـۨٔينَ﴾، ﴿ٱلنُّبُوٓءَةَ﴾، ﴿ٱلْأَنۢبِيَآءَ﴾، ﴿ٱلنَّبِىٓءُ﴾ فـي القـرآن كلِّه، وترك قالـون الهمز في موضعيـن مـن سـورة الأحـزاب وصـلًا، وباقي السـبعة لا يهمزون مـن ذلك شـيئًا. انظر: «السـبعة فـي القراءات» لابـن مجاهد (ص: ١٥٧)، و«التيسـير» للدانـي (ص: ٧٣).

(٥) وهـو الارتفـاع مـن الأرض، لكن ميـل الكرماني لـلأوَّل. انظر: «إصـلاح المنطق» لابن السِّـكِّيت (ص: ١٢١).

(٦٢) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ عن ابنِ عبَّاسٍ وابنِ مسعودٍ ومجاهدٍ[1] والسُّدِّيِّ: الآية نزلَتْ في سلمانَ الفارسيِّ، وكان من أهلِ جُنْدَيسابُورَ[2] من أشرافهم، وذلك أنَّ سلمانَ لـمّا قصَّ على رسول الله ﷺ قصّة أصحاب الدّير الّذين قال: هم في النّار، قال سلمان: فأظلمَتْ عليَّ الأرض، فنزلَت هذه الآيةُ قال: فكأنَّما كُشِفَ عنِّي جبلٌ[3].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بمن تقدَّم من الأنبياءِ، ولم يؤمنوا بك بعدُ.

وقيل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بعيسى، ولم يبدِّلوا، وانتظروا خروجَ محمَّدٍ ﷺ.

وقيل: هم طُلّابُ الدِّينِ؛ قسُّ بن ساعِدة، وزيدُ بن عَمرو بن نُفَيل، ووَرَقةُ بن نوفلٍ، وغيرُهم ممَّن آمنوا بمحمَّد ﷺ قبلَ مبعثه.

وقيل: هم المنافقون أظهروا الإيمانَ من غير اعتقاد.

وقيل: هم المؤمنون جميعًا.

---

(١) يذهب إلى هذا كثير من أهل اللغة. انظر: «العين» (٢/ ٢١٣) مادة (ع د و)، و«تهذيب اللغة» للأزهري (٣/ ٧٠)، و«المحتسب» لابن جني (١/ ٢٢٦)، و«المخصص» لابن سيده (٣/ ٤٠٥).

(٢) جُنْدَيْسابُور: مدينة بخوزستان، والنسبة إليها: الجنديسابوري، بناها سابور بن أردشير فنُسبت إليه، وأسكنها سبيَ الروم وطائفة من جنده، افتتحها المسلمون أيام عمر رضي الله عنه صلحًا. انظر: «معجم البلدان» لياقوت (٢/ ١٧٠ ـ ١٧٢).

(٣) رواه الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٤ ـ ٢٥)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٤٠ ـ ٤٥) عن السدي ومجاهد.

﴿وَٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾: دانوا باليهوديّة، وسُمُّوا يهودًا لتوبتِهم، وقولِهم: ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، وقيل: نُسِبوا إلى يهوذا بنِ يعقوب، فأُعْرِبَ وقُلِبَ الذّالُ دالًا، ثمَّ جُمِعَ كرُوميٍّ ورُومٍ.

﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾: هم قوم عيسى، وسُمُّوا نصارى لأنَّهم نُسبوا إلى قريةٍ يُقال لها: ناصرة[١]؛ في قول مقاتل[٢].

قال الزَّجّاج: سُمُّوا نصارى لاعتزائِهم[٣] إلى (نَصْرةَ)[٤]؛ قريةٍ كان نزلَها[٥] عيسى عليه السَّلام[٦].

و(النَّصارى) على هذا: جمع نَصْرِيٍّ[٧]، كمَهْرِيٍّ ومَهارَى.

---

(١) الناصرة: قرية بينها وبين طبرية ثلاثة عشر ميلاً، فيها كان مولد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، ومنها اشتقَّ اسم النصارى، وأهل بيت المقدس يأبون ذلك، ويزعمون أن المسيح إنما وُلد في بيت لحم، وأنَّ آثار ذلك عندهم ظاهرة، وإنما انتقلت به أمه إلى هذه القرية، وذكر في الإنجيل يسوع الناصري كثيرًا. انظر: «معجم البلدان» لياقوت (٥/ ٢٥١).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل بن سليمان» (١/ ٤٦٢)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٣٤) عن قتادة وابن جريج.

(٣) أي: لانتسابهم.

(٤) قرية ذكرها الخليل، وهي غير الناصرة، وربَّما جعلها بعضهم بألف مقصورة. انظر: «العين» (٧/ ١٠٩)، و«تاج العروس» للزبيدي (١٤/ ٢٢٩).

(٥) في (ن): «ينزلها».

(٦) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٣٥٤)، والواحدي في «البسيط» (٢/ ٦١٣)، ولم أقف عليه في «معاني القرآن» للزَّجّاج.

(٧) هذا مذهب الخليل، وقد نصَّ سيبويه وابن سيده على أن كلمة (نصريّ) غير مسموعة. انظر: «العين» (٧/ ١٠٩)، و«الكتاب» (٣/ ٤١١)، و«المحكم» (٨/ ٣٠١).

وقيل: جمع نَصْران، كسَكارى ونَدامى(١).

وقيل: نُسبوا إلى قولِهم: ﴿نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٥٢].

﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾: الفرّاء: كلُّ مَن أحدثَ دِينًا فقد صبأ(٢).

مجاهدٌ: هم بين اليهود والمجوس(٣).

السُّدِّيُّ: هم طائفةٌ من أهل الكتاب(٤).

قتادة: يعبدون الملائكةَ ويصلُّون إلى القِبلةِ ويقرؤونَ الزَّبور(٥).

الخليل: هم قومٌ زعموا أنَّهم على دينِ نوحٍ عليه السَّلام(٦).

وقيل: انقرضوا، فلا عينٌ ولا أثرٌ.

واشتقاقُه من (صَبَأَ نابُ البعيرِ)؛ إذا ظهرَ وطلَعَ، وقيل: مِن (صَبا)؛ إذا مالَ، وقراءةُ مَن همزَ تدفعُه(٧).

﴿مَنْ ءَامَنَ﴾؛ أي: منهم ﴿بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ يعني: القيامة، وقيل: مَن دامَ على الإيمان، وقيل: مَن ماتَ عليه.

---

(١) هذا المذهب الذي اختاره سيبويه. انظر: «الكتاب» (٣/ ٤١١)، و«معاني القرآن» للزَّجّاج (١/ ١٤٧).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٣٥٥)، ولم أقف عليه في «معاني القرآن» للفراء.

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٥٩)، والطبري في «تفسيره» (٢/ ٣٦).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٣٧).

(٥) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٩٣٩)، والطبري في «تفسيره» (٢/ ٣٧).

(٦) انظر: «العين» للخليل (٧/ ١٧١).

(٧) قرأ نافع: ﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾، و﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ بغير همز، وقرأ الباقون بالهمز. انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ١٥٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٤).

﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ فيما بينه وبين ربِّه، ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾: ثوابُهم، والأجرُ: جزاءُ العملِ.

﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾: في الآخرة.

﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ابن عبّاسٍ: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾: فيما قدَّموا، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: فيما خلَّفوا[١].

وجُمِعَ حملًا على معنى (مَن).

* * *

(٦٣) - ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ﴾؛ أي: أكَّدنا عليكم القيامَ بالدِّين.

﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ﴾؛ أي: وقد رفعنا، والواو للحال[٢].

﴿ٱلطُّورَ﴾: الجبلُ، وقيل: الجبلُ الـمُنْبِت، وقيل: هو الَّذي كلَّم اللهُ عليه موسى عليه السّلام.

﴿خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم﴾؛ أي: اقبلوا أحكامَ التَّوراةِ واعملوا بها.

﴿بِقُوَّةٍ﴾ الزَّجّاج: بالجدِّ وتركِ الرِّيَبِ[٣]، وقيل: ناوِيْنَ العملَ بموجبِه[٤]، وقيل: بقدرةٍ.

---

(١) انظر: «تنوير المقباس» للفيروزابادي (ص: ١٠)، وذكره الطبري في «تفسيره» (٢/ ٤١)، والسمرقندي في «تفسيره» (١/ ٥٩) دون نسبة.

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢/ ٦٢٨)، والباقولي في «إعراب القرآن» (٣/ ٩٦١).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزّجّاج (١/ ١٤٨).

(٤) في (ن): «بموجباته».

والقوّة: القدرةُ والاستطاعةُ.

والباءُ للآلةِ على سبيل المجاز، وقيل: للحال[١].

﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ من الأحكام؛ أي: لا تنسوه، وقيل: اعملوا به.

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾: لكي تتَّقوا السَّخطةَ والعذاب.

وقيل: كونوا على رجاءِ الاتِّقاءِ من العذاب.

وذلك أنَّهم امتنعوا عن قَبول أحكامِ التَّوراةِ لِما فيها من الآصارِ والأثقال، فنتَقَ اللهُ جبلًا فرسخًا في فرسخٍ على قَدْرِ عسكرِهم، ورفعَه فوقَ رؤوسِهم.

ابن عبّاسٍ: وبعث نارًا مِن قِبَلِ وجوهِهم، وأتاهم البحرُ الملح من خلفِهم، وأوحى الله إلى موسى: قل لهم: إن فعلتم ما أُمِرْتم وإلَّا رضخْتُكم بهذا الجبل، وغرَّقتُكم في هذا البحر، وأحرقْتُكم بهذه النَّار، فقبلوا خوفًا من أن يُرْضَخوا به، وسجدُوا على خدودِهم[٢] ينظرونَ إليه، فبقيَ ذلك فيهم[٣].

* * *

(٦٤) ـ ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾.

﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم﴾: أعرضتم ﴿مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: من بعد أخذِ الميثاقِ ورفعِ الطُّورِ.

---

(١) وباء الآلة هي التي للاستعانة في تعبير النحويين، وباء الحال هي التي للمصاحبة. انظر: «الجنى الداني» للمرادي (ص: ٤٠).

(٢) في (و): «خدهم».

(٣) ذكر نحوه الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٣٦٢).

﴿فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ بتأخيرِ العذابِ، ﴿لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾؛ أي: الهالِكين، وقيل: خطابٌ للحاضرين منهم؛ أي: ولولا فضلُ اللهِ عليكم ورحمتُه ببعثةِ النَّبيِّ ﷺ.

***

(٦٥) ـ ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ﴾.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ﴾: عرفتم ﴿ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ﴾: ظلموا[١]، وقيل: جاوزوا ما حُدَّ لهم ﴿فِى ٱلسَّبْتِ﴾ يعني: زمنَ داودَ عليه السَّلام، وذلك أنَّ اللهَ حرَّم عليهم صيدَ الحيتان في يوم السَّبت، ويأتي ذِكرُه في (سورة الأعراف) إن شاء الله تعالى[٢].

والسَّبتُ: آخرُ يوم من الأُسبوعِ، سمِّي سبتًا من (السَّبْتِ) الَّذي هو الدَّهر، وقيل: من (السَّبْتِ) الَّذي هو قطعُ العملِ والاستراحةُ.

فخالفوا أمرَ اللهِ وصادوا يوم السَّبْتِ، عن الحسن[٣].

وقيل: نصبوا الحبائلَ ووضعوا الشَّبكاتِ وحفروا غُدُرًا[٤] لها يومَ السَّبتِ، وصادوها في غيرِه من الأيَّام[٥].

وقيل: مُنِعوا عن الكسبِ يومَ السَّبتِ، فصادوا الحيتان.

---

(١) مال الكرماني هنا إلى تفسير الاعتداء بالظلم وقدَّمه، بينما قدَّم تفسير الاعتداء بمجاوزة الحدِّ في قوله تعالى: ﴿وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾، وقد تقدَّم.

(٢) «في سورة الأعراف إن شاء الله تعالى» من (ن).

(٣) روى الطبري نحوه عن قتادة والحسن. انظر: «تفسير الطبري» (٢/ ٦٣) و(١٠/ ٥٢٣)، و«زاد المسير» لابن الجوزي (١/ ٧٤).

(٤) في (و): «غدرانا».

(٥) روى الطبري في «تفسيره» (٢/ ٦٣) نحوه عن السدي.

﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا﴾: صِيرُوا بتصييرِنا إيّاكم ﴿قِرَدَةً﴾: جمع قِردٍ، وهي دابّةٌ مستقذَرةٌ مُستخَسّةٌ عند النّاس.

وقيل: لم يكن هناك خطابٌ، وإنما هو عبارةٌ عن تصييرِ اللهِ إيّاهم قردةً بسرعةٍ وسهولةٍ.

وهذا قولُ جميعِ المفسِّرين إلا مجاهدًا فإنَّه قال: مُسِخَتْ قلوبُهم، وهذا مَثَلٌ ضربَه الله لهم، كقوله: ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الجمعة: ٥][١].

وقولُ الجمهورِ أولى؛ لقولِهِ: ﴿فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا﴾ [البقرة: ٦٦]؛ فإنَّ مَسْخَ القلوبِ ممّا لا يُوقَفُ عليه.

﴿خَٰسِـِٔينَ﴾: متباعِدين بطردٍ وإبعادٍ عن اللهِ ونَيلِ جنَّته.

وعلى قول مجاهد: ﴿خَٰسِـِٔينَ﴾ بالصَّغارِ وذهابِ القَدْرِ والجاهِ[٢].

تقول: خَسَأْتُه فهو مَخسوءٌ، فخَسَأ وهو خاسِئٌ؛ لازمٌ ومتعدٍّ[٣].

* * *

(٦٦) - ﴿فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿فَجَعَلْنَٰهَا﴾ قيل: تلك العقوبة.

وقيل: القرية، واسمُها أيلة[٤]، وقيل: مَدْيَن.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٦٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٣٣)، وقد ذكره المصنِّف في «غرائب التفسير» (١/ ١٤٥) واستغربه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٦٧).

(٣) انظر: «إسفار الفصيح» للهروي (١/ ٣٧١).

(٤) في (و): «أيكة».

وقيل: الحيتان.

وقيل: القِردة.

وقيل: الفِرقة الممسوخة.

﴿نَكَٰلًا﴾: عِبرةً وعقوبة.

مشتَقٌّ من (نَكَلَ عنه)؛ أي: امتنعَ وجَبُنَ مَنْ هَمَّ بمثلِ ذلك.

﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ ابن عبّاسٍ: ما بينَ يديها وما خلفَها من القُرى[١].

عكرمة: ما بين يديها وما خلفها من الأممِ[٢].

وقيل: لِما بينَ يديها وما خلفَها من المعصية.

الحسن: ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾: لذنوبِها المتقدِّمة، ﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾: من المعصية في صيد الحيتان[٣].

الزَّجّاج: للأممِ الَّتي تراها، والتي تجيء بعدها[٤].

ويحتمل أن يكون (ما) بمعنى (من)؛ أي: لمن يرى ويشاهد تلك العقوبة، ولمن يأتي بعدها[٥].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٧٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٣٣).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٧١) عن السدي.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٧٠) عن قتادة. وربَّما يكون المصنِّف قد أخذ هذا عن الطبري، فرأى الرواية عن شيخ الطبري الحسن بن يحيى، فذكرها عن الحسن. انظر: «مفاتيح الغيب» للرازي (٣/ ٥٤٣).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزَّجّاج (١/ ١٤٩).

(٥) هذا القول نسبه أبو حيان لقطرب، وذكره المصنِّف في «غرائب التفسير» (١/ ١٤٦). وانظر: «البحر المحيط» (١/ ٣٩٨).

وقيل: فجعلنا العقوبةَ الَّتي وقعَتْ بهم[1] في الدُّنيا، ﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾: الَّتي تقع بهم في الآخرة، ﴿نَكَٰلًا﴾ لِما بين يديها من المعاصي.

﴿وَمَوْعِظَةً﴾: تذكِرةً وتأديبًا ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾: الخائفينَ من عذاب الله.

***

(٦٧) ـ ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾ أجمع المفسِّرون على أنَّ أوَّلَ القصّةِ مؤخَّرٌ في التِّلاوة، وهو قوله: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ فِيهَا﴾ [البقرة: ٧٢] وذلك أنَّ رجلًا اسمُه عاميلُ وُجِدَ قتيلًا في بني إسرائيل.

قال الكلبيُّ: قتلَه ابنُ أخيه؛ لينكحَ ابنتَه[2].

عطاء: قتلَه ابن عمِّه؛ ليرثَ مالَه[3]، وقيل: لينكحَ[4] زوجَته، وكانت مثلًا في بني إسرائيل بالحُسن.

قتلَه فحملَه من قريةٍ إلى قريةٍ أخرى، وقيل: ألقاه بين قريتَيْن.

عكرمة: ألقاه على باب المسجد، وكان له اثنا عشر بابًا، لكلِّ سِبطٍ بابٌ[5].

---

(١) «بهم» من (ن).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٣٧٠).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٣٧٠) عن عطاء والسدي، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٧٧) عن أبي العالية.

(٤) «ابنته، عطاء: قتله ابن عمه ليرث ماله، وقيل لينكح» من (ن).

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٣٧٠).

ابن سيرين: ألقاه على بابِ رجلٍ منهم، ثمَّ أصبح يطالبُه بثأرِه[1].

فاشتبَه أمرُ القتيلِ ولم يَدروا قاتلَه، فتدافعوا بينهم حتى ارتفع ذلك إلى موسى صلوات الله عليه، فسألوه أن يدعو اللهَ ليبيِّنَ لهم ذلك، فسأل موسى ربَّه، فأمرَهم بذبْحِ بقرة، وذلك قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗ﴾[2].

وهي الأنثى من الثَّورِ، كالنّاقةِ من الجمل، واشتقاقُها من (بقرْتُ)؛ أي: شققْتُ؛ لأنَّها تُحْرَثُ عليها الأرضُ للزِّراعة.

﴿قالوا أتتّخِذنا هزوًا﴾[3]؛ أي: ذوِي هُزْءٍ، والمعنى: أتستهزئُ بنا وتستضعِفُ عقولَنا وتتَّخِذنا سُخريًّا؟ وما ذبحُ البقرةِ من القتيلِ؟!

وقيل: إنَّما ذكروا ذلك لأنَّه لم يقل: فاضرِبوه ببعضها ليحيا.

﴿قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ﴾: أمتنعُ به ﴿أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾؛ فإنَّ الاستهزاءَ بالمؤمنين جهلٌ.

وقيل: ﴿أعوذ باللهِ﴾ أن آمركم بأمرٍ من تلقاءِ نفسِي، وأكذِبَ على الله.

* * *

(٦٨) ـ ﴿قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا فَارِضٞ وَلَا بِكۡرٌ عَوَانُۢ بَيۡنَ ذَٰلِكَۖ فَٱفۡعَلُواْ مَا تُؤۡمَرُونَ﴾.

---

(١) كذا ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٣٧١) عن ابن سيرين، ولكنَّه في «تفسير ابن أبي حاتم» (١/ ١٣٦)، و«زاد المسير» لابن الجوزي (١/ ٧٥) عن ابن سيرين عن عبيدة السلماني.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٣٧١).

(٣) قرأ حفص: ﴿هُزُوًا﴾ بضم الزاي من غير همز، وقرأ حمزة بإسكان الزاي وبالهمز في الوصل، فإذا وقف أبدل الهمزة واوًا اتباعًا للخط وتقديرًا لضمة الحرف المسكن، وباقي السبعة بالضم والهمز. انظر: «التيسير» للداني (ص: ٧٤).

﴿ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ ﴾: (ما): للسُّؤال عن الجنس، و(كيف) عن الوصف، وقد تقع (ما) موضع (كيف)[١]؛ لأنَّهم علموا ما البقرة، ولكنَّهم سألوه عن وصفِها.

فروى الحسن عن النَّبيِّ ﷺ مرفوعًا[٢] أنَّه قال: «والَّذي نفسُ محمَّدٍ بيدِهِ، لو اعترضوا بقرةً فذبحوها لأجزَتْ عنهم، ولكنْ شَدَّدوا فشدَّدَ اللهُ عليهم»[٣].

وذهب بعض المفسِّرين إلى أنَّهم أرادوا أن يدفعُوا[٤] ذبحَ البقرةِ عن أنفسِهم بهذهِ الأسوِلة[٥].

وذهب بعضُهم إلى أنَّ المكلَّفَ بقرةٌ بعينِها.

السُّدِّيُّ قال: كان رجلٌ في بني إسرائيل بارًّا بأبيهِ[٦]، وعنده بقرةٌ، فأُمِروا بذبحِ تلك البقرة[٧].

---

(١) نقل المصنِّف إجماع المفسرين على أنَّ (ما) هنا للكيفية. انظر: «غرائب التفسير» (١/ ١٤٦).

(٢) «مرفوعا» من (ن).

(٣) لا يصحُّ مرفوعاً، وقد ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ١٣٨)، ورواه سعيد بن منصور في «سننه» (٢/ ٥٦٥) عن عكرمة يبلغ به النبي ﷺ، ورواه البزار في «مسنده» (٩٥٩٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وقال: (وهذا الحديث لا نعلمه يُروى عن أبي هريرة رضي الله عنه إلا بهذا الإسناد)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٣١٤): (رواه البزار، وفيه عباد بن منصور، وهو ضعيف، وبقية رجاله ثقات). وعزاه ابن كثير في «تفسيره» إلى ابن مردويه، وقال: (حديث غريب من هذا الوجه، وأحسن أحواله أن يكون من كلام أبي هريرة رضي الله عنه).

(٤) في (و): «أرادوا دفْعَ».

(٥) الأسولةُ: لغةٌ في (الأسئلة). انظر: «المحكم» لابن سيده (٨/ ٦١٢).

(٦) في (ن): «بأمه».

(٧) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٣٧٣).

قال ابن عبّاسٍ: وكان رجلًا صالحًا، وله ابنٌ طفل، وكانت له عِجْلة، فأتى بالعِجْلةِ إلى غيضةٍ، فقال: اللَّهمَّ إنِّي أستودِعُك هذهِ العِجْلة لابني حتى يكبر، ومات الرَّجل وبقيَتِ العِجْلة في الغيضِة، وصارت عَوانًا، فلمّا كبر الغلام قالت له أمُّه ـ وكان بارًّا بها ـ: إنَّ أباك قد استودعَ اللهَ لك عِجْلةً، فاذهب إلى غيضةِ كذا، وادعُ إلهَ إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ أن يردَّها عليك، ففعل، فأقبلَتْ تسعى حتَّى قامَتْ بين يديه، ثم باعها منهم بملءِ مَسْكِها ذهبًا(١).

وقيل: بوزنِها عشرَ مرّات ذهبًا.

عكرمة: ما كان ثمنُها إلَّا ثلاثةَ دنانير(٢).

وذهب آخرون إلى أنَّ المكلَّفَ بقرةٌ غيرُ معيَّنةٍ، فلم يفعلوا، فكُلِّفوا بالوصف الأوَّل، ثم بالوصف الثّاني، ثم بالوصف الثّالث.

وقيل: يجب أن تستوفيَ كلَّ صفةٍ تقدَّم ذِكرُها.

وقيل: يجب أن تكونَ بالصِّفةِ الأخيرة فحسبُ.

﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ﴾: مسنّةٌ هَرِمةٌ، وأصلُ الفارضِ: الضَّخمُ من كلِّ شيءٍ، يقال: سِقاءٌ فارضٌ، وجِلّةٌ(٣) فارضة(٤).

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٣٧٤). والـمَسْكُ: الجلد، والجمع: مُسُوك، مثل: فَلْس وفُلُوس. انظر: «المصباح المنير» للفيومي (٢/ ٥٧٣).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٧٦)، والطبري في «تفسيره» (٢/ ١١٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٤٤)، واستغربه المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ١٤٩).

(٣) كذا في الأصول الخطيّة، ولعلَّها: حَلّة، وهي وعاء للطعام، أو حِلّة، وهي مجتمع الناس.

(٤) روى الأخفش أنه يقال: لحية فارضة، وقال الأزهري: لا يقال للأنثى: فارضة؛ فالذكر والأنثى فيه سواء، كما في التنزيل: ﴿لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ﴾. انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (١٢/ ١٢) مادة: =

﴿وَلَا بِكْرٌ﴾ البِكرُ: الحَدَثةُ الَّتي لم يُحمَل عليها، ولم يفتحِلْها الفحلُ.

ويقال: الَّتي وضعَتْ بطنًا.

وأصلُه من التَّقدُّمِ في الزَّمانِ والابتداءِ، كالبَكْرِ والبُكْرةِ، والباكورةُ من هذا[١].

﴿عَوَانٌ﴾: نَصَفٌ في سنِّها.

﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾؛ أي: السِّنين، وقام مقامَ التَّثنيةِ كالمبهمات[٢]، قال الشّاعر:

إنَّ للخيـــرِ وللـــشَّرِّ مَـــدى وكِلا ذلـــكَ وَجْـــهٌ وَقَبَـــلْ[٣]

الزَّجّاج: ﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى الجملة[٤]، وردَّ عليه أبو عليٍّ في «إصلاحِ الإغفالِ»[٥]، والحقُّ مع أبي عليٍّ[٦].

= (ف ر ض)، و«الصحاح» للجوهري (٣/ ١٠٩٨) مادة: (ف ر ض).

(١) «من هذا»: ليس في (ن).

(٢) أي: قام الجمع مقام التثنية؛ لأنَّ (بين) يضاف إلى شيئين فصاعداً، والمبهمات أسماء الإشارة، قال سيبويه: (وأما الأسماء المبهمة فنحو هذا وهذه، وهذان وهاتان، وهؤلاء، وذلك وتلك، وذانك وتانك، وأولئك، وما أشبه ذلك، وإنما صارت معرفة لأنها صارت أسماء إشارة إلى الشيء دون سائر أمّته). انظر: «الكتاب» (٢/ ٥).

(٣) في (ن): «ذلك قول وعمل». والبيت لعبد الله بن الزِّبعري، وهو مطلع قصيدة قالها بعد أُحُد شامتاً، ونسبه أبو حيان للبيد. انظر: «شعر عبد الله بن الزِّبعري» (ص: ٤١)، و«سيرة ابن هشام» (٤/ ٩٢)، و«الأغاني» للأصفهاني (١٥/ ١٧٢)، و«البحر المحيط» (١/ ٤٠٦). والوجهُ: الغاية، والقَبَل: ما يُقبَل عليه.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزَّجّاج (١/ ١٥٠).

(٥) أبو علي: هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ (ت: ٣٧٧هـ)، واسم كتابه: «الإغفال فيما أغفله الزَّجّاج من المعاني». انظر: «الإغفال» لأبي علي الفارسي (ص: ٢١٤ ـ ٢٢٠).

(٦) وقد علَّل المصنِّف ذلك بوجهين:

﴿فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾: فامتثلوا ما أُمِرْتم به.

* * *

(٦٩) - ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾.

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا﴾: (ما)(١) للسُّؤالِ عن الجنسِ على أصلِه، طلبوا معرفةَ لونِها(٢).

﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ﴾: أجابهم اللهُ إلى ما سألوا.

والصُّفرةُ هي المعروفة، وقيل: الصُّفرة هاهنا السَّواد، كقوله: ﴿جِمَالَتٌ صُفْرٌ﴾ [المرسلات: ٣٣]، وكقول الشّاعرِ:

تِلْكَ خَيْلِي منها وتِلْكَ رِكابي(٣) هُنَّ صُفْرٌ أولادُها كالزَّبِيبِ(٤)

وقيل: الصُّفرةُ السَّوادُ في الإبلِ خاصّة.

وقيل: أصفرُ(٥)..

= أحدهما: أنَّ (بين) تستدعي اسماً عُطِفَ على اسم، وليس جملة.

والثاني: أن (ذلك) لا يقع مواقع الجمل في الصلة وغيرها، وقول القائل في جواب (ظننتَ زيداً قائماً؟): ظننتُ ذلك. إنّما هو إشارة إلى الظن، وهو المصدر؛ أي: ظننتُ ذلك الظنَّ. انظر: «غرائب التفسير» (١/ ١٤٦).

(١) في (ن) زيادة: «هاهنا أيضاً».

(٢) ذكر المصنِّف أنَّ من المفسرين مَن جعلها للكيفية. انظر: «غرائب التفسير» (١/ ١٤٦).

(٣) «تلك خيلي منه وتلك ركابي» من (ن).

(٤) البيت للأعشى. انظر: «ديوانه» (ص: ٢٧).

(٥) كذا في الأصول الخطيّة، لو قال: صفراء، لكان أنسب.

القرونِ[١] والظِّلْفِ، وقيل: أصفرُ حتى القرونُ[٢] والظِّلْفُ.

وقولِهِ: ﴿فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾ اتباعٌ للتَّأكيد، كما تقول: أبيضُ يَقَقٌ، وأحمرُ قانٍ، وأصفرُ فاقعٌ؛ أي: مشبَعُ اللَّونِ خالصٌ صافٍ.

ولم يقل: فاقِعة؛ لأنَّ الفعلَ للَّون[٣]، ويجوزُ أن يكونَ لـمّا كانَ تَبعًا لم يحتج إلى العلامة[٤]، كقوله:

وإنِّي لأسْقِي الشَّرْبَ صَفراءَ فاقِعًا ... كأنَّ ذكِيَّ المِسْكِ فيها يُفَتَّقُ[٥]

﴿تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾: تعجبُهم لحُسنِها[٦].

***

(٧٠) - ﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾.

﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا﴾: استزادوا وصفًا آخرَ لوجودِهم[٧] على الصِّفتَيْنِ الأُولَيَيْن بقرًا كثيرة.

---

(١) في (و): «اللَّون»، وما في (ن) هو الأنسب؛ لأن معنى العبارة هنا: أنها صفراء القرن والظلف خاصة، أما العبارة التالية فمعناها أنها صفراء اللون وصفراء القرن والظلف.

(٢) في (و): «القرن».

(٣) فابتدأ البيان القرآنيُّ أولًا بوصف البقرة بالصفرة، ثم أكَّد ذلك بوصف اللون بها، فكأنه قال: هي صفراء، ولونها شديد الصفرة.

(٤) أي: تاء التأنيث.

(٥) البيت لعديٍّ بن زيد، كما في: «تفسير الثعلبي» (٣/ ٣٨٢)، و«الوسيط» للواحدي (١/ ١٥٥).

(٦) في (و): «بحسنها».

(٧) أي: لأنهم وجدوا.

والتَّشابهُ: الدُّخولُ في الشَّبه.

﴿وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ﴾؛ أي: إلى وصفها، ورُوي عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «لو لم يَستثنوا لَما بُيِّنَتْ لهم آخِرَ الأبدِ»[1].

***

(٧١) ـ ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا ذَلُولٞ تُثِيرُ ٱلۡأَرۡضَ وَلَا تَسۡقِي ٱلۡحَرۡثَ مُسَلَّمَةٞ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ قَالُواْ ٱلۡـَٰٔنَ جِئۡتَ بِٱلۡحَقِّۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفۡعَلُونَ﴾.

فأجابَهمُ اللهُ إلى ذلكَ ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا ذَلُولٞ تُثِيرُ ٱلۡأَرۡضَ﴾: مذلَّلةٌ بالعملِ وإثارةِ الأرضِ للزِّراعةِ، وهي كِرابُها[2]، تقول: دابَّةٌ ذَلولٌ بيِّنةُ الذِّلِّ بالكسر، والجمعُ ذُلُلٌ[3].

﴿وَلَا تَسۡقِي ٱلۡحَرۡثَ﴾؛ أي: ليست بناضِحةٍ تسقِي الحرث، وهي الأرض المزروعة.

أبو حاتم والزَّجّاج: ﴿لَّا ذَلُولٞ﴾ وقفٌ؛ أي: هي تثيرُ الأرض؛ لأنَّها خُلِقَتْ للزِّراعةِ بها[4]، ولا تسقِي الحرث[5].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٩٩ ـ ١٠٠) مقطوعًا عن ابن جريج وقتادة.

(٢) الكراب: الحرث، وكَرَبتَ الأرضَ: إذا قلبتها للحرث. انظر: «الصحاح» للجوهري (١/ ٢١١) مادة: (ك ر ب).

(٣) في (و): «والذُّلُل جمعه».

(٤) «بها» من (ن).

(٥) نقله الأنباري في «إيضاح الوقف والابتداء» (١/ ٥٢١) عن أبي حاتم، واعترض عليه فقال: (وهذا القول عندي غير صحيح؛ لأن الَّتي تثير الأرض لا يعدم منها سقي الحرث، وما روى أحد من الأئمة الَّذين يلزمنا قَبول قولهم أنهم وصفوها بهذا الوصف، ولا ادَّعوا لها ما ذكره هذا الرجل، بل المأثور =

﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ من العيبِ وآثارِ العمل.

﴿لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾: لا لونَ فيها يخالفُ[١] الصُّفرةَ من بياضٍ وغيره، وهي مصدر وَشَى يَشِي وَشْيًا وشِيةً.

﴿قَالُواْ ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ﴾ قيل: هذا يدلُّ على أنَّ بعضَهم كان شاكًّا في صحَّتِه ابتداءً، وذلك كفرٌ من قائلِه.

وقيل: معناه: ﴿جِئْتَ بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: بالوصفِ التّامِّ الَّذي لا مزيدَ عليه.

قتادة: تبيَّنّا الحقَّ[٢].

﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾ قيل: معناه: كادوا لا يفعلون.

ابن عيسى: كانوا قبلَ ذبحِها على تلك الصِّفةِ ثم ذبحوها.

وقيل: ﴿وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾ لغلاءِ ثمنها، وقيل: خشيةَ العار[٣]، وقيل: لكثرةِ تسويفِهم ومراجعتِهم.

الحسن: ﴿وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾؛ لأنَّهم لم يجدوا على تلك الصِّفة إلّا واحدةً عند الرَّجلِ[٤].

= في تفسيرها: ليست بذلول فتثير الأرض وتسقي الحرث. وقوله أيضًا يفسر بظاهر الآية؛ لأنها إذا أثارت الأرض كانت ذلولًا، وقد نفى الله هذا الوصف عنها، فقولُ السجستاني في هذا لا يُؤخَذ به ولا يُعرَّج عليه). أما النقل عن الزجاج ففي المطبوع من «معاني القرآن» (١/ ١٥٢) ما يخالفه، ففيه: (معناه ليست بذلول ولا مثيرة)، والله أعلم.

(١) في (ن): «مخالف».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ١١١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٤٣).

(٣) نقله المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ١٤٩) عن عكرمة، واستغربه.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٣٩٠) عن محمد بن كعب.

(٧٢) ـ ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَءْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾.

﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا ﴾ قال صاحب النَّظم[١]: القصّة محمولةٌ على أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ أنزلها على فصلَيْنِ، في وقتَيْنِ مختلفَيْنِ، وفي معنيَيْنِ غيرِ متَّفقَيْنِ[٢].

غيرُه: فيه تقديمٌ وتأخيرٌ، كما سبق[٣].

﴿فَادَّارَءْتُمْ فِيهَا﴾: فاختلفتم[٤] فيها.

وعن الزَّجّاج: تدافعتم[٥]، والتَّدارُؤ: التَّدافعُ[٦].

ويقوِّي الوجهَ الأوَّلَ تعديتُه بـ(في).

﴿وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾؛ أي: مُظهِرٌ، ونونُه للاستقبال[٧]؛ لأنَّه حكايةُ حالٍ. يعني: الَّذين علموا القاتِلَ وكتموه، لا القاتلَ؛ لأنَّ ذلك منه جَحْدٌ، لا كتمانٌ.

***

---

(١) هو الحسين بن يحيى الجرجاني، كما ذكر المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٢٩)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٤٦١)، وقد أكثر المصنِّف من النقل عنه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ١٤٩).

(٣) تقدَّم قول المصنف في تفسير: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ﴾ [البقرة: ٦٧]: أجمع المفسِّرون على أنَّ أوَّلَ القصّةِ مؤخَّرٌ في التِّلاوة، وهو قوله: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَءْتُمْ فِيهَا﴾ [البقرة: ٧٢].

(٤) في (ن): «ثم اختلفتم».

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزَّجّاج (١/ ١٥٣).

(٦) في (ن): «التدافع والاختلاف».

(٧) أي: إثبات التنوين في ﴿مُخْرِجٌ﴾ دليل الاستقبال؛ لأنَّ اسم الفاعل إذا دلَّ على الماضي أُضيف إلى ما بعده.

(٧٣) - ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ﴾؛ أي: القتيلَ.

﴿بِبَعْضِهَا﴾: ببعضٍ من البقرةِ[١]، قيل: اللِّسان، وقيل: الذَّنَب، وقيل: العَجْب، وجاء في الخبر: «أنَّه أوَّلُ ما يُخْلَق، وآخِرُ ما يَبلَى»[٢]، وقيل: الفخذ اليمنى، وقيل: الغضروف.

﴿كَذَلِكَ يُحْيِ اللَّهُ الْمَوْتَى﴾؛ أي: فضُرِبَ به فحَيِيَ، فقامَ بإذنِ اللهِ وأوداجُه تشخُبُ دمًا وقال: قتلني ابنُ أخي[٣]، وقيل: ابنُ عمِّي، ثم سقط، فمات مكانَه.

﴿كَذَلِكَ﴾؛ أي: كما أُحْيِيَ هذا القتيلُ، يحيي الله الموتى يومَ القيامة للبعث والنُّشور، والتَّشبيهُ للإحياءِ فقط.

﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾: آياتِ قُدرته على الإحياءِ وغيرِه ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ذلك.

وذكر بعض المفسِّرين: إنَّما أُمِروا بذبحِ البقرةِ دونَ غيرها لأنَّهم عبدوا العجلَ، فأراد الله أن يهوِّن عندَهم ما كانوا يرونَه من تعظيمِه[٤].

---

(١) الظاهر أنَّ المصنف يميل إلى عدم التحديد؛ لأنَّه ذكر وجوه ترجيح بعض هذه الأشياء على بعض في «غرائب التفسير» (١/ ١٥٠).

(٢) ذكره البغوي في «تفسيره» (١/ ١٠٩) عن مجاهد وسعيد بن جبير، والوارد في الصحيح أنه لا يبلى، كما روى البخاري (٤٩٣٥)، ومسلم (٢٩٥٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس من الإنسان شيء إلا يبلى، إلا عظما واحدًا وهو عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة»، وفي رواية لمسلم: «لا تأكله الأرض أبدًا».

(٣) في (و): «فلان بن فلان ابن أخي».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ١٥٠).

(٧٤) - ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم﴾ يا معشرَ اليهود؛ أي: اشتدَّتْ وصلُبَتْ بالتَّجرُّؤِ على اللهِ بمعاصيه، والقساوةُ: الصَّلابة.

﴿مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ ابن عبّاسٍ: إشارةٌ إلى إحياءِ اللهِ عاميل؛ لأنَّ القاتلَ أنكرَ مع ذلك البرهانِ[١].

غيرُه: إشارةٌ إلى ما تقدَّمَ من الآياتِ من ابتداءِ السُّورة.

﴿فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ﴾ في الصَّلابةِ والغِلَظ.

﴿أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾؛ أي: بعضُها في قسوةِ الحجارةِ وبعضُها أشدُّ، والشِّدَّةُ ضدُّ الرَّخاوة.

واختلفوا في تأويل (أو) هذه؛ فذهب الزَّجّاجُ إلى أنَّه للإباحة[٢]، وذلك في الأمر، وقد سبقَ[٣].

ابن عيسى: هو للشَّكِّ على أصلِه، وتقديره: أشدُّ قسوةً عندكم[٤].

---

(١) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٢/ ١٢٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن قتادة.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ١٥٦).

(٣) يخالف المصنِّف الزجاج، ويرى أنَّ واو الإباحة تأتي بعد الأمر فقط، وقد تقدَّم كلامه في هذا عند تفسير ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ١٩].

(٤) ذكره الماوردي في «تفسيره» (١/ ١٤٦) دون نسبة.

المفضَّل: هو كما تقول: ما أطعمته إلَّا حلوًا أو حامضًا، وما نركب إلّا الفرسَ أو البغلَ؛ أي: هذينِ الضَّربَيْنِ لا غير[١].

﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ﴾ ثم فضَّلَ الحجارةَ على قلوبِهم[٢] لتفجُّرِ الأنهارِ من بعضها ـ والتَّفجُّرُ: انصبابُ الماءِ، كالانفجارِ ـ وتشقُّقِ بعضِها عن الماءِ، وهو الَّذي لا يبلغُ أن يكون نهرًا.

﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ﴾: ينزِلُ من عُلْوٍ إلى سُفْلٍ.

﴿مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾: خوفًا من اللهِ بعد أن جعلَ فيهِ التَّمييزَ، كقولِه: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ﴾ [الحشر: ٢١] الآيةَ.

مجاهدٌ: كلُّ حجرٍ تفجَّرَ منه الماءُ أو تشقَّقَ عن ماءٍ أو تردَّى عن رأسِ جبلٍ فهو من خشيةِ اللهِ، نزلَ به القرآنُ[٣].

وقيل: المرادُ بالحجرِ المتفجِّرِ منه الأنهارُ والمتشقِّقِ عن الماء: الحجرُ الَّذي ضربَه موسى عليه السلام بعصاه فانفجرَتْ منه اثنتا عشرة عينًا، والمرادُ بالحجرِ الَّذي يهبطُ من خشيةِ الله: الجبلُ الَّذي ذكرَه في قوله: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣][٤].

---

(١) ذكر نحوه الأخفش في «معاني القرآن» (١/ ١١٥)، وذكره الطبري في «تفسيره» (٢/ ١٣١) دون نسبة.

(٢) في (و): «بعضهم».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ١٣٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٤٧)، وذكره المصنِّف في «غرائب التفسير» (١/ ١٥٠).

(٤) ذكره المصنِّف في «غرائب التفسير» (١/ ١٥١)، واستغربه.

وقيل: هذا مثلٌ ضربَه الله؛ أي: لو كان ممّا يعقِلُ لهبطَ من خشيةِ الله، وأنتم عقلاء لا تخشونَه!

وقيل: المرادُ بالحجر: البَرَدُ، والمرادُ بقوله: ﴿مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾: بإخشاءِ اللهِ عبادَه وزجرِهِ إيّاهم عن الكفر والمعاصي[١].

وقيل: الهاءُ في قوله: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ تعودُ إلى القلوب[٢]؛ أي: من القلوبِ قلوبٌ تطمئنُّ وتستكنُّ إلى ذكرِ اللهِ تعالى؛ يعني: قلوب المؤمنين المخلصين.

﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ﴾: بساهٍ[٣] ﴿عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾: التّاءُ للخطاب، والياءُ للاستئنافِ[٤].

* * *

(٧٥) ـ ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿أَفَتَطْمَعُونَ﴾: الخطابُ للنَّبيِّ ﷺ والمؤمنين.

والطَّمعُ: رجاءُ الشَّيءِ والرَّغبةُ فيه.

﴿أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ﴾: قيل: الباء واللّام يتعاقبان، نحو قوله: ﴿يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ٦١][٥].

---

(١) ذكره المصنِّف أيضاً في «غرائب التفسير» (١/ ١٥١)، وعدَّه من العجيب.

(٢) ذكره المصنِّف في «غرائب التفسير» (١/ ١٥١)، وعدَّه من العجيب أيضاً.

(٣) «بساه» من (ن).

(٤) قُرئت ﴿عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ بوجهين؛ قرأ ابن كثير بالياء، وباقي السبعة بالتاء. انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ١٦٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٤).

(٥) يذهب النحويون الكوفيون إلى أن حروف الجرِّ تتعاقب، وذهب ابن قتيبة إلى أن الباء واللام =

ابن عيسى: يستجيبوا لكم بالتَّصديقِ[١].

وقيل: يُظهِروا لكم أنَّهم واجدون نعتَ محمَّدٍ[٢] ﷺ في كتابِهم وصفتَه[٣].

وقيل: يصدِّقوا لكم لأجلِ سؤالِكم إيّاهم عن صِحّةِ نبوّةِ محمَّدٍ ﷺ ونعتِه.

وقيل: الخِطابُ لليهود، وفيه بُعْدٌ.

﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ﴾؛ يعني: التَّوراة.

﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ﴾: التَّحريفُ على وجهَيْن:

١ ـ تحريفِ لفظٍ إلى لفظٍ.

٢ ـ وتحريف معنى، وهو حَمْلُه على غيرِ ما قُصِدَ له.

وذلك أنَّ اليهودَ حرَّفوا بعضَ أحكام التَّوراة، وحرَّفوا صفةَ محمَّدٍ النَّبيِّ ﷺ.

ابن عبّاسٍ: هم السَّبعونَ الَّذين اختارَهم موسى عليه السَّلام ليسمعوا كلامَ اللهِ، وتحريفُهم أنَّهم قالوا: سمِعْنا اللهَ يقولُ في آخرِ كلامه: إن استطعتم أن تفعلوا هذه الأشياء فافعلوا، وإن شئتم فلا تفعلوا ولا بأسَ[٤].

﴿مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾: فهِموه.

﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾؛ أي: كان ذلك عن علمٍ منهم وتعمُّدٍ، لا عن جهلٍ وخطأٍ.

= في قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ زائدتان. انظر: «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (ص: ١١٧)، و«الحجة» لأبي علي الفارسي (٣/ ٥٤).

(١) فسَّر ابن عيسى الآية على مذهب البصريين في التضمين، فجعل الفعل (يؤمنوا) متضمناً معنى الفعل (يستجيبوا).

(٢) في (ن): «نعت النبي».

(٣) في (ن): «وصفاته».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٣٩٨).

(٧٦) ـ ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا﴾: نزلت في منافقِي اليهود[١]؛ أي: إذا اجتمعوا مع المؤمنين أظهروا كلمةَ الإيمانِ، وحدَّثوهم بما في كتابِهم من نَعْتِ محمَّدٍ ﷺ وصفتِه.

﴿وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾؛ أي: رجعوا إلى رؤسائِهم، لاموهم ﴿قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم﴾: أتخبرونَ أصحابَ محمَّدٍ ﷺ.

والتَّحديثُ: الإخبارُ عن حوادثِ الزَّمانِ[٢]، وأصلُه الحدوثُ.

﴿بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ ابن عبّاسٍ والحسن: بما علَّمَكم الله[٣]، من قوله: افتحْ على الإمام؛ أي: علِّمْه وذكِّرْه.

وقيل: ﴿فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾: أنزلَه.

مجاهدٌ: حكمَ به عليكم، مِن جَعْلِه منكم قِردةً وخنازير ـ والفَتْحُ: الحُكْمُ، والفتّاحُ: الحاكم[٤] ـ ....

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ١٤٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما والسدي، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٤٩) عن الربيع بن أنس.

(٢) «الزمان» من (ن).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ١٤٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: (بما أمركم الله به)، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٥١) عن الحسن، بلفظ: (قال بعضهم: لا تحدثوا أصحاب محمد بما فتح الله عليكم مما في كتابكم ليحاجوكم به عند ربكم فيخصمونكم)، وهذا هو القول الذي يميل إليه المصنِّف. انظر: «غرائب التفسير» (١/ ١٥٢).

(٤) في (و): «القاضي».

قالوا ذلك حين دعاهم النَّبيُّ ﷺ: «يا إخوانَ القِردةِ والخنازِير»[(١)].

ابن عيسى: ﴿بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ﴾: حكمَ به عليكم وألزمَكُموه باتِّباعِ[(٢)] محمَّدٍ ﷺ[(٣)].

المفضَّل: أظفرَكُم بعلمِهِ، والفَتْحُ: الظَّفَرُ[(٤)].

﴿لِيُحَآجُّوكُم﴾: ليجادلوكم ويُلْزِموكم الحجَّةَ بما أخبرتموهم ﴿بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ﴾: يومَ القِيامة.

المفضَّل: عند كتابِ ربِّكم، فحذفَ المضافَ؛ أي: إذا تلوتم كتابَ ربِّكم احتجُّوا به عليكم.

وقيل: في حُكمِ ربِّكم، كقوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾؛ أي: في حُكمِه.

الحسن: ﴿عِندَ رَبِّكُمْ﴾: في ربِّكم، فيقولوا: نحن أولى بالله منكم[(٥)].

ومعناه: إنَّكم مقرُّون بنبوَّته، ثم جحدتم نبوَّته بعد الإقرار.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أنَّ الإقرارَ بالشَّيءِ التزامٌ.

الحسن: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ خطابٌ للمؤمنين.

ثمَّ استأنفَ فقال:

(٧٧) ـ ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ١٤٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٥٠).

(٢) في (ن): «من اتباع».

(٣) ذكر نحوه الواحدي في «الوسيط» (١/ ١٦١) عن ابن الأنباري.

(٤) ذكر نحوه ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٨١).

(٥) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ١٤٩)، والرازي في «تفسيره» (٣/ ٥٦٢) عن الحسن، وروى نحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٥٠) عن السدي.

﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ﴾؛ يعني: اليهود ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾ في الخلوةِ ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ من الإيمانِ عندَ النَّبيِّ ﷺ.

وقيل: هو عامٌّ في جميعِ ما يخفونَه وما يعلنونه.

* * *

(٧٨) ـ ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾.

﴿وَمِنْهُمْ﴾: من اليهودِ ﴿أُمِّيُّونَ﴾؛ أي: قومٌ أمِّيُّون لا يقرؤون ولا يكتبون.

والأمِّيُّ: منسوبٌ إلى (الأُمِّ)[1].

المفضَّل: لأنَّه تربَّى معها، ولم يربِّه الرِّجال، فيتعلَّم ما يتعلَّمه الرِّجال[2].

وقيل: منسوبٌ إلى الأُمّة؛ أي: الجماعة؛ لأنَّ معظمَهم لا يكتبون[3].

أبو عبيدة: الأميُّون: الَّذين نزل عليهم الكتاب[4]؛ أي: يقرؤونه ولا يعرفونه، كأنهم نُسِبوا إلى أمِّ الكتابِ، وهو كتاب الله عزَّ وجلَّ.

والأمِّيُّ أيضًا في غير هذه: المنسوبُ إلى أمِّ القرى مكّةَ.

﴿لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾: لا يفهمون ما فيه.

---

(١) قال ابن الأنباري: إنما سُمّي الذي لا يكتب ولا يقرأ أمّيّاً؛ لأنه نسب إلى أمّه؛ إذ كان النساءُ لا يكتبن في ذلك الدَّهر. انظر: «التفسير البسيط» للواحدي (٣/ ٨٤).

(٢) ذكره الطبري في «تفسيره» (٢/ ١٥٣) دون نسبة، ورجحه.

(٣) هذا ما اختاره ابن قتيبة في «غريب الحديث» (١/ ٣٨٤).

(٤) لم أقف على هذا عن أبي عبيدة، وقد ذكر الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٤٠٢) نحوه عن ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة، وروى ابن المنذر في «تفسيره» (١/ ١٥٢) عن أبي عبيدة خلاف هذا المعنى فقد قال: (الأميّون: الَّذين لم يأتهم الأنبياء بالكتب، والنبيُّ الأميُّ: الَّذي لا يكتب)، وهو الذي في «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٩٠).

﴿إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾: إلَّا تلاوةً. استثناءٌ منقطعٌ، معناه: لكن[١].

والأمنيّـةُ: التّـلاوةُ؛ قـال الله عـزَّ وجـلَّ: ﴿إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ [الحـج: ٥٢]؛ أي: تلاوتـه[٢]، قال الشّـاعر:

تَـمَنَّى كِـتـابَ اللهِ آخِــرَ لَـيـلـةٍ تَـمَنِّيَ داودَ الزَّبورَ على رِسْلِ[٣]

ابن عبّاسٍ: إلّا كذبًا[٤]. من قوله: ما تمنَّيْتُ منذ أسلمْتُ[٥].

قتادة: تشهّياً، يتمنَّون على الله ما ليس لهم أن يتمنَّوه[٦].

﴿وَإِنْ هُمْ﴾: وما هم ﴿إِلَّا يَظُنُّونَ﴾: لا يدرونَ ما فيه، فيَجحدونَ نبوَّتَك بالظَّنِّ.

* * *

(٧٩) - ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾.

﴿فَوَيْلٌ﴾ روى أبو سعيدٍ الخدْريُّ عن النَّبيِّ ﷺ: «ويلٌ وادٍ في جهنَّمَ يَهوِي فيه الكافرُ أربعينَ خَريفًا قبلَ أنْ يَبلُغَ قَعْرَهُ»[٧].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ١٢٣).

(٢) في (ن): «تلاوته ثم».

(٣) البيت بلا نسبة في: «المنجد» لكراع النمل (١/ ١٥٤)، و«الزاهر» لأبي بكر الأنباري (٢/ ١٥١)، و«الغريبين» لأبي عبيد الهروي (٦/ ١٧٨٢).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ١٥٦).

(٥) هو قول عثمان رضي الله عنه، رواه عنه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٢٠٥٥)، وابن شبة في «تاريخ المدينة» (٢/ ٢١٣)، والفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٢/ ٢٨٢).

(٦) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٧٩)، والطبري في «تفسيره» (٢/ ١٥٦).

(٧) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١١٧١٢)، والترمذي (٣١٦٤)، وقال: (حديث غريب لا نعرفه مرفوعًا إلا من حديث ابن لهيعة).

عثمانُ بنُ عفّانَ: هو جبلٌ في النَّار(١).

وقيل: وادٍ من صديدٍ في جهنَّم.

الكلبيُّ: الشَّديدُ من العذاب(٢).

الأصمعيُّ: الويلُ: تقبيحٌ(٣).

وقيل: الويلُ: الهلاكُ، يُستعمَلُ لمن لا يُرجَى خلاصُه.

﴿لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ﴾؛ أي: تولَّوا كتابتَه بأيديهم، لم يأمروا غيرَهم بالكتابة.

وقيل: لتحقيقِ الإضافة.

قال ابن السَّرّاج: من تلقاءِ أنفسِهم(٤).

والوجهُ هذا؛ لِقولِه: ﴿ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾؛ لأنَّهم غيَّروا صفةَ محمَّدٍ ﷺ وغيَّروا بعضَ أحكامِه، ثم قالوا: هذا من عند الله.

﴿لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: عوضًا يسيرًا، وهو ما كانوا يُصيبونَه من سفلَتِهم.

﴿فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ لتحريفِهم ﴿وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ من الحرامِ، والاكتسابُ: الاجتلابُ للنَّفع.

***

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ١٥١) عن عثمان رضي الله عنه، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ١٦٤) وابن كثير في «تفسيره» (١/ ٣١٢) عن عثمان رضي الله عنه مرفوعًا، وقال ابن كثير: (وهذا غريب أيضاً جداً).

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٠/ ٤٨٣).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ١٥١)، والواحدي في «البسيط» (٣/ ٩١).

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ١٥١)، والواحدي في «البسيط» (٣/ ٩٣).

(٨٠) ـ ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً ۚ قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدًا فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓ ۖ أَمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾.

﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً﴾ عكرمةُ عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنه قال: قدِمَ رسولُ اللهِ ﷺ المدينةَ ويهود تقول: إنَّما هذه الدُّنيا سبعةُ آلافِ سنةٍ، وإنَّما يُعذَّبُ النَّاسُ في النّارِ بكلِّ ألفِ سنةٍ من أيّامِ الدُّنيا يومًا واحدًا في النّارِ من أيّامِ[1] الآخرة، إنَّما هي سبعةُ أيّامٍ ثم ينقطعُ العذابُ، فأنزل الله عزَّ وجلَّ في ذلك: ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً﴾[2].

الضَّحّاكُ عن ابنِ عبّاسٍ قال: وجَدَ أهلُ الكتابِ: ما بينَ طرفَي جهنَّمَ مسيرةُ أربعين، فقالوا: لن نُعذَّبَ في النّارِ إلّا ما وجَدْنا في التَّوراة، فإذا كان يومُ القِيامةِ أُقْحِموا في النّارِ فصاروا في العذابِ حتى انتهوا إلى سَقَر، وفيها شجرةُ الزَّقُّومِ إلى آخرِ يومٍ من الأيّامِ المعدودةِ، قال: فيقولُ لهم خزنةُ أهل النّار: يا أعداءَ الله، زعمتم أنّكم لن تُعذَّبوا في النّارِ إلّا أيّامًا معدودةً، فقد انقضى العددُ وبقيَ الأبد[3].

الحسن وقتادة: عنَوا بها الأيّام الَّتي عبدوا فيها العِجْلَ[4].

---

(١) في (و): «الأيام».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ١٧٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٥٥).
ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١/ ٩٦) من طريق مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما، وحسَّنَ إسنادَه الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١٠/ ٢٤٦).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٥٦)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ١٧١) بأوجز من هذا.

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٨١)، والطبري في «تفسيره» (٢/ ١٧١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٥٦) عن قتادة.

وقيل: معنى ﴿مَّعۡدُودَةٗ﴾: قلائل، كقوله: ﴿دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖ﴾ [يوسف: ٢٠].

... [١] ثم يشفعُ لنا آباؤُنا الأنبياءُ عليهم السلام، فآيَسَهم اللهُ، وأنزلَ هذه الآية.

وقوله: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ﴾: لن تصيبنا، والمسُّ: الجمعُ بين الشَّيئين على نهايةِ القُرْبِ، واللَّمسُ مثلُه، لكنَّه معَ الإحساس[٢].

﴿قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدٗا﴾: عقدًا، وقيل: وعدًا، ﴿فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓۖ أَمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ جهلًا وكذبًا.

وتقديره: أتقولون على الله ما تعلمون أم تقولون على الله ما لا تعلمون؟ ويجوز أن تكون (أم) المنقطعة؛ أي: بل أتقولون على الله ما لا تعلمون؟[٣]

* * *

(٨١) ـ ﴿بَلَىٰۚ مَن كَسَبَ سَيِّئَةٗ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

﴿بَلَىٰ﴾: ردٌّ لجوابِ النَّفي؛ استفهامًا كان أو خبرًا[٤].

﴿مَن كَسَبَ سَيِّئَةٗ﴾: قيل: الشِّركُ، وقيل: الكبائرُ من الذُّنوب.

﴿وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾؛ أي: ذنوبُه، وسدَّتْ عليه مسالِكَ النَّجاة، وهو أن يموتَ على الكفرِ، والإحاطةُ: الإدارةُ حولَ الشَّيء.

---

(١) في الكلام اختصار، والمراد: اليهودُ كانوا يقولون: لن تمسَّنا النّار إلاّ أيّامًا معدودةً.

(٢) انظر: «النكت والعيون» للماوردي (١/ ٤٢٦).

(٣) وعلى التقدير الأول تكون (أم) المعادلة، وقد ذكر جوازَ الوجهين الواحدي في «البسيط» (٣/ ٩٥)، والزمخشري في «الكشاف» (١/ ١٥٨).

(٤) بلى: حرف جواب لا يقع إلا بعد نفي في اللفظ أو المعنى، ومعناها ردُّ النفي، سواء كان مقروناً باستفهام، أو لا. انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان الأندلسي (١/ ٤٣٧).

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ﴾: مُلازمُوها والدّاخلونَ فيها.

﴿هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾: دائمون.

* * *

(٨٢) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾: والخلودُ: الوجودُ[1] إلى غيرِ نهايةٍ.

* * *

(٨٣) ـ ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانٗا وَذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنكُمۡ وَأَنتُم مُّعۡرِضُونَ﴾.

﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾: الجمهور: اذكر إذ أخذنا، فيكون استئنافًا.

قال الشَّيخ رحمه الله[2]: ويحتملُ أن يكونَ جميعُ ما تقدَّم وما سيأتي إلى انقضاءِ القصّةِ عطفًا على قولهِ: ﴿ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ﴾؛ أي: حينَ أنعمتُ عليكم وفعلتُم كذا وفعلنا كذا.

والميثاقُ: العقدُ[3] المؤكَّدُ غايةَ التَّوكيد.

---

(١) «الوجود» من (ن).

(٢) «قال الشيخ رحمه الله»: ليس في (ن).

(٣) في (و): «العهد».

﴿لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ الكلبيُّ[١]: بأن لا تعبدوا، فحذف الجارَّ، وتعدَّى الفعل من غير واسطةٍ، ثم حذف (أن) فارتفع الفعل، كقولِ الشّاعرِ:

ألا أيُّهذا الزّاجِرِي أحضُرُ الوَغَى وأنْ أشهَدَ اللَّذّاتِ هل أنتَ مُخلِدِي[٢]

«الحجّة»: (الأخذُ) من الألفاظِ الّتي تجري مَجرى القَسَم، فتُجابُ بجوابِ القسم، فيكون تقديره: حلّفناهم لا تعبدون، ومثله: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٨٧][٣].

قطرب: ﴿لَا تَعۡبُدُونَ﴾ حال؛ أي: غير عابدين إلّا الله[٤].

الفرّاء: اللّفظُ خبرٌ، والمرادُ بهِ النّهي[٥]، كقولِهِ: ﴿تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الصف: ١١] في (الصّف)، وجَزْمُ ﴿يَغۡفِرۡ﴾ [الصف: ١٢] يدلُّ عليه[٦].

ومَن قرأ بالتّاء[٧] فبإضمارِ القول، وإضمارُ القولِ لا يضيقُ.

---

(١) كذا في النسخ الخطية، والصواب أن القول للكسائي. انظر: «تفسير الثعلبي» (٣/ ٤٢١)، و«البسيط» للواحدي (٣/ ١٠٣)، و«تفسير الراغب الأصفهاني» (١/ ٢٤٦)، و«تفسير الرازي» (٣/ ٥٨٥). وأجازه الفراء والأخفش والزجاج. انظر: في «معاني القرآن» للفراء (١/ ٥٣)، وللأخفش (١/ ١٤٠)، وللزّجّاج (١/ ١٦٤).

(٢) البيت لطرفة بن العبد من معلقته. انظر: «ديوانه» (ص: ٢٥)، و«جمهرة أشعار العرب» للقرشي (ص: ٣٢٥).

(٣) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٢/ ٧٣).

(٤) ذكره الواحدي في «البسيط» (٣/ ١٠٣).

(٥) ذكر الفراء هذا الوجه، وذكر الوجه الأول والثاني أيضاً. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٥٣ ـ ٥٤).

(٦) كلام المصنِّف على آية (الصف) التي أيّد بها قول الفراء، فهو يرى أن الخبر فيها معناه الأمر، ولذلك جُزم جوابُه، وهو في رأيه هذا موافق للزجاج، وفي كلامه ردٌّ على المبرِّد الذي رأى أن الجزم جواب للاستفهام بـ(هل). انظر: «المقتضب» للمبرد (٢/ ٨٢)، و«معاني القرآن» للزجاج (٥/ ١٦٦).

(٧) قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بالياء، وباقي السبعة بالتاء. انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد =

﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾: الوالدُ: الأب، والوالدان: الأبُ والأمُّ، والولدُ: نتيجتُهما، وأصلُه من الوِلادةِ، كالنِّتاجِ للنّاقة.

والإحسانُ: النَّفع.

الحسن[1]: والباءُ متَّصلٌ بالإيصاء؛ أي: أوصينا بهما إحسانًا، كقولِهِ: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا﴾ [الأحقاف: ١٥][2].

وقيل: يتَّصلُ بفعلٍ من الإحسان؛ أي: وأحسِنوا بالوالدينِ، تقول: أحسِنْ به، قال الله تعالى: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ﴾ [يوسف: ١٠٠]، وأحسنْ إليهِ، قال الله سبحانه[3]: ﴿كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: ٧٧][4].

وقيل: متَّصِلٌ بالأخْذِ؛ أي: أخذنا ميثاقَ بني إسرائيلَ بأن لا تعبدوا إلَّا الله وبالوالدينِ إحسانًا[5].

= (ص: ١٦٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٤).

(١) كذا في النسخ الخطية، والصواب أنه: «الحجة»؛ فالقولان ذكرهما أبو علي الفارسي في «الحجة»، كما أن مثل هذا الكلام يبعد أن يصدر عن الحسن رحمه الله، ولم ينسبه أحد إليه. انظر: «الحجة» (٢/ ١٣٠).

(٢) في (و): ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾ [العنكبوت: ٨]. انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٥٦).

(٣) في (و): «كقوله».

(٤) اختار هذا الوجه الأخفش والزجاج، وذكره والذي قبله العكبري. انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ١٣٤)، وللزجاج (١/ ١٦٣)، و«إعراب القرآن» للعكبري (١/ ٨٤).

(٥) انظر هذه الأقوال بلا نسبة في: «تفسير الطبري» (٢/ ١٩١)، و«البسيط» للواحدي (٣/ ١٠٧)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (١/ ١٧٢)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (١/ ٤٥٨)، وقد رجَّح الطبري القول الأخير؛ لأنه أنسب لسياق الآية، ورجَّح الأخفش والزجاج والواحدي وأبو حيّان تعلُّقَ الباء بالإحسان؛ لأنَّه أقرب إلى قياس اللغة، أما الكرماني فقدَّم هنا الأول؛ لشبهه بالقرآن، =

﴿وَذِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾: القريبُ المعتدُّ بقرابتِه.

﴿وَٱلْيَتَـٰمَىٰ﴾: جمعُ يتيمٍ، وهو الَّذي فقدَ أباه قبل الحُلُمِ إلى الحُلُم[١].

﴿وَٱلْمَسَـٰكِينِ﴾: جمع مسكِينٍ، وهو الَّذي ضمَّ إلى فقرِه الذُّلَّ وانقطاعَ المعونة.

﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾: قيل: النّاسُ عامٌّ، وقيل: خاصٌّ للمؤمنين، وقيل: المرادُ به النَّبيُّ ﷺ؛ أي: وقولوا للنّاس في شأنِ محمَّدٍ ﷺ حُسنًا.

وقيل: الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر.

وقيل: هو محكمٌ، وقيل: هو منسوخٌ بآية السَّيف.

والحُسْنُ والحَسَنُ لغتان، كالبُخْلِ والبَخَلِ، وقيل: الحَسَنُ وصفٌ؛ أي: قولًا حَسَنًا، والحُسْنُ المصدر؛ أي: قولًا ذا حُسْنٍ.

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ المفروضةَ، ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ الواجبة.

ابن عيسى: كان زكاةُ أموالهم قربانًا تهبطُ إليه نارٌ فتحمله[٢].

﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾: أعرضتم، والتّولّي: الذَّهابُ عن الشَّيء خلافَ التَّولّي إليه.

﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ﴾؛ فإنَّهم بقوا على الميثاق.

﴿وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾: خطابٌ لليهود الَّذين كانوا في عصرِ النَّبيِّ ﷺ؛ أي: أنتم معرضون كأوائلكم، وقيل: تأكيدٌ للأوَّل، وهم الغُيَّبُ.

= ولأنه أنسب لسياق نظائر هذه الآية في القرآن كلِّه، وقدَّم في «غرائب التفسير» (١/ ١٥٤) تعلُّقَ الباء بالإحسان؛ لأنه الأشهر عند المفسرين.

(١) في (و): «وإلى الحلم»، والصواب ما أثبتناه من (ن)؛ لأنَّ المراد: أنَّ هذه التسمية تُطلق عليه إلى الحلم.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ١٩٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٨٤) ـ ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ﴾؛ أي: لا يسفكُ بعضُكم دمَ بعضٍ.

وقيل: لا يَقتلُ فيُقتَلُ قودًا، فيكون كأنَّه سفكَ دمَه؛ أي[1]: تسبَّبَ له.

وقيل: نُهوا عن قتلِ أنفسِهم، وهذا[2] محرَّمٌ.

وقيل: لا تأتوا ما يجبُ قتلُكم به في حكمِ الله.

وقيل: كان فرضًا عليهم قتلُ أنفسِهم من الكبائر، ثم رُفِعَ عنهم.

﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾؛ أي: لا يُخرِجُ بعضُكم بعضًا من داره، فيستولي عليها.

قال الشَّيخ رحمه الله تعالى[3]: ويحتملُ بعضَ وجوهِ الأوَّل.

والنَّفسُ: الذّاتُ.

والدّار: اسمٌ جامع للعَرْصةِ والبناءِ والمحلَّةِ، واشتقاقُه من الدَّورِ، وهو التَّحجيرُ حولَ الشَّيء.

﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾؛ أي: اعترفتم، والإقرار: الإخبارُ على طريقِ الإيجابِ[4] بـ(نعم).

وقيل: ﴿أَقْرَرْتُمْ﴾: قبلتم، من (الإقرارِ) الَّذي هو الرِّضا، قال البُعيْثُ:

---

(١) في (ن): «إذ».

(٢) في (و): «وذلك».

(٣) «قال الشيخ رحمه الله تعالى»: ليس في (ن).

(٤) «الإيجاب»: من (ن).

أَلسْـتَ كُلَيْبِيًّـا إذا سِـيْمَ خُطّـةً أقرَّ كإقـرارِ الحَليلـةِ للبَعْـلِ[١]

﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ على إقرارِ أسلافِكم، ويجوزُ أن يكونَ خطابًا لأسلافِهم، فيدخلُ هؤلاء في معناه، فيكون الكلامُ على نسقٍ واحدٍ.

وإعرابُ ﴿لَا تَسْفِكُونَ﴾ ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ﴾ كإعرابِ ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾.

***

(٨٥) - ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ الزَّجّاج: (هؤلاء) بمعنى: الذين، و(تقتلون) صلتُه، قال: ومثله: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ١٧][٢].

ابن عيسى: يا هؤلاءِ[٣].

وقيل: (هؤلاء)[٤] تأكيدٌ لـ(أنتم)، و(تقتلون) خبره[٥].

---

(١) انظر: «الشعر والشعراء» لابن قتيبة (١/ ٤٤٨)، و«العقد الفريد» لابن عبد ربه (٥/ ٢٦٤).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزّجاج (١/ ١٦٧)، وقد ذكره المصنِّف في «غرائب التفسير» (١/ ١٥٥).

(٣) ذكره بلا نسبة الطبري في «تفسيره» (٢/ ٢٠٥)، والسمرقندي في «تفسيره» (١/ ٧٠)،، والواحدي في «البسيط» (٣/ ١١٧).

(٤) «وقيل هؤلاء» من (ن).

(٥) ذكره المصنِّف في «غرائب التفسير» (١/ ١٥٥).

﴿وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَـٰرِهِمْ﴾: من مقامِهم؛ أي: أنتم[١] تسفكون الدِّماءَ، وتخرجونَ الموحِّدينَ من ديارِهم غيرَ مُراقبينَ ميثاقَ الله عليكم.

﴿تَظَـٰهَرُونَ عَلَيْهِم﴾: تتعاونون، والمعاونةُ والمظاهرةُ واحدٌ، وأصلُه: تتظاهر، فأُدغمَ التّاءُ عند بعضٍ، وحُذفَ عند بعضٍ.

﴿بِٱلْإِثْمِ﴾: بما فيه إثمٌ، والإثمُ: الفعلُ الَّذي يُستحَقُّ عليه اللَّومُ.

﴿وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾: وهو مجاوزةُ الحدِّ، وقيل: الإفراطُ في الظُّلم.

﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَـٰرَىٰ تُفَـٰدُوهُمْ﴾ أسْرَى: جمعُ (أسيرٍ) على القياس، وأُسارى: جمعُ الجمع، وقيل: أُجرِي (أسيرًا) مَجرى (سكران)، فجُمِعَ جمعَه، ولا فرقَ بينهما، ورُوي عن أبي عمرٍو: أنَّه فرَّقَ بينهما[٢].

وأصلُه: الشَّدُّ بالأسرِ، وهو القِدُّ.

والفِداءُ: البدلُ من الشَّيءِ صِيانةً له.

والأظهرُ أنَّ (فدى) و(فادى) بمعنى واحدٍ، والمفعولُ الثّاني[٣] محذوفٌ؛ أي: تفدوهم بأموالِكم أو أُسرائِكم.

---

(١) في (ن): «أي من مقامهم ثم أنتم».

(٢) روى الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٤٣١) عن أبي عمرو أنه قال: (ما أُسِرَ فهو أسارى، وما لم يُؤسَر فهو أسرى، ورُوي عنه من وجهٍ آخرَ قال: ما صار في أيديهم فهم أسارى، وما جاء مستأسرًا فهو أسرى)، وذكر عن ثعلب إنكاره للفرق بينهما. ومعنى (ما أُسر) في كلام أبي عمرو: ما شُدَّ بالإسار، و(ما لم يُؤسَر): ما أخذه العدوُّ أسيراً ولم يربطه بالإسار.

(٣) الفعل (فدى) يتعدَّى إلى مفعولين، ويتعدَّى إلى الثاني بحرف الجرِّ. انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٢/ ١٤٦ ـ ١٤٨).

﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾ فيه تقديمٌ وتأخيرٌ، والتَّقدير: وتخرجون فريقًا منكم[١] من ديارِهم، وهو محرَّمٌ عليكم إخراجُهم، وإن يأتوكم أسارى تفادوهم[٢].

و(هو) كنايةٌ عن الإخراج، وقيل: كنايةٌ عن الأمرِ والشَّأن، وقيل: كنايةٌ بشريطةِ التَّفسيرِ، وقيل: عمادٌ.

ابن عبّاسٍ: كانت قريظةُ والنَّضيرُ أخوَيْنِ، والأوسُ والخزرجُ أخوَيْن، وكانت قريظةُ مع الأوس، والنَّضيرُ مع الخزرج، فإذا اقتتلا عاونَ كلُّ فريقٍ حلفاءَها[٣]، فإذا وضعت الحربُ أوزارَها فَدوا أسراها[٤].

﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ﴾؛ يعني: فداءَ الأسرى، ﴿وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾: بما سواه.

قال السُّدِّيُّ: أخذَ اللهُ عليهم أربعةَ عُهودٍ: تركَ القتال، وتركَ الإخراج، وتركَ المظاهرة، وفداءَ أُسرائِهم، فأعرضوا عن كلِّ ما أُمروا إلَّا الفداء[٥].

﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ﴾ الجزاء: المقابلةُ على الخيرِ بالثَّواب، وعلى الشَّرِّ بالعِقاب.

و﴿ذَلِكَ﴾ إشارةٌ إلى الإيمانِ ببعضٍ والكفرِ ببعضٍ.

﴿إِلَّا خِزْيٌ﴾: هوانٌ.

---

(١) «منكم» من (ن).

(٢) في (ن): «أسرى تفدوهم».

(٣) أعاد الضمير بصيغة المؤنث؛ لأنه أراد بالفريق القبيلة.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٢٠٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٦٤).

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٤٣٢)، والواحدي في «البسيط» (٣/ ١١٦).

ابن السَّرّاج: يصلحُ أن يكون أصلُه من الخَزايةِ، وهو الاستحياءُ؛ أي: يقف موقفًا يُسْتَحيا منه[١].

﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: بالقتلِ والأسرِ والجِزيةِ والجلاء.

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُرَدُّونَ﴾: يُصرَفون، والرَّدُّ: الرَّجع، والرَّدُّ: المردود، وجمعُه: الرُّدود.

﴿إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ﴾: هو الَّذي لا رَوْحَ فيه ولا فَرَحَ، وقيل: إلى أشدَّ من[٢] عذاب الدُّنيا.

﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ﴾: بساهٍ ﴿عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾: التّاءُ تدلُّ على أوَّلِ الآية، والياءُ على آخرها[٣].

***

(٨٦) ـ ﴿أُولَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾.

﴿أُولَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾: اختاروها على الآخرةِ اختيارَ المعطي والمشتري.

﴿فَلَا يُخَفَّفُ﴾: لا يهوَّنُ ﴿عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾، والتَّخفيفُ: التَّسهيلُ والتَّهوين.

﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾: يُمنَعون من عذابِ الله، والنُّصرةُ: المعونةُ على العدوِّ.

***

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٣/ ١٢٧)، وانظر: «الأصول» لابن السراج (٣/ ١٠٧).

(٢) «من» من (ن).

(٣) قرأ نافع وابن كثير وشعبة ويعقوب وخلف بالياء، وباقي العشرة بالتاء. انظر: «النشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٨).

(٨٧) ـ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا﴾: أعطينا، والإيتاءُ: إخراجُ المأخوذِ[1] إلى الآخذ.

﴿مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾[2]: التَّوراة.

﴿وَقَفَّيْنَا﴾: أتْبعنا، والتَّقفِيةُ: إلحاقُ الشَّيءِ بالشَّيء[3].

﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾: بعدَه.

﴿بِٱلرُّسُلِ﴾: جمع رسولٍ، والرَّسولُ: المؤدِّي عن اللهِ ما أوحاه إليه، المبانُ عن غيرِه بالمعجزةِ الدّالةِ على صدقِه، واشتقاقُه من (الرِّسْلِ)، وهو اللَّبنُ.

والمعنى[4]: جعلنا الرُّسلَ يتلو بعضُهم بعضًا بعدَه.

وقيل: جعلنا الرُّسلَ بعد موسى إلى عيسى تابعينَ لشريعتِه.

﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: المعجزات من إحياءِ الموتى وإبراءِ الأكمَهِ والأبرصِ وغيرِها.

وقيل: ﴿ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: الإنجيل.

﴿وَأَيَّدْنَٰهُ﴾: قوَّيناه، والأيْدُ والآدُ: القوّة.

---

(١) في (و): «الإخراج للمأخوذ».

(٢) في (ن) زيادة: «يعني».

(٣) في (ن): «الشيء بعده».

(٤) في (و): «ومعناه».

﴿بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ الحسن وجماعةٌ: هو جبريلُ عليه السّلام[1].

وسُمِّي روحَ القدسِ لأنَّه يأتي بما فيه حياةُ القلوب، وقيل: سُمِّي به لأنَّ الغالبَ على الملائكة الرُّوحُ، والرُّوحُ معنًى يَبينُ[2] به الحيُّ عن[3] الميت، والملائكةُ هم الرُّوحانيُّون.

والقدسُ: الطَّهارةُ، وقيل: القدسُ: البركة.

الحسن: القدس: هو الله عزَّ وجلَّ[4].

وتأييده إيّاه: إتيانُه بكلامِ الله، وقيل: صعودُه به إلى السَّماءِ لمّا أرادوا قتلَه.

ابن عبّاسٍ: روح القدس: هو الاسمُ الَّذي كان يُحيي به الموتى، ويعملُ العجائبَ به[5].

وقيل: هو الإنجيل.

﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ﴾: تحبُّ وترضى، والهوى: المحبّةُ، تقول: هَوِيَ يَهوَى هَوًى، وأصلُه من (الميلِ).

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٤٣٧)، والماوردي في «النكت والعيون» (١/ ١٥٦) عن الحسن وغيره، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٢٢٢) عن الربيع والضحاك والسدي وقتادة. وهذا هو القول الذي يميل إليه المصنِّف؛ فقد قال في «غرائب التفسير» (١/ ١٥٦): (روح القدس: يعني جبريل، والقدس: هو الله، أُضيفَ إليه تشريفاً، كبيت الله، وناقة الله).

(٢) أي: يمتاز ويختلف.

(٣) في (و): «به يَبينُ الحيُّ من».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٤٣٧)، والماوردي في «النكت والعيون» (١/ ١٥٦) عن الحسن، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٣٨) عن مجاهد.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٢٢٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٦٩).

﴿ٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾: تعظَّمتم عن[1] الإيمان.

﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ﴾ مثل عيسى ومحمَّد عليهما السَّلام.

﴿وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ كزكريّا ويحيى عليهما السَّلام.

وإنَّما قال[2]: ﴿تَقْتُلُونَ﴾ لأنَّه فاصلةٌ وحكايةُ حال[3].

* * *

(٨٨) - ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾: جمع أغْلَف؛ أي: عليها حجابٌ، فلا نفهمُ منك ما تقولُ، كقولِه: ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ﴾ [فصلت: ٥].

وقيل: هو جمعُ غِلافٍ؛ أي: هي أوعيةُ العلم[4].

وأصلُه غُلُف، فسُكِّنَ كـ(رُسُل)، وقد قُرِئَ في الشَّواذِّ مثقَّلًا[5].

والغِلافُ: وعاءُ الشَّيءِ وصِوانُه.

﴿بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾: طردَهم ﴿بِكُفْرِهِمْ﴾، والطَّرْدُ واللَّعنُ واحِدٌ، وذِئبٌ لعينٌ؛ أي: طريد، قال:

---

(١) في (ن): «على»، وفي الهامش: «عن».

(٢) «قال»: ليس في (و).

(٣) وتقديره: فريقاً كذَّبتم وأنتم تقتلونَ فريقاً، فلذلك جاء (تقتلون) بلفظ المضارع مع أن معناه: وفريقاً قتلتم.

(٤) في (ن): «للعلم».

(٥) قال ابن مجاهد في «السبعة في القراءات» (ص: ١٦٤): (كلهم قرأ ﴿غُلْفٌ﴾ مخففة، وروى أحمد بن موسى اللؤلؤي عن أبي عمرو أنه قرأ ﴿غُلُف﴾ بضمِّ اللام، وروى الباقون عنه أنه خفَّف، والمعروفُ عنه التخفيف).

ذَعَرْتُ بِهِ القَطا ونَفَيْتُ عَنْهُ مَقامَ(١) الذِّئبِ كالرَّجُلِ اللَّعِينِ(٢)

أراد: مقامَ الذِّئبِ اللَّعينِ كالرَّجل.

﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ قيل: معناه: فإيمانُهم قليلٌ، ونصبُه على أنَّه صفةُ مصدرٍ محذوف؛ أي: يؤمنون إيمانًا قليلًا، و(ما) صلةٌ(٣).

وقيل: معناه: فقليلٌ مؤمنوهم، والنّاصبُ مُضمَرٌ، تقديره: فصاروا قليلًا يؤمنون، حكاه(٤) عليُّ بن عيسى(٥).

وقيل: (ما) للنَّفي؛ أي: ما يؤمنون لا قليلًا ولا كثيرًا، وهذا لا يجوزُ؛ لأنَّ ما بعدَ (ما) لا يعملُ فيما قبله(٦).

* * *

(٨٩) ـ ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

---

(١) في (ن): «مكان»، وهي كذلك في بعض المصادر.

(٢) البيت للشَّمّاخ بن ضرار. انظر: «ديوان الشَّمّاخ» (ص: ٣٢٠)، و«المعاني الكبير» لابن قتيبة (١/ ١٩٤)، و«تفسير الطبري» (٢/ ٢٣٢).

(٣) وقد استحسن المصنف هذا الوجه في «غرائب التفسير» (١/ ١٥٧).

(٤) في (و): «حكاهما».

(٥) هو الرمّاني، وقد استغرب المصنِّف هذا الوجه في «غرائب التفسير» (١/ ١٥٧)، وروى الطبري في «تفسيره» (٢/ ٢٣٢ ـ ٢٣٣) المعنيين؛ الأول عن معمر، والثاني عن قتادة، وذكرهما الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ١٥٧) بلا نسبة.

(٦) «وهذا لا يجوز لأن ما بعد ما لا يعمل فيما قبله» من (ن). ذكر الثعلبي هذا الوجه عن الواقدي في «تفسيره» (٣/ ٤٤٢)، وعدَّه المصنِّف من العجائب في «غرائب التفسير» (١/ ١٥٧).

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ﴾؛ أي: هؤلاء اليهود.

﴿كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾ قال ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما: كانت يهودُ خيبرَ تقاتلُ غطفان، فكلَّما التقوا هُزِمَتْ يهود، فعاذَتِ اليهودُ بهذا الدُّعاء وقالت: اللَّهمُّ إنّا نسأُلُكَ بحقِّ النَّبيِّ الأمِّيِّ الَّذي وعدْتَنا أن تخرجَه لنا في آخرِ الزَّمان إلَّا نصرتنا عليهم، قال: فكانوا إذا التقَوا دعَوا بهذا الدُّعاء، فهزمُوا غطفان، فلمّا بُعِثَ النَّبيُّ ﷺ كفروا به، فأنزل الله هذه الآية[1].

﴿مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾؛ يعني: القرآن.

﴿مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ﴾؛ أي: يصدِّقُ القرآنُ التَّوراةَ؛ لأنَّ فيهِ ذكرَ مجيءِ النَّبيِّ ﷺ والقرآنِ، ومجيءُ الـمُخبَرِ به يجعلُ الـمُخبِرَ بوقوعِه صادقًا.

وقيل: يصدِّقُ التَّوراةَ والإنجيلَ أنَّهما من عند الله.

وقيل: موافقٌ بجُلِّ أحكامِه.

﴿وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ﴾؛ أي: من قبلِ القرآنِ ومحمَّدٍ ﷺ[2] ﴿يَسۡتَفۡتِحُونَ﴾: يستنصِرونَ الله ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: على أعدائهم، ويقولون: اللَّهمَّ انصرنا بحقِّ النَّبيِّ على أعدائِنا فيُنصَرون.

وقيل: يسألون اللهَ القضاءَ بينهم وبينَ عدوِّهم به.

---

(١) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٨)، ورواه الحاكم في «المستدرك» (٣٠٤٢)، وقال: (أدَّت الضروة إلى إخراجه في التفسير، وهو غريب جدًا)، وعلَّق الذهبي قائلًا: (لا ضرورة في ذلك؛ فعبدُ الله متروك هالك).

(٢) في (ن): «والنبي عليه السلام».

وقيل: ﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾: يَستعلِمونهم[١]: هل وُلِدَ فيهم مَن هو بصفةِ محمَّدٍ ﷺ؟[٢]

﴿فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾: جحدوا نبوَّته وأنكروه.

والمعرفةُ: ظهورُ الشَّيء للنَّفسِ على ثقةٍ.

وجوابُ (ولـمّا) مُضمَرٌ دلَّ عليه ما بعدَه، وجوابُ (فلمّا): ﴿كَفَرُوا بِهِ﴾.

وقيل: لـمّا طالَ الكلامُ أعادَ ﴿فَلَمَّا﴾، كقوله: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ﴾ [المؤمنون: ٣٥][٣].

قال الفرّاء: ﴿فَلَمَّا﴾ بالفاء جواب ﴿وَلَمَّا﴾، و﴿كَفَرُوا بِهِ﴾ جواب ﴿فَلَمَّا﴾[٤].

﴿فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾: كلمةٌ تُستعمَلُ للبُعدِ من الرَّحمة، وأصلُه من (الطَّرد).

* * *

(٩٠) ـ ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.

﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾: (بئسَ): كلمةٌ تُستعمَلُ للذَّمِّ خلاف (نِعْمَ)، والمعنى: بئس شيئًا باعوا به أنفسَهم الكفرُ.

واشترى بمعنى: باع، وقيل: إنَّما يستعملُ (اشترى) بمعنى (باع)؛ إذا وقع التَّبايُعُ بغير الذَّهب والفضّة؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ منهما بائعٌ ومشترٍ.

---

(١) في (و): «يستعلمون».

(٢) ذكر المصنِّف هذا الوجه في «غرائب التفسير» (١/ ١٥٧)، واستغربه.

(٣) وهذا القول منسوب للمبرِّد. انظر: «البسيط» للواحدي (٣/ ١٤١).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٥٩)، وفيه: (ليس للأولى جوابٌ؛ فإن الأولى صار جوابها كأنه في الفاء الَّتي في الثانية، وصارت ﴿كَفَرُوا بِهِ﴾ كافية من جوابهما جميعًا).

وقيل: هو على ظاهرِ ما يُعرَفُ من الشِّرى، فيكونُ المعنى: بئسَ شيئًا فدَوا به أنفسَهم الكفرُ.

و(ما) في (بئسما) هي النَّكرةُ الموصوفة، و﴿أَن يَكْفُرُوا﴾ رفعٌ مثلُه في[1]: بئسَ رجلًا زيدٌ، ويجوزُ أن تكونَ الموصولةَ[2]، وجازَ وقوعه بعد (بئس) كما جاز وقوع (الذي) بعدها.

قال الفرّاء: (بئس) مع (ما) بمنزلة اسمٍ واحدٍ؛ أي: المذموم اشتروا به أنفسهم، تقول العرب: بئسما تزويجٌ ولا مهر، فيكونُ قولُه: ﴿أَن يَكْفُرُوا﴾ بدلًا من الهاء[3].

﴿بَغْيًا﴾: تطاولًا وحسدًا، والبغي: شدّةُ الطَّلبِ للتَّطاوُل.

﴿أَن يُنَزِّلَ﴾: لأنْ يُنزِّل ﴿اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ الكتاب والنُّبوّة.

﴿عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾؛ يعني: محمَّدًا ﷺ، وذلك أنَّ اليهودَ كفروا بمحمَّدٍ ﷺ بغيًا وحسدًا؛ لأنَّهم كانوا يرجونَ أن يكونَ النَّبيُّ المبعوثُ من بني إسحاق، فلمّا كان من بني إسماعيل، كفروا به بغيًا وحسدًا، ولم يكن كفرُهم عن شكٍّ وارتيابٍ.

﴿فَبَاءُو﴾: انصرفُوا واحتملُوا، وقد سبق.

﴿بِغَضَبٍ﴾: بكفرهم بمحمَّدٍ ﷺ.

﴿عَلَىٰ غَضَبٍ﴾: بكفرهم بعيسى عليه السلام، وقيل: بقولهم: ﴿عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠] و﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤]، وتغييرِ أحكامِ التَّوراة.

وقيل: أراد التَّتابعَ والاستدامة.

---

(١) «في» من (ن).

(٢) وتقديره: بئس الذي اشتروا به أنفسَهم الكفرُ.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٥٦ ـ ٥٧).

﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾: مُذِلٌّ، والهوانُ: الاستخفافُ، وأصلُ الباب: السُّهولةُ.

والعذابُ المهينُ هو[1] الموصوفُ بالتَّخليدِ، والذي مآلُ صاحبِه إلى الكرامةِ والنَّعيمِ ليس بمهينٍ.

وقيل: كلُّ عذابِ الله مهينٌ، والـمُهينُ هو الله عزَّ وجلَّ، وجازَ وصفُ العذابِ به لأنَّ الإهانةَ تقعُ به.

* * *

(٩١) - ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾؛ أي: لهؤلاء اليهود ﴿ءَامِنُوا بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ يعني: القرآن ﴿قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ يعني: التَّوراة.

﴿وَيَكْفُرُونَ﴾؛ أي: وهم يكفرون، وقيل: ﴿يَكْفُرُونَ﴾ حال[2].

﴿بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾ يعني: بعدَه، والوراءُ: الخلفُ[3].

وقيل: بما سواه.

﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾؛ أي: القرآنُ ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾ سَبَق.

---

(١) «هو»: ليس في (ن).

(٢) في (و): «وهو القرآن».

(٣) والجملة استئنافية أو حالية، وظاهر صنيع المصنِّف أنَّه يرجِّح الاستئناف.

﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَآءَ ٱللَّهِ﴾ وإنَّما ذُكِرَ بلفظِ الخِطاب؛ لأَنَّه إذا اجتمع الغائبُ والمخاطَبُ، فالغلبةُ للخطاب.

المفضَّل: فلم كنتم تقتلون؟

وقيل: فلم تتولَّون الَّذين قتلوهم؟

وقيل: مستقبلٌ وقعَ موقعَ الماضي[١]؛ أي: لم قتلتم؟

قال الشَّيخ رحمه الله[٢]: ويحتملُ أن يكونَ ﴿مِن قَبْلُ﴾ ظرفًا للخبر[٣]، نحو قولك في المناظرة: لِمَ فعلْتَ كذا أوَّلًا[٤]، أو متعلِّقًا بـ﴿قُلْ﴾[٥].

﴿مِن قَبْلُ﴾؛ أي: من[٦] قبلِ محمَّدٍ ﷺ.

قال الكلبيُّ: قَتلوا في يومٍ واحدٍ ثلاث مئةِ نبيٍّ في بيتِ المقدس[٧].

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ حيثُ قلتم: ﴿نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ [البقرة: ٩١]؛ أي: أيُّ كتابٍ رُخِّصَ فيه قتلُ النَّبيِّين؟

الكلبيُّ: ما كنتم مؤمنين[٨].

---

(١) وقد نقل المصنِّف عن ابن السراج أنَّه قال: إنَّ هذه أمثلةٌ جازَ وقوعُ بعضها موقعَ بعض إذا لم يورث التباساً، واستغربه. انظر: «غرائب التفسير» (١/ ١٥٨).

(٢) «قال الشيخ رحمه الله»: ليس في (ن).

(٣) في (و): «للتخبير».

(٤) وقد عدَّ المصنِّف هذا من العجائب. انظر: «غرائب التفسير» (١/ ١٥٩).

(٥) في (ن): «قال ويحتمل أنه متصل بقل».

(٦) «من» من (ن).

(٧) روى نحوه ابن المنذر في «تفسيره» (١/ ١٥٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٢٦) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٨) ذكره الزَّجّاج في «تفسيره» (١/ ١٧٥)، والسمعاني في «تفسيره» (١/ ١٠٩)، وابن الجوزي في =

(٩٢) ـ ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: الآيات التِّسع، ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ﴾ إلهًا ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾: بعد انطلاقِه إلى الطُّور، وقيل: بعد مجيئه بالبيِّنات، ﴿وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾: واضِعون العبادة غيرَ موضعِها.

* * *

(٩٣) ـ ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم﴾ سَبق تفسيرُه، وأُعيدَ لأنَّ الأوَّل ذُكِرَ للاعتبارِ بأخبارِ مَن مضى، وقيل: لتعدادِ النِّعمِ على بني إسرائيل، والثّاني للحِجاج.

﴿بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟﴾؛ أي: اقبلُوا ما سمعتُم، كقولنا: (سمعَ الله لمَن حمدَه)؛ أي: قَبِلَ اللهُ حمدَه[1].

وقيل: اسمعوا متدبِّرين له واعملوا.

المفضَّل: معناه: أطيعوا[2].

= «زاد المسير» (١/ ١١٦) دون نسبة، و(إن) على هذا القول نافية بمعنى (ما)، وذُكر عن الكسائي أنها بمعنى (قد)، وعن أبي زيد الأنصاري أنها بمعنى (إذ). انظر: «تاج العروس» للزبيدي (٣٤/ ٢٠٧).

(١) «أي قبل الله حمده» من (ن).

(٢) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (١/ ٥١١)، والثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٤٤٨) دون نسبة.

﴿قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ قال الشَّيخ رحمه الله[١]: يحتملُ أنَّ ذلك كانَ منهم قولًا، ويحتملُ أنَّ حالَهم دلَّتْ على ذلك.

الحسن: ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ من قول اليهود الَّذين كانوا في عصرِ رسولِ الله ﷺ، ثمَّ عادَ إلى القصَّة[٢].

وقيل: قالوا: ﴿سَمِعْنَا﴾ في الظَّاهر، ﴿وَعَصَيْنَا﴾ في السِّرِّ.

﴿وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾ هو من قولِهم: هذا مُشْرَبٌ حُمرةً أو صُفرةً؛ أي: مخالِطٌ، والمعنى: خالطَ قلوبَهم حبُّ العِجل، فحذفَ المضافَ كقولِه:

حَسِبْتُ بُغامَ راحِلَتِي[٣] عَناقًا ... وما هيَ وَيْبَ غَيْرِكَ بِالعَناقِ[٤]

أراد: بُغامَ عَناقٍ، وهو كثيرٌ جدًّا.

قال أكثرُ المفسِّرين: إنَّ موسى عليه السَّلام أحرقَ العجلَ، وذرا رمادَه في البحر، فلم يشربْ من مائِه أحدٌ إلَّا بقيَتْ محبَّةُ العجلِ في قلبِه[٥]، فيكون المعنى: سُقوا، وفيه بُعدٌ، لا يُقال: أشربتُه الماءَ، وإنَّما يُستعمَلُ ذلك في الحبِّ، والقلوبُ تدلُّ على ذلك، قال زهيرٌ:

---

(١) «قال الشيخ رحمه الله»: ليس في (ن).

(٢) وقد عدَّ المصنِّف هذا من الغرائب. انظر: «غرائب التفسير» (١/ ١٥٩).

(٣) في (و): «ناقتي».

(٤) البيت لذي الخرق الطهوي، كما في «النوادر في اللغة» لأبي زيد الأنصاري (ص: ٣٦٦)، و«تفسير الطبري» (٣/ ٧٧). والبغام: صوت للناقة لا تفصح به، والعناق: الأنثى من المعز، وويب: كلمة مثل: ويل.

(٥) انظر: «تفسير الطبري» (٢/ ٢٦٤)، و«تفسير الماتريدي» (١/ ٥١٢).

فصَحَوْتُ عَنها بَعدَ حُبٍّ داخِلٍ والحُبُّ يُشْرَبُهُ فؤادُكَ داءُ[١]

الحسنُ: كان قد بقيَتْ من بني إسرائيلَ طائِفةٌ لم يتوبُوا من عبادةِ العجل.

﴿بِكُفْرِهِمْ﴾: باعتقادِهم التَّشبيهَ ورُسُوخَ الكفرِ في قلوبِهم.

﴿قُلْ﴾ يا محمَّد ﴿بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ﴾؛ أي: بئس شيئًا يأمرُكم بهِ إيمانُكم قولُكم: سمعنا وعصينا.

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: يحتمِلُ أنَّه محمولٌ على الأوَّلِ؛ أي: إن صدقْتُم في قولِكُم: ﴿نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ [البقرة: ٩١].

وقيل: تقديره: إن كنتم مؤمنين فلا تقولُوا ولا تفعلُوا مثلَ هذا.

المفضَّل: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ بعبادةِ العجلِ.

* * *

(٩٤) ـ ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.

﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ﴾؛ يعني: الجنَّة ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾: في القِيامةِ ﴿خَالِصَةً﴾: من غيرِ شِرْكةٍ، وخُلوصُ الشَّيءِ: صَفوُهُ من كُلِّ شائبٍ.

﴿مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ﴾؛ أي: سائر النَّاس.

ابن عبَّاسٍ: من دونِ محمَّدٍ ﷺ والمؤمنين[٢].

---

(١) البيت لزهير. انظر: «ديوانه» (ص: ٣٣٩)، و«تفسير الطبري» (٢/ ٢٦٥)، و«أساس البلاغة» للزمخشري مادة: (ش ر ب).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٢٧٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٧٧).

ومعنى (دون) هاهنا: الاختصاصُ، بخلافِ الشِّركة[١]، ويُقالُ أيضًا: فلانٌ دونَه في المكان، ودونَه في الشَّرف.

﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ﴾ ابن عبّاسٍ: ادعُوا بالموتِ على أيِّ الفريقَيْن أكذبَ[٢].

الزَّجّاج في جماعةٍ: لمّا قالتِ اليهودُ: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا﴾ [البقرة: ١١١]، وقالَت: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة: ١٨]، أنزلَ الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ﴾[٣].

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ فيما تقولون؛ فإنَّ مَن علمَ قطعًا أنّه صائرٌ إلى الجنّةِ فهي آثَرُ عندَه منَ الدُّنيا.

ابن عيسى: التَّمنِّي: قولٌ يُقدَّرُ فيهِ معنىً يُحَبُّ بالطِّباعِ بأداةٍ تميِّزُه[٤] من الإخبارِ، كـ(ليت)، و﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ﴾ [الأعراف: ٥٣].

***

(٩٥) ـ ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾؛ أي: الدَّهرَ[٥].

---

(١) وربَّما كانت (دون) هنا بمعنى (غير). انظر: «شرح كافية ابن الحاجب» للرضي الاستراباذي (١/ ٥٠٠)، و«خزانة الأدب» للبغدادي (٣/ ٣٤٢)، و«دراسات لأسلوب القرآن الكريم» لمحمد عبد الخالق عضيمة (٣/ ٦٧٥).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٢٦٩).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزّجّاج (١/ ١٧٦)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٢٧٠) عن قتادة وأبي العالية والربيع بن أنس.

(٤) في (ن): «تمييز».

(٥) وقف المصنِّف على سرِّ استخدام (لن) في هذه الآية، و(لا) في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ =

﴿بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ﴾: بما أسلفُوا من الأعمالِ القبيحةِ، والتَّقديمُ: تحصيلُ شيءٍ بعدَ[1] شيءٍ.

ابن عيسى: بما عرفوا أنَّ محمَّدًا ﷺ نبيٌّ حقٌّ، فكتموه.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾: تهديدٌ لليهود، وقيل: عامٌّ.

فأبَوا أن يتمنَّوا ذلك، وقال ﷺ: «واللهِ لا يقولُها أحدٌ منهم إلَّا غَصَّ بِرِيْقِهِ»[2].

وقيل[3]: لو تمنَّوْهُ بقلوبِهم لَماتوا عن آخرِهم.

* * *

= إِن زَعَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ أَوۡلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [الجمعة: ٦] فقال: (قال في هذه السورة: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوۡهُ﴾، وفي الجمعة ﴿ولا يتمنونه﴾؛ لأن دعواهم في هذه السورة بالغة قاطعة، وهو كون الجنة لهم بصفة الخلوص، فبالغ في الردِّ عليهم بـ (لن)، وهي أبلغ ألفاظ النفي، ودعواهم في الجمعة قاصرة متردِّدة، وهي زعمهم أنهم أولياء الله، فردَّ بـ (لا). انظر: «البرهان في متشابه القرآن» (ص: ٧٦).

(١) في (ن): «قبل».

(٢) رواه البيهقي في «الدلائل» (٦/ ٢٧٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما، ولا يصحُّ بهذا اللفظ، وذكر نحوه السمرقندي في «بحر العلوم» (١/ ٧٥)، والثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٤٥١)، وقد رُوي بمعناه آثارٌ موقوفة صحيحة عن ابن عباس.

وروى الإمام أحمد في «المسند» (٢٢٢٥)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٩٩٥) بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا». وانظر: «تفسير الطبري» (٢/ ٢٦٨)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ٣٣١).

(٣) «قيل»: من (ن).

(٩٦) ـ ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ﴾ يعني: اليهودَ.

والوجودُ: الإحساسُ بالشَّيء.

﴿أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ﴾: العربِ[1] ﴿عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾، والحرصُ: شدّةُ الطَّلب؛ لأنَّهم قد علموا أنَّ آخرتَهم قد أفسدوا على أنفسِهم بالكفر بمحمَّدٍ ﷺ.

﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾؛ أي: وأحرص منَ الذين أشركوا؛ يعني: المجوس، وقيل: مشركي العرب.

ومَن أنكر البعثَ أحبَّ طُولَ البقاء؛ لأنَّه لا يرجو حياةً[2] بعدَه.

والإشراكُ في عبادة الله: الكفر، وأصله من الشَّركة، وهي ضدُّ الاختصاص.

﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ﴾: يحبُّ أحدُ اليهود ﴿لَوْ يُعَمَّرُ﴾: يطولُ عمرُه ﴿أَلْفَ سَنَةٍ﴾ ابن عبّاسٍ: هو تحيّةُ بعضِهم بعضًا: عِشْ ألفَ عامٍ[3].

والألفُ: عشرُ مئاتٍ في عقدٍ، وأصلُه من التَّأليف، وهو ضمُّ شيءٍ إلى شيء.

---

(١) تفسير الناس بالعرب هنا يحتاج إلى تأمُّلٍ، ولعلَّه منبنٍ على تفسير الذين أشركوا بالمجوس الأعاجم، فلا يعود في الآية تخصيص بعد تعميم على ما ذهب إليه الأكثرون. انظر: «تفسير الراغب الأصفهاني» (١/ ٢٦٨).

(٢) «حياة»: ليس في (و).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٢٧٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٧٩)، والحاكم في «المستدرك» (٣٠٤٤)، ولفظ الحاكم: «هو قول الأعاجم إذا عطس أحدهم: ده هز أرسال»، وهو كلام فارسي، ومعناه: عش ألف سنة. وهذا ما يبرِّر ترجيح الكرماني وبعض المفسرين أن المراد بالمشركين في هذه الآية المجوس.

﴿وَمَا هُوَ﴾ قيل: كنايةٌ عن (أحد) المتقدِّم[١] ذكرُه.

وقيل: كنايةٌ بشريطةِ التَّفسير، وتفسيرُه: ﴿أَن يُعَمَّرَ﴾، وفيه ضعفٌ.

وقيل: كنايةٌ عن الأمرِ والشَّأن[٢]، والباء يأباه[٣].

والمعنى: ما أحدٌ ﴿بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ﴾: تعميره ألفَ سنةٍ، والزَّحزحةُ: الإبعادُ، من قوله: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

وقيل: الوقفُ[٤] عند قوله: ﴿عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾، على تقدير: ومن الذين أشركوا مَن يودُّ. وهذا لا يجوزُ عند البصريِّين[٥].

وقيل: ومن الذين أشركوا قومٌ يودُّ. وهذا أيضًا بعيدٌ[٦]؛ لأنَّ النَّكرة إذا حُذفت أُقيمَ مقامَها اسمٌ مثلُها.

وقيل: في الآية تقديمٌ وتأخيرٌ؛ أي: ولتجدنَّهم ومن الذين[٧] أشركوا أحرصَ النّاس.

---

(١) في (و): «المقدم».

(٢) «والشأن»: ليس في (ن).

(٣) أي: الداخلة على كلمة (مزحزحه) تمنع هذا الوجه، وهذا الوجه ذكره أبو علي الفارسي، وعدَّه المصنِّف من العجائب، وضعَّفه أبو حيان، ورجَّح الوجه الأوَّل الذي قدَّمه المصنِّف. انظر: «غرائب التفسير» (١/ ١٦٠)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (١/ ٥٠٥).

(٤) في (و): «الوقوف».

(٥) لأنه من باب حذف الموصول وإبقاء الصلة. انظر: «غرائب التفسير» (١/ ١٦٠).

(٦) لأنه من باب حذف الموصوف وإبقاء الصفة، وقد أجازه النحاس لغةً، لكنَّه ذكر أنَّ المعنى يأباه، أمّا المصنِّف ففرَّق بين الصفة إذا كانت اسماً فيجوز حذف موصوفها وإبقاؤها مكانه، وبين الصفة إذا كانت جملة فلا يجوز ذلك. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٦٩)، و«غرائب التفسير» (١/ ١٦٠).

(٧) في (و): «والذين».

﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ﴾: عالمٌ ﴿بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾: بعمل هؤلاء الكفّار، فيجازيهم على فعلهم.

***

(٩٧) - ﴿قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

﴿قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ﴾ قال ابن عبّاس: إنَّ حبرًا من أحبار اليهود، يُقال له: عبد الله بن صُوريا حاجَّ النَّبيَّ ﷺ وسألَه عن أشياءَ، فلمّا اتَّجهت الحجّةُ عليه قال: أيُّ مَلَكٍ يأتيك من السَّماء؟ قال: جبريل، ولم يبعث الله نبيًّا إلَّا وهو وليُّه، قال: ذلك عدوُّنا من الملائكة، ولو كان ميكائيلَ[1] مكانَه آمنّا بك، إنَّ جبريلَ ينزلُ بالعذاب والقتال، وإنَّه عادانا مرارًا كثيرةً، وكان أشدَّ ذلك[2] علينا أنَّ الله أنزل على نبيِّنا أنَّ بيتَ المقدس سيخرب على يدي رجلٍ يُقالُ له: بُختَنصَّر، وأخبرنا بالحينِ الذي يخربُ فيه، فلمّا كان وقتُه بعثنا رجلًا من أقوياءِ بني إسرائيلَ في طلبِ بُختنصَّرَ ليقتلَه، فانطلقَ يطلبُه حتى لقيَه ببابلَ غلامًا مسكينًا ليسَت له قوّة، فأخذَه صاحبُنا ليقتلَه، فدفعَ عنه جبريل، وقال لصاحبِنا: إنْ كان ربُّكم هو الذي أذِنَ لهذا[3] في هلاكِكم فلن تسلَّطَ عليه، وإنْ لم يكن هذا فعلى أيِّ ذَنْبٍ تقتلُه؟ فصدَّقَه صاحبُنا ورجعَ إلينا، فكَبِرَ بُختنصَّر وقَوِي، وغزانا وخرَّبَ بيتَ المقدس، ولهذا نتَّخذُه عدوًّا. فأنزلَ اللهُ هذه الآية[4].

---

(١) في (و): «وغيره من الملائكة».

(٢) في (ن): «من ذلك».

(٣) في (و): «أذن لهذا».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٤٥٥)، والواحدي في «أسباب النزول» (١/ ٣٠)، وقال ابن حجر =

مقاتلٌ: قالت اليهود: إنَّ جبريلَ عدوُّنا، أُمِرَ أنْ يجعلَ النُّبوّةَ فينا فجعلَها في غيرِنا، فأنزل الله هذه الآية[1].

﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾: مُبغِضًا، واشتقاقُه من (عَدوَتي الوادي)، والمعاداةُ: المحادّةُ[2] والمشاقّةُ.

وجبرئيل: اسمٌ أعجميٌّ[3] لا ينصرفُ، وفيه[4] لغاتٌ[5].

وقيل: (جبر): هو العبدُ بالسُّريانيّة، و(أيل): اسمُ الله.

وكذلك ميكائيل[6].

= في «العجاب في بيان الأسباب» (١/ ٢٩٧): (يتعجب من جزمه ـ أي: الواحدي ـ بهذا عن ابن عباس مع ضعف طريقه؛ فإنه من تفسير عبدالغني بن سعيد الثقفي، وقد قدَّمت أنه هالك).
هذا وقد نقل الطبري في «تفسيره» (٢/ ٢٨٣) الإجماعَ على سبب نزول الآية فقال: (أجمع أهل العلم بالتأويل جميعًا على أن هذه الآية نزلت جواباً لليهود من بني إسرائيل، إذ زعموا أن جبريل عدوٌّ لهم، وأن ميكائيل وليٌّ لهم. ثم اختلفوا في السبب الذي من أجله قالوا ذلك).

(١) انظر: «تفسير مقاتل بن سليمان» (١/ ١٢٥).

(٢) في (ن): «كالمحادة».

(٣) في (ن): «عجمي».

(٤) في (و): «وفيها».

(٥) وقد اختلف القراء في قراءة ﴿جبريل﴾؛ فقرأ ابن كثير بفتح الجيم وكسر الراء من غير همز، وقرأ حمزة والكسائي وخلف بفتح الجيم والراء وهمزة مكسورة، واختلف عن أبي بكر، وقرأ الباقون بكسر الجيم والراء من غير همزة. انظر: «النشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٩).

(٦) اختلف القراء أيضاً في قراءة ﴿ميكائيل﴾؛ فقرأه البصريان وحفص: ﴿ميكال﴾ بغير همز ولا ياء بعدها، وقرأه المدنيان بهمزة من غير ياء بعدها، واختلف عن قنبل؛ فرواه ابن شنبوذ عنه كذلك، ورواه ابن مجاهد عنه بهمزة بعدها ياء كالباقين. انظر: «النشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٩).

وجوابُ الشَّرط مُضمرٌ؛ قيل: هو: فَلْتَمُتْ غيظًا.

وقيل: جوابُه: فإنِّي له صديقٌ يأتيني بالوحي.

وقيل: جوابه: فإنَّه رسولُ الله إليك[1]؛ شاؤوا أم كرهوا.

﴿فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ﴾ ابن عبّاسٍ: فإنَّ جبريلَ نزَّلَ القرآن[2]. وقيل: فإنَّ اللهَ نزَّلَ جبريلَ.

﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾: خصَّ القلبَ لأنَّه محلُّ الحفظِ، كقوله: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [الشعراء: ١٩٣]، وقيل: على عقلِك.

﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: بأمرِه، وتأتي بمعنى: علمِه.

﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتاب، ﴿وَهُدًى﴾ لمن اتَّبعه، ﴿وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ بالجنّة.

* * *

(٩٨) ـ ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾.

﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾: خُصّا بالذِّكرِ بعدَ العموم لشرفِهما، ولأنَّ ذكرَهما[3] في سببِ النّزول.

وجوابُ الشَّرط مُضمَرٌ تقديرُه: فهو كافرٌ، ودلَّ عليه قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾.

---

(١) «إليك» من (ن).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٢٩٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٨٠).

(٣) أي: ولأنهما ذُكرا في سبب النزول.

قال الشَّيخ رحمه الله: الواو هاهنا بمعنى التَّفصيل؛ أي: مَن كان عدوًّا لأحد هؤلاء.

ابن عيسى: الواو هاهنا بمعنى: (أو)، وليس للجمع؛ لأنَّ ذلك يجري مَجرى التَّسهيلِ بعداوةِ الواحدِ منهم إذا انفردَ[1]، ولا يجوزُ ذلك.

***

(٩٩) ـ ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ ابن عبَّاسٍ: هذا جوابٌ لابن صُوريا حيثُ قال لرسول الله ﷺ: يا محمَّدُ[2]، ما جئتنا بشيءٍ نعرفُه، وما أُنزِلَ عليك من آيةٍ بيِّنةٍ[3] فنتَّبِعَك لها، فأنزل الله تعالى هذه الآية[4].

والآياتُ البيِّناتُ: هي المعجزاتُ، وقيل: هي القرآنُ، وقيل: هي الشَّرائعُ والفرائضُ[5].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ١٦٠)، وذكره الواحدي في «الوجيز» (ص: ١٢٠)، والبغوي في «تفسيره» (١/ ١٢٥) بلا نسبة، ويعدُّ هذا القول للرماني غريباً؛ لأنه يحمل معنى الواو على حرف آخر، ولأنَّ معنى التفصيل الذي ذكره المصنِّف، أو التقسيم كما يسميه النحويون المتأخرون عنه، يخرج من الإشكال الذي يدلُّ عليه معنى الجمع، ولذلك وافق المرادي وابن هشام المصنِّف في ترجيحه. انظر: «الجنى الداني» للمرادي (ص: ١٦٦)، و«مغني اللبيب» لابن هشام (ص: ٤٦٨).

(٢) «يا محمد» من (ن).

(٣) «بينة»: ليس في (ن).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٣٠٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٨٣).

(٥) في (و): «الفروض».

﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ﴾: قيل: هم اليهود، وقيل: هم الفاسقونَ عن أديانِهم؛ أي: الخارجون منها.

***

(١٠٠) ـ ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ﴾ يعني: اليهود.

﴿عَهْدًا﴾: هو ما عُهِدَ[١] إليهم في التَّوراةِ من الإيمانِ بمحمَّدٍ ﷺ، وقيل: ما عاهدوا[٢] مع النَّبيِّ ﷺ بأن لا يُعينُوا عليه، فنقضُوا، وأعانُوا عليه قريشًا.

﴿نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾: تركَه وألقاه.

قتادة: نقضَه[٣].

والنَّبْذ: الطَّرْحُ على وجهِ الاستحقارِ له.

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: كفرَ فريقٌ بنقضِ العهدِ، وكفرَ أكثرُهم بجحدِ الحقِّ.

***

(١٠١) ـ ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ يعني: محمَّدًا.

---

(١) في (ن): «عاهد».

(٢) كذا في (ن)، وفي (و): «عهدوا مع»، وتعدي الفعلين بـ(مع) لا يخلو من إشكال، والله أعلم.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٣٠٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٨٤).

وقيل: الرَّسولُ هاهنا: الرِّسالةُ، قال:

فَقَدْ كَذَبَ الواشونَ ما بُحْتُ عِنْدَهُمْ بِلَيْلَى ولا أَرْسَلْتُهُمْ بِرَسُولِ[١]

والمرادُ بها: الكتابُ؛ فإنَّ قوله: ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ صفةٌ للكتابِ[٢] في مواضعَ[٣].

﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ يعني: التَّوراة.

﴿كِتَابَ اللَّهِ﴾ ابن عبَّاسٍ: القرآن.

وقيل: التَّوراة؛ لأنَّهم لمّا لم يعملوا به، فقد نبذوه.

﴿وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾؛ أي: خلفَهم، وهي عبارةٌ عن التَّضييع.

﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾؛ أي: ما أُمروا به من اتِّباع محمَّدٍ ﷺ.

***

(١٠٢) ـ ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

---

(١) البيت لكثير. انظر: «ديوانه» (ص: ١١٠)، وجاء في بعض المصادر: «بسوء» في موضع: «بليلى».

(٢) في (و): «الكتاب».

(٣) من مثل قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [البقرة: ٨٩]، ويُلاحظ أنَّ الكرماني يميل إلى تقديم تفسير القرآن بالقرآن، ويستشهد لصحة المعنى بوروده في آيات مشابهة، وهذا معلَم مهم من معالم منهجه، فهو ينظر إلى القرآن الكريم نظرة كليّة.

﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ السُّدِّيُّ: نبذوا التَّوراة واتَّبعوا السِّحرَ[١].

ومعنى: ﴿تَتْلُواْ﴾ قال ابن عبّاسٍ: تتبعُ[٢]، من (التُّلُوّ).

قتادة: تقصُّ وتقرأ[٣]، من (التِّلاوة).

﴿عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾؛ أي: في عهدِه وزمانِه، كما تقولُ: كان هذا على عهدِ فلانٍ وزمانِه، وفي عهدِه وزمانِه. قال:

فَهْـيَ علـى الأُفْـقِ كَعَيْـنِ الأَحْـوَلِ[٤]

وقيل: ﴿تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾؛ أي: تكذبُ عليه، كما يقالُ: قال عليه، وروى عليه؛ إذا كذبَ، قال:

ومـا كلُّ مَـنْ يَظنُّنـي أنـا مُعْـتِبٌ … وما كلُّ مـا يُـرْوَى علـيَّ أقـولُ[٥]

الزَّجّاج: ما كانت تتلوا[٦].

---

(١) في (و): «السحرة». والأثر رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٣١٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٨٤).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٣٢٠).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٤٧٢) عن الحسين بن الفضل.

(٤) من أرجوزة لأبي النَّجم العجلي يصفُ بها الشمس، وصدر البيت:

صغـواءُ قـد كادَتْ ولـمّا تفعـلِ

انظر: «ديوان أبي النجم» (ص: ٢٤)، و«الشعر والشعراء» لابن قتيبة (٢/ ٥٨٩)، و«الكامل» لابن المبرد (٣/ ٧١).

(٥) البيت بلا نسبة في: «معاني القرآن» للفراء (١/ ١٤٠)، و«غريب الحديث» لأبي عبيد (٥/ ٥١٦)، و«الألفاظ» لابن السكيت (ص: ١٨١)، و«الصحاح» للجوهري (٦/ ٢١٦٠).

(٦) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ١٨٣).

«الحجّة»: ﴿تَتْلُوا﴾ حكاية حال، كما تقول: رأيت زيدًا أمسِ يقرأ[١].

وقيل: مستقبلٌ وقعَ موقعَ الماضي، كقولِ الشّاعرِ يرثي:

فانْضَحْ جَوانِبَ قَبْرِهِ بِدِمائِها فلقَدْ يكونُ أخا دمٍ وذَبائِحِ[٢]

أي: كان.

﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ﴾ ابن عبَّاسٍ والحسن: قالت اليهود: إنَّما مَلَكَ سليمانُ الجنَّ والإنسَ والطَّيرَ بالسِّحر[٣].

قال ابن إسحاق[٤]: قال بعضُ أحبار اليهود لـمّا ذكرَ النَّبيُّ ﷺ سليمانَ النَّبيَّ وعدَّه في جملةِ الأنبياءِ: إنَّ محمَّدًا يزعمُ أنَّ سليمانَ كان نبيًّا! واللهِ ما كان إلّا ساحرًا، فأنزلَ الله تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ﴾، فبرَّأه من السِّحرِ والكفر[٥].

﴿وَلَكِنَّ الشَّيَطِينَ كَفَرُوا﴾ وذلك أنَّ الشَّياطين عمَدوا إلى كتابٍ، فكتبوا فيه السِّحرَ والكهانةَ والنِّيْرَنْجات[٦]، فدفنوه تحتَ مجلسِ سليمانَ عليه السَّلام من غيرِ علمِه، فلمّا فارقَ الدُّنيا استخرجوا ذلك السِّحرَ وخدعوا به النَّاس، وقالوا: هذا عِلمٌ كان سليمانُ يكتمُه ويحسدُ النّاس عليه.

---

(١) في (و): «يقول».

(٢) البيت لزياد الأعجم. انظر: «ديوانه» (ص: ٥٤).

(٣) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٣٢٣-٣٢٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن سعيد بن جبير وقتادة، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٨٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) في النسخ الخطيّة: «أبو إسحاق»، والمثبت موافق لمصادر التخريج.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٣١٦) عن ابن إسحاق، وروى نحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٨٧)، وابن هشام في «السيرة النبوية» (١/ ٥٤٤).

(٦) النيرنجات، أو النيرنجيات: تشبيه وتلبيس كالسحر، وليس به. انظر: «تاج العروس» للزبيدي مادة: (ن ر ج).

وقيل: إنَّ الشَّياطين كانوا يسترقون السَّمعَ، ويستخرجون السِّحر، فجمعَ سليمانُ تلك الكتبَ وأخرجَها من أيديهم ودفنَها في خزانتِه؛ لئلّا يُعْمَل به[١]، فلمّا مات سليمانُ دلَّت الشَّياطينُ النّاسَ على تلك الكتب، وقالت: بهذا كان يتمُّ ملكه، فقَبِلتْه اليهودُ، وشاعَ فيهم السِّحر.

﴿يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ قيل: ألقوه في قلوبهم فعلموه[٢]، وقيل: دلُّوا النّاسَ على تلك الكتبِ فأخرجوها، واشتغلوا بتعلُّمها.

والسِّحرُ: قيل: هو قلبُ الأعيانِ واختراعُها، وتغييرُ صورِ النّاس، وفعلُ المعجزاتِ، كالطَّيران وقطع المسافات[٣] في ليلةٍ واحدة.

قال القفّال[٤]: ومَن يدَّعي هذا فهو كافرٌ، وكذلك مَن يصدِّقُ به؛ لأنَّه لا يتميَّزُ عنده[٥] السِّحرُ من علامات النُّبوّة[٦].

وقيل: هو خدعٌ وتمويهاتٌ ومخاريقُ وشعوذةٌ يُخيِّلُ إلى المسحور أنَّ لها

---

(١) في (و): «يعمل عليه».

(٢) في (ن): «فتعلموه».

(٣) في (و): «المسافة».

(٤) هو الإمام محمد بن علي بن إسماعيل أبو بكر الشاشي الفقيه الشافعي المعروف بالقفال الكبير، وُلد سنة ٢٩١هـ، كان إمام عصره بما وراء النهر، فقيهاً، محدِّثاً، مفسِّراً، أصولياً، لغوياً، شاعراً، لم يكن للشافعيّة بما وراء النهر مثله في وقته، صنَّف في التفسير والأصول والفقه، وقال النووي: القفّال الكبير، يتكرَّر ذكره في التفسير والحديث والأصول والكلام، بخلاف القفّال الصغير المروزي، فإنه يتكرر في الفقه خاصة. انظر: «تهذيب الأسماء واللغات» للنووي (٢/ ٢٨١)، و«طبقات المفسرين» للسيوطي (١/ ١٠٩)، و«طبقات المفسرين» للداودي (٢/ ١٩٨).

(٥) «عنده»: من (ن).

(٦) نقله المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ١٦٢).

حقيقةً كقوله عزَّ وجلَّ: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: ٦٦]، كالسَّرابِ أغرَّ مَن رآه، وأخلفَ مَن رجاه[١].

وصاحبُ هذه فاسقٌ؛ لأنَّه مُخبِرٌ أنَّه مموِّه.

وقيل: هو أخذٌ بالعينِ على جهةِ الحيلةِ، كقوله: ﴿سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الأعراف: ١١٦] الآية.

قيل: ومنه ما يكونُ كالتَّضريبِ بين النّاسِ[٢] والنَّميمةِ والباطل، حتَّى يتوهَّمَ المبلَّغُ أنَّ ذلك حقٌّ.

وقيل: إنَّه[٣] ضَرْبٌ من خدمةِ الجنِّ[٤].

﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾: الجمهور أنَّ (ما) بمعنى الذي، وهو نصبٌ عطفًا عند بعضهم على ﴿مَا تَتْلُواْ﴾، وعند بعضهم على ﴿ٱلسِّحْرَ﴾.

وقيل: محلُّه جرٌّ عطفاً على ﴿مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾.

الحسن والرَّبيع: ﴿مَا﴾ نفيٌ؛ أي: ولم ينزل على الملكين[٥].

وكلا القولين عن ابن عبّاسٍ[٦].

---

(١) في (و): «من جاءه».

(٢) أي: إيقاع الفتنة بينهم.

(٣) «إنه» من (ن).

(٤) أخذ أبو حيان هذه الأقوال عن الكرماني في أغلب الظن. انظر: «البحر المحيط» (١/ ٥٢٥).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٣٣١) عن الربيع، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٨٨) عن أبي العالية، وقال: وروي عن خالد بن أبي عمران، والربيع بن أنس نحو ذلك.

(٦) روى معنى الأول: الطبري في «تفسيره» (٢/ ٣٣٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٨٨)، وروى الثاني: الطبري في «تفسيره» (٢/ ٣٣١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٨٨).

ومَن جعل ﴿مَا﴾ إثباتًا قال: لـمّا كَثُرَ السِّحرُ والتَّمويهُ بين النّاس التبسَ أمرُ الأنبياء، فبعث اللهُ ملكين يبيِّنان للنّاس ماهيّة السِّحر، وممَّ يكون، وكيف يكون، والوجوه التي منها يَتوصَّلُ السَّحرةُ إلى الاحتيالِ على الجهّال؛ ليستخفَّ النّاسُ بالسِّحرِ ويعرفوا حقيقتَه، وكانا لا يعلِّمان أحدًا[1] السِّحرَ ولا يصفانه ولا يكشفان وجوهَ الاحتيالِ فيه حتى يبذلا له النَّصيحةَ فيقولا: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾؛ أي: نحن محنةٌ لك فلا تكفر؛ أي: فلا تستمعْه لتستعملَه فيما نُهِيْتَ عنه، ولكن إذا وَقَفْتَ عليه تحرَّزْ من أن ينفُذَ لساحرٍ عليك تمويهٌ، واعلم أنَّهم مبطِلون.

وقيل: إنَّ اللهَ امتحنَ النّاسَ بالملَكَين في ذلك الوقت، وجعل المحنةَ في الكفرِ والإيمانِ أن يَقْبَلَ القابلُ تَعَلُّمَ السِّحر؛ فيكفرَ بتعلُّمِه، ويؤمنَ بترك التَّعلُّم، ولله أن يمتحنَ عبادَه بما شاء.

وما ذكره الثَّعلبيُّ وغيره أنَّهما ملَكان اختارهما الملائكةُ للتَّكليف لـمّا أمرهم اللهُ بذلك حين قالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠] وأنَّه ركَّبَ الشَّهوة فيهما، وكانا يحكمان بين النّاس، فجاءتهما زهرةُ فافتتنا بها، وشربا الخمر وزنيا وقتلا، وعلَّما زهرةَ ما صعدَتْ به إلى[2] السَّماء، ومُسِخَتْ كوكبًا، وخُيِّرا بين عذاب الدُّنيا وعذاب الآخرة، فاختارا عذاب الدُّنيا على الآخرة، وهما يعلِّمان النّاس السِّحرَ[3] = فكلامٌ غيرُ مرضيٍّ عند المحقِّقين منهم، ومرضيٌّ عند[4] بعضهم.

---

(١) في (و): «أحدًا إلا».

(٢) «إلى» من (ن).

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (٣/ ٤٨٦).

(٤) في (و): «على».

ومَن جعل ﴿مَا﴾ نفيًا قال: زعم سحرةُ اليهود أنَّ الله أنزل السِّحرَ على لسان جبريلَ وميكائيلَ إلى سليمان، فكذَّبهم اللهُ وأنزلَ: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾، ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾.

﴿بِبَابِلَ﴾: ابن مسعود[١]: بابل هي الكوفة وسوادها[٢]، قتادة: نصيبين[٣]، وقيل[٤]: جبلُ دماوند[٥]، وقيل: هي هَدّة في[٦] الأرض.

﴿هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ﴾: عائشة: هما الملَكان، مَن دنا منهما يسمعُ كلامَهما ولا يراهما[٧].

السُّدِّيُّ: رجلان[٨]، وقيل: شيطانان؛ فهما بدلٌ من ﴿ٱلنَّاسَ﴾ في قوله: ﴿يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ﴾، أو من قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ﴾.

وقيل: هما جبريل وميكائيل خاصّةً، فيكونان بدلًا من: ﴿ٱلْمَلَكَيْنِ﴾.

---

(١) «ابن مسعود» من (ن).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ١٦٨)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٩٦).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ١٦٨)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٩٦).

(٤) في (و): «وهي» بدل «وقيل».

(٥) دماوند: لغة في دنباوند، ودباوند، جبل قرب الري وكورة. انظر: «معجم البلدان» لياقوت (٢/ ٤٦٢).

(٦) في (ن): «من».

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٣٣٢-٣٣٣) عن عبد الله بن مسعود وقتادة وابن زيد، و(٢/ ٣٤١-٣٤٨) عن ابن عباس وعلي بن أبي طالب وابن عمر رضي الله عنهم وكعب الأحبار والسدي والربيع ومجاهد.

(٨) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٤٨٠) عن ابن عباس والحسن والضحاك ويحيى بن أبي كثير.

الضَّحّاك: عِلْجان[١].

﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ﴾: ﴿مِنْ﴾ زيادةٌ؛ أي: وما يعلِّمان أحدًا، و﴿أَحَدٍ﴾ هنا للعموم، كقوله: ﴿مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٧].

﴿حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾: بلاءٌ واختبارٌ.

﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾؛ أي: بتعلُّمِه، وقيل: بالعملِ به.

هذا إذا جعلته كنايةً عن الملَكَين؛ لأنَّ الملَكَين كانا يعلِّمان النّاس ما[٢] السِّحر، ويأمران باجتنابه، ومَن جعله كنايةً عن الشَّيطانَين أو الرَّجلَين فإنَّ المعنى بقوله: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ معنى كلام الخليع الضّالِّ؛ أي: أنا في ضلالٍ فلا تُرِدْ ما أنا فيه.

﴿فَيَتَعَلَّمُونَ﴾ الزَّجّاج: هو عطفٌ على المعنى؛ أي: فيأبون فيتعلَّمون[٣].

وقيل: عطفٌ على قوله: ﴿يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ فيتعلَّمون.

وقيل: عطفٌ على قوله: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ﴾ فيتعلَّمون.

﴿مِنْهُمَا﴾: قيل: من[٤] هاروت وماروت، وقيل: من الكُفْر والسِّحْر.

قال الشَّيخ[٥]: ويحتمل أن يكون كنايةً عن السِّحر وعمّا أُنزِل على الملَكَين.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٤٨١) عن الحسن، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ١٦٥) عن أبي الأسود الدؤلي.

(٢) في (ن): «ماهية».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ١٨٥).

(٤) «قيل من» من (ن).

(٥) «قال الشيخ»: ليس في (ن).

قال ابن جريرٍ: مَن جعل ﴿مَا﴾ جحدًا والملَكَين جبريل وميكائيل، جعل (مِن) في قوله: ﴿مِنْهُمَا﴾ بمعنى المكان والبدل[1]، كقول الشّاعر:

فَلَيْتَ لنا مِنْ ماءِ زَمْزَمَ شَرْبةً مُبَرَّدةً باتَتْ على طَهَيانِ[2]

فيكون التَّقدير: فيتعلَّمون مكانَ ما علَّماهُم.

﴿مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ قتادة: يُؤْخَذُ كلُّ واحدٍ عن صاحبِه ويبغِّضُه إليه[3].

القفّال وابن عيسى: إذا عمل بالسِّحر كفر، فحَرُمَتْ عليه زوجتُه[4].

﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ﴾: بالسِّحر ﴿مِنْ أَحَدٍ﴾: أحدًا ﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: بعلمِه.

والإِذْنُ والأَذَنُ لغتان كالشِّبْهِ والشَّبَهِ، وقيل: الأَذَنُ المصدر، والإِذْنُ ـ بالكسر ـ الاسمُ، كالحَذَرِ والحِذْرِ.

﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ في الآخرة.

﴿وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ﴾: اختاره، وقيل: كنايةٌ عن السِّحر، وقيل: عن الكفر.

﴿مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾: دينٍ[5]، الحسن: خيرٍ، وقيل: نصيبٍ[6].

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢/ ٣٣٧).

(٢) نسب البيت للأحول الكندي، كما في «تهذيب اللغة» للأزهري مادة: (ط ه و)، و«معجم البلدان» لياقوت (٤/ ٥٢). ويروى: (حمنان) بدل (زمزم)، وقد تقدم.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٣٥٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٩٣).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ١٦٥).

(٥) «دين» من (ن).

(٦) في (و): «الحسن من خير وقيل من نصيب».

﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾: اشتروا به أنفسهم، وقيل: باعوا به أنفسهم السِّحر والكفر.

﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ وإنَّما قال: ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ مع قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا﴾ لأنَّهما فريقان؛ فريقٌ علموا وعاندوا، وفريقٌ ضيَّعوا وجهلوا.

وقيل: الأوَّلُ للمعلِّمين، والثّاني للمتعلِّمين.

* * *

(١٠٣) ـ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ﴾: أنَّ اليهود ﴿ءَامَنُوا﴾ بمحمَّدٍ ﷺ ﴿وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ﴾؛ أي: لأثيبوا ﴿مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ ما هو ﴿خَيْرٌ﴾ لهم، مصدرٌ[1] وقعَ موقعَ الماضي.

الفرّاء: تقديره: لو كانوا يعلمون لآمنوا؛ أي: ليس ذلك فعلَ مَن يعلم[2]، والله أعلم.

* * *

(١٠٤) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَٰعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَٰعِنَا﴾ عن ابن عبّاسٍ: أنَّ العرب كانت تتكلَّم بها، فلمّا سمعتهم[3] اليهودُ يقولونها للنَّبيِّ ﷺ أعجبَهم ذلك، فكان (راعنا)

---

(١) الكلام عائد على ما سبق؛ أي: (مثوبة) وقعت موقع (أثيبوا).

(٢) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ١٨٩) دون نسبة.

(٣) في (و): «سمعت».

في لغة[١] اليهود: السَّبَّ القبيح، وقالوا: كنّا نسبُّ محمَّدًا سرًّا، والآن أعلِنوا السَّبَّ لمحمَّدٍ ﷺ؛ لأنَّه من كلامهم، فكانوا يأتون النَّبيَّ ﷺ فيقولون: يا محمَّد راعنا، ويضحكون، ففطِنَ بها رجلٌ من الأنصار، وهو سعد بن عبادة، وكان عارفًا بلغة اليهود فقال: يا أعداء الله، عليكم لعنة الله، والذي نفسُ محمَّدٍ بيده لئن سمعْتُها من رجلٍ منكم لأضربنَّ عنقَه، فقالوا: ألستم تقولونها له؟ فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا﴾[٢].

السُّدِّيُّ: كان القائل لها رجلًا من اليهود يُقال له: رفاعة بن زيد[٣].

و(راعنا) لفظُ أمرٍ من (راعى يراعي)[٤]، تقول العرب: أَرْعِني سمْعَك وراعني؛ أي: استمع منِّي، فذهبَت اليهودُ به إلى معنى الرُّعونة، وهو الاضطراب.

قال القفّال: كانوا يقولون: راعونا، يوهمون التَّعظيم، كقوله: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٩]، وهو (فاعولا) من (الرُّعونة) كعاثورا[٥]، فنهاهم الله عن هذه اللَّفظة التي تجد اليهودُ إلى تحريفها سبيلًا[٦]، من قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ﴾ الآية.

وقرأ ابن مسعودٍ: (راعونا)[٧].

---

(١) في (ن): «كلام».

(٢) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٣).

(٣) في (و): «يزيد». رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٣٧٧)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٧٣٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٩٨).

(٤) في (و): «ولفظ راعنا أمر راعي».

(٥) هو المكان الوعر الذي يُعثر فيه، واستعير للورطة، فقيل: وقع فلان في عاثور شرٍّ.

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ١٦٦).

(٧) نسبت إلى ابن مسعود رضي الله عنه في «المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ١٦)، و«تفسير الطبري» (٢/ ٣٧٧).

قال عطاءٌ: ﴿لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا﴾؛ أي: خلافًا[١]، ولعلَّه أراد: (راعنًا) كقراءة الأعمش[٢]، فأجرى الوصلَ مجرى الوقف[٣].

ابن عبَّاسٍ ومجاهدٌ: نُهوا عنها لأنَّها لفظةٌ تُنبِئ عن المساواة، والمسلمون مأمورون بأن يخاطِبوا الرَّسولَ ﷺ بما فيه خضوعٌ وخشوعٌ وتذلُّلٌ[٤].

يقوِّيه قولُه: ﴿لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ﴾ [النور: ٦٣] الآية، وقولُه: ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ﴾ [الحجرات: ٢] الآية.

وقيل: هذه كلمةٌ تقولها الأنصار في الجاهليّة، فنُهوا عنها في الإسلام، فالنَّهيُ وقع على اللَّفظِ دون المعنى، ومثلُه قولُه ﷺ: «لا تسمُّوا العنبَ كرمًا»[٥].

وقيل: عنَوا بـ(راعنا): يا راعي إبلنا.

﴿وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا﴾؛ أي: وقولوا بدلَ (راعنا): انظرنا.

مجاهد: معناه: بيِّن لنا[٦].

وقيل[٧]: انظر إلينا.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٣٧٣).

(٢) نسبت للأعمش في «الكامل في القراءات» لليشكري (ص: ٤٩٠)، و«زاد المسير» لابن الجوزي (١/ ٩٧)، ونسبت لغيره أيضًا.

(٣) في حذف التنوين.

(٤) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (١/ ٧٣) عن مجاهد، وذكر نحوه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٣٧٧) دون نسبة، وروى نحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٩٧) عن مفضل بن فضالة.

(٥) رواه البخاري (٦١٨٢)، ومسلم (٢٢٤٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٣٨٣)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٧٣٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٩٨).

(٧) «أي وقولوا بدل راعنا انظرنا، مجاهد معناه بين لنا وقيل» من (ن).

وقيل: ﴿ٱنظُرۡنَا﴾: توقَّف علينا حتى نفهمَ ما تقول ونحفظه، وقيل: حتى نسألَك عن جميع مشكلاتنا، كقوله: ﴿ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ﴾ [الحديد: ١٣].

﴿وَٱسۡمَعُواْ﴾ الحسن: ما يأتيكم به الرَّسول(١)، وقيل: اقبلوا ما يأمركم به.

﴿وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾: مؤلمٌ.

* * *

(١٠٥)ـ ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾.

﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ قال المفسِّرون: إنَّ المسلمين كانوا إذا قالوا لحلفائهم من اليهود: آمِنوا بمحمَّدٍ ﷺ قالوا: ما هذا الذي تدعوننا إليه بخيرٍ ممّا نحن فيه، ولوددنا لو كان خيرًا، فأنزل الله تكذيبًا لهم: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بمحمَّدٍ ﷺ ﴿مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ يعني: اليهود والنَّصارى ﴿وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾؛ أي: لا يحبُّون ولا يتمنَّون ﴿أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ﴾ من الحكمة والقرآن والنَّصر والغَلَبة.

﴿مِّن رَّبِّكُمۡ﴾: من عند ربِّكم.

﴿وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾: بنبوَّته وحكمته ونُصرته مَن يشاء.

﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾: الثَّواب الكثير.

والاختصاصُ بالشَّيء: الانفرادُ به.

* * *

(١) روى نحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٩٨).

(١٠٦) ـ ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾ قال المفسِّرون: إنَّ المشركين قالوا: ألا ترون إلى محمَّدٍ ﷺ يأمرُ أصحابَه بأمرٍ ثم ينهاهم عنه ويأمرُهم بخلافه، ويقولُ اليومَ قولًا ويرجعُ عنه غدًا، ما هذا القرآنُ إلَّا كلامُ محمَّدٍ يقوله من تلقاء نفسِه، وهو كلامٌ يناقضُ بعضُه بعضًا، فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً﴾ [النحل: ١٠١] الآية، وأنزل أيضًا: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾.

والنَّسخُ: الرَّفعُ للشَّيء قد كان يلزم العملُ به إلى مدّةٍ يبدَّلُ منه، وكلُّ شيءٍ خلَفَ شيئًا فقد انتسخَهُ، ونسخَتِ الشَّمسُ الظِّلَّ وانتسخَتْه؛ إذا أزالَتْه وحلَّتْ محلَّه، ومنه (نسخْتُ الكتاب)؛ إذا نقلْتُه من نسخةٍ إلى نسخةٍ.

وأجمعَتِ الأمّةُ على أنَّ في القرآن النَّاسخَ والمنسوخَ إلّا شِرذمةً قليلين سلكوا غيرَ سبيلِ الحقِّ، فأنكروا أنَّ في القرآن[١] ناسخًا ومنسوخًا[٢].

والنَّسخُ يقع في الأمر والنَّهي وما في معناهما، ومنهم مَن أجاز النَّسخَ في الأخبار، وهذا في العِظَمِ كالإنكارِ[٣] للنّاسخ والمنسوخ أصلًا[٤].

---

(١) «الناسخ والمنسوخ إلا شرذمة قليلين سلكوا غير سبيل الحق فأنكروا أن في القرآن» من (ن).

(٢) وهم طائفة قليلون من المعتزلة، كما في «البحر المحيط» (٥/ ٢٠٨).

(٣) في (ن): «كإنكار».

(٤) لأنه يفضي إلى الكذب، لكن إن كان مما يصح تغييره بأن يقع على غير الوجه المخبر عنه، فهو موضع الخلاف، وقد ذهب أبـو عبد الله وأبو الحسين البصريان، والقاضي عبد الجبار، والإمام الرازي إلى جوازه، كما في «البحر المحيط» (٥/ ٢٤٥).

ومنهم مَن قال: إنَّ ذلك إلى الإمامِ ينسخُ ما يشاء، وهو ثالث ثلاثةٍ مبتدعين[١].

والنَّسخ في القرآن على وجوهٍ:

أحدها: أن يكون المنسوخُ ثابتًا في المصحف متلوًّا، نحو قوله: ﴿فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ﴾ [السجدة: ٣٠]، ﴿فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ﴾ [الزخرف: ٨٩]، و﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦]، وما أشبهَ ذلك، فإنَّها منسوخةُ الحكم بآية السَّيف، وهي قوله: ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [التوبة: ٥] وهذا الوجهُ هو المطَّردُ في القرآن.

والثاني: أن يكون اللَّفظُ منسوخًا غيرَ ثابتٍ في المصحف والحكمُ باقيًا، نحو ما رُوي عن ابن عبّاسٍ قال: خطبنا عمرُ بن الخطّاب فقال: كنّا نقرأ: (الشَّيخُ والشَّيخةُ إذا زَنَيا فارجموهما البتّة بما قضيا من اللَّذّةِ نَكالًا من اللهِ واللهُ عزيزٌ حكيمٌ)، ولولا أنّي أكرَهُ أنْ يُقالَ: زادَ عمرُ في القرآن، لزدْتُها[٢].

والثالث: ما نُسِخَ حكمُه ولم يثبُتْ لفظُه، وذلك ما رُوي عن أبي بكرٍ الصِّدِّيق[٣] أنَّه قال: كنّا نقرأ: (لا ترغبوا عن آبائكم إنَّه كفرٌ)[٤].

والرابع: ما نُسِخَ لفظُه[٥] ولم يكن له حُكْمٌ، كما رُوي عن أنسٍ قال: كانت تُقرأ مرّةً: (أخبروا قومَنا أنّا لَقِيْنا ربَّنا فأرضانا ورضيَ عنَّا)[٦].

---

(١) يعني الأقوال الثلاثة السابقة، وهي إنكار النسخ، ومن قال بنسخ الأخبار، ومن قال: إن ذلك للإمام.

(٢) روى نحوه البخاري (٧٣٢٣)، ومسلم (١٦٩١).

(٣) «الصديق» من (ن).

(٤) رواه البخاري (٦٨٣٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن عمر رضي الله عنه.

(٥) في (و): «حكمه».

(٦) رواه البخاري (٢٨٠١)، ومسلم (٦٧٧)، ولفظ البخاري: «فكنا نقرأ: أن بلغوا قومنا أن قد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا، ثم نسخ بعد».

ورُوي أيضًا: كنّا نقرأ في القرآن: (لو أنَّ لابنِ آدمَ واديَيْنِ مِنْ ذهبٍ لابتغى إليهِما ثالثًا، ولا يملأُ جَوْفَ ابنِ آدمَ إلّا التُّراب، ويتوبُ الله على من تاب)[1].

والخامس: ما نُسِخَ لفظُه وبقيَ بعضُ حكمِه، وذلك ما رُوي عن عائشةَ قالت: كان فيما نزلَ من القرآن: (عَشْرُ رَضَعاتٍ معلوماتٍ)، فنُسِخْنَ بـ(خمسٍ[2] معلوماتٍ يحرِّمْنَ)، قالت: وتُوفِّي رسولُ الله ﷺ وهو ممّا يُقرَأ من القرآن[3].

وإليه ذهب الشّافعيُّ[4].

وقوله: ﴿مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ﴾: هي ما نُسِخَ لفظُها وبقيَ حكمُها، أو ما نُسِخَ حكمُها وبقيَ لفظُها.

﴿أَوۡ نُنسِهَا﴾: هي ما نُسِخَ لفظُها وحكمُها، من (النِّسيان) الذي هو ضدُّ الحفظ.

وقيل: من النِّسيان الذي[5] معناه: التَّرْكُ؛ أي: نتركُها محكمةً فلا ننسخُها.

قال أبو عليٍّ الفارسيُّ: وهذا لا يجوز؛ لأنَّ قوله: ﴿نَأۡتِ بِخَيۡرٍ مِّنۡهَآ﴾ إنَّما يُحمَلُ على المنسوخِ لا على المتروك[6].

---

(١) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٩٦٢٣)، ورواه مسلم (١٠٤٨) وفيه يقول أنس رضي الله عنه: «فلا أدري أشيء أنزل أم شيء كان يقوله»، وروى نحوه البخاري (٦٤٣٧)، ومسلم (١٠٤٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) في النسخ الخطيّة: «إلا خمسًا»، والمثبت من مسلم.

(٣) رواه مسلم (١٤٥٢).

(٤) انظر: «الأم» للشافعي (٥/ ٢٩).

(٥) «هو ضد الحفظ وقيل من النسيان الذي» من (ن).

(٦) انظر: «الحجة للقراء السبعة» لأبي علي الفارسي (٢/ ١٩٢).

و﴿نُنْسِخ﴾ بضمِّ النُّون[١]، «الحجّة»: نجدها منسوخةً، فهو إذًا بمعنى: ﴿نَنسَخْ﴾ بالفتح[٢].

وقرأ أبو عمرٍو: ﴿نَنْسَأْها﴾[٣]؛ أي: نؤخِّرْها فلا ننسخها[٤].

وقيل: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾ من اللَّوح المحفوظ ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾: نؤخِّرْ إنزالها.

﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ﴾ في الثَّواب، وقيل: أخفُّ للمكلَّف بها.

﴿أَوْ مِثْلِهَآ﴾: في الثَّواب والعمل بها.

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ من النَّسخِ والتَّبديلِ وغيرِهما ﴿قَدِيرٌ﴾: قادرٌ، لفظُ مبالغةٍ.

والاستفهامُ تقريرٌ؛ أي: أنتَ عالمٌ بهذا، وقيل: الخطابُ للنَّبيِّ ﷺ والمرادُ به غيرُه.

* * *

(١٠٧) ـ ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾.

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: فهو أعلم بمصالح عباده في النّاسخ والمنسوخ.

---

(١) وهي قراءة ابن عامر. انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ١٦٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٦).

(٢) انظر: «الحجة للقراء السبعة» لأبي علي الفارسي (٢/ ١٨٦).

(٣) كذا قرأها أبو عمرو وابن كثير من السبعة. انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ١٦٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٦).

(٤) في (و): «ننساها».

﴿ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ ﴾: يلي أمركم، والوليُّ: القيِّمُ بالأمر.

﴿وَلَا نَصِيرٍ ﴾: ناصرٍ يمنعكم.

* * *

(١٠٨) ـ ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾.

﴿ أَمْ تُرِيدُونَ ﴾ قيل: هي المعادلة للألف في قوله: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ ﴾[(١)].

وقيل: تقديره: بل أتريدون[(٢)].

﴿أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ﴾ هو خطابٌ[(٣)] لليهود، وقولُه: ﴿رَسُولَكُمْ ﴾؛ أي: الذي أتاكم الآن، ﴿كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ﴾؛ أي: سألَه أسلافُكم.

وقيل: خطابٌ للمشركين.

وقيل: خطابٌ للمؤمنين، كقوله: ﴿لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ ﴾ [المائدة: ١٠١].

وقيل: نزلت في رجلٍ قال: يا رسول الله، لو كانت لنا كفّاراتٌ ككفّاراتِ بني إسرائيل[(٤)].

ابن عبّاسٍ: نزلت في عبد الله بن أبي أميّة ورهطٍ من قريشٍ قالوا: يا محمَّد،

---

(١) وهي بمعنى: أتريدون. انظر: «الصاحبي في فقه اللغة» لابن فارس (ص: ٨٨)، و«منازل الحروف» للرماني (ص: ٥٨).

(٢) واختاره الزجاج. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ١٩٢).

(٣) في (و): «قيل: هي خطاب».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٤١١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٠٣) عن أبي العالية.

اجعل لنا الصَّفا ذهبًا، ووسِّع لنا أرضَ مكّة، وفجِّر الأنهارَ خلالها تفجيرًا، نؤمِنْ بك، فأنزلَ الله هذه الآية[(١)].

وهو القائل أيضًا: ائتنني بكتابٍ من السَّماء فيه: من ربِّ العالمين إلى ابن أبي أميّة، اعلم أنِّي قد أرسلْتُ محمَّدًا إلى النّاس[(٢)].

ورُوي أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ سألَه قومٌ أن يجعلَ لهم ذاتَ أنواطٍ كما كان للمشركين ذاتُ أنواطٍ، وهي شجرةٌ كانوا يعبدونها ويعلِّقون عليها الثَّمرة وغيرَها من المأكولات، كما سأل موسى بنو إسرائيلَ فقالوا: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨][(٣)].

وأظهرُ من هذه كلِّها قولُهم: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ﴾ [الإسراء: ٩٠] الآية.

﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ لأنَّ اقتراحَ الآياتِ بعدَ ظهورِ المعجزات كفرٌ.

والتَّبديلُ والإبدالُ والتَّبدُّلُ واحدٌ، وهو أخذُ البدلِ، والبدلُ: ما يقومُ مَقامَ الشَّيء، سواءٌ[(٤)] سدَّ مسدَّه أم لم يسدَّ.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٢٥)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٤)، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٤٠٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما، لكنه سمى السائلين: رافع بن حريملة ووهب بن زيد، وروى نحوه أيضًا الطبري في «تفسيره» (٢/ ٤١٠) عن مجاهد، دون تسمية من سأل.

(٢) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٥)، وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٩٩) عن محمد بن إسحاق الأنباري.

(٣) رواه الترمذي (٢١٨٠) من حديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه، وقال: حديث حسن صحيح.

(٤) «سواء» من (ن).

﴿فَقَدْ ضَلَّ﴾: أخطأ ﴿سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ قَصْدَه، والسَّواء: الوسط، والسَّبيل: الطَّريق؛ يُذكَّر ويُؤنَّث.

* * *

(١٠٩) ـ ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّارًا﴾ ابن عبَّاسٍ: نزلَتْ في نفرٍ من اليهود قالوا للمسلمين بعد وقعة أحدٍ: ألم تروا إلى ما أصابكم؟! ولو كنتم على الحقِّ ما هُزِمْتُم، فارجعوا إلى ديننا؛ فهو خيرٌ لكم[١].

أي: تمنَّى وأحبَّ كثيرٌ من اليهود ـ وهم علماؤهم[٢] ـ ردَّكم إلى الكفر بعد الإيمان.

﴿حَسَدًا﴾؛ لأنَّهم يحسدون العرب على كونِ النَّبيِّ ﷺ منهم.

و(ودَّ) و(تمنَّى) يتعدَّيان إلى المعاني دون الأعيان، وقد يُزاد مع (ودَّ): (لو)[٣].

---

(١) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٥)، وعلَّق عليه ابن حجر في «العجاب في بيان الأسباب» (١/ ٣٥٤): هذا لعله من تفسير الكلبي، والذي ذكره ابن إسحاق في «المغازي» عن ابن عباس قال: كان حيي بن أخطب وأبو ياسر بن أخطب من أشد اليهود للعرب حسدًا، إذ خصهم الله تعالى برسوله، وكانا جاهدين في ردِّ الناس عن الإسلام بما استطاعا، فأنزل الله تعالى فيهما هذه الآية، ثم ذكر قولًا آخر.

(٢) في (و): «علماؤكم».

(٣) انظر: «غرائب التفسير» (١/ ١٧٠).

قوله: ﴿مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾: ﴿مِّنْ﴾ صلة ﴿وَدَّ﴾؛ أي: مودَّتهم لكفركم من عند أنفسهم؛ أي: في تديُّنِهم؛ لم يُؤمروا به.

قال الزَّجّاج: وليس ﴿مِّنْ﴾ متعلقًا بالحسد؛ لأنَّ حسدَ الإنسانِ لا يكون إلّا من عند نفسِه[1].

ابن عيسى: يجوز أن يكون تأكيدًا، كقوله: ﴿وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام: ٣٨][2].

والحسدُ: تمنِّي إزالةِ النِّعمةِ عن صاحبها.

وقيل: الحسدُ: الأسفُ على من له خيرٌ لسبب الخير الذي له.

﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾؛ أي: ظهرَ ووضحَ أنَّ رسولَ اللهِ محمّدٌ ﷺ وأنَّ دينَ اللهِ الإسلامُ.

﴿فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟﴾: نزلت في كعبِ بن الأشرف[3]، وكان شاعرًا يهجو النَّبيَّ ﷺ ويحرِّضُ عليه كفّارَ قريشٍ.

﴿حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾: بالقتال، وهو قولُه: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ٣٦]، وقيل: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٢٩]؛ فإنَّها نسخَتْ: ﴿فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟﴾، وقيل: بالموت، وقيل: بالجلاء في بني النَّضير والسَّبيِ في بني[4] قريظةَ.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ١٩٣).

(٢) ذكره المصنف في «غريب التفسير» (١/ ١٧٠)، وذكره الواحدي في «البسيط» (٣/ ٢٤١)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ١٩٦) دون نسبة.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٤١٩) عن الزهري وقتادة، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٠٤) عن الزهري وعبد الله بن كعب بن مالك.

(٤) «بني» من (ن).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من ذلك ﴿قَدِيرٌ﴾[1].

***

(١١٠) ـ ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾.

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ تذلُّلًا لله[2] وخشوعًا له، ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ طاعةً لله في مواساةِ عبادِه.

﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيۡرٖ﴾: طاعة وعبادة ﴿تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: مسطورًا في كُتُبِ الحَفَظة.

ابن عبَّاسٍ: تجدوا جزاءَه[3].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾: عالمٌ؛ فيجازيكم على الإحسان إحسانًا، وعلى الإساءة إساءةً أو غفرانًا.

***

(١١١) ـ ﴿وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾.

﴿وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ﴾: هذا إيجازٌ، وتقديرُه: قالت

---

(١) في (و): «قديرٌ من ذلك».

(٢) «لله» من (ن).

(٣) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٤٢٦) عن الربيع، وروى نحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٠٧) عن أبي العالية، ولفظهما: «تجدوا ثوابه عند الله».

اليهود: لن يدخل الجنّةَ إلّا من كان يهوديًّا، وقالت النَّصارى: لن يدخل الجنّة إلّا من كان نصرانيًّا، فأخبر عنهما إيجازًا من غير إخلالٍ.

و(هود): قيل[1]: جمع هائدٍ، كحائلٍ وحُولٍ، وقيل: مصدرٌ، وقيل: حُذفَ فاؤه[2].

﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾: التي تمنَّوها على الله كاذبةً.

المورِّج[3]: ﴿أَمَانِيُّهُمْ﴾: أباطيلُهم بلغة قريشٍ[4].

وقيل: أقاويلُهم وتلاوتهم.

﴿قُلْ هَاتُوا﴾: أحضروا وعجِّلوا وقرِّبوا[5]؛ أمرُ تعجيزٍ.

﴿بُرْهَانَكُمْ﴾: حجَّتكم.

ابن عيسى: البرهانُ: بيانٌ عن معنًى يشهدُ بمعنًى آخر حقٍّ في نفسِه وشهادتِه.

﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾؛ أي: في دعواكم.

ثمَّ بيَّنَ مَن يدخلُها فقال:

---

(١) «قيل» من (ن).

(٢) وأصله: يهود.

(٣) هو العلامة مورج بن عمرو، شيخ العربية أبو فَيْدٍ السدوسي، روى عن أبي عمرو بن العلاء وشعبة وطائفة، وأخذ عن الأعراب، كان من أصحاب الخليل بن أحمد، يُعدُّ مع سيبويه والنضر بن شُميل، وله عدة تصانيف منها: «غريب القرآن»، و«كتاب جماهير القبائل»، و«كتاب المعاني»، توفي سنة (١٩٥ هـ) يوم موت أبي نواس الشاعر، ويقال: مات بعد المئتين بالبصرة. انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٩/ ٣١٠).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٣٤) بلا نسبة.

(٥) «وقربوا» من (ن).

(١١٢) - ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾.

﴿ بَلَىٰ ﴾ ردًّا عليهم وإيجابًا لِما نفَوه؛ أي: يدخلُها ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ ﴾؛ أي: أخلصَ بقلبِه ولسانِه، وأصلُه[1]: الانقيادُ.

وذكرَ الوَجْهَ لأنَّه أكرمُ الأعضاء، ولأنَّ الوجهَ إذا خضَعَ تبِعَه غيرُه.

الفرّاء: أخلصَ عملَه لله[2].

﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾؛ أي: في أعماله.

﴿فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ ﴾: ثوابُ عملِه معدًّا[3] ﴿عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾؛ أي: هم من أهل الجنّة، فإنَّ هذا صفتُهم، وذلك جامعٌ لأسباب السَّعادة.

***

(١١٣) - ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾.

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾؛ أي: على حقٍّ وصوابٍ وأمرٍ يُعتدُّ به، ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ أي: الفريقان يتلوان

---

(١) أي: أصل الإسلام.

(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» (١/ ٤٢٣) عن الفراء، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٤٣٢) عن الربيع، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٠٨) عن أبي العالية وسعيد بن جبير.

(٣) «ثواب عمله معدًّا» ليس في (و).

التَّـوراة والإنجيـل، والكتـابُ يحمِـلُ علـى الحقِّ وتعرُّفِـه[١]. وهـذا تعجيبٌ.

نزلَتْ في يهود المدينة ونصارى نجران، وذلك أنَّ وفد نجران لَمّا قدموا على رسول الله ﷺ أتاهم أحبارُ اليهود فتناظروا حتى ارتفعَتْ أصواتُهم، فقالت اليهود: ما أنتم على شيءٍ من الدِّين، وكفروا بعيسى والإنجيل، وقالت لهم النَّصارى: ما أنتم على شيءٍ من الدِّين، وكفروا بموسى والتَّوراة، فأنزل الله هذه[٢] الآية[٣].

﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾؛ أي: الكتاب ﴿مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡ﴾؛ أي: أهل الكتاب[٤].

السُّدِّيُّ: مشركو العرب[٥].

عطاء: هم قومٌ قبلَ اليهود والنَّصارى[٦].

أي: سبيلُ أهـلِ الكتاب سبيلُ الكفّار في إنكارِهم الحقَّ وتكذيبِهم الأنبياءَ والاختلافِ عليهم، ﴿فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾ فيريهم المحقَّ من المبطل.

***

(١١٤) ـ ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمۡ أَن يَدۡخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾.

---

(١) في (ن): «ومعرفه».

(٢) في (ن): «فأنزلت هذه».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٤٣٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٠٨).

(٤) «أي أهل الكتاب»: ليس في (و).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٤٣٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٠٩).

(٦) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٠٩).

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ﴾: روى الكلبيُّ عن ابن عبّاسٍ: أنها نزلَتْ في حقِّ طَطُوسَ الرُّوميِّ وأصحابِه من النَّصارى، غزوا بني إسرائيل، فقتلوا مقاتِلَتَهم، وسبوا ذرارِيَهم، وحرَّقوا التَّوراة، وخرَّبوا بيت المقدس، وقذفوا فيه الجِيَف[1].

قتادة والسُّدِّيُّ: هو بختَنصَّرُ وأصحابُه، وأعانتهم على ذلك النَّصارى[2].

عطاء: نزلت في مشركي أهل مكّة[3] ومَنْعِهم المسلمين عن البيت[4].

ويجوز أن يكونَ عامًّا في كلِّ مَن منع مسلمًا عن ذكر الله وعن الصَّلاة[5]؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ يقول: «جُعِلَتْ لي الأرضُ مَسجدًا وطَهورًا»[6].

---

(١) كذا في «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٣٦)، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (١/ ٨٦) عن الكلبي.

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٠٩) عن قتادة، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٤٤٣) عن قتادة والسدي.

قال الجصاص في «أحكام القرآن» (١/ ٧٥) متعقّبًا: «ما روي في خبر قتادة يشبه أن يكون غلطًا من راويه؛ لأنه لا خلاف بين أهل العلم بأخبار الأولين أن عهد بختنصر كان قبل مولد المسيح عليه السلام بدهرٍ طويلٍ، والنصارى إنّما كانوا بعد المسيح وإليه ينتمون، فكيف يكونون مع بختنصر في تخريب بيت المقدس، والنصارى إنما استفاض دينهم في الشام والروم في أيام قسطنطين الملك، وكان قبل الإسلام بمئتي سنة وكسور... ومع ذلك فإن النصارى تعتقد من تعظيم بيت المقدس مثل اعتقاد اليهود، فكيف أعانوا على تخريبه مع اعتقادهم فيه؟».

(٣) في (ن): «مشركي مكة».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٤٤٤) عن ابن زيد، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما من طريق عطاء.

(٥) في (و): «وعن النبي». والمساجد على هذا القول هي الأرض كلُّها، وقد ذكر المصنِّف هذا القول في «غرائب التفسير» (١/ ١٧١)، واستغربه. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ١٩٦)، و«تفسير الماتريدي» (١/ ٥٤٣).

(٦) رواه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١)، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

والمنعُ: أن تحولَ بين المرءِ وبين الشَّيء يريده.

وقوله: ﴿أَن يُذْكَرَ﴾ يجوزُ أن يكون بدلًا من المسجد[١].

الزَّجّاج: يجوز أن يكون تقديره: كراهةَ أنْ يُذكَرَ[٢].

الفرّاء: يجوز أن تكون (من) مقدَّرة؛ أي: منعَ مِنْ أنْ يُذْكَرَ[٣].

قال الشَّيخ رحمه الله: ويحتملُ أن يكون المفعولَ الثّاني كقول أبي بكرٍ: «لو منعوني عِقالًا»[٤]؛ لأنَّه في معنى حرَّم[٥].

﴿وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ﴾: خراب أبنيتها ومحاريبها.

وعلى الوجهَين الآخرَين[٦]: ﴿خَرَابِهَآ﴾: منع النَّاس عن العبادة فيها؛ لأنَّ عمارَتَها بالعبادة، والخرابُ نقيضُ العمارة.

---

(١) أي: من كلمة (مساجد)، والمصدر المؤوَّل على هذا في موضع نصب، وقد ذكر هذا الوجه الأخفش والزجاج والنحّاس. انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ١٥١)، وللزجاج (١/ ١٩٦)، و«إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٧٥).

(٢) لم أقف على هذا القول له في «معاني القرآن»، وقد نقله عنه الرازي في «تفسيره» (٤/ ١٢)، والمصدر المؤوَّل على هذا الوجه مفعول لأجله، وقد أجازه الزمخشري في «الكشاف» (١/ ١٧٩)، وانظر: «إعراب القرآن» للعكبري (١/ ١٠٧).

(٣) ذكره الأخفش في «معاني القرآن» (١/ ١٥١)، والطبري في «تفسيره» (٢/ ٤٤١)، والنحاس في «إعراب القرآن» (١/ ٧٥)، وابن عطية في «تفسيره» (١/ ١٩٩) دون نسبة.

(٤) رواه البخاري (٧٢٨٤)، ومسلم (٢٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) هذا الوجه الذي قدّمه الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٣٩)، وذكره المصنِّف في «غرائب التفسير» (١/ ١٧١)، واستغربه.

(٦) وهما: أنها نزلت في مشركي أهل مكَّة، أو أنها عامة في كلِّ مَن منع مسلمًا عن ذكر الله والصَّلاة.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمۡ أَن يَدۡخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَۚ﴾: لا يدخل النَّصرانيُّ بيتَ المقدس إلّا خائفًا من أن يُعاقَب.

وعلى القول الثّاني: أن يدخلوها خائفين؛ فإنَّ رسول الله ﷺ نادى: «أن لا يحجَّ بعد العام مشركٌ، ولا يطوفَ بالبيتِ عُرْيان»(١).

وقيل: هذا وعدٌ للنبيِّ ﷺ بفتح مكّة.

﴿لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞ﴾ بالصَّغار والجزية، وقيل: بفتح بلادهم عمُّوريّة والرُّوميّة وقسطنطينيّة.

﴿وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾: دائمٌ.

* * *

(١١٥) - ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾.

﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِ﴾ لمّا ذكر منعَ مساجد الله(٢) عن ذكر الله فيها على ما سبق قال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُ﴾، فصلُّوا من الأرض حيث شئْتُم.

وعن جابر بن عبد الله، وعامر بن ربيعة، قال: نزلت رخصةً للمتحرِّي عندَ اشتباه القِبلة، وهي محكمةٌ(٣).

---

(١) رواه البخاري (١٦٢٢)، ومسلم (١٣٤٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) في (ن): «منع المساجد».

(٣) رواه الترمذي (٣٤٥)، وابن ماجه (١٠٢٠) من حديث عامر بن ربيعة رضي الله عنه، وقال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث أشعث السمان أبي الربيع عن عاصم بن عبيد الله، وأشعث يُضعَّف في الحديث.

ورواه الدارقطني في «سننه» (١٠٦٢)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢٢٤٣)، وقال: لم نعلم لهذا الحديث سندًا قويًّا.

ابن عمر: نزلَتْ في التَّطوع بالنّافلة؛ تصلِّي حيثما توجَّهت بك راحلتُك في التَّطوع، وهي محكمةٌ[١].

ابن عبّاسٍ في رواية عطاءٍ: نزلت في النَّجاشيِّ حين صلَّى عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، فقالت الصَّحابة: كيف صلَّينا على رجلٍ ماتَ وهو يصلِّي لغير قبلتنا؟ فأنزل الله: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾[٢].

قتادة: ولمّا نزلت: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ صلَّى رسولُ الله ﷺ نحو بيت المقدس، وترك البيت العتيقَ بضعةَ عشرَ شهرًا، ثم نُسِخ بقوله: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٤٤][٣].

قال: وأوَّل ما نُسِخَ من القرآن شأنُ القِبلة[٤].

قال القفّال: زعمَت اليهود أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ لمّا خلق الأرض صَعِدَ إلى السَّماء من الصَّخرة، فاتَّخذوها قبلةً، والنَّصارى استقبلوا المشرق لولادة مريم من جهته[٥].

---

(١) رواه مسلم (٧٠٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، ولفظه: كان رسول الله ﷺ يصلي وهو مقبل من مكة إلى المدينة على راحلته حيث كان وجهه، قال: وفيه نزلت: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾.

(٢) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٨)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٤٥٥) عن قتادة، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٥٤٢) عن ابن جريج.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٤٥٢).

(٤) رواه أبو عبيد الهروي في «الناسخ والمنسوخ» (٢١)، والطبري في «تفسيره» (٢/ ٤٥٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢١٢)، والحاكم في «المستدرك» (٣٠٦٠)، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. ورواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٦٢٢) عن عكرمة والحسن البصري.

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ١٧١)، وذكره الرازي في «التفسير الكبير» (٤/ ١٩) بلا نسبة.

مجاهدٌ والحسن: الآية ناسخةٌ مثل قوله: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ١٤٤] والمعنى: فأينما تولُّوا مقبلين ومدبرين فثمَّ وجهُ الله الذي أمركم بالتَّوجُّه إليه؛ يعني: الكعبة، فتوجَّهوا إليها، فإنَّه ممكنٌ لكم التَّوجُّه إليها من كلِّ مكانٍ. والتَّقديمُ والتَّأخيرُ لا يمنعُ صحّةَ هذا التَّأويل(١).

وزاد القفّال وجهًا آخر فقال: ليس في الآية ذكر القبلة والصَّلاة، وإنَّما أخبرهم عن علمه بهم ولحوقِ سلطانه إيّاهم حيث كانوا، كما قال الله تعالى: ﴿إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُواْ مِنْ أَقْطَارِ﴾ [الرحمن: ٣٣] الآية، وكذلك قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المجادلة: ٧] الآية(٢).

والمشرقُ: موضعُ شروق الشَّمس، وهو طلوعُها، والمغربُ: موضعُ الأُفُول، وكلاهما خارجان عن القياس.

و(ثَمَّ): إشارةٌ إلى المكان المتراخي كـ(هنالك)، بُنِيَ لتضمُّنِه معنى الإشارة، وحُرِّكَ لالتقاء السّاكنين، وفُتح تخفيفًا وتشبيهًا بالظَّرف.

﴿وَجْهُ ٱللَّهِ﴾؛ أي: جهته التي أمركم بالتَّوجُّه إليها، وقيل: الوجه صلةٌ؛ أي: فقد صادفتم المقصود بعبادتكم، وقيل: معناه القصد والتَّقرُّب، قال:

أستغفرُ اللهَ ذنبًا لستُ مُحْصِيَهُ ... رَبَّ العبادِ إليهِ الوَجْهُ والعَمَلُ(٣)

---

(١) ذكره المصنّف في «غرائب التفسير» (١/ ١٧١)، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٤٥٧) عن مجاهد.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ١٧١).

(٣) البيت لا يعرف قائله. انظر: «الكتاب» لسيبويه (١/ ٣٧)، و«معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٣٣)، و«أدب الكاتب» لابن قتيبة (١/ ٥٢٤)، و«المقتضب» للمبرد (٢/ ٣٢١)، و«تفسير الطبري» (١/ ١٦٦).

وقيل: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا﴾ بالدُّعاء ﴿فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾.

﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ﴾: قادرٌ.

المفضَّل: محيطٌ، والسَّعة: الإحاطة[1].

وقيل: واسع الشَّريعة.

﴿عَلِيمٌ﴾: عالمٌ.

* * *

(١١٦) ـ ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾.

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ نزلت في اليهود حيث قالوا: ﴿عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠]، وفي نصارى نجران حيث قالوا: ﴿الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠]، ومشركي العرب حيث قالوا[2]: الملائكة بنات الله[3].

ثم نزَّهَ نفسَه عن اتِّخاذ الولد؛ لأنَّ البُنوَّة تقتضي المجانسة، والله تعالى منزَّهٌ عن الوصفِ بالجنس والنَّوع، وجازَ له اتِّخاذُ الخليل حيث لا يقتضي نقصًا.

﴿سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: والـلّام للمِلْـك، والرَّجـلُ لا يملـكُ ابنَه.

---

(١) ذكره مكي بن أبي طالب في «الهداية» (٢/ ١٤٩١) بلا نسبة.

(٢) «﴿عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ وفي نصارى نجران حيث قالوا ﴿الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ ومشركي العرب حيث قالوا» من (ن).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٤٥٥) عن السدي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٠]، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٩).

﴿كُلٌّ﴾؛ أي: كلُّ ما فيهما ﴿لَّهُۥ﴾: لله ﴿قَٰنِتُونَ﴾: مطيعون، من قوله: ﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ﴾ [آل عمران: ٤٣].

وقنوتُ كلِّ شيءٍ على حسب ما يوجَد منه؛ فمنه ما يشمل الجميع لظهور آيات الصَّنعة، ومنه ما يخصُّ العقلاء، كالملائكة والجنِّ والإنس.

قال الفرّاء: المراد به أهل طاعته(١).

وأصل القُنوت: الدَّوام، ويُستعمَلُ للسُّكوت والطّاعة والقيام على حالةٍ واحدةٍ.

ومَن قرأ: ﴿قَالُواْ﴾ بغير واو العطف، اكتفى عنه بواو الضَّمير(٢).

* * *

(١١٧) - ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾.

﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: مُبْدعُهما ومُخْترعُهما لا على مثالٍ سبَق، وضدُّ الإبداع: الاحتذاءُ، فعيلٌ بمعنى: مُفْعِل، ورُوي عن قُطْرُب: بَدَعَ بمعنى: أَبْدَعَ(٣).

﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾: حتمَ بأنَّه يفعل فعلًا، وقيل: حكم، وقيل: أحكم، قال الشّاعر:

وعليهِما مَسْرُودتان قَضاهُما ... داوُدُ أو صَنَعُ السَّوابغِ تُبَّعُ(٤)

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٧٤).

(٢) قرأ ابن عامر الشامي بغير واو، وباقي السبعة بالواو. انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ١٦٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٦).

(٣) في (ن): «بدعه بمعنى أبدعه». وانظر الرواية عن قطرب في «الإبانة في اللغة العربية» للصحاري (٢/ ٣٠١).

(٤) البيت لأبي ذؤيب الهذلي. انظر: «ديوان الهذليين» (١/ ١٩)، و«المفضليات» للمفضل الضبي (ص: ٤٢٨)، و«جمهرة أشعار العرب» للقرشي (ص: ٥٥٠)، و«تفسير الطبري» (٢/ ٤٦٦).
والـمَسْرُودَتان: دِرعان، والصَّنَع: الحاذق بالصَّنعة، وقد ذُكر أنَّ تبعاً لم يصنع الدروع وأنَّ أبا ذؤيب =

وقيل: وإذا خلق شيئًا، من قوله: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ١٢].

اللَّفظُ للماضي، والمعنى للمستقبل، كقوله: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الإسراء: ٤٥]، و﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [المائدة: ٦].

﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن﴾: حمل بعضُهم القولَ والأمرَ على الحقيقة، وجعلَ المخاطبَ هو الموجودُ الذي أراد نفوذَ الأمر[1] فيه، كقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ﴾ [المؤمنون: ١٢] الآية، لا ما يخترعه ابتداءً.

ومنهم من قال: كلُّ ما هو كائنٌ فهو في علم الله كالموجود، فصحَّ الخطاب.

ومنهم مَن حمل القولَ والكونَ على سرعة التَّكوين وسهولته، وألّا نَصَبٌ هنالك ولا تَعَبٌ؛ لأنَّ المعدومَ لا يُخاطَب، والموجودَ لا يُؤمَرُ بالوجود.

﴿فَيَكُونُ﴾؛ أي: فيكون ذلك على حَسَبِ ما أراد سبحانه[2].

والوجهُ الرَّفعُ على تقدير: فهو يكونُ، وقراءة النَّصب[3] بعيدةٌ في المعنى، محمولةٌ على ظاهر لفظ الأمر، وهو ﴿كُن﴾[4]، وكذلك قال الأخفش في قوله: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء: ٥٣]، وما أشبه ذلك[5].

* * *

= توهَّم ذلك؛ لنسبتها إليه، ولقولهم: دروع تبعية.

(١) في (ن): «أمره».

(٢) في (ن): «أراده الله».

(٣) قرأ ابن عامر الشامي بنصب النون، وباقي السبعة بضمها. انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ١٦٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٦).

(٤) «وهو كن»: ليس في (ن).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ٨٢).

(١١٨) ـ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْۘ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ابن عبّاسٍ: اليهود(١).

مجاهد: النَّصارى(٢).

الحسن وقتادة: مشركو العرب(٣).

﴿لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ﴾ أنَّك نبيُّه ﴿أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ﴾ توافِقُ مرادَنا.

و(لولا) للتَّحضيض، كقوله: ﴿لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ [المنافقون: ١٠].

﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ﴾؛ يعني: أسلافهم اقترحوا الآيات بقولهم: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء: ١٥٣]، و﴿أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [المائدة: ١١٤].

﴿تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ بالكفر وقلّةِ التَّدبُّرِ في آيات الله.

﴿قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ﴾؛ أي: نَصَبْنا الأدلّة، فأنزلنا من القرآن ما عجزتم عن الإتيان بمثله، وذلك دليلٌ وبيانٌ.

﴿لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ اليقينُ: علمُ ما(٤) يُثْلَجُ به الصَّدرُ.

***

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٤٧٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢١٥)، وفيهما أن قائل ذلك هو رافع بن حريملة.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٤٧٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢١٥).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٤٧٤) عن قتادة والربيع والسدي، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢١٥) عن أبي العالية، وقال: وروي عن قتادة والربيع نحو ذلك.

(٤) «ما»: من (ن).

(١١٩) ـ ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ﴾.

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ﴾: بالإسلام.

﴿بَشِيرٗا﴾: مبشِّرًا للمؤمنين.

﴿وَنَذِيرٗا﴾: منذِرًا للكافرين.

﴿وَلَا تُسۡـَٔلُ﴾ قيل: هو حالٌ؛ أي: غيرَ مسؤولٍ عنهم، إنَّما عليك البلاغُ وعلينا الحساب.

وقيل: هو استئنافٌ؛ أي: وأنت لا تُسألُ.

ومَن جزمَ[1] فمعناه: ولا تسألْ عنهم؛ فلن[2] تنفعَهم شفاعةُ الشّافعين.

وقيل: هو على التَّعظيم والتَّهويل.

وروى القرظيُّ[3]: أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يقولُ: «لَيْتَ شِعْري ما فعلَ أبواي»؟ فأنزل الله تعالى: **﴿ولا تَسْأَلْ عن أصحاب الجحيم﴾**[4].

---

(١) قرأ نافع (ولا تَسألْ) مفتوحة التاء مجزومة اللام، وقرأ الباقون مضمومة التاء مرفوعة اللام. انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ١٦٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٦).

(٢) في (و): «فلم».

(٣) في (و): «القرطبي».

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٢٦)، وأبو عمر الدوري في «جزء فيه قراءات النبي ﷺ» (ص: ٧٣)، والحربي في «غريب الحديث» (١/ ١٤٤)، والطبري في «تفسيره» (٢/ ٤٨١). قال ابن حجر في «العجاب في بيان الأسباب» (١/ ٣٦٩): «من مرسل محمد بن كعب القرظي، وفي سنده موسى بن عبيدة وهو ضعيف، واستبعد الفخر الرازي صحة هذا السبب قال: لأنه ﷺ يعلم حال من مات كافرًا»، وانظر: «التفسير الكبير» للرازي (٤/ ٣٢).

ورُوي أيضًا أنَّه قال: «لو أنزل اللهُ بأسَه باليهود لآمنوا»، فأنزلَ اللهُ عزَّ وجلَّ هذه الآية[1].

والجحيمُ: النّارُ إذا شبَّ وَقودُها.

***

(١٢٠) ـ ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ﴾.

﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ ابن عبّاسٍ: نزلَتْ في شأن القِبْلة، وذلك أنَّ يهود المدينة ونصارى نجران كانوا يرجون أنَّ النَّبيَّ ﷺ يصلِّي إلى قبلتهم، فلمّا صُرِفَتِ القِبلةُ إلى الكعبة شقَّ ذلك عليهم، ويئسوا منه أن يوافقَهم على دينِهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية[2].

غيرُه من المفسِّرين: إنَّ اليهود والنَّصارى كانوا يسألون النَّبيَّ ﷺ الهدنةَ، ويُطمِعُونه في موافقتِهم إيّاه واتِّباعهم إنْ هادنَهم وأمهلَهم، فأنزلَ اللهُ تعالى: ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ﴾[3].

﴿حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡ﴾: دينهم وقِبْلتهم.

والملّةُ: الدِّينُ، مشتقٌّ من (أمللْتُ)؛ لأنَّها تُبْتَنى على مسموعٍ ومَتْلُوٍّ.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٦٦)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٠)، و«البسيط» (٣/ ٢٨٠)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ١٠٦) عن مقاتل، ولعلَّ مقاتلاً هو ابن حيان. انظر: «العجاب» لابن حجر (١/ ٣٦٨).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٦٨)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٠).

(٣) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٤٠).

﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ﴾؛ أي: هدى الله الذي رضيَ لعبادِه.

﴿هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾: الإسلامُ والقرآنُ والكعبة.

﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾: ما ابتدعوه في أديانِهم، وأجبْتَهم إلى ما يتمنَّونه عليك ﴿بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾: أنَّ دينَ اللهِ الإسلامُ، وقِبلتَه الكعبةُ، ﴿مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾: غلَّظَ في التَّهديدِ قطعًا لطمعِهم.

* * *

(١٢١) ـ ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ ابن عبّاس والكلبيُّ: نزلَتْ في أصحابِ السَّفينة الذين أقبلوا مع جعفر بن أبي طالبٍ من أرض الحبشة، كانوا أربعين رجلًا من الحبشة وأهل الشّام[1].

الضَّحّاك: نزلَت فيمن آمنَ من اليهود[2].

قتادة وعكرمة: نزلَت في أصحاب رسولِ الله ﷺ[3].

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٦٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٠) عن ابن عباس من رواية ابن عطاء والكلبي.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٧٠) عن الضحاك، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٤٨٦) عن ابن زيد، ورجَّحه لأن السياق عن اليهود، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢١٨) عن قتادة.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٤٨٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢١٨) عن قتادة، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٠)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ١٠٧) عن عكرمة وقتادة.

ومعنى ﴿حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾: عن ابن عبّاسٍ وابن مسعودٍ: يتَّبعونَه حقَّ اتِّباعِه ولا يحرِّفونَه(١).

غيرُهما: يقرؤونَه حقَّ قراءتِه.

والتِّلاوةُ: القراءةُ والاتِّباعُ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ بالمصيرِ إلى النّار.

* * *

(١٢٢ ـ ١٢٣) ـ ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٢٢ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾.

﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٢٢ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾ الآيتان مضى تفسيرُهما، وإنَّما كرَّر؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ منهما صادفَ معصيةً يقتضي تنبيهًا ووعظًا، ولأنَّ كلَّ واحدٍ منهما وقعَ في غيرِ وقتِ الآخر(٢).

* * *

(١٢٤) ـ ﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ﴾: عاملَه معاملةَ المختبِرِ، وقيل: أمرَه.

وإبراهيمُ: اسمٌ أعجميٌّ، وفيه لغاتٌ، والمعروفُ المقروءُ منها: إبراهيم وإبراهام(٣)، وقيل: معناه: أبٌ رحيمٌ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٤٨٧ ـ ٤٨٨).

(٢) ذكر المصنِّف نحو هذا في «البرهان» (ص: ٧٨).

(٣) قرأ هشام: (إبراهام) في جميع سورة البقرة، وفي مواضع متفرقة عددها ثلاثةٌ وثلاثون موضعًا، =

﴿بِكَلِمَٰتٍ﴾ مجاهدٌ: هي الآياتُ التي بعدها: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ الآيات[١].

ابن عبّاس: مناسك الحجِّ[٢].

وعن ابن عبّاس أيضًا وقتادة: أنَّها خمسُ خصالٍ في الرَّأس: المضمضةُ والاستنشاقُ وقصُّ الشّارب والسِّواكُ والفَرْقُ، وخمسٌ في البدن: تقليمُ الأظفار، ونتفُ الإبطين، وحلقُ العانة، والاستنجاءُ بالماء، والختان[٣].

وجاء في الحديث: أنَّه اختتَنَ وكان ابنَ ثمانين سنةً، وجاء أيضًا: أنَّه اختتنَ بقَدُومٍ[٤]؛ فذهب بعضُهم إلى أنَّه اسمُ بقعةٍ[٥]، وبعضهم إلى أنَّه آلةُ النَّجّار[٦].

الحسن: ابتلاه بالنَّجم والقمر والشَّمس، وبالختانِ، وذبحِ ابنِه، وبالنّارِ، والهجرة[٧].

= ولابن ذكوان بالوجهين في البقرة خاصة، وباقي القراء بالياء في الجميع. انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ١٧٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٦ ـ ٧٧).

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٥٠١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٢١).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٥٠٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٢١).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٤٩٩ ـ ٥٠٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢١٩).

(٤) ذُكِرَ الأمران في حديث واحد رواه البخاري (٣٣٥٦)، ومسلم (٢٣٧٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) ذهب إلى هذا المبرِّد، و(قدومُ) قرية بالشام، وهي غير مصروفة على هذا الوجه. انظر: «غرائب التفسير» للمصنِّف (١/ ١٧٤).

(٦) و(قدومٌ) مصروفة على هذا الوجه. انظر: «غرائب التفسير» للمصنِّف (١/ ١٧٤).

(٧) روى نحوه عبد الرزاق في «تفسيره» (١١٤)، والطبري في «تفسيره» (٢/ ٥٠٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٢١).

وعن ابن عبّاسٍ أيضًا: أنَّها ثلاثون خصلة: عشرٌ[١] في (براءة): ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ﴾ [التوبة: ١١٢]، وعشرٌ في (الأحزاب): ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]، وعشرٌ في أوَّل (المؤمنين) و(المعارج)[٢].

قال الشَّيخ[٣]: ويُحتمَلُ أن تكونَ الكلماتُ: أوامرَ الله ونواهيَه، فتندرجُ تحتَهما الأقاويلُ كلُّها.

﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾: أتى بهنَّ[٤] تامّاتٍ وافياتٍ، والإتمامُ: الإكمالُ.

ويحتملُ أنَّ الفعلَ لله تعالى؛ أي: ابتلاهُ بكلماتٍ، فأتمَّ له تلك الكلمات.

﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾: قدوةً؛ يُؤتَمُّ بك وتُتَّبَعُ، فجعلَه شجرةَ الأنبياء؛ لأنَّ الأنبياء بعدَه من ولدِه صلّى الله عليهم أجمعين.

﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾؛ أي: اجعلْ منهم أئمّةً يُقتَدى بهم، وذرِّيّةُ الرَّجلِ: أولادُه ذكورُهم وإناثُهم، ويجوز بالحركات الثَّلاث[٥]، واشتقاقُه من (الذَّرْوِ)[٦]،

---

(١) في (ن): «عشرة»، وكذا في المواضع التالية.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٤٩٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٢٠)، وذكره المصنِّف في «غرائب التفسير» (١/ ١٧٤).

(٣) «قال الشيخ»: ليس في (ن). وهذه العبارة وأمثالها تشير إلى أن هذا الكلام من المصنِّف، وهو يعكس طريقتَه في الجمعِ بين أقوال المفسِّرين، والاستنادِ إلى البيان القرآني، وميلَه إلى الحفاظ على عمومه، كما يُلحظ فيه ورع المصنِّف وتحرُّزه.

(٤) في (ن): «أي: أداهنّ»، وفي هامشها: «أتى بهنّ».

(٥) وقد قرأها عامة الناس بالضمِّ، ورُوي الفتح والكسر عن زيد بن ثابت رضي الله عنه. انظر: «المحتسب» لابن جني (١/ ١٥٦).

(٦) وهو البثُّ والتطاير والانتشار، وهو الخلق على غير مثال أيضاً، ويُهمز. انظر: «جمهرة اللغة» لابن دريد (٢/ ٦٩٥)، و«الصحاح» (١/ ٥١).

وقال الشَّيخ(١): ويُحتمَل من (الذَّرِّ)(٢)، ومن (الذَّرْي)(٣).

﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي﴾؛ أي: نبوَّتي ورسالتي.

الحسن: طاعةٌ يُحتسَب بها في الآخرة(٤).

مجاهدٌ: الإمامة(٥).

﴿الظَّالِمِينَ﴾(٦)؛ أي: في ذرِّيَّتك كافرٌ ومؤمنٌ، فلا ينالُ عهدي الكافرين منهم(٧).

وقرئ: (الظالمون)(٨)؛ لأنَّ ما نالَكَ فقد نلْتَه، والنَّيلُ: اللُّحوقُ.

***

(١٢٥) ـ ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾.

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ﴾ يعني: الكعبة.

﴿مَثَابَةً لِلنَّاسِ﴾: مَعادًا ومَرجعًا يثوبون إليه كلَّ عامٍ(٩)، ولا يملُّون.

---

(١) «وقال الشيخ»: ليس في (ن).

(٢) وهو التفريق والنشر. انظر: «القاموس المحيط» (ص: ٣٩٦).

(٣) وهو النشر والتفريق والبذر. انظر: «مقاييس اللغة» لابن فارس (٢/ ٣٥٣).

(٤) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٥١٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٢٣).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٥١٢).

(٦) «الظالمين»: ليس في (و).

(٧) «منهم»: من (ن).

(٨) قراءة شاذة نسبت لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه. انظر: «تفسير الطبري» (٢/ ٥١٦)، و«المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ١٦).

(٩) «كل عام»: ليس في (ن).

الزَّجّاج: سُمِّي بالمصدر كالـمَقامة[١].

والمثابة: اسمٌ للمكان.

قال الأخفش: ودخولُ التّاء للمبالغة[٢].

ابن عبّاسٍ: ﴿مَثَابَةً﴾؛ أي: مَن قصدَه تمنَّى العودَ إليه[٣].

وقيل: ﴿مَثَابَةً﴾ من الثَّواب؛ أي: يحجُّون فيُثابون عليه.

﴿وَأَمْنًا﴾؛ أي: ذا أمنٍ، إذا التجأ إليه الجاني لا يُقام عليه الحدُّ.

وقيل: أهلُه آمنون ويُتخطَّفُ النّاسُ من حولهم.

قال الشَّيخ: ويحتمل مَن حجَّ البيت أَمِنَ من عذابِ الله.

﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾: هو الحجرُ الذي فيه أثرُ قدمَيْه.

وروى المفسِّرون أنَّ النَّبيَّ ﷺ أخذَ بيدِ عُمرَ فلمّا أتى المقام، قال عمرُ: هذا مقامُ أبينا؟ قال: نعم، قال: يا رسول الله، أفلا تتَّخِذُ مقامَ إبراهيم مصلًّى، فأنزل الله تعالى: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾[٤].

مجاهدٌ: الحرمُ كلُّه مقامُ إبراهيم[٥].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٧٦).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ١٥٤).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٥١٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٢٥).

(٤) رواه البخاري (٤٠٢)، ومسلم (٢٣٩٩)، من حديث عمر رضي الله عنه.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٥٢٦)، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٢٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقال: وروي عن مجاهد وعطاء مثل ذلك.

ابن عبّاسٍ: الحجُّ كلُّه مقامُ إبراهيم[١].

عطاء: عرفة[٢].

﴿مُصَلًّى﴾ مجاهدٌ: مَدْعًى[٣]، غيره: موضع صلاةٍ.

و﴿وَٱتَّخِذُواْ﴾: عطفٌ على قوله: ﴿ٱذۡكُرُواْ﴾ [البقرة: ١٢٢].

وقيل: عطفٌ على ﴿وَٱتَّقُواْ﴾ [البقرة: ١٢٣].

وقيل: عطفٌ على[٤] (واذكروا إذ جعلنا البيت)، و(اتخذوا من مقام إبراهيم).

وقيل: تقديره: وإذ جعلنا البيتَ مثابةً للنّاس وأمنًا، وقلنا: اتَّخذوا.

ومن قرأ: ﴿واتَّخَذوا﴾ بالفتح[٥]، فهو عطفٌ على ﴿جَعَلۡنَا﴾.

«الحجّة»: وإذ جعلنا، وإذ اتَّخَذوا[٦].

القفّال: ﴿وَٱتَّخِذُواْ﴾ أمرٌ لأمّة محمَّد ﷺ، واعتراضٌ بين المعطوف والمعطوف عليه[٧].

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٢٨)، والطبري في «تفسيره» (٢/ ٥٢٥)،

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٥٢٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما من طريق عطاء.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٥٢٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٢٧). ومعنى (مدعى): موضع دعاء. انظر: «البسيط» للواحدي (٣/ ٣٠٦).

(٤) أي: على فعل مقدَّر قبل (إذ)، وتقديره ما ذكره المصنِّف.

(٥) قرأ نافع وابن عامر مفتوحة الخاء على الخبر، وباقي السبعة مكسورة الخاء. انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ١٧٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٦).

(٦) انظر: «الحجة للقراء السبعة» لأبي علي الفارسي (٢/ ٢٢٠)، وفيه أنَّ وجه قراءة مَن قرأ: ﴿واتَّخَذوا﴾ أنه معطوف على ما أضيف إليه، إذ كأنه: وإذ اتَّخذوا... ومن قرأ: ﴿وَٱتَّخِذُواْ﴾ بالكسر فتقديره: افعلوا، وصيغة الأمر آكد.

(٧) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ١٧٥).

﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ﴾: أمرناهما أمرًا مؤكَّدًا.

﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ﴾ السُّدِّيُّ: ابنياه على الطَّهارة[1]؛ من قوله: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ﴾ [التوبة: ١٠٩][2].

سعيد بن جُبير ومقاتل: من الأوثانِ والرِّيبِ وقولِ الزُّور[3].

وقيل: بخِّراه وخلِّقاه[4].

القفّال: عرِّفا النّاس أنَّ بيتيَ طُهرةٌ لمن حجَّ وزارَ[5].

﴿لِلطَّآئِفِينَ﴾: للنُّزّاعِ إليه من البلاد.

﴿وَٱلْعَـٰكِفِينَ﴾: المقيمينَ من أهل مكّة.

﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾: المصلِّين من أيِّ جهةٍ كانوا.

القفّال: الطّائفون[6] الذين يطوفون بالبيت، والعاكفون: هم المقيمون في المسجد، والرّكَّع السجود: هم المصلُّون، قال: والنَّاس في ذلك المسجد على هذه المنازل الثَّلاثة.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٥٣١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٢٧)، ولفظهما: «ابنيا بيتي».

(٢) ذكر المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ١٧٥) أن هذا قول الجمهور، وبيَّن بالاستدلال بالآية وجه هذا القول ومستنَده.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ١٣٨) وفيه فقط ذكر الأوثان، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٢٧) عن مجاهد وسعيد بن جبير.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٩٧) عن يمان بن رئاب، والمعنى عطراه بالبخور والخَلوق.

(٥) ذكره الرازي في «التفسير الكبير» (٤/ ٤٦) دون نسبة.

(٦) في (ن): «للطائفين هم».

(١٢٦) - ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكونَ هذا دعاءً من إبراهيمَ قبل البناء، فيكون ﴿هَذَا﴾: إشارةٌ إلى الوادي من قوله: ﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ [إبراهيم: ٣٧]، و﴿بَلَدًا﴾: مفعولٌ، و﴿آمِنًا﴾: صفته.

وفي الأخرى: ﴿هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾ [إبراهيم: ٣٥] دعاءٌ منه بعد البناء، فيكون ﴿هَذَا﴾: مفعولًا، و﴿الْبَلَدَ﴾: عطف بيانٍ أو وصفٌ، و﴿آمِنًا﴾: المفعول الثّاني.

والوجه الثّاني: أن يكون تقديره: هذا البلد بلدًا آمنًا، فيكون كالآية الأخرى.

والبلدُ والمِصْرُ واحدٌ.

﴿آمِنًا﴾؛ أي: ذا أمنٍ.

القفّال: مأمونًا فيه، كقولك: ليلٌ نائمٌ، وليلٌ ساهِرٌ(١).

وقيل: آمنًا أهلُه.

﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾: أنواع حَمْلِ الأشجار.

﴿مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ خَصَّ إبراهيمُ المؤمنَ بالرِّزق دون الكافر لـمَّا قال سبحانه: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤].

﴿قَالَ﴾ فأجابه سبحانه بقوله: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ﴾؛ أي: فأمتِّعُه بالأمن والرِّزق.

﴿قَلِيلًا﴾: تمتيعًا قليلًا، أو زمانًا قليلًا إلى حين أجله، سمّاه قليلًا لسرعة انقضائه.

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٣/ ٣١٠)، والزمخشري في «الكشاف» (١/ ١٨٦) دون نسبة.

وقيل: إلى وقت خروج محمَّد ﷺ.

وقرئ: ﴿فَأُمْتِعُهُ﴾[١] من الإمتاع، والإمْتاعُ والتَّمتيعُ: النَّفعُ والتَّنعيم، واشتقاقُه من (مَتَعَ النَّهارُ)؛ إذا طال[٢].

﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ﴾: أُلجِئُه، والاضطرارُ: فعلُ ما لا يتهيَّأ له الامتناعُ منه.

﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾: المرجع.

ابن عيسى: المصيرُ: الحالُ التي يؤدِّي إليها أوَّلُ لها.

* * *

(١٢٧) ـ ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ﴾: يُعلي، والرَّفعُ: الإعلاءُ.

﴿ٱلْقَوَاعِدَ﴾: الأساس، واحدتُها: قاعدةٌ.

الزَّجّاج: أصله في اللُّغة: الثُّبوتُ والاستقرار[٣].

ابن عبّاسٍ وعطاءٌ: كان آدم عليه السَّلام بنى البيت ثمَّ عفا أثرُه، فجدَّده إبراهيمُ عليه السَّلام[٤].

---

(١) بالتخفيف، وهي قراءة ابن عامر من السبعة. انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ١٧٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٦).

(٢) وإذا ارتفع أيضاً. انظر: «الصحاح» للجوهري (٣/ ١٢٨٢).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢٠٨)، وفيه: (القواعد واحدتها قاعدة، وهي كالأساس والأس للبنيان، إلا أن كل قاعدة فهي للتي فوقها).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٥٤٩).

وقيل: كان معه أُهبِطَ من السَّماء، فدَرَس.

مجاهدٌ وعَمرو بن دينارٍ: أنشأه إبراهيمُ بأمر الله إيّاه[١].

﴿مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾ يعني: بيتَ الله، وهو الكعبة.

﴿وَإِسْمَٰعِيلُ﴾ السُّدِّيُّ في جماعةٍ: عطفٌ على ﴿إِبْرَٰهِـۧمُ﴾؛ أي: يرفعانه[٢].

ابن عبّاسٍ: كان إبراهيمُ يبني وإسماعيلُ يناولُه الحجارة[٣]، فجازَ وصفُهما برفع القواعد.

وقيل: ﴿وَإِسْمَٰعِيلُ﴾ رفعٌ بالابتداء، والمعنى: كان إبراهيمُ يبني، وكان إسماعيلُ يقول: ربّنا تقبّل منّا[٤]، وفي هذا بُعْدٌ.

والوجهُ: ويقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾؛ أي: تَقَرُّبَنا إليك ببناء هذا البيت، من قَبول الرَّجل ما يُهدَى إليه، والتَّقبُّلُ: الإثابةُ على العمل، ودلَّ هذا على أنَّهما بنَياه مُتعبَّدًا لا مَسكنًا.

﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لدعائنا ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بنيّاتِنا.

* * *

(١٢٨) ـ ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٥٥٤) عن مجاهد.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٥٥٦).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٥٥٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٣٢).

(٤) «تقبل منا»: من (ن).

﴿رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ﴾؛ أي: أدمْ لنا توفيقَكَ للإسلام، وقيل: اجعلْ إسلامَنا لك ولوجهِكَ وحدَكَ.

﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ﴾: جماعةً ﴿مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ﴾ خصَّ البعضَ؛ لأنَّ الله أعلمَهما أنَّ في ذرِّيتهما الظَّالمَ بقوله: ﴿لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤].

﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾: علِّمنا أعمالَ الحجِّ، وما يُفعَل في المواقف كالطَّواف والسَّعي والوقوف والصَّلاة، فتكون (مناسك) جمع (مَنْسَكٍ) للمصدر، وجُمعَ لاختلافها[1].

وقيل: ﴿وَأَرِنَا﴾: من رؤية العين، ﴿مَنَاسِكَنَا﴾: المواقف التي تُقام فيها شرائعُ الحجِّ، كمنًى وعرفاتٍ والمزدلفة، فتكون جمع (مَنْسِكٍ) و(مَنْسَكٍ)، وهو موضعُ العبادة.

﴿وَتُبۡ عَلَيۡنَآ﴾ ما جرى من التَّقصير والسَّهو والذَّنب الصَّغير، وليس الأنبياءُ بمعصومين عن الصَّغائر[2].

وقيل: ضمّا الذُّرِّيّةَ إليهما في الدُّعاء.

وقيل: قالا على وجه التَّسبيح؛ ليقتديَ بهما من بعدهما.

﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ﴾: يتوبُ على عبده إذا تاب إليه من ذنبه.

﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ حيث رخَّصَ لهم في التَّوبة وغفرَ لهم.

---

(١) وهذا اختيار أبي علي الفارسي. انظر: «الحجة» (٢/ ٢٢٤).

(٢) هذه مسألة فيها خلاف بين بعض العلماء، وما ذهب إليه المصنِّف من جواز وقوع الصغائر من الأنبياء هو مذهب ابن فورك من الأشاعرة، وثمة مَن أجاز وقوع كلِّ معصية إلا الكذب في التبليغ، وذهبت جماهير أهل السنة والمعتزلة والخوارج والشيعة إلى أنه لا يجوز البتة أن تقع من نبي معصية عمداً. انظر: «الفصل في الملل والأهواء والنحل» لابن حزم (٤/ ٢)، و«غرائب التفسير» للمصنِّف (٢/ ٦٩٦).

(١٢٩) ـ ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ﴾ في الذُّرِّيَّة ﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ هو: محمَّد ﷺ، ومنه قوله ﷺ: «أنا دعوةُ إبراهيمَ، وبُشْرى عيسى»[1]، ولم يكن نبيٌّ بعد إسماعيلَ في مكَّةَ إلَّا محمَّدٌ ﷺ.

﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ﴾: خبر مَن مضى وخبر مَن بقيَ إلى يوم الدِّين.

المفضَّل: يبيِّنُ لهم دينَك.

وقيل: الآيات: القرآن.

﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾: هو القرآن.

﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ قيل: هي القرآنُ أيضًا، وقيل: الفقه، وقيل: السُّنَّة، وقيل: الحكمُ والقضاء.

﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾: ويعلِّمُهم ما يصيرون به أزكياء.

وقيل: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ يشهدُ لهم بالزَّكاء، من تزكيةِ العُدولِ.

﴿إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ﴾: الغالبُ في نَقْمَتِك ﴿الْحَكِيمُ﴾: في حُكْمِك.

* * *

(١٣٠) ـ ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ ۚ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٧١٥٠)، والبزار في «مسنده» (٤١٩٩)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٤٠٤) من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه.

﴿وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ﴾: استفهامٌ بمعنى الـجَحْد؛ أي: ما يرغَبُ عن دينِ إبراهيمَ، وأصل الرَّغبة: رفعُ الهمّةِ عن الشَّيءِ تنزُّهًا، وإلى الشَّيءِ سُموًّا.

﴿إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥ﴾: جهلَها وجهلَ خالقَها، تقول: سَـفَهَ يَسْـفُهُ سَـفاهةً، وسَفِهَ يَسْفَهُ[1] سَـفَـهًا.

أبو عبيدة: ﴿سَفِهَ نَفۡسَهُۥ﴾: أهلكَها[2].

الفرّاء: ﴿نَفۡسَهُۥ﴾ نصبٌ على التَّمييز[3].

الأخفش: ﴿سَفِهَ﴾ بمعنى: سَفَّهَ[4].

الزَّجّاج: سَفِهَ في نفسِه، كقوله: ﴿وَلَا تَعۡزِمُواْ عُقۡدَةَ ٱلنِّكَاحِ﴾ [البقرة: ٢٣٥][5].

وأصل السَّفَهِ: الخِفّة، وهو ضدُّ رَزِينِ الحِلْم.

﴿وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَا﴾؛ أي: اخترناه واستخلصناه للرِّسالة والخُلّة، وأصلُ الصَّفاء: الخلوصُ من الشّائب.

﴿وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ المفضَّـل: الذيـن يسـتوجبون صالـحَ الجـزاء وحُسْـنَ الثَّواب.

---

(١) «يسفه»: ليس في (ن).

(٢) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٥٦).

(٣) فالفعل لازم، والمعنى عنده: إلا مَن سفِهَ نفساً، وقد ضعَّف المصنف هذا الوجه؛ لأن التميز لا يكون إلا نكرة. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٧٩)، و«غرائب التفسير» (١/ ١٧٧).

(٤) فالفعل متعدٍّ، و(نفسَه) مفعولٌ به، وهذا القول إنما حكاه عن أهل التأويل، ولعلَّه عنى أبا عبيدة، والظاهر أنه يميل إلى أنه منصوب بنزع الخافض. انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ١٥٧).

(٥) فالفعل لازم، و(نفسه) منصوب بنزع الخافض. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢١٠).

وقيل: ﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: لنفسِه حين نجّاها من الهلكة[١].

وقيل: ﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: من الأنبياء[٢].

* * *

(١٣١) ـ ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ﴾؛ أي: ولقد اصطفيناه حين قال له ربُّه: أسلم.

وقيل: ﴿إِذْ﴾ ظرفٌ؛ لقوله: ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ﴾[٣].

ومعنى ﴿أَسْلِمْ﴾: أخلِصْ دينَكَ وعمَلَكَ لله واعبدْهُ ووحِّدْهُ.

﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: انقـدْتُ وأخلصْـتُ لله؛ إذ هـو مالـكُ كلِّ شـيءٍ ومدبِّره.

القفّال: لمّا امتُحِنَ بالكواكب والشَّمس والقمر، قال له عقيب الامتحان: أسلم. قال: ويجوز أن يكونَ جعل الدِّلالةَ قولًا، كقوله: ﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ﴾ [الروم: ٣٥].

* * *

(١٣٢) ـ ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾.

﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ﴾ قيل: ﴿بِهَآ﴾: بالملّة، وقيل: بالكلمة، وهي: ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

---

(١) انظر: «النكت والعيون» للماوردي (١/ ١٩٣).

(٢) انظر: «غرائب التفسير» للمصنف (١/ ١٧٧).

(٣) ففي الآية تقديم وتأخير. انظر: «النكت والعيون» للماوردي (١/ ١٩٣).

وقُرِئَ: ﴿وأوصى﴾[١]، والإيصاءُ والتَّوصية بمعنى، والتَّشديدُ أبلغ، وأصله: الوصايةُ، وهي الاتِّصال.

«الحجّة»: كأنَّ الموصيَ وصلَ حبلَ أمرِه بالموصَى إليه[٢].

﴿وَيَعۡقُوبُ﴾ الزَّجّاج: عطفٌ على ﴿إِبۡرَٰهِـۧمُ﴾؛ أي: وصَّى إبراهيمُ بنيه ويعقوبُ بنيه[٣]، ورُوي عن يعقوبَ عليه السّلام[٤].

و(يعقوبَ)؛ أي: وصَّى بنيه وأسباطَه[٥].

الحسن[٦]: يجوز أن يكون استئنافًا؛ أي: يعقوبُ قال[٧]:

﴿يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ﴾: اختار[٨] ﴿لَكُمُ ٱلدِّينَ﴾: الملّة الحنيفيّة.

وكسر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ حيث كان الوصيّةُ قولًا.

---

(١) قرأ نافع وابن عامر: ﴿أوصى﴾ بالألف مخففًا، وقرأ الباقون: ﴿وَوَصَّىٰ﴾ بغير ألف مشددًا. انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ١٧١)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٧).

(٢) انظر: «الحجة للقراء السبعة» لأبي علي الفارسي (٢/ ٢٢٨).

(٣) لم أقف عليه عند الزجاج، وقد ذكر هذا الوجه الفراء في «معاني القرآن» له (١/ ٨٠)، والأخفش في «معاني القرآن» له (١/ ١٥٨).

(٤) وهو ما حكاه القرآن عنه في الآية التالية.

(٥) وهذا على قراءة مَن نصب (يعقوب)، وهم إسماعيل بن عبد الله المكي، والضرير، وعمرو بن فائد الأسواري، والمعنى على هذه القراءة: وصَّى إبراهيم بنيه ويعقوبَ وأسباطَه، فقال: يا بنيَّ... انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (١/ ٦٣٦).

(٦) كذا في النسخ الخطية، ولعلَّ الصواب: أبو الحسن، وهو الأخفش.

(٧) وذكر هذا الوجه الأخفش في «معاني القرآن» (١/ ١٥٨).

(٨) «اختار»: من (ن).

﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ ظاهرُه نهيٌ عن الموت، والمعنى: دُوموا على الإسلام، ولا يكن حالُكم عند الموت غيرَ حالِ الإسلام.

* * *

(١٣٣) - ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾.

﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ﴾ استفهامٌ بمعنى الجحد؛ أي: لم تكونوا حضورًا فلِمَ تدَّعون أنَّ إسرائيل أوصى بنيه باليهوديّة، وذلك أنَّ اليهود قالت لرسول الله ﷺ: ألسْتَ تعلمُ أنَّ يعقوبَ يوم مات أوصى بنيه باليهوديّة، فأنزل الله هذه الآية[1].

والشُّهداءُ: جمع شهيدٍ.

﴿إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ﴾؛ أي: أسبابه.

﴿إِذْ قَالَ﴾ يجوز أن يكون بدلًا من الأوّل، ويجوز أن يكون ظرفًا لـ﴿حَضَرَ﴾.

﴿لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى﴾؛ أي: من بعد موتي.

﴿قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾ نزَّلَ العمَّ منزلةَ الأب.

﴿إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾: بدل من الأوّل، أو حال.

﴿وَنَحْنُ لَهُۥ﴾: لله[2] ﴿مُسْلِمُونَ﴾: منقادون الآن.

* * *

(١) ذكره مقاتل بن سليمان في «تفسيره» (١/ ١٤٠)، والثعلبي في «تفسيره» (٤/ ١٤٦)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٤) بلا سند.

(٢) «لله»: من (ن).

(١٣٤) - ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ﴾: جماعةٌ، والأمّة: جماعةٌ تؤُمُّ جهةً واحدةً.

﴿قَدْ خَلَتْ﴾: قد مضتْ ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ من معصيةٍ أو طاعةٍ، فهم محاسَبون بها ومجازَون عليها.

﴿وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ﴾ إنْ خيرًا فخيرًا، وإنْ شرًّا فشرًّا[١].

﴿وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ لكلِّ امرئٍ ما كسَبَ، وعليه ما اكتسَب.

القفّال: ﴿قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾؛ أي: قد مضتْ على ما دانَتْ به في عصرها، ﴿وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ﴾: ما تدينون به الآن ممّا شرعَه اللهُ في عصركم؛ فإنَّ الدِّينَ للهِ يشرَعُ منه ما يشاء، وينقلُ ما[٢] يشاء إلى ما يشاء.

***

(١٣٥ ـ ١٣٦) ـ ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾.

﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ﴾ ابن عبّاسٍ: نزلَتْ حين قالت اليهودُ: نبيُّنا موسى أفضلُ الأنبياء، وكتابُنا التَّوراةُ أفضلُ الكتب، ودينُنا أفضلُ الأديان، وكفرَتْ

---

(١) الأكثر والأحسن في مثل هذا أن يقال: إنْ خيراً فخيرٌ وإن شراً فشرٌّ، ولكن ما ذكره المصنِّف صحيح، وهو كلام بعض العرب، وهو على تقدير فعل؛ أي: إن كان الذي عَمل خَيراً جُزيَ خيراً، وإن كان شرّاً جُزيَ شرًّا. انظر: «الكتاب» لسيبويه (١/ ٢٥٨).

(٢) في (ن): «وينقل عن من».

بعيسى والإنجيلِ ومحمَّدٍ والقرآنِ، وقالت النَّصارى: نبيُّنا عيسى أفضلُ الأنبياء، وكتابُنا الإنجيلُ أفضلُ الكتب، ودينُنا أفضلُ الأديان، وكفرَتْ بموسى والتَّوراةِ ومحمَّدٍ والقرآن، وقال كلُّ واحدٍ من الفريقَين للمؤمنين: كونوا على دينِنا، فلا دينَ إلَّا ذلك(١).

والمعنى: قالت اليهود: كونوا هودًا، وقالت النَّصارى: كونوا نصارى، فأخبر عنهما معًا.

﴿تَهۡتَدُواْ﴾: تصيبوا الحقَّ.

﴿قُلۡ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ﴾؛ أي: نتَّبعُ، أو: اتَّبعوا ملّةَ إبراهيم، وقيل: أهلَ ملّةِ إبراهيم.

﴿حَنِيفٗا﴾: مائلًا، من (حَنَفِ القدمِ)(٢).

وقيل: مستقيمًا، وأصلُ الحَنَفِ: الاستقامة، فسُمِّي معوجُّ القدمِ أحنفَ تفاؤلًا، وكانت العربُ في الجاهليّة تُسمِّي مَن اختتنَ وحجَّ واغتسلَ من الجنابة حنيفًا(٣).

﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٣٥ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾: القرآن ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ﴾: أسباط(٤) يعقوب، جمع سِبْطٍ، والسِّبْطُ: قومٌ يرجعون إلى أبٍ واحدٍ.

و(إلى) للانتهاء، والكتبُ منتهيةٌ إليهم(٥) ومنزَّلةٌ على الأنبياء(٦)، فكان

(١) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٥٨٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٤١).

(٢) حنف القدم: أن تُقبل كلُّ واحدة من الإبهامين على صاحبتها. انظر: «أدب الكاتب» لابن قتيبة (ص: ١٣٩).

(٣) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٥٨).

(٤) كُتب في (ن) فوق «أسباط»: «أولاد».

(٥) أي: الأسباط.

(٦) «ومنزلة على الأنبياء»: زيادة من (ن).

هاهنا بلفظ: (إلى) لقوله: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا﴾، وكان في (آل عمران) ﴿عَلَيْنَا﴾؛ لقوله: ﴿قُلْ ءَامَنَّا﴾[١].

﴿وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ﴾: كُرِّر ﴿أُوتِيَ﴾ هاهنا، ولم يُكرَّر هناك[٢]؛ لأنَّه تقدَّم هناك ميثاق النَّبيين: ﴿لَمَآ ءَاتَيْتُكُم﴾ [آل عمران: ٨١].

﴿مِن رَّبِّهِمْ﴾؛ أي: من عند ربِّهم.

﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾: فنؤمنُ ببعضٍ ونكفرُ ببعضٍ.

و﴿أَحَدٍ﴾ هاهنا للعموم؛ أي: لا نفرِّق بينهم.

وقيل: بين أحدٍ منهم والآخر[٣].

وقيل: معناه: لا نقول: إنَّهم متفرِّقون في أصول الدِّيانات.

وقيل: ﴿بَيْنَ﴾ هاهنا: الدِّينُ، وهو كما تقول: شقَّ عصا المسلمين؛ إذا فارقَ جماعَتَهم[٤].

﴿وَنَحْنُ لَهُۥ﴾: لأمره ﴿مُسْلِمُونَ﴾: منقادون، وقيل: لله مخلصون.

* * *

(١٣٧) ـ ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

---

(١) فالخطاب لـمّا كان للأمة في سورة (البقرة) ناسب استخدام (إلى)، ولـمّا كان للنبي في سورة (آل عمران) ناسب استخدام (على). وانظر: «البرهان» للمصنف (ص: ٧٩).

(٢) أي: في سورة (آل عمران).

(٣) «والآخر» من (و).

(٤) ذكره المصنِّف في «غرائب التفسير» (١/ ١٨١)، واستغربه.

﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ قيل: الباء زائدة، والمعنى: فإن آمنوا إيمانًا مثلَ إيمانكم، ولم يفرِّقوا بينَ الله وأنبيائه.

وقيل: (مثل) زيادة؛ أي: فإن آمنوا بما آمنتم.

وقيل: فإن آمنوا بالقرآن، والقرآنُ مثلُ التَّوراة[1].

﴿فَقَدِ ٱهْتَدَواْ﴾؛ أي: فقد صاروا مهتدين.

﴿وَّإِن تَوَلَّوْاْ﴾: أعرضوا عن هذه الجملة، ولم يقبلوها، ولم يؤمنوا كإيمانكم.

﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ﴾: في مُباينةٍ وخلافٍ.

﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾؛ أي: يكفيك كيدَهم وعداوتَهم، فأنجزَ سبحانَه وعدَه، فأمر نبيَّه بقتلِ بعضٍ وإجلاءِ بعضٍ وأخذِ الجزية عن بعضٍ.

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لما يقولونه ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بما يسرُّون.

***

(١٣٨) ـ ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾.

﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ بدل من ﴿مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾، وقيل: نصب على الإغراء؛ أي: عليكم دينَ الله.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾: دينًا، وعن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّ الأصل في تسمية الدِّين صبغةً من جهة عيسى بن مريم حين قصد يحيى بن زكريا، فقال: جئتُك لأصطبغَ منك، وأغتسل في نهر الأردن، فلمّا خرجَ نزلَ عليه روح القدس[2].

---

(١) ذكره المصنِّف في «غرائب التفسير» (١/ ١٨١)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ١٨١)، وانظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (١/ ٦٥٥).

وكانت النَّصارى إذا وُلِد لأحدهم ابنٌ وأتى عليه سبعةُ أيامٍ صبغوه في ماءٍ لهم يُقالُ له: المعموديُّ؛ ليطهِّروه بذلك، ويقولون: هذا طهورٌ مكان الختان، فإذا فعلوا ذلك قالوا: الآن صار نصرانيًّا حقًّا، فأنزل الله تعالى: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾[1].

وروى القفّال: في ماءٍ لهم يُقالُ له: المعموديّة. قال: ويسمُّون ذلك الفعل: التَّعميد، ومنهم من يسمِّيه الصَّبغ، وفي الإنجيل بزعمهم في ذكر يحيى: الصّابغ. قال: وفي بعض تراجمهم: المعمداني. قال: ووقعَتِ[2] العبارةُ عن الدِّينِ بلفظ الصِّبغةِ لخروج الكلام مخرَجَ المحاجّة في الصَّبغ والمقابلة، وسمِّي الدِّين صِبغةً لبيان أثره على الإنسان من الصَّلاة والصَّوم والطَّهور والسَّكينة والسَّمت[3].

قال ابن الأنباريِّ: العرب تقول: فلان يصبغُ فلانًا في الشَّرِّ؛ إذا أدخلَه فيه، وألزمه إيّاه، كما يلزمُ الثَّوبَ الصَّبغُ[4].

﴿وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾: موحِّدون مطيعون.

* * *

(١٣٩) ـ ﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ﴾.

﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا﴾ ابن عبّاسٍ: أتجادلوننا[5].

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ١٥٩)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤١) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) في (ن): «وقعت».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ١٨١ ـ ١٨٢).

(٤) انظر: «الزاهر» لابن الأنباري (١/ ٣٤١).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٦٠٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٤٥).

مجاهدٌ: أتخاصموننا[1].

﴿فِي ٱللَّهِ﴾؛ أي: في دين الله، وتدَّعون الزُّلفى عندَه، وذلك أنَّهم قالوا: ديننا أفضلُ الأديان، ونحن أبناءُ أنبيائِه.

﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾: خالقنا ومدبِّرنا وخالقُكم ومدبِّرُكم، والله عنّا جميعًا غنيٌّ.

﴿وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾: يجازي كلَّ إنسانٍ بعملِه، وعلى الأعمالِ يقعُ الثَّوابُ والعقاب، لا على قِدَمِ الدِّينِ والانتساب.

﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ﴾: لا نشرِكُ به غيرَه، ومنكم مَن عبَدَ العجل، ومنكم مَن عبَدَ المسيح، ومنكم مَن قال: نحن أبناء الله وأحبّاؤه، فظهر أنَّكم مُبطلون في الدَّعوى.

* * *

(١٤٠) ـ ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿أَمْ تَقُولُونَ﴾ استفهام توبيخٍ وتعجيبٍ.

﴿إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا﴾: على دين موسى ﴿أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾: على دين عيسى، وليس ذلك كما يقولون؛ إذ كانوا سابقين اليهوديّة والنصرانيَّة، وما كانوا إلَّا على الدِّين الذي نحن عليه، فهكذا أخبرنا الله تعالى عنهم بقوله: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾ [آل عمران: ٦٧] الآية.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٦٠٧).

﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ وقد علم منكم خلافَ ما تقولون، وأخبرَنا أنَّهم كانوا مسلمين.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾ القفّال وابن عيسى: أي: فلا أظلمَ منَ اللهِ إن كتمَ الشَّهادة، فـ(مِن) الأولى بمعنى: في، والثّانية للتَّفضيل[١].

وقيل: ومَن أظلم منكم معاشرَ اليهود والنَّصارى إن كتمتم من الله شهادةً عندكم، وفي كتابكم أنَّهم لم يكونوا هودًا ولا نصارى[٢].

وقيل: ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ صفةٌ للشَّهادةِ عندكم، وتقديره: شهادة ثابتة أو كائنة أو جائية من الله، وهي صفةُ محمَّدٍ ﷺ، وهذا الوجهُ أظهر[٣].

﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ من تكذيبِ الرُّسلِ وكتمانِ الشَّهادة.

* * *

(١٤١) ـ ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

---

(١) (من) الأولى هي الداخلة على (مَن)، والثانية هي الداخلة على لفظ الجلالة، والمعنى: إن من كتم شهادة الله فلن يعاقبه أحد عقاباً أشد من عقاب الله، ولكن جرى على هذا التقدير التعبير عن شدة العقاب بالظلم، وقد ذكر المصنف هذا القول في «غرائب التفسير» (١/ ١٨٢)، ووصفه بالعجيب، وهو عنده ما فيه خلل.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ١٨٢)، واستغربه.

(٣) هذا أظهر الأقوال عند المصنِّف، وقد خالف في هذا الموضع الغالب على منهجه من تقديم الأقوال الراجحة على غيرها، فقدَّم قولاً يرى ضعفه، وأتبعه بقول يعدُّه غريباً، لكنَّه استدرك، وصرَّح بترجيح آخر الأقوال، ولـمّا صنَّف «غرائب التفسير» عاد إلى الغالب من منهجه، فقدَّم القول الظاهر، ثم ذكر الغريب، ثم العجيب. انظر: «غرائب التفسير» (١/ ١٨٢).

﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ سبق تفسيرها، وكُرِّرت لتأكيد الأوَّل، وقيل: المرادُ بالأوَّل الأنبياءُ صلوات الله عليهم، والمرادُ بالثّاني أسلافُ اليهود والنَّصارى.

وقيل: الأوَّلُ لنفي ما هو ثابتٌ من إقرار بني إسرائيل، والثّاني لإثبات ما هو نفيٌ من كون إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب هودًا أو نصارى.

***

(١٤٢) ـ ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾.

﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ عن البراء قال: لـمّا قدم رسول الله ﷺ المدينةَ، فصلَّى نحو بيت المقدس ستّة عشر شهرًا أو سبعة عشر شهرًا، وكان يحبُّ أن يُوجَّهَ نحو الكعبة، وأنزل الله: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ [البقرة: ١٤٤]، ونُسِخَتِ القِبلةُ الأولى، قالت السّفهاء من النَّاس(١).

ابن مسعودٍ: هم اليهود(٢)، السُّدِّيُّ: هم المنافقون(٣)، الحسن: هم المشركون(٤)، وقيل: هو عامٌّ فيهم، وهم الذين لا وزنَ لهم في عقولهم.

﴿مَا وَلَّىٰهُمْ﴾: أيُّ شيءٍ صرفَهم؟ من قوله: ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥ ﴾ [الأنفال: ١٦].

﴿عَن قِبْلَتِهِمُ﴾ والقِبلةُ: الجهةُ التي يستقبلُها الإنسانُ في الصَّلاة وغيرها، مشتقّةٌ من (المقابلة)؛ لأنَّ المصلِّي يقابلُها.

---

(١) رواه البخاري (٣٩٩)، ومسلم (٥٢٥).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٦١٦ ـ ٦١٧) عن البراء وابن عباس رضي الله عنهم.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٦١٧).

(٤) ذكره الواحدي في «البسيط» (٣/ ٣٦٧).

﴿ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَا﴾ يعنون: بيت المقدس.

قال المفضَّل: قالت كفّار قريشٍ بمكّة: ما ولّاهم عن قِبلتهم التي كانوا عليها - يعني: الكعبة[1] - إلى قبلة اليهود؟ وقالوا: يوشِكُ أن يدَعَ دينَه ويرجع إلى دين آبائه، فأنزل الله تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾: إلى دينٍ مستقيمٍ يؤدِّي بسالكِه إلى مطلوبه.

الواقديُّ: صُرفَت القِبلةُ يوم الإثنين للنِّصف من رجبٍ على رأس سبعة عشر شهرًا في صلاة الظُّهر[2].

***

(١٤٣) - ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ﴾؛ أي: كما جُعلَتْ قبلتُكم خيرَ القِبلِ جعلْتُكم خيرَ الأمم.

وقيل: كما جعلنا قِبلتكم متوسِّطةً بين المشرق والمغرب جعلناكم ﴿أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾: بين الغلوِّ والتَّقصير.

---

(١) في (و): «يعنون: القبلة».

(٢) رواه عنه ابن سعد في «الطبقات» (١/ ١٨٦)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (٣/ ٩٣)، وابن سيد الناس في «عيون الأثر» (١/ ٢٦٨)، وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ١٢١) عن البراء بن عازب ومعقل بن يسار، وابن سيد الناس في «عيون الأثر» (١/ ٢٦٨) عن ابن إسحاق، وذكر الطبري في «تاريخه» (٢/ ٤١٦) عن الواقدي أنها في شعبان.

الزَّجّاج: ﴿وَسَطًا﴾: عدلًا، والاعتدالُ هو التَّوسُّط[١].

أبو عبيدة: الوسط: الخيار، من (واسطة العقد)[٢]، ومن قوله سبحانه: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ [القلم: ٢٨][٣].

﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ ابن عبّاس: يأتي كلُّ نبيٍّ مع أمَّته، فيُسْأَل النَّبيُّ ﷺ: «هل بلَّغْتَ؟» فيقول: «قد بلَّغْتُ»، فتقول الأمّةُ: ما بلَّغَنا أحدٌ عنك شيئًا؛ يُكذِّبون أنبياءَهم، فيُجاءُ بأمّة محمَّد ﷺ فيُصدِّقون الأنبياء، ثم يأتي محمَّدٌ ﷺ، فيصدِّقُ أمَّته، فهذا معنى قوله: ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾[٤].

﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ ورُوي عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «إنَّ الأممَ السّالفةَ تقولُ لهم: كيفَ تشهدونَ علينا، ولم تُشاهدونا؟ فتقولُ: أعلَمَنا نبيُّ اللهِ ﷺ بما أُنْزِلَ عليه من كتابِ الله»[٥].

والشَّهادةُ تكونُ بالمشاهدة، ومنها ما تكون بخبر الصّادق كالشَّهادة على

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢١٩)، وذكر أيضًا معنى آخر، وهو الخير، وقد قيل في صفة النبي ﷺ: «إنه من أوسط قومه جِنْسًا»؛ أي: من خيارها، والعربُ تصف الفاضِل النَّسب بأنه من أوسط قومه. وقد بيَّن الزجاج اتفاق معنيي الوسط فقال: «واللفظان مختلفان والمعنى واحد؛ لأن العدل خير والخير عدل».

(٢) هي الجوهرة التي في وسط العقد المنظوم، وهي أفضل ما نُظم منه. انظر: «البارع في اللغة» لأبي علي القالي (ص: ٦٧٥)، و«شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم» لنشوان بن سعيد الحميري (١١/ ٧١٥٩).

(٣) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٥٩).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٦٠٣)، وروى البخاري أصلَه (٤٤٨٧) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٥) لا يصحُّ مرفوعاً. انظر: «تفسير الطبري» (٢/ ٦٣٤)، «النكت والعيون» للماوردي (١/ ١٩٩).

الشَّهادة، ومنها ما تقعُ بالاستفاضة كالشَّهادة على الأنساب، ومنها ما تقعُ بالدِّلالة كالشَّهادة على الأملاك، وكتعديلِ الشّاهدِ وجَرحِه.

وقيل: ﴿لِتَكُونُواْ شُهَدَآءَ﴾ تشهدونَ على النَّاسِ بأعمالهم التي خالفوا الحقَّ فيها.

الزَّجّاج: لتكونوا حجّةً على النّاس فيما تشهدون به، ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾: بعدالتِكم يومَ القيامة[1].

و(على) بمعنى: اللّام، كقوله: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ [المائدة: ٣][2].

وقيل: ﴿شَهِيدًا﴾ لكم بإيمانكم.

وقيل: حجّةً عليكم[3].

وقيل: يكون في كلِّ زمان قومٌ يشهدون بما شاهدوا من أعمال النّاس في زمانهم، فيُعملُ بشهاداتهم، والرَّسولُ شهيدٌ على أهل زمانه فقط.

﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ﴾ يعني: بيت المقدس.

وقيل: أنت عليها[4]؛ يعني: الكعبة.

﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ﴾ فيثبتُ على إيمانه ﴿مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ فيرتدُّ عن الدِّين.

والعَقِبُ: مؤخَّرُ القَدَم.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢٢٠).

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (١/ ٥٨٤)، و«تفسير السمرقندي» (٢/ ٤٧٢).

(٣) و(على) على أصل معناها على هذا القول، وليست بمعنى اللام.

(٤) انظر: «الصاحبي في فقه اللغة» لابن فارس (ص: ١٧٩)، و«تفسير الثعلبي» (٤/ ١٧٩).

ومعنى ﴿لِنَعْلَمَ﴾ هاهنا وما أشبهه في القرآن: عِلْمُ المشاهدة، وهو الذي يُستحَقُّ به الثَّوابُ والعقابُ، وأمّا علمُ الغيب فلا يُستحَقُّ به الثَّوابُ والعقاب.

وقيل: معناها: لنرى، وقيل: لِنَمِيْزَ، وقيل: ليعلمَ أولياؤُنا، كما يُقال: أجُوعُ في غير بطني وأعرى في غير ظهري[1]، وقيل: نعملُ معاملةَ المختبِرِ الذي كأنَّه لا يعلم.

﴿وَإِن كَانَتْ﴾ هي المخفَّفةُ من المثقَّلة[2]، ويلزم ما بعدها لام الفرق[3]؛ أي: وإن كانت القِبلةُ ﴿لَكَبِيرَةً﴾: لثقيلةً، وقيل: التَّولية عن الكعبة، وقيل: عن بيت المقدس.

﴿إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾؛ أي: عصمَهم الله واهتدوا بهدايته.

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ عن عبد الله بن عبّاسٍ: أنَّ أصحابَ رسولِ الله ﷺ قالوا: يا رسول الله، تُوفِّيَ إخوانُنا وهم يصلُّون إلى القِبلةِ الأولى، وقد صرفَك الله إلى قبلةِ إبراهيمَ، فكيف بإخواننا؟ فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾[4].

أي: صلواتِكم إلى القِبلةِ الأولى.

وقيل: إيمانكم بالقبلة الثّانية، وإن شقَّ عليكم ذلك.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ أبو عبيدة: الرَّأفةُ: أشدُّ الرَّحمة[5].

والتَّكرارُ بمنزلة: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[6].

---

(١) كلمة سُمعت عن العرب، ومعناها: جوع أهله وعياله. انظر: «تفسير الطبري» (٢/ ٦٤٢).

(٢) في (ن): «المحققة».

(٣) في (و): «اللاَّم للفرق». ولام الفرق: للتفريق بين إن المخففة من الثقيلة وإن النافية.

(٤) رواه أبو داود (٤٦٨٠)، والترمذي (٢٩٦٤)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما بسند صحيح، ورواه البخاري (٤٤٨٦)، ومسلم (٥٢٥)، من حديث البراء رضي الله عنه.

(٥) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٥٩).

(٦) فهو يفيد التوكيد، وقد ذكر أبو عبيدة: أنَّ فيه تقديماً وتأخيراً؛ وذلك أنَّ (رؤوف) آكد وأكثر مبالغة، =

(١٤٤) ـ ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ قيل: هو متقدِّمُ النُّزول على ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٢] كما سبق، وذكر المفسِّرون: أنَّ رسول الله ﷺ قال لجبريل عليه السَّلام: «وددت أنَّ الله صرفني عن قِبلةِ اليهود إلى غيرها»، وكان يريد الكعبة، فقال له جبريل: إنَّما أنا عبدٌ مثلك، فسَلْ ربَّك أن يحوِّلك عنها إلى قبلة إبراهيم، ثم ارتفع جبريل، فجعل رسول الله ﷺ يديمُ النَّظرَ إلى السَّماء رجاءَ أن يأتيَه جبريلُ بما سأل، فأنزل الله هذه[1] الآية[2].

ومعنى: ﴿تَقَلُّبَ وَجْهِكَ﴾: تحوُّلـه[3] ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾؛ أي: إلى السَّماء، وقيل: في[4] جوانب السَّماء.

﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا﴾ أي: فلنجعلنَّك تستقبلُ قبلةً تحبُّها وتهواها طبعًا، وكانت الكعبة[5] أحبَّ القبلتَيْنِ إليه.

﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ﴾ يا محمَّدُ ﴿شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾؛ أي: قَصْدَه وناحيتَه.

= فكان الأصل أن تأتي بعد (رحيم) لتؤكِّدها، والله أعلم. انظر: «معجم الفروق اللغوية» (ص: ٢٤٦).

(١) «هذه»: ليس في (ن).

(٢) ذكره مقاتل في «تفسيره» (١/ ١٤٤)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٣)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٣٤٣) إلى أبي داود في «ناسخه».

(٣) في (ن): «تحويله».

(٤) في (ن): «إلى»، وفي هامشها: في نسخة: «في».

(٥) في (و): «القبلة».

ثم عمَّم الخطابَ، فقال: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ﴾ من الأرض ﴿فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾: شطرَ المسجد الحرام، وهو الكعبةُ عند المعاينة، أو تحرِّي جهتها عند فقدِ المعاينة.

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ لأنَّ الله أعلَمهم في الكُتب الأولى أنَّ قبلةَ محمَّدٍ قبلةُ إبراهيم عليهما السلام، ثم أوعدَ أهلَ الكتاب على كتمان ذلك ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾.

* * *

(١٤٥) ـ ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ﴾ الزَّجّاجُ: أراد ذوي العِناد منهم[1].

الحسن: ﴿مَّا تَبِعُوا۟﴾ بأجمعهم[2].

﴿وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾ هذا على المقابلة، وقيل[3]: قطعٌ لأطماع أهل الكتاب، وقيل: رفعٌ لتجويز النَّسخِ في القبلة، وقيل: ﴿وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾ إذ ليس يمكنُ ذلك لاختلاف وجهتهم.

﴿وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾؛ أي: لا اليهود تتبع النَّصارى، ولا النَّصارى تتبع اليهود.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢٢٤).

(٢) ذكره الرازي في «التفسير الكبير» (٤/ ١٠٨).

(٣) «وقيل» من (و).

﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم﴾ فيما يدعونك إليه من أمرِ القِبلةِ وغيرِها.

﴿مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾ أنَّ قبلةَ الله الكعبةُ، وأنَّ دينَ اللهِ الإسلامُ.

﴿إِنَّكَ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ غلَّظَ الوعيدَ لحسم الأطماع.

وقيل: معناه: إذا كان حالُك كذا، فكيف حالُ غيرك؟

واللّام في ﴿وَلَئِنِ﴾ لام توطئة القسم، فيُجاب بجواب القسم دونَ جواب الشَّرط، هذا مذهبُ سيبويه. وقال الأخفش: ﴿وَلَئِنِ﴾ بمعنى (لو)، ويُجاب بجواب (لو). والصَّوابُ قولُ سيبويه[1].

***

(١٤٦) ـ ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ يعني: عبد الله بن سَلامٍ وأصحابه.

﴿يَعۡرِفُونَهُۥ﴾ يعني: محمَّدًا ﷺ ﴿كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡ﴾.

وقيل: الكنايةُ[2] تعودُ إلى أمر القبلة، وقيل: إلى العلم، من قوله: ﴿مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾.

نزلت في مؤمني أهل الكتاب، قال عبد الله بن سَلام: لأنا كنْتُ أشدَّ معرفةً برسول الله ﷺ منِّي بابني، فقال له عمر بن الخطّاب: وكيف ذلك يا ابن سلام؟ قال:

---

(١) انظر: «الكتاب» لسيبويه (٣/ ١٠٧ ـ ١٠٨)، و«معاني القرآن» للأخفش (١/ ١٦١)، وللزجاج (١/ ٢٢٣ ـ ٢٢٤).

(٢) يعني الضمير في كلمة ﴿يَعۡرِفُونَهُۥ﴾، وتُنسبُ تسمية الضمير بالكناية إلى الكوفيين. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ١٩و٣٣٥)، و«ارتشاف الضرب» لأبي حيان (٢/ ٩١١).

لأنِّي أشهد أنَّ محمَّدًا رسول الله ﷺ حقًّا يقينًا، وأنا لا أشهد بذلك على ابني؛ لأنِّي لا أدري ما أحدثَتِ النِّساء، فقال عمر: وفَّقك الله يا ابن سلامٍ[1].

﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ يريد: الذين لم يُسلِموا منهم ليكتمون الحقَّ حسدًا وعنادًا وهم يعلمون.

* * *

(١٤٧) ـ ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾.

﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ أنَّ ذلك الحقَّ من ربِّك ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾: الشَّاكِّين.

قيل: الخطابُ للنَّبيِّ ﷺ، والمرادُ به غيرُه[2].

وقيل[3]: لا تشُكَّنَّ في أنَّ أهل الكتاب لا يعترفون بذلك، وليس ينهاه عن الشَّكِّ في الله أو في أخباره.

* * *

(١٤٨) ـ ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَٱسْتَبِقُوا ٱلْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ١٩٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما من طريق الكلبي، وقد تقدم الكلام على ضعف هذا الطريق، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٤).

(٢) ذكره الماتريدي في «تفسيره» (١/ ٥٩٠).

(٣) في (و): «الزَّجّاج» بدل «وقيل». ولم أقف على هذا في «معاني القرآن» للزجاج، ففيه (١/ ٢٢٥): «أي: من الشاكِّين، والخطاب أيضًا عام؛ أي: فلا تكونوا من الشاكين»، وفيه أيضاً (١/ ٤٢٢): «أي: من الشكاكين، والخطاب للنبي ﷺ خطابٌ للخلق».

﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ﴾ القفّالُ: هذه الآية متَّصلةٌ بقوله: ﴿وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ١٤٥]. غيرُه: مستأنفٌ.

والمعنى: لكلِّ أهل ملّة وِجهةٌ؛ أي: قبلةٌ.

﴿هُوَ﴾ أي: الكلُّ ﴿مُوَلِّيهَا﴾ أي: يولِّي تلك الجهةَ وجهَه في الصَّلاة، فحذفَ المفعول.

وقيل: هو كنايةٌ عن الله تعالى، وتقديره: هو مولِّي الكلِّ تلكَ الجهة[1]، فحذف أحد المفعولَيْن.

ومَن قرأ: ﴿مُوَلّاها﴾[2] فهو كنايةٌ عن (الكلِّ) لا غير؛ أي: الكلُّ أُمِرَ بالتَّوجُّه إليها، وزُيِّنَتْ له تلك الجهة، وحُبِّبَتْ إليه، فهو مولِّي تلك الجهة، وليس فيها على هذه القراءة حذفٌ.

وقيل في[3] ﴿مُوَلّاها﴾؛ أي: أنَّ مَن ولَّيْتَه فقد ولّاكَ.

وقيل: ولكلِّ قومٍ يا معشر المسلمين ناحيةٌ من الكعبة يتوجَّهون إليها يمينًا وشمالًا ووراءً وقدّامًا.

﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾؛ أي: فالزموا أيُّها المسلمون وجهَتكم، واستبقوا الخيراتِ بالتَّوجُّه إليها من جميع الجهات.

---

(١) في (و): «الجهة أي وجهه في الصلاة».

(٢) هي قراءة ابن عامر الشامي. انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ١٧٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٧).

(٣) في (و): «هو في».

﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا﴾ من الأرض ﴿يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ يومَ القيامة، فيفصِلُ بين المحقِّ والمبطلِ.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من ذلك ﴿قَدِيرٌ﴾.

* * *

(١٤٩) ـ ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾؛ أي: من البلاد ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ قال المفضَّل: قال النَّحويُّون: ﴿مِنْ﴾ هاهنا بمعنى: إلى؛ أي: وإلى حيث خرجت[1].

﴿وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾؛ أي: فإنَّه إيجابٌ من الله عليك، ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

* * *

(١٥٠) ـ ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾، وفي تكرار هذه الأوامر الثَّلاثة مع استوائها في الحُكمِ أقوالٌ:

---

(١) لم أقف على مَن ذهب إلى أنَّ (مِن) بمعنى (إلى) في هذه الآية من النحويين، وهذا المذهب في غير الآية من مذاهب الكوفيين؛ فقد نقل أبو حيان الأندلسي في «ارتشاف الضرب» (٤/ ١٧٢٠)، و«التذييل والتكميل» (١١/ ١٣١) عنهم أن (من) تأتي لانتهاء الغاية، وأن البصريين أنكروا ورودَ هذا المعنى، وتأوَّلوا ما استدلَّ به الكوفيون.

أحدها: أنَّ الأولى لنسخ القبلة الأولى، والثّانية: لاستواء الحكم في جميع الأمكنة، والثّالثة: للدَّوام في جميع الأزمان.

وقيل: الأولى في مسجد المدينة، والثّانية: خارج المسجد، والثّالثة: خارج البلد.

وقيل: الخروج خروجان؛ أحدها: إلى مكانٍ تُرى فيه الكعبة، والثّاني: إلى مكان لا تُرى فيه الكعبة؛ أي: الحالتان في ذلك سواءٌ.

وقيل: الخروجُ الأوَّل متَّصلٌ بالسَّبب، وهو: ﴿وَإِنَّهُۥ لَلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾، والثّاني متَّصلٌ بذكر العلّة، وهو قوله: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيۡكُمۡ حُجَّةٌ﴾.

قال الشَّيخ: ويحتملُ أنَّ الأوَّلَ لجميعِ الأحوال، والثّاني لجميعِ الأمكنة، والثّالث لجميعِ الأزمنة[1].

﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ﴾: لليهود ﴿عَلَيۡكُمۡ حُجَّةٌ﴾: كلامٌ يحتجُّون به، وذلك أنَّ اليهود قالت: ما درى محمَّدٌ أين قبلتُه حتى هديناه[2].

وقيل: كانوا يقولون: إنَّ محمَّدًا يخالفنا في دينِنا ويتَّبعُ قِبلتَنا[3].

وقيل: المراد بالنّاس: قريشٌ؛ أي: يقولون: وافقَ اليهودَ مع قوله: إنِّي حنيفٌ أتَّبعُ ملّةَ إبراهيم.

وقيل: هو تحذيرٌ عن مخالفة الكعبة في موضعٍ ما؛ لئلّا يقولَ مخالفُكم: لا يقينَ لكم، ولا تثبُتون على دينٍ.

---

(١) انظر: «البرهان» للمصنف (ص: ٧٩)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٢/ ٤٠).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٦٥٨) عن ابن زيد.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٦٥٧) عن مجاهد.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾ أكثرُهم على أنَّ الاستثناء منقطعٌ، وهو الذي تكون (إلَّا) فيه بمنزلة (لكن)[١]؛ أي: لكن الذين ظلموا يتعلَّقون بالشُّبهة، ويجعلونها مكان الحجّة، وذلك أنَّ المشركين قالوا: قد توجَّهَ محمَّد إلى قبلتنا، وعلم أنّا أهدى سبيلًا منه.

وقيل: الاستثناء صحيحٌ، ومعنى الحجّة: الاحتجاج؛ أي: لئلّا يكون لأحدٍ عليكم احتجاجٌ إلّا الذين ظلموا منهم؛ فإنَّهم يحاجُّونكم بالباطل.

أبو عبيدة: ﴿إِلَّا﴾ بمعنى: الواو؛ أي: ولا الذين ظلموا[٢]. قال الشّاعر:

مـا بالمدينـةِ دارٌ غَيْـرُ واحـدةٍ ... دارُ الخليفـةِ إلّا دارُ مروانـا[٣]

أي: إلَّا دار الخليفة ودار مروان.

وليس هذا مذهب البصريِّين ولا أكثر الكوفيِّين[٤].

وأجاز قطرب أن يكون ﴿ٱلَّذِينَ﴾ في محلِّ جرٍّ بدلًا من الكاف والميم؛ أي: إلّا على الذين ظلموا[٥]، وهذا بعيدٌ لفظًا ومعنى.

---

(١) انظر: «المحتسب» لابن جني (١/ ١١٥).

(٢) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٦٠)، وقد ذكره المصنِّف في «غرائب التفسير» (١/ ١٨٥)، واستغربه.

(٣) نسب البيت للفرزدق، وليس في ديوانه. انظر: «الكتاب» لسيبويه (٢/ ٣٤٠)، و«البصائر والذخائر» لأبي حيان التوحيدي (٤/ ٥٩).

(٤) وقد نقل الفراء هذا عن بعض النحويين، وقال: «إنه صواب في التفسير خطأ في العربية؛ لأن (إلا) تأتي بمعنى الواو بعد الاستثناء، كقولك: لي على فلان ألف إلا عشرة إلا مائة». انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٨٩)، وللزجاج (١/ ٢٢٦ ـ ٢٢٧)، و«الإنصاف في مسائل الخلاف» للأنباري (١/ ٢١٦)، و«الجنى الداني» للمرادي (ص: ٥١٨).

(٥) ذكره الثعلبي والواحدي، وذكر الواحدي أنَّ الأزهري قد اختار هذا المذهب، أما المصنِّف فذكره في «غرائب التفسير» (١/ ١٨٥)، وعدَّه من العجائب. وانظر: «تفسير الثعلبي» (٤/ ٢٠٥)، =

﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾؛ أي: محاجَّتهم.

﴿وَٱخْشَوْنِي﴾ في ترك القِبلة.

﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ﴾ عطف على قوله: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ﴾، والمعنى: تمَّت نعمتي عليكم بهدايتي إيّاكم إلى قِبلةِ إبراهيم.

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ من الضَّلالة.

* * *

(١٥١) ـ ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ﴾ الكاف متَّصلٌ بقوله: ﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ... كَمَآ أَرْسَلْنَا﴾؛ أي: النِّعمةُ[1] في أمر القِبلةِ كالنِّعمة في أمر الرِّسالة.

وقيل: متَّصلٌ بقوله: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ﴾؛ أي: اذكروني ذكرًا يوازي إنعامي عليكم بإرسالِ رسولٍ هذه صفتُه[2].

﴿رَسُولًا مِّنكُمْ﴾؛ أي: من العرب.

﴿يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا﴾ يقرأُ عليكم القرآن، والتِّلاوةُ: ذكرُ الكلمةِ بعدَ الكلمة على نظامٍ.

﴿وَيُزَكِّيكُمْ﴾: يحملُكم على ما تصيرونَ به أزكياء، وقيل: يشهد لكم أنَّكم أزكياء.

= و«البسيط» للواحدي (٣/ ٤١٤)، و«همع الهوامع» للسيوطي (٣/ ١٨١).

(١) في (و): «للنِّعمة».

(٢) ذكره المصنِّف في «غرائب التفسير» (١/ ١٨٥).

﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾: القرآن.

﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾: مواعظَ القرآن، وقيل: الفقه، وقيل: السُّنّة.

﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ﴾ هو الذي لا سبيلَ إلى معرفتِه إلّا بوحيٍ.

* * *

(١٥٢) ـ ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾.

﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ قد أكثرَ الأئمّةُ في هذه المقابلة، ومحصولُ كلامِهم يؤولُ[1] إلى معنى واحدٍ، وهو: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ﴾ بما فرضْتُ عليكم ذِكْرَه أو ندبْتُكم إلى ذِكْره، ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾: أجازِكم على ذلك، فسمّاه ذِكرًا على طريقِ المقابلة.

وقيل: ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾: أُثْني عليكم، فقد جاءَ في الخبر: أنَّ اللهَ تعالى قال في بعض الكتب: «أنا عند ظنِّ عبدي بي فليظنَّ بي ما شاء، وأنا معه إذا ذكرني، فمَنْ ذكرني في نفسِه ذكرْتُه في نفسي، ومَنْ ذكرني في ملأٍ ذكرْتُه في ملأٍ خيرٍ منه، ومَنْ تقرَّبَ إليَّ شبرًا تقرَّبْتُ إليه ذراعًا، ومن تقرَّبَ إليَّ ذراعًا تقرَّبْتُ إليه باعًا، ومن أتاني مشيًا أتيتُه هرولة، ومن أتاني بقُرابِ الأرضِ خطيئةً أتيتُه بملئِها[2] مغفرةً بعد ألّا يشركَ بي شيئًا»[3].

وجاء في الأخبار أيضًا: أنَّ اللهَ تعالى قال لموسى عليه السَّلام: قل للظَّلَمةِ: لا تذكروني؛ فإنِّي أوجبْتُ على نفسي أنْ أذكرَ مَنْ ذَكَرَني، وإنَّ ذِكْريَ للظّالمين أنْ ألعَنهم[4].

---

(١) في (و): «يؤدي».

(٢) في (ن): «بمثلها».

(٣) رواه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٢٥٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٤٨٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وفيه: «أوحى الله إلى داود».

﴿وَٱشۡكُرُواْ لِي﴾ على هذه النِّعمة، وعلى سائر النِّعم.

﴿وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾: ولا تكفروا نعمتي بالإعراضِ عن الشُّكر.

* * *

(١٥٣) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ﴾؛ فبه تُنالُ كلُّ فضيلةٍ، وتُجتنبُ[1] كلُّ رذيلةٍ.

﴿وَٱلصَّلَوٰةِ﴾؛ فإنَّها تنهى عن الفحشاءِ والمنكر.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ أي: بالنَّصر، ومَن نصرَه اللهُ أدركَ مِن أعدائِه مُناه.

* * *

(١٥٤) ـ ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢۚ بَلۡ أَحۡيَآءٞ وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ﴾.

﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ﴾: نزلَتْ في قتلى بدرٍ من المسلمين، وكانوا أربعةَ عشرَ رجلًا؛ ثمانيةً من المهاجرين وستَّةً من الأنصار، وذلك أنَّ النّاس كانوا يقولون للرُّجل يُقتَل في سبيل الله: مات فلانٌ وذهبَ عنه نعيمُ الدُّنيا ولذَّتُها، فأنزلَ الله هذه الآية[2].

أي: لا تقولوا لمن يُقتَل ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: دينِه وطاعتِه وجهادِ عدوِّه.

﴿أَمۡوَٰتُۢ﴾ أي: هم أمواتٌ، ﴿بَلۡ أَحۡيَآءٞ﴾ أي: هم أحياءٌ في البرزخ قبلَ البعث يُرزَقون، كقوله: ﴿بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ١٦٩ فَرِحِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٩ ـ ١٧٠].

وذكر القفّال وجوهًا أُخر[3]:

---

(١) في (و): «وتتجنب».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٢١٩)، والواحدي في «البسيط» (٣/ ٤٢٣).

(٣) ذكرها المصنِّف في «غرائب التفسير» (١/ ١٨٦)، واستغربها.

أحدها: أي: سيحيَون، فيُثابون ويتنعَّمون في الجنّة نعيمًا دائمًا.

والثاني: لا تقولوا: أمواتٌ في الدِّين كما يتوهَّمه المشركون، بل هم أحياءٌ في الدِّين، فارقوا الدُّنيا على هدى.

والثالث: نُهوا أن يقولوا للشُّهداءِ في سبيل الله: أمواتٌ، وأُمِروا أن يسمُّوهم: شهداء.

والوجه هو الأوّل[1]؛ لأنَّ المسلمين جميعًا متساوون في حياة الجنَّة، فلا يبقى لتخصيص الشُّهداء فائدةٌ.

﴿وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾: لا تعلمون ذلك.

«الحجّة»: الشُّعور: الإحساس بالشَّيء، والمؤمنون يعلمون أن الشَّهداء أحياءٌ بإخبار الله إيّاهم ذلك[2]، ولكن لا يشعرون؛ لأنَّ حياة الشَّهيد ممّا لا يُعلَم حسًّا[3].

* * *

(١٥٥) ـ ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾.

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم﴾: نعاملكم معاملةَ المُبتَلي.

﴿بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ﴾: خوفِ العدوِّ، و(من) تصلح أن تكون للتَّبعيض أو لتبيين الجنس.

---

(١) وهو أنهم أحياء في البرزخ يرزقون، وقال المصنِّف في «غرائب التفسير» (١/ ١٨٦): «واستبعد هذا قوم، وليس فيه استبعاد؛ لأن حياتهم ورزقهم وفرحهم مع امتناع أجسامهم عن التصرُّف تشبه حال النائم».

(٢) «ذلك»: ليست في (و).

(٣) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (١/ ٢٦٣ ـ ٢٦٤).

﴿وَٱلْجُوعِ﴾؛ أي[١]: بشيءٍ من الفقر[٢] والقحط.

ولم يقلْ: (بأشياءَ من الخوف والجوع)؛ كيلا يُتوهَّم أنَّه أشياء من كلِّ واحدٍ.

﴿وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ﴾: خسرانِ المال، وقيل: هو موتُ المواشي، وقيل: النَّسل والضَّرع.

﴿وَٱلْأَنفُسِ﴾: بالقتلِ والموت، وقيل: بالمرض، وقيل: بالشَّيب.

﴿وَٱلثَّمَرَٰتِ﴾: ثمراتِ الحرثِ والزَّرع، وقيل: موت الأولاد.

وذكر المفسِّرون عن الشَّافعي: ﴿مِّنَ ٱلْخَوْفِ﴾: خوف الله، ﴿وَٱلْجُوعِ﴾: صوم رمضان، ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ﴾: بالزكاة، ﴿وَٱلْأَنفُسِ﴾: بالموت والمرض، ﴿وَٱلثَّمَرَٰتِ﴾: موت الأولاد[٣].

﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ على هذه البلايا.

* * *

(١٥٦) ـ ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ﴾: مكروهٌ، والمصيبة: اسم الفاعل، من (أصابَتْه شدّةٌ)؛ أي: لحقَتْه، وهي الحالةُ الموجِعة، ورُوي عن النَّبيِّ ﷺ: «كلُّ شيءٍ يُؤذي المؤمنَ فهو مصيبةٌ»[٤].

---

(١) في (ن): «أو».

(٢) في (ن): «من الجوع والفقر».

(٣) انظر: «تفسير الشافعي» (١/ ٢٤٢)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٢٢٥)، والواحدي في «البسيط» (٣/ ٤٢٦).

(٤) رواه أبو داود في «المراسيل» (٤١٢) عن عمران بن قصير يرفعه، ولفظه: «كل ما ساء المؤمن فهو =

﴿قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ﴾ مِلكًا وعَبيدًا يتصرَّفُ فينا كما يشاء.

﴿وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ عند الموت، وقيل: عند البعث.

***

(١٥٧) ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞ﴾ قيل: هو واقعٌ موقِعَ مفعولِ (وبشِّرْ)؛ أي: وبشِّرهم بأنَّ عليهم صلواتٌ.

ابن عبّاسٍ: الصَّلاة من الله رحمةٌ[١]، وقيل: مغفرةٌ، وقيل: ثناءٌ حسنٌ.

وجُمِعَ[٢]؛ أي: رحمةً بعد رحمةٍ، ومرّةً بعدَ أُخرى.

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ إلى البعث، وقيل: إلى الاسترجاع، وقيل: هم السّالكون طريقَ الجنّةِ.

ورُوي عن عمرَ أنَّه قال: نِعْمَ العِدْلان، ونِعْمَ العِلاوة[٣].

= مصيبة»، ورواه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٣٥٣) مرسلاً عن أبي إدريس الخولاني.

ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧٨٢٤) مرفوعًا من حديث أبي أمامة رضي الله عنه بلفظ: «ما أصاب المؤمن مما يكره فهو مصيبة»، وضعَّفه السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٣٧٩)، ويشهد له ما رواه البخاري (٥٦٤١)، ومسلم (٢٥٧٣) من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما، ولفظه: «ما يصيب المؤمن من وصب، ولا نصب، ولا سقم، ولا حزن حتى الهم يهمه، إلا كفر به من سيئاته».

(١) ذكره يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٧٢٥)، وابن أبي زمنين في «تفسيره» (٣/ ٤٠٥).

(٢) فقيل: صلوات من ربِّهم.

(٣) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٠٦٨)، والبيهقي في «سننه» (٧١٢٦)، وعلَّقه البخاري قبل حديث (١٣٠٢). =

(١٥٨) ـ ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ﴾ روى عمرُ بن حبشي قال: سألْتُ ابنَ عمرَ عن هذه الآية، فقال: انطلق إلى ابن عبّاسٍ فسَلْهُ، فإنَّه أعلمُ مَن بقي بما أُنزلَ[١] على محمَّدٍ عليه الصّلاة والسّلام، فأتيته فسألتُه، فقال: كان على الصَّفا صنمٌ على صورة رجلٍ يُقالُ له: إسافٌ، وعلى المروة صنمٌ على صورة امرأةٍ يُقالُ لها: نائلةُ[٢]، زعمَ أهل الكتاب أنَّهما زنيا في الكعبة، فمسخَهما الله حجرَيْن، فوضعا على الصّفا والمروة؛ ليُعتبَرَ بهما، فلمّا طالت المدّةُ عُبِدا من دون الله، وكان أهل الجاهليّة إذا طافوا بينهما مسحوا الصَّنمين[٣]، فلمّا جاء الإسلام وكُسِرت الأصنام، كرهَ المسلمون الطَّوافَ بينهما لأجل الصَّنمين، فأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾[٤].

وعن عائشة قالت: أُنزلَت هذه الآية في ناسٍ من الأنصار كانوا إذا أَهَلُّوا أَهَلُّوا لمناةَ في الجاهليّة، ولا يحلُّ لهم أن يطَّوفوا بين الصَّفا والمروة، فلمَّا قدموا مع النَّبيِّ ﷺ في الحجِّ ذكروا ذلك، فأنزل الله الآية[٥].

= والعِدلُ: نصف الحِملِ على أحد شقّي الدابة، والحملُ عِدلان في جهتيها، والعِلاوةُ: ما جُعلَ بينَ العِدلين. انظر: «مشارق الأنوار» للقاضي عياض (٢/ ٦٩) مادة: (ع د ل).

(١) في (و): «نزل».

(٢) في (ن): «امرأة تدعى نائلة».

(٣) في (ن): «الوثنين».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٧١٥) مختصرًا، وذكر نحوه الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٢٤٣)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٦).

(٥) روى نحوه البخاري (١٦٤٣)، ومسلم (١٢٧٧).

وهما جبلانِ بمكّة.

والصَّفا: جمع صَفاةٍ، وهي من الحجرِ ما صفا من مخالطةِ التُّراب والرَّمل.

والمروةُ: الأبيضُ من الحجارة، وقيل: الشَّديدُ منها.

﴿مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾: أعلامُ متعبَّداتِه، جمعُ (شَعيرةٍ)، وهي مَعْلَمُ العبادة.

﴿فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ﴾: قصد الكعبةَ للزِّيارة على شرائطَ مخصوصةٍ.

﴿أَوِ ٱعْتَمَرَ﴾: زار الكعبة بشرائطَ غيرِها معلومةٍ، والاعتمارُ: زيارةُ المكانِ العامر.

المفضَّل: ﴿ٱعْتَمَرَ﴾: أقامَ بمكّة، والعمرةُ: الإقامة[1].

قطرب: العمرةُ: موضعُ العبادة، كالمسجدِ والبِيْعَةِ والكنيسة[2].

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ﴾: فلا إثمَ عليه، وهو جوابٌ لمن توهَّمَ أنَّ فيه جُناحًا، وأصلُه من (جَنَحَ)؛ إذا مال.

﴿أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ بالجبلَيْن، وأصلُ الطَّواف[3]: الدَّورُ.

وقيل: معناه: أن لا يطَّوَّف بهما، وقد قُرِئَ به[4].

وقراءةُ مَن قرأ بزيادة (لا)؛ فظاهرُه النَّفي، ويُحتمَل أن تكونَ (لا) زيادة، كقوله: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ﴾ [الحديد: ٢٩].

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٢٣٩) عن المفضل بن سلمة.

(٢) ذكره الرازي في «التفسير الكبير» (٤/ ١٣٦) عن قطرب، وذكر أنه لغة عبد القيس.

(٣) في (و): «الطوف».

(٤) نُسبت هذه القراءة إلى علي بن أبي طالب وابن عباس وأنس وابن مسعود رضي الله عنهم وغيرهم، وهي قراءة شاذة وقد خالفت الرسم. انظر: «المحتسب» لابن جني (١/ ١١٥)، و«تفسير الطبري» (٢/ ٧٢٢-٧٢٣).

﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾: فَعَلَ غيرَ الـمُفترَض، والتَّطوُّعُ: التَّبرُّرُ[١] بالنّافلة، والطّاعةُ: موافقةُ الإرادة، والأصلُ الطَّوعُ[٢]، وهو الانقيادُ.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ﴾: مُجازٍ بالقليلِ كثيرًا.

﴿عَلِيمٌ﴾ عالمٌ بالأشياءِ؛ صغيرًا وكبيرًا.

* * *

(١٥٩) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾ نزلت في علماء أهل الكتاب في كتمانِهم[٣] آيةَ الرَّجم وأمرَ محمَّدٍ ﷺ[٤].

ابن مسعودٍ: هو عامٌّ، وقال: لولا آيةٌ من كتاب الله ما حدَّثتكم، وتلا هذه الآية[٥].

ورُوي عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «مَنْ سُئِلَ عن عِلْمٍ يَعْلَمُهُ فكَتَمَهُ أُلْجِمَ يومَ القِيامةِ بِلِجامٍ مِنْ نارٍ»[٦].

---

(١) في النسخ الخطيّة: «التبرُّز»، ولا أعرف له وجهاً.

(٢) في (و): «وأصل المطوع».

(٣) في (و): «وكتمانهم».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٢٥٦)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٧)، وهو في «تفسير مقاتل بن سليمان» (١/ ١٥٢).

(٥) رواه البخاري (١١٨)، ومسلم (٢٤٩٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه، ولم أقف عليه عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٦) رواه أبو داود (٣٦٥٨)، والترمذي (٢٦٤٩)، وابن ماجه (٢٦٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقال الترمذي: حديث حسن.

والبيِّناتُ التي كتموها: شأنُ[1] محمَّد.

﴿وَٱلْهُدَىٰ﴾: الذي يدلُّ على الرُّشد، ويدعو إلى طريقِ الحقِّ.

﴿مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ﴾: لأهل الكتاب ﴿فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾: الكتب المتقدِّمة.

وقيل: بيَّناه للمؤمنينَ في القرآنِ أنَّ ذلك مذكورٌ في التَّوراة.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ﴾: يبعدُهم من رحمتِه وثوابِه.

﴿وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾: تتبرَّأ منهم الملائكةُ والجنُّ والإنس.

وقيل: ﴿وَيَلْعَنُهُمُ﴾: يدعو عليهم باللَّعن، و﴿ٱللَّٰعِنُونَ﴾ الملائكةُ والمؤمنون، كقوله: ﴿لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [البقرة: ١٦١].

مجاهدٌ: دوابُّ الأرضِ وهوامُّها، تقولُ: مُنِعنا القَطْرَ بمعاصي بني آدمَ[2]. وأُجْرِيَتْ[3] مجرى الآدميين لوصفها بفعلِهم.

ابن عبّاسٍ: كلُّ شيءٍ سوى الثَّقلَيْنِ؛ الإنس والجنِّ[4].

ابن مسعود: إذا تلاعنَ الرَّجلانِ رجعَتِ اللَّعنةُ على المستَحِقِّ لها، فإن لم يستحقَّ واحدٌ منهما، رجعَتْ على اليهود الذين كتموا ما أنزلَ الله[5].

---

(١) في (ن): «في شأن».

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١١٧)، والطبري في «تفسيره» (٢/ ٧٣٣ـ ٧٣٥).

(٣) في (ن): «وأجري».

(٤) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» (١/ ٢٣٥)، والثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٢٥٧)، والواحدي في «البسيط» (٣/ ٤٤٦).

(٥) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» (١/ ٢٣٥)، والثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٢٥٩)، ورواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٥١٩٢) من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن مسعود رضي الله عنه، وتقدَّم الكلام على ضعف هذا الطريق.

(١٦٠) ـ ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾.

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ ﴾ عن الكتمان، ﴿وَأَصۡلَحُواْ ﴾ السَّريرةَ، ﴿وَبَيَّنُواْ ﴾ ما كتموا من البِشارةِ بمحمَّد عليه السَّلام، وقيل: وبيَّنوا التَّوبة.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ ﴾: أقبلُ توبتَهم.

﴿وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ﴾: كثيرُ قَبولِ التَّوبة، وقيل: يتوبُ على عبدِه برحمتِه إذا تابَ إليه من ذنبه.

﴿ٱلرَّحِيمُ ﴾: الرَّاحم.

***

(١٦١) ـ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴾.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ ولم يتوبوا ولم يُصلِحوا ولم يبيِّنوا، ﴿وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ ﴾ أي: ماتوا كافرين.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴾ أرادَ بـ﴿وَٱلنَّاسِ ﴾: المؤمنين لانتفاعِهم بالإنسانيّة، وأمّا الكفّارُ فكالأنعام، بل هم أضلُّ سبيلًا.

وقيل: يلعنهم المؤمنون والكافرون يومَ القيامة، من قوله: ﴿ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٖ وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا ﴾ [العنكبوت: ٢٥]، وكقوله: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَا ﴾ [الأعراف: ٣٨].

***

(١٦٢) ـ ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾: في اللَّعنة، وقيل: في النّار.

﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ فينقطعُ ساعةً أو ينقصُ منه شيءٌ.

﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾: لا يُمهَلون إذا أُمروا بالعذاب للاعتذار.

القفّال: لا يُنظَرونَ لَمّا يسألونَ اللهَ ويدعونَه، من قولِه: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾ [المؤمنون: ١٠٧]، وقولِه: ﴿رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ [إبراهيم: ٤٤]، بل يُقالُ لهم: ﴿ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨].

وقيل: لا يُقطَعُ عنهم العذابُ فيؤخَّرُ إلى وقتٍ آخر.

* * *

(١٦٣) ـ ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

﴿وَإِلَٰهُكُمْ﴾؛ أي: معبودُكم الذي يستحقُّ عليكم أن تعبدوه.

﴿إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ الواحدُ يُؤوَّل على أربعة أوجهٍ:

أحدها: لا نظيرَ له ولا مِثلَ[1]، يُراد به نفيُ التَّشبيه، قال الشّاعر:

لكلِّ زمانٍ واحدٌ يُقتدَى به ... وهذا زمانٌ أنتَ لا شكَّ واحدُه[2]

والثاني: قديمٌ مُنفرِدٌ لم يكن معه في الأزلِ شيءٌ سواه.

والثالث: واحدٌ لا أبعاضَ له ولا أجزاءَ.

---

(١) في (ن): «شبه».

(٢) البيت للبحتري، كما في «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٦/ ٢٧)، و«تاريخ الإسلام» للذهبي (٦/ ٨٤٤).

والرابع: واحدٌ في استحقاقِ العبادةِ والإلهيّة.

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ فاعرفوه واقصدوا عبادَته دون مَن سواه.

و﴿هُوَ﴾ رفعٌ بدلٌ من ﴿إِلَٰهَ﴾ على المحلِّ، ولا يجوزُ فيه النَّصب هاهنا؛ لأنَّ البدلَ يدلُّ على أنَّ الاعتمادَ على الثّاني، والمعنى في الآية على ذلك، والنَّصبُ يدلُّ على أنَّ الاعتمادَ على الأوَّل[1].

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ لجميع خلقه.

﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بالمؤمنين.

عن عطاء قال: لـمّا نزلت هذه الآية بالمدينة قالت كفّارُ قريشٍ بمكّة: كيف يَسَعُ[2] النّاسَ إلهٌ واحدٌ، فأنزل الله:

(١٦٤) ـ ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾.

﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[3].

وعن أبي الضُّحى قال: لـمّا نزلت هذه الآية تعجَّبَ المشركون، وقالوا: إلهٌ واحدٌ! إن كان صادقًا فليأتِنا بآيةٍ، فأنزل الله: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[4].

قيل: (الخَلْق) هاهنا زيادة، والتَّقدير: إنَّ في السَّماوات والأرض؛ لأنَّ الخَلْقَ

---

(١) انظر: «غرائب التفسير» للمصنف (١/ ١٨٨).

(٢) في (و): «يسمع».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٢٦٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٢٣).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٢٦٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٧٢).

إرادةُ تكوين الشَّيء، والآياتُ في المشاهدِ من السَّماوات والأرض، لا في إرادةِ الله.

وقيل: (خَلْقُ الشَّيء): هيئتُه، كما يُقال: هو حسنُ الخَلْقِ؛ أي: حسن الهيئة والأعضاء.

وقيل: (الخَلْق) بمعنى[1]: المخلوق، كقولهم: درهمٌ ضَرْبُ الأميرِ؛ أي: مضروبه[2].

والمعنى: إنَّ في خلقِ السَّماواتِ سقفًا مرفوعًا بلا عَمدٍ، فيها نجومٌ سيّارات على مقدارٍ لا يختلفُ، ونجومٌ ثوابتُ لا تزول، وفيها الشَّمسُ والقمرُ اللَّذان لا تُحصَى منافعُهما بعدَ ما جُرِّبَ وعُلِمَ صحّةُ ذلك من طبائعِهما، والأرضِ قرارًا للخليقة، وفيها من العجائبِ ما لا يأتي عليه العدُّ والحصر.

﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾: تعاقبُهما، ومجيءُ الواحدِ بعدَ الآخر.

وقيل: ذهابُ أحدِهما في غيرِ جهة الآخر.

﴿وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ﴾: هي عند النُّحاة: جمع (فُلْكٍ)، من قوله: ﴿فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ [الشعراء: ١١٩]، وفُعْل يُجمَع على فُعْل[3]، كما يُجمَعُ عليه فَعَلٌ وفَعْلٌ نحو: أَسَدٍ وأُسْدٍ، ووَرْدٍ ووُرْدٍ[4]، فالضَّمّةُ في بناء الجمعِ غيرُ الضَّمّةِ في بناءِ الواحد[5].

---

(١) «بمعنى»: ليس في (ن).

(٢) ذكر المصنف الأقوال الثلاثة مختصرة في «غرائب التفسير» (١/ ١٨٨).

(٣) أي: لفظ الواحد كلفظ الجمع، وهذا مذهب سيبويه والخليل.

(٤) يُقال: فرسٌ وَرْدٌ، وخيلٌ وُرْدٌ. والوَرْدُ من الخيلِ له لَونٌ يَضرِبُ إلى صُفرةٍ حَسَنة، وهو بين الكُميت والأشقر. انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (١٤/ ١١٦) مادة: (و ر د)، و«الصحاح» للجوهري (٢/ ٥٥٠).

(٥) انظر: «الكتاب» لسيبويه (٣/ ٥٧٧)، و«الخصائص» لابن جني (٢/ ١٠٢).

﴿بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ في تجاراتِهم وأسفارِهم.

﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: من جانب السَّماء، وقيل: من السَّحاب، وجاء في التَّفسير: أنَّ السَّحابَ جسمٌ يخلو من الماء، وإذا أرادَ الله أن يُمطِرَ قومًا أمرَه أن يأخذَ الماءَ من بحرٍ في السَّماء، وصار إلى المكان المقصود[1] بالمطر.

﴿مِن مَّآءٍ﴾: من مطرٍ ﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: جعلَ حالةَ الإنباتِ حياةً للأرض، وجعلَ حالةَ عدمِ الإنباتِ موتًا لها، والعربُ تسمِّي الأرضَ التي لا تُنبِتُ: مَواتًا، وتسمِّي نَباتها: حياةً.

وقيل: وُصفَت الأرضُ بالحياة لإخراجها ما هو سببُ حياةِ الحيوان.

وقيل: شبَّهَ خروجَ النَّباتِ منها[2] بخروجِ الأولاد من[3] الحيوان.

﴿وَبَثَّ﴾: فرَّقَ وأظهر، من قوله: ﴿كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾ [القارعة: ٤].

﴿فِيهَا﴾: في الأرض.

﴿مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾: هي اسمٌ لكلِّ ما يدبُّ، من قوله: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦]، ولا تُطلَقُ على الإنسان إلّا شتمًا.

﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾ قتادة: مجيئُها بالرَّحمةِ مرّةً وبالعذابِ أخرى[4].

الجمهور: هبوبُها جنوبًا وشمالًا ودَبُورًا وصَبًا[5].

---

(١) في (ن): «المخصوص»، وفي هامش (ن): في نسخة: «المقصود».

(٢) في (و): «في الأرض».

(٣) في (و): «في».

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٨٢٩)، والطبري في «تفسيره» (٣/ ١٢).

(٥) الصبا ريح مَهبُّها من مطلع الشمس، وهي محمودة، والدبور مهبها من مغرب الشمس، وهي =

﴿وَٱلسَّحَابِ﴾: هو جسمٌ يملؤه اللهُ ماءً، كما قلنا[١].

وقيل: بخارٌ يرتفعُ من البحار والأرض، فيصيبُ الجبال فيستمسِكُ، ويناله البَرْدُ فيصير ماءً وينزلُ، وهذا لا يقدحُ في الشَّرع والدِّين إن كان كما قيل.

﴿ٱلْمُسَخَّرِ﴾: المُذَلَّل المُنقاد لِما أرادَ الله.

﴿بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: في الهواء.

﴿لَأَيَـٰتٍ﴾: لدلالاتٍ ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: لمن له[٢] عقلٌ وتفكُّرٌ ونظرٌ وتدبُّر.

* * *

(١٦٥ ـ ١٦٦) ـ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾؛ أي: ومع هذا البرهان الشّافي مِنَ النّاسِ ﴿مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ يعني: مشركي العرب، وقيل: أهل الكتاب.

﴿أَندَادًا﴾: أصنامًا آلهةً يعبدونها، ويزعمون أنَّها تقرِّبهم إلى الله زُلْفَى، جمع نِدٍّ، وهو المِثْلُ المُناوِئ[٣]، هذا قولُ أكثر المفسِّرين.

= مذمومة، وقد قال ﷺ: «نُصرت بالصبا، وأُهلكت عاد بالدبور». رواه البخاري (١٠٣٥)، ومسلم (٩٠٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(١) من أنَّ السَّحابَ جسمٌ يخلو من الماء، وأنَّه يأخذ ماء المطر من بحر في السَّماء.

(٢) «له» من (ن).

(٣) في (ن): «المساوي».

السُّدِّيُّ: الرُّؤساء المُطاعون[١]، وهو كقوله[٢]: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣١] الآية.

وقيل: المراد بالأنداد: الشَّياطين والجنُّ.

﴿يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ يحبُّون الأصنامَ كما يحبُّون الله.

وقيل: يحبُّونهم كحبِّ المؤمنين اللهَ.

وقيل: كالحبِّ الذي يجبُ أن يكون للهِ.

وحبُّ المؤمنين اللهَ: لزومُ طاعتِه والثَّناءُ عليه سبحانَه، وحبُّ اللهِ المؤمنَ: ثناؤه سبحانَه عليه وإثابته إيّاه، والحبُّ في غير هذا: مَيْلُ الطَّبْعِ إلى الشَّيء، وأصلُه في اللُّغة: اللُّزوم[٣].

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِ﴾: للإخلاص له، ولأنَّهم علِموا أنَّ اللهَ هو الخالقُ لا الصَّنم، والمعنى: أشدُّ حبًّا لله من المشركين.

﴿وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ قُرئ بالياء[٤] مُسنَدًا إلى ﴿ٱلَّذِينَ﴾[٥]، والمفعولُ ﴿أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ﴾، والمعنى: لو يعلم الذين كفروا ﴿إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ﴾: حين يرونَ العذابَ في القيامة، أو يُريهم ربُّهم ـ فيمَن قرأ ﴿يُـرَوْنَ﴾ بالضَّم[٦] ـ قدرةَ الله

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ١٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٧٦).

(٢) في (ن): «وقيل هي كقوله».

(٣) في (و): «من اللزوم».

(٤) قرأ الكوفيون، وأبو عمرو، وابن كثير بالياء. انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ١٧٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٨).

(٥) فـ(الذين) فاعل على هذه القراءة.

(٦) هي قراءة ابن عامر. انظر المرجعين السابقين.

علـى التَّعذيـب وشـدَّته؛ لعلمـوا مضـرّةَ اتِّخاذهم الأنـداد[١].

ويجوز أن يكونَ المفعولُ مقدَّرًا، والخبرُ[٢] مُضمَرًا عاملًا في ﴿أَنَّ﴾، والتَّقدير: لعلموا ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾.

ويُحتملُ أنَّ الخبر محذوفٌ، والتَّقدير: لأنَّ القوّة لله جميعًا[٣].

وقُرئ بالتّاء[٤] على خطابِ النَّبيِّ والمرادُ به غيرُه، و﴿ٱلَّذِينَ﴾ المفعول، و﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ﴾ بدلٌ عن ﴿ٱلْعَذَابَ﴾[٥]، والخبرُ محذوفٌ.

ويجوز أن يكونَ (لأنَّ القوّة)[٦].

ويجوز أن يكونَ متعلِّقًا بالجواب؛ أي: لرأيتَ أنَّ القوّة لله.

---

(١) فالمحذوفُ على هذا التقدير هو جواب (لو) الذي قدَّره المصنِّف بقوله: «لعلموا مضرّةَ اتِّخاذهم الأنداد».

(٢) كلمة (الخبر) جاءت هنا على معناها اللغوي، وليس الاصطلاحي؛ فقد استخدمها المصنف في هذا الموضع وما بعده، ومراده بها جواب (لو)، وقد فعل الراغب مثل ذلك، واستخدم المصنف كلمة (الخبر) في جواب (لولا) أيضاً. انظر: «مفردات القرآن» للراغب الأصفهاني (ص: ٧٥٦)، و«غرائب التفسير» (١/ ٤٤٤).

(٣) فالمصدر المؤول منصوب انتصاب المفعول لأجله على هذا القول. انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٢/ ٨٩).

(٤) قرأ نافع وابن عامر بالتاء. انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ١٧٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٨).

(٥) ذكر المصنف هذا القول وضعَّفه في «غرائب التفسير» (١/ ١٨٩).

(٦) فالمصدر المؤول منصوب انتصاب المفعول لأجله أيضاً.

و(رأيت)(١) في القراءتين من رؤية العين، ويجوز أن تكون من العلم مع الياء(٢).

وقراءة مَن كسرَ ﴿إنَّ القوة﴾(٣) على الاستئناف، وقيل: على الحكاية فيما حُذِفَ من الجواب؛ أي: لقالوا: إنَّ القوّة لله جميعًا.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ﴾؛ أي: شديد العذاب إذ تبرَّأ، والمعنى: حين تبرَّأ، وقيل: بدل من ﴿إِذْ يَرَوْنَ﴾، وأصلُ التَّبرُّؤِ: التَّزيُّلُ والتَّباعدُ بالعداوة.

﴿ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ﴾: المَتْبُوعون.

قتادة: هم رؤساءُ الضَّلالةِ من الإنس(٤).

السُّدِّيُّ: من الجنِّ(٥).

وقيل: من الكلِّ.

﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾: من التّابعين.

﴿وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ﴾ السّادةُ والأتباعُ.

﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ التَّقطُّعُ: التَّباعدُ بعد اتِّصالٍ.

مجاهدٌ: ﴿ٱلْأَسْبَابُ﴾: الوصلاتُ التي كانوا يتواصلون عليها(٦).

---

(١) كذا في النسخ الخطية، ولعلَّ المراد (يرى)، والله أعلم.

(٢) في (و): «بالياء».

(٣) هي قراءة أبي جعفر ويعقوب من العشرة. انظر: «النشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٤).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٢٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٧٧).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٢٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٧٨).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٢٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٧٨).

ابن عبّاسٍ: الأرحامُ التي كانوا يتعاطفون عليها[1].

وقيل: الأعمالُ التي كانوا يؤمِّلونها.

* * *

(١٦٧) ـ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾: رجعةً إلى الدُّنيا، ﴿فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ﴾: نزايلَهم وننفصلَ منهم، ﴿كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا﴾ الآن؛ تمنٍّ وتأسُّفٌ.

﴿كَذَٰلِكَ﴾؛ أي: كما أراهم العذابَ ﴿يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾.

وقيل: كتبرُّؤِ بعضِهم من بعضٍ ﴿يُرِيهِمُ ٱللَّهُ﴾، وذلك لانقطاعِ الرَّجاءِ من كلِّ أحدٍ.

﴿أَعْمَٰلَهُمْ﴾: معاصيَهم؛ لِمَ فعلوها؟

وقيل: طاعاتِهم؛ لِمَ ضيَّعوها.

وقيل: ثوابَ الطّاعات.

﴿حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ﴾ الحسرةُ: التَّلهُّفُ والنَّدامةُ على ما فاتَ.

﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ بل هم فيها دائمون.

* * *

(١٦٨) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٢٨)، والماوردي في «تفسيره» (١/ ٢١٩).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ﴾ الكلبيُّ: نزلت في ثقيفٍ وخزاعةَ وعامرِ بن صعصعةَ حرَّموا على أنفسِهم من الحرث والأنعام، وحرَّموا البحيرةَ والسّائبةَ والوصيلةَ والحامي[١].

قوله: ﴿كُلُواْ﴾ أمرُ إباحةٍ.

﴿مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ (مِن) للتَّبعيض.

﴿حَلَٰلٗا﴾: مرفوعَ الحظر عنه. ونصبُه يجوزُ أن يكون حالًا، ويجوز أن يكون مفعولًا به.

﴿طَيِّبٗا﴾: طاهرًا، وهو تأكيدٌ؛ لأنَّ ما أحلَّه الله طيِّبٌ، وما حرَّمه خبيثٌ، ويجوز أن يكون المراد[٢]: مُستلَذًّا مُستطابًا.

وقيل: كلوا من وجهٍ يحلُّ لا من وجهٍ يحرم.

﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ ابن عبّاسٍ: عملَه[٣].

الزَّجّاج: طرقَه التي يدعوكم إليها[٤].

أبو عبيدة: هي محقَّراتُ الذُّنوب[٥].

والخَطوةُ: المصدرُ، والخُطوةُ: ما بين قَدَمي الماشي[٦].

---

(١) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٨) من طريق الكلبي عن أبي صالح. وذكره دون نسبة مقاتل بن سليمان في «تفسيره» (١/ ١٥٥)، والثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٢٨٠).

(٢) «المراد» من (ن).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٣٨).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢٤١).

(٥) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٢٨٤)، وفي «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٦٣): «هي الخطى، واحدتها: خُطوة، ومعناها: أثر الشيطان».

(٦) فهو اسم.

والمعنى: لا تأتمُّوا به.

﴿إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوࣱّ مُّبِينٌ﴾ بعداوته مكاشِفٌ بها.

وقيل: أبانَه لآدمَ ونسلِه في زمانِ آدم.

* * *

(١٦٩) ـ ﴿إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾.

﴿إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ﴾: بالسَّيئاتِ، قيل: هو الذي لا حدَّ فيه.

﴿وَٱلۡفَحۡشَآءِ﴾: الفواحش، وهي التي فيها الحدُّ، وقيل: هي البخل، والفاحشُ: كلُّ شيءٍ يجاوزُ القدر.

﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ من تحريم الحرث والأنعام.

* * *

(١٧٠) ـ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـࣰٔا وَلَا يَهۡتَدُونَ﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾ لهؤلاء الذين حرَّموا أشياءَ: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ من الحلال والحرام.

﴿قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآ﴾: صادفناهم عليه[1].

﴿أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـࣰٔا﴾: لا يفقهون ولا يضبطون.

---

(١) انظر توضيح المصنِّف لمناسبة لفظ (ألفينا) لهذه الآية، ومناسبة لفظ (وجدنا) للآية ﴿قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآ﴾ [لقمان: ٢١] في «غرائب التفسير» (١/ ١٩٠)، و«البرهان» (ص: ٨٠).

و﴿شَيْـًٔا﴾ يجوز أن يكون مفعولًا، ويجوز أن يكون مصدرًا[١]؛ أي: لا يعقلون شيئًا من العقل.

﴿وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ إلى الله.

وفي الآية مضمَرٌ تقديره: أيتَّبعونهم[٢]... وهذا حثٌّ على النَّظرِ ونهيٌ عن التَّقليد.

* * *

(١٧١) - ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾؛ أي: في دعائِك إيّاهم ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ﴾؛ أي: كمثلِ النّاعقِ في دعائِه الأغنامَ[٣]، وهذا قول ابن عبّاسٍ[٤] والحسن[٥] والفرّاء[٦] والزَّجّاج[٧].

---

(١) أما الوجه الأول الذي ذكره المصنِّف في إعراب ﴿شَيْـًٔا﴾، وهو المفعول به، فظاهر، وأما هذا الوجه، وهو أنه مصدر، فيحتاج إلى بيان، وذلك أن كلمة (شيء) دلَّت على التقليل في هذا السياق، فصار المعنى: لا يعقلون عقلاً قليلاً؛ أي: لا يفهمون فهماً قليلاً، ثم ناب نعت المصدر عنه.

(٢) انظر: «تفسير الزمخشري» (١/ ٢١٣).

(٣) وقد أعاد المصنف صياغة هذا القول في «غرائب التفسير» (١/ ١٩١) وعلَّق عليه فقال: «مثل الذين كفروا معك يا محمد كمثل الناعق مع الغنم، فحذف من كل طرف ما يدل عليه الطرف الآخر، وله في القرآن نظائر، وهو أبلغُ ما يكون من الكلام».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٤٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٨٢).

(٥) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٤٥)، والثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٢٩٤).

(٦) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ١٣١).

(٧) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢٤٢).

وقال ابن جرير: مثل الذين كفروا في دعائهم آلهتهم كمثلِ النّاعقِ في دعائه الأغنام[١].

وحكى عليُّ بن عيسى عن ابن زيدٍ: مثل الذين كفروا في دعائهم آلهتهم كمثل النّاعقِ، ودعاؤُه الصَّدى في الجبلِ وما أشبهه، يُخيَّلُ إليه أنَّه يُجابُ، وليسَ وراءَ القول شيءٌ[٢].

وقيل: ومثلُ وَعظِ الذين كفروا كمثلِ نَعْقِ النّاعقِ ﴿بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً﴾.

قال الفرّاء وأبو عبيدة: وضعَ النّاعقَ موضعَ المنعوقِ به، وأنشد:

كانَتْ فريضةَ ما تقولُ كما ... كان الزِّناءُ فريضةَ الرَّجْمِ[٣]

أي: كما كان الرَّجمُ فريضةَ الزِّنا[٤].

والنَّعقُ: صياحُ الرّاعي وزجرُه الغنمَ، والنِّداءُ: طلبُ الجوابِ[٥] بأداةِ مدِّ الصَّوت، والدُّعاءُ: الطَّلبُ لفعلٍ من المدعوِّ، والسَّمعُ: الإدراكُ للصَّوت.

﴿صُمٌّ﴾؛ أي: هم صمٌّ ﴿بُكْمٌ عُمْيٌ﴾؛ أي: عن الحقِّ، ﴿فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾؛ أي: هم كالأنعامِ في قلَّةِ الانتفاعِ بما يرون من الحجّة ويسمعون.

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٣/ ٤٤).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٤٩) عن ابن زيد، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ١٩١) عن علي بن عيسى، واستغربه.

(٣) البيت للنابغة الجعدي. انظر: «ديوانه» (ص: ١٦٩)، و«المنتخب من كلام العرب» لكراع النمل (١/ ٦٢٨).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٩٩)، و«مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٦٤)، وقد عدَّ المصنِّف هذا القول من العجيب الذي فيه خلل ونظر. انظر: «غرائب التفسير» (١/ ١٩١).

(٥) في (و): «الطلب للجواب».

(١٧٢) ـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ﴾: حلالات ﴿مَا رَزَقْنَـٰكُمْ﴾.

وقيل: من المستلَذِّ الـمُستَطابِ كما سبق.

ولفظ ﴿كُلُواْ﴾ للإباحةِ في المستلَذِّ المستطاب، وللفرضِ في الحلال؛ إذ لا يجوزُ لأحدٍ أن يتركَ ذلك حتى يموتَ مع الإمكان.

﴿وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ﴾ على ما رزقكم، وأنعمَ به عليكم من الطَّيِّبات.

﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ قيل: معناه (إذ)، وفيه ضعفٌ[١].

وقيل: معناه: إن كانت العبادةُ لله واجبةً عليكم بأنَّه إلهكم، فالشُّكرُ له واجبٌ عليكم بأنَّه محسنٌ إليكم.

* * *

(١٧٣) ـ ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ﴾: ﴿إِنَّمَا﴾ تأتي في كلام العرب لإثباتِ المذكورِ ونفيِ ما سواه.

والتَّحريمُ: المنعُ في اللُّغة، وقيل: التَّحريمُ يقع على التَّصرُّفِ دون العين[٢].

والميتةُ: ما فارقَه الرُّوحُ من غير ذكاةٍ حصلت فيه، وخُصَّ الجرادُ والسَّمكُ بالحديث[٣].

---

(١) انظر: «مشكل القرآن» لابن قتيبة (ص: ٢٩٤).

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (١/ ٢٤١).

(٣) يعني ما رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٥٧٢٣)، وابن ماجه (٣٢١٨) من حديث ابن عمر رضي الله =

﴿وَٱلدَّمَ﴾ يريد: الجاري منه، كقوله في الأخرى: ﴿أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا﴾ [الأنعام: ١٤٥].

﴿وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ﴾ يريد: الخنزيرَ بجميعِ أعضائه(١).

﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: ذُكِرَ عليه غيرُ اسم الله، هذا قولُ الجمهور.

قتادة ومجاهدٌ: ما ذُبح لغير الله(٢).

وأصلُ الإهلال: رفعُ الصَّوت.

﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ﴾: أُلجِئ بمجاعةٍ عند الجمهور(٣).

مجاهدٌ: أُكرِه(٤).

﴿غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ﴾ الحسن وقتادة ومجاهدٌ والرَّبيع: ﴿غَيۡرَ بَاغٖ﴾ اللَّذة ﴿وَلَا عَادٖ﴾ سدَّ الجَوْعة(٥).

الزَّجاج: ﴿غَيۡرَ بَاغٖ﴾ في الإفراط ﴿وَلَا عَادٖ﴾ في التَّقصير(٦).

مجاهدٌ ـ بخلافٍ ـ وسعيدٌ: ﴿غَيۡرَ بَاغٖ﴾ على الإمام ﴿وَلَا عَادٖ﴾ بالمعصية(٧).

= عنهما قال: «أحلت لنا ميتتان: الحوت، والجراد»، وقد تُكلِّم على هذا الحديث. انظر: «التلخيص الحبير» لابن حجر (١/ ١٦٠). ٢٤١

(١) في (ن): «أجزائه».

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٥٥) عن قتادة، والطبري في «تفسيره» (٣/ ٥٦) عن مجاهد وقتادة.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٣/ ٥٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٨٣).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٥٨).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٦٠ ـ ٦١) عن الأربعة.

(٦) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢٤٣).

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٥٩).

والمُبيحُ هو خوفُ الموتِ مع عدم الحلال، ولو جُعل الخروجُ بالبغي والعدوان مانعًا، لحلَّ له بالخروج وإن لم يضطرَّ.

﴿فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ﴾؛ أي: فأكلَ، فلا إثمَ عليه في الأكل.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ﴾ لمن أكلَ ﴿رَّحِيمٌ﴾ حيث رخَّص.

***

(١٧٤) - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ﴾ الكلبيُّ عن أبي صالحٍ عن ابن عبّاسٍ: إنَّها نزلت في رؤساءِ اليهودِ وعلمائِهم وتغييرِهم نعتَ النَّبيِّ، وأخذِهم عن ذلك الرُّشا[1].

وقوله: ﴿يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ في صفةِ محمَّد عليه السَّلام ونعتِه، كتموه عن المشركين وعن سفلتِهم.

الحسن: كتموا أحكام التَّوراة[2].

والكتمانُ يقعُ على المعنى وعلى اللَّفظِ.

﴿وَيَشۡتَرُونَ﴾: ويستبدلون ﴿بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا﴾: عوضًا، وقيل: ذا ثمنٍ، وقد سبق.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٣١٦)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٩).
الرِّشْوة معروفة، ويُقال فيها: رُشْوة، وتُجمَع على: رُشا، ورِشا. انظر: «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٥٢٦)، و«إصلاح المنطق» لابن السكِّيت (ص: ٩١).

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٨٥)

﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ﴾ قيل: الأكلُ بالبطنِ حيث يُستعملُ لغيرِ التَّناول، وقيل: ليدلَّ على أنَّ النّارَ تدخلُ أجوافَهم.

﴿إِلَّا ٱلنَّارَ﴾ سمّاه نارًا؛ لأنَّ مآلَ آكلِه إليها، كقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا﴾ [النساء: ١٠] الآية.

وقيل: يصيرُ عينُ ذلك نارًا يومَ القيامة.

﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ كلامًا يسرُّهم، وقيل: يأمرُ الملائكةَ بأن يكلِّموهم، وقيل: هو كنايةٌ عن الغضبِ، كما يُقال: فلانٌ لا يكلِّم فلانًا.

الزَّجّاج: لا يُسمِعُهم كلامَه، والأبرارُ يسمعونَه[1].

﴿وَلَا يُزَكِّيهِمۡ﴾: لا يُثني عليهم، من (تزكية العدل).

وقيل: لا يطهِّرهم، ولا يخلِّصهم من النّار.

﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مؤلِـمٌ موجِعٌ.

* * *

(١٧٥) ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِۚ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ﴾.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِ﴾: تركوا الهدايةَ والمغفرة، وأخذوا الضَّلالةَ والعذاب.

﴿فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ ابن عبّاسٍ[2]..

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢٤٥).

(٢) كذا في النسخ الخطيّة، وقد ذكر ذلك بعض المفسرين عن ابن عباس. انظر: «الهداية إلى بلوغ النهاية» لمكي بن أبي طالب (١/ ٥٥٥)، و«تفسير السمعاني» (١/ ١٧١). ولعل الصواب: «ابن عياش» كما في «تفسير الطبري» (٣/ ٦٩)، والله أعلم.

والسُّدِّيُّ: ﴿مَا﴾ للاستفهام[١].

الحسن وقتادة ومجاهدٌ: للتَّعجب[٢].

الكسائيُّ والمبرِّد: توبيخٌ لهم وتعجيبٌ لنا[٣].

والمعنى عن الحسن وقتادة: ما أجرأهم على النار[٤]!

مجاهدٌ: ما أعملَهم بأعمالِ أهل النّار[٥]!

الزَّجّاج: ما أبقاهم على النّار[٦].

الفرّاء: ما أصبرهم على النّار؛ أي: ما حبسَهم عليها[٧].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٦٩ ـ ٧٠) عن السدي وعطاء وأبي بكر بن عياش وابن زيد، وهو اختيار أبي عبيدة. انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٦٤)، و«غريب القرآن» (ص: ٧٠).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٦٩ ـ ٧٠)، وانظر: «البسيط» للواحدي (٣/ ٥٠٩).

(٣) انظر: «المقتضب» للمبرد (٤/ ١٨٣)، ونقل الفراء في «معاني القرآن» (١/ ١٠٣) عن الكسائي أنه بمعنى: فما أجرأهم! وهو توبيخ وتعجيب كما ذكر المصنِّف، وأشار الزجاج إلى نحوه أيضاً. انظر: «معاني القرآن» له (٥/ ٢٨٥).

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٥٩) عن قتادة، ورواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٦٨) عن قتادة والحسن وغيرهما.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٦٩)، واستحسن هذا الوجه ابن قتيبة. انظر: «غريب القرآن» (ص: ٧٠).

(٦) ذكر الزجاج وجه الاستفهام والتعجب، وحمل التعجب على المعنى الذي ذكره المصنِّف، وشبَّهه بقولهم: ما أصبر فلانًا على الحبس؛ أي: ما أبقاه فيه. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢٤٥) و(٢/ ٣٩٢) و(٥/ ٢٨٥).

(٧) أجاز الفراء أن تكون (ما) للاستفهام، وأجاز أن تكون للتعجب بمعنى فما أجرأهم، ونقله عن الكسائي، وكلامه يفيد أن المراد بالنار حقيقتها. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ١٠٣).

وقيل: على عملٍ يؤدِّي إليها[1].

* * *

(١٧٦) ـ ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴾.

﴿ ذَٰلِكَ ﴾: إشارةٌ إلى ما أعدَّه لأهل الكتاب على كتمانهم.

﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ﴾ فكتموه، فحذفَ؛ لأنَّ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ ﴾ يدلُّ عليه.

وقيل: ﴿نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ﴾ فاختلفوا فيه؛ فحذفَ؛ لدلالةِ ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟﴾ عليه.

فـ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: التَّوراة[2].

وقيل: ﴿نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ﴾ فكفروا به؛ يعني: القرآن.

و﴿ ذَٰلِكَ ﴾ مبتدأٌ، و﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ ﴾ خبرُه.

الزَّجّاج: ذلك الأمر، أو الأمر ذلك[3]، بدلالة أنّ ﴿ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾؛ يعني: القرآن ﴿بِٱلْحَقِّ ﴾.

وقيل: تقديره: ذلك الكتمانُ والجرأةُ على النّار بأنّ الله نزّلَ الكتابَ ـ أي: القرآن ـ بالحقِّ، وأخبرَ فيه أنّهم لا يؤمنون؛ يعني: قوله: ﴿ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ ﴾ [يس: ١٠] وغيرها من الآي.

---

(١) ذكر هذا الوجه الزجاج. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٣٩٢).

(٢) قوله: «فحذف لأن إن الذين يكتمون يدل عليه... عليه فالكتاب التوراة»: من (ن).

(٣) فـ(ذلك) مبتدأ أو خبر. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢٤٦).

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ قيل: هو اختلاف اليهود والنَّصارى في كتابيهما.

وقيل: أتَوا بخلاف ما أنزل الله.

وقيل: اختلف اليهود والنَّصارى والكفّار في القرآن؛ فقالوا: سحرٌ، وكلامٌ عُلِّمَه، وكلامٌ تقوَّلَه.

وقيل: معنى (اختلفوا فيه) هاهنا معنى: خَلَفُوا فيه[1]، من قوله: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ [الأعراف: ١٦٩][2].

﴿لَفِى شِقَاقٍۭ﴾: خلافٍ.

﴿بَعِيدٍ﴾ عن الحقِّ، وقيل: ﴿بَعِيدٍ﴾ عن الأُلفة.

***

(١٧٧) ـ ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾.

﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ﴾ قال قتادة: ذكر لنا أنَّ رجلًا سأل نبيَّ الله عن البرِّ، فأنزل الله هذه الآية، قال: وقد كان الرَّجلُ قبلَ الفرائض إذا شهدَ أن لا إلهَ إلَّا الله وأنَّ محمَّدًا عبدُه ورسوله، ثمَّ مات على ذلك وجبَتْ له الجنّة، فأنزل الله تعالى هذه الآية[3].

---

(١) «فيه»: من (ن).

(٢) ذكر هذا المعنى الراغب الأصفهاني في «تفسيره» (١/ ٣٧٥).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٧٦).

والبرُّ هاهنا: الإيمان.

﴿أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ للصَّلاة، والمعنى: لا تقع القُربةُ إلى الله باستقبال القِبلةِ بالصَّلاة وحدَها، بل بأمورٍ أُخَرَ معها قد أمر الله عبادَه بها، ثم بيَّنَ.

وقيل: إنَّه إشارةٌ إلى أهل الكتاب من اليهود والنَّصارى المتكلِّمين في أمرِ القِبلةِ مع اختلافِهم فيها، واستقبالِ اليهودِ المغربَ، والنَّصارى المشرقَ، وتفريقِهم بين أنبيائه وكتبه، ومعاداتِهم لملائكته، وكتمانِهم الحقَّ، وبخلِهم بحقوق الفقراء، والمعنى: لستم يا أهلَ الكتاب بالأبرارِ وإن كنتم تصلُّون عند أنفسكم إلى قبلة، بل الأبرارُ هم المسلمون المؤمنون، ثم وصفَهم فقال:

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ﴾ والتَّقدير: ولكنَّ ذا البرِّ، أو: ولكنَّ البرَّ برُّ مَن آمن.

ويجوزُ أيضًا أن يُقامَ المصدرُ مقام الفاعل، كقوله:

.... فإنَّمـا هـي إقبـالٌ وإدبـارٌ[1]

﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾: صدَّقه.

﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾ يعني: يومَ البعثِ والنُّشورِ والعقاب والثَّواب.

﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ﴾ يجوزُ أن يكونَ للجنس، ويجوز أن يكون القرآن؛ فإنَّ الإيمانَ به إيمانٌ بجميع الكتب.

﴿وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾: جميع أنبيائه.

والإيمانُ بهذه الخمسةِ إيمانٌ بما لزمَ العبدَ من المعارف كلِّها.

---

(١) عجز بيت للخنساء تصفُ ناقة ترتع، وصدره:

تَرْتَـعُ مـا رَتَعَـتْ حتَّـى إذا ادكَـرَتْ

انظر: «ديوان الخنساء» (ص: ٣٨٣)، و«البيان والتبيين» للجاحظ (٣/ ١٣٧).

﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ قيل: على حبِّ المال؛ لقولِه ﷺ: «أفضلُ الصَّدقةِ أن تتصدَّقَ وأنت صحيحٌ شحيحٌ، تخشى الفقرَ وتأمُلُ الغِنى، ولا تُمْهِلُ حتّى إذا بلغَتِ الحناجرَ قلْتَ: لفلانٍ كذا، ولفلانٍ كذا»(١).

وقيل: على حبِّ الله.

وقيل: على حبِّ الإيتاء، ودلَّ على المصدرِ فعلُه.

﴿ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾: ذوي رحمٍ قريبةٍ.

﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾: جمع يتيمٍ ويتيمةٍ.

﴿وَٱلْمَسَٰكِينَ﴾: جمع مسكينٍ، وهو الذي أسكنَه الفقرُ عن التَّصرُّف.

﴿وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾: المنقطع به والمجتاز، ووحَّد لأنَّ الابن هنا(٢) مجازٌ، كابن الماء(٣) وغيرِه.

﴿وَٱلسَّآئِلِينَ﴾: المحتاجين.

﴿وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾؛ أي: في عتق الرِّقاب، وإعانةِ المكاتَب.

﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ المفروضةِ.

﴿وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾ قيل: هو تأكيدٌ للأوَّل.

وقيل: المرادُ بالأوَّل النَّوافل، وقيل: الأوَّل فيمَن لزمَك الإنفاقُ عليه من قرابتِك(٤).

---

(١) رواه البخاري (١٤١٩)، ومسلم (١٠٣٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) في (ن): «هاهنا».

(٣) يقال لطير الماء كلِّها. انظر: «المخصص» لابن سيده (٢/ ٣٣٩).

(٤) في (ن): «من ذوي قرابتك».

﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْ﴾ مع الله وفيما بينهم.

﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَآءِ﴾: الفقر، اسمٌ لا وصفٌ.

﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾: المرض.

﴿وَحِينَ ٱلْبَأْسِ﴾: وقتَ القتال.

قيل: الصَّومُ والحجُّ داخلانِ في الصَّبر[1]، فاشتملَتِ الآيةُ على جميع الواجبات.

وقوله: ﴿وَٱلْمُوفُونَ﴾ رُفعَ بالعطف على خبرِ ﴿وَلَٰكِنَّ﴾، وقيل: رُفعَ بالابتداء وخبرُه مضمَرٌ، وتقديره: والموفون بعهدهم أيضًا أبرارٌ.

و﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ قيل: نُصبَ على المدح[2]، وقيل: بالعطفِ على ﴿ذَوِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾[3]، وزيَّفه أبو عليٍّ[4]؛ لأنَّه لا يُحالُ بينَ الصِّلة وبين المعطوفِ على الصِّلةِ بأجنبيٍّ منها، ﴿وَٱلْمُوفُونَ﴾ أجنبيٌّ منها إلَّا على الوجه الضَّعيف[5].

---

(١) في (و): «الصوم».

(٢) «أبرار والصابرين قيل هو نصب على المدح»: من (ن).

(٣) نقله المصنف عن الزجاج واستغربه. انظر: «غرائب التفسير» (١/ ١٩٥).

(٤) انظر: «الحجة» لأبي علي (٦/ ١٣٤ ـ ١٣٥). وقد نقل الواحدي في «البسيط» (٣/ ٥٢٦) والرازي في «التفسير الكبير» (٥/ ٢٢٠)، وأبو حيان في «البحر المحيط» (٢/ ١٤٠) عن أبي علي الفارسي أنَّه يستحسن في هذه الأوصاف التي تُعطف وتُذكر للرَّفع مِن شأن موصوفيها ومدحهم ـ أو النقص منهم وذمِّهم ـ أن يُخالف بإعرابها، ولا تُجعَل كلها جاريةً على موصوفيها؛ لأن المدح والذم يكون عندئذٍ بجملٍ، لا بجملة واحدة.

(٥) من قوله: «لأنه لا يحال» إلى قوله: «الضعيف»: ليس في (ن)، لكن في هامشها: «قال: إنما زيفه أبو علي لأنَّ (من) موصولة، ولا يجوز أن يُحال بين الموصول والعطف عليه بأجنبي نحو ﴿وَٱلْمُوفُونَ﴾ الآية».

ويجوز أن يكون عطفًا على اسم ﴿وَلَٰكِنَّ﴾، كما أنَّ ﴿وَٱلْمُوفُونَ﴾ رُفِعَ بالعطف على الخبر.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟﴾ في إيمانهم.

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ الكفرَ ودواعيه.

* * *

(١٧٨) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ﴾ قال الشَّعبيُّ: كان بين حيَّين من أحياء العرب قتالٌ، وكان لأحدِ الحيَّين طَوْلٌ على الآخر، فقالوا: نقتلُ بالعبدِ منّا الحرَّ منكم وبالمرأةِ الرَّجل، فأنزل اللهُ هذه الآية[١].

حتى رُوي أنَّ بعضَ غَنِيٍّ[٢] قَتَلَ شاسَ بنَ زهيرٍ، فجمعَ عليهم أبوه زهيرُ بن جَذِيمة[٣]، فقالوا له أو بعضُ مَن يذبُّ عنهم: ماذا يرضيك[٤] في قتلِ شاسٍ؟ فقال: إحدى ثلاثٍ لا يرضيني غيرهنَّ، قالوا: ما هي؟ قال: تُحْيُون لي شأساً[٥]، أو تملؤون داري

(١) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٩٥)، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٩) عن الشعبي، وذكره أبو عبيد دون نسبة في «غريب الحديث» (٢/ ٢٥٠).

(٢) غني: حي من غطفان. انظر: «الصحاح» للجوهري مادة: (غ ن ي).

(٣) كذا في النسخ الخطيّة، والصواب: «زهير بن جذيمة»، كما في مصادر التخريج.

(٤) في (ن): «نرضيك سل».

(٥) في (و): «تُحْيُونه لي».

من نجوم السَّماء، أو تدفعون إليَّ غنيًّا بأسرِها فأقتلها، ثمَّ لا أرى أنِّي أخذتُ عوضًا[1].

ومعنى ﴿كُتِبَ﴾ فرضَ، من قولهم: الصَّلاة المكتوبة.

وقيل: كتبَ في اللَّوح المحفوظ.

وقيل: هذا لفظٌ مؤكَّدٌ من وجهين:

أحدهما: ﴿كُتِبَ﴾، وهو الوجوب.

والثاني: ﴿عَلَيْكُمُ﴾، وهو يفيدُ الوجوبَ أيضًا.

و﴿ٱلْقِصَاصُ﴾: الأخذُ من الجاني مثلَ ما جنى، من (قصِّ الأثر)؛ وهو تلوُّ الأثر.

﴿فِى ٱلْقَتْلَى﴾: جمع قتيلٍ.

والمعنى: كتب عليكم القصاصُ إن اختارَ الأولياءُ القصاصَ، وقيل: فُرِضَ تركُ مجاوزةِ ما حُدَّ لكم إلى التَّعدِّي.

﴿ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ﴾؛ أي: الحرُّ يُقتَلُ بسبب قتلِه الحرَّ.

والحرُّ: خلافُ العبد، وأصلُه: الخيارُ من كلِّ شيءٍ.

﴿وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ﴾ وأمّا الذَّكرُ بالأنثى والأنثى بالذَّكر، فهو مذكورٌ في قوله: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ [الإسراء: ٣٣].

﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ﴾ هذا ممّا خفَّف اللهُ على هذه الأمّة؛ فإنَّ حكمَه في اليهود حتمُ القصاص، وفي النَّصارى حتمُ الدِّية، وحكمُه في هذه الأمّةِ القصاصُ، أو العفوُ والدِّية، أو العفوُ[2].

---

(١) ذكره الشافعي في «الأم» (٦/ ٩)، والبلاذري في «أنساب الأشراف» (١٣/ ١١٥).

(٢) نقل أبو حيان كلام المصنِّف، ونسبه إلى علماء التفسير. انظر: «البحر المحيط» (٢/ ١٤٨).

ومعنى ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ﴾؛ أي: تُرِكَ[١]، وقيل: تُفُضِّلَ عليه ﴿مِنْ أَخِيهِ﴾؛ أي: المقتول[٢]، وقيل: من الولي؛ فالهاءُ تعودُ إلى القاتل، الحسن: أخي المقتول[٣].

وقيل: هو مِن (عفا)؛ إذا سَهُلَ.

وقيل: من (عفا)؛ إذا كَثُر.

والأخُ يجوز أن يكون العافيَ، ويجوز أن يكون المعفوَّ عنه، ويجوز أن يكون القتيلَ.

﴿شَيْءٌ﴾؛ أي: الدَّم.

وقيل: شيءٌ من الدَّم، وهو أن يعفوَ بعضُ الأولياء.

﴿فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ﴾ ابن عبّاسٍ ومجاهدٌ والحسن وقتادة والزَّجّاج: على العافي اتِّباعٌ بالمعروف، وعلى المعفوِّ عنه الأداءُ بالإحسان[٤].

---

(١) يرى بعض اللغويين أنَّ أصل معنى العفو هو الترك؛ لذلك قدَّمه المصنِّف، وقد أنكر الزمخشري هذا المعنى. انظر: «معجم الفروق اللغوية» (ص: ٣١٠)، و«الكشاف» للزمخشري (١/ ٢٢٢).

(٢) ذهب إلى هذا المعنى الأزهري، فقال: «أي: مَن أُحِلَّ له أخذ الدية بدلَ أخيه المقتول عفواً من الله وفضلاً مع اختياره، فليطالب بالمعروف، و(مِن) في قوله: ﴿مِنْ أَخِيهِ﴾ معناها البدل، والعرب تقول: عرضت له من حقِّه ثوباً؛ أي: أعطيته بدل حقه ثوباً». انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (٣/ ١٤٤) مادة: (ع ف و).

(٣) ذكر ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٩٤) عن الحسن أنَّ العفو في أن يقبل الدية في العمد.

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٦٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما، و(١٦٥) عن قتادة، ورواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ١٠٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٩٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما وذكره عن جابر بن زيد والحسن وقتادة والربيع بن أنس والسدي وعطاء الخراساني.

وقيل[١]: كلاهما على المعفوِّ عنه.

والاتِّباعُ بالمعروف: أن يقضيَها برفقٍ، والأداءُ بالإحسان: أن لا يذهبَ بشيءٍ منه.

وقوله: ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾؛ أي: على ما أوجبَه الله، وقيل: ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: ما تتعارفه العربُ بينها من ديةِ القَتلى.

﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: الخيار ﴿تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾.

﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: بعد أخذ الدِّية فقتَلَ، وقيل: بعد العفو، وقيل: بعد بيان الله هذه الأحكام، فقتَلَ غيرَ القاتل، ﴿فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ عكرمة وسعيد بن جبير: هو أن يُقتَلَ قصاصًا[٢].

ابن جريجٍ: يقتله الإمام عقوبةً لا عفوَ فيه[٣].

الحسن: استرجاع الدِّية منه[٤].

ورُوي عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «لا أعافي رجلًا قَتَلَ بعدَ أخذِ الدِّيةِ»[٥].

***

---

(١) «وقيل»: من (ن).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ١١٧) عن الضحاك وسعيد بن جبير وعكرمة.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ١١٨) عن ابن جريج يرفعه من طريقين. ثم ضعَّف الطبري هذا القول؛ لأنه مخالف لكتاب الله والإجماع.

(٤) أي: ولا يقتل. رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٨٠٦٦)، والطبري في «تفسيره» (٣/ ١١٩).

(٥) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٤٩١١)، وأبو داود (٤٥٠٧)، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، وفيه انقطاع.

(١٧٩) ـ ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾.

﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ ﴾؛ أي: في شَرْع القصاص ﴿حَيَوٰةٌ﴾؛ لأنَّ القاتلَ إذا أُقِيْدَ منه ارتدعَ مَن همَّ بقتلٍ، فيكون فيه حياتُه وحياةُ مَن همَّ بقتله.

وقال ابن[1] الجوزاء: أراد بالقصاص: قصص القرآن[2]، وزيَّفه المفسِّرون.

﴿يَٰٓأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾: يا ذوي العقول. ولُبُّ كلِّ شيءٍ: خالصُه.

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾: لكي تتَّقوا القِصاص، فتكفُّوا عن القتل.

وقيل: لتتَّقوا القتلَ حذرًا من القِصاص.

***

(١٨٠ ـ ١٨١) ـ ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾.

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ ﴾ الزَّجاج: فُرِض، و﴿ٱلْوَصِيَّةُ ﴾ ترتفعُ به[3].

(١) كذا في النسخ الخطية، وصوابه: أبو الجوزاء. انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» (١/ ٢٩٧)، و«غرائب التفسير» (١/ ١٩٦)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٢/ ١٥٤).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٩٧)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٣٧١)، وذكر المصنف وغيره أنَّ أبا الجوزاء أوس بن عبد الله الربْعي قرأ: (ولكم في القَصَص)، وعدَّ من العجيب قول مَن حمل هذه القراءة على قصص القرآن. انظر: «غرائب التفسير» (١/ ١٩٦)، و«المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ١٩)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٢/ ١٥٤).

(٣) يعني: أن (الوصية) نائب فاعل لـ(كتب)، وقد ذكر الزجاج هذا القول والذي يليه أيضاً. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢٤٩ ـ ٢٥٠).

الفرّاء: معنى ﴿كُتِبَ﴾: قيل لكم: عليكم الوصيّة للوالدين[١]، فتكون جملةً محكيّةً محلُّها رفعٌ[٢].

﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾؛ أي: أسبابُه.

وقيل: هو أن يقولَ في صحَّتِه: إذا متُّ فافعلوا كذا وكذا.

﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾: مالًا.

الزُّهريُّ: قليلًا أو كثيرًا[٣].

غيرُه: ألف درهمٍ.

وعن عليٍّ رضي الله عنه أنَّه استقلَّ سبعمئة درهمٍ، فقال: إنَّما قال الله: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾[٤].

﴿الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ﴾: بالعدل.

﴿حَقًّا﴾ أي: حُقَّ ذلك حقًّا ﴿عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾: الذين يتَّقون الشِّركَ مخافةَ الله.

---

(١) ذكر الفراء قولين؛ أحدهما: مثل قول الزجاج الذي قدَّمه المصنِّف، والثاني: أنَّ ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ﴾ بمعنى: قيل لكم، و(الوصية) ترتفع باللام في (للوالدين)؛ فهي عنده جملة محكية، و(الوصية) فيها مبتدأ، لكنه مرفوع بالخبر على رأي الكوفيين، وقد ذكر المصنِّف في «غرائب التفسير» أن هذا أحد قولي الفراء. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ١١٠)، و«غرائب التفسير» (١/ ١٩٦).

(٢) لأنها محكية بمبني للمجهول، فتقع نائب فاعل على رأي الواحدي والمصنِّف. انظر: «البسيط» للواحدي (٣/ ٥٤٥).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٧١)، والطبري في «تفسيره» (٣/ ١٣٨)، وصوَّبه.

(٤) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٦٣٥١)، والدارمي في «سننه» (٣٢٣١)، والطبري في «تفسيره» (٣/ ١٣٧).

والحضورُ: وجودُ الشَّيء بحيث يمكن أن[1] يُدرَك.

والوصيَّةُ: العقدُ على ما يُرادُ من الأفعالِ في مستأنَفِ الأوقات.

واختلفوا في نسخها؛ فعن ابن عبَّاسٍ: نسخَها قولُه: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾ [النساء: ٧] الآية[2].

ومَن جوَّزَ نسخَ القرآن بالسُّنَّةِ قال: نسخَها قوله عليه السَّلام: «لا وصيَّةَ لوارثٍ»[3].

مجاهدٌ: نسخَها ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ١١][4].

الحسن: نُسخَت الوصيَّةُ للوالدين، وثبَتَتْ للأقربين الذين لا يرثون[5].

الشَّعبي: الوصيَّةُ للوالدينِ والأقربينَ على النَّدب، لا على الحَتْم[6].

---

(١) «يمكن أن» من (ن).

(٢) رواه أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» (٤٢٣)، والطبري في «تفسيره» (٣/ ١٣١)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٥٧٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٩٩)، وروى البخاري في «صحيحه» (٢٧٤٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان المال للولد، وكانت الوصية للوالدين، فنسخ الله من ذلك ما أحب، فجعل للذكر مثل حظ الأنثيين، وجعل للأبوين لكل واحد منهما السدس، وجعل للمرأة الثمن والربع، وللزوج الشطر والربع».

(٣) انظر: «الفصول في الأصول» للجصاص (١/ ١٧٤)، و«الناسخ والمنسوخ» للنحاس (ص: ٨٨)، والإحكام» لابن حزم (٤/ ٩٢).

والحديث رواه أبو داود (٢٨٧٠)، والترمذي (٢١٢٠)، وابن ماجه (٢٧١٣)، من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه. وقال الترمذي: «حديث حسن».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ١٣٣).

(٥) رواه أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» (٤٢٥)، والطبري في «تفسيره» (٣/ ١٢٩).

(٦) ذكره النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٨٨)، وابن الجوزي في «نواسخ القرآن» (ص: ٥٨).

الضَّحَّاك وطاوسٌ: الوصيّةُ للوالدين والأقربين واجبةٌ بنصِّ القرآن إذا كانوا لا يرثون(١).

وقال صاحب النَّظم(٢): لفظ (الأقربين) لا يقع إلّا على مَن يرث، واستدلَّ بقوله سبحانه: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾ [النساء: ٧] الآية، ثمّ قال بعد هذا: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ [النساء: ٨] يعني: ذوي القرابات الذين لا ميراثَ لهم، فسمّاهم باسمٍ غيرِ (الأقربين)(٣).

قوله:

﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ﴾؛ أي: الوصيّة، فذكَّر حملًا على الإيصاء.

﴿بَعْدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ﴾؛ أي: إثمُ التَّبديل ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ﴾ من وليٍّ أو قاضٍ، إذا لم يكن الموصِي مضارًّا، وبرَّأ الموصِي من ذلك.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لما يقوله الموصي في الإيصاءِ.

﴿عَلِيمٌ﴾ بنيَّته، وقيل: عليمٌ بما يفعله الوصيُّ.

---

(١) ذكره النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٨٨).

(٢) هو الحسين بن يحيى الجرجاني، وقد تقدم التعريف به.

(٣) لم أقف على هذا القول، ولكن هذا التفريق يحتاج إلى تأمُّل، فقد قال الإمام الشافعي: «فلما كان الأقربون ورثةً وغيرَ ورثةٍ، أبطلنا الوصية للورثة من الأقربين بالنص والقياس والخبر «ألا لا وصية لوارث»، وأجزنا الوصية للأقربين ولغير الورثة»، وقال قتادة: في قوله: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [البقرة: ١٨٠]: «نُسخ الوالدان منها، وتُرك الأقربون ممن لا يرث»، وذكر الثعلبي قولاً يخص الأقربين فيه بذوي الميراث في قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾. انظر: «الأم» (٤/ ١١٨)، و«تفسير الطبري» (٣/ ١٢٨)، و«تفسير الثعلبي» (١٠/ ٢٨٢)، و«المحلى» لابن حزم (٨/ ٣٥٣).

(١٨٢) ـ ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿فَمَنْ خَافَ﴾ أي: علم، ويأتي الخوف بمعنى: العلم[١]، قال أبو محجنٍ[٢]:

ولا تَدْفِنَنِّي بالفَلاةِ فإنَّني أخافُ إذا ما مِتُّ أنْ لا أذوقُها[٣]

﴿مِن مُّوصٍ﴾ قرئ بالوجهَيْن[٤]؛ فحجّةُ التَّخفيف: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ١١]، وحجّةُ التَّشديد: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ [يس: ٥٠].

﴿جَنَفًا﴾: ميلًا، والجَنَفُ: الميل عن الحقِّ، ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ قيل: الجَنَفُ ما كان خطأً، والإثمُ ما كان عمدًا، وهو: أن يوصيَ للأجانب ويتركَ أولي القربى، أو يوصيَ بأكثرَ من الثُّلث.

﴿فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾ ابن عبّاسٍ وغيره: بين الـمُوصَى لهم وبين[٥] الورثة، ولم يتقدَّم ذكرُهم لكنَّ التَّوصيةَ أو الإيصاءَ يدلُّ عليه[٦].

مجاهدٌ: ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا﴾ [البقرة: ١٨٢] في حياته حالة إيصائه، ﴿فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾؛ أي: حمل الموصِي على ما هو الصَّلاح[٧].

---

(١) ذهب الفراء إلى أنَّ الخوف يأتي بمعنى العلم وبمعنى الظنِّ أيضاً، ونقله عن العرب. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ١٤٦ و٢٦٥).

(٢) في (ن): «قال الشاعر».

(٣) انظر: «ديوان أبي محجن الثقفي» (ص: ٤٨)، و«تفسير الثعلبي» (٤/ ٣٨٦).

(٤) قرأ حمزة والكسائي بتشديد الصاد، وقرأ الباقون بالتخفيف. انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ١٧٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٩).

(٥) «وبين»: ليس في (و).

(٦) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٣/ ١٤٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٣٠٣).

(٧) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٣/ ١٤٢)، وذكره الماوردي في «تفسيره» (١/ ٢٣٣).

﴿فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ﴾؛ أي: ليس بمبدِّلٍ آثمٍ، والهاءُ كنايةٌ عن الموصِي، وقيل: عن المصلِح.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ﴾ للمصلِح؛ أي: ليس ذلك بإثمٍ.

﴿رَّحِيمٞ﴾ حيث رخَّصَ.

***

(١٨٣) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾: فُرِضَ وأُوجِب.

و﴿ٱلصِّيَامُ﴾: مصدر: صام يصوم صومًا وصيامًا، والصِّيام في الشَّرع: إمساكٌ عن الطَّعام والشَّراب والنِّكاح من وقت طلوع الفجر إلى وقت غروب الشَّمس مع النِّيَّة.

﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾؛ أي: كتابةً كما كُتِبَ، فهو صفةُ مصدرٍ محذوفٍ، ويجوزُ أن يكون حالًا عن الصِّيام.

والمشابهةُ بينهما(١) من حيث إنَّ كلَّ واحدٍ صومُ أيَّامٍ.

الحسن والشَّعبي: كتب عليكم صوم رمضان كما كتب عليهم صوم رمضان، ثم حَوَّلوا وزادوا(٢).

---

(١) أي: بين الصيام المكتوب علينا، والصيام الذي كُتب على الذين من قبلنا.

(٢) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٣/ ١٥٣) عن الشعبي، وروى نحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٣٠٥) عن الحسن.

الرَّبيع والسُّدِّي: من العَتمة إلى العَتمة؛ لا يحلُّ أكلٌ ولا شربٌ ولا نكاحٌ بعد النَّوم، ثم نُسِخَ(١).

و﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ الحسن والشَّعبي: هم النَّصارى(٢).

مجاهدٌ وقتادة: أهل الكتاب(٣).

﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾؛ أي: لتتَّقوا المعاصيَ بالصِّيام.

السُّدِّي: لتتَّقوا ما حُرِّم عليكم من المأكل والمشرب(٤).

وقيل: لتدخلوا في زمرةِ المتَّقين.

***

(١٨٤) - ﴿أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾.

﴿أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖ﴾ نُصبت بـ﴿كُتِبَ﴾(٥)، ويجوز أن تُنصَب بـ(الصِّيامِ) إذا

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ١٥٤).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ١٥٣ - ١٥٤) عن الشعبي والسدي.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ١٥٥) عن مجاهد، وروى عن قتادة أنه كان على الناس كلهم.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ١٥٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٣٠٥).

(٥) على أنه مفعول به على السعة، وهو مذهب الفراء والأخفش، وقد عدَّه أبو حيان خطأ. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ١١٢)، وللأخفش (١/ ١٦٩)، و«غرائب التفسير» (١/ ١٩٧)، و«البحر المحيط» (٢/ ١٨١)، و«ارتشاف الضرب» له (٣/ ١٤٠١).

جُعِلَت ﴿كما﴾ حالًا، فإن جُعِلَت مصدرًا فلا[١]، ويُحتمَلُ أن تتعلَّقَ بـ﴿تَتَّقُونَ﴾؛ أي: تتَّقون الأكلَ والشُّرب والنِّكاح أيّامًا[٢].

ومعنى ﴿مَّعْدُودَاتٍ﴾: قلائل، وهي ثلاثون يومًا أو تسعةٌ وعشرون يومًا.

وقيل: معيَّناتٍ، وهي شهرُ رمضان.

﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا﴾؛ أي: مرضًا يُخافُ من الصَّوم زيادةُ[٣] العلَّةِ.

﴿أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾؛ أي: سفر يُرخَّصُ له القصرُ فيه، وهو مسيرةُ ثلاثةِ أيّامٍ فما فوقَها.

﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ تقديره: فأفطرَ[٤]؛ لأنَّ[٥] الإفطارَ رخصةٌ، والصَّومُ أفضل.

---

(١) لأنك إن جعلتَه مصدراً حيل بين المصدر والمعمول بأجنبي، فلا يعمل فيه، وإن جعلته حالًا لم يمتنع عمله، وانتصابه على الظرفية، واستجاد هذا الوجه الزجاج، واختاره الزمخشري، وضعَّفه أبو حيان أيضاً، وذهب العكبري وأبو حيان إلى أنه مفعول به لفعل محذوف؛ أي: صوموا أياماً، وإلى هذا مال أكثر المعربين. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢٥٢)، و«غرائب التفسير» (١/ ١٩٧)، و«الكشاف» للزمخشري (١/ ٢٢٥)، و«التبيان» للعكبري (١/ ١٤٩)، و«البحر المحيط» (٢/ ١٨١).

(٢) لم أقف على أحد ذكر هذا الوجه ممن تقدَّم على المصنِّف، وقد أهمله المعربون بعده، وهو وجه وجيه عند التأمُّل، وإنما يوهم ضعفه أن التقوى لا ينبغي أن تتقيَّد بظرف أو أيام، لكن المصنِّف تنبَّه إلى هذا، وبيَّن أن هذا الوجه على معنى اتِّقاء الأكل والشرب، لا على معنى التقوى المعهود. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٩٤)، و«الحجة» لأبي علي (١/ ٢٢)، و«التبيان» للعكبري (١/ ١٤٩)، و«الدر المصون» للسمين الحلبي (٢/ ٢٦٩).

(٣) «زيادة» من (ن).

(٤) وهذا من باب الاكتفاء بالمسبَّب من السبب، كما يسميه ابن جني. انظر: «الخصائص» (٣/ ١٧٦ ـ ١٧٧).

(٥) في (و): «فأن».

﴿فَعِدَّةٌ﴾؛ أي: فعليه عدّةٌ بعددِ ما أفطرَ فيها؛ إن شاء تابعَ، وإن شاء فرَّقَ.

﴿مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ سوى مرضِه وسفرِه. و(أُخَر): لا ينصرفُ للوصفِ والعَدْلِ عن الألفِ واللّام[١].

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ﴾ أي: يكون لهم به طاقةٌ، وهي القوّة، والهاءُ تعودُ إلى الصَّوم.

ابن عباس[٢] والشَّعبي: هذا في جميع النّاس؛ لأنَّ أوَّلَ ما وجبَ وجبَ بصفة الخيارِ ولزومِ الفداء، ثمَّ نُسخَ بما يليه[٣].

الحسن وعطاء: أراد الحاملَ والمرضعَ والشَّيخَ الكبير، فنُسِخَ الحاملُ والمرضعُ، وبقيَ الشَّيخُ الكبير[٤].

السُّدِّيُّ: وعلى الذين كانوا يطيقونه، فعجزوا عنه[٥].

وقيل: وعلى الذين لا يطيقونه، فأضمرَ (لا)[٦].

---

(١) انظر: «شرح الكافية» للرضي (١/ ١١٦)، و«شرح شذور الذهب» لابن هشام (ص: ٥٨٩).

(٢) في (و): «عيسى».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ١٧٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٣٠٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ١٦٧) عن الشعبي.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ١٦٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما، و(٣/ ١٧٧) عن عطاء، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٣٠٨) عن الحسن وقتادة.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ١٦٩).

(٦) وهذا على قراءة نُسبت لابن عباس ومجاهد وعكرمة؛ أنهم كانوا يقرؤون (يطوَّقونه). انظر: «تفسير عبد الرزاق» (١/ ٣٠٩)، و«المحلَّى» لابن حزم (٤/ ٤١٣).

﴿فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾: هي مُدٌّ من طعام[١] لكلِّ يومٍ، يتصدَّقُ به على مسكينٍ.

و﴿طَعَامُ﴾ بدلٌ من الفدية، ومَن أضافَ جعلَه كقولهم: غرامةُ درهمٍ، ومن جمع (المساكين) فلِجَمعِ ﴿الَّذِينَ﴾[٢].

وقيل: الهاءُ في ﴿يُطِيقُونَهُ﴾ تعود إلى الفداء، وفيه بُعدٌ.

﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾؛ أي: فمن تطوَّعَ، فأطعمَ أكثرَ[٣] من مسكينٍ واحدٍ؛ أي: زاد على ما يلزمه، ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ﴾؛ أي: أنفع له؛ لأنَّه أعظم لثوابه.

﴿وَأَن تَصُومُوا﴾ في المرض والسَّفر أفضلُ لأجرِكم وأعظمُ لثوابكم.

وقيل: هذا يرجعُ إلى أوَّل الآية؛ أي: كتب عليكم الصِّيام وأن تصوموا ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾.

﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: مميِّزين، وقيل: ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنَّ المشقَّةَ فيه أكثر.

* * *

(١٨٥) ـ ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

---

(١) «طعام»: ليس في (و).

(٢) قرأ نافع وابن عامر: ﴿فديةُ طعامِ مساكينَ﴾ بالإضافة والجمع، وقرأ الباقون بالتنوين والإفراد. انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ١٧٦).

(٣) «أكثر»: ليس في (و).

﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ﴾ أي: تلك الأيَّامُ شهرُ رمضان[١].

ويجوز أن يكونَ بدلًا من الصَّوم، وتقديره: كُتِبَ عليكم شهرُ رمضان؛ أي: صيامُه[٢].

ويجوز أن يكونَ مبتدأ، وخبرُه: ﴿ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾.

و(رمضانُ) مشتَقٌّ من (الرَّمَض)، وهو شدّة وَقْعِ الشَّمس على الرَّمل وغيره؛ لأنَّهم سمَّوُا الشُّهور بالأزمنة التي فيها، فوافقَ رمضانُ أيّامَ رَمَضِ الحرِّ، ويُجمَعُ على (رمضاناتٍ).

وذكر الثَّعلبيُّ أنَّه اسمٌ من أسماء الله تعالى، قال: ورُوي عن أنسٍ أنَّه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقولوا: رمضان، انسبُوه كما نسبَه الله في القرآنِ فقال: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ﴾»[٣].

---

(١) فهو خبر لمبتدأ محذوف.

(٢) أي: كتب عليكم الصيام صيام شهر رمضان، فحُذف المضاف، وأُقيم المضاف إليه مقامه.

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (٤/ ٤٤١)، والحديثُ رواه الثعلبي عن أنس رضي الله عنه، وقد رُوي نحوه عن أبي هريرة وابن عمر وعائشة رضي الله عنهم، لكن لا يُفرَح بهذه الروايات؛ فكلها ضعيفة؛ فقد رواه ابن عدي في «الكامل» (٨/ ٣١٣)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧٩٠٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ورواه تمام في «فوائده» (٢٤١)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

ورواه ابن النجار كما في «اللآلئ المصنوعة» للسيوطي (٢/ ٩٨) عن عائشة رضي الله عنها.

وقد قال الإمام النووي في «المجموع» (٦/ ٢٤٧): «ويقال: رمضان وشهر رمضان، هذا هو الصحيح الذي ذهب إليه البخاري والمحققون... وقولهم: إنه من أسماء الله تعالى ليس بصحيح، ولم يصحَّ فيه شيء، وأسماء الله تعالى توقيفية، لا تُطلق إلا بدليل صحيح، ولو ثبت أنه اسم لم يلزم منه كراهة، وقد ثبتَت أحاديث كثيرة في «الصحيحين» في تسميته (رمضان) من غير (شهر) في كلام رسول الله ﷺ».

﴿ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ أي: ابتُدِئ إنزالُ القرآنِ في شهرِ رمضان.

ابن عبّاسٍ وسعيد بن جبير والحسن: أُنزِلَ كلُّه في ليلةِ القدر إلى السَّماء الدُّنيا، ثم أُنزِلَ على النَّبيِّ ﷺ نجومًا[1].

وقيل: كان ينزلُ كلَّ[2] ليلةِ قدرٍ ما يُحتاجُ إليه إلى مثلِها من القابلِ.

وقيل: قوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ [الدخان: ٣] يُرادُ بها ليلة القدر، كقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: ١]، وليلةُ القدر في شهرِ رمضانَ؛ لقوله: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾.

القفّال: ﴿أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾؛ أي: في إيجابِه وإلزامِ صومِه[3].

وقيل: في شأنِه ومنزلتِه، كما تقولُ: نزلَ في عليٍّ سورةُ ﴿هَلْ أَتَىٰ﴾[4].

﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ في أصولِ إيمانِهم.

﴿وَبَيِّنَٰتٍ﴾: شرائعَ ﴿مِّنَ ٱلْهُدَىٰ﴾: الحلال والحرام.

﴿وَٱلْفُرْقَانِ﴾؛ أي: بين الحقِّ والباطل.

---

(١) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (٧٩٣٥)، والطبري في «تفسيره» (٣/ ١٩٠)، والحاكم في «المستدرك» (٢٨٧٨)، عن ابن عباس رضي الله عنهما. ورواه سعيد بن منصور في «سننه ـ التفسير» (٧٩)، والدولابي في «الكنى والأسماء» (٦٤٣) عن سعيد بن جبير، وانظر قول الحسن في «تفسير الثعلبي» (١٢/ ١٩٠).

(٢) «كل» من (ن).

(٣) ذكره المصنِّف في «غرائب التفسير» (١/ ١٩٨) واستغربه، وذكره أبو العباس البسيلي في «التقييد الكبير» (ص: ٤٤٤)، وعدَّه تكلُّفًا لا داعي له.

(٤) روى ذلك الثعلبي في «تفسيره» (٢٨/ ٢٢٤ ـ ٢٢٧) في حديث طويل لا يصحُّ، وانظر: «تفسير السمعاني» (٦/ ١١٦)، و«مفاتح الغيب» للرازي (١٢/ ٣٨٦).

﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ﴾ أدركَه وحضرَ وهو من أهلِ الخطاب.

﴿فَلۡيَصُمۡهُ﴾ حتمًا، ونُسِخَ الخيارُ، والهاء تعودُ إلى الشَّهر، وجعلَه مفعولًا به[١].

وقيل: فليصم فيه، فحذفَ الجارَّ[٢].

﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ ثمَّ أعادَ ذكرَ المريض والمسافر ليُعلَمَ أنَّهما على ما كانا عليه من الخيارِ المذكور في الآية الأولى.

وقيل: إنَّما أعادَ لأنَّ الآيةَ الأولى نزلَت على أنَّ المريضَ والمسافرَ بالخيار بين[٣] الصَّوم والفداء، وفي هذه الآية مخيَّرٌ بين الصَّوم والإفطار والقضاء.

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ﴾ حيث رخَّصَ للمريض والمسافر في الإفطار.

﴿وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾ تأكيدٌ للأوَّل.

وقيل: ﴿ٱلۡيُسۡرَ﴾: الخير والصَّلاح كـ(اليُسرى)، و﴿ٱلۡعُسۡرَ﴾: الشِّدَّة والشَّرُّ كـ(العُسرى).

﴿وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ﴾ لتتمُّوا العدّةَ في قضاءِ ما أفطرتم، ﴿وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ﴾ شكرًا على ما رخَّصَ لكم وأرشدَكم إليه.

---

(١) وهو ما يُعرف بالمفعول على السعة. انظر: «الكامل» للمبرد (١/ ٣٣)، و«غرائب التفسير» (١/ ١٩٧)، و«الكشاف» للزمخشري (١/ ٢٢٥)، و«التبيان» للعكبري (١/ ١٥٢)، و«اللباب» له أيضاً (١/ ٢٧٤)، و«المقاصد الشافية» للشاطبي (٣/ ١٢٧).

(٢) فانتصب انتصاب المفعول، وهو ما يُسمى النصب بنزع الخافض، وهو منبنٍ على أنَّ كلمة (الشهر) في قوله: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ﴾ مفعول فيه أيضاً، وهذا هو الوجه الذي كان أبو علي الفارسي يراه، واعتمده المصنِّف والزمخشري. انظر: «الحجة» لأبي علي (١/ ٣٤)، و«الخصائص» لابن جني (٢/ ٣٧٥)، و«غرائب التفسير» (١/ ١٩٨)، و«الكشاف» للزمخشري (١/ ٢٢٨).

(٣) في (و): «في».

وقيل: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ﴾ عددَ أيّامِ الشّهر؛ لقولِه: ﴿أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ﴾، ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ﴾؛ يعني: ليلةَ العيدِ وغداتَه.

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾؛ أي: تشكرونَ على ما هداكم إليه.

وقيل: على الرُّخصةِ.

ودخل الواو عطفًا على المعنى؛ أي: رخَّص ليسهِّل لكم ولتكملوا.

وقيل: الواوُ لعطفِ جملةٍ على جملةٍ، والتَّقدير: ولتكملوا العدّة ولتكبِّروا الله.

﴿عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ﴾: فرضَ عليكم، أو[1] رخَّصَ لكم.

* * *

(١٨٦) - ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾.

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي﴾ الضَّحّاك: قال: سأل رجلٌ رسولَ الله ﷺ فقال: أقريبٌ ربُّنا فنُناجيه أم بعيدٌ فنُناديه؟ فأنزل الله هذه الآية[2].

وعن الكلبيِّ عن أبي صالح: نزلت في اليهودِ حين قالوا: يا رسولَ الله، كيف يكونُ ربُّنا قريبًا يُجيبُ دعاءَنا كما زعمْتَ، وأنت تخبرُنا أنَّ بينَنا وبينه سبعَ سماواتٍ، بينَ كلِّ سماءٍ وسماءٍ مسيرةُ خمسمئة عامٍ[3]؟

---

(١) في (و): «أي».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٥١٢) عن الضحاك. ورواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٢٢٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٣١٤)، والدارقطني في «المؤتلف والمختلف» (٣/ ١٤٣٥)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٣/ ٥٣٥)، عن الصلب بن حكيم عن أبيه عن جده. وانظر: حاشية الشيخ أحمد شاكر على «تفسير الطبري» (٣/ ٤٨٠).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٥١١)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ١٤٥).

مجاهد: لما نزلت: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] قيل: إلى أين ندعوه؟ فنزلت هذه الآية[١].

الحسن: سألتِ الصَّحابةُ: أين ربُّنا؟ فأنزلَ الله هذه[٢] الآية[٣].

قوله: ﴿عِبَادِى﴾ الضَّحاك: المؤمنون، الكلبيُّ: اليهود، مجاهدٌ والحسن: الصَّحابة[٤]، والأحسنُ أن يُجعَلَ عامًّا[٥].

﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ معناه: لا يخفى عليَّ شيءٌ من أقوالهم وأفعالهم[٦] وظواهرهم وبواطنهم.

وقيل: بالرَّحمة والثَّواب من قوله: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

وليس المرادُ من القُربِ قُربَ المكان، تعالى الله عنه؛ لأنَّ العبادَ في أمكنةٍ متباعدةٍ، فيُوجبُ قربَه من واحدٍ بعدَه من آخر، ويوجب الأجزاء[٧] وكثرتها، والله سبحانه منزَّهٌ عن هذا[٨].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٢٢٥)، وفيه: «فنزلت: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾»، وانظر: «النكت والعيون» للماوردي (١/ ٢٤٢).

(٢) في (ن): «فنزلت هذه».

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٩٦)، والطبري في «تفسيره» (٣/ ٢٢٣).

(٤) سلف تخريج هذه الأقوال في سبب نزول الآية.

(٥) يُلاحظ أنَّ المصنِّف نقل أقوال المفسرين من الصحابة والتابعين، ولكنَّه رأى فيها تخصيصاً لعموم اللفظ القرآني، فحاد عن هذه الأقوال، واستحسن التمسُّكَ بعموم النصِّ، وهذا منهج متبَّع عنده.

(٦) «وأفعالهم»:ليست في (و).

(٧) في (ن): «ويوجب كونه من الأجزاء».

(٨) ما جاء في الكتاب والسنة من قربه ومعيته فإنَّه ينبغي تنزيهه سبحانه وتعالى عن مشابهة المخلوقين؛ =

﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾: أستجيبُ لكم، من قوله: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾(١)، وذلك إذا دعاه وقال: إن كان لي الخِيَرةُ فيما سألتُك.

وقيل: ﴿أُجِيبُ﴾ إن شئتُ، من قوله: ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ﴾ [الأنعام: ٤١].

وقيل: معنى ﴿أُجِيبُ﴾: أتقبَّلُ ﴿دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ﴾: عبادة العابد، من قوله عليه السَّلام: «الدُّعاء هو العبادة»(٢).

وقيل: ﴿أُجِيبُ﴾: أسمع، كما تقول: أسمع بمعنى: أجيب، من قولهم: (سمع الله لمن حمده)؛ أي: أجاب.

﴿فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي﴾ إذا دعوتُكم إلى طاعتي، وقيل: دوموا عليها.

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾: ليرشدوا ويدخلوا جنَّتي.

* * *

(١٨٧) ـ ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْۖ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِي ٱلْمَسَٰجِدِۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾.

= فإنه سبحانه ليس كمثله شيء في جميع صفاته.

(١) «من قوله ادعوني أستجب لكم»: ليس في (و).

(٢) رواه أبو داود (١٤٧٩)، والترمذي (٢٩٦٩)، وابن ماجه (٣٨٢٨)، من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه، وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح».

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ﴾ البراءُ بن عازبٍ قال: كان المسلمون إذا أفطروا يأكلون ويشربون ويمسُّون النِّساء مالم يناموا، فإذا ناموا لم يفعلوا شيئًا من ذلك إلى مثلِها، وإنَّ قيسَ بنَ صِرْمةَ الأنصاريَّ كان صائمًا، فأتى أهلَه عند الإفطار، فانطلقَتِ امرأتُه تطلبُ شيئًا، فغلبَتْه عينُه فنام، فلمّا انتصف النَّهار من غدٍ غُشِي عليه[1].

قال: وأتى عمرُ امرأتَه وقد نامَتْ، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ، فنزل: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾، ففرح المسلمون بذلك، فصارت الآية ناسخةً لآيةِ[2]: ﴿كَمَا كُتِبَ﴾ على الوجه الذي سبقَ[3].

﴿لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ﴾: هي كلُّ ليلةٍ يصبحُ الرَّجلُ في غداتها صائمًا.

﴿ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ يعني: الإفضاء إليهنَّ بالجماع وغيره، والرَّفث: الجماع، والرَّفث أيضًا: ذِكْرُ الجماع والتَّعريضُ به، وقيل: الأصلُ فيه فُحْشُ القَول.

﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ نزَّلهنَّ منزلةَ اللِّباسِ لِما بين الزَّوجين من الاستمتاع والتَّضامِّ، قال الشّاعر:

---

(١) رواه البخاري (١٩١٥).

(٢) في (و): «لذلك».

(٣) لم أقف عليه بهذا اللفظ من حديث البراء رضي الله عنه، وقد رواه البخاري (٤٥٠٨) بغير تسمية لعمر رضي الله عنه، ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٢١٢٤)، والحاكم في «المستدرك» (٣٠٨٥) عن ابن أبي ليلى عن معاذ، وصحَّحه، ووافقه الذهبي. ورواه أبو داود (٥٠٦)، من حديث عبد الرحمن بن أبي ليلى رحمه الله ضمن حديث الأذان. ورواه الإمام أحمد في «المسند» (١٥٧٩٥) من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه.

إذا ما الضَّجيعُ ثَنى جِيْدَها[١] تَثَنَّتْ[٢] فكانَتْ عَلَيْهِ لِباسا[٣]

﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾: تخونونها بالمعاصي، والخيانةُ: انتقاصُ الحقِّ على جهة المساترة.

﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾: فخفَّف عنكم، ﴿وَعَفَا عَنكُمْ﴾ ما كان منكم من[٤] قبلُ.

﴿فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ﴾: جامعوهنَّ في ليالي الصَّوم، والمباشرةُ: إلصاقُ البشرةِ بالبشرة.

﴿وَٱبْتَغُوا۟﴾: واطلبوا ﴿مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ الحسن: الولد[٥].

قتادة: الحلال الذي في الكتاب ـ وهو القرآنُ ـ من تحليل النِّساء ليلةَ الصِّيام[٦].

وعن ابن عبّاسٍ: ﴿مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾: ليلة القدر[٧].

وقيل: معنى: ﴿وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ معنى قوله: ﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٢٢]. وقيل: معناه: ﴿وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ من الأزواجِ وملكِ اليمين؛ أي: لا تبتغوا غيرَهنَّ.

﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ﴾: يظهر لكم.

---

(١) في (ن): «عطفها».

(٢) في (ن): «تداعت»، وكلاهما رواية في البيت.

(٣) البيت للنابغة الجعدي. انظر: «ديوانه» (ص: ٨١)، و«الشعر والشعراء» لابن قتيبة (١/ ٢٨٧)، و«تفسير الطبري» (٣/ ٢٣١).

(٤) «من»: ليس في (ن).

(٥) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٨٨)، والطبري في «تفسيره» (٣/ ٢٤٥).

(٦) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٨٩)، والطبري في «تفسيره» (٣/ ٢٤٧).

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٢٤٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٣١٧).

﴿ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ﴾ يعني: الفجر الثّاني.

﴿مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ﴾؛ أي: ممّا كان في مكانه من الظّلام.

الزّجّاج: هما فجران؛ أحدهما: يبدو أسود معترضًا، وهو الخيط الأسود، والثّاني: الأبيض الذي يطلعُ ساطعًا يملأ الأفق(١).

وقيل: النّهار من اللّيل، وجعل ذلك خيطًا؛ لأنّه أوّلَ ما يظهرُ يكونُ دقيقًا كالخيط، ثم ينتشرُ في الأفق.

قوله: ﴿مِنَ ٱلۡفَجۡرِ﴾ بيانٌ أنَّ الخيطين من الفجر، لا من غيرِهما.

وعن سهل بن سعدٍ: أنّه نزل ﴿ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ﴾ ولم ينزل: ﴿مِنَ ٱلۡفَجۡرِ﴾، فكان رجالٌ إذا أرادوا الصَّومَ ربطَ أحدُهم في رجليه الخيط الأبيض والخيط الأسود، فلا يزالُ يأكل ويشرب حتى يتبيَّنَ له رِئْيُهما، فأنزل الله: ﴿مِنَ ٱلۡفَجۡرِ﴾(٢).

وعن عديٍّ(٣) بن حاتمٍ قال: قلْتُ للنّبيِّ ﷺ وضعتُ تحت رأسي خيطًا، فلم يتبيَّن لي شيءٌ، فقال لي: «إنّك إذًا لعريضُ الوِسادِ، إنّما ذلك النّهارُ من اللّيل»(٤).

﴿ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِ﴾؛ أي: ولا رخصةَ لكم في شيءٍ آخر، والإتمامُ يصلحُ لابتداء الأمر، ويصلحُ لِما بعد الدخول(٥).

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢٥٧).

(٢) رواه البخاري (١٩١٧)، ومسلم (١٠٩١).

(٣) في (و): «علي».

(٤) رواه البخاري (٤٥١٠)، ومسلم (١٠٩٠).

(٥) في (و): «بعد الأمر».

﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِي ٱلْمَسَٰجِدِ﴾: لا تجامعُوا النِّساءَ[1] في ليالي الصَّومِ وأنتم عاكفونَ في المساجد؛ فإنَّ الجماعَ يفسدُ الاعتكاف.

والاعتكافُ: لزومُ عبادةِ الله في مسجدٍ[2] تُقامُ فيه الجماعةُ مع الصَّوم.

﴿تِلْكَ﴾ إشارةٌ إلى ما تقدَّمَ من الأحكام.

﴿حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ جمع حدٍّ، وهو اسمٌ لكلِّ ما أمرَ الله به أو نهى عنه، مشتقٌّ من (الحدِّ)، وهو المنعُ.

﴿فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾؛ أي: لا تقربوا المنهيّاتِ منها بفعلِها، وقيل: لا تقربوها بالمخالفة والتَّغيير.

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ﴾؛ أي: يبيِّنُ ما يتعبَّدُ به الخلْقُ[3] تَبْيينًا مثلَ هذا.

﴿ءَايَٰتِهِۦ﴾: أحكامَه وشرائعَه.

﴿لِلنَّاسِ﴾: للخلق.

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾: لكي يتَّقوا المحارمَ والمحظوراتِ.

* * *

(١٨٨) ـ ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ مقاتل بن حيّان: نزلت في امرِئ القيسِ بن

---

(١) في (و): «تجامعوهنَّ».

(٢) في (و): «موضع».

(٣) في (و): «الحق منه».

عابسٍ الكنديِّ وعبدانَ بنِ أشْوَع، اختصما إلى رسول الله ﷺ في أرضٍ، وكان امرُؤُ القيس المطلوبَ وعبدانُ الطّالبَ، فأنزلَ الله هذه الآية، فحكَّمَه عبدانُ في أرضه ولم يخاصمْه[١].

قولـه: ﴿بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ أي: بغيـر الحـقِّ، وبغير الوجـهِ الذي أباحَه الله؛ أي: بسـببٍ باطلٍ يتعلَّقـونَ به.

﴿وَتُدۡلُواْ بِهَآ﴾ الزَّجّاج: بالحجّة[٢].

غيرُه: بالأموال.

﴿إِلَى ٱلۡحُكَّامِ﴾؛ أي: ترفعوا أمرَها إلى القضاة، فتختصمُوا فيها عندهم.

والإدلاء: من (إدلاء الدَّلو)، وهو إلقاؤُها في البئرِ يُستسقى بها.

وقيـل: هـو إذا ائتمنكـم ربُّ الحـقِّ، ولا تكـونُ لـه بيِّنـة، وأنكرتُـم[٣] وحلفتُم عنـد الحاكم[٤].

وقيل: لا تدلوا بها إلى الحكّام؛ أي: لا ترشُوا بها إلى الحاكم.

وقيل: هو أن تأكلَ مالَ أخيك بشهادةِ الزُّور، وتُدلُوا بها إلى الحكّام، فتقيموا بيِّنةً غيرَ عادلةٍ، فيحكمُ القاضي بالظّاهر، وحُكمُ القاضي في بابِ الأموالِ لا يُحِلُّ حرامًا، ولا يحرِّم حلالًا.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٧) عن مقاتل بن حيان وابن السائب، وذكره مقاتل بن سليمان في «تفسيره» (٢/ ٤٨٦)، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٣٢١) عن سعيد بن جبير أيضاً.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢٥٨).

(٣) في (و): «فإن أنكرتم».

(٤) «عند الحاكم»: ليس في (ن).

و﴿وَتُدْلُواْ﴾ يجوزُ أن تكون جزمًا، ويجوزُ أن تكون نصبًا[(١)].

﴿لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا﴾: طائفةً ﴿مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ﴾: بالحرام، ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنَّكم مُبطِلون.

* * *

(١٨٩) - ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾ سأل معاذُ بن جبلٍ وثعلبةُ بن غَنَمةَ الأنصاريَّين[(٢)] قالا: يا رسول الله، إنَّ اليهود تغشانا ويكثرونَ مسألَتنا عن الأهلّة، فأنزل الله هذه الآية[(٣)].

والمعنى: يسألونَكَ عن الحكمةِ في زيادةِ الهلال ونقصانِ القمر.

والأهلّةُ: جمع هلالٍ، والهلالُ: الطّالعُ في أوَّلِ كلِّ شهرٍ، ثم[(٤)] يزيدُ نورُه حتى يصيرَ قمرًا[(٥)]، مشتقٌّ من (الإهلال)؛ وهو رفعُ الصَّوتِ عند رؤيتِه.

﴿قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ﴾ في محلِّ ديونِهم، وعدّةِ نسائِهم، وحَملِ حواملِهم، وأُجرةِ أُجرائِهم.

---

(١) وجه الجزم العطف على الفعل المجزوم (لا تأكلوا)، ووجه النصب أنَّ الواو في (وتدلوا) للمعية، وإشكالُ هذا الوجه من جهة المعنى ظاهر. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٩٨).

(٢) «الأنصاريين»: ليس في (و).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٧)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٥٣).

(٤) في (و): «ثم يزيد».

(٥) واسم القمر: الزبرقان، واسم دارته: الهالة، واسم ضوءه: الفخت، واسم ظله: السمر. انظر: «غرائب التفسير» (١/ ٢٠٢).

وجُمِعَ لتجدُّدِه في[1] كلِّ شهرٍ.

والميقاتُ: مُنتهى الوقت.

﴿وَٱلْحَجِّ﴾: القصدُ إلى البيتِ بالعملِ المشروع.

﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾ قال المفسِّرون: كان النّاسُ في الجاهليّةِ وفي أوَّلِ الإسلامِ إذا أحرَمَ واحدٌ منهم بالحجِّ أو العمرة، لم يدخل حائطًا ولا بيتًا ولا دارًا من بابه، فإن كان من أهل الـمَدَرِ نقبَ نقبًا في ظهرِ بيتِه؛ منه يدخلُ ويخرج، أو يتَّخذُ سُلَّمًا فيصعدُ فيه، وإن كان من أهلِ الوَبرِ خرجَ من[2] خلفِ الخيمةِ والفُسْطاط، ولا يدخلُ من الباب ولا يخرجُ منه حتى يحلَّ من إحرامِه، ويرون ذلك برًّا، إلَّا أن يكونَ مـن الحُـمْسِ؛ وهم قريشٌ وكِنانةُ وخُزاعةُ وثَقِيفٌ وجُشَمُ وبنو عامرِ بن صَعْصَعةَ وبنو نَضْرِ بن معاويةَ، سمُّوا حُمسًا؛ لتشدُّدِهم في دينهم.

قالوا: فدخلَ رسولُ الله ﷺ ذاتَ يوم بيتًا لبعض الأنصار، فدخلَ رجلٌ من الأنصار على أَثَرِه من البابِ وهو محرِمٌ، فأنكروا عليه، فقالَ له رسول الله ﷺ: «لِمَ دخلْتَ مِنَ البابِ وأنتَ مُحرِمٌ؟» قال: رأيتُكَ دخلْتَ فدخلْتُ على أَثَرِكَ، فقال رسول الله ﷺ: «إنِّي أحمسُ[3]» قال الرَّجلُ: إنْ كنْتَ أحمسَ فأنا أحمسُ[4]، دينُنا واحدٌ، رضيْتُ بهديِك وسَمْتِك ودِيْنِك، فأنزل الله هذه الآية[5].

---

(١) في (ن): «مع».

(٢) «من»: ليس في (ن).

(٣) في (و): «أحمسي».

(٤) في (و): «أحمسيًّا فأنا أحمسيٌّ».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٢٨٨) عن الربيع، وانظر: «تفسير مقاتل بن سليمان» (١/ ١٦٧)، و«تفسير عبد الرزاق» (١/ ٣١٣)، و«معاني القرآن» للفراء (١/ ١١٦)، و«البسيط» للواحدي =

جابرٌ: كان الرجلُ قطبةَ بنَ عامرٍ الأنصاري[١].

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ محارمَ الله.

﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾: جمعُ بابٍ، وهو الممرُّ الذي يُدخَلُ منه على العادات الجارية.

وقيل: إنَّما هو مثلٌ ضربَه الله؛ أي: ائتوا البرَّ مِن وجهِه.

وقيل: إنَّ قريشًا وأحياءً معها من العرب كانوا إذا خرجَ واحدٌ منهم إلى سفرٍ بحاجةٍ، ثم رجع قبل أن يبلغَها لم يدخل من باب بيتِه إلى الحولِ من يوم رجع، ولكن يدخل من ظهره أو ينقب نقبًا، وكانوا يفعلون ذلك طِيرةً، فنهاهم الله، وقال سبحانه: ﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾[٢].

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ فيما أمركم به ونهاكم عنه.

﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾؛ أي: لتفوزوا بالنَّعيمِ والثَّوابِ الجزيل.

* * *

(١٩٠) - ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾.

= (٣/ ٦١٨)، و«العجاب في بيان الأسباب» لابن حجر (١/ ٤٥٧).

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (١٧٧٧)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٥٤)، قال ابن حجر في «فتح الباري» (٣/ ٦٢١): «أخرجه ابن خزيمة والحاكم... وهذا الإسناد وإن كان على شرط مسلم لكن اختُلِفَ في وصله على الأعمش عن أبي سفيان؛ فرواه عبدُ بن حميد عنه، فلم يذكر جابرًا».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٠٣)، واستغربه.

﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ﴾ الكلبيُّ عن أبي صالحٍ عن ابن عبّاسٍ: نزلت هذه الآية في صُلحِ الحُدَيْبية، وذلك أنَّ رسول الله ﷺ لَمّا صُدَّ عن البيت هو وأصحابُه نحروا الهديَ بالحُدَيْبية، ثم صالحَه المشركون على أن يرجعَ عامَه القابلَ على أن يُخلوا له مكّةَ ثلاثةَ أيّامٍ؛ فيطوفَ بالبيت ويفعلَ ما يشاء، فصالَحهم رسولُ الله ﷺ، فلمّا كان العامُ المقبلُ تجهَّزَ رسولُ الله ﷺ وأصحابُه لعمرة القضاء، وخافوا أن لا تفيَ لهم قريشٌ بذلك، وأن يصدُّوهم عن المسجد الحرام ويقاتلوهم، وكرِهَ أصحاب رسول الله ﷺ قتالهم في الشَّهر الحرام في الحَرَم، فأنزلَ الله: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ﴾؛ يعني: قريشًا[1].

الحسن والرَّبيع وابن زيد: هي منسوخةٌ، نسخَتها: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗ﴾ [التوبة: ٣٦][2].

ابن عبّاسٍ: هي محكمةٌ[3].

﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: تقرُّبًا إلى الله، وطلبًا لمرضاته.

﴿وَلَا تَعۡتَدُوٓاْ﴾ فتقاتلوا على غيرِ دينِ الله.

وقيل: ﴿وَلَا تَعۡتَدُوٓاْ﴾ فتقاتلوا مَن لا يقاتلُكم.

وقيل: ﴿وَلَا تَعۡتَدُوٓاْ﴾ فتتركوا القتالَ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾: المتجاوزين، والاعتداءُ: تجاوزُ الصَّلاحِ إلى الفساد.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٣٤)، والواحدي في «البسيط» (٣/ ٦٢٣).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٢٨٩ ـ ٢٩٠) عن الربيع وابن زيد، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٧) عن الحسن.

(٣) هذا معنى ما رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٢٩١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٣٢٥).

(١٩١) ـ ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾: ظفرتم بهم.

﴿وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾؛ يعني: مكّةَ، وعدَهم اللهُ فتحَ مكّةَ بهذه الآية، فأنجزَ وعدَه.

وقيل: ﴿مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾؛ أي: لسببِ إخراجِهم إيّاكم.

﴿وَالْفِتْنَةُ﴾: الكفرُ، وقيل: الفتنةُ هاهنا[1]: تعذيبُهم نفرًا من المؤمنين بمكّةَ للارتداد.

﴿أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ في الحرم.

﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ﴾؛ أي: لا تَبدؤوهم بقتلٍ أو قتالٍ في الحرم.

﴿فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ مَن قرأ بالألف فوجهُه ظاهرٌ، ومَن قرأ بغيرِ الألفِ أراد حتى يقتلُوا بعضَكم[2].

***

(١٩٢ ـ ١٩٣) ـ ﴿فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٩٢) وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾.

---

(١) في (و): «والفتنة أشدها هنا».

(٢) قرأ حمزة والكسائي ﴿ولا تقتلوهم﴾، ﴿حتى يقتلوكم﴾، ﴿فإن قتلوكم﴾ بغير ألف، والباقون بالألف. انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ١٧٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٠).

﴿فَإِنِ انتَهَوْا﴾ عن كفرهم، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾؛ أي: لهم.

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾؛ أي: كفرٌ.

﴿وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ فلا يُعبَدُ معه غيرُه، قيل: أراد به أهلَ مكّةَ خاصّةً، وقال في الأنفال: ﴿الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩]؛ لأنّه أمرَ فيها بقتالِ الكفّارِ كافةً(١).

﴿فَإِنِ انتَهَوْا﴾ عن الكفرِ، ﴿فَلَا عُدْوَانَ﴾؛ أي: جزاء العدوان، وسمّاه (عدوانًا) على الازدواجِ، كما سبق(٢).

﴿إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾: الكافرين.

وقيل: هذه ناسخةٌ للأولى مرخِّصةٌ للقتالِ في الحرم.

وقيل: بل هي مُحكَمةٌ كما كانت.

***

(١٩٤) ـ ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾.

﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ قال قتادة: أقبلَ نبيُّ الله عليه السّلام وأصحابُه في ذي القعدة، حتى إذا كانوا بالحُدَيْبية صدَّهم المشركون، فلمّا كان العامُ المقبلُ دخلوا مكّةَ، فاعتمروا في ذي القعدة، ونحروا الهدي بمنًى، وأقاموا بها ثلاثةَ أيّامٍ(٣)، وكان

---

(١) لم أقف على مَن ذكر هذا قبل المصنف، وقد ذكره في «غرائب التفسير» (١/ ٢٠٤)، و«البرهان» (ص:٨٤).

(٢) في قوله: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾، وقد سمَّاه هناك مزاوجةً، وانظر: «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (ص: ١٧١)، و«الحجة» لأبي علي الفارسي (١/ ٣١٥ـ٣١٦)، و«غرائب التفسير» (١/ ٢٠٤).

(٣) في (ن): «ثلاث ليال».

المشركون قد فخروا عليه حين ردُّوه يوم الحُدَيْبية، فأقصَّهُ الله منهم، وأنزل: ﴿ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ﴾ الآية(١)؛ أي: الشَّهر الحرام بالشَّهر الحرام على جهة التَّعويضِ لما فاتَ في السَّنة الأولى.

وقيل: قتالُ الشَّهرِ الحرامِ(٢) بقتالِ الشَّهرِ الحرام، فـ﴿ٱلشَّهۡرُ﴾ مبتدأٌ، و﴿بِٱلشَّهۡرِ﴾ خبره.

والمعنى: للمسلمين أن ينتهكوا حُرمةَ الشَّهرِ الحرام بسبب انتهاك الكافرين لها أوَّلًا.

﴿وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞ﴾؛ أي: وتركُ الحرماتِ قصاصٌ؛ أي: تُرفَض الحُرمةُ برفضِ الكفّار لها؛ لأنَّهم أرادوا أن يُغيروا [على](٣) النَّبيِّ ﷺ في الشَّهر الحرام، فيُقاتلوه(٤).

والأشهرُ الحرمُ أربعةٌ: ذو القَعدة، وذو الحِجّة، والمحرَّم، ورجبٌ.

والمرادُ به هاهنا: ذو القَعدة، وسمِّي «ذو القَعدة» لقعودِهم فيه عن القتال(٥).

وجمعَ (الحرمات) لأنَّها حرمةُ الشَّهر، وحرمةُ البلد، وحرمةُ الإحرام.

وقيل: لعمومها في جميع الحرمات.

﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾ بقتلٍ أو قتالٍ.

﴿فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾؛ أي: قابلوهم بمثلِه صورةً ومقدارًا.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٠٠)، والطبري في «تفسيره» (٣/ ٣٠٦).

(٢) «الحرام»: ليس في (و).

(٣) زيادة يقتضيها السياق.

(٤) في (و): «فيقابلوا»، وفي (ن): «فيقابلوه»، والمثبت هو الصواب، والله أعلم.

(٥) انظر: «جمهرة اللغة» لابن دريد (٢/ ٦٦٢) مادة (ق ع د).

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في مجاوزةِ ما حُدَّ لكم.

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ بالنَّصرِ والمغفرة.

* * *

(١٩٥) ـ ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: الطَّريقِ الذي شرعَه الله لعباده؛ أي: تعاونوا على مجاهدةِ الكفّارِ بالمالِ والعُدّةِ والسَّلاح.

﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ ابن عبّاسٍ والحسن وقتادة ومجاهدٌ والضَّحّاك: بالامتناعِ من الإنفاقِ في سبيل الله[1].

البراء بن عازبٍ: بارتكاب[2] المعاصي؛ لليأسِ من المغفرة[3].

وقيل: بتقحُّمِ الحربِ من غير نكايةٍ في العدوِّ.

أبو عليٍّ[4]: بالإسرافِ في الإنفاقِ الذي يأتي على النَّفسِ.

والإلقاءُ: تصييرُ الشَّيء إلى جهةِ السُّفل[5].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٣١٣ ـ ٣١٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وقتادة والحسن والضحاك.

(٢) في (و): «لارتكاب».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٣١٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٣٣٢).

(٤) «أبو علي» من (ن).

(٥) ذكر الواحدي في «البسيط» (٣/ ٦٣٢) عن أبي علي قوله: «المعنى: لا تقربوا مما يهلككم؛ لأن مَن ألقى يَدَهُ إلى الشيء فقد قَرُبَ منه، وهذا مبالغة في الزجر وتأكيد؛ لأن النهي إذا وقع عن مشارفته ومُقاربته فمباشرته أولى بالانتهاء، وكان المعنى: لا تقربوا من ترك الإنفاق في سبيل الله».

والباء يُحتمَل أن تكون زيادة[١]، ويُحتمَل أن يكون[٢] التَّقدير: ولا تلقوا أنفسَكم بأيديكم[٣].

والتَّهلُكةُ على هذا: كلُّ شيءٍ تصيرُ عاقبتُه إلى الهلاك، والهلاكُ: مصيرُ[٤] الشَّيءِ بحيثُ لا يُدرى أينَ هو.

﴿وَأَحْسِنُوٓاْ﴾ بالإفضالِ على المحتاج.

وقيل: أحسنوا الظَّنَّ باللهِ في الإخلافِ.

وقيل: في[٥] قَبولِ توبتِكم.

وقيل: أحسنُوا أداءَ[٦] ما فرضَ الله عليكم؛ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

***

(١٩٦) ـ ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِۖ وَلَا تَحْلِقُواْ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْيُ مَحِلَّهُۥۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِي ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾.

﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ مجاهدٌ: هو بلوغُ آخرِ أعمالِهما بعد الدُّخولِ فيهما[٧].

---

(١) في (ن): «زائدة»، انظر: «الحجة للقراء السبعة» لأبي علي الفارسي (٥/ ٥٥).

(٢) «يكون»: ليس في (ن).

(٣) أي: أن الباء غير زائدة، ولكن المفعول محذوف. انظر: «النكت والعيون» للماوردي (١/ ٢٥٣)، و«الكشاف» للزمخشري (١/ ٢٣٧).

(٤) في (و): «تصيير».

(٥) «في» من (ن).

(٦) في (و): «بأداء».

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٣٢٧).

عطاءٌ والسُّدِّيُّ: أتمُّوهما؛ لأنَّهما واجبان[١].

وعن عليٍّ وابن مسعودٍ رضي الله عنهما: إتمامُهما أن تُحرِمَ من دُوَيْرةِ أهلِكَ[٢].

وقيل: إتمامُهما أن تكونَ النَّفقةُ من حلِّهما.

والإتمامُ يُستعمَلُ قبلَ الشُّروع في الشَّيء وبعدَ الشُّروع فيه.

والحجُّ: قصدُ البيتِ بالأعمالِ المشروعة فرضًا وسنةً، وفرضُ الحجِّ ثلاثٌ: الإحرامُ، والوقوفُ بعرفة، وطوافُ الزِّيارة، وما سواها سُنّة، ويفسدُه الجِماع.

والعمرةُ: زيارةُ البيت، وإتمامُها بالإحرامِ والطَّوافِ والسَّعيِ وحلقِ الرَّأس، وهي سُنّةٌ عندنا[٣]، وليس بفرضٍ؛ لقولِه تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ [آل عمران: ٩٧].

﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾؛ أي: منعَكُم خوفُ عدوٍّ أو مرضٍ، فامتنعتم لذلك.

وقيل: وإن منعكم قاهرٌ حابسٌ، وهذا يقتضي (حُصِرتم)، لا (أُحصِرتم).

﴿فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾: شاةٌ أو بدنةٌ أو بقرةٌ، جمعُ هَديّة، واشتقاقُه من (اهتدَيْتُ إلى بيت الله)، وقيل: من (هَدَيْتُ إلى الطَّريق).

---

(١) ذهب عطاء إلى أنَّ العمرة واجبة. انظر: «الأم» للشافعي (٢/ ١٤٥)، و«تفسير عبد الرزاق» (١/ ٣١٦). وذهب السدي إلى ذلك أيضاً فقال: «أقيموا الحج والعمرة». انظر: «تفسير الطبري» (٣/ ٣٣٤).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٣٢٩) عن علي رضي الله عنه، وذكره الزجاج في «معاني القرآن» (١/ ٢٦٦)، والواحدي في «البسيط» (٤/ ٥) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) ذهب إلى ذلك مالك وأصحاب الرأي وأبو ثور، ورُوي عن النخعي وابن مسعود، بينما ذهب إلى وجوبها الشافعي وأحمد والثوري وإسحاق وأبو عبيد، ورُوي عن عمر وابن عباس وابن عمر وجابر، وعطاء وابن المسيب وسعيد بن جبير والحسن البصري وابن سيرين والشعبي وغيرهم. انظر: «الإشراف» لابن المنذر (٣/ ٣٧٦).

﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ﴾؛ أي: لا تأخذوا من شعرِ رؤوسِكم بالـمَواسِي.

﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ﴾ ابن عبّاسٍ وابن مسعودٍ والحسن وعطاءٌ: محلُّه الحرمُ، فإذا ذُبِحَ يومَ النَّحرِ أحلَّ[1].

وقيل: محلُّه الموضعُ الذي صُدَّ فيه، فإنَّ النَّبيَّ ﷺ ذَبحَ بالحُديبية.

﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ﴾ يعني: يُؤذيه القملُ.

﴿فَفِدْيَةٌ﴾؛ أي: فحلَقَ، فعليه فديةٌ.

﴿مِّن صِيَامٍ﴾؛ أي: صيام ثلاثة أيّام عند الجماعة.

الحسن وعكرمة: صيام عشرة أيامٍ[2].

﴿أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾: إطعام ستّةِ مساكينَ لكلِّ مسكينٍ نصفُ صاعٍ.

وأجمع المفسِّرون على أنّها نزلت في كعبِ بنِ عُجرةَ، قال كعبٌ: خرجنا مع رسول الله ﷺ مُحرمين، فوقع القملُ في رأسي ولحيتي وشاربي حتى وقع في حاجبي، فذكرتُ ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: «ما كنْتُ أرى بلَغَ منكَ هذا، ادعُ الحالِقَ»، فجاء الحالِقُ فحلَقَ رأسي، فقال: «هل[3] تجد نَسِيْكةً؟» فقلْتُ: لا، وهي شاةٌ، قال: «فصُمْ ثلاثةَ أيّامٍ، أو أطعِمْ ثلاثةَ آصُعٍ[4] بينَ سِتّةِ مساكينَ»، فقال: فأُنْزِلَتْ فيَّ خاصّةً، وهي للنّاس عامّةً[5].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٣٦٥ ـ ٣٦٦) عن ابن عباس وابن مسعود، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٣٣٧) عن عطاء.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٣٩٤ ـ ٣٩٥)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٣٨).

(٣) «هل» ليس في (و).

(٤) في (و): «أصوع».

(٥) رواه البخاري (٤٥١٧)، ومسلم (١٢٠١)، وقد أخرج هذا اللفظ سعيد بن منصور في «سننه ـ =

﴿فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلۡعُمۡرَةِ إِلَى ٱلۡحَجِّ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۚ﴾؛ أي: إذا زال الإحصارُ وحصل الأمنُ[١]، ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلۡعُمۡرَةِ﴾ وهو أن يُحرمَ بالعمرة، فإذا وافى البيتَ سعى وطافَ به وحلقَ أو قصَّر، فإذا فعلَ هذا[٢] حلَّ، فيتمتَّع[٣] بما كان يعملُه الحلالُ إلى أن يحرمَ بالحجِّ.

والتَّمتُّعُ: إطالةُ الانتفاع، من قول العرب: (مَتَعَ النَّهارُ)[٤].

فعلى المستمتِعِ[٥] شاةٌ أو بدنةٌ أو بقرةٌ، ﴿فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ فِي ٱلۡحَجِّ وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡۗ﴾؛ أي: مَن لم يجد الهديَ فعليه صيامُ ﴿ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ فِي ٱلۡحَجِّ﴾؛ أي: في أيّامِ حجَّتِه[٦] إذا كان محرمًا، قيل: في العشر، وقيل: أيّام التَّشريق.

﴿وَسَبۡعَةٍ﴾ أيّامٍ ﴿إِذَا رَجَعۡتُمۡۗ﴾: إذا عادَ إلى وطنِه.

﴿تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞۗ﴾ الفائدةُ في هذا الجمع ـ مع أنَّ أحدًا لا يجهلُ أنَّ[٧] ثلاثةً وسبعةً عشرةٌ ـ كثيرةٌ:

الزَّجّاج: لإزالةِ التَّوهُّمِ أنَّ الغرضَ أحدُهما، كقولِه: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ﴾ [النساء: ٣][٨].

= التفسير» (٢٨٩).

(١) في (و): «المنع».

(٢) في (ن): «هذه».

(٣) في (و): «هذا فتمتَّع».

(٤) أي: طال وارتفع. انظر: «غريب الحديث» لابن قتيبة (١/ ٥٩٧)، و«الصحاح» للجوهري (٣/ ١٢٨٢) مادة (م ت ع).

(٥) في (ن): «المتمتع».

(٦) في (و): «الحج وهو».

(٧) «أن»: ليس في (و).

(٨) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢٦٨).

القفّال: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ عن الهدي، ولو قال: (تلك) التبَس.

المفضَّل: إنَّه لـمّا فَصَلَ بينَهما بإفطارٍ قيَّدَ فقال: إنَّها كالمتَّصلة[١].

المبرِّد: هو تأكيدٌ بإعادةِ الذِّكرِ مُجملًا بعدَ التَّفصيل[٢]، ومثلُه قولُ الشّاعر:

ثـلاثٌ واثنتـانِ فهُـنَّ خَمْـسٌ   وسادسـةٌ تميـلُ إلـى شِـمامِ[٣]

أبو مسلمٍ[٤]: هو بمنزلة قوله: فصيام عشرة أيامٍ؛ ثلاثةٍ في الحجِّ، وسبعةٍ إذا رجعتم.

قال: ويُحتمَل أنَّه لإزالةِ توهُّمِ أنَّ السَّبعةَ مع الثَّلاثة، كقوله: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ [فصلت: ١٠]؛ أي: مع اليومَين اللَّذَينِ تقدَّما في قوله: ﴿خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ٩].

ويُحتمَل لإزالةِ توهُّمِ أنَّ السَّبعةَ منَ الكثرةِ لا من العدد؛ فإنَّه قد روى أبو عَمرو[٥] وابن الأعرابيِّ عن العرب: سبَّعَ اللهُ لك الأجرَ؛ أي: أكثر لك، أراد التَّضعيف[٦]، ولهذا جاء في الأخبار: فله سبعٌ، وله سبعون، وله سبعُمئةٍ.

---

(١) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٢/ ٢٦٨).

(٢) نقل مكيُّ بن أبي طالب عن المبرد أنه قال: «إنما قيل: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ﴾ لأنه يجوز أن يظن السامع أن ثم شيئاً آخر بعد السبعة، فأزال اللبس». انظر: «الهداية إلى بلوغ النهاية» (١/ ٦٥٦).

(٣) البيت للفرزدق. انظر: «ديوانه» (٢/ ٨٣٥)، و«الغريبين» للهروي (٤/ ١٢٧٧).

(٤) محمد بن علي بن محمد بن الحسين بن مهربزد، أبو مسلم الأصبهاني، كان عارفاً بالتفسير، والنحو، والأدب، غالياً في مذهب الاعتزال، صنَّف التفسير في عشرين مجلدًا، مات في جمادى الآخرة سنة (٤٥٩هـ). انظر: «تاريخ الإسلام» للذهبي (١٠/ ١١٥)، و«معجم المفسرين» للسيوطي (ص: ٩٩)، و«طبقات المفسرين» للداودي (٢/ ٢١٣).

(٥) في (ن): «عمر»، وقد ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٢/ ٢٦٩) عن أبي عمرو بن العلاء.

(٦) انظر: «الغريبين» لأبي عبيد (٣/ ٨٥٨)، ونقله المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٠٦).

وقال الأزهريُّ في قولِه سبحانه وتعالى: ﴿إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةً﴾: فهو جمعُ السَّبعِ الذي يُستعمَلُ للكثرة، ألا ترى أنَّه لو زاد على السَّبعين لم يُغفَرْ لهم[١].

﴿ذَٰلِكَ لِمَن لَّمۡ يَكُنۡ أَهۡلُهُۥ حَاضِرِي ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ﴾؛ أي: ذلك الفرضُ ليس إلّا للغرباء[٢]، وليس لحاضري المسجدِ الحرام، وهو مكّةُ[٣]، وقيل: الحرمُ كلُّه.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ فيما يأمُركم به وينهاكم عنه.

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ لمن خالفَه.

* * *

(١٩٧) ـ ﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُونِ يَـٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾.

﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ﴾: «الحُجّة»: تقديره: أشهرُ الحجِّ أشهرٌ معلوماتٌ[٤]، أو الحجُّ حجُّ أشهرٍ معلوماتٍ[٥]، لا ما كان تفعلُه النَّسأةُ من التَّأخير[٦].

قال: ويجوز أن يُجعَلَ الشَّهرُ حجًّا على الاتِّساع؛ لوقوعِه فيها[٧]، كما قالت الخنساءُ:

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (٢/ ٧٠) مادة: (س ب ع).

(٢) في (و): «ليس للفقراء».

(٣) في (و): «بمكة».

(٤) «أشهر معلومات»: ليس في (ن).

(٥) فحذف المضاف من المبتدأ.

(٦) فحذف المضاف من الخبر.

(٧) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (١/ ٢٣ ـ ٢٤) و(٢/ ٢٧٩).

تَرْتَـعُ ما غَفَلَتْ حتَّى إذا ادَّكَرَتْ فـإنَّـمـا هــيَ إقْبـالٌ وإدْبارُ[(١)]

و﴿أَشۡهُرٞ﴾: جمع شهرٍ؛ وهي شوّالُ وذو القَعدةِ وتسعٌ من ذي الحجّة، جُمِعَ لوجود شهرَين[(٢)] وبعضٍ من الثّالث.

﴿مَّعۡلُومَٰتٞ﴾: مؤقّتةٌ.

﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ﴾ بالعزمِ والإحرامِ والتَّلبيةِ.

﴿فَلَا رَفَثَ﴾ ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما: التَّعريض بذِكرِ الجِماع[(٣)].

ابن مسعود وابن عمر والحسن: الرَّفثُ: الجماعُ[(٤)].

﴿وَلَا فُسُوقَ﴾ ابن عباس[(٥)] وسعيد بن جبيرٍ والحسن: المعاصي[(٦)]، من قوله: ﴿فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

ابن زيد: هو الذَّبحُ[(٧)]، من قوله: ﴿أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٤٥].

---

(١) انظر: «ديوان الخنساء» (ص: ٧٨)، و«الكتاب» لسيبويه (١/ ٣٣٦). ووجه الشاهد فيه أنها جعلت الناقة هي الإدبار والإقبال لكثرة هذا منها توسُّعًا.

(٢) في (ن): «الشهرين».

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٣٢٢٥)، والطبري في «تفسيره» (٣/ ٤٥٨).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٤٦٥) عن ابن مسعود رضي الله عنه. ورواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٣٢٣٧)، والطبري في «تفسيره» (٣/ ٤٥٩) عن ابن عمر رضي الله عنهما. ورواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٣٢٣١)، والطبري في «تفسيره» (٣/ ٤٦٥) عن الحسن.

(٥) «رضي الله عنهما التعريض بذكر الجماع، ابن مسعود وابن عمر والحسن الرفث الجماع، ﴿وَلَا فُسُوقَ﴾ ابن عباس» من (ن).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٤٧٠ ـ ٤٧١) عن ابن عباس رضي الله عنهما والحسن وسعيد ابن جبير.

(٧) يعني بالذبح: الذبح للأنصاب، كما في الآية. رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٤٧٥).

الضَّحاك: التَّنابزُ[١]، من قوله: ﴿بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ﴾ [الحجرات: ١١].

أبو عبيدة: لا لَغْوَ[٢]، من قولِ العجّاجِ:

.... عَـنِ اللَّغـا وَرَفَـثِ التَّكَلُّـمِ[٣]

﴿وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾ أبو عبيدةَ: له تأويلان:

أحدُهما: أنَّه لاشكَّ في أنَّ فَرْضَ الحجِّ قد تقرَّرَ في ذي الحجّة، وبطلَ ما كان تفعلُه النَّسَأةُ من التَّأخير.

والثاني: لا تجادلْ صاحبَك ولا تُمارِه[٤].

﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾ فيجازيكم عليه.

﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ ابن عبّاسٍ قال: كان أهلُ اليمنِ يحجُّون ولا يتزوَّدون، ويقولون: نحن المتوكِّلون، فإذا قدموا مكّةَ سألوا النّاسَ[٥].

قال المفسِّرون: التَّقوى هاهنا: الكعكُ والزَّيتُ والسَّويق[٦].

القفّال: ادّخروا لأنفسِكم الخيرَ بتقوى الله في أمرِه ونهيِه.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٤٧٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٣٤٧).

(٢) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٧٠).

(٣) انظر: «ديوان العجاج» (ص: ٥٩)، و«أدب الكاتب» لابن قتيبة (ص: ٥٢٧)، وصدره:

وَرَبِّ أَسْرَابِ حَجِيجٍ كُظَّمِ

(٤) يوهم صنيع المصنِّف أنه أخذ ذلك عن كتب أبي عبيدة، والظاهر أنه أخذه عن «الحجة» لأبي علي.
انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٧٠)، و«الحجة» لأبي علي (٢/ ٢٨٩).

(٥) رواه البخاري (١٥٢٣).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٤٩٤ ـ ٤٩٩) عن ابن عمر وسعيد بن جبير والشعبي.

وقيل: تقديره: وتزوَّدوا التَّقوى؛ فإنَّها خيرُ زادٍ.

﴿وَٱتَّقُونِ﴾: امتنعوا من عقابي واحذروا خلافي.

﴿يَـٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾: يا ذوي العقول.

***

(١٩٨) ـ ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَـٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ ابن عبّاسٍ وابن عمر: نزلت في التُّجّار والجمّالين؛ وكانوا يتَّقون البيعَ والتِّجارةَ في الحجِّ، ويقولون: هذه أيّامُ ذكرِ الله؛ فأنزل الله هذه الآية(١).

والمعنى: لا جناحَ عليكم أن تبتغوا فضلًا من ربِّكم بالتِّجارةِ والكِراء.

﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم﴾: دفعتم ﴿مِّنْ عَرَفَـٰتٍ﴾ إلى منى بالتَّلبية، مشتقٌّ من (الفَيْض).

﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ﴾ هو المزدلفة، والذِّكرُ: الدُّعاءُ والتَّضرُّعُ والثَّناء.

وقيل: الذِّكرُ هاهنا: الجمعُ بين صلاتي المغربِ والعشاءِ بالمزدلفة، وليس يجبُ(٢) هناك ذكرٌ غيرها.

﴿وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ﴾؛ أي: اشكروه شكرًا يُوازي هدايته إيّاكم.

---

(١) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (٣/ ٥٠٤ ـ ٥٠٥).

(٢) «يجب» من (ن).

﴿وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ﴾: وقد كنتم من قبلِ هُداه.

﴿لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾؛ أي: عن الرَّشاد.

***

(١٩٩) ـ ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ عائشة قالت: كانت العربُ تفيضُ من عرفاتٍ، وقريشٌ ومَن دانَ بدينِها تفيضُ من جَمْعٍ، فأنزلَ الله: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾[1]؛ أي: سائر النَّاس.

وقيل: المراد به إبراهيمُ عليه السَّلام.

وعن الحسنِ: ﴿الناسِ﴾ بالكسر[2]، وأراد به: آدمَ عليه السَّلام.

﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ﴾ لِما مضى من ذنوبِكم.

وقيل: ممّا جرى[3] من خللٍ أو تقصيرٍ في أعمال الحجِّ؛ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

***

---

(١) رواه البخاري (٤٥٢٠)، ومسلم (١٢١٩).

(٢) ذكر هذه القراءة الشاذة ابن خالويه في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٢٠) و«إعراب ثلاثين سورة» (ص: ٢٣٨) عن سعيد بن جبير، وذكرها اليشكري في «الكامل في القراءات» (ص: ٥٠٢) عن القورسي عن أبي جعفر، وقد قرأ أبو المتوكل، وأبو نهيك، ومورِّق العجلي: (الناسي) باثبات الياء، ورويت عن سعيد بن جبير. انظر: «المحتسب» لابن جني (١/ ١١٩)، و«معاني القرآن» للنحاس (١/ ١٤١)، و«زاد المسير» لابن الجوزي (١/ ١٦٧)، و«البحر المحيط» (١/ ١١٩).

(٣) «مما جرى»: ليس في (ن).

(٢٠٠) ـ ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾.

﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ﴾: أتممْتُم الحجَّ والعمرةَ كما أُمِرْتُم.

المفضَّل: القضاءُ هاهنا: بمعنى تأديةِ الواجبِ في المناسك.

وقيل: إذا شرعتُم في مناسِكِكم.

والمناسكُ: العباداتُ.

مجاهدٌ: ذبائحكم[1].

﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَاءَكُمْ﴾ مجاهدٌ: كان أهلُ الجاهليّةِ إذا اجتمعوا بالموسمِ ذكرُوا فِعلَ آبائهم في الجاهليّة وأيّامهم وأنسابهم فتفاخروا؛ فأنزل الله: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَاءَكُمْ﴾[2].

﴿أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾؛ أي: أكثرَ، وقيل: أرفعَ به صوتًا.

الحسن: كانت الأعرابُ إذا تحدَّثوا أو تكلَّموا قالوا: وأبيكَ لقد كان كذا، وأبيكَ لم يكن كذا[3].

عطاءٌ: اذكروه بالاستغفارِ كذكرِ الصَّبيِّ لأبيه إذا قال: يا أباه[4]؛ يريد: بالتَّضرُّعِ والاستكانة.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٥٣٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٣٥٥).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٥٣٦).

(٣) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٦٥)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ١٦٧).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٥٣٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٣٥٦).

ويُحتمَل أنَّ معنى ﴿كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ﴾: وحِّدوه ولا تشركوا معه كما تستنكفونَ إذا نُسِبتم إلى غيرِ أبٍ[١] واحدٍ، وعلى هذا معنى قوله: ﴿أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ قطعُ مجازٍ تستعملُه العربُ في الوالد، من قولهم: الأبوان والوالدان؛ أي: وحِّدوه ولا تشركوا معه؛ لا حقيقةً ولا مجازًا[٢].

وقيل: كذكر الصَّبيِّ أباه حين يفتحُ فاه.

وقيل: اغضبوا له كغضبِكم لآبائِكم[٣].

وقيل: كذكرِ آبائِكم إيّاكم[٤]؛ على القلب.

﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾؛ أي: من النّاس مَن لا يسألُ اللهَ إلّا دنياه؛ لكفره بالآخرة، فلا نصيبَ لهذا في ثوابِ العُقبى.

والخَلاقُ: النَّصيبُ التّام.

الحسن: الخَلاقُ: الدِّين[٥].

وقيل: مَن كان غرضُه بالحجِّ الدُّنيا، فليس له في الآخرةِ من نصيبٍ.

* * *

(١) «أب» من (ن).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٠٨)، وعدَّه من العجائب.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٠٨)، واستغربه.

(٤) في (و): «كذكركم آباءكم».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٣٦٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٩٥).

(٢٠١ ـ ٢٠٢) ـ ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾.

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ ومَن أرادهما جميعًا بأن يؤمن بالله واليوم الآخر أُوتِيَ منهما ووُقي عذابَ النّار.

﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟﴾ ترجعُ إلى الفريق الثّاني الذينَ سألوا الدُّنيا والآخرة.

وقيل: تعودُ إلى الفريقَيْن؛ أي: لكلِّ هؤلاء نصيبٌ من عملِه.

﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ يُوصِلُ إلى كلِّ عامل[1] جزاءَ عملِه من غير معاناةٍ لإحصائه.

* * *

(٢٠٣) ـ ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾.

﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ﴾ أجمع المفسِّرون على أنَّ الأيّامَ المعدودات أيّامُ التَّشريق.

والمرادُ بالذِّكرِ هاهنا: التَّكبيرُ أدبارَ الصَّلاةِ المفروضةِ في الجماعة، ولفظُه: الله أكبر، الله أكبر[2]، لا إله إلّا الله، والله أكبر، ولله الحمد[3].

---

(١) في (ن): «فريق»، ولكن في هامشها: «في نسخة: عامل».

(٢) «الله أكبر» ذكرت مرتين في (ن).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٥٦٣٣) عن ابن مسعود رضي الله عنه موقوفًا، ورواه الدارقطني في «سننه» (١٧٣٧) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعًا، والبيهقي في «الدعوات الكبير» (٢/ ١٦٥) وضعَّفه، ورُوي نحوه عن عدد من الصحابة والتابعين.

ووقتُه بعدَ الفراغِ من الصَّلاةِ غداةَ عرفةَ إلى ما بعد صلاة[١] العصر من يومِ النَّحر، وهذا قولُ ابن مسعودٍ وعلقمة[٢].

وذهب عمرُ وعليٌّ رضي الله عنه وابن عبّاسٍ: إلى أنَّه يُقطَعُ بعد صلاة العصر من آخرِ أيّام التَّشريق[٣].

﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ هذا للحاجِّ خاصّةً، والأوَّل عامٌّ.

والمعنى: مَن نفرَ في اليوم الثّاني من أيّام التَّشريق، ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ﴾ فلم[٤] ينفر، ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾؛ أي: كلاهما مغفورٌ لهما مبرورٌ حجُّهما؛ لقوله ﷺ: «مَن حَجَّ فلم يَرفُثْ ولم يَفسُقْ خرجَ مِن ذنوبِه كيومَ وَلَدَتْه أُمُّه»[٥].

وقيل: ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾: على المتعجِّل لتعجُّله، ولا على المتأخِّر لتأخُّره؛ أي: هما سواءٌ.

وقيل: ذكرَ الأوَّلَ للترخُّص، وذكرَ الثّاني للازدواج.

وقيل: فلا إثمَ على المتعجِّلِ لتعجُّله، ولا على المتأخِّر؛ إذ بُرَّ حَجُّه.

---

(١) في (ن): «صلاة العصر».

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٥٦٣٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٩/ ٣٠٦)، والحاكم في «المستدرك» (١١١٥) عن ابن مسعود رضي الله عنه. ورواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٥٦٤٩) عن علقمة.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٥٦٣١) عن علي رضي الله عنه. ورواه ابن أبي شبية في «المصنف» (٥٦٣٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما. وانظر هذه الأقوال وغيرها في «المبسوط» للسرخسي (٢/ ٤٣)، و«المجموع» للنووي (٥/ ٤٤).

(٤) في (ن): «فلا».

(٥) رواه البخاري (١٥٢١)، ومسلم (١٣٥٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقيل: فلا إثمَ على المتعجِّل لتعجُّله، ولا على المتأخِّرِ[(١)]؛ لتركِه الرُّخصةَ.

﴿لِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ قيل: هذه اللّامُ متَّصلةٌ بقوله: فلا إثمَ عليه لمن اتَّقى[(٢)].

وقيل: هذا الذي ذُكِرَ[(٣)] لمن اتَّقى.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في جميعِ أموره[(٤)].

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ حين يبعثُكم من قبورِكم.

* * *

(٢٠٤) ـ ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴾.

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ ﴾ قال السُّدِّيُّ: نزلت في الأخنسِ بنِ شَرِيقٍ الثَّقفيِّ، وهو حليفُ بني زُهرة، أقبل إلى النَّبيِّ ﷺ فأظهرَ الإسلام، وأعجبَ النَّبيَّ ﷺ ذلك منه، وقال: إنَّما جئتُ أريد الإسلامَ والله يعلم إنِّي لصادقٌ، وذلك قوله: ﴿وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ﴾، وخرج من عند النَّبيِّ ﷺ، فمرَّ بزرعٍ لقومٍ من المسلمين وحُمُرٍ، فأحرقَ الزَّرعَ وعقَرَ الحُمُرَ، فأنزل اللهُ فيه: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [البقرة: ٢٠٥][(٥)].

وقيل: كان مع المشركين يوم بدرٍ، فلمّا نزلوا جحفةَ قال لبني زُهرةَ[(٦)]: إنَّ

---

(١) «إذ بر حجه وقيل فلا إثم على المتعجل لتعجله ولا على المتأخر» من (ن).

(٢) فهي متعلِّقة بمن تأخَّر فقط.

(٣) من رفع الإثم عن المتعجل والمتأخر.

(٤) كذا في النسخ الخطية، ولو كانت (في جميع أوامره) أو (في جميع أموركم) لزال الإشكال.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٥٧٢) بتمامه، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٣٦٤) مختصرًا.

(٦) «لبني زهرة» من (ن).

محمَّدًا ابنُ أختِكم وابنُ عمِّكم فكفُّوا عنه؛ فإنْ يكُ صادقًا كنتم أسعدَ النّاس به، وإنْ يكُ كاذبًا كفتكم إيّاه ذُؤبانُ العربِ[١] ـ ويُروى: أوباشُ العربِ ـ قالوا: نِعْمَ الرَّأيُ ما رأيْتَ، وما يزال لك العقل الأصيل، فانصرف وانصرفوا معه، وسُمِّي الأخنسَ، وكان اسمُه أُبيًّا؛ لقولِه لهم: إذا نُودي بالرَّحيل فإنِّي أخنسُ بكم فاتَّبعوني، ففعل وفعلوا، فلمّا أُخبِرَ النَّبيُّ ﷺ أعجبَه ذلك، ثم إنَّه في رجوعِه إلى مكّةَ أحرقَ صُبْرَةَ تمرٍ لمسلمٍ وقتلَ فرسَ آخر[٢].

وقوله: ﴿يُعۡجِبُكَ﴾ الإعجابُ: السُّرورُ بما امتنعَ[٣] لشدّةِ العَجَبِ به.

﴿قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ يجوز أن يتعلَّق (في) بالقول؛ أي: قوله في الأمور التي تقعُ من أسباب الدُّنيا، ويجوز أن يتعلَّق بالإعجاب؛ أي: يعجبُك في الحياة الدُّنيا.

والحياةُ: ما يتميَّزُ به مَن يصحُّ إدراكُه ممَّن لا يصحُّ.

﴿وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ﴾ أي: ويستشهد اللهَ، وهو قولُه للنَّبيِّ ﷺ: إنِّي لك صادقٌ، وإنِّي لك محبٌّ.

﴿وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ﴾: شديدٌ، مشتقٌّ من (لَديدَي الوادي)[٤].

و﴿ٱلۡخِصَامِ﴾: جمع (خَصْمٍ) عند أكثرهم[٥].

المبرِّد: هو مصدر (خاصَمَ)[٦].

---

(١) هم الخبثاء المتلصِّصون. انظر: «إصلاح المنطق» لابن السكيت (ص: ١١٣).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٢٧٠)، والواحدي في «البسيط» (٤/ ٧٤).

(٣) في (و): «أمتع».

(٤) لديدي الوادي: جانباه؛ لأنه كلما أخذت عليه جانباً من الحجة أخذ في جانب آخر. انظر: «مشارق الأنوار» للقاضي عياض (١/ ٣٥٦).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢٧٧).

(٦) فسَّر المبرد (الألد) بأنه شديد الخصومة، واستشهد بالآية، ففُهم من صنيعه ما حكاه المصنِّف. =

(٢٠٥) - ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾.

﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ﴾: أعرضَ، والتَّولِّي: الزَّوالُ عن الشَّيء إلى خلافِ جهتِه.

﴿سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا﴾ بالكفر.

﴿وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ﴾ وهي الأرضُ فيها النَّباتُ.

﴿وَٱلنَّسْلَ﴾: نسلَ الدَّوابِّ.

وقيل: ﴿ٱلْحَرْثَ﴾: الرَّجل[1]، ﴿وَٱلنَّسْلَ﴾: الولد، مشتَقٌّ من (نَسَلَ الشَّعرُ)؛ إذا خرجَ فسقط.

﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾.

* * *

(٢٠٦) - ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ﴾ للأخنس: ﴿ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ في الإفسادِ والإهلاكِ، ﴿أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ﴾: الأنفةُ والحميّة.

الزَّجّاج: حملَه كِبرُه على الارتدادِ والكفر[2].

﴿بِٱلْإِثْمِ﴾ والإثمُ هاهنا: الكفرُ.

الحسن: ومعنى الباء؛ أي: أخذته العزّةُ من أجل الإثم الذي في قلبِه[3].

= انظر: «الكامل» للمبرد (٣/ ٤٤) و(٤/ ٣٦).

(١) وقيل: الحرث هنا: النساء. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢٧٧).

(٢) لم أقف على كلام للزجاج في هذه الآية.

(٣) فالباء للسببية. انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٢/ ٣٣٢).

ابن عيسى: أي: دعته العزّةُ إلى الإثم، كما تقول: دعوْتُ فلانًا بأن يفعلَ كذا؛ أي: دعوته إليه[١].

﴿فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ﴾؛ أي: فيها كفايةٌ مِن جزاءِ كفرِه وسوءِ عمله.

وجهنَّمُ: اسمٌ للنّار[٢]، وقيل: للدَّرْكِ[٣] الأسفل.

وقيل: أصله من (الجَهْم)، وهو الغِلظةُ والكراهةُ، وزِيدَ فيها النُّونان.

وقيل: أصلها أعجميٌّ، وهو في الأصل: كَهْنام[٤]، وهو مَحْبَسٌ مَن جُعِلَ فيه، سقطَ اسمُه من الدُّنيا.

صاحب «المجمل»: جهنَّم: مشتقّةٌ من قول العرب: بئرٌ جِهِنّام؛ أي: بعيدةُ القَعْر[٥].

﴿وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾: المفرشُ؛ جهنَّم.

* * *

(٢٠٧) ـ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ﴾ أكثر المفسّرين على أنّها نزلت في صُهيبِ ابنِ سنانٍ الرُّومي[٦].

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٢٦٦) دون نسبة.

(٢) في (و): «النار».

(٣) في (و): «الدرك».

(٤) كذا ضُبطت في (ن)، وكذا ضبطها مَن جعل أصلها فارسية، ومن جعل أصلها عبرية ضبطها كِهِنام. انظر: «التحرير والتنوير» لابن عاشور (٢/ ٢٧٢).

(٥) انظر: «مجمل اللغة» لابن فارس (ص: ٢٠٨).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٥٩١)، والحاكم في «المستدرك» (٥٧٠٠) عن عكرمة، وذكره =

وقيل: كان عربيَّ النَّسب من ولد النَّمِرِ بن قاسِط من[١] ربيعة، سُبي صغيرًا، وصار[٢] إلى الرُّوم، ولذلك سُمِّي صُهيبًا الرُّوميَّ، ثم اشتراه يزيد بن جدعان بالشّام[٣].

قال سعيد بن المسيَّب: أقبل صهيبٌ مهاجرًا نحوَ النَّبيِّ ﷺ، فاتَّبعَه نفرٌ من قريشٍ من المشركين، فنزل عن راحلته، ونثرَ ما في كنانته، وأخذ قوسَه، ثم قال: يا معشرَ قريشٍ، لقد علمتم إنِّي لأرماكم رجلًا، وايمُ الله، لا تصلون إليَّ حتى أرميَ ما في كنانتي، ثم أضرب بسيفي ما بقي في يدي منه شيءٌ، ثم افعلوا ما شئتم، فقالوا: دلَّنا على بيتك ومالك بمكّة ونخلِّي عنك، وعاهدوه إن دلَّهم أن يدعوه، ففعل، فلمّا قدمَ على[٤] النَّبيِّ ﷺ قال: «ربحَ البيعُ أبا يحيى، ربحَ البيعُ أبا يحيى»، فأنزلَ الله هذه الآية[٥].

وروى غيره: أنَّ قريشًا كانوا يعذِّبونه، ففدى نفسَه بجميع ماله، وخرج إلى المدينة[٦].

= السمرقندي في «تفسيره» (١/ ١٣٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢/ ١٢٥) عن ابن المسيب وعطاء، وانظر: «الدر المنثور» للسيوطي (١/ ٥٧٥ ـ ٥٧٧).

(١) في (و): «بن».

(٢) في (و): «أو سار».

(٣) انظر: «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٣/ ٢٢٦)، و«الاستيعاب» لابن عبد البر (٢/ ٧٢٧)، و«الإصابة» لابن حجر (٣/ ٣٦٤).

(٤) في (و): «إلى».

(٥) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣/ ٢٢٨)، وابن شبة في «تاريخ المدينة» (٢/ ٤٧٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٧٢٩٦)، والحاكم في «المستدرك» (٥٧٠٦) وصحَّحه، ووافقه الذهبي.

(٦) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٥٩٢) عن الربيع.

وعن عليٍّ وابن عبّاسٍ وابن عمر رضي الله عنهم: أنّه كان رجلًا أمرَ بالمعروف ونهى عن المنكر فقُتل(١).

ومعنى ﴿يَشْرِي﴾: يشتري نفسَه بماله(٢).

وقيل: ﴿يَشْرِي﴾: يبيع؛ أي: يبيعُ شهواتِ نفسِه.

﴿ٱبْتِغَآءَ﴾؛ أي: لابتغاء، وهو الطَّلبُ.

﴿مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾: رضا اللهِ عنه، وهو موافقةُ الإرادةِ.

﴿وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ أي: رحيمٌ، والرَّأفةُ: أشدُّ الرَّحمة.

***

(٢٠٨) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾ ابن عبّاسٍ: نزلت في عبد الله ابن سلامٍ وأصحابِه، وذلك أنّهم بعد إسلامِهم كرهوا لحمانَ الإبلِ وألبانَها، وعظَّموا السَّبتَ، وقاموا بشرائعِ الإسلام وشرائعِ موسى، وقالوا: إنّا نقوى على هذا وهذا(٣).

الحسن: نزلت في المسلمين، ومعنى ﴿ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ﴾: دوموا على الإسلام(٤).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٥٨٨) و(٣/ ٥٩٣ - ٥٩٤) عن عمر وعلي وابن عباس رضي الله عنهم، وذكره الثعلبي عنهم في «تفسيره» (٥/ ٣٠٦ - ٣٠٧).

(٢) في (ن): «بجميع ماله».

(٣) روى نحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٩٤٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٥٩٩) عن عكرمة.

(٤) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٥٩٦) عن الربيع، ولفظه: «ادخلوا في الطاعة»، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١/ ١٧٤) عن مجاهد وقتادة.

وقيل: خطابٌ لليهود؛ والمعنى: يا أيُّها الذين آمنوا بموسى ادخلوا في الإسلامِ كافّة.

والسَّلْمُ بالفتح: الإسلامُ، وبالكسر: الصُّلحُ(١)، على تقدير: اطلبوا الصُّلحَ بالدُّخولِ في الإسلام.

﴿كَآفَّةً﴾: جميعًا، حالٌ عن المخاطبين، وقيل: حالٌ عن ﴿ٱلسِّلْمِ﴾؛ أي: في جميعِ شرائعِه.

والكفُّ: المنعُ، وقيل: الجمعُ.

و(كافّة) مصدرٌ؛ كالطّاغية والكاذبة والخاطئة(٢).

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾: لا تُطيعوه.

﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾: ظاهرُ العداوةِ لِما يدعوكم إليه.

وقيل: أبانَها لآدمَ.

* * *

(٢٠٩) ـ ﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿فَإِن زَلَلْتُم﴾: تنحَّيْتُم عن القصد.

﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾: محمَّدٌ والقرآنُ.

---

(١) قرأ نافع وابن كثير والكسائي بالفتح، والباقون بالكسر. انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٠).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ١٣٦)، وللزجاج (٢/ ٤٤٦).

وقيل: المواعظُ الواضحةُ والآياتُ اللّائحة.

﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ تهديدٌ للعلماء؛ فإنَّ ذنبَهم أعظمُ من ذنبِ الجُهلاء.

***

(٢١٠) ـ ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾.

﴿هَلۡ يَنظُرُونَ﴾؛ أي: ما ينتظرُ التّاركون الدُّخولَ في السِّلم؟

والنَّظرُ على وجهين:

تقليبُ العينِ نحوَ المرئيِّ، ويُعدَّى بـ(إلى)[1].

والثّاني: بمعنى التَّوقُّعِ والانتظارِ، وهو المرادُ في الآية.

﴿إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ مذهبُ السَّلفِ فيه وفي أمثالِه لزومُ القولِ باللَّفظِ دونَ اعتقادِ ما يوجبُ تشبيهًا لله سبحانه، وقالوا: يأتي الله إتيانًا لا نُقْلةَ[2] فيه ولا زوالَ.

وقيل: يأتي أمرُ[3] اللهِ والأهوالُ الشَّديدةُ التي توعَّدَهم بها.

وقيل: (في) هاهنا بمعنى الباء؛ أي: يأتيهم بظُللٍ[4].

الزَّجّاج: أي: يأتيهم بما وعدَهم من الثَّواب والعقاب[5].

---

(١) «ويعدى بإلى» من (ن).

(٢) النُّقلة: الاسم من الانتقال. انظر: «معجم ديوان الأدب» للفارابي (١/ ١٧٣).

(٣) «أمر» من (ن).

(٤) انظر: «الدر المصون» للسمين الحلبي (٢/ ٣٦٣).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢٨٠).

ابن جريرٍ: يأتيهم الله لمحاسبتهم على الغمامِ على عرشِه، يحملُه ثمانيةٌ من الملائكة(١).

و﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ عطفٌ على الفاعل(٢).

﴿وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ الزّجّاج: أي: وصلَ إلى كلٍّ مُستَحَقُّه(٣).

وظُلَلٌ: جمع ظُلّةٍ؛ وهي كلُّ ما أظلَّك.

والغمامُ: السَّحابُ الأبيض.

﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ قرئ بالوجهين(٤)، ومعناهما واحدٌ.

* * *

(٢١١) - ﴿سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾.

﴿سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾؛ أي: رؤساءَهم، وقيل: علماءَهم، وقيل: عامَّتَهم.

﴿كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم﴾: جئناهم بها ﴿مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ﴾ نحوِ فَلْقِ البحر، وتظليلِ الغَمام، وإنزالِ المنِّ والسَّلوى، وغيرِها، فبدَّلوا بخلافِهم على موسى حين عبدُوا العجل.

وقيل: فبدَّلوا بكتمانِ أمرِ محمَّد ﷺ.

---

(١) لم أقف على هذه العبارة لابن جرير في «تفسيره» وما بين يدي من كتبه، وقد نقلها أبو حيان عنه في «البحر المحيط» (٢/ ٣٤٤).

(٢) وهو لفظ الجلالة.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢٨٠).

(٤) قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ﴿تَرجِعُ الأمور﴾ بفتح التاء وكسر الجيم حيث وقع، والباقون بضم التاء وفتح الجيم. انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨١)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٠).

﴿وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾؛ أي: له.

وقيل[1]: لمن استحقَّه، فدخلَ فيه المذكورون.

والسُّؤالُ: طلبُ الجواب، والمرادُ به هاهنا: التَّقريعُ والتَّبكيتُ، وفيه لغتان: سالَ يَسالُ؛ كهاب يَهاب، وسَأَلَ يَسْأَلُ؛ كقَرَأَ يَقْرَأُ.

و﴿سَلْ﴾: يُحتمَل[2] أن يكونَ من الأوَّل كهَبْ، ويُحتمَل أن يكون من الثَّاني؛ نُقِلَ[3] حركةُ الهمزة إلى السِّين، فسقطَت الهمزتان.

وهو يتعدّى[4] إلى مفعولَيْن كأعطيْتُ[5]؛ قال:

سالَتاني الطَّلاقَ أنْ رأتاني قَلَّ مالي، قد جِئْتُماني بِنُكْرِ[6]

ويجوز الاقتصارُ[7]، كقوله: ﴿وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ﴾.

ويُعدَّى بالباء: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ﴾ [المعارج: ١]، ويُعدَّى بـ(عن)[8]: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ [الأعراف: ١٦٣].

---

(١) في (ن) زيادة: «شديد».

(٢) في (ن): «محتمل».

(٣) في (و): «فنقل».

(٤) في (و): «متعد».

(٥) وهو بمعنى الطلب في هذه الحالة، كما ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٠٩).

(٦) البيت مختلف في نسبته؛ فهو لزيد بن عمرو بن نفيل في «الكتاب» لسيبويه (٢/ ١٥٥)، و(٣/ ٥٥٥)، و«الأصول» لابن السراج (١/ ٢٥١)، و«خزانة الأدب» للبغدادي (٦/ ٤١٠)، وهو لابنه سعيد بن زيد رضي الله عنه في «البخلاء» للجاحظ (ص: ٢٤٠).

(٧) أي: على أحد مفعولي سأل، وقد زيد في (و): «على أحدهما».

(٨) وهو بمعنى البحث عن الشيء في هذه الحالة، كما ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٠٩).

وقد يقعُ موقعَ المفعولِ الثّاني استفهامٌ؛ نحو: ﴿سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم﴾ [البقرة: ٢١١].

وقولُه: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ [الأعراف: ١٨٧]، فالجملةُ بدلٌ عن المجرورِ[١].

***

(٢١٢) - ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ الحسن: زيَّنَ لهم الشَّيطانُ ذلك[٢].

وقيل: زيَّنَ شركاؤهم من الجنِّ والإنس.

وقيل: زيَّنَ اللهُ ذلك بخلقِ الشَّهوات.

﴿وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ يعني: بكتمانِ الكفر وإظهارِ الإيمان.

وقيل: سخريَّتُهم بضَعَفةِ[٣] المؤمنين الذين لم ينالوا حظًّا من الدُّنيا.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ بالمنزلةِ والمنزل، ﴿وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

قوله: ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ يجوزُ أن يعودَ إلى الله؛ أي: يُعطي ولا يَنقُصُ ما عنده.

الضَّحاك: أي: لا يحاسبُ نفسَه بما يُعطي العباد[٤].

---

(١) فليست مما وقع فيه الاستفهام موقع المفعول الثاني لـ(يسأل).

(٢) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٢/ ١٠٦)، والماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٢٧٠)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ١٧٦).

(٣) في (و): «بضعف».

(٤) ذكره الطبري في «تفسيره» (٣/ ٦٢٠) بلا نسبة.

ويجوز أن يعود إلى العبد؛ أي: يعطيه فلا يحاسبُه عليه في الدُّنيا والآخرة، من قوله: ﴿يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [غافر: ٤٠].

ويجوز أن يعود إلى العطاء؛ أي: رزقًا كثيرًا دائمًا لا ينقطع.

وقيل: معناه بغير كفايةٍ، بل فوقها(١).

وقيل: من حيثُ لا يَحتسب(٢).

* * *

(٢١٣) - ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً﴾؛ أي: كان النّاس على عهد آدم، وقيل: على عهد نوحٍ، وقيل: حين(٣) أُخرجوا من ظهر آدم، وقيل: بعد موسى، وقيل: بعد(٤) إبراهيم.

﴿وَاحِدَةً﴾؛ أي: مجتمعين على الحقِّ ودينِ الإسلام.

وقيل: على غير دينٍ مشروعٍ ولا ملّةٍ موسومةٍ، وإن شذَّ منهم قومٌ كأصحابِ الكهفِ كانوا مستورين.

والأمّةُ: القومُ المجتمعون على الشَّيء يَقتدي بعضُهم ببعضٍ، مشتقّةٌ من (الائتمام).

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢١١)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢١١)، وعدَّه من العجائب.

(٣) «حين»: ليس في (و).

(٤) «قيل بعد» من (ن).

وقيل: الأمّةُ: الدِّينُ[١]، قال:

حَلَفْتُ فَلَمْ أترُكْ لِنَفسِكَ رِيْبَةً ... وهل يأثمَنْ ذُو أُمّةٍ وهوَ طائِعُ[٢]

فيكون التَّقدير: كان النّاس ذوي أمّةٍ واحدةٍ.

﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ وفي مصحف ابن مسعودٍ: (فاختلفوا، فبعث الله النَّبيين)[٣].

﴿مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾؛ أي: لتعريفِ الحقِّ، وردِّ مَن عَدَلَ عنه إليه، وتبشيرِ المطيعِ منهم بالجنَّة، وإنذارِ مَن عصى بالنّار.

﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾: اللّام للجنس.

﴿بِٱلْحَقِّ﴾: بتبيانِ الحقِّ من الباطل.

﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ﴾؛ أي: ليكون الكتابُ حَكمًا باقيًا بين أظهرهم، يُرجَعُ إلى مضمونِه فيما أشكلَ من أمورِ دينِهم، وليتلوه[٤] أعقابُهم[٥]، ومَن تنأى عنهم دارُهم.

وقيل: ليَحكُمَ اللهُ.

وقرئ: ﴿لِيُحْكَمَ﴾[٦].

---

(١) انظر: «الأضداد» للأنباري (ص:٦).

(٢) البيت للنابغة الذبياني. انظر: «ديوانه» (ص: ٥١)، و«العين» (٨/ ٤٢٨) مادة: (أ م م).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٣/ ٦٢٥)، و«تفسير الثعلبي» (٥/ ٣٦٩)، و«البسيط» للواحدي (٤/ ١١١)، وذكر ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٣٧٦) أنها قراءة أُبي بن كعب أيضاً.

(٤) «وليتلوه» من (ن).

(٥) أي: ليتلو الأولادُ الكتاب بعد الآباء الذين نزل بينهم.

(٦) هي قراءة أبي جعفر من العشرة. انظر: «النشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٧).

﴿وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ﴾؛ أي: في الحقِّ، وقيل: في الكتاب، وقيل: في محمَّد عليه السَّلام.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ﴾؛ أي: الحقَّ، وقيل: الكتاب.

﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡ﴾؛ أي: اختلفوا بغيًا وحسدًا وطلبًا للرِّئاسةِ ومَيلًا إلى الدُّنيا.

واختلافُهم تكفيرُ بعضِهم بعضًا، وقيل: تحريفُهم وتغييرُهم الأحكامَ.

﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ﴾؛ أي: اختلفَ غيرُهم، ويُحتمَل أن يكونَ هم وغيرُهم، فكان هناك مطلوبٌ مختلفٌ[1] في عينِه، ففازَ بالهدى منهم مَن آمنَ.

وقيل: فهدى الله الذين آمنوا بمحمَّد لِما اختلفَ فيه مَن قبلَهم.

قال الأخفش: أي: فهدى الله الذين آمنوا للحقِّ ممّا[2] اختلفوا[3].

﴿مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾: الصَّوابِ، وقيل: الإسلامِ، و(مِن) فيه لبيانِ الجنس.

﴿بِإِذۡنِهِۦ﴾ بأمرِ الله.

الزَّجّاج: بعلمِه؛ أي: بأنْ أعلمَهم ما اهتدوا به للحقِّ[4].

﴿وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ﴾؛ أي: يوفِّقُ مَنِ استحقَّ التَّوفيقَ.

* * *

---

(١) في (ن): «مطلوباً مختلفا».

(٢) في (و): «آمنوا لما».

(٣) نسب الواحدي هذه العبارة للفراء، وهي أقرب إلى كلامه من كلام الأخفش. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ١٣١)، وللأخفش (١/ ١٧٠)، وفيه: «والمعنى: عَرَّفَهم الاختلافَ حتى تركوه»، و«البسيط» للواحدي (٤/ ١١٤).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢٨٥).

(٢١٤) - ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾.

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ﴾ قال قتادةُ والسُّدِّيُّ: نزلت هذه الآيةُ في غزوةِ الخندقِ حين أصاب المسلمين ما أصابهم من الجهدِ والمشقَّةِ والشِّدَّةِ والخوفِ[1] والبردِ وضيقِ العيشِ وأنواعِ الأذى، فكان كما قال: ﴿ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ ﴾ [الأحزاب: ١٠][2].

قال عطاءٌ: لـمّا دخل رسولُ الله ﷺ وأصحابُه المدينةَ اشتدَّ الضُّرُّ عليهم؛ لأنَّهم خرجوا بلا مالٍ، وتركوا أموالَهم وديارَهم في أيدي المشركين، فأنزل الله تطييبًا لقلوبهم: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ ﴾ الآية[3]؛ أي: أحسبتم؟

وقيل: بل أحسبتم أن تدخلوا ﴿ٱلْجَنَّةَ ﴾؟[4]

﴿وَلَمَّا يَأْتِكُم ﴾؛ أي: ولم يأتكم.

والفرقُ بينهما: أنَّ (لم) للنفي، و(لَمّا) للنَّفي مع التَّوقُّع؛ قال:

أَزِفَ التَّرَحُّلُ غيرَ أنَّ رِكابَنا ... لَمّا تَزَلْ بِرِحالِنا[5] وكَأَنْ قَدِ[6]

ويجوز الوقف على (لمّا) دون (لم)[7].

---

(١) «والخوف»: ليس في (ن).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٦٣٧).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢/ ١٣٥).

(٤) انظر: «ارتشاف الضرب» لأبي حيان (٤/ ١٩٧٨)، و«الجنى الداني» للمرادي (ص: ٢٠٥).

(٥) في (ن): «برحالها».

(٦) البيت للنابغة الذبياني. انظر: «ديوانه» (ص: ٩٤)، و«شرح الكتاب» للسيرافي (١/ ١٤٢).

(٧) انظر: «الجنى الداني» للمرادي (ص: ٢٦٨).

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ﴾: مَثَل ومِثْل لغتان[١].

أي: لم تنزلْ بكم شدائدُ مثلُ ما نزلَ بالذين ﴿خَلَوۡاْ﴾: مضوا ﴿مِن قَبۡلِكُم﴾.

ثم ذكرَ ما نزلَ بهم فقال: ﴿مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ﴾: البؤسُ، ﴿وَٱلضَّرَّآءُ﴾: الضُّرُ.

﴿وَزُلۡزِلُواْ﴾: وحُرِّكوا، وأُوذُوا بأنواعِ البلاء.

وأصلُ الكلمة عند الكوفيِّين من (زَلَّ)، و(زلزلَ) مبالغةٌ؛ كصَلَّ وصَلْصَلَ، وكَبَّ وكَبْكَبَ، وعند البصريين: هو مضاعف الرُّباعي[٢].

وقيل: معناه: جاءهم الشَّدائدُ من قِبَلِ أعدائِهم.

﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِ﴾ قال القُتبيُّ[٣]: استبطؤوا النَّصر[٤].

وقيل: الاستبطاءُ من القوم، والإجابةُ من الرَّسول، وتقديره: حتى يقولَ الذين آمنوا معه: متى نصر الله، ويقولَ الرَّسول: ﴿أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ﴾[٥].

وقيل تقديره: متى نصر الله؟ فأجابهم الله، وقال: ﴿أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ﴾.

---

(١) انظر: «غريب الحديث» لأبي عبيد (٢/ ٣٦٣)، و«أدب الكاتب» لابن قتيبة (ص: ٥٣٣).

(٢) انظر: «الشافية» لابن الحاجب (١/ ٧٥)، و«شرح الشافية» للرضى (١/ ٦٢).

(٣) هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينَوَريّ (ت ٢٧٦هـ). انظر: «الأنساب» للسمعاني (١٠/ ٣٤٠).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢١١)، وقال: «وفيه بُعد؛ لأن الأنبياء عليهم السلام واثقون بوعد الله، منتظرون لأمر الله»، وقد ذهب إلى هذا الزجاج، أما القتبي، فلم أقف على كلام له في الآية، لكنه ذهب إلى هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا﴾. انظر: «مشكل القرآن» له (ص: ٢٣٤).

(٥) ذكره ابن فارس في «الصاحبي في فقه اللغة» (ص: ١٨٨).

وقيل: تمَّ الكلامُ عند قوله: ﴿مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِ﴾، ثم قال الله[١] لنبيِّه محمَّد عليه السلام: ﴿أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾[٢].

وقيل: هي من جُملةِ كلامهم.

وقيل: لم يكن منهم استبطاءٌ، بل كان استعلامًا لوقت النُّصرة، فأجابهم الله بقوله: ﴿أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾.

مَن نصبَ (يقول) فبإضمار (أن)، ومَن رفعَ فعلى حكاية الحال[٣].

* * *

(٢١٥) ـ ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلۡ مَآ أَنفَقۡتُم مِّنۡ خَيۡرٖ فَلِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ﴾.

﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ ابن عبّاسٍ: نزلت في عَمرِو بنِ الجَموح الأنصاري، وكان شيخًا كبيرًا، وعنده مالٌ كثيرٌ، فقال: يا رسول الله، بماذا نتصدَّقُ؟ وعلى مَن ننفقُ؟ فنزلت: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾[٤].

ابن عبّاس[٥]: كأنَّهم لَمّا أُمِروا بالإنفاقِ سألوا عن مصرفِه[٦]، فقال: ﴿قُلۡ مَآ أَنفَقۡتُم مِّنۡ خَيۡرٖ﴾: من مالٍ.

---

(١) اسم الجلالة «الله» من (ن).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢١١)، واستغربه.

(٣) قرأ نافع بالرفع، وقرأ الباقون بالنصب. انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨١)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٠).

(٤) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٦٧).

(٥) «ابن عباس» من (ن).

(٦) روى نحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٣٨١).

وقيل: من شيءٍ يُتقرَّبُ به إلى الله.

﴿فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ الحسن: أراد به التَّطوُّعَ[1].

والآيةُ محكمةٌ غيرُ منسوخةٍ بآية المواريثِ وآية الزَّكاة.

﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾: فلن[2] تُعدمُوا جزاءَه.

* * *

(٢١٦) - ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ﴾: فُرِضَ عليكم جهادُ الكفّار.

﴿وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾؛ أي: لا تهواه النُّفوس، بل تنفرُ عنه الطِّباع.

وقيل: كُرهٌ لكم قبلَ الفرض، فلمّا فرضَ اللهُ عليهم أرادوه لأمرِه[3].

﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا﴾ في الحالِ ﴿وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ في المآلِ.

﴿وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا﴾ في الرّاهنةِ ﴿وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾ في العاقبةِ.

وفي الجهاد إحدى الحُسنيَيْن؛ الشَّهادةُ أو الغنيمة، وفي تركِه إحدى السَّيِّئَين[4]: القتلُ أو الأسر.

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾ المصالحَ الخفيّةَ، ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٦٤٢) عن ابن جريج، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٣٨١) عن مقاتل بن حيان.

(٢) في (و): «فلم».

(٣) أي: لـمّا أمرهم الله به لم يعد كُرهاً لهم، بل رغبوا به استجابة لأمر الله.

(٤) في (و): «الحسنيين».

(٢١٧) - ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾.

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ﴾ قال المفسِّرون: بعثَ رسولُ الله ﷺ عبدَ الله بنَ جحشٍ - وهو ابن عمّة النَّبيِّ ﷺ - في جمادى الآخرة قبل قتال بدرٍ بشهرين، على رأس سبعة عشر شهرًا من مَقْدمِه المدينة، وبعث معه ثمانية رهطٍ من المهاجرين؛ سعد بن أبي وقّاص الزُّهريَّ، وعكاشة بن محصنٍ الأسديَّ، وعُتبة بن غزوان السُّلميَّ، وأبا حذيفة بن عُتبة بن رَبيعة، وسُهيل بن بيضاء، وعامر بن ربيعة، وواقد بن عبد الله، وخالد بن بكيرٍ، وكتب لأميرهم عبد الله بن جحشٍ كتابًا وقال: «سِرْ على اسمِ اللهِ، ولا تنظرْ في الكتاب حتَّى تسيرَ يومَين، فإذا نزلْتَ منزلَيْن فافتَحِ الكتابَ، واقرأْهُ على أصحابِك، ثم امضِ لِما أمرْتُكَ، ولا تستكرِهَنَّ أحدًا[1] من أصحابِك على السَّيرِ معك»، فسارَ عبدُ الله يومَين، ثم نزل وفتح الكتاب، فإذا فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، أمّا بعدُ، فسِرْ على بركةِ الله بمن تبعَكَ من أصحابِك حتى تنزلَ بطْنَ نخلةَ[2]، فتَرْصُدَ بها عيرَ قريشٍ؛ لعلَّك أن تأتيَنا منه بخبرٍ»، فلمَّا نظر عبد الله في الكتاب، قال: سمعًا وطاعةً، ثم قال لأصحابه ذاك، وقال: إنَّه نهاني أن أستكرهَ أحدًا منكم، حتى إذا كان بمَعْدَنٍ فوق الفَرْعِ أضلَّ سعدُ بنُ أبي وقّاص وعتبة بن غزوان بعيرًا لهما كانا يعتقبانه، فاستأذنا أن يتخلَّفا في طلب بعيرهما، فأذنَ لهما، فتخلَّفا في

(١) «أحدا»: ليس في (ن).

(٢) بطن نخلة: موضع بين مكة والطائف. انظر: «الصحاح» للجوهري مادة: (ن خ ل) (٥/ ١٨٢٧).

طلبه، ومضى عبد الله ببقيّة أصحابه حتى نزلوا بطنَ نخلة بين مكّة والطّائف، فبينا هم كذلك مرَّت بهم عيرٌ لقريشٍ تحمل زبيبًا وأَدَمًا وتجارةً من تجارة الطّائف، فيهم عَمرو بن الحضرميُّ، والحكم بن كيسان، وعثمان بن عبد الله بن المغيرة، ونوفل بن عبد الله المخزوميّان، فلمّا رأوا أصحابَ رسول الله ﷺ[1] هابوهم.

فقال عبد الله بن جحشٍ: إنَّ القومَ قد ذُعِروا منكم فاحلقوا رأسَ رجلٍ منكم فليتعرَّض لهم، فإذا رأوه محلوقًا أمنوا وقالوا: قومٌ عُمّارٌ، فحلقوا رأس عكاشة، ثم أشرف عليهم فقالوا: قومٌ عُمّارٌ لا بأسَ عليكم، فأمَّنوهم، وكان ذلك في آخر يوم من جمادى الآخرة، وكانوا يرون أنَّه جمادى وهو من رجبٍ، فشاورَ القومَ فيهم، وقالوا: لئن تركتموهم هذه اللَّيلةَ ليدخلُنَّ الحرمَ وليمتنعُنَّ منكم، فأجمعوا أمرَهم في مواقعة القوم، فرمى واقدُ بن عبد الله السَّهمي عَمرَو بن الحضرميَّ بسهمٍ فقتلَه، وكان أوَّلَ قتيلٍ من المشركين، واستأسرَ الحكمُ وعثمانُ، فكانا أوَّلَ أسيرين في الإسلام، وأفلَتَ نوفلٌ فأعجزَهم، واستاقَ المؤمنون العيرَ والأسيرين حتى قدموا على رسول الله ﷺ بالمدينة.

وقالت قريشٌ: قد استحلَّ محمَّدٌ الشَّهرَ الحرام، شهرًا يأمنُ فيه الخائفُ، ويَبْذَعِرُّ[2] النّاسُ لمعايشهم، فسفَكَ فيه الدِّماء[3]، وأخذ فيه الحرائب[4]. وعيَّرَ بذلك أهلُ مكّةَ مَنْ كان بها من المسلمين، وقالوا: يا معشرَ الصُّباةِ، استحللْتُم الشَّهرَ

---

(١) في (ن): «أصحاب محمد عليه السلام».

(٢) أي: يتفرَّقون. انظر: «العين» (٢/ ١٠٣) مادة: (ب ذ ع)، و«غريب الحديث» لأبي عبيد (٢/ ١١).

(٣) «الدماء»: ليس في (ن).

(٤) الحرائب: جمع حريبة: وهي مال الرجل الذي يعيش به. انظر: «غريب الحديث» للخطابي (/ ٥٥٣).

الحرام وقاتلْتُم فيه، وتغالَتِ اليهود بذلك وقالوا: واقدٌ وقدَتِ الحرب، وعَمرٌو عَمرَتِ الحرب، والحضرميُّ حضرَتِ الحرب.

وبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ فقال لابن جحشٍ وأصحابه: «ما أمرتكم بالقتال[1] في الشَّهرِ الحرامِ»، ووقف العيرَ والأسيرين، وأبى أن يأخذَ من ذلك شيئًا، فعظُمَ ذلك على أصحابِ السَّريّة، وظنُّوا أنْ قد هلكوا، وسُقِطَ في أيديهم، وقالوا: يا رسول الله، إنّا[2] قتلْنا ابنَ الحضرميِّ، ثم أمسينا فنظرنا إلى هلال رجبٍ، فلا ندري أفي رجبٍ أصبناه أم في جمادى؟ فأكثرَ النّاسُ في ذلك، فأنزل الله هذه الآية، فأخذ رسولُ اللهِ ﷺ العيرَ، فعزلَ منها الخُمْس، وكان أوّلَ خُمْسٍ في الإسلام، وقسمَ الباقي بين أصحابِ السَّريّة، وكان أوّلَ غنيمةٍ في الإسلام، وبعث أهلُ مكّةَ في فداءِ أسيرِهم، فقال: «بل نقفُهم حتى يقدمَ سعدٌ وعتبةُ، فإنْ لم يَقْدما قتلناهما بهما»، فلمّا قدما فاداهم.

فأمّا الحكمُ بنُ كيسانَ فأسلم، وأقام مع رسول الله ﷺ بالمدينة، وأمّا عثمانُ بن عبد الله فرجع إلى مكّة فمات بها كافرًا، وأمّا نوفلٌ فضربَ بطنَ فرسِه يوم الأحزاب؛ ليدخل الخندقَ على المسلمين، فوقع في الخندق مع فرسه فتحطَّما جميعًا وقتلَه الله، وطلب المشركون جيفتَه بالثَّمن، فقال ﷺ: «خذوه؛ فإنَّه خبيثُ الجيفةِ خبيثُ الدِّية»[3]. فهذا سبب نزول: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾.

عن ابن عبّاسٍ قال: ما رأيت قومًا كانوا خيرًا من أصحاب رسول الله، ما

---

(١) في (و): «بالقتل».

(٢) في (ن): «إننا».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٦٥٤ ـ ٦٥٥) عن السدي، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٤٠٨ ـ ٤١٥)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٦٩ ـ ٧٠) عن المفسرين. وروى نحوه البيهقي في «السنن الكبرى» (١٧٩٨٩) عن عروة بن الزبير. وانظر: «تغليق التعليق» لابن حجر (٢/ ٧٥ ـ ٧٧).

سـألوه إلّا[1] عن ثلاثَ عشـرةَ مسـألةً حتى قُبِضَ عليه السَّـلام، وكلُّهنَّ في القرآن[2].

و﴿ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ﴾ هنا: رجبٌ.

﴿قِتَالٖ فِيهِۖ﴾ بـدلٌ عـن ﴿ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ﴾[3] بـدل الاشـتمال؛ أي: يسـألونك عن القتال فـي الشَّـهر الحرام.

والسّائلون هم الكفّار كما سبق؛ سألوه تشنيعًا عليه وعلى أصحابه فيما كان منهم.

وقيل: سألوه إرادةَ الفتكِ[4] في اغترارِ النَّبيِّ ﷺ والمؤمنين.

وقيل: السّائلون أصحاب رسول الله ﷺ الذين قتلوا ابنَ الحضرميِّ.

﴿قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۚ﴾؛ أي: ذنبٌ عظيمٌ.

﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: منعٌ عنها، يريدُ صدَّهم المسلمين عن البيتِ عامَ الحُدَيبية.

﴿وَكُفۡرُۢ بِهِۦ﴾؛ أي: بالله، وقيل: بالشَّهر الحرام؛ لانتهاك حرمته، وقيل: بالمسجد فيمن قدَّره مقدَّمًا.

﴿وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾: مكّة.

---

(١) «إلا» من (ن).

(٢) رواه الدارمي في «سننه» (١٢٥)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٢٨٨)، والضياء المقدسي في «المختارة» (١٠/ ٢٨١). قال الهيثمي في «مجمع الزوئد» (١/ ١٥٩): «وفيه عطاء بن السائب، وهو ثقة ولكنه اختلط، وبقية رجاله ثقات».

(٣) «الحرام» ليس في (و).

(٤) في (و): «القتل».

الحسن والفرّاء: هو عطفٌ على ﴿ٱلشَّهۡرِ﴾؛ أي: يسألونك عن الشَّهر الحرام والمسجد الحرام[١]، والجمهورُ على أنَّه عطفٌ على ﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: صدٌّ عن سبيل الله وعن المسجد الحرام[٢]، وقيل: عطفٌ على الهاء، ولا يجوزُ عند البصريِّين العطفُ على ضميرِ المجرورِ إلّا بإعادة الجارِّ[٣].

﴿وَإِخۡرَاجُ أَهۡلِهِۦ﴾ يعني: المسلمين ﴿مِنۡهُ﴾ من المسجد.

وقيل: من الإيمانِ بالتَّعذيبِ وغيرِه[٤].

﴿أَكۡبَرُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ ممّا تقدَّم، وقيل: من القتال.

﴿وَٱلۡفِتۡنَةُ﴾؛ أي: الكفرُ ﴿أَكۡبَرُ مِنَ ٱلۡقَتۡلِ﴾؛ أي: في الشَّهرِ الحرامِ.

﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ﴾؛ يعني: الكفّار ﴿حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ﴾ إلى الكفرِ ﴿إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْ﴾.

ثم أوعدَ فقال: ﴿وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ﴾؛ أي: مات على الكفر، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ﴾، فلم يُثابوا عليها ﴿فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

أجمع المفسِّرون على أنَّ الآيةَ منسوخةٌ بقوله: ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾ إلَّا عطاءً؛ فإنَّه يقول: الآيةُ محكمةٌ[٥].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ١٤١).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢١٢)، واستبعده، قال: «لأنه لا يُحال بين صلة المصدر وما يعطف عليها، وقد حيل هاهنا بقوله: (وكفر به)».

(٣) انظر: «الإنصاف في مسائل الخلاف» للأنباري (٢/ ٣٧٩).

(٤) أي: إخراج المؤمنين من دينهم وإيمانهم بالتعذيب والإكراه أكبر عند الله.

(٥) رواه أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» (٣٨٨)، والطبري في «تفسيره» (٣/ ٦٦٣) عن عطاء.

الزَّجّاج: ﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ﴾: مبتدأ[١]، وخبره: ﴿كَبِيرٌ﴾، و﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وما بعده: مبتدأ، و﴿أَكْبَرُ﴾: خبره[٢].

وقيل: ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ﴾ عطفٌ على ﴿كَبِيرٌ﴾، و﴿وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ﴾ مبتدأ، و﴿أَكْبَرُ﴾ خبرُه، وهذا على[٣] قولِ مَن جعل به عائدًا إلى الشَّهر أو إلى المسجد، أو على مَن جعلَ ﴿أَكْبَرُ﴾ من القتال، لا من الكفر؛ لأنَّه محالٌ أن يكون شيئًا من الكفر أعظمُ من الكفر.

* * *

(٢١٨) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟﴾ الآية، قال الزُّهريُّ: ولما فرَّجَ الله عن أهل تلك السَّريّة ما كانوا فيه من غمٍّ طمعُوا فيما عند الله من ثوابه، فقالوا: يا نبيَّ الله، أنطمعُ أن تكون غزوةً نُعطى فيها أجرَ المجاهدين؟ فأنزل اللهُ[٤] فيهم الآية[٥].

أي: إنَّ الذين آمنوا بك، والذين هاجروا وتركوا مكّة، وخرجُوا خلفَ رسول الله ﷺ إلى المدينة.

وأصلُ الهجرةِ: قطعُ المواصلةِ عن قِلًى.

---

(١) أي: قتالٌ مبتدأ.

(٢) في (و): «سبيل الله مبتدأ، وما بعده خبره». انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢٨٩ ـ ٢٩٠).

(٣) «على» من (ن).

(٤) اسم الجلالة «الله» من (ن).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٣١٩).

﴿وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: قاتلوا الكفّار.

والجهادُ: القتالُ للإذعانِ بالحقِّ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ﴾: يطمعون فيها ويأملون، والرَّجاءُ: الأملُ.

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾.

* * *

(٢١٩ ـ ٢٢٠) ـ ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَاۗ وَيَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلۡعَفۡوَۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ ٢١٩ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۗ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىٰۖ قُلۡ إِصۡلَاحٞ لَّهُمۡ خَيۡرٞۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعۡنَتَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾.

﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ﴾ ذكر المفسِّرون أنَّ الآيةَ نزلت في عمرَ بنِ الخطّابِ ومعاذِ بن جبلٍ ونفرٍ من الأنصار أتوا رسولَ الله عليه السَّلام وقالوا: أفْتِنا في الخمر والميسر؛ فإنَّهما مذهبةٌ للعقل مسلبةٌ للمال، فأنزل الله هذه الآية[1].

قال القفّال: أوَّلُ آيةٍ نزلَت في الخمرِ هذه، فامتنعَ عن شُربها جماعةٌ، ولـمّا تقرَّرَ هذا عندهم حرَّمَ عليهم شربَ الخمر إذا أرادوا أن يقربوا الصَّلاة بقوله: ﴿لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ﴾ [النساء: ٤٣]، فتركَها أكثرُهم، ثم نزلَ التَّحريمُ العامُّ بقوله: ﴿فَٱجۡتَنِبُوهُ﴾[2].

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٤٢٧)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٧١).

(٢) ذكر نحوه الرازي في «التفسير الكبير» (٦/ ٣٩٦)، وأبو حيان في «البحر المحيط» (٢/ ٤٠٤).

«الحجّة» عن الحسن: المحرِّمةُ ما في (البقرة)؛ لقوله: ﴿إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾، والإثمُ حرامٌ على كلِّ حالٍ[1].

والخمرُ: عصيرُ العنبِ بعدما اشتدَّ.

والميسرُ: القمارُ كلُّه؛ عن ابن عبّاسٍ وابن مسعودٍ وابن سيرين والحسن وقتادة ومجاهدٍ[2].

مشتقٌّ من (اليَسَر)، وهو وجوبُ الشَّيء لصاحبه، ويُقالُ للمقامر: ياسِرٌ ويَسَرٌ، وقيل: اليَسَرُ: جمع الياسِر، والأيسارُ: جمع الجمع[3].

والميسِرُ: الجزور، وكانت العربُ تنحرُ جزورًا وتجعله أقسامًا يتقامرون عليها، وهو ضربُ القداحِ على أجزاءِ الجزورِ قمارًا.

القتبيُّ: الأقداح عشرةٌ؛ سبعةٌ منها عليها حظوطٌ؛ وهو: الفَذُّ وله نصيبٌ، والتَّوْأَمُ وله نصيبان، والرَّقيبُ ـ وقيل: الضَّريب ـ وله ثلاثةُ أنصباء، والحِلْسُ وله أربعة أنصباء، والنَّافسُ وله خمسةٌ، والـمُسْبِلُ وله ستّةٌ، وقيل: المصفَّح، والـمُعَلَّى وله سبعةُ أنصباء.

وثلاثةٌ أغفالٌ لا نصيبَ لها؛ وهي الـمَنيحُ والسَّفيحُ والوَغْدُ[4].

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٢/ ٣٠٨)، والكلام فيه غير منسوب، وإنما قال: «ومن أهل النظر من قال» وذكر نحوه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٣٢٢ـ ٣٢٤) عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما وعن ابن سيرين والحسن وقتادة ومجاهد.

(٣) وقيل: الأيسار جمع يَسَر. انظر: «المعاني الكبير» لابن قتيبة (٣/ ١١٤٧).

(٤) انظر: «المعاني الكبير» (٣/ ١١٦٦ ـ ١١٦٧)، و«إصلاح غلط أبي عبيد في غريب الحديث» (ص: ١١٣ ـ ١١٤) كلاهما لابن قتيبة.

وفي كيفيّةِ استعمالهم لها كلامٌ ليس هذا موضعُه.

﴿قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ في تجارتِهم بها، وتقويةِ الضَّعيف، وهضمِ الطَّعام، وتَسلِّي المحزون، وتَشجُّعِ الجبان، وتَسخِّي البخيل[1].

ومنافعُ الميسرِ: التَّوسعةُ على ذوي الحاجة؛ لأنَّ مَنْ قَمَرَ[2] لم يكن يأكُل من الجزور، بل كان يفرِّقُه في المحتاجين، ولهذا كانوا يسمُّون مَن لا يَيْسِرُ[3] بَرَمًا، ويذمُّونه ويَهجونَه.

﴿وَإِثْمُهُمَآ﴾: ما يحصلُ بسببهما من البغضاءِ والشَّنآنِ، والحملِ على ارتكابِ الفواحش، وزوالِ العقل، وغيرِهما[4] ممّا يطولُ تَعداده.

﴿أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾؛ أي: فلا تغترُّوا بالنَّفع فيها؛ فالضَّرُّ أكثرُ منه.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ نزلت في سؤال عَمرو بن الجَموح؛ وذلك أنَّه[5] لَمّا بيَّنَ له مصرفَه سألَ عن المقدار[6].

---

(١) وهذه فوائد مزعومة للخمر، والخمر إنما تُضعف العقل، فيتوهَّم شاربها فيها تقوية وتسلية، وقد ذكر الفخر الرازي من ذلك ما يشبه كلام المصنِّف، والله أعلم. انظر: «مفاتيح الغيب» للرازي (٦/ ٤٠١).

(٢) أي: غلب في القمار. انظر: «غريب الحديث» لإبراهيم الحربي (٢/ ٣٧٥).

(٣) أي: يأتي بقدحِه للقمار. انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (١٣/ ٤٢).

(٤) كذا في النسخ الخطية، وهو معطوف على (ارتكاب)، والمراد: أن الخمر تحمل على أشياء غير ارتكاب الفواحش وزوال العمل.

(٥) «أنه» من (ن).

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٣٩٠) بلا نسبة، وذكره الواحدي في «البسيط» (٤/ ١٢٥) من طريق الكلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما.

﴿قُلِ ٱلۡعَفۡوَ﴾ ابن عبّاسٍ وقتادة: الفَضْلُ عن الغنى[١].

الحسن وعطاءٌ: الوسطُ من غير إسرافٍ ولا إقتارٍ[٢].

مجاهدٌ: الصَّدقةُ المفروضة[٣].

وأصلُه: من الزِّيادة، من قوله: ﴿حَتَّىٰ عَفَواْ﴾ [الأعراف: ٩٥] أي: زادوا، وقيل: من التَّرك؛ من قوله: ﴿فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ﴾ [البقرة: ١٧٨]؛ أي: تُرِكَ.

السُّدِّيُّ: هذه الآية منسوخةٌ بآية الزكاة[٤].

مجاهدٌ: فرضٌ ثابتٌ[٥].

وقيل: أدبٌ من الله ثابتٌ غيرُ منسوخٍ.

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ﴾؛ أي: كبيانِ الخمرِ والميسر، وقيل: كبيانِ ما سبقَ في السُّورة يبيِّنُ الله ﴿لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾: الأحكام؛ ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ﴾.

* * *

(٢٢٠) - ﴿فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۗ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىٰۖ قُلۡ إِصۡلَاحٞ لَّهُمۡ خَيۡرٞۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعۡنَتَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾.

﴿فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾ الزَّجَّاج: ﴿فِي﴾ متعلِّق بـ﴿تَتَفَكَّرُونَ﴾؛ أي: يتفكَّرون

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٣٤٠) عن قتادة، ورواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٦٨٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٦٨٨).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٦٩٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٣٩٣).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٦٩٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٣٩٤).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٦٩٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٣٩٣).

فـي أمـر الدُّنيا والآخـرة، ويُحتمَـل أن يكـونَ من صلـةِ ﴿يُبَيِّنُ﴾[١].

ابن جريرٍ: تتفكَّرون في الدُّنيا وفنائها، والآخرةِ وبقائها، فتعلمون فضلَها على الدُّنيا[٢].

وقيل: تتفكَّرون فيما وُسِّع عليكم من نعيم الدُّنيا، وفُرِضَ عليكم[٣] إنفاقُه، وهو السَّهلُ اليسير.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ﴾ عن ابن عبّاسٍ قال: لَمّا نزل قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ﴾ الآية [الأنعام: ١٥٢]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ﴾ الآية [النساء: ١٠]، انطلق مَن كان عندَه مالُ يتيمٍ، فعزلَ طعامَه وشرابَه من طعامه وشرابه، وجعل يفضلُ من طعامِه، فيُحبَسُ له حتى يأكلَه أو يفسد، واشتدَّ ذلك عليهم، فذكروا ذلك لرسولِ الله عليه السّلام، فأنزل الله: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ﴾[٤].

هي جمع يتيمٍ، والفعلُ منه: (يَتُمَ) ككَرُمَ، و(يَتِمَ) كعَلِمَ.

وقيل: كانت العرب في الجاهليّة يشدِّدون في أمرِ اليتيم ولا يُؤاكلونه، وكانوا يتشاءمون بملابسةِ أموالهم، فلمّا جاء الإسلامُ سألوا عن ذلك رسولَ الله عليه السَّلام، فأنزل اللهُ هذه الآية[٥].

﴿قُلْ إِصْلَاحٌ﴾؛ أي: إصلاحُ أموالِهم من غيرِ أُجرةٍ ﴿لَّهُمْ خَيْرٌ﴾ في دنياكم وفي آخرتِكم.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢٩٤).

(٢) روى الطبري نحوه عن قتادة. انظر: «تفسير الطبري» (٣/ ٦٩٧).

(٣) «فرض عليكم» من (ن).

(٤) رواه أبو داود (٢٨٧١)، والنسائي (٣٦٦٩).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٧٠٣ ـ ٧٠٤) عن السدي والضحاك.

وقيل: إصلاحُكم لأموالِهم خيرٌ لهم من اعتزالِكم إيّاهم.

﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمْ﴾: تشاركوهم في أموالهم، فتصيبوا بقدرِ الأُجرة، ﴿فَإِخْوَانُكُمْ﴾؛ أي: فهم إخوانكم، والإخوانُ يعينُ بعضُهم بعضًا، وينالُ بعضُهم من بعضٍ.

والمخالطةُ: جمع يتعذَّرُ فيه[1] التَّمييزُ.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ﴾ لمالِ اليتيمِ ﴿مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ له.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ﴾ الزَّجّاج: لكلَّفكم ما يشتدُّ عليكم فتتعنَّتون، وأصل العنتِ من (عَنِتَ البعيرُ)؛ إذا حدثَ في رجلِه كسرٌ بعد جَبْرٍ لا يمكنُه التَّصرُّفُ معه[2].

أبو عبيدة: أهلكَكم[3].

ابن جريرٍ: حرَّمَ عليكم مخالَطتَهم[4] فيشتدُّ عليكم[5].

وعَقَبةٌ عَنُوتٌ: شديد[ة]، والإعناتُ: الحملُ على مشقّةٍ لا تُطاقُ.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ في نقمتِه ﴿حَكِيمٌ﴾ في تدبيرِه.

* * *

(٢٢١) ـ ﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۖ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ۖ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

---

(١) في (ن): «معه».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢٩٤ ـ ٢٩٥).

(٣) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٧٣).

(٤) في (و): «مخالطتكم».

(٥) انظر: «تفسير الطبري» (٣/ ٧٠٨).

﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَـٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾ عن أبي صالح عن ابن عبّاسٍ، وعن مقاتلٍ: نزلت في أبي مَرْثَدٍ الغَنَوِيِّ وعَناقَ[1] وكانت مشركةً، وأبو مَرْثَدٍ مسلمٌ، وقال: يا نبيَّ الله، إنَّها تعجبني، وأراد أن ينكحَها، فنزلَتْ[2] هذه الآية[3].

وعن أبي مالكٍ عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّها نزلت في عبد الله بن رَواحة، أعتق أَمةً له سوداء مسلمةً وتزوَّجها، فطعنَ عليه ناسٌ من المسلمين وقالوا: نكحَ أَمةً، وكانوا يريدون أن ينكحوا إلى المشركين ويُنكِحوهم رغبةً في أحسابهم، فأنزل الله: ﴿وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ﴾ الآية[4].

ونَكَحَ: إذا تزوَّج، وأنكحَ غيرَه: زوَّجَه، قال الأعشى:

ولا تقـــرَبَنَّ جـــارةً إنَّ سِرَّهـــا[5] عليكَ حـــرامٌ فانكِحَـــنْ أو تَأَبَّـــدا[6]

وأصله: التَّزويجُ، وقيل: أصلُه الضَّمُّ[7].

﴿وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾؛ أي: بحسنِها وجمالها.

---

(١) من الأسماء المختصة عند العرب بالنساء، وهي ممنوعة من الصرف للعلمية والتأنيث. انظر: «الكتاب» لسيبويه (٣/ ٢٣٦).

(٢) في (ن): «فأنزل الله».

(٣) رواه الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٧٣ ـ ٧٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما. ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٣٩٨)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٧٣) عن مقاتل بن حيان.

(٤) رواه الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٧٣).

(٥) في (ن): «سيرها»، والسرّ هنا: النكاح.

(٦) انظر: «ديوان الأعشى» (ص: ١٧٣)، و«إصلاح المنطق» لابن السكيت (ص: ٢٣).

(٧) في (ن): «الذم»، وما أُثبتَ هو الصواب، وقد اختاره الفخر الرازي. انظر: «مفاتيح الغيب» (١٠/ ١٧).

والأَمةُ: المملوكةُ من بناتِ آدم، تقولُ العرب[١]: أَقَرَّتْ بالأُمُوَّةِ؛ أي: بالعبوديّة، ووزنُها فَعَةٌ، وجمعُها: إماءٌ وآمٌ[٢].

و﴿ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ﴾ هاهنا عامٌّ، فنُسِخَ بقوله: ﴿وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ [المائدة: ٥] عند ابن عبَّاسٍ والحسن ومجاهدٍ[٣].

قال قتادة وسعيد بن جبير: خاصٌّ[٤] خُصَّ بما في (المائدة)[٥].

﴿وَلَا تُنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤۡمِنُواْۚ وَلَعَبۡدٞ مُّؤۡمِنٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكُمۡۗ أُوْلَٰٓئِكَ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦ﴾ الزَّجّاج: الباء متعلِّقة بـ﴿يدعو﴾؛ أي: بإعلامِه لكم ما يُنجيكم ويُوصلُكم إليها[٦].

الحسن: ﴿بِإِذۡنِهِۦ﴾: بأمره[٧].

---

(١) «العرب»: ليس في (ن).

(٢) وتُجمع أيضًا على: إمْوان. انظر: «العين» (٨/ ٤٣١)، و«تهذيب اللغة» للأزهري (١٥/ ٤٦٠) مادة: (أم ا).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٧١١ـ ٧١٢).

(٤) في (ن): «عام».

(٥) ذهب الجمهور إلى العموم في قوله: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّ﴾، وأنَّ هذا العموم نُسخ، ودخله الخصوص، وذهب سعيد وقتادة إلى أنَّ الظاهر من عموم الآية مرادٌ به الخصوص، وهو: أهل الأوثان، فلا نسخَ، وللإمام الشافعي كلام جليل يبيِّن الفرق بين مثل هذين القولين، فقد عقد باباً قال فيه: «باب بيان ما نزل من الكتاب عامًا يُراد به العام ويدخله الخصوص»، وقال بعده: «باب بيان ما نزل من الكتاب عام الظاهر يراد به كله الخاص». انظر: «الرسالة» للشافعي (ص: ٥٣ و٥٨)، و«تفسير الطبري» (٣/ ٧١٣)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (٢/ ٣٩٧)، و«معاني القرآن» للنحاس (١/ ١٧٩ ـ ١٨٠)، و«النكت والعيون» للماوردي (١/ ٢٨١).

(٦) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢٩٦).

(٧) علماً أن الحسن كان يقرأ: (والمغفرةُ بإذنه) رفعًا، كما ذكره ابن خالويه في «المختصر =

وقيل: بما يأذنُ فيه ويأمرُ به.

﴿وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ﴾: أحكامه ودلائله ﴿لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: يتَّعظون.

***

(٢٢٢) - ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾ ذكر المفسِّرون أنَّ العربَ كانت إذا حاضَتِ المرأةُ لم يُؤاكلوها ولم يُشاربوها ولم يُساكنوا معها في بيتٍ كفعلِ المجوس، فسأل أبو الدَّحداح رسولَ الله عليه السَّلام عن ذلك، وقال: يا رسول الله، كيف نصنعُ بالنِّساء إذا حضْنَ؟ فأنزل الله: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾(١).

مجاهدٌ: كانوا على استجازةِ الإتيانِ في الأدبار أيّامَ الحيض، فلمّا سألوا بيَّنَ لهم تحريمَه(٢).

والقصدُ بالسُّؤالِ أمرُها مع زوجها، ولهذا أُجيبَ بما يتعلَّقُ بالجماع دونَ الصَّوم والصَّلاة.

و(المَحيضُ) يكون مصدرًا كالمَسير والمَقيل، ويكون زمانًا ومكانًا، ويَحتمِلُ

= في شواذ القراءات» (ص: ٢٠)، والنحاس في «إعراب القرآن» (١/ ١١١)، والواحدي في «البسيط» (٤/ ١٧٠).

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢/ ١٥٦)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٧٢٢) عن السدي. وروى نحوه مسلم (٣٠٢) عن أنس رضي الله عنه، إلا أنه ذكر ذلك عن اليهود، ولم يذكر أبا الدحداح.

(٢) رواه الدارمي في «سننه» (١١٨٤)، والطبري في «تفسيره» (٣/ ٧٢٢).

هاهنا أن يكون المصدر، وتقديره: ويسألونك عن حيض المرأة ما حكمُه من المجامعة وغيرها؟ ويَحتمِلُ الزَّمان؛ أي: عن حال المرأة وقتَ حيضها.

والحيض: دمٌ غليظٌ أسودُ منتنُ الرّائحة، يجري للأنثى على عادةٍ(١).

قال المفضَّل: أصله الانفجار، يُقال: حاضت السَّمُرةُ؛ إذا سالَ منها شيءٌ كدمِ الحيض(٢).

﴿قُلْ هُوَ أَذًى﴾: قذرٌ ونجسٌ، والمعنى: يَتأذَّى به المجامِعُ بنفورِ طبعِه عمّا يشاهد، وهذا يقوِّي وجهَ المصدر.

﴿فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ﴾ عن ابن عبّاسٍ وعائشةَ والحسن: يجتنبُ منها موضعَ الدَّم(٣).

و﴿ٱلْمَحِيضِ﴾ هاهنا يحتمل مكان الحيض وزمان الحيض، ولهذا لم يُكَنِّ عنه(٤).

شريحٌ وابن المسيِّب: يجتنبُ ما بين السُّرّةِ إلى الرُّكبة(٥).

---

(١) في (ن): «العادة».

(٢) في (و): «المحيض». ذكر الثعلبي هذه العبارة في «تفسيره» (٦/ ٢٣)، ولم ينسبها، وذكر نحوها القالي والأزهري والواحدي عن الفراء. انظر: «البارع» للقالي (ص: ٦٩٣)، و«تهذيب اللغة» (٥/ ١٠٤) مادة: (ح ي ض)، و«البسيط» (٤/ ١٧١).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٧٢٥ـ٧٢٨).

(٤) أي: لم يعبِّر عنه بالضمير، ولم يقل: فلا تقربوا النساء فيه. والتعبير عن الضمير بالكناية اصطلاح الكوفيين، وقد ظهر في مواضع من «اللباب» أن المصنِّف يستخدم بعض اصطلاحاتهم. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ١٩و٣٣٥)، و«الموفقي» لابن كيسان (ص: ١١٢)، و«كتاب الحدود» لابن القاسم (ص: ٤٠).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٧٢٩).

عَبيدة السَّلماني: يعتزلُ جميعَ بدنها أن يباشرَه(١).

﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ﴾؛ أي: ولا تقربو مُجامعتَهنَّ في موضعِ الحيض، وله ما سوى ذلك من جسدِها على ما سبق، إلّا الإتيان(٢) في الدُّبر.

﴿حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾: يَنقَينَ بانقطاعِ الدَّمِ بعد العشرة، وقيل: بعد خمسة عشر.

وقُرئ: ﴿يَطَّهَّرْنَ﴾ بالتَّشديد(٣)؛ فيُحتمَلُ أن يكون بمعنى: يطهرن؛ كقولهم: تكسَّرَ الشَّيءُ وانكسر، وتقطَّعَ وانقطع(٤)، ويُحتمَل أن يكون بمعنى: يغتسلْنَ، فيكون على ما دون العشرة.

﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾: اغتسلْنَ، وقيل: توضَّأْنَ، وقيل: غسلْنَ موضعَ الدَّم.

﴿فَأْتُوهُنَّ﴾؛ أي: جامعوهنَّ.

﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ اجتنابَه في الحيض، وقيل: ما لم تكن صائمةً أو معتكفةً أو مُحْرِمةً، وقيل: في طهرهنَّ، لا حيضهنَّ.

محمد بن الحنفيّة: في النِّكاح، لا في السِّفاح(٥).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٧٢٤)، وذكره الماوردي في «تفسيره» (٢/ ٢٨٣).

(٢) «أي: ولا تقربو مجامعتهن في موضع الحيض، وله ما سوى ذلك من جسدها على ما سبق، إلا الإتيان» من (ن).

(٣) قرأ بها حمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر. انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٠).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢١٣)، واستغربه.

(٥) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٦٦٨١)، والطبري في «تفسيره» (٣/ ٧٤٠)، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢١٤)، واستغربه.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾ من الذُّنوب، وقيل: من المجامعة في الحيض[١].

﴿وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ بالماء[٢].

مجاهدٌ: من أدبار النِّساء[٣].

وقيل: عن أن يعودوا إلى الذُّنوب.

***

(٢٢٣) ـ ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ﴾ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كانت اليهودُ تقول: إذا أتى الرجل أهلَه باركةً كان الولد أحول، فأنزل الله: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ﴾[٤].

وعن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّ هذا الحيَّ في قريشٍ كانوا يَشْرَحونَ[٥] النِّساءَ بمكّةَ، ويتلذَّذون بهنَّ مُقبلاتٍ ومُدبراتٍ، فلمّا قدموا المدينة تزوَّجوا من الأنصار، فذهبوا يفعلون بهنَّ كما كانوا يفعلون بمكّة، وأنكرْنَ ذلك وقلْنَ: هذا شيءٌ لم نكنْ نُؤْتَى عليه، فانتشرَ الحديثُ حتى انتهى إلى رسول الله عليه السَّلام، فنزلت[٦].

---

(١) «في الحيض»: ليس في (ن).

(٢) «بالماء» من (ن).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٧٤٣).

(٤) رواه البخاري (٤٥٢٨)، ومسلم (١٤٣٥)، وفي البخاري: «من ورائها»، وفي مسلم: «من دبرها في قبلها» بدل «باركة»، ورواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٧٥٨) بلفظ المصنف.

(٥) يُقال: شرح فلان جاريته؛ إذا وطئها على قفاها، وأصل الشَّرْح: البَسْط، ومنه: انشراح الصدر بالأمر، وهو انفتاحه، وانبساطه. انظر: «جامع الأصول» لابن الأثير (٢/ ٤٢).

(٦) رواه أبو داود (٢١٦٤).

وعن سعيد بن جبير عن ابن عبّاسٍ قال: جاء عمرُ بنُ الخطّاب رضي الله عنه إلى رسول الله عليه السَّلام فقال: هلكْتُ، قال: «وما الذي أهلكَكَ؟» قال: حوَّلْتُ رَحْلِي اللَّيلةَ، قال[1]: فلم يَرُدَّ عليه شيئًا، قال: فأوحى الله هذه الآية: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾[2].

أبو عبيدة: كنايةٌ وتشبيهٌ[3]؛ أي: شبَّهَ الجماعَ بالزِّراعة، والنُّطفةَ بالبَذْر، والرَّحمَ بالأرض، والولدَ بالنَّبات[4].

ابن عيسى: موضعُ حرثٍ لكم[5].

﴿أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾؛ أي: أينَ شئتم، وكيفَ شئتم ـ وقيل: ومتى شئتم ـ قائمةً وباركةً ومضطجعةً بعد أن يكون المأتى يؤدِّي[6] إلى الولد.

﴿وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ المفعول محذوفٌ، وتقديره: وقدِّموا لأنفسكم خيرًا، كقوله: ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ﴾ [المزمل: ٢٠].

الزَّجّاج: أي: قدِّموا طاعتَه، واحترزوا من عقابِه[7].

---

(١) «قال» من (ن).

(٢) رواه الترمذي (٢٩٨٠)، وقال: «حسن غريب».

(٣) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٧٣).

(٤) قال الزجاج: «القول عندي فيه أن معناه: أن نساءكم حرث لكم منهن تحرثون الولد واللذة». انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢٧٨ و٢٩٨).

(٥) ذكره النحاس في «معاني القرآن» (١/ ١٨٥)، والمصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢١٤) بلا نسبة.

(٦) في (ن): «مؤديًا».

(٧) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢٩٨).

ابن جريرٍ: هو راجعٌ إلى جميع ما تقدَّم؛ أي: أطيعوه في جميع أوامره؛ لتكونوا قد قدَّمتم خيرًا لأنفسكم[١].

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ﴾: مُعاينوه، وقيل: مُعاينو ثوابِه أو عقابه[٢]، وقيل: ميِّتون.

﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: بما أُمروا به ونُهوا عنه بالرُّؤيةِ والنَّعيم[٣].

* * *

(٢٢٤) ـ ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ﴾ قال الكلبيُّ: نزلت في عبد الله بن رواحةَ الأنصاريِّ، ينهاه عن قطيعة خَتَنِه بشيرِ بن النُّعمان، وذلك أنَّ ابنَ رواحةَ حلف أن لا يدخلَ عليه أبدًا، ولا يكلِّمَه، ولا يصلحَ بينَه وبينَ أختِه، ويقول: قد حلفْتُ بالله أن لا أفعل، ولا يحلُّ لي إلَّا أن أبرَّ في يميني، فأنزل الله هذه الآية[٤].

ومعناه على هذا الوجه: لا تجعلوا اليمينَ بالله عُذرًا وعلَّةً في تركِ البرِّ.

﴿أَن تَبَرُّوا﴾ متَّصلٌ بالأيمان؛ لأنَّ اليمينَ في معنى الحلف، فيتضمَّنُ معنى الفعل الذي يجوز أن يُوصَلَ به ما بعدَه، كما تقول: يميني أن لا أفعلَ كذا، فيكون

---

(١) هو معنى قوله وخلاصته. انظر: «تفسير الطبري» (٣/ ٧٦٢ ـ ٧٦٣).

(٢) في (و): «وعقابه».

(٣) هـذا دليـل واضـح مع ما تقـدم قريباً من تفسـير اللقـاء بالمعاينـة على مخالفـة المصنِّـف للمعتزلة فـي مذهبهم.

(٤) ذكره السمرقندي في «بحر العلوم» (١/ ١٤٨)، والثعلبي في «تفسيره» (٦/ ١٢٢)، والواحدي في «البسيط» (٤/ ١٨٥).

(لا) مقدَّرًا؛ أي: أن[١] لا تبرُّوا، كقوله: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ﴾ [النساء: ١٧٦][٢]، وهاهنا أحسن؛ لأن (لا) قد تُضمَر مع اليمين؛ نحو: ﴿تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ﴾ [يوسف: ٨٥].

وعند البصريِّين تقديره: كراهةَ أن تبرُّوا، وكراهةَ أن تضلُّوا، وليس ذلك كاليمينِ؛ لدخولِ (أن)[٣].

ويجوز أن يتعلَّقَ بـ(عرضة)؛ أي: مانعًا من أن تَبَرُّوا، فلا يحتاجُ إلى إضمار (لا)[٤].

الحسن وقتادة: كانوا يقولون: قد حلفنا بالله، ولم يحلفوا به[٥].

وقيل: لا تجعلوا اليمين بالله مُبتذَلًا في كلِّ حقٍّ وباطلٍ لأن تبرُّوا؛ أي: تصيروا أبرارًا أتقياء، واحفظوا أيمانكم.

---

(١) «أن»: ليس في (ن).

(٢) ذهب إلى هذا الفراء وأبو عبيدة والطبري. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٩٧)، و«تفسير الطبري» (٤/ ١١ ـ ١٢) و(٩/ ٥١٢)، و«الوسيط» للواحدي (١/ ٣٣٠)، و«الدر المصون» للسمين الحلبي (٢/ ٤٢٦).

(٣) فهو عندهم مفعول لأجله، وهذا مذهب الجمهور. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ١٣٧)، و«معاني القرآن» للنحاس (٢/ ٢٤٤)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٢/ ٤٤٠).

(٤) أجاز هذا القول الزمخشري، وردَّه أبو حيان. انظر: «الكشاف» للزمخشري (١/ ٢٦٧)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٢/ ٤٤٢).

(٥) لم أقف على ما ذكره المصنِّف؛ فقد روى عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٦٧)، والطبري في «تفسيره» (٤/ ٦) عن قتادة: «هو الرجل يحلف على الأمر الذي لا يصلح، فإذا كُلِّمَ في ذلك قال: إني قد حلفت، فجعل يمينه عرضة لذلك»، وقال ابن أبي زمنين في «تفسيره» (١/ ٢٢٧): «تفسير الحسن: كان الرجل يقال له: لم لا تبر أباك أو أخاك أو قرابتك أو تفعل كذا لخير؟! فيقول: قد حلفت بالله لا أبره، ولا أصله، ولا أصلح الذي بيني وبينه؛ يعتل بالله؛ فأنزل الله ﴿وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾ يعني: الحلف؛ أي: لا تعتلوا بالله». وانظر: «تفسير ابن أبي حاتم» (٢/ ٤٠٧).

ورُوي عن عائشةَ أنَّها قالت: لا تحلفوا بالله وإن بررتم[١].

وقد ذمَّ اللهُ الحلّاف[٢] بقولِه: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ﴾[٣] [القلم: ١٠].

وقال كُثيِّرُ عزّةَ يمدح ملكًا:

قليلُ الألايا حافِظٌ ليمينِه وإنْ سَبَقَتْ مِنْهُ الأَلِيَّةُ بَرَّتِ[٤]

وقيل: ﴿أَن تَبَرُّواْ﴾ مبتدأ، والخبر محذوفٌ تقديره: أن تبرّوا وتتّقوا وتصلحوا بين النّاس خيرٌ لكم وأولى بكم.

والعُرْضةُ: العُذْرُ والعلّةُ والمانعُ والبِذْلة، كاللُّعبة لِما يُلْعَبُ به، والعُرْضَةُ لِما يُعترَضُ به.

وقيل: العُرْضةُ: القُوّةُ.

واليمينُ: عقدُ الخبرِ بما يُتبرَّكُ بذكرِه للتّأكيد.

﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لأيمانِكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بنيّاتِكم.

* * *

(٢٢٥) ـ ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾.

﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ اللَّغوُ من الكلامِ: ما لا فائدةَ فيه، واللَّغا[٥]: الكلامُ القبيح.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ١٠).

(٢) في (ن): «الحالف».

(٣) «حلاف»: ليس في (و).

(٤) انظر: «ديوان كثير» (ص: ٣٢٥)، و«المقصور والممدود» لأبي علي القالي (ص: ١٥٢).

(٥) في (ن): «اللّغاء».

واللَّغوُ الذي لا يُؤاخَذُ العبدُ به في اليمينِ:

عند ابن عبَّاسٍ وعائشةَ رضي الله عنهم: هو ما يجري على اللِّسانِ عادةً ـ نحو: لا والله، وبلى والله ـ من غير عَقْدٍ على يمينٍ يُقطَعُ بها مالٌ[1] أو يُظلَمُ بها أحدٌ[2].

الحسن ومجاهدٌ: هو يمينُ الظَّانِّ؛ يرى أنَّه كما حلَفَ[3].

طاوسٌ: هو يمين الغضبان[4].

مسروقٌ: ما لا يلزمُه الوفاءُ به فهو لغوٌ[5].

الضَّحاكُ: لغوُ اليمين: ما تجبُ فيه الكفّارة[6].

إبراهيم النَّخعيُّ: هو حنثُ النِّسيان[7].

---

(١) «مال» من (ن).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ١٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: «هي بلا والله، ولا والله». ورواه البخاري (٦٦٦٣) وعبد الرزاق في «تفسيره» (٦٢٨) والطبري في «تفسيره» (٤/ ١٤ ـ ١٦) عن عائشة رضي الله عنها بألفاظ متعددة.

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٧١) عن مجاهد، ورواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٢١) عن الحسن ومجاهد.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٢٦) موقوفاً على طاوس، ورواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٢٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٤١٠) عن طاوس عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) ذكره الواحدي في «البسيط» (٤/ ١٩٧)، وروى الطبري في «تفسيره» (٤/ ٢٩) عن مسروق: «كل يمين لا يحل لك أن تفي بها فليس فيها كفارة».

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٣٣)، ولفظه: «اليمين المكفَّرة».

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٣٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٤٠٩)، ولفظ الطبري: «هو الرجل يحلف على الشيء ثم ينساه».

وقيل: هو دعاءُ الإنسانِ على نفسِه؛ كقوله: أعمى الله بصرَه إن كان كذا، وأخرجَه الله من مالِه إن لم يكن كذا، وهو نصرانيٌّ أو مجوسيٌّ إن كان كذا.

وكلُّ يمينٍ على ماضٍ فلا كفّارةَ فيها، ومنها صدقٌ ومنها غموسٌ، وكلُّ يمينٍ على مستقبلٍ فحنثُها يُوجبُ الكفّارة.

﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم﴾: يعاقبُكم ﴿بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾: تعمَّدَت.

﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ لمن تابَ عن إثمٍ يلزمُه في اليمين، ﴿حَلِيمٌ﴾ قبلَ التَّوبة؛ إذ لم يُعجِّل بعقوبتِه.

***

(٢٢٦) ـ ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَاءُو فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ﴾ ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما: كان إيلاءُ الجاهليّة السَّنةَ والسَّنتين وأكثر، فوقَّتَ الله أربعةَ أشهرٍ[١].

سعيد بن المسيَّب: كان الرَّجلُ لا يريدُ المرأة، ولا يحبُّ أن يتزوَّجَها غيرُه، فيحلفُ أن لا يقربَها أبدًا، وكان يتركُها لا أيِّمًا ولا ذاتَ بَعلٍ، فجعل الله الأجلَ الذي يعلم به ما عند الرَّجل في المرأة أربعة أشهرٍ، وأنزل: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ﴾[٢]؛ أي: يحلفون بما يلزمُهم فيه غُرمٌ، مثل الصَّدقة والعِتاق والطَّلاق.

وقيل: يحلفون بالله فحسبُ.

---

(١) رواه سعيد بن منصور في «سننه» (١٨٨٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١١٣٥٦)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٥٢٣٧).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ١٥٣)، والواحدي في «البسيط» (٤/ ٢٠٠)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ١٩٦).

﴿مِن نِّسَآئِهِمْ﴾؛ أي: يحلفون على ترك الجماع بالإجماع، إلّا ما رُوي عن سعيد بن المسيِّب فإنَّه قال: إنْ حلفَ لا يكلِّمها فهو مُولٍ، وكذلك على كلِّ شيءٍ يَسوؤها(١).

و﴿مِن﴾ متعلِّقةٌ بالإيلاء عند الفقهاء، والإيلاءُ مستغنًى عن (من)، وهي كقولك: مني الدُّعاء، ولي منه النَّصر(٢).

والأَلِيَّةُ: اليمينُ، وجمعُها: أَلِيّاتٌ وأَلايا، كعَشِيّات وعَشايا، وإِلاءٌ كصحيفةٍ وصِحافٍ.

﴿تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾: انتظارُ مضيِّ أربعةِ أشهر.

﴿فَإِن فَآءُو﴾: رجعوا.

والفيءُ: الرُّجوعُ إلى الجماع، وإلى ما امتنعوا منه، وإلّا بانَتْ منه امرأتُه.

عن عليٍّ رضي الله عنه وابن عبّاسٍ والحسن وابن مسعود وفي قول أهل المدينة: يُؤمَرُ بالطَّلاقِ أو المراجعة(٣).

---

(١) روى الطبري في «تفسيره» (٤/ ٥٠) عن سعيد بن المسيب: «أنه إن حلف رجل أن لا يكلم امرأته يومًا أو شهرًا، قال: فإنا نرى ذلك يكون إيلاءً، وقال: إلا أن يكون حلف أن لا يكلمها، فكان يمسها فلا نرى ذلك يكون من الإيلاء، والفيء أن يفيء إلى امرأته فيكلمها أو يمسها، فمن فعل ذلك قبل أن تمضي الأربعة الأشهر فقد فاء؛ ومن فاء بعد أربعة أشهر وهي في عدتها فقد فاء وملك امرأته، غير أنه مضت لها تطليقة».

(٢) فهي متعلقة بما في اللام من معنى الاستقرار على رأي المصنِّف خلافاً لرأي الفقهاء الذي عدّه المصنِّف من العجائب، أما الزمخشري فبيَّن أن تعلقها بالإيلاء على وجه التضمين؛ أي: يبعدون من نسائهم مولين، وأجاز ما اختاره المصنِّف، وأجازه العكبري أيضاً، ولم يجزه أبو حيان. انظر: «غرائب التفسير» (١/ ٢١٤)، و«الكشاف» للزمخشري (١/ ٢٦٩)، و«التبيان» للعكبري (١/ ١٨٠)، و«البحر المحيط» (٢/ ٤٤٧).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٧٦ ـ ٨٤) عن علي وعائشة وابن عباس وابن عمر وأبي الدرداء =

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ للمُولي بإسقاطِ الكفّارة، وقيل: بإسقاطِ العقاب.

﴿رَّحِيمٌ﴾ حيث نظرَ للمرأةِ أن لا يضرَّ بها زوجُها.

وقيل: نظرَ للزَّوجِ أن تكونَ له مُهلةُ أربعةِ أشهرٍ في المراجعة.

***

(٢٢٧) - ﴿وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ﴾؛ أي: بتركِ الفيء، والعَزْمُ: القطعُ.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لكلامِ المولي ﴿عَلِيمٌ﴾ بنيَّتِه.

قال أهل المدينة: هذا دليلٌ على وجوبِ استماعِ الطَّلاقِ أو المراجعة[1].

***

(٢٢٨) - ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ﴾: المُخلَّيات من حبالِ أزواجهنَّ.

وأصلُ الكلمة: الفتحُ وإزالةُ العَقْد، تقول: (طَلقَتِ المرأةُ) بالفتح والضَّم، و(طالقٌ) يقوِّي الفتح، وحذف تاء (طالق) للنَّسب؛ كتامرٍ ولابنٍ، وقولُ مَن قال: «لعدم المشاركة» باطلٌ، بـ(طلقَتْ) و(حاضَتْ)[2].

= رضي الله عنهم وغيرهم، وذكر أنه قول أهل المدينة.

(١) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» (١/ ٣٠١) وجهًا، وذكر وجهًا آخر، وهو أن يكون إنما ذكر (سميع) هاهنا من أجل حلفه؛ أي: اللّه قد سمع حلفه وعلم ما أراده.

(٢) فمعنى طالق: ذات طلاق، كما أنَّ التامر صاحب التمر، واللابن صاحب اللبن، ولذا حُذفت التاء عند =

والمرادُ بهنَّ[1] هاهنا: المطلّقاتُ الحوائلُ المدخولُ بهنَّ اللّاتي يحضْنَ؛ لأنَّ الحاملَ مذكورةٌ في قوله: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ﴾ [الطلاق: ٤]، وغيرَ المدخولِ بها في قوله: ﴿ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ [الأحزاب: ٤٩]، والآيسةَ والصَّغيرةَ في قوله: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ﴾ [الطلاق: ٤] الآية.

﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ﴾: ينتظرْنَ ولا يُقْدِمْنَ على تزوُّج.

الجمهورُ: خبرٌ في معنى[2] الأمر، ويُحتمَل على قولِ الكوفيِّين: ليتربَّصْنَ محذوف[3] اللّام[4].

وقيل: الخبرُ أليقُ به من الأمر؛ لأنَّ المخبَرَ به لابدَّ من كونه، والأمرُ قد يُمتثَل وقد لا، ولأنَّها تحتاجُ إلى نيّة وعزمٍ.

﴿ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ عليٌّ وابن عبّاسٍ وابن مسعود والحسن: ثلاثة حِيَضٍ[5].

= المصنِّف، وهو مذهب الخليل وسيبويه والبصريين، وهو يرى أن مَن زعم أن حذف التاء بسبب كون كلمة (طالق) مختصة بالمؤنث، فقوله مردود عند المصنِّف بدخول تاء التأنيث على الفعل، وهذا قول للفراء والكوفيين. انظر: «الكتاب» لسيبويه (٣/ ٣٨٣)، و«معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢١٤)، و«المذكر والمؤنث» للأنباري (١/ ١٤٨)، و«الدر المصون» للسمين الحلبي (٨/ ٢٢٤).

(١) «بهن» من (ن).

(٢) في (ن): «تقدير».

(٣) في (و): «بحذف».

(٤) ذكره الواحدي في «البسيط» (٤/ ٢٠٩)، وذكره ابن جني في «المحتسب» (٢/ ٢٠)، والمصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢١٤) دون نسبة، ونسبه للكوفيين أبو حيان في «البحر المحيط» (٢/ ٤٥٣)، والسمين الحلبي في «الدر المصون» (٢/ ٤٣٧).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٨٨-٩٣)، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٤١٥) عن عمر وابن مسعود، وقال: «وروي عن علي وابن عباس وأبي الدرداء وعبادة بن الصامت وأبي موسى...».

تقـول: أقـرأَتِ المـرأةُ؛ إذا حاضَـتْ، رواه الكسـائيُّ والأصمعـيُّ والأخفـشُ والفرّاء(١).

وقال عليه السَّلام في المستحاضة: «دَعِي الصَّلاةَ أيّامَ أقرائِكِ»(٢).

وقالت عائشةُ وزيدُ بنُ ثابت وابنُ عمر: هو الطُّهْر(٣).

وقيل: هو من الأضداد، وأصلُه: الخروج من طُهْرٍ إلى حيضٍ، أو من حيضٍ إلى طهرٍ(٤).

وإنَّما قال: ﴿ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ والقياسُ (أقراء)؛ لأنَّه لَمّا كانَت كلُّ مطلَّقة يلزمُها هذا دخلَه معنى الكثرة(٥).

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ١٨٧)، وقد ذكره الزجاج في «معاني القرآن» (١/ ٣٠٣) عن الأصمعي والكسائي والفراء والأخفش، وذكره الأنباري في «الأضداد» (ص: ٢٩، ٣٠) عن الأصمعي والفراء وأبي عبيدة.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٥٦٨١)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٢٤٧٧)، والدارقطني في «سننه» (٨٢٢)، والبيهقي في «سننه» (١٦٢٩) من حديث عائشة رضي الله عنها، وروى أصل الحديث البخاري (٢٢٨)، ومسلم (٣٣٣)، ولفظ البخاري: «عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاءت فاطمة بنت أبي حُبيش إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، إني امرأة أستحاض فلا أطهر، أفأدع الصلاة؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا، إنما ذلك عرق، وليس بحيض، فإذا أقبلت حيضتك فدعي الصلاة، وإذا أدبرت فاغسلي عنك الدم ثم صلي، ثم توضئي لكل صلاة، حتى يجيء ذلك الوقت»».

(٣) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (٢/ ٥٧٦)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٨٧٣٧)، والطبري في «تفسيره» (٤/ ٩٥) عن عائشة رضي الله عنها، ورواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٩٦) عن زيد وابن عمر رضي الله عنهم.

(٤) انظر: «الأضداد» لابن الأنباري (ص: ٢٧).

(٥) في (و): «التكثير».

ابن عيسى: لأنَّ القياسَ في جمع (قَرء) في القلَّة: أَفْعُلٌ لا أفعالٌ، فصار (أقراء) بمنزلة ما لا يُعتدُّ به[(١)].

﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ﴾ إبراهيم النَّخعيُّ: الحيض[(٢)].

قتادة: الحمل[(٣)].

ابن عمر والحسن: الحيض والحمل[(٤)].

لأنَّها تمنعُ الرَّجلَ حقَّ المراجعةِ بالكتمان، عن ابن عبّاسٍ[(٥)].

وقال قتادة: لأنَّها تنسبُ الولدَ إلى غيرِ والدِه[(٦)].

﴿إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾؛ أي: مَن كان يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخر فهذه صفتُه.

﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾: جمع بَعْلٍ، كالذُّكورةِ والعُمومةِ والخُؤولة، والبَعْلانِ

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢١٥) واستغربه.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٩١٠٦)، والطبري في «تفسيره» (٤/ ١٠٥).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٧٩)، والطبري في «تفسيره» (٤/ ١١١).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ١٠٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٤١٦) عن ابن عمر رضي الله عنهما، ولم أقف عليه عن الحسن.

(٥) هذا معنى قول ابن عباس رضي الله عنهما، كما في «تفسير الثعلبي» (٦/ ١٨٣)، و«البسيط» للواحدي (٤/ ٢١٦).

وقد رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ١١٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٤١٧)، ولفظ الطبري: «إذا طلق الرجل امرأته تطليقة أو تطليقتين وهي حامل فهو أحق برجعتها ما لم تضع حملها، وهو قوله: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾».

(٦) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٧٩)، والطبري في «تفسيره» (٤/ ١١١)، ولفظ الطبري: «كانت المرأة إذا طلقت كتمت ما في بطنها، وحملها لتذهب بالولد إلى غير أبيه، فكره الله ذلك لهن».

كـ «الزَّوجانِ»، والبِعالُ: المجامعةُ، والتَّبعُّلُ للمرأةِ: طاعةُ الزَّوجِ وأداءُ حقِّه، وأصلُه[١] السَّيِّدُ.

والمعنى: أنَّ الأزواجَ أحقُّ بردِّ نسائِهم المطلَّقاتِ إلى أنفسِهم، بل هم مندوبون إلى ذلك بقوله: ﴿فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ [البقرة: ٢٣١] الآية.

ومعنى ﴿أَحَقُّ﴾: تقديم حقِّه من المراجعةِ على حقِّها في مُلْك نفسِها.

وقيل: إذا تزوَّجَتْ قبل انقضاء العدّة فالزَّوجُ الأوَّلُ أحقُّ[٢].

﴿فِي ذَٰلِكَ﴾ قيل: في التَّربُّص، وقيل: في الحمل المكتوم، وقيل: في العدّة.

﴿إِنْ أَرَادُوٓاْ إِصْلَٰحًا﴾ لا إضرارًا.

﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ﴾؛ أي: لهنَّ من النَّفقةِ والمهرِ وحُسنِ العشرةِ وتركِ الضِّرار مثلُ الذي عليهنَّ من الأمرِ والنَّهي.

﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾؛ أي: لكلِّ واحدٍ منهما على الآخرِ ما لا ينكرُه الشَّرع والعقل.

﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾؛ أي: حقُّه عليها أقوى من حقِّها عليه، ويجوزُ أن يكونَ عامًّا في كلِّ شيءٍ من الميراثِ والجهادِ والصَّلاةِ وغيرِها.

﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾: منيعُ السُّلطانِ لا يُعترَضُ عليه في أمورِه.

﴿حَكِيمٌ﴾: واضعُ الأحكامَ موضعَ الصَّلاحِ والصَّواب.

* * *

---

(١) الهاء تعود على لفظ (بعل).

(٢) في (و): «فالزوج في ذلك أحق».

(٢٢٩) ـ ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾ عن هشامِ بنِ عروةَ عن أبيه عن عائشةَ: أنَّها أتَتِ امرأةٌ تسألُها عن شيءٍ من الطَّلاق قالت: فذكَرْتُ ذلك لرسول الله عليه السَّلام، فنزلَتْ هذه الآية(١).

وكان طلاقُ أهلِ الجاهليّة غيرَ محصورٍ، فحصرَ اللهُ الطَّلاقَ بقوله: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾؛ أي: عددُ الطَّلاقِ الذي تمكنُ معه الرَّجعةُ مرَّتان؛ إن فرَّقَ فسُنّة، وإن جمَعَ فواقعٌ.

﴿فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ﴾؛ أي: فإنْ راجعَها فعليه إمساكٌ بمعروفٍ بما ألفَتْه العقولُ وعرفَتْه النُّفوسُ.

﴿أَوۡ تَسۡرِيحُۢ﴾ وهو أنْ لا يراجعَها حتى تنقضيَ عدَّتُها.

﴿بِإِحۡسَٰنٖ﴾ وهو الإعفاءُ بالحقِّ من غير إحواجٍ إلى المطالبة.

---

(١) هذا اللفظ للحديث رواه ابن النجار كما ذكر السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٦٦٣)، وقد رواه الترمذي (١١٩٢) بإسنادين؛ أحدهما عن عائشة رضي الله عنها، والآخر عن عروة لم يذكر فيه عن عائشة رضي الله عنها، وقال: «هذا أصح»، والحديث بتمامه: «كان الناس والرجل يطلق امرأته ما شاء أن يطلقها، وهي امرأته إذا ارتجعها وهي في العدة، وإن طلقها مائة مرة أو أكثر، حتى قال رجل لامرأته: والله لا أطلقك فتبيني مني، ولا آويك أبداً، قالت: وكيف ذاك؟ قال: أطلقك، فكلما همَّت عدتك أن تنقضي راجعتك، فذهبت المرأة حتى دخلت على عائشة فأخبرتها، فسكتت عائشة، حتى جاء النبي ﷺ فأخبرته، فسكت النبي ﷺ، حتى نزل القرآن: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖ﴾، قالت عائشة: فاستأنف الناس الطلاق مستقبلاً؛ مَن كان طلق، ومَن لم يكن طلق».

والإحسانُ: فعلُ الحَسَنِ، والإجمالُ: فعلُ الجَميل، والإفضالُ: فعلُ الفَضْل.

وقيل: الإمساكُ هو المراجعة، والتَّسريحُ هو التَّطليقةُ الثّالثة؛ لِما روى أبو رَزِيْنٍ الأسديُّ قال: قال رجل: يا رسول الله، أرأيت قول الله: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾، فأين الثّالثة؟ قال: «التَّسريحُ بإحسانٍ»[1].

﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا﴾ هذا كقوله: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ﴾ [النساء: ٢٠] الآية.

﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ﴾: يظنّا ويعلما، يعني: الزَّوجين.

﴿أَلَّا يُقِيمَا﴾؛ أي: على النّكاح.

﴿حُدُودَ ٱللَّهِ﴾: أوامرَه ونواهيَه.

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ أيُّها الولاةُ ﴿أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾؛ أي: لا جناحَ عليها فيما افتدت، ولا عليه فيما أخذَه؛ يريد: في الخُلْع.

ابن عيسى: نزلَتْ في ثابت بن قيسٍ وزوجته، ردَّتْ عليه حديقَتَه وطلَّقها بإذن النَّبيِّ عليه السَّلام، قال: رواه ابن جريج[2].

---

(١) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٢٨٣)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٩٢١٦)، وأبو داود (٢٢٠)، والطبري في «تفسيره» (٤/ ١٣٠)، وهو حديث مرسل. ورُوي موصولًا من حديث أنس رضي الله عنه؛ رواه الداقطني في «سننه» (٣٨٨٩)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٤٩٩١)، وصوَّبا المرسل، وقال ابن القطان في «الوهم والإيهام» (٢/ ٣١٦): «وعندي أن هذين الحديثين صحيحان». وانظر: «التلخيص الحبير» لابن حجر (٣/ ٤٤٥).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ١٣٩) عن ابن جريج، وروى أصل الحديث البخاري (٥٢٧٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وليس فيه أن ذلك سبب نزول الآية.

وذهب ابن عبّاسٍ إلى أنَّ الفديةَ فسخٌ[١] مُستدِلًّا بقوله: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾؛ لأنَّ الفديةَ لو كان[٢] طلاقًا لكان هذه تطليقةً رابعةً.

غيرُه: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾: بالفدية أو بالتَّسريح.

أو هو[٣] اعتراضٌ، كما ذكرَ صاحبُ النَّظم[٤].

﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾: ما حَدَّ لكم من الإيلاءِ والطَّلاقِ والنِّكاح.

﴿فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾: لا تجاوزُوها بالمخالفة.

﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ﴾ بمخالفتِه[٥] ذلك، ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

وذهب صاحبُ النَّظم إلى أنَّ في الآية اعتراضًا، والتَّقدير: الطَّلاق مرَّتان فإمساكٌ بمعروفٍ أو تسريحٌ بإحسانٍ.

***

---

(١) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١١٧٦٧)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٨٤٥١)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٤٨٦٣)، ولفظ عبد الرزاق: «كان ابن عباس لا يرى الفداء طلاقًا حتى يطلق، ثم يقول: ألا ترى أنه ذكر الطلاق من قبله، ثم ذكر الفداء، فلم يجعله طلاقًا، ثم قال في الثانية: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾، ولم يجعل الفداء بينهما طلاقًا». وروى نحوه الإمام الشافعي في «الأم» (٥/ ١٢٢)، ورواه البيهقي من طريقه في «معرفة السنن والآثار» (١٤٥٨٦)، وروى عبد الرزاق في «المصنف» (١١٧٧٠) عن عكرمة ـ أحسبه ـ عن ابن عباس قال: «كل شيء أجازه المال فليس بطلاق؛ يعني: الخلع». وقد ذكر المصنف قول ابن عباس رضي الله عنهما في «غرائب التفسير» (١/ ٢١٦)، واستغربه.

(٢) كذا في النسخ الخطية، وإدخال تاء التأنيث في مثل هذه الحالة هو الشائع المعروف.

(٣) من قوله: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ﴾ إلى آخر الآية.

(٤) هو الحسين بن يحيى الجرجاني، وقد ذكر المصنف قوله هذا في «غرائب التفسير» (١/ ٢١٦)، وعدَّه من العجائب.

(٥) في (ن): «لمخالفته».

(٢٣٠) ـ ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾.

﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾؛ أي: المطلِّقُ اثنتين، وهي التَّطليقةُ الثّالثةُ.

مجاهدٌ: قولُه[1]: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ تفسيرٌ لقوله: ﴿أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖ﴾[2]؛ للخبر[3].

﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ﴾؛ أي: بعدَ الثّالثة.

﴿حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥ﴾: غيرَ المطلِّقِ ثلاثًا.

﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾؛ أي: الزَّوجُ الثّاني بعدَ المسيسِ بإجماعٍ، وأجازَ ابن المسيِّبِ بمجرَّدِ النِّكاح[4].

---

(١) «قوله»: ليس في (ن).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ١٦٨) بلفظ: «﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥ﴾ قال: عاد إلى قوله: ﴿فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖ﴾»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢١٦)، واستغربه.

(٣) أي: الخبر المتقدم عن أبي رزين، وقول مجاهد هذا صوَّبه الطبري في «تفسيره» (٤/ ١٦٨).

(٤) أكثر المفسِّرون من نقل هذا عن ابن المسيِّب؛ فذكره مكي بن أبي طالب في «الهداية» (١/ ٧٧١)، والماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٢٩٦)، وابن عبد البر في «الاستذكار» (٥/ ٤٤٧)، والمصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢١٦)، وعدَّه من العجائب.

إلا أن ابن كثير شكَّك في صحة هذا القول عن سعيد بن المسيب؛ لأنه روى ما يخالفه، وذكر عدة روايات من طريق سعيد بن المسيب على قول الجمهور، ثم قال: «فهذا من رواية سعيد بن المسيب عن ابن عمرو مرفوعاً على خلاف ما يُحكى عنه، فبعيد أن يخالف ما رواه بغير مستند، والله أعلم».

انظر: «تفسير ابن كثير» (١/ ٤٦٩).

لكن المؤلفين في مذاهب العلماء والإجماع والاختلاف نقلوا ذلك عن سعيد أيضاً، ونقلوا أن الإجماع على خلافه. انظر: «الإشراف على مذاهب العلماء» لابن المنذر (٥/ ٢٣٨)، و«نوادر =

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ﴾؛ أي: عليها[1] وعلى الزَّوجِ الأوَّل ﴿أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ﴾: أيقنا ﴿أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: يفهمون ما يُبيَّنُ لهم.

قال[2]: والفصلُ المعترضُ[3] بينهما هو قوله: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا﴾ [البقرة: ٢٢٩]، فبيَّنَ ما يحلُّ للزَّوج أخذُه من المختلعة وما لا يحلُّ.

وجمعَ ﴿لا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُواْ﴾، وثنَّى: ﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ﴾، ثم جمعَ: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ على تلوينِ الخطاب، قال الشّاعر:

أبا واصِلٍ فاكْسُوهُما حُلَّتَيْهِما ... فإنَّكُما إنْ تَفْعَلا فَتَيانِ[4]

***

= الفقهاء» للجوهري (ص: ٩٤)، و«المحلى» لابن حزم (٩/ ٤١٦)، و«الإقناع في مسائل الإجماع» لابن القطان (٢/ ٣٧).

وقال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٣٠٩): «رُوي عن سعيد بن المسيب أن العقد عليها يحلها للأول، وخُطِّئ هذا القول لخلافه الحديث الصحيح، ويُتأوَّل على سعيد ـ رحمه الله ـ أنَّ الحديث لم يبلغه، ولما رأى العقد عاملاً في منع الرجل نكاح امرأة قد عقد عليها أبوه، قاس عليه عمل العقد في تحليل المطلقة». والله أعلم.

(١) في (و): «عليهما».

(٢) «قال» من (ن).

(٣) في (ن): «المفترض».

(٤) لم أقف على مَن نسب هذا البيت، وقد ذكره بلا نسبة أبو بكر الأنباري في «شرح القصائد السبع» (ص: ١٦)، وأبو علي الفارسي في «كتاب الشعر» (ص: ٢٠٦)، والعوتبي في «الإبانة» (١/ ٣٤٢)، والواحدي في «البسيط» (٤/ ٢٣١)، وابن عصفور في «ضرائر الشعر» (ص: ٤٥)، وأبو حيان في «ارتشاف الضرب» (٥/ ٢٣٨٧). ووجه الشاهد: أنه نادى مفردًا «أبا واصل»، ثم جمع فقال: فاكسوهما، ثم ثنَّى فقال: فإنكما.

(٢٣١) ـ ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُواْۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًاۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾: قاربْنَ انقضاءَ عدتِهنَّ.

﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ سبق تفسيرُه.

﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا﴾: لا تراجعوهنَّ لتطوِّلوا عليهنَّ العدّة، و﴿ضِرَارًا﴾ من بابِ (عافاه الله)(٥).

﴿لِّتَعْتَدُواْ﴾؛ أي: لتقصدوا الاعتداء؛ وهو مجاوزةُ الحدِّ، ويُحتمَلُ أن تكونَ اللّامُ لامَ العاقبة.

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾: الإمساكَ للضِّرار، ﴿فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾: وضعَها في معصيةِ الله.

﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا﴾؛ أي: لا تستخِفُّوا بالقرآن.

وقيل: الإمساكُ والتَّسريحُ بغيرِ حاجةٍ اتِّخاذٌ لآياتِ اللهِ هزوًا.

وقيل: كان الرَّجلُ يطلِّقُ ويقول: إنَّما طلَّقْتُ وأنا لاعبٌ؛ يرجعُ فيها، فنزلَت: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا﴾(٦).

---

(٥) يعني أنَّ (ضراراً) مصدر (ضارَّ) على وزن فَاعَل، وهذا الوزن يقتضي المشاركة من اثنين، لكنَّ هذه الصيغة تأتي مجرَّدةً من معنى المشاركة، مثل: (عافاه الله) فإنها بمعنى جعله ذا عافية، وضرار الرجل للمرأة بمعنى: جعلها ذات ضرّ. انظر: «شرح الشافية» للرضي (١/ ٩٦ و٩٩).

(٦) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٨٤٠٦)، والطبري في «تفسيره» (٤/ ١٨٤) عن الحسن مرسلاً، ولفظ ابن أبي شيبة: «كان الرجل في الجاهلية يطلق ثم يرجع، يقول: كنت لاعباً، ويعتق، ثم يرجع =

﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بالإيمانِ.

﴿وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ﴾: القرآنِ وأحكامِه.

﴿وَالْحِكْمَةِ﴾: مواعظِ القرآنِ والفقهِ والسُّنَّةِ.

﴿يَعِظُكُم بِهِ﴾: وعظًا لكم وامتحانًا.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فيما امتحنكم به، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

* * *

(٢٣٢) - ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾؛ أي: انقضَتْ عدَّتُهنَّ.

﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾: لا تمنعوهنَّ. والعَضْلُ: المَنْعُ والشِّدَّةُ، ومنه: الدَّاءُ العُضالُ؛ للذي أعيى الطَّبيب، ومنه: عضلَتِ المرأةُ؛ إذا نشبَ ولدُها في بطنِها.

الخطابُ للأولياء.

نزلَتْ في مَعْقِلِ بن يسارٍ قال: كنْتُ زوَّجْتُ أختًا لي من رجلٍ فطلَّقها، حتى إذا انقضَتْ عدَّتُها جاء يخطبُها، فقلْتُ له[1]: زوَّجْتُك وأفرشْتُك وأكرمْتُك، فطلَّقْتَها،

= يقول: كنت لاعباً، فأنزل الله: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا﴾، فقال رسول الله ﷺ: «من طلَّق، أو حرَّر، أو أنكح، أو نكح، فقال: إني كنت لاعباً، فهو جائز»».

ورواه الطبراني كما في «مجمع الزوائد» (٤/ ٢٨٨) عن أبي الدرداء رضي الله عنه، وقال الهيثمي: «وفيه عمرو بن عبيد، وهو من أعداء الله»، وللحديث طرق ذكرها الحافظ ابن كثير في «تفسيره» (١/ ٦٣٠).

(١) في (ن): «لقد».

ثم جئتَ تخطبُها! لا واللهِ لا تعودُ إليها[١] أبدًا، قال: وكان رجلًا لا بأسَ به، وكانت المرأةُ تريدُ أن ترجعَ إليه، فأنزل الله هذه الآية، قال: فقلْتُ: الآن أفعلُ يا رسول الله، فزوَّجْتُها إيّاه[٢].

وقيل: الخطابُ للأزواج؛ أي: إذا طلَّقْتُم وانقضَتِ العدّةُ فلا تعضلوهنَّ من النِّكاح، فلم يبقَ لكم عليهنَّ سبيلٌ.

﴿أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ﴾: من أن ينكحْنَ أزواجَهنَّ؛ أي: الرِّجالَ الذين يصيرون لهنَّ أزواجًا، سُمُّوا بما يؤولُ إليه.

وعلى القول الأوَّل: أزواجهنَّ الذين كانوا، وسُمُّوا بما كانوا عليه.

﴿إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ﴾؛ أي: إذا كان ذلك تراضيًا بالتَّجديدِ للعقدِ والمهرِ والإشهاد.

﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: ما مضى ذكرُه، ووُحِّدَ حملًا على القَبيل[٣].

وقيل: هو خطابٌ للنَّبيِّ عليه السَّلام.

وقيل: لَمّا كان لمجرَّدِ[٤] الخطابِ جازَ توحيدُه.

---

(١) «إليها» من (ن)، وفي «البخاري»: «إليك».

(٢) رواه البخاري (٥١٣٠)، وانظر: «الوسيط» للواحدي (١/ ٣٣٩).

(٣) أي: قال: (ذلكَ) بخطاب المفرد، والمخاطب جماعة؛ لأن المخاطب (قبيل) ـ أي: نوع من الناس ـ ولفظه مفرد، وإن دلَّ على جماعة، وعبارة المصنِّف مستفادة من عبارة الزجاج، فإنه قال: «وإنما حقيقة (ذلك) و(ذلكم) مخاطبة الجميع، فـ(الجميعُ) لفظه لفظ واحد، فالمعنى: ذلكَ أيها القبيل يُوعظ به من كان منكم يؤمن بالله، وقوله عزَّ وجلَّ بعد هذا: ﴿ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ يَدُلُّ على أنَّ (ذلك) و(ذلكم) مخاطبة للجماعة». انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣١١).

(٤) في (ن): «بمجرد».

﴿يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾؛ أي: ما مضى ذكرُه من الزَّجر عن العَضْلِ والمضارّةِ من الأزواج والأولياء إنَّما يُخَصُّ بالوعظِ به والتَّخويفِ في مخالفة أمرِ الله فيه مَن كان يؤمن بالله؛ يصدِّقُ بوعدِه ووعيدِه ويصدِّق باليوم الآخر؛ لأنَّهم قدَّموا أصلَ الإيمان، فهم يعلمون وقوعَه.

وقيل: لأنَّ المواعظَ إنَّما تنجَعُ فيمن آمنَ بالله واليوم الآخر.

﴿ذَٰلِكُمْ﴾؛ أي: تركُ العَضْلِ والضِّرارِ ﴿أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾ من الفُرْقةِ، ﴿وَأَطْهَرُ﴾ من الرِّيبةِ، ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾ مصالحَ دينِكم ودنياكم، ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي: لا تعلمونها.

* * *

(٢٣٣) ـ ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ﴾: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ﴾ خبرٌ في معنى الأمر، وقيل: ليرضعْنَ.

والرَّضْعُ: مَسُّ الثَّدي لشُرْبِ اللَّبنِ، ومنه[1] تقول: رَضِعَ رَضْعًا، ورَضِعَ رَضاعةً[2]، وأرضعَتْهُ أمُّهُ إرضاعًا.

---

(١) في (و): «منه».

(٢) يُقال: رَضَعَ الصَّبيُّ يَرْضَعُ، ورَضِعَ يَرْضَعُ، رَضْعاً، ورَضَعاً، ورَضِعاً، ورِضَاعاً، ورَضَاعاً، ورِضاعةً، ورَضاعةً. انظر: «المحكم» لابن سيده (١/ ٤٠٦) مادة: (ر ض ع).

﴿حَوْلَيْنِ﴾: سنتين، مشتقٌّ من الانتقال، من قولِك: تحوَّلَ عن المكان، وقيل: من الانقلابِ، من قولك: حالَ الشَّيءُ عمّا كان.

﴿كَامِلَيْنِ﴾: تامَّين، قيَّدَ بالكمالِ لنفيِ المجاز؛ فإنَّك قد تقولُ: (أقمْتُ شهرَيْن) وأنتَ في الثّاني بعدُ.

وليسَ حكمُ الحولَيْن بلازمٍ عندَ ابن عبّاسٍ؛ لقوله: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥]، فإذا ولدَتْ لستّةِ أشهرٍ فحولان، وإن ولدَتْ لتسعةِ أشهرٍ فأحدٌ وعشرون شهرًا تكملةَ الثَّلاثين[١].

﴿لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾؛ أي: لمن أراد من الزَّوجين إتمامَ الرَّضاعةِ فأقصاهُ حولان.

وقيل: فوَّضَ الأمرَ إلى الأبوين، وذكرُ الحولَيْنِ ليس على التَّوقيتِ الواجب، وإنَّما هو لقطعِ المشاجرةِ بينَ الوالدَين، والفقهاءُ على أنَّه تجوزُ الزِّيادةُ والنُّقصان[٢].

﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ﴾: ﴿ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ﴾: الأب، وقيل: إنَّما قال: ﴿ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ﴾، ولم يقل: الوالد؛ لأنَّ الوالدَ قد لا تلزمُه النَّفقةُ في مسائل، والمولودُ له تلزمُه، وذلك إذا كان حرٌّ[٣] تحتَه أَمةٌ، فأتَتْ بولدٍ، فنفقتُه على مالكِ الأمِّ؛ لأنَّه المولودُ له

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٢٠١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٤٢٨)، ولفظ الطبري: «في التي تضع لستة أشهر أنها ترضع حولين كاملين، وإذا وضعت لسبعة أشهر أرضعت ثلاثة وعشرين لتمام ثلاثين شهرًا، وإذا وضعت لتسعة أشهر أرضعت واحدًا وعشرين شهرًا».

(٢) ذهب إلى هذا أبو حنيفة والشافعي، وذهب المالكية إلى وجوبه إلا على الشريفة، وتمسَّك أبو ثور وابن حزم بوجوب إجبار المرأة على رضاع ولدها؛ أحبَّت أو كرهت، أحبَّ زوجها أو كره، إلا المطلقة. انظر: «أحكام القرآن» لابن العربي (٤/ ٢٨٨)، و«المحلَّى» لابن حزم (٩/ ٢٧٥).

(٣) كذا في الأصول الخطية، وذلك على اعتبار (كان) تامة، و(حرٌّ) فاعل.

دونَ الوالد، وكذلك إذا كان عبدٌ تحتَه حرّةٌ فأتت بولدٍ، فوالدُه لا تلزمُه نفقتُه؛ فإنَّ العبدَ لا ملكَ له.

﴿رِزْقُهُنَّ﴾: رزقُ المرضعةِ وكسوتُها؛ يعني: المطلَّقة إذا أرضعَتْ.

وقيل: هي الأمُّ ذاتُ النِّكاح، لها نفقَتُها.

﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: أجرةِ المثل.

وقيل: ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: في مثلِها على مثلِه، من يسارٍ وإعسارٍ.

﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾: التَّكليفُ: إلزامُ ما يظهرُ أثرُه، من (الكَلَفِ)، وهو ظهورُ الأثر.

﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ﴾: مَن فتحَ فهو نهيٌ، ومن رفعَ فخبرٌ في معنى النَّهي(١).

ويحتمـلُ وزنُـه (تُفَاعِـل) بالكسـر، و(تُفاعَل) بالفتـح، ومعناهمـا واحدٌ؛ أي: لا يفعـلُ الأبُ بـالأمِّ ضِـرارًا بنزعِ الولـدِ عنها، ولا تفعـلُ الأمُّ الضِّرارَ بـالأبِ بإلقاءِ الولـدِ عليه.

﴿وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾ قيل: هو إشارةٌ إلى ترك المضارّة، وقيل: إلى النَّفقة والكسوة، وقيل: إليهما جميعًا.

والوارثُ: وارثُ الولد، وقيل: وارثُ الوالد، وقيل: هو المولودُ إذا ورِثَ مالًا.

وقيل: على الوارث؛ أي: سائر الورثة، والوارثُ مَن كان منهم ذا رحمٍ مُحرّمٍ(٢).

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿لَا تُضَآرَّ﴾ برفع الراء، والباقون بفتحها. انظر: «السبعة» (ص: ١٨٣)، و«التيسير» (ص: ٨١).

(٢) في (و) زيادة: «والميراث تركة الميت».

عمر: هم الرِّجالُ دونَ النِّساء(١).

قتادة: جميعُ ورثتِه من الرِّجال والنِّساء(٢).

وقيل: الأجدادُ ثمَّ الأمَّهات.

﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا﴾: فطامًا، ابن بحرٍ: مفاصلة الوالدين بالفُرقة(٣).

﴿عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ﴾ أي: اتَّفقا على فطامٍ قبل الحولين بعد أن يتشاوروا.

والتَّشاور: من (شُرْتَ العسلَ)؛ إذا استخرجتَه.

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾: فلا وِزْرَ عليهما فيه، والجُناحُ: الخروجُ والميلُ عن الاستقامة(٤).

﴿وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ﴾ أي: لأولادكم، أراد: غيرَ الأمَّهات؛ أي: الظِّئر.

---

(١) انظر: «الأم» للشافعي (٥/ ١١٣)، و«تفسير الثعلبي» (٦/ ٢٧٤)، وقد رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٨٨)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٩١٥٩)، والطبري في «تفسيره» (٤/ ٢٢٢)، ولفظ عبد الرزاق: «وقفُ بني عمٍّ على منفوسٍ كلالة بالنفقةِ عليه مثل العاقلة»، فقالوا: لا مالَ له، قال: «ولو يوقفهم بالنفقة عليه».

(٢) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٢١٨٣)، والطبري في «تفسيره» (٤/ ٢٢٥)، ولفظ الطبري: «على وارث المولود ما كان على الوالد من أجر الرضاع إذا كان الولد لا مال له؛ على الرجال والنساء على قدر ما يرثون».

(٣) ذكره المصنِّف بلا نسبة في «غرائب التفسير» (١/ ٢١٧)، واستغربه، وفي «البحر المحيط» لأبي حيان (٢/ ٥٠٧): «قال ابن بحر: الفصال: أن يفصل كل واحد منهما القول مع صاحبه بتسليم الولد إلى أحدهما، وذلك بعد التراضي والتشاور؛ لئلا يُقدم أحد الوالدين على ما يضر بالولد، فنبَّه تعالى على أن ما كان متهم العاقبة لا يُقدَم عليه إلا بعد اجتماع الآراء».

(٤) انظر: «جمهرة اللغة» لابن دريد (١/ ٤٤٢)، مادة: (ج ن ح).

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾: فلا بأسَ ولا إثمَ.

﴿إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم﴾؛ أي: إذا أدَّيتم أجرةَ المرضعةِ ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: على الوجهِ الجميل؛ وهو الإيفاءُ والإعفاء.

وقيل: إذا سلَّمتم للأمِّ ما استحقَّتْه.

﴿مَّآ ءَاتَيْتُم﴾ بالمد: أعطيتم، و﴿أتيتم﴾ بالقصر: «الحجّة»: أتيتم نَقدَه أو سَوقَه[1].

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في أوامره ونواهيه.

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: لا تخفى عليه أعمالُكم فهو يجازيكم عليها.

***

(٢٣٤) ـ ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ﴾؛ أي: يموتون، وسُمِّي الموتُ وفاةً؛ لأنَّ اللهَ يأخذُه إلى تدبيره سبحانَه بعدَ أنْ وكَلَه إلى اختياره، تقول: توفَّيْتُ الشَّيءَ واستوفيْتُه؛ إذا أخذْتَه وافيًا تامًّا.

﴿وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾؛ أي: يتركون، ولا يُستعمَلُ من هذا الفعل إلّا المضارعُ والأمرُ والنَّهي.

﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ﴾: خبرٌ معناه أمرٌ؛ أي: ينتظِرْنَ ويمكثْنَ.

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٢/ ٣٣٥)، و﴿أتيتم﴾ بالقصر هي قراءة ابن كثير. انظر: «السبعة» (ص: ١٨٣)، و«التيسير» (ص: ٨١). و(سَوقه) هنا من (ساق المهر)، كما في هامش «ن».

المبرِّد: العائدُ إلى المبتدأ(١) مضمَرٌ، تقديره: أزواجُهم يتربَّصْنَ(٢).

الأخفش: يتربَّصْنَ بعدَهم(٣).

الزَّجّاج: المضمرُ في ﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾ يعود إلى مضافٍ؛ أي: يتربَّصُ أزواجُهم(٤).

الكسائيُّ والفرّاء(٥): عدل إلى الإخبارِ عن الأزواج(٦).

﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾؛ أي: عشر ليالٍ؛ لأنَّ اللَّيلَ مقدَّمٌ على النَّهار، وهذه عدّةُ كلِّ متوفًى عنها زوجُها إلّا الحاملَ والأَمة.

ابن المسيَّب وأبو العالية: إنَّما زِيدَ على أربعةِ أشهرٍ عشرُ ليالٍ؛ لأنَّ الله ينفخُ في البدن الرُّوحَ في هذه العشر(٧).

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾: انقضَتْ عدَّتُهنَّ، والأجلُ: غايةُ الوقتِ في الموتِ وغيره.

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾: معاشرَ الحكّام وأولياءَ الزَّوج ﴿فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ﴾؛

---

(١) المبتدأ هو (الذين)، وجملة (يتربصن) هي الخبر، ولكن لا بد من تقدير ضمير عائد على المبتدأ.

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (٤/ ٢٥٩)، والجرجاني في «درج الدرر» (١/ ٤٠٢)، والراغب الأصفهاني في «تفسيره» (١/ ٤٨٦)، وقد ذكر الزجاج أن هذا قول البصريين جميعاً. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣١٤).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ١٨٩).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣١٥-٣١٦).

(٥) «والفراء» من (ن).

(٦) أي: أي أخبر عن الأزواج بما أغنى عن الإخبار عن الذين يتوفون. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ١٥٠)، وقد ذكره الواحدي في «البسيط» (٤/ ٢٥٩) عن الكسائي، والراغب الأصفهاني في «تفسيره» (١/ ٤٨٦) عن الكسائي والفراء، وأنكره الزجاج في «معاني القرآن» (١/ ٣١٥).

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٢٥٨) عنهما، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٤٣٧) عن أبي العالية، وذكره عن ابن المسيب، وذكره المصنِّف في «غرائب التفسير» (١/ ٢١٧)، واستغربه.

أي: فـي أن تتركوهـنَّ ليتزوجْنَ ويتزيَّـنَّ ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ زينـةً لا يُنكَر مثلُها.

﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾؛ أي: عالمٌ.

ابن عيسى: اشتقاقُه من (الخَبار)؛ وهو الأرضُ السَّهلة(١).

وهذه الآيةُ ناسخةٌ بقولِه: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾ وإنْ تقدَّمَ في التِّلاوة(٢).

* * *

(٢٣٥) ـ ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَن تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: ولا وزرَ عليكم.

﴿فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾: ضَمَّنْتُم الكلامَ(٣) دلالةً على شيءٍ من الخِطبة.

ابن عيسى: التَّعريضُ: تضمينُ الكلامِ دلالةً على شيءٍ ليسَ فيه ذكرٌ له(٤)، نحو: ما أقبح البخل؛ يعرِّضُ بأنَّه بخيلٌ(٥).

---

(١) انظر: «العين» (٤/ ٢٥٨)، مادة (خ ب ر)، و«تاج العروس» (١١/ ١٢٧).

(٢) والآية المنسوخة هي قوله: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾، وهي متأخرة في التلاوة، لكنها متقدمة في النزول بإجماع المفسرين، وقد رأى المصنف في هاتين الآيتين دليلاً على إعجاز القرآن الكريم. انظر: «البرهان» للمصنف (ص: ٨٦ ـ ٨٧)، و«تفسير الماتريدي» (٢/ ١٨٥)، و«النكت والعيون» للماوردي (١/ ٣٠٣).

(٣) في (و): «والكلام».

(٤) «له» من (ن).

(٥) «بخيل»: ليس في (و).

قال: والكنايةُ: العدولُ عن[١] الاسمِ المخصوصِ بالشَّيءِ إلى ذكرٍ يدلُّ عليه؛ نحو: زيدٌ ضربتُه[٢].

والخِطبةُ: طلبُ النِّكاحِ[٣] في عقدِ النِّكاح.

والخُطبةُ: خطابٌ بالزَّجرِ والوعظِ على تأليفٍ مخصوصٍ.

ابن عيسى: أصلُ الباب من (الخِطاب)، وهو توجيهُ الكلامِ بالاختصاصِ للإفهام[٤].

﴿أَوۡ أَكۡنَنتُمۡ﴾: أضمرتم ﴿فِيٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ من (كننْتَ[٥] الشَّيء): سترتَه وصُنْتَه.

والمعنى: لا جُناحَ عليك أن تضمِرَ في نفسِكَ تزوُّجَها إذا انقضَتْ عدَّتُها، ولا في أنْ تُعرِّضَ لها؛ نحو أن تقول: إن قضى الله أمرًا كان كذا[٦]، وإنَّك لجميلة، ومن عزمي أن أتزوَّج.

﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ سَتَذۡكُرُونَهُنَّ﴾؛ أي: يخطرُ ببالِكم تزوُّجهنَّ.

﴿وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ نكاحًا.

الزَّجّاج: هو كنايةٌ عن الجماع[٧].

---

(١) في (ن): «على».

(٢) ذكر الواحدي نحو هذا الكلام في المفارقة بين الكناية والتعريض دون نسبة في «البسيط» (٤/ ٢٦٩ ـ ٢٧٠)، إلا أنه قال في مثال الكناية: «رأيته وضربته، من غير أن تذكر اسمه»، وانظر: «الطراز لأسرار البلاغة» للمؤيد بالله (١/ ٢٠٠).

(٣) في (ن) زيادة: «هي خطاب».

(٤) انظر: «معجم مقاييس اللغة» لابن فارس (٢/ ١٩٨) مادة: (خ ط ب).

(٥) في (ن): «أكننت».

(٦) «كذا» من (ن).

(٧) في (و): «النكاح». انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣١٨)، وفيه: «قال أبو عبيدة: السر الإفصاح =

ابن جرير: هو الزِّنا[1].

«الحجّة»: لا تصرِّحوا للمعتدّةِ بلفظ النِّكاح والتَّزوُّج، ولكن عرِّضوا به[2].

الفرّاء: لا يصِفَنَّ أحدُكُم نفسَه للمرأة في عدَّتِها بالإكثار من الجِماع[3].

وقيل: لا تواعدوهنَّ سرًّا ما نُهيتم عنه جهرًا.

﴿إِلَّآ أَن تَقُولُواْ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا﴾: ما يُعرَفُ من فحواه أنَّه ليس بتصريحٍ.

و﴿سِرًّا﴾: حال؛ أي: مُسِرِّين، ويجوزُ أن يكونَ المفعولَ الثّاني لـ(واعد).

﴿وَلَا تَعۡزِمُواْ عُقۡدَةَ ٱلنِّكَاحِ﴾ الجمهورُ: ولا تعزموا على عقدة النِّكاح[4].

ويُحتمَل: ولا تباشروا عقدةَ النِّكاح، ولهذا حذفَ (على)[5]، ألا ترى أنَّه رخَّصَ[6] في الإكنان، والعزمُ إكنانٌ، والإكنانُ عزمٌ، وإنَّما منعَ مباشرةَ العقدة[7].

= بالنكاح... وقال غيره: كأن السر كناية عن الجماع، كما أن الغائط كناية عن الموضع، وهذا القول عندي صحيح».

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٤/ ٢٧٨)، وفيه: «وأولى الأقوال بالصواب في تأويل ذلك، تأويل مَن قال: السرُّ في هذا الموضع الزنا».

(٢) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٢/ ٦٤).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ١٥٣)، وفيه: «لا يصفن أحدكم نفسه في عدتها بالرغبة في النكاح والإكثار منه».

(٤) في (ن) زيادة: «فحذف».

(٥) «على»: ليس في (ن).

(٦) في (و): «حذف».

(٧) يدلُّ كلامه هنا على ميله لهذا القول، لكنه ذكره في «غرائب التفسير» (١/ ٢١٨)، واستغربه، واستغرابه يرجع إلى مخالفته قول الجمهور، أما ميله إليه هنا فيدلُّ على وجهة نظره الخاصة.

وقال ابن جريرٍ: لا تُصحِّحوا عقدةَ النِّكاح(١).

وقيل: لا تعقدوا عقدةَ النِّكاح.

وعقدةُ كلِّ أمرٍ: إيجابُه، وأصلُه: الشَّدُّ.

﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ﴾ الزَّجّاج: يبلغ فرضُ الكتابِ أجلَه(٢).

ويجوزُ أن يكونَ (الكتابُ) هو الفرض.

ويجوزُ أن يكونَ على التَّشبيهِ بكتابِ الدَّين؛ والمعنى: حتى تنقضيَ عدَّتُها.

﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ﴾ ولا تُضمِروا ما لا يرضاه.

﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾: لا يعجِّلُ(٣) بالعقوبة.

* * *

(٢٣٦) ـ ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ﴾؛ أي: تجامعوهنَّ، من قوله: ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ﴾، وقُرِئ: ﴿تُمَاسُّوهُنَّ﴾(٤)، من قوله: ﴿أَن يَتَمَآسَّا﴾.

﴿أَوْ تَفْرِضُوا۟﴾: تُعيِّنوا ﴿لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾: مهرًا، و﴿أَوْ﴾ بمعنى الواو.

ابن عيسى: فرضتم لهنَّ أو لم تفرضوا(٥).

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٤/ ٢٨٣)، وتتمة كلامه يوضِّح المراد فقد قال: «ولا تصححوا عقدة النكاح في عدة المرأة المعتدة، فتوجبوها بينكم وبينهن، وتعقدوها قبل انقضاء العدة».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣١٨).

(٣) في (و): «لا تعجلوا».

(٤) هي قراءة حمزة والكسائي. انظر: «السبعة» (ص: ١٨٤)، و«التيسير» (ص: ٨١).

(٥) ذكره دون نسبة الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٣١٢)، والماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٣٠٥)، =

و(ما) للمدّة.

وقيل: هو للشَّرط[1].

وقيل: هو الموصولة[2]، والمعنى: النِّساء اللَّواتي لم تمسوهنَّ، والمعنى: لا جُناحَ في طلاقها أيَّ وقتٍ كانَ، بخلافِ المدخول بها.

والمطلَّقاتُ أربعٌ:

ـ مطلَّقةٌ مدخولٌ بها مفروضٌ لها، وقد سبق.

ـ ومطلَّقةٌ غيرُ مدخولٍ بها ولا مفروضٍ لها، وهي هذه.

ـ ومطلَّقةٌ مفروضٌ لها[3] غيرُ مدخولٍ بها، يأتي ذكرُها عقيبَ هذه الآية: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ [البقرة: ٢٣٧].

ـ ومطلَّقةٌ مدخولٌ بها غيرُ مفروضٍ لها، ذُكِرَتْ في قوله: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ [النساء: ٢٤].

﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾ ابن المسيِّب ومجاهدٌ: المتعةُ للتي لم يُسمَّ لها صَداقٌ[4].

الحسن وأبو العالية: المتعةُ لكلِّ مطلَّقة[5].

= والواحدي في «البسيط» (٤/ ٢٧٩).

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢١٨)، وعدَّه من العجائب.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢١٨)، واستغربه.

(٣) «غير مدخول بها ولا مفروض لها وهي هذه ومطلقة مفروض لها» من (ن).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» عن سعيد بن المسيب (٤/ ٢٩٦)، وعن مجاهد (٤/ ٣٠٥)، وعن ابن عباس رضي الله عنهما (٤/ ٢٩٠)، وعقد ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٤/ ١٣٩) باباً فيما قالوا في الرجل يطلق ولم يدخل، ورواه عن ابن عباس رضي الله عنهما وشريح وابن مغفل والشعبي وإبراهيم وحماد.

(٥) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٨٧٠٠، ١٨٧٠١)، والطبري في «تفسيره» (٤/ ٢٩٤).

والصَّحيحُ الأوَّلُ؛ لأنَّه يجبُ عليه فحسب.

﴿عَلَى ٱلْمُوسِعِ﴾: الذي في سَعةٍ مِن غناه ﴿قَدَرُهُۥ﴾ ابن عبّاسٍ: خادمٌ أو كسوةٌ أو وَرِقٌ[(١)].

غيرُه: قدرُ النِّصفِ من صداقِ مثلِ[(٢)] تلك المرأة.

﴿وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ﴾؛ أي: المقلِّ، والإقتارُ: الإقلالُ.

﴿قَدَرُهُۥ﴾ السُّكونُ والحركةُ لغتان[(٣)]؛ ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا﴾ [الرعد: ١٧]، و﴿أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: ١].

﴿مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ حالٌ من (القدر).

﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: المسلمين.

و﴿حَقًّا﴾: نصبٌ على المصدر؛ أي: حُقَّ حقًّا، ويجوزُ أن يكون تأكيدًا لجملةِ الكلام.

ابن عيسى: على الحالِ من[(٤)] (بالمعروف)[(٥)].

***

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٢٩٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٤٤٣)، ولفظ الطبري: «إن كان موسرًا متعها بخادم أو شبه ذلك، وإن كان معسرًا متَّعها بثلاثة أثواب أو نحو ذلك».

(٢) «مثل» من (ن).

(٣) قرأ حفص وابن ذكوان وحمزة والكسائي: ﴿قَدَرُهُۥ﴾ في الموضعين بفتح الدال، والباقون بإسكانها. انظر: «السبعة» (ص: ١٨٤)، و«التيسير» (ص: ٨١).

(٤) «من» من (ن).

(٥) أي: عرف ذلك حقاً، وقد ذكر المصنِّف هذا القول بلا نسبة في «غرائب التفسير» (١/ ٢١٨).

(٢٣٧) ـ ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾: تجامعوهنَّ، ﴿وَقَدْ فَرَضْتُمْ﴾: عيَّنتم ﴿لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾: مهرًا، ﴿فَنِصْفُ﴾؛ أي: فعليكم نصفُ[1] ﴿مَا فَرَضْتُمْ﴾، والنِّصفُ: الجزءُ من اثنين.

﴿إِلَّآ أَن يَعْفُونَ﴾: إلّا أن تتركَ المرأةُ ما يجبُ لها من نصفِ صَداقها.

﴿أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾ فيُكمِلَ لها المهرَ.

وهو الزَّوج عند الجمهور[2]، وقال علقمة والحسن: هو الوليُّ[3].

﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟﴾ ابن عبّاسٍ: الخطابُ للرَّجلِ والمرأة[4].

الشَّعبيُّ: للزَّوجِ وحدَه[5]. وجَمَعَ لأنَّه لكلِّ زوجٍ.

﴿أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾: أدعى إلى اتِّقاء معاصي الله.

وقيل: لاتِّقاء ظلمِ كلِّ واحدٍ صاحبَه.

---

(١) «نصف» من (ن).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٦٩٨٣ ـ ١٦٩٩٥)، والطبري في «تفسيره» (٤/ ٣٢٤ ـ ٣٢٩) عن عدد من المفسرين.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٦٩٩٧) عن الحسن، و(١٦٩٩٨) عن علقمة، والطبري في «تفسيره» (٤/ ٣١٨) عن علقمة، و(٤/ ٣٢٠) عن الحسن.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٣٣٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٤٤٥)، ولفظهما: «أقربهما للتقوى الذي يعفو».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٣٣٧)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٣٠٧).

﴿وَلَا تَنسَوُا ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾؛ أي: لا تتركوا الفضلَ تَرْكَ مَنْ قد نسيَه.

والفَضْلُ: هو الإفضالُ، وهو فعلُ ما ليس بواجبٍ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازيكم على إحسانكم.

* * *

(٢٣٨) ـ ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾.

﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾: دوموا عليها. والحفظُ: خلافُ النِّسيان.

ابن عيسى: أصلُ الباب حفظُ الشَّيء في النَّفس، و(فَاعَلَ) إذا استُعملَ من واحدٍ تضمَّنَ مبالغةً؛ لأنَّ البناءَ لتكرُّر الفعل.

﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾: هي داخلةٌ في الصَّلوات، وأُفردَتْ لفضلِها على سائرها، ولأنَّ المحافظةَ عليها أشدُّ.

ابنُ عبّاسٍ وعليٌّ والحسن: هي صلاةُ العصر؛ لأنَّها بين صلاتَي اللَّيل وصلاتَي النَّهار(١).

ابنُ عمرَ: هي الظُّهرُ(٢)؛ لأنَّها وسطَ النَّهار.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٣٤٣ ـ ٣٤٧). وذكره الإمام مالك في «الموطأ» (١/ ١٣٩) بلاغًا عن علي وابن عباس رضي الله عنهم.
وروى البخاري (٢٩٣١)، ومسلم (٦٢٧) عن علي رضي الله عنه قال: لما كان يوم الأحزاب قال رسول الله ﷺ: «ملأ الله بيوتهم وقبورهم نارًا، شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس»، وفي رواية مسلم: «عن الصلاة الوسطى؛ صلاة العصر».

(٢) في (و): «الظهيرة». رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٢١٩١)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٨٦١٦). ورواه الإمام مالك في «الموطأ» (١/ ١٣٩) عن زيد بن ثابت رضي الله عنه.

قبيصةُ بن ذُؤيبٍ(١): هي المغربُ؛ لأنَّها الوسطى في الطُّول والقصر، ولأنَّها بين اللَّيل والنَّهار(٢).

جابر بن عبد الله: هي صلاةُ الفجر(٣)؛ لأنَّها بين الظَّلام والضِّياء.

وتَحتمِلُ العشاءَ الآخرة؛ لأنَّها توسَّطَتْ صلاتي طرَفَي اللَّيل(٤).

وأصلُه(٥): التَّعديلُ بين شيئين.

﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ ابن عبّاسٍ: ساكتين، نُهوا بذلك عن الكلامِ في الصَّلاة(٦).

مجاهدٌ: خاشعين(٧)، نُهوا عن العبثِ واللَّعبِ فيها.

---

(١) «قبيصة بن ذؤيب» من (ن).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٣٦٧) بلفظ: «الصلاة الوسطى صلاة المغرب، ألا ترى أنها ليست بأقلها ولا أكثرها، ولا تُقصَر في السفر، وأن رسول الله ﷺ لم يؤخرها عن وقتها ولم يعجلها».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٣٧٠).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢١٩)، واستغربه.

(٥) أي: أصل الوسط.

(٦) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١٧٧٦)، والضياء المقدسي في «المختارة» (١٢/ ٨٨)، ولفظ الطبراني: «كانوا يتكلمون في الصلاة؛ يجيء خادم الرجل إليه وهو في الصلاة، فيكلمه في حاجته، فنهوا عن الكلام»، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٣٢٠): «رواه الطبراني، رجاله رجال الصحيح».

(٧) رواه المروزي في «الصلاة» (١٣٨)، والطبري في «تفسيره» (٤/ ٣٨١ ـ ٣٨٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٤٤٩)، ولفظ المروزي: «فمن القنوت الركود والخشوع، وغض البصر، وخفض الجناح من رهبة الله عز وجل، كان إذا قام أحدهم يصلي يهاب الرحمن أن يشد بصره إلى شيء، أو يلتفت، أو يقلب الحصى، أو يعبث بشيء، أو يحدث نفسه من شأن الدنيا إلا ناسيا، ما دام في صلاته».

وقيل: داعين.

وعن ابن عبّاسٍ أيضًا: أنَّ الصَّلاةَ الوسطى: صلاةُ الفجر، والقانتين: الدّاعين فيها بالقنوت[1].

وقيل: عابدين.

ابن عيسى: أصلُ القُنوتِ: الدَّوامُ على أمرٍ واحدٍ[2].

***

(٢٣٩) ـ ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾؛ أي: فإن كنتم في الحربِ وخفتم الأعداءَ.

﴿فَرِجَالًا﴾؛ أي: فصلُّوا رجالًا، وهي جمعُ (راجلٍ)، ويُحتمَل أن تكونَ جمعَ (رَجِلٍ)، و(رَجْلٌ) جمع (راجلٍ)؛ وهو الذي يمشي على رِجلِه أو يقوم عليها.

﴿أَوْ رُكْبَانًا﴾: جمع راكبٍ، كفارس وفرسان، والرُّكوبُ: علوُّ النَّسمة.

﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ﴾؛ أي: من العدوِّ ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ﴾؛ أي: صلُّوا له صلاةَ الآمنِ كما علَّمكم؛ أي: اذكروه بالثَّناءِ والحمدِ له.

﴿كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ﴾ من أمر دينكم؛ أي: ذِكرًا يُوازي ذلك.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٣٦٧ـ٣٦٨) بروايات متعددة، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (١٠١١)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢١٩) وعدَّه من العجائب، ولفظ الطحاوي: «عن أبي رجاء قال: صليت خلف ابن عباس رضي الله عنهما الغداة فقنت قبل الركوع، وقال: هذه الصلاة الوسطى».

(٢) ذكره الرازي في «مفاتيح الغيب» (٦/ ٤٨٨).

(٢٤٠) ـ ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم﴾؛ أي: عليهم وصيّةٌ. وقيل: لهنَّ عليهم وصيةٌ. وقيل: وصيةٌ من الله لأزواجهم. وقيل: كُتِبَ عليهم وصيّةٌ.

ومَن نصب[1]؛ أي: فليوصوا وصيّةً. وقيل: كَتَبَ الله عليهم وصيّةً.

﴿مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ﴾؛ أي: توصون بأن يمتَّعْنَ متاعًا.

الزَّجّاج: ومتعوهنَّ متاعًا إلى الحول[2].

﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ المعنى: للمتوفَّى عنها وصيّةٌ بالسُّكنى والنَّفقة، متاعٌ لهنَّ إلى الحول، إلّا أن تختارَ الخروجَ، فلا تُكرَهُ على الإقامة.

وهذه الآية منسوخةٌ بالآية التي تقدَّمَتْ، وهي قوله: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٤][3]، وبآيةِ المواريث، والتَّقديمُ والتَّأخيرُ وقَعا في التِّلاوةِ لا في النُّزولِ.

وقيل: هي ثابتةٌ رخصةً لمن أُوصِيَ لها بالإقامة حولًا[4].

---

(١) قرأ نافع وابن كثير والكسائي بالرفع، وباقي السبعة بالنصب. انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٨١).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣١٩)، وقال: «وهذا منسوخ بإجماع، نسخه ما قبله».

(٣) روى البخاري في «صحيحه» (٤٥٣٠) عن ابن أبي مليكة: «قال ابن الزبير: قلت لعثمان بن عفان: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٠] قال: قد نسختها الآية الأخرى، فلم تكتبها؟ أو تدعها؟ قال: يا ابن أخي لا أغيِّر شيئاً منه من مكانه».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٢٠) عن ابن بحر، وعدَّه من العجائب.

﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾؛ أي: من عند أنفسهنَّ من غير إخراجٍ، ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ﴾ من النِّكاح ﴿مِن مَّعْرُوفٍ﴾ على ما أمرَ[1] الله به من المناكح.

﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ يشرعُ لعبادِه ما يشاء.

* * *

(٢٤١) ـ ﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾.

﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ قيل: هي منسوخةٌ كالتي تقدَّمت.

وقيل: المرادُ به المطلَّقةُ غيرُ المدخولِ بها المفروضُ لها.

وقيل: هي المطلَّقةُ التي تملكُ مراجعتها؛ فإنَّ لها عليه نفقةَ العدَّة.

عمر رضي الله عنه: هي واجبةٌ لجميع المطلَّقات[2].

قال ابن زيد: لَمّا نزلَ قولُه: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾ وختمَ الآية بقوله: ﴿حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٦] قيل: إنْ أحسنْتُ فعلْتُ، وإنْ لم أردْ لم أفعلْ، فأنزل الله: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾[3]؛ يعني: المؤمنين الذين يتَّقون الشِّرك.

* * *

---

(١) في (ن): «أمره».

(٢) هذا مستفاد من اعتراض عمر رضي الله عنه على رواية فاطمة بنت قيس رضي الله عنها في «صحيح مسلم» (١٤٨٠)، وقد روى الإمام مالك في «الموطأ» (٢/ ٥٧٣)، وعبد الرزاق في «مصنفه» (١٢٢٢٤)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٨٦٩٩)، والطبري في «تفسيره» (٤/ ٢٩٦) عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: «لكل مطلقة متعة إلا التي تطلق قبل أن يدخل بها، وقد فرض لها، فلها نصف الصداق، ولا متعة لها».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٤١١)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٤٣٧)، والماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٣١١).

(٢٤٢) ـ ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ من الإيلاءِ والنِّكاحِ والطَّلاقِ وغيرها.

﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾؛ أي: عن اللهِ أوامرَه.

***

(٢٤٣) ـ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ﴾ الزَّجّاج: ألم ينتهِ علْمُكَ إليهم(١)، قال: ولهذا عُدِّيَ بـ(إلى)(٢).

وقيل: تقديره: أما رأيتَ العجائبَ حتى انتهى بك الرُّؤيةُ إلى هذا.

﴿خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ﴾ كانت قريةً يُقالُ لها: داوَرْدان قِبَلَ واسط، فظهر بها وباء وطاعونٌ، فخرج منها جماعة ﴿وَهُمْ أُلُوفٌ﴾: جمع (أَلْفٍ)، وقيل: جمع (إِلْفٍ)؛ أي: جدٌّ مُؤتلفين(٣).

ابن عبّاسٍ: كانوا أربعةَ آلاف(٤).

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣٢٢).

(٢) انظر: «الكشاف» للزمخشري (١/ ٥١٥).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٢٠) واستغربه، وقال الطبري في «تفسيره» (٤/ ٤٢٣): «وأولى القولين في تأويل قوله: ﴿وَهُمْ أُلُوفٌ﴾ بالصواب، قول من قال: عنى بالألوف كثرة العدد، دون قول من قال: عنى به الائتلاف، بمعنى ائتلاف قلوبهم، وأنهم خرجوا من ديارهم من غير افتراق كان منهم، ولا تباغض، ولكن فراراً؛ إما من الجهاد، وإما من الطاعون؛ لإجماع الحجة على أن ذلك تأويل الآية، ولا يعارض بالقول الشاذ ما استفاض به القول من الصحابة، والتابعين».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٤١٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٤٥٦)، والحاكم في =

عطاءٌ الخراساني: ثلاثةَ آلاف[١].

مقاتلٌ: ثمانيةَ آلاف[٢].

أبو روق: عشرةَ آلافٍ[٣].

أبو مالك: ثلاثين ألفًا[٤].

ابن جريج: أربعين ألفًا[٥].

عطاء بن أبي رباحٍ: سبعين ألفًا[٦].

وقوله: ﴿وَهُمْ أُلُوفٌ﴾ يدلُّ على الكثير؛ لأنَّه جمع الكثرة، وجمعُ القلّةِ (آلافٌ)، وجاء (آلُفٌ) أيضًا.

﴿حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾؛ أي: خرجوا خوفًا من أن يموتوا بالطّاعون، فلمّا توسَّطوا بلادَ العراق أماتهم الله، فمكثوا موتى ثمانيةَ أيّام.

= «المستدرك» (٣١١٣)، وصححه الحاكم على شرط الشيخين، وقال الذهبي: «ميسرة النهدي لم يرويا له».

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٤١٨)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٤٤٥).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٢٠٢).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٤٤٦)، والجرجاني في «درج الدرر» (١/ ٤١٣).

(٤) رواه الطبري في «تاريخه» (١/ ٤٥٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٤٥٦) من طريق السدي عن أبي مالكٍ بلفظ: «كانوا بضعة وثلاثين ألفًا». ورواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٤١٦) عن السدي.

(٥) ذكره النحاس في «معاني القرآن» (١/ ٢٤٦)، والثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٤٤٧)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٤١٨) عن ابن جريج عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٤٤٧)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٢١٩)، وفيهما: «تسعين ألفًا». وذكره البغوي في «تفسيره» (١/ ٢٩٣)، والقرطبي في «تفسيره» (٣/ ٢٣١)، وفيهما: «سبعين ألفًا».

وهو قوله: ﴿فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ﴾؛ أي: أماتهم. وقيل: نادى ملكٌ من السَّماء: أنْ موتوا، فماتوا، فخرجَ خلفَهم نبيٌّ لهم.

قتادة: هو يوشعُ بن نونٍ(١).

وقيل: سمعون.

السُّديُّ: سُمِّي سمعون؛ لأنَّ الله سمعَ دعاءَ أمِّه(٢).

وقيل: حزقيل، وهو ابن العجوز.

وهبٌ: اسمه أشمويل(٣).

فلمّا لحقهم وقد ماتوا، تضرَّعَ إلى الله وسألَه إحياءَهم، فأجابه الله سبحانه فأحياهم، وعاشوا حتى أنسلوا(٤)، يعرفون أنَّهم كانوا موتى، سِحْنةُ الموتِ على وجوههم، لا يلبسون ثوبًا إلّا عادَ دَسْمًا مثل الكفن، حتى ماتوا لآجالهم التي كُتِبَتْ لهم(٥).

ابن عبّاسٍ: يوجدُ اليومَ في ذلك السِّبط من اليهودِ تلك الرِّيح(٦).

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٠٦)، والطبري في «تفسيره» (٤/ ٤٣٧)، ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٤٦٣).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٤٣٦)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٢١) دون نسبة.

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٢٧) (١/ ٣٦٤)، والطبري في «تفسيره» (٤/ ٤٣٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٤٦٣). وفي (و): «شمويل».

(٤) في (ن): «أنسلوا».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٤١٧)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٤٥٣) واللفظ له عن مجاهد.

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٤١٨)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٤٥٤).

قال الزَّجّاجُ والضَّحّاكُ في جماعة: إنَّهم فروا من الجهاد خوفًا من القتل في الحرب، فأماتهم الله ثمانيةَ أيّام عقوبةً لهم(١).

﴿ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ بدعاء نبيِّهم معجزةً له، ولهذا رُدُّوا إلى القتال بعد الإحياء.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾: ذو مَنٍّ، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾.

* * *

(٢٤٤) ـ ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ هذا خطابٌ لأُمَّةِ محمَّدٍ عليه السَّلام.

وقيل: خطابٌ للذين أُحيوا.

* * *

(٢٤٥) ـ ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

﴿مَنْ ذَا الَّذِي﴾ هذا لفظٌ يدلُّ على المسارعةِ والسَّبق.

﴿يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا﴾ سمَّى ما ينفقونه قرضًا؛ لأنَّ القرضَ بدلُ ما يجبُ فيه من المِثل، فنبَّههم الله بذلك على أنَّه لا يَضيعُ عنده.

﴿حَسَنًا﴾: حلالًا على طيبةٍ من(٢) النَّفسِ غيرَ مُجحفٍ بعيالِه، وهو النَّفقةُ في الجهاد.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣٢٢ـ٣٢٣)، وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٤٥٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «قوله: ﴿حَذَرَ الْمَوْتِ﴾: فرارًا من عدوهم»، ثم قال: «وروي عن الضحاك ومطر أنهم فروا من الجهاد». وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٤٤٣) عن الضحاك ومقاتل والكلبي.

(٢) «من» من (ن).

وقيل: هو النّافلةُ.

وقيل: هو عامٌّ، ما لم يكن رياءً ولا سُمعةً.

قال ابن عيسى: أصلُ القرضِ: القطعُ بالنّاب[(1)].

﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ﴾؛ أي: يَضمُّ إليه مثلَه.

الرَّفعُ على العطفِ على الصِّلة، أو الاستئناف؛ لأنَّ الاستفهامَ وقعَ عن المقرَض، والنَّصبُ على الحملِ على المعنى، وجعلِ الفاءِ جوابَ الاستفهام[(2)].

و(المضاعفةُ) أكثرُ من (التَّضعيف).

﴿أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗ﴾ قيل: هي سبعمئة.

وقيل: الكثيرُ غيرُ محدودٍ؛ لأنَّ ما لا ينقطعُ لا يدخلُ تحت الحدِّ[(3)].

﴿وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ﴾: يُضيِّقُ ويُوسِّعُ.

وقيل: يقبضُ الصَّدقات، ويبسطُ بالخُلْفِ في الدُّنيا والثَّوابِ في العُقْبى.

وقيل: يَقبلُ ويجازي.

وقيل: هو من ضيقِ الصَّدرِ وسَعتِه.

﴿وَإِلَيۡهِ﴾: إلى الله ﴿تُرۡجَعُونَ﴾، فيجازيكم على أعمالكم.

وقيل: إلى الثَّواب ترجعون.

* * *

---

(١) وذكره صاحب «العين» (٥/ ٤٩) بلا نسبة.

(٢) قرأ عاصم وابن عامر بنصب الفاء، والباقون برفعها، وقرأ ابن كثير وابن عامر: ﴿فيضعِّفه﴾ بتشديد العين مع حذف الألف. انظر: «السبعة» (ص: ١٨٤)، و«التيسير» (ص: ٨١).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٢١) دون نسبة.

(٢٤٦) - ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ﴾: هم الجماعةُ الأشرافُ الذين ليس على شرفِهم مزيدٌ، واشتقاقه: من (ملأْتُ)؛ أي: يملؤون القلوبَ جلالةً ومَهابةً.

وقيل: مَليؤون بما يُعصَّبُ بهم من عظائمِ الأمور.

﴿مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: (مِن) للتَّبعيض.

﴿مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ﴾؛ أي: من[1] بعدِ موتِه، و(مِن) لابتداء الغاية.

﴿إِذْ قَالُوا۟﴾: حين قالوا ﴿لِنَبِىٍّ لَّهُمُ﴾ اختلفَ المفسِّرون فيه اختلافَهم في الآية الأولى.

﴿ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: أقم لنا ملكًا نقاتلْ معه أعداءَنا في إعلاءِ دينِ الله، وسُمِّي ملكًا لأنَّه يملكُ تدبيرَهم وتصريفَهم فيما توجَّهوا له.

﴿قَالَ﴾؛ أي: النَّبيُّ: ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟﴾ استفهامٌ معناه: أنا بينَ الرَّجاء والخوفِ من قتالكم، فأخبروني عن نيّاتكم؟

﴿قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا﴾؛ أي: أيُّ عذرٍ لنا في أن لا نقاتلَ في طاعةِ[2] الله وإظهارِ دينه، وفي طلبِ التَّشفِّي من الأعداء، ﴿وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا﴾ بالجلاء، وأُفرِدْنا عن أبنائِنا بالقتل والسَّبي.

---

(١) «من»: ليس في (ن).

(٢) في (و): «سبيل».

ابن عيسى: (أن) زيادة، قال: وقيل: إنَّما دخل لتفيد معنى الاستقبال؛ أي: ما يمنعنا، ولهذا يُستعمَلُ مع المستقبل كالمنع دون الماضي[1].

و(ما) للاستفهام.

قال المبرِّد: (ما) للنَّفي، كأنَّهم قالوا: ما لنا نتركُ القتالَ وقد أُخرجنا من ديارنا وأبنائنا[2].

﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ﴾؛ أي: أُجِيْبوا إلى ما التمسوا، وبُعِثَ[3] لهم ملِكٌ، وهو طالوت.

﴿تَوَلَّوْاْ﴾: أعرضوا عن الطّاعة للملِكِ المنصوبِ لهم.

﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ علمَ أنَّهم يكفرون إذا أُمروا، فلم يأمرْهم بالقتالِ حتى سألوه.

وهبٌ والرَّبيع: كان سببُ السُّؤالِ استذلالَ الجبابرةِ لهم من الملوك الذين كانوا في زمانهم[4].

السُّدِّيُّ: قتال العمالقة[5].

* * *

(١) هذا قول الفراء. انظر: «البسيط» للواحدي (٤/ ٣١٧).

(٢) ذكره الراغب الأصفهاني في «تفسيره» (١/ ٥٠٧)، والرازي في «التفسير الكبير» (٦/ ٥٠٣).

(٣) في (و): «التمسوه بعث».

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٣١٤).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٤٤١)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٣١٤).

(٢٤٧) - ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًاۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ﴾: أنفذ ﴿لَكُمْ طَالُوتَ﴾: كان رجلًا معروفًا عندهم ﴿مَلِكًا﴾ جواب لقولهم: ﴿ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا﴾.

﴿قَالُوٓاْ أَنَّىٰ﴾ كيف ﴿يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا﴾ وهو سقّاءٌ؟ وقيل: دبّاغٌ[١].

﴿وَنَحْنُ أَحَقُّ﴾؛ أي: فينا مَن هو أحقُّ ﴿بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ﴾ فيتشرَّف به؛ إذ[٢] كان قد فاته الحسب.

ابن جرير: إنَّما أنكروا ملكَه؛ لأنَّه كان من سبط بنيامين بن يعقوب، ولم يكن فيهم مُلكٌ ولا نبوّة، وكانت النُّبوّةُ في سبط لاوي بن يعقوب، والملكُ في سبط يهوذا بن يعقوب[٣].

﴿قَالَ﴾؛ أي: النَّبيُّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ﴾: اختاره.

والاصطفاءُ: جعلُ الشَّيء أو وجدانُه صافيًا خالصًا من الشَّوائب.

﴿وَزَادَهُۥ بَسْطَةً﴾: زيادةً، والبَسْطةُ في الشَّيء: امتدادُه في جميعِ جهاته.

﴿فِي ٱلْعِلْمِ﴾: علمِ الحربِ وكيدِ الأعداء.

﴿وَٱلْجِسْمِ﴾: وقوّةِ الجسم، ورُواءِ المنظر، وطولِ القامة.

---

(١) في (ن): «سقاء أو دباغ».

(٢) في (و): «إذا».

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٤/ ٤٤٨).

وكان الله سبحانه وتعالى أعطى ذلك النَّبيَّ عصًا، وقال: مَن ساواها فهو الملك، فما ساواها غيرُه، وقيل: أعطاه دِرْعًا.

﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ﴾: إذا عَلِمَ بالمصلحة، لا بالحَسبِ والنَّسب.

﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾؛ أي: واسعُ الفضلِ والعطاء.

ابن عيسى: موسِّعٌ على مَن يشاءُ مِن نعمِه.

وعنه أيضًا: ذو سَعةٍ، كتامِرٍ ولابِنٍ[1].

﴿عَلِيمٌ﴾: عالمٌ لمن ينبغي أن يؤتيَه الفضل.

* * *

(٢٤٨) - ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ﴾ ذكر المفسِّرون أنَّهم سألوا النَّبيَّ آيةً.

قال القفّال: ويجوزُ أن يكونَ آتاه إيّاها سكينةً لقومِه، وإنْ لم يكونوا سألوه.

﴿أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ﴾ الإتيانُ هاهنا مجازٌ.

والتّابوتُ: شبهُ صندوقٍ[2]، و(تابوه) بالهاء[3] لغةُ الأنصار[4].

---

(١) في هامش (ن): «أي: كثير التمر واللبن». وقد ذكر القولين المصنِّف عنه في «غرائب التفسير» (١/ ٢٢٢)، وذكرهما الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٣١٥) دون نسبة.

(٢) في (ن): «الصندوق».

(٣) «بالهاء» من (ن).

(٤) في «الترمذي» (٣١٠٤): «قال الزهري: فاختلفوا يومئذ في التابوت والتابوه، فقال القرشيون: =

وهبٌ: كان ثلاثةَ أذرعٍ في ذراعين[١]، من خشبِ الشِّمشاذ[٢].

﴿فِيهِ﴾: في التابوتِ ﴿سَكِينَةٌ﴾ هي مصدر، كالضَّريبةِ والعَزيمةِ والقضيّةِ، قيل: السَّكينةُ للنُّفوسِ كالسُّكونِ للأجسام.

ابن جريرٍ عن السُّدِّي: هي طَسْتٌ من ذهبٍ، كان يُغسَلُ فيه قلوبُ الأنبياء عليهم السَّلام[٣].

عليٌّ رضي الله عنه: هي ريحٌ هفّافةٌ لها وجهٌ كوجهِ الإنسان[٤].

مجاهدٌ: لها رأسٌ كرأسِ الهرّةِ وجناحان[٥].

= التابوت، وقال زيد: التابوه، فرفع اختلافهم إلى عثمان، فقال: اكتبوه التابوت؛ فإنه نزل بلسان قريش». وقد قرأ زيد بن ثابت وأبي رضي الله عنهما (تابوه)، وهي قراءة شاذة. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ٢٢).

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣١٢)، والطبري في «تفسيره» (٤/ ٤٦٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٤٦٧).

(٢) في (و): «الشمشاد». ذكره مقاتل في «تفسيره» (١/ ٢٠٦)، وقال: «هو خشب تتخذ منه الأمشاط الصفر مموَّه بالذهب». وذكره الزجاج في «معاني القرآن» (١/ ٣٣٠)، والسمرقندي في «تفسيره» (١/ ١٦٣)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٢٢٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما. وفي «تاج العروس» (٩/ ٤٣١) مادة: (ش م ش ذ): «الشمشاذ: معرب شمشاد، وهو شجر السرو، ويسمى آزاددرخت».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٤٧٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٤٦٩).

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣١٣)، والطبري في «تفسيره» (٤/ ٤٦٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٤٦٨).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٤٦٩)، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣١٤) بلفظ: «لها جناحان وذنب مثل ذنب الهرة».

وهبٌ[1]: روحٌ من الله يكلِّمُهم[2] بالبيانِ عند وقوع الاختلاف[3].

عطاءٌ: آيةٌ يسكنونَ إليها[4].

﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾: خالقِكم.

﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ﴾: بقيّةُ كلِّ شيءٍ: خلاصتُه، مشتقّةٌ من (البقاء)، قيل: عصا موسى وعصا هارونَ وثيابهما ونعلهما.

وقيل: رُضاضُ الألواحِ التي ألقاها موسى فتكسَّرت، وكانَت من زبرجدٍ وياقوتٍ.

وقيل: التَّوراة وكتابٌ آخرُ معها[5].

ويُحتمَل أنَّ الهاءَ في قوله: ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ﴾ تعود إلى الإتيان[6]، و﴿وَبَقِيَّةٌ﴾: عطفٌ على التّابوت.

﴿ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ﴾ القفّال: إنّما أُضيفَ ذلك إلى آل موسى وآل هارون لأنَّ ذلك التّابوتَ[7] قد تداولتْه القرونُ بعدهما إلى وقتِ طالوت[8].

---

(١) «وهب» من (ن).

(٢) في (ن): «فيكلمهم».

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣١٢)، والطبري في «تفسيره» (٤/ ٤٧٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٤٦٩).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٤٧١) ورجحه.

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٢٣)، واستغربه.

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٢٣)، واستغربه أيضاً.

(٧) في (ن) زيادة: «كان».

(٨) ذكره الرازي في «التفسير الكبير» (٦/ ٥٠٨)، وتتمة كلامه فيه: «وما في التابوت أشياء توارثها العلماء من أتباع موسى وهارون، فيكون الآل هم الأتباع، قال تعالى: ﴿أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]».

وقيل: ﴿ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ﴾ شخصُهما[1]، كما قال الشّاعر:

بُثَينةُ مِن آلِ النِّساءِ وإنَّما يَكُنَّ لأدْنَى لا وِصالَ لِغائِبِ[2]

وقيل: كان آدمُ عليه السَّلام هبطَ به من الجنّةِ مع الرُّكنِ، فيها صورُ الأنبياء[3].

وقيل: كان موسى خلَّفَه عند يوشعَ في التِّيهِ.

﴿تَحۡمِلُهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾؛ أي: في الهواء من حيث يرى التّابوتُ ينزلُ من عُلُوٍّ.

وقيل: كان أصحابُ جالوتَ غلبوا عليه، فأصابَهم داءٌ في العينِ بسبب التّابوت، فوضعوه على ثورَيْن، وأنفذوه إلى ناحية بني إسرائيل، فعلى هذا ساقت الملائكةُ الثَّورين.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾: في التّابوت ﴿لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ قيل: مصدِّقين؛ لأنَّهم صاروا كفرةً بإنكارِهم على النَّبيِّ.

وقيل: تعرَّفوا وجهَ الحكمةِ بقولِهم: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ عَلَيۡنَا﴾ [البقرة: ٢٤٧]، فيكونُ معنى ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾: إن كان من همِّكم وشأنِكم الإيمانُ بما تقومُ به الحجّةُ عليكم.

* * *

(١) في (ن): «شخصيهما».

(٢) البيت لجميل في «تفسير الثعلبي» (٦/ ٥١٢)، و«البسيط» للواحدي (٤/ ٣٢٧)، و«الإبانة في اللغة» (٢/ ١٥٥)، وانظر: «ملحق ديوان جميل» (ص: ٣٤٣). ونُسب لكثيِّر في «الخصائص» لابن جني (٣/ ٢٩)، وألحقه الدكتور إحسان عباس بـ«ديوان كثير» (ص ٣٤٣) نقلًا عن ابن جني.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٢٣).

(٢٤٩) ـ ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ﴾ الجنودُ: جمعُ (جُنْدٍ)، واشتقاقُه من (الجَنَد)؛ وهو الغليظُ من الأرض؛ أي: بعضُهم يعتصمُ ببعضٍ.

أي: أنهضَ جموعَه للجهاد، والباءُ للتَّعدِّي.

وقيل: انفصلَ من مقرِّه، كقولِه: ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ﴾ [يوسف: ٩٤]، فتكونُ الباءُ للحال.

﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم﴾: معاملُكم معاملةَ المختبِر؛ ليُظهرَ لطالوتَ مَن له عزمُ الجهاد من المتعلِّل.

﴿بِنَهَرٍ﴾ ابن عبَّاسٍ وقتادةَ: هو نهرٌ بين أُرْدُنٍّ[1] وفلسطينَ[2].

وقيل: هو نهرُ فلسطينَ[3].

---

(١) كذا في (ن)، وصرفُ (أردنّ) ومنعُه محتمل، أما الصرف فباعتباره عربياً، أو مسمى بالفعل والفاعل، وأما المنع فباعتباره معرَّباً، أو مسمى بالفعل بلا فاعل، وقد سكت عن ذلك معظم علماء اللغة؛ لأن اسم البلد معرَّف بـ(الـ)، وفي كلام أبي علي ما يشير إلى أنه معرب. انظر: «الحلبيات» لأبي علي (ص: ٣٥٧ و٣٦٣ و٣٧٦)، و«تاج العروس» (٣٥/ ٨٥).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٤٨٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣١٦)، والطبري في «تفسيره» (٤/ ٤٨٤) عن قتادة.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٤٨٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٤٧٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وهبٌ: شكَوا إلى طالوتَ في الطَّريقِ قلّةَ المياهِ وخوفَ التَّلف، فابتُلُوا بالنَّهر[١].

﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ﴾: من ماء النَّهر.

وقيل: ﴿مِنْهُ﴾؛ أي: احتسى منه بفيه[٢].

﴿فَلَيْسَ مِنِّي﴾: من أوليائي.

﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ﴾؛ أي: لم يذقْه، وهو من (الطُّعْم)، وهو[٣] يقعُ على الطَّعامِ والشَّراب، قال الشّاعرُ:

فإنْ شئْتِ حَرَّمْتُ النِّساءَ سِواكُمُ[٤] وإنْ شِئْتِ لم أَطْعَمْ نُقاخًا ولا بَرْدا[٥]

أي: لم أذق ماءً عذبًا.

﴿فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ﴾؛ أي: مَن شرب منه فليس منِّي إلَّا مَنِ اغترفَ؛ أي: رفع الماء من النَّهر بيده.

﴿غُرْفَةًۢ﴾ بالضَّمِّ[٦]: قَدْرَ ما يسعُه الكفُّ، وأصلُ الغَرْفِ: إخراجُ المَرَقِ

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٣١٧)، وروى الطبري نحوه في «تفسيره» (٤/ ٤٨٣).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٢٣)، واستغربه.

(٣) في (و): «وهو الطعم» بدل «وهو من الطعم وهو».

(٤) في (ن): «عليكم».

(٥) البيت مختلف في نسبته؛ فهو للعرجي في «ديوانه» تحقيق: الجبيلي (ص: ٢٠٦)، و«الحيوان» للجاحظ (٥/ ١٦)، و«الأضداد» للأنباري (ص: ٦٤)، و«الزاهر» له أيضاً (١/ ١٩٧)، و«الصحاح» للجوهري (١/ ٤٣٤) مادة: (ن ق خ)، وهو لعمر بن أبي ربيعة في «ديوانه» علق عليه: فائز محمد (ص: ١٠٣)، والنقاخ: الشَّراب العذب، والبرد: النوم في لغة هذيل.

(٦) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو بفتح الغين، وباقي السبعة بالضم. انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٧)، و«التيسير» للداني (ص: ٨١).

من القِدْرِ بالمغرفةِ، و﴿غَرْفَةً﴾ بالفتح: مرّةً واحدةً بإناءٍ وغيره، و(غرفة) بالضَّمِّ: مفعول، وبالفتح: مصدرٌ[١].

﴿فَشَرِبُواْ مِنْهُ﴾؛ أي: خالفوا وأكثروا، وكانوا ثلاثينَ ألفًا.

﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ وهم ألفٌ؛ عن السُّدِّيِّ[٢].

وقيل: ثلاث مئة وبضعـ[ـةَ][٣] عشرَ، على عدد أصحاب بدر[٤].

﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ﴾؛ أي: النَّهر.

﴿هُوَ﴾؛ أي: طالوت.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾ ابن عبّاسٍ والسّدِّي: جاوز الكافرُ والمؤمنُ، إلَّا أنَّ

---

(١) أي: تُعرب كلمة (غُرفةً) على قراءة مَن ضمَّ الغين مفعولًا به للفعل (طعم)، وتُعرب كلمة (غَرفةً) على قراءة مَن فتح الغين مفعولاً مطلقاً. ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٤/ ٤٨٤)، واستغربه.

(٢) كذا في النسخ الخطية، وقد روى الطبري في «تفسيره» (٤/ ٤٨٧) وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٤٧٥)، وذكر الثعلبي في «تفسيره» (٢/ ٢١٦) وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٢٢٦) عن السدي أنهم أربعة آلاف، والله أعلم.

(٣) بلا تاء في النسخ الخطية، وهو موافق لرواية ابن أبي حاتم عن السدي في «تفسيره» (٢/ ٤٧٧)، والإشكال أنَّ كلمة (بضع) تُخالف المعدود في العربية، والمعدود هنا الرجال. انظر: «الكتاب» لسيبويه (٣/ ٥٦١).

(٤) روى الطبري في «تفسيره» (٤/ ٤٩١) عن السدي قال: «عبر مع طالوت النهر من بني إسرائيل أربعة آلاف، فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه فنظروا إلى جالوت رجعوا أيضًا، وقالوا: لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده، فرجع عنه أيضاً ثلاثة آلاف وستمائة وبضعة وثمانون، وخلص في ثلثمائة وبضعة عشر عدة أهل بدر». وروى البخاري (٣٩٥٨) عن البراء رضي الله عنه قال: «كنا أصحاب محمد ﷺ نتحدث أن عدة أصحاب بدر على عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر، ولم يجاوز معه إلا مؤمن؛ بضعة عشر وثلاث مئة».

الكافرين اعتزلوا عنهم عند اللِّقاء، قالوا: لا طاقةَ لنا اليوم... وبقيَ المؤمنون على عددِ أهل بدرٍ(١).

وقيل: جاوزَ المؤمنون فحسب، ثم جَبُنَ بعضُهم عن اللِّقاء، فقالوا: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾(٢).

الطّاقةُ: اسمٌ من (أطاقَ)؛ إذا قويَ على الشَّيء، ومثلُه: أطاعَ طاعةً، وأجابَ جابةً، وأغارَ غارةً(٣).

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ﴾ قتادةُ في جماعةٍ: أنَّهم وطَّنوا أنفسَهم على الموت، وأنَّهم لا ينجون(٤).

وقيل: ﴿يَظُنُّونَ﴾: يرجون، والظَّنُّ: يقع موقعَ الرَّجاء(٥).

وقيل: ﴿يَظُنُّونَ﴾: يعلمون ويتيقَّنون، وقد سبق(٦).

---

(١) انظر: «النكت والعيون» للماوردي (١/ ٣١٧).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٢٣)، واستغربه.

(٣) قال ابن عادل الحنبلي في «اللباب» (٤/ ٥٤٠): «الطاقة: وهي في الأصل مصدرٌ، جاءت على حذف الزوائد، وكان من حقِّها (إطاقة)؛ لأنها من (أطاق)، ولكن شذَّت كما شذَّت أُلْفاظٌ؛ نحو: أَغارَ غارةً، وأجاب جابةً.

(٤) لم أقف على هذا الكلام عن قتادة، وقد روى ابن أبي حاتم في تفسيره عن سعيد قال: «الذين شروا أنفسهم لله، ووطنوها على الموت»، ثم قال عقب ذلك: «وروي عن مجاهد والسدي والربيع بن أنس وقتادة نحو ما روينا عن أبي العالية»، والمروي عن أبي العالية أن الظن بمعنى اليقين، والله أعلم. انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» (١/ ١٠٣)، و«تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٢/ ٢٢٨).

(٥) انظر: «معجم الفروق اللغوية» (ص: ٢٤٨).

(٦) في تفسير قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾.

﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً﴾ شجَّعُوا أنفسَهم ومَن جبنَ عن اللِّقاء طبعًا.

والفئةُ: القطعةُ من النّاس، من (فأوْتُ رأسَه بالسَّيف)؛ قطعته، و(فأيْتُ) أيضًا، ويُجمَعُ (فِئاتٍ) و(فِئين)[1].

﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ الحسنُ: بنصرِ الله[2].

وقيل: بتغليبِ الله.

وقيل: بأمرِه[3]؛ لأنَّه أمرَهم به.

﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ بالنَّصرِ والثَّوابِ والإظفار.

يجوزُ أن يكونَ من تمامِ كلامِهم، ويجوزُ أن يكونَ استئنافًا.

قال القفّال: وقد قيل: إنَّ كلَّ جنودِ طالوتَ كانوا مؤمنين إلَّا أنَّ الذين شربوا منه عصَوا ولم يكفروا[4].

***

(٢٥٠) - ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾: خرجوا للمبارزة، والبُروزُ: الظُّهور، والبَرازُ: الصَّحراء.

---

(١) في النسخ الخطيّة: «فائن»، وهذا من اختلاف الإملاء. انظر: «العين» (٨/ ٤٠٧)، و«الصحاح» للجوهري (٦/ ٢٤٥١)، و«القاموس المحيط» للفيروزآبادي (١٣٢٠) مادة: (ف ي أ).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٣١٨)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٢٢٦).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٤٧٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) روي عن الكلبي ما يشير إلى هذا. انظر: «تفسير القرآن العزيز» لابن أبي زمنين (١/ ٢٤٧).

﴿قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا﴾: اصبُبْ علينا، والإفراغُ: صبُّ الماءِ الكثيرِ دفعةً، والفَرْغُ: مصبُّ الماءِ من الدَّلو؛ أي: ألقِ في قلوبِنا الجرأةَ، وفي قلوبِهم الفَزَعَ.

﴿صَبْرًا﴾ وهو حبسُ النَّفسِ للقتال.

﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾: شجِّعْ قلوبَنا وقوِّنا(١)؛ حتى لا نفارقَ مواطنَ القتالِ منهزمين.

﴿وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾: أعنّا عليهم بالإظفارِ بهم.

* * *

(٢٥١) - ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾.

﴿فَهَزَمُوهُمْ﴾؛ أي: فأجابَ الله دعاءَهم وحقَّقَ ظنونهم، فهزم طالوتُ والمؤمنون جالوتَ وجنودَه؛ أي: كسروهم.

وهَزْمُ الشَّيءِ: كسرُه وثنيُ بعضِه على بعض.

﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ فإنَّ القتال كان بإذن الله وأمره.

وقيل: بإذن الله بالطّاعة.

﴿وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ﴾ وكان في جنودِ طالوتَ، وذُكِرَ في القصصِ أنَّ النَّبيَّ عليه السَّلام دفعَ إلى طالوتَ درعًا، فقال: مَن لبسَها ولم تفضل عنه ولم تنقص فهو قاتلُ جالوتَ، فجرَّب بها جميع عسكره، فلم تساوِ أحدًا منهم إلّا داود(٢).

---

(١) في (ن): «وقوها».

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٢٠٧)، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٥١٣) عن ابن جريج.

وذُكِرَ فيها أيضًا: أنَّ داودَ مرَّ بحجرٍ فناداه بأنَّه الذي قَتلَ به موسى عدوَّه، وناداه آخر بأنَّه الذي قَتلَ به هارونُ عدوَّه فأخذَهما، وناداه آخر بأنَّه الذي يقتلُ به داودُ جالوتَ فأخذه، فتلاصقت الأحجارُ الثَّلاثةُ فصارت حجرًا واحدًا، فرمى به جالوتَ فقتله(١).

﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾: النُّبوّةَ، فجمعَ الله له بين النُّبوّة والمملكة.

القفّال: آتاه الله ملكَ طالوتَ ونبوّةَ النَّبيِّ الذي كان مبعوثًا فيهم(٢).

﴿وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾ قيل: ما يشاءُ داودُ من صنعةِ الحديدِ وغيرِه.

وقيل: ممّا يشاءُ الله أن يعلِّمَ أنبياءَه.

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ الزَّجّاج: يدفعُ الكافرين بالمسلمين حتى لا يكثرَ الكفرُ، فتنزلَ السَّخطةُ، ويُستأصَلَ أهلُ الأرض(٣).

الحسن: يَزَعُ بالسُّلطانِ ـ وإن كان فاسقًا(٤) ـ أهلَ الفساد(٥).

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٢٠٧)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٥١٢) عن ابن جريج.

(٢) ورواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٥١٤) عن السدي بلفظ: «ملك داود بعدما قتل طالوت، وجعله الله نبيًّا، وذلك قوله: ﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾، قال: الحكمة: هي النبوة، آتاه نبوة شمعون، وملك طالوت».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣٣٣)، وفيه: «أي: لولا ما أمر الله به المسلمين من حرب الكافرين لفسدت الأرض. وقيل أيضًا: لولا دفع الله الكافرين بالمسلمين لكثر الكفر فنزلت بالناس السخطة واستؤصل أهل الأرض».

(٤) في (و): «كافرًا».

(٥) ذكر نحوه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥٧٩ ـ ٥٨٠)، ولفظه: «ومنه كفه ببعضهم التظالم، كالسلطان الذي كف به رعيته عن التظالم بينهم».

وقيل: ولولا دفعُ الله بداودَ عن طالوتَ والمؤمنين لغلبَتِ العمالقةُ على بني إسرائيل، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾.

***

(٢٥٢) ـ ﴿ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾.

﴿ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ ﴾: القرآنُ.

وقيل: آياتُ الله التي تقدَّمَت من قولِه: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ ﴾ [البقرة: ٢٤٣]... ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ ﴾ [البقرة: ٢٤٦] الآيات.

﴿نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ ﴾: نُنزِّلها عليك ﴿بِٱلۡحَقِّ ﴾: بالصِّدق، لا كذبَ فيه، ولا تحريفَ، ولا من كلامِ الكَهنة، ولا من تنزيلِ الشَّيطان.

﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾: الذين أقرَّ بهم أهلُ الكتاب.

***

(٢٥٣) ـ ﴿تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖۚ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخۡتَلَفُواْ فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ وَمِنۡهُم مَّن كَفَرَۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾.

﴿تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ ﴾؛ أي: الرُّسلُ الذين تقدَّمَ ذكرُهم.

﴿فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ ﴾؛ أي: جعلنا رتبةَ بعضهم(١) فوقَ رتبةِ بعضٍ، ثم صرَّحَ، فقال: ﴿مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ﴾ أي: كلَّمه؛ وهو موسى عليه السّلام.

---

(١) في (و): «بعض».

﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ يعني: محمَّدًا عليه السَّلام، بأن أرسلَه إلى الخلقِ كافّةً، وأُوتِيَ المعجزاتِ الكبيرة التي لم يُؤتها غيرُه، وجعلَه خاتمَ الأنبياء.

وقيل: هو إبراهيمُ عليه السَّلام؛ اتَّخذه خليلًا.

وقيل: إدريسُ رُفعَ إلى السَّماء.

﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾؛ أي: التي بانَت بها نبوَّتُه.

والبيِّنةُ: ما تُوضِّحُ صدقَ المدَّعي.

﴿وَأَيَّدْنَٰهُ﴾: قوَّيناه ﴿بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ سبق تفسيره.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾؛ أي: ثم اقتتل مَن بعدَهم.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟﴾ الزَّجاج: لو شاء أن لا يأمرَ بالقتال بعد وضوحِ الحقِّ، وقيل: ولو شاء أن يضطرَّهم إلى الإيمانِ لفعل(١).

﴿وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟﴾ بالكفر والإيمان، وهو قوله: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟﴾ التكرارُ للتأكيد.

وقيل: أراد بالأوَّل: الجماعة، وبالثّاني: المؤمنين(٢).

وقيل: كرَّرَ تكذيبًا لمَن زعمَ أنَّ ذلك لم يكن بمشيئة الله تعالى(٣).

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ من التَّوفيقِ والخذلان.

* * *

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣٣٥).

(٢) ذكره المصنِّف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٢٤)، واستغربه.

(٣) انظر: «البرهان» للمصنِّف (ص: ٨٧).

(٢٥٤) ـ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَـٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَـٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَـٰكُم ﴾ يريد: الزَّكاةَ وسائرَ الواجبات.

﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ﴾ يعني: يومَ القيامة.

﴿لَّا بَيْعٌ فِيهِ﴾؛ أي: ليسَ فيه معاوضةٌ.

﴿وَلَا خُلَّةٌ﴾؛ أي: لا صداقةٌ تنفعُ.

أبو عبيدة: لا خليلٌ[١].

﴿وَلَا شَفَـٰعَةٌ﴾ يريد: الكافرينَ دون المؤمنين.

﴿وَٱلْكَـٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ الزَّجّاج: هم الذين وضعوا أمرَ اللهِ غيرَ موضعه[٢].

ويُحتمَلُ: والكافرون بهذا اليومِ هم الظّالمون.

* * *

(٢٥٥) ـ ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾.

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ﴾؛ أي: لا معبودَ للخلقِ إلّا هو.

﴿ٱلْحَىُّ﴾: الدَّائمُ البقاء، وقيل: ﴿ٱلْحَىُّ﴾: الذي يصحُّ منه الإدراكُ.

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» (ص: ٧٨)، وعبارته: «﴿خُلَّةٌ﴾: مصدر الخليل، وتقول: فلان خلَّتي؛ أي: خليلي».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣٣٦)، وقال فيه: «وهذا أصل الظلم في اللغة».

﴿ٱلْقَيُّومُ﴾ أبو عبيدة: القائمُ الدّائمُ الذي لا يَزولُ[١].

الزّجّاج: ﴿ٱلْقَيُّومُ﴾: القائمُ بأمر الخلق[٢].

وقيل: العالمُ بالأشياء، كما تقول: هو يقومُ بهذا الكتاب؛ أي: هو[٣] عالمٌ به، وزنه: (فيعول) مِن (قام)[٤].

﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ﴾ السِّنةُ: ابتداءُ النَّوم، وهو أن يدخلَ في العينِ ولَمّا يدخلْ في القلب.

الزّجّاج: السِّنةُ: النُّعاسُ[٥].

﴿وَلَا نَوْمٌ﴾: هو غفلةُ العينِ والقلب، والمعنى: لا يغفلُ عن دقيقٍ ولا جليلٍ.

ابن جريرٍ: لا تحلُّه الآفاتُ والعاهاتُ المذهلةُ عن حفظِ المخلوقات[٦].

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٧٨).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣٣٦).

(٣) في (و): «وهو» بدل «أي هو».

(٤) انظر: «الأسماء والصفات» للبيهقي (١/ ١٣١).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣٣٧).

(٦) انظر: «تفسير الطبري» (٤/ ٥٣٢ ـ ٥٣٣)، ولفظه: «لا تحله الآفات ولا تناله العاهات، وذلك أن السنة والنوم معنيان يغمران فهمَ ذي الفهم، ويزيلان مَن أصاباه عن الحال التي كان عليها قبل أن يصيباه. فتأويل الكلام إذ كان الأمر على ما وصفنا: الله لا إله إلا هو الحي الذي لا يموت، القيوم على كل ما هو دونه بالرزق والكلاءة والتدبير والتصريف من حال إلى حال، لا تأخذه سنة ولا نوم، لا يغيره ما يغير غيره، ولا يزيله عما لم يزل عليه تنقل الأحوال وتصريف الليالي والأيام، بل هو الدائم على حال، والقيوم على جميع الأنام، لو نام كان مغلوباً مقهورًا؛ لأن النوم غالب النائم قاهره، ولو وسن لكانت السماوات والأرض وما فيهما دكّاً؛ لأن قيام جميع ذلك بتدبيره وقدرته، والنومُ شاغلُ المدبِّرِ عن التدبير، والنعاس مانع المقدِّر عن التقدير».

وبدأ بالسِّنةِ بموجب الارتقاءِ من القليلِ إلى الكثير[١].

﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ملكًا ليسَ لأحدٍ معه شِركةٌ، ولا لغيرِه فيه سلطانٌ.

﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾؛ أي: لا يشفعُ أحدٌ إلّا بعدَ[٢] أن يأذنَ اللهُ له فيه؛ لأنَّ الأنبياءَ والأولياءَ والملائكةَ لا يسألون اللهَ إلَّا ما يعلمونَ أنَّه فاعلُه، وهم لا يعلمونَ مَن الذي يجوز أن يُشفَع فيه، ومثله: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ [يونس: ٣].

وقيل: ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾: بإباحتِه له[٣].

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: ما مضى ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: ما سيكونُ.

وقيل: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: ما سيكون، ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: ما مضى.

وقيل: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: من السَّماءِ إلى الأرضِ، ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: ما في السَّماواتِ.

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾: ولا يشتملُ عليهم.

والإحاطةُ: الاشتمالُ على الشَّيءِ من جميعِ جِهاته، ومنها (الحائطُ).

والهاء في ﴿عِلْمِهِۦٓ﴾: تعود إلى (ما) في قوله: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾[٤].

وقيل: تعود إلى (الله).

﴿إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ ابن عبّاسٍ: إلّا ما[٥] أطلعَهم عليه[٦].

---

(١) ذكره المصنِّف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٢٥).

(٢) «بعد» من (ن).

(٣) في (ن): «بإباحة ذلك».

(٤) ذكره المصنِّف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٢٥)، واستغربه.

(٥) في (و): «من».

(٦) ذكره الواحدي في «البسيط» (٤/ ٣٥١)، وروى نحوه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٧٥٧) =

والمرادُ بـ﴿عِلْمِهِۦٓ﴾: معلوماتُه؛ بدليل دخول (مِنْ)؛ لأنَّ علمَه ـ سبحانه ـ لا يتبعَّض.

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ في التَّفسير: الكرسيُّ: السَّريرُ، وهو أصغرُ من العرش، يسعُ السَّماواتِ والأرضين[١].

عطاءٌ: ما السَّماواتُ والأرضين[٢] في الكرسيِّ إلّا كحلقةٍ في فَلاةٍ[٣].

والكرسيُّ والكرّاسةُ في اللُّغة: ما ثبَتَ وتلبَّدَ بعضُه على بعض.

ابن عبّاسٍ: ﴿كُرْسِيُّهُ﴾: علمُه[٤].

ومنه يُقالُ للكتاب: كرّاسةٌ، وللعالمِ: كرسيٌّ[٥]، وجمعُه: كراسِيّ، قال:

= عن ابن عباس وابن مسعود وناس من أصحاب النبي ﷺ ولفظه: «أن النبي ﷺ تلا: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] إلى قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] أما قوله: ﴿ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] هو القائم، وأما ﴿سِنَةٌ﴾ [البقرة: ٩٦] فهو ريح النوم التي تأخذ في الوجه فينعس الإنسان، وأما ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ فالدنيا، وأما ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ فالآخرة، وأما ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ يقول: لا يعلمون شيئاً من علمه إلا بما شاء، هو يعلمهم...».

(١) في (و): «والأرض».

(٢) في (و): «والأرض».

(٣) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٢٣٠) قولاً لابن عباس رضي الله عنهما في رواية عطاء. ورواه في أبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٦٣٢)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٦٣) عن مجاهد. وروي مرفوعًا؛ رواه ابن حبان في «صحيحه» (٣٦١) في حديث طويل عن أبي ذر رضي الله عنه، وروى أوله الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٦٥٢) وسكت عنه، وقال الذهبي: «السعدي ليس بثقة». وانظر: «التلخيص الحبير» (٢/ ٥٥).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٥٣٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٤٩٠ـ ٤٩١)، واللالكائي في «الاعتقاد» (٦٧٩)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢٣٣).

(٥) في (و): «كراسة».

يَحُـفُّ بهـم بِيْـضُ الوُجُـوهِ وَعُصْبـةٌ كَراسِـيُّ بالأحـداثِ حيـنَ تَنـوبُ[١]

الحسن: ﴿كُرۡسِيُّهُ﴾: عرشُه[٢].

وقيل: ﴿كُرۡسِيُّهُ﴾: ملكُه، وقيل: قدرتُه.

﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَا﴾ الجمهور: لا يُثقِلُه.

ابن عيسى: (آدَ): أثقَلَ حتى أمالَ[٣].

والهاءُ تعودُ إلى الله تعالى.

وقيل: تعودُ إلى الكرسيِّ؛ فيمن جعلَه العلمَ[٤].

﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ﴾ بالقدرة.

وقيل: ﴿ٱلۡعَلِيُّ﴾: عن الأشباهِ والأندادِ؛ أي: تعالى عنها.

﴿ٱلۡعَظِيمُ﴾: عظيمُ الشَّأن.

---

(١) البيت بلا نسبة في «تفسير الطبري» (٤/ ٥٤٠)، و«تفسير الثعلبي» (٧/ ١٠٣)، و«البسيط» للواحدي (٤/ ٣٥٦)، و«أساس البلاغة» للزمخشري (٢/ ١٣٠) مادة: (ك ر س).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٥٣٩)، وذكره النحاس في «معاني القرآن» (١/ ٢٦٥)، والثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١١٢)، قال القرطبي في «تفسيره» (٣/ ٢٧٨): «وهذا ليس بمرضي، والذي تقتضيه الأحاديث أن الكرسي مخلوق بين يدي العرش، والعرش أعظم منه». وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» (١/ ١٣): «رواه ابن جرير من طريق جويبر، وهو ضعيف... وهذا لا يصح عن الحسن، بل الصحيح عنه وعن غيره من الصحابة والتابعين أنه غيره»، وقد ذكره المصنِّف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٢٥)، واستغربه.

(٣) لم أقف على مَن نسبه لابن عيسى، وقد ذكر ابن القطاع في «الأفعال» (١/ ٦١) أنَّ (آد) يأتي بمعنى أثقل، وبمعنى مال.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٢٥)، واستغربه.

(٢٥٦) ـ ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ عن ابن عبّاسٍ قال: كانت المرأةُ من نساء الأنصار تكونُ مِقلاةً، فتجعلُ على نفسِها إنْ عاش لها ولدٌ أنْ تهوِّدَه، فلمّا أُجليَتِ النَّضيرُ كان فيهم من أبناءِ الأنصار، فقالوا: لا نَدَعُ أبناءنا، فأنزل اللهُ هذه الآية[1]: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾[2].

مجاهدٌ: نزلت في رجلٍ من الأنصار كان له غلامٌ يُقالُ له: صُبيحٌ، وكان يكرهُه على الإسلام[3].

السُّدِّيُّ: نزلت في رجلٍ من الأنصار يُكنى: أبا الحُصين، وكان له ابنان تنصَّرا وخرجا مع التُّجَّارِ إلى الشّام، فأخبر أبو الحصينِ رسولَ الله ﷺ بذلك[4]، فقال له: اطلبْهُما. فأنزل الله: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾، فقال عليه السَّلام: «أبعدَهما اللهُ، هما أوَّلُ مَن كفرَ»، وهذا قبلَ أنْ أُمِرَ بالقتالِ، نُسِخَتْ بآيةِ السَّيفِ[5].

الحسن وقتادة والضَّحّاك: هي في أهلِ الكتابِ الذين تُؤخَذُ منهم الجزية[6].

---

(١) «هذه الآية» من (ن).

(٢) رواه أبو داود (٢٦٨٢)، وقال: «المقلاة: التي لا يعيش لها ولد».

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١١٤)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٨٤)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٢٣١).

(٤) «بذلك» من (ن).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٥٤٨ ـ ٥٤٩)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١١٥)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٨٤).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٥٥١) عن قتادة والضحاك، ورواه سعيد بن منصور في «سننه ـ التفسير» (٣/ ٩٦١) عن الحسن، ولفظه: «لا يكره أهل الكتاب على الإسلام».

وقيل: معناه: لا تقولوا لمن دخلَ في الدِّين بعد الحرب: مُكرَهٌ؛ لأنَّه إذا رضيَ وصحَّ إسلامُه فليس بمكرَهٍ.

وقيل: لـمّا وضعَ اللهُ القتلَ عن أهل الكتاب بالجزية زالَ الإكراهُ على الدِّين؛ إذ يجدون محيدًا بالمصيرِ ذمّةً.

وقيل: لأنَّ الإكراهَ في حقيقةِ الدِّينِ غيرُ متصوَّر؛ لأنَّه من عملِ القلب.

﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ﴾: الإيمانُ ﴿مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾: الكفر.

والرُّشدُ: سلوكُ طريقِ الصَّواب، والغيُّ: سلوكُ طريقِ الهلاك.

والمعنى: ظهرَ بكثرةِ الحُججِ والآياتِ الدّالة.

﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾ عمر ومجاهدٌ وقتادة رضي الله عنهم: الشَّيطان(١).

ابن جُبير: الكاهن(٢).

أبو العالية: السّاحر(٣).

وقيل: الأصنام.

وقيل: مَرَدَة الإنسِ والجنِّ.

واشتقاقُه من (الطُّغيان)؛ وهو مجاوزةُ الحدِّ، ووزنُه: فَلَعُوت(٤).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٥٥٦ ـ ٥٥٧)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٧٤٧، ٧٩٣)، وذكره البخاري بعد حديث (٤٥٨٣) تعليقًا عن عمر رضي الله عنه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٥٥٧)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٧٤٨).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٥٥٧).

(٤) في هامش (و): «أي: الشياطين، وكلُّ ما يُعبد دون الله يسمَّى طاغوتًا، ويستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث، وهو مصدر، وأصله: طغيوت؛ على فعلوت، كالرغبوت والرهبوت، من طغى يطغى، وهو يعني الطغيان، إلا أنه مقلوبٌ؛ لأن الياء قُدِّمت على الغين، فأبدلت ألفًا، فصار طاغوت، =

﴿وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ﴾؛ أي: تمسَّكَ.

﴿بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ مجاهدٌ: هي[1] الإيمانُ بالله[2].

واستُعيرَ لفظُ العُروة؛ لأنَّ الشَّيءَ يُؤخَذُ بها أحْكَمَ الأخْذِ.

و﴿ٱلْوُثْقَىٰ﴾: تأنيث الأوثق؛ وهو الأشدُّ، مأخوذٌ من (الوثاقة)؛ وهي الصَّلابة.

﴿لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾: لا انقطاعَ لها دونَ رضى اللهِ ودخولِه الجنّة.

﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لدعائكَ إيّاهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بضمائرِهم.

* * *

(٢٥٧) ـ ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: نَصيرُهم ومُعينُهم.

﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: ظلماتِ الكفرِ والضَّلالة، والكفرُ كالظُّلمةِ يمنعُ إدراكَ الحقِّ.

﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾: نور الإسلام.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ﴾: الإسلامِ، وجمعَ[3] لأنَّ (الطّاغوتَ) اسمُ الجنس.

= من تعسر حل العقد».

(١) «هي» من (ن).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٥٦٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٤٩٦).

(٣) فقال: الطاغوت يخرجونهم، ولم يقل: يخرجهم؛ لأنَّ (الطّاغوتَ) اسمُ الجنس، فيصدق على الكثير والقليل، وهذا مذهب سيبويه، واختيار المصنِّف، ومذهب أبي عليٍّ أنه مصدر، كما ذكر في حاشية (و). انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (١/ ٣٤٤).

﴿إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: ظلماتِ الكفر.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ مجاهدٌ: نزلَت في قومٍ ارتدُّوا[1].

وإنَّما قال: ﴿يُخْرِجُهُم﴾ ولم يكونوا داخلين فيها؛ لأنَّه لو لم يعمل سبحانه ما عملَ لدخلوا فيها[2].

***

(٢٥٨) - ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾: هو نمروذُ بنُ كنعان.

مجاهدٌ وقتادة: هو أوَّلُ مَن تجبَّر وادَّعى الإلهيّة[3].

﴿حَآجَّ﴾: أظهرَ المغالبةَ[4] لإبراهيمَ عليه السَّلام.

تقول: حاجَجْتُه في كذا؛ أي: غالبتَه في إيرادِ الحُجّة، فحَجَجْتُه؛ فغلبتَه.

﴿فِى رَبِّهِۦٓ﴾: في إثباتِه وتصحيحِ رُبوبيَّتِه.

---

(١) روى الطبري في «تفسيره» (٤/ ٥٦٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٤٩٧) عن مجاهد أو مقسم في الآية قال: «كان قوم آمنوا بعيسى، وقوم كفروا به، فلما بعث الله محمدًا ﷺ آمن به الذين كفروا بعيسى، وكفر به الذين آمنوا بعيسى؛ أي: يخرج الذين آمنوا إلى الإيمان بمحمد ﷺ». وروى نحوه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١١١٤) من طريق مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أي: لولا عصمته لدخلوا فيه. ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٢٥).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٢٦)، والطبري في «تفسيره» (٤/ ٥٦٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٤٩٨) عن قتادة.

(٤) في (و): «وأظهر المجادلة» بدل «حاج أظهر المغالبة».

والهاءُ تعود إلى (إبراهيم)، ويُحتمَل أن تعود إلى الكافر.

﴿أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾ القفّال: الهاءُ تُحمَلُ على وجهين[1]:

أحدهما: أن تعودَ إلى (إبراهيمَ)، والملكُ النبوَّةُ، كقولِه: ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَـٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٥٤]؛ أي: سلطانًا بالنُّبوّة؛ أي: من أجْل أن آتاه اللهُ النُّبوَّةَ حاجَّهُ الكافر.

والثّاني: إلى الكافر، ويكون المعنى: بسببِ أن آتاه الله الملكَ طغى[2].

﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾: هذا جوابٌ، كأنّه قالَ له: من ربُّك؟ قال: ﴿رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾.

﴿قَالَ﴾ الكافر: ﴿أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ﴾: مَوَّهَ على الضَّعفةِ، فأحضرَ ـ على ما قالَه المفسِّرون ـ رجلين، فقتلَ أحدَهما واستبقى الآخر، وجعل ذلك إحياءً، كقوله: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢]، وكذلك ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾.

وقيل: ﴿أُحْىِۦ﴾: بالمباشرةِ وإلقاءِ النُّطفة، و﴿وَأُمِيتُ﴾: بالقتلِ والسَّخطة[3].

فصارَ الكافرُ بهذا مُنْقطعًا عند الخاصّةِ ممَّن شهدَ ذلك المَحْفِلَ، ثم زادَه إبراهيمُ ما لم يتهيَّأ[4] له فيه التَّلبيسُ على الضَّعفةِ والتَّمويهُ، وهو قولُه:

---

(١) في (ن): «تحتمل وجهين».

(٢) نسب الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٣٢٩) الأول لأبي حذيفة، والثاني للحسن، وذكر القولين الزجاج في «معاني القرآن» (١/ ٣٤١) بلا نسبة، وأطال الرازي في «التفسير الكبير» (٧/ ٢١) بالاستدلال عليهما، وذكر أن قول جمهور المفسرين أن الهاء تعود إلى النمروذ، وقد اختار المصنف جواز الوجهين في «غرائب التفسير» (١/ ٢٢٦).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٢٦)، واستغربه.

(٤) في (ن): «لا يتهيأ».

﴿قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ﴾، فانقطعَ الكافرُ في هذا عند سائرِ طبقاتِ شاهدي المَحْفِل.

قوله: ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ﴾: انقطعَ وصارَ مبهوتًا محجوجًا؛ فيُحتمَلُ: فبُهِتَ بالحجَّتين، ويُحتمَلُ: فبُهِتَ بالثّانية، ولا يكونُ انتقالًا من دليلٍ إلى دليل، بل هو ذِكرُ دليلٍ بعد دليل(١).

قال جمهورُ المفسِّرين: وإنما لم يقل نمروذ: فليأتِ ربُّك بالشَّمس من المغرب؛ لأنَّ الله صرفَه عنه.

والآيةُ تحتملُ تأويلًا آخرَ حسنًا، وذلك أنَّ نمروذ كان يدِّعي الرُّبوبيّة ـ على ما رواه مجاهدٌ وقتادة والرَّبيع وابن زيد وغيرهم(٢) ـ فلمّا قال له إبراهيم عليه السَّلام: ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْيِۦ وَأُمِيتُ﴾؛ أي: الذي يفعل ذلك أنا، لا مَن نسبْتَ إليه، والإحياءُ والإماتةُ بيدي، فلمّا سمع إبراهيمُ افتراءَه العظيمَ وادِّعاءَه الباطلَ تمويهًا وتلبيسًا اقترحَ عليه فقال: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ﴾، فعلمَ الكافرُ عجزَه عن إتيانه بالشَّمس من المغرب، فأُفحِم عليه، وبانَ عجزُه للكافّة، وظهرَ كذبُه، ولم يقلْ: قُلْ لربِّكَ أن يفعلَ ذلك؛ لأنَّه لم يكن يسلِّمُ الرُّبوبيّةَ لغيرِه، والله أعلم(٣).

والبَهْتُ: الحيرةُ عندَ استيلاءِ الحُجّة، والبَهْتُ أيضًا: مواجهةُ الرَّجلِ بالكَذبِ عليه.

---

(١) «بل هو ذكر دليل بعد دليل» من (ن).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٥٧١ ـ ٥٧٥) عن قتادة ومجاهد وابن زيد والربيع، لكنَّ التَّصريحَ بادعاء الربوبية جاء فقط في رواية ابن زيد، ففيها: «كان بالموصل والناس يأتونه، فإذا دخلوا عليه قال: من ربكم؟ فيقولون: أنت، فيقول: ميروهم».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٢٦)، وعدَّه من العجيب، واستحسنه.

﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ عقوبةً لهم، وقيل: لا يرشدُهم إلى الحجّة.

* * *

(٢٥٩) ـ ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾: ﴿أَوْ﴾: للتَّخييرِ كما سبق، والكاف: محمولٌ على المعنى عند النُّحاة، وتقديره: أرأيت كالذي حاجَّ إبراهيم، أو كالذي مرَّ على قريةٍ[1].

واستدلَّ الفرّاءُ بقوله: ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ في جواب ﴿قُلْ مَن﴾[2].

---

(١) انظر: «الحلبيات» لأبي علي الفارسي (ص: ١٥٢)، و«الخصائص» لابن جني (٢/ ٤٢٥)، و«سر صناعة الإعراب» لابن جني أيضاً (١/ ٣٠٥)، و«الكشاف» للزمخشري (١/ ٣٠٦).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ١٧٠)، وفيه: «وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ﴾ وإدخال العرب (إلى) في هذا الموضع على جهة التعجب كما تقول للرجل: أما ترى إلى هذا! والمعنى والله أعلم: هل رأيت مثل هذا أو رأيت هكذا! والدليل على ذلك أنه قال: أو كالذي مر على قرية فكأنه قال: هل رأيت كمثل الذي حاج إبراهيم في ربه أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها، وهذا في جهته بمنزلة ما أخبرتك به في (ما لك؟) و(ما منعك؟)، ومثله قول الله تبارك وتعالى: ﴿قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ... سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾، ثم قال تبارك وتعالى: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ فجعل اللام جوابًا، وليست في أول الكلام. وذلك أنك إذا قلتَ: من صاحب هذه الدار؟ فقال لك القائل: هي لزيد، فقد أجابك بما تريد. فقوله: (زيدٌ) و(لزيدٍ) سواء في المعنى».

قال المبرِّدُ: هو محمولٌ على لفظ الاستفهام، تقديره: ألم تر إلى الذي حاجَّ؟ ألم تر مَن كالذي مرَّ[١]؟

وقيل: الكاف زائدة[٢].

قال صاحب النَّظم: هو عطفٌ على قوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُحْيِ اللَّهُ الْمَوْتَىٰ﴾ [البقرة: ٧٣][٣]، وقد سبق.

﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ قتادة: هو عُزَيرٌ النَّبيُّ عليه السَّلام[٤].

وهبٌ: إرْمِيا[٥].

وقيل: الخضر[٦].

وقيل: إرْمِيا هو الخضرُ عليهم السَّلام.

الحسن: كان عِلْجًا كافرًا مرَّ على قريةٍ، وكان على حمارِه، ومعه سلَّةُ تينٍ[٧].

وقيل: تينٌ وعنبٌ وركوةُ عصيرٍ، وقيل: ماء.

---

(١) ذكره الرازي في «التفسير الكبير» (٧/ ٢٦)، والقرطبي في «تفسيره» (٣/ ٢٨٨).

(٢) في (ن): «زيادة»، وهذا القول منسوب للأخفش. انظر: «غرائب التفسير» للمصنف (١/ ٢٢٧)، و«التفسير الكبير» للرازي (٧/ ٢٦).

(٣) أي: كذلك أو كالذي مرَّ. ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٢٧).

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٢٩)، والطبري في «تفسيره» (٤/ ٥٧٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥٠٠).

(٥) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥٠٠)، والماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٣٣١).

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٢٧)، واستغربه.

(٧) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٢٧)، وذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٢/ ٦٣٢)، وذكر ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥٠٠) عن الحسن أنه عزير.

واختلفوا في القرية؛ قال قتادةُ والرَّبيعُ ووهبٌ: هي بيتُ المقدس لَمّا خرَّبَه بختنصَّر[١].

ابن زيد: هي القريةُ التي خرجَ منها الألوف[٢].

الكلبيُّ: دير سابِراباذ[٣].

السُّدِّيُّ: سَلْماباذ[٤].

وقيل: دير هِزْقِل[٥].

وقيل: قريةٌ على فرسخينِ من بيتِ المقدس.

﴿وَهِىَ خَاوِيَةٌ﴾ قيل: خاليةٌ، وأصلُ الخواءِ[٦]: الخلاءُ.

وقيل: متهدِّمةٌ؛ لأنْ بتهدُّمِها تخلو من أهلها.

﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾: أبنيتِها وسقوفِها، من قولِه: ﴿وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٧]؛ أي: يبنون.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٥٨٢ ـ ٥٨٣)، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥٠٠) عن قتادة.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٥٨٤).

(٣) في (ن): «سابراباذا». ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١٥١). ويكثر مجيء (اباذ) في أسماء البلدان، وهو اسم العمارة بالفارسية. انظر: «معجم البلدان» (١/ ٣٨)، وفيه أيضًا (٣/ ١٦٧): «سابُراباذ:كأنَّه مخفَّف من (سابور) مضاف إلى (اباذ) على عادتهم: بلد».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١٥١).

(٥) في النسخ الخطيّة: «هرقل» وكذا في بعض المصادر، والمثبت من «معجم البلدان» (٢/ ٥٤٠)، وفيه: «دير هِزْقِل: بكسر أوله، وزاي معجمة ساكنة، وقاف مكسورة، وأصله حزقيل، ثم نقل إلى هزقل، ويقال: إنه المراد بقوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾».

(٦) في (و): «الخوات».

وقيل: على عروشِ كَرْمِها[١].

وقيـل: ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾؛ أي: علـى سُـرُرِها[٢]، والمعنـى: سـقطَت أعاليها، ثم سـقطَت عليها الجـدُ والحيطانُ.

وقيل: سقطَت أعاليها[٣] على سُرُرِها[٤].

وقيل: على عروشِ الكرومِ فيها.

وقيل: معنى ﴿خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾؛ أي: خاليةٌ باقيةٌ على حالِها، فيكونُ ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ خبرًا بعد خبرٍ.

وقيل: ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ بدلٌ من ﴿عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾.

﴿قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ﴾؛ أي: أهـلَ هـذهِ ﴿ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أي: كيـف؟ ومـن أيـن يُحيـي؟ أرادَ أن يعلَـمَ كيفيّـةَ إحيـاءِ الأمـواتِ؛ ليـزدادَ بصيرةً.

وعلى قولِ الحسنِ قال إنكارًا للبعثِ واستبعادًا.

﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ﴾ العامُ: الحَولُ يأتي[٥] على الفصولِ الأربعة، مشتقٌّ من (العَوْم)؛ وهو جريٌ في اتِّساعٍ.

﴿ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾: أحياه.

﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتَ﴾: سؤالٌ عن عددِ الأيّامِ واللّيالي؛ أي: نُودِيَ من السَّماء.

---

(١) في (ن): «كرومها».

(٢) في (ن): «سرورها».

(٣) «ثم سقطت عليها الجدد والحيطان وقيل سقطت أعاليها» من (ن).

(٤) في (ن): «سرورها».

(٥) في (و): «أي».

قال القفّال: كان في ذلك الزَّمانِ نبيٌّ لا محالةَ، وهو الذي خاطبَه به.

وقيل: خاطبَه مَن هو أكبرُ سنًّا منه[١].

﴿قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا﴾ لأنَّ اللهَ أماتَه أوَّلَ النَّهار، وأحياه بعدَ مئةِ عامٍ آخرَ نهارٍ قبلَ غيبوبةِ الشَّمس، فقال: لبثت يومًا، وهو يرى أنَّ الشَّمس قد غابت، ثم التفت فرأى بقيَّةً من الشَّمس، فقال: ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾.

وقيل: معناه يومًا أو يومًا وبعضَ يومٍ[٢].

﴿قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ﴾؛ أي: التِّينِ والعنبِ.

﴿وَشَرَابِكَ﴾؛ أي: العصيرِ والماء.

﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾: مَن أثبتَ الهاءَ[٣] جعلَه من (سَنِهَ الطَّعامُ)؛ إذا تغيَّرَ.

وقيل: لم تأتِ عليه السَّنةُ، فيمَن جعلَ أصلها (السَّنهةَ)، و(المسانهةُ) منها[٤].

ومَن حذفَ الهاءَ جعلَه من (السِّنةِ) فيمن قال: أصلُها (سَنوةٌ)[٥].

---

(١) ذكر الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٣٣٣) هذه الأقوال دون نسبة، فقال: «واختلفوا في القائل له: ﴿كَمْ لَبِثْتَ﴾ على ثلاثة أقاويل؛ أحدها: أنه ملك. والثاني: نبي. والثالث: أنه بعض المؤمنين المعمرين ممن شاهده عند موته وإحيائه».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٢٧)، واستغربه.

(٣) لم يختلف القُرّاء في إثباتها وقفًا، واختلفوا في إثباتها وصلاً؛ فحذفها حمزة والكسائي، وأثبتها باقي السبعة. انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٢).

(٤) ذكر هذا الوجه الفراء في «معاني القرآن» (١/ ١٧٢)، والمبرد في «المقتضب» (٢/ ٢٤١)، والمسانهة: المُعاملةُ سنةً بسنة. انظر: «العين» (٤/ ٨)، مادة: (س ن ه).

(٥) ذكر هذا الوجه المبرد في «المقتضب» (٢/ ٢٤١)، والمصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٢٨).

وقيل: هو من لفظِ (مسنون)، قُلِبَ لامُه ياءً[1]، كقولِه[2]:

تَقَضِّيَ البازي[3]..............

﴿وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾ قيل: إنَّه كان حيًّا[4].

وقيل: كان مَيْتًا؛ أي: انظر إلى حمارك لم يتغيَّر، كما لم يتغيَّر طعامُك وشرابُك، وذلك خارجٌ عن العادة.

وقيل: انظر إلى حمارك قد بَلِيَ، وتفرَّقَتْ أوصالُه وعظامُه.

﴿وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ﴾ لأنَّه بُعِثَ شابًّا وبنو بَنيهِ شِيْبٌ.

والواوُ للعطف على مُضمَرٍ؛ أي: أحييناك لترى كيفيَّةَ الإحياءِ، ولنجعلَكَ آيةً.

وقيل: تقديره: ولنجعلَكَ آيةً أحييناك.

﴿وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ﴾: عظامِ حمارِك فيمن جعلَه ميتًا، فإذا هو بعظامٍ باليةٍ بِيْضٍ، فاستوى عجبُ الذَّنبِ منَ الحمار، ثم الفخذانِ والسَّاقان[5]، ثم عظامُ

---

(١) ذكر هذا الوجه ابن سيده في «المخصص» (٤/ ١٩٣)، والمصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٢٨)، وعدَّه ضعيفاً.

(٢) في (ن): «كقولهم».

(٣) من رجز للعجاج، وتمامه:

دانَى جَناحَيْهِ مِنَ الطُّورِ فَمَرّ
تَقَضِّيَ البازي إذا البازي كَسَرْ

انظر: «ديوان العجاج» تحقيق: السطلي (١/ ٤٢)، و«مجاز القرآن» (٢/ ٣٠٠)، و«غريب الحديث» لأبي عبيد (١/ ٢٨٠)، و«إصلاح المنطق» (ص: ٢١٦)، و«أدب الكاتب» (ص: ٤٨٧).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٢٨)، واستغربه.

(٥) في (و): «والبنان».

الظَّهرِ والجنبَيْن، ثم صار منه الكتفان والعضدان واليدان والفم والوجه واللِّسان، ثم كُسِي لحمًا.

وقيل: إلى عظام نفسك، وأوَّل ما خُلِقَ منه عيناه؛ لينظر إلى خَلْقِ سائرِ بدنِه[١].

والأحسنُ أن يُقال: عيناه وقلبه؛ لأنَّ العينَ حسُّها بالقلب[٢].

والقولُ الأوَّلُ أولى؛ لأنَّه بُعِثَ ثمَّ خُوطِبَ بقوله: ﴿كَمْ لَبِثْتَ﴾، وأجابَ بقوله: ﴿لَبِثْتَ﴾، وكيف يُخاطَب ويجيبُ وهو رميمٌ بعدُ!

﴿كيف نُنْشِرُها﴾: نُحييها، و﴿نُنشِزُهَا﴾ بالزَّاي[٣]: نضمُّ بعضَها إلى بعضٍ.

﴿ثُمَّ نَكْسُوهَا﴾؛ أي: العظامَ ﴿لَحْمًا﴾؛ أي: لحمًا وجلدًا.

﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ﴾: ظهرَ له كلَّ الظُّهور.

﴿قَالَ أَعْلَمُ﴾ وأُوقِنُ ﴿أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من الإماتةِ والإحياءِ وغيره ﴿قَدِيرٌ﴾: لا يُعجزُه شيءٌ.

ومن قرأ: ﴿قالَ اعْلَمْ﴾[٤] فهو من كلام الملَكَ أو النَّبيِّ على ما سبق.

وقيل: خاطبَ نفسَه بذلك.

وجاء في القصصِ أنَّ عُزيرًا لَمّا أحياه الله ركبَ حماره فأتى أهلَه فأنكروه،

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٢٩)، وضعَّفه.

(٢) هذا القول تفريع على القول الضعيف.

(٣) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو بالراء، وباقي السبعة بالزاي. انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٢).

(٤) قرأ حمزة والكسائي: ﴿قال اعلم﴾ موصولةَ الألف ساكنةَ الميم، وباقي السبعة بقطع الألف وضم الميم. انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٢).

فأملى عليهم التَّوراةَ من حفظِه، فقالوا: ما جعلَ الله التَّوراةَ في قلبِه إلّا وهو ابنُه، فعندها قالوا: عزيرٌ ابنُ الله(١).

***

(٢٦٠) - ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ للمفسِّرين في سببِ سؤالِ إبراهيمَ عليه السَّلام ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: ما رُويَ عن ابن عبّاسٍ وسعيد بن جبير والسُّدِّيِّ، قالوا: لَمّا اتَّخذ الله إبراهيمَ خليلًا استأذن ملكُ الموت ربَّه أن يأتي إبراهيمَ فيبشِّره بذلك، فأتاه وقال: جئتُكَ أبشِّرك بأنَّ اللهَ اتَّخذَكَ خليلًا، فحمد الله، وقال: ما علامةُ ذلك؟ قال: أن يُجيبَ الله دعاءَك ويُحيي الموتى بسؤالك، ثم انطلق فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾(٢).

﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ بعلمي بأنَّك تُجيبُني إذا دعوتُك وتُعطيني إذا سألتُك، واتَّخذتني خليلًا(٣).

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٤٣٢)، و«تفسير الثعلبي» (٧/ ١٨٥)، وقد روى ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٠/ ٣٢٦) عن ابن عباس ما يُشير إليه في خبر طويل.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١٩٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما وسعيد بن جبير والسدي. ورواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٦٢٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥٠٨) عن السدي.

(٣) روى الطبري في «تفسيره» (٤/ ٦٣٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما: «قوله: ﴿لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ قال: أعلم أنك تجيبني إذا دعوتك، وتعطيني إذا سألتك». وروى الطبري في «تفسيره» (٤/ ٦٢٨) عن سعيد بن جبير: «﴿وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾: بالخلة».

والثّاني: ما رُويَ عن الحسنِ وقتادةَ وعطاءٍ الخراسانيِّ والضَّحّاك وابن جريجٍ، قالوا: إنَّ إبراهيم عليه السَّلام مرَّ على دابّةٍ ميتةٍ قد توزَّعتها دوابُّ[1] البحرِ والبرِّ ـ قال ابن جرير[2]: كانت جيفةَ حمارٍ بساحل[3] البحر[4]، قال عطاءٌ: بحيرة الطَّبرية[5] ـ وكان إذا مدَّ البحرُ جاءت الحيتانُ ودوابُّ البحرِ فأكلَت منها، فما وقعَ منها يصيرُ في الماء، وإذا جزَرَ البحرُ جاءت السِّباعُ فأكلَت منها، فما وقع منها يصيرُ ترابًا، فإذا ذهبَ السِّباعُ جاءت الطَّيرُ فأكلت منها، فما سقطَ قطعته[6] الرِّيحُ في الهواء، فلمّا رأى ذلك تعجَّبَ منها وقال: يا ربِّ قد علمتُ لتجمعنَّها، فأرني كيف تُحييها لأعاينَ ذلك[7].

وزاد ابنُ زيدٍ فقال: كان حوتًا ميتًا نصفُه في البرِّ ونصفُه في البحر، فقال له الخبيثُ إبليسُ: متى يجمعُ الله هذه الأجزاءَ من بطونِ هؤلاء؟ فقال: ربِّ أرني كيفَ تُحيي الموتى؟ قال: أولم تؤمن؟ قال: بلى، ولكن ليطمئنَّ قلبي بذهاب وسوسةِ إبليسَ منه[8].

---

(١) في (و): «دابة».

(٢) كذا في النسخ الخطية، ولعل الصواب: «ابن جريج» كما في «تفسير الثعلبي» (٧/ ١٨٩)؛ فالظاهر أنَّ المصنف نقل عنه.

(٣) في (و): «بآخر».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٦٢٥) عن ابن جريج، بلفظ: «بلغني أن إبراهيم بينا هو يسير على الطريق إذا هو بجيفة حمار عليها السباع والطير قد تمزعت لحمها وبقي عظامها...».

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١٨٩)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٨٥).

(٦) في (ن): «سقطت قطعته أخذته».

(٧) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١٨٩)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٨٥ ـ ٨٦) عن الحسن وعطاء والضحاك وابن جريج، ورواه الطبري بنحوه في «تفسيره» (٤/ ٦٢٤ ـ ٦٢٥) عن قتادة والضحاك وابن جريج وابن زيد.

(٨) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٦٢٥).

والثّالث: ما رُويَ عن محمّد بن إسحاق بن يسار، قال: إنَّ إبراهيمَ لَمّا احتجَّ على نمروذٍ، فقال: ربِّي الذي يُحيي ويُميت، وقال نمروذ: أنا أُحيي وأُميت؛ ثم قتلَ رجلًا وأطلقَ رجلًا، فقال: قد أمَتُّ ذلك وأحييْتُ هذا، قال له إبراهيم: فإنَّ الله يُحيي بأن يردَّ الرُّوحَ إلى جسدِ الميت، فقال له نمروذ: وهل عاينْتَ هذا الذي تقولُه؟ فلم يقدر أن يقول: نعم رأيته[1]، فانتقلَ إلى حجّةٍ أخرى، ثم سأل ربَّه أن يريَه إحياءَ الميت؛ لكي يطمئنَّ قلبُه عند الاحتجاجِ بأن يكونَ مُخبِرًا عن مشاهدةٍ وعيانٍ[2].

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾؛ أي: واذكر إذ قال إبراهيم، ويُحتمَلُ أنَّه ظرفٌ لما بعدَه.

﴿رَبِّ أَرِنِي﴾؛ أي: عيانًا ﴿كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾ استفهامُ تقريرٍ.

﴿قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾: ليزدادَ بصيرةً ويقينًا.

﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ﴾ قال المفسِّرون: هي الدِّيكُ والطّاوسُ والغرابُ والحمامُ[3].

وجعل ابن عبّاسٍ الرّابعَ نسرًا[4].

---

(١) «رأيته»: ليس في (ن).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١٩٢ـ١٩٣) وقال: هذا معنى ما رواه محمد بن إسحاق، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٨٦)، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٦٢٦).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥١٠) عن مجاهد وعكرمة.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢٠١)، والواحدي في «البسيط» (٤/ ٤٠٠)، والمصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٢٩). وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥١١) عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «والطير الذي أخذ: وز ورال وديك وطاووس».

أبو هريرة[١]: الغُرْنُوقَ[٢] بدلَ الغراب.

عطاءٌ الخراساني: بطّةً خضراء، وغرابًا أسود، وحمامةً بيضاء، وديكًا أحمر[٣].

﴿فَصُرْهُنَّ﴾: قَطِّعْهُنَّ، فتصير.

﴿إِلَيْكَ﴾ مِن صلةِ (خُذ)؛ أي: خذ إليك.

وقيل معناه: أَمِلْهُنَّ إليك، فيكونُ (فقَطِّعْهُنَّ) مضمرًا.

والكسرُ والضَّمُّ لغتان فيهما[٤].

﴿ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾؛ أي: خلِّطْ لحمَها وريشَها وعظمَها، واجعل مِن كلِّ واحدٍ منهنَّ جزءًا، بيدِك لا بيدِ غيرِك.

والجُزء: البعضُ.

---

(١) كذا في النسخ الخطية، وكذا في «تفسير الثعلبي» تحقيق: ابن عاشور (٢/ ٢٥٣)، وزيد في (ن): «رضي الله عنه»، ولعل هذا كله تصحيف، والصواب: أبو هبيرة، كما في «تفسير الثعلبي» دار التفسير (٧/ ٢٠٤)، وهو الذي روى الغرنوق عن ابن عباس، كما في «تفسير ابن أبي حاتم» (٢/ ٥١١)، وهو أبو هبيرة عبد الله بن هبيرة بن أسعد بن كهلان السبئي الحضرمي المصري (ت: ١٢٦هـ)، وثَّقه أحمد. انظر: «تهذيب الكمال» (١٦/ ٢٤٢)، و«تاريخ الإسلام» (٣/ ٤٤٨).

(٢) الغُرنُوق: طائر مائيٌّ أبيض طويل السّاق، جميل المنظر له قُنْزُعة ذهبيّة اللون. انظر: «أدب الكاتب» لابن قتيبة (ص: ١٠٧)، و«معجم اللغة العربية المعاصرة» لأحمد مختار عمر مادة: (غ ر ن ق).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢٠٥)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٢٣٦)، ويلاحظ أن الأقوال في تعيين هذه الطيور مختلفة، وقد قال ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٠٠): «لا طائل تحت تعيينها؛ إذ لو كان في ذلك مهمٌّ لنصَّ عليه القرآن».

(٤) قرأ حمزة بكسر الصاد في ﴿فصِرهن﴾، وقرأ باقي السبعة بضمها. انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٩٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٢).

﴿عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ﴾ مجاهدٌ: عامٌّ؛ أي: كل جبلٍ يمكنُك[(١)].

ابن عبّاسٍ والحسن وقتادة: كانت أربعةَ أَجْبلٍ[(٢)].

السُّدِّيُّ وابن جريج: سبعةَ أجبلٍ[(٣)].

القفّال: إنَّما[(٤)] خصَّ أربعةَ أجبلٍ إشارةً إلى نواحي الدُّنيا؛ مهابِّ الرِّيحِ من الجنوب والشَّمال والدَّبور والصَّبا[(٥)].

﴿ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ﴾؛ أي: الطُّيورَ الأربعةَ بأسمائِها.

وقيل: لم يكن ذلك دعاءً على الحقيقة، وإنَّما كان إرادةً، أي: أَرِدْ إتيانهنَّ[(٦)].

﴿يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ ينضمُّ كلُّ جزءٍ إلى ما كان متَّصلًا به، فيسرعْنَ المشيَ إليك، فإذا شاهدتَه علمْتَ كيفيَّةَ الإحياء.

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٣٣٥)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٦٤٧) بلفظ: «ثم بددهن على كل جبل يأتينك سعيًا». وقال الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢١٤): «لفظه عام، ومعناه خاص؛ لأن أربعة من الطير لا تبلغ الجبال كلها، ولا كان إبراهيم يصل إلى ذلك».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٦٤٤) بألفاظ مختلفة عن ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة والربيع وابن إسحاق وابن زيد، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥١٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما. وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢١٥) عن ابن عباس وقتادة والربيع وابن إسحاق.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٦٤٥ ـ ٦٤٦)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢١٦) عن ابن جريج والسدي، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥١٣) من طريق ابن جريج عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) «إنما» من (ن).

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٣٠) دون نسبة، وذكر الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٣٣٥) عن ابن بحر قال: «أراد جهات الدنيا الأربع؛ وهي المشرق والمغرب والشمال والجنوب، فمثلها بالجبال».

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٣٠)، واستغربه.

﴿وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ﴾؛ أي: دُمْ على العلمِ بأنَّ الله ﴿عَزِيزٌ﴾: لا يمتنعُ عليه إحياءُ الموتى وغيرُه، ﴿حَكِيمٌ﴾ في تدبيرِه.

ففعلَ إبراهيمُ عليه السَّلام ما أُمِرَ ودعاهُنَّ: (فتَعالَيْنَ بإذنِ الله)، فرأى بعضَها يسعى إلى بعضٍ، ثم أقبلْنَ نحوَه.

وقيل: أمسكَ رؤوسَهُنَّ، فأقبلْنَ نحو الرُّؤوس، فسبحانَ الذي لا يعجزُه شيءٌ!

قال مقاتل بن سليمان: كان ذلك بالشّام قبل مولدِ إسماعيلَ وإسحاقَ، وقبل أن تُنزلَ عليه الصُّحف[1].

ابن عبّاسٍ وقتادة والرَّبيع: جعلَ كلَّ طائرٍ أربعةَ أجزاء، فجعلَ على كلِّ جبلٍ ربعًا[2].

وقال أبو مسلم: ما قطعَ إبراهيمُ الطَّيرَ أجزاءً ولا أُمِرَ به، وإنَّما هذا مَثلٌ لإحياء الله الموتى[3].

وقولُ المفسِّرين أولى بالاتِّباع.

* * *

(٢٦١) ـ ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٢١٩).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٦٤٣ ـ ٦٤٤).

(٣) ذكره الرازي في «التفسير الكبير» (٧/ ٣٨)، وأبو حيان في «البحر المحيط» (٢/ ٦٤٨)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٣٠)، وعدَّه من العجائب، وأبو مسلم هذا هو ابن بحر، وهو من أئمة المعتزلة، وقد تقدَّمت ترجمته.

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ﴾ تقديرُه: مثلُ نفقةِ الذين... والمرادُ بها: الزَّكاةُ والصَّدقةُ وغيرُهما، والحبَّةُ التي نبتَتْ سبعَ سنابلَ مَثَلٌ لا يُشترَطُ وجودُه، والمعنى: لو عُلِمَ إنسانٌ يطلبُ الزِّيادةَ أنَّه إذا بذر حبَّةً واحدةً أخرجَتْ له سبعَ مئةِ حبَّةٍ؛ ما كان ينبغي له تركُ ذلك ولا التَّقصيرُ فيه، وكذلك ينبغي لمن طلبَ الأجرَ في الآخرة.

قال أبو مسلمٍ: قيل: وُجِدَ ذلك في الدُّخْنِ[1].

﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ هذهِ المضاعفةَ، ويجوزُ: يضاعفُ لمن يشاءُ[2] الزِّيادةَ على ذلك.

وليس بينَ قولِه: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ وبينَ هذه الآيةِ تناقضٌ؛ لأنَّه لم يبيِّن المِثْلَ؛ هل هو في القَدْرِ أو غيرِه؟

﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

***

(٢٦٢) ـ ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

---

(١) ذكره بلا نسبة الواحدي في «البسيط» (٤/ ٤٠٨)، والبغوي في «تفسيره» (١/ ٣٥٩)، والجرجاني في «درج الدرر» (١/ ٨٠٢)، والمصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٣٠)، والزمخشري في «الكشاف» (١/ ٣١٠). وذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٢/ ٦٥٤) عن ابن عيسى.

والدُّخنُ: جنسٌ من النباتات العشبيّة، حَبُّه صغير أملس كحبِّ السمسم، ومنه نوع يصلح حَبُّه طعامًا للعصافير. انظر: «معجم اللغة العربية المعاصرة» (١/ ٧٣١) مادة: (د خ ن).

(٢) «هذه» ليس في (ن).

﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ الكلبيُّ: نزلت في عثمانَ بنِ عفّانَ وعبدِ الرَّحمن بن عوفٍ رضي الله عنهما.

أمّا عثمانُ رضي الله عنه فقال: عليَّ جهازُ مَن لا جهازَ له في غزوةِ تبوك، فجهَّزَ المسلمين بألف بعيرٍ بأقتابها وأحلاسِها، وتصدَّقَ برُومةَ ـ ركيّةٍ كانَت له ـ على المسلمين، فنزلَت فيه هذه الآية(١).

وقال أبو سعيدٍ الخدريُّ رضي الله عنه: رأيْتُ رسولَ الله ﷺ رافعًا يدَه يدعو لعثمانَ ويقول: «يا ربِّ، عثمان بن عفّان، رضيْتُ عنه فارضَ عنه»، فما زال رافعًا يدَه حتى طلعَ الفجر(٢).

---

(١) ذكره مقاتل بن سليمان في «تفسيره» (١/ ٢١٩)، والثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢٢٦)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٨٧)، وخبر عثمان رضي الله عنه في تجهيز جيش العسرة رواه الترمذي (٣٧٠٠) عن عبد الرحمن بن حباب رضي الله عنه، وقال: «حديث غريب». وخبر التصدق ببئر رومة علقه البخاري (٢٧٧٨)، ورواه الترمذي (٣٦٩٩) من حديث أبي عبد الرحمن السلمي عن عثمان رضي الله عنه.

والأقتاب: جمع قَتَب، وهو رحل صغير على قدر السَّنام. انظر: «الصحاح» (١/ ١٩٨) مادة: (ق ت ب).

والأحلاس: جمع حِلْس، وهو كل شيء وَلِيَ ظهر البعير والدّابّة تحتَ الرحل والقتب والسرج. انظر: «المحكم والمحيط الأعظم» (٣/ ١٩٠) مادة: (ح ل س).

(٢) رواه ابن سمعون في «أماليه» (١/ ١٠٧)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٩/ ٥٤)، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٨٧).

وقد ورد دعاء النبي ﷺ لعثمان رضي الله عنه في أكثر من حديث، منها ما رواه البزار في «مسنده» (٢٢٩) عن عائشة رضي الله عنها، وما رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٧/ ٢٤٩) عن أبي مسعود رضي الله عنه. وقد روى الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (٨٣٢) عن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما رأيت رسول الله ﷺ يدعو لفرد إلا لعثمان بن عفان، فإني رأيته ـ يعني: يدعو ـ حتى رأيت ضبعيه».

وأمّا عبد الرَّحمن بن عوفٍ رضي الله عنه فإنَّه جاء إلى رسول الله ﷺ بأربعةِ آلافِ درهمٍ صدقة، فقال: كان عندي ثمانيةُ آلاف، فأمسكْتُ منها لنفسي وعيالي أربعةَ آلافٍ، وأربعةَ آلافٍ أقرضتُها ربِّي، فقال له رسولُ الله عليه السلام: «باركَ الله لك[1] فيما أمسكْتَ وفيما أعطيْتَ»[2].

وقوله[3]: ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ قيل: هو الجهادُ، وقيل: أبوابُ البرِّ كلُّها.

﴿ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا﴾؛ أي: على المُعطَى له.

قال المفسِّرون: هو أن يقولَ: أحسنْتُ إلى فلانٍ وأعنْتُه ونعشْتُه.

﴿وَلَآ أَذًى﴾ هو أن يقولَ على سبيل التَّبرُّم: أنت أبدًا فقيرٌ، خلَّصني اللهُ منك، وإنَّما تجيئني عند الحاجة.

قال القفّال: ﴿ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا﴾ على اللهِ ﴿وَلَآ أَذًى﴾ لصاحبِها[4].

ابن عيسى: الأذى[5] ضررٌ يُتعجَّلُ وصولُه إلى المضرور.

---

(١) «لك» من (ن).

(٢) سبق تخريج قول الكلبي في سبب نزول الآية، وأما خبر عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فرواه البزار في «مسنده» (٨٦٧٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه وعمر بن أبي سلمة عن أبيه، ورواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٨٩ ـ ٥٩٢) عن ابن عباس وعمر بن أبي سلمة عن أبيه وغيرهما، ولكن هذه الروايات إنما وردت في سبب نزول قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [التوبة: ٧٩].

(٣) في (و): «وقيل».

(٤) ذكر الثعلبي ذلك في «تفسيره» (٧/ ٢٤٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وذكر الواحدي في «البسيط» (٤/ ٤١٢) بعضه. ونقل الرازي في «التفسير الكبير» (٧/ ٤٠) عن القفال ما يدلُّ على أنَّ المنَّ على النبي ﷺ والمؤمنين.

(٥) «الأذى» من (ن).

﴿لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ﴾: ثوابُهم ﴿عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ في القيامةِ.

﴿وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ الخوفُ: توقُّع الضَّرر الذي لا يُؤمَنُ وقوعُه.

﴿وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ الحزنُ: الغَمُّ الذي يغلظُ على النَّفْس، مشتقٌّ من (الحَزْن)، وهو الأرضُ الغليظـ[ـة][1].

***

(٢٦٣) ـ ﴿قَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞ وَمَغۡفِرَةٌ خَيۡرٞ مِّن صَدَقَةٖ يَتۡبَعُهَآ أَذٗىۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٞ﴾.

﴿قَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞ﴾؛ أي: في حقِّ السَّائل، نحو: سيكون إن شاء الله، وأغنانا الله وإيّاك، ولطفَ الله[2] لنا ولك.

﴿وَمَغۡفِرَةٌ﴾: سترُ الخلَّةِ[3] على السّائل.

الحسن: هو أن يعفوَ عن ظُلمِه[4].

وقيل: التَّجاوزُ عن السّائل إذا استطالَ عليه بردِّه[5].

﴿خَيۡرٞ مِّن صَدَقَةٖ يَتۡبَعُهَآ أَذٗىۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ﴾ عن صدقات العباد ﴿حَلِيمٞ﴾ حيث لم يعجِّلْ عقوبةَ المنّانِ والمؤذي.

***

(١) انظر: «المخصص» لابن سيده (٣/ ٥٥).

(٢) اسم الجلالة «الله» من (ن).

(٣) الخلة: الحاجة والفقر. انظر: «الصحاح» (٤/ ١٦٨٧) مادة: (خ ل ل).

(٤) ذكره الواحدي في «البسيط» (٤/ ٤١١) عن عطاء والحسن.

(٥) قال الواحدي في «البسيط» (٤/ ٤١١): «علم الله تعالى أن الفقير إذا رُدَّ بغير نوال شقَّ عليه ذلك، فربما يدعوه ذلك إلى بذاءة اللسان، فأمر بالصفح والعفو عنه، وبين أن ذلك خير من صدقة يتبعها أذى».

(٢٦٤) - ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم ﴾ بأن تعدموا ثوابها ﴿بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾؛ أي: إبطالًا كإبطالِ المنافقِ الذي ينفقُ مالَه رياءً وسمعةً يبتغي بذلك الثَّناءَ والذِّكرَ الجميلَ عند النّاس.

﴿وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾: ولا يرجو لنفقتِه أجرًا وثوابًا في القيامةِ؛ لكفرِه بالله واليوم الآخر.

﴿فَمَثَلُهُۥ﴾؛ أي: مثلُ عملِه ﴿كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾: حجرٍ، واحدُها: صفوانةٌ.

﴿عَلَيْهِ تُرَابٌ﴾ فلا ينبتُ شيئًا.

﴿فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ﴾: مطرٌ شديدٌ.

﴿فَتَرَكَهُۥ﴾: فترك الوابلُ الصَّفوانَ ﴿صَلْدًا﴾: حجرًا أملسَ برّاقًا؛ أي: أزالَ ما به من التّراب.

﴿لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟﴾: لا يجدونَ يومَ القيامةِ ثوابَ ما عملوا في الدُّنيا.

ويُحتمَل: لا يجدُ المبطِلُ صدقتَه بالمنِّ والأذى ثوابَ شيءٍ[1] مِن كسبِه؛ عدلَ من الخطابِ إلى الغيبة.

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: لا يرشدُهم ولا يوفِّقُهم.

* * *

(١) في (و): «كل شيء».

(٢٦٥) ـ ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾: طلبَ رضاه.

﴿وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ ابن زيدٍ والسُّدِّيُّ: بقوّةِ النَّفسِ والبصيرةِ في الدِّين[١].

الحسن ومجاهدٌ: يتثبَّتون أينَ يضعون صدقاتهم[٢].

وقيل: توطينًا لأنفسِهم على الثُّبوتِ[٣] على طاعة الله.

﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ﴾: بستانٍ ذات أشجارٍ.

﴿بِرَبْوَةٍ﴾: بنشزٍ من الأرض، وهو أحمدُ مواضعِ الجنانِ في النُّزهةِ وكثرةِ النَّباتِ والرَّيع.

﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ﴾: المطرُ العظيمُ الشَّديدُ الوَقْع.

﴿فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا﴾: ثمرَها؛ أي: ما يُؤكَلُ منها.

﴿ضِعْفَيْنِ﴾: مِثْلَي غيرِها من الجنان.

وقيل: أربعةَ أمثالِها، والضِّعْفُ: المِثْلان.

قال أبو مسلمٍ: ثلاثة أمثالها[٤]. وليس لهذا في العربيَّة وجهٌ، وقولُ أبي

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٤/ ٤١٥).

(٢) رواه ابن زنجويه في «الأموال» (٢٣١٥)، والطبري في «تفسيره» (٤/ ٦٦٩) عن مجاهد، ورواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٦٧٠) عن الحسن.

(٣) «على الثبوت» من (ن).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٣١) بلا نسبة، واستغربه، ونقله أبو حيان في «البحر =

عبيدة: ﴿يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِ﴾ يأتي في موضعه[1].

﴿فَإِن لَّمۡ يُصِبۡهَا وَابِلٞ﴾؛ أي: فإن لم يكن يصيبُها مطرٌ شديدٌ ﴿فَطَلّٞ﴾ والطَّلُّ: المطرُ الصِّغارُ القَطْرِ.

قال القفّال: فثمرتُها بحالها[2] في الحالين، لا تنقصُ بنقصانِ المطر.

وقال: قال بعضهم: فإن لم يصبْها وابلٌ فتتضاعفُ ثمرتُها أصابَها طلٌّ فأخرجَت ثمرًا دونَ ما تخرجُه بالوابل، فهو على كلِّ حالٍ لا يخلو من أن يُثمرَ.

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: لا تخفى عليه أعمالُكم ومقاصدُكم من رياءٍ وإخلاصٍ.

* * *

= المحيط» (٢/ ٦٦٩)، ونقل إنكار الكرماني له، لكن نقل الرازي في «التفسير الكبير» (٧/ ٥٠) عن أبي مسلم في تفسير الضعفين قوله: «وقال أبو مسلم: مثلي ما كان يعهد منها».

(١) في «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ١٣٦): «﴿يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِ﴾ أي: يجعل لها العذاب ثلاثة أعذبة؛ لأن ضعف الشيء مثله، وضعفي الشيء مِثلا الشيء، ومجاز (يضاعف) أي: يجعل الشيء شيئين حتى يكون ثلاثة، فأما قوله: (يضعِّف) أي: يجعل الشيء شيئين»، وقد عدَّ المصنِّف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٣١) قول أبي مسلم غريباً، واستدلاله بكلام أبي عبيدة عجيباً، وقد بيَّن ابن القيم وجه هذا الوجه فقال: «وقيل: ضعفه مثلاه، وضعفاه ثلاثة أمثاله، وثلاثة أضعافه أربعة أمثاله، كلما زاد ضعفاً زاد مثلاً، والذي حمل هذا القائل على ذلك فراره من استواء دلالة المفرد والتثنية؛ فإنه رأى ضعف الشيء هو مثله الزائد عليه، فإذا زاد إلى المثل صار مثلين، وهما الضعف، فلو قيل لها: ضعفان، لم يكن فرق بين المفرد والمثنى، فالضعفان عنده مثلان مضافان إلى الأصل، ويلزم من هذا أن يكون ثلاثة أضعافه ثلاثة أمثاله مضافة إلى الأصل، وهكذا أبدًا، والصواب: أن الضعفين هما مثلان فقط، الأصل ومثله». انظر: «التفسير القيم» (ص: ١٦٤).

(٢) في (ن): «لحالها».

(٢٦٦) ـ ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ﴾: استفهامُ تنبيهٍ، والمعنى: أيتمنَّى ويحبُّ؟

والفرقُ بينَ الودِّ والحبِّ أنَّ الودَّ يُستعمَلُ للماضي والمستقبل كالتَّمنِّي، والحبُّ خاصٌّ في الاستقبال[(١)].

﴿أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ﴾: بستانٌ ﴿مِّن نَّخِيلٍ﴾: جمع نخلٍ، والنَّخلُ: ما ثمرُه التَّمرُ.

﴿وَأَعْنَابٍ﴾: ثمرِ الكرمِ.

﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ تطَّردُ فيها مياه، ويجوزُ أن يكونَ المعنى: منابعُها من تحتِها.

﴿لَهُۥ﴾: لصاحب البستان ﴿فِيهَا﴾: في الجنّة ﴿مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ مع الرُّطب والعنب، فهو النِّهايةُ في الكمال.

﴿وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ﴾ أصاب صاحبَها كبرُ السِّنِّ.

أكثرَ المفسِّرونَ في عطفِ الماضي على المستقبلِ في قولِه: ﴿فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ﴾ هاهنا، فقال الفرّاء: يجوزُ ذلك في (يودُّ)؛ لأنَّها تُتلقَّى[(٢)] مرّةً بـ(أن) ومرّةً بـ(لو)، فجاز أن يُقدَّر أحدُهما مكانَ الآخر[(٣)].

---

(١) لم أقف على مَن ذكر هذا الفرق قبل المصنِّف، وقد ذكر العسكري وجهاً آخر. انظر: «معجم الفروق اللغوية» (ص: ١٧٤)، و«غرائب التفسير» (١/ ٢٣٢).

(٢) في (و): «تتلقى ذلك».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ١٧٥).

عليُّ بن عيسى: دلَّ (أن) على الاستقبال، ويُضمَّنُ الكلامُ معنى (لو) على التَّمنِّي.

ويحتمل أنَّ التَّقدير: وقد أصابَه الكبرُ.

﴿وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ﴾: أولادٌ ﴿ضُعَفَآءُ﴾: صغارٌ.

﴿فَأَصَابَهَآ﴾: فيصيبُها ﴿إِعْصَارٌ﴾: ريحٌ شديدةٌ.

والإعصارُ في اللُّغة: ريحٌ شديدةٌ تهبُّ من الأرضِ إلى السَّماء كالعمود، يُسمِّيها العامّةُ الزَّوبعةَ، قال:

إنْ كنْتَ ريحًا فقد لاقيْتَ إعصارًا[١]

﴿فِيهِ﴾: في الإعصارِ ﴿نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ﴾؛ أي[٢]: الجنَّة.

والاحتراقُ: افتراقُ الأجزاءِ بالنّار.

والمعنى: أيودُّ أحدُكم أن يكونَ له بستانٌ بهذه الصِّفة، ثم فقدَها[٣] أحوجَ ما يكونُ إليه، وهو حالةُ الكِبَرِ المقعِدِ عن الكسبِ مع طفولةِ الأولادِ وعجزِهم عن الكسبِ[٤]؛ أي: فليس يودُّ هذا أحدٌ[٥]، فكذلك ينبغي أن لا تُبطلوا صدقاتِكم بالمنِّ والأذى والرِّياء.

---

(١) هو شطر بيت جرى مثلًا، لم أقف على قائله أو تتمته، وهو يضرب للرجل يكون جلدًا فيصادف مَن هو أجلدُ منه. انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص:٩٧)، و«الأمثال» لأبي عبيد (ص: ٩٦)، و«الكامل» للمبرد (١/ ٢٥٣).

(٢) «أي» من (ن).

(٣) كذا في النسخ الخطية، والمراد: فقدَ تلك الصفة في البستان عندما احتاجه.

(٤) «عن الكسب» من (ن).

(٥) في (و): «أحدكم».

السُّدِّيُّ: هذا المثلُ للمرائي[١].

ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما: مثلُ الذي يختمُ عملَه بفساد[٢].

مجاهدٌ: مثل المفرِّطِ في طاعةِ الله في الدُّنيا يحصلُ في الآخرةِ على الحسرة العظمى[٣].

﴿كَذَٰلِكَ﴾: كبيانِ هذهِ بضربِ الأمثالِ ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ﴾: أوامرَه ونواهيَه ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾؛ أي[٤]: لكي تتفكَّروا في أمثالِه فتنتهوا.

والفكرُ: طلبُ الإدراكِ بالقلب.

* * *

(٢٦٧) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾.

---

(١) في (ن): «هذا مثل المرائي». رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٦٨١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥٢٣).

(٢) «بفساد» من (ن). رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٦٨٢)، وروى البخاري (٤٥٣٨) عن عبيد بن عمير، قال: «قال عمر رضي الله عنه يومًا لأصحاب النَّبي ﷺ: فيم ترونَ هذه الآية نزلت: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ﴾؟ قالوا: الله أعلم، فغضب عمر فقال: قولوا: نعلم أو لا نعلم، فقال ابن عباس: في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين، قال عمر: يا ابن أخي قل ولا تحقر نفسك، قال ابن عباس: ضربت مثلًا لعمل، قال عمر: أيُّ عمل؟ قال ابن عباس: لعمل، قال عمر: لرجل غني يعمل بطاعة الله عز وجل، ثم بعث الله له الشيطان، فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٦٨٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥٢٢).

(٤) «أي» من (ن).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ ﴾؛ أي: ليكنْ إنفاقكم في سبيلِ الله من حلالٍ تكسبونه، وعن النَّبيِّ ﷺ: «هو عملُ الرَّجلِ بيدِه، وكلُّ عملٍ مبرورٍ»[1].

وقيل: المرادُ بالطَّيِّب هاهنا: الجيِّدُ، وبالخبيثِ: الرَّديءُ.

الحسنُ: هو الزَّكاة[2].

وقيل: التَّطوُّع.

﴿وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ يريد: ما فيه العُشْرُ من الزُّروعِ والنَّباتِ والأشجار، ويُحتمَلُ المعادن.

﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ﴾: لا تقصدوا الرَّديءَ ﴿مِنۡهُ﴾: من المال ﴿تُنفِقُونَ﴾؛ أي: ذلك الخبيثَ.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٧٢٦٥)، والحاكم في «المستدرك» (٢١٦٠) من حديث رافع بن خديج رضي الله عنه، ولفظ أحمد: قيل: يا رسول الله، أي الكسب أطيب؟ قال: «عمل الرجل بيده، وكل بيع مبرور». قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٦٠): «رواه أحمد، والبزار، والطبراني في الكبير والأوسط، وفيه المسعودي، وهو ثقة، ولكنه اختلط، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح»، وروى نحوه الإمام أحمد في «المسند» (١٥٨٣٦)، والحاكم في «المستدرك» (٢١٥٨) من حديث أبي بردة بن نيار رضي الله عنه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٧٠٢) بلفظ: «كان الرجل يتصدق برذالة ماله، فنزلت: ﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ﴾».

وروى الطبري في «تفسيره» (٤/ ٧٠٠) عن علي رضي الله عنه، ولفظه: «نزلت هذه الآية في الزكاة المفروضة». وروى الحاكم في «المستدرك» (٣١٢٢) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: «أمر النبي ﷺ بزكاة الفطر بصاع من تمر، فجاء رجل بتمر رديء، فقال النبي ﷺ لعبد الله بن رواحة: «لا تخرص هذا التمر» فنزل القرآن: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ ﴾»، وصحَّحه الحاكم على شرط مسلم، ووافقه الذهبي. وانظر: «الدر المنثور» (٢/ ٥٩).

﴿وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ﴾؛ أي: ولستم بآخذي ذلك الخبيثِ لو دُفِعَ إليكم في حقٍّ ﴿إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ﴾؛ أي: بالإغماض؛ أي: مساهلةً ومسامحةً.

وقيل: على استحياءٍ من ردِّه.

ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما: إلّا أن تحطُّوا من الثَّمنِ فيه(١).

الزجّاج: إلّا بوكسٍ(٢).

وقيل: الهاء في ﴿مِنْهُ﴾ تعود إلى ﴿ٱلْخَبِيثَ﴾؛ أي: من الخبيث تنفقون ولستم بآخذيه.

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ﴾ عن صدقاتِكم.

﴿حَمِيدٌ﴾: مُستحقٌّ للحمدِ على ما يتعبَّدكم.

وقيل: ﴿حَمِيدٌ﴾: محمودٌ.

عن البراء رضي الله عنه قال: نزلَت هذه الآيةُ في الأنصار، كانت تُخْرِجُ إذا كان جِدادُ النَّخل من حيطانها(٣) أقناءً من التَّمرِ والبُسْر، فيعلِّقونها على حبلٍ بين أسطوانَتَين في مسجدِ رسولِ اللهِ ﷺ، فيأكُلُ منه فقراءُ المهاجرين، وكان الرَّجلُ يعمِدُ فيُدخِلُ قِنْوَ الحَشَفِ(٤) فيه، وهو يظنُّ أنَّه جائزٌ عنه في كثرة ما يُوضَعُ من الأَقْناءِ، فنزلَ فيمن فعلَ ذلك هذه الآية(٥).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٧٠٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥٢٨).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣٥٠).

(٣) في (ن): «إذا كانت جدادًا من حيطانها».

(٤) في (و): «الحشفة».

(٥) رواه الترمذي (٢٩٨٧)، وابن ماجه (١٨٢٢)، واللفظ أقرب إليه، وقال الترمذي: «حسن غريب صحيح». والقنوُ: العذقُ بما فيه من الرُّطب، والحشفُ: رديءُ التَّمر. انظر: «تاج العروس» (٢٣/ ١٤١) مادة: (ح ش ف)، و(٣٩/ ٣٥٠) مادة: (ق ن و).

(٢٦٨) ـ ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾.

﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾: إبليس ﴿يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ﴾: الحاجةَ، والفقرُ: الضَّعفُ بقلّةِ الملك.

﴿وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِ﴾: بالبخلِ وسائرِ معاصي[1] الله، والفاحشُ: البخيلُ.

﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ﴾ على الإنفاقِ، ﴿وَفَضۡلٗا﴾: وخَلَفًا مما تُنفقون.

﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾؛ أي: واسع الفضل، وقيل: واسعٌ يوسِّعُ على مَن يشاء.

﴿عَلِيمٞ﴾ بأفعالِكم ونيّاتِكم.

* * *

(٢٦٩) ـ ﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾.

﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُ﴾ ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما: علمَ القرآن[2].

السُّدِّيُّ: النُّبوّة[3].

مجاهدٌ: الكتابةَ[4].

وقيل: الفهمَ والخشيةَ، والإصابةَ في القولِ، والعلمَ في الدِّين.

﴿وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾: وما يتّعظُ بمواعظِ الله إلا ذوو العقولِ السَّليمة.

* * *

(١) في (ن): «المعاصي».
(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥٣١).
(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٥١٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٨٠).
(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٣٤٤).

(٢٧٠) ـ ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾.

﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ﴾ صغيرةٍ أو كبيرةٍ.

وقيل: المرادُ به الزَّكاةُ، ﴿أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ﴾: التَّطوُّع؛ فالنَّذرُ ما أوجبَه الإنسانُ على نفسِه من البرِّ.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾ فيجازي عليه من غيرِ تضييعِ شيءٍ منه.

﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ في إنفاقِهم رياءً وسمعةً من غيرِ حلِّه.

﴿مِنْ أَنصَارٍ﴾: أعوانٍ يمنعونَه[1] مـن عذابِ الله، جمع (نصيرٍ) كـ(شريفٍ وأشرافٍ).

* * *

(٢٧١) ـ ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ الكلبيُّ: لمّا نزلَ: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ﴾ الآية قالَت الصَّحابةُ: يا رسولَ الله، صدقةُ السِّرِّ أفضلُ أم صدقةُ العلانيةِ؟ فأنزلَ الله: ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾[2]؛ أي: إن تظهروا إيتاءَها للفقراءِ ﴿فَنِعِمَّا هِىَ﴾؛ أي: فَنِعْمَ شيئًا إيتاؤُها، فحذفَ المضافَ.

---

(١) في (و): «يمنعون».

(٢) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٨٩)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٢٤٣) عن الكلبي، والثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٣١٦) بلا نسبة.

﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ﴾؛ أي: الإخفاءُ، وقيل: الإيتاءُ ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾؛ أي: من الإبداءِ.

والإجماعُ أنَّ[1] الإبداءَ في الفرضِ أولى، وأنَّ الإخفاءَ في التَّطوُّعِ أحسنُ.

ويُحتمَلُ أنَّ المعنيَّ بالخير: الثَّوابُ والحسنة، لا التَّفضيلُ.

﴿وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾؛ أي: في كلتا الحالتين يُكفِّرُ بالصَّدقةِ سيِّئاتِكم.

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من الإبداءِ والإخفاءِ ﴿خَبِيرٌ﴾: عالمٌ.

وقيل: هذا[2] إشارةٌ إلى أنَّ الإخفاءَ أولى؛ إذ كان الله يعلمُ ذلك، فما معنى الإبداءِ؟!

* * *

(٢٧٢) ـ ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾.

﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ﴾ سعيدُ بنُ جُبيرٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا تصدَّقوا إلَّا على أهلِ دينِكم»، فنزلَت هذه الآيةُ، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «تصدَّقوا على أهلِ الأديانِ»[3].

---

(١) «أن» من (ن).

(٢) في (و): «هذه».

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٠٣٩٨)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٨٩) هكذا مرسلًا، ووصله النسائي في «السنن الكبرى» (١٠٩٨٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥٣٩)،

ابن الحنفيّة: نزلَت في أسماءَ بنتِ أبي بكرٍ، أتتها أمُّها قتيلةُ وجدَّتُها يَسألانها وهما مشركتان، فقالت: لا أعطيكما شيئًا حتى أستأمرَ رسولَ الله ﷺ؛ فإنَّكما لستما على ديني، فاستأمرتْه في ذلك، فنزلَت[1] هذه الآية، فأمرَها أن تتصدَّقَ عليهما، فأعطتهُما ووصلتهُما[2].

ومعنى ﴿هُدَىٰهُمْ﴾: اهتداؤُهم.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ بلطفِه.

صاحب النَّظم: هو متَّصلٌ بقوله: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ﴾.

وقوله: ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ﴾؛ أي: من نفقةِ خيرٍ.

وقيل: ﴿مِنْ خَيْرٍ﴾: من مالٍ.

﴿فَلِأَنفُسِكُمْ﴾؛ أي: فلأنفسِكم[3] ثوابُه لا يُجاوزُها.

﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾ الزَّجّاج: هذا خاصٌّ للمؤمنين، علم منهم أنَّهم بالإنفاقِ يريدون وجهَ الله لا غيرَه[4].

والحاكم في «المستدرك» (٣١٢٨)، والضياء المقدسي في «المختارة» (١٠/ ١١٥) عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(١) في (ن): «فأنزل الله».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٣٣٣)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٩٠) عن الكلبي.

وروى البخاري (٥٩٧٨) واللفظ له، ومسلم (١٠٠٣) عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: أتتني أمي راغبة في عهد النبي ﷺ، فسألت النبي ﷺ: آصلها؟ قال: «نعم»، قال ابن عيينة: فأنزل الله تعالى فيها: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ [الممتحنة: ٨].

(٣) «أي فلأنفسكم» من (ن).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣٥٥).

القفّال: فيه تقديمٌ وتأخيرٌ، تقديرُه: وما تنفقوا من خيرٍ ـ وما تنفقون إلّا ابتغاءَ وجهِ الله ـ فلأنفسكم، فيكون حالًا[(١)].

وقيل: تقديرُه النَّهيُ؛ أي: لا تنفقوا إلّا ابتغاءَ وجهِ الله.

وعن القفّال أيضًا: ﴿وَمَا تُنفِقُونَ﴾؛ أي: ولا تكونوا مُنفقينَ مستحقِّينَ لهذا الاسمِ حتَّى تبتغوا بذلك وجهَ الله[(٢)].

﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾: يُوفَّر عليكم جزاؤُه.

﴿وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾: لا تُنقَصون من استحقاقِكم، سواء أنفقتم على مسلمٍ أو كافرٍ إذا أردتم وجهَ اللهِ سبحانه.

* * *

(٢٧٣) ـ ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾.

﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا﴾ في هذا اللّام[(٣)] كلامٌ؛ فذهبَ بعضُهم إلى أنَّ التَّقدير: الصَّدقاتُ التي تقدَّمَت والنَّفقاتُ التي ذُكِرَت للفقراء، فتكون خبرَ مبتدأٍ محذوفٍ.

---

(١) ذكر نحوه الواحدي في «البسيط» (٤/ ٤٤٦)، ونسبه لصاحب النظم، وفيه: «وقال صاحب النظم: قوله تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ حال متوسط بين الجزاء والشرط، تأويله: وما تنفقوا من خير، وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله، أي: إذا أنفقتم على هذه الحال فلأنفسكم، كما تقول في الكلام: ما تفعل من خير، ولا تفعله إلا لله، فهو مقبول منك».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٣٣)، واستغربه، وذكره الرازي في «التفسير الكبير» (٧/ ٦٦) بلا نسبة.

(٣) في (و): «الكلام».

وقيل: هو جوابٌ، كأنَّه قيل: مَن أصحابُ الصَّدقاتِ؟ فأجيب: للفقراء، كقوله: ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾.

القفّالُ: تقديرُه: إن تبدوا الصَّدقاتِ للفقراءِ فنِعمَّا هي[1].

وقيل أيضًا: وما تنفقوا من خيرٍ للفقراء.

وقيل[2]: هو للتَّعجيبِ، كقوله: يا لزيدٍ لهذه الزُّمرة! ويا لعمروٍ لهذه الخصلةِ الحميدة!

وقيل: بدلٌ مِن لامِ ﴿فَلِأَنفُسِكُمْ﴾[3]، وزيَّفه عليُّ بنُ عيسى فقال: لأنَّ بدلَ الشَّيءِ من الشَّيء إنَّما يكونُ إذا اشتملَ عليه المعنى.

قلت: ولعلَّ هذا القائلَ جعلَ الأنفسَ هاهنا للفقراء[4]؛ لأنَّ المؤمنين كلَّهم كنفسٍ واحدة، كما في قوله: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾؛ أي: على إخوانِكم من أهلِ بيتِكم.

وقيل: معناه: اجعلوا صدقاتِكم للفقراء.

والمفسِّرون على أنَّها نزلَت في أهلِ الصُّفّة[5].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٣٤) بلا نسبة، واستغربه، وذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٢/ ٦٩٧) منسوباً للقفال، واستبعده.

(٢) «قيل» من (ن).

(٣) ذكره الطبري في «تفسيره» (٥/ ٢٢)، وذكره الواحدي في «البسيط» (٤/ ٤٤٨) دون نسبة، وغلَّطه بمثل ما ذهب إليه علي بن عيسى.

(٤) في (ن): «الفقراء».

(٥) رواه ابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٤٢) من طريق محمد بن السائب عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما، وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٢٥٥) عن ابن كعب القرظي.

وقيل: نزلَت في المهاجرينَ من مكّةَ إلى المدينة[١].

ورُويَ عن سعيد بن جُبيرٍ: أنَّ الآيةَ نزلَت في فقراء كانت قد أصابتهم جراحاتٌ[٢].

ومعنى: ﴿أُحْصِرُواْ﴾ في قول قتادةَ وابن زيدٍ: مُنِعوا؛ أي: مَنعوا أنفسَهم من التَّصرُّفِ والتِّجارةِ[٣] للمعاش[٤].

السُّدِّيُّ: منعَهم الكفّارُ بالخوفِ منهم[٥]. وهذا يقتضي (حُصِروا)[٦].

﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: الجهادِ، وقيل: جميع الطّاعات.

﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ لأنّهم ألزموا أنفسَهم المقامَ مع النَّبيِّ ﷺ لقتالِ أعدائِه.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٢٣) عن مجاهد والسدي وأبي جعفر.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥٤٠)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٢/ ٨٩) إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٣) في (ن): «في التجارة».

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٣٤٦) عن قتادة وابن زيد، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٥٠)، والطبري في «تفسيره» (٥/ ٢٤)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٤٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥٤٠) عن قتادة. ورواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٢٤) عن ابن زيد.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٢٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥٤٠).

(٦) هذا مستفاد من كلام الطبري، فقد فرّق بين (حصره) و(أحصره) فقال: «ولو كان تأويل الآية على ما تأوله السدي لكان الكلام: للفقراء الذين حصروا في سبيل الله، ولكنه ﴿أُحْصِرُواْ﴾ [البقرة: ٢٧٣]، فدلَّ ذلك على أن خوفهم من العدو الذي صيَّر هؤلاء الفقراء إلى الحال التي حبسوا وهم في سبيل الله أنفسهم، لا أن العدو هم كانوا الحابسيهم، وإنما يقال لمن حبسه العدو: حصره العدو، وإذا كان الرجل المحبس من خوف العدو قيل: أحصره خوف العدو». انظر: «تفسير الطبري» (٥/ ٢٥).

وقيل: أَلزمُوا أنفسَهم الإقامةَ في مسجدِ رسولِ الله[١] ﷺ وفي بلدِه، فمنعَهم ذلك عن الضَّربِ في الأرضِ خارجًا عن البلد.

والضَّرْبُ: التَّباعدُ في السَّير.

﴿يَحۡسَبُهُمُ ٱلۡجَاهِلُ﴾؛ أي: الجاهلُ بباطنِ حالِهم ﴿أَغۡنِيَآءَ﴾ لتصوُّنِهم عن التَّعرُّضِ للنَّاسِ ومسألتِهم.

﴿مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾؛ أي: من أجلِ التَّعفُّفِ، وهو القَناعةُ.

﴿تَعۡرِفُهُم بِسِيمَٰهُمۡ﴾ مجاهدٌ: هو التَّخشُّع[٢].

السُّدِّيُّ: هو علامةُ الفقرِ[٣].

والسِّيماءُ: العلامةُ.

﴿لَا يَسۡـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلۡحَافٗا﴾؛ أي: ليس لهم إلحافٌ، وهو إلحاحٌ[٤] الذي لا يُفارِقُ صاحِبُه المسؤولَ.

والمِلحَفُ[٥]: اللُّبسُ الأعلى، والمِلحَفةُ: المُلاءةُ يُتلحَّفُ بها، واللِّحافُ كذلك.

الفرّاءُ والزَّجّاجُ في جماعةٍ: ليسَ لهم سؤالٌ، فيكونُ لهم إلحافٌ[٦].

---

(١) في (ن): «مسجد النبي».

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٥١)، والطبري في «تفسيره» (٥/ ٢٧)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٤٤).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٢٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥٤١).

(٤) في (و): «الإلحاح».

(٥) في (ن): «واللحف».

(٦) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ١٨١)، و«معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣٥٧). قال الفراء: «ومثله قولك في الكلام: قلما رأيت مثل هذا الرجل، ولعلك لم تر قليلاً ولا كثيراً من أشباهه».

﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ لا يضيعُ عندَه.

قيل: إنَّما كرَّر؛ لأنَّ الأوَّل إخبارٌ بالحُكمِ، والثَّاني إخبارٌ بمعنى الحُكم.

* * *

(٢٧٤) ـ ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ عن يزيد بن عبد الله بن عَرِيْبٍ عن أبيه عن جدِّه(١) عن النَّبيِّ عليه السَّلام قال: نزلَت هذه الآيةُ في أصحابِ الخيل(٢).

وقال عليه السَّلام: «إنَّ الشَّيطانَ لا يخبلُ أحدًا في بيتِه فرسٌ عَتيقٌ من الخيلِ»(٣).

وهذا قولُ أبي أمامةَ وأبي الدَّرداءِ ومكحولٍ والأوزاعيِّ ورباحِ بنِ يزيدَ(٤).

---

(١) عَريبٌ: هو أبو عبد الله المليكي، عداده في أهل الشام، قيل: له صحبة، وقيل: إنه كان راعيًا لرسول الله ﷺ. انظر: «الاستيعاب» (٣/ ١٢٣٩)، و«أسد الغابة» (٤/ ٣٨)، و«الإصابة» (٤/ ٤٩٦).

(٢) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٢/ ١٠٠)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٤٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥٤٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٧/ ١٨٨). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٣٢٤): «رواه الطبراني في الكبير والأوسط، ويزيد بن عبد الله وأبوه لا يعرفان»، وفيه علة أخرى، فقد قال ابن القيسراني في «ذخيرة الحفاظ» (٧/ ٣٢): «فيه سعيد بن سنان الحمصي، متروك الحديث».

(٣) رواه الحارث بن أبي أسامة كما في «زوائد مسند الحارث» للهيثمي (٢/ ٦٧٦)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٧/ ١٨٩). وقال ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٧٣): «هذا الحديث منكر لا يصح إسناده ولا متنه».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٥) عن أبي الدرداء رضي الله عنه، ورواه ابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٤٦) عن أبي أمامة رضي الله عنه، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥٤٣) عن أبي أمامة =

وعن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما أيضًا: نزلَت في علفِ الخيل[١].

وعن عبد الوهّاب بن مجاهد عن أبيه عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهم: نزلت في عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضي الله عنه، وكانت[٢] عنده أربعة دراهم، فأنفق باللَّيل واحدًا، وبالنَّهار واحدًا، وفي السِّرِّ واحدًا، وفي العلانية واحدًا[٣]. وهذا قول الكلبيِّ[٤].

وقيل: هي في كلِّ من أنفق مالَه في طاعةِ اللهِ على هذه الصِّفة، وتقديرُه: ينفقون في سبيلِ الله.

وقيل: هي عامّةٌ في نفقةِ الزَّوجاتِ والأقارب.

والباء في قوله: ﴿بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ هي التي تدخلُ ظروفَ الزَّمان والمكان معاقبةً لـ(في)[٥].

والسِّرُّ: إخفاءُ[٦] الشَّيءِ في النَّفسِ، وهو و(العلانية) منصوبانِ على الحال.

* * *

= وسعيد بن المسيب ومكحول، وذكر هذه الأقوال الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٣٧٩ و٣٨٠).

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٩٣٦٢)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٤٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥٤٣)، والثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٣٨٥).

(٢) في (ن): «وكان».

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٤٤)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٤٨)، قال ابن كثير في «تفسيره» (١/ ٥٤٥): «عبد الوهاب بن مجاهد ضعيف، ولكن رواه ابن مردويه من وجه آخر عن ابن عباس رضي الله عنهما».

(٤) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٩٢).

(٥) انظر: «الأصول» لابن السراج (١/ ٤١٤)، و«شرح التسهيل» لابن مالك (٣/ ١٥١)، و«الجنى الداني» للمرادي (ص: ٤٠).

(٦) في (و): «خفاء».

(٢٧٥) - ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾؛ أي: في الدُّنيا.

يجوزُ أن يكونَ المرادُ[1]: مأكلَهم من الرِّبا، ويجوزُ أن يكونَ المرادُ: جميعَ[2] وجوهِ المنافعِ، كقولِه: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ [النساء: ١٠].

والرِّبا: الزِّيادةُ من غيرِ بدلٍ للتَّأخيرِ في الأجلِ، أو زيادةٌ منَ الجنسِ.

﴿لَا يَقُومُونَ﴾؛ أي: من قبورِهم يومَ القيامة.

﴿إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾؛ أي: مثل ما يقومُ الذي يعتريه الصَّرعُ من مسِّ الشَّيطان، فهو يقومُ ويسقطُ يومَ القيامة، ليسَ كغيرِه ممَّن يخرجونَ من الأجداثِ سِراعًا.

القفَّالُ: أضافَ الصَّرعَ إلى الشَّيطانِ تقبيحًا له[3]، كعادةِ العربِ في إضافةِ القبائحِ إليه، كقوله: ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾[4].

والخَبْطُ: الضَّرْبُ على غيرِ استواءٍ، ومنه: خَبْطُ العشواء.

والمسُّ: الجنونُ، تقول: مُسَّ الرَّجلُ، كما تقول: جُنَّ.

﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: ذلك العذابُ ﴿بِأَنَّهُمْ﴾: بسببِ أنَّهم ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾

---

(١) «المراد» من (ن).

(٢) في (و): «في جميع».

(٣) «له» من (ن).

(٤) ذكره الرازي في «التفسير الكبير» (٧/ ٧٦)، والطيبي في «حاشيته على الكشاف» (٣/ ٥٤٣).

فسوَّوا بين البيعِ وبين الرِّبا، واستحلُّوا الرِّبا، ففرَّقَ اللهُ بينهما، فقال: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾.

ويُحتمَلُ أن يكونَ قولُه: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ من كلامِهم، وكانوا[1] قد عرفوا تحريمَ اللهِ الرِّبا، فعارضُوه بآرائِهم، فكان ذلك كفرًا منهم[2].

﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾؛ أي: وَعْظٌ، وهو قولُه: ﴿كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

﴿فَٱنتَهَىٰ﴾ عن[3] العَوْدِ إلى أكلِ الرِّبا.

﴿فَلَهُۥ مَا سَلَفَ﴾؛ أي: فلا تَبِعَةَ عليه في الآخرةِ بما[4] سلفَ.

﴿وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ إن شاءَ عذَّبه بسائرِ الذُّنوبِ، وإن شاءَ غفرَ له.

الحسنُ: فأجرُه على[5] اللهِ؛ لقَبولِه الموعظةَ[6].

وقيل: أمرُه إلى اللهِ، وفارقَ أمرَ الشَّيطان.

القفَّال: يُحتمَلُ ﴿فَلَهُۥ مَا سَلَفَ﴾ من الرِّبا لا يلزمُه ردُّه، ﴿وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ لا إلى الذين عاملَهم به[7].

---

(١) في (ن): «فكانوا».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٣٤) بلا نسبة، واستغربه.

(٣) في (و): «إلى».

(٤) في (ن): «مما».

(٥) «على» من (ن).

(٦) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٢/ ٧٠٩).

(٧) مال الزمخشري إلى هذا في «الكشاف» (١/ ٣٢١)، وذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٢/ ٧٠٩) بلا نسبة.

﴿وَمَنْ عَادَ﴾ بعدَ ورودِ[١] الموعظةِ، واستحلَّ الرِّبا، ﴿فَأُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾؛ إذ هم كفّار.

* * *

(٢٧٦) ـ ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾.

﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟﴾ حتَّى يصيرَ عديمَ النَّفعِ والبركةِ، ﴿وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ بمضاعفةِ الثَّوابِ والأجرِ عليه.

وقيل: مَن تصدَّقَ من مالٍ اكتسبَه من الرِّبا، فالله يمحقُه ويبطلُه[٢] ولا يُثيبُ عليه، ويُربي الصّدقاتِ إذا كانت من المكاسبِ الطَّيِّبة، وجاء في الخبر: «كَما يُرَبِّي أحدُكُمْ فَلُوَّهُ»[٣].

والمَحْقُ: النُّقصانُ للشَّيء[٤] حالًا بعد حالٍ.

﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ﴾: كلَّ[٥] مبالغٍ في كُفرِه.

﴿أَثِيمٍ﴾: مُتمادٍ في إثمِه.

* * *

---

(١) في (ن): «وروده».

(٢) «ويبطله» من (ن).

(٣) رواه البخاري (٧٤٣٠)، ومسلم (١٠١٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وتمام الحديث عند مسلم: «ما تصدق أحد بصدقة من طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب، إلا أخذها الرحمن بيمينه، وإن كانت تمرة، فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل، كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله». والفَلُوُّ: المُهرُ أوَّل ما يُولد. والفصيلُ: ولد الناقة إلى أن يُفصَل عن أمِّه.

(٤) في (ن): «والمحق نقصان الشيء».

(٥) «كل»: ليس في (ن).

(٢٧٧) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ أراد: إن[1] الذين آمنوا بتحريمِ الرِّبا.

* * *

(٢٧٨) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾ ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما: نزلَت في بني عَمرو بنِ[2] عُميرِ بن عوف بن ثقيفٍ، وفي بني المغيرةِ من[3] بني مخزومٍ[4].

عطاءٌ وعكرمةُ: نزلَت في العبَّاسِ بنِ عبدِ المطَّلب وعثمانَ بنِ عفَّان، طلَبا ربًا لهما كانا قد أسلفا قبلَ نزولِ التَّحريم، فلمّا نزلَت الآية سمِعا وأطاعا، وأخذا رؤوسَ أموالِهما[5].

السُّدِّيُّ: نزلت في العبّاس وخالد بن الوليد، وكانا شريكين في الجاهليّة، يسلفان في الرِّبا، فجاء الإسلام ولهما أموالٌ عظيمةٌ في الرِّبا، فأنزل الله هذه الآية[6]،

---

(١) «إن»: ليس في (ن).

(٢) في (و): «بني عم».

(٣) في (ن): «ومن».

(٤) رواه أبو يعلى في «مسنده» (٢٦٦٨)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٩٣)، من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٤٢٤)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٩٣).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٤٩)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٥٩)، وابن أبي حاتم في =

فقال النَّبيُّ عليه السَّلام: «أَلا إنَّ كُلَّ رِبًا من رِبا الجاهليّةِ موضوعٌ، وأوَّلُ رِبًا أضعُهُ رِبا العبّاسِ بنِ عبدِ المطَّلب»(١).

معنى الآية(٢): دعوا ما بقيَ منه على مَن عاملتمُوه به.

﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾؛ أي: إن كنتم تريدونَ استدامةَ الحُكمِ له بالإيمان.

وقيل: إذ كنتم مؤمنين.

وقيل: وذروا ما كنتم تريدونَ أن تربوا فيه.

***

(٢٧٩) - ﴿فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ﴾.

﴿فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ﴾؛ أي: فإن لم تذروا ما بقيَ وجريتُم على ما كنتُم عليه من حُكمِ الجاهليّةِ في مُطالبةِ الرِّبا، ﴿فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾؛ أي: فكونوا على عِلمٍ من أنَّ الله قد أذِنَ بمحاربتِكم.

و﴿آذِنُوا﴾(٣)؛ أي: وأعْلِموا غيرَكم ذلك.

= «تفسيره» (٢/ ٥٤٨) عن السدي.

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢/ ٢٨٤)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٩٤)، والمرفوعُ منه ورد في خطبة حجة الوداع، رواه أبو داود (١٩٠٥) وابن ماجه (٣٠٧٤) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، ورواه أبو داود (٣٣٣٤) والترمذي (٣٠٨٧) وابن ماجه (٣٠٥٥) من حديث عمرو بن الأحوص رضي الله عنه، وقال الترمذي: «حسن صحيح».

(٢) في (ن): «ومعنى الآية أي».

(٣) بالمد وكسر الذال، وهي قراءة حمزة وأبي بكر عن عاصم. انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٩٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٤).

﴿وَإِن تُبْتُمْ﴾: رجعتُم عن التَّعاملِ بالرِّبا والمطالبةِ بما بقيَ منه على النَّاس، ﴿فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ دونَ الرِّبحِ الحرامِ، ﴿لَا تَظْلِمُونَ﴾ بطَلبِ الرِّبحِ، ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ بمنعِ رأسِ المال.

***

(٢٨٠) ـ ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾ قال الكلبيُّ: قالت بنو عمرو بن عميرٍ لبني المغيرة: هاتوا[١] رؤوس أموالِنا ولكم الرِّبا ندعه لكم، فقال بنو المغيرة: نحن اليومَ أهلُ عُسرةٍ فأخِّرونا إلى أن ندركَ الثَّمرة، فأبَوا أن يؤخِّروهم، فأنزل الله: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ﴾ الآية[٢].

أي: وإن وقعَ ذو عُسرةٍ[٣] ﴿فَنَظِرَةٌ﴾: فعليكم نَظِرةٌ، أي: إنظارٌ ﴿إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾: غنى ووجود المال.

قيل[٤]: وإن كان ذو عسرةٍ غريمًا لكم[٥].

قال شُريحٌ وإبراهيمُ: هذا في دين الرِّبا خاصّة[٦].

---

(١) في (و): «هاتم».

(٢) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٩٤).

(٣) و(كان) على هذا التقدير تامة.

(٤) في (و): «قال».

(٥) و(كان) على هذا التقدير ناقصة، وخبرها محذوف.

(٦) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٦٤) عن شريح، ورواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٧ ـ ٦٠) عن =

ابن عبّاسٍ والضَّحاك: عامٌّ في كل دينٍ(١).

وقُرِئ في الشَّواذِّ: (وإنْ كانَ ذا عُسرة)(٢)؛ أي: وإن كان الغريمُ ذا عسرةٍ، هذا يُقوِّي قولَ مَن ذهبَ إلى أنَّه في الرِّبا فحسب.

﴿وَأَن تَصَدَّقُوا۟﴾؛ أي: تتصدَّقوا على المعسرينَ شيئًا من رأسِ المالِ ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: أرجى للثَّوابِ في الآخرة(٣).

﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: تعملونَ بعلمِكم.

* * *

(٢٨١) - ﴿وَاتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

﴿وَاتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾: هو يومُ القيامةِ، وقيل: يومُ الموت.

﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾؛ أي: جزاءَ ما كسبَتْ.

﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾؛ أي: بنقصانِ الحسناتِ وزيادةِ السَّيِّئات.

= ابن عباس رضي الله عنهما وشريح وإبراهيم وغيرهم، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٣٤) عن شريح وإبراهيم، واستغربه.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٦١) عن ابن عباس رضي الله عنهما والضحاك، ورواه ابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٦٤) عن الضحاك.

(٢) نسبت إلى أبي بن كعب رضي الله عنه وغيره. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ١٨٦)، و«تفسير الطبري» (٥/ ٥٦)، و«المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ٢٤).

(٣) في (ن): «القيامة».

ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما: آخرُ آيةٍ نزلَت: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ﴾(١).

عطيّة العوفيُّ: إنَّها آخرُ آيةٍ نزلت(٢).

وعن عليِّ بنِ الحسينِ: أنَّها آخر آية نزلت، قال: وعاشَ النَّبيُّ عليه السَّلام بعدها تسعَ ليالٍ(٣).

السُّدِّيُّ: إنَّها آخرُ آيةٍ نزلت(٤).

وإنَّ جبريلَ عليه السَّلام قالَ للنَّبيِّ ﷺ: ضعْها في رأسِ الثَّمانين والمئتين(٥).

الدِّمْياطيُّ(٦): إنَّها نزلت قبلَ وفاتِه بثلاثِ ساعاتٍ، فقال: «اجعلها بين آيتي الرِّبا والدَّين»(٧).

***

(١) رواه البخاري (٤٥٤٤).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٠٢١٥)، والطبري في «تفسيره» (٥/ ٦٨).

(٣) رواه الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٣).

(٤) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٠٢١٤)، والطبري في «تفسيره» (٥/ ٦٨).

(٥) رواه الفراء في «معاني القرآن» (١/ ١٨٣)، والثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٤٧٨)، من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٦) هو بكر بن سهل الدمياطي، مفسِّر مقرئ، ضعَّفه النسائي، مات بدمياط سنة ٢٨٩. انظر: «ميزان الاعتدال» للذهبي (١/ ٣٤٥)، و«سير أعلام النبلاء» (١٣/ ٤٢٥).

(٧) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٣٧٨)، والقرطبي في «تفسيره» (٣/ ٣٧٥)، وذكره المصنف في «البرهان» (ص: ٦٨) دون نسبة أو سند.

(٢٨٢) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبُۢ بِٱلْعَدْلِۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِۚ وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰۚ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْۖ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَاۗ وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌۚ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمْۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم﴾: تعاملتُم بالدَّينِ أخذًا وإعطاءً[1] ﴿بِدَيْنٍ﴾ تأكيدٌ وقطعٌ للمجاز؛ لأنّه يقال: تَداينّا بمعنى: تجازينا وتعاطينا الأخذَ بيننا[2].

ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما: المرادُ به: السَّلمُ[3].

والظّاهرُ العمومُ من السَّلمِ والقرضِ وتأخيرِ ثمنِ المبيع.

﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: وقتٍ مؤخَّرٍ معلومٍ معيَّنٍ.

﴿فَٱكْتُبُوهُ﴾؛ أي: اكتبوا الدَّينَ أو الثَّمنَ أو الأجلَ.

---

(١) في (ن): «وعطاء».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٣٥).

(٣) رواه الشافعي في «الأم» (٣/ ٩٣)، وعبد الرزاق في «مصنفه» (١٤٠٦٤)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٢٣١٩)، والطبري في «تفسيره» (٥/ ٧٠)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٦٦)، والحاكم في «المستدرك» (٣١٣٠).

وللعلماءِ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

فابن عمر وأبو موسى الأشعريُّ وابن سيرين والضَّحّاك ومجاهدٌ وعطاء ومحمد بن جرير قالوا: لا يسع المؤمن إذا باع إلى أجلٍ أو اشترى إلّا أن يَكتبَ أو يُشهدَ[١] إذا وجد كاتبًا، واحتجُّوا بظاهر القرآن[٢].

وأبو سعيد الخدريُّ والحسن وعبد الرَّحمن بن زيد قالوا: هي منسوخةٌ بقوله: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ﴾ [البقرة: ٢٨٣][٣].

الشَّعبيُّ: إنَّها على النَّدبِ والإرشاد، لا على الحتمِ[٤]. وهذا مذهبُ الفقهاء[٥].

﴿وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ﴾؛ أي: بين المتداينَينِ أو البائعِ والمشتري منكم ﴿كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ﴾ من غيرِ زيادةٍ في المالِ والوصفِ والأجلِ[٦]، ولا نُقصانٍ.

القفّال: معنى ﴿بِٱلْعَدْلِ﴾: أن يكونَ ما يكتبُه مُتَّفَقًا عليه بين أهل العلم، لا يُرفَعُ إلى

---

(١) في (ن): «يكتب ويشهد».

(٢) هذا معنى ما رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٠٣٦٦ ـ ٢٠٣٦٩) عن أبي موسى الأشعري ومجاهد وابن سيرين والضحاك، وما رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٧٢، ٧٣) عن الضحاك وابن جريج والربيع وكعب، ورجَّحه الطبري، وذهب إليه ابن حزم. انظر: «المحلى» (٦/ ٣٥١).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٠٣٦٢)، وابن ماجه (٢٣٦٥) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، ورواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٧٤ ـ ٧٥) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه والحسن وابن زيد وغيرهم.

(٤) هذا معنى ما رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٧٤).

(٥) انظر: «الأصل» لمحمد بن الحسن الشيباني (٤/ ٤٢٧)، و«الأم» للشافعي (٣/ ٨٨)، و«الإشراف» لابن المنذر (٦/ ١٢٧).

(٦) «والوصف والأجل» من (ن).

قاضٍ فيجدُ سبيلًا إلى إبطالِه بألفاظٍ[(١)] لا يتَّسِع فيها التَّأويل، فيحتاجُ الحاكمُ إلى التَّوقُّف[(٢)].

﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ﴾ القفّال: لا يمتنعنَّ كاتبٌ[(٣)] أن يكتبَ بالعدلِ الذي علَّمه الله، فيكتبَ بخلافِ ما أُمِرَ[(٤)].

غيرُه: ولا يمتنعنَّ كاتبٌ إذا استُكْتبَ من أن يكتبَ[(٥)].

السُّدِّيُّ: فرضٌ على الكفاية[(٦)].

وقيل: واجبٌ في حالِ فراغِه.

عطاءٌ: واجبٌ[(٧)].

الضَّحّاكُ: كان هذا عزيمةً، ثم نُسخَت بقوله: ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾[(٨)]؛ بدليلِ استحقاقِه الأجرةَ عليه.

---

(١) «بألفاظ»: من (ن).

(٢) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٢/ ٧٢٤)، وذكره الرازي في «التفسير الكبير» (٧/ ٩٢، ٩٣) بلا نسبة، واستغربه المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٣٥).

(٣) في (ن) زيادة: «من».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٣٥) بلا نسبة.

(٥) في (و): «أن يكتب كما استكتب».

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٧٨)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٧٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥٥٧) عن السدي، لكنه شرط فراغه، ولفظ الطبري: «لا يأب كاتب أن يكتب إن كان فارغًا». وروى الطبري في «تفسيره» (٥/ ٧٧)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٧٠)، عن عامر وعطاء قالا: «إذا لم يجدوا كاتباً فدُعيتَ فلا تأبَ أن تكتب لهم». وذهب الشافعي إلى أنه فرض على الكفاية في «الأم» (١/ ٤٤٣).

(٧) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٨/ ٣٦٥)، والطبري في «تفسيره» (٥/ ٧٧).

(٨) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٧٨)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٨٨).

ثم قال: كما علَّمَه الله ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾؛ أي: فليكتب كما علَّمَه الله؛ أي: بالعدل، وقيل: كما فضَّلَه الله بالكتابةِ فليكتبْ؛ أي: فليجعل ذلك جزاءً وشكرًا.

﴿وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ﴾؛ أي: فليملل المشهودُ عليه؛ ليكونَ ذلك إقرارًا على نفسِه بلسانِه.

﴿وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا﴾: ولا يُنقِصْ من الحقِّ الذي عليه شيئًا.

ويُحتمَلُ أنَّ الضَّميرَ في ﴿وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ﴾ يعودُ إلى الكاتب؛ لأنَّ المدينَ إنْ رامَ بخسًا منعَه الدّائنُ عن ذلك(١).

والبَخسُ(٢): النَّقصُ ظلمًا.

﴿فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا﴾ مجاهدٌ: جاهلًا(٣).

السُّدِّيُّ: صغيرًا(٤).

الزَّجّاجُ: السَّفيهُ: الخفيفُ العقلِ، والصِّبيانُ والنِّساءُ سُفهاء(٥).

﴿أَوْ ضَعِيفًا﴾: عاجزًا، وقيل: ضعيفًا في عقلِه، وقيل: أحمقُ.

﴿أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ﴾ لخرسٍ أو عيٍّ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٣٥)، واستغربه.

(٢) في (و): «فالبخس».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٨٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥٥٩).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٨٢)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٧٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥٥٩).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣٦٣)، لكنه قيَّد فقال: «فالنساء والصبيان اللاتي لا يميزن تميزاً صحيحاً سفهاء».

﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ﴾ الضَّحّاكُ: مَن يقومُ مقامَه[١].

الرَّبيعُ: وليُّ الحقِّ[٢].

﴿وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ﴾؛ أي: من رجالِكم المسلمينَ الأحرارِ.

﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ﴾؛ أي: الشّاهدينِ[٣] رجلين، وهذا شرطٌ لا عبرةَ له، كما في قوله: ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾، وقوله: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ [النور: ٣٣]، وقوله: ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ﴾ [النساء: ١٠١]، ولم أرَ أحدًا من المفسِّرين تكلَّم فيه[٤].

﴿فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ﴾ الأخفش: فليكن رجلٌ وامرأتان[٥].

وقيل: فليشهدْ رجلٌ وامرأتان.

وقيل: فالشّاهدُ رجلٌ وامرأتان.

وقيل: فرجلٌ وامرأتانِ يشهدون.

---

(١) انظر: «البسيط» للواحدي (٤/ ٤٩٠): «قال الضحاك وابن زيد: أي: ولي السفيه والعاجز والطفل، يعنى: قيمه أو وارثه أو من يقوم مقامه في حقه. وقال ابن عباس والربيع ومقاتل: يعني: ولي الحق، وهو صاحب الدين؛ لأنه أعلم بدينه».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٨٤)، واستبعده الزجاج في «معاني القرآن» (١/ ٣٦٣) فقال: «وقال قوم: ولي الدَّين. وهذا بعيد؛ كيف يقبل قول المدعي؟ وما حاجتنا إلى الكتاب والإشهاد والقولُ قوله؟»، وهو منسوب لابن عباس ومقاتل أيضاً. انظر: «البسيط» للواحدي (٤/ ٤٩٠).

(٣) في (و): «الشاهدان».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٣٥) أيضاً، ولم أقف على مَن ذكر ذلك قبله.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ٣٥٠)، وعبارته: «فالذي يستشهد رجل وامرأتان»، وذكره أبو علي الفارسي في «الحجة» (٢/ ٤١٩) بلفظ المصنف.

وقال أبو مسلم بن مِهْرابزد[1] في قوله: ﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ﴾: هذا كقوله: ﴿فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ﴾، قال: والعربُ ربَّما ثنَّت الفعلَ وجمعَتْه متقدِّمًا، فيجوزُ أن يكونَ هذا على ذلك.

وهذا منه سهوٌ في الآيتين؛ لأنَّ هذا إنَّما[2] يَسُوغُ لو كان قولُه: ﴿رَجُلَيْنِ﴾ و﴿ٱثْنَتَيْنِ﴾ بالرَّفع[3].

﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ﴾؛ أي: من أهلِ[4] الدِّينِ والعدالةِ والفضلِ.

«الحجّة»: ممَّن وُصِفَ؛ لقوله: ﴿فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ﴾ دون ﴿شَهِيدَيْنِ﴾؛ لاختلافِ إعرابهما[5].

﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾؛ أي: لأن نسيَتْ إحداهُما الشَّهادةَ ذكَّرتها الشَّهادةَ الأخرى.

---

(١) في (و): «مهرابزود»، وفي أكثر المصادر: «مهربزد». وأبو مسلم هذا: هو محمد بن علي بن محمد بن الحسين بن مهرابزد الأصبهاني، النحوي الأديب المفسر، من أئمة الاعتزال، صنف «التفسير»، وهو آخر من حدث عن ابن المقرئ، توفي سنة (٤٥٩هـ). انظر: «تاريخ أربل» لابن المستوفي (٢/ ٦٣٣)، و«العبر» للذهبي (٢/ ٣١٠)، و«سلم الوصول» لحاجي خليفة (٣/ ٢٠٠).

(٢) «إنما» من (ن).

(٣) «بالرفع» من (ن).

(٤) «أهل» من (ن).

(٥) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٢/ ٤٢٦)، وتمام كلامه: «وقوله: ﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ﴾ فيه ذكرٌ يعود إلى الموصوفين الذين هم: ﴿فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ﴾، ولا يجوز أن يكون فيه ذكر لشهيدين المتقدم ذكرهما؛ لاختلاف إعراب الموصوفين، ألا ترى أن (شهيدين) منصوبان، و(رجل وامرأتان) إعرابهما الرفع».

وذكـرَ الضَّـلالَ لأنَّه سـببٌ لـلإذكار، قـال الزجّاج: ومثـلُ ذلك: أعـددْتُ هذا [الجـذعَ][١] أن يميلَ الحائـطُ فأدعمَه به[٢].

ومَن كسرَ ﴿إنْ﴾ ورفعَ ﴿فتذكِّرُ﴾[٣] جعله شرطًا وجزاءً.

ابنُ عُيَينةَ: معنى ﴿فَتُذْكِرَ﴾[٤]: تصيرَ معها مذكَّرًا[٥]؛ أي: يُلحقها بالرِّجالِ في الشَّهادة، فتَبعُدا من النِّسيانِ بعدَ الذِّكْر.

﴿وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ﴾ الحسنُ: للتَّحمُّلِ[٦]؛ كـي لا تَتْوَى[٧] حُقـوقُهم، وسمّاه شهيدًا، كقوله: ﴿وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ﴾[٨].

---

(١) ما بين معكوفتين من «معاني القرآن» للزجاج.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣٦٤).

(٣) هي قراءة حمزة. انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٩٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٥).

(٤) هـذا علـى قـراءة التخفيـف، وهـي قـراءة ابـن كثيـر وأبـي عمـرو. انظـر: «السـبعة» لابـن مجاهد (ص: ١٩٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٥).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٨٩)، وردَّه من وجوه عدّة، وذكره المصنِّف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٣٦)، واستغربه.

(٦) روي عن الحسن أن ذلك لتحمل الشهادة، وأنه لأدائها بعد التحمل، وأنه لهما معاً، والأول هو ما ذكره المصنف عن الحسن هنا، وقد تبع فيه الزجاج في «معاني القرآن» (١/ ٣٦٥)، وذكره بلا نسبة في «غرائب التفسير» (١/ ٢٣٦)، واستغربه، وروى الطبري (٥/ ٩٩) عن قتادة: «كان الحسن يتأولها إذا كانت عنده شهادة فدعي ليقيمها»، وروى الطبري (٥/ ٩٥) وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٧٩) عن الحسن وجهاً آخر، وذلك قوله: «جمعت أمرين؛ لا تأب إذا كانت عندك شهادة أن تشهد، ولا تأب إذا دعيت إلى شهادة»، وهذا هو المشهور عن الحسن، وفي كلام الزجاج ما يشير إلى ذلك.

(٧) تَوِيَ يَتْوَى: هلك يهلك. انظر: «القاموس المحيط» للفيروزآبادي مادة: (ت وي)، و«تاج العروس» (٣٧/ ٢٥٨).

(٨) يعني: سُمِّي شهيداً باعتبار ما سيكون، مع أنه لم يشهد بعدُ.

غيرُه: للأداءِ[١].

﴿وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ﴾: لا يمنعْكم الملَلُ من الكتابةِ استحقارًا للقليل؛ فإنَّ القليلَ والكثيرَ سواءٌ فيما يقعُ التَّظالمُ، وسواءٌ في حقِّ الكاتب.

وقيل: هذا يعودُ إلى قوله: ﴿تَدَايَنتُم﴾ بدينٍ صغيرٍ أو كبيرٍ[٢].

﴿ذَٰلِكُمۡ﴾؛ أي: الكتابةُ والاستشهادُ ﴿أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾: أعدلُ، من (القِسْطِ) بالكسر، وهو العدلُ، مصدرٌ وإن لم يُشتَقَّ منه فعلٌ[٣]، وليسَ من (الإقساط)؛ فإنَّ (أفعلَ) التَّفضيلِ لا يُبنى من (الإفعال)[٤].

والقِسْطُ: النَّصيبُ أيضًا.

والقَسْطُ بالفتح: الجَورُ، ﴿وَأَمَّا ٱلۡقَٰسِطُونَ﴾ [الجن: ١٥] منه.

﴿وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ﴾: أثبَتُ، من قولهم: حقِّي عليك قائمٌ؛ أي: ثابتٌ.

وقيل: أشدُّ استقامةً وأبعدُ من الاعوجاج.

﴿وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ﴾: وأقربُ لنفي الشَّكِّ للشَّاهدِ والحاكمِ، وكذلك صاحب الحقِّ.

---

(١) هذا مروي عن مجاهد وأبي مجلز وعامر وعكرمة وعطاء وسعيد بن جبير وابن زيد والحسن أيضاً. انظر: «تفسير الطبري» (٥/ ٩٦ ـ ٩٩).

(٢) ذكره المصنِّف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٣٦)، واستغربه.

(٣) للاستغناء عنه بالفعل (أقسط)؛ إذا عدل، وحتى لا يلتبس بالفعل (قَسَطَ)؛ إذا جار، وهذا مذهب متقدمي اللغويين، وقد ذكر ابن القطاع أن (قسط) مستخدم بمعنى عدل وجار. انظر: «الأفعال» لابن القطاع (٣/ ٢٥).

(٤) في (ن): «فإن أفعل لا يبنى من الإفعال للتفضيل». وقد نقل أبو حيان كلام المصنف في «البحر المحيط» (٢/ ٧٣٧)، ومال إلى صحته، لكنه أشار إلى أن الفعل منه مستخدم.

﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا﴾؛ أي: إلّا أن تكون المعاملةُ تجارةً حاضرةً[1]، أو إلَّا أن تقع تجارةٌ حاضرةٌ[2] في شيءٍ يُتملَّكُ بعوضٍ حاضرٍ، ثمَّ يفترقانِ عن[3] تقابضٍ، فلا إثمَ عليكم في تركِ كتابتِها.

﴿وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ أمرَهم بالإشهادِ على التَّبايُعِ في الأحوالِ كلِّها.

الحسنُ والشَّعبيُّ: هذا ندبٌ[4].

الضَّحّاكُ: فرضٌ[5].

﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ الحسنُ وقتادةُ وابنُ زيدٍ وعطاءٌ: وزنُه (لا يضارِر) بالكسرِ؛ أي: لا يمتنعْ عن الكتابةِ كاتبٌ، ولا عن تحمُّلِ الشَّهادةِ شهيدٌ[6].

ويُحتمَلُ أنَّه نهيٌ عن التَّحريفِ في الكتابةِ والزَّيغِ في الشَّهادة.

ابنُ مسعودٍ ومجاهدٌ: وزنُه (لا يُضارَر) بالفتح؛ أي: لا يُجبرُ على الكتابةِ، ولا

---

(١) هذا التقدير على قراءة عاصم الذي نصب (تجارة). انظر: «الحجة» لأبي علي (٢/ ٤٣٦)، و«تفسير الثعلبي» (٧/ ٥١٩).

(٢) هذا التقدير على قراءة عامة القراء غير عاصم؛ فقد رفعوا (تجارة). انظر: «الحجة» لأبي علي (٢/ ٤٣٦)، و«تفسير الثعلبي» (٧/ ٥٢٠).

(٣) في (و): «على».

(٤) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٠٣٦٠، ٢٠٣٦١)، والطبري في «تفسيره» (٥/ ١٠٩، ١١٠).

(٥) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٠٣٦٩)، والطبري في «تفسيره» (٥/ ١١٠).

(٦) هذا معنى ما رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ١١٣ ـ ١١٤) عن ابن عباس وعطاء ومجاهد، وأما ما رواه الطبري أيضاً في «تفسيره» (٥/ ١١٢) عن الحسن وقتادة وابن زيد وعطاء فهو بمعنى القول الذي ذكره المصنف احتمالاً، وهو الإضرار بالشهادة والكتابة بأن يكتب هذا ما لم يملله المملي، ويشهد هذا بما لم يستشهده الشهيد.

على تحمُّلِ الشَّهادةِ[1]. وعلى هذا الوجهِ يكونُ الناسخَ[2] دونَ الوجهِ الأوَّل[3].

﴿وَإِن تَفْعَلُواْ﴾؛ أي: التَّحريفَ في الكتابةِ والشَّهادةِ، ﴿فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمْ﴾؛ أي: خروجٌ عن أمرِ الله، ولزومُ هذا اللَّقبِ لكم.

﴿وَاتَّقُواْ اللَّهَ﴾ في مخالفةِ أوامرِه.

﴿وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ شرائعَ دينِه.

﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ لا يلحقُه سهوٌ، ولا قصورٌ.

* * *

(٢٨٣) ـ ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا تَكْتُمُواْ الشَّهَٰدَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾.

﴿وَإِن كُنتُمْ﴾ أيُّها[4] المتداينونَ ﴿عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِبًا﴾ وفي عدمِ الكاتبِ عدمُ الشّاهدِ في أكثرِ الأحوالِ.

---

(١) روى الطبري في «تفسيره» (٥/ ١١٤) عن الضحاك قال: «كان ابن مسعود يقرأ: (ولا يضارَر)»، وعن عبد الله بن كثير عن مجاهد: «أنه كان يقرأ: (ولا يضارَر كاتب ولا شهيد)، وأنه كان يقول في تأويلها: ينطلق الذي له الحق فيدعو كاتبه وشاهده إلى أن يشهد، ولعله أن يكون في شغل أو حاجة ليؤثمه إن ترك ذلك حينئذ لشغله وحاجته». وانظر: «تفسير ابن المنذر» (١/ ٨٦ ـ ٨٧).

(٢) «الناسخ» من (ن).

(٣) وذلك على قول الضحاك الذي رأى أن هذه الآية ناسخة لوجوب الشهادة والكتابة. انظر: «تفسير الطبري» (٥/ ٧٨)، و«تفسير ابن المنذر» (١/ ٨٨).

(٤) في (ن): «أي».

﴿فَرِهَٰنٌ مَّقۡبُوضَةٌ﴾؛ أي: فالوثيقةُ رهانٌ مقبوضةٌ تكونُ في يدِ صاحبِ الحقِّ حُكمًا.

وأصلُ الرَّهنِ: الإثباتُ والإدامةُ، ويُجمَعُ (رَهْنٌ) على (رُهُنٍ) و(رِهانٍ)(١).

﴿فَإِنۡ أَمِنَ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا﴾؛ أي: وثِقَ به من غير رَهْنٍ وكتابةٍ وإشهادٍ، ﴿فَلۡيُؤَدِّ ٱلَّذِي ٱؤۡتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ﴾ أمرَ مَن اعتُمِدَ عليه أن يجزيَ(٢) بالإحسانِ في أداءِ الأمانةِ وإعفاءِ الحقِّ عند وجوبِه.

والأمانةُ: اسمٌ لِما اؤتُمن عليه، كـ(العِلْمِ) بمعنى المعلوم، و(القُدرةِ) بمعنى المقدور.

﴿وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾؛ أي: وليتَّقِ عذابَ ربِّه في ظُلمِه في إنكارِ حقِّه.

﴿وَلَا تَكۡتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ﴾ إذا استُشهدتُم، ويجوزُ أن يكونَ عامًّا في الشَّهادات(٣) كلِّها.

﴿وَمَن يَكۡتُمۡهَا﴾ عند الاستشهادِ، ﴿فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلۡبُهُۥ﴾؛ أي: هو آثمٌ، و(قَلْبَه) بالفتح، وهو شاذٌّ(٤).

---

(١) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ١٢٠٢) مادة (ر ه ن).

(٢) في (و): «يجازى».

(٣) في (و): «الشهادة».

(٤) نُسبت القراءة بالنصب إلى ابن أبي عبلة، وقراءته (أَثَّمَ قلبَه). انظر: «المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ٢٥)، و«الكامل في القراءات» لليشكري (ص: ٥١٣)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٢/ ٧٤٦)، وأشار الفراء إلى وجه نصب (قلبَه) مع اسم الفاعل. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ١٨٨).

و﴿ءَاثِمٌ﴾[١] فاجرٌ، وإضافته إلى القلبِ توسعةٌ ومجاز[٢].

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ من كتمانِ الشَّهادةِ وإظهارِها ﴿عَلِيمٌ﴾: عالمٌ مُجازٍ عليه.

***

(٢٨٤) ـ ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾.

﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ مُلكًا وخَلقًا[٣]، لا شريكَ له في ذلك.

﴿وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ فيها خمسة أقوال؛ ثلاثةٌ عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما:

أحدها: أنَّها منسوخةٌ بقوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا﴾[٤].

والثّاني: أنَّها غير منسوخةٍ، وأنَّها عامّةٌ؛ يُحاسِبُ المؤمنَ والكافرَ بما أبدى وأخفى، فيَغْفِرُ للمؤمنين، ويعاقِبُ الكافرين والمنافقين[٥].

---

(١) «وقلبه بالفتح وهو شاذ وآثم» من (ن).

(٢) في (و): «فأجروا إضافته إلى القلب توسعةً ومجازًا».

(٣) في (و): «وحقًّا».

(٤) رواه مسلم (١٢٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: «لما نزلت هذه الآية: ﴿وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾، قال: دخل قلوبهم منها شيء لم يدخل قلوبهم من شيء، فقال النبي ﷺ: «قولوا: سمعنا وأطعنا وسلمنا» قال: فألقى الله الإيمان في قلوبهم، فأنزل الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَا﴾، قال: قد فعلت، ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَا﴾، قال: قد فعلت، ﴿وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا﴾، قال: قد فعلت».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ١٣٩ ـ ١٤١)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٩٤)، وابن أبي حاتم =

والثّالث: أنَّها مخصوصةٌ في كتمانِ الشَّهادةِ وإظهارِها[١].

والرّابع: عن عائشة رضي الله عنها أنَّها قالت: ما همَّ به العبدُ من خطيئةٍ عُوقِبَ على ذلك بما يلحقُه من الهمِّ والحزنِ في الدُّنيا[٢].

والخامس: عن مجاهدٍ قال: هذا في الشَّكِّ واليقين[٣].

قولُه: ﴿يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ﴾؛ أي: يُكافِيكم ويُجازِيكم؛ إنْ خيرًا فخيرٌ، وإنْ شرًّا فشرٌّ.

﴿فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾: المؤمنين.

﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ﴾: الكافرين.

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ ممّا[٤] يريدُ ﴿قَدِيرٌ﴾: قادرٌ أتمَّ القُدرةِ.

الزَّجّاج: إنْ تُظهِروا العملَ أو تُسِرُّوا يحاسبْكُم به الله[٥].

وقيل: ما كسبَت أيديكم، وحدَّثتكم أنفسُكم[٦].

= في «تفسيره» (٢/ ٥٧٢).

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ١٢٩ – ١٣٠)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٩٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥٧٢)، واستغربه المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٣٧).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ١٤٢) عن عائشة رضي الله عنها موقوفًا، ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٥٨٣٥) والترمذي (٢٩٩١) عن عائشة رضي الله عنها مرفوعًا، وقال: «حديث حسن غريب»، وقد ضعَّفه الحافظ ابن كثير في «تفسيره» (١/ ٥٦٩).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ١٤١)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٩٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥٧٣). واستغربه المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٣٧).

(٤) في (و): «ما».

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣٦٨).

(٦) في (ن): «وحدثت أنفسهم».

(٢٨٥) ـ ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾.

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾ عن أبي هُريرةَ رضي الله عنه قال: لَمّا أنزلَ الله: ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ اشتدَّ ذلك على أصحابِ رسولِ الله عليه السَّلام فقالوا: واللهِ ما نزلَتْ آيةٌ أشدُّ علينا من هذه الآية، إنَّ أحدَنا ليُحدِّثُ نفسَه بما لا يحبُّ أن يثبتَ في قلبِه وإنَّ له الدُّنيا وما فيها، وإنّا لمآخوذونَ بما تحدِّثُ به نفوسُنا! هَلَكْنا والله، فقال النَّبيُّ عليه السَّلام: «هكذا أُنزلَتْ»، فقلْنا: هَلَكْنا وكُلِّفنا من العمل ما لا نُطيقُ، قال: «فلعلَّكم تقولونَ كما قالَت بنو إسرائيلَ لموسى: سمعنا وعصينا؟! فقولوا: سمعنا وأطعنا»، فقالوا: سمعنا وأطعنا[١] وسلَّمنا، فألقى الله[٢] الإيمانَ في قلوبهم، فأنزلَ الله: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾ الآية[٣].

وعن طلحةَ بنِ مصرِّفٍ عن مرّةَ عن عبد الله قال: أُنزِل: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾ على النَّبيِّ ﷺ حين بلغَ سِدرةَ المنتهى[٤].

وهذا ثناءٌ على النَّبيِّ عليه السَّلام.

﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: وآمنَ المؤمنون.

﴿كُلٌّ﴾ يُحتمَلُ أنَّه للنَّبيِّ والمؤمنين، ويُحتمَلُ أنَّه للمؤمنين وحدَهم.

---

(١) «فقالوا سمعنا وأطعنا» من (ن).

(٢) في (ن): «فألقى الله».

(٣) رواه مسلم (١٢٥).

(٤) رواه مسلم (١٧٣).

﴿ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ أنَّه أحدٌ[1] لا شريكَ له، وبجميعِ صفاتِه.

﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ﴾ أنَّهم عبيدُه، وليسوا بإناثٍ، ولا ببناتٍ لله[2].

﴿وَكُتُبِهِۦ﴾ أنَّها كلَّها من الله ووحيِه وتنزيلِه، وأنَّها غيرُ مخلوقةٍ.

﴿وَرُسُلِهِۦ﴾ بأنَّهم صادقون.

﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ﴾؛ أي: يقولون: لا نفرِّقُ بين أحدٍ وآخرَ ﴿مِّن رُّسُلِهِۦ﴾.

وقيل: ﴿أَحَدٍ﴾ للعموم.

﴿وَقَالُواْ سَمِعْنَا﴾ قولَك، ﴿وَأَطَعْنَا﴾ أمرَك، ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا﴾؛ أي: نسألُك غفرانَك، واغفرْ غفرانَك.

﴿وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾: المرجعُ.

***

(٢٨٦) ـ ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ هي النّاسخةُ، كما سبق.

وقيل: معناه الدُّعاء؛ أي: لا تكلِّفنا إلَّا ما يسعُنا[3].

ومعنى: ﴿وُسْعَهَا﴾: ما تتَّسعُ لفعلِه.

---

(١) في (ن): «أنه واحد».

(٢) في (ن): «بنات الله».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٣٧)، واستغربه.

﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ يعني: الخيرَ والطّاعةَ، ﴿وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ من الشَّرِّ والعِصيان. المفضَّلُ: (كسب) و(اكتسب) واحدٌ[1].

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ﴾؛ أي: تركنا أمرًا من أوامرِك، وليس من النِّسيانِ الذي هو السَّهو؛ لأنَّ ذلك مغفورٌ من غيرِ مسألةٍ.

﴿أَوْ أَخْطَأْنَا﴾؛ أي: تعمَّدنا الخطأ جهلًا، وليسَ بالخطأ الذي هو موضوعٌ عن العبدِ.

تقول: خَطِئَ؛ أي: أثِمَ، و(أخطأ) تأتي بمعنى: خَطِئ، وتأتي بمعنى: أغفلَ وسَهَا.

وقيل: تُعُبِّدوا بالدُّعاء بهذا، وإن كانا مَوضوعَيْن عنهم.

﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا﴾: ثِقلًا ﴿كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ ابن عبّاسٍ ومجاهدٌ: عَهْدًا نعجزُ عن القيامِ به[2]. وهو ما كُلِّفوا من قتلِ النَّفسِ وغيرِه.

---

(١) ذهب إلى هذا جمعٌ من اللغويين، فلم يفرِّقوا بين (كسب) و(اكتسب)، منهم: الجوهري في «الصحاح» (١/ ٢١٢) مادة: (ك س ب)، والثعالبي في «فقه اللغة» (ص: ٢٥٩).
وفرّق بينهما سيبويه في «الكتاب» (٤/ ٧٤)، وابن قتيبة في «أدب الكاتب» (ص: ٤٦٩) فقال سيبويه: «أما كسب فإنه يقول أصاب، وأما اكتسب فهو التصرف والطلب»، وقال السيرافي في «شرح الكتاب» (٤/ ٤٥٢): «فرّق سيبويه بين كسب واكتسب، وقال غيره: لا فرقَ بينهما، قال الله عز وجل: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾، والمعنى واحد». ورأى ابن جني في «الخصائص» (٣/ ٢٦٨) أنَّ لفظ (كسب) أقلُّ من (اكتسب)، فلما كان فعل السيئة عظيماً مقارنة بجزائها ناسب تعظيم لفظ فعل السيئة، ولما كان فعل الحسنة قليلاً أمام جزائها ناسب أن يُنتقص من لفظ فعل الحسنة.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ١٥٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد، ورواه ابن المنذر في «تفسيره» (١/ ١٠٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥٨٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

قال القفّال: ومَن نظرَ في السِّفرِ الخامسِ من التَّوراة التي يدَّعيها[١] هؤلاء اليهودُ وقفَ على ما أُخِذَ عليهم من غليظِ العهودِ والمواثيق، ورأى الأعاجيبَ الكثيرة[٢].

﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ القفّال: ما يشقُّ علينا فعلُه على الدَّوام[٣].

وقيل: لا تحمِّلنا من عقوبةِ ذنوبِنا ما لا طاقةَ لنا به[٤].

وقيل: ولا تكلِّفنا ما لا نُطيقُ، وهذا أظهرُ.

وقيل: حديثَ النَّفسِ والوسوسة[٥]، وقيل: الحبَّ والعِشق[٦]، وفيهنَّ بُعدٌ.

﴿وَٱعْفُ عَنَّا﴾: امحُ سيِّئاتِنا.

﴿وَٱغْفِرْ لَنَا﴾: استرْ ذنوبَنا.

﴿وَٱرْحَمْنَآ﴾: واعطفْ علينا بالمسامحة.

﴿أَنتَ مَوْلَىٰنَا﴾: وليُّنا وناصرُنا ومتولِّي أمورِنا ومدبِّرنا.

﴿فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ بالحجّةِ والغلبةِ والقهرِ حتى يظهرَ دينُنا على الأديانِ كلِّها، والله أعلم.

* * *

(١) في (و): «التي لا يدعيها».

(٢) ذكره الرازي في «التفسير الكبير» (٧/ ١٢١).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٣٧) دون نسبة.

(٤) «به» من (ن).

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٣٧)، واستغربه.

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٣٧)، وعدَّه من العجائب.

لباب التفاسير

تأليف الإمام المفسر

تاج القرّاء الكرماني

برهان الدين أبي القاسم محمود بن حمزة بن نصر الكرماني

المتوفى بعد سنة ٥٠٠ هـ

يطبع أول مرة محققاً على ثلاث نسخ خطية

تحقيق وتعليق

محمد عبد الحليم بعّاج

المجلد الثاني

دار اللباب

لباب التفاسير

(٢)

حُقُوقُ الطَّبعِ محفُوظَة

الطبعَة الأولىٰ
١٤٤٣هـ - ٢٠٢١م

يُمنع طباعةُ هذا الكتاب أو ترجمته أو تصويرُه ورقياً أو إلكترونياً
إلا بإذن خطي من الدار الناشرة
تحت المُساءلة الدُّنيوية والأُخروية

9 789933 930271

دار اللباب
للدراسات وتحقيق التراث
DAR-ALLOBAB
Lubab Yazma Eserleri İhya ve İlmi Araştırma Yayınları

اسطنبول - تركيا
00902125255551
00905454729850

دمشق - سوريا
00963993151546
info@allobab.com
Www.allobab.com

بيروت - لبنان
009615813966
0096170112990

İskenderpaşa mh. Kıztaşı cd. No:7 D:5 Fatih (Özel Fatih Hastanesi Karşısı)

بسم الله الرحمن الرحيم

سُورَةُ آلِ عِمۡرَانَ

سُورَةُ آلِ عِمۡرَانَ

مدنيّةٌ.

بسم الله الرّحمن الرّحيم

قال الشَّيخُ الإمامُ برهانُ الدِّينِ تاجُ القرّاءِ أبو القاسمِ محمود بن حمزة بن نصرٍ نوَّر الله قبره: حدَّثنا الشَّيخ الإمام أبو سهلٍ محمَّد بن عبد الرَّحمن بن أبي الفضل قال: نا عليُّ بن أحمد الواحديُّ في كتاب «أسباب النُّزول» أنَّه قدمَ وفدُ نجرانَ ـ وكانوا ستِّين راكبًا ـ على رسولِ اللهِ ﷺ، وفيهم أربعةَ عشرَ رجلًا من أشرافِهم، وفي الأربعة عشر ثلاثةُ نفرٍ إليهم يَؤولُ أمرُهم:

العاقبُ: أميرُ القومِ وصاحبُ مشورتِهم[1] لا يصدرونَ إلّا عن رأيه، واسمُه عبدُ المسيح.

والسَّيِّدُ: عالمُهم وصاحبُ رحلِهم، واسمُه الأيهمُ.

وأبو حارثةَ بنُ علقمةَ: أسقُفُهم وحَبرُهم وإمامُهم وصاحبُ مدراسِهم، وكان قد شَرُفَ فيهم، ودرَسَ كتبَهم حتى حسُنَ عملُه في دينِهم، وكانت ملوكُ الرُّوم قد شرَّفوه وموَّلوه، وبنوا له الكنائسَ لعلمِه واجتهادِه.

فقدموا على رسول الله ﷺ، ودخلوا مسجدَه حين صلَّى العصر، عليهم ثيابُ الحِبَراتِ؛ جُبَبٌ وأرديةٌ في جَمالِ رجالِ بَلْحارثِ بن كعبٍ ـ يقول بعضُ مَن رآهم مِن

---

(١) في (ن): «مشورتهم الذين».

أصحابِ رسول الله ﷺ: ما رأينا وفدًا مثلَهم ـ وقد حانَت صلاتُهم، فقاموا فصلَّوا في مسجد رسول الله عليه السَّلام، فقال رسول الله ﷺ: «دعوهم»[1]، فصلَّوا إلى المشرق، فكلَّمَ السَّيِّدُ والعاقبُ رسولَ الله عليه السَّلام، فقال لهما رسولُ الله ﷺ: «أسلِما» فقالا: قد أسلَمْنا قبلَك، قال: «كذبْتُما، يمنعكُما من الإسلامِ دعاؤكما لله ولدًا، وعبادتُكما الصَّليبَ، وأكلُكم الخنزير» قالا: إن لم يكن عيسى ولدًا لله فمَن أبوه؟! وخاصموه جميعًا في عيسى، فقال لهم[2] النَّبيُّ عليه السَّلام: «ألسْتُم تعلمونَ أنَّه لا يكونُ ولدٌ إلّا وهو يشبهُ أباه؟» قالوا: بلى، قال: «ألسْتُم تعلمونَ أنَّ ربَّنا حيٌّ لا يموتُ، وأنَّ عيسى يأتي عليه الفناء؟» قالوا: بلى، قال: «ألسْتُم تعلمونَ أنَّ ربَّنا قيِّمٌ على كلِّ شيءٍ يحفظُه ويرزقُه؟» قالوا: بلى، قال: «فهل يملكُ عيسى من ذلك شيئًا؟!» قالوا: لا، قال: «ألسْتُم تعلمون أنَّ ربَّنا صوَّرَ[3] عيسى في الرَّحمِ كيف شاء، وربُّنا لا يأكلُ ولا يشربُ ولا يُحدثُ؟» قالوا: بلى، قال: «ألستم تعلمون أنَّ عيسى حملَتْه أمُّه كما تحملُ المرأةُ، ثم وضعَتْه كما تضعُ المرأةُ ولدَها، ثم غُذِيَ كما يُغذَّى الصَّبيُّ، ثم كانَ يَطعمُ ويَشربُ ويُحدثُ» قالوا: بلى، قال: «فكيف يكونُ هذا إلهًا كما زعمتُم؟» فسكتوا، فأنزل الله عزَّ وجلَّ فيهم صَدْرَ سورةِ آلِ عمرانَ إلى بضعٍ وثمانينَ آيةً[4].

* * *

(١) «فقال رسول الله دعوهم» من (ن).

(٢) «لهم» من (ن).

(٣) في (ن): «فإن ربنا صور».

(٤) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٩٧، ٩٨)، والخبر روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٥/ ١٧١، ١٧٣)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ١٠٩)، عن ابن إسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٥/ ١٧٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥٨٥)، والثعلبي في «تفسيره» (٨/ ١٧) عن الربيع.

(١ ـ ٢) ـ ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾.

﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ سبقَ الكلام في الحروفِ أوّلَ (البقرة).

وحُرِّكَت الميمُ هاهنا[1] بالفتحِ لالتقاءِ السّاكنين؛ الميمِ واللّام[2]. وقيل: نُقِلَ حركةُ الهمزةِ إلى الميم، وهو بعيدٌ[3].

﴿ٱلۡحَيُّ﴾: هو الذي يصحُّ منه الإدراكُ. وقيل: الذي يصحُّ منه الفعلُ.

﴿ٱلۡقَيُّومُ﴾ مجاهدٌ والرَّبيعُ: القائمُ بتدبيرِ عبادِه[4].

محمَّدُ بنُ جعفرٍ: الدّائمُ البقاء[5].

وزنُه (فَيْعُول) مِن (قامَ).

* * *

(٣) ـ ﴿نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ﴾.

﴿نَزَّلَ عَلَيۡكَ﴾ يا محمَّد ﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾؛ أي: القرآنَ.

والتَّنزيلُ والإنزالُ واحدٌ، وقيل: التَّنزيلُ ما يكونُ مُفصَّلًا، والإنزالُ عامٌّ[6].

---

(١) «هاهنا» من (ن).

(٢) هذا رأي سيبويه. انظر: «الكتاب» (٤/ ١٥٣ ـ ١٥٤).

(٣) هذا رأي الفراء. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٩)، وقد أطنب أبو حيّان بذكر الخلاف والاستشهاد له في «البحر المحيط» (٣/ ١٠).

(٤) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٥/ ١٧٧، ١٧٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٤٨٦).

(٥) لم أقف على هذا اللفظ عن محمَّد بن جعفر، وهو تفسير الزَّجّاج للحيِّ، وقد روى الطبري عن محمد بن جعفر قوله: «القيوم: القائم على مكانه من سلطانه في خلقه لا يزول». انظر: «تفسير الطبري» (٥/ ١٧٨)، و«معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣٣٦).

(٦) في (ن): «العام». انظر: «معاني القراءات» للأزهري (٢/ ٢١٦)، و«الحجة» لأبي علي (٢/ ١٦١) =

﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: بالعدلِ(١).

محمَّد بن جريرٍ: بالصِّدقِ فيما اختُلفَ فيه(٢).

والباءُ للسَّببِ؛ أي: بسببِ إثباتِ الحقِّ، ويَحتمِلُ الحالَ؛ أي: محقًّا، تقولُ: خرجَ بسلاحِه؛ أي: مُتسلِّحًا(٣).

﴿مُصَدِّقًا﴾: يخبرُ بصدقِ الأنبياء.

قتادةُ ومجاهدٌ: ﴿مُصَدِّقًا﴾ للكتبِ التي تقدَّمَت(٤).

أبو مُسلمٍ: تصديقُه لها أنَّها أخبرَت بمجيئِه، ووقوعُ الـمُخبَرِ به يجعلُ المخبِرَ صادقًا(٥).

﴿لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾ يُقالُ لِما يُرَى ويُمكنُ التَّصرُّفُ فيه: هو بين يديه، وكذلك يُستعمَلُ للشَّيءِ إذا كان قدّامَ شيءٍ غيرَ بعيدٍ منه.

﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ﴾: كتابَ موسى عليه السَّلام.

= و(٣/ ٧٦)، و«معجم الفروق اللغوية» (ص: ٧٩).

(١) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ١٣٥)، وأبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ١٤)، وذكره الماوردي في «تفسيره» (١/ ٣٦٧) بلا نسبة.

(٢) هذا اختيار الطبري، وقد روى نحوه عن محمد بن جعفر بن الزبير. انظر: «تفسير الطبري» (٥/ ١٨٠)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٣/ ١٥).

(٣) انظر: «الحجة» لأبي علي (٢/ ١٦٠).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ١٨٠، ١٨١)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ١١٤).

(٥) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ١٥)، وذكر الرازي عن أبي مسلم وجوهاً أخرى محتملة في «التفسير الكبير» (٧/ ١٣٠ ـ ١٣١).

واشتقاقُها من (وَرِيَ الزَّنْدُ)؛ إذا ظهرَتِ النّارُ منها[١]، وقيل: من (التَّورية)؛ لأنَّ فيها كناياتٍ كثيرةً[٢].

ووزنُها عند البصريِّين: (فَوْعَلَة) كـ(حَوْقَلَة)، قُلِبَت الواوُ تاءً كـ: تُخمةٍ، وتراثٍ[٣].

وعندَ الكوفيِّين: (تَفْعِلة) بالكسر، قُلِبَت كسرتُه فتحةً[٤]، كـ(جاراةٍ) في (جارية)[٥]، و(ناصاةٍ) في (ناصية)[٦].

وقيل: (تَفعَلة) بالفتح[٧].

﴿و﴾ أنزلَ[٨] ﴿الإنجيل﴾: كتابَ عيسى عليه السَّلام.

واشتقاقُه من (النَّجْل) أو (النَّجَل)[٩]؛ لأنَّه منبعُ علومٍ، ومُتَّسَعُ علومٍ، ووزنُه: (إفعيل)[١٠].

---

(١) هذا رأي الفراء. انظر: «أدب الكاتب» لابن قتيبة (ص: ٦١٤).

(٢) هذا رأي مؤرج، وقد ذكره المصنِّف، واستغربه. انظر: «تفسير الثعلبي» (٨/ ٢٥)، و«غرائب التفسير» (١/ ٢٤٠).

(٣) انظر: «المحتسب» لابن جني (١/ ١٥٢)، و«سر صناعة الإعراب» له أيضاً (١/ ١٥٥).

(٤) انظر: «الزاهر في معاني كلمات الناس» للأنباري (١/ ٧٢)، و«غريب القرآن» للسجستاني (ص: ١٣٦).

(٥) في (و): «الجارية».

(٦) وهي لغة طيء أو بني عقيل. انظر: «الجراثيم» لابن قتيبة (٢/ ٣٠٩)، و«تفسير الطبري» (١٢/ ١٤٠).

(٧) ذكره أبو علي احتمالًا مع الوجهين السابقين. انظر: «الحجة» لأبي علي (٣/ ١٣).

(٨) «أنزل»: ليس في (ن).

(٩) النجْل: الولد، والنجَل: سعة العين، وقد سقط «النجَل» في (و).

(١٠) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٣٦)، و«التقفية في اللغة» للبندنيجي (ص: ٦١٧)، و«معاني =

والأصحُّ عند النُّحاةِ أن لا يُوزَنا؛ لأنَّهما أعجميان[1].

* * *

(٤) ـ ﴿مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾.

﴿مِن قَبۡلُ﴾؛ أي: من قبلِ القرآنِ ﴿هُدٗى لِّلنَّاسِ﴾: بيانٌ ودلالةٌ.

﴿وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَ﴾: الفرقَ بينَ الحقِّ والباطلِ.

وقيل: المرادُ بـ﴿ٱلۡفُرۡقَانَ﴾: القرآنُ، وكرَّرَ اختصاصًا له وتشريفًا.

وقيل: تقديرُه: وأنزلَ التَّوراةَ والإنجيلَ وأنزلَ الفرقانَ هدًى للنّاس، فيكونُ (الهدى) راجعًا إلى الكلِّ.

وقيل: تمَّ الكلامُ عند قوله: ﴿مِن قَبۡلُ﴾، ثم استأنف فقال: ﴿هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَ﴾، فيكونُ (الهدى) للقرآنِ[2] فحسبُ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما: هم وفدُ نجرانَ[3].

= القرآن» للزجاج (٢/ ١٨٠)، و«عمدة الكتاب» للنحاس (ص: ١٢٠)، و«مقاييس اللغة» لابن فارس (٥/ ٣٩٦).

(١) اشتهر هذا القول عن الزمخشري، وقد صححه أبو حيان والسمين الحلبي بعد نسبته للزمخشري، وقد أشار إليه الزجاج والمعري قبل ذلك، ومذهب الإمام الشافعي في اسم (القران) يرجح هذا الرأي، ولم أقف على من صحَّحه تصريحاً قبل المصنِّف. انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (٩/ ٢٠٩)، و«معاني القرآن» للزجاج (٢/ ١٨٠)، و«رسالة الملائكة» للمعري (ص: ٢٠١)، و«الكشاف» (١/ ٣٣٥)، و«البحر المحيط» (٣/ ٥ ـ ٦)، و«الدر المصون» للسمين الحلبي (٣/ ١٦).

(٢) في (ن): «للفرقان».

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٣٦٨)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٢٥٨).

وقيل: عامٌّ.

والآياتُ: القرآنُ. وقيل: الدّلالاتُ.

﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾: منيعٌ ﴿ذُو انتِقَامٍ﴾؛ أي: عقوبةٍ، نَقَمَ: أنكرَ، وانتقَمَ: عاقَبَ[1].

* * *

(٥) ـ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾؛ أي: هو[2] سبحانه عالمٌ بهما وبما فيهما؛ لأنَّه خالقٌ جميعَهما.

* * *

(٦) ـ ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ﴾: يجعلُكم على صورةٍ، والصُّورةُ: الهيئةُ يكونُ عليها الشَّيءُ بالتَّأليف، من (صارَ يَصُورُ)؛ إذا أمالَه[3].

﴿فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ من الذُّكورةِ والأنوثةِ والسَّوادِ والبياضِ، وجميعِ ما تختلفُ به الصُّورُ، وعيسى عليه السَّلام مُصوَّر، فهو عبدٌ مربوبٌ.

﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ﴾ في سلطانِه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في تدبيرِه.

* * *

---

(١) انظر: «مقاييس اللغة» لابن فارس (٥/ ٤٦٤)، و«معجم الفروق اللغوية» (ص: ٨٣).

(٢) «هو» من (ن).

(٣) يُقال: صار عنقَه يصوره؛ إذا أماله. انظر: «العين» (٧/ ١٤٩).

(٧) ـ ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾.

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾: القرآنَ.

﴿مِنْهُ﴾: مـن الكتـابِ ﴿ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾؛ أي: أصلٌ يُعمَلُ به في كلِّ كتابٍ أنزلَه الله.

ولم يَجمَع[١]؛ لأنَّ الجميعَ أمٌّ. وقيل: كلُّ واحدةٍ منهنَّ أمٌّ[٢].

﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾؛ أي: وآياتٌ أُخَرُ، و(أُخَرُ) لا تتصرَّفُ للعَدْلِ عن الألف واللّام والصِّفةِ[٣].

واختلفَ المفسِّرون في الـمُحكَم والـمُتشابِهِ؛ فروى عطيّةُ عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّ المحكمَ النّاسخُ الذي يُعمَل به، والمتشابهَ المنسوخُ الذي لا يُعمَل به[٤].

وإليه ذهب قتادةُ والضَّحّاكُ والسُّدِّيُّ[٥].

---

(١) فيقول: هن أمهات الكتاب.

(٢) ولم تُجمع على الحكاية، أو أنها مفرد في اللفظ جمع في المعنى، فالتقدير: كل آية أم. انظر: «الصحاح» للجوهري (٥/ ١٨٦٤) مادة: (أ م م)، و«غرائب التفسير» للمصنِّف (١/ ٢٤١).

(٣) انظر: «الكتاب» لسيبويه (٣/ ٢١٧).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ١٩٣)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٣١)، والواحدي في «البسيط» (٥/ ٣١).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ١٩٤ ـ ١٩٥)، ورواه ابن المنذر في «تفسيره» (١/ ١٢٠) عن الضحاك وقتادة، ورواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ١٩٤) من طريق السدي عن ابن عباس رضي الله عنهما.

ورُوي عنه أيضًا: أنَّ المحكمَ ما أمرَ به الله[1] في كلِّ كتابٍ أنزله، نحوُ قوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ الآيات [الأنعام: ١٥١]، ومثلُه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، وما سوى المحكمِ متشابهٌ[2].

وعن محمَّد بن جعفرِ بن الزُّبير[3]: المحكمُ ما لا يَحتمِلُ من التَّأويل إلّا وجهًا واحدًا، والمتشابهُ ما احتملَ وجوهًا[4].

ابن زيد: المحكمُ الذي لم تتكرَّر ألفاظُه، والمتشابهُ الذي تكَرَّرَتْ ألفاظُه[5].

وعن مجاهدٍ: المحكمُ ما لا يَشتبِهُ معناه، كقوله: ﴿لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠]، وكقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ الآية [المؤمنون: ١٢]، والمتشابهُ ما اشتبهَت معانيه[6].

---

(١) في (ن): «ما أمره الله به».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ١٩٣)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ١١٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥٩٢).

(٣) «بن الزبير» من (ن).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٣٥)، والماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٣٦٩)، والواحدي في «البسيط» (٥/ ٣٥)، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٥/ ١٩٧)، ولفظه: «﴿ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ﴾ فيهن حجة الرب وعصمة العباد، ودفع الخصوم والباطل، ليس لها تصريف ولا تحريف عما وُضعت عليه، وأخر متشابهة في الصدق، لهن تصريف وتحريف وتأويل، ابتلى الله فيهن العباد كما ابتلاهم في الحلال والحرام؛ لا يصرفن إلى الباطل، ولا يحرفن عن الحق».

(٥) في (و): «لفظه». ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٣٦٩)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٢٥٨ـ ٢٥٩).

(٦) ذكر نحوه أبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ٢٢)، وذكر ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٢٥٩) قوله في المتشابه، وأما قوله في المحكم فروى الطبري في «تفسيره» (٥/ ١٩٦) عنه قوله: «ما فيه =

وعن جابر بن عبد الله: المحكمُ ما يُعلَم تأويلُه، والمتشابهُ ما لا يُعلَمُ تأويلُه، واستأثَرَ الله بعلمِه نحو: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ [الأعراف: ١٨٧]، ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ﴾ [النمل: ٨٢](١).

الفرّاء: المتشابهُ حروفُ التَّهجِّي في أوائل السُّور، طلبوا أن يعرفوا مدَّةَ بقاءِ أمَّةِ محمَّدٍ عليه السَّلام منها، واشتبهَت عليهم(٢).

قلْتُ: القرآنُ كلُّه مُحكَمٌ، من قوله: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾ [هود: ١]؛ أي: أُحكِمَت بالنَّظم العجيب والمعنى البديع، وكلُّه متشابهٌ، من قول الله سبحانه: ﴿نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾ [الزمر: ٢٣]؛ أي: يشبهُ بعضُه بعضًا، لا خلافَ فيه ولا تناقضَ(٣).

والمرادُ بالمحكمِ هاهنا والله أعلم: ما لا يتطرَّقُ إليه النَّسخُ بوجهٍ ما، من قولِهم: أحكمْتُ الشَّيء؛ أي: منعْتَ منه الخللَ، وأصلُه من (المنع).

= من الحلال والحرام وما سوى ذلك، فهو متشابه يصدق بعضه بعضًا، وهو مثل قوله: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٦]، ومثل قوله: ﴿كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، ومثل قوله: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد: ١٧]». وروى نحوه ابن المنذر في «تفسيره» (١/ ١١٩).

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٢٢١ ـ ٢٢٢) في حديث طويل، وضعَّف السيوطي إسناده في «الدر المنثور» (١/ ٥٧)، وذكره السمعاني في «تفسيره» (١/ ٢٩٤)، وقال الطبري (٥/ ١٩٩): «وهذا القول الذي ذكرناه عن جابر بن عبد الله أشبهُ بتأويل الآية».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ١٩٠).

(٣) هذا الكلام متفق عليه، وهو خارج من نطاق الخلاف، وإنما ساقه المصنِّف لتوضيح المعنى، وتمهيدًا لترجيحه، وقد ذكره قبله: الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٣٩)، والواحدي في «البسيط» (٥/ ٤٠)، والجرجاني في «درج الدرر» (٢/ ٦٠)، وقد استغرب المصنف هذا القول في «غرائب التفسير» (١/ ٢٤٢).

والمرادُ بالمتشابهِ والله أعلم: ما استأثرَ اللهُ بعلمِه، كما ذهبَ إليه جابرُ بنُ عبدِ الله، وهو ما دخلَ في شَبهِ غيرِه، ومثلُه (المُشْكِلُ)؛ أي[1]: دخلَ في شَكلِ غيرِه.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾: ميلٌ عن الحقِّ إلى الباطلِ، ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾ وهو المشكِلُ الذي لم يبيِّنْه اللهُ، فيفسِّرونه على وجهٍ يحتملُه اللَّفظُ ﴿ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ﴾: طلبًا لإيقاعِ الشُّكوكِ بينَ المسلمين، ﴿وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ ما يؤولُ إليه معنى الكلام.

﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ لأنَّه ـ سبحانه ـ استأثرَ بعلمِه، كوقتِ السّاعةِ وإخراجِ الدّابّة.

﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾: الثَّابتونَ فيه، من قولهم: (رسخَ الشَّيءُ)؛ إذا ثبت.

﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ لأنَّهم مُتعبَّدون بظاهرِه دونَ الكشفِ والبحثِ عنه.

﴿كُلٌّ﴾؛ أي: كلُّ ذلك، وهو المحكمُ والمتشابهُ ﴿مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾: وَحْيه وتنزيلِه.

و(كلٌّ) معرفةٌ؛ لدلالتِه على الإضافةِ، ولم يُبْنَ بناءَ (قبلُ) و(بعدُ) و(فوقُ)؛ لأنَّها عندَ الانفرادِ قد تتعرَّفُ وقد تتنكَّرُ، فبُنِيَت عند التَّعريفِ وأُعربَت عند التَّنكير للفَرقِ، و(كلٌّ) في الأحوالِ معرفةٌ[2].

و﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ﴾ استئنافٌ عندَ الجمهور.

وذهبَ مجاهدٌ والرَّبيعُ إلى أنَّه رُفعَ بالعطفِ على قوله: ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾[3]، وإليه

---

(١) في (ن): «إذا».

(٢) ذكر المصنف هذا في «غرائب التفسير» (١/ ٢٤٣)، وانظر: «الكتاب» لسيبويه (٢/ ١١٤)، و«المخصص» لابن سيده (٤/ ٢٣٤).

(٣) هذا مفهوم مما رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٢٢٠) عن مجاهد والربيع، وما رواه ابن المنذر في «تفسيره» (١/ ١٣٢) عن مجاهد.

ذهبَ القَتَبي أيضًا في «مشكله»[١]، وجعلوا (يقولون) حالًا من (الرّاسخين)، وهذا بعيدٌ من أوجهٍ ثلاثةٍ:

الأوَّل: لأنَّهم وإنْ زعموا أنّا نعلمُ بعضَ المتشابه، فلا بدَّ لهم من القولِ[٢] بالعجزِ عن بعضِه، وهو ما سبق.

والثّاني: ما في بعضِ المصاحفِ، وهوَ: (ويقولُ الرّاسخون)[٣]، وهذا قاطعٌ.

والثّالث: أنَّ الحالَ يقتضي أن يكونَ من المعطوفِ والمعطوفِ عليه، وهذا فاسدٌ لا محالةَ، والله أعلم.

﴿وَمَا يَذَّكَّرُ﴾: وما يتَّعظُ، وأصلُه: يتذكَّرُ.

﴿إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: أصحابُ العقول.

***

(٨) ـ ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾.

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾؛ أي: لا تُمِلْها عن الحقِّ، من قولِه: ﴿أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥].

الزَّجّاج: لا تتعبَّدْنا بما يكونُ سببًا لزيغِ قلوبِنا[٤].

---

(١) انظر: «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (ص: ٦٦، ٦٧).

(٢) في (ن): «لهم بالقول».

(٣) نُسبت هذه القراءة لأبي بن كعب رضي الله عنه، كما في: «معاني القرآن» للفراء (١/ ١٩١)، و«تفسير الطبري» (٥/ ٢٢٠)، ونُسبت لابن عباس رضي الله عنهما، كما في «تفسير عبد الرزاق» (٣٧٧).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣٧٩).

﴿بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا﴾: أنلتَنا الهدايةَ.

و﴿إِذۡ﴾ واقـعٌ موقـعَ (أن)، ويجوزُ أن يكونَ ﴿بَعۡدَ﴾ زيـادةً[1]، ويجوزُ أن يكونَ ﴿بعد﴾ مضافًا إلى ﴿إِذۡ﴾؛ أي: بعدَ وقتِ الهدايةِ[2].

﴿وَهَبۡ لَنَا﴾: أعطِنا، والهبةُ: العطيّةُ المتبرَّعُ بها.

﴿مِن لَّدُنكَ﴾: من عندِك.

﴿رَحۡمَةً﴾: خيرًا ونعمةً.

﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ﴾: المعطي سُؤْلَ العبادِ في الدُّنيا والمعاد.

والآيةُ تَحتمِلُ أن تكونَ عطفًا على قولِ الرَّاسخين، وتَحتمِلُ الاستئنافَ؛ أي: قولوها، وكذلك الآيةُ التي بعدها.

* * *

(٩) - ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾.

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ﴾ الجمهورُ: حاشرُهم وباعثُهم.

﴿لِيَوۡمٖ﴾: لأجلِ يومٍ، وهو يومُ القيامة.

ابن عيسى: لجزاءِ يومٍ، فحذفَ المضاف[3].

ويُحتمَلُ: جامعُ النّاسِ في قبورِهم لحشرِ يومٍ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٤٣).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٤٣)، واستغربه.

(٣) وهو قول الزجاج أيضاً. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣٩٢)، و«البسيط» للواحدي (٥/ ١٤٢).

﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: لا شكَّ في وقوعِه؛ أي: اليوم، ويُحتمَلُ: لا ريبَ في الجَمْعِ[١].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ يجوزُ أن يكونَ متَّصلًا بالأوَّل على تلوين الخطاب، ويجوزُ أن يكونَ استئنافًا؛ أي: لا يخلفُ ما وعدَ المسلمينَ من الحشرِ والنَّشرِ والثَّوابِ والعقاب.

***

(١٠) - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ﴾: لن[٢] تمنعُ عنهم ﴿أَمْوَٰلُهُمْ﴾ وإن كثُرت.

ابن عيسى: الغنى حقيقةٌ تنفي الحاجةَ؛ أي: فلا يكون شيءٌ ينفي الحاجةَ إلى الله سبحانه.

﴿وَلَآ أَوْلَٰدُهُم﴾ ذبُّهم وشجاعتُهم[٣].

﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أبو عبيدة: عند الله[٤].

المبرِّد: ﴿مِّنَ﴾ لابتداءِ الغاية[٥].

﴿شَيْـًٔا﴾ يُحتمَلُ أن يكون مفعولًا، ويُحتمَل أن يكون مصدرًا؛ أي: شيئًا من الإغناء.

﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ﴾: حَطبُها، وقيل: لهبُها.

---

(١) في (و): «الجميع».

(٢) في (و): «لم».

(٣) المراد: لن تغني أموال الكفار ولا ذب أولادهم ودفاعهم عنهم شيئاً.

(٤) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٨٧)، ورواه ابن المنذر في «تفسيره» (١/ ١٣٥).

(٥) انظر: «المقتضب» للمبرد (١/ ٤٤) و(٤/ ١٣٦).

(١١) - ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾.

﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: كعادتِهم في تكذيبِ الحقِّ.

وقيل: كعادتِهم في عقوبتِهم على كُفرِهم.

والدَّأبُ: العادةُ.

وقيل: كاجتهادِهم في تكذيبِ الرُّسلِ ونُصرةِ الكُفرِ على الإيمان.

والدَّأبُ: الاجتهادُ والدَّوامُ على العمل.

محمَّد بن جرير: لن تغنيَ عنهم كما لم تُغنِ عن آلِ فرعونَ والذين من قبلهم[1].

وقيل: ﴿هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ۝١٠ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾؛ أي: يُعذَّبون كما عُذِّبوا، وتتَّقدُ النَّارُ بأجسادِهم[2] كما تتَّقدُ بأجسادِ آل فرعون.

وقيل: إنَّ الذين كفروا كدأبِ آلِ فرعونَ في الكفر. وهذا لا يجوزُ؛ للإحالةِ بين الصِّلةِ والموصول.

﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾: يجوزُ أن يكونَ حالًا؛ أي[3]: قد كذَّبوا، ويجوزُ أن يكونَ

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٥/ ٢٣٤). وقد قال المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٤٤): «الكاف إذا كان بمعنى (مثل) محكوم عليه بالنصب أو الرفع أو الجر؛ فيجوز أن يكون محله رفعاً بالخبر؛ أي: دأبهم كدأب آل فرعون.
ويجوز أن يكون نصباً بقوله: (لن تغني)؛ أي: لن تغني إغناءً مثل ما لم تغن عن آل فرعون.
ويجوز أن يكون نصباً بما دل عليه (وقود النار)؛ أي: يتوقدون توقداً مثل توقد آل فرعون».

(٢) في (ن): «في أجسادهم».

(٣) «أي» من (ن).

استئنافًا؛ أي: هم كذَّبوا، ويجوزُ أن يكونَ ﴿وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ مبتدأً، و﴿كَذَّبُواْ﴾[(١)] خبرَه.

﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾: بسببِ ذُنوبِهم.

ومعنى أخذتَه بكذا: جازيتَه عليه.

والذُّنوبُ: جمعُ الذَّنْب[(٢)]، وهو الإثمُ، وأصلُ الذَّنْبِ: التُّلوُّ للشَّيء، يقول: ذَنَبَه يذنبُه ذنبًا؛ إذا تلاه، والذَّنْبُ: الجُرْمُ؛ لِما يتلوه من العقاب، والذَّنوبُ[(٣)] يتبعُ الحبلَ، والذَّنَبُ يتبعُ سائرَ الجسد.

﴿وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ فلا يُطاقُ عقابُه.

***

(١٢) ـ ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾.

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ﴾ عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّها نزلَت في قريشٍ قبلَ وقعةِ بدرٍ، فصدَقَ الله قولَه، وأنجزَ وعدَه[(٤)].

وعن الكلبيِّ عن أبي صالحٍ عن ابن عبّاسٍ: نزلَت في اليهود[(٥)].

---

(١) في (و): «مبدأ والذين».

(٢) في (ن): «جمع ذنب».

(٣) الذنوب؛ أي: الدلو العظيمة. انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري مادة: (ذ ن ب) (١٤/ ٣١٥).

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ١٥٤)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٢٦٢).

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٨٣)، والواحدي في «أسباب النزول» (٩٨). ورواه أبو داود (٣٠٠١) من طريق سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما، وفي سنده محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، لم يوثقه غير ابن حبان.

وقولُه: ﴿سَتُغۡلَبُونَ﴾؛ أي: في الدُّنيا، ﴿وَتُحۡشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ في العُقبى.

والياءُ[1] محمولٌ على لفظِ (الذين)، كقوله: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ﴾، والتّاءُ على تقدير: قُل لهم إذا لاقيتَهم.

﴿وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ﴾: المُستقرُّ جهنَّم.

***

(١٣) ـ ﴿قَدۡ كَانَ لَكُمۡ ءَايَةٞ فِي فِئَتَيۡنِ ٱلۡتَقَتَاۖ فِئَةٞ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخۡرَىٰ كَافِرَةٞ يَرَوۡنَهُم مِّثۡلَيۡهِمۡ رَأۡيَ ٱلۡعَيۡنِۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصۡرِهِۦ مَن يَشَآءُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾.

﴿قَدۡ كَانَ لَكُمۡ ءَايَةٞ﴾؛ أي: ظهرَت لكم أيُّها اليهودُ دلالةٌ واضحةٌ على صحّةِ نبوّةِ محمَّدٍ ﷺ؛

قيل: هي غلبةُ القليلِ الكثيرَ.

وقيل: هي تقليلُ الكفَّارِ في أعينِ المؤمنين، وهذا أولى.

﴿فِي فِئَتَيۡنِ﴾: فرقتَينِ.

﴿ٱلۡتَقَتَا﴾: اجتمعَتا يوم بدرٍ.

﴿فِئَةٞ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وهم المؤمنون.

﴿وَأُخۡرَىٰ كَافِرَةٞ﴾؛ أي: وفئةٌ أخرى كافرةٌ.

﴿يَرَوۡنَهُم﴾: ترى الفئةُ المؤمنةُ الفئةَ الكافرةَ ﴿مِّثۡلَيۡهِمۡ﴾ مِثْلَي الفئةِ المؤمنة،

---

(١) قرأ حمزة والكسائي: (سيغلبون) و(يحشرون) بالياء، وباقي السبعة بالتاء. انظر: «السبعة» (ص: ٢٠٢)، و«التيسير» (ص: ٨٦).

وذلك أنَّ المؤمنينَ كانوا ثلاثَ مئةٍ وثلاثةَ عشرَ رجلًا، والكافرينَ كانوا ألفًا؛ عن عليٍّ وابن مسعودٍ رضي الله عنهما[١].

وذهبَ قتادةُ إلى أنَّهم كانوا[٢] بين تسعِ مئةٍ إلى ألفٍ، فأرى الله المؤمنين الفئةَ الكافرةَ على عددٍ تيقَّنوا بالغلبةِ، وهو قولُه: ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ﴾ [الأنفال: ٦٦][٣].

وقيل: ترى الفئةُ الكافرةُ الفئةَ المؤمنةَ مِثْلَي الفئةِ المؤمنةِ.

وقيل: مِثْلَي الفئةِ الكافرة، فجبُنُوا عن مقاتلتِهم للكثرة[٤].

والأوَّلُ أظهرُ وأولى، كقولِه تعالى: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِيٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِيٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ [الأنفال: ٤٤].

قال الفرّاء: ﴿مِّثْلَيْهِمْ﴾؛ أي: ثلاثةَ أمثالِهم[٥]، وردَّ عليه الزَّجّاج[٦].

ومَن قرأ[٧]: ﴿تَرَوْنَهُمْ﴾ بالتّاء[٨]، فالتَّقديرُ: ترون أيُّها المؤمنون الفئةَ الكافرةَ

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٢٤٧، ٢٤٨) عن علي وابن مسعود رضي الله عنهما.

(٢) «كانوا» من (ن).

(٣) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٢٤٨)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ١٣٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٠٦)، وانظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٣/ ٢١).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٤٥)، وعدَّه من العجائب؛ لأن نصَّ القرآن يأباه.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ١٩٤)، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٤٥)، واستغربه.

(٦) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣٨١).

(٧) في (و): «قال».

(٨) وهي قراءة نافع. انظر: «السبعة» (ص: ٢٠١)، و«التيسير» (ص: ٨٦).

مِثْلَي المؤمنين، وكان القياسُ: (مثليكم)، قال أبو عليٍّ في «الحجّة»: هو كقوله سبحانه: ﴿وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن زَكَوٰةٖ تُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ﴾ [الروم: ٣٩][1].

ويَحتمِلُ وجهًا آخرَ، وهو: أنَّه ـ سبحانه ـ جعلَ القومَ ثلاثةَ أصنافٍ، حيث قال: ﴿قَدۡ كَانَ لَكُمۡ ءَايَةٞ فِي فِئَتَيۡنِ﴾، والتّاءُ تعودُ إلى مَن تعودُ إليه الكاف، والضَّميرُ الأوَّلُ يعودُ إلى الفئة الكافرة، والثّاني إلى الفئةِ المؤمنة.

﴿رَأۡيَ ٱلۡعَيۡنِ﴾ «الحجّة»: الرُّؤيةُ في قولِه: ﴿يَرَوۡنَهُم﴾ للعينِ بدليلِ قولِه: ﴿رَأۡيَ ٱلۡعَيۡنِ﴾، قال: و﴿مِّثۡلَيۡهِمۡ﴾ ينتصبُ على الحال[2].

ويُحتمَلُ أن يكونَ من رؤيةِ القلب، و﴿مِّثۡلَيۡهِمۡ﴾ المفعول الثّاني، والتَّقديرُ: يرونهم رؤيةً مثلَ رؤيةِ العينِ، فحُذِفا[3]، والمعنى: تتنزَّل منزلةَ العيان.

﴿وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ﴾: يقوِّي، من (الأَيْدِ) و(الآدِ).

﴿بِنَصۡرِهِۦ﴾: بعونِه وحجَّتِه.

﴿مَن يَشَآءُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ فيما سبقَ ﴿لَعِبۡرَةٗ﴾: لعِظةً ﴿لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾: لذوي البصائرِ.

والعِبرةُ: ما يُعبرُ به من الجهلِ إلى العلمِ، وأصلُه النُّفوذُ.

***

(١) فهو من الالتفات. انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٣/ ١٩).

(٢) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٣/ ١٩).

(٣) أي: كلمتي (رؤية) و(مثل).

(١٤) - ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾.

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ جُلُّ المفسِّرين على أنَّ الفاعلَ هو الله سبحانه، واستدلُّوا بقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا﴾ [الكهف: ٧]، وقوله: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ﴾ [الصافات: ٦]، وذهبَ الحسنُ إلى أنَّ الفاعلَ هو الشَّيطانُ، ودليلُه قولُه: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الأنعام: ٤٣][(١)].

وقيل: ما كانَ خيرًا فاللهُ زيَّنَه، وما كانَ شرًّا فالشَّيطانُ زيَّنَه.

والتَّزيينُ: التَّحسينُ، وقيل: التَّحبيبُ، وحقيقةُ التَّزيينِ: جعلُ الشَّيءِ مُتقبَّلًا في الطَّبْع.

وقيل: تقديره: زُيِّنَ وحُبِّبَ للنّاسِ حبُّ الشَّهواتِ.

والشَّهوةُ: تَوَقانُ النَّفْسِ إلى الشَّيء، وهو مصدرٌ، والتَّقديرُ: حبُّ ذوي الشَّهواتِ.

﴿مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ﴾: جمع (ابنٍ)، ويُحتمَلُ أن يكون[(٢)] جمع (ابنٍ) و(ابنةٍ)، فغُلِّبَ التَّذكيرُ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٢٥٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٠٧)، ولفظ الطبري: «مَن زينها؟ ما أحدٌ أشد لها ذمًّا من خالقها».

ووفَّق بين القولين ابنُ عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٤٠٨) فقال: «وإذا قيل: زين الله، فمعناه بالإيجاد والتهيئة لانتفاع وإنشاء الجبلة عن الميل إلى هذه الأشياء، وإذا قيل: زين الشيطان، فمعناه بالوسوسة والخديعة وتحسين أخذها من غير وجوهها. والآيةُ تحتمل هذين النوعين من التزيين، ولا يختلف مع هذا النظر».

(٢) في (ن): «ويحتمل أنه».

﴿وَٱلْقَنَٰطِيرِ﴾: جمع (قِنطارٍ).

ابنُ عبّاسٍ والحسنُ والضَّحّاكُ: هو ألفٌ ومئتا دينارٍ[(١)].

ابنُ عمرَ وأبيٌّ بن كعبٍ وأبو هريرةَ ومعاذُ بن جبلٍ رضي الله عنهم: ألفٌ ومئتا أوقيّةٍ[(٢)].

وعن الحسنِ أيضًا: ألفُ دينارٍ، أو اثنا[(٣)] عشرَ ألفَ درهمٍ[(٤)].

قتادةُ: ثمانون ألف درهمٍ، أو مئةُ رطلٍ[(٥)].

مجاهدٌ وعطاءٌ: سبعون ألف دينارٍ[(٦)].

أبو نضرةَ: مِلءُ مَسْكِ ثورٍ ذهبًا[(٧)].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٢٥٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما والحسن والضحاك، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٠٩) عن الحسن.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٢٥٤ ـ ٢٥٥) عن معاذ وابن عمر وأبي هريرة وأبي بن كعب رضي الله عنهم، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٠٨) عن معاذ رضي الله عنه.

(٣) في (ن): «واثنا».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٢٥٧) عن الحسن بلفظ: «القنطار اثنا عشر ألفًا»، ورواه الدارمي في «سننه» (٣٥١٠) بلفظ: «القنطار دية أحدكم اثنا عشر ألفاً»، ورواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٢٥٦ـ٢٥٧) عن ابن عباس رضي الله عنه والضحاك أيضًا.

(٥) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٤١٣)، والطبري في «تفسيره» (٥/ ٢٥٨).

(٦) رواه الدارمي في «سننه» (٣٥١١)، والطبري في «تفسيره» (٥/ ٢٥٨) عن مجاهد، ورواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٢٥٩)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٢٥٨) عن عطاء الخرساني عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٢٥٩) عن أبي نضرة، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٠٩) عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٤١٤) عن الكلبي.

أبو عُبيدةَ: ليسَ بمحدودٍ[(١)].

﴿ٱلْمُقَنطَرَةِ﴾ قتادةُ: المضاعَفة[(٢)].

الفرّاءُ: تسع قناطير[(٣)].

السُّدِّيُّ: المضروبة دراهم ودنانير[(٤)].

﴿مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ﴾ همـا المعروفـان، وسُـمِّيَ ذهبًـا؛ لسـرعةِ ذهابِه في الإنفـاقِ والزَّكاة، وفضّـةً؛ لأنَّها تُفرَّقُ بضـربِ الدَّراهم، وتُفـرَّقُ بالإنفاق، والفَضُّ: التَّفريقُ.

﴿وَٱلْخَيْلِ﴾: الأفراس، وسُمِّيَت خيلًا؛ لاختيالِها في مشيتِها.

﴿ٱلْمُسَوَّمَةِ﴾ ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما: الرّاعية[(٥)]، من قولِه: ﴿تُسِيمُونَ﴾ [النحل: ١٠].

مجاهدٌ والسُّدِّيُّ: الحَسَنة[(٦)]، من (السِّيْماءِ)، وهو الحُسْنُ.

قتادةُ: المعلَّمة[(٧)]، من (السِّيْماءِ)[(٨)]، وهي العلامةُ.

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٨٨)، وروى هذا القول الطبري في «تفسيره» (٥/ ٢٥٩) عن الربيع بن أنس، ورجَّحه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٢٦٠)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ١٤١).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ١٩٥).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٢٦٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٠٩).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٢٦٢).

(٦) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٨٠) عن مجاهد، ورواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٢٦٣، ٢٦٤) عن مجاهد والسدي.

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٢٦٤).

(٨) في (ن): «السيماء».

وقيل: ذوات الأوضاحِ من الغُرّةِ والتَّحجيل(١).

ابن زيد: الـمُعدّة للجهاد(٢).

﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾: الإبل خاصّة، وتُستعمَلُ للبقرِ والغنمِ أيضًا.

﴿وَٱلۡحَرۡثِۗ﴾: البساتين والمزارع.

﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: ما تقدَّم ذكرُه ﴿مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾؛ أي: يتمتَّعون وينتفعون به في الدُّنيا، لا يدومُ.

ابن بحرٍ: أي: ذلك على عظيمِ إحسانِ اللهِ فيه متاعُ الحياةِ الدُّنيا.

﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ﴾: الجنّةُ التي لا تَنقضي ولا تَنتهي.

* * *

(١٥) ـ ﴿قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۖ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾.

﴿قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم﴾: أأخبركم ﴿بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡ﴾؛ أي: من الذي تقدَّمَ.

﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ﴾ ما حُرِّم عليهم.

قيل: الاستفهامُ تمَّ عند قوله: ﴿عِندَ رَبِّهِمۡ﴾، ثم بيَّنَ وأنبأ فقال: ﴿جَنَّٰتٞ﴾؛ أي: هو جنّاتٌ(٣).

---

(١) ذكره الرازي عن أبي مسلم. انظر: «مفاتيح الغيب» للرازي (٧/ ١٦٣).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٢٦٥).

(٣) فالجار والمجرور (للذين اتقوا) متعلقان بـ(خير)، و(جنات) خبر لمبتدأ محذوف.

وقيل: تمَّ عند قوله: ﴿بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ﴾، ثم أخبرَ[1] فقال: ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ﴾[2].

﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ﴾؛ أي: رضا الله.

﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾: عالمٌ بهم فيجازيهم.

وقيل: المرادُ بالعبادِ: أولياؤه وأهلُ طاعتِه.

* * *

(١٦) ـ ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.

﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ قيل: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ بدلٌ من ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ﴾.

وقيل: وصفٌ للعبادِ فيمَن حملَها على الأولياءِ وأهلِ الطّاعة.

وقيل: رفعٌ بالاستئناف؛ أي: هم الذين.

وقيل: نصبٌ على المدح؛ أعني: الذين يقولون[3].

* * *

(١٧) ـ ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾.

---

(١) «ثم أخبر» من (ن).

(٢) فـ(جنات) مبتدأ، وقد تقدَّمَ عليه خبره، وهو (للذين اتقوا).

(٣) ذكر المصنف الوجوه الثلاثة الأخيرة في «غرائب التفسير» (١/ ٢٤٦).

﴿ٱلصَّٰبِرِينَ﴾: على أداءِ ما فُرِضَ[١] عليهم، غيرَ جازعينَ على ما امتُحِنوا به.

﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في أقوالهم وأفعالهم[٢] ونيّاتهم.

﴿وَٱلْقَٰنِتِينَ﴾: الدّاعين.

وقيل: الخاضعين.

وقيل: الدّائمين على العبادة، وقد سبق.

﴿وَٱلْمُنفِقِينَ﴾: المتزكّين والمتصدّقين.

﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ قتادةُ: المصلّين فيها[٣].

أنسُ بنُ مالكٍ رضي الله عنه: السّائلينَ المغفرةَ فيها[٤].

عليٌّ الواحديُّ: المصلّينَ صلاةَ الصُّبح[٥].

---

(١) في (ن): «افترض».

(٢) «وأفعالهم» من (ن).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٢٧٤)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ١٤٥).

(٤) انظر: «البحر المحيط» (٣/ ٥٨)، وروواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٢٧٥) بلفظ: «أمرنا أن نستغفر بالأسحار سبعين استغفارة».

(٥) ذكر الواحدي في «البسيط» (٥/ ١٠٧) أن هذا قول ابن عباس وزيد ابن أسلم وابن كيسان، وقد رواه عن زيد بن أسلم ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٥١٨٦)، والطبري في «تفسيره» (٥/ ٢٧٥)، واختار الواحدي في «الوسيط» (١/ ٤٢٠) قول مجاهد وقتادة، ولكنه اختار هذا القول في «الوجيز» (ص: ٢٠٢)، ولذلك نسبه المصنف له في «غرائب التفسير» (١/ ٢٤٧)، وعدَّه من العجائب، وقال: «فإن الإجماع على أن للصائم أن يتناول الطعام في السحر، فكيف تصح صلاة الصبح فيه؟!».

وهذا غُلُوٌّ؛ لأنَّ السَّحرَ الوقتُ الذي قُبيل(١) طلوع الفجر، ويجوزُ للصّائم تناولُ الطَّعامِ فيه، وأصلُه: الخفاءُ.

ومحلُّ الجميعِ نصبٌ على المدح، ويجوزُ أن يكونَ جرًّا على صفةِ ﴿العباد﴾.

***

(١٨) ـ ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾.

﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ قال الكلبيُّ: لَمّا ظهر رسولُ الله ﷺ بالمدينة قدِم عليه حَبْرانِ من أحبار الشّام، فلمّا أبصرا المدينةَ قال أحدُهما لصاحبه: ما أشبهَ هذه المدينةَ بصفةِ مدينةِ النَّبيِّ الذي يخرجُ في آخر الزَّمان، فلمّا دخلا على النَّبيِّ ﷺ عَرَفاه بالصِّفةِ والنَّعتِ فقالا: أنت محمَّد؟ قال: «نعم»، قالا: وأنت أحمد؟ قال: «نعم»، قالا: إنّا نسألُك عن شهادةٍ، فإنْ أنت أخبرتَنا بها آمنّا بك وصدَّقناك، فقال لهما: «سلاني»، قالا: أخبرنا عن أعظم شهادةٍ في كتاب الله، فأنزل اللهُ على نبيِّه: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ الآية، فأسلمَ الرَّجلان(٢).

والمعنى عند الزجّاج: علمَ اللهُ وبيَّنَ؛ لأنَّ الشّاهدَ هو العالم الذي يبيِّنُ ما علمَه(٣).

أبو عبيدة: معنى ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ ﴾: قضى الله(٤). وزيَّفَه(٥) ابنُ جرير(٦).

---

(١) في (ن): «قبل».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ١٥٥)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٩٩).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣٨٥)، و«الوسيط» للواحدي (١/ ٤٢٠).

(٤) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٨٩).

(٥) «وزيفه» من (ن).

(٦) انظر: «تفسير الطبري» (٥/ ٢٧٦ ـ ٢٧٧).

المؤرِّج: معنى ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾: قال الله؛ بلغةِ قيسِ عَيلان[١].

وشهادةُ اللهِ بنصْبِ الأدلّةِ وبعْثِ الرُّسل.

﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ بما عاينوا من عظيم قدرته ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ﴾ قيل: هم الأنبياء، وقيل: العلماء.

الحسن: المؤمنون[٢].

أي: شهدوا بما ثبتَ عندَهم وتبيَّنَ من خَلْقِه.

وإنَّما عطفَ ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ﴾ على ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ وهم علماء؛ لأنَّ الملائكةَ حالُهم في العلم سواءٌ، والبشرُ منهم عالم ومنهم جاهلٌ، فخصَّ أولي[٣] العلمِ بالذِّكْرِ.

﴿قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِ﴾: بالعدلِ؛ يحفظُه ويدبِّرُه، وهو حالٌ من اسم ﴿ٱللَّهُ﴾، أو مِن ﴿هُوَ﴾.

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ كرَّرَ تأكيدًا.

وقيل: الأوَّلُ شهادةُ الله، والثَّاني شهادةُ الملائكةِ وأولي[٤] العلم.

ويُحتمَلُ أنَّ الأوَّلَ جارٍ مجرى الشَّهادة، والثَّاني جارٍ مجرى الحُكم[٥].

---

(١) في «ن»، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٣/ ٦٠): قيس بن غيلان، والمعروف: قيس عيلان، وقد يقال: قيس بن عيلان. انظر: «أنساب الأشراف» للبلاذري (١/ ٣١)، و«إيجاز البيان عن معاني القرآن» لنجم الدين النيسابوري (١/ ١٨٤)، و«اللباب في تهذيب الأنساب» لابن الأثير (٢/ ٣٧٠)، و«الدر المصون» للسمين الحلبي (٣/ ٧٤).

(٢) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ٦٠).

(٣) في (ن): «أولو».

(٤) في (ن): «وأولوا».

(٥) في (و) زيادة: «ولولا التحاشي لقلت: مقدمة ونتيجة».

﴿ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾؛ أي: هو العزيز الحكيم، رُفِعَ[١] على الاستئناف، وليسَ بوصفٍ لـ﴿هُوَ﴾؛ لأنَّ الضَّميرَ لا يُوصَفُ.

﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾ مَن فتحَ[٢] فلتعلُّقِه بـ﴿شَهِدَ﴾. وقيل: تقديره: لأنَّ.

ومَن كسر فعلى الاستئناف. وقيل: لأنَّ الشَّهادة قولٌ فجازَ كسرُه. وقيل: على لغةِ قيسِ بنِ عيلان[٣].

وأكثرُ المحقِّقين على أنَّ المرادَ بـ﴿ٱلدِّينَ﴾ هاهنا[٤]: الطّاعةُ[٥].

وقيل: الدِّينُ هو[٦] المعتقَدُ الذي تعتقدُه كلُّ أُمّةِ نبيٍّ؛ وذلك أنَّ أهلَ الكتبِ افتخرُوا بأديانهم، وقال كلُّ واحدٍ: لا دينَ إلّا دينُنا، وهو دينُ الله، فأنزلَ الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾؛ أي: الدِّينُ الصَّحيحُ المرضيُّ عند الله الإسلامُ؛ أي: دينُ محمَّدٍ عليه السَّلام.

والإسلامُ: العملُ بطاعةِ الله فيما أمرَ به ودعا إليه، واشتقاقُه من (السَّلامة)؛ لأنَّه تأديةٌ إليها، ويأتي (أسلمَ) بمعنى: دخلَ في السِّلم.

---

(١) «رفع» من (ن).

(٢) وهو الكسائي؛ فقد قرأ بفتح الهمزة، وقرأ باقي السبعة بكسرها. انظر: «السبعة» (ص: ٢٠٢)، و«التيسير» (ص: ٨٧).

(٣) في «ن»: «قيس بن غيلان».

(٤) «هاهنا» من (ن).

(٥) انظر: «تفسير الطبري» (٥/ ٢٨٠)، و«معجم الفروق اللغوية» (١/ ٥٠٩)، و«المفردات» للراغب الأصفهاني (ص: ٣٢٣).

(٦) «هو» من (ن).

﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ الرَّبيعُ: هم اليهود؛ أي: ما اختلفوا في دينِ الإسلام وأَمْرِ النَّبيِّ عليه السَّلام[1].

﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾؛ أي: معلومُهم؛ لأَنَّهم كانوا مُجمعين على مَجيئِه ووجوبِ اتِّباعِه عليهم، فلمّا جاءهم اختلفُوا؛ فقال بعضُهم: لم يُبعَث إلينا؛ لأنّا أُمرنا بلزومِ السَّبتِ ما دامت السَّماوات والأرض، وقال بعضهم: ليس هو بالنَّبيِّ المبعوثِ لنا.

وقيل: هو اختلافُ اليهودِ في التَّوراةِ بعدَ موسى عليه السَّلام، وتحريفُهم وتفسيرُهم التَّوراةَ على أهوائِهم.

ابنُ جريرٍ: أرادَ النَّصارى واختلافَهم في عيسى عليه السَّلام بعدَ نزولِ الإنجيلِ ورفعِ عيسى عليه السَّلام[2].

وقيل: عامٌّ، و(الكتاب) للجنسِ، والاختلافُ: ذهابُ كلٍّ واحدٍ إلى نقيضِ ما ذهبَ إليه الآخر.

---

(١) روى الطبري في «تفسيره» (٥/ ٢٨٤) عن الربيع قال: «إن موسى لما حضره الموت دعا سبعين حبرًا من أحبار بني إسرائيل، فاستودعهم التوراة، وجعلهم أمناء عليه؛ كل حبر جزءاً منه، واستخلف موسى يوشع بن نون، فلما مضى القرن الأول، ومضى الثاني، ومضى الثالث، وقعت الفرقة بينهم، وهم الذين أوتوا العلم من أبناء أولئك السبعين، حتى أهرقوا بينهم الدماء، ووقع الشر والاختلاف، وكان ذلك كله من قبل الذين أوتوا العلم بغيًا بينهم على الدنيا، طلباً لسلطانها وملكها وخزائنها وزخرفها، فسلط الله عليهم جبابرتهم، فقال الله: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ...﴾». ثم قال الطبري: «فقول الربيع بن أنس هذا يدلُّ على أنه كان عنده أنه معني بقوله: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ اليهود من بني إسرائيل، دون النصارى منهم ومن غيرهم».

(٢) هو اختيار ابن جرير، وقد رواه عن محمد بن جعفر بن الزبير أيضاً. انظر: «تفسير الطبري» (٥/ ٢٨٢ و٢٨٤).

﴿بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡ﴾: طلبًا للرِّياسةِ وحسدًا.

وانتصابُه على المفعولِ له، والعاملُ فيه: ﴿ما اختلفوا﴾، وفيه تقديمٌ، وتقديرُه: وما اختلفَ الذين أوتوا الكتابَ بغيًا إلَّا مِن بعد، وهذا قولُ الأخفش(١).

وقال الزَّجّاج: العاملُ فيه مضمرٌ؛ أي: اختلفوا بغيًا(٢).

وقيل: نُصِبَ على المصدرِ، وفعلُه مضمرٌ(٣).

﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ الزَّجّاج: سريعُ المجازاة(٤).

ابن جريرٍ: سريعُ الإحصاءِ لا يحتاجُ إلى عَقْدٍ ولا قَبْضٍ بيدٍ(٥).

وقيل: الحِسابُ: المحاسبةُ؛ أي: ينتقمُ من الكافرين.

* * *

(٢٠) - ﴿فَإِنۡ حَآجُّوكَ فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾.

﴿فَإِنۡ حَآجُّوكَ﴾؛ أي(٦): خاصموك في أنَّ الدِّينَ عند الله(٧) الإسلامُ.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ٢١٤).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣٨٧).

(٣) أي: بغوا بينهم بغياً. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ٥٢)، و«إيجاز البيان عن معاني القرآن» لنجم الدين النيسابوري (١/ ١٨٦).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣٨٧).

(٥) انظر: «تفسير الطبري» (٥/ ٢٨٥)، وروى معناه عن مجاهد.

(٦) «أي» من (ن).

(٧) في (ن): «أن دين الله».

الجمهورُ على أنَّ المرادَ بهم نصارى نجران.

﴿فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ﴾: نفسي[١]، وخُصَّ بالذِّكرِ؛ لأنَّه أشرفُ ما فيها. وقيل: خُصَّ الوجهُ؛ لأنَّه به تتميَّزُ نفسٌ عن نفسٍ.

الزَّجّاجُ: ﴿أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ﴾: قصدْتُ بعبادتي إلى الله[٢].

﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ﴾؛ يعني: المؤمنين.

﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾؛ أي: اليهود والنَّصارى.

﴿وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ﴾: العرب وسائر الكفّار.

وهذا دليلٌ على أنّه كان مبعوثًا إلى الخلقِ جميعًا.

﴿ءَأَسۡلَمۡتُمۡ﴾؛ أي: مُرهم بالإسلام، استفهامٌ بمعنى الأمرِ؛ أي: أسلِموا، كقولِه: ﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[٣]؟

﴿فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ﴾: أطاعوا، ﴿فَقَدِ ٱهۡتَدَواْ﴾: أصابوا[٤] الرُّشدَ والهدى.

﴿وَّإِن تَوَلَّوۡاْ﴾: أعرضُوا عن الإيمانِ، ﴿فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ﴾؛ أي: فخلاكَ ذمٌّ؛ إذ[٥] ليس عليك إلّا التَّبليغُ.

---

(١) أي: أُطلق الجزءُ وأُريد به الكلُّ، وذلك نحو: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ﴾. انظر: «معاني القرآن» للنحاس (١/ ٣٧٣)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٣/ ٧٢).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣٨٨).

(٣) ذكر سيبويه أن الاستفهام يأتي للعرض، وذكر الفراء أنه يأتي بمعنى الأمر. انظر: «الكتاب» (٣/ ٥١٤)، و«معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٠٢).

(٤) في (ن): «وأصابوا».

(٥) «أي: فخلاك ذم إذ» من (و)، وعبارة (خلاك ذم) تعني: أنَّك لا تُذَمُّ. انظر: «إصلاح المنطق» لابن السكيت (ص: ٢٠٧).

و(البلاغُ) واقعٌ موقعَ (التَّبليغ) و(الإبلاغ)[١]، ويُحتمَلُ أنَّه إذا بلَّغ وقد عرفوه بنعتِه وصفتِه، لزمَهم الإيمانُ به.

﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ فيجازيهم على كفرِهم وإسلامِهم.

* * *

(٢١) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: القرآن.

﴿وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ﴾؛ أي: ويدينونَ دينَ مَن قتلَ الأنبياء.

وقيل: إنَّما ذُكِرَ بلفظِ المستقبلِ؛ أي: دامُوا على ذلك.

﴿وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ﴾: بالعدل.

﴿مِنَ ٱلنَّاسِ﴾؛ أي: سوى الأنبياءِ.

﴿فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ قيل: البشارةُ استهزاءٌ[٢]. وقيل: لظهورِ أثرِها على البَشرة[٣].

---

(١) انظر: «المفردات» للراغب (ص/ ١٤٤).

(٢) لأن (البشارة) في الأصل للمفرح والسارِّ، فإذا جمعت كلامين في خير وشر جاز التبشير فيهما جميعاً؛ على ما ذهب إليه الفراء وجملة من أئمة اللغة. انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٧١)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (١/ ١٠٨).

(٣) وهذا عند مَن لا يخص (البشارة) بالخبر السارِّ. انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» (٦/ ١٧٤٩)، و«مفاتيح الغيب» للرازي (١٥/ ٥٢٧)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (١/ ١٨٠)، و«الدر المصون» للسمين الحلبي (١/ ٢٠٩).

وعن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «قتلَتْ بنو إسرائيلَ ثلاثةً وأربعين نبيًّا من أوَّلِ النَّهارِ في ساعةٍ واحدةٍ، فقامَ مئةٌ واثنا عشر رجلًا من عُبّادِ بني اسرائيل، فأمروا مَن قتلهم بالمعروفِ ونهوهم عن المنكر، فقُتِلوا جميعًا في آخرِ النَّهارِ من ذلك اليومِ»[1].

***

(٢٢) ـ ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ فلم تُدفَع عنهم اللَّعنةُ، وحُرِموا المدحَ والثَّناءَ في الدُّنيا، واستحقُّوا العقابَ عليها في العُقبى.

﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾: من دافعٍ يَدفعُ عنهم المكروهَ.

***

(٢٣) ـ ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ وَهُم مُّعۡرِضُونَ ﴾.

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ السُّـدِّيُّ: دعـا رسـولُ الله ﷺ اليهـودَ إلـى الإسـلام، فقـال له نعمـانُ بن أوفـى: هلمَّ يـا محمَّـدُ نخاصمْكَ إلـى الأحبار، فقـال رسـول الله عليه السَّـلام: «إلى كتـابِ الله»، فقـال: بل إلى الأحبـار، فأنزل الله هذه الآية[2].

---

(١) رواه البزار في «مسنده» (١٢٨٥)، والطبري في «تفسيره» (٥/ ٢٩١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٢٠)، عن أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، وفي إسناده مجهول. انظر: «مجمع الزوائد» للهيثمي (٧/ ٢٧٢)، و«العجاب» لابن حجر (٢/ ٦٧١).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ١٨١)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٩٩).

وروى سعيدُ بنُ جُبيرٍ وعكرمةُ عن ابن عبّاسٍ قال[١]: دخلَ رسولُ الله ﷺ بيتَ المدراسِ على جماعةٍ من اليهود، فدعاهم إلى الله، فقال له نُعيم بن عَمرٍو والحارثُ بن زيدٍ: على أي دينٍ أنتَ يا محمَّد؟ فقال: «على ملّةِ إبراهيم» قالا: إنَّ إبراهيمَ كان يهوديًّا، فقال عليه السَّلام: «فهلمُّوا إلى التَّوراة، فهي بيننَا وبينكم»، فأبَيا عليه، فأنزل الله هذه الآية[٢].

الكلبيُّ: نزلَت في اللَّذَين زنَيا من خيبر[٣]، وسيأتي ذكرُه.

والمعنى: ألم ينتهِ علمُكَ ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ﴾ وقد سبقَ ﴿أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾؛ أي: التَّوراة.

وقولُه: ﴿نَصِيبًا﴾: تحقيرٌ لهم ووضعٌ[٤] منهم.

وقيل: أُوتوا علمَ بعضِ التَّوراة.

﴿يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَـٰبِ ٱللَّهِ﴾: التَّوراة.

قتادة: القرآن[٥].

﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾: ليبيِّنَ لهم ما اختلفوا فيه، وجُعِلَ حاكمًا حيث كانَ سببًا.

وقيل: ليحكم النَّبيُّ.

---

(١) في (و): «قالا».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٢٩٣)، وذكره ابن حجر في «العجاب» (٢/ ٦٧٢)، وانظر: «سيرة ابن هشام» (١/ ٥٥٢).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ١٨٣) من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) في (ن): «تحقيرًا لهم ووضعًا».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٢٩٠)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ١٥٥).

﴿ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ﴾: يُعـرِضُ عن الدّاعـي ﴿فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾؛ أي: العلماءُ ﴿وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ عن المدعـوِّ إليه.

***

(٢٤) ـ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: ذلك التَّولِّي ﴿بِأَنَّهُمْ﴾: بسببِ أنَّهم ﴿قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾: زعموا أنَّ اللهَ وعدَ يعقوبَ ألّا يعذِّب أحدًا من ولدِه إلّا تحلَّةَ القَسَمِ، ومضى تفسيرُه في (البقرة).

﴿وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾: افتراؤُهم؛ أي: قولُهم: ﴿لَن تَمَسَّنَا النَّارُ﴾[1].

قتادة: افتراؤُهم قولُهم: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾[2].

والغُرورُ: الأطماعُ في غير مطمعٍ.

والافتراءُ: الافتعالُ مِن (الفِريةِ)، وهي الكذبُ، والفَرْيُ: الشَّقُّ.

***

(٢٥) ـ ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ﴾؛ أي: فكيفَ حالُهم؟

الزَّجّاجُ: فكيفَ يكونُ حالُهم[3]؟

---

(١) «النار» ليس في (ن).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٢٩٧)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ١٥٧).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣٩٢)، وتمام كلامه: «المعنى والله أعلم: فكيف يكون حالهم =

وقيل: فكيفَ يقولونَ وكيفَ يفعلونَ ـ فحَذفَ لِما فيه من تحريكِ النَّفسِ على استحضارِ كلِّ نوعٍ من أنواعِ العذابِ ـ إذا جمعناهم[1]؟

﴿لِيَوۡمٖ﴾: لجزاءِ يومٍ.

﴿لَّا رَيۡبَ فِيهِ﴾ في اليومِ، وقيل: في الجَمْع؛ أي: لا ترتابوا في وقوعِه.

﴿وَوُفِّيَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ﴾؛ أي: جزاءَ ما كسبَت، ﴿وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ بزيادةٍ أو نقصانٍ.

* * *

(٢٦) ـ ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾.

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ﴾ قال ابن عباسٍ وأنس بن مالكٍ رضي الله عنه: لَمّا افتتحَ رسولُ اللهِ ﷺ مكّة ووعدَ أمّته مُلْكَ فارس والرُّوم، قال المنافقون واليهود: هيهات هيهات، من أين لمحمَّدٍ مُلْكُ فارسَ والرُّومِ، هم أعزُّ وأمنعُ من ذلك، ألم يكفِ محمَّدًا مكّةُ والمدينةُ حتّى طمعَ في مُلْكِ فارسَ والرُّومِ، فأنزل الله هذه الآية[2].

قتادة قال: ذُكر لنا أنَّ رسول الله ﷺ سأل ربَّه أن يجعل ملك فارس والرُّوم في أمَّته فأنزل الله: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ﴾ الآية[3].

= في ذلك الوقت؟ وهذا الحرف مستعمل في الكلام، تقول: أنا أكرمك وأنت لم تزرني، فكيف إذا زرتني؟».

(١) انظر: «البسيط» للواحدي (٥/ ١٤١)، و«غرائب التفسير» للمصنف (١/ ٢٤٨).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ١٩١)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٠٠). قال ابن حجر في «الكاف الشاف» (ص: ٢٥): «لم أجد له إسنادًا».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٠٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٢٤).

وقيل: نزلت يومَ الخندقِ.

ومعنى ﴿ٱللَّهُمَّ﴾: يا اللهُ، كما سبق[١].

و﴿مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ﴾ نُصِبَ على النِّداء؛ أي: يا مالك الملك، عند سيبويه[٢].

المبرِّد والزَّجّاج: صفةٌ لقولِه: ﴿ٱللَّهُمَّ﴾[٣]. وردَّه أبو عليٍّ[٤].

ومعناه: مالك أمر الدُّنيا والآخرة.

الزجّاج: مالك العباد وما ملكوه[٥].

مجاهدٌ: مالك النُّبوّة[٦].

وقيل: الجنّة.

﴿تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ﴾؛ أي: مَن تشاء[٧] أن تؤتيَه.

﴿وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾؛ أي: ممَّن تشاء[٨] أن تنزعَه.

والنَّزْعُ: قَلْعُ الشَّيءِ عن الشَّيء.

﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ﴾: محمَّدًا ﷺ وأصحابَه.

---

(١) في الكلام على لفظ الجلالة في (الفاتحة)، وهذا مذهب البصريِّين كالخليل وسيبويه. انظر: «الكتاب» (١/ ٢٥) و(٢/ ١٩٦)، و«الزاهر في معاني كلام الناس» لأبي بكر الأنباري (١/ ٥١ ـ ٥٢).

(٢) هو مقتضى كلامه. انظر: «الكتاب» (٢/ ١٩٦)، و«معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣٩٤).

(٣) انظر: «المقتضب» للمبرد (٤/ ٢٣٩)، و«معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣٩٤).

(٤) انظر: «الإغفال» لأبي علي الفارسي (ص: ٥٥٤).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣٩٢).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٠٤)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ١٥٨).

(٧) «أي: من تشاء» من (ن).

(٨) «أي: ممن تشاء» من (ن).

﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾: أبا جهلٍ وحِزبَه.

﴿بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُ﴾؛ أي: بتقديرك.

وأراد[١] الخيرَ والشَّرَّ، فاكتفى بذِكرِ أحد الضِّدَّين عن الآخر، وله أمثالٌ[٢].

وقيل: خصَّه بالذِّكرِ للرَّغبةِ في فعلِه بالعبدِ[٣].

﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ﴾: ممّا تريدُ ﴿قَدِيرٞ﴾: قادرٌ بالكمال.

* * *

(٢٧) ـ ﴿تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾.

﴿تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ﴾ ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما في جماعةٍ: أي: ما تنقصُ من اللَّيل تزيدُ في النَّهار، وما تنقصُ من النَّهار تزيدُ في اللَّيل، ومن ذلك زيادتُهما ونقصانُهما[٤].

---

(١) «وأراد» ليس في (ن).

(٢) فمن هذه الأمثال قوله: ﴿وَلِتَسۡتَبِينَ سَبِيلُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾، وقوله: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ﴾، ولكن ثمة فرق بين هذه الأمثال وبين قوله سبحانه وتعالى: ﴿بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُ﴾؛ فالله سبحانه وتعالى خالق كل شيء، وبيده ملكوت كل شيء، ولكن لا ينبغي لأحد أن يقول: الله خالق الشر، أو الله بيده الشرُّ، وإنما نقول بلسان العبد الخاضع لربِّه الـمُؤتسي بنبيِّه: «الخير كله في يديك، والشر ليس إليك». انظر: «صحيح مسلم» (٧٧١)، و«لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٢٣١)، و«غرائب التفسير» للمصنف (١/ ٢٤٩ و٣٦٢ و٦١٥)، و«مفاتيح الغيب» للرازي (٨/ ٣٣١)، و«تحقيق الفوائد الغياثية» لشمس الدين الكرماني (١/ ٤١٨).

(٣) أي: لأن رغبة العبد إلى الله أن يفعل الخير به، كما في: «البسيط» للواحدي (٥/ ١٥٩)، و«غرائب التفسير» للمصنف (١/ ٢٤٩).

(٤) في (و): «زيادتها ونقصها». كلام ابن عباس رضي الله عنهما رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٠٥) =

وقيل: يأتي به بدلَ الآخر.

والوُلوجُ: الدُّخولُ في الشَّيء، والإيلاجُ: إدخالُ الشَّيءِ في الشَّيء، وهو هنا مجازٌ.

وقيل: معنى (في) هاهنا: (على)(١).

﴿وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾: النَّسمةَ من النُّطفةِ، والدَّجاجَ من البيضِ.

﴿وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾: النُّطفةَ من الإنسانِ، والبيضَ من الدَّجاجِ.

وقيل: المؤمنَ من الكافرِ، والكافرَ من المؤمنِ.

أبو عبيدة: الطَّيِّبَ من الخبيثِ، والخبيثَ من الطَّيِّب(٢).

ومعنى الإخراجِ في الآية: التَّكوينُ، وحقيقةُ الإخراجِ: إخراجُ الشَّيءِ منَ الظَّرفِ.

﴿وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ مضى تفسيرُه.

***

(٢٨) ـ ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾.

﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ قال ابنُ عبّاسٍ: كان الحجّاجُ بن عمرو وابن أبي الحُقَيق وقيس بن زيد ـ وهؤلاء كانوا من اليهود ـ يباطنون نفرًا من

= بلفظ: «ما نقص من النهار يجعله في الليل، وما نقص من الليل يجعله في النهار»، وممن وافق ابن عباس في هذا مجاهد والحسن وقتادة والسدي وابن زيد. انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (١/ ٤١٧).

(١) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٣/ ٩١).

(٢) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٩٠).

الأنصار؛ ليفتنوهم عن دينهم، فقال رِفاعةُ بنُ المنذر وعبدُ الله بنُ جُبيرٍ وسعدُ(١) بن خَيْثمةَ لأولئك النَّفر: اجتنبوا هؤلاء اليهود واحذروا لزومهم ومباطنتهم؛ لا يفتنوكم عن دينكم، فأبى أولئك النَّفرُ إلّا مباطنَتَهم وملازمَتَهم، فأنزل الله هذه الآية(٢).

وقال الكلبيُّ: نزلَت في المنافقين؛ عبدِ اللهِ بنِ أُبيٍّ وأصحابِه، كانوا يتولَّون اليهودَ والمشركين، ويأتونهم بالأخبار، ويرجون أن يكونَ لهم الظَّفَرُ على رسول الله ﷺ، فأنزل الله هذه الآية، ونهى المؤمنين عن مثلِ فعلِهم(٣).

وقال جُويبرٌ عن الضَّحّاكِ عن ابن عبَّاسٍ: نزلَت في عُبادةَ بنِ الصّامتِ الأنصاريِّ، وكان بدريًّا نقيبًا، وكان له حلفاءُ من اليهود، فلمّا خرج النَّبيُّ ﷺ يومَ الأحزابِ قال عبادةُ: يا نبيَّ الله، إنَّ معي خمس مئة رجلٍ، وقد رأيتُ أن يخرجوا معي فأستظهرَ بهم على العدوِّ، فأنزل الله هذه الآية، ونهى المؤمنين عن اتِّخاذ الكافرين أنصارًا وأعوانًا، وعن الاستظهارِ(٤) بهم وإظهارِ المحبّةِ لهم(٥).

الزَّجّاجُ: أي: لا يجعلْ ولايتَه لمن هو غيرُ مؤمنٍ(٦).

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: الاتِّخاذ ﴿فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ﴾؛ أي: من دينِ اللهِ في شيءٍ، واللهُ بريءٌ منه، كما قال:

---

(١) في (ن): «سعيد».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٣١٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه ابن المنذر في «تفسيره» (١/ ١٦٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٢٩) عن ابن إسحاق.

(٣) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٠٢)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٢٢) عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) في (و): «الاستعانة».

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٢٢)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٠٢).

(٦) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣٩٦).

إِذا حاوَلْتَ فِـي أَسَدٍ فُجُـورًا فإِنِّي لَسْـتُ مِنْكَ وَلَسْتَ مِنِّي[١]

﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗ﴾؛ أي[٢]: إلّا أن يكونَ للكافرِ عليك سلطانٌ فتخافه على نفسِك ومالِك، فحينئذٍ يجوزُ لك إظهارُ الموالاةِ وإبطانُ المعاداة.

الزَّجّاج: أباحَ اللهُ إظهارَ الكفرِ مع التَّقيّةِ وسلامةِ النِّيّة[٣].

و﴿تُقَىٰةٗ﴾ مصدرٌ كـ(التُّؤَدة) و(التُّخَمة).

وقُرِئَ: ﴿تَقِيَّةً﴾[٤]، والتَّقيّةُ والتُّقاةُ: إظهارُ اللِّسانِ خلافَ ما ينطوي عليه القلبُ للخوفِ على النَّفسِ.

ويُحتمَلُ أنَّ ﴿تُقَىٰةٗ﴾ جمعُ تَقيٍّ، كـ(كَمِيٍّ) و(كُماةٍ)، فيكونُ نصبًا على الحالِ[٥].

﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ﴾ ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما: عذابَه وبطشَه، والمرادُ بالنَّفسِ: الذّاتُ.

﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ هذا وعيدٌ آخرُ؛ أي: مصيرُكم إليه، والعقابُ مُعَدٌّ لدَيه.

* * *

(١) البيت للنابغة الذبياني. انظر: «ديوان النابغة» اعتنى به: حمدو طماس (ص: ١٢٣)، و«الكتاب» (٤/ ١٨٦)، و«شرح أبيات الكتاب» للسيرافي (٢/ ٢٨٨)، و«تفسير الماوردي» (٢/ ١٩٣). وقد استشهد به سيبويه على حذف الياء وقفاً.

(٢) «أي» من (ن).

(٣) وقد قيَّد الإباحة بخوف القتل، فقال: «إلا أن هذه الإباحة لا تكون إلا مع سلامة النية وخوف القتل». انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣٩٦).

(٤) وهي قراءة يعقوب من العشرة. انظر: «النشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣٩).

(٥) ذكره الأزهري في «معاني القراءات» (١/ ٢٥٠)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٥٠)، واستغربه.

(٢٩) - ﴿ قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾.

﴿ قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ ﴾: الصَّدْرُ معروفٌ، وصَدْرُ كلِّ شيءٍ: مُقدَّمُه.

﴿أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ﴾؛ أي: يعاقِبْكم ويُثِبْكم عليه، وقيل: يعلمْه كائنًا، ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾.

* * *

(٣٠) - ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾.

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا ﴾ قيل: تلقاه مكتوبًا في كتابِ الحَفَظةِ.

وقيل: تلقى جزاءَه مُحضرًا.

و﴿مُّحْضَرًا ﴾ نصبٌ على الحالِ.

﴿وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ ﴾: تـمنَّى النَّفسُ ﴿لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا ﴾: بينَ النَّفسِ ﴿وَبَيْنَهُۥٓ ﴾ وبينَ ما عملَت من سوءٍ ﴿أَمَدًۢا بَعِيدًا ﴾: زمانًا طويلًا، والأمَدُ: الغايةُ.

ومحلُّ ﴿مَّا﴾ رفعٌ بالابتداء، وقيل: نصبٌ عطفًا على ﴿مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ﴾.

ومحلُّ ﴿تَوَدُّ ﴾ خبر؛ لأنَّه وصفُ ﴿سُوٓءٍ ﴾.

وأجازَ ابنُ عيسى أن يكونَ للشَّرطِ على بُعدٍ(١).

---

(١) وقد منعه النحّاس، فقال: «ولو كانت «ما» منقطعة من الأولى على أن تكون شرطاً وتعطف جملة على جملة لم يجز؛ إلّا أن تجزمَ (تودّ)، ولا نعلم أحداً قرأ به وإن كان جائزاً في النحو». انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ١٥١).

و﴿يَوْمَ تَجِدُ﴾ نصبٌ بفعلٍ مُضمَرٍ، تقديرُه: اذكرْ يومَ تجد[١].

عن ابن عيسى: قال ابن جريرٍ: اتَّقوا يومَ[٢] تجد؛ فيكون مفعولًا به[٣].

الزَّجّاج: نصبٌ بـ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ﴾، أو بـ﴿الْمَصِيرُ﴾[٤]. وفي قوليه بُعدٌ؛ لأنَّ التَّحذيرَ موجودٌ، واليومَ موعودٌ، ولأنَّه لا يُحالُ بين المصدر وبين معموله.

﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ سبقَ تفسيرُه.

﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾؛ أي: المؤمنين، وقيل: مِن رأفتِه تحذيرُه.

***

(٣١) - ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾ جُويبرٌ عن الضَّحّاك عن ابن عبّاسٍ قال: وقفَ رسولُ الله ﷺ على قريشٍ وهم في المسجدِ الحرامِ وقد نصبوا أصنامَهم، وعلَّقوا عليها بيضَ النَّعام، وجعلوا في آذانها الشُّنوفَ[٥] وهم يسجدون لها، فقال: «يا معشرَ

---

(١) ذكر هذا الوجه ابن الجوزي، ونسبه لابن الأنباري. انظر: «زاد المسير» لابن الجوزي (١/ ٢٧٣).

(٢) في (ن): «يوماً».

(٣) «فيكون مفعولًا به»: ليس في (ن)، وهذا يصدق على هذا التقدير وعلى الذي قبله. انظر: «تفسير الطبري» (٥/ ٣٢٢)، وفيه: «وقد زعم أهل العربية أن معنى ذلك: واذكر يوم تجد، وقال: إن ذلك إنما جاء كذلك؛ لأن القرآن إنما نزل للأمر والذكر، كأنه قيل لهم: اذكروا كذا وكذا؛ لأنه في القرآن في غير موضع، واتقوا يومَ كذا وحينَ كذا».

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣٩٧)، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٥٠)، وعدَّه من العجائب.

(٥) الشُّنوف: جمع الشَّنْف، وهو القرط الأعلى. انظر: «الصحاح» للجوهري (٤/ ١٣٨٣).

قريشٍ، لقد خالفتم ملَّةَ أبيكم إبراهيمَ وإسماعيلَ، ولقد كانا على الإسلام»، فقالت قريشٌ: يا محمَّد، إنَّا نعبدُ هذه حبًّا لله؛ ليقرِّبونا إلى الله زُلفى، فأنزل الله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ﴾؛ أي: وتعبدون الأصنامَ؛ لتقرِّبكم إلى الله، ﴿فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ فأنا رسولُه إليكم وحجَّتُه عليكم، وأنا أولى بالتَّعظيمِ من أصنامِكم[1].

الكلبيُّ عن أبي صالحٍ عن ابن عبّاسٍ: أنَّ اليهود قالت: نحن أبناءُ الله وأحبّاؤُه، فأنزلَ الله هذه الآية[2].

وروى محمَّد بن إسحاق بن يسار عن محمَّد بن جعفر بن الزُّبير قال: نزلَت في نصارى نجران، وذلك أنَّهم قالوا: إنَّما[3] نعظِّمُ المسيحَ ونعبدُه حبًّا له[4] وتعظيمًا له، فأنزل الله هذه الآية[5].

ومحبَّةُ العبدِ لله: إيثارُه طاعتَه[6].

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٣٧)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٠٣)، وقال ابن حجر في «العجاب» (٢/ ٦٧٨): «وهذا من منكرات جويبر؛ فإن آل عمران مدنية، وهذه القصة إنما كانت بمكة قبل الهجرة، ولعل الذي نزل فيهما في أوائل الزمر».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٣٨)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٠٣).

(٣) في (و): «نحن».

(٤) في (ن): «لله».

(٥) كذا ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٣٩)، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٢٦) ورجَّحه فقال: «وأولى القولين بتأويل الآية قول محمد بن جعفر بن الزبير؛ لأنه لم يجرِ لغير وفد نجران في هذه السورة ـ ولا قبل هذه الآية ـ ذكرُ قومٍ ادعوا أنهم يحبون الله، ولا أنهم يعظمونه».

(٦) المحبة تستلزم الطاعة، والطاعة دليل المحبة، ولكنَّ المحبة شيء والطاعة شيء؛ فالمحبة عمل القلب، والطاعة عمل الجوارح، وقال ابن القيم في «طريق الهجرتين» (ص: ٣٠٣): «وإنما كانت =

ومحبّةُ اللهِ للعبد[١]: مدحُه وثناؤُه عليه[٢].

* * *

(٣٢) ـ ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾؛ فإنَّها من علامةِ المحبّة.

﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ عن الطّاعةِ، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾: لا يُثني عليهم.

* * *

(٣٣) ـ ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾.

﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ﴾: اختارَ ﴿آدَمَ﴾: أبا البشرِ ﴿وَنُوحًا﴾: شيخَ المرسلينَ ﴿وَآلَ إِبْرَاهِيمَ﴾؛ أي: المؤمنين.

وقيل: آلُ[٣] إبراهيمَ: أولادُه وأولادُ أولادِه، فيكونُ محمَّدٌ ﷺ فيهم ومنهم.

﴿وَآلَ عِمْرَانَ﴾: موسى وهارون عليهما السَّلام.

الحسنُ: عيسى وأمُّه[٤].

= موافقة المحبوب دليلاً على محبَّته لأنَّ مَن أحبَّ حبيباً فلا بدَّ أن يحبَّ ما يحبُّه ويبغضَ ما يبغضُه»، والمعنى الذي ذكره المصنف أورد نحوه الواحدي في «البسيط» (٥/ ١٨١).

(١) في (ن): «العبد».

(٢) ذكره القشيري في «لطائف الإشارات» (١/ ٢٣١)، وقيل: هي عفوه عنه، وغفران ذنبه، وإرادة الثواب له، وإنعامه عليه. انظر: «الغريبين» للهروي (٢/ ٣٩٥)، و«البسيط» للواحدي (٥/ ١٨١).

(٣) «آل» من (ن).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٤٧)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٥١)، واستغربه، وذكر ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٢٧٤) عن الحسن أن المراد بالآل: عيسى عليه السلام.

﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾: عالمي زمانِهم.

وقيل: ﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ عامًّا[١].

وفي معنى اصطفائِهم ثلاثةُ أقوالٍ:

الفرّاء: اصطفى دينَهم[٢].

الزّجّاج: اختارَهم للنُّبوّةِ على عالمي زمانهم[٣].

وقيل: اختارَهم بالفَضْلِ على غيرِهم[٤].

* * *

(٣٤) ـ ﴿ ذُرِّيَّةَۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾.

﴿ ذُرِّيَّةَۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ﴾: الذُّرِّيَّةُ: أولادُ الرَّجلِ مِن صُلْبِه.

ومعنى ﴿مِنۢ بَعْضٍ﴾ قال الحسن وقتادة: في التَّناصرِ[٥].

غيرُهما: في التَّناسلِ[٦].

﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لِما تقولُه الذُّرِّيَّةُ ﴿عَلِيمٌ ﴾ بما تضمرُه[٧].

---

(١) هذا مروي عن الحسن. انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» (٢/ ٦٣٥).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٠٧).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣٩٩).

(٤) لأن (اصطفى) ضُمِّن معنى (فُضِّل). انظر: «الدر المصون» للسمين الحلبي (٣/ ١٢٨).

(٥) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٣٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٣٥) عن قتادة، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٣٨٦) عن الحسن وقتادة، وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٢٧٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة.

(٦) نسبه الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٣٨٦) لبعض المتأخرين.

(٧) في (ن): «تضمر».

(٣٥) ـ ﴿ إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾.

وقيل: سميعٌ عليمٌ ﴿ إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ ﴾؛ أي: حينَ قالَت[1].

وهي: أمُّ مريمَ، واسمُها: حَنّةُ.

وعمرانُ هذا ليسَ بأبي موسى، وبينهما ألفُ سنةٍ.

الأخفشُ: اذكر إذ قالت[2]؛ فيكونُ[3] مفعولًا به على السَّعة، ولا يكونُ ظرفًا لتقدُّمِه.

الزَّجّاج: اصطفى إذ قالت؛ ولا يجوزُ تعلُّقُه بـ﴿ٱصۡطَفَىٰٓ﴾ من قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ﴾؛ لتأخُّره، وإنَّما يتعلَّق بمثله مضمرًا[4].

أبو عبيدة: ﴿ إِذۡ ﴾ زائدةٌ[5].

﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا ﴾ الشَّعبيُّ: مُخلَصًا للعبادة[6].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٥٢) واستغربه، وقال: «وفيه ضعف؛ لأن سمعه وعلمه سبحانه لا يختص بزمان دون زمان».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ٢١٩).

(٣) في (و): «ويكون».

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٠٠)، وعدَّه المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٥١) من العجائب، وقال: «لأن الاصطفاء سابق على مقالتها، فلا يصلحُ أن يكون ظرفًا له».

(٥) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٩٠)، ولم يرتضه الزجاج في «معاني القرآن» (١/ ٤٠٠).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٣٣)، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٣٦)، والماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٣٨٧).

مجاهدٌ: خادمًا للمسجد[١].

وقيل: عتيقًا من أمرِ الدُّنيا[٢].

مشتقٌّ من (الحرِّيّة)، حرَّرته تحريرًا؛ أي: أعتقته، وقيل: من (تحرير الكتاب)، وهو إخلاصُه منَ الفساد.

وكان فرضًا على أولادِهم أن يطيعوهم في نذورهم.

﴿فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ التَّقبُّل: أخذُ الشَّيء عن الرِّضا به.

* * *

(٣٦) ـ ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾.

﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا﴾: ولَدَتها، وأصلُ الوَضعِ: الحطُّ، ومنه (الموضعُ).

وأنَّثَ الضَّميرَ؛ لأنَّ (ما) تقع على المذكَّر والمؤنَّث.

وقيل: يعودُ إلى معلومٍ دلَّ عليه الكلام.

﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ﴾ قتادة: لم يكن التَّحريرُ إلّا للغلمان فيما جرَت به العادةُ، فاعتذرَت من العدولِ عن النَّذر[٣].

﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾: ضَمُّ التّاءِ على الحكاية، وسكونُه على الاستئناف[٤].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٣٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٣٦).

(٢) انظر: «إيجاز البيان عن معاني القرآن» لنجم الدين النيسابوري (١/ ١٨٨).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٩٠)، والطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٣٧)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ١٧٦، ١٧٧).

(٤) قرأ ابن عامر وأبو بكر عن عاصم بضم التاء وإسكان العين، وباقي السبعة بتسكين التاء. انظر: «السبعة» (ص: ٢٠٤)، و«التيسير» (ص: ٨٧).

﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ لخدمةِ بيتِ المقدس؛ لِما يلحقُها من الحيضِ والنِّفاسِ والصِّيانةِ عن التَّبرُّجِ للنّاس.

﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ اسمٌ أعجميٌّ[(١)]، وقيل: عربيٌّ جاءَ شاذًّا كـ(مَدْيَن)[(٢)].

ومعنى (مريم) في اللُّغة: التي تُغازلُ الفِتيان[(٣)]، قال:

قُلْـتُ لِزِيـرٍ لـم تَصِلْـهُ مَرْيَمُـهْ[(٤)]

﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ﴾: أحترزُ وأحتفظُ.

﴿وَذُرِّيَّتَهَا﴾: أولادَها.

﴿مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾: إبليس.

﴿ٱلرَّجِيمِ﴾: الملعون.

وقيل: الرّجيم بالنُّجوم[(٥)].

أي: مـن إغوائِـه، وقيـل: مـن عَصْـرِه؛ فقـد[(٦)] جاء فـي الخبر عـن النَّبـيِّ ﷺ أنَّه

---

(١) في (ن): «عجمي». ذكر ذلك ابن دريد في «جمهرة اللغة» (٢/ ١١٧٣)، والسيوطي في «المزهر» (٢/ ٦٢)، وذكر المصنِّف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٥٢) أن معناها الخادم بالعبرية.

(٢) فهذه أسماء مصوغة لأشخاص بأعيانها، لا مناسبةَ بينها وبين الفعل، ولو كانت من الفعل لاعتلت. انظر: «التعليقة» لأبي علي الفارسي (٥/ ٣٢)، و«الخصائص» لابن جني (٣/ ٣٥).

(٣) في (و): «الصبيان».

(٤) الرجز لرؤبة يمدح أبا العباس السفاح، وتمامه:

ضِلِّيـلِ أهـواءِ الصِّبـا يُنَدِّمُـهْ

انظر: «ديوان رؤبة بن العجاج» (ص: ١٤٩)، و«العين» (٧/ ٩) مادة: (ض ل ل).

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٥٢)، واستغربه.

(٦) في (ن): «وقد».

قـال: «مـا من مولـودٍ[1] إلّا عصرَهُ الشَّيطانُ عصـرةً أو عصرتَيْنِ إلَّا عيسـى وأمَّه»، ثم تلا هذه الآية[2].

***

(٣٧) - ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا﴾؛ أي: قَبِلَ اللهُ مريمَ في نذرِها، وإنْ كان قبلُ[3] لا يَقبَلُ إلّا الذُّكران.

﴿بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾ قيل: الباء زائدةٌ، وقيل: للسَّبب.

﴿وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾: وأنشأها إنشاءً حسنًا في التَّربيةِ والتَّغذية.

وقيل: في تعلُّمِ الدِّين.

ونصـبَ ﴿نَبَاتًا﴾ علـى تقديـر: فنبتَـتْ نباتًـا[4]، ويجـوزُ أيضًـا[5] أن يعمـلَ فيه الملفـوظُ وإن حُذِفَـت الزَّوائـد؛ لأنَّها مُـرادةٌ[6].

---

(١) في (و): «موجود».

(٢) رواه بهذا اللفظ الطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٤١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وروى نحوه البخاري (٣٤٣١)، ومسلم (٢٣٦٦)، ولفظ البخاري: «ما من بني آدم مولود إلا يمسه الشيطان حين يولد، فيستهل صارخًا من مسِّ الشيطان، غير مريم وابنها».

(٣) «قبل»: ليس في (ن).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٦٣) عن المفضل، وذكره الواحدي في «الوسيط» (١/ ٤٣١) عن ابن الأنباري والزجاج، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٥٢) بلا نسبة، واستغربه. وفي (و) زيادة: «حسنا».

(٥) «أيضًا» من (ن).

(٦) هذا هو الوجه الذي قدَّمه أبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ١٢١).

﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾: ضَمَّها إليه.

و﴿زَكَرِيَّا﴾ ـ يُمَدُّ ويُقصَرُ ـ غيرُ منصرفٍ[١]، و(زكريٌّ) ـ بالتَّشديدِ منوَّنٌ[٢] ـ فيه لغةٌ[٣].

﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ﴾ جعلَ الزَّجّاجُ (ما) مع الفعلِ في تأويلِ المصدرِ؛ أي: وجدَ عندها رزقًا كلَّ وقتِ دخولٍ[٤].

والمحرابُ: أكرمُ[٥] موضعٍ في المجلسِ يُتحارَبُ دونَه ويُنْفَسُ[٦] فيه، وهو من[٧] المسجدِ مقامُ الإمام.

وقيل: ﴿الْمِحْرَابَ﴾: الغرفة.

أبو عمرو[٨]: ﴿الْمِحْرَابَ﴾: القصر[٩].

﴿وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾ أجمع المفسِّرون على أنَّه كان يجدُ عندها فاكهةَ الصَّيفِ في الشِّتاء وفاكهةَ الشِّتاءِ في الصَّيف.

---

(١) قرأ حفص وحمزة والكسائي: ﴿زَكَرِيَّا﴾، وباقي السبعة: ﴿زكرياء﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٢٠٤)، و«التيسير» (ص: ٨٧).

(٢) «منون» من (ن).

(٣) هذه ثلاث لغات: زكريا وزكرياء وزكريٌّ، وفيه لغة رابعة: زَكَرٍ. انظر: «المنتخب من غريب كلام العرب» لكراع النمل (١/ ٥٤٠).

(٤) في (ن): «دخوله». انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٠٣).

(٥) في (و): «أكبر».

(٦) أي: يُحسد، ويُنافسُ. انظر: «أساس البلاغة» للزمخشري (٢/ ٢٩٢).

(٧) في (ن): «في».

(٨) هو أبو عمرو بن العلاء.

(٩) انظر: «تهذيب اللغة» (٥/ ١٧) مادة: (ح ر ب).

وقيل: كان عنبًا، ولم يكن في تلك البلادِ عنبٌ[١].

وعن الحسن: أنَّها لم تلقم ثديًا قطُّ[٢].

وكان[٣] ذلك معجزةً لزكريّا، وقيل: لعيسى عليهما السّلام[٤].

﴿قَالَ﴾؛ أي: زكريا: ﴿يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾: من أين لك هذا؟

﴿قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: بلطفِه رُزِقْتُ.

وكان يأتيها بأمرِ اللهِ من الجنّة، وقيل: يأتيها به عبدٌ صالحٌ[٥].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ﴾ سبقَ تفسيرُه.

وقيل: معناه هاهنا: من حيث لا يحتسبُ، وهو مِن تمام كلامِها[٦]؛ تكلَّمَتْ به في المهدِ[٧].

---

(١) هذا مروي عن ابن عباس ومجاهد وابن جبير، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٥٢) بلا نسبة، واستغربه. انظر: «تفسير الطبري» (٥/ ٣٥٣ و٣٥٥)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٣/ ١٢٣).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٧١)، والماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٣٨٨)، والواحدي في «البسيط» (٥/ ٢٠٩).

(٣) في (ن): «فكان».

(٤) ظاهر النص القرآني أن أمراً خارقاً للعادة جرى لمريم ورآه زكريا عليه السلام فسأل عنه، وقد مال أبو علي الجبائي إلى دفعه، أو نسبته لزكريا، وذلك على مذهب مَن يرى أن الأمر الخارق الذي يجري في عصر نبي إنما هو معجزة للنبي، وقد مال إلى هذا ابن حزم أيضاً، وردَّه الفخر الرازي. انظر: «الفصل» لابن حزم (٥/ ٢ ـ ٧)، و«مفاتيح الغيب» للرازي (٨/ ٢٠٨) و(٢٣/ ٢٨٠).

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٥٣)، واستغربه.

(٦) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٢/ ٣٦٠)، وقد روى الطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٥٧ـ٣٥٨) عن محمد بن إسحاق أنه من تمام كلامها، وروى عنه أيضاً أن كلامها انتهى بـ﴿هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾، واختار الطبري (٥/ ٣٥٩) أنه كلام مستأنف، وروى ابن المنذر في «تفسيره» (١/ ١٨١) وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٤٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه من تمام كلامها.

(٧) هذا بناء على ما ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٣٨٨) عن الحسن.

الحسن: استئنافٌ[١].

***

(٣٨) ـ ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾.

وقيل: ﴿هُنَالِكَ﴾ مُتَّصلٌ بالأوَّلِ على تقدير: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٣٧ هُنَالِكَ﴾ يعني: في الجنَّة[٢].

والجمهورُ على أنَّه مُتَّصلٌ بما بعدَه[٣].

المفضَّل: (هناك) للمكان، و(هنالك)[٤] للزَّمان[٥].

غيره: اللَّام فيه مثله في (ذاك) و(ذلك)[٦].

---

(١) لعلَّ هذا بناء على الرواية التي ذكرها الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٧١) وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٢٧٧) عن الحسن أنه قال: «كان يجد عندها قوتها، ولم ترضع ثديًا قط، وكان يأتيها رزقها من الجنة فيقول لها زكريا: ﴿أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾ فتقول: ﴿هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾». وقال الحسن: «تكلَّمت وهي صغيرة»؛ ففي هذه الرواية ينتهي كلامها بـ﴿هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ كلام مستأنف، كما قال المصنِّف، ولكن لا تخلو عبارة المصنف من إشكال.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٥٣)، واستغربه.

(٣) وهو الفعل (دعا).

(٤) في (و): «هنالك».

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٧٦)، ولفظه: «قال المفضل بن سلمة: أكثر ما يقال: (هنالك) في الزمان، و(هناك) في المكان، وقد يحمل هذا مكان هذا»، وانظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٣/ ١٢٥).

(٦) وهي التي تُسمى لام البعد، وقيل: هي لغتان. انظر: «اللامات» للزجاجي (ص: ١٣١)، و«تهذيب اللغة» للأزهري (١٥/ ٢٧)، و«شرح المقدمة المحسبة» لابن بابشاذ (١/ ١٦٦)، و«شرح التسهيل» لابن مالك (١/ ٢٤٢).

﴿دَعَا زَكَرِيَّا﴾؛ أي: عند ذلك دعا زكريا ﴿رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ﴾ أراد: لَمّا رأى فاكهة الصَّيف في الشِّتاء وفاكهة الشِّتاء في الصَّيف على خلافِ مجرى العادةِ طمعَ في رزقِ الولدِ من العاقرِ على خلافِ مجرى العادة.

وقيل: أذنَ اللهُ له في السُّؤال.

﴿ذُرِّيَّةً﴾: ولدًا، والذُّرِّيَّةُ هاهنا واحدٌ؛ لقوله[1]: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ [مريم: ٥][2].

﴿طَيِّبَةً﴾: مباركةً.

وقيل: يبلغُ في الدِّينِ رتبةَ النُّبوّة[3].

وقيل: زاكيًا، وأنَّثَ للفظِ الذُّرِّيّة، كما قال:

أَبُوكَ خَلِيفَةٌ وَلَدَتْهُ أُخْرَى ... وَأَنْتَ خَلِيفَةٌ، ذاكَ الكَمالُ[4]

﴿إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَآءِ﴾؛ أي: تجيبُ الدُّعاءَ، من قولنا: سمع الله لمن حمده.

* * *

---

(١) «لقوله» من (ن).

(٢) ذكر ذلك الفراء في «معاني القرآن» (١/ ٢٠٨).

(٣) قد يفهم من لفظ المصنف هنا أن النبوة مكتسبة، وليس هذا مراده، بل مراده أن يكرمه الله تعالى بالنبوة فيكون اتصالًا للأنبياء السابقين قبله، والله أعلم.

(٤) البيت بلا نسبة في «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٠٨)، و«تفسير الطبري» (٥/ ٣٦٢)، و«المذكر والمؤنث» لأبي بكر الأنباري (٢/ ١٤٤)، و«تهذيب اللغة» للأزهري (٧/ ١٧٤)، ولم أقف على من نسبه، ولا يحسن حمل الآية على ما في البيت من تأنيث (ولدته أخرى)؛ فقد عُدَّ ذلك من الشواذِّ أو الضرورة. انظر: «توضيح المقاصد» للمرادي (٣/ ١٣٥٣)، و«المساعد» لابن عقيل (٣/ ٢٨٩).

(٣٩) - ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾؛ أي: ناداه جمعٌ من الملائكة، وقيل: واحدٌ منهم، وقيل: جبريلُ.

﴿وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ﴾: في القِبلةِ.

﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ﴾؛ أي: بأنَّ الله، ومَن كسرَ[1] فبإضمارِ القول.

وقيل: لأنَّ النِّداءَ قولٌ[2].

﴿يُبَشِّرُكَ﴾، و﴿يَبْشُرُكَ﴾[3]؛ أي: يخبرك خبرًا تنبسطُ له بشرتُكَ من الفرح.

﴿بِيَحْيَىٰ﴾ قيل: اسم أعجميٌّ[4].

وقيل: عربيٌّ[5]، سُمِّي به؛ لأنَّ الله أحياه بالإيمان[6].

---

(١) في (و): «كسرها». وقد قرأ ابن عامر وحمزة بكسر الهمزة هنا، وباقي السبعة بفتحها. انظر: «السبعة» (ص: ٢٠٥)، و«التيسير» (ص: ٨٧).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٥/ ٣٦٦)، و«معاني القراءات» للأزهري (١/ ٢٥٤).

(٣) قرأ حمزة والكسائي بفتح الياء وإسكان الباء وضم الشين مخففًا، وباقي السبعة: ﴿يُبَشِّرُكَ﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٢٠٥)، و«التيسير» (ص: ٨٧).

(٤) في (ن): «عجمي». هذا منقول عن أبي علي الفارسي، وهو ما يميل إليه المصنف، وإليه ذهب أبو حيان والسمين الحلبي. انظر: «غرائب التفسير» (١/ ٢٥٣) و(٢/ ٦٨٨)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (١/ ٤٢٩)، و«البحر المحيط» (٣/ ١٠٨)، و«الدر المصون» (٣/ ١٥٤)، و«المساعد» لابن عقيل (٤/ ٦٩).

(٥) ذهب إلى هذا النحاس. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٢٠).

(٦) ذهب إلى هذا الطبري، وهو مروي عن قتادة. انظر: «تفسير الطبري» (٥/ ٣٦٩ و٣٧٠).

وقيل: حييَ به رحمُ أمِّه(١).

وقيل: سمِّي يحيى؛ لأنَّه استُشهد، والشُّهداء أحياء(٢).

وقيل: معناه: يموت، كالمفازةِ والسَّليمِ(٣).

﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ جلُّ المفسِّرين على أنَّ الكلمةَ عيسى عليه السَّلام، ويحيى أوَّلُ من آمنَ بعيسى وصدَّقَه، وكان أكبرَ منه سنًّا.

وسُمِّي عيسى كلمةَ اللهِ لأنَّ الله سبحانه خلقَه بكلمتِه(٤) من غيرِ أبٍ(٥).

وقيل: لأنَّ النّاسَ يهتدونَ به كما يهتدونَ بكلمةِ الله، أي(٦): بكلامِه.

أبو عبيدةَ: ﴿بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾: بكتابٍ من الله(٧).

وقيل: بوعدٍ منه.

﴿وَسَيِّدًا﴾ ابنُ عبّاسٍ: كريمًا(٨).

---

(١) هذا مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما. انظر: «تفسير الثعلبي» (٨/ ٢٩٣).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٩٥) عن أبي القاسم بن حبيب، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٥٣)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٥٣)، وعدَّه من العجائب، وذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ١٣١).

(٤) في (ن): «بكلمة».

(٥) في (ن): «أب وهو كن».

(٦) «بكلمة الله أي» من (ن).

(٧) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٩١)، وتتمة كلامه: «تقول العرب للرجل: أنشدني كلمة كذا وكذا؛ أي: قصيدة فلان وإن طالت».

(٨) ذكره الواحدي في «البسيط» (٥/ ٢٢٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: «السيد: الكريم =

سعيدُ بنُ المسيِّب: فقيهًا عالمـًا[١].

الضَّحّاكُ: الحسنَ الخلقِ[٢].

قتادةُ: حليمًا[٣].

ابنُ زيدٍ: شريفًا[٤].

﴿وَحَصُورًا﴾ قتادةُ: لا يأتي النِّساءَ مع القدرة، وهو قولُ ابنِ عبّاسٍ وابنِ مسعودٍ في جماعةٍ[٥].

= على ربه عز وجل»، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٧٥) عن مجاهد، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٤٣) عن الرقاشي. وروى الطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٧٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٤٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «حليمًا تقيًّا».

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٧٦)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٥٣)، واستغربه.

(٢) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (٤٦٢)، والخرائطي في «مكارم الأخلاق» (٥٤٨)، والثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٩٧)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٥٣)، واستغربه.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٧٤)، ورواه ابن المنذر في «تفسيره» (١/ ١٨٨).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٧٦)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٩٩).

(٥) ذكرت الروايات عن قتادة وابن عبّاس وابن مسعود أنَّ الحصور الذي لا يأتي النساء، ولم تصرِّح هذه الروايات بأن ذلك مع القدرة أو من دونها، لكنَّ المصنِّف استنبط أن ذلك مع القدرة؛ لأنَّ الفعل أُسند إليه، مما يدلُّ على اختياره ذلك، وقد رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٩٩)، والطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٨٠) عن قتادة، ورواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٧٧) عن ابن مسعود رضي الله عنه، ورواه ابن المنذر في «تفسيره» (١/ ١٩٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٤٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما، ولكن رواه ابن المنذر في «تفسيره» (١/ ١٩٠) عن ابن مسعود رضي الله عنه بلفظ: «هو العنين»، ورواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٨٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما =

سعيد بن المسيِّب والضَّحّاك: هو العِنِّينُ الذي لا ماءَ له(١).

وروى أبو هريرة أنَّه قال: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «كلُّ بني آدمَ(٢) يَلقى اللهَ

= بلفظ: «الذي لا ينزل الماء»، ولعلَّ هذا يشير إلى أن ما استنبطه المصنِّف غير مقصود في هذه الروايات، لكنه اختيار بعض العلماء والمفسرين، كالسمعاني ونجم الدين النسفي والزمخشري والرازي وأبي حيان وغيرهم، والله أعلم. انظر: «تفسير السمعاني» (١/ ٣١٦)، و«طلبة الطلبة» للنسفي (ص: ٣٩)، و«الكشاف» للزمخشري (١/ ٣٦٠)، و«مفاتيح الغيب» للرازي (٨/ ٢١٢)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٣/ ١٣٣).

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٧٨) عن سعيد بن المسيب بلفظ: «الحصور: الذي لا يشتهي النساء، ثم ضرب بيده إلى الأرض فأخذ نواة فقال: ما كان معه إلا مثل هذه»، ورواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٧٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٤٤) عن الضحاك، ولفظ الطبري: «هو الذي لا ماء له»، وقد تقدمت الروايات عن ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما بمثل ذلك أيضاً. وقد قال القاضي عياض معلِّقاً على هذه الروايات: «اعلم أن ثناء الله تعالى على يحيى أنه كان حصورًا ليس كما قاله بعضهم: إنه كان هيوبًا أو لا ذكر له، بل قد أنكر هذا حُذَّاق المفسرين، ونقَّاد العلماء، وقالوا: هذه نقيصة وعيب ولا تليق بالأنبياء عليهم السلام، وإنما معناه: أنه معصوم من الذنوب؛ أي: لا يأتيها كأنه حصر عنها. وقيل: مانعًا نفسه من الشهوات. وقيل: ليست له شهوة في النساء. وقد بان لك من هذا أن عدم القدرة على النكاح نقص، وإنما الفضل في كونها موجودة، ثم يمنعها إما بمجاهدة كعيسى، أو بكفاية من الله عز وجل كيحيى عليه السلام، ثم هي في حق من قدر عليها وقام بالواجب فيها ولم تشغله عن ربه درجة عليا، وهي درجة نبينا ﷺ... ثم قال: والمقصود أنه مدح ليحيى بأنه حصور ليس أنه لا يأتي النساء، بل معناه كما قاله هو وغيره: أنه معصوم عن الفواحش والقاذورات، ولا يمنع ذلك من تزويجه بالنساء الحلال وغشيانهن وإيلادهن، بل قد يفهم وجود النسل له من دعاء زكريا المتقدم حيث قال: ﴿هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ كأنه قال: ولداً له ذرية ونسل وعقب، والله سبحانه وتعالى أعلم». انظر: «الشفا» للقاضي عياض (١/ ١٩٣).

(٢) في (و): «نبي».

بذنبٍ أذنبَه؛ يعذِّبُه عليه إن شاءَ أو يرحمُه[١]، إلّا يحيى بن زكريا؛ فإنَّه كان سيِّدًا وحصورًا ومن الصّالحين»، ثم أهوى النَّبيُّ عليه السَّلام يدَه[٢] إلى قَذاةٍ من الأرضِ فأخذَها وقال: «كانَ ذَكَرُهُ مِثْلَ هذهِ القَذاةِ»[٣].

وأصلُ الكلمةِ من (الحصرِ)، وهو المنعُ.

﴿وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ خصَّ الأنبياءَ بذكر الصَّلاح؛ لأنَّه لا يتخلَّلُ صلاحَهم خلافُ ذلك[٤].

***

(٤٠) - ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾.

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾ أبردِّي إلى حالِ الشَّبابِ وامرأتي؟ أم تخلقُ الولدَ إبداعًا كخلق آدم؟ أم بأن تقوِّيَني على الجماعِ وامرأتي على القَبولِ على حالِ الكِبَرِ منّا؟

---

(١) في (و): «ويرحمه».

(٢) «يده» من (ن).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٤٤)، وكذا في «العلل» (٥/ ١٠١)، وقال: «لم يكن هذا الحديث عند أحد غير الحجاج، ولم يكن في كتاب الليث، وحجاج هذا هو شيخ معروف»، ورواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٦٥٥٦)، والثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٣٠٨). وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٢٠٩): «رواه الطبراني في الأوسط، وفيه حجاج بن سليمان الرعيني، وثَّقه ابن حبان وغيره، وضعَّفه أبو زرعة وغيره، وبقية رجاله ثقات».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٥٤).

استفهامٌ[١] استعلامٍ، وقيل: استعظامٌ، وقيل: وسوس الشيطان[٢] أنَّ النِّداء من غير الملائكة.

﴿وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ﴾ بحدوثِه فيَّ.

وقيل: بَلَغْتُهُ؛ على القلبِ[٣].

﴿وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ﴾: لا تلدُ، يُقال: رجل عاقرٌ وامرأة عاقرٌ؛ أي: قعد عن الولادة، وأصلُه اللُّزومُ.

﴿قَالَ كَذَٰلِكَ﴾؛ أي: يكونُ لك الولدُ كما أنت وامرأتك من كبر السِّنِّ[٤]؛ أي: يقوِّيك على الجماع ويقوِّيها على الحَبَل.

﴿ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾: لا يعجزُه شيء.

ويحتمل أن يكون ﴿كَذَٰلِكَ﴾ صفةَ مصدرٍ محذوفٍ يُقدَّم على الموصوف، وتقديره: الله يفعل ما يشاء فعلًا كذلك؛ أي: كما وعدك من خلق الولدِ من شيخٍ وشيخةٍ.

***

(٤١) ـ ﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾.

---

(١) في (و): «على حال الاستفهام».

(٢) في (و): «وسوس إليه».

(٣) ذكر ذلك ابن قتيبة، وقال السمين الحلبي: «ولا حاجة إليه». انظر: «تأويل مشكل القرآن» (ص: ١٢٣)، و«الدر المصون» (٣/ ١٥٩).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٥٤)، واستغربه، و(كذلك) على هذا التقدير في موضع نصب حال.

﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً﴾: علامةً أعرفُ وقتَ عُلوق الولد. وإنما سألَ الآيةَ ليتمَّ له السُّرورُ ويزيدَ في الشُّكر.

﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾ قيل: لا تقدرُ على الكلامِ مع النّاسِ ثلاثةَ أيّامٍ وأنت سويٌّ صحيحٌ.

وقيل: أُمِرَ أن يصومَ ثلاثةَ أيّامٍ، وكانوا لا يتكلَّمون في صومِهم.

قتادة والرَّبيع: ربا لسانُه في فيه حتَّى ملأه ثلاثةَ أيّام؛ عقوبةً له على المراجعة، ثمَّ أطلقَه الله[1].

والأوَّلُ أظهرُ؛ لقوله: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا﴾.

وقوله: ﴿إِلَّا رَمْزًا﴾ ابن عبّاسٍ: يُومِئُ بيده[2].

الضحّاكُ: يشيرُ بيده أو رأسه[3].

الزَّجّاجُ: الرَّمزُ: تحريكُ الشَّفتين[4] باللَّفظِ من غير إبانةٍ بصوتٍ[5].

---

(١) روى نحوه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٩٧)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ١٩٣) عن قتادة، وروى قريباً منه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٨٦) عن قتادة والربيع، وأقرب الألفاظ من لفظ المصنف ما رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٨٧) عن جويبر بن نفير قال: «ربا لسانه في فيه حتى ملأه، ثم أطلقه الله بعد ثلاث»، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٥٤) و(٢/ ٦٨٨)، وعدّه من العجائب.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٨٩).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٨٩)، وذكره ابن المنذر في «تفسيره» (١/ ١٩٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٤٦).

(٤) في (ن): «الشفة».

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٠٩).

﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا﴾ باللِّسانِ، وقيل: بالقلبِ.

﴿وَسَبِّحۡ﴾ الزَّجّاج: صلِّ، والسُّبْحةُ: الصَّلاةُ[1].

وقيل: المرادُ بالذِّكرِ والتَّسبيحِ الصَّلاةُ؛ لأنَّه مُنِعَ الكلامَ بكلِّ شيء.

وقيل: لم يُمنَع من ذِكرِ الله، كما سبق.

﴿بِٱلۡعَشِيِّ﴾: بعدَ العصر. وقيل: بعدَ الزَّوال.

والعشيُّ: آخرُ النَّهار، والعشاءُ: من وقت غروب الشَّمس إلى أن يمضيَ صدرٌ من اللَّيل.

﴿وَٱلۡإِبۡكَٰرِ﴾: بعد صلاةِ الصُّبح؛ أي: وقتِ الإبكار، وهو مصدرُ (أبكَرَ)؛ إذا خرج[2] بُكرةً.

ويُحتمَلُ أنَّ العشيَّ والإبكارَ: اللَّيلُ والنَّهار[3].

***

(٤٢) ـ ﴿وَإِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

﴿وَإِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾: عطفٌ على ﴿إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ﴾، والكلامُ في العامل فيه قد سبق.

والمرادُ بـ[4] ﴿ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ هنا: جبريلُ.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٠٩).

(٢) في (و): «إذا أخرج».

(٣) انظر: «تفسير الماتريدي» (٩/ ٤١)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٣/ ١٤٢).

(٤) «والمراد بـ» من (ن).

﴿يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ﴾: اختارَكِ واستخلصَكِ حينَ قَبِلَكِ في النَّذرِ.

﴿وَطَهَّرَكِ﴾ الحسن ومجاهد: بالإيمانِ عن الكفر[1].

وقيل: طهَّركِ عن الحيضِ؛ فلم تحض قطُّ[2]، وهذا مُزَيَّفٌ.

وقيل: طهَّركِ عن سائرِ الأدناس.

﴿وَٱصْطَفَىٰكِ﴾ بولادةِ نبيٍّ من غيرِ مَسيسِ بشرٍ.

﴿عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: عالَمِي زمانهم.

وقيل: ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ عامٌّ.

* * *

(٤٣) ـ ﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾.

﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ﴾ مجاهدٌ: أطيلي القيامَ في الصَّلاة[3].

قتادة: أديمي طاعةَ ربِّك[4].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٩٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٤٧) عن مجاهد بلفظ: «جعلك طيبة إيمانًا»، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٣٩٢)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٢٨١) عن الحسن ومجاهد.

(٢) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» (١/ ٤١٠)، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٤٧) عن السدي.

(٣) في (و): «الصيام». رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٩٤) والطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٩٨) بلفظ: «أطيلي الركود»، وروى الطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٩٨) وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٤٨) أنها قامت حتى ورم كعباها، أما لفظ المصنف فقد ذكره ابن زمنين في «تفسيره» (١/ ٢٨٨) والماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٣٩٢) والواحدي في «البسيط» (٥/ ٢٤٦).

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٤٠٢)، والطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٩٩)، وابن المنذر في «تفسيره» =

وقيل: أخلصي.

وأصلُ القُنوتِ: الدَّوامُ.

﴿وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي﴾: الواوُ للجمعِ دونَ التَّرتيب(١).

وقيل: كان في شريعتِهم كذلك.

ويحتمل أن يكونَ: واسجدي من الرَّكعة الأولى، واركعي من الرَّكعة الثَّانية.

﴿مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾؛ أي: افعلي فعلَهم.

وقيل: ﴿مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾؛ أي: في جماعةٍ.

* * *

(٤٤) ـ ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۚ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: ذلك الخبر ﴿مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ﴾ من أخبارٍ غِبْتَ عنها، فلم تشاهدْها.

﴿نُوحِيهِ إِلَيۡكَ﴾: نُلقيه إليك، فعلِمْتَها بإيحائِنا(٢) إليك شرحَها.

= (١/ ١٩٨)، كلهم بلفظ: «أطيعي ربك»، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٣٩٢) بلفظ المصنف.

(١) فالمعنى: اركعي واسجدي، والقول بأن الواو لا تفيد الترتيب قول أكثر الفقهاء والنحاة وأهل اللغة، ونُسب للإمام الشافعي وثعلب والفراء وقطرب وابن درستويه قولهم: إن الواو تفيد الترتيب. انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (١٥/ ٤٨٢)، و«تفسير الثعلبي» (١١/ ٢٠٨)، و«ارتشاف الضرب» لأبي حيان (٤/ ١٩٨١)، و«الجنى الداني» للمرادي (ص: ١٥٨)، و«البحر المحيط» للزركشي (٣/ ١٤٣)، و«شرح الكوكب المنير» لابن النجار (١/ ٢٢٩).

(٢) في (و): «نعلمها بإيحائها».

والإيحاءُ: إلقاءُ المعنى إلى صاحبِه، والإيحاءُ: الإلهامُ، والإيحاءُ: الإيماءُ[1].

ابن عيسى: الوحيُ: الكتابةُ، وَحِيَ يَحِيْ وَحْيًا؛ إذا كتبَ[2]؛ لأنَّه يُلقي المعنى إلى صاحبه[3].

﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ﴾: عندهم ﴿إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ﴾ أبو عبيدة: قِداحَهم[4].

الرَّبيع: عِصيَّهم[5].

ابن بحر: سهامَهم[6].

وقيل: هي الأقلامُ التي كانوا يكتبونَ بها التَّوراةَ[7]، وكلُّ ما قُطِعَ طرفُه فهو قلم.

﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾؛ أي: لينظروا أيُّهم يكفلُ مريمَ بضمِّها ويقومُ بمصالحها.

والمعنى: أنَّ الأخبارَ إنَّما تُعلَمُ بمشاهدةِ الحالِ أو بقراءةِ الكتبِ أو بالتَّعلُّم، وقد بطلَت هذه الوجوهُ في حقِّك، فبقيَ الوحي، فصحَّ أنَّه وحيٌ من الله إليك.

---

(١) انظر: «الزاهر» للأنباري (٢/ ٣٤١).

(٢) لم أقف على مَن نسبه لابن عيسى غير المصنِّف، وانظر: «العين» (٣/ ٣٢٠)، و«التقفية» للبندنيجي (ص: ٦٨٨)، و«جمهرة اللغة» (١/ ٥٧٥) مادة: (و ح ي).

(٣) «والإيحاء: الإلهام، والإيحاء الإيماء، ابن عيسى: الوحي الكتابة وحي يحي وحياً؛ إذا كتب؛ لأنه يلقي المعنى إلى صاحبه» من (ن).

(٤) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٩٣).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٤٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٥٠)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٥٥) بلا نسبة، واستغربه.

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٣١٩)، والمصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٥٥) بلا نسبة.

(٧) ذكره الليث في «العين» (٥/ ١٧٤) مادة: (ق ل م)، ورواه ابن أبي حاتم (٢/ ٦٤٩) عن ابن جريج، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٥٥)، وعدَّه من العجائب.

﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ قتادة: تشاحَّ القومُ لحرصهم على كفالتها لفضلها حتى اختصموا، ثم اتَّفقوا على الرِّضا بالقُرعة[١].

ابن عبّاسٍ: وكانوا سبعةً وعشرين رجلًا[٢].

وقيل: تدافعوا كفالتها؛ لشدّة الأزمة في زمانها[٣].

فألقوا أقلامَهم في نهرٍ جارٍ على أن يكونَ مَن جرى قلمُه في استقبالِ الماءِ فهو الذي يكفلُها ـ وقيل: وقع الاتِّفاقُ على قيامِ القلمِ في وجه الماء ـ فجرى قلمُ زكريا في استقبالِ الماءِ، أو ثبت في وجه الماء، فصارَت القرعةُ له.

واستقبالُ القلمِ الماءَ كان معجزةً لزكريا، وقيل: تأسيسًا لأمرِ عيسى عليه السَّلام.

***

(٤٥) ـ ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾.

﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾؛ أي: ببشارةٍ، والكلمةُ: البشارةُ.

وقيل: الكلمةُ: عيسى، وسمِّي كلمةَ الله؛ لأنَّه كانَ بقوله: (كن) من غيرِ والدٍ.

وقيل: سُمِّي كلمةَ الله؛ لأنَّ اللهَ سبحانه ذكرَه في الكتبِ المتقدِّمةِ والصُّحفِ السّالفة، فهو كما يقول المخبِرُ بأمرٍ يكونُ إذا كانَ: قد[٤] جاءَ قولي، وظهرَ كلامي.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٤٠٤)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ١٩٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٥٠).

(٢) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٢٧٧).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٥٥)، واستغربه.

(٤) «قد»: ليس في (ن).

ومِن ذكرِه في التَّوراة: «أتانا اللهُ من سيناء، وأشرقَ من ساعير، واستعلنَ[١] من جبال فاران»[٢].

وساعيرُ هو الموضعُ الذي بُعثَ منه المسيحُ.

وفي التَّوراة أيضًا: «إنَّ الله يبعثُ نبيًّا من بني اسرائيل، يخرجُه من أنثى بلا ذكرٍ، ويجعلُ أدلَّتَه: الكلامَ في المهد، وإحياءَ الموتى، وإبراءَ الأكمهِ والأبرص»[٣].

وقيل: سُمِّي كلمةَ الله؛ لأنَّ الله يهدي به كما يهدي بكلمتِه.

﴿ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ﴾ الحسن وسعيد بن جبير: سُمِّي مسيحًا؛ لأنَّه مُسِحَ بالبركة[٤].

وقيل: خرج من بطن أمِّه ممسوحًا بالدُّهن.

وقيل: لأنَّه كان أمسحَ الرِّجْل، ليس لرجلِه خَمَصٌ، وهو ما جفا عن الأرض.

وقيل: سُمِّي مسيحًا؛ لأنَّه كان لا يمسحُ ذا عاهةٍ إلّا شفاه الله[٥].

وقيل: المسيحُ: الصِّدِّيقُ.

وقيل: لأنَّه كان[٦] يمسحُ الأرضَ بسياحتِه، لا يستوطنُ مكانًا.

---

(١) في (و): «واستعلى».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١٨٩)، والمصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٤٣)، وهو في الباب الثالث والثلاثين في التوراة من سفر تثنية الاشتراع.

(٣) لم أقف على هذا النص فيما بين يدي من مصادر.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٤١٠) عن سعيد بن جبير، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٣٩٤)، والواحدي في «البسيط» (٥/ ٢٥٦)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٢٨٣) عن الحسن وسعيد.

(٥) اسم الجلالة: «الله» من (ن).

(٦) «كان» من (ن).

وقيل: المسيحُ اسمٌ سمّاه الله به.

﴿عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾: اسمٌ أعجميٌّ.

الزجّاج: كان أَيْشُوع، فعُرِّب[1].

﴿وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا﴾: كريمًا لا يُرَدُّ وجهُه.

﴿وَٱلْآخِرَةِ﴾: يكونُ من[2] عِلْيةِ المرسلين.

وقيل: ﴿وَجِيهًا﴾: ذا وَجْهٍ وجاهٍ، تقول: (وَجُهَ يَوْجُهُ وَجاهةً)، و(جاهَ يجوهُ جاهًا) مقلوبُه وبمعناه[3].

﴿وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾؛ أي: إلى كرامتِه.

* * *

(٤٦) ـ ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ﴾ معجزةً له وبراءةً لأمِّه.

﴿وَكَهْلًا﴾ بالنُّبوّةِ.

وقيل: ﴿وَكَهْلًا﴾[4]: بعد نزولِه من السَّماء.

وقيل: أعلمَها[5] الله أنَّه يبقى إلى حالِ الكُهولةِ.

وقيل: كلامُه في المهدِ ككلامِه في الكُهولةِ.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٢٠)، وفيه: «يشوع».

(٢) في (ن): «في».

(٣) انظر: «الدر المصون» للسمين الحلبي (٣/ ١٧٩).

(٤) «وكهلا» من (ن).

(٥) في (ن): «أعلمه».

مجاهدٌ: الكهلُ: الحليمُ[١].

﴿وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾؛ أي: من الأنبياء.

* * *

(٤٧) ـ ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾.

﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ﴾: من أين وكيف؟

﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾: لم يقربني رجلٌ، و(المسُّ) كنايةٌ، وأصلُه التقاءُ جسمَين[٢]؛ تعجبَتْ ممّا خرجَ من العادة.

وقيل: استفهمَت؛ أيكونُ الولدُ على مجرى العادةِ أم على خلافِها؟

﴿قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ﴾ يجوزُ أن يكونَ المعنى: كما أنتِ عليه من الحالِ يكونُ لكِ[٣] الولدُ؛ أي[٤]: الله ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ بلا مادّةٍ ولا آلةٍ.

وقيل: تقديرُه: اللهُ يخلقُ ما يشاءُ خلقًا كذلك؛ أي: كخلقِ الولدِ من غيرِ والدٍ.

﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾: إذا قدَّر وقوعَه، ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ سبقَ تفسيرُه في (سورة البقرة).

* * *

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٤١٤)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٢٠٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٢٥)، وقد ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (١/ ١٥٩) وقال: «هذا لا يُعرف في اللغة، وإنما الكهل عند أهل اللغة مَن ناهزَ الأربعين».

(٢) في (ن): «الجسمين».

(٣) «لك» من (ن).

(٤) «أي» من هامش (ن).

(٤٨) - ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾.

﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ قيل: الكتابة. وقيل: اللّامُ للجنس؛ أي: كتبَ الله.

﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾: سائرَ أنواعِ العلم، وقيل: علمَ النُّبوّةِ، ﴿وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾.

***

(٤٩) - ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ الزَّجّاج: هو عطفٌ على قولِه: ﴿وَجِيهًا﴾ و﴿وَكَهْلًا﴾[1].

الفرّاء: ويجعلُه رسولًا؛ أي: مُرسَلًا إلى بني اسرائيل[2].

﴿أَنِّىٓ﴾: بأنّي ﴿قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾: بدلالةٍ تدلُّ على صدقي فيما أدّعيه من النُّبوّة.

﴿أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ﴾؛ أي: أُقدِّرُ وأُصوِّرُ من الطِّينِ[3] ﴿كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ﴾

---

(١) هذا معنى كلام الزجاج؛ فإنه ذكر الوجه المذكور عن الفراء، ثم قال: «والاختيار عندي والله أعلم: ويكلم الناس رسولًا إلى بني إسرائيل»، وعبارة المصنف قريبة من عبارة الراغب الأصفهاني ونجم الدين النيسابوري. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤١٣)، و«تفسير الراغب الأصفهاني» (١/ ٥٧٣)، و«إيجاز البيان» للنيسابوري (١/ ١٩٢).

(٢) لم أقف على هذا الوجه في «معاني القرآن» للفراء، ولم أقف على مَن نسبه له، وقد ذكره الزجاج والنحاس، واختاره أبو حيان. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢١٣)، و«معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤١٣)، و«إعراب القرآن» للنحاس (١/ ١٥٩)، و«البحر المحيط» (٣/ ١٦١).

(٣) «من الطين» من (ن).

الهيئةُ: الحالُ الظاهرةُ، تقولُ: هاءَ يَهاء، والـهَيِّئُ: الحَسَنُ الهيئةِ[١] من كلِّ شيء[٢].

والمهايأةُ: أمرٌ يَتهايأُ عليه القومُ ويتراضَون به.

﴿فَأَنفُخُ فِيهِ﴾: في الطَّير، والنَّفخُ: الرِّيحُ تخرجُ من الفم.

﴿فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: بأمرِه دونَ فعلي[٣].

وجاء في التَّفسيرِ أنَّه الخفّاشُ فحسب[٤].

﴿وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ﴾: الأعمى، وقيل: الذي يُولَدُ أعمى[٥].

عكرمة: الأعمش[٦].

مجاهد: الأعشى[٧].

﴿وَالْأَبْرَصَ﴾: الذي به وَضَحٌ.

---

(١) «الهيئة» من (ن).

(٢) انظر: «العين» (٤/ ١٠٣)، و«المحكم» لابن سيده (٤/ ٤٤٧) مادة: (ه ي ء).

(٣) في (و): «فعله».

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤١٣)، و«تفسير الثعلبي» (٨/ ٣٣٢)، و«تفسير السمعاني» (١/ ٣٢٠).

(٥) الأول قول الأصمعي والضحاك، والثاني قول أبي عبيدة، وهو مروي عن ابن عباس وقتادة. انظر: «غريب الحديث» لإبراهيم الحربي (٢/ ٤٨٢)، و«تفسير ابن المنذر» (١/ ٢٠٩).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٤٢٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٥٥).

(٧) هذا معنى ما رُوي عن مجاهد، وقد علَّقه البخاري قبل حديث (٣٤٣٣) بلفظ: «الأكمه: من يبصر بالنهار، ولا يبصر بالليل»، ورواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٤٢١) وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٢٠٩) وغيرهما بنحو لفظ البخاري، وأنكر صحَّته الراغب في «تفسيره» (٢/ ٥٧١)، وذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ١٦٥) بلفظ المصنِّف.

﴿وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: أدعو اللهَ بإحياءِ الموتى.

وذكرَ المفسِّرون أنَّه أحيا أربعةَ أنفسٍ[١]:

عازرَ: وكان صديقًا له، فأرسلَت أختُه إلى عيسى أنَّ أخاك عازرَ يموتُ فَأْتِه، وكان بينه وبينه مسيرةُ ثلاثِ ليالٍ، فأتاه هو وأصحابُه فوجدوه قد مات منذ ثلاثةِ أيَّامٍ، فقال لأختِه: انطلقي بنا إلى قبره، فانطلقت معهم إلى قبره وهو في صخرةٍ مطبقةٍ، فقال عيسى: اللَّهمَّ ربَّ السَّماواتِ السَّبعِ وربَّ[٢] الأرضين السَّبع، إنَّك أرسلتَني إلى بني اسرائيل أدعوهم إلى دينِك، وأُخبرُهم أنِّي أُحيي الموتى بإذنِك، فأحيِ عازرَ، قالوا: فقامَ عازرُ وودَكُه يقطُرُ، فخرجَ من قبرِه، وبقيَ ووُلِدَ له.

وابنَ العجوزِ: مُرَّ به ميتًا على عيسى على سريرٍ يُحمَلُ، فدعا اللهَ عيسى، فجلسَ على سريره، ونزلَ عن[٣] أعناقِ النّاس، ولبسَ ثيابَه، وحملَ السَّريرَ على عنقِه، ورجعَ إلى أهله، فبقيَ ووُلِدَ له.

وابنةَ العاشرِ: قيل له: أتحييها وقد ماتَتْ أمسِ؟ فدعا الله عزَّ وجلَّ فعاشَتْ، وبقيَت ووُلِدَ لها.

وسامَ بنَ نوحٍ: دعا عيسى عليه السَّلام باسمِ اللهِ الأعظم، فخرجَ من قبرِه وقد شابَ نصفُ رأسِه، فقال: قد قامَت القيامة؟! قال: لا، ولكنِّي دعوتُك باسمِ اللهِ الأعظم[٤]،

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٣٣٦ـ٣٣٨).

(٢) «رب» من (ن).

(٣) في (و): «على».

(٤) «فخرج من قبره وقد شاب نصف رأسه فقال: قد قامت القيامة؟ قال: لا ولكني دعوتك باسم الله الأعظم» من (ن).

قالوا: ولم يكونوا يشيبون[١] في ذلك الزَّمان، وكان سامُ قد عاشَ خمسَ مئةِ سنةٍ وهو شابٌّ، ثمَّ قالَ له: مت، قال: بشرطِ أن يعيذَني الله من سكراتِ الموت، فدعا الله سبحانه ففعلَ[٢].

قال الكلبيُّ: كان عيسى عليه السَّلام يُحيي الموتى[٣] بـ(يا حيُّ ويا قيُّوم)[٤].

﴿وَأُنَبِّئُكُم﴾: أخبرُكم ﴿بِمَا تَأْكُلُونَ﴾: بالذي تأكلونَ، ﴿وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾: وبالذي تدَّخرون.

وقيل: بأكلِكم وادِّخارِكم.

وهو افتعالٌ من (الذُّخْر)، وهو خَبْءُ الشَّيء لنائبةٍ.

قال قتادة: إنَّما هذا في المائدةِ التي كانَت تنزلُ عليهم أينما كانوا، فأُمِروا أن لا يخونوا ولا يُخبِّئوا لغدٍ[٥].

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾؛ أي: فيما تقدَّمَ.

﴿لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ يجوزُ أن يكونَ هذا من تمامِ كلامِ عيسى، ويجوزُ أن يكونَ استئنافًا من اللهِ تعالى.

---

(١) في (و): «يكن يشيبون».

(٢) روى الطبري في «تاريخه» (١/ ١٨١) خبر إحياء ابن نوح عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه ابن أبي الدنيا في «من عاش بعد الموت» (ص: ٥٣) عن معاوية بن قرة.

(٣) في (ن): «الأموات».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٣٣٩)، والواحدي في «البسيط» (٥/ ٢٧٣).

(٥) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٤٠٦)، والطبري في «تفسيره» (٥/ ٤٢٩)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٢١٠).

وإنما وحَّد (آية) وقد تقدَّمَت[1] آياتٌ ومعجزات؛ لأنَّه جوابٌ لمن طلبَ علامةً لينقادَ لِما يُرادُ منه، وكذلكَ حيثُ توحَّدَت، وحيثُ[2] جُمِعَت إنَّما جُمِعَت لتعدادِ الدِّلالات.

ويُحتمَلُ أنَّ التَّوحيدَ في الآية لتفرُّدِ المدلولِ عليه، وهو نبوّةُ عيسى عليه السَّلام هاهنا.

والمعنى: مَن كانَ شأنُه أن يُؤمنَ عند مشاهدةِ الدِّلالاتِ[3] فليؤمِنْ؛ فقد جاءته الآيات[4].

***

(٥٠) ـ ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾.

﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾: ﴿وَمُصَدِّقًا﴾ نصبٌ على الحال.

و(مِن) للتَّبيين، كقوله تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ [الحج: ٣٠].

﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم﴾[5]: عطفٌ على معنى الكلام؛ أي: جئتكم[6] لأصدِّقَ ولأحلَّ لكم ﴿بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾؛ أحلَّ اللهُ في الإنجيل ما حُرِّمَ في التَّوراةِ من قولِه: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾ [الأنعام: ١٤٦] الآية[7].

---

(١) في (و): «تقدم».

(٢) «حيث» من (ن).

(٣) في (ن): «الآيات».

(٤) في (ن): «آيات».

(٥) في (و): «ولأحرم لكم».

(٦) «جئتكم» من (ن).

(٧) «الآية» من (ن).

أبو عبيدة: (بعض) هاهنا بمعنى: (كلّ)[1]، واستدلَّ بقولِ الشّاعر:

تَـرّاكُ أمْكِنـةٍ إذا لَـمْ يـرْضَـهـا أوْ يَرْتَبِـطْ بَعْـضَ النُّفـوسِ حِمامُهـا[2]

وهـذا فـي اللُّغـةِ لا يُنكَـر[3]، وأمّـا فـي الآيـة فبعيـدٌ؛ إذ[4] لـم يُحِلَّ لهـم القتلَ والزِّنا والسَّـرقة.

﴿وَجِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ كرَّرَ ذكرَ الآية؛ لأنَّ الأولى معجزةٌ، والثّانية آيةٌ من الإنجيل.

﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾؛ أي: تأكَّدَتِ الحججُ وتظاهرَتْ، فاتَّقوا الله في خلافي، ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ في أمري ونهيي.

* * *

(٥١) - ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ﴾ أَقرَّ بالعبوديّةِ له، خلافَ زعمِ النَّصارى لعنَهم الله.

﴿فَٱعۡبُدُوهُ﴾: وحِّدوه وأطيعوه دوني.

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٩٤).

(٢) البيت للبيد بن ربيعة. انظر: «شرح ديوانه» تحقيق: إحسان عباس (ص: ٣١٣)، و«جمهرة أشعار العرب» (ص: ٢٦٠)، و«الشعر والشعراء» (١/ ٩٩)، ورواية «الديوان»: «أرضها أو يعتلق».

(٣) لم ينفرد أبو عبيدة بهذا القول؛ فقد ذهب إليه كراع النمل في «المنتخب» (ص: ٦٣٦)، وذكر الأنباري كلمة (بعض) في «الأضداد» (ص: ١٨١)، وذكر الخلاف فيها، أما الطبري فردَّ في «تفسيره» (٢٠/ ٦٣٦) هذا القول في الآية والبيت جميعاً، وكذا أنكره الزجاج في «معاني القرآن» (١/ ٤١٥) و(٤/ ٤١٨)، والنحاس في «معاني القرآن» (١/ ٤٠٣) فقال: «وهذا القول غلط عند أهل النظر من أهل اللغة؛ لأن البعض والجزء لا يكونان بمعنى الكل».

(٤) في (ن): «إذا».

﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾: مُؤدٍّ بسالكِه إلى الإيمانِ والجنان.

ويحتمل الاتِّصالَ والانفصالَ[١].

***

(٥٢) ـ ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ﴾: رأى وسمع، والإحساسُ: العلمُ يحصلُ بالحواسِّ، تقولُ: أحسستُه فهو محسوسٌ، كأحببتُه فهو محبوبٌ.

﴿مِنْهُمُ﴾: من اليهود ﴿ٱلْكُفْرَ﴾ حين همُّوا بقتلِه.

أي: رأى أفعالًا دلَّتْ عليه، وسمع أنَّهم في التَّدبير.

﴿قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ﴾ استنصرَ على دفعِهم، ولم يكن عيسى ليرى[٢] قتالَهم لو لم يَبدؤوا به.

والأنصارُ: جمعُ (ناصرٍ) كأصحابٍ، وقيل: جمعُ (نصيرٍ) كأشرافٍ[٣].

﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾: مع الله[٤].

---

(١) أي: يحتمل أن يكون تتمة كلام عيسى عليه السلام، أو كلاماً مستأنفاً من الله تعالى.

(٢) في (و): «يرى».

(٣) ذكره الواحدي في «الوسيط» (١/ ٤٤٠).

(٤) ذكره الفراء في «معاني القرآن» (١/ ٢١٨)، والأخفش في «معاني القرآن» (١/ ١٤٠)، وابن قتيبة في «أدب الكاتب» (ص: ٥١٦)، وكراع النمل في «المنتخب» (ص: ٦١٠)، وذكره أيضًا الطبري في «تفسيره» (١/ ٣٠٩) و(٥/ ٤٣٦)، ورواه عن السدي وابن جريج، وأنكره الزجاج في «معاني القرآن» (١/ ٤١٦) والنحاس في «إعراب القرآن» (٤/ ٢٧٩).

ابـن عيسـى: هـو إذا كان في الكلامِ بمعنـى[١] المصاحبـةِ كقولِهم: «الـذَّودُ إلى الـذَّودِ إبـلٌ»[٢]؛ أي: مَـن يضيفُ نصرتَـه إيّاي إلـى نصرةِ الله.

الحسن: دعاهم إلى سبيلِ الله[٣].

وقيل: من أنصاري لله[٤]؛ لأنَّ اللّامَ للغرض[٥]، و(إلى) للانتهاء[٦].

أبو عبيدة: مَن أعواني في ذاتِ الله[٧].

﴿قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ﴾ الزَّجّاج: هم صفوةُ الأنبياءِ، أطاعوهم لإخلاصِهم في التَّصديق[٨].

وقيل: كانوا قصّارين، سمُّوا به لتحويرِهم الثِّياب[٩]،.........................

---

(١) في (ن): «معنى».

(٢) «الذود إلى الذود إبل» من أمثال العرب، ويعنون به: إذا جمعت القليل مع القليل صار كثيرًا، والذود من الإبل: ما بين الثلاثة إلى العشرة، وهي مؤنثة، ولا واحدَ لها من لفظها. انظر: «الأمثال» لابن سلام (ص: ١٩٠)، و«جمهرة الأمثال» للعسكري (١/ ٤٦٢)، و«الصحاح» للجوهري مادة: (ذ ود)، و«مجمع الأمثال» للميداني (١/ ٢٧٧).

(٣) ذكره البغوي في «تفسيره» (١/ ٤٤٤)، وأبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ١٧٣).

(٤) في (و): «إلى الله». وقد اختار هذا المعنى أبو علي الفارسي. انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٣/ ١٧٣).

(٥) أي: للتعليل.

(٦) في (ن): «للنهاية».

(٧) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٩٤).

(٨) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤١٧).

(٩) تحوير الثياب: تنظيفها وتبييضها. انظر: «الزاهر» للأنباري (١/ ٢٨)، و«أمالي الزجاجي» (ص: ١٥٤)، و«مجمل اللغة» لابن فارس (ص: ٢٥٦).

ومنه خبر: «حواريَّ»(١)، والحواريّات(٢)، والحُور(٣).

وقيل: كانوا صيّادين.

وقيل: كانوا ملوكًا(٤).

وقيل: الحواريُّ: الصِّدِّيق(٥).

﴿نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ﴾؛ أي: فأجابَه الطّائفةُ المؤمنة، وقاتلُوا معه، فأظهرَه اللهُ عليهم، فأصبحُوا ظاهرين(٦).

﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ﴾: أقرُّوا بالإيمانِ أوّلًا، ﴿وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾: وأشهدُوا(٧) عيسى على إسلامِهم، فدلَّ على أنَّ الإيمانَ والإسلامَ واحدٌ(٨).

---

(١) يشير إلى حديث: «إن لكل نبي حواريًّا وإن حواريَّ الزبير بن العوام»، رواه البخاري (٢٨٤٧) ومسلم (٢٤١٥) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٢) قال أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (١/ ٩٥): «الحواريات: من النساء اللاتي لا ينزلن البادية، وينزلن القرى»، وقال الزجاج في «معاني القرآن» (١/ ٤١٧): «ويقال لنساء الأنصار: حواريات؛ لأنهن تباعدن عن قشف الأعرابيات بنظافتهن».

(٣) «ومنه خبر حواري والحواريات والحور» من (ن). والحور: جمع حوراء، والعين الحوراء هي التي اشتدَّ بياضها واشتدَّ سوادها، ولا يقال: امرأة حوراء، إلا أن تكون مع حَوَرِ عينها بيضاءَ. انظر: «العين» (٣/ ٢٨٨) مادة: (ح ور).

(٤) ذكر الزجاج جميع هذه الأقوال في تفسير الحواريين، وقد تصرَّف المصنِّف في عبارته واختصرها. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤١٧ ـ ٤١٨).

(٥) لم أقف على مَن ذكر هذا قبل المصنِّف، وقد نسبه أبو حيان إليه في «البحر المحيط» (٣/ ١٧٣).

(٦) كذا في النسخ الخطية، وفي العبارة شيء، ولعلها تستقيم بحذف كلمة (عليهم)، والله أعلم.

(٧) في (ن): «وأشهد».

(٨) انظر: «الفقه الأكبر» المنسوب لأبي حنيفة (ص: ٥٧)، و«الإبانة» للأشعري (ص: ٢٦)، و«مقالات =

(٥٣) ـ ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾.

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ﴾: الإنجيلَ، ﴿وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ﴾: عيسى، ﴿فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾: أثبتْ أسماءَنا مع الذين شهدوا للأنبياءِ عليهم السَّلام بالتَّصديق.

وقيل: مع النَّبيِّين.

وقيل: مع محمَّدٍ ﷺ وأمَّتِه؛ لنفوز بما فازوا به.

والاتِّباعُ: سلوكُ طريقِ الدّاعي على الإجابةِ له إلى ما دعا إليه.

* * *

(٥٤) ـ ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾.

﴿وَمَكَرُواْ﴾ بعيسى حين أرادوا قتلَه وصلبَه، ﴿وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ بردِّهم.

وقيل: ﴿وَمَكَرُواْ﴾ بإضمارِ الكفر، و﴿وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ بمجازاتِهم.

والمكرُ: إظهارُ الجميلِ؛ ليُغَرَّ به الغبيُّ، وأصلُه الالتفاف، ومنه المَكْرُ[1]، وهو ضربٌ من الشَّجرِ بهذه الصِّفة، والمرأةُ الممكورةُ: الملتفَّةُ الخَلْق[2].

أبو عبيدة: ﴿وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾: أهلكَهم[3].

الزجّاج: كان عيسى عليه السَّلام في بيتٍ له كُوّة، فدخلَ رجلٌ ليقتلَ عيسى،

= الإسلاميين» له (١/ ٢٢٧)، و«التوحيد» للماتريدي (ص: ٣٩٣ ـ ٣٩٤)، و«الفصل» لابن حزم (٣/ ١٠٥).

(١) في (و): «المكرر».

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (١٠/ ١٣٦) مادة: (م ك ر).

(٣) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٩٥).

فرُفِعَ عيسى من البيت، وخرج الرَّجل في شَبَهِه يخبرُهم أنَّ عيسى ليس في البيت، فقتلوه[١]، فهذا مكرُ الله[٢].

السُّدِّيُّ: قال عيسى لقومه: أيُّكم يأخذُ صورتي وله الجنّة؟ فأخذَها واحدٌ منهم، فأُخِذَ وصُلِبَ[٣].

المفضَّل: ودبَّروا ودبَّر الله، والمكرُ: ألطفُ التَّدبير[٤].

ابن عيسى: المكر قبيحٌ، وإنَّما جاز في صفة الله سبحانه على وجهِ[٥] مزاوجةِ الكلام، نحو: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ﴾ [البقرة: ١٩٤][٦].

قال: وهذا أحدُ وجوهِ البلاغة، وهي[٧] على أربعةِ أوجهٍ[٨]:

المزاوجِ: نحو هذا؛ يعني: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾، ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ﴾.

---

(١) في (ن): «فقتلوه وصلبوه».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤١٩).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٤٤٧)،

(٤) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ١٧٥).

(٥) «وجه» من (ن).

(٦) انظر: «النكت في إعجاز القرآن» للرماني (ص: ٩٩)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٣/ ١٧٥)، وقد تقدم القول في مزاوجة الكلام في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ﴾.

(٧) علَّق الرماني على هذه الآية في «النكت في إعجاز القرآن» (ص: ١٠٠) بقوله: «فجونس بالقلوب التقلب، والأصل واحد؛ فالقلوب تتقلب بالخواطر، والأبصار تتقلب في المناظر، والأصل التصرف».

(٨) ذكر الرماني الوجهَ الأول والثاني في «النكت في إعجاز القرآن» (ص: ٩٩ ـ ١٠٠)، وذكر المصنف نحو كلامه في «غرائب التفسير» (١/ ٢٠٤).

والمجانسِ: نحو قولِه: ﴿تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [النور: ٣٧][١].

والمطابقِ: نحو: ﴿مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ خَيْرًا﴾ [النحل: ٣٠] بالنَّصبِ؛ على مطابقةِ الجوابِ السُّؤالَ[٢].

والمقابلِ: نحو قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ ـ ٢٥][٣].

وذكر الثَّعلبيُّ أنَّ رجلًا سأل جُنيدًا فقال: كيف رضيَ الله سبحانه لنفسِه المكرَ وقد عابَ به غيرَه؟! فقال: ما[٤] أدري ما تقولُ، ولكنْ أنشدني فلانٌ الطَّبرانيُّ:

ويَقْبُحُ مِنْ سِواكَ الفِعْلُ عندي   وتَفعلُه فيحسُنُ مِنكَ ذاكا

---

(١) في (و): «وهو».

(٢) ذكر العسكري أن الناس قد أجمعوا على أنّ المطابقة فى الكلام هي الجمع بين الشيء وضدّه؛ مثل الجمع بين البياض والسواد، والليل والنهار، والحرّ والبرد، وخالفهم قدامة بن جعفر، فقال: «المطابقة إيراد لفظتين متشابهتين فى البناء والصيغة مختلفتين فى المعنى»، وقد وصفت المطابقة بأنها أحسن محاسن البديع، ولكن ليس في الآية التي مثَّل بها الرماني ما ذكره أهل البلاغة في المطابقة، ولكنا وجدنا أنَّ ابن رشيق نقل عن الرماني قوله: «المطابقة مساواة المقدار من غير زيادة ولا نقصان»، وقد استحسن ابن رشيق هذا التعريف، والحقيقة أن الآية التي مثَّل بها الرماني مناسبة لتعريفه للمطابقة. انظر: «قواعد الشعر» لثعلب (ص: ٦٠)، و«البديع» لابن المعتز (ص: ٢٧ و١٢٤)، و«نقد الشعر» لقدامة بن جعفر (ص: ٨٩)، و«المنصف» لابن وكيع (ص: ١٦٠)، و«الصناعتين» للعسكري (ص: ٣٠٧)، و«العمدة» لابن رشيق (٢/ ٦).

(٣) المقابلة هي إيراد كلام، ثم مقابلته بمثله فى المعنى واللفظ، وقد يكون على جهة الموافقة أو المخالفة. انظر: «نقد الشعر» لقدامة بن جعفر (ص: ٤٧)، و«الصناعتين» للعسكري (ص: ٣٣٧)، و«العمدة» لابن رشيق (٢/ ١٥).

(٤) في (ن): «لا».

قال: سألتُك عن آيةٍ من كتابِ الله فتخبرُني بشعرِ الطَّبرانيِّ[١]! فقال: قد أجبتُك إن كنتَ تعقلُ ذاك[٢].

﴿وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾: أفضلُ الـمُجازين.

* * *

(٥٥) ـ ﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوۡقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ﴾.

﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ البصريُّون: تقديرُه[٣]: إنِّي رافعُك ومطهِّرُك ومتوفِّيك بعد إنزالي إيّاك من السَّماء إلى الدُّنيا، والواوُ لا توجبُ التَّرتيب[٤].

الحسن والفرّاء: التَّوفِّي بمعنى القبض؛ أي: آخذك وافيًا من غير موتٍ[٥].

الرَّبيع: وفاة نومٍ؛ أنامَه اللهُ، ثم رفعَه إلى السَّماءِ في نومِه[٦].

وقيل: أماتَه الله سبعَ ساعاتٍ، ثم أحياه[٧]، فرفعَه إلى السَّماء.

---

(١) «قال: سألتك عن آية من كتاب الله فتخبرني بشعر الطبراني» من (ن).

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٨/ ٣٦٥)، و«البحر المحيط» (٣/ ١٧٥)، واسم الشاعر فيهما الظهراني، وقد ذكر المصنف هذه الحكاية في «غرائب التفسير» (١/ ٢٥٨ ـ ٢٥٩)، واستغربها.

(٣) «تقديره» من (ن).

(٤) انظر: «ارتشاف الضرب» لأبي حيان (٤/ ١٩٨١)، و«الجنى الداني» للمرادي (ص: ١٥٨).

(٥) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٤٠٧)، والطبري في «تفسيره» (٥/ ٤٤٨) عن الحسن، وذكره إمام الكوفيين الفراء وجهاً في «معاني القرآن» (١/ ٢١٩)، كما ذكر الوجه الأول الذي ذكره المصنِّف.

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٤٤٨)، وذكره النحاس في «معاني القرآن» (١/ ٤٠٩).

(٧) في (و): «أحياه الله».

والصَّحيحُ أنَّه رُفِعَ إلى السَّماء، ثم ينزلُ فيموت[١].

﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾؛ أي: إلى محلِّ كرامتي، كقوله: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ [الصافات: ٩٩].

وقيل: رافعُك إلى جنَّتي.

وقيل: أرفعُ درجتَك وذِكْرَك، من قوله: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤].

﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: مخلِّصُك منهم.

وقيل: أمنعُك من أن ينالوك بقتلٍ أو أذى. وقيل: مخرجُك منهم. وقيل: نُفرِّقُ بينك وبينهم. والكلُّ واحدٌ.

﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ﴾: سلكوا منهاجَك، وهم النَّصارى.

وقيل: هم أمّةُ محمَّدٍ ﷺ.

﴿فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾: هم اليهود.

وقيل: اليهود والمشركون.

وفوقَهم؛ أي: في الحُجّة.

وقيل: في البَسْطة؛ لا يكونُ لليهودِ مملكةٌ كما للمسلمينَ والرُّوم[٢].

﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ في الآخرة، ﴿فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ من الدِّينِ وأمرِ عيسى عليه السَّلام.

* * *

(١) وهو الذي رجحه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٤٥٠).

(٢) وُفِّق المصنِّف في تضعيف هذا القول؛ فقد صار لليهود دولة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(٥٦ ـ ٥٨) ـ ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْآيَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴾.

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: خبرُ عيسى وأمِّه ﴿نَتْلُوهُ عَلَيْكَ﴾: نقصُّه عليك ﴿مِنَ ٱلْآيَٰتِ﴾: من علاماتِ نبوَّتِك.

﴿وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ﴾: القرآن المحكم.

وقيل: اللَّوح المحفوظ.

﴿ذَٰلِكَ﴾: مبتدأٌ، ﴿مِنَ ٱلْآيَٰتِ﴾: خبرُه، و﴿نَتْلُوهُ عَلَيْكَ﴾: حالٌ، ومَن أجازَ وصلَ الإشاراتِ جعلَه صلةً(١).

* * *

(٥٩) ـ ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾.

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ﴾ سببُ(٢) النُّزولِ: أنَّ وفدَ نجرانَ قالُوا لرسول الله ﷺ: ما لكَ تشتمُ صاحبَنا؟ قال: «وما أقولُ؟» قالوا: تقولُ: إنَّه عبدُه، قال: «أجل، هو عبدُ اللهِ ورسولُه، وكلمتُه ألقاها إلى العذراءِ البتولِ»، فغضبُوا وقالوا: هل رأيتَ

(١) أجاز الزجاج والزمخشري أن تكون (ذلك) بمعنى (الذي)، و(نتلوه) صلة لها. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٢١)، و«الكشاف» للزمخشري (١/ ٣٦٧)، و«الدر المصون» للسمين الحلبي (٣/ ٢١٧).

(٢) في (ن): «في سبب».

إنسـانًا قـطُّ مـن غيرِ أبٍ؟ فـإنْ كنتَ صادقًـا فأرنا مثلَـه، فأنزلَ الله هـذه الآية[١].

والمعنى: أنَّ مثلَ خلقِ عيسى عندَ الله من غيرِ أبٍ كمثلِ آدمَ خُلِق من غيرِ أبٍ، بل الأعجوبةُ فيه أكثرُ؛ لأنَّه خُلِقَ من غيرِ أبٍ ولا أمٍّ.

﴿خَلَقَهُۥ﴾؛ أي: خلقَ آدمَ ﴿مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن﴾: (ثم) مع الجملةِ قد يدلُّ على التَّقديم[٢].

وقيل: التَّراخي هاهنا في الإخبار[٣].

ومعنى ﴿خَلَقَهُۥ﴾: قدَّره، ﴿ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن﴾؛ أي: ثم كوَّنه[٤].

وقيل: ثمَّ قال لعيسى: كن[٥].

﴿فَيَكُونُ﴾؛ أي: فكان.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٤٦٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٦٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وروي عن غيره أيضًا انظر: «العجاب» لابن حجر (٢/ ٦٨٢).

(٢) مذهب الجمهور أنَّ (ثم) تدلُّ على الترتيب والتراخي، وقد ذهب الفراء والأخفش وقطرب، وتبعهم المصنِّف إلى أنَّ هذا الترتيب والتراخي ليس بلازم، وأنها قد تفيد التقديم، ولا تدل على الترتيب، وقد ذكر ذلك المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٦٠)، وانظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٤١٥)، و«المقاصد الشافية» للشاطبي (٥/ ٨٧).

(٣) هذا الوجه ليس بمستقل عن الوجه الأول، وهو حجة الفراء عليه، وقد حاد عنه الزجاج وأنكره ابن عصفور. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٩٦) و(٢/ ٤١٥)، وللزجاج (٤/ ٣٤٥)، و«الجنى الداني» للمرادي (ص: ٤٢٧).

(٤) ذكر هذا الوجه الرازي نقلًا عن أبي مسلم الأصفهاني. انظر: «مفاتيح الغيب» للرازي (٨/ ٢٤٤).

(٥) «ثم مع الجملة قد يدل على التقديم، وقيل: التراخي هاهنا في الأخبار ومعنى خلقه قدره ثم قال له كن أي ثم كونه وقيل: ثم قال لعيسى كن» من (ن). وقد ذكر هذا الوجه الواحدي في «البسيط» (٥/ ٣١٦)، وارتضاه، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٦٠)، واستغربه.

(٦٠) ـ ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾.

﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾؛ أي: ذلك الخبرُ في أمرِ عيسى الحقُّ من ربِّك.

﴿فَلَا تَكُن﴾ أيُّها[1] السّامعُ ﴿مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾: الشّاكِّين في أمر عيسى.

وقيل: الخطابُ للنَّبيِّ عليه السَّلام، والمرادُ به غيرُه.

والامتراءُ: الشَّكُّ، وكذلك (المِرْيةُ)، وأصلُه من (مَرَيْتَ الضَّرعَ)؛ إذا استخرجْتَ اللَّبنَ منه.

***

(٦١) ـ ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾.

﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ﴾: في عيسى.

وقيل: في الحقِّ.

﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾: من الوحيِ والقرآنِ في شأنِ عيسى عليه السّلام.

﴿فَقُلْ تَعَالَوْا۟﴾: هلمُّوا.

تعالَيْتُ أتعالى، وأصله: المجيء إلى ارتفاعٍ من العلوِّ، إلّا أنَّه كَثُر حتى صارَ لكلِّ مجيءٍ[2].

والمخاطبون هم وفدُ نجران.

وقيل: العاقبُ والسَّيِّدُ؛ دعاهما إلى المباهلة، فوعداه أن يغادياه بالغداة، فغدا

---

(١) في (ن): «أي».

(٢) انظر: «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (ص: ٢٩٤)، و«الصاحبي في فقه اللغة» لابن فارس (ص: ١٠٥).

رسول الله ﷺ فأخذَ بيدِ عليٍّ والحسن والحسين وفاطمة رضي الله عنهم، ثم أرسل إليهم(١)، فأبَيا أن يُجيبا، فأقرّا(٢) له بالخراج، فقال رسول الله ﷺ: «والذي بعثَني بالحقِّ لو فَعلا لَمُطِرَ الوادي نارًا»، قال جابرٌ رضي الله عنه: ونزلَت فيهم هذه الآية(٣).

﴿نَدْعُ أَبْنَآءَنَا﴾: الحسنَ والحسينَ ﴿وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا﴾: فاطمةَ ﴿وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا﴾: عليٌّ ﴿وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾: ندعو بالهلاكِ على الكاذبين.

وقيل: الابتهالُ: الالتعانُ.

﴿فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ﴾: هي الإبعادُ عن رحمتِه.

﴿عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾: الكافرين.

* * *

(٦٢) - ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾؛ أي: الذي أوحينا إليك ﴿لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾: الخبرُ الصِّدقُ.

والقَصصُ: الخبرُ الذي تتابعُ فيه المعاني، وأصلُه: اتِّباعُ الأثَر.

قال ابن بحر: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ﴾ متَّصلٌ بالكاذبين، قال: وكسر (إن) لمكان اللّام(٤).

---

(١) في (ن): «إليهما».

(٢) في (ن): «وأقرا».

(٣) رواه الحاكم في «المستدرك» (٤١٥٧) وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي، ورواه الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٠٥)، واللفظ له، وروى أصل قصة الملاعنة البخاري (٤٣٨٠) عن حذيفة رضي الله عنه.

(٤) انظر: «التفسير الكبير» للرازي (٨/ ٢٥٠).

والذي ذكره صحيحٌ من حيث المعنى فاسدٌ من حيث اللَّفظ؛ لأنَّ التَّأويلَ الذي ذهبَ إليه يقتضي (المكذِّبين) لا (الكاذبين).

﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾ لا شريكَ معه ولا ولدَ.

﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ في نقمتِه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في تدبيرِه.

* * *

(٦٣) ـ ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾.

﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾: أعرضوا ولم يقبلوا، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ دينَه وعبادَه، فيجازيهم عليه.

* * *

(٦٤) ـ ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ الحسنُ والسُّدِّيُّ وابنُ زيد: نصارى نجران(١).

قتادةُ والرَّبيعُ: يهود المدينة(٢).

وقيل: نزلَ في الفريقين(٣).

﴿تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ عَدْلٍ ونَصَفٍ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٤٧٥) عن السدي وابن زيد ومحمد بن جعفر بن الزبير. وذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ١٩٣) عن الحسن والسدي وابن زيد.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٤٧٤).

(٣) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٢٩٠) عن الحسن.

ابن عيسى: كلمةٍ مستويةٍ؛ أي: مستقيمة[١].

الزَّجّاج: مصدرُ (استوى) استواءً وسواءً[٢].

والأحسنُ أن يُقالَ: مصدرُ فعلٍ مرفوضٍ كالسَّقمِ والقِسطِ[٣].

ومعنى (كلمةٍ): كلامٌ فيه شرحٌ وقصةٌ وإن طال.

وقيل: المرادُ به التَّوحيدُ، ففسَّرَها بقولِه: ﴿أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـًٔا﴾؛ لأنَّ الشِّركَ لازمٌ للنَّصارى بما وصفوا به عيسى، ولازمٌ لليهودِ أيضًا[٤] بما وصفوا به عُزيرًا.

﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: لا نُطيعهم في التَّحليلِ والتَّحريمِ طاعةً كطاعةِ الله؛ لأنَّ تديُّنَهم بما أمروهم به اتِّخاذُهم إيّاهم أربابًا.

وقيل: ذلك إشارةٌ إلى[٥] اتِّخاذ النَّصارى عيسى ابنَ الله، واليهودِ عزيرَ ابنَ الله.

﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾؛ أي: لم يجيبوك إلى ما دعوتَهم إليه، ﴿فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾؛ أي: قابلوا إعراضَهم عن الحقِّ بخلافِه، وتجديدِ الإقرارِ به عندَ صدِّهم.

* * *

(١) فـ(سواء) جامد مؤوَّل بمشتق على هذا الرأي، وقد نسب الطبري هذا القول إلى بعض نحاة البصرة. انظر: «تفسير الطبري» (٥/ ٤٧٥).

(٢) فهو يرى أنَّ هذا من باب الوصف بالمصدر؛ أي: كلمة ذات سواء. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٢٥).

(٣) فهو مصدرٌ استُعمِل، ولم يُشتَقَّ منه فعلٌ.

(٤) «أيضًا» من (ن).

(٥) «إلى»: ليس في (ن).

(٦٥) - ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾.

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ ابن عبّاسٍ والحسن والسُّدِّيُّ وقتادة قالوا: اجتمعت أحبارُ يهود ونصارى نجران عند رسول الله ﷺ، فتنازعوا في إبراهيمَ عليه السّلام، فقالت اليهودُ: ما كان إلّا يهوديًّا، وقالت النَّصارى: ما كان إلا نصرانيًّا، فأُنزِلَت هذه الآية[1].

والمعنى: لم تحاجُّون في شريعةِ إبراهيمَ ﴿وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ﴾: بعد موتِه، فكيف تنسبونه إلى ما كان بعدَه بالزَّمانِ الطَّويل؟!

﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ فسادَ هذه الدَّعوى، وقد ظهرَ فسادُه بالمناقضة.

***

(٦٦) - ﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾.

﴿هَٰٓأَنتُمۡ﴾ أراد: آ أنتم، فقُلبَت الهمزةُ هاءً[2].

وقيل: هو (ها) دخلت على محذوفٍ[3].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٤٨١) عن ابن عباس وقتادة، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٧١) عن السدي، وعزاه ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٢٩١) إلى ابن عباس والحسن والسدي.

(٢) ذكره ابن خالويه، وهو منسوب للأخفش. انظر: «ليس في كلام العرب» (ص: ٣٦٦)، و«الحجة» لأبي علي (٣/ ٤٦)، و«الكشاف» للزمخشري (١/ ٣٧١).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٦١)، واستغربه.

وقيل: دخلَت على الجملةِ، كقولِه: هلمَّ[١].

﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾: عطف بيانٍ، ﴿حَٰجَجۡتُمۡ﴾: خبره[٢].

وقيل: هؤلاء بمعنى (الذين)[٣].

وقيل: يا هؤلاء، وهو بعيدٌ[٤].

﴿حَٰجَجۡتُمۡ﴾: جادلتم.

﴿فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٌ﴾ يعني: ملّةَ موسى وعيسى.

﴿فَلِمَ تُحَآجُّونَ﴾: تجادلون ﴿فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٌ﴾ وهو: ادِّعاؤكم أنَّ إبراهيمَ عليه السّلام على ملَّتِكم، وأنتم كاذبون؛ لأنَّه كان حنيفًا مسلمًا؛ يستقبلُ القِبلةَ[٥]، ويحجُّ إليها، ويضحِّي، ويختتن.

﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ﴾ شأنَ إبراهيمَ ﴿وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾.

و(لم) أصله (لما)، فحُذف الألف فرقًا بين السُّؤال والخبر[٦].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٦١)، واستغربه. وقال الفراء في «معاني القرآن» (١/ ٢٣١): «العرب إذا جاءت إلى اسمٍ مَكنيٍّ قد وُصِفَ بـ(هذا) و(هذان) و(هؤلاء)، فَرَّقوا بينَ (ها) وبين (ذا) وجعلوا المَكنِيَّ بينهما، وذلك في جهة التقريب لا في غيرها، فيقولون: أين أنت؟ فيقول القائلُ: ها أنا ذا، ولا يكادون يقولون: هذا أنا... وربَّما أعادوا (ها) فوصلوها بـ(ذا) و(ذان) و(أولاء)، فيقولون: (ها أنت هذا)، و(ها أنتم هؤلاء)».

(٢) أي: خبر ﴿أَنتُمۡ﴾ لأنه في محل رفع مبتدأ، كما ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٦١).

(٣) ذكره الزمخشري في «الكشاف» (١/ ٣٧١).

(٤) وإنما يتجه على مذهب الكوفيين. انظر: «الدر المصون» للسمين الحلبي (٣/ ٢٤١).

(٥) في (ن): «يستقبل الكعبة».

(٦) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ٢٧٦).

ثم بيَّنَ شأنَ إبراهيمَ فقال:

(٦٧) - ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٦٧ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾؛ أي: هو منزَّهٌ عمّا عليه اليهودُ والنَّصارى من الشِّرك.

﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ ﴾: أحقُّهم بموالاتِه ﴿لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ ﴾: أطاعوه في زمانِه واتَّبعوه بعدَ وفاتِه، ﴿وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ ﴾: محمَّدٌ عليه السّلام، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾؛ أي: المؤمنون، ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾: ناصرُهم ومُعينُهم.

* * *

(٦٩) - ﴿ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾.

﴿ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ ﴾ نزلَت في معاذِ بنِ جبلٍ وحذيفةَ بنِ اليمانِ وعمّارِ بنِ ياسرٍ رضي الله عنهم حين دعاهم اليهودُ إلى دينِهم[1].

أي: تمنَّى طائفةٌ من اليهود، وهم علماؤُهم.

والطّائفةُ: الجماعةُ، مشتقّةٌ من (طافَ بكذا)؛ إذا دارَ حولَه.

﴿لَوْ يُضِلُّونَكُمْ ﴾: إضلالَكم لو قبلتُم ما يشكِّكونكم فيه.

﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ﴾ لأنَّ الوبالَ يعودُ عليهم بتمنِّيهم إضلالَ المؤمنين.

﴿وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾: وهم لا يشعرون أنَّهم لا يحصلون إلّا على إثمٍ.

* * *

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٤٠٨)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٠٩).

(٧٠) ـ ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ﴾.

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ قتادةُ والسُّدِّيُّ والرَّبيعُ: أي: بالآيات التي فيها صفةُ محمَّدٍ ﷺ ونعتُه من التَّوراة(١).

﴿وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ﴾ بصحَّتِه إذا خلوتُم.

* * *

(٧١) ـ ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾.

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ﴾: تخلِطُون، وقيل: تغشُّون ﴿ٱلۡحَقَّ﴾ الذي تجدونَه في كتبِكم من صفةِ محمَّدٍ ﷺ والبشارةِ به ﴿بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ الذي تكتبونَه بأيديكم، وتحريفِ التَّوارةِ والإنجيل.

وقيل: بإظهارِ الإسلامِ، وإبطانِ اليهوديّةِ أو النّصرانيّة.

وقيل: بالإيمانِ بموسى وعيسى، والكفرِ بمحمَّد ﷺ.

﴿وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ﴾: وغرضُكم كتمانُ الحقِّ.

وأجاز الفرّاءُ والزّجّاجُ الرَّفعَ والنَّصبَ في (تكتمون) من حيثُ العربيّةُ(٢)، وأنكرَه أبو عليٍّ وقال: الاستفهامُ وقعَ على اللَّبسِ فحسبُ، وأمّا (تكتمون) فخبرٌ حتمٌ، لا يجوزُ فيه إلّا الرفع(٣).

﴿وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ أنّه حقٌّ.

* * *

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٤٩١ ـ ٤٩٢).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٢١)، و«معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٢٨).

(٣) نقله عنه أبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ٢٠٨)، والسمين الحلبي في «الدر المصون» (٣/ ٢٤٥).

(٧٢) ـ ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴾.

﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴾ قال السُّدِّيُّ والحسنُ: تواطأ اثنا عشر حبرًا من يهود خيبر وقرى عرينة وقال بعضهم لبعضٍ: ادخلوا في دين محمَّدٍ أوَّلَ النَّهارِ باللّسانِ دونَ الاعتقاد، واكفروا آخرَ النَّهار، وقولوا: إنّا نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءَنا فوجدنا محمَّدًا ليس بذلك، وظهرَ لنا كذبُه وبطلانُ دينِه، فإذا فعلتم ذلك شكَّ أصحابُ رسول الله ﷺ(١)، وقالوا: إنَّهم أهلُ كتابٍ، وهم أعلمُ به منّا، ويرجعون عن دينهم إلى دينكم، فأنزل الله هذه الآية، وأخبرَ به نبيَّه والمؤمنين(٢).

مجاهدٌ ومقاتلٌ والكلبيُّ: هذا في شأنِ الكعبة، قال كعبُ بنُ الأشرفِ لأصحابه: آمنوا بالكعبة، وصلُّوا إليها أوَّلَ النَّهارِ، واكفروا بها آخرَ النّهار، وصلّوا إلى الصَّخرة، لعلَّهم يرجعون، فأخبرَ الله نبيَّه به(٣).

وقيل: أظهروا الإيمانَ في صدرِ النَّهارِ كما سلفَ منكم(٤) من الإقرارِ بصفتِه، وارجعوا في آخرِه؛ لتوهموهم أنَّه كان وقعَ عليكم غلطٌ في صفتِه.

---

(١) في (ن): «شك أصحابه».

(٢) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٠٩) عنهما، ورواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٤٩٦) وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٢٥٤) عن السدي.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٤١١) والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٠٩) عن مجاهد ومقاتل والكلبيِّ، وانظر: قول مقاتل في «تفسيره» (١/ ٢٨٤)، وقول مجاهد في «تفسير الطبري» (٥/ ٤٩٧).

(٤) في (و): «لكم».

وسمِّي أوَّلُ النَّهارِ وجهَه؛ لأنَّه أوَّلُ ما يُواجَهُ منه، وكذلك وجهُ الثَّوب.

وقيل: لأنَّه أعلاه وأشرفُ ما فيه.

***

(٧٣) ـ ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٞ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾.

﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ قتادةُ والسُّدِّيُّ: هو من كلامِ اليهودِ بعضِهم لبعضٍ[1].

الحسنُ: قالت يهودُ خيبرَ ليهودِ المدينة[2].

ومعنى: (لا تؤمنوا): لا تصدِّقوا ﴿إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ اليهوديّةَ، ويوافق[3] ملَّتكم، ويصلِّي إلى قبلتكم، فتكونُ اللّامُ زائدةً، كقوله: ﴿رَدِفَ لَكُم﴾ [النمل: ٧٢].

وقيل: معناه: لا تعترفوا إلّا لمن تبعَ دينكم، فيلزمكم العملُ بدينِه.

﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾: التَّوفيقُ توفيقُ الله، والبيانُ بيانُ الله.

وجُلُّ[4] المفسِّرين على أنَّه اعتراضٌ بينَ الفاعلِ والمفعول، والتقديرُ: ولا تؤمنوا ﴿إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٞ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ﴾ إلّا لمن تبعَ دينكم، والمعنى: ولا تؤمنوا أن يُؤتَى النُّبوّةَ أحدٌ إلّا مَن اتَّبعَ التَّوراة.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٠٠) عن قتادة والسدي، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٨١) عن السدي.

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٤٠١)، وابن عطية في «تفسيره» (١/ ٤٥٣).

(٣) في (ن): «ولا تؤمنوا إلا لمن يوافق».

(٤) في (ن): «وحمل».

الزَّجّاجُ: لا تصدِّقوا أن يُعطى أحدٌ من علمِ النُّبوّةِ[١] ما أعطيتم[٢].

وقيل: لا تقِرُّوا بنبوّةِ محمَّدٍ ومحاجَّتهم إيّاكم عندَ ربِّكم إلّا لـمَن على دينِكم؛ كي لا يكونَ ذلك طريقًا لإيمانِ المشركين به.

السُّدِّيُّ: تمَّ الكلامُ عند قوله: ﴿لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾، ثم استأنفَ فقال: ﴿إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ﴾؛ أي: لا يُؤتى أحدٌ[٣] مثل ما أوتيتم، ﴿أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ﴾[٤]؛ فيكونُ الخطابُ للمؤمنين.

وإضمارُ (لا) أو جَعْلُ (أن) بمعنى (لا) يَبعدُ عند البصريِّين[٥]، بل التَّقدير: الهدى هدى الله خُصصتم به كراهةَ أن يُؤتَى أحدٌ مثلَ ما أوتيتم.

وقيل: وعلى هذا الوجهِ يصلحُ أن يكونَ خطابًا لليهودِ أيضًا؛ أي: لا تنكروا أن يُؤتى أحدٌ مثلَ ما أوتيتم[٦]، فيكونَ لهم الحجّةُ عليكم؛ إذا[٧] لم تتَّبعوهم.

---

(١) في (و): «النبي».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٣٠).

(٣) «أي لا يؤتى أحد»: ليس في (ن).

(٤) هذا معنى مستفاد من كلام السدي كما رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٠٢)، ولفظه: «قال الله عز وجل لمحمد ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ﴾، يقول: مثل ما أوتيتم يا أمة محمد».

(٥) وقد استغربه المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٦٢).

(٦) «وقيل: وعلى هذا الوجه يصلح أن يكون خطابًا لليهود أيضًا؛ أي: لا تنكروا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم» من (ن).

(٧) في (و): «إذ».

الكسائيُّ والفرّاءُ: ﴿أَوۡ يُحَآجُّوكُمۡ﴾[١] معناه: حتى[٢] يحاجُّوكم على التَّبعيد، كما تقول: لا أفارقك أو تعطيني حقِّي[٣].

الضَّحّاكُ: يجوزُ أن يكونَ من قوله: ﴿وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمۡ﴾ إلى آخر الآية خطابٌ للمؤمنين[٤]، والله أعلم.

﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ﴾: النُّبوّةَ والهدايةَ ﴿بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ الشَّريعةِ ﴿عَلِيمٌ﴾ بأهلِها.

***

(٧٤) - ﴿يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾.

﴿يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ الحسنُ في جماعةٍ: النُّبوّة[٥].

وقيل: القرآن والإسلام.

---

(١) في (و): «ويحاجوكم».

(٢) «حتى» من (ن).

(٣) ذكر نحوه الفراء في «معاني القرآن» (١/ ٢٢٣)، ورواه ابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٢٥٣) عن الكسائي والفراء، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٤٠٢)، والراغب الأصفهاني في «تفسيره» (٢/ ٦٤٥)، وعبارة الفراء: «وقوله: ﴿أَوۡ يُحَآجُّوكُمۡ عِندَ رَبِّكُمۡ﴾ في معنى: حتى، وفي معنى: إلا، كما تقول في الكلام: تعلق به أبدًا أو يعطيك حقك، فتصلح (حتى) و(إلا) في موضع (أو)».

(٤) ذكر هذا الكلام الثعلبي، وذكر أنه يمكن أن يُستدلَّ عليه بقول الضحاك: «إن اليهود قالوا: إنا لنحاجُّ عند ربنا من خالفنا في ديننا. فبيَّن الله تعالى أنهم هم المدحضون المغلوبون، وأن المؤمنين هم الغالبون». انظر: «تفسير الثعلبي» (٨/ ٤١٥)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٥٧).

(٥) ذكره الواحدي في «البسيط» (٥/ ٣٥٩)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٠٧) عن مجاهد والربيع، وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٨٣) عن الحسن قال: «رحمته: الإسلام؛ يختص به من يشاء».

والاختصاصُ: انفرادُ بعضِ الأشياءِ بمعنى دونَ غيره[١].

﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾.

***

(٧٥) - ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾؛ أي: من اليهودِ ﴿مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ﴾ يعني: عبدَ اللهِ بنَ سلامٍ والمؤمنين، والباءُ و(على) تتعاقبانِ في هذا المعنى.

﴿يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ﴾ يعني: فنحاصَ بنَ عازوراء وأضرابَه.

ذكر اختلافَ أحوالِهم في الأمانة[٢].

﴿إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا﴾ استثناءٌ منقطعٌ؛ أي: لكن إنْ لزمْتَه متقاضيًا به.

قتادةُ ومجاهدٌ: ﴿دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا﴾ بالتَّقاضي والمطالبةِ[٣].

السُّدِّيُّ: ﴿دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا﴾ بالاجتماع معه والملازمة له[٤].

---

(١) «الحسن في جماعة النبوة وقيل القرآن والإسلام والاختصاص انفراد بعض الأشياء بمعنى دون غيره» من (ن).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٤٢٢)، والواحدي في «البسيط» (٥/ ٣٦١).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٠٩)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٢٦٠).

(٤) ذكره الواحدي في «البسيط» (٥/ ٣٦٧)، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٠٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٨٣).

﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: الاستحلالُ وتركُ الأمانةِ ﴿بِأَنَّهُمْ﴾: بسببِ أنَّهم ﴿قَالُوا۟﴾: اعتقدوا، وقيل: زعموا: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ﴾ يعني: العرب ﴿سَبِيلٌ﴾: طريقٌ؛ أي[1]: فيما أصبنا من أموالِهم؛ أي: قاسوا الأمانةَ على ما أصابُوا من مالِهم عن حربٍ.

قتادةُ والسُّدِّيُّ: أي: لأنَّهم مشركون[2].

الحسنُ وابنُ جريجٍ: لأنَّهم تحوَّلوا عن دينِهم الذي عاملناهم عليه[3].

﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ لأنَّهم زعموا أنَّ ذلك[4] في كتابِهم وليس فيه؛ لأنَّ الأمانةَ مؤدّاةٌ في جميعِ الأديان.

﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: أنَّهم كاذبون، والكذبُ من العالِمِ أشنعُ منه منَ الجاهل.

* * *

(٧٦) ـ ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿بَلَىٰ﴾؛ أي: ليس كما قلتُم، فلهم عليكم سبيلٌ، ثم استأنفَ فقال: ﴿مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ﴾: أدَّى أمانتَه، وقيل: ما عُهِدَ إليه[5] في التَّوراة، ﴿وَٱتَّقَىٰ﴾ الخيانةَ والمعاصيَ والشِّركَ، وآمنَ بمحمَّدٍ عليه السّلام، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾: المؤمنين.

والهاءُ في ﴿بِعَهْدِهِۦ﴾ تعود إلى الله، ويجوزُ أن تعودَ إلى ﴿مَنْ﴾.

---

(١) «أي»: ليس في (ن).

(٢) روى نحوه عبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٣٩٨)، والطبري في «تفسيره» (٥/ ٥١١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٨٥).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٤٠٣) عن الحسن وابن جريج، وذكره الواحدي في «البسيط» (٥/ ٣٦٩) عنهما وعن مقاتل، ورواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥١٢) وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٨٤) عن ابن جريج.

(٤) في (و): «ذلك قال».

(٥) في (ن): «إليهم».

(٧٧) ـ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ﴾ عن الأشعثِ بنِ قيسٍ قال: فيَّ نزلَت هذه الآية، كان بيني وبين رجلٍ من اليهودِ أرضٌ فجحدَني، فقدَّمته إلى النَّبيِّ ﷺ فقال: «ألك بيِّنةٌ؟» قلتُ: لا، فقال لليهوديِّ: «احلف» فقلْتُ: يا رسولَ الله، إذًا يحلفُ ويذهبُ بمالي، فقال عليه السّلام: «مَنْ حَلفَ على يَـمينٍ هوَ فيها فاجرٌ ليقتطعَ بها مالًا لقيَ الله وهو عليه غضبانُ»، فأنزلَ اللهُ هذه الآية[١].

وعن عبدِ اللهِ بنِ أبي أوفى قال: إنَّ رجلًا أقامَ سِلعةً في السُّوق، فحلفَ لقد أُعطِي بها ما لم يُعطَه؛ ليوقعَ فيها رجلًا منَ المسلمين، فنزلَت هذه الآية[٢].

عكرمةُ: نزلَت في أبي رافعٍ ولبابةَ[٣] بنِ أبي الحُقيقِ وحييِّ بنِ أخطبَ وغيرِهم من رؤوسِ[٤] اليهود، كتمُوا ما عهدَ الله[٥] إليهم في التَّوراةِ في شأنِ محمَّدٍ عليه الصَّلاة والسَّلام، وبدَّلوه وكتبُوا بأيديهم غيرَه، وحلفُوا أنَّه من عند الله؛ لئلّا تفوتهم الرِّشا والمآكلُ التي كانَت لهم على أتباعِهم[٦].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ ﴾: لا نصيبَ لهم.

---

(١) رواه البخاري (٢٤١٦)، ومسلم (١٣٨)، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٤٥٥١)، وانظر: «عمدة القاري» للعيني (١٨/ ١٤١).

(٣) كذا في النسخ الخطية، وإنما هو: كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، وقد يقال له: كنانة بن أبي الحقيق. انظر: «تفسير الطبري» (٢/ ٦١٨) و(٥/ ٥١٦).

(٤) في (ن): «رؤساء».

(٥) اسم الجلالة: «الله» من (ن).

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٤٣٨)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١١٢).

وقولُه: ﴿بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: ما عَهِدَ إليهم في شأنِ محمَّدٍ ﷺ.

وقيل: اليمينُ بالله.

وقيل: النَّذرُ والوعد[1].

﴿وَأَيْمَٰنِهِمْ﴾؛ أي: الكاذبةِ عندَ الحُكّام وغيرِهم.

﴿ثَمَنًا﴾: ذا ثمنٍ، وقد سبقَ.

﴿قَلِيلًا﴾: يسيرًا ينقطعُ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ﴾ والخَلاقُ: النَّصيبُ، من قولِه: (خلقْتُ الثَّوبَ)؛ أي: قدَّرتُه[2].

﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ كلامًا يَسرُّهم.

وقيل: كنايةٌ عن الغضب[3].

﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ نظرَ عطفٍ ورحمةٍ.

﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾: ولا يطهِّرُهم من ذنوبِهم.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مؤلِم دائمٌ.

---

(١) «الوعد» من (ن). وانظر: «النكت والعيون» للماوردي (٢/ ١٨٨).

(٢) ذهب ابن الأنباري والسجستاني من اللغويين وأبو عبد الله البصري والقاضي عبد الجبار وغيرهم من المعتزلة إلى أنَّ الخلق بمعنى التقدير، والظاهر أن المصنِّف يأخذ بهذا المعنى في بعض المواضع، وذهب الأكثرون إلى أنه بمعنى الإيجاد والإنشاء، وجمع الزمخشري بين المعنيين، فقال: «الخلق: إيجاد الشيء على تقدير واستواء». انظر: «غريب الحديث» للسجستاني (ص: ١٣٧)، و«معجم الفروق اللغوية» (ص: ٢٢٤)، و«الكشاف» للزمخشري (١/ ٩١)، و«مفاتيح الغيب» للرازي (٢/ ٣٣١).

(٣) ذكر نحوه الزجاج في «معاني القرآن» (١/ ٤٣٤)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ١٩٣)، واستغربه، ونسبه أبو حيان لابن بحر في «البحر المحيط» (٣/ ٢٢٦).

(٧٨) ـ ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ﴾: من أهلِ الكتابِ ﴿لَفَرِيقًا﴾: لجماعةً.

وسُمِّيت فريقًا لمفارقتِها جمهورَ النّاس.

﴿يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ﴾ ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: يزيدون في كتابِ اللهِ ما ليس منه[١].

قتادةُ: حرَّفوه وابتدعوا فيه[٢].

ابنُ جريرٍ: هو التَّشدُّقُ والتَّعمُّقُ للتَّشبُّهِ[٣] بالكتابِ المنزَّل، والمعنى: يقصدون تفخيمَ الألفاظِ وتضجيعَ بعضِ الحروفِ[٤] ومدَّ بعضِها؛ ليُخالَ أنَّها من كلامِ الله، من (اللَّيِّ)، وهو الفَتْلُ[٥].

المفضَّلُ: لَوى لسانَه: غيَّره، ولَواه[٦] عن رأيِه: أمالَه، ولَوى دَيْنَه ليًّا وليانًا: مطَلَه[٧].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٢٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٨٩).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٢٢)، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٨٩).

(٣) في (ن): «لتشبه».

(٤) أي: التقصير في أدائها وتمريضها؛ لتشتبه بغيرها. انظر: «الصحاح» للجوهري (٣/ ١٢٤٨) مادة: (ض ج ع).

(٥) ذهب ابن جرير إلى أن (يلوون) هنا بمعنى يحرِّفون، وذكر أن أصل (اللَّيِّ): الفتل. انظر: «تفسير الطبري» (٥/ ٥٢١ ـ ٥٢٣).

(٦) في (و): «ورواه».

(٧) لم أقف على قول المفضل، أما المعاني اللغوية لـ(اللي) فانظرها في: «معاني القرآن» للنحاس =

﴿لِتَحْسَبُوهُ﴾ تعودُ إلى (الكتاب) الأوَّل، وهو ما افتروه.

﴿مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: من التَّوراةِ، ﴿وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ بتحريفِ كتابه، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنَّهم كاذبون.

***

(٧٩) ـ ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾.

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾ قال الضَّحّاكُ ومقاتلٌ: نزلَت في نصارى نجران حين عبدوا عيسى[(١)].

و(بشر) يعني به: عيسى عليه السلام[(٢)].

﴿أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ﴾: الإنجيل.

وقال ابن عبّاسٍ في رواية الكلبيِّ وعطاء: إنَّ أبا رافعٍ اليهوديَّ والرئيسَ من نصارى نجران قالا: يا محمَّد، أتريدُ أن نعبدَك ونتَّخذَك ربًّا؟ فقال ﷺ: «معاذَ الله أن نعبدَ غيرَ الله أو نأمرَ بعبادةِ غيرِ الله، ما بذلك بعثَني ولا بذلكَ أمرني»، فأنزلَ الله هذه الآية[(٣)].

= (٢/ ٢١٤)، و«تهذيب اللغة» للأزهري (١٥/ ٣١٩) مادة: (ل و ى)، و«تفسير الثعلبي» (٨/ ٤٥٤).

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٤٥٦)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١١٢)، لكن لم يذكر في «تفسير مقاتل» (١/ ٢٨٦) أن الآية نزلت في نصارى نجران، وانظر: «العجاب» لابن حجر (٢/ ٧٠٦).

(٢) «وبشر يعني به عيسى عليه السلام» من (ن).

(٣) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١١٣)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٤٥٦) عن ابن عباس وعطاء. ورواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٢٤)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٣٨٤) من طريق محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وعن الحسن قال: بلغني أنَّ رجلًا قال: يا رسولَ الله، أنسلِّمُ عليك كما يسلِّمُ بعضُنا على بعضٍ أو نسجدُ لك؟ قال: «لا ينبغي أن يسجدَ لأحدٍ من[1] دونِ الله، ولكن أكرمُوا نبيَّكم واعرفُوا الحقَّ لأهلِه» فأنزل الله: ﴿مَاكَانَ لِبَشَرٍ﴾[2].

لأحدٍ من الخلقِ ـ والبشرُ: النّاسُ، تقعُ على الواحدِ وعلى الجمعِ ـ أن يؤتيه الله[3] الكتاب ﴿وَٱلْحُكْمَ﴾ أي: الحكمةَ، وقيل: فصلَ القضاء.

﴿وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: لا يكونُ لمن أُعطِيَ هذه المنزلةَ والدَّرجةَ ـ ولا درجةً أعلى منها ـ أن يدعوَ إلى عبادتِه دونَ الله، فكيفَ لغيرِه؟

﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ﴾؛ أي: ولكن يقولُ: كونوا ربّانيِّين.

عليٌّ وابنُ عبّاسٍ والحسنُ رضي الله عنهم في جماعةٍ: علماء فقهاء يُؤخَذُ عنكم[4] العلم[5].

---

(١) «من» من (ن).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٤٥٧)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١١٣)، وعزاه ابن حجر في «العجاب» (٢/ ٧٠٥) والسيوطي في «الدر المنثور» (٢/ ٢٥٠) إلى عبد بن حميد.

(٣) لفظ الجلالة ليس في (و).

(٤) في (و): «عنهم».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٢٦ ـ ٥٢٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما والحسن، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٣٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٤٦٠) عن علي وابن عباس رضي الله عنهم والحسن والضحاك. وذكر ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٢٩٨) عن عليٍّ رضي الله عنه أنهم: «هم الذين يغذون الناس بالحكمة»، وعلَّق البخاري قبل حديث (٦٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما أنهم: «حلماء فقهاء».

الزجّـاج: الرَّبّانيُّـون: أربابُ العلمِ والبيـانِ؛ أي: كونوا أصحـابَ علمٍ تعلِّمونَ النّاسَ[١].

ابنُ زيدٍ: ولاة النّاس وقادتهم[٢].

مجاهدٌ: الرَّبّانيُّون: فوقَ الأحبار[٣]؛ لأنَّ الأحبارَ: العلماءُ، والرَّبّانيُّ: الجامعُ إلى العلمِ والفقهِ البصرَ[٤] بالسِّياسةِ والتَّدبيرِ بأمرِ[٥] الرَّعية.

منسوبٌ إلى (الرَّبِّ)، والألفُ والنُّونُ للمبالغة، كـ(لِـحْيانيٍّ) و(شَعرانيٍّ) لعظيمِ اللِّحيةِ وكثيرِ الشَّعر[٦].

ابن عيسى: منسوبٌ إلى (علمِ[٧] الرَّبِّ)، كـ(قَصَباني)[٨] لصاحبِ القَصَب[٩].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٣٥).

(٢) رواه ابن وهب في «جامعه ـ التفسير» (٣٤٧)، والطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٢٩).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٦٩٩)، والطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٢٨).

(٤) في (و): «البصيرة».

(٥) كذا في النسخ الخطية، وعبارة المصنِّف هنا مأخوذة من «تفسير الطبري» (٥/ ٥٣١)، وفيه: «والرَّبّانيُّ: الجامعُ إلى العلمِ والفقهِ البصرَ بالسِّياسةِ والتَّدبيرِ والقيامِ بأمرِ الرَّعية».

(٦) قال الأزهري في «تهذيب اللغة» (١٥/ ١٢٩): «وقال سيبويه: زادوا ألفا ونونًا في (الرباني) إذا أرادوا تخصيصًا بعلم الرب دون غيره، كأن معناه: صاحب العلم بالرب دون غيره من العلوم». وانظر: «الكتاب» (٣/ ٣٨٠)، و«معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٣٥)، و«الزاهر» للأنباري (١/ ١٧٨).

(٧) «علم» من (ن).

(٨) في (و): «والألف والنون كقصباني».

(٩) لم أقف على قوله، وليس قوله هذا ببعيد عن الأول؛ لأن النسبة إنما جاءت على وجه المبالغة، فأفادت التخصيص من هذا الوجه، والله أعلم.

أبو عبيدة: الرَّبّانُ: العالِـمُ، قال: وأحسبُ الكلمةَ عبرانيّةً أو سريانيّةً، والرّبانيُّ عندَ أهلِ الكتابِ: العالِـمُ المعلِّم[١].

وعن الحسنِ أيضًا: هم الذين يُربُّونَ النّاسَ بصغارِ العلمِ قبلَ كباره[٢].

﴿بما كنتم تَعْلَمونَ الكتاب وبما كنتم تدرسون﴾ الباءُ متعلِّقٌ بـ﴿كُونُواْ﴾[٣].

الزَّجّاجُ: تُعلِّمون النّاسَ بعلمِكم[٤].

وقال أيضًا[٥]: ربّانيِّين في علمِكم[٦].

ويُحتمَلُ: ربّانيِّين بسببِ علمِكم ودرسِكم[٧].

ومَن شدَّدَ[٨] فتقديرُه: تُعلِّمون النّاسَ الكتابَ.

---

(١) اقتصر أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (١/ ٩٧) على قوله: «لم يعرفوا ربانيين»، وفي كلام الأزهري ما يدلُّ على أن القول بأنَّ الربّان العالم من كلام أبي العباس ثعلب، وأن من ظنَّ أن الكلمة عبرانية أو سريانية أبو عبيد القاسم بن سلام، وأشار إلى قول أبي عبيدة الذي سبق. انظر: «تهذيب اللغة» (١٥/ ١٢٩ ـ ١٣٠)، و«الإبانة في اللغة» (٣/ ٤٩٦)، و«زاد المسير» (١/ ٢٩٨). وانظر أيضاً: «اللغات في القرآن» للسامري (ص: ٢٣)، و«المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب» للسيوطي (ص: ٩٠).

(٢) ذكره البخاري قبل حديث (٦٨) دون نسبة، وذكر نحوه الأزهري في «تهذيب اللغة» (١٥/ ١٢٩)، والواحدي في «البسيط» (٥/ ٣٨١)، ونسباه لابن الأعرابي.

(٣) انظر: «الحجة» لأبي علي (٣/ ٥٩).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٣٥).

(٥) في (و): «أيضاً في». وكلمة (ربانيين) على المثبت منصوبة على تقدير: كونوا ربانيين.

(٦) هذا مستفاد من كلامه، وعبارته: «ليكن هديكم ونيتكم في التعليم هَدْيَ العلماء والحكماء». انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٣٦).

(٧) اختار هذا الزمخشري. انظر: «الكشاف» (١/ ٣٧٨).

(٨) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو: (تَعْلَمُون) بإسكان العين وفتح اللام وتخفيف التاء، وقرأ عاصم =

و(ما) في الكلمتينِ للمصدر.

***

(٨٠) ـ ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾.

﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ ﴾ مَن رفعَ فعلى الاستئنافِ[1]، ومَن نصبَ[2] فهو عطفٌ على فعلِ البشر[3].

﴿أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ﴾؛ فإنَّ الصّابئين اتَّخذوا الملائكةَ أربابًا، والنَّصارى عيسى، وزعموا أنَّ عيسى عليه السّلام قال لهم[4]: اتَّخذوني إلهًا مع الله.

﴿أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾: استفهامُ إنكارٍ وجحودٍ.

***

(٨١) ـ ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾.

= وابن عامر وحمزة والكسائي ﴿تُعلِّمون﴾ بضم التاء وتشديد اللام. انظر: «السبعة» (ص: ٢١٣)، و«التيسير» (ص: ٨٩).

(١) «من رفع فعلى الاستئناف» من (ن).

(٢) قرأ عاصم وابن عامر وحمزة بنصب الراء، وباقي السبعة برفعها، وقرأ أبو عمرو بالاختلاس والإسكان. انظر: «السبعة» (ص: ٢١٣)، و«التيسير» (ص: ٨٩).

(٣) يقصد أنه معطوف على الفعل (يؤتيه)، وهذا قول سيبويه في إعراب الآية على الوجهين. انظر: «الكتاب» (٣/ ٥٢)، و«إعراب القرآن» للنحاس (١/ ١٦٨).

(٤) «لهم» من (ن).

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾؛ أي: اذكرْ ذلك.

محمَّد بن جريرٍ: اذكروا يا أهلَ الكتابِ إذ أخذَ الله[١].

وقيل: هو عطفٌ على ما تقدَّمَ من لفظ (إذ)، والعاملُ فيها ﴿ٱصۡطَفَىٰٓ﴾[٢].

ويُحتمَلُ أن يكونَ العاملُ فيه (قال) من قولِه: ﴿قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ﴾.

و(ميثاقٌ) مفعالٌ من (الوَثاقةِ)، وهو العهدُ يُشَدُّ بما لا سبيلَ إلى فَسخِه.

عليُّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه: ما بعثَ الله نبيًّا إلّا أخذَ عليه العهدَ في محمَّدٍ[٣] ﷺ، وأمرَه بأخذِ العهدِ فيه على قومِه[٤] بأن يؤمنوا به وينصروه إن أدركوا زمانَه[٥].

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: أخذَ[٦] ميثاقَ الأنبياءِ على قومهم[٧].

الحسنُ: أخذَ ميثاقَهم لَيُصَدِّقَنَّ آخرُهم أوَّلَهم ولا يختلفُنَّ[٨].

طاوس: أخذَ على الأوَّلِ من الأنبياءِ ليؤمنَنَّ ولَيُصَدِّقَنَّ بما جاءَ به نبيٌّ آخرُ بعدَه[٩].

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٥/ ٥٣٥).

(٢) يعني قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا﴾... ﴿إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ﴾ [آل عمران: ٣٣ ـ ٣٥].

(٣) في (ن): «في أمر».

(٤) في (ن): «العهد على قومه فيه».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٤٠).

(٦) «أخذ» من (ن).

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٣٩)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٢٧١).

(٨) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٤١) بلفظ: «أخذ الله ميثاق النبيين: ليبلغن آخركم أولكم ولا تختلفوا».

(٩) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٤٠)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٢٧١).

الرَّبيعُ: أخذَ الميثاقَ على أهلِ الكتابِ ليؤمنوا بمحمَّد، واستدلَّ بقراءة عبدِ اللهِ وأُبيٍّ: (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لما آتيتكم)[١].

وعن ابن عبّاسٍ أيضًا: أنَّ الميثاقَ أُخِذَ على[٢] النَّبيِّين وأممِهم[٣]؛ فاجتُزِئَ بذكرِ الأنبياءِ عن ذكرِ الأمم؛ لكونهم تَبعًا لهم.

ويُحتمَلُ أنَّ التَّقديرَ: ميثاقُ أممِ النَّبيِّين[٤]، فحُذِفَ المضافُ؛ لأنَّ الرَّسولَ لا يأتي إلى الرَّسول[٥].

ويُحتمَلُ أيضًا أنَّه ذكرَ الأنبياءَ، والمرادُ به الأُمَّةُ، كما جاء الخطابُ للنَّبيِّ ﷺ والمرادُ به الأُمَّةُ[٦].

﴿لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم﴾: قيل[٧]: هو لامُ الابتداء، وقيل: هو لامُ توطئةِ القَسَم[٨].

و(ما) هو الموصولة، وقيل: هو للشَّرطِ بمنزلةِ (لئن)[٩].

---

(١) ذكر الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٣٨): أن هذه قراءة ابن مسعود رضي الله عنه، وذكر (٥/ ٥٣٩) أنها قراءة أبي بن كعب رضي الله عنه، وكذلك كان يقرؤها الربيع، وروى ابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٢٧٢) أن هذه قراءة ابن مسعود رضي الله عنه، وهذه القراءة شاذة لمخالفة الرسم.

(٢) في (و): «عن».

(٣) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٤١ ـ ٥٤٢).

(٤) «وأممهم فاجتزئ بذكر الأنبياء عن ذكر الأمم لكونهم تبعًا لهم ويحتمل أن التقدير ميثاق أمم النبيين» من (ن).

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٦٢)، واستغربه.

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٦٢)، وعدَّه من العجائب.

(٧) «قيل»: من (ن).

(٨) في (و): «للقسم».

(٩) تكون (ما) موصولة إذا كانت اللام للابتداء، وشرطية إذا كانت موطئة للقسم.

﴿مِّن كِتَٰبٍ﴾ قيل: هو للتَّبيين، وقيل: زيادةٌ[١].

﴿وَحِكْمَةٍ﴾: شريعةٍ.

ومَن كسرَ اللامَ فهي لامُ العلَّة[٢].

﴿ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ جوابُ القَسَم.

﴿قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى﴾؛ أي: قَبِلتُم عهدي.

﴿قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا﴾؛ أي: قَبِلنا.

﴿قَالَ فَٱشْهَدُوا۟﴾ على أنفسِكم.

وقيل: على أُمَّتِكم.

وقيل: قال الله للملائكة: اشهدوا، ﴿وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ عليهم.

* * *

(٨٢) ـ ﴿فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾.

﴿فَمَن تَوَلَّىٰ﴾: أعرضَ عن الإيمانِ بالنَّبيِّ الجائي بعدَه.

﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾: بعد أخذِ الميثاقِ.

﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾: المتمرِّدون في كفرِهم.

* * *

---

(١) أي: (من) لتبيين أو زائدة.

(٢) قرأ حمزة بكسر اللام، وباقي السبعة بفتح اللام. انظر: «السبعة» (ص: ٢١٣)، و«التيسير» (ص: ٨٩). ولام العلة هي التي بمعنى (كي)، والتي تُسمى اليوم لام التعليل أو السبب. انظر: «الصحاح» للجوهري (٥/ ٢٠٣٦).

(٨٣) ـ ﴿أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ﴾.

﴿أفغير دين الله تَبْغُوْنَ﴾[١]: أنكرَ على أهلِ الكتابِ مخالفتَهم في أمرِ محمَّدٍ عليه السّلام وطلبَهم دينًا غيرَ دينِ الإسلام.

﴿وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ﴾ الزَّجّاجُ في جماعةٍ: استسلمَ وانقادَ[٢].

وقيل: ﴿أسلم﴾: أقرَّ.

﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: الملائكةُ.

﴿وَٱلۡأَرۡضِ﴾: الإنسُ والجنُّ.

﴿طَوۡعٗا﴾: طائعين، ﴿وَكَرۡهٗا﴾: كارهين؛ مصدرانِ وقعا موقعَ الحال.

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿طَوۡعٗا﴾: الملائكةُ والمؤمنون، ﴿وَكَرۡهٗا﴾: الكافرون عند أخذَ الميثاقِ[٣].

عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه: معنى ﴿طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا﴾: انقادَ كلُّهم له[٤].

---

(١) قرأ أبو عمرو وحفص: ﴿يَبۡغُونَ﴾، وباقي السبعة بالتاء. انظر: «السبعة» (ص: ٢١٤)، و«التيسير» (ص: ٨٩).

(٢) هذا مستفاد من كلامه، وكلام جمهور المفسرين قبله؛ وقد ذكر الزجاج هنا أن الإسلام هنا هو الخضوع لأمر الله بالجبلَّة. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٣٨ ـ ٤٣٩)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٣/ ٢٤٦ ـ ٢٤٧).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٥/ ٥٥٠).

(٤) لم أقف على هذا القول عن علي رضي الله عنه، وقد رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٥١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٩٦) عن عامر الشعبي، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٤٠٧) وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٣٠١) عن عامر الشعبي والزجاج.

مجاهدٌ: المؤمنُ يسجدُ طوعًا، وظلُّ الكافرِ يسجدُ كرهًا(١).

قتادةُ: أسلمَ المؤمنُ طوعًا، فنفعَه، وأسلمَ الكافرُ عند النَّزعِ، فلم ينفعه، ولم يُقبَل منه(٢).

عطاءٌ: أسلمَ الملائكةُ والأنبياءُ وبنو سليمٍ وعبدُ القيسِ طوعًا، وأسلمَ سائرُهم كرهًا(٣).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٥٠)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٢٧٦).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٤٢٣)، والطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٥٢)، كلاهما بلفظ: «أما المؤمن فأسلم طوعاً، وأما الكافر فأسلم حين رأى بأس الله؛ ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ﴾ [غافر: ٨٥]»، وذكره الماوردي والواحدي بلفظ قريب من لفظ المصنف. انظر: «النكت والعيون» (١/ ٤٠٧)، و«البسيط» (٥/ ٤٠٥).

(٣) لعل المراد: عطاء عن ابن عباس، كما في «البسيط» للواحدي (٥/ ٤٠٥)، وقد روى الطبراني في «المعجم الكبير» (١١٤٧٣) عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ: «﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ [آل عمران: ٨٣]: أما (من في السماوات) فالملائكة، وأما (من في الأرض) فمن ولد على الإسلام، وأما (كرهاً) فمن أتي به من سبايا الأمم في السلاسل، والأغلال يقادون إلى الجنة وهم كارهون». قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٣٢٦): «فيه محمد بن محصن العكاشي، وهو متروك»، وروى الطبراني في «المعجم الأوسط» (٣٩٧١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أسلمت الملائكة طوعًا، وأسلمت الأنصار طوعًا، وأسلمت عبد القيس طوعًا»، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٨): «رواه الطبراني في الأوسط، عن شيخه: علي بن سعيد بن بشير، وفيه لين، وبقية رجاله ثقات»، وروى نحوه الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٤٨٠) مرفوعًا أيضاً من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، ولا يصح، وروى ابن حبان في «صحيحه» (٧٢٩٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «خير أهل المشرق عبد القيس، أسلم الناس كرهاً، وأسلموا طائعين». وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٥٢) من طريق روح بن عطاء عن مطر الوراق موقوفاً، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٩٦) عن الحسن.

وقيل: الطَّواعيةُ والكراهيةُ في إسلامِ أهلِ الأرض، وأمّا أهلُ السَّماءِ فطبعًا.

﴿وإليه تُرْجَعُونَ﴾(١) فيجازيكم على أعمالِكم حيثُ لا اختيارَ لكم.

ويُحتمَلُ أنَّ الطَّوعَ متصلٌ بـ﴿أَسْلَمَ﴾، والمرادُ به: الاستسلامُ، والكرهُ متصلٌ بالرُّجوع، والمرادُ به: الموتُ، وتقديرُه: وإليه تُرْجَعون كرهًا، وكراهةُ الحيوانِ الموتَ ظاهر(٢)، والله أعلم.

* * *

(٨٤) ـ ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾.

﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ أمرَ نبيَّه عليه السّلام بأن يصرِّحَ بما هو المأمورُ في كلِّ دينٍ وشرعٍ.

و﴿ءَامَنَّا﴾ لفظُ تفخيمٍ وتعظيمٍ(٣).

وقيل: لأنَّ أمَّتَه داخلون معه(٤).

﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ﴾: أسباطِ يعقوبَ، وكان فيهم أنبياء.

---

(١) قرأ حفص: ﴿يُرْجَعُونَ﴾ بالياء، وباقي السبعة بالتاء. انظر: «السبعة» (ص: ٢١٤)، و«التيسير» (ص: ٨٩).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٦٣)، وعدَّه من العجائب.

(٣) أي: جاء لفظ الآية بضمير الجماعة مع أن المتكلم واحد للتفخيم والتعظيم. انظر: «الكشاف» للزمخشري (١/ ٣٨١)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٣/ ٢٤٨).

(٤) هذا اختيار النحاس والواحدي. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ١٦٩)، و«البسيط» (٥/ ٤٠٧).

﴿وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ﴾؛ أي[1]: سائرُ الأنبياءِ ممَّن لم يُذكَر.

﴿مِن رَّبِّهِمۡ﴾: من عند ربِّهم.

﴿لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ﴾؛ أي: لا نؤمنُ ببعضٍ ونكفر ببعضٍ، كما فعلَتِ اليهودُ والنَّصارى.

﴿وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾: مُنقادون مُقرُّون.

* * *

(٨٥) ـ ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾.

﴿وَمَن يَبۡتَغِ﴾: يطلبْ[2] ﴿غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ﴾: غيرَ دينِ محمَّدٍ ﴿دِينٗا﴾: شريعةً يتديَّنُ[3] بها.

﴿فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ﴾: فلا يقعُ موقعَ القَبولِ.

﴿وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ حينَ تفوتُه طِلبتُه.

* * *

(٨٦) ـ ﴿كَيۡفَ يَهۡدِي ٱللَّهُ قَوۡمٗا كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقّٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿كَيۡفَ يَهۡدِي ٱللَّهُ قَوۡمٗا كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ﴾ عن عكرمةَ عن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّ رجلًا من الأنصارِ ارتدَّ فلحقَ بالمشركين، فأنزلَ الله: ﴿كَيۡفَ يَهۡدِي ٱللَّهُ﴾ إلى قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾، فبعثَ بها قومُه إليه، فلمّا قُرئت عليه قال: والله ما كذبني

---

(١) «أي» من (ن).

(٢) «يطلب» من (ن).

(٣) في (و): «يتديَّنون».

قومي على رسول الله، ولا كذبَ رسولُ الله، واللهُ أصدقُ الثَّلاثة، فرجعَ تائبًا، فقَبلَ منه رسولُ الله ﷺ وتركَه[١].

مجاهدٌ: كان الحارثَ بنَ سُويد، ثم رجعَ فأسلمَ إسلامًا حسنًا[٢].

وقيل: نزلَت في اليهود.

وقيل: في أبي عامرٍ الرّاهبِ والحارثِ بنِ سُويدٍ ارتدّا مع عشرةٍ آخرين ولحقوا بقريشٍ، ثم كتبوا إلى أهلِهم أن يسألوا محمَّدًا رسولَ الله عليه السَّلام: هل لهم من توبةٍ؟ ثم عادوا وأسلموا[٣].

والمعنى: أنَّى تكونُ لهم الهدايةُ وعلى أيِّ حالٍ وقد اختاروا الكفرَ بعدَ الإيمان؛ أي: بعد أن آمنوا.

﴿وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ﴾: أنَّ محمّدًا ﴿حَقٌّ﴾، والمصدرُ محمولٌ على الفعلِ[٤].

﴿وَجَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ﴾: القرآنُ والمعجزاتُ[٥] والبشارةُ بمحمَّدٍ في كتبهم.

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: لا يرشدُ المعاندين.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٢١٨)، والنسائي (٤٠٦٨)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٤٧٧)، والطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٥٧)، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١١٣ ـ ١١٤)، واللفظ له.

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٤٢٦)، والطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٥٨)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٢٨١).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٧٤) عن ابن جريج عن عكرمة.

(٤) في هامش (ن): «تقديره: أنَّ الرسول محق وثابت، وما أشبهه». وانظر: «التعليقة» لأبي علي (١/ ١٥٠).

(٥) «والمعجزات» من (ن).

(٨٧) - ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمۡ أَنَّ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةَ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴾.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾: أهلُ هذه الصِّفةِ ﴿جَزَآؤُهُمۡ أَنَّ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةَ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴾ سبقَ تفسيرُه.

***

(٨٨) - ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴾.

﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾؛ أي: في اللَّعنةِ، ويُحتمَلُ: النّار.

﴿لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ ﴾؛ أي: لا يُسهَّلُ عليهم.

﴿وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴾: يُمهَلونَ عن[1] وقتِ العذابِ، وقيل: ولا هم يُنظَرون ليستريحوا.

***

(٨٩) - ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾.

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ ﴾؛ أي: بعدَ كفرِهم، ﴿وَأَصۡلَحُواْ ﴾ السَّريرةَ، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ ﴾ لكُفرِهم ﴿رَّحِيمٌ ﴾ بقَبولِ توبتِهم.

***

(٩٠) - ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴾.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا ﴾ الحسنُ وقتادةُ وعطاءٌ الخراسانيُّ: نزلَت في اليهودِ كفروا بعيسى والإنجيل، ثم ازدادوا كفرًا بمحمَّدٍ والقرآنِ[2].

---

(١) «عن»: ليس في (ن).

(٢) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٦٤) عن قتادة وعطاء الخرساني، ورواه ابن المنذر في =

قال أبو العالية: نزلَت في اليهودِ والنَّصارى كفروا بمحمَّدٍ بعد إيمانِهم بنعتِه وصفتِه، ثم ازدادوا كفرًا بإقامتِهم على كفرِهم إلى انقضاءِ آجالِهم[١].

﴿لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ﴾ الأولى في حالِ إيمانِهم، ولا الثَّانيةُ في حالِ إلجائِهم، ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ﴾.

* * *

(٩١) - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡ أَحَدِهِم مِّلۡءُ ٱلۡأَرۡضِ ذَهَبٗا وَلَوِ ٱفۡتَدَىٰ بِهِۦٓۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡ أَحَدِهِم مِّلۡءُ ٱلۡأَرۡضِ﴾ المِلْءُ: مقدارُ ما يأخذُه الإناءُ، والمَلْءُ المصدرُ، وهو تَطْفيحُ الإناء.

﴿ذَهَبٗا وَلَوِ ٱفۡتَدَىٰ بِهِۦٓ﴾ الزَّجّاجُ: لو افتدى به في الدُّنيا مع الإقامةِ على الكفرِ لن يُقبَلَ منه[٢].

قتادةُ: يُجاءُ بالكافرِ يومَ القيامةِ فيُقالُ له: أرأيتَ لو كانَ لكَ مِلءُ الأرضِ ذهبًا؛ أكنتَ مُفتدِيًا[٣] به؟ فيقولُ: نعم، فيُقالُ له: قد سُئِلْتَ أيسرَ من ذلك[٤].

= «تفسيره» (١/ ٢٨٢) وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٧٠٢) عن قتادة، وقال ابن أبي حاتم: «روي مثله عن الحسن»، لكن الطبري روى في «تفسيره» (٥/ ٥٦٤) عن الحسن أنها نزلت في اليهود والنصارى، ولذلك فرق الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٤٠٨) بين قول قتادة وقول الحسن، وقد تبع المصنِّف في عبارته الثعلبي. انظر: «تفسير الثعلبي» (٨/ ٤٨٩).

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٦٥)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٢٨٢).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٤١)، وعبارته: «أي: لو عمل من الخير وقدم ملء الأرض ذهباً يتقرب به إلى الله لم ينفعه ذلك مع كفره».

(٣) في (ن): «مفديا».

(٤) روي مرفوعًا من طريق قتادة عن أنس رضي الله عنه، رواه البخاري (٦٥٣٨)، ومسلم (٢٨٠٥)، =

والفِديةُ: البدلُ للشَّيء في إزالةِ الأذيّةِ.

ابنُ عيسى: الواو في ﴿وَلَوِ ٱفۡتَدَىٰ بِهِۦٓ﴾ أفادَ التَّفصيلِ بعدَ الجملة[١].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾: مانعٍ يمنعُهم منَ العذاب.

***

(٩٢) ـ ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ﴾.

﴿لَن تَنَالُواْ﴾: لن تَلحقُوا ولن تُدركوا، والنَّيْلُ: اللُّحوقُ والإدراكُ.

﴿ٱلۡبِرَّ﴾ الحسنُ والسُّدِّيُّ: الجنَّة[٢].

ابنُ جرير: بِرَّ اللهِ بكم[٣].

وقيل: ثوابَ البرِّ.

وقيل: لن تصيروا أبرارًا[٤].

﴿حَتَّىٰ تُنفِقُواْ﴾ الحسنُ: الزَّكاة الواجبة[٥].

ولفظ البخاري: «يجاء بالكافر يوم القيامة، فيقال له: أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهباً، أكنت تفتدي به؟ فيقول: نعم، فيقال له: قد كنت سئلت ما هو أيسر من ذلك».

(١) ذكره الرازي في «التفسير الكبير» (٨/ ٢٨٧) بلا نسبة، وذكر وجهين آخرين في هذه الواو.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٧٣) عن السدي، وقد روي عن غيره، ولم أقف على مَن رواه عن الحسن، وقد ذكر الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٤٩٤) عن الحسن قال: «لن تكونوا أبرارًا حتَّى تنفقوا مما تحبون...»، وهو معنى القول الأخير من الأقوال التي ذكرها المصنف.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٥/ ٥٧٢).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٦٤)، واستغربه.

(٥) ذكره ابن أبي زمنين في «تفسيره» (١/ ٣٠٢)، والماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٤٠٩)، وقد نقل الواحدي في «البسيط» (٥/ ٤٢٥) عن الحسن غير هذا القول، ولفظه: «كل شيء أنفقه المسلم =

وقيل: التَّطوُّع.

الزَّجّاج: كلُّ ما يُتقرَّبُ[١] به إلى الله من عملِ خيرٍ فهو إنفاقٌ[٢].

﴿مِمَّا تُحِبُّونَ﴾: ممّا له قدرٌ وقيمةٌ.

الحسنُ: هو المالُ[٣]؛ لأنه محبوبٌ مضنونٌ به.

وقيل: ممّا تحبُّونَ ادِّخارَه في صحّةٍ وسلامةٍ[٤].

﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ﴾ واتِّصالُها بالآية[٥] الأولى أنَّه لمّا قال: ﴿فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡ أَحَدِهِم مِّلۡءُ ٱلۡأَرۡضِ ذَهَبٗا﴾ حرَّضَ على الصَّدقةِ؛ كي لا تُؤدِّي إلى الفتورِ في الصَّدقة.

* * *

(٩٣) ـ ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلّٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۚ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾.

﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلّٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ قال أبو روقٍ والكلبيُّ[٦]: نزلت حين قالَ النبيُّ ﷺ: «أنا على مِلّةِ إبراهيمَ» فقالت اليهود: كيف وأنت تأكلُ لحومَ

= من ماله يبتغي به وجه الله عز وجل، فإنه من الذي عنى الله سبحانه بقوله: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾؛ حتى التمرة»، وذكر ابن الجوزي عنه القولين في «زاد المسير» (١/ ٣٠٣).

(١) في (ن): «يقرب».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٤٣).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٧٤).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٦٤)، واستغربه.

(٥) في (و): «بالآية في».

(٦) في (و): «قال الكلبي».

الإبلِ وألبانها؟ فقال عليه السّلام: «كان ذلكَ حلالًا لإبراهيمَ فنحنُ نُحلُّه» فقالت اليهود: كلُّ شيءٍ أصبحنا اليومَ نحرِّمُه، فإنَّه كان حرامًا على نوحٍ وإبراهيمَ حتى انتهى إلينا، فأنزلَ الله تكذيبًا لهم: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ﴾[١]؛ أي: المطعوم، مصدرٌ وقعَ موقعَ المفعولِ.

﴿كَانَ حِلًّا﴾: حلالًا، واشتقاقُه من (حلِّ العَقدِ).

﴿لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾: لأولادِ يعقوبَ عليه السَّلام.

﴿إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ﴾: يعقوبُ ﴿عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُ﴾ جُويبر ومقاتلٌ عن الضَّحّاك: أنَّ يعقوب عليه السّلام كان نذرَ إنْ وهبَ الله له اثني عشر ولدًا وأتى بيتَ المقدسِ صحيحًا أن يذبحَ آخرَهم[٢]، فتلقّاه ملكٌ من الملائكةِ فقال له[٣]: يا يعقوب، إنَّك رجلٌ قويٌّ، فهل لك في الصِّراع، فعالجه فلم يصرعْ واحدٌ منهما صاحبَه، ثم غمزَه الملكُ غمزةً، فعرضَ له عرقُ النَّسا من ذلك[٤] ثم قال: أما إنِّي لو شئتُ أن أصرعَك لفعلتُ، ولكن غمزتُك هذه الغمزةَ؛ لأنَّك قد[٥] كنتَ نذرتَ إن[٦] أتيت بيتَ المقدسِ صحيحًا ذبحْتَ آخرَ ولدِك، وجعلَ الله لك بهذه الغمزةِ من ذلك[٧] مَخرجًا[٨].

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٥٠٦)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١١٥).

(٢) في (و): «أحدهم».

(٣) «له» من (ن).

(٤) «من ذلك» من (ن).

(٥) «قد» ليس في (ن).

(٦) في (ن): «لو».

(٧) «من ذلك» من (ن).

(٨) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٥٠٨ ـ ٥٠٩).

ثم هاجَ به عرقُ النَّسا، فحلف يعقوب إن[١] شفاه الله أن لا يأكل عرقًا ولا طعامًا فيه عِرقٌ، فحرَّمَها على نفسِه، فجعلَ بنوه بعد ذلك يتتبَّعون العروقَ يُخرجونها من اللَّحم[٢].

وعن النَّبيِّ ﷺ: «أنَّ ذلك لُحمانُ الإبلِ وألبانُها»[٣].

الحسنُ: حرَّمَ إسرائيلُ على نفسِه لحمَ الجزورِ تعبُّداً لله، فسألَ ربَّه أن يجيزَ ذلك، فحرَّمَه اللهُ على ولدِه[٤].

عكرمةُ: كان ذلك زائدتي الكبدِ والكُليتينِ والشَّحمَ[٥].

مجاهدٌ: كان ذلك لحومَ الأنعام[٦].

السُّدِّيُّ: لمّا أنزلَ الله التَّوراةَ حرَّمَ عليهم ما كانوا يحرِّمونَه[٧] قبلَ نزولِها[٨].

---

(١) في (ن): «لو».

(٢) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٨٣) عن قتادة، وانظر: «تفسير الثعلبي» (٨/ ٥١٠).

(٣) روى الإمام أحمد في «المسند» (٢٤٨٣)، والترمذي (٣١١٧) ـ واللفظ له ـ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «اشتكى عرق النسا فلم يجد شيئًا يلائمه إلا لحوم الإبل وألبانها، فلذلك حرَّمها...». وقال: «حسن غريب».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٥١٢)، والواحدي في «البسيط» (٥/ ٤٢٩)، وروى الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٨٥) عن الحسن أن ذلك لم يكن في التوراة.

(٥) ذكر الثعلبي هذا عن عكرمة في «تفسيره» (٨/ ٥١٢)، وقد روى نحوه ابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٢٩١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٠٥)، عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٨٦)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٢٩٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٠٥).

(٧) في (و): «يحرمونها».

(٨) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٥١٣)، وانظر: «تفسير الطبري» (٥/ ٥٧٨).

عطيَّةُ: إنَّما كان ذلك[1] محرَّمًا عليهم بتحريمِ إسرائيلَ ذلك عليهم[2].

وقيل: حرَّمَ بإذنِ الله.

وقيل: حرَّمَ بالاجتهاد.

﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ ليتبيَّنَ منها الصَّحيحُ من القولَين، فلم يحضروها، فكذَّبهم النَّبيُّ عليه السَّلام وقال: «ليسَ في التَّوراةِ تحريمُ ذلك»[3].

* * *

(٩٤) ـ ﴿فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾.

﴿فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾: من بعدِ وضوحِ الآيةِ بنُكُولِكم عن إحضارِ التَّوراة، ﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾: الكافرون.

* * *

(٩٥) ـ ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ﴾ في إخبارِه أنَّه لم يحرِّم لحومَ الإبلِ في التَّوراة، إنَّما[4] حرَّمَه إسرائيلُ، وكذبَتِ اليهود.

---

(١) «ذلك» من (ن).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٥١٣)، والواحدي في «البسيط» (٥/ ٤٣٠)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٨٠) من طريق عطية عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) أما هذا اللفظ فلم أقف عليه مرفوعاً، وقد رُوي نحوه موقوفاً عن ابن عباس رضي الله عنه؛ رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٨٠)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٢٩٢)، ورواه الحاكم في «المستدرك» (٣١٥٢)، وصححه، ووافقه الذهبي.

(٤) في (ن): «وإنما».

﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾[1] في تحليلِ لحومِ الإبلِ وغيرِها.

﴿حَنِيفًا﴾: مائلًا عن الأديان، ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

وقيل: صدقَ الله في أنَّ محمَّدًا على ملَّةِ إبراهيم، وفي أنَّ إبراهيمَ كان مسلمًا ولم يكُ من المشركين، فاتَّبعوا ملَّتَه.

***

(٩٦) - ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾.

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ الزَّجّاجُ: أوَّل مسجدٍ وُضِعَ، وقيل: أوَّل بيتٍ وُضِعَ للحجِّ، وقيل: إنَّه البيتُ المعمورُ، وهو البيتُ العتيق[2].

عليٌّ رضي الله عنه والحسنُ: أوَّل بيتٍ وُضِعَ للعبادة، وقد كانَت قبلَه بيوتٌ كثيرة[3].

مجاهدٌ: تفاخرَت المسلمون واليهود، فقالت اليهودُ: بيتُ المقدسِ أفضلُ

---

(١) في (ن) زيادة: «خطاب للمشركين».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٤٤).

(٣) رواه ابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٢٩٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٠٧) عن علي رضي الله عنه بلفظ: «كانت البيوت قبله، ولكن كان أول بيت وضع لعبادة الله»، وروى ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٥٧٩٩)، والطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٩٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٠٨) عن علي رضي الله عنه أنَّ رجلاً قال له: أخبرني عن البيت؛ أهو أول بيت وضع للناس؟ قال: «لا، لكنه أول بيت وضعت فيه البركة». ورواه الأزرقي في «تاريخ مكة» (٢/ ٦٤)، والطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٩٠) عن الحسن بلفظ: «هو أول مسجد عُبِدَ الله فيه في الأرض»، وذكر نحوه الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٤١٠).

وأعظمُ من الكعبة؛ لأنَّه[1] مُهاجرُ الأنبياء، وهو الأرضُ المقدَّسة، وقال المسلمون: بل الكعبةُ أفضلُ، فأنزلَ الله هذه الآية[2].

مجاهدٌ وقتادةُ: أوَّل بيتٍ وُضِعَ، ولم يكن قبلَه بيتٌ[3].

ورُوِيَ عن عبدِ الله بنِ عمر[و][4]: أنَّ الله تعالى خلقَ البيتَ قبلَ الأرضِ بألفي عامٍ، وكانَت زبدةً بيضاءَ على الماءِ، فدُحِيَت الأرضُ من تحتها[5].

قتادةُ: إنَّ آدمَ لما أُهبِطَ إلى الأرضِ قال الله تعالى: إنِّي أُهبِطُ معك بيتًا يُطافُ به كما يُطافُ بعرشي من السَّماء، فكان[6] آدمُ وبنوه يطوفون به، فلمّا كان زمنُ نوحٍ رُفِعَ

---

(١) في (و): «لأنها».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٧)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١١٥) عن مجاهد، ورواه الأزرقي في «أخبار مكة» (١/ ٧٥)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٢٩٨، ٢٩٩) عن ابن جريج.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٩١ ـ ٥٩٢) عن مجاهد، ورواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٩٢)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٢٩٥) عن قتادة.

(٤) في النسخ الخطية: «عمر»، وصوابه: «عمرو»، كما في مصادر التخريج.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٩١)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٢٩٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٤١٥٣) و(١٤١٥٤)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ٢٨٨): «رجاله رجال الصحيح»، ورواه الحاكم في «المستدرك» (٣٩١١) وصححه، ووافقه الذهبي، ورواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٣٦٩٧). ولكن لا بدَّ من التنبيه على أن صحة الحديث عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما لا تعني صحته عن النبي ﷺ؛ فقد رواه البيهقي في «دلائل النبوة» عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً من وجه لا يصحُّ، وأشار ابن كثير في «تفسيره» (٢/ ٦٧) إلى أن هذا الخبر الأشبه أن يكون مما أخذه عبد الله عن أهل الكتاب.

(٦) في (و): «وكان».

إلى السَّماء، ثم إنَّ إبراهيمَ عليه السَّلام تتبَّعَ منه أثرًا، فبناه[١] على أساسٍ قديم[٢].

﴿لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾ بكّةُ: موضعُ الكعبة، وما حواليه مكَّةُ، وسُمِّيت بكَّةَ من قولهم: (بَكَّ[٣] النّاسُ بعضُهم بعضًا)؛ إذا تدافعوا[٤].

وقيل: لأنها تَبُكُّ ـ أي: تكسر ـ أعناقَ الجبابرة.

وسُمِّيت مكَّةَ من قولهم: (امْتَكَّ الفصيلُ الضَّرع)؛ إذا مصَّ مصًّا شديدًا؛ لأنَّ الأرضَ مُكَّتْ من تحتها، أو لأنَّها تمُكُّ النّاسَ إليها، أو للازدحام[٥].

وقيل: الميمُ بدلٌ من الباء، كـ: ضربةِ لازمٍ ولازبٍ[٦]، أو ضدُّه[٧].

﴿مُبَارَكًا﴾ الفرّاء: سُمِّي مباركًا لأنَّه مغفرةٌ للذُّنوب[٨].

---

(١) في (ن): «وبناه».

(٢) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٩٠٩٦)، والطبري في «تفسيره» (٢/ ٥٣٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٤٨٥)، واللفظ للطبري.

تنبيه: ظاهر صنيع المؤلف أنه يرجِّح قول الزجاج وعلي رضي الله عنه والحسن، وقد رجَّحه الطبري في «تفسيره» (١/ ٥٩٢) وابن كثير في «تفسيره» (٢/ ٦٧) وفي «البداية والنهاية» (١/ ١٦٣).

(٣) في (و): «بك الله».

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٢٧)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٩٦)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٣٠١) عن قتادة.

(٥) انظر: «الزاهر» للأنباري (٢/ ١٠٦)، و«غريب القرآن» للسجستاني (ص: ١١٩)، وذكر ابن دريد أنها سميت بذلك لقلة مائها. انظر: «جمهرة اللغة» (٢/ ٩٨٤).

(٦) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٤٥).

(٧) أي: الباء بدل من الميم. انظر: «معاني القرآن» للنحاس (١/ ٤٤٣).

(٨) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٢٧).

وقيل: لأنَّ العبادةَ فيه مضاعفةُ الثَّوابِ أضعافًا(١).

محمَّدُ بنُ جريرٍ: بركتُه تطهيرُ(٢) مَن حجَّه مِن الذُّنوب(٣).

وقيل: لثبوتِ العبادةِ فيها ولزومِها.

وأصلُ الكلمةِ: الثُّبوت، ومنه: (البِرْكةُ) و(البَرْكُ).

وهو نصبٌ على الحالِ من ضميرِ (البيت)، والعاملُ فيه: (وُضِعَ)، أو معنى الفعلِ في (بكَّة).

﴿وَهُدًى﴾ أي: ذا هدى.

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: بيانًا أو دِينًا(٤).

وقيل: رحمةً.

﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾: للمسلمين أجمعين.

---

(١) وهذا من أعظم البركة، فقد روى البخاري (١١٩٠)، ومسلم (١٣٩٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه، إلا المسجد الحرام».

(٢) في (ن): «تطهير».

(٣) ذكر ابن جرير أن الطواف به مغفرة للذنوب، أما لفظ المصنف فلم أقف عليه في «تفسيره»، ولكن نقله أبو حيان عنه. انظر: «تفسير الطبري» (٥/ ٥٩٧)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٣/ ٢٦٩).

(٤) في (و): «ودينا». لم أقف عليه، وقد ذكر الواحدي «البسيط» (٧/ ٣٨٧) عن ابن عباس أنه فسر الهدى بالبيان في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾، وذكر نحوه الفيروزآبادي في «تنوير المقباس» في أكثر من موضع، وقال ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٣٠٧): «في معنى الهدى هاهنا أربعة أقوال؛ أحدها: أنه بمعنى القبلة، فتقديره: وقبلة للعالمين. والثاني: أنه بمعنى: الرحمة. والثالث: أنه بمعنى: الصلاح؛ لأن من قصده صلحت حاله عند ربه. والرابع: أنه بمعنى: البيان والدلالة على الله تعالى بما فيه من الآيات التي لا يقدر عليها غيره، حيث يجتمع الكلب والظبي في الحرم، فلا الكلب يهيج الظبي، ولا الظبي يستوحش منه، قاله القاضي أبو يعلى».

(٩٧) ـ ﴿فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

﴿فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ﴾: علاماتٌ واضحاتٌ لا تلتبسُ على أحدٍ.

﴿مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَ﴾؛ أي: منها مقامُ إبراهيم، وهو موضعُ قدميه، ومنها: أمنُ الملتجِئِ إليه، وأمنُ السِّباعِ بعضهم من بعضٍ، وانمحاقُ الحجارةِ مع كثرةِ الرُّماة، وامتناعُ الطَّيرِ من العلوِّ عليه[1]، والحِجرُ، والحطيمُ.

الزَّجّاج: هي مقامُ إبراهيم[2].

﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗا﴾ منهم مَـن حملَه على الأمنِ من عذابِ الله، ومنهم مَن حملَه على الخَلقِ، ومنهم مَن حملَه على أنَّه[3] ابتداءُ حُكمٍ من الله؛ أي: إذا جنى جانٍ ثم لاذَ به فهو آمنٌ لا يُقامُ عليه فيه الحدُّ، واختلفَ الفقهاءُ في ذلك[4].

---

(١) انظر: «البسيط» للواحدي (٥/ ٤٤٢)، و«تفسير السمعاني» (١/ ٣٤٢)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٧٢)، و«زاد المسير» (١/ ٢٠٧)، و«تاريخ مكة» لابن الضياء (ص: ١٦٩)، ذكر العلماء كثيراً من الآيات، وفي بعض ما ذكروه نظر، قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٤٧٦): «ومن آياته ـ فيما ذكر مكي وغيره ـ أن الطير لا تعلوه، وإن علاه طائر فإنما ذلك لمرض به، فهو يستشفي بالبيت، وهذا كلُّه عندي ضعيف».

(٢) كذا نقل عنه الواحدي، وكلامه يدلُّ على أن هذا على قراءة الإفراد، وهي قراءة شاذة مروية عن ابن عباس. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٤٦)، و«الوسيط» للواحدي (١/ ٤٦٧).

(٣) «أنه» من (ن).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٦٤)، واستغربه، وفي هذه المسألة تفصيل؛ فإذا وقعت الجناية في الحرم دون المسجد فالإجماع على أنه يقتص منه فيه، ولا يستوفى حدٌّ ولا قصاص في المسجد، حتى لو وقعت الجناية فيه؛ لئلا يؤدي ذلك إلى تلويثه. أما إذا وقعت في الحل ولجأ الجاني إلى الحرم فقد اختلف فيه؛ فقال مالك والشافعي: يقام عليه الحد، وقال أبو يوسف: يخرج =

﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ عمَّمَ الإيجابَ، وذُكِرَ بلفظِ (على) لأنَّه للإيجاب.

﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ بدل من ﴿ٱلنَّاسِ﴾، والاستطاعةُ: استفعالٌ[1] مِن (طاعَ لك الشَّيءُ)؛ إذا سهُلَ وانقادَ.

واختلفوا في الاستطاعة؛ ابنُ عبّاسٍ: الزّادُ والرّاحلةُ وقوّةُ البدن[2].

وقيل: الزّادُ[3] والرّاحلةُ[4].

وقيل: القوّةُ فحسبُ[5].

= من الحرم ويقام عليه الحد، وذهب الحنفية إلى أنه لا يحد فيما يأتي على النفس ويقام عليه ما سوى ذلك، وذهب الحنابلة إلى أنه لا يقام عليه الحد، بل يضطر إلى الخروج بعدم البيع والشراء. انظر: «مختصر اختلاف الفقهاء» للطحاوي (٢/ ٢٤٣)، و«المغني» (٩/ ١٠٠).

(١) في (و): «والاستطاع استفعلال».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٦١٠) بلفظ: «والسبيل: أن يصح بدن العبد، ويكون له ثمن زاد وراحلة من غير أن يجحف به».

(٣) في (و): «البدن».

(٤) جاء فيه حديث مرفوع، رواه الشافعي في «الأم» (٢/ ١٢٧)، والترمذي (٨١٣)، وابن ماجه (٢٨٩٧) عن ابن عمر رضي الله عنهما: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ما يوجب الحج؟ قال: «الزاد والراحلة». وقال الترمذي: حديث حسن، وإبراهيم هو ابن يزيد الخوزي المكي، وقد تكلم فيه بعض أهل العلم من قبل حفظه.

(٥) رجح الطبري أن ذلك على قدر الطاقة فمن كان واجدًا طريقًا إلى الحج لا مانع له منه من زمانة أو عجز أو عدو أو قلة ماءٍ في طريقه أو زادٍ وضعف عن المشي، فعليه فرض الحج لا يجزيه إلا أداؤه، فإن لم يكن مطيقًا الحج بتعذر بعض هذه المعاني فهو ممن لا يستطيعه؛ لأن الاستطاعة إلى ذلك هي القدرة عليه، وقال: «أما الأخبار التي رويت عن رسول الله ﷺ في ذلك بأنه الزاد والراحلة، فإنها أخبار في أسانيدها نظر، لا يجوز الاحتجاج بمثلها في الدين». وذكر الإمام الشافعي وجهاً آخر للاستطاعة فقال: «الاستطاعة وجهان: أحدهما: أن يكون الرجل مستطيعاً ببدنه واجداً من ماله =

والحَجُّ والحِجُّ لغتان(١)، وقد سبق.

﴿وَمَن كَفَرَ﴾ ابن عبّاسٍ: بوجوبِ الحجِّ(٢).

وقيل: بآياتِ الله.

مجاهدٌ: هو الذي إن حجَّ لم يره برًّا، وإن لم يحجَّ لم يره مأثمًا(٣).

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾: لا يضرُّه كفرُ الكافرين.

* * *

(٩٨) ـ ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعۡمَلُونَ﴾.

﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ هي آياتٌ مِن التَّوراةِ فيها صفةُ محمَّدٍ عليه السّلام ونعتُه.

ويُحتمَلُ: القرآنُ ومعجزاتُ النَّبيِّ عليه السّلام.

= ما يبلغه الحج، فتكون استطاعته تامة، ويكون عليه فرض الحج، لا يجزيه ما كان بهذا الحال إلا أن يؤديه عن نفسه، والاستطاعة الثانية: أن يكون مضنوّاً في بدنه لا يقدر أن يثبت على مركب فيحج على المركب بحال، وهو قادر على من يطيعه إذا أمره أن يحج عنه بطاعته له، أو قادر على مال يجد من يستأجره ببعضه فيحج عنه، فيكون هذا ممن لزمته فريضة الحج كما قدر، ومعروف في لسان العرب أن الاستطاعة تكون بالبدن وبمن يقوم مقام البدن». انظر: «تفسير الطبري» (٥/ ٦١٧).

(١) قرأ حفص وحمزة والكسائي بكسر الحاء، وباقي السبعة بفتحها. انظر: «السبعة» (ص: ٢١٤)، و«التيسير» (ص: ٩٠).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٦١٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧١٥).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٤٣٨)، والفاكهي في «أخبار مكة» (٧٨٧)، والطبري في «تفسيره» (٥/ ٦٢٠)، وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أيضًا رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٦٢١)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٣١٠).

ومعنى الاستفهامِ هاهنا: التَّقريرُ على الخطأ، والدُّعاءُ إلى معاودةِ الحقِّ(١).

﴿وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾: تهديدٌ ووعيدٌ.

* * *

(٩٩) ـ ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ﴾ ﴿تَصُدُّونَ﴾: تمنعون، والصَّدُّ: المنعُ، لازمٌ ومتعدٍّ.

﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ﴾ بتكذيبِكم بالنَّبيِّ عليه السَّلام.

الحسنُ: هم اليهودُ والنَّصارى(٢).

ابنُ زيدٍ: الخطابُ لليهود، وصدُّهم إغراؤُهم بينَ الأوسِ والخزرجِ(٣)، ويأتي ذِكرُه.

---

(١) الظاهر أن الاستفهام هنا للتوبيخ، كما قال الواحدي، وعبارة المصنِّف ليست ببعيدة عن هذا؛ فـ(التقرير) في عبارته عام، والتوبيخ داخل فيه، فالاستفهام يخرج إلى معنى التقرير والتسوية، والتقريرُ يكون تنبيهاً وتوبيخاً ونفياً، وهذا اصطلاح كثير من المتقدمين، وهو أعمُّ من معنى (التقرير) في الاصطلاح الشائع اليوم، وقد فرَّق الأزهري بأن التقرير ما كان من الجبار لوليه، والتوبيخ ما كان لعدوِّه، أما المتأخرون ففصَّلوا في الأغراض التي يخرج إليها الاستفهام، وجعلوا التوبيخ والتقرير غرضين منفصلين. انظر: «الكامل» للمبرد (١/ ١٧٢)، و«المقتضب» له أيضاً (٢/ ٥٣)، و«معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢٠٩)، و«تهذيب اللغة» للأزهري (١٥/ ٤٧٦)، و«الوسيط» للواحدي (١/ ٤٧١)، و«المفردات» للراغب الأصفهاني (ص: ٨٤٣)، و«مفتاح العلوم» للسكاكي (ص: ٣٠٤)، و«الإيضاح» للقزويني (٣/ ٦٨ ـ ٧٩).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٦٣٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧١٧).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٤١٢) عن ابن زيد، ورواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٦٢٧) عن زيد بن أسلم في خبر سيأتي قريباً.

﴿تَبۡغُونَهَا﴾: تطلبونها[١]؛ للسَّبيلِ[٢].

﴿عِوَجًا﴾ بإيرادِ الشُّبهِ والشُّكوكِ على المؤمنين.

وقيل: ﴿عِوَجًا﴾؛ أي: أن يكونَ فيها عدولٌ عمّا أمرَ به الله.

والعِوَجُ بالكسر: في الدِّينِ والرَّأيِ، وبالفتح: في القناةِ[٣] والحائطِ[٤].

﴿وَأَنتُمۡ شُهَدَآءُ﴾ أنَّ دينَ اللهِ الإسلامُ.

وقيل: عقلاء.

﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾.

ابن عيسى: بغيتُ الشَّيءَ: طلبتُه، اِبْغِني كذا؛ أي: اطلبْهُ لي[٥]، وأَبْغِني[٦] كذا بالفتح: أعنِّي عليه وعلى طَلَبِه[٧].

* * *

(١٠٠) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ﴾.

---

(١) في (ن): «تطلبون لها».

(٢) أي: الضمير يعود للسبيل.

(٣) في (و): «القامة».

(٤) انظر: «جمهرة اللغة» لابن دريد (١/ ٤٨٦) مادة (ع و ج).

(٥) في (و): «بغيتُ الشَّيءَ أَبْغِي كذا: أطلبه» بدل «بغيتُ الشَّيءَ: طلبتُه، اِبْغِنِي كذا؛ أي: اطلبْهُ لي».

(٦) «أبغني» من (و).

(٧) لم أقف على كلام ابن عيسى، وقد ذكر نحوه البندنيجي في «التقفية» (ص: ٤٧)، والحربي في «غريب الحديث» (٢/ ٦٠٧)، وغيرهما.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ يعني: الأوسَ والخزرج.

﴿إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يعني: شاسًا اليهوديَّ وأصحابَه.

﴿يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ﴾ باستباحةِ[1] القتلِ والخروجِ من أمرِ النَّبيِّ عليه السّلام.

وذلك أنَّ شاسَ بنَ قيسٍ اليهوديَّ أغرى بين الأوسِ والخزرجِ حتَّى قالوا: تعالوا نردُّ الحربَ جَذعًا كما كانَت، فنادى هؤلاء: يا لَلأوسِ، ونادى هؤلاء: يا لَلخزرجِ، فاجتمعوا، وأخذوا السِّلاحَ، واصطفُّوا للقتال، فنزلَت هذه الآية، فجاء النَّبيُّ عليه السَّلام حتَّى قامَ بين الصَّفَّين، فقرأها ورفعَ صوتَه، فلمّا سمعوا صوتَه أنصتوا له، وجعلوا يستمعون، فلمّا فرغَ ألقوا السِّلاح، وعانقَ بعضُهم بعضًا، وجثَوا يبكون، ثم انصرفوا مع رسولِ اللهِ عليه السَّلام سامعين مطيعين[2].

الحسنُ: نزلَت في مشركي العرب[3].

* * *

(١٠١) ـ ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ الخطابُ للأوسِ والخزرجِ.

﴿وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾ يعني: القرآنَ.

﴿وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ﴾ يعني: محمَّدًا عليه السَّلام.

---

(١) في (ن): «وباستباحة».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٦٢٧) عن زيد بن أسلم، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٣١١) عن محمد بن إسحاق.

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (٥/ ٤٦٣).

﴿وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ﴾: يتمسَّكْ بدينِه، ﴿فَقَدۡ هُدِيَ﴾: أُرشِدَ ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾.

ابن عيسى: أصلُ الاعتصامِ: الامتناعُ، والعِصمةُ: المنعُ عن المكروه[١].

***

(١٠٢) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ ابنُ مسعودٍ والحسنُ: هو أن يُطاعَ فلا يُعصَى، ويُذكَرَ فلا يُنسى، ويُشكَرَ فلا يُكفر[٢].

وقيل: ﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾: اتِّقاءَ جميعِ معاصيه.

قتادةُ والرَّبيعُ: هي منسوخةٌ بقولِه: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ [التغابن: ١٦][٣].

ابنُ عبّاسٍ وطاوس: هي محكمة[٤].

---

(١) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ١٠٨).

(٢) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٢٢)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٤٤١)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٤٥٥٣) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، ورواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٦٣٩) عن الحسن مقتصرًا على: «أن يطاع فلا يعصى»، وذكره الماوردي عن ابن مسعود والحسن في «النكت والعيون» (١/ ٤١٣)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٦٣٨) عن عمرو بن ميمون والربيع والسدي، ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٢٣٨) وابن مردويه كما في «تفسير ابن كثير» (٢/ ٧٤) مرفوعًا، قال ابن كثير: «والأظهر أنه موقوف».

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٤٣٩) عن قتادة، ورواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٦٤٢) عن قتادة والربيع.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٦٤١) عن ابن عباس رضي الله عنهما وطاوس، ورواه أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» (١/ ٢٦٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٣١٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

قال الشَّيخُ رحمه الله: وهذا أولى؛ لأنَّ قولَه: (اتَّقوا ما استطعتم)(١) بيانٌ لقولِه: ﴿اتَّقُواْ اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾؛ ولأنَّ مَن اتَّقى معاصيَه فقد اتَّقاه حقَّ تُقاتِه.

﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾؛ أي: دُومُوا على الإسلام.

* * *

(١٠٣) ـ ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾؛ أي: بالعِصامِ(٢)، وهو حبلٌ يمتنعُ المتمسِّكُ به عن الوقوع، والمرادُ به هاهنا: الإسلامُ.

ابنُ مسعودٍ وقتادةُ والسُّدِّيُّ: كتاب الله(٣).

أبو سعيدٍ الخدريُّ روى(٤) عن النبيِّ عليه السَّلام أنَّه قال: «كتابُ اللهِ هوَ حبلُ اللهِ الممدودُ منَ السَّماءِ إلى الأرضِ»(٥).

---

(١) «ابن عباس وطاوس هي محكمة قال الشَّيخُ رحمه الله وهذا أولى لأن قوله اتقوا ما استطعتم» من (ن).

(٢) أصل العصام: حبل تشد به القربة والدلو، ويُطلق على كل شيء عُصم به شيء. انظر: «المحكم» مادة (ع ص م) (١/ ٤٥٨).

(٣) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٦٠١٧)، وسعيد بن منصور في «سننه ـ التفسير» (٥١٩)، والدارمي في «سننه» (٣٣٥٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٩٠٣١) عن ابن مسعود رضي الله عنه، ورواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٦٤٤ ـ ٦٤٥) عن ابن مسعود رضي الله عنه والسدي وقتادة. ورواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٠٠٠٨)، وابن شاهين في «فضائل الأعمال» (٢٠٢)، والحاكم في «المستدرك» (٢٠٤٠) عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا، وقال الحاكم: «لم يخرجاه بصالح بن عمر».

(٤) «روى» من (ن).

(٥) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١١١٠٤)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٠٠٨١)، وأبو يعلى في =

عطاءٌ: عهدُ الله[١].

ابنُ مسعودٍ أيضًا: الجماعةُ[٢]. وهذا حسنٌ؛ لقوله[٣] تعالى: ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾.

أبو العالية: الإخلاصُ لله بالتَّوحيد[٤].

وأصلُه[٥] الحبلُ المفتول.

و﴿جَمِيعًا﴾: حالٌ عن ضميرِ المخاطَبين.

﴿وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾: عن دينِ الله، والزموا الجماعةَ والطّاعة.

الحسنُ: ولا تفرَّقوا عن رسولِ الله عليه السّلام[٦].

﴿وَٱذۡكُرُوا۟ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ﴾: ما أنعمَ به ﴿عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءً﴾: جمعُ عدوٍّ، كـ(فلو وأفلاء)، مشتقٌّ من (عدوَتي الوادي).

يريدُ به: العداوةَ التي امتدَّت بينَ الأوسِ والخزرجِ مئةً وعشرين سنة، على ما ذكره المفسِّرون.

= «مسنده» (١٠٢١)، وله شاهد رواه مسلم (٢٤٠٨) عن زيد بن أرقم رضي الله عنه.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٦٤٥).

(٢) رواه سعيد بن منصور في «سننه ـ التفسير» (٥٢٠)، والطبري في «تفسيره» (٥/ ٦٤٤)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٣١٩)، والحاكم في «المستدرك» (٨٦٦٣).

(٣) في (ن): «أحسن كقوله».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٦٤٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٢٤)، ورواه الطبراني في «الدعاء» (١٥٦٩) بلفظ: «بلا إله إلا الله، كونوا عليها إخواناً، ولا تفرقوا ولا تعادوا».

(٥) في (و): «وأصل».

(٦) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٤١٤) دون نسبة.

الحسنُ: مشركو العرب(١).

﴿فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ بالمودّةِ والمحبّةِ وإزالةِ البغضاءِ والعداوة.

﴿فَأَصْبَحْتُم﴾: صرتم، ويأتي (أصبحَ): دخلَ في الصَّباح، كـ(أشتى) و(أصاف)(٢).

﴿بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾: أصدقاء، والأخُ: الصَّديقُ الوكيدُ الصَّداقةِ، تشبيهًا بالأخِ من الولادة.

﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ بالكفرِ؛ أي: كنتم كمَن أشرفَ على خندقٍ مملوءٍ من النّارِ يكادُ يقعُ فيه.

أبو عبيدة: شفا الشَّيء: حَرْفُه(٣).

والحفرةُ: المحفورةُ(٤).

﴿فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾: نجّاكم وخلَّصَكم منها بالإيمان.

والضَّميرُ يعودُ إلى ﴿شَفَا﴾، وأُنِّثَ لإضافتِه إلى مؤنَّث(٥).

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٤١٤)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٣١٢).

(٢) والتي بمعنى: (صرتم) ناقصة، أما التي بمعنى: (دخل في الصباح) فتامة، وظاهر عبارة المصنِّف هنا أن التامة غير واردة في الآية، لكنه جوَّز ذلك في «غرائب التفسير» (١/ ٢٦٤)، واستغربه، وانظر: «الدر المصون» (٣/ ٣٣٣ ـ ٣٣٤).

(٣) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٩٨).

(٤) في (و): «والحفرة المحفور». انظر: «الكشاف» للزمخشري (٤/ ٦٩٤).

(٥) قال أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (١/ ٩٨): «ترك (شفا)، ووقع التأنيث على (حفرة) »، وكلامه يحتمل ما ذكره المصنف، ويحتمل أنه يرى عود الضمير على (الحفرة)، وهو اختيار الطبري في «تفسيره» (٥/ ٦٥٨)، أما النحاس فجوز في «إعراب القرآن» (١/ ١٧٤) عود الضمير على الحفرة والنار، وذكر الزمخشري قول المصنِّف في «الكشاف» (١/ ٣٩٥) وجوَّز عود الضمير على الحفرة =

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ الزَّجّاجُ: المعنى: مثل البيان الذي يُتلى عليكم يُبيِّنُ الله لكم آياتِه[1].

﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾: لتكونوا على رجاءِ هدايتِه.

محمَّدُ بنُ جريرٍ: أي: كما بيَّنَ لكم غِلَّ اليهودِ وغشَّهم لكم يبيِّنُ الله حججَه على لسانِ نبيِّكم[2].

* * *

(١٠٤) ـ ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ اختلفوا في (من)؛ فذهبَ بعضُهم إلى أنَّه للبيان[3]، فيلزمُ الجميعَ الدُّعاءُ والأمرُ بالمعروفِ والنَّهيُ عن المنكر؛ أي: كونوا كلُّكم داعينَ إلى الخيرِ آمرينَ بالمعروفِ ناهينَ على المنكر.

المفضَّل: أي: كونوا أمَّةً تدعونَ إلى الخير. قال: ولم يرد أن يكونَ بعضُهم على

= والنار، وذكر هذه الوجوه ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٤٨٥) ونسب ما ذكره المصنِّف للطبري ولم يستحسنه، أما أبو حيان فلم يستحسن في «البحر المحيط» (٣/ ٢٨٨) إلا ما ذكره المصنِّف.

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٥١).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٥/ ٦٦٠).

(٣) ممن ذهب إلى هذا النحاس، وظاهر كلام الزجاج أنه يميل إليه، مع أنه جوَّز أن تكون (من) للتبعيض. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٥٢)، وللنحاس (١/ ٤٥٦).

غيرِ ذلك. قال: وهذا من كلامِ العربِ فصيحٌ يقولونَ للرَّجل: ليكن منك رجلٌ قائمًا بهذا؛ أي: كن قائمًا به(١).

وذهبَ أكثرُهم إلى أنَّ (مِن) للتَّبعيضِ، وهو فرضٌ على الكفاية، فإذا قامَ به بعضٌ سقطَ عن الباقين.

* * *

(١٠٥) - ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾.

﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ﴾ يعني: اليهودَ والنَّصارى اختلفوا في كُتبِ الله حتى صاروا يكفِّرُ بعضُهم بعضًا، ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾.

* * *

(١٠٦) - ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾.

﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ ﴾ العاملُ في الظَّرفِ: ﴿عَظِيمٌ ﴾؛ أي: يَعْظُمُ يومَ تَبيضُّ وجوهٌ.

وقيل: العاملُ ما في الكلامِ(٢) من معنى الفعل(٣).

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٦٤)، واستغربه، ومال إليه ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٤٨٦)، وهذا الوجه فيه اختلاف عن الوجه الأول رغم قربه منه؛ ففي هذا الوجه ما يسمى بالتجريد.

(٢) في (و): «اللام».

(٣) يعني: معنى الثبات والاستقرار المفهوم من قوله: ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾؛ أي: أولئك يثبت لهم عذاب عظيم يومَ... انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٥٣)، و«إعراب القرآن» للعكبري (١/ ٢٨٤)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (١/ ٤٨٧).

أي: تبيضُّ وجوهُ المؤمنين.

﴿وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾؛ أي: وجوهُ الكافرين.

حملَ أكثرُهم البياضَ والسَّوادَ على حقيقةِ اللَّون، وذهبَ بعضُهم إلى أنَّهما مَثَلان، كقولِه: ﴿ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا﴾ [النحل: ٥٨]، وكقولِ العربِ لمن نالَ أمنيتَه: ابيضَّ وجهُه[1].

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم﴾ تقديرُه: فيُقالُ لهم: أكفرتم[2]، فأضمرَ الفاءَ مع القول[3]، وأنكرَه صاحبُ النَّظم، وإنكارُه منكرٌ[4].

أكفرتم[5] ﴿بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾: تبكيتٌ[6].

---

(١) ممن ذهب إلى هذا الزجاج والنحاس، وقد ذكره المصنف، واستغربه. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٥٣)، وللنحاس (١/ ٤٥٦)، و«غرائب التفسير» (١/ ٢٦٥).

(٢) «أكفرتم» من (ن).

(٣) ذكره الفراء في «معاني القرآن» (١/ ٢٢٨)، والأخفش في «معاني القرآن» (١/ ٢٢٩)، وابن قتيبة في «تأويل مشكل القرآن» (ص: ١٣٧)، والمبرد في «الكامل» (١/ ٢٩٦)، والطبري في «تفسيره» (٥/ ٦٦٤)، والزجاج في «معاني القرآن» (١/ ٤٥٤)، وأبو علي الفارسي في «الحجة» (٤/ ٢٤١)، وابن فارس في «الصاحبي» (ص: ١٧٧)، وقد سماه ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٤٨٧) بفحوى الخطاب.

(٤) صنع أبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ٢٩٤ ـ ٢٩٥) مثل صنيع المصنف، فنقل أن الشيخ كمال الدين عبد الواحد بن عبد الله الأنصاري أنكر في كتابه «نهاية التأميل في أسرار التنزيل» على النحاة قولهم في هذه الآية، وأنكر عليه أبو حيان إنكاره، وردَّ عليه قوله.

(٥) «أكفرتم» من (ن).

(٦) «تبكيت» من (ن). والتبكيت هو التوبيخ، قال الزجاج في «معاني القرآن» (١/ ٤٥٤): «هذه الألف لفظها لفظ الاستفهام، ومعناها التقرير والتوبيخ».

الحسنُ: هم المنافقون[١].

قتادةُ: المرتدُّون[٢].

أُبيُّ بنُ كعبٍ: جميعُ الكفّار؛ لأنَّهم آمنوا يومَ الميثاق، وقالوا: بلى، ثم كفروا[٣].

وقيل: هم أهلُ الكتابِ كفروا بمحمَّدٍ بعدَ مبعثِه، وكانوا مؤمنينَ به قبلَ المبعث.

﴿فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾؛ أي: جزاءً لكفرِكم.

* * *

(١٠٧) ـ ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ﴾: جنَّته[٤].

﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾: دائمون.

الزَّجّاجُ: كرَّرَ (في) تأكيدًا[٥].

ابنُ عيسى: كلُّ واحدةٍ منهما قائمةٌ بنفسِها؛ أي: إنَّهم في رحمةِ الله، وإنَّهم خالدون فيها[٦].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٦٦٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٢٩).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٦٦٤) بلفظ: «لقد كفر أقوام بعد إيمانهم كما تسمعون»، ولقد ذُكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول: «والذي نفس محمد بيده، ليردن علي الحوض ممن صحبني أقوام، حتى إذا رفعوا إلي ورأيتهم اختلجوا دوني، فلأقولن: رب أصحابي أصحابي، فليقالن: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٦٦٥)، ورجَّحه، ورواه ابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٣٢٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٣٠).

(٤) «جنته» من (ن).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٥٥).

(٦) ذكر نحوه الراغب الأصفهاني في «تفسيره» (٢/ ٧٨٥) دون نسبة، وكذا فعل الزمخشري في =

(١٠٨) ـ ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾.

﴿تِلْكَ﴾؛ أي: التي سبقَت من القصصِ والأوامرِ والنَّواهي.

﴿ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾: كتابُه[1].

أبو عبيدة: ﴿ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾: عجائبُه[2].

﴿نَتْلُوهَا﴾: نقصُّها.

﴿عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ﴾: بالوعدِ والوعيدِ.

محمَّدُ بنُ جريرٍ: كلُّها صدقٌ ويقين[3].

﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ﴾؛ لأنَّه سبحانَه خالقُهم.

* * *

(١٠٩) ـ ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾: تصيرُ الأمورُ، فيجازي المحسنَ بإحسانِه والمسيءَ بإساءتِه.

الزَّجّاجُ وغيرُه: إنَّما صرَّحَ باسمِ الله في قولِه: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ﴾ فلم يضمر؛ تعظيمًا له، كقول الشاعر:

لا أرى الموتَ يَسبِقُ الموتَ شيءٌ … نغَّصَ الموتُ ذا الغِنى والفقيرا[4]

= «الكشاف» (١/ ٣٩٩).

(١) «كتابه» من (ن).

(٢) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ١٠١).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٥/ ٦٦٨).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٥٥ ـ ٤٥٦). والبيت مختلف في نسبته؛ فهو لعدي بن زيد في =

(١١٠) - ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: المرادُ بالأمّةِ هاهنا: الذينَ هاجروا مع محمَّدٍ[1] عليه السَّلام من مكَّةَ إلى المدينة[2].

قال عكرمةُ ومقاتلٌ: نزلَت في ابنِ مسعودٍ وأُبيٍّ بن كعبٍ ومعاذِ بنِ جبلٍ وسالمٍ مولى أبي حذيفةَ، وذلك أنَّ مالكَ بنَ الصَّيفِ ووهبَ بنَ يهوذا قالا لهم: إنَّ دينَنا خيرٌ ممّا تدعوننا إليه، ونحن خيرٌ وأفضلُ منكم، فأنزلَ الله هذه الآية[3].

قال الضَّحّاكُ: هم أصحابُ رسولِ الله عليه السّلام[4].

السُّدِّيُّ: عن عمرَ بنِ الخطّابِ أنَّه[5] قال: لو شاءَ الله قال: أنتم، فكنّا كلَّنا، ولكنَّه

= «ديوانه» تحقيق: محمد جبار المعيبد (ص: ٦٥)، و«مشكل الحديث» لابن فورك (ص: ٦١)، و«شرح ديوان الحماسة» للمرزوقي (ص: ٨٨)، ولابنه سواد - أو سوادة - بن عدي في «الكتاب» (١/ ٦٢)، و«شرح الكتاب» للسيرافي (١/ ٣٣٥)، و«الاقتضاب» (٣/ ١٩٦)، ولأحدهما في «شرح أبيات سيبويه» لابن السيرافي (١/ ٨٧)، و«لسان العرب» لابن منظور مادة (ن غ ص) (٧/ ٩٩).

(١) في (ن): «مع رسول الله».

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٤٦٣)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٠٠٦)، والحاكم في «المستدرك» (٣١٦٠) وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

(٣) كذا ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٤٣)، والواحدي «أسباب النزول» (ص: ١١٨)، ونبَّه ابن حجر في «العجاب» (٢/ ٧٣٣) أن عكرمة روى بعضه ومقاتلاً بعضه، وانظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٢٩٥)، و«تفسير الطبري» (٥/ ٦٧٢).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٦٧٣).

(٥) «أنه» من (ن).

قال: كنتم، فكانَ في خاصّةِ أمّةِ محمَّد، ومَن صنعَ مثلَ ما صنعوا، كانوا خيرَ أمّة[١].

مجاهدٌ: أنتم خيرُ أمّة[٢].

الزَّجّاجُ: يعني: أمّةَ محمَّدٍ عليه السّلام؛ مَن كان منهم بالشَّرائطِ والصِّفاتِ المذكورةِ، فهو خيرُ النّاس[٣].

وذُكِرَ لـ(كان) في الآيةِ وجوهٌ[٤]:

أحدها: أنَّها[٥] النّاقصةُ، و﴿خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ خبرُها، والمعنى: كنتم في اللَّوحِ المحفوظِ بهذه الصِّفة.

والثّاني: أنَّها التّامّةُ، و﴿خَيْرَ أُمَّةٍ﴾[٦] حالٌ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٦٧١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٣٢)، وفيهما: «أصحاب محمد» بدل «أمة محمد».

(٢) روى القاسم بن سلام في «الناسخ والمنسوخ» (١/ ٢٩٤) والطبري في «تفسيره» (٥/ ٦٧٤) عن مجاهد: «كنتم خير الناس للناس، على هذا الشرط؛ أن تأمروا بالمعروف، وتنهوا عن المنكر، وتؤمنوا بالله...»، وهو قريب من القول الذي نسبه المصنِّف للزجاج، وما نسبه المصنف لمجاهد هو قول الفراء وابن قتيبة، وهو أحد اختياري الطبري. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٢٩)، و«تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (ص: ١٨٠)، و«تفسير الطبري» (٥/ ٦٧٦).

(٣) هو معنى قوله ومستفاد منه. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٥٦).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٢٩)، و«إعراب القرآن» للنحاس (١/ ١٧٥)، و«تهذيب اللغة» للأزهري (١٠/ ٢٠٥)، و«البسيط» للواحدي (٣/ ٣٧٨) و(٥/ ٤٩٣ ـ ٤٩٥)، و«المفردات» للراغب (ص: ٧٣١)، و«الكشاف» للزمخشري (١/ ٤٠٠)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٣/ ٣٠٠)، و«الدر المصون» للسمين الحلبي (٣/ ٣٤٩).

(٥) «أنها» من (ن).

(٦) «خبرها والمعنى كنتم في اللوح المحفوظ بهذه الصفة والثاني انها التامة وخير أمة» من (ن).

والثالث: بمعنى: صِرتم[١]؛ أي: صرتم خيرَ أمّةٍ لأمركِم بالمعروفِ ونهيِكم عن المنكرِ وإيمانِكم باللهِ[٢].

والرابع: أنَّها زيادةٌ، كما في قوله: ﴿مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ [مريم: ٢٩].

والخامس: أنَّ هذا في القيامة، وهو متَّصلٌ بقوله: ﴿فَفِي رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٧]؛ أي: فيُقال لهم في القيامة: كنتم ـ أي: في الدُّنيا ـ خيرَ أمّة[٣].

السادس: كنتم بهذه الصِّفةِ في الكتبِ المتقدِّمة.

وتَحتمِلُ وجهًا سابعًا، وهو أنَّ (كان) قد تُستعمَلُ للدَّوامِ دونَ الماضي، وتسميةُ بعضِ النَّحويين: كان الحال، وبعضِهم: الواقع؛ كقولِه: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾؛ أي: هو سميع بصير[٤]، وكذلك الآيةُ؛ أي: أنتم خيرُ أمّة[٥].

﴿أُخْرِجَتْ﴾: أُظهِرَت وأُوجِدَت.

ابنُ عبّاسٍ: أُخرِجت من مكّةَ إلى المدينة[٦].

﴿لِلنَّاسِ﴾؛ أي: لسائرِ النّاس.

وقيل: المرادُ بهم: أهلُ مكّة.

وقيل: هو عامٌّ.

---

(١) في (ن): «صار».

(٢) في (و) زيادة: «والشرائع».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٦٥)، واستغربه.

(٤) «أي هو سميع بصير» من (ن).

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٦٥)، وعدَّه من العجائب.

(٦) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٦٧١)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٣٣١)، وقد تقدم، وذكره أبو حيان بلفظ المصنف في «البحر المحيط» (٣/ ٣٠١).

واللامُ متعلِّقٌ بالخبرِ[١]، كما تقولُ: هذا خيرٌ لك.

وقيل: متعلِّقٌ بـ﴿أُخۡرِجَتۡ﴾.

وقيل: متعلِّقٌ بقوله: ﴿تَأۡمُرُونَ﴾؛ أي: تأمرونَ النّاسَ بالمعروفِ وتنهَونَ عن المنكر، فلمّا تقدَّمَ دخلَه اللامُ، كقولِه: ﴿لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ﴾[٢].

﴿تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾: بالإيمانِ وطاعةِ الرَّسولِ وسائرِ الخيرات.

﴿وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾: الكفرِ وتعاطي المحرَّمات.

﴿وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ الواوُ لا تقتضي التَّرتيب.

ابن عيسى: إنما قيل للحَسَنِ: معروفٌ، والقبيحُ أيضًا معروفٌ قبحُه؛ لأنَّ القبيحَ بمنزلةِ ما لا يُعرَفُ بخمولِه وسقوطِه، والحَسَنُ يُعرَفُ لجلالتِه[٣].

﴿وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ يريدُ: عامَّتَهم.

﴿لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾؛ أي: بعضُهم.

﴿وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾: الخارجون من طاعة الله.

* * *

(١١١) ـ ﴿لَن يَضُرُّوكُمۡ إِلَّآ أَذٗىۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمۡ يُوَلُّوكُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾.

﴿لَن يَضُرُّوكُمۡ إِلَّآ أَذٗى﴾ مقاتلٌ: إنَّ رؤوسَ اليهودِ كعبًا[٤] والنُّعمانَ وأبا رافعٍ

---

(١) وهو (خير)، وهذا التعليق يجعل الخيرية مخصوصة، ولذاك حاد عنه أبو حيان.

(٢) ذكر أبو حيان الوجوه الثلاثة، واستظهر التعليق بـ(أخرجت)، واستبعد التعليق بـ(تأمرون). انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٣/ ٣٠١)، و«الدر المصون» للسمين الحلبي (٣/ ٣٥٠).

(٣) في (و): «لجلائه».

(٤) في (ن): «وكعبا».

وأبا ياسرٍ[1] وابنَ صوريا عمدوا إلى مؤمنيهم عبدِ الله بنِ سلامٍ وأصحابِه، فآذَوهم لإسلامِهم، فأنزلَ الله هذه الآية[2].

قوله: ﴿إِلَّآ أَذًى﴾ ابنُ عبّاسٍ: إلا الأذى[3] بالألسنِ[4].

الحسنُ وقتادةُ وابنُ جرير: إسماعُ الكفرِ والتَّكذيب[5].

وقيل: ما يقولونه في عُزير والمسيح والصَّليب[6].

والاستثناءُ صحيحٌ؛ أي: لن يضرّوكم إلا ضررًا[7] يسيرًا، والأذى: هو الضَّررُ.

الفرّاءُ وابنُ جريرٍ: منقطعٌ[8].

---

(١) في (و): «إياس».

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٢٩٥)، و«تفسير الثعلبي» (٩/ ١٦٥)، وفي «تفسير مقاتل» زيادة على ما ذكره المصنف من أسماء رؤوس اليهود: شعبة وبحري وكنانة بن أبي حقيق، وفيه «أبا نافع» بدل «أبا رافع».

(٣) في (و): «أذى».

(٤) ذكر نحوه الفيروزآبادي في «تنوير المقباس من تفسير ابن عباس» (ص: ٥٤).

(٥) انظر: «تفسير الطبري» (٥/ ٦٧٨)، وقد رواه بألفاظ مختلفة؛ فلفظ رواية الحسن: «تسمعون منهم كذبا على الله، يدعونكم إلى الضلالة»، ورواية قتادة: «لن يضروكم إلا أذى تسمعونه منهم»، وكذا رواه ابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٣٣٤) عن قتادة، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٣٤) عن الحسن.

(٦) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٦٧٩) وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٣٣٤) عن ابن جريج، وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٣١٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٧) في (ن): «ضرا».

(٨) هذا قول الأخفش والطبري، ونقله أبو حيان عن الفراء والزجاج، ولم أقف عليه فيما بين يدي من كتبهما. وانظر: «تفسير الطبري» (٥/ ٦٧٨)، و«معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٢٩)، وللأخفش (١/ ٢٣٠ـ ٢٢٩)، وللزجاج (١/ ٤٥٧)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٣/ ٣٠٣).

﴿وَإِن يُقَـٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾؛ أي: ينهزموا.

وتوليةُ الأدبارِ كنايةٌ عن الانهزام؛ لأنَّ المهزومَ يُولِّي دُبرَه الهازم[١].

﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ استئنافُ كلامٍ[٢]، ووعدٌ منَ الله بأنْ لا ينصرَهم اللهُ ولا أحدٌ من خَلقِه، وكانَ كما وعدَ.

وقيل: حقُّه الجزمُ، لكنَّه رُفِعَ للفاصلة[٣].

ابنُ عيسى: رُفِعَ؛ لأنَّ التَّوليةَ سببُه[٤] القتالُ، ومنعُ النَّصرِ سببُه الكفرُ بالله[٥].

* * *

(١١٢) - ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾.

﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾؛ أي: على اليهودِ.

ومعنى ضَرْبِ الذِّلّة: إلزامُهم إيّاها بحيثُ لا تبرحُ.

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٥/ ٦٨٠).

(٢) ذهب إلى هذا الفراء. انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٨٧).

(٣) هذا خلاصة قول الطبري في «تفسيره» (٥/ ٦٨٠).

(٤) كذا في النسخ الخطية، وحقُّ هذا عندنا أن يقال: سببها، ولكن مثل هذا كثير في كلام المصنف وغيره من المتقدمين، فهم يتجوَّزن في مثل هذا؛ فيعاملون المؤنث المجازي معاملة المؤنث أحياناً، ومعاملة المذكر أحياناً أخرى.

(٥) لم أقف على هذا القول له، وقد بيَّنَ أنه يجوز في الآية الرفع والجزم. انظر: «شرح كتاب سيبويه» لعلي بن عيسى الرماني (ص: ١٠٢١).

وقيل: معناه: جُعلَت الذِّلَّةُ محيطةً بهم كإحاطةِ القُبَّةِ أو[1] الخيمةِ بمن ضُرِبَت له[2].

﴿أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ﴾: صُودِفُوا ووُجِدُوا.

﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ الحبلُ: العهدُ والذِّمّةُ، والأمانُ الذين يأخذونه من المؤمنين.

الفرّاءُ والزَّجّاجُ: الاستثناءُ منقطعٌ؛ لأنَّ الذلَّةَ لا تفارقُهم أبدًا، والباءُ متعلِّقٌ بمضمرٍ؛ أي: لكنَّهم يعتصمون بحبلٍ إذا أُعطوه[3].

وقيل: الاستثناءُ متَّصلٌ، وتقديره: ضُربت عليهم الذِّلّةُ بكلِّ حالٍ إلا بحالِ العهدِ، وبكلِّ مكانٍ إلا مكانَ العهدِ[4].

﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾ مضى تفسيرُه.

***

(١١٣) - ﴿لَيْسُواْ سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾.

---

(١) «القبة أو» من (ن).

(٢) تأمل كلام المصنِّف في بيان بلاغة الآية، وقارن بينه وبين كلام مَن سبقه ومن تبعه مِن أئمة البلاغة، تجد ما يدلُّك على مكانة المصنِّف وميزته. انظر: «النكت في إعجاز القرآن» لعلي بن عيسى الرماني (ص: ٩٠)، و«الصناعتين» للعسكري (ص: ٢٧٤)، و«فصل المقال» للبكري (ص: ١٠٦)، و«الكشاف» للزمخشري (١/ ١٤٥)، و«مفتاح العلوم» للسكاكي (ص:٣٩٠)، و«عروس الأفراح» للسبكي (٢/ ١٦٦).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٣٠)، و«معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٥٧).

(٤) نُسب هذا القول لثعلب. انظر: «الغريبين» للهروي (٢/ ٤٠٢).

﴿لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ﴾ ابنُ عبّاسٍ ومقاتلٌ: لـمّا أسلمَ عبدُ الله بنُ سلامٍ وأصحابُه قال[١] أحبارُ اليهود: ما آمنَ بمحمَّدٍ إلّا شرارُنا، ولو كانوا من خيارِنا لَما تركُوا دينَ آبائِهم. وقالوا لهم: لقد خسرتُم حين استبدلتُم بدينِكم دينًا غيرَه، فأنزلَ الله: ﴿لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ﴾ الآية[٢].

ابنُ مسعودٍ: نزلَت في صلاةِ العتمةِ، وقال: أخَّرَ رسولُ الله ﷺ صلاةَ العشاء، ثمَّ خرجَ إلى المسجدِ فإذا النّاسُ ينتظرونَ الصَّلاة، فقالَ: «إنَّه ليسَ مِن أهلِ الأديانِ أحَدٌ يَذكُرُ الله في هذهِ السّاعةِ غيرُكم» فأنزلَ اللهُ هذه الآياتِ إلى قولِه: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ﴾[٣].

والضَّميرُ يعودُ إلى اليهودِ؛ أي: ليسُوا كلُّهم كفرةً معاندين، بل منهم أمّةٌ قائمة.

أبو عُبيدةَ: هذا على لغةِ (أكلوني البراغيث)[٤]، وتقديرُه: من أهلِ الكتابِ أمّةٌ قائمةٌ وأمّةٌ غيرُ قائمةٍ. وزيَّفَ قولَه النُّحاةُ[٥].

---

(١) في (و): «قالت».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٦٩١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٣٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وانظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٢٩٦).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣٧٦٠)، وابن حبان في «صحيحه» (١٥٣٠). وله شواهد لكن دون ذكر أنها سبب نزول الآية، منها ما رواه البخاري (٥٦٩)، ومسلم (٦٣٨)، عن عائشة رضي الله عنها قالت: أعتم رسول الله ﷺ بالعشاء حتى ناداه عمر: الصلاة، نام النساء والصبيان، فخرج، فقال: «ما ينتظرها أحد من أهل الأرض غيركم».

(٤) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ١٠١)، وذكره المصنِّف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٦٥)، واستغربه، وإنما ذكر أبو عبيدة هذا على وجه الجواز، وبيّن جواز أن يكون الكلام جملتين؛ الأولى: ﴿لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ﴾، والثانية: ﴿مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ﴾.

(٥) ممن أنكر على أبي عبيدة قولَه الزجاج والنحاس، وقد علمت أنهم إنما ردوا قوله بقوله الآخر، ووجه الردِّ: أنَّ هذا اللغة إنما يعود الضمير على ما بعده، ويُشترط ألا يكون له ذِكر سابق، وقد جرى =

﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾: جماعةٌ مستقيمةٌ، وقيل: ثابتةٌ على الحقِّ، وقيل: عادلةٌ.

الأخفشُ والزَّجّاجُ: أي: ذوو أُمّةٍ، وهي الطَّريقةُ[1]، قال النّابغةُ:

حلفْتُ فلم أَتْرُكْ لنفسِكَ رِيْبةً[2] وَهَلْ يَأْثَمَنْ ذُو أُمَّةٍ وَهُوَ طائِعُ[3]

﴿يَتْلُونَ﴾: يقرؤونَ ﴿ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: القرآنَ.

﴿ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾: ساعاتِه، واحدُها: أَنًى وإِنًى وإِنْوٌ، وقيل: إِنْيٌ[4].

﴿وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾: يصلُّون.

ابنُ مسعودٍ: يريدُ صلاةَ العشاءِ الآخرة؛ لأنَّها ليسَت لسائرِ الأمم[5].

وقيل: هذا حثٌّ على صلاةِ اللَّيل.

ويَحتمِلُ قولُه: ﴿وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾: سجدةَ التِّلاوةِ[6].

= ذكر أهل الكتاب قبل الضمير في الآية، فلا ينبغي حملها على هذه اللغة. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٥٨)، و«إعراب القرآن» للنحاس (١/ ١٧٦).

(١) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ٢٢٩)، و«معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٥٨).

(٢) «النابغة حلفت فلم أترك لنفسك ريبة»: ليس في (ن).

(٣) البيت للنابغة كما في: «ديوانه» تحقيق: حمدو طماس (ص: ٧٧)، و«العين» (٨/ ٤٢٨)، و«تفسير الطبري» (٣/ ٦٢١).

(٤) في مفرد (آناء) أقوال أخرى، وهي: أنيٌ، وأناءٌ، وظاهر صنيع المصنِّف هنا يوهم أنه يرجح أن أصل الكلمة واوي، وهو قول بعض اللغويين، ولكنه استغرب هذا في «غرائب التفسير»، وظاهر صنيعه هناك يدلُّ على أنه يرى أن أصلها يائي، وهو قول أكثرهم. انظر: «المنتخب» لكراع النمل (ص: ٥٣٦)، و«الصحاح» للجوهري مادة (أ ن ى) (٦/ ٢٢٧٣)، و«غرائب التفسير» (١/ ٢٦٦)، و«الدر المصون» للسمين الحلبي (٣/ ٣٥٦)، و«تاج العروس» للزبيدي (٢٧/ ١٠٦).

(٥) تقدم الحديث فيه عند قوله تعالى: ﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً﴾ [آل عمران: ١١٣].

(٦) ذكره المصنِّف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٦٦)، واستغربه.

(١١٤) - ﴿ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾.

﴿ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾: بالإيمانِ وسائرِ أبوابِ البرِّ.

﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾: الكفرِ وسائرِ مَنهيّاتِ الشَّرع.

﴿وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾: يعملونها غيرَ مُتثاقِلين، وقيل: يُبادِرون إليها[١].

﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾: من المؤمنين.

* * *

(١١٥) - ﴿ وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴾.

﴿**وما تفعلوا من خيرٍ**﴾: من[٢] برٍّ وطاعةٍ، ﴿**فلن تكفروه**﴾؛ أي: لن[٣] تعدموا جزاءَه؛ أي: لا يُستَرُ عنكم شيءٌ منه.

الياءُ على الغيبةِ، والتّاءُ على الخطاب[٤].

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴾ فيجازيهم على أعمالِهم.

* * *

(١) انظر: «البسيط» للواحدي (٥/ ٥٢٠).

(٢) «من»: ليس في (ن).

(٣) «لن» من (ن).

(٤) قرأ حفص وحمزة والكسائي: ﴿ وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ﴾ بالياء جميعًا، وباقي السبعة بالتاء. انظر: «السبعة» (ص: ٢١٥)، و«التيسير» (ص: ٩٠).

(١١٦) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۚ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾؛ أي: كثرةُ الأموالِ والأولادِ لا تدفعُ المكروهَ من عذاب الله.

وقيل: معناه: لا ينفعُ إنفاقُ الأموالِ مع الكفر.

و﴿شَيْـًٔا﴾ يُحتمَلُ أن يكونَ مفعولًا، ويُحتمَلُ أن يكون مصدرًا؛ أي: شيئًا من الغنى[١].

﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾: مُلازموها.

ابنُ عيسى: أصحابُ النّارِ: ملازموها، كقوله: أصحابُ الصَّحراءِ، وأصحابُ العقارِ: مُلّاكُه، وأصحابُ الرَّجلِ: أتباعُه، وأصحابُ العالِم: المتعلِّمونَ منه[٢].

﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

* * *

(١١٧) ـ ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾؛ أي[٣]: مثلُ ما ينفقُه الكافرُ قُربةً إلى الله.

---

(١) أي: يُنصب على أنه نائب مصدر مفعول مطلق.

(٢) ذكر الواحدي في «البسيط» (٧/ ٢٩٢) والرازي في «مفاتيح الغيب» (١١/ ٣٢١) نحو هذا في قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ [المائدة: ١٠]، بلا نسبة.

(٣) «أي» من (ن).

وقيل: ما ينفقُه المنافقون على جهةِ المداراةِ للمؤمنينِ خوفًا من أن ينكشفَ نفاقُهم.

الزَّجّاجُ: يعني به: اليهود[١].

السُّدِّيُّ: نزلَت في أبي سفيانَ وأهلِ مكَّةَ وإنفاقِهم يومَ بدر[٢].

والتَّقديرُ: مَثَلُ إهلاكِ اللهِ ما ينفقونَ كمَثَلِ إهلاكِ ريحٍ.

ابنُ عيسى: مثلُ ما يُنفقون كمُهلَكِ ريحٍ.

﴿فِيهَا صِرٌّ﴾ ابنُ عبّاسٍ والحسنُ وقتادةُ: بَرْدٌ[٣].

الزَّجّاجُ: الصِّرُّ: صوتُ لهيبِ النّارِ التي في تلك الرِّيح[٤].

﴿أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ بالكفر، فدمَّرَ الله عليهم.

وقيل: ﴿ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ بأن زرعوا في غيرِ موضعِ الزَّرعِ أو غيرِ وقتِ الزَّرع[٥].

﴿فَأَهْلَكَتْهُ﴾: صيَّرته بحيث لا يُنتفَعُ به.

﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ﴾ بإهلاكِ زرعِهم.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٦٠).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٨٢) والواحدي في «البسيط» (٥/ ٥٢٣) عن يمان، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٤١٨) دون نسبة.

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٤٣) وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥٢٤) عن الحسن، ورواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٧٠٥ ـ ٧٠٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة.

(٤) نقله الزجاج عن بعضهم، وقدَّم عليه أنَّ الصِّرَّ: البرد الشديد. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٦١).

(٥) «بالكفر فدمر الله عليهم وقيل ظلموا أنفسهم بأن زرعوا في غير موضع الزرع أو غير وقت الزرع» من (ن).

﴿وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بكفرِهم، أو زرعِهم في غيرِ موضعِه أو أوانِه(١).

ويُحتمَلُ أن يعودَ إلى الضَّميرِ في ﴿يُنفِقُونَ﴾.

***

(١١٨) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾ ابنُ عبّاسٍ ومجاهدٌ: نزلَت في قومٍ من المؤمنين كانوا يُصافونَ المنافقين، ويُوالونَ رجالًا من اليهودِ لِما كان(٢) بينهم من القرابةِ والصَّداقةِ والحِلْفِ والجِوارِ والرَّضاع، فأنزلَ الله فيهم هذه الآيةَ ينهاهم عن مُباطنتِهم(٣).

وبطانةُ الرَّجل: مَن يطلعُه على أسرارِه ثقةً به، مشتقَّةٌ من (البطن).

الزَّجّاجُ: لا تتَّخذوا مَن ليس على دينِكم خليلًا لكم(٤).

أبو عبيدة: دُخلاء(٥).

﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾: صفةٌ للبِطانةِ(٦)، والمعنى: لا يُقصِّرون في فسادِ دينِكم،

---

(١) في (ن): «وأوانه».

(٢) في (ن): «لمكان».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٧٠٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٤٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد.

(٤) «لكم» من (ن)، وهذا مستفاد مما قاله الزجاج في «معاني القرآن» (١/ ٤٦١ ـ ٤٦٢).

(٥) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ١٠٣).

(٦) أي: الجملة في محل نصب صفة (بطانة).

والعـربُ تقـول: مـا ألوتُـه خيـرًا؛ أي: مـا قصَّـرت في فعـلِ ذلـك به، وكذلـك: ما ألوتُه شـرًّا.

والخَبالُ: الفسادُ، والخَبَلُ: الجنونُ.

﴿وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ﴾ ابنُ جريرٍ: ودُّوا إضلالَكم[1].

الزَّجّاجُ: ودُّوا عَنَتَكم[2]؛ أي: يحبُّون مَشقَّتكم، والعَنَتُ: المشقّةُ، وعَقَبةٌ عَنوتٌ[3]: شاقّةٌ، وقد سبقَ.

﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ﴾؛ أي: في كلامِهم، من قولِه عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾ [محمد: ٣٠].

﴿وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾: أعظمُ تأثيرًا لو قدروا عليه؛ أي: أكبرُ ممّا بدا.

﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ابنُ جريرٍ: عن الله[4] أمرَه ونهيَه[5].

وقيل: ﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ لا تُصافُوهم[6]، بل تُعاملوهم مُعاملةَ الأعداء.

* * *

---

(١) في (و): «ضلالكم». قال ابن جرير: «يعني: ودوا عنتكم»، لكنه روى عن السدي: «ما ضللتم»، ولذلك نسب الماوردي والواحدي هذا القول للسدي. انظر: «تفسير الطبري» (٥/ ٧٠٩ ـ ٧١١)، و«النكت والعيون» (١/ ٤١٩)، و«البسيط» (٥/ ٥٣٩).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٦٢).

(٣) في (و): «وعنته» بدل «عقبة عنوت».

(٤) اسم الجلالة من (ن).

(٥) انظر: «تفسير الطبري» (٥/ ٧١٥).

(٦) في (و): «تصافونهم».

(١١٩) ـ ﴿هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾.

﴿هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾ البصريُّون: يجعلونَ تقديرَه: هؤلاء أنتم؛ فإنَّ العربَ تُحيلُ بين (ها) وبينَ المشارِ إليه بأسماءِ الضَّميرِ نحو: (ها أنا ذا)، وكذلك: ﴿هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ﴾، قالوا: وربَّما كرَّرُوا نحو: ﴿هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ﴾[(١)].

الزَّجّاجُ: يجوزُ أن يكونَ ﴿أُوْلَآءِ﴾ موصولًا، و﴿تُحِبُّونَهُمْ﴾ صلتُه، قال: ويجوزُ أن تكونَ حالًا[(٢)].

أبو مسلم بن مَهْرَبْزُد[(٣)]: أي: ﴿أنتم أولاء﴾ كما تقولُ: زيدٌ قمرٌ[(٤)]؛ أي: إذا صافيتموهم فكأنَّكم هم[(٥)].

ويُحتمَلُ أن يكونَ ﴿أنتم﴾ مبتدأ، و﴿أُوْلَآءِ﴾ مبتدأٌ ثانٍ، و﴿تُحِبُّونَهُمْ﴾ خبرُه، والجملةُ خبرٌ للأوَّل، نحو: أنا زيد ضربته[(٦)].

---

(١) انظر: «الكتاب» لسيبويه (٢/ ٣٥٤)، و«معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٣٢)، وللأخفش (١/ ٢٦٦)، و«ارتشاف الضرب» لأبي حيان (٢/ ٩٧٦ ـ ٩٧٨).

(٢) أي: جملة (تحبونهم) منصوبة على الحال، و(أنتم) مبتدأ، و(أولاءِ) الخبر. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ١٠٢ و٤٦٣)، وللنحاس (٢/ ١٨٦).

(٣) هو أبو مسلم الأصبهاني، تقدم التعريف به.

(٤) جاء على هامش (ن): «قول ابن مهربزد: ﴿أنتم أولاء﴾ كما تقول: زيد قمر، فخبر المبتدأ على ضربين؛ ضرب يكون هو عين المبتدأ، نحو: زيد قائم، وما أشبهه، وضرب يكون بمنزلته، ولا يكون هو بعينه، نحو: زيد قمر؛ أي: مُنزَّل منزلتَه، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾؛ أي: مُنزَّلات منزلتهن، وهذا ظاهر. والوجهُ الذي ذكرته في الآية قوله: ﴿هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ﴾ طريف».

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٦٦) بلا نسبة، واستغربه.

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٦٦)، وعدَّه من العجائب.

ويُحتمَلُ أن يكونَ ﴿أُوْلَآءِ﴾ في محلِّ نصبٍ نحو: أنا زيدًا ضربته[١]، والمعنى: أنتم تحبُّون إيمانَهم وتريدون رُشدَهم، ولا يحبُّونكم حيثُ يختارون لكم الكفرَ.

﴿وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ﴾: اسمٌ للجنس، وأجازَ ابنُ عيسى أن يكونَ مصدرًا سُمِّي به[٢].

﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾: أظهروا كلمةَ التَّوحيد.

﴿وَإِذَا خَلَوْاْ﴾: فارقُوكم، وقيل: خلا بعضُهم ببعضٍ.

﴿عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾؛ أي: تحسَّروا غيظًا حيثُ لم يجدوا إلى التَّشفِّي سبيلًا، وهذا كما تقولُ: فلانٌ يحرقُ عليَّ الأَدَمَ[٣]، قال:

إذا رأوني أطالَ اللهُ غيظَهُمُ ... عَضُّوا مِنَ الغَيْظِ أطرافَ الأباهيمِ[٤]

والواحديُّ[٥] جعلَ ﴿عَلَيْكُمُ﴾ من صلةِ ﴿ٱلْغَيْظِ﴾[٦]، وصلةُ المصدرِ لا تتقدَّمُ على المصدر[٧].

---

(١) أي: مفعول به لفعل محذوف، أو منصوب على الاشتغال، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٦٦)، وعدَّه من العجائب أيضاً.

(٢) هذان القولان في ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾، وقد ذكر الواحدي القولين في «البسيط» (٥/ ٥٤٨) دون نسبة.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٦٧).

(٤) البيت للفرزدق كما في «ديوانه» تحقيق: علي فاعور (ص: ٥١٤)، وهو بلا نسبة في «المذكر والمؤنث» (١/ ٤٠١)، و«تفسير الثعلبي» (٩/ ١٩٣)، ورواية «الديوان»:

إذا رأوك أطال الله غيرتهم

(٥) في (و): «الواحدي».

(٦) وذلك أنه قال: «وفي الآية تقديم وتأخير؛ لأن التقدير: وإذا خلوا عضوا الأنامل من الغيظ عليكم». انظر: «البسيط» للواحدي (٥/ ٥٥١)، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٦٧)، وعدَّه من العجائب.

(٧) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٦٧) دون نسبه، وعده من العجائب.

والأناملُ: جمع أنملةٍ، وهي أطرافُ الأصابعِ.

قال ابنُ عيسى: أصلُها النَّملُ المعروف، فهي مشبَّهةٌ به في الدِّقَّةِ والتَّصرُّفِ بالحركة، ومنه رجلٌ نَمِلٌ؛ أي: نمّام(١).

﴿قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾: دعاءٌ عليهم؛ أي: دامَ لكم هذا.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾: بما في القلوبِ من الخيرِ والشَّرِّ.

***

(١٢٠) - ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾.

﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ﴾: فتحٌ وغنيمةٌ كيومِ بدرٍ، ﴿تَسُؤْهُمْ﴾: تحزنهم.

﴿وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ﴾: كسرٌ وهزيمةٌ كيومِ أُحدٍ، ﴿يَفْرَحُوا بِهَا﴾.

الحسنُ وقتادةُ: الحسنةُ: الأُلفةُ واجتماعُ الكلمةِ، والسَّيِّئةُ: إصابةُ العدوِّ لاختلافِ الكلمة(٢).

﴿وَإِن تَصْبِرُوا﴾ على أذاهم ﴿وَتَتَّقُوا﴾ الله.

ويُحتمَلُ: ﴿وَتَتَّقُوا﴾ مباطنتَهم ومحبَّتَهم.

---

(١) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ٣٠٨).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٧٢٢)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٣٥٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٤٧) عن قتادة، وذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ٣٢٢) عن الحسن بلفظ المصنف، وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٤٦) عن الحسن: «أنبأ الله المؤمنين بعدوهم فقال: إن تصبكم حسنة يسؤهم ذلك».

﴿لَا يَضُرُّكُمۡ﴾ و﴿لا يَضِرْكُمْ﴾[١]، تقول: ضارَه يَضيرُه، وضرَّه يَضرُّه؛ بمعنى واحدٍ، وحُرِّكَ الرّاءُ بالضَّمِّ، كما حُرِّكَ (مُدَّ)، ولا يَحتمِلُ على ما قاله الفرّاءُ من إضمارِ الفاء[٢]؛ لأنَّ ذلك إنَّما يجوزُ في ضرورةِ الشِّعرِ، قال:

فَــإنْ كانَ لا يُرْضِيــكَ حَتَّــى تَرُدَّنِي ... إلَــى قَطَــرِيٍّ لا إخالُــكَ راضِيــا[٣]

أي: فلا إخالُك، وفيه غيرُ هذا، وليسَ هذا[٤] موضعُه.

﴿كَيۡدُهُمۡ﴾: مكرُهم، وأصلُه: المشقّةُ، يُقالُ: فلانٌ يكيدُ بنفسِه[٥] عندَ الموتِ.

﴿شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ﴾؛ أي: علمُـه محيـطٌ، والمحيـطُ: المطيـفُ بالشَّـيءِ مـن حَواليه.

***

(١) «ولا يضركـم» مـن (ن). قـرأ ابن عامـر وعاصم وحمـزة والكسـائي: ﴿لَا يَضُرُّكُمۡ﴾ بضم الضاد ورفع الراء مع تشـديدها، وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو بكسـر الضاد وجزم الراء. انظر: «السـبعة» (ص: ٢١٥)، و«التيسير» (ص: ٩٠).

(٢) ذكر الفراء أن الفعل يحتمل الرفع والجزم، وذكر في رفعه وجهين؛ أحدهما: الذي ذكره المصنِّف أولاً، وهو: تحريك الحرف بالضم جوازاً لمنع التقاء الساكنين، وثانيهما: الذي ردَّه، وهو: إضمار الفاء على تقدير: فلا يضركم؛ لأن الفاء لا تضمر. انظر: «الكتاب» (٣/ ٦٤)، و«معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٣٢)، و«غرائب التفسير» (١/ ٢٦٧).

(٣) البيت لسوار بن المضرِّب السعدي التميمي كما في: «نوادر أبي زيد» (ص: ٢٣٣)، و«أنساب الأشراف» (٧/ ٢٨١)، و«الكامل» لابن المبرد (٢/ ٧٧)، و«المقاصد النحوية» للعيني (٢/ ٩١٢)، وهو بلا نسبة في «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٣٢)، و«تفسير الطبري» (٥/ ٧٢٤)، و«معاني القراءات» للأزهري (١/ ٢٧٠)، و«الخصائص» (٢/ ٤٣٥).

(٤) في (و): «هنا».

(٥) أي: ينزع ويجود بنفسه. انظر: «الصحاح» مادة (ك ي د) (٢/ ٥٣٣).

(١٢١) ـ ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿وَإِذْ غَدَوْتَ﴾: اذكرْ إذ غَدوتَ.

ابنُ جريرٍ: إن تصبروا لا يضرُّكم كيدُهم كيوم بدرٍ، وإن لم تصبروا ضرَّكم كيومِ أحدٍ(١).

وقيل: هو معطوفٌ على الأوَّلِ(٢)؛ قد كان لكم آيةٌ في فئتين التقتا(٣)، وآيةٌ إذ غدوتَ(٤).

﴿مِنْ أَهْلِكَ﴾: من حجرةِ عائشةَ رضي الله عنها.

﴿تُبَوِّئُ﴾: توطِّنُ، تقولُ: بوَّأْته وأبأْتُه؛ إذا وطَّنتَه، والـمَباءةُ: المنزلُ(٥).

﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: للمؤمنين، وهي قراءةُ ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه(٦).

﴿مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ مَصافَّ من الميمنةِ والميسرةِ والقلبِ والجناحين والسّاقة.

وقيل: معسكرَهم للنُّزول.

وجُلُّ المفسِّرين على أنَّه يومُ أحدٍ، وفي سببِ النُّزولِ: عن المِسْوَرِ بنِ مخرمةَ

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٦/ ٥).

(٢) في (ن): «على أول السورة».

(٣) «التقتا» من (ن).

(٤) ذكره الراغب الأصفهاني في «تفسيره» (٢/ ٨٣٥)، وأبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ٣٢٦) وقال: «وهذا في غاية البعد، ولولا أنه مسطور في الكتب ما ذكرته».

(٥) المباءة في الأصل: الموضع الذي تبوء إليه الإبل، ثم جعلت عبارة عن المنزل مطلقاً. انظر: «المغرب» للمطرزي، مادة: (ب وأ) (ص: ٥٢).

(٦) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٣٣)، و«تفسير الثعلبي» (٩/ ٢٠٤)، و«البسيط» للواحدي (٥/ ٥٦٢)، و«تفسير الراغب الأصفهاني» (٢/ ٨٣٥).

قال: قلتُ لعبدِ الرَّحمنِ بنِ عوفٍ: يا خالُ، أخبرني عن قصَّتِكم يومَ أحدٍ قال: اقرأ العشرين ومئةً من آلِ عمرانَ تجد قصَّتنا: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ﴾ إلى قوله: ﴿أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾[1].

ورُويَ عن[2] الحسنِ ومجاهدٍ: أنَّه يومُ الأحزاب[3].

﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ لِما يقولُه المنافقون ويُضمرونَه.

وقيل: المؤمنون.

وقيل: المشاورون.

***

(١٢٢) - ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾.

﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ﴾؛ أي: اذكر إذ همَّت.

وقيل: عليمٌ[4] إذ همَّت؛ أي: خطرت ببالها من غير عزمٍ.

والهمُّ: جريانُ الشَّيءِ في القلب.

---

(١) رواه أبو يعلى في «مسنده» (٨٣٦)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٣٥٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٤٩). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ١١٢): «رواه أبو يعلى، وفيه يحيى بن عبد الحميد الحماني وهو ضعيف». وذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٢٠)، وقال ابن حجر في «العجاب» (٢/ ٧٤١): «وليس في هذا سبب نزول، وإنما كتبته تبعًا له» يعني: الواحدي.

(٢) «عن» من (ن).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٤٨) عن الحسن، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٤٢٠)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٣١٩) عن الحسن ومجاهد، وهذا القول مرجوح فيما ذهب إليه المصنف والطبري.

(٤) في (ن): «وقيل اعلم».

والطّائفتـان: بنـو سـلمةَ مـن الخزرجِ وبنـو حارثةَ مـن الأوس، وكانـا جناحَي العسكر.

وقيل: الطّائفتان: قومٌ من المهاجرين والأنصار.

﴿أَن تَفْشَلَا﴾: تجبُنا وتضعُفا، والفشلُ: الـجُبنُ.

ابنُ عيسى: ليس ذلك من فعلِ الإنسان، والمعنى: همَّتا بحالِ الفشل[1].

وذلك أنَّ النَّبيَّ ﷺ خرجَ إلى أحدٍ في ألفِ رجلٍ.

الزَّجّاجُ: في ثلاثةِ آلافٍ[2].

ووعدَ قومَه النَّصرَ[3] إن صبروا، فلمّا بلغوا الشَّوطَ[4] اختزلَ[5] عبدُ الله بنُ أُبيٍّ في ثلاثمئة، فقال: علامَ نقتلُ أنفسَنا وأولادَنا؟! وتبعَهم أبو جابرٍ السَّلميُّ فقال: أنشدُكم الله في نبيِّكم وفي أنفسِكم، فقال عبدُ الله: لو نعلمُ قتالًا لاتَّبعناكم، وهمَّت بنو سلمةَ وبنو حارثةَ بالانصرافِ معه، فعصمَهم الله، ومضَوا مع[6] رسولِ الله ﷺ[7].

---

(١) في (ن): «القتل».

(٢) تبع المصنف الثعلبيَّ في نسبة هذا إلى الزجاج، والذي ذكره الزجاج في «معانيه» أنهم كانوا سبعمئة، والكفار ثلاثة آلاف. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٦٦)، و«تفسير الثعلبي» (٩/ ٢٠٥).

(٣) في (ن): «بالنصر».

(٤) في هامش (ن): «اسم مكان»، وهو بين مكة والمدينة، كما في «تفسير الطبري» (٦/ ٢٢٢)، وقيل: هو بستان، كما في «معجم البلدان» لياقوت الحموي (٣/ ٣٧٢).

(٥) كذا في النسخ الخطية، وله وجه؛ يقال: اختزلته عن القوم؛ إذا قطعته عنهم، وقد روي الخبر بلفظ: انخزل، وهو أوضح، وبلفظ: اعتزل. انظر: «تفسير عبد الرزاق» (٤٧١)، و«تهذيب اللغة» (١/ ١١٠)، و«الصحاح» مادة (خ ز ل) (٤/ ١٦٨٤)، و«تفسير الثعلبي» (٩/ ٢٠٦).

(٦) في (ن): «ومضوا على».

(٧) انظر: «تفسير الثعلبي» (٩/ ٢٠٦)، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٦/ ١٣) عن السدي.

﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾: حافظُهما وناصرُهما.

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: ليكلوا الأمرَ إليه سبحانه، وليمضُوا على أمرِه في السِّلمِ والقتال.

* * *

(١٢٣) - ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ﴾: ما بين مكّةَ والمدينة، سُمِّيَ بدرًا باسمِ صاحبِه[1].

وقيل: بدرٌ: اسمُ عَلَمٍ للماء.

﴿وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ لقلّةِ العَددِ والعُددِ.

وقيل: أذلّةٌ عند أعدائِكم لقلّةِ أُهْبَتِكم.

وكان المؤمنون ثلاثمئةٍ وبضعةَ عشرَ؛ سبعةٌ[2] وسبعون رجلًا من المهاجرين، وصاحبُ رايتِهم عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه، ومئتان وستّةٌ وثلاثون رجلًا من الأنصار، وصاحبُ رايتِهم سعدُ بنُ عُبادة[3].

﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾؛ أي: شكرُ نعمتِه في أن تتّقوا وتصبروا للحربِ[4] ولا تفشلوا.

وقيل: ﴿أَذِلَّةٌ﴾ في الآيةِ[5]: ضعفاءُ عن المقاتلة.

---

(١) روي هذا عن الشعبي، وأنكره الواقدي، وذكر أنه اسم للموضع. انظر: «تفسير الطبري» (٦/ ١٦ - ١٧).

(٢) «سبعة و» ليس في (و).

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (٨/ ٨٨).

(٤) في (ن): «وتصبروا في الحرب».

(٥) في (و): «في الأدلة».

جُمعَ (ذليلٍ) على (أذلّةٍ)، والقياسُ (ذُلَلاء)[١]، لكنَّه للتَّضعيفِ جُمِعَ جَمْعَ الأسماءِ[٢].

* * *

(١٢٤) ـ ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ﴾.

﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ﴾؛ أي: نصرَكم الله[٣] إذ تقولُ، وهو يومُ بدرٍ.

ابنُ عبّاسٍ: لم تقاتلِ الملائكةُ إلّا يومَ بدر. قال: وكانوا[٤] في غيرِه عُدّةً ومَددًا[٥].

وقيل: هو يومُ أحدٍ؛ لأنَّ الملائكةَ المنزَّلةَ يومَ بدرٍ كانوا ألفًا لقولِه: ﴿أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩][٦].

---

(١) في (و): «ذُلل».

(٢) (ذليل) صفة على وزن (فعيل)، فكان القياس أن تُجمع على (فُعلاء)، مثل: شريف وشرفاء، لكن كرهوا أن يقولوا: ذُللاء؛ لثقله، فجمعوه على (أفعلة) كما تُجمع الأسماء التي على وزن (فعيل)، مثل: رغيف وأرغفة. انظر: «الأصول» لابن السراج (٣/ ١٧)، و«إعراب القرآن» للنحاس (١/ ١٧٩).

(٣) اسم الجلالة من (ن).

(٤) في (و): «يوم بدر وكانوا».

(٥) ذكره الواقدي في «مغازيه» (١/ ٧٩)، والثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٢٥)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٥٨) وإلى هذا ذهب قتادة ومجاهد وعكرمة، كما في «تفسير الطبري» (٦/ ٢٥ و٢٧).

(٦) ذهب إلى هذا الضحاك وابن زيد، وذهب عبد الله بن أبي أوفى إلى أن ذلك كان يوم الأحزاب، وتقدم عن ابن عباس وقتادة ومجاهد وعكرمة أن الملائكة لم تنزل إلا يوم بدر، والخلاصة: أن نزول الألف من الملائكة ثابت في بدر، وأن الوعد لرسول الله ﷺ والمؤمنين بنزول ثلاثة آلاف وخمسة مع الصبر والتقوى ثابت، وأما أن هذا كان أو لم يكن فليس مما قامت عليه الحجة، وظاهر الآيات أن المؤمنين لم يُمدوا بالملائكة في أحد، والله أعلم. انظر: «تفسير الطبري» (٦/ ٢٠ ـ ٢٩).

قتادةُ: كانوا ألفًا، ثمَّ صاروا ثلاثةَ آلاف، ثمَّ صاروا خمسةَ آلاف[١].

وقولُه: ﴿أَلَن يَكْفِيَكُمْ﴾ جوابٌ للصَّحابةِ حين قالوا: هلّا أعلمتَنا بالقتال لنتأهَّبَ، فقالَ لهم عليه السَّلام: «ألن يكفيكم أن يمدكم»[٢].

ويُقالُ: هذا كانَ يومَ أحدٍ حين انصرفَ عبدُ الله بنُ أُبيٍّ، وجَبُنَ بعضُهم وضعفُوا، فقالَ عليه السَّلام: «ألن يكفيكم أن يمدّكم»[٣].

ويُقالُ: أُخبِرَ المسلمون أنَّ كُرْزَ بنَ جابرٍ المحاربيَّ يريدُ أن يأتيَ في قومِه مددًا لقريشٍ فقال: إن جاءكم كرزٌ وأصحابُه من فورِهم هذا كفاكم[٤] الله بخمسةِ آلافٍ من الملائكة، ثم إنَّ كُرْزًا بلغته مقاتلةُ[٥] قريشٍ، فانصرفَ، فلم تُنزَلِ الملائكة[٦].

ابنُ عيسى: الكفايةُ: مقدارُ سدِّ الخلّة، والإمدادُ[٧]: إعطاءُ الشَّيءِ حالًا بعدَ حالٍ[٨].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٢٥)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٣٣٦)، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٥٢) عن الربيع.

(٢) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ٣٣٣) عن أبي عبد الله محمد بن أبي الفضل المرسي.

(٣) ذكر نحوه ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٣٢٠).

(٤) في (و): «كفاك».

(٥) كذا في (ن)، وفي (و): مقابلة، وفي مصادر التخريج: أن كرزاً بلغته هزيمة قريش.

(٦) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٦٦٧٠)، والطبري في «تفسيره» (٦/ ٢٠)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٣٦٧-٣٦٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٥٢)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٢٦) عن عامر الشعبي، وفي هذه المصادر: أن كرزاً بلغته هزيمة قريش.

(٧) في (ن): «والامتداد».

(٨) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ٣٣٣)، وذكر نحوه ابن فورك في «تفسيره» (٢/ ٣٢٤) بلا نسبة.

(١٢٥) ـ ﴿بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾.

﴿بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ﴾ في الحربِ ﴿وَتَتَّقُواْ﴾ مخالفةَ الرَّسول.

﴿وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا﴾ الحسنُ والسُّدِّيُّ: من وجهِهم[1].

مجاهدٌ: من[2] غضبِهم[3]؛ مِن (فارَت القِدرُ تفورُ).

ابنُ جريرٍ: أصلُ الفَوْرِ ابتداءُ الأمرِ يُؤخَذُ فيه، ثم يُوصَلُ بالآخرِ[4].

﴿يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾: بعمائمَ صُفرٍ قد أرخَوها بين أكتافِهم، ومُسوِّمين خيلَهم بالصُّوفِ في نواصيها وأذنابها.

* * *

(١٢٦) ـ ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۗ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾.

﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ﴾؛ أي: الإمدادَ.

وقيل: الإنزال.

وقيل: النَّصر[5] والوعد به.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٣٠) عن الحسن والسدي، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٥٣) عن السدي.

(٢) «من»: ليس في (ن).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٣١).

(٤) انظر: «تفسير الطبري» (٦/ ٣١).

(٥) في (ن): «النصرة».

﴿إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ﴾: لتسكنَ إليه من الخوف.

والاطمئنانُ: سكونُ القلبِ وزوالُ الخوفِ عنه.

﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: النَّصرُ[1] مِن عنده، لا بالعُدَّةِ والعَدد.

﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ في انتقامِه وتدبيرِه.

***

(١٢٧) - ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ﴾.

﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾؛ أي: نَصرَكم ليقطعَ طرفًا؛ أي: جماعةً.

وقيل: رُكنًا[2] من أركانِ الشِّرك.

وقيل: يعني بـ(الطَّرفِ)[3]: ما يليكم، كقولِه: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾.

الحسنُ وقتادةُ والرَّبيعُ: ليقطعَ يومَ بدرٍ؛ يقتلَ صناديدَهم ورؤساءَهم[4].

السُّدِّيُّ: يومَ أُحد، وكان المقتولُ من الكفَّارِ ثمانيةَ عشرَ رجلًا[5].

﴿أَوْ يَكْبِتَهُمْ﴾: يكبتَ[6] سائرَ الكفّارِ بالهزيمةِ والأسر.

---

(١) في (ن): «النصرة».

(٢) في (و): «أركنًا».

(٣) «يعني بالطرف» من (ن).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٤٠) عن قتادة والربيع والحسن، ورواه ابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٣٧١) عن قتادة، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٥٥) عن الحسن وقتادة.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٤١).

(٦) في (و): «ليكبت».

والكَبْتُ: الصَّرعُ على الوجه.

ابنُ عيسى: حقيقةُ الكَبْتِ: شدّةٌ وَهْنٍ تقعُ في القلب[١].

﴿فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ﴾: خابَ سعيُهم وكذبَ ظنُّهم.

والخائبُ: المنقطعُ عمّا أمَّلَ.

***

(١٢٨) - ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾.

﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ اعتراضٌ، والتَّقديرُ: ليقطعَ طرفًا منَ الذين كفروا أو يكبتهم ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾.

وقيل: (أو) هاهنا هو الذي معناه: إلّا أن[٢]، والتَّقديرُ: ليسَ لك من الأمرِ شيءٌ إلّا أن يتوبَ عليهم أو يعذِّبَهم، فيكونُ أمرُكَ تابعًا لأمرِ الله برضاكَ بتدبيرِه فيه.

واختلفُوا في معنى ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾؛ فرُويَ في أسبابِ النُّزولِ عن أنسِ بنِ مالكٍ قال: كُسِرَت رَباعيةُ رسولِ اللهِ عليه السَّلام يومَ أحدٍ ودُمِي وجهُه، فجعلَ الدَّمُ يسيلُ على وجهِه ويقول: «كيفَ يفلحُ قومٌ خضبُوا وجهَ نبيِّهم بالدَّمِ وهو يدعوهم إلى ربِّهم»، فأنزلَ الله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾[٣].

وعن أبي هريرة: أنَّ رسولَ الله عليه السَّلام كانَ يقولُ حين يفرُغُ في صلاةِ

---

(١) ذكره النسفي في «مدارك التنزيل» (١/ ٢٩٠) بلا نسبة.

(٢) أحد وجهين ذكرهما الفراء في «معاني القرآن» (١/ ٢٣٤)، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٧٠) مع وجوه أخرى متقاربة.

(٣) رواه مسلم (١٧٩١)، وعلَّقه البخاري قبل حديث (٤٠٦٩)، وذكره ابن هشام في «سيرته» (٢/ ٨٠)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٢١).

الفجرِ من القراءةِ[(١)]، ويكبِّرُ ويرفعُ رأسَه منَ الرُّكوعِ: «سَمِعَ اللهُ لِـمَن حَمِدَه، ربَّنا لكَ الحمدُ»، ثم يقولُ وهو قائمٌ: «اللَّهمَّ اشدُدْ وَطْأَتَكَ على مُضَرَ، واجعلْها عَليهم سِنينَ كسِنِي يُوسُفَ، اللَّهمَّ العَنْ لِحْيانَ ورِعْلًا وذَكْوانَ، وعُصَيَّةَ؛ عَصَتِ اللهَ ورسولَه»، ثم أُنْزِلَ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ فتركَ[(٢)].

والمعنى: ليس عليك هداهم، وإنما عليكَ الإبلاغُ.

وقيل: هَمَّ ﷺ أن يدعوَ على المشركين بالاستئصال.

وقيل: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ﴾ من أمرِ الطّائفتين[(٣)] اللَّتين همَّتا بالفشلِ شيءٌ. وهذا ضعيفٌ[(٤)].

وقال ابنُ بحرٍ: ليس لك ولا لغيرِك من هذا النَّصرِ شيءٌ، وإنما هوَ منَ الله، كما قال: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال: ١٧][(٥)].

وقيل: يريدُ بـ﴿الْأَمْرِ﴾: أمرَ القتال.

* * *

(١٢٩) - ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ﴾؛ أي: ليسَ لك من الأمرِ شيءٌ، ولله ما في السَّماواتِ ﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ مُلكًا وخَلْقًا.

---

(١) «من القراءة»: ليس في (ن).

(٢) رواه البخاري (٤٥٦٠)، ومسلم (٦٧٥)، واللفظ له.

(٣) «أمر» من (ن).

(٤) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ٣٣٨)، واستبعده.

(٥) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ٣٣٨).

﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾: للمؤمنينِ[١].

﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ الكافرين[٢].

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

***

(١٣٠) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾ ثـمَّ نهاهـم عـن فعـلٍ كانـوا يتعاطونـه فـي الجاهليّـة، فقـال: ﴿لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾.

والأكلُ: إيصـالُ الشَّـيءِ إلى البطـنِ لإزالةِ الجـوعِ، وخُصَّ بالذِّكـرِ؛ لأنَّ غيرَه يُتوصَّلُ بـه إليه[٣].

﴿أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً﴾ بالتَّأخيرِ أجلًا بعدَ أجلٍ زيادةً بعدَ زيادةٍ، وهو[٤] حالٌ عن ﴿ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾.

ويُحتمَلُ: تضاعفون به أموالَكم، فيكونُ واقعًا موقعَ الحالِ من المخاطَبين.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في أكلِه.

---

(١) في (ن): «المؤمنين».

(٢) في (و): «للكافرين».

(٣) انظر: «البسيط» للواحدي (٦/ ٤٦٧)، و«مفاتيح الغيب» للرازي (٩/ ٤٩٤)، و«البحر المحيط» (٣/ ٣٤٢).

(٤) أي: أضعافاً، أما (مضاعفة) فهي نعته. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ١٨٠)، و«مشكل إعراب القرآن» لمكي (١/ ١٧٤).

﴿لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾؛ أي: كونوا على رجاءِ الفلاحِ.

وقيل: لكي تبقَوا في الجنّةِ.

***

(١٣١) ـ ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ﴾؛ أي: اتَّقوا النّارَ بأكلِ الرِّبا وتحليلِه.

﴿ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ﴾: هُيِّئَتْ.

والإعدادُ: تقديمُ عملِ الشَّيءِ لغيرِه ممّا هوَ متأخِّرٌ عنه.

﴿لِلۡكَٰفِرِينَ﴾؛ أي: بصفةِ الخلودِ.

وقيل: للكافرينَ طبقةٌ، وللمذنبينَ منَ المؤمنينَ طبقةٌ.

***

(١٣٢) ـ ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾.

﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ فيما يأمرُكم به وينهاكم عنه؛ فإنَّ طاعةَ الرَّسولِ طاعةُ الله.

والطّاعةُ: موافقةُ الإرادةِ الدّاعيةِ إلى الفعلِ بطريقِ الرَّغبةِ والرَّهبةِ.

﴿لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾.

***

(١٣٣) ـ ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾.

﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾؛ أي: أسرعوا.

وقيل: بادروا، وليُسارعْ بعضُكم بعضًا إلى مغفرةِ الإسلام[١].

وقيل: إلى التَّوبةِ.

وقيل: إلى الهجرة.

وقيل: إلى الإخلاص.

وقيل: إلى الطّاعة.

وقيل: إلى الصَّلواتِ الخمس.

وقيل: إلى[٢] التَّكبيرةِ الأولى.

﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾؛ أي: كعرضِ السَّماوات والأرض، وقيل: عرضُها مقدارُ السَّماواتِ والأرض.

وخُصَّ العَرْضُ بالذِّكْر؛ لأنَّ العَرْضَ أبدًا دونَ الطُّول.

ابنُ عبّاسٍ: تُقرَنُ السَّماواتُ السَّبعُ والأرضون السَّبع، كما تُقْرَنُ الثِّيابُ بعضُها ببعضٍ، فذلك عرضُ الجنّة[٣].

الحسنُ: كعرضِ السَّماواتِ والأرضِ في انبساطِهنَّ بعضِها إلى بعض[٤].

والجنّةُ مخلوقةٌ، ومحلُّها السَّماوات، ويُحتمَلُ أن يكونَ محلُّها من السَّماءِ محلَّ السَّماءِ من الأرض؛ أي: فوقَ السَّماوات.

---

(١) لعلَّ المراد: ليأخذ بعضكم بيد بعض، فيُسرع به إلى مغفرة الإسلام، والله أعلم.

(٢) «إلى»: ليس في (ن)؛ في هذا القول والثلاثة التي سبقته.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٢).

(٤) «فذلك عرض الجنة، الحسن كعرض السموات والأرض في انبساطهن بعضها إلى بعض» من (ن).

وقيل: لم تُخلَق بعدُ.

والأوَّلُ مذهبُ أهلِ(١) السُّنةِ والجماعة(٢).

وذكرَ علـيُّ بنُ عيسى وجهًا آخرَ؛ وهو عرضُ الشَّيءِ للبيع؛ أي: لو كانَ السَّماواتُ والأرضُ مُلْكَ غيرِه سبحانه لكانتا للجنَّةِ ثمنًا(٣).

وقيل: هو على سعةِ الكلامِ ومَجازه، وضُربَ المثلُ في السَّعةِ بالسَّماواتِ والأرضِ حيث لا نعلمُ أكبرَ منهما.

وقيل: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ لكلِّ واحدٍ من أوليائه(٤).

﴿أُعِدَّتْ﴾: هُيِّئَت.

﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾: للمؤمنين.

* * *

(١٣٤) ـ ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما: في اليُسرِ والعُسر(٥).

---

(١) «أهل»: ليس في (ن).

(٢) ذهبت طائفة من المعتزلة والخوارج إلى أن الجنة والنار لم يُخلقا بعدُ، وجمهور المسلمين على أنهما مخلوقتان، وقد سبقت الإشارة إلى هذا. انظر: «الفِصَل في الملل والأهواء والنحل» لابن حزم (٤/ ٦٨).

(٣) في (ن): «ثمناً للجنة». ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٧٠)، وعدَّه من العجائب، ونقل أبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ٣٤٦) نحوه عن ابن بحر.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٧٠)، واستغربه.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٦٢).

وقيل: في حالي السُّرورِ والاغتمام.

وهما مصدران؛ أي: يُخرجون حقوقَ الله قليلَها وكثيرَها.

﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾: الكافِّين غضبَهم، المُمسكين عن إمضائِه مع قدرتِهم على مَن أغضبَهم، مِن (كَظَمْتُ القِرْبَةَ)؛ إذا سددْتَ رأسَها، ومنه (كظمَ البعيرُ بِجِرَّتِه)[1]؛ إذا ردَّها إلى جوفِه، ومنه (الكِظامةُ)؛ لمجرى الماءِ من بئرٍ إلى بئرٍ[2].

﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾: التّاركينَ عقوبةَ مَنِ استحقَّها منَ المماليكِ وغيرِهم.

﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: المؤمنين الموصوفين بهذه الخِلالِ[3].

***

(١٣٥) - ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً﴾ ابنُ عبّاسٍ: نزلَت في نبهانَ التَّمّارِ، أتته امرأةٌ حسناءُ تبتاعُ تمرًا، فضمَّها إلى نفسِه وقبَّلَها، ثم ندمَ على ذلك، فأتى النَّبيَّ عليه السَّلام، وذكرَ ذلك له[4]، فأُنزِلَت هذه الآيةُ[5].

---

(١) يقال: كظم البعير جرَّته وعلى جرَّته وبجرَّته؛ إذا لم يجترَّ. انظر: «غريب الحديث» للحربي (٣/ ١٢١٢)، و«معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٦٩)، وللنحاس (٦/ ٢١٢).

(٢) انظر: «غريب الحديث» للقاسم بن سلام (١/ ٢٦٩).

(٣) في (ن): «الخصال».

(٤) «له» من (ن).

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٧١)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٢٣). قال ابن حجر في «العجاب» (٢/ ٧٥٥): «وهو من رواية موسى بن عبد الرحمن الصنعاني، وهو كذاب».

الكلبيُّ: نزلَت في رجلَين؛ أنصاريٍّ وثَقَفيٍّ، آخى رسولُ الله ﷺ بينهما، وكانا لا يفترقان، فخرجَ الثَّقفيُّ مع رسولِ اللهِ عليه السَّلام في بعضِ مغازيه، وخلَّفَ الأنصاريَّ في أهلِه وحاجتِه، فكان يتعاهدُ[1] أهلَ الثَّقفيِّ، فأقبلَ ذاتَ يومٍ، فأبصرَ امرأةَ صاحبِه قد اغتسلت، وهي ناشرةٌ شعرَها، فوقعَت في نفسِه، فدخلَ ولم يستأذن حتى انتهى إليها، فذهَب يلثمُها، فوضعَت كفَّها على وجهِها، فقبَّلَ ظاهرَ كفِّها، ثم ندمَ واستحيا، فأدبرَ راجعًا، فقالت: سبحان الله! خنْتَ أمانتَكَ، وعصيْتَ ربَّك، ولم تصبْ حاجتَكَ، قال: فندمَ على صنيعِه، فخرجَ يسيحُ في الجبال، ويتوبُ إلى الله من ذنبِه، حتى وافى الثَّقفيُّ، فأخبرَته أهلُه بفعلِه، فخرجَ يطلبُه، حتى دُلَّ عليه، فوافاه ساجدًا وهو يقول[2]: ذنبي ذنبي، قد خُنتُ أخي، فقال له: قم[3] يا فلانُ، قم وانطلق إلى رسول الله ﷺ، فاسأله عن ذنبِك، فلعلَّ اللهَ يجعلُ لك مخرجًا وتوبةً، فأقبلَ معه حتى رجعَ إلى المدينة، وكان ذاتَ يومٍ عند صلاةِ العصرِ نزلَ جبريلُ بتوبتِه، فتلا على رسولِ الله عليهما السَّلام: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً ﴾ [آل عمران: ١٣٥] الآيتين، فقال[4] عمرُ: يا رسولَ الله، أخاصٌّ هذا لهذا أم للنّاسِ عامّة؟ فقال: «للنّاسِ عامّةً في التَّوبةِ»[5].

عطاءٌ: إنَّ المسلمين قالوا للنَّبيِّ عليه السَّلام: أبنو إسرائيلَ أكرمُ على اللهِ منّا؟

---

(١) في (ن): «يتعهد».

(٢) في (ن) زيادة: «رب».

(٣) «قم»: ليس في (ن).

(٤) في (ن): «قال».

(٥) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٢٣ ـ ١٢٤) عن الكلبي في روايته عن ابن عباس، وذكره ابن حجر في «العجاب» (٢/ ٧٥٦ ـ ٧٥٨) عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما، وذكر مقاتل في «تفسيره» (٤/ ١٦٤) هذا الخبر عن نبهان التمار.

كانوا إذا أذنَبَ[١] أحدُهم أصبحَت كفّارةُ ذنبِه مكتوبةً في عتبةِ بابِه: اجدَعْ أنفَك، اجدع أُذنَك، افعل كذا، فسكتَ النَّبيُّ عليه السَّلام، ونزلَت: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾، فقالَ النَّبيُّ عليه السَّلام: «ألا أخبرُكم بخيرٍ من ذلك»، وقرأ هذه الآيةَ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾[٢].

قيل: المرادُ بها[٣] هاهنا: الزِّنا، وقيل: الكبائرُ.

وأصلُ الفُحشِ: القُبحُ، تقول: طويلٌ فاحشُ الطُّولِ؛ إذا جاوزَ المعتاد.

﴿أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ قيل: هو الصَّغائرُ.

وقيل: ظلمُ النَّفسِ عامٌّ في الصَّغائرِ والكبائر.

﴿ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ ابنُ عيسى: ذكروا وعيدَ الله؛ فيكونُ من (الذِّكرِ)؛ بعدَ النِّسيانِ[٤].

وقال أيضًا: ذكروا الله، فقالوا: اللَّهمَّ اغفرْ لنا ذنوبَنا بإنابتِنا نادمينَ عليها مُقلِعين عنها[٥].

---

(١) في (ن) زيادة: «ذنبا».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٦٢)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٣٧٩)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٢٤)، وعزاه ابن حجر في «العجاب» (٢/ ٧٥٤) إلى إسحاق بن راهويه وعبد بن حميد في «تفسيريهما»، وقال: «وهذا سند قوي إلى عطاء».

(٣) «بها»: ليس في (ن)، والضمير يعود على ﴿فَاحِشَةً﴾.

(٤) هذا قول الطبري في «تفسيره» (٦/ ٦٢)، وقد عزاه الواحدي في «البسيط» (٥/ ٦٠٣) للضحاك ومقاتل والواقدي.

(٥) ذكره الواحدي في «البسيط» (٥/ ٦٠٣) وذكر أنه معنى قول مقاتل بن حيان، وذكر ابن الجوزي نحوه في «زاد المسير» (١/ ٣٢٧) عن أبي سليمان الدمشقي، والذِّكر هنا بمعنى: الثناء على الله سبحانه والاستغفار.

﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ استفهامٌ بمعنى النَّفي؛ أي[1]: لا يغفرُها إلّا هو.

﴿وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ﴾: لم يُقيموا على الذَّنب.

والإصرارُ: الإقامةُ على الذَّنبِ من غيرِ إقلاعٍ عنه بالتَّوبة منه، وأصلُه الشَّدُّ، من (الصُّرّة).

﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنَّ الله يعاقبُهم على الذَّنبِ إن لم يستغفروا.

وقيل: ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنَّ ما أتوه ذنبٌ[2].

ابنُ بحرٍ: لم يُقيموا على ذنبٍ على علمٍ به[3].

***

(١٣٦) ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾؛ أي: الموصوفونَ بما تقدَّمَ.

﴿جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ﴾؛ أي: يُجزونَ بالمغفرةِ والجنّات.

﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾؛ أي: الجنّةُ والمغفرةُ.

---

(١) في (ن) زيادة: «أي».

(٢) في (ن): «ذنبا».

(٣) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ٣٥٠)، وروى ابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٣٨٧) عن مجاهد نحوه، وروى الإمام أحمد في «المسند» (٦٥٤١)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣٨٠) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ أنه قال وهو على المنبر: «ارحموا ترحموا، واغفروا يغفر الله لكم، ويل لأقماع القول، ويل للمصرين؛ الذين يصرون على ما فعلوا وهم يعلمون».

(١٣٧) ـ ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾.

﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ﴾: قد[١] مضت ﴿سُنَنٌ﴾: جمعُ (سُنّةٍ)، وهي الطَّريقةُ.

الزَّجّاجُ: أهل سُننٍ[٢].

أبو عبيدةَ: ﴿سُنَنٌ﴾: أعلام[٣].

وقيل: ﴿سُنَنٌ﴾[٤]: أحكام.

والسُّنّةُ: عملٌ يُتْبَعُ عليه من خيرٍ وشرٍّ.

المفضَّلُ: ﴿سُنَنٌ﴾: أُممٌ، قال: والسُّنّةُ[٥]: الأُمّةُ[٦]، وأنشدَ:

مـا عايَنَ النّـاسُ مِـنْ فَضْـلٍ كَفَضْلِكُـمُ ... ولا رَأَوْا مِثْلَكُمْ فِي سـالِفِ السُّـنَنِ[٧]

﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ فتعتبروا بها.

والعاقبةُ: ما يُؤدِّي إليه السَّببُ المتقدِّم.

---

(١) «قد» من (ن).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٧٠).

(٣) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ١٠٣).

(٤) «سنن» ليس في (ن).

(٥) في (ن): «قال والسنن».

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٨٢)، والقرطبي في «تفسيره» (٤/ ٢١٦)، والسمين الحلبي في «الدر المصون» (٣/ ٣٩٩).

(٧) البيت بلا نسبة في «تفسير الثعلبي» (٩/ ٢٨٢)، و«تفسير القرطبي» (٤/ ٢١٦)، و«نهاية الأرب» للنويري (١٧/ ١١٣)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٣/ ٣٤٤)، و«الدر المصون» للسمين الحلبي (٣/ ٣٩٩)، و«الكليات» للكفوي (ص: ٤٩٨).

(١٣٨) ـ ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ الحسنُ وقتادةُ: إشارةٌ إلى القرآن[1].

وقيل: إشارةٌ إلى قولِه: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾.

و﴿هدى﴾: إرشادٌ وبصيرةٌ وموعظةٌ.

ابنُ عيسى: الموعظةُ: حالٌ تدعو بالرَّغبةِ والرَّهبةِ إلى الحسنةِ بدلًا من السَّيِّئة.

***

(١٣٩) ـ ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾ قال ابنُ عبّاسٍ: انهزمَ أصحابُ رسول الله عليه السَّلام يومَ أُحد، فبينا هم كذلك إذ أقبلَ خالدُ بنُ الوليدِ بخيلِ المشركين يريدُ أن يعلوَ عليهم الجبل، فقال النَّبيُّ عليه السَّلام: «اللَّهمَّ[2] لا يعلُنَّ علينا، اللَّهمَّ لا قوّةَ إلَّا بك، اللَّهمَّ ليسَ يعبدُكَ بهذه البلدةِ غيرُ هؤلاء النَّفر» فأنزلَ الله: ﴿وَلَا تَهِنُوا﴾[3]؛ أي: ولا تضعُفُوا عن جهادِ عدوِّكم.

﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ على مَن استُشهدَ منكم؛ فإنَّهم نالوا مُناهم في الجنّة.

﴿وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾ بالحجّةِ، والغلبةِ آخرَ[4] الأمر.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٧٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٦٩).

(٢) «اللهم» من (ن).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٨٦)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٢٤)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٧٩) مختصرًا. وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٧٨) عن ابن جريج.

(٤) في (و): «في آخر».

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: مُصدِّقين برسولي فيما يخبرُكم.

وقيل: إن كنتم مؤمنين، فلا تهنوا ولا تحزنوا[١].

* * *

(١٤٠) - ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ﴾ قال راشدُ بنُ سعدٍ[٢]: لَمّا انصرفَ رسولُ الله ﷺ يومَ أُحدٍ كئيبًا حزينًا جعلت المرأةُ تُجاءُ بزوجها وابنها وأبيها مقتولين وهي تلتدِمُ[٣]، فقالَ رسولُ الله: «أهكذا تفعلُ برسولك؟» فأنزلَ الله: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ﴾[٤]: جراحةٌ.

و(القَرحُ) و(القُرحُ) لغتان[٥].

وقيل: (القَرْحُ): الجراحةُ، و(القُرْحُ): أَلَمُها[٦].

---

(١) في (و): «ولا تضعفوا».

(٢) راشد بن سعد، من أهل حمص، كثير الإرسال، وثَّقه ابن معين وأبو حاتم وابن سعد، وقال أحمد والدارقطني: لا بأس به، وشذَّ ابن حزم فضعَّفه، توفي (١٠٨ هـ). انظر: «الطبقات الكبرى» (٧/ ٣١٧)، و«ميزان الاعتدال» (٢/ ٣٥).

(٣) اللَّدْمُ: ضربُ المرأة صدرها وعضديها في النِّياحة. انظر: «العين» (٨/ ٤٦).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٨٧)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٢٥)، وابن حجر في «العجاب» (٢/ ٧٦٠)، وفيهما: «أهكذا يُفعَل برسولك؟» والحديث مرسل، ويُحمَل الاستفهام فيه على الشكوى إلى الله تعالى، لا على الإنكار والاعتراض على حُكمه سبحانه وتعالى.

(٥) قرأ أبو بكر عن عاصم وحمزة والكسائي بضم القاف، والباقون بفتح القاف. انظر: «السبعة» (ص: ٢١٦)، و«التيسير» (ص: ٩٠).

(٦) نقل أبو حيان كلام المصنف، واعترض على هذا التفريق بأنه يحتاج إلى صحة نقل عن العرب، =

وأصلُ الكلمةِ الخُلوصُ، ومنها: ماءٌ قَراحٌ؛ لا كُدورةَ فيه، وأرضٌ قَراحٌ؛ خالصـ[ـة](١) الطِّينِ، وقريحةُ الرَّجلِ: خالصُ طَبعِه(٢).

﴿فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ ابنُ عبّاسٍ والحسنُ: أي(٣): أصابَ المؤمنين يومَ أُحدٍ ما أصابَ المشركين يومَ بدرٍ(٤).

وذلك أنَّه استُشهدَ من المؤمنين سبعون رجلًا، ودخلَ النَّبيُّ عليه السَّلام الغارَ مع عدّةٍ من أصحابه، وصعدَ أبو سفيانَ جبلًا مُطلًّا عليهم(٥)، وقال: أَلا تخرجُ يا محمَّد، الحربُ بيننا سجالٌ، يومٌ لنا ويومٌ لكم، فقال رسول الله ﷺ: «أجيبوه: لا سَواءٌ؛ قَتلانا في الجنّةِ وقَتلاكم في النّارِ» فقال أبو سفيان(٦): أُعْلُ هُبَلُ، فقال عليه السَّلام: «اللهُ أعلى وأجَلُّ» فقال أبو سفيانَ: موعدُنا وموعدُكم بدرٌ الصُّغرى(٧).

= وقد نُقل هذا التفريق عن الفراء وابن السكيت، والحجة في ذلك قولهم: به قُرحٌ من قَرحٍ، والله أعلم. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٣٤)، و«المحكم والمحيط الأعظم» (٢/ ٥٧٧) مادة: (ق ر ح)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٣/ ٣٤٤)، و«تاج العروس» للزبيدي (٧/ ٤٤).

(١) «خالص» من (ن).

(٢) انظر: «معجم الفروق اللغوية» (ص: ٣٣٦)، و«فقه اللغة» للثعالبي (ص: ٣٥)، و«طلبة الطلبة» للنسفي (ص: ١٢٤)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٣/ ٣٤٤).

(٣) «أي» من (ن).

(٤) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٨٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٧٢) عن الحسن، وروى معناه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٨١ و٨٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٧٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقد أخذ أبو حيان كلام المصنف بحروفه في «البحر المحيط» (٣/ ٣٥٣).

(٥) «عليهم» من (ن).

(٦) «أبو سفيان» من (ن).

(٧) كذا الرواية، كما في «تفسير الطبري» (٦/ ٨٤) و(٧/ ٤٥٥)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (٣/ ٧٧٢) =

وقيل: ﴿فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ﴾ في أحدٍ أيضًا.

﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾؛ أي: نُظفِرُ قومًا بقومٍ، ثم نظفرُ الآخِرين علـى الأوَّلين[1].

﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ الواوُ للعطفِ على المعنى، والتَّقديرُ: نُداولها لضروبٍ من التَّدبيرِ، وليعلمَ اللهُ المؤمنين مشاهدةً كما عَلِمهم غيبًا، وقد سبقَ.

وقيل[2]: وليعلمَ الله الذين آمنوا نداولها، والمفعولُ الثّاني محذوفٌ، وتقديرُه: وليعلمَ الذين آمنوا متميِّزين بالإيمانِ من غيرهم[3]؛ لأنَّ العلمَ يتعلَّقُ بالصِّفاتِ دونَ الذَّوات.

وقيل: معناه: ليعرفَهم بما يظهرُ من صبرِهم[4].

= عن ابن عباس، ولها شاهد في البخاري (٣٠٣٩) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه، وبدر: ماء معروف، وظاهر هذه الرواية أن بدراً الصغرى سوق من أسواق العرب المعروفة، وهي بدر الصفراء أيضاً، وربَّما سُمِّيت غزوة النبي التي تواعد عليها مع أبي سفيان: بدراً الصغرى، وبدر الموعد، وبدراً الثانية والثالثة، وبدراً الآخرة، وبدراً الصفراء. انظر: «المغازي» للواقدي (١/ ٢٩٧ و٣٨٤)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٢٠٩)، و«صفة جزيرة العرب» لابن الحائك (ص: ١٧٩)، و«نهاية الإيجاز» للطهطاوي (ص: ٢٧٢).

(١) «وتلك الأيام نداولها بين الناس أي نظفر قومًا بقوم ثم نظفر الآخرين على الأولين» من (ن).

(٢) «وقيل» من (ن).

(٣) ذكر المصنف نحوه في «غرائب التفسير» (١/ ٢٧٠).

(٤) المعرفة تأتي عادة عن استدلال أو بعد نسيان أو جهل، وقد تُطلق ويُراد بها العلم بالدقائق والتفاصيل، ويُشكل على الوجه الأول وصف الله سبحانه وتعالى بها. انظر: «الرسالة» للشافعي (ص: ٥٠٩)، و«معجم الفروق اللغوية» (ص: ٥٠٠ ـ ٥٠٢).

﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾ الحسنُ وقتادةُ: يكرمَ بالشَّهادةِ مَن قُتلَ يومَ أُحدٍ[١].

وقيل: ويتّخذَ منكم شهداءَ على النّاس.

وقيل: ويستجيبَ دعاءَ مَن يقولُ ويدعو: ربَّنا أرنا يومًا كيومِ بدرٍ، وارزقنا الشَّهادة[٢].

وسُمِّي الشَّهيد شهيدًا لأنَّه يشهدُ[٣] الجنّةَ والثَّوابَ قبلَ غيرِه.

وقيل: الشَّهداءُ عدولُ الآخرة.

ويُحتمَلُ [أنَّه] إنَّما سُمِّيَ شهيدًا لأنَّ الله ورسولَه شهدا له بدخولِ الجنّة.

﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: الذين يُضمِرون خلافَ ما يُظهرون.

* * *

(١٤١) - ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ ابنُ عبّاسٍ ومجاهدٌ: ليبتليَ[٤].

الفرّاءُ: ليمحِّصَ اللهُ ذنوبَ الذين آمنوا[٥].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٨٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٧٤) عن قتادة.

(٢) روى الطبري نحوه في «تفسيره» (٦/ ٨٧) عن ابن جريج، وابن المنذر في «تفسيره) (١/ ٣٩٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) في (ن): «شهد».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٨٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٧٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه ابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٣٩٨) عن مجاهد، وقد ذهب إلى أن التمحيص الابتلاء الحسن والسدي ومقاتل وابن قتيبة. انظر: «زاد المسير» لابن الجوزي (١/ ٣٢٩).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٣٥).

الزَّجّاجُ: تمحيصُهم: تخليصُهم من الذُّنوب[1].

ابنُ عيسى: ليُنجِّيَهم من الذُّنوبِ بالابتلاء، ويُهلكَ الكافرين بالذُّنوب عندَ الابتلاء.

وأصلُ المحصِ: الخلوصُ، تقولُ: مَحَصَ الجملُ؛ ذهبَ وبرُه، ومَحَصَ الظَّبيُ؛ خلصَ عَدْوُه من الفُتور.

﴿وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ ابن عبّاسٍ: يُنقِصَهم[2].

غيرُه: يُهلِكَهم.

والمَحْقُ: نُقصانُ الشَّيءِ قليلًا قليلًا.

* * *

(١٤٢) ـ ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾: استفهامُ إنكارٍ؛ أي: لا تَحسبوا[3].

﴿أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ﴾ علمَ مُشاهدةٍ.

وقيل: ولمّا يَعلَمْ أولياؤُنا.

---

(١) هذا معنى قوله؛ فقد ذهب إلى أن التمحيص التخليص، ونقل هذا عن المبرد والخليل، وقد ذكر المبرد المعنيين، وكلامه يدلُّ على أنهما متقاربان عنده. انظر: «العين» مادة: (م ح ص) (٣/ ١٢٧)، و«الكامل» للمبرد (١/ ١٧٢)، و«معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٧١ ـ ٤٧٢).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٩٠)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٣٩٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٧٥).

(٣) انظر: «البسيط» للواحدي (٦/ ٣٠).

وقيل: لمّا يُجاهدوا بعدُ.

﴿وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ على الشَّدائدِ ولقاءِ العدوِّ، ونُصِبَ على الصَّرفِ؛ لأنَّ النَّفيَ واقعٌ على اجتماعِ الثّاني والأوَّل[١]، ومثلُه قولُه:

لا تَنْـهَ عــن خُلُــقٍ وتأتــيَ مِـثْـلَـهُ عـــارٌ عَليــكَ إذا فعلْــتَ عظيــمُ[٢]

* * *

(١٤٣) ـ ﴿وَلَقَدۡ كُنتُمۡ تَمَنَّوۡنَ ٱلۡمَوۡتَ مِن قَبۡلِ أَن تَلۡقَوۡهُ فَقَدۡ رَأَيۡتُمُوهُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ﴾.

---

(١) النَّصب على الصَّرفِ مصطلحٌ استخدمه الفراء، ونسب للكوفيين، ويُراد به: أن يأتي فعل بعد استفهام أو نهي أو جحد، ويأتي بعده حرف عطف، ثم يأتي فعل آخر لا يحسنُ عطفه على الأول، فينتصب ذلك الفعل على الصَّرف، ويرى الكوفيون أن عامل النصب هو الاختلاف، وهو يشبه المفعول معه من هذه الناحية، أما البصريون فينصبون الفعل بأن المضمرة بعد هذه الواو التي تسمى اليوم واو المعية. انظر: «الكتاب» (٣/ ٤٢)، و«معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٤ و٢٣٥ و٢٩٢)، و«إيضاح الوقف والابتداء» لأبي بكر الأنباري (١/ ١٣٩)، و«الأصول» لابن السراج (٢/ ١٥٤)، و«إعراب القرآن» للنحاس (١/ ١٨٢)، و«غرائب التفسير» (١/ ٢٧٠)، و«جامع الدروس العربية» للغلاييني (٢/ ١٧٧).

(٢) بيت سائر مشهور، وقد اختلف في قائله؛ فنسب لأبي الأسود الدؤلي، كما في «ديوانه» تحقيق: محمد حسن آل ياسين (ص: ٤٠٤)، و«مداواة النفوس» لابن حزم (ص: ٩٥).

ولأبي الأسود أو للعزرمي كما في «جامع بيان العلم» لابن عبد البر (١/ ٦٧٤).

وللمتوكل الليثي، كما في «الأمثال» لأبي عبيد (ص: ٧٤)، و«طبقات فحول الشعراء» (٢/ ٦٨٤)، و«الأغاني» (١٢/ ١٨٨)، و«العقد الفريد» (٢/ ٢١٥).

وللأخطل، كما في «الكتاب» (٣/ ٤٢)، و«شرح كتاب سيبويه» للسيرافي (٢/ ١٧٨).

ولحسان بن ثابت، كما في «شرح أبيات سيبويه» لابن السيرافي (٣/ ٢٣٥).

ولسابق البربري، كما في «حلية المحاضرة» (ص: ٤١).

﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ﴾؛ أي: الحربَ؛ فإنَّها من أسبابِ الموت.

﴿مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ وذلك أنَّ قومًا من الذين غابوا عن بدرٍ كانوا يتمنَّون مثلَه، ويقولونَ: لو لقينا الكفّارَ فعلنا وصنعنا، فلمّا كانَ يومَ أحدٍ جَبُنُوا.

وقيل: تمنَّوا الموتَ حرصًا على الشَّهادة.

ومعنى: ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾؛ أي: تتأمَّلونَ الحالَ في ذلك كيف هي؟ لأنَّ النَّظرَ تقليبُ البصرِ[1] نحوَ المُبصَر؛ أي: هي رؤيةُ تأمُّلٍ وتثبُّتٍ، لا رؤيةُ لَمْحٍ وتخيُّلٍ.

الأخفش: تأكيدٌ[2].

وقيل: تنظرونَ إلى محمَّدٍ، حكاه الزَّجّاج[3].

***

(١٤٤) ـ ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى اللَّهُ الشَّٰكِرِينَ﴾.

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ ذُكر في المغازي: أنَّ رسول الله عليه السَّلام خرج يوم أحدٍ حتى نزل بالشِّعب من أُحدٍ في سبعمئة رجلٍ، وأمَّر عبدَ الله بنَ جُبيرٍ على الرّماة، وهم خمسون رجلًا فقال لهم: «أقِيمُوا بأصلِ الجبلِ، وانضَحُوا عنّا بالنَّبلِ؛ لا يأتونا من خَلفِنا، وإن كانَت لنا أو علينا فلا تبرحُوا مَكانَكم؛ فإنّا لن نزالَ غالبينَ ما ثَبتُّم

(١) في (و): «بالبصر».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ٢٣٤).

(٣) ذكره الزجاج نقلًا عن بعضهم، ورجَّح أن التعبير أريد به التأكيد، كما قال الأخفش، وقد استغربه المصنف. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٧٣)، و«غرائب التفسير» (١/ ٢٧١).

مَكانَكم»[١]، فجاءَت قريشٌ وعلى ميمنتِهم خالدُ بنُ الوليد، وعلى ميسرتِهم عكرمةُ بنُ أبي جهلٍ، ومعهم النِّساء يضربنَ بالدُّفِّ ويقلنَ الأشعار، وكانَت هندٌ تقولُ:

نحـنُ بَنـاتُ طـارقْ   نَمشِي علـى النَّمـارِقْ

إن تُقبِلُـوا نُعـانِقْ   أو تُـدبِـرُوا نُفـارِقْ

فِـراقَ غيـرِ وامِـقٍ[٢]

وحملَ رسولُ الله عليه السَّلام والمسلمون على المشركين، فهزمُوهم وقتلوا عدّةً منهم.

قال الزُّبير بن العوّام: فرأيتُ هندًا وصواحبَها هارباتٍ، مُصعِداتٍ في الجبل، بادياتٍ خِدامُهنَّ[٣]، ما دونَ أخْذِهنَّ شيءٌ.

فلمَّا نظرَتِ الرُّماةُ إلى القومِ قد انكشفوا، ورأوا النَّبيَّ عليه السَّلام والمؤمنين ينهبون الغنيمةَ أقبلوا يريدون النَّهب، واختلفوا؛ فقال بعضُهم: لا نتركُ أمرَ رسولِ الله، وقال بعضُهم: ما بقيَ من الأمرِ شيءٌ، ثم انطلقَ عامَّتُهم، ولحقوا بالعسكر، فلمّا رأى خالدُ بنُ الوليدِ قلّةَ الرُّماةِ واشتغالَ المسلمين بالغنيمة، ورأوا ظهورَهم خاليةً، صاحَ

---

(١) روى بعضه الطبري في «تفسيره» عن السدي (٦/ ٩٩)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٩٤)، والبغوي في «تفسيره» (١/ ٥١٦)، وهو مرسل.

(٢) انظر: «سيرة ابن إسحاق» (ص: ٣٢٧)، و«مغازي الواقدي» (١/ ٢٢٥)، و«أدب الكاتب» لابن قتيبة (ص: ٩٠)، و«مسند البزار» (٩٧٩).

(٣) الخِدامُ: جمع خَدَمة، وهو الخلخال، يقال: امرأة في رجلها خلخال وحجل وخدمة؛ كل ذلك سواء. انظر: «الألفاظ» لابن السكيت (ص: ٤٨٧)، و«اتفاق المباني وافتراق المعاني» للدقيقي (ص: ٢٤٨).

في خيلِه من المشركين، ثم حملَ على أصحابِ رسول الله عليه السَّلام مِن خلفِهم، فهزموهم وقتلوهم.

ورمى عبدُ الله بنُ قَمِئةَ الحارثيُّ رسولَ الله ﷺ بحجرٍ فكسرَ أنفَه ورَباعيتَه وشجَّه في وجهِه، فذَبَّ مُصعبُ بنُ عُميرٍ عن رسول الله ﷺ، وكان صاحبَ رايةِ رسول الله ﷺ، واسمُها: العُقاب، فقتلَ ابنُ قمئةَ مُصعبًا، فرجعَ وهو يرى أنَّه قتلَ رسولَ الله عليه السَّلام فقال: قتلتُ محمّدًا، وصاحَ صارخٌ: ألا إنَّ محمَّدًا قد قُتِل.

ويُقالُ: كان ذلك الصّارخُ إبليسَ لعنَه الله.

فانكفأ النّاس، ورجعَ رسولُ اللهِ عليه السَّلام يدعو النّاسَ: «إليَّ عبادَ الله، إليَّ عبادَ الله»[1]، فاجتمعَ إليه ثلاثونَ رجلًا، فحمَوه حتى كشفوا عنه المشركين[2].

وقال بعضُ النّاسِ قبلَ رؤيتِهم رسولَ الله ﷺ: قد أُصيبَ محمَّدٌ فأعطوهم بأيديكم؛ فإنَّهم إخوانُكم، فقال بعضُهم: إن كان محمّدٌ قد أُصيبَ ألا تمضون على ما مضى عليه نبيُّكم حتى تلحقوا به، فأنزلَ الله في ذلك الآيات: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾[3].

﴿قَدْ خَلَتْ﴾: مضت ﴿مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ كلُّهم ماتوا أو قُتلوا.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» عن السدي وقتادة وابن عباس رضي الله عنهما (٦/ ٩٩ و١٤٦ و١٤٨)، ورواه ابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٤٥٠) عن قتادة.

(٢) عبارة المصنِّف مستفادة من الثعلبي باختصار وتصرف يسير. انظر: «سيرة ابن إسحاق» (ص: ٣٢٦ ـ ٣٢٧)، و«مغازي الواقدي» (١/ ٢٢٩ ـ ٢٣٠)، و«تفسير الثعلبي» (٩/ ٢٩٣ ـ ٢٩٧).

(٣) انظر: «تفسير ابن المنذر» (١/ ٤٠٣)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٢٥).

﴿أَفَإِيْن مَّاتَ﴾ هو[١] ﴿أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ﴾؛ فرجعتُم[٢] إلى الكفرِ مُرتدِّين. وضربَ المثلَ بالرُّجوعِ القَهقرى إلى الوراءِ؛ فإنَّه أقبحُ رجوعٍ[٣].

والاستفهامُ إنكارٌ؛ أي: لا تنقلبوا.

ودخلَ الاستفهامُ[٤] الشَّرطَ، ومحلُّه الجزاءُ؛ لكونهما جملةً[٥].

﴿وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ مرتدًّا، ﴿فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ﴾ بارتدادِه ﴿شَيْـًٔا﴾، بل ضرَّ نفسَه.

﴿وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾: الثَّابتينَ على دينِه؛ وعدٌ بعدَ وعيدٍ.

* * *

(١٤٥) ـ ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَـٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾.

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: بعلمِه.

---

(١) «هو» من (ن).

(٢) في (ن): «رجعتم».

(٣) أراد: أن قوله: ﴿انقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ﴾ يراد به رجوع القهقرى، وهو أقبح رجوع، وقد جُعل مثلاً للمرتدِّ عن دينه، والله أعلم. انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ١١٣)، و«البسيط» للواحدي (٦/ ٤٠).

(٤) «الاستفهام» من (ن).

(٥) أي: لكون الشرط والجزاء بمنزلة الجملة الواحدة جاز دخول الاستفهام على الشرط مع أن المستفهَم عنه هو الجزاء، وهذا مذهب سيبويه. انظر: «الكتاب» (٣/ ٨٣)، و«غرائب التفسير» (١/ ٢٧١).

وقيل: إلا أن يأمرَ[١] ملكَ الموتِ في قبضِ روحِه؛ أي: ولم يأذنْ له[٢] في قبضِ روحِ محمَّدٍ عليه السَّلام بعدُ، بل يحفظُه لتبليغِ تمامِ الرِّسالة.

﴿كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾: مؤخَّرًا إلى حِينِه.

﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾: نصيبًا من الغنيمةِ بجهادِه الكفَّارَ، ﴿نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾.

وقيل: ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾؛ أي: عَمِلَ للدُّنيا، لم نحرمْه ما قسمناه له منها[٣].

وقيل: مَن طلبَ الدُّنيا بعملِ الآخرةِ، نؤته منها، وما له في الآخرةِ من نصيبٍ.

الحسنُ: قال: ﴿نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾، ولم يقل: نؤته إيّاها، ولا كثيرًا منها[٤].

﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ بالعملِ لها، ﴿نُؤْتِهِۦ مِنْهَاۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ﴾؛ أي: لهم ثوابُ الدُّنيا وثوابُ الآخرة.

وقيل: معناه: نُعطي كلًّا منهم ما يختارُ.

وقيل: هذا خاصٌّ في أصحابِ أُحُدٍ.

وقيل: عامٌّ.

***

---

(١) في (ن): «إلا بأن يأذن».

(٢) في (ن): «أي لم يأذنه».

(٣) في (ن): «له فيها».

(٤) ذكر نحوه ابن أبي زمنين في «تفسيره» (٤/ ١٦٦)، وذكر نحوه ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٣٣١) بلا نسبة.

(١٤٦) ـ ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

﴿وكأيِّن من نبيٍّ قُتِلَ﴾: أصلُ (كَأَيِّنْ): (أيٌّ) دخلَ عليه كافُ التَّشبيهِ غيرَ متَّصلٍ بفعلٍ، كدخولِه في (ذا) و(أنَّ) من (كذا) و(كأنَّ)، والنُّونُ هو التَّنوينُ، أُثبِتَ في الخطِّ على غيرِ قياسٍ.

واختلفَ القُرّاءُ في الوقفِ عليه[1].

و(كأيِّن) فيه لغاتٌ[2]، قال جريرٌ:

وَكائِنْ بِالأَباطِحِ مِنْ صَدِيقٍ ... يَراني لو أُصِبْتُ هو المُصابا[3]

ومعناه: كأيِّ عددٍ شئتَ.

و﴿مِّن﴾ للتَّبيينِ.

وتلخيصُه: كثيرٌ من الأنبياءِ بهذهِ الصِّفة.

---

(١) قال ابن الجزري في «النشر» (١/ ١٤٣): «حذفَ النونَ منها ووقفَ على الياء أبو عمرو ويعقوب، ووقف الباقون بالنون، وهو تنوين ثبت رسمًا من أجل احتمال قراءة ابن كثير وأبي جعفر»، وانظر التعليق الآتي.

(٢) في (و): «وكائن فيه لغة». من ذلك: كَأَيِّنْ، وكَائِنْ، وهما لغتان، قرأ بالثانية منهما ابن كثير وأبو جعفر، وقرأ باقي السبعة بالأولى، وقرأ الحسن: كَايِنْ، وقرأ ابن محيصن: كَئِنْ. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٢١٦)، و«التيسير» (ص: ٩٠)، و«النشر» (٢/ ٢٤٢)، و«غرائب التفسير» (١/ ٢٧٢)، و«ارتشاف الضرب» لأبي حيان (٢/ ٧٩٢)، وانظر: «أمالي ابن الشجري» (١/ ١٦٠).

(٣) انظر: «ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب» تحقيق: نعمان محمد أمين طه (١/ ٢٤٤)، و«معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٧٥)، و«شرح الأبيات المشكلة الإعراب» لأبي علي الفارسي (ص: ٢١٣).

وقولُه[١]: ﴿قُتِلَ﴾ يجوزُ أن يكونَ مُسنَدًا إلى النَّبيِّ عليه السَّلام، والمعنى: كثيرٌ من الأنبياءِ قُتلوا فما ارتدَّت أممُهم. وقولُ مَن قال: (ما سمعنا بنبيٍّ قُتِلَ في المعركة) لا يدفعُ هذا التَّأويلَ[٢]؛ إذ ليس في القرآنِ ذكرُ المعركة.

ويجوزُ أن يكونَ مُسنَدًا إلى قوله: ﴿رِبِّيُّونَ﴾، والمعنى: قُتِلَ معه ربِّيون كثيرٌ، فما تداخَلَ الباقينَ وَهْنٌ.

ومَن قرأ: ﴿قَـٰتَلَ﴾[٣] جازَ فيه الوجهانِ أيضًا.

﴿مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ ابنُ عبّاسٍ والحسنُ: هم العلماءُ الأتقياءُ الصُّبُرُ على ما يُصيبُهم[٤].

الأخفشُ: هم الذين يعبدونَ الرَّبَّ[٥]؛ فنُسبوا إليه، وكُسِرَ كـ(إمْسِيٍّ)[٦] و(ظِهْرِيٍّ)[٧].

---

(١) في (ن): «قوله».

(٢) في هامش (ن): «قال الشيخ أبو الفضل: لا يجوز الوقف على قوله: ﴿وكأين من نبي قُتِلَ﴾؛ لأنه لم يُقتل نبيٌّ في معركة». وانظر: «إيضاح الوقف والابتداء» للأنباري (٢/ ٥٨٥)، و«المكتفى في الوقف والابتدا» للداني (ص: ٤٥ ـ ٤٦).

(٣) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو: ﴿قُتِلَ﴾، وقرأ باقي السبعة: ﴿قَـٰتَلَ﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٢١٧)، و«التيسير» (ص: ٩٠).

(٤) هذا لفظ الزجاج في «معاني القرآن» (١/ ٤٧٦)، وذكر أبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ٣٧٢) أنه قول ابن عباس برواية الحسن، وروى الطبري في «تفسيره» (٦/ ١١٣ ـ ١١٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما والحسن: «علماء كثير»، وعن الحسن: «فقهاء علماء»، وروى ابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٤٢٠) عن الحسن: «علماء صبر».

(٥) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ٢٣٥)، وانظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (١٥/ ١٢٩).

(٦) «كإمسي» من (ن).

(٧) (إمسيٌّ) منسوب إلى (أمس)، و(ظِهريٌّ) منسوب إلى (ظَهر)، وكسر الهمزة والظاء أفصح من =

وقيل: منسوبٌ إلى التَّألُّهِ والعبادةِ.

أبو عبيدةَ: الرِّبِّيُّ: الجماعةُ[١].

الزَّجّاج: الرِّبّةُ: الجماعةُ[٢]، ونُسِبَ إليها ثم جُمِعَ[٣].

وقيل: يُقالُ لعشرةِ آلافٍ: رِبّةٌ[٤].

﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾؛ أي: ما فتَروا.

ابنُ عيسى: ما انكسرَ جِدُّهم بالخوف.

﴿وَمَا ضَعُفُوا﴾؛ أي: عن عدوِّهم.

وقيل: وما ضعُفَتْ نيَّتُهم، ولا انحلَّتْ عزيمتُهم.

﴿وَمَا اسْتَكَانُوا﴾ الزَّجّاج: وما خضعوا لعدوِّهم[٥].

= فتحها، وهو من التغيُّرات التي كثيراً ما تطرأ في باب النسب. انظر: «الخصائص» لابن جني (٢/ ٤٣٨)، و«التفسير الكبير» للرازي (٩/ ٣٨٠)، و«تاج العروس» مادة: (أ م س) (١٥/ ٤٠٨)، ومادة: (ظ ه ر) (١٢/ ٤٨٥).

(١) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ١٠٤).

(٢) «الزجاج الربة الجماعة» من (ن).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٧٦).

(٤) وقد ضبطت بضم الراء وكسرها وفتحها؛ على خلاف في ذلك، وفي المطبوع من «معاني القرآن»: رُبوة، وهي مروية عن ابن عباس، وذكرها الأزهري وابن جني وابن سيده، والله أعلم. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٧٦)، و«تهذيب اللغة» للأزهري مادة (ر ب و) (١٥/ ١٩٧)، و«المحتسب» لابن جني (١/ ١٧٤)، و«المحكم» لابن سيده مادة (ر ب و) (١٠/ ٣٢٨)، و«تاج العروس» مادة: (ر ب ب) (٢/ ٤٦٩).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٧٦).

ابن عيسى: الاستكانةُ: إظهارُ الضَّعف[1].

قال: وقيل: الخضوعُ؛ لأنَّه يسكُنُ لصاحبِه ليفعلَ به ما يريدُه[2].

لم يتعرَّض أحدٌ من المفسِّرينَ لهذه اللَّفظة[3]، وظاهرُ لفظِ عليٍّ بنِ عيسى يدلُّ على أنَّه جعلَه من (السُّكونِ)[4]، فيكونُ وزنُه (افْتَعَالَ) مِن (سَكَنَ)، وتكونُ الألفُ فيه[5]، كما في قول الشّاعر:

وأنـتَ مِـنَ الغوائلِ حيـنَ تُرمَى ومن ذَمِّ الـرِّجـالِ بمُـنتَزاحِ[6]

وفيه بعدٌ لشُذوذِه[7].

وقال الأزهريُّ: هو من قول العرب: بات فلان بِكِيْنَةِ سَوءٍ وبجِيْنَةِ سَوءٍ؛ أي: بحالِ سوءٍ. وأكانَهُ يُكِيْنُه؛ إذا أخضعَه، والكَيْنُ ـ كينُ المرأةِ ـ من هذا[8].

وإليه ذهبَ أبو عليٍّ أيضًا[9].

---

(١) ذكره العسكري بلا نسبة في «الفروق اللغوية» (ص: ١١٥).

(٢) انظر: «البسيط» للواحدي (٦/ ٥٧).

(٣) لا يسلم هذا الكلام للمصنِّف. انظر: «تفسير ابن فورك» (١/ ٨٩)، و«مشكل إعراب القرآن» لمكي (٢/ ٥٠٥)، و«البسيط» للواحدي (١٦/ ٤١)، و«تفسير السمعاني» (٣/ ٤٨٥).

(٤) وكذا قال الثعلبي في «تفسيره» (١٨/ ٥٣٩): «استكانوا: خضعوا، أصله من السكون».

(٥) هي إشباع للفتحة، وليست ألفاً حقيقية؛ لأن الفعل إنما يأتي عادة على وزن (افْتَعَلَ).

(٦) البيت لإبراهيم ابن هرمة يرثي ابنه. انظر: «ديوانه» تحقيق: محمد جبار المعيبد (ص: ٨٧)، و«الحلبيات» لأبي علي (ص: ١١٢)، و«سر صناعة الإعراب» لابن جني (٢/ ٣٥١)، و«الصحاح» مادة (ن ز ح) (١/ ٤١٠).

(٧) ولكن المصنِّف قدَّمه في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٨٢).

(٨) انظر: «تهذيب اللغة» مادة (ك ون) (١٠/ ٢٠٤ ـ ٢٠٥).

(٩) في المطبوع من «الحجة» لأبي علي الفارسي (٦/ ٤٤٧): «فأما قوله عز وجل: ﴿فَمَا ٱسْتَكَانُواْ لِرَبِّهِمْ﴾

وقيل: استفْعَلَ من (كان يكون)؛ أي: لم يكونوا بصفةِ الوَهنِ والضَّعفِ، وكذلك قولُه[1]: ﴿فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ﴾؛ أي: لم يكونوا له بمؤمنين[2].

﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

* * *

(١٤٧) - ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾؛ أي: التي بسببِها مُنِعنا النُّصرةَ، وهذا معنى قولِ ابنِ عبّاسٍ[3].

فليس افتعلوا من (السكون)، ولكن استفعلوا من (الكون)؛ أي: لم يكونوا لأمر ربهم، ومعناه: لم ينتهوا إليه ولم يتقبّلوه، وكان واستكان، مثل: عجب واستعجب»، وهذا الكلام يخالف كلام المصنِّف؛ فهو يجعل (استكان) من (الكون)، ولكنَّنا نميل إلى أن كلام المصنِّف صحيح، وأن في المطبوع خللاً، وصوابُه: «استفعلوا من (الكين)؛ أي: لم يَكينوا لأمر ربهم»، وقد نقل ابن جني تلميذ أبي علي كلامه على وجهه، فنقل عنه في «الخصائص» (٣/ ٣٢٧): أنَّ عين (استكانوا) من الياء، وأنَّه كان يأخذه من لفظ (الكين) ومعناه، وهو: لحم باطن الفرج؛ أي: فما ذلوا وما خضعوا، وذلك لذلِّ هذا الموضعِ ومهانته، وقد عدَّ المصنِّف هذا القول من العجائب في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٨٢).

(١) «قوله»: ليس في (ن).

(٢) هذا ما صحَّحه مكي من جهة الاشتقاق، واختاره المعري بعد عرضه لبقية الآراء. انظر: «مشكل إعراب القرآن» لمكي (٢/ ٥٠٥)، و«رسالة الملائكة» للمعري (ص: ٢١٤).

(٣) في «البسيط» للواحدي (٦/ ٥٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟﴾ قال: «يريد: عند لقاء العدو، وهذا بعد أن قُتِلَ نبيهم»، وروى الطبري في «تفسيره» (٦/ ١٢٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «﴿وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا﴾: خطايانا».

﴿وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا﴾: مجاوزَتنا الحدَّ.

ابنُ عيسى: الإسرافُ: تجاوزُ الحقِّ إلى الباطلِ كائنًا ما كانَ بزيادةٍ أو نقصانٍ، من قولهم: (سَرِفتُ القوم)؛ إذا جاوزتَهم[1].

﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾: شجِّعْ قلوبَنا، ﴿وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

جعلَ ﴿قَوْلَهُمْ﴾ الخبرَ؛ لأنَّ ﴿أَن قَالُوا۟﴾ أشدُّ تعريفًا؛ لامتناعِه عن الوصفِ[2].

* * *

(١٤٨) - ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾؛ أي: بسببِ استغفارِهم وتوبتِهم آتاهم الله النَّصرَ والظَّفرَ والغنيمةَ.

﴿وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾: المغفرةَ والجنّةَ والنَّعيمَ، ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

* * *

(١٤٩) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ الحسنُ: هم اليهودُ والنَّصارى[3].

---

(١) انظر: «جمهرة اللغة» لابن دريد، مادة (س ر ف) (٢/ ٧١٧).

(٢) أي: المصدر المؤول من (أن) والفعلِ أعرفُ من الاسم المفرد؛ فحقه أن يكون هو المبتدأ، وإن كان كلاهما معرفة. انظر: «إتحاف الحثيث بإعراب ما يشكل من ألفاظ الحديث» للعكبري (ص: ٢٢٢)، و«همع الهوامع» للسيوطي (١/ ٤٣٥).

(٣) ذكر نحوه الزمخشري في «الكشاف» (١/ ٤٢٥) عن الحسن، وذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ٣٧٥) عن الحسن وابن جريج، ورواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ١٢٥) وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٤٢٦) وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٨٥) عن ابن جريج، وانظر: «تفسير القرآن =

السُّدِّيُّ: هم أبو سفيانَ وأصحابُه[١]؛ أي: فيما يدعونكم إليه بقولهم: ارجعوا إلى دينِ آبائِكم.

﴿يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾: يُرجعوكم إلى الشِّركِ بالله.

﴿فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾: لا دنيا ولا دينَ لكم.

* * *

(١٥٠) ـ ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ﴾.

﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ﴾: ناصرُكم؛ فاستغنوا عن مُوالاةِ غيرِه، ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ﴾.

* * *

(١٥١) ـ ﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ السُّدِّيُّ: لمَّا ارتحلَ أبو سفيانَ[٢] والمشركونَ يومَ أحدٍ مُتوجِّهين إلى مكّةَ انطلقوا حتى بلغوا بعضَ الطَّريقِ ندموا، فقالوا: بئسما صنعنا؛ قتلناهم، حتى إذا لم يبقَ منهم[٣] إلا الشَّريدُ تركناهم، فارجعوا فاستأصلوهم، فلمّا عزموا على ذلك ألقى الله الرُّعبَ في قلوبهم[٤] حتى رجعوا عمّا همُّوا به، فأنزلَ الله: ﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾[٥].

= العزيز» لابن أبي زمنين (١/ ٣٢٤)؛ فقد ذكر عن الحسن غير ذلك.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ١٢٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٨٤).

(٢) في (و) زيادة: «وأصحابه».

(٣) «منهم» من (ن).

(٤) «في قلوبهم» من (ن).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ١٢٨)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٣٢٦)، والواحدي في =

﴿ٱلرُّعْبَ﴾ وهو مِلءُ القلبِ خوفًا.

﴿بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ﴾: بإشراكِهم بالله ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾، وهو الأوثانُ والأصنامُ.

والهاءُ تعودُ إلى (ما)، وقيل: إلى الإشراكِ.

والسُّلطانُ: البرهانُ، وأصلُه القوّةُ، ومنه (السَّليطُ) للزيت؛ لقوّةِ اشتعالِه، والسَّلاطةُ: حدّةُ اللِّسانِ مع قوّةِ الصَّخب.

﴿وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ﴾: مرجعُهم.

﴿وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: النّار، والمثوى: المنزلُ، والثَّواءُ: طُولُ الإقامة.

***

(١٥٢) ـ ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ﴾ قال محمَّدُ بنُ كعبٍ القرظيُّ: لمّا رجعَ رسولُ الله عليه السَّلام من أُحدٍ قال ناسٌ من أصحابِه: من أينَ أصابنا هذا وقد وعدَنا الله النَّصرَ؟! فأنزلَ الله: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ﴾(١): أنجزَ وعدَه.

﴿إِذْ تَحُسُّونَهُم﴾: تقتلونهم قتلًا ذريعًا.

= «أسباب النزول» (ص: ١٢٥).

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٣٢٨)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٢٦).

ابنُ عيسى: حسَّه: أبطلَ حِسَّه بالقتل[١].

﴿بِإِذْنِهِۦ﴾: بأمرِه وعلمِه.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ﴾: جبنتم.

﴿وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾: اختلفتُم فيه؛ يعني: اختلافَ الرُّماة.

﴿وَعَصَيْتُم﴾ أمرَ نبيِّكم بترككِم المركزَ والاشتغالِ بالغنيمة.

﴿مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ﴾ منَ الظَّفرِ، والغنيمة، وانهزامِ الكفّارِ حتى بدَت خلاخيلُ المنهزمات.

وجوابُ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا﴾ محذوفٌ، وهو: امتحنكم[٢].

قال الفرّاءُ: تقديرُه: حتى إذا تنازعتم عصيتُم وفشلتُم[٣].

ويُحتمَلُ أن تكونَ للغاية، فلا تحتاجُ إلى جوابٍ[٤].

﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا﴾: هم الذين تركوا المركزَ لطلبِ الغنيمة.

﴿وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ﴾: هم الذين صبروا حتى قُتلوا.

﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ﴾: كفَّ عنكم معونتَه، فغلبوكم.

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٦/ ٧٠) والرازي في «مفاتيح الغيب» (٩/ ٣٨٦) ونسباه إلى أصحاب الاشتقاق دون تحديد.

(٢) وقد قال مثل هذا الخليل في قوله جلَّ ذكره: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾. انظر: «الكتاب» لسيبويه (٣/ ١٠٣).

(٣) ففيه تقديم وتأخير. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٣٨)، وفيه: «معناه: حتى إذا تنازعتم في الأمر فشلتم».

(٤) وذلك إذا كانت بمعنى حين. انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٢/ ٢٥٢).

ابنُ عيسى: ﴿صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ﴾ بأن لم يأمركم معاودتَهم من فورِهم[١].

﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾: ليختبرَكم؛ أي: ليعاملَكم معاملةَ المُختبِر.

﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ﴾: قبلَ توبتِكم.

وقيل: لم يستأصلْكم، ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾.

* * *

(١٥٣) ـ ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ۗ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾: تُبالِغون في الذَّهاب في صعيدِ الأرض، وأصلُ الإصعادِ: الذّهابُ، تقولُ: أصعدنا إلى بلدِ كذا.

﴿وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ﴾: لا يقفُ أحدٌ لأحدٍ[٢].

وقيل: لا تَعطِفون.

﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ﴾ يقول: «إليَّ عبادَ الله[٣]، إليَّ عبادَ الله»[٤].

﴿فِي أُخْرَاكُمْ﴾ ينادي من ورائِكم، وهو عليه السَّلام في الفرقةِ الأخيرةِ منهم.

---

(١) ذكره الرازي في «مفاتيح الغيب» (٩/ ٣٨٩)، ونسبه للكعبي، وهو أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود الكعبي البلخي الخراساني، أحد أئمة المعتزلة.

(٢) في (ن): «أحد لآخر».

(٣) «يقول إلي عباد الله» من (ن).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ١٤٦ ـ ١٤٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة والسدي، وقد تقدم.

والأُخْرى: كالرُّجْعى، وأجازَ الفرّاءُ في غيرِ القرآن: أُخراتِكم(١).

﴿فَأَثَبَكُمْ﴾: لفظُ (الإثابةِ) هنا يجوزُ أن يكونَ على الأصل من (ثاب)، ويجوزُ أن يكونَ كقوله: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

﴿غَمًّا بِغَمٍّ﴾؛ أي: تتابعَ عليكم الغُمومُ(٢).

وقيل: غمًّا على غمٍّ، والغمُّ الأوَّل: القتلُ والجراحةُ، والثّاني قولُ بعضِهم: قُتِلَ محمَّدٌ.

وقيل: الثّاني ظهورُ خالدِ بنِ الوليدِ عليهم.

الزَّجّاجُ: فأثابَكم غمًّا بسببِ غمِّكم النَّبيَّ عليه السَّلام بمخالفتِكم إيّاه وعصيانِكم أمرَه(٣).

﴿لِّكَيْلَا تَحْزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ من الغنيمةِ، ﴿وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ﴾ من الهزيمةِ.

المفضَّلُ: (لا) زائدةٌ(٤)، كقولِه: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ﴾(٥)، والمعنى: لتَأسفُوا على ما فاتَكم

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٣٩).

(٢) ذكر الرازي نحوه في «مفاتيح الغيب» (٩/ ٣٩١) فقال: «وفي الآية قول ثالث اختاره القفال رحمه الله تعالى، قال: وعندنا أن الله تعالى ما أراد بقوله: ﴿غَمًّا بِغَمٍّ﴾ اثنين، وإنما أراد مواصلة الغموم وطولها؛ أي: أن الله عاقبكم بغموم كثيرة مثل قتل إخوانكم وأقاربكم، ونزول المشركين من فوق الجبل عليكم بحيث لم تأمنوا أن يهلك أكثركم، ومثل إقدامكم على المعصية».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٧٩).

(٤) في (ن): «زيادة».

(٥) ذكر الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٣٣٩)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٣٣٦) عن المفضل أنه صلة، ويُقصد به الزيادة. انظر: «تفسير الثعلبي» (٩/ ٣٣٩-٢٤٩)، و«تفسير الماتريدي» (٩/ ٥٠٤ و٥٤٢).

من الظَّفر، وعلى ما أصابَكم من أعدائِكم من القتلِ والجرحِ عقوبةً لكم في خلافِكم النَّبيَّ عليه السَّلام.

واللّامُ في ﴿لِكَيۡ﴾ متَّصلٌ بـ﴿أثابكم﴾.

وقيل: بقولِه: ﴿عَفَا عَنكُمۡ﴾.

﴿وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾: عالمٌ بعملِكم.

***

(١٥٤) ـ ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ أَمَنَةٗ نُّعَاسٗا يَغۡشَىٰ طَآئِفَةٗ مِّنكُمۡۖ وَطَآئِفَةٞ قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ أَنفُسُهُمۡ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ يُخۡفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبۡدُونَ لَكَۖ يَقُولُونَ لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٞ مَّا قُتِلۡنَا هَٰهُنَاۗ قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡۖ وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾.

﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ أَمَنَةٗ﴾: أعقبَكم بما أصابَكم من الغمِّ أمنةً[1]؛ رحمةً جاذبةً للنَّوم؛ لأنَّ الشّديدَ الخوفِ لا ينام.

﴿نُّعَاسٗا﴾ بدلٌ من (الأمَنة).

﴿يَغۡشَىٰ طَآئِفَةٗ مِّنكُمۡ﴾؛ أي: المؤمنين، وكانوا تحت الحَجَفِ[2] متأهِّبين للقتال[3]،..

(١) «أمنة» من (ن).

(٢) أي: التروس، يقال للترس إذا كان من جلود ليس فيه خشب ولا عقب: حَجَفة. انظر: «الصحاح» (٤/ ١٣٤١) مادة (ح ج ف).

(٣) «للقتال» من (ن).

فأنزل الله على المؤمنين أمنة[١]، فناموا دون المنافقين، فإنَّهم[٢] أزعجهم الخوف، وطيَّرَ عنهم النَّوم.

﴿وَطَآئِفَةٌ قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ أَنفُسُهُمۡ﴾ يعني: المنافقين، طِلبَتُهم وهمَّتُهم خلاصُ أنفسِهم.

﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ﴾؛ أي: يظنُّون الله[٣] مُبطِلًا؛ لأنَّ غيرَ الحقِّ باطلٌ.

﴿ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ﴾؛ أي: ظنًّا مثلَ ظنِّ الجاهليّة، والجاهليّةُ: حالةُ الشِّرك والكفر.

والتَّأنيثُ[٤] للحالِ، أو الأفعال.

وظنُّ الجاهليّة: إبطالُ النُّبوّاتِ والشَّرائع.

الزَّجّاجُ: يظنُّون أمرَ النَّبيِّ عليه السَّلام قد اضمحلَّ[٥].

ابنُ بحرٍ: هو يأسُهم من نصرِ الله، وشكُّهم في سابقِ وَعدِه وصادقِ عهدِه بنصرِ رسولِ الله ﷺ والمؤمنين[٦].

وقيل: يظنُّون أنَّ الحقَّ ما عليه الكفّارُ، فلهذا نُصروا.

---

(١) «أمنة» من (ن).

(٢) «فإنهم» من (ن).

(٣) في (و): «بالله».

(٤) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم وابن عامر ﴿يَغۡشَىٰ﴾، وقرأ حمزة والكسائي ﴿تغشى﴾؛ فالتذكير للنعاس، والتأنيث للأَمَنة. انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٤٣)، و«الحجة» لأبي علي (٣/ ٨٨).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٧٩).

(٦) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ٣٩٢) بلا نسبة.

﴿يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ﴾ الحسنُ: قيل لعبد الله بن أُبيٍّ: قُتِلَ بنو الخزرجِ، فقال: هل لنا من الأمرِ من[1] شيءٍ[2]؟! أي: مُنِعنا تدبيرَ أنفسِنا وتصريفَها باختيارنا، فهل يزولُ عنّا هذا القهرُ والإجبارُ؟!

وقيل: معناه: ليس لنا من النَّصرِ والظَّفرِ شيءٌ كما وُعدنا، يقولُ ذلك على وجهِ التَّكذيب.

﴿قُلْ﴾: يا محمَّدُ ﴿إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾: النَّصر والشَّهادة.

وقيل: القضاء والقدر، فهو يُصرِّفُهم بين أمرِه ونهيِه.

﴿يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ﴾، ثم فسَّرَ: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ تكذيبًا للقضاءِ والقدر؛ أي: لو كنّا مُختارين لقعدنا في بيوتِنا.

وقيل: لو كانَ ما وعدَنا محمَّدٌ صدقًا وحقًّا ما قُتِلْنا هاهنا.

﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ﴾: لخرجَ.

﴿ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ﴾: قُضِيَ وحُمَّ[3] عليهم.

﴿إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾: مصارِعهم، ولم ينفعهم قعودُهم.

وفيه قولان:

أحدُهما: هم المؤمنون جميعًا؛ أي: لو قعدتُم أيُّها المنافقون لخرج المؤمنون، ويكون (القتل) بمعنى: القتال.

---

(١) «من»: ليس في (ن).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ١٦٧) وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٤٥٦) عن ابن جريج، وروى نحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٩٥) عن الحسن.

(٣) حمَّ الأمر: قضي وقدر. انظر: «العين» مادة (ح م م) (٣/ ٣٣)، و«الألفاظ» لابن السكيت (ص: ٣٣١).

والثّاني: هم الشُّهداء؛ أي: لو قعدتُم[١] لبرزَ الذين استُشهدوا؛ ليقضيَ الله أمرًا كان مفعولًا.

﴿وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ﴾: ليظهرَ مُغيَّباتِ قلوبِكم للنَّبيِّ عليه السَّلام والمؤمنين.

﴿وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ﴾: يُظهره ويكشفَ.

وفي الواوِ من قوله: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ﴾ قولان:

أحدُهما: أنَّه عطفٌ على مُضمَرٍ تقديره: لبرز الذين كُتب عليهم القتل إلى مضاجعِهم؛ ليقضيَ الله أمره، وليبتليَ.

ابنُ بحرٍ: عَطفَه على قوله: ﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾، فلمّا طالَ الكلامُ أعادَ (ليبتليكم)[٢]، ثم عطفَ عليه ﴿وَلِيُمَحِّصَ﴾[٣].

ويحتمل: وليبتليَ اللهُ وليمحِّصَ فَعَلَ ما فَعَلَ[٤].

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: بخفيّاتِها قبلَ إظهارها.

* * *

(١) «أيها المنافقون لخرج المؤمنون ويكون القتل بمعنى القتال، والثاني هم الشهداء أي لو قعدتم» من (ن).

(٢) كذا في النسخ الخطية، وإنما الذي أعيد على هذا القول (ليبتلي)، وعبارة أبي حيان: «لما طال الكلام أعاده ثم عطف عليه» أفضل، والله أعلم.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٧٣)، وعدَّه من الغريب، وذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ٣٩٧).

(٤) فاللامُ تتعلق بمتأخِّر على هذا التقدير.

(١٥٥) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ﴾: انهزموا ﴿يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ﴾؛ المؤمنُ والكافرُ التقيا للقتال، وهو يومُ أحدٍ.

﴿إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾: أوقعهم في الزّلّة.

المفضَّلُ: حملَهم على الزّلّة[١].

وقيل[٢]: طلبَ منهم الزّلّة[٣].

وقيل: (أزلَّ) و(استزلَّ)[٤] بمعنى[٥].

وقيل: أزلَّهم عن مكانِهم[٦].

﴿بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْ﴾ ابنُ عيسى: بحبِّهمُ الغنيمةَ مع حرصِهم على الحياة[٧].

الزّجّاجُ: استزلَّهم بذكرِ خطايا سلفَت منهم، وكرهُوا القتلَ قبلَ إخلاصِ التّوبة منها، والخروجِ من المظلمةِ فيها[٨].

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٣٤٧).

(٢) «وقيل»: ليس في (ن).

(٣) انظر: «الغريبين» للهروي (٣/ ٨٢٩).

(٤) في (و): «زل فأزل».

(٥) ذكره الواحدي في «البسيط» (٦/ ١٠١)، والرازي في «مفاتيح الغيب» (٩/ ٣٩٨).

(٦) انظر: «الحجة» لأبي علي (٢/ ١٨).

(٧) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٤٣١) دون نسبة.

(٨) هذا معنى قول الزجاج، ولفظه: «لم يتولوا في قتالهم على جهة المعاندة، ولا على الفرار من الزحف رغبة في الدنيا خاصة، وإنما أذكرهم الشيطان خطايا كانت لهم فكرهوا لقاء الله إلا على حال يرضونها، فلذلك عفا عنهم...». انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٨١)، و«النكت والعيون» =

وقيل: بتركِهم المركزَ، وكان أصحابُ رسولِ الله تولَّوا عنه يومَ أحدٍ إلا ثلاثةَ عشرَ رجلًا؛ خمسة[١] من المهاجرين؛ أبو بكرٍ وعليٌّ وطلحةُ وعبدُ الرَّحمن بن عوفٍ وسعد بن أبي وقّاص رضي الله عنهم، والباقون من الأنصار[٢].

وكان عمرُ من المنهزمين، لكنَّه لم يبعد، بل ثبتَ على الجبل إلى أن صَعِدَ النَّبيُّ عليه السَّلام[٣].

ورُويَ عن عمرَ أنَّه قال: فررتُ يومَ أحدٍ حتى صعدتُ الجبل، ولقد رأيتُني أنزو كأنِّي أروى، والنّاسُ يقولون: قُتِلَ محمَّدٌ، فقلتُ: لا أجدُ أحدًا يقولُه إلّا قتلتُه، حتى اجتمعنا على الجبل[٤].

وأمّا عثمانُ فذهبَ، ومعه عقبةُ وسعيدٌ ابنا عثمانَ الأنصاريِّ إلى الجَلْعَبِ؛ جبلٍ بقرب المدينة[٥]، فأقاموا فيه[٦] ثلاثًا، فلمّا رجعوا قال لهم النَّبيُّ عليه السَّلام: «لقد ذهبتُم فيها عريضة»[٧].

= للماوردي (١/ ٤٣١).

(١) في (و): «سبعة».

(٢) انظر: «النكت والعيون» للماوردي (١/ ٤٣٢)، و«تفسير السمعاني» (١/ ٣٧٠)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (١/ ٥٢٩ ـ ٥٣٠)، ونقله عن ابن فورك.

(٣) انظر: «التفسير الكبير» للرازي (٩/ ٤٢).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ١٧٢)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٤٠٢) عن عاصم بن كليب عن أبيه، وفيهما: «فقلت: لا أجد أحداً يقول: قتل محمد، إلا قتلته». وأنزو: أثب، والنزو: الوثب. وأروى: جمع أُروِيّةٍ، وهي أنثى وعل الجبل. انظر: «المنتخب» لكراع النمل (ص: ١٢٥)، و«تهذيب اللغة» مادة (ن ز و) (١٣/ ١٧٧)، و«جمهرة اللغة» مادة (أ ر و) (١/ ٢٣٦).

(٥) انظر: «معجم البلدان» لياقوت الحموي (٢/ ١٥٤).

(٦) في (و): «فيها».

(٧) ذكره ابن إسحاق بلا إسناد في «سيرته» (ص: ٣٣٢)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ١٧٤)، وابن =

ورُوِيَ أنَّه لمّا انصرفَ إلى المدينة قالَت فاطمةُ لعليٍّ، والنَّبيُّ عليه السَّلام يسمعُ: ما فعلَ عثمان؟ فقال: إنَّ عثمانَ فضحَ الذِّمار[1]، فقال عليه السَّلام: «مَهْ يا عليُّ» ثم قال: «أعياني أزواجُ الأخواتِ أن يتحابُّوا»[2].

﴿وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ﴾ قيل[3]: حَلُمَ عنهم، وقيل: غفرَ لهم.

السُّدِّيُّ: نزلت فيمن بلغَ المدينةَ في الهزيمة[4].

وقال ابنُ إسحاقَ: نزلَت في عثمانَ بنِ عفّانَ[5] وصاحبيه[6].

= المنذر في «تفسيره» (٢/ ٤٥٩) وغيرهما عن ابن إسحاق، وانظر: «المطالب العالية» لابن حجر (١٧/ ٣٤٨). ومعنى (عريضة): واسعة. انظر: «تأويل مختلف الحديث» لابن قتيبة (ص: ٤٠٥)، و«النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير، مادة (ع ر ض) (٣/ ٢١٠).

(١) الذمار: ما لزمك حفظه مما وراءك وتعلق بك. «النهاية» مادة (ذ م ر) (٢/ ١٦٧).

(٢) ذكره نجم الدين النيسابوري في «إيجاز البيان عن معاني القرآن» (١/ ٢١٤)، وذكره مختصرًا ابن المديني في «المجموع المغيث» (١/ ٧٠٨)، وابن الأثير في «النهاية» مادة (ذ م ر) (٢/ ١٦٧)، والرازي في «التفسير الكبير» (٩/ ٤٠٥)، وذكره ابن حجر في «العجاب في بيان الأسباب» (٢/ ٧٧٢) دون قوله: «أعياني أزواج الأخوات أن يتحابُّوا»، وإسناده منقطع، وفيه أن السائلة هي فاختة بنت غزوان امرأة عثمان بن عفان.

(٣) «قيل»: ليس في (ن).

(٤) في (و): «بلغ الهزيمة في المدينة». رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ١٧٣)، ولفظه: «لما انهزموا يومئذ تفرق عن رسول الله ﷺ أصحابه، فدخل بعضهم المدينة، وانطلق بعضهم فوق الجبل إلى الصخرة، فقاموا عليها، فذكر الله عز وجل الذين انهزموا، فدخلوا المدينة فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ﴾»، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٤٣١).

(٥) «بن عفان»: ليس في (ن).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ١٧٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٩٧)، وفيه ذكر صاحبيه، وهما سعد بن عثمان وعقبة بن عثمان الأنصاريان الزرقيان.

ابنُ عبّاسٍ وقتادةُ: إنَّه عامٌّ في المؤمنين منهم دونَ المنافقين[1].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لذنوبِ التّائبين.

﴿حَلِيمٌ﴾ لا يعجِّلُ بالعقوبة.

وذكر العفوَ مرّةً بعدَ أخرى سعةً منه ورحمةً وفضلًا.

***

(١٥٦) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: عبدُ الله بنُ أُبيٍّ وأصحابُه.

﴿وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ﴾: لأهلِهم وفئتِهم.

والإخْوانُ: القومُ يجمعُهم أبٌ قريبٌ أم بعيدٌ.

وقيل: إخوانُهم: مَن يعتقدُ مُعتقدَهم من الكفّار.

﴿إِذَا ضَرَبُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: حين سافروا للتِّجارةِ وطلبِ المعيشة.

أبو عبيدة: الضَّرب في الأرضِ: الإبعادُ فيها[2].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ١٧٢) عن قتادة، ولفظه، قال: «وذلك يوم أحد، ناس من أصحاب رسول الله ﷺ تولوا عن القتال وعن نبي الله يومئذ، وكان ذلك من أمر الشيطان وتخويفه، فأنزل الله عز وجل ما تسمعون أنه قد تجاوز لهم عن ذلك، وعفا عنهم». وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٤٣١) عن عمر وقتادة والربيع.

(٢) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ١٠٦).

﴿أَوۡ كَانُواْ غُزّٗى﴾: جمع غازٍ، كـ: صائمٍ وصُوَّم[١]، وأصابهم قتلٌ أو موتٌ.

﴿لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ﴾ الدِّمياطيُّ[٢]: هم الذين بعثَهم رسولُ الله عليه السَّلام من السَّرايا إلى بئرِ مَعونةَ وإلى الرَّجيعِ، فأُصيبوا[٣].

﴿لِيَجۡعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسۡرَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡ﴾ ابنُ عيسى: اللّامُ متعلِّقٌ[٤] بالكون؛ أي: لا تكونوا كهؤلاء ليجعلَ اللهُ ذلك حسرةً في قلوبِهم دونكم[٥].

الزَّجّاجُ: ﴿لِيَجۡعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ[٦] حَسۡرَةٗ﴾[٧]؛ أي: ذلك الظَّنَّ ـ وهو أنَّه إذا ظنَّ أنَّهم لو لم يحضروا لم يُقتَلوا ـ كان حسرتُهم على مَن قُتِلَ منهم أشدَّ.

وقيل: هي لامُ العاقبة[٨].

---

(١) في (ن): «أو صُيَّم». وانظر: «شرح الكتاب» للسيرافي (٤/ ٣٧٣).

(٢) هو بكر بن سهل الدِّمياطي، من شيوخ الطبراني، له تفسير، رواه الثعلبي عنه بإسنادين، توفي سنة ٢٨٧هـ أو ٢٨٩هـ. انظر: «تاريخ ابن يونس» (١/ ٧٠)، و«تفسير الثعلبي» (٢/ ٢٨)، و«ميزان الاعتدال» للذهبي (١/ ٣٤٥)، و«غاية النهاية» لابن الجزري (١/ ١٧٨).

(٣) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ٤٠٢)، وذكر نحوه الواحدي في «البسيط» (٦/ ١٠٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عطاء.

(٤) في (ن): «يتعلق».

(٥) في (و): «قلوبكم دونهم». ذكره الواحدي في «البسيط» (٦/ ١٠٩) دون نسبة، وذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ٤٠٣) عن ابن عيسى.

(٦) في (و) زيادة: «الظن».

(٧) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٨٢).

(٨) وتُسمَّى لام الصيرورة، ولام المآل. انظر: «اللامات» للزجاجي (ص: ١١٩)، و«نتائج الفكر» للسهيلي (ص: ١٠٨)، و«ارتشاف الضرب» لأبي حيان (٤/ ١٦٦٠).

﴿وَٱللَّهُ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ﴾ فلا تظنُّوا أنَّ القتالَ يقطعُ الآجال[١].

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ فيجازيكم على أعمالِكم.

* * *

(١٥٧) ـ ﴿وَلَئِن قُتِلۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوۡ مُتُّمۡ لَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحۡمَةٌ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾.

﴿وَلَئِن قُتِلۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوۡ مُتُّمۡ لَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحۡمَةٌ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾ تقديرُه: إن قتلتُم في سبيل الله أو مُتُّم في سبيلِه ليغفرَ[٢] لكم الله ويرحمَكم، ثم قال: ومغفرةٌ من الله ورحمةٌ خيرٌ ممّا يجمعونَ من المال والغنيمة؛ أي: القتلُ في سبيلِ الله أو الموتُ فيها خيرٌ إذا لم يكن بدٌّ من القتلِ أو الموت.

* * *

(١٥٨) ـ ﴿وَلَئِن مُّتُّمۡ أَوۡ قُتِلۡتُمۡ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحۡشَرُونَ﴾.

﴿وَلَئِن مُّتُّمۡ أَوۡ قُتِلۡتُمۡ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحۡشَرُونَ﴾؛ أي: حشرُ العِبادِ إلى الله سبحانه كيف ما تصرَّفَتْ به[٣] الحالُ من قَتْلٍ أو موتٍ.

* * *

(١٥٩) ـ ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ﴾.

﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡ﴾: (ما) صلةٌ مؤكِّدةٌ للكلام، تحسِّنُ النِّظام.

---

(١) «فلا تظنوا أن القتال يقطع الآجال» من (ن).

(٢) هذا الفعل لتعليل فعل الشرط، وليس هو الجواب، والجواب محذوف في كلام المصنف، كما في الآية.

(٣) الضمير يُراد به العبد، وهو مفهوم من السياق.

والمعنى: دمثَتْ أخلاقُكَ ولانَتْ، وتلك منّةٌ من الله عظيمةٌ، ونعمةٌ عليك جسيمةٌ، حتى استأنَسْتَ بهم، ونعمةٌ عليهم حيث أهَّلْتَهم بمجالستِك، وقرَّبْتَهم من مجالسِك[1].

﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا﴾: سيِّئَ الخُلقِ، جافيَ الفعل.

﴿غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ﴾: بَذيءَ القول.

﴿لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾: لتفرَّقُوا عنك، ولم يسكنوا إليك، وأصلُ الفظاظةِ: الجَفوةُ، ومنه: الافتظاظُ؛ لشُربِ ماءِ الكرش، وهو الفظُّ، وسُمِّي به؛ لجفائِه على الطِّباع[2].

﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ﴾: ما كانَ منهم يومَ أحدٍ؛ فإني قد عفوْتُ عنهم.

﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾: سلني مغفرتَهم أُجبْكَ.

﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ ابنُ عبّاسٍ: أمر الحرب[3].

وقُرِئَ: (وشاورهم في بعض الأمر)[4].

---

(١) في (و): «مجالستك».

(٢) في (ن): «الطبائع»، وقد كان العرب في الصحراء ربما ربط أحدهم فم بعيره حتى لا يجترَّ، فإذا اشتدَّ به العطش ذبحه، وعصر ماء كرشه فشربها، وهذا فعل كريه لا يلجأ إليه إلا المضطر. انظر: «الصحاح» مادة (ف ظ ظ) (٣/ ١١٧٦)، و«مقاييس اللغة» (٤/ ٤٤١).

(٣) ذكره الفيروزآبادي عن ابن عباس في «تنوير المقباس» (ص: ٥٩)، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٨٠٢) عن عبيدة، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٣٥٧) عن الكلبي. وروى الطبراني في «المعجم الكبير» (٤٦) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، قال: كتب أبو بكر رضي الله عنه إلى عمرو بن العاص: أن رسول الله ﷺ شاور في أمر الحرب فعليك به. وذكر الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ٣١٩): أن رجاله قد وُثِّقوا، وذكر السيوطي في «الدر المنثور» (٢/ ٣٥٩): أن سنده جيد.

(٤) قراءة شاذة لمخالفة الرسم، نسبت هذه القراءة لابن عباس رضي الله عنهما، روى ذلك البخاري =

الحسن: شاورهم إجلالًا لأصحابِك ورفعًا لهم؛ أي: لتأتلفَ بذلك قلوبَهم، وتمتريَ نتائجَ أفكارِهم(١).

وقيل: لتقتديَ بك أُمَّتُك فيها، ولتصيرَ سُنّةً بعدَك(٢)، وقد مدحَ الله(٣) قومًا بأنَّ أمرَهم شُورى بينهم(٤).

﴿فَإِذَا عَزَمۡتَ﴾: وطَّنْتَ نفسَك على الأمرِ الذي شاورتَهم فيه.

﴿فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ﴾: كِلْ أمرَكَ إليه، واستعنْ به(٥).

والتَّوكُّلُ: تفويضُ الأمرِ إلى غيرِك؛ لثقتِك بحسنِ تدبيرِه، ومنه: الاتِّكالُ، والتَّوكيلُ، والوكالةُ، والوكيلُ.

= في «الأدب المفرد» (٢٥٧)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٤٦٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٨٠٢)، وذكر السيوطي في «الدر المنثور» (٢/ ٣٥٩) أنه مروي بسند حسن.

(١) في (ن): «آرائهم». لم أقف على هذه الرواية عن الحسن، وقد روى نحوها الطبري في «تفسيره» (٦/ ١٨٨ ـ ١٨٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٢٠٨) عن قتادة والربيع، والشورى على هذا القول ليست ملزمة، وإنما هي استثارة للأفكار وتطييب للنفوس وجبر للخواطر، ونحو ذلك مشاورة إبراهيم عليه السلام لابنه حين أُمِر بذبحه مع أنه لم يكن من الاستجابة لأمر الله بدٌّ. وانظر: «تفسير الماتريدي» (٢/ ٥١٦)، و«زاد المسير» لابن الجوزي (١/ ٣٤٠).

(٢) ذكره نحوه الإمام الشافعي في «الأم» (٧/ ١٠٠)، ورواه سعيد بن منصور في «سننه ـ التفسير» (٥٣٤)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٤٦٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٨٠١) عن الحسن.

(٣) اسم الجلالة «الله» من (ن).

(٤) روى البخاري في «الأدب المفرد» (٢٥٨) عن الحسن قال: «والله ما استشار قوم قط إلا هدوا لأفضل ما بحضرتهم، ثم تلا: ﴿وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ﴾».

(٥) «به»: ليس في (ن).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ عليه؛ فإنَّ النُّصرةَ بيدِه والرَّحمةَ من قِبَله.

وذكَرَ الدِّمياطيُّ أنَّ الآية نزلَت في المنافقين، أمرَه بالعفوِ عنهم؛ ليكثِّرَ بهم السَّواد[1].

***

(١٦٠) ـ ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾.

﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ﴾؛ أي: إن تتوكَّلوا[2] عليه لن تُغلبوا، وإن يخذلْكم لن تُنصروا.

وقيل: مَن نصرَه الله[3] فلا غالبَ له؛ لأنَّه إنْ ظفرَ بعدوِّه فقد ظفرَ، وإن ظفرَ به عدوُّه فبيدِه الحجّةُ، ومَن خذلَه خسرَ الدُّنيا والآخرة، وإن ظفرَ هو فذاك عليه وبالٌ.

والخِذلانُ: الامتناعُ من المعونةِ.

والهاءُ تعودُ إليه[4].

وقيل: تعود[5] إلى الله سبحانه، على تقدير: من بعدِ خذلانِه، فحذفَ المضافَ.

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: توكَّلُوا عليه فيما تحتاجون إليه.

***

---

(١) لم أقف على قوله، وذكر مقاتل نحوه في «تفسيره» (١/ ٣١٠).

(٢) في (ن): «توكلتم».

(٣) اسم الجلالة «الله» من (ن).

(٤) أي: الهاء المتصلة بـ(بعده) إلى الخذلان.

(٥) «تعود» من (ن).

(١٦١) ـ ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾ في سببِ نزولِه أقوالٌ:

أحدها: ما رواه عكرمةُ عن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما قال: فُقِدَت قطيفةٌ حمراءُ يومَ بدرٍ ممّا أُصيب من المشركين، فقال النّاس: لعلَّ النَّبيَّ عليه السَّلام أخذَها، فأُنزلت الآية[1].

وروى اليزيديُّ عن الدُّوريِّ[2] عن أبي عمروٍ عن مجاهدٍ عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّه كان ينكرُ على مَن قرأ: ﴿يُغَلَّ﴾[3]، ويقول: كيف لا يكونُ له أن يُغَلَّ وقد كان يُقتَل[4]؟! ولكنَّ المنافقين اتَّهموه في شيءٍ من الغنيمة، فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾[5].

وعن الضَّحّاك قال: بعثَ رسولُ الله ﷺ طلائعَ، فغنمَ النَّبيُّ عليه السَّلام غنيمةً،

---

(١) رواه أبو داود (٣٩٧١)، والترمذي (٣٠٠٩)، وقال: «هذا حديث حسن غريب».

(٢) كذا في النسخ الخطية، والصواب أن الدوري هو الذي يروي عن اليزيدي، كما في مصادر التخريج.

(٣) وهذه قراءة متواترة؛ فقد قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم: ﴿يَغُلَّ﴾ بفتح الياء وضم الغين، وقرأ باقي السبعة بضم الياء وفتح الغين، والمعنى على هذه القراءة: ما كان لنبي أن يُتهم بالغلول، ويُنسب إليه، أو: ما كان لنبي أن يغله أصحابه؛ لأن الغلول في حضرته أعظم. انظر: «تفسير الطبري» (٦/ ١٩٨ ـ ٢٠١)، و«السبعة» (ص: ٢١٨)، و«الحجة» لأبي علي الفارسي (٣/ ٩٧)، و«التيسير» (ص: ٩١).

(٤) القراءة التي أنكرها ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الأثر هي (يُغَلَّ)، والمعنى الذي ذهب إليه فيها هو. انظر: «الحجة» لابن خالويه (ص: ١٦٦).

(٥) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١١٧٤)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٢٦)، والضياء المقدسي في «المختارة» (١٣/ ٩٠).

فقسمَها بين النّاسِ ولم يقسِم للطَّلائع شيئًا، فلمّا قدمتِ الطَّلائعُ قالوا: قُسِمَ الفيءُ ولم يُقسَم لنا، فنزل: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ﴾[1].

الكلبيُّ ومقاتلٌ: نزلَت حين تركَ الرُّماةُ المركزَ يومَ أُحدٍ طلبًا للغنيمة، وقالوا: نخشى أن يقول النَّبيُّ عليه السَّلام: مَن وجدَ شيئًا فهو له، فقال ﷺ: «ظننتُم أنّا نَغُلُّ فلا نقسِمُ لكم»، فأُنزلت[2] الآية[3].

ورُويَ عن ابنِ عبّاسٍ أيضًا: أنَّ أشرافَ النّاسِ استدعَوا رسولَ الله ﷺ أن يخصَّهم بشيءٍ من الغنائمِ، فنزلَت: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ﴾[4]: أن يخونَ.

والغُلولُ: الخيانةُ في الغنيمةِ خاصّةً، وأصلُ الباب: الخفاءُ، ومنه: الغِلُّ؛ الحقدُ، والغَلَلُ؛ الماءُ الجاري في أصولِ الشَّجر.

﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾؛ أي: حاملًا ذلك على ظهرِه.

وقيل: يأتِ به؛ أي: لا يكفِّرُه الاستغفارُ لأنَّه من المظالم.

﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ﴾: تُعطَى جزاءَها وافيًا.

﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾: لا يُنقَصون.

* * *

(١٦٢) ـ ﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٣٢٣١)، والطبري في «تفسيره» (٦/ ١٩٦).

(٢) في (و): «فأنزل».

(٣) ذكره مقاتل في «تفسيره» (١/ ٣١٠)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٣٧٨) والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٢٧) وابن حجر في «العجاب» (٢/ ٧٧٩) عن مقاتل والكلبي.

(٤) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٢٧)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٣٤١).

﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ﴾: رضا الله وطاعته.

﴿كَمَنۢ بَآءَ ﴾: رجعَ.

﴿بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾: بعقابه.

الحسنُ: ﴿رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ﴾: تركُ الغُلول، والسَّخَطُ: الغُلول(١).

ابنُ إسحاقَ: ﴿رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ﴾: طاعتُه، وسخَطُه: معصيتُه(٢).

الزَّجّاجُ: ﴿رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ﴾: الجهادُ، والسَّخَطُ: الفرارُ منه رغبةً عنه(٣).

﴿وَمَأْوَىٰهُ ﴾: مَرجعُه ومَثْواه.

﴿جَهَنَّمُۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾: المرجعُ.

ابنُ عيسى: الفرقُ بينهما(٤): أنَّ المصيرَ يُخالفُ الحالةَ الأولى(٥).

ومعنى الآية: ليسا سواءً.

* * *

(١) روى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٨٠٦) نحوه عن الحسن، بلفظ: «قوله: ﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ﴾ قال: يقول: من أخذ الحلال خير له ممن أخذ الحرام، وهذا في الغلول وفي المظالم كلها». ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٤٧٩)، والطبري في «تفسيره» (٦/ ٢٠٨) عن الضحاك.

(٢) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٢٠٩)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٤٧٥).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٨٦)، وعبارته: «يروى أن النبي ﷺ حين أمر المسلمين في أحد باتباعه، اتبعه المؤمنون وتخلف عنه جماعة من المنافقين، فأعلم الله جل وعز أن من اتبع النبي ﷺ فقد اتبع رضوان الله، ومن تخلف عنه فقد باء بسخط من الله».

(٤) أي: بين المصير والمرجع.

(٥) ذكره البيضاوي في «تفسيره» (٢/ ٤٦) دون نسبة، وانظر: «معجم الفروق اللغوية» (ص: ٤٩٢).

(١٦٣) ـ ﴿ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾.

﴿ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ﴾؛ أي: لهم(١).

ابنُ عبّاسٍ والحسنُ: للكلِّ درجاتٌ من الجنّةِ والنّار(٢).

أبو عبيدة: هو كقولهم: هم طبقاتٌ(٣).

---

(١) هذا قول أبي عبيدة في «مجاز القرآن» (١/ ١٠٧)، وذكره البخاري قبل الحديث (٢٧٩٠)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٢١٠ ـ ٢١١) عن مجاهد والسدي، ونقله السمرقندي في «تفسيره» (١/ ٢٦٢) عن الكسائي، وإليه ذهب كثيرون ومنهم المصنف، ونقله أبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ٤١٤) عن الرازي، ثم نقل ردًّا، فقال: «قال بعض المصنفين رادًّا عليه: اتبع الرازي في ذلك أكثر المفسرين بجهله وجهلهم بلسان العرب؛ لأن حذف لام الجر هنا لا مساغ له؛ لأنه إنما تحذف لام الجر في مواضع الضرورة، أو لكثرة الاستعمال، وهذا ليس من تلك المواضع. على أن المعنى دون حذفها حسن متمكن جدًّا؛ لأنه لما قال: ﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾، وكأنه منتظر للجواب، قيل له في الجواب: لا، ليسوا سواء، بل هم درجات عند الله على حسب أعمالهم. وهذا معنى صحيح لا يُحتاج معه إلى تقدير حذف اللام لو كان سائغًا، كيف وهو غير سائغ؟! انتهى كلام المصنف»، لكنَّ أبا حيان تنبَّه إلى أمر هامٍّ، وهو أن جماهير المفسرين لم يغفلوا بالضرورة عما ذهب إليه هذا المنتقد، بل ربطوا الآية بنظائرها في كتاب الله، وذكروا المعنى المراد منها، ولم يتكلموا عن الإعراب، فقال: «ويُحمل تفسير ابن عباس والحسن... على تفسير المعنى، لا تفسير اللفظ الإعرابي».

(٢) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ٤١٤) عن ابن عباس والحسن بلفظ المصنف، وروى نحوه ابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٤٧٦) عن محمد بن إسحاق، وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٨٠٧) عن الحسن: «للناس درجات بأعمالهم في الخير والشر»، وروى الطبري في «تفسيره» (٦/ ٢١٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٨٠٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ قال: «بأعمالهم».

(٣) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ١٠٧).

مجاهدٌ وقتادةُ: أي: ذوو درجاتٍ عند الله[1]؛ فإنَّ بعضَ المؤمنين أفضلُ من بعضٍ[2].

ابنُ عيسى: أي: لاختلافِ أعمالِهم صاروا كمُختلفي الذَّوات[3].

وقيل: يعودُ إلى الغالِّ وتاركِه.

والدَّرجةُ: الرُّتبةُ، وهو أصلُ الباب.

﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ في الدُّنيا، فيعلمُ مرتبةَ كلِّ أحدٍ.

***

(١٦٤) - ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾.

---

(١) «عند الله» من (ن).

(٢) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ٤١٤) عن مجاهد وقتادة بلفظ المصنف، وروى الطبري في «تفسيره» (٦/ ٢١٠) وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٤٧٦) عن مجاهد: «هي كقوله: ﴿لهم درجات عند الله﴾»، وهذا هو المعنى الأول الذي ذكره المصنف، ولم أقف على رواية قتادة، وقد ذكر هذا المعنى الزجاج في «معاني القرآن» (١/ ٤٨٦)، والنحاس في «معاني القرآن» (١/ ٥٠٦) دون نسبة.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٧٣)، واستغربه، وذكره الواحدي في «البسيط» (٦/ ١٤٢) دون نسبة، وقال فيه: «﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾؛ أي: ذوو درجات، فحذف المضاف، وحسن ذلك ههنا؛ لأن اختلاف أعمالهم، قد صيرهم بمنزلة المختلفي الذوات، كاختلاف مراتب الدرجات؛ لتبعيدهم من استواء الأحوال، فجاء على هذا المجاز، والمجاز في موضعه أحسن من الحقيقة؛ لما فيه من الإيجاز من غير إخلال، ومن المبالغة التي لا ينوب منابها الحقيقة؛ إذ قولك: (هو الشمس ضياء) أبلغ في النفس من: (هو كالشمس ضياء)، فكذلك: ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ﴾، أبلغ من: هم أهل درجات».

﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: أنعمَ عليهم ﴿إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ من العربِ؛ لأنَّه ليس حيٌّ من أحياءِ العربِ إلّا وله فيهم نسبٌ إلّا بني تغلبَ[1]؛ أي: ليفهموا[2] كلامَه، وليعرفوا صدقَه وأمانتَه، وليكونَ لهم بمكانةِ شرفٍ وافتخارٍ.

وقيل: ﴿مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾: من المؤمنين، كقوله: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨].

﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾: القرآنَ.

﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾: يشهدُ بأنَّهم أزكياءُ في الدِّين.

وقيل: يدعوهم إلى ما يكونونَ به زاكين.

الفرّاء: يأخذُ منهم الزَّكاةَ التي يُطهِّرُهم بها[3].

﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾: القرآنَ، ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾: الفقهَ والسُّننَ.

﴿وَإِن كَانُواْ﴾: وإنَّهم كانوا ﴿مِن قَبْلُ﴾: من قبلِ محمَّدٍ ﴿لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾: في عمًى وجهالةٍ.

* * *

(١٦٥) ـ ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم﴾: نالَتكم ﴿مُّصِيبَةٌ﴾: شدّةٌ ﴿قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾: مصيبة

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٣٩٧)، والقرطبي في «تفسيره» (٤/ ٢٦٤)، ونسبه أبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ٤١٦) للنقاش.

(٢) في (و): «ليعلموا».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٤٦)، وعبارته: «يأخذ منهم الزكاة، كما قال تبارك وتعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]».

المؤمنين أنَّه قُتِل منهم سبعون يومَ أحدٍ، وإصابتُهم أنَّ المؤمنين قَتلوا يومَ بدرٍ سبعين وأسروا سبعين.

الزَّجّاجُ: ﴿مِّثْلَيْهَا﴾: الفتحَ يومَ بدرٍ، وانهزامَ المشركين أوَّلَ يومِ أُحدٍ[1].

﴿قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا﴾ وذلك أنَّ المسلمين لـمّا أصابهم ما أصابهم يومَ أحدٍ تعجَّبوا وأنكروا في نفوسِهم ما جرى، وقالوا: قد وعدَنا الله النَّصرَ عليهم، فما سببُ إصابتِنا ما أصابَنا؟! فأنكرَ الله عليهم ذلك[2]، فقال: ﴿قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا﴾: من أينَ هذا؟

﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾؛ أي: جَنيتم على أنفسِكم بتركِكم المركزَ ومخالفتِكم أمرَ النَّبيِّ عليه السَّلام.

عليٌّ رضي الله عنه: باختيارِكم الفداءَ يومَ بدرٍ؛ فإنَّ النَّبيَّ عليه السَّلام قال: «إنْ قتلتموهم سلِمْتُم، وإن فاديتموهم قُتِلَ منكم سبعون»[3]، فاختاروا الفداءَ.

وقيل: بخروجِكم من المدينةِ بعدَ قولِه عليه السَّلام: «إنِّي رأيتُ في المنامِ كأنِّي في جُنَّةٍ حَصينةٍ، وأوَّلتُها المدينةَ»[4]، فأبَوا عليه وخالفوه.

---

(١) هذا معنى قوله، فإنه قال: «أصبتم في يوم أحد مثلها، وأصبتم يوم بدر مثلها، فأصبتم مثلي ما أصابكم». انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٨٨).

(٢) «ذلك» من (ن).

(٣) رواه الترمذي (١٥٦٧)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٨٦٠٨)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٧٩٥) عن علي رضي الله عنه، ولفظ الترمذي: «إن جبرائيل هبط عليه، فقال له: خيرهم - يعني أصحابك - في أسارى بدر؛ القتل، أو الفداء على أن يُقتل منهم قابلًا مثلهم، قالوا: الفداء ويقتل منا»، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب من حديث الثوري لا نعرفه إلا من حديث ابن أبي زائدة». قال ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٧٩): «وهذا حديث غريب جدًّا»، ورواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٢١٩) عن عبيدة مرسلًا.

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٤٤٥)، والحاكم في «المستدرك» (٢٥٨٨) عن ابن عباس =

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من الفتحِ والخِذلانِ ﴿قَدِيرٌ﴾.

***

(١٦٦ - ١٦٧) - ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾.

﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾: يومَ أحدٍ ﴿فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: بقضائِه وعلمِه.

﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟﴾؛ أي: ليعلمَهم متميِّزين.

وقيل: ليعرفَهم، وقد سبق.

﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾؛ أي: لعبدِ اللهِ بنِ أُبيٍّ حينَ انخزلَ[1] يومَ أحدٍ في ثلاثمئةٍ.

﴿تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟﴾ جُلُّ المفسِّرين على أنَّ المعنى: ادفعوا عنَّا بكثرةِ سَوادِكم.

وقيل: معناه: إن لم تبدؤوا بقتلِهم فادفعوهم عنّا وعنكم إن أرادونا وإيّاكم.

= رضي الله عنهما، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، ورواه الدارمي في «سننه» (٢٢٠٥)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٧٦٠٠) عن جابر رضي الله عنه، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٤٧١) عن الزهري مرسلًا، ورواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٩٧٣٥) عن الزهري عن عروة مرسلًا، ورواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٢١٥) عن قتادة مرسلًا، ورواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ١٠) عن محمد بن إسحاق عن الزهري ومحمد بن يحيى بن حبان وعاصم بن عمر بن قتادة والحصين بن عبد الرحمن وغيرهم. وفي بعض هذه الروايات: «درع حصينة»، والجُنّة هي الدرع.

(١) أي: انقطع وضعُف. انظر: «تهذيب اللغة» مادة (خ ز ل) (٧/ ٩٤)، و«مقاييس اللغة» مادة (خ ز ل) (٢/ ١٧٧).

وقيل: إن لم تقاتلوا في سبيلِ الله وطاعتِه فقاتلوهم دفعًا عن أنفسِكم وأموالِكم[(١)].

قاله[(٢)] عبد الله بن عمرو بن حرامٍ[(٣)].

﴿قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ﴾؛ أي: لو نعلمُ قتالًا واقعًا بينكم وبين الكفّارِ لحضرنا، ولكن لا يكونُ؛ استهزاءً بالمؤمنين.

وقيل: لو نحسنُ قتالًا.

﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ لظهورِ هذا الكلامِ منهم.

وقيل: اللّامُ بمعنى الباء؛ أي: هم بالكفرِ أولى.

وقيل: بمعنى إلى؛ أي: إلى الكفر.

وقيل: هو كقولِك: هو قريبٌ لي.

﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾؛ أي: يُظهرون خلافَ ما يُضمرون من

---

(١) انظر: «تفسير السمرقندي» (١/ ٢٦٣).

(٢) أي: قال: ﴿تَعَالَوْاْ قَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُواْ﴾، والقرآن الكريم حكى قوله للمنافقين وردَّهم عليه. انظر: «سيرة ابن إسحاق» (ص: ٣٢٥)، و«مغازي الواقدي» (١/ ٢١٩)، و«تاريخ الطبري» (٢/ ٥٠٤)، و«البسيط» للواحدي (٦/ ١٥٩).

(٣) هو عبد الله بن عمرو بن حرام الخزرجي أحد النقباء، شهد العقبة، وشهد بدرًا، واستشهد يوم أحد، وهو أبو جابر بن عبد الله الصحابي المعروف، وقد رويت في فضله عدة أحاديث. انظر: «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٣/ ٤٢٣)، و«الاستيعاب» لابن عبد البر (٣/ ٩٥٤)، و«أسد الغابة» للجزري (٣/ ٣٤٣)، و«الإصابة» لابن حجر (٤/ ١٦٢).

الإيمانِ وغيرِه، وإضافته إلى (الفم) تأكيدٌ[١]، وقطعُ مجازِ الكِناية[٢].

﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾؛ أي: العداوة والنِّفاق.

***

(١٦٨) ـ ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلْ فَٱدْرَءُواْ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ﴾؛ أي: عبدُ الله بنُ أبيٍّ وأصحابُه.

﴿لِإِخْوَٰنِهِمْ﴾؛ أي: فيهم ولأجلهم، لا أنَّهم خاطبوهم.

﴿وَقَعَدُواْ﴾ عن القتالِ.

﴿لَوْ أَطَاعُونَا﴾ في القعودِ عنها ﴿مَا قُتِلُواْۗ قُلْ فَٱدْرَءُواْ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾؛ أي: إنْ زعمْتُم أنَّكم كنتم تدفعون عنهم الموتَ والقتلَ الذي هو أحدُ أسبابِ الموتِ بطاعتِهم إيّاكم، فادفعوا عن أنفسِكم الموتَ وأسبابَه؛ فإنَّ ذلك أحرى بكم وأجدى عليكم.

***

(١٦٩) ـ ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتَۢاۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتَۢا﴾ ذهبَ بعضُ المفسِّرين إلى أنَّها نزلَت في شهداء بدرٍ، وكانوا أربعة عشر رجلًا.

وقيل: نزلَت في شهداء بئرِ معونةَ، وكانوا سبعين رجلًا.

---

(١) في (و): «مجاز».

(٢) قطع المجاز أو دفع توهُّم المجاز من أغراض التوكيد. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٤٣٢)، و«الدر المصون» للسمين الحلبي (٣/ ٤٧٨)، و«عروس الأفراح» للسبكي (١/ ٢١٩).

وقيل: نزلَت في شهداء أُحدٍ، وكانوا سبعين رجلاً؛ أربعة من المهاجرين: حمزة بن عبد المطَّلب ومصعب بن عميرٍ وعثمان بن شماسٍ وعبد الله بن جحشٍ، وسائرُهم من الأنصار.

وعن ابنِ عبّاسٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «لـمّا أُصِيبَ إخوانُكم بأُحدٍ جعلَ اللهُ أرواحَهم في أجوافِ طيرٍ خُضرٍ، تَرِدُ أنهارَ الجنّةِ، وتأكُلُ من ثمارِها، وتأوي إلى قناديلَ من ذَهَبٍ معلَّقةً في ظلِّ العرشِ، فلمّا وجدوا طِيْبَ مَأكلِهم ومَشربِهم ومَقِيلِهم قالوا: مَن يُبلِّغُ إخوانَنا أنّا في الجنّةِ نُرزَقُ؛ لئلّا يَزهَدُوا في الجهاد، ولا يَنكلُوا عن(1) الحربِ؟ فقال عزَّ وجلَّ: أنا أبلِّغُهم عنكم، فأنزل الله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا﴾»(2).

﴿بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ قيل: في الجنّةِ.

وقيل: حيث لا يملكُ لهم أحدٌ من العبادِ نفعًا ولا ضرًّا.

وقيل: في علمِ اللهِ أحياءٌ.

وتفسير موتِهم وحياتِهم سبقَ في (البقرة).

﴿يُرْزَقُونَ﴾ من طعامِ الجنّةِ وشرابِها.

وحملَ بعضُهم هذا على الرِّزقِ في الجنّةِ يومَ القيامة، وفيه ضعفٌ من وجوهٍ:

أحدُها: أنَّ قوله: ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ﴾ لا يمكنُ حملُه على القيامةِ وقد اجتمعَ الخلقُ عن آخرهم.

---

(1) في (و): «عن».

(2) رواه أبو داود (٢٥٢٠)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣٢٥)، وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

والثّاني: أنّه سبحانه قال في حقِّهم: ﴿بَلۡ أَحۡيَآءٞ وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤]، وحياةُ أهلِ الجنّةِ نشعرُها قطعًا.

والثّالث: أنَّ الرِّزقَ في الجنّةِ عامٌّ لأهلِ الجنّة، فلا يبقى لتخصيصِ الشُّهداء فائدةٌ.

***

(١٧٠) - ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾.

﴿فَرِحِينَ﴾: مسرورينَ.

﴿بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ﴾: من النَّعيمِ والكرامةِ.

﴿وَيَسۡتَبۡشِرُونَ﴾: ينالونَ البُشرى.

ابنُ عيسى: الاستبشارُ: السُّرورُ بالبِشارة[1].

﴿بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾ الزّجّاجُ: لم يلحقوا في الفضلِ بهم؛ لأنّهم لم يُستشهدوا إلّا أنّهم مؤمنون، فلا ينالُهم خوفٌ ولا حزنٌ[2].

وقيل: يرجونَ لهم الشَّهادةَ؛ لينالوا مثلَ ما صاروا إليه.

﴿أَلَّا خَوۡفٌ﴾: بأن لا خوفٌ ﴿عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾.

***

(١٧١) - ﴿يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٦/ ١٧١)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٣٤٧) دون نسبة.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٨٩).

﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ﴾: هذا مبالغةٌ في وصفِ ما هم فيه.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بل يُوفِّرُ عليهم[١].

الكسرُ على الاستئناف، والفتحُ على العطف[٢]، ومحلُّه[٣] الخفضُ عند الخليل، والنَّصبُ عند سيبويه[٤].

***

(١٧٢) - ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ عن قتادةَ قال: ذاك يوم أحدٍ بعد القتلِ والجراحة، وبعدما انصرفَ المشركون وأبو سفيانَ وأصحابُه، قالَ النَّبيُّ ﷺ لأصحابه[٥]: «ألا عصابةٌ تَتَشَدَّدُ[٦] لأمرِ الله فتطلبَ عدوَّها؛ فإنَّه أنكأُ[٧] للعَدوِّ، وأبعَدُ للسَّمعِ»، فانطلق

---

(١) أي: كمَّله، وجعله لهم وافراً، ولم ينقص منه شيئاً.

(٢) أي: كسر همزة (إن)، وهي قراءة الكسائي، وقرأ باقي السبعة بالفتح. انظر: «السبعة» (ص: ٢١٩)، و«التيسير» (ص: ٩١).

(٣) أي: محل المصدر المؤول من (أن) وما بعدها المعطوف على الاسم المجرور مع حذف حرف الجر؛ فالمعنى: يستبشرون بنعمة وبفضل وبأن الله لا يضيع أجر المؤمنين.

(٤) بل محله النصب عند الخليل، وقد ذكره سيبويه، ولم يبطله، ولكنه قوَّى الجرَّ. انظر: «الكتاب» لسيبويه (٣/ ١٢٧ - ١٢٨)، و«شرح الكتاب» للسيرافي (٣/ ٣٤٦).

(٥) «لأصحابه» من (ن).

(٦) كذا في النسخ الخطية، وذكر الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على «تفسير الطبري» (٧/ ٤٠١) أنها كذلك في مخطوطة الطبري، ورأى أنها مصحفة، وأثبت مكانها: «تنتدب».

(٧) كذا في النسخ الخطية، وفي «تفسير الطبري» (٦/ ٢٤١): أنكى، وهما لغتان. انظر: «العين» مادة (ن ك ي) (٥/ ٤١٢).

عصابةٌ ـ قيل: كانوا سبعين ـ على ما يعلم الله من الجَهْد، حتى إذا كانوا بذي الحُليفةِ جعلَ الأعرابُ والنّاسُ يأتون عليهم فيقولون: هذا أبو سفيانَ مائلٌ عليكم بالنّاس، قالوا: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ﴾؛ أي: حسبُنا معونتُه ﴿وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾، فأنزل الله: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟﴾[1]؛ أي: أجابوا الله والرَّسولَ.

﴿مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ﴾: القتلُ والجرحُ؛ أي: استجابوا وهم مجروحون.

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ﴾: للّذين ابتدؤوا أوّلًا وحرَّضوا الباقين.

﴿وَٱتَّقَوْا۟﴾ معاصيَ[2] الله بخروجِهم في طلبِ أبي سفيانَ.

وقيل: أحسنُوا في باقي عمرِهم.

﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾: الجنّةُ والنَّعيم.

* * *

(١٧٣) ـ ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾: الرَّكْبُ الذين استقبلَهم.

وقيل: هم عبدُ القيسِ.

وقيل: بعثَ أبو سفيانَ رجلًا يُقال له: نُعيمُ بنُ مسعودٍ[3]؛ ليتعرَّفَ أخبارَ

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٤٣٣) عن قتادة مرسلاً، ورواه الواحدي من طريق الثعلبي في «أسباب النزول» (ص: ١٣٢)، وروى الطبري في «تفسيره» (٦/ ٢٤١) أوّله.

(٢) في (و): «لمعاصي».

(٣) هو نعيم بن مسعود الغطفاني الأشجعي، أبو سلمة، أسلم في وقعة الخندق، وهو الَّذِي أوقع الخلف بين قريظة وغطفان وقريش يوم الخندق، فخالف بعضهم بعضًا ورحلوا عن المدينة. انظر: «أسد الغابة» (٥/ ٣٢٨)، و«الإصابة» (٦/ ٣٦٣).

المسلمين ويأتيه بها، ودخلَ في غِمارِهم[١]، وجعل يذكِّرهم ما عملوا بهم، ويخوِّفهم من لقائهم، ويقول: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ﴾ ـ والنّاسُ الأوَّلُ: نُعيمٌ، والثّاني: أبو سفيانَ وأصحابُه ـ فخافوهم أن تأتوهم.

﴿فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا﴾: فزادهم اللهُ بصيرةً ﴿وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ﴾: كافينا الله ﴿وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾: الوليُّ والحفيظُ الله.

وعن مجاهدٍ: إنَّما كان ذلك في بدرٍ الصُّغرى[٢]، وهي سنة أربع، وكانت وقعةُ أُحدٍ في سنة ثلاث.

***

(١٧٤) ـ ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ﴾.

﴿فَٱنقَلَبُواْ﴾ كان أبو سفيان واعدَ رسولَ الله ﷺ أن يوافيَه العامَ المقبلَ ببدر الصُّغرى[٣]، فخرجَ رسولُ الله ﷺ لذلك الموعد، فلم يلقَ أبا سفيان، ووافقوا سُوقًا لهم، فاتَّجروا وربحوا وانصرفوا إلى المدينةِ[٤] سالمين غانمين.

﴿بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: عافيةٍ وثباتٍ على الإيمان.

---

(١) يجوز ضبط الغين بالضم والفتح، ومعنى غمار الناس: جماعتهم وكثرتهم، ويجوز الكسر، وغِمار: جمع غَمرة، ومعنى غِمار الناس: جماعاتهم. انظر: «العين» (٤/ ٤١٦)، و«تاج العروس» (١٣/ ٢٥٦).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٢٥٠)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٥٠٢).

(٣) «وهي سنة أربع وكانت وقعة أحد في سنة ثلاث ﴿فَٱنقَلَبُواْ﴾ كان أبو سفيان واعد رسول الله أن يوافيه العام المقبل ببدر الصغرى» من (ن).

(٤) في (و): «مدينة».

﴿وَفَضۡلٖ﴾: تجارةٍ.

﴿لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ﴾: قتلٌ وجرحٌ.

﴿وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ﴾: رضا الله الذي يُنال به الفوزُ في الدّارين.

﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ﴾ على أوليائه ﴿عَظِيمٍ﴾.

* * *

(١٧٥) ـ ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾.

﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ﴾ الفرّاءُ: يخوِّفُكم بأوليائِه[١]؛ فحذف المفعولَ، وحذفَ الجارَّ.

ابن عيسى: التَّخويفُ يتعدَّى إلى مفعولين، والتَّقديرُ: يخوِّفُكم أولياءَه.

أبو عليٍّ: هو كقوله: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ [الزمر: ٣٦][٢].

الزَّجّاجُ: ﴿يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ﴾: المنافقين[٣]؛ ليقعدوا عن الحربِ.

ويُحتمَلُ أنَّ الهاء تعودُ إلى الله سبحانه؛ أي: يخوِّفُ أولياءَ اللهِ بجنودِه[٤]، فحذفَ المفعولَ الثّاني.

---

(١) هذا قول الفراء، وقال به كثير من المفسرين بعده، وذكر الثعلبي أن أبي بن كعب كان يقرؤها كذلك. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٤٨)، و«تفسير الثعلبي» (٩/ ٤٧٣).

(٢) لم أقف على ما نقله المصنِّف عن أبي علي، والظاهر أنَّ قول أبي علي هو قول الفراء نفسه، فقد قال في «الحجة» (٥/ ١٦٨): «يخوفهم بأوليائه»، وقال فيها (٢/ ٣٢٩): «﴿يُخَوِّفُ﴾ قد حُذف معه مفعولٌ يقتضيه تقديره: يخوّف المؤمنين بأوليائه، فحذف المفعول والجارّ...»، وهو معنى ما نقله المصنف أيضاً.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٩٠).

(٤) ذكره المصنِّف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٩٠)، واستغربه.

﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾؛ أي: جنودَه وأولياءَه.

﴿وَخَافُونِ﴾ في مخالفةِ أمري ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

***

(١٧٦) ـ ﴿وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا ۗ يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ حرصًا عليه وفرحًا به.

مجاهدٌ: المنافقون(١).

وقيل: قومٌ من العرب ارتدُّوا.

﴿إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ﴾؛ أي: لا ينالُ أولياءَ الله من جهتِهم ضررٌ.

﴿شَيْئًا﴾ جاز أن يكون للمصدر؛ أي: شيئًا من الضَّررِ(٢)، وجاز أن يكونَ: بشيءٍ من الضَّررِ، فحذفَ الجارَّ.

﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ﴾: نصيبًا من الخيرِ والنَّعيمِ؛ لكفرِهم ودوامِهم عليه.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: دائمٌ.

***

(١٧٧) ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ﴾؛ أي: تركوا الإيمانَ واختاروا الكفرَ ﴿لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٢٥٨)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٥٠٧).

(٢) انظر: «التبيان» للعكبري (١/ ٣١٢).

الآيةُ الأولى في المنافقينِ أو الأعرابِ، والثّانيةُ عامٌّ[١] في جميعِ الكفّار.

***

(١٧٨) ـ ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ﴾: نطوِّلُ لهم المدّةَ، من (المَلَوَيْن)، وهما اللَّيلُ والنَّهارُ؛ لطولِ تعاقبِهما، وإملاءُ الكتابِ لطولِ المدّةِ في الوقوفِ عند كلِّ كلمةٍ، قاله ابن عيسى[٢].

﴿خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ﴾ استحقُّوه.

وقيل: خيرٌ من القتلِ في سبيلِ الله.

﴿إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا﴾ قيل: اللّامُ لامُ الإرادةِ[٣]، وقيل: لامُ العاقبة[٤]؛ كقوله:

(لِدُوا للمَوتِ وابنُوا للخَرابِ)[٥]

---

(١) كذا في النسخ الخطية، ولو قال: عامة، لكان أظهر.

(٢) لم أقف على قول ابن عيسى، وانظر في بعض معناه: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ١٠٨)، و«جمهرة اللغة» (٢/ ١٠٨٤)، و«المخصص» لابن سيده (٤/ ٤٤٢)، و«البسيط» للواحدي (١٥/ ٤٣٧).

(٣) لم أقف على هذه التسمية، ولعلها التي يسمونها لام كي. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ١١٣)، و«اللامات» للزجاجي (ص: ٦٦)، و«الدر المصون» للسمين الحلبي (٣/ ٥٠٥).

(٤) إلى هذا ذهب أبو علي في «التعليقة» (٢/ ٢٤٠).

(٥) أورد المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٤٥) هذه العبارة في خبر عن كعب الأحبار يذكر فيه أن سليمان عليه السلام سُمع صوت طائر الورشان عند سليمان، فقال سليمان: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا، قال: إنه يقول: لدوا للموت وابنوا للخراب. =

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.

قرأ حمزة: ﴿تحسبنّ﴾ بالتّاء[١]، على أنَّ ﴿أنّما﴾ بدلٌ من ﴿ٱلَّذِينَ﴾، وتقديره: ولا تحسبن[٢] أنّما نملي للّذين كفروا خيرٌ، و﴿خَيْرٌ﴾ خبر (أنَّ).

= وقد ذُكرت العبارة مجزَّأة في حديث رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ١١٨) عن أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعاً بلفظ: «ينادي منادٍ كلَّ ليلة: لدوا للموت، وينادي آخر: ابنوا للخراب»، ورواه أبو الشيخ في «العظمة» (٥١٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٢٤٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وانظر أيضاً: «المقاصد الحسنة» للسخاوي (ص: ٥٢٩).

وقد جاءت العبارة في أبيات مختلفة في روايتها، ونسبتها؛ فيروى صدراً لبيت عجزه:

فكلكـــم يصـــير إلى ذهـــاب

ويروى: إلى الذهاب، و: إلى تباب، و: إلى فوات.

ويروى:

فـما فـوق الـتراب إلى الـتراب

ويروى عجزاً لبيت صدره:

لـــه ملـــك ينـــادي كل حـــين

أما نسبة الأبيات، فلعلي بن أبي طالب رضي الله عنه في «ديوانه» اعتنى به: عبد الرحمن المصطلاوي (ص: ٤٠)، ولأبي العتاهية في «ديوانه» طبعة: دار بيروت (ص: ٤٦)، و«الحماسة البصرية» (٢/ ٤٢٦)، ولصفي الدين الحلي في «ديوانه» طبعة: دار صادر (٣٨٦)، ولمحمود الوراق في «ديوانه» (ص: ٢٧١)، و«الدر الفريد» للمستعصمي (١٠/ ٣٣١)، ونُسب لبعض الملائكة أيضاً، كما في «جمهرة أشعار العرب» للقرشي (ص: ٣١).

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٢٢٠)، و«التيسير» (ص: ٩٢).

(٢) «ولا تحسبن» من (ن).

ويجوز أن تكون التّاءُ للتَّأنيث[١]؛ كقوله: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ [الشعراء: ١٠٥]؛ أي: ولا تحسبنَّ القوم الذين، و﴿الَّذِينَ﴾ وصفٌ للقوم؛ كقوله: ﴿الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا﴾ [الأعراف: ١٣٧][٢].

***

(١٧٩) - ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾ عن السُّدِّيِّ قال[٣]: قال رسول الله ﷺ: «عُرِضَتْ عليَّ أُمَّتي في صُوَرِها كما عُرِضَتْ على آدمَ، وأُعْلِمْتُ مَنْ يؤمنُ بي ومَنْ يَكفُرُ»، فبلغ ذلك المنافقين فقالوا: إنَّ محمَّدًا يزعمُ أنَّه يعرفُ من يؤمنُ به ومن يكفرُ[٤]، ونحن معه فلا يعرفُنا، فأنزلَ الله هذه الآية[٥].

الكلبيُّ: نزلَت في قريشٍ، قالوا: يا محمَّدُ، أخبرنا بمَن يؤمنُ بك وبمَن لا يؤمنُ بك، فأنزلَ الله هذه الآية[٦].

---

(١) في كلام المصنف اختصار، فتقدير القوم لا يحلُّ الإشكال؛ لأن لفظ (القوم) مذكر، ولكن الإشكال يزول على تقدير لفظ (جماعة)؛ أي: ولا تحسبنَّ جماعة القوم. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٩٥)، و«تفسير الثعلبي» (٢٠/ ٨٣).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٧٤)، واستغربه.

(٣) في (ن): «قال السدي».

(٤) «فبلغ ذلك المنافقين فقالوا إن محمدًا يزعم أنه يعرف من يؤمن به ومن يكفر» من (ن).

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٤٨٢)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٣٢)، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٢٦٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٨١٤)، لكن دون المرفوع.

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٤٨١)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٣٢)، وذكره ابن =

أبو العالية: سأل المؤمنون أن يُعطَوا علامةً يفرِّقون بها بين المؤمن والمنافق، فأنزلَ الله: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[(١)]؛ أي: الذين في عصرِ النَّبيِّ ﷺ، ولهذا قال: ﴿عَلَىٰ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ﴾.

﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ مجاهدٌ: المنافقَ من الـمُخلِص[(٢)].

قتادةُ: الكافرَ من المؤمن، بالشَّدائدِ والهجرةِ والجهاد[(٣)].

وقيل: بإخراجِ المؤمنينِ من أصلابِ الكافرين.

وقيل: يميزَ المطيعَ من العاصي.

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطۡلِعَكُمۡ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ﴾: على غيبِ القلوب، فيقولَ: هذا مخلِصٌ وهذا منافقٌ.

السُّدِّيُّ: وما كان الله ليطلعَكم على غيبِ ما يبتليكم به من الشَّدائد[(٤)].

= حجر في «العجاب» (٢/ ٧٩٩) عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٤٨٣)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٣٢).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٢٦٣)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٥١٠)، وفيهما: «من المؤمن».

(٣) رواه رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٤٨٥)، والطبري في «تفسيره» (٦/ ٢٦٣)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٥١٠).

(٤) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٢٦٤ ـ ٢٦٥)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٥١١) عن ابن إسحاق بلفظ: «أي: فيما يريد أن يبتليكم به؛ لتحذروا ما يدخل عليكم فيه»، وروى الطبري في «تفسيره» (٦/ ٢٦٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٨٢٥) عن السدي: «وما كان الله ليطلع محمدًا على الغيب، ولكن الله اجتباه فجعله رسولًا»، وهذا الذي نقله عنه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٤٨٨)، والماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٤٤٠)، والله أعلم.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجۡتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ فيُطلعه ويُعلمه من الغيب؛ بعض ما قد مَضى وبعض ما يأتي؛ ليكون تمييزًا له عن غيره؛ كقوله: ﴿فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ﴾ [الجن: ٢٦ ـ ٢٧].

ومعنى ﴿يَجۡتَبِي﴾: يصطفي، وأصلُ الاجتباء: الجمعُ، كأنَّه يجعلُ الشَّيءَ له بأجمعِه.

﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ بصفةِ الإخلاص.

﴿وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ﴾ النِّفاقَ، ﴿فَلَكُمۡ أَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾: دائمٌ لا ينقطعُ.

* * *

(١٨٠) ـ ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ هُوَ خَيۡرٗا لَّهُمۖ بَلۡ هُوَ شَرّٞ لَّهُمۡۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾.

﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ في سببِ النُّزولِ: جمهورُ المفسِّرينَ على أنَّ الآيةَ نزلَت في مانعي الزَّكاة(١).

وروى عطيَّةُ عن ابن عبَّاسٍ: أنَّها نزلَت في أحبارِ اليهودِ الذين كتموا صفةَ محمَّدٍ عليه السَّلام ونبوَّته(٢).

---

(١) نقل الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٣٣) إجماع المفسرين على ذلك، وروى البخاري (٤٥٦٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من آتاه الله مالًا فلم يؤدِّ زكاته مُثِّل له ماله شجاعًا أقرع، له زبيبتان يطوقه يوم القيامة، يأخذ بلهزمتيه ـ يعني بشدقيه ـ يقول: أنا مالك أنا كنزك» ثم تلا هذه الآية: ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ إلى آخر الآية. وسيذكر المصنف حديثًا نحوه عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٥٠٣)، والماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٤٤٠)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٣٣)، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٢٧٠)، وابن أبي حاتم =

وأرادَ بالبخلِ: كتمانَ العلمِ الذي[١] آتاهم الله.

وقيل: نزلَت في منعِ الإنفاقِ في سبيل الله.

مَن قرأ بالتّاءِ[٢] فتقديرُه: لا تحسبنَّ الذين يبخلون بما آتاهم الله مِن فضلِه البخلَ ﴿هُوَ خَيْرًا لَّهُم﴾، فاكتفى بالفعلِ عن ذكرِ المصدرِ؛ كقولِه: من صدق كان خيرًا له[٣].

و﴿هُوَ﴾ للفصلِ والعمادِ[٤]، وليسَ له محلٌّ من الإعراب[٥]، وذهبَ عليٌّ الواحديُّ إلى أنَّ ﴿هُوَ﴾ كنايةٌ عن البخلِ، وهو غيرُ جائزٍ من وجهين[٦].

﴿بَلْ هُوَ﴾؛ أي: البخل ﴿شَرٌّ لَّهُمْ﴾؛ لأنَّهم يستحقُّون عليه العقاب.

= في «تفسيره» (٣/ ٨٢٦) بلفظ: «يعني بذلك أهل الكتاب؛ أنهم بخلوا بالكتاب أن يبينوه للناس».

(١) «الذي»: ليس في (و).

(٢) قرأ حمزة بالخطاب فيها، وباقي العشرة بالغيب. انظر: «النشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٤).

(٣) انظر: «شرح كتاب سيبويه» للرماني (ص: ٧٨٩).

(٤) الفصل مصطلح البصريين، والعماد مصطلح الكوفيين، وقد بيَّنه سيبويه بقوله: «واعلم أن ما كان فصلاً لا يُغيِّر ما بعده عن حاله التي كان عليها قبل أن يُذكَر». انظر: «الكتاب» (٢/ ٣٩٠)، و«معاني القرآن» للفراء (١/ ١٠٤)، و«شرح الكتاب» للسيرافي (٣/ ١٥٨).

(٥) على القراءتين، كما ذكر المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٧٥).

(٦) إنما ذهب الواحدي إلى ذلك في قراءة من قرأ بالتاء، وقد سبق إلى إيراد هذا الاحتمال الفراء، والزجاج مع عدم استحسانه لهذا الوجه، وقد ذكر المصنف قول الواحدي في «غرائب التفسير» (١/ ٢٧٥)، وعدَّه من العجائب، ثم قال: «هذا منه سهو»، ولكن لم يبيِّن وجهي عدم جوازه، وقد بيَّن أبو حيان وجه ذلك. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ١٠٤)، وللزجاج (١/ ٤٩٢ ـ ٤٩٣)، و«البسيط» للواحدي (٣/ ٣٩٢ و٥١٩) و(٦/ ٢١٧) و(١٣/ ٢٦٤)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٣/ ٤٥١).

﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ عن أبي وائلٍ، عن[1] عبدِ الله، عن النَّبيِّ ﷺ: أنَّه قال: «ما مِن رجلٍ لا يُؤدِّي زكاةَ مالِه إلَّا جُعِلَ له[2] شجاعٌ في عنقِه يومَ القِيامةِ»، ثمَّ قرأ علينا مِصداقَ ذلك من كتابِ الله: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾[3].

المؤرِّجُ: يُلزَمُون أعمالَهم مثلَ ما يلزمُ الطَّوقُ العنقَ[4].

ابنُ بحرٍ: سيعودُ عليهم وبالُه، فيصيرُ طوقًا في العنق.

﴿وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فلا يبقى المالُ ولا المالكُ، بل تصيرُ الأموالُ إليه.

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾؛ أي: بما تعملون من المنعِ والإعطاءِ خبيرٌ عالمٌ، فيجازيكم على استحقاقِكم.

***

(١٨١) ـ ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾.

﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ﴾ قال عكرمةُ والسُّدِّيُّ ومقاتلٌ: دخلَ أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ ذاتَ يومٍ بيت مِدْراسِ اليهود، فوجدَ ناسًا من اليهود قد اجتمعوا إلى رجلٍ منهم يُقالُ له:

---

(١) «وائل عن» من (ن).

(٢) «له» من (ن).

(٣) رواه الترمذي (٣٠١٢)، والنسائي (٢٤٤١)، وابن ماجه (١٧٨٤)، وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح»، و(شجاع) في هذه الرواية بالرفع، وهي نائب فاعل، والفعل متعد إلى مفعول واحد، والمعنى: جعل الله له شجاعاً، وجاءت كلمة (شجاع) في روايات أخرى بالنصب، وهي مفعول ثان للفعل (جعل) بمعنى: جعل الله المالَ شجاعاً.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٤٩٧)، والواحدي في «البسيط» (٦/ ٢٢١).

فنحاصُ بنُ عازوراء، وكان من علمائهم، فقال أبو بكرٍ لفنحاص: اتَّقِ الله وأسلم وآمن وأقرض الله قرضًا حسنًا يدخلْكَ الجنَّةَ ويضاعفْ لك الثَّواب، فقال فنحاص: تزعمُ أنَّ ربَّنا يستقرضُنا أموالنا، فإنَّ الله إذًا لفقيرٌ ونحن أغنياء، فغضب أبو بكرٍ وضربَ وجهَ فنحاصَ ضربةً شديدةً، وقال: والذي نفسي بيده لولا العهدُ الذي بيننا وبينكم لضربتُ عنقَك يا عدوَّ الله، فذهب فنحاصُ إلى رسول الله عليه السَّلام فقال: يا محمَّد، انظر ما صنعَ بي صاحبك! فقال لأبي بكرٍ: «ما الذي حملَكَ على ما صنعْتَ؟» فقال: إنَّ عدوَّ الله قال قولًا عظيمًا، زعم أنَّ اللهَ فقيرٌ وأنَّهم أغنياء، فغضبْتُ لله وضربْتُ وجهَه، فجحدَ فنحاصُ، فأنزلَ الله ردًّا على فنحاص وتصديقًا لأبي بكرٍ الصِّدِّيق[1]: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ﴾[2].

﴿قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ وفيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: أنَّهم أنكروا أنَّ قوله: ﴿مَّن ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللَّهَ﴾ [البقرة: ٢٤٥] كلامُ الله، ولم يعتقدوا أنَّ اللهَ فقيرٌ وهم أغنياء.

والثَّاني: أنَّهم اعتقدوا ذلك؛ لأنَّهم اعتقدوا في الأجسام أنَّها لا يمكن الزِّيادة فيها، واعتقدوا في المال أنَّه لا يمكنُ في القدرة تغييرُه، وأنَّ الذَّهبَ والفضَّةَ قد حصلا في الأيدي، فعند ذلك قالوا: إنَّ الله فقيرٌ[3].

---

(١) «الصديق» من (ن).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٢٧٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٨٢٨)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٥/ ٨٧)، والضياء المقدسي في «المختارة» (١٢/ ٢٥٦) من طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٢٧٩) عن السدي مختصرًا، وانظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٣١٩)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٣٣).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٧٥)، واستغربه.

الثّالثُ: استبطؤوا الرِّزقَ من قِبَلِ الله فقالوا: ما[1] يجدُ ما يُعطينا.

ورُويَ عن بعضِ القرّاء الوقفُ على قولِه: ﴿فَقِيرٌ﴾، والابتداءُ بقوله: ﴿وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾[2]، فيكون: ﴿وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ استئنافَ كلامٍ من الله رادًّا[3] عليهم، كقوله: ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾ [محمد: ٣٨].

﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾؛ أي: في كتابِ الحَفَظة.

وقيل: سنحفظُ ما قالوا حتى يُجازَوا بها.

﴿وَقَتْلَهُمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾؛ فإنّهما في العِظَمِ وموجِبِ الكفرِ سواءٌ.

﴿وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾؛ أي: المحرق.

و﴿الْحَرِيقِ﴾: الملتهبُ من النّار.

***

(١٨٢) ـ ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: ذلك العذابُ والإحراقُ بالنّارِ ﴿بِمَا قَدَّمَتْ﴾: بسببِ ما قدّمت ﴿أَيْدِيكُمْ﴾ من قتلِ[4] الأنبياءِ وقولِكم: إنَّ الله فقيرٌ، وسائرِ معاصيكم.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ﴾: وبأنَّ اللهَ ليس ﴿بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾، وذكرَ (الظَّلّام) بلفظِ المبالغةِ لأنَّ (العبيدَ) جمعٌ[5].

---

(١) في (ن): «لا».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٧٥)، وذكر النحاس في «القطع والائتناف» (ص: ١٥٥) أن نافعاً كان يرى الوقف على ﴿وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾.

(٣) في الأصل: «ورد».

(٤) في (و): «بقتل».

(٥) أي: أن جمع الكثرة في (العبيد) ناسب الكثرة في (ظلام)، وقيل: إن نفي كثير الظلم يستلزم نفي =

(١٨٣) ـ ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٖ تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُۗ قُلۡ قَدۡ جَآءَكُمۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِي بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِي قُلۡتُمۡ فَلِمَ قَتَلۡتُمُوهُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ﴾ قال الكلبيُّ: نزلَت في كعبِ بنِ الأشرفِ ومالكِ بن الصَّيفِ ووهبِ بنِ يهوذا وزيدِ بن التّابوتِ وفنحاصَ بنِ عازوراءَ وحييِّ بن أخطبَ أتَوا رسولَ الله ﷺ فقالوا: تزعمُ أنَّ الله بعثَك إلينا رسولًا وأنزلَ عليك كتابًا، وإنَّ الله قد عهدَ إلينا في التَّوراةِ أن لا نؤمنَ لرسولٍ يزعمُ أنَّه جاء من عند الله حتى يأتينا بقربانٍ تأكلُه النّار، فإن جئتَنا به صدَّقناك، فأنزلَ الله هذه الآية[1].

ومعنى ﴿عَهِدَ إِلَيۡنَآ﴾: أمرَنا ووصّانا في التَّوراة.

﴿أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٖ﴾: ما يُتقرَّبُ به إلى اللهِ من ذَبيحةٍ أو غيرها.

و(القُربانُ) مصدرٌ كـ(الغُفران)، جُعل اسمًا كـ(البرهان).

﴿تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُ﴾: تحرقُه وتُحيلُه إلى طبعِها.

وكان بنو إسرائيلَ إذا قرَّبوا قربانًا أو غنموا غنيمةً جاءت نارٌ بيضاءُ من السَّماء لا دخانَ لها، ولها دويٌّ وحفيفٌ، فتأكلُ ذاك وتحرقُه، فيكونُ علامةَ القَبول، وإذا لم يُقبَل بقيَ على حاله.

السُّدِّيُّ: إنَّ الله أمرَ بني إسرائيلَ في التَّوراة: مَن جاءكم يزعمُ أنَّه رسولُ الله فلا

= قليله، وقيل: إن صيغة المبالغة لا تدل إلا على ما يدل عليه اسم الفاعل في سياق النفي. انظر: «مفاتيح الغيب» للرازي (٢٨/ ١٤٢)، و«الفلك الدائر» لابن أبي الحديد (٤/ ٢٦٨)، و«معترك الأقران في إعجاز القرآن» للسيوطي (١/ ٣٢٦).

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٥١٠)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٣٤).

تُصدِّقوه حتّى يأتيَكم بقُربانٍ تأكلُه النّارُ حتى يأتيَكم المسيحُ ومحمَّدٌ، فإن أتياكم فآمنوا بهما، فإنَّهما يأتيان بغيرِ قُربانٍ[1].

﴿قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: بالمعجزاتِ سوى القُربانِ، ﴿وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ﴾؛ أي: بالقُربانِ، ﴿فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ﴾ كيحيى بن زكريا ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ فيما تقولونَه من أنَّكم تتَّبعون ما أُمرتُم؟ فقد ظهرَ كذبُكم وبانَ عنادُكم.

ثم عزَّى نبيَّه فقال:

(١٨٤) ـ ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾.

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ﴾ يعني: اليهودَ، ﴿فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ﴾: جمعُ زَبورٍ.

الزَّجّاجُ: كلُّ كتابٍ ذي حكمةٍ فهو زَبورٌ، من (الزَّبْرِ)، وهو الكتابةُ والقِراءة[2].

وقيل: من (زَبَرَه)؛ أي: دَفَعَه.

والزُّبُرُ: الأحكامُ أيضًا[3].

﴿وَٱلْكِتَٰبِ﴾: التَّوراةِ والإنجيلِ وغيرِهما.

﴿ٱلْمُنِيرِ﴾: الواضحِ الهادي إلى الطَّريق.

* * *

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٥١٢)، والواحدي في «البسيط» (٦/ ٢٢٦).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٩٥)، وانظر أيضاً: «تاج العروس» مادة (ز ب ر) (١١/ ٣٩٨).

(٣) «أيضًا» من (ن).

(١٨٥) ـ ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ ثم خوَّفهم بالموتِ والوصولِ إلى الجزاء؛ أي: كلُّ حيٍّ يموتُ، و(الذَّوْقُ) للمطعوم، ثم يُستعمَل لإدراكِ الحالات.

﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ﴾: تُعْطَون ﴿أُجُورَكُمْ﴾: جزاءَ أعمالِكم وافيةً ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾؛ فإنَّه دارُ الجزاء.

﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ﴾ بُعِّدَ عن جهنَّمَ، ﴿وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾: ظفرَ بالخير.

ابنُ عيسى: الفوزُ: الظَّفرُ بالخير بدلًا من الوقوعِ في الشَّرِّ(١).

﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ﴾؛ أي: لذّاتُها وزخارفُها ﴿إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ تغرُّ الإنسانَ وتوقعُه في الغفلة.

والغُرورُ: مصدرُ (غرَّه)، ويجوزُ أن يكونَ جمعَ (غارٍّ)؛ أي: متاعَ الغارِّين الغافلين.

***

(١٨٦) ـ ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًاۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾.

---

(١) في «العين» (٧/ ٣٨٩): «الفوز: الظفر بالخير والنجاة من الشر»، وذكر نحوه الزجاج في «معاني القرآن» (١/ ٤٩٥).

﴿لَتُبْلَوُنَّ﴾؛ أي: والله[١] لتبلونَّ؛ لتُختبَرُنَّ ﴿فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ بالزَّكاة، ﴿وَأَنفُسِكُمْ﴾ بالجهادِ، ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ يعني: اليهودَ والنَّصارى ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟﴾؛ أي: الكفّارَ ﴿أَذًى كَثِيرًا﴾: ما تتأذَّون به.

قيل[٢]: هو كعبُ بنُ الأشرف، كان يهجو رسولَ الله ﷺ والمؤمنين ويحرِّضُ عليهم المشركين[٣].

﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟﴾ على أذاهم، ﴿وَتَتَّقُوا۟﴾ مخالفةَ أمرِ الله، ﴿فَإِنَّ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: الصَّبرَ والتَّقوى ﴿مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ ما أمرَ الله تعالى.

وقيل: ﴿عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾: ما بُيِّنَ رُشدُه له.

***

(١٨٧) - ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾.

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يعني: العلماءَ.

﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ﴾ يعني: شأنَ محمَّدٍ ونعته، ﴿وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ عن النّاس.

وقيل: عامٌّ في العلوم والعلماء.

﴿فَنَبَذُوهُ﴾؛ أي: الميثاقَ ﴿وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ فلم يعملوا به.

---

(١) «والله»: ليس في (و).

(٢) «قيل» من (ن).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٤٩٦)، والطبري في «تفسيره» (٦/ ٢٩١) عن الزهري، ورواه أبو داود (٣٠٠٠) عن الزهري عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه في حديث طويل.

وقيل: لم يلتفتوا إليه.

﴿وَٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦ﴾: وأخذوا ببدلِه ﴿ثَمَنًا﴾: ذا ثمنٍ.

﴿قَلِيلًاۖ﴾؛ أي: عرضًا يسيرًا.

﴿فَبِئۡسَ مَا يَشۡتَرُونَ﴾: يختارون لأنفسهم.

* * *

(١٨٨) - ﴿لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحۡمَدُواْ بِمَا لَمۡ يَفۡعَلُواْ فَلَا تَحۡسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٖ مِّنَ ٱلۡعَذَابِۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾.

﴿لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ﴾ عن أبي سعيدٍ الخدريِّ: أنَّ رجالًا من المنافقين على عهد رسول الله ﷺ كانوا إذا خرج رسول الله ﷺ إلى الغزو تخلَّفُوا عنه، فإذا قدمَ رسول الله عليه السلام اعتذرُوا إليه وحلفُوا، وأحبُّوا[1] أن يُحمَدوا بما لم يفعلوا، فنزلَت فيهم هذه الآية[2].

وعن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما: نزلَت في أهلِ الكتاب[3] الّذين فرحُوا بالاجتماعِ على التّكذيب بالنَّبيِّ عليه السَّلام وكتمانِ أمره، وأحبُّوا أن يُحمَدوا بما ليس هم عليه من أنّهم أهل نُسُكٍ وعلمٍ[4].

(١) في (ن): «ويحبون».

(٢) رواه البخاري (٤٥٦٧)، ومسلم (٢٧٧٧).

(٣) «أن يحمدوا بما لم يفعلوا، فنزلت فيهم هذه الآية، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت في أهل»: من (ن).

(٤) ذكره الماوردي في «تفسيره» (١/ ٤٤٢)، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٣٠٣).

وروى البخاري (٤٥٦٨)، ومسلم (٢٧٧٨): عن ابن عباس أنه قال: «إنما أنزلت هذه الآية في أهل الكتاب»، وقال: «سألهم النبي ﷺ عن شيء فكتموه إياه، وأخبروه بغيره، فخرجوا قد أروه أن قد =

وقيل: المعنى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ﴾ فرحَ أشرٍ وبطرٍ ﴿بِمَا أَتَوا﴾ من النِّفاق والشِّرك، ﴿وَيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا﴾ يُثنَى عليهم، ﴿بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ من الصَّلاة والصَّوم وسائرِ الطَّاعات.

ويُحتمَلُ أنَّ الذي أتوا به إظهارُ الإيمان، والذي لم يفعلوا الاعتقاد، وأنَّ قوله: ﴿وَيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا﴾[1] معناه: يُدْعَون مؤمنين.

﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ﴾: بمنجاةٍ ﴿مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾؛ فإنَّهم كفَّارٌ.

الفاءُ زائدةٌ، وقولُه: (لا تحسبنَّهم) بدلٌ من الأوَّل، والضَّميرُ المفعولُ الأوَّل، و(بمفازةٍ) الثَّاني[2].

* * *

(١٨٩) - ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فلا يخفى عليه شيءٌ.

وقيل: هو جوابٌ لهم على قولهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ﴾.

﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، فلا يعجَلُ بالعقوبة.

* * *

= أخبروه بما سألهم عنه، واستحمدوا بذلك إليه، وفرحوا بما أتوا من كتمانهم إياه ما سألهم عنه».

(١) في (و) زيادة: «بما لم يفعلوا».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٧٥)، وهذا الوجه على قراءة حمزة وعاصم والكسائي الذين قرؤوا ﴿لَا تَحْسَبَنَّ﴾ بتاء، أما نافع وابن عامر فقرؤوها بالياء وقرؤوا ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُم﴾ بتاء الخطاب، ولا يجوز في هذه القراءة البدل؛ لاختلاف فاعل الفعلين. انظر: «الحجة» لأبي علي (٣/ ١٠١)، و«التيسير» (ص: ٩٢)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٣/ ٤٦٧).

(١٩٠) - ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ عن ابن عبّاسٍ قال: أتت قريشٌ اليهودَ فقالوا: ما جاءكم موسى به من الآيات؟ فقالوا: عصاةٌ ويدُه بيضاءُ للنّاظرين، وأتوا النَّصارى فقالوا: كيف كان عيسى؟ فقالوا: كان يُبرِئُ الأكمهَ والأبرصَ ويُحيي الموتى، وأتوا النَّبيَّ عليه السَّلام وقالوا: ادعُ لنا ربَّك يجعل لنا الصَّفا ذهبًا؛ ليكون لك آيةً، فأنزلَ الله: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾(١).

﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ﴾ سبقَ تفسيرُه.

﴿لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾: لذوي(٢) العقول.

* * *

(١٩١) - ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.

﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ﴾ بلسانِهم وبقلوبِهم ﴿قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾؛ أي: مضطجعين، والمعنى: دائمًا؛ لأنَّ الإنسانَ لا يخلو من هذه الأحوال الثَّلاث.

---

(١) رواه ابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٥٣١)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (١٢/ ٣٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٣٢٢)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٣٢٩): «فيه يحيى الحماني، وهو ضعيف». وذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٣٨)، وقال ابن كثير في «تفسيره» (٢/ ١٦٢): «هذا مشكل؛ فإن هذه الآية مدنية، وسؤالهم أن يكون الصفا ذهبًا كان بمكة».

(٢) «لذوي» من (ن).

وقيل: يذكرون الله في الصَّلاة قيامًا عند القدرةِ عليه، وقعودًا عند العجزِ عن القيام، وعلى جنوبِهم عند العجز عن القعود.

وقيل: ﴿قِيَـٰمًا وَقُعُودًا﴾ في الصَّلاة، ﴿وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ عند النَّومِ خارجَ الصَّلاة.

وقيل: ﴿قِيَـٰمًا﴾[1] بأوامرِه، ﴿وَقُعُودًا﴾ عن زواجرِه، ﴿وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾: اجتنابهم مخالفةَ أمرِه ونهيِه، حكاه أقضى القضاة[2].

﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فعلَ المعتبِرِ المستدلِّ، ويقولون[3]: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا﴾؛ أي: هذا الشَّيءَ.

وقيل: هذا الخلقَ.

﴿بَـٰطِلًا﴾: عبثًا لغير[4] حكمةٍ، حالٌ عن ﴿هَـٰذَا﴾[5].

﴿سُبْحَـٰنَكَ﴾: تنزيهًا لك عن الوصفِ بخلقِ الباطل.

---

(١) «في الصلاة، وعلى جنوبهم عند النوم خارج الصلاة. وقيل: قياماً» من (ن).

(٢) لم أقف عليه في المطبوع من «النكت والعيون»، وقال أبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ٤٦٩): «وأبعد في التفسير مَن ذهب إلى أن المعنى» ثم ذكر كلام المصنف بلفظه، وعلَّق عليه قائلًا: «وهذا شبيه بكلام أرباب القلوب، وقريب من الباطنية»، وانظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٣٠٤).

(٣) «ويقولون» من (ن).

(٤) في (و): «بغير».

(٥) ذهب النحاس ومكي إلى أنه مفعول لأجله، وذهب الواحدي إلى أنه نعت لمصدر محذوف، وذهب الجرجاني إلى أنه منصوب بنزع الخافض، وقيل: هو مفعول ثان لـ(خلق)، وقد رجَّح أبو حيان والسمين الحلبي ما ذهب إليه المصنِّف. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ١٩٤)، و«مشكل إعراب القرآن» لمكي (١/ ١٨٤)، و«البسيط» للواحدي (٦/ ٢٥٤)، و«درج الدرر» للجرجاني (٢/ ٥٥٧)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٣/ ٤٧١)، و«الدر المصون» للسمين الحلبي (٣/ ٥٣٣).

﴿فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ يحتمل أن تكونَ الفاءُ عطفًا على ما تضمَّنَ (سبحان) من الفعل، أو ما تضمَّنَ النِّداء[1].

* * *

(١٩٢) ـ ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٍ﴾.

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥ﴾: فضحتَه على رؤوسِ الخلائق.

الزَّجّاجُ: ألزمتَه حُجَّتَه وأذللتَه معها، وحقَّرته وقهرتَه[2].

﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٍ﴾: من مانعٍ يمنعُهم من العذاب.

وقيل: ﴿مِنۡ أَنصَارٍ﴾: شفعاءَ يشفعونَ لهم كما للمؤمنين.

* * *

(١٩٣) ـ ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ﴾.

﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي﴾ قيل: القرآن، وقيل: محمَّد عليه السَّلام.

﴿لِلۡإِيمَٰنِ﴾؛ أي: لأجلِ الإيمانِ بالله، وقيل: إلى الإيمان، وقيل: بالإيمان.

﴿أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا﴾ تكرارُه مسألةٌ بعدَ مسألةٍ، واستكانةٌ بعد خضوعٍ.

ويحتملُ أنَّ أحدَهما للكبائر، والثَّاني للصَّغائر.

ويحتملُ: ﴿اغفر لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ الخالية، ﴿وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا﴾: ما يقعُ منّا.

﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ﴾؛ أي: على أعمالِهم.

---

(١) فيكون المعنى على الأول: نسبحك فقنا عذاب النار، وعلى الثاني: نناديك فقنا عذاب النار.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٥٠٠)، وليس فيه: «وحقرته وقهرته».

الحسنُ: ﴿ٱلۡأَبۡرَارِ﴾: الذين لا يُؤذون النَّمل[١].

الدِّمياطيُّ: ﴿ٱلۡأَبۡرَارِ﴾: الأنبياء[٢].

وقيل: المطيعون.

وقيل: ﴿اغفر لَنَا ذُنُوبَنَا﴾: تركَ الطّاعات، ﴿وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا﴾: ارتكابَ المعاصي، حكاه أقضى القضاة[٣].

***

(١٩٤) ـ ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾.

﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ تُعبِّدوا بهذا القول؛ فإنَّ الله لا يخلفُ ميعادَه.

وقيل: دعاءٌ في معنى الخبر.

وقيل: معناه: اجعلنا منهم.

وقيل: سألوا النَّصر والظَّفر بالكفّار.

وقيل: معناه: اجعلنا من أهلِ الثَّواب لا العقاب.

﴿إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾ ابن عبّاسٍ: البعثُ بعد الموت[٤].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٠٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٨٤٦)، والدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (١/ ٣٣٧).

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (٦/ ٢٦٢)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٣٦١) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) لم أقف على تفسير هذه الآية في المطبوع من «النكت والعيون».

(٤) انظر: «تنوير المقباس من تفسير ابن عباس» (ص: ٤٣)، وروى ابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٥٣٧) =

(١٩٥) ـ ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾.

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ عن أمِّ سلمةَ قالت: قلتُ: يا رسول الله، لا أسمعُ اللهَ ذكَرَ النِّساء في الهجرةِ بشيءٍ، فأنزلَ الله: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾[1]؛ أي: أجابَ، و(أجابَ) عامٌّ، و(استجابَ) خاصٌّ في حصولِ المطلوب.

﴿أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم﴾، بل أُثيبُ.

﴿مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ تبيينٌ للعامل.

﴿بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ﴾ الذَّكرُ من الأنثى، والأنثى من الذَّكر، وكلُّكم بنو آدم.

وقيل: ﴿بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ﴾ في الدِّين والنُّصرة.

﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ أوطانَهم إلى المدينة.

وقيل: هاجروا الشِّرك.

وقيل: هاجروا قومَهم وعشيرتَهم.

= عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «أي: من وحدك، وصدق بنبيك، لا تخزه»، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٨٤٤) بلفظ: «﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ قال: ميعاد من قال: لا إله إلا الله».

(١) رواه الترمذي (٣٠٢٣) وفي سنده عنده رجل مبهم، وبيَّنه الحاكم في «المستدرك» (٣١٧٤)، وصححه على شرط البخاري، ووافقه الذهبي، قال الشيخ عبد القادر الأرناؤوط في تخريج «جامع الأصول» (٢/ ٧٦): «وليس كما قال؛ فإن سلمة بن أبي سلمة ـ وهو سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبي سلمة ـ لم يخرج له سوى الترمذي، ولم يوثقه غير ابن حبان».

﴿وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ﴾ بسببِ إيمانِهم، واستولى عليهم الأعداءُ فتملَّكها[1].

﴿وَأُوذُواْ فِى سَبِيلِى﴾ بأنواعِ الأذيّاتِ من الشَّتمِ والضَّربِ ونهبِ المال.

﴿وَقَـٰتَلُواْ﴾ الكفّارَ ﴿وَقُتِلُواْ﴾؛ أي: منهم[2].

﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾: لأمحونَّها.

﴿وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: أثيبهم ثوابًا بفضله.

﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾ على الطّاعات.

* * *

(١٩٦) - ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى ٱلْبِلَـٰدِ﴾.

﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى ٱلْبِلَـٰدِ﴾ في سببِ[3] النُّزول: أنَّ الآيةَ نزلَت في مشركي مكّةَ، وذلك أنَّهم كانوا في رخاءٍ ولينٍ من العيش، وكانوا يتَّجرون ويتمتَّعون، فقال بعضُ المؤمنين: إنَّ أعداءَ الله فيما نَرى من الخير، وقد هلكنا من الجوعِ والجهد، فنزلَت هذه الآية: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ﴾[4] تحذيرًا للنَّبيِّ ﷺ.

وقيل: الخطابُ للنَّبيِّ، والمرادُ به غيرُه.

﴿تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى ٱلْبِلَـٰدِ﴾: تصرُّفُهم ومجيئُهم وذهابُهم بالنِّعمِ فيها.

---

(١) كذا في النسخ الخطية، والمعنى: فتملَّكها العدو، ولو قال: فتملكوها، لكان أوضح.

(٢) المراد: بعضٌ منهم، كما في «غرائب التفسير» (١/ ٢٧٦).

(٣) «سبب»: ليس في (و).

(٤) ذكره مقاتل في «تفسيره» (١/ ٣٢٣)، والثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٥٧٦)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٣٩) دون نسبة، وعزاه ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٣٦٣) لمقاتل.

وقيل: غير مأخوذين[(١)] بالإجرام.

***

(١٩٧) ـ ﴿مَتَٰعٞ قَلِيلٞ ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ﴾.

﴿مَتَٰعٞ قَلِيلٞ﴾؛ أي: تقلُّبهم متاعٌ سريعُ الانقضاء، ﴿ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ﴾.

***

(١٩٨) ـ ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ﴾.

﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾ قيل: انزلوها نزلًا[(٢)].

وقيل: هو ما يُعدُّ للضَّيفِ من طعامٍ وشرابٍ وغيرِهما من المَبرّات. وانتصابُه كقولِك: هو لك طِلْقًا[(٣)].

﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ﴾ فيه تقديمٌ وتأخيرٌ؛ أي: الذي عند الله للأبرار خيرٌ[(٤)].

***

---

(١) في (و): «مأخوذٍ».

(٢) فهو مصدر على هذا القول، وهو قول الكسائي. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ١٩٥).

(٣) الطِّلق: الحلال، يقال: هو لك طِلقًا؛ أي: حلالًا. انظر: «إصلاح المنطق» (ص: ١٣). وانتصاب (طلقاً) على الحال، وذهب الفراء إلى أنه على التفسير، وهو التمييز عندنا، وذهب النحاس إلى أنه مصدر؛ أي: انتصابه على أنه مفعول مطلق. انظر: «الكتاب» (٢/ ٩١)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ١٢١)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٣/ ٤٨٣).

(٤) «خير» من (ن).

(١٩٩) - ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ ابنُ عبّاسٍ وقتادةُ: نزلَت في النَّجاشيِّ حين صلَّى عليه رسولُ الله ﷺ، فقالَ المنافقون: صلَّى على عِلجٍ نصرانيٍّ[١].

مجاهدٌ: نزلَت في عبدِ الله بنِ سلامٍ وأصحابِه من المؤمنين[٢].

***

(٢٠٠) - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا﴾ في سببِ النُّزول: عن أبي سلمةَ بنِ عبدِ الرَّحمن

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٤٩٩) والطبري في «تفسيره» (٦/ ٣٢٨) عن قتادة، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٥٨٥)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٣٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما. ورواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٣٢٧) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، وفي إسناده نظر. ورواه البزار في «مسنده» (٦٥٥٦)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٠٢٢)، والضياء المقدسي في «المختارة» (٥/ ٤٠) عن أنس رضي الله عنه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٣٣٠) عن مجاهد بلفظ: «من اليهود والنصارى، وهم مسلمة أهل الكتاب»، ورجَّحه، وروى الطبري في «تفسيره» (٦/ ٣٢٩)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٥٤٢) عن ابن جريج: «نزلت في عبد الله بن سلام ومن معه».

أنَّه قال: لم يكن في زمانِ النَّبيِّ عليه السَّلام غزوٌ يُرابَطُ فيه، ولكن انتظارُ الصَّلاةِ خلفَ الصَّلاة[1].

الحسنُ وقتادةُ: اصبروا على طاعة الله[2].

﴿وَصَابِرُواْ﴾ أعداءَ الله.

وقيل: صابروا وَعْدِي إيّاكم.

﴿وَرَابِطُواْ﴾ أعداءَكم، وقيل: رابطوا الخيل.

﴿وَاتَّقُواْ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: تُسعَدون، وتَبْقَون في[3] الجنّة.

* * *

(١) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٤٠٨)، والطبري في «تفسيره» (٦/ ٣٣٤)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٥٤٤). وعلَّق الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٦/ ٨٦) على هذه الرواية فقال: «وما احتج به أبو سلمة لا حجة فيه». وروى الحاكم في «المستدرك» (٣١٧٧) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٦٣٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه نحوه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٣٣٢) عن قتادة، ورواه ابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٥٤٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٤٤٥) وأبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ٤٨٥) عن الحسن، وروى الطبري في «تفسيره» (٦/ ٣٣٢) عن الحسن: «أمرهم أن يصبروا على دينهم، ولا يدعوه لشدة ولا رخاء، ولا سراء ولا ضراء».

(٣) «في» من (ن).

سُورَةُ النِّسَاءِ

سُورَةُ النِّسَاءِ

مئةٌ وسبعون وآيتان(١)، مدنيّةٌ(٢).

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

(١) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ يعني(٣): أهلَ مكّةَ، وقيل: هم المؤمنون، وقيل: عامٌّ.

﴿ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾: آدمَ، ﴿وَخَلَقَ مِنۡهَا﴾: من تلك النَّفسِ(٤) ﴿زَوۡجَهَا﴾: حوّاء، خُلِقَتْ في منامِه من الضِّلَعِ الأخيرةِ، وهي قصيرةٌ.

ابنُ بحرٍ: ﴿وَخَلَقَ مِنۡهَا﴾: من جنسِها(٥)؛ كقوله: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا﴾ [النحل: ٧٢].

---

(١) «مئة وسبعون وآيتان» من (ن).

(٢) هذا قول الجمهور إلا قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾؛ فقد نزلت في مكة أيام الفتح، وقال النحاس: سورة النساء مكية، وقال النقاش: نزلت عند الهجرة من مكة إلى المدينة. انظر: «معاني القرآن» للنحاس (٢/ ٧ و١٢٠)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٣/ ٤٩٢ و٦٨٣).

(٣) في (و): «يقول».

(٤) «من تلك النفس» من (ن).

(٥) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٢٠٢) و(٥/ ١١٥)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٣٦٦)، والرازي في «التفسير الكبير» (٩/ ٤٧٨).

﴿وَبَثَّ﴾: ونشرَ ﴿مِنۡهُمَا﴾: آدمَ وحوّاءَ.

ولا مُناقضةَ بين قوله: ﴿مِنۡهُمَا﴾ وبين قوله: ﴿مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ﴾؛ لأنَّ مرجعَ حوّاءَ إلى النَّفس الواحدة.

﴿رِجَالٗا كَثِيرٗا﴾ ذكَّرَ حملًا على الـ(جمعِ)[١].

﴿وَنِسَآءٗ﴾؛ أي: كثيرةً، فاكتفى بالأوَّل.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ﴾؛ أي: يسألُ بعضُكم بعضًا، ويقول: أسألكَ بالله وأنشدكَ اللهَ.

﴿وَٱلۡأَرۡحَامَ﴾ قيل[٢]: هو عطفٌ على ﴿ٱللَّهَ﴾؛ أي: واتَّقوا الأرحامَ فلا تقطعوها.

وقيل: عطفٌ على محلِّ الجارِّ والمجرور.

وقراءة حمزةَ[٣] عند الكوفيِّين عطفٌ على الضَّمير المجرور[٤].

وقيل: الواوُ للقسمِ[٥].

---

(١) أي: بثَّ منهما جمعاً كثيراً، رجالًا ونساء؛ فالمراد بكلمة (جمع) في كلام المصنِّف لفظها، وليس المراد معناها اللغوي أو الاصطلاحي؛ لأنَّ الحمل على الجمع المقابل للمفرد يقتضي التأنيث. انظر: «التبيان» للعكبري (١/ ٣٢٦).

(٢) في (و): «وقيل».

(٣) قرأ حمزة بالجر، وباقي السبعة بالفتح، وقد ردَّ المبرد والزجاج قراءة الجرِّ، وردُّه مردود. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٦)، و«السبعة» (ص: ٢٢٦)، و«التيسير» (ص: ٩٣)، و«شرح المفصل» لابن يعيش (٢/ ٢٨٣)، و«البحر المحيط» (٢/ ٣٨٧).

(٤) انظر: «غرائب التفسير» (١/ ٢٧٩)، و«الإنصاف» للأنباري (٢/ ٣٧٩).

(٥) ذكر هذا الوجه ابن بابشاذ في «شرح المقدمة المحسبة» (٢/ ٤٣٢)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٧٩)، واستغربه.

وفي الوجهين بعدٌ؛ وهي مجرورةٌ[١] بباءٍ أخرى تقديره: وبالأرحام، فحذف، ولهذا نظائرُ[٢].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾: حافظًا، وقيل: عالـمًا.

* * *

(٢) ـ ﴿وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلۡخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِۖ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبٗا كَبِيرٗا﴾.

﴿وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡ﴾؛ أي: بعدَ البلوغ، وسمّاهم (يتامى) مجازًا[٣]؛ لفقدِهم آباءَهم في صغرهم.

وقيل: وآتوا اليتامى الآنَ أموالَهم إذا بلغوا.

﴿وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلۡخَبِيثَ﴾ مجاهدٌ: الحرامَ من مالِ اليتيمِ ﴿بِٱلطَّيِّبِ﴾: الحلالِ من أموالِكم[٤].

وقيل: لا تأكلوا الخبيثَ، وهو مالُ اليتيم، وتُعطوا مكانَه الطَّيِّبَ[٥] من مالِكم قصاصًا.

الضَّحّاكُ والزُّهريُّ: لا تأخذوا الرَّفيعَ من مالِ اليتيمِ، وهو الطَّيِّب، وتُعطوه الخسيسَ، وهو الخبيث[٦].

---

(١) في (و): «فهو مجرور».

(٢) انظر: «الخصائص» لابن جني (١/ ٢٨٦ ـ ٢٨٧)، و«البحر المحيط» (٢/ ٣٨٧).

(٣) «مجازا» من (ن). وهذا ما يُعرف في كتب البلاغة بتسمية الشيء باسم ما كان عليه. انظر: «عروس الأفراح» للسبكي (٢/ ١٣٨).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٣٥١)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٥٥٠).

(٥) في (و): «بالطيب».

(٦) روى الطبري في «تفسيره» (٦/ ٣٥٢)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٥٥٠) عن الزهري وابن =

﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾؛ أي: مع أموالِكم.

وقيل: لا تُضيفوها إلى أموالِكم بالأكل منها.

﴿إِنَّهُۥ﴾: إنَّ أكلَها ﴿كَانَ حُوبًا﴾؛ أي: إثمًا ﴿كَبِيرًا﴾.

ابنُ عيسى: أصله: الحَوْبُ، وهو زجرٌ للجمل[1]، والحُوْبُ: الإثمُ؛ للزَّجرِ عنه، حابَ الرَّجلُ يحوبُ حَوبًا وحُوبًا، وقد تحوَّبَ؛ (تأثَّمَ) منه[2].

***

(٣) - ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟﴾.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ عائشةُ والحسنُ: في نكاحِ اليتامى، ﴿فَٱنكِحُوا۟﴾ من البالغاتِ[3].

= المسيب نحوه بلفظ: «يعطي مهزولًا ويأخذ سمينًا»، وروى الطبري في «تفسيره» (٦/ ٣٥٢) عن الضحاك: «لا تعط فاسدًا وتأخذ جيدًا»، وانظر: «تفسير الثعلبي» (١٠/ ١٥).

(١) جعل ابن فارس الحاء والواو والباء أصلاً واحدًا يتشعَّب إلى إثم أو حاجة أو مسكنة، وكلها متقاربة، ولكنه رأى أنَّ قولهم في زجر الإبل: (حوب) ليست مأخوذة من أصل. انظر: «مقاييس اللغة» (٢/ ١١٣) مادة (ح و ب).

(٢) أي: لفظ (تحوَّب) بمعنى (تأثَّم) مأخوذ من (الحوب).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» عن عائشة رضي الله عنها، وذكره المصنف «غرائب التفسير» (١/ ٢٧٩) عن عائشة رضي الله عنها والحسن. وروى البخاري (٥٠٦٤)، ومسلم (٣٠١٨) عن عروة: أنه سأل عائشة رضي الله عنها عن قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ قالت: «يا ابن أختي، اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في مالها وجمالها، يريد أن يتزوجها بأدنى من سنة صداقها، فنهوا أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن، فيكملوا الصداق، وأمروا بنكاح من سواهن من النساء». وذكر الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٢٥) عن الحسن أن المراد باليتامى: نكاح اليتامى.

قتـادةُ والضَّحّـاكُ فـي جماعـةٍ: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ﴾ وهمَّكـم ذلك، فكذلـك خافوا في النِّسـاء؛ لأنَّهـم كانوا يتحرَّجون فـي اليتامـى، ولا يتحرَّجون في النِّساء[1].

ابنُ عبّاسٍ: إن خِفتم[2] الحَيفَ والحوبَ[3] في إنفاقِكم أموالَ اليتامى، فقد حظرتُ عليكم أن تنكحوا أكثرَ من أربعٍ[4].

مجاهدٌ: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ﴾، وتحرَّجتم عن أكل أموالِهم إيمانًا وتصديقًا، فتحرَّجُوا من الزِّنى، ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ﴾[5]؛ أي: ما حلَّ لكم[6].

و﴿مَا﴾ بمعنى: مَن، وقيل: للمصدر.

وقيل: نكاحًا طيِّبًا حلالًا.

وأقسط: دخلَ في القِسطِ، وهو العدل.

وقيل: أقسطَ: سلبَ القَسطَ، وهو الجُور.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٣٦٣ ـ ٣٦٥) عن قتادة والضحاك، وروى نحوه عن سعيد بن جبير والسدي.

(٢) «إن خفتم» من (ن).

(٣) في (و): «الخوف».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٨٠)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٣٦٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٨٥٩) بلفظ: «قُصِرَ الرجال على أربع من أجل أموال اليتامى». وذكر الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٢٥) والواحدي في «البسيط» (٦/ ٢٩٨) عن ابن عباس رواية نحو قول قتادة والضحاك.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٣٦٦)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٥٥٤).

(٦) روى الطبري في «تفسيره» (٦/ ٣٦٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٨٥٨) عن الحسن: «أي: ما حل لكم من يتاماكم من قراباتكم».

﴿مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾؛ أي: اثنتين اثنتين، وثلاثًا ثلاثًا، وأربعًا أربعًا، فهو معدولٌ عن معنى اثنتين اثنتين، لا عن لفظهما، والواو بمعنى (أو)، وليس للجمع[1].

وقيل: ثلاثُ مع مثنى، ورباعُ مع ثلاثَ، كقوله: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ﴾ [فصلت: ١٠]؛ أي: مع اليومين[2].

﴿فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ﴾ بين الأربعِ والثَّلاثِ والاثنتين[3] ﴿فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾ من الجواري.

خوَّفَ أوَّلًا من نكاحِ اليتامى، وصرفَ إلى البالغاتِ من الواحدةِ إلى الأربع، ثم خوَّفَ الازديادَ منهنَّ، وقصرَ على واحدةٍ، ثم خوَّفَ من الواحدة، فرخَّصَ في الإماء.

﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: التَّقليلُ منهنَّ ﴿أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ﴾ الجمهورُ: تميلوا عن الحقِّ وتجوروا.

وأصلُه: الخروجُ عن الحدِّ، ومنه (العَوْلُ) في الفريضة، والعَويلُ: الخروجُ عن الحدِّ في البكاء[4]، والمعوَّلُ: المتَّكَلُ؛ خروجٌ إلى الغيرِ[5] بالاتِّكال.

ورُويَ عن الشَّافعيِّ في معناه: ألَّا يكثرَ مَن تَعولون[6].

---

(١) انظر: «الانتصار للقرآن» للباقلاني (٢/ ٥٩١)، و«تفسير الثعلبي» (٢٤/ ٥٥٥)، و«مغني اللبيب» لابن هشام (ص: ٨٥٨).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٨٠).

(٣) «والاثنين» من (ن).

(٤) في (ن): «النداء».

(٥) في (و): «وخروج الغير».

(٦) انظر: «الأم» للشافعي (٥/ ١١٤)، و«تفسير الشافعي» (٢/ ٥١٦).

وأنكر ذلك قومٌ، وليسَ بالمنكر، فهو من هذا الأصل؛ أي: أدنى أن لا تتجاوزوا حدَّكم في الإنفاق[١].

* * *

(٤) ـ ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾.

﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ﴾: مهورَهنَّ، يُقالُ للمهر: صَداقٌ وصَدُقةٌ وصَدْقةٌ[٢]، وأصدقَها: أمهرَها.

﴿نِحْلَةً﴾ قتادةُ في جماعةٍ: فريضةً[٣].

وقيل: تديُّنًا.

محمَّدُ بن جريرٍ: عطيّةً واجبةً وفريضةً لازمةً[٤].

وقيل: عطيّةً.

---

(١) أثبت الأنباري في «الزاهر في معاني كلام الناس» (١/ ١٤٠) أنَّ (أعال) تأتي بمعنى: كثر عياله، وهو ما قال الشافعي، ونقله الأزهري في «الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي» (ص: ٢٣٢) عن الكسائي، وذكر المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٨٠) قول الشافعي، واستغربه، وأجاب أبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ٥٠٩) عن أدلة مَن ردَّ على الشافعي، وذهب ابن قيم الجوزية إلى أن كلام الشافعي لغة فصيحة، لكن قول الجمهور هو المتعين من عشرة وجوه. انظر: «تحفة المودود» (ص: ١٥ ـ ١٩).

(٢) ويقال له أيضاً: صَدَقة، وصُدُقة، وصُدْقة، وصِداق، وهي سبع لغات. انظر: «تاج العروس» مادة (ص د ق) (٢٦/ ١٢).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٣٨٠، ٣٨١) عن قتادة وابن جريج وابن زيد وغيرهم، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٨٦١) عن عائشة رضي الله عنها.

(٤) انظر: «تفسير الطبري» (٦/ ٣٨٠).

والنُّحلُ[١] والنِّحلةُ: عطيَّةٌ تمليكٍ لا عن مُثامَنةٍ، وهو أصلُ الباب.

﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا﴾ مِن الصَّداق، حملٌ على المعنى[٢].

وقيل: مِن الإيتاء.

و(مِن) للتَّبيين، ووحَّد (النَّفْس) قياسًا على: عشرين درهمًا.

﴿فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾ ابنُ عبّاسٍ: ﴿هَنِيٓـًٔا﴾: بلا إثمٍ ﴿مَّرِيٓـًٔا﴾: بلا داءٍ[٣].

وقيل: ﴿هَنِيٓـًٔا﴾ في الدُّنيا بلا مطالبةٍ، ﴿مَّرِيٓـًٔا﴾ في الآخرة بلا تَبِعةٍ.

ابنُ عيسى: مشتقٌّ من (هناءِ الإبل)[٤]، فإنَّه شفاءٌ من الجَرَب[٥].

* * *

(٥) ـ ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾.

---

(١) «والنحل» ليس في (ن). وانظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ١٢).

(٢) ولذلك كان الضمير مذكراً مع أنَّ لفظ (صَدُقاتهن) مؤنث.

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٥٣) عن أبي حمزة، ونقله الهروي في «الغريبين» (٦/ ١٩٤٤) عن أبي العباس، وهو ثعلب، عن ابن الأعرابي، وانظر: «تفسير الماتريدي» (٣/ ١٥)، و«تنوير المقباس» (ص: ٦٥). وروى الطبري في «تفسيره» (٦/ ٣٨٤)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٥٦٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في الآية: «إذا كان غير إضرار ولا خديعة، فهو هنيء مريء كما قال الله جل ثناؤه».

(٤) ذكره الواحدي في «البسيط» (٦/ ٣٨٥) دون نسبة، وقد ذكر نحوه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٣٨٥)، والهناء: ضرب من القطران، وقد هنأ الإبل: طلاها بالهناء. انظر: «لسان العرب» لابن منظور مادة (هـ ن أ) (١/ ١٨٦).

(٥) في (و): «فإنه سقاء من الإبل».

﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ﴾ قيل: الأولاد، وقيل: النِّساء، وقيل: النِّساء[1] والصِّبيان الذين في حجوركم.

وليس (السَّفيهُ) هنا[2] بوصف ذمٍّ، إنما هو الخفيفُ العقلِ ليس بالرَّزين.

﴿أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا﴾؛ أي: قوامًا[3] لأبدانكم، ومعاشًا لأهلكم وأولادكم.

و(القيامُ) مصدرٌ[4]، و(القِوام)[5] اسمٌ، ومصدرُ (قاوم)، ومَن حذف الألف[6] فالمرادُ به المصدرُ أيضًا، وقيل: جمعُ قيمةٍ، وزيَّفَه أبو عليٍّ[7].

﴿وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا﴾: أطعموهم[8]؛ أي: السُّفهاء.

﴿وَٱكْسُوهُمْ﴾؛ أي: اجعلوا لهم فيها نصيبًا.

ابنُ عبّاسٍ: لا تعمدْ إلى مالِك الذي جعلَه[9] الله لك معيشةً فتعطيَه امرأتَك أو

---

(١) «وقيل النساء» ليس في (ن).

(٢) في (و): «السفهاء هاهنا».

(٣) «قوامًا» من (ن).

(٤) في (و): «ليس مصدر». وقد ذهب الفراء والكسائي إلى أنه مصدر، وذهب الأخفش إلى أنه جمع. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٠١).

(٥) في (و): «والقوم».

(٦) قرأ ابن عامر: (قِيَمًا) بغير ألف، والباقون: ﴿قِيَـٰمًا﴾، وقرأ عبد الله بن عمر في الشواذِّ (قواماً). انظر: «السبعة» (ص: ٢٤٨)، و«مختصر في شواذ القرآن» لابن خالويه (ص: ٤٤)، و«التيسير» (ص: ١٠٠).

(٧) ذكره النحاس عن البصريين، ولم يرضه أبو علي الفارسي. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٠١)، و«الحجة» لأبي علي (٣/ ١٣٠).

(٨) «أطعموهم» من (ن).

(٩) في (ن): «جعل».

بنيك، ثم تنظرَ إلى ما في أيديهم، لكن أمسكْ ذلك وأصلحْه، وكن أنت تنفقُ عليهم في رزقِهم وكسوتِهم ومؤونتِهم(١).

﴿وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا﴾: طيبًا تطيبُ به أنفسُهم.

وقيل: الآيةُ خطابٌ لأولياء اليتيم، ومعنى ﴿أَمۡوَٰلَكُمُ﴾: أموالُ أيتامِكم التي جعلَكم الله قُوّامًا عليها؛ أي: لا تدفعوها إليهم قبلَ أوانه.

***

(٦) - ﴿وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْۚ وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِذَا دَفَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ فَأَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا﴾.

﴿وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ﴾؛ أي: اختبروا عقولَهم في معرفةِ العاداتِ وتصاريفِ المعاملاتِ.

وأفادَ دخولُ ﴿حَتَّىٰٓ﴾ معنى: إلى(٢)؛ أي: أُخْبُروهم(٣) على الأيّام.

وبلوغُ النِّكاحِ(٤): الحلمُ، وحدُّه ثمانيَ عشرة سنةً، وقيل: خمسَ عشرة سنةً.

﴿فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ﴾: علمتُم وأبصرتُم.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٣٩٨)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٥٦١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٨٦٤).

(٢) «إلى» من (و).

(٣) في (و): «اختبرهم».

(٤) «النكاح» من (ن).

﴿رُشْدًا﴾: عقلًا، وقيل[1]: عقلًا ودينًا[2] وهدايةً إلى المعاملة.

﴿فَادْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَآ﴾؛ أي: لا تُكثروا من الإنفاقِ من مال اليتيمِ ﴿إِسْرَافًا وَبِدَارًا﴾: مسارعةً ﴿أَن يَكْبَرُواْ﴾ فيلزمَكم تسليمُها إليهم.

﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾؛ أي: عن مالِ اليتيم، والعفّةُ: الامتناعُ عن مقاربةِ المحرَّم.

﴿وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ﴾؛ أي: من مالِ اليتيمِ ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ بالقرضِ وقَدْرِ الأُجرة، وما إذا بلغَ لا يَسوؤُه ذلك، أو سافرَ لأجلِه[3]، فله أن يأخذَ قَدْرَ الحاجةِ إليه.

وقيل: نُسخت بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا﴾ [النساء: ١٠][4].

وعن ابن عبّاسٍ: فليأكلْ من مالِ نفسِه بالمعروفِ حتى لا يُحوِجَه إلى أكل مال اليتيم[5].

﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ﴾ قيل: ندبٌ، وقيل: واجبٌ، وقيل[6]: على ردِّ القرض.

---

(١) «عقلاً وقيل» من (ن).

(٢) في (و): «رزيناً».

(٣) «لأجله» من (ن).

(٤) ذكر ذلك النحاس، وروى أبو عبيد عن ابن عباس رضي الله عنهما عكسه. انظر: «الناسخ والمنسوخ» لأبي عبيد (٤٣٧ ـ ٤٣٨)، و«الناسخ والمنسوخ» للنحاس (ص: ١٨٩ و٢٩٤ ـ ٢٩٥).

(٥) روى نحوه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢١٣٨٢)، والطبري في «تفسيره» (٦/ ٤١١)، والحاكم في «المستدرك» (٣١٨٢)، وصححه ووافقه الذهبي، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٨٤)، واستغربه. وروى الطبري في «تفسيره» (٦/ ٤١٣) عن ابن عباس: «﴿فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ يعني القرض».

(٦) «وقيل» من (ن).

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾: مُحاسبًا.

محمَّدُ بنُ جرير[١]: كافيًا، من قولك: حسبي[٢].

نزلَت في ثابتِ بنِ رفاعةَ، وفي عمِّه[٣].

* * *

(٧) - ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾.

﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ﴾ سببُ نزولِها: أنَّ أوسَ بنَ ثابتٍ الأنصاريَّ تُوفِّي، فجاءت أمُّ كُجّةَ[٤] إلى رسولِ الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، إنَّ أوسَ بنَ ثابتٍ مات وترك عليَّ بناتٍ وأنا امرأتُه، وليس عندي ما أنفقُ عليهنَّ، وقد تركَ أبوهنَّ مالًا حسنًا، وهو عند سُويدٍ وعرفجةَ ابني عمٍّ له، ولم يعطياني ولا بناتِه من المال شيئًا، وهنَّ في حجري، لا يُطعمْنَ ولا يُسقينَ، ولا يُرفَع بهنَّ رأسٌ، فدعاهما رسولُ الله عليه السَّلام فقالا: يا رسول الله، ولدُها لا يركبُ فرسًا ولا يحملُ كَلًّا ولا ينكأُ عدوًّا. وكانوا في الجاهليّةِ لا يورِّثون النِّساءَ ولا الصَّغيرَ وإن كان ذكرًا، إنَّما يورِّثون الرِّجالَ الكبار. فقال رسول الله ﷺ: «انصرفُوا حتى أنظرَ ما يُحدِثُ الله فيهنَّ»، فانصرفُوا فأنزلَ الله هذه الآية: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ﴾[٥].

---

(١) في (و): «حمزة».

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٦/ ٤٢٩ ـ ٤٣٠).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ١٨٩)، و«تفسير الثعلبي» (١٠/ ٦٨)، و«العجاب» لابن حجر (١/ ٥٥٠) و(٢/ ٨٣١).

(٤) ذكر ابن حجر أنها بضم الكاف وتشديد الجيم، وحُكي عن المستغفريِّ أنه قال فيها: أُمُّ كَحْلَةَ. انظر: «الإصابة» (٨/ ٤٥٧).

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٩٠ ـ ٩٢)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٤٤)، وفي =

﴿مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ﴾ يعودُ إلى (ما ترك)[1]، وقيل: إلى (النَّصيب).

﴿أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾: معيَّنًا.

و﴿نَصِيبًا﴾ نصبٌ على المصدر[2].

الزَّجّاجُ: حالٌ[3].

***

(٨) ـ ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾.

﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ﴾: ذوو قرابةِ الميت الذين لا يرثون.

﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم﴾: الرِّزقُ قد يُضافُ إلى غير الله كقولِه: ﴿خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [المائدة: ١١٤][4]، وقولِه: ﴿فَٱرْزُقُوهُم﴾؛ أي: أعطوهم ومكِّنوهم ﴿مِّنْهُ﴾: من المقسوم.

ابنُ عبّاسٍ: نسختَها: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ﴾ [النساء: ١١][5].

= اسم زوج أم كجة واسم مَن أخذ ماله اختلاف. انظر: «العجاب في بيان الأسباب» لابن حجر (٢/ ٨٣٤)، و«الإصابة» له أيضاً (٨/ ٤٥٦ ـ ٤٥٧).

(١) في (ن): «تركه».

(٢) هذا قول الفراء والأخفش. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٥٧)، وللأخفش (١/ ٢٤٦)، و«إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٠٢).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ١٥)، و«التبيان» للعكبري (١/ ٣٣٢).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٨٤).

(٥) رواه النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٣٠٢) بلفظ المصنف، ورواه الطبري في «تفسيره» =

الحسنُ في جماعةٍ: ندبٌ و[1] استحبابٌ[2].

مجاهدٌ: فرضٌ عند قسمةِ الميراثِ بما طابَت به أنفسُهم[3].

ورُوِيَ عن ابن عبّاسٍ أيضًا: أنَّ هذا مخاطبةٌ للموصي؛ أي: إذا حضرَ الإيصاءَ أقرباؤه الذين لا يرثون واليتامى والمساكين فليوصِ لهم بشيءٍ[4]، وتكون القسمةُ على هذا القول قسمةَ الثُّلُثِ[5] الذي يضعُه حيث يشاء.

= (٦/ ٤٣٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٨٧٣)، بلفظ: «وذلك قبل أن تنزل الفرائض، فأنزل الله تبارك وتعالى بعد ذلك الفرائض، فأعطى كل ذي حقٍّ حقَّه، فجُعلت الصدقة فيما سمى المتوفى»، وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما خلاف هذا.

(١) في (و): «ندب في».

(٢) ذكره النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٣٠٢) عن الحسن، وعبيدة، وعروة، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وعطاء، والزهري، والشعبي، ويحيى بن يعمر، وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما. وذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٢/ ١٢) عن الحسن وابن جبير، وذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ٥٢٦) عن ابن عباس والحسن وابن جبير. وروى الطبري في «تفسيره» (٦/ ٤٣٤) عن الحسن والزهري أنهما قالا: «هي محكمة».

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٥٢٦)، وأبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» (١/ ٢٩)، والطبري في «تفسيره» (٦/ ٤٣٢).

(٤) روى عبد الرزاق في «تفسيره» (٥٢٧) أن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر قسم ميراث أبيه فلم يدع في الدار مسكينًا ولا ذا قرابة إلا أعطاه من ميراث أبيه، وتلا: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ﴾، وعائشة رضي الله عنها حية، فذُكر ذلك لابن عباس فقال: «ما أصاب، ليس ذلك له، إنما ذلك للوصية، وإنما هذه الآية في الوصية، يريد الميت أن يوصي لهم». وانظر: «تفسير الطبري» (٦/ ٤٣٦ و٤٣٩).

(٥) في (و): «ثلث».

وقيل: هو متَّصلٌ بقوله: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ﴾، و﴿وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ﴾، ﴿فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ﴾[1].

﴿وَقُولُواْ لَهُمْ﴾: لليتامى والمساكين ﴿قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾: عذرًا جميلًا وعِدةً حسنةً.

وقيل: فارزقوا الأقرباءَ واليتامى والمساكين إن كانَتِ الورثةُ بالغين، وقولوا لهم قولًا معروفًا إن كانوا صغارًا.

* * *

(٩) - ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا﴾.

﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ للمفسِّرين فيه قولان:

قال بعضهم: هذا خطابٌ للأوصياء؛ أي: انظروا في أمر اليتامى، وافعلوا في أموالِهم ما تحبُّون أنْ يُنظَرَ بعدَكم لأولادِكم، وقيَّدَه بالآية[2] الأخرى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا﴾.

والثّاني: أنَّه خطابٌ لـمَن يحضرُ الموصَ حالةَ الإيصاء؛ أي: لا تَحملوه على الإضرارِ بالورثةِ بصرف الأموال عنهم إلى غيرِهم، وتذكَّروا حالةَ أنفسِكم لو كنتم مكانَه ولكم أولادٌ ضِعافٌ عجزةٌ لا مالَ لهم، تخافونَ عليهم الفقرَ وسوءَ الحال، ماذا كنتم تعملون؟ فاتَّقوا الله في أن تأمرُوا أخاكم بما لو أُمِرتُم به لساءَكم ذلك.

وجوابُ (لو): ﴿خَافُواْ﴾.

---

(١) أي: يُعطى هؤلاء من النصيب الذي يأخذه الرجال والنساء.

(٢) في (ن): «في الآية».

قولُه تعالى: ﴿وَلْيَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا﴾: يوافقُ الحقَّ، وقيل: قَصْدًا، وقيل: عدلًا، وقيل: بإخراجِ الثُّلثِ فقط.

والسَّدادُ(١): الاستواءُ في القولِ والفعلِ جميعًا.

* * *

(١٠) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى﴾ يريدُ: الأكلَ وغيرَه من الإنفاق.

﴿ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ سمّاه باسمِ ما يؤول إليه.

وقيل: يأكلونَ في القيامةِ نارًا، وقيَّدَه بقولِه: ﴿فِي بُطُونِهِمْ﴾ قطعًا للمجازِ الذي يُستعمَلُ الأكلُ له، وتأكيدًا للوعيدِ.

﴿وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾: وسيدخلون النّارَ، تقول: صلي النّار: قاسى حرَّها، وصَلَيْتَه: شَوِيْتَه، وأصلَيْتَه وصلَّيْتَه: ألقيتَه(٢) فيها، والصَّلاء والصِّلاء(٣): الوَقودُ يُصطلَى به.

والسَّعيرُ: فعيلٌ بمعنى مفعولٍ، تقولُ: (سعرتُ النّارَ)؛ إذا ألهبتَها.

* * *

---

(١) «السداد» من (ن).

(٢) في (ن): «ألقيت».

(٣) كذا في النسخ الخطية، وقال ابن ولاد والقالي والأزهري والجوهري: إذا كسرت مددت، وإذا فتحت قصرت. انظر: «المقصور والممدود» لابن ولاد (ص: ٧٣)، وللقالي (ص: ٤٤٤)، و«تهذيب اللغة» مادة (ص ل ي) (١٢/ ١٦٨)، و«الصحاح» (٦/ ٢٤٠٤).

(١١) - ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَـٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ﴾ عن جابرٍ قال: عادني رسولُ الله عليه السَّلام وأبو بكرٍ في بني سلمةَ يمشيان، فوجداني لا أعقلُ، فدعا بماءٍ، فتوضَّأ، ثم رشَّ عليَّ منه فأفقتُ، فقلت: كيف أصنعُ في مالي يا رسول الله؟ فنزلَ: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ﴾[١].

وقيل: نزلَت في ابنتي ثابتِ بنِ قيسٍ، وقيل: في ابنتي سعدِ بنِ الرَّبيع[٢].

وقيل: في أمِّ كُجَّةَ[٣].

وقوله: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ﴾؛ أي: يأمرُكم ويفرضُ عليكم.

---

(١) رواه البخاري (٤٥٧٧)، ومسلم (١٦١٦).

(٢) رواه أبو داود (٢٨٩١) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه، ولفظه: «خرجنا مع رسول الله ﷺ حتى جئنا امرأة من الأنصار في الأسواق، فجاءت المرأة بابنتين لها، فقالت: يا رسول الله، هاتان بنتا ثابت بن قيس قتل معك يوم أحد، وقد استفاء عمهما مالهما وميراثهما كله، فلم يدع لهما مالاً إلا أخذه، فما ترى يا رسول الله؟ فوالله لا تنكحان أبداً إلا ولهما مال، فقال رسول الله ﷺ: «يقضي الله في ذلك»، قال: ونزلت سورة النساء: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَـٰدِكُمْ﴾ الآية...»، قال أبو داود: «أخطأ بشر فيه، إنما هما ابنتا سعد بن الربيع، وثابت بن قيس قُتِلَ يومَ اليمامة». ورواه الترمذي (٢٠٩٢)، وابن ماجه (٢٧٢٠) على الصواب، وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح»، وانظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٤٦).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٤٥٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤٨٩٤) عن السدي.

﴿فِىٓ أَوۡلَٰدِكُمۡ﴾؛ أي: في أولادِ كلِّ مَن ماتَ منكم وتركَ مالًا.

والأولادُ: اسمٌ يشملُ الذَّكر والأنثى.

ثم استأنفَ فقال[1]: ﴿لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ﴾ أي: نصيبُ الابنِ مِثْلا نصيبِ البنت، سواءٌ كانا اثنتين أو أكثرَ.

﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ﴾ يعني: الإناثَ، وقد تقدَّم ذكرُهنَّ في قولِه: ﴿أَوۡلَٰدِكُمۡ﴾ بالشُّمولِ، وبالصَّريحِ في قوله: ﴿مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ﴾.

﴿فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ﴾ قيل: ﴿فَوۡقَ﴾ صلةٌ كما في قولِه: ﴿فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ﴾ [الأنفال: ١٢]، والمرادُ: التَّثنيةُ[2].

وقيل: بل المرادُ به الجمع، والتَّثنيةُ مُلحَقةٌ بالجمع؛ بدليلِ الأختينِ في قوله: ﴿فَإِن كَانَتَا ٱثۡنَتَيۡنِ﴾[3].

ومذهبُ ابنِ عبّاسٍ أنَّ حُكمَ البنتين حُكمُ بنتٍ[4].

---

(١) «فقال» من (ن).

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٠/ ١١٤)، و«البسيط» للواحدي (٦/ ٣٥٥)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٨٤)، واستضعفه.

(٣) في (و) زيادة: «أو أكثر».

(٤) ذكره النحاس في «معاني القرآن» (٢/ ٣٠)، والواحدي في «البسيط» (٦/ ٣٥٤)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٢/ ١٥)، وقد ذكره الزجاج قبل هؤلاء في «معاني القرآن» (٢/ ٢٠)، لكنه قال: «فأما ما ذكر عن ابن عباس من أن البنتين بمنزلة البنت، فهذا لا أحسبه صحيحًا عن ابن عباس، وهو يستحيل في القياس؛ لأن منزلة الاثنين منزلة الجمع، فالواحد خارج عن الاثنين»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٨٥)، واستغربه.

﴿فَلَهُنَّ﴾: للثِّنتين ﴿ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾؛ أي: تركَ الميِّت، وقد تقدَّم ذكرُه على التَّقدير الذي سبق.

﴿وَإِن كَانَتۡ﴾؛ أي: الأنثى ﴿وَٰحِدَةٗ فَلَهَا ٱلنِّصۡفُ﴾، والباقي من الثُّلثين أو النِّصفِ لسائرِ الورثة، فإن لم يكن، رُدَّ عليهنَّ على قَدْرِ سهامهنَّ.

﴿وَلِأَبَوَيۡهِ﴾؛ أي: لأبوي الميِّت، والأبوان: الأبُ والأمُّ، ثُنِّيَ كـ(القَمَرين) و(العُمَرين)[1]، وجاز أن يكون من قولِهم: (أبٌ) للرَّجل و(أَبةٌ) للمرأة، ثم بُنِيَ، فغُلِّبَ المذكَّر[2].

﴿لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٞ﴾ جعل الله نصيبَ كلِّ واحدٍ منهما السُّدسَ مع الولد، والباقي للأولاد، فإن كان الولدُ بنتًا واحدةً أخذَ الأبُ الباقي بالتَّعصيب؛ فإنَّ للأب ثلاثةَ أحوالٍ: التَّعصيب، أو الفرض، أو التَّعصيب والفرض جميعًا.

﴿فَإِن لَّمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٞ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ﴾ والثُّلثان للأب بالتَّعصيب؛ إذ لا وارثَ له غيرهما؛ بدليل قوله: ﴿وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ﴾، وأمّا مع الزَّوجِ والزَّوجةِ فلها الثُّلثُ ممّا بقي؛ فللأمِّ ثلاثةُ أحوالٍ: ثلث المال، أو ثلث ما بقي، أو السُّدس، وقد يصيرُ سُدسُها سُبعًا وثُمنًا وتُسعًا وعُشرًا في العَوْلِ.

---

(١) أي: فهما من لفظين مختلفين، لكن غُلِّب أحد اللفظين على الآخر، وهذا ما يُعرف بالتغليب. انظر: «المقتضب» (٤/ ٣٢٣)، و«الصاحبي» لابن فارس (ص: ١٣)، و«التذييل والتكميل» لأبي حيان (١/ ٢٢٨).

(٢) أي: فهما من لفظ واحد، والتغليب للتذكير على التأنيث فقط. انظر: «الكتاب» (٢/ ٢١٢)، و«معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٣٣١).

قال ابنُ عبّاسٍ: لها مع الزَّوجينِ(١) ثلثُ جميعِ المال(٢).

﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ﴾؛ أي: إن كان للميِّت اثنان من الإخوةِ والأخواتِ فصاعدًا فلأمِّه السُّدس، والأخُ الواحدُ لا يَحجُب، والأعيانُ(٣) والعَلّاتُ(٤) والأخيافُ(٥) في حجبِ الأمِّ سواءٌ.

قال ابنُ عبّاسٍ: لا يَحجب أقلُّ من ثلاثةٍ(٦)؛ كقولِه في البناتِ.

ورُويَ عنه أيضًا: مَن لا يرثُ لا يَحجب، فجعلَ السَّهمَ المحجوبَ للإخوة(٧).

قوله: ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ﴾؛ أي: هذه الأنصباءُ للورثةِ بعدَ الوصيّةِ أو الدَّين.

و(أو) لا تدلُّ على التَّرتيب، والتَّقدير: من بعد أحدِهما، وقدَّمَ الوصيّةَ في اللَّفظِ لأنَّ الوصيَّةَ مندوبٌ إليها الجميعُ، والدَّينُ يقعُ في النّادر.

---

(١) أي: لها مع كل واحد من الزوجين؛ لأن الثاني منهما هو المتوفى.

(٢) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٩٠١٨) و(١٩٠٢٠)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣١٠٥٨) و(٣١٠٦٣)، والدارمي في «سننه» (٢٨٧٨).

(٣) هم ولد الرجل من امرأة واحدة. انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (٣/ ١٣١)، و«الفائق» للزمخشري (٣/ ٤٤).

(٤) هم ولد الرجل من أمهات شتى. انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (٣/ ١٣١)، و«الغريبين» للهروي (٤/ ١٣٥٣).

(٥) هم ولد المرأة من آباء شتى. انظر: «غريب الحديث» للخطابي (٢/ ١٦٠).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٤٦٥)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٣٧٢)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٢٢٩٧) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٧) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٩٠٢٧) و(١٩٠٢٩) عن طاوس قال: «كان ابن عباس يقول في السدس الذي حجبه الإخوة للأم: هو للإخوة، قال: لا يكون للأب، إنما تقبضه الأم؛ ليكون للإخوة».

﴿ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗا﴾ ابنُ عبّاسٍ: في الآخرة بالشَّفاعة، وإلحاقِ بعضٍ ببعضٍ في الدَّرجةِ(١).

مجاهدٌ: في الدُّنيا(٢).

محمَّدُ بن جريرٍ: في الدِّين والدُّنيا(٣).

وقيل: ﴿أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗا﴾؛ الأبُ بالحفظِ والتَّربيةِ أمِ الأولادُ بالخدمةِ والشَّفقة.

ويحتمل: ﴿أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗا﴾ بالموتِ؛ أي: لا تدرون أيُّهم يموتُ فتنتفعوا بتركته.

ويحتمل أنَّه نهيٌ عن تمنِّي موتِ(٤) مَن ترجو ميراثَه(٥).

﴿فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ يجوز أن تكونَ متَّصلةً باللَّامات(٦)، كقوله: هو لك طِلقًا(٧)، ويجوز أن تكونَ مصدرًا من قولِه: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ﴾؛ لأنَّ المعنى: فرَضَ عليكم(٨).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٤٧١)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٥٨٩).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٤٧١)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٥٩٠).

(٣) «والدنيا» ليس في (ن). انظر: «تفسير الطبري» (٦/ ٤٧١)، ولفظه: «إنكم لا تعلمون أيهم أدنى وأشد نفعًا لكم في عاجل دنياكم وآجل أخراكم».

(٤) «موت» من (ن).

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٨٦)، واستغربه، وعبارته هناك: «يحتمل أنه نهي عن تمني موت من إذا مات ورثته».

(٦) أي: اللامات التي تقدمت في الآية، وهي: ﴿لِلذَّكَرِ﴾، ﴿فَلَهُنَّ﴾، ﴿فَلَهَا﴾، ﴿وَلِأَبَوَيۡهِ﴾، ﴿فَلِأُمِّهِ﴾.

(٧) تقدم في التعليق على تفسير قوله تعالى: ﴿نُزُلٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾ أنَّ الطِّلق الحلال، وأنَّ انتصابه على الحال، أو التمييز، أو على أنه مفعول مطلق.

(٨) وذهب الفراء في «معاني القرآن» (١/ ٤٤٤) إلى أنَّ قوله: ﴿فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِ﴾: نصب على القطع، والقطع عنده هو الحال.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ في المقاديرِ التي بيَّنها في المواريث[١].

***

(١٢) - ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ فَإِن كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾.

﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾ جعلَ ميراثَ الزَّوجِ مِثْلَي ميراثِ الزَّوجةِ على تقديرِ: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾، فللزَّوج الرُّبعُ مع الولد أو ولد الابن، والنِّصفُ عند عدمه، ولها أو لهنَّ الرُّبعُ أو الثُّمنُ.

﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً﴾ أكثرَ الصَّحابةُ في الكلالةِ، والصَّحيحُ: ما خلا الوالدَ والولدَ[٢].

---

(١) في (ن): «الموت».

(٢) أي: اختلف الصحابة في الكلالة كثيراً، وهذا الذي صححه المصنف مروي عن أبي بكر وعمر وابن عباس رضي الله عنهم. انظر: «مصنف عبد الرزاق» (١٩١٩٠) و(١٩١٩٢) و(١٩١٨٩)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٣١٦٠٠) و(٣١٦٠٦) و(٣١٦٠٥). وانظر: «المغني» لابن قدامة (٦/ ٢٦٨).

المفضَّلُ: لأنَّهم تكلَّلوا بالميِّت؛ أي: أحاطوا به مِن جوانبه[1].

والعصبةُ: مشتقّةٌ من (عصب البدن) الذي يُمسكُ العظامَ والعروق.

واختلف أهل اللُّغة فيها[2] أيضًا، فقال بعضُهم: هم الورثة، وقال بعضُهم: هو الميِّتُ الذي لا ولدَ له ولا والد.

وانتصابُها هاهنا على الحال، وقيل: خبر ﴿كَانَ﴾.

و﴿يُورَثُ﴾ صفة ﴿رَجُلٌ﴾، فيكون الأظهرُ أنَّها الموروث.

وقُرِئَ: (يُورِثُ) بالكسر[3]، فيكون الأظهرُ[4] الوارث.

﴿أَوِ امْرَأَةٌ﴾ عطفٌ على ﴿رَجُلٌ﴾.

﴿وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوۡ أُخۡتٌ﴾ أرادَ لأمٍّ، وقد قُرِئَ به[5].

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١٢٣) دون نسبة، ونقل نحوه الأزهري في «تهذيب اللغة» مادة (ك ل ل) (٩/ ٣٣٠) عن أبي العباس.

(٢) أي: في الكلالة.

(٣) قرأ الحسن (يورِثُ) بالتخفيف، وروي عن الأعمش، وقرأ عيسى بن عمر الثقفي وأبو رجاء (يورِّث) بالتشديد، وروي عن الحسن والأعمش، والقراءتان من الشواذ. انظر: «المحتسب» لابن جني (١/ ١٨٢)، و«مختصر في شواذ القرآن» لابن خالويه (ص: ٣١)، و«شواذ القراءات» لشمس القراء الكرماني (ص: ١٣١)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٣/ ٥٤٦).

(٤) «الموروث وقرئ يورث بالكسر فيكون الأظهر» من (ن).

(٥) «به» من (ن). ذكر المصنِّف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٨٧) أنَّ ذلك في مصحف ابن مسعود، ونُسب إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه كان يقرأ: (أو أخت من أم)، كما روى ذلك ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣١٦٠٤)، والطبري في «تفسيره» (٦/ ٤٨٣)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٢/ ١٩)، وابن قدامة في «المغني» (٦/ ٢٦٨)، وقرأ أُبيٌّ رضي الله عنه أيضاً: (من الأم)، كما في «الكشاف» للزمخشري (١/ ٤٨٦)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٣/ ٥٤٧)، وكلتاهما شاذّة لمخالفة الرسم.

﴿فَلِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ﴾ الذَّكرُ والأنثى سواءٌ.

﴿فَإِن كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِن ذَٰلِكَ﴾؛ أي: من واحدٍ منهم[1]، ﴿فَهُمۡ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِۚ﴾ من غير مزيّةٍ للذُّكور على الإناث؛ لأنَّ لفظَ (الشَّركة) عند الإطلاق يقتضي المساواةَ بين الشُّركاء.

﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ﴾ يحتمل أنَّ تكرارَ الوصيّةِ لاختلاف الموصِين؛ فالأوَّلُ للوالدين والأولاد، والثّاني للزَّوجة، والثّالث للزَّوج، والرّابع للكلالة.

﴿غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ﴾؛ أي: غير مُدْخِلٍ للضَّررِ على الورثةِ بإيصائه، وهو أن يوصيَ فيزيدَ على الثُّلث، أو يقرَّ بدينٍ ليس عليه، أو يقرَّ باستيفاء ما لم يستوفِ.

وانتصابُه على الحال، وذو الحال الضَّمير في ﴿يُوصَىٰ﴾.

﴿وَصِيَّةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾ يجوزُ أن يَنتصبَ على المصدر وباللّام؛ كالـ(فريضة)[2].

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بنيّةِ الموصِي ﴿حَلِيمٞ﴾ عند إضراره.

* * *

(١٣) - ﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾.

﴿تِلۡكَ﴾؛ أي: الأحكامُ التي تقدَّمت.

﴿حُدُودُ ٱللَّهِ﴾: فرائضُه.

ابنُ عبّاسٍ: طاعتُه[3].

---

(١) «منهم» من (ن).

(٢) في قوله تعالى: ﴿فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِ﴾.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ١٦٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٨٩٠). ورواه الطبري في =

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ في[1] أوامرِه ونواهيه، ﴿يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾: حالٌ مقدَّرةٌ، كقولهم: مررت برجلٍ معه صقرٌ صائدًا به غدًا[2].

﴿وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

* * *

(١٤ ـ ١٥) ـ ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ (١٤) وَٱلَّٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾.

﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.

﴿وَٱلَّٰتِى﴾: جمعُ (التي)؛ أي: النِّساء اللّاتي ﴿يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾: الزِّنى.

﴿مِن نِّسَآئِكُمْ﴾: (مِن) للتَّبعيض.

﴿فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ﴾: مِن المؤمنين؛ أي: اطلبُوا مَن قذفَها بأن يأتيَ بأربعة شهداءَ، خطابٌ للأزواج.

= «تفسيره» (٦/ ٤٨٩) بلفظ: «طاعة الله؛ يعني: المواريث التي سمى الله».

(١) «في» من (ن).

(٢) قال الزجاج: «أي: يدخلهم مقدَّرين الخلودَ فيها، والحال يستقبل بها، تقول: مررتُ به معه بازٍ صائداً به غداً؛ أي: مقدِّراً الصيدَ به غداً. والحال المقدَّرة هي الحال التي يُقدَّر أنها ستكون كذلك، ولكنَّها غير واقعة الآن». انظر: «الكتاب» (٢/ ٤٩ ـ ٥١)، و«معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٧)، و«إعراب مشكل القرآن» لمكي (١/ ٢٧٤)، و«البسيط» للواحدي (٦/ ٣٧٥).

وقيل: واسمعوا شهادةَ أربعةٍ عليهنَّ، خطابٌ للقضاة والأولياء.

﴿فَإِن شَهِدُواْ﴾ عليهنَّ بالزِّنى، ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ﴾: اجعلوا بيوتَكم عليهنَّ سجنًا.

ابنُ زيدٍ: معنى: (أمسكوهنَّ في البيوت): لا تُجامعوهنَّ[١].

﴿حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ﴾؛ أي: يَمُتْنَ، ﴿أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ غيرَ هذه.

ابنُ عبّاسٍ: السَّبيلُ للبكر: جلدُ مئةٍ، وللثَّيِّبِ الرَّجمُ[٢].

الحسنُ وقتادةُ: للثَّيِّب جلدُ مئةٍ والرَّجم، وللبكرِ جلدُ مئةٍ وتغريبُ عامٍ[٣]؛ لما روى عبادةُ بن الصّامت: أنّي سألْتُ النَّبيَّ عليه السَّلام عن قوله: ﴿أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ قال: فنكسَ رأسَه ساعةً ثم رفعَه فقال: «قد جعلَ الله لهنَّ سبيلًا؛ للمُحصَنِ جلدُ مئةٍ ثم رجمٌ، وللبكرِ جلدُ مئةٍ ونفيُ سنةٍ»[٤].

قتادةُ: نسخَتها والآيةَ[٥] التي بعدَها الحدودُ[٦].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٤٩٧)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٨٧)، واستغربه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٤٩٤)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٦٠٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٨٩٥)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٦٩١٤).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٤٩٤)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٦٠١) عن قتادة. وروى البيهقي في «السنن الكبرى» (١٦٩٠٨) عن الحسن قال: «كان أول حدود النساء كن يحبسن في بيوت لهن حتى نزلت الآية التي في النور: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُواْ﴾» ثم ذكر حديث عبادة الآتي، وحديث عبادة رضي الله عنه رواه مسلم من طريق الحسن.

(٤) رواه مسلم (١٦٩٠).

(٥) في (ن): «نسختها الآية».

(٦) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٥٣١ ـ ٥٣٢)، والمروزي في «السنة» (٣٣٩ ـ ٣٤١)، والطبري في =

وقيل: ﴿أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا﴾ بالنِّكاح.

***

(١٦) ـ ﴿وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا﴾.

﴿وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ﴾ الحسنُ: الرَّجلُ والمرأة[1].

السُّدِّيُّ: البكران[2]، قال: وهذه الآيةُ نزلَت في البكرين، والآيةُ الأولى في الثَّيِّبين[3].

مجاهدٌ: الرَّجلان الزّانيان[4].

﴿فَـَٔاذُوهُمَا﴾ ابنُ عبّاسٍ: التَّعييرُ باللِّسانِ والضَّربُ بالنِّعال[5].

قتادة ومجاهدٌ: التَّوبيخُ والتَّقريع[6].

= «تفسيره» (٦/ ٥٠٥)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٦٠١) عن قتادة.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٠٠) عن الحسن وعكرمة.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٤٩٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٨٩٥).

(٣) ليس مراد المصنف أن السدي قال هذا الكلام، وإنما مراده أنه ذهب إليه، وقد سبق تخريج قول السدي في هذه الآية في التعليق السابق، وقوله في الآية الأولى رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٤٩٥).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٤٩٩)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٦٠٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٨٩٥).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٠٣)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٦٠٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٨٩٥ـ ٨٩٦).

(٦) رواه المروزي في «السنة» (٣٣٦) عن مجاهد، و(٣٣٩) عن قتادة، ورواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٠٢) عنهما.

الحسنُ: هذه الآية سابقةٌ على الأولى نزولًا، فكان الأوَّلُ الأذى، ثم الحبسَ، ثم الجلدَ أو الرَّجم(١).

وذهبَ ابنُ بحرٍ إلى أنَّ الآيةَ الأولى في السّاحقات(٢)، والثّانيةَ في أهل اللِّواط، والتي في سورة(٣) النُّور في الزّاني والزّانية(٤).

وهذا كلامٌ رائقٌ، لكنَّه خالفَ جمهورَ المفسِّرين فيه، وبناه على أصلٍ له فاسدٍ، وهو أن ليس في القرآن ناسخٌ ولا منسوخٌ.

﴿فَإِن تَابَا﴾: عن الفاحشةِ، ﴿وَأَصْلَحَا﴾: داما على الصَّلاح، ﴿فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمَآ﴾: عن إيذائهما؛ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾.

* * *

(١٧) ـ ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ﴾: هي(٥) النَّدمُ على السَّيِّئةِ مع العزمِ على تركِ المعاودة.

﴿عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ﴾: الذَّنب.

﴿بِجَهَٰلَةٍ﴾ مجاهدٌ وقتادةُ: كلُّ معصيةِ الله جهالة(٦).

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٤٦٤).

(٢) هنَّ النساء اللواتي يكتفين بالنساء عن الرجال.

(٣) «سورة» ليس في (ن).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٨٧)، وعدَّه من العجائب، وردَّ عليه بنحو كلامه هنا، وذكره الرازي في «مفاتيح الغيب» (٩/ ٥٢٨ ـ ٥٢٩)، وذكر أدلة ابن بحر، وأدلة مَن أبطل كلامه، ثم أجاب عليها مؤيِّداً قوله، وذكر أبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ٤٥٥) كلام ابن بحر، وأجاب عليه بنحو كلام المصنف.

(٥) «هي» من (ن).

(٦) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٥٣٣) عن قتادة، ورواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٠٧) عن مجاهد =

وقيل: ﴿بِجَهَٰلَةٍ﴾: بعمدٍ.

الدِّمياطيُّ: ذنبُ المؤمنِ جهلٌ، ليس بشركٍ ولا كفرٍ ولا جحودٍ[(١)].

وقيل: ﴿بِجَهَٰلَةٍ﴾ لا يعلمون كُنْهَ ما فيه من العقوبةِ كعِلمِ المشاهدة.

عكرمةُ: الجهالةُ الدُّنيا[(٢)]؛ أي: بسببِ الدُّنيا.

﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ ابنُ عبّاسٍ: قبل أن ينظر إلى ملك الموت[(٣)].

وعنه أيضًا: في الصِّحّةِ قبلَ المرض[(٤)].

وقيل: قبلَ موتِه ولو بفُواقِ ناقةٍ[(٥)].

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾: تُقبَلُ توبتُهم، وجاء في الخبر: «إنَّ اللهَ تعالى يقبلُ توبةَ عبدِه ما لم يُغَرغِر»[(٦)].

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

* * *

= وقتادة، ولفظ عبد الرزاق: «اجتمع أصحاب الرسول ﷺ، فرأوا أن كل شيء عُصي به الله تعالى فهو جهالة؛ عمدًا كان أو غير ذلك».

(١) لم أقف على تفسير الدمياطي ولا قوله، ولكن ذكر الواحدي في «البسيط» (٦/ ٣٨٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما في الآية قال: «يريد أن ذنب المؤمن بجهل منه».

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «مصنف» (٣٥٤٦٣)، والطبري في «تفسيره» (٦/ ٥١٠).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٥١٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٨٩٨).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٥١٢) بلفظ: «في الحياة والصحة»، لكنه من طريق أبي صالح.

(٥) الفُواق: هو أن تُحلب الناقة ثم تُترك ساعة حتى يدرَّ لبنها ثم تُحلب، فما بين الحلبتين فواق. انظر: «لسان العرب» مادة (ف و ق) (١٠/ ٣١٧).

(٦) رواه الترمذي (٣٥٣٧) والإمام أحمد (٦١٦٠) وابن حبان (٦٢٨) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وقال الترمذي: «حديث حسن غريب».

(١٨) - ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌۚ أُوْلَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ قيل: هم العُصاة.

الرَّبيعُ: الآيةُ الأولى في المؤمنين، وابتدأ الثّانيةَ في المنافقين، وخاتمتُها في الكافرين[1].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ﴾ لأنَّه[2] إذا عاينَ ملكَ الموتِ ذهبَ التَّكليف، اللَّهمَّ ارزقنا توبةً نصوحًا قبلَ الموت.

﴿وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ عطفٌ على (الذين يعملون السَّيِّئات).

وفي بعض المصاحف: (ولَلَّذين) بلامين، فهو مبتدأٌ خبرُه ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا﴾[3]: هيَّأنا ﴿لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾، من (العَتيد)، وهو الحاضر، والعَتيدةُ:

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٥١٨)، ورواه ابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٦٠٩) عن الربيع عن أبي العالية.

(٢) في (و): «أنه».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٨٨)، واستغربه، وذكره النسفي في «مدارك التنزيل» (١/ ٣٤٢)، وذكر العكبري وجه الإعراب الذي ذكره المصنف في «التبيان» (١/ ٣٤٠)، وأنكره ابن هشام في «مغني اللبيب» (ص: ٧٧٧)، وقال ابن الجزري في «النشر» (٢/ ١٥٩): «لا بأس بالتنبيه على ما كتب موصولاً؛ لتعرف أصول الكلمات وتفكيك بعضها من بعض، فقد يقع اشتباه بسبب الاتصال على بعض الفضلاء، فكيف بغيرهم؟... والأخفش إمام النحو أعرب: ﴿وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ أن اللام لام الابتداء، والذين مبتدأ، وأولئك الخبر، ورأيت أبا البقاء في إعرابه ذكره أيضًا، ولا شك أنه إعراب مستقيم لولا رسم المصاحف؛ فإنها كُتبت: ﴿وَلَا﴾، فهي (لا) النافية دخلت على (الذين)، و(الذين) في موضع جر عطفًا على (الذين) في قوله: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾».

طبلةٌ مُعـدّةٌ[١] للطِّيـب[٢]، وأجاز ابـنُ عيسـى أن يكـونَ[٣]: (أعددنا)، فقُلِـبَ الدّالُ تاءً[٤].

***

(١٩) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًاۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا﴾ كان أهلُ المدينة في[٥] الجاهليّة وأوَّل الإسلام إذا ماتَ الرَّجلُ وله امرأةٌ جاءَ ابنُه من غيرِها أو قريبُه من عصبته، فألقى عليها ثوبَه، [فـ]ـصارَ أحقَّ بها من نفسِها ومن غيرِه، فإن شاء تزوَّجَها بصَداقِها الأوَّل، وإنْ شاء زوَّجَها غيرَه وأخذَ صَداقَها، ولم يعطها شيئًا[٦]، وإن شاء عَضَلَها وضارَّها؛ لتفتديَ منه بما ورثَتْ من الميِّت، أو تموتَ هي فيرثَها.

---

(١) في (و): «معتدة».

(٢) والعتيد أيضاً: الشيء المعدُّ، والطبلة: وعاء تضع فيه المرأة الطيب. انظر: «العين» مادة (ع ت د) (٢/ ٢٩).

(٣) في (ن): «أن يقول».

(٤) لا خلاف في أن معنى أعتدنا وأعددنا واحد، ولكن الخلاف في الاشتقاق؛ فما ذكره المصنِّف أولًا يجعلها من (ع ت د)، وهو قول أبي عبيدة والبصريين، وما نقله المصنِّف عن ابن عيسى يجعلها من (ع د د)، وهو منقول عن بعض الكوفيين. انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ١٢٠)، و«تفسير الطبري» (٦/ ٥٢٠).

(٥) «المدينة في» من (ن).

(٦) «ولم يعطها شيئًا» من (ن).

ثـم إنَّ كبشـةَ بنـتَ معـنٍ الأنصاريّـةَ تُوفِّي عنهـا زوجُها أبـو قيسٍ بنُ الأسـلتِ الأنصـاريُّ، فقـامَ ابـنٌ له من غيرها اسـمُه قيـسٌ، فطـرحَ عليها ثوبَه علـى عادة أهل المدينـة قبـل الإسـلام، فـورثَ نكاحَها، ثم تركهـا[1]، فلـم يقربْها ولـم ينفـقْ عليها؛ يضارُّهـا؛ لتفتـديَ منه بمالها، فأتَتْ كبشـةُ رسـولَ الله عليه السَّـلام فذكـرَتْ حالَها، فأنزل الله الآية[2].

وقوله: ﴿تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ﴾؛ أي: عينَ النِّساء؛ يريد: نكاحَها كرهًا من غير إرادةٍ من جهتِها.

وقيل: مالَ النِّساء.

﴿وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ﴾: ولا أن تعضلوهـنَّ؛ أي: تمنعوهـنَّ؛ ﴿لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ﴾.

وقيل: تمَّ الكلام، ثم خاطبَ الأزواجَ فقال: ﴿لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ﴾ من المهرِ؛ عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما[3].

وقيل: الخطابُ لأولياءِ اليتيم.

وقيل: للمُطلِّق.

---

(١) «ثم تركها» من (ن).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١٤٧)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٢٣)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٦١٠) عن عكرمة مرسلًا، وروى البخاري (٤٥٧٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته، إن شاء بعضهم تزوجها وإن شاءوا زوجوها، وإن شاءوا لم يزوجوها، فهم أحق بها من أهلها، فنزلت هذه الآية في ذلك». وانظر: «العجاب» لابن حجر (٢/ ٨٤٨).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٢٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٠٣).

﴿إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ﴾: ظاهرةٍ.

الحسنُ: الزِّنى(١).

ابنُ عبّاسٍ: النُّشوز، فحينئذٍ جاز لكم أخذُ الفداء(٢).

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ﴾: خالِقُوهنَّ ﴿بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾: بما يجبُ لها عليكم من الحقِّ.

وقيل: هو إمساكٌ بمعروفٍ أو تسريحٌ بإحسانٍ.

﴿فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ﴾ في ذلك الشَّيء، وقيل: في الكُرهِ.

﴿خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾ ابنُ عبّاسٍ في جماعةٍ: الأولادُ الصالحون(٣).

* * *

(٢٠) - ﴿وَإِنۡ أَرَدتُّمُ ٱسۡتِبۡدَالَ زَوۡجٖ مَّكَانَ زَوۡجٖ وَءَاتَيۡتُمۡ إِحۡدَىٰهُنَّ قِنطَارٗا فَلَا تَأۡخُذُواْ مِنۡهُ شَيۡـًٔاۚ أَتَأۡخُذُونَهُۥ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا﴾.

﴿وَإِنۡ أَرَدتُّمُ ٱسۡتِبۡدَالَ زَوۡجٖ مَّكَانَ زَوۡجٖ﴾: تطليقَ امرأةٍ وتزوُّجَ أخرى.

﴿وَءَاتَيۡتُمۡ﴾: أعطيتم ﴿إِحۡدَىٰهُنَّ﴾: إحدى الزَّوجات، وضعَها موضع الجماعة.

﴿قِنطَارٗا﴾: مالًا كثيرًا؛ يريد: المهرَ وغيرَه.

﴿فَلَا تَأۡخُذُواْ مِنۡهُ﴾: من القنطارِ ﴿شَيۡـًٔاۚ أَتَأۡخُذُونَهُۥ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا﴾ هذا إنكارٌ؛ أي: لا تأخذوا الفديةَ من التي لم تأتِ بفاحشةٍ.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٦٨٨١)، والطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٣٢).

(٢) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٣٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٠٤).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٣٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٠٥).

﴿بُهْتَانًا﴾: باطلًا. وقيل: ظلمًا. وقيل: كذبًا لما سبقَ الوعدُ يومَ العقد.

﴿وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾: حرامًا ظاهرًا.

* * *

(٢١) ـ ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾.

﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾: وصلَ إليها بالملامسة.

ابنُ عبّاسٍ: كنايةٌ عن الجماع(١).

الفرّاءُ: كنايةٌ عن الخلوةِ وإن لم يُجامع(٢).

واشتقاقُه من (الفضاء)، فضا يفضو فضاءً؛ إذا اتّسعَ(٣).

﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾: عهدًا وثيقًا.

ابنُ عيسى: فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

الحسنُ في جماعةٍ: هو إمساكٌ بمعروفٍ أو تسريحٌ بإحسانٍ(٤).

الثّاني: مجاهدٌ وابنُ زيدٍ: هو كلمةُ النّكاحِ التي يُستحَلُّ بها الفرج(٥).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٤١)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٦١٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٠٨)، وعلَّقه البخاري قبل حديث (٤٦٠٧).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٥٩)، و«مفاتيح الغيب» للرازي (١٠/ ١٥).

(٣) انظر: «العين» مادة (ف ض و) (٧/ ٦٣).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٤٤)، ورُويَ عن كثير غيره.

(٥) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٦٠٢٧) عن مجاهد، ورواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٤٥) عن مجاهد وابن زيد.

الثّالثُ: من قولِه عليه السَّلام: «أخذتُموهُنَّ بأمانةِ الله واستحللتُم فُروجَهنَّ بكلمةِ الله»[١].

***

(٢٢) ـ ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا﴾.

﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم﴾ ذُكِرَ في سببِ النُّزول: أنَّ جماعةً تزوَّجوا بحلائلِ آبائهم، منهم قيسُ بن أبي قيسٍ تزوَّج كبشةَ، وصفوانُ بن أميّةَ تزوَّجَ فاختة، ومنظورُ بنُ زبّانَ تزوَّجَ مليكه، فأنزلَ الله فيهم: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم﴾[٢].

﴿مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾؛ أي: لا تتزوَّجوا بموطوءة الآباء.

ابنُ عيسى: كنكاحِ آبائِكم، فيدخلُ فيه كلُّ نكاحٍ لهم فاسدٍ؛ ولهذا قال: ﴿مَا نَكَحَ﴾ ولم يقل: (مَن نكحَ)[٣].

﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾؛ فإنَّكم لا تُؤاخذون[٤] به.

والاستثناءُ منقطعٌ.

---

(١) رواه مسلم (١٢١٨) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، وقد قال بهذا القول الثالث عكرمة والربيع. انظر: «تفسير الطبري» (٦/ ٥٤٥ـ٥٤٦).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٤٩) عن عكرمة.

(٣) ما ذكره المصنف عن ابن عيسى سبق إليه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٥٠)، فقال: «وقال آخرون: معنى ذلك: ولا تنكحوا كنكاحهم، كما نكحوا على الوجوه الفاسدة التي لا يجوز مثلها في الإسلام»، ثم ذكر أنَّ هذا الوجه أولى الأقوال بالصواب، وبيَّن أنَّ ورود (ما) في الآية جعل المعنى شاملاً لمن تزوجهن الآباء ولأنكحتهم الفاسدة في الجاهلية. انظر: «تفسير الطبري» (٦/ ٥٥٢).

(٤) في (ن): «تؤخذون». بالنَّسب

وقيل: (إلّا) هاهنا بمعنى (بعد)، كقولِه: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الدخان: ٥٦] أي: بعد الموتة الأولى.

وقيل: لكن ما قد سلف فدعوه. وزيَّفه المفسِّرون؛ لأنَّه لم يزل محرَّمًا(١).

﴿إِنَّهُۥ﴾: إنَّ هذا النِّكاح ﴿كَانَ فَٰحِشَةً﴾: حرامًا وزنًى.

﴿وَمَقْتًا﴾: بغضًا عند الله وعند المؤمنين.

تقول: مَقُتَ ـ بالضَّمِّ ـ يَمْقُتُ مَقاتةً فهو مَقيتٌ، ومَقَتَهُ يَـمْقُتُهُ مَقتًا: أبغضَه.

ابنُ عيسى: قيل: إنَّ ولدَ الرَّجلِ من امرأةِ أبيه كان يُسمَّى المقتيُّ(٢).

﴿وَسَآءَ سَبِيلًا﴾؛ أي: هذا النِّكاح.

***

(٢٣) ـ ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

---

(١) هذا الوجه ذكره الطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٥٠)، ونقله الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١٨٢) عن قطرب، وليس الإشكال في الاستثناء؛ فالاستثناء على هذا الوجه منقطع مثل ما اختار المصنِّف، وإنما الإشكال في كلمة (فدعوه)؛ فالمصنِّف رأى أن هذا التقدير لا يكمل المعنى مثل تقدير: (لكن ما قد سلف؛ فإنَّكم لا تُؤاخذون به) الذي اختاره.

(٢) لم أقف على من نسبه لابن عيسى، وقد ذكره أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (١/ ١٢١)، والزجاج في «معاني القرآن» (٢/ ٣٢)، والنحاس في «معاني القرآن» (١/ ٥٢)، والماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٤٦٨)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٣٨٨)، ونسبه أبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ٥٧٦) لأبي عبيدة وغيره.

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ﴾ ابنُ عبّاسٍ: حُرِّمَ من النَّسَبِ سبعٌ، ومن الصِّهرِ سبعٌ[١].

غيرُه: سبعٌ من النَّسَب، وسبعٌ بالسَّبب[٢]؛

فالأولى: ﴿أُمَّهَٰتُكُمْ﴾، والجدّاتُ من قِبَلِ الأمِّ والأبِ داخلاتٌ معهنَّ في التَّحريم.

والثّانية: ﴿وَبَنَاتُكُمْ﴾، وبناتُ الابنِ وبناتُ البنتِ داخلاتٌ معهنَّ.

والثّالثة: ﴿وَأَخَوَٰتُكُمْ﴾ أرادَ: من الأوجهِ الثَّلاثة.

والرّابعة: ﴿وَعَمَّٰتُكُمْ﴾؛ أي: من الأوجه الثَّلاثة.

والخامسة: ﴿وَخَٰلَٰتُكُمْ﴾ من الأوجه الثَّلاثة[٣].

والسّادسة: ﴿وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ﴾ من الأوجه الثَّلاثة.

والسّابعة: ﴿وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ﴾ من الأوجه الثَّلاثة.

﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرْضَعْنَكُمْ﴾ هي المرضِعةُ، هذه الأولى من السَّبب.

والثّانية: ﴿وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ﴾، وقال ﷺ: «يَحْرُمُ مِنَ الرَّضاعِ ما يَحْرُمُ مِنَ النَّسَبِ»[٤].

والثّالثة: ﴿وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ﴾ هذه محرَّمةٌ بمجرَّدِ العَقْد.

---

(١) رواه البخاري (٥١٠٥).

(٢) في (و): «بالنَّسَب».

(٣) «من الأوجه الثلاثة» من (ن).

(٤) رواه البخاري (٢٦٤٥)، ومسلم (١٤٤٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

والرّابعة: ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾: هي جمعُ (ربيبةٍ)، فعيلٌ بمعنى مفعولٍ، ودخلَه التّاء؛ لأنَّه اسمٌ لا وَصْفٌ[١].

وقولُه: ﴿ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم﴾؛ أي: في تربيتِكم على الأغلبِ، وليس بشرطٍ، وعليٌّ رضي الله عنه جعلَه شرطًا[٢].

وقوله: ﴿دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾ كنايةٌ عن الجماع.

عطاءٌ: إذا خلا بها وتكشَّفَتْ له فقد دخل بها[٣].

﴿فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: لا حرجَ[٤] عليكم في أن تتزوَّجوا بناتِهنَّ.

وعليٌّ رضي الله عنه جعلَ ﴿ٱلَّٰتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾ وصفًا للنِّساء المتقدِّمة والمتأخِّرة[٥]، ....

---

(١) الأصل في (فعيل) إذا كان بمعنى (مفعول) ووُصفت به أنثى ألا تلحقه علامة التأنيث، فيُقال: ملحفة جديد، فإن جُرِّد عن الوصفية لحقته، فيقال: ذبيحة، أما إذا كان (فعيل) بمعنى (فاعل) فالأصل أن تلحقه علامة التأنيث، وقد يُحمل هذا على هذا. انظر: «الكتاب» (٣/ ٦٤٧)، و«إسفار الفصيح» للهروي (١/ ٢٠٠)، و«المخصص» (١/ ٣٨٩)، و«البديع» لابن الأثير (٢/ ١٤١)، و«شرح المفصل» لابن يعيش (٣/ ٣٧٥)، و«شرح الشافية الكافية» لابن مالك (٤/ ١٧٤٠).

(٢) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٠٨٣٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥٠٨٧)، وابن حزم في «المحلى» (٩/ ١٤٣)، وقال ابن كثير في «تفسيره» (٢/ ٢٢٠): «هذا إسناد قوي ثابت إلى علي بن أبي طالب على شرط مسلم، وهو قول غريب جدًّا، وإلى هذا ذهب داود بن علي الظاهري وأصحابه...».

(٣) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٠٨٢٢)، والطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٥٩).

(٤) في (و): «لا جناح».

(٥) روى ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٦٢٦٦ و١٦٢٦٧)، والطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٥٦) أنَّ عليًّا =

وليس ذلك بالمذهبِ؛ لأنَّ الوصفَ الواحدَ لا يقعُ على موصوفَين مختلِفَي العامل[1].

والخامسة: ﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ﴾: جمعُ (حليلةٍ)، وهي المرأة، مشتقّةٌ من (يَحُلُّ) بالضَّمِّ؛ أي: تَحُلُّ معك وتَحُلُّ معها، أو من (تَحِلُّ) بالكسر؛ أي: تَحِلُّ لك وتَحِلُّ لها.

وقيَّدَ بقوله: ﴿مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ﴾ نفيًا لحليلةِ المتبنَّى.

عطاءٌ: نزلَت حين نكحَ النَّبيُّ ﷺ امرأةَ زيدِ بنِ حارثةَ، فقال المشركون في ذلك[2].

والسّادسة: ﴿وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَ﴾؛ أي: والجمعُ بين الأختين في عَقْدِ[3] النِّكاح، وكذلك الوطءُ في ملكِ اليمين، وجاء في الخبر: «لا تُنْكَحُ المرأةُ على عمَّتِها، ولا على خالَتِها، لا صغيرُها على كبيرِها، ولا كبيرُها على صغيرِها»[4].

= رضي الله عنه قال في أم امرأة طلَّقها زوجها قبل أن يدخل بها: «هي بمنزلة الربيبة»، وروى ابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٦٢٧) أن عليًّا رضي الله عنه قال في رجل طلق امرأته قبل أن يدخل بها: أله أن يتزوج ابنتها؟ قال علي: «هما بمنزلة واحدة، يجريان مجرى واحدًا؛ إن طلق البنت قبل أن يدخل بها تزوج أمها، وإن تزوج أمها ثم طلقها قبل أن يدخل بها تزوج ابنتها».

(١) قال المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٨٩) «الغريب: ذهب بعض الفقهاء إلى أنه وصف للنسائين، وهذا سهو؛ لأن الأولى مجرورة بالإضافة، والثانية مجرورة بـ(من)، ولا يجوز حمل وصف على موصوفين مختلفي العامل». وانظر: «المحرر الوجيز» (٢/ ٣٢)، و«البحر المحيط» (٣/ ٦٤٢).

(٢) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٠٨٣٧)، والطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٦١)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٦٣١).

(٣) في (ن): «عقدة».

(٤) لم أقف على لفظ المصنف، وقد روى نحوه البخاري (٥١٠٩)، ومسلم (١٤٠٨) من حديث أبي =

وكذلك الجمعُ بين كلِّ اثنين[١] لو كان أحدُهما ذكرًا والآخرُ أنثى حَرُمَ النِّكاحُ بينهما.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

***

(٢٤) - ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

والسّابعة: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ اختلفَ المفسِّرون فيه، ورُويَ عن أبي سعيدٍ الخدريِّ أنَّه قال: أصبنا سبايا يومَ أوطاسٍ ولهنَّ أزواجٌ، فكرهنا أن نقعَ عليهنَّ، فسألنا النَّبيَّ عليه السَّلام، فنزلَت: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ فاستحللناهنَّ[٢].

وإلى هذا ذهب عليٌّ رضي الله عنه وابن مسعودٍ وابن زيدٍ في جماعةٍ[٣].

= هريرة رضي الله عنه، دون قوله: «لا صغيرها على كبيرها، ولا كبيرها على صغيرها»، وروى أبو داود (٢٠٦٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «لا تنكح المرأة على عمتها، ولا العمة على بنت أخيها، ولا المرأة على خالتها، ولا الخالة على بنت أختها، ولا تنكح الكبرى على الصغرى، ولا الصغرى على الكبرى».

(١) أي: شخصين، فلذلك جاء بصيغة المذكر من أن المراد به مؤنث.

(٢) رواه مسلم (١٤٥٦).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٦٨٨٩) عن علي رضي الله عنه، ورواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٦٨٩٠) والطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٦٥) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، ورواه الطبري =

فيكون المعنى: وذواتُ الأزواجِ إلَّا ما ملكَت إيمانُكم بالسَّبي؛ فإنَّها تحلُّ بعدَ الاستبراء بحيضةٍ.

وقيل: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ﴾: ذواتُ الأزواج، ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ بالشِّرى، وهذا على قولِ مَن قال: بيعُها طلاقُها.

وقيل: ﴿المحصنات﴾: العفائفُ، ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ بالنِّكاحِ أو ملكِ اليمين.

ورُويَ أنَّ ابنَ عبّاسٍ سُئِلَ عنها فقال: لا أدري مَنِ المعنيُّ بها[1]، وجعلَ السّابعةَ: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم﴾[2].

قال مجاهدٌ: لو وجدتُ مَن يعرفُها لضربْتُ إليه أكبادَ الإبل[3].

والصَّحيحُ ما جاء في سببِ النُّزولِ من ذكرِ سبايا أوطاسٍ، وأنَّها السّابعة.

﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: كُتِبَ تحريمُ ذلك كتابَ الله، فيكونُ نصبًا على المصدر.

= في «تفسيره» (٦/ ٥٦٣) عن ابن زيد. وفرّق الطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٧١) بين قولي علي وابن مسعود رضي الله عنهما فقال: «عن عبد الله: ذوات الأزواج من المسلمين والمشركين، وقال علي: ذوات الأزواج من المشركين».

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٧٤)، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٨٩)، واستغربه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٥٣)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٦٢١ ـ ٦٢٢).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٧٤). وقد استنكر ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٢/ ٣٥) هذين القولين عن ابن عباس ومجاهد، فقال: «ولا أدري كيف نُسب هذا القول إلى ابن عباس! ولا كيف انتهى مجاهد إلى هذا القول!».

وقيل: على الإغراء؛ أي: عليكم كتابَ الله[١].

وأصلُ الإحصانِ: المنعُ، ومنه: الحِصْنُ؛ لمنعِه مَن فيه، والحِصانُ من الفرسِ يمنعُ راكبَه من عَدُوِّه، والإحصانُ: التَّزوُّج؛ لأنَّه يمنعُ من غير الزَّوج، والإحصانُ: التَّعفُّف؛ لحفظِها فرجَها عمَّن[٢] لا تحلُّ له، والإحصانُ: الحرِّيَّة؛ لأنَّها تمنعُ من ابتذال الرِّقِّ، والإحصانُ: الإسلام؛ لأنَّه يمنعُ الدَّمَ والمالَ ويحظرُهما.

﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾: ما سوى ما تلا عليكم.

وأصلُ (وراء) ظرف المكان، خلاف (قُدّام)، من (وريْتَ)؛ أي: سترْتَ.

وقيل: ما سوى المحرَّماتِ المذكورة ودونَ الخمس[٣].

﴿أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَٰلِكُم﴾ بدلٌ من ﴿مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾؛ أي: تبتغوا بالمهرِ أو الثَّمن[٤]، وهذا دليلٌ على أنَّ المهرَ: ما يقعُ عليه اسمُ المال[٥].

﴿مُّحْصِنِينَ﴾ بالحلالِ ﴿غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ﴾ بالزِّنى، والمسافِحُ: الذي يصبُّ ماءَه حيث اتَّفق.

﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ﴾: (ما) بمعنى: (مَن)؛ أي: مَن تمتَّعتم بهنَّ[٦] من النِّساء،

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٩٠)، واستغربه؛ لأن ما انتصب على الإغراء لا يتقدم على ما ينصبه.

(٢) في (و): «لمنعها وجهًا على من».

(٣) لأن زواج الخامسة حرام، ولو كانت من غير المحرمات المذكورة.

(٤) في (و): «والثمن».

(٥) وهو مذهب أبي حنيفة. انظر: «شرح مختصر الطحاوي» للجصاص (٤/ ٣٩٨)، و«تفسير الثعلبي» (١٠/ ٢١٥).

(٦) في (و): «به». =

﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾: مهورَهنَّ ﴿فَرِيضَةً﴾: التي فرضتُم لهنَّ على ذلك.

وقيل: هو المهرُ؛ أي: ما توصَّلتُم به إلى الاستمتاعِ بهنَّ، وهو المهرُ، فآتوهنَّ إيّاه كاملًا.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ﴾؛ أي: لا حرجَ عليكم في زيادةِ المهرِ ونقصانِه، وردِّه بعد نقدِه، وإبراءِ ذمَّتِه عن كلِّه أو بعضِه ﴿مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ﴾: بعدَ التَّحديد.

وقيل: هذا في النَّفقة؛ أي: لا بأسَ أن ترضى هي من النَّفقةِ بدونِ نفقةِ مثلِها؛ لأنَّ بعد إيتاء المهر لا يكونُ بينهما إلَّا قلّة النَّفقة أو كثرتها.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

ذهبَ ابنُ عبّاسٍ وعمرانُ بنُ حُصينٍ إلى أنَّ قوله: ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ﴾ يريد: المتعةَ، وهي أن ينكحَ الرَّجلُ امرأةً إلى أجلٍ معلومٍ، فإذا انقضى الأجلُ أعطاها أجرها، ثم إن أرادها قال لها: زيديني في الأجلِ أزدْك في الأجر، فإن شاءَتْ فعلَتْ فأعطاها الأجر عند الأجل، وإن شاءَتْ مضَتْ لسبيلِها، ولا عِدّةَ عليها، ولا طلاقَ، ولا ميراثَ، ولا شهودَ في العقد[1].

---

(١) أما مذهب ابن عباس في المتعة فمشهور، وقد ذكره أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٨٠)، والطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٨٧)، وقد نصَّ أبو عبيد أنه لا يُعرف عن أحد من الصحابة أنه كان يترخَّص فيها إلا ابن عباس، وقد روى الطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٨٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما قولًا يوافق الجمهور، وأما أن عمران بن حصين ذهب إلى جواز المتعة فذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٢١٦)، والواحدي في «البسيط» (٦/ ٤٤٦)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٩١)، وحديث عمران بن حصين رضي الله عنه رواه البخاري (٤٥١٨) ومسلم (١٢٢٦)، لكنه في متعة الحج، لا في متعة النساء، كما دلَّت عليه ترجمة الباب عند البخاري:

وأوَّلَ ابنُ عبّاسٍ قوله: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ﴾ على هذا، وقال: إنَّما نزلَت[١]: (فما استمتعتم به منهنّ إلى أجلٍ مسمًّى فآتوهنَّ أجورهنَّ)[٢].

وهذا بإجماعٍ من الصَّحابةِ وأئمّةِ المسلمين حرامٌ.

وقال الحسنُ ومجاهدٌ: ما أحلَّ اللهُ المتعةَ قطُّ في كتابِه[٣].

وذهبَ آخرون إلى أنَّه كان حلالًا فنُسِخ بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ﴾ [الطلاق: ١] وبآيةِ المواريث.

وقال الكلبيُّ: كان هذا في أوَّلِ الإسلام، أحلَّها رسولُ الله عليه السَّلام ثلاثةَ أيّامٍ ثم حرَّمَها[٤].

= (باب فمن تمتع بالعمرة إلى الحج)، وقد جاء التصريح بذلك في رواية مسلم: «نزلت آية المتعة في كتاب الله؛ يعني: متعة الحج، وأمرنا بها رسول الله ﷺ، ثم لم تنزل آية تنسخ آية متعة الحج، ولم ينه عنها رسول الله ﷺ حتى مات، قال رجل برأيه بعد ما شاء».

(١) في (و): «نزل».

(٢) روى معناه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٤٠٢١) و(١٤٠٢٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وروى الطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٨٦) أنَّ ابن عباس رضي الله عنهما كان عنده مصحف كُتب على قراءة أُبيٍّ، وأن الآية جاءت فيه بتلك الزيادة، ونبَّه الطبري إلى عدم جواز هذه القراءة؛ لمخالفتها رسم المصاحف. وانظر: «المصاحف» لابن أبي داود (ص: ١٦٤).

(٣) روى الطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٨٥) عن الحسن ومجاهد تفسير الاستمتاع في الآية بالنكاح. وروى عبد الرزاق في «تفسيره» (١٤٠٤٠) عن معمر والحسن قالا: «ما حلت المتعة قط إلا ثلاثًا في عمرة القضاء، ما حلت قبلها ولا بعدها».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٢١٩).

وجاء عن عليٍّ رضي الله عنه إنكارُها على ابنِ عبّاسٍ وقال: إنَّك رجلٌ تائهٌ؛ إنَّ رسول الله ﷺ نهى عن المتعة(١).

أبو عبيدةَ: نُسِخَتِ المتعةُ بالقرآنِ والسُّنّةِ جميعًا(٢).

وقيل: إنَّ ابنَ عبّاسٍ رجعَ عن قولِه بالمتعةِ في آخرِ عمره(٣).

ورُويَ عن ابنِ عبّاسٍ أنَّه قال عند موتِه: اللَّهمَّ إنِّي أتوبُ إليك من قولي في المتعةِ والصَّرف(٤).

وتأويلُ قولِه: ﴿فَمَا ٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهِۦ﴾ ما سبقَ بيانُه(٥).

* * *

(٢٥) - ﴿وَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ مِنكُمۡ طَوۡلًا أَن يَنكِحَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِكُمۚ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذۡنِ أَهۡلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ مُحۡصَنَٰتٍ غَيۡرَ مُسَٰفِحَٰتٖ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخۡدَانٖۚ فَإِذَآ أُحۡصِنَّ فَإِنۡ أَتَيۡنَ بِفَٰحِشَةٖ فَعَلَيۡهِنَّ نِصۡفُ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ مِنَ ٱلۡعَذَابِۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ ٱلۡعَنَتَ مِنكُمۡۚ وَأَن تَصۡبِرُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾.

﴿وَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ مِنكُمۡ طَوۡلًا﴾ ابنُ عبّاسٍ في جماعةٍ: غنًى(٦).

---

(١) رواه مسلم (١٤٠٧).

(٢) انظر: «الناسخ والمنسوخ» لأبي عبيد (ص: ٨٠).

(٣) رواه الترمذي (١١٢٢)، وأبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٨٢).

(٤) ذكره الزمخشري في «الكشاف» (١/ ٤٩٨)، والرازي في «مفاتيح الغيب» (١٠/ ٤١)، وانظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (١/ ٣٠٢).

(٥) في (و) أعيد هنا قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا﴾.

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٩٢)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٦٤٦).

أبو عليٍّ في «التَّذكرة»[١]: ﴿طَوْلًا﴾: اعتلاءً، وهو أصلُ الكلمة، ومنه: الطُّولُ، والتَّطاول.

﴿أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَـٰتِ﴾: الحرائرَ ﴿ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُم مِّن فَتَيَـٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ﴾ يريد: الإماءَ المؤمنات، والتَّقييدُ ندبٌ؛ لا أنَّه[٢] لا يجوزُ غيرُهنَّ من الكتابيّات[٣].

و﴿طَوْلًا﴾ مفعولُ ﴿لَّمْ يَسْتَطِعْ﴾، و﴿أَن يَنكِحَ﴾ مفعولٌ للطَّول، فإنَّه مصدرٌ عمل فيما بعده، هذا كلام أبي عليٍّ في «التَّذكرة»[٤].

ومَن ذهب إلى أنَّه تمييزٌ وتقديرُه: عدم طَولٍ، فسهوٌ.

﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَـٰنِكُم﴾؛ أي: فاكتفوا بظاهرِ إيمانها؛ فإنَّ الله هو[٥] متولِّي السَّرائر.

﴿بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾؛ أي: لا تستنكفوا من نكاحِ الإماء؛ فكلُّكم بنو آدم.

---

(١) كتاب التذكرة كتاب كبير في مجلدات، وقيل: إنه بلغ مئة وخمساً وعشرين كراسة، وُصف بأنه من أجلِّ كتب أبي علي، ووُصف بأنه أقدم كتب أبي علي ومسودتها، وهو اليوم مفقود، لكن طُبع مختصره لابن جني باسم: مختار تذكرة أبي علي وتهذيبها، ولم أقف فيه على ما نقله المصنف. وانظر: «إنباه الرواة» للقفطي (١/ ٣٠٩) و(٣/ ١٥٤)، و«مختار تذكرة أبي علي وتهذيبها» لابن جني (ص: ١٢ من المقدمة وما بعدها)، و«الدر الثمين» لابن الساعي (ص: ٣٢٠)، و«كشف الظنون» (١/ ٣٨٤).

(٢) في (و): «لأنه».

(٣) وهذا مذهب الحنفية، وذهب مالك والشافعي إلى تخصيص الجواز بالأمة المؤمنة. انظر: «شرح مختصر الطحاوي» للجصاص (٤/ ٤٥١)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٣/ ٥٩٢).

(٤) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٣/ ٥٩٤).

(٥) «هو» من (ن).

وقيل: بعضُكم من بعضٍ في الإيمان.

وقيل: فلينكحْ بعضُكم من بعضٍ؛ فيرتفع بفعلٍ مضمَرٍ دلَّ عليه ما قبلَه وما بعدَه.

جابرٌ وعطاءٌ: معنى قوله: ﴿طَوۡلًا﴾: هوًى[(١)]؛ أي: إذا هويَ أمةً فله أن يتزوَّجَها وإن كان ذا يَسارٍ.

﴿فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذۡنِ أَهۡلِهِنَّ﴾؛ أي: بإذن مولاها بخلاف الحرائر؛ لأنَّها مملوكةٌ لا تملكُ نفسَها.

﴿وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾: مهورَهنَّ ﴿بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾: من غيرِ نقصانٍ ومَطْلٍ ولَيّانٍ.

ويُحتمَلُ أنَّ الفائدةَ في قوله: ﴿وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ نفيُ ما في قوله: ﴿فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا﴾، وقوله: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا تَرَٰضَيۡتُم بِهِۦ﴾؛ لأنَّ مهرَها لسيِّدِها، وإضافتُه إليها إضافةُ سببٍ، والتَّقديرُ: وآتوا سيِّدَهنَّ[(٢)] أجورَهنَّ.

قوله: ﴿مُحۡصَنَٰتٍ﴾؛ أي: عفائفَ ﴿غَيۡرَ مُسَٰفِحَٰتٖ﴾: زواني[(٣)] علانيةً ﴿وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخۡدَانٖ﴾: زواني سرًّا، وكانت العربُ لا تستنكفُ من ذلك.

والخِدْنُ والخَدِينُ: الصَّديقُ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٩٣) عن جابر، وعن عطاء (٦/ ٥٩٤)، لكن بشرط خوف العنت والسعاية، ورواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٩٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٢٠) عن ربيعة بن عبد الرحمن، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٤٧٢) عن جابر وابن مسعود والشعبي وربيعة وعطاء.

(٢) في (و): «وآتوهن سيدهن».

(٣) كذا في النسخ الخطية، و«غرائب التفسير» (١/ ٢٩٢).

ابنُ بحرٍ: ﴿مُسَٰفِحَٰتٖ﴾: زواني، ﴿وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخۡدَانٖ﴾: المسافحات[١]؛ فسَّرَها على أصلِه[٢].

﴿فإذا أُحْصِنَّ﴾ ابنُ مسعودٍ في جماعةٍ: أسلمْنَ[٣].

ابنُ عبّاسٍ في جماعةٍ: تزوَّجْنَ[٤].

ومن ضمَّ[٥] فمعناه: زُوِّجْنَ.

﴿فَإِنۡ أَتَيۡنَ بِفَٰحِشَةٖ﴾: زنًى ﴿فَعَلَيۡهِنَّ نِصۡفُ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ﴾: الحرائرِ ﴿مِنَ ٱلۡعَذَابِ﴾: من الحدِّ؛ أي: خمسين جلدةً.

﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: نكاحُ الإماءِ ﴿لِمَنۡ خَشِيَ ٱلۡعَنَتَ مِنكُمۡ﴾: الزِّنى والوقوعَ في الهلاك، وأصلُه: الشِّدّة.

﴿وَأَن تَصۡبِرُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾؛ أي: والصَّبرُ عن نكاحِ الإماءِ أحوطُ لكم؛ كيلا يصيرَ أولادُكم عبيدًا.

وقيل[٦]: وأن تصبروا عن الزِّنى خيرٌ لكم.

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ حيث رخَّصَ في النِّكاح ووطءِ الإماء[٧].

---

(١) كذا في النسخ الخطية، وقد ذكر المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٩٢) قول ابن بحر، وعدَّه من العجائب، لكن بلفظ: «السواحق»، ولعلَّ الكلمة تصحفت في النسخ الخطية من (المساحقات)، والله أعلم.

(٢) انظر ما تقدم عن ابن بحر في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَا﴾.

(٣) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٣٦٠٤)، والطبري في «تفسيره» (٦/ ٦١٠).

(٤) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٧٥٨٠)، والطبري في «تفسيره» (٦/ ٦١١).

(٥) قرأ أبو بكر وحمزة والكسائي بفتح الهمزة والصاد، والباقون بضم الهمزة وكسر الصاد. انظر: «السبعة» (ص: ٢٣١)، و«التيسير» (ص: ٩٥).

(٦) «وقيل» من (ن).

(٧) «في النكاح ووطئ الإماء» من (ن).

(٢٦) - ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ ما يتعبَّدُكم به من الحلال والحرام اللذين تقدَّما وغيرِهما.

﴿وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾: يدلُّكم عليها ويأمرُكم بسلوكِها، وهي الطُّرُقُ التي سنَّها لأهلِ الرُّشد.

وقيل: بيَّنَ الرُّشدَ والغيَّ جميعًا؛ لِتَجْتَلبوا[1] الرُّشدَ وتجتنبوا الغيَّ.

﴿وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾: يغفرَ لكم ذنوبَكم إذا اتَّبعتُم الحقَّ.

وقيل: معناه: يريدُ أن تتوبوا فيَقبَلَ توبتكم.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بها[2] ﴿حَكِيمٌ﴾ في وصفِها[3].

قال ابنُ عيسى: للنَّحويِّين في لامِ ﴿لِيُبَيِّنَ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ:

الأوَّلُ: معناها: (أنْ)، وإنَّما يجوزُ في (أرَدْتُ) و(أُمِرْتُ)[4]؛ لأنَّها تطلبُ الاستقبال، فلمّا كانت (أنْ)[5] في سائرِ الأفعالِ تطلبُ الاستقبالَ استوثقوا له باللّام، وهذا قولُ الكوفيِّين[6].

---

(١) في (و): «لتحبوا».

(٢) أي: سنن السابقين.

(٣) في (ن): «وضعها».

(٤) من قول الله تعالى: ﴿إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ﴾ [هود: ٣٤]، و﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ [الشورى: ١٥]، وما شابهها.

(٥) «أن» من (ن).

(٦) قاله الفراء، ونُقل عن الكسائي، وأنكره الزجاج. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٦١)، وللزجاج =

والثّاني: قولُ سيبويهِ والبصريِّين: وهو أنَّ الفعلَ في هذه وأخواتِها محمولٌ على معنى المصدر؛ أي: الإرادةُ للبيان، وكذلك: ﴿لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [يوسف: ٤٣]، و﴿رَدِفَ لَكُم﴾ [النمل: ٧٢][(١)].

والثّالث: على تقدير إضمارٍ؛ أي: يريدُ ما يريدُ ليُبيِّنَ لكم، وردفَ ما ردفَ لكم، وأُمرنا ما أُمرنا لنُسلمَ[(٢)].

ورجَّحَ[(٣)] الوجهَ الثّالث، وأنشد:

أُرِيدُ لِأَنْسى ذِكْرَها فَكَأَنَّما ... تَمَثَّلُ لِي لَيْلى بِكُلِّ سَبِيلِ[(٤)]

* * *

(٢٧) ـ ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾.

﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ كرَّرَ للتّأكيدِ والمقابلة.

﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ﴾ مجاهدٌ: الزُّناة[(٥)].

= (٢/ ٤٢)، و«غرائب التفسير» (١/ ٢٩٣)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٤/ ٥٥٤).

(١) انظر: «الكتاب» (٣/ ١٦١)، و«المقتضب» للمبرد (٢/ ٣٦)، و«الكامل» له أيضاً (٣/ ٧٣)، و«البسيط» للواحدي (٦/ ٤٦٢)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٤/ ٥٥٤).

(٢) وهذا مذهب الأخفش. انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ١٦٩ ـ ١٧٠).

(٣) في (ن) زيادة: «سيبويه»، ولعل هذا من تصرُّف الناسخ، ففاعل رجَّح هو ابن عيسى الرماني، أما سيبويه فلم يذكر الوجه الثالث، ولا استشهد بالبيت.

(٤) البيت لكثير عزة، كما في «ديوانه» جمع وشرح: إحسان عباس (ص: ١٠٨)، و«الكامل» للمبرد (٣/ ٧٣)، و«العقد الفريد» لابن عبد ربه (٦/ ١٩٢).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٦٢٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٢٦)، ورواه ابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٦٥٧) عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما.

ابنُ زيدٍ: كلُّ مُبْطلٍ[١]؛ لأنَّه يتَّبع شهوةَ نفسِه[٢].

وقيل: اليهودُ خاصّةً؛ لأنَّهم يُحلُّون نكاحَ الأختِ من الأب.

وقيل: ﴿ٱلشَّهَوَٰتِ﴾: ما[٣] حَرُمَ منها.

﴿أَن تَمِيلُواْ﴾ عن الحقِّ ﴿مَيۡلًا عَظِيمٗا﴾؛ أي: تستحلُّوا ما حرَّمَ الله.

* * *

(٢٨) ـ ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا﴾.

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡ﴾ فأمرَكم باليُسرِ دونَ العُسرِ في النِّكاح والمواريث وسائر ما تعبَّدَكم به.

مجاهدٌ وابنُ زيدٍ: في نكاحِ الإماء[٤].

﴿وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا﴾؛ فلا يصبرُ عن الجماع، وأباحَ له أربعَ نسوةٍ، ومِن الإماءِ ما يقدرُ عليها.

والتَّخفيفُ: التَّسهيلُ في التَّكليف[٥]، وأصلُ الكلمةِ من (خفَّةِ الوزن).

* * *

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٦٢٣).

(٢) في هامش (ن): «قول ابن زيد أظهر؛ لأنه على العموم، والموافق لظاهر اللفظ».

(٣) في (ن): «من».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٦٢٥) عن مجاهد وابن زيد، ورواه ابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٦٥٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٢٦) عن مجاهد.

(٥) في (و): «التسهيل والتكليف».

(٢٩) - ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ ﴾: الغصبِ والسَّرقةِ والزِّنى والقِمارِ وسائرِ محرَّماتِ الشَّرع.

وقيل: هو أن يأكلَ مالَ نفسِه في معاصي الله.

الحسنُ وعكرمةُ: حرَّمَ بهذه الآيةِ أكلَ طعامِ الغير، فكانوا لا يَتضايفون إلى أنْ نسَخَ اللهُ بالآية في سورة النُّور: ﴿ لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ ﴾[1].

﴿إِلَّا أَنْ تكونَ تِجارةٌ﴾ الاستثناءُ منقطعٌ؛ أي: إلّا أن تقعَ تجارةٌ، ومَن نصبَ[2] أرادَ: إلّا[3] أن تكونَ التِّجارةُ تجارةً؛ أي: إلَّا أن تكونَ الأموالُ أموالَ تجارةٍ.

﴿عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾ بين البائعِ والمشتري.

ويحتمل أنَّ ذِكْرَ التِّجارة للتَّراضي، فكأنَّه قال: إلّا أن يكونَ انتقالٌ عن تراضٍ يسوغُ في الشَّرع، فيدخلُ[4] فيه سائرُ الوجوه.

وقيل: (الباطل): الزِّنى، و(التِّجارة): البيع.

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ أي: لا يقتلْ بعضُكم بعضًا.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٦٢٧) عن الحسن وعكرمة. وروى نحوه أبو داود (٣٧٥٣) من طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) قرأ حمزة والكسائي وعاصم بالنصب، وباقي السبعة بالضم. انظر: «السبعة» (ص: ١٩٣)، و«التيسير» (ص: ٩٥).

(٣) «إلا» من (ن).

(٤) في (و): «ليدخل».

وقيل: نهى عن قَتْلِ نفسِه في حالِ غضبٍ أو ضجرٍ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾.

* * *

(٣٠) ـ ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾.

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: القتلَ.

وقيل: ما نهى الله عنه من أوَّلِ السُّورةِ.

﴿عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا﴾؛ أي: عاديًا ظالـمًا.

﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا﴾: ندخلُه.

﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ﴾: التَّعذيبُ ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾: سهلًا لا يُغالَبُ.

* * *

(٣١) ـ ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾.

﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ قيل: ﴿مَا﴾ زائدةٌ[1]، وتقديره: كبائرَ تُنهون عنه، وتذكيرُ الضَّميرِ يدفعُه[2].

وقيل: ﴿مَا تُنْهَوْنَ﴾ بدلٌ عن ﴿كَبَآئِرَ﴾، وفيه ضعفٌ؛ لأنَّه يُبقي ﴿كَبَآئِرَ﴾ لا فائدةَ في ذكرِها.

---

(١) في (ن): «زيادة».

(٢) في (ن): «وتذكير الضمير لا يدفعه».

والصَّحيحُ الإضافةُ؛ أي: كبائر الذُّنوب.

قوله: ﴿نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ﴾: نغفرْ لكم الصَّغائرَ، والكبائرُ [١] يغفرُها الله تعالى بعد التَّوبة.

ابنُ مسعودٍ: الكبائرُ: كلُّ ما نهى عنه من أوَّلِ سورةُ النِّساء، إلى قوله: ﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ﴾[٢].

وعنه أيضًا: الكبائرُ أربعٌ: الإشراكُ بالله، واليأسُ من روح الله، والقنوطُ من رحمة الله، والأمنُ من مكر الله[٣].

ورُويَ عن أبي بكرٍ: كلُّ ما خُتِمَ بنارٍ[٤] أو غضبٍ أو لعنةٍ أو عذابٍ، فهو كبيرةٌ[٥].

ورُويَ عن النَّبيِّ ﷺ: أنَّها سَبْعٌ: الإشراكُ بالله، وقتلُ النَّفسِ التي حرَّمَ الله، وقَذْفُ المحصنة، وأكلُ مالِ اليتيم، وأكلُ الرِّبا، والفرارُ من الزَّحف، وعقوقُ الوالدين[٦].

---

(١) في (ن): «والكبيرة».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٦٤١ ـ ٦٤٢)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٦٧٠)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٢/ ٣٥٤)، والحاكم في «المستدرك» (١٩٦) وصححه، وقال الذهبي: «على شرطهما، وهو تفسير صحابي»، وقد ذكره المصنِّف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٩٤) بلا نسبة، واستغربه.

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٥٥٦)، والطبري في «تفسيره» (٦/ ٦٤٨)، ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٨٧٨٤) بلفظ: «أكبر الكبائر»، وذكره.

(٤) في (ن): «أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه: يعني: كل ذنب ختمه الله بنار».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٦٥٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٨٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وعلى هذا ذكره عامة المفسرين، ولم أقف على مَن ذكر هذا الأثر عن أبي بكر.

(٦) روى نحوه البخاري (٢٧٦٦)، ومسلم (٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفيهما ذكر السحر بدلًا من عقوق الوالدين، وقد عُدَّ عقوق الوالدين من الكبائر في عدة أحاديث، منها ما رواه =

وعن ابنِ عبّاسٍ: لأنْ تكونَ الكبائرُ سبعَمئةٍ أقربُ منها إلى أن تكونَ سبعًا[1].

وقيل: ﴿كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾: الشِّرك والكفر، ﴿نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾؛ أي: ما سوى الشِّرك؛ كقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨].

﴿وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾: الجنّة[2].

* * *

(٣٢) ـ ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾.

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ مجاهدٌ قال: قالَت أمُّ سلمةَ: يا رسول الله، يغزو الرِّجالُ ولا نغزو، وإنَّما لنا نصفُ الميراث، فأنزلَ الله هذه الآية[3].

عكرمةُ: إنَّ النِّساءَ سألْنَ الجهادَ، وقلْنَ: وَدِدْنا أنَّ اللهَ جعل لنا الغزوَ، فنُصيبُ من الأجر ما يصيبُ الرِّجال، فأُنزلَت هذه الآية[4].

= البخاري (٢٦٥٤)، ومسلم (٨٧) عن أبي بكرة رضي الله عنه: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر» ثلاثاً، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «الإشراك بالله، وعقوق الوالدين ـ وجلس وكان متكئًا فقال ـ: ألا وقول الزور»، قال: فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٦٥١)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٦٧١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٣٤).

ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٥٥٥)، والطبري في «تفسيره» (٦/ ٦٥١) بلفظ: «هي إلى السبعين أقرب».

(٢) «الجنة» من (ن).

(٣) رواه الترمذي (٣٠٢٢)، وقال: «حديث مرسل».

(٤) رواه سعيد بن منصور في «سننه ـ التفسير» (٦٢٣)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٦٧٧).

والتَّمنِّي ينقسمُ إلى حسدٍ وغِبطةٍ؛ فالحسدُ أن يتمنَّى أن يكونَ الشَّيءُ له(١) ويزولَ عن صاحبه، أو لم يكن له إذا كان ماضيًا، والغِبطةُ أن يتمنَّى أن يكونَ له مثلُه، والأوَّلُ هو المنهيُّ عنه.

الفرّاءُ: هذا أدبٌ وليس بنهيٍ(٢).

ويحتمل أنَّه نهيٌ عن الحرصِ على الدُّنيا.

وأصلُ التَّمنِّي مِن (مُنِيَ)؛ إذا قُدِّرَ(٣).

﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟﴾ قيل: من ثوابِ الجهاد.

وقيل: من الميراثِ، وفيه بُعدٌ؛ لأنَّ الميراثَ ليس مِن كسبِ الوارث.

وقيل: من الزِّراعة والتِّجارة.

﴿وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ﴾ ممّا ينالُها من(٤) الحَبَلِ والولادة.

وقيل: من الميراث.

وقيل: من النَّفقةِ على الأزواج.

وقيل: من نفقةِ الأزواجِ(٥) عليهنَّ.

وقيل: المعنى: لكلِّ فريقٍ نصيبٌ من نعيمِ الدُّنيا، فَلْيَقْنع به رضًا بما قُسِمَ له.

و(مِن)(٦) للبيان، لا للتَّبعيض.

---

(١) في (و): «يكون له مثله».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٦٥).

(٣) انظر: «غريب الحديث» للخطابي (١/ ٣٠٧)، و«مقاييس اللغة» لابن فارس (٥/ ٢٧٦).

(٤) في (و): «في».

(٥) «وقيل من نفقة الأزواج»: ليس في (ن).

(٦) «من» من (ن).

﴿وَسْئَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ﴾؛ أي: لا تتمنَّوا ما للنّاس، واسألوا الله مثلَه.

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾، فالتَّفضيلُ ثبتَ عن علمٍ وتبيانٍ[1].

***

(٣٣) ـ ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾.

﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ فيه قولان:

أحدُهما: ولكلِّ تركةٍ جعلْنا ورثةً.

وقولُه: ﴿مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ صفةٌ للتَّركة؛ أي: ولكلِّ تركةٍ ممّا ترك الوالدان والأقربون جعلنا ورثةً.

وقيل: استئنافٌ؛ أي: يُؤتَون ممّا ترك[2].

والثّاني: ولكلِّ ميِّتٍ جعلنا ورثةً.

وقولُه: ﴿مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ﴾؛ أي: ممّا خلَّفَ، فيكون صفةً لـ﴿مَوَالِيَ﴾.

وفي القول الأوَّل ضعفٌ؛ لأنَّه حِيْلَ بين الموصوف وصفته بما عَمِلَ في الموصوف، وفي الثّاني ضعفٌ؛ لخروج الأولاد منهم.

ويُحتمَلُ: ولكلِّ وارثٍ جعلنا شركاءَ ممّا خلَّفه الوالدان والأقربون، فأعطهم نصيبَهم ولا تستبدَّ بالتَّركةِ فعلَ الجاهليّةِ في حرمانِ النِّساء والأطفال[3]، والله أعلم.

---

(١) في (ن): «وبيان».

(٢) ذكر المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٩٤): أن هذا التقدير يجعل القول الأول مستقيماً، أما تقدير الصفة فضعيف، كما سيأتي.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٩٤)، واستغربه.

﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ ابنُ عبّاسٍ: بالإخاءِ الذي آخى النَّبيُّ عليه السَّلام بينهم[١].

قتادةُ: كان يقولُ الرَّجلُ لصاحبه: ترثني وأرثك، وتعقلُ عنِّي وأعقلُ عنك، فنسخَها: ﴿وَأُوْلُواْ الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٥][٢].

وعن ابنِ عبّاسٍ أيضًا: كان الرَّجلُ يُعاهدُ الرَّجلَ أيُّهما ماتَ قبل صاحبِه ورثَه الآخرُ[٣].

سعيدُ بنُ المسيَّبِ: بالحلفِ والتَّبنِّي[٤].

وقيل: نصيبهم من الثُّلث[٥].

وقيل: من العون والنُّصرة.

---

(١) رواه البخاري (٢٢٩٢) ولفظه بتمامه: «﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ﴾، قال: ورثة ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ قال: كان المهاجرون لما قدموا المدينة يرث المهاجر الأنصاري دون ذوي رحمه، للأخوّة التي آخى النبي ﷺ بينهم، فلما نزلت: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ﴾ نسخت، ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ إلا النصر، والرفادة، والنصيحة، وقد ذهب الميراث، ويوصي له».

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٥٥٦)، والطبري في «تفسيره» (٦/ ٦٧٦)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٦٨١).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٦٧٦)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٦٨٠)، والحاكم في «المستدرك» (٨٠١١)، وتتمة الخبر في «المستدرك»: «فنسخ الله ذلك بالأنفال: ﴿وَأُوْلُواْ الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٧٥]».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٦٨١) في خبرين منفصلين، وروى الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٤/ ٣٠٢)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٢٥٣١) خبر التبني.

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٩٥)، واستغربه.

ابنُ بحرٍ: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾[1] يريدُ: الزَّوجَ والزَّوجة، والمرادُ بالعَقد: عقدُ النِّكاح، قال: واليمينُ: اليدُ[2] تُبذلُ عند العقد[3].

﴿فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ قيل: يعودُ إلى الكلِّ، وقيل: إلى الّذين عقدت.

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ تهديدٌ ووعيدٌ.

* * *

(٣٤) - ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾.

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ مقاتلٌ: نزلَت في سعدِ[4] بنِ الرَّبيع، وكان من النُّقباء، وامرأتُه حبيبةُ بنتُ زيدِ بنِ أبي زُهيرٍ، وذلك أنّها نشزَتْ عليه فلطمَها، فانطلقَ أبوها معها إلى النَّبيِّ ﷺ فقال: إنَّه شتمَ كريمتي فلطمَها، فقال عليه السَّلام: «لتقتصَّ مِن زوجِها»، فانصرفَت مع أبيها لتقتصَّ منه، فقال النَّبيُّ ﷺ: «ارجِعُوا، هذا جبريلُ أتاني[5]»

---

(١) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر: ﴿عاقدت﴾ بألف، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي: ﴿عَقَدَتْ﴾ بغير ألف. انظر: «السبعة» (ص: ٢٣٣)، و«التيسير» (ص: ٩٦).

(٢) «اليد» من (ن).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٩٥) بلا نسبة، وعدَّه من العجائب، وذكره الرازي في «مفاتيح الغيب» (١٠/ ٦٩) دون العبارة الأخيرة.

(٤) في (ن): «سعيد».

(٥) في (و): «أتاني جبريلُ».

وأنزلَ الله هذه الآية، فقال ﷺ: «أردنا أمرًا وأرادَ الله أمرًا، والذي أرادَ الله خيرٌ»(١).

﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ بالتَّأديبِ، والتَّقويمِ، والأمرِ بطاعةِ اللهِ، والأخذِ على أيديهنَّ.

﴿بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ بسببِ أنْ فَضَّلَ الرَّجلَ على المرأةِ بالعقل والدِّين.

﴿وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾؛ أي: عليهنَّ من المهرِ والنَّفقةِ وغيرهما.

﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ﴾: مطيعاتٌ للأزواج.

﴿حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ﴾ بحفظهنَّ حقوقَ الأزواجِ في النَّفسِ والمالِ عند غيبتِهم عن الفراش.

﴿بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾ بالّذي حفظَ الله لهنَّ عليهم من المهرِ والنَّفقةِ والقيامِ عليهنَّ والذَّبِّ عنهنَّ.

وقيل: (ما) للمصدر؛ أي: بحفظِ اللهِ إياهنَّ.

وقيل: بما أمرَهنَّ بحفظِ ذلك(٢).

﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾: عصيانَهنَّ وتَرفُّعَهنَّ عن طاعةِ الأزواجِ؛ أي: علمتُم بظهورِ العلامات(٣).

---

(١) ذكره مقاتل في «تفسيره» (١/ ٣٧٠)، وذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٢٨٨)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٥١)، وابن حجر في «العجاب» (٢/ ٨٦٩).

(٢) وهذا على قراءة أبي جعفر يزيد بن القعقاع (حفظَ اللهَ) بفتح هاء لفظ الجلالة. انظر: «المحتسب» لابن جني (١/ ١٨٨)، و«غرائب التفسير» (١/ ٢٩٥).

(٣) هذا تفسير الخوف في الآية.

ابنُ عبّاسٍ: هو أن تَستخفَّ بحقِّ زوجِها، ولا تطيعَ أمرَه[1].

﴿فَعِظُوهُنَّ﴾: ابنُ عبّاسٍ[2]: وعظُها أنْ يذكِّرَها بالله وبكتابِه وتعظيمِ حقِّه عليها بأمرِها بتقوى الله وطاعتِه[3].

مجاهدٌ: يقولُ لها: اتَّقي اللهَ وارجعي إلى فراشِك[4].

﴿وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ﴾ ابنُ عبّاسٍ في جماعةٍ: هو أن يُوليَها ظهرَه في الفراش ولا يجامعَها ولا يكلِّمَها[5].

مجاهدٌ وقتادةُ في جماعةٍ[6]: يهجرُ فراشَها[7].

وقيل: يجامعُها ويتركُ كلامَها، وذلك ممّا يغضبُها[8].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٦٩٨)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٦٨٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٤١).

(٢) «هو أن تستخف بحق زوجها ولا تطيع أمره ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾ ابن عباس» من (ن).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٦٩٨)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٦٨٩).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٦٩٩)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٦٩٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٤٣).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٧٠٠) بلفظ: «يعني بالهجران: أن يكون الرجل وامرأته على فراش واحد لا يجامعها»، وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٤٣) نحوه.

(٦) «هو أن يوليها ظهره في الفراش ولا يجامعها ولا يكلمها، مجاهد وقتادة في جماعة» من (ن).

(٧) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٥٧٠) عن الحسن وقتادة بلفظ: «هجر مضجعها»، ورواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٧٦١٩) عن مجاهد بلفظ: «لا تقربوها»، وروى الطبري في «تفسيره» (٦/ ٧٠٢) عنه: «لا تضاجعوهن».

(٨) روى عبد الرزاق في «تفسيره» (٥٧٤)، والطبري في «تفسيره» (٦/ ٧٠٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «يهجرها بلسانه، ويغلظ لها بالقول، ولا يدع جماعها»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٩٥) بلا نسبة، واستغربه.

وأصلُ الهجرِ: التَّركُ عن قلًى[1].

عكرمةُ والحسنُ: ﴿وَٱهۡجُرُوهُنَّ﴾: قولوا لهنَّ هُجرًا، وهو الإغلاظُ في الكلام[2].

محمَّدُ بنُ جريرٍ: ليس من (الهجرانِ) ولا من (الهُجْرِ)، بل من (الشَّدِّ بالهِجارِ)، وهو حبلٌ تُشدُّ به رِجلُ البعير؛ أي: اربطوهنَّ بالهجارِ في بيوتِهنَّ[3]. وأنكرَه ابنُ عيسى[4]، وقال: هو تعسُّفٌ لا يُحمَلُ عليه، كما لا يُحمَلُ ﴿أَنِ ٱمۡشُواْ﴾ [ص: ٦] على: أكثروا مواشيكم[5].

قال[6]: وأصلُ الضَّجعِ: الاستلقاءُ.

﴿وَٱضۡرِبُوهُنَّ﴾ أي: ثلاثَ ضرباتٍ بمثلِ السِّواكِ ضربًا غيرَ مبرِّحٍ ولا شائنٍ مؤثِّرٍ بحفظ التَّرتيب في الوعظ والهجران والضَّرب.

---

(١) والقلى: البغض. انظر: «العين» مادة (ق ل ي) (٥/ ٢١٥).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٧٦٢٢)، والطبري في «تفسيره» (٦/ ٧٠٢)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٦٩١) عن عكرمة، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٤٨٢) عن عكرمة والحسن.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٦/ ٧٠٤).

(٤) نقل إنكاره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٩٥)، وقد أنكر أبو منصور الثعالبي قول الطبري أيضاً في «فقه اللغة وسر العربية» (ص: ١٧٨)، وعدَّه المصنف من العجائب، ورأى ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٢/ ٤٨) أن في كلام الطبري هذا نظراً.

(٥) يُقال: قد أمشى الرجل؛ إذا كثرت ماشيته، وقد مشت الماشية؛ إذا كثرت أولادها، وناقة ماشية: كثيرة الأولاد. هذا معنى لغوي صحيح، لكن نبه علي بن عيسى الرماني أنه لا يجوز أن نحمل عليه قوله تعالى: ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡ﴾. انظر: «إصلاح المنطق» لابن السكيت (ص: ٢٣١).

(٦) «قال» من (ن).

﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ﴾ بالمراجعةِ إلى المحبوب، ﴿فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾: لا تجنوا عليهنَّ العللَ ولا تظلموهنَّ.

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾؛ أي: إن علَت أيديكم عليهنَّ فيدُ الله أعلى، فاجتنبوا ظلمَهنَّ.

* * *

(٣٥) - ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾: خلافًا بينَ المرءِ وزوجِه، ﴿فَابْعَثُوا﴾ قيل: الخطابُ للقاضي والسُّلطان الّذي يترافعان إليه، وقيل: للرَّجلِ والمرأة، وقيل: للرَّجل وحدَه.

﴿حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ﴾: وسيطًا، ﴿وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا﴾، وسُمِّيا حَكمين؛ لأنَّ الأمرَ في الإصلاحِ إلى رأيهما، والتَّفريقُ إلى الزَّوج، وقيل: إليهما.

﴿إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا﴾؛ أي: الحكمانِ[1]، ﴿يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾: بين الرَّجلِ والمرأة، والكنايتان تحتملُ أربعةَ أوجهٍ[2].

---

(١) في (و): «الحكمين».

(٢) الكنايتان؛ أي: ألف الاثنين في ﴿يُرِيدَا﴾ وهاء الغائب الدالة على المثنى في ﴿بَيْنَهُمَا﴾، وقد جاء هذا صريحاً في «غرائب التفسير» (١/ ٢٩٥) فقد قال المصنِّف: «الضميران يحتملان أربعة أوجه»، لكنه لم يُبيِّن هذه الأوجه، وقد جاء في هامش (ن): «الأوجه الأربعة في ﴿بَيْنَهُمَا﴾: أحدها: في حقوق الزوجين، الثاني: في حق الحكمين، الثالث: في حق الزوجين والحكمين، والرابع: في حق الحكمين والزوجين»، وهذا فيه خلل؛ حيث جعل الوجوه الأربعة في ﴿بَيْنَهُمَا﴾، فكان ما بعد ذلك غير واضح مع أنه مستقيم، وبيان هذا هذه الوجوه: الوجه الأول: إن يُرِدِ الزوجان إصلاحاً =

والتَّوفيقُ: الموافقةُ، وهي المساواةُ في أمرٍ ما.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾.

***

(٣٦) ـ ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾.

﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ وحده ﴿وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾: صنمًا وغيرَه، ويحتملُ المصدر؛ أي: إشراكًا.

﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾؛ أي: استوصوا بهما إحسانًا[(١)].

وقيل: أحسنوا بهما إحسانًا[(٢)] في القولِ والفعلِ والإنفاقِ عليهما عندَ الاحتياج.

﴿وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾: المشارِكِ في النَّسب.

﴿وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما في جماعةٍ: الذي[(٣)] يجاورُك بالدّارِ من أقربائِك[(٤)].

وقيل: ﴿الجار ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾: المسلمُ.

= يوفق الله بينهما؛ أي: الزوجين. الوجه الثاني: إن يُرِدِ الحكمان إصلاحاً يوفق الله بينهما؛ أي: الحكمين. الوجه الثالث: إن يُرِدِ الزوجان إصلاحاً يوفق الله بين الحكمين. الوجه الرابع: إن يُرِدِ الحكمان إصلاحاً يوفق الله بين الزوجين، والله أعلم.

(١) و(إحساناً) على هذا مفعول به لفعل محذوف.

(٢) و(إحساناً) على هذا مفعول مطلق.

(٣) في (و): «للذي».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٦)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٧٠٠).

وسمِّي الجارُ جارًا لميلِه إليك، وأصلُه: الميلُ[١].

﴿وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ﴾ ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: البعيدُ[٢] الذي لا قرابةَ له[٣].

و﴿ٱلۡجُنُبِ﴾ صفةٌ كـ(أُجُدٍ)[٤].

وقيل: ﴿وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ﴾: اليهودُ والنَّصارى.

وأصلُه التَّنحيةُ، من قوله: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ﴾ [إبراهيم: ٣٥]، والجانبان: النّاحيتان، والجَنْبان؛ لتنحِّي كلٍّ واحدٍ عن الآخر.

ورُويَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «الجيرانُ ثلاثةٌ: فجارٌ له ثلاثةُ حقوقٍ؛ حقُّ الجوارِ وحقُّ القَرابةِ وحقُّ الإسلام، وجارٌ له حقّان؛ حقُّ الجوارِ وحقُّ الإسلام، وجارٌ له حقُّ الجوار، وهو المشركُ من أهلِ الكتاب»[٥].

﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ﴾ ابنُ عبّاسٍ في جماعةٍ: الرَّفيقُ[٦].

---

(١) انظر: «مقاييس اللغة» لابن فارس (١/ ٤٩٣).

(٢) في (و): «ابن عباس في جماعة: الرفيق، ابن مسعود الزوجة»

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٩)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٧٠١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٤٨).

(٤) يقال: ناقةٌ أُجُدٌ: صلبة شديدة. انظر: «جمهرة اللغة» (٢/ ١٠٨٣).

(٥) رواه الخرائطي في «مكارم الأخلاق» (٢٤٧)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٢٤٣٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩١١٣) من حديث عبد الله بن عمرو، وضعَّفه البيهقي، وروى نحوه البزار في «مسنده» من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه، كما في «كشف الأستار» (١٨٩٦)، وفي سنده وضَّاع، كما قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ١٦٤)، وروى أبو نعيم حديث جابر بن عبد الله في «حلية الأولياء» (٥/ ٢٠٧)، وضعَّفه العراقي في «المغني عن حمل الأسفار» (ص: ٦٧٥)، والعجلوني في «كشف الخفاء» (١/ ٣٧٩).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ١١)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٧٠٢).

ابنُ مسعودٍ: الزَّوجة[١].

ابنُ زيدٍ: المنقطعُ إليك رجاءَ خيرك، ومعنى الباءُ: اللّاصقُ بك[٢].

﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: صاحبُ السَّفر؛ أي: المسافر.

قتادةُ: الضَّيف[٣].

﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾؛ أي: مَن ملكت، وهم العبيدُ والإماءُ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا﴾: مُتكبِّرًا يأنفُ عن قراباتِه وجيرانِه لفقرِهم.

﴿فَخُورًا﴾: يُعدِّدُ مناقبَه كِبْرًا وتطاولًا[٤].

* * *

(٣٧) ـ ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾.

﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ﴾ الكلبيُّ: هم اليهودُ، بخلوا أن يصدِّقوا صفةَ محمَّدٍ ﷺ، ﴿وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ﴾ بكتمانِ نعتِه[٥].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ١٤)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٧٠٣)، عن علي وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما، ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٩٠٣٧) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ١٥) بلفظ: «الذي يلصقُ بك وهو إلى جنبك، ويكون معك إلى جنبك رجاء خيرك ونفعك».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ١٨)، وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٨٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما: «ابن السبيل هو: الضيف الذي ينزل بالمسلمين» ثم قال: «وروي عن سعيد بن جبير وقتادة نحو ذلك».

(٤) في (و): «أو تطاولا».

(٥) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٨٢)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٥٢).

مجاهدٌ: هذه الآيات إلى قوله: ﴿عَلِيمًا﴾ نزلَت في اليهود[١].

ابنُ عبّاسٍ وابنُ زيدٍ: نزلَت في جماعةٍ من اليهود، كانوا يقولونَ للأنصار: لا تنفقُوا أموالَكم؛ فإنّا نخشى عليكم الفقرَ، فأنزلَ الله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ﴾[٢]؛ أي: بالمالِ وببيانِ صفةِ محمَّدٍ ﷺ، ﴿وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ﴾ وهو منعُ الواجب.

﴿وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ﴾: يكتمون ما عندهم من العلمِ بصحّةِ نبوّةِ محمَّدٍ ﷺ.

وقيل: يكتمونَ غناهم، ولا يَعترفون به؛ فيلزمُهم الإفضالُ.

وقيل: يكتمون كتمانَ مُنْكِرٍ.

﴿وَأَعۡتَدۡنَا﴾: هيّأنا ﴿لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾.

ومحلُّ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ نصبٌ على الصِّفة[٣]، أو الذَّمِّ[٤]، أو رفعٌ على البدلِ من الضَّميرِ في (فخور)[٥]، أو على الاستئناف.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٢٢)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٧٠٦).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٢٣ ـ ٢٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وروى نحوه عن ابن زيد، وانظر: «تفسير الثعلبي» (١٠/ ٣١٤)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٥٢).

(٣) أي: صفة (مَن)، وقد أجاز هذا أبو حيان وقال: «ولم يذكروا هذا الوجه». انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٣/ ٦٣٦).

(٤) أي: منصوب بفعل محذوف تقديره: أذمُّ. انظر: «الكتاب» (٢/ ٧٠)، و«الكشاف» للزمخشري (١/ ٥٠٩).

(٥) أي: بدل من الضمير (هو) المقدر في كلمة (فخور) العائد على (مَن)، وقيل: هو في موضع نصب على البدل من (مَن) نفسها. انظر: «الهداية إلى بلوغ النهاية» لمكي (٢/ ١٣٢٤)، و«إعراب مشكل =

(٣٨) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ الزَّجّاجُ: هم المنافقون[١].

مجاهدٌ: اليهودُ[٢].

وقيل: عطفٌ على (الكافرين) ومحلِّه[٣].

﴿رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾: فِعالٌ من (الرُّؤية).

﴿وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا﴾: مُقارِنًا لاصقًا، من (قرنْتَ الشَّيء بالشَّيء).

وقيل: في النّار[٤].

﴿فَسَآءَ قَرِينًا﴾؛ أي: جُعل مذمومًا.

***

(٣٩) ـ ﴿ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾.

= القرآن» له (١/ ١٩٧).

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٥١).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٥٣).

(٣) كذا في النسخ الخطية، وعادة المصنف أن يذكر قولًا أولًا ثم يذكر غيره مبتدئاً بكلمة (وقيل)، ولم يذكر هنا ـ وفي مواضع ستأتي ـ إلا وجهاً واحداً، وهذا الوجه ذكره الطبري في «تفسيره» (٧/ ٢٦)، والنحاس في «إعراب القرآن» (١/ ٢١٤)، ومكي في «الهداية إلى بلوغ النهاية» (٢/ ١٣٢٧).

(٤) هذا يخالف ظاهر الآية، وهو: أن مَن اقترن به الشيطان في الدنيا وقبل منه فساء قريناً. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢١٤).

﴿ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ ﴾: ما الذي عليهم؛ أي: لا ضررَ عليهم في ذلك.

وقيل: لا عذرَ لهم ﴿لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾.

ويُحتمَلُ أنَّ الكلامَ تمَّ عند قوله: ﴿ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ ﴾، ثمّ استأنفَ فقال: ﴿لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾ لكان خيرًا لهم[1]، ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾، فيجزيهم[2].

***

(٤٠) ـ ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾.

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ ابنُ عيسى: لا يُنقِص، والظَّلامُ: نقصانُ النُّور، والظُّلمُ: وضعُ الشَّيء غيرَ موضعِه لانتقاصِ حقِّه، والظَّلْمُ: الثَّلْجُ لانتقاصِه بالجُمود، يُشبَّهُ به ماءُ الأسنان[3].

و﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾: مقدارُ ثقلِها.

أبو عبيدةَ: ﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾: زنةُ ذرّةٍ[4].

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: رأس ذرّةٍ[5].

---

(١) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٣/ ٦٣٩).

(٢) «فيجزيهم» من (ن).

(٣) وهو ما يظهر عند صفاء لون الأسنان من لمعان يشبه الماء، لا الرِّيق. انظر: «العين» (٨/ ١٦٢)، و«شمس العلوم» للحميري (٧/ ٤٢٤١).

(٤) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ١٢٧).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٢٩).

والذَّرَّةُ: النَّملةُ الصَّغيرةُ الحمراء، وهي أصغرُ النَّمل، من (ذَرَرتُه مسحوقًا).

وقُرِئَ في الشَّواذِّ: (مثقال نملةٍ)(١).

وقيل: الذَّرَّةُ لا وزنَ لها.

والذَّرَّةُ: ما ترفعُه الرِّيحُ من التُّراب.

وقيل: أجزاءُ الهواءِ في الكُوّة.

وقيل: الذَّرَّةُ: الخَردَلة.

﴿وَإِن تَكُ﴾: تقع(٢)، وحُذِفَ نونُه من غير قياسٍ تشبيهًا بحروف العلّة.

﴿حسنةٌ﴾: خيرٌ وطاعة.

﴿يُضَٰعِفۡهَا﴾ أضعافًا.

وقيل: يُنمِّيه على الثَّوابِ إلى ما لا غايةَ له.

واسمُ (كان) فيمن نصبَ(٣) عائدٌ إلى ﴿مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ﴾ أو إلى ﴿حَسَنَةً﴾.

﴿وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾: من غير تحديدٍ ولا تقديرٍ.

* * *

(٤٥) ـ ﴿فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا﴾.

---

(١) هذه قراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، كما روى ابن أبي داود في «المصاحف» (ص: ١٦٦)، والثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٠)، وقال أبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ٦٤٢): «لعل ذلك على سبيل الشرح للذرة».

(٢) أي: كان تامة، وهذا على قراءة مَن رفع (حسنة).

(٣) قرأ ابن كثير ونافع برفع (حسنة)، وقرأ الباقون بنصبها. انظر: «السبعة» (ص: ٢٣٣)، و«الحجة» لأبي علي (٣/ ١٦٠).

﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا﴾ استفهامُ توبيخٍ؛ أي: فكيف حالُهم يومَ القيامة؛ عن ابنِ عيسى(١).

وقيل: كيف تكونُ حالُهم؟

وقيل: كيف يصنعونَ إذا جئنا؟

﴿مِن كُلِّ أُمَّةٍ﴾: أتباعِ نبيٍّ ﴿بِشَهِيدٍ﴾: بنبيِّهم، ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ يا محمَّدُ ﴿عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ﴾: أمَّتِك ﴿شَهِيدًا﴾: يشهدون عليهم بإقامة الحجَّةِ عليهم.

وقيل: يشهدُ عليهم بأعمالِهم.

* * *

(٤٢) - ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾.

﴿يَوْمَئِذٍ﴾: حينئذٍ ﴿يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالله ﴿وَعَصَوُا الرَّسُولَ﴾.

وقيل: تقديرُه: الذين كفروا والذين عصَوا الرَّسولَ؛ أي: هم فريقان، وهذا بعيدٌ؛ لأنَّ الصِّلةَ لا تبقى من غير موصولٍ.

﴿لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ﴾؛ أي: صُيِّروا ترابًا، كقوله: ﴿يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾ [النبأ: ٤٠]، ومَن قرأ: ﴿لو تَسَّوّى﴾ و﴿تَسَوَّى﴾(٢) فالفعلُ مسندٌ إلى الأرضِ على طريقِ

(١) نقل الواحدي عن صاحب النظم الحسين بن يحيى الجرجاني أن الكلام هنا مرتَّب على ما سبق، وأنه على تأويل: إن الله لا يظلم مثقال ذرة، فكيف يظلمه إذا كان يوم القيامة؟ انظر: «البسيط» (٦/ ٥٢٠).

(٢) قرأ نافع وابن عامر بفتح التاء وتشديد السين، وحمزة والكسائي بفتح التاء وتخفيف السين، والباقون بضم التاء وتخفيف السين. انظر: «السبعة» (ص: ٢٣٤)، و«التيسير» (ص: ٩٦).

القلب[1]، وهو كثيرٌ؛ لأنَّهم ودُّوا لو يصيرون مثلَ الأرض، لا أن تصيرَ الأرضُ مثلَهم.

الزَّجّاجُ: يودُّون أنَّهم لن يُبعَثوا[2].

وقيل: إذا رأوا البهائمَ صارَتْ ترابًا تمنَّوا ذلك.

﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ قيل: في الدُّنيا؛ لأنَّ الله مطَّلعٌ على أسرارِهم، ولا يعتدُّ بكتمانِهم.

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: في الآخرةِ بعدَ ما نطقَتْ جوارحُهم[3].

الحسنُ: يكتمونَ في موطنٍ ويقولون: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ﴾، ويعترفونَ في موطنٍ، ويسألونَ الرَّجعةَ إلى الدُّنيا[4].

وقيل: لم يقصدوا الكتمانَ؛ لأنَّهم أخبروا على ما توهَّموا.

***

(٤٣) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾.

---

(١) «القلب» من (ن)، وموضعها فارغ في (و).

(٢) كذا في النسخ الخطية، وفي «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٥٤): «يودون أنهم لم يُبعثوا».

(٣) ذُكر عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن الله يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم، فيقول المشركون: لم نكن مشركين، فيختم الله على أفواههم، فتنطق أيديهم، ولا يكتمون الله حديثًا. علَّقه البخاري قبل حديث (٤٨١٦)، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٥٨٨)، والطبري في «تفسيره» (٧/ ٤٢).

(٤) ذكر نحوه ابن أبي زمنين في «تفسيره» (٢/ ٤٠٠)، والثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٢).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾ سببُ نزولِه: أنَّ عبدَ الرَّحمن ابنَ عوفٍ رضي الله عنه صنعَ طعامًا، فدعا ناسًا من أصحابِ النَّبيِّ ﷺ، فطعموا وشربوا، وحضرَت صلاةُ المغرب، فتقدَّمَ بعضُ القوم ـ قيل: هو عليٌّ رضي الله عنه، وقيل: عبد الرَّحمن ـ فصلَّى بهم المغربَ، فقرأ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ [الكافرون: ١]، ولم يُقِمْها[١]، فقرأ: **أعبدُ ما تعبدون**، فأنزلَ الله عزَّ وجلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ﴾[٢]؛ أي: لا تصلُّوا.

﴿وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾ الجمهورُ: من الخمر.

الضَّحّاكُ: من النَّوم[٣].

ورَوت عائشةُ رضي الله عنها: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «إذا نَعَسَ الرَّجلُ وهو يصلِّي فَلْيَنصَرِفْ، لعلَّه[٤] يدعو على نفسِه وهو لا يدري[٥]»[٦].

عَبيدةُ السَّلمانيُّ: ﴿وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾ قال: هو الحاقنُ[٧]؛ من قولِه ﷺ: «لا يُصلِّينَّ

---

(١) في هامش (ن): «أي: لم يقرأها مستقيمة».

(٢) رواه أبو داود (٣٦٧١)، والترمذي (٣٠٢٦) من حديث علي رضي الله عنه، وقال الترمذي: «حسن صحيح غريب».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٤٨)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٧٢١)، وقال ابن عبد البر في «التمهيد» (٢٢/ ١١٨): «لا أعلم أحدًا قال ذلك غيرَ الضحاك».

(٤) في (و): «فلعله».

(٥) في (و): «ولا يدري».

(٦) رواه البخاري (٢١٢)، ومسلم (٧٨٦)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٥٣)، واللفظ لفظه.

(٧) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٧)، والمصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٩٧)، وعدَّه من العجائب، وذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ٦٤٨).

أحدُكم وهو زَنَاءٌ[١]»[٢]، وعنه أيضًا: «لا يُصلِّينَّ أحدُكم وهو يُدافعُ الأخبثَيْن»[٣].

وأصلُ السُّكْرِ: الشَّدُّ، ومنه (السَّكْرُ)، وهو سَدُّ مجرى الماء، والموضعُ السِّكْرُ[٤].

الحسنُ وعطاءٌ وابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهم: ـ مختلفٌ[٥] ـ لا تقربوا مواضعَ الصَّلاة[٦].

---

(١) قال المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٩٧): «أي: حاقن، بوزن جبان».

(٢) رواه أبو عبيد في «غريب الحديث» (٣/ ١٨٣) وفيه رجل مبهم، وضعَّفه النووي في «خلاصة الأحكام» (١/ ٤٩٠).

وللحديث شواهد تغني عنه منها ما رواه أبو داود (٨٨)، والترمذي (١٤٢) عن عبد الله بن أرقم قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «إذا أقيمت الصلاة ووجد أحدكم الخلاء فليبدأ بالخلاء»، قال الترمذي: «حسن صحيح»، وما رواه البخاري في «الأدب المفرد» (١٠٩٣)، وأبو داود (٩٠)، والترمذي (٣٥٧) عن ثوبان أن النبي ﷺ قال: «ولا يصلي وهو حاقن حتى يتخفف»، وقال الترمذي: «حديث حسن»، وروى نحوه أبو داود (٩١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه مسلم (٥٦٠) عن عائشة رضي الله عنها بلفظ: «لا صلاة بحضرة الطعام، ولا هو يدافعه الأخبثان»، ولفظ المصنف ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٧).

(٤) انظر: «مقاييس اللغة» لابن فارس (٣/ ٨٩).

(٥) الاختلاف عن ابن عباس رضي الله عنه؛ فقد روى عنه هذا الضحاك وابن يسار، وروى عنه أبو مجلز أن المراد المسافر الجنب لا يصلي حتى يتيمم. انظر: «النكت والعيون» للماوردي (١/ ٤٩٠).

(٦) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٤٠٩) عن هؤلاء الثلاثة إضافة لابن مسعود وأنس بن مالك وسعيد بن المسيّب وعكرمة والزهري وعمرو بن دينار وأبي الضحى وأحمد والشافعي وابن قتيبة، وذكره الزجاج في «معاني القرآن» (٢/ ٥٥)، والمصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٩٧)، وابن عطية في «المحرر الموجيز» (٢/ ٥٧) بلا نسبة.

وروى الطبري في «تفسيره» (٧/ ٥٦)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٧٢٣) واللفظ له عن =

﴿حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ﴾ من كلامِكم.

وقيل: حتى تعلموا ما تقرؤون فيها.

﴿وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ﴾ عليٌّ رضي الله عنه وابن عبّاسٍ في جماعةٍ: مسافرين[1].

وقيل: مجتازين في المساجد.

﴿حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا۟﴾ تقديره: ولا جنبًا حتى تغتسلوا، إلَّا عابري سبيلٍ ليصل إلى الماء ويكون طريقه عليه، أو ينام في المسجد فيحتلم.

﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ سببُ نزولِه: ما رُوِيَ عن عائشةَ رضي الله عنها: أنَّها قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعضِ أسفارِه، حتَّى إذا كنّا بالبيداءِ انقطعَ عِقدٌ لي ـ قيل[2]: كان من جزعِ ظفارٍ[3] ـ فأقامَ[4] عليه السَّلام لالتماسِه، وأقامَ النّاسُ

= الحسن: «أنه كان لا يرى بأسًا أن يمر الجنب في المسجد، ولا يقعد فيه، وقرأ هذه الآية: ﴿وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ﴾». وروى ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٥٥٨) عن عطاء قال: «﴿وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ﴾ قال: الجنب يمر في المسجد». وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٥٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «﴿لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ قال: صلاة المساجد». وروى الطبري في «تفسيره» (٧/ ٥٥)، والبيهقي في «السنن الصغرى» (١٥٢)، واللفظ له، من طريق عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لا تدخل المسْجد وأنت جنب إلا أن تكون طريقك فيه ولا تجلس».

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٥١) عن علي رضي الله عنه، ورواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٦٦٥)، والطبري في «تفسيره» (٧/ ٥٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) في (و): «قال».

(٣) هذه العبارة وردت في حديث عمار بن ياسر رضي الله عنهما، كما رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٨٣٢٢)، وأبو داود (٣٢٠)، والنسائي (٣١٤).

(٤) في (و): «فقام».

معه، وليسوا على ماءٍ، وليس معهم ماءٌ، فجاء أبو بكرٍ رضي الله عنه ورسولُ الله ﷺ واضعٌ رأسَه على فَخِذي قد نام، فقال: أحبسْتِ رسولَ اللهِ والنّاسَ معه، وليسوا على ماءٍ، وليس معهم ماءٌ، قالت[1]: فعاتبني أبو بكرٍ وقال ما شاءَ الله أن يقولَ، وجعلَ يطعنُ بيده في خاصرتي، فلم يمنعني من التَّحرُّك إلّا[2] مكانُ رسولِ اللهِ عليه السَّلام على فخذي، فنامَ[3] رسولُ الله ﷺ حتَّى أصبحَ على غيرِ ماءٍ، فأنزلَ الله تعالى آيةَ التَّيمُّم، فقالَ أُسَيدُ بنُ حُضَيرٍ أحدُ النُّقباء: ما هي بأوَّلِ بركتِكم يا آلَ أبي بكرٍ، قالت عائشةُ رضي الله عنها: فبَعَثْنا البعيرَ الذي كنْتُ عليه، فوجدْنا العقدَ تحتَه[4].

قال الزُّهريُّ: بلغنا أنَّ أبا بكرٍ قال لعائشةَ رضي الله عنها: إنَّك والله ما علمْتُ لمبارَكةٌ[5].

﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ﴾ ابنُ مسعودٍ[6] في جماعةٍ: مرضَ الجريحِ والكَسيرِ وصاحبِ القُروح[7].

---

(١) في (و): «قال».

(٢) في (و): «لا».

(٣) في (و): «فقام».

(٤) رواه البخاري (٣٣٤)، ومسلم (٣٦٧).

(٥) في (و): «مباركة». رواه الإمام أحمد بلاغًا في «مسنده» (١٨٣٢٢)، ورواه الإمام أحمد في «مسنده» (١٨٨٨٨) وابن ماجه (٥٦٥) فجعلاه جملة من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنهما، ورواه الإمام أحمد في «مسنده» (٢٦٣٤١) فجعله جملة من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٦) في (و): «ابن عباس».

(٧) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٥٩) عن ابن مسعود رضي الله عنه، وأبي مالك، والسدي، سعيد بن جبير، وإبراهيم، والضحاك، ومجاهد، وروى ابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٧٢٤) وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٦٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وروى الحاكم في «المستدرك» =

الحسنُ وابنُ زيدٍ: المرضَ الذي لا يستطيعُ تناولَ الماءِ إذا لم يكن مَن يناولُه[1].

داودُ[2]: أيَّ مرضٍ كان[3].

﴿أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾: مسافةَ ثلاثةِ أيّامٍ ولياليها.

وقيل: يومٍ وليلةٍ.

داودُ: أيِّ سفرٍ كان[4].

﴿أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ﴾: هو كنايةٌ عن إخراجِ ذاتِ البطنِ، وأصلُ الغائطِ: المطمئنُّ من الأرضِ.

﴿أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ عليٌّ وابنُ عبّاسٍ والحسنُ في جماعةٍ: جامعتموهنَّ[5].

= (٥٨٦) عنه يرفعه: «إذا كان الرجل الجراحةُ في سبيل الله أو القروح أو الجدري، فيجنب فيخاف إن اغتسل أن يموت، فليتيمم».

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٦٢) عن ابن زيد.

(٢) هو أبو سليمان داود بن علي بن خلف الأصبهاني، أحد الأئمة المجتهدين في الإسلام، لُقِّب بالظاهري؛ لأخذه بظاهر الكتاب والسنة وإعراضه عن التأويل والرأي والقياس، ونُسبت إليه الطائفة الظاهرية، ولد في الكوفة سنة ٢٠١هـ، وسكن بغداد، وانتهت رياسة العلم فيها إليه، وفيها توفي سنة ٢٧٠هـ. انظر: «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٢/ ٢٥٥).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٤٩٠)، وإليه ذهب ابن حزم أيضاً. انظر: «المحلى» لابن حزم (١/ ٣٤٧).

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٤٩٠)، وذكره ابن حزم في «المحلى» (١/ ٣٤٧)، وذهب إليه.

(٥) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٧٦٠)، والطبري في «تفسيره» (٧/ ٦٧) عن علي رضي الله عنه، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٦٨٣)، والطبري في «تفسيره» (٧/ ٦٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٤٩١) وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٤١١) =

ابنُ مسعودٍ في جماعةٍ: هو: اللَّمسُ باليدِ وغيرِها ممّا دونَ الجماع(١).

وقيل: (أو) في قوله: ﴿أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم﴾ بمعنى الواو(٢).

وقيل: فيه تقديمٌ وتأخيرٌ، تقديرُه: إلَّا عابري سبيلٍ حتى تغتسلوا، أو جاء أحدٌ منكم من الغائطِ، أو لامستم النِّساء، وإن كنتم مرضى أو على سفرٍ، فلم تجدوا ماءً، فتيمَّموا(٣).

وقولُه: ﴿فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ﴾؛ أي: ماءً يمكنُكم استعمالُه.

﴿فَتَيَمَّمُواْ﴾: تعمَّدوا، والتَّيمُّمُ والتَّأمُّمُ: التَّعمُّدُ.

﴿صَعِيدٗا﴾: وجهَ الأرض، والصَّعيدُ: وجهُ الأرضِ من غيرِ نباتٍ ولا شجرٍ.

﴿طَيِّبٗا﴾: طاهرًا.

ابنُ عمرَ والحسنُ: ضربةٌ للوجهِ وضربةٌ لليدينِ إلى المرفقين(٤).

مكحولٌ: إلى الزَّندين(٥).

= عن علي وابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد.

(١) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٤٩٩)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٧٦٢)، والطبري في «تفسيره» (٧/ ٦٨) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (١٥/ ٤٧٣)، و«الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي» له أيضاً (ص: ٣٦)، و«زاد المسير» لابن الجوزي (١/ ٤١١).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٢٢)، واستغربه.

(٤) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٨١٧)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٦٧٣) عن ابن عمر رضي الله عنهما، ورواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٨٢٠)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٦٧٥) عن الحسن.

(٥) روى ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٦٧٩) عن مكحول أن المسح لوجهه وكفيه، وروى الطبري في «تفسيره» (٧/ ٨٥) أن مكحولًا كان يقول: «التيمم ضربة للوجه والكفين إلى الكوع».

الزُّهريُّ: إلى الإبطين[1].

المحدِثُ والجنُبُ فيه سواءٌ.

عمرُ وابنُ مسعودٍ رضي الله عنهما: ليس للجُنبِ التَّيمُّمُ[2].

﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ المسحُ: إمرارُ اليدِ على الشَّيء.

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ فأطيعوه فيما يأمُركم وينهاكم عنه.

* * *

(٤٤) ـ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٩٠)، وعدَّه المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٩٨) من العجائب، وقد روى أبو داود (٣١٨)، والنسائي (٣١٤) من طريق الزهري عن عمار بن ياسر رضي الله عنهما: «أنه كان يحدث أنهم تمسَّحوا وهم مع رسول الله ﷺ بالصعيد لصلاة الفجر فضربوا بأكفهم الصعيد، ثم مسحوا وجوههم مسحة واحدة، ثم عادوا فضربوا بأكفهم الصعيد مرة أخرى فمسحوا بأيديهم كلها إلى المناكب والآباط من بطون أيديهم». وقال الخطابي في «معالم السنن» (١/ ٩٩) معلِّقاً على هذا الحديث: «لم يختلف أحد من أهل العلم أنه لا يلزم المتيمم أن يمسح بالتراب ما وراء المرفقين».

(٢) روى البخاري (٣٤٦) ومسلم (٣٦٨) عن شقيق بن سلمة، قال: «كنت عند عبد الله وأبي موسى، فقال له أبو موسى: أرأيت يا أبا عبد الرحمن إذا أجنب فلم يجد ماء؛ كيف يصنع؟ فقال عبد الله: لا يصلي حتى يجد الماء، فقال أبو موسى: فكيف تصنع بقول عمار حين قال له النبي ﷺ: «كان يكفيك...» قال: ألم تر عمر لم يقنع بذلك؟ فقال أبو موسى: فدعنا من قول عمار، كيف تصنع بهذه الآية؟ فما درى عبد الله ما يقول، فقال: إنا لو رخصنا لهم في هذا لأوشك إذا برد على أحدهم الماء أن يدعه ويتيمم، فقلت لشقيق: فإنما كره عبد الله لهذا؟ قال: نعم». وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٩٨)، وعدَّه من العجائب.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾: هم أحبارُ اليهود.

و﴿الْكِتَابِ﴾[١]: التَّوراةُ.

وقولُه: ﴿نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾: تحقيرًا لهم؛ أي: لم يعلمُوا منها إلَّا قليلًا.

﴿يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ﴾: يختارونها على الهدى؛ أي: يبيعونَ دينَ الله بالرُّشا[٢]، ويحرِّفون ما في التَّوراة من الأحكامِ وصفةِ محمَّدٍ عليه السَّلام.

﴿وَيُرِيدُونَ﴾ بالتَّحريفِ ﴿أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾: تشكُّوا وتَزيغوا عن الصِّراطِ المستقيم.

* * *

(٤٥) - ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾.

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ﴾ وقد أخبرَكم بهم.

﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا﴾: واليًا يَلِي أمرَكم.

﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾: مُعينًا.

والباءُ زائدةٌ.

ابنُ عيسى: لأنَّ الاسمَ في ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ﴾ كان يتَّصلُ اتِّصالَ الفاعل، وبدخولِ الباءِ اتَّصل اتِّصالَ المضافِ واتِّصالَ الفاعل؛ لأنَّ الكفايةَ منه ليسَت كالكفايةِ من غيرِه، فضُوعِفَ لفظُها بمضاعفةِ[٣] معناها[٤].

---

(١) في (و): «وكتاب».

(٢) يُقال: رُشا، ورِشا، وهي جمع رُشْوة ورِشْوة. انظر: «إصلاح المنطق» لابن السكِّيت (ص: ٩١).

(٣) في (و): «بالمضاعفة».

(٤) ذكر علي بن عيسى الرماني في «شرح كتاب سيبويه» (١/ ٣٩٣) نحو ما نقله عنه المصنِّف، والظاهر =

الزَّجّاجُ: اكتفَوا به[1].

وموضعُه رفعٌ بلا خلافٍ.

***

(٤٦) - ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ بيانٌ للأوَّل، والعاملُ فيه ﴿أُوتُواْ﴾.

أبو عليٍّ: نصيرًا من الذين هادوا؛ كقوله: ﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ﴾ [غافر: ٢٩][2].

وقال الكوفيُّون: مِن الذين هادوا مَن يحرِّفون[3]، وهذا لا يجوزُ عند البصريِّين.

ويجوزُ عندَهم وعندَ البصريِّين أنَّه على إضمارِ نكرةٍ هذهِ الجملةُ صفتُها[4]، والتَّقديرُ[5]: قومٌ يُحرِّفون؛ كقولِ الشّاعر:

= أن المصنِّف إنما نقل عن «التفسير»، وهو مفقود.

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٥٧).

(٢) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٢/ ٣٥-٣٦)، وقد استغربه المصنِّف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٩٨).

(٣) أجاز الفراء هذا بعد ذكره القول الأول، وقد ذكره المصنِّف، وعدَّه من العجائب. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٧١)، و«غرائب التفسير» (١/ ٢٩٩).

(٤) نقل الطبري هذا الرأي عن البصريين، وذكر أن الكوفيين لا يجيزون إلا إضمار (مَن) ونحوها. انظر: «الكتاب» (٢/ ٣٤٦)، و«المقتضب» للمبرد (٢/ ١٣٨)، و«تفسير الطبري» (٧/ ١٠٢)، و«معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٥٨).

(٥) «وعند البصريين أنه على إضمار نكرة هذه الجملة صفتها والتقدير» من (ن).

لَـوْ قُلْتَ مـا فِي قَوْمِهـا لَمْ تِيثَـمِ　　　يَفْضُلُها في حَسَـبٍ وَمِيسـمِ[(١)]

أي: أحدٌ يفضُلُها.

ومثلُـه ﴿وَمَامِنَّآ إِلَّالَهُۥمَقَامٌمَّعْلُومٌ﴾ [الصافات: ١٦٤]؛ أي: مـا منّـا أحـدٌ إلّا لـه مقـامٌ معلومٌ[(٢)].

﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾: يأوِّلونها على غيرِ ما أنزلَ الله له بإزالةِ معانيها وتبديلِها.

﴿وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا﴾ قولَك ﴿وَعَصَيْنَا﴾ أمرَك.

قيل: أسرُّوا به، وقيل: حالهم دلَّ على ﴿وَعَصَيْنَا﴾.

﴿وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ ابـنُ عبّـاسٍ رضـي الله عنهما: اسـمعْ لا سـمعْتَ[(٣)]؛ على الدُّعـاءِ عليه.

وقيل: اسمعْ أصمَّكَ اللهُ.

وقيل: أماتَك الله؛ فإنَّ الميِّتَ لا يسمع[(٤)].

وقيل: ﴿وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ من قولك: أسمعْتُه القبيحَ؛ قالوها نفاقًا[(٥)].

---

(١) الرجز لأبي الأسود الحماني، كما في «شرح المفصل» لابن يعيش (٢/ ٢٥٤) و«المقاصد النحوية» للعيني (٤/ ١٥٦٢)، وهو لحكيم بن معية الربعي، كما في «خزانة الأدب» (٥/ ٦٤)، وذكره سيبويه بلا نسبة في «الكتاب» (٢/ ٣٤٥).

(٢) هذا ما ذهب إليه الزجاج، وقال المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٩٨): «وفيه كلام».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ١٠٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٦٦).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٩٩)، واستغربه.

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٩٩)، وعدَّه من العجائب.

الزَّجّاجُ: كانت اليهودُ تقولُ: اسمع، وتقولُ في أنفسِهم[1]: لا أُسْمِعْتَ[2].

وقيل: غيرَ مُجابٍ إلى ما تدعو إليه[3].

﴿وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ﴾: استهزاءً ومحاكاةً، واللَّيُّ: الفَتْلُ.

وقيل: ليُّهم: إشباعُهم العينَ[4] في (راعينا)؛ يعنون: راعي مواشينا[5].

وقيل: هو قلبُ المعنى من وجهِه[6].

واللِّسانُ: العضوُ الذي يُتكلَّمُ به، وهو أصلُ الباب.

﴿وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ﴾ هو قولُهم: لو كان نبيًّا حقًّا لأخبرَ بما نعتقدُ فيه ونقصدُه به.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا﴾ سبقَ تفسيرُه في (البقرة).

﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ﴾ من الميلِ[7].

﴿وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾: إلَّا شرذمةً.

---

(١) كذا في النسخ الخطية، وفي «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٥٨): «أنفسها»، وهو أفضل.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٥٨).

(٣) هذا تتمة كلام الزجاج، وهو مروي عن الحسن، وردَّه النحاس. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٥٨)، و«إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢١٨).

(٤) في (و): «لسباعهم الغير».

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٩٩)، وعدَّه من العجائب.

(٦) ذكر المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ١٦٦) أنَّ هذه اللفظة في العربية تحتمل أن تكون من (المراعاة)، وكان المسلمون يقولونها للنبي ﷺ على هذا المعنى، وتحتمل أن تكون من (الرُّعونة)، وتحتمل أن تكون من (رعي الإبل)، فكان اليهود يقولونها للنبي ﷺ على هذا المعنى الثاني أو الثالث. وقيل: بل كان سبًّا قبيحا بلغتهم.

(٧) في (و): «الليل».

﴿قَلِيلًا﴾ نصبٌ على الاستثناءِ من النَّفي على الأصل.

ويجوزُ إيمانًا قليلًا، ويُستعمَلُ القليلُ للعدم، قال:

.... قليلٍ بها الأصواتُ إلّا بُغامُها[1]

***

(٤٧) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا﴾ يعني: القرآنَ ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم﴾ يعني: التَّوراةَ ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا﴾: نمحو ما فيها من الحواجبِ والأنوفِ والعيونِ والأفواه، فتصيرَ كخفِّ البعير.

والطَّمسُ: إذهابُ الأثر، وكذلك (الطَّسْمُ)، و(طَمَسَ) لازمٌ ومتعدٍّ.

﴿فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ﴾: نحوِّلَها[2] إلى مكانِ الأقفاء، ونحوِّلَ الأَقفاءَ إلى مكانِ الوجوه.

ابنُ بحرٍ: ﴿فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ﴾ تفسيرٌ للطَّمس؛ أي: نحوِّلَ الوجوهَ إلى مكانِ الأقفاءِ فيمشيَ القَهقرى[3].

---

(١) عجز بيت لذي الرمة، وصدره:

أُنيخَتْ فألقَتْ بَلْدةً فوقَ بَلدةٍ

انظر: «ديوان ذي الرمة» تحقيق: عبد القدوس أبو صالح (ص: ١٠٠٤)، و«الكتاب» (٢/ ٣٣٢). والبيت من شواهد سيبويه على أن (إلا) صفة بمعنى (غير)، وأن إعرابها نقل إلى ما بعدها، أما ما استشهد عليه المصنِّف من أن القلة تأتي بمعنى العدم فقد ذكره الطبري وغيره، ولم أقف على مَن استشهد عليه بهذا البيت قبل المصنِّف. انظر: «تفسير الطبري» (٢/ ٢٣٣).

(٢) في (و): «نحوها».

(٣) روى الطبري في «تفسيره» (٧/ ١١٢) نحوه عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن عطية العوفي.

الحسنُ: يجعل وجوهَهم منابتَ الشَّعر، وينقل العيونَ إلى الأقفاء[١].

الزَّجّاجُ: الوجوهُ هاهنا تمثيلٌ لأمرِ الدِّين، والمعنى: من قبلِ أنْ نضلَّهم مجازاةً لهم على معاندتِهم[٢].

وقيل: ﴿قَبۡلِ﴾ هاهنا مجازٌ؛ لأنَّ القَبْلَ والبَعْدَ يُستعملان إذا وُجِدَ الشَّيءُ أو قُدِّرَ وجودُه.

﴿أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ﴾: نطردَهم فنبعدَهم من رحمتِنا ﴿كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ﴾: اليهودَ زمنَ داودَ عليه السَّلام حين جُعلوا قردةً خاسئين.

﴿وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولًا﴾؛ أي: إذا أمرَ بإيقاعِ وعدٍ أو وعيدٍ فُعِلَ لا محالةَ.

وقيل: الأمرُ: المأمورُ؛ لأنَّ اللهَ إذا أمرَ ملائكتَه وغيرَهم[٣] بفعلٍ فإنَّ المأمورَ يَفعلُ[٤] المأمورَ به لا محالةَ.

* * *

(٤٨) ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾.

---

(١) هذا نحو قول الفراء، وذُكر عن الحسن أن الطمس إذهاب صورة الشيء، وروي عنه ما يوافق قول الزجاج، فقد روى عبد الرزاق في «تفسيره» (٥٩٧)، والطبري في «تفسيره» (٧/ ١١٣) عن الحسن قال: «﴿نَّطۡمِسَ وُجُوهًا﴾: نطمسها عن الحق، ﴿فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ﴾: على ضلالتها»، وهو القول المشهور عنه. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٧٢)، و«تهذيب اللغة» (١٢/ ٢٤٦)، و«تفسير الثعلبي» (١٠/ ٣٩١)، و«النكت والعيون» للماوردي (١/ ٤٩٤)، و«زاد المسير» لابن الجوزي (١/ ٤١٧).

(٢) هذا أحد ثلاثة أقوال ذكرها الزجاج؛ الأول: نجعل وجوههم كأقفائهم، والثاني: نجعل وجوههم منابت للشعر، وهذا الثالث. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٥٩).

(٣) في (و): «وغيرها».

(٤) في (و): «فعل».

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ الكلبيُّ: نزلَت في الوحشيِّ وأصحابِه(١).

والمعنى: لا يغفرُ الشِّركَ والكفرَ لمن مات عليه.

﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾؛ أي: ما دونَ الشِّرك لمن يشاء، وليس المشيئةُ متعلِّقةً بالذَّنب، بل هي متعلِّقةٌ بالمذنِب.

وتقييدُه سبحانه بقولِه: (من يشاء) لا يخرجُه عن كونِه عامًّا كما لم يخرجِ الرِّزقَ عن العموم في قوله: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ﴾ [الشورى: ١٩].

ويحتملُ أنَّ الضَّميرَ في قوله: ﴿يَشَآءُ﴾(٢) يعود إلى (مَن)؛ أي: ويغفر ما دون الشِّركِ لمن يشاءُ أن يُغفَرَ له بأن يتوبَ ويندمَ(٣) على ما فرطَ منه وبالاستغفارِ(٤).

يُقوِّيه ما روى عبد الله بن عَمرٍو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ لَقِيَ اللهَ لا يُشرِكُ به شيئًا دخلَ الجنّةَ، ولا تَضرُّهُ خَطِيئتُه، كما لو لَقِيه وهو يُشرِكُ به شيئًا(٥) دخلَ النّارَ، ولم تنفعْهُ حَسَنتُه»(٦).

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٣٩٣) عن الكلبي، ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١٤٨٠)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٣٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما من غير طريق الكلبي، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢١٥): «رواه الطبراني، وفيه أبين بن سفيان، وهو ضعيف».

(٢) «يشاء» من (ن).

(٣) في (و): «بالتَّوبة والنَّدم».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٩٩)، واستغربه.

(٥) «شيئًا» من (ن).

(٦) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦٥٨٦)، والثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٣٩٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٤٣٧٩)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٩٣): «رواه أحمد، والطبراني في الكبير، ورجاله رجال الصحيح ما خلا التابعي؛ فإنه لم يسم، ورواه الطبراني فجعله =

وعن عليٍّ رضي الله عنه: ما في القرآنِ آيةٌ أحبُّ إليَّ من هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾(١).

﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ قيل: كذبَ كذبًا عظيمًا استحقَّ به عذابًا أليمًا.

وقيل: ﴿إِثْمًا عَظِيمًا﴾: لا أعظمَ منه.

* * *

(٤٩) ـ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾.

= من رواية مسروق عن عبد الله بن عمرو»، وقد نبَّه عبد الله بن الإمام أحمد والحافظان الحسيني وابن حجر إلى أن في الإسناد رجلاً مبهماً، بينما مال إلى تصحيحه الشيخ أحمد شاكر بالاعتماد على أن الضمير يحتمل عوده على مسروق لا على الرجل المبهم، ودعم هذا الاحتمال بنقل الهيثمي عن رواية الطبراني التي ذكر أنه لم يقف عليها، ونظن أنه لو وقف عليها لما استند إليها؛ فالرواية عن يحيى بن اليمان، وهو صدوق تغيَّر حفظه، وقد ذكر الطبراني أن الناس خالفوه في ذلك، وذكر رواية أبي نعيم، كما أن ترجيح رواية أبي نعيم الذي ذكر الشيخ شاكر على جلالته أنه لم يعرف وجهه، يمكن أن يكون أصرح في إسناد القول إلى الرجل المبهم؛ فرواية الزبيري: «نزل رجل على مسروق فقال: سمعت»؛ فاحتمال أن يكون القائل الرجل أو مسروقاً متساو، لكن رواية أبي نعيم: «جاء رجل أو شيخ من أهل المدينة، فنزل على مسروق، فقال: سمعت»؛ وظاهر هذا أن القائل هو الرجل، واحتمال أن يكون القائل مسروقاً بعيد، والله أعلم، لكن الحديث له شواهد صحيحة. انظر: «الإكمال» للحسيني (ص: ٦٠٦)، و«تعجيل المنفعة» لابن حجر (٢/ ٦٣١)، وتعليق الشيخ أحمد شاكر على «المسند» (٦/ ١٥٩).

(١) رواه الترمذي (٣٠٣٧)، وقال: «حديث حسن غريب»، وقال شيخنا الشيخ عبد القادر الأرناؤوط: «حسنه الترمذي مع أن فيه ثوير بن أبي فاختة، وهو ضعيف، كما قال الحافظ في التقريب». انظر: «جامع الأصول» (٢/ ٩٢).

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم﴾ قال الكلبيُّ: نزلَت في رجالٍ من اليهودِ، أتَوا رسولَ الله عليه السَّلام بأطفالِهم، وقالوا: يا محمَّدُ، هل على أطفالِنا هؤلاء من ذنبٍ؟ قال: «لا»، فقالوا: والذي يُحلَفُ به ما نحن إلَّا كهيئتِهم، ما من ذنبٍ نعملُه بالنَّهارِ إلَّا كُفِّرَ عنّا باللَّيلِ، وما من ذنبٍ نعملُه باللَّيلِ إلَّا كُفِّرَ عنّا بالنَّهار(١).

ومعنى ﴿يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم﴾: ينسبونَها إلى الطَّهارة.

﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾: يُطهِّرُ من الذُّنوبِ مَن يشاء.

وقيل: يحكمُ بالطَّهارةِ لمن يشاء.

وقيل: يُطهِّرُه من الذُّنوبِ بتوفيقِه.

وقيل: هي تزكيةُ بعضِهم لبعضٍ؛ لينالَ حالًا من مالِ الدُّنيا.

﴿وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا﴾: يُضرَبُ به المثلُ في الحقارة، وأكثرُ المفسِّرين على أنَّ الفتيلَ والنَّقيرَ والقِطْميرَ من النَّواة؛ فالفتيلُ: ما في بطنها، والنَّقيرُ: ما في ظهرها، والقِطميرُ: قشرُها.

وقيل: الفتيلُ: ما فتلْتَه بأصبعيك من الوسخِ الذي يخرجُ من بينهما.

ابنُ عبّاسٍ: النَّقير: النُّقطةُ التي على ظهرِ النَّواة، منها تنبتُ النَّخلة(٢).

الضَّحّاكُ: البياضُ الذي في وسطِها(٣).

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٤٠٠)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٥٥)، وابن حجر في «العجاب» (٢/ ٨٨٤)، وذكر نحوه مقاتل في «تفسيره» (١/ ٣٧٨)، وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٤١٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وروى الطبري في «تفسيره» (٧/ ١٢٤) نحوه عن الضحاك والسدي.

(٢) رواه سعيد بن منصور في «سننه ـ التفسير» (٦٥٠)، والطبري في «تفسيره» (٧/ ١٤٩)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٧٤١).

(٣) قول الضحاك هذا في النقير، كما ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٤١١)، وأبو حيان في «البحر =

(٥٠) ـ ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا﴾.

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾: يختلقون، ويقطعون[1] على كذبٍ يُخبرون به.

﴿وَكَفَىٰ بِهِۦٓ﴾؛ أي: بالافتراء، وقيل: بالكذب.

﴿إِثْمًا مُّبِينًا﴾: ظاهرًا، والمعنى: هو النِّهايةُ في اكتسابِ الآثام.

***

(٥١) ـ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يعني: اليهودَ.

قتادةُ: نزلَت في كعبِ بنِ الأشرفِ وحييٍّ بنِ أخطب؛ رجلين من اليهود من بني النَّضير، لقيا قريشًا بالموسم، فقال لهما المشركون: أنحن أهدى أم محمَّدٌ وأصحابُه؛ فإنّا أهلُ السِّدانةِ والسِّقايةِ وأهلُ الحرم؟ فقالا: بل أنتم أهدى من محمَّدٍ، وهما يعلمان أنَّهما كاذبان، إنَّما حمَلَهما على ذلك حسدُ محمَّدٍ وأصحابِه، فأنزلَ الله هذه الآية[2].

وذكر المفسِّرون: أنَّ أحبارَ اليهودِ؛ لِفَرطِ عداوتِهم للنَّبيِّ عليه السَّلام، وشدَّةِ حرصِهم على إبطالِ أمرِه، وأن يُصوِّروا عند العرب أنَّه كاذبٌ فيما يدَّعيه، آمنوا بالجبتِ والطّاغوت، وكانوا يقولون للعربِ وأهلِ المدينة: إنَّ عبادةَ الأصنامِ أرضى عندَ الله ممّا يدعو إليه محمَّدٌ عليه السَّلام.

= المحيط» (٣/ ٦٦٦)، وروى الطبري في «تفسيره» (٧/ ١٥٢) عن الضحاك نحوه، وروى عنه أيضاً (٧/ ١٥٠) أنه قال: «النقرة التي تكون في ظهر النواة».

(١) في (و): «ويقتطعون».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ١٤٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٧).

﴿يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: الجبتُ: الأصنامُ، والطّاغوتُ: تراجمةُ الأصنام[١].

مجاهدٌ وابنُ زيدٍ: الجبتُ: السِّحرُ، والطّاغوتُ: الشَّيطان[٢].

سعيدُ بنُ جُبيرٍ: الجبتُ: السّاحرُ، والطّاغوتُ: الكاهن[٣].

الضَّحّاكُ: الجبتُ: حييُّ بنُ أخطب، والطّاغوتُ: كعبُ بنُ الأشرف[٤].

الزَّجّاجُ: كلُّ ما عُبِدَ مِن دون الله جبتٌ وطاغوتٌ[٥].

وعن قُطربٍ: الجبتُ: الجِبْسُ[٦]، وهو الذي لا خيرَ عندَه، قُلِبَتِ السِّين تاءً[٧]؛ وإنَّما قال هذا لأنَّ الجبتَ مهملٌ.

﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾؛ أي: فيهم ولأجلهم.

﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾: عبدةُ الأصنامِ ﴿أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا﴾: أقومُ دِينًا وأرشدُ طريقةً.

* * *

---

(١) ذكر هذا اللفظ الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٤٠٤) والماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٤٩٥) عن ابن عباس، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٧/ ١٣٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٧٥).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ١٣٦)، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٧٦) عن مجاهد بلفظ: «الشيطان في صورة الإنسان، يتحاكمون إليه، وهو صاحب أمرهم».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ١٣٧)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٤٠٥).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ١٤٠)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٤٠٥).

(٥) لم يذكره الزجاج قولًا له، وإنما نقله عن أهل اللغة. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٦١).

(٦) في هامش (ن): «أي: الخبيث».

(٧) ذكره أبو بكر الأنباري في «المذكر والمؤنث» (١/ ٢٨٤)، والنحاس في «معاني القرآن» (١/ ٢٧١)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٠٠)، واستغربه.

(٥٢) ـ ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَمَن يَلۡعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا﴾.

﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾: أبعدَهم من رحمتِه، ﴿وَمَن يَلۡعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا﴾: معينًا يمنعُه، ولا شفيعًا يشفعُ له.

* * *

(٥٣) ـ ﴿أَمۡ لَهُمۡ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلۡمُلۡكِ فَإِذًا لَّا يُؤۡتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا﴾.

﴿أَمۡ لَهُمۡ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلۡمُلۡكِ﴾: هي المنقطعةُ[1]؛ أي: بل أَلَهُمْ؛ استفهامُ جَحْدٍ، والمعنيُّ بهم اليهود، وهو ما تدَّعيه أنَّ الملكَ يصيرُ إليهم في آخرِ الزَّمان.

﴿فَإِذًا لَّا يُؤۡتُونَ ٱلنَّاسَ﴾ قيل: هم العربُ.

وقيل: محمَّدٌ عليه السَّلام وأصحابُه.

الزَّجّاجُ: هو منعُهم العُشْرَ والزَّكاة[2].

المفضَّلُ: أي: ليس لهم نصيبٌ، فَلِمَ تتَّبعونَهم[3]؟

ويحتمل: لا يُؤتون مُستحِقًّا شيئًا.

ومعنى (إذًا): لو كان الأمر على هذا، و(إذًا) إذا توسَّطَ[4] لم يعمل، ومع تقديمِ الفاءِ والواوِ جازَ الوجهان؛ الإعمالُ والإلغاء[5].

---

(١) (أم) المنقطعة هي التي تكون على نية الإضراب عن الكلام السابق، ومعناها معنى (بل)، وتدخل على الخبر والاستفهام. انظر: «الكتاب» (٣/ ١٧٢)، و«المقتضب» للمبرد (٣/ ٢٩٤)، و«الأصول» لابن السراج (٢/ ٥٨).

(٢) لم أقف على قوله هذا، وفي «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٦٢): «وذكر النقير ههنا تمثيل، المعنى: لضنوا بالقليل».

(٣) ذكر السمعاني هذا القول في «تفسيره» (١/ ٤٣٧) بلا نسبة.

(٤) في (و): «توسيط».

(٥) انظر: «الكتاب» (٣/ ١٢ ـ ١٣)، و«معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٦٣).

﴿نَقِيرًا﴾ ذهبَ تفسيرُه.

أبو العالية: هو نقرُ الرَّجلِ بأصبعِه كما تنقرُ الدَّرهمَ[١]. وفيه ضعفٌ[٢]؛ لأنَّ نقرَ الدِّرهمِ ليس بشيءٍ يمكن أن يُؤتى النّاس، وإنَّما يُضرَبُ المثلُ بما يُمكن.

***

(٥٤) ـ ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾.

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ﴾؛ أي: اليهود.

﴿ٱلنَّاسَ﴾: العرب.

﴿عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ بأن جعلَ النَّبيَّ عليه السَّلام المبعوثَ منهم[٣] والنُّبوّةَ فيهم.

وقيل: ﴿ٱلنَّاسَ﴾: محمَّدٌ عليه السَّلام[٤].

والفضلُ: النُّبوّة.

وقيل: الفضلُ: نكاحُ تسعِ نسوةٍ؛ فإنَّ اليهودَ قالوا: انظروا إلى هذا النَّبيِّ، والله ما يشبعُ من الطَّعام، وما له همٌّ إلّا النِّساء، ولو كان نبيًّا لشغلَه أمرُ النُّبوّةِ عن النِّساء، فحسدُوه بكثرةِ نسائِه وعابوه، فأكذبَهم الله فقال:

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٤١١)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ١٥٢)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٧٥١) عن أبي العالية عن ابن عباس رضي الله عنهما، ولفظ ابن المنذر: «هذا النقير، ووضع طرف الإبهام على باطن السبابة ثم نقرها».

(٢) في (و): «ضعيف».

(٣) «منهم» من (ن).

(٤) في (ن) زيادة: «وأصحابه».

﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ﴾[1]: التَّوراةَ.

﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾: المواعظَ والفقهَ.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ يعني: مُلكَ داودَ وسليمانَ عليهما السَّلام، وكان لداودَ مئةُ امرأةٍ، ولسليمانَ ألفٌ؛ ثلاثُ[2] مئةِ حرّةٍ وسبعُ مئةِ سريّةٍ[3]؛ أي: لا منافاةَ بين النُّبوّةِ وبين المملكةِ العظيمة، فكيف تكونُ المنافاةُ بينها وبين التَّزويجِ بتسعِ نسوةٍ.

وسُمِّيَ عظيمًا لأنَّه كان محروسًا بالملائكةِ والجنود.

* * *

(٥٥) - ﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾.

﴿فَمِنْهُم﴾؛ أي: من اليهودِ ﴿مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ﴾: بمحمَّدٍ عليه السَّلام ﴿وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ﴾: أعرضَ.

---

(١) ذكره مقاتل في «تفسيره» (١/ ٣٧٩-٣٨٠)، والفراء في «معاني القرآن» (١/ ٢٧٩)، ورواه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٤١٣) عن أبي حمزة الثمالي، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٧٤)، وضعَّف إسناده ابن حجر في «العجاب» (٢/ ٨٨٩).

(٢) في (و): «وثلاث مئة».

(٣) ذُكرت مثل هذه الأرقام في كتب التفسير والتاريخ، ولم نقف لها على مستند صحيح، فنكل علمها إلى الله سبحانه، ونسلِّم بما ثبت عن الصادق المصدوق ﷺ؛ فقد روى البخاري (٢٨١٩) -واللفظ له- ومسلم (١٦٥٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «قال سليمان بن داود عليهما السلام: لأطوفن الليلة على مئة امرأة - أو تسع وتسعين - كلهن يأتي بفارس يجاهد في سبيل الله، فقال له صاحبه: إن شاء الله، فلم يقل: إن شاء الله، فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة، جاءت بشق رجل، والذي نفس محمد بيده، لو قال: إن شاء الله، لجاهدوا في سبيل الله فرسانًا أجمعون». وانظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ١٢٩)، و«تفسير الماتريدي» (٣/ ٢١٠)، و«تفسير السمرقندي» (١/ ٣١٠)، و«تفسير ابن زمنين» (١/ ٣٨١)، و«تفسير الثعلبي» (١٠/ ٤١٤).

السُّدِّيُّ: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ﴾؛ أي: من آلِ إبراهيمَ مَن آمنَ بإبراهيم(١).

الفرّاءُ: ﴿فَمِنْهُم﴾: من اليهودِ ﴿مَّنْ ءَامَنَ﴾ بحديثِ داودَ وسليمانَ عليهما السَّلام، ﴿وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ﴾(٢).

﴿وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾: نارًا مسعورةً.

***

(٥٦) - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ﴾: ندخلُهم ﴿نَارًا﴾: نُحرقُهم بها.

﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم﴾: تهرَّتْ واحترقَتْ وزالَ ثباتها.

﴿بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ قيل: تبديلُ وصفٍ لا تبديلُ عينٍ، كما نجعلُ الكُوزَ من الصُّفْرِ قَصعةً والقَصعةَ كوزًا.

وقيل: جازَ تبديلُ الجلودِ جلودًا غيرَها ما أذنبَت؛ لأنَّ الذي ينالُ الألَمَ هو صاحبُ الجلدِ لا الجلدُ، ألا ترى إلى قوله: ﴿لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ﴾.

وقيل: الجلدُ هاهنا: السَّرابيلُ، وجازَ تسميةُ السَّرابيلِ جلودًا للمجاورة، يُقال: هو جلدةُ ما بينَ عينيه؛ لـمَن لازمَ غيرَه، قال:

---

(١) رواه ابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٧٥٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٨١)، ولفظ ابن المنذر: «زرع إبراهيم خليل الرحمن، وزرع الناس في تلك السنة، فهلك زرع الناس، وزكا زرع إبراهيم خليل الرحمن، واحتاج الناس إليه، فكان الناس يأتون إبراهيم فيسألونه منه، فقال لهم: من آمن بربه أعطيته، ومن أبى منعته، فمنهم مَن آمن به فأعطاه من الزرع، ومنهم مَن أبى فلم يأخذ منه، فذلك قوله: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٧٥).

كَسا اللُّؤْمُ تَيْمًا خُضرةً في جُلُودِها[1] فَوَيْـلاً لِتَيْمٍ مِنْ سَرابِيلِها[2] الخُضْرِ[3]

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ في وعدِه ووعيدِه.

* * *

(٥٧) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: الطّاعاتِ.

﴿سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾؛ أي: مياهُ الأنهار.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ﴾ من الأدناسِ والحيضِ والنِّفاس.

﴿وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا﴾: دائمًا لا تنسخُه الشَّمسُ.

وقيل: لا حرَّ ولا بردَ فيه، ولا ريحَ ولا سَمومَ.

* * *

(٥٨) ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ مجاهدٌ: نزلت في عثمانَ بنِ طلحةَ الحَجَبيِّ، كان سادنَ الكعبة، قبضَ رسولُ الله ﷺ مفتاحَ الكعبةِ، فدخلَ الكعبةَ يومَ الفتح، فخرجَ وهو يقرأُ هذه الآية، فدعا عثمانَ ودفعَ إليه المفتاحَ، وقال:

---

(١) في (ن): «جلودهم».

(٢) في (ن): «سرابيله».

(٣) البيت لجرير، كما في «ديوانه» شرح: محمد بن حبيب، تحقيق: نعمان محمد أمين طه (٢/ ٥٩٦)، و«الفاخر» للمفضل (ص: ٢٨٦)، و«الأضداد» لابن الأنباري (ص: ٣٨٢). ويُروى: «فيا خزي تيم».

«خذوهـا يا بنـي[1] طلحةَ بأمانـةِ الله خالـدةً تالـدةً، لا يأخذُها منكـم إلّا ظالمٌ»[2].

فبنو طلحةَ هم الذين يَلونَ سِدانةَ الكعبة.

وقولُه: ﴿أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ﴾؛ أي: ما ائتُمنتُم عليه.

﴿إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾: إلى مَنِ ائتمَنكم.

﴿وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ﴾: قضيتُم.

﴿أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِ﴾: بالإنصافِ والسَّويّة.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ﴾؛ أي: نِعْمَ شيئًا يعظُكم به.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا﴾: يسمعُ ما تقولونَ في الأمانةِ ﴿بَصِيرٗا﴾: بما تعملونَ فيها.

* * *

(٥٩) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ باذانُ عـن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهم: أنَّ رسولَ الله عليه السَّلام بعثَ خالدَ بنَ الوليدِ في سريّةٍ[3] إلى حيٍّ من أحياءِ العرب، وكان معه عمّارُ بنُ ياسرٍ، فسارَ خالدٌ حتَّى إذا دنا من القومِ عرَّسَ كي يُصَبِّحَهم، فأتاهم النَّذيرُ فهربوا غيرَ رجلٍ منهم كان قد أسلمَ، فأمرَ أهلَه

---

(١) في (و): «بني أبي طلحة».

(٢) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٩٠٧٦)، والأزرقي في «أخبار مكة» (١/ ٢٦٥)، ورواه من طريقه الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٥٨)، وروى المرفوع منه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١٢٣٤)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ٢٨٥): «فيه عبد الله بن المؤمل، وثَّقه ابن حبان وقال: يخطئ، ووثَّقه ابن معين في رواية، وضعَّفه جماعة»، وانظر: «المقاصد الحسنة» (ص: ٣٢١).

(٣) في (و): «سيرته».

أن يتهيَّؤوا للمسير، ثم انطلقَ حتى أتى عسكرَ خالدٍ، فدخلَ على عمّارٍ فقال: يا أبا اليقظان، إنِّي مسلمٌ(١)، وإنَّ قومي لـمّا سمعوا بكم هربوا وأقمْتُ أنا لإسلامي، أَفَنافعي ذلك أم أهربُ كما هربَ قومي؟ فقال: أقم؛ إنَّ ذلك نافعُك. وانصرفَ إلى أهلِه وأمرَهم بالمقام، وأصبحَ خالدٌ وأغارَ على القومِ، ولم يجد غيرَ ذلك الرَّجلِ، فأخذَه وأخذَ مالَه، فأتاه عمّارٌ فقال: خلِّ سبيلَ الرَّجلِ؛ فإنَّه مسلمٌ، وقد كنتُ آمنتُه وأمرتُه بالمقام. فقال خالدٌ: أنت تجيرُ عليَّ وأنا الأميرُ؟ فقال: نعم، أنا أجيرُ عليك وأنتَ الأمير. وكان في ذلك بينهما كلامٌ، فانصرفوا إلى رسولِ الله عليه السَّلام، فأخبرَه خبرَ الرَّجل، فأمَّنَه النَّبيُّ عليه السَّلام، وأجازَ أمانَ عمّارٍ، ونهاه أن يُجيرَ بعد ذلك على أميرٍ بغيرِ إذنِه، فأنزلَ الله هذه الآية(٢).

سعيدُ بنُ جُبيرٍ عن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهم: نزلَت في عبدِ اللهِ بنِ حُذافة، بعثَه النَّبيُّ عليه السَّلام في سريّةٍ(٣).

والمعنى: أطيعوا الله في فرائضِه، وأطيعوا الرَّسولَ في سُننِه.

وقيل: أطيعوا الله فيما أمرَ مُجمَلًا، وأطيعوا الرَّسولَ فيما أمرَ مُفصَّلًا.

﴿وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ أبو هريرةَ والسُّدِّيُّ في جماعةٍ: أمراءُ السَّرايا الذين(٤) يؤمِّرُهم رسولُ الله عليه السَّلام وخلفاؤُه بعدَه(٥).

---

(١) «إني مسلم» من (ن).

(٢) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٥٩)، و«البسيط» (٦/ ٥٤٠)، وذكر ابن كثير في «تفسيره» (٢/ ٣٠٤) أن ابن مردويه رواه عن ابن عباس. وذكر نحوه مقاتل في «تفسيره» (١/ ٣٨٢) دون نسبة، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٧/ ١٧٨) وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٨٨) عن السدي.

(٣) رواه البخاري (٤٥٨٤)، ومسلم (١٨٣٤).

(٤) «الذين» من (ن).

(٥) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٢٥٣٩)، والطبري في «تفسيره» (٧/ ١٧٦)، والطحاوي في =

مجاهدٌ وعطاءٌ في جماعةٍ: هم العلماءُ[1].

وكلا القولين عن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما[2].

﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ﴾: إن اختلفتُم في شيءٍ من أمرِ الدِّين، وادَّعى كلُّ واحدٍ الحقَّ بيدِه.

﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ حالَ حياتِه، وإلى كتابِ اللهِ وسُنّةِ نبيِّه وإجماعِ المسلمينَ مِن بعده.

والهاءُ في (ردُّوه) قيل: يعودُ إلى الشَّيء.

وقيل: إلى الحُكم، فيكون تقديره: في حُكمِ الشَّيء[3].

﴿إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾؛ أي: فإنَّ الإيمانَ يُوجبُ ذلك.

﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞ﴾: عاجلًا وآجلًا ﴿وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾: عاقبةً، من (آلَ يؤولُ).

وقيل: أحسنُ مِن تأويلِكم.

وقيل: ﴿تَأۡوِيلًا﴾: جزاءً.

وقيل: ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾؛ أي: إلى القياسِ والاستنباطِ من الكتابِ والسُّنّة.

= «شرح مشكل الآثار» (٤/ ١٨٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه. وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٤٩٩)، والواحدي في «البسيط» (٦/ ٥٤٠) عن السدي.

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٦١٠)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٢٥٣٤) عن مجاهد. ورواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ١٨٠)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٧٦٦) عن عطاء.

(٢) ذكر القول الأول عنه الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٤٩٩)، والواحدي في «البسيط» (٦/ ٥٣٩)، وروى القول الثاني عنه الطبري في «تفسيره» (٧/ ١٨٠)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٧٦٥)، والحاكم في «المستدرك» (٤٢٣).

(٣) «الشيء» من (ن).

(٦٠) - ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ عكرمةُ عن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهم: نزلَت في قومٍ من بني أسلمَ تحاكموا إلى أبي بردةَ(١) الأسلميِّ؛ كاهنٍ يقضي بين اليهودِ في تنافرِهم(٢).

الشَّعبيُّ: نزلَت في يهوديٍّ ومنافقٍ اختصما، وكان اليهوديُّ يدعوه إلى النَّبيِّ عليه السَّلام لعلمِه أنَّه لا يقبلُ الرِّشا، والمنافقُ يدعوه إلى حُكّامِ اليهود؛ لقبولِهم الرِّشا، ثم أجمعا على أن يُحكِّما كاهنًا في جهينةَ، فأنزل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ يعني: المنافقَ ﴿وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾؛ يعني(٣): اليهوديَّ(٤).

الكلبيُّ عن أبي صالحٍ عن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما: نزلَت في رجلٍ من المنافقين كان بينه وبين يهوديٍّ خصومةٌ، فقال اليهوديُّ: انطلقْ إلى محمَّدٍ، وقال المنافقُ: بل

---

(١) في (ن): «برزة»، وكذا هو في «المعجم الكبير»، و«المختارة»، وهو خطأ؛ فإن أبا برزة نضلة بن عبيد صحابي جليل؛ نبَّه على هذا الخطأ الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على خبر آخر في «تفسير الطبري» (٨/ ٥١٠).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٩١)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٠٤٥)، والضياء المقدسي في «المختارة» (١٢/ ١١٥)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٦): «رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح».

(٣) في (و): «أي».

(٤) رواه المروزي في «الصلاة» (٢/ ٦٥٨)، والطبري في «تفسيره» (٧/ ١٩٠)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٧٧٠)، وعزاه ابن حجر في «فتح الباري» (٥/ ٣٧) إلى تفسير إسحاق بن راهويه، وصحَّح إسناده.

نأتي كعبَ بنَ الأشرفِ، وهو الذي سمّاه الله الطّاغوتَ، فاختصما إلى رسولِ الله عليه السَّلام فقضى لليهوديِّ[(١)]، فلمّا خرجا من عنده لزمَه المنافقُ وقال: انطلقْ إلى عمرَ، فأتيا إليه فقال اليهوديُّ: اختصمْتُ أنا وهذا إلى محمَّدٍ رسول الله عليه السَّلام، فقضى لي عليه، فلم يرضَ بقضائِه، فزعمَ أنَّه مخاصمٌ[(٢)] إليك، فتعلَّقَ بي، فجئْتُ معه، فقالَ عمرُ للمنافق: أكذلك؟ قال: نعم، فقال لهما: رويدكما حتى أخرجَ إليكما، فدخلَ عمرُ البيتَ وأخذَ سيفَه، ثم خرجَ إليهما، فضربَ به المنافق حتى بردَ، وقال: كذا[(٣)] أقضي بين مَن لم يرضَ بقضاءِ اللهِ وقضاءِ رسولِه، وهربَ اليهوديُّ، ونزلَت هذه الآية، فقالَ جبريلُ عليه السَّلام: إنَّ عمرَ فرَّقَ بينَ الحقِّ والباطلِ، فسُمِّيَ الفاروق[(٤)].

السُّدِّيُّ: الطّاغوتُ أبو بُردةَ[(٥)] الأسلميُّ، ثمَّ إنَّه[(٦)] قد جاءَ وأسلمَ، فأمرَ النَّبيُّ عليه السَّلام مناديًا فنادى: ألا إنَّ كاهنَ أسلمَ أسلمَ[(٧)].

قوله: ﴿يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا﴾؛ أي: يكذبون في إيمانِهم؛ لأنَّ الزَّعمَ أكثرُ استعمالِه في الكذبِ والباطل.

---

(١) «فقضى لليهودي» من (ن).

(٢) في (ن): «يخاصم».

(٣) في (ن): «أهكذا».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٤٥٣)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٦٢)، ومعلوم ضعف طريق الكلبي عن أبي صالح.

(٥) في (ن): «برزة».

(٦) «ثمَّ إنَّه» من (ن).

(٧) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٤٥٦)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٦٣)، وانظر: «تفسير الطبري» (٧/ ١٩٢ ـ ١٩٣)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (٣/ ٩٩١).

﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ﴾: يترافعوا في الحُكمِ إلى الطّاغوت.

﴿وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ﴾؛ أي: أُمِرَ المسلمون[1] أن لا يُصدِّقوا الكُهّانَ، ولا يأخذوا منهم.

وقيل: أُمِرُوا أن لا يوالوا مَن ليس على دينِهم.

وقيل: هو[2] حييُّ بنُ أخطب.

﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ﴾ عن الحقِّ ﴿ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾.

***

(٦١ ـ ٦٢) ـ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾.

﴿فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ﴾؛ أي: فكيفَ صُنعُهم؟ وقيل: كيفَ يصنعون؟

والمصيبةُ: قيل: قَتْلُ عمرَ رضي الله عنه المنافقَ ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ حينَ لم يرضَ بقضاءِ النَّبيِّ عليه السَّلام، ﴿ثُمَّ جَآءُوكَ﴾؛ أي: أصحابُ القتيلِ من المنافقين ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ﴾: ما أردنا بمطالبةِ دمِ صاحبنا ﴿إِلَّآ إِحْسَٰنًا﴾ إلينا، ﴿وَتَوْفِيقًا﴾ يوافقُ الحقَّ في أمرِنا.

وقيل: المصيبةُ: النَّقمةُ من الله ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾: باعتقادِهم الخبيثِ

---

(١) في (و): «أمروا المسلمين».

(٢) أي: الطاغوت.

ونفاقِهم، ﴿ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا﴾ بالتَّقريبِ في الحُكم، ﴿وَتَوْفِيقًا﴾ بينَ الخصومِ دونَ الحُكم(١).

الحسنُ: ﴿فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم﴾ اعتراضٌ بين الكلام، والتَّقديرُ: يصدُّون عنك صدودًا ثم جاءوك يحلفون بالله(٢).

* * *

(٦٣) ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾؛ أي: من النِّفاق، فلا يُغني عنهم كتمانُه من العذاب.

﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾؛ أي: عن عقابِهم.

وقيل: عن قَبولِ عُذرِهم.

وقيل: لا تُؤاخذْهم بما أطلعتُكَ عليه من بواطنِهم.

﴿وَعِظْهُمْ﴾ بلسانِكَ، ﴿وَقُل لَّهُمْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾: ازجرْهم بأبلغِ الزَّجر.

وقيل: خوِّفْهم بمكارهَ تنزلُ بهم(٣) إن عادوا لِمثلِ هذا.

---

(١) في (ن): «مر الحكم».

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٩٢) بلفظ: «﴿فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ قال: عقوبة لهم بنفاقهم، وكرهوا حكم الله، ﴿ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا﴾»؛ فقوله: «وكرهوا حكم الله» يشير إلى قوله تعالى: ﴿يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾، وانظر: «تفسير ابن أبي زمنين» (١/ ٣٨٣).

(٣) «بهم» من (ن).

الحسنُ: قل لهم: إن أظهرتُم ما في قلوبِكم قتلْتُكم، فهذا يبلغُ من نفوسِهم كلَّ مَبلغٍ[١].

والقولُ البليغُ: ما يُفهَمُ منه غايةُ المقصود.

***

(٦٤) ـ ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾.

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾: لِيُقبَل قولُه فيما يَأمرُ ويَنهى بأمرِ الله الذي دلَّ على وجوبِ طاعةِ الرَّسول.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ﴾؛ أي: أولياءَ المقتول.

وقيل: الذين والَوا الكفّارَ.

﴿إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ بنفاقِهم وتعصُّبِهم لقتيلِهم[٢].

﴿جَآءُوكَ ﴾؛ أي: تائبين مخلصين.

﴿فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ ﴾: طلبوا مغفرتَه.

﴿وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ بالشَّفاعةِ بعدَ علمِه إخلاصَهم.

﴿لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا﴾ عليهم ﴿رَّحِيمًا﴾ بهم.

***

(٦٥) ـ ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾.

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٥٠٣)، والواحدي في «البسيط» (٦/ ٥٥٨).

(٢) في (و): «لقتلهم».

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ ﴾ مجاهدٌ والشَّعبيُّ: هو متَّصلٌ بالأوَّل؛ أي: الذين احتكَما إلى الطّاغوت[١].

وروى عَمرو بن دينارٍ، عن أبي سلمةَ[٢]، عن أمِّ سلمةَ رضي الله عنها: أنَّ الزُّبيرَ بنَ العوّامِ خاصمَ رجلًا ـ قيل: هو حاطبُ بنُ أبي بَلتعةَ، وقيل: ثعلبةُ[٣] بنُ حاطبٍ[٤] ـ في ماءٍ، فقضى رسولُ الله عليه السَّلام للزُّبير، فقال الرَّجلُ: قضى له لأنَّه ابنُ عمَّتِه[٥]، فأنزل الله: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[٦]؛ أي: الإيمانَ المرضيَّ عند الله ﴿حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ ﴾: يأتوكَ راضينَ بطيبةِ النَّفس.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٢٠٤)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٧٧٦) عن مجاهد، ورواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ١٩٠) عن عامر الشعبي.

(٢) كذا في النسخ الخطية، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٦٥)، وفي بعض مصادر التخريج: أنه سلمة، وهو رجلٌ من ولد أمِّ سلمة رضي الله عنها.

(٣) في النسخ الخطية: «بلتعة»، وهو تصحيف، فليس في الصحابة بلتعة بن حاطب، وإنما هو ثعلبة بن حاطب، كما في «تفسير الثعلبي» (١٠/ ٤٥٩)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٦٣)، وهو معروف من الأنصار، شهد بدراً وأحداً. انظر: «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٣/ ٤٦٠)، و«الاستيعاب» لابن عبد البر (١/ ٢١٠)، و«الكواكب الدراري» (١٠/ ١٧٥)، و«مصابيح الجامع» (٥/ ٢٥٩)، وغيرها.

(٤) لم يذكر اسمه في هذه الرواية، وقد جاءت التسمية في «تفسير مقاتل» (١/ ٣٨٦)، وفي رواية عند ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٩٤) أنه: حاطب بن أبي بلتعة، وأنكره التوربشتي في «مصابيح الجامع» (٥/ ٢٥٩)، وذكر السمرقندي في «تفسيره» (١/ ٣١٤): أنه ثعلبة بن حاطب، وقد توسَّع ابن حجر في «فتح الباري» (٥/ ٣٥ ـ ٣٦) في ذكر الخلاف في تسميته والمرويات في ذلك.

(٥) في (و): «عمه».

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٢٠٣)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٧٧٦). وأصل الحديث رواه البخاري (٢٣٥٩)، ومسلم (٢٣٥٧) من طريق الزهري عن عروة عن عبد الله بن الزبير.

﴿فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾: في خصوماتِهم، وشَجَرَ: اختلطَ واختلَفَ، وأصلُه: الشَّجرُ.

﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا﴾: ضيقًا ﴿مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾: انقادوا لك طوعًا؛ سرًّا وجهرًا.

* * *

(٦٦) ـ ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾.

﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾؛ أي: تعرَّضوا للقتلِ بالجهاد.

وقيل: كما كُتِبَ على بني إسرائيلَ.

﴿أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم﴾ بالهجرةِ.

﴿مَّا فَعَلُوهُ﴾ لنفاقِهم[1].

﴿إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ وهم المخلصون.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ﴾؛ أي: ما يُوصَونَ ويُؤمَرونَ به من الإخلاصِ والتَّسليم له.

﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ في الدُّنيا والآخرةِ، ﴿وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ في دينِهم.

* * *

(٦٧ ـ ٦٨) ـ ﴿وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾.

﴿وَإِذًا﴾: جوابٌ وجزاءٌ ﴿لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا﴾: عندِنا ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾: ثوابًا دائمًا.

﴿وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾: أرشدناهم.

وقيل: ثبَّتناهم عليه.

---

(١) «لنفاقهم» من (ن).

وقيل: طريق الجنّة(١).

***

(٦٩) ـ ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾.

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ الكلبيُّ: نزلَت في ثوبانَ مولى رسولِ الله عليه السَّلام، وكان شديدَ الحبِّ لرسولِ الله عليه السَّلام، فأتى ذاتَ يومٍ وقد تغيَّرَ لونُه ونَحَلَ جسمُه، يُعرَفُ في وجهه الحزنُ، فقال له: «يا ثوبانُ، ما غيَّرَ لونَك؟» فقال: يا رسولَ الله، ما بي مرضٌ ولا وجعٌ، غيرَ أنِّي إذا لم أرَكَ اشتقْتُ إليك واستوحشْتُ وحشةً شديدةً حتى ألقاك، ثم ذكرْتُ الآخرةَ، فأخافُ أنْ لا أراكَ هنالك؛ لأنِّي أعرفُ أنَّك تُرفَعُ مع النَّبيِّين، وأنِّي إنْ كنْتُ أدخلُ الجنَّةَ كنْتُ في منزلٍ أدنى من منزلِكَ، وإنْ لم أدخلِ الجنَّةَ فذلك حينَ لا أراكَ أبدًا، فأنزلَ الله هذه الآية(٢).

---

(١) أي: أرشدناهم إلى طريق الجنة في المعاد، وقد أنكر الطبري هذا المعنى في تفسير الفاتحة. انظر: «تفسير الطبري» (١/ ١٦٦)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٣/ ٦٩٨).

(٢) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٦٥) عن الكلبي، وذكره في «البسيط» (٦/ ٥٧٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما في رواية الكلبي، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٤٦٤) من غير سند ولا نسبة، وذكر مقاتل في «تفسيره» (١/ ٣٨٧) أنها نزلت في عبد الله بن زيد الأنصاري، وقال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (١/ ٣٣٤): «روي نحوه عن جماعة من الصحابة»، وأكثر ما جاءت الروايات بلا تسمية، ومنها ما رواه الطبراني في «المعجم الصغير» (٥٢)، و«الأوسط» (٤٧٧)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٢٤٠)، من حديث عائشة رضي الله عنها، قالت: «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، والله إنك لأحب إلي من نفسي، وإنك لأحب إلي من أهلي، وأحب إلي من ولدي، وإني لأكون في البيت، فأذكرك فما أصبر حتى آتيك فأنظر إليك، وإذا ذكرت موتي وموتك، عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين، وإني إذا دخلت الجنة خشيت أن لا =

وقولُه: ﴿مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾؛ أي: يستمتعُ برؤيتِهم[١].

﴿وَٱلصِّدِّيقِينَ﴾ الصِّدِّيقُ: الذي يكثُرُ منه الصِّدق، وسُمِّي أبو بكرٍ صِدِّيقًا لأنَّه أوَّلُ من صدَّقَ النَّبيَّ عليه السَّلام وآمَنَ به.

وقيل: هو المداومُ على الصِّدق.

وقيل: الذي يُصدِّقُ قولَه بفعلِه.

وقيل: فِعِّيلٌ من (الصَّدَقة)[٢].

﴿وَٱلشُّهَدَآءِ﴾: جمعُ شهيدٍ، وهو الذي قُتِلَ في سبيل الله، أو ألحقَه[٣] النَّبيُّ عليه السَّلام في الثَّوابِ والدَّرجةِ بهم.

﴿وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾: المؤمنين.

﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾: صاحبًا، وُحِّدَ لكونِه تمييزًا[٤].

وقيل: وحَسُنَ كلُّ واحدٍ رفيقًا، فيكونُ حالًا[٥].

***

= أراك، فلم يرد عليه النبي ﷺ حتى نزل جبريل بهذه الآية: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾. هذا لفظ الطبراني في «الأوسط»، وقال ابن حجر في «العجاب» (٢/ ٩١٤): «رجاله موثقون».

(١) في (و): «لرؤيتهم».

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٧/ ٢١١)، و«معاني القرآن» للزجاج (٣/ ١١٣).

(٣) في (و): «ألحقهم».

(٤) فـ(حسن) محمول على هذا القول على (نعم)، والأكثر في هذا الباب أن يتقدم التمييز على المعرفة. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٦٨)، و«المقتضب» للمبرد (٢/ ١٥٠) و(٣/ ٣٢)، و«الأصول» لابن السراج (١/ ١١٧).

(٥) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٣/ ٧٠١).

(٧٠) ـ ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴾.

﴿ ذَٰلِكَ ﴾؛ أي: الثَّواب، وقيل: الطّاعة، وقيل: المرافقة.

﴿ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ﴾: الزِّيادةُ على المُستحَقِّ من اللهِ بفضلٍ منه(١).

وقيل: لأنَّه بتوفيقِه.

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا﴾ الباء زائدةٌ، وقد سبقَ(٢).

***

(٧١) ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُوا۟ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُوا۟ جَمِيعًا ﴾.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ﴾؛ أي: تيقَّظوا، ولا تَهِنُوا عن الاستعدادِ للأعداء.

والحِذرُ: السِّلاحُ، وقيل: الحزمُ، وقيل: ابدؤوهم بالنُّفورِ إليهم.

﴿فَٱنفِرُوا۟﴾: اخرجُوا إلى الجهاد.

وأصلُه: الفَزَع، تقول: (نفَرَ إليه)؛ إذا فزِعَ إليه؛ أي: طلبَ إزالةَ الفَزَع، والنَّفيرُ: النّافرون، والنَّفَرُ: جماعةٌ يُفزَعُ إليها(٣).

﴿ثُبَاتٍ﴾: جماعةً جماعةً؛ إلى كلِّ وجهةٍ جماعةٌ.

وقيل: هم السَّرايا.

وقيل: على قياسِ العدوِّ(٤).

---

(١) «منه» من (ن).

(٢) في تفسير قوله: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٤٥].

(٣) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٣/ ٧٠١).

(٤) أي: إنما يجب خروج جماعة تكفي لمواجهة العدوِّ.

وهـي جمـع (ثُبةٍ)، والثُّبةُ: الجماعةُ، مشـتقَّةٌ مـن (ثَبَّيْتُ على الرَّجلِ تثبيـةً)؛ إذا[1] جمعْتَ محاسـنَه في الثَّناءِ عليه.

ابنُ عيسى: الثُّبَةُ: وسطُ[2] الحوضِ؛ لأنَّ الماءَ يثوبُ إليه[3].

وزنُ هذه (فُلَةٌ)، والأولى (فُعةٌ)[4].

وقد يُجمَعُ على (ثِبينٍ) جبرًا[5]، وقُرِئَ: (ثباتًا)[6] للجبرِ أيضًا، فإذا صَغَّرتَ هذه وأخواتِها رجعَت لامُ الفعلِ، فلم يُجمَع إذًا جبرًا.

---

(١) في (ن): «ثبيت الرجل علي إذا».

(٢) في (و): «وسيط».

(٣) ذكر علماء اللغة قبل ابن عيسى أنَّ (الثبة) وسط الحوض، وذهبوا في اشتقاقها مذهبين؛ أحدهما: أنَّها من (ثاب)؛ لأنَّ الماءَ يثوبُ إلى وسط الحوض، وثانيهما: أنَّها من (ثَبَّيْتُ)؛ لأنَّ الماء يجتمع فيها، وما ذهب إليه ابن عيسى هو مذهب الزجاج وابن جني، ووصفه ابن بري بأنه مذهب المحققين. انظر: «العين» (٨/ ٢٤٨)، و«معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٧٥)، و«سر صناعة الإعراب» لابن جني (٢/ ٢٤٩)، و«الصحاح» (٦/ ٢٢٩١)، و«تاج العروس» (٣٧/ ٢٦٤).

(٤) فالأولى من (ث و ب)، فحُذفت الواو من وسطها، وعُوِّض عنها بتاء مربوطة في آخرها، والثانية من (ث ب ي)، فحُذفت الياء، وزيد في آخرها تاء مربوطة.

(٥) أي: جُمعت (ثبة) جمعَ المذكر السالم مع أنها غير دالة على الذكور العقلاء تعويضاً عن منعها من جمع التكسير بسبب ما أصابها من حذف، ولكنَّ ثاءها تُكسر عند جمعه جمعَ المذكر السالم، ومن العرب من ضمَّها، والضَّمةُ في (ثُبون) غيرُها في: (ثُبةٍ) عند المحقِّقين. انظر: «شرح كتاب سيبويه» للسيرافي (٤/ ٣٢٧)، و«سر صناعة الإعراب» لابن جني (٢/ ٢٥٤)، و«شرح التعريف» لابن إياز (ص: ١٨٢).

(٦) لم أقف على هذه القراءة، وقد ذكر الفراء في «معاني القرآن» (٢/ ٩٣) أن بعض العرب توهَّم في بعض الأشعار في كلمة (ثبات)؛ فنصبها بالفتحة مع أنها ينبغي أن تُنصب بالكسرة؛ لأنها جمع مؤنث، وقد ذكر تلميذ المصنِّف شمس القراء محمد الكرماني في «شواذ القراءات» (ص: ١٣٧) أنَّها لغة لبعض العرب، وقال أبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ٧٠٣): «لم يُقرأ (ثُباتٍ) فيما علمناه إلا بكسر التاء».

﴿أَوِ انفِرُواْ جَمِيعًا﴾ قيل: مع النَّبيِّ عليه السَّلام[١].

وقيل: إذا كثُرَتِ الأعداءُ.

* * *

(٧٢) - ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا﴾.

﴿وَإِنَّ مِنكُمْ﴾؛ أي: من عِدادِكم.

وقيل: منكم في الحُكم.

وقيل: فيكم.

﴿لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ الكلبيُّ: نزلَت في عبدِ الله بنِ أُبيٍّ وأصحابِه[٢].

وبطَّأَ[٣]: تأخَّرَ، فيكونُ لازمًا؛ أي: تثاقلَ مرّةً بعدَ أخرى.

والتَّبطئةُ[٤] والإبطاءُ: إطالةُ مدّةِ العمل.

ويأتي (بطَّأَ)[٥] متعدِّيًا، تقولُ: بَطُؤَ وبطَّأَ[٦] غيرَه، فيكونُ المفعولُ من الآية محذوفًا.

﴿فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ﴾: هزيمةٌ.

---

(١) أي: إنما يجب خروج جماعة المسلمين كافة إذا دعاهم النبي ﷺ للخروج.

(٢) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ٧٠٤)، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٩٩)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٧٨٨) عن مقاتل بن حيان، وذكره مقاتل بن سليمان في «تفسيره» (١/ ٣٨٨).

(٣) في (و): «وأبطأ».

(٤) «والتبطئة» من (ن).

(٥) في (و): «وأبطأ».

(٦) في (و): «وأبطأ».

﴿قَالَ﴾؛ أي: المبطِّئُ:

﴿قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا﴾، فيصبني[1] مثلَ ما أصابَهم.

***

(٧٣) ـ ﴿وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾.

﴿وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ﴾: ظفرٌ وغنيمةٌ.

﴿لَيَقُولَنَّ﴾ هذا المبطِّئ متلهِّفًا على ما فاتَه من الغنيمةِ[2]، وحسدًا على المؤمنين، لا طلبًا للمَثوبةِ، ﴿كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾: أنالَ ما نالوا.

وفي قوله: ﴿كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ﴾ أربعةُ أقوالٍ:

أحدُها: أنَّه اعتراضٌ، وحقُّه التَّقديمُ، تقديرُه: قد أنعمَ الله عليَّ إذ لم أكن معهم شهيدًا كأن لم تكن بينكم وبينه مودّةٌ؛ أي: كأن[3] لم يعاهدكم.

والثّاني: اعتراضٌ، وحقُّه التَّأخيرُ؛ تقديرُه[4]: فأفوز فوزًا عظيمًا كأن لم تكن بينكم وبينه مودّةٌ؛ أي: تمنَّى ذلك كأنَّه لم يدخلْ في جملتِكم وإن لم يكن بينكم محبّةٌ.

والثّالث: أنَّه في موضعِه، وهو حالٌ؛ أي: يقولُها في حالةٍ كأنْ لم يكن بينكم وبينه مودّةٌ.

والقولُ في هذه الوجوه: ﴿يَا لَيْتَنِي كُنتُ﴾.

---

(١) في (و): «أفيصيبني».

(٢) «من الغنيمة» من (ن).

(٣) في (و): «كأنه».

(٤) «تقديره» من (ن).

والرّابع: ﴿كَأَن لَّمْ تَكُنْ﴾ من جملةِ القول؛ أي: يقولُ المبطِّئُ لمن تخلَّفَ عن الغزو من المنافقين وضَعَفةِ المؤمنين ومَن تخلَّفَ بإذنٍ[1]: كأن لم يكن بينكم وبينه مودّةٌ فيخرجَكم إلى الجهاد، فتفوزوا بما فازوا، يا ليتني كنتُ معهم، فأفوزَ معهم فوزًا عظيمًا.

وأصلُ ﴿كَأَن﴾: كأنَّه، فلمّا خُفِّفَ حُذِفَ الاسمُ.

* * *

(٧٤) ـ ﴿ ۞ فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

﴿فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ﴾: يبيعون ﴿ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ﴾: بالدّارِ الآخرةِ ونعيمِها.

﴿وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: مجتهدًا صابرًا، ﴿فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ قُتِلَ واستُشهِدَ[2] أو غَلَبَ فظفرَ.

* * *

(٧٥) ـ ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾.

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ﴾: أيُّ شيءٍ لكم في حالِ ترككِم القتالَ وقد ظهرَتْ دواعيه.

و﴿لَا تُقَٰتِلُونَ﴾: حالٌ، والمعنى: لِمَ لا تُقاتلون؟

﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وهي الأعمالُ التي تُؤدِّي إلى رضاه.

﴿وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ﴾؛ أي: وفي المستضعفين[3]؛ أي: عنهم.

---

(١) في (و): «بإذن الله».

(٢) في (و): «أو استشهد».

(٣) «أي وفي المستضعفين» من (ن).

وقيل: في سبيلِ الله وسبيلِ المستضعفين؛ أي: في إعزازِهم وتنجيتِهم من الكفّار.

﴿مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ﴾ كانوا بمكّةَ يلقَون من المشركين أذًى كثيرًا.

و(الوِلْدانُ): جمعُ وَلَدٍ؛ كـ(بَرَقٍ) و(خَرَبٍ)(١).

﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ﴾؛ أي: يتضرَّعون في طلبِ التَّخليصِ إلى الله.

قولُه: ﴿مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ﴾؛ أي: من مكّةَ.

﴿ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ بالكفرِ.

الفعلُ للأهلِ، والصِّفةُ لـلقرية.

﴿وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ يستنقذُنا من أعدائِنا.

﴿وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ ينصرُنا عليهم.

فاستجابَ اللهُ دعاءَهم، وبعثَ رسولُ الله عليه السَّلام عتّابَ بنَ أَسِيدٍ(٢) فأنقذَهم، فصاروا أعزَّ مَن بها(٣).

---

(١) ويجمعان على خِزْبان وبِرْقان، وجمعُ (فَعَل) على (فِعْلان) هنا سماعي؛ لأنه صحيح العين، وإنما يكون هذا الجمع قياسياً عندما يكون (فَعَل) اسماً لا صفة، ويكون معتل العين، ويكون اعتلاله بالواو لا بالياء، ويكون مذكّراً لا مؤنّثاً، كما في «شرح ألفية ابن مالك» للشاطبي (٧/ ١٥٠ ـ ١٥٤). والخَرَبُ: ذكر الحبارى، كما في «جمهرة اللغة» مادة: (خ ر ب) (١/ ٢٨٨)، والبَرَقُ برم الحبل بقوة سوداء وقوة بيضاء، كما في «العين» (٥/ ١٥٥).

(٢) هو أبو عبد الرحمن عتّاب بن أَسِيد بن أبي العيص القرشي الأموي، كان صالحًا فاضلاً، أسلم يوم فتح مكة، واستعمله النبي ﷺ على مكة عام الفتح، فلم يزل عتاب أميرًا على مكة حتى قبض رسول الله ﷺ، وأقره أبو بكر عليها، فلم يزل إلى أن مات، وقيل: مات يوم مات أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ورجح ابن حجر أنه عاش إلى آخر خلافة عمر رضي الله عنه، وأسيد بفتح الهمزة وكسر السين. انظر: «الاستيعاب» (٣/ ١٠٢٣ ـ ١٠٢٤)، و«أبنية الأسماء والأفعال والمصادر» لابن القطاع (ص: ١٤٢)، و«الإصابة» (٤/ ٣٥٦)، و«تبصير المنتبه» لابن حجر (١/ ٤٤).

(٣) ذكر نحوه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٤٧٤) بلا نسبة، وذكره ابن حجر في «الإصابة» (٤/ ٣٥٧) =

(٧٦) ـ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّـٰغُوتِ فَقَـٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَـٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: دينِ اللهِ وطاعتِه.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّـٰغُوتِ﴾: الشَّيطانِ.

﴿فَقَـٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَـٰنِ﴾: وساوسَه.

والكيدُ: السَّعيُ في فسادِ الحالِ على جهةِ الاحتيال.

﴿كَانَ ضَعِيفًا﴾ لأنَّه غرورٌ لا يؤولُ إلى محصولٍ، فلا تأثيرَ له إذا جاءَ نصرُ الله وعونُه.

* * *

(٧٧) ـ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَـٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ﴾ الكلبيُّ: نزلَت الآيةُ في نفرٍ من أصحابِ رسولِ الله عليه السَّلام؛ منهم: عبدُ الرَّحمنِ بنُ عوفٍ، والمقدادُ بنُ الأسود، وقدامةُ بنُ مظعونٍ، وسعدُ بنُ أبي وقّاصٍ، كانوا يلقون من المشركين أذًى كثيرًا، ويقولون للنَّبيِّ ﷺ: ائذنْ لنا في قتالِ هؤلاء، ويقولُ لهم: «كفُّوا أيديَكم»[1]؛ أي[2]: عن القتالِ.

= عن الكلبي بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما.

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٤٧٤)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٦٦) عن الكلبي، وذكره مقاتل في «تفسيره» (١/ ٣٨٩) بلا نسبة، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٢٣١) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) «أي»: ليست في (ن).

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ المفروضةَ، ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ الواجبةَ.

﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: يخافون أن يقاتلَهم الكفّارُ كما يخافون أن يُنزِّلَ اللهُ عليهم بأسَه[1].

وقيل: يخافون القتلَ كما يخافون الموت.

﴿أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾: بل أشدَّ خشيةً.

وقيل: الإبهامُ على المخاطب.

﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ﴾: هلّا ﴿أَخَّرْتَنَآ﴾: أمهلتنا ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾؛ أي: الموت.

﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾: سريعُ الانقضاءِ.

﴿وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ﴾ لدوامِها ﴿لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ الشِّركَ والمعصيةَ.

﴿وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾: قليلًا ولا كثيرًا.

وقيل: الآيةُ نزلَت في المنافقين[2]؛ لأنَّ الزَّكاةَ لم تكن فُرِضت بمكّةَ، وأنَّ المنافقَ لا يخشى الله.

* * *

(٧٨) ـ ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾.

---

(١) ذكر مقاتل بن سليمان في «تفسيره» (١/ ٣٩٠)، والواحدي في «البسيط» (٦/ ٦٠٦) أن الذي كره القتال هو طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٤٧٦).

﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ ﴾ ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: لـمّا استُشهدَ[1] مَن استُشهدَ يومَ أحدٍ قال المنافقون الذين تخلَّفوا عن الجهاد: لو كان إخوانُنا الذين قُتلوا عندنا ما ماتوا وما قُتلوا، فأنزلَ الله: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا ﴾[2]؛ أي: في أيِّ مكانٍ كنتُم ﴿يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ ﴾: يَنلْكُم.

﴿وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ ﴾: حصونٍ، وقيل: قصورٍ، وقيل: البيوتِ التي فوقَ الحصون.

السُّدِّيُّ والرَّبيعُ: هي قصورٌ في السَّماءِ بأعيانِها[3].

وأصلُه من الظُّهورِ، من (تبرَّجَتِ المرأةُ)؛ إذا ظهرَتْ[4].

وقيل: من العظمةِ، وهذا أولى؛ لاطِّرادِ الأصلِ عليه كيفَ[5] دارَ[6].

---

(١) في (و): «استشهد الله من المسلمين».

(٢) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٦٧)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٤٣٤)، وابن حجر في «العجاب» (٢/ ٩١٩)، وذكر ابن حجر أنها من طريق الكلبي عن أبي صالح.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٢٣٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ١٠٠٨) عن السدي بلفظ: «هي قصور بيض في سماء الدنيا مبنية»، ورواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٢٣٧) عن الربيع بلفظ: «ولو كنتم في قصور في السَّماء»، وما ذكره المصنِّف هو لفظ الواحدي في «البسيط» (٦/ ٦١١).

(٤) ذكر ذلك السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٥٤٤)، والعسكري في «تلخيص أسماء الأشياء» (ص: ١٧٥ و٢٥٤)، وجعل ابن فارس الباء والراء والجيم على أصلين؛ أحدهما: الظهور، والآخر: الملجأ، وذكر أنَّ بروج السَّماء من الثاني. انظر: «مقاييس اللغة» مادة: (ب ر ج) (١/ ٢٣٨).

(٥) في (ن): «كيف ما».

(٦) أشار إلى ذلك ابن جني في «المنصف» (ص: ٣٩) فقال: «ونظيرُ هذا قولهم: جبرت الشيء؛ إذا قويته ومكَّنته، ثم قالوا: بُرْج، والبروجُ الحصونُ، وهي تمنع مَن فيها وتُعزُّه، وقالوا: (الـمُرَجَّب) للمعظم، وتعظيمُكَ الشَّيءَ ومنعُكَ منه وجبرُكَ إياه قريبٌ بعضُه من بعض في المعنى، وليس (جبرت) على تأليف (برج) ولا على تأليف (المرجب)؛ لأجل التقديم والتأخير؛ فالحروف واحدة، واللفظ متفق، والنظم مختلف، وهذا باب واسع يعمُّ أكثر اللغة، ويحتاج الناظر فيه والباحث عنه إلى أن يكون لطيف النظر».

﴿مُّشَيَّدَةٍ﴾: رفيعةٍ مطوَّلةٍ، تقولُ: شادَ البناءَ؛ رفعَه، وشيَّدَه؛ بالغَ في الشَّيْدِ[١].

وقيل: ﴿مُّشَيَّدَةٍ﴾: مزيَّنةٍ بالشِّيْدِ، وهو: الكِلْسُ والجصُّ[٢].

﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ﴾: خصبٌ وسعةٌ ﴿يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾: جدبٌ وسَنةٌ وفقرٌ ﴿يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ﴾: من محمَّدٍ.

وذلك أنَّ المنافقين واليهودَ كانوا إذا أصابَهم خيرٌ حمدوا الله، وإذا أصابَهم مكروهٌ نسبوه إلى شؤمِ محمَّدٍ، وكذَّبهم الله فقال: ﴿قُلْ كُلٌّ﴾.

الحسنُ وابنُ زيدٍ: الحسنةُ: الظَّفرُ كيوم بدرٍ، والسَّيِّئةُ: الهزيمةُ كيومِ أُحدٍ[٣].

أي: كلُّ ما ذكرتم من المكارهِ والمحابِّ والظَّفرِ والهزيمةِ ﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾؛ أي: القرآن؛ أي: لو تدبَّروا لبصَّرَهم في الدِّينِ وأورثَهم اليقين.

ابنُ بحرٍ: لامَهم على تركِ التَّفقُّهِ بما علَّمَهم وأدَّبَهم به في كتابِه[٤].

وقيل: مالهم لا يعرفونَ قولًا إلَّا الكذبَ؟!

* * *

(٧٩) ـ ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾.

﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ﴾ قيل: هذا متَّصلٌ بالأوَّلِ على الحكايةِ؛ أي: لا يكادون يفقهونَ حديثًا يقولونَ: ما أصابَك...

---

(١) انظر: «المخصص» لابن سيده (١/ ٥٠٥).

(٢) انظر: «تاج العروس» مادة: (ش ي د) (٨/ ٢٦٢).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٥٠٩) عن الحسن وابن زيد.

(٤) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ٧١٨).

وقيل: حديثًا: قولًا: ما أصابَك... فيكون في موضع مفعولِ الحديث؛ أي: لا يفقهون بطلانَ قولِهم هذا.

وقيل: هو استئنافٌ، والمعنى: ما أصابَك من حسنةٍ أيُّها الإنسانُ، وقيل: يا محمَّدُ.

﴿فَمِنَ اللَّهِ﴾: مِن تفضُّلِه.

﴿وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ﴾: هزيمةٍ وجَدْبٍ.

﴿فَمِن نَّفْسِكَ﴾؛ أي: فبما كسبَت يداك[1]؛ أي: جزاءً لذلك.

الدِّمياطيُّ: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ﴾ فتحٍ وغنيمةٍ يومَ بدرٍ ﴿فَمِنَ اللَّهِ﴾، وما أصابَك يومَ أُحدٍ من المكروه فبذنبِك باختلافِ قومِك وعصيانِهم، والخطابُ للنَّبيِّ عليه السَّلام والمرادُ به الأمّة[2].

وقيل: المرادُ بالحسنة: الطّاعةُ، وبالسَّيِّئةِ: المعصيةُ، وفيه بُعدٌ[3].

وما رُوِيَ في الشَّواذِّ: (فمَن نفسُك)[4]..........................

---

(١) في (و): «أيديكم».

(٢) ذكر الزجاج أنَّ الخطاب للنبي ﷺ والمراد به الأمة في «معاني القرآن» (١/ ٥٠٩).

(٣) قال الواحدي في «البسيط» (٦/ ٦١٧): «ولا تعلق للقدرية بهذه الآية؛ لأن الحسنة والسيئة المذكورتين هنا لا ترجعان إلى الطاعة والمعصية وأكساب العباد بحالٍ، ولا يجوز ذلك، قال ابن الأنباري: لأن الحسنة التي يُراد بها الخير والطاعة لا يقال فيها: أصابتني، إنما يقال: أصبتها، وليس في كلام العرب: (أصابت فلانًا حسنةٌ) على معنى: عمل خيراً، وكذلك (أصابته سيئة) على معنى: عملَ معصية غيرُ موجود في كلامهم، إنما يقولون: أصاب سيئةً؛ إذا عملها واكتسبها، واللغة تُروى، ولا تُعمل عملًا، فانفساخ قول القدرية واضح بين». وانظر: «الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية» (٢/ ٥٢٦)، و«شرح الطحاوية» (٢/ ٥١٦).

(٤) نُسبت هذه القراءة لابن عمير كما في «شواذ القراءات» لمحمد الكرماني (ص: ١٣٨).

و(مَـنُّ اللهِ)[١]، و(أفمِـن نفسِـك وأنـا قدَّرتهـا عليـك)[٢]، فلا تعـرِّجْ عليه؛ لشـذوذِه ولمخالفـةِ الإمام.

﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾ فليس عليك إلَّا البلاغُ.

الزَّجّاجُ: ذكرُ (الرَّسولِ) توكيدٌ[٣]؛ لأنَّ ﴿أرسلناك﴾ يدلُّ على أنَّه رسولٌ[٤].

ويحتمل أنَّه توكيدٌ حيث يُستعمَلُ الإرسالُ في الأشياء[٥].

﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ على رسالتِك بتأييدِه إيّاك بالمعجزات.

* * *

(٨٠) ـ ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾.

﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ لأنَّه يدعو إلى طاعتِه، وهي الموافقةُ لإرادته[٦].

﴿وَمَن تَوَلَّىٰ﴾؛ أي: أعرضَ عن طاعةِ الرَّسولِ.

---

(١) نُسبت هذه القراءة لرويس عن يعقوب كما في «شواذ القراءات» لمحمد الكرماني (ص: ١٣٨)، و«زاد المسير» لابن الجوزي (١/ ٤٣٥).

(٢) نُسبت هذه القراءة إلى ابن مسعود وأبي بن كعب رضي الله عنهما كما روى ابن وهب في «جامعه ـ التفسير» (٢٥٣)، وأبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ٢٩٨)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٨٠٠)، ونُسبت إليهما وإلى علي بن الحسين وجعفر بن محمد وزيد بن علي كما في «شواذ القراءات» لمحمد الكرماني (ص: ١٣٩)، ونُسبت لابن عباس رضي الله عنهما كما روى ابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٨٠٠)، لكنَّها بلفظ: (وأنا كتبتها عليك). وقد ذُكرت القراءة في هذه المصادر بلا همزة الاستفهام، وانظر: «الهداية» لمكي (٢/ ١٣٩٤)، و«زاد المسير» لابن الجوزي (١/ ٤٣٥).

(٣) في (و): «ذكرَ الرسولَ توكيداً».

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٨٠).

(٥) في (و): «أشياء»، وفي العبارة شيء.

(٦) «إيّاك بالمعجزات لأنه يدعو إلى طاعته وهي الموافقة» من (ن).

﴿فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا﴾؛ أي: لـم نرسـلْكَ حافظًا لأعمالِهـم فتخافَ أن لا تقـومَ بها[1].

وقيل: عن التَّولِّي.

وقيل: حافظًا عن المعاصي حتى لا تقعَ.

وقيل: حافظًا حاسبًا مجازيًا.

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: هي منسوخةٌ[2].

وقيل: محكمةٌ.

* * *

(٨١) - ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٞ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنۡ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ غَيۡرَ ٱلَّذِي تَقُولُۖ وَٱللَّهُ يَكۡتُبُ مَا يُبَيِّتُونَۖ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾.

﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٞ﴾ الحسنُ: هم المنافقون[3].

وقيل: هم الذين يخشونَ النّاس؛ أي: إذا حضروا أطاعوك، وتقديرُه: منّا طاعةٌ، وأمرُنا طاعةٌ.

---

(١) في (و): «به».

(٢) ذهب ابن سلامة المقري في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٧٦) إلى أن الآية منسوخة، وإلى ذلك ذهب ابن حزم في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٣٤)، وقال ابن الجوزي في «المصفى» (ص: ٢٥): «زعم قوم أنها نسخت بآية السيف، وليس بصحيح؛ لأن ابن عباس رضي الله عنهما قال في تفسيرها: ما أرسلناك عليهم رقيبًا تؤخذ بهم، فعلى هذا لا نسخ»، وكلام الواحدي في «الوسيط» (٢/ ٨٥) يُوهم أن ذلك مروي عن ابن عباس، وقد روى الطبري في «تفسيره» (٩/ ٤٧٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ﴿وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ ونحوه مما أمر الله المؤمنين بالعفو عن المشركين، فإنه نسخ ذلك قوله: ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾.

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (٦/ ٦٢١) عن الحسن والسدي والضحاك وأكثر المفسرين.

﴿فَإِذَا بَرَزُوا﴾: خرجوا ﴿مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾: قَصَدَتْ.

وأجمع المفسِّرون على أنَّ التَّبييتَ يُقالُ لكلِّ ما قُدِّرَ ليلًا.

وزاد ابنُ عيسى معنى الإخفاءِ في النَّفس، قال[1]: ولذلك لم يَجُزْ وصفُ الله به.

والمعنى: أضمروا خلافَ ما أظهروا.

وقراءةُ أبي عَمرٍو وحمزةَ: ﴿بَيَّت طّائفةٌ﴾[2] يجوزُ أن تكون من (التَّبييت)، ويحتمل أنَّه من (بَيَّى يُبَيِّي)؛ إذا قصدَ[3]؛ لأنَّ بعضَ القرّاءِ يروي لهما بالإدغامِ في الصَّغير والكبير[4]، قال:

لـمّا تَبَيَّيْـنا أَخـا تَمِيـمِ
أَعْطَى عَطـاءَ اللَّحِـزِ اللَّئِيـمِ[5]

وكذلك: (حيّاه وبيّاه) عندَ بعضِهم.

---

(١) «قال» من (ن).

(٢) قرأ أبو عمرو وحمزة بإدغام التاء في الطاء، وباقي السبعة بفتح التاء من غير إدغام. انظر: «السبعة» (ص: ٢٣٥)، و«التيسير» (ص: ٩٦).

(٣) في (و): «قصده».

(٤) يُقصد بالإدغام الكبير: ما كان الأول من الحرفين متحركًا، سواء أكانا متماثلين أم متجانسين أم متقاربين، واشتهر به أبو عمرو بن العلاء، ويقصد بالصغير: ما كان الأول منهما ساكنًا. انظر: «النشر» (١/ ٢٧٤ ـ ٢٧٧).

(٥) الرجز بلا نسبة في «إصلاح المنطق» لابن السكيت (ص: ٢٢٥)، و«الألفاظ» له أيضاً (ص: ٤٣٤)، و«الفاخر» للمفضل (ص: ٣)، و«جمهرة اللغة» (٣/ ١٢٥٤)، و«الزاهر في معاني كلمات الناس» للأنباري (١/ ٦٣)، و«الإتباع» لأبي الطيب اللغوي (ص: ٢٤)، و«تهذيب اللغة» (١٥/ ٤٢٦)، و«الصحاح» (٦/ ٢٢٨٩)، ويروى: «الماجد الكريم» بدل «اللحز اللئيم».

وقيل: التَّبييتُ: التَّبديلُ بلغةِ طيِّئٍ[١]، قال شاعرُهم[٢]:

بَيَّــتَّ قَولِــي عنــدَ المليــكِ ... قاتَلَكَ اللهُ عبــدًا كَفُــورا[٣]

وقولُه: ﴿غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ﴾ يجوزُ أن يكون الفعلُ لمن له تقولون، فأنَّثَ للجماعة، ويجوزُ للطّائفة، ويجوز أن يكون للنَّبيِّ عليه السَّلام.

﴿وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ﴾؛ أي: يكتبُه، وينزلُه عليكَ في القرآن.

وقيل: يكتبُه في اللَّوحِ؛ ليجازيَ عليه.

﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ ولا تهتكْ أستارَهم إلى أن يَأمرَ الله فيهم.

وقيل: معناه: لا تبالِ بهم.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾: كِلْ أمورَكَ إليه.

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾: اكتفِ به وكيلًا.

والوكيلُ: القائمُ بما فُوِّضَ إليه من التَّدبير.

* * *

(٨٢) ـ ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾.

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾؛ أي: يتأمّلون[٤] في معانيه ومبانيه.

والتَّدبُّرُ: تصرُّفُ القلبِ بالنَّظرِ في العواقب.

---

(١) انظر: «الزاهر في معاني كلمات الناس» للأنباري (١/ ٤٤٤).

(٢) «شاعرهم» من (ن).

(٣) البيت لأسود بن عامر بن جوين الطائي، كما ذكره الطبري في «تفسيره» (٧/ ٤٧٢)، وفيه: «كنودا» بدل «كفورا».

(٤) في (ن): «لا يتأملون».

والتَّفكُّرُ: تصرُّفُ القلبِ بالنَّظرِ في الدَّلائل.

وهـذا قاطـعٌ لقول مَـن زعم مـنَ الرّافضـةِ أنَّ القـرآنَ لا يُفهَم معناه إلّا بتفسـيرِ الرَّسولِ له(١).

﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ﴾ كـما زعـمَ الكـفّارُ ﴿لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾ يـريـد: اختلافَ التناقُضِ، وهو ما يدَّعيه بعضُ الزَّنادقةِ من نحوِ قولِه سبحانه: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الأعراف: ٥٤]، ثم فصَّلَ في (السَّجدة) فكان ثمانيةَ أيّامٍ(٢)، ونظائرُه التي حكاها عنهم الجاحظُ والقتبيُّ(٣) وغيرُهما، وسيأتي في مواضعِه مبيَّنًا بحمدِ اللهِ لا تناقُضَ فيه ولا تبايُنَ، بل ذلك من جهلِهم بتأويلِ القرآنِ وسوءِ مُعتقَدِهم.

وأمّا اختلافُ المعاني من الأمرِ والنَّهي، والوعدِ والوعيد، والنّاسخِ والمنسوخ، وغيرِ ذلك ممّا اشتملَ عليه القرآنُ، فليس ذلك باختلافِ تناقضٍ، وكذلك اختلافُ القراءاتِ والطُّرُقِ والرِّوايات، والسُّور والآياتِ في الطُّول والقِصَر.

* * *

(٨٣) ـ ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَـٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

(١) ذكره المصنِّف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٠٠)، وأبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ٧٢٦).

(٢) ليست هذا التفصيل في سورة (السجدة)، بل في سورة (فصلت) في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَـٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ۝١٠ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ۝١١ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَـٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَـٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [فصلت: ٩ ـ ١٢]، وانظر في بيان ذلك: «الانتصار للقرآن» للباقلاني (٢/ ٦٠١).

(٣) انظر: «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (ص: ٢٤) وما بعدها.

﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ﴾ الضَّحّاكُ في جماعةٍ: المنافقين(١). الحسنُ والزَّجّاجُ: ضعفةَ المؤمنين(٢).

وقولُه: ﴿أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ﴾؛ أي: ما يُوجِبُ الأمنَ من العدوِّ أو الخوفَ منهم.

﴿أَذَاعُواْ بِهِۦ﴾: أفشَوه، والإذاعةُ: الإفشاءُ والتَّفريق، يُقالُ: أذاعَه وأذاعَ به.

والهاءُ تعودُ إلى الأمرِ، ويجوز أن تعودَ إلى الأمنِ أو الخوفِ فوحَّدَ؛ لأن (أو) تقتضي أحدَهما(٣).

وذلك أنَّ رسولَ الله عليه السَّلام كان يبعثُ السَّرايا، فإذا غَلَبوا أو غُلِبوا بادرَ المنافقون أو الضَّعفةُ بالاستخبارِ عن حال السَّرايا، فيفشونه ويحدِّثون به قبلَ أن يحدِّثَ به رسولُ الله عليه السَّلام(٤).

وقيل: هو ما كان ينزلُ من الوحي بالوعدِ بالظَّفر، أو بتخويفٍ من جهةِ الكفّار، وكان يخبرُهم النَّبيُّ عليه السَّلام بذلك، ويشيرُ إليهم، فيُذيعون ويُفشونه، وكان في ذلك مضرّةٌ على المسلمين(٥).

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ١٠١٤) عن الضحاك، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٢٦٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٨٣)، و«النكت والعيون» للماوردي (١/ ٥١١)، و«البسيط» للواحدي (٦/ ٦٣٤).

(٣) «والهاء تعود إلى الأمر ويجوز أن يعود إلى الأمن أو الخوف فوحّد لأن أو تقتضي أحدهما» من (ن).

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٣٩٣)، و«معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٧٩)، وروى الطبري نحوه في «تفسيره» (٧/ ٢٥٣) عن ابن جريج.

(٥) قال ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٤٣٩): «وفي المراد بالأمن أربعة أقوال؛ أحدها: فوز السرية =

﴿وَلَوْ رَدُّوهُ﴾ الهاءُ تعودُ إلى ما يعودُ إليه الأوَّل.

﴿إِلَى ٱلرَّسُولِ﴾ أي: يُرَدُّ إلى رأيِه، وقد يُستعمَلُ الرَّدُّ ابتداءً كما يُقالُ: هذا يُرَدُّ إلى رأي القاضي.

﴿وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾: الأمراءُ والولاةُ، وقيل: أمراءُ السَّرايا.

والحسنُ في جماعةٍ والزَّجّاجُ: أهلُ العلمِ والفقهِ[1].

﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾: يَستخبرون ويَتحسَّسون، وأصلُه من (النَّبَطِ)، وهو: الماءُ يخرجُ من البئرِ أوَّلَ ما تُحفَرُ، ومنه (النَّبَطُ)[2]؛ لاستنباطِهم العيونَ.

﴿مِنْهُمْ﴾ يجوزُ أن يعودَ إلى الرَّسول وأولي الأمر.

ويجوزُ أن يعودَ إلى المنافقين والضَّعفة، والمعنى: لو سكتوا عنه حتَّى يكونَ الرَّسولُ هو الذي يُفشي لعلمَه الذين يطلبون علمَ ذلك.

= بالظفر والغنيمة، وهو قول الأكثرين. والثاني: أنه الخبر يأتي إلى النبي ﷺ أنه ظاهر على قوم فيأمن منهم، قاله الزجاج. والثالث: أنه ما يعزم عليه رسول الله ﷺ من الموادعة والأمان لقوم، ذكره الماوردي. والرابع: أنه الأمن يأتي من المأمن وهو المدينة، ذكره أبو سليمان الدمشقي مخرجًا من حديث عمر.

وفي الخوف ثلاثة أقوال؛ أحدها: أنه النكبة التي تصيب السرية، ذكره جماعة من المفسرين. والثاني: أنه الخبر يأتي أن قوماً يجمعون للنبي ﷺ فيخاف منهم، قاله الزجاج. والثالث: ما يعزم عليه النبي من الحرب والقتال، ذكره الماوردي».

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٦٠٨)، والطبري في «تفسيره» (٧/ ١٨١) عن الحسن، لكن في قوله تعالى: ﴿وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ﴾ [النساء: ٥٩]، ورواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٢٥٦) عن قتادة وابن جريج، وذكره الزجاج في «معاني القرآن» (٢/ ٨٣).

(٢) وهم جيل يسكنون العراق، ويُعرفون بالأنباط أيضاً. انظر: «تاج العروس» مادة: (ن ب ط) (٢٠/ ١٣١).

ولو قيل: لو أظهروا[١] له هذا الخبر حتى يكونَ هو المفشي له.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾: لطفُه ومِنّتُه.

وقيل: محمَّدٌ والقرآنُ.

﴿لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ[٢]:

أحدها: إلّا اتِّباعًا قليلًا.

والثّاني: إلّا قليلًا[٣] ممَّن هُديَ إلى[٤] الإسلامِ قبلَ محمَّدٍ عليه السَّلام والقرآنِ من طلّابِ الدِّين؛ كزيدِ بنِ عَمرو بن نُفيلٍ، وورقةَ بنِ نوفلٍ وغيرِهما.

والثّالث: أذاعوا به[٥] إلّا قليلًا.

والرّابع: لعلمَه الذين يستنبطونَه إلّا قليلًا.

وعلى هذين القولين تمَّ الكلامُ على ﴿ٱلشَّيْطَٰنَ﴾[٦].

ويُحتمَلُ أن يكونَ الاستثناءُ من كلِّ واحدٍ من الضَّميرِ الذي تقدَّمَ في الآية، نحو: ولـمّا جاءهم إلّا قليلًا لم يجئهم حيث لم يقصدوا بالإخبار، وكذلك أذاعوا به إلّا قليلًا، وكذلك سائرُها[٧].

---

(١) كذا في (ن)، وفي (و): «ظهروا».

(٢) انظر: «القطع والائتناف» للنحاس (ص: ١٧٤)، و«النكت والعيون» للماوردي (١/ ٥١١).

(٣) «إلا قليلاً» من (ن).

(٤) «إلى» من (ن).

(٥) في (و): «إذ أغواه».

(٦) ذكر أبو بكر الأنباري في «إيضاح الوقف والابتداء» (١/ ١٣١) القولين، وذكر أن الوقف على ﴿ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ غير تام.

(٧) ذكره النحاس في «القطع والائتناف» (ص: ١٧٤)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٠١)، وعدَّه من العجائب.

(٨٤) ـ ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا﴾.

﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَ﴾؛ أي: فِعْلَ نفسِكَ.

﴿وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾؛ أي: على القتال ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ﴾: يمنعَ ﴿بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: بطشَهم وشدَّتَهم.

أجمعُوا على أنَّ (عسى) من الله واجبٌ[1]، فهذا بشارةٌ للمؤمنين بالظَّفرِ والنُّصرةِ وإبطالِ كيدِ الكفرة.

﴿وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا﴾: عقوبةً.

وقيل: الشُّهرةُ بالأمورِ الفاضحةِ.

وأصلُه النُّكولُ، وهو الامتناعُ خوفًا.

***

(٨٥) ـ ﴿مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةٗ يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةٗ سَيِّئَةٗ يَكُن لَّهُۥ كِفۡلٞ مِّنۡهَاۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتٗا﴾.

﴿مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةٗ﴾ أصلُ الشَّفاعةِ من (الشَّفع)؛ لأنَّ الواحدَ الفردَ إذا استعانَ بغيرِه صارَ معه شَفعًا.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٩٠٥) عن ابن عباس، وذكره مقاتل في «تفسيره» (١/ ٤٠٢)، والخليل في «العين» (٢/ ٢٠٠)، والفراء في «معاني القرآن» (١/ ٤٥١)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ٦٥١)، والزجاج في «معاني القرآن» (٢/ ٣٦٧)، وتتابع على ذكره المفسرون، وقد ذكر المصنِّف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٢٦) قولاً آخر، وهو: أنَّ (عسى) من الله واجب إلا في هذه قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرٗا مِّنكُنَّ﴾.

والمعنى: مَن يشفعْ في صاحبِه أن ينالَه خيرٌ بمسألتِه، ﴿يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾ من ثوابِ الشَّفاعة، أو منَ الحسنةِ.

﴿يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾؛ أي: فكذلك إذا سأَلَ أن ينالَه مكروهٌ.

وقيل: الشَّفاعةُ الحسنةُ: الدُّعاء للمؤمنين، والشَّفاعةُ السَّيِّئةُ: الدُّعاء عليهم.

وقيل: الشَّفاعةُ: المظاهرةُ والمعونةُ.

والكِفلُ: النَّصيبُ الوافرُ.

ابنُ عيسى: أصلُه: الكفلُ، وهو: المركبُ الذي يُهيَّأ كالسَّرجِ للبعيرِ(١).

الحسنُ وقتادةُ: الكِفلُ: الوِزرُ والإثمُ(٢).

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا﴾ الكسائيُّ وابنُ زيدٍ والسُّدِّيُّ: مقتدرًا(٣)، وأنشد:

وذي ضِغْـنٍ كَفَفْـتُ الضِّغْنَ عنهُ ... وكُـنْـتُ على مَسـاءَتِهِ مُقِيتا(٤)

---

(١) ذكر في «العين» (٥/ ٣٧٣) أنَّ الكِفْل النصيب، وأنَّه شيء يوضع على سنام البعير، وذكر أبو عبيد في «غريب الحديث» (٥/ ٤٧٥) نحو كلام ابن عيسى عن أبي عمرو والكسائي.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٢٧٠) وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ١٠١٩) عن قتادة، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٥١٢) عن الحسن وقتادة.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٢٧٢) عن ابن زيد، والسدي، وذكره ابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٨١٥)، والماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٣/ ٢٨٣) عن الكسائي، وهو قول الفراء في «معاني القرآن» (١/ ٢٨٠).

(٤) البيت مختلف في نسبته؛ فهو للزبير بن عبد المطلب في «تفسير الطبري» (٧/ ٢٧٢)، و«تفسير ابن المنذر» (٢/ ٨١٥)، و«النكت والعيون» (١/ ٥١٤)، ولأحيحة بن الجلاح في «إيضاح الوقف والابتداء» لأبي بكر الأنباري (١/ ٨٠)، ولامرئ القيس في «المعجم الكبير» للطبراني (١٠٥٩٧)، ولأبي قيس بن الرفاعة في «شمس العلوم» (٨/ ٥٦٧٧)، وللزبير أو لأبي قيس أو لثعلبة بن محيصة الأنصاري في «تاج العروس» مادة: (ق وت) (٥/ ٥١)، ويُروى: «كففت النفس» بدل «كففت الضغن».

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: حافظًا[١]، وإليه ذهبَ الزَّجّاج[٢].

مجاهدٌ: المقيتُ: الشَّهيد[٣].

وقيل: الحسيبُ، وقيل: المجازي، وقيل: المواظِبُ، وقيل: المحيط، حكاها أقضى القضاة[٤].

ابنُ عيسى: أصلُه من (القُوتِ)، أقاتَ: اقتدَرَ على القُوت.

وقولُه عليه السَّلام: «كَفى بالمرءِ إثمًا أنْ يُضيِّعَ مَنْ يَقُوتُ»[٥]، ويُروى: «مَنْ يُقِيْتُ»[٦]، رواه الفرّاء؛ يُحتمَلُ أن يكونَ (مَن يقوتُ[٧]) عيالَه، ويُحتمَلُ أن يكون (مَن يقوتُ[٨]) هو اللهُ سبحانه، على تقديرِ: أمْرَ مَن[٩] يَقُوتُ.

***

(٨٦) ـ ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٢٧١)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٨١٣).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٨٥).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٢٧١)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٨١٤).

(٤) انظر: «النكت والعيون» (١/ ٥١٣)، وفيه ذكر الأقوال الخمسة الأولى، وقال أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (١/ ١٣٥): «حافظًا محيطًا».

(٥) رواه أبو داود (١٦٩٢) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، ورواه مسلم (٩٩٦) بلفظ: «كفى بالمرء إثمًا أن يحبس عمَّن يملك قوته».

(٦) قال الفراء: «يقيت ويقوت». انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٨٠).

(٧) في (ن): «يقيت».

(٨) في (ن): «يقيت».

(٩) «من» من (ن).

﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ﴾ جمهورُ المفسِّرين على أنَّها السَّلام، والسَّلامُ سُنَّةٌ، والجوابُ فرضٌ.

﴿فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَآ﴾ هو أن يزيدَ في الجواب: (ورحمةُ الله)، فإن ذكرَهما المسلِّمُ زادَ في الجواب: (وبركاتُه)، وهي النِّهايةُ[1].

﴿أَوْ رُدُّوهَآ﴾ قيل: ﴿بِأَحْسَنَ مِنْهَآ﴾ إنْ كان مسلمًا، ﴿أَوْ رُدُّوهَآ﴾ إن كان ذمِّيًّا.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا﴾ مجاهدٌ: حافظًا[2]؛ أي: يُحصي الأعمالَ إحصاءَ الحافظِ.

وقيل: مُحاسبًا؛ أي: مُجازيًا.

الزَّجّاجُ: مِن (أَحْسَبَني)؛ أي: كفاني[3]، و(على) تدفعُه[4].

* * *

---

(١) يقال: لكل شيء منتهى، ومنتهى السلام كلمة «وبركاته». انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٨٦).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٢٧٨)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٨١٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ١٠٢١)، ولكن بلفظ: «حفيظًا».

(٣) ما ذكره المصنف هو كلام أبي عبيدة في «مجاز القرآن» (١/ ١٣٥)، وابن قتيبة في «غريب القرآن» (ص: ١٧)، وردَّ هذا الطبري في «تفسيره» (٧/ ٢٧٩)، وذكر الزجاج نحوه في هذه الآية فقال: «أي: يعطي كل شي من العلم والحفظ والجزاء مقدار ما يحسبه؛ أي: يكفيه، تقول: حسبك بهذا؛ أي: اكتفِ بهذا»، وذكر لفظ المصنف في موضع آخر، وقد عدَّه المصنف من العجائب. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٨٧) و(٥/ ٢٧٥)، و«غرائب التفسير» (١/ ٣٠١).

(٤) في (ن): «وأبو علي يدفعه»، ولعل الصواب ما في (و)؛ لأنه كذلك في «غرائب التفسير»، ولأنني لم أقف على كلام لأبي علي حول هذا فيما بين يديَّ من كتبه، والمعنى: استخدام (على) مع (حسيب) في مثل قولنا: الله حسيبٌ على خلقِه؛ يدفع أن يكون المراد: كافياً، ولو كان هذا المراد لقلنا: الله حسيبٌ خلقَه. وانظر: «تفسير الطبري» (٧/ ٢٧٩)، و«معاني القرآن» للنحاس (٢/ ١٥١).

(٨٧) ـ ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا﴾.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ﴾؛ أي: والله ليجمعنَّكم ويحشرُكم ويسوقُكم ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾.

ويحتملُ: ليجمعنَّكم في القبورِ إلى يومِ القيامة.

﴿لَا رَيۡبَ فِيهِ﴾ في اليومِ.

ويحتملُ: في الجمع.

﴿لَا رَيۡبَ فِيهِ﴾: لا ترتابوا فيه.

وقيل: لا ريبَ فيه[١] لمن تأمَّلَ حقَّ التَّأمُّل.

﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا﴾: قولًا في إخبارِه ووعدِه ووعيدِه، استفهامُ نفيٍ؛ أي: لا أحدَ أصدقُ منه.

* * *

(٨٨) ـ ﴿۞ فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيۡنِ وَٱللَّهُ أَرۡكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهۡدُواْ مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا﴾.

﴿فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيۡنِ﴾ في سببِ نزولِه خمسةُ أقوالٍ:

ـ ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: نزلَت في قومٍ بمكّة، أظهروا الإسلامَ، وكانوا يعينون المشركين على المسلمين[٢]، تُقوِّيه الآيةُ الأخرى.

---

(١) «لا ترتابوا فيه وقيل لا ريب فيه» من (ن).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٢٨٣ ـ ٢٨٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ١٠٢٣)، ولفظ الطبري: «وذلك أن قوماً كانوا بمكة قد تكلموا بالإسلام، وكانوا يظاهرون المشركين، فخرجوا من مكة يطلبون حاجة لهم، فقالوا: إن لقينا أصحاب محمد عليه الصَّلاة والسلام فليس علينا =

ـ زيدُ بنُ ثابتٍ رضي الله عنه: نزلَت في الذين تخلَّفوا يومَ أحدٍ وقالوا: لو نعلمُ قتالًا لاتَّبعناكم(١).

ـ الحسنُ ومجاهدٌ: نزلَت في قومٍ قدمُوا المدينةَ، وأظهروا الإسلامَ، ثم رجعُوا إلى مكّةَ، وأظهروا الشِّركَ(٢).

ـ ابنُ زيدٍ: نزلَت في أهلِ الإفكِ؛ أي: قصّةَ عائشةَ رضي الله عنها(٣).

ـ السُّدِّيُّ: نزلَت في قومٍ من أهلِ المدينة، أرادوا الخروجَ منها نفاقًا(٤).

= منهم بأس. وأن المؤمنين لما أخبروا أنهم قد خرجوا من مكة قالت فئة من المؤمنين: اركبوا إلى الخبثاء فاقتلوهم؛ فإنهم يظاهرون عليكم عدوكم. وقالت فئة أخرى من المؤمنين: سبحان الله ـ أو كما قالوا ـ أتقتلون قوما قد تكلموا بمثل ما تكلمتم به؟ من أجل أنهم لم يهاجروا ويتركوا ديارهم تستحل دماؤهم وأموالهم لذلك؟ فكانوا كذلك فئتين، والرسول عليه الصَّلاة والسلام عندهم لا ينهى واحداً من الفريقين عن شيء؛ فنزلَت: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓا۟ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا۟ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ﴾.

(١) رواه البخاري (١٨٨٤)، ومسلم (٢٧٧٦)، ولفظ البخاري: «لما خرج النبي ﷺ إلى أحد رجع ناس من أصحابه فقالت فرقة: نقتلهم، وقالت فرقة: لا نقتلهم، فنزلت».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٢٨٢)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٨٢٠) عن مجاهد، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٥١٤) عن الحسن ومجاهد.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٢٨٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ١٠٢٥).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٢٨٥)، والأقوال الخمسة ذكرها الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٥١٤)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٤٤٣)، وزاد عن الضحاك: أن قوماً أعلنوا الإيمان بمكة وامتنعوا من الهجرة، فاختلف المؤمنون فيهم، فنزلت هذه الآية. وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبيه: أن قوماً أسلموا، فأصابهم وباء بالمدينة وحماها، فخرجوا فاستقبلهم نفر من المسلمين، فقالوا: ما لكم خرجتم؟ قالوا: أصابنا وباء بالمدينة، واجتويناها، فقالوا: أما لكم في رسول الله أسوة؟ فقال بعضهم: نافقوا، وقال بعضهم: لم ينافقوا، فنزلت هذه الآية.

قوله: ﴿فِئَتَيۡنِ﴾ نصبُه على الحالِ عند البصريِّين(١).

الكوفيُّون: على معنى خبرِ (كان)(٢).

﴿وَٱللَّهُ أَرۡكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ﴾ ابنُ عبّاسٍ: ردَّهم(٣).

قال أُميّةُ:

فَـأُرْكِـسوا فـي حَـمـيـمِ الـنّـارِ إنَّهُمُ كـانوا عُصاةً وقالُوا الإفْكَ والزُّورا(٤)

قتادة: ﴿أَرۡكَسَهُم﴾: أهلَكَهم(٥).

الزَّجّاجُ: ﴿أَرۡكَسَهُم﴾: نكَّسَهم بما كسبُوا بكفرِهم؛ أي: ردَّهم إلى أحكامِ الكفّارِ؛ فردُّوهم أيضًا، ولا تختلفُوا في كفرِهم(٦).

﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَهۡدُواْ مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُ﴾؛ أي: أتنسبون إلى الهدايةِ مَن حَكَمَ الله بكفرِه؟!

﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا﴾ إلى الهدايةِ.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ٢٦٣)، و«إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٣٠).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٨١)، و«إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٣٠)، و«غرائب التفسير» (١/ ٣٠٢).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٢٨٨)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٨٢١).

(٤) البيت لأمية بن أبي الصلت، كما في «تفسير الطبري» (٧/ ٢٨١)، و«البسيط» للواحدي (٧/ ٢٨)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (٢/ ٨٩)، و«تفسير الرازي» (١٠/ ١٦٩)، أما في «ديوان أمية بن أبي الصلت» تحقيق: عبد الحفيظ السطلي (ص: ٤٠٨) فلفظ البيت:

أركسـوا في جهنـم أنهـم كا نـوا عتـاة تقـول إفـكًا وزورا

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٢٨٨)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٨٢٢).

(٦) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٨٨)، وفيه: «وتأويل ﴿أَرۡكَسَهُم﴾ في اللغة: نكسهم وردهم، يقال: أركسه وركسه. ومعنى ﴿وَٱللَّهُ أَرۡكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ﴾؛ أي: ردهم إلى حكم الكفار».

(٨٩) ـ ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ۖ فَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ۖ وَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾.

﴿وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً﴾؛ أي: يتمنَّون أن تكفرُوا فتصيرُوا مثلَهم، والفاءُ للعطفِ لا للجواب.

﴿فَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: لا تُوالوهم حتى يُؤمنوا، فيهاجروا في سبيلِ الله إلى[1] المدينة.

قيل: ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: ما أمرَ بسُلوكِه مِن طاعتِه.

﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ عن الإيمانِ ولم يهاجروا، ﴿فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ من حِلٍّ وحرمٍ.

﴿وَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾: لا تُوالوهم ولا تَستنصرُوهم.

***

(٩٠) ـ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُوا۟ قَوْمَهُمْ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْ ۚ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ﴾: يَنتسبونَ[2]، وأنشدَ الأعشى:

إذا اتَّصلَتْ قالَتْ: أَبَكْرَ بنَ وائلٍ ... وبَكْرٌ سَبَتْها والأنوفُ رَواغِمُ[3]

---

(١) «إلى» من (ن).

(٢) وقد ردَّ الطبري هذا التأويل للآية في «تفسيره» (٧/ ٢٩٣ ـ ٢٩٤)، وبيَّن أن انتساب مَن لا عهد له إلى ذي العهد لا يوجب أن يكون له عهد.

(٣) انظر: «ديوان الأعشى» تحقيق: محمد حسين (ص: ٨١)، و«مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ١٣٦)، و«الكامل» للمبرد (٢/ ١٩٨)، و«تفسير الطبري» (٧/ ٢٩٤).

وقيل: ﴿يَصِلُونَ﴾ من الوصول.

﴿إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾ عكرمةُ: هم قومُ هلالِ بنِ عُويمرٍ الأسلميِّ، وادَعَ رسولَ الله عليه السَّلام أن لا يُعينَه ولا يُعينَ عليه، ومَن لجأ إليهم فله مثلُ ما لهلالٍ[1].

ورُويَ عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّ الذين بينكم وبينهم بنو بكرِ بنِ زيدِ بن مناة[2].

والجمهورُ على أنَّه خزاعةُ وذووهم[3].

﴿أَوۡ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ﴾: ضاقَت ﴿صُدُورُهُمۡ أَن يُقَٰتِلُوكُمۡ﴾؛ أي: عن قتالِكم، هم بنو مُدلجٍ، اتَّصلوا بقريشٍ.

و﴿حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ﴾: حالٌ؛ أي: قد حصرَت.

وقيل: دعاءٌ عليهم، وزيَّفه أبو عليٍّ[4].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٢٩٣) مختصرًا عن عكرمة بلفظ: «نزلَت في هلال بن عويمر الأسلمي وسراقة بن مالك بن جعشم وخزيمة بن عامر بن عبد مناف». وروى نحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ١٠٢٧) عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٥٠٩) دون نسبة، وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٤٤٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٥٠٩)، والواحدي في «البسيط» (٧/ ٣٥)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٤٤٥).

(٣) في (و): «فذووهم».

(٤) قال أبو علي الفارسي في «الإيضاح العضدي» (ص: ٢٧٧): «وما كان صفة للنكرة جاز أن يكون حالًا للمعرفة إلا الفعل الماضي؛ فإنه لا يكون حالاً حتى يكون معه (قد) مضمرة أو مظهرة، أو تجعل الماضي وصفاً لمحذوف، كقوله عز وجل: ﴿أَوۡ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ﴾ أي: جاءوكم قومًا حصرت صدورهم، فحذف الموصوف المنتصب على الحال، وأقام صفته مقامه، ولا يجوز أن يكون «حصرت» دعاء».

وقيل: بدلٌ من ﴿جَآءُوكُمْ﴾.

وقيل: صفةٌ لنكرةٍ؛ أي: قومًا حصرَت صدورهم.

والمعنى: لا تقتلوا مَن بينكم وبينَهم عهدٌ[١]، ولا مَنِ اتَّصلَ بهم، ولا مَن جاؤوكم حصرَت صدورُهم.

وقيل: ولا[٢] مَن اتَّصلَ بهم، أو جاؤوكم حصرَت.

﴿أَوْ يُقَٰتِلُواْ قَوْمَهُمْ﴾ معكم.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْ﴾ فقوّى قلوبَهم، وأزالَ الحصرَ عن صدورِهم.

﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ﴾: الصُّلحَ والإسلامَ والاستسلامَ، ﴿فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ بقتلٍ أو قتالٍ، ثم نُسِخَ بآيةِ السَّيفِ.

* * *

(٩١) - ﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُواْ فِيهَاۚ فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْۚ وَأُوْلَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾.

﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ﴾ الكلبيُّ عن أبي صالحٍ: هم أسدٌ وغطفانُ[٣].

الضَّحّاكُ: بنو عبد الدّار، أسلمُوا، ثم رجعُوا إلى ديارِهم، وأظهروا الكفرَ، وخالفُوا الإسلام[٤].

---

(١) في (ن): «عقد».

(٢) في (و): «بدلاً» بدل «ولا».

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٥١١)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٤٤٦) عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٥١٢)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٤٤٦) عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما.

﴿كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُواْ فِيهَا﴾؛ أي: كلَّما دُعوا إلى الكفرِ عادُوا إليه.

﴿فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ﴾: الصُّلحَ، ﴿وَيَكُفُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ﴾ عن قتالِكم، ﴿فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾: ظفرتُم بهم[1].

﴿وَأُوْلَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾ بالقتلِ والنَّهبِ[2] والسَّبي، والسُّلطانِ والحجّةِ، والمبينُ: المظهِرُ للحقِّ.

***

(٩٢) - ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا﴾ في نزولِها ثلاثةُ أقوالٍ:

١ ـ مجاهدٌ وعكرمةُ قالا: نزلَت في حارثِ بنِ زيدٍ، كان قد أسلمَ ولم يشعر به عيّاشُ بنُ أبي ربيعة، فلقيَه في الطَّريق، فحملَ عليه وقتلَه[3].

٢ ـ قال الدِّمياطيُّ: نزلَت في أبي حذيفةَ وأبي الدَّرداء، كانا في قتالِ المشركين، فقتلَهما المسلمون ظنًّا أنَّهما من الكفّارِ لـمّا اختلطَ الفريقان[4].

---

(١) «بهم» من (ن).

(٢) في (و): «والنهي».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٣٠٦ ـ ٣٠٧) عن عكرمة ومجاهد، إلا أن تسمية المقتول جاءت في رواية عكرمة، ورواه ابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٨٣٠) عن مجاهد.

(٤) ذكر أبي الدرداء هنا مشكل، وهذه القصة معروفة عن اليمان والد حذيفة، ذكرها المفسرون، وروى =

٣ ـ قال ابنُ زيدٍ: نزلَت في أبي الدَّرداءِ حين قتلَ الرّاعي[١].

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا﴾ نفى جوازَ قتلِ المؤمن، ومعناه النَّهيُ، وأفادَ دخولُ (كان) أنَّ هذا لم يزلْ حُكمَ الله، وليسَ بحادثٍ.

﴿إِلَّا خَطَـًٔا﴾ الجمهورُ على أنَّه استثناءٌ منقطعٌ، والمعنى: لكن إنْ قتلَه خطأً، فجزاؤُه ما يُذكَر.

والخطأُ: فعلٌ لا يضامُّه القصدُ إليه بعينِه، بخلافِ العمد.

قال صاحبُ النَّظم: تقديرُه: وما كان مؤمنٌ ليقتلَ مؤمنًا، فهو نفيٌ[٢] غيرُ حظرٍ، قال: والاستثناءُ من النَّفي إثباتٌ، فيكونُ ﴿إِلَّا خَطَـًٔا﴾ إثباتَ خبرٍ لا إطلاقًا[٣].

وقيل: معناه: ليس القتلُ للمؤمنِ بمتروكٍ لا يُقتصُّ إلّا أن يكونَ خطأً.

وقيل: الخطأُ في المقتول؛ هل هو مؤمنٌ أم مشركٌ[٤]؟ لا في نفسِ القتل.

السُّدِّيُّ: قتلُ المؤمنِ للمؤمنِ يخرجُه عن كونِه مؤمنًا إلّا أن يكونَ خطأً[٥].

= أصلها البخاري (٣٢٩٠) عن عائشة رضي الله عنها، لكن دون ذكر أنها سبب لنزول الآية، وانظر: «الهداية» لمكي بن أبي طالب (٢/ ١٤١٨)، و«الاستيعاب» لابن عبد البر (٣/ ١٢٢٧)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (٢/ ٩٢).

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٣٠٩)، وقال ابن كثير في «تفسيره» (٢/ ٣٣٠): «وهذه القصة في الصحيح لغير أبي الدرداء»؛ يعني: أسامة بن زيد، وحديثه رواه البخاري (٤٢٦٩)، ومسلم (٩٦)، وسيذكره المصنف قريبًا.

(٢) في (و): «نهي».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٠٢)، واستغربه، وذكر مكي نحوه في «الهداية» (٢/ ١٤١٧) دون نسبة.

(٤) في (ن): «كافر».

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٠٢) بلا نسبة، وعدَّه من العجائب، وقال: «وهذا =

فيكون الاستثناءُ صحيحًا، وليس هذا معتقدَ أهلِ السُّنّةِ والجماعة[1].

﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا﴾؛ أي: بغيرِ سيفٍ وما يجري مجراه، أو قصدَ غيرَه من المباحِ فأصابَه؛ سواءٌ ضربَه بالسَّيفِ أو غيرِه.

﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾؛ أي: فعليه إعتاقُ رقبةٍ مؤمنةٍ؛ عبدٍ أو أمةٍ، بالغةٍ؛ يصومُ ويصلِّي؛ عن الحسن[2].

غيرُه: إذا وُلِدَ من مسلمَين جازَ وإن كان طفلًا[3].

﴿وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ﴾: أهلِ المقتولِ، ﴿إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟﴾؛ أي: يَتصدَّقوا ويعفوا عنه.

والدِّيةُ: مئةُ إبلٍ، أو ألفُ[4] دينارٍ، أو اثنا عشرَ ألفَ درهمٍ[5]، تُوزَّعُ على عاقلتِه، فتُؤدَّى في ثلاثِ سنين.

= ضعيف، وليس بالمذهب»، وذكره الرازي في «التفسير الكبير» (١٠/ ١٧٥) بلا نسبة، وذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٤/ ١٩) عن السدي.

(١) وإنما هو معتقد الخوارج على مذهبهم في مرتكب الكبيرة، وهو مذهب المعتزلة، وقال به من رؤسائهم أبو هاشم الجبائي. انظر: «مقالات الإسلاميين» للأشعري (ص: ٢١٣)، و«الكشاف» للزمخشري (١/ ٥٥١)، و«تفسير الرازي» (١٠/ ١٧٥)، و«شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز (٢/ ٥٢٤).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٥١٨)، وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ١٠٣٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما: «مَن عقل الإيمان وصام وصلى»، ثم قال: «وروي عن سعيد بن جبير والحسن وإبراهيم والحكم نحو ذلك».

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٥١٨)، وقال: «هذا قول عطاء والشافعي».

(٤) في (و): «وألف».

(٥) هذا قول مالك والشافعي في القديم، أما الحنفية فيرون أنه عشرة آلاف درهم. انظر: «الحجة على أهل المدينة» لمحمد بن الحسن (٤/ ٢٥٨)، و«مختصر المزني» (٧/ ٣٥١)، و«المبسوط» للسرخسي (٢٦/ ٧٧)، و«تبيين الحقائق» للزيلعي (٦/ ١٢٧).

﴿فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾؛ أي: وإن كان المقتولُ خطأً من قومٍ كفرةٍ، ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾، ولا ديةَ له.

وقيل في معناه: في أيِّ قومٍ كفّارٍ، سواءٌ كانَ ورثتُه مسلمين أو كفّاراً.

﴿وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ﴾: بين المسلمين ﴿وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾: عهدٌ.

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: أهلُ الكتاب[١].

الحسنُ: أهلُ عهدِ رسول الله عليه السَّلام من العربِ خاصّةً[٢].

وقيل: عامٌّ في أهلِ الكتابِ والعهدِ[٣].

﴿فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ ولم يذكر هاهنا (إلّا أن يصّدّقوا)، والعلّةُ أن يُقالَ: لـمّا عبَّرَ عن العفوِ بالصَّدقة، والمقصودُ هاهنا بالأهل: الكفّارُ من أهل الكتاب، لم يقل: (يصَّدَّقوا)؛ لأنَّ صدقةَ الكفّارِ لا تحلُّ للمؤمنين، والله أعلم[٤].

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٥١٩)، وقد اختلفت الروايات عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ فروى ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٨٠٠٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ١٠٣٤) عنه أنه قال: «هو الرجل يكون معاهدًا ويكون قومه أهل عهد، فيسلم إليهم الدية، ويعتق الذي أصابه رقبة». وروى الطبري في «تفسيره» (٧/ ٣١٨) عنه قال: «إذا كان كافرًا في ذمتكم فقُتل، فعلى قاتله الدية مسلمة إلى أهله، وتحرير رقبة مؤمنة، أو صيام شهرين متتابعين»، وروى عنه (٧/ ٣٢٢) أيضاً أنه قال: «﴿وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾: عهد».

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٥١٩).

(٣) ذكر الماوردي الأقوال الثلاثة، ونسب هذا القول الثالث إلى الشافعي. انظر: «النكت والعيون» (١/ ٥١٩).

(٤) «والعلة أن يقال: لما عبر عن العفو بالصدقة، والمقصود ههنا بالأهل الكفار من أهل الكتاب لم يقل يصدقوا؛ لأن صدقة الكفار لا تحل للمؤمنين والله أعلم» من (ن).

﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ﴾؛ أي: مَن لم يجدِ الرَّقبةَ، فعليه الصِّيامُ شهرين ﴿مُتَتَابِعَيْنِ﴾.

وقيل: هي كفَّارةٌ عن الرَّقبةِ والدِّيةِ إذا لم يجدهما.

﴿تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ﴾؛ أي: فليتُبْ توبةً، فهي نصبٌ على المصدر.

وقيل: يصومُ توبةً؛ أي: للتَّوبة.

ابنُ عيسى: اعملوا بما أوجبَه الله للتَّوبةِ من الله[1]، فصارَ مفعولًا له[2].

ويحتملُ: تابَ اللهُ عليكم بالدِّيةِ وتحريرِ الرَّقبةِ توبةً[3]، بدليلِ قولِه: ﴿مِّنَ اللَّهِ﴾.

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ فيما أمرَ ﴿حَكِيمًا﴾ فيما قدَّرَ.

* * *

(٩٣) - ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾.

﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ اختلفَ المفسِّرون في هذه الآية:

قال ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: لا توبةَ لمن قَتلَ مؤمنًا متعمِّدًا، قال: وهذه آيةٌ مدنيّةٌ نسخَتْ آيةً مكّيّةً[4]؛ يعني: ما في (الفرقان)[5] من قوله: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ...﴾ [٧٠] الآية.

---

(١) ذكر الواحدي قول ابن عيسى بحروفه في «الوسيط» (٢/ ٩٥) بلا نسبة.

(٢) «له» من (ن).

(٣) «توبة» من (ن).

(٤) روى نحوه البخاري (٤٧٦٥)، ومسلم (٣٠٢٣)، وانظر: «الناسخ والمنسوخ» لابن سلام (ص: ٢٦٦).

(٥) في (و): «قلبه».

ابنُ عمرَ رضي الله عنهما في جماعةٍ: له توبةٌ[١]؛ لأنَّ هذا ممّا لا يقعُ فيه ناسخٌ ولا منسوخٌ؛ لأنَّه خبرٌ ووعيدٌ[٢]، وقد جاء: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وكذلك قولُه: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ...﴾ [طه: ٨٢] الآية[٣].

وعن زيدِ بنِ ثابتٍ رضي الله عنه: أنَّ التي في (الفرقان) نزلَت بعدَ هذه[٤].

عكرمةُ: معناه: ومَن يقتل مؤمنًا مُتعمِّدًا مُستحلًّا لقتلِه[٥].

---

(١) رواه النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (٢/ ٦٢٩) عن ابن عمر رضي الله عنهما، ورُوي عنه أيضاً أنه قال: «لا توبة لقاتل العمد»، كما روى ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٧٧٣٠)، وذكر ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ١٠٣٧)، والسمرقندي في «بحر العلوم» (١/ ٣٢٧).

(٢) والخبر لا يدخله نسخ، والوعيد في إخلافه مكرمة، ورُوي أنه اجتمع أبو عمرو بن العلاء وعمرو بن عبيد، فقال عمرو: إن الله وعد وعدًا وأوعد إيعادًا وإنه منجز وعده ووعيده. فقال له أبو عمرو: أنت أعجم! لا أقول: إنّك أعجم اللسان، ولكنك أعجم القلب؛ أما تعلم ـ ويحك ـ أنَّ العرب تعدُّ إنجاز الوعد مكرمة، وترك إيقاع الوعيد مكرمة؟ ثم أنشده:

وإنــي وإن أوعدتــه أو وعدتــه … لمخلـف إيعـادي ومنجـز موعدي

انظر: «عيون الأخبار» (٢/ ١٥٨)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٠٤) مختصرًا عن أبي عمرو، وعده من العجائب.

(٣) انظر: «الناسخ والمنسوخ» للنحاس (ص: ٦٦ و٣٤٤).

(٤) ذكره النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٣٤٩)، والمشهور عن زيد بن ثابت رضي الله عنه خلاف هذا، وأن آية النساء نسخَت آية الفرقان، وقد رواه أبو داود (٤٢٧٢)، والنسائي (٤٠٠٦)، وانظر: «الناسخ والمنسوخ» لابن سلام (ص: ٢٦٧)، و«تفسير الطبري» (٧/ ٣٤٨)، وقد ذهب ابن حزم في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٣٥) إلى أن آية النساء منسوخة بآية الفرقان، وقال المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٠٣): «قوله: ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا﴾ قيل: منسوخ بآية الفرقان، وقيل: ذلك منسوخ بهذا، والصحيح أنهما ثابتان؛ لأن النسخ لا يدخل الخبر».

(٥) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٢/ ٦٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وذكره الطبري في =

وقيل: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا﴾ لإيمانه، كما قال: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟﴾ [النور: ٢]؛ أي: لزناه، ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟﴾ [المائدة: ٣٨]؛ أي: لسرقته[١].

وقال أبو مِجلزٍ: ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ إن[٢] جازاه[٣].

وقيل: أمرُه إلى الله تابَ أو لم يتب؛ إن شاءَ عفا عنه وإن شاءَ عذَّبه، وهذا مذهبُ الفقهاء، والمرويُّ عن أبي حنيفةَ رضي الله عنه[٤].

وفي سبب النُّزول عن الكلبيِّ، عن أبي صالحٍ، عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهم: أنَّ مِقْيَسَ بنَ صُبابةَ وجدَ أخاه هشامَ بنَ صبابةَ قتيلًا في بني النَّجّار، وكان مسلمًا، فأتى رسولَ الله عليه السَّلام فذكر له ذلك، فأرسلَ رسول الله عليه السَّلام معه رسولًا[٥] من بني فِهرٍ وقال له: «ائتِ بني النَّجّارِ فأقرِئهم السَّلامَ، وقل لهم: إنَّ رسولَ اللهِ يَأمُرُكم إنْ علمْتُم قاتِلَ هشامِ بنِ صبابةَ أن تدفعُوه إلى أخيه فيَقتَصَّ منه، وإن لم تعلمُوا له قاتلًا أن تدفعُوا إليه دِيَتَه»، فأبلغَهم الفِهريُّ ذلك عن رسولِ اللهِ عليه السَّلام فقالوا: سمعًا لرسولِ الله وطاعةً، واللهِ ما نعلمُ له قاتلًا، ولكنّا نؤدِّي إليه دِيتَه، فأعطوه مئةً من الإبل، ثم انصرفا راجعين نحوَ المدينةِ، وبينهما وبين المدينة قريبٌ، فأتى الشَّيطانُ مِقْيَسًا

= «تفسيره» (٧/ ٣٤١)، وذكر بعده خبرًا عن عكرمة يشير إليه.

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٠٣)، واستغربه.

(٢) في (و): «أي».

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٧٧٤٩)، والطبري في «تفسيره» (٧/ ٣٤٠).

(٤) انظر: «المبسوط» للسرخسي (٣٠/ ٢٦٦)، و«المغني» لابن قدامة (٨/ ٢٥٩). وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ رواه عنه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ١٠٣٨)، والثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٥٢٩).

(٥) «رسولاً» من (ن).

فوسوس إليه وقال: أيَّ شيءٍ صنعْتَ؟! تقبلُ ديةَ أخيك، فتكونُ عليك سُبّةً؟ اقتلِ الذي[١] معك فيكونُ مكانَ أخيك وفضلُ الدِّيةِ[٢]، ففعل ذلك مِقْيسٌ، فرمَى الفِهريَّ بصخرةٍ فشَدَخَ رأسَه، ثم ركبَ بعيرًا منها، وساقَ بقيَّتها راجعًا إلى مكّةَ كافرًا، وجعلَ يقولُ في شعرِه:

قَتَلْتُ بِهِ فِهْرًا وَحَمَّلْتُ عَقْلَهُ ... سَراةَ بَنِي النَّجّارِ أَرْبابَ فارِعِ
وَأَدْرَكْتُ ثَأْرِي واضْطَجَعْتُ مُوَسَّدًا ... وَكُنْتُ إِلَى الْأَوْثانِ أَوَّلَ راجِعِ

فأنزلَ اللهُ هذه الآيةَ، ثم أهدرَ رسولُ الله عليه السَّلام دمَه يومَ فتحِ مكّة، فأدركَه النّاسُ فقتلُوه[٣].

***

(٩٤) - ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ ﴾ سعيدُ بنُ جُبيرٍ قال: خرجَ المقدادُ بنُ الأسودِ في سريّةٍ، فمرّوا برجلٍ في غُنَيمةٍ وأرادوا قتلَه، فقال: لا إله إلّا الله،

---

(١) في (و): «الذين».

(٢) الظاهر أن (كان) تامة؛ أي: فيكون الفهري مكان أخيك، وتكون نفس مكان نفس، والدية فضل، كما في «غرائب التفسير» (١/ ٣٠٣).

(٣) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢٩٢)، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٧١)، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٣٤١) عن عكرمة، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ١٠٣٧) عن سعيد بن جبير، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٦٥٧٧) عن أنس رضي الله عنه.

فقتلَه المقدادُ، فقيل له: أقتلتَه وقد قالَ: لا إله إلّا الله؟ فقال: ودَّ لو فرَّ[١] بأهلِه ومالِه، فلـمّا قدمُوا على رسولِ الله ﷺ ذكرُوا ذلك له، فنزلَت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ...﴾ الآية[٢].

وقيل: هو أسامةُ بنُ زيدٍ، فأنكرَ النَّبيُّ عليه السَّلام ذلك فقال: «هلّا شَققْتَ عن قَلبِه»[٣]، وحلفَ بهذا السَّبب ألّا يقاتلَ مَن يقول: لا إلهَ إلّا الله، ولهذا قعدَ عن نُصرةِ عليٍّ رضي الله عنه؛ فلم يكن معه ولا عليه[٤].

قال ابنُ زيدٍ: القاتلُ أبو الدَّرداء[٥].

وقيل: القاتلُ مُحَلِّمُ[٦] بنُ جثّامةَ بنِ قيسٍ[٧].

---

(١) في (و): «أفوز».

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٨٩٤٠)، والبزار في «مسنده» (٥١٢٧)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٣٧٩). وروى البخاري (٤٠١٩)، ومسلم (٩٥) عن المقداد رضي الله عنه، ولفظ مسلم: أنه قال: يا رسول الله، أرأيت إن لقيت رجلاً من الكفار فقاتلني، فضرب إحدى يدي بالسيف فقطعها، ثم لاذ مني بشجرة، فقال: أسلمت لله، أفأقتله يا رسول الله بعد أن قالها؟ قال: رسول الله ﷺ: «لا تقتله» قال: فقلت: يا رسول الله، إنه قد قطع يدي، ثم قال ذلك بعد أن قطعها، أفأقتله؟ قال رسول الله ﷺ: «لا تقتله، فإن قتلته فإنه بمنزلتك قبل أن تقتله، وإنك بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قال».

(٣) رواه البخاري (٤٢٦٩)، ومسلم (٩٦) عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما، وليس في الرواية تصريح أنه سبب نزول الآية، ولكن صرح السدي بأن هذه الحادثة سبب نزول الآية فيما رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٣٥٧).

(٤) روى البخاري (٧١١٠) عن حرملة مولى أسامة قال: «أرسلني أسامة إلى عليٍّ وقال: إنه سيسألك الآن فيقول: ما خلف صاحبك؟ فقل له: يقول لك: لو كنت في شدق الأسد لأحببت أن أكون معك فيه، ولكن هذا أمر لم أره»، وانظر: «تفسير مقاتل بن سليمان» (١/ ٣٩٩).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٣٠٩)، وقد تقدم.

(٦) في (و): «محكم».

(٧) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٣٨٨١)، والضياء المقدسي في «المختارة» (٩/ ٢٤٨). قال =

قولُه: ﴿إِذَا ضَرَبْتُمْ﴾: سافرتم ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: للغزوِ وقتالِ الكفّار، ﴿فَتَبَيَّنُواْ﴾: ارفقوا في الأمور، ولا تعجلوا(١).

والتَّثبُّتُ والتَّبيُّنُ قريبٌ؛ لقوله: ﴿وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ [النساء: ٦٦]، ولقوله صلَّى الله عليه: «التَّبيُّنُ من اللهِ، والعجلةُ من الشَّيطانِ»(٢).

﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ﴾؛ أي: لا تقولوا لمن قال: «لا إله إلَّا الله، محمَّدٌ رسول الله»: ﴿لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾.

وقيل: ﴿أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ﴾: استسلمَ وأعطى المَقادةَ، و﴿ٱلسَّلَٰمَ﴾: التَّحيَّةُ؛ أي: لا تقولوا لمن حيّاكم هذه التَّحيّةَ: إنَّما قالها متعوِّذًا.

﴿تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: تطلبونَ غُنيمته ومالَه.

﴿فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾ فاطلبوها من عنده، فسيمكِّنكم(٣) منها.

﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ﴾ أي: كفرةً، وقيل: تكتمونَ إيمانكم زمانًا(٤).

= الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٨): «رواه أحمد والطبراني، ورجاله ثقات».

(١) «ولا تعجلوا» من (ن).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٣٥٢) عن قتادة مرسلاً بهذا اللفظ، ورواه الخرائطي في «مكارم الأخلاق» (٦٨٧) عن الحسن مرسلًا، ورواه الترمذي (٢٠١٢) بلفظ: «الأناة» عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه، وقال: «حديث غريب، وقد تكلم بعض أهل العلم في عبد المهيمن بن عباس بن سهل وضعَّفه من قبل حفظه»، وللحديث شواهد منها ما رواه أبو يعلى في «مسنده» (٤٢٥٦)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢٠٢٧٠) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) في (ن): «فإنه سيمكنكم».

(٤) علَّق البخاري (٦٨٦٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قال النبي ﷺ للمقداد: «إذا كان رجلٌ مؤمن يخفي إيمانه مع قوم كفّار، فأظهر إيمانه فقتلته، فكذلك كنت أنت تخفي إيمانك بمكّة من قبلُ».

﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ بالإيمانِ وإعزازِ الدِّين وكفِّ أيدي المشركين.

وقيل: منَّ عليكم بقَبولِ توبتِكم مِن قَتْلِ المسلم.

﴿فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ أعاد تأكيدًا وتشديدًا.

* * *

(٩٥) ـ ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةًۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ زيدُ بنُ ثابتٍ رضي الله عنه قال: كنْتُ عند النَّبيِّ عليه السَّلام حين نزلَت هذه: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ ولم يذكر (أولي الضَّرر)، فقال ابنُ أمِّ مكتومٍ: وكيف وأنا أعمى لا أبصرُ؟ قال زيدٌ: فتغشَّى النَّبيَّ عليه السَّلام في مجلسِه الوحيُ، فاتَّكأ على فخذي، فوالذي نفسي بيدِه لقد ثَقُلَ عليَّ حتى خشيْتُ أنْ يرضَّها، ثم سُرِّيَ عنه فقال: اكتب: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ﴾[1].

والمعنى: لا مساواةَ بين القاعدين من غير علَّةٍ أو ضعفٍ وبين المجاهدين ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ﴾؛ أي: بعُذرٍ[2] ﴿دَرَجَةًۚ وَكُلًّا﴾: القاعدَ والمجاهدَ ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾: الجنَّةَ، ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ﴾؛ أي: بغيرِ عُذرٍ ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

* * *

---

(١) رواه الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٧٥) بهذا اللفظ، وروى نحوه البخاري (٢٨٣٢).

(٢) «أي بعذر» من (ن).

(٩٦) ـ ﴿ دَرَجَٰتٍ مِّنۡهُ وَمَغۡفِرَةً وَرَحۡمَةًۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾.

﴿ دَرَجَٰتٍ مِّنۡهُ وَمَغۡفِرَةً وَرَحۡمَةً ﴾.

وقيل: وحّد الأولى لأنَّها في الدُّنيا من الغنيمة، وجمعَ الثّانيةَ لأنّها في الآخرة، وهي الجنّةُ ومنازلُها.

وقيل: الدَّرجةُ الأولى: ارتفاعُ المنزلةِ عند الله، والثّانيةُ: منازلُ الجنّة.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾.

* * *

(٩٧) ـ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ ﴾ عكرمةُ عن ابنِ عبّاسٍ قال: كان قومٌ من المسلمين بمكّةَ خرجوا في قومٍ من المشركين في قتالٍ، فقُتِلُوا معهم(١).

وقيل: هم المنافقون.

الحسنُ: هم المشركون(٢)، والأوّلُ أظهر.

ومعنى ﴿تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾: تقبضُ أرواحَهم.

﴿ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ بتركِ الهجرةِ أو إبطانِ الشِّركِ أو الكفرِ(٣).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٣٨١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ١٠٤٦)، وروى البخاري (٤٥٩٦) عن ابن عباس: «أن أناساً من المسلمين كانوا مع المشركين، يكثرون سواد المشركين على رسول الله ﷺ، فيأتي السهم فيرمى فيصيب أحدهم فيقتله، أو يضربه فيقتله، فأنزل الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ ﴾».

(٢) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٤/ ٤١).

(٣) في (و): «وإبطان الشِّرك والكفر».

﴿قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ﴾؛ أي: قالَت الملائكةُ توبيخًا لهم: ﴿فِيمَ كُنتُمْ﴾ في أيِّ شيءٍ وأيِّ حالٍ كنتم؟

﴿قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ﴾: ضعفةً عاجزين ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ بمكّةَ، فأخرجونا كارهين.

﴿قَالُوٓاْ﴾؛ أي: الملائكـةُ: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا﴾ إلـى المدينـةِ وغيرِهـا.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ خبرُ ﴿إِنَّ﴾: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾[(١)].

وقيل: ﴿قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ﴾؛ أي: قالوا لهم[(٢)].

* * *

(٩٨ ـ ٩٩) ـ ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾.

﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ في الحقيقةِ ﴿مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ﴾، وذكرَ الولدانَ معهم لأنَّ الواجبَ إخراجُهم إذا لحقَهم حُكمُ الإسلام.

﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾: لا يقدرون على حيلةٍ ولا نفقةٍ للخروج منها.

﴿وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ مجاهدٌ: لا يعرفونَ طريقَ المدينة[(٣)].

وقيل: لا يعرفون طريقًا إلى الخروج منها.

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للباقولي (١/ ٣٤١).

(٢) ودخلت الفاء في خبر (إن) تشبيهاً لاسمها باسم الشرط، وقيل: خبر (إن) محذوف، والتقدير: إنّ الّذين توفّاهم الملائكة ظالمي أنفسهم هلكوا. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٣٤)، و«التبيان» للعكبري (١/ ٣٨٤)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٤/ ٤١).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٣٩٠)، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ١٠٤٨).

قال ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: كنت أنا وأمّي[(١)] من الذين لا يَستطيعونَ حيلةً ولا يهتدون سبيلًا، وكنت غلامًا صغيرًا[(٢)].

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعۡفُوَ عَنۡهُمۡۚ﴾: يتجاوزُ عنهم.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورٗا﴾ لعبادِه قبل أن يخلقَهم.

***

(١٠٠) ـ ﴿۞ وَمَن يُهَاجِرۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُرَٰغَمٗا كَثِيرٗا وَسَعَةٗۚ وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدۡرِكۡهُ ٱلۡمَوۡتُ فَقَدۡ وَقَعَ أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾.

﴿وَمَن يُهَاجِرۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: يفارقْ عشيرتَه ووطنَه لطلبِ دينِ الله، ﴿يَجِدۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُرَٰغَمٗا﴾ ابنُ عبّاسٍ: مُتحوَّلًا[(٣)].

السُّدِّيُّ: مطلبًا للمعيشة[(٤)].

ابنُ زيدٍ: مُهاجَرًا[(٥)].

ابنُ عيسى: أصله من (الرَّغمِ)، وهو الذُّلّ، والرَّغام: التُّراب؛ لأنَّه ذليلٌ، وراغمَ

---

(١) في (و): «وأبي».

(٢) ذكر هذا اللفظ الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٥٥٦)، ورواه البخاري (١٣٥٧) بلفظ: «كنت أنا وأمي من المستضعفين أنا من الولدان وأمي من النساء».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٣٩٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ١٠٤٩).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٤٠١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ١٠٤٩)، بلفظ: «مبتغًا للمعيشة».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٤٠١). قال ابن قتيبة في «غريب القرآن» (ص: ١٣٤): «(المراغم) و(المهاجر) واحد، تقول: راغمت وهاجرت قومي، وأصله أن الرجل كان إذا أسلم خرج عن قومه مراغمًا لهم؛ أي: مغاضبًا، ومهاجرًا؛ أي: مقاطعًا، من (الهجران)».

فلانٌ قومَه؛ إذا نابذَهم مُعتزلًا عنهم؛ لِما في المنابذة من رَومِ الإذلال، والـمُراغَمُ: موضعُ الـمُراغمةِ، كالـمُقاتَلِ؛ موضعُ المقاتَلة[١].

﴿كَثِيرًا وَسَعَةً﴾[٢] ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما: في الرِّزق[٣].

قتادةُ: في إظهارِ الدِّين والخلاصِ من تضييق المشركين[٤].

﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ بإيجابه ذلك عليه.

ابنُ عبّاسٍ: نزلَت في حبيبِ بنِ ضمرةَ، حملَه بنوه على سريرٍ مُتوجِّهًا نحوَ المدينة، فلـمّا بلغ التَّنعيمَ أشرفَ على الموت، فصفَّقَ يمينَه على شمالِه وقال: اللَّهمَّ هذه لك وهذه لرسولك، أبايعُك على ما بايعَ ربَّه رسولُ الله، فمات[٥].

---

(١) والمراغَم أيضاً: المذهَب والمهرَب والسَّعة والمضطَرب والحِصن. انظر: «تهذيب اللغة» مادة: (ر غ م) (٨/ ١٣٠)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (٢/ ١٠١)، و«باهر البرهان» لنجم الدين النيسابوري (١/ ٣٨٦)، و«تاج العروس» (٣٢/ ٢٧١).

(٢) في (و): «وسعة في».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٤٠٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ١٠٥٠).

(٤) روى الطبري في «تفسيره» (٧/ ٤٠٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ١٠٤٩) عن قتادة: «أي والله من الضلالة إلى الهدى، ومن العيلة إلى الغنى»، وعبارة المصنِّف ذكر نحوها الماوردي والواحدي بعد قول قتادة، ونسبه الواحدي لأصحاب المعاني. انظر: «النكت والعيون» للماوردي (١/ ٥٢٢)، و«الوسيط» للواحدي (٢/ ١٠٧).

(٥) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٧٨)، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ١٠٥١) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وفيه: (ضمرة بن جندب)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٣٩٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وفيه: (ضمرة من بني بكر)، ورواه الطبري أيضاً في «تفسيره» (٧/ ٣٩٦) عن عكرمة، وفيه: (جندب بن ضمرة).

وقيل: اسمُه ضمضمُ بنُ عمرٍو، وقيل: ضمرةُ[١]، والصَّحيحُ الأوَّل.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾.

***

(١٠١) - ﴿وَإِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَقۡصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنۡ خِفۡتُمۡ أَن يَفۡتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْۚ إِنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ كَانُواْ لَكُمۡ عَدُوّٗا مُّبِينٗا﴾.

﴿وَإِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ﴾؛ أي: إذا[٢] سافرتُم فيها فليس عليكم[٣] حرجٌ ﴿أَن تَقۡصُرُواْ﴾: في أن تقصروا ﴿مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾.

قَصَرَ وأَقْصَرَ وقَصَّرَ: نقَصَ.

ابنُ عبّاسٍ: قصرُ أركانِها في المُسايَفةِ؛ يُصلِّي كيف ما أمكنَه[٤]؛ قائمًا أو قاعدًا أو مُومِئًا، مع استيفاء عددِها؛ كقوله: ﴿فَإِنۡ خِفۡتُمۡ فَرِجَالًا أَوۡ رُكۡبَانٗا﴾ [البقرة: ٢٣٩][٥].

سعدُ بنُ أبي وقّاصٍ رضي الله عنه: هو قصرُ أعدادِها من أربعٍ إلى ركعتين، مشروطٌ بالخوف[٦].

---

(١) ذكر ابن حجر في «الإصابة» (١/ ٦١٨ - ٦١٩) الأقوال الثلاثة، وقيل في اسمه أيضاً: جندع، وجندب.

(٢) «أي: إذا سافرتُم فيها فليس عليكم» من (ن).

(٣) في (و): «عليكم جناح».

(٤) في (و): «يصلي كيف كان».

(٥) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٥٢٣)، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٤٢١).

(٦) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٥٢٣). وروى الطبري في «تفسيره» (٧/ ٤٠٨) عن ابن جريج قال: «قلت لعطاء: أي أصحاب رسول الله ﷺ كان يتم الصَّلاة في السَّفر؟ قال: عائشة وسعد بن أبي وقاص»؛ يعني: أنهما يشترطان الخوف زيادة على السَّفر لقصر الصَّلاة.

الحسنُ ومجاهدٌ: في الحضرِ أربعًا، وفي السَّفرِ ركعتين، وفي الخوفِ ركعةً[١].

عمرُ وعائشةُ رضي الله عنهما: صلاةُ المسافرِ ركعتان، تمامٌ غيرُ قصرٍ[٢].

والجمهورُ على أنَّ قصرَ الصَّلاةِ لا يُشترَطُ فيه الخوفُ، وأوَّلوا قولَه: ﴿إِنْ خِفْتُمْ﴾ على وجوهٍ:

منها: أنَّه على[٣] الغالب في ذلك الوقت.

والثّاني: أنَّ الكلامَ تمَّ عند قوله: ﴿مِنَ الصَّلَوٰةِ﴾ وبينَهما حولٌ، ثم قال[٤]: ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنَّ الْكَٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾؛ أي: بالخوفِ[٥] في موضعِه[٦].

والثّالث: أنَّ قولَه: ﴿إِنْ خِفْتُمْ﴾ يتَّصلُ بقولِه: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ﴾ [النساء: ١٠٢].

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٥٢٣)، وروى الطبري في «تفسيره» (٤/ ٣٩٤) من طريق مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما: «فرض الله الصَّلاة على لسان نبيكم ﷺ في الحضر أربعًا، وفي السَّفر ركعتين، وفي الخوف ركعة». وهذه صلاة شدة الخوف، وقد اختلف أهل العلم فيها؛ فقيل: يصلى ركعة يومئ، فإن لم يقدر كبر تكبيرتين حيث كان وجهه، وذهب عامة فقهاء الأمصار إلى وجوب صلاة ركعتين. انظر: «الإشراف» لابن المنذر (٢/ ٢٢٣)، و«البسيط» للواحدي (٤/ ٢٩٨).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٤٢٧٨)، والنسائي (١٥٦٦) عن عمر رضي الله عنه.

ورواه البخاري (٣٥٠) عن عائشة رضي الله عنها بلفظ: «فرض الله الصَّلاة حين فرضها، ركعتين ركعتين، في الحضر والسَّفر، فأقرت صلاة السَّفر، وزيد في صلاة الحضر».

(٣) في (و): «أن الغالب».

(٤) «قال» من (ن).

(٥) في (ن): «فالخوف».

(٦) ذكر السمعاني في «تفسيره» (١/ ٤٧٢) والبغوي في «تفسيره» (١/ ٦٨٩) أن هذا مروي عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه.

والرّابع: أنَّه شرطٌ لا اعتبارَ له؛ كقوله: ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: ٣٣]، وكقوله: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ [النور: ٣٣].

قتادةُ: إنَّ قَصْرَ الصَّلاة في حالِ الأمنِ نصُّ القرآنِ؛ من قوله: ﴿وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾ [الفتح: ٢٧](١)، ويأتي في موضعِه.

قوله: ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أن يصيبوكم بمكروهٍ من قتلٍ أو جرحٍ أو سلبٍ. ﴿إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا﴾، (عدوٌّ): تصلحُ للواحدِ والجمع.

* * *

(١٠٢) ـ ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾.

﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾ مجاهدٌ قال: حدَّثنا أبو عيّاشٍ(٢) رضي الله

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٤٠٦) من طريق قتادة عن أبي العالية، ولفظه: «سافرت إلى مكة، فكنت أصلي ركعتين، فلقيني قراء من أهل هذه الناحية، فقالوا: كيف تصلي؟ قلت: ركعتين، قالوا: أسنة أو قرآن؟ قلت: كل ذلك سنة وقرآن، قلت: صلى رسول الله ﷺ ركعتين، قالوا: إنه كان في حرب. قلت: قال الله: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾».

(٢) في النسختين: «ابن عباس»، والتصويب من مصادر التخريج، وقد ذكر الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٨٠) خبراً بعده عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنها في صلاة الخوف، وأبو عياش هو زيد بن الصامت الزرقي الأنصاري رضي الله عنه، شهد أحدًا وما بعدها، وفي اسمه خلاف، يقال: إنه عاش إلى خلافة معاوية. انظر: «الاستيعاب» (٤/ ١٧٢٤)، و«الإصابة» (٧/ ٢٤٥).

عنه قال: صلَّينا مع رسول الله ﷺ الظُّهرَ، فقال المشركون: قد كانوا على حالٍ لو كنّا أصبنا منهم غِرّةً، فقالوا: تأتي عليهم صلاةٌ هي أحبُّ إليهم من آبائهم، قال: وهي العصرُ، قال: فنزلَ جبريلُ عليه السَّلام بهذه الآيات بين الأولى والعصرِ وهم بعُسفانَ، وعلى المشركين خالدُ بنُ الوليد(١)، وهم بينَنا وبينَ القِبلة(٢).

وبلغَ ذلك خالدَ بنَ الوليد، وكان سببَ إسلامِه(٣).

﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ﴾ يا محمَّدُ؛ أي: مع المؤمنين في قتال الكافرين.

﴿فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ﴾: صلَّيت بهم.

﴿فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ﴾ للصَّلاة، وتقومُ طائفةٌ تُجاهَ العدوِّ.

﴿وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ﴾ ابنُ عبّاسٍ: أي: الذين(٤) تُجاهَ العدوِّ(٥).

وقيل: المصلُّون يأخذون السَّيفَ والسِّكِّينَ وغيرَ ذلك.

﴿فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟ مِن وَرَآئِكُمْ﴾؛ أي: ليرجعوا إلى مكانِهم يحمونكم من العدوِّ.

---

(١) في هامش (ن): «أي: أميرهم».

(٢) رواه أبو داود (١٢٣٦)، والنسائي (١٥٥٠)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٨٠)، وقال ابن حجر في «الإصابة» (٧/ ٢٤٥): «سنده جيد».

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٥٢٤)، وقد ذكر الواقدي في «مغازيه» (٢/ ٧٤٦) عن خالد رضي الله عنه أنه قال بعد ذكر حادثة صلاة الخوف: «فوقع ذلك مني موقعًا وقلت: الرجل ممنوع». وقد ذُكر في سبب إسلام خالد رضي الله عنه غير ذلك من الرؤيا التي رآها، وكتاب أخيه الوليد إليه، وسؤال رسول الله ﷺ عنه، ولعلها أسباب متفرقة تجمعت فصح عزمه رضي الله عنه إلى الإسلام.

(٤) في (و): «الذي».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٤٢٤)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٥٢٤)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٤٦٢).

﴿وَلۡتَأۡتِ طَآئِفَةٌ أُخۡرَىٰ لَمۡ يُصَلُّواْ فَلۡيُصَلُّواْ مَعَكَ﴾: يصلِّي بكلِّ طائفةٍ ركعةً[1].

الحسنُ: يصلِّي مرَّتين؛ بكلِّ طائفةٍ مرَّةً[2].

﴿وَلۡيَأۡخُذُواْ حِذۡرَهُمۡ وَأَسۡلِحَتَهُمۡ﴾؛ أي: المصلُّون، وقيل: الجميعُ.

﴿وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ تَغۡفُلُونَ عَنۡ أَسۡلِحَتِكُمۡ وَأَمۡتِعَتِكُمۡ فَيَمِيلُونَ عَلَيۡكُم مَّيۡلَةً وَٰحِدَةً﴾؛ أي: تمنَّوا أن ينالوا منكم غِرَّةً في صلاتِكم.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِن كَانَ بِكُمۡ أَذٗى مِّن مَّطَرٍ﴾ يفسدُ[3] السِّلاحَ، ﴿أَوۡ كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ﴾ لا تطيقون حملَها، ﴿أَن تَضَعُوٓاْ أَسۡلِحَتَكُمۡۖ وَخُذُواْ حِذۡرَكُمۡ﴾: حَزمَكم، ولا تتركوا الحذرَ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾ في الدُّنيا بالغَلَبةِ عليهم، وفي الآخرةِ بالمصيرِ إلى النّار.

***

(١) انظر في صلاة الخوف: «الموطأ» للإمام مالك (١/ ١٨٣ ـ ١٨٤)، و«الأصل» لمحمد بن الحسن (١/ ٣٢٨)، و«الأم» للشافعي (١/ ٢٤٣)، و«المغني» لابن قدامة (٢/ ٢٩٨)، و«منهاج الطالبين» للنووي (ص: ٥٠).

(٢) ذكره أبو داود بعد حديث (١٢٤٨) من طريق الحسن عن أبي بكرة رضي الله عنه، ولفظه: «صلى النبي ﷺ في خوف الظهر، فصف بعضهم خلفه، وبعضهم بإزاء العدو، فصلى بهم ركعتين، ثم سلم، فانطلق الذين صلوا معه، فوقفوا موقف أصحابهم، ثم جاء أولئك فصلوا خلفه، فصلى بهم ركعتين، ثم سلم، فكانت لرسول الله ﷺ أربعًا، ولأصحابه ركعتين ركعتين، وبذلك كان يفتي الحسن»، قال أبو داود: «وكذلك في المغرب يكون للإمام ست ركعات، وللقوم ثلاث ثلاث». وروى نحوه الإمام الشافعي في «مسنده» (٥٠٦)، وابن أبي شيبة في «مسنده» (٨٢٨٦)، وابن خزيمة في «صحيحه» (١٣٥٣)، من طريق الحسن عن جابر رضي الله عنه، ورواه البخاري (٤١٣٦)، ومسلم (٨٤٣) من طريق أبي سلمة عن جابر رضي الله عنه، وانظر: «التلخيص الحبير» لابن حجر (٢/ ١٧٨).

(٣) في (و): «مفسد».

(١٠٣) ـ ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَوٰةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ إِنَّ الصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾.

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَوٰةَ﴾؛ أي: فرغْتُم منها.

﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾؛ أي: دومُوا على ذكرِ الله في جميعِ الأحوالِ(١).

وقيل: أراد به التَّكبيرَ في وجوهِ الكفَّار؛ ليعلموا أنَّكم مستعدُّون لهم.

وعن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّه الصَّلاةُ؛ يصلِّي كيفَما أمكنَه(٢).

﴿فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ﴾؛ أي: سكنَتْ قلوبُكم من الخوفِ والسَّفر.

الحسنُ: رجعتُم إلى أوطانِكم(٣).

---

(١) روى الطبري في «تفسيره» (٧/ ٤٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣١٣٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لا يفرض الله على عباده فريضة إلا جعل لها جزاءً معلوماً ثم عذر أهلها في حال عذر غير الذكر؛ فإن الله لم يجعل له حدّاً ينتهي إليه، ولم يعذر أحدًا في تركه إلا مغلوبًا على عقله، فقال: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾: بالليل والنهار، في البر والبحر، وفي السَّفر والحضر، والغنى والفقر، والسقم والصحة، والسر والعلانية، وعلى كل حال».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٥٤٩) عن علي بن أبي طالب وابن عباس رضي الله عنهما والنخعي وقتادة، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٥٢٣)، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٤٢١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٠٥٦).

(٣) في (ن): «الوطن». ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٥٢٦)، والواحدي في «البسيط» (٧/ ٦٣).

والطُّمأنينةُ: السُّكونُ، والهمزةُ أصلٌ[١]، يُقالُ: طَمْأَنْتُه وطأَمَنْتُه؛ أي: سكَّنته، وجاء (اطبأنَّ) بالباء أيضًا[٢].

ويُقالُ: الهمزة زيادةٌ، وهي من قولِهم للأرضِ المنخفضة: طَمْنٌ؛ وهذا دليلٌ إنْ صحَّ[٣].

﴿فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: أتمُّوها بركوعِها وسجودِها وأعدادِها.

﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا﴾: محدودةَ الأوقات.

مجاهدٌ: مفروضًا[٤].

***

(١٠٤) - ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

﴿وَلَا تَهِنُوا۟﴾: لا تضعُفوا ﴿فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ﴾: في طلبِ القومِ للمحاربةِ حتَّى يدخلُوا في الإسلام.

﴿إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ﴾: يدرككم ألَمٌ، ﴿فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ﴾؛ أي: هم أمثالُكم لحمٌ ودمٌ، يوجعُهم ما يوجعُكم.

عكرمةُ: ذلك يوم أحدٍ[٥].

---

(١) في (و): «أصلي». وبقاء الهمزة في اللغات الثلاث (طمأن) و(طأمن) و(اطبأنَّ) دليل أصالة، ومذهب سيبويه أن (طمأن) مقلوب، وأصله (طأمن). انظر: «الكتاب» (٣/ ٤٦٧) و(٤/ ٣٨١).

(٢) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» (٢/ ٩٩)، والجوهري في «الصحاح» مادة (ط ب ن) (٦/ ٢١٥٧).

(٣) انظر: «مقاييس اللغة» لابن فارس (٣/ ٤٢٢)، و«الدر المصون» للسمين الحلبي (٢/ ٥٧٤).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٤٥٠)، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٠٥٧)، والنحاس في «معاني القرآن» (٢/ ١٨٣).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٤٥٥).

﴿وَتَرْجُونَ﴾ من[1] النَّصرِ في العاجلِ والنَّعيم في الآجل[2] ﴿مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

وقيل: معنى ﴿ترجون﴾: تخافون، وذلك مع النَّفي[3].

***

(١٠٥) ـ ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾.

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ أجمعَ المفسِّرون على أنَّ هذه الآياتِ نزلَت في طُعْمَةَ بنِ[4] أُبَيْرِقٍ أحدِ بني ظَفَرِ بنِ الحارث[5]، إلَّا ابنَ بحرٍ؛ فإنَّه قال: نزلَت في المنافقين، وهو متَّصلٌ بقولِه: ﴿فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾[6].

---

(١) في (و): «وتنصرون» بدل «وترجون من».

(٢) في (و) زيادة: «وترجون».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٠٦)، واستغربه، وقال «أنكره الفراء: وقال: إنما ذلك في النفي»، وقال الفراء في «معاني القرآن» (١/ ٢٨٦): «قال بعض المفسرين: معنى ترجون: تخافون. ولم نجد معنى الخوف يكون رجاء إلا ومعه جحد، فإذا كان كذلك، كان الخوف على جهة الرجاء والخوف، وكان الرجاء كذلك».

(٤) في (و): «بنت».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٤٥٨ ـ ٤٦٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وقتادة والسدي وعكرمة.

(٦) ذكر الواحدي إجماع المفسرين على سبب نزول الآية في «البسيط» (٧/ ٦٩)، ونقل الراغب في «تفسيره» كلام ابن بحر، ونقل أبو حيان في «البحر المحيط» (٤/ ٥٥) كلام المصنف بحروفه، ونسبه إليه.

وذلك أنَّ طُعْمَةَ بنَ[1] أُبَيْرِقٍ سرقَ درعًا من جارٍ له يُقالُ له: قتادةُ بنُ النُّعمان، وكانت الدِّرعُ في جِرابٍ فيه دقيقٌ، فجعلَ الدَّقيقُ ينتثرُ من خَرقٍ في الجراب، حتى انتهى إلى الدّار وفيها أثرُ الدَّقيق، ثم خبَّأها عند رجلٍ من اليهود يُقالُ له: زيدُ بنُ السَّمين، فالتُمِسَتِ الدِّرع عند طعمةَ فلم تُوجَد عنده، وحلفَ لهم: والله ما أخذَها وما له بها من علمٍ، فقال أصحابُ الدِّرع: بلى والله، لقد أدلجَ علينا فأخذها، وطلبنا أثرَه حتى دخلَ داره، فرأينا أثرَ الدَّقيق، فلـمّا أن حلف تركوه، واتَّبعوا أثرَ الدَّقيق حتى انتهوا إلى منزلِ اليهوديِّ، فأخذوه، فقال: دفعَها إليَّ طُعْمةُ، فشهدَ له ناسٌ من اليهودِ على ذلك، فقال[2] بنو ظَفَرٍ، وهم قومُ طُعْمَةَ: انطلقوا بنا إلى رسول الله ﷺ، فكلِّموه في ذلك، وسألوه أن يُجادلَ عن[3] صاحبِهم وقالوا: إنَّك إن لم تفعل هلَكَ صاحبُنا وافتُضِحَ، وبرئَ اليهوديُّ، فهمَّ رسول الله ﷺ أن يفعل، وكان هواه معهم وأن يعاقبَ اليهوديَّ، حتَّى أنزلَ اللهُ الآيات[4].

السُّدِّيُّ والضَّحّاكُ: كانت وديعةً عنده فجحدَها، ولم يكن عليه بيِّنةٌ[5].

قولُه: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ﴾: بأن تضعَ الشَّيءَ موضعَه، والباءُ للحال؛ أي: محقًّا.

﴿لِتَحۡكُمَ﴾: لتفصلَ وتمنعَ الظَّالمَ من المظلوم.

---

(١) في (و): «ابنت».

(٢) في (ن): «فقالت».

(٣) في (و): «غير».

(٤) هذا لفظ الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٨١)، وقد روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٤٦٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة ومجاهد وابن زيد والسدي والضحاك.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٤٦٦ ـ ٤٧٠) عن السدي والضحاك.

﴿بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَىٰكَ اللَّهُ﴾: بما علَّمَك وعرَّفَك.

في «الحجّة»: هو من الرَّأي الذي هو الاعتقاد؛ لأنَّ الذي بمعنى العلمِ يستدعي ثلاثةَ مفاعيلِ[1].

﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾؛ أي: لا تذبَّ عنهم، وأعْلِمْ أنَّه الخائنُ.

الخصيمُ: المبالِغُ في الخِصام.

***

(١٠٦ ـ ١٠٧) ـ ﴿وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾.

﴿وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ الزَّجّاجُ[2]: استغفر ممّا همَمْتَ به؛ من الذَّبِّ عن الخائنِ بظنِّك أنَّه بريءُ السّاحةِ[3].

وقيل: من مَيْلِكَ إلى أقرباءِ الخائن.

وقيل: معناه: سبِّحِ اللهَ.

﴿وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ﴾؛ فإنَّ الوبالَ عادَ عليها[4]. و(خان) و(اختانَ) بمعنًى.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا﴾: مُبالِغًا في الخيانة مُصِرًّا عليها.

﴿أَثِيمًا﴾: مُبالِغًا في إثمِه لا يُقلِعُ عنه.

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٦/ ٥٨).

(٢) «الزجاج» ليس في (ن).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ١٠١)، وفيه: «وأمره بالاستغفار مما همَّ به، وأن يحكم بما أنزل الله في كتابه».

(٤) كذا في النسختين، ولو قال: عائد عليها، لكان أظهر، والضمير يعود على الأنفس.

(١٠٨) ـ ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴾.

﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾: يخفون فعلَهم.

وقيل: يخفون أشخاصَهم عند السَّرقةِ وعند التَّبييت.

وجمعَ لأنَّ المرادَ طُعْمةُ ومَن فعلَ فعلَه. وقيل: هو وأقرباؤُه الذين دبَّروا ليلًا أن[1] يبرِّئوا طُعْمةَ، وينسبوا الخيانةَ إلى اليهوديِّ.

﴿وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ ﴾: مطَّلعٌ على أشخاصِهم وأسرارِهم.

﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ ﴾: ﴿إِذْ ﴾ ظرفُ ﴿يَسْتَخْفُونَ﴾.

﴿يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ يريدُ: رميَ اليهوديِّ وشهادةَ الزُّور.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴾: علِمَ عِلْمَ إحاطةٍ.

* * *

(١٠٩ ـ ١١٠) ـ ﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾.

﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ بالسَّعي في تبرئةِ طُعمةَ[2].

﴿فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾: استفهامٌ معناه النَّفي.

﴿أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾: يدفعُ عنهم عذابَ الله.

﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا ﴾: ذنبًا بالذَّبِّ عن الخائنِ ﴿أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ﴾ بالخيانةِ.

---

(١) «أن» من (ن).

(٢) في (و): «تبرئة اليهودي».

وقيل: معناه: مَن ظلَمَ غيرَه أو ظلَمَ نفسَه.

وقيل: ﴿يَعْمَلْ سُوٓءًا﴾: صغيرةً، ﴿أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ﴾ يريدُ: الكبيرةَ.

﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ﴾: يسألُ مغفرتَه.

وقيل: الاستغفارُ: التَّوبةُ.

﴿يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ له.

* * *

(١١١ ـ ١١٢) ـ ﴿وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾.

﴿وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا﴾: اجترحَ سيِّئةً ﴿فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ فإنَّ وبالَ ذلك عليها، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً﴾ بغيرِ تعمُّدٍ ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ تعمُّدًا، ﴿ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا﴾ يريدُ: اليهوديَّ، ووحَّدَ لمكانِ (أو)[1].

﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا﴾: كذبًا عظيمًا.

﴿وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾: ذنبًا ظاهرًا.

* * *

(١١٣) ـ ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾.

---

(١) أي: قال: به، ولم يقل: بهما؛ لأن المراد التخيير بينهما.

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ ﴾ بإعلامِه إيّاك بالوحيِ ما هم عليه، ﴿ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ ﴾: من قومِ طُعْمةَ ﴿ أَن يُضِلُّوكَ ﴾: يدعوك إلى ما ليسَ بحقٍّ.

﴿ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ﴾؛ أي: لا يلحقُكَ مع عصمةِ الله إيّاكَ ضررٌ منهم.

﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾؛ أي: وقد أنزلَ ﴿ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾؛ أي: القرآنَ، ﴿ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾: مواعظَ القرآنِ وأحكامَه، ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ﴾ من النُّبوّة، ﴿ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾.

* * *

(١١٤ ـ ١١٥) ـ ﴿ ۞ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾.

﴿ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ ﴾: أسرارِهم.

وقيل: من مُتناجيهم؛ كقوله: ﴿ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ ﴾ [الإسراء: ٤٧] جمعُ نجيٍّ.

ابنُ عيسى: أصلُه: الارتفاعُ، والنَّجوى: الأسرارُ؛ لأنَّه رفعُ السِّترِ عنك[1] بإظهارِه لغيرِك[2].

﴿ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ ﴾: عملِ البرِّ.

---

(١) في (ن): «لأنك رفعت الستر عنه».

(٢) ذكر نحوه العسكري في «معجم الفروق اللغوية» (ص: ٥٣٣) فقال: «النجوى: اسم للكلام الخفي الذي تُناجي به صاحبك كأنك ترفعه عن غيره، وذلك أن أصل الكلمة الرفعة، ومنه النجوة من الأرض، وسمي تكليم الله تعالى موسى عليه السلام مناجاة لأنه كان كلامًا أخفاه عن غيره».

﴿أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾: إصلاحِ ذاتِ البَينِ.

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾: طلبَ رضا الله، ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾: الجنّةَ والخلودَ فيها.

ويجوزُ في موضعِ ﴿مَنْ﴾ الرَّفعُ والنَّصبُ والجرُّ(١).

ثم حكمَ رسولُ الله عليه السَّلامُ على طُعْمةَ بالقَطْعِ، فخافَ الفضيحةَ وهربَ إلى مكّةَ، ولحقَ بالمشركين، وهو قولُه:

﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ﴾: يخالفُ النَّبيَّ عليه السَّلام ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ﴾: بانَ وظهَرَ بإطلاعِ اللهِ نبيَّه على سرِّه.

﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: غيرَ دينِ الموحِّدين(٢).

﴿نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ﴾ الزَّجّاجُ: ندعْه وما اختارَه(٣).

ابنُ عيسى: نَكِلْه إلى ما اتَّكَلَ عليه(٤).

---

(١) الكلام على (من) الموصولية في ﴿مَنْ أَمَرَ﴾، وليس الشرطية في ﴿وَمَن يَفْعَلْ﴾، والرفع فيها على أنها مبتدأ خبره محذوف، والاستثناء منقطع؛ لأن (النجوى) مصدر، والتَّقدير: لكن من أمر بصدقة أو معروف ففي نجواه خير، والنَّصبُ على الاستثناء المنقطع على اعتبار (نجوى) مصدراً، أو على الاستثناء المتصل على اعتبار (نجوى) جمع نجيٍّ، والتَّقدير: لا خير في متناجيهم إلا متناجياً أمر بصدقة، والجرُّ على البدل من (كثير)، أو من (نجواهم) على تقدير مضاف محذوف؛ أي: إلا في نجوى مَن أمر بصدقة. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ١٠٦)، و«إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٣٨)، و«التبيان» للعكبري (١/ ٣٨٩).

(٢) «غير دين الموحدين» من (ن).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ١٠٧).

(٤) ذكره الواحدي في «البسيط» (٧/ ٩٢) دون نسبة.

وقيل: نُخلِّي بينه وبين ذلك.

﴿وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ﴾: ندخلْه فيها.

﴿وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾: جهنَّم.

* * *

(١١٦) ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ سبقَ تفسيرُه.

وذكرَ في الآية الأولى ﴿فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ﴾ [النِّساء: ٤٨] لأنَّه في أهلِ الكتاب، وفي الأخرى ﴿فَقَدْ ضَلَّ﴾ [النِّساء: ١١٦] لأنَّه في الكُفّار[١].

* * *

(١١٧) ـ ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا﴾.

﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ﴾؛ أي: ما يعبدونَ مِن دونِ الله.

﴿إِلَّآ إِنَٰثًا﴾: جمعُ أُنثى، كـ(رُبَّى) و(رِبابٍ)[٢]؛ أي: أشياءَ؛ كاللّاتِ وهي حجارةٌ، والعُزَّى وهي شجرةٌ، ومَناةَ وهي[٣] صنمٌ.

---

(١) انظر: «درة التنزيل وغرة التأويل» للخطيب الإسكافي (ص: ٤٠٤ ـ ٤٠٨)، و«البرهان» للمصنف (ص: ٩٦).

(٢) جاء في هامش (ن): «الرُّبَّى: الغنم الذي تُعلَف في البيت وتُربَّى لتُذبح»، وذكر ابن الأثير أنها تُربَّى لأجل اللبن، وقيل غير ذلك في معناها، وجمعُها: رُباب، ورِباب، ذكر الأولى سيبويه، وذكر الثانية اللحياني، وهي لغة قليلة. انظر: «الكتاب» (٣/ ٦٠٩)، و«المحكم» لابن سيده (١٠/ ٢٣٦)، و«النهاية» لابن الأثير (٢/ ١٨٠)، و«لسان العرب» (١/ ٤٠٤).

(٣) «وهي» من (ن).

وقال الحسنُ: الجماداتُ، والإخبارُ عنها بلفظِ التَّأنيث(١).

الضَّحّاكُ: الملائكةُ؛ لأنَّهم زعموا أنَّها بناتُ الله(٢).

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: المواتُ(٣).

ويحتمل أنَّ هذا مَثَلٌ للخساسةِ والضَّعة؛ فإنَّ الأنثى من كلِّ شيءٍ خسيسٌ وضيعٌ(٤).

﴿وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا﴾: إبليس.

وليس بين الدُّعاءينِ منافاةٌ؛ لأنَّ الأوَّلَ عبادةٌ، وهي للأوثان، والثّانيَ طاعةٌ، وهي لإبليسَ(٥)؛ لأنَّه أمرَهم وحملَهم عليها.

وقيل: ما يدعون بدعائِهم الإناثَ إلَّا شيطانًا.

---

(١) روى الطبري في «تفسيره» (٧/ ٤٨٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٠٦٧) عن الحسن: «والإناث: كل شيء ميت ليس فيه روح؛ خشبة يابسة، أو حجر يابس»، وروى الطبري في «تفسيره» (٧/ ٤٨٨) عنه: «كان لكل حي من أحياء العرب صنم يسمونها أنثى بني فلان، فأنزل الله: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا﴾».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٤٨٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٠٦٧).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٤٨٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٠٦٧).

(٤) قال الطبري في «تفسيره» (٧/ ٤٩٠): «فحسب هؤلاء الذين أشركوا بالله وعبدوا ما عبدوا من دونه من الأوثان والأنداد حجةً عليهم في ضلالتهم وكفرهم وذهابهم عن قصد السبيل أنَّهم يعبدون إناثاً، ويدعونها آلهة وأرباباً، والإناث من كل شيء أخسه؛ فهم يقرون للخسيس من الأشياء بالعبودية على علم منهم بخساسته، ويمتنعون من إخلاص العبودية للذي له ملك كل شيء، وبيده الخلق والأمر».

(٥) «إبليس وليس بين الدعاءين منافاة لأن الأول عبادة وهي للأوثان والثاني طاعة وهي لإبليس» من (ن).

ابنُ عيسى: هو كقولِه: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧](١).

وقيل: كان الشَّيطانُ يدخلُ أجوافَ الأصنامِ فيكلِّمُ داعيها.

﴿مَّرِيدًا﴾: ماردًا شديدًا في كفرِه.

ابنُ عيسى: أصلُه: التَّمليسُ(٢)، ومنه: شجرةٌ مرداءُ؛ تناثَرَ أوراقُها، وغلامٌ أمردُ(٣).

***

(١١٨) ـ ﴿لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾.

﴿لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾ يجوزُ أن يكونَ إخبارًا، ويجوزُ أن يكونَ دعاءً.

﴿وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾: معلومًا مقدارُه.

وقيل: حظًّا محدودًا.

الزَّجّاجُ: مؤقَّتًا(٤).

وأصلُ الفرضِ: الحزُّ والتَّأثيرُ، ومنه الفَرْضُ في سِيةِ(٥) القَوسِ(٦).

---

(١) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٤/ ٧٠)، وقال: «يعني: أن نسبة دعائهم الأصنام هو على سبيل المجاز، وأما في الحقيقة فهم يدعون الشيطان».

(٢) في (ن): «التملس».

(٣) قال ابن فارس في «مقاييس اللغة» مادة: (م ر د) (٥/ ٣١٧): «الميم والراء والدال أصل صحيح يدلُّ على تجريد الشيء من قشره، أو ما يعلوه من شعره، والأمردُ: الشابُّ لم تبد لحيته... ومنه شجرة مرداء...».

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ١٠٨).

(٥) في (و): «تسمية».

(٦) سية القوس: ما عُطِفَ من طرفيها، وفي السيةِ فُرضةٌ يقع فيها الوتر، وتُسمَّى الحُرْثة والكُرضة والكُظر والـمَحزَّ والفَرض، وطرفا القوس ظفراها، وحزّاها فُرضتاها، وعطفاها سيتاها، وبعدَ =

والنَّصيبُ المفروضُ: تُبّاعُه(١)، وذُكِر في الأحاديثِ: «من كلِّ ألفٍ تسعُ مئةٍ وتسعٌ وتسعون، وواحدٌ لله»(٢).

***

(١١٩) ـ ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾.

﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ﴾ عن الإيمانِ بدعائي إيّاهم وإقبالِهم عليَّ.

﴿وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾ قيل: طولُ الحياةِ ونَيلُ(٣) الأماني.

وقيل: تأخيرُ التَّوبة.

وقيل: أنْ لا جنّةَ ولا نارَ ولا بَعْثَ ولا حسابَ.

= السيتين الطائفان، وبعد الطائفين الأبهران، وما بين الأبهرين كبدها. انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري مادة: (س ي ا) (١٣/ ٩٦)، و«تاج العروس» (٥/ ٢١٦) و(١٤/ ٤٦) و(١٥/ ١١٠) و(١٨/ ٤٧٦) و(١٩/ ٤١) و(٢٩/ ٤٣).

(١) ذكر نحوه في «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ١٠٩).

(٢) روى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٠٦٩) عن مقاتل قال: «﴿مَّفْرُوضًا﴾ قال: هذا إبليس مفروضًا، يقول: من كل ألف تسعمئة وتسعة وتسعون إلى النار، وواحد إلى الجنة». وروى ابن المنذر عن الربيع بن أنس في قوله: ﴿لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ قال: «من كل ألف تسعمئة وتسعة وتسعين»، انظر: «الدر المنثور» (٢/ ٦٨٨).

وروى البخاري (٦٥٣٠)، ومسلم (٢٢٢) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك، قال: يقول: أخرج بعث النار، قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسع مئة وتسعة وتسعين...».

(٣) في (و): «وقيل».

ويحتمل: تمنَّى كلُّ واحدٍ ما يليقُ به، ثم هو كما قال: ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [النِّساء: ١٢٠][1].

﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ الْأَنْعَٰمِ﴾ الجمهورُ: هي البَحِيرةُ والسّائبةُ والوَصيلةُ والحام.

والبَتْكُ: القَطْعُ، والتَّبْتيكُ: التَّقْطيعُ، وسيفٌ باتِكٌ: قاطعٌ.

﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾ ابنُ عبّاسٍ في جماعةٍ: دينَ الله[2]؛ بأن يحلَّ حرامَه ويحرِّمَ حلالَه.

أنسٌ وعكرمةُ: الخِصاءُ[3].

الحسنُ[4]: الوشمُ[5].

وقيل: عبادةُ الشَّمسِ والقمرِ والنُّجوم؛ فإنَّها خُلِقَت للاعتبارِ والانتفاع.

ويحتملُ اللِّواطَ والسَّحقَ[6] وغيرَهما ممّا يطولُ تعدادُها ممّا[7] غيَّره النّاس عمّا وُضِعَ له إلى غيرِ محلِّه[8].

---

(١) «﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾» من (ن).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٤٩٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٠٦٩).

(٣) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٨٤٤٤)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٢٥٨١) عن أنس رضي الله عنه، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٦٤٠)، والطبري في «تفسيره» (٧/ ٤٩٥) عن عكرمة.

(٤) «الخصاء، الحسن» من (ن).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٥٠١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٠٧٠).

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٠٩)، وعدَّه من العجائب.

(٧) في (ن): «عما».

(٨) في (ن): «حله».

﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾: يُجيبُه إلى ما يدعوه إليه ويأمرُه به، ﴿فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ بفواتِ الجنّةِ والحصولِ على النّار.

والخُسرانُ: ذهابُ رأسِ المال.

* * *

(١٢٠ ـ ١٢٢) ـ ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾.

﴿يَعِدُهُمْ﴾ ما لا يُنجزُ، ﴿وَيُمَنِّيهِمْ﴾ ما لا ينالون، ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾: هو إيهامُ نفعٍ فيما فيه ضررٌ.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾: مَعدِلًا، تقول: حاصَ عن الشّيءِ يَحيصُ؛ أي: عَدَلَ، والمَحيصُ: المصدرُ والمكانُ.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ ولم يطيعوا الشَّيطانَ فيما[1] دعاهم إليه واستغواهم به ﴿سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا﴾؛ أي: وعدَ وعدًا حقًّا.

﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾؛ أي: لا أحدَ أصدقُ منه.

* * *

(١٢٣) ـ ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾.

---

(١) في (و): «فما».

﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ مسروقٌ وقتادةُ قالا: احتجَّ المسلمون وأهلُ الكتاب، فقال أهلُ الكتاب[١]: نحن أهدى منكم، نبيُّنا قبل نبيِّكم، وكتابُنا قبلَ كتابِكم، ونحنُ أولى بالله منكم، وقال المسلمون: نحن أهدى وأولى، نبيُّنا خاتمُ الأنبياء، وكتابُنا يقضي على الكُتبِ المتقدِّمةِ[٢] التي قبلَه، فأنزلَ الله هذه الآية، ثمَّ أفلجَ اللهُ حجّةَ المسلمين على مَن ناوأهم بقوله: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ... ﴾ الآيتين[٣].

مجاهدٌ وابن زيدٍ: نزلَت في الكفّار[٤].

والتَّقدير: ليس الثَّوابُ أو الدِّينُ بأمانيِّكم ولا أمانيِّ أهلِ الكتاب.

وأمانيُّ الكفّارِ قولُهم: لا جنّةَ ولا نارَ، وأمانيُّ أهلِ الكتاب قولُهم: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾، و﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ﴾...

ثمَّ استأنفَ فقال:

﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ الحسنُ وابنُ زيدٍ: هم الكفّارُ يُجازَونَ على الصَّغيرِ والكبيرِ[٥].

---

(١) «أهل الكتاب» ليست في (ن).

(٢) «المتقدمة» من (ن).

(٣) رواه سعيد بن منصور في «سننه ـ التفسير» (٤/ ١٣٧٧)، والطبري في «تفسيره» (٧/ ٥٠٧) عن مسروق، ورواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٥٠٨) عن قتادة، وانظر: «الوسيط» للواحدي (٢/ ١٢٠)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٢/ ٦٩٤).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٥١٢) عن مجاهد قال: «قالت قريش: لن نبعث ولن نعذب، فأنزل الله: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾»، وعن ابن زيد قال: «جاء حيي بن أخطب إلى المشركين، فقالوا له: يا حيي، إنكم أصحاب كتب، فنحن خير أم محمد وأصحابه؟ فقال: أنتم خير منه. فذلك قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾».

(٥) روى الطبري في «تفسيره» (٧/ ٥١٧) عن ابن زيد: «وعد الله المؤمنين أن يكفر عنهم سيئاتهم، ولم =

وظاهرُ الآيةِ العمومُ، والمؤمنون يُجازَونَ بأيسرِ الجزاء، فقد جاءَ عن النَّبيِّ عليه السَّلام: أنَّ أبا بكرٍ رضي الله عنه سألَه عند نزولِ الآيةِ فقال: مَن يرجو النَّجاةَ؟ فقال: «أما تَحزَنُ؟ أما تَمرَضُ؟ أما تُصيبُكَ آفاتُ الدُّنيا؟» فقال: بلى، فقال: «فهو ذاك»[1].

﴿وَلَا يَجِدْ لَهُۥ﴾ عطفٌ على ﴿يُجْزَ بِهِۦ﴾.

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾.

* * *

(١٢٤ ـ ١٢٥) ـ ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا (١٢٤) وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾.

﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ سبقَ تفسيرُه.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾: أخلصَ عملَه لله.

= يعد أولئك؛ يعني: المشركين»، وعن الحسن: «يعني بذلك الكفار، لا يعني بذلك أهل الصَّلاة»، وروى سعيد بن منصور في «سننه ـ التفسير» (٦٩٨)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٥٦٤٨) عن الحسن: «ذاك لمن أراد الله هَوانه، فأما من أراد الله كرامته، فإنه يتجاوز عن سيئاته في أصحاب الجنة، ﴿وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ﴾ [الأحقاف: ١٦]»، وانظر: «البسيط» للواحدي (٧/ ١٠٨).

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦٨)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٩١٠)، وروى نحوه الترمذي (٣٠٣٩) وقال: «وقد روي هذا الحديث من غير هذا الوجه عن أبي بكر، وليس له إسناد صحيح». وروى مسلم (٢٥٧٤) عن أبي هريرة، قال: لما نزلت ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ بلغت من المسلمين مبلغًا شديدًا، فقال رسول الله ﷺ: «قاربوا، وسددوا، ففي كل ما يصاب به المسلم كفارة، حتى النكبة ينكبها، أو الشوكة يشاكها».

وقيل: دينَه، وبذلَ وجهَه في السُّجود[1].

﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾: مقرٌّ باللِّسانِ معتقدٌ بالقلب.

﴿وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ خُصَّ بالذِّكرِ لاتِّفاقِ الأممِ عليه، ولأنَّ دينَه دينُ محمَّدٍ عليهما السَّلام.

﴿حَنِيفًا﴾ حالٌ عن ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾، أو عن الملّةِ، أو مِن الضَّميرِ في ﴿وَٱتَّبَعَ﴾، ومعناه: مائلًا عن جميعِ[2] الأديانِ، وقد سبقَ.

﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ قيل: هو الفقيرُ، من (الخلَّة)[3]، قال:

وإنْ أتاهُ خليلٌ يومَ مَسْألةٍ ... يقولُ: لا غائبٌ مالي ولا حَرَمُ[4]

وقيل: الخليلُ: المصطفى المخصَّصُ الذي أدخلَه في خِلالِ الأمورِ وأسرارِ العلوم.

والجمهورُ على أنَّ (الخليلَ) من (الخُلّة)، وهي المودّةُ التي ليسَ فيها خَلَلٌ[5].

واللهُ خليلُ إبراهيمَ، وإبراهيمُ خليلُه، وعن عبدِ الله بنِ عَمرو[6] رضي الله عنهما

---

(١) في (و): «للسجود».

(٢) «جميع» من (ن).

(٣) في (و): «الخلو»، والخَلة: الحاجة، وهي بفتح الخاء، وقد أنكر صحة هذا ابن قتيبة؛ لأن العباد جميعاً فقراء إلى الله، فلا فضلَ في وصف إبراهيم عليه السلام به. انظر: «تأويل مشكل الحديث» لابن قتيبة (ص: ١٢٢).

(٤) البيت لزهير بن أبي سلمى. انظر: «ديوان زهير» تحقيق: حمدو طماس (ص: ٦٠)، و«العين» (٤/ ١٤١)، و«الكتاب» لسيبويه (٣/ ٦٦)، و«الكامل» للمبرد (١/ ١١٢).

(٥) انظر: «الزاهر في معاني كلمات الناس» للأنباري (١/ ٤٩٤).

(٦) في (و): «عمر».

قال: قال رسولُ الله عليه السَّلام: يا جبريلُ، لمَ اتَّخذَ اللهُ إبراهيمَ خليلًا؟ قال: «لإطعامِه الطَّعامَ يا محمَّدُ»(١).

الكلبيُّ، عن أبي صالحٍ، عن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما: أصابَ النّاسَ سَنةٌ، فجهِدوا فيها، فحُشِروا إلى بابِ إبراهيمَ عليه السَّلام يطلبونَ الطَّعام، وكانَت له المِيرةُ كلَّ سنةٍ من صديقٍ له بمصرَ، فبعثَ غِلمانَه بالإبلِ إلى خليلِه بمصرَ يسألُه المِيرةَ، فقال خليلُه: لو كان إبراهيمُ إنَّما يريدُه لنفسِه احتملنا ذلك له، وقد دخلَ علينا ما دخلَ على النّاس من الشِّدّة، فرجعَ رُسُلُ إبراهيمَ فمرُّوا برملٍ فقالوا: لو أنّا احتملنا من هذه البطحاءِ لنريَ النّاسَ أنّا قد جئنا بميرةٍ، إنّا لنستحيي أنْ نمرَّ بهم وإبلُنا فارغةٌ، فملؤوا تلك الغرائر، ثم إنَّهم أتَوا إبراهيمَ وسارةُ نائمةٌ فأعلموه ذلك، فاهتمَّ إبراهيمُ لمكان النّاس، فغلبَتْه عيناه فنام، واستيقظَتْ سارةُ، فقامَتْ إلى تلك الغرائرِ ففتحَتْها فإذا هي أجودُ حُوّارَي(٢) يكونُ، فأمرَتِ الخبّازين فخبزوا وأطعموا النّاس، واستيقظَ إبراهيمُ عليه السَّلام، فوجدَ ريحَ الطَّعام، فقال: يا سارةُ، مِن أينَ هذا الطَّعام؟ قالت: من عند خليلِكَ المصريِّ، فقال: هذا من عند خليلي الله، لا من عند خليلي المصريِّ، فيومَئذٍ اتَّخذَ الله إبراهيمَ خليلًا(٣).

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٩١٧١)، والواحدي في «الوسيط» (٢/ ١٢٢)، و«أسباب النزول» (ص: ١٨٢)، ورواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦/ ٢١٦)، وفي «أسباب النزول»: عبد الله عن عمر.

(٢) الحواري: أجود الدقيق، سمي به لأنه يُنقَّى من لباب البر، وهو بضم الحاء وتشديد الواو وفتح الراء وتسكين الياء. انظر: «العين» (٣/ ٢٨٨)، و«تهذيب اللغة» مادة: (ح ور) (٥/ ١٤٨)، و«طلبة الطلبة» للنسفي (ص: ١٣٧).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٣٩٢)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٨٣)، وذكره بلا نسبة الفراء في «معاني القرآن» (١/ ٢٨٩)، والطبري في «تفسيره» (٧/ ٥٢٩)، والزجاج في =

وعن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسول الله عليه السَّلام: «اتَّخذَ اللهُ إبراهيمَ خليلًا، وموسى نَجِيًّا، واتّخذني حبيبًا»، ثم قال: «وعزَّتي لأوثرنَّ حبيبي على خليلي ونجيِّي»[1].

وقال عليه السَّلام: «لو كنْتُ متَّخذًا أحدًا[2] خليلًا لاتَّخذْتُ أبا بكرٍ خليلًا، وإنَّ صاحبَكم خليلُ اللهِ»[3]؛ يعني: نفسَه.

***

(١٢٦ ـ ١٢٧) ـ ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِۚ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا﴾.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾: يختارُ منها ما يشاءُ ومَن يشاءُ.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾ إحاطةَ علمٍ وقدرةٍ.

﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ﴾؛ أي: يسألونك الإفتاءَ في مِيراثِ النِّساءِ، والإفتاءُ: تبيينُ المبهمِ.

= «معاني القرآن» (٢/ ١١٣). قال ابن كثير في «تفسيره» (٢/ ٣٧٤): «وفي صحة هذا ووقوعه نظر، وغايته أن يكون خبراً إسرائيليًّا لا يُصدَّق ولا يُكذَّب، وإنما سُمِّي خليل الله لشدة محبة ربه عز وجل له؛ لما قام به من الطاعة التي يحبها ويرضاها».

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٤١٣)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٨٤)، وضعَّفه البيهقي.

(٢) «أحدًا» من (ن).

(٣) رواه مسلم (٢٣٨٣) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

﴿قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾؛ أي: في القرآنِ؛ أي: الآيةِ التي أُنزلَت في توريث النِّساءِ والأطفال.

وذلك أنَّ العربَ كانت لا تُورِّثُ النِّساءَ والأطفال، لا البنينَ ولا البنات، حتى شكَتْ أمُّ كُجَّةَ[1] فأنزلَ الله بيانَ ميراثِهنَّ، وقد سبقَ، وهو قولُه: ﴿وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾.

﴿فِى يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾؛ أي: فُرِضَ لهنَّ من الميراثِ.

﴿وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ أي: عن أن تنكحوهنَّ؛ لدمامتهنَّ.

﴿وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ﴾: وفي المستضعفين من الوُلدانِ الذين لا تُورِّثونهم.

﴿وَ﴾ في ﴿أَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ﴾ بالعدلِ في ميراثِهم ومالِهم ونكاحِهم.

وذهبَ ابنُ عبّاسٍ وعائشةُ رضي الله عنهم في قولِه: ﴿مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾ يعني: الصَّداقَ، قالا: والمعنى: لا تُؤتون صداقهنَّ، وترغبون في نكاحِهنَّ لجمالِهنَّ[2] ومالِهنَّ[3].

وذهبَ بعضُهم إلى أنَّ المستضعفين هم العبيدُ والإماءُ؛ أي: أحسنُوا إليهم، ولا تُكلِّفوهم ما لا يُطيقون.

---

(١) ذكر ابن حجر أنها بضم الكاف وتشديد الجيم، وحُكي عن المستغفريِّ أنه قال فيها: أمُّ كَحْلَةَ. انظر: «الإصابة» (٨/ ٤٥٧).

(٢) في (و): «بجمالهن».

(٣) رواه البخاري (٣/ ١٣٩)، ومسلم (٣٠١٨) عن عائشة رضي الله عنها. ورواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٥٤٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٠٧٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما. إلا أن ابن عباس رضي الله عنهما ذكر الاحتمالين في ﴿وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾، فقال: «فإن كانت جميلة وهويها تزوجها وأكل مالها، وإن كانت دميمة منعها الرجل أبدًا حتى تموت فإذا ماتت ورثها...».

قولُه: ﴿وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ رفعٌ بالعطفِ على المبتدأ، و﴿المستضعفين﴾ جرٌّ بالعطف على ﴿يَتَـٰمَى﴾.

وكذلك ﴿أن تقوموا﴾، ويُحتمَلُ أن يرتفعَ ﴿وَأَن تَقُومُواْ﴾ بالابتداء، وخبرُه محذوفٌ؛ أي: وأن تقوموا خيرٌ لكم.

﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا﴾.

***

(١٢٨) - ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾.

﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا﴾ عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: نزلَت في المرأة تكونُ عند الرَّجل ولا يستكثرُ منها ويريدُ فراقَها، ولعلَّها تكونُ لها صحبةٌ أو يكونُ لها ولدٌ، فتكرهُ فراقَه، فتقولُ له: لا تطلِّقني وأمسكني وأنتَ في حلٍّ من شأني، فأنزلَ الله هذه الآية(١).

السُّدِّيُّ: نزلَت في رسول الله عليه السَّلام حين همَّ بطلاقِ سودةَ بنتِ زمعةَ، فجَعلَت يومَها لعائشةَ على أن لا يطلِّقَها(٢).

---

(١) رواه البخاري (٢٦٩٤)، ومسلم (٣٠٢١).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٥٦٣) بلفظ: ﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾ [النِّساء: ١٢٨] قال: «تطلع نفسها إلى زوجها وإلى نفقته. قال: وزعم أنها نزلَت في رسول الله ﷺ وفي سودة بنت زمعة، كانت قد كبرت، فأراد رسول الله ﷺ أن يطلقها، فاصطلحا على أن يمسكها ويجعل يومها لعائشة، فشحت بمكانها من رسول الله ﷺ»، وروى نحوه أبو داود (٢١٣٥) عن عائشة رضي الله عنها، ولفظه: «قالت عائشة: يا ابن أختي، كان رسول الله ﷺ لا يفضل بعضنا على بعض في القسم، من =

جُويبرٌ: نزلَت في رافعِ بنِ خديجٍ تزوَّجَ شابّةً على كبيرةٍ، فمالَ منها إلى الشّابّة(١).

وقولُه: ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ﴾؛ أي: فإنْ خافَتِ امرأةٌ ﴿مِنۢ بَعۡلِهَا﴾: زوجِها، من قولهم: استبعلَ أمرُه؛ إذا عَظُمَ.

﴿نُشُوزًا﴾: ارتفاعًا وتعاليًا عن صحبتِها؛ كراهةً لها وبُغضًا.

﴿أَوۡ إِعۡرَاضًا﴾ بمَوجِدةٍ(٢).

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ﴾: لا حرجَ ﴿أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحًا﴾: تحطُّ له بعضَ مهرِها، أو تتركُ بعضَ أيّامِها، أو شيئًا فتستَمِيلُه به.

﴿وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٌ﴾: استئناف كلامٍ؛ أي: تَرْكُ الخصامِ والخلفِ خيرٌ.

وقيل: خيرٌ من الفُرْقةِ.

وقيل: من النُّشوز.

= مكثه عندنا، وكان قل يوم إلا وهو يطوف علينا جميعاً، فيدنو من كل امرأة من غير مسيس، حتى يبلغ إلى التي هو يومها فيبيت عندها، ولقد قالت سودة بنت زمعة حين أسنَّت وفرقت أن يفارقها رسول الله ﷺ: يا رسول الله، يومي لعائشة، فقبل ذلك رسول الله ﷺ منها، قالت: نقول في ذلك أنزل الله تعالى، وفي أشباهها أراه قال: ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا﴾.

(١) لم أقف عليه عن جويبر، وقد رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٦٤٨) عن سليمان بن يسار، ورواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٥٥٦ ـ ٥٥٧)، والحاكم في «المستدرك» (٣٢٠٥) عن سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار، وصححه الحاكم على شرط البخاري ومسلم، ووافقه الذهبي. ورواه مالك في «الموطأ» (٢/ ٥٤٨) عن الزهري عن رافع بن خديج مرسلاً، كما قال شيخنا الشيخ عبد القادر الأرناؤوط في حاشية «جامع الأصول» (١١/ ٥٢٠)، ورواه الإمام الشافعي في «مسنده» (ص: ٢٦٠)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٦٤٦٩) عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن رافع.

(٢) الموجدة: الغضب. انظر: «إصلاح المنطق» لابن السكيت (ص: ١٤١)، و«درة التنزيل وغرة التأويل» للخطيب الإسكافي (ص: ٤١٠)، و«البسيط» للواحدي (٧/ ١٢٨).

﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾ ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: تشحُّ المرأةُ بنصيبِها مِن زوجِها ومالِها(١).

الحسنُ وابنُ زيدٍ: يشحُّ كلُّ واحدٍ منهما بحقِّه(٢).

والشُّحُّ: الغايةُ في البُخل.

﴿وَإِن تُحْسِنُوا۟﴾ في العِشرةِ، ﴿وَتَتَّقُوا۟﴾ مخالفةَ الله، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ فيجازيكم عليه.

***

(١٢٩) ـ ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ عمرُ وابنُ عبّاسٍ والحسنُ رضي الله عنهم: في المودَّةِ وميلِ الطَّبع، فليس ذلكم إليكم(٣).

وقيل: في التَّسويةِ في القَسْم(٤).

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٥٣٣)، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٥٦١).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٥٦٤) عن ابن زيد، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٥٣٣) عن الحسن.

(٣) روى الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٦٩) عن عمر رضي الله عنه: «اللهم أما قلبي فلا أملك، وأما سوى ذلك فأرجو أن أعدل»، وروى الطبري في «تفسيره» (٧/ ٥٦٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٠٨٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما: «في الحب والجماع»، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٠٨٣) عن الحسن: «بقلبه وهواه، ولكن في القسمة»، وانظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٤/ ٨٨).

(٤) في (و): «التسوية والقسم».

﴿وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾: ولو بالغْتُم في تحرِّي ذلك.

ابنُ عبّاسٍ: ولو حرصتم في الجماع[1].

﴿فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ﴾ إلى[2] المحبوبةِ الشّابّةِ.

﴿فَتَذَرُوهَا﴾؛ أي: الأخرى ﴿كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: كالمحبوسةِ بغيرِ حقٍّ[3].

وقيل: ﴿كَالْمُعَلَّقَةِ﴾: لا أيِّمًا ولا ذاتَ بَعْلٍ[4].

﴿وَإِن تُصْلِحُوا﴾ ما كنتم تُفسدونَ في أمورهنَّ، ﴿وَتَتَّقُوا﴾ معصيةَ اللهِ فيهنَّ، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا﴾ لِما سلَفَ ﴿رَّحِيمًا﴾.

***

(١٣٠ ـ ١٣١) ـ ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا (١٣٠) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾.

﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِ﴾: أغنى كلُّ واحدٍ عن الآخرِ ببدَلٍ أو سُلُوٍّ، ﴿وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾.

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٥٣٣)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٥٦٩) بلفظ: «لا تستطيع أن تعدل بالشهوة فيما بينهن ولو حرصت».

(٢) في (و): «أي».

(٣) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٤/ ٨٩)، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٦٥١)، والطبري في «تفسيره» (٧/ ٥٧٤) عن قتادة، وذكر الفراء في «معاني القرآن» (١/ ٢٩١) وابن خالويه في «مختصر في شواذ القرآن» (ص: ٣٥) أن قراءة أبي بن كعب رضي الله عنه: (كالمسجونة).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦٦٨٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وعلَّقه البخاري قبل حديث (٤٦٠١).

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: هو واسعُ المقدور(١).

﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾: اليهود والنَّصارى ﴿وَإِيَّاكُمْ﴾؛ أي: ونُوصيكم ﴿أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾؛ والمعنى: وصَّينا الجميعَ بالتَّقوى.

﴿وَإِن تَكْفُرُوا۟﴾ يجوزُ أن يكونَ التَّقدير: وقلنا لهم: وإن تكفروا، ويجوز أن يكون ابتداءً.

﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾؛ أي: هو غنيٌّ عن عبادتِكم، فلا يضرُّه كفرُكم، حميدٌ على فعلِه لا ينقطِعُ حمدُه.

***

(١٣٢) ـ ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾؛ أي: كِلُوا الأمورَ إليه.

وكرَّرَ قولَه: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ ثلاثَ مرّاتٍ؛ لأنَّ الأوَّلَ متَّصلٌ بقولِه: ﴿يُغْنِ ٱللَّهُ﴾؛ أي: هو واسعُ المقدور، والثّاني حكايةٌ عن توصيةِ أهلِ الكتاب، والثّالثَ استئنافُ إخبارٍ.

***

(١٣٣ ـ ١٣٤) ـ ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾.

﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾؛ أي: إنْ يشأ إذهابَكم يُذهبْكم، ﴿وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ﴾ أبو هريرةَ رضي الله عنه قال: لـمّا نزلَت هذه الآيةُ(٢) ضربَ رسولُ الله

---

(١) «أي هو واسع المقدور» من (ن).

(٢) «الآية»: من (ن).

عليه السَّلام ظهرَ سلمانَ فقال: «هم قومُ هذا»[1]؛ يعني: عجمَ فارسٍ.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا﴾: قادرًا لا يعجزُه شيءٌ.

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾: الغنيمةَ بجهادِه، ﴿فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾؛ أي: وثوابُ الآخرةِ فليطلبْه منه، وهذا جوابُ الشَّرط.

والآية وعيدٌ للمنافقين.

وقيل: حضٌّ على الجهاد.

* * *

(١٣٥) - ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾ أسباطٌ عن السُّدِّيِّ قال: نزلَت في رسول الله عليه السَّلام، اختصمَ إليه غنيٌّ وفقيرٌ، وكان صَغْوُه[2] مع الفقير،

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٥٨٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (١/ ٣٦٤): «وفيه انقطاع؛ فإن الطبري لم يسمع من شيخه»، وروي نحو هذا الحديث في غير هذه الآية، فقد روى البخاري (٤٨٩٧)، ومسلم (٢٥٤٦) عن أبي هريرة، قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ، إذ نزلت عليه سورة الجمعة، فلما قرأ: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾ [الجمعة: ٣]، قال رجل: من هؤلاء يا رسول الله؟ فلم يراجعه النبي ﷺ حتى سأله مرة أو مرتين أو ثلاثًا، قال: وفينا سلمان الفارسي قال: فوضع النبي ﷺ يده على سلمان، ثم قال: «لو كان الإيمان عند الثريا، لناله رجال من هؤلاء».

(٢) كذا في النسخ الخطية، والمراد: كان ميله، وفي معناها: كان ضلعه، وقد وردت في بعض مصادر التخريج. انظر: «إصلاح المنطق» لابن السكيت (ص: ٣٠)، و«الجيم» لأبي عمرو الشيباني (٢/ ٢٠٢).

يرى أنَّ الفقيرَ لا يظلمُ الغنيَّ، فأبى اللهُ إلَّا أنْ يقومَ بالقسطِ في الغنيِّ والفقير[(١)].

ومعنى ﴿كُونُوا قَوَّٰمِينَ﴾؛ أي: دومُوا واثبتوا.

﴿بِٱلْقِسْطِ﴾: بالعدل.

﴿شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾ بالحقِّ.

﴿وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ بأن تُقرُّوا عليكم، ﴿أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾؛ أي: وعلى آبائِكم وأمَّهاتِكم وأقاربِكم.

﴿إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا﴾؛ أي: إن يكن المشهودُ له أو عليه غنيًّا، فلا تميلوا لغناه، أو فقيرًا فلا ترحموه لفقرِه، ﴿فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾: أرأفُ وأحقُّ بالنَّظرِ لهما.

وثنَّى لأنَّ المعنى: بالغنيِّ والفقيرِ.

﴿فَلَا تَتَّبِعُوا ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا﴾ الزَّجّاجُ: لأن تعدلوا[(٢)].

وقيل: هو من العُدول؛ أي: كراهة أن تعدلوا.

﴿وَإِن تَلْوُۥٓا﴾: تقلِبوا[(٣)] الشَّهادة، من (لويت يدَه).

مجاهدٌ وقتادةُ: تُحرِّفوا الشَّهادة[(٤)].

وقيل: تُدافعوا وتُماطلوا، من (لَيِّ الغريمِ).

---

(١) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٨٦)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٥٨٥)، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٠٨٦) مختصرًا بلفظ: «نزلت في النبي ﷺ».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ١١٨)، وفيه: «أي: لا تتبعوا الهوى، فتعدلوا»، ومراده: اتركوا اتباع الهوى، فتغدوا عادلين.

(٣) في (و): «تقبلوا».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٥٩٠ـ ٥٩٢) عن مجاهد وقتادة، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٠٨٩) عن مجاهد.

﴿أَوۡ تُعۡرِضُواْ﴾ عن إقامتِها أصلًا.

ابنُ عبّاس رضي الله عنهما: هو لَيُّ القاضي وإعراضُه عن أحدِ الخصمَينِ للآخر[١].

ومَن قرأ: ﴿تَلُوا﴾[٢] فمعناه: تُقبلوا عليه، فإنَّ ولايةَ الشَّيءِ إقبالٌ عليه.

وقيل: هُمِزَ ثم نُقِلَ[٣]، وفيه بُعدٌ.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ من العدلِ والميل[٤] ﴿خَبِيرٗا﴾: عالمًا.

***

(١٣٦) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾: الكلبيُّ[٥]: نزلَت في عبد الله بن سلامٍ وأسدٍ[٦] وأُسيدٍ ابني كعبٍ وثعلبةَ بنِ قيسٍ وجماعةٍ من مؤمني أهلِ الكتاب، قالوا: يا

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٢٩٥٩)، والطبري في «تفسيره» (٧/ ٥٨٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٠٨٩).

(٢) قرأ ابن عامر وحمزة (تلوا) بضم اللام وواو ساكنة بعدها، وقرأ الباقون بإسكان اللام، وبعدها واوان؛ الأولى مضمومة والأخرى ساكنة. انظر: «السبعة» (ص: ٢٣٩)، و«التيسير» (ص: ٩٧)، و«النشر» (٢/ ٢٥٢).

(٣) قال الأزهري في «معاني القراءات» (١/ ٣١٩): «تَلُوا: أصلها تَلْوُوا، فأبدل من الواو المضمومة همزة، فصارت (تَلْؤُوا) بإسكان اللام، ثم طُرِحت الهمزة، وطُرِحت حركتها على اللام، فصارت (تَلُوا)، كما قيل في (أدْوُر): أدْؤُر».

(٤) «من العدل والميل» من (ن).

(٥) «الكلبي» من (ن).

(٦) «وأسد» من (ن).

رسولَ الله، أنؤمنُ بك وبكتابِك وبموسى والتَّوراةِ وعُزيرٍ، ونكفرُ بما سواه من الكتبِ والرُّسلِ؟ فأنزلَ الله هذه الآية(١).

وقيل: هو خطابٌ للمنافقين.

وقيل: للمؤمنين؛ أي: دُومُوا على الإيمان(٢).

﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾؛ أي: القرآنِ على محمَّدٍ عليه السَّلام(٣).

﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾: هو للجِنسِ.

﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ عن المطلوبِ المقصود.

* * *

(١٣٧) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا﴾:

قتادةُ: ﴿ءَامَنُوا۟﴾ بموسى، ﴿ثُمَّ كَفَرُوا۟﴾ حين عبدُوا العجلَ، ﴿ثُمَّ ءَامَنُوا۟﴾ بموسى بعدَ عودِه، ﴿ثُمَّ كَفَرُوا۟﴾ [بعيسى](٤) ﴿ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا﴾ بمحمَّدٍ عليه السَّلام(٥).

---

(١) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (١/ ٣٤٧)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٨٦)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٤٠١) عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) ذكر الزجاج في «معاني القرآن» (٢/ ١١٩) القولين الأخيرين، ورجَّح الأخير.

(٣) «أي: القرآن على محمد عليه السَّلام» من (ن).

(٤) ما بين معكوفتين من «النكت والعيون».

(٥) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٥٣٦)، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٦٤) و(٧/ ٥٩٦ـ ٥٩٧).

مجاهـدٌ: هـم المنافقـون، آمنوا فـي الظّاهـرِ وكفروا في السِّـرِّ مرّةً بعـدَ أخرى، ﴿ٱزۡدَادُواْ كُفۡرًا﴾: ماتوا عليه(١).

الحسنُ: هم اليهودُ، كانوا يشكِّكون المؤمنين بذلك؛ كقوله: ﴿ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ﴾ [آل عمران: ٧٢](٢).

وقيل: نزلَت فيمن ارتدَّ مرّاتٍ(٣).

عليٌّ رضي الله عنه: لا يُستتابُ المرتدُّ أكثرَ من ثلاثِ مرّاتٍ(٤).

غيرُه: يُستتابُ كلَّما ارتدَّ(٥).

﴿لَّمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ﴾ لأنَّ الأمورَ بخواتيمِها، وخاتمةُ أمرِهم الكفرُ، وخصَّهم بالذِّكرِ تقبيحًا لفعلِهم، كما يُخَصُّ الشَّيءُ تفضيلًا.

﴿وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ سَبِيلَۢا﴾: لا يُوفِّقهم لطريقِ النَّجاة.

* * *

(١٣٨) ـ ﴿بَشِّرِ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

﴿بَشِّرِ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ هذا على سبيلِ الاستهزاءِ بهم، وأنْ لا شيءَ لهم سواه(٦).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٥٩٧)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٥٣٧).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٥٣٧)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٤٨٦)، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٥٩٧) عن قتادة.

(٣) في (و): «ارتدت».

(٤) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٨٩٨٦)، والطبري في «تفسيره» (٧/ ٦٠٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٠٩١).

(٥) قال الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٥٣٧): «وهو قول الشافعي والجمهور».

(٦) في (و): «سواها».

وقيل: جاء على الأصل؛ فإنَّ أصلَه من تغيُّرِ البشرةِ(١).

ابنُ عيسى: دخل الباء ليكونَ فرقًا بين المُخبَرِ وبين المُخبَرِ به.

***

(١٣٩) - ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾.

﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: يُظهرونَ الإيمانَ ثم يُوالون الكفّار.

وقيل: اليهود.

﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ﴾ أن يَتعزَّزوا بموالاتهم، وأنَّى لهم العزّةُ وقد ضُرِبَتْ عليهم الذِّلّةُ.

﴿فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ ولمن أعزَّه الله كالنَّبيِّ عليه السَّلام والمؤمنين، ولا اعتدادَ بعزّةِ(٢) غيرِهم بالإضافةِ إليهم.

***

---

(١) فتغيُّر البشرة يكون بما يسرُّ وبما يسوء، ولذلك قيل في البشير: المُبشِّر بخير أو شرٍّ، وقيل: لا يستعمل في الشر إلا مقيّداً، كقوله تعالى: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾، ولا يكون عند إطلاقه إلا في الخير، وقيل: بَشَرَ بالتخفيف خاصّة في الخير، وبشَّرَ بالتثقيل عامّة في الخير والشَّرِّ. انظر: «العين» (٦/ ٢٥٩)، و«غريب الحديث» للخطابي (٢/ ٤٩٦)، و«معجم الفروق اللغوية» (ص: ١٠٠)، و«طلبة الطلبة» للنسفي (ص: ٥٩)، و«المطلع على ألفاظ المقنع» لشمس الدين البعلي (ص: ٤١٤).

(٢) في (ن): «العزة».

(١٤٠) - ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾.

﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾: في القرآنِ ﴿أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ قيل: الخطابُ للمنافقين[1] الذين ذُكِروا في أوَّل الآية.

وقيل: هو استئنافُ كلامٍ، وخطابٌ للمؤمنين، ذكَّرهم به نهيَهم عن مجالستِهم بقوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ...﴾ الآية [الأنعام: ٦٨]، وسورةُ الأنعامِ متقدِّمةٌ في النُّزول.

ودلَّتِ الآيةُ أنَّ خطابَ النَّبيِّ عليه السَّلام خطابُ الأمَّةِ إلَّا ما خُصَّ به بدليلٍ.

والآيتان مُتطابقتان في المعنى وإن اختلفتا في اللَّفظ.

﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ﴾؛ أي: أثمتُم كما أثموا.

وقيل: إن رضيتم بذلك وخُضتم، صرتم[2] كفَّارًا.

ووحَّدَ ﴿مِثْلُهُمْ﴾ لأنَّ المعنى: عصيانُكم كعصيانِهم.

﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾؛ أي: اجتمعُوا في الكفرِ والاستهزاء، فجُمعُوا في عذاب النّار، ولأنَّ المنافقَ كافرٌ سرًّا والمشركُ كافرٌ جهرًا.

* * *

---

(١) في (و): «للمؤمنين».

(٢) في (و): «سرًّا».

(١٤١) ـ ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾.

﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ﴾: يتوقَّعون وقوعَ أمرٍ بكم.

﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾: نصرٌ وغنيمةٌ، ﴿قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ فأشرِكُونا في الغنيمة والمال.

﴿وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ﴾؛ فإنَّ الحربَ سِجالٌ، ﴿قَالُوٓا۟﴾ للكفّار: ﴿أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ﴾ الزَّجّاجُ: نستولي(١).

أبو عبيدةَ: نغلبْ، ومثلُه: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [المجادلة: ١٩](٢).

وقيل: كنّا لكم على المؤمنين عيونًا؛ جمع العين، وهي الجاسوسُ(٣).

و(استحاذَ) مِن (حاذَه يحوذُه حَوذًا)؛ إذا أحاطه، و(أحاذَ) أيضًا بمعناه، وشَذَّت هذه الكلمةُ، فجاءَت على الأصل(٤).

﴿وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بأن نخذلَهم ولا ننصرَهم.

وقيل: نجعلكم في مَنَعةٍ من أن ينالَكم مكروهٌ من جهتِهم.

﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾:

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ١٢٢).

(٢) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ١٤١).

(٣) «جمع العين وهي الجاسوس» من (ن).

(٤) أي: (استحوذ) بالواو، مع أن القياس أن تنقلب الواو ألفاً، وهما لغتان. انظر: «العين» مادة: (ح وذ) (٣/ ٢٨٤).

عليٌّ رضي الله عنه: أي: في القيامة[١]، وأوَّلُ الآيةِ يدلُّ عليه.

وقيل: حجّةً وسلطانًا.

وقيل: بالنُّصرةِ والغلبة، فإنَّ الكافرين ـ وإن استولوا أحيانًا ـ فالعُقبى للمؤمنين.

***

(١٤٢) ـ ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾؛ أي: أولياءَه، وهم المؤمنون، حتى[٢] شاركوهم في الغنائم وفي حقنِ الدَّمِ وإحرازِ الأموال.

﴿وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾: مُجازيهم على الخداع، وقد سبقَ.

﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾: مُتثاقلين لا يُريدون بها وجهَ الله.

﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾ ليخالُوهم مؤمنين.

﴿وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾: التَّكبيرَ والتَّسليمَ في الصَّلاة.

قتادةُ: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ لأنَّه غيرُ مقبولٍ[٣].

وقيل: إذا حضرُوا مع الذّاكرين ذكروا.

ابنُ جريرٍ: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: لشيءٍ قليلٍ، وهو الدُّنيا[٤].

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٦٤٧)، والحاكم في «المستدرك» (٣٢٠٦)، وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) في (ن): «حين».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٦١٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٠٩٦).

(٤) انظر: «تفسير الطبري» (٧/ ٦١٣)، وفيه: «فلعل قائلاً أن يقول: وهل من ذكر الله شيء قليل؟ قيل =

(١٤٣) - ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾.

﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾: مُرَدَّدينَ، من (الذَّبذبة)، وهو: جعلُ الشَّيءِ مُضطربًا.

وقيل: مُتردِّدين.

وقيل: أصله: مُذبَّبين، من (الذَّبِّ)، وهو الطَّرْدُ، وهذا على أصلِ الكوفيِّين؛ أي: يُذبذبُهم المؤمنون، فلا يقبلونهم لإبطانِهم الكفر، ويُذبذبُهم الكافرون، فلا يقبلونهم لإظهارِهم الإيمان(١).

﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾: بينَ الإيمانِ والكفر.

﴿لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾؛ أي: لا يصيرون(٢) إلى المؤمنين بالكلِّيّة.

﴿وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾: ولا يصيرون إلى الكفّار بالكلِّيّة(٣).

﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾ إلى التَّوفيق.

***

= له: إن معنى ذلك بخلاف ما إليه ذهبت، إنما معناه: ولا يذكرون الله إلا ذكرَ رياءٍ؛ ليدفعوا به عن أنفسهم القتل والسباء وسلب الأموال، لا ذكر موقن مصدق بتوحيد الله مخلص له الربوبية، فلذلك سماه الله قليلًا؛ لأنه غير مقصود به الله، ولا مبتغى به التقرب إلى الله، ولا مراداً به ثواب الله وما عنده، فهو وإن كثر من وجه نَصَبِ عاملِه وذاكرِه في معنى السراب؛ الذي له ظاهر بغير حقيقة ماء».

(١) ظهر هذا الأصل كثيراً عند أبي بكر الأنباري، وذكر نحوه الهروي، وقال الزمخشري: إلا أن (الذبذبة) فيها تكرير ليس في (الذبِّ)؛ كأن المعنى: كلما مال إلى جانب ذُبَّ عنه. انظر: «الزاهر» للأنباري (٢/ ٣٢٠)، و«الغريبين» للهروي (٢/ ٦٧٠)، و«الكشاف» للزمخشري (١/ ٥٨٠).

(٢) في النسختين الخطيتين: «أي: لا يصيروا».

(٣) «أي: لا يصيرون إلى الكفار بالكلية» من (ن).

(١٤٤) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: لا تَستعينوا بهم ولا تَستنصروهم.

﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: على عقابِكم.

﴿سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾: حجّةً ظاهرةً.

وقيل: تسلِّطون على أنفسِكم عذابَه.

***

(١٤٥) - ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾.

﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ النّارُ دَرَكاتٌ، والجنّةُ دَرَجاتٌ، والمنافقُ في أسفلِها دركًا.

ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: في توابيتَ من حديدٍ(١).

وقيل: هو عبارةٌ عن التَّفاوت؛ أي: ليسوا بمتساوين.

﴿وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ يمنعُهم عن العذاب، ولا شفيعًا يشفعُ لهم.

***

(١٤٦) - ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾ عن النِّفاق.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤١٢٥)، والطبري في «تفسيره» (٧/ ٦٢٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٩/ ٢٠٨).

﴿وَأَصۡلَحُواْ﴾ نيّاتِهم.

وقيل: أصلحُوا ما أفسدُوا.

﴿وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ﴾: تمسَّكُوا بدينِه وسنّةِ نبيِّه.

﴿وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ﴾: أخلصُوا الطّاعةَ من شائبةِ الرِّياء.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾: المخلِصين.

وقيل: مع المهاجرين والأنصار.

﴿وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾: الجنّةَ ونعيمَها.

وقيل: المنافقُ شرٌّ من الكافرِ المصرِّح؛ لأنَّه ما اشترِطَ للكافرِ[1] ما اشترِطَ للمُنافِقِ من التَّوبةِ والإصلاحِ والاعتصامِ والإخلاص، ثم قال: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾، ولم يقل: هم المؤمنون، ثم قال: ﴿وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾، ولم يقل[2]: نُؤتيهم جزاءَ المؤمنين؛ لانضمامِ المنافقين إليهم.

والقولُ هو الأوّل.

* * *

(١٤٧) ـ ﴿مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمٗا﴾.

﴿مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ﴾ استفهامُ تقريرٍ ﴿إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡ﴾؛ أي: لا يُعذِّبُ المؤمنَ الشّاكر.

والشُّكرُ: الاعترافُ بالنِّعمةِ عن اعتقادٍ.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمٗا﴾: يقبلُ اليسيرَ ويعطي الجزيل.

---

(١) في (ن): «لم يشترط للكفار».

(٢) «هم المؤمنون ثم قال: وسوف يؤت الله المؤمنين ولم يقل» من (ن).

(١٤٨) ـ ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾.

﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾:

مجاهدٌ: إنَّ رجلًا ضافَ قومًا فأساؤوا قِراه فاشتكاهم، فنزلَت هذه الآيةُ رخصةً في أن يشكوَ(١).

والمعنى على هذا القول: لا يرضى أن يجهرَ أحدٌ بالقولِ السَّيِّئِ ﴿إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾؛ أي(٢): إلّا المظلوم، فيكون في محلِّ رفعٍ بإسناد المصدر إليه، وإن شئْتَ جعلته استثناءً منقطعًا، فيكون في محلِّ نصبٍ؛ أي: لكن المظلومُ له ذلك، وهو أن يَذكرَ مَن حرَمَه بالبخل، ويُخبِرَ بما فعَلَه.

قال قطرب: ﴿إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ بأن أُكرِهَ على الجهرِ بالسُّوء(٣).

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ فله أن يشتمَ الظّالمَ ويدعوَ اللهَ عليه؛ ليمنعَه مِن ظُلمِه(٤).

وقيل: ﴿إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ فإنَّ الله ينصرُه.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا﴾ لكلامِ المظلومِ ﴿عَلِيمًا﴾ بالظّالم.

* * *

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٦٥٤)، والطبري في «تفسيره» (٧/ ٦٢٨).

(٢) (﴿إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾؛ أي) من (ن).

(٣) ذكره النحاس في «معاني القرآن» (٢/ ٢٢٧)، وابن الملقن في «التوضيح» (١٥/ ٥٨٣) بلفظ: «يريد الـمُكرَهَ عليه؛ فإنه موضوع عنه وإن كفر».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٦٢٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٠٠)، بلفظ: «لا يحب الله أن يدعو أحد على أحد إلا أن يكون مظلومًا، فإنه قد أرخص له أن يدعو على من ظلمه، وذلك قوله: ﴿إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾، وإن صبر فهو خير له».

(١٤٩ ـ ١٥٠) ـ ﴿إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾.

﴿إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا﴾: طاعةً وبرًّا ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ فتعملوه سرًّا ﴿أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ﴾: مظلمةٍ؛ بتركِ المؤاخذةِ.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾: يعفو مع قدرتِه عن كثيرٍ مِن خليقتِه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ بأن يؤمنوا بالله ويجحدوا النُّبوّاتِ.

﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾ كاليهودِ؛ كفروا بعيسى والإنجيلِ ومحمَّدٍ والقرآنِ، وكالنَّصارى كفروا بمحمَّدٍ والقرآن.

﴿وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾: بين[1] الإيمانِ ببعضٍ والكفرِ ببعضٍ.

﴿سَبِيلًا﴾: دينًا.

***

(١٥١ ـ ١٥٢) ـ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا﴾ فإنَّ مَن كفرَ بواحدٍ، فقد كفرَ بالجميعِ.

﴿حَقًّا﴾ مصدرٌ، وُكِّدَ به الخبرُ؛ أي: أحقُّ حقًّا؛ استعظامًا لكفرهم، ولكي لا يتوهَّمَ أحدٌ أنَّ إيمانَهم ببعضٍ يُزيلُ عنهم اسمَ الكفرِ.

---

(١) في (و): «بين ذلك».

﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ جملةً، ﴿وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ في التَّفضيل، ﴿أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

* * *

(١٥٣) - ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾.

﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ نزلَت في اليهودِ، قالوا: ائتنا بكتابٍ من السَّماءِ جملةً.

السُّدِّيُّ: يريدُ أن يكونَ مكتوبًا بخطٍّ غيرِ خطِّ آدميٍّ في ألواحٍ، كما كانَت التَّوراة[1].

﴿فَقَدْ سَأَلُوا﴾؛ أي: آباؤُهم ﴿مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا﴾؛ أي: حينَ قالوا: ﴿أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾؛ لأنَّها كانت مُحالًا في الدُّنيا.

و﴿جَهْرَةً﴾ صفةٌ للرُّؤيةِ أو القولِ، وقد سبقَ.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ وهي نارٌ جاءَت من السَّماءِ، فأهلكتهم ﴿بِظُلْمِهِمْ﴾، ثم أحياهم، ﴿ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ﴾؛ أي: إلهًا ﴿مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾: التَّوراةُ والمعجزاتُ التِّسعُ، ﴿فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ﴾ تفضُّلًا منّا عليهم، ﴿وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾: حجّةً واضحةً ظاهرةً.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٦٣٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٠٣)، ولفظ الطبري: «قالت اليهود: إن كنت صادقًا أنك رسول الله، فآتنا كتابًا مكتوبًا من السَّماء، كما جاء به موسى».

(١٥٤ ـ ١٥٥) ـ ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا﴾ مضى بيانُه.

﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ﴾ يريدُ: زمنَ داودَ عليه السَّلام.

﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾: مُبالغًا في الإحكامِ في شأنِ محمَّدٍ عليه السَّلام.

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم﴾: بسببِ نقضِهم ﴿مِّيثَٰقَهُمْ﴾: هو كتمانُهم أمرَ محمَّدٍ عليه السَّلام.

و(ما) زائدةٌ متَّصلةٌ بمحذوفٍ تقديرُه: لَعنّاهم[1].

الزَّجّاجُ: متَّصلٌ بقولِه: ﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ﴾، قال: والباءُ في ﴿بِظُلْمٍ﴾ بدلٌ من الباءِ في ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم﴾[2].

﴿وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ قيل: هي القرآنُ، وقيل: تركُهم العملَ بما في كتابِهم.

﴿وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ يحيى وزكريّا عليهما السَّلام وغيرَهما.

﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾: أوعيةٌ للعلم، جمعُ (غلافٍ) ثم سُكِّن، أو جَمْعُ (أغلفَ)؛ كقولِه: ﴿فِىٓ أَكِنَّةٍ﴾ [فصلت: ٥].

﴿بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا﴾: استوثَقَ منها ﴿بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ كعبدِ اللهِ بنِ سلامٍ وأصحابِه.

وقيل: إلّا إيمانًا قليلًا.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣١١)، وعدَّه من العجائب، وهو مستند إلى آية أخرى جاء مصرحًا بالفعل فيها، وهي قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾ [المائدة: ١٣].

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ١٢٧).

(١٥٦ ـ ١٥٧) ـ ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾.

﴿ وَبِكُفْرِهِمْ ﴾ كُرِّر تبكيتًا لهم.

وقيل: وبكفرِهم بعيسى ﴿وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾ حين قذفوها بالزِّنى.

﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ ﴾؛ أي: رسولَ الله بزعمِه، ويحتملُ أن يكونَ استئنافًا؛ أي: أعني رسولَ الله.

﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ جاء في التَّفسير: أنَّ اليهودَ ثارُوا عليه ليقتلوه، فبعث اللهُ جبريلَ عليه السَّلام، فأدخلَه[1] خوخةً فيها رَوزَنةٌ[2] في سقفِها، فرفعَه الله إلى السَّماءِ من تلك الرَّوزنةِ، فأمرَ يهوذا ـ رأسُ اليهود ـ رجلًا من أصحابِه اسمُه طَطْيَانُوسُ أن يدخلَ الخوخةَ فيقتلَه، ولـمّا دخلَ ططيانوسُ لم يرَ عيسى، فألقى الله عليه شَبَهَ عيسى، فلـمّا خرجَ ظنُّوا أنَّه عيسى فقتلوه وصلبوه.

وقيل: حضرَ هو والحواريّون وجماعةٌ ممّن آمنَ بالله، فأُلقِيَ شَبَهُ عيسى على الجميعِ، فصلبوا واحدًا، وفقدوا واحدًا، ثم اختلفوا في المصلوبِ والمفقودِ أيُّهما هو.

وقيل: إنَّه قال لأصحابِه: إنَّ الله يرفعُني إلى السَّماء، فأيُّكم يرغبُ في أن يُلقِيَ اللهُ عليه شبهي فيُقتَلَ مكاني وله الجنّة، فأجابَه رجلٌ منهم إلى ذلك مُختارًا، فأُخِذَ وقُتِلَ.

---

(١) في (ن): «فدخل».

(٢) الروزنة: الكوة، وهي معربة. انظر: «الصحاح» للجوهري مادة (ر ز ن) (٥/ ٢١٢٣).

وقيل: أُلقِيَ الشَّبَهُ على الوجهِ فحسبُ، وقالوا: الوجهُ وجهُ عيسى، والجسدُ جسدُ غيرِه.

وقيل: توارى في بيتِ بعضِ الحواريّين، وكان في أصحابِه رجلٌ ينافقُه[1]، فخرجَ ليدلَّ النّاسَ عليه، فألقى اللهُ عليه شَبَهَ عيسى، فأخذوه وصلبوه.

وقيل: لمّا رفعَه اللهُ إلى السَّماءِ خافَ رؤساءُ اليهودِ أن يعلمَ العامّة برفعِه إلى السَّماءِ فيُفتَنوا بذلك، فأخذوا رجلًا وصلبوه، ولم يُمكِّنُوا من قُربِه أحدًا، وقالوا للعوامِّ: إنَّه عيسى، وقد صلبناه.

وقيل: لم يكونوا يعرفونَه بوجهِه، فلمّا رُفِعَ[2] عيسى، ظفروا برجلٍ من أصحابِه، فقتلوه[3] ظنًّا منهم أنَّه عيسى.

وقيل: إنَّ اليهودَ وكَّلُوا بعيسى رجلًا يكونُ رقيبًا عليه، يدورُ معه حيثما دار، فصعِدَ عيسى عليه السَّلام الجبلَ، فجاءَ الملَكُ فأخذَ بضَبْعَيْهِ فرفعَه إلى السَّماء، فألقى الله على الرَّقيبِ شَبَهَ عيسى، فلمّا رأتْهُ اليهودُ ظنُّوا أنَّه عيسى، فقتلوه وصلبوه.

---

(١) أي: يداهنه ويدلِّس عليه، والأكثر في الفعل (نافق) أن يكون لازماً، وإنما يتعدى بالحرف، وهو الذي ذكرته المعاجم العربية، لكنه استخدم متعدياً في كلام العلماء والعامة، واستدركه المستشرق دوزي على المعاجم العربية، وقد ذُكِرَ في قول طرفة:

وأما رجال نافقوا في إخائهم ... ولست إذا أحببت حرّاً أنافقه

انظر: «ديوان طرفة بن العبد» شرح: الأعلم الشنتمري، تحقيق: درية الخطيب ولطفي الصقال (ص: ١٧٤)، و«تكملة المعاجم العربية» للمستشرق دوزي مادة (ن ف ق) (١٠/ ٢٧٨).

(٢) في (و): «رجع».

(٣) «فقتلوه» من (ن).

وهبٌ: أوحى الله إلى عيسى على رأسِ ثلاثينَ سنةً، ثم رفعَه وهو ابنُ ثلاثٍ وثلاثين سنةً، وكانَت نبوَّتُه ثلاثَ سنين[١].

وقيل: ولكن شُبِّهَ الخبرُ بقتلِه، ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾، واختارَه ابنُ بحرٍ[٢].

وقولُ الجمهورِ أولى بالأخذ.

﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ﴾؛ أي: في قتلِه وصلبِه، أو رفعِه إلى السَّماء.

وقيل: اختلفوا في أنَّه إلهٌ، أو ابنُ الله، أو نفسُ الله، أو عبدٌ رسولٌ[٣]، أو ساحرٌ كذّابٌ.

﴿مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ﴾ لكن يتَّبعونَ ظنًّا لا يُؤدِّي إلى يقينٍ، والاستثناءُ منقطعٌ.

﴿وَمَا قَتَلُوهُ﴾ ابنُ عبّاسٍ في جماعةٍ: الهاءُ تعودُ إلى العِلم[٤]. تقولُ العربُ: قتلتُ الشَّيءَ عِلمًا؛ إذا استقصى النَّظرَ فيه حتّى علمَ علمًا تامًّا[٥]، وأُنشِدَ في ذلك:

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١١/ ٦٨)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٤٢٤ ـ ٤٢٥) بلفظ: «لما صار عيسى ابن اثنتي عشرة سنة أوحى الله إلى أمه وهي بأرض مصر ـ وكانت هربت من قومها حين ولدته إلى أرض مصر ـ أن اطلعي به إلى الشام، ففعلت الذي أمرت به، فلم تزل بالشام حتى كان ابن ثلاثين سنة، وكانت نبوته ثلاث سنين، ثم رفعه الله إليه».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣١١) دون نسبة، واستغربه.

(٣) في (ن): «أو عبد الله ورسوله».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٦٦٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١١١)، بلفظ: «لم يقتلوا ظنهم يقينًا».

(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٩٤)، و«تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (ص: ٩٨)، وقال النحاس في «معاني القرآن» (٢/ ٢٣٤): «قال أبو عبيد: ولو كان المعنى: وما قتلوا عيسى يقيناً، لقال: وما قتلوه، فقط»، وقد ذكر المصنف هذا القول في «غرائب التفسير» (١/ ٣١١)، واستغربه.

كَـذاكَ تُخْبِرُ عنها العالِمـاتُ بها وقـد قَتَلْتُ بِعِلْمِي ذاكُـمُ يَقَنا[(١)]

وقيل: يعودُ إلى عيسى عليه السَّلام.

﴿يَقِينَۢا﴾ توكيدٌ للخبرِ؛ أي: ما قتلُوه حقًّا.

ورُوِيَ عن ابنِ الأنباريِّ: ﴿يَقِينَۢا ۝١٥٧ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ﴾ فجعلَه متِّصلًا بما بعدَه[(٢)].

* * *

(١٥٨) ـ ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا﴾.

﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِ﴾: أبطلَ به ما تقدَّمَ من القتلِ والصَّلب.

وقولُه: ﴿إِلَيۡهِ﴾؛ أي: إلى السَّماءِ ومحلِّ الكرامة[(٣)].

وقيل: إلى مكانٍ لا يجري لأحدٍ فيه حُكمٌ سوى الله.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا﴾ في انتقامِه من اليهودِ.

﴿حَكِيمٗا﴾ فيما دبَّرَ لعيسى عليه السَّلام.

* * *

(١) البيت للمقنع الكندي كما في «تفسير الثعلبي» (١١/ ٧٠).

(٢) ذكر هذا ابن الأنباري نقلًا عن بعض المفسرين، فقال: «قال: ﴿إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ﴾ وقف تام، ثم ابتدأ: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِ﴾، فهذا على معنيين: إن نصبت ﴿يَقِينَۢا﴾ بـ ﴿رَّفَعَهُ﴾ كان خطأ؛ لأن (بل) أداة لا ينصب ما بعدها ما قبلها، وإن نصبت ﴿يَقِينَۢا﴾ بجواب لقسم محذوف كأنه قال: يقينًا لنرفعنه، فحذف الجواب واكتفى منه بقوله: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِ﴾ كان هذا وجهًا جائزًا، فالهاء على مذهب هذا المفسِّر تعود على عيسى ابن مريم، والأظهر في الهاء عند المفسرين والنحويين أن تكون تعود على (الظن)، كأنه قال: وما قتلوا ظنهم يقينًا». انظر: «الوقف والابتداء» لابن الأنباري (٢/ ٤٦٠)، و«الهداية» لمكي بن أبي طالب (٢/ ١٥١٩).

(٣) في السَّماء الثانية، كما جاء مصرَّحًا به في حديث المعراج الذي رواه البخاري (٣٤٣٠) ومسلم (١٦٢) عن أنس رضي الله عنه.

(١٥٩) ـ ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾.

﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ ﴾؛ أي: وما مِن أهلِ الكتابِ أحدٌ إلّا ليُؤمِننَّ بعيسى.

﴿قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾ حينَ يرى البأسَ، فلا ينفعُه إيمانُه.

وقيل: كلاهما يعودُ إلى عيسى، وذلك بعدَ نزولِه من السَّماءِ، فيؤمنُ به أهلُ المللِ جميعًا.

وقيل: الأوَّلُ يعودُ إلى محمَّدٍ عليه السَّلام، والثَّاني إلى الكتابيِّ.

وقيل: الأوَّلُ إلى الله سبحانه، والثَّاني إلى الكتابيِّ.

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ أنَّه بلَّغَ الرِّسالة.

* * *

(١٦٠ ـ ١٦١) ـ ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾.

﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ﴾؛ أي: بسببِ ظلمِهم الذي تقدَّمَ وغيرِه ﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ ﴾، والباءُ متَّصلٌ بـ﴿حَرَّمْنَا ﴾.

﴿طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ ﴾ يريدُ قولَه: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا... ﴾ الآيةَ [الأنعام: ١٤٦].

﴿وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴾؛ أي: وبمنعِهم النَّاسَ عن الإيمانِ بتحريفِهم وتغييرِهم ما في كتبِهم.

﴿وَأَخۡذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ كان الرِّبا محرَّمًا عليهم كما حُرِّم علينا، وكانوا يتعاطونه ﴿وَقَدۡ نُهُواْ عَنۡهُ﴾؛ أي: عن الرِّبا.

﴿وَأَكۡلِهِمۡ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ بالرُّشوةِ وسائرِ الوجوهِ المحرَّمةِ.

﴿وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ مِنۡهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا﴾ دونَ مَن تاب وآمَنَ(١).

* * *

(١٦٢) ـ ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَۚ وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَٱلۡمُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤۡتِيهِمۡ أَجۡرًا عَظِيمًا﴾.

﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾؛ أي: الثّابتونَ في العلم.

والرّاسخُ في العلم: مَن قتَلَ الشَّيءَ(٢) عِلمًا وتحقَّقَه.

﴿مِنۡهُمۡ﴾ من أهلِ الكتابِ؛ عبدِ اللهِ بنِ سلامٍ وأصحابِه.

﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ قيل: من أهلِ الكتابِ أيضًا؛ أي: عامَّتُهم.

وقيل: ﴿المؤمنون﴾: المهاجرون والأنصارُ ومَن تابعَهم بإحسانٍ.

﴿يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾: القرآنِ ﴿وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ﴾: سائرِ الكتب.

﴿وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: الذين يُديمونَها.

﴿وَٱلۡمُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤۡتِيهِمۡ أَجۡرًا عَظِيمًا﴾.

تكلَّموا في ﴿المقيمين﴾؛ فذهبَ بعضُهم إلى أنَّه غلطٌ من الكاتب(٣)، وهذا

---

(١) في (و): «وأعمل».

(٢) في (و): «علمَ» بدل «قتل الشيء».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٦٨٠) عن أبان بن عثمان، وعائشة رضي الله عنها، وذكره الباقلاني في «الانتصار للقرآن» (٢/ ٥٣٢)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣١٢)، وعدَّه من العجائب.

القائلُ بالغلطِ أولى[١] من كتابِ اللهِ الذي لا يَأتيه الباطلُ مِن بين يديه ولا مِن خلفِه.

وذهبَ بعضُهم إلى أنَّ محلَّه جرٌّ عطفًا على الكافِ في ﴿قَبْلِكَ﴾[٢]، وهذا ممتنعٌ عندَ البصريِّين.

وقيل: عطفٌ على ﴿ما﴾؛ أي: يؤمنون بالقرآن وبسائر الكتب وبالمقيمين الصَّلاة، والمراد بهم: المؤمنون؛ كقوله: ﴿يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[٣] [التوبة: ٦١].

وقيل: نصبٌ على المدح؛ لأنَّ العربَ إذا أرادَت المبالغةَ في المدحِ أو الذَّمِّ قطعَتْه عن إعرابِ الأوَّلِ إلى الرَّفعِ أو النَّصب[٤].

وهذا فيمن جعل ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ الخبرَ، فأمّا مَن جعلَ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ﴾ الخبرَ، و﴿يُؤْمِنُونَ﴾ حالًا، فمحلُّه جرٌّ على ما سبقَ، ولا يجوزُ النَّصبُ على المدحِ؛ لأنَّ ذلك إنَّما يكونُ بعدَ تمامِ الكلام.

---

(١) أي: هذا القائل هو الذي تليق به نسبة الغلط، لا كتاب الله، فاللفظ يدل على الاشتراك، لكنَّه غير مقصود، وكثيراً ما يخرج اسم التفضيل إلى معنى الصفة المشبهة.

(٢) أي: قبلك وقبلَ المقيمين الصلاة، وقد ذكر المصنف أنه هذا قول الكوفيين في «غرائب التفسير» (١/ ٣١٢)، واستغربه.

(٣) في (و): «بالمؤمنين».

(٤) قال الطبري في «تفسيره» (٧/ ٦٨٠): «الكلام لما تطاول واعترض بين (الراسخين في العلم) و(المقيمين الصَّلاة) ما اعترض من الكلام فطال، نصب (المقيمين) على وجه المدح، قالوا: والعرب تفعل ذلك في صفة الشيء الواحد ونعته؛ إذا تطاولت بمدح أو ذم خالفوا بين إعراب أوله وأوسطه أحياناً، ثم رجعوا بآخره إلى إعراب أوله، وربما أجروا إعراب آخره على إعراب أوسطه، وربما أجروا ذلك على نوع واحد من الإعراب»، وقد ذكر النحاس في «معاني القرآن» (١/ ٢٤٩) ستة أوجه لنصب ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، ونقل كلام سيبويه أنه نصب على التعظيم، وقال: «وهذا أصح ما قيل».

(١٦٣) - ﴿۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾.

﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾: هودٍ وصالحٍ وشعيبٍ وغيرِهم ممَّن ذُكِرَ في القرآن أو لم يُذْكَر.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ﴾: أولادِ يعقوبَ عليه السَّلام.

﴿وَعِيسَىٰ﴾: هو عيسى ابن مريم؛ لأنَّه لم يُسمِّ به قبلَه نبيًّا، وقدَّمَه في الذِّكرِ إنكارًا على اليهود، ولأنَّ الواوَ لا تُوجِبُ ترتيبًا.

﴿وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾: اسمُ كتابِه المنزَّلِ عليه زَبورٌ، وزُبورٌ بالضَّمِّ جمعٌ، كـ(تَخومٍ) و(تُخومٍ)[1]، و(أَرومٍ) و(أُرومٍ)، والأحسنُ أن يُقالَ: (زَبورٌ) واحدٌ، و(زُبورٌ) جمعُ زُبُرٍ.

وخُصَّ هؤلاء[2] بالذِّكرِ مع اشتمالِ لفظِ ﴿ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ عليه تخصيصًا.

***

(١٦٤ - ١٦٥) - ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَـٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.

---

(١) هي: حدود الأرض. انظر: «الكنز اللغوي» لابن السكيت (ص: ٤٦)، و«معجم ديوان الأدب» للفارابي (١/ ١٢٩)، وفي (و): «كنجوم ونجوم».

(٢) «هؤلاء» من (ن).

﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ﴾ تتبَّعنا أحوالَهم فأوردناها عليك من قبلِ هذه السُّورةِ أو قبلَ هذا اليوم.

﴿وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ اكتفاءً عن البعضِ بالبعض[1].

﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ﴾ من غيرِ واسطةٍ ﴿تَكْلِيمًا﴾، قيَّدَ بالمصدرِ قطعًا للمجاز.

﴿رُّسُلًا﴾: بدلٌ[2] عن الأوَّل، وإن شئْتَ حملتَه على الكلِّ.

﴿مُّبَشِّرِينَ﴾ لمن أطاعَ الله وأنبياءَه ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ لمن عصوهم.

﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ﴾؛ أي: أُرسِلُوا لئلَّا يكونَ ﴿عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ من قولِه حكايةً: ﴿لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾ [طه: ١٣٤].

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.

* * *

(١٦٦) - ﴿لَّٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾.

﴿لَّٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ﴾ قال الكلبيُّ: إنَّ رؤساءَ أهلِ مكّةَ أتَوا رسولَ الله عليه السَّلام فقالوا: سألنا عنك اليهودَ، فزعمُوا أنَّهم لا يعرفونَك، فأْتنا بمَن يشهدُ أنَّك نبيُّه، وأنَّه بعثَكَ إلينا رسولًا، فأنزلَ الله هذه الآية[3].

---

(١) في (و): «اكتفاء بالبعض عن البعض».

(٢) في (و): «بدلًا».

(٣) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٨٧) عن الكلبي، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (١/ ٣٥٨) والثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٤١٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وروى الطبري في «تفسيره» (٧/ ٦٩٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «دخل على رسول الله ﷺ جماعةٌ من يهود، فقال لهم: «إني والله أعلم إنكم لتعلمون أني رسول الله» فقالوا: ما نعلم ذلك. فأنزل الله: ﴿لَّٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ﴾».

﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ﴾ أنَّك نبيُّه ﴿بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَ﴾ من القرآنِ المعجِزِ الذي لا يأتونَ بمثلِه ولو كان بعضُهم لبعضٍ ظهيرًا؛ يعني: القرآن(١)، فهو شهادةٌ لصدقِك، ومعجزةٌ لنبوَّتِك.

﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦ﴾: بسببِ علمِه فيك، وأنَّك أهلٌ لذلك تقومُ بحقوقِه.

الزَّجّاجُ: أنزلَه مُتضمِّنًا للعلومِ والأحكام(٢).

الدِّمياطيُّ: ﴿بِعِلۡمِهِۦ﴾ وحيًا يُنطَقُ.

والباءُ للحالِ؛ أي: أنزلَه وفيه علمُه(٣).

﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَ﴾ لك بالنُّبوَّةِ، ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾.

* * *

(١٦٧ ـ ١٦٩) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدۡ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾؛ أي: اليهودَ، ﴿وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ بقولِهم: لا نعرفُ صحّةَ نبوّةِ محمَّدٍ، ولا نجدُه في كتابنا ﴿قَدۡ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: هم الكفرةُ ﴿وَظَلَمُواْ﴾؛ أي: محمّدًا بإنكارِ نبوَّتِه وقولِهم فيه: إنَّه ساحرٌ كاهنٌ.

---

(١) «يعني القرآن» من (ن).

(٢) هذا معنى قوله، ففي «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ١٣٤): «ومعنى ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦ﴾ أي: أنزل القرآن الذي فيه علمه».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للنحاس (٢/ ٢٤١)، و«الحجة» لأبي علي (٢/ ١٦٠)، و«التبيان» للعكبري (١/ ١٦٠).

وقيل: هم اليهودُ أيضًا، ومعنى ﴿ظلموا﴾: أقامُوا على الجحودِ حسدًا للعربِ وبَغيًا.

وقيل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ﴾؛ أي: والذين ظلموا[1].

﴿لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾.

﴿إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾: في جهنَّمَ[2] ﴿أَبَدًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾: سهلًا هيِّنًا.

* * *

(٧٠) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُواْ خَيْرًا لَّكُمْۚ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ بالدِّينِ والإسلامِ والشَّرع.

وقيل: حالٌ؛ أي: جاءَكم محقًّا.

﴿فَـَٔامِنُواْ خَيْرًا لَّكُمْ﴾ صفةُ مصدرٍ محذوفٍ؛ أي: فآمنوا إيمانًا خيرًا لكم.

وقيل: حالٌ من المصدر؛ أي: آمنوا الإيمانَ خيرًا لكم.

وقيل: وأتوا خيرًا لكم، وهذا مذهبُ سيبويه[3].

وقول مَن قال: (ليكونَ الإيمانُ خيرًا لكم)[4] بعيدٌ؛ لا يجوزُ عند البصريِّين: (زيدًا المقتولَ)؛ أي: كنْ.

---

(١) فالذين ظلموا غير الذين كفروا على هذا القول، والذين ظلموا هم الكفار أو اليهود في القولين السابقين.

(٢) «في جهنم» من (ن).

(٣) انظر: «الكتاب» (١/ ٢٨٢ ـ ٢٨٣)، و«إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٥٢). ١٥٣٧

(٤) أي: (خيراً) منتصب بفعل ناقص مقدَّر، وهذا قول الكسائي وأبي عبيدة. انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ١٤٣)، و«معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٩٦)، و«شرح الكتاب» للسيرافي (٢/ ١٨١)، و«الهداية» لمكي (٢/ ١٥٣٧)، و«شرح التسهيل» لابن مالك (٢/ ١٦٠).

﴿وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾، فلا يضرُّه كفرُكم، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

* * *

(١٧١) - ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾.

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾: هم[1] النَّصارى خاصّةً، وقيل: اليهودُ والنَّصارى.

﴿لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾: لا تجاوزُوا الحدَّ، والغُلُوُّ: مجاوزةُ الحدِّ إلى الباطل، وغلوُّ اليهود نسبتُه إلى غيرِ رِشدةٍ[2] وأمِّه[3] إلى الزِّنى، وغلوُّ النَّصارى دعواهم أنَّه إلهٌ، وأنّه ابنُ الله.

﴿وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ﴾: لا تنسبُوه وأمَّه إليه؛ صاحبةً وولدًا[4].

﴿إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ﴾ سبقَ ذكرُه.

﴿وَرُوحٞ مِّنۡهُ﴾ أي: بنفخةِ جبريلَ كانَ.

وقيل: روحٌ كسائرِ الأرواحِ، نسبَه إليه تعظيمًا له.

---

(١) في (و): «هو».

(٢) الرِّشدةُ: النِّكاحُ الصَّحيح، وهي ضدُّ الغَيّة والخِبثة والزِّنية، وغير الرِّشدة: الزِّنى. انظر: «لسان العرب» مادة (ر ش د) (٣/ ١٧٦).

(٣) كلمة (أمه) معطوفة على الضمير في (نسبتُه)، وفيه خلاف تقدم الكلام عليه. انظر: «الإنصاف» للأنباري (٢/ ٣٧٩).

(٤) يعني: لا تنسبوا عيسى إلى الله تعالى ولدًا، ولا تنسبوا أمَّه إليه تعالى صاحبةً.

وقيل: الرُّوحُ جبريلُ عليه السَّلام، وهو عطفٌ على[1] ضميرِ الفاعلِ في قوله: ﴿أَلْقَىٰهَآ﴾، وفيه بُعدٌ.

﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَـٰثَةٌ﴾؛ أي: لا تقولوا بالأقانيم[2] كما قالَتِ النَّصارى: الله ثلاثةٌ؛ فأُقنومٌ الأبُ، وهو اللهُ سبحانه، وأُقنومٌ الابنُ، وهو عيسى، وأُقنومٌ الرُّوحُ، وهو جبريلُ عليه السَّلام.

الزَّجّاجُ: آلهتنا ثلاثة[3].

﴿ٱنتَهُوا۟﴾ عن القولِ بالثَّلاثة، والانتهاءُ: الامتناعُ من النَّفاذِ لمانعٍ.

﴿خَيْرًا لَّكُمْ﴾ فيه الأوجهُ الثَّلاثةُ[4]؛ أي: انتهاءً خيرًا، فيكون وصفًا لمصدرٍ منكَّرٍ[5]، أو انتهوا الانتهاءَ خيرًا لكم، فيكون حالًا عن المصدر، سيبويه: وأتوا خيرًا لكم[6].

﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ سُبْحَـٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ تنزيهًا عن أن يكونَ له ولدٌ كما زعمَ النَّصارى.

﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ عبيدًا ومُلكًا.

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ لا حاجةَ إلى مُعينٍ[7].

وقيل: مَن توكَّلَ عليه كفاه.

---

(١) في (و): «على قوله».

(٢) الأقانيم: جمع أُقنوم، ومعناه: الأصل، ورأى الجوهري أنها رومية معربة. انظر: «الصحاح» للجوهري مادة (ق ن م) (٥/ ٢٠١٦)، و«لسان العرب» (١٢/ ٤٩٦).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ١٣٥).

(٤) أي: التي تقدَّمت في قوله تعالى: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ﴾.

(٥) في (ن): «نكرة».

(٦) انظر: «الكتاب» (١/ ٢٨٢ - ٢٨٣).

(٧) وعلى هذا يكون معنى وكيلًا: كافياً. انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٤/ ١٤٥).

(١٧٢ ـ ١٧٣) ـ ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾.

﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ الكلبيُّ: إنَّ وفدَ نجرانَ قالوا: يا محمَّدُ، لِمَ تعيبُ صاحبَنا؟ قال: «ومن صاحبُكم؟» قالوا: عيسى، قال: «وأيُّ شيءٍ أقولُ؟» قالوا: تقول: إنَّه عبدُ الله ورسوله، فقال: «إنَّه ليسَ بعيبٍ لعيسى أن يكونَ عبدًا لله»، قالوا: بلى، فأنزلَ الله: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ﴾[١]؛ أي: لم يترفَّعْ ولم يمتنعْ من عبوديَّةِ الله.

وأصلُ الكلمةِ من (نكفَ الدَّمعَ)؛ إذا مسحَه عن خدِّه بأصبعِه أنفةً من أن يُرى أثرُ البكاءِ عليه، ودرهمٌ منكوفٌ: بهرجٌ رديءٌ[٢].

﴿وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ من رحمتِه ومحلِّ كرامتِه.

وذهبَ جماعةٌ إلى أنَّ الـمَلكَ أفضلُ من الإنسِ بهذه الآية، وقالوا: هو كما تقولُ: لا يعرفُ هذا زيدٌ ولا شيخُه، فقد فضَّلْتَ الشَّيخَ عليه.

الجوابُ عنه من وجهين:

أحدُهما: ﴿وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ بكثرتِهم.

الوجهُ الثَّاني: أنَّهم عُبِدُوا كما عُبِدَ المسيحُ.

---

(١) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٨٧) عن الكلبي، وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٥٠٢) عنه عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) انظر: «العين» مادة (ن ك ف) (٥/ ٣٨٣)، و«تفسير الراغب الأصفهاني» (٤/ ٢٣٩).

﴿وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ﴾: يترفَّعْ ويمتنعْ، ﴿فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾: فيجازيهم على فعلِهم.

ثم فصَّلَ فقالَ:

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾.

***

(١٧٤) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ يعني: النَّبيَّ عليه السَّلام.

وقيل: القرآن.

والبرهانُ: الشّاهدُ الحقُّ في نفسِه ودلالتِه[1].

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ يعني: القرآنَ؛ لأنَّه يهدي إلى الحقِّ ويوضِّحُه.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ﴾ قيل: بالقرآنِ.

وقيل: بالله تبارك وتعالى.

﴿فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ﴾: يُوفِّقُهم ويُرشدُهم.

﴿إِلَيْهِ﴾: إلى الله، وقيل: إلى الرَّحمة والفَضْل.

---

(١) «ودلالته» من (ن).

﴿صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ يجوزُ أن يكونَ مفعولًا به؛ أي: يعرِّفُهم صراطًا مستقيمًا[١]، وقيل: حالٌ.

***

(١٧٦) ـ ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ﴾.

﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ عن جابرٍ رضي الله عنه قال: اشتكيْتُ فدخلَ عليَّ رسولُ الله عليه السَّلام وعندي سبعُ أخواتٍ، فنفخَ في وجهي، فأفقْتُ، فقلتُ: يا رسولَ الله، أُوصي لأخواتي بالثُّلثين؟ قال: «احبِسْ»، فقلت: الشَّطر؟ قال: «احبِسْ»[٢]، ثم خرجَ وتركَني قال: ثم دخلَ عليَّ فقال: «يا جابرُ، إنِّي لا أراكَ تموتُ في مرضِك هذا، إنَّ اللهَ قد أنزلَ فبيَّنَ الذي لأخواتِك، جعلَ لأخواتِك[٣] الثُّلثين»، فكان جابرٌ يقول: نزلَت هذه الآيةُ فيَّ[٤].

﴿قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ﴾ سبقَ بيانُها.

---

(١) «مستقيمًا» من (ن).

(٢) «فقلت: الشطر، قال: احبس» من (ن).

(٣) «جعل لإخواتك» من (ن).

(٤) رواه أبو داود في «سننه» (٢٨٨٧)، ورواه الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٨٨) بهذا اللفظ، وهو في «سنن ابي داود»: «أحسن»، والصحيح في حديث جابر ما رواه البخاري (٥٦٥١)، ومسلم (١٦١٦) وأبو داود (٢٨٨٦)، وأن النبي ﷺ لم يجبه حتى نزلت الآية.

﴿إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ﴾: مـاتَ ﴿لَيۡسَ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَهُۥٓ أُخۡتٞ﴾؛ أي: ليـس لـه ولـدٌ ولا والـدٌ، ﴿وَلَهُۥٓ أُخۡتٞ﴾ أي: مـن الأبِ والأمِّ، أو مـن الأبِ[1]، ﴿فَلَهَا نِصۡفُ مَا تَرَكَ﴾ الميـتُ.

﴿وَهُوَ﴾؛ أي: الأخُ ﴿يَرِثُهَآ﴾: يرثُ الأختَ جميعَ مالِها ﴿إِن لَّمۡ يَكُن لَّهَا وَلَدٞ﴾ ولا والدٌ، وقد ترثُ الأختُ[2] مع البنتِ النِّصفَ بالتَّعصيب، وليس ذلك بالنِّصفِ المذكور في الآية، إنَّما هو الباقي بدليلِ البنتين.

﴿فَإِن كَانَتَا ٱثۡنَتَيۡنِ﴾ يعني: وإنْ كانَت الأختان اثنتين.

المازنيُّ: أفادَ العددَ مجرَّدًا من الصِّغرِ والكبر[3].

والكلالةُ دلَّت على الإخوةِ والأخواتِ، فجازَ الكنايةُ عنهما[4].

﴿فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَۚ وَإِن كَانُوٓاْ إِخۡوَةٗ رِّجَالٗا وَنِسَآءٗ فَلِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْ﴾؛ أي: كراهةَ أن تضلُّوا.

وقيل: أن لا تَضلُّوا.

---

(١) في (و): «من أبٍ وأمٍّ، أو أبٍ».

(٢) في (و): «يرث الأخ».

(٣) كان العرب لا يورثون الصغار ولا النساء، فلما جاء الخبر (اثنتين) بلا تفصيل دلَّ على دخول الصغيرة والكبيرة في الميراث على السواء، وقول المازني ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٣١٤)، وذكره مكي بن أبي طالب في «الهداية» (٢/ ١٥٤٥) بعبارة أوضح فقال: «وقال المازني: فائدة الخبر هنا أنَّه لما قال: ﴿كَانَتَا﴾، كان يجوز أن يكون الخبر: صغيرين، أو كبيرين، فلما قال: ﴿ٱثۡنَتَيۡنِ﴾، اشتمل على الصغير والكبير».

(٤) في (و): «عنها»، والمراد: جاز ذكر الإخوة والأخوات بضمير واحد لأن لفظ (الكلالة) دلَّ عليهم، والظاهر أن هذا عن الإضمار في (كانوا)، والله أعلم.

وقيل: يبيِّنُ الله لكم الأحكامَ كراهةَ أن تَجهلُوها[١].

وقيل: يُبيِّنُ الله لكم الضَّلالَ فلا تَضلُّوا؛ كقولِه: ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦][٢].

﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ يعلمُ مصالحَ العبادِ في المبدأِ والمعادِ، والله أعلم.

***

(١) في (ن): «كراهةَ أن تَجهلُوا ولئلا تجهلوا».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٣١٤)، واستغربه.

لباب التفاسير

تأليف الإمام المفسِّر

تاج القُرّاء الكرماني

بُرهان الدين أبي القاسم محمود بن حمزة بن نصر الكرماني

المتوفى بعد سنة ٥٠٠هـ

يُطبع أول مرة محققاً على ثلاث نسخ خطية

تحقيق وتعليق

محمد عبد الحليم بعّاج

المجلد الثالث

دار اللُّباب

لباب التفاسير

(٣)

حُقوق الطّبع مَحفُوظَة

الطبعَة الأولىٰ
١٤٤٣هـ ـ ٢٠٢١م

يُمنع طباعةُ هذا الكتاب أو ترجمته أو تصويرُه ورقياً أو إلكترونياً
إلا بإذن خطي من الدار الناشرة
تحت المُساءلة الدُّنيوية والأُخروية

9 789933 930271

دار اللُّباب
للدِّراسَاتِ وَتَحْقِيقِ التُّراثِ

DAR-ALLOBAB
Lubab Yazma Eserleri İhya ve İlmi Araştırma Yayınları

اسطنبول ـ تركيا
00902125255551
00905454729850

دمشق ـ سوريا
00963993151546
info@allobab.com
Www.allobab.com

بيروت ـ لبنان
009615813966
0096170112990

İskenderpaşa mh. Kıztaşı cd. No:7 D:5 Fatih (Özel Fatih Hastanesi Karşısı)

بسم الله الرحمن الرحيم

سُورَةُ المَائِدَةِ

سُورَةُ المَائِدَةِ

مئة وعشرون وثلاث آيات[1]

مدنيّةٌ

وقيل: مدنيّةٌ[2] إلّا آيةً، وهي قولُه: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ [٣]؛ فإنَّها نزلَت بمكّةَ يومَ عرفةَ.

وقيل: السُّورةُ مدنيّةٌ كلُّها.

وقرأ[ها][3] رسولُ الله عليه السَّلامُ في خطبتِه يومَ حجّةِ الوداع، وقال: «يا أيُّها النّاسُ، إنَّ سورةَ المائدةِ من آخرِ القرآنِ نزولًا، فأحلُّوا حلالَها، وحرِّموا حرامَها»[4].

---

(١) «مئة وعشرون وثلاث آيات» من (ن).

(٢) في (ن): «مكية».

(٣) ما بين معكوفتين مستدرك من «تفسير الثعلبي» (١١/ ١٠٩).

(٤) رواه أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» (١/ ١٦١) عن ضمرة بن حبيب وعطية بن قيس مرسلاً، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١١/ ١٠٩).

وروى الإمام أحمد (٢٥٥٤٧)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٠٧٣)، والحاكم في «المستدرك» (٣٢١٠) عن جبير بن نفير، قال دخلت على عائشة فقالت: هل تقرأ سورة المائدة؟ قال قلت: نعم. قالت: «فإنها آخر سورة نزلت، فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه، وما وجدتم فيها من حرام فحرموه». والحديث صححه الحاكم على شرط الشيخين ووافقه الذهبي. =

وآيُها مئةٌ وعشرون كوفي، وثلاثٌ وعشرون بصري(١).

***

= وروى الترمذي (٣٠٦٣) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: آخر سورة أنزلَت المائدة والفتح. وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب».

(١) في (ن): «مئة وعشرون كوفية». والمروي في عدد آيات القرآن ستة مذاهب: المدني الأول، والمدني الثاني، والمكي، والكوفي، والبصري، والشامي: فالمدني الأول: مروي عن أبي جعفر يزيد بن القعقاع وشيبة بن نصاح.

والمدني الثاني: عن إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير الأنصاري.

والمكي: عن عبد الله بن كثير عن مجاهد عن ابن عباس عن أبي بن كعب.

والكوفي: عن حمزة بن حبيب الزيات وأبي الحسن الكسائي وخلف بن هشام.

والبصري: عن عاصم الجحدري.

والشامي: عن يحيى بن الحارث الذماري.

وذكر الجرجاني في «درج الدرر» (٢/ ٦٤٧) أن عدد آيات هذه السورة مئة واثنتان وعشرون آية حجازي شامي.

قال الفيروزآبادي في «بصائر ذوي التمييز» (١/ ١٣٣): «أعلى الروايات وأصحها العد الكوفي؛ فإن إسناده متصل بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه». وانظر: «جمال القراء» للسخاوي (ص: ٢٧٤)، و«الإتقان» للسيوطي (١/ ٢٣٣).

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾ ابنُ عبّاسٍ في جماعةٍ: ﴿أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾؛ أي: بعقودِ اللهِ فيما أحلَّ وحرَّم[١].

الحسنُ: بعقودِ الدِّين[٢].

ابنُ جريجٍ: الخطابُ لأهلِ الكتاب، والمرادُ بـ(العقود): العهودُ التي أُمِرَ أهلُ الكتابِ أن يعملوا بها من تصديقِ النَّبيِّ عليه السَّلام وتبيينِ نَعتِه[٣].

ابنُ زيدٍ: العقودُ خمسةٌ: عقدُ النِّكاح، وعقدُ الشَّركة، وعقدُ اليمين، وعقدُ العهد، وعقدُ الحِلْف[٤].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٠٤٧) بلفظ: «يعني: ما أحل وما حرم، وما فرض، وما حد في القرآن كله...». وعلقه البخاري قبل حديث (٥٤٧٥).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٦).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ١١)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١١/ ١١٣).

(٤) في هامش (ن): «الحلف: ما كانوا يعاهدون فيما بينهم أن يقول الرجل لصاحبه: إن مت قبلك فمالي لك، ويقول الآخر مثل ذلك». والخبر رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ١٠).

وزِيد: عقدُ البيع[١].

وقيل: العقودُ المذكورة، وهي الفرائضُ الـمُبيَّنة في هذه السُّورة، وهي إحدى عشرة. وقيل: ثماني عشرة.

والعقدُ: الجمعُ بين الشَّيئين بما يعسرُ الانفصالُ، وأصلُه الشَّدُّ.

والوفاءُ: إتمامُ العقدِ بفعلِ ما عُقِدَ عليه، تقولُ: أوفى ووفَّى.

﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ الجمهورُ: استئنافُ حُكمٍ[٢]، ويحتملُ التَّفصيل.

والبهيمةُ: كلُّ حيٍّ لا يُميِّزُ.

والأنعامُ أصلُها: الإبلُ، أُخِذُ من (نعمة الوطء)[٣] ـ وإضافةُ البهيمةِ إلى الأنعامِ من بابِ: (ثوبُ خزٍّ)[٤] ـ ثم استُعمِلَ[٥] للبقر والشّاء، ولا يدخلُ فيها الحافرُ[٦]؛ لقولِه سبحانه: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾ [النحل: ٥]، ثم عطف عليها: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ﴾ [النحل: ٨][٧].

---

(١) رواه ابن وهب في «جامعه ـ التفسير» (٢٩٦)، ولفظه: «إنهن ست: عهد الله، وعقد الحلف، وعقد الشركة، وعقد البيع، وعقد النكاح، وعقد اليمين».

(٢) «حكم» ليست في (ن).

(٣) قال الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ١٧٣): «والأنعام: الإبل والبقر والغنم، مأخوذ من نعمة الوطء»، وقال أبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ٤٣): «سميت بذلك لنعومة مسها، وهو لينها». يُقال: تنعم الرجل: مشى حافيًا، والوطيءُ من كلِّ شيء: ما سهُلَ ولانَ، والوطيءُ والوطيئة: العصيدة الناعمة. انظر: «لسان العرب» مادة (و ط أ) ومادة (ن ع م) (١٢/ ٥٨٧).

(٤) أي: من باب إضافة الشيء إلى جنسه.

(٥) في (و): «يستعمل».

(٦) في (و): «الحافي».

(٧) ففصل جنس النعم من غيرها من أجناس الحيوانات. انظر: «تفسير الطبري» (٨/ ١٥).

الحسنُ: ﴿بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَـٰمِ﴾: الإبلُ والبقرُ والغنم[١].

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَـٰمِ﴾: الوحشُ[٢].

ابنُ عمر رضي الله عنهما: ﴿بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَـٰمِ﴾: الجنينُ إن خرجَ ميتًا جازَ أكلُه[٣]. ورُوي عن ابنِ عبّاسٍ أيضًا[٤].

﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ بذكر تحريمه لكم.

ابنُ عبّاسٍ والحسنُ في جماعةٍ: هو قولُه: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ ...﴾ الآية[٥].

أبو العالية: هو قولُه: ﴿غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾[٦]؛ أي: إلا ما كان من الأنعام صيدًا؛ فهو حرامٌ وأنتم حُرُمٌ.

وقولُه: (غيرَ) منصوبٌ على الحال من قوله: (أوفوا بالعهود غير محلّي الصّيد)، وفيه تقديمٌ وتأخيرٌ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ١٢)، وذكره النحاس في «معاني القرآن» (٢/ ٢٤٨).

(٢) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٥٠٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢٢١) عن الكلبي، بلفظ: «قال الكلبي: بهيمة الأنعام وحشيها كالظباء وبقر الوحش وحمر الوحش». واختاره الفراء انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٩٨). ورواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ١٩) عن مطرف بن الشخير والربيع بن أنس.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ١٣). وعد المصنف هذا القول من العجيب في «غرائب التفسير» (١/ ٣١٥).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ١٤).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ١٦)، وذكره الواحدي في «البسيط» (٧/ ٢٢١) عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة والسدي.

(٦) لم أقف عليه عن أبي العالية، وروى الطبري في «تفسيره» (٨/ ١٩) عن الربيع بن أنس، قال: جلسنا إلى مطرف بن الشخير وعنده رجل، فحدثهم فقال: «﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَـٰمِ﴾: صيداً، ﴿غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾: فهو عليكم حرام؛ يعني: بقر الوحش والظباء وأشباهه».

وقيل: بالاستثناء؛ أي: إلّا محلِّي الصَّيدِ وأنتم حرم. حكاه ابنُ عيسى[١].

وقيل: على الحال من قوله: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم﴾ غير محلي الصيد[٢]، وهو الأظهر[٣].

قوله: ﴿وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ ابنُ عبّاسٍ: وأنتم في الحرم[٤].

غيرُه: في الإحرام.

وقيل: في الحرم والإحرام، تقول: جاء رجلٌ حرامٌ وقومٌ حُرُمٌ[٥].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ ابنُ عبّاسٍ في جماعة[٦]: يحلُّ ويحرِّم ما يريد[٧].

وقيل: يحكم فيما خلَقَ ما يريد على الإطلاق.

* * *

(٢) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُواْ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ ۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣١٥) دون نسبة، واستغربه.

(٢) «وأنتم حرم حكاه ابن عيسى، وقيل: على الحال من قوله: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم ... غَيْرَ مُحِلِّي ٱلصَّيْدِ﴾» من (ن).

(٣) انظر: «غرائب التفسير» (١/ ٣١٥).

(٤) روى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٠٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم، فنهى المحرم عن قتله في هذه الآية».

(٥) ذكر الأوجه الثلاثة الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٦٧).

(٦) «في جماعة» من (ن).

(٧) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٤/ ١٦٣). وذكره بلا نسبة: الزجاج في «معاني القرآن» (٢/ ١٤٢)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٥٠٦) وغيرهما.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ في سببِ النُّزولِ: عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما: أَنَّها نزلَت في الحُطَمِ، واسمُه شُرَيحُ بن ضُبَيعة، أتى النَّبيَّ عليه السَّلام من اليمامة إلى المدينة، فخلَّف خيلَه خارجَ المدينة، ودخلَ وحدَه على النَّبيِّ عليه السَّلام فقال له: إلامَ تدعو النّاسَ؟ فقال: «إلى شهادةِ أن لا إلهَ إلّا الله، وإقامِ الصَّلاة، وإيتاءِ الزكاة» فقال: حسنٌ، إلّا أنَّ لي أمراءَ لا أقطعُ أمرًا دونهم، ولعلِّي أسلمُ وآتي بهم، وقد كان النَّبيُّ عليه السَّلام قال لأصحابه[1]: «يدخلُ عليَّ[2] رجلٌ يتكلَّمُ بلسان شيطانٍ»، ثم خرجَ من عنده، فلمّا خرج قال رسول الله عليه السَّلام: «قد[3] دخلَ بوجهِ كافرٍ وخرجَ بعَقِبَي غادرٍ، وما الرَّجُلُ بمسلمٍ»، فمرَّ بسرحِ المدينة فاستاقه، فطلبوه فعجزوا عنه، فلمّا خرج رسولُ الله عليه السَّلام عامَ القضيّةِ سمعَ تلبيةَ حُجّاجِ اليمامةِ فقال لأصحابه: «هذا الحُطَمُ وأصحابُه»، وكان قد قلَّدَ ما نهبَ من سرح المدينة وأهداه إلى الكعبة، فلمّا توجَّهوا في طلبه أنزلَ الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾[4].

وفي غيرِ هذه الرِّواية: فمرَّ بسرحِ المدينةِ واستاقه، وانطلقَ وهو يرتجزُ ويقول[5]:

باتــوا نيامًــا وابــنُ هِنْــدٍ لــم يَنَــمْ
بـــاتَ يقاســـيها غُـــلامٌ كالزَّلَـــمْ

---

(١) «قال لأصحابه» من (م).

(٢) في (و): «عليه».

(٣) في (ن): «لقد».

(٤) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٨٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وذكره بلا نسبة: السمرقندي في «تفسيره» (١/ ٣٦٦)، والثعلبي في «تفسيره» (١١/ ١١٧)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٣٣) عن عكرمة مرسلًا.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٣٢) عن السدي.

خَدَلَّـجُ السَّـاقَيْنِ خَفَّـاقُ القَـدَمْ

قـد لفَّهـا اللَّيـلُ بسـوّاقٍ حُطَـمْ

ليـسَ براعـي إبـلٍ ولا غَنَـمْ

ولا بِجَـزّارٍ علـى ظَهْـرِ(١) وَضَـمْ

هـذا أوانُ الشَّـدِّ فاشـتَدِّي زِيَـمْ(٢)

وقولُه: ﴿شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ على هذا: ما يحرمُ في الإحرام، وهو قولُ ابن عبّاسٍ(٣).

وقيل: مناسكُ الحجِّ، وهو قولُ ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما أيضًا(٤).

وقيل: الأعلامُ المنصوبةُ للفرقِ بين الحلِّ والحرم، نهاهم أن يتجاوزوها إلى مكّةَ بغير إحرامٍ.

الحسنُ: دينُ الله كلُّه(٥).

ومعنى: ﴿لَا تُحِلُّوا۟﴾: لا تستحلّوا.

﴿وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ﴾؛ أي: القتال فيه.

---

(١) في (و): «لحم».

(٢) اختلف في نسبة الرجز؛ فنسب لرشيد بن رميض العنبري، كما في «البرصان والعرجان» للجاحظ (ص: ٢٧٥)، و«جمهرة الأمثال» للعسكري (٢/ ٣٦٢)، و«الحماسة البصرية» (١/ ١٠٣). ونسب للحطم القيسي، كما في «الكامل» (١/ ٣٠١)، و«سمط اللآلئ» (١/ ٧٢٩). ونسب لأبي زغبة الخزرجي، كما في «لسان العرب» مادة: (خ ف ق) (١٠/ ٨٢)، ومادة: (و ض م) (١٢/ ٦٤٠). وقد اسشهد الحجاج ببعض هذا الرجز في خطبته المشهورة في الكوفة عندما ولي العراق.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٣)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١١/ ١١٩).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٢)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١١/ ١١٩).

(٥) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٦).

وقيل: تأخيره، من قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ﴾ [التوبة: ٣٧].

والمرادُ به هاهنا: ذو القعدة، وقيل: رجب، وقيل: أشهر الحرم كلُّها.

﴿وَلَا ٱلْهَدْيَ﴾: هو ما يُهدى إلى مكّةَ للذَّبح.

﴿وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ﴾ ابنُ عبّاسٍ: هي مُقلَّداتُ الـهَدْيِ(١).

وكانوا في الجاهليّة إذا خرجوا من الحرمِ قلَّدوا إبلَهم من لحاءِ سَمُرةِ الحرم، فلا يتعرَّضُ لهم أحدٌ، وإذا خرجوا إلى الحرمِ قلَّدوها بقلائدَ ليُعلَمَ أنَّها هَدْيٌ.

وقال عطاءٌ: هي القلائدُ نفسُها، كانوا يأخذون من لحاءِ سمرةِ الحرم، فنهى الله أن يُنزَعَ من شجرِها(٢).

وقيل: القلائدُ: ما تُقَلَّدُ به من حذاءٍ ونعلٍ(٣).

﴿وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾؛ أي: قاصديه.

﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ﴾: رزقًا بالتِّجارة ﴿وَرِضْوَٰنًا﴾ بزعمهم.

قتادةُ: هو أن يُصلحَ معاشَهم في الدُّنيا، فلا يُعجِّلَ لهم العقوبة(٤).

وقيل: الفَضْلُ للمشركين والمؤمنين عامٌّ، ﴿وَرِضْوَٰنًا﴾ للمؤمنين خاصّةً؛ لأنَّ الآمِّين من المؤمنين والكافرين.

والجمهورُ: على أنَّها منسوخةٌ بقولِه: ﴿اقتلوا ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥](٥).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٧).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٩)، وذكره النحاس في «معاني القرآن» (٢/ ٢٥١). واستغربه المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣١٥).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣١٥)، وعدَّه من العجائب.

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٦٧٤)، والطبري في «تفسيره» (٨/ ٤١).

(٥) قال النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٣٥٩ ـ ٣٦١): «ذهب جماعة من العلماء إلى أن هذه =

﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ﴾: خرجتم من الإحرام، ﴿فَاصْطَادُواْ﴾ أمرُ إباحةٍ، وكذلك كلُّ أمرٍ وقعَ بعدَ حظرٍ.

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾: يحملنَّكم ويُكسِبنَّكم[١]، قال:

ولقد طَعنْتَ أبا عُيَيْنةَ طَعْنةً جَرَمَتْ فزارةَ بعدَها أنْ يَغْضَبوا[٢]

﴿شَنَـَٔانُ قَوْمٍ﴾ مَن فتح[٣] جعلَه مصدرًا؛ أي: إبغاض قوم، ومَن سكَّنَ فالمعنى: بغيضُ قومٍ؛ فإنَّ المصدرَ على (فَعْلان) قليلٌ، وقد جاء (اللَّيَّانُ)[٤].

﴿أَن صَدُّوكُمْ﴾؛ أي: لأن صدُّوكم عامَ الحُديبيةِ ﴿عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ﴾.

= الأحكام الخمسة منسوخة، وذهب بعضهم إلى أن فيها منسوخًا، وذهب بعضهم إلى أنها محكمة؛ فممن ذهب إلى أنها منسوخة قتادة، وروي ذلك عن ابن عباس... وأما مجاهد فقال: لم ينسخ منها إلا القلائد... وعلى مذهب أبي ميسرة أنها محكمة، وأما عطاء فقال: ﴿لَا تُحِلُّواْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: لا تتعرضوا ما يسخطه واتبعوا طاعته واجتنبوا معاصيه، فهذا لا نسخ فيه، وهو قول حسن؛ لأن واحد الشعائر شعيرة، من شعرت به؛ أي: علمت به، فيكون المعنى: لا تحلوا معالم الله، وهي أمره ونهيه وما أعلمه الناس، فلا تخالفوه».

(١) في (ن): «لا يحملنكم ولا يكسبنكم».

(٢) البيت لأبي أسماء بنِ الضَّريبة أو عطية بن عفيف في «مجاز القرآن» (١/ ٣٥٨)، و«شرح أبيات سيبويه» (٢/ ١٣٤)، ونسبه في «الكتاب» (٣/ ١٣٨) للفزاري مبهمًا، ونُسِبَ لأبي أسماء بن الضريبة في «تفسير الثعلبي» (٤/ ١٠)، و«الإبانة في اللغة» (٣/ ٣٢٥).

(٣) قرأ أبو عمرو وابن عامر بإسكان النون، وباقي السبعة بفتحها. انظر: «التيسير» (ص: ٩٨)، وذكر ابن مجاهد الخلاف على بعضهم. انظر: «السبعة» (ص: ٢٤٢).

(٤) جاءت المصادر على فُعلان وفِعلان، أما فَعلان فقليل، ونقل ابن السراج في «الأصول» (٣/ ٨٧) عن المبرد أنه قال: فَعْلانٌ لا يكونُ مصدرًا ولكن استثقلوا الكسرةَ مع الياء، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣١٦)، واستغربه.

المعنى: لا يحملنَّكم إبغاضُ قومٍ أو بغيضُ قومٍ على الاعتداء لأجلِ صدِّهم إيّاكم عن المسجد الحرام.

ومَن قرأ: ﴿إنْ صَدُّوكم﴾[١] فالتَّقديرُ[٢]: إن يقعْ مثلُ هذا لا يحملَنَّكم على الاعتداء؛ فحذفَ الجزاءَ لدلالة الكلام عليه.

ولا يجري على الظّاهر؛ لأنَّ الشَّرطَ في الماضي محالٌ، ومنه بيتُ «الكتاب»:

أَتَغْضَبُ إنْ أُذْنا قُتَيْبَةَ حُزَّتا ... جِهاراً ولم تَغْضَبْ لقَتْلِ ابنِ خازِمِ[٣]

أي: إن يقع مثلُ هذا تغضب.

وكذلك قولُ الآخر:

إذا ما انْتَسَبْنا لَمْ تَلِدْني لَئِيمةٌ ... ولم تَجِدي مِنْ أَنْ تُقِرِّي بها بُدّا[٤]

المعنى: إن تنسُبْني لم تجدني مولودَ[٥] لئيمةٍ.

﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ﴾؛ أي: لِيُعِنْ بعضُكم بعضًا على متابعة الأمر.

﴿وَٱلتَّقْوَىٰ﴾: مجانبة الهوى.

﴿وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ﴾: المعصيةِ ﴿وَٱلْعُدْوَٰنِ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾.

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بكسر الهمزة، وباقي السبعة بفتحها. انظر: «السبعة» (ص: ٢٤٢)، و«التيسير» (ص: ٩٨).

(٢) في (ن): «بكسر الألف فتقديره».

(٣) البيت للفرزدق في «ديوانه» ضبطه: إيليا الحاوي (٢/ ٥٦٤)، و«الكتاب» (٣/ ١٦١)، و«معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٧).

(٤) البيت لزائدة بن صعصعة الفقعسي، كما في «شرح أبيات المغني» للبغدادي (١/ ١٢٤)، وهو بلا نسبة في «معاني القرآن» للفراء (١/ ٦١)، و«تفسير الطبري» (٢/ ٥٧).

(٥) في (و): «مولودًا».

(٣) - ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِٱلْأَزْلَٰمِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ بيانٌ لقوله: ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾[1].

﴿وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ سبقَ في (البقرة).

﴿وَٱلْمُنْخَنِقَةُ﴾: هي التي تنخنِقُ في حبالةِ الصّائد، أو يدخلُ رأسُها بينَ شُعبتينِ من شجرةٍ، أو تُخنَقُ عمدًا فتموت.

﴿وَٱلْمَوْقُوذَةُ﴾: المضروبةُ بالخشبةِ أو بغيرِها إلى أن تموتَ، من قولهم: وقذْتَه؛ أي: ضربْتَه.

ابنُ عمر رضي الله عنهما: المضروبةُ بالبُنْدُقةِ موقوذةٌ[2].

والمجوسُ تقذُّ ليبقى الدَّمُ فيها فتكونَ أطيبَ بزعمهم.

---

(١) في (و): «عليكم والميتة».

(٢) علَّقه البخاري بعد حديث (٥٤٧٥)، وذكر ابن حجر في «تغليق التعليق» (٤/ ٥٠٠) ثلاثة أخبار يصل بها هذا الأثر:

الأول: قال مالك في «الموطأ» (٢/ ٤٩١) عن نافع قال: رميت طائرين بحجر فأصبتهما، فأما أحدهما فمات، فطرحه ابن عمر.

الثاني: ما رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (١٨٩٤٦): عن زيد بن أسلم، عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يقول في المقتولة بالبندقة: «تلك الموقوذة».

الثالث: ما رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٤/ ٢٤٦) عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنه كان لا يأكل ما أصابت البندقة والحجر.

﴿وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ﴾: التي تردَّتْ مِن عُلُوٍّ أو وقعَتْ في بئرٍ فماتَتْ.

﴿وَٱلنَّطِيحَةُ﴾: ما نُطِحَتْ حتى تموت، فَعيْلةٌ بمعنى مَفعولٍ، وأُلحِقَ الهاءُ به لأنَّه اسمٌ، وقيل: إذا انفرد عن الموصوف أُلحِقَ به الهاء، نحو: الكَحيلة والدَّهينة[١].

وقيل: هي بمعنى الفاعل؛ أي[٢]: تَنْطَحُ حتى تموت[٣].

﴿وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ﴾ أراد: ما أكلَ منه السَّبُعُ فمات.

﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ عليٌّ وابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهم: الاستثناءُ عائدٌ إلى الكلِّ؛ أي: ما أدركْتُم ذكاتَه بأنْ يوجدَ له عينٌ تطرفُ أو ذَنَبٌ يتحرَّك[٤].

وقيل: يعودُ إلى ما أكلَ السَّبُعُ فحسب.

والذَّكاةُ: اسمٌ شرعيٌّ لقطعِ الأوداجِ ـ وهي الحلقومُ والمريءُ والعِرقان ـ بسكِّينٍ أو ما قامَ مقامَه على اسمِ الله مُسْلِمًا.

﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ كان عند البيت ثلاثُ مئةٍ وستُّون حجرًا يعبدونها ويقرِّبون الذَّبائحَ لها.

---

(١) الأصل في (فعيل) إذا كان بمعنى (مفعول) ووُصفت به أنثى ألا تلحقه علامة التأنيث، فيُقال: ملحفة جديد، فإن جُرِّد عن الوصفية لحقته، فيقال: ذبيحة، وكذا نطيحة. انظر: «الكتاب» (٣/ ٦٤٧)، و«إسفار الفصيح» للهروي (١/ ٢٠٠)، و«شرح الشافية الكافية» لابن مالك (٤/ ١٧٤٠).

(٢) في (و): «أن».

(٣) وتلحقها الهاء إذا وُصفت بها الأنثى على هذا على الأصل. انظر: «تفسير الطبري» (٨/ ٦٠)، و«المخصص» (١/ ٣٨٩)، و«شرح المفصل» لابن يعيش (٣/ ٣٧٥).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٦٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: «ما أدركت ذكاته من هذا كله، يتحرك له ذنب أو تطرف له عين، فاذبح، واذكر اسم الله عليه، فهو حلال». وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ١١)، والواحدي في «البسيط» (٧/ ٢٤٤) عن علي رضي الله عنه.

الحسنُ: كانوا يذبحون لأصنامِهم(١).

﴿وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ﴾ فيه أقوالٌ:

أحدها: أنَّها قداحٌ ثلاثةٌ مكتوبٌ على أحدِها: (أمرني ربّي)، وعلى الآخر: (نهاني ربّي)، والثالثُ غُفْلٌ، فإذا أرادوا أمرًا ذا خطرٍ من سفرٍ أو نكاحٍ أو تجارةٍ أو عقلٍ أجالوها، فإذا خرج (أمرني ربّي) مضى على ذلك، وكذلك إذا خرج (نهاني ربّي) امتنع، فإن خرج الغُفْلُ أَجالوها(٢) ثانيًا.

ومعنى: ﴿تَسۡتَقۡسِمُواْ﴾: تطلبوا ما قُسِمَ لكم.

المبرِّدُ: الاستقسامُ: إلزامٌ كقسمِ اليمين، كأنَّهم ألزموا(٣) أنفسَهم ما تأمرُهم به القِداح(٤).

والثاني: الأزلامُ: سهامُ زَلَمٍ ـ كجَمَلٍ ـ وزُلَمٍ ـ كصُرَدٍ ـ وهي عشرةٌ يقسمونَ عليها لحمَ الجزور، وقد سبق.

---

(١) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٢/ ١٥٣)، ونقل الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٢٣٨) عن الحسن تفسير النصب بالأوثان في سورة المعارج، ونقله عنه أبو حيان في «البحر المحيط» (٢/ ١١٥) في تفسير البقرة، وقال ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٥١٢): «في النصب قولان: أحدهما: أنها أصنام تنصب، فتعبد من دون الله، قاله ابن عباس والفراء والزجاج، فعلى هذا القول يكون المعنى: وما ذبح على اسم النصب، وقيل: لأجلها. والثاني: أنها حجارة كانوا يذبحون عليها، ويشرحون اللحم عليها ويعظمونها، وهو قول ابن جريج».

(٢) في (و): «أجالها».

(٣) في (و): «ألزمهم».

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ١٢)، والواحدي في «البسيط» (٧/ ٢٥٠)، ونجم الدين النيسابوري في «إيجاز البيان» (١/ ٢٦٩)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣١٧) دون نسبة، واستغربه.

الثالث: الأزلامُ: كِعابُ فارس والرُّومِ التي يتقامرون بها، قاله مجاهدٌ(١).

الرابع: قال سفيانُ بنُ وكيعٍ: الأزلام: الشِّطرنج(٢).

سعيدُ بنُ جُبيرٍ: الأزلامُ: حُصيّاتٌ كانوا يَستقسمونَ بها(٣).

والأوَّلُ هو الذي عليه الجمهور.

﴿ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾ الإشارةُ إلى الاستقسام، ويحتملُ أن يعودَ إلى الكلِّ.

﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: هو يومُ فتحِ مكّة(٤).

مقاتلُ بنُ حيّانَ: هو يومُ عرفة(٥).

وقيل: ﴿ٱلْيَوْمَ﴾ عبارةٌ عن الوقتِ.

ومعنى ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ﴾: من إبطالِ دينِكم.

وقيل: من رجوعِكم عن دينكم.

﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ أن يظهروا عليكم.

﴿وَٱخْشَوْنِ﴾ في مخالفة أمري.

﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ في سببِ النُّزول: أنَّها نزلَت يوم الجمعة، وكان يومَ عرفةَ بعدَ العصرِ في حجّةِ الوداع، سنةَ عشرٍ، والنَّبيُّ عليه السَّلام واقفٌ بعرفاتٍ على ناقته العضباء(٦).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٧٤).

(٢) ذكره الطبري في «تفسيره» (٨/ ٧٣).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٧٣).

(٤) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٥١٢).

(٥) لم أقف عليه عن مقاتل بن حيان، وذكره مقاتل بن سليمان في «تفسيره» (١/ ٤٥٢)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٧٩) عن ابن زيد، وانظر: «زاد المسير» لابن الجوزي (١/ ٥١٢).

(٦) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (١٩٠).

وروى البخاريُّ: أنَّ رجلًا جاء إلى عمرَ رضي الله عنه وقال: يا أميرَ المؤمنين، إنَّكم لتقرؤون آيةً في كتابكم لو علينا معشرَ اليهودِ نزلَت لاتَّخذنا ذلك اليومَ عيدًا، قال: وأيُّ آيةٍ هي؟ قال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، فقال عمر رضي الله عنه: والله إنِّي لأعلمُ اليومَ الذي نزلَت على رسول الله ﷺ، والسّاعةَ التي نزلت، عشيّةَ عرفةَ في يومِ جمعةٍ[١].

ورُويَ مثلُ هذا عن ابن عبّاسٍ[٢].

ومعنى ﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾؛ أي: بالبيانِ والشَّرائعِ والفرائضِ حتى لا يُزاد فيه بعدَ اليوم.

ورُوي عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما أنَّه قال[٣]: لم ينزل بعد هذه الآية حلالٌ ولا حرامٌ[٤].

وعاشَ النَّبيُّ ﷺ[٥] بعدها أحدًا وثمانين يومًا[٦].

وقيل: ﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾: حجَّكم فحججْتُم، وليس معكم مشركٌ[٧]؛ لأنَّهم[٨] مُنِعوا عنه في (سورة براءة)[٩].

---

(١) رواه البخاري (٤٥)، ومسلم (٣٠١٧).

(٢) رواه الترمذي (٣٠٤٤)، وقال: «حسن غريب».

(٣) «قال» من (ن).

(٤) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٨٠) عن ابن عباس والسدي، وذكره الواحدي في «تفسيره» (٧/ ٢٥٥)، وقال: «هذا معنى قول ابن عباس والسدي، وهو الاختيار».

(٥) «النبي ﷺ» من (و).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٨١) عن ابن جريج.

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٨١، ٨٢) عن الحكم وقتادة وسعيد بن جبير.

(٨) في (و): «لأنه».

(٩) يوضِّحه ما روى الطبري في «تفسيره» (٨/ ٨٣) عن ابن عباس، قال: «كان المشركون والمسلمون =

﴿وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي﴾ بالإسلام.

وقيل: يخافون ولا تخافون.

الحسنُ: ﴿نِعۡمَتِي﴾: الجنَّة[1].

﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ﴾: ما استقرَّ عليه الشَّرعُ ﴿دِينٗا﴾.

﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ﴾: أُحوِجَ وأُلجِئَ في مجاعةٍ ـ مشتقَّةٌ من (خماص البطن) ـ فأكلَ ﴿غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ﴾: مائلٍ لها بأن يأكلَها تلذُّذًا مجاوزًا حدَّ الشِّبع، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ﴾ لمن أكلَ ﴿رَّحِيمٞ﴾ حيثُ رخَّصَ.

ويحتملُ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ فليأكلْ منها.

***

(٤) ـ ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمۡۖ قُلۡ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمۡتُم مِّنَ ٱلۡجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُۖ فَكُلُواْ مِمَّآ أَمۡسَكۡنَ عَلَيۡكُمۡ وَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾.

﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمۡ﴾ في سببِ النُّزول: أنَّ النَّبيَّ عليه السَّلام أمرَ بقتلِ الكلابِ، فجاء ناسٌ إلى رسول الله عليه السَّلام فقالوا: ما هذه الأُمَّة التي تقتلُها؟

= يحجون جميعًا، فلما نزلت براءة، فنفى المشركين عن البيت، وحج المسلمون لا يشاركهم في البيت الحرام أحد من المشركين، فكان ذلك من تمام النعمة: ﴿وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي﴾».

(١) لم أقف عليه عن الحسن في تفسير هذه الآية، ولكن روى ابن أبي حاتم في «تفسيره» عنه أنه فسر النعمة بالجنة في قوله تعالى: ﴿يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ﴾، وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٠٤) عن سعيد بن جبير أنه قال: «من تمام النعمة، دخول الجنة»، وذكر الواحدي في «البسيط» (٧/ ٢٥٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «يريد أنه حكم لهم بدخول الجنة».

فسكت، فأنزلَ الله هذه الآية، فأذِنَ في اقتناءِ الكلابِ التي يُنتَفَعُ بها، ونهى عن إمساكِ ما لا نفعَ فيه منها(١).

وعن سعيدِ بنِ جبيرٍ: أنَّها نزلَت في سؤال عديٍّ بن حاتمٍ وزيدِ الخيلِ حينَ جاءا إلى رسول الله عليه السَّلام فقالا: إنّا قومٌ نصيدُ بالكلاب، فمنه ما نُدرِكُ ذكاتَه ومنه ما لا ندركُ ذكاته(٢)، وقد حرَّمَ الله الميتةَ، فماذا يحلُّ لنا منه؟ فأنزل الله هذه الآية(٣).

﴿قُلۡ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾: الحلالُ.

وقيل: المأذونُ في أكلِه.

وقيل: المستلَذُّ؛ لأنَّ التي حُرِّمت غيرُ مستلذّةٍ.

وقيل: ﴿ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾: ما لم يجرِ ذِكرُه في المحرَّمات.

﴿وَمَا عَلَّمۡتُم﴾؛ أي: وصيدُ ما علَّمتم؛ أي: علمتموه الصَّيدَ(٤).

﴿مِّنَ ٱلۡجَوَارِحِ﴾: الكواسبِ للصَّيدِ على أهلها، وهي الكلابُ والفهودُ والبُزاةُ والصُّقورُ وغيرها، واحدُها: جارحةٌ، والجَرْحُ: الكسبُ، من قوله: ﴿مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ [الأنعام: ٦٠].

ورُوِيَ عن محمَّدِ بنِ الحسنِ: ﴿ٱلۡجَوَارِحِ﴾: من الجِراحة، وقال: إذا صادَ ولم يجرحْهُ وماتَ لم يُؤْكَل؛ لأنَّه لم يُجْرَحْ بنابٍ ولا مخلبٍ(٥).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ١٠٠، ١٠١)، والحاكم في «المستدرك» (٣٢١٢) عن أبي رافع، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٢) «ذكاته» من (ن).

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١١/ ١٦٨)، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٩٢).

(٤) «أي: وصيد ما علمتم؛ أي: علمتموه الصيد» من (ن).

(٥) انظر: «أحكام القرآن» للجصاص (٣/ ٣٠٩)، و«بدائع الصنائع» (٥/ ٤٤)، وفيه: «في الرواية =

﴿مُكَلِّبِينَ﴾: مُعلِّمين إيّاه الصَّيدَ[(١)]، والـمُكلِّبُ: الذي يُعلِّمُ الصَّيدَ ويؤدِّبُ[(٢)].

وقيل: مُضَرِّيْنَ، مِن (التَّضرِيةِ)[(٣)]، فيكونُ أعمَّ من الأوَّل.

وذهبَ ابنُ عمرَ والضَّحّاكُ إلى أنَّه لا يحلُّ إلّا أكلُ صيدِ الكلابِ وحدَها[(٤)].

والجمهورُ على القول الأوَّل.

﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾ العليمُ الذي بيَّنَ حُكمَها لكم.

وللتَّعليمِ[(٥)] حدٌّ عند بعضِهم، وهو: أنَّه إذا أُرْسِلَ تبعَ الصَّيد، وإذا أَخَذَ أمسَكَ على صاحبِه، وإذا دُعِيَ استجابَ.

وعند بعضِهم: ليس في تعليمِه شيءٌ يُحدُّ.

الحسنُ: لا يجوزُ أن يُؤكَلَ ما صادَه كلابُ المجوس[(٦)].

= المشهورة أنه إذا لم يجرح لا يحل حتى لو خنق أو صدم ولم يجرح ولم يكسر عضوًا منه لا يحل في ظاهر الرواية، وروي عن أبي حنيفة وأبي يوسف أنه يحل»، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣١٨)، واستغربه.

(١) في (ن): «الصيد».

(٢) في (و): «للصيد ويؤدبه».

(٣) شرحه المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣١٨) فقال: «وهي الحثُّ والحمل على الصيد»، وفي «لسان العرب» مادة (ض ر ي) (١٤/ ٤٨٢): «ضري الكلب بالصيد ضراوة؛ أي: تعود، وأضراه صاحبه؛ أي: عوده، وأضراه به؛ أي: أغراه، وكذلك التضرية».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ١٠٥) عن ابن عمر والضحاك والسدي، وردَّه، لكنه غير صريح عن ابن عمر، فلفظه: «أما ما صاد من الطير والبزاة من الطير، فما أدركت فهو لك، وإلا فلا تطعمه»، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣١٨)، واستغربه.

(٥) في (و): «والتعليم».

(٦) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٠٢٠٥)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٩٦١٧)، ولفظه: «كان =

﴿فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمۡسَكۡنَ عَلَيۡكُمۡ﴾ لا لأنفسِهنَّ، وإنَّما يُعرَفُ ذلك بالأكل.

وعند أبي حنيفةَ رضي الله عنه: لا يُؤكَلُ إذا أكَلَ منه الكلبُ، ويُؤكَل إذا أكَلَ منه البازيُّ حيث لا يمكنُ تعليمُه وضربُه عند الأكل[١].

وعند الشافعيِّ رحمه الله: لا يُؤكَلُ إنْ أكلا[٢].

مالكٌ والأوزاعيُّ رحمهما الله: يُؤكَلُ منه وإنْ أكلا[٣].

﴿وَٱذۡكُرُوا۟ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ﴾ على الإرسالِ، وفيه تقديمٌ.

وقيل: يريدُ التَّسميةَ عندَ الأكل. وقولُ الحسنِ في المجوسِ من هذا[٤].

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ في أكلِ الميتة.

= يكره أن يستعين المسلم بكلب المجوسي فيصيد به، ولا يرى بأساً أن يستعين بكلب اليهودي، والنصراني فيصيد به»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣١٩)، واستغربه.

وقال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٢/ ١٥٧): «أما كلب المجوسي وبازه وصقره فكره الصيد بها جابر بن عبد الله والحسن وعطاء ومجاهد وإبراهيم النخعي والثوري وإسحاق بن راهويه، ومالك رحمه الله والشافعي وأبو حنيفة وأصحابهم على إباحة الصيد بكلابهم إذا كان الصائد مسلمًا، قالوا: وذلك مثل شفرته».

(١) انظر: «التجريد» للقدوري (١٢/ ٦٢٧٣ ـ ٦٢٧٧)، و«المبسوط» للسرخسي (١١/ ٢٢٣).

(٢) هذا على مذهبه الجديد؛ فقد ذكر الماوردي أن للشافعي في إباحة أكل ما أكل الجارح من الصيد سواء كان من كواسب البهائم أو كواسر الطير قولين؛ القديم: يحل أكله، والجديد: لا يحل أكله. انظر: «الحاوي الكبير» للماوردي (١٥/ ٨)، و«المجموع شرح المهذب» (٩/ ١٠٥ ـ ١٠٦).

(٣) انظر قول مالك في: «الجامع لمسائل المدونة» (٥/ ٧٤٨)، و«بداية المجتهد» (٣/ ٩)، وانظر قول الأوزاعي في «الاستذكار» (٥/ ٢٧٥).

(٤) «وقول الحسن في المجوس من هذا» من (ن).

سعيدُ بنُ جُبيرٍ: واتَّقوا ولا تأكلُوا ما لم يُذكَرِ اسمُ الله عليه[1].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾: يُعطي ما لك ويأخذُ ما عليك.

ويحتمـلُ أنَّ (مـا)[2] في ﴿ما عَلَّمْتُم﴾ للشَّـرط، ﴿فَكُلُوا﴾ جـزاؤه، والكلامُ تمَّ على ﴿ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾.

ويحتملُ أيضًا أنَّه الموصولُ، ﴿فَكُلُوا﴾ خبرُه[3].

* * *

(٥) ـ ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾.

﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾: الحلالات واللَّذيذات، كما سبق.

﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَٰبَ﴾ ابـنُ عبَّـاسٍ والحسـنُ فـي جماعـةٍ: ذبائـحُ اليهـودِ والنَّصـارى[4].

وقيل: أراد به كلَّ طعامٍ، فتُفيدُ الآيةُ تناوُلَ طعامِهم.

---

(١) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٥١٧).

(٢) «ما» من (ن).

(٣) وهـذا الوجـه أيضاً مبنـي على أنَّ الكلام تـمَّ عند ﴿ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾. انظـر: «القطع والائتنـاف» للنحاس (ص: ١٩٦)، و«والمكتفـى» للداني (ص: ١٠).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ١٣٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما والحسن، ورواه البيهقي في «السنن الكبرى» (١٩١٥٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وعلَّقه البخاري قبل حديث (٥٥٠٨).

والأوَّلُ أظهرُ؛ لأنَّ سائرَ الطَّعام كالخبز والدُّهن لا يختلفُ حكمُه بأن يتولَّاه مجوسيٌّ أو كتابيٌّ أو مسلمٌ بإجماعٍ.

﴿وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ﴾ ابنُ عبّاسٍ وسعيدٌ: ذبائحُ المسلمين حلٌّ لهم(١).

وقيل: فطعامُكم حلٌّ لهم؛ أن(٢) تُطعموهم وتتصدَّقوا(٣) عليهم.

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ سبق ذكرُها.

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ الحسنُ والشَّعبيُّ والسُّدِّيُّ: العفائفُ الكتابيّات(٤).

مجاهدٌ: الحرائرُ الكتابيّات(٥).

﴿إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾؛ أي: إذا التزمتم مهورَهنَّ.

﴿مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾؛ أي: بالنِّكاحِ لا بالزِّنى؛ سرًّا وجهرًا.

---

(١) ذكره الفيروزآبادي في «تنوير المقباس» (ص: ٨٩) عن ابن عباس، وذكره الطبري في «تفسيره» (٨/ ١٣٨)، والماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ١٧)، والواحدي في «البسيط» (٧/ ٢٧٠)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٢/ ١٥٩)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٥١٨)، ولم ينسبوه لأحد.

(٢) في (و): «أي».

(٣) في (و): «ويتصدقون».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ١٤٣) عن الشعبي والسدي، وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٥١٩) عن الحسن، وروى عبد الرزاق في «مصنفه» (١٢٦٩٥)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٧٤٠٦) عن عامر الشعبي: «إحصان اليهودية والنصرانية أن تغتسل من الجنابة، وأن تحصن فرجها».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ١٣٩)، وذكره النحاس في «معاني القرآن» (٢/ ٢٦٧).

﴿وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَٰنِ﴾ مجاهدٌ: باللهِ[١].

غيرُه: أبى الإيمانَ وامتنعَ منه[٢].

ويحتملُ أنَّه مصدرٌ واقعٌ موقعَ المفعول، ويحتملُ: يُنكِرُ وجوبَه وفَرضَه[٣].

﴿فَقَدْ حَبِطَ﴾: بطلَ[٤] ﴿عَمَلُهُۥ﴾.

ابنُ بحرٍ: هو مستعارٌ من قولهم: حَبِطَ بطنُه[٥].

﴿وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ الحسنُ: كلُّ خسرانٍ في القرآنِ فهو خُسرانُ النَّفسِ والجنّة[٦].

***

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ١٥٠)، وذكره المصنِّف في «غرائب التفسير» (١/ ٣١٩) بلا نسبة، واستغربه.

(٢) هو قول الطبري في «تفسيره» (٨/ ١٥١).

(٣) أي: مَن يكفر بالمؤمَنِ الذي آمن به المؤمنون، وجاء به محمد ﷺ، أو يُنكره ويجحد لزوم اتباعه.

(٤) «بطل» من (ن).

(٥) حبط بطنه حَبَطاً: انتفخ. وقد سبق الأزهريُّ ابنَ بحر فيما ذهب إليه؛ فإنه قال في «تهذيب اللغة» (٤/ ٢٣٠): «ولا أرى حبط العمل وبطلانه مأخوذًا إلا من حبط البطن؛ لأن صاحب الحبط يهلك، وكذلك عمل المنافق والمشرك يحبط، غير أنهم سكّنوا الباء من قولهم: حبط عمله يحبط حَبْطًا، وحركوها من حبط بطنه يحبط حَبَطًا». وذكر نحو ذلك الزمخشري في «أساس البلاغة» مادة (ح ب ط) (١/ ١٦٥).

(٦) هذا من تفسير القرآن بالقرآن، فقد قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الزمر: ١٥]، وذكر الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ١٤٣) عن الحسن أنه قال: «خسروا أنفسَهم؛ بما حرموها من الجنة، وأهليهم؛ من الحور العين الذين أُعِدُّوا في الجنة».

(٦) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ أي: أردتُم القيامَ؛ كقوله: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ [النحل: ٩٨].

وقيل: أردتم الطَّهور، فذُكِر بلفظ الصَّلاة؛ لأنَّ القصدَ به إليها.

في الآيةِ إضمارٌ تقديره: إلى الصَّلاة مُحدِثين، وهذا إجماعٌ إلَّا ما رُوي عن عليٍّ رضي الله عنه وعمرَ: أنَّهما كانا يتوضّآن لكلِّ صلاةٍ[1]، وذلك محمولٌ على النَّدب والاستحباب.

ورُوي عن ابن عبّاسٍ في جماعةٍ: أي: قمتم من النَّوم[2]؛ يريد: من نومٍ يُوجِبُ الوضوء.

وقيل: قمتم من الطَّعام، وهذا على زعمِ مَن يُوجِبُ الوضوء ممّا مسَّته النّار، وذلك قولٌ لا يُعتدُّ به[3].

---

(١) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٦٨)، والطبري في «تفسيره» (٨/ ١٥٧) عن علي رضي الله عنه، ورواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٧٠) عن عمر رضي الله عنه.

(٢) رواه مالك في «الموطأ» (١/ ٢١) عن زيد بن أسلم، ورواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ١٥٦ ـ ١٥٧) عن زيد بن أسلم والسدي.

(٣) ذهب طائفة من أهل الحديث إلى وجوب الوضوء مما مسَّته النار، ونُقل ذلك عن ابن عمر وأبي طلحة وأنس وأبي موسى وعائشة وزيد بن ثابت وأبي هريرة والحسن البصري والزهري =

﴿فَٱغۡسِلُواْ﴾ الفاء جوابُ الشَّرط، وقد اتَّصل بالغسل والمسح معًا؛ لأنَّ الواو لا تدلُّ على التَّرتيب بإجماعٍ من أهل اللغة.

والغسلُ: إمرارُ الماء على العضو، والدَّلكُ ليس بفرضٍ، خلافًا لمالكٍ[1]، ولا يقتصر على مسحٍ بالماء كالدَّهن، خلافًا لأبي يوسف رحمه الله[2].

﴿وُجُوهَكُمۡ﴾: جمع وجهٍ، وهو ما واجَهْتَ به غيرَكَ، من قُصاصِ[3] الشَّعر إلى الذَّقن طولًا، ومن شحمةِ الأذنِ إلى الشَّحمة عرضًا.

ويُمسح على ظاهر اللِّحية.

والمضمضةُ والاستنشاقُ والتَّخليلُ سنّةٌ؛ لأنَّها لا يقع عليها اسم المواجهة.

وكذا التّكرارُ سنّةٌ.

ولا يجبُ إيصالُ الماء إلى داخل العينين، خلافًا لابنِ عمرَ رضي الله عنهما[4].

﴿وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ﴾ اليدُ: عبارةٌ عن الأنملة إلى المنكب، فدخلَ المرفقُ

= وعمر بن عبد العزيز وغيرهم، وذهب الإمام أحمد وإسحاق وأبو ثور إلى تخصيص ذلك بلحم الجزور، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣١٩)، وعدَّه من العجائب، وانظر: «اختلاف الفقهاء» للمروزي (ص ١٠٠ ـ ١٠١)، و«المعاني البديعة في معرفة اختلاف أهل الشريعة» للحثيثي (١/ ٤٧).

(١) انظر: «المدونة» (١/ ١٣٣)، و«بداية المجتهد» (١/ ٥١).

(٢) انظر: «بدائع الصنائع» (١/ ٣)، و«المحيط البرهاني» لابن مازة (١/ ٣٥).

(٣) قصاص الشعر: منتهاه، وفي القاف ثلاث لغات، أعلاها الضمُّ. انظر: «العناية شرح الهداية» لجمال الدين الرومي (١/ ١٤)، و«لسان العرب» مادة (ق ص ص) (٧/ ٧٣).

(٤) انظر: «المحرر الوجيز» (٢/ ١٦١). ورواه الإمام مالك في «الموطأ» (١/ ٤٥)، وعبد الرزاق في «مصنفه» (٩٩١)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٠٦٩)، لكنهم رووا ذلك في غسل الجنابة، ولفظ عبد الرزاق: «كان إذا اغتسل من الجنابة نضح الماء في عينيه، وخلل لحيته».

فـي الغسـل لهـذا، فصار (إلـى) لإخـراجِ مـا وراء المرفـق عن الغسـل، خلافًـا لزُفَرَ رحمه الله[١].

وما ذهبَ إليه بعضُهم من أنَّ (إلى) هاهنا بمعنى (مع) ضعيفٌ؛ لأنَّه إذا جُعل بمعنى (مع) لم يبقَ فيه معنى التَّحديد[٢]، فيجب غسل المرفق مع العضد؛ لأنَّ مطلق اليد يشتمل عليها كلِّها[٣].

﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾ المسحُ: مباشرةُ الرَّأس بالماء من غير إمرارٍ.

والمفروضُ قدرُ الربع[٤]، ولا يستوعب الرَّأس خلافًا لمالكٍ[٥]، ولا يقتصرُ على ما دونه، خلافًا للشَّافعيِّ رحمه الله[٦].

ولا تكرارَ في المسح.

والأذنان من الرَّأس.

ولا يمسح على العمامة، خلافًا للأوزاعيِّ والثوريِّ[٧].

---

(١) انظر: «المبسوط» للسرخسي (١/ ٦)، و«بدائع الصنائع» (١/ ٤).

(٢) في (و): «التجريد».

(٣) ذهب إلى ذلك السمرقندي والثعالبي وبعض أهل اللغة، ونُسب إلى الشافعي والمبرد، وفي هذه النسبة شيء؛ فالشافعي يقول بوجوب غسل المرافق، لكنه لا يقول به، فقد صرَّح بأن المعنى: إلى أن تُغسل المرافق. انظر: «الأم» للشافعي (١/ ٤٠)، و«معاني القرآن» للزجاج (٢/ ١٥٣)، وللنحاس (٢/ ٢٧١)، و«بحر العلوم» للسمرقندي (١/ ٣٧٢)، و«فقه اللغة» للثعالبي (ص: ٢٤٩)، و«البسيط» للواحدي (٧/ ٢٧٩)، وقد عدَّه المصنِّف من العجائب في «غرائب التفسير» (١/ ٣٢٠).

(٤) وهو مذهب أبي حنيفة رحمه الله. انظر: «تفسير الثعلبي» (١١/ ١٩١)، و«فتح القدير» لابن الهمام (١/ ١٣).

(٥) انظر: «الجامع لمسائل المدونة» (١/ ١٩)، و«التمهيد» (٢٠/ ١٢٥).

(٦) انظر: «الأم» (١/ ٤١)، و«المهذب» (١/ ٤٠).

(٧) انظر: «مختصر اختلاف العلماء» للطحاوي (١/ ١٤٥)، وذكره الترمذي بعد حديث (١٠٠) عن الأوزاعي.

﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ النَّصبُ[1] عطفٌ على ﴿أيديكم﴾، ويحتمل العطف على محلِّ ﴿بِرُءُوسِكُمْ﴾، والخفضُ عطفٌ على ﴿بِرُءُوسِكُمْ﴾، ويحتمل الجوارَ، فصار من المجمل الذي بيانُه إلى النَّبيِّ عليه السَّلام، وقد بيَّنَ بقوله: «ويلٌ للعراقيبِ من النّار»[2]؛ إذ لو كان ممسوحًا لم ينلْهُ الوعيد، وتحديدُه بالكعبين يرجِّحُ جانبَ الغسل.

والكعبان داخلان في الغسل كالمرفقين، وهما العظمان النّاتئان على جانبي السّاق، خلافًا لمحمَّدٍ رحمه الله؛ فإنَّه ذهب إلى أنَّه النَّاتئ فوقَ القدم حيث يقعُ عليه الشِّراك[3].

فهذه الأربعة هي المفروضة في الوضوء.

﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا۟﴾؛ أي: فاغتسلوا.

والاغتسالُ: غسلُ ما يمكنُ من البدن، فتدخلُ فيه المضمضةُ والاستنشاق.

﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ﴾ سبق تفسيرُه وذِكْرُ سببِ نزول آيةِ التيمُّمِ في (سورة النِّساء).

---

(١) قرأ نافع وابن عامر والكسائي وحفص ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ نصباً، وقرأ ابن كثير وحمزة وأبو عمرو ﴿وأرجلِكم﴾ بلا رسم مصحف خفضاً. انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٤٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٨).

(٢) رواه مسلم (٢٤٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه، ورواه البخاري (١٦٥) بلفظ: «ويل للأعقاب من النار».

(٣) انظر: «المبسوط» للسرخسي (١/ ٩)، وذكره فيه عن هشام عن محمد رحمه الله، ثم قال: «وهذا سهو من هشام لم يرد محمد ـ رحمه الله تعالى ـ تفسير الكعب بهذا في الطهارة، وإنما أراد في المحرم إذا لم يجد نعلين أنه يقطع خفيه أسفل من الكعبين، وفسر الكعب بهذا، فأما في الطهارة، فلا شك أنه العظم الناتئ، كما فسره في الزيادات». ونحوه في «بدائع الصنائع» (١/ ٧).

﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾: ضيقٍ، فرخَّص في التَّيمُّم.

﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ عن الأحداث والجنابة.

وقيل: معناه[1]: لم يفرض عليكم الطَّهارة ليضيِّقَ عليكم، ولكن يريدُ ليطهِّرَكم عن الذُّنوب؛ فإنَّ الوضوءَ تكفيرٌ لِما قبله.

﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ في الدِّين والإسلام.

﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: لكي تشكروا نعمتي.

والآيةُ مشتملةٌ[2] على سبعةِ فُصولٍ كلُّها مثنى؛ طهارتين: الوضوء والغسل، ومُطهِّرَين: الماء والتراب، وحُكمين: الغسل والمسح، ومُوجِبَين: الحدث والجنابة، ومُبيحَين: المرض والسَّفر، وكنايتين: الغائط والملامسة، وكرامتين: تطهير الذُّنوب وإتمام النِّعمة، والحمدُ لله على نعمه.

* * *

(٧) ـ ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾.

﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بالإسلامِ وسائر نعمِه.

وقيل: أكثروا تعدادها.

وقيل: اشكروا.

﴿وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ﴾؛ أي: العهد الذي عاهدتموه.

---

(١) «معناه» من (ن).

(٢) «مشتملة» من (ن).

مجاهدٌ: هو مِن قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢][(١)].

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: هو متابعةُ النَّبيِّ عليه السلام فيما يأمرُ وينهى[(٢)].

وقيل: هو الإيمانُ يومَ بيعة الرضوان[(٣)].

ابنُ بحرٍ: وذلك مفسَّرٌ في الآية، وهو قوله: ﴿إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾؛ أي: سمعنا أوامرَك ونواهيَك، وأطعنا بالانقياد والإذعان.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في ميثاقِه ونقضِه.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: بخفيَّاتِ القلوب.

وقيل: بحقيقة ما في الصُّدور، وذاتُ الشَّيء: نفسُه وحقيقتُه.

* * *

(٨) - ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ﴾؛ أي: قائمين بما يلزمُكم القيامُ به.

﴿شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ﴾ الحسنُ: الشَّهادةُ بحقوق النّاس[(٤)].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٢٠) بلفظ: «الذي واثق به بني آدم في ظهر آدم».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٢٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٣٠١٣) بلفظ: «يعني: حيث بعث الله النبي ﷺ، وأنزل عليه الكتاب، فقالوا: آمنا بالنبي وبالكتاب، وأقررنا بما في التوراة. فذكرهم الله ميثاقه الذي أقروا به على أنفسهم، وأمرهم بالوفاء به».

(٣) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٦٠).

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ١٩).

الزَّجّاجُ: الشَّهادةُ لأمرِ الله أنَّه حقٌّ(١).

والقسطُ: العدلُ.

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾: يحملنَّكم ﴿شَنَـَٔانُ قَوْمٍ﴾: إبغاضُ قومٍ وبغيضُ قومٍ(٢).

﴿عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟﴾؛ أي: على الجور.

﴿ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ﴾؛ أي: العدلُ أقربُ ﴿لِلتَّقْوَىٰ﴾؛ أي: هو التَّقوى، وقيل: أقربُ لاتِّقاء النّار.

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

الحسنُ: هو تكرارٌ للآية الأولى(٣)، وقد سبق.

غيرُه: نزلَت في غيرِهم، ورُوي عن عبد الله بن كثيرٍ أنَّه قال: نزلَت في اليهود، ذهبَ رسول الله ﷺ يستعينُهم في ديةٍ فهمُّوا بقتله(٤).

وقيل: هو عامٌّ؛ أي: لا يحملنَّكم بُغضُ قومٍ على تركِ العدل.

* * *

(٩) ـ ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ۙ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ۙ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ في مفعول ﴿وَعَدَ﴾ قولان:

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ١٥٥)، وفيه: «﴿شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ﴾؛ أي: بالعدل ﴿شُهَدَآءَ﴾؛ أي: مبينين عن دين الله؛ لأن الشاهد يبين ما شهد عليه».

(٢) فالمصدر (بغض) معنى قراءة (شَنَآن)، والاسم (بغيض) معنى قراءة (شَنْآن)، وقد قرأ بهما الأعمش. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٠٠).

(٣) فالمخاطب أهل الإسلام، كما في تفسير الآية الأولى من هذه السورة.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٢٣).

أحدهما: أنَّه محذوفٌ، ودلَّ عليه لفظ (وعد) خلافَ ما يدلُّ عليه لفظ (أوعد)[1]؛ أي: خيراً.

وقيل: محذوفٌ يُفسِّره[2]: ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

والثّاني: الجملةُ مفعولُه واقعةٌ موقعَ المفرد؛ كقول[3] الشَّاعر:

وَجَدْنا الصّالحينَ لهم جزاءٌ ... وجَنّاتٍ وعَينًا سلسبيلا[4]

فعطفَ (جنّاتٍ) و(عينًا) على محلِّ[5]: (لهم جزاءٌ).

وقيل: تقديرُه: وعد الله أنَّ لهم مغفرةً، فلمّا حذف (أنَّ) ارتفع (مغفرة) بالابتداء[6].

وقيل: ما بعده رُفِعَ على الحكاية؛ لأنَّ الوعدَ قولٌ؛ أي: قال الله: الذين آمنوا...[7].

ثمَّ أوعدَ الكافرين فقال:

* * *

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٢٢)، وعبارته هناك: «محذوف وهو الخير؛ لأن الوعد عند الإطلاق لا يكون إلا في الخير».

(٢) في (و): «تفسيره».

(٣) في (و): «لقول».

(٤) البيت لعبد العزيز بن زرارة الكلابي في «الكتاب» (١/ ٢٨٨)، وهو بلا نسبة في «المقتضب» (٣/ ٢٨٤)، و«الأصول في النحو» (٣/ ٤٧٤). وقال المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٢٣): «واستدلال من استدل في الآية بقول الشاعر ـ وذكر هذا البيت ـ بعيد؛ لأنَّ (وجد) تأتي على وجوه».

(٥) في (و) زيادة: «قوله».

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٢٢)، وعدَّه من العجائب.

(٧) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٢٢)، واستغربه.

(١٠) - ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾؛ أي: لا يفارقونها كما لا يفارقُ الصَّاحبُ مالَه.

* * *

(١١) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾ اختلف المفسِّرون في سببِ نزول الآية:

فذهب الحسنُ إلى أنَّها نزلَت في الذين صدُّوه عن الحجِّ، وهمُّوا بالتَّعرُّض له وللمؤمنين، فألقى الله في قلوبهم الرُّعب، فكفُّوا عمّا همُّوا[1].

وقال الواقديُّ: بلغ رسولَ الله ﷺ أنَّ دُعثُورَ بن الحارث جمعَ جمعًا من بني ثعلبةَ ومحاربٍ؛ لينالوا من الأطراف شيئًا، فخرج النَّبيُّ عليه السَّلام[2] إليهم، فلمّا علموا به هربوا إلى الجبال، والنَّبيُّ عليه السَّلام يراهم فلا يقفو أثرَهم، وأصابَ النَّبيَّ عليه السَّلام والمؤمنين مطرٌ، فخلا في موضعٍ وألقى ثيابَه على الشَّجر، فباغتَه دعثور ومعه سيفُه، وقال للنَّبيِّ عليه السَّلام: مَن يمنعك منِّي؟ فقال: «الله»، وألقى جبريلُ السَّيفَ من يده، وأخذه رسولُ الله عليه السَّلام فقال لدعثور: «من يمنعك منِّي؟»

---

(١) لم أقف على هذا عن الحسن، وقد ذكر الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ١٩) عن الحسن في سبب نزول الآية قال: أن قريشاً بعثت رجلًا ليقتل رسول الله ﷺ، فأطلع الله نبيه على ذلك، وذكر النحاس في «معاني القرآن» (٢/ ٢٧٨) عن الحسن نحو حديث جابر رضي الله عنه.

(٢) «النبي عليه السلام» من (ن).

فقال: لا أحد، أشهد أن لا إله إلّا الله، وأشهد أنَّ محمَّدًا رسوله، ثم أتى قومه وجعل يدعوهم إلى الإسلام(١).

وعن جابرٍ رضي الله عنه: أنَّ رجلًا جاء إلى(٢) رسولِ الله عليه السَّلام وسيفُه في حجره، فقال: يا محمَّد، انظر إلى سيفِك هذا، قال: «نعم»، فأخذه فاستلَّه ثم جعل يهزُّه، ويهمُّ به، فكبَتَهُ اللهُ، ثم قال: يا محمَّد، أتخافني؟ قال: «لا»، قال(٣): أما تخافني وفي يدي السَّيفُ؟ قال: «يمنعُني الله منك»، ثم غمدَ السَّيف، فردَّه إلى رسول الله عليه السَّلام(٤).

وقال مجاهدٌ والكلبيُّ وعكرمةُ: قتَلَ رجلان من أصحاب رسول الله عليه السَّلام رجلين من بني سليمٍ، وبين النَّبيِّ عليه السَّلام وبينهم(٥) مُوادعةٌ، فجاء قومُهما يطلبون الدِّية، فأتى النَّبيُّ عليه السَّلام، ومعه أبو بكرٍ وعمر وعثمان وعليٌّ(٦) وطلحة وعبد الرحمن بن عوفٍ، فدخلوا على كعب بن الأشرف وبني النَّضير يستعينُهم في عقلهما، فقال: نعم يا أبا القاسم، قد آنَ لك أنْ تأتيَنا وتسألَنا حاجةً، اجلسْ حتى نطعمَك ونعطيَك التي سألتنا، فجلس هو وأصحابه، فخلا بعضُهم ببعضٍ وقالوا: إنَّكم لن تجدوا محمَّدًا أقربَ منه إليكم الآن، فمن يظهر على هذا البيت فيطرح

---

(١) انظر: «مغازي الواقدي» (١/ ١٩٤ ـ ١٩٦).

(٢) «رجلاً جاء إلى» من (ن).

(٣) «قال» من (ن).

(٤) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٦٨٤)، ومن طريقه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٣٢)، وأصل الحديث رواه البخاري (٢٩١٠)، ومسلم (٨٤٣).

(٥) «وبينهم» من (ن).

(٦) «وعلي» من (ن).

عليه صخرةً ويريحنا منه، فقال عمرو بن جحاشٍ بن كعب[1]: أنا، فجاء إلى رحًى عظيمةٍ ليطرحَها عليه، فأمسكَ الله يدَه، وجاء جبريلُ وأخبره بذلك، فخرجَ النَّبيُّ عليه السَّلام، وأنزل الله هذه الآية[2].

وإلى هذا ذهب الزَّجّاج[3]، وسياق الآية يدلُّ عليه، وهو قولُه: ﴿إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ بالقتل والإهلاك، ﴿فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ﴾: مضرَّتهم[4] ﴿عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ فإنَّه الكافي والدّافع والمانع.

***

(١٢) ـ ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ قيل: المراد بالبعث الرِّسالة، وكانوا أنبياء.

وقيل: المراد به الإمارة والولاية والخلافة.

والنَّقيبُ: الضّامنُ.

---

(١) «ابن كعب» من (ن).

(٢) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٩٣)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٢٨) عن مجاهد وعكرمة وغيرهما.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ١٥٦).

(٤) في (و) زيادة: «حتى لا يجبنوا عن قتالهم»، وستأتي هذه العبارة في موضعها المناسب قريباً.

الحسنُ وقتادةُ: الشَّهيدُ على قومه[١].

وقيل: الأمين والكفيل.

الزَّجّاجُ: هذا الأصلُ معناه: التَّأثيرُ الذي له عمقٌ ودخولٌ، ويُستَدَلُّ بالرَّجُلِ النِّقابِ، وهو العالمُ، والنُّقبةُ: من الجَرَب، والكلبُ النَّقيبُ: هو الذي نُقِبَ حنجرتُه لينقصَ صوتُه في نُباحِه، وسُمِّيَ الرَّجل نقيبًا؛ لأنَّه يعلم دخيلةَ أمرِ القوم ويعلمُ مناقبَهم[٢].

وأصحابُ الجيوشِ خمسةٌ: الأمراءُ ثم الإسفهسلارون[٣] ثم النُّقباءُ ثم العُرفاءُ ثم المناكِب.

وجاء في القصص: أنَّ الله تعالى وعدَ موسى عليه السَّلام أن يورِّثه وقومَه الأرضَ المقدَّسة، وهي الشَّام، وكان يسكنُها الكنعانيُّون والجبّارون، ووعدَه أن يُهلكَهم، ويجعلَ أرضَ الشَّام مساكنَ بني إسرائيل، فلمّا استقرَّت ببني إسرائيل الدّار بمصرَ، أمرَهم الله بالمسير إلى أريحاء، وقال: يا موسى، إنِّي كتبتُها لكم دارًا وقرارًا، فاخرجْ إليها وجاهدْ مَن فيها من العدوِّ، فإنِّي ناصرُكم عليهم[٤]، وخذ من قومك اثني عشر نقيبًا، من كلِّ سبطٍ نقيبًا[٥] واحدًا يكون كفيلًا على قومه بالوفاء بما أُمروا

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٣٦) عن قتادة، وذكر الماوردي في «تفسيره» (٢/ ٢٠)، والواحدي في «البسيط» (٧/ ٢٩٤)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٥٢٦) عن الحسن أنه قال: «الضمين».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ١٥٧ ـ ١٥٩)، و«المخصص» لابن سيده (١/ ٢٦١).

(٣) ذكر في «صبح الأعشى» (٦/ ٦) أنَّ الإسفهسلار بسينين مهملتين بينهما فاء ثم هاء، وأنَّه من ألقاب أرباب السيوف، وأنَّ معناه: مقدّم العسكر، وهو مركَّب من لفظين؛ فارسيّ، وتركيّ؛ فـ(أسفه) بالفارسية بمعنى المقدّم، و(سلار) بالتركية بمعنى العسكر.

(٤) «عليهم» من (ن).

(٥) «نقيبًا» من (ن).

به، فاختارَ موسى عليه السلام النُّقباء، وبعثَهم إليها يتجسَّسون الأخبارَ ويعلمون علمَها، فلقيهم رجلٌ من الجبّارين يُقال له: عاجٌ، فأخذَهم جميعًا في كمِّه، وانطلق إلى امرأته فقال: انظري إلى هؤلاء الذين يريدون أن يقاتلونا، ألا أطحنُهم برجلي، قالت: لا حتى يُخبروا قومَهم، وكان الشَّطرُ من قشرِ الرُّمانة فيهم يدخلُ فيه خمسون من النُّقباء، وعنقودٌ من العنب لا يُطيِّقُ حملَها جميعُهم، فتوافقوا أن يكتموا أمرهم من قومهم[1]، ثم توافقوا على أن لا يخبروا بني إسرائيل بما شاهدوه من شدّة بأسِ القوم ـ وقيل: من عظم أجسامهم ـ لئلَّا يجبُنوا عن قتالهم، وأخذ بعضُهم على بعضٍ الميثاق بذلك، فوفى اثنان بالعهد، ونكثَ العشرةُ[2] العهدَ، وجعل ينهى كلُّ واحدٍ سِبطَه عن قتالهم، ويخبرُهم بما رأى[3].

---

(١) من قوله: «فلقيهم رجل» إلى قوله: «أمرهم من قومهم» ليس في (ن).

(٢) في (و) هنا زيادة: «وهما يوشع بن نون وكالب بن يوفنا».

(٣) انظر القصة في «تفسير مقاتل» (١/ ٤٦٦ ـ ٤٦٧)، و«تفسير الثعلبي» (١١/ ٢٣٠ ـ ٢٣٤)، و«زاد المسير» (١/ ٥٣٣)، وروى نحوها الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٣٧) عن السدي، وستأتي في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾.

قال ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٦٨): «وقد ذكر كثير من المفسرين هاهنا أخبارًا من وضع بني إسرائيل في عظمة خلق هؤلاء الجبارين، وأن منهم عوج بن عنق، ابن بنت آدم عليه السلام، وأنه كان طوله ثلاثة آلاف ذراع وثلاث مئة وثلاثة وثلاثون ذراعًا وثلث ذراع... وهذا شيء يُستحى من ذكره، ثم هو مخالف لما ثبت في الصحيحين؛ أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله خلق آدم وطوله ستون ذراعًا، ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن»، ثم ذكروا أن هذا الرجل كان كافرًا، وأنه كان ولد زنية، وأنه امتنع من ركوب سفينة نوح، وأن الطوفان لم يصل إلى ركبته، وهذا كذب وافتراء، فإن الله تعالى ذكر أن نوحًا دعا على أهل الأرض من الكافرين، فقال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦] وقال تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ﴾ [الشعراء: ١١٩ ـ ١٢٠] وقال تعالى: ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ [هود: ٤٣] وإذا كان ابن نوح الكافر =

والجمهورُ على هذا إلّا الحسنَ فإنَّه قال: جعل النَّبيُّ عليه السَّلام على الأنصار اثني عشر نقيبًا ليلةَ العقبة؛ ليراعوا أمورَ النّاس، ويرفعوا أخبارَهم وما يعرِضُ لهم من الحوائج على النَّبيِّ عليه السَّلام[1].

والأوَّلُ أظهر.

﴿وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمۡ﴾ أي: قال لهم.

الرَّبيعُ: خطابٌ للنُّقباء[2]. والجمهورُ على أنَّه خطابٌ لبني إسرائيل.

﴿لَئِنۡ أَقَمۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيۡتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ وكانتا فريضتَين عليهما.

﴿وَءَامَنتُم بِرُسُلِي﴾ يريدُ: مَن مضى منهم، ومَن يبعثُهم الله من غير تفريقٍ بين أحدٍ منهم.

﴿وَعَزَّرۡتُمُوهُمۡ﴾ أبو عُبيدةَ: عظَّمتموهم[3].

الزَّجّاجُ: نصرتموهم، قال: وأصلُه من الذَّبِّ والرَّدِّ؛ أي: ذببتُم الأعداءَ عنهم. ومنه التَّعزيرُ، وهو كالتَّنكيل[4].

= غرق، فكيف يبقى عوج بن عنق وهو كافر وولد زنية؟ هذا لا يسوغ في عقل ولا شرع، ثم في وجود رجل يقال له: عوج بن عنق نظر، والله أعلم». وقال ابن قتيبة في «تأويل مختلف الحديث» (ص: ٤٠٩): «أخبار متقادمة كان الناس في الجاهلية يروونها، تشبه أحاديث الخرافة». وانظر: «الإسرائيليات والموضوعات» لمحمد أبو شهبة (ص: ١٨٤).

(١) لم أقف عليه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٤٢)، وذكره الواحدي في «البسيط» (٧/ ٢٩٦).

(٣) هذا ما نقله الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٤٤) والزجاج في «معاني القرآن» (٢/ ١٥٩) وغيرهما عن أبي عبيدة، وفي «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ١٥٦): «﴿وَعَزَّرۡتُمُوهُمۡ﴾: نصرتموهم وأعنتموهم ووقرتموهم وأيدتموهم»، وذكر نحوه أبو عبيد في «غريب الحديث» (٤/ ٢٣)، وهو قول ابن قتيبة في «غريب القرآن» (ص: ١٤١).

(٤) في «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ١٥٩): «قال أبو عبيدة: (عزرتموهم) عظمتموهم. قال غيره: =

﴿وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ قيل: الصَّدقةُ؛ لتقدُّم ذكر الزَّكاة.

وقيل: الخيرُ كلُّه.

و﴿قَرْضًا﴾ جائزٌ أن يكون مفعولًا به، وجائزٌ أن يكون مصدرًا بحذف الزِّيادة[١].

وذهب بعضُهم إلى أنَّ هذه شرائطُ لقوله: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ﴾، وذهب بعضهم إلى أنَّ الكلامَ تمَّ عند قوله: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ﴾، ثم استأنف فقال: ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، فأدخلَ عليه لامَ توطئة القسم، والمقسمُ محذوفٌ، وجوابُ القسم قولُه[٢]:

﴿لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾؛ أي: بترك المؤاخذة بها.

﴿وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ﴾: بعد الميثاقِ المذكور، ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾: عدلَ عن الطَّريق المستقيم.

* * *

(١٣) ـ ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ﴾؛ أي: نقضوا العهدَ، وبسببِ نقضِهم لعنَّاهم.

= عزرتموهم: نصرتموهم. وهذا هو الحق، والله أعلم، وذلك أن العزر في اللغة: الرد، وتأويل عزرت فلانًا ـ أي: أدبته ـ: فعلت به ما يردعه عن القبيح، كما أن (نكلت به) فعلت به ما يجب أن ينكل معه عن المعاودة، فتأويل (عزرتموهم): نصرتوهم بأن تردوا عنهم أعداءهم».

(١) أي: أقرضتم الله إقراضاً، ولكن حُذفت الهمزة، وهو ما يقال فيه: اسم مصدر. انظر: «إعراب مشكل القرآن» لمكي (١/ ١٣٣) و(٢/ ٧١٧).

(٢) «محذوف وجواب القسم قوله» من (ن).

و(ما) زائدةٌ أفادت تفخيمَ الأمر؛ أي: بنقضِهم العهدَ أيَّ عهدٍ.

وقيل: بنقضِهم الفظيعِ الشَّأنِ، كما قال:

.... لأمرٍ ما يُسـوَّدُ مَنْ يَسـودُ[1]

﴿لَعَنَّٰهُمْ﴾ ابن عبّاس[2] رضي الله عنهما: المرادُ بهم الذين كانوا في زمنِ النَّبيِّ عليه السَّلام، وفسَّرَ ﴿لَعَنَّٰهُمْ﴾ بالجزية[3].

الحسنُ: لعنّاهم بالمسخ[4]؛ أي: أوائلهم، فصاروا قردةً وخنازير، من قوله: ﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ﴾ [النساء: ٤٧].

وقيل: ﴿لَعَنَّٰهُمْ﴾: أبعدناهم من الرَّحمة، فيكون لهم جميعًا.

﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾: يابسةً، لا رحمةَ فيها ولا لينَ، فاعلةٌ من (قسا يقسو)، و﴿قَسِيَّةً﴾[5]: فعيلةٌ بمعنى فاعلةٍ[6]، وقيل: ﴿قَسِيَّة﴾: رديئةٌ، من قولهم: درهمٌ قَسِيٌّ؛ أي: زائفٌ رديءٌ يشوبُه غشٌّ، قال:

---

(١) عجز بيت صدره:

عزمـت عـلى إقامـة ذي صباح

والبيت لرجل من خثعم في «الكتاب» (١/ ٢٢٦)، وهو أنس بن مدركة الخثعمي كما في «الحيوان» (٢/ ٣٩)، و«الدلائل في غريب الحديث» (٢/ ٤٤٣)، وقد ذهب مثلاً، ومعناه: لا يسود من يسود إلا بالاستحقاق. انظر: «مجمع الأمثال» (٢/ ١٩٦).

(٢) في (و): «عامر».

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١١/ ٢٣٥)، والواحدي في «البسيط» (٧/ ٣٠١)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٥٢٧).

(٤) المراجع السابقة نفسها.

(٥) قرأ بها حمزة والكسائي. انظر: «السبعة» (ص: ٢٤٣)، و«التيسير» (ص: ٩٩).

(٦) وبناء فعيل أبلغ من فاعل، فتكون (قسية) للمبالغة، كما قال المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٢٣).

ومـا زَوَّدُونِـي غَيـرَ سَـحقِ عِـمامةٍ   وخَمسِ مِـيءٍ مِنهـا قَسِـيٌّ وزائـفُ[١]

﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ قيل: بالتَّأويلِ، فأوَّلوه على مرادهم.

وقيل: بتغييرِهم لفظَ التَّنزيل.

﴿وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾؛ أي: تركوا بعضَ ما أُمروا به.

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: من اتِّباع محمَّدٍ عليه السَّلام[٢].

وقيل: لم ينالوا منه نصيبًا حين حرَّفوه.

﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ﴾؛ أي: أبـدًا تشـاهدُ وتشـرفُ ﴿عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ﴾: خيانـةٍ، كالخاطئـة والعافيـة[٣].

وقيل: على فرقةٍ خائنةٍ.

وقيل: على خائنٍ، والهاءُ للمبالغة، كقول الشَّاعر:

حَدَّثْـتَ نَفْسَـكَ بِالوَفـاءِ ولـم تكُنْ   لِلغَـدْرِ خائِنَـةً مُغِـلَّ[٤] الإصْبَـعِ[٥]

---

(١) البيت لمزرد بن ضرار في «ديوانه» (ص: ٥٣)، و«إصلاح المنطق» (ص: ٢١٤)، و«الدلائل في غريب الحديث» (٢/ ٤٩٩)، و«تهذيب اللغة» مادة (م أ ى) (١٥/ ٤٤٣)، و«إسفار الفصيح» (٢/ ٨٥٦).

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (٧/ ٣٠٤)، وانظر: «تنوير المقباس» (ص: ٩٠).

(٣) فاسم الفاعل هنا جاء على معنى المصدر. انظر: «تفسير الطبري» (٨/ ٢٥٢).

(٤) في (و): «مفك».

(٥) البيت بلا نسبة في «إصلاح المنطق» (ص: ١٩٢)، و«جمهرة اللغة» (١/ ٢٤٧).

ولرجل من بني أبي بكر بن كلاب وهذا البيت من شعر له خبر في «الكامل» (١/ ٢٨٢)، و«الاقتضاب» (٣/ ٢٨٣).

وفي «الكامل»: «وقوله: «ولم تكن للغدر خائنة»، ولم يقل خائناً. فإنما وضع هذا في موضع المصدر والتقدير: ولم تكن ذا خيانة».

الدِّمياطيُّ: خانوه حين همُّوا بقتله[1].

﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ لم يخونوا.

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: عبد الله بن سلامٍ وأصحابه[2].

وقيل: الاستثناءُ من قوله: (جعلنا قلوبهم قاسيةً) إلّا قليلًا منهم[3].

قوله: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ﴾ قيل: منسوخةٌ، والنّاسخُ آيةُ السَّيف، وقيل: بقوله: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً﴾ [الأنفال: ٥٨].

وقيل: محكمٌ، والمعنى: فاعفُ عنهم واصفح بعد أن أعطوا الجزيةَ وحَقنوا الدَّمَ.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

* * *

(١٤) - ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾.

﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ﴾ قيل: تقديرُه: ومِن الذين قالوا: إنّا نصارى قومٌ أخذنا، أو مَن أخذنا.

وقيل: (مِن) متَّصلٌ بـ(أخذنا). وهذا أظهرُ.

---

(١) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٥٣) عن مجاهد وعكرمة، وصوَّبه.

(٢) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٤/ ٢٠٦)، وانظر: «تنوير المقباس» (ص: ٩٠).

وذكره مقاتل بن سليمان في «تفسيره» (١/ ٤٦٢)، وابن الجوزي في «تفسيره» (١/ ٥٢٨) دون نسبة.

(٣) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٤/ ٢٠٦)، وقال: «هذا فيه بعد».

الحسنُ: إنَّما قال: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ﴾ ليدلَّ على أنَّهم ابتدعوا النَّصرانيّةَ وتسمَّوا بها(١).

ويحتمل: أي: لهم الدَّعوى لا المعنى؛ لأنَّهم لم يقوموا بما أُمِروا به في شرعهم.

﴿أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ﴾: أمرناهم بتوحيد الله والإيمان برسله وشرائعه.

﴿فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا﴾: ألصقنا، والغِراءُ: ما يُلصَقُ به الشَّيء. وقيل: حرَّشنا.

﴿بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ﴾ مجاهدٌ: بين اليهود والنَّصارى(٢).

الرَّبيعُ: بين النَّصارى خاصّةً(٣).

﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾: يوم البعث بالأهواء المختلفة والمقاتلة؛ فإنَّ النَّصارى اختلفوا فصاروا فِرقًا؛ يعقوبيّةً(٤)،..............................

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٧/ ٣٠٧)، وذكر نحوه ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٥٢٨)، ولفظه: «إنما قال: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ﴾، ولم يقل: من النصارى؛ ليدلَّ على أنهم ليسوا على منهاج النصارى حقيقة».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٥٩).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٦٠)، وقدَّمه على الذي سبقه.

(٤) اليعقوبية: أصحاب يعقوب، قالوا بالأقانيم الثلاثة، إلا أنهم قالوا: انقلبت الكلمة لحماً ودماً، فصار الإله هو المسيح، وهو الظاهر بجسده، بل هو هو. وعنهم أخبرنا القرآن الكريم: ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ﴾ [المائدة: ١٧، ٧٢]. وزعم أكثر اليعقوبية أن المسيح أقنوم واحد، إلا أنه من جوهرين؛ فجوهر الإله القديم وجوهر الإنسان المحدث تركَّبا تركيباً كما تركبت النفس والبدن فصارا جوهراً واحداً، والقبط في مصر ينحلون مذهب اليعقوبية. انظر: «الملل والنحل» (٢/ ٣٠)، و«الخطط والاعتبار» للمقريزي (٢/ ٢٧).

ونسطوريّةً(١)، وملكانيّةً(٢).

﴿وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾؛ أي: في القيامة بالجزاء والعقاب.

* * *

(١٥) ـ ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ﴾.

﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ يعني: اليهودَ والنَّصارى، ووحَّدَ ﴿ٱلْكِتَـٰبِ﴾ لأنَّه للجنس.

﴿قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ يعني: محمَّدًا عليه السَّلام.

﴿كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ يعني: صفةَ محمَّدٍ عليه

---

(١) النسطورية: أصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر في زمان المأمون، وتصرَّف في الأناجيل بحكم رأيه، فقال: إن الله تعالى واحد، ذو أقانيم ثلاثة؛ الوجود، والعلم، والحياة، وهذه الأقانيم ليست زائدة على الذات، ولا هي هو، واتحدت الكلمة بجسد عيسى عليه السلام، لا على طريق الامتزاج كما قالت الملكانية، ولا على طريق الظهور به كما قالت اليعقوبية، ولكن كإشراق الشمس في كوة على بلورة. وقالوا: إن القتل وقع على المسيح من جهة ناسوته، لا من جهة لاهوته؛ لأن الإله لا تصيبه الآلام. انظر: «الملل والنحل» (٢/ ٢٩).

(٢) الملكانية: أصحاب ملكا الذي ظهر بأرض الروم واستولى عليها، ومعظم الروم ملكانية، قالوا: إن الكلمة اتحدت بجسد المسيح، وتدرعت بناسوته. ويعنون بالكلمة أقنوم العلم، ويعنون بروح القدس أقنوم الحياة، وصرَّحوا بأن الجوهر غير الأقانيم، كما صرحوا بإثبات التثليث، وأخبر عنهم القرآن بقوله: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣]. انظر: «الملل والنحل» (٢/ ٢٧).

السَّلام ونعتَه وآيةَ الرَّجمِ في التَّوراة، وبشارةَ عيسى بمحمَّدٍ عليه السَّلام في الإنجيل حيث قال: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦].

﴿وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ فلا يُخبرُ به.

وقيل: فلا يُبكِّتُكم بكتمانِه.

وقيل: ﴿وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾[1] من عداوتِكم إيّاه، فلا يُؤاخذُكم به.

﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ﴾: محمَّدٌ عليه السَّلام.

وقيل: القرآن.

﴿وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾: هو القرآن.

* * *

(١٦) - ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ﴾: يرشدُ بالقرآن.

وقيل: بمحمَّدٍ عليه السَّلام.

وحَّد[2]؛ لأنَّ حُكمَهما حكمٌ واحدٌ.

﴿مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ﴾: رضاه.

﴿سُبُلَ السَّلَامِ﴾ مَن سلكَها سَلِمَ.

وقيل: ﴿سُبُلَ السَّلَامِ﴾: دينُ الله، والسَّلامُ هو الله عزَّ وجلَّ.

وقيل: طريقُ الجنَّة.

---

(١) «فلا يخبر به، وقيل: فلا يبكتكم بكتمانه، وقيل: يعفو عن كثير» من (ن).

(٢) أي: وحَّد الضمير، فقال: به، ولم يقل: بهما، مع أن المراد النور والكتاب؛ لأنَّ حُكمَهما واحدٌ.

﴿وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: من الكُفر.

﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾: إلى الإسلام.

﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ بعلمِه، وقيل: بوعدِه.

﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

***

(١٧) ـ ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ أجمعَت[1] الفرقُ الثّلاثُ؛ اليعقوبيّةُ والنَّسطوريّةُ والملكيّةُ، وقيل: الملكانيّةُ ـ وإن اختلفَت مقالاتُهم لعنهم الله ـ على أنَّ معبودَهم جوهرٌ واحدٌ أقانيمُ ثلاثةٌ، والأقانيمُ الأبُ والابنُ والرُّوح؛ أي: الحياة، ويسمُّونها روحَ القدس؛ وأنَّ[2] الابنَ لم يزل مولودًا من الأب، ولم يزل الأبُ والدًا للابن، ولم تزل الرُّوحُ منبثقةً بين الابن والأب.

وأجمعوا[3] على أنَّ المسيحَ لاهوتٌ وناسوتٌ؛ أي: إلهٌ وإنسانٌ، فلمّا قالوا: المسيح إلهٌ، والإله واحدٌ، فقد قالوا: الله هو المسيح.

﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾؛ أي: لا أحدَ يقدرُ على مغالبةِ الله ودفعِه.

---

(١) في (و): «اجتمعَت».

(٢) في (و): «لأن».

(٣) في (و): «اجتمعوا».

﴿إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ وإذا ثبتَ أنَّه ممكنٌ إهلاكُه، فقد ثبت أنَّ المتمكِّنَ من الإهلاك هو الله لا هو.

ومعنى: ﴿يُهْلِكَ﴾: يميتُ، وقيل: يعذِّب.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أي: بين النَّوعين، قال:

طَرَقا، فَتِلْكَ هَماهِمِي، أَقْرِيهِما ... قُلُصًا لَواقِحَ كالقِسِيِّ وَحُولا[1]

﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

***

(١٨) ـ ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾.

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ ذهب بعضُ المفسِّرين إلى أنَّهم عنَوا بهذا: القُربَ؛ أي: قُربًا كقُربِ الولد والعطفَ، وذهب بعضُهم إلى أنَّهم اعتقدوا ذلك.

قال السُّدِّيُّ: قالت اليهود: أوحى الله إلى إسرائيلَ: أنَّ ولدَك بِكري من الولدِ، فأدخلُهم النّار، فيكونون فيها أربعين يومًا حتَّى تطهِّرَهم، وتأكلَ

---

(١) البيت للراعي النميري في «ديوانه» تحقيق: راينهرت فايبرت (ص: ٢١٦)، و«جمهرة أشعار العرب» (ص: ٧٣٠)، و«مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ١٦٠)، و«تفسير الطبري» (٨/ ٢٦٨)، ووجه الاستشهاد أن الشاعر جعل الهماهم ـ وهي جمع ـ نوعاً واحداً، وكذلك السماوات في الآية نوع واحد وهي جمع، والأرض نوع وهي مفرد، فصارت السماوات والأرض نوعين، فجازت التثنية على هذا الاعتبار.

خطاياهم، ثم يُنادي منادٍ: أن أخرجوا كلَّ مختونٍ من ولدِ إسرائيلَ، فأخرجُهم[1].

وذكر بعضُهم: أنَّ في الإنجيل: (أذهبْ إلى أبي وأبيكم)، فتأوَّلوا على ذلك.

وذكر بعضُهم: أنَّ عيسى عليه السَّلام كان يقول: (إذا توضَّأتَ فقل: يا أبانا الذي في السَّماء ليتقدَّسِ اسمُك).

وزاد بعضُهم: (وإذا صُمتَ فادهنْ وجهَك؛ كي لا يعلمَ به غيرُ أبيك الذي في السَّماء).

وذهب بعضُهم إلى أنَّ المراد: نحنُ أبناءُ أنبياءِ الله.

فاحتجَّ الله عليهم فقال: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾ والأبُ لا يعذِّب ولدَه؟ وكانوا مقرِّين بالتَّعذيب على ما سبق.

وقيل: يريدُ: تعذيبَ مَن سبقَ منهم بالقتلِ والأسرِ والمسخِ قردةً وخنازير.

﴿بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾؛ أي: أنتم خلقٌ مِن خَلقِه لا مزيّةَ لكم على غيرِكم.

﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ منكم ومنهم بعد الإيمان به وبرسله، ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ من الفريقين على الكفر والذُّنوب.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ فيجازي المحسنَ بإحسانِه والمسيءَ بإساءتِه، وكلُّكم في ذلك سواءٌ.

***

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٦٩)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١١/ ٢٤٠)، والواحدي في «البسيط» (٧/ ٣١٥)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٥٣٠)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٢٤) دون نسبة، واستغربه.

(١٩) - ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾.

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا ﴾: محمَّدٌ عليه السَّلام ﴿يُبَيِّنُ لَكُمۡ ﴾: شرائعَكم؛ فإنَّ ما أنتم عليه ضلالٌ لا يرضاه دينًا.

﴿عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ ﴾: على انقطاعٍ.

وفترَ الشَّيء: انقطعَ حدَّتُه من (الماء الفاتر) و(العين الفاترة)[1].

وقيل: فترَ: سكنَ.

وقيل: ﴿عَلَىٰ فَتۡرَةٖ ﴾: على دُرُوسٍ[2] ممّا جاؤوا به.

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: مدّةُ الفترةِ خمسُ مئة سنةٍ وتسعٌ وستُّون[3].

وعن سلمانَ رضي الله عنه: ستُّ مئة سنةٍ[4].

وعن قتادةَ: خمسُ مئةٍ وستُّون سنةً[5].

الضَّحّاكُ: أربعُ مئةٍ وبضعٌ وثلاثون سنةً[6].

﴿أَن تَقُولُواْ ﴾: كراهةَ أن تقولوا، ولأنْ لا[7] تقولوا: ﴿مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖ﴾، يُعْلِمُ موضعَ المخافة.

---

(١) أي: اندثار، يقال: درس الأثر يدرس دُروساً، ودرسَتْه الرِّيح تدرسه دَرْساً؛ أي: مَحته. انظر: «لسان العرب» مادة (د ر س) (٦/ ٧٩).

(٢) أي: ليست حديدة النظر. انظر: «جمهرة اللغة» مادة (ف ت ر) (١/ ٣٩٣).

(٣) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٤٤) من طريق محمد بن السائب عن أبيه عن أبي صالح.

(٤) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١١/ ٢٤٢).

(٥) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٦٩١)، والطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٧٤).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٧٥).

(٧) «لا» من (ن).

﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ﴾ للمؤمنين ﴿وَنَذِيرٌ﴾ للكافرين؛ يعني: محمَّدًا عليه السَّلام، ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

* * *

(٢٠) - ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ﴾ يُرشدونكم، وفيه شرفُ الدُّنيا وسعادة العُقبى.

﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ قيل: منكم وفيكم؛ كداودَ وسليمانَ وغيرِهما.

المؤرِّج: أحرارًا بلغة هُذيلٍ[1].

الحسنُ: ملكوا أنفسَهم من استعباد القِبط[2].

قتادةُ[3]: كانوا أوَّلَ مَن مَلكَ الخدم[4].

وعن أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه عن النَّبيِّ عليه السَّلام قال: «كانَتْ بنو إسرائيلَ إذا كانَ لأحدِهم خادمٌ وامرأةٌ ودابّةٌ يُكتَبُ ملكًا»[5].

---

(١) روى الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٨١) عن السدي نحوه فقال: «﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ يملك الرجل منكم نفسه وأهله وماله»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٢٥) بلا نسبة، وعدَّه من العجائب.

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٢٤)، وروى عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ١٣) عن الحسن أنه قال: «ملَّكهم الخدم»، وروى الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٧٩) عنه نحو ما رُوي عن مجاهد وابن عباس.

(٣) «قتادة» من (ن).

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٦٩٣)، والطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٧٨).

(٥) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١١/ ٢٤٦)، والواحدي في «الوسيط» (٣/ ٨٤٥)، وعزاه ابن كثير في =

ابنُ عبّاسٍ ومجاهدٌ: مَن كان له بيتٌ وخادمٌ وامرأةٌ فهو ملكٌ[١].

وقيل: ﴿جعلكم ملوكًا﴾ أي: أغنياءَ لا تحتاجون إلى غيرِكم.

الضَّحّاكُ: مَن كان مسكنُه واسعًا وفيه ماءٌ جارٍ، فهو ملكٌ[٢].

وقيل: مَن لم يدخل أحدٌ دارَه إلّا بإذنه، فهو ملكٌ[٣].

﴿وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ يريد: عالَمِي زمانِهم؛ من المنِّ والسَّلوى وتظليلِ الغمام، وما ذُكِرَ آنفًا.

سعيدُ بنُ جُبيرٍ: ﴿وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ خطابٌ لأمّةِ محمَّدٍ عليه السَّلام[٤]؛ فيكونُ تمامُ الكلام: ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾[٥].

* * *

(٢١) ـ ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾.

﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ﴾ مجاهدٌ: المباركة[٦].

= «تفسيره» (٣/ ٦٦) إلى ابن أبي حاتم وقال: «وهذا حديث غريب من هذا الوجه»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٢٥)، واستغربه.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٨٠).

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (٧/ ٣٢١)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٥٣١).

(٣) هذا اختيار الزجاج في «معاني القرآن» (٢/ ١٦٢)، وذكره الواحدي في «البسيط» (٧/ ٣٢١) عن مجاهد.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٨١) من طريق واحد عن أبي مالك وسعيد بن جبير، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٢٥)، واستغربه.

(٥) على قول سعيد بن جبير، أما على غيره فنهاية الآية تمام الكلام. انظر: «المكتفى» للداني (ص: ٥٨).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٨٦).

غيرُه: المطهَّرةُ منَ التَّدنُّس[1]، وقد سبق.

وقيل: تطهِّرُ الإنسانَ من الذُّنوب[2].

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: هي دمشقُ وفلسطينُ وبعضُ من الأردنِّ[3].

مجاهدٌ: هي الطُّورُ وما حوله[4].

قتادةُ: أرضُ الشّام[5].

ابنُ زيدٍ: أريحا، وهي أرضُ بيتِ المقدس[6].

﴿الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ السُّدِّيُّ: أمركَم بدخولِها[7].

ابنُ إسحاقَ: وهبَها لكم[8].

وقيل: فرضَ عليكم دخولَها[9].

---

(١) في (و): «التقديس».

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٦٣)، و«معانيه» له (٢/ ٢٨٨)، و«بحر العلوم» للسمرقندي (١/ ٣٨١).

(٣) ذكره الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٨٥) دون نسبة، وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٥٣١) عن ابن عباس رضي الله عنهما من طريق أبي صالح.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٨٤).

(٥) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٦٩٥)، والطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٨٥).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٨٥).

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٨٧)، واختاره يحيى بن سلام في «التصاريف» (ص: ١٧٣)، ومكي في «الهداية» (١/ ٥٦٥).

(٨) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٨٧).

(٩) ذكره الواحدي في «البسيط» (٧/ ٣٢٣) عن ابن عباس وعطاء.

وقيل: كتبَ الله لكم في اللَّوحِ المحفوظِ أنَّها لكم مسكنٌ[١].

ولا منافاةَ بينَ ﴿كَتَبَ﴾ و﴿مُحَرَّمَةٌ﴾؛ لأنَّ التَّقديرَ: كتبَ الله لكم إنْ آمنتم وأطعتم[٢].

وقيل: اللَّفظُ عامٌّ، والمرادُ: لبعضِكم، وقد دخلَها بعضُهم[٣] على ما نَذكُر.

وقيل: وهبَها لهم، فلمَّا عصَوا حرمَهم[٤].

﴿وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ﴾: لا ترجعُوا عن دخولها خوفًا ممَّن فيها.

قيل: لا ترجعُوا عن ولايتي، ولا تتركوا طاعتي.

﴿فَتَنقَلِبُوا خَٰسِرِينَ﴾ بمعصيةِ الله، وفَوْتِ رضاه، وتفويتِ الأرضِ التي هي مسكنُ الصّالحين.

***

(٢٢) ـ ﴿قَالُوا يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ﴾.

﴿قَالُوا يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ المفضَّلُ: ممتنعين من أن يُقهَروا أو يُذَلُّوا[٥]، وكلُّ ممتنعٍ جبّارٌ، والجبّارُ منَ النَّخل: ما علا جدًّا[٦].

---

(١) ذكره الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٨٦)، والبغوي في «تفسيره» (٢/ ٣٤).

(٢) انظر: «غرائب التفسير» (١/ ٣٢٦).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٨/ ٢٨٦).

(٤) انظر: «النكت والعيون» للماوردي (٢/ ٢٥)، و«غرائب التفسير» (١/ ٣٢٦)، وقد ذكر المصنف الوجوه التي ذكرها هنا، وأضاف: أن التحريم مقيَّد بأربعين سنة، كما ذكر أن جَعْل (كتب) بمعنى: أمر؛ من الوجوه التي تزيل المنافاة.

(٥) ذكره المصنِّف بلا نسبة في «غرائب التفسير» (١/ ٣٢٧).

(٦) فامتنع بطوله عن يد المتناول. انظر: «العين» مادة (ج ب ر) (٦/ ١١٧)، و«المنجد» (ص: ١٦٢).

ابنُ عيسى: الجبّارُ: مَن[١] يُجبِرُ على ما يريدُ ويَعظُمُ عن أن يُنال، والإجبارُ: الإكراهُ.

وقيل: جبّارٌ من (جبرت العظم)؛ أي: يُصلِحَ أمرَ نفسه.

وقيل: ﴿جَبَّارِينَ﴾: طوالًا، وُصِفُوا بذلك لكثرتِهم وقوَّتِهم وعِظَمِ خلقتِهم وطولِ جثَّتِهم[٢].

ابنُ عبّاس رضي الله عنهما: إنَّ جبريلَ أخبر موسى عليه السَّلام خبرَ القومِ، فخافوهم وجبُنوا، فبعث موسى الاثني عشر نقيبًا، من كلِّ سبطٍ نقيبٌ، فمكثوا أربعين يومًا يتفحَّصون أحوالَهم، ويتجسَّسون أخبارَهم، حتَّى علموا منها ما شاء الله، ثم رجعوا ومعهم عنقودُ عنبٍ يحملُه اثنا عشرَ رجلًا، فقال عشرةٌ منهم: هذا عنبُ القوم، والرَّجلُ الواحدُ منهم يُدخِلُ مئةَ رجلٍ منّا في كمِّه، فلا يدان لنا بهم[٣].

عكرمةُ: أُمِرَ موسى أن يدخلَ مدينة الجبّارين، فسار بمَن تبعَه حتَّى قربوا[٤] من المدينة، وهي أريحا، وبعثَ إليهم اثني عشر رجلًا، فدخلوا المدينة، ورأوا أمرًا عظيمًا من هيبتِهم وعِظَمِهم، فدخلوا حائطًا لبعضهم، فجاء صاحبُ الحائطِ؛ ليجتنيَ الثِّمار من حائطه، فنظر إلى آثارِهم فتبعَهم، وكلّما أصابَ واحدًا منهم أخذَه فجعلَه في كمِّه مع الفاكهة حتَّى التقطَ الاثني عشرَ، فذهبَ إلى ملكِهم فنثرَهم بين يديه، فقال الملك: قد رأيتم بستاننا وأمرنا، فاذهبوا فأخبروا صاحبَكم، فرجعوا إلى موسى، وأخبروه بما عاينوا من أمرهم[٥].

---

(١) في (و): «ما».

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» مادة (ج ب ر) (١١/ ٤١)، و«المنجد» (ص: ١٦٢).

(٣) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٩٨).

(٤) في (ن): «حتى نزل قريبًا».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٩٠) عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما.

السُّدِّيُّ: إنَّ النّقباءَ ساروا فلقيَهم رجلٌ من الجبّارين يُقالُ له: عاجٌ، فأخذَهم جميعًا، فجعلَهم في حُجْزَتِه، وعلى رأسِه حَمْلةٌ[1] من الحطب، فانطلقَ بهم إلى امرأتِه، فطرحَهم بين يديها فقال: انظري إلى هؤلاء القومِ الذين يزعمون أنَّهم يريدون أن يقاتلونا، ثم قال: ألا أطحنُهم[2] برجلي؟ فقالت امرأته: لا، بل خلِّ عنهم حتَّى يخبروا قومَهم[3] بما رأوا، ففعل ذلك بهم[4].

وذُكِرَ أنَّ أمَّه عَنَقُ ـ وقيل: عَناقُ ـ إحدى بناتِ آدمَ عليه السَّلام، وكان كلُّ أصبعٍ من أصابعها ثلاثَ أذرعٍ، وكان موضعُ مجلسِها من الأرض[5] جريبًا[6].

فحينئذٍ قالوا: إنَّ فيها قومًا جبّارين، ﴿وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ﴾.

***

(٢٣) ـ ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

﴿قَالَ رَجُلَانِ﴾ ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما: يوشعُ بن نونٍ وكالوبُ بن يوقنّا[7].

---

(١) في (ن): «حمل».

(٢) في (و): «أرجلهم».

(٣) في (و): «حتى تحيروا عنهم».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٣٧ و٢٩٠).

(٥) «من الأرض» من (ن).

(٦) الجريب من الأرض: مقدار كان معلوم الذرع والمساحة، يُقدَّر بعشرة أقفزة. انظر: «تهذيب اللغة» (ج ر ب) (١١/ ٣٧). وقد ذكر هذا الخبر الثعلبي في «تفسيره» (١١/ ٢٣٢)، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٢٦)، وعدَّه من العجائب، وتقدم الكلام على مثل هذه الروايات الإسرائيلية.

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٩٦)، وفيه: «يوفنة» بدل «يوقنا».

﴿مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ أي: الجبابرة.

وقيل: يخافونَ الله.

وقيل: هما رجلان من الجبابرة أسلما وصارا إلى موسى وقالا هذا القول[١]، ويقوِّيه قراءة: (يُخافون) بالضَّمِّ[٢].

والـمَخُوفونَ: الجبابرةُ لا غير.

﴿أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا﴾ الجمهورُ: بالإسلام.

وقيل: ﴿أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا﴾ فلم يخافا منهم.

﴿ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ﴾: بابَ القرية؛ أي: امنعوهم من الإصحار[٣]، وضاغطوهم في المضيق.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٢٧)، واستغربه.

(٢) قراءة شاذة نُسبت لسعيد بن جبير ومجاهد. انظر: «المحتسب» (١/ ٢٠٨)، و«المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٣٨)، و«غرائب التفسير» (١/ ٣٢٧).

وقد ذكر ابن جني في بيان هذه القراءة غير ما ذهب إليه المصنف فقال: «تحتمل أمرين:

أحدهما: أن يكون من المؤمنين الذين يُرهبون ويُتَّقون لما لهم في نفوس الناس من العفة والورع والستر؛ وذلك أنه من كان في النفوس كذلك رُهب واحتُشم وأُطيع وأُعظم؛ لأنَّ من أطاع الله سبحانه أُكرم وأُطيع، ومن عصاه امتُهن وأُضيع.

الآخر: أن يكون معناه: من الذين إذا وُعظوا رهبوا وخافوا، فإذا أتاهم الرسول بالحق أطاعوا وخضعوا؛ أي: ليسوا ممن يركب جهله ولا يصغي إلى ما يُحدُّ له، فيكون كقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰ﴾ [الحجرات: ٣]، وكقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ [يس: ١١]، ونحو ذلك من الآي الدالة على رهبة المؤمنين وطاعتهم؛ فهذا إذن من (أُخِيفَ)، والأولُ من (خِيف)».

(٣) أي: البروز إلى الصحراء. انظر: «التقفية» للبندنيجي (ص: ٣٧٩).

﴿فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ﴾؛ أي: إذا أخذتم عليهم البابَ، فقد غَلبْتُم.

ورُويَ عن[1] بعض المفسِّرين أنَّ معنى: ﴿ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ﴾: ادخلوا من الوجهِ الذي تؤتون منه، كما تقول: ائتِ هذا الأمرَ من بابه؛ أي: وجهِه وصوابِه.

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ﴾؛ أي: ثقوا بوعد الله؛ فإنَّه أخبرَكم[2] بالنُّصرة.

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾؛ فإنَّ[3] الإيمان بالله يوجب ذلك.

* * *

(٢٤) ـ ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾.

﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا﴾: دهرًا طويلًا، ثمّ عيَّنوا فقالوا: ﴿مَّا دَامُواْ فِيهَا﴾: مدّةَ كونِهم فيها، ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ هذا كفرٌ منهم، وسوءُ أدبٍ.

وقيل: تقديرُه: اذهبْ أنت وربُّك يعينُك، وفيه ضعفٌ[4].

وسمعتُ شيخَ الإسلامِ القاضي أبا المعالي رحمه الله يقول: المرادُ بقولهم: ﴿وَرَبُّكَ﴾ هارون؛ لأنَّه كان أكبرَ منه سنًّا[5].

---

(١) «روي» من (ن).

(٢) في (و): «فإنه وعد».

(٣) في (و): «بأن».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٢٧)، واستغربه، وسبب ضعفه أنَّ الله ذكر بعده قولهم: فقاتلا. انظر: «تفسير ابن عطية» (٢/ ١٧٥)، و«البحر المحيط» (٤/ ٢٢١)، و«تفسير أبي السعود» (٣/ ٢٥).

(٥) ذكر هذا القول السمرقندي في «بحر العلوم» (١/ ٣٨٢)، والسمعاني في «تفسيره» (٢/ ٢٧)، وعدَّه =

(٢٥) ـ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِي﴾؛ أي: لن يطيعني إلّا نفسي وأخي هارون.

قيل: هو عطفٌ على اسم (إنَّ)؛ أي: وإنَّ أخي لا يملكُ إلّا نفسَه.

وقيل: عطفٌ على النَّفس؛ أي: اصرفهما في طاعتك.

﴿فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ قيل: معناه: اقضِ بيننَا وافصلْ.

وقيل: باعِدْ.

وقيل: دعا الله أن يفرِّقَ بينهم في الآخرة.

وقيل: دعا عليهم بالهلاك.

وسمّاهم فاسقين؛ لخروجِهم عن طاعةِ الله وطاعةِ رسوله.

* * *

(٢٦) ـ ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾.

﴿قَالَ فَإِنَّهَا﴾؛ أي: الأرض المقدَّسة ودخولها.

﴿مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡ﴾؛ أي: ممنوعون من دخولها بسبب عصيانهم، قال:

جالَتْ[١] لتَصرَعَني فقُلتُ لها: اقصِري   إنــي امْــرُؤٌ صَــرْعــي عَلَيكِ حَرامِ[٢]

= المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٢٧) من العجائب، وقال ابن عطية في «تفسيره» (٢/ ١٧٥): «وهذا تأويل بعيد، وهارون إنما كان وزيرًا لموسى وتابعًا له في معنى الرسالة، ولكنه تأويل يخلص بني إسرائيل من الكفر».

(١) في (و): (جاءت).

(٢) البيت لامرئ القيس في «ديوانه» تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (ص: ١١٦)، و«النكت والعيون» =

أي: ممتنعٌ.

وقيل: ﴿مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ تحريمَ التَّعبُّد، وكانوا يقدرون على دخولها.

﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ الزَّجّاجُ: محرَّمةٌ عليهم أبدًا، و﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ نصبٌ بـ﴿يَتِيهُونَ﴾[1].

الفرّاءُ: يحتمل الوجهين[2].

ومعنى ﴿يَتِيهُونَ﴾: يتردَّدون مُتحيِّرين، والتِّيهُ – المفازةُ ـ من هذا، والتِّيهُ: الكِبْرُ أيضًا.

الخليلُ: التَّيهاءُ والتَّوْهاءُ: الفلاةُ[3].

الحسنُ وقتادةُ: ما دخلَها أحدٌ منهم حتَّى ماتَ البالغون، ونشأ أولادُهم[4].

(٤/ ٢٣٩)، و«أمالي ابن الشجري» (١/ ٣٨)، وهو من قصيدة قوافيها مجرورة، ويُستشهد به على جرِّ (حرامِ) تشبيهاً بـ(حذامِ)، أو على ألحاق ياء النسب، قال ابن هشام في «المغني» (ص: ٨٩٢): «ولو أقوى لكان أولى»، والمصنِّف إنما استشهد به على أن معنى حرام: ممتنع.

(١) ذكـر الزجـاج عن بعـض النحوييـن جواز نصـب (أربعيـن) بـ(محرمـة) وبـ(يتيهون) ثم قـال: «أما نصبـه بـ(محرمـة) فخطـأ؛ لأن التفسـير جـاء بأنهـا محرمـة أبـدًا». انظر: «معانـي القـرآن» للزجاج (٢/ ١٦٥).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٠٥)، ورجَّح الطبري أنها منصوبة بـ(محرمة)؛ لأن قوم موسى دخلوا الأرض المقدسة بعد الأربعين سنة. انظر: «تفسير الطبري» (٨/ ٣١٤).

(٣) ذُكر في «العين» (٤/ ٨٠) المنسوب للخليل: أنَّ (التَّيْهُ) و(التَّوْهُ) لغتان، يقال: تاه يَتِيهُ تَيْهاً، وتاه يتوه توهاً، والتِّيهُ أعمُّ من التَّوه.

(٤) في (و): «أمرهم». روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٣١٠) عن قتادة، وذكره الزجاج في «معاني القرآن» (٢/ ١٦٥) دون نسبة، وذكر الواحدي في «البسيط» (٧/ ٣٣٢) عن الحسن: أنَّ موسى لم يمت في التيه.

الدِّمياطيُّ: نجا منهم الرَّجلان اللذان أنعمَ الله عليهما، فدخلا بعد انقضاءِ الأربعين بأولادِ الفاسقين[١].

وعن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما بخلافٍ: أنَّ موسى وهارون[٢] ماتا في التِّيهِ[٣].

محمَّد بن جرير[٤]: حُرِّمَ عليهم أربعين سنةً، ثمّ دخلَها موسى وهارون مع القوم، وقتلَ موسى عوجًا[٥].

وقيل: لم يكن موسى وهارون في التِّيه، والصَّحيحُ الأوَّل.

وذكر المفسِّرون: أنَّ الأرضَ التي تاهوا فيها ستّةُ فراسخ، وكانوا ستَّ مئة ألفٍ يمسون حيث أصبحوا، ويصبحون حيث أمسوا، وطعامُهم المنُّ والسَّلوى، وماؤُهم من الحجر الذي يحملونه.

وذلك التَّحيُّر من باب قلب العادات للمعجزات.

وقيل: كانوا إذا قاربوا الخروجَ من التِّيه حوَّلَ الله تلك الأرضَ، فجعلَها بالبُعدِ ممّا كانوا قربوا منه.

وقيل: يجوزُ أن يكونوا أُمروا بالتَّردُّد في تلك الفلاةِ عقوبةً لهم على[٦] فسقِهم، لا أنَّهم لم يهتدوا للخروج منها.

﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾: لا تحزنْ عليهم.

---

(١) روى الطبري في «تفسيره» (٨/ ٣١٠) نحوه عن قتادة.

(٢) في (و): «وعيسى».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٣٠٩)، وروى (٨/ ٣١٥) عن ابن عباس أنَّ موسى قتل عوجاً.

(٤) في (و): «جويبر».

(٥) انظر: «تفسير الطبري» (٨/ ٣١٤).

(٦) «على» من (و).

الجمهور: خطابٌ لموسى عليه السَّلام.

الزَّجّاجُ: خطابٌ لمحمَّدٍ عليه السَّلام[١].

* * *

(٢٧) ـ ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ﴾: أخبرهم.

ويحتمل: اتلُ عليهم القرآن؛ ففيه خبرهما.

﴿نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ﴾ يعني: خبرَهما، والنَّبأُ: الخبرُ له خطرٌ.

وجلُّ المفسِّرين على أنَّ ابني آدم كانا لصُلبِه، وهما قابيلُ وهابيلُ، وفي قابيلَ لغاتٌ[٢]: قابيلُ وقابِلُ وقابينُ وقابِنُ وقَبَن، وهابيلُ وهابِلُ وهابِنُ[٣].

قال الحسنُ[٤]: كانا رجلين في بني إسرائيلَ[٥]. واستدلَّ بالقُربانِ فقال: لم يكن ذلك إلّا لبني إسرائيلَ، وبقوله: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [المائدة: ٣٢].

---

(١) في «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ١٦٦): «جائز أن يكون هذا خطابا لموسى، وجائز أن يكون خطابا لمحمد ﷺ».

(٢) في (و): «ثلاث لغات».

(٣) في (و) زيادة: «وهبل»، وقد قال الثعلبي في «تفسيره» (١١/ ٢٧٠): «هابيل في اسمه ثلاث لغات: هابيل وهابل وهابن، وقابيل في اسمه خمس لغات: قابيل وقابين وقابل وقبن وقابن».

(٤) في (و) زيادة: «البصريُّ».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٣٢٤)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٢٨)، واستغربه، واستغربه أيضاً ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٨٢) فقال: «هذا غريب جدًّا، وفي إسناده نظر».

واستدلَّ الآخرون[١] بقوله: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا﴾ [المائدة: ٣١]؛ لأنَّه لم يمتدَّ[٢] جهلُ النّاسِ[٣] بما يفعلون بموتاهم إلى زمانِ بني إسرائيل.

﴿بِٱلْحَقِّ﴾[٤]؛ أي: إخبارًا على وجهِه المفصَّلِ في الحقِّ، والحقُّ: القرآنُ.

﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾ وذلك أنَّ حواءَ كانَت تلدُ في كلِّ بطنٍ اثنين؛ غلاماً وجارية، فولدَت في أوَّل بطنٍ قابيلَ وأختَه أقليما، وقيل: كان ذلك في الجنّةِ قبلَ أن أُهبطا، وقيل: في الأرضِ بعدَ أن أُهبطا، ثم مكثَت سنينَ فولدَت هابيلَ وأختَه لِيُوذا، فلمّا أدركوا، أمرَ اللهُ آدمَ عليه السَّلام[٥] أن ينكحَ قابيلُ أختَ هابيل، وهابيلُ أختَ قابيل، فرضيَ هابيلُ بذلك، ولم يرضَ قابيلُ؛ لأنَّ أختَه كانت أحسنَهما، وقيل: لأنَّها وُلدَت معه في الجنّة، فقال آدمُ عليه السَّلام: قرِّبا قربانًا، فأيُّكما تُقبِّلَ قربانُه، زوَّجتُها منه[٦].

وعن محمَّدِ بنِ عليٍّ بنِ الحسينِ بنِ عليٍّ رضي الله عنهم: أنَّ آدمَ عليه السَّلام قال لهابيلَ وقابيلَ: إنَّ ربِّي[٧] عَهِدَ إليَّ أنَّه يكونُ من ذرِّيتي مَن يقرِّبُ القربان، فقرِّبا[٨] قربانًا حتَّى تقرَّ عيني إذا تُقبِّل قربانُكما[٩].

---

(١) نقل الطبري في «تفسيره» (٨/ ٣٢٥) إجماع أهل الأخبار والسير والعلم بالتأويل على أنهما ولدا آدم لصلبه وفي زمانه.

(٢) «لم يمتد» من (ن).

(٣) «الناس» من (ن).

(٤) في (ن): «نبأ ابني آدم بالحق».

(٥) «آدم عليه السَّلام» من (ن).

(٦) انظر: «تفسير مقاتل بن سليمان» (١/ ٤٦٩)، و«تفسير الطبري» (٨/ ٣٢١، ٣٢٢)، و«تفسير الثعلبي» (١١/ ٢٧٢).

(٧) «إن ربي» من (ن).

(٨) في (ن): «فتقربا».

(٩) عزاه ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٧٥) إلى ابن أبي حاتم.

وذكرَ الثَّعلبيُّ: أنَّ معاويةَ بنَ عمّارٍ[(١)] قال: سألتُ الصّادقَ رضي الله عنه: أكان آدمُ[(٢)] يزوِّجُ بناتِه من بنيه، قال: معاذَ الله، لو فعل ذلك آدمُ ما رغبَ عنه رسولُ الله عليه السَّلام، ولا كان دينُ آدمَ إلّا دينَ محمَّدٍ عليهما السَّلام، ولكن لـمّا أدركَ قابيلُ أظهرَ الله له جنّيّةً من ولدِ الجانِّ يُقالُ لها: جمانةُ في صورة إنسيّةٍ، فأوحى الله عزَّ وجلَّ إلى آدمَ أن زوِّجها من قابيلَ، فلمّا أدركَ هابيلُ أهبطَ الله حوراءَ في صورة إنسيّةٍ لها رَحِمٌ، فأوحى الله إلى آدمَ أن زوِّجها من هابيلَ[(٣)]، ففعلَ ذلك، فقال قابيلُ: فضَّلتَه وآثرتَه عليَّ بهواك. فقال آدم: إنْ كنْتَ تريد أن تعلمَ ذلك فقرِّبا قربانًا، فأيُّكما تُقُبِّلَ قربانُه فهو أولى بالفضلِ من صاحبِه[(٤)].

قلتُ[(٥)]: هذه روايةٌ فيها ضعفٌ؛ لأنَّ الإجماعَ على أنَّ آدمَ عليه السَّلام كان يزوِّجُ بناتِه من بنيه إلّا التَّوأمَ، ولو لم يفعل ذلك لانقطعَ النَّسلُ أو بقيت بناتُه أيامى[(٦)].

---

(١) في (و): «عمران»، والصواب ما في (ن) و«تفسير الثعلبي» (١١/ ٢٧٢)، وهو معاوية بن عمار بن معاوية الدهني البجلي الكوفي، سمع أباه وجعفر بن محمد، روى له البخاري في كتاب «أفعال العباد» ومسلم، وأبو داود والنسائي، قال ابن معين: ليس به بأس. وقال أبو حاتم: يكتب حديثه، ولا يحتج به. وذكره ابن حبان في الثقات. انظر: «التاريخ الكبير» للبخاري (٧/ ٣٣٥)، و«تهذيب الكمال» (٢٨/ ٢٠٢ ـ ٢٠٤)، و«ميزان الاعتدال» (٤/ ١٣٧)، و«تهذيب التهذيب» (١٠/ ٢١٤).

(٢) في (ن): «سألت الصادق عن آدم عليه السَّلام أكان».

(٣) «قابيل، فلما أدرك هابيل أهبط الله حوراء في صورة إنسية لها رحم، فأوحى الله إلى آدم أن زوِّجها من» من (ن).

(٤) انظر: «تفسير الثعلبي» (١١/ ٢٧٣).

(٥) في (و): «وقال الشيخ تاج القراء رحمه الله» بدل: «قلت».

(٦) قال القرطبي في «تفسيره» (٦/ ١٣٥): «هذه القصة عن جعفر ما أظنها تصح، وإن القول ما ذكرناه من أنه كان يزوج غلام هذا البطن لجارية تلك البطن، والدليل على هذا من الكتاب قوله تعالى: =

وقال ابنُ جُريجٍ: لم يزل بنو آدمَ في نكاحِ الأخواتِ حتَّى مضى أربعةُ آباءٍ، ثم نَكَحَ ابنةَ العمِّ، وذهبَ نكاحُ الأخوات[1].

﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾ عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما قال: كان قابيلُ صاحبَ زرعٍ، وهابيلُ صاحبَ ضرعٍ، فقصد قابيلُ إلى أردأِ قمحٍ عنده، وقيل: قرَّبَ سنبلًا من سيِّئِ زرعِه، وقصد هابيلُ إلى حَملٍ سمينٍ، وقيل: بقرةٍ[2].

﴿فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ﴾ وذلك أنَّهما وَضَعا قربانَهما على الجبل، فدعا آدمُ، فنزلَت نارٌ من السَّماء بيضاء، فرفعَت قربانَ هابيلَ.

وقيل: هو الذِّبحُ الذي فدى الله سبحانه به ابنَ إبراهيمَ عليهما السَّلام، وكان يرتعُ في الجنّةِ أربعين خريفًا، وقيل: ثمانين خريفًا[3].

قال مجاهدٌ: كانَت النّارُ تأكلُ المردودَ لا المقبول[4].

وإنَّما تُقبِّلَ من هابيلَ ولم يُتقبَّل من قابيلَ لأنَّه لم يخلصِ النِّيَّةَ في قربانه.

وقيل: لأنَّه تقرَّبَ بأخسِّ ما عنده.

= ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗ﴾ [النساء: ١]، وهذا كالنصِّ، ثم نسخ ذلك».

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٣٣٩).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٣٢٢).

(٣) روى الطبري نحوه في «تفسيره» (٨/ ٣٢٢) عن إسماعيل بن رافع من غير تحديد مدة، وروى الطبري (١٩/ ٦٠٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن ذبح إسماعيل رعى في الجنة أربعين خريفاً، وروى ذلك ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٢٤) عن علي رضي الله عنه.

(٤) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٤/ ٢٢٨)، وروى الطبري في «تفسيره» (٨/ ٣٢٠) عن مجاهد ما يوافق ما عليه الجمهور.

وقيل: لأنَّه كان مُصِرًّا على كبيرةٍ لا يتقبَّلُ اللهُ معها طاعةً.

﴿قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾: المخلِصين الذين يتَّقون الشِّركَ والمعاصي.

وتقديرُه: قال: لِمَ تقتلُني؟ قال: لأنَّ اللهَ قَبِلَ قربانَكَ ولم يَقبَل قرباني، فأجابَ فقال[1]: إنَّما يتقبَّلُ الله من المتَّقين.

***

(٢٨) ـ ﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾؛ أي: لئن بدأتني بقتلٍ لم أبدأْكَ به، وليس فيه تعرُّضٌ للدَّفع[2].

وقيل: لئن أردْتَ قتلي، لم أدفعْكَ عن نفسي.

الحسنُ ومجاهدٌ: لأنَّ الانتصارَ كان يومئذٍ ممنوعًا[3].

***

(٢٩) ـ ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾؛ أي:

---

(١) «فقال»: ليست في (ن).

(٢) في (و): «للمنع».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٣٢٩) عن مجاهد، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٢٩) عن الحسن ومجاهد.

ترجعَ إلى الله ﴿بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ﴾[1]: بعقابِ قتلي، وإثمِكَ الذي خرجتَ به من المتَّقين.

وقيل: أختارُ لكَ ما[2] اخترتَه لنفسِك.

والإثمُ في الحقيقةِ: استحقاقُ العقاب، وأَثِمَ الرَّجلُ: فعلَ ما يستحقُّ به[3] العقابَ، وأَثَمه اللهُ: عاقبَه، وآثَمَه؛ بالمدِّ أيضًا، والأَثَامُ: العقابُ[4].

* * *

(٣٠) ـ ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾.

﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ﴾؛ أي: سهَّلَتْ.

وقيل: شجَّعَتْ.

وقيل: تابعَتْه نفسُه.

وهو (فعَّلَتْ) من قول العرب: طاعت للظَّبيةِ أصولُ الشَّجرةِ؛ أي: سهُلَ عليها تناولُها.

﴿فَقَتَلَهُۥ﴾: ابنُ عبّاسٍ وابنُ مسعودٍ رضي الله عنهم: فشدخَ رأسَه غِيلةً[5].

مجاهدٌ: علَّمَه إبليسُ[6] كيفَ يقتلُه[7].

﴿فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾: خسرَ رضا والديه وأخاه ودينَه ودُنياه.

---

(١) «وإثمك» من (و).

(٢) في (و): «مما».

(٣) «به» من (ن).

(٤) انظر: «الصحاح» مادة (أ ث م) (٥/ ١٨٥٧).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٣٣٧) عنهما من طريق واحد، وفي هامش (ن): «أي: فجأة».

(٦) في (ن) زيادة: «عليه اللعنة».

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٣٣٨).

(٣١) - ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِي سَوْءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوْءَةَ أَخِيۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾.

﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا﴾ ثم إنَّ ابنَ آدمَ سُقِطَ في يدِه، ولم يدرِ كيف يُواري أخاه؛ لأنَّه أوَّلُ قتيلٍ من بني آدمَ وأوَّلُ ميِّتٍ.

مجاهدٌ: كان يحملُه على عاتقِه مئة سنةٍ لا يدري ما يصنعُ به(١).

الضَّحّاكُ: كان يحملُ أخاه في جرابٍ على رقبتِه سنةً(٢).

فبعثَ الله الغرابَ ﴿يَبْحَثُ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِي سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾ ابنُ بحرٍ: كان الغرابُ يُواري شيئًا من مطعومِه، قال: ومِن طبعِه دفنُ الطَّعامِ والادِّخارُ(٣).

الحسنُ: يُواري نفسَ المقتولِ؛ يعني: هابيلَ(٤)، وإليه ذهبَ الزَّجّاجُ(٥).

وقيل: يُواري غرابًا ميتًا(٦).

وقيل: بعثَ الله غرابين، فقتلَ أحدُهما الآخرَ، فحفرَ له، ثم حثا عليه(٧).

وقيل: كان مَلَكًا.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٣٤٣).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٣٤٠) عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٢٩) دون نسبة، وعدَّه من العجيب.

(٤) لم أقف عليه عن الحسن، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٢٩) دون نسبة، واستغربه.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ١٦٧).

(٦) هذا قول مجاهد فيما ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٢٩).

(٧) وهذا مروي عن ابن عباس وابن مسعود ومقاتل ومجاهد وغيرهم. انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٤٧٠)، و«تفسير الطبري» (١٩/ ٢٠٣)، و«معاني القرآن» للنحاس (٢/ ٢٩٨).

والقولان الأوّلان هما الأوليان(١).

قوله: ﴿لِيُرِيَهُۥ﴾ الفعلُ للغراب، ويحتملُ أنَّ الضَّميرَ يعودُ إلى الله.

ومعنى ﴿يُوَٰرِى سَوۡءَةَ أَخِيهِ﴾: نفسَه.

وقيل: فرجَه.

وقيل: مقابحَه ومعايبَه، وقد كانَ أروَحَ، وظهرَت منه أشياءُ تظهرُ من الموتى إذا أَتَتْ عليها الأيّام.

فلما رأى قابيلُ ذلك ﴿قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ﴾: هذه كلمةٌ تُستعمَلُ عند الهلاك، أراد: يا ويلتي تعالَي؛ فهذا أوانُك.

قال: ﴿أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِي﴾؛ أي: لِمَ لا أهتدي إلى دفنِ أخي كما اهتدى إليه الغرابُ.

﴿فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾ على حَملِه.

وقيل: حينَ لم يظفر بمرادِه من أُختِه، وتبرَّأ منه أبواه.

وقيل: مكثَ آدمُ عليه السَّلام مئةَ سنةٍ لا يضحكُ حتَّى أتاه الملكُ فقال: حيّاكَ الله وبيّاكَ(٢)؛ أي: أضحكَكَ، قاله الأصمعيُّ(٣).

***

(١) ظاهر صنيع المصنف هنا أنَّ القولين الأولين هما قول ابن بحر والحسن، ولكنه عدَّ في «غرائب التفسير» (١/ ٣٢٩) قولَ ابن بحر من العجيب، وقولَ الحسن من الغريب، فيحتمل أنَّه أراد القولين الأولين من الأقوال التي ذكرها آخراً دون نسبة، وهما قول مجاهد وقول ابن عباس وابن مسعود، فهما أشهر الأقوال، وقد قدِّم المصنف قول مجاهد في «غرائب التفسير»، والله أعلم.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٣٢٥) عن سالم بن أبي الجعد.

(٣) انظر: «الزاهر» (١/ ٦٤)، و«تهذيب اللغة» مادة (ب ي ا) (١٥/ ٤٢٥).

(٣٢) - ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾.

﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ﴾ قيل: هو متَّصلٌ بالآية الأولى؛ أي: فأصبحَ من النَّادمين(١) لأجلِ حَملِه.

وقيل: من أجلِ قتلِه وعِظَمِ فعلِه، كتبنا على بني إسرائيلَ.

ومعنى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ﴾: من جنايةِ ذلك(٢)، وقيل: بسببِ ذلك.

ابنُ عيسى: أصلُ (أجْلِ) الجرُّ، ومنه: أجَلُ العَقدِ؛ لأنَّه يجرُّ ما وقعَ العقدُ عليه(٣).

﴿ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي﴾: فرضنا وأوجبنا.

وقيل: حَكمنا وقضينا.

وخصَّ بني إسرائيلَ بالذِّكر وإن كان النّاسُ في ذلك سواءً؛ لكثرتهم في زمانِ النَّبيِّ عليه السَّلام.

وقيل: لأنَّ التَّوراةَ أوَّلُ كتابٍ فيه الأحكامُ، وما تقدَّمها من الكتب كانت مواعظَ

---

(١) في (و): «الخاسرين».

(٢) يُقال: أجَل شرًّا يأجِلُه أجَلًا: إذا جَناه. انظر: «العين» مادة (أ ج ل) (٦/ ١٧٩).

(٣) في (و): «عليه العقد». ولم أقف على قول ابن عيسى، لكن الزمخشري ذكر قريباً منه. انظر: «الكشاف» للزمخشري (١/ ٦٢٦).

وحِكَمًا، أو لِما ذهب إليه الحسنُ؛ يزعمُ أنَّ هذه القصّةَ(١) في بني إسرائيل(٢).

﴿إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسَۢا بِغَيْرِ﴾؛ أي: بغير قَوَدٍ.

﴿نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى﴾ قيل: الشِّركُ.

وقيل: كلُّ فسادٍ في الأرضِ يُوجِبُ القتلَ.

﴿ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ﴾ ابنُ عبّاسٍ: مَن قتلَ نبيًّا أو إمامًا عادلًا، فكأنَّما قتلَ النّاس جميعًا(٣).

ابنُ زيدٍ: في القَوَدِ؛ أي: يُقتَلُ به، كما لو قتلَ النّاسَ جميعًا(٤).

ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: في حقِّ المقتول(٥).

الحسنُ: في الذَّنْب(٦)؛ أي: بلغَ النِّهايةَ فيه.

وقيل: لأنَّه يجبُ عليهم طلبُ ثأرِه، فهم كلُّهم خصومٌ له(٧).

---

(١) يعني: قصة ابني آدم، وقد تقدم أن الحسن ذهب أنهما من بني إسرائيل، وقد تقدم استغراب المصنف وابن كثير له، ونقل الطبري الإجماع على خلافه.

(٢) «يزعم أن هذه القصة في بني إسرائيل» من (ن).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٣٤٨).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٣٥٣).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٣٤٩) عن ابن عباس وابن مسعود وناس من أصحاب رسول الله ﷺ، بلفظ: «﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ عند المقتول، يقول في الإثم، ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾ فاستنقذها من هلكة، ﴿فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ عند المستنقذ».

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٣٥٧).

(٧) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٢٩)، واستغربه.

وقيل: لأنَّه مخلَّدٌ في النّارِ، كما لو قتلَهم جميعًا.

وقيل: هو مِن قولِه عليه السَّلام: «مَنْ سَنَّ سُنّةً سيِّئةً[١]»[٢].

﴿جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ﴾؛ أي: خلَّصها من غرقٍ أو حرقٍ أو عفا عن قَوَدٍ.

وفيه الوجوهُ كلُّها[٣].

﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ بالشِّركِ والقتلِ والظُّلم.

وقيل: هي[٤] عامٌّ في الكفّار.

وقيل: في بني إسرائيل.

* * *

(٣٣) ـ ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾ في سببِ النُّزول عن قتادةَ عن أنسٍ رضي الله عنه: أنَّ رهطًا من عُكْلٍ وعُرَيْنَةَ أتوا رسول الله

(١) في (و): «حسنة».

(٢) رواه مسلم (١٠١٧) عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه. وقد جاء في البخاري (٧٣٢١)، ومسلم (١٦٧٧) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «ليس من نفسٍ تُقتَلُ ظُلمًا، إلّا كان على ابنِ آدمَ الأوّلِ كِفلٌ منها؛ لأنّه أوّلُ مَن سَنَّ القتلَ»، وهذا يرجِّح القول الأخير.

(٣) أي: التي سبق بيانها في ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾.

(٤) أي: الآية السابقة.

عليه السَّلام، فقالوا[١]: قد استوخَمْنا المدينةَ، فأمَرَ لهم رسولُ الله عليه السَّلام بِذَوْدٍ أنْ يَخرجُوا فيها، فيشربوا من ألبانِها وأبوالِها[٢]، فقتلوا راعيَ رسولِ اللهِ عليه السَّلام، واستاقوا الذَّود، فبعَثَ رسولُ الله عليه السَّلام في آثارِهم، فأُتِيَ بهم، فقَطع أيديَهم وأرجلَهم، وسَمَلَ أعينَهم، وتركَهم في الحرّةِ حتَّى ماتوا على حالِهم، فنزلَت فيهم[٣].

وعن الكلبيِّ: أنَّ النَّبيَّ عليه السَّلام وادعَ هلالَ بن أميّة[٤] ـ وهو أبو بردةَ الأسلميُّ ـ على أن لا يُعينَه ولا يُعينَ عليه، ومَن أتاه من المسلمين فهو آمِنٌ، ومن أتى المسلمين[٥] منهم فهو آمِنٌ، فمرَّ أناسٌ من بني كنانةَ يريدون الإسلامَ بأناسٍ مِن أسلمَ، فقتلوهم وأخذوا أموالهم، فبلغَ ذلك رسولَ الله عليه السَّلام، ونزلَت فيهم هذه[٦] الآية[٧].

---

(١) «فقالوا» من (ن).

(٢) في (ن) زيادة: «وهو حلال عند محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة رحمهما الله، ويستدل بهذا، وذلك فيما يؤكل لحمه، وذلك غير جائز عند الشافعي رحمه الله إلا عند الضرورة».

(٣) رواه أبو داود (٤٣٦٦)، والنسائي (٤٠٢٥)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٩٥)، ورواه البخاري (٤١٩٢)، ومسلم (١٦٧١) دون ذكر أنه سبب النزول. ومعنى استوخموا المدينة: لم توافق مزاجهم، والذود من الإبل: من الثلاثة إلى العشرة، وسَملَ العين: فقؤها بحديدة محماة، والحرّة هاهنا: أرض بظاهر المدينة. انظر: «جامع الأصول» (٣/ ٤٨٦).

(٤) كذا في النسختين الخطيتين، وهو خطأ، والصواب: هلال بن عويمر، كما في مصادر التخريج، وكما ذكر المصنِّف سابقاً عن عكرمة في تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾.

(٥) «المسلمين» من (و).

(٦) «فيهم هذه» من (ن).

(٧) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١١/ ٢٩٤)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٥٤١)، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (١/ ٣٨٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما من طريق أبي صالح، فهو عن الكلبي أيضاً.

ومعنى: ﴿يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ﴾ أي: أولياءَه، وهم المؤمنون، وأصلُ الحربِ: السَّلبُ، والمحارِبُ يسلبُ الرُّوحَ والمالَ(١).

وقيل: معناه: يُعادون الله ورسولَه.

وقيل: يُخالفون.

مجاهدٌ: المحاربةُ هاهنا: الزِّنى والقتلُ والسَّرقة(٢).

والجمهورُ على أنَّه المجاهرُ بقطعِ الطَّريق، وكذلك المكابرُ باللُّصوصيّةِ في المِصْرِ وغيرِها(٣).

﴿أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ﴾؛ **فالقتلُ** لمن قَتَلَ، وأفادَ التَّشديدُ الواحدَ بعدَ الواحد(٤).

والصَّلْبُ لمن قَتَلَ وأخذَ المال، وهو: أن يُشَدَّ مُستويًا على خشبةٍ مرفوعةٍ.

والقطعُ لمن أخذَ المالَ ولم يقتل، وهو: أن تُقطَعَ يدُه اليُمنى ورجلُه اليُسرى.

---

(١) انظر: «مقاييس اللغة» لابن فارس مادة (ح ر ب) (٢/ ٤٨).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٣٣)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٣٧٢ و٣٩٢) بلفظ: «﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا﴾ بالزنى والسرقة وقتل النفس وإهلاك الحرث والنسل»، وقد ذكره الطبري عند بيان المحاربة، لكن الظاهر أنَّ مجاهداً يفسِّر به الإفساد في الأرض، لا المحاربة، لذلك أتبعه الطبري برواية توضِّح ذلك.

(٣) وهذا قول الشافعي، ومالك، والأوزاعي، وأصحاب الرأي، وذهب أبو حنيفة وعطاء الخراساني إلى أن المكابر في المصر باللصوصية لا يسمى محارباً، كما في «الإشراف» لابن المنذر (٧/ ٢٣٦)، و«النكت والعيون» (٢/ ٣٣).

(٤) أي: أفاد التكرار والتلاحق، وهو ما يُعرف بالتدرج، وذكر أبو حيان أنه أفاد التكثير بالنسبة للذين يُوقع بهم الفعل، وما ذكره المصنف أولى، والله أعلم. انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٤/ ٢٤١).

والنَّفيُ لمن أخافَ الطَّريقَ فحسب، وهو إخراجُه من بلادِ المسلمين إلى بلادِ الكفر.

وقيل: إلى بلدٍ غيرِ بلده.

وقيل: يُحبَسُ في السِّجن(١).

وقيل: يُهدَرُ دمُه، وهو أن يُقالَ: لا قَودَ على مَن قتلَه(٢).

وقيل: الإمامُ بالخيارِ أيَّها شاءَ فَعَل(٣).

﴿ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا﴾: فضيحةٌ وهوانٌ، ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

***

(٣٤) - ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ فالتّائبُ إن كان من أهلِ الشِّركِ فتوبتُه الإسلامُ، وليس عليه حدٌّ في الدُّنيا ولا عذابٌ في الآخرة، وإن كان من أهلِ الإسلام يسقطُ من الحدِّ ما كان لله، وما كان حقَّ الآدميِّ كالقَودِ، فهو إلى الوليِّ؛ إن شاءَ اقتصَّ وإنْ شاء عفا، وإنْ تابَ بعد الظَّفرِ لا تُقبَلُ توبتُه، ولا يسقطُ حدُّه، ولا يصحُّ عفوه.

***

---

(١) وهو اختيار ابن قتيبة في «تأويل مشكل القرآن» له (ص: ٢٢٩).

(٢) وهو قول الفراء. انظر: «معاني القرآن» له (١/ ٣٠٦).

(٣) روى ذلك القاسم بن سلام في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ١٤٢) عن مجاهد وعطاء وإبراهيم والحسن والضحاك، وانظر: «التصاريف» ليحيى بن سلام (ص: ٢٥٩).

(٣٥) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾: القُرْبة.

أبو عبيدةَ: ﴿ٱلۡوَسِيلَةَ﴾: الحاجةُ(١).

الدِّمياطيُّ: ﴿ٱلۡوَسِيلَةَ﴾: أفضلُ درجاتِ الجنّة(٢).

والمعنى: توسَّلوا بتقواه وطاعتِه إلى ثوابِه(٣).

﴿وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ﴾ بمحاربةِ الكفّار.

﴿لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾: لكي تُفلِحوا، وتبقَوا في الجنَّة.

* * *

(٣٦) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفۡتَدُواْ بِهِۦ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنۡهُمۡۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا﴾ يعني: صنوفَ الأموالِ.

﴿وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ﴾؛ أي: مثلها معها.

﴿لِيَفۡتَدُواْ بِهِۦ﴾ فيه إضمارٌ؛ أي: وأنفقوها ليفتدوا به ﴿مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ

---

(١) ذكر أبو عبيدة هذا المعنى بعد ذكره القربة. انظر: «مجاز القرآن» (١/ ١٦٤ ـ ١٦٥).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٥٩) عن عطاء، ويشهد له ما رواه مسلم (٣٨٤) عن عبد الله بن عمرو بن العاص: أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إذا سمعتم المؤذن، فقولوا مثلَ ما يقول ثم صلُّوا عليَّ؛ فإنه مَن صلَّى عليَّ صلاةً صلَّى الله عليه بها عشرًا، ثم سلوا الله لي الوسيلة؛ فإنَّها منزلة في الجنة، لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمَن سأل لي الوسيلة، حلَّت له الشفاعة».

(٣) في (و): «سواه».

مَا تُقُبِّلَ مِنۡهُمۡ﴾: لا يُثابونَ به بالتَّخليصِ من النّار، ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

وخبرُ ﴿إِنَّ﴾: ﴿لَوۡ﴾، وجوابُه وجوابُ ﴿لَوۡ﴾: ﴿مَّا﴾[1]، وجازَ مع (لو) (أنَّ)[2] بخلافِ (إنَّ)؛ لأنَّ (لو) لا تُخرجُها عن المصدر كما يُخرجُها[3] القَسَمُ[4].

* * *

(٣٧) ـ ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾.

﴿يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَا﴾ قيل: معنى ﴿يُرِيدُونَ﴾: يرجون، وقيل: يتمنَّون، وقيل: يكادون، وقيل: يسألون.

﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾: دائمٌ[5].

* * *

---

(١) إن دلَّت (لو أنَّ) على اليمين، لم يكن لـ(لو) جواب، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَمَثُوبَةٌ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ خَيۡرٌ﴾، فإن لم تدلَّ على اليمين، كان لـ(لو) جواب، ولم تدلَّ هنا على يمين، فلها جواب، وهو: ما تقبل منهم، وجواب (أن): ما في الأرض، ومن هذا تعلَّم ما في عبارة المصنِّف من اختزال. انظر: «الأصول» لابن السراج (٢/ ١٦٧)، و«الجنى الداني» (ص: ٢٧٩ ـ ٢٨٠).

(٢) سقطت «لو» من (ن)، و«أن» من (و).

(٣) في (و): «لا يخرجها».

(٤) فلذلك يجب فتح همزة (إنَّ) بعد (لو)، وكسرها بعد القسم، والمصدر المؤول من (أنَّ) وما بعدها مرفوع على الابتداء عند سيبويه، وعلى الفاعلية عند المبرد والزجاج والكوفيين. انظر: «الكتاب» لسيبويه (٣/ ١١)، و«معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٢٠٠)، و«شرح الكتاب» للسيرافي (٣/ ٣٤٠)، و«البرهان» للمصنف (ص: ١٥٢)، و«شرح الرضي على الكافية» (٤/ ٤٥٢)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٤/ ٢٤٢ ـ ٢٤٣)، و«الجنى الداني» (ص: ٢٧٩ ـ ٢٨٠).

(٥) «دائم» من (ن).

(٣٨) ـ ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا﴾ السّارقُ: الذي يأخذُ مالَ غيرِه بغيرِ إذنِه غيرَ مستحقٍّ له مِن حِرزٍ.

واختلفُوا في مقدارِه[1]؛ فعليٌّ رضي الله عنه بخلافٍ وابنُ عبّاسٍ وابنُ مسعودٍ رضي الله عنهم ذهبوا إلى أنْ لا قطعَ في أقلَّ من عشرةِ دراهمَ[2].

مالكٌ رحمه الله: ثلاثةُ دراهم؛ قيمةُ المجنِّ[3].

الأوزاعيُّ: ربعُ دينارٍ[4].

عليٌّ وعمرُ رضي الله عنهما: لا تُقطَعَ الخَمْسُ إلّا في خمسةٍ[5]؛ أي: خمسة دراهم[6].

---

(١) على نحو من عشرين مذهبًا فيما ذكره ابن حجر في «فتح الباري» (١٢/ ١٠٦).

(٢) ذكره الشافعي في «الأم» (٧/ ١٥٩) عن علي وابن مسعود رضي الله عنهما، وقال: «ولا أعلمه ثابتًا عن واحد منهما»، ورواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٨٩٥٢) عن علي رضي الله عنه، ورواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٨٩٥٠) وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٨١٠٦) عن ابن مسعود رضي الله عنه، ورواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٨١٠٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) انظر: «الموطأ» (٥/ ٨٣١)، و«المدونة» (٤/ ٥٣٦)، و«الأم» (٦/ ١٤٠)، و«تفسير الطبري» (٨/ ٤٠٨)، والمعروف عن مالك: إن كان المسروق ذهبًا فنصابه ربع دينار، وإلا فإن بلغت قيمته ثلاثة دراهم قطع به وإن لم تبلغ لم يقطع. انظر: «فتح الباري» (١٢/ ١٠٦)، و«التبصرة» للخمي (١٣/ ٦٠٥٩)، و«الثمر الداني» (ص: ٦٠٠).

(٤) انظر: «اختلاف العلماء» للمروزي (ص: ٤٩٣)، و«تفسير الطبري» (٨/ ٤٠٨)، و«فتح الباري» (١٢/ ١٠٧). وبه قال الشافعي أيضًا. انظر: «الأم» (٧/ ١٥٩).

(٥) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٨٠٩٩)، وذكره ابن المنذر في «الإشراف» (٧/ ١٨٨) عن عمر رضي الله عنه.

(٦) «أي خمسة دراهم» من (ن).

الحسنُ: يُقطَعُ في درهمٍ[1].

والقطعُ من الرُّسغِ، وهو مفصلُ الكفِّ والسّاعد.

ورُوي عن عليٍّ رضي الله عنه قطعُ أطرافِ الأصابع[2]، والخوارجُ تقطَع من المنكبِ أخذًا بلفظِ اليد[3].

والمرادُ باليد هاهنا: اليمينُ، بدليل قراءة ابن مسعودٍ رضي الله عنه: (والسّارقون والسّارقات تقطع إيمانهم)[4].

وبدليل الجمعِ؛ لأنَّ أعضاءَ الوترِ[5] إذا نُسِبَت إلى اثنين جُمِعَت في موضعِ التَّثنيةِ، كقوله: ﴿صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤][6]؛ لأنَّ الأصلَ في التَّثنيةِ

---

(١) ذكره الجصاص في «أحكام القرآن» (٢/ ٥٢٠)، والزمخشري في «الكشاف» (١/ ٦٣٢)، وذكره السمرقندي في «بحر العلوم» (١/ ٤٣٣) والواحدي في «البسيط» (٧/ ٣٧٢) عن ابن الزبير، وذكره ابن حجر في «فتح الباري» (١٢/ ١٠٦) عن عثمان البتي وربيعة، وذكر ابن المنذر في «الإشراف» (٧/ ١٨٩) عن الحسن ثلاثة أقوال: درهمين، وكل ما له قيمة، وخمسة دراهم.

(٢) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٨٧٦٠)، وروى عنه غيره، وقال الماوردي في «الحاوي الكبير» (١٣/ ٣١٩): «هي رواية شاذة»، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٣٠)، واستغربه.

(٣) انظر: «الحاوي الكبير» (١٣/ ٣١٩)، و«المحلى» (١٢/ ٣٥٤)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٣٠)، وعدَّه من العجائب.

(٤) وهي قراءة شاذة. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٠٦)، و«تفسير الطبري» (٨/ ٤٠٧)، و«تفسير الثعلبي» (١١/ ٣٠٩). وقال الماوردي في «الحاوي الكبير» (١٣/ ٣١٩): «وهذه القراءة وإن شذت فهي جارية مجرى خبر الواحد في وجوب العمل بها».

(٥) أي: الأعضاء التي في الإنسان منها عضو واحد؛ كالقلب والرأس والأنف، وهذه تُجمع عند التثنية.

(٦) فلما جُمعت (اليد) عند التثنية، دلَّ على أنه لم يرد بها اليد؛ لأنها لو أريدت لقيل: يديهما، وإنما المراد بها عضو لا يملك الإنسان منه إلا واحداً، وهو اليد اليمين.

الجمعُ حيث لا تَلتبِسُ، وأُفرِدَ لها صيغةٌ[١] حيث التبسَت[٢].

وارتفعَ (السّارقُ والسّارقةُ) بالابتداء، والخبرُ محذوفٌ[٣]؛ أي: في القرآنِ السّارقُ والسّارقةُ؛ أي: حُكمُهما، ثم عطفَ جملةً على جملةٍ فقال: ﴿فَاقْطَعُوا﴾، وكذلك ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا﴾ [النور: ٢]، وكذلك ﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا﴾ [النساء: ١٦].

وقدَّمَ السّارقَ وأخَّرَ الزّاني؛ لأنَّ السُّرَّقَ من الرِّجالِ أكثرُ، ولأنَّ ظهورَ أثرِ[٤] الزِّنى فيهنَّ من زوالِ البكارةِ والحَبَلِ[٥].

وقُطِعَت[٦] اليدُ؛ لأنَّها آلةُ السَّرقة، ولم تُقطَعِ آلةُ الزِّنى؛ لاستواء الرَّجلِ والمرأةِ في اليدِ دونَ آلةِ الزِّنى[٧].

﴿جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ﴾ هما منصوبانِ على المصدرِ، ودلَّ على فعلِهما القَطعُ[٨]، أو على الغرض[٩].

---

(١) في (و): «صغت».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٠٦)، وللأخفش (١/ ٢٤٨)، و«الأصول» لابن السراج (٣/ ٣٤).

(٣) انظر: «الكتاب» لسيبويه (١/ ١٤٣)، و«معاني القرآن» للزجاج (٢/ ١٧٢)، و«إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٦٧).

(٤) في (و): «ظهر».

(٥) ذكر نحوه السمرقندي في «بحر العلوم» (٢/ ٤٩٥)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٣١).

(٦) في (و): «وقطع».

(٧) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٣١).

(٨) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ١٧٤)، و«إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٦٧).

(٩) كذا في النسختين الخطيتين، ولعلَّ المراد به: المفعول لأجله. انظر: «الإيضاح العضدي» لأبي علي =

﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

* * *

(٣٩) ـ ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾.

﴿فَمَن تَابَ﴾؛ أي: إلى الله[1] ﴿مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ﴾؛ أي: سرقتِه، ﴿وَأَصۡلَحَ﴾ بردِّ المسروقِ، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِ﴾: يقبلُ توبتَه، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾.

* * *

(٤٠) ـ ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾.

﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ خطابٌ للنَّبيِّ عليه السَّلام، والمرادُ به غيرُه.

﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ قدَّمَ العذابَ على المغفرة بخلافِ سائر الآيات؛ لأنَّ العذابَ هاهنا: القَطْعُ، وهو في الدُّنيا[2].

﴿وَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ في القيامةِ، ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾.

* * *

= (ص: ١٩٧)، و«إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٦٧)، و«اللباب في علل البناء والإعراب» للعكبري (١/ ٢٧٧).

(١) «أي: إلى الله» من (ن).

(٢) انظر: «البرهان» للمصنف (ص: ٨٧)، و«بصائر ذوي التمييز» للفيروزآبادي (١/ ١٥٥).

(٤١) ـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّـٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَـٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ في سببِ النُّزولِ: عن البراءِ بن عازبٍ رضي الله عنه قال: مُرَّ على النَّبيِّ عليه السَّلام بيهوديٍّ مُحمَّمٍ مجلودٍ[1]، فدعاهم فقال: «هكذا تجدونَ حدَّ الزِّنى في كتابكم؟» قالوا: نعم، فدعا رجلًا من عُلمائِهم ـ هو عبد الله بن صُوريا ـ فقال: «أنشدُكَ اللهَ الذي أنزلَ التَّوراةَ على موسى، هكذا تجدونَ حدَّ الزِّنى في كتابِكم؟» قال: لا، ولولا أنَّك نشدْتَني لم أخبرْكَ[2]، نجدُ حدَّ الزِّنى في كتابِنا الرَّجم، ولكنَّه كثُرَ في أشرافِنا، فكنَّا إذا أخذنا الشَّريفَ تركناه، وإذا أخذنا الوضيعَ أقمنا عليه الحدَّ، فقلنا: تعالَوا نجتمعُ على شيءٍ نُقيمُه على الشَّريفِ والوضيع، فاجتمعنا على التَّحميمِ والجلدِ مكانَ الرَّجم، فقال النَّبيُّ عليه السَّلام: «اللَّهمَّ إنِّي أوَّلُ مَنْ أحيا أمرَكَ إذْ أماتوه»، فأمرَ به فرُجِم، فأنزلَ الله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ﴾[3]؛ أي: يكثرون أعمالَ الكُفر؛ أي: لا يَحزنك صنيعُهم، والمعنى: لا تَحزنْ عليهم.

﴿مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ يعني: المنافقين.

---

(١) في (و): «بيهودي مجلوداً».

(٢) في (ن): «أخبرك به».

(٣) رواه مسلم (١٧٠٠)، والإمام أحمد (١٨٥٢٥)، وأبو داود (٤٤٤٨).

﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾: انتسبوا إلى اليهوديَّة؛ يعني: اليهودَ[1].

و﴿مِنَ﴾ للتَّبيين، و﴿سَمَّٰعُونَ﴾ خبر مبتدأٍ محذوفٍ؛ أي: هم سمّاعون.

وقيل: (مِنَ)[2] الأوَّلُ للتَّبيينِ، والثَّاني للتَّبعيضِ، وهو خبرُ المبتدأ، والمبتدأُ ﴿سَمَّٰعُونَ﴾[3].

ومعنى ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ﴾: يُجالسُونَك ليسمعُوا كلامَك ويردُّوه مكذوبًا فيه على الأخْبار. ومعنى اللام: من أجلِ[4].

﴿سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ﴾؛ أي: هم عيونٌ للغُيَّبِ.

وقيل: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ﴾؛ أي: يسمعون الكذبَ من أحبارِهم في أمورِ دينِهم، وهم علماءُ خيبر، لم يأتوا رسولَ الله، وحرَّفوا معاني التَّوراة، وقالوا ليهودِ يثربَ: اقبلوا ما وافقَ هذا ممّا يدعوكم إليه محمَّدٌ، وما خالفَه فاتركوه. واللّامُ زيادةٌ[5].

﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾: يغيِّرون ألفاظَه.

---

(١) «يعني اليهود» من (و).

(٢) «من» من (ن).

(٣) ذكر الوجهين النحاس في «إعراب القرآن» (١/ ٢٦٨)، والعكبري في «التبيان في إعراب القرآن» (١/ ٤٣٦)، وذكر مكي في «إعراب مشكل القرآن» (١/ ٢٢٥) الأول، ولكنه اختار أن تكون (سماعون) صفة لمبتدأ محذوف تقديره: فريقٌ.

(٤) والمفعول محذوف على هذا، والتقدير: سماعون الأخبارَ للكذب. انظر: «التبيان في إعراب القرآن» (١/ ٤٣٧).

(٥) أي: سماعون الكذبَ، وزيادة اللام هنا مطَّردة لكون العامل فرعاً فقوي باللام، ومثله: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧]. انظر: «الدر المصون» للسمين الحلبي (٤/ ٢٦٧).

وقيل: يفسِّرونَ على غيرِ المرادِ بها.

ومعنى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾: بعد أن وضعَها الله مواضعَها التي أوجبَتْها إرادتُه وحِكمتُه.

وهو ما حرَّفوه من نعتِ محمَّدٍ عليه السَّلام.

وهذه[1] صفةٌ لـ(قومٍ)[2].

﴿يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْ﴾: هو قولُ اليهود؛ أي: ائتُوا محمَّداً[3]، فإنْ أفتاكم بالتَّحميمِ والجلدِ فخذوا به، وإن أفتاكم بالرَّجمِ[4] فاحذرُوا؛ أي: قَبولَ قولِه.

﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ﴾: ضلالَه، وقيل: عذابَه، وقيل: فضيحتَه.

﴿فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا﴾؛ أي: دفعَ عذابِه، وقيل: هدايةَ ضلالِه.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡ﴾ من الكفرِ والشِّرك.

وقيل: لم يرد أن يوسِّعَها فيُزيلَ ضيقَها عقوبةً لهم.

﴿لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞ﴾: هوانٌ بالجزيةِ وزيِّ اليهوديّة.

﴿وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾: دائمٌ، وهو النّار.

---

(١) أي: جملة (يحرفون) في محل جر صفة لـ(قوم)، والوجه الذي ذكره المصنِّف هو أعلى وجوه إعرابها في رأينا، وفي إعرابها وجوه أخرى، منها: أنها استئنافية لا محلَّ لها، أو خبرية في محل رفع، والتقدير: هم يحرفون، أو صفة لـ(سماعون) في محل رفع، أو حال من الضمير المستتر في (سماعون) في محل نصب. انظر: «التبيان في إعراب القرآن» (١/ ٤٣٧).

(٢) في (ن) زيادة: «آخرين».

(٣) في (و): «آمنوا بمحمد».

(٤) «بالرَّجم» من (ن).

(٤٢) ـ ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾.

﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ كرَّرَ تأكيدًا.

﴿أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾ عن النَّبيِّ عليه السَّلام: أنَّه الرِّشوةُ في الحُكم[1]، وهو قولُ الجمهور[2].

---

(١) ورد هذا مرفوعًا فيما رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٤٣٤) عن عمر بن حمزة بن عبد الله بن عمر: أن رسول الله ﷺ قال: «كلُّ لحمٍ أنبته السُّحت فالنارُ أولى به» قيل: يا رسول الله، وما السحت؟ قال: «الرِّشوةُ في الحُكم». وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٨١) إلى عبد بن حميد وابن مردويه، وقال ابن حجر في «فتح الباري» (٤/ ٤٥٤): «رجاله ثقات، ولكنه مرسل»، وانظر: «النكت والعيون» (٢/ ٤٠).

(٢) وقد ورد موقوفًا في روايات كثيرة منها:
ما رواه مالك في «الموطأ» (٣/ ٧٠٣) عن سليمان بن يسار أن رسول الله ﷺ كان يبعث عبد الله بن رواحة إلى خيبر فيخرص بينه وبين يهود خيبر، قال: فجمعوا له حليًّا من حليِّ نسائهم، فقالوا له: هذا لك، وخفِّف عنّا، وتجاوز في القسم، فقال عبد الله بن رواحة: «يا معشر اليهود، والله إنكم لمن أبغض خلق الله إلي، وما ذاك بحاملي على أن أحيف عليكم، فأما ما عرضتم من الرشوة، فإنها سحت، وإنا لا نأكلها»، فقالوا: بهذا قامت السماوات والأرض.
وما رواه النسائي (٥٦٦٥) عن مسروق قال: «القاضي إذا أكل الهدية فقد أكل السحت، وإذا قبل الرشوة بلغت به الكفر».
وما رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢١٩٥٦) عن عمر رضي الله عنه قال: «بابان من السحت يأكلهما الناس: الرشاء، ومهر الزانية».
ومنها ما رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٤٢٨ ـ ٤٣٤) عن ابن مسعود، وابن عباس، وأنس، والحسن، وقتادة، ومجاهد، وإبراهيم، والضحاك، والسدي، وابن زيد.

وعن عليٍّ رضي الله عنه: هو الرِّشوةُ في الحُكمِ وثمنُ الكلبِ وثمنُ الخمرِ[١] وثمنُ الميتةِ وحلوانُ الكاهنِ ومهرُ البغيِّ وعَسْبُ الفحلِ وكَسبُ الحجّام[٢].

وقيل: السُّحتُ: الرِّبا.

أبو عبيدةَ: كسبُ ما لا يحلُّ[٣].

وقيل: السُّحتُ: الحرامُ.

ومعنى (أكلِهم السُّحتَ) كمعنى[٤]: ﴿يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ [النساء: ١٠][٥]، وأصله من (سَحَتَه وأسْحَتَه)؛ إذا أهلكَه واستأصلَه، قال: ﴿فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ﴾ [طه: ٦١].

﴿فَإِن جَآءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ فذهبَ بعضُهم إلى أنَّه منسوخٌ بقوله: ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ﴾ [المائدة: ٤٨]، وليس لحاكمٍ[٦] من حكّامِ المسلمين أن[٧] يُعرِضَ عن الحُكمِ بينهم[٨].

---

(١) في (و): «وثمن الخنزير».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٤٣٣)، وروى نحوه (٨/ ٤٣١) عن أبي هريرة، وذكر الثعلبي في «تفسيره» (١١/ ٣٤٤) نحوه عن عمر، وعلي، وابن عباس، وقد ورد بعض ذلك عن النبي ﷺ فيما رواه النسائي في «السنن الكبرى» (٤٦٦٧) عن السائب بن يزيد قال: قال رسول الله ﷺ: «من السُّحتِ ثمنُ الكلبِ، ومهرُ البَغيِّ، وكسبُ الحجّام».

(٣) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ١٦٦).

(٤) في (ن) زيادة: «قوله».

(٥) يريدُ: الأكلَ وغيرَه من أنواع الإنفاق، ولكنه سمَّاه بأعظم مقاصده، والنصُّ يُشعرُ بأنَّ الجائع لا ينبغي له أن يأكل السحت، فكيف ينبغي لغيره أن يتملَّكه أو ينفقه؟!

(٦) في (و): «الحاكم».

(٧) في (و): «أي».

(٨) وهذا مروي عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة والزهري وعمر بن عبد العزيز، وهو قول أبي حنيفة =

وقيل: الآيةُ مثبتةٌ، والتَّخييرُ باقٍ[١].

وقيل: التَّخييرُ[٢] في حقوقِ اللهِ دونَ حقوقِ المؤمنين.

ومعنى: ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾؛ أي: إن حكمت.

﴿وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗا﴾ لأنَّ اللهَ يعصمُك من النّاس.

﴿وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِ﴾: بالعدلِ وما أمرَك الله به، وهو رجمُ المحصنين دونَ الجلدِ والتَّحميم[٣].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾.

* * *

(٤٣) ـ ﴿وَكَيۡفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوۡرَىٰةُ فِيهَا حُكۡمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوۡنَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَـٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

﴿وَكَيۡفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوۡرَىٰةُ فِيهَا حُكۡمُ ٱللَّهِ﴾؛ أي: هم يعلمونَ ما عليهم ولا يجهلونه؛ لأنَّه في التَّوراة، ولكنَّهم يحكِّمونك رجاءَ أن تحكمَ بينهم بما يَهْوَوْنَ من الجلدِ، فلمّا حكمتَ بالرَّجمِ[٤] أعرضُوا عن قَبولِه إعراضَهم عن التَّوراة.

= وأصحابه، ونسب للشافعي. انظر: «الناسخ والمنسوخ» للقاسم بن سلام (ص: ١٣٤ ـ ١٣٦)، وللنحاس (ص: ٣٩٧ ـ ٣٩٨).

(١) ذهب إلى هذا الإمام مالك والشافعي والحسن والشعبي وأبو ميسرة والنخعي وعطاء. انظر: «الأم» للشافعي (٤/ ٢٢٢) و(٦/ ١٥٠)، و«الناسخ والمنسوخ» للقاسم بن سلام (ص: ١٣٧)، وللنحاس (ص: ٣٩٦).

(٢) «باق وقيل التخيير» من (ن).

(٣) في (و): «دون الرجم والجلد».

(٤) في (و): «بالجلد».

﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾ عن ابن كثيرٍ: أنَّ (ذلك) إشارةٌ إلى حُكمِ الله تعالى[1].

وقيل: إشارةٌ إلى التَّحكيمِ[2].

﴿وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ بكَ ولا بما في أيديهم من التَّوراة.

***

(٤٤) ـ ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾.

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞ﴾ بيانٌ وبصيرةٌ.

الزَّجّاجُ: أي: بيانُ أنَّ أمرَ محمَّدٍ عليه السَّلام حقٌّ، وبيانٌ للحُكمِ الذي يَستفتونَ فيه النَّبيَّ عليه السَّلام[3].

﴿يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ﴾ عامٌّ، وقيل: المرادُ بهم محمَّدٌ عليه السَّلام[4].

﴿ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ﴾ وصفٌ للأنبياءِ بالإسلام؛ لقوله: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩].

---

(١) لعلَّ المراد ما روى الطبري في «تفسيره» (٨/ ٤٤٨) عن عبد الله بن كثير قال: «﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾ قال: توليهم ما تركوا من كتاب الله».

(٢) ذكر القولين بلا نسبة الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٤١)، والواحدي في «البسيط» (٧/ ٣٨٦).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ١٧٨).

(٤) انظر: «النكت والعيون» للماوردي (٢/ ٤١).

وقيل: ﴿أَسۡلَمُواْ﴾: استسلموا.

وقيل: وصفٌ للنَّبيِّ عليه السَّلام[١].

﴿لِلَّذِينَ هَادُواْ﴾ في اللّامِ ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّه متعلِّقٌ بالحُكم.

والثّاني: بالإنزالِ.

والثّالث: فيه تقديمٌ وتأخيرٌ؛ أي: هدًى ونورٌ للذين هادوا[٢].

وقيل: بين الذين هادوا؛ أي: يحكمُ بين اليهودِ إذا احتكمُوا إليه.

وقيل: ﴿هَادُواْ﴾: تابُوا من الكُفرِ[٣].

﴿وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ﴾ عطفٌ على قولِه: ﴿ٱلنَّبِيُّونَ﴾.

وسبقَ بيانُ (الرَّبّانيِّين).

و﴿ٱلۡأَحۡبَارِ﴾: جمعُ حَبْرٍ وحِبْرٍ وحابِرٍ، وهو من (حبَّرْتُه)؛ أي: زيَّنته.

وقيل: الرَّبانيُّ: العالمُ بما في الإنجيل، والأحبارُ: بما في التَّوراة.

﴿بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: بسببِ ما أمرَهم الله بحفظِ كتابِه ووفَّقَهم لعلمِه واستنباطِ معانيه.

الزَّجّاجُ: استُودِعُوا[٤]؛ فالباءُ للسَّبب، والسِّينُ للطَّلب.

---

(١) وهذا مبنيٌّ على أنَّ المراد بالنَّبيِّين نبيُّنا محمَّد ﷺ.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ١٧٨)، وفيه: استُوعوا، وانظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ١٦٧).

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (٧/ ٣٨٦) عن ابن عباس.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ١٧٨).

والباءُ تتعلَّقُ بالحُكم؛ أي: يَحكمُ بما استحفظوا.

وقيل: تتعلَّقُ بالمعنى؛ أي: علماء بما استحفظوا(١).

﴿وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾؛ أي: على التَّوراةِ أنَّها كتابُ الله.

ابنُ عبّاسٍ: يشهدونَ على حُكمِ النَّبيِّ بما في التَّوراة(٢).

﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ﴾: فتحكمُوا بغيرِ حُكمِ الله.

﴿وَاخْشَوْنِ﴾ في مخالفةِ أمري.

﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾؛ أي: لا تأخذُوا المالَ وتحكمُوا بخلافِ الحقِّ.

والثَّمنُ القليلُ: جميعُ الدُّنيا.

* * *

(٤٥) - ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾.

﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ﴾: قضَينا على اليهودِ وفرضْنا.

﴿فيها﴾: في التَّوراة.

---

(١) وعدَّه الطبري من صلة الأحبار. انظر: «تفسير الطبري» (٨/ ٤٥٨).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٤٥٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٤١)، ولفظ الطبري: «﴿وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ يعني الربانيين والأحبار هم الشهداء لمحمد ﷺ بما قال أنه حق جاء من عند الله، فهو نبي الله محمد، أتته اليهود فقضى بينهم بالحق».

﴿أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾؛ أي: أنَّ النَّفسَ تُقتَلُ إذا قتلَتْ نفسًا بغيرِ حقٍّ، و﴿بِٱلنَّفْسِ﴾ خبرُ ﴿أَنَّ﴾.

﴿وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ﴾ كلُّها معطوفٌ على اسمِ ﴿أَنَّ﴾، والجارُّ والمجرورُ خبرُه.

ومَن رفعَ[1] فعلى الاستئنافِ، أو العطفِ[2] على المضمَرِ في الخبر، أو الحملِ على الحكايةِ؛ لأنَّ ﴿كتبنا﴾ بمعنى: قلنا[3].

﴿وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ يريدُ: فيما[4] أمكنَ ممّا لم يُذكَر كالشَّفةِ والقدمِ وغيرِهما.

﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ﴾ أي: بحقِّه؛ يريدُ: وليَّ المقتولِ أو المجروح، ولم يطالبْ بالقصاصِ ﴿فَهُوَ﴾؛ أي: تصدُّقُه ﴿كَفَّارَةٌ لَّهُۥ﴾: للمتصدِّقِ.

ابنُ عبّاسٍ في جماعةٍ: يعودُ إلى الجاني[5].

ابنُ الأنباريِّ: يعودُ إلى المقتول؛ أي: إذا عفا وليُّه زادَ الله في ثوابِ المقتول[6].

---

(١) قرأ المعطوفات كلَّها بالنصب عاصم ونافع وحمزة، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر: ﴿أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ﴾ ينصبون ذلك ويرفعون (والجروحُ)، وقرأ الكسائي: ﴿أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾ نصباً ورفع ما بعد ذلك كله. انظر: «السبعة» (ص: ٢٤٤)، و«التيسير» (ص: ٩٩).

(٢) في (و): «والعطف».

(٣) انظر: «الحجة» لأبي علي (٣/ ٢٢٣).

(٤) في (و): «فما».

(٥) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٧٩٩٢)، والطبري في «تفسيره» (٨/ ٤٧٥ ـ ٤٧٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٤٥).

(٦) لم أقف على كلام ابن الأنباري، وقد روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٤٧٢ و٤٧٥) عن =

مجاهدٌ: ﴿بِهِۦ﴾ يعودُ إلى القتل، و﴿لَّهُۥ﴾ يعودُ إلى القاتل[1]، والمعنى عنده: مَن تصدَّقَ بتبيين القتلِ منه، فهو كفارةٌ له؛ لأنَّه انقادَ لحُكمِ الله.

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

* * *

(٤٦) - ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم﴾: على آثارِ النَّبيِّين الذين أسلمُوا.

وقيل: على آثارِ الذين فُرِضَ عليهم الحُكمُ.

﴿بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾؛ أي: موافقًا، وقد سبق.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى﴾ كرَّر ﴿هُدًى﴾ لأنَّ الأوَّلَ عامٌّ والثَّاني خاصٌّ.

﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾؛ لأنَّهم ينتفعون به.

= عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما وإبراهيم وجابر بن زيد والحسن وغيرهم، ورواه الطبري مرفوعًا عن الشعبي عن ابن الصامت قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَن جُرِح في جسدِه جراحةً فتصدَّقَ بها كفَّرَ عنه ذنوبَه بمثل ما تصدَّقَ به».

(١) المراد بهذا ما روى الطبري في «تفسيره» (٨/ ٤٨١) عن عبد الله بن كثير عن مجاهد: «إذا أصاب رجل رجلًا ولا يعلم المصاب من أصابه فاعترف له المصيب»، قال: «وكان مجاهد يقول عند هذا: أصاب عروة بن الزبير عين إنسان عند الركن فيما يستلمون، فقال له: يا هذا أنا عروة بن الزبير فإن كان بعينك بأس فأنا بها»، ولكن قول مجاهد المعروف عنه هو كقول ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٧٩٨٧) بلفظ: «﴿فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ﴾: للجارح»، وروى الطبري في «تفسيره» (٨/ ٤٧٦) نحوه، وانظر كلام الطبري في «تفسيره» (٨/ ٤٧٨)، و«النكت والعيون» للماوردي (٢/ ٤٤)، و«البسيط» للواحدي (٧/ ٤٠٠).

(٤٧) ـ ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾.

﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ ﴾؛ أي: وقلنا لهم: احكمُوا بموجبِه.

وقيل: إنَّه استئنافُ أمرٍ لهم؛ لأنَّه لم يكن نُسِخَ بعدُ.

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (مَن) في الآيات الثَّلاثة للشَّرطِ والعمومِ عند بعضهم، وعند بعضهم بمعنى: الذين، وهو خاصٌّ[1].

وأكثرَ المفسِّرون القولَ في تكرارِ هذه الآيةِ واختلافِ ألفاظِها:

فذهبَ بعضُهم إلى أنَّ الكافرَ والظَّالمَ والفاسقَ كلُّها بمعنى الكُفر[2]، عُبِّرَ عنه بألفاظٍ مختلفةٍ لزيادةِ الفائدةِ واجتنابِ صورةِ التَّكرار.

وقيل: الكافرون نزلَت في حُكّامِ المسلمين، والظّالمون في اليهود، والفاسقون في النَّصارى[3].

وقيل: ومَن لم يَحكمْ إنكارًا له فهو كافرٌ، ومَن لم يَحكمْ بالحقِّ واعتقدَ الحقَّ وحَكمَ بضدِّه فهو ظالمٌ، ومَن لم يَحكمْ جهلًا[4] وحَكمَ بضدِّه فأولئك هم الفاسقون[5].

---

(١) انظر: «درة التنزيل» للإسكافي (ص: ٤٦٢).

(٢) والآيات على هذا في أهل الكتاب. انظر: «تفسير الطبري» (٨/ ٤٥٧ ـ ٤٦٢).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٨/ ٤٦٣ ـ ٤٦٤).

(٤) في هامش (ن): «من لم يحكم جهلًا، فسواء أصاب أو أخطأ، فهو فيه فاسق غير مثاب عليه».

(٥) انظر: «تفسير الطبري» (٨/ ٤٦٧ ـ ٤٦٤)، و«تفسير الماتريدي» (٣/ ٥٣٢)، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٣١)، واستغربه.

وقيل: مَن لم يَحكمْ بما أنزلَ الله فهو كافرٌ بنعمةِ الله، ظالمٌ في حُكمِه، فاسقٌ في فِعلِه(١).

وقيل: المرادُ بالكفرِ هاهنا: ساعة حُكمِه بخلافِ ما أنزلَ الله، وليس المرادُ به الشِّركَ(٢).

***

(٤٨) ـ ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾.

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ﴾؛ أي: محقًّا، وقيل: بسببِ الحقِّ وإثباتِه.

﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: أمينًا(٣).

الكسائيُّ: شاهدًا(٤).

ابنُ جريرٍ: حافظًا(٥).

---

(١) لم أقف على هذه العبارة عند أحد ممن تقدَّم المصنِّف، وقد ذكرها المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٣١)، وعدَّها من العجائب، وذكرها في «البرهان في متشابه القرآن» (ص: ١٠٣)، وانظر: «تفسير النسفي» (١/ ٤٥١)، و«بصائر ذوي التمييز» للفيروزآبادي (١/ ١٨٤).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٣١)، وعدَّه من العجائب.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٤٨٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٥٠).

(٤) ذكره ابن الأنباري في «الزاهر» (١/ ٨٥)، والثعلبي في «تفسيره» (١١/ ٣٦٨). ورواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٤٨٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما والسدي وقتادة ومجاهد.

(٥) انظر: «تفسير الطبري» (٨/ ٤٨٦).

وهو مِن أسماءِ الله سبحانه.

وفِي الآية حالٌ عن (الكتاب)، وقيل: عن النَّبيِّ عليه السَّلام.

وأصلُه (مُأيْمِنٌ)، قُلبَت همزتُه هاءً[١]؛ أي: عالٍ على سائرِ الكتب وحاكمٌ عليها.

﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ﴾؛ أي: في القرآنِ.

﴿وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾ فتحكمْ بما حرَّفُوه وزعمُوا أنَّه من كتابِهم.

قيل: هي النّاسخةُ للإعراضِ في قولِه[٢]: ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ﴾[٣].

﴿عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ﴾؛ أي: مائلًا عنه.

﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ﴾؛ أي: لكلِّ أمّةٍ.

و﴿مِنكُمۡ﴾ خطابٌ لأمّةِ محمَّدٍ عليه السَّلام، وسائرُ الأممِ مندرجٌ معهم، كما يُغلَّبُ الخطاب.

وقيل: لكلِّكم[٤]، والمرادُ به: أمّةُ محمَّدٍ عليه السَّلام فحسب.

والشِّرعةُ: الشَّريعةُ، وهي الطَّريقةُ إلى الماء، وشُبِّهَ الدِّينُ بها لما[٥] فيه من الطَّريقِ إلى الحياةِ في الدِّين.

---

(١) فهو من (أمن) أو (يمن)، أما (همن) فليس بأصل مستعمل. انظر: «جمهرة اللغة» (٣/ ١٢٧٢)، و«الحجة» لأبي علي (١/ ٢٣٠)، و«مقاييس اللغة» لابن فارس (٦/ ٦٣)، و«رسالة الملائكة» للمعري (ص: ٢٥٧).

(٢) في (و): «وقوله».

(٣) تقدَّم أنَّ هذا مروي عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وغيرهم، وأنَّه قول أبي حنيفة وأصحابه. انظر: «الناسخ والمنسوخ» للنحاس (ص: ٣٩٧ ـ ٣٩٨).

(٤) في (و): «كلكم».

(٥) في (و): «الدين بما فيه».

ابنُ عيسى: أصلُه: الظُّهور.

أبو عبيدةَ: هي من قولِهم: شرعْتُ له شريعةً؛ أي: فتحْتُ له بابًا، وجعلْتُ له مَسْلكًا[1].

﴿وَمِنْهَاجًا﴾ المنهاجُ: الطَّريقُ الواضح، تقولُ: نهجَ الأمرُ؛ أي: وضُحَ.

وقيل: الشَّريعةُ: المنهاجُ، وكرَّرَ لاختلافِ اللَّفظين.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾؛ أي: على دينٍ واحدٍ في جميعِ الأزمانِ في الأصولِ[2] والفروعِ من غيرِ نسخٍ وتبديلٍ.

قيل: وجوابُ (لو) محذوفٌ؛ أي: لفعلَ.

وقيل: لو شاءَ لأجبرَكم على الإسلام.

﴿وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾: ليعاملَكم معاملةَ الـمُختبِرِ تعبَّدَ كلَّ أمَّةٍ بما اقتضَتْه الحكمةُ في وقتِه.

﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾: بادرُوا إلى الطَّاعاتِ وما أمرتُكم به قبلَ الموتِ والفوات[3].

وقيل: كيلا يفوتَكم حظُّ السَّبْقِ والتَّقدُّم.

﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾؛ أي: مرجعُكم إليه بالموتِ والبعث، فيَظهَرُ المحقُّ من المبطل.

* * *

---

(١) في «مجاز القرآن» (١/ ١٦٨): «شرعة؛ أي: سنة».

(٢) في (ن): «الأصل».

(٣) «والفوات» من (ن).

(٤٩) - ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ﴾.

﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ في سببِ النُّزولِ عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما أنَّ جماعةً من اليهودِ منهم كعبُ بنُ أُسيدٍ[1] وابنُ صُوريا وشاسُ بنُ قيسٍ، قال بعضُهم لبعض[2]: اذهبوا بنا إلى محمَّدٍ لعلَّنا نفتنُه عن دينِه، فأتَوه فقالوا: يا محمَّد، إنّا أحبارُ اليهودِ وأشرافُهم، فإنِ اتَّبعناك اتَّبعتنا اليهودُ ولم يخالفونا، وإنَّ بينَنا وبين قومِنا خصومةً نحاكمُهم إليك فتقضي لنا عليهم، ونحن نؤمنُ بك ونصدِّقُك، فأبى ذلك رسولُ الله عليه السَّلام، فأنزلَ الله: ﴿وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ﴾[3]: يردُّوك فيصرفُوك.

﴿عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ وهو ما دعَوه إليه واختلفوا فيه.

﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ عن حُكمِك ولم يرضَوا به، ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم﴾: إصابتَهم ﴿بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ في الدُّنيا بالسَّبيِ والقتلِ والجلاء.

وقيل: بجميعِ ذنوبِهم في القيامة[4].

---

(١) كذا في (ن)، وفي (و): «كعب بن الأشرف»، ولعل الصواب: كعب بن أسد، كما في مصادر التخريج.

(٢) «لبعض» من (ن).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٥٠٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٥٤)، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٩٨).

(٤) فـ(بعض) على هذا القول بمعنى: كل، وهو ما كان يذهب إليه أبو عبيدة. انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٩٤)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ٧٨).

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ﴾: لخارجون عن أمرِ الله، يحتملُ الاتِّصالَ فيكونُ اليهود، ويحتملُ الاستئناف[1].

***

(٥٠) ـ ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ عبدةِ الأصنامِ والمشركين.

وقيل: حُكمُ الجاهليّةِ: هو العفوُ[2] عن الأشرافِ وأخذُ الضُّعفاءِ به.

وقيل: حُكمُ الجاهليّةِ: تغييرُ حُكمِ الله.

﴿يَبْغُونَ﴾: يَطلبُون.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا﴾: شَرعًا ودِينًا حَكمَ بما هو خيرٌ لكم وإن لم تَعرفُوا وجهَه.

وقيل: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا﴾؛ أي: لا يُحابي ولا يَحيفُ.

﴿لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾؛ أي: مَن أيقنَ بالله عَلِمَ ذلك.

وقيل: ﴿يُوقِنُونَ﴾: يُؤمنون.

***

(٥١) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾ في سببِ النُّـزول: قـال عطـيّةُ العوفيُّ: جاء عبادةُ بنُ الصّامتِ رضي الله عنه فقال: يا رسولَ الله، إنَّ لي مواليَ من

---

(١) انظر: «القطع والائتناف» للنحاس (ص: ٢٠٦).

(٢) في (و): «الحكم».

اليهود كثيرٌ عددُهم، حاضرٌ نصرُهم، وأنا أبرأُ إلى الله وإلى رسولِه من ولايةِ يهودَ، وأُوالي الله ورسولَه، فقال عبدُ الله بنُ أُبيٍّ: إنِّي رجلٌ أخافُ الدَّوائرَ ولا أبرأُ من ولايةِ اليهودِ، فقال رسولُ الله عليه السَّلام: «يا أبا الحُبابِ، ما بخلت به مِن ولايةِ اليهودِ على عبادةَ بنِ الصّامتِ فهو لكَ دونَه»، قال: قد قبلتُ، فأنزلَ الله فيها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾[١].

﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ عكرمةُ: نزلَت في أبي لُبابةَ[٢].

ومعنى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾؛ أي: لا تعتمدُوا عليهم ولا تُطلِعُوهم على بواطنِ أمورِكم الدِّينيّةِ والدُّنيويّة.

وقيل: هو في بابِ الدِّينِ خاصّةً.

﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾، وكلُّهم أعداءٌ لكم.

﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ﴾؛ أي: والاهم في الدِّينِ، وكان معهم على المسلمين، ﴿فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ في الدِّينِ، ومعهم في النّار.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: لا يُرشِدُهم.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٢٣٠١)، والطبري في «تفسيره» (٨/ ٥٠٤)، وقد اقتصر ابن أبي شيبة على كلام عبادة بن الصامت رضي الله عنه دون كلام عبد الله بن أبي.

(٢) أبو لبابة هو: ابن عبد المنذر الأنصاري رضي الله عنه، صحابي مختلف في اسمه، شهد العقبة، وسار مع النبي ﷺ إلى بدر، فردَّه إلى المدينة، واستخلفه عليها، شهد أُحدًا وما بعدها من المشاهد، وكانت معه راية بني عمرو بن عوف في غزوة الفتح، مات بعد مقتل عثمان في خلافة علي. ويقال: إنه عاش إلى ما بعد الخمسين. وذكر بعض المفسرين كما روى الطبري في «تفسيره» (٨/ ٥٠٦): أن الآية نزلت في إعلامه بني قريظة أنَّ سعد بن معاذ سيحكم عليهم بالذبح، ولكن شعر بذنبه إذ فعل ذلك، فربط نفسه بسلسلة إلى سارية من المسجد، فكانت تحله ابنته لحاجة الإنسان وللصلاة، فبقي كذلك أياماً حتى تاب الله عليه. انظر: «أسد الغابة» (٦/ ٢٦٠)، و«الإصابة» (٧/ ٢٨٩).

(٥٢) ـ ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَـٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَـٰدِمِينَ﴾.

﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: عبدَ الله بنَ أُبيٍّ وأصحابَه[1].

﴿يُسَـٰرِعُونَ فِيهِمْ﴾: في موالاتِهم ومعاونتِهم على المسلمين.

﴿يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾: يخافُ أن تكونَ الدَّولةُ لليهود.

الزَّجّاجُ: يَخافُ أن لا يتمَّ أمرُ النَّبيِّ عليه السَّلام[2].

والدَّوائرُ: جمعُ دائرةٍ، وهي حالةٌ تقعُ على خلافِ الأُولى.

﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ﴾ أجمعَ المفسِّرون على أنَّ ﴿عسى﴾ من اللهِ واجبٌ[3]، المعنى: عسى الله أن يفتحَ مكّةَ ويُظهرَ الإسلامَ على سائر الأديان.

وقيل: بفتحِ بلادَ المشركينَ وبظفرِ المسلمين.

وقيل: ﴿بِٱلْفَتْحِ﴾: بالفصلِ، من قوله: ﴿ٱفْتَحْ بَيْنَنَا﴾ [الأعراف: ٨٩].

﴿أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ﴾: هو السَّبيُ والجلاء.

وقيل: يأمرُ النَّبيَّ عليه السَّلام بإظهارِ أمرِ المنافقين.

وقيل: إلزام الجزية.

---

(١) «وأصحابه» من (ن).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ١٨١).

(٣) هذا مروي عن ابن عباس، وقد تتابع على ذكره المفسرون كما تقدَّم، وذكر المصنِّف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٢٦) فيه قولاً آخر، وهو: أنَّ (عسى) من الله واجب إلا في قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٤٥١)، و«تفسير الطبري» (١١/ ٦٥١)، «تفسير ابن أبي حاتم» (٢/ ٩٠٥).

﴿فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ مـن النِّفـاقِ والشِّـركِ ﴿نَٰدِمِينَ﴾ في الدُّنيا والآخرة.

***

(٥٣) - ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَٰسِرِينَ﴾.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ الرَّفعُ[1] على الاستئناف، ويقوِّيه حذفُ الواو، والنَّصبُ على العطفِ على المعنى، أو أن يُجعَلَ ﴿أَن يَأْتِىَ﴾ بدلًا من اسم الله[2].

والمعنى: يقول المؤمنون بعضُهم لبعضٍ عند ذلك: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾: أغلظَ الإيمان، و﴿جَهْدَ﴾ مصدرٌ[3] وقعَ موقعَ الحال[4].

﴿إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ﴾: من المسلمين، وأعوانٌ على المخالفين.

﴿حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ التي كانوا يعملونَها رياءً وسمعةً، لا إيمانًا وعقيدةً.

﴿فَأَصْبَحُواْ خَٰسِرِينَ﴾ إذا جاءَ الفتحُ والأمرُ، خسرُوا بفواتِ الدُّنيا والدِّين.

***

---

(١) قرأ نافع وابن كثير وابن عامر بغير واو قبل الياء، والباقون بالواو، وقرأ أبو عمرو بنصب اللام، والباقون برفعها، ورُوي الرفع عن أبي عمرو أيضاً. انظر: «السبعة» (ص: ٢٤٥)، و«الحجة» لأبي علي (٣/ ٢٢٩)، و«التيسير» (ص: ٩٩).

(٢) ويكون التقدير عند ذلك: عسى أن يأتيَ الله بالفتح، ويقولَ الذين آمنوا. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٧٢)، و«الحجة» لأبي علي (٣/ ٢٣١).

(٣) «مصدر» من (ن).

(٤) انظر: «التبيان» للعكبري (١/ ٤٤٥).

(٥٤) ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ ﴾؛ أي: مَن يرجعْ عن الإسلامِ إلى ما كان عليه منَ الكُفر.

و(ارتدَّ) لازمُ (ردَّه)، كـ(اغترَّ) لازم (غرَّه).

﴿فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ ﴾: فسيأتي قومٌ[1] ﴿يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾؛ أي: يحبُّهم اللهُ بإكرامِه إيّاهم وإدخالِهم الجنَّة، ويحبُّون الله بإيثارِهم طاعتَه واجتنابِهم معصيتَه.

﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾؛ أي: هم للمؤمنينَ كالوالدِ لولدِه[2]، والعبدِ لسيِّدِه، من (الذِّل) بالكسر، وهو سهولةُ الأخلاقِ ولِينُ الجانب[3].

﴿أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾: غِلاظٍ شِدادٍ كالسَّبُعِ على فريستِه، مِن (عَزَّه)؛ أي: غلَبَه، والعَزازُ: الأرض الصُّلبةُ[4].

﴿يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾: يقاتلون الكفّارَ في طلبِ رضاه.

﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖ﴾ ملامةَ مَن يَلومُ من قريبٍ أو صديقٍ، فيتركُوا الأمرَ بالمعروفِ والنَّهيَ عن المنكر.

---

(١) في (ن): «بقوم».

(٢) في (و): «كالوالد على ولده».

(٣) فهو ضدُّ الصعوبة، أما الذُّل بالضَّمِّ فهو الاستكانة، وهو ضدُّ العزِّ، وقال الراغب: «الذُّل: ما كان عن قهر... والذِّل: ما كان بعد تَصعُّبٍ». انظر: «مقاييس اللغة» لابن فارس (٢/ ٣٤٥)، و«المفردات» للراغب الأصفهاني (ص: ٣٣٠).

(٤) انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري مادة (ع ز ز) (١/ ٦٥)، و«مقاييس اللغة» لابن فارس (٢/ ٣٤٥).

واختلفُوا فيمَن نزلَت الآيةُ:

عليٌّ والحسنُ البصريُّ في جماعةٍ: نزلَت في أبي بكرٍ وأصحابِه رضي الله عنهم(١).

والسُّدِّيُّ: في الأنصار(٢).

ورُوِيَ مرفوعًا: أنَّهم قومُ أبي موسى الأشعريِّ رضي الله عنه(٣).

وذَكَرَ المفسِّرون أنَّ وفودَهم أتَتْ في أيَّامِ عمرَ رضي الله عنه، وكان لهم في الإسلامِ أثرٌ حسنٌ(٤).

مجاهدٌ: في أهلِ اليمن(٥).

والأظهرُ القولُ الأوَّلُ(٦)؛..

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٥١٨ ـ ٥٢١) عن علي رضي الله عنه والحسن والضحاك وقتادة وابن جريج.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٥٢٤).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٦٦٤)، والطبري في «تفسيره» (٨/ ٥٢١ ـ ٥٢٢) بعدة روايات، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٦٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٧/ ٣٧١)، والحاكم في «المستدرك» (٣٢٢٠) عن عياض الأشعري قال: لما نزلَت هذه الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ قال: أومأ رسول الله ﷺ إلى أبي موسى بشيء كان معه، فقال: «هم قومُ هذا». وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٤) ذكره الطبري في «تفسيره» (٨/ ٥٢٤).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٥٢٣)، وقوم أبي موسى من أهل اليمن في ذلك الزمان.

(٦) رجَّح الطبريُّ أنهم قومُ أبي موسى الأشعري، وذكر كلامًا رائقًا يعدُّ تأصيلاً في مسألة الترجيح، فقال في «تفسيره» (٨/ ٥٢٤): «وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب ما روي به الخبر عن رسول الله ﷺ أنهم أهل اليمن قوم أبي موسى الأشعري. ولولا الخبر الذي روي في ذلك عن رسول الله ﷺ... =

لأنَّ الارتدادَ وقعَ في زمانِه حين[1] ارتدَّت العربُ، والقصّةُ معروفةٌ.

﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى ما تقدَّمَ من الأوصاف، وقيل: إلى الجهادِ.

﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

* * *

(٥٥) ـ ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾.

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ في سببِ النُّزول: عن محمَّد بن مروان، عن محمَّد بن السّائب، عن أبي صالحٍ، عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما قال: أقبلَ عبد الله بن سلامٍ ومعه نفرٌ من قومه ممَّن قد آمنوا فقالوا: يا رسول الله، إنَّ منازلنا بعيدةٌ، وليس لنا مجلسٌ ولا مُتحدَّثٌ، وإنَّ[2] قومَنا لـمّا رأونا آمنّا بالله ورسولِه رفضونا وآلَوا على أنفسِهم ألّا يُجالِسونا ولا يُناكِحونا ولا يُؤاكِلونا، فشقَّ ذلك علينا، فقال لهم النَّبيُّ عليه السَّلام: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾... الآية. ثمَّ إنَّ النَّبيَّ عليه السَّلامُ خرج إلى المسجد والنّاسُ بين قائمٍ وراكعٍ، فنظرَ إلى سائلٍ فقال: «هل أعطاكَ أحدٌ شيئًا؟» قال: نعم، خاتمًا من ذهبٍ، وقيل: من فضّةٍ، قال: «مَن أعطاك؟» قال: ذلك

= ما كان القول عندي في ذلك إلا قول من قال: هم أبو بكر وأصحابه؛ وذلك أنه لم يقاتل قومًا كانوا أظهروا الإسلام على عهد رسول الله ﷺ ثم ارتدوا على أعقابهم كفارًا غيرُ أبي بكر ومن كان معه ممَّن قاتل أهل الردة معه بعد رسول الله ﷺ ولكنا تركنا القول في ذلك للخبر الذي رُوي فيه عن رسول الله ﷺ؛ أن كان ﷺ معدنَ البيان عن تأويل ما أنزل الله من وحيه وآي كتابه...».

(١) في (و): «حتى».

(٢) في (و): «فإن».

الغلام، وأومأ بيدِه إلى عليٍّ رضي الله عنه فقال: «على أيِّ[١] حالٍ أعطاك؟» قال: كان راكعًا، فكبَّر النَّبيُّ عليه السَّلام ثمَّ قرأ الآيتين[٢].

وقيل: نزلَت في عُبادةِ بنِ الصّامت.

والمعنى: ناصرُكم والذي يلي أمرَكم.

وقيل: مُحبُّكم الله ورسولُه والذين آمنوا ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ﴾؛ أي: في الصَّلاة، وهو عليٌّ كرَّمَ الله وجهَه.

وقيل: هو لجميعِ المؤمنين، واللَّفظُ يُنبِئُ عن هذا لكونِه جمعًا.

وقيل: ﴿رَٰكِعُونَ﴾: خاضِعون.

وقيل: مُتنفِّلون، من قولِهم: هو يركَعُ؛ أي: يتنفَّلُ.

* * *

(٥٦) ـ ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾.

﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾: اتَّخذَه وليًّا وتوكَّلَ عليه[٣].

وقيل: يتولَّى القيامَ بطاعتِه.

وقيل: يكونُ وليًّا لله ورسولِه.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ﴾: جندَ الله وجُموعَه.

وقيل: الحزبُ: الوليُّ.

---

(١) في (و): «أي شيء».

(٢) رواه الشجري في «الأمالي الخميسية» (٦٨٠)، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٩٩)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٥٦١).

(٣) في (ن): «وتوكل على الله».

وقيل: النّاصرُ.

واشتقاقُه من قولِهم: تحزَّبَ القومُ: اجتمعُوا. والحَزابِيَةُ: الحمارُ المجتمعُ الخَلقِ، والحَيزَبُونُ: العجوزُ[1]؛ لاجتماعِ الأخبارِ والأمورِ عندها.

﴿هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾: يقهرون أعداءَهم في الدُّنيا.

وتقديرُه: ومَن يتولَّ اللهَ فهو غالبٌ، ويحتمل أنَّه لـمّا كان الحزبُ والمتولِّي واحدًا جازَ حذفُ العائد.

***

(٥٧) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما: كان رفاعةُ بنُ زيدٍ وسُويدُ[2] بنُ الحارث قد أظهرا الإسلام ثم نافقا، وكان رجالٌ من المسلمين يُوادُّونهما، فأنزلَ الله هذه الآية[3].

وقوله[4]: ﴿وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ﴾ مَن نصبَ عطفَ على ﴿ٱلَّذِينَ﴾ الأوَّلِ[5]، ومَن جرَّ فعلى الثّاني[6].

---

(١) انظر: «الصحاح» مادة: (ح ز ب) (١/ ١٠٩).

(٢) في (و): «وزيد».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٥٣٣).

(٤) «وقوله»: ليست في (ن).

(٥) أي: الذين اتخذوا، وهو في موضع نصب مفعول به.

(٦) أي: الذين أوتوا، وهو في موضع جرٍّ بحرف الجرِّ، وقد قرأ أبو عمرو والكسائي (الكفار) بخفض الراء، والباقون بنصبها. انظر: «السبعة» (ص: ٢٤٥)، و«التيسير» (ص: ١٠٠).

والمعنى: لا تتَّخذُوا هؤلاء الذين يَستهزِئونَ بكم ويَسخَرونَ منكم أولياء.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ بتركِ مُوالاتِهم ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ بوعدِه ووعيدِه.

* * *

(٥٨) ـ ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَوٰةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَوٰةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا﴾ قال الكلبيُّ: كان منادي رسولِ الله عليه السَّلام إذا نادى إلى الصَّلاة وقامَ المسلمون إليها، قالَت اليهود: قد قاموا لا قاموا، قد صلُّوا لا صلُّوا، قد ركعوا لا ركعوا؛ استهزاءً وضَحكةً[١]، فأنزلَ الله هذه الآية[٢].

السُّدِّيُّ: نزلَت في رجلٍ من النَّصارى[٣] بالمدينة كان إذا سمع المؤذِّنَ يقولُ: أشهدُ أنَّ[٤] محمَّدًا رسول الله، قال: أُحرِقَ الكاذبُ، فدخلَ خادمُه بنارٍ ذاتَ ليلةٍ وهو نائمٌ وأهلُه نيامٌ[٥]، فتطايرَ منها شررٌ[٦] في البيت، فأحرقَتِ البيتَ[٧]، واحترقَ[٨] هو وأهلُه[٩].

---

(١) في «تفسير الثعلبي» (١١/ ٣٩٩): «على طريق الاستهزاء، وضحكوا»، وفي «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٢٠٠): «على طريق الاستهزاء والضحك».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١١/ ٣٩٩)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٠٠).

(٣) في (ن): «الأنصاري».

(٤) في (و) زيادة: «لا إله».

(٥) «وأهله نيام»: ليست في (ن).

(٦) في (و): «شرره».

(٧) «البيت»: ليست في (و).

(٨) في (و): «وأحرق».

(٩) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٥٣٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٦٣).

وقيل: حسدُوا رسولَ الله ﷺ على الأذان.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ أنَّ الهزءَ واللعبَ لا يكونان من العقلاء، إنَّما ذلك من الجُهّال.

وقيل: ﴿لَّا يَعْقِلُونَ﴾ فضلَ الأذانِ والصَّلاةِ عند الله.

* * *

(٥٩) - ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ﴾.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ﴾؛ أي: تُنكِرون. وقيل: تكرهون. وقيل: تَسخطون.

تقولُ: نَقِمَ: أنكرَ ولم يرضَه، وانْتَقَمَ: كافأه.

﴿إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ﴾؛ أي: ولأنَّ أكثرَكم فاسقون نَقِمتُم إيمانَنا.

وقيل: نَقِمتُم إيمانَنا وفسقَكم؛ لأنَّكم عرفتُم أنَّكم مُبطِلون.

وقيل: تقديرُه: وبأنَّ أكثرَكم فاسقون، فهو عطفٌ على ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾، والمعنى: تنكرون اعتقادَنا فسقَكم.

ومعنى: ﴿أنّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ﴾: خارجونَ عن أمرِ الله بإنكارِكم نبوّةَ محمَّدٍ عليه السَّلام.

* * *

(٦٠) ـ ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾.

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ﴾ ابنُ عبّاسٍ: إنَّ نفرًا من اليهود سألوا رسولَ الله ﷺ عمَّن يُؤمِنُ به من الأنبياء، فعدَّ فيهم المسيحَ، فقالوا: لا نُؤمِنُ به، وجحدُوا نبوَّتَه وقالوا: والله لا نعلمُ دينًا شرًّا من دينِكم، فأنزلَ الله تعالى هذه الآية[1].

ومعنى: ﴿أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ﴾: أخبرُكم بإنسانٍ شرٍّ من ذلك، ثم فُسِّر بـ(مَن).

وقيل: بفعلٍ شرٍّ من ذلك، ثمَّ أُضمِرَ في قوله: ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾؛ أي: فِعْلَ مَن لعنَه الله.

و﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى الإيمانِ عند الزَّجّاجِ؛ أي: بِشَرٍّ من إيماننا ثوابًا[2].

ابنُ بحرٍ: إن كانَ ما نحن فيه شرًّا عندكم، فشرٌّ منه ثوابًا ـ أي: عاقبةً ـ مَن لعنَه الله[3].

وقيل: بشرٍّ من المؤمنين.

وقيل: بشرٍّ من النّاقمِ مع أنَّه فاسقٌ، هو ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾.

والـمَثوبةُ[4]: الثَّوابُ، وزنُها مَفْعُلة بالضَّمِّ، وقيل: أصلُها[5] مَفْعُولةٌ.

ومعنى: ﴿لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾: أبعدَه الله[6] مِن رَحمتِه.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٥٣٧)، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٠١).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ١٨٧).

(٣) ذكره الرازي في «التفسير الكبير» (١٢/ ٣٩٠) بلا نسبة.

(٤) «والمثوبة» ليس في (و).

(٥) «أصلها» ليس في (و).

(٦) اسم الجلالة «الله» ليس في (و).

﴿وَغَضِبَ عَلَيۡهِ﴾: عاقبه.

﴿وَجَعَلَ مِنۡهُمُ﴾: خلَقَ منهم، وقيل: صَيَّرَ منهم ﴿ٱلۡقِرَدَةَ وَٱلۡخَنَازِيرَ﴾؛ أي: مسخ بعضَهم قردةً وبعضَهم خنازيرَ.

﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ الطّاغوتُ الذي عبدَه اليهودُ: العِجلُ.

ومَن قرأ ﴿عَبَدَ﴾ عطفَه على ﴿لَّعَنَهُ﴾، وفيه ضميرُ (مَن)، ومَن قرأ: ﴿عَبُدَ الطّاغوتِ﴾[1] فهو اسمٌ وُضِعَ للمبالغةِ يُرادُ به الكثرة ـ كيَقُظٍ[2] ونَدُسٍ[3] ـ أُضيفَ إلى ﴿ٱلطَّٰغُوتَ﴾.

وقُرِئَ في الشَّواذِّ على وجوهٍ كثيرةٍ، وليس هذا موضعُ ذكرِها[4].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا﴾ منهم؛ أي: أسوأُ حالًا.

وقيل: مكانُهم من النّار.

﴿وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ عن قصدِ الطَّريق، واستُعمِلَ لفظُ التَّفضيل وليس في المؤمنين شرٌّ؛ لازدواجِ الكلامِ والمظاهرةِ في الحِجاجِ[5].

وقيل: أولئك هم وآباؤُهم شرٌّ مكانًا من هؤلاء الذين نقموا.

* * *

---

(١) قرأ حمزة وحده بضم الباء من (عبد)، وكسر التاء من (الطاغوت). انظر: «السبعة» (ص: ٢٤٦)، و«التيسير» (ص: ١٠٠)، و«النشر» (٢/ ٢٥٥).

(٢) يقال: رجلٌ يقُظٌ ويقِظٌ؛ أي: كثير التيقُّظ. انظر: «إصلاح المنطق» لابن السكيت (ص: ٧٩)، و«تهذيب اللغة» مادة (ي ق ظ) (٩/ ٢٠٢).

(٣) يقال: رجلٌ نَدُسٌ ونَدِسٌ، إذا كان عالماً بالأخبار. انظر: «إصلاح المنطق» لابن السكيت (ص: ٧٩).

(٤) ذكر ابن خالويه في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٣٩) فيه تسع عشرة قراءة.

(٥) انظر: «النكت في إعجاز القرآن» (ص: ١٠٥)، و«البسيط» للواحدي (٧/ ٤٤٩).

(٦١) ـ ﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُوا۟ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا۟ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْتُمُونَ﴾.

﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُوا۟ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا۟ بِهِۦ﴾ نزلَت في المنافقين.

وقيل: في اليهود.

وقيل: في منافقي اليهود. وهذا أظهرُ.

والباءُ للحال؛ أي: دخلُوا كافرين وخرجُوا كافرين[١].

﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْتُمُونَ﴾؛ أي: بما[٢] يُضمرونَه، فيجازيهم عليه.

وقيل: بما كانوا يكتمونَ من صفةِ محمَّدٍ عليه السَّلام ونَعتِه.

* * *

(٦٢) ـ ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾ من اليهودِ والمنافقين[٣] ﴿يُسَٰرِعُونَ﴾: يُبادِرون كأنَّهم مُحقُّون.

﴿فِى ٱلْإِثْمِ﴾: الجرمِ والذَّنبِ.

﴿وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾: الظُّلمِ ومُجاوزةِ الحدِّ.

﴿وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ﴾: الرُّشوة في الحُكم، وقيل: الرِّبا، وهو[٤] مصدرٌ سُمِّيَ به.

---

(١) وقد دخلت (قد) على (خرجوا) لتقريب الماضي من الحال. انظر: «مشكل إعراب القرآن» لمكي (١/ ٢٣١)، و«الكشاف» للزمخشري (١/ ٦٥٣).

(٢) في (و): «ما».

(٣) في (و): «أو المنافقين».

(٤) أي: السُّحت، وفي كلام المصنف إشكال؛ فقد ذكر النحاس في «إعراب القرآن» (١/ ٢٦٨) عن =

﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾؛ أي: بئسَ شيئًا عملوه.

* * *

(٦٣) ـ ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾.

﴿لَوْلَا﴾: هلّا ﴿يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ﴾؛ أي: علماؤُهم ﴿عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ﴾؛ أي: عن قولِهم ما يأثمونَ فيه.

﴿وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾؛ أي: بئسَ شيئًا صُنعُهم.

وقيل: إنَّ (ما) فيهما للكفِّ[1] كما في (إنَّما)[2].

والصُّنعُ والعملُ واحدٌ، إلّا أنَّ الصُّنعَ يتضمَّنُ الجَودةَ[3].

* * *

(٦٤) ـ ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾.

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: كانَت اليهودُ في سَعةٍ ونعمةٍ، فلمّا كذَّبوا محمَّدًا عليه السَّلام كفَّ الله عنهم ما بسطَ عليهم، فقال فنحاصُ:

= نافع أنه قرأ (السَّحت)، وهذا هو المصدر، لكن السُّحت ليس مصدراً في الظاهر، وهو ما نصَّ عليه أبو علي في «الحجة» (٣/ ٢٢٢)، والله أعلم.

(١) في (و): «ما فيهما ما الكف».

(٢) ذكره الواحدي، وأكثر المعربين على ما ذهب إليه المصنف. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٧٩)، ولمكي (١/ ٢٣٥)، و«البسيط» للواحدي (٧/ ٤٩١).

(٣) انظر: «معجم الفروق اللغوية» (ص: ٣٢٢)، و«تاج العروس» مادة (ص ن ع) (٢١/ ٣٦٣).

﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌ﴾[(١)]؛ أي: مقبوضةٌ ممسكةٌ عن الرِّزق؛ أي: عطاؤُه، نسبوه إلى البخل؛ كقوله: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ [الإسراء: ٢٩].

وقيل: نسبوه إلى الفقر، كما سبقَ في (آل عمران).

وقيل: القائلُ فنحاصُ فحسبُ، لكنَّهم لـمّا لم ينهَوه ورضُوا[(٢)] بقولِه صاروا كالقائلين لهذا القول.

الحسنُ: معناه[(٣)] ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌ﴾ عن عذابِنا، فليس يعذِّبُنا إلّا بما يبرُّ به قسمَه قَدْرَ ما عبَدَ آباؤُنا العجلَ[(٤)].

وقيل: معناه: أيدُ الله مغلولةٌ[(٥)]؟ على الاستفهامِ؛ أي: حينَ قتَّرَ علينا.

﴿غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ﴾ دعاءٌ عليهم.

وقيل: خبرٌ، والمعنى: ضُربت عليهم المسكنةُ.

وقيل: أُجيبوا به ازدواجاً للكلام.

وقيل: ﴿غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ﴾ في النّار.

وقيل: ﴿غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ﴾ بالبخلِ؛ فلا يُرى يهوديٌّ إلا وهو بخيلٌ.

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (١١/ ٤٢٣)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٥٥٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٦٧) بلفظ: «ليس يعنون بذلك أن يد الله موثقة، ولكنهم يقولون: إنه بخيل أمسك ما عنده. تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا». وروى الطبري في «تفسيره» (٨/ ٥٥٥) عن عكرمة قال: «نزلَت في فنحاص اليهودي».

(٢) في (و): «القائل فنحاص ونسب إليهم رضوا».

(٣) «معناه»: ليس في (و).

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٥١)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٢/ ٢١٥).

(٥) من قوله: «عن عذابنا» إلى قوله: «أيد الله مغلولة» من (ن).

﴿وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟﴾؛ أي: طردَهم من رحمتِه بسببِ مَقالتِهم.

وقيل: يجوزُ أن يكونَ قالوه على سبيلِ الهُزءِ؛ أي: إنَّ[1] إلهَ محمَّدٍ الذي أرسلَه مغلولةٌ يداه؛ أي: ليس يوسِّعُ عليه وعلى أصحابِه.

وزعمَ اليهودُ أنَّ ربَّهم أبيضَ الرَّأسِ واللِّحيةِ جالسٌ على كرسيٍّ[2].

﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ ابنُ جريرٍ: نعمتاه[3].

وقيل: نعمةُ الدِّين والدُّنيا.

وقيل: نعمةُ الدُّنيا والعقبى.

وقيل: الملكُ والسُّلطان.

وقيل[4]: أرادَ المبالغةَ فثنَّى، كما تقول: لبَّيك وسعديك وحنانيك.

---

(١) «إن» من (ن).

(٢) اليهود مجسمة في جملتهم، ولهم عقائد شنيعة في الله سبحانه وتعالى علواً كبيراً عن قبح ظنِّهم وسوء معتقدهم، ولولا ما حكاه القرآن الكريم عنهم ما كنا نظنُّ أن فيمن يزعم أنَّه يؤمن بالله مَن يسيء به الظنَّ مثلهم، وانظر شيئاً من ذلك في «الفصل» لابن حزم (١/ ١١٠ و١٦٥)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٤/ ٣١٣)، و«جهود علماء المسلمين في نقد الكتاب المقدس من القرن الثامن الهجري إلى العصر الحاضر» لرمضان مصطفى الدسوقي حسنين (ص: ١٢٦ ـ ١٢٩).

(٣) نقله الطبري في «تفسيره» (٨/ ٥٥٥ ـ ٥٥٧) عن بعض أهل الجدل، ونقل عن غيرهم أنَّ المراد باليد صفة خاصة لله سبحانه، ونقل عنهم إنكار كون اليد هنا تدلُّ على النعمة بدليل أنَّ اليد ثُنِّيت، والمثنَّى محصى، ونعم الله لا تُحصى، والطبري يرى صحة قول من قال: إن يد الله هي له صفة، فقد تظاهرت على ذلك الأخبار عن رسول الله ﷺ وقال به العلماء وأهل التأويل.

(٤) «وقيل» من (ن).

واليدُ: الجارحةُ والنِّعمةُ والقوّةُ والملكُ والسُّلطانُ(١)، وتحقيقُ الإضافةِ ومجيئُها في القرآنِ موحَّدًا نحو: ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾ [آل عمران: ٢٦]، و﴿إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:٧٣]، ومثنًّى نحو: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾، و﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[ص:٧٥]، ومجموعًا نحو: ﴿عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا﴾ [يس: ٧١] = دليلٌ قاطعٌ على أنَّها ليسَت بالجارحة، تعالى الله عن ذلك(٢).

﴿يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾: يوسِّعُ على مَن يشاءُ ويُضيِّقُ على مَن يشاء.

﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم﴾ يعني: علماءَهم ورؤساءَهم.

﴿مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ يعني: القرآنَ(٣).

﴿طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ يحملُهم الحسدُ على الكفر بالقرآن، فيزدادوا كفرًا وغلوًّا.

﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ يريدُ: بينَ اليهودِ؛ كقوله: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ [الحشر: ١٤].

---

(١) «والسلطان» من (ن).

(٢) انظر: «الفقه الأكبر» المنسوب لأبي حنيفة (ص: ١٥٩)، و«الإبانة» للأشعري (ص: ٢٢)، و«مقالات الإسلاميين» له (١/ ٢٢٦)، و«تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٣/ ٥٥١) و(٩/ ٢٩٨)، و«بحر العلوم» للسمرقندي (٣/ ١٧٤)، و«تفسير الثعلبي» (١١/ ٤٢٥) و(٢٢/ ٥٧٢ ـ ٥٧٤)، و«تفسير السمعاني» (٢/ ٥١)، و«الفصل» لابن حزم (٢/ ١٢٧)، و«شرح عقائد أهل السنة والجماعة» للالكائي (٣/ ٤٨٠)، و«الأسماء والصفات» للبيهقي (٢/ ١٥٨)، و«غرائب التفسير» للمصنف (٢/ ١١١٣)، و«الكشاف» للزمخشري (٤/ ١٣٨ ـ ١٤٠)، و«عمدة القاري» للعيني (٢٥/ ١١٩).

(٣) وهو فاعل الفعل (يزيدن)، و(كثيراً) مفعول أول، و(طغياناً) ثانٍ؛ فالقرآن يزيد علماءهم كفراً بسبب حسدهم النبيَّ ﷺ. انظر: «إعراب مشكل القرآن» لمكي (١/ ٢٣٥)، و«الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد» للمنتجب الهمذاني (٢/ ٤٦٧).

الحسنُ: بين اليهودِ والنَّصارى[١].

﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ﴾؛ أي: كلَّما أرادوا حربَ محمَّدٍ عليه السّلام ردَّهم الله[٢].

الزَّجّاجُ: هذا مَثَلٌ؛ أي: كلَّما جمعُوا للنَّبيِّ عليه السَّلام للحربِ فرَّقَ الله جمعَهم وأفسدَ ذاتَ بينِهم[٣].

قتادةُ[٤] وابنُ جريرٍ: حكمَ الله بإذلالِهم عقوبةً لهم، فلا يُنصَرون على كلِّ مَن يحاربونه إلى يومِ القيامة[٥].

﴿وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ﴾ في دفعِ الإسلامِ وإنكارِ نبوّةِ محمَّدٍ عليه السَّلام.

وقيل: بالظُّلمِ وركوبِ المعاصي.

وقيل: بسفكِ الدِّماءِ واستحلالِ المحارم[٦].

﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾: لا يُجازيهم خيرًا.

***

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٥٢)، والواحدي في «البسيط» (٧/ ٤٦٣).

(٢) اسم الجلالة «الله» من (ن).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ١٩٠).

(٤) «قتادة و» من (ن).

(٥) قال الطبري في «تفسيره» (٨/ ٥٥٩): «كلما جمع أمرهم على شيء فاستقام واستوى فأرادوا مناهضة من ناوأهم شتته الله عليهم وأفسده؛ لسوء فعالهم وخبث نياتهم»، وروى نحوه (٨/ ٥٦٠) عن قتادة.

(٦) في (ن): «الحرام».

(٦٥) - ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟﴾؛ أي: بمحمَّدٍ عليه السَّلام، ﴿وَٱتَّقَوْا۟﴾ المعاصيَ، ﴿لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾: لم نُعاقبْهم عليها.

﴿وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾؛ أي: حَكمْنا لهم بالدُّخولِ فيها.

* * *

(٦٦) - ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾؛ أي: عملوا بما فيهما من الأحكامِ من غيرِ تبديلٍ وتحريفٍ، ولم يُنكِروا صفةَ محمَّدٍ عليه السَّلام ونعتَه.

وقيل: أقاموهما نصبَ أعينِهم بالعمل بما فيهما.

﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ﴾؛ أي: آمنوا بالقرآنِ المنزَّلِ إليهم وإلى غيرِهم.

﴿لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ﴾ يريدُ: المطرَ، ﴿وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ يريدُ: النَّباتَ؛ أي: لوسَّعنا عليهم الرِّزق، وكانوا قد أصابهم جدبٌ.

وقيل: ﴿مِن فَوْقِهِمْ﴾: ثمرةُ الأشجار، ومن تحتهم: الزَّرعُ.

وقيل: ﴿مِن فَوْقِهِمْ﴾: ما يأتيهم من كُبرائِهم، ﴿وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾: ما يأتيهم من العامّة.

وقيل: هو كقولِهم: فلانٌ في خيرٍ(١) من قَرنِه إلى قدمِه.

---

(١) في (و): «الخير». انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣١٥).

﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ﴾ وهم الذين آمنُوا بمحمَّدٍ عليه السَّلام.

والاقتصادُ: الاستواءُ في العملِ من غير إفراطٍ ولا تفريطٍ.

وقيل: هم الذين آمنُوا بعيسى[1] عليه السَّلام من اليهود، وقالوا: إنَّه عبدُ اللهِ ورسولُه، ولم يتَّخذوه ربًّا، ولم يَنسبُوه إلى غيرِ رَشدةٍ[2]؛ لأنَّهم تفرَّقوا ثلاثَ فِرَقٍ.

﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾؛ أي: هم كفَّارٌ.

***

(٦٧) - ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ في سببِ النُّزولِ: عن الحسنِ قال: إنَّ رسولَ الله عليه السَّلام قال: «لـمّا بعثَني اللهُ برسالتِه، ضِقْتُ به[3] ذَرعًا، وعرفْتُ أنَّ مِن النَّاسَ مَنْ يُكذِّبُني»، وكان النَّبيُّ عليه السَّلام يَهابُ قريشًا واليهودَ والنَّصارى، فأنزلَ الله هذه الآية[4].

---

(١) في (و): «بمحمد».

(٢) أي: لم يتَّهموا أمه مريم العذراء بالزِّنى، ويُقال: رَشدة، ورِشدة. انظر: «تاج العروس» مادة (ر ش د) (٨/ ٩٦).

(٣) كذا في النسختين الخطيتين، وهو على معنى: ضقت بالبعث والتكليف ذرعاً، وفي مصادر التخريج: «بها».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١١/ ٤٣٤)، والواحدي في «أسباب النزول» (١/ ٢٠٢).

وروى نحوه إسحاق بن راهويه في «مسنده» (٤٤٣)، ومن طريقه الطبراني في «مسند الشاميين» (٢٣٧٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه، بلفظ: «إن الله أرسلني برسالة، فضقت بها ذرعًا، وعلمت أن الناس مكذبي، فأوعدني أن أبلغها أو يعذبني».

وروى نحوه البخاري في «خلق أفعال العباد» (ص: ٧٦)، والحميدي في «مسنده» (٩٠٧) عن أبي =

وعن عائشةَ رضي الله عنها: أنَّ رسولَ الله عليه السَّلام سهرَ ذاتَ ليلةٍ، فقلْتُ: ما شأنُكَ؟ قال: «ألا رجلٌ صالحٌ يحرسُني اللَّيلةَ» قالت: فبينما نحن في ذلك سمعتُ صوتَ السِّلاح، فقال: «مَن هذا؟» قال: سعدٌ وحذيفةُ، جئنا نحرسُكَ، فنامَ رسولُ الله عليه السَّلام حتى سمعْتُ غطيطَه، فنزلت هذه الآية، فأخرج رسول الله عليه السَّلام رأسَه من قبّةِ أَدَمٍ وقال: «انصرفُوا أيُّها النّاسُ؛ فقد عصمَني الله»[١].

عكرمةُ عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما قال: كان أبو طالبٍ يرسلُ مع النَّبيِّ عليه السَّلام رجلًا من بني هاشمٍ يحرسُه حتى نزلَت هذه الآية، فقال: «يا عمّاه، إنَّ الله قد عصمَني من الجنِّ والإنس»[٢].

محمَّد بن كعبٍ القرظيُّ: إنَّ أعرابيًّا همَّ بقتلِ النَّبيِّ عليه السَّلام، فسقط السَّيفُ من يده، فجعل يضربُ برأسِه شجرةً حتَّى انتثَرت[٣] دماغُه، فنزلَت هذه الآية[٤].

= الأحوص عوف بن مالك الجشمي عن أبيه قال في حديث: «أتتني رسالة من ربي، فضقت بها ذرعًا، ورأيت أن الناس سيكذبونني، فقيل لي: لتفعلن أو ليفعلن بك».

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١١/ ٤٣٤)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٠٢).

وروى البخاري (٢٨٨٥)، ومسلم (٧٢٣١) أوّلَ الحديث، وليس فيه سبب النزول، وروى الترمذي (٣٠٤٦) عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يُحرَس حتى نزلت هذه الآية: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ فأخرج رسول الله ﷺ رأسه من القبة، فقال لهم: «يا أيها الناس انصرفوا؛ فقد عصمني الله». وقال الترمذي: «حديث غريب».

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١٦٦٣)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٠٢)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٧): «رواه الطبراني، وفيه النضر بن عبد الرحمن، وهو ضعيف»، وهذا الحديث يقتضي أن الآية مكية، ولذلك قال ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ١٣٩): «غريب، والصحيح أن الآية مدنية».

(٣) في (ن): «انتثرت».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٥٧٠).

ومعنى: ﴿بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾؛ أي: دُمْ عليه وواظبْ، وبلِّغْ عشيرتَك الأقربين، وبلِّغ المشركين وأهلَ الكتابِ وكافّةَ النّاسِ ولا تَهَبْهُم، وبلِّغ ما أُنزلَ إليك كلَّه.

﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ﴾؛ أي: هذا التَّبليغ، وقصَّرتَ في تبليغِ بعضِه أو بعضِهم[1]؛ شفقًا وحذرًا من الرَّدِّ.

﴿فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾؛ لأنَّ تركَ إبلاغِ بعضِه محبِطٌ لإبلاغِ ما بلَّغت.

وقيل: الدَّعوةُ بمنزلةِ الصَّلاة إذا نقصَ ركنٌ من أركانها، بطلَ الجميعُ.

﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾: يحرسُكَ ويحفظُكَ من أن ينالوك بقتلٍ أو قهرٍ.

وقيل: يعصمُك من بين النّاس عن الذُّنوب، وكلُّ نبيٍّ معصومٌ عن الكبائر.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: لا يُمكِّنهم ممّا يُريدون.

* * *

(٦٨) ـ ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ أي: على حجّةٍ وحقٍّ.

وقيل: على شيءٍ من الدِّين.

وقيل: على شيءٍ ينفعُكم ويُنجيكم.

﴿حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾؛ أي: تُؤمنُوا بمحمَّدٍ عليه السَّلام؛ فإنَّكم قد أُمرتم به فيهما.

---

(١) أي: بعض ما أُنزل إليك، أو بعض مَن أُمرتَ بتبليغهم.

﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ﴾: القرآن.

﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۖ﴾ سبق.

﴿فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾؛ أي: إذا فعلْتَ ما أُمِرْتَ به من التَّبليغِ، فلا تحزن عليهم.

تقولُ: أَسِيَ يَأسَى أسًى، فهو آسٍ وأَسٍ وأَسْيانٌ وأَسْوانٌ.

* * *

(٦٩) - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ سبقَ تفسيرُ الآية.

وقولُه: ﴿الصّابئون﴾ رفعٌ عند الكسائيِّ بالعطفِ على ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[١]، وقال: إنَّ عملَ (إنَّ) ضعيفٌ، فجازَ العطفُ عليه بالرَّفع[٢].

الفرّاءُ قال: إذا لم يَستبنْ في اسم (إنَّ) الإعرابُ، جازَ العطفُ عليه بالرَّفع[٣].

وعن الكسائيِّ أيضًا: أنَّه عطفٌ على المضمر في ﴿هَادُواْ﴾؛ أي: هادوا هم والصّابئون[٤].

---

(١) (آمنوا) ليس في (و).

(٢) ذكره الفراء في «معاني القرآن» (١/ ٣١١).

(٣) من قوله: «الفراء قال» إلى قوله: «عليه بالرفع» من (ن). وانظر قول الفراء في: «معاني القرآن» له (١/ ٣١١).

(٤) ذكره الفراء في «معاني القرآن» (١/ ٣١٢)، والزجاج في «معاني القرآن» (٢/ ١٩٤)، وضعَّفه من وجهين.

وهذه الوجوه غيرُ مرضيّةٍ عند البصريِّين، ووجهُه عند سيبويهِ أنَّه رفعٌ بالابتداء، وخبرُه: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾[1]، وخبر (إنَّ) مقدَّرٌ دلَّ[2] عليه ما بعده[3]، كقول الشّاعر:

نَحْـنُ بِمـا عِنْـدَنا، وأَنْـتَ بِـما ... عِنْـدَكَ راضٍ، والـرَّأْيُ مُخْتَلِـفُ[4]

أي: نحن بما عندنا راضون، وأنت بما عندك راضٍ[5].

وقيل: خبرُ (إنَّ): ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾، وخبرُ ﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ مقدَّرٌ، كقول الشّاعر:

فمَـن يكُ أمسـى بالمدينةِ رحلُهُ ... فـإنِّـي وَقَـيّـارٌ بهـا لغريبُ[6]

أي: فإنِّي لغريبٌ، وقيّارٌ كذلك، ودلَّ اللّامُ على أنَّه خبرُ (إنَّ).

ويحتمل أنَّ معناه[7]: نعم، و﴿ٱلَّذِينَ﴾ رفع بالابتداء.

---

(١) «بالله» من (ن).

(٢) «دل» من (ن).

(٣) انظر: «الكتاب» لسيبويه (٢/ ١٥٦)، وفيه: «وأما قوله عز وجل: ﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ فعلى التقديم والتأخير، كأنه ابتدأ على قوله: ﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ بعدما مضى الخبر»، وقال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٢/ ٢١٩): «مذهب سيبويه والخليل ونحاة البصرة: أنه من المقدَّم الذي معناه التأخير، وهو المراد به، كأنه قال: إن الذين آمنوا والذين هادوا من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون، والصابئون والنصارى».

(٤) البيت مختلف في نسبته؛ فهو لعمرو بن امرئ القيس في «جمهرة أشعار العرب» (ص: ٥٣٠)، و«البيان والتبيين» (٣/ ٦٩)، ولقيس بن الخطيم في «الكتاب» (١/ ٧٥)، ولمرار الأسدي في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٦٣)، و«زاد المسير» (٣/ ٥٠١).

(٥) «وأنت بما عندك راض» ليس في (ن).

(٦) البيت لضابئ بن الحارث البرجمي في «الكتاب» (١/ ٧٥)، و«الأصمعيات» (ص: ١٨٤)، و«شرح نقائض جرير والفرزدق» (٢/ ٣٩٤)، و«الكامل» (١/ ٢٥٣)، و«تفسير الطبري» (١٦/ ١٠٠).

(٧) أي: معنى (إنَّ)، وقد قال بذلك سيبويه والأخفش والمبرد، وأنكره أبو عبيدة. انظر: «الكتاب» =

ويحتمل أيضًا أنَّه(١) ﴿الَّذِينَ﴾؛ أي: أنَّ الأمرَ والشَّأن(٢)، وسيأتي هذا في قوله: ﴿إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ [طه: ٦٣].

* * *

(٧٠) - ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾.

﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ﴾؛ أي: كلَّ حينٍ جاءَهم فيه ﴿رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ﴾: تحبُّ وترضى ﴿أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟﴾ محمَّدًا وعيسى عليهما السَّلام ﴿وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ يحيى وزكريّا عليهما السَّلام.

وقيل: ﴿فَرِيقًا(٣) كَذَّبُوا۟﴾: اليهودُ والنَّصارى ﴿وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾: اليهودُ وحدَها؛ لأنَّ النَّصارى لم تقتل نبيًّا.

وقوله: ﴿يَقْتُلُونَ﴾؛ أي: قتلوا، وجاء بلفظ المستقبل لِرَوِيِّ الآية.

* * *

(٧١) - ﴿وَحَسِبُوٓا۟ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَحَسِبُوٓا۟ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾؛ أي: لا يكون شركٌ في قَتْلِهم الأنبياءَ وتكذيبِهم إيّاهم.

= لسيبويه (٣/ ١٥١)، و«مجاز القرآن» (٢/ ٢٢)، و«الجنى الداني» للمرادي (ص: ٣٩٨).

(١) أي: خبر (إن).

(٢) «أي: أن الأمر والشأن» من (ن).

(٣) «فريقًا» من (ن).

وقيل: معناه: أنَّ تكذيبَهم إيّاهم وقتلَهم لا يجلبُ إليهم العذاب.

﴿فَعَمُواْ وَصَمُّواْ﴾؛ أي: عَمُوا عن الدَّلائل والهُدى، وصمُّوا عن استماعِ الحقِّ.

الزَّجّاجُ: أي: لم يعملوا بما رأوا ولا بما سمعوا، فصاروا كالعُمي والصُّمِّ[١].

﴿ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾؛ أي: تابوا وأقلعُوا.

وقيل: ثمَّ[٢] تابَ الله عليهم بإرسالِ محمَّدٍ عليه السَّلام.

﴿ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ﴾؛ أي: آمنَ بعضُهم وكفرَ كثيرٌ منهم.

و﴿كَثِيرٞ﴾ بدلٌ عن الواو، بدلُ البعضِ من الكلِّ.

وقيل: هم كثيرٌ منهم[٣].

وقيل: هو على لغة: (أكلوني البراغيث)[٤].

﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾ فيجازيَهم على وَفْقِ أعمالهم.

ويُستعمَل بعد باب ظننْتُ (أن) المخفَّفة والمحقَّقة؛ فمَن نصب فهي المخفَّفة، ومَن رفع فهي المحقَّقة خُفِّفت، وتقديره: أنَّه لا يكون[٥].

***

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ١٩٥).

(٢) «ثم» من (ن).

(٣) أي: يكون خبر مبتدأ محذوف. انظر: «إعراب القرآن» للأصبهاني (ص: ١٠٣).

(٤) في هامش (ن): «تقديره: عموا كثير، وهو فاعل (عموا)، ولا يجوز ذلك؛ لأنك لا تقول: جاؤوا القومُ، وهو مثل: أكلوني البراغيث». وانظر: «الكتاب» لسيبويه (١/ ٧٨)، و«معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٥٨)، و«الأصول» لابن السراج (١/ ١٧٢).

(٥) المخفَّفة هنا هي التي تنصب المضارع، والمحقَّقة هي الداخلة على الجملة الإسمية. انظر: «شرح الكتاب» للسيرافي (٣/ ٤٠٦).

(٧٢) ـ ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾.

﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ سبقَ تفسيرُه.

﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ﴾؛ أي: غيرَ الله.

﴿فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ﴾؛ أي: منعَها منه.

﴿وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾: مرجعُه.

﴿وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ﴾؛ أي: الكافرين ﴿مِنْ أَنصَارٍ﴾.

***

(٧٣) ـ ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّآ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾.

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ﴾؛ أي: ثالثُ ثلاثةِ آلهةٍ.

﴿وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّآ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ وهو الله سبحانه.

وإنَّما كرَّرَ الآيَةَ لاختلاف أقوالهم، ولأنَّ اليعقوبيّةَ من النَّصارى ـ لعنهم الله تعالى ـ زعموا أنَّ الله تعالى ربَّما تجلَّى في بعض الأزمان[1] في شخصٍ، فتجلَّى يومئذٍ في شخصِ عيسى، فظهرَت منه الآياتُ والمعجزات، والملكانيَّةَ قالوا: إنَّ الله

(١) في (ن): «المواطن».

اسمٌ يجمعُ أبًا وابنًا وروحَ القدس؛ اختلفَ بالأقانيم، والذّاتُ واحدةٌ، فأخبرَ الله أنَّ كِلا[1] الفريقين كافران[2].

***

(٧٤) - ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ بالإيمانِ بمحمَّدٍ عليه السَّلام.

﴿وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ﴾ عن كفرِهم.

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ لمن آمَنَ واستغفرَ.

***

(٧٥) - ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾.

﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ ﴾: بشرٌ أكرمَه اللهُ برسالتِه وأيَّده بمعجزاتِه.

﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾؛ أي: مَن مضى مِن الرّسلِ كان بهذه الصِّفة[3].

﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ﴾: صدَّقَت بكلماتِ ربِّها.

﴿كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾؛ أي: كانا محتاجين إلى الطَّعام كسائر الحيوان.

---

(١) في (ن): «المواطن».

(٢) تقدَّم الكلام على الفرقتين وقولهما، وانظر: «الملل والنحل» (٢/ ٢٧ و٣٠)، و«الخطط والاعتبار» للمقريزي (٢/ ٢٧).

(٣) زاد هنا في (و): «فلم اتخذتموه إلهًا»، وستأتي بعد قليل في مكانها الصحيح في (ن).

وقيل: هو كنايةٌ عن الحدث(١).

أي: مَن كان بهذه الصِّفة لا يصلحُ للرُّبوبيّة، فَلِمَ اتخذتموه إلهًا؟!

﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ على كونِ عيسى عليه السَّلام عبدًا مخلوقًا.

﴿ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾: يُصرَفون عن التَّأمُّل فيها والتَّدبُّر.

وأصلُ الكلمة: الصَّرف، أَفَكَهُ: صَرَفَه وقلبَه، والإفكُ: الكذبُ، والمؤتفكات من هذا(٢).

***

(٧٦) ـ ﴿قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾.

﴿قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا﴾ قيل: هو متَّصلٌ بما قبله، والمرادُ به: عيسى عليه السَّلام، و(ما) بمعنى: (مَن).

وقيل: استئنافٌ واعتراضٌ، والمرادُ به: الأصنامُ.

﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لدعائِكم الأصنامَ ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾ بمجازاتِكم.

***

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٧٨)، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٣٦)، واستغربه.

(٢) انظر: «إصلاح المنطق» لابن السكيت (ص: ٢٤).

(٧٧) ـ ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ الغُلُوُّ: مجاوزةُ الحدِّ، وغلوُّ اليهودِ قولُهم فيه: إنَّه ساحرٌ كذّابٌ، وإنَّه لغيرِ رَشدةٍ، وغلوُّ النَّصارى اتِّخاذُهم إيّاه إلهًا.

وقولُه: ﴿غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ يجوزُ أن يكون معناه: غيرَ مُحقِّين[1].

وقيل: ﴿غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾: إلّا الحقَّ، فيجوز الغلوُّ فيه[2].

وقيل: تقديرُه: ولا تقولوا غيرَ الحقِّ[3].

﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ﴾ يعني: أسلافَهم.

﴿وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا﴾ يعني: أتباعَهم.

﴿وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ قيل: هو تبيانٌ للأوَّل؛ أي: ضلالُهم عن قصدِ السَّبيل، وهو الإسلامُ وطريقُ الجنّة، لا عن شيءٍ آخر.

وقيل: الضَّميرُ في ﴿وَضَلُّوا۟﴾ يعودُ إلى قوله: ﴿كَثِيرًا﴾.

وقيل: يريدُ: ضلُّوا مِن قبلُ وضلُّوا مِن بعدُ.

---

(١) ذكر هذا الوجه الواحدي في «البسيط» (٧/ ٤٨٧)، والعكبري في «التبيان» (١/ ٤٥٤).

(٢) ذكر هذا الوجه الواحدي أيضاً في «البسيط» (٧/ ٤٨٧)، واستبعده أبو حيان في «البحر المحيط» (٤/ ٣٣٥).

(٣) ففي الآية على هذا التقدير حذف، والمعنى: لا تغلوا في دينكم، ولا تقولوا على الله غير الحق. انظر: «تفسير الطبري» (٧/ ٧٠٠)، و«إعراب القرآن» للباقولي (١/ ٣٠٢). وقد اختار الزمخشري في «الكشاف» (١/ ٦٦٦): أنّه صفة للمصدر، والتقدير: غلواً غير الحق، ووافقه العكبري وأبو حيان في «البحر المحيط» (٤/ ٣٣٥).

(٧٨) ـ ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴾.

﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ ﴾؛ أي: لعنَهم الله في الزَّبور والإنجيل، وأبعدَهم عن خيرِه ورحمتِه.

والأصحُّ أنَّ المرادَ باللَّعنِ[1] هاهنا: المسخُ؛ فإنَّ اليهودَ مُسِخَتْ قردةً في زمان داود لاعتدائهم في[2] السَّبت، ومُسِخَتْ خنازير في زمان عيسى لـمّا كفروا بعدَ إنزال المائدة.

الكلبيُّ: لـمّا اعتدوا في السَّبت قال داودُ عليه السَّلام: اللَّهـمَّ ليلبسوا اللَّعنة مثل الرِّداءِ ومثل منطقة الحقوين، اللَّهمَّ اجعلهم آيةً ومثلًا لخلقِك؛ فأصبحوا قردةً[3].

﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: اللَّعن ﴿بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ﴾؛ أي: بعصيانِهم اللهَ ورسولَه، واعتدائِهم ما حُرِّمَ عليهم من الصَّيدِ في السَّبت.

***

(٧٩) ـ ﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴾.

﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُ﴾: لا يَنهى هذا ذاك ولا ذاك هذا.

والمنكرُ: صيدُ الحيتانِ في السَّبت.

---

(١) في (و): «بالكفر».

(٢) «في» من (ن).

(٣) لم أقف عليه عن الكلبي، وذكر نحوه مقاتل بن سليمان في «تفسيره» (١/ ٤٩٦)، وذكر نحوه بلا نسبة: الثعلبي في «تفسيره» (١١/ ٤٥١)، والواحدي في «البسيط» (٧/ ٤٩٠).

وقيل: أخذُ الرِّشا وأكلُ الرِّبا.

وقيل: هو قولُهم: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ [الأعراف: ١٦٤].

﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾: هذا ذمٌّ لصنيعِهم.

***

(٨٠) ـ ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾.

﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾: من اليهود والنَّصارى.

الحسنُ: من اليهود خاصّةً[1].

﴿يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: يُوالون المشركين بُغضًا لرسول الله عليه السَّلام والمؤمنين وتوهينًا لأمورِهم.

﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾؛ أي: بئسَ شيئًا قدَّموا ليَرِدُوا عليه يومَ القيامة سخطُ الله والخلودُ في النّار.

وقيل: بئسَ شيئًا ذلك؛ لأنَّ كسبَهم السّخطُ[2] والخلودُ في النّار.

***

(١) لم أقف عليه عن الحسن، وذكره بلا نسبة الثعلبي في «تفسيره» (١١/ ٤٥٣)، والواحدي في «البسيط» (٧/ ٤٩١)، وعزاه ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٥٧٤) إلى مقاتل في آخرين، ونسب للحسن القول بأن الآية في المنافقين.

(٢) في (و): «السخطة».

(٨١) - ﴿ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾.

﴿ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ ﴾؛ أي: نبيِّهم.

﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ﴾ يعني: كتابَهم[1].

﴿مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾: خارجون عن دينِهم؛ فليس لهم دينٌ البتّةَ.

وقيل: نزلت في منافقي اليهود، ﴿وَالنَّبِيِّ﴾: محمَّد عليه السَّلام، و﴿ما أُنزِلَ إِلَيْهِ﴾: القرآن.

***

(٨٢) - ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾.

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ﴾ في سببِ النُّزولِ: عن سعيد بن المسيَّب وعروةَ بنِ الزُّبير وغيرهما قالوا: بعث رسولُ الله عليه السَّلام عَمرَو بنَ أميّةَ الضَّمريَّ وكتبَ معه إلى النَّجاشيِّ، فقَدِمَ على النَّجاشيِّ، وقرأ كتاب رسول الله عليه السَّلام، ثم دعا جعفرَ بنَ أبي طالبٍ والمهاجرين معه، وأرسل إلى الرُّهبان والقسِّيسين فجمعَهم، ثم أمر جعفرًا أن يقرأ عليهم القرآن، فقرأ عليهم جعفرٌ (سورةَ مريم)، فآمنوا بالقرآن، وفاضت أعينُهم من الدَّمع، وهم الذين أنزلَ فيهم:

---

(١) في (و): «نبيهم».

﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ﴾... إلى قوله: ﴿الشَّاهِدِينَ﴾[١].

وعن سعيدِ بنِ جُبيرٍ: بعث النَّجاشيُّ إلى رسول الله عليه السَّلام من خِيارِ أصحابه ثلاثين رجلًا، فقرأ عليهم (سورةَ يس)، فبكوا فنزلَت فيهم هذه[٢] الآية[٣].

والمعنى: لَتَعلَمَنَّ اليهودَ والمشركين أشدَّ النّاسِ عداوةً للمؤمنين، ولَتعلمنَّ النَّصارى أقربَ النّاسِ مودّةً للمؤمنين؛ لأنَّ اليهودَ قاسيةُ القلوب.

وقيل: يريدُ به: اليهودَ الذين كانوا بالمدينة حين قدمِها النَّبيُّ عليه السَّلام، وأمّا النَّصارى فالمرادُ: المسلمون منهم؛ لأنَّهم الذين آمنوا حين سمعوا القرآن.

الزَّجّاجُ: أوَّلُ الآية في جميع النَّصارى؛ لأنَّهم أقلُّ مظاهرةً للمشركين من اليهود، وآخرُها في المؤمنين منهم[٤].

ثم ذكرَ سببَ ذلك فقال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا﴾ القَسُّ والقِسِّيسُ: اسمُ الكبيرِ الزّاهدِ العالمِ منهم، وجمعُ تكسيرِه القساسيس[٥] من حيث القياسُ، ومن حيثُ السَّماعُ: القساوسة بالواو، حكاه الأزهريُّ في «تهذيب اللّغة»[٦]،

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٨٥)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٠٣).

(٢) «هذه» من (ن).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٥٩٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٨٤)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٠٤)، واللفظ له.

(٤) هذا معنى قوله. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٠٠).

(٥) في (و): «القساوسة».

(٦) انظر: «تهذيب اللغة» (٨/ ٢١٣ ـ ٢١٤) مادة (ق س س)، وفيه: وقال الفراء في كتاب «الجمع والتثنية»: يجمع القسيس قسيسين، كما قال الله جل وعز، ولو جمعته قسوسًا كان صوابًا؛ لأنهما في معنى واحد؛ يعني: القس والقسيس. قال: ويجمع القسيس قساوسة؛ جمعوه على مثال مهالبة، =

وأنشد فيه بيتًا(١).

والقَسُّ في اللُّغة: نشرُ الحديثِ والنَّميمة.

والرُّهبانُ: جمعُ راهبٍ، وهو الذي يرهَبُ اللهَ؛ أي: يخافُه.

﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾: لا يتعظَّمون ولا يَأنفون من اتِّباعِ محمَّدٍ عليه السَّلام والإيمانِ به وبما جاءَ به.

* * *

(٨٣) ـ ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾.

﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ﴾ يعني: القرآنَ ﴿تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾: تمتلئُ عيونُهم دموعًا، فتسيلُ ﴿مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾: من القرآنِ وصفةِ محمَّدٍ عليه السَّلام والبشارةِ به في كتابِهم.

﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا﴾ بمحمَّدٍ عليه السَّلام، ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾؛ أي: اجعلنا مع الذين شهدوا أن لا إله إلّا الله وأنَّ محمَّدًا رسول الله.

وقيل: اكتبنا في اللَّوحِ المحفوظِ معهم.

وقيل: أثبتنا معهم.

= فكثرت السينات، فأبدلوا إحداهن واواً، وربما شُدِّد الجمع، ولم يُشدَّد واحده، وقد جمعت العرب الأتون أتاتين، وأنشد لأمية:

لـو كان مُنفلـتٌ كانَـت قساوسـةٌ يُحيِيهـمُ الله في أيديهـم الزُّبـرُ

وظاهر ما حكاه الأزهري أن قياس جمعه هو قساسسة؛ بثلاث سينات، والله أعلم.

(١) من قوله: «من حيث القياس» إلى قوله «وأنشد فيه بيتًا» من (ن).

ثم إنَّ قومَهم عنَّفوهم على إيمانِهم[1]، فأجابوا بقولهم:

(٨٤) ـ ﴿ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾.

﴿ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ﴾.

وقيل: كأنَّ سائلًا سألَهم.

والمعنى: لأيِّ شيءٍ نمتنعُ عن الإيمان بالله[2] ﴿وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ يعني: محمَّدًا والقرآنَ ﴿وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا﴾ الجنّةَ ﴿مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: الأنبياءِ والمؤمنين؟

* * *

(٨٥) ـ ﴿ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾.

﴿ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾: المؤمنين؛ أي: بقولِهم: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا﴾ واعتقادِهم ذلك.

* * *

(٨٦) ـ ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾.

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ﴾ يعني[3]: اليهودَ والمشركين ومَن لم يؤمن من النَّصارى ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾.

(١) في (و): «إيجابهم».

(٢) «بالله» من (ن).

(٣) في (و): «ذلك يعني».

(٨٧) ـ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَـٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَـٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ في سببِ النُّزولِ: أنَّ رسولَ الله عليه السَّلام جلسَ يومًا فذكَّرَ النّاسَ ووصفَ القيامة، ولم يزدهم على التَّخويف، فرقَّ النّاسُ وبكَوا، فاجتمعَ عشرةٌ من الصَّحابةِ في بيت عثمانَ بنِ مظعون الجمحيِّ، واتَّفقوا على أن يصوموا النَّهار ويقوموا اللَّيل، ولا يناموا على الفُرُش، ولا يأكلوا اللَّحمَ ولا الوَدَكَ[١]، ولا يقربوا النِّساءَ والطِّيبَ، ويلبسوا المسوح ويرفضوا الدُّنيا، ويَسيحوا في الأرض، ويترهَّبوا، ويجبُّوا المذاكير، فبلغ ذلك رسولَ الله عليه السَّلام فقال[٢]: «ألم أُنْبأْ أنَّكم اتَّفقتم على كذا وكذا؟!» قالوا: بلى يا رسول الله، وما أردْنا إلّا الخير، فقال: «إنِّي لم أُؤْمرْ بذلك، إنَّ لأنفسِكم عليكم حقًّا، فصومُوا وأفطرُوا، وقومُوا وناموا؛ فإنِّي أقومُ وأنامُ، وأصومُ وأفطرُ، وآكلُ اللَّحمَ والدَّسَمَ، ومَن رغبَ عن سُنَّتي فليسَ منِّي»، ثمَّ جمعَ النّاس وخطبَهم فقال: «ما بالُ أقوامٍ حرَّموا النِّساءَ والطَّعامَ والطِّيبَ والنَّومَ وشهواتِ الدُّنيا، أما إنِّي لست آمرُكم أن تكونوا قسِّيسينَ ورهبانًا؛ فإنَّه ليس[٣] في ديني تركُ اللَّحمِ والنِّساءِ ولا اتِّخاذُ الصَّوامع، وإنَّ سياحةَ أمَّتي الصَّوم، ورهبانيَّتَهم الجهاد، اعبدوا الله، ولا تشركوا به شيئًا، وحجُّوا، واعتمُروا، وأقيموا الصَّلاة، وآتوا الزَّكاة، وصُوموا شهرَ رمضان، فإنَّما أُهلِكَ مَنْ كانَ قبلَكم بالتَّشدُّد، شَدَّدوا[٤] على أنفسِهم، فشدَّد الله عليهم، فأولئكَ بقاياهم في

---

(١) الودك: دسم اللحم والشحم، وهو ما يتحلب من ذلك. انظر: «المصباح المنير» مادة (و د ك) (٢/ ٦٥٣).

(٢) «فقال» من (ن).

(٣) في (و): «فليس».

(٤) في (و): «فشددوا».

الدَّيراتِ والصَّوامع»، فأنزلَ الله هذه الآية، فقالوا: يا رسولَ الله، فكيف نصنعُ بأيمانِنا التي حلفنا عليها، وكانوا حلفُوا على ما عليه اتَّفقوا، فأنزلَ الله هذه الآية: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٥][1].

وعن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّ رجلًا أتى رسولَ الله عليه السَّلام فقال: إنِّي[2] إذا أكلتُ اللَّحمَ انتشرْتُ[3] إلى النِّساء، وإنِّي حرَّمتُ عليَّ اللَّحم، فنزلَت: ﴿لَا تُحَرِّمُوا﴾[4]؛ أي: لا تمتنعُوا من أكلِ اللَّذيذاتِ من الأطعمة والأشربة، ولا مِن التَّمتُّعِ بالملابس والنِّساء والجواري باليمين والنَّذر.

﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾: ولا تجاوزوا الحدَّ الذي حُدَّ[5] عليكم في تحريمٍ ولا تحليلٍ؛ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾.

* * *

(٨٨) - ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا﴾: مُستلَذًّا، وتمتَّعوا به.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾: ولا تُجْرُوا ما أحلَّ اللهُ مجرى ما حرَّمَه الله.

* * *

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (١١/ ٤٦٦)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٢٠٥)، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٦٠٩) عن السدي، وقال ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ١٥٤): «وقد ذكر هذه القصة غير واحد من التابعين مرسلة، ولها شاهد في الصحيحين».

(٢) «إني» من (ن).

(٣) في (و): «أكلت استثرت».

(٤) رواه الترمذي (٣٠٥٤)، وقال: «حسن غريب».

(٥) في (و): «ولا تجاوزا ما حرم».

(٨٩) ـ ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْۚ وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾: هو ما يَبدو من المرءِ من غيرِ قصدٍ بالقلبِ، وقد سبقَ في (البقرة).

﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ﴾ بالقلبِ واللِّسان.

و(ما) يجوزُ أن تكونَ للمصدرِ؛ أي: بعقدكم، ويجوزُ أن تكونَ الموصولة؛ أي: عاقدتم عليه ثم حذف[1].

﴿فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ﴾؛ أي: فالذي يسترُ إثمَه ويَذهبُ به ﴿إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ الزَّجّاجُ: الأوسطُ: الأعدلُ[2].

وقيل: الخيارُ.

ومعنى الأوسطِ: في القيمة، وقيل: في الشِّبَع.

وهو الخبزُ والإدامُ، وقيل: الخبزُ واللَّحم.

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: الأوسطُ في المقدار على قدرِ العُسرِ واليُسر[3].

---

(١) أي: حذف الضمير العائد إلى اسم الموصول، كما بيَّن أبو علي الفارسي في «الحجة» (٣/ ٢٥٣)، وفي (ن) زيادة: «وحذف».

(٢) «الأعدل» ليس في (ن). انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٠٢).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٦٣٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٩٣)، وروى ابن ماجه (٢١٣٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان الرجل يقوت أهله قوتاً فيه سعة، وكان الرجل يقوت أهله قوتاً فيه شدة، فنزلت: ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾».

وقيل: يُطعمُ كلَّ واحدٍ نصفَ صاعٍ من بُرٍّ، أو صاعًا من تمرٍ أو شعيرٍ وغيرِهما من الحبوبِ التي يَقتاتُ أهلُ البلد.

﴿أَوۡ كِسۡوَتُهُمۡ﴾ يريدُ: ثوبًا.

وقيل: ثوبين؛ إزارًا ورداءً.

وقيل: عباءةً يلتحفُ بها، أو عمامةً يشدُّ بها رأسَه.

﴿أَوۡ تَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ﴾ يريد: إعتاقَ إنسانٍ، وخصَّ الرَّقبةَ بالذِّكرِ لأنَّ المملوكَ مشبَّهٌ بالأسيرِ المشدودِ رقبته، وإعتاقُه كإطلاقِه.

﴿فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ﴾ أيَّ واحدٍ من الثَّلاثةِ المذكورة.

وقيل: مَن لم يجد قوتَه وقوتَ مَن يَقوتُه.

وقيل: مئتي درهمٍ.

﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ﴾؛ أي: فكفّارتُه صيامُ ثلاثةِ أيّام.

وفي مصحفِ ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه: (متتابعات)[1].

﴿ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيۡمَٰنِكُمۡ إِذَا حَلَفۡتُمۡ﴾ يريدُ: إذا حلفتُم وحَنثتُم.

﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ﴾؛ أي: لا تحلفُوا أصلًا.

وقيل: احفظوها عن الحنثِ وتركِ الكفّارة.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٥٠٠)، و«معاني القرآن» للفراء (١/ ٣١٨)، و«تفسير عبد الرزاق» (٧٢٨)، و«تفسير الطبري» (٨/ ٦٥٢). وذكر ابن أبي داود في «المصاحف» (ص: ١٦٥): أنها كذلك في مصحف أبي بن كعب، وقد تقدم أن أمثال هذا من باب التفسير والبيان، وأنَّ القراءة بذلك شاذة، فمن قرأ بذلك في القرآن وجبت عليه الإعادة، كما قال ابن أبي داود، وانظر ما قاله الباقلاني في «الانتصار للقرآن» (٢/ ٤٢٥).

﴿كَذَٰلِكَ﴾؛ أي: كمثلِ ذلك[١] كفّارةُ اليمين ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾[٢].

وقيل: كبيانِ الأحكامِ التي مضَت في أوَّلِ السّورة.

﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

* * *

(٩٠) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ﴾ في سببِ النُّزولِ: أنَّ عمرَ رضي الله عنه قال: اللَّهمَّ بيِّن لنا في الخمر بيانًا شافيًا، فأنزلَ الله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ [البقرة: ٢١٩]، فقُرِئَت على عمرَ رضي الله عنه فقال رضي الله عنه: اللَّهمَّ بيِّن لنا في الخمر بيانًا شافيًا، فنزلَت: ﴿لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾ [النساء: ٤٣]، فقُرِئَت على عمرَ فقال: اللَّهمَّ بيِّن لنا في الخمر بيانًا شافيًا، فنزلَت هذه الآية، فقُرِئَت على عمرَ[٣] إلى قوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ قال عمرُ رضي الله عنه: انتهينا انتهينا[٤].

وقيل: نزلَت في حمزةَ بنِ عبدِ المطَّلب لـمّا قعدَ شاربًا مع جماعةٍ وعندهم قَيْنةٌ كانت تغنِّيهم فجاعت، وكانت عند حمزة شارفان[٥] لعليٍّ أعدَّهما لزفافِ فاطمة، فبعثَتْه القَيْنةُ على نحرهما بأبياتٍ غنَّته بها، فنحرَهما وكان سكران،

---

(١) في (و): «كذا» بدل «كمثل ذلك».

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٨١).

(٣) «فقرئت على عمر» من (ن).

(٤) رواه أبو داود (٣٦٧٠)، والترمذي (٣٠٤٩)، والنسائي (٥٥٤٠).

(٥) الشارف: الناقة المسنة الكبيرة. انظر: «جمهرة اللغة» مادة (ش ر ف) (٢/ ٧٢٩)، و«جامع الأصول» (٥/ ١١٤).

فأُخْبِـرَ النَّبـيُّ عليه السَّـلام بذلك، فشـقَّ عليه ذلـك، فأُنزِلَت هـذه الآية[١].

وقيل: في سعدِ بن أبي وقّاصٍ[٢].

وأكثرُ المفسِّرين على أنَّ المحرِّمةَ هذه الآية.

والخمرُ: عصيرُ العنبِ بعدما اشتدَّ فصارَ مسكرًا.

والميسرُ: القمارُ كلُّه، وقد سبقَ في (البقرة) بيانُه.

﴿وَٱلْأَنصَابُ﴾: أصنامٌ كانت تُنصَب للعبادة.

وقيل: كانت تُنصَبُ فيَنصَبُّ عليها دمُ القرابين.

﴿وَٱلْأَزْلَٰمُ﴾ سبقَ تفسيرُه.

﴿رِجْسٌ﴾: قذرٌ ونجسٌ.

وقيل: حرامٌ.

وقيل[٣]: ﴿رِجْسٌ﴾: رجزٌ، وفيه بُعدٌ[٤].

---

(١) هذه الفقرة مختصرة في (ن)، فقد جاء بدلها: «نزلَت في حمزةَ وشارفي علي رضي الله عنهما». وأصل الحديث رواه البخاري (٣٠٩١)، ومسلم (١٩٧٩) من حديث علي رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم (١٧٤٨) من حديث مصعب بن سعد عن أبيه رضي الله عنه، وفيه: «أنه نزلت فيه آيات من القرآن... قال: أتيت على نفر من الأنصار والمهاجرين، فقالوا: تعال نطعمك ونسقك خمرًا، وذلك قبل أن تحرم الخمر، قال: فأتيتهم في حش ـ والحش البستان ـ فإذا رأس جزور مشوي عندهم، وزق من خمر. قال: فأكلت وشربت معهم، قال: فذكرت الأنصار والمهاجرين عندهم. فقلت: المهاجرون خير من الأنصار. قال: فأخذ رجل أحد لحيي الرأس فضربني به فجرح بأنفي، فأتيت رسول الله ﷺ، فأخبرته، فأنزلَ الله عز وجل فيَّ ـ يعني: نفسه ـ شأن الخمر: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ...﴾».

(٣) «وقيل» ليس في (ن).

(٤) أي: في هذا الموضع، وقد استغرب المصنِّف تفسير الرجز بالنتن في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٨٥)، =

﴿مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾؛ أي: هو الذي دعا إلى عملِه بتزيينِه.

﴿فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: اجتنبوا الشَّيطان.

ابنُ الأنباريِّ: اجتنبوا ما ذكرنا[1].

ويحتملُ ﴿فَٱجْتَنِبُوهُ﴾؛ أي: الرِّجس.

* * *

(٩١) - ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾.

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ بما يجري فيهما من المشاتمةِ والمغابنةِ.

﴿وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ حالةَ السُّكر والقَمْر.

﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾: استفهامٌ بمعنى الأمر؛ أي: انتهوا.

* * *

= وقد رُوِيَ تفسير الرجس بالرجز عن ابن عباس وابن زيد، وذكره أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (١/ ٢٠٦)، وذكر ابن قتيبة «تأويل مشكل القرآن» (ص: ٢٥٩): أنَّ الرجز العذاب، والرجس النتن، وذكر السجستاني في «غريب القرآن» (ص: ٢٤٦) أنها يأتيان بمعنى العذاب، وينفرد الرجس بمعنى القذر، وقد قُرئ بهما في الأنفال، كما سيأتي.

(١) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٥٨٢) عن ابن الأنباري، ولفظه: «فإن قيل: كيف ذكر في هذه الآية أشياء، ثم قال: فاجتنبوه؟ فالجواب: أن الهاء عائدة على الرجس، والرجس واقع على الخمر والميسر والأنصاب والأزلام، ورجوع الهاء عليه بمنزلة رجوعها على الجمع الذي هو واقع عليه، ومنبئ عنه».

(٩٢) ـ ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾.

﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُواْ﴾ مخالفته.

﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن ذلك، ﴿فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾؛ أي: ليس عليه إلّا التَّبليغ، وإلى الله التَّوفيق والخذلان.

***

(٩٣) ـ ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ عن البراءِ بن عازبٍ رضي الله عنه قال: ماتَ ناسٌ من أصحاب رسول الله عليه السَّلام وهم كانوا يشربون الخمر[1]، فلمّا حُرِّمت قال أناسٌ: كيف بأصحابِنا ماتوا وهم يشربونَها؟ فنزلَت هذه الآية[2].

والمعنى: ليس على المؤمنين الصّالحين ﴿جُنَاحٌ﴾: إثمٌ ﴿فِيمَا طَعِمُوٓاْ﴾؛ أي: شربُوا من الخمرِ وأكلُوا من الميسرِ قبلَ تحريمِها ﴿إِذَا مَا ٱتَّقَواْ﴾ الشِّركَ ﴿وَّءَامَنُواْ﴾ باللهِ ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ﴾ الخمرَ والميسرَ بعد التَّحريم[3] ﴿وَّءَامَنُواْ﴾ بتحريمِه ﴿ثُمَّ ٱتَّقَواْ﴾ سائرَ المحرَّمات ﴿وَّأَحْسَنُواْ﴾ إلى النّاسِ وإلى أنفسِهم[4].

---

(١) «الخمر» من (ن).

(٢) رواه الترمذي (٣٠٥٠)، وقال: «حديث حسن صحيح».

(٣) من قوله: «وآمنوا بالله» إلى قوله: «بعد التحريم» من (ن).

(٤) قال الرازي في «التفسير الكبير» (١٢/ ٤٢٧): «إن قيل: لم شرط رفع الجناح عن تناول المطعومات بشرط الإيمان والتقوى مع أن المعلوم أن من لم يؤمن ومن لم يتق ثم تناول شيئًا من المباحات فإنه لا جناح عليه في ذلك التناول، بل عليه جناح في ترك الإيمان وفي ترك التقوى، إلا أن ذلك لا تعلق =

وقيل: ﴿إِذَا مَا اتَّقَوا﴾ المحرَّماتِ قبلَ تحريمِ الخمر، ﴿ثُمَّ اتَّقَوا﴾ الخمرَ بعد التَّحريم، ﴿ثُمَّ اتَّقَوا﴾ ما عسى يُحرَّم.

ابنُ عيسى: الأوَّلُ عملُ الاتِّقاء، والثّاني دوامُ الاتِّقاء، والثّالث ضمُّ الإحسانِ إلى الاتِّقاء(١).

﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

***

(٩٤) - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ﴾: يعاملكم الله مُعاملةَ المُبتلي المُختبِرِ ﴿بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ﴾ يريدُ: حَمامَ مكّةَ والحرمِ وفراخَها ﴿تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ﴾ من السُّقوفِ والكُوى وفروعِ الأشجار.

﴿وَرِمَاحُكُمْ﴾ إذا بَعُدَ، وفاتَ اليدَ.

= له بتناول ذلك المباح، فذكر هذا الشرط في هذا المعرض غير جائز.

قلنا: ليس هذا للاشتراط، بل لبيان أن أولئك الأقوام الذين نزلت فيهم هذه الآية على هذه الصفة ثناء عليهم وحمدًا لأحوالهم في الإيمان والتقوى والإحسان، ومثاله أن يقال لك: هل على زيد فيما فعل جناح، وقد علمت أن ذلك الأمر مباح؟ فتقول: ليس على أحد جناح في المباح إذا اتقى المحارم وكان مؤمناً محسناً، تريد: أن زيداً إن بقي مؤمناً محسناً فإنه غير مؤاخذ بما فعل».

(١) لم أقف على قول ابن عيسى، وقد ذكر المصنِّف وجوهاً أخرى لتكرار (اتقوا) في الآية في «غرائب التفسير» (١/ ٣٣٧) فقال: «في تكرارها أقوال:

أحدها: (اتقوا) فيما مضى... (ثم اتقوا) للحال، (ثم اتقوا) في المستقبل.

وقيل: (اتقوا) الكفر، (ثم اتقوا) المعاصي، (ثم اتقوا) داموا على التقوى.

العجيب: (اتقوا) الشرك، (ثم اتقوا) الكبائر، (ثم اتقوا) الصغائر».

مجاهدٌ: كانُوا بالحديبية، فجعلت الوحوشُ تغشى رحالَهم(١) كثرةً(٢).

وقيل: هو صيدُ الحرمِ كائنًا ما كان من بيضِ النَّعامِ وفراخِه وسائرِ الوحشِ حتَّى الجراد.

﴿لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ﴾ علمَ مشاهدةٍ ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ غائبًا عنه.

وقيل: غائبًا عن المؤمنين، فلا يصيدُه سرًّا كما لا يصيدُه جهرًا.

﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ الظّاهرُ أنَّه يعودُ إلى الابتلاء؛ لأنَّ التَّقديرَ: ليبلونَّكم الله بتحريمِ شيءٍ من الصَّيد.

﴿فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾؛ أي: فصادَ، فله عذابٌ أليمٌ(٣).

قيل: في الآخرة.

وقيل: في الدُّنيا بالضَّربِ والتَّأديب.

* * *

(٩٥) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ يريد: صيدَ الحَرَمِ وغيرَه.

و(حُرُمٌ): جمعُ حرامٍ(٤).

---

(١) في (و): «وجوههم».

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٠٤) عن مقاتل بن حيان، وذكر الماوردي نحوه عن الكلبي في «النكت والعيون» (٢/ ٦٦).

(٣) «أليم» من (ن).

(٤) في (ن): «إحرام».

﴿وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا﴾ ابنُ عبّاسٍ في جماعةٍ: ذاكِرًا إحرامَه[١].

وقيل: يتعمَّدُ القتلَ وينسى الإحرام.

﴿فَجَزَآءٌ﴾؛ أي: فعليه جزاءٌ.

﴿مِّثْلُ مَا قَتَلَ﴾: يُماثِلُ ما قتلَ[٢] ﴿مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾.

صفةُ الجزاء[٣]، ومَن أضافَ فـ﴿مِثْلِ﴾ زيادةٌ.

والنَّعَمُ: الإبلُ والبقرُ والشّاة.

الزَّجّاجُ: والظِّباء أيضًا نَعَمٌ.

﴿يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾: عدلان مُسلِمان.

﴿هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾: يُساقُ إلى مكّةَ[٤]، فيُذبَحُ ويُفرَّقُ على الفقراء والمساكين.

والمثلُ في الصُّورةِ والخِلْقة.

وقيل: في القيمة.

وقيل: ما وُجِدَ له مثلٌ في الصُّورة فمِثْلُه صورةً، وما لم يُوجَد له مثلٌ في الصُّورة فمثلُه في القيمة[٥].

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٠٥) بلفظ: «إن قتله متعمداً أو ناسيًا أو خطأً حكم عليه فإن كان متعمدًا عُجِّلت له العقوبة إلا أن يعفو الله عنه».

(٢) «يماثل ما قتل» من (ن).

(٣) أي: كلمة (مثلُ) على قراءة مَن رفعها صفة (جزاءٌ)، وقد قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر: (فجزاءُ) مضمومة مضافة وبخفض (مثلِ)، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي: ﴿فَجَزَآءٌ﴾ منونة مرفوعة ورفع ﴿مِّثْلُ﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٢٤٧)، و«التيسير» (ص: ١٠٠).

(٤) في (و): «كعبة».

(٥) انظر الأقوال الثلاثة في المراد بالمِثل وتفصيلها في «مختصر اختلاف العلماء» للطحاوي (٢/ ٢٠٧ - ٢١٠).

والكعبةُ: اسمٌ لبيت الله الحرام، وسُمِّي كعبةً لكونها مربَّعًا، وقيل[١]: لنتوئِه وتكعُّبِه.

وقيل: كلُّ بيتٍ منفردٍ فهو كعبةٌ.

﴿أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ﴾ يقوِّمُ العدلان الهديَ بالمكان الذي أصابه فيه، فيشتري بالثَّمن الطَّعام، ويقسمُ على مساكين مكّة.

﴿أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا﴾؛ أي: ما ساواه من الصَّوم، فيصومُ عن كلِّ صاعٍ يومًا.

وقيل: عن نصفِ صاعٍ.

وقيل: عن مدٍّ يومًا.

والعَدلُ بالفتح: ما ساوى شيئًا من غيرِ جنسِه، وبالكسر: من جِنسِه[٢].

﴿لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ﴾: لينالَ الثِّقلَ الشَّديدَ على مخالفتِه أمرَ الله تعالى، والوبيلُ[٣]: الثَّقيل، وسُمِّيت خشبةُ القصّار: وبيلًا مِن هذا.

﴿عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾؛ أي: عمّا مضى من قتلِ الصَّيدِ في الحرم والإحرام قبل التَّحريم.

﴿وَمَنْ عَادَ﴾؛ أي: إلى القتل بعد التَّحريم.

﴿فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ﴾؛ أي: فعليه الكفّارةُ والإثمُ.

وقيل: عليه الكفّارةُ فحسب، وهي الانتقامُ.

وقيل: عليه الإثمُ فحسب.

﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ لمن جاوزَ أمرَه.

---

(١) «كعبةً لكونها مربعًا، وقيل» من (ن).

(٢) انظر: «الصحاح» مادة (ع د ل) (٥/ ١٧٦١).

(٣) في (و): «والوبل».

(٩٦) ـ ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.

﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ﴾؛ أي: صيدُ الماء، والصَّيدُ المصدرُ، والصَّيدُ: المصيد.

﴿وَطَعَامُهُۥ﴾: ما نضبَ عنه الماء.

وقيل: ﴿طَعَامِهِۦ﴾: كلُّ ما فيه.

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿صَيْدُ ٱلْبَحْرِ﴾: الطَّريُّ[1]، و﴿طَعَامِهِۦ﴾: المملوحُ[2].

وقيل: ﴿طَعَامِهِۦ﴾: أكلُه[3].

وقيل: ﴿طَعَامِهِۦ﴾: ما سُقِيَ من ماء البحر.

﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ﴾: منفعةً لكم.

﴿وَلِلسَّيَّارَةِ﴾: المسافرين.

وقيل: المسافرين في البحر.

﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾؛ أي: في إحرامِكم.

والصَّيدُ: الفعلُ هاهنا، وجازَ تناولُ ما صادَه غيرُه حلالًا[4].

وقيل: هو المصيدُ أيضًا.

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٧٢٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢١٠).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٧٣١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢١١)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٣٨)، وعدَّه من العجائب.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٣٨)، واستغربه.

(٤) «حلالاً» من (ن).

(٩٧) ـ ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ﴾؛ أي: خلقَ ونصبَ.

﴿ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾ بدلٌ منها.

﴿قِيَمًا لِّلنَّاسِ﴾؛ أي: مصلحةً وبقاءً لأبدانِهم، فيكون (النّاسُ) أهلَ مكّةَ والبادية.

وقيل: مصلحةً لأديان النّاس، فيكون (النّاسُ) عامًّا[1].

﴿وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ﴾ سبقَ تفسيرُها.

﴿ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: يعلمُ مصالحَ ما في السَّماوات وما في الأرض.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾: علمَ مصالحَهم فيما فعل.

والقِيامُ: الثَّباتُ والاستقرار.

ومَن قرأ: ﴿قِيَمًا﴾[2] فهو مصدرٌ كالشِّبَع، ﴿وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ﴾ عطفٌ على ﴿ٱلْكَعْبَةَ﴾، والمفعولُ الثّاني محذوفٌ[3]، وهو ﴿قِيَمًا لِّلنَّاسِ﴾.

* * *

(١) «فيكون الناس عامًّا» ليس في (ن).

(٢) هي قراءة ابن عامر. انظر: «السبعة» (ص: ٢٤٨)، و«التيسير» (ص: ١٠٠).

(٣) كذا في النسختين الخطيتين، وفي العبارة إشكال، ولعل فيها سقطاً؛ فالمفعول الثاني مذكور، لكنه محذوف الألف على قراءة ابن عامر، والله أعلم. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٨٣)، و«التبيان» للعكبري (١/ ٤٦٣).

(٩٨) ـ ﴿ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾.

﴿ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ إنَّما قدَّمَ ذِكرَ العقوبة تخويفًا وتحريضًا على التَّوبةِ والإقلاع عن الذُّنوب[١].

* * *

(٩٩) ـ ﴿ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾.

﴿ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ ﴾؛ أي: لم نأمره إلّا بتبليغِ ما حُمِّلَ.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾ فلا يخفى عليه نِفاقٌ ولا وِفاقٌ.

* * *

(١٠٠) ـ ﴿ قُل لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾.

﴿ قُل لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ ﴾ الحسنُ: الحلالُ والحرام[٢].

ابنُ جريرٍ: الكافرُ والمؤمن[٣].

---

(١) في (و): «عنها».

(٢) في (و): «الحلال وما تكتمون». ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٧٠)، والواحدي في «البسيط» (٧/ ٥٤١).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٩/ ١٢)، وفيه: «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد: لا يعتدل الرديء والجيد، والصالح والطالح، والمطيع والعاصي ولو أعجبك كثرة الخبيث يقول: لا يعتدل العاصي والمطيع لله عند الله ولو كثر أهل المعاصي فعجبت من كثرتهم؛ لأن أهل طاعة الله هم المفلحون الفائزون بثواب الله يوم القيامة وإن قلوا دون أهل معصيته، وإن أهل معاصيه هم الأخسرون الخائبون وإن كثروا». ثم روى عن السدي قال: «الخبيث: هم المشركون، والطيب: هم المؤمنون».

وقيل: أهلُ الطّاعةِ وأهلُ المعصيةِ؛ أي: لا يستويان[١] في المنزلة والمكان.

﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ﴾؛ أي: أعجبتكَ كثرتُهم؛ فإنَّها إلى نقصٍ وزوالٍ.

﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَـٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

* * *

(١٠١) ـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ﴾ في سببِ نزولِها قولان:

قال ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: كانوا يسألون النَّبيَّ عليه السَّلام عن أشياءَ لا يَعنِيهم علمُها إعناتًا واستهزاءً وامتحانًا، وأنَّ رسول الله عليه السَّلام كان يخطبُ ذاتَ يومٍ غضبان من كثرة ما كانوا يسألونه، فقال في أثناء كلامِه: «لا تسألوني[٢] عن شيءٍ إلّا أجبتكم عليه ما دمْتُ في مقامي هذا»، فقام رجلٌ يُقالُ له: عبدُ الله من بني سَهْمٍ[٣]، فسألَه عن أبيه، وكان يُتنازَع فيه، فقال: «حذافةُ بنُ قيسٍ» وكان يُدعَى بغيره، وقامَ آخرُ يُطعَنُ في نسبِه فقال: مَن أبي؟ فقال: «جثامة» وكان يُعرَف بغيره[٤].

---

(١) في (و): «لا يستوي».

(٢) في (ن): «لا تسألونني».

(٣) في (و): «عبد الله بن سلام».

(٤) رواه البخاري (٤٦٢٢) مختصرًا بإبهام السائل، وجاء مصرحًا به في حديث أنس رضي الله عنه في البخاري (٦٣٦٢)، ومسلم (٢٣٥٩). ولم أقف على تسمية أبي السائل الثاني جثامة، وقد ذكر مقاتل في «تفسيره» (١/ ٥٠٨) أنّه سماه سعداً، وذكر ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٢/ ٢٤٥) وأبو حيان في «البحر المحيط» (٤/ ٣٨٠) أنه سماه سالم مولى أبي شيبة.

ويُروى: فقال: أين أنا؟ فقال: «في النّار»[1].

ويُروى: فقال: أين أبي؟ فقال: «في النّار»[2].

فرجعَ إلى أمِّه وحدَّثَها بما جرى فقالَت: صدقَ[3].

وكانَت في الجاهليّةِ مُناكَحاتٌ نسخَها الإسلام.

وذهب جماعةٌ إلى أنَّه لـمّا نزلَت: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ [آل عمران: ٩٧] سألَ سُراقةُ بنُ مالكٍ فقال: أفي كلِّ عامٍ يا رسول الله؟ فسكتَ رسولُ الله ﷺ[4]، فسألَه فسكتَ[5] مرّاتٍ، حتّى قال في الرّابعة: «لا، ولو قلتُ: نعم، لوجَبَ»، فأنزلَ الله تعالى هذه الآية[6].

---

(١) «فقال: في النار» من (ن). ذكره مقاتل في «تفسيره» (١/ ٥٠٨)، والماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٣/ ٦٣٢)، والثعلبي في «تفسيره» (١١/ ٥١٤)، والواحدي في «البسيط» (٧/ ٥٤١).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ١٧)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (١٤٧٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) وفي رواية مسلم (٢٣٥٩) في حديث أنس رضي الله عنه السابق: «قال ابن شهاب: أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، قال: قالت أم عبد الله بن حذافة، لعبد الله بن حذافة: ما سمعت بابن قط أعق منك؟ أأمنت أن تكون أمك قد قارفت بعض ما تقارف نساء أهل الجاهلية، فتفضحها على أعين الناس؟ قال عبد الله بن حذافة: والله لو ألحقني بعبد أسود للحقته».

(٤) «فسكت رسول الله ﷺ» من (ن).

(٥) «فسكت» ليس في (ن).

(٦) رواه مسلم (١٣٣٧) دون ذكر سبب نزول الآية من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: خطبنا رسول الله ﷺ، فقال: «أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج، فحجوا»، فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثًا، فقال رسول الله ﷺ: «لو قلت: نعم، لوجبت، ولما استطعتم»، ثم قال: «ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، =

وفي بعض الرّوايات: فاشتدَّ غضبُ رسول الله عليه السَّلام، فجثا عمرُ رضي الله عنه على رُكبَتيه فقال: رضينا بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمَّدٍ ﷺ نبيًّا، وبالقرآن إمامًا، إنّا يا رسول الله حديثو عهدٍ بجاهليّةٍ وشِركٍ، فاعفُ عنّا عفا الله عنك. فسكنَ غضبُه، وقال عليه السلام: «لقد صُوِّرَتْ لي الجنّةُ والنّارُ آنفًا في عرضِ هذا الحائط، فلم أرَ كاليومِ في الخيرِ والشَّرِّ»(١).

والمعنى: لا تسألوا عن أشياءَ كالسّائلِ عن أبيه.

﴿إِن تُبْدَ لَكُمْ﴾: إنْ يخبرْكم النَّبيُّ عليه السَّلام ﴿تَسُؤْكُمْ﴾: تغمُّكم.

﴿وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ﴾: يخبركم.

وقيل: معناه: إن لم تبتدؤوا بالسُّؤال عن التَّحريم والتَّحليل وتَوقَّعتم بيانَه حتَّى ينزلَ القرآنُ، كان أصلَحَ لكم.

﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا﴾ قيل: فيه تقديمٌ، والمعنى: لا تسألوا عن أشياء عفا الله عنها؛ أي: تجاوزَ عن الذَّنبِ الواقعِ بسببِها.

= فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه». ورواه الترمذي (٣٠٥٥)، وابن ماجه (٢٨٨٤) عن علي رضي الله عنه بذكر سبب نزول الآية، وقال الترمذي: «حديث حسن غريب».

(١) روى نحوه البخاري (٦٣٦٢)، ومسلم (٢٣٥٩) من حديث أنس رضي الله عنه، ولفظ البخاري: «سألوا رسول الله ﷺ حتى أحفوه المسألة، فغضب فصعد المنبر، فقال: «لا تسألوني اليوم عن شيء إلا بينته لكم» فجعلت أنظر يميناً وشمالاً، فإذا كل رجل لافٌّ رأسه في ثوبه يبكي، فإذا رجل كان إذا لاحى الرجال يدعى لغير أبيه، فقال: يا رسول الله من أبي؟ قال: «حذافة»، ثم أنشأ عمر فقال: رضينا بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ رسولاً، نعوذ بالله من الفتن، فقال رسول الله ﷺ: «ما رأيت في الخير والشر كاليوم قط، إنه صورت لي الجنّة والنار، حتى رأيتهما وراء الحائط» وكان قتادة يذكر عند هذا الحديث هذه الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾».

وقيل: خفَّفَ(١) بها عنكم، فلَمْ يتعبَّدْكم فيها.

وقيل: هو واقعٌ موقعَه، وتقديرُه: عفا الله عمّا سألتُم فلا تسألُوا بعدَها.

ابنُ عيسى: يجوزُ أن تعودَ الهاء(٢) في ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا﴾ إلى ﴿أَشْيَآءَ﴾، فيكون حقُّه التَّقديم(٣)، ويجوزُ أن تعودَ إلى المسألة فهو في موقعِه.

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾.

و(أشياء): جمعُ شيءٍ.

قال الخليل: اسم موضوعٍ لجمع شيءٍ، وليس جاريًا عليه، قال: ولم يُصرَّف؛ لأنَّه على وزنِ فَعْلاء، وأصلُه: شَيْئَاء، فقُدِّمَ الهمزة الأولى استثقالًا للجمع بين الهمزتين، فصار (أشْيَاء)، ووزنُها (لَفْعاء)(٤).

قال الأخفش: وزنُها أفْعِلاء كـ: هَيْنٍ وأهْوِنَاء، فحُذِفَ إحدى الياءين.

وقال الكسائيُّ: وزنها أفعالٌ، لكنَّها لا تَنصَرفُ تشبيهًا بـ(حمراءَ).

وهذا ضعيفٌ يُبطلُه أسماءٌ وأبناءٌ.

وقولُ الأخفش يُضعِّفُه التَّصغيرُ حيثُ تقول: أُشَيَّاء، وعلى قياس قوله يجب أن يُصغَّرَ شُيَيِّئَاتٍ كصُدَيِّقاتٍ في تصغير أصْدِقاء(٥).

---

(١) في (و): «يخفف».

(٢) في (ن): «يجوز أن يكون الهاء عائدًا».

(٣) ذكره الرازي في «التفسير الكبير» (١٢/ ٤٤٥) دون نسبة، ثم قال: «وهذا ضعيف؛ لأن الكلام إذا استقام من غير تغيير النظم لم يجز المصير إلى التقديم والتأخير».

(٤) انظر: «العين» (٦/ ٢٩٥ ـ ٢٩٦).

(٥) أي: إذا كان المراد بها المؤنث، كما في «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢١٢).

وقولُ الخليلِ قولُ سيبويهِ وجميعِ البصريِّين[1].

* * *

(١٠٢) ـ ﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ﴾.

﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾ قيل: سأل مثلَها، فحذفَ المضافَ.

وقيل: سأل عنها، وحذفَ الجارَّ.

وقيل: (سألها) و(سأل عنها) بمعنًى.

قيل: هو سؤالُهم المائدة.

وقيل: يعني: ثمودًا حين سألوا صالحًا النّاقةَ.

﴿ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ﴾؛ أي: بسببِها حيثُ لم يأتمروا بما سألوا.

* * *

(١٠٣) ـ ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ هذه أسماءٌ وضعها عَمرو بن لُحيٍّ على أنواع من النَّعَمِ يأتي ذكرُها إن شاء الله.

---

(١) وإلى قول الأخفش مال الزيادي والفراء والكوفيون. انظر أقوال الخليل وسيبويه والأخفش والكسائي والفراء والزيادي والبصريين والكوفيين في «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢١٢)، و«إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٨٣)، و«تهذيب اللغة» (١١/ ٣٠١)، و«البسيط» للواحدي (٧/ ٥٤٦)، و«الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين» للأنباري (٢/ ٦٧٠)، وقال المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٣٩): «ولا يصح من هذه الوجوه إلا قول سيبويه والخليل».

وذكر المفسِّرون أنَّ أبا هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله عليه السَّلام يقولُ لأكثمَ بنِ جونٍ الخزاعيِّ: «يا أكثمُ، رأيتُ[١] عمرَو بنَ لحيٍّ بن قمعةَ بنِ خندفٍ يجرُّ قصبَه في النّار، يُؤذِي برائحتِها[٢] أهلَ النّار، فما رأيتُ من رجلٍ أشبهَ بك منه، ولا أشبهَ به منك» فقال أكثمُ: أيضرُّني شبهُه؟ قال: «لا؛ لأنَّكَ مؤمنٌ وهو كافرٌ، وإنَّه أوَّلُ مَن غيَّرَ دِينَ إسماعيلَ ونصبَ الأوثانَ وسيَّبَ السّائبة»[٣].

واختلفَ المفسِّرون في البَحيرة:

فقال أبو عبيدةَ: هي النّاقةُ إذا نتجَت خمسةَ أبطنٍ، فإن كان آخرُها ذكرًا شقُّوا أذنَ النّاقة وخلُّوا سبيلَها، فلا تُركَبُ ولا تُحلَبُ[٤].

قتادةُ: هي النّاقةُ إذا نتجَت خمسة أبطنٍ نُظِرَ في الخامس، فإذا كان[٥] ذكرًا ذبحوه وأكلوه، وإن كانت أنثى شقّوا أذن الأنثى وقالوا: هذه بحيرةٌ فلم تُركَب ولم تُحلَب[٦].

وقيل: هي النّاقةُ إذا ولدَت خمسةَ أبطنٍ إناثًا بُحِرَتْ أُذنها[٧].

---

(١) في (ن): «ورأيت».

(٢) في (ن): «بريحها».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٢٧ و٣١)، وروى بعضه البخاري (٤٦٢٣)، ومسلم (٢٨٥٦)، ورواه الإمام أحمد في «المسند» (١٤٨٠٠) من حديث جابر رضي الله عنه، والحاكم في «المستدرك» (٨٧٨٨) من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه، وصحَّحه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٤) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ١٨٠)، وقد ذكره عن بعضهم، وذكر غيره.

(٥) من قوله: «آخرها ذكرًا شقوًا» إلى قوله: «الخامس فإذا كان» من (ن).

(٦) روى نحوه عبد الرزاق في «تفسيره» (٧٥٢)، والطبري في «تفسيره» (٩/ ٣٥، ٣٧)، وفيه أنه إن كان الخامس ذكراً تذبح ويأكل منها الرجال دون النساء.

(٧) «أذنها» ليس في (ن).

وقال محمَّد بن إسحاق قولًا يجمع بيان البحيرة والسّائبة قال: السّائبةُ: النّاقةُ إذا تابعَت بين عشر إناثٍ ليس فيهنَّ ذكرٌ، سُيِّبَتْ فلم يُركَب ظهرُها ولم يُجَزَّ وبرُها، ولم يَشرَبْ لبنَها إلّا ضيفٌ، وما نتجَت بعد ذلك من أنثى شُقَّ أذنُها، وخُلِّي سبيلُها مع أمِّها في الإبل؛ فلم تُركَب ولم تُحلَب كما فُعِلَ بأمِّها، فهي البحيرةُ بنتُ السّائبة(١).

واشتقاقُها من (بحرتَ)؛ أي: شققتَ، ومنه البحر.

أبو عبيدةَ: السّائبةُ: النّاقةُ يُسيِّبُها الرَّجلُ في مرضِه أو عند قدومه من سفرِه(٢).

وقيل: هو البعيرُ تَنجَحُ عليه الحاجةُ فيُسيَّبُ.

وقيل: هو ما كانوا يُسيِّبونه من المال والعبيد والإماء وغيرِها للأصنامِ وخُدّامِها.

واشتقاقُه من (سيَّبْتُ الشَّيء): أهملتُه وخلَّيتُه، والسّائبة: المسيَّبة.

والوصيلةُ: من الشّاءِ خاصّةً، فإنَّها إذا نتجَت(٣) أربعةَ أبطنٍ ثمّ ولدت الخامس؛ ذكرًا أو أنثى، قيل: قد وصلَتْ أخاها.

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: كانوا يحكمون بذلك في البطن السّابع(٤).

---

(١) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٨٩)، ووافق ابنُ هشام ابنَ إسحاق في البحيرة وخالفه في غيرها، فقال: «وهذا كله عند العرب على غير هذا إلا الحامي...»، ثم ذكر في السائبة نحو قول أبي عبيدة الآتي.

(٢) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ١٨٠).

(٣) في (ن): «ولدت».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٣٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٢٢).

ابنُ إسحاق: إذا أتأمَتِ[١] الشّاةُ عشرًا[٢] إناثًا متتابعاتٍ في خمسةِ أبطنٍ ليس بينهنَّ ذكرٌ[٣].

والحام: قال أبو عبيدةَ: إذا ضربَ في إبلِ الرَّجلِ عشرَ سنين، قيل: حمى ظهرَه، فلا يُنتَفَعُ بظهره[٤].

وقيل: إذا نتجَ من صُلبِه عشرةُ أبطنٍ.

وقيل: إذا ركبَ ولدُ ولدِه.

والمعنى: ما أمرَ الله بشيءٍ من ذلك.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ في نسبتِهم هذا التَّحريمَ إليه.

﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ الحلالَ منَ الحرام.

وقيل: أكثرُهم لا يعقلونَ؛ لأنَّهم التّابعون، والـمُفترون هم المتبوعون.

* * *

(١) أتأمت: وضعت اثنين في بطن واحد. انظر: «الصحاح» مادة (ت أ م) (٥/ ١٨٧٦).

(٢) في (ن): «عشرة».

(٣) انظر: «النكت والعيون» للماوردي (٢/ ٧٤)، و«السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٨٩)، وخالف ابن هشام ابن إسحاق في الوصيلة فقال: «والوصيلة: التي تلد أمها اثنين في كل بطن، فيجعل صاحبها لآلهته الإناث منها ولنفسه الذكور منها، فتلدها أمها ومعها ذكر في بطن، فيقولون: وصلت أخاها. فيسيب أخوها معها فلا ينتفع به».

(٤) ذكر أبو عبيدة في (الحام) قولين؛ الأول: أنه جملٌ ضرب من ولد البحيرة، والثاني: أنه ما نتجوا منه عشرة أبطن، وما ذكره المصنف في تفسير (الحام) منقول عن الإمام الشافعي. انظر: «الأم» للشافعي (٤/ ٨٣)، و«مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ١٧٧ ـ ١٧٩).

(١٠٤) ـ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾؛ أي: قالوا: إنَّ آباءنا كانوا عقلاءَ ذوي بصائر، فنحن نَدينُ بما دانوا به، فقال الله:

﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾؛ أي: في النّاس علماء وسفهاء، فما يُؤمِنُكم أنْ يكونَ آباؤكم الذين غيَّروا دينَ الله سفهاءَ، فتتَّبعونهم على جهالةٍ؟!

فدلَّت الآيةُ على وجوبِ النَّظر والتَّدبُّر وبطلانِ التَّقليد.

* * *

(١٥٠) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾؛ أي: احفظوها.

وهي[1] نصبٌ على الإغراء[2].

الدِّمياطيُّ: أي: ليعظ بعضُكم بعضًا وليعلِّمْه ما يقرِّبُه من الله ويبعدُه من الشَّيطان[3].

---

(١) أي: كلمة (أنفسكم).

(٢) أي: نصب بفعل مضمر يدلُّ على الإغراء، ومنه النصب بأسماء الأفعال المنقولة. انظر: «العين» (٨/ ٧٠)، و«الكتاب» لسيبويه (١/ ٢٧٣ ـ ٢٧٧)، و«شرح الكتاب» للسيرافي (٢/ ٢٦٨)، و«علل النحو» لابن الوراق (ص: ٣٥٦)، و«توضيح المقاصد» للمرادي (٣/ ١١٥٧).

(٣) ذكر هذا القول الواحدي في «البسيط» (٧/ ٥٦٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عطاء عنه.

﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ﴾ من الكفّارِ وأهلِ الكتابِ ﴿إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾: آمنتُم وأمرتُم بالمعروفِ ونهيتُم عن المنكر؛ فإنَّه من شرطِ الاهتداء.

ورُوِيَ عن أبي بكرٍ رضي الله عنه أنَّه قال: إنَّكم تقرؤون هذه الآيةَ وتَضعونها غيرَ موضعِها، وإنِّي سمعْتُ رسول الله عليه السَّلام يقول: «إنَّ النّاسَ إذا رأوا الظّالمَ فلم يَأخذُوا على يدَيْهِ يوشِكُ أنْ يَعمَّهُمْ [الله] بالعقابِ[1]»[2].

وقيل: هو إذا أمرَ بالمعروف[3] فلم يُطَع.

ابنُ جريرٍ: هو في آخرِ الزَّمانِ إذا لم ينفع الأمرُ بالمعروف[4].

وقوله: ﴿لَا يَضُرُّكُم﴾ يجوزُ أن يكونَ رفعًا على الاستئناف، ويجوزُ أن يكونَ جزمًا بالجواب، ويجوز أن يكون نهيًا[5].

﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ﴾: رجوعُكم ﴿جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: لا يأخذُ أحدًا بذنبِ غيرِه.

***

(١) في (و): «بالعذاب».

(٢) رواه أبو داود (٤٣٣٨)، والترمذي (٣٠٥٧)، وابن ماجه (٤٠٠٥)، وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح».

(٣) «بالمعروف» من (ن).

(٤) انظر: «تفسير الطبري» (٩/ ٤٣)، وقد رواه بمعناه عن ابن مسعود وابن عمر رضي الله عنهم.

(٥) في هامش (ن): «إذا جعلت ﴿يَضُرُّكُم﴾ مجزومًا فحركته ضمة؛ لأنه لالتقاء الساكنين، وهو من البناء، وإذا جعلت نهيًا فهو أيضًا حركة ضم؛ لموافقة الضاد»، وهذا كلُّه على قراءة ﴿يَضُرُّكُم﴾، وقد قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو (يضِرْكم) بكسر الضاد وجزم الراء. انظر: «السبعة» (ص: ٢١٥)، و«إعراب القرآن» للنحاس (١/ ١٧٨ و٢٨٤)، و«التيسير» (ص: ٩٠).

(١٠٦) ـ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَـٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَأَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ ۚ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۙ وَلَا نَكْتُمُ شَهَـٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْـَٔاثِمِينَ ﴾.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَـٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ﴾ أجمع المفسِّرون على أنَّ هذه الآيات نزلَت في ثلاثةِ نفرٍ من التُّجّارِ خرجوا من المدينة إلى الشّام، وهم: تميم بن أوسٍ الدّاريُّ من لخمٍ، وعديُّ بن بدي ـ منهم مَن روى: بُدِيٍّ على التَّصغير، ومنهم من رؤى: بُدًى مثل عُرًى، ومنهم من روى: بَدّاء على وزن فَعلاء ـ وكانا نصرانيِّين يختلفان إلى بلاد[1] الشّام قبل الإسلام، ومعهما بُدَيلُ بن أبي مارية[2] الرُّوميُّ، وهو مولى عَمرو بن العاص، وكان مُسلمًا مولى لبني سهمٍ، فلمّا قَدِموا الشّام مرضَ بُدَيلٌ[3]، فكتبَ صحيفةً فيها جميعُ ما معه، وطرحَ في جُوالقه[4]، فلمّا اشتدَّ وجعُه أوصى إلى تميمٍ وعديٍّ الذِّمِّيَّين، وأمرَهما أن يدفعا متاعَه إلى أهلِه إذا رجعا إليهم، ومات بُدَيلٌ.

وقيل: كان خروجُهم إلى النَّجاشيِّ في السَّفينة، فمات بُدَيلٌ في السَّفينةِ، وطُرِحَ في البحر، فقبضا تركته ففتَّشاه، وأخذا منه إناءً كان من فضّةٍ[5] منقوشًا

---

(١) «بلاد» ليس في (ن).

(٢) في بعض المصادر: «مريم» بدل «مارية»، واختلف أيضًا في اسمه فقيل: (بديل)، و(برير)، و(بريل)، و(بُزَيل) ـ بالزاي ـ و(نُزيل). انظر: «فتح الباري» (١/ ٢٨٩).

(٣) من قوله: «أبي مارية» إلى قوله: «مرض بديل» من (ن).

(٤) جوالقه بضم الجيم وفتح اللام: الوعاء من جلود وثياب وغيرها، فارسي معرب، وأصله: كواله، وجمعه: جواليق، وحكي: جوالق. انظر: «فتح الباري» (٧/ ١٥٧).

(٥) «من فضة» من (ن).

بالذَّهبِ فيه ثلاثُ مئة مثقالٍ مموَّهًا بالذَّهب، ثم قضيا حاجَتهما من البلد وانصرفا.

فقَدِما إلى المدينة فدَفَعا المتاعَ إلى أهل الميِّت[1] فسألوا عنهما، وقالوا لهما: هل باع شيئًا من متاعه الذي كان معه؟ قالا: لا، قالوا: فهل طالَ مرضُه فباع شيئًا من متاعه؟ قالوا: لا، إنَّما مرِضَ من حين قدمَ البلد فلم يلبث أنْ مات ولم يطُلْ مرضُه، ففتَّشوا متاعَه وأصابوا الصَّحيفةَ فيها تسمية ما كان فيها من متاعه وفيه الإناء، فأتاهم بنو سهمٍ موالي الميِّت فقالوا لهما: ألستُم زعمتُم أنَّ صاحبَنا لم يبعْ شيئًا مِن متاعِه، ولا طالَ مرضُه فأنفقَ على نفسِه بعض ماله؟ قالا: بلى، قالوا: إنّا وجدنا في متاعِه صحيفةً فيها ذكرُ إناءٍ قيمتُه ثلاثُ مئة مثقالٍ، ولم تدفعوا إلينا، قالا: لا ندري إنَّما أوصى إلينا بشيءٍ وأمرَنا أن ندفعَه إليكم، فدفعناه وما لنا بالإناء من علمٍ، فرفعوهما إلى النَّبيِّ عليه السَّلام، فذكروا ذلك فنزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ﴾... الآية، فصلَّى رسولُ الله عليه السَّلام العصرَ[2] ودعا بهما، فاستحلَفهما بالله الذي لا إلهَ إلّا هو أنَّهما لم يختانا شيئًا ممّا دفع إليهما، فحلفا على ذلك، فخلَّى رسولُ الله عليه السَّلام سبيلَهما، ثم إنَّهما أظهرا الإناء، فبلغَ بني سهمٍ فأتوهما وقالوا لهما: ألم تزعما أنَّ صاحبَنا لم يبعْ شيئًا من متاعه؟ قالا: بلى، قالوا لهما: ما بالُ هذا الإناء معكما وهو ممّا خرجَ صاحبُنا به وقد حلفتما على ذلك؟ قالا: إنّا كنّا ابتعناه منه[3] ولم يكن لنا عليه بيِّنةٌ، فكرهنا أنْ نقرَّ به لكم فتأخذوه منّا[4]، وتسألونا عليه البيِّنة فلا نقدر عليه، فرفعوهما إلى رسول الله عليه السَّلام، فنزلت هذه الآية: ﴿فَإِنۡ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسۡتَحَقَّآ إِثۡمٗا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾.

---

(١) في (و): «البيت».

(٢) «العصر» من (ن).

(٣) «منه» من (ن).

(٤) «منا» من (ن).

فقام عَمرُو بن العاص والمطَّلبُ بن أبي وداعة السَّهميّان، وقيل: عبد الله بن عَمرو بن العاصِ دون عَمرٍو ـ وقيل[١]: وسنُّ عبد الله احتملَ ذلك؛ لأنّه وُلِدَ لعَمرٍو ولعَمرٍو اثنتا عشرة سنةً ـ فحلَفا أنَّ المالَ كان أكثرَ ممّا أتيتمونا به، وأنَّ شهادتنا أصدقُ[٢] من شهادتكما[٣]، فدفعَ الإناءَ إلى أولياء الميِّت.

ثم إنَّ تميمًا أسلم وكان يقول: صدقَ الله وبلَّغَ رسولُه، وأنا والله اختنْتُ بالإناء، وأنا أستغفرُ الله[٤].

ورُويَ عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما أيضًا أنَّه يُروى عن تميمٍ أنَّه قال: فلمّا أسلمتُ تأثَّمتُ من ذلك، فأتيت أهلَه فأخبرتهم الخبر، وأدَّيت خمس مئة درهمٍ، وأخبرتهم أنَّ عند صاحبي مثلها، فوثبوا إليه، فأمرهم أن يستحلفوه بما يعظم به على أهل دينه، فنزلت هذه الآية، فقام عمرو بن العاص ورجلٌ آخر فحلفا، فنُزِعَت خمس مئة الدرهم من عديٍّ بن بُديٍّ[٥].

---

(١) «وقيل» من (ن).

(٢) في (و): «أحق»، والمثبت موافق لـ«غرائب التفسير» (١/ ٣٤١).

(٣) في (و): «شهادتهما».

(٤) رواه البخاري (٢٧٨٠) مختصرًا عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: «خرج رجل من بني سهم مع تميم الداري، وعدي بن بداء، فمات السهمي بأرض ليس بها مسلم، فلما قدما بتركته، فقدوا جامًا من فضة مخوصًا من ذهب، فأحلفهما رسول الله ﷺ، ثم وجد الجام بمكة، فقالوا: ابتعناه من تميم وعدي، فقام رجلان من أوليائه، فحلفا لشهادتنا أحق من شهادتهما، وإن الجام لصاحبهم، قال: وفيهم نزلت هذه الآية»، وانظر: «تفسير الطبري» (٩/ ٧٤ ـ ٨٨)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (٧/ ١٥٧)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٢١٣).

(٥) رواه الترمذي (٣٠٥٩)، وقال: «هذا حديث غريب، وليس إسناده بصحيح، وأبو النضر الذي روى عنه محمد بن إسحاق هذا الحديث هو عندي محمد بن السائب الكلبي، يكنى أبا النضر، وقد تركه =

ومعنى الآية: أنَّ من أحسَّ بالموت فعليه أن يستشهدَ عدلَيْن من المسلمين، فإن كان في سفرٍ لا يجد مسلمين فله أن يُشهِد كتابيَّين، فإنْ لم يثقِ الورثةُ بقولهما حلَفا يمينَ دينِهما بعد العصر أنَّهما صادقان فيما يشهدان به، فإن ادَّعى الورثة بعد ذلك أنَّهما كذبا بما قد ظهر من أمارات الكذب اختير منهم رجلان معروفان بالصِّدق والسَّداد، وحلفا بأوكد الأيمان أنَّ الشّاهدَيْن كاذبان، وأنَّ الورثةَ في دعواهم عليهما صادقون، ثم يمضي الحُكمُ على ذلك.

واعتمدتُ في إعرابِ الآية على ما ذكره أبو عليٍّ في «الحجّة» والزَّجّاجُ في «المعاني»[1]:

قولُه: ﴿شَهَٰدَةُ﴾ رفعٌ بالابتداء.

الزَّجّاجُ: فيما فُرِضَ عليكم شهادةُ بينكم، والمراد بالشَّهادة: الإشهادُ والاستشهادُ[2]؛ إذ الغرض منها الوصيّة.

﴿بَيْنِكُمْ﴾: ظرفٌ أُضيفَ إليه، كما وقعَ في قوله: ﴿تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤]، وقال:

فصادَفَ بينَ عينَيْهِ الجَبوبا[3]

= أهل الحديث، وهو صاحب التفسير».

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢١٤ ـ ٢١٧)، و«الحجة» (٢/ ٢٦٢ ـ ٢٧٠)، وقال المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٣٩): «ذكر المفسرون أن هذه الآية من أشكل آية في القرآن حُكماً ومعنى وإعراباً»، ونقله عنه السيوطي في «الإتقان» (٤/ ١٥٥)، و«معترك الأقران» (١/ ٣٦٥).

(٢) «الزجاج: فيما فرض عليكم شهادة بينكم والمراد بالشهادة الإشهاد والاستشهاد» من (ن).

(٣) عجز بيت لأبي خراش الهذلي، وصدرُه:

فلاقَتْه ببَلْقَعةٍ بَرازٍ =

وقوله: ﴿إِذَا﴾[1] ظرفٌ للشَّهادة، وتقديرُه: شهادةُ بينِكم حينَ ﴿حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾؛ أي: أسبابه، كما سبق.

الزَّجّاجُ: الشَّهادة في وقت الوصيّة هي الموت، ليس أنَّ الموت حاضرُه حين الوصيّة.

﴿حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ﴾ بدلٌ من ﴿إِذَا﴾.

وقيل: نصبٌ بالموت.

وقيل: بـ﴿حَضَرَ﴾.

﴿ٱثْنَانِ﴾ خبر المبتدأ؛ أي: شهادة بينكم شهادةُ اثنين، فحذفَ المضاف.

وقيل: ذو شهادة بينكم اثنان[2].

وعلى قول الزَّجّاجِ ارتفعا بالمصدر، وهما[3] فاعلان[4].

﴿ذَوَا عَدْلٍ﴾ صفةٌ لـ(الاثنين)، وكذلك ﴿مِّنكُمْ﴾، والمراد: من دينكم.

وقيل: من قبيلتكم.

﴿أَوْ ءَاخَرَانِ﴾ عطفٌ على قوله: ﴿ٱثْنَانِ﴾.

﴿مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ صفةٌ لهما، ومعناه: من غير دينكم.

= انظر: «ديوان الهذليين» (٢/ ١٣٤)، وفيه: «صادم» بدل «صادف».

(١) «وقوله إذا» من (ن).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٤٢)، واستغربه.

(٣) في (ن) زيادة: «غير».

(٤) قال الزجاج في «معاني القرآن» (٢/ ٢١٥): «وفيما فرض الله عليكم في شهادتكم أن يشهد اثنان، فيرتفع (اثنان) بـ(شهادة)، والمعنى: أن يشهد اثنان».

وقيل: من غير قبلتكم.

و(أو) للتَّفصيل.

﴿إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: سافرتُم فيها[1]، ﴿فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ﴾؛ أي: قاربتُم الأجلَ.

وهذا اعتراضٌ بين الصِّفةِ والموصوف؛ لأنَّ قولَه: ﴿تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ صفةٌ لقولِه: ﴿أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾، وأفاد الاعتراضُ أنَّ شهادة مَن هو مِن غيرِكم إنَّما تُسمَع في حال السَّفرِ والضَّرورة.

وحُذِفَ جوابُ ﴿إِنْ﴾؛ لأنَّ قولَه: ﴿أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ دلَّ عليه.

والمرادُ بـ﴿ٱلصَّلَوٰةِ﴾: العصر.

وقيل: الظُّهر.

وقيل: عامٌّ في الصَّلوات.

﴿فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ﴾؛ أي: إن ارتابَ الورثةُ حُبِسا على القسم.

﴿لَا نَشْتَرِي﴾: لا نُؤثِرُ ﴿بِهِۦ﴾: بتحريفِ شهادتِنا.

وقيل: كنايةٌ عن الله سبحانه[2].

وقيل: كنايةٌ عن الإقسام.

و(أقسَمَ) يُتلقَّى به القسمُ[3].

---

(١) «فيها» من (ن).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٤٣)، واستغربه.

(٣) كذا في النسختين الخطيتين، وفي المطبوع من «غرائب التفسير» للمصنف (١/ ٣٤٣): «(أقسم) يتعلق بما يتعلق به القسم»، ولعلَّ تصويب العبارة: (أقسم) يُتلقَّى بما يُتلقَّى به القسم، والله أعلم. انظر: «البصريات» لأبي علي الفارسي (٢/ ٩١٥).

﴿فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ﴾؛ أي: الأوليان ﴿لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا﴾؛ أي: أصدقُ وأولى بأن تُقبَل.

﴿وَمَا ٱعۡتَدَيۡنَآ﴾: ما تجاوزنا الحقَّ فيها.

﴿إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: الواضعين الباطلَ موضعَ الحقِّ.

* * *

(١٠٨) ـ ﴿ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجۡهِهَآ أَوۡ يَخَافُوٓاْ أَن تُرَدَّ أَيۡمَٰنُۢ بَعۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡمَعُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: تحليفُ الشّاهدِ في جمعٍ[1] من النّاس.

وقيل: ذلك الحُكمُ، وذلك الفعل.

﴿أَدۡنَىٰٓ﴾: أقربُ ﴿أَن يَأۡتُواْ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجۡهِهَآ﴾ كما حملوها من غيرِ تحريفٍ ولا خيانةٍ فيها.

﴿أَوۡ يَخَافُوٓاْ أَن تُرَدَّ أَيۡمَٰنُۢ بَعۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾؛ أي: إذا علموا بردِّ اليمين على المدَّعِين بعد أيمانِهم احترزوا من الكذبِ والخيانة؛ إمَّا لله وإمّا مخافةَ الافتضاح.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ لا الفضيحةَ.

﴿وَٱسۡمَعُواْ﴾: اقبلوا.

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ الذين يَشهدونَ الزُّور.

للصَّحابةِ والتّابعين والفقهاء[2] في هذه الآية خمسةُ أقوالٍ[3]:

---

(١) في (و): «موضع».

(٢) في (و): «للصحابة وللفقهاء».

(٣) انظر: «الإشراف» لابن المنذر (٤/ ٢٩١)، و«غرائب التفسير» للمصنف (١/ ٣٤١).

منها: أنَّ شهادةَ أهلِ الكتاب على المسلمين جائزةٌ في السَّفرِ[١] إذا كانت وصيّة.

وقال قومٌ: كان هذا[٢] هكذا ثم نُسِخَ، ولا تجوزُ شهادةُ كافرٍ بحالٍ.

وقال قومٌ: الآيةُ كلُّها في المسلمين إذا شهدوا[٣].

وقيل: ليس هذه الشَّهادة[٤] التي تُؤدَّى، وإنَّما الشَّهادةُ هاهنا بمعنى الحضور.

والقول الخامس: الشَّهادةُ هاهنا[٥] بمعنى اليمين.

***

(١٠٩) ـ ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾.

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ﴾؛ أي: اذكروا، وقيل: احذروا، وقيل: اتَّقوا.

وقولُه: ﴿ٱلرُّسُلَ﴾؛ أي: الرُّسلَ والأممَ[٦].

﴿فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ﴾: ما الذي أجابَتْكم أممُكم حين دعوتموهم إلى الإيمان؟

وهذا السُّؤالُ توبيخٌ لمن أنكرَهم.

---

(١) في (و) زيادة: «إذا شهدوا».

(٢) «هذا» من (ن).

(٣) «إذا شهدوا» من (و).

(٤) في (و): «الوصية».

(٥) «هاهنا» من (ن).

(٦) من قوله: «أي: اذكروا» إلى قوله: «الرسل والأمم» من (ن).

وقيل: سؤالُ استشهادٍ[١].

﴿قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ لا يجوزُ إجراؤُه على الظّاهر؛ لأنَّ القيامةَ[٢] لا يُكذَبُ فيها، ولأنَّ الأنبياءَ لا يكذبون، وتقديره عند ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما: لا علمَ لنا إلّا علمٌ أنت أعلمُ به منّا[٣].

الحسنُ: ذُهلوا عن الجواب، ثمَّ لمّا ثابَ عقلُهم قالُوا: ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾[٤].

وقيل: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ إلّا ما علَّمتَنا.

وقيل: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ بما غيَّبُوا عنّا من أفعالِهم، وأضمرُوا من اعتقاداتِهم.

وقيل: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ بما فعلُوا بعدنا.

وقيل: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ أنت لا تعلمُه؛ فأنت تعلمُ ما أجابونا به[٥].

﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ ذُكِرَ[٦] بلفظ المبالغةِ؛ لكثرة المعلومات.

* * *

---

(١) من قوله: «ما الذي أجابتكم» إلى قوله: «سؤال استشهاد» من (ن).

(٢) «لأن القيامة» من (ن).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ١١١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٣٦).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ١١٠)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٤٥)، واستغربه.

(٥) من قوله: «وتقديره عند ابن عباس» إلى قوله: «ما أجابونا به» من (ن). وهذا القول الأخير ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٤٥)، واستغربه.

(٦) أي: علاّم.

(١١٠) - ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾.

﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ هذه الآيةُ سبقَ تفسيرُها.

وقولُه: ﴿تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ أي: تُحييهم، أو تُخرجُهم أحياءً من القبور.

ومعنى: ﴿كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ﴾؛ أي: اليهود حين همُّوا بقتلِك.

***

(١١١) - ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾.

﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ﴾؛ أي: اذكر ذلك أيضًا؛ فإنِّي أنعمْتُ عليك بهم إذ نصرُوك.

وقيل: أنعمتُ عليهم بالإيمان.

والحواريّون سبقَ ذكرُهم.

ومعنى ﴿أَوْحَيْتُ﴾ هاهنا: ألهمْتُ[1].

---

(١) في (و): «أنعمت».

وقيل: أمرْتُ.

وقيل: أوحيتُ إليهم بالوحي إليك: ﴿أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾.

***

(١١٢) - ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ قيل: يُطيعُ(١)، و(استطاعَ)(٢) بمعنى: أطاعَ.

وقيل: هل يستجيبُ؟

وقيل: هل يفعلُ ذلك، فلا يَرى دونه مانعًا؟

وقيل: ينزل، و﴿يَسْتَطِيعُ﴾ صلةٌ(٣).

وقيل: هل يقدرُ ربُّك؟ وكان ذلك في ابتداء أمرِهم قبلَ معرفتِهم صفاتِ الله، فأنكرَ عليهم فقال: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ١١٢](٤).

ومَن قرأ بالتّاءِ والنَّصبِ(٥)، فالتَّقديرُ: هل تستطيعُ سؤالَ ربِّك؟

---

(١) في (ن): «يطيعك».

(٢) في (و): «يستطيع».

(٣) أي: هل ينزل ربك، و(يستطيع) زائدة، وقد استغرب هذا القول المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٤٥)، واستبعده أبو حيان في «البحر المحيط» (٤/ ٤٠٩).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٤٥)، وعدَّه من العجائب.

(٥) هي قراءة الكسائي وحده، قرأ (تستطيع) بالتاء، و(ربك) بنصب الباء. انظر: «السبعة» (ص: ٢٤٩)، و«التيسير» (ص: ١٠١).

ويُروى عن عائشةَ رضي الله عنها أنَّها قالت: كانوا أعلمَ من أن يقولوا: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾[١].

و﴿أَن يُنَزِّلَ﴾ متَّصلٌ بالسُّؤال؛ لأنَّه في تقديرِ الملفوظِ به.

وقوله: ﴿أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ المائدةُ: الخوانُ الذي عليه[٢] الطَّعام، واشتقاقُها من قولِ العرب: (مادَه يَميدُه)؛ إذا أعطاه، وامتادَ فلانٌ فلانًا؛ إذا طلبَ عطاءَه؛ فتكونُ فاعلةً بمعنى: مفعولةٍ؛ أي: مميدة، كـ﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٢١]، و﴿مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ [الطارق: ٦].

وقيل: فاعلةٌ؛ لأنَّها[٣] إذا أُطْعِمَ النَّاسُ عليها، فكأنَّما أعطتْهم الطَّعامَ[٤].

وقيل: مِن (مادَ يَميدُ)؛ إذا تحرَّكَ[٥]، كأنَّها تميدُ بما عليها.

﴿قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾؛ أي: قال عيسى.

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أي: لا يجوزُ اقتراحُ المعجزاتِ بعدَ ظهورِ الآيات.

وقيل: معناه: لا تسألوا ذلك على طريقِ الشَّكِّ والتَّعنُّت.

***

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ١١٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٤٣)، ولفظ الطبري: «كان الحواريون لا يشكون أن الله قادر أن ينزل عليهم مائدة، ولكن قالوا: يا عيسى، هل تستطيع ربك؟»، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٤٦)، واستغربه.

(٢) في (و): «الخوان عليها».

(٣) في (و): «لأنه».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٤٦)، واستغربه.

(٥) في (و): «تحرك تميد».

(١١٣) ـ ﴿ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾.

﴿ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا ﴾ قيل: للحاجةِ الدّاعية إلى الأكل.

وقيل: تبرُّكًا به، وهذا أظهرُ.

﴿وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾: نزدادُ يقينًا؛ كقولِ إبراهيمَ عليه السَّلام: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

وقيل: لتطمئنَّ قلوبُنا بأنَّ اللهَ قد بعثَك إلينا نبيًّا، ﴿وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا ﴾ في أنَّك نبيٌّ.

وقيل: لتطمئنَّ قلوبُنا أنَّ الله اختارَنا لك[1] أعوانًا، ﴿وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ في أنَّنا أعوانٌ لك.

وقيل: لتطمئنَّ قلوبُنا أنَّ الله قد أجابَ مسألتَنا، ﴿وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ في أنَّ الله يجيبُ دعوتَنا.

﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ أنَّها نزلَت من عند الله.

وقيل: نشهدُ لله بالتَّوحيدِ ولك بالنُّبوّة.

وقيل: ﴿مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ إذا استشهدتَنا.

* * *

(١١٤) ـ ﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾.

﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا ﴾؛ أي: نتَّخذُ اليومَ الذي تنزلُ فيه عيدًا نعظِّمُه نحن ومَن يأتي بعدنا.

---

(١) في (و): «اختارك لنا».

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: يأكلُ منه آخرُ النّاس كما أكلَ أوَّلُهم[1].

وقيل: عيدًا لنا جميعًا.

وقيل: ﴿عِيدًا﴾؛ أي: عائدةً مِن الله علينا وحجّةً وبرهانًا.

وقيل: عظةً لأوَّلِنا وآخرِنا.

﴿وَءَايَةً مِّنكَ﴾ على قدرتِك وتوحيدِك.

ويحتمل ﴿وَءَايَةً مِّنكَ﴾ لصحّةِ نبوَّتي.

﴿وَارْزُقْنَا﴾ المائدةَ.

وقيل: الشُّكر على ذلك.

ويحتمل: أَدِمْ رزقَك لنا.

﴿وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾: خيرُ مَن يرزقُ.

* * *

(١١٥) ـ ﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: أجابَه إلى ما سألَه الحواريُّون، فأنزلَها عليهم يومَ الأحد.

أُبيُّ بن كعبٍ: نزلَت مائدةٌ منكوسةٌ تطيرُ بها الملائكةُ بين السَّماء والأرض[2].

سلمانُ: نزلَت سفرةٌ حمراءُ بين غمامتين؛ غمامةٍ من فوقها وغمامةٍ من تحتها، وهم

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ١٢٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٤٦).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١١/ ٥٦٢) عن كعب الأحبار، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٤٦) عن ابن جرير.

ينظرون إليها وهي تهوي مُنقضّةً(١)، فسقطَت(٢) بين أيديهم، فبكى عيسى عليه السَّلام وقال: اللّهمَّ اجعلني من الشّاكرين، اللّهمَّ اجعلها رحمةً، ولا تجعلها مُثْلةً وعقوبةً(٣).

وكان(٤) عليها خبزٌ ولحمٌ.

وقيل: عليها سبعةُ أرغفةٍ وسبعُ أحواتٍ.

وقيل: عليها سمكةٌ فيها طَعْمُ كلِّ طعامٍ(٥).

وقيل: رغيفان وحوتان.

وقيل: عليها كلُّ طعامٍ إلّا اللَّحم.

وقيل: عليها خبزٌ(٦) وأرزٌ وسمكٌ مشويٌّ، ليس عليها قشورٌ ولا لها شوكةٌ، تسيل من الدَّسمِ قد نُضِدَ حولَها(٧) البقولُ ما خلا الكرّاث، وعند رأسِها خلٌّ، وعند ذنبها ملحٌ وسبعةُ أرغفةٍ، على كلِّ واحدٍ زيتونٌ وحبُّ رمّانٍ، وكانَت تأتيهم أربعين يومًا غبًّا، وكلُّ فقيرٍ أكلَ منها صار غنيًّا مدّةَ عيشِه، وكلُّ مريضٍ أكلَ برأ فلم يمرض أبدًا(٨) حتَّى مات(٩).

---

(١) في (ن): «مصببة» وفي الهامش: «منقضة» وعليها (ح).

(٢) في (ن): «حتى سقطت».

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٤٦)، وقال ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٢٠٧): «هذا أثر غريب جدًّا».

(٤) «وكان» من (ن).

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٤٦)، واستغربه.

(٦) من قوله: «ولحم، وقيل: عليها سبعة» إلى قوله: «وقيل: عليها خبز» من (ن).

(٧) في (و): «عليها».

(٨) «أبدًا» من (ن).

(٩) هذا من تتمة خبر سلمان رضي الله عنه السابق.

ثم أوحى الله(١) إلى عيسى عليه السَّلام: أنِ اجعل مائدتي في الفقراءِ واليتامى والزَّمنى دونَ الأغنياءِ والأصحّاء، فاضطربَ النّاسُ لذلك، فمُسِخَ منهم ثلاثةٌ وثمانون رجلًا خنازير، فأصبحوا يأكلونَ العذرات.

ورُوِيَ عن عمّارِ بنِ ياسرٍ رضي الله عنه: أنَّ الله أمرَهم أن لا يخونوا ولا يدَّخرُوا، ففعلوا ذلك، فمُسِخُوا قردةً وخنازير(٢).

وعن الحسنِ: أنَّ الله تعالى لمّا قال: ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾ فشرطَ بقوله: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ﴾ الآية، فلمّا سمعَ القومُ(٣) الشَّرطَ خافُوا واستعفَوا، فلم تنزل(٤).

وعن مجاهدٍ أنَّه قال: لم تنزل مائدةٌ، وإنَّما هذا مثلٌ ضربَه لمُقترحي المعجزات(٥).

والقولُ الأوَّلُ الصَّوابُ؛ لقولِه تعالى: ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾ وهذا إخبارٌ لا يحتملُ الخلف، وليس في الآية ما يدلُّ على الاستعفاء.

وقولُه(٦): ﴿فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قيل: عالمي زمانِهم وأمَّتِهم.

---

(١) في (و): «ثم أوحي».

(٢) رواه الترمذي (٣٠٦١) مرفوعًا وموقوفًا، ورجَّح الموقوف، ثم قال: «ولا نعلم للحديث المرفوع أصلًا».

(٣) «سمع القوم» من (ن).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ١٣٠)، واستغربه المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٤٧).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ١٣٠)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٤٧)، وعدَّه من العجائب.

(٦) «وقوله» من (ن).

وقيل: عامٌّ، وهو أن يُجعَلوا قردةً وخنازير، ولم تُجعَل بغيرِهم تلك[١].

وعن عبدِ الله بنِ عَمرٍو رضي الله عنه: أنَّ أشدَّ النّاسِ عذابًا يومَ القيامةِ: المنافقون، ومَن كفرَ من أصحابِ المائدةِ، وآل فرعون[٢].

***

(١١٦) - ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ الْغُيُوبِ﴾.

﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أكثرُ المفسِّرين وجمهورُهم على أنَّ هذا السُّؤالَ يكونُ في القيامة، ولم يقع[٣] بعدُ، والآيةُ وسياقُها يدلّان عليه، ووُضِعَ لفظُ الماضي موضعَ المستقبل، كقوله: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ اللَّهِ﴾ [النحل: ١]؛ لأنَّ لفظَ الماضي أدلُّ على الوقوعِ من لفظِ[٤] المستقبل.

و(إذ) بمعنى: إذا، كما قال:

ثُمَّ جَزاهُ اللهُ عَنّا إذْ جَزَى
جَنّاتِ عَدْنٍ فِي العَلالِيِّ العُلا[٥]

---

(١) أي: تلك العقوبة والـمُثلة.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ١٣٢)، والخرائطي في «مساوئ الأخلاق» (٢٩٦).

(٣) في (و): «ولم يكن».

(٤) في (و): «الوقوع بمعنى».

(٥) الرجز لأبي نجم العجلي في «تفسير الطبري» (٩/ ١٣٤)، و«الأضداد» لابن الأنباري (ص: ١١٩)، و«تفسير الثعلبي» (١١/ ٥٦٧).

ابنُ عيسى[١]: لأنَّه لتحقُّقِ[٢] أمرِه وظهورِ برهانِه بمنزلةِ ما قد وقَعَ وشُوهِدَ.

ومعنى سؤالِ عيسى عليه السَّلام توبيخٌ لمن قالَ عليه[٣] ذلك.

وقيل: إخبارٌ له بأنَّ قومَه غيَّروا بعده القولَ فيه.

وذهبَ السُّدِّيُّ وقطرب وابن جريرٍ إلى أنَّه خاطبه به حين رفعَه إلى السَّماء[٤].

قالُوا[٥]: والدَّليلُ على ذلك لفظ ﴿إذ﴾[٦]، وأنَّ قولَه: ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ إنَّما قال ذلك والكفّارُ بهذا القول أحياء؛ أي: إن وفَّقتَهم للإيمانِ لم يمتنع عليك[٧].

﴿قَالَ سُبْحَٰنَكَ﴾: تنزيهًا لك عن أن يكونَ لك في الإلهيّةِ شريكٌ.

﴿مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّ﴾؛ أي: لا يليقُ بي[٨] قولٌ لا أستحقُّه.

ومعنى: ﴿بِحَقٍّ﴾؛ أي: بـمُستحقٍّ.

وقيل: تقديرُه: بحقٍّ إن كنتُ قلتُه فقد علمتَه[٩].

ومعنى: ﴿إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥ﴾؛ أي: لا أحتاجُ إلى الاعتذار عن هذا المقال؛ لأنَّك تعلمُ أنِّي لم أقلْه، ولو قلْتُه علمْتَه.

---

(١) في (و): «ابن عباس».

(٢) في (و): «يتحقق».

(٣) «عليه» من (ن).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ١٣٣) عن السدي، ورجَّحه، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٤٧) عن السدي وابن جرير وقطرب، واستغربه.

(٥) في (و): «قيل».

(٦) فهي تدلُّ في أصل معناها على المضي.

(٧) انظر: «تفسير الطبري» (٩/ ١٣٤).

(٨) في (ن): «في».

(٩) فالكلام تمَّ على هذا التقدير عند (لي)، وهو بعيد. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٩٠).

وتقديرُه: إنْ أكنْ قلته؛ لأنَّ الشَّرطَ لا يصحُّ مع لفظ الماضي، ومَن ذهبَ إلى أنَّ (كان) مستثنًى من هذا الباب فقولُه غيرُ مرضيٍّ عند النُّحاة[١].

وقيل: (إنْ) بمعنى: (ما)، وفيه بُعدٌ[٢].

﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي﴾: ما أُخفيه وأُغيِّبُه وأضمرُه؛ إذ لا تخفى عليك خافيةٌ.

﴿وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ ما تُخفيه وتُغيِّبُه عن النّاس.

و﴿نَفْسِي﴾: غيبي، و﴿نَفْسِكَ﴾: غيبك.

وقيل: ذكرَ النَّفسَ ازدواجًا للكلامِ، كقوله: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٥]، و﴿مَكْرَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٥٤]، وقد سبق.

وقيل: النَّفسُ هاهنا: ما يُذكَرُ للتَّأكيد كالعينِ.

وقيل: تقديرُه: تعلمُ ما في نفسي ولا أعلمُ ما في نفسي[٣]، فأضافَها إلى الله مُلكًا وخَلقًا، وهذا مزيَّفٌ.

﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ ذُكرَ بلفظ المبالغة؛ لجَمعِ[٤] الغُيوب[٥].

---

(١) ذهب الزجاج إلى استثناء (كان) من عموم الماضي في هذا، وقال المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ١٢٦): «قال النحويون: (لم) إذا دخل المستقبل نقله إلى معنى الماضي، و(إن) الشرطية إذا دخل الماضي أو ما بمعنى الماضي نقله إلى معنى المستقبل. واستثنى الزجاج (كان) من الباب، واستدل بقوله: ﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ﴾، فردَّ عليه أبو علي، وقال: تقديره: إن أكن قلته، وكذلك إذا قال: إن كنت دخلت الدار فأنت طالق؛ أي: إن تكوني دخلت؛ فالطلاق يقع بقوله: دخلت، وهو ماض كما كان، لأن (إن) مسلَّط على تغيير ما يليه فحسب».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٤٧)، وعدَّه من العجائب.

(٣) في (و): «نفسك».

(٤) في (و): «بجميع».

(٥) جاء لفظ (علام) في الآية على بناء المبالغة؛ لأن لفظ (الغيوب) جمع يدلُّ على الكثرة.

(١١٧) ـ ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾.

﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ ﴾؛ أي: بأن أقولَه.

﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ ﴾: (أن) هي المفسِّرةُ بمعنى: أي، وجاز أن تكون بدلًا من الهاء، وجاز أن تكون بدلًا من (ما)[(١)].

﴿رَبِّى وَرَبَّكُمْ ﴾: خالقي وخالقُكم.

﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾؛ أي: مُشاهِدًا أحوالَهم مِن كفرٍ وإيمانٍ.

وقيل: ﴿شَهِيدًا عَلَيْهِم ﴾؛ أي: شاهِدًا عليهم[(٢)].

﴿مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ﴾: مدّةَ حياتي.

﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى ﴾ قيل: من الوفاء[(٣)].

وقيل: من الوفاةِ التي هي النَّوم.

وقيل: الموت.

وقد سبقَ ما فيه في قوله: ﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ ﴾ [آل عمران: ٥٥].

﴿كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ﴾؛ أي: حافظًا لهم وعالمًا بأحوالِهم، وأصلُه: المراقبةُ، وهي المراعاةُ، و(الرَّقبةُ) منه؛ لأنَّها في مثل موضعِ الرَّقيبِ من علوِّ المكان.

---

(١) والمفسِّرة لا محل لها، أما البدل فعلى اعتبارها مصدرية، وقد أنكر العكبري أن تكون مفسرة؛ لأن شرط المفسِّرة ألا يُصرح معها بالقول. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٩٠)، و«مشكل إعراب القرآن» لمكي (١/ ٢٤٤)، و«إعراب القرآن» للأصبهاني (ص: ١١٠)، و«التبيان» للعكبري (١/ ٤٧٦).

(٢) من قوله: «أي: مشاهدًا» إلى قوله: «شاهدًا عليهم» ليس في (ن).

(٣) في (و): «من الموتى».

﴿وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ قيل: مُشاهِدٌ لِما حضرَ وغاب.

وقيل: شهيدٌ على مَن عصى وأطاع.

* * *

(١١٨) ـ ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ قال المفسِّرون: معناه[١]: إنْ كنْتَ[٢] تعذِّبُهم فأنت مالكُهم، وليس لأحدٍ عليك اعتراضٌ.

وقيل: ذكرَ ذلك على وجهِ الاستعطاف.

﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ على قولِ السُّدِّيِّ وصاحبيه ظاهرٌ؛ أي: إن[٣] توفِّقهم للإيمان، وعلى قولِ الجمهورِ مشكلٌ.

قال المبرِّدُ: أراد: وإن تغفرْ لهم ما قالوا عليَّ خاصّةً[٤].

الزَّجّاجُ: ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ﴾؛ أي: لمن أقلعَ منهم وآمنَ[٥].

وقيل: جائزٌ أن يكون الله لم يُعْلِمْ عيسى أنَّه لا يغفرُ الشِّرك، وهذا مزيّفٌ[٦].

وتقديرُ الآية: إنْ تعذِّبهم فإنَّما تعذِّبُ عبادَك، وإنْ تغفرْ لهم فإنَّما تغفرُ لعبادك، لا بدَّ من هذا التَّقديرِ ليصحَّ المعنى الذي ذهبوا إليه.

---

(١) «معناه» من (ن).

(٢) «كنت» من (ن).

(٣) «إن» من (ن).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٢٣)، و«البسيط» للواحدي (٧/ ٦٠٥)، و«تفسير الراغب» (٥/ ٥٠٥).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٢٤).

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٤٩)، واستبعده، وعدَّه من العجائب.

ويحتمل معنًى دقيقًا، وهو: أنَّ قوله: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ﴾ شرطٌ جزاؤُه ﴿فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾، فصار قولُه: ﴿عِبَادُكَ﴾ معلّقًا بالتَّعذيب، ثم ذكر المغفرة، والمرادُ بها ضدُّ التَّعذيب، فصار كأنَّه قال[١]: إنْ تعذِّبهم فإنَّهم عبادك وإن لم تعذِّبهم[٢]؛ أي: هم عبادُك في جميعِ الأحوال، فنابَ قوله: ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ عن قوله: (وإن لم تعذِّبهم)، وليس المرادُ بها طلبُ المغفرة للكفّار، ولهذا لم يختمِ الآية بما يَليقُ بالغفران من الغفور الرَّحيم، بل ختمَها بما يليق بالتَّعذيبِ: ﴿فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾، ومثله قوله: «إنْ دخلْتَ الدّار فأنت حرٌّ، وإن لم تدخل» عتقَ في الحال؛ لأنَّ هذا كلامُ مَن شرطَ ثمَّ أنجزَ[٣].

***

(١١٩) - ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ السُّدِّيُّ: هذا فصلٌ من كلامِ عيسى عليه السَّلام[٤]؛ أي: يقولُ عيسى يومَ القيامة: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ﴾.

وقال[٥] غيرُه، وهو الظاهر[٦]: إنَّه من قولِ الله تعالى.

---

(١) «قال» من (ن).

(٢) «وإن لم تعذبهم» من (ن).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٤٩).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ١٤٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٥٦). قال الطبري في «تفسيره» (٩/ ١٤٠): «يعني السدي بقوله: هذا فصل من كلام عيسى، أن قوله: ﴿سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ﴾ إلى قوله: ﴿فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ من خبر الله عز وجل عن عيسى أنه قاله في الدنيا بعد أن رفعه إليه، وأن ما بعد ذلك من كلام الله لعباده يوم القيامة».

(٥) «وقال» من (ن).

(٦) في (و): «والظاهر».

ومَن نصبَ ﴿يومَ ينفعُ﴾[1] جعلَ (هذا) مفعولًا، و(يومَ) ظرفًا له[2]؛ أي: يقول الله هذا يومَ ينفع.

وذهبَ الكوفيّون إلى أنَّ (يومَ) مبنيٌّ على الفتح[3]، وعند البصريِّين إنَّما يُبنى على الفتح[4] مع الماضي، ولكلٍّ احتجاجٌ[5].

ابنُ عيسى: ﴿صِدْقُهُمْ﴾: إيمانُهم.

وقيل: ما عاهدوا الله عليه.

والمعنى: أنَّ صدقَهم في الدُّنيا ينفعُهم يومَ القيامة.

وقيل: صدقُهم في القيامة؛ يريدُ به: شهادتُهم على أنفسِهم بما صنعُوا وللأنبياء بما شاهدوا.

﴿لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بقَبولِ حسناتِهم ﴿وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ بما آتاهم من الكرامةِ والنَّعيم.

﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: نيلُ الجنّةِ والخلاصُ من النّار ﴿ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

* * *

(١٢٠) ـ ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ﴾.

﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ﴾: أحدثَها بعد أن لم تكن، ويُفنيها إذا أراد.

﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ من الإحداثِ والإفناءِ والمنعِ والإعطاء ﴿قَدِيرٌ﴾: قادرٌ على الكمالِ، والله محمودٌ في كلِّ حالٍ.

---

(١) هي قراءة نافع. انظر: «السبعة» (ص: ٢٥٠)، و«التيسير» (ص: ١٠١).

(٢) في (ن): «ظرف لقال».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٤٩)، واستغربه.

(٤) «وعند البصريين إنما يبنى على الفتح» من (ن).

(٥) انظر: «شرح التسهيل» لابن مالك (٣/ ٢٥٥)، و«مغني اللبيب» لابن هشام (ص: ٦٧٢).

سُورَةُ الأَنعَامِ

سُورَةُ الأَنعَامِ

مئةٌ وخمسٌ وستُّون آيةً، مكيّةٌ[١]

قال عطاءٌ: مكيَّةٌ إلَّا ثلاثَ آياتٍ، من قوله: ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ﴾ [١٥١][٢].

وقيل: مكيَّةٌ إلّا آيتين: إحداهما: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ﴾ [٩١]، والثَّانيةُ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٖ مَّعۡرُوشَٰتٖ﴾ [الأنعام: ١٤١].

وروى زِرُّ بنُ حُبَيشٍ عن أُبيِّ بنِ كعبٍ، عن رسولِ الله عليه السَّلامُ أنَّه قال: «نزلت عليَّ سورةُ الأنعامِ جُملةً واحدةً ليلًا، شيَّعَها سبعون ألفَ مَلَكٍ، لهم زَجَلٌ بالتَّسبيحِ والتَّحميدِ[٣]، ومَن قرأ سورةَ الأنعامِ صلَّى الله عليه، واستغفرَ له أولئك السَّبعون ألفَ مَلَكٍ بعددِ كلِّ آيةٍ من سورةِ[٤] الأنعامِ يومًا وليلةً»، وزاد بعضُهم: وخرَّ ساجدًا ثمَّ دعا الكُتّابَ فكتبوها من ليلتِهم[٥]،..

---

(١) «مئة وخمس وستون آية مكية»: ليست في (و).

(٢) ذكره الداني في «البيان في عد آي القرآن» (ص: ١٣٥) عن ابن عباس ومجاهد وعطاء بن يسار والكلبي، ورواه النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٤١٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) في (و): «والتمجيد».

(٤) «سورة»: ليست في (ن).

(٥) لم أقف عليه من طريق زر بن حبيش. وروى نحوه الثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ١٥) من طريق ابن =

والله أعلمُ بالصَّواب(١).

***

= عباس عن أبي بن كعب. وقال الحافظ في «الكافي الشاف» (ص: ٦٣): فيه أبو عصمة وهو متهم بالكذب.

وهذا الحديث هو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور سورةً سورةً عن أبي بن كعب، وقد فرقه الثعلبي حسب السور وتابعه فيه الواحديّ وأبو حفصٍ النسفي والزمخشري والبيضاويّ.

قال السيوطي في «نواهد الأبكار» (٣/ ١١٢): هذا من الحديثِ الموضوعِ الذي رُوي عن أبيٍّ بن كعبٍ في فضائلِ القرآنِ سورةً سورةً، وقد نبَّه أئمةُ الحديث وحُفَّاظه ونقَّادُه قديماً وحديثاً على أنه موضوعٌ مختلقٌ على رسول الله ﷺ، وعابُوا على مَن أورده من المفسِّرين في تفاسيرهم.

قال ابن حجر: وأوله عند الطبراني في «الصغير» [برقم (٢٢٠)] في ترجمة إبراهيم بن نائلة من حديث ابن عمر إلى قوله: «والتحميد»، وفيه يوسف بن عطية، وهو ضعيف.

ولأجل ما روي من أن سورة الأنعام نزلت جملة واحدة فقد ابتدع جماعة من النساك عبادة خاصة يقرؤون بها سورة الأنعام في ركعة واحدة، وسئل ابن الصلاح عن ذلك فقال في «فتاويه» (١/ ٢٤٩): الخبر المذكور في ذلك قد رويناه من حديث أبي بن كعب عن النبي ﷺ وفي إسناده ضعف، ولم نر له إسنادًا صحيحًا، وقد روي ما يخالفه، فروي أنها لم تنزل جملة واحدة بل نزلت آيات منها بالمدينة اختلفوا في عددها، ولو ثبت الحديث فلا يثبت بمجرده استحبابُ قراءتها جملة واحدة كما يفعلونه.

(١) «والله أعلم بالصواب»: ليست في (و).

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

(١) - ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ﴾.

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ ثناءٌ وشكرٌ، وهو خبرٌ بمعنى الأمرِ؛ أي: قولوا: الحمدُ لله؛ ليقعَ تعليمُ المعنى واللَّفظِ معًا.

ورَوى وَهْبٌ أنَّ أوَّلَ التَّوراةِ فاتحةُ الأنعامِ، وآخرَها آخرُ سورةِ هودٍ[1].

وقيلَ: آخرُها آخرُ سورةِ بني إسرائيلَ.

﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾: كوَّنَهما، وجمَعَ ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ لأنَّها سبعٌ، وقُدِّمَت لأنَّها أشرفُهما وأعلاهُما. وقيل: لأنَّها خُلِقَتْ قبلَ الأرض.

ووحَّدَ ﴿الأرض﴾ لاتِّصالِ بعضِها ببعضٍ. وقيل: هي واحدةٌ.

﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾؛ أي: خلَقَهما، والفرقُ بينهما: أنَّ (خلق) معناه: أحدَثَ فحسبُ، و(جعل) يتضمَّنُ التَّكريرَ.

وقيل: ﴿جعل﴾ هاهنا: صلةٌ، والتَّقديرُ: خلقَ السَّماواتِ والأرضَ والظُّلماتِ والنُّورَ.

وقيل: حالٌ، والتَّقديرُ: خلَقَ السَّماواتِ والأرضَ وقد جعلَ الظُّلماتِ والنُّورَ؛ لأنَّهما قبل السَّماواتِ والأرضِ[2].

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٠٢٧٤)، والدارمي في «سننه» (٣٤٤٥)، وابن الضريس في «فضائل القرآن» (ص: ١٩٩)، والطبري في «تفسيره» (٩/ ١٤٧) عن كعب، ولفظ الطبري: «فاتحة التوراة فاتحة الأنعام وخاتمة التوراة خاتمة هود».

(٢) في (و): «لأنهما قبل الظلمات والنور». وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٥٠)، واستغربه.

وجمعَها لأنَّ الظُّلمةَ تَحدثُ على أشياءَ كظُلمةِ اللَّيلِ وظُلمةِ السَّحابِ وظُلمةِ البحرِ وإن اتَّحدَ جنسُها، والنُّورُ جنسٌ واحدٌ[1]، وهو ما يُرى ويُرى به.

وقدَّمَها لأنَّها خُلِقت قبل النُّورِ، وليست الظُّلمةُ إلَّا عدمَ النُّورِ.

وهما اللَّيلُ والنَّهارُ. وقيل: الكفرُ والإيمانُ. وقيل: النّارُ والجنّةُ. وقيل: الأجسادُ والأرواحُ[2].

﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾؛ أي: ثمَّ الذين كفروا بعد هذا البيانِ يعدِلون بربِّهم الأوثانَ، تقولُ: عَدَلْتُ هذا بهذا؛ أي: ساوَيْتُه به.

والباءُ في ﴿بِرَبِّهِمْ﴾ صلةٌ للعدولِ لا للكفرِ.

ويحتمِلُ: كفروا بربِّهم يعدِلون عنه، فتكونُ الباءُ صلةً للكفرِ، و(عنه) صلةً للعدولِ، وهي محذوفةٌ[3].

* * *

(٢) ـ ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ﴾؛ أي: ابتدأ خلقَكُم منه؛ يعني: آدمَ عليه السَّلامُ، وهو الأصلُ.

وقيل: خلقَ أباكم، فحُذِفَ المضافُ.

---

(١) في (ن): «والنور متحد».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٥٠)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٥١)، واستغربه.

﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا﴾ أصلُ القضاء: إحكامُ الصَّنعةِ والفراغُ منها، وتأتي بمعنى: حكَمَ وأمَرَ وفعَلَ وصنعَ وأعلَمَ وأَوْحَى، والكلُّ قريبٌ.

والأجلُ: الوقتُ المُعيَّنُ، واختلفَ المُفسِّرون في الأجلَين:

قال ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿قَضَىٰٓ أَجَلًا﴾: هو النَّومُ، ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾: الموتُ[1].

وقيل: ﴿قَضَىٰٓ أَجَلًا﴾: مدةُ الدُّنيا، ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾: القيامةُ.

وقيل: ﴿قَضَىٰٓ أَجَلًا﴾ للحياةِ، وهو وقتُها، ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾ للمماتِ[2]، وهو وقتُه.

وقيل: ﴿قَضَىٰٓ أَجَلًا﴾ من مولدِه إلى مماتِه، ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾ من المماتِ إلى البَعثِ.

وقيل: ﴿قَضَىٰٓ أَجَلًا﴾ لِمَن مضى، ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾ لِمَن بقيَ أو يأتي.

وقيل: الأجلُ المُسمَّى: عمرُ الإنسانِ، و﴿قَضَىٰٓ أَجَلًا﴾ يقطعُ الأجلَ المُسمَّى، وهو الآفاتُ، فتحولُ بينَه وبينَ الوقتِ المُسمَّى، واستُدِلَّ بقولِه: ﴿لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ [الأنعام: ٦٠].

ومعنى ﴿مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾: مُثبَتٌ معلومٌ لا يعلمُه غيرُه.

﴿ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾: تشكُّون. وقيل: تختلفون.

***

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ١٥٣).

(٢) في (و): «من الممات».

(٣) ـ ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾.

﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ الجمهورُ على أنَّ ﴿هو﴾ كنايةٌ عن الله سبحانَه وتعالى، و﴿ٱللَّهُ﴾ خبرُه.

وذكرَ أبو عليٍّ أنَّ ﴿هو﴾ كنايةٌ عن الأمرِ والشَّأنِ، و﴿ٱللَّهُ﴾ مبتدأٌ(١).

والمُشكِلُ في الآيةِ الظَّرفُ؛ فقيل: إنَّه متَّصلٌ بالله على تقديرِ: وهو الإلهُ في السَّماواتِ والأرضِ؛ أي: المعبودُ، كقولِه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِي ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤](٢).

وقيل: إنَّ هذا في اسمِ (الله) لا يصحُّ؛ لأنَّه حُذِفَ منه الهمزةُ، وعُوِّضَ عنها الألفُ واللَّامُ عِوضًا لازمًا كما سبق، وأُجرِيَ مُجرى الأعلامِ، والأعلامُ لا تعملُ فيما بعدها، لكنَّه يدلُّ على أوصافٍ كالقدرةِ والإرادةِ والتَّدبيرِ، فكأنَّه قال: هو المُدبِّرُ القادرُ في السَّماواتِ والأرضِ(٣).

ورُوِيَ عن محمَّدِ بنِ جريرٍ أنَّه قال: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ فجعلَه متَّصلًا بالأوَّلِ، ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ﴾؛ أي: يعلمُ في الأرضِ(٤).

وكأنَّه(٥) اعتبرَ ما في (الملكِ) من قولِه: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦]،

---

(١) انظر: «الإغفال» لأبي علي (٢/ ٢١٠)، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٥١) دون نسبة، وقال: «وهذا أظهر».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٥١) وقال: «أنكره المحققون».

(٣) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٦/ ٣١٩).

(٤) انظر: «تفسير الطبري» (٩/ ١٥٥)، ولفظه: «إن الذي له الألوهة التي لا تنبغي لغيره، المستحِق عليكم إخلاصَ الحمد له بآلائه عندكم أيها الناس، الذي يَعدل به كفارُكم مَن سواه، هو الله الذي هو في السماوات ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ فلا يخفى عليه شيء».

ونسب المصنف هذا الوجه في «غرائب التفسير» (١/ ٣٥١) للكسائي، واستغربه.

(٥) في (ن): «ولعله».

والمرادُ: عرشُه وصنعُه؛ فإنَّ الله تعالى مُنزَّهٌ عن الظَّرفِ والمكانِ(١).

وقال أبو عليٍّ: ﴿هو﴾ كنايةٌ عن الأمرِ والشَّأنِ، و﴿ٱللَّهُ﴾ مبتدأٌ، و﴿يَعۡلَمُ﴾ خبرُه، والظَّرفُ متَّصلٌ بالخبرِ؛ أي: الله يعلمُ في السَّماواتِ والأرضِ.

وقيل: ظرفٌ للمصدرِ(٢)، وهو خطأٌ؛ لأنَّ صلةَ المصدرِ لا تتقدَّمُ على المصدرِ.

وقيل: ظرفٌ لقولِه: ﴿تَكۡسِبُونَ﴾.

وأهلُ السَّماواتِ: الملائكةُ، وأهلُ الأرضِ: الإنسُ والجِنُّ.

ويحتمِلُ أن يكون الظَّرفُ حالًا من المصدرِ، تقدَّم على ذي الحالِ وعلى العاملِ، وهذا على أربابِ الصَّنْعةِ غيرُ خافٍ(٣).

والسِّرُّ: إخفاءُ الشَّيءِ في النَّفسِ.

والجهرُ: إظهارُ المعنى الذي في النَّفسِ.

* * *

---

(١) كذا ذهب المصنف إلى مذهب طائفة من الخلف في التأويل للنصوص المتشابهة، أما مذهب السلف رضي الله عنهم والطائفة الأخرى من الخلف في تلك النصوص فهو التسليم مع التنزيه، وإمرارُها كما جاءت من دون تأويل، ولا تعطيلٍ ولا تشبيهٍ، ولا تمثيلٍ.

(٢) أي: الظرف متعلق بـ﴿سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ﴾، وعدَّ المصنف هذا الوجه في «غرائب التفسير» (١/ ٣٥١) من العجائب.

(٣) لخص ابن الجوزي في «زاد المسير» (٢/ ٩) ما قيل في هذه الآية فقال: «فيه أربعة أقوال:

أحدها: هو المعبود في السماوات وفي الأرض، قاله ابن الأنباري.

والثاني: وهو المنفرد بالتدبير في السماوات وفي الأرض، قاله الزجاج.

والثالث: وهو الله في السماوات، ويعلم سركم وجهركم في الأرض، قاله ابن جرير.

والرابع: أنه مقدم ومؤخر. والمعنى: وهو الله يعلم سركم وجهركم في السماوات والأرض، ذكره بعض المفسرين».

(٤) ـ ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾.

﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ المرادُ بالآيةِ هاهنا: المعجزةُ. وقيل: القرآنُ. وقيل: انشقاقُ القمرِ.

و(مِن) الأولى زيادةٌ، والثَّانيةُ للتَّبعيضِ، و(كان) زيادةٌ.

وقيل: أعرَضُوا كما عُلِمَ منهم، والمعنى: تركوا النَّظرَ فيها، وحقيقةُ الإعراضِ: الانصرافُ بالوجهِ(١) عن الشَّيءِ، وقد سَبق.

***

(٥) ـ ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

﴿فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ قيل: هو القرآنُ. وقيل: الإسلامُ.

وقيل: محمَّدٌ عليه السَّلامُ، والمعنى: نَسَبُوا محمَّدًا عليه السَّلامُ إلى الكذبِ بسببِ ردِّهم الحقَّ.

﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ يريدُ: العذابَ في الآخرةِ.

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: في الدُّنيا، فقتلَهم بالسَّيفِ يوم بدرٍ(٢).

ابنُ بحرٍ: سيعلمون ما يؤُولُ إليه عاقبةُ استهزائهم(٣) في الدَّارين، والعذابَ فيهما.

***

(١) «بالوجه»: ليست في (و).

(٢) ذكره الطبري في «تفسيره» (٩/ ١٥٦)، والثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ٣٢) دون نسبة.

(٣) في (ن): «عاقبة أمرهم واستهزائهم».

(٦) ـ ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾.

﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا﴾: ألم يُبصِروا كم أهلَكْنا ﴿مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾ القَرْنُ: الزَّمانُ. والقَرْنُ: أهلُ الزَّمانِ. والقَرْنُ من الزَّمان: ثمانون سنةً، وقيل: سبعون.

والمرادُ به: أهلُ ذلك الزَّمان.

الزَّجَّاجُ: القَرْنُ: أهلُ كلِّ مدَّةٍ [كان] فيها نبيٌّ، أو كان [فيها] طبقةٌ من أهلِ العلمِ؛ قلَّتِ السُّنونَ أم كثُرَتْ[1]. واشتقاقُه من (قَرَنْتُ).

﴿مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ﴾ يُريدُ: أعطيناهم من نعيمِ الدُّنيا والأمرِ والنَّهيِ بين أهلِها ما لم نُعطِكم.

ابنُ عيسى: التَّمكينُ: إعطاءُ ما يَصِحُّ به الفعلُ كائنًا ما كان، ومعنى مكَّنتُه الشَّيءَ: أزَلْتُ الحائلَ منه[2]. ومكَّنْتُ له الشَّيءَ؛ بمعناه، وجاءتِ الآيةُ بهما.

ووزنُ (مكان) عند الخليلِ: مَفْعَلٌ، قال: ولكثرتِه في الكلامِ أُجْرِيَ الميمُ مُجرى الفاء، كقولهم: تمَسْكَنَ وتمَدْرَعَ[3].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٢٩)، وما بين معكوفتين منه.

(٢) في (ن): «بينهما».

(٣) ذهب الخليل إلى أنَّ (المكان): مشتقٌّ مِن (كان يكون)، فلما كثر في كلام العرب صارت الميم كأنها أصلية، فعاملوه معاملة فَعَال، فجمعوه على: أمكنة، وصاغوا منه الفعل: تمكَّن، وقد فعلوا ذلك في نحو: تمدرع وتمسكن. وقد ذهب ثعلب إلى قول الخليل، واختاره السهيلي والراغب، بينما مال كثير من مؤلفي المعاجم إلى اشتقاقه من (مكن)، كما اختار المصنف. انظر: «العين» (٥/ ٣٨٧ و٤١٠)، و«نتائج الفكر في النحو» للسهيلي (ص: ٣٠٢)، و«المحكم» (٧/ ٧١ و٤٦) و«المفردات» (صر: ٧٧٣). =

وفيه ضعفٌ لشذوذِه، والأصحُّ أن يكونَ من (المَكْنِ)[١].

﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ﴾ الإرسالُ: الإنزالُ، والسَّماءُ: المطرُ، وحكَوا عن العربِ: (ما زِلْنا نطأُ السَّماءَ حتَّى أتيناكم)[٢].

والمِدرارُ: الدَّائمُ، وهو من (درَّ يَدِرُّ دُرُورًا)، مأخوذٌ منَ الحَلَبِ.

والمعنى: عاشوا في الخِصْبِ والرِّيفِ بين الأنهارِ والثِّمار، وسُقيا الغيثِ المتَّصلِ المِدرار.

﴿فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾؛ أي: لم يُغْنِ ذلك عنهم شيئًا، ﴿وَأَنشَأْنَا﴾: خلَقْنا وأحدَثْنا.
والإنشاءُ: إحداثٌ من غير سببٍ.

﴿مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾: خلقًا[٣] آخرين بدلًا منهم.

* * *

(٧) ـ ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾.

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ﴾ في سببِ النُّزولِ: قال الكلبيُّ: إنَّ مُشركي قريشٍ قالوا: يا محمَّدُ، والله لن نُؤمِنَ لك حتَّى تأتيَنا بكتابٍ من عندِ الله ومعه

= وقال ابن يعيش في «شرح المفصل» (١/ ١٦٥): «ولا أراه صحيحًا، لقولهم: تَمَكَّنَ، ولو كان من (الكَوْن)، لقيل: تَكَوَّنَ، فأمَّا (تَمَسْكَنَ) و(تَمَدْرَعَ) فقليل من قبيل الغلط لا يُقاس عليه، وقد قالوا في الجمع: أمْكِنَةٌ». وليس في كلام ابن يعيش ما يدفع صحة قول الخليل أو يحسم الخلاف، والله أعلم.

(١) في هامش (ن): «المَكْن: بيض الضب». انظر: «تهذيب اللغة» مادة (م ك ن) (١٠/ ١٦٢) و«المعجم الاشتقاقي المؤصل» لمحمد حسن جبل (٤/ ٢١٠٥).

(٢) انظر: «إصلاح المنطق» (ص: ٢٥٦)، و«غريب الحديث» لابن قتيبة (١/ ٤٣٩).

(٣) في (ن): «وخلقنا».

أربعةٌ مِن الملائكةِ يشهدون أنَّه من عندِ الله وأنَّك رسولُه، فأُنزلت هذه الآيةُ[(١)].

والمعنى: لو أجَبْناهم إلى ما سألوا، وأنزلنا كتابًا مكتوبًا في كاغدٍ.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: طلبوا كتابًا مُعلَّقًا من السَّماءِ إلى الأرضِ[(٢)].

ابنُ عيسى: التَّشديدُ لطولِ المُكثِ بين السَّماء والأرض[(٣)].

قولُه: ﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾؛ أي: عايَنوه ولَمَسوه، وخُصَّ اللَّمسُ لأنَّه مقدِّمةُ الإبصارِ، ولا يقعُ معه التَّزويرُ، وأُسنِدَ إلى اليدِ توكيدًا له، فإنَّه قد يُستَعملُ للفحصِ، كقوله: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾ [الجن: ٨].

قوله: ﴿لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ﴾: ما هذا ﴿إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾: ظاهرٌ، سُحِرَتْ أعيُنُنا؛ أي: لو أجَبْناهم إلى ما سألوا لم يُؤمِنوا.

***

(٨) ـ ﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾.

﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾؛ أي: هلَّا، ومعناه: التَّحضيضُ على الفعلِ؛ أي: أُنزِلَ معه ملكٌ يُكلِّمُنا أنَّه نبيٌّ، فقالَ الله:

﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾: لعُوجِلَتْ عقوبتُهم.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ٣٦)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢١٤). وزاد الثعلبي نسبته إلى مقاتل.

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (٨/ ٢٣) بلفظ: «﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا﴾ معلقًا من السماء إلى الأرض».

(٣) أي: جاء لفظ ﴿نَزَّلْنَا﴾ مشدّداً دالّاً على المبالغة لبُعدِ المسافة بين السماء والأرض.

وقيـل: لقامـتِ القيامـةُ؛ لأنَّ الملَـكَ يُـرى فـي القيامـةِ وحالـةَ المـوتِ، ولأنَّ الآيـةَ المُقترحـةَ إذا جاءتهـم فلـم يُؤمِنـوا بهـا عاقَبْتُهـم فـي الحـالِ من غيـرِ إهمالٍ.

﴿ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾: لا يُؤخَّرون طَرْفةَ عينٍ.

❊❊❊

(٩) ـ ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾.

﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ﴾؛ أي: المطلوبَ أو الرَّسولَ ﴿مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا﴾؛ أي: صيَّرناه آدميًّا ذكرًا؛ فإنَّ الملائكةَ ليسوا بإناثٍ.

الزَّجّاجُ: لو أرسلناه ملَكًا لم نُرسِلْه إلَّا في صورةِ إنسانٍ؛ لأنَّ الملائكةَ روحانيُّون لا يُمكِنُ النَّظرُ إليهم ولا المكالمةُ معهم[1]، ولأنَّهم عِظامُ الأجسامِ، لا يُدرِكُ بصرُ الإنسان منهم إلَّا اليسيرَ من جملتِهم، ولهذا كانوا يأتون الأنبياءَ عليهم السَّلامُ على صورِ الآدميِّين كدِحْيةَ[2] وأضيافِ إبراهيمَ ولوطٍ وخصمَي داودَ عليهم السَّلامُ[3]، ورُؤيتُهم على هيئتِهم مُعجزةٌ فلا تكونُ إلَّا لنبيٍّ.

﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم﴾؛ أي: لشبَّهنا وأشكَلْنا عليهم من أمرِه؛ إذ كان سبيلُه كسبيلِكَ يا محمَّدُ.

---

(١) في (و): «لهم».

(٢) دحية بن خليفة بن فروة الكلبي، كان من كبار الصحابة، لم يشهد بدرًا، وشهد أحدًا وما بعدها من المشاهد، وبقي إلى خلافة معاوية، وكان يضرب به المثل في حسن الصورة، وكان جبريل عليه السلام ينزل على صورته أحيانًا، وكان رسول رسول الله ﷺ إلى قيصر سنة ست من الهجرة. انظر: «الاستيعاب» (٢/ ٤٦١)، و«الإصابة» (٢/ ٣٢٢).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٣١).

﴿مَّا يَلْبِسُونَ﴾؛ أي: على أنفسِهم.

وقيل: على ضُعفائهم، يقولون: إنَّما هذا بشرٌ مثلُكم؛ أي: لَبَسْنا لَبْسًا كلَبْسِهم.

و(ما) للمصدرِ.

وعن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما: هم أهلُ الكتابِ، لبَسَ اللهُ عليهم ما لبَسوا على أنفسهم بتحريفِ الكلام عن مواضعِه(١).

وحكى أقضى القضاةِ لجُوَيبرٍ: للَبَسْنا على الملائكةِ من الثِّيابِ ما يلبِسُه النّاسُ(٢).

وهذا لا تحتملُه العربيَّة؛ لأنَّك تقول: (لَبَسْتُ الأمرَ) بالفتح (ألبِسُه) بالكسر، و(لَبِسْتُ الثَّوبَ) بالكسرِ (أَلْبَسُهُ) بالفتحِ.

وقُرِئ في الشَّواذِّ بالتَّشديدِ للمُبالغةِ(٣).

وقيل: لخلَطْنا عليهم ما يخلِطون.

***

(١٠) ـ ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ ثمَّ عزَّى نبيَّه على ما أصابَه من استهزاءِ قومِه.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ١٦٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٦٧).

(٢) انظر: «النكت والعيون» (٢/ ٩٦)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٥٣)، وعده من العجائب.

(٣) نسبت هذه القراءة إلى الزهري. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ٤٢)، و«شواذ القراءات» لشمس القراء الكرماني (ص: ١٦٤).

﴿فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾؛ أي: نزل بهم وَبالُ فعلِهم.

الزَّجَّاجُ: الحَيْقُ: ما يشتمِلُ على الإنسانِ من مكروهِ فعلِه[1].

وقيل: معناه: وجَبَ.

وقيل: (حاقَ) و(حقَّ) بمعنًى.

﴿مَّا كَانُواْ﴾؛ أي: الذي، ويجوزُ أن تكونَ للمصدرِ؛ أي: استهزاؤُهم.

***

(١١) - ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾.

﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾؛ أي: أبعِدوا فيها نحوَ اليمنِ مرَّةً ونحوَ الشَّامِ أُخرى، ﴿ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ لِتَروا كيف أهلكَهم اللهُ بعذابِ الاستئصالِ، ومِثْلُ ذلك بالمرصادِ لمن سلَكَ سبيلَهم بالكفرِ والفسادِ.

الحسنُ: ﴿سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾؛ أي: اقرؤوا القرآنَ وتأمَّلوا ما وقعَ بهم، فانظروا كيف كان حالُ[2] المكذِّبين[3].

وذُكرَ بلفظِ (ثمَّ) لأنَّهم أُمروا بسيرٍ بعد سيرٍ، وذاك يقعُ في زمانٍ بعيدٍ، والفاء يوجبُ سيرًا واحدًا يتعقَّبُه النَّظرُ.

والسَّيرُ: استمرارُ الانتقالِ لطلبِ الإبعادِ.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٣١).

(٢) في (ن): «عاقبة».

(٣) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (١/ ٢٤٨)، وأبو حيان في «البحر المحيط» (٤/ ٤٤٥)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٥٣)، واستغربه.

والنَّظرُ: طلبُ إدراكِ الشَّيءِ من جهة البصرِ أو الفكرِ.

* * *

(١٢) ـ ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: مِلْكُها. وقيل: تسخيرُها.

﴿قُل لِّلَّهِ﴾ ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: إنْ أجابوكَ وإلَّا فقل: لله[1].

وقيلَ: فقل: لله، فإنَّهم لا يُنكِرون.

قال صاحبُ «النَّظم»: فقالَ لهم ما أُمِرَ، فقالوا: فلِمَن هي؟ فأجابَهم الله بقولِه: ﴿قُل لِّلَّهِ﴾[2].

﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾؛ أي: قضى وأوجَبَ عليه سبحانه تفضُّلًا وكرمًا، وذكَر النَّفسَ لارتفاعِ الوسائط، والمعنى: من رحمتِه إمهالُه إيَّاهم بعد كُفرِهم.

﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ استئنافٌ وقَسَمٌ؛ أي: ليجمعنَّكم في القبورِ إلى يوم القيامةِ الذي أنكرتُموه.

وقيل: ليجمعنَّكم في يومِ القيامةِ. و(إلى) بمعنى: في.

وقيل: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ متَّصلٌ بـ﴿ٱلرَّحْمَةَ﴾؛ أي: من رحمتِه بَعثُه إيَّاكُم وإنعامُه عليكم.

﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾؛ أي: في اليوم، وقيل: في الجمع.

---

(١) ذكره الفيروزآبادي في «تنوير المقباس» (ص: ١٠٦).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٥٤)، واستغربه.

﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾: غبنوها ﴿فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾.

قيل: إنَّه استئنافٌ، ومحلُّه رفعٌ بالابتداء، ﴿فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ خبرُه. وقيل: ذمٌّ[(١)]. وقيل: بدلٌ من ضميرِ المُخاطب، ومحلُّه نصبٌ[(٢)].

***

(١٣) - ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾.

﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ في سبب النُّزول: قال الكلبيُّ عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما: إنَّ كفّارَ مكَّةَ أتَوا رسولَ الله عليه السَّلامُ فقالوا: يا محمَّدُ، إنَّا قد علِمْنا أنَّه إنَّما يحملُك على ما تدعُوْنا إليه الحاجةُ، فنحن نجعلُ لك نصيبًا في أموالنا حتَّى تكونَ مِن أغنانا رجلًا، وترجعَ عمَّا أنت عليه، فنزلت هذه الآية[(٣)].

والمعنى: له ما سكنَ في اللَّيلِ والنَّهارِ وتحرَّك فيهما، فاكتفى بأحدِ الضِّدَّين عن الآخرِ.

وقيل: ذكرَ السُّكونَ لأنَّه أعمُّ من الحركةِ، وأنَّ مآلَ كلِّ مُتحرِّكٍ إلى السُّكون[(٤)].

وقيل: ﴿مَا سَكَنَ﴾؛ أي: دخَلَ، من قوله: ﴿ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥].

---

(١) فهو في محلّ نصب بفعل محذوف تقديره: أذمُّ.

(٢) ذكره الأخفش في «معاني القرآن» (١/ ٢٩٣)، وقد اختار القول الأول الزجاج في «معاني القرآن» (٢/ ٢٣٢)، واختاره النحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ٥).

(٣) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢١٤)، وهو في «تفسير الثعلبي» (١٢/ ٤٢) عن الكلبي.

(٤) ذكر المصنف هذا القول في «غرائب التفسير» (١/ ٣٥٤)، واستغربه.

وقيـل: السُّـكونُ: الحلـولُ؛ أي: له ما يَشـتمِلُ عليه اللَّيلُ والنَّهارُ من الأجسـامِ والأعراضِ.

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لأقوالهم ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بأفعالهم.

* * *

(١٤) ـ ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾: ناصـرًا ومعبـودًا، وذلـك أنَّـه دُعِـيَ إلـى الشِّـركِ وعبادةِ الأصنامِ.

﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: خالقِهما ومُوجِدِهما. وأصلُ الفَطْرِ: الشَّقُّ.

وذكـر المفسِّـرون عـن ابـن عبّـاسٍ رضـي الله عنهمـا أنَّـه قـال: مـا كنـتُ أعرِفُ معنـى (فَطـرَ) حتَّـى أتانـي أعرابيَّـان يتخاصَمان فـي بئرٍ، فقـال أحدُهمـا: أنـا فطَرْتُها؛ أي: أنـا ابتدأتُهـا(١).

﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾؛ أي: يَرزُقُ ولا يُرزَقُ.

وقيل: خصَّ الطَّعامَ بالذِّكرِ لأنَّ الحاجةَ إليه أشدُّ، كقوله: ﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ [الذاريات: ٥٧].

﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾: أوَّلَ مَـن يدخـلُ فـي ديـن إبراهيـمَ عليـه السَّلامُ.

---

(١) رواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ٣٤٥)، ومن طريقه ابن الأنباري في «إيضاح الوقف والابتداء» (١/ ٧٢)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ١٧٥).

الحسن: أوَّلَ مَن آمَنَ من أمَّتِه(١).

﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ تقديرُه: كنْ أوَّلَ مَن أسلَمَ ولا تكونَنَّ من المشركين.

* * *

(١٥) ـ ﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾؛ أي: إنِّي أخافُ عذابَ يومٍ عظيمٍ، وهو القيامةُ، إنْ عصَيْتُ ربِّي ـ وقد أمرَني أن أكونَ أوَّلَ مسلمٍ ـ عاقبَني عليه، فالجزاءُ محذوفٌ، والشَّرطُ معترِضٌ بين الفاعلِ والمفعولِ به(٢).

* * *

(١٦) ـ ﴿مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ﴾.

﴿مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ﴾؛ أي: مَن يُصرَفِ العذابُ عنه، أو يَصْرِفْه الله(٣)، ﴿فَقَدْ رَحِمَهُۥ﴾: أنعمَ عليه ونجَّاه ﴿وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ﴾.

---

(١) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٤/ ٤٥٣).

(٢) في هامش (ن): «الفاعل: ﴿أَخَافُ﴾، والمفعول: ﴿عَذَابَ يَوْمٍ﴾ والشرط بينهما، وهو اعتراض حسن معنوي».
قلت: ويعني بكون الفاعل ﴿أَخَافُ﴾ ما فيه من الضمير المستتر الذي هو الفاعل، لا هو نفسه؛ فإنه فعل، ويستحيل أن يكون فاعلاً.

(٣) قوله: «مَن يُصرَفِ العذابُ عنه، أو يَصْرِفْه الله» لعله بذكر الوجهين يشير إلى القراءتين بضم الياء وبفتحها، وقد صرح بذلك في «غرائب التفسير» (١/ ٣٥٥) فقال: «مَن قرأ بفتح (الياء) فالفاعل مضمر يعود إلى ﴿رَبِّي﴾ والمفعول محذوف تقديره: مَن يَصْرِفْه عنه، والعائد ضمير العذاب... ومَن ضم الياء فالمضمر فيه يعود إلى العذاب».
وقد قرأ بفتح الياء على البناء للفاعل حمزة وأبو بكر والكسائي، والباقون بضمها على البناء للمفعول. انظر: «السبعة» (ص: ٢٥٤)، و«التيسير» (ص: ١٠١).

(١٧) ـ ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾: بَلِيَّةٍ وفقرٍ ومرضٍ، ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ﴾: لا دافعَ له ﴿إِلَّا هُوَ﴾: إلّا الله، ومعنى: مسَّه بكذا: أصابَه ذلك.

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ﴾: عافيةٍ وغِنًى وصحَّةٍ، ﴿فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ من ذلك ﴿قَدِيرٌ﴾: قادرٌ.

***

(١٨) ـ ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ﴾: الغالبُ المُقتدرُ ﴿فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾؛ أي: عالٍ عليهم بالقدرةِ. خبرٌ بعد خبرٍ.

والعبادُ: المملوكون، وهي[1] مخصوصةٌ بالإضافةِ إلى الله، وسائرُ جموعِه عامٌّ.

﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ في أمرِه ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ بعبادِه.

***

(١٩) ـ ﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾.

﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً﴾ في سببِ النُّزول: قال الكلبيُّ: إنَّ رؤساءَ مكَّة قالوا: يا محمَّدُ، ما نرى أحدًا يُصدِّقُك بما تقولُ من أمرِ الرِّسالة، ولقد سألنا عنك اليهودَ والنَّصارى فزعَموا أنْ ليس لك عندهم ذِكْرٌ ولا صفةٌ، فأرِنا مَن يشهدُ لك أنَّك رسولُ الله كما تزعمُ، فأنزَلَ الله: ﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً﴾[2]: أعظمُ شهادةً لا يجري فيها السَّهوُ والخطأُ والكذبُ. وقيل: أفضلُ.

(١) أي: لفظة العباد.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ٥١)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢١٤).

﴿قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ﴾ رُوِيَ عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّه قال: فإنْ أجابوك وإلَّا فقل: الله(١).

وقيل: كان القومُ مُقرِّين بأنَّ اللهَ أكبرُ شهادةً، فلهذا لم ينتظرِ الجوابَ.

ووقفَ بعضُ القرَّاء على: ﴿قُلِ ٱللَّهُۖ﴾(٢)، و﴿شَهِيدُۢ﴾ خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ؛ أي: هو شهيدٌ.

وذهبَ بعضُ المفسِّرين إلى أنَّ الله أمرَه أنْ يشهدَ عليهم بتبليغِ الرِّسالة إليهم بقولِه: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً﴾.

﴿بَيْنِي وَبَيْنَكُمْۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ﴾؛ أي: بالقرآنِ.

أرادَ: لأُنذرَكم ولأُبشِّرَكم، فاكتفَى بأحدِ الضِّدَّين.

قال الشَّيخ الإمام(٣): ويحتملُ أنَّهم يُنذَرون إلى أن يُؤمنوا.

﴿وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾؛ أي: ومَن بلغَه القرآنُ، فهو نصبٌ عطفًا على ضميرِ المُخاطَبين.

ومَن بلغَه القرآن فقد أنذَرَه محمَّدٌ عليه السَّلامُ، وفي الخبرِ: ومَن بلغَه القرآنُ فقد بلَّغَه محمَّدٌ عليه السَّلامُ(٤).

---

(١) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٤/ ٤٥٩).

(٢) وهو وقف حسن كما قال أبو بكر الأنباري في «إيضاح الوقف والابتداء» (٢/ ٦٢٩).

وجاء في هامش (ن): «ومن وقف على قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُۖ﴾ فمثاله تقول: صليتَ الجمعة اليوم في الجامع؟ يقول: نعم، وإن شاء أعاد كلامك كله، والأحسن حذفه والاقتصار على ما يليق بالجواب، كذلك الوقف في الآية على هذا».

(٣) «قال الشيخ الإمام»: ليست في (ن). والمراد بهذه العبارة المؤلف نفسه، وقد تكرَّرت في كتابه هذا كثيراً وفي «غرائب التفسير».

(٤) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٩٩٥٨)، والطبري في «تفسير» (٩/ ١٨٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٧١) من قول محمد بن كعب القرظي. =

﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ﴾ يعني: الأصنامَ، استفهامُ إنكارٍ وتبكيتٍ.

﴿قُل لَّآ أَشْهَدُ﴾ بما تشهدون ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾: بل أشهدُ أنْ لا إلهَ إلّا الله ﴿وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾؛ أي: وأتبرَّأ منَ الأصنامِ التي تزعُمون أنَّها له شركاءُ.

* * *

(٢٠) - ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾: التَّوراةَ والإنجيلَ ﴿يَعْرِفُونَهُۥ﴾ يعني: محمَّدًا عليه السَّلامُ، وقيلَ: يعرفون القرآنَ ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ﴾ سبقَ تفسيرُه في (البقرة).

﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾؛ أي: بَلَغوا النِّهايةَ في الخسرانِ؛ لأنَّ مَن خسرَ مالَه تعزَّى بسلامةِ نفسِه. وقيلَ: خسروا منازلَهم وأهاليَهم في الجنَّة ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

* * *

(٢١) - ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾: استفهامٌ يتضمَّنُ معنى النَّفي؛ أي: لا أحدَ أظلَمُ لنفسِه ﴿مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ﴾: اختَلَقَ ﴿عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ فيصفُه بغيرِ صفاتِه. والافتراءُ: تحسينُ الكذبِ.

﴿أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ﴾؛ أي: كذَّبَ نبيَّه بردِّ آياتِه.

﴿إِنَّهُۥ﴾ كنايةٌ عن الأمرِ والشَّأنِ ﴿لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: لا ينالون خيرًا.

* * *

= وروى نحوه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٥٩٤)، والخطيب البغدادي في «مسلسل العيدين» (ص: ٥٣) من قول ابن عباس رضي الله عنهما ولفظه: «مَن بلغه القرآن فكأنما شافهه، قال الله تبارك وتعالى: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾».

(٢٢) ـ ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾.

﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ﴾؛ أي: اذكُرْ[1]، وقيل: أنذِرْهم.

ابنُ جريرٍ: تقديرُه: لا يُفلِحُ الظَّالمون أبدًا ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ ﴾[2]؛ أي: من قبورِهم؛ يُريدُ: الظَّالمين والخلقَ جميعًا.

﴿ ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ ﴾؛ أي: أشركوا مع الله غيرَه: ﴿ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ﴾ سؤالُ تنكيرٍ[3]؛ أي: أين أعيانُها. وقيل: شفاعتُها.

ومعنى: ﴿ شُرَكَآؤُكُمُ ﴾؛ أي: سمَّيتُموهم شركاءَ لله.

﴿ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾؛ أي: تزعُمونَهم شركاءَ.

* * *

(٢٣) ـ ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾.

﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ ﴾؛ أي: مقالتُهم. وقيل: الفتنةُ: الخلاصُ. وقيل: معذِرتُهم. وقيل: عاقبةُ فتنتِهم.

﴿ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾؛ أي: عندَ أنفسِنا، بل ظننَّا أنَّا مُصيبون.

وقيل: تخلَّقوا في القيامةِ بأخلاقِهم في الدُّنيا من الكذبِ فجحدوا كُفرَهم.

وقيل: هؤلاء قومٌ كانوا مُشركين، ولم يعلموا أنَّهم مُشركون، فيحلفون على اعتقادِهم في الدُّنيا.

---

(١) أي: اليوم منصوبٌ بمحذوفٍ، تقديره: واذكر يومَ نحشرهم. وهو مفعول به لا ظرف.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٩/ ١٨٨)، وفيه: إن هؤلاء المفترين على الله كذبًا، والمكذبين بآياته، لا يفلحون اليوم في الدنيا، ولا يوم نحشرهم جميعًا؛ يعني: ولا في الآخرة، ففي الكلام محذوف قد استغنى بذكر ما ظهر عما حذف. وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٥٦)، واستغربه.

(٣) أي: استفهام إنكار، كما ذكر المصنف في مواضع مقصورة، وهو إنكار توبيخ، لا إنكار تكذيب. انظر: «مفتاح العلوم» للسكاكي (ص: ٣١٦).

(٢٤) ـ ﴿انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾.

﴿انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا﴾؛ أي: انظُرْ يا محمَّدُ. وقيل: الخطابُ للملائكةِ.

﴿كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: في الدُّنيا؛ لأنَّ القيامةَ لا يَكْذِبُ فيها أحدٌ.

وقيلَ: المرادُ به: كذبُهم بقولهم: ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾، وللقيامةِ[1] مواطنُ فما لم يصيروا إلى الجنَّةِ أو النَّار يجري فيها الخصامُ والمِراءُ والصِّدقُ والكذبُ.

وقيل: صارَ وَبالُ كذبِهم على أنفسِهم.

وقيل: ﴿كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾؛ أي: جحَدوا.

﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾؛ أي: ما يَدَّعونه من الشُّركاءِ، ومعناه: ذهبَ عنهم ما كانوا يفترون، وقيل: اشتغَلَ عنهم.

وقيل: معنى ﴿ضلَّ عنهم﴾: نسُوا.

***

(٢٥) ـ ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا ۚ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ في سبب النُّزول: قال ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما في روايةِ أبي صالحٍ: إنَّ أبا سفيانَ والنَّضرَ بنَ الحارثِ وعتبةَ وشيبةَ ابنَي ربيعةَ وأميَّةَ وأُبيًّا ابنَي خلفٍ استمعوا إلى رسولِ الله عليه السَّلامُ، فقالوا للنَّضرِ: ما تقولُ؟ فقال: والذي جعلَها بيتَه ما أدري ما يقولُ، إلَّا أنِّي أرى تحريكَ شفتَيه يتكلَّمُ بشيءٍ، وما يقولُ إلَّا أساطيرَ الأوَّلين مثل ما كنْتُ أحدِّثُكم عن القرون الماضية، قال: وكان النَّضرُ كثيرَ

---

(١) في (و): «والقيامة».

الحديثِ عن القرونِ الماضيةِ[١]، وكان يُحدِّثُ قُريشًا ويستملِحون حديثَه، فأنزلَ اللهُ: ﴿وَمِنْهُم﴾[٢]؛ أي: من الكفَّارِ ﴿مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾: يَتعرَّضُ لسماعِ القرآن.

﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾: أغطيةً، جمع كِنانٍ، وهو سِتْرُ الشَّيءِ[٣].

﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾؛ أي: كراهةَ أن يفقَهوه. وقيل: أنَّ لا[٤] يفقَهوه.

﴿وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾: ثِقلًا يمنعُ من السَّمع.

﴿وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ﴾ يُريدُ: انشقاقَ القمرِ وسائرَ ما رأوا من دلائلِ النُّبوَّة.

﴿لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ﴾؛ أي: انتهى كفرُهم إلى أن جاؤوا مُجادِلين.

﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ﴾: ما هذا ﴿إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: كتبُهم.

أبو عبيدة: ﴿أَسَٰطِيرُ﴾: تُرَّهات[٥].

والأساطيرُ جمعٌ لا واحدَ له كعَباديدَ، وقيل: جمعُ إِسطارٍ وإِسطارةٍ وأُسطورٍ وأُسطورةٍ[٦]، وسَطَّرَ الرَّجلُ: أتى بالحديثِ الباطلِ، وهو سَطْرٌ وسَطَرٌ وأسطُرٌ وأسطارٌ وسُطورٌ[٧].

وذهب بعضُهم إلى أنَّها نزلت فيمَن قصدوا النَّبيَّ عليه السَّلامُ ليُؤْذوه ويرجُموه،

---

(١) في (ن): «القرون الأول».

(٢) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢١٤)، وهو في «تفسير الثعلبي» (١٢/ ٥٥ ـ ٥٦) عن الكلبي. فلعله عند من عزاه لابن عباس من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وعلى كل فالكلبي متروك، وأبو صالح لم يسمع من ابن عباس.

(٣) في (ن): «بالشيء».

(٤) في (و): «وقيل أنى»، وهو تحريف، والمثبت من (ن)، والمعنى عليه: «لأنْ لا...».

(٥) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ١٨٩).

(٦) وإسطير وإسطيرة، فهي ستة: ثلاثة دون هاء، وثلاثة بزيادة الهاء. انظر: «القاموس» (مادة: س ط ر).

(٧) في عبارة المصنف اختصار، والمراد أن كلمة (سطر) فيها لغة بسكون الطاء، ولغة بفتحها، وتجمع على لغة التسكين على (أسطر) للقلّة، و(سطور) للكثرة، وتجمع على لغة الفتح على (أسطار). انظر: «تهذيب اللغة» مادة: (س ط ر) (١٢/ ٢٢٩).

وكانوا يستدلُّون بقراءتِه على موضِعِه، فألقى الله عليهم النَّومَ إذ قعدوا يرصُدونه[١]، ومثلُها قولُه: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ حِجَابًا﴾ [الإسراء: ٤٥] الآيتان.

وقيل: هذا ذمٌّ كقوله: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ﴾ [البقرة: ١٨]، وقد سبق.

الزَّجَّاجُ: فعلَ ذلك بهم مُجازاةً على كُفرِهم[٢].

***

(٢٦) ـ ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾.

﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ في سببِ نزولها قولان:

أحدُهما: أنَّها نزلت في أبي طالبٍ، كان ينهَى المشركين أن يُؤذوا رسولَ الله عليه السَّلامُ، ويتباعدُ عمَّا جاء به[٣].

قال مقاتلٌ: اجتمعت قريشٌ إلى أبي طالبٍ يُريدون سوءًا بالنَّبيِّ عليه السَّلامُ، فقال أبو طالبٍ:

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ١٠٣).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٣٧).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٧٨٥)، والطبري في «تفسيره» (٩/ ٢٠٢)، والحاكم في «المستدرك» (٣٢٢٩)، جميعهم من طريق الثوري عن حبيب بن أبي ثابت قال: حدثني من سمع ابن عباس يقول... فذكره.

ورواه الحاكم في «المستدرك» (٣٢٢٩)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢١٥) من طريق حمزة بن حبيب عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما. قال الحاكم: حديث حمزة بن حبيب صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

والله لَنْ يَصِلوا إليك بجمعِهم حتَّى أُوَسَّدَ في التُّرابِ دَفينا
فاصدَعْ بأمرِكَ ما عليكَ غضاضةٌ وَابشِرْ وَقَرَّ بذاكَ منكَ عُيونا
لولا الملامةُ أو حَذاري سُبَّةً لَوَجَدْتني سَمْحًا بذاكَ مَتينا(٤)

والثّاني: قولُ محمَّدِ ابنِ الحنفيَّة والسُّدِّيِّ والضَّحَّاكِ: نزلت في كفَّارِ مكَّةَ، كانوا ينهَون النَّاسَ عن اتِّباع محمَّدٍ عليه السَّلامُ، ويتباعَدون بأنفُسِهم عنه(٥).

والهاء في ﴿عَنْهُ﴾ تعودُ إلى النَّبيِّ عليه السَّلامُ.

وقيل: إلى القرآن؛ أي: ينهَون عن سماعِه ويتباعَدون عنه مخافةَ ميلِ القلوبِ إليه.

***

(٢٧) ـ ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ﴾؛ أي: يُوقَفون ﴿عَلَى ٱلنَّارِ﴾؛ أي: عايَنوها.

وقيل: صاروا فوقَ النَّار وصارتِ النَّارُ تحتَهم.

وقيل: حُبِسوا في النَّار.

وذكر أقضى القضاةِ وجهًا آخرَ؛ أي: جُعِلوا وقفًا على النَّار، من الوقوفِ المُؤبَّدة(٦).

---

(٤) انظر: «تفسير مقاتل بن سليمان» (١/ ٥٥٦)، وعنه الثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ٥٦)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢١٥).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٢٠١ ـ ٢٠٣) عن ابن عباس ومحمد ابن الحنفية والسدي وغيرهم. ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٧٧) عن ابن عباس ومحمد ابن الحنفية، وقال: «وروي عن الضحاك وحبيب بن أبي ثابت نحو ذلك».

(٦) انظر: «النكت والعيون» (٢/ ١٠٥)، وقد ذكره عن الكلبي بلفظ: «ولو ترى إذ حُبِسُوا على النار». وذكره بلفظه: المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٥٦)، واستغربه، وذكره بلفظ قريب أبو حيان في «البحر المحيط» (٤/ ٤٧٤).

ويدفعُه قولُه: ﴿إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام: ٣٠].

﴿فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ﴾: تمنَّوا الرَّدَّ إلى الدُّنيا ليُؤمِنوا ويُخلِصوا إيمانَهم.

﴿وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ استئنافُ كلامٍ منهم(١)، ومَن نصَبَ جعلَ الواوَ تنوبُ عن الفاءِ، كأنَّهم تمنَّوا الرَّدَّ وأنْ لا يُكذِّبوا وأنْ يكونوا مُؤمنين.

وجوابُ (لو) محذوفٌ تقديره: لرأيتَ عجيبًا.

***

(٢٨) ـ ﴿بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾.

﴿بَلْ بَدَا لَهُمْ﴾ ﴿بَلْ﴾ للإضرابِ عن الوفاءِ بما تمنَّوا، و﴿بَدَا لَهُمْ﴾: ظهرَ لهم ﴿مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ﴾ قيل: في الدُّنيا؛ أي: الشِّركُ والنِّفاقُ والمعاصي.

وقيل: هو قولُهم: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]؛ أي: بدا بشهادةِ الجوارحِ؛ أي: بدا عنهم(٢).

وقيل: بدا جزاءُ ذنوبِهم.

ابنُ بحرٍ: ﴿بَدَا لَهُمْ﴾: ظهرَ وبانَ لهم ﴿مَا كَانُوا يُخْفُونَ﴾؛ أي: يجدونه خافيًا، كما تقول: أحمَدْتُه: وجدتُه محمودًا، وأعمَرْتُ البلادَ: وجدتُها عامرةً(٣).

﴿وَلَوْ رُدُّوا﴾؛ أي: إلى الدُّنيا ﴿لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾؛ أي: إلى الكفرِ.

﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ قيل: في الدُّنيا، وقيل: في قولِهم: ﴿وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

---

(١) هذا على قراءة مَن رفع (نكذب)، وقد قرأ حمزة وحفص: ﴿وَلَا نُكَذِّبَ﴾ و﴿نكونَ﴾ بنصب الباء والنون فيهما، وقرأ ابن عامر: ﴿وَنَكُونَ﴾ فقط بالنصب، والباقون بالرفع فيهما. انظر: «السبعة» (ص: ٢٥٥)، و«التيسير» (ص: ١٠٢).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٥٧)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٥٧)، وعدَّه من العجائب.

(٢٩) ـ ﴿وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ﴾.

﴿وَقَالُوٓاْ﴾؛ أي: في الدُّنيا: ﴿إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا﴾: ما هي، و﴿هِيَ﴾ كنايةٌ عن المدَّة. وقيل: عن الحياة.

﴿وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ﴾ وهو عطفٌ على ﴿وَهُمۡ يَنۡهَوۡنَ عَنۡهُ﴾.

وقيل: متَّصلٌ بقوله: ﴿لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ﴾؛ أي: لعادوا وقالوا: ﴿إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا﴾.

* * *

(٣٠) ـ ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ قَالَ أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ﴾.

﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡ﴾: قضاءِ ربِّهم فيهم، وقيل: مسألةِ ربِّهم إيَّاهم عن أعمالِهم. وقيل: وُقِفُوا لحسابِ ربِّهم.

وفسَّر بعضُ المُشبِّهةِ ﴿وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡ﴾؛ أي: وُقِفُوا عليه فشاهَدوه[1]، وهذا فاسدٌ؛ لأنَّا إنَّما نُثبِتُ الرُّؤيةَ لله في حقِّ المؤمنين دون الكافرين.

﴿قَالَ أَلَيۡسَ هَٰذَا﴾: هو إشارةٌ إلى البعثِ وما يَتْبعُه من الثَّوابِ والعقابِ.

﴿بِٱلۡحَقِّ﴾: بالكائنِ الموجودِ لا بالباطلِ المعدومِ.

﴿قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾ أقرُّوا، وأكَّدوا الإقرارَ باليمينِ.

﴿قَالَ﴾؛ أي: الله: ﴿فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ﴾ ابنُ عيسى: إنَّما قال: (ذوقوا) لأنَّهم في كلِّ حالٍ يجدونَه وجدانَ الذَّائق في شدَّة الإحساسِ، ولا يصيرون إلى نُقصانِ الإدراكِ[2].

﴿بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ﴾ قيل: بسببِ كفرِكم. وقيل: الباءُ للبدلِ؛ أي: مكانَه وبدلًا منه.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٥٦)، وعدَّه من العجائب، وردَّه كما هنا.

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (٨/ ٨٢) بلا نسبة، وفيه: «من غير أن يصيروا إلى حال مَن يشم الطعام في نقصان الإدراك».

(٣١) ـ ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَـٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾.

﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: فاتَهم النَّعيمُ وهلكوا، ولقاءُ الله: البعثُ بعد الموتِ.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾ يعني: القيامةَ، وسُمِّيت القيامةُ ساعةً لسرعةِ الحسابِ فيها للجزاءِ، كقوله: ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَـٰسِبِينَ﴾ [الأنعام: ٦٢].

وقيل: أراد السَّاعةَ التي إذا جاءت بَطَلت الدُّنيا، فحذفَ الصِّفة.

﴿بَغْتَةً﴾: فجأةً، وهي نصبٌ على الحال؛ أي: باغتةً، وهي ورودُ الشَّيءِ على صاحبِه من غيرِ علمِه بوقتِه.

﴿قَالُوا۟ يَـٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا﴾: تحسَّروا على تقصيرِهم ونادوا الحسرةَ؛ أي: تعالَي فهذا أوانُكِ. وقيل: معناه: انتبهوا على حسراتِنا.

ومعنى ﴿فَرَّطْنَا﴾: قصَّرنا.

ابنُ بحرٍ: فرَطَ: سبقَ، والفارِطُ: السَّابقُ، وفرَّطَ: خلَّى السَّبقَ لغيره.

﴿فِيهَا﴾ قيل: في الدُّنيا.

وقيل: في الصَّفقةِ، ودلَّ ﴿خَسِرَ﴾ عليها[1].

وقيل: في السَّاعةِ؛ أي: فرَّطْنا في التَّقدمةِ لها.

﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾؛ أي: آثامَهم، وَزَرَ الرَّجلُ يَزِرُ وِزْرًا: أثِمَ، ووُزِرَ فهو موزورٌ: إذا أَثِمَ أيضًا، وأصلُه: الثِّقْلُ، والوِزارةُ: حملُ الثِّقْلِ.

وقيل: الوَزَرُ: الملجأُ، والوِزارةُ منه.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٥٧)، واستغربه. وذكر وجهًا عدَّه من العجائب واستحسنه، وهو: أن ﴿مَا﴾ هي الموصولة، و﴿فِيهَا﴾ كناية عن ﴿مَا﴾، وأنث حملاً على الأعمال.

وخُصَّ الظَّهرُ لأنَّه لا يُحمَلُ عليه إلَّا الأثقلُ.

وخُصَّ بالإضافةِ نفيًا للمجازِ، كقولِه: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

ورُوِيَ: وَزِرَ يَزِرُ؛ بالكسرِ فيهما[1].

وقيل: هو[2] مجازٌ بمعنى اللُّزوم.

﴿أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ أي: بئسَ شيئًا يحملونَه، وأفادَ ﴿أَلَا﴾ تعظيمَ ما يُذكَرُ بعدَه.

* * *

(٣٢) - ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ جوابٌ لقولهم: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾؛ أي: وما أعمالُ الحياةِ الدُّنيا إلا لعبٌ ولهوٌ.

وقيل: وما أهلُ الحياةِ الدُّنيا إلَّا بأهلِ لعبٍ ولهوٍ؛ أي: سريعةُ الانقضاءِ قليلةُ البقاء.

وقيل: لأنَّه لا منفعةَ له[3] في عاقبتِه.

وقيل: عاقبةُ اللَّعبِ واللَّهوِ الغَمُّ والنَّدمُ.

ابنُ عيسى: اللَّعبُ: عملٌ يَشْغَلُ عمَّا يُنتَفعُ به إلى ما لا يُنتَفعُ به، واللَّهوُ: صرفُ النَّفس عن الجِدِّ إلى الهزلِ، وأصلُه من (لَهِيْتَ عنه)[4]، ومنه: إذا استأثَرَ اللهُ بشيءٍ فَالْهَ عنه[5].

---

(١) في (ن) زيادة «لغة».

(٢) أي: حمل الأثقال على الظَّهر.

(٣) «له»: ليست في (ن).

(٤) أي: غفلت عنه وتركت ذِكره، ومضارعه: يَلْهَى.

(٥) من أمثال العرب كما في «تاريخ دمشق» (٥٦/ ٣١٤)، و«الجليس الصالح» (ص: ٢٠٧)، ونسبه المبرد في «الكامل» (٤/ ٣٢) لعمر بن عبد العزيز، وقد رواه عنه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٣٢٦) وذكر له خبرًا: أن عمر رأى رجلًا يشير بشماله فقال: يا هذا! إذا تكلمت فلا تشر =

﴿وَلَلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾؛ لِدَوامِها وبقائِها، ولحُسْنِ عاقبةِ المتَّقين[1] فيها، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أيَّ الحالَيْن خيرٌ.

***

(٣٣) - ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾.

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ في سببِ النُّزولِ: قال السُّدِّيُّ: التقَى الأخنَسُ بنُ شُرَيقٍ وأبو جهلِ بنُ هشامٍ، فقال الأخنسُ لأبي جهلٍ: يا أبا الحكَم، أخبرني عن محمَّدٍ، أصادقٌ هو أم كاذبٌ؟ فإنَّه ليس هاهنا أحدٌ يسمعُ كلامَك غيري، فقال أبو جهلٍ: واللهِ إنَّ محمَّدًا لصادقٌ، وما كذبَ محمَّدٌ قطُّ، ولكنْ إذا ذهبَ بنو قُصيٍّ باللِّواءِ والسِّقايةِ والحجابةِ والنَّدوةِ والنُّبوَّةِ، فماذا يكونُ لسائرِ قريشٍ؟ فأُنزلت هذه الآية[2].

وقال أبو ميسرةَ: إنَّ رسولَ الله عليه السَّلامُ مرَّ بأبي جهلٍ وأصحابِه، فقالوا: يا محمَّدُ، إنَّا واللهِ لا[3] نُكذِّبُكَ، إنَّكَ عندَنا لصادقٌ، ولكنْ نُكذِّبُ بما جئْتَ به، فنزلَتْ: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾[4].

= بشمالك، أشر بيمينك. فقال الرجل: ما رأيت كاليوم! إنَّ رجلًا دفن أعزَّ الناس إليه ثم إنه يهمه يميني من شمالي، فقال عمر: إذا استأثر الله بشيء فاله عنه. ومعناه والله أعلم: ما ذكره المبرد في «التعازي والمراثي» (ص: ٨٩) عن الأصمعي عن عمر قال: إنما الجزع قبل فوات الشيء، فإذا فاتك الشيء فاله عنه.

(١) في (و): «ولحسن عاقبتها للمتقين».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٢٢٢).

(٣) في (و): «ما».

(٤) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢١٦)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٢٦٤) إلى =

وعن مقاتلٍ: أنَّها نزلت في الحارثِ بنِ عامرِ بنِ نَوفلٍ، كان يُكذِّبُ النَّبيَّ عليه السَّلامُ في العلانيةِ، فإذا خلا مع أهلِ بيتِه قال: ما محمَّدٌ من أهلِ الكذبِ، ولا أحسبُه إلَّا صادقًا، فأنزلَ الله هذه الآيةَ(٥).

وكلمةُ (قد) تأتي للتَّوقُّع، وتأتي للتَّقريب من الحال، وتأتي للتَّقليل(٦)، والآيةُ تَحتمِلُ الأوجهَ الثَّلاثة.

وفي الآيةِ تسليةُ النَّبيِّ عليه السَّلامُ على تكذيبِهم إيَّاه وقولِهم له: إنَّه كاذبٌ وساحرٌ وشاعرٌ ومجنونٌ، فإنَّهم لا يُكذِّبونك ولا يخصُّونك بالتَّكذيب، وإنَّما يجحدون آياتِ الله.

وقيل: معناه: لا يُكذِّبونك بحجَّةٍ، ولا يُعتَدُّ بتكذيبِهم.

وقيل: لا يَنْسُبونك إلى الكذبِ(٧).

و﴿يُكْذِبُونَكَ﴾(٨) بالتَّخفيفِ معناه: لا يجدونَك كاذبًا(٩). وقيل: هما بمعنًى.

* * *

= عبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه، وروى نحوه الترمذي (٣٠٦٤)، والحاكم في «المستدرك» (٣٢٣٠)، والضياء في «المختارة» (٧٤٨)، من طريق ناجية بن كعب عن علي رضي الله عنه، وأعلَّه الترمذي بالإرسال، فقد رواه عن ناجية بن كعب مرسلاً وقال: و«هذا أصح».

(٥) انظر: «تفسير مقاتل بن سليمان» (١/ ٥٥٨).

(٦) وقد تأتي أيضاً للتحقيق والتكثير. انظر: «الجنى الداني» للمرادي (ص: ٢٥٦ ـ ٢٥٩).

(٧) في (و): «التكذيب».

(٨) قرأ نافع والكسائي بالتخفيف، وباقي السبعة بالتشديد. انظر: «السبعة» (ص: ٢٥٧)، و«التيسير» (ص: ١٠٢).

(٩) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (١/ ٣٣٩).

(٣٤) ـ ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِي۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ كهودٍ ولوطٍ وصالحٍ وشُعيبٍ ﴿فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟﴾ فتأسَّ بهم واصبرْ.

﴿حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا﴾: مَعونتُنا.

﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾: لا مُخلِفَ لوعدِه؛ يعني قولَه: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ١٧١]... الآيات، وقولَه: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [غافر: ٥١]... الآية، وقولَه: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ﴾ [المجادلة: ٢١]... الآية.

﴿وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِي۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾؛ أي: قِصَصِهم وما حلَّ بقومِهم. والفاعلُ مُضمَرٌ[1].

وقيل: (من) زيادةٌ، وفيه بُعدٌ[2].

***

(٣٥) ـ ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾.

﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ﴾: عَظُمَ وشَقَّ ﴿عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾ عنك وعن الإيمانِ بك وبالقرآنِ، وحرصْتَ على إيمانِهم، ﴿فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ﴾: تطلُبَ ﴿نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ تغوصُ

---

(١) أي: فاعل (جاء) مضمر فيه، وهو يعود إلى النبأ وإن لم يتقدم ذكره؛ لأن قوله: ﴿مِن نَّبَإِي۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ يدلُّ عليه. ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٥٨)، وانظر: «إعراب القرآن» للباقولي (١/ ٢٩٠).

(٢) وهذا قول الأخفش، وهو مشهور عنه، كما في «معاني القرآن» له (١/ ٢٩٨)، و«التبيان» للعكبري (١/ ٤٩٢). وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٥٨) فقال: «ولا يجوز أن تكون (من) زيادة؛ لأنها لا تزاد في الإثبات، وأجاز الأخفش زيادتها في الإثبات قياساً على النفي».

فيها، والنَّفَقُ: سَرَبٌ له مَخْلَصٌ إلى مكانٍ آخرَ. ﴿أَوْ سُلَّمًا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾: مَصعدًا تصعَدُ فيه، وقيل: درجًا، وقيل: سببًا، وسُمِّي سُلَّمًا لتسليمِه إلى المقصدِ.

﴿فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ﴾ ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: بآيةٍ خيرٍ ممَّا معك فافعَلْ(١).

والمعنى: لا يُؤمنون وإن اجتهدْتَ كلَّ الاجتهادِ وجئْتَهم بما اقترحوا من الآياتِ.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ بإنزالِ آيةٍ تَضْطَرُّهم إلى الإيمان.

وقيل: لو شاء الله أن يَطبعَهم على الهدى لفعلَ.

﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾؛ أي: بحكمِ الله في عبادِه.

وقيل: لا تجزَعْ في مواطنِ الصَّبرِ فتُقارِبَ حالَ الجاهلِ.

ويحتملُ أنَّ المعنى: فلا تكُنْ ممَّنْ لا يعلَمُ هذا، وليس المُرادُ به الجهلَ المذمومَ.

وقيل: الخطابُ للنَّبيِّ عليه السَّلامُ والمرادُ به غيرُه.

***

(٣٦) - ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾.

﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾؛ أي: يُجيبُ المؤمنون الذين ينتفعون بسمعِهم.

﴿وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾؛ أي: فأمَّا الكفَّارُ الذين هم كالموتى، الذين لا يسمعون ولا يُبصِرون، فيبعثُهم الله مع الموتى، فإنَّهم في عِدادِهم، ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾(٢)؛ أي: إلى أرضِ المحشرِ.

***

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٢٢٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٨٤).

(٢) في (و): «يحشرون».

(٣٧) ـ ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ﴾؛ أي: هلَّا أُنزِلَ عليه ﴿ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ يُريدون: ما اقترحوا عليه من جَعلِ الصَّفا ذهبًا، وأن يُوسِّعَ لهم أرضَ مكَّةَ، ويُفجِّرَ الأنهارَ خلالها تفجيرًا.

﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً﴾ من الآياتِ التي اقترحتُم، لكنَّها سؤالُ إعناتٍ وطلَبُ مُدافَعةٍ، وهو سُبحانَه لا يُنزِلُ مثلَ هذه الآياتِ، وقد أنزلَ عليك القرآنَ وهو من أبلَغِ الآياتِ وأظهَرِ المُعجزاتِ، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾؛ لأنَّها تستَدعي تأمُّلًا فيها وتفكُّرًا.

* * *

(٣٨) ـ ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾.

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ ثمَّ ذكرَ ما يُستدَلُّ به على قُدرتِه على الآياتِ، والدَّابَّةُ: اسمٌ لِمَا يَدِبُّ، يقعُ على المذكَّرِ والمؤنَّث، ولا يُطلَقُ على الآدميِّ إلَّا شتمًا[1]، وكذلك الحيوان[2].

﴿وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ قيَّدَ الطَّيرانَ بالجناحَين قطعًا لمجازِ السُّرعةِ.

والجناحُ: أحدُ ناحيتَي الطَّير، مُشتقٌّ من جَنَحَ: إذا مالَ.

﴿إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ في الخلقِ والرِّزقِ والموتِ، وفي الحاجةِ إلى مُدبِّرٍ يُدبِّرُ أمرَ مَراشِدِها[3] وإنِ انفردَ كلُّ نوعٍ بخاصَّةٍ لا تُوجَدُ في غيرِه.

والأُمَّةُ: الجماعةُ تشترِكُ في نوعٍ.

وقيلَ: أمثالُكم في الأكلِ والشُّربِ.

---

(١) ذكره ذلك المصنف في تفسير سورة (البقرة)، وفي «غرائب التفسير» (٢/ ٨٨٦).

(٢) فلا يقال الإنسان: دابة، أو حيوان؛ إلا على سبيل الشتم.

(٣) أي: ما يصلح أحوالها، والمراشد: مقاصد الطرق. انظر: «الصحاح» مادة: (ر ش د) (٢/ ٤٧٤).

الدِّمياطيُّ: في أنَّها تعرِفُ اللهَ تعالى وتُوحِّدُه وتُسبِّحُ له، من قولِه: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٤٤]، قال: وتسبيحُه: يا حليمُ يا غفورُ[١].

الزَّجَّاجُ: أمثالُكم في الخلقِ والموتِ والبعثِ[٢].

ومَن ظنَّ أنَّ أصنافَ الحيوانِ مكلَّفةٌ مُتعبَّدةٌ لقوله: ﴿أَمْثَالُكُم﴾، ولقوله: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤][٣]، فجاهلٌ بتأويلِ القرآن؛ لأنَّ المُماثلةَ لا تُوجِبُ الاتِّفاقَ في كلِّ شيءٍ، ولأنَّ قولَه: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ من الإنسِ والجنِّ.

﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ قيل: الكتابُ: اللَّوحُ المحفوظُ، وهو مشتمِلٌ على ما يجري في العالمِ من جليلٍ ودقيقٍ من جميعِ الحيواناتِ وغيرِها.

وقيل: الكتابُ: القرآنُ.

وقوله: ﴿مِن شَىْءٍ﴾؛ أي: من شيءٍ احْتِيجَ إلى بيانِه، وهو مشتمِلٌ على ما تُعُبِّدْنا به كنايةً وتصريحًا، أو مُجمَلًا وتفصيلًا.

ابنُ بحرٍ: ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾: هو كتابُ الأجلِ؛ لقوله: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد: ٣٨]، ولقوله: ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ﴾ [البقرة: ٢٣٥]، ولقوله: ﴿كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾ [آل عمران: ١٤٥][٤].

﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ للبعثِ والقِصاصِ.

---

(١) ذكر نحوه الواحدي في «البسيط» (٨/ ١١٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما من رواية عطاء، ولفظه: «يعرفونني ويوحدونني ويسبحونني ويحمدونني، مثلما قال تعالى في (سبحان): ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٤٤]»، واستغربه المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٥٨).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٥٨).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٥٨)، وعدَّه من العجائب، وردَّه كما هنا.

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ١١٢).

ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: حَشرُها: مَوتُها[١].

وقيل: تُحشَرُ وتُعوَّضُ عمَّا لَحِقَها من الآلامِ، ويُنصَفُ بعضُها من بعضٍ، وتدخلُ الجنَّةَ، وتكونُ من جملةِ دوابِّ الجنَّة.

* * *

(٣٩) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمّٞ وَبُكۡمٞ فِي ٱلظُّلُمَٰتِۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمّٞ وَبُكۡمٞ﴾ عن الخيرِ ﴿فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ خبرٌ بعد خبرٍ، ويُريدُ بـ﴿ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: ظلمةَ الجهلِ والحيرةِ والكفرِ، وظلماتِ المحشرِ والنَّارِ.

﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ﴾ فيموتُ على الكفرِ.

﴿وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾؛ أي: الإسلامِ.

* * *

(٤٠) ـ ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوۡ أَتَتۡكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَدۡعُونَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾.

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ﴾: كلمةُ استفهامٍ للجمع وتعجيبٍ ليس لها نظيرٌ، والكافُ فيها حرفُ خطابٍ لا محلَّ له من الإعراب، والتَّاءُ قبلَها ضميرُ الفاعلِ، لزم طريقةً واحدةً[٢] استثقالًا للجمعِ بين علامتَي خطابٍ، ومعناه: تنبَّهْ وتفكَّرْ.

وقال الكوفيون: الكافُ اسمٌ، ومحلُّه نصبٌ، وكأنَّهم أضمَروا المفعول الثانيَ[٣].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٢٣٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٨٦).

(٢) وهي الفتحة؛ سواء مكان المخاطب واحداً أو جمعاً، مذكراً أو مؤنثاً، ورأى الأزهري أن المراد بها التقرير. انظر: «معاني القراءات» (١/ ٣٥٣).

(٣) واستغربه المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٥٩) فقال: «الغريب: ذهب الكوفيون إلى أن الكاف =

﴿إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ﴾؛ أي: كما جاء مَن قبلكم.

﴿أَوۡ أَتَتۡكُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾ التي تُحيَون فيها وتُخرَجون من قُبورِكم.

﴿أَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَدۡعُونَ﴾ فيكشفُ ما نزلَ بكم ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ في أنَّ الأصنامَ آلهةٌ؟ وجزاءُ الشَّرطِ مُضمَرٌ، تقديرُه: فادعوها.

***

(٤١) ـ ﴿بَلۡ إِيَّاهُ تَدۡعُونَ فَيَكۡشِفُ مَا تَدۡعُونَ إِلَيۡهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوۡنَ مَا تُشۡرِكُونَ﴾.

ثمَّ قال: ﴿بَلۡ إِيَّاهُ تَدۡعُونَ﴾ لأنَّهم كانوا إذا مسَّهم الضُّرُّ دَعَوا اللهَ لا غير، دليلُه قولُه: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ضُرّٞ دَعَا رَبَّهُۥ﴾ [الزمر: ٨]، وقولُه: ﴿إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ٥٣﴾ [النحل: ٥٣]، وقولُه: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوۡجٞ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ﴾ [لقمان: ٣٢]، وأمثالُه.

﴿فَيَكۡشِفُ مَا تَدۡعُونَ إِلَيۡهِ﴾؛ أي: فيكشِفُ الضرَّ الذي تدعون اللهَ إليه[(١)]، تقولُ: دعوْتُ اللهَ إلى أنْ يغفرَ لي، ودعوْتُ اللهَ بأن يُسهِّلَ لي[(٢)].

﴿إِن شَآءَ﴾ يُريدُ: يكشفُ العذابَ في الدُّنيا؛ لأنَّ الساعةَ لا تُكْشَفُ ولا يُكْشَفُ ما ينزِلُ بهم فيها.

= اسم، والمعنى: أرأيت نفسك، وهذا بعيد؛ لأن شرط المفعول الثاني في هذا الباب إذا كان مفردًا أن يكون هو إياه، وليس هو كذلك في قوله: ﴿قَالَ أَرَءَيۡتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمۡتَ عَلَيَّ﴾ [الإسراء: ٦٢]، ولا في سائر الآيات...».

(١) أي: إلى كشفه، وفي «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٤٧): «المعنى: فيكشف الضر الذي من أجله دعوتم، وهذا على اتساع الكلام مثل: سل القرية، المعنى: سل أهل القرية».

(٢) لعله يشير إلى أن (دعا) يتعدى بالباء وبإلى، فمن الثاني قوله تعالى: ﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ﴾، ومن الأول قول الشاعر:

دَعَــوْتُ لِمَــا نَابَنِــي مِسْــوَرًا

انظر: «البحر المحيط» (٤/ ٥١٣).

﴿وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾: وتَتْركون، وقيل: (تنسَون) منَ (النِّسيان)[1]. وقيل: تُعرِضُون عنه إعراضَ النَّاسي.

﴿مَا تُشْرِكُونَ﴾؛ أي: الذي تُشركونَه مع الله، وقيل: (ما) للمصدرِ؛ أي: تنسَون إشراكَكُم.

* * *

(٤٢) ـ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰٓ أُمَمٍ﴾ يعني: رسلًا ﴿مِّن قَبْلِكَ﴾: (مِن) زيادةٌ؛ أي: زمانُهم قبلَ زمانِك.

﴿فَأَخَذْنَٰهُم﴾؛ أي: فكفَروا بهم وكذَّبوهم فأخذناهم ﴿بِٱلْبَأْسَآءِ﴾: الشِّدَّةِ والفقرِ ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾: الضُّرِّ والآفاتِ ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾: ليعودوا إلى الله، والضَّراعةُ: الذِّلَّةُ، وتضرَّعَ: تصاغَرَ وخضَعَ.

والمعنى: فعلْنا ما ذكرنا فلم تخشَعْ قلوبُهم ولم تضرَعْ نفوسُهم.

* * *

(٤٣) ـ ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟﴾؛ أي: هلَّا تضرَّعوا بالتَّوبةِ والإنابةِ ﴿وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ فلم ينزَجروا بما ابتُلوا به ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ خيَّلَ إليهم أنَّها تُقرِّبُهم منَ الله.

* * *

(١) والمراد: أنَّهم ينسون شركاءهم على الحقيقة في تلك الحال.

(٤٤) ـ ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾.

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾؛ أي: فلمَّا لم يتَّعِظوا بالبلاءِ، ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾.

الزَّجَّاجُ: أي: فتحنا عليهم ما كان مُغلَقًا عنهم[١].

ابنُ جريرٍ: فتحنا عليهم أبوابًا من النِّعمِ كنَّا سدَدْناها عليهم[٢].

ورُوِيَ عن النَّبيِّ عليه السَّلامُ أنَّه قال: «مُكِرَ بالقومِ وربِّ الكعبةِ»[٣].

﴿حَتَّى إِذَا فَرِحُوا﴾: أُعجِبُوا ﴿بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً﴾: فجأةً.

وقيل: في الآية تقديمٌ وتأخيرٌ تقديرُه: فرِحوا بما أُوتوا ونسُوا ما ذُكِّروا به أخذناهم بغتةً.

﴿فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾: (إذا) هذه تُسمَّى المُفاجأة، كما تقولُ: خرَجتُ فإذا زيدٌ قائمٌ[٤]، ومعنى ﴿مُّبْلِسُونَ﴾: آيِسُون.

الزَّجّاجُ: المُبلِسُ: الشَّديدُ الحسرةِ اليائسُ الحزينُ[٥].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٤٨)، وفيه: «فتحنا عليهم أبواب كل شيء كان مغلقًا عليهم من الخير».

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٩/ ٢٤٥ ـ ٢٤٦)، وما ذكره المصنف هو معنى كلامه مختصراً.

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٩١) عن الحسن موقوفًا عليه.

وروى الإمام أحمد في «المسند» (١٧٣١١) عن عقبة بن عامر عن النبي ﷺ قال: «إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب، فإنما هو استدراج» ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾....

(٤) انظر: «المقتضب» للمبرد (٢/ ٥٧)، و«شرح كتاب سيبويه» للسيرافي (٣/ ٢٦٦).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٤٩).

قُطْرُبٌ: الإبلاسُ: الخشوعُ(١).

أبو عُبيدةَ: الكئيبُ والحزينُ(٢).

ابنُ جريرٍ: السّاكتُ عند انقِطاعِ الحجّةِ(٣).

الدِّمياطيُّ: أي: يئِسُوا منَ الخيرِ كما يئِسَ إبليسُ(٤).

ابنُ عيسى: الإبلاسُ: اليأسُ من النَّجاةِ عند وُرودِ الهلاكِ(٥).

الحسنُ: مُبَصْبِصُون(٦).

وقيل: الإبلاسُ: الإطراقُ منَ الحزنِ والنَّدمُ.

***

(٤٥) ـ ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾؛ أي: آخِرُ مَن بقيَ منهم، تقولُ: دبَرَه دَبْرًا ودُبورًا: إذا تبِعَه.

﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؛ أي: هو محمودٌ على ما فعلَ؛ فإنَّه سبحانَه قد أعذَرَ وأنذَرَ وأنعَمَ وأمهَلَ.

---

(١) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٤/ ٥١٥). وذكره الطبري في «تفسيره» (٩/ ٢٤٩)، والماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ١١٤) بلا نسبة.

(٢) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ١٩٢).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٩/ ٢٤٩) وقد ذكره قولاً من جملة أقوال.

(٤) ذكر نحوه الطبري في «تفسيره» (١/ ٥٠٩)، وابن فارس في «مجمل اللغة» (ص: ١٣٥) مادة (ب ل س)، والماوردي في «النكت والعيون» (١/ ١٠٢) دون نسبة.

(٥) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٢/ ٢٧١)، والرازي في «التفسير الكبير» (١٢/ ٥٣٥) دون نسبة.

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ٧٥). والبصبصة: تحريك الكلب ذنبه طمعًا وخوفًا. والإبل تفعله إذا حدي بها. انظر: «العين» (٧/ ٩١).

وقيل: ﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على إهلاكِ أعدائِه وأعداءِ أنبيائِه.

وقيل: علَّمَ المؤمنين كيف يَحْمَدونه على نِعمِه بالمُؤمنين ونِقمِه منَ الكافرين[1].

ويحتملُ أنَّ المعنى: أهلكَهم الله، والحمدُ لله كما كانَ لم ينقطِعْ بهلاكِهم[2].

***

(٤٦) ـ ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ﴾ فأصمَّكم، ﴿وَأَبْصَٰرَكُمْ﴾ فأعماكم، ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم﴾ فسلَبَ العقولَ عنها[3] والتَّمييزَ.

وقيل: ختَمَ على قلوبِكم فأماتَكم.

---

(١) في (و): «بالكافرين».

(٢) فصَّل المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٦٠) ما أجمله هنا فقال ما معناه: «في الحمد هنا ثلاثة أقوال:
أحدها: أنه أمر، وهو على وجهين:
أحدهما: قولوا: الحمد لله على إهلاك أعدائه وأعداء المؤمنين.
والثاني: قولوا: الحمد لله الذي لم يجعل هلاك أمة محمد ﷺ في الدنيا، كما جعل هلاك سائر الأمم فيها.
وأما الثاني: فهو ثناء من الله ـ سبحانه ـ على نفسه بإهلاك عدوه وعدو أنبيائه.
وأما الثالث: فهو إخبار، وهو على وجهين؛ أحدهما: إثبات، والآخر نفي.
أما الإثبات: فعلى تقدير: فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله ثابت كما كان لم ينقطع بهلاكهم.
وأما النفي: فهو نفي الذم؛ أي: قَطَع دابر القوم الذين ظلموا، وهو محمود على ما فعل، فإنه سبحانه قد أعذر وأنذر وأنعم وأمهل.
الغريب: يحتمل أنه لما قال: (قُطع) بلفظ المجهول، قال: ﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾؛ أي: هو القاطع فاحمدوه».

(٣) في (و): «سلب العقول منها».

﴿مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ﴾؛ أي: مَن يأتيكم به؛ لأنَّهم علِمُوا أنْ لا أحدَ يُعطيهم عِوَضَها.

والهاء في ﴿بِهِ﴾ قيل: تعودُ إلى الأخذِ، والمرادُ المأخوذُ.

وقيل: إلى الختمِ، والمُرادُ به المختومُ عليه.

وقيل: إلى السَّمعِ، ويكونُ ما عُطِفَ عليه داخلًا معه.

وقيل: ما يأتيكم بأحدِ هذه الأشياءِ.

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَٰتِ﴾: نُكرِّرُها.

﴿ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾: يُعرِضون، والصُّدوفُ: الإعراضُ عن الشَّيءِ.

* * *

(٤٧) ـ ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً﴾ من غيرِ مُقدِّمةٍ ﴿أَوْ جَهْرَةً﴾ يتقدَّمُها أدلَّةٌ وعلاماتٌ.

الحسنُ: ﴿بَغْتَةً﴾: ليلًا، ﴿أَوْ جَهْرَةً﴾: نهارًا[1].

وقيل: ﴿بَغْتَةً﴾: آمنين، ﴿أَوْ جَهْرَةً﴾ تنتظِرون.

﴿هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾؛ أي: لو أُجِبْتُم إلى ما تقترِحون من إسقاطِ السَّماءِ كِسَفًا وغيرِها لم يُهلَكْ به إلَّا القومُ الكافرون والمُعانِدون.

* * *

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٨/ ١٥٠)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٢/ ٢٩٣).

(٤٨) ـ ﴿وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۖ فَمَنۡ ءَامَنَ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾.

﴿وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾ بالجنَّةِ ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ بالنَّارِ، وليست بأيديهم الآياتُ.

﴿فَمَنۡ ءَامَنَ وَأَصۡلَحَ﴾؛ أي: دام على إيمانِه، ﴿فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾.

***

(٤٩) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلۡعَذَابُ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾؛ أي: كذَّبوا رُسلَنا بردِّ آياتِنا ﴿يَمَسُّهُمُ ٱلۡعَذَابُ﴾: ينالُهم ويُصيبُهم ﴿بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾: بسبب فِسقِهم وخُروجِهم من طاعةِ الله.

***

(٥٠) ـ ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾: خزائنُ رزقِه[1]. وقيل: خزائنُ عذابِه، وقيل: خزائنُ آياتِه، فأفعلُ كلَّ ما أُريدُ.

وقيل: خزائنُه: مقدوراتُه[2].

﴿وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ﴾؛ أي: كلَّ الغيبِ، إلَّا ما علَّمَنيه سبحانَه.

﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌ﴾؛ أي: أقدرُ على ما يقدرُ عليه الملائكةُ.

---

(١) في (و): «نقمه».

(٢) في (و): «خزائنُ مقدوراته».

والمعنى: لستُ أدَّعي شيئًا ممَّا لا يَليقُ بي.

﴿إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾: ما يأمُرُني به بالوحيِ.

﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ﴾: العالمُ والجاهلُ. وقيل: الضَّالُّ والمُهتدي.

وقيلَ: معناه: لستُ مثلَكم؛ فإنِّي مُهتدٍ وأنتم ضالُّون.

﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ فتعقِلُوا ذلك.

* * *

(٥١) - ﴿وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ﴾.

﴿وَأَنذِرۡ بِهِ﴾؛ أي: بما يُوحَى إليك - وهو القرآنُ - ﴿ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ﴾[(١)]؛ أي: المؤمنين. وخَصَّهم لانتفاعِهم بالإنذارِ.

وقيل: هم الكفَّارُ، شكُّوا في البعثِ وقالوا: آلهتُنا شُفعاؤُنا عندَ الله.

﴿لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيّٞ﴾: يلي أمرَهم ﴿وَلَا شَفِيعٞ﴾: يشفعُ لهم.

وقولُه: ﴿لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ﴾ واقعٌ موقعَ المفعولِ الثَّاني لـ﴿أنذر﴾[(٢)].

وقيل: محلُّه نصبٌ على الحالِ من ﴿يَخَافُونَ﴾[(٣)].

﴿لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ﴾.

* * *

---

(١) في هامش (ن): «﴿يَخَافُونَ﴾؛ أي: يعلمون؛ كقوله: ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا﴾ [النساء: ١٢٨]».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٦١)، واستغربه.

(٣) «وقيل: محله نصب على الحال من يخافون»: ليست في (ن).

(٥٢) ـ ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ في سببِ النُّزولِ: عن سعدٍ قال: نزلَتْ هذه الآيةُ فيَّ وفي ابنِ مسعودٍ وعمَّارٍ وصُهيبٍ والمقدادِ وبلالٍ، قالت قريشٌ لرسولِ الله عليه السَّلامُ: إنَّا لا نرضى أن نكونَ أتباعًا لهؤلاءِ فاطرُدْهم عنك، فدخَلَ قلبُ رسولِ الله عليه السَّلامُ من ذلك ما شاءَ الله أن يدخُلَه، فأنزَلَ اللهُ هذه الآيةَ(١).

وعن خبَّابِ بنِ الأرتِّ قال: فينا نزلَتْ، كنَّا ضُعفاءَ عندَ النَّبيِّ عليه السَّلامُ بالغداةِ والعشيِّ يُعلِّمنا القرآنَ والخيرَ، وكان يُخوِّفُنا بالجنَّةِ والنَّارِ، فجاء الأقرعُ بنُ حابسٍ وعُيَينةُ بنُ حصنٍ فقالا: إنَّا من أشرافِ قومِنا، وإنَّا نكرهُ أن يرَونا معهم، فاطرُدْهم إذا جالَسْناك، قال: «نعم» قالوا: لا نرضى حتَّى تكتُبَ كتابًا، فأُتِيَ بأديمٍ ودَواةٍ، فنزلت: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾(٢).

والطَّرْدُ: إقصاءٌ على جَفاءٍ.

﴿بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾؛ أي: يُصلُّون الصَّلواتِ الخمسَ في الجماعةِ.

وقيل: يدعون بالتَّمجيدِ والتَّحميدِ.

وقيل: صلاةُ الفجرِ والعصرِ.

وقيل: هو قراءةُ القرآنِ.

---

(١) رواه مسلم (٢٤١٣)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢١٧) واللفظ له. ولفظ مسلم: «كنا مع النبي ﷺ ستة نفر، فقال المشركون للنبي ﷺ: اطرد هؤلاء لا يجترئون علينا. قال: وكنت أنا، وابن مسعود، ورجل من هذيل، وبلال، ورجلان لست أسميهما، فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع، فحدث نفسه، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾...».

(٢) رواه ابن ماجه (٤١٢٧)، وحسن العراقي إسناده في «تخريج أحاديث الإحياء» (ص: ٨٤٤).

وقيل: عامٌّ في العباداتِ.

والغَداةُ تُنكَّرُ، وتدخلُها الألفُ واللَّامُ للتَّعريفِ، و(غُدْوَةٌ) معرفةٌ لا تدخلُها الألفُ واللَّامُ، وكذلك (بُكْرَةٌ)، ومنَ العربِ مَن لا يَصْرفُها(١).

وابنُ عامرٍ قاسَ (غُدوةً) على (الغَداةِ)(٢)، وفيه بُعدٌ عندَ النُّحاةِ(٣).

﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾: يُريدون اللهَ، والوجهُ ذُكِرَ تعظيمًا كقولِه: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]، ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧].

وقيل: الوجهُ: الجهةُ؛ أي: يقصدون جهةَ الله بطاعتِهم.

﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ﴾ في الحسابِ، هاهنا ثلاثةُ أقوالٍ:

---

(١) انظر: «الكتاب» لسيبويه (٣/ ٢٩٣ ـ ٢٩٤)، و«غرائب التفسير» (١/ ٣٦٢).

(٢) قرأ ابن عامر: (بالغدوة) هنا وفي (الكهف). انظر: «السبعة» (ص: ٢٥٨)، و«التيسير» (ص: ١٠٢).

(٣) كذا قال المؤلف، وكذلك تكلم أبو عبيد على هذه القراءة بأن ابن عامر قرأ تلك القراءة اتباعاً للخط، وليس في إثبات الواو في الكتاب دليل على القراءة بها؛ لأنهم كتبوا الصلاة والزكاة بالواو ولفظهما على تركها، وكذلك الغداة، قال: على هذا وجدنا العرب. انتهى.

وتعقبه أبو حيان في «البحر» (٤/ ٥٢٢): بأن هذا من أبي عبيد جهل باللغة التي حكاها سيبويه والخليل من أن بعضهم ينكِّرها فيقول: «رأيته غدوةً» بالتنوين، قال: وعلى هذه اللغة قرأ ابن عامر، كما أنه لم ينفرد بهذه القراءة، بل قرأ بها أيضاً جماعة منهم: أبو عبد الرحمن السلمي ومالك بن دينار والحسن ونصر بن عاصم وأبو رجاء العطاردي، قال: وكيف يظن بهؤلاء الجماعة القرّاء أنهم إنما قرؤوا بها لأنها مكتوبة في المصحف بالواو، والقراءة إنما هي سنَّة متَّبعة، وأيضاً فابن عامر عربي صريح كان موجوداً قبل أن يوجد اللحن لأنه قرأ القرآن على عثمان بن عفان، ونصرُ بن عاصم أحد العرب الأئمة في النحو، وهو ممن أخذ علم النحو عن أبي الأسود الدؤلي مستنبطِ علم النحو، والحسن البصري من الفصاحة بحيث يُستشهد بكلامه، فكيف يظن بهؤلاء أنهم لحنوا واغتروا بخط المصحف؟

أحدُها: حسابُ أعمالِـهم[1] كقولِه: ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي﴾ [الشعراء: ١١٣].

والثاني: حسابُ أرزاقِهم.

والثالث: من كفايتِهم، تقولُ: حَسْبي؛ أي: كَفاني.

﴿فَتَطْرُدَهُمْ﴾: فتبعِدَهم، وقيل: تُؤخِّرَهم عن الصَّفِّ الأوَّلِ إلى الأخيرِ.

﴿فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ بسببِ طردِهم.

وقولُه: ﴿فَتَطْرُدَهُمْ﴾ جوابُ النَّفيِ، وقولُه: ﴿فَتَكُونَ﴾ جوابُ النَّهيِ[2]، وقيل: عطفٌ[3].

***

(٥٣) - ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾؛ أي: امتحنَّا الفقيرَ بالغنيِّ والغنيَّ بالفقيرِ؛ ﴿لِّيَقُولُوا أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا﴾ المعنى: لو كان هذا الأمرُ الذي دخلوا فيه - يعني: الإسلامَ - نعمةً وفضلًا لَمَا خُصُّوا به من بينِنا، كقولِه: ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ [الأحقاف: ١١].

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾؛ أي: هو أعلمُ بمَن يشكُرُ نعمتَه ممَّن يكفُرُها، فمَنَّ عليهم بالهدايةِ لشُكرِهم وخذلَ غيرَهم لكُفرِهم.

واللَّامُ لامُ العاقبةِ، وقيل: لامُ (كي).

---

(١) في (و): «أموالهم»، وفي (ن): «أعمالكم»، والمثبت أنسب بالسياق.

(٢) انظر: «الأصول» لابن السراج (٢/ ١٨٦)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ١١).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٦١) واستغربه.

(٥٤) ـ ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ في سببِ النُّزولِ: قال عكرمةُ: نزلت في الذين نهى اللهُ نبيَّه عن طَردِهم، فكان إذا رآهم بدأهم بالسَّلامِ وقال: «الحمدُ لله الذي جعَلَ في أمَّتي مَن أمرَني أن أبدَأَهُم بالسَّلامِ»[١].

وقال ماهانُ الحنفيُّ[٢]: أتى قومٌ النَّبيَّ عليه السَّلامُ فقالوا: إنَّا أصَبْنا ذنوبًا عظامًا، فما إخالُه ردَّ عليهم شيئًا، فلمَّا ذهبوا وتولَّوا نزلت: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾[٣]؛ أي: يُصدِّقون بالقرآنِ، وقيل: بحُجَجِنا وبراهينِنا.

﴿فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ أمرَه اللهُ أن يبدَأهم بالتَّسليمِ عليهم.

الحسَنُ: ﴿فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: من ربِّكم[٤].

المُبرِّدُ: السَّلامُ في اللُّغة أربعةُ أشياءَ: اسمٌ من أسماءِ الله عزَّ وجلَّ، وجمعُ «سلامةٍ»، ومصدرُ «سلَّمَ»، واسمُ شجرٍ[٥].

ومعنى: سلامٌ عليك: سلِمْتَ منَ الآفاتِ دينًا ودُنيا.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ٩٠)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢١٩).
وروى نحوه أبو يعلى في «مسنده» (١١٥١) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، ولفظه: «الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرت أن أصبر معهم».

(٢) ماهان أبو سالم الحنفي عن أم سلمة، قتله الحجاج بن يوسف، سمع مولاته عن أم سلمة، روى عنه المنهال بن عمرو وسليمان الشيباني، يعدُّ في الكوفيين، وقال بعضهم: ماهان أبو صالح، ولا يصح. انظر: «التاريخ الكبير» للبخاري (٨/ ٦٧).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٢٧٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٠٠).

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ١١٩).

(٥) ذكره تلميذه الزجاج في «معاني القرآن» (٢/ ٢٥٢)، وذكر أنه سمعه منه.

﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾: أوجبَها. وقيل: كتبَ في اللَّوحِ المحفوظِ، وما كَتَبَ أبقى وأثبَتَ.

﴿أَنَّهُۥ﴾ الهاءُ للأمرِ والشَّأنِ ﴿مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا﴾: ذنبًا ﴿بِجَهَٰلَةٍ﴾: جَهِلَ كُنْهَ ما يَؤُولُ إليه. وقيل: بجهالةٍ في اختيارِه.

الحسنُ: مَن عمِلَ عملًا خطيئةً فهو جاهلٌ[1].

﴿ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾: بعدَ السُّوءِ والعملِ أو الجهلِ ﴿وَأَصْلَحَ﴾: عزَمَ أنْ لا يعودَ إلى الذَّنبِ ﴿فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

فتحُ (أنَّ) الأولى على البدلِ من (الرَّحمة)، والكسرُ على الاستئناف، وكسرُ الثَّاني على الابتداءِ، والفتحُ على تقديرِ: فالأمرُ أنَّه[2].

و(مَن) يجوزُ أن تكونَ للشَّرطِ، والفاءُ دخلَ للجزاءِ، ويجوزُ أن يكونَ بمعنى: الذي، والفاءُ دخلَ على الخبرِ.

* * *

(٥٥) ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾؛ أي: وكما بيَّنَّا الحُجَجَ في هذه السُّورةِ وما قبلَها ﴿نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ﴾: نُبيِّنُها.

والفَصْلُ: بَوْنُ ما بين الشَّيئين، والفَصْلُ في القضاءِ من هذا، والتَّفصيلُ: التَّبيينُ بين المعاني المُلتبسةِ.

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ١٢٠)، والواحدي في «البسيط» (٨/ ١٧٧).

(٢) قرأ عاصم وابن عامر: ﴿أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ﴾ ﴿فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ بفتح الهمزتين، ونافع بفتح الأولى فقط، والباقون بكسرهما. انظر: «السبعة» (ص: ٢٥٨)، و«التيسير» (ص: ١٠٢).

﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ اللَّامُ عطفٌ على المعنى؛ أي: نُفصِّلُ الآياتِ ليظهرَ الحقُّ ولتستبينَ.

ويَحتمِلُ: ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ فصَّلناه(١).

والمعنى: سبيلُ المُجرمين وسبيلُ المُؤمنين، فاكتَفَى بأحدِ الضِّدَّين.

واستبانَ لازمٌ ومُتعدٍّ(٢). والبيانُ: فَصْلُ المعنى ممَّا التبَسَ به. والسَّبيلُ يُذكَّر ويُؤنَّث(٣).

***

(٥٦) - ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾.

﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ﴾ ابنُ عيسى: النَّهيُ: الزَّجرُ عن الفعلِ بطريقةِ: لا تفعَلْ(٤).

﴿أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: تعبُدون. وقيل: ﴿تَدْعُونَ﴾ من الدُّعاءِ. وقيل: تدعونَها آلهةً؛ أي: تُسمُّونها، كما تقولُ: دَعَوْتُ ولدي زيدًا؛ أي: سمَّيتُه.

﴿قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ﴾ ابنُ عيسى: الهوى: أريَحيَّةُ النَّفسِ إلى ما تحِنُّ إليه(٥).

﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا﴾ مع كثرةِ وُضوحِه وإعلامِ شواهِدِه(٦) ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾؛ أي: إلى شيءٍ من مَراشِدي.

الزَّجَّاجُ: وما أنا من النَّبيِّين الذين سلَكُوا الهدى(٧).

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٦٣)، واستغربه.

(٢) وهو في الآية لازم.

(٣) انظر: «المذكر المؤنث» للأنباري (١/ ٤٢٣).

(٤) ذكر نحوه ابن فورك، وقيَّده بما لا يجوز. انظر: «تفسير ابن فورك» (٣/ ١٤٤).

(٥) هذا في اللفظ، أما في المعنى فيأتي النهي بلفظ اجتنب، ويكون بغير لفظ. انظر: «المفردات» للراغب الأصفهاني (ص: ٨٢٦).

(٦) في (ن): «مع وضوح كثرة أعلامه وكثرة شواهده».

(٧) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٥٥).

(٥٧) ـ ﴿قُلۡ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبۡتُم بِهِۦۚ مَا عِندِي مَا تَسۡتَعۡجِلُونَ بِهِۦٓۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ يَقُصُّ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰصِلِينَ﴾.

﴿قُلۡ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي﴾ في سببِ النُّزول: قال الكلبيُّ: نزلت في النَّضْرِ بنِ الحارثِ ورُؤساءِ قُريشٍ، كانوا يقولون: يا محمَّدُ، ائتِنا بالعذابِ الذي تعِدُنا به؛ استهزاءً منهم، فنزلَتْ: ﴿قُلۡ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي﴾[1]: مُعجزةٌ. وقيل: القرآنُ.

وقيل: دِينٌ صحيحٌ.

الحسنُ: النُّبوَّةُ[2].

﴿وَكَذَّبۡتُم بِهِۦ﴾ الزَّجَّاجُ: الهاءُ تعودُ إلى البيانِ[3]. وقيل: إلى مدلولِ البيِّنةِ. وقيل: إلى القرآنِ. وقيل: إلى ﴿رَّبِّي﴾[4].

﴿مَا عِندِي مَا تَسۡتَعۡجِلُونَ بِهِۦٓ﴾؛ أي: ليس عندي الذي تطلُبونَه، ولا في قُدرتي هذا العذابُ.

وقيل: ما اقترَحوا عليه من الآياتِ.

والاستِعجالُ: طلَبُ الشَّيءِ قبل وقتِه.

﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾: ليس الحاكمُ بيننا إلَّا الله، وهو يُظهِرُ المُحِقَّ من المُبطِلِ.

---

(١) ذكره عن الكلبيِّ الواحديُّ في «أسباب النزول» (ص: ٢١٩)، وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٢/ ٣٦) من رواية أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما، فهو مما رواه الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.

(٢) ذكره بعض المفسرين دون نسبة. انظر: «تفسير ابن زمنين» (٢/ ٢٨٥)، و«الهداية» لمكي (٣/ ٢٠٤٠).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٥٦).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٦٣)، واستغربه.

﴿يَقُصُّ ٱلْحَقَّ﴾: يقضي القضاءَ الحقَّ.

وقيل: يصنعُ الحقَّ(١).

و﴿يَقُصُّ ٱلْحَقَّ﴾: يُبيِّنُ الحقَّ. ويجوزُ: يقُصُّ القَصصَ الحقَّ.

﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾: لا حَيْفَ ولا جَوْرَ في حُكمِه.

* * *

(٥٨) ـ ﴿قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ﴾؛ أي: لو كان العذابُ بيدي وفي مَقدوري ﴿لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ لأنزلتُه عليكم، ولم أكُنْ لأحلُمَ(٢) عنكم، ولصارَ الأمرُ إلى آخرِه، وانقطعَ ما بيني وبينكم.

﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ أي: بمَن ينبغي أن يُؤْخذَ وبمَن ينبغي يُمْهَلَ.

* * *

(٥٩) ـ ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾.

﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾ فهو يُظهِرُ ما أرادَ منها.

والمفاتحُ: جمع مِفْتَحٍ، وهو ما يُفتَحُ به(٣).

---

(١) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» (٢/ ٢٥٦) وشرحه بقوله: «أي: كل ما صنَعَه عزَّ وجلَّ فهو حق وحِكمة»، وجعله الزمخشري من قولهم: (قضى الدرع) إذا صنعها؛ أي: يصنع الحق ويدبره. انظر: «الكشاف» (٢/ ٣٠).

(٢) في (ن): «لأحكم».

(٣) قال ابن كمال باشا في «تفسيره» عند هذه الآية: المفاتح: جمع مَفْتَح بفتح الميم، وهو المخزن الذي يُفتَح ويُغلَق، أو جمع مِفْتَح بكسرها، وهو المفتاح، ويؤيده قراءةُ مَن قرأ: (مفاتيح).

والغَيبُ: ما غابَ عن معارفِ الخلقِ.

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾: خزائنُ العذابِ والرِّزقِ(١).

﴿لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾: لا يُنزِلُ العذابَ والرِّزقَ إلَّا هو.

وقيل: ﴿مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾: الأمورُ التي بها يُستدَلُّ على الغائبِ فيُعلَمُ حقيقتُه، من قولك: فتحتُ على الإمامِ: إذا عرَّفتَه ما نسيَ.

وعن النَّبيِّ عليه السَّلامُ: «مفاتِحُ الغَيبِ خمسٌ»، ثمَّ تلا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤] الآيةَ(٢).

﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ﴾: ما في القِفارِ منَ النَّباتِ والدَّوابِّ ﴿وَٱلْبَحْرِ﴾ من الحيوانِ والجواهرِ. وقيل: ﴿ٱلْبَرِّ﴾: الفَلاة ﴿وَٱلْبَحْرِ﴾ القُرى.

﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ ثابتةً وساقطةً.

وقيل: كم انقلبَتْ ظهرًا لبطنٍ إلى أن وقعَتْ على الأرضِ.

ورُوِيَ عن كعبٍ: ما على الأرضِ شجرةٌ إلَّا وُكِّلَ بها ملكانِ، يكتُبُ أحدُهما ما سقَطَ منها، والآخرُ ما يَطلُعُ، فقيل له: ولا الحشيشُ؟ فقال: ولا الحشيشُ، فتلا هذه الآيةَ(٣).

﴿وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ﴾: تحتَ الأرضِ السَّابعةِ. وقيل: تحتَ التُّرابِ.

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ١٢١)، والواحدي في «البسيط» (٨/ ١٩٠). وروى الطبري في «تفسيره» (٩/ ٢٨٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾ قال: هن خمس: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ إلى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤]»، وسيورده المصنف مرفوعًا.

(٢) رواه البخاري (٤٧٧٨) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) لم أقف عليه.

﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ﴾؛ أي: جميعَ الأجسامِ؛ لأنَّها إنَّما تكونُ رَطبًا أو يابسًا.

﴿إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾: في اللَّوحِ المحفوظِ، تطَّلعُ عليه الملائكةُ المُقرَّبون، وليعلمَ العبادُ أنَّ أعمالَهم مُحصاةٌ للجزاءِ.

وقيل: الكتابُ مجازٌ عن الحفظِ.

وقولُه: ﴿إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾ مع قولِه: ﴿إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ استثناءٌ بعد استثناءٍ، كقولِ الشّاعرِ:

ما بالمدينةِ دارٌ غيرُ واحدةٍ دارُ الخليفةِ إلَّا دارُ مَرْوانا[1]

وقُرِئَ: (ولا حبةٌ.. ولا رطبٌ ولا يابسٌ) بالرَّفعِ[2]، فيكونُ ما بعد ﴿إِلَّا﴾ خبرَ المُبتدأ.

***

(٦٠) ـ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾؛ أي: يُنيمُكم[3].

وخُصَّ اللَّيلُ بالنَّومِ والنَّهارُ باليقظةِ على الأغلبِ ومَجرى العادةِ.

والتَّوفِّي هاهنا مُستعارٌ من الوفاةِ التي هي الموتُ، وحَسُنَ هذه الاستعارةُ لِمَا بين النَّومِ والموتِ من المُناسبةِ: من زوالِ الإحساسِ والمعرفةِ والفكرِ والتَّمييزِ، وما يلحقُه من استرخاءِ الأعضاءِ ويمنعُه عن الكسبِ، ومثلُه: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ

---

(١) عزاه سيبويه في «الكتاب» (٢/ ٣٤٠) للفرزدق، وقد سبق الكلام عليه.

(٢) هي قراءة شاذة نسبت لابن أبي إسحاق واليماني. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٤٣)، و«شواذ القراءات» لشمس القراء الكرماني (ص: ١٦٩).

(٣) في (و): «يميتكم».

﴿مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]، فاستعمَلَ الحقيقةَ والمجازَ جميعًا.

والتَّوفِّي: قَبْضُ الشَّيءِ على التَّمام، وأصلُه من استيفاءِ العددِ، قال:

إِنَّ بَنِي الأَدْرَمِ لَيْسُوا مِنْ أَحَدْ
وَلا تَوَفَّاهُمْ قُرَيْشٌ فِي العَدَدْ[١]

﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾؛ أي: كسَبْتُم.

وقيل: أثِمْتُم، من قولِه: ﴿اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾ [الجاثية: ٢١].

﴿ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ﴾: يُنبِّهُكم ويُوقِظُكم. وضعَ البعثَ في مُقابلةِ التَّوفِّي.

﴿فِيهِ﴾: في النَّهار.

الحسَنُ: في الأجلِ[٢].

وقيل: في الآيةِ تقديمٌ وتأخيرٌ، تقديرُه: ثمَّ يبعثُكم في النَّهارِ ويعلمُ ما جرحتُم فيه، يحتملُ أنَّ النَّهارَ هو السَّابقُ على اللَّيلِ، ولفظُ الماضي يدلُّ عليه، وقولُه: ﴿يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾؛ أي: في نهارٍ آخرَ، كقوله: له عليَّ درهمٌ ونصفُه؛ أي: نصفُ درهمٍ آخرَ[٣]، وكلُّ شاةٍ وسخلتُها بدرهمٍ؛ أي: سخلةُ شاةٍ أخرى، أو يعودُ إلى الأجَلِ، كما رُوِيَ عن الحسَنِ.

---

(١) الرجز لمنظور الوبري، كما في «مجاز القرآن» (٢/ ١٣٢)، و«تهذيب اللغة» مادة (و ف ي) (١٥/ ٤١٩).
وبنو الأدرم هم بنو تيم بن غالب بن فهر بن مالك، وهم من قريش الظواهر لا قريش الأباطح. وهذا الراجز يهجوهم بأن قريشًا أهل الأباطح لا يجعلون بني الأدرم تمامًا لعددهم، ولا يستوفون بهم عددهم إذا عدُّوا. من حاشية «تفسير الطبري» بتحقيق أحمد ومحمود شاكر (١١/ ٤٠٥).

(٢) لم أجده.

(٣) في هامش (ن): «القياس: إذا قال: (علي درهم ونصفه)، أن لا يلزمه إلا درهم واحد؛ لأن (نصفه) دخل في الدرهم، وليس كذلك؛ لأن تقديره: ونصفُه من درهم آخر».

﴿لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ ليبلُغَ آخرَ أجلِه المُسمَّى له في الدُّنيا، ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ بالموتِ، ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾؛ أي: يُجازيكم على أعمالِكم.

***

(٦١) ـ ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ﴾: الغالبُ ﴿فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾: علوَّ شأنٍ لا مكانٍ[١].

﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ﴾: ويُنزِّلُ عليكم ﴿حَفَظَةً﴾: يحفظونه ويحفظون عليه أعمالَه.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾: ﴿حَتَّىٰٓ﴾ لغايةِ الحفظِ، ويُريدُ بـ(الموت): وقتَ الموتِ.

﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ يُريدُ: ملَكَ الموتِ، وجُمِعَ لأنَّ له أعوانًا.

وقيل: المُتوفُّون هم الحفَظةُ أيضًا[٢].

﴿وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: لا يُضيِّعون[٣].

---

(١) بعيدًا عن الخلاف بين السلف والخلف في تفسير هذه الآية وأمثالها فقد أحسن ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٢١٩) في قوله: «﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ أي: وهو الذي خضعت له الرقاب، وذلت له الجبابرة، وعنت له الوجوه، وقهر كل شيء، ودانت له الخلائق، وتواضعت لعظمة جلاله وكبريائه وعظمته وعلوه وقدرته على الأشياء، واستكانت وتضاءلت بين يديه وتحت قهره وحكمه».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٦٤)، واستغربه.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٢٩٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٠٧).

وقيل: لا يُؤخِّرون. وقيل: لا يتوانَون. وقيل: لا يَعجزون.

ابنُ بحرٍ: لا يَدَعون أحدًا يَفْرُطُ عنهم؛ أي: يسبِقُهم ويفوتُهم(١).

* * *

(٦٢) ـ ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ﴾.

﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾: انقلَبوا بردِّ اللهِ إيَّاهم بالبعثِ. وقيل: ردَّهم الملائكةُ.

﴿مَوۡلَىٰهُمُ﴾: الذي يتولَّى أمرَهم. وقيل: سيِّدُهم(٢).

﴿ٱلۡحَقِّ﴾؛ أي: الثَّابتِ من كلِّ جهةٍ، وكلُّ مولًى غيرُ الله فمِن بعضِ الجهاتِ.

﴿أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ﴾: القضاءُ والفصلُ يوم القيامة.

﴿وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ﴾: يُحاسِبُ جميعَ الخلقِ في مقدار حَلَبِ شاةٍ.

* * *

(٦٣) ـ ﴿قُلۡ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ تَدۡعُونَهُۥ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةٗ لَّئِنۡ أَنجَىٰنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾.

﴿قُلۡ مَن يُنَجِّيكُم﴾: يُخلِّصُكم. والنَّجاةُ: السَّلامةُ من الهلكةِ، واشتقاقُه من (النَّجوةِ)، وهي المُرتفعةُ من الأرض، والنَّاجي: مُرتفِعٌ عن موضعِ الهلكةِ.

﴿مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ﴾ إذا تِهْـتُم فيهما.

وظلماتُ البرِّ والبحر: شدائدُهما، والظُّلْمةُ: الشِّدَّةُ.

وقيل: البَرُّ: الفَلا، وظلماتُ البرِّ: ظُلمةُ اللَّيلِ، وظُلمةُ السَّحابِ، وظُلمةُ الغُبارِ.

---

(١) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٤/ ٥٤٠).

(٢) كذا ضبطت في (ن)، وهو صحيح على أنها خبر لمبتدأ محذوف، ويجوز فيه الجر.

وظُلماتُ البحرِ: ظُلمةُ اللَّيلِ، وظُلمةُ السَّحابِ، وظُلمةُ الأمواجِ.

﴿تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا﴾: مُعلِنين الضَّراعة ﴿وَخُفْيَةً﴾: مُسِرِّينَ في أنفُسكم.

الحسَنُ: ﴿تَضَرُّعًا﴾: علانيةً، ﴿وَخُفْيَةً﴾: نيَّةً(١).

﴿لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾؛ أي: إذا حزبَكم أمرٌ عظيمٌ أعرَضْتُم عن الكلِّ وأخلصْتُم العبادةَ والدُّعاءَ لله ونذَرْتُم النُّذورَ، فلمَّا كشَفَ ما بكم وخلَّصَكم رجعتُم إلى شِركِكم. وهو معنى قولِه:

(٦٤) ـ ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾.

﴿قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا﴾؛ أي: من هذه الظُّلمات، ﴿وَمِن كُلِّ كَرْبٍ﴾: غمٍّ وحزنٍ سواها، ﴿ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ ولا تشكُرون؛ أي: تُعاوِدون الشِّركَ ولا تَفُونَ بالعهودِ.

* * *

(٦٥) ـ ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾.

﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ يعني: الحجارةَ والطُّوفانَ والصَّيحةَ والرِّيحَ، كما فعَلَ بعادٍ وثمودَ وقومِ شُعيبٍ وقومِ لوطٍ وقومِ نوحٍ.

---

(١) ذكره أبو علي الفارسي في «الحجة» (٣/ ٣١٧)، والواحدي في «البسيط» (٨/ ٢٠٠).

وقد روى الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٢٤٧) عن الحسن أثرًا بليغًا في ذلك، قال رحمه الله: «إن كان الرجل لقد جمع القرآن وما يشعر جارُه، وإن كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير وما يشعرُ به الناس، وإنْ كان الرجل ليصلِّي الصلاة الطويلة في بيته وعنده الزوار وما يشعرون به. ولقد أدركنا أقوامًا ما كان على الأرض من عمل يقدرون على أن يعملوه في السر فيكون علانية أبدًا، ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يسمع لهم صوت إن كان إلا همسًا بينهم وبين ربهم، وذلك أن الله يقول: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥]، وذلك أن الله ذكر عبدًا صالحًا فرضي فعله فقال: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾ [مريم: ٣]».

﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ يعني: الرَّجفةَ والزَّلزلةَ والخسفَ.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿مِّن فَوْقِكُمْ﴾: أئمَّةُ السُّوءِ، و﴿مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ خدَمُ السُّوءِ(١).

﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ﴾: يخلطكم ﴿شِيَعًا﴾: أحزابًا مُتفرِّقين، فتتفرَّقَ كلمتُكم.

﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾: يُقاتلَ بعضُكم بعضًا.

الحسَنُ في جماعةٍ: الآيةُ نزلت في المسلمين(٢).

غيرُهم: في المشركين.

﴿انظُرْ﴾ يا محمَّدُ؛ أي: تأمَّلْ ﴿كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ﴾ بالوعدِ والوعيدِ ﴿لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾: ليكونوا أقربَ إلى التأمُّلِ والاعتبارِ.

* * *

(٦٦) ـ ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾.

﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ﴾؛ أي: بالقرآنِ، وقيل: بما أخبرَ به محمَّدٌ عليه السَّلامُ.

وقيل: يجوزُ أن يكونَ بمحمَّدٍ ـ عليه السَّلامُ ـ على تلوينِ الخطابِ.

﴿وَهُوَ الْحَقُّ﴾: الصِّدقُ والحقيقةُ.

﴿قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾: بمُسلَّطٍ. وقيل: بحافظٍ. وقيل: لا آخذُكم بالإيمانِ أخذَ الوكيلِ الذي يلزمُه بلوغُ آخرِه، والحفظُ من لحوقِ الضَّررِ به.

* * *

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٢٩٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٠٩ ـ ١٣١١).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٣٠٨) بلفظ: «﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾، قال: هذا للمشركين، ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ قال: هذا للمسلمين».

(٦٧) ـ ﴿لِّكُلِّ نَبَإٖ مُّسۡتَقَرّٞۚ وَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾.

﴿لِّكُلِّ نَبَإٖ﴾: خبرٍ ﴿مُّسۡتَقَرّٞ﴾: وقتٌ يقعُ فيه ويظهرُ.

وقيل: لكلِّ عملٍ جزاءٌ.

﴿وَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ عندَ وقوعِه في الدُّنيا بالسَّيفِ، وفي الآخرةِ بالعذابِ.

* * *

(٦٨) ـ ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾؛ أي: يُكذِّبون فيها، ويسخَرون منها، ويستهزِئون بها؛ يعني: القرآن.

والخوضُ: الدُّخولُ في الشَّيءِ على تلوُّثٍ، وأصلُ الخوضِ: المشيُ في الماءِ.

وقيل: الخوضُ: التَّخليطُ.

﴿فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ﴾؛ أي: قُمْ عنهم ولا تَقعُدْ معهم ﴿حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦ﴾: غيرِ القرآنِ مما يَحِلُّ[1].

﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ ما نُهِيْتَ عنه بوسوستِه ﴿فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ﴾: بعد التَّذكُّرِ ﴿مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

وقيل: بعد ما ذكَّرناك. والذِّكرى: التَّذكيرُ.

* * *

(١) بعدها في (و): «بعد».

(٦٩) ـ ﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾.

﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ عن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّ المسلمين قالوا: يا رسولَ الله، لَئِنْ كنَّا كلَّما استهزأ المُشركون بالقرآنِ قُمْنا وتركْناهم، لا نُطيقُ أن نجلسَ في المسجدِ الحرامِ ولا نطوفَ بالبيتِ، فأُنْزِلَتْ هذه الآيةُ[1].

والمعنى: ﴿ما عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ معاصيَ الله ﴿مِنْ حِسَابِهِم﴾: من حسابِ هؤلاءِ الذين يخوضون في القرآنِ تكذيبًا واستهزاءً.

وقيل: وما على المُتَّقين من الحسابِ يومَ القيامةِ مكروهٌ.

﴿وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ﴾؛ أي: ولكن ذكِّروهم ذِكرى؛ فمحلُّها نصبٌ، ويحتملُ الرَّفع، وتقديرُه: ولكنْ عليهم ذِكرى[2].

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾: مَساءَتَكُم إذا رَأوكم.

***

(٧٠) ـ ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ﴾.

﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ قتادةُ: نسخَتْها: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ٥][3].

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ١٠٩)، والواحدي في «البسيط» (٨/ ٢١١).

(٢) النصب على المصدر (المفعول المطلق)، والرفع على أنه مبتدأ خبر محذوف، وأجاز الزجاج أن يكون خبراً لمبتدأ محذوف. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٦١)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ١٥).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٥٤)، والطبري في «تفسيره» (٩/ ٣١٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣١٧).

وقيل: هذا تهديدٌ وليس بمنسوخٍ، كقوله: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ [المدثر: ١١].

ابنُ بحرٍ: ذَرْ مُلاطفتَهم وذكِّرْهم به، فصار كقوله: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ﴾ [النساء: ٦٣].

والمُرادُ بهم(١): مُشرِكو العربِ.

وقيل: هم الذين يخوضون في آياتِنا.

ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: هم كفَّارُ مكَّةَ واليهودُ والنَّصارى(٢).

والمعنى: اعتَقَدوا بُطلانَ الأديانِ.

الفرَّاء: ﴿دِينَهُمْ﴾: عيدَهم؛ فإنَّ كلَّ قومٍ اتَّخذوا عيدَهم فرحًا ولهواً وباطلاً، إلَّا أمَّةَ محمَّدٍ عليه السَّلامُ فإنَّهم اتَّخذوا عيدَهم صلاةً لله وصدَقةً وذِكرًا(٣).

وقيل: ﴿دِينَهُمْ﴾: عبادتَهم(٤).

﴿وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ بتكذيبِهم البعثَ. وقيل: غرَّتهم بما مُكِّنوا منها.

﴿وَذَكِّرْ بِهِ﴾ ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: بالقرآنِ(٥). وقيل: بالحسابِ. وقيل: بالدِّينِ.

---

(١) في (ن): «به».

(٢) في «البسيط» (٨/ ٢١٤): «قال ابن عباس والمفسرون: يعني: الكفار الذين إذا سمعوا آيات الله استهزؤوا بها وتلاعبوا عند ذكرها».

(٣) «وذكرًا»: ليست في (ن). انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٣٩)، ولفظه: «يقال: ليس من قوم إلا ولهم عيد فهم يلهون في أعيادهم، إلا أمة محمد ﷺ فإن أعيادهم بر وصلاة وتكبير وخير».

(٤) استغربه المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٦٥)، وأضاف قولاً آخر عده من العجائب، وهو: «﴿دِينَهُمْ﴾ أي: دنياهم ﴿لَعِبًا وَلَهْوًا﴾، واستدل القائل بقوله: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾، أي: لعب كلعب الصبيان، ولهو كلهو الشباب، وزينة كزينة النسوان، وتفاخر كتفاخر الإخوان، وتكاثر كتكاثر السلطان».

(٥) ذكره الواحدي في «البسيط» (٨/ ٢١٥).

﴿أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ﴾: تُرهَنَ حتَّى لا محيصَ لها. وأصلُ الكلمة: البَسْلُ، وهو المنعُ.

وتقديرُه عند بعض المُفسِّرين: أن لا تُبْسَلَ نفسٌ، كقوله: ﴿أَن تَضِلُّواْ﴾ [النساء: ١٧٦](1).

وعند بعضِهم: بيِّنَ لهم أن تكونَ أعمالُهم تَرْهَنُهم في النَّارِ ولا يجدون فكاكًا بالإيمانِ.

﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيٌّ﴾ ينصرُها بقوةٍ ﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾ يدفعُ عنها بمسألةٍ ﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ﴾: تَفْدِ كلَّ الفداءِ ﴿لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ﴾ الحسَنُ: إنْ آمَنَ ليفتديَ نفسَه لا يُقبل(2).

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْ﴾: ارتُهِنُوا ﴿لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ﴾؛ أي: هم بين نارٍ يأكلونَها وماءٍ مغليٍّ يشربونَه.

***

(٧١) ـ ﴿قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَـٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَـٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾.

﴿قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا﴾ إنْ دَعَوناه دعوةَ عبادةٍ، وقيل: دعوةَ استعانةٍ.

﴿وَلَا يَضُرُّنَا﴾ إنْ خذَلْناه.

﴿وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾؛ أي: نرجعُ إلى الكفرِ بعد أنْ رزقَنا الله الإسلامَ.

تقولُ العربُ لِمَن أدبرَ: قد رجعَ إلى خلفٍ، و: قد رجعَ القَهْقَرى(3).

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٩/ ٣٢٠)، و«تفسير الثعلبي» (١٢/ ١١٠).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ١٣١)، والواحدي في «البسيط» (٨/ ٢١٨).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٦٢).

﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ﴾ استَهْوى: استَفْعَل، مِن هَوَى يَهْوي هَوِيًّا، وقيل: استفعَلَ، مِن هَوِيَ يَهْوَى هوًى[1].

﴿حَيْرَانَ﴾: مُتحيِّرًا في ظُلمةِ اللَّيلِ وسَعةِ الفلاةِ.

﴿لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا﴾؛ أي: ويقولون له: ائتِنا.

والمُفسِّرون على أنَّ الآيةَ نزلَتْ في عبدِ الرَّحمنِ بنِ أبي بكرٍ وأبوَيه، كانا يدعُوانِه إلى الإيمانِ، وهو يدعوهما إلى الشِّركِ[2].

والمعنى: مثَلُ الكافرِ كرجلٍ أضلَّه الشَّيطانُ في مَفازةٍ ليلًا، وله أعوانٌ وأصدقاءُ يدعونَه ويقولون له: ائتِنا؛ فإنَّا على الطَّريقِ، فأبى أن يأتيَهم.

وعن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما أيضًا: عنَى بالأصحابِ: مَن يدعونَه إلى الضَّلالِ ويزعُمون أنَّ الذي يأمرون به هدًى[3].

---

(١) والمعنى على التقدير الأول: استزلته، وعلى التقدير الثاني: تعلّقت به، والعياذ بالله من الأمرين.

(٢) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» (٢/ ٢٦٢)، والواحدي في «البسيط» (٨/ ٢٢٤).

وهذا القول مردود لا يصح، فإن عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنه قد أسلم وكان من أجلاء الصحابة، وإنما ينزل مثل هذا فيمن مات على كفره كأبي لهب والوليد بن المغيرة.

ورده ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٢/ ٣٠٦) بما رواه البخاري (٤٨٢٧) عن يوسف بن ماهك: أن مروان قال عن عبد الرحمن رضي الله عنه: إن هذا الذي أنزل الله فيه: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي﴾ [الأحقاف: ١٧]، فقالت عائشة من وراء الحجاب: «ما أنزل الله فينا شيئًا من القرآن إلا أن الله أنزل عذري». قال ابن حجر في «فتح الباري» (٨/ ٥٧٧): «نفي عائشة أن تكون نزلت في عبد الرحمن وآل بيته أصح إسنادًا وأولى بالقبول». وقال: «المراد بقول عائشة: (فينا)؛ أي: في بني أبي بكر».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٣٣١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٢٢)، من طريق عطية العوفي عن ابن عباس، وإسناده ضعيف.

=

﴿قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۖ﴾؛ أي: ما دلَّ عليه اللهُ فهو المُؤدِّي إلى الهدى والفوزِ بالنَّعيمِ ﴿وَأُمِرۡنَا لِنُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

* * *

(٧٢) ـ ﴿وَأَنۡ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُۚ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾.

﴿وَأَنۡ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ﴾ قيل: تقديرُه: أُمِرْنا لأنْ نُسلِمَ لربِّ العالمين ولأنْ نُقيمَ الصَّلاةَ.

وقيل: أُمِرْنا بالإسلامِ وبإقامةِ الصَّلاةِ.

ويحتملُ: أُمِرْنا ما أُمِرْنا لنُسلِمَ، وقد سبقَ.

وقيل: ﴿وَأَنۡ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ عطفٌ على قولِه: ﴿ٱئۡتِنَا﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ يعني: يومَ القيامةِ.

* * *

(٧٣) ـ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ وَيَوۡمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُۚ قَوۡلُهُ ٱلۡحَقُّۚ وَلَهُ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ﴾ قيل: بالحكمةِ. وقيل: بكلامِه، وهو قولُه: ﴿ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهًا﴾ [فصلت: ١١].

الحسنُ: معناه: للحقِّ(١). وقيل: ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾؛ أي: مُحقًّا.

= وروى الطبري في «تفسيره» (٩/ ٣٢٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٢٢) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما رواية أخرى فسَّرَ الأصحابَ فيها بالمهتدين.

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٢١) عن الكلبي. وذكره البغوي في «تفسيره» (٢/ ١٣٤) بلا نسبة، وفيه: «قيل: الباء بمعنى اللام؛ أي: إظهارًا للحق لأنه جعل صنعه دليلًا على وحدانيته». وذكر المصنف نحوه في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٩١) بلا نسبة.

﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ﴾ قيل: عطفٌ على قولِه: ﴿وَاتَّقُوهُ﴾[١].

وقيل: اذكر يومَ يقولُ.

وقيل: خلَقَ السَّماواتِ والأرضَ مُبدِئًا، ويخلقُ مُعيدًا يومَ يقولُ: كُنْ فيكون.

وقيلَ: خبرٌ من قولِه: ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾.

وقيل: نصبٌ على الظَّرفِ خبرٌ عن المبتدأ، وهو قولُه: ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾، و﴿قَوْلُهُ﴾ مبتدأٌ، و﴿الْحَقُّ﴾ صفتُه، و(اليومَ) خبرُه.

وقيل: يُعيدُها يومَ يقولُ[٢].

ومعنى: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾؛ أي: يقولُ اليومَ: كُنْ فيكونُ؛ أي: فتقوم[٣] القيامةُ.

﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾؛ أي: وَعدُه ووعيدُه.

﴿وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ﴾ فيه قولانِ:

أحدُهما: أنَّه قَرْنٌ يُنفَخُ فيه فيُصعَقُ الخلْقُ، ثم يُنفَخُ فيه فيحيَون.

وعن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما: تكونُ السَّماواتُ صُورًا يُنفَخُ فيه مثلَ القَرْنِ، وتبدلُ سماءً أُخرى[٤].

---

(١) أي: على الهاء في (اتقوه)؛ أي: واتقوا الله واتقوا يوم يقول: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾.

(٢) من قوله: «وقيل: نصبٌ على الظرف» إلى هنا ليس في (ن)، وهو بحرفه مذكور في «غرائب التفسير» (١/ ٣٦٦ ـ ٣٦٧). والظاهر أن قوله: «وقيل: نصبٌ على الظَّرفِ خبرٌ عن المبتدأ... إلخ» تفصيل لما قبله من قوله: «وقيلَ: خبرٌ من قولِه: ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾».

(٣) في (و): «فتكون».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٦٧)، وعدَّه من العجائب.

والثاني: أنَّه جمعُ «صُورةٍ»، كسُورَةٍ وسُورٍ، وصُوفةٍ وصُوفٍ؛ أي: تُنفَخُ الأرواحُ في الصُّور[(١)].

﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾[(٢)].

* * *

(٧٤) - ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصۡنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوۡمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾.

﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾ اختلفَ المُفسِّرون في (آزَرَ):

فذهب بعضُهم إلى أنَّه اسمُ أبيه، وظاهرُ القرآنِ يدلُّ عليه.

وذهب بعضُهم إلى أنَّ اسمَ أبيه تارحُ[(٣)]، ورُوِيَ عن النَّبيِّ عليه السَّلامُ أنَّه قال: «كذَبَ النَّسَّابون»[(٤)].

---

(١) أي: الأجساد كما في «غرائب التفسير» (١/ ٣٦٧)، وهذا القول عدَّه المصنف من الغرائب.

(٢) تكلم المصنف عليها في «غرائب التفسير» (١/ ٣٦٧) فقال: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ تعلق بقوله: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾، وقيل: خبر مبتدأ؛ أي: هو عالم الغيب، أو يرتفع بفعل مضمر دل عليه ﴿يُنفَخُ﴾؛ أي: يَنْفُخُ عالم الغيب، كما قال الشاعر:

لِيُبْكَ يَزِيدُ ضارعٌ لِخُصومةٍ ... ومُخْتَبِطٌ ممَّا تُطِيحُ الطَّوائحُ

(٣) قال المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٦٧): «وقيل: نسبته إلى تارح كذب» وذكر الحديث.

(٤) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٤٧)، والبلاذري في «أنساب الأشراف» (١/ ١٢)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣/ ٥٢) عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي، عن أبيه، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ إذا انتهى إلى معد بن عدنان أمسك ثم يقول: «كذب النسَّابون قال الله: ﴿وَقُرُونَۢا بَيۡنَ ذَٰلِكَ كَثِيرٗا﴾». وإسناده شديد الضعف؛ فإن الكلبي متروك وأبا صالح لم يسمع من ابن عباس.

وذهب بعضُهم إلى أنَّ تارَحَ وآزَرَ كيعقوبَ وإسرائيلَ[١].

وذهب بعضُهم إلى أنَّ آزرَ وَصْفُ ذمٍّ، ومعناه: المعوَجُّ.

وذكر الثَّعلبيُّ أنَّ معناه: الشيخُ، بالفارسيَّةِ[٢].

وقيل: آزَرُ اسمُ صنمٍ، وإنَّ أباه ينحتُ الخشبَ أصنامًا فيعبدُها هو وغيرُه، ويكون منصوبًا بفعلٍ مُضمَرٍ دلَّ عليه ما بعدَه، تقديرُه: أتتَّخِذُ آزرَ إلهًا ﴿أَتَتَّخِذُ أَصۡنَامًا ءَالِهَةً﴾ فحُذِفَ الأوَّلُ لأنَّ الثانيَ يدلُّ عليه[٣].

﴿إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوۡمَكَ فِي ضَلَٰلٖ﴾؛ أي: عن الحقِّ ﴿مُّبِينٖ﴾: ظاهرِ الفسادِ.

***

(٧٥) ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾؛ أي: كما أريناه البصيرةَ في دِينِه والحقَّ في خلافِ قومِه نُريه ﴿مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾.

وقيل: كما أَريناك كذلك أَرينا إبراهيمَ.

و﴿مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾: ما يُشاهَدُ منهما من العجائبِ والحوادثِ والشَّمسِ والقمرِ والنُّجومِ والشَّجرِ والبحارِ والجبالِ.

والملكوتُ: أعظمُ المُلكِ، تقول العربُ: الملكوتُ: العراقُ واليمنُ[٤].

---

(١) أي: كان له اسمان، تارح وآزر، كيعقوب وإسرائيل. انظر: «غرائب التفسير» (١/ ٣٦٧).

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٢/ ١١٩)، وعدَّه المصنف من العجائب في «غرائب التفسير» (١/ ٣٦٨).

(٣) استغربه المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٦٧).

(٤) انظر: «تفسير الطبري» (٩/ ٣٤٧)، وفيه: «وحكي عن العرب سماعًا: له ملكوت اليمن والعراق، بمعنى: له ملك ذلك».

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: خَلْقُهما[١].

وقيل: (الملَكوثُ) ـ بالثاء، وقُرِئَ به ـ اسمٌ عبريٌّ، فعُرِّبَ فقُلِبَ تاءً[٢].

﴿وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾ عطفٌ على المعنى؛ أي: ليَحْتَجَّ على قومِه، وليكونَ من المُوقنين.

وقيل: وليكونَ من المُوقنين أَرَيناه ملكوتَ السَّماواتِ والأرضِ.

وقال مجاهدٌ: تفرَّجَتْ لإبراهيمَ السَّماواتُ السَّبعُ حتَّى العرشُ فنظرَ فيهنَّ، وتفرَّجَتْ له الأَرَضون السَّبعُ فنظرَ فيهنَّ[٣].

* * *

(٧٦) ـ ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْـَٔافِلِينَ﴾.

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ﴾: ستَرَه بظلامِه، تقولُ: جنَّ عليه اللَّيلُ وأجنَّه وجَنَّه، جَنًّا وجَنانًا وجُنونًا، وأصلُه: السَّتْرُ.

﴿رَءَا كَوْكَبًا﴾ قيل: الزُّهَرةُ. وقيل: كان المُشتَري.

﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّى﴾ وفي صدورِ هذا القولِ عن إبراهيمَ عليه السَّلامُ أقوالٌ:

أحدُها: أنَّه كان في النَّظرِ والاستدلالِ والبحثِ عن الأحوالِ، وهذه رُتبةُ[٤] كلِّ

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٣٤٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٢٦)، واستغربه المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٦٨).

(٢) نسبت هذه القراءة لعكرمة. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ٤٤)، و«شواذ القراءات» لشمس القراء الكرماني (ص: ١٧١)، وقد عدَّ المصنف هذا القول من العجائب في «غرائب التفسير» (١/ ٣٦٨)، وقبل: هو باليونانية أو القبطية أو النبطية. انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٤/ ٥٦٣)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٣/ ٣٠١)، و«المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب» له أيضاً (ص: ١٤٧).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٣٤٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٢٦).

(٤) في (ن): «مرتبة».

مُتَرقٍّ ومُستَدلٍّ، وكان استدلالُ إبراهيمَ عليه السَّلامُ على معرفةِ ربِّه وخالقِه حتَّى عرفه من يومٍ وليلةٍ، ابتداؤُها حالَ بلوغِه.

والثاني: أنَّه قال في حالِ الطُّفوليَّة[1]؛ فإنَّ أمَّه ولدَتْه في غارٍ خَوفًا من نُمرودَ، فلمَّا خرَجَ قال هذا القولَ.

والثالث: قالَه على وجهِ الإنكارِ على قومِه، وتقديرُه: أهذا ربِّي؟!

وقيل: تقديرُه: قال: أيقولون[2]: هذا ربِّي؟!.

وقيل: عبَدَ كلَّ واحدٍ منهما حتى غابَ[3].

والأوَّلُ هو الوجهُ.

﴿فَلَمَّآ أَفَلَ﴾؛ أي: غابَ ﴿قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْـَٔافِلِينَ﴾ لأنَّ أُفولَه دلَّ على حركتِه وانتقالِه، وتلك[4] من صفاتِ الأجسامِ.

***

(٧٧) ـ ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾.

﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا﴾: طالعًا، والبُزوغُ: ابتداءُ الطُّلوعِ.

﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾: استعجزَ نفسَه، فاستعانَ ربَّه في دَرْكِ الحقِّ.

---

(١) في (ن): «الطفولة»، وهما مصدران بمعنى: الصغر، وبمعناهما: الطَّفَل والطَّفالة أيضاً. انظر: «المحكم» لابن سيده (٩/ ١٧٢).

(٢) في (ن): «يقولون».

(٣) هذا قول مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما، كما في «تفسير الطبري» (٩/ ٣٥٦) و«تفسير ابن أبي حاتم» (٤/ ١٣٢٩)، وقد ذكره المصنف للتنبيه على غرابته.

(٤) في (ن): «وذلك».

(٧٨) ـ ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾.

﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُ﴾ قولُه: ﴿هَٰذَآ أَكۡبَرُ﴾ دليلٌ على أنَّه في النَّظرِ والاستدلالِ.

﴿فَلَمَّآ أَفَلَتۡ﴾؛ أي: رأى منها ما رأى من الكوكبِ والقمرِ ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾ يعني: الأصنامَ.

وفي تذكيرِ ﴿هَٰذَا﴾ ـ والشَّمسُ مُؤنثةٌ ـ ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: أنَّه ذهبَ إلى لفظِ الشَّمسِ، وهو مُذكَّرٌ.

والثاني: أنَّه ذهبَ إلى الضَّوءِ.

والثالث: إلى الشَّخصِ[(١)].

والوجهُ أنَّ الرُّبوبيَّةَ والتَّأنيثَ لا يجتمعان، وإبراهيمُ عليه السَّلامُ اعتقدَ فيه الرُّبوبيَّةَ، أو أظهرَ، أو حكى على ما سبق[(٢)].

* * *

(٧٩) ـ ﴿إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾.

﴿إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ﴾: أخلَصْتُ طاعتي. وقيل: قصَدْتُ بعبادتي.

---

(١) انظر: «المذكر والمؤنث» للأنباري (١/ ١٤٧)، و«الخصائص» لابن جني (٢/ ٤١٤)، وقد عزاه المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٦٨) لعلي بن سليمان وهو الأخفش الأصغر، وأنشد:

قامت تبكيه على قبره ... من لي من بعدك يا عامر

تركتني في الدار ذا غربة ... قد ذل من ليس له ناصر

وزاد وجهًا عن الكسائي والأخفش، وهو الأوسط: أن تقديره: هذا الطالعُ ربي.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٦٩)، واستغربه.

﴿لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾: خلقَهما.

﴿حَنِيفًا﴾ سبق بيانُه[١]. ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

***

(٨٠) ـ ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾.

﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ﴾: خاصَمُوه في دينِه.

﴿قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ﴾: عرَّفَني التَّوحيدَ والحقَّ، أنكرَ[٢] عليهم طمعَهم في أن يُزيلوه عن الحقِّ بالمُحاجَّةِ[٣].

﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ﴾ يعني: الأصنامَ، وذلك أنَّهم قالوا له: إنَّا نخافُ أنْ تمسَّكَ آلهتُنا بسوءٍ مِن بَرَصٍ أو خَبَلٍ لِعَيبِك إيَّاها.

﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا﴾ فإنَّه يُصيبُني بمشيئةِ الله.

وقيل[٤]: الاستثناءُ منقطعٌ؛ أي: لكنْ أخافُ مشيئةَ الله تُعذِّبُني على ذنبٍ يكونُ منِّي.

﴿وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ أي: أحاطَ علمُه كلَّ شيءٍ ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾.

---

(١) في (و): «سبق بيانه، مخلِصًا، وقيل: على دين الإسلام، وقيل: مستسلمًا حنيفًا».

(٢) في (و): «وأنكر».

(٣) تكلم المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٦٩) عن قوله تعالى: ﴿أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى﴾ فقال: «مَن خفَّف حذف النون التي قبل الياء، نحو: ليتي وليتني، وليست النونَ التي تقع علامة للرفع؛ لأنها لا تحذف في حال الرفع، وإنما كسرت لتصح الياء، فاستدلال القائل بالكسر باطل».
والقراءة بتخفيف النون هي قراءة نافع وابن عامر بخلاف عن هشام. انظر: «السبعة» (ص: ٢٦١)، و«التيسير» (ص: ١٠٤).

(٤) في (ن): «قيل».

(٨١) ـ ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾.

﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ ﴾؛ أي: الأصنامَ ﴿وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ﴾؛ أي: ما يكونُ لكم حُجَّةً في وجوبِ عبادةِ الأصنامِ.

﴿فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ﴾ أنا وأهلُ ديني أم أنتم ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾.

* * *

(٨٢) ـ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ قيل: هذا من كلامِ إبراهيمَ عليه السَّلامُ لمَّا سأَلَ: أيُّ الفريقَين أحقُّ بالأمنِ؟

وقيل: هذا استئنافٌ منَ الله سبحانَه مُجيبًا وحاكمًا[١].

وقيل: هذا من كلامِ قومِ إبراهيمَ، أجابوا بما فيه الحجَّةُ عليهم.

وقولُه: ﴿بِظُلْمٍ ﴾؛ أي: بشركٍ؛ فإنَّ ابنَ مسعودٍ رضي الله عنه قال: لـمَّا نزلَتْ هذه الآيةُ شقَّ ذلك على أصحابِ رسولِ الله عليه السَّلامُ وقالوا: أيُّنا لم يظلِمْ نفسَه؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «ليس هو[٢] ما تظنُّون، إنَّما هو ما قال لقمانُ لابنِه: ﴿لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان: ١٣]»[٣].

وقيل: الظُّلْمُ عامٌّ، والمُرادُ بالآيةِ: إبراهيمُ عليه السَّلامُ، وهذا القولُ مرويٌّ عن عليٍّ رضي الله عنه[٤].

---

(١) في (و): «وحكمًا».

(٢) «هو»: ليست في (ن)، وفي (و): «هذا»، والمثبت من رواية مسلم.

(٣) رواه البخاري (٣٤٢٩)، ومسلم (١٢٤).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٣٧٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٣٣)، والحاكم في =

(٨٣) ـ ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾: هي إشارةٌ إلى قولِ إبراهيمَ: أيُّ الفريقين أحقُّ بالأمن؛ أَمَنْ يعبدُ اللهَ أم مَن يعبدُ الأصنامَ؟!

وقيل: هي إشارةٌ إلى ما أُرِيَ من ملكوتِ السَّماواتِ والأرضِ.

وقيل: هي إشارةٌ إلى قولِه: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا﴾.

﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾ بالحجَّةِ والبيانِ. وقيل: بالمنزلةِ والمكانِ.

﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ في تدبيرِه ﴿عَلِيمٌ﴾ بعبادِه.

* * *

(٨٤) ـ ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ﴾؛ أي: لإبراهيمَ ﴿إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا﴾؛ أي: كلَّهم وفَّقْنا وأرشَدْنا، وهو إبراهيمُ وإسحاقُ ويعقوبُ، ﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ﴾؛ أي: من قبلِ إبراهيمَ، والفائدةُ في ذكر نوحٍ عليه السَّلامُ هاهنا: أنَّه أبو إبراهيمَ عليه السَّلامُ.

﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ﴾ قيل: من ذريَّة نوحٍ، وهو الأظهرُ. وقيل: من ذرِّيةِ إبراهيمَ.

﴿دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾؛ أي: كما جزَيْنا إبراهيمَ على إحسانِه برفعِ درجاتِه في الدُّنيا والآخرةِ نجزي كلَّ مُحسنٍ ما يستحِقُّه.

= «المستدرك» (٣٢٣٢)، بلفظ: «هذه الآيةُ لإبراهيمَ ﷺ خاصةً، ليس لهذه الأُمة منها شيءٌ».

(٨٥) ـ ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾.

﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ﴾ ذهب بعضُهم إلى أنَّ إلياسَ وإدريسَ واحدٌ كإسرائيلَ ويعقوبَ.

﴿كُلٌّ﴾؛ أي: كلُّهم ﴿مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾؛ أي: من الأنبياءِ.

* * *

(٨٦) ـ ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾.

﴿وَإِسْمَاعِيلَ﴾ إنَّما تأخَّرَ ذكرُ إسماعيلَ ـ والله أعلم ـ لأنَّ الأوَّلين هم أنبياءُ بني إسرائيلَ، وهو أبو العربِ.

﴿وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ بالنُّبوَّةِ والرِّسالةِ.

* * *

(٨٧) ـ ﴿وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ ۖ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

﴿وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ﴾؛ أي: كما هدَينا هؤلاءِ هدَينا بعضَ آبائِهم وإخوانِهم.

﴿وَاجْتَبَيْنَاهُمْ﴾؛ أي: اخترْناهم، وهو عطفٌ على قولِه: ﴿كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ﴾. ﴿وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

* * *

(٨٨) ـ ﴿ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: ما دانَ به هؤلاءِ المذكورون ﴿هُدَى اللَّهِ﴾: دينُ الله ﴿يَهْدِي بِهِ﴾: يدلُّ عليه ويُعرِّفُ ﴿مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ الأنبياءِ والمُؤمنين.

﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾؛ أي: هؤلاءِ مع مرتبتِهم وعِظَمِ شأنِهم لو كانَ منهم أدنى شِركٍ لبطلَتْ أعمالُهم وصاروا من أهلِ النَّارِ والخَسارِ.

ثم مدَحَهم فقال:

(٨٩) ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يعني: المُنزَّلَ ﴿وَٱلْحُكْمَ﴾ أراد: الحكمةَ.

وقيل: الحُكمُ: ما سَنُّوا. وقيل: الحُكمُ: فَهْمُ الكتابِ.

﴿وَٱلنُّبُوَّةَ﴾: وهي أعلى مرتبةِ البشرِ.

﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا﴾ قيل: بالنُّبوّةِ. وقيل: بالكتابِ والحُكمِ[1] والنُّبوّةِ. وقيل: بآياتِ القرآنِ.

﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعني: قُريشًا.

﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا﴾: بمُراعاةِ أمرِ النُّبوّةِ والآياتِ ﴿قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾ قيل: هم الأنبياءُ الثَّمانيةَ عشرَ. وقيل: هم الملائكةُ. وقيل: هم الأنصارُ.

(٩٠) ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًاۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾ يعني: الأنبياءَ الذين تقدَّمَ ذِكرُهم ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾؛ أي: اقتدِ بهَدْيِهم[2]، تقولُ: قَدَا به قِدَةً وقُدوةً، واقتَدَى به: إذا تأسَّى به، والهاء للاستراحةِ[3]، ومَن أشبعَ الهاء[4] جعلَها كنايةً عن المصدرِ لا غير؛ أي: بهُداهم اقتدِ اقتِداءً[5].

---

(١) في (و): «والحكمة».

(٢) في (ن): «بهداهم».

(٣) ويسمونها هاء بيان الحركة، وهي شبيهة بهاء الوقف. انظر: «تصحيح الفصيح» لابن درستويه (ص: ٤١٢)، و«الصاحبي» لابن فارس (ص: ٧٨) و«فقه اللغة» للثعالبي (ص: ٢٤٦).

(٤) قرأ بها ابن ذكوان في أحد الوجهين عنه، وهشام يكسرها من غير إشباع؛ أي: باختلاس حركتها، وهو الوجه الثاني لابن ذكوان، وحمزة والكسائي يحذفان الهاء في الوصل خاصة، والباقون يثبتونها ساكنة في الحالين، واتفقوا جميعًا على إثباتها وقفاً. انظر: «التيسير» (ص: ١٠٥).

(٥) انظر: «الحجة» لأبي علي (١/ ٣٥٢).

﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على تبليغِ الرِّسالةِ والدُّعاءِ إلى التَّوحيدِ ﴿أَجْرًا﴾: جُعْلًا ومَنفعةً تصلُ إليَّ من جهتِكم.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ﴾؛ أي: لا غرضَ إلا تذكيرُكم.

وقيل: ما محمَّدٌ إلا عِظةٌ للعالمين.

وقيل: ما القرآنُ إلا عِظةٌ للجنِّ والإنسِ.

* * *

(٩١) ـ ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾.

﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾ في سببِ النُّزولِ عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنه ما في رواية الوالبيِّ: قالتِ اليهودُ: يا محمَّدُ، أنزلَ الله عليك كتابًا؟ قال: «نعم» قالوا: والله ما أنزَلَ اللهُ من السَّماءِ كتابًا، فأنزلَ الله: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ﴾[1].

وقال سعيدُ بنُ جُبيرٍ: جاء رجلٌ من اليهودِ يُقالُ له: مالكُ بنُ الصَّيفِ، يُخاصِمُ النَّبيَّ عليه السَّلامُ، فقال له النَّبيُّ[2] ﷺ: «أنشُدُكَ بالذي أنزلَ على موسى التَّوراةَ، أما تجدُ في التَّوراةِ أنَّ الله يُبغِضُ الحبرَ السَّمينَ؟» وكانَ حبرًا سمينًا، فغضِبَ وقال: والله ما أنزَلَ الله على بشرٍ من شيءٍ، فقال له أصحابُه الذين معه: ويحكَ، ولا على موسى؟ فقال: والله ما أنزَلَ الله على بشرٍ من شيءٍ، فأنزَلَ الله هذه الآيةَ[3].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٣٩٦)، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢١٩). والوالبي هو علي بن أبي طلحة، ورواياته عن ابن عباس صحيفة، وأكثرها في «تفسير الطبري».

(٢) «النبي»: ليست في (و).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٣٩٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٤٢).

ويُقالُ: إنَّ قائلَ هذا الكلامِ فِنْحاصُ بنُ عازُوراءَ.

وذهب بعضُهم إلى أنَّها في يهودٍ كانوا بمكّةَ.

وقيل: هذه الآيةُ نزلت بالمدينةِ.

وقيل: نزلت في المُشركين الذين دفعوا النُّبوَّاتِ.

وقوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾؛ أي: ما عظَّموه حقَّ عظمتِه.

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: وما آمنوا بأنَّ اللهَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ[1].

أبو عبيدةَ: ما عرفوه حقَّ معرفتِه[2].

وأصلُ القَدْرِ: الكمِّيَّةُ، وقَدَرَ الشَّيءَ وقَدَّرَهُ: عَدَّلَ كمِّيَّتَهُ، ويُستعملُ[3] في الشَّرفِ وعُلوِّ الرُّتبةِ.

﴿تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ﴾: تكتُبونَه في القراطيسِ.

الفرَّاءُ: القراطيسُ[4] هاهنا: الصَّحيفةُ[5].

«الحجَّة»: تجلعونَه[6] قراطيسَ؛ أي: تُودِعُونَه إيَّاها[7].

وقولُه: ﴿تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾؛ أي: تجعلونَه عِضِينَ؛ تُؤمنون بالبعضِ فتُظهِرون

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٣٩٦) بلفظ: «هم الكفار لم يؤمنوا بقدرة الله عليهم، فمن آمن أن الله على كل شيء قدير فقد قدر الله حق قدره، ومن لم يؤمن بذلك فلم يقدر الله حق قدره».

(٢) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٢٠٠).

(٣) في (ن): «ثم يستعمل».

(٤) في (ن): «القرطاس». وكذا وقع الاختلاف في نسخ الفراء كما ذكر في حواشيه.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٤٣).

(٦) في (و) زيادة: «ذوي»، وفي «الحجة»: «ذوات»، وذكر في الهامش أنه في نسخة: «زا» وهو الوجه، والله أعلم.

(٧) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٣/ ٣٥٥).

للنَّاس، وتكفُرون بالبعضِ وتُخفون، كصفةِ محمَّدٍ عليه السَّلامُ ونعتِه وآيةِ الرَّجمِ.

وقيل: تجعلونه كتبًا مُتفرِّقةً؛ تُظهِرون بعضَها وتكتُمون بعضَها.

﴿وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟﴾؛ أي: ﴿وَعُلِّمْتُم﴾ يا أهلَ الكتابِ بالكتابِ أمورَ دينِكم ودُنياكم ﴿مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ﴾.

الزَّجَّاجُ في جماعةٍ: الخطابُ للمسلمين؛ أي: عُلِّمْتم على لسانِ محمَّدٍ عليه السَّلامُ ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤُكم[1].

﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾؛ أي: أجِبْ عنهم إنْ سكَتُوا؛ إذ لا جوابَ إلَّا هذا.

﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾؛ أي: لا تعجَلْ بإهلاكِهم؛ فإنَّ لهم أجلًا، وهذا قبلَ أن أُمِرَ عليه السَّلامُ بالقتالِ.

***

(٩٢) ـ ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾.

﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ عطفٌ على قولِه: ﴿مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ﴾؛ أي: وهذا أيضًا أنزلَه الآنَ على نبيِّه[2] محمَّدٍ عليه السَّلامُ.

﴿مُبَارَكٌ﴾ يكثرُ به وفيه الخيرُ.

﴿مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ يعني: التَّوراةَ.

﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾؛ أي: أهلَ مكَّةَ؛ لأنَّ الأرضَ دُحِيَتْ من تحتِها، ولأنَّها أعظَمُها منزلةً وشأنًا، ولأنَّها قبلةُ أهلِ الأرضِ.

﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾: أهلَ الشَّرقِ والغربِ. وقيل: أهلَ الوبرِ والمدرِ.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٧١).

(٢) في (و) زيادة: «وهو».

وهي عطفٌ على المعنى؛ أي: لنُثبِّتَكَ[1] به ولتنذرَ.

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ﴾؛ أي: مَـن كان يُقِرُّ بأنَّ لهُ معادًا، ومَن شأنُه إثباتُ الآخرةِ اعتقادًا، علِمَ أنَّه مِن عندِ الله فآمَنَ به ولزمَ طاعتَه.

والهاءُ كنايةٌ عن القرآنِ. وقيل: عنِ النَّبيِّ عليه السَّلامُ.

﴿وَهُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ﴾: يُراعُون أوقاتَها والقيامَ بإتمامِ ركوعِها وسجودِها، وخُصَّتْ بالذِّكر لأنَّها عَلَمُ الإيمانِ.

* * *

(٩٣) ـ ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمۡ يُوحَ إِلَيۡهِ شَيۡءٞ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثۡلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۗ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَكُنتُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهِۦ تَسۡتَكۡبِرُونَ﴾.

﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ نزلت في مُسَيلِمةَ الكذَّابِ والأسودِ العَنسيِّ.

ورَوى مَعْمَرٌ عن الزُّهريِّ أنَّ النَّبيَّ عليه السَّلامُ قال: «بينا أنا نائمٌ رأيتُ كأنَّ في يديَّ سِوارَيْنِ مِن ذَهَبٍ، فكبُرَ عليَّ، فأُوحِيَ إليَّ أنِ انفُخْهُما، فنفختُهما فطارا، فأوَّلْتُ ذلك كذَّابَ اليمامةِ، وكذَّابَ صنعاءَ الأسودَ العَنْسيَّ»[2].

﴿أَوۡ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمۡ يُوحَ إِلَيۡهِ شَيۡءٞ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثۡلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ يعني: عبدَ الله بنَ سعدِ بنِ أبي سرحٍ، وذلك أنَّ النَّبيَّ عليه السَّلامُ أملى عليه: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ

---

(١) في (ن): «لننبئنك».

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٥٧) مرسلاً، ورواه البخاري (٣٦٢١)، ومسلم (٢٢٧٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ﴾ فلمَّا بلغَ إلى قولِه: ﴿خَلۡقًا ءَاخَرَ﴾ قال ابنُ أبي سرحٍ: فتبارَكَ الله أحسنُ الخالقين؛ تعجُّبًا من تفصيلِ خلقِ الإنسانِ، فقال عليه السَّلامُ: «هكذا أُنزِلَتْ»، فشَكَّ وارتدَّ، وقال: إنْ كان محمَّدٌ صادقًا لقد أوحي إليَّ كما أُوحيَ إليه، ولَئِنْ كان كاذبًا لقد قلْتُ كما قالَ[1].

وقيل: المُرادُ بقولِه: ﴿وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثۡلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۗ﴾ هم الذين قالوا: ﴿لَوۡ نَشَآءُ لَقُلۡنَا مِثۡلَ هَٰذَآ﴾ [الأنفال: ٣١].

---

(١) ذكره أبو الليث السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٤٧٦)، والثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٤٣)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٢٠)، والرازي في «تفسيره» (٢٣/ ٢٦٦)، بألفاظ متقاربة. وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٣٣)، وعدَّه من العجيب، وقال: «وقيل: في هذه الحكاية نظر؛ لأن ارتداده كان بالمدينة، والسورة مكية»، وهو نحو قول أبي الليث.

وقد نقل الآلوسي ـ رحمه الله ـ التوفيق بين كون السورة مكية وكون القصة وقعت في المدينة فقال في «روح المعاني» (١٨/ ٣٨): وطعن بعضهم في صحة هذه الرواية بأن السورة مكية وارتداده بالمدينة كما تقتضيه الرواية، وأجيب بأنه يمكن الجمع بأن تكون الآية نازلة بمكة واستكتبها ﷺ إياه بالمدينة فكان ما كان، أو يلتزم كون الآية مدنية لهذا الخبر، وقوله: إن السورة مكية، باعتبار الأكثر.

وأصل هذه القصة دون موافقة ابن أبي السرح للفظ القرآن: رواها أبو داود (٤٣٥٨)، والنسائي (٤٠٦٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: «كان عبد الله بن سعد بن أبي سرح يكتب لرسول الله ﷺ، فأزله الشيطان، فلحق بالكفار».

وهاهنا أمر يجب التنبه إليه، فقد ذكر بعض المفسرين في هذه الرواية زيادة فيها محذور خطير، وهي: أنه كان يكتب للنبي ﷺ، فإذا قال النبي ﷺ: ﴿غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ كتب: ﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ و﴿عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ فيقول له النبي ﷺ: «هما سواء»! وقد تم التنبيه على وهاء سند هذه الرواية ونكارة متنها في حواشي «الكشاف» طبعة دار اللباب، فلتنظر ثمة.

وقولُه: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ استفهامٌ والمعنى النَّفيُّ؛ أي: لا أحدَ أظلَمُ منه، أو [من] قال: أوحى إليّ، ولم يوح إليه شيء، ومن قال: سأنزل مثل ما أنزل الله.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: (إذ) وقعَ موقعَ: (إذا)[1].

﴿فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ﴾: شدائِده، من غَمَرَهُ الشَّيءُ: إذا غَشِيَهُ.

﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ﴾ لقَبْضِ الأرواحِ.

وقيل: باسِطو أيديهم بالضَّربِ والعذابِ.

وقال ابنُ الأنباريِّ[2]: ﴿بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ﴾ يعودُ إلى الظَّالمين، وفيه بُعدٌ.

﴿أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ﴾؛ أي: يقولون لهم: أخرِجُوا أنفُسَكم.

والمُخرِجُ هو الله سبحانَه وتعالى، والمعنى تغليظُ الحالِ؛ أي: إنَّهم بمنزلةِ مَن يتولَّى إزهاقَ نفسِه إكراهًا له.

وقيل: معناه: ﴿أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ﴾: خلِّصوها من هذه الغَمرةِ والشِّدَّةِ، على وجهِ التَّوبيخِ.

﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ (الهُون) بالضَّمِّ: الهوانُ، وهو إلحاقُ ألمٍ على وجهِ الاستِخفافِ والإهانةِ والحقارةِ[3]، والهَوْنُ بالفتحِ: الدَّعةُ والرِّفقُ والسُّكونُ[4].

وقيل: هو خطابٌ لهم بعد أن دخلوا[5] النَّارَ.

---

(١) لأن (إذ) تدلُّ على ما مضى، وهذا أمر منتظر لم يقع. انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (١٥/ ٣٩).

(٢) في (و): «السدي». ولم أجد هذا القول.

(٣) «والحقارة» من (ن).

(٤) «والسكون» من (ن). وانظر: «الصحاح» مادة (هـ و ن) (٦/ ٢٢١٨).

(٥) في (ن): «بعد دخول».

﴿بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ مِن أنَّ له شـريكًا وصاحبةً وولدًا؛ أي: بسـببِ ما كنتُم.

﴿وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾؛ أي: عن العملِ بمُوجَبِها، والتأمُّلِ فيها والتدبُّرِ.

***

(٩٤) ـ ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا﴾؛ أي: للحسابِ والجزاءِ.

﴿فُرَٰدَىٰ﴾؛ أي: واحدًا واحدًا[1] من غيرِ مُعينٍ ولا ناصرٍ، تقولُ: فَرْدٌ وفَرِدٌ وفارِدٌ وفريدٌ[2]، وأفرَدُ وفَرداءُ، وفُرادى: جمعُ فريدٍ؛ كأسيرٍ وأُسارَى[3].

وقال الفرَّاءُ: ﴿فُرَٰدَىٰ﴾: اسمٌ مفردٌ على فُعالَى[4].

وقيل: جمعُ فَردان؛ كسَكران وسُكارَى[5].

---

(١) في (ن): «واحدًا بعد واحدٍ».

(٢) «وفريد» من (ن).

(٣) في (و): «تقولُ: فَرْدٌ وفَرَدٌ وفارِدٌ وأفرَدُ، وفُرد وفُرادى: جمعُ فريدٍ؛ كرديف ورداف وقرين وقران، وقيل: كأسيرٍ وأُسارَى». وفي «غرائب التفسير» (١/ ٣٧٣): «فَرْد، وفَرِد، وفارِد، وفريد، وأفرد، وفُرُد، وفِراد: جمع فريد؛ كرديف ورِداف، وقرين وقِران، وقرىء في الشواذ: (فِرادًا كما) بالتنوين».

(٤) كذا قال هنا، وفي «غرائب التفسير» (١/ ٣٧٣)، والذي في «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٤٥) أنها جمع، ولفظه: «﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ﴾ وهو جمع، والعرب تَقُولُ: قوم فرادى وفرادًا يا هَذَا، فلا يُجرونَها، شبهت بثُلاث ورُبَاع، وفرادى واحدها فَرْد...» وهذا هو المشهور عنه عند أئمة اللغة والتفسير.

(٥) هو قول ابن قتيبة، كما في «غريب القرآن» (ص: ١٦٨)، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٧٣)، واستغربه.

﴿كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ عُراةً حُفاةً غُرلًا بُهْمًا.

﴿وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ﴾: ملَّكْناكم مـن الخوَلِ، والخوَلُ: مَن يَزْهَى بهم[١] الإنسانُ ويُعجَبُ.

﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟﴾ يعني: مـا كنتُم تعبُدونها على أنَّها شركاءُ لله، وأنَّها تشفعُ لكم عند الله؛ أي: ما بالُـها[٢] لا تَظهَرُ في أشدِّ ما كنتُم إليها مُحتاجين؟!

وقيل: هم الملائكةُ.

﴿لقد تَقَطَّع بَيْنُكم﴾[٣]؛ أي: تفرَّقَ جمعُكم وتشتَّتَ. والبَيْنُ: الوَصْلُ، والبَيْنُ الفِراقُ[٤].

---

(١) في (و): «ما يزهى به».

(٢) في (ن): «ما لها».

(٣) هكذا ضبطت في النسخ بضم النون، وهي قراءة ابن عامر وأبي عمرو وابن كثير وحمزة وأبي بكر، وقرأ نافع وحفص والكسائي: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ بنصب النون. انظر: «السبعة» (ص: ٢٦٣)، و«التيسير» (ص: ١٠٥).

(٤) انظر: «الأضداد» للأنباري (ص: ٧٥)، وقال المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٧٣): «قوله: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ من رفعه جعله اسمًا بعد أن كان ظرفًا، كما جعل اسمًا في قوله عز وجل: ﴿وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾.

الغريب: البين: الفراق، وقد يستعمل بضده، وهو الوصل؛ أي: تقطع وصلكم، فعلى هذا اسم وليس بظرف.

ومن قرأ بالنصب: فله وجهان: أحدهما: أن الفاعل مضمر، ومن نصب على الظرف، فتقديره: لقد تقطع وصلكم بينكم، وأول الآية يدل عليه. والثاني: وهو الغريب: قال الأخفش: إذا نصب فمعناه معنى المرفوع، لكن جرى في كلامهم منصوبًا ظرفًا تركوه على ما يكون عليه في أكثر الكلام، قال: ومثله: ﴿يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾، ومثله: ﴿وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾، فـ(دون) في موضع رفع عنده.

العجيب: قول من قال: تقطع ما بينكم، فحذف الموصول، فإن ذلك لا يجوز، أو الموصوف، فإن ذلك إنما يسوغ مع المفرد».

﴿وَضَلَّ عَنكُم﴾: ضاعَ وبطلَ ﴿مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ أنْ لا بعْثَ ولا جزاءَ.

وقيل: مِن أنَّها شفعاؤُكم عند الله.

* * *

(٩٥) ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ أكثرُ المُفسِّرين على أنَّ التَّقديرَ: فالقُ الحبِّ عن السُّنبلةِ، والنَّواةِ عن النَّخلةِ، وكلِّ نباتٍ فعن حَبِّه ونَوَاهُ.

والفَلْقُ والفَطْرُ والخَلْقُ بمعنًى واحدٍ[١].

وقيل: المُرادُ به: الشُّقاقُ الذي في الحبِّ والنَّواةِ[٢].

﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾؛ أي: يُخرِجُ النَّباتَ ـ وهو كالحيِّ لكونِه ناميًا ـ من الحَبِّ والنَّواةِ، وهما كالميِّتِ؛ لكونِهما غيرَ ناميَين.

﴿وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾: الحبِّ والنَّواةِ منَ النَّباتِ.

وقيل: يُخرِجُ الولدَ[٣] من النُّطفةِ، والدَّجاجَ من البيضِ، ويُخرِجُ الميِّتَ من الحيِّ: النُّطفةَ من الإنسانِ، والبيضَ من الدَّجاجِ.

وقيل: يُخرِجُ المؤمنَ منَ الكافرِ، والكافرَ منَ المؤمنِ.

﴿ذَٰلِكُمُ﴾؛ أي: الذي فصَّلَ هذه الأشياءَ هو ﴿ٱللَّهُ﴾ لا الأصنامُ.

﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾: تُصرَفون عن الحقِّ إلى الباطلِ.

* * *

(١) نقله أبو حيان عن تاج القراء في «البحر المحيط» (٤/ ٥٩١).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٧٤) عن مجاهد، واستغربه.

(٣) في (و): «الوليد».

(٩٦) ـ ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾.

﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾؛ أي: شاقُّ عمودِ الصُّبحِ من بين الظُّلمة.

والإصباحُ: مصدرُ أصبحَ؛ أي: دخل في الصُّبح، والصُّبحُ: إضاءةُ الفجرِ.

وقُرِئَ في الشَّواذِّ: (الأَصباح) بالفتحِ[1]، جمعُ: صُبْحٍ.

والمعنى[2]: فالقُ ما به يحصلُ الإصباحُ.

وقيل: فالقُ[3] نورِ النَّهارِ.

وقيل: الإصباحُ: ضوءُ الشَّمسِ بالنَّهارِ وضوءُ القمرِ باللَّيلِ. عن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما[4].

﴿وجاعلُ اللَّيلِ سكنًا﴾[5] يسكُنُ فيه الخلقُ بالنَّومِ وتركِ التَّصرُّفِ، ومَن قرأ: ﴿وَجَعَلَ﴾ فلأنَّ ﴿فَالِقُ﴾ بمعنى: فلَقَ.

---

(١) نسبت للحسن. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ٤٥)، و«شواذ القراءات» لشمس القراء الكرماني (١١/ ٥٥٦).

(٢) أي: على القراءة المتواترة. ففي: «غرائب التفسير» (١/ ٣٧٥): «﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾؛ أي: فالق ما به يحصل الإصباح، والإصباح: مصدر أصبح».

(٣) في (ن): «خالق».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٤٢٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٥٣)، واستغربه المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٧٥).

(٥) كذا في النسخ: ﴿وجاعلُ الليلِ﴾ بألف وجر اللام من ﴿الليل﴾ على الإضافة، وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي: ﴿وجَعَل﴾ بغير ألف ونصب اللام من ﴿الليلَ﴾. انظر: «السبعة» (١/ ٢٦٣)، و«التيسير» (ص: ١٠٥).

قال المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٧٥): «مَن أضاف نصب (سكنًا) بفعل مضمر دل عليه =

﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾؛ أي: بحسابٍ، كقوله: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن: ٥]، والمعنى: جعلَ سيرَهما بحسابٍ ومقدارٍ؛ لأنَّ الشَّمسَ تقطعُ البروجَ كلَّها في ثلاثِ مئةٍ وخمسةٍ وستِّين يومًا ورُبعِ يومٍ، وتعودُ إلى مكانها، والقمرَ يقطعُ البروجَ في ثمانيةٍ وعشرين يومًا، وبدوَرانِهما يَعرفُ النَّاسُ حسابَ الأيَّامِ والشُّهورِ والأعوامِ.

وقيل: يجرِيان بحسابٍ وعددٍ لبلوغِ نهايةِ آجالِهما(١).

قتادةُ: جعلَهما ضياءً(٢)، من قوله: ﴿حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الكهف: ٤٠]؛ أي: نارًا. حكاه الماورديُّ(٣).

والحُسْبانُ: مصدرُ حسَبْتُ حُسْبانًا.

أبو عبيدةَ: الحُسْبانُ: جمعُ حِسابٍ؛ كشِهابٍ وشُهْبانٍ(٤).

والحُسْبانةُ: الوِسادةُ، وجمعُها: حُسْبانٌ، وحَسَّبْتُه: أجلَسْتُهُ عليها(٥).

= (جاعل)؛ أي: جعله سكنًا، وكذلك قوله: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾؛ أي: جعلهما، ولا ينتصب باسم الفاعل عند البصريين؛ لأنه بمعنى الماضي، وأجاز ذلك الكوفيون».

(١) في (و): «أجلهما». والمثبت من (ن)، وهو الموافق لما في «غرائب التفسير» (١/ ٣٧٥)، واستغربه المصنف.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٤٣٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٥٥)، وعدَّه المصنف من العجائب في «غرائب التفسير» (١/ ٣٧٥)، وقال الطبري في «تفسيره» (٩/ ٤٣٠): «وأحسب أن قتادة ـ في تأويل ذلك بمعنى الضياء ـ ذهب إلى شيء يروى عن ابن عباس في قوله: ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الكهف: ٤٠]، قال: نارًا، فوجَّه تأويل قوله: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾ [الأنعام: ٩٦] إلى ذلك التأويل، وليس هذا من ذلك المعنى في شيء».

(٣) انظر: «النكت والعيون» (٢/ ١٤٨).

(٤) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٢٤٢)، وقد جعله المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٧٥) قول الجمهور.

(٥) انظر: «تفسير الطبري» (٩/ ٤٣٠)، وقد قيَّد الطبري جمع الوسادة بكسر الحاء، وتعقب ذلك =

وقيل: (وجعَلَ الشَّمسَ والقمرَ حسباناً) بالنَّصبِ من غير الباء، يُفيدُ اعتدالَ نظامِ العالَم، وذلك أنَّ الله قدَّرَ أن يكون لهما[1] ثلاثُ حركاتٍ:

إحداها: تحريكُ المُحيطِ للكلِّ من النقطةِ وإليها[2] في كلِّ يومٍ وليلةٍ مرَّةً واحدةً.

والثانيةُ: حركةُ فلَكِهما الخاصّ لهما بخلافِ تلك الحركةِ من المغربِ إلى المشرقِ.

والثالثةُ: ما لكلِّ واحدٍ منهما[3] من الحركةِ في فلكِهما[4].

﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ﴾: الذي لا يُغلَبُ ﴿ٱلْعَلِيمِ﴾: الذي لا يخفَى عليه الدَّقيقُ والجليلُ.

* * *

(٩٧) ـ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ﴾؛ أي: خلقَها ﴿لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ وتخصيصُها بالاهتداءِ بها لا يدلُّ على نفيِ ما عداه من المنافع.

﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ تفصيلُ الآياتِ: تمييزُ كلِّ واحدةٍ منَ الأخرى.

= الأستاذ أحمد شاكر في تحقيقه للطبري (١١/ ٥٦٠) بقوله: هكذا قال أبو جعفر: «بكسر الحاء» والذي أطبقت عليه كتب اللغة أنه بضم الحاء، ولم يشيروا إلى كسر الحاء في هذه.

(١) في (ن): «لها».

(٢) في (و): «من النقطة ويعود إليها»، والمثبت من (ن)، ومثله في «غرائب التفسير» (١/ ٣٧٥)، وجاء في هامش (ن): «يعني: نقطة الفلك».

(٣) في (ن): «منها».

(٤) عدَّه المصنف من العجائب في «غرائب التفسير» (١/ ٣٧٥).

(٩٨) ـ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ يعني: آدمَ عليه السَّلامُ ﴿فَمُسْتَقَرٌّ﴾ قُرِئَ: بالكسرِ والفتحِ(١)، فالكسرُ اسمُ الفاعلِ بمعنى: القارّ، والفتحُ المصدرُ أو المكانُ؛ لأنَّ (استقرَّ) لازمٌ.

﴿وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ يصلحُ للمفعولِ والمصدرِ والمكانِ؛ فمَن قرأ: ﴿مُستقِرٌّ﴾ بالكسرِ فالمُستودَعُ مفعولٌ، فيكونُ تقديرُه: فمنكم مُستقِرٌّ ومنكم مُستَودَعٌ، ومن قرأ بالفتحِ: فالمُستَودَعُ مثلُه في أن يكونَ مصدرًا ومكانًا؛ أي: فلكم مُستقَرٌّ ولكم مُستودَعٌ.

واختلفوا في معناهما:

فقال ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ﴾ في الرَّحمِ ﴿وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ في القبرِ(٢).

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ﴾ في الأرضِ ﴿وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ في الأصلابِ(٣).

ابنُ بحرٍ: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ﴾ في أصلابِ الرِّجالِ ﴿وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ في أرحامِ النِّساء(٤).

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بكسر القاف، والباقون بفتحها. انظر: «السبعة» (ص: ٢٦٣)، و«التيسير» (ص: ١٠٥).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٤٣٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٥٦ ـ ١٣٥٧).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٤٣٥) بلفظ: «﴿يعلم مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾: المستودع: في الصلب، والمستقر: ما كان على وجه الأرض، أو في الأرض».

(٤) ذكره الرازي في «التفسير الكبير» (١٣/ ٨٢)، وأبو حيان في «البحر المحيط» (٤/ ٥٩٦)، وفيهما: «عبر عن الذكر بالمستقر لأن النطفة إنما تتولد في صلبه وإنما تستقر هناك، وعبر عن الأنثى بالمستودع لأن رحمها شبيهة بالمستودع لتلك النطفة».

قتادةُ: على الضِّدِّ[1].

وقيل: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ﴾ في الدُّنيا ﴿وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ في القبرِ.

وقيل: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ﴾ في الدُّنيا ﴿وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ في الآخرةِ.

وقيل: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ﴾ مَن خُلِقَ ﴿وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ مَن لم يُخلَقْ بعدُ.

وقيل: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ﴾: الأبُ، ﴿وَمُسْتَوْدَعٌ﴾: الأمُّ.

ويحتملُ: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ﴾ في الجنَّةِ أو النَّارِ ﴿وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ من يومِ خُلِقَ إلى أن صارَ إلى جنَّةٍ أو نارٍ.

﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ قال في الأولى: ﴿يَعْلَمُونَ﴾ لأنَّ الدلالةَ في الأولى أظهرُ، وفي الثانيةِ: ﴿يَفْقَهُونَ﴾ لأنَّ الدلالةَ فيها أغمَضُ[2].

وفِقْهُ الشَّيءِ: عِلمُه بما يتشعَّبُ منه، فيُوصَلُ إليه بإنعامِ النَّظرِ بعد معرفةِ ظاهرِه.

* * *

(٩٩) ـ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: منَ السَّحابِ. وقيل: من جانبِ السَّماءِ.

﴿مَآءً﴾: مطرًا ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ﴾: بالماءِ ﴿نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ﴾؛ أي: كلَّ شيءٍ من النَّباتِ من الحبوبِ والثِّمارِ.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٨٣٣)، والطبري في «تفسيره» (٩/ ٤٤١).

(٢) ذكر الخطيب الإسكافي والمصنف في «البرهان» (ص: ١١١) وجهاً آخر، وهو أنّ قوله: ﴿يَعْلَمُونَ﴾ جاء بعد آيات نبهت على معرفة الله، وهي أشرف العلوم، فناسبها أشرف الألفاظ، وهو ﴿يَعْلَمُونَ﴾، وأن قوله: ﴿يَفْقَهُونَ﴾ جاء بعد آيات تستدعي تأملاً وتدبُّراً، فختمت بقوله: ﴿يَفْقَهُونَ﴾. انظر: «درة التنزيل» للخطيب الإسكافي (٢/ ٥٣٠ ـ ٥٣٣).

وقيل: رِزقَ كلِّ شيءٍ من الحيوان.

وقولُه: ﴿فَأَخْرَجْنَا﴾ بعدَ قولِه: ﴿أَنزَلَ﴾ محمولٌ على سعةِ الكلامِ وتلوينِ الخطابِ، وله نظائرُ(١).

وقيل: لا يمتنعُ أن يكونَ تقديرُه: قولوا: فأخرَجْنا نحنُ بني آدمَ منه نباتَ كلِّ شيءٍ بكِرابِ(٢) الأرضِ وطَرْحِ البذرِ وغرسِ الشَّجرِ؛ لأنَّ النَّخلَ والرُّمَّانَ والعنبَ والحنطةَ والشَّعيرَ والأرزَّ لا ينبتُ حتى يُغرسَ ويُطرَحَ البذرُ، ولولا الماءُ لَمَا نفعَ طرحُ البذرِ ولا غرسُ الشَّجرِ، فيكون معنى: ﴿أخرجنا﴾: أخرَجْنا ما أنبتَه اللهُ بفلاحتِنا إلى الانتفاعِ به(٣).

﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ﴾ قيل: من الماءِ، وقيل: من النَّباتِ.

﴿خَضِرًا﴾ أخضرَ، تقولُ: خَضِرَ يَخْضَرُ خُضْرَةً، فهو خَضِرٌ وأخضَرُ، واخضَرَّ فهو مُخْضَرٌّ.

﴿نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا﴾ كالحنطةِ والذُّرةِ والشَّعيرِ.

﴿وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا﴾؛ أي: وأخرَجْنا من النَّخلِ نخلًا ﴿مِن طَلْعِهَا﴾؛ أي: من ثمرِها وكُفُرَّاها(٤) وما يَطْلُعُ منها.

---

(١) وهذا يسمى: الالتفاتَ في علم البيان كما تقدم، وقد قال الزمخشري، قال: «وقد يكون من الغَيْبَةِ إلى الخطاب، ومن الخطاب إلى الغَيْبةِ، ومن الغَيْبةِ إلى التكلُّم؛ كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ [يونس: ٢٢]، وقولِه: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ﴾ [فاطر: ٩]».
ثم قال: «وذلك على عادةِ افتنانهم في الكلام وتَصَرُّفهم فيه، ولأنَّ الكلامَ إذا نُقِلَ من أسلوبٍ إلى أسلوبٍ كان ذلك أَحْسنَ تَطْرِيَةً لنشاطِ السامع وإيقاظًا للإصغاء إليه مِن إجرائه على أسلوبٍ واحدٍ». انظر: «الكشاف» (١/ ١٤).

(٢) كربت الأرض: إذا قلبتها للحرث. انظر: «الصحاح» مادة: (ك ر ب) (١/ ٢١١).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٧٦)، واستغربه.

(٤) الكُفُرَّى: وعاء الطلع. انظر: «جمهرة اللغة» مادة (ك ف ر) (٢/ ٧٨٦).

﴿قِنْوَانٌ﴾: أغـداقٌ، وهـي لها كالأغصـانِ، واحدُها قِنْوٌ، ومثله: صِنْـوانٌ وصِنْوٌ، لا نظيرَ لهما(١).

﴿دَانِيَةٌ﴾ الحسنُ: مُلتفَّةٌ مُتداخلةٌ(٢). غيرُه(٣): مائلةٌ.

وقيل: دانيةٌ من الجناةِ يجنُونها قائمِينَ وقاعدِين.

وقيل: دانيةٌ وغيرُ دانيةٍ، فاكتفَى بأحدِ الضِّدَّين.

وقيل: تقديرُه: ولهم من النَّخلِ ما هذه صفتُها(٤).

---

(١) لعل المصنف يريد عدم النظير في القرآن الكريم، أما في اللغة فقد وقع غيرهما على ندرة، قال ابن خالويه في كتابه «ليس في كلام العرب» (ص: ١٥٩): «ليس في كلام العرب تثنية تشبه الجمع إلا ثلاثة أسماء، وإنما يفرق بينهما بكسرة وضمة، وهن: الصنو، والقنو، والرئد. والتثنية: صنوانِ، وقنوانِ، ورئدانِ، وهذا نادر مليح».

وفي «الكتاب» لسيبويه (٣/ ٥٧٦): «رئد ورئدان»، قال: «والرئد: فرخ الشجر»، وذكر أيضاً: «شقذ وشقذانٌ». قال: «والشِّقذ: ولد الحرباء».

وقال أبو عبيد في «غريب الحديث» (٢/ ١٥): «والعرب تجمع الصنو صنوان، والقنو قنوان؛ على لفظ اثنين بالرفع، وإنما يفترقان بالإعراب؛ لأن نون الاثنين مخفوضة، ونون الجمع يلزمها الإعراب على كل وجه».

(٢) لم أجده هكذا، وذكر الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٤/ ١٨٨)، والماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ١٤٩)، والزمخشري في «الكشاف» (٢/ ٥٢) عن الحسن قوله: «دانية بعضها من بعض لتقاربها».

(٣) في (و): «غير».

(٤) وقد تكلم المصنف عن إعراب ﴿قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ﴾ في «غرائب التفسير» (١/ ٣٧٦) فقال: «كان القياس: (قنوانًا دانيةً) كما في مصحف أنس، عطفًا على ﴿نَبَاتَ﴾، وللرفع وجوه:

أحدها: ومن النخل نخلاً من طلعها قنوان، فحذف نخلاً، وفيه بعد.

الثاني: وكذلك من النخل من طلعها قنوان، كما تقول: ضربت زيداً وعمرو؛ أي: وعمرو؛ كذلك. =

﴿وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ﴾؛ أي: وأخرجنا جنَّاتٍ من أعنابٍ.

﴿وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ﴾ الزَّجَّاجُ: قرنَ الزَّيتونَ بالرُّمَّانِ؛ لأنَّهما شجرتانِ مُتشابهتانِ[1].

﴿مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾؛ أي: يُشبِهُ بعضُها بعضًا من وجهٍ ويختلفُ من وجهٍ.

وقيل: مُتشابهٌ لونُها، ويختلفُ طعمُها، كالحامضِ والحلوِ من الرُّمَّان.

﴿ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ﴾؛ أي: إلى ثمرِ كلِّ واحدٍ مما تقدَّم ﴿إِذَآ أَثْمَرَ﴾: أخرجَ ثمرَه.

﴿وَيَنْعِهِۦٓ﴾ اليَنْعُ: مصدرُ (يَنَعَ)؛ أي: أدركَ؛ أي: وذا يَنْعِه، وهو النَّضِيجُ منه.

وقيل: يَنْعٌ جمعُ يانعٍ؛ كتاجرٍ وتَجْرٍ.

وقُرِئ: (ويُنْعِهِ)[2]، (ويانِعِهِ)[3] في الشَّواذِّ.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: مَن شأنُه الإيمانُ بالآيةِ ففيما سبق ذكرُه آياتٌ[4].

= الثالث: ولكم من النخل من طلعها قنوان.

ثم ذكر من الغريب: يحتمل أنه محمول على مضمر دل عليه (أخرجنا)؛ أي: ويَخرج من النخل من طلعها قنوانٌ، تقويه قراءة من قرأ: (يَخرج منه حبٌّ متراكب)، ومثله: ﴿أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [نوح: ١٧]؛ أي: أنبتكم وتَنبُتون نباتًا».

(١) «متشابهتان»: ليست في (و). ولفظ الزجاج في «معاني القرآن» (٢/ ٢٧٦): «وقرن الزيتون بالرمان لأنهما شجرتان تعرف العرب أن ورقهما يشتمل على الغصن من أوله إلى آخره».

(٢) نسبت لمجاهد وابن محيصن وغيرهما. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ٤٥)، و«شواذ القراءات» لشمس القراء الكرماني (ص: ١٧٤).

(٣) نسبت لابن محيصن في «المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ٤٥)، ولابن أبي عبلة واليماني وأبي حنيفة في «شواذ القراءات» لشمس القراء الكرماني (ص: ١٧٤).

(٤) في (و): «بالآيةِ فيما سبق ذكرُه»، وليس فيها: «آيات».

(١٠٠) ـ ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾.

﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ ﴾ في سببِ النُّزولِ: عن الكلبيِّ: أنَّ الآيةَ نزلت في الزَّنادقةِ، قالوا: إنَّ اللهَ وإبليسَ أخَوانِ، واللهُ خالقُ النُّورِ والنَّاسِ والدَّوابِّ والأنعامِ، وإبليسُ خالقُ الظُّلمةِ والحيَّاتِ والسِّباعِ والعقاربِ، فذلك قولُه: ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ ﴾[(١)].

ومعنى ﴿جعلوا﴾: زَعَموا وسمَّوا الجنَّ شركاءَ لله.

والواوُ في ﴿ وَجَعَلُوا۟ ﴾ ضميرُ المُشركين.

وقيل: ﴿ٱلْجِنَّ﴾ بدلٌ من ﴿شُرَكَآءَ﴾[(٢)].

والزَّنادقةُ هم المجوسُ هاهنا؛ فمنهم مَن قال: الشَّيطانُ قديمٌ، ومنهم مَن قال: إنَّه تعالى فكَّرَ في عِظَمِ ملكِه، فتولَّدَ من فكرِه إبليسُ، ومنهم مَن قال: بل شكَّ في قُدرتِه فتولَّدَ من شكِّه الشَّيطانُ[(٣)]، فهؤلاء أثبتُوا نسبًا على سبيلِ ما يتولَّدُ الابنُ عن الأبِ[(٤)].

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ١٦٥)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٢١).

(٢) وفيها وجهان ذكرهما المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٧٧):
أحدهما: أن التقدير: وجعلوا الجن شركاء لله، فـ﴿الجن﴾ و﴿شركاء﴾ مفعولان، و﴿لله﴾ متعلق بـ﴿شركاء﴾.
والثاني: ما ذكره هنا: أن ﴿شركاءَ﴾ المفعول الأول، و﴿لله﴾ واقع موقع المفعول الثاني، و﴿الجنَّ﴾ بدل من الشركاء.
قال: وهذا الوجه أبلغ وأحسن؛ لأنه يتضمن فائدة شريفة لا توجد في الوجه الأول، وذلك: أنه يفيد إنكار الشركاء أصلًا، والإنكار يجري مجرى النفي، وعلى الوجه الأول يفيد إنكار كون الجن شركاء لله دون غيرهم، تعالى أن يكون له شريك أو شبيه، ومثله: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ ﴾ [النحل: ٥٧].

(٣) في (ن): «إبليس» وفي الهامش: «الشيطان» وكتب فوقها: «أصح».

(٤) انظر: «مفاتيح العلوم» للخوارزمي (ص: ٥٦)، و«غرائب التفسير» (١/ ٣٧٨)، و«التفسير الكبير» للرازي (١٣/ ٨٨).

الحسنُ: أطاعوا الشَّيطانَ في عبادةِ الأوثانِ، فكأنَّهم جعلوهم شركاءَ لله في العبادةِ(١).

وقيل: الجنُّ صنفٌ من الملائكةِ، وإبليسُ منهم، وهذا كقولِه: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ [الصافات: ١٥٨].

﴿وَخَلَقَهُمْ﴾؛ أي: الجاعلين لله شركاءَ، وقيل: الجنَّ.

﴿وَخَرَقُوا لَهُ﴾: افتعلُوا وافترَوا له ﴿بَنِينَ وَبَنَاتٍ﴾ قالت العربُ: الملائكةُ بناتُ الله، وقالت النَّصارى: المسيحُ ابنُ الله ـ فجُمِعَ لازدِواجِ البناتِ(٢) ـ وإنَّ الله صاهرَ الجنَّ فولدَت الجِنِّيةُ أولادًا إناثًا هم الملائكةُ(٣).

﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾؛ أي: بغير علمٍ أنَّ له بنينَ وبناتٍ، وقيل: بغيرِ حجَّةٍ دلَّتْهم على ذلك.

ويحتمل أنَّ معنى قولِه: ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾؛ أي: جَهْلًا منهم.

﴿سُبْحَانَهُ﴾: نزَّه نفسه مُعَجِّبًا(٤) ﴿وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ﴾.

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ١٥٠)، والواحدي في «البسيط» (٨/ ٣٢٥).

(٢) أي: جمع لفظ (ابن) مع أنه لم يُسمع بطائفة نسبت لله سبحانه وتعالى أكثر من ابن؛ لمناسبة لفظ (بنات).

(٣) في «غرائب التفسير» (١/ ٣٧٨): «أي: قالت اليهود: عزير ابن الله، وقالت النصارى: المسيح ابن الله، فجمع موافقة للبنات، وزعمت طائفة منهم أن الله صاهر الجن فولدت الجنية أولادًا إناثًا هم الملائكة، وهو قوله: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ [الصافات: ١٥٨] تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا».

(٤) في (و): «متعجّبًا».

(١٠١) ـ ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾.

﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾؛ أي: مُبدِعُهما لا على مثالٍ سبقَ، فَعيلٌ بمعنى: مُفْعِلٍ.

والإبداعُ: إيجادُ الشَّيءِ بغيرِ[١] واسطةٍ.

وقيل: ﴿ بَدِيعُ ﴾؛ أي: مبدوعةٌ سماواتُه.

﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾ لأنَّ الولدَ إنَّما يكونُ من الصَّاحبةِ، والصَّاحبةُ: كُفْؤُ الصَّاحبِ، وهو يقتضي المُجانَسةَ والمُماثلةَ، واللهُ سُبحانَه مُنزَّهٌ عن الجنسِ والمثلِ والكُفْءِ.

﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ والمخلوقُ لا يكونُ كُفُوًا للخالقِ ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾.

***

(١٠٢) ـ ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾.

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ﴾؛ أي: وحِّدوه ولا تُشرِكوا به شيئًا[٢]، ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ فكِلُوا أمرَكُم[٣] إليه.

---

(١) في (ن): «بلا».

(٢) وأورد المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٧٨) ها هنا لطيفة، وهي: «لمَ قال في هذه السورة: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ وقال في (المؤمن): ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ فقدم ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾»؟

وأجاب بقوله: «لأن في هذه السورة تقدم ذكر الشركاء وذكر البنين والبنات، فأتى بعده بما يدفع قول من يجعل له شريكاً، فقال: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾، ثم قال: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾، وفي (المؤمن) تقدم ذكر الخلق في قوله: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ ﴾، وكان الكلام على تثبيت خلق الإنسان لا على نفي الشريك، فقدم في كل سورة ما اقتضاه ما قبله من الآيات».

(٣) في (ن): «أموركم».

(١٠٣) ـ ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾.

﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾ الإدراكُ: اللَّحاقُ والإصابةُ، والأبصارُ: جمع بصرٍ، وهو حاسَّةٌ تُدرَكُ بها الرُّؤيةُ.

والمعنى: لا يُدرِكُ حقيقةَ ذاتِه أحدٌ من خلقِه، وليس هذا نفيًا للرُّؤيةِ[١].

وقد جاءتِ الأخبارُ المُتواترةُ بإثباتِها:

منها قولُه عليه السَّلامُ: «سترَوْنَ ربَّكُم كما ترَوْنَ القمرَ ليلةَ البدرِ»[٢]، وفي روايةٍ: «كما ترَوْنَ الشَّمسَ ليس دونَها سَحابٌ»[٣].

ومثلُه قولُه عزَّ وجلَّ: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾ [القيامة ٢٢ ـ ٢٣].

وقولُه: ﴿وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾؛ أي: يعلمُ حقيقتَه، وأنتم لا تعرفون حقيقةَ البصرِ، وما الشَّيءُ الذي صارَ به الإنسانُ يُبصِرُ من عينَيه دونَ سائرِ أعضائِه[٤].

---

(١) كما ادعى ذلك المعتزلة، وفسروا هذه الآية وغيرها على ما يوافق مذهبهم، وينظر كلامهم ورده في «الكشاف» طبعة دار اللباب عند تفسير هذه الآية، وعند تفسير قوله تعالى: ﴿أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

(٢) رواه البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣)، عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه، ولفظ مسلم: «أما إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته».

(٣) رواه البخاري (٨٠٦)، ومسلم (١٨٢)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، ولفظ البخاري: أن الناس قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: «هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟» قالوا: لا يا رسول الله، قال: «فهل تمارون في الشمس ليس دونها سحاب؟» قالوا: لا، قال: «فإنكم ترونه كذلك».

(٤) في (و): «جسده». هذا كلام الزجاج في «معاني القرآن» (٢/ ٢٧٨)، وفي «تفسير المنار» (٧/ ٥٤٤): «قد عرف البشر من تشريح العين ما تتركب منه طبقاتها ورطوباتها ووظائف كل منها في ارتسام المرئيات فيها، وعرفوا كثيرًا من سنن الله تعالى في النور ووظائفه في رسم صور الأشياء في العينين، ولكن لم يعرفوا كنه الرؤية ولا كنه قوة الإبصار ولا حقيقة النور»، وقد أفاض ابن كثير في «تفسيره» في الكلام على الآية وما قيل فيها.

وذهب بعضُهم إلى أنَّ الإدراكَ إذا قُرِنَ بالبصرِ فالمُرادُ به الرُّؤيةُ، فهذا نفيُ الرُّؤيةِ، وليس هذا مذهبَ أهلِ الحقِّ.

وقيل: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ في الدُّنيا، وتُدرِكُه في الآخرةِ؛ أي: تراه.

وقيل: إنَّ الله تعالى يُحدِثُ للعبدِ حاسَّةً سادسةً سوى حواسِّهم الخمسِ فيرَونه بها.

﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ﴾ للتَّدبيرِ ﴿الْخَبِيرُ﴾: العالمُ بالبادي والخافي من المخلوقاتِ.

* * *

(١٠٤) ـ ﴿قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾.

﴿قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾: جمعُ بَصيرةٍ، وهي المُقابلةُ[1] أو الحالةُ التي تُبصِّرُ الحقَّ، والمُرادُ بها هاهنا: القرآنُ.

﴿فَمَنْ أَبْصَرَ﴾؛ أي: استبصَرَ[2] بها واهتَدَى ﴿فَلِنَفْسِهِ﴾؛ أي: فلنفسِه مُستَهْدٍ.

﴿وَمَنْ عَمِيَ﴾؛ أي: أَعْرَضَ عنها ﴿فَعَلَيْهَا﴾؛ أي: فعليها ما[3] جنَى.

﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ الحسنُ: بربِّ أُجازِيكم[4].

وقيل: لا آخذُكم بالإيمانِ أخْذَ الحفيظِ عليكم.

---

(١) في (و): «المقالة». وقال الطبري في «تفسيره» (٩/ ٤٧٠): «يعني بالبصيرة: الحُجَّةَ البيِّنَةَ الظَّاهرةَ»، ولعل كلام المصنف مأخوذ من قول الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٤٩) في تفسير قوله تعالى: ﴿فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾: «وفي المراد بالبصر هنا وجهان: أحدهما: بصيرة القلب؛ لأنه يبصر بها من شواهد الأفكار ونتائج الاعتبار ما تبصر العين ما قابلها من قبلها من الأشخاص والأجسام...».

(٢) في (و): «أبصر».

(٣) «ما»: ليست في (ن).

(٤) ذكره الواحدي في «البسيط» (٨/ ٣٢٧) بلفظ: «على أعمالكم حتى أجازيَكم بها».

(١٠٥) ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْأَيَٰتِ﴾؛ أي: كما صرَّفْنا الآياتِ التي سبقَتْ ـ وهو الإتيانُ بها واحدةً بعد واحدةٍ. وقيل: تصريفُها: تقليبُ معانيها بالعباراتِ المُختلفةِ ـ نُصرِّفُ الآياتِ في القرآن.

﴿وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ﴾ قُرِئَ: ﴿دَرَسْتَ﴾ و﴿دارَسْتَ﴾ و﴿دَرَسَتْ﴾[1]، تقولُ: دَرَسْتَ: إذا قرأتَ على غيرِك، ودرَسَ النَّاقةَ: ارتاضَها، ودرَسَ السُّورةَ؛ أي: قرأ السُّورةَ لتخِفَّ على لسانِه.

فمَن قرأ: ﴿دَرَسْتَ﴾؛ أي: تلوْتَ وقرأْتَ كُتُبَ أهلِ الكتابِ.

ومَن قرأ: ﴿دارَسْتَ﴾؛ أي: قارَأْتَ أهلَ الكتابِ فتعلَّمْتَ منهم، زعَمُوا أنَّه يتعلَّمُ من أبي فُكَيْهَةَ وجَبْرٍ[2]، ....

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو: (دارسْتَ) بالألف وفتح التاء، وابن عامر بغير ألف وفتح السين وإسكان التاء، والباقون بغير ألف وإسكان السين وفتح التاء. انظر: «السبعة» (ص: ٢٦٤)، و«التيسير» (ص: ١٠٥).

(٢) ذكر مقاتل في «تفسيره» (٢/ ٤٨٧) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ﴾ [النحل: ١٠٣]: «ذلك أن غلامًا لعامر بن الحضرمي القرشي يهوديًّا أعجميًّا كان يتكلم بالروميَّة يسمى يسار ويكنى أبا فكيهة، كان كفار مكة إذا رأوا النبي ﷺ يحدثه قالوا: إنما يعلمه يسار، أبو فكيهة... فضربه سيده فقال: إنك تعلم محمدًا ﷺ، فقال أبو فكيهة: بل هو يعلمني».

ويسار أبو فكيهة: معدود في الصحابة، قال: ابن إسحاق: كان رسول الله ﷺ إذا جلس في المجلس يجلس إليه المستضعفون من أصحابه: حباب وعمار وأبو فكيهة يسار مولى صفوان بن أمية بن حرب، ذكره ابن إسحاق في المغازي. انظر: «الاستيعاب» (٤/ ١٥٨٢).

وقال ابن حجر في «الإصابة» (٧/ ٢٦٨): «مولى صفوان بن أمية، وقيل: مولى بني عبد الدار، ويقال: أصله من الأزد. أسلم قديمًا، فربط أمية بن خلف في رجله حبلًا فجره حتى ألقاه في الرمضاء، وجعل يخنقه، فجاء أخوه أبيُّ بن خلف، فقال: زده، فلم يزل على ذلك حتى ظنَّ أنه مات، فمرَّ أبو بكر الصديق فاشتراه وأعتقه». =

فتكونُ اللامُ لامَ العاقبةِ والصَّيرورةِ(١).

ابنُ عيسى: أي: يُقِرُّونَ بوُرودِ الآياتِ، فتقومُ الحجَّةُ الواضحةُ عليهم.

وقيل: تكرَّرَتِ الآياتُ ليقولوا إذا سمعوا آيةً بعد آيةٍ: درسْتَ هذه علينا، فيتذكَّروا(٢) الماضيةَ(٣)، فعلى هذَين اللامُ لامُ (كي)(٤).

ومَن قرأ ﴿دَرَسَتْ﴾؛ أي: هذه الآياتُ تقادَمَتْ فانمَحَتْ، ولم يأتِ محمَّدٌ بآيةٍ سوى ما أتى به، فيكونُ تقديرُه: لئلّا يقولوا، وكراهةَ أن يقولوا: دَرَسَتْ(٥).

= وكذلك جبر فقد ذكر أيضًا في الصحابة؛ قال ابن حجر في «الإصابة» (١/ ٥٦٢): «جبر مولى بني عبد الدار، ذكر الواقدي أنه كان بمكة، وكان يهوديًّا، فسمع النبي ﷺ يقرأ سورة يوسف فأسلم وكتم إسلامه، ثم أطلع مواليه على ذلك، فعذبوه، فلما فتح رسول الله ﷺ مكة شكا إليه ما لقي فأعطاه ثمنه فاشترى نفسه وعتق واستغنى، وتزوج امرأة ذات شرف، وفي تفسير ابن أبي حاتم وعبد بن حميد من طريق حصين بن عبد الرحمن عن عبد الله بن مسلم الحضرمي، قال: كان لنا عبدان؛ أحدهما يقال له: يسار، والآخر يقال له: جبر، وكانا صيقليين، فكانا يقرءان كتابهما، ويعملان عملهما، وكان رسول الله ﷺ يمر بهما فيسمع قراءتهما، فقالوا: إنما يتعلم منهما، فنزلت: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ [النحل: ١٠٣]، ولم يذكر أنهما أسلما».

(١) لام العاقبة تسمية بصرية، ولام الصيرورة كوفية، وما بعدها ليس بغية، لكنه مآل. انظر: «اللامات» للزجاجي (ص: ١١٩).

(٢) في (و): «فيتذكرون».

(٣) ذكر المصنف هذا الوجه في «غرائب التفسير» (١/ ٣٧٩)، واستغربه.

(٤) لام كي هي تعرف بلام التعليل اليوم، ويأتي بعدها فعل مضارع منصوب بها عند الكوفيين، وبأن المضمرة عند البصريين، وإنما تأتي مبينة سبب الفعل الذي قبلها، انظر: «اللامات» للزجاجي (ص: ٦٦)، و«جامع الدروس العربية» للغلاييني (٢/ ١٧٣).

(٥) رتب المصنف هذه الوجوه على حسب القراءات في «غرائب التفسير» (١/ ٣٧٩) فقال: «وقرىء في المعروف ﴿دَرَسْتَ﴾، وفيه وجهان: أحدهما: قرأت وتعلمت. الثاني، وهو الغريب: وليقولوا درست علينا هذه قبل اليوم، فيذكروا بالثانية الأولى.

و(دارست)، وله وجهان:

أحدهما: دارست أهل الكتاب وتعلمت من أبي فكيهة وجبر ويسار. [وقوله: ويسار، فيه نظر، فإنه =

﴿وَلِنُبَيِّنَهُۥ﴾؛ أي: القرآن ﴿لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾.

والـواوُ فـي قولـه: ﴿وَلِيَقُولُواْ﴾ عطـفٌ على المعنـى؛ أي: لتتـمَّ حُجَّتُنـا عليهم وليقولوا.

* * *

(١٠٦) ـ ﴿ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾.

﴿ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾؛ أي: اعمَلْ بالقرآن.

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾(١) منسوخةٌ بآيةِ السَّيفِ(٢).

* * *

(١٠٧) ـ ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكُواْۗ وَمَا جَعَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ﴾.

﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكُواْۗ وَمَا جَعَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا﴾(٣): ربًّا، وقيل: رقيبًا.

﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ﴾: قيِّمٍ بأمورِهم.

= اسم أبي فكيهة كما تقدم، لا رجل ثالث كما يوهم كلامه].

الغريب: دارستنا قبل هذا، كما قيل في درست.

و(دَرَسَتْ)، وله وجهان:

أحدهما: هذه آيات دَرَسَتْ وتقادمت ولم يأتِ محمد إلا بما أتى به من قبله.

الثاني، وهو الغريب: لئلا يقولوا: دَرَسَتْ وانمحت ولا يأتينا محمد بغيرها.

واللام لام العاقبة على ثلاث تأويلات، ولام كي على ثلاث».

(١) قال المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٧٩): «قوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ يجوز أن يكون حالاً عن ﴿رَّبِّكَ﴾، ويجوز أن يكون اعتراضًا بين الأمرين، ويجوز أن يكون بدلًا من ﴿مَآ أُوحِيَ﴾».

(٢) انظر: «الناسخ والمنسوخ» لابن حزم (ص: ٣٧).

(٣) قال المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٧٩): «أي: لو شاء أن لايشركوا ما أشركوا، فمفعول شاء مضمر، وقوله: ﴿مَآ أَشۡرَكُواْ﴾ جواب: لو».

(١٠٨) ـ ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ في سببِ النُّزولِ: عن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما في روايةِ الوالبيِّ: قالوا: يا محمَّدُ لتَنْتهِيَنَّ عن سبِّ[1] آلهتِنا أو لنهجُوَنَّ ربَّك، فنهاهُم الله أن يسُبُّوا أوثانَهم فيسُبُّوا اللهَ عَدْوًا[2].

السَّبُّ: الذِّكرُ بالقبيح.

و﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾: هم الأصنامُ، ويحتمِلُ أنَّهم الكفارُ.

والعَدْوُ والعُدْوانُ والعُدُوُّ: مصدرُ (عَدا): إذا تجاوَزَ الحدَّ.

ومعنى ﴿يَدْعُونَ﴾: يعبدون، وقيل: من الدُّعاء.

وإنَّما نُهوا عن سبِّ الأصنامِ لأنَّه إغراءٌ على الكفرِ والنِّفارِ عن الإيمان؛ ولأنَّ[3] السَّبَّ ليس من فعلِ العاقلِ، ولا مِن سبيلِ المُناظرِ، ولأنَّها ما أذنبَتْ فتُسَبَّ.

﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ من الطَّاعةِ والمعصيةِ والخيرِ والشرِّ، ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ فيُجازيهم.

* * *

---

(١) في (ن): «سبك».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٤٨٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٦٦).

(٣) في (و): «لأن».

(١٠٩) ـ ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾: بأَوْكَدِ الأيمانِ وأعظمِها حُرمةً عندهم[1]. و(جَهْدَ) مصدرٌ واقعٌ[2] موقعَ الحالِ؛ أي: مُجتهِدين.

﴿لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا﴾؛ أي: من التي اقترحُوها، من قوله: ﴿حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا﴾ [الإسراء: ٩٠] الآيات، فلمَّا نزلت هذه الآياتُ[3] اشتدَّ طمعُ المسلمين في إيمانِ القومِ، فسألوا النَّبيَّ عليه السَّلامُ أنْ يسألَ اللهَ إجابتَهم إلى إنزالِ آيةٍ، فأنزلَ الله: ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمَّدُ: ﴿إِنَّمَا ٱلْـَٔايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ في قُدرتِه وسُلطانِه ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ أي: وما يُشعِرُكم أنَّهم يُؤمنون عندها.

ثم استأنفَ فقال: ﴿إنَّها إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾؛ لأنَّهم مُعانِدون، ومَن فتحَ[4] فتقديرُه: لعلَّها إذا جاءت، وهو مذهبُ سيبويهِ[5] والبصريين، وذهب الفرَّاءُ[6]

---

(١) في (و): «حرمة عند ربهم».

(٢) في (ن): «وقع».

(٣) في (ن): «الآية».

(٤) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر بخلاف عنه بكسر الهمزة، والباقون بفتحها. انظر: «السبعة» (ص: ٢٦٥)، و«التيسير» (ص: ١٠٦).

(٥) انظر: «الكتاب» (٣/ ١٢٣).

(٦) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٣٧)، وفيه: «وقوله: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ وفي قراءة عبد الله: (لكي يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون)، والعرب تجعل (لا) صلة في كل كلام دخل في آخره جحد، أو في أوله جحد غير مصرح، فهذا مما دخل آخره الجحد، فجعلت (لا) في أوله صلة. وأما الجحد السابق الذي لم يصرح به فقوله عز وجل: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ وقوله: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾».

والكوفيون إلى أنَّ التَّقديرَ: وما يُشعِرُكم أنَّها إذا جاءت يُؤمِنون[١].

* * *

(١١٠) ـ ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.

﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: نَحُولُ بينهم وبين الإيمان، ولو جاءَهم ما اقترَحُوا ما آمَنُوا به[٢].

﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ﴾: بالله ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ يُريدُ: انشقاقَ القمرِ وغيرَه.

وقيل: بالقرآنِ.

وقيل: بمحمَّدٍ عليه السَّلامُ.

وقيل: ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ﴾ زمنَ موسى عليه السَّلامُ؛ أي: أسلافُهم.

وقيل: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ﴾ في النَّارِ ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ في الدُّنيا؛ أي: جزاءً لذلك[٣].

---

(١) فصَّل المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٨٠) فقال: «قوله: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ الآية، أجمع المفسرون على أن (ما) للاستفهام، وفاعل (يشعركم) مضمر يعود إلى (ما)، والمفعول الثاني محذوف؛ أي: إيمانَهم، ثم استأنف فقال: إنها ـ أي: الآيات المقترحة ـ إذا جاءت لا يؤمنون. ومَن فتح جعله بمعنى: لعل، قال الخليل: العرب تقول: ائت السوق أنك أن تشتري لحمًا؛ أي: لعلك. وذهب الكوفيون إلى أن (لا) زائدة، وتقديره: وما يشعركم أنها إذا جاءت يؤمنون، فيكون (ما) مبتدأ، (أنها إذا جاءت لا يؤمنون) خبره، والعائد إلى (ما) محذوف بعد حذف الجار منه...».

(٢) لم أجده بهذا اللفظ، وروى عنه الطبري في «تفسيره» (٤/ ١٣٦٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٤٩٠) قوله: «لما جحد المشركون ما أنزل الله، لم تثبت قلوبهم على شيء، وردت عن كل أمر».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٨٠)، واستغربه.

وقيل: معناه: إنَّا نُحيطُ علمًا بذاتِ الصُّدورِ وخائنةِ الأعيُنِ منهم.

﴿وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَـٰنِهِمْ﴾: في مجاوَزتهم[1] الحدَّ في الكفرِ ﴿يَعْمَهُونَ﴾: يتردَّدون مُتحيِّرين.

* * *

(١١١) ـ ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾.

﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ﴾: كما[2] اقترحُوا عليك فعايَنُوهم، ﴿وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ بصِحَّةِ نُبوَّتِك ووُجوبِ الإيمانِ بك.

﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا﴾ و﴿قِبَلًا﴾[3]؛ أي: مُعايَنةً.

وقيل في (قُبُلٍ): إنه جمعُ قَبيلٍ، وقَبيلٌ جمعُ: قبيلةٍ؛ أي: جماعةً جماعةً، وصِنفًا صِنفًا[4].

وقيل: جمعُ قَبيلٍ، وهو الكفيلُ.

﴿مَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟﴾ لِمَا سبقَ لهم من الشَّقاوةِ[5] ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ إيمانَهم فيهديَهم. والاستثناءُ مُنقطعٌ.

﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ فيقترحون الآياتِ.

---

(١) في (و): «تجاوزهم».

(٢) في (ن): «لما».

(٣) قرأ نافع وابن عامر بكسر القاف وفتح الباء، والباقون بضمهما. انظر: «السبعة» (ص: ٢٢٦)، و«التيسير» (ص: ١٠٦).

(٤) ذكر هذا الطبري في «تفسيره» (٩/ ٤٩٣)، وذكر الأزهري في «معاني القراءات» (١/ ٣٨٠) أن (قُبُل) جمع (قبيل)، وهم الجماعة ليسوا بني أب واحد، أما (قبائل) فجمع (قبيلة)، وهم بنو أب واحد.

(٥) في (ن): «الشقاء».

والكنايةُ[١] تعودُ إلى الذين حرَصُوا على إيمانِهم. وقيل: تعودُ على الكفَّارِ الذين[٢] قالوا: ﴿لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا﴾ [الأنعام: ١٠٩].

* * *

(١١٢) ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾؛ أي: كما جعلنا لك عدوًّا كذلك جعلنا لكلِّ نبيٍّ عدوًّا.

وقيل: كما جعلنا العداوةَ بين بعضِ النَّاسِ وبعضِهم كذلك جعَلْنا بين الأنبياءِ وأُممِهم.

﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ قال بعضُهم: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ﴾: مَردَتُهم، وكذلك شياطينُ الجنِّ.

وقيل: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ﴾: مَنْ وُكِّلَ بهم من أولادِ إبليسَ، وكذلك شياطينُ الجنِّ من وُكِّلَ بهم من أولادِ إبليسَ.

و﴿شَيَٰطِينَ﴾ نصبٌ على البدلِ منَ (العدوّ).

وقيل: هو المفعولُ الأوَّلُ، و(العدوّ) الثَّاني[٣].

﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾: يُوَسوِسُ ويُوهِمُ ﴿زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ﴾: الباطلَ المُموَّهَ.

﴿غُرُورًا﴾ قيل: حالٌ. وقيل: علَّةٌ. وقيل: نصبٌ على المصدرِ[٤].

---

(١) أي: واو الجماعة في ﴿يَجْهَلُونَ﴾.

(٢) في (ن): «والذين».

(٣) لأن (جعل) تنصيب مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر، وأصل الجملة: الشياطينُ عدوٌّ. مادة (ع د و) (٣/ ٦٩)، انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٨٤)، و«تهذيب اللغة».

(٤) وتفصيل هذه الأقوال: على الأول: هو مصدرٌ في موضع الحال؛ أي: غارِّين. وعلى الثاني: هو نصبٌ على المفعول له؛ أي: لأَنْ يَغُرُّوا غيرهم. وعلى الثالث: هو منصوبٌ على المصدر لـ﴿يُوحِي﴾؛ لأنه =

وقيل: بدلٌ من (الزُّخرف)[١].

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾؛ أي: لو شاء إيمانَهم آمَنُوا، والهاءُ تعودُ إلى الكفرِ.

﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ أي: كفرَهم إلى أنْ يأتيَ أمرُ الله بالقتالِ.

وقيلَ: ما فعل الشَّياطينُ الوحي.

* * *

(١١٣) ـ ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾.

﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ﴾؛ أي: ولتميلَ إلى الزُّخرفِ[٢] قلوبُ الكفَّارِ. تقولُ: صَغا يصغُو، وصَغِيَ يَصْغَى: مالَ.

﴿وَلِيَرْضَوْهُ﴾: وليُحبُّوه، ﴿وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾: وليكتَسِبُوا ما هم مُكتَسِبُون، والاقتِرافُ: الاكتِسابُ، من قولِه: ﴿وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا﴾ [التوبة: ٢٤].

وقيل: الاقتِرافُ: عملٌ مع[٣] تُهمةٍ، ويدفعُه قولُه: ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً﴾ [الشورى: ٢٣].

واللَّامُ لامُ العاقبةِ[٤]، وقيل: لامُ الأمرِ، ويدفعُه إثباتُ الألفِ إلا شاذًّا نحو:

ألم يأتيكَ[٥]

= بمعنى: يَغُرُّ بعضُهم بعضًا. انظر: «البحر المحيط» (٤/ ٦٢٥)، و«الدر المصون» (٥/ ١١٦).

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٨١)، واستغربه.

(٢) في (و): «المحرف».

(٣) في (ن): «معه».

(٤) أي: في قوله: ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ﴾.

(٥) يشير إلى قول قيس بن زهير العبسي كما في «الجمل في النحو» (ص: ٢٢٣)، و«معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٢٣)، و«الفاخر» للمفضل بن سلمة (ص: ٢٢٣): =

(١١٤) - ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾.

﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي﴾: أطلُبُ ﴿حَكَمًا﴾: حاكمًا، والحَكَم أبلغُ لأنَّه اسمٌ لِمَن عُرِفَ بالحُكمِ مرَّةً بعد أخرى، والحاكمُ اسمُ الفاعلِ، وهو نصبٌ على الحالِ.

وتقديرُ الآية: قل لهم: أفغيرَ الله أبتَغي حكمًا ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ﴾: القرآنَ ﴿مُفَصَّلًا﴾: فيه بيانُ كلِّ ملتبسٍ، وفيصلًا[١] بيني وبينكُم.

﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾: هم مُؤمنو أهلِ الكتابِ. وقيل: هم أصحابُ رسولِ الله عليه السَّلامُ.

﴿يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾؛ أي: بإظهارِ الحقِّ.

﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾: الشَّاكِّين في أنَّ أهلَ الكتابِ يعلمون ذلك.

وقيل: لا تشُكَّ أنَّهم يعلمون نُبوَّتَك.

ابنُ جريرٍ: لا تكُنْ في شكٍّ ممَّا قصَصْنا عليك[٢].

وقيل: لا تكُنْ شاكًّا في أنَّ الذين يبتغون حَكَمًا غيرَ الله لا يُؤمِنون.

= أَلَـمْ يَأْتِيـكَ والأنبـاءُ تَنْمـي ... بِمـا لاقَـتْ لَبـونُ بَنِـي زِيـاد

والشاهد فيه: إثبات الياء مع الجزم، وهذا شاذ لا يقاس عليه، وقد قرأ الحسن وابن شرف: (ولْتطغَى) بسكون اللام وإثبات الألف، وهي قراءة شاذة. انظر: «المحتسب» لابن جني (١/ ٢٢٧).

وثمة بيتٌ آخر يصلح شاهداً، وهو قول عدي بن زيد العبادي كما في «المنتخب من كلام العرب» (٦٩٧):

أَلَمْ يَأتيـكَ أَنَّ أَبـاكَ عَـانٍ ... وَتَقْعُـدَ لَا أُفَـكُّ وَلَا تَصُـولُ

وقد عدَّ المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٨١) هذا القول من العجائب، وزاد في الإعراب قولين آخرين: أن تكون اللام هي لام كي، وهو عطف على المعنى؛ أي: ليغروه ولتصغى، وأن تكون: هي لام القسم، والأصل: لتصغين.

(١) في (ن): «وفصلاً».

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٩/ ٥٠٧).

(١١٥) ـ ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾.

﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ﴾ قيل: هو القرآنُ. وقيل: عِداتُه[١]. وقيل: دِينُه.

﴿صِدْقًا﴾: صادقةً فيما وعدَ.

﴿وَعَدْلًا ﴾ عادلةً فيما حكَمَ.

وقيل: ﴿صِدْقًا﴾ فيما حكاه، ﴿عدلًا﴾ فيما قضاه.

﴿لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾: لا تبديلَ ولا تغييرَ.

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لِمَا يقولون ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بما يُضمِرون.

***

(١١٦) ـ ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾.

﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ يعني: الكفَّارَ. وقيل: الجهَّالَ؛ لأنَّ العلماءَ قليلون. وقيل: أهلُ[٢] الأرضِ أهلُ مكَّة.

﴿يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: دينِه ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾: ما يتَّبعون إلَّا ظنًّا لا يعلمون صحَّته ولا فسادَه فهم شاكُّون ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾: يكذِبون.

قال بعضُ المفسِّرين: وذلك حين جادَلوه في أكلِ الميتةِ وقالوا: تأكلون ما قتلتُم ولا تأكلون ما قتلَ ربُّكُم[٣]؟!

---

(١) في (و): «عذابه».

(٢) «أهل» ليست في (ن).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٥٢). وروي نحو هذا في نزول قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١٢١]، فقد روى أبو داود (٢٨١٩) واللفظ له، والترمذي (٣٠٦٩)، عن ابن عباسٍ، قال: جاءتِ اليهودُ إلى النبيِّ ﷺ، فقالوا: نأكُلُ ممَّا قتَلْنا ولا نأكُلُ ممَّا قتلَ اللهُ؟ فأنزل اللهُ ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ إلى آخر الآية. قال الترمذي: «حديث حسن غريب». =

(١١٧) ـ ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾.

﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾؛ أي: هـو يعلـمُ الكفَّـارَ والمُؤمنيـن.

و﴿مَن﴾ محلُّه نصبٌ بفعلٍ دلَّ عليه ﴿أَعْلَمُ﴾؛ أي: يعلمُ مَن يضِلُّ.

وقيل: محلُّه رفعٌ؛ لأنَّه استفهامٌ.

وقيل: جرٌّ بإضمارِ الباءِ، ودلَّ عليه قولُه: ﴿أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾، ولا يجوزُ أن يكون جرًّا بالإضافةِ، تعالى الله عن ذلك(١).

* * *

(١١٨) ـ ﴿فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴾.

﴿فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ﴾: يُريدُ دونَ ما لم يُذكَرْ ودونَ الميتةِ ﴿إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴾.

أجمعَ المُفسِّرون على أنَّ المُرادَ به: ما ذُكِرَ اسمُ الله على ذَبحِه، إلَّا عطاءً فإنَّه قال: هو عامٌّ في كلِّ مطعومٍ ومشروبٍ ومذبوحٍ(٢).

= ورواه الطبريُّ في «تفسيره» (٩/ ٥٢٢ ـ ٥٢٦) عن ابن عباس وعكرمة وقتادة ومجاهد والضحاك وغيرهم.

(١) لأن الإضافة تفيد التخصيص، والله واسع عليم، وقد فصل المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٨٢) في الإعراب فقال: «قوله: ﴿أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ﴾ لا عمل لقوله: ﴿أَعْلَمُ﴾ في ﴿مَن﴾؛ لأن المعاني لا تعمل في المفعول به، ولا تعلَّق المعاني أيضاً، بل فيه إضمار دل عليه ﴿أَعْلَمُ﴾؛ أي: يعلم، و﴿مَن﴾ في محل نصب، كقوله: ﴿يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ﴾ [البقرة: ٢٢٠]، وقيل: في محل رفع، كقوله: ﴿لِنَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ﴾ [الكهف: ١٢]، وهذا أولى.

الغريب: نصب بنزع الخافض. العجيب: محله جر بالباء؛ لأنها منوية، و﴿بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ يدل عليه».

ويريد بالمعاني هنا صيغة (أفعل)، وهي للتفضيل في الأصل، لكنها تخرج إلى معنى الصفة المشبهة، والصحيح أنها لا تنصب مفعولاً به وإن كانت من فعل متعدٍّ. انظر: «ارتشاف الضرب» لأبي حيان (٥/ ٢٣٢٦).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٥١١).

(١١٩) ـ ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾.

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ الحسَنُ: عَنى به مُشركي العربِ، قال: ومعناه حلالٌ لكم فكلوا[1].

غيرُه: عَنى به المُؤمنين[2]، وهو تأكيدٌ للأوَّلِ[3].

ومعنى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا﴾: أيُّ شيءٍ يتمُّ لكم في أنْ لا تأكلُوا؟

وقيل: ما منَعَكُم ألّا تأكلُوا؟

﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ يعني: فيما سبقَ منَ القرآنِ.

﴿إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾: إلى أكلِه. والاضْطِرارُ: العَوزُ الذي يُخافُ معه التَّلَفُ.

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ وهم الذين جادَلُوا في إحلالِ الميتةِ.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾: الذين يُجاوِزُونَ[4] الحقَّ إلى الباطلِ.

* * *

(١٢٠) ـ ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾.

﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾ ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: اترُكوا معصيةَ الله سرًّا وجهرًا[5].

---

(١) لم أجده.

(٢) وهو المفهوم من كلام الطبري في «تفسيره» (٩/ ٥١٢ ـ ٥١٣) فلينظر ثمة.

(٣) في (ن): «تأكيد للآية الأولى».

(٤) في (ن): «تجاوزوا».

(٥) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٥١٦ ـ ٥١٧) عن قتادة والربيع بن أنس ومجاهد.

غيرُه: الزِّنى في الحوانيتِ واتِّخاذَ الأخدانِ، فإنَّ العربَ لم تكُنْ تستنكِفُ منَ الزِّنى سرًّا.

الزَّجَّاجُ في جماعةٍ: هو عامٌّ في أنواعِ المعاصي(١).

وقيل: ظاهرُه: بالجوارحِ، وباطنُه: بالقلبِ.

والأليقُ بالآيةِ أن يُحمَلَ ظاهرُ الإثمِ وباطنُه على أكلِ الميتةِ وما لم يُذكرِ اسمُ الله عليه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡسِبُونَ ٱلۡإِثۡمَ سَيُجۡزَوۡنَ بِمَا كَانُواْ يَقۡتَرِفُونَ﴾.

***

(١٢١) ـ ﴿وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٞۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ﴾.

﴿وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ﴾ ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: الميتةُ(٢).

غيرُه: ما ذُبِحَ لغيرِ الله منَ الأصنامِ.

وقيل: ما ذبحَه غيرُ مُوحِّدٍ، وأمَّا ذبيحةُ المُسلمِ إذا كانت متروكةَ التَّسميةِ عمدًا فحرامٌ بخلافِ النّاسي(٣)؛ فإنَّ عليًّا وابنَ عباسٍ رضي الله عنهم في جماعةٍ قالوا: لا بأسَ بأكل ما ذُبِحَ ونُسِيَ التَّسميةُ عليه.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٨٧).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٥٢٨).

(٣) وذكر الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ١٦٢) في تحريم أكله ثلاثة أقاويل:

أحدها: لا يحرم سواء تركها عامدًا أو ناسيًا، قاله الحسن والشافعي.

والثاني: يحرم إن تركها عامدًا، ولا يحرم إن تركها ناسيًا، قاله أبو حنيفة.

والثالث: يحرم سواء تركها عامدًا أو ناسيًا، قاله ابن سيرين وداود.

وقال عليٌّ رضيَ الله عنه: هو على الملَّةِ(١).

وقال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: ذِكْرُ الله في قلبه(٢).

وقال: كما لا ينفعُ الاسمُ مع الشِّركِ لا يضُرُّ النِّسيانُ في الإسلامِ(٣).

وذهب بعضُهم إلى أنَّ متروكَ التَّسميةِ عمدًا حلالٌ، فكذلك عندَه النِّسيانُ؛ لِـمَا رُوِيَ عن النَّبيِّ عليه السَّلامُ أنَّه قال: «ذبيحةُ المسلمِ حلالٌ وإنْ نسي ولـم يذكُرِ(٤) اسمَ الله عليه، فإنَّه لو ذكرَ لـم يذكُرْ إلَّا اللهَ»(٥).

وذهبَ بعضُهم إلى أنَّ متروكَ التَّسميةِ عمدًا أو نسيانًا حرامٌ على ظاهرِ الآيةِ.

---

(١) ذكره الجصاص في «أحكام القرآن» (٤/ ١٧١).

(٢) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٤/ ٢٤٧)، والجصاص في «أحكام القرآن» (٤/ ١٧١).

ورواه البيهقي في «السنن الكبرى» (١٨٨٩١) موقوفًا بلفظ: «المسلم فيه اسم الله وإن لم يذكر التسمية»، و(١٨٨٩٠) مرفوعًا بلفظ: «المسلم يكفيه اسمه، فإن نسي أن يسمي حين يذبح فليذكر اسم الله وليأكله»، وأعله البيهقي بالموقوف، وقال ابن حجر في «التلخيص الحبير» (٤/ ٣٣٨): وفي إسناده ضعف... قال البيهقي: الأصح وقفه على ابن عباس، وقد صححه ابن السكن.

وروى الدارقطني في «سننه» (٤/ ٢٩٥)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٨٨٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا بلفظ: «اسم الله على كل مسلم»، وأعلَّاه بمروان بن سالم، وقال البيهقي: وهذا الحديث منكر بهذا الإسناد.

(٣) ذكره الجصاص في «أحكام القرآن» (٤/ ١٧١).

(٤) في (و): «وإن نسي وإن لم يذكر».

(٥) رواه أبو داود في «المراسيل» (٣٧٨)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٨٨٩٥) مرسلاً عن الصلت.

قال ابن القطان في «الوهم والإيهام» (٣/ ٥٧٩): «علته مع الإرسال، هي أن الصلت السدوسي لا تعرف له حال، ولا يعرف بغير هذا، ولا روى عنه إلا ثور بن يزيد». وانظر: «نصب الراية» للزيلعي (٤/ ١٨١).

﴿وَإِنَّهُۥ﴾؛ أي: أكلَه ﴿لَفِسۡقٌ﴾ الحسنُ: كفرٌ[١]، يُريدُ: مع الاستحلالِ.

غيرُه: معصيةٌ.

﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ﴾ بالوسوسةِ ﴿إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ﴾ يعني: الكفَّارَ ﴿لِيُجَٰدِلُوكُمۡ﴾ بقولهم: تأكلون ذبيحتكم وصيدَ البازيِّ والكلبِ وتدَعُون ما قتَلَه الله.

عِكرمةُ: إنَّ الشَّياطينَ أهلُ فارسَ؛ كاتَبُوا أولياءَهُم من قُريشٍ بأنْ حُجُّوا محمَّدًا بتفضيلِه قتيلَ أصحابِه على قتيلِ الله[٢]. فالوحيُ على هذا: الكتابةُ.

﴿وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ﴾ في استحلالِ ما حُرِّمَ من هذه ﴿إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ﴾: كافرون.

* * *

(١٢٢) ـ ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾.

﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ﴾ نزلَتْ في حمزةَ وأبي جهلٍ[٣].

وقيل: في عمرَ وأبي جهلٍ[٤].

وقيل: في عمارِ بنِ ياسرٍ وأبي جهلٍ[٥].

---

(١) ذكره الطبري في «تفسيره» (٩/ ٥٣٠) دون نسبة.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٥٢١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٧٩).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ٢٠٠)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٢٤)، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٥٣٣) عن الضحاك، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٨١) عن زيد بن أسلم.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٥٣٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٨١) عن عكرمة.

وقيل: في رسولِ الله عليه السَّلامُ وأبي جهلٍ[١].

وقيل: عامٌّ في كلِّ مؤمنٍ وكافرٍ؛ شُبِّهَ الكافرُ بالميتِ لأنَّه لا يَنتفِعُ بحياتِه.

﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا﴾ يعني: القرآنَ، وقيل: الإيمانَ والحُجَجَ والبيانَ.

﴿يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ يُقالُ: هو كلُّ فضيلةٍ بين المسلمين. وقيل: يمشي به في القيامةِ.

﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾؛ أي: كَمَن مثَلُه مثَلُ مَن في الظُّلماتِ.

وقيل: (مَثَل) زيادةٌ؛ أي: كمَن هو في الظُّلماتِ: الكفرِ والجهلِ.

﴿لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾: لا يُفارِقُها.

﴿كَذَٰلِكَ﴾؛ أي: كما زُيِّنَ للمُؤمنِ إيمانُه ﴿زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾: زيَّنَ لهم الشَّيطانُ أعمالَهم.

ابنُ بحرٍ: ﴿زُيِّنَ﴾ في مثلِ هذا لا يَحتاجُ إلى فاعلٍ، كـ(أُعجِبَ) و(زُهِيَ) وغيرِ ذلك[٢]؛ أي: حُسِّنَ[٣].

* * *

(١٢٣) ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا﴾: (كذلك) إشارةٌ إلى (الزَّينِ).

---

(١) ذكره مقاتل بن سليمان في «تفسيره» (١/ ٥٨٧).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٨٣)، واستغربه، وانظر: «إتحاف الفاضل بالفعل المبني لغير الفاعل» للصديقي (٢٩ ـ ٦٩).

(٣) «أي حسن»: ليست في (و).

وقيل: إلى المصدرِ[١]؛ أي: كما جعَلْنا بمكَّةَ أكابرَ مُجرميها[٢] جعَلْنا في سائرِ البلادِ أكابرَ المُجرمين.

وأضافَ الأكابرَ إلى ﴿مُجۡرِمِيهَا﴾ لأنَّ (أفعلَ مِن) لا يُجمَعُ إلَّا مع الألفِ واللّامِ أو مع الإضافةِ[٣].

وقوله: ﴿لِيَمۡكُرُواْ فِيهَا﴾ هي لامُ العاقبةِ.

﴿وَمَا يَمۡكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ لعَودِ[٤] الوبالِ إليها، ﴿وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾ أنَّه يعودُ إليها.

وذهب بعضُهم إلى أنَّ تقديرَها: جعلنا مُجرميها أكابرَ. وهذا التَّأويلُ يدفعُه الإعرابُ[٥].

***

(١٢٤) ـ ﴿وَإِذَا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا كَانُواْ يَمۡكُرُونَ﴾.

﴿وَإِذَا جَآءَتۡهُمۡ﴾: أهلَ مكَّةَ ﴿ءَايَةٞ﴾: مُعجِزةٌ، وقيل: ﴿ءَايَةٞ﴾ منَ القرآنِ تأمرُهم بالإيمان.

﴿قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ﴾؛ أي: لن نُصدِّقَك ﴿حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾؛ أي: حتى يُوحَى إلينا ويُؤتَى كلُّ واحدٍ منَّا كتابًا.

---

(١) أي: مصدر الفعل الذي بعدها، وهو: ﴿جَعَلۡنَا﴾.

(٢) في (ن): «المجرمين».

(٣) انظر: «همع الهوامع» للسيوطي (٣/ ٩٥).

(٤) في (و): «يعود».

(٥) وكذا زيفه المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٨٤) فقال: «وهذا زائف، والوجه ما سبق».

وقيل: أرادَ: حتى نُؤتى منَ الكرامةِ والمنزلةِ مثلَهم.

﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ وهو محمَّدٌ عليه السَّلامُ؛ أي: يُرسِلُ مَن يعلَمُ أنَّه يصلُحُ للرِّسالةِ، و﴿حَيْثُ﴾ مفعولٌ به.

﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ﴾: ذُلٌّ، والصَّغارُ في القَدْرِ، والصِّغَرُ في السِّنِّ وغيرِه[١].

﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ في القيامةِ ﴿وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ﴾؛ أي: جزاءً على[٢] مكرِهم.

و﴿عِندَ﴾ صلةُ ﴿صَغَارٌ﴾، وقيل: تقديرُه: من عندِ الله. والوجهُ الأوَّلُ.

***

(١٢٥) ـ ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ﴾: يُعرِّفه طريقَ الإيمانِ ويُوفِّقه له. وقيل: يهديَه لنَيلِ الثَّوابِ.

﴿يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾: يفتَحْه ويُوسِّعْه ويُنوِّرْ قلبه لقَبولِ الإسلامِ[٣].

ورَوى المُفسِّرون عن ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله عليه السَّلامُ سُئلَ عن شرحِ الصُّدورِ[٤] ما هو؟ فقال: «نورٌ يقذِفُه اللهُ في قلبِ المُؤمنِ فينشرحُ له وينفسحُ» قالوا: فهل لذلك من أمارةٍ يُعرَفُ بها؟ فقال: «نعم؛ الإنابةُ إلى دارِ الخلودِ،

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» مادة (ص غ ر) (٨/ ٦٠).

(٢) «على»: ليست في (و).

(٣) في (و): «وينور عليه لقبول الإسلام».

(٤) في (ن): «الصدر».

والتَّجافي عن دارِ الغُرورِ، والاستعدادُ للموتِ قبل نزولِ الموتِ»[١].

﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ﴾ عن هدايتِه ويخذلَه. وقيل: عن نَيلِ الثَّوابِ.

﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا﴾: لا يَنْجَعُ فيه الإيمانُ.

﴿حَرِجًا﴾: أثيمًا. وقيل: شاكًّا. وقيل: مُلتبِسًا[٢].

الفتحُ مصدرٌ والكسرُ[٣] صفةٌ؛ كقَمَنٍ وقَمِنٍ.

﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾: كأنَّه كُلِّفَ الصُّعودَ إليها في البُعدِ والامتناعِ.

وقيل: كأنَّه لا يجدُ منفذًا؛ لضيقِ المسالكِ عليه إلى السَّماءِ[٤].

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٣/ ٣٤)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٣٤٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٠٦٨)، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. وفي إسناده: عدي بن الفضل قال عنه الذهبي: «ساقط».
ورواه عبد الرزاق في «التفسير» (٨٥٢)، وسعيد بن منصور في «سننه» (٩١٨ ـ تفسير)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٣٢٦) عن عبد الله بن المسور عن النبي ﷺ مرسلاً.
وذكر له الدارقطني في «علله» (٥/ ١٨٩) طرقاً ثم قال: وكلها وهم، والصواب عن عمرو بن مرة، عن أبي جعفر عبد الله بن المسور مرسلاً عن النبي ﷺ، وعبد الله بن المسور هذا متروك.

(٢) في (و): «متلبِّسًا».

(٣) قرأ نافع وأبو بكر بكسر الراء والباقون بفتحها. انظر: «السبعة» (ص: ٢٦٨)، و«التيسير» (ص: ١٠٦).

(٤) تكلم بعض العلماء العصريين عن هذه الآية وذكروا أن فيها إعجازًا علميًّا لم يكتشفه المفسرون السابقون، حيث إن الإنسان كلما ارتقى في طبقات الجو العليا تتناقص قدرته على التنفس، فيضيق صدره، وهذا وإن كانت الآية تحتمله لكن كلام المفسرين القدامى في تفسيرهم للآية صحيح أيضاً، أما ما ذهب إليه بعضهم من نسبة العجز لمن تقدم من المفسرين، وأنهم لم يهتدوا لسرها حتى جاء العلم الحديث فكشف معنى الآية، فهو كلام في غير مكانه، فإنهم ـ كما المصنف هنا ـ فسروا الآية واستقام عندهم المعنى، ولا يُنكر أن تكشف الأيام عن معان جديدة للآية؛ لأن القرآن كتاب معجز لا تنتهي عجائبه، كما جاء في وصفه.

﴿كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الحسَنُ: رجاسةُ الكفرِ وقَذارتُه[١]. رَجِسَ يَرْجَسُ مثل: نَجِسَ يَنْجَسُ.

وقيل: العذابُ، وقيل: السَّخَطُ، وقيل: الشَّيطانُ.

الزَّجّاجُ: اللَّعنةُ في الدُّنيا والعذابُ في الآخرةِ[٢].

***

(١٢٦) ـ ﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾.

﴿وَهَٰذَا﴾ يُريدُ ما سبقَ من ذكرِ الإسلامِ والإيمانِ والأحكامِ ﴿صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا﴾؛ أي: الطَّريقُ الذي لا عِوَجَ فيه. وقيل: القرآنُ.

و﴿مُسْتَقِيمًا﴾ حالٌ عن ﴿هذا﴾، ويجوزُ أن يكونَ عن (الصِّراطِ).

﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾.

***

(١٢٧) ـ ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ يُريدُ: الجنَّةَ، و﴿ٱلسَّلَٰمِ﴾: هو الله سُبحانَه، والجنَّةُ دارُه.

وقيل: يُريدُ: السَّلامةَ، فحذَفَ الهاءَ.

وقيل: ﴿ٱلسَّلَٰمِ﴾: التَّحيَّةُ، وسُمِّيت دارَ السَّلامِ لقولِه: ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ [إبراهيم: ٢٣]، و﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ [الأحزاب: ٤٤]، ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾ [الواقعة: ٢٦].

﴿وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾؛ أي: ناصِرُهم ومُعينُهم.

---

(١) لم أجده هكذا، وذكر ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٤٦٢) عن الحسن في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ﴾ [الأحزاب: ٣٣] قال: «الشرك».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٩٠).

(١٢٨) ـ ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ يعني: الإنسَ والجنَّ يومَ القيامةِ ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ﴾؛ أي: فيقولُ: يا معشرَ الجنِّ ﴿قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾؛ أي: من إغوائِهم وإضلالِهم.

﴿وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾ وهم الذين أطاعُوا الجنَّ، اعترفُوا رجاءَ أن ينفعَهم: ﴿رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾؛ أي: الإنسُ بالجنِّ، والجنُّ بالإنسِ.

وقيل: استمتعَ بعضُ الإنسِ ببعضِهم.

وقيل: أمَّا استمتاعُ الجنِّ بالإنسِ فإغواؤُهم إيَّاهُم وإضلالُهم، وأمَّا استمتاعُ الإنسِ بالجنِّ فهو أنَّ العربَ إذا نزلت واديًا أو سلكوا مفازةً استعاذوا بالجنِّ وقالوا: نعوذُ بسيِّدِ هذا الوادي ـ أو هذه المفازةِ ـ من شرِّ سُفهاءِ قومِه.

وكانوا يعتَقدون أنَّ الأرضَ مَلأى[1] جنًّا، وأنَّ مَن لـم يُدخِلْهُ جِنِّيٌّ في جوارِه خبَلَه الآخَرون، وكذلك إذا قتَلوا صيدًا استعاذُوا بهم؛ لأنَّهم يعتَقِدون أنَّ هذه البهائمَ للجِنِّ منها مراكِبُهم.

وقيل: هو ما كانوا يأخُذونَه من الجنِّ من السِّحرِ والكهانةِ والأراجيفِ، واستمتاعُ الجنِّ بالإنسِ أيضًا أنَّهم قالوا: قد سُدْنا الجنَّ والإنسَ حتى عاذُوا بنا، فيزدادون شرفًا في قومِهم وعِظَمًا في أنفُسِهم.

﴿وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا﴾ يعني: الموتَ، وقيل: البعثَ.

﴿قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ﴾: منزلُكم ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾، والأحسَنُ أن يُجعَلَ ﴿مَثْوَىٰكُمْ﴾ مصدرًا؛ لعملِه في الحالِ، وتقديرُه: ذاتُ مَثواكُم[2].

---

(١) في (ن): «ملئ».

(٢) قال المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٨٥): «لا يخلو (مثوى) من أن يكون مصدراً أو مكاناً، فإن =

﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ قيل: منَ الزِّيادةِ على النَّارِ منَ العذابِ والنَّكالِ.

وقيل: سوى ما شاءَ الله.

وقيل: إلا ما شاء اللهُ قبلَ الدُّخولِ.

وعن ابنِ عبَّاسٍ رضيَ الله عنهما أنَّه قال[١]: جعَلَ أمرَهم في مَبلغِ عذابِهم ومُدَّتِهم إلى مشيئةِ الله حتَّى لا يَحكمَ على اللهِ في خلقِه أحدٌ[٢].

والمعنى: لن[٣] ينفعَكم اعتِرافُكم ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾.

***

(١٢٩) ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾؛ أي: كما خَذَلْنا عُصاةَ الجنِّ والإنسِ ﴿نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾. قتادةُ: هو من المُوالاةِ؛ أي: نُتبعُ[٤] بعضَهم بعضًا في النَّارِ[٥].

ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: منَ التَّوليةِ؛ أي: نُسلِّطُ بعضَهم على بعضٍ[٦].

= جعلته مصدراً امتنع أن يكون خبراً عن النار، وإن جعلته ظرفاً امتنع أن يعمل في الحال، والوجه أن يجعل مصدراً ليعمل في الحال، وتضمر (ذات) فيقال: النار ذات مثواكم؛ ليصلح أن يكون خبراً». وقد ذهب الزجاج إلى أنه مكان، ووجهه أن يُضمر فعل ينصب الحال وتقديره: النار مثواكم تثوون خالدين فيها. انظر: «البحر المحيط» (٤/ ٦٤٥).

(١) «قال»: ليست في (ن).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٥٥٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٨٨)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٨٥)، وعدَّه من الغريب العجيب.
وقال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٢/ ٣٤٦): «والإجماع على التخليد الأبدي في الكفار، ولا يصح هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما».

(٣) في (ن): «لم».

(٤) في (و): «يتبع».

(٥) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٨٥٥)، والطبري في «تفسيره» (٩/ ٥٥٨).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٥٥٨) عن قتادة وابن زيد.

كمـا قيـل: إذا فسـدَ الزَّمانُ أُمِّـرَ عليهم شِـرارُهم[١]، وعـن النَّبيِّ عليه السَّـلامُ: «عُمَّالُكـم أعمالُكـم»[٢]، وعنـه عليـه السَّـلامُ: «يقـولُ الله: أنـا اللهُ لا إلـهَ إلَّا أنـا، مالـكُ الملـوكِ، قلوبُهـم ونواصيهـم بيـدي، فمَـنْ أطاعَنـي جعلتُهـم عليـه رحمةً، ومَـن عصانـي جعلتُهـم عليـه نِقْمةً، فلا تشـتغِلُوا بسـبِّ الملـوك، ولكنْ توبـوا إليَّ أُعطِّفْهـم عليكم»[٣].

وقيل: منَ الولايةِ، المؤمنُ وليُّ المؤمنِ حيثُ كان، والكافرُ وليُّ الكافرِ حيثُ كان.

وقيل: معناه: نَكِلُ بعضَهم إلى بعضٍ.

---

(١) روى أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٥٠) عن منصور بن الأسود قال: «سألت الأعمش عن قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ ما سمعتهم يقولون فيه؟ قال: سمعتهم يقولون: إذا فسد الناس أمر عليهم شرارهم».

(٢) لم أقف عليه مرفوعًا. وروى الطبراني عن الحسن البصري أنه سمع رجلاً يدعو على الحجاج، فقال له: لا تفعل، إنكم من أنفسكم أُتيتم، إنما نخاف إنْ عُزل الحجاج أو مات أن يتولى عليكم القردة والخنازير، فقد روي: إنَّ أعمالَكم عمَّالُكم، وكما تكونوا يولَّى عليكم. انظر: «المقاصد الحسنة» (ص: ٥٢٠).

(٣) رواه ابن حبان في «المجروحين» (٣/ ٧٥)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٨٩٦٢)، وتمام في «فوائده» (١/ ٢٦٨) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعاً. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ٢٤٩): «رواه الطبراني في الأوسط، وفيه وهب بن راشد، وهو متروك».

وقال ابن حبان: «وهب بن راشد شيخ يروي عن مالك بن دينار العجائب لا يحل الرواية عنه ولا الاحتجاج به».

ولعل الصواب أنه من قول مالك بن دينار، روى عنه ابن أبي الدنيا في «التوبة» (١٠٣)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٣٧٧)، قال: «قرأت في الحكمة...» وذكره.

وعن كعب قال: «إنا نجد أن الله تعالى قال...» وذكره. رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ١٩).

وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٤٩) وفيه: «ومن الغريب: قال الله تعالى في بعض كتبه» وذكر الخبر.

(١٣٠) ـ ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ﴾.

﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ﴾: يقرؤُون ﴿عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي﴾: كتُبي ﴿وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَا﴾ يعني: يومَ القيامةِ.

الضَّحَّاكُ: بَعَثَ إلى الجنِّ رُسلًا منهم كما بعَثَ إلى الإنسِ رُسلًا منهم[١].

الزَّجَّاجُ والفرَّاءُ في جماعةٍ: رُسلُ الجنِّ منَ الإنسِ[٢].

وقولُه: ﴿رُسُلٞ مِّنكُمۡ﴾ لا يدفعُ هذا التَّأويل؛ فإنَّه غلَّبَ الإنسَ على الجنِّ.

ابنُ عبّاسٍ: رُسلُ الجنِّ هم المُنذِرون، من قولِه: ﴿وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾ [الأحقاف: ٢٩][٣].

﴿قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا﴾ بالجُرمِ والعِصيانِ.

﴿وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا﴾ بحيثُ لا يُمكِنُ التَّلافي والاستدراكُ، يجوزُ أن يكونَ من كلامِهم، ويجوزُ أن يكونَ مُتَّصلًا بما بعدَه.

﴿وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ﴾؛ أي: بمَن أتاهُم منَ الرُّسلِ.

* * *

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٥٦٠)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٨٦)، وعدَّه من العجيب.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٥٤)، و«معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٩٢).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٥٦١)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٨٦)، واستغربه.

(١٣١) ـ ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى إرسالِ الرُّسلِ ﴿أَن لَّمْ﴾ بسببِ أنْ لم ﴿يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ﴾؛ أي: لا يُهلِكُهم ولا يُعذِّبُهم حتَّى يبعثَ إليهم الأنبياءَ ويُعْذِرَ إليهم[١].

وقولُه: ﴿بِظُلْمٍ﴾؛ أي: منَ الله. وقيل: بظُلمِهم.

ومعنى: ﴿غَٰفِلُونَ﴾؛ أي: عن الإعذارِ والإنذارِ.

***

(١٣٢) ـ ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَلِكُلٍّ﴾؛ أي: للمُؤمنِ[٢] والكافرِ ﴿دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾؛ أي: هم مُتفاوتون في الثَّوابِ والعقابِ على قَدْرِ أعمالهم، والجنَّةُ دَرَجاتٌ والنَّارُ دَرَكاتٌ، فغُلِّبَت الدَّرَجاتُ.

وقيل: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾ للمؤمنين خاصَّةً، ثمَّ أوعَدَ الكفَّارَ فقال: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾.

***

(١٣٣) ـ ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾.

﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ﴾ عن العبادِ ﴿ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ بهم ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾: يستأصِلْكُم ﴿وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ﴾ يريدُ: ويُقمْ مكانَكُم غيرَكُم، و﴿ما﴾ بمعنى: مَن.

---

(١) أي: لا يدع لهم موضعاً للاعتذار.

(٢) في (و): «المؤمن».

﴿كَمَآ أَنشَأَكُم﴾؛ أي: خلقَكُم ﴿مِّن ذُرِّيَّةِ قَوۡمٍ ءَاخَرِينَ﴾؛ أي: قرنًا بعد قرنٍ.

وقيل: يَذهبُ بكم ويأتي بخَلْقٍ مخالفٍ لجنسِكم هو أطوعُ للهِ منكم، ولهذا قال: ﴿مَّا يَشَآءُ﴾[1].

* * *

(١٣٤) ـ ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَأٓتٖۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ﴾.

﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَأٓتٖ﴾؛ أي: منَ البَعثِ والحسابِ والثَّوابِ والعقابِ لَكائنٌ لا محالةَ.

﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ﴾: بفائتين، وتقديرُه: لا تُعجِزون طالبَكم.

* * *

(١٣٥) ـ ﴿قُلۡ يَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَامِلٞۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

﴿قُلۡ يَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَامِلٞ﴾ هذا أمرُ تهديدٍ[2] ووَعيدٍ، ومثلُه: ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ﴾ [الكهف: ٢٩].

والمعنى: ﴿ٱعۡمَلُواْ﴾ فعملُكم عائدٌ عليكم بالوَبالِ ﴿إِنِّي عَامِلٞ﴾ بخلافِ عملِكُم.

وقيل: ﴿ٱعۡمَلُواْ﴾ في أمري؛ ﴿إِنِّي عَامِلٞ﴾ في أمرِكم.

وقولُه: ﴿عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ﴾: على قَدْرِ منزلَتِكم، من قولِ العربِ: مَكُنَ مَكانةً فهو مَكينٌ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٨٦)، واستغربه.

(٢) في (و): «وتهديد».

ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: ناحيَتِكُم[١].

أبو عبيدةَ: على حِيالِكُم[٢].

الزَّجّاجُ وابنُ عيسى: طريقَتِكُم[٣].

الكلبيُّ: منازِلِكُم[٤].

وقيل: على تُؤَدةٍ وتثَبُّتٍ.

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾ أي: سيظهرُ[٥] أيُّنا أحسنُ عمَلًا.

و﴿مَن﴾ بمعنى: الذي، ومحلُّه نصبٌ كقولِه: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ [البقرة: ٢٢٠]، ويجوزُ أن يكونَ استفهامًا ومحلُّه رفعٌ كقولِه: ﴿لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ﴾ [الكهف: ١٢].

والعاقبةُ: مصدرٌ[٦]، والمرادُ بها الجنَّةُ.

﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾: لا يفوزُ[٧]، عِكرمةُ: لا يبقَون في الثَّوابِ[٨].

* * *

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٥٦٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٩٠).

(٢) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٢٠٦)، وفيه: «أي: على حيالكم وناحيتكم».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٩٣) وفيه: «المعنى: اعملوا على تمكنكم. ويجوز أن يكون المعنى: اعملوا على ما أنتم عليه، ويقال للرجل إذا أمرته أن يثبت على حال: على مكانتك يا فلان، أي: اثبت على ما أنت عليه».

ونقل الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ١٠٥) عن ابن عيسى قوله: «على تمكنكم».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ٢٢١).

(٥) في (ن): «فسنظهر».

(٦) قال الأزهري: «وقد جاءت مصادر كثيرة على فاعله». انظر: «تهذيب اللغة» (٣/ ١٤١)، و«شرح شافية ابن الحاجب» لركن الدين الاستراباذي (١/ ٣٠٧).

(٧) في (ن): «لا يفوزون».

(٨) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ٢٢٢).

(١٣٦) - ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾.

﴿وَجَعَلُوا۟﴾ يعني: قُريشًا ومُشركي العربِ ﴿لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ﴾: خلَقَ وأظهرَ ﴿مِنَ ٱلْحَرْثِ﴾: الزَّرعِ ﴿وَٱلْأَنْعَٰمِ﴾: الإبلِ وغيرِها ﴿نَصِيبًا﴾: حظًّا، يُريدُ: وللأصنامِ نصيبًا، فاكتفى بما دلَّ عليه قولُه: ﴿فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ﴾.

اختلفَتْ عباراتُ المُفسِّرين عن هذا النَّصيبِ، ومحصولُ كلامِهم: أنَّ الكفَّارَ جعلوا للضِّيفانِ والمساكينِ في حُروثِهم وأنعامِهم نصيبًا، ونسَبُوه إلى الله سُبحانَه، وجعلوا للأوثانِ نصيبًا يُنفِقونَه ويصرِفُونَه إلى وُجوهٍ عيَّنوها لها، ثم جعَلُوا الأرجحَ الأجودَ للأصنامِ، والأخسَّ الأرذَلَ لله، وقصَّروا في نصيبِ الضِّيفانِ والمساكينِ بعد توفيرِهم نصيبَ الأوثانِ عليها، وإنْ وقعَ في نصيبِ الأوثانِ خلَلٌ أو احتاجَتْ[1] إلى زيادةٍ صُرِفَ من نصيبِ الله إليها، وإنْ وقعَ فيما نسَبُوه إلى الله خلَلٌ لم يُصرَفْ إليه من نصيبِ الأوثانِ.

ثم ذمَّ صنيعَهم فقال: ﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾.

* * *

(١) في (ن): «واحتاجت».

(١٣٧) ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾؛ أي: كما زيَّنَ لهم الشَّيطانُ عبادةَ الأوثانِ وبَخْسَ حقِّ الله ﴿زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ﴾: البناتِ بالوَأْدِ مخافةَ الفقرِ والعارِ، والبنينَ بالنُّذورِ عندَ قضاءِ الحاجاتِ ﴿شُرَكَآؤُهُمْ﴾: شياطينُ الجنِّ؛ لأنَّهم شارَكُوهم في الكفرِ وزيَّنُوا بالوسوسةِ لهم ذلك.

وقيل: ﴿شُرَكَآؤُهُمْ﴾: قومٌ كانوا يخدُمون الأوثانَ.

وقراءةُ ابنِ عامرٍ: ﴿زُيِّنَ﴾ بضمِّ الزاي و﴿قتلُ﴾ رَفعٌ ﴿أولادَهم﴾ نصبٌ ﴿شركائِهم﴾ جرٌّ[1]، وإنْ ضَعُفَت في العربيَّةِ للإحالةِ بين المُضافِ والمُضافِ إليه؛ فقويَّةٌ في الرِّوايةِ عاليةٌ[2].

﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾: ليُهلِكُوهُم بالعذابِ، واللَّامُ لامُ العاقبةِ، وقيل: هي لامُ (كي).

﴿وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾؛ أي: ليُغطُّوا عليهم دينَهم الذي يجبُ أن يتديَّنُوا به.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾ بسَلْبِ قُدرتِهم على ذلك، ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾؛ أي: دَعْهُم وما هم فيه.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٢٧٠)، و«التيسير» (ص: ١٠٧).

(٢) ومن أشد المتكلمين فيها الزمخشري، انظر كلامه مع الرد عليه في طبعة دار اللباب من «الكشاف».

وجاء في هامش (ن): «ابن عامر من القراء السبعة، وهو شامي، وفي مصحف الشام مكتوب كما يقرأ ابن عامر، وهو من جملة المصاحف الخمسة المعتمد عليها».

(١٣٨) - ﴿وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾.

﴿وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ﴾ يعني: ذبائحَ الأوثانِ. وقيل: البَحيرةُ وأخواتُها ﴿وَحَرْثٌ﴾: هو ما جعلوه للأوثانِ ﴿حِجْرٌ﴾: حرامٌ، وأصلُه: المنعُ ﴿لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ﴾ يُريدُ: الرِّجالَ دونَ النِّساءِ. وقيل: مَن يخدُمُ الأوثانَ والأصنامَ ﴿بِزَعْمِهِمْ﴾؛ أي: لا حجّةَ لهم على ذلك، وقيل: بكذبِهم.

قال شُرَيحٌ: لكلِّ شيءٍ كنايةٌ، وكنايةُ الكذبِ الزَّعْمُ[١].

﴿وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾ يعني: السَّائبَ والحاميَ.

﴿وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا﴾ مُجاهدٌ: كانت لهم طائفةٌ منَ الأنعامِ لا يذكرونَ اسمَ الله عليها؛ لا حالةَ الذَّبحِ، ولا حالةَ الحلبِ والبيعِ والرَّحلِ[٢].

عاصمٌ عن أبي وائلٍ: هو ما لـم يُحجَّ عليه[٣].

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ٢٢٤) بلفظ: «إن لكل شيء كنية، وكنية الكذب: زعموا».

ورواه ابن سعد في «الطبقات» (٦/ ١٤١)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٥٧٩٦) بلفظ: «زعموا كنية الكذب».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٥٨٣) بلفظ: «كان من إبلهم طائفة لا يذكرون اسم الله عليها، ولا في شيء من شأنها، لا إن ركبوها، ولا إن حلبوا، ولا إن حملوا، ولا إن منحوا، ولا إن عملوا شيئًا».

ووقع في (ن): «... لإحالةِ الذبح ولإحالةِ الحلب...»، وفي (و): «... لإحالةِ الذبح وإحالة الحلب...»، هكذا وقع فيهما بهذا الرسم والضبط، والمثبت هو الموافق لما في الخبر.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٥٨٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٩٤).

غيرُهما: هو ما لم يُذكَرِ اسمُ الله على ذَبحِه(١).

﴿ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ﴾ مصدرٌ وقعَ موقعَ الحالِ؛ أي: مُفترين؛ لأنَّهم زعَموا أنَّ اللهَ أمرَهم بذلك. وقيل: افترَوا بتركِهم التَّسميةَ ﴿سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾.

***

(١٣٩) ـ ﴿وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ قيل: الأجِنَّةُ. وقيل: اللَّبنُ. وقيل: هما جميعًا.

﴿خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا﴾؛ أي: هي للذُّكورِ خاصَّةً.

وتأنيثُ ﴿خَالِصَةٌ﴾ لتأنيثِ معنى ﴿مَا﴾ لأنَّها للأجنَّةِ، وتذكيرُه للَفظِه.

وقيل: هي مصدرٌ كالعاقبةِ(٢)، قال:

كُنْتَ أميني وكنْتَ خَالِصتِي وليسَ كلُّ امرئٍ بمُؤتَمَنِ(٣)

وقيل: للمُبالغةِ في الخُلوصِ.

﴿وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ﴾؛ أي: خرَجَ ميتًا زالَ عنه التَّحريمُ، فحلَّتْ للرِّجالِ والنِّساءِ.

---

(١) في (و): «عليه».

(٢) رجح المصنف هذا الوجه في «غرائب التفسير» (١/ ٣٨٨) فقال: «وهذا أظهر».

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ٢٣١)، والواحدي في «البسيط» (٨/ ٤٦٥)، والسمين الحلبي في «الدر المصون» (٥/ ١٨٣). وجاء في «البسيط»: (أمنيتي) بدل (أميني).

﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾: هو كقوله: ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ﴾ [النحل: ٦٢]، وتقديرُه: بوَصفِهم، فحُذِفَ الجارُّ. وقيل: جزاءَ وَصْفِهم، فحُذِفَ المُضافُ. ﴿إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾.

* * *

(١٤٠) - ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا۟ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّوا۟ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾.

﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَٰدَهُمْ﴾ بالوَأْدِ والنَّذرِ ﴿سَفَهًۢا﴾: جهْلًا وخِفَّةَ عقلٍ. وهو مصدرٌ وقعَ موقعَ الحالِ. وقيل: نصبٌ على المصدرِ؛ أي: سَفِهُوا سَفَهًا. وقيل: نصبٌ على العلَّة، وفيه بعدٌ.

﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾؛ أي: بغيرِ علمِ أنَّ اللهَ أمرَهُم به.

﴿وَحَرَّمُوا۟ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ﴾؛ أي: البَحيرةَ وأخواتِها ﴿ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ﴾؛ أي: كذَبوا في نسبةِ التَّحريمِ إلى الله ﴿قَدْ ضَلُّوا۟ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾ إلى الصَّوابِ.

* * *

(١٤١) - ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ﴾: خلَقَ ابتداءً ﴿جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ﴾: مرفوعاتٍ على ما يحملُها كالكرمِ وما يُشبِهُه؛ أي: من شأنِها أنْ تُعرَشَ.

﴿وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ﴾: النَّخلَ وما يُشبِهُه[1].

---

(١) في (ن): «يشبهها».

وقيل: المعروشاتُ: ما يُرفَعُ بعضُ أغصانِها على بعضٍ.

ابنُ عبَّاسٍ: المعروشاتُ: ما غرس[1] النَّاسُ، وغيرُ المعروشاتِ: ما خرجَ في البرِّ والجبالِ منَ الأشجارِ والثِّمارِ[2].

وقيل: ﴿مَّعْرُوشَٰتٍ﴾: ما حولَها حائطٌ ﴿وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ﴾: ما لا حائطَ حولَها.

﴿وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا﴾ حالٌ مُقدَّرٌ، كقولِه: معه صقرٌ صائدًا به غدًا[3].

﴿أُكُلُهُۥ﴾: ثمرُه، والهاءُ تعودُ إلى الزَّرعِ.

وقيل: أُكُلُ ذلك، وقيل: أُكُلُ كلِّ واحدٍ منها[4].

﴿وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾ قيل: مُتشابهٌ في اللَّونِ، غيرُ مُتشابهٍ في الطَّعمِ؛ كالحلوِ والحامضِ والمرِّ منَ الرُّمانِ.

وقيل: أنواعٌ تَشتبِهُ طُعومُها، وأنواعٌ تختلفُ طُعومُها.

وقيل: المُتشابهُ: ما كان من جنسٍ واحدٍ، وغيرُ المُتشابهِ: ما اختلفَ جنسُه وثمرُه.

---

(١) في (و): «المعروشات: ما حولها ما غرز».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٥٩٣).

(٣) تسمى الحال المقدرة؛ لأنها لا تقارن الفعل في الوقوع؛ كقوله تعالى: ﴿وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا﴾، وكما تقول: «خِطْ هذا الثوبَ قمِيصاً»، لأن الجَبَل لا يكون بيتاً في حال النَّحت، كذا الثوبُ لا يكون قميصاً في حال الخياطةِ، فقوله: «صائداً به غدًا»؛ أي: مقدَّراً به الصيد غدًا، وكذا كل حال مقدرة. انظر: «الكتاب» (٢/ ٥٢). و«الكشاف» تفسير الآية (٧٤) من الأعراف، والآية (٤٥) من سورة الأحزاب.

(٤) ذكر هذين القولين المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٨٩)، واستغربهما.

﴿كُلُوا مِن ثَمَرِهِ﴾: من ثمرِ كلِّ واحدٍ من ذلك ﴿إِذَا أَثْمَرَ﴾، هذه رُخصةٌ للمالكِ أن يأكُلَ عند إدراكِه وقبلَ[1] إخراجِ حقِّ الله منه.

﴿وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾؛ أي: حقَّ الله، وفيه خمسةُ أقوالٍ:

سعيدُ بنُ جُبيرٍ: منسوخةٌ بالزَّكاةِ[2].

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: نُسِخَتْ بالعُشْرِ ونصفِ العُشْرِ[3].

أنسُ بنُ مالكٍ والحسَنُ: هي الزَّكاةُ المفروضةُ[4].

سُفيانُ: هو أن يدَعَ المساكينَ يتَّبعون أثَرَ الحصَّادين، فما سقطَ منَ المِنجَلِ أخذوه[5]، ويُكرَهُ حَصادُ اللَّيلِ لهذا.

وقيل: هذا نَدْبٌ.

و﴿يَوْمَ حَصَادِهِ﴾: يومَ قطعِه وجُذاذِه.

---

(١) في (ن): «قبل».

(٢) رواه أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» (٤١)، والطبري في «تفسيره» (٩/ ٦٠٨).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٠٤٧٢)، و(١٠٤٨٧)، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٤٢٠)، وورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه فسر الحق هنا بالعشر ونصف العشر ولم يذكر النسخ ـ وهو موافق للقول الآتي عن أنس والحسن ـ رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٥٩٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٣٩٨).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٥٩٥)، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٤٢١) عن أنس بن مالك والحسن، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٣٩٨) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٥) روي نحوه عن مجاهد، رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٨٦٠) ولفظه: «يتركهم يتبعون آثار الصرام»، ورواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٦٠٣) بعدة روايات.

وقيل: ﴿يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾: يومَ كيلِه.

﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾ بإشراكِ الآلهةِ في الحرثِ.

وقيل: لا تُسرِفُوا في الأكلِ قبل إخراجِ حقِّ الله.

وقيل: لا تُسرِفُوا فتُنفِقُوا في معصيةِ الله.

وقيل: لا تُسرِفُوا فتَتَجاوَزُوا قَدْرَ المفروضِ، وأنَّها نزلَتْ في مُعاذِ بنِ جبلٍ: جدَّ نخلَه، فلم يزَلْ يتصدَّقُ حتَّى لم يبقَ منه شيءٌ، فنزلَتْ: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾[1].

***

(١٤٢) ـ ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾.

﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾: هي كبارُ الإبلِ التي يُحمَلُ عليها، والفَرْشُ: صِغارُها.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: الحَمُولةُ: ما حُمِلَ عليه من الإبلِ والبقرِ، والفَرْشُ: الغَنَمُ[2].

والإِفراشُ: الإضجاعُ للذَّبحِ.

ابنُ جريرٍ: الفرشُ منَ الأنعامِ: ما قَرُبَتْ جثَّتُه منَ الأرضِ[3].

---

(١) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٧٢٦٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٣٩٩) عن ابن جريج.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٦٢١) بلفظ: «فأما الحمولة: فالإبل والخيل والبغال والحمير، وكل شيء يحمل عليه، وأما الفرش: فالغنم». وكذا رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٠٠ ـ ١٤٠١) (٧٩٧٢) و(٧٩٧٦) مفرقاً.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٩/ ٦٢٢)، وفيه: «الفرش إنما هو صفة لما لطف فقرب من الأرض جسمه، =

وقيل: الحَمولةُ: الإبلُ والخيلُ والبغلُ والحميرُ والبقرُ، والفرشُ: ما اتُّخِذَ من أصوافِها وجُلودِها(١).

﴿كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾؛ أي: كلوا ما أَحلَّ اللهُ(٢) لكم منها، ولا تُحرِّموها كفعلِ الجاهليَّةِ.

* * *

(١٤٣) - ﴿ثَمَـٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾.

﴿ثَمَـٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾: أفرادٍ، والزَّوجُ: ما معه آخرُ من جنسِه، ويُقالُ لمجموعِهما: زَوجٌ، وللمُفردِ: زوجٌ؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ منهما زوجٌ للآخرِ.

ونصبُ ﴿ثَمَـٰنِيَةَ﴾ على البدلِ منَ الحمولةِ والفرشِ، أو تقديرُه: أنشأنا ثمانيةَ أزواجٍ(٣).

﴿مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ الضَّأْنُ: ذَواتُ الصُّوفِ والألايا، والضَّأْنُ جمعٌ، واحدُها: ضائنٌ، وقيل: ضائنةٌ.

وقيل: إنَّها جمعٌ لا واحدَ لها من لفظِها، وتُجمَعُ على «ضَئينٍ» كعَبيدٍ وكَليبٍ.

= فيقال له: الفرش. وأحسبها سميت بذلك تمثيلاً لها في استواء أسنانها ولطفها بالفرش من الأرض، وهي الأرض المستوية التي يتوطؤها الناس»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٨٩)، واستغربه.

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٨٩)، وعدَّه من العجائب.

(٢) اسم الجلالة «الله»: ليس في (و).

(٣) ذكر المصنف القولين في «غرائب التفسير» (١/ ٣٨٩) وقال: «والقولان واحد»، ويريد: أنهما واحد في المعنى، أما في الإعراب فاختلافهما واضح؛ فالأول بدل كما ذكر، والثاني مفعول به لفعل محذوف، والله أعلم.

﴿وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ﴾ هي ذَواتُ الشَّعرِ، واحدُها: ماعزٌ، ومَن فتحَ العينَ[١] جعلَه كحارِسٍ وحَرَسٍ، وطالبٍ وطَلَبٍ، وجاء فيها: المِعْزَى والأُمْعُوزُ والمَعيزُ، وكلُّها جمعٌ[٢].

﴿قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ هذا جوابٌ لمَن[٣] قالوا: ﴿مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا﴾ [الأنعام: ١٣٩].

وقيل: نزلَتْ في مالكِ بنِ عَوفٍ وأصحابِه[٤].

والمعنى: قُلْ لهم: أحرَّمَ الله الذُّكورَ أم حرَّمَ الإناثَ؟ أم حرَّم جميعَ ما في الأرحامِ؟ ولو كانَ تحريمُه من جهةِ الله لكانَ عامًّا في نوعِه كتحريمِ البناتِ والأخواتِ والرِّبا والزِّنى، ولم يكُنْ مخصوصًا في بعضٍ دونَ بعضٍ، ولا في عامٍ دون عامٍ، وعلى قومٍ دون قومٍ، كما يزعُمون، وإذا لم يكُنْ هذا على منهاجِ سائرِ المُحرَّمات ظهرَ كذبُكُم على الله وافتراؤُكُم.

﴿نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾؛ أي: أخبِروني بما علِمتُم به أنَّ هذا من جهةِ الله سُبحانَه.

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بفتح العين، والباقون بإسكانها. انظر: «السبعة» (ص: ٢٧١)، و«التيسير» (ص: ١٠٨).

(٢) بين هذه الألفاظ اختلاف في الدلالة رغم دلالتها على الجمع، وذكر عن أُبيٍّ رضي الله عنه أنها قرأها: (من المعزى)، وهي قراءة شاذة. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٣٦)، و«جمهرة اللغة» مادة: (م ع ز) (٢/ ٨١٧).

(٣) في (و): «لما».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ٢٤٤)، وفيه أن مالك بن عوف جادل النبي ﷺ في مخالفته لهم في تحريمهم البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي، في خبر طويل.

(١٤٤) ـ ﴿وَمِنَ ٱلۡإِبِلِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَاۚ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿وَمِنَ ٱلۡإِبِلِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا﴾؛ أي: أم شاهدتُموه فسمِعتُم يُوصي بهذا التَّحريمِ إذ كنتُم لا تؤمنون بنبيٍّ.

﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا﴾ يُريدُ علماءَهُم وكُبراءَهُم.

وقيل: يُريدُ عمرَو بنَ لُحيٍّ؛ فإنَّه غيَّر دينَ إبراهيمَ عليه السَّلامُ وسَنَّ هذا التَّحريمَ.

﴿لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ﴾: العوامَّ ﴿بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

* * *

(١٤٥) ـ ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾.

﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾؛ أي: في القرآنِ[1] ﴿مُحَرَّمًا﴾: حيوانًا حُرِّمَ أكلُه ﴿عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ﴾: آكلٍ يأكلُه ﴿إِلَّآ أَن يَكُونَ﴾ المُحرَّمُ ﴿مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ فَإِنَّهُۥ﴾؛ أي: فإنَّ الخنزيرَ، وقيل: فإنَّ اللَّحمَ ﴿رِجۡسٌ﴾: مُنتِنٌ قَذِرٌ ﴿أَوۡ فِسۡقًا﴾؛ أي: مذبوحَ فِسقٍ، فحُذِفَ المُضافُ.

---

(١) في (و): «اليوم أي القرآن».

و﴿فِسۡقًا﴾ نصبٌ بالعطفِ على ما قبلَه، وقولُه: ﴿فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ﴾ جرَى مَجرى الوصفِ[١]، وقيل: أو ما أُهِلَّ به لغيرِ الله فِسقًا[٢].

﴿أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾؛ أي: ذُبِحَ على اسمِ الصَّنمِ.

اختلفَت الأئمَّةُ في هذه الآيةِ على خمسةِ أقوالٍ:

الأوَّلُ: أنَّها منسوخةٌ، وأنَّ (المائدةَ) نزلت بعدَها، وفيها النَّاسخةُ. وهذا ضعيفٌ؛ لأنَّ قولَه: ﴿لَّآ أَجِدُ﴾ خبرٌ، والخبرُ لا يدخلُه النَّسخُ[٣].

الثَّاني: أنَّها مُحكَمةٌ، وليس شيءٌ من الحيوانِ بمُحرَّمٍ إلَّا ما فيها. وهذا مذهبُ مالكٍ، وليس هذا المأخوذَ به في المذهبَين[٤].

والثَّالثُ: أنَّ المُحرَّماتِ داخلةٌ فيها؛ لأنَّ التَّذكيةَ إنَّما تُؤخَذُ توقيفًا، وكلُّ ما لم يُؤخَذْ[٥] تذكيَتُه بالتَّوقيفِ فهو ميتةٌ داخلٌ في الآيةِ، فالشَّرعُ أباحَ لك أكلَ السَّمكِ بغيرِ ذكاةٍ، ولا يجوزُ غيرُه؛ لأنَّه لم يُجِزْهُ النَّبيُّ عليه السَّلامُ.

---

(١) ولم يرتض المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٨٩) هذا القول، فقال بعد أن نقله عن الجمهور: وفيه نظر؛ لأن قوله: ﴿أَن يَكُونَ مَيۡتَةً﴾ من الموصولات، ولا يحال بين صلة الموصول وما يعطف عليها بأجنبي.

(٢) أي: ﴿فِسۡقًا﴾ منصوب على أنه مفعولٌ مِن أجْله مُقدَّمٌ على العامل فيه وهو ﴿أُهِلَّ﴾ كقوله:

طَرِبْتُ وما شوقًا إلى البِيضِ أَطْرَبُ

وفَصَل به بين ﴿أَوۡ﴾ و﴿أُهِلَّ﴾ بالمفعولِ له، ويكونُ ﴿أَوۡ أُهِلَّ﴾ معطوفًا على ﴿يَكُونَ﴾، قاله الزمخشري، ولم يرتضه أبو حيان لما فيه من التكلف كما قال. انظر: «الكشاف» (٢/ ٧٥)، و«البحر المحيط» (٤/ ٦٧٦).

(٣) انظر: «الإشراف» لابن المنذر (٨/ ١٣٥).

(٤) انظر: «الجامع لمسائل المدونة» (٥/ ٧٨٤)، و«شرح مختصر الطحاوي» (٨/ ٧٦)، و«أسنى المطالب» (١/ ٥٦٣).

(٥) في (ن): «يوجد».

الرّابعُ: ما صحَّ تحريمُه عن النَّبيِّ عليه السَّلامُ داخلٌ في الاستثناءِ.

الخامسُ: أنَّ الآيةَ جوابٌ لِمَا سألوا، وثَمَّ محرَّماتٌ لم يَسألوا عنها.

﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ سبقَ في (البقرةِ).

* * *

(١٤٦) - ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٖۖ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ وَٱلۡغَنَمِ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتۡ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلۡحَوَايَآ أَوۡ مَا ٱخۡتَلَطَ بِعَظۡمٖۚ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِبَغۡيِهِمۡۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾.

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا﴾؛ أي: حرَّمْنا عليهم في أيَّامِ موسى عليه السَّلامُ عقوبةً لهم ﴿كُلَّ ذِي ظُفُرٖ﴾ يريدُ: ما ليس بمُفرَّجِ الأصابعِ مشقوقِها كالإبلِ والنَّعامِ والبطِّ، وجميعُ أنواعِ السِّباعِ كالسَّنانيرِ والكلابِ وما يَصطادُ بظُفُرِه منَ الطَّيرِ داخلٌ فيه.

وقيل: كلُّ ذي مِخلبٍ منَ الطَّيرِ وكلُّ ذي حافرٍ من الدَّواب، وسُمِّي الحافرُ ظفرًا مجازًا.

﴿وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ وَٱلۡغَنَمِ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ شُحُومَهُمَآ﴾ يريدُ: الثُّروبَ[1]، وقيل: كلُّ شحمٍ لم يختلطْ بلحمٍ ولا عظمٍ. وقيل: شحمُ الكليتَينِ.

﴿إِلَّا مَا حَمَلَتۡ ظُهُورُهُمَآ﴾ يريدُ: شحمَ الجَنْبِ وما علِقَ بالظَّهرِ من خارجٍ، وقيل: من داخلٍ.

﴿أَوِ ٱلۡحَوَايَآ﴾: هي ما يتحوَّى في البطنِ؛ أي: يجتمعُ ويستديرُ، ويُسمَّى[2]

---

(١) الثروب: جمع ثرب؛ شحم رقيق يغشي الكرش والأمعاء. انظر: «تهذيب اللغة» مادة (ث ر ب) (١٥/ ٥٩).

(٢) في (و): «وسمي».

بناتِ اللَّبَنِ. وقيل: هي المباعرُ. واحدتُها: حاويةٌ. وقيل: واحدتُها: حاوِياءُ؛ كقاصِعاء وقواصِعَ. وقيل: حَوِيَّةٌ؛ كسَفينةٍ وسَفائنَ.

﴿أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾: قيل: هي الأَلْيةُ لاتِّصالِـها بالعُصْعُصِ. وقيل: المُخُّ.

وقيل: فيها تقديمٌ، والتَّقديرُ: حرَّمْنا عليهم شُحومَهما، أو الحوايا، أو ما اختلطَ بعظمٍ إلَّا ما حملَتْ ظُهورُهما. و(أو) للتَّخييرِ.

﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: التَّحريمُ ﴿جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ﴾: بظُلمِهم ومُخالفتِهم أنبياءَهُم. الحسَنُ: بكُفرِهم[1].

﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ فيما أخبَرْنا به.

* * *

(١٤٧) ـ ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾.

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ﴾ يا محمَّدُ ﴿فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ﴾: لا يُعجِّلُ بالعقوبةِ ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ أي: يُمهِلُ ولا يُهمِلُ.

* * *

(١٤٨) ـ ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾.

﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ﴾ في الآيةِ أعظَمُ مُعجزةٍ لرسولِ الله عليه السَّلامُ؛ لأنَّه أخبرَ عنهم قبلَ قولِهم، فكان كما أخبرَ[2].

---

(١) لم أجده.

(٢) بعدها في (و): «عنهم قبل قولهم».

وعطفَ ﴿ءَابَآؤُنَا﴾ على الضَّميرِ المتصلِ، وعَدَّ (لا) حائلًا.

المعنى: رضِيَ منَّا ومن آبائِنا الشِّركَ، وأرادَ منَّا تحريمَ ما حرَّمناه.

وقيل: معناه: لو شاءَ الله أنْ لا يُفعلَ لحالَ بينَنا وبينَه.

﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ ذهب بعضُ المُفسِّرين إلى أنَّ هذا ليس بجوابٍ لهم؛ لأنَّه مُشدَّدٌ؛ أي: كذَّبكَ قومُك فيما أخبرْتَهم به كذلك كذَّبَ الأممُ السَّالفةُ أنبياءَهُم.

وذهب بعضُهم إلى أنَّه جوابٌ؛ لأنَّهم كذَبوا في هذا، وكذَّبوا بهذا رسولَ الله ﷺ؛ لأنَّهم قالوا: أرادَ الله منَّا أن نُشرِكَ ورضيَ به.

وقيل: قالوا هذا القولَ تعنُّتًا واستهزاءً، ولو قالوا تيقُّنًا واعتقادًا كان إيمانًا.

وقولُه: ﴿حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَا﴾؛ أي: عذابَنا.

﴿قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ﴾: بيانٍ لدعوتِكُم ﴿فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآ﴾: فتُظهِروه.

﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾؛ أي: ما تتَّبِعون إلا ظنًّا لا يُؤدِّي إلى علمٍ، ﴿وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ﴾: تكذِبونَ على الله[1].

***

(١٤٩) ـ ﴿قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾.

﴿قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُ﴾ لأنَّ ما احتجَجْتُم به باطلٌ، وإذا بطلَتْ حُجَّتُكم غلبَتْ حُجَّةُ الله وعلَتْ[2]، وهي ما احتجَّ بها على الكافرين في الآيةِ الأولى وفي سائرِ الآياتِ.

والحُجَّةُ: ما تَثْبُتُ به صِحَّةُ دَعوى المُدَّعي.

---

(١) «على الله»: ليست في (و).

(٢) في (ن): «علت حجة الله وغلبت».

والبالغةُ: التي بلغَتْ النِّهايةَ في التَّصحيحِ والبيانِ.

﴿فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾: هدايةَ إلجاءٍ واضطرارٍ.

* * *

(١٥٠) - ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَاۖ فَإِن شَهِدُواْ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾.

﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا﴾؛ أي: ائتُوني بمَن يشهدُ لكم على صِحَّةِ دَعوتِكم أنَّ اللهَ حرَّمَ الحرثَ والأنعامَ.

وقيل: هلُمَّ شهادتكُم.

﴿فَإِن شَهِدُواْ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾؛ أي: شهادتُهم غيرُ مقبولةٍ؛ لأنَّهم يشهدون لأنفُسِهم حيثُ كانوا على دينٍ واحدٍ واعتقادٍ واحدٍ.

والمعنى: إنِ اقتَصَروا على قولهم وشهادتِهم فخالِفْهم في ذلك.

و(هلُمَّ): يأتي مبنيًّا على الفتحِ، يستوي معه الواحدُ والجمعُ، والتَّأنيثُ والتَّذكيرُ، وقد يجري مَجرى سائرِ الأفعالِ، فيُقالُ: هلُمَّا، وهلُمُّوا، وهلُمِّي، وهَلْمُمْنَ[(١)].

وأصلُه: (ها) و(لُمَّ).

قال الكوفيون: أصلُها: (هَلْ) و(أُمَّ)[(٢)].

ويكونُ مُتعدِّيًا كما في الآيةِ، وبمعنى: تعالَوا، كقولِه: ﴿هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ [الأحزاب: ١٨].

﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ وإنْ أقرُّوا بالآخرةِ كأهلِ الكتابِ

---

(١) بناؤه لغة أصل الحجاز، وإجزاؤه لغة أهل نجد. انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٢٠٨)، و«إصلاح المنطق» (ص: ٢٠٨)، و«المقتضب» (٣/ ٢٥).

(٢) انظر: «الخصائص» (٣/ ٣٧)، و«معاني القرآن» للنحاس (٢/ ٥١٤)، و«الإنصاف» للأنباري (١/ ٢٧٩ و٢٨٢).

﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ كعبدةِ الأوثانِ ﴿وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾: يجعلُونَ له عِدْلًا[١]، وهو المِثلُ.

* * *

(١٥١) - ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

﴿قُلْ﴾ يا محمَّدُ للَّذين حرَّموا الحرثَ والأنعامَ: ﴿تَعَالَوْا﴾: احضُروا ﴿أَتْلُ﴾: أقرأ ﴿مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ﴾: ما الذي[٢] حرَّمَ، ومحلُّه نصبٌ بـ ﴿أَتْلُ﴾.

وقيل: نصبٌ بـ ﴿حَرَّمَ﴾، و﴿أَتْلُ﴾ بمعنى: أَقُلْ[٣].

وقولُه: ﴿عَلَيْكُمْ﴾ مِن صلةِ ﴿حَرَّمَ﴾، وقيل: استئنافٌ للإغراءِ، ويحتملُ أن يكونَ صلةَ ﴿أَتْلُ﴾.

وقولُه: ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ بدلٌ من ﴿مَا﴾، ومحلُّه نصبٌ.

الزَّجَّاجُ: لأنْ لا، ومحلُّه خفضٌ[٤].

---

(١) في (ن): «عديلاً».

(٢) في (ن): «ما الذي».

(٣) وعليه تكون ﴿مَا﴾ استفهامية في موضع نصب على المفعولية لـ﴿حَرَّمَ﴾، والجملة مفعول ﴿أَتْلُ﴾ لأن التلاوة من باب القول، فيصح أن تعمل في الجملة بناء على المذهب الكوفي من أنه تُحكى الجملة بكل ما تضمن معنى القول، وغيرهم يقدر في ذلك قائلاً ونحوَه، والمعنى هنا على الاستفهام: تعالوا أقلْ لكم وأبينْ جوابَ: أيَّ شيءٍ حرَّم ربُّكم. انظر: «روح المعاني» (٤/ ٢٩٧).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٣٠٤)، وفيه: «﴿أَلَّا تُشْرِكُوا﴾ منصوبة بمعنى طرح اللام؛ أي: =

وقيل: رفعٌ؛ أي: ذلك أنْ لا تُشرِكُوا.

وقيل: ﴿تُشْرِكُوا۟﴾ جزمٌ إذا حُمِلَتْ على النَّهيِ، ونَصبٌ إذا أُعمِلَتْ (أَنْ)، وكذلك ما بعدها.

وقيل: (أنْ) هاهنا هي المُفسِّرةُ بمعنى: (أي).

وقيل: (لا) صلةٌ، والمعنى: لا تُشرِكُوا مع الله في العبادةِ والطّاعةِ غيرَ الله.

﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾؛ أي: أوصيكُم بالوالدَين إحسانًا.

وقيل: أحسِنُوا بالوالدَين إحسانًا، فحُذِفَ؛ لأنَّ المصدرَ دلَّ عليه.

والمعنى: عقوقُهما حرامٌ والبرُّ بهما والإحسانُ إليهما فرضٌ.

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ﴾: فقرٍ بكم ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ والإملاقُ: الفقرُ يحملُ صاحبَه على الخضوعِ.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾؛ أي: الزِّنا سرًّا وجهرًا.

وقيل: ﴿مَا ظَهَرَ﴾ بالجوارحِ ﴿وَمَا بَطَنَ﴾ بالنِّيّةِ.

وقيل: الآثامُ كلُّها فواحشُ منهيٌّ عنها ظاهرُها وباطنُها.

و﴿مَا ظَهَرَ ... وَمَا بَطَنَ﴾ بدلٌ من ﴿ٱلْفَوَٰحِشَ﴾.

﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾: القوَدُ بالنَّفسِ الحرامِ، والزِّنى بعد الإحصانِ، والكفرُ بعد الإيمانِ.

= أبين لكم الحرام لئلا تشركوا به شيئًا؛ لأنهم إذا حرموا ما أحل الله فقد جعلوا غير الله ـ في القبول منه ـ بمنزلة الله جل وعز، فصاروا بذلك مشركين». ولم يرتض هذا الوجه الآلوسي، في «روح المعاني» (٤/ ٣٠١)، وقد ارتضاه معربو القرآن الكريم، وأجازه، وذكر ابن هشام في «مغني اللبيب» (ص: ٣٠) سبعة وجوه في إعرابها، فلتنظر ثمة.

﴿ذَٰلِكُمْ﴾؛ أي: ما ذُكِرَ مُفصَّلًا ﴿وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾: وصَّاكُم ربُّكُم بحفظِه ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: لتصيروا منَ الرَّاشدين.

***

(١٥٢) - ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾: يُريدُ: التِّجارةَ وتثميرَ مالِه. الزَّجَّاجُ: ركوبَ دابَّته واستخدامَ خادمِه[1]، وقد سبقَ.

﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾: ثماني عشرةَ سنةً، وقيل: إذا احتلَمَ، وقيل: يبلُغَ الحِنْثَ، وقيل: ثلاثينَ سنةً.

جمع شِدَّةٍ؛ كنِعْمَةٍ وأَنْعُمٍ، وقيل: جمع شَدٍّ، نحو: فَلْسٍ وأفْلُسٍ، وقيل: هو واحدٌ كالآنُكِ[2].

﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ﴾: أوفوهما بالعدلِ تامًّا، و(الميزانُ) مصدرٌ كالكيلِ[3].

﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾؛ أي: إذا توخَّيْتُم الإيفاءَ فلا تُؤاخَذون بما ليس في وُسْعِكُم بالتَّعديلِ على أقلِّ التَّقليلِ، فإنَّه يصعُبُ خُصوصًا في الكيلِ.

---

(١) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» (٢/ ٣٠٥) عن بعضهم، ثم قال: «وليس في الظاهر أن هذا هو المراد، وإنما التي هي أحسن: حفظ ماله عليه، وتثميره بما وجد إليه السبيل».

(٢) الأول قول سيبويه، والثاني قول الكسائي، والثالث قول أبي عبيدة. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ١٩٧)، و«الأضداد» للأنباري (ص: ٢٢٣).

(٣) ويمكن أن يكون (الميزان) آلة الوزن، و(الكيل) مصدر أطلق على الآلة كالمكيال. انظر: «البحر المحيط» (٤/ ٦٦٦).

﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾؛ أي: إذا حكَمْتُم بينَ النَّاسِ وتكلَّمتُم فقولوا الحقَّ.

وقيل: تجنَّبوا الزِّيادةَ والنُّقصانَ.

وقيل: لا تَحيفُوا وإن كانَ المقولُ فيه قريبًا لكم.

﴿وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْ﴾: هو ما عُهِدَ إليكم من تأديةِ أحكامِ الشَّرعِ.

وقيل: النُّذورُ والحَلِفُ.

﴿ذَٰلِكُمْ﴾؛ أي: ما تقدَّمَ ﴿وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾: تتَّعِظون.

* * *

(١٥٣) ـ ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

﴿وَأَنَّ هَٰذَا﴾؛ أي: ما سبَقَ في السورةِ؛ لأنَّها كلَّها في التَّوحيدِ وأدلَّةِ النُّبوَّةِ وإثباتِ الدِّينِ.

وقيل: الإشارةُ إلى هذه الآياتِ؛ لأنَّها المُحْكَماتُ التي لم تُنْسَخْ في ملَّةٍ منَ المِلَلِ.

وقيل: هو القرآنُ.

﴿صِرَٰطِى﴾: طريقي الذي يُؤدِّي سالكَه إليَّ لا عِوَجَ فيه ﴿مُسْتَقِيمًا﴾ حالٌ.

﴿فَٱتَّبِعُوهُ﴾: اعملوا بمُوجَبه ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ﴾: الكتبَ المُتقدِّمةَ والشرائعَ المنسوخةَ. وقيل: البِدعَ والشُّبهاتِ.

﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾: تُزيلكم عن الإسلامِ وتُبعِدكم[1] عن القرآنِ.

---

(١) في (و): «وتقعدكم».

﴿ذَٰلِكُمْ﴾؛ أي: الاتِّباعُ ﴿وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾: أمرَكُم بلُزومِه ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾: لتكونوا على رجاءِ إصابةِ التَّقوى.

* * *

(١٥٤) ـ ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾: (ثـمَّ) لتراخـي الإخبـارِ؛ أي: ثمَّ أخبرَكُـم أنَّا آتينا موسـى الكتابَ[1].

وقيل: ثمَّ قُلْ: آتَينا موسى.

وقيل: (ثمَّ) مع الجملةِ تأتي بمعنى الواوِ، كقولِ الشّاعرِ:

إنَّ مَـن سـادَ ثـمَّ سـادَ أبُـوه ... ثمَّ قـد سـادَ بعـد ذلكَ جَـدُّه[2]

﴿تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ﴾ قيـل: الفعـلُ مسـندٌ إلى ضميـرِ (الذي)، وهـو واقعٌ موقـعَ الجمـعِ؛ أي: علـى الذيـنَ أحسَـنُوا، وهم الأنبيـاءُ عليهـم السَّـلامُ[3]، كقولِ الشّاعرِ:

وإنَّ الـذي حانَـتْ بفَلْـجٍ دِماؤُهـم ... هُمُ القَـومُ كلُّ القَـومِ يـا أُمَّ خالِـدِ[4]

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٩٢) واستغربه.

(٢) البيت لأبي نواس من قصيدة مدح بها إبراهيم بن عبيد الله الحجبي. انظر: «ديوانه» (ص: ١٢٢)، و«الأزمنة والأمكنة» للمرزوقي (ص: ٣٦)، و«الهداية» لمكي بن أبي طالب (٣/ ١٩٥٩)، وروايته في هذه المصادر: (قل لمن ساد...). والبيت لم يرد في النسخة (ن).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٩٣)، واستغربه.

(٤) البيت للأشهب بن رميلة، وهو في «الكتاب» (١/ ١٨٧)، و«مجاز القرآن» (٢/ ١٩٠)، و«معاني القرآن» للأخفش (١/ ٩١)، و«المقتضب» (٤/ ١٤٦).

وقيل: الفعلُ لله؛ أي: تمامًا على الذي أحسَنَ اللهُ إلى موسى عليه السَّلامُ(١).

وقيل: الفعلُ لموسى؛ أي: تمامًا على الذي أحسَنَ موسى من قيامِه بأمرِنا ونَهيِنا.

وقيل: أحسَنَ موسى؛ أي: علِمَ.

وقيل: الفعلُ لإبراهيمَ عليه السَّلامُ(٢).

وجوَّزَ الكوفيون أن تكونَ ﴿أَحْسَنَ﴾ اسمًا في محلِّ جرٍّ صفةٍ لـ(الذي)(٣). وهذا خطأٌ عند البصريِّين.

وقُرِئَ: (أحسَنُ)(٤)؛ أي: هو أحسَنُ.

وقيل: ﴿ٱلَّذِىٓ﴾ بمعنى: ما؛ أي: على إحسانِه، وفيه بُعدٌ أيضًا(٥).

﴿وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾؛ أي: بيانًا لكلِّ ما يحتاجُونَ إليه في دينِهم ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم﴾؛ أي: بني إسرائيلَ ﴿بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ بالثَّوابِ والعقابِ والبعثِ والحسابِ.

***

(١) انظر: «روح المعاني» (٤/ ٢٩٧)، ونسب هذا القول للجبائي، وعدَّه خلاف الظاهر.
وذكر نحو هذا القول ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٢/ ٣٦٤) والتقدير عنده: ﴿تَمَامًا﴾؛ أي: تفضلاً وإكمالاً على الذي أحسن الله فيه إلى عباده من النبوَّات والنعم وغير ذلك.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٩٣)، وعدَّه من العجائب.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٩٣)، وعدَّه من العجائب.

(٤) قراءة شاذة نسبت لابن يعمر. انظر: «المحتسب» (١/ ٢٣٤)، و«شواذ القراءات» لشمس القراء الكرماني (ص: ١٨١).

(٥) والذي على هذا الوجه موصول حرفي يؤول مع ما بعده بمصدر، وقد ذكر هذا الوجه الفراء في «معاني القرآن» (١/ ٣٦٥)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٩٣)، وعدَّه من العجائب.

(١٥٥) ـ ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

﴿وَهَٰذَا﴾ يعني: القرآن ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾: كثيرُ الخيرِ ﴿فَٱتَّبِعُوهُ﴾؛ أي: اعمَلُوا بما فيه، ﴿وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾؛ أي: بعد الاتِّباعِ.

* * *

(١٥٦) ـ ﴿أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ﴾.

﴿أَن تَقُولُوٓا۟﴾؛ أي: أنزَلْنا القرآنَ كراهةَ أنْ تقولوا، أو: لئلَّا تقولوا.

وقيل: لعلَّكم تتَّقون أنْ تقولوا يا أهلَ مكَّةَ[1]:

﴿إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا﴾: اليهود والنَّصارى، وخُصَّا بالذِّكْرِ لحصولِـهما بينَ أظهُرِهم، وهذا يدلُّ على أنَّ المجوسَ ليسوا بأهلِ كتابٍ.

﴿وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ﴾: ما نَدري ما هي وما معنى كتُبِهم.

* * *

(١٥٧) ـ ﴿أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ﴾.

﴿أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾: أصوبَ دينًا، وقيل: أشدَّ اهتداءً.

والأحسَنُ أن يُجعَلَ من الهدايةِ؛ لأنَّه لا يهدي[2] إلا مُهتَدٍ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٩٣)، واستغربه.

(٢) في (و): «لا يهتدي».

﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾: حُجَّةٌ واضِحةٌ بالغةٌ(١) تعرِفُونَها ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ لمن عمِلَ بها.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ﴾؛ أي: النَّبيَّ عليه السَّلامُ ﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: بردِّ آياتِ الله ﴿وَصَدَفَ﴾: أعرَضَ ﴿عَنْهَا سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ﴾: يُعرِضُون ﴿عَنْ ءَايَٰتِنَا﴾ غيرَ مُتفكِّرين فيها ﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾: شدَّتَه ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ﴾: بإعراضِهم.

و(صدَفَ) لازمٌ ومُتعدٍّ، والآيةُ تحتمِلُهما إذا قدَّرْتَ مفعولًا(٢).

* * *

(١٥٨) - ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾؛ أي: ما ينتظرُ أهلُ مكّةَ، والنَّظرُ إذا لم يكُنْ مُقيَّدًا بـ(إلى) كان انتِظارًا، ولم يكونوا مُنتَظرين لذلك في الحقيقةِ، ولكن يُقالُ لِمَا سيَلحَقُ لا محالةَ: إنَّه ينتظرُه؛ أي: يلحقُه لحوقَ المنتظِرِ.

﴿إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ لقبضِ أرواحِهم، وقيل: بالعذابِ.

﴿أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ﴾ يعني: عذابُه، أو إهلاكُه، أو أمرُه، فحُذِفَ لأنَّ التَّهديدَ دلَّ عليه.

والإتيانُ الذي هو انتقالٌ لا يجوزُ على الله تعالى(٣).

---

(١) في (ن): «بليغة».

(٢) يأتي (صدف) لازماً بمعنى: أعرض، ويأتي متعدياً بمعنى: صدَّ، والآية تحتمل أن تكون بمعنى: أعرض هو عن الآيات، أو بمعنى صدَّ غيرَه عن الآيات والله أعلم. انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٤/ ٦٩٧).

(٣) في (و): «والإتيان هو انتقال، ولا يجوز على الله تعالى».

﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ يعني: أشراطَ السّاعةِ.

ورُوِيَ عـن حُذيفـةَ والبراءِ بنِ عـازبٍ رضي الله عنهما قالا: كنَّا نتذاكرُ السَّـاعةَ إذ أشـرَفَ علينـا رسـولُ الله ﷺ، فقال: «ما تذاكَـرون؟» قلنا: نتَذاكرُ السّـاعةَ، فقال: «إنَّهـا لا تقـومُ حتَّـى تـرَوا قبلَها عشـرَ أمـاراتٍ: الدُّخـانَ، ودابَّـةَ الأرضِ، وخسـفًا بالمشـرقِ، وخسـفًا بالمغـربِ، وخسـفًا بجزيـرةِ العـربِ، والدَّجَّـالَ، ويأجـوجَ ومأجـوجَ، ونـارًا تخـرجُ مـن قعـرِ عـدن، ونُـزولَ عيسـى عليـه السَّـلامُ، وطلـوعَ الشَّـمسِ من مغربِهـا»[1].

﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾:

قيل: ذلك إذا ظهرَتْ أُولى الآياتِ.

وقيل: إذا خرجتِ الآياتُ كلُّها؛ لأنَّه يُغلَقُ بابُ التَّوبةِ.

ورُوِيَ أنَّ النَّبيَّ[2] عليه السَّلامُ قال يومًا لأصحابِه: «بادِرُوا بالعملِ الصَّالحِ قبل أن يُغلَقَ بابُ التَّوبةِ بطُلوعِ الشَّمسِ من مغربِها» قالوا: يا رسولَ الله، كيفَ يكونُ ذلك؟ قال: «إنَّ الشَّمسَ إذا غربَتْ صارَتْ إلى تحتِ العرشِ فخرَّتْ ساجدةً إلى أن يُقالَ لها: ارتَفِعي واطلُعي من مطلعِكِ، فإذا أرادَ الله قيامَ السَّاعةِ لا يُقالُ لها كما كان يُقالُ لها[3]، فيطولُ اللَّيلُ على النَّاسِ، فيقعُ الفزَعُ، ثمَّ يُقالُ لها: اطلُعي وارتفِعي من

---

(١) هكذا ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ٢٧٤) عن حذيفة والبراء، ورواه مسلم (٢٩٠١) من حديث حذيفة بن أسيد رضي الله عنه.

(٢) في (ن): «رسول الله».

(٣) «لها»: ليست في (ن).

مغرِبك، فتطلُعُ من المغربِ مع القمرِ مُقرَّنَينِ[(١)] كبعيرَين مقرونَينِ، فبعدَ ذلك لا ينفعُ نفسًا إيمانُها ولا عملُها بالصَّالحاتِ»[(٢)].

---

(١) في (ن): «مقرونين».

(٢) كـذا ذكـر المصنف هـذا الحديث بالمعنى، وهـو مجموع من عـدة روايات بعضهـا مرفوع والآخر موقوف:

فقد روى بعضه بنحوه البخاري (٣١٩٩)، ومسلم (١٥٩)، عن أبي ذر رضي الله عنه، ولفظ مسلم ـ وهو أقرب إلى سياق المصنف ـ: «أن النبي ﷺ قال يومًا: أتدرون أين تذهب هذه الشمس؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: إن هذه تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش، فتخر ساجدة، فلا تزال كذلك حتى يقال لها: ارتفعي، ارجعي من حيث جئت، فترجع فتصبح طالعة من مطلعها، ثم تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش، فتخر ساجدة، ولا تزال كذلك حتى يقال لها: ارتفعي، ارجعي من حيث جئت، فترجع فتصبح طالعة من مطلعها، ثم تجري لا يستنكر الناس منها شيئاً حتى تنتهي إلى مستقرها ذاك تحت العرش، فيقال لها: ارتفعي أصبحي طالعة من مغربك، فتصبح طالعة من مغربها»، فقال رسول الله ﷺ: أتدرون متى ذاكم؟ ذاك حين ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾.

وروى نحوه الإمام أحمد في «المسند» (٦٨٨١)، وعبد بن حميد في «مسنده» (٣٢٦) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

ورواه مختصرًا البخاري (٤٦٣٥)، ومسلم (١٥٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه، ولفظ البخاري: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا رآها الناس آمن من عليها، فذاك حين: ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾».

وقـوله: «فتطلع مـن المغرب مـع القمر مقرنين كبعيرين مقرونين»: رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٢٣) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «﴿يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا﴾ قال: طلوع الشمس من مغربها مع القمر، كأنهما بعيران مقرونان».

وقوله في أول الحديث: «بادروا بالعمل الصالح قبل أن يغلقَ باب التوبة بطلوع الشمس من مغربها» روى الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٢١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٢٨) عن ابن =

قولُه: ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ قيل: إخلاصًا، وقيل: طاعةً، وقيل: توبةً.

وقولُه: ﴿لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾ دليلٌ لمَن قال: إنَّ الإيمانَ لا يُشترَطُ في صِحَّتِه إلى العملِ.

وقولُه: ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ دليلٌ على أنَّ العملَ معَ الإيمانِ مشروطٌ[1].

و﴿أَوْ﴾ يدلُّ على صِحَّةِ القولَين.

﴿قُلِ انتَظِرُوٓا۟﴾ إحدى هذه الآياتِ الثَّلاثِ[2] ﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ ثوابَه وكرامَتَه.

وقيل: ﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ بكُم إحداها.

وقيل: ﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ هلاكَكُم ومَوتَكُم، فانتَظِروا هلاكي ومَوتي.

* * *

= عباس رضي الله عنهما قال: «خرج رسول الله ﷺ عشية من العشيات، فقال لهم: يا عباد الله، توبوا إلى الله، فإنكم توشكون أن تروا الشمس من قبل المغرب، فإذا فعلت ذلك حبست التوبة وطوي العمل وختم الإيمان».

(١) وهذا مذهب المعتزلة، استدلوا بقوله: ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ على أن الإيمان لا ينفع مع عدم كسب الخير، قال ابن المنير في «الانتصاف» (٢/ ٨٢) في سياق رده على الزمخشري: «إن هذا الكلام اشتمل على النوع المعروف من علم البيان والبلاغة باللف، وأصل الكلام: يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً لم تكن مؤمنة قبلُ إيمانُها بعدُ، ولا نفساً لم تكسبْ في إيمانها خيراً قبلُ ما تكسبه من الخير بعدُ، إلا أنه لفَّ الكلامين فجعلهما كلاماً واحداً بلاغة واختصاراً وإعجازاً».

قال: «ويظهر بذلك أنها لا تخالف مذهب الحق، فإنا نقول: لا ينفع بعد ظهور الآيات اكتساب الخير وإن نفع الإيمان المتقدم في السلامة من الخلود، فهذا بأن يدل على رد الاعتزال أجدر من أن يدل له».

(٢) في (و): «أي: إحدى آياتٍ ثلاثٍ».

(١٥٩) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾؛ أي: آمنوا ببعضٍ وكفروا ببعضٍ.

و﴿فارقوا﴾[٣] معناه: بايَنُوا وخرَجُوا عنه.

﴿وَكَانُوا شِيَعًا﴾: فِرقًا يَدِينُ بعضُهم بخلافِ ما يَدِينُ به البعضُ، فتهوَّدَ بعضٌ وتنصَّرَ بعضٌ[٤]، وكان دينُ الله دينَ إبراهيمَ عليه السَّلامُ.

وقيل: هم أهلُ البِدَعِ من هذه الأمَّةِ.

وقيل: هم اليهودُ والنَّصارى اختَلَفُوا فيما بينَهم.

الحسَنُ: جميعُ المُشركين[٥].

وأصلُه من (شاعَ وذاعَ). وقيل: أصلُه من (شيَّعْتُه)؛ أي: اتَّبعْتُه.

﴿لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾؛ أي: أنتَ بريءٌ منهم، قال:

إذا حاوَلْتَ في أَسَدٍ فُجُورًا فإنِّي لسْتُ منكَ ولسْتَ منِّي[٦]

وقيل: هو نَهيٌ عن قتالِهم، ثمَّ نُسِخَ بآيةِ السَّيفِ.

وقيل: ليس عليك من جِنايتِهم ضررٌ.

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ﴾؛ أي: يتولَّى جزاءَهُم ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾؛ أي: يُعاقِبُهم.

---

(٣) هذه قراءة حمزة والكسائي. انظر: «السبعة» (ص: ٢٧٤)، و«التيسير» (ص: ١٠٨).

(٤) في (ن): «فتهود قوم وتنصر قوم».

(٥) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ١٩٢)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٢/ ٩٦).

(٦) البيت للنابغة الذبياني. انظر: «ديوانه» ت: حمدو طماس (ص: ١٢٣)، و«الكتاب» (٤/ ١٨٦)، و«النكت والعيون» (٢/ ١٩٣).

(١٦٠) - ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: الحسنةُ: قولُ: لا إلهَ إلّا الله، والسَّيِّئةُ: الشِّركُ(١).

غيرُه: الحسنةُ عامٌّ في كلِّ طاعةٍ يأتيها المؤمنُ.

والحسنةُ: الفَعْلةُ الواحدةُ، وتقعُ على الإيمانِ الذي يضُمُّ جميعَ الطّاعاتِ.

وقولُه: ﴿فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ قيل: يُكتَبُ بالواحدة(٢) عشرَ حسناتٍ.

رُوِيَ عن أبي هُريرةَ رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ عليه السَّلامُ قال: «مَن صامَ رمضانَ وأتبعَه بسِتٍّ من شوّالٍ فقد صامَ السَّنةَ كلَّها، فاحسُبُوا إن شِئتُم»(٣).

وقيل: عشرٌ منَ النَّعيمِ(٤).

وقيل: المُرادُ بالعَشرِ: التَّضعيفُ، لا العددُ المعلومُ لمحدودٍ، كما يقالُ: إنْ أسدَيْتَ إليَّ معروفًا كافأْتُكَ عَشْرًا.

وقيل: العَشرُ لبعضِ الطَّاعاتِ كما سبقَ.

وقيل: لبعضِ المُطيعين؛ فإنَّ عمرَ رضي الله عنه قال: نزلَتْ هذه الآيةُ في الأعرابِ وضُعَفاءِ المُهاجرين(٥).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤١).

(٢) في (و): «الواحدة».

(٣) رواه البزار في «مسنده» (٨٣٣٤)، وأبو عوانة في «مستخرجه» (٢٧٠٢)، وليس فيه عندهما: «فاحسبوا إن شئتم». وكذا رواه مسلم (١١٦٤) من حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه دون تلك الجملة، ولم أقف عليها.

(٤) في (و): «النعم».

(٥) لم أجده بهذا اللفظ، ولم أجده عن عمر، لكن روى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٣٢) عن =

وقيل: مَن جاء بالإيمانِ فقد جاء بعشرِ حسناتٍ، وهي المذكورةُ في قولِه: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥] الآية.

وقولُه: ﴿أَمْثَالِهَا﴾؛ أي: في كونِها حسنةً.

وقيل: المُرادُ به المُجانسةُ؛ أي: من أَحْسَنَ أُحْسِنَ إليه.

وأَنَّثَ عَشْرًا لأنَّ الأمثال مُضافةٌ[1] إلى مؤنَّثٍ.

وقيل: تقديرُه: فله عشرُ حسناتٍ أمثالها، فحُذِفَ الموصوفُ.

وعن سُفيانَ الثَّوريِّ رحمَه الله قال: لمّا نزلَ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ قال النَّبيُّ عليه السَّلامُ: «ربِّ زِدْني» فنزلَتْ: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ﴾ [البقرة: ٢٦١] الآية، قال: «ربِّ زِدْني» فنزلَتْ: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: ٢٤٥] الآية، قال: «ربِّ زِدْ أُمَّتي» فنزلَتْ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠][2].

= ابن عمر رضي الله عنه قال: «نزلت هذه الآية: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ في الأعراب، والأضاعف للمهاجرين».

وروى الطبري في «تفسيره» (٧/ ٣٦)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٧١٠) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «نزلت في الأعراب: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾، فقال رجل: فما للمهاجرين يا أبا عبد الرحمن؟ قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾، وإذا قال الله عز وجل لشيء: عظيم، فهو عظيم».

قال الطبري: يعني: من جاء بالحسنة من أعراب المؤمنين فله عشر أمثالها، ومن جاء بالحسنة من مهاجريهم يضاعف له ويؤته الله من لدنه أجراً؛ يعني: يعطه من عنده أجراً عظيماً.

(١) في (و): «لأنه مضاف».

(٢) رواه ابن المنذر كما في «العجاب» (١/ ٦٠٦)، و«الدر المنثور» (١/ ٧٤٧). وروى نحوه =

والسَّيِّئةُ: الكفرُ، وجَزاؤُها النَّارُ، وقيل: عامٌّ كالحسنةِ.

والمُرادُ بـ ﴿مِثْلَهَا﴾: أنَّها تسوءُ كالسَّيئةِ.

﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: لا يُنقَصونَ من حسناتِهم، ولا يُزادُ في سيِّئاتِهم.

* * *

(١٦١) ـ ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾؛ أي: دلَّني وأرشدَني إلى دينٍ مُستقيمٍ، ليس فيه شِعْبٌ يُخافُ[(١)] منه الضَّلالُ، وهو دينُ إبراهيمَ عليه السَّلامُ.

﴿دِينًا﴾ بدلٌ من الصِّراطِ على المعنى، تقولُ: هُدِيتُ الطَّريقَ، وإلى الطَّريقِ.

وقيل: محمولٌ على المعنى؛ أي: عرَّفَني دِينًا.

﴿قِيَمًا﴾: قائمًا، فِعَلٌ للمُبالغةِ، وقيل: مصدرٌ كالشِّبَعِ.

﴿مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾: شريعةَ إبراهيمَ، مُشتقَّةٌ من الإملالِ؛ لأنَّها تبْتَني على مكتوبٍ ومسموعٍ، وقيل: منَ الملَّةِ لتأثيرِها.

نصبُها[(٢)] على البدلِ.

﴿حَنِيفًا﴾: مائلًا عن الأديانِ كلِّها[(٣)]. وقيل: مُستقيمًا، وقد سبقَ.

﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

= ابن حبان في «صحيحه» (٤٦٤٨) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥/ ٢٥)، وليس فيه آية الأنعام.

(١) في (و): «نخاف». الشِّعب: الطريق في الجبل والشَّعْب: الصَّدْع، والسياق يحتمل هذين المعنيين، لكن والأول أولى. انظر: «القاموس» (مادة: ش ع ب).

(٢) في (ن): «وقيل نصبها».

(٣) «كلها»: ليست في (ن).

(١٦٢) ـ ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي﴾ يُريدُ: ذاتَ الرُّكوعِ والسُّجودِ.

﴿وَنُسُكِي﴾: عبادتي، وقيل: دِيني، وقيل: قُرباني.

﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾: حياتي ومَوتي لله، وهو مُدبِّري في الحالتَين.

وقيل: عملي في حياتي وما أُوصي به بعدَ مماتي.

﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ مالكِهم.

* * *

(١٦٣) ـ ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾.

﴿لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ في العالمين. وقيل: لا شريكَ له في المذكورِ أوَّلُ.

﴿وَبِذَلِكَ﴾؛ أي: بذلك القولِ ﴿أُمِرْتُ﴾ وقيل: بالإخلاصِ.

﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ من أمَّتي. وقيل: أوَّلُ مَن استحقَّ هذا الاسمَ.

* * *

(١٦٤) ـ ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾.

﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا﴾: أطلُبُ ربًّا ﴿وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾: خالقُ كلِّ شيءٍ، فلا تصِحُّ الرُّبوبيةُ لمربوبِه.

وهذا استفهامٌ بمعنى التَّوبيخِ، وجوابٌ لمن دَعَوه إلى عبادةِ الأوثانِ[١].

﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ هذا كقولِه: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦].

---

(١) في (ن): «الأصنام».

ويحتملُ أنَّ التَّقديرَ: ولا تكسبُ كلُّ نفسٍ إلا لها وعليها(١).

وقولُه: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ جوابٌ للوليدِ بنِ المُغيرةِ حينَ قال: وَلْنَحْمِلْ خطاياكُم(٢).

﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ﴾؛ أي: في القيامةِ ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾: يُبيِّنُ الرُّشدَ منَ الغيِّ عيانًا.

* * *

(١٦٥) - ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾؛ أي: سكَّانَ الأرضِ بدلَ الجِنِّ.

وقيل: خلائفُ الأرضِ أمَّةُ محمَّدٍ عليه السَّلامُ.

وقيل: يخلُفُ بعضُكم بعضًا، ويخلُفُ أهلُ(٣) كلِّ عصرٍ مَن كانَ قبلَه.

﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ في النَّسبِ والحسَبِ، والفقرِ والغِنى، والذُّلِّ والعِزِّ، وغيرِ ذلك.

﴿لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾: ليختبرَكم ويختبِرَ شُكرَكُم وصبرَكُم، والله عالمٌ بما يكونُ منكم، والمعنى: يُعامِلُكم مُعاملةَ المُبتَلي.

﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ لأنَّ ما هو آتٍ قريبٌ، ومثلُه: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النحل: ٧٧].

---

(١) في (و): «إلا عليها».

(٢) ذكره مكي بن أبي طالب في «الهداية» (٦/ ٤١٦٢)، والواحدي في «البسيط» (٨/ ٥٦٤)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ١٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) في (ن): «في أهل».

ابنُ بحرٍ: معناه إذا شاءَ عاقَبَ(١).

وقيل: معناه: يُسرِّعُ عقابَ مَن استحقَّه.

﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لمَن استغفرَ وتابَ.

وقيل: سريعُ العقابِ لأعدائِه، غفورٌ رحيمٌ لأوليائِه.

تمَّ الربعُ الأوَّلُ من هذا التَّفسيرِ المُباركِ

والحمدُ لله على نِعَمِه، والصَّلاةُ على نبيِّ الرَّحمةِ سيِّدِنا محمَّدٍ وعلى آلِه وصحبِه. ربِّ اختِمْ بالخيرِ برحمتِكَ(٢).

* * *

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ١٩٧).

(٢) من قوله: «تم الربع الأول» إلى قوله: «رب اختم بالخير برحمتك»: ليست في (ن).

سُورَةُ الأَعْرَافِ

سورة الأعراف

مئتانِ وخمسُ آياتٍ، مكيّةٌ

قال محمودُ بنُ نصرٍ رحمه الله[1]: قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: هي مكيَّةٌ إلَّا خمسَ آياتٍ، من قوله: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾ [الأعراف: ١٦٣][2].

وقيل: كلُّها مكيَّةٌ.

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

(١) ـ ﴿الٓمٓصٓ﴾.

﴿الٓمٓصٓ﴾ سبقَ الكلامُ في الحروفِ الواقعةِ أوائلَ السُّوَرِ على العمومِ.

---

(١) من قوله: «مئتان» إلى هنا: ليست في (و).

(٢) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٢/ ٢٠٠).

قال ابن الجوزي: وروى العوفي وابن أبي طلحة وأبو صالح عن ابن عباس أن سورة الأعراف من المكّيّ، وهذا قول الحسن ومجاهد وعكرمة وعطاء وجابر بن زيد وقتادة.

قلت: رواه عن ابن عباس ابن الضريس في «فضائل القرآن» (ص: ٢٣)، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٤٤٥). وروي أيضاً عن عبد الله بن الزبير رواه ابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٣/ ٤١٢).

وفي «البيان في عد آي القرآن» للداني (ص: ١٥٥): عن قتادة: مكية إلَّا قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ الآيةَ فإنها نزلت بالمدينة.

وفي «تفسير مقاتل» (٢/ ٢٧ ـ ٢٨): مكيَّةٌ غيرَ ثمانِ آياتٍ: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ إلى: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا﴾ [الآية: ١٧١].

وقيلَ في هذه السُّورةِ على الخصوصِ: إنَّ معناه: المُصوِّرُ.

وقيل: أنا اللهُ أعلَمُ وأُفصِّلُ.

وقيل: معناه: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١][1].

***

(٢) ـ ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾؛ أي: هذا كتابٌ، وقيل: القرآنُ كتابٌ.

﴿فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ﴾ الفاءُ لعطفِ جملةٍ على جملةٍ.

وقيل: فيه معنى الشَّرطِ، وتقديرُه: إذا كان أُنزِلَ إليك لتُنذِرَ به فلا يكُنْ في صدرِكَ.

﴿حَرَجٌ مِّنْهُ﴾ ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: شَكٌّ[2].

الحسَن: ضِيقٌ[3]، خوفًا أنْ لا تقومَ بحقِّه.

وقيل: ضِيقٌ بأن يُكذِّبوك؛ فإنَّ أبا هريرةَ رضي الله عنه رَوَى أنَّ[4] النَّبيَّ عليه السَّلامُ قال: «أخافُ أنْ يَثْلَغُوا رأسي فيجعَلوه كالخُبْزَةِ»[5].

والهاءُ في ﴿مِّنْهُ﴾ تعودُ إلى الكتابِ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٩٥)، واستغربه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٣٨).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ١٩٩)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٢/ ١٠١).

(٤) في (ن): «عن».

(٥) رواه مسلم (٤/ ٢١٩٧) ضمن حديث عن عياض بن حمار رضي الله عنه بلفظ: «ربِّ إذًا يثلغوا رأسي فيدعوه خبزة».

وقيل: إلى تكذيبِ المُشركين[١].

وقيل: إلى الإنذارِ؛ لأنَّه في تقديرِ التَّقديم[٢].

﴿لِتُنذِرَ بِهِۦ﴾؛ أي: أُنزِلَ لتُنذِرَ به، وقولُه: ﴿فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾ اعتِراضٌ.

وقيل: ﴿لِتُنذِرَ بِهِۦ﴾[٣] على انشراحِ صدرٍ بالإنذارِ.

﴿وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: ولتُذكِّرِ المؤمنين، وخصَّهم بالإنذارِ[٤] لانتفاعِهم بها.

ومحلُّها نصبٌ بالمصدرِ، ويجوزُ الرَّفعُ بالعطفِ على ﴿كِتَٰبٌ﴾، ويجوزُ الجرُّ؛ أي: للإنذارِ والذِّكرى.

***

(٣) - ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾.

﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾؛ يعني: القرآنَ؛ أي: قل: اتَّبعوا.

وقيل: خطابٌ له وللمؤمنين.

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ يعني: الأصنامَ ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾؛ أي: تذكَّرون قليلًا، و(ما): صلةٌ. وقيل: معناه: قليلًا تذكُّرُكم[٥]. وقيل: قليلًا مَن يتذكَّرُ منكم[٦].

وقيل: (ما): نفيٌ، وفيه بُعدٌ[٧].

***

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٩٥)، وعدّه من العجائب.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٩٥)، واستغربه.

(٣) «به»: ليست في (ن).

(٤) كذا في النسخ الخطية، والظاهر أن كلمة (الإنذار) هنا جاءت موضع (الذكرى) والله أعلم.

(٥) و(ما) مصدرية على هذا القول.

(٦) و(ما) موصولية على هذا القول.

(٧) لأن (ما) لا يعمل ما بعدها فيما قبلها عند البصريين. انظر: «الدر المصون» (٥/ ٢٤٦).

(٤) ـ ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾.

﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ﴾: (كم) تُستَعملُ للكثرةِ والاستفهامِ[١]، والمُرادُ به هاهنا: الكثرةُ.

﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾؛ أي: أهلَها، والمُرادُ: أَرَدْنا إهلاكَها. وقيل: أهلَكْناها[٢] بالخُذلانِ، وقيل: الإهلاكُ ومجيءُ البأسِ معًا كما تقولُ: أعطيتُكَ وأحسنتُ إليك.

وقيل: أهلكناها ﴿فَجَاءَهَا﴾؛ أي: فصحَّ أنَّه جاءها ﴿بَأْسُنَا﴾: عذابُنا.

وقيل: أهلَكناهم بإرسالِ الملائكةِ للعذابِ.

﴿بَيَاتًا﴾: ليلًا ﴿أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾: نائمون وقتَ الظَّهيرةِ، والمعنى: أخذناهُم بغتةً في حالِ سكونٍ وراحةٍ، وحُذِفَ واوُ الحالِ لأنَّ العائدَ ينوبُ عنه.

الفرَّاءُ: الواوُ مُضمَرٌ، وتقديرُه: أو وهُم[٣]. وفيه بُعدٌ[٤].

---

(١) انظر: «المقتضب» للمبرد (٣/ ٥٥ ـ ٦٧).

(٢) «وقيل: أهلكناها»: ليست في (ن).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٧٢).

(٤) كذا استبعده الزجاج في «معاني القرآن» (٢/ ٣١٧)، وذكر المصنف قول الفراء في «غرائب التفسير» (١/ ٣٩٦)، وقال: «وأنكره الزجاج، قال: العائد من الجملة قام مقام الواو فلمْ يحتج إليه».

قال: «وأنا أذكر فصلاً يكون حَكَماً بين الشيخين: اعلم أن الحال إذا كانت جملة من مبتدأ وخبر، فالغالب عليها الواو، فإن كان في الجملة عائد يعود إلى ذي الحال حسن الحذف وحسن الإثبات، فإن كان مبتدأ الجملة ضميرَ ذي الحال لم يكن بد من الواو، نحو: جاءني زيد وهو ضاحك، وضربت عمرًا وهو قائم، لو قلت: (جاءني زيد هو ضاحك) و(ضربت عمراً هو قائم) لم يصح، ثم نرجع إلى الآية فننظر أن العائد من قوله سبحانه ﴿أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ كيف هو، فنظرنا والعائد إلى ذي الحال هو مبتدأُ الجملةِ التي وقعت حالًا؛ لأن تقدير الآية: وكم من أهل قرية أهلكناهم فجاءهم بأسنا بياتًا أو هم قائلون، فصح أن الفراء أصاب، وعُذْرُه من حذف الواو الاستثقالُ من الجمع بين (أو) و(الواو)».

والمعنى: بعضُهم بياتًا وبعضُهم قائلين[١].

* * *

(٥) ـ ﴿ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ ﴾.

﴿ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ ﴾؛ أي: دُعاؤُهم وقولُهم ﴿إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ﴾ اعترَفوا بأنَّهم كانوا ظالمين.

وقيل: ظنُّوا أنَّ الإقرارَ ينفعُهم، فلم يُقبَلْ منهم.

* * *

(٦) ـ ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾.

﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ ﴾ عن إجابتِهم الرُّسلَ وقَبولِ الرِّسالةِ والحرمةِ لهم.

﴿وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ عن أداءِ الرِّسالةِ والشَّفقةِ على الأممِ؛ لنُجازيَ كلًّا على فعلِه.

وقيل: هذا سؤالُ مُحاسبةٍ ومُطالبةٍ، واستشهادُ الرُّسلِ كاستِنطاقِ الجوارحِ.

* * *

(٧) ـ ﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴾.

﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ﴾ رُوِيَ عن النَّبيِّ عليه السَّلامُ أنَّه قال: «إنَّ اللهَ يسألُ كلَّ واحدٍ[٢] بكلامِه، ليس بينَه وبينَه تَرْجُمانٌ»[٣].

---

(١) في (ن): «قائلون».

(٢) في (ن): «أحد».

(٣) رواه البخاري (٧٤٤٣)، ومسلم (١٠١٦)، عن عدي بن حاتم رضي الله عنه، بلفظ: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان» الحديث.

وعن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما أنَّه قال: يُقرَأُ على العبدِ ما هو مكتوبٌ في كتابِ عملِه[1].

وفي قولِه: ﴿بِعِلۡمٖ﴾ قولانِ:

أحدُهما: بأنَّا عالمون.

والثاني: بمَعلومِنا، كقولِه: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

﴿وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾ عن الأُممِ والرُّسلِ.

***

(٨ ـ ٩) ـ ﴿وَٱلۡوَزۡنُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّۚ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٨ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظۡلِمُونَ﴾.

﴿وَٱلۡوَزۡنُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّۚ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٨ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظۡلِمُونَ﴾ والوزنُ بمعنى: وَزنِ الأعمالِ، وهو مُقابلةُ شيءٍ بشيءٍ ليظهرَ مقدارُه منه.

وقولُه: ﴿يَوۡمَئِذٍ﴾؛ أي: يومَ إذ سألْنا وقصَصْنا؛ يعني: يومَ القيامةِ، فحُذِفت الجملةُ وعُوِّضَ عنها التَّنوينُ، فصار للتَّعريفِ.

﴿ٱلۡحَقُّ﴾؛ أي: لا نُقصانَ ولا رُجحانَ.

---

(١) ذكره الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٦٧)، وفيه: «وقد روي عن ابن عباس أنه كان يقول في معنى قوله: ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيۡهِم بِعِلۡمٖ﴾ أنه ينطق لهم كتاب عملهم عليهم بأعمالهم». قال: «هذا قول غير بعيد من الحق، غير أن الصحيح من الخبر عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان»».

ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٤٠) بلفظ: «يوضع الكتاب يوم القيامة فيتكلم بما كانوا يعملون».

﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾: جمع: ميزانٍ، والجمهورُ على أنَّه ميزانٌ له لسانٌ وكِفَّتان، والوازِنُ جبريلُ عليه السَّلامُ.

وذهب بعضُهم إلى أنَّ الميزانَ عبارةٌ عن العدلِ(١).

وقيل: الميزانُ: كتابُ أعمالِ الخلقِ.

وذهب بعضُهم إلى أنَّه عبارةٌ عن رفعِ المنزلةِ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٦٨ و٧١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ٤٤٠)، عن مجاهد: أن الوزنَ هو القضاء والحقَّ هو العدل. وذكره الرازي عن بعض السلف وعن كثير من المتأخرين، فقال: وهو قولُ مجاهدٍ والضَّحاكِ والأعمش، وكثيرٌ من المتأخِّرين ذهبوا إلى هذا القول، وقالوا: حملُ لفظ الوزنِ على هذا المعنى سائغٌ في اللُّغة، والدَّليلُ عليه، فوجبَ المصيرُ إليه. انظر: «تفسير الرازي» (١٤/ ٢٠٢).

وقد ذهب إلى هذا القول المعتزلة، أما الأول فهو قول جمهور الأمة كما قال أبو حيان في «البحر المحيط» (٥/ ١٤)، وهو قول عامة المفسرين كما قال الرازي، وهو الذي صوبه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٧)، وعدَّه الزجاجي في «معاني القرآن» (٢/ ٣١٩) أولى أن يُتبع، وهو الأرجح؛ لحديث البطاقة المعروف ـ رواه الترمذي (٢٦٣٩) وحسنه، وابن ماجه (٤٣٠٠)، والحاكم في «المستدرك» (٩) و(١٩٣٧) وصحَّحَه، من حديثِ عبد الله بنِ عمرو رضيَ اللهُ عنهما ـ ولعدم الضرورة التي تدعو إلى صرف الكلام عن ظاهره، ولأن هذا لو جاز لفتح باباً للتأويل لا ينتهي كما أشار القشيري فيما نقله عنه القرطبي، حيث قال: إذْ لو حُمِلَ الميزانُ على هذا فليحمل الصراط على الدِّين الحقِّ، والجنةُ والنارُ على ما يَرِدُ على الأرواحِ دونَ الأجسادِ، والشَّياطينُ والجنُّ على الأخلاقِ المذمومةِ، والملائكةُ على القُوى المحمودة. وقد أَجمعت الأُمةُ في الصدرِ الأولِ على الأخذِ بهذه الظواهِر من غيرِ تأويل، وإذا أجمعوا على منع التأويل وَجَب الأخذُ بالظَّاهر، وصارت هذه الظواهرُ نصوصًا. انظر: «تفسير القرطبي» (٩/ ١٥٦).

وجُمِعَ الميزانُ لتعدُّدِ مَن يُوزَنُ لهم، وقيل: لاختلافِ الموزوناتِ، كقولِه: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾ [البقرة: ١٨٩].

وقيل: هي جمعُ (موزونٍ)، لا جمعُ (ميزانٍ).

وفيما يُوضَعُ في الميزانِ ـ والأعمالُ أعراضٌ ـ أقوالٌ:

أحدُها: أنَّ الذي يُوزَنُ صحائفُ الأعمالِ.

وقيل: وزنُ الحسناتِ والسَّيِّئاتِ بأن يجعلَ الله في موضعِ الحسناتِ ثِقلًا وفي موضعِ السَّيِّئاتِ خِفَّةً.

وقيل: يُوزَنُ الإنسانُ.

***

(١٠) ـ ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّـٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَـٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّـٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: مكَّنَّاكُم من سُكناها وزراعتِها.

وقيل: ملَّكناكُموها، والتَّمكينُ: التَّمليكُ.

ابنُ عيسى: هو إعطاءُ ما يصحُّ به الفعلُ مع دفعِ المنعِ[1].

﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَـٰيِشَ﴾: جمعُ معيشةٍ، وهي ما يتعيَّشون به. وقيل: ما يتوسَّلون به إليها. وقيل: المعيشةُ ما منه العَيشُ من مَطعمٍ ومَشربٍ[2]، ووزنُها: مَفْعِلَة ومَفْعُلَة.

---

(١) قال العسكري في «معجم الفروق اللغوية» (ص: ١٤٢): «الفرق بين التمكين والإقدار: أن التمكين إعطاء ما يصح به الفعل كائنًا ما كان من الآلات والعدد والقوى، والإقدار إعطاء القدرة، وذلك أن الذي له قدرة على الكتابة تتعذر عليه إذا لم يكن له آلة للكتابة، ويتمكن منها إذا حضرت الآلة، والقدرة ضد العجز، والتمكن ضد التعذر».

(٢) في (ن): «أو مشرب».

﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾؛ أي: ما أقلَّ شُكرَكم، وقد فعلتُ بكم هذه كلَّها. وقيل: قلَّ مَن يشكرُ منكم.

* * *

(١١) - ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ﴾ عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: خلَقْنا أباكُم آدمَ[1]. فحُذِفَ المُضافُ، أو نُزِّلَ خلقُه منزلةَ خلقِ الكلِّ لمَّا كان الخلقُ كلُّهم من أجزاءٍ انفصلَتْ عنه.

﴿ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾؛ أي: في أرحامِ الأمَّهاتِ، وتصويرُ الشَّيءِ: إعطاؤُه صورتَه.

وقيل: خلَقْنا أباكم[2]، ثمَّ صوَّرْناكم في ظهرِه.

وقيل: خلَقْناكم في أصلابِ الآباءِ، ثمَّ صوَّرْناكم في بطونِ الأمَّهاتِ.

وقيل: خلَقْنا أباكُم، وصوَّرْنا أباكُم.

﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾: (ثم) موضوعةٌ للتَّراخي، وذهب الأخفشُ إلى أنَّه هاهنا بمعنى: الواوِ[3]. وقيل: فيه تقديمٌ وتأخيرٌ.

وقيل: (ثمَّ) لترتيبِ الخبرِ؛ أي: ثمَّ أُخْبِرُكُم أنَّا قُلنا للملائكةِ[4].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٧٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٤٢).

(٢) في (و): «وقيل خلقناكم».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ٣٢١).

(٤) انظر: «الانتصار للقرآن» للباقلاني (٢/ ٦١٤).

ومَن جعَلَ الخلقَ والتَّصويرَ والخطابَ كلَّها لآدمَ فـ(ثمَّ) وقعَ موقعَه؛ لأنَّ هذه فُعِلَت لآدمَ[1] في أوقاتٍ مُتباينةٍ.

وأمَّا ذكرُ التَّصويرِ بعد الخلقِ فليس بمُشكِلٍ؛ لأنَّ التَّصويرَ وقعَ بعد خلقِ شيءٍ لا محالةَ.

﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ لَمۡ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ سبقَ في سورةِ (البقرة).

ورَوَى النَّقَّاشُ أنَّ بعضَ المُفسِّرين قال: إنَّ الله سبحانَه وتعالى أسجَدَ الملائكةَ لآدمَ عليه السَّلامُ مرَّتين؛ مرَّةً عند تمامِ خلقِه وهو قوله: ﴿فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ﴾ الآية [الحجر: ٢٩]، ومرَّةً عندَ قوله: ﴿أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ٣١]. وهذه الرِّوايةُ مُخالفةٌ لإجماعِ المُفسِّرين[2].

***

(١٢) ـ ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾.

﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَ﴾: أيُّ شيءٍ حالَ بينَك وبينَ السُّجودِ لآدمَ؟ و(لا) صِلةٌ، كقولِه: ﴿لِّئَلَّا يَعۡلَمَ﴾ [الحديد: ٢٩].

وقيل: المنعُ بمعنى القولِ؛ أي: مَن قالَ لك: لا تسجُدْ. وهذا مُزيَّفٌ؛ لأنَّ النَّهيَ مجرومٌ[3].

وقيل: الممنوعُ منَ الشَّيءِ مُضطرٌّ إلى خلافِ ما مُنِعَ منه، فكأنَّه قيل: أيُّ شيءٍ اضطرَّكَ إلى أنْ لا تسجُدَ؟

---

(١) في (ن): «بآدم».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٩٧)، واستغربه.

(٣) في «غرائب التفسير» (١/ ٣٩٨): «الغريب: المنع بمعنى القول؛ أي: من قال لك: لا تسجد. وهذا ضعيف، لأنه يقتضي الخبر».

وقيل: ما الذي جعلَك في مَنَعةٍ عن عذابي[(١)]؟

﴿قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ﴾ ذهب بعضُ المُفسِّرين إلى أنَّ هذا ليس بجوابٍ للأوَّلِ.

وذهب بعضُهم إلى أنَّه جوابٌ من حيثُ المعنى؛ أي: المانعُ هو أنِّي خيرٌ منه، وذكرَ العلَّةَ فقال: ﴿خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ﴾ وهي نُورانيَّةٌ ﴿وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾ وهو ظُلمانيٌّ.

وقيل: أخطأ إبليسُ؛ فإنَّ الجواهرَ كلَّها من حيثُ كونُها جوهرًا سواءٌ، وإنَّما اختلافُها بالأعراضِ والأوصافِ.

وذهب بعضُهم إلى أنَّ الطِّينَ أفضلُ منَ النَّارِ[(٢)].

وقولُ مَن قال: إنَّ إبليسَ قاسَ[(٣)] = قولٌ ركيكٌ؛ لأنَّه ليس في الآيةِ قياسٌ ولا احتجاجٌ.

***

(١٣) ـ ﴿قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾.

﴿قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا﴾ قيل: منَ السَّماء. وقيل: منَ الجنَّةِ. وقيل: منَ الأرضِ؛ فإنَّه أُخرِجَ إلى البحرِ. وقيل: من المرتبةِ التي أنتَ فيها.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٩٨)، واستغربه.

(٢) ذكر الثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ٣٠٩) خمسة وجوه لتفضيل الطين على النار، وأفاض ابن القيم في تفضيل الطين على النار فذكر خمسة عشر وجهًا لذلك. انظر: «بدائع الفوائد» (٤/ ١٣٩).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٨٦) عن الحسن وابن سيرين قالا: «أول مَن قاس إبليس».

قال الطبري: «يعنيان بذلك: القياس الخطأ». قال ابن عطية في «تفسيره» (٢/ ٣٧٩): «ولا يتأول عليهما إنكار القياس، وإنما خرج كلامهما نهيًا عما كان في زمنهما من مقاييس الخوارج وغيرهم، فأرادا حمل الناس على الجادة».

قلت: والمراد أنهما لم يقصدا إنكار القياس الذي هو حجة في الأحكام الشرعية.

﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾: أن تترفَّعَ وتمتنعَ عمَّا أُمِرْتَ به، ﴿فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾: الأذِلَّاء، جمعُ: صاغرٍ، وقيل: مِنَ المُعذَّبين.

* * *

(١٤) ـ ﴿قَالَ أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾.

﴿قَالَ أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ سألَ منَ الله أن يُبقيَه إلى يومِ القيامةِ.

* * *

(١٥) ـ ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ﴾.

﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ﴾ الجمهورُ على أنَّه مُنْظَرٌ إلى وقتٍ غيرِ معلومٍ.

وقيل: مُنْظَرٌ إلى النَّفخةِ الأولى.

وقيل: مُنظَرٌ إلى يوم القيامةِ.

* * *

(١٦) ـ ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾.

﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ قيل: الباءُ بمعنى (مع)، وقيل: باءُ البدلِ(١).

قال الشَّيخُ الإمامُ رحمه الله(٢): ويحتمِلُ السَّببَ.

وقيل: بمعنى اللَّامِ، وقيل: للقَسَمِ.

وذكرَ الثَّعلبيُّ أنَّ (ما) للجزاءِ(٣)، وهو سهوٌ؛ إذ لا جزاءَ بعدَه، ولأنَّ ما للشَّرطِ

---

(١) ذكرهما المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٩٩)، واستغربهما، وباء البدل هي التي تدخل في مثل قولك: هذا بذاك؛ أي: عوض منه. انظر: «فقه اللغة» للثعالبي (ص: ٢٤٣).

(٢) «قال الشيخ الإمام رحمه الله» من (ن).

(٣) ذكر الثعالبي في «تفسيره» (١٢/ ٣١٠) كوجه من وجوه، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٩٩)، وعدَّه من العجائب.

لا يدخُلُ عليه الباءُ من فعلٍ يقعُ قبلَه، لا يجوزُ: مررتُ بمَن تمرُرْ، ولكن تقولُ: بمَن تمرُرْ أمرُرْ به(١).

وقيل: للاستفهامِ، وهو ضعيفٌ؛ لأنَّ الألفَ تُحذَفُ منه في الاستفهامِ(٢) إلَّا في ضرورةِ الشِّعرِ.

وقيل: للمصدرِ، وهو الصَّوابُ؛ أي: بإغوائِك إيَّايَ.

ومعنى ﴿أَغْوَيْتَنِي﴾: أضلَلْتَني. وقيل: أهلَكْتَني. وقيل: خيَّبْتَني. وقيل: ألفَيْتَني غاوِيًا. وقيل: سمَّيْتَني غاويًا. وقيل: جعَلْتَني في الغيِّ، وهو العذابُ من قولِه: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩]؛ أي: عذابًا.

﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾؛ أي: أترصَّدُ لهم فأصدُّهم عن سلوكِ الصِّراطِ المُستقيم، وهو الدِّينُ القويمُ. وقيل: طريقُ الجنَّةِ. وقيل: طريقُ مكَّةَ.

وتقديرُه: على صراطِك، وفي صراطِك، فحذفَ الجارَّ قياسًا على المُبهَمِ من ظرفِ المكانِ.

* * *

(١٧) ـ ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾.

﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾ أكثرَ المُفسِّرون في هذه الآيةِ، ومحصولُ كلامِهم: أنَّه يتصرَّفُ بهم في الإضلالِ من جميعِ الجهاتِ.

---

(١) من قوله: «إذ لا جزاء» إلى قوله: «بمن تمرر أمرر به»: ليست في (ن).

(٢) أي: تحذف الألف من (ما) الاستفهامية مع الجار. انظر: «غرائب التفسير» (١/ ٣٩٩) وعده من الغريب.

وقال في الأولَيَين (مِنْ) لابتداءِ الغايةِ، وفي الأُخرَيَيْنِ (عن)؛ لأنَّ (عن) يدلُّ على الانحرافِ.

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ﴾: من قِبَلِ الآخرةِ، ﴿وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾: من قِبَلِ الدُّنيا، ﴿وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾: من قِبَلِ حسناتِهم، ﴿وَعَن شَمَآئِلِهِمۡ﴾: من قِبَلِ الباطلِ[1].

وعنه أيضًا: ولم يقُلْ: من فوقِهم؛ لأنَّ رحمةَ الله تنزَّلُ عليهم من فوقِهم، ولم يقُلْ: من تحتِهم؛ لأنَّ الإتيانَ منه توحُّشٌ[2].

﴿وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ﴾: مُوحِّدين مُطيعين.

الحسنُ: لمَّا أُغوِيَ آدمُ عليه السَّلامُ علِمَ أنَّ ذريَّتَه أضعفُ منه، فقالَ الله سبحانَه: ﴿وَلَقَدۡ صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ إِبۡلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾ [سبأ: ٢٠][3].

وقيل: إنَّما علمَ من جهةِ الملائكةِ.

***

(١٨) ـ ﴿قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗاۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾.

﴿قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا﴾: مَعيبًا، والذَّامُ[4] والذَّأْمُ[5] والذَّمُّ: العَيبُ، والمهموزُ أشدُّها[6].

﴿مَّدۡحُورٗا﴾: مطرودًا مُبعَدًا من رحمةِ الله، وقيل: مطرودًا من السَّماءِ.

﴿لَّمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾: هو إبليسُ وذُرِّيَّتُه ومَن تبعَه من ذُرِّيةِ آدمَ، وغلَّبَ الخطابَ على الغيبةِ، وكرَّرَ الخروجَ ثلاثَ مرّاتٍ؛ لأنَّ الأوَّلَ خروجُ

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٩٧).

(٢) روى الطبري في «تفسيره» (١٠/ ١٠١) القسم الأول منه، وذكره بتمامه أبو حيان في «البحر» (٥/ ٢٢).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٢٠٧).

(٤) يقال: الذَّامُ بتخفيف الميم، والذَّامُّ بتشديدها. انظر: «تهذيب اللغة» مادة (ذ م م) (١٤/ ٢٩٩).

(٥) في (ف): «الذَّيْم»، وهي لغة في (الذَّأم) أيضاً. انظر: «الصحاح» مادة (ذ أ م) (٥/ ١٩٢٥)، وبدل في «المحكم» مادة (ز ي م) (١٠/ ١١٠).

(٦) ذكر ذلك المصنف في «البرهان» (ص: ١١٩).

مُطلَقٌ[١]، والثانيَ خروجٌ بصفةِ صَغارٍ وذُلٍّ، والثالثَ بصفةِ طردٍ وذمٍّ شديدٍ.

* * *

(١٩) ـ ﴿وَيَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾.

﴿وَيَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ﴾؛ أي: وقلنا بعد إخراجِ إبليسَ من الجنَّة: يا آدمُ اسكُنْ ﴿أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾؛ أي: اتَّخِذْها مسكنًا.

﴿فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ سبقَ تفسيرُها في (البقرة).

وعن أهلِ الكتابَين: أنَّها شجرةُ الحنظلِ؛ أي: استدِلَّا على مرارةِ أحوالِ الدُّنيا. حكاه الماورديُّ[٢].

﴿فَتَكُونَا﴾؛ أي: فتَصيرا ﴿مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ يجوزُ أن يكونَ نصبًا، وأن يكون جزمًا[٣].

* * *

(٢٠) ـ ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَـٰلِدِينَ﴾.

﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا﴾؛ أي: إليهما ﴿ٱلشَّيْطَـٰنُ﴾ قيل: كان وَسْواسًا وإلهامًا، وقيل: كان كلامًا؛ لقولِه عقيبَه: ﴿وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا﴾ الآية.

ابنُ بحرٍ: أصلُ الوسواسِ: الإكثارُ من الكلامِ على غير نظامٍ.

غيرُه: الوسوسةُ حديثُ النَّفسِ.

---

(١) وقد جاء بلفظ ﴿فاهبط﴾، وإذا أمره بالهبوط إلى الأرض فقد أمره بالخروج من الجنة. انظر: «درة التنزيل» للخطيب الإسكافي (٢/ ٥٧٤).

(٢) انظر: «النكت والعيون» (٢/ ٢٠٩)، وفيه: «وحكى محمد بن إسحاق عن أهل الكتابين أنها شجرة الحنظل، ولا أعرف لهذا وجهًا».

(٣) النصب بأن مضمرة بعد الفاء على اعتبارها سببية، والجزم بالعطف على ﴿تقربا﴾ على اعتبار الفاء عاطفة.

﴿لِيُبْدِيَ لَهُمَا﴾: ليُظهِرَ، واللَّامُ لامُ العاقبةِ.

﴿مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا﴾ من جملةِ بدنِهما[1].

قتادةُ: كانا لا يريانِ سوآتِهما قبل المعصيةِ[2].

وقيل: لم يكُنْ يرى كلُّ واحدٍ منهما عورةَ صاحبِه قبل المعصيةِ، فلمَّا عصَيا بدَتْ عوراتُهما.

﴿وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا﴾: إلا كراهةَ أنْ تكونا[3].

الكوفيُّون: إلَّا أنْ لا تكونا[4].

﴿مَلَكَيْنِ﴾ تُعلِّمانِ الخيرَ والشَّرَ. وقيل: ﴿مَلَكَيْنِ﴾ تستغنيانِ عن الغذاءِ.

﴿أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾: من الذين لا يموتون.

***

(٢١) ـ ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾.

﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾: (قاسَمَ) من بابِ: طارَقْتُ وعافاهُ اللهُ[5]، والمعنى: أقسَمَ لهما يمينًا فاجِرةً، وظنَّا أنَّ أحدًا لا يحلفُ بالله كاذبًا، وإبليسُ أوَّلُ مَن حلَفَ بالله كاذِبًا[6].

وقيل: ﴿قاسَمَهما﴾: قالَ لهما: إنْ كان ما قُلتُه خيرًا فهو لكما دوني، وإن

---

(١) في (ن): «حلة بدنهما». والمثبت من (و)، وهو الموافق لما ذكره أبو حيان في «البحر» (٥/ ٢٥) عن قتادة قال: «كَنى بسوءاتِهما عن جميع بدنهما، وذكر السوأة لأنها أقبحُ ما يَظهرُ مِن بني آدمَ».

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٧٥)، والطبري في «تفسيره» (١٠/ ١١٢).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ٣٢٢)، و«تفسير الطبري» (١٠/ ١٠٧).

(٤) انظر: «البسيط» للواحدي (٩/ ٦٣)،

(٥) أي: ليس من باب المفاعلة والمشاركة، بل من باب: فاعل بمعنى فَعَل، وقد تقدم الكلام عليه.

(٦) ذكر ذلك مقاتل في «تفسيره» (٢/ ٣٢).

كان شرًّا فهو عليَّ دونكما، ومَن فعَلَ ذلك معكما فهو منَ النَّاصحين لكما، فكانَتْ هذه مُقاسمةً. حكاهما الماورديُّ[١].

***

(٢٢) - ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾.

﴿فَدَلَّىٰهُمَا﴾؛ أي: دلَّاهما في المعصيةِ، والتَّدليةُ والإدلاءُ: إنزالٌ منَ الأعلى[٢] إلى أسفلَ، كقولِه[٣]: ﴿فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ﴾ [يوسف: ١٩].

ابنُ عيسى: حطَّهما إلى المعصيةِ[٤].

الثَّعلبيُّ: دلَّلَهما، فقُلِبَ اللَّامُ الأخيرُ ياءً[٥].

الواحديُّ: جرَّأهما على المعصيةِ[٦]. ولا أدري من أينَ أخذَ[٧].

﴿بِغُرُورٍ﴾: هو إظهارُ النُّصحِ مع إبطانِ الشَّرِّ.

---

(١) أي: هذا القول والذي قبله. انظر: «النكت والعيون» (٢/ ٢١٠). وفي (ن): «حكاه الماوردي» فيكون المراد القول الأخير.

(٢) في (ن): «الإنزال من أعلى».

(٣) في (ن): «لقوله».

(٤) قال ابن عيسى في «النكت في إعجاز القرآن» (ص: ٩١): «وقال تعالى: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾ وحقيقته: صيرهما إلى الخطيئة بغرور، والاستعارة أبلغ، لإخراجه إلى ما يحس من التدلي من علو إلى سفل».

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ٣٢٢) من جملة أقوال ساقها.

(٦) انظر: «البسيط» للواحدي (٩/ ٦٧).

(٧) لعله أخذها من الأزهري في «تهذيب اللغة» (١٤/ ١٢٢) مادة (د ل ل)، فقد قال: «وفيه قول ثالث: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾؛ أي: جرأهما إبليس على أكل الشجرة بغرره والأصل فيه: دللهما. والدال والدالة الجرأة»، وبهذا تعلم أن قول الواحدي مردّه إلى قول الثعلبي، والله أعلم.

﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا﴾: فُروجُهما، وسُمِّيَ الفرجُ سوأةً؛ لأنَّه يسوءُ صاحبَه ظهورُه.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: كانت كِسوتُهما منَ النُّورِ[1].

قتادةُ: كان لباسُ آدمَ وحوَّاءَ في الجنَّةِ ظُفُرًا كلَّه[2].

وقيل: كان حُلَّةً.

﴿وَطَفِقَا﴾: داما ﴿يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا﴾ يجعلانِ ورقةً على ورقةٍ ليستُرا فُروجَهما، والخَصْفُ: ترقيعُ النَّعلِ، فصارَتِ الأوراقُ كهيئةِ الثَّوبِ.

﴿مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾؛ أي: من ورقِ شجرِ الجنَّةِ، وهو ورقُ التِّينِ. وقيل: ورقُ الموزِ.

﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾؛ أي: عن أكلِها ﴿وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾: ظاهرُ العداوةِ.

* * *

(٢٣) ـ ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾.

﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾: أسأنا إليها بالمعصيةِ ﴿وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا﴾: تستُرْ عيوبَنا ﴿وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾: منَ الهالكين.

* * *

(٢٤) ـ ﴿قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾.

﴿قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ سبقَ في (البقرةِ) تفسيرُ أكثرِ هذه الآياتِ.

* * *

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ١٣٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٥٩) عن وهب بن منبه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ١١٣).

(٢٥) ـ ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾.

﴿قَالَ فِيهَا﴾: في الأرضِ ﴿تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ للثَّوابِ والعقابِ، فهبطَ آدمُ بأرضِ الهندِ، وحوَّاءُ بجُدَّةَ، والحيَّةُ بأصفهانَ، وإبليسُ بالأُبُلَّةِ[1]، وقيل: بالمدائنِ.

* * *

(٢٦) ـ ﴿يَابَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾.

﴿يَابَنِي آدَمَ﴾ خطابٌ للحاضرين ولمَن يأتي بعدَهم.

﴿قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا﴾؛ أي: خلَقْنا، وذُكِرَ بلفظِ الإنزالِ لعُلوِّ الشَّأن، ومثله: ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ﴾ [الزمر: ٦].

وقيل: أنزلَ الماءَ، وهو السَّببُ لكلِّ ملبوسٍ من قطنٍ وكتَّانٍ وصوفٍ وإبريسمٍ.

وقيل: أنزلَ أصلَ كلِّ شيءٍ من السَّماءِ عند إهباطِ آدمَ عليه السَّلامُ إلى الأرضِ.

﴿يُوَارِي سَوْآتِكُمْ﴾ لتستُروا به عوراتِكم، فيدفعَ عنكم الحرَّ والبردَ.

واللِّباسُ: كلُّ ما يُلبَسُ من ثوبٍ ودرعٍ وغيرِهما، وأصلُه مصدرُ: لبِسْتُ الشَّيءَ لُبْسًا ولِباسًا.

﴿وَرِيشًا﴾: هو اسمٌ للمالِ، قال الشَّاعرُ:

فَريشي منكُمُ وهَوايَ معْكُمْ ... وإنْ كانَتْ زيارتُكُمْ لِمَامَا[2]

وقيل: الأثاثُ والدِّثارُ والشِّعارُ.

---

(١) الأبلة: بلدة على شاطئ دجلة في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة، وهي أقدم من البصرة. انظر: «مراصد الاطلاع» (١/ ١٨).

(٢) البيت مختلف في نسبته، فهو للراعي كما في ملحق «ديوانه» (ص: ٣١١)، و«الكتاب» (٣/ ٢٨٧)، ولجرير كما في «ديوان جرير» بشرح ابن حبيب (١/ ٢٢٥)، و«أساس البلاغة» مادة: (ر ي ش).

الزَّجَّاجُ: هو اللِّباسُ[١].

ابنُ زيدٍ: الرِّيشُ: كلُّ ما فيه الجمالُ[٢].

والرِّياشُ: الخِصْبُ في المعاشِ، وقد قُرِئَ به[٣]، وأصلُه من ريشِ الطَّائرِ، وهو كِسوتُه.

﴿ولِباسَ التَّقْوى﴾ وهو الإيمانُ ببعثِ الرَّسولِ وإنزالِ القرآنِ.

وقيل: لباسُ التَّقوى: ما يُلبَسُ للتَّواضعِ كالصُّوفِ والخشنِ من القُطْنِ[٤].

وقيل: لباسُ التَّقوى: سترُ العورةِ.

ويحتملُ أنَّ (اللِّباسَ) زيادةٌ، والمرادُ: عَينُ التَّقوى، كقولِه: ﴿لِبَاسَ ٱلْجُوعِ﴾ [النحل: ١١٢][٥].

وقيل: هو الحياةُ. وقيل: خشيةُ الله. وقيل: السَّمْتُ الحسَنُ.

ابنُ بحرٍ: هو لبسُ ما تتَّقي به من الحرِّ والبردِ[٦].

﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾؛ أي: خيرٌ لصاحبِه.

وقيل: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى لباسِ التَّقوى. وقيل: إشارةٌ إلى جميعِ ما تقدَّمَ.

وقيل: لباسُ التَّقوى: الحياءُ[٧].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٣٢٨).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ١٢٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٥٧).

(٣) نسبت إلى زر بن حبيش والحسن البصري، كما في «تفسير الطبري» (١٠/ ١٢٢)، وعزاها الداني في «المقنع» (ص: ٩٧) إلى المفضل عن عاصم.

(٤) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ٤٩).

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٠١)، وعدَّه من العجائب.

(٦) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٢١٤)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٢/ ١١٠)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٠١) دون نسبة، واستغربه.

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ١٢٥) عن معبد الجهني، وذكره البغوي في «تفسيره» (٢/ ١٨٦) عن الحسن، وكذا فعل السمعاني في «تفسيره» (٢/ ١٧٥)، لكنه قال: وفي الحديث: «إن لباس =

وقيل: الدِّرعُ والمِغْفَرُ والسَّاعدانِ.

ومَن قرأ: ﴿وَلِبَاسُ﴾ بالرَّفعِ[1] جاز أن يكونَ ذلك فصلًا وعمادًا، وجاز أن يكونَ بدلًا، وجاز أن يكونَ مبتدأً.

وذكر بعضُ المُفسِّرين أنَّ جماعةً من المُشركين كانوا يتعبَّدون بالتَّعرِّي وخلعِ الثِّيابِ في الطَّوافِ بالبيتِ، فأنزَلَ الله هذه الآيةَ[2].

﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: من فرائضِه التي أوجبَها بآياتِه، يُريدُ: سترَ العورةِ.

﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾: يتَّعِظُون.

وذهب بعضُهم إلى أنَّه ليس في الآيةِ ما يدلُّ على وجوبِ سترِ العورةِ.

***

(٢٧) - ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: لا يُضِلَّنَّكم بإبداءِ العورةِ في الطَّوافِ، والمعنى: لا تُفتَنُوا بفتنةِ الشَّيطانِ ﴿كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم﴾؛ أي: تسبَّبَ إلى خروجِهما ﴿مِّنَ ٱلْجَنَّةِ﴾ وتقديرُه: فتنةً مثلَ فتنةِ أبوَيكُم.

﴿يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾ مجاهدٌ: نزَعَ عنهما لباسَ التَّقوى[3].

= التقوى هو الحياء» لأنه يبعث على التقوى، وهو قول الحسن. قلت: ما هو بحديث، والله أعلم.

(١) قرأ نافع وابن عامر والكسائي بالنصب، وباقي السبعة بالرفع. انظر: «السبعة» (ص: ٢٨٠)، و«التيسير» (ص: ١٠٩).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ١٢٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٥٦) عن مجاهد.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ١٣٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٦٠).

غيرُه: لباسُهما ما سبقَ ذِكرُه.

﴿لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَآ﴾: فُروجَهما، مجاهدٌ: معصيتَهما حينَ خرجا من أمرِ الله[1].

﴿إِنَّهُۥ﴾: إبليس ﴿يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ﴾: جنودُه، من قولِه: ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ﴾ [الشعراء: ٩٥].

وقيل: خَيلُه ورَجِلُه، من قولِه: ﴿بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ [الإسراء: ٦٤].

وقيل: ذُرِّيتُه، من قولِه: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾ [الكهف: ٥٠].

وقيل: جِنسُه الذي هو منهم.

﴿مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾: لا ترونَ أجسادَهم ولا تعلمون مكانَهم؛ لأنَّ أجسامَهم رقيقةٌ، وفي أبصارِنا ضعفٌ عن إدراكِ الرَّقيقِ اللَّطيفِ.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ فلا يَقبلُ قولَهم ولا يُجيبُ دعوتَهم مؤمنٌ.

* * *

(٢٨) - ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً﴾: عبادةَ صنمٍ. وقيل: عامٌّ في المعاصي. وقيل: الفاحشةُ هاهنا: كشفُ العورةِ في الطَّوافِ. وقيل: تحريمُ البَحيرةِ.. الآيةَ.

﴿قَالُوا۟ وَجَدْنَا﴾؛ أي: ونُهوا عنها قالوا: وَجَدْنا ﴿عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾: بالفاحشةِ.

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٢١٥) وفيه: «سوأة معصيتهما حتى خرجا من تقوى الله وطاعته، وهو معنى قول مجاهد».

﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: استفهامُ إنكارٍ يتضمَّنُ نهيًا.

* * *

(٢٩) - ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾.

﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ بلا إلهَ إلا الله، وقيل: بالعدلِ؛ أي: لا يأمرُكُم بالفحشاءِ، بل يأمرُكُم بالقِسطِ(١).

﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ﴾: استقبِلوا القِبلةَ ﴿عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾: سجدةٍ وصلاةٍ؛ أي: اجعلوها خالصةً لله.

وقيل: ﴿عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾: مكانِ صلاةٍ.

وقيل: عند وقتِ كلِّ صلاةٍ.

﴿وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ بالتَّوحيدِ والطَّاعةِ. وقيل: ادْعُوه بعد الإخلاصِ.

﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ شقيًّا وسعيدًا.

وقيل: مُؤمنًا وكافرًا، من قولِه: ﴿خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن: ٢].

وقيل: يُبعَثون على ما ماتوا عليه، المؤمنُ على إيمانِه، والمُنافقُ على نفاقِه.

وقيل: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ﴾ ولم تكونوا شيئًا ﴿تَعُودُونَ﴾ خلقًا جديدًا؛ يُخاطِبُ مُنكري البَعثِ.

وقيل: منَ التُّرابِ خلقَكم، وإليه تعودون.

---

(١) في (و): «لا يأمر بالفحشاء بل يأمر بالقسط».

وقيل: هو مُفسَّرٌ بقولِه عليه السَّلامُ: «يُحشَرُ النّاسُ حُفاةً عُراةً غُرْلًا» ثمَّ تلا: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾[1].

* * *

(٣٠) - ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾.

﴿فَرِيقًا هَدَىٰ﴾: وفَّقهم وأرشدَهم ﴿وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾: أضلَّهم وخذَلَهم.

﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾؛ أي: على طريقٍ مُستقيمٍ.

* * *

(٣١) - ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾.

﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ في سببِ النُّزولِ عن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما قال: كانَ ناسٌ منَ الأعرابِ يطوفون بالبيتِ عُراةً، حتى كانت المرأةُ تطوفُ بالبيتِ وهي[2] عُريانةٌ، فتُعلِّق على سُفلِها سُيورًا مثلَ هذه السُّيورِ التي تكونُ على وجهِ الحُمُرِ دفعًا منَ الذُّبابِ، وهي تقولُ:

اليومَ يَبْدُو بعْضُهُ أو كُلُّهُ ... فما بَدا منهُ فَلا أُحِلُّهُ

---

(١) ذكره هكذا الثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ٣٣٦)، ورواه البخاري (٣٣٤٩)، ومسلم (٢٨٦٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، لكن في قوله: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، وهي نظير هذه الآية.

(٢) «وهي»: ليست في (و).

فأنزلَ اللهُ هذه الآيةَ[(١)].

ابنُ عيسى: قالوا: إنَّ الثِّيابَ قد دنَّستها المعاصي فتجرَّدوا منها.

وقال أيضًا: فعلوا تفاؤُلًا بالتَّعرِّي[(٢)] منَ الذُّنوبِ.

قال الكلبيُّ: كانوا لا يأكلونَ منَ الطَّعامِ إلّا قوتًا، ولا يأكلونَ في حَجِّهم لحمًا ولا دسمًا، يُعظِّمون بذلك حَجَّهم، فأنزلَ الله هذه الآيةَ[(٣)].

ومعنى ﴿زِينَتَكُمْ﴾: لُبسُ الثِّيابِ وسترُ العورةِ في الطَّوافِ وعند الصَّلاةِ.

وقيل: هو التَّزيُّنُ بأحسنِ اللِّباسِ في الجُمَعِ والأعيادِ.

وقيل: هو التَّزيُّنُ لكلِّ صلاةٍ، ولكلِّ دخولِ مسجدٍ؛ لقولِه سُبحانَه: ﴿عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١].

﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾؛ أي: اللَّحمَ والدَّسمَ واللَّبنَ ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓا﴾ في الامتناعِ عن الحلالِ. وقيل: بالشُّروعِ في الحرامِ.

أمرَ بالتَّزيُّنِ بالملابسِ، وتقويةِ الأبدانِ والأرواحِ[(٤)] بالغذاءِ، وأن يكونَ ذلك من حِلِّه.

ابنُ عيسى: الإسرافُ: الخروجُ عن حدِّ الاستواءِ[(٥)].

﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ ومَن لا يحبُّه اللهُ فهو في النَّارِ.

---

(١) رواه الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٢٥)، وأصل الحديث رواه مسلم (٣٠٢٨).

(٢) في (و): «للتعري».

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ٣٣٨)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٢٥).

(٤) «والأرواح»: ليست في (و).

(٥) انظر «غرائب التفسير» (١/ ٤٠٢).

وذكر الثَّعلبيُّ: أنَّ هارونَ[1] الرَّشيدَ كان له طبيبٌ نصرانيٌّ حاذقٌ، فقال لعليِّ بنِ الحسينِ الواقديِّ: ليس في كتابِكم من علمِ الطِّبِّ شيءٌ، والعلمُ علمان؛ علمُ الأبدانِ، وعلمُ الأديانِ؟ فقال له عليُّ بنُ الحسينِ رحمه الله: جمعَ الله الطِّبَّ في نصفِ آيةٍ من كتابِه، وهو قولُه: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾، فقال النَّصرانيُّ: فلا يُروَى عن نبيِّكم شيءٌ من الطِّبِّ؟ فقال عليٌّ: جمعَ رسولُ الله ﷺ الطِّبَّ في كلماتٍ، وهي قوله: «المعدةُ بيتُ الدّاءِ[2]، والحِمْيَةُ رأسُ كلِّ دواءٍ، وأعطِ كلَّ بَدَنٍ ما عوَّدْتَه» فقال النَّصرانيُّ: ما تركَ كتابُكم ولا رسولُكم لجالينوسَ طبًّا[3].

* * *

(٣٢) ـ ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ﴾: إضافةُ مُلكٍ وتمليكٍ ﴿ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾: خلَقَه وأظهَرَه ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾: اللَّذيذاتِ والحلالاتِ.

وقيل: هي الشَّاةُ وألبانُها؛ لأنَّهم حرَّموها في حجِّهم.

---

(١) «هارون»: ليست في (ن).

(٢) في (ن): «كل داء».

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٢/ ٣٣٩). قال ابن الجوزي في «زاد المسير» (٢/ ١١٤): «هكذا نقلت هذه الحكاية، إلا أن هذا الحديث المذكور فيها عن النبي ﷺ لا يثبت. وقد جاءت عنه في الطب أحاديث قد ذكرتها في كتاب «لقط المنافع في الطب»».

وقال السخاوي في «المقاصد الحسنة» (ص: ٦١١): «لا يصح رفعه إلى النبي ﷺ، بل هو من كلام الحارث بن كلدة طبيب العرب أو غيره».

وجالينوس فيلسوف يوناني له كتب في صناعة الطب وغيرها، وكان ـ كما ذكر المسعودي ـ بعد المسيح بنحو مئتي عام، وبعد بقراط بنحو ست مئة سنة. انظر: «أخبار العلماء» للقفطي (ص: ٨٦).

وقيل: هي البَحيرةُ.. الآيةَ.

﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾؛ أي: للمؤمنين والكافرين ﴿خالِصَةٌ يومَ القيامةِ﴾؛ أي: لا يُشارِكُهم فيها يومَ القيامةِ مَن ليس بمؤمنٍ.

وقيل: هي للمؤمنين في الدُّنيا مشوبًا بالكدِّ والحزنِ ﴿خالصةٌ يومَ القيامة﴾ منَ التَّعبِ والنَّصَب، والحَزَنِ والوَصَب[1].

و﴿خالصةٌ﴾ خبرُ المبتدأ، وقيل: خبرٌ بعد خبرٍ، ومَن نصبَها[2] فعلى الحالِ، والعاملُ فيها اللَّامُ[3]، وهذه مسألةٌ طويلةٌ، كُتُبُ النَّحوِ أولى بها.

﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾؛ أي: كما بيَّنَّا هذا الحُكمَ نُبيِّنُ سائرَ الأحكامِ.

***

(٣٣) ـ ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾: الفواحشُ: الكبائرُ؛ سرًّا وجهرًا.

وقيل: نكاحُ المُحرَّماتِ والزِّنى.

وقيل: الطَّوافُ عُراةً.

﴿وَٱلْإِثْمَ﴾: الذُّنوبَ كلَّها.

---

(١) «والوصب»: ليست في (و).

(٢) قرأ نافع بالرفع، والباقون بالنصب. انظر: «السبعة» (ص: ٢٨٠)، و«التيسير» (ص: ١٠٩).

(٣) يعني: العامل هو الفعل المقدر قبل اللام في ﴿الذين﴾، أي: هي تحصل للذين آمنوا خالصة، أو قبل لام مقدرة أخرى، والتقدير: هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا مشتركة مع غيرهم، وهي تحصل لهم خالصةً في الآخرة. انظر: «الكتاب» (٢/ ٩١)، و«معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٧٧)، و«الحجة» لأبي علي (٤/ ١٥).

الفرَّاءُ: الإثمُ هو ما دونَ الحدِّ[١].

وقيل: الإثمُ: الخمرُ، واحتجُّوا ببيتٍ مِن شعرٍ[٢] مَن لا يُحتجُّ بشعرِه، وهو أبو نُواسٍ:

شَرِبْتُ الإثْمَ حَتّى ضَلَّ عَقْلي كَذاكَ الإثْمُ يَذْهَبُ بالعُقُولِ[٣]

المُفضَّل: الإثمُ: الخمرُ، وأنشدَ:

نَهانا رَسُولُ اللهِ أنْ نَقْرَبَ الزِّنى وأنْ نَشْرَبَ الإثْمَ الذي يُوجِبُ الوِزْرا[٤]

والصَّحيحُ أنَّ الخمرَ حُرِّمت بالمدينةِ، وهذه السُّورةُ مكيَّةٌ.

﴿وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾: التَّسلُّطَ على النَّاسِ والاستيلاءَ عليهم.

﴿وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾: حجَّةً وبُرهانًا؛ لأنَّهم زعَمُوا أنَّ الله أمرَهم بعبادةِ الأوثانِ.

﴿وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من تحريمِ هذه الأشياءِ، والتَّعرِّي في الطَّوافِ.

❊ ❊ ❊

(٣٤) - ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾؛ أي: وقتٌ مُعيَّنٌ يأتيهم فيه عذابُ الاستئصالِ إنْ لم يُؤمِنوا.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٧٨).

(٢) في (ن): «واحتجوا بيت شعر».

(٣) لم أجده في «ديوان أبي نواس»، ولم أقف على من نسبه إلى أبي نواس غير المصنف، وهو بلا نسبة في عشرات المصادر منها: «المنجد في اللغة» لكراع النمل (ص: ١١٤)، و«الزاهر» لابن الأنباري (٢/ ٢١)، و«تهذيب اللغة» (١٥/ ١١٧)، و«تفسير السمرقندي» (١/ ١٤٤)، و«تفسير الثعلبي» (٤/ ٢٣١).

(٤) انظر: «مجمع البيان» للطبرسي (٨/ ٤٩)، و«البحر المحيط» (٥/ ٤٤)، و«الدر المصون» (٥/ ٣٠٦).

ابنُ عيسى: الأجلُ الواحدُ يدلُّ على تقارُبِ أعمارِ أهلِ ذلك العصرِ.

قال الشَّيخُ رحمه الله[1]: ويحتمِلُ أنَّ المُرادَ بالأمَّةِ الآحادُ، كقولِه: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النحل: ١٢٠]؛ أي: لكلِّ أحدٍ أجلٌ لا يتقدَّمُه ولا يتأخَّرُ عنه، وهو قولُه: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ قولُه: ﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾؛ أي: لا يطلبون التَّأخُّرَ لشدَّةِ بأسِهم.

قالَ الشَّيخُ رحمه الله[2]: ويحتمِلُ أنَّ تأخَّرَ واستأخَرَ بمعنًى.

* * *

(٣٥) ـ ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾: من بني آدمَ ﴿يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِي﴾: يقرؤُونَ عليكم كتُبي.

وقيل: المُرادُ بهم مُشرِكو العربِ، والمُرادُ بالرُّسلِ محمَّدٌ عليه السَّلامُ.

وقيل: يقصُّون دليلَ[3] رُبوبيَّتي.

﴿فَمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ الشِّركَ ﴿وَأَصْلَحَ﴾ العملَ ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ أصلًا.

وقيل: لا يحزنونَ على ما فاتَهم من نعيمِ الدُّنيا.

* * *

(٣٦) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾؛ أي: كذَّبوا رُسلَنا بردِّ آياتِنا ﴿وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَآ﴾: تعظَّموا عن الإيمانِ بها ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾: لا يبرَحُونَ.

---

(١) «قال الشيخ رحمه الله»: ليست في (و).

(٢) «قال الشيخ رحمه الله»: ليست في (و).

(٣) في (ن): «دلائل».

(٣٧) ـ ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۚ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾؛ أي: أشدُّ في كُفرِه. وقيل: لا أحدَ أظلمُ منه.

﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ فأنكرَ النُّبوَّةَ وردَّ الرِّسالةَ.

﴿أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ﴾ قيل: الكتابُ: اللَّوحُ المحفوظُ؛ أي: ما كُتِبَ لهم من العمرِ والرِّزقِ والعملِ والشَّقاوةِ والسَّعادةِ.

وقيل: الكتابُ: القرآنُ، وما كُتِبَ لهم فيه.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: زُرقةُ العيونِ وسوادُ الوجوهِ[1].

وقيل: هو العذابُ الأكبرُ الذي أعدَّه الله للكُفَّارِ.

وقيل: هو ما أَوجَبَ من حفظِ عُهودِهم إذا أعطَوا الجزيةَ.

وقيل: الكتابُ: كتابُ الحفَظةِ؛ أي: الجزاءُ على الطَّاعاتِ والمعاصي.

قال الشَّيخُ رحمه الله[2]: ويحتمِلُ أنَّ التَّقديرَ: أولئك ينالُهم ما قُسِمَ لهم كما ينالُ المُؤمنين ما قُسِمَ لهم، ثمَّ تتغيَّرُ أحوالُهم عندَ الموتِ، وهو قولُه:

---

(١) ذكره بهذا اللفظ الفراء في «معاني القرآن» (١/ ٣٧٨) لكن دون نسبة، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ١٧٤) بلفظ: «ينالهم ما كتب عليهم، يقول: قد كتب لمن يفتري على الله أن وجهه مسود»، فما ذكره الفراء هو معنى هذا القول، وقد أشار لذلك الواحدي في «البسيط» (٩/ ١١٤)، فقال بعد ذكر رواية الطبري: واختار الفراء هذا فقال: «ينالهم ما قضى الله عليهم في الكتاب من سواد الوجوه وزرقة الأعين».

(٢) «قال الشيخ رحمه الله»: ليست في (و).

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا﴾؛ أي: ملَكُ الموتِ وأعوانُه ﴿يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ﴾: يقبِضُون أرواحَهم ويتوفَّون عددَهم. وقيل: يتوفَّونَهم عذابًا وإنْ لم يموتوا.

﴿قَالُوٓاْ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: عبَدْتُموهم، ﴿قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا﴾: ضاعوا فلا نراهُم، ﴿وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ﴾.

***

(٣٨) - ﴿قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ﴾.

﴿قَالَ ٱدۡخُلُواْ﴾؛ أي: قالَ الله، وقيل: قالتِ الملائكةُ وخزنةُ جهنَّمَ.

﴿فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ﴾: مضَتْ ﴿مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِ﴾ لم يتكلَّمِ المُفسِّرون في تكرارِ (في)، ووجهُه: أنَّ الثَّانيةَ مُتعلِّقةٌ بالدُّخولِ، والأولى بمعنى: (مع)[1]، وهي حالٌ؛ أي: ادخُلوا النَّارَ مُجتمعِين معَهم.

﴿كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ﴾؛ أي: النَّارَ ﴿لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَا﴾؛ أي: في الدِّين، الكافرُ يلعَنُ الكافرَ، واليهوديُّ اليهوديَّ، والأُخوَّةُ تُستعملُ في النَّسبِ والمُشابَهةِ والمُشاركةِ في الشَّيءِ، وأنَّثَ لتأنيثِ الأمَّةِ.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا﴾؛ أي: تدارَكُوا واجتَمَعُوا ﴿قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ﴾ دخولًا ﴿لِأُولَىٰهُمۡ﴾ دخولًا.

وقيل: أُخراهُم: التُّبَّاعُ، والأولى: القادةُ.

واللَّامُ لامُ السَّببِ[2].

---

(١) انظر: «التصاريف» ليحيى بن سلام (ص: ٢٢٦)، و«غرائب التفسير» (١/ ٤٠٣).

(٢) في (ن): «النسب»، وهو تحريف، فقد قال الزجاج: «المعنى: ﴿قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ﴾: يا ربنا هؤلاء أضلونا ﴿لِأُولَىٰهُمۡ﴾؛ أي: تعني أولاهم». =

﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا﴾: زيَّنوه لنا وسَنُّوا الضَّلالةَ[1] فاقتدَينا بهم.

﴿فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾؛ أي: عذابًا ذا زيادةِ مثلِه عليه.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: زيادة حيَّاتٍ وأفاعٍ[2].

وقيل: الضِّعفُ: المِثلُ. وقيل: القِسطُ[3].

وحكى الماورديُّ أنَّ الضِّعفَ هاهنا: العذابُ[4]، وهو بعيدٌ[5].

﴿قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ﴾: للقادةِ بكُفرِهم وإغوائِهم، وللتَّابعِ بكُفرِهم وتقليدِهم واقتدائِهم[6]؛ أي: كُفيتُم ما تَسألون.

﴿وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾: التَّاءُ تصلُحُ للاتِّصالِ والانفِصالِ، والياءُ للكلِّ[7].

* * *

= قال الواحدي في «البسيط» (٩/ ١٢٤) تعقيباً على كلام الزجاج: «فعلى هذا ليست اللام من صلة القول؛ لأنهم قالوا لله تعالى: ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا﴾، ولم يقولوا لأولاهم شيئاً، ولكن اللام لإبانة أنهم عنوا بقولهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا﴾ أولاهم وهم القادة، فاللام هاهنا لام (أَجْل)؛ أي: لأَجْلهم ولإضلالهم إياهم». ولام النسب نحو: لزيدٍ عمٌّ هو لعمرٍو خالٌ. انظر: «شرح التسهيل» لابن مالك (٣/ ١٤٤).

(١) في (ن): «الضلال».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ١٧٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٤٧)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٩١٠٢) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٠٣)، واستغربه.

(٤) إنما حكاه عن مجاهد، وقدّم عليه قول الجمهور. انظر: «النكت والعيون» (٢/ ٢٢٢).

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٠٣)، وعدَّه من العجائب.

(٦) في (و): «والاقتداء بهم».

(٧) قرأ عاصم في رواية أبي بكر بالياء، والباقون بالتاء. انظر: «السبعة» (ص: ٢٨٠)، و«التيسير» (ص: ١١٠).

(٣٩) ـ ﴿وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾.

﴿وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ فإنَّكم كفرتُم مثلَ كُفرِنا، وتَساوَينا في الكفرِ.

وقيل: ﴿فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾؛ أي: لم تُؤمِنوا إذ كفَرْنا، وإنَّكم في دُعائِكم علينا ظالمون.

﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾؛ أي: فذوقوا بكسبِكُم وكُفرِكُم، ولا تُحيلوا الذَّنبَ على غيرِكم.

***

(٤٠) ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا﴾؛ أي: عن الإيمانِ بها ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ لصُعودِ طاعاتِهم وأدعيتِهم وأرواحِهم كما تُفتَّحُ للمُؤمنين.

وقيل: لنُزولِ الرَّحمةِ. وقيل: لدُخولِ الجنَّةِ.

﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ﴾: يدخلَ البعيرُ ﴿فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾: في ثُقبةِ الإبرةِ؛ أي: لا يدخُلونها أبدًا.

وقال الماورديُّ: في ﴿سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ قولان:

أحدُهما: ثُقْبُ الإبرةِ.

والثَّاني: السَّمُّ القاتلُ الذي يدخلُ في مَسامِّ البدنِ[1].

---

(١) انظر: «النكت والعيون» (٢/ ٢٢٣).

وهذا سوءُ ضبطٍ منه؛ فإنَّه لم يفهَمْ كلامَ ابنِ عيسى.

﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾: مثلَ هذا الذي ذكَرْناه نجزي الكافرين.

* * *

(٤١) - ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٞ وَمِن فَوۡقِهِمۡ غَوَاشٖۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٞ﴾: فَرْشٌ ﴿وَمِن فَوۡقِهِمۡ غَوَاشٖ﴾ قيل: لُحُفٌ ولباسٌ. وقيل: ظُلَلٌ.

وانصرَفَ (غَواشٍ) لأنَّ الياءَ لـمَّا جازَ حذفُه منَ الآحادِ تخفيفًا صار حذفُه من المجموعِ لازمًا، فلمَّا حُذِفَ الياءُ صار لها في الآحادِ نظيرٌ، فدخلَه التَّنوينُ[1].

وقيل: التَّنوينُ بدلٌ منَ الياء السَّاقطِ. والقولُ هو الأوَّلُ.

﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ أي: الكافرين.

ثمَّ ذكرَ جزاءَ المُؤمنين فقال:

(٤٢) - ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَآ﴾: طاقتَها، والتَّكليفُ: إلزامُ ما فيه كُلفةٌ؛ أي: مشقَّةٌ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

قولُه: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَآ﴾ اعتِراضٌ.

وقيل: تقديرُه: منهم، فيكونُ خبرًا، واللَّذانِ بعدَه خبرٌ بعدَ خبرٍ[2].

---

(١) وقال في «غرائب التفسير» (١/ ٤٠٤): «حذف ياؤه حذفاً، ولما كان هذا الحذف جائزًا في الآحاد كالمهتد والداع والمُناد، وكان جائزاً في الأفعال، نحو: ﴿نَبۡغِ﴾ و﴿يَوۡمَ يَأۡتِ﴾ صار في الجمع لازمًا، ولما حذف الياء سقط عن زنة الجمع ودخل في زنة الآحاد، فدخله التنوين».

(٢) عند تقدير (منهم) يصير الضمير عائداً على (الذين آمنوا) رابطاً للجملة، فتعرب خبراً، وتصبح جملة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ﴾ خبراً ثانياً، وجملة ﴿هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ خبراً ثالثاً.

(٤٣) ـ ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾: يُخرِجُ أسبابَ العداوةِ من قلوبِهم.

والغِلُّ: الحِقدُ الذي يتغَلْغَلُ إلى صميمِ القلبِ.

وقيل: هو العصبيَّةُ[1] والحسدُ.

يعني: أصحابَ الجنَّةِ.

وعن الحسنِ البصريِّ عن عليٍّ رضي الله عنه أنَّه قال: فينا أهلَ بدرٍ نزلَتْ هذه الآيةُ[2].

ابنُ بحرٍ: هو معطوفٌ على ﴿الذين آمنوا﴾؛ أي: آمَنوا وبرِئَتْ قلوبُهم من الغِلِّ.

﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾ فإنَّ النَّظرَ إلى الماء الجاري من الملاذِّ.

﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا﴾: وفَّقَنا وأرشَدَنا لِمَا هذا جزاؤُه ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ﴾ بأنفُسِنا ﴿لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ لَضَلَلْنا.

وقيل: ﴿هَدَانَا﴾: دعانا إليه ودلَّنا عليه.

﴿لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾؛ أي: أتَوا بالحقِّ، ووقعَ الموعودُ على ما سبقَ به الوعدُ.

﴿وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا﴾: أُعطيتُموها، وقيل: أُورِثْتُم منازلَ أهلِ النَّارِ ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

وقولُه: ﴿تِلْكُمُ﴾ إشارةٌ إليها بعد المُعاينةِ.

وقيل: إشارةٌ إلى ما وُعِدوا به في الدُّنيا؛ أي: هذا جزاءُ طاعتِكم في الدُّنيا.

---

(١) في (ن): «المعصية».

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٨٠)، والطبري في «تفسيره» (١٠/ ١٩٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٧٨).

(٤٤) ـ ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا۟ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا﴾؛ أي: في الدُّنيا ﴿حَقًّا﴾: صِدقًا.

﴿فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا﴾ هذا سؤالُ تقريرٍ يتضمَّن تحسيرَ الكفَّارِ[١].

﴿قَالُوا۟ نَعَمْ﴾ فيه لغتان[٢]، وذلك أنَّهم إذا صاروا إلى النَّارِ زالَ عنهم الصَّمَمُ والبَكَمُ والعمَى التي في قولِه: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [الإسراء: ٩٧].

﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ﴾: نادى مُنادٍ ـ وهو صاحبُ الصُّورِ ـ نداءً أسمعَ الفريقَين.

وقيل: أعلَمَ مُعلِمٌ بينَهم من أهلِ الجنَّةِ والنَّارِ.

﴿أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ إذا شُدِّدَتْ ﴿أَنَّ﴾ فهو مفعولُ ﴿أَذَّنَ﴾، ومَن خفَّفَ[٣] فكذلك، واسمُه مُضمَرٌ، ويحتمِلُ أن تكونَ بمعنى: أي[٤].

* * *

(٤٥) ـ ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: صفةٌ لـ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، و﴿يَصُدُّونَ﴾ بمعنى: صدُّوا، وقيل: تقديرُه: كانوا يصُدُّون في الدُّنيا.

---

(١) في (ن): «تحسيرًا للكفار».

(٢) قرأ الكسائي: (نعم) حيث وقع بكسر العين، والباقون بفتحها. انظر: «السبعة» (ص: ٢٨١)، و«التيسير» (ص: ١١٠).

(٣) قرأ البزي وابن عامر وحمزة والكسائي: (أنَّ) بتشديد النون و(لعنةَ) بنصب التاء، والباقون بتخفيف النون ورفع التاء. انظر: «السبعة» (ص: ٢٨١)، و«التيسير» (ص: ١١٠).

(٤) و(أن) التي بمعنى (أي) تسمى التفسيرية أو المفسِّرة، ولا محل لها من الإعراب. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٣٤١)، و«مشكل إعراب القرآن» لمكي (١/ ٢٩٢).

وقيل: تمَّ الكلامُ على ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[١]، ثمَّ استأنف فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: دينِه.

﴿وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا﴾: يطلُبون لها الاعوِجاجَ والتَّدافُعَ في التَّناقُضِ في اللَّفظِ والمعنى، ويُلَبِّسونَ على الجُهَّالِ.

و﴿عِوَجٗا﴾ مفعولٌ ثانٍ لـ(يبغون)، تقولُ: بَغَيْتُكَ الشَّيءَ، وقيل: مصدرٌ؛ كقولهم: رجَعَ القَهْقَرى.

﴿وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ﴾: بالدَّارِ الآخرةِ ﴿كَٰفِرُونَ﴾.

***

(٤٦) - ﴿وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞۚ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ﴾.

﴿وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞ﴾: هو السُّورُ الذي في قولِه: ﴿فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ﴾ [الحديد: ١٣]، وهو الأعرافُ أيضًا.

وقيل: الأعرافُ: أعالي السُّورِ، وأعالي كلِّ شيءٍ أعرافُه.

و(الأعرافُ) في الآيةِ واحدٌ، ومثلُه: ثوبٌ أسْمالٌ؛ أي: خَلِقٌ، وثوبٌ أخماسٌ[٢]، وبُرْمَةٌ أعشارٌ[٣].

أبو عبيدة: كلُّ عالٍ مُرتفعٍ[٤] من الأرضِ أعرافٌ[٥].

---

(١) صرّح النحاس بأن الكلام هنا غير تام، وأن القطع ليس بكاف. انظر: «القطع والائتناف» (ص: ٢٥٢).

(٢) أي: طوله خمسة أشبار. انظر: «تهذيب اللغة» (٧/ ٨٩).

(٣) البرمة: القدر، ويقال: «برمة أعشار»: إذا انكسرت قطعًا. انظر: «الصحاح» و«اللسان» مادة: (ع ش ر). وهذه الألفاظ (أسمال أخماس، أعشار) ألفاظ مفردة غير جموع، ولذلك وقعت صفات للأفراد، واختار المصنف هذا القول في (الأعراف).

(٤) في (ن): «كل ما ارتفع».

(٥) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٢١٥).

وقيل: هو جمعٌ، واحدُها: عُرْفٌ، وكلُّ مرتفِعٍ عُرْفٌ، ومنه عُرْفُ الفرسِ والدِّيكِ.

وقيل: هو من المعرفةِ[١]، وعليها قومٌ جعلَهم الله على تعريفِ أهلِ الجنَّةِ وأهلِ النَّارِ[٢].

﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾ قيل: هم الأنبياءُ.

وقيل: هم ملائكةٌ[٣] ﴿رجال﴾؛ أي: ذكورٌ، كقوله: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا﴾ [الأنعام: ٩][٤].

وقيل: هم الفُقَهاءُ والعلماءُ.

وقيل: هم الصَّالحون وأفاضِلُ المؤمنين.

وقيل: هم الشُّهداءُ، وهم عدولُ الآخرةِ، فهؤلاءِ علَوْا في الدُّنيا وفي[٥] الآخرةِ بعلمِهم وعمَلِهم، فتعالَتْ وارتفَعَتْ منازلُهم في الآخرةِ.

وقيل: هم قومٌ استوَتْ حسناتُهم وسيِّئاتُهم.

وقيل: هم قومٌ جعلَهم الله تعالى على معرفةِ أهلِ الجنَّةِ وأهلِ النَّارِ ـ كما سبق ـ يُميِّزون بعضَهم من بعضٍ.

وعن النَّبيِّ عليه السَّلامُ: «إنَّهم قومٌ خرَجُوا إلى الجهادِ في سبيلِ الله وهم عُصاةٌ لآبائِهم، فقُتِلوا، فأعتقَهم اللهُ منَ النَّارِ؛ لأنَّهم قُتِلوا في سبيلِه، وحُبِسوا عن الجنَّةِ بمعصيةِ آبائِهم»[٦].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٠٥)، واستغربه.

(٢) أي: على الأعراف رجال أوكلت لهم مهمة تمييز أهل الجنة من أهل النار.

(٣) في (ن): «الملائكة».

(٤) وقال في «غرائب التفسير» (١/ ٤٠٤): «وقيل: الملائكة، سموا رجالاً كما في قوله: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا﴾ [الأنعام: ٩]».

(٥) في (و): «فلهؤلاءِ علوٌّ في الدُّنيا وعلوٌّ في».

(٦) رواه سعيد بن منصور في «سننه» (٩٥٤ ـ تفسير)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١١٢٣)، =

وقيل: هم قومٌ بطَّأَتْ بهم صَغائرُهم إلى آخرِ النَّاسِ.

وقيل: هم قومٌ رضيَ عنهم آباؤُهم دونَ أمَّهاتِهم، أو أمَّهاتُهم دونَ آبائِهم.

وقيل: هم أولادُ الزِّنى[١].

وقيل: هم الذين كانوا في الفترةِ ولم يُبدِّلوا دينَهم.

وقيل: هم أولادُ المُشركين. وقيل: هم المُراؤون[٢].

﴿يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا﴾؛ أي: كلَّهم، وهم أصحابُ الجنَّةِ وأصحابُ النَّارِ.

﴿بِسِيمَىٰهُمۡ﴾: بما أُعطوا منَ الثَّوابِ والنَّعيمِ[٣]، أو من عذابِ الجحيمِ.

وقيل: سِيْما المؤمنين بياضُ الوُجوهِ ونَضارتُها، وسِيْما[٤] الكافرينَ زُرقةُ العينِ وسَوادُ الوجهِ.

و(سِيما) يُمَدُّ ويُقصَرُ، و(سِيْميا) فيه لغةٌ، واشتِقاقُه من (السُّومَةِ)، وهي العلامةُ، وقيل: هو مقلوبٌ منَ[٥] (الوَسْمِ)؛ كالجاهِ منَ الوَجْهِ.

= والطبري في «تفسيره» (١٠/ ٢١٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٨٤)، والبيهقي في «البعث والنشور» (ص: ١٠٦)، من طرق عن عبد الرحمن المزني رضي الله عنه.

ورواه البيهقي في «البعث والنشور» (ص: ١٠٦) أيضاً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ومدارها كلها على أبي معشر نجيح المزني، وهو ضعيف، كما قال البيهقي.

ورواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٣٠٥٣)، و«المعجم الصغير» (٦٦٦)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٣): «رواه الطبراني في الصغير والأوسط، وفيه محمد بن مخلد الرعيني، وهو ضعيف».

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٠٥)، وعدَّه من العجائب.

(٢) ذكر المصنف القولين الأخيرين في «غرائب التفسير» (١/ ٤٠٥)، وعدَّهما من العجائب.

(٣) في (و): «والنعم».

(٤) في (ن): «سيماء المؤمنين... وسيماء».

(٥) «من»: ليست في (و).

﴿وَنَادَوْا﴾: أصحابُ الأعرافُ ﴿أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾: أهلَها ﴿أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ تهنئةٌ منهم لأجلِ الجنَّةِ.

﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ على الوجوه الأولى: حالٌ للمُخاطَبين، فيكونُ خطابًا لهم قبل الدُّخولِ، وليس في الآيةِ ما يدلُّ على دُخولهم بعدُ، وعلى الوجوه الأُخرى: حالٌ للمسلمين، وهذا أظهرُ.

وقولُه: ﴿وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾؛ أي: في دخولِ الجنَّةِ.

* * *

(٤٧) ـ ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾؛ أي: من مُواجهتِهم قبل الدُّخولِ وبعدَه على القولَين ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ أي: إذا نظَروا إلى أصحابِ النَّارِ استَعاذُوا بالله من[1] أن يكونُوا من أهلِها.

* * *

(٤٨) ـ ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾.

﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمْ﴾ ذكرَ المُفسِّرون أنَّ الرِّجالَ هاهنا: الوليدُ بنُ المُغيرةِ، وأبو جهلِ بنُ هشامٍ، والعاصُ بنُ وائلٍ، ونُظَراؤُهم، وذلك أنَّهم قالوا: إنَّ بلالًا وسَلمان وعمَّارًا وأمثالَهم يُدخِلُهم الله الجنَّةَ ويُدخِلُنا النَّارَ! كلَّا واللهِ، إنَّ اللهَ لا يُفضِّلُ خدَمَنا ورُعاتَنا علينا، وأقسموا أنْ لا يخصَّهم بفضلٍ دونَهم[2].

---

(١) «من»: ليست في (ن).

(٢) ذكر نحوه الثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ٣٦٢) عن الكلبي.

فناداهم أصحابُ الأعرافِ: ﴿قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ﴾: لم تدفَعْ عنكم كثرتُكُم وشوكَتُكم. وقيل: جمعُكم المالَ.

﴿وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ﴾: استِكبارُكم عن الإيمانِ؛ أي: تعظُّمُكُم.

* * *

(٤٩) - ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ﴾.

﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ﴾: حلفْتُم في الدُّنيا ﴿لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍ﴾ يعني: الجنَّةَ، والمُشارُ إليهم: سلمانُ وبلالٌ وصُهَيبٌ وخبَّابٌ.

﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ﴾ هذا قبلَ الدُّخولِ.

ويحتمَلُ: أقسَمْتُم لا ينالُهم اللهُ برحمةٍ، وقد قالَ الله لهم: ادخُلوا الجنَّةَ.

وقيل: أقسمَ أهلُ النَّارِ لا يدخُلُ أصحابُ الأعرافِ الجنَّةَ، فقالَ الله تعالى: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ﴾[١].

وقيل: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ﴾ من كلامِ الملائكةِ.

ابنُ بحرٍ: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ﴾ من كلامِ أصحابِ الأعرافِ لأنفُسِهم، ثم يرجعون إلى مُخاطبةِ أنفسِهم، فيقولُ بعضُهم لبعضٍ: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ﴾.

﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ﴾: رفعٌ بالابتداءِ[٢] ﴿ٱلَّذِينَ﴾: خبرُه، لا يجوزُ غيرُه.

وقولُه: ﴿وَنَادَىٰٓ﴾ بلفظِ الماضي تحقيقًا للوعدِ، وكذلك أكثرُ ألفاظِ القيامةِ.

* * *

(١) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٤/ ٤٣٤)، ونسبه لعامة أهل التأويل.

(٢) في (ن): «على الابتداء».

(٥٠) ـ ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾.

﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ﴾: صُبُّوا ﴿عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ﴾ مِقدارَ ما يُبرِدُ أبدانَنا ويُزيلُ عطَشَنا.

والإفاضةُ: إجراءُ الماءِ من عالٍ[1].

﴿أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ من الطَّعامِ.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا﴾؛ أي: ماءَ الجنَّةِ وطعامَها تحريمَ مَنْعٍ ﴿عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾.

* * *

(٥١) ـ ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا﴾ فحرَّموا وأحلُّوا ما شاؤوا، وقيل: ﴿دِينَهُمۡ﴾: عيدَهم.

﴿وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا﴾ اغترُّوا بطُولِ البقاءِ.

ثمَّ استأنفَ فقالَ: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ﴾: نتركُهم في العذابِ.

وقيل: نُعامِلُهم مُعاملةَ المنسيِّ.

وقيل: نُجازِيهم على نسيانِهم.

﴿كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا﴾؛ أي: تركُوا العملَ له ﴿وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ﴾: يُنكِرون المعرفةَ بأنَّها من عندِ الله.

* * *

---

(١) في (ن): «معالي».

(٥٢) ـ ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ﴾ يعني: القرآن ﴿فَصَّلْنَاهُ﴾: بيَّنَّاه بالتَّحريمِ والتَّحليلِ والوعدِ والوعيدِ وغيرِها.

وقيل: ﴿فَصَّلْنَاهُ﴾: جعلناه يُفْهَمُ شيئًا شيئًا.

﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾؛ أي: بعلمٍ منَّا؛ أي[١]: ونحنُ عالمون بتفصيلِه.

وقيل: على علمٍ في الكتابِ.

﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يجوزُ أن يكون حالًا، ويجوزُ أن يكونَ وصفًا للكتابِ[٢]، ويجوزُ أن يكونَ مفعولًا له.

* * *

(٥٣) ـ ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ۚ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾: ما ينتَظِرون؛ أي[٣]: يلحقُهم لُحوقَ المُنتظِرِ[٤].

﴿إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾: ما يَؤُولُ إليه أمرُهم منَ العذابِ في الدُّنيا، والنَّارِ في العُقبى.

---

(١) «أي»: ليست في (ن).

(٢) والصفة هنا مقطوعة؛ أي: هو هدى ورحمةٌ، والجملة في محل جر صفة، وذلك على قراءة من رفع (رحمة). انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٣٤١)، و«التبيان» للعكبري (١/ ٥٧٣).

(٣) في (ن): «أن».

(٤) أي: لما كان يلحقهم لحوق المنتظر شبهوا بالمنتظرين، وإنما قيل: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾، وإن كانوا جاحدين؛ لأن الإنسان ينتظر ما يعلم أو يظن وقوعه، ولم يكونوا كذلك لأنهم لم يصدقوا بذلك، لكنه لما كان واقعاً لا محالة كانوا في الحقيقة كالمنتظرين له في المعنى ولذلك جاء تهديداً لهم. انظر: «البسيط» للواحدي (٩/ ١٦٣)، و«كشف المعاني في المتشابه من المثاني» لابن جماعة (ص: ١١٤)، و«روح البيان» لإسماعيل حقي (٣/ ١٢٢).

وقيل: ثوابه. وقيل: عاقبته. وقيل: حقيقته.

﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ﴾: تركوا الاستعدادَ له.

﴿قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ أقرُّوا حين لا ينفعُهم.

﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾: تمَنَّوا شفيعًا أو رَدًّا إلى دارِ الدُّنيا، وضمِنُوا عملًا يُخالفُ ما عملوا، فلم يُجابوا إلى مُلْتَمَسِهم.

﴿قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾؛ أي: خسِروا أعظمَ ما يخسرُه الخاسِرون.

﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾؛ أي: لم تنفعْهم عبادةُ الأصنامِ.

***

(٥٤) ـ ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أراد: السَّماواتِ والأرضَ وما بينَهما، وقد فصَّلَها في سورةِ (السَّجدةِ).

وأوَّلُ هذه الأيامِ الأحدُ، وآخرُها الجمُعةِ، وكلُّ يومٍ من هذه الأيامِ السِّتَّةِ كألفِ سنةٍ.

وقيل: خلقَه في أيَّامٍ لتُشاهِدَ الملائكةُ حدوثَ شيءٍ بعدَ شيءٍ.

وزيَّفَ ابنُ بحرٍ هذا القولَ فقال: ليس يُعقَلُ كونُ الملائكةِ قبل كونِ السَّماواتِ والأرضِ؛ لأنَّهم لا يستغنون عن مكانٍ يحويهم.

وحملَ على أنَّ المُرادَ من السِّتِّ: تعليمُ العبادِ، قال[١]: وأصلُ جميعِ الحسابِ من سِتَّةٍ، ومنها يتفرَّعُ سائرُ العددِ بالغًا ما يبلغُ.

ويحتمِلُ أنَّ الله تعالى فرَّقَ خَلْقَ هذه الأشياءِ، فكانَ خلقُه سبحانَه لشيءٍ منها في كلِّ يومٍ من الأيَّامِ السِّتَّةِ كلمحِ البصرِ[٢]، والله أعلمُ.

﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ مذهبُ السُّنَّةِ والجماعةِ: أنَّ الاستواءِ هاهنا لا يُفسَّرُ بما لم يَصفِ اللهُ ذاتَه به.

الحسنُ: استَوى أمرُه[٣].

وقيل: استَولى، وأُنشِدَ:

قد استَوَى بِشْرٌ على العِراقِ مِن غيرِ سيفٍ ولا دمٍ مُهْراقِ[٤]

---

(١) أي: ابن بحر. انظر: «النكت والعيون» (٢/ ٢٢٩)، و«غرائب التفسير» (١/ ٤٠٦).

(٢) في (ن): «بالبصر».

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٢٢٩).

(٤) البيت منسوب للبعيث في «الأزمنة والأمكنة» للمرزوقي (١/ ٣٨)، و«البسيط» للواحدي (٩/ ١٦٩). ونسب للأخطل في «المحرر الوجيز» (١/ ١١٥) و«تاج العروس» مادة: (س و ا) (٣٨/ ٣٣١).
قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٩/ ٢٩٠): «وهذا البيت تستدل به الجهمية على أن الاستواء على العرش بمعنى الاستيلاء، وهذا من تحريف الكَلِم عن مواضعه، وليس في بيت هذا النصراني حجة ولا دليل على ذلك، ولا أراد الله عز وجل باستوائه على عرشه استيلاءه عليه، تعالى الله عن قول الجهمية علواً كبيراً، فإنه إنما يقال: استوى على الشيء إذ كان ذلك الشيء عاصياً عليه قبل استيلائه عليه، كاستيلاء بشر على العراق، واستيلاء الملك على المدينة بعد عصيانها عليه، وعرش الرب لم يكن ممتنعاً عليه نفساً واحداً حتى يقال: استوى عليه، أو معنى الاستواء الاستيلاء، ولا تجد أضعف من حجج الجهمية، حتى أداهم الإفلاس من الحجج إلى بيت هذا النصراني المقبوح وليس فيه حجة، والله أعلم».

وأضافَ الاستيلاءَ إلى العرشِ وإنْ كانَ سُبحانه مُستوليًا على الكلِّ؛ لأنَّه أعظمُ شيءٍ خلقَه.

وهذا ضعيفٌ؛ لأنَّ (ثمَّ) للتَّراخي، واستيلاءُ الله تعالى على الأشياءِ ليس بمُحدَثٍ.

ورُوِيَ عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾: استقرَّ[1]. وهذا لا يقتَضي مكانًا، بل هو كما قال: ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ [الأنعام: ٦٧].

وقيل: معناه: عَلا؛ كقولِه: ﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ﴾ [هود: ٤٤].

وقيل: ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾: أقبلَ على خلقِ العرشِ فيمَن قالَ: خُلِقَ العرشُ بعدَ السَّماءِ، ومَن قال: خلقَه قبلَ السَّماءِ قال: أقبلَ على نقلِه.

وقيل: معناه: لم يُخلَقْ بعدَ السَّماواتِ والأرضِ وما بينَهما إلا العرشُ، كما سبقَ في (البقرة)[2].

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ٣٦٥) عن الكلبي ومقاتل، وانظر: «تنوير المقباس من تفسير ابن عباس» (ص: ١٦٩). وكل ما فيه عن ابن عباس مروي من طريق السدي الصغير عن الكلبي، وهما متهمان بالكذب، وهذا الإسناد من أوهى الأسانيد في التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما، كما تقدم التنبيه عليه مرارًا.

(٢) وهذه الأقوال كلها على مذهب الخلف القائلين بالتأويل في آيات الصفات، والذي لجؤوا إليه بعد ظهور الفرق الضالة من المشبهة والمعطلة وغيرهم، أما الذين ذهبوا مذهب السلف فقالوا: إذا وردَت صفةٌ من صفات الله تعالى موهمةٌ مشابهةَ المخلوقين؛ كورودِ لفظ اليد والعين ونحوهما، فإننا نُؤمِنُ بها مع القطعِ بأنَّه تعالى ليس كمثلِه شيءٌ في صفاته ولا ذاته، ونُوْكِلُ معرفةَ كيفيَّتها وكيفيَّةِ تعلُّقِها به تعالى إلى الله، ونجريها على ما أجراها الله تعالى ورسوله عليه من غير تأويلٍ ولا تكييفٍ، وهو مذهبُ سلفِ الأمَّة، ويقال له: الطريقُ الأسلمُ، وطريقةُ المتأخِّرين في التأويل يقال لها: الطريقُ الأعلمُ. والحقُّ أنَّ الأَولى بالمؤمن هي الطريقُ الأُولى، فإنَّه لا يحيطُ بالصفة وكيفيَّتها إلا =

وفي العرشِ أقوالٌ: قيل: هو السَّريرُ.

ويُقالُ: العرشُ: المُلْكُ، ويُقالُ لمن ذهَبَ ملكُه أو عزُّه: ثُلَّ عرشُه.

وقيل: العرشُ: السَّقفُ؛ يعني: السَّماوات، من قولِه: ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩].

وقال هذا القائلُ في قولِه: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾؛ أي: عرشُ هذا الخَلْقِ العظيمِ، يريدُ: بناءَه وسقفَه.

﴿يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾؛ أي: جعلَ اللَّيلَ يُغطِّي نورَ النَّهارِ ويذهَبُ بضوئِه، وتقديرُه: يُغشي اللَّيلَ النَّهارَ ويُغشي النَّهارَ اللَّيلَ؛ كقولِه: ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ﴾ [الزمر: ٥] فاكتَفَى بأحدِ الضِّدَّين.

ابنُ بحرٍ: يُغطِّي النَّهارَ وضِياءَه باللَّيلِ[1]، فعلى هذا يكونُ اللَّيلُ ظرفًا.

﴿يَطْلُبُهُۥ﴾: يَعْقُبُه ﴿حَثِيثًا﴾: محمولًا على السُّرعةِ، فَعيلٌ بمعنى مفعولٍ من (حثَّه).

= مَن أحاط بذات الموصوف، وقد ثبت فيه قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، وطريقةُ التأويل غايتُها الحملُ على المجازِ، وكونُه المرادَ أمرٌ غيرُ مقطوعٍ به، وإنَّما هو ظنٌّ وتخمينٌ. وقد ذكر أبو حيان رحمه الله في «البحر المحيط» (٥/ ٦٦) عند تفسير هذه الآية قصة الإمام مالك التي تبين منهج الأئمة في هذا الأمر، وذلك حين جاءه رجل فسأله: كيف استوى؟ فأطرق رأسه مليًّا وعلَتْه الرحضاء [عَرَق يغسل الجلد كثرةً] ثم قال: الاستواء معلوم، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أظنك إلا ضالاً. ثم أمر به فأُخرج. روى القصة البيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٦٧).

(١) لم أقف عليه، وقد ذكر نحوه الهروي في «الغريبين» (٤/ ١٣٧٦).

﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ﴾؛ أي: وخلَقَ الشَّمسَ والقمرَ والنُّجومَ مُسخَّراتٍ مُذلَّلاتٍ جارياتٍ مَجاريَهنَّ.

وقيل: مُسخَّراتٍ للخلقِ؛ كقولِه: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣].

﴿بِأَمْرِهِۦٓ﴾؛ أي: كلُّ ذلك كان بأمرِه، وقيل: قال لها: كوني مُسخَّرةً، فتسخَّرَتْ بأمرِه. وقيل: بإرادتِه. وقيل: لأمرِه.

﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾؛ أي: الخلقُ العظيمُ والأمرُ النَّافذُ.

وقيل: له الخَلقُ كلُّه والأمرُ الذي لا يُخالَفُ.

وقيل: له الخَلقُ، وله الأمرُ فيهم.

وقيل: الخلقُ والأمرُ واحدٌ، فعُطِفَ لتقدُّمِ ذكرِ الخلقِ والأمرِ في الآيةِ.

﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ تعالى بالوحدانيَّةِ وعظُمَ بدوامِ البقاءِ(١).

وقيل: معناه: إنَّ ذِكْرَ ربِّ العالمين بركةٌ عليكُم وعلى مَن ذكرَهُ منكم.

***

(٥٥) ـ ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾.

﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا﴾: تذلُّلًا.

ابنُ عيسى: التَّضرُّعُ: التَّذلُّل، وأصلُه الميلُ في الجهاتِ ذُلًّا، من قولِهم: ضَرَعَ الرَّجلُ: إذا مالَ بأُصبُعِه يمينًا وشمالًا ذُلًّا وخوفًا(٢).

---

(١) في (و): «وعظم بالبقاء».

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (٨/ ١٣٧) دون نسبة.

وقيـل: ﴿تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾: سِـرًّا وإخلاصًـا، ونصبُهـا علـى الحـالِ، أو علـى المفعـولِ لـه.

﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾: الذين يَسألون الله درجةَ الأنبياءِ والمُرسلين.

وقيل: يدعو مَن لا يستحِقُّه.

وقيل: هو الذي يرفعُ صوتَه عندَ الدُّعاءِ[١]، فإنَّ أبا موسى الأشعريَّ رضي الله عنه قال: كانَ النَّبيُّ عليه السَّلامُ في غزاةٍ فأشرَفُوا على وادٍ، فجعلَ النّاسُ يُكبِّرون ويُهلِّلون ويرفَعُونَ أصواتَهم، فقال عليه السَّلامُ: «أيُّها الناسُ، اربَعوا على أنفُسِكُم، إنَّكم لا تدعُونَ أصمَّ ولا غائبًا، إنَّكم تدعُونَ سميعًا قريبًا، إنَّه معَكُم»[٢].

وقيل: الاعتِداءُ: السَّجْعُ في الدُّعاءِ، حكاه هشامٌ في «تفسيرِه»[٣].

***

(٥٦) ـ ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا﴾؛ أي: بالكفرِ وتعويقِ النَّاسِ عن الإيمانِ.

وقيل: بالمعصيةِ. وقيل: بالظُّلمِ.

﴿بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا﴾: بعدَ أنْ أصلَحَها اللهُ ببعثِ الأنبياءِ، وبيانِ الشَّرائعِ، ومنعِ النَّاسِ عن المعصيةِ والظُّلمِ، ولولا الأنبياءُ والشَّرائعُ لأكَلَ النَّاسُ بعضُهم بعضًا.

وقيل: معناه: لا تَعْصُوا في الأرضِ فيُمسِكَ اللهُ المطرَ بمعاصيكم.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٠٧)، واستغربه.

(٢) رواه البخاري (٤٢٠٥)، ومسلم (٢٧٠٤).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٠٨)، وعدَّه من العجائب.

﴿وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا﴾ من عقابِه ﴿وَطَمَعًا﴾ في ثوابِه.

وقيل: ﴿خَوۡفٗا﴾ منَ الرَّدِّ ﴿وَطَمَعًا﴾ في الإجابةِ.

ونصبُها على الحالِ، أو على المفعولِ له.

﴿إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾؛ أي: تَلْحقُ المُحسِنَ دونَ المُسيءِ.

وقيل: معناه: ما وعدَ اللهُ المُحسِنَ قريبٌ منَ المُحسن[1]؛ لأنَّ ما هو آتٍ قريبٌ.

وفي تذكيرِ ﴿قَرِيبٞ﴾ قولان:

أحدُهما: أنَّه محمولٌ على المعنى، والمُرادُ به الثَّوابُ والنَّعيمُ.

الأخفشُ: المُرادُ به المطرُ[2]. وهذا مذهبُ البصريِّين.

وقال الكوفيُّون: (القريبُ) و(البعيدُ) إذا أردتَ بهما النَّسبَ يُثنَّى ويُجمَعُ ويُؤنَّثُ، وإذا أردتَ بهما قُربَ المكانِ وبُعدَه فلا يُثنَّى ولا يُجمَعُ ولا يُؤنَّثُ، وأنشدَ:

عَشِيَّةَ لا عَفْرَاءُ مِنْكَ قَرِيبَةٌ فَتَدْنُو وَلا عَفْرَاءُ مِنْكَ بَعِيدُ[3]

ويحتمِلُ أنَّ المُرادَ به المفعولُ؛ أي: مُقرَّبةٌ، فيصيرُ من بابِ[4]: كَفٌّ خضيبٌ، و: عَينٌ كَحيلٌ[5].

---

(١) في (و): «المحسنين».

(٢) ذكره جوازاً فقال: وإن شئت قلت: تفسير الرحمة ها هنا: المطرُ ونحوُه، فلذلك ذكَّر؛ كما قال ﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٞ مِّنكُمۡ ءَامَنُواْ﴾ [الأعراف: ٨٧] فذكَّر لأنه أراد الناس. انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ٣٢٧).

(٣) البيت لعروة بن حزام كما في «ديوانه» (ص: ١٠٦)، و«معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٨١)، و«تفسير الطبري» (١٠/ ٢٥١)، و«تفسير الثعلبي» (٤/ ٢٤٢).

(٤) «باب»: ليست في (ن).

(٥) فهو (فعيل) بمعنى (مفعول)، والأصل ألا تلحقه علامة التأنيث وإن وصفت به أنثى. انظر: «إصلاح المنطق» لابن السكيت (٢٤٣).

(٥٧) ـ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ﴾؛ أي: يُثيرُها سهلةً[1] من عالٍ ﴿بُشْرًا﴾ بالبشارةِ؛ كقولِه: ﴿يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ﴾ [الروم: ٤٦].

﴿بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾: قُدَّامَ المطرِ وأمامَ الغيثِ.

و﴿نُشُرًا﴾[2]: تهبُّ من كلِّ صَوْبٍ كقولِه: ﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا﴾ [المرسلات: ٣] من قولِهم: أنشَرَ اللهُ الموتَى فنشَرَتْ؛ أي: أحياها فحَيِيَتْ.

وقيل: لها نَشْرٌ؛ أي: رائحةٌ طيبةٌ.

وقيل: من (نشرتُ) ضِدَّ الطَّيِّ؛ أي: تنشرُ السَّحابَ.

وعن أبي بكرِ بنِ عيَّاشٍ: لا تقطرُ مِنَ السَّماء قطرةٌ حتَّى تعملَ فيها أربعُ رياحٍ: فالصَّبا تُهيِّجُ السَّحابَ، والشَّمالُ تجمعُه، والجنوبُ تذرُّه، والدَّبورُ تُفرِّقُه[3].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا﴾؛ أي: دفعَتِ الرِّيحُ سحابًا وحملَتْه.

والإقلالُ: دفعُ الشَّيءِ بتمامِه من غيرِ تعبٍ.

والسَّحابُ: جمعُ سحابةٍ.

---

(١) في (ن): «سَهْلَها».

(٢) قرأ عاصم: ﴿بشراً﴾ بالباء المضمومة وإسكان الشين حيث وقع، وابن عامر بالنون مضمومة وإسكان الشين، وحمزة والكسائي بالنون مفتوحة وإسكان الشين، والباقون بالنون مضمومة وضم الشين. انظر: «السبعة» (ص: ٢٨٣)، و«التيسير» (ص: ١١٠).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٣٣٧).

﴿ثِقَالًا﴾؛ أي: بالماءِ، جمعُ (ثِقَلٍ) نحو: جَمَلٍ.

﴿سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ﴾؛ أي: إلى بلدٍ. وقيل: لإحياءِ بلدٍ. وذكَّرَ للجنسِ.

﴿مَّيِّتٍ﴾: لا نباتَ به ﴿فَأَنزَلْنَا بِهِ﴾: بالبلدِ، وقيل: بالسَّحابِ ﴿ٱلْمَآءَ﴾: المطرَ ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ﴾ على الوجهَين[1] ﴿مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾: أنواعِ حملِ الأشجارِ.

﴿كَذَٰلِكَ﴾؛ أي: كما أحيَيْنا هذا البلدَ بإخراجِ الثَّمراتِ ـ وحياةُ الأرضِ: خروجُ نباتِها ـ ﴿نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ من الأجداثِ.

ورَوَى الثَّعلبيُّ في «تفسيرِه» عن أبي هُريرةَ وابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: إذا ماتَ الناسُ كلُّهم في النَّفخةِ الأولى أُمطِرَ عليهم أربعين عامًا كمنيِّ الرِّجالِ من ماءٍ تحتَ العرشِ يُدعى: ماءَ الحيوانِ، فيَنبُتون في قُبورِهم بذلك المطرِ كما ينبُتون في بطونِ أمَّهاتِهم، وكما ينبُتُ الزَّرعُ منَ الماء، حتَّى إذا استكمِلَتْ أجسادُهم نُفِخَ فيهم الرُّوحُ، ثمَّ تُلقَى عليهم نَومةٌ فينامون في قُبورِهم، فإذا نُفِخَ في الصُّورِ الثَّانيةُ عاشوا وهم يجِدون طعمَ النَّومِ في رُؤوسِهم وأعيُنِهم، كما يجِدُ النَّائمُ إذا استيقظَ في نومِه، فعند ذلك يقولون: ﴿يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ [يس: ٥٢]، فيُنادي المُنادي: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ٥٢][2].

﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

* * *

(٥٨) ـ ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾.

﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ﴾ يُريدُ: الأرضَ العَذْبَ التُّرابِ، لا حجارةَ فيه ولا مِلحَ.

---

(١) أي: بالبلد أو بالسحاب.

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٢/ ٣٨٥)، وقد ذكره الثعلبي بلا إسناد، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٠٨)، واستغربه.

﴿يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾: بعلمِه ومشيئتِه. وقيل: بإطلاقِه له وحفظِه منَ الآفاتِ.

﴿وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ يُريدُ السَّبخةَ ﴿إِلَّا نَكِدًا﴾: قليلًا عسيرًا، وأصلُ النَّكَدِ: العُسْرُ والشُّؤْمُ.

وقيل: هذا مَثَلٌ ضربَه الله للمُؤمنين(١)، يسمعُ القرآنَ فينتفعُ به، ومثلٌ للكافرِ(٢) يسمعُه فلا ينتفعُ به.

وقيل: الأرضُ الطَّيِّبةُ والخبيثةُ كلتاهما منَ الأرضِ، وهو مَثَلٌ لآدمَ عليه السَّلامُ وذُرِّيَّتِه، كلُّه منه؛ فمنهم طيِّبٌ مُؤمنٌ، ومنهم خبيثٌ كافرٌ.

﴿كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ﴾: نُبيِّنُها ﴿لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾: نعمَتي ويُطيعونَني.

***

(٥٩) ـ ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ بعثَه الله وكانَ ابنَ خمسينَ سنةً ﴿فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾: وحِّدوه وأطيعُوه ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾: لا إلهَ سواه، فلا تعبُدوا معَه غيرَه ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ إنْ لم تُؤمِنوا ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: يومِ القيامةِ.

***

(٦٠) ـ ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ﴾ الأشرافُ منهم ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ﴾: نجِدُكَ ﴿فِى ضَلَٰلٍ﴾: خطأٍ وذهابٍ عن الرَّشاد ﴿مُّبِينٍ﴾: بيِّنٍ.

---

(١) كذا في النسخ الخطية، ولو قال: للمؤمن، لكان أظهر، والله أعلم. انظر: «الوسيط» للواحدي (٢/ ٣٧٩).

(٢) في (ن): «الكافر».

(٦١ ـ ٦٢) ـ ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾.

﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ النُّصحُ: خلافُ الغِشِّ، تقولُ: نصَحْتُه ونصَحْتُ له.

﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ لأنَّه أوحى إليَّ دونكم. وقيل: أعلَمُ ثوابَه وعقابَه.

* * *

(٦٣) ـ ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾.

﴿ أَوَعَجِبْتُمْ ﴾: استفهامُ إنكارٍ، والمعنى: بَعُدَ في عُقولِكم وُجودُه.

﴿أَن جَآءَكُمْ﴾: من أنْ جاءَكُم ﴿ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾: وَحْيٌ ورسالةٌ ﴿عَلَىٰ رَجُلٍ﴾؛ أي: أُنزِلَ عليه. وقيلَ: معَ رجلٍ ﴿مِّنكُمْ﴾: من جملتِكُم ﴿لِيُنذِرَكُمْ﴾: ليُخوِّفكُم المكروهَ ﴿وَلِتَتَّقُوا۟﴾ عبادةَ الأصنامِ ﴿وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ إنْ أطعتُموه.

* * *

(٦٤) ـ ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴾.

﴿ فَكَذَّبُوهُ﴾ نسبُوه إلى الكذبِ.

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ﴾؛ أي: نوحًا ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾: بَنيه ـ سامٌ وحامٌ ويافثُ ـ وستَّةُ رجالٍ.

وقيل: كانوا ثمانين؛ أربعين رجلًا وأربعين[1] امرأةً.

---

(١) في (ن): «أربعون رجلاً وأربعون».

﴿فِي ٱلۡفُلۡكِ﴾: في السَّفينةِ ﴿وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمًا عَمِينَ﴾: عمَى القلبِ، تقولُ: جاء[1] رجلٌ أعمى، للذي لا يرى بعينِه، ورجلٌ عَمٍ: لا يهتدي بقلبِه[2].

وقيل: ﴿عَمِينَ﴾: جاهلين. وقيل: ضالِّين عن الحقِّ.

* * *

(٦٥) ـ ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾.

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ﴾ يُريدُ: وأرسلنا إلى عادٍ، فهو عطفٌ على (نوحٍ).

وعادٌ: هي عادٌ الأولى، عادُ بنُ عُوْصِ بنِ إرَمَ بنِ سامِ بنِ نوحٍ.

﴿أَخَاهُمۡ﴾؛ أي: في النَّسبِ ﴿هُودٗا﴾: هو هودُ بنُ عبدِ الله، وقيل: هودُ بنُ شالخٍ.

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾؛ أي: أفلا تتَّقون عذابَ الله.

* * *

(٦٦) ـ ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٖ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾.

﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٖ﴾؛ أي: في ضلالٍ بتركِكَ دينَنا.

والسَّفاهةُ: خِفَّةُ العقلِ والحلمِ، والسَّفاهةُ بلغة حميرَ: الجنونُ[3].

﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ في ادِّعائِك.

---

(١) «جاء»: ليست في (و).

(٢) انظر: «العيني» مادة (ع م ي) (٢/ ٢٦٦).

(٣) انظر: «لغات القبائل» لأبي عبيد (ص: ٥)، و«اللغات» لابن حسنون (ص: ٢٧).

(٦٧ ـ ٦٩) ـ ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٧ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمۡ نَاصِحٌ أَمِينٌ ٦٨ أَوَعَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُمۡ لِيُنذِرَكُمۡۚ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ قَوۡمِ نُوحٖ وَزَادَكُمۡ فِي ٱلۡخَلۡقِ بَصۜۡطَةٗۖ فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾.

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٧ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمۡ نَاصِحٌ أَمِينٌ ٦٨ أَوَعَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُمۡ لِيُنذِرَكُمۡۚ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ قَوۡمِ نُوحٖ وَزَادَكُمۡ فِي ٱلۡخَلۡقِ بَصۜۡطَةٗۖ فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ سبق[١].

﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ قَوۡمِ نُوحٖ﴾؛ أي: في مساكنِهم ومنازِلِهم وأموالِهم، وكان مساكنُهم بالأحقافِ من رملِ عالجٍ[٢] من حضرموتَ إلى بحرِ عُمان.

﴿وَزَادَكُمۡ فِي ٱلۡخَلۡقِ بَصۜۡطَةٗ﴾: طُولًا وقوَّةً وامتدادًا وسَعةً.

قيل: كانَ طولُ الواحدِ منهم اثني عشرَ ذراعًا. وقيل: سبعينَ ذراعًا. وقيل: ثمانينَ.

الكلبيُّ: أطولُهم مئةُ ذراعٍ، وأقصرُهم ستُّونَ ذراعًا[٣].

وقيل: ﴿وَزَادَكُمۡ فِي ٱلۡخَلۡقِ﴾: في النَّاسِ ﴿بَصۜۡطَةٗ﴾: قوَّةً عليهم وغَلَبةً.

---

(١) «سبق»: ليست في (و).

(٢) رمل عالج: رمل عظيم في بلاد العرب يمر في شمال نجد قرب مدينة حائل ـ بالسعودية ـ إلى شمال تيماء، وقد سمّي قسمه الغربي: رمل بحتر، نسبة إلى قبيلة من طيئ ويسمى اليوم: النفود. انظر: «المعالم الأثيرة» لمحمد حسن شراب (ص: ١٨٥).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ٣٩٢).

﴿فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ﴾: نعمَه، واحدُها: إلى، مثلُ (مِعًى)، وهو الصَّحيحُ، وقيل: (ألًا) بالفتحِ كـ(قفًا)، وقيل: (إِلْيٌ) كـ(حِسْيٌ).

﴿لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾: لكي تبقَوا في الجنَّةِ.

* * *

(٧٠) ـ ﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَاۖ فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.

﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ مِنَ الأصنامِ، استفهامُ إنكارٍ؛ أي: لا نفعلُ ذلك.

﴿فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ يعني: العذابَ ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ ودلَّ قولُه: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ عليه.

* * *

(٧١) ـ ﴿قَالَ قَدۡ وَقَعَ عَلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ رِجۡسٞ وَغَضَبٌۖ أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسۡمَآءٖ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٖۚ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ﴾.

﴿قَالَ قَدۡ وَقَعَ عَلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ﴾: نزلَ ووجبَ؛ أي: دنا ذلك.

﴿رِجۡسٞ﴾: عذابٌ، وكلُّ مُستقذَرٍ: رِجْسٌ، والرِّجْسُ: الصَّوتُ الشَّديدُ أيضًا.

ابنُ بحرٍ: الرِّجْسُ: ضدُّ التَّزكيةِ[1].

أبو عمرٍو: الرِّجسُ: الرِّجْزُ، قُلِبَ زايُه سينًا[2].

---

(١) ذكره الرازي بلا نسبة في «التفسير الكبير» (١٤/ ٣٠٣).

(٢) ذكره الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٢٧٩). وفي (ن): «زاؤه» بدل: «زايه».

﴿وَغَضَبٌ﴾: إرادةُ انتقامٍ.

﴿أَتُجَٰدِلُونَنِي﴾: أتُخاصِمُونَني ﴿فِيٓ أَسْمَآءٍ﴾؛ أي: في أسماءِ[1] أصنامٍ ﴿سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾ أسماءً لا تستحقُّها ﴿مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾؛ أي: سمَّيتُموها آلهةً من غيرِ حجَّةٍ ولا بيانٍ.

الثَّعلبيُّ: سمَّوا صنمًا صُداء، وصنمًا صَمُودًا، وصنمًا الهبارَ[2].

﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ﴾: نزولَ العذابِ ﴿إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾.

***

(٧٢) ـ ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾ يعني: مَن آمنَ به ﴿بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾: بنعمةٍ منَّا عليهم.

﴿وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾؛ أي: أهلَكْناهُم هلاكَ استِئصالٍ. والدَّابرُ: الأصلُ، وقيل: الدَّابرُ: آخِرُ مَن بقيَ منهم.

﴿وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ﴾: زيادةُ ذمٍّ لهم.

ابنُ بحرٍ: أي: لو بقُوا ما كانُوا ليُؤمِنُوا.

ثمَّ سلَّطَ الله عليهم الرِّيحَ سبعَ ليالٍ وثمانيةَ أيامٍ حسومًا فأُهلِكُوا.

***

(١) «أسماء»: ليست في (ن).

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٢/ ٣٩٦).

(٧٣) ـ ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ﴾: أرسلنا إلى ثمودَ، اسمُ قبيلةٍ عظيمةٍ، مُشتقٌّ من (الثَّمَدِ)، وهو الماءُ القليلُ، وجدُّهم ثمودُ بنُ عابَرَ[1] بنِ إرمَ بنِ سامِ بنِ نوحٍ.

﴿أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾: هو صالحُ بنُ عبيدٍ[2] ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ هذا جوابٌ لقولِهم: ﴿فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الشعراء: ١٥٤].

﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾ إضافةُ تخصيصٍ كـ(بيتِ الله)، ولأنَّها لم تكُنْ مِن اجتماعِ ذكرٍ وأُنثى، بل أخرجَها اللهُ من صخرةٍ مُنفردةٍ في ناحيةِ الحِجْرِ، وكان ديارُهم الحِجْرَ بين الحجازِ والشّامِ، يُقالُ لتلك الصَّخرةِ: الكاثبةُ، فتمخَّضَتِ الصَّخرةُ تمخُّضَ النَّتوجِ بولدِها، ثمَّ تحرَّكت الهضبةُ، فانصدعَتْ عن ناقةٍ عُشَراءَ، ثمَّ نَتَجَتْ سَقْبًا[3] مِثْلَها في العِظَمِ.

﴿لَكُمْ ءَايَةً﴾ تدلُّ على صدقِ نُبوَّتي ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ﴾: عُشبَها وخَلاها؛ أي: سهَّلَ اللهُ لكم أمرَها، فليس عليكم منها مُؤنةٌ.

﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾: لا تقربُوها بنحرٍ وعقرٍ، ﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

* * *

---

(١) في (ن): «عاد»، وفي (و): «عاش». وما أثبتناه هو الذي عليه أكثر المصادر.

(٢) هكذا ورد الاسم في «تاريخ الطبري» (١/ ١٣٨)، و«تفسير الثعلبي» (١٢/ ٤١٢): صالح بن عبيد بن آسف، وفي كثير من المصادر: صالح بن آسف، دون ذكر عبيد.

(٣) السَّقْبُ: ولد الناقة الذكر. انظر: «معجم ديوان الأدب» (١/ ٩٤).

(٧٤) - ﴿وَاذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾.

﴿وَاذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: أنزلَ لكم وأسكنكُم، منَ (البَواءِ)، وهو المنزِلُ، واشتقاقُه من (باءَ): إذا رجَعَ.

﴿تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا﴾؛ أي: وسَّعَ عليكم، فصِرتُم أربابَ قُصورٍ وحُصونٍ.

﴿وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا﴾؛ أي: تُنقِّبون في الجبالِ للبيوتِ؛ لأنَّ الأبنيةَ لم تكُنْ تفي بعُمرِهم ﴿فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾.

* * *

(٧٥) - ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾.

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ﴾؛ أي: الكفَّارُ منهم ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ﴾، أي: المؤمنين، ثمَّ أبدلَ فقال: ﴿لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ إليكم؟ ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾.

* * *

(٧٦ - ٧٧) - ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ عقرَها قُدارُ بنُ سالفٍ ومِصْدَعُ بنُ دهرٍ، وتأتي القصَّةُ في موضعِها.

﴿وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾: جاوزوا الحدَّ في الكفرِ[١]، وتعظَّموا عن أن يُؤمِنُوا ﴿وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ تكذيبًا واستهزاءً.

﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ صادقًا في ادِّعائك النُّبوَّةَ ووعيدِك إيَّانا بالعذابِ.

***

(٧٨) - ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾: الزَّلزلةُ، وفي الآيةِ الأخرى: ﴿الصَّيْحَةُ﴾ [الحجر: ٧٣]، وفي آيةٍ ثالثةٍ: ﴿بِالطَّاغِيَةِ﴾ [الحاقة: ٥]، ووجهُ ذلك أنَّ الطَّاغيةَ صِفةٌ لكلِّ عذابٍ جاوزَ الحدَّ في الفسادِ[٢]، والرَّجفةُ: الصَّيحةُ التي زَعْزعَتْهم وحرَّكتْهُم للهلاكِ.

وقيل: ماتُوا بالرَّجفةِ والصَّيحةِ جميعًا.

وقيل: الصَّيحةُ: الأمرُ والدُّعاءُ والنِّداءُ؛ أي: اللهُ أمرَها وناداها بأنْ تَهلِكَ بالرَّجفةِ الشَّديدةِ المُفرِطةِ.

وقيل: الطَّاغيةُ: سيولٌ وقعَتْ بعَقِبِ الرَّجفةِ.

﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ﴾: بلدِهم، وقيل: منازلِهم، فوحَّدَ للجنسِ.

﴿جَاثِمِينَ﴾: ميِّتين خامِدين.

وقيل[٣]: كرمادِ الجاثمِ، والجواثمُ: الأثافيُّ، وكلُّ ما لاطَ بالأرضِ ساكنًا فهو جاثمٌ.

---

(١) في (ن): «كفرهم».

(٢) قوله: «الفساد» كذا في النسخ. ولعله وهم، والصواب: الشدة أو القوة. انظر: «الكشاف» (٤/ ٥٩٨)، و«تفسير الرازي» (٣٠/ ٦٢١)، و«تفسير البيضاوي» (٥/ ٢٣٩)، وغيرها. أما الفساد فلا مكان لذكره هنا، وإنما يمكن أن يذكر في تعريف الطغيان بأنه ما جاوز الحد في الفساد.

(٣) «وقيل»: ليست في (ن).

(٧٩) ـ ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَـٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَـٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّـٰصِحِينَ﴾.

﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾؛ أي: لمّا عقَروا النّاقةَ فارَقَهم ﴿وَقَالَ﴾ لهم عندَ فِراقِه إيّاهم: ﴿يَـٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَـٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّـٰصِحِينَ﴾.

وقيلَ: أعرَضَ بعد نُزولِ العذابِ بهم، وقال هذا القولَ، كما خاطَبَ النَّبيُّ ﷺ قتلى بدرٍ.

* * *

(٨٠) ـ ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾.

﴿وَلُوطًا﴾؛ أي: وأرسَلْنا لوطًا. الأخفشُ: واذكُرْ لوطًا[١].

هو لوطُ بنُ هارانَ، ابنُ أخي إبراهيمَ عليهما السَّلامُ.

﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ﴾ وهم أهلُ سَدوم: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ﴾: استفهامُ تقريعٍ وتوبيخٍ وإنكارٍ على ارتكابِ القبيحِ.

والفاحشةُ هاهنا: اللِّواطُ.

﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾؛ أي: لم يُعرفْ[٢] هذا الفعلُ قبلَ اليومِ، ولا يُرَى ذَكرٌ على ذَكرٍ في الدُّنيا حتَّى كانَ قومُ لوطٍ.

وقيل: عالَمِي زمانِهم. وهذا هاهنا بعيدٌ.

والمُرادُ بالعالَمِين: النَّاسُ.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ٣٣١)، وقد قدم فيه القول السابق ثم قال: وقال بعضهم: «واذكر لوطا».

(٢) في (و): «يعلم».

(٨١) ـ ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾.

﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً﴾؛ أي: لشهوةِ الجماعِ التي حقُّها أنْ تُنالَ منَ النِّساءِ.

﴿مِّن دُونِ النِّسَاءِ﴾ أي: لا منَ النِّساءِ.

﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ (بل): ردٌّ لجوابٍ عيسى يزعموا[1] أن يكونَ لهم فيه عذرٌ؛ أي: لا عُذرَ لكم ولا حجَّةَ.

ابنُ عيسى: ﴿بَلْ﴾ إضرابٌ عن الأوَّلِ إلى جميعِ المعايبِ؛ من عبادةِ الأوثانِ وإتيانِ الذُّكرانِ.

والإسرافُ والجهلُ توأمانِ، ولهذا قال في النَّملِ: ﴿تَجْهَلُونَ﴾ [النمل: ٥٥][2].

* * *

(٨٢) ـ ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾.

﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ﴾ يُريدُ: لوطًا وابنتَيه ـ زعورا[3] وريثا، وقيل: ريثاءَ وعيثاءَ ـ ومَن آمن معَه؛ أي: لم يكن لهم جوابٌ، فعدَلوا إلى السَّفاهةِ والاستهزاءِ.

﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾: يتنزَّهون عن أعمالِكم.

---

(١) كذا في النسخ، وقد نقل أبو حيان في «البحر» (٥/ ١٠١) هذا الكلام عن المؤلف بلفظ: «(بل) ردّ لجواب زعموا أن يكون لهم فيه عذر».

(٢) انظر: «درة التنزيل» للخطيب الإسكافي (٢/ ٦٣٢)، و«البرهان» للمصنف (ص: ١٢٤).

(٣) اختلفت المصادر في الاسم، فمما ذكروه: (زغرتا) و(رعزيا) و(زعرثا).

وقيل: يتقزَّزون[1] عن إتيانِ أدبارِ الرِّجالِ وأدبارِ النِّساءِ.

وقيل: يتحرَّجون.

ابنُ بحرٍ: يرتقبون أطهارَ النِّساء ليُجامِعُوهنَّ فيها.

ابنُ عبَّاسٍ: عابُوهم بما يُتمدَّحُ به[2].

***

(٨٣) ـ ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾.

﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ ﴾؛ أي: مَن آمنَ به ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ ﴾ واسمُها واهلةُ، فإنَّها كانت تُسِرُّ الكفرَ.

﴿كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾ من الباقين، وغُلِّبَ المُذكَّرُ.

وقيل: منَ الباقين في عذابِ الله.

وقيل: منَ الغائبين عن النَّجاةِ، تقولُ: غَبَرَ عنا؛ أي: غابَ.

وقيل: من المُعمَّرين.

***

(٨٤) ـ ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾.

﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ﴾ مُفسَّرٌ بقوله سُبحانَه: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ [هود: ٨٢ ـ ٨٣].

﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾؛ أي: الكافرين.

---

(١) في (ن): «يتعززون».

(٢) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٥/ ١٠٢). ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢١٢٧)، والطبري في «تفسيره» (١٠/ ٣٠٧) عن قتادة.

(٨٥) - ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ﴾: وأرسَلْنا إلى مدينَ.

الفرَّاءُ: إلى أهلِ مدينَ، ومدينُ: اسمُ بقعةٍ[١]، وأنشدنا:

رُهبانُ مَدْيَنَ لو رأوكِ تَنَزَّلُوا ... والعُصْمُ من شَعَفِ العَقُولِ الفادِرِ[٢]

غيرُه: مدينُ بنُ إبراهيمَ الخليلِ عليه السَّلامُ.

وقيل: اسمُ رجلٍ يُقالُ له: مَدينان، وكان سِبطَ نوحٍ عليه السَّلامُ، وجُعِلَ اسمًا لقبيلةٍ، وهم أصحابُ الأيكةِ.

قتادةُ: أُرسِلَ مرَّتين؛ مرّةً إلى مَدْينَ، ومرّةً إلى أصحابِ الأيكةِ[٣].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٠٤)، وفيه: (﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ﴾ يريد: قصدَ ماء مدين. ومدين لم تصرف لأنها اسم لتلك البلدة، ثم أنشد البيت.

(٢) البيت لجرير، وهو في «ديوانه» بشرح ابن حبيب (١/ ٣٠٨)، و«الغريبين» (٣/ ٧٩٦)، و«البسيط» (٧/ ٤٩٥)، ونسب لكثير كما في «معجم البلدان» (٥/ ٧٨)، ورجح الشيخ أحمد شاكر في حاشية الطبري (١٠/ ٥٠٢) أنه لجرير، وقال في شرحه: و«العقول» عندي بفتح العين، من قولهم: «عقل الوعل يعقل عقولاً»: امتنع برأس الجبل... والشعف: جمع شعفة (بفتحتين): وهي رأس الجبل. و«الفادر»: الوعل العاقل الممتنع في رأس الجبل، وهو حينئذ مسنٌّ معتقِل في رأس جبله. و«العصم»: جمع أعصم، وهو الوعل، سمي بالصفة الغالبة، لأن في إحدى يديه بياضًا... بمعنى أن العصم غيرَ المسنة تنزلت أيضاً من المعقل الذي يعقل إليه مسن الوعول امتناعًا من الصيد لقلة احتفاله بمفارقة معقله كاحتفال شوابِّ الوعول.

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٢٥٨)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ١٠٠).

﴿أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾: هو شُعَيبُ بنُ توبةَ، وقيل: شُعَيبُ بنُ ميكيل، وكان يُقال له: خطيبُ الأنبياءِ؛ لحُسنِ مُراجعتِه قومَه[١].

وقيل: كان نبيًّا لم تكُنْ له مُعجزةٌ.

وأنكرَ الزَّجَّاجُ هذا القولَ، قال: والدَّليلُ[٢] على أنَّ له مُعجزةً قولُه: ﴿قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ٨٥] قال: ولا تُقبَل نبوَّةٌ بغيرِ مُعجزةٍ[٣].

﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ يعني: ما أُوتيَ منَ المُعجزةِ ﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ﴾ الإيفاءُ: إتمامُ الشَّيءِ إلى حدِّ الواجبِ فيه.

﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾: لا تَنقُصُوا حقوقَهم بتطفيفِ الكيلِ ونُقصانِ الوزنِ.

﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بالكفرِ ﴿بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾: بعد بَعثِ الأنبياءِ والأمرِ بالعدلِ والإحسانِ.

والأليَقُ بالآيةِ: ولا تُفسِدوا بالظُّلمِ والعدوانِ في الكيلِ والميزانِ.

﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾؛ أي: الإيمانُ السَّابقُ على إيفاءِ الكيلِ والوزنِ، وكانوا أهلَ كُفرٍ وبَخْسٍ للمكيالِ والميزانِ.

---

(١) رُوي في حديث ليس له إسناد متصل. انظر: «تفسير الطبري» (١٠/ ٣٢٣) و«تفسير ابن أبي حاتم» (٥/ ١٥٢٢)، و«المستدرك» (٤٠٧١).

(٢) في (ن): «وقال الدليل».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٣٥٣).

(٨٦) - ﴿ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾.

﴿ وَلَا تَقْعُدُوا ﴾: ولا تجلِسُوا ﴿بِكُلِّ صِرَاطٍ ﴾: طريقٍ ﴿تُوعِدُونَ ﴾: تَتَهدَّدون بالمكارِهِ ﴿وَتَصُدُّونَ ﴾: تمنَعون ﴿عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾: عن الإيمانِ به.

الزَّجَّاجُ: سبيلُه الذي آمَنَ به ﴿مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ ﴾[1]؛ أي: يريدُ الإيمانَ.

﴿وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾؛ أي: تلتَمِسون للسَّبيلِ زَيغًا.

وقيل[2]: تُريدونَ الاعوِجاجَ والعدولَ عن القصدِ.

وقيل: هو إخبارُهم أنَّ ما أتى به شُعيبٌ باطلٌ غيرُ مُستقيمٍ، وذلك أنَّهم كانوا يجلسون على الطَّريقِ، ويقولون لمَن قصدَ شُعيبًا ليُؤمِنَ به: إنَّ شُعيبًا كذَّابٌ لا يفتننَّكَ عن دينِكَ.

السُّدِّيُّ: كانوا عشَّارين[3].

ابنُ زيدٍ: يقطَعون الطَّريقَ[4].

﴿وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ﴾: فأكثَرَ عددَكُم، وقيل: كنتُم فقراءَ فأغناكُم.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٣٥٤)، وفيه: «أي: عن الطريق التي آمن اللهُ مَن آمَنَ بها».

(٢) «وقيل»: ليست في (ن).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٣١٤). والعشارون: جمع عشار، وهو صاحب المكس: الذي كان يأخذ من المسلمين عشر أموالهم لا على وجه الزكاة، بل على وجه التعدي. انظر: «شرح المشكل» لابن الجوزي (٢/ ٢٣).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ٤٤٢)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٢/ ١٣٨).

وقيل: كنتُم عجزةً فجعلكم ذوي مقدرةٍ.

﴿وَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾؛ أي: آخرَ أمرِ قومِ لوطٍ.

* * *

(٨٧) ـ ﴿ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ فَٱصْبِرُواْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾.

﴿ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ فَٱصْبِرُواْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ خطابٌ للمُؤمنين؛ أي: اصبِروا على أذى هؤلاءِ الكفَّارِ.

وقيل: خطابٌ للكفَّارِ تهديدًا لهم؛ أي: اصبِروا حتى ترَوا ماذا يستقبِلُكم.

* * *

(٨٨) ـ ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴾.

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ﴾؛ أي: الذين تعظَّموا عن الإيمانِ.

﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا﴾ عادَ: موضوعُه لفعلٍ عُمِلَ[1] مرَّةً، وقد يُستعمَلُ للابتداءِ بمعنى: صارَ، قال الشَّاعرُ:

تلكَ المكارمُ لا قَعْبانِ من لَبَنٍ ... شِيْبا بماءٍ فعادا بَعْدُ أبوالا[2]

---

(١) «عمل»: ليست في (و).

(٢) البيت لأمية بن أبي الصلت في «ديوانه» (ص: ٤٥٩)، و«تفسير الثعلبي» (١٢/ ٤٤٤).

ولأبي الصلت بن ربيعة الثقفي، والد أمية في «الشعر والشعراء» (١/ ٤٥٣)، و«العقد الفريد» (١/ ٢٩٠).

=

ولم يكُنِ اللَّبنُ بولًا.

وقيل: خطابٌ للَّذين معَه دونَه.

وقيل: خاطَبوه على زَعمِهم.

والملَّةُ: الشَّريعةُ.

﴿قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ﴾؛ أي: كيف نعودُ في مِلَّتِكُم ونحنُ له كارِهون؟!

والكارِهُ للشَّيءِ لا يصيرُ إليه اختيارًا.

وقيل: معناه: أتُجبِرونَنا على العَودِ وإنْ كرِهْنا؟ قالوا: نعم. ثمَّ قال شُعَيبٌ:

(٨٩) ـ ﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾.

﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾: قد اختلَقْنا على الله الكذبَ ﴿إِنْ عُدْنَا﴾: دخَلْنا ﴿فِى مِلَّتِكُم﴾: دينِكم ﴿بَعْدَ إِذْ﴾: ﴿إِذْ﴾ بمعنى الوقتِ وأضافَ ﴿بَعْدَ﴾ إليه.

﴿نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا﴾: خلَّصنا.

= وللنابغة الجعدي في «ديوانه» (ص: ١١٢)، و«أشعار النساء» (ص: ٣٢)، و«التمثيل والمحاضرة» (ص: ٦٢).

وللجعدي أو لأبي الصلت في «المعاني الكبير» (٢/ ١٠٢٦).

وقد شكك الأصمعي في نسبة هذا البيت للنابغة في «فحولة الشعراء» (ص: ١١) فقال: لو كانت هذه القصيدة للنابغة الأكبر بلغَتْ كلَّ مَبْلغ.

وفي «الدر الفريد» (٥/ ٤١٩): فبنو عامر بن صعصعة يرون هذا البيت للنابغة الجعدي، وباقي الرواة مجمعون على أن أبا الصلت بن أبي ربيعة قاله، وأحسب أن النابغة الجعدي جاء به متمثلًا.

والقَعْبُ: القدَحُ الغَليظُ، ويجمع على قِعابٍ.

﴿وَمَا يَكُونُ﴾: وما ينبَغي ﴿لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ﴾: نصيرَ إلى ملَّتِكم ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا﴾؛ أي: يشاءَ الكفرَ لنا فحينَئذٍ نصيرُ، والكفرُ بمشيئةِ الله.

وقيل: كانَ في ملَّتِهم أشياءُ يجوزُ تعاطيها.

وقيل: هذا على وجهِ البُعدِ وأنَّه لا يكونُ؛ كقولِه سُبحانه: ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ﴾ [الأعراف: ٤٠] وكقولِهم: حتَّى يبيضَّ القارُ(١)، ويشيبَ الغُرابُ(٢).

ويحتمِلُ: إلّا أن يشاءَ الله أن تُؤمِنُوا.

وقيل: ﴿نَّعُودَ فِيهَآ﴾ كنايةٌ عن القريةِ(٣).

﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾؛ أي: أحاطَ علمُه بما يكونُ منَّا ومنكم ﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ هو جوابٌ لقولِـهم: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ﴾ [الأعراف: ٨٨]؛ أي: فوَّضْنا أمورَنا إليه.

﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ﴾: بيِّنْ مصيرَنا ومصيرَهم، وهذا حينَ أذِنَ الله له في الدُّعاء عليهم.

وقيل: ﴿ٱفْتَحْ﴾: احكُمْ واقضِ، والفتَّاحُ: القاضي بلغةِ عُمان(٤)؛ لأنَّه يتولَّى فصل(٥) الأمورِ وفتحَ المُشكلاتِ.

---

(١) القار: الزفت.

(٢) قال السمرقندي في «تفسيره» (١/ ٥٣٣): و«هذا طريق المعتزلة».

وقال الواحدي في «البسيط» (٩/ ٢٣٤): «وهذا لا يصح مع قوله: ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ﴾ [المدثر: ٣١]، وقوله: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ﴾ [الأنعام: ٣٩]، وآيات كثيرة تصرح بأن الله تعالى يشاء كل ما يحدث في العالم». وذكر المصنف هذا القول في «غرائب التفسير» (١/ ٤١٤)، واستغربه.

(٣) أي: نرجع إلى القرية. وذكر المصنف هذا القول في «غرائب التفسير» (١/ ٤١٤)، واستغربه.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٨٥).

(٥) في (و): «فتح».

ورُوِيَ عـن ابـنِ عبَّـاسٍ رضـيَ الله عنهمـا أنـه قـال: مـا كنـتُ أعـرفُ معنـى ﴿افْتَحْ﴾ حتَّـى سـمعتُ ابنـةَ ذي يَـزَنٍ تقـولُ لزوجِهـا: لعلِّـي أُفاتحُـكَ[1]؛ أي: أُخاصِمُـك إلـى القاضـي.

﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾: الحاكمين.

* * *

(٩٠ ـ ٩١) ـ ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ (٩٠) فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا﴾ وتركتُـم دينكُـم ﴿إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾: مغبونـون. وقيـل: جاهلـون. وقيـل: عجـزةٌ.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾: الزَّلزلةُ، وفي آيةٍ أُخرى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ﴾ [الحجر: ٧٣]، قيل: هي صيحةُ جبريلَ. وقيل: الصَّيحةُ اسمُ العذابِ. وقيل: هو الأمرُ والنِّداءُ. وقيل: لا تخلو زلزلةٌ من صياحٍ ورياحٍ.

وذكرَ المُفسِّرون: أنَّ الله سُبحانَه سلَّطَ عليهم حرًّا شديدًا أخذ بأنفاسِهم، فدخلوا البيوتَ، فدخلَ عليهم البيوتَ، فلم ينفَعْهم ظلٌّ ولا بناءٌ، وأنضَجَهم الحرُّ، فبعثَ الله سُبحانه سحابًا فيها ريحٌ طيِّبةٌ، فوجَدُوا بردَ الرِّيح وطِيبَها وظِلَّ السَّحابةِ؛ فنادَوا: عليكم بها، فخرَجُوا إلى البرِّيّةِ، فلمَّا اجتمَعُوا تحتَ السَّحابةِ؛ رجالُهم ونساؤُهم وصِبيانُهم، ألهبَها الله عليهم نارًا، ورجفَتْ بهم الأرضُ، فاحترقوا كما يحترقُ الجرادُ المَقْلُوُّ، وصارُوا رَمادًا، وهو عذابُ يومِ الظُّلَّةِ[2].

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٦٠٧٦)، والطبري في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٠).

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٢/ ٤٤٧).

وقيل: أهلَكَ مَديَنَ بالزَّلزلةِ، وأصحابَ الأيكةِ بالحرِّ، وكان شُعيبٌ عليه السَّلامُ مبعوثًا إليهما.

﴿فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ﴾: مدينتِهم ﴿جَٰثِمِينَ﴾: ميِّتين.

* * *

(٩٢) ـ ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَاۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا كَانُواْ هُمُ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَا﴾: يُقيموا فيها وينعَموا، وأصلُه من (المَغْنَى) و(المغاني)، وهي المنازلُ، تقولُ: غَنِيَ يَغْنَى غِنًى وغُنيًا وغُنيانًا، قال:

وغَنِيتُ دَهرًا قَبلَ[1] مُجْرى داحسٍ ... لو كانَ للنَّفسِ اللَّجُوجِ خُلودُ[2]

وقال آخرُ:

وَلَقَدْ يَغْنَى بِها جِيرَانُكِ الـ ... ـمُمْسِكُو مِنْكِ بِعَهْدٍ وَوِصَالِ[3]

﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا كَانُواْ هُمُ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾: الهالكين، لا كما زعَموا وقالوا: ﴿لَئِنِ ٱتَّبَعۡتُمۡ شُعَيۡبًا إِنَّكُمۡ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ﴾.

* * *

---

(١) في (ن): «بعد» وكذا وقعت في بعض المصادر، وفي أكثرها: «قبل» كالمثبت.

(٢) البيت للبيد بن ربيعة في «ديوانه» (ص: ٣٥)، و«جمهرة أشعار العرب» (ص: ٨٥)، و«العين» (٧/ ١٣٩)، و«شرح القصائد السبع» لابن الأنباري (ص: ٥١٧). ورواية الديوان وأكثر المصادر: «وغنيت سبتًا»، والسبت: برهة من الدهر كما قال صاحب «العين». وجاء في هامش (ن): «داحس اسم فرس».

(٣) البيت لعبيد بن الأبرص في «ديوانه» (ص: ٥٨)، و«الخصائص» (٢/ ٢٥٧)، و«مختارات شعراء العرب» لابن الشجري (٢/ ٣٧). ورواية الديوان:

ولقد يغنى به أصحابك الـ ... ـممسكو منك بأسباب الوصال

(٩٣) ـ ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴾.

﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ ﴾ بعد أن نزلَ بهم العذابُ ﴿وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي ﴾ في نزولِ العذابِ ﴿وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ ﴾: أحزَنُ ﴿عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴾ عزَّى نفسَه عنهم.

وقيل: وتولَّى عنهم وقال حينَ رأى أوائلَ العذابِ.

***

(٩٤) ـ ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴾.

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ ﴾ يُريدُ: كذَّبوه فأخذْنا ﴿أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ ﴾؛ أي: عاقبْناهُم.

والبأساءُ: الشِّدَّةُ في أنفُسِهم، والضَّرَّاءُ: ما نالهم في أموالِـهم.

الحسنُ: الجوعُ والفقرُ[١].

﴿لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴾: لكي يتضرَّعوا. وقيل: عاملناهم مُعاملةَ الشَّاكِّ.

***

(٩٥) ـ ﴿ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَواْ وَّقَالُواْ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾.

﴿ ثُمَّ بَدَّلْنَا ﴾: حوَّلنا ﴿مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ﴾: الشِّدَّةِ والفقرِ ﴿ٱلْحَسَنَةَ ﴾: الراحةَ والغِنَى ﴿حَتَّىٰ عَفَواْ ﴾ أي: كثُروا. قتادةُ: سُرُّوا[٢].

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٨٩) بلفظ: «هذه الأمراض والجوع ونحو ذلك».

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٩٢٣)، والطبري في «تفسيره» (١٠/ ٣٣١)، وقال: «وهذا الذي =

الحسنُ: حتَّى سَمِنوا وسَمِنَتْ دوابُّهم[١].

﴿وَقَالُواْ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ﴾؛ أي: هذه عادةُ الدَّهرِ؛ أي[٢]: بعد كلِّ خِصْبٍ جَدْبٌ، وبعد كلِّ جَدْبٍ خِصْبٌ، فكونوا على ما أنتم عليه.

﴿فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾: فجأةً، وهي الأخذُ على غِرَّةٍ ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بنزولِ العذابِ.

* * *

(٩٦) - ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ﴾ الشِّركَ والمعاصيَ ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم﴾: لأنزَلْنا عليهم ﴿بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ يعني: المطرَ، ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ يعني: النَّباتَ؛ أي: لوسَّعْنا عليهم النِّعمةَ، ورفَعْنا عنهم الجَدْبَ والقَحْطَ.

وقيل: بركاتُ السَّماءِ: قَبولُ الدُّعاءِ، وبركاتُ الأرضِ: تسهيلُ الحاجاتِ[٣].

﴿وَلَٰكِن كَذَّبُواْ﴾؛ أي: الأنبياءَ ﴿فَأَخَذْنَٰهُم﴾: عاقَبْناهُم ﴿بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾: بكُفرِهم وسوءِ صنيعِهم.

* * *

= قاله قتادة في معنى ﴿عَفَواْ﴾ تأويل لا وجه له في كلام العرب؛ لأنه لا يعرف العفو بمعنى السرور في شيء من كلامها إلا أن يكون أراد: حتى سروا بكثرتهم وكثرة أموالهم، فيكون ذلك وجهًا وإن بعد».

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٢٧) بلفظ: «حتى سمنوا».

(٢) «أي»: ليست في (و).

(٣) في (و): «الدعاء»، والمثبت من (ن)، وهو موافق لما في «النكت والعيون» (٢/ ٢٤٣).

(٩٧) ـ ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾.

﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ يريدُ: الكافرينَ منهم ﴿أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا﴾: عذابُنا ﴿بَيَٰتًا﴾: ليلًا ﴿وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾.

* * *

(٩٨) ـ ﴿أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾.

﴿أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى﴾: نهارًا ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾: ساهُونَ لاهُونَ.

* * *

(٩٩) ـ ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾.

﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ﴾: استدراجَه. وقيل: عذابَه. وقيل: جزاءَ مكرِهم.

﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾؛ أي: الذين لا يُؤمنون به.

* * *

(١٠٠) ـ ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾: يُبيِّنْ ﴿لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ﴾: يسكُنونَ فيها، وينالُونَ من ثمارِها ﴿مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ﴾؛ أي: الأممِ الخاليةِ الذين أُهلِكُوا بقبيحِ فعلِهم، فعمِلَ هؤلاءِ أعمالَهم وعتَوا على ربِّهم.

﴿أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾: أهلَكْناهم كما أهلَكْنا مَن قبلَهم ﴿وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾: نختمُ عليها ﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾؛ أي: الهدَى.

وقيل: لا يُجيبونَ، من قولِنا: سمِعَ الله لمَن حمِدَه، قال:

دَعَــوْتُ اللهَ حَتــى خِفْــتُ أَنْ لا يَكُــونَ اللهُ يَسْــمَعُ مَــا أَقُــولُ[1]

---

(١) البيت لشُمَير ـ أو سُمَير، أو شُتَير ـ بن الحارث الضبي. انظر: «غريب الحديث» للخطابي (١/ ٣٤٢)، و«الفائق في غريب الحديث» (٢/ ١٩٧)، و«التكملة والذيل» (٤/ ٢٨٢).

(١٠١) ـ ﴿تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَائِهَا ۚ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿تِلْكَ الْقُرَىٰ﴾؛ أي: قُرى قومِ نوحٍ وعادٍ وثمودَ وقومِ لوطٍ وقومِ شُعَيبٍ.

﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَائِهَا﴾: نُخبِرُك أخبارَها، ونُبيِّنُ لك آثارَها ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾: بالمُعجِزات والدّلالاتِ والأمرِ والنَّهيِ ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ﴾ فيه أقوالٌ:

أحدُها: أنَّ قولَه: ﴿مِن قَبْلُ﴾ يعودُ إلى الرُّسلِ، تقديرُه: أنَّ مجيءَ الرُّسلِ لم يسلُبْ عنهم اسمَ الكفرِ والتَّكذيبِ، بل بقُوا كافرينَ مُكذِّبين كما كانوا قبلَ الرُّسلِ.

والثَّاني: أنَّ الفعلَ في قولِه: ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ لقومٍ، والفعلَ في قولِه: ﴿كَذَّبُوا﴾ لقومٍ آخرين؛ أي: تواطَؤُوا على تكذيبِ الرُّسلِ.

والثَّالثُ: لو أهلَكْناهم ثمَّ أحيَيْناهُم لم يُؤمِنُوا بما كذَّبوا من قبلِ الإهلاكِ؛ كقولِه: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨].

والرَّابعُ: أنَّ الله علِمَ منهم قبلَ خلقِه إيّاهم أنَّهم يكفُرون ويُكذِّبون بتوحيدِ الله، فلم يُخالِفُوا معلومَ الله فيهم.

والخامسُ: أنَّ المُرادَ بقولِه[1]: ﴿مِن قَبْلُ﴾ يومُ الميثاقِ؛ أي: أضمروا التَّكذيبَ يومَ أقرُّوا بالإيمانِ.

﴿كَذَٰلِكَ﴾؛ أي: كما وصَفْنا ﴿يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾.

* * *

---

(١) في (ن): «من قوله».

(١٠٢) ـ ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ﴾.

﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ﴾؛ أي: وفاءِ عهدٍ، وهو ما عُهِدَ إليهم في الكتُبِ.

وقيل: عهدُ يومِ الميثاقِ.

وقيل: هو ما رُكِّبَ من العقولِ.

وقيل: ﴿مِّنْ عَهْدٍ﴾: من طاعةٍ.

﴿وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ﴾ يُريدُ: وجَدْنا، فأكَّدَه بـ(إنَّ)، ثمَّ خُفِّفَ وأُلزِمَ بعدَه اللّامُ[1]، والكوفيُّون يجعَلون (إنْ) للنَّفيِ، واللامَ بمعنى: إلّا، وهذا لا يُعرَف له أصلٌ[2].

* * *

(١٠٣) ـ ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم﴾: بعد قومِ شُعَيبٍ وقومِ لوطٍ وغيرِهم ممَّن تقدَّمَ ذِكرُهم ﴿مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ يُريدُ: ما كان معه من المُعجِزاتِ الواضِحاتِ ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ واسمُه: الوليدُ بنُ مصعبِ بنِ ريَّان، وقيل: اسمُه قابوسُ.

﴿وَمَلَإِيْهِۦ﴾: أكابرِ قومِه.

﴿فَظَلَمُوا۟ بِهَا﴾؛ أي: كفَروا بالآياتِ وجحَدُوها[3] ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ حيث صارَ إلى الهلاكِ.

* * *

---

(١) انظر: «الكتاب» (٢: ١٤٠)، و«معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٣٦٢)، و«اللامات» للزجاجي (ص: ١١٤).

(٢) انظر: «اللامات» (ص: ١١٥)، و«تفسير البيضاوي» (٣/ ٢٦)، و«مغني اللبيب» (ص: ٣٠٦).

(٣) في (ن): «وجحدوا بها».

(١٠٤ ـ ١٠٥) ـ ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرۡعَوۡنُ إِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠٤ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ قَدۡ جِئۡتُكُم بِبَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَرۡسِلۡ مَعِيَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرۡعَوۡنُ إِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ إليكَ ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ﴾: جديرٌ بأنْ لا أقولَ ﴿عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ﴾: الصِّدقَ. قالَه حين كذَّبه،

و﴿حقيقٌ عليَّ﴾ بالتَّشديدِ[١]: واجبٌ عليَّ.

ابنُ حبيبٍ[٢]: أي: حقيقٌ عليك أن لا تقولَ[٣]. فصُرِفَ الخِطابُ[٤].

وقيل: حقيقٌ بالرِّسالةِ، وتمَّ الكلامُ.

﴿قَدۡ جِئۡتُكُم بِبَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ يُريدُ: العصا ﴿فَأَرۡسِلۡ مَعِيَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾: أطلِقْهُم ولا تستَعْبِدْهُم، وكان قد استعبَدَهُم.

الثَّعلبيُّ: قال وهبٌ: كان سببُ استِعبادِ فرعونَ بني إسرائيلَ: أنَّ فرعونَ موسى كانَ فرعونَ يوسفَ، فلمَّا تُوفِّي يوسفُ عليه السَّلامُ وانقرضَتِ الأسباطُ وكثُرَ نسلُهم، غلبَهم فرعونُ فاستعبَدَهم، فأنقَذَهم اللهُ بموسى.

---

(١) هي قراءة نافع. انظر: «السبعة» (ص: ٢٨٧)، و«التيسير» (ص: ١١١).

(٢) أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب المفسر النيسابوري، صاحب كتاب «عقلاء المجانين»، كان أديبًا نحويًّا، عارفًا بالمغازي والقصص والسير، انتشر عنه بنيسابور العلم الكثير، وسارت تصانيفه الحسان في الآفاق، توفي سنة (٤٠٦ هـ). قال الذهبي: وقد تكلم فيه الحاكم في رقعة نقلها عنه مسعود بن علي السجزي. انظر: «تاريخ جرجان» (ص: ١٩٠)، و«سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٧/ ٢٣٧)، و«طبقات المفسرين» للسيوطي (ص: ٤٥ ـ ٤٧).

(٣) في (ن): «أقول».

(٤) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٢/ ٤٦٠)، قال الثعلبي: سمعت أبا القاسم الحبيبي يقول: سمعت عليّ بن مهدي الطبري يقول: إنّه تعريض، يقول: حقيق عليك، فصرف الخطاب.

قال[١]: وكان بينَ اليومِ الذي دخلَ يوسفُ مصرَ واليومِ الذي دخل موسى رسولًا أربعُ مئةِ عامٍ[٢].

***

(١٠٦) ـ ﴿ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾.

﴿ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ في دعواك[٣].

الزَّجَّاجُ: ناقَضَ فرعونُ في قولِه: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨] حينَ طالبَ موسى بالبيِّنةِ[٤].

***

(١٠٧) ـ ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾.

﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ ﴾ ـ يعني: موسى ـ من يده ﴿فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ ﴾: حيَّةٌ عظيمةٌ كأعظَمِ ما يكونُ.

ابنُ عيسى: سُمِّي ثُعبانًا لأنَّه يجري كثَعَبِ الماءِ[٥].

﴿مُّبِينٌ ﴾: ظاهرٌ.

فقصَدَتْ فرعونَ فاغِرةً فاها لتأخُذَه، فوَثَبَ ونزلَ من سريرِه وهرَبَ منها

---

(١) «قال»: ليست في (و).

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٢/ ٦٠٤).

(٣) في (و): «دعوتك».

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٣٦٢)، وفيه: «قد أوجب فرعون أنه ليس بإلهٍ كما ادعى؛ لأنه قد أوجب له الصدق إن أتى بآية يعجز عنها المخلوقون».

(٥) في «الصحاح» مادة: (ث ع ب) (١/ ٩٢): «ثعبت الماء ثعبًا: فجرته: والثعَب بالتحريك: مسيل الماء في الوادي، وجمعه: ثعبان. والثعبان أيضًا: ضرب من الحيات طوال، والجمع: ثعابين».

وأحدَثَ، وهرَبَ النّاسُ، فأخذَها موسى فعادَتْ عصًا كما كانت، فعادَ فرعونُ إلى مكانِه فقال: هل معَكَ آيةٌ أخرى[1]؟

* * *

(١٠٨) ـ ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ﴾.

﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ﴾ من جيبِه ﴿فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ﴾: لها شعاعٌ يغلِبُ الشَّمسَ، ثمَّ ردَّها إلى جيبِه فعادَتْ يدُه كما كانت.

* * *

(١٠٩) ـ ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾؛ أي: قال فرعونُ وصدَّقه القومُ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾ بفُنونِه وحِيَلِه، يسحرُ النّاسَ بخِداعِه وأخذِه عيونَ النّاسِ حتَّى يُخيِّلُ إليهم العصا حيَّةً، واليدَ بيضاءَ.

* * *

(١١٠) ـ ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾.

﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ﴾: مصرَ.

﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾: تُشيرون عليَّ أنْ أفعلَ به؟

* * *

(١١١) ـ ﴿قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾.

﴿قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ﴾: أخِّرْ أمرَه، وقيل: احبِسْه ﴿وَأَخَاهُ﴾ هارونَ.

---

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخه» (٦١/ ٦٣ ـ ٦٤) مطولًا عن وهب، وهو خبر فيه مبالغات كثيرة، ولا شك أن وهباً قد أخذه من الإسرائيليات.

وقيل: معنى ﴿أَرْجِهْ﴾ بغيرِ همزٍ[1]: أطمِعْه[2]، ولا تقتُلْهما حتَّى يظهرَ كذبُهما، فإنْ قتَلْتَهما قبل أن يظهرَ كذبُهما ظنَّ الكافرون أنَّهما صادقانِ.

﴿وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾؛ أي: الشُّرَطَ[3].

***

(١١٢) - ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾.

﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾: حاذقٍ.

قيلَ: وأرسِلْ في مدائنِ مملكتِكَ ﴿حَاشِرِينَ﴾ الذين يجمَعُونَ السَّحرةَ. والحشرُ: الجمعُ، ومنه: يومُ الحشرِ.

قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: إنَّ فرعونَ لمَّا رأى من سلطانِ الله في العصا ما رأى قال: إنَّا لا نُغالِبُ موسى إلَّا بمَن هو منه، فاتَّخذَ غلمانًا من بني إسرائيلَ، وبعثَ بهم إلى قريةٍ فيها السَّحرةُ يُعلِّمونَ السِّحرَ كما يُعلَّمُ الصِّبيانُ في المكتبِ،

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٢٨٧ - ٢٨٩)، و«التيسير» (ص: ١١١). واختصر الداني ما فيها من قراءات سبعية بقوله: قرأ ابن كثير وهشام هنا وفي الشُّعراء بالهمز وضم الهاء ووصلها بواو، وأبو عمرو بالهمز والضَّم من غير صلة، وابن ذكوان بالهمز وبكسر الهاء ولا يصلها بياء، وقالون بغير همز ويختلس الكسرة، وورش والكسائيّ بغير همز ويصلان الهاء بياء، وعاصم وحمزة بغير همز ويسكِّنان الهاء.

(٢) في (ن): «أطعمه». والمثبت من (و) وهو الموافق لما في «تفسير القرطبي» (٧/ ٢٥٧) وفيه: مأخوذٌ من رَجَا يَرْجو؛ أي: أَطْمِعْه ودعه يرجو، حكاه النَّحاس عن محمد بن يزيدَ.
ونحوه قول أبي حيان في «البحر» (٥/ ٢٣٥): وقيل: ﴿أَرْجِهْ﴾ بغير همز: أَطْمِعْه، جعله من (رَجَوْت) أدخل عليه همزة الفعل؛ أي: أَطْمِعْه وأخاه ولا تقتُلْهما حتى يظهر كذبُهما فإنك إنْ قتلْتَهما ظُنَّ أنهما صَدَقا.

(٣) في (و): «الشرطة».

فتعلَّموا سحرًا كثيرًا، وواعَدَ فرعونُ موسى موعدًا(١)، وبعثَ إلى السَّحرةِ فجاء بهم وبمُعلِّمِهم، فقال له: ماذا صنَعْتَ؟ قال: قد علَّمتُهم سِحْرًا لا يُطيقُه سِحرُ أهلِ الأرضِ إلَّا أن يكونَ أمرًا من السَّماءِ، فإنَّه لا طاقةَ لهم به، ثمَّ بعثَ في مملكتِه فلم يترُكْ ساحرًا إلَّا أتى به.

الكلبيُّ: كانوا سبعين رجلًا(٢).

وقيل: اثنَينِ وسبعينَ.

السُّدِّيُّ: كانوا بضعًا وثلاثينَ ألفًا(٣).

عِكرمةُ: كانوا سبعينَ ألفًا(٤).

وقيل: ثمانينَ ألفًا.

واسمُ رئيسِهم: شمعونُ.

***

(١١٣) ـ ﴿ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴾.

﴿ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ ﴾ يُريدُ: فأرسَلَ إليهم فحضَرُوا ﴿قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا ﴾: مالًا وجُعْلًا ﴿إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴾.

***

---

(١) في (و): «وعدًا».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ٤٦٥)، وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤٢٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كانت السحرة سبعين رجلًا، أصبحوا سحرة، وأمسوا شهداء».

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ٤٦٦)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٢/ ٤٣٨).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ٤٦٦)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٢/ ٤٣٨).

(١١٤) ـ ﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾.

﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾؛ أي: في المنزلةِ عندي. وقيل: أوَّلُ مَن يدخُلُ عليَّ وآخرُ مَن يخرجُ.

***

(١١٥) ـ ﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴾.

﴿ قَالُواْ ﴾؛ أي: السَّحرةُ ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ ﴾ عصاكَ ﴿وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴾ لِمَا[1] معَنا.

***

(١١٦) ـ ﴿ قَالَ أَلْقُواْۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾.

﴿ قَالَ أَلْقُواْ ﴾؛ أي: قال لهم موسى: ألقُوا إن كنتُم مُحقِّين.

وقيل: ألقُوا ما يصحُّ ويجوزُ.

﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ ﴾؛ أي: أرهِبُوهُم وأفزِعُوهُم.

الزَّجَّاجُ: طلَبُوا منهم الرَّهبةَ[2].

﴿وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾: ألقَوا حبالًا غِلاظًا، وخشبًا طوالًا كأنَّها حيَّاتٌ تملأُ الواديَ.

ويحتمِلُ أنَّ قولَه: ﴿ عَظِيمٍ ﴾ تعظيمٌ لعصا موسى، كما جرَتِ العادةُ في تعظيمِ الخصمِ بعدَ الغَلَبةِ.

وقيل: ﴿ عَظِيمٍ ﴾ في عينِ مَن رآه.

---

(١) في (ن): «بما».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٣٦٦)، وعبارته: «أي: استدعوا رهبتهم حتى رهبهم الناس».

(١١٧) ـ ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾: ألقَينا في قلبِه، وقيل: جاءَه جبريلُ.

﴿فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ﴾؛ أي: فألقاها ﴿فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ﴾: تبلعُ تناولًا بفيها بسرعةٍ منها ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾: مأفوكَهم؛ أي: الحبالَ والعصيَّ وسائرَ ما أتَوا به، منَ (الإفكِ)، وهو الكذبُ.

وتقديرُه: ما يأفِكُونَ فيه وبه.

وقيل: ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾: يقلِبُون ويُزوِّرُونَ على النَّاسِ، منَ (الأفْكِ) وهو الصَّرْفُ وقلبُ الشَّيءِ عن وجهِه.

***

(١١٨) ـ ﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ﴾؛ أي: ظهرَ، وهو أمرُ اللهِ ونبوَّةُ موسى عليه السَّلامُ.

وقيل: قرَّعَهم وصدَّعَهم كوقعِ المِيْقَعةِ[١].

﴿وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ منَ السِّحرِ.

وكان حِمْلُ أربعينَ جملًا ابتلعَتْها عصا موسى، وما نَتأَ وسطُها.

***

(١١٩) ـ ﴿فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ﴾.

﴿فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ﴾: فغُلِبَ فرعونُ وجنودُه والسَّحرةُ كلُّهم.

﴿وَٱنقَلَبُوا۟﴾ إلى المدينةِ ﴿صَٰغِرِينَ﴾: أذِلَّاءَ مقهورين.

***

(١) الميقعة: المطرقة التي يضرب بها الحديد. انظر: «غريب الحديث» للحربي (١/ ٥٧).

(١٢٠) ـ ﴿ وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴾.

﴿ وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴾: ألقاهم الله؛ أي: أسرَعُوا ولم يتمالَكُوا أنْ وقعُوا ساجِدينَ لله.

وقيل: مُوافقةً لموسى وهارونَ؛ فإنَّهما سجَدا شُكرًا على وقوعِ الحقِّ.

* * *

(١٢١ ـ ١٢٢) ـ ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾.

﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ قال فرعونُ: إيَّايَ تعنُونَ؟ قالوا:

﴿ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾ فهو بدلٌ.

* * *

(١٢٣ ـ ١٢٤) ـ ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾.

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ ﴾: بموسى، وقيلَ: بالله ﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ﴾ من غيرِ أمري؟

﴿إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ ﴾: صَنعةٌ ﴿مَّكَرْتُمُوهُ ﴾: صنعْتُموه ﴿فِى ٱلْمَدِينَةِ ﴾: في مصرَ ﴿لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ﴾ بالمكرِ والسِّحرِ ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ عاقبةَ أمرِكم، هذا تهديدٌ.

ثمَّ صرَّحَ فقال:

﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ﴾ اليدَ اليُمنَى والرِّجلَ اليُسرى، وهو أوَّلُ مَن فعلَ هذا.

ويحتملُ: من أجلِ خلافٍ ظهرَ منكم.

﴿ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾: أُعلِّقُكم على خُشُبٍ منصوبةٍ.

* * *

(١٢٥) ـ ﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ بالموتِ، فيُثبِّتُنا اللهُ، فلا نُبالي بوعيدِك.

* * *

(١٢٦) ـ ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾.

﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا﴾؛ أي: ما تُنكِرُ منَّا مُنكَرًا إلّا إيمانُنا بربِّنا.

﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾: أنزِلْ علينا ما يحبِسُنا عن الكفرِ، وهوِّنْ علينا ما يُريدُه من عذابِنا.

﴿وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾: اقبِضْنا إليك على دينِ موسى وهارونَ.

* * *

(١٢٧) ـ ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ﴾.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾ قال أكابرُ قومِه: ﴿أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: أرضِ مصرَ بالاستعلاءِ فيها وتغييرِ دينِ أهلِها.

واللّامُ لامُ العاقبةِ.

﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾: كان له أصنامٌ يعبدُها، ويعبدُها قومُه تقرُّبًا إليه، ولهذا قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤].

قيل: كان يعبُدُ بقرةً، وإذا رأى بقرةً حسناءَ أمرَهُم أن يعبُدوها[1].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤١٧)، وعدَّه من العجائب.

أبو عبيدةَ عن الحسنِ: إنَّه كان يعبدُ تيسًا[١].

وقيل: كانَ في عنقِه صنمٌ صغيرٌ يعبدُه[٢].

وقيل: كان قِبْطٌ يعبدون الكواكبَ، ويزعُمون أنَّها تستجيبُ دُعاءَ مَن دَعاها، وإنَّ فرعونَ كان يدَّعي أنَّ الشَّمسَ استجابَتْ له وملَّكَتْه عليهم، وقوَّاه[٣] مَن قرأ: (وإِلاهَتَكَ)[٤]؛ أي: عبادتَك.

وقيل: شمسَكَ التي تعبُدُها، وهي مختصَّةٌ بك[٥].

وقيل: ﴿وَءَالِهَتَكَ﴾؛ أي: عبادتَكَ.

وقيل: ﴿وَءَالِهَتَكَ﴾: كبارَ قومِك.

﴿قَالَ﴾ يعني: فرعونُ، مُجيبًا للملأ:

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ٤٧٢)، وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٢/ ١٤٥) وزاد: «في السر».

وروى الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٣٦٧) عن الحسن قال: «كان لفرعون إله يعبده في السر».

(٢) روى الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٣٦٧) عن الحسن: «كان لفرعون جمانة معلقة في نحره يعبدها ويسجد لها».

ولفظه عند الثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ٤٧١): «كان لفرعون حنانة معلقة في نحره يعبدها ويسجد عليها كأنَّه صنم كان عابده يحنُّ إليه».

قال: وروي عن ابن عباس أيضاً أنه قال: كان فرعون يصنع لقومه أصناماً صغاراً ويأمرهم بعبادتها ويقول لهم: أنا رب هذه الأصنام، وذلك قوله: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾.

(٣) في (ن): «وقراءة».

(٤) قراءة شاذة نسبت لعلي بن أبي طالب وابن عباس وابن مسعود وغيرهم. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٥٠)، و«المحتسب» (١/ ٢٥٦)،

(٥) في (و) زيادة: «وقيل: وآلهتك؛ أي: عبادتك».

﴿سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ﴾: لينقطعَ نسلُهم ﴿وَنَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ﴾ للاستخدامِ، وقد سبقَ.

﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ﴾: غالبون.

* * *

(١٢٨ ـ ١٢٩) ـ ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ﴾ فيه تسلٍّ ووعدٌ، و(الأرضُ): مصرُ، وقيل: جميعُ الأرضِ، وقيل: الجنَّةُ.

﴿يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾: يهبُها.

والإرثُ: مصيرُ الشَّيءِ للخلَفِ بعدَ السَّلَفِ.

﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾: النَّصرُ والظَّفرُ. وقيل: السَّعادةُ والشَّهادةُ. وقيل: الجنَّةُ.

وعن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما قال: لـمَّـا آمنَتِ السَّحرةُ بموسى، تبِعَه ستُّ مئةِ ألفٍ من بني إسرائيلَ.

﴿قَالُوٓاْ﴾؛ أي: بنو إسرائيلَ ﴿أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا﴾ بالرِّسالةِ، بقَتْلِ الأبناءِ واستخدامِ البناتِ.

﴿وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ بإعادةِ القتلِ والإتعابِ بالأعمالِ الشَّاقَّةِ، كنَحْتِ الحجارةِ، وحملِ الأثقالِ، وضربِ اللَّبِنِ من غيرِ تِبْنٍ، وأداءِ الجزيةِ والخَراجِ.

قيل: قالوها استبْطاءً وشكوى من فرعونَ[1].

---

(١) «من فرعون»: من (ن).

﴿قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ عسى هاهنا: يقينٌ، فحقَّقَ اللهُ ظنَّ موسى عليه السَّلامُ وفتحَ عليهم[1] مصرَ مع يُوشَعَ، وملَّكَهم مصرَ وغيرَها زمنَ داودَ وسُليمانَ عليهما السَّلامُ.

﴿فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾؛ أي: يعلَمَ عمَلَكُم في الشُّكرِ والطَّاعةِ والمُخالفةِ والعِصيانِ.

وقيل: ينظرَ إلى أعمالِكم واقعةً موجودةً مُستحَقًّا عليها الجزاءُ والثَّوابُ.

* * *

(١٣٠) ـ ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ﴾: بالقَحْطِ والجَدْبِ، تقولُ: أَسْنَتَ القومُ: إذا أجدَبُوا، قال:

عَمْرُو العُلا هَشَمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ ... ورِجالُ مَكَّةَ مُسْنِتونَ عِجافُ[2]

وجُمِعَتْ لأنَّهم ابتُلوا بها أعوامًا، وقيل: كان سبعَ سنينَ.

وإنَّما جُمِعَ جمعَ السَّلامةِ جبرًا لسُقوطِ لامِه، وكسرُ الفاءِ دليلٌ على ذلك.

مجاهدٌ: السِّنون[3]: الجوائحُ[4].

---

(١) في (ن): «عليه».

(٢) البيت في مدح هاشم أبي عبد المطلب، واسمه عمرو، ونسب لابنته في «العين» (٣/ ٤٠٥)، و«كتاب الأفعال» (١/ ١٣٤).

ونسب لعبد الله بن الزبعرى في «الزاهر» لابن الأنباري (٢/ ١٢٣)، و«معجم ديوان الأدب» (٢/ ٢٨٥)، و«أمالي المرتضى» (٢/ ٢٦٩).

ولمطرود الخزاعي في «تهذيب اللغة» مادة: (هـ ش م) (٦/ ٦٠)، و«الصحاح» مادة: (هـ ش م).

(٣) في (و): «السنين».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٣٧٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٤٢).

﴿وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ بالآفاتِ.

وقيل: (السِّنونَ) وقعتْ بالبوادي وأهلِ المواشي، ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ في القُرى والأمصارِ.

﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ فينتَبِهون ويرجِعُون.

* * *

(١٣١) - ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ﴾: الخِصْبُ والنِّعمةُ والعافيةُ والأمنُ ﴿قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ﴾ نحنُ نستحِقُّها.

﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾: قَحطٌ وألـمٌ وخوفٌ ﴿يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾ تشاءَمُوا بهم.

وأصلُ ذلك: أنَّ الواحدَ إذا خرجَ في طلبِ أمرٍ تفاءَلَ بالسَّانحِ منَ الطَّيرِ وغيرِه والبارحِ(١)، وسُمِّي ذلك: الطِّيرةَ، ومَن تشاءَمَ بشيءٍ منه قيل: تطيَّر.

﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾؛ أي: هو الذي يأتي بطائرِ البركةِ وطائرِ الشُّؤمِ منَ الخيرِ والشَّرِّ. وسمَّاه طائرًا على اعتِقادِهم(٢).

---

(١) كذا في النسخ، والمشهور أن البارح للشُّؤم. انظر: «النكت والعيون» (٢/ ٢٥١)، و«الكشاف» (٣/ ٣٧١)، وفيه: «كان الرجل يخرج مسافراً فيمر بطائر فيزجره، فإن مر سانحاً تيمن، وإن مر بارحاً تشاءم...». السانح: ما ولاك ميامنه من طائر أو غيره بأن يمر من مياسرك إلى ميامنك. والبارح: ما ولاك مياسره بأن يمر من ميامنك إلى مياسرك. ولكن عبارة المصنف تشير إلى أن بعض العرب يتفائلون بالبارح، ويتشاءمون بالسانح، وهو ما ذكره ابن بري. انظر: «تاج العروس» مادة: (س ن ح) (٦/ ٤٨٨).

(٢) في (ن): «طائرًا لاعتقادهم».

وقيل: طائرُهم: أنصِباؤُهم منَ الرَّخاءِ والخِصْبِ وغيرِ ذلك.

وقيل: ﴿طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: ما يتشاءَمُون به من[1] عندِ الله، وهو[2] العذابُ في العُقبى، وهذا بالإضافةِ إلى ذاك غيرُ مُعتدٍّ به.

***

(١٣٢) ـ ﴿وَقَالُواْ مَهۡمَا تَأۡتِنَا بِهِۦ مِنۡ ءَايَةٖ لِّتَسۡحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾.

﴿وَقَالُواْ مَهۡمَا تَأۡتِنَا بِهِۦ مِنۡ ءَايَةٖ لِّتَسۡحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾ في (مهما) قولان:

أحدُهما: أنَّ أصلَه (ما) الذي للشَّرطِ، زيدَ عليه (ما)، كما يُزادُ مع (إنَّ) وغيرِه، فصار «ماما»، ثمَّ قُلِبَ الألفُ همزةً، ثمَّ هاءً.

والثاني: أنَّ أصلَه (مه)؛ أي: دَعْ وكُفَّ، و(ما) للشَّرطِ[3].

ورُوِيَ عن بعضِ أصحابِ الكسائيِّ الوقفُ على (مَهْ)[4].

والمعنى: أيُّ شيءٍ جئتَنا به لتسحرَ أعيُنَنا وتُشبِّهَ علينا فما نحنُ لك بمُؤمنين.

وقولُ مَن قالَ[5]: تقديرُه: متى جئتَنا، فسهوٌ[6].

---

(١) «من»: ليست في (ن).

(٢) في (و): «هو».

(٣) ذكر المصنف القولين في «غرائب التفسير» (١/ ٤١٩)، واستغرب الثاني.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤١٩).

(٥) في (ن): «وقيل من قال»، وفي (و): «وقول من»، ولعل الصواب المثبت.

(٦) وكذلك ضعف الزمخشري في «الكشاف» (٢/ ١٤٦) هذا القول، فقال: «وهذه الكلمةُ في عداد الكلمات التي يُحرِّفُها مَن لا يَدَ له في علم العربيَّة فيَضعُها غيرَ موضعها، ويَحسبُ (مهما) بمعنى (متى ما) ويقول: مهما جئتَني أعطيتُك، وهذا مِن وضعِه وليس من كلام واضعِ العربية في شيء، ثم يَذهبُ فيفسِّر ﴿مَهۡمَا تَأۡتِنَا بِهِۦ مِنۡ ءَايَةٖ﴾ بمعنى الوقت، فيُلحدُ في آيات الله وهو لا يَشعُر، وهذا وأمثالُه مما يُوجب الجُثُوَّ بين يدي الناظر في كتاب سيبويه».

(١٣٣) ـ ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ﴾؛ أي: ماءً يغشَى كلَّ مكانٍ، وذلك أنَّ السَّماءَ أُرسِلَتْ عليهم من السَّبتِ إلى السَّبتِ لم تُقلِعْ حتَّى تهدَّمَتْ ديارُهم، فسألوا موسى أن يرفعَ ذلك عنهم ليُؤمِنُوا، فأنجَمَ[١] السَّحابُ، وهبَّتِ الرِّيحُ، فجفَّتِ الأرضُ، وزَكا الزَّرعُ، فقالوا: كان ذلك رحمةً لا عذابًا.

وقيل: دخلَ الماءُ بيوتَ القِبْطِ، ولم يدخُلْ بيوتَ بني إسرائيلَ من الماءِ قطرةٌ.

وقيل: الطُّوفانُ: الموتُ الذَّريعُ.

وعن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّه الغرقُ.

وعنه أيضًا: أنَّه أمرٌ عظيمٌ من أمرِ الله تعالى طافَ بهم.

وقيل: هو الطَّوْفُ[٢] في الأرضِ.

وهو مصدرٌ كالرُّجحانِ.

الأخفشُ: جمعُ (طُوفانةٍ)[٣].

وهبٌ: هو الطَّاعونُ أُرسِلَ على أبكارِ آلِ فرعونَ ليلةً فأقصَعَهم ولم[٤] يبقَ منهم إنسانٌ. حكاه الثَّعلبيُّ[٥].

---

(١) في (و): «فألجم». وأنجم السحاب: أقلع. انظر: «الفصيح» (ص: ٢٧٦).

(٢) في (ن): «الطوفان».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ٣٣٥).

(٤) في (ن): «فأقصعه فلم»، وفي (و): «فأقبضهم ولم»، والمثبت من «تفسير الثعلبي»، وفي هامش (ن): «أقصعه: قتله مكانه».

(٥) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٢/ ٤٧٩).

أبو قِلابةَ: هو الجُدَرِيُّ، وهم أوَّلُ مَن عُذِّبوا به فبقيَ[١].

﴿وَٱلْجَرَادَ﴾ هو المعروفُ ﴿وَٱلْقُمَّلَ﴾: الدَّبا، وهو صِغارُ الجرادِ لا أجنحةَ لها.

وقيل: نوعٌ من القُرَادِ، وهو القَمْقامُ[٢].

وقيل: هو السُّوسُ يكونُ في الحِنطةِ.

وقيل: البُرْغُوثُ.

وقيل: همُ القَمْل، وكذلك قراءةُ الحسنِ[٣].

وقيل: دوابُّ سودٌ صِغارٌ.

﴿وَٱلضَّفَادِعَ﴾: جمع ضِفْدَعٍ، وهو المعروفُ، كانت تقعُ في طعامِهم وشرابِهم، حتى إذا تكلَّمَ الرَّجلُ وقعَ الضِّفدعُ في فيه.

﴿وَٱلدَّمَ﴾ قيل: الرُّعافُ.

وقيل: مياهُهم انقلبَتْ دمًا، حتّى القِبْطيُّ يشربُ منَ الكوزِ دمًا، ويشربُ الإسرائيليُّ من ذلك الكوزِ ماءً[٤]، ويمجُّ الإسرائيليُّ من فيه الماءَ في فمِ القِبْطيِّ فينقلبُ دمًا، ويمجُّ القِبطيُّ في فمِ الإسرائيليِّ دمًا فينقلبُ ماءً[٥].

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ٤٧٩)، والزمخشري في «الكشاف» (٢/ ١٤٧).

(٢) بعدها في (و): «صغار الدبا». وفي «اللسان» مادة: (ق م ق م): و«القَمْقَام»: صغار القِرْدان، وضَرْبٌ مِن القَمْل شديدُ التشبُّث بأصول الشَّعر، واحدتُها: قَمْقامة، وقيل: هي القُراد أوَّل ما يكونُ صغيرًا لا يكاد يُرَى من صِغره».

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٥٠)، و«المحتسب» (١/ ٢٥٧).

(٤) ورد ضمن خبر رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٣٩٠) عن ابن عباس، وآخر رواه (١٠/ ٣٩٤) عن مجاهد.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٣٩٣) عن محمد بن كعب.

﴿ءَايَٰتٖ مُّفَصَّلَٰتٖ﴾: مُبيَّناتٍ. وقيل: مُنفصِلاتٍ، وبينَ كلِّ واحدةٍ إلى الأخرى شهرٌ.

﴿فَٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾ عن الإيمانِ ﴿وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ﴾ لم يُؤمِنوا مع تظاهُرِ هذه الآياتِ وتتابُعِها.

* * *

(١٣٤) ـ ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيۡهِمُ ٱلرِّجۡزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَۖ لَئِن كَشَفۡتَ عَنَّا ٱلرِّجۡزَ لَنُؤۡمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرۡسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾.

﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيۡهِمُ ٱلرِّجۡزُ﴾؛ أي: العذابُ الذي تقدَّمَ ذِكرُه واحدًا بعد واحدٍ، ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾: بما تقدَّمَ إليك أن تدعُوَه به، فيُجيبُكَ كما أجابَكَ في آياتِكَ.

وقيل: بما جعَلَ لك منَ النُّبوَّةِ.

﴿لَئِن كَشَفۡتَ عَنَّا ٱلرِّجۡزَ لَنُؤۡمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرۡسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ سألوه أن يرفعَ ذلك عنهم ليُؤمِنُوا.

* * *

(١٣٥) ـ ﴿فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ ٱلرِّجۡزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ﴾.

﴿فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ ٱلرِّجۡزَ﴾ العذابَ، وقيل: الموتَ.

ورَوَى النَّقّاشُ في «تفسيرِه»: أنَّ الرِّجزَ في قولِه: ﴿فلما وَقَعَ عَلَيۡهِمُ ٱلرِّجۡزُ﴾ [الأعراف: ١٣٤]: الثَّلجُ[1].

﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ﴾ يعني: ضرَبُوا أجلًا لإيمانِهم، فلمَّا جاءَ الأجلُ نكَثُوا عُهودَهم ولم يُؤمِنوا.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤١٩)، واستغربه. وقد ذكر ابن الجوزي في «زاد الميسر» (١/ ٦٩) عن سعيد بن جبير أن الرجز هو الثلج، وذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَنزَلۡنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾.

وقيل: ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ﴾: الغرقُ. وقيل: الموتُ.

و(إذا) في الآيةِ للمُفاجأةِ، وهو ظرفُ مكانٍ، تقولُ: خرجتُ فإذا زيدٌ، تريدُ: وبالحضرةِ زيدٌ.

***

(١٣٦) ـ ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾.

﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾: عاقَبْناهم على سوءِ فعلِهم.

﴿فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾: البحرِ. قيل: هو القُلْزُمُ(١).

وذهبَ جماعةٌ من المُفسِّرين إلى أنَّ اليمَّ: البحرُ(٢) بلسانِ العِبرانيَّةِ(٣)، وليس كذلك؛ لقولِه: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥]. وقد جاء في الشِّعرِ:

داوِيَّـةٌ وَدُجَـى لَيْـلٍ كَأَنَّـهُـمـا ... يَمٌّ تَراطَـنُ فِـي حافاتِهِ الـرُّومُ(٤)

﴿بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: بسببِ تكذيبِهم آياتِنا، وحملِهم إيَّاها على العاداتِ وعلى السِّحرِ.

﴿وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾: عن النِّقمةِ، وقيل: عن الآياتِ؛ أي: كانوا لا يعتَبِرون بها.

---

(١) وهو البحر الأحمر. انظر: «المعجم الوسيط» مادة: (ق ل ز م).

(٢) في (و): «إلى أنّ البحر اليم».

(٣) وقيل: بالنبطية، وقيل بالسريانية. انظر: «المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب» للسيوطي (ص: ١٦٦).

(٤) البيت لذي الرمة، وهو في «ديوانه» (١/ ٤١٠) برواية: «دويَّةٌ...». قال الباهلي شارح الديوان: ويروى: «داويةٌ..» وهي مفازةٌ مستويةٌ، يقول: اجتمعت فلاةٌ وظلمةُ ليلٍ، فصارا كأنهما بحر تراطن في حافاته الروم، وتراطنهم: كلامهم.

(١٣٧) ـ ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ﴾.

﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ﴾؛ أي: يجدونَهم ضُعفاءَ؛ يعني: بني إسرائيلَ، أورَثَهم اللهُ دارَ أعدائِهم بعد أن أهلكَهم.

قوله: ﴿مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا﴾ يُريدُ: أرضَ الشَّامِ؛ لقولِه: ﴿ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ [الإسراء: ١]، والألفُ واللَّامُ للعهدِ.

وقيل: عامٌّ في جميعِ الأرضِ، وأنَّهم ملكوها زمنَ داودَ وسُليمانَ عليهما السَّلامُ.

وقيل: لكلِّ قطعةِ أرضٍ مشرِقٌ ومغرِبٌ تجري مَجرى الحدودِ لها.

وقيل: ﴿مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا﴾: ظرفٌ، لقولِه: ﴿يُسْتَضْعَفُونَ﴾؛ أي: يُستَضْعَفون في مشارقِ الأرضِ ومغاربِها، وليستْ بمفعولٍ لـ﴿أَوْرَثْنَا﴾.

قوله: ﴿ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا﴾[1]؛ أي: بالماءِ والشَّجرِ.

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ قيل: نعمةُ ربِّك.

وقيل: هي ما وعدَ الله بني إسرائيلَ بقولِه: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [القصص: ٥] الآيات.

وقيل: هي قولُ موسى: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ﴾ الآية [الأعراف: ١٢٩].

وقيل: كلمتُه: وعدُه، كما تقولُ: جاءَ ما قلتُ، ووصفَه بالحسنى لأنَّه وعدٌ محبوبٌ[2].

---

(١) في (ن): «الّتي باركنا حولَه فيها».

(٢) في (ن): «لأنها وعد بمحبوب».

﴿بِمَا صَبَرُوا۟﴾؛ أي: بصبرِهم على الإيمانِ والشَّدائِدِ.

﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ﴾؛ أي: خرَّبْنا قُصورَهم وأبنيَتَهم. والتَّدميرُ: الإهلاكُ وإخرابُ البناءِ.

﴿وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ﴾: يبنون. الحسنُ: عرشُ الكَرْمِ(١).

وقيل: ﴿مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ﴾: يُدبِّرُ في إبطالِ أمرِ موسى عليه السَّلامُ.

* * *

(١٣٨ ـ ١٣٩) ـ ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ﴾؛ أي: عبَرْنا بهم البحرَ، وهو القُلْزُمُ.

﴿فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ﴾ فبلَغُوا قريةً فيها قومٌ يعبُدون الصَّنمَ.

وقيل: يعبُدون تماثيلَ البقرِ. وهذا أوَّلُ شأنِ العجلِ.

وقيل: كانوا منَ العمالقةِ.

وقيل: هم قبيلةُ لَـخْمٍ نزلوا بالرَّقَّةِ(٢)، فسألهم بنو إسرائيلَ عن فعلِهم، فقالوا: عبادتُنا لها قُربةٌ إلى الله تعالى.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٢٨٧) عن ابن زيد.

(٢) مدينة الرقة السورية معروفة، لكن ذكر المقريزي في «المواعظ والاعتبار» (١/ ٤٢٠) وصفًا لا ينطبق على مدينة الرقة، فقال: «هذه المدينة من جملة مدائن مدين، فيما بين بحر القلزم وجبل الطور، كان بها ـ عندما خرج موسى عليه السلام ببني إسرائيل من مصر ـ قومٌ من لخم آل فرعون، يعبدون البقر، وإياهم عنى الله بقوله تعالى: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ﴾، وآثار هذه المدينة باقية إلى اليوم فيما بقي من مدينة فاران والقلزم ومدين وأيلة تمرُّ بها الأعراب».

﴿قَالُوا﴾؛ أي: بنو إسرائيل ﴿يَـٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ أنَّ عبادةَ شيءٍ مع الله سُبحانَه باطلٌ.

﴿إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ﴾: مُهلَكٌ، من التَّبارِ، وأصلُه: الكسرُ، ومنه: التِّبْرُ.

﴿وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾؛ أي: عملُهم.

* * *

(١٤٠) ـ ﴿قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَـٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾.

﴿قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَـٰهًا﴾: أطلُبُ لكم معبودًا غيرَ الله، من بغَيتُه الشَّيءَ؛ أي: طلَبتُه له.

﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾: جعلَ لكم الزِّيادةَ على عالمي زمانِكم.

* * *

(١٤١) ـ ﴿وَإِذْ أَنجَيْنَـٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾.

﴿وَإِذْ أَنجَيْنَـٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾: واذكروا ذلك.

﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾: يحمِلونكُم عليه ويُريدونه منكم، وقد سبق.

﴿يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ سبقَ تفسيرُه.

* * *

(١٤٢) ـ ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَـٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَـٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَـٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَـٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾.

﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَـٰثِينَ لَيْلَةً﴾: ذا[1] القَعْدةِ ﴿وَأَتْمَمْنَـٰهَا بِعَشْرٍ﴾؛ أي: من ذي

---

(١) في (ن): «ذو».

الحِجَّةِ ﴿فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾: كُنْ خليفَتي فيهم ﴿وَأَصْلِحْ﴾: واحمِلْهُم على طاعةِ الله ﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾: لا تسلُكْ سُبُلَ[1] العاصين.

وذلك أنَّ الله تعالى وعَدَ موسى أن يُؤتيَه كتابًا فيه بيانُ ما يأتون ويذَرُون إذا أهلَكَ عدوَّهم، فلمَّا أهلكَهم سألَ موسى ربَّه الكتابَ، فأمرَه بصومِ ثلاثين يومًا، وكان ذا القَعْدةِ، فلمَّا صامَ أنكرَ خَلوفَ فمِه فاستاكَ بعودِ خَرُّوبٍ[2]، فقالت الملائكةُ له: كنَّا نشمُّ مِن فيك رائحةَ المسكِ، فأفسدْتَه بالسِّواكِ، فأمرَه الله بصومِ عشَرةِ أيَّامٍ من ذي الحِجَّةِ[3]، وقال: أما علِمْتَ أنَّ خَلُوفَ فمِ الصَّائمِ أطيبُ عندي من ريحِ المسكِ[4]؟!

وكانت فتنةُ قومِه في العشرِ الذي زادَه الله.

وقولُه: ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [البقرة: ٥١] عبارةٌ عن الوعدِ الأوَّلِ والذي أُتِمَّ به، فلا تناقُضَ بينهما، والحمدُ لله.

* * *

---

(١) في (ن): «طريق».

(٢) الخرنوب والخروب: شجر ينبت في جبال الشام، له حب كحب الينبوت، يسميه صبيان أهل العراق: القثاء الشامي، وهو يابس أسود. انظر: «تهذيب اللغة» مادة: (خ ر ن ب) (٧/ ٢٧٧).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٣٧٢)، و«تفسير الثعلبي» (١٢/ ٤٩٧) و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٧٥)، ولم يذكروا له راويًا ولا سنداً.

(٤) قطعة من خبر طويل عن ابن عباس رواه النسائي في «الكبرى» (١١٢٦٣)، ورواه مختصرًا بهذه القطعة ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٥٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وقد ورد قوله: «خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك» مرفوعًا في حديث الصوم، الذي رواه البخاري (٥٩٢٧)، ومسلم (١١٥١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(١٤٣) ـ ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾: (لمَّا) علَمٌ للظَّرفِ؛ أي: حينَ جاء وكلَّمَه[1] ربُّه. والميقاتُ: الوقتُ المُعيَّنُ للشَّيءِ، كميقاتِ الحجِّ.

﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾؛ أي: أَرِني نفسَكَ أنظُرْ إليك، وقيل: مكِّنِّي من رُؤيتِكَ.

﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِى﴾؛ أي: في الدُّنيا. وقيل: لن تقدرَ أن تراني.

﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ﴾: وهو جبلُ زُبَيْرٍ ﴿فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ﴾: بقيَ على حالِه ﴿فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ﴾: ظهرَ وبانَ.

وقيل: تجلَّى مقدارُ إبهامٍ من العرشِ.

وقيل: تجلَّى آيةً من آياتِ الله. وقيل: خلَقَ الله ﴿لِلْجَبَلِ﴾ قلبًا وعينًا[2].

المُبرِّدُ: تجلَّى: أظهرَه[3]، جعلَه مُتعدِّيًا كالتَّبدُّلِ والتَّوعُّدِ.

وقيل: تجلَّى لأهلِ الجبلِ، يُريدُ: موسى والسَّبعينَ الذي معه.

﴿جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾: قِطَعًا. وقيل: تُرابًا ورملًا. وقيل: ساخَ في الأرضِ.

---

(١) في (و): «كلمه».

(٢) كذا في النسخ الخطية، ولعل المعنى: ظهر الجبل في غير خلقه المعروف، فصار له قلب وعين آيةً من آيات الله، والله أعلم.

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٢/ ٥٠٧)، و«البحر المحيط» (٥/ ١٦٦) وفيه: «وقال المبرد: المعنى: ظهر للجبل من ملكوت الله ما تدكدك به».

و: ﴿دكَّاءَ﴾[1]: مَلْساءَ مُستويةً مع[2] الأرضِ.

وقيل: تفرَّقَ في الأرضِ؛ فأُحُدٌ ورَضْوى ووَرْقانُ بالمدينةِ وثَوْرٌ وثَبِيرٌ وحِراءٌ بمكَّةَ منه[3].

﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾: مَغشيًّا عليه. وقيل: ميتًا.

ويُقوِّي القولَ الأوَّلَ قولُه: ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ﴾؛ أي: زالَ غَشْيُه[4] ﴿قَالَ سُبْحَـٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ منَ الإقدامِ على السُّؤالِ بغيرِ إذنٍ.

وقيل: عن صغائري.

وقيل: هذا تسبيحٌ منه على ما جرَتْ به عادةُ المؤمنِ عند رُؤيةِ العظائمِ.

﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بأنَّك لا تُرى في الدُّنيا. وقيل: من قومي.

اختلَفَ المُفسِّرون في هذه الآيةِ:

فذهبَ بعضُهم[5] إلى نَفيِ الرُّؤيةِ ونَفيِ الجهةِ، وقالوا: كلمةُ (لن) لنفيِ التَّأبيدِ[6].

---

(١) هي قراءة حمزة والكسائي. انظر: «السبعة» (ص: ٢٩٣)، و«التيسير» (ص: ١١٣).

(٢) في (و): «من».

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٢/ ٥١١) مرفوعًا عن أنس بن مالك رضي الله عنه، ولا يصح، قال ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٤٢٣): (وهذا حديث غريب بل منكر).

(٤) في (ن): «غشيته».

(٥) يعني المعتزلة.

(٦) قال ابن هشام في «المغني» (ص: ٣٧٤): «ولا تفيد (لن) توكيد النفي خلافًا للزمخشري في «كشافه»، ولا تأبيده خلافًا له في «أنموذجه»، وكلاهما دعوى بلا دليل، قيل: ولو كانت للتأبيد لم يقيد منفيُّها باليوم في: ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾، ولكان ذكر الأبد في: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ تكرارًا، والأصل عدمه». =

وإنَّ الله سُبحانَه قال لموسى في مُناجاتِه: لستُ في مكانٍ واحدٍ فأتجلَّى لعينٍ تنظرُ إليَّ، يا ابنَ عمرانَ، تكلَّمْتَ بكلامٍ عظيمٍ، وإنَّ الملائكةَ مرَّت به وهو مَغشِيٌّ عليه، فجعَلُوا يركُلونَه بأرجُلِهم ويقولون له: يا ابنَ النِّساءِ الحُيَّضِ، أطَمِعْتَ في رُؤيةِ ربِّ العزَّةِ[(١)]؟!

وإنَّ موسى عليه السَّلامُ علمَ أنَّ السُّؤالَ مُحالٌ، وإنَّما سألَ ليكونَ الرَّدُّ بحضرةِ قومِه الذينَ قالوا: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء: ١٥٣][(٢)]، أو سألَ آيةً كسُؤالِ

= قلت: يقول الزمخشري بأن (لن) لتوكيد النفي، ولكن لم أقف على قوله بالتأبيد، وعبارته في «الأنموذج» (ص: ١٠٢): «و(لن) نظيرة (لا) في نفي المستقبل، ولكن على التأكيد» وهذه العبارة تفيد التأكيد، وفرق كبير بين التأكيد والتأبيد، والله أعلم.

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٢١)، واستغربه.

وهذا خبر لا أصل له، ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ٥١٤)، والبغوي في «تفسيره» (٣/ ٢٧٨ ـ ٢٧٩)، نقلاً عن بعض الكتب دون تعيين، ولا شك أنها من أكاذيب بني إسرائيل وأباطيلهم، وكان الأولى بجمع كبير من أهل التفسير تنزيه كتبهم عن أمثال هذه القصص؛ لما فيها من الإساءة لنبي الله موسى ومن نسبة فعل شنيع للملائكة. وانظر ما قال ابن المنير في «الانتصاف» (٢/ ١٥٥) والآلوسي في «روح المعاني» (٩/ ٣٣٥) ومحمد أبو شهبة في «الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير» (ص: ٢٠١).

(٢) جَعْلُ السؤال لتبكيت قومه الذين قالوا: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء: ١٥٣] ليس بشيء؛ لأن حقَّه عليه السلام في أن يجهِّلهم ويزيلَ شبهتهم كما فعل بهم حيث قالوا: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا﴾ [الأعراف: ١٣٨]. ومذهب أهل السنة والجماعة أن معنى ﴿رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾: أرني نفسك بأنْ تتجلَّى لي فأنظرَ إليك وأراك، وهو دليل على أن رؤيته تعالى جائزةٌ في الجملة؛ لأن طلب المستحيل على الأنبياء عليهم السلام محالٌ، وخصوصاً ما يتعلق بمعرفة الله تعالى ويقتضي الجهلَ به، وردُّه بقوله: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ ليس لامتناع رؤيته تعالى في نفس الأمر، وإلا لقال: لن أُرى، بل لقصورِ الطالب عن رؤيته لبقية الحجاب، فهي موقوفة على ارتفاعه. انظر: «تفسير ابن كمال باشا» عند هذه الآية.

إبراهيمَ عليه السَّلامُ حينَ قال: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠].

وإنَّ التَّجلِّيَ كان منَ العرشِ.

وذهبَ بعضُ المُفسِّرين إلى إثباتِ الرُّؤيةِ وإثباتِ الجهةِ، وأنَّ (لن) لنفيِ الرُّؤية في الدُّنيا؛ كقولِه: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ [البقرة: ٩٥]، ثم قال حكايةً عنهم: ﴿يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧]، و﴿يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ﴾ [الحاقة: ٢٧] يعني: الموتَ[١].

وذكروا ما رُوِيَ عن ابنِ عبّاسٍ ـ رضي الله عنهما ـ في قولِه: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ﴾: ما تجلَّى منه إلّا قدرَ الخِنْصَرِ[٢].

وذكرُوا عن النَّبيِّ[٣] عليه السَّلامُ في قولِه: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾: وضعَ النَّبيُّ عليه السَّلامُ الإبهامَ على المفصلِ الأعلى من الخنصرِ، رواه حمَّادٌ عن ثابتٍ عن أنسٍ، قال حمَّادٌ لثابتٍ: أتقولُ هذا؟ فضربَ ثابتٌ صدرَه بيدِه فقال: يقولُه رسولُ الله عليه السَّلامُ ويقولُه أنسٌ وأنا أكتُمُه[٤]!

---

(١) يعني المصنف هنا أن (لن) ليست للتأبيد؛ لأنها عندما اقترنت بـ (أبداً) دلّت على الانتفاء في الدنيا، لا في الآخرة بدليل أنها وردت في قوله تعالى: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾، ثم أخبر عنهم أنهم تمنوه في النار في الآيتين.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٢٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٦٠). قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٢/ ٤٥١): «هذا التأويل يتمسك به المعتزلة تمسكاً شديداً لقولهم: إن رؤية الله عز وجل غير جائزة، وقائله من أهل السنة إنما يقوله مع اعتقاده جواز الرؤية».

(٣) في (و): «وذكروا عن أبيٍّ عن النبي»، وعبارة: «في قوله: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ﴾ ما تجلى منه إلا قدر الخنصر، وذكروا عن أبي»: ليست في (ن). والصواب المثبت.

(٤) رواه بهذا اللفظ الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٢٩)، ورواه بنحوه الإمام أحمد في «المسند» (١٢٢٦٠)، والترمذي (٣٠٧٤)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث حماد بن سلمة».

وذهبَ بعضُ المُفسِّرين إلى إثباتِ الرُّؤيةِ ونفيِ الجهة[1] وما يُورِثُ تشبيهًا، وهو مذهبُ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ[2]، والدَّلائلُ على صِحَّتِه وإبطالِ مذهبِ المُبتدعةِ يطولُ تعدادُها، ولكلِّ مكانٍ مقالٌ.

* * *

(١٤٤) ـ ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾.

﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾: اخترتُكَ واستخلصتُكَ وأخذتُكَ صفوةً على بني آدمَ ﴿بِرِسَٰلَٰتِي﴾: نُبوَّتي ﴿وَبِكَلَٰمِي﴾ من غيرِ واسطةٍ ﴿فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ﴾ اعمَلْ بما فيه بجِدٍّ واجتهادٍ ﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ على ذلك.

* * *

---

(١) في (و): «المكان»، والمعنى واحد. انظر التعليق الآتي.

(٢) نقله الشهرستاني في «الملل والنحل» (١/ ١٠٠) عن الأشعري فقال: ومن مذهب الأشعري أن كل موجود يصح أن يرى، فإن المصحح للرؤية إنما هو الوجود، والباري تعالى موجود فيصح أن يرى، وقد ورد السمع بأن المؤمنين يرونه في الآخرة. قال الله تعالى: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾ [القيامة: ٢٢] إلى غير ذلك من الآيات والأخبار. قال: ولا يجوز أن تتعلق به الرؤية على جهة، ومكان، وصورة ومقابلة، واتصال شعاع، أو على سبيل انطباع، فإن كل ذلك مستحيل.

وقال النووي في «شرح مسلم» (٣/ ١٦): ولا يلزم من رؤية الله تعالى إثبات جهة ـ تعالى عن ذلك ـ بل يراه المؤمنون لا في جهة كما يعلمونه لا في جهة.

والذي قاله الأشعري في «الإبانة» (ص: ٢٥): وندين بأن الله يُرى في الآخرة بالأبصار كما يُرى القمر ليلة البدر، يراه المؤمنون كما جاءت الروايات عن رسول الله ﷺ.

(١٤٥) ـ ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴾.

﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ﴾: فرَضْنا عليه. وقيل: كتَبْنا بالقلمِ. وقيل: كان كنقشِ الخاتمِ[1].

وقيل: كتَبَ الله التَّوراةَ بيدِه وأهلُ السَّماواتِ يسمَعون صريرَ القلمِ.

﴿فِى ٱلْأَلْوَاحِ﴾: جمعُ لَوْحٍ، وهو ما يَلُوحُ المكتوبُ فيه فوقَ غيرِه، وكانت عشرةَ أذرُعٍ[2] على طولِ موسى. وقيل: سبعةً. وقيل: ثمانيةً.

وكانت ألواحُه من زَبَرْجَدٍ. وقيل: من ياقوتٍ أحمرَ. الحسنُ: منَ الخشبِ[3]. وقيل: من نُورٍ. وقيل: منَ الصَّخرةِ[4].

الرَّبيعُ بنُ أنسٍ: منَ البرَدِ[5].

﴿مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ احتاجَ إليه في بيانِ الدِّينِ.

﴿مَّوْعِظَةً﴾: وَعْظًا ﴿وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ منَ الحلالِ والحرامِ والأوامرِ والنَّواهي والقصَصِ والأخبارِ، وما كانَ وسيكونُ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٢٢)، واستغربه.

(٢) في (ن): «ألواح».

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٢٦٠)، والمصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٢٢)، واستغربه.

(٤) في (و): «من ياقوتٍ أحمر. وقيل: من نور. وقيل: من الصّخرة. وقيل: من الخشب».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٥٦) عن الربيع عن أبي العالية. وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٢٢)، وعدّه من العجائب.

﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾: جِدٍّ ومُواظبةٍ.

﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ قيل: (أحسَن) صلةٌ؛ أي: يأخُذوا بها[١].

وقيل: بحَسَنِها؛ كقولِه: ﴿أحسن مقيلًا﴾ [الفرقان: ٢٤][٢].

وقيل: فيها الفرضُ والمندوبُ والمُباحُ، والفرضُ أحسَنُها.

وقيل: المأمورُ به أحسنُ منَ المنهيِّ عنه.

﴿سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾؛ أي: منازِلَهم ومصارِعَهم.

وقيل: دارُ الفاسقين: جهنَّمُ[٣]. وقيل: مِصرُ[٤].

وقيل: هو من (الدَّورانِ)؛ أي: ما دارَ إليه أمرُهم[٥].

* * *

(١٤٦) ـ ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾.

﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ يُريدُ بالآياتِ: ما في

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٢٢)، وعدَّه من العجائب.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٢٢)، واستغربه، وعبارته: «الغريب: (أفعل) هنا للمبالغة لا للتفضيل كما في قوله ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٢٢)، وعدَّه من العجائب.

(٤) يعني: دار فرعون وقومه. ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٢٣)، وعدَّه من العجائب.

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٢٢)، واستغربه، وفيه: «ما دار عليه أمرهم من الهلاك والنكال».

السَّماواتِ وما في الأرضِ من دلائلِ الوحدانيّةِ، صرَفَهم عنها جزاءً على تكبُّرِهم عن الإيمانِ.

وقيل: صرفَهم عن التَّفكُّرِ فيها.

وقيل: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ﴾؛ أي: عن خبرِ آياتي عقوبةً على فِعلِهم.

أبو عبيدةَ: عن الخوضِ في القرآنِ(١).

سفيانُ بنُ عُيَينةَ: عن فهمِ القرآنِ(٢).

﴿وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ﴾: مُعجزةٍ ﴿لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ﴾: طريقَ الهدى والبيانِ ﴿لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾: طريقةً ودِينًا ﴿وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ﴾: الباطلِ والشَّيطانِ ﴿يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾: بسببِ أنَّهم ﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾: غيرَ ناظِرينَ فيها، فيكونُ ﴿ذَٰلِكَ﴾ رفعًا بالابتداءِ، ويجوزُ: فعَلْنا ذلك بأنَّهم، فيكونُ نصبًا(٣).

***

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٢٣)، واستغربه. وفيه: «عن الخوض في علم القرآن»، وهو على هذا في معنى ما بعده، وعلى حذف كلمة (علم) يكون بمعنى: سأشغل المتكبرين عن الخوض في آيات الله والاستهزاء بها.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٤٣)، ثم قال بعده: «وتأويل ابن عيينة هذا يدل على أن هذا الكلام كان عنده من الله وعيداً لأهل الكفر بالله ممن بعث إليهم نبينا ﷺ دون قوم موسى؛ لأن القرآن إنما أنزل على نبينا محمد ﷺ دون موسى عليه السلام». وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٢٣)، واستغربه.

(٣) على أنه مفعول به لفعل مضمر.

(١٤٧) ـ ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾: جحَدُوا بالإيمانِ بها ﴿وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ﴾: الثَّوابِ والعقابِ والبعثِ والنَّشرِ[1] والحسابِ ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾: بطَلَتْ.

﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾؛ أي: جزاءَ أعمالِهم.

* * *

(١٤٨) ـ ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾.

﴿وَاتَّخَذَ﴾؛ أي: صنَعَ وصاغَ ﴿قَوْمُ مُوسَى﴾ يُريدُ: السَّامريَّ ومَن أعانَه على ذلك، ومَن رضيَ به وصدَّقَه.

﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾: بعد انطلاقِه للميقاتِ، وهو العَشرُ التي أتمَّ اللهُ بها الميقاتَ.

﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ﴾ الحليُّ: ما اتُّخِذَ للزِّينةِ منَ الذَّهبِ أو الفِضَّةِ.

وذلك أنَّهم كانوا قد استَعاروا منَ القِبْطِ بعضَ حُليِّهم لعرسٍ كانَ لبني إسرائيلَ ـ وقيل: ليومِ زينةٍ ـ فلمَّا أهلَكَ الله فرعونَ وقومَه بقيَ الحليُّ معهم، وكان حرامًا عليهم، فقال السّامِريُّ لهارونَ: إنَّا كنَّا استَعَرْنا حليَّهم، وإنَّ بني إسرائيلَ أخذوا في بيع الحليِّ وتمحيقِها، وإنَّها عاريَّةٌ وليست لنا، فأمرَ هارونُ مُناديًا يُنادي: مَن كانت عنده عاريَّةٌ من آلِ فرعونَ فليأتِنا بها، فأتَوه بشيءٍ كثيرٍ، فقال هارونُ: أنت أحقُّ بحفظِ هذه، فقبَضَها السَّامريُّ، وكان صائغًا، فصاغَ منها تمثالَ عِجْلٍ مُجوَّفًا كأحسنِ ما يكونُ[2].

---

(١) «والنشر» من (ن).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤١٨) عن أبي بكر بن عبد الله الهذلي.

وهو قولُه: ﴿عِجْلًا﴾، والعِجْلُ: ولدُ البقرةِ القريبُ العهدِ بالولادةِ.

﴿جَسَدًا﴾: لحمًا ودمًا.

وقيل: جسدًا من غير روحٍ، والجسدُ بدَنُ الحيوانِ، والجسمُ عامٌّ.

وقيل: ﴿جَسَدًا﴾؛ أي: أصغَرَ من الجِسادِ[1].

﴿لَّهُۥ خُوَارٌ﴾؛ أي: صوتٌ، والخُوارُ: صوتُ البقرةِ، وقيل: إنَّما[2] خارَ مرَّةً واحدةً.

وخُوارُه فيمَن جعلَه لحمًا ودمًا ظاهرٌ، وفيمَن جعلَه تمثالًا من ذهبٍ: خارَ بحيلةٍ احتالَ بها حتَّى خارَ، فقيل: جعَلَ في بطنِه بُييتًا[3] يُفتَحُ ويُغلَقُ، وكان إذا أرادَ السّامريُّ أن يخورَ العجلُ، أدخَلَ جوفَه غلامًا يخورُ إذا أرادَ السَّامريُّ بعلامةٍ بينهما.

وقيل: كانَ يضعُه في مَهبِّ الرِّيحِ. وقيل: عملَ بالماءِ والفوَّاراتِ.

وقِصَّتُه مذكورةٌ في سورةِ (طه).

﴿أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ﴾: لا يأمرُهم ولا ينهاهُم ﴿وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ إلى خيرٍ.

﴿ٱتَّخَذُوهُ﴾؛ أي: اتَّخذوه إلهًا معبودًا ﴿وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾: واضِعينَ العبادةَ غيرَ موضِعِها.

***

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٢٣)، واستغربه. وفيه: «أصغر من الجساد، وهو الزعفران».

(٢) في (و): «إنه».

(٣) في (و): «بيتًا»، والبييت تصغيره، وهو الأنسب في وصفه.

(١٤٩) - ﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ وَرَأَوۡاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ يَرۡحَمۡنَا رَبُّنَا وَيَغۡفِرۡ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾.

﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ ﴾ الجمهورُ: على أنَّه عبارةٌ عن النَّدمِ، والنَّدمُ في القلبِ، وإسنادُه إلى اليدِ كإسنادِهم المُلْكَ والمحبوبَ والمكروهَ إليها، تقولُ: في يدِه ملكٌ، وفي يدِه محبوبُه، وحصَلَ في يدِه المكروهُ.

ابنُ عيسى: وقعَ البلاءُ في أيديهم؛ أي: وجدوه وُجدانَ ما يحصُلُ في الكفِّ[١].

وقيل: أصلُه من الأسرِ والكَتْفِ.

وقيل: مَن نَدِمَ وضعَ يدَه على رأسِه[٢].

ويحتملُ أنَّ الإنسانَ إذا حَزَبَهُ أمرٌ عظيمٌ مسحَ كفَّه بكفِّه وحَوْقَلَ[٣].

﴿وَرَأَوۡاْ أَنَّهُمۡ﴾: وعلِمُوا أنَّهم ﴿قَدۡ ضَلُّواْ﴾ بعبادةِ العجلِ.

الحسَنُ: لأنَّهم كانوا عبَدوا العجلَ إلَّا هارونَ[٤]. وقيل: عبدَه بعضُهم.

﴿قَالُواْ لَئِن لَّمۡ يَرۡحَمۡنَا رَبُّنَا وَيَغۡفِرۡ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ ومَن قرأ بالتَّاءِ نصَبَ ﴿ربَّنا﴾ على النِّداءِ[٥].

---

(١) قال ابن عيسى في «النكت» (ص: ٩٤): «هذا مستعار، وحقيقته: ندموا لما رأوا من أسباب الندم، إلا أنَّ الاستعارة أبلغ للإحالة فيه على الإحساس، وأما قوله هنا فذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٢٣).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٢٣)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٢٣)، وعدَّه من العجائب.

(٤) روى معناه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٠٩).

(٥) وهي قراءة حمزة والكسائي. انظر: «السبعة» (ص: ٢٩٤)، و«التيسير» (ص: ١١٣).

(١٥٠) ـ ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنۢ بَعْدِيٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ﴾ منَ الطُّورِ ﴿إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا﴾: حزينًا، وقيل: مُتغيِّظًا، من قوله: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا﴾ والأَسَفُ: الحزنُ، والأَسَفُ: الغضبُ.

﴿قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنۢ بَعْدِيٓ﴾؛ أي: بئسَ ما نُبْتُم عنِّي وقُمْتُم مَقامي بعدَ انطِلاقي.

﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾؛ أي: أَتركتُموه؟ الزَّجَّاجُ: عجِلْتُه: سبقْتُه[1].

وقيل: تجاوَزْتُم أمرَ ربِّكم.

الحسَنُ: أعجِلتُم وَعْدَ ربِّكُم الذي وعدَنيه من الأربعينَ ليلةً؛ لأنَّهم قدَّروا أنَّه ماتَ[2].

﴿وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ﴾ أي: التي ذُكِرَتْ في قولِه: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِي ٱلْأَلْوَاحِ﴾ [الأعراف: ١٤٥] غَضَبًا على قومِه، فتكسَّرَ بعضُها، ورُفِعَ كثيرٌ منها إلى السَّماءِ، حتَّى رَوَى المُفسِّرون أنَّ ستَّةَ أسباعِها رُفِعَتْ، وبقيَ سُبْعٌ[3].

وحقيقةُ هذا: أنَّ الألواحَ لمَّا كُسِرَتْ ذهبَ أثرُ المكتوبِ[4].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٣٧٨)، وفيه: «يقال: عجلت الأمر والشيء: سبقته، وأعجلته: استحثثته».

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٢٦٣)، والواحدي في «البسيط» (٩/ ٣٦٩).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٦٣ و١٥٧٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما. وتعقبه ابن كمال باشا في «تفسيره» عند هذه الآية بقوله: «ويأباه قوله: ﴿أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ﴾؛ لأن الظاهر منه أن المأخوذ هو المُلقَى بعينه».

(٤) ولعل في هذا جواباً لما قاله العلامة ابن كمال باشا رحمه الله.

﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾؛ أي: بشعرِ رأسِه. وقيل: بناصيتِه. وقيل: بذُؤَابتِه. وقيل: العربُ تقولُ: فلانٌ حسَنُ الرَّأسِ؛ أي: الشَّعرِ.

﴿يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِ﴾ غَضَبًا عليه أنَّه لم يمنَعْهم، ولم يخرُجْ من بينِهم، فيلحقْ به.

وقيل: أخذَ رأسَه وجرَّه ليُناجِيَه.

وقيل: جرَّه عِتابًا عليه لا هَوانًا به.

وقيل: أخذَه كما يأخُذُ الإنسانُ شعرَه ولحيتَه عند الغضبِ؛ لأنَّهما كانا كشخصٍ واحدٍ.

وقولُه: ﴿فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ﴾ يدفعُ هذه الأقاويلَ.

وقيل: غضِبَ عليه لتركِه اتِّباعَه.

﴿قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ﴾ ذكرَ الأمَّ ليُرقِّقَه عليه، وكان لأبيه وأمِّه.

﴿إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي﴾؛ أي: وجَدوني ضعيفًا لِوَحدَتي، ﴿وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي﴾: وقارَبُوا قَتْلي؛ لإنكاري عليهم.

وقيل: ﴿وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي﴾؛ أي: أرادُوا وهَمُّوا.

﴿فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ﴾: لا تَسُرَّهُم بإهانَتِكَ إيَّاي(١). والشَّماتةُ: سرورُ العدوِّ بسوءِ العاقبةِ. وأرادَ بالأعداءِ: الذين عبَدوا العجلَ.

﴿وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ أي: في عِدادِهم.

* * *

---

(١) في (و): «بي».

(١٥١) ـ ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾.

﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى ﴾؛ أي: ما صَنعْتُ إلى أخي، وقيل: إلقاءَ الألواحِ.

وقيل: استغفَرَ سالفَ ذنوبِهما.

﴿وَلِأَخِى ﴾ حينَ لـم يمنَعْهم ولـم يلحَقْ بي.

﴿وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ﴾: أنعِمْ علينا بفضلِكَ ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾: أرحمُ بنا منَّا بأنفُسِنا.

الحسنُ: أرحمُ بنا منَ الأبوَين[1].

* * *

(١٥٢) ـ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ﴾ إلهًا ﴿سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴾: هو أنْ أُمِرُوا بقولِه: ﴿فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤]، فقتَلَ الأبُ ابنَه والابنُ أباه.

وقيل: هو الجزيةُ زمَنَ النَّبيِّ عليه السَّلامُ؛ أي: أولادَهم[2].

وقيل: تقديرُه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ ﴾ ولـم يتُوبُوا ﴿سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ ﴾ الآية، والذين تابُوا غُفِرَ لهم، ودلَّ عليه قولُه:

(١٥٣) ـ ﴿ وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

﴿ وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِهَا ﴾؛ أي: بعد السَّيِّئاتِ. وقيل: بعد التَّوبةِ ﴿وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

---

(١) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (١/ ٥٥٣).

(٢) أي: سينال أولادهم.

ذهبَ بعضُهم إلى أنَّ الآيتَين من كلامِ موسى، وصدَّقَه اللهُ بقولِه: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ﴾.

وقال بعضُهم: هذا من كلامِ الله قالَه لموسى؛ أي: فأجابَه الله بهذا.

***

(١٥٤) ـ ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾.

﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ﴾؛ أي: سكَنَ باعتذارِ هارونَ إليه[(١)].

وقيل: بتوبتِهم عن كُفرِهم.

وسكَنَ وسكَتَ: قطَعَ الكلامَ.

وقيل: كلُّ كافٍّ عن شيءٍ ساكتٌ، ومنه: سكَتَ عن الكلامِ.

ابنُ عيسى: ﴿سَكَتَ﴾ مُستعارٌ هاهنا؛ لأنَّ الغضَبَ لـمَّا كانَ دالًّا على ما في النَّفسِ للمغضوبِ عليه كان بمنزلةِ النُّطقِ[(٢)].

وقيل: هذا من المقلوبِ؛ أي: سكَتَ موسى عن الغضبِ[(٣)].

﴿أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ وَفِى نُسْخَتِهَا﴾؛ أي: فيما نُسِخَ فيها وكُتِبَ ﴿هُدًى﴾: بيانُ الطَّاعةِ منَ المعصيةِ ﴿وَرَحْمَةٌ﴾: تخليصٌ منَ الذُّنوبِ ﴿لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾: اللَّامُ دخلَ المفعولَ لمَّا تقدَّمَ[(٤)].

---

(١) «إليه»: ليست في (و).

(٢) قال ابن عيسى في «النكت في إعجاز القرآن» (ص: ٨٧): (﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ﴾، وحقيقته انتفاء الغضب، والاستعارة أبلغ؛ لأنه انتفى انتفاءَ مُراصدٍ بالعودة، فهو كالسكوت على مُراصدةِ الكلام بما توجبه الحكمة في الحال، فانتفى الغضب بالسكوت عما يكره، والمعنى الجامع بينهما الإمساك عما يكره).

(٣) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» (٢/ ٣٧٩)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٢٤)، واستغربه.

(٤) أي: دخلت اللام لتقدم المفعول؛ لأن تأخر الفعل عن مفعوله يكسبه ضعفاً، ونحوه: ﴿لِلرُّءْيَا =

وقيل: الفعلُ محمولٌ على المصدرِ؛ أي: رَهبتُهم لربِّهم.

ويحتمِلُ أنَّ المفعولَ محذوفٌ، وتقديرُه: يرهَبونَ معاصيَ الله لربِّهم؛ أي: لأمرِ ربِّهم، وقد سبقَ.

***

(١٥٥) ـ ﴿ وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَاۖ فَلَمَّآ أَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ قَالَ رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّٰيَۖ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ ﴾.

﴿ وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا ﴾؛ أي: من قومِه، فحُذِفَ، قال:

منّا الذي اختِيرَ الرِّجالَ سَماحَةً وجُودًا إذا هَبَّ الرِّياحُ الزَّعازِعُ[١]

﴿لِّمِيقَٰتِنَا﴾: لميعادِنا، وهو الميقاتُ الأوَّلُ؛ لأنَّ فيه ذكرَ الرُّؤيةِ[٢].

= تَعۡبُرُونَ ﴾ [يوسف: ٤٣]، وتقول: لك ضربت، فإذا قدمت الفعل قلت: ضربتك. انظر: «الكامل» للمبرد (٣/ ٧٣)، و«الكشاف» (٢/ ١٦٣).

(١) البيت للفرزدق في «ديوانه» (ص: ٣٦٠)، و«الجمل» (ص: ١٢٢)، و«الكتاب» (١/ ٣٩)، و«شرح نقائض جرير والفرزدق» (٣/ ٨٢٢)، و«الكامل» (١/ ٣٢)، و«تفسير الطبري» (١٠/ ٤٧٢). وموضع الشاهد حذف (من) والأصل: اختير من الرجال.

(٢) قوله: «لأن فيه ذكر الرؤية» يعني: لورود ذكر الرؤية في الميقات الثاني، ولعل هذا أمر استنباطي من خلال الربط بين ما جاء في سورة البقرة وما جاء هنا، ويوضحه ما رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٦٩٥) عن السدي أنه: لما تابت بنو إسرائيل من عبادة العجل وتاب الله عليهم بقتل بعضهم بعضاً كما أمرهم به، أمر الله تعالى موسى أن يأتيه في ناس من بني إسرائيل يعتذرون إليه من عبادة العجل، فاختار موسى قومه سبعين رجلاً، فلما أتوا ذلك المكان قالوا: ﴿لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ﴾ [البقرة: ٥٥] فإنك قد كلمته فأرناه، فأخذتهم الصاعقة فماتوا، فقام موسى يبكي =

وقيل: هو ميقاتٌ آخرُ للتَّوبةِ عن عبادةِ العجلِ[1].

= ويدعو الله ويقول: رب ماذا أقول لبني إسرائيل إذا أتيتُهم وقد أهلكتَ خيارهم؟ ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّىٰ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾ [الأعراف: ١٥٥]؟ فأوحى الله إلى موسى: إن هؤلاء السبعين ممن اتخذ العجل، فذلك حين يقول موسى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ﴾ [الأعراف: ١٥٥] ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، وذلك قولُه: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ﴾.

قلت: فلعل السدي إنما استنبط ذلك استنباطاً، فإنه لم يرد التصريح بذكر الرؤية في هذا الميقات في الكتاب ولا في السنة، بل قد روي عن ابن عباس وعلي رضي الله عنهم غير هذا السبب كما سيأتي، ومن هنا اختار أكثر المفسرين أن هذا الميقات غير الأول. انظر التعليق الآتي.

(١) واختار هذا القول بالتغاير أبو حيان في «البحر» (٥/ ١٨٨) فقال: والذي يظهر أن هذا الميقات غير ميقات موسى الذي قيل فيه: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ لظاهر تغاير القصتين وما جرى فيهما، إذ في تلك أن موسى كلمه الله، وسأله الرؤية، وأحاله في الرؤية على تجليه للجبل وثبوته، فلم يثبت وصار دكّاً وصعق موسى، وفي هذه اختير السبعون لميقات الله وأخذتهم الرَّجفة ولم تأخذ موسى، وللفصل الكثير الذي بين أجزاء الكلام لو كانت قصة واحدة.

وقد ذكر الطيبي في «فتوح الغيب» (٦/ ٥٩٩) نحوه، واستدل أبو حيان على تغاير القصتين بما روى عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: هو ميقات وقته الله لموسى وأمره أن يختار من قومه سبعين رجلاً ليدعوا ربهم، فدعوا فقالوا: يا الله أعطنا ما لم تعطِ أحداً قبلنا ولا أحداً بعدنا، فكره الله ذلك فأخذتهم الرَّجفة.

قلت: رواه الطبري (١٠/ ٤٦٩)، وهذا الإسناد وإن كان من علي بن أبي طلحة صحيفة ولم يسمعه من ابن عباس، إلا أن العلماء قد استحسنوه، ومنهم إمام أهل السنة أحمد بن حنبل، حيث نقل عنه النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٧٣) قوله: بمصر صحيفة في التَّفسير رواها عليُّ بن أبي طلحة لو رحل فيها رجل إلى مصر قاصداً ما كان كثيراً.

وفي سببِ اختيارِه السَّبعين أقوالٌ:

أحدُها: أنَّه اختارَهم لتمامِ الوعدِ[١]، والأكثرُ على أنَّه اختارَهُم ليعتَذِروا عن عبادةِ العجلِ.

وقيل: قالت طائفةٌ من بني إسرائيلَ: إنَّ اللهَ لا يُكلِّمُك، فأوحى اللهُ إلى موسى: أن اخترْ من قومِكَ من خيارِهم سبعينَ رجلًا، ثم ارتَقِ بهم إلى الجبلِ أنت وهارونُ، واستخلِفْ على بني إسرائيلَ يُوْشَعَ بنَ نُوْنٍ، ففعلَ ثمَّ ذهبَ بهم ليسمعوا كلامَ الله، فلمَّا أَتَوا ذلك المكانَ وسمعُوا كلامَ الله قالوا: لن نُؤمِنَ لك بأنَّك قد كلَّمْته حتَّى نرى الله جهرةً، فأخذَتْهم الصَّاعقةُ فماتوا.

وعن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّ السَّبعينَ الذين قالوا: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ [البقرة: ٥٥] غيرُ السَّبعينَ الذين أخذَتْهم الرَّجفةُ[٢].

وعن عليٍّ رضي الله عنه: إنَّما أخذَتْهم من أجلِ دَعواهُم على موسى قتلَ هارونَ، وذلك أنَّ موسى وهارونَ وشَبرًا وشَبِيرًا ابنَي هارونَ انطلَقُوا إلى صَفْحِ الجبلِ، فنام هارونُ على سريرٍ وتوفَّاه الله، فلمَّا ماتَ دفنَه موسى، فلمَّا رجعَ موسى إلى بني إسرائيلَ قالوا: أين هارونُ؟ قال: توفَّاه الله، قالوا: بل أنتَ قتلتَه حسَدًا على خُلُقِه ولِينِه، فاختارَ منهم سبعين وذهَبَ بهم، فلمَّا انتهَوا إلى القبرِ قالوا: يا هارونُ، أَقُتِلْتَ أم مِتَّ؟ فقال هارونُ: ما قتَلَني أحدٌ ولكنْ توفَّاني الله،

---

(١) في (ن): «الموعد».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ٥٤٥).

فقالـوا: يا موسـى، لـن تُعصَـى بعـد اليـومِ، فأخذَتْهـم الصَّاعقةُ فماتـوا(١).

﴿فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾ قال موسى: يا ربّ، ما أقولُ لبني إسرائيلَ إذا رجعتُ إليهم؟ يقولون: أنتَ قتلتَهُم، فأحياهُم اللهُ وجعلَهُم أنبياءَ(٢).

والصَّحيحُ أنَّهم لمَّا سمعوا كلامَ الله هم و(٣)موسى وقالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ أخذتهم الرَّجفةُ(٤).

والرَّجفةُ: الموتُ، وقيل: الزَّلزلةُ. وقيل: النَّارُ. وقيل(٥): الصَّاعقةُ.

وقال الفرَّاءُ: لمَّا ماتوا فقامَ موسى يبكي ﴿قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّـٰىَ﴾؛ أي: إنْ شئتَ أمتَّهم وأمتَّني بغير الرَّجفةِ(٦).

الزَّجَّاجُ: إنْ شئْتَ أمتَّهم من قبلِ أن تبتليَهم بما أوجبْتَ عليهم الرجفةَ(٧).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٧١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٧٣).

(٢) هذا من تتمة الخبر السابق عن علي رضي الله عنه.

(٣) «هم و» أثبتناها من نسخة ذكرت في هامش (ن)، وكونهم سمعوا مع موسى كلام الله؛ رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٦٩٣) عن ابن إسحاق.

(٤) وفي هذا التصحيح نظر، وقد تقدم الكلام عليه.

(٥) في (و): «وهي».

(٦) في «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٩٥): «وذلك أن الله تبارك وتعالى أرسل على الذين معه ـ وهم سبعون ـ الرجفة، فاحترقوا، فظن موسى أنهم أهلكوا باتخاذ أصحابهم العجل، فقال: ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾، وإنما أهلكوا بمسألتهم موسى: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾».

(٧) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٣٨٠). وكلمة «الرجفة» ليست في (ن)، والمثبت من (و) والمصدر.

وقيل: إنْ شئتَ أهلكْتَهم عند اتِّخاذِ العجلِ ولم تُمهِلْهُم إلى المصيرِ إلى الميقاتِ وإيَّاي، وأهلَكْتَني حين قتَلْتُ القِبْطيَّ بمصرَ.

﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾: استفهامٌ معناه النَّفيُ[1].

وقيل: استفهامُ إنكارٍ. وهذا لا يجوزُ.

وقيل: استفهامٌ يتضمَّنُ معنى قوله: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥].

والسُّفهاءُ: هم الذين عبَدُوا العجلَ.

﴿إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾: ما هي إلَّا عذابُك. وقيل: ابتِلاؤُك، و﴿هِىَ﴾ كنايةٌ عن الفَعْلةِ، وقيل: البليَّةِ. وقيل: العقوبةِ.

﴿تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ﴾؛ أي: مَن سَلِمَ منها فهو سعيدٌ، ومَن بقيَ فيها فهو شقيٌّ.

﴿أَنتَ وَلِيُّنَا﴾: مُدبِّرُ أمرِنا ﴿فَٱغْفِرْ لَنَا﴾ ذُنوبَنا ﴿وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ﴾.

* * *

(١٥٦) ـ ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾.

---

(١) نقل الثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ٥٤٨) عن المبرد أنه سماه: «استفهام استعطاف»، ومعناه: لا تهلكنا.

﴿وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ﴾: توفيقَ الطَّاعةِ وإسباغَ النِّعمةِ ﴿وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ الجنَّةَ والرُّؤيةَ والثَّوابَ؛ سألَ خيرَ الدَّارينِ.

﴿إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَ﴾؛ أي: تُبْنا، من (هادَ يهودُ): إذا رجعَ.

وقيل: منَ (التَّهوُّدِ) في السَّيرِ، وهو تمكُّثٌ.

وقيل: منَ (الهوادةِ)، وفعلُه: هادَ يَهودُ[1].

﴿قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ﴾ يعني: الكفَّارَ ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ﴾؛ أي: عمَّتْ في الدُّنيا على الكفَّارِ والمؤمنينِ، وخُصَّتْ على المُؤمنين في العُقبَى[2].

﴿فَسَأَكۡتُبُهَا﴾؛ أي: أُثبِتُها[3] في الآخرةِ ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الشِّركَ والمعصيةَ ﴿وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ المفروضةَ. وقيل: يُطهِّرون أنفُسَهم عن دَنَسِ المعاصي.

﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا﴾: بكتُبِنا، وقيل: بدلائلِنا ﴿يُؤۡمِنُونَ﴾.

* * *

---

(١) وهذه المعاني يجمعها أصل واحد، فهي تدلُّ على السكون والسلامة، والأشهر أن ﴿هُدۡنَآ﴾ من التوبة، وفي التوبة هوادة حال وسلامة، كما قال ابن فارس. انظر: «مقاييس اللغة» (٦/ ١٨).

(٢) في العبارة شيء من التجوّز، فقد ضمّن الفعل (خُصَّت) معنى الفعل (قُصِرَت)، ولو قال: وخَصَّت المؤمنين، لكان أظهر، والله أعلم.

(٣) في (ن): «أثيبها».

(١٥٧) ـ ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ﴾ يعني: محمَّدًا عليه السَّلامُ، وفي ﴿ٱلْأُمِّىَّ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: لا يكتبُ، ولا يقرأُ منَ الكتابِ.

وقيل: منسوبٌ إلى أمِّ القُرى، وهي مكَّةُ.

وقيل: منسوبٌ إلى الأمَّةِ، وهي الجماعةُ؛ لأنَّ أكثرَهم لا يكتبون.

وبعضُ المُفسِّرين على أنَّه عليه السَّلامُ ما ماتَ حتَّى كتَبَ(١).

---

(١) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٤٢) من طريق مجالد بن سعيد عن عون بن عبد الله عن أبيه قال: ما مات رسول الله ﷺ حتى كتب وقرأ. قال مجالد: فذكرت ذلك للشعبي فقال: قد صدق، قد سمعت من أصحابنا يذكرون ذلك. قال البيهقي: «هذا حديث منقطع، وفي رواته جماعة من الضعفاء والمجهولين».

قلت: وقد نقل عن بعض العلماء القول بذلك، وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٨٢) عن إبراهيم أنه كان يقرأ ولا يكتب، وقال الآلوسي في «روح المعاني» (٢٠/ ٣٧٧): ومعرفة الكتابة بعد أميته ﷺ لا ينافي المعجزة، بل هي معجزة أخرى لكونها من غير تعليم، وردّ بعض الأجلة كتاب الباجي لما في الحديث الصحيح: «إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب»، وقال: كل ما ورد في الحديث من قوله: كتب، فمعناه أمر بالكتابة كما يقال: كتب السلطان بكذا لفلان...» وقد استوفى رحمه الله الكلام في هذه المسألة، وحديث: «إنا أمة أمية...» رواه البخاري (١٩١٣)، ومسلم (١٠٨٠)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

﴿ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا﴾؛ أي: يجدون وصفَه واسمَه مكتوبًا؛ لأنَّ الشَّخصَ لا يُكتَبُ.

﴿عِندَهُمۡ فِى ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ﴾ رُوِيَ أنَّ عمرَ بنَ الخطّاب رضي الله عنه سأَلَ أبا مالكٍ عن صفةِ النَّبيِّ عليه السَّلامُ في التَّوراةِ، وكان من علماءِ اليهودِ، فقال: صفتُه في كتابِ بني هارونَ الذي لم يُبدَّلْ ولم يُغيَّرْ: أحمدُ من ولدِ إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ، وهو آخرُ الأنبياءِ، وهو النَّبيُّ العربيُّ الذي يأتي بدينِ إبراهيمَ الحنيفِ، يأتزِرُ على وسطِه، ويغسلُ أطرافَه، في عينَيه حمرةٌ، وبين كتفَيه خاتمُ النُّبوّةِ مثلَ زرِّ الحَجَلَةِ، ليس بالقصيرِ ولا بالطَّويلِ، يلبسُ الشَّمْلَةَ، ويجتزي بالبُلْغةِ، ويركبُ الحمارَ، ويمشي في الأسواقِ، معه حربٌ وقتلٌ وسَبْيٌ، سيفُه على عاتقِه لا يُبالي مَن لقيَ منَ النّاسِ، معه صلاةٌ لو كانت في قومِ نوحٍ ما أُهلِكُوا بالطُّوفانِ، ولو كانت في عادٍ ما أُهلِكُوا بالرِّيحِ، ولو كانت في ثمودَ ما أُهلِكُوا بالصَّيحةِ، مولدُه بمكّةَ ومنشَؤُه بها، وبُدُوُّ نبوَّتِه بها، ودارُ هجرتِه بيثربَ بين حَرّةٍ ونخلٍ وسَبِخَةٍ، هو أمِّيٌّ لا يكتُبُ بيدِه، هو الحمَّادُ يحمدُ الله على كلِّ شدَّةٍ ورخاءٍ، سلطانُه بالشّامِ، صاحبُه منَ الملائكةِ جبريلُ عليه السَّلامُ[١].

وحكى الماورديُّ وابنُ عيسى في «تفسيرِهما»: أنَّ في الإنجيلِ بشارةً بالفارَقْليطِ في مواضعَ، منها: يُعطيكم الفارَقْليطُ أجرًا[٢] يكونُ معَكُم الدَّهرَ كلَّه.

وفيها قولُ المسيحِ للحواريِّين: أنا أذهبُ وسيأتيكم الفارِقْليطُ روحُ الحقِّ

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ٥٥٣) عن الواقدي، وساق إسناده.

(٢) في «النكت والعيون»، و«غرائب التفسير»: «آخر».

الذي لا يتكلَّمُ من قِبَلِ نفسِه، إنَّه نذيرٌ لجميعِ الخلقِ، ويُخبِرُكم بالأمورِ المُزمَعةِ، ويمدحُني ويشهدُ لي(١).

وأبلَغُ من هذَين الخبرَين قولُه تعالى: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ﴾ [الفتح: ٢٩] إلى قولِه: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ﴾ الآية [الفتح: ٢٩].

﴿يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾: بالإسلامِ والشَّرعِ ومحاسنِ الأخلاقِ، ﴿وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾: الكفرِ والفسادِ ومساوئِ الأخلاقِ، ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾؛ أي: ما يُستَطابُ من الرِّزقِ ويُستَلذُّ.

وقيل: ما كان مُحرَّمًا عليهم في قولِه: ﴿فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ﴾ [النساء: ١٦٠].

وقيل: الطَّيِّبُ: الحلالُ.

﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾: المُحرَّماتِ، والمعنى: أنَّ شريعتَه بهذه الصِّفةِ.

﴿وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾؛ أي: خفَّفَ عنهم ما شُدِّدَ عليهم في التَّوراةِ منَ العهودِ والأثقالِ، كالقاتلِ لا يُنجِّيه إلّا القِصاصُ، ولا ديةَ ولا عفوَ، وقطعِ الأعضاءِ الخاطئةِ، وقرضِ الثَّوبِ إذا أصابَه نجاسةٌ. وشبَّهها بالأغلالِ للُزومِها لزومَ الغُلِّ في العُنُقِ.

﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ﴾: بمُحمَّدٍ عليه السَّلامُ ﴿وَعَزَّرُوهُ﴾ قيل: عظَّموه ﴿وَنَصَرُوهُ﴾ قيل: منَعُوه.

---

(١) انظر: «النكت والعيون» (٢/ ٢٦٨). وجاء في «رحلة بنيامين التطيلي» (ص: ١١٤): وقد وعد سيدنا عيسى بمجيء محمد وأشار إليه بإشارات كثيرة، إنه قد سماه «الفارقليط» وهي كلمة يونانية، وترجمتها للعربية: الداعي، وبسبب هذه الإشارات أسلم عبد الله بن سلام وكعب الأحبار وغيرهما كثير.

ابنُ عيسى: أصلُ التَّعزيرِ: المنعُ، ومنه تعزيرُ المُفسِدِ[١]، ومعنى الآية: نصروه بمَنعِهم كلَّ مَن أرادَ كيدَه.

﴿وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ﴾؛ أي: القرآنَ، وسمَّاه نورًا لأنَّه بيَّنَ للنّاسِ أمورَ دينِهم ودُنياهم، وآخرتِهم وعُقباهم.

و(مع) يدلُّ على البقاءِ؛ أي: أُنزِلَ عليه وبقيَ معه.

﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾: الظَّافرون بالأماني، الباقون في النَّعيمِ.

* * *

(١٥٨) ـ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾: عامٌّ، وقيل: المُرادُ به أهلُ الكتاب ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾: صفةٌ لله، ومحلُّه جرٌّ، ويجوزُ أن يقفَ[٢] على ﴿جَمِيعًا﴾، فيكون ﴿الَّذِي﴾ مبتدأً وما بعدَه خبرٌ[٣].

﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ﴾: الذي يُنبِئُ عن الله ما كانَ وما يكونُ ﴿الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ﴾: التَّوراةِ والإنجيلِ وسائرِ كتبِ الله ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

* * *

---

(١) ذكر نحوه النحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ٢٨٠).

(٢) أي: القارئ.

(٣) والخبر في هذه الحالة هو جملة ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾.

(١٥٩) ـ ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾.

﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: يهدونَ النّاسَ مُحِقِّين.

وقيل: بسببِ الحقِّ الذي هم عليه.

﴿وَبِهِۦ﴾؛ أي: وبالحقِّ ﴿يَعْدِلُونَ ﴾ بينَ النّاسِ. وفي هذا (القومِ) ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: هم قومٌ كانوا في زمانِ موسى عليه السَّلامُ.

وقيل: هم قومٌ وراءَ الصِّينِ، رآهُم رسولُ الله ﷺ ليلةَ المِعراجِ، فآمَنُوا به وصدَّقوه، وقرأ عليهم عشرَ سُوَرٍ مـمَّا نزلَ عليه بمكَّةَ[1].

وقيل: هم الذين آمنوا برسولِ الله ﷺ كعبدِ الله بن سلامٍ وأصحابِه.

***

(١٦٠) ـ ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾.

﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾ أُعرِبَ (اثنا عشرَ) من بين أخواتِها لأنَّ (عشرةَ) بدلٌ من النُّونِ، فأُعرِبَ كما يُعربُ التَّثنيةُ، وبُني (عشرة) على الفتحِ لأنَّها بدلٌ من النُّونِ[2].

وأنَّثَ حملًا على الأمَّةِ. وقيل: على القطعةِ.

وجمعَ (أسباطًا) لأنَّها بدلٌ من ﴿ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ﴾، وليس بتمييزٍ.

وقيل: جعَلَ كلَّ واحدةٍ من اثنتَي عشرةَ أسباطًا، كما تقولُ: لزيدٍ دراهمُ ولعَمرٍو دراهمُ، فهذه عشرونَ دراهم[3].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٢٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما، واستغربه.

(٢) انظر: «التعليقة على كتاب سيبويه» لأبي علي الفارسي (٣/ ١١٩).

(٣) انظر: «بحر العلوم» لأبي الليث السمرقندي (١/ ٥٥٧)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٢٥) =

والسِّبْطُ مُشتَقٌّ من السَّبَطِ، وهو شجرٌ يعتَلِفُه الإبلُ، وكذلك القبيلةُ اسمُ شجرةٍ، جعلَ الأبَ كالشَّجرةِ والأولادَ كالأغصانِ؛ فإسماعيلُ صلَواتُ الله عليه شجرةٌ، وإسحاقُ شجرةٌ.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ الآية مُفسَّرةٌ في سورة (البقرة).

ومعنى الآيةِ: جعَلَ الله بني إسرائيلَ اثنتَي عشرةَ فِرقةً، وإنَّهم إذ كانوا في التِّيهِ لم يكُنْ لهم طعامٌ ولا شرابٌ ولا ظِلٌّ يأوُونَ إليه، فأنزلَ الله عليهم غمامًا ظلَّلَهم، وأنزلَ عليهم المنَّ والسَّلوى طعامًا لهم وإدامًا، وأمرَهُم بالأكلِ منهما، وما ظلَمُونا بما أوجبَ لهم الحبسَ في التِّيهِ، ولكنْ ظلَمُوا أنفُسَهم بذلك.

* * *

(١٦١ - ١٦٢) - ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ﴾.

﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ﴾ سبقَ تفسيرُ الآيتَين.

= واستغربه. وذكر أبو حفص النسفي في «التيسير في التفسير» عند هذه الآية بإسناد له من رواية الضحاك عن ابن عباس خبراً طويلاً في لقاء النبي ﷺ بهم وإيمانهم به، ولا يصح في ذلك شيء، والله أعلم.

والمعنى: أمَرْنا بني إسرائيلَ بدخولِ القريةِ مُستغفرين مُتواضِعين لنغفرَ لمُذنِبهم ونزيدَ إحسانًا لمُحسِنِهم، فبدَّلوا ما أُمِروا فاستَحَقُّوا العذابَ الأليمَ.

* * *

(١٦٣) - ﴿وَسْئَلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾.

﴿وَسْئَلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ﴾؛ أي: عمَّا وقعَ بأهلِها ﴿ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾؛ أي: عندَه، وهي أَيْلةُ، وقيل: أَرِيحا ﴿إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ﴾: جاوَزُوا الحقَّ يومَ السَّبتِ.

﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ﴾: جمعُ حوتٍ، وهي السَّمكُ، وأضافَ إليهم لأنَّهم أرادوا صَيدَها.

﴿يَوْمَ سَبْتِهِمْ﴾ هو من الأيَّامِ، وأضافَ إليهم لأنَّهم المخصوصون بأحكامٍ فيه.

والوجهُ أنَّه مصدرٌ، والمعنى: يومَ يسبِتونَ، بدليلِ قولِه: ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ﴾، وبدليلِ الإضافةِ(١).

والسَّبتُ: تعظيمُ السَّبتِ، تقولُ: سَبَتَ؛ أي: عظَّمَ السَّبتَ.

وقيل: يومَ راحتِهم بتَركِهم(٢) أعمالَهم.

﴿شُرَّعًا﴾: واردةً. وقيل: ظاهرةً. وقيل: رافعةً رُؤوسَها، وقيل: خافِضةً رُؤوسَها كأنَّها الكِباشُ البيضُ. وقيل: كالمخاضِ السِّمانِ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٢٥)، واستغربه.

(٢) في (و): «لقول».

﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ﴾ وقُرِئَ: (يُسْبِتُونَ)[1].

و(سَبَتَ) و(أَسْبَتَ) بمعنًى. وقيل: سَبَتَ: عظَّمَ السَّبْتَ، وأسْبَتَ: دخَلَ في السَّبْتِ.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ قيل: متَّصلٌ بالأوَّلِ على تقديرِ: لا تأتيهم شُرَّعًا مثلَ إتيانِ يومِ السَّبتِ، وقيل: متَّصلٌ بما بعدَه، وهو قولُه: ﴿نَبْلُوهُم﴾؛ أي: نختبرُهم مثل هذا الاختبارِ؛ أي: نُعاملُهم مُعاملةَ المُختبِرِ ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾: بخروجِهم عن طاعةِ الله.

وذلك أنَّه حُرِّمَ عليهم الصَّيدُ يومَ السَّبتِ وأُمِرُوا بتعظيمِه، فوسوَسَ لهم الشَّيطانُ وقال: إنَّما نُهيتُم عن صيدِها يومَ السَّبتِ، فحفَرُوا الحِياضَ ونصبُوا الشِّباكَ، وكانوا يسوقونَ إليها الحيتانَ يومَ السَّبتِ، وتبقى فيها ولا يُمكِنُها الخروجُ منها، فيأخذونها يوم الأحدِ، وصار أهلُ القريةِ ثلاثَ فِرَقٍ: فرقةً صادوا، وهم أصحابُ الخطيئةِ، وفرقةً نهَوهُم، وفرقةً قالوا: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا﴾، وهو قولُه:

(١٦٤) ـ ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾.

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ﴾: من أهلِ القريةِ للأمَّةِ الواعظةِ: ﴿لِمَ تَعِظُونَ﴾: لأيِّ شيءٍ تعِظُونَ ﴿قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ في الدُّنيا ﴿أَوْ مُعَذِّبُهُمْ﴾ في العُقْبى؛ أي: يُعذِّبُهم في العاجلِ والآجلِ ﴿عَذَابًا شَدِيدًا﴾.

---

(١) نسبت هذه القراءة لعلي بن أبي طالب والجعفي عن عاصم في: «المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ٥٢)، وللحسن والأعمش والمفضل في «شواذ القراءات» لشمس القراء الكرماني (ص: ١٩٧).

ذهبَ بعضُ المُفسِّرين إلى أنَّ هذا إنكارُ الموعظةِ على الأمَّةِ الواعظةِ.

وذهب بعضُهم إلى أنَّهم قالوا هذا بعد أن وعظَهُم الواعظةُ فلم ينفَعْهم وعظُهم وأيِسوا[1]، فيكونُ هذا أبلغَ في الموعظةِ.

﴿قَالُوا﴾؛ أي: الواعظةُ ﴿مَعْذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾؛ أي: موعِظَتُنا معذرةٌ إلى ربِّكم لإقامةِ العُذرِ عندَ الله، ولرجاءِ تقواهُم.

ومَن نصَبَ[2] فمفعولٌ له.

و(المعذرةُ) بمعنى: الاعتذارِ؛ لأنَّ معنى عَذَرَ: قَبِلَ العُذْرَ، واعتَذَرَ: أقامَ العُذْرَ.

وقيل: (عَذَرَ) إذا تعدَّى بنفسِه معناه: قَبِلَ العُذْرَ، وإذا تعدَّى بـ(إلى) معناه: اعتَذَرَ.

وقيل: (المعذرةُ) بمعنى: العذيرِ، وعذيرُ الرَّجلِ: ما يُحاوِلُه ممَّا يُعذَرُ عليه إذا فعلَه.

* * *

(١٦٥) ـ ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾.

﴿فَلَمَّا نَسُوا﴾: تركُوا ﴿مَا ذُكِّرُوا بِهِۦٓ﴾: ما وُعِظُوا به من العذابِ على صيدِ الحيتانِ ﴿أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ﴾: عن العذابِ الشَّديدِ، فيكون (عن) متَّصلًا بـ﴿أَنجَيْنَا﴾، ويَحتمِلُ أن يكونَ متَّصلًا بـ﴿يَنْهَوْنَ﴾؛ أي: عن المعصيةِ.

﴿وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾؛ أي: صادوا في السَّبتِ وخالَفُوا أمرَ الله ﴿بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ﴾: شديدٍ ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾: بخُروجِهم عن طاعةِ الله، وهو أنَّهم صاروا قردةً.

---

(١) فيأبون هذا القول من الفرقة الثالثة توبيخاً لمن لا ينتهون عن المعاصي.

(٢) قرأ حفص: ﴿مَعْذِرَةً﴾ بالنصب، وباقي السبعة بالرفع. انظر: «السبعة» (ص: ٢٩٦)، و«التيسير» (ص: ١١٤).

والفرقةُ الأخرى مختلَفٌ فيها:

قال الحسنُ: نجَتْ فرقتانِ وهلكَت فرقةٌ(١).

وقال بعضُهم: هلكَت فرقتانِ.

وقال بعضُهم بالتَّوقُّفِ في أمرِهم.

والرِّواياتُ الثَّلاثُ عن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما(٢).

***

(١٦٦) ـ ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾.

﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ﴾: استكبَروا واجترَؤوا على الذَّنبِ، ومرَدُوا على المعصيةِ، وبالَغُوا في الإثمِ، ﴿قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً﴾: جمعُ (قِرْدٍ).

﴿خَاسِئِينَ﴾: مُبعَدين مطرودين.

وقال بعضُهم: خُوطِبُوا بهذا القولِ، فيكونُ أبلَغَ في النَّازلةِ.

وقال بعضُهم: صُيِّروا قردةً، وكانت القِردةُ تعلمُ ما حلَّ بها وتعرفُ أقرباءَها.

وجمهورُ المُفسِّرين على أنّها ماتَتْ بعد ثلاثٍ. ورَوَى ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه عن النَّبيِّ عليه السَّلامُ أنَّه قال: «لم يمسَخِ الله شيئًا فجعَلَ له نسلًا وعاقبةً»(٣).

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٩/ ٤١٨)، والبغوي في «تفسيره» (٢/ ٢٤٣).

(٢) رواها جميعاً الطبري: فروى في «تفسيره» (١٠/ ٥١٤ ـ ٥١٩) عدة روايات عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه توقف في أمرهم وأن عكرمة راجعه أنهم من الناجين، فكساه حلة.
وروى عنه (١٠/ ٥٢٠) أنهم هلكوا، ولم ينج إلا الذين نهوا.
وروى عنه (١٠/ ٥٢١) التوقف في أمرهم.

(٣) رواه مسلم (٢٦٦٣) بلفظ: «إن الله عز وجل لم يهلك قومًا، أو يعذب قومًا، فيجعل لهم نسلاً، وإن القردة والخنازير كانوا قبل ذلك».

وقال بعضُهم: بقيَتْ وتناسَلَتْ.

مجاهدٌ: مُسِخَتْ قلوبُهم، لا أبدانُهم[١].

***

(١٦٧) ـ ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾: أعلَمَ[٢]، ويأتي تفعَّلَ وأفعَلَ بمعنًى، نحو: توعَّدَه وأوعَدَه، وترضَّاه وأرضاه، وتيقَّنْتُه وأيقَنْتُه.

وقيل: ﴿تَأَذَّنَ﴾: أمرَ، من (الإِذْنِ).

وقيل: حلَفَ ليَبْعَثَنَّ.

وقيل: تكفَّلَ، من (الأَذِينِ)، وهو الكفيلُ.

﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾: ليُسلِّطَنَّ عليهم ﴿مَن يَسُومُهُمْ﴾: يُكلِّفُهم ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾: شديدَه.

هم اليهودُ، بعثَ الله عليهم محمَّدًا عليه السَّلامُ وأمَّتَه يُقاتلونَهم حتَّى يُسْلِموا أو يُعطُوا الجزيةَ.

سعيدُ بنُ جُبيرٍ: هم أهلُ الكتابِ، بعثَ الله عليهم العربَ يَجْبُونَهم الخراجَ إلى يومِ القيامةِ[٣].

وكِلا القولينِ واحدٌ.

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ لهؤلاءِ في الدُّنيا ﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ للمُؤمنين.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٦٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٣٣).

(٢) وأصله على هذا: آذنَ.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٣٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٠٤).

(١٦٨) ـ ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

﴿وَقَطَّعْنَٰهُمْ﴾ يعني: بني إسرائيلَ ﴿فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا﴾: جعَلْناهم مُتفرِّقين في الأرضِ.

وقيل: معناه: جعَلْناهم على أديانٍ مختلفةٍ.

﴿مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ وهم الذين أسلَمُوا، وقيل: هم الذين رآهُم رسولُ الله عليه السَّلامُ ليلةَ المعراجِ.

﴿وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: في مكانٍ مُنحَطٍّ عن الصَّلاحِ، هذا أصلُ الكلمةِ؛ أي: ومنهم عاصون مُفسِدون[1].

﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ﴾: بالخِصْبِ والنِّعمةِ ﴿وَٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: الجَدْبِ والمِحنةِ؛ ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: كي يتذكَّروا ويعودوا إلى الطَّاعةِ.

* * *

(١٦٩) ـ ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾: قومُ سوءٍ.

ابنُ عيسى: اشتقاقُه من (خَلَفَ اللَّبَنُ): إذا طالَ مُكثُه في السِّقاءِ فتغيَّرَ، ومنه الخُلوفُ[2].

---

(١) في (ن): «ومفسدون».

(٢) ذكر نحوه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٣٥) دون نسبة. ونقل صاحب «التاج» مادة: (خ ل ف) عن شيخه أن: الخُلُوف ـ بالضم ـ هو المشهور، ومعناه: تغيُّر الفم، وهو الذي صرَّح به أَئِمَّةُ اللُّغة، =

و(الخَلَفُ) بالفتح يُستَعملُ في الخيرِ، وبالسُّكونِ في الشَّرِّ، وقد يُستَعملُ في الخيرِ مع الإضافةِ.

وهو مصدرٌ وُصِفَ به. وقيل: جمعُ خالفٌ، وهو الذي يأتي خَلْفَ مَن سبقَه.

﴿وَرِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾: أخذُوا عن آبائِهم التَّوراةَ وعلمَها ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ﴾؛ أي: الأمرَ الأقربَ، وهو الدُّنيا.

وقيل: تقديرُه: هذا العَرَضَ الأدنَى، يأخُذُون الرِّشا في الحكمِ ويتجوَّزونَ فيه، ويترخَّصُونَ في أكلِ الحرامِ.

﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾: يتمنَّونَ على الله المغفرةَ، وقيل: قالوا: سيُغفَرُ لنا وإنْ لم نستغفِرْه.

﴿وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ﴾: من الحرامِ ﴿يَأْخُذُوهُ﴾؛ أي: هم مُصِرُّون على الذَّنبِ.

وقيل: لا يُشبِعُهم شيءٌ.

وقيل: ﴿وَإِن يَأْتِهِمْ﴾ يعني به: قومًا آخرَ ﴿عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ﴾ مثلُ العرَضِ الأوَّلِ.

﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ﴾: كتابِ الله ﴿أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾: الصِّدقَ ﴿وَدَرَسُواْ مَا فِيهِ﴾: وقرؤُوا ما في الكتابِ؛ أي: لم يفعَلُوا على جهلٍ[1].

﴿وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ﴾؛ أي: الجنَّةُ ﴿خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾: الشِّركَ والمعصيةَ ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: أنَّها خيرٌ من العرَضِ الأدنَى.

***

= وحكى بعضُ الفقهاء والمُحدِّثين فتحَها، واقتَصر عليه الدَّميريُّ في «شرح المنهاج»، وأظنُّه غَلَطاً كما صرَّح به جماعةٌ، وقال آخرون: الفتح لغةٌ رديئةٌ، واللهُ أعلم.

(١) في (و): «من الجهل».

(١٧٠) ـ ﴿ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴾.

﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَٰبِ﴾: يُؤمِنونَ به ويقومون بأحكامِه ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ يُريدُ: منهم.

وقيل: المُصلِحون هم الذين يُمسِّكون، فقامَ مَقامَ العائدِ[1].

وقيل: الخبرُ محذوفٌ دلَّ عليه ما بعدَه؛ أي: نُعطيهم أجورَهم؛ إنَّا لا نُضيعَ أجرَ المُصلِحين.

* * *

(١٧١) ـ ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾.

﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ﴾: اذكُرْ إذا قلَعْنا ورفَعْنا، والنَّتْقُ: الجذبُ بمرَّةٍ؛ أي: جَذَبَ وقَلعَ، وامرأةٌ ناتِقٌ: تجذِبُ ماءَ الرَّجلِ فتحفَظُه. وقيل: سُمِّيَتْ ناتقًا كأنَّ أولادَها تُجذَبُ منها[2].

ومنه قولُه عليه السَّلامُ: «عليكم بالأبكارِ؛ فإنَّهنَّ أعذَبُ أفواهًا، وأنتَقُ أرحامًا، وأرضَى باليسيرِ»[3].

---

(١) لأن تكرر الاسم بلفظ يعني عن العائد، بل هو أبلغ في التعظيم والتفخيم، وهنا تكرر اللفظ بمعناه، فجعل كالمكرر بلفظه. انظر: «المرتجل» لابن الخشاب (ص: ٢٧٩).

(٢) انظر: «النكت والعيون» (٢/ ٢٧٦)، وفيه: «والنتق: الجذب، ومنه قيل للمرأة الولود ناتق، واختلف في سبب تسميتها ناتقاً؛ فقيل: لأن خروج أولادها بمنزلة الجذب. وقيل: لأنها تجذب ماء الفحل تؤديه ولداً».

(٣) رواه ابن ماجه (١٨٦١) من طريق محمد بن طلحةَ التَّيْمِيِّ عن عبد الرحمن بن سالم بن عُتْبَةَ بن عُوَيْمِ بن سَاعِدَةَ الأنصاريِّ عن أبيه عن جَدِّهِ قال: قال رسول الله ﷺ: «عَلَيْكُمْ بالأبكارِ...». وعتبة بن عويم مختلف في صحبته، وقال البخاري وأبو حاتم: «لم يصح حديثه»، وانظر تفصيل =

﴿كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ﴾: يخافُ مَن تحتَه وُقوعَه عليه؛ لأنَّ الجبلَ لا يَثبتُ في الهواءِ.

﴿وَظَنُّوٓاْ﴾: وعلِموا ﴿أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ﴾: ساقِطٌ عليهم.

﴿خُذُواْ﴾؛ أي: وقُلْنا لهم: خُذُوا ﴿مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾؛ أي: اقبَلوه باجتهادٍ.

وقيل: بالقدرةِ التي لكم على أخذِها.

﴿وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ﴾: اعمَلُوا بما فيه ولا تنسَوهُ ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾: لكي تتَّقوا النَّارَ، وقد سبقَ في (البقرةِ).

***

(١٧٢) - ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾.

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ﴾؛ أي: ذكِّرْهم يا محمَّدُ إذ أخذَ ربُّك ﴿مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ﴾ بدلٌ من ﴿بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾: أولادَهم وأولادَ أولادِهم ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾:

= الكلام عليه في «الإصابة» (٤/ ٣٦٣).

وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٢/ ٩٨): «هذا إسناد فيه محمد بن طلحة، قال فيه أبو حاتم: لا يحتج به، وعبد الرحمن بن سالم بن عتبة، قال البخاري: لم يصح حديثه، وله شاهد في الصحيحين وغيرهما من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه».

والشاهد من حديث جابر رواه البخاري (٥٢٤٥)، ومسلم (٧١٥)، وفيه أن النبي ﷺ قال لجابر: «أَبِكْرًا تَزَوَّجْتَهَا، أم ثَيِّبًا؟» قال: قُلْتُ: بل ثَيِّبًا، قال: «هَلَّا جَارِيَةً تُلَاعِبُهَا وَتُلَاعِبُكَ».

ورواه بنحو حديث عتبة بن عويم الطبراني في «الكبير» (١٠٢٤٤) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٢٥٩): «رواه الطبراني، وفيه أبو بلال الأشعري، ضعفه الدارقطني».

ورواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٤٥٥) عن جابر رضي الله عنه. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٢٥٩): «وفيه محمد بن كنيز السقاء، وهو متروك».

أشهَدَ بعضَهم على بعضٍ ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾: استفهامُ تقريرٍ ﴿قَالُواْ بَلَىٰ﴾: إثباتٌ وجوابٌ لكلامٍ يتضمَّنُ نفيًا ﴿شَهِدْنَآ﴾ هذا من كلامِ الذُّرِّيَّةِ، وقيل: من كلامِ الملائكةِ.

﴿أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾؛ أي: كراهةَ أن تقولوا، ولأنْ لا تقولوا.

وقيل: هو مُتَّصلٌ بقولِه: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ كراهةَ أن تقولوا.

وقيل: مُتَّصلٌ بقولِه: ﴿شَهِدْنَآ﴾ إذا جُعِلَ من كلامِ الملائكةِ، وكذلك الآيةُ الأخرى، وهي قولُه:

(١٧٣) ـ ﴿أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾.

﴿أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ وهذا دليلٌ على أنَّ التَّقليدَ في التَّوحيدِ كفرٌ(١).

جلُّ المُفسِّرينَ على أنَّ الله تعالى أخرَجَ ذُرِّيَّةَ آدمَ من ظهرِ آدمَ، فأولادُه أخرجَهم

---

(١) كذا قال، وليس هذا بمجمع عليه، قال ابن حزم في «الفصل» (٤/ ٢٨ ـ ٢٩): «ذهب محمد بن جرير الطبري والأشعرية كلها ـ حاشا السمناني ـ إلى أنه لا يكون مسلمًا إلا مَن استدل وإلا فليس مسلمًا، وقال الطبري: مَن بلغ الاحتلام أو الإشعار من الرجال والنساء، أو بلغ المحيض من النساء، ولم يعرف الله عز وجل بجميع أسمائه وصفاته من طريق الاستدلال فهو كافر، وقال: إذا بلغ الغلام أو الجارية سبع سنين وجب تعليمهما وتدريبهما على الاستدلال على ذلك. وقالت الأشعرية: لا يلزمهما الاستدلال على ذلك إلا بعد البلوغ.

وقال سائر أهل الإسلام: كل من اعتقد بقلبه اعتقادًا لا يشك فيه وقال بلسانه: لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأن كل ما جاء به حق، وبرئ من كل دين سوى دين محمد ﷺ، فإنه مسلم مؤمن ليس عليه غير ذلك». وقد تقدم الكلام عليه.

من ظهرِه، ثمَّ أخرَجَ من ظهورِ أولادِه أولادَهم واحدًا بعد واحدٍ على ما يكونون عليه إلى يومِ القيامةِ.

قيل: كان ذلك قبل الدُّخولِ في الجنَّةِ بين مكَّةَ والطَّائفِ.

وقيل: ببطنِ نَعمانَ؛ وادٍ إلى جنبِ عرفةَ(١).

وقيل: أخرجَهم من ظهرِه في الجنَّةِ.

وقيل: بعد النُّزولِ(٢) منَ الجنَّةِ بدهيا(٣) أرضٍ بهند.

ورُوِيَ عن النَّبيِّ عليه السَّلامُ أنَّه قالَ: «مسحَ اللهُ ظهرَ آدمَ بيدِه اليُمنَى ـ وكلتا يدَيه يمينٌ ـ بعد ما أهبطَه إلى الأرضِ بنَعْمانَ، فأخرَجَ من صُلبِه جميعَ مَن يُخلَقُ إلى يومِ القيامةِ كأمثالِ الذَّرِّ، نثَرَهُم بينَ يدَيه وجعلَهم على هيئةِ الرِّجالِ والنِّساءِ ـ يعني: في عقولِهم ـ ثمَّ كلَّمَهم وقال لهم: ألستُ بربِّكم؟ قالوا: بلى»(٤).

---

(١) رواه بهذا اللفظ الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٥٦) من طريق كلثوم بن جبر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، ورواه (١٠/ ٥٥٦) من طريق ابن جريج عن سعيد بن جبير عن ابن عباس بلفظ: «أخذ عليهم الميثاق بنَعْمانَ ونَعْمانُ مِن وراءِ عرفةَ».

(٢) في (و): «الدرك».

(٣) كذا في النسخ: (دهيا) بالياء، وفي «تفسير الثعلبي» (١٢/ ٥٨٥): (دهنا بالنون)، وقد حقق الشيخ أحمد شاكر هذا اللفظ باستفاضة في تعليقه على «تفسير الطبري» (١٣/ ٢٢٥)، وخلص إلى أنه: (دحنا) أو (دجنا) بالقصر والمد، وقال: «وظني أنه تعريب دهنج، وهي الأرض التي بالهند، وأما التي ببلاد العرب فهي (دحناء) بالحاء لا غير».

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٤٥٥)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١١٢٧)، والحاكم في «المستدرك» (٤٠٠٠) وصححه، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان ـ يعني عرفة ـ فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها، فنثرهم بين يديه كالذر، ثم كلمهم قِبَلًا، قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾».

وزادَ بعضُهم: «وكان أنورَهم ذرَّةً داودُ عليه السَّلامُ، فقال: مَن هذا؟ فقيل: هذا داودُ نبيٌّ من ذُرِّيَّتِك، قال: كم عمرُه؟ قال: ستُّونَ سنةً، قال: ربِّ زِدْهُ، قال: قد جرى القلَمُ وجفَّ عن زيادةِ بني آدمَ، قال: ربِّ زدْهُ من عمري أربعين سنةً، فأُثبِتَ لداودَ الأربعون، وكان عمرُ آدمَ عليه السَّلامُ ألفَ سنةٍ، فلمَّا استكمَلَ آدمُ تسعَ مئةٍ وستِّين سنةً جاءَه ملَكُ الموتِ، فلمَّا رآه آدمُ قال: ما لَكَ؟ قال: قد استوفَيتَ أجلَكَ، قال له آدمُ: بقي من عمري أربعونَ سنةً، قال: أليس وهَبْتَها لداودَ؟ قال: لا، فجَحَدَ آدمُ فجَحَدَتْ ذُرِّيَّتُه، ونسيَ آدمُ فنسِيَتْ ذُرِّيَّتُه، وخطِئَ آدمُ فخَطِئَتْ ذُرِّيَّتُه»(١).

وذهبَ بعضُ المُفسِّرين إلى أنَّ ظاهرَ الآيةِ لا يدلُّ على هذا؛ لأنَّه قالَ: ﴿مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ﴾ ولم يقُلْ: من ظهرِ آدمَ.

قالوا: والذُّرِّيَّةُ إذا كانت كالذَّرِّ(٢) لا يُخاطَبون.

وقالوا: إنَّا(٣) لا نتذَكَّرُ ذلك، فكيفَ يُحتَجُّ علينا؟!

وقالوا: إنَّما المُرادُ بأخذِ الذُّرِّيَّةِ: وجودُهم في الدُّنيا قرنًا بعد قرنٍ إلى يومِ القيامةِ.

وأوَّلُوا الإشهادَ على وجهَينِ: **أحدُهما**: بما رُكِّبَ فيهم من العقلِ، **والثَّاني**: ببعثِ الرُّسلِ.

والأوَّلُ(٤) هو مذهبُ السُّنَّةِ والجماعةِ؛ لأنَّ جُلَّ المُفسِّرين على ذلك؛ لأنَّ الأخبارَ في ذلك شاعَتْ وذاعَتْ، وأمَّا قولُهم: لم يقُلْ: من ظهرِ آدمَ، فلأنَّهم لم يخرُجوا كلُّهم من ظهرِ آدمَ، بل بعضُهم من بعضٍ على ما سبقَ.

---

(١) رواه الترمذي (٣٠٧٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقال: «حديث حسن صحيح».

(٢) في (ن): «إذا كانوا من الذر».

(٣) في (و): «لأنا».

(٤) وهو إخراج ذرية آدم من ظهره؛ والإشهاد عليهم.

وأمَّا كونُهم كالذَّرِّ، فلا تُنكَرُ قدرةُ الله على أن يجعلَ الذَّرّةَ[1] وأصغرَ منَ الذَّرّةِ عاقلًا يفهمُ الخطابَ ويسمعُ ويُجيبُ.

وقيل: كانوا كالذَّرَّةِ كثرةً لا صغرًا، وكانوا على أشخاصِهم التي يكونون عليها.

وأمَّا قولُهم: لا نتذكَّرُ ذلك، فإنَّ تذكيرَ الله أبلَغُ.

وقيل: أخذَهم من ظُهورِ الآباءِ، وجعلَهم في بُطونِ الأمَّهاتِ، وحوَّلهم من خِلْقةٍ إلى خِلْقةٍ، ومن حالةٍ إلى حالةٍ، وأشهَدَهم على أنفُسِهم عند البلوغِ وكمالِ العقلِ.

وقيل: على لسانِ الأنبياءِ وفي كتبِهم، وقد سبقَ الجوابُ، والله أعلَمُ.

***

(١٧٤) - ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾.

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ ﴾؛ أي: كبيانِ هذه القِصَّةِ نُبيِّنُ سائرَ الآياتِ ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ بيَّنَّاها[2].

***

(١٧٥) - ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾.

﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا ﴾ اختلَفَ المُفسِّرون فيه: فقال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: هو بلعمُ بنُ باعوراءَ منَ العَمالقةِ[3]، دعا على قومِ موسى

---

(١) في (و): «الذرية».

(٢) في (و): «ببيانها»؛ أي: ببياننا إياها.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٦٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦١٦) بلفظ: «هو رجل من مدينة الجبارين يقال له: بلعم»، وللخبر تتمة ستأتي.

فبقُوا فـي التِّيـهِ، ودعا عليه موسـى عليـه السَّـلامُ فسَـلَبَ اللهُ إيمانَه(١).

عبدُ الله بنُ عَمرِو بنِ العاصِ: نزَلَتْ في أُميَّةَ بنِ أبي الصَّلْتِ الثَّقفيِّ(٢)، وكان قد قرأ الكتبَ، وعلِمَ أنَّ اللهَ مرسِلٌ رسولًا في ذلك الوقتِ، ورجا أن يكونَ هو ذلك الرَّسولَ، فلمّا أُرسِلَ محمَّدٌ عليه السَّلامُ حسَدَه وكفَرَ به(٣).

وقيل: نزلَتْ في رجلٍ قد أُعطِيَ ثلاثَ دعواتٍ مُستجابةٍ، وكانت له امرأةٌ اسمُها البسوسُ، لها منه ولدٌ، فقالت له: اجعَلْ لي منها واحدةً، فقال: ما تُريدين؟ قالت: ادعُ الله أن يجعلَني أجملَ امرأةٍ في بني إسرائيلَ، فدعا لها، فجُعِلَتْ كذلك، ثمَّ رغِبَتْ عنه، فدعا عليها فصارَتْ كلبةً نبَّاحةً، فجاء بَنوها فقالوا: قد صارَتْ أمُّنا كلبةً والنّاسُ يُعيِّروننا بها، فادعُ الله أن يرُدَّها كما كانت، فدعا الله فعادَتْ كما كانت، فذهبَتْ فيها الدَّعواتُ(٤).

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (٤/ ٣٠٦) عن مقاتل. وتعقبه أبو حفص النسفي في «التيسير في التفسير» عند هذه الآية بقوله: وهذا كلامٌ مختلٌّ، واحتباسهم في التِّيه كان بقولهم: ﴿اذهب أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤] لا بدعاء بلعم، وكيف يُستجاب دعاءُ بلعم وقد انسلخ من الآيات، ولأنه قد دعا على موسى وقومه بالباطل، وكيف دعا موسى على بلعم بزوال الإيمان وكان مبعوثاً إلى الناس ليدعوَهم إلى الإيمان.

قلت: وسياق خبر ابن عباس السابق لا إشكال فيه، ولفظه بتمامه: هو رجلٌ من مدينةِ الجَبَّارِين يقال له: بَلْعَمُ، وكان يَعْلَمُ اسمَ الله الأكبر، فلمَّا نَزَل بهم موسى أتاه بنو عمِّه وقومُه، فقالوا: إن موسى رجلٌ حديد، ومعه جنودٌ كثيرة، وإنه إنْ يظهر علينا يهلكنا، فادع الله أن يردَّ عنَّا موسى ومن معه. قال: إني إنْ دعوت الله أن يردَّ موسى ومن معه ذهبت دنياي وآخرتي! فلم يزالوا به حتى دعا عليهم، فسلخه الله مما كان عليه، فذلك قوله: ﴿فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾.

(٢) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١١١٣٠)، والطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٧١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦١٦).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٢٧)، واستغربه.

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦١٧) من طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما. =

سعيدُ بنُ المُسيِّبِ: نزلَتْ في أبي عامرٍ الرَّاهبِ الذي بُنِيَ له مسجدُ الشِّقاقِ، حينَ ذهبَ إلى الشَّامِ ليأتيَ بجُندٍ فيُخرِجَ محمَّدًا وأصحابَه منَ المدينةِ، فماتَ بها طريدًا وحيدًا(١).

عبادةُ بنُ الصّامتِ رضيَ الله عنه: نزلَتْ في قُريشٍ(٢).

الحسَنُ: نزلت في مُنافقي أهلِ الكتابِ(٣).

وقيل: هو مَثَلٌ ضرَبَه الله(٤).

مجاهدٌ: كان نبيًّا في بني إسرائيلَ اسمُه بلعمُ أوتيَ النُّبوَّة، فرشاه قومُه على أن يسكُتَ ففعَلَ(٥).

= والراوي عن عكرمة أبو سعد الأعور ـ واسمه سعيد بن المرزبان ـ وهو ضعيف.
وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٢٧)، وعدَّه من العجائب.

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ٥٩٧)، وروى ابن شبة في «تاريخ المدينة» (١/ ٥٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦١٧) عن الشعبي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «هو بلعم بن باعورة رجل من بني إسرائيل، قال: وتقول ثقيف: هو أمية بن أبي الصلت، وتقول الأنصار: هو الراهب الذي بني له مسجد الشقاق».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ٥٩٨).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ٥٩٨)، وروى الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٨٧) عن قتادة قال: «هذا مثل ضربه الله لمن عرض عليه الهدى، فأبى أن يقبله وتركه. قال: وكان الحسن يقول. هو المنافق».

(٤) انظر التعليق السابق.

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ٥٩٩)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٢٧)، واستغربه.
وروى الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٦٨) عن مجاهد قال: «﴿فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا﴾ قال: بلعام بن باعراء من بني إسرائيل».

وجوَّزَ بعضُهم أن يكونَ فرعونَ، والآياتُ آياتُ موسى[١].

قوله: ﴿ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا﴾ قيل: اسمُ الله الأعظمُ. وقيل: كتابٌ من كتبِ الله. وقيل: النُّبوَّةُ. وقيل: العلمُ بمجيءِ النَّبيِّ.

﴿فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا﴾: فخرَجَ من علمِها كانسلاخِ الشَّاةِ من جلدِها.

والانسِلاخُ: التَّعرِّي منَ الشَّيءِ حتى لا يعلقَ به منه شيءٌ.

﴿فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾: استتبعَه، وقيل: اتَّبعَه.

﴿فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ﴾: الفاسدين. وقيل: منَ الهالكين.

* * *

(١٧٦) ـ ﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ﴾: شرَّفْناه وقدَّمْناه وجعلنا له الدَّرجةَ الرَّفيعةَ ﴿بِهَا﴾: بسببِ تلك الآياتِ. وقيل: الباءُ للحالِ.

الزَّجَّاجُ: ولو شئنا أن نحُولَ بينَه وبين المعصيةِ[٢].

وقيل: لرفَعْنا عنه الحالَ التي صارَ إليها منَ الكفرِ بالله وآياتِه.

﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾: اختارَ السَّفالَ على الرِّفعةِ، ومالَ إلى لذَّاتِ الدُّنيا.

﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ في إيثارِ الدُّنيا ولذَّاتِها على الآخرةِ ونعيمِها.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٢٨)، وعدَّه من العجائب.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٣٩١).

﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ﴾: زجَرْتَه وطرَدْتَه ﴿يَلْهَثْ﴾: يُدْلِعْ لسانَه ﴿أَوْ تَتْرُكْهُ﴾ غيرَ مطرودٍ ﴿يَلْهَث﴾ وكلُّ حيوانٍ يلهَثُ عندَ عطشٍ أو إعياءٍ إلّا الكلبَ؛ فإنَّه لاهِثٌ(١) في الأحوالِ كلِّها. شبَّهَه الله بأخَسِّ حيوانٍ في أخسِّ أحوالِه.

الحسنُ: شبَّهه بدابَّةٍ لا فؤادَ له، فهو يلهثُ على كلِّ حالٍ، فكذلك هو سواءٌ عندَه الوعظُ وتركُه(٢).

ابنُ بحرٍ: شبَّهه بالكلبِ فحسبُ، ثمَّ وصفَ الكلبَ فقال: ﴿إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾(٣).

﴿ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾؛ أي: الشَّبَهُ المذكورُ في المثَلِ المضروبِ مَثَلُ الذين كذَّبوا بآياتِ الله.

﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ﴾: اتلُ عليهم خبرَهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾: كي يتأمَّلُوا فيتَّعِظُوا.

* * *

---

(١) في (ن): «يلهث».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٨٦) عن ابن جريج بلفظ: «الكلب منقطع الفؤاد، لا فؤاد له، إن حملت عليه يلهث، أو تتركه يلهث. قال: مثل الذي يترك الهدى لا فؤاد له، إنما فؤاده منقطع».

(٣) قال ابن عيسى في «النكت في إعجاز القرآن» (ص: ٨٢): «ومن ذلك قوله عز وجل: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾ ثم قال: ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ فهذا بيان قد أخرج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه، وقد اجتمعا في ترك الطاعة على وجه من وجوه التدبير وفي التخسيس؛ فالكلب لا يطيعك في ترك اللهث حملت عليه أو تركته، وكذلك الكافر لا يطيع بالإيمان على رفق ولا على عنف، وهذا يدل على حكمة الله سبحانه وتعالى في أنه لا يمنع اللطف».

(١٧٧) ـ ﴿سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُواْ يَظْلِمُونَ﴾.

﴿سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُواْ يَظْلِمُونَ﴾ تقديره: ساءَ مثلًا مثَلُ القومِ، فحُذِفَ المضافُ.

وقيل: ساء مثلًا ما تقدَّمَ ذكرُه منَ الكلبِ واللَّهثِ.

* * *

(١٧٨) ـ ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾.

﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى﴾؛ أي: مَن هداه إلى الإيمانِ ووفَّقَه فهو المُهتَدي الثّابتُ على الإيمانِ.

﴿وَمَن يُضْلِلْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾: ومَن أضلَّه عن الإيمانِ وخذَلَه فقد خسِرَ نفسَه ومنزلَه منَ الجنَّةِ.

* * *

(١٧٩) ـ ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا﴾: خلقْنا ﴿لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ يعني: الكفَّارَ منَ الفريقَين، وذَرْؤُهُ لها: خَلْقُه إيَّاهُ كافرًا.

ولا مُنافاةَ بينَه وبينَ قولِه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]؛ لأنَّ ذلك لكثيرٍ منهم، وهذا لكثيرٍ.

وقيل: لامُ ﴿لِجَهَنَّمَ﴾ لامُ العاقبةِ؛ أي: خلَقْنا للعبادةِ، فآلَ أمرُهم إلى جهنَّمَ.

وقيل: هذا من المقلوبِ، وتقديرُه: ذَرأْنا جهنَّمَ لكثيرٍ منَ الجنِّ والإنسِ(١).

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٢٩)، واستغربه.

ورَوَى عبدُ الله بنُ عَمرٍو رضي الله عنهما عنِ النَّبيِّ عليه السَّلامُ: «إنَّ الله تعالى لمَّا ذرأ لجهنَّمَ ما ذرأ كانَ ولدُ الزِّنى ممَّنَ ذرأ لجهنَّمَ»[1].

ثمَّ ذمَّهم فقال: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ لتركِهم التَّدبُّرَ في كتابِ الله، ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ﴾؛ أي: لا ينتفِعون بأعيُنِهم وآذانِهم، فهم كالفاقدينَ السَّمعَ والبصرَ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ﴾ في قلَّةِ انتفاعِها بالمعقولاتِ والمرئيَّاتِ والمسموعاتِ، ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ لأنَّهم أعرَضُوا عنها وفوَّتوها على أنفُسِهم.

وقيل: إنَّ الأنعامَ تعرِفُ اللهَ تعالى، والكافرُ لا يعرِفُه.

وقيلَ: ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ لأنَّ الأنعامَ تُبصِرُ منافعَها ومضارَّها فتلتزمُ بعضَ ما تُبصِرُه، والكافرُ لا يعلمُ مضارَّها حيثُ اختارَ النَّارَ.

وقيل: لأنَّ الكفَّارَ بقبيحِ فعلِهم يصيرونَ إلى النَّارِ، والأنعامَ لا تصيرُ إليها.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾؛ أي: عمَّا لهم وعليهم.

* * *

(١٨٠) ـ ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ جميعُ أسماءِ الله تعالى صفاتٌ إلَّا كلمةَ (الله)، فإنَّهم اختلفُوا فيه، وقد سبقَ.

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٤١٧)، والطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٩٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٢٢)، وضعف إسناده الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على «تفسير الطبري» (١٣/ ٢٧٧) لجهالة رجل في إسناده، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٢٩)؛ واستغربه.

والفرقُ بينهما: أنَّ الاسمَ يدلُّ دلالةَ إشارةٍ، والصِّفةَ تدلُّ دلالةَ إفادةٍ[١]، وصفةُ الله صفةُ ذاتٍ وصفةُ فعلٍ، ويجبُ على المُكلَّفِ معرفةُ معاني أسمائِه وصفاتِه.

وسمَّاها الحسنى لأنَّها تدُلُّ على توحيدِ الله وحُسنِ أفعالِه، تعالى عمَّا يقولُ الظَّالمون.

﴿فَٱدۡعُوهُ بِهَا﴾ رَوَى أبو هريرةَ رضي الله عنه عن النَّبيِّ عليه السَّلامُ أنَّه قالَ: «إنَّ لله تعالى تسعةً وتسعين اسمًا مئةً إلَّا واحدةً[٢]، مَن أحصاها دخَلَ الجنَّةَ»[٣].

﴿فَٱدۡعُوهُ بِهَا﴾: بعينِها، ولا تخترِعُوا لله تعالى اسمًا غيرَ ما وصَفَ نفسَه به.

﴿وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ﴾: يميلونَ عنِ الصَّوابِ ﴿فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦ﴾ هو أنَّهم عَدلوا بها عمَّا هي عليه، فسمَّوا بها أوثانَهم، وزادوا ونَقَصوا، واشتقُّوا منَ الله: اللَّاتَ، ومن العزيزِ: العُزَّى، ومنَ المنَّانِ: مَناةَ.

وقيل: هو تسميتُهم أصنامَهم آلهةً، والإلهيَّةُ صفةُ الله وحدَه.

وقيل: هو أن يُسمَّى الله بما ليسَ من أسمائِه؛ كتسميةِ النَّصارى إيَّاه: أبا المسيحِ.

وقيل: الإلحادُ في أسمائِه أن يُقالَ: له ولدٌ، وله شريكٌ.

﴿سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾.

* * *

---

(١) في (ن): «فائدة».

(٢) في أكثر الروايات: «إلا واحدًا»، وجاء في بعضها: «إلا واحدة»، وبعضهم عدها خطأ، ولها توجيه، قال ابن حجر في «فتح الباري» (١١/ ٢١٩): «وخرج التأنيث على إرادة التسمية، وقال السهيلي: بل أنَّث الاسم لأنه كلمة، واحتج بقول سيبويه: الكلمة اسم أو فعل أو حرف، فسمى الاسم كلمة، وقال ابن مالك: أنث باعتبار معنى التسمية أو الصفة أو الكلمة».

(٣) رواه البخاري (٢٧٣٦)، ومسلم (٢٦٧٧)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(١٨١) ـ ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾.

﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ قال رسولُ الله عليه السَّلامُ: «إنَّها أمَّتي، وقد أُعطِيَ القومُ بين أيديكم مثلَها»، يعني: قوله: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ﴾ الآية [الأعراف: ١٥٩][1].

***

(١٨٢) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: بالقرآنِ والرَّسولِ ومُعجِزاتِه ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾: نأخُذُهم قليلًا قليلًا حتَّى يبلُغوا الغايةَ، نأخذُهم بالعقوبةِ[2].

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: كلَّما أحدَثُوا خطيئةً، جدَّدَ الله لهم نعمةً، وأنساهُم الاستغفارَ[3].

والدَّرَجُ والدَّرَجانُ: مشيةُ الشَّيخِ والصَّبيِّ، والدَّرْجُ: الطَّيُّ مِن هذا؛ لأنَّه يُؤخَذُ شيءٌ فشيءٌ، والدَّرَجةُ منها؛ لأنَّه يُصعَدُ فيها شيءٌ فشيءٌ.

﴿مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنَّهم يُؤخَذونَ.

***

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٦٠٠) عن قتادة يبلغ به النبي ﷺ، ونحوه عن ابن جريج، والخبران منقطعان.

(٢) في (و): «تأخذهم العقوبة».

(٣) رواه الدينوري في «المجالسة» (٣٤٠٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه أبو طاهر المخلص في «المخلصيات» (٢٣٥٢) عن سفيان الثوري، ورواه أبو الشيخ عن يحيى بن المثنى كما في «الدر المنثور» (٣/ ٦١٨).

(١٨٣) ـ ﴿ وَأُمْلِي لَهُمْۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾.

﴿ وَأُمْلِي لَهُمْۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾: أُطيلُ لهم المدَّةَ فلا أُعاجِلُهم، مشتقٌّ منَ (الملاوةِ)، وهو الزَّمانُ الطَّويلُ.

والكيدُ: التَّدبيرُ. وقيل: العذابُ. وقيل: الكيدُ: عملٌ في خُفيةٍ.

والمتينُ: القويُّ له متنٌ.

***

(١٨٤) ـ ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْۗ مَا بِصَاحِبِهِم﴾ لمَّا نسبُوا النَّبيَّ عليه السَّلامُ إلى الجنونِ أنزلَ اللهُ: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ﴾: استفهامٌ بمعنى التَّقريعِ. وقيل: بمعنى التَّحريضِ؛ أي: ألم يتفكَّروا بقلوبِهم فيعلَمُوا ﴿مَا بِصَاحِبِهِم﴾؛ يعني: النَّبيَّ عليه السَّلامُ ﴿مِّن جِنَّةٍ﴾: جُنونٍ. وقيل: جمعُ جِنٍّ، كـ﴿ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾.

وقيل: تمَّ الكلامُ على قوله: ﴿يَتَفَكَّرُواْ﴾ ثمَّ استأنفَ فقالَ: ﴿مَا بِصَاحِبِهِم﴾، لأنَّ التَّفكُّرَ لا يُعلَّقُ(١).

وقيل: العِلمُ مُضمَرٌ(٢)، وهو مُعلَّقٌ كما سبقَ.

﴿إِنْ هُوَ﴾: ما هو ﴿إِلَّا نَذِيرٌ﴾: مُنذرٌ منَ الله ﴿مُّبِينٌ﴾: مُوضِّحٌ إنذارَه.

***

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٢٩)، واستغربه.

(٢) لعل المراد: أن الفعل ﴿يَتَفَكَّرُواْ﴾ تضمن معنى الفعل ﴿يعلموا﴾، فاحتاج إلى مفعول، والله أعلم.

(١٨٥) ـ ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴾.

﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾؛ أي: يُفكِّروا[١] فيها.

والملكوتُ: الملكُ، ولا يُستعمَلُ إلّا في حقِّ الله[٢].

﴿وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ ﴾؛ أي: وفيما خلَقَ اللهُ من شيءٍ من الأشياءِ.

﴿وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ﴾؛ أي: وفي أن عسى أن يكونَ أجلُهم قد اقترَبَ، فـ(أنْ عسى) في محلِّ جرٍّ، و﴿أَن يَكُونَ ﴾ اسمُ ﴿عَسَىٰٓ﴾، واسمُ (كانَ) مُضمَرٌ فيه يُفسِّره ﴿أَجَلُهُمْ﴾، كما تقولُ: قامَ وقعدَ زيدٌ.

ويحتمِلُ أن يكونَ اسمُه مُضمَرًا؛ أي: أن يكونَ الأمرُ والشَّأنُ؛ أي: لا تأمَنوا انقضاءَ العمرِ، وبادِرُوا إلى التَّوبةِ.

وما قيلَ في إعرابِ: ﴿وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ﴾ سوى ما أوردتُه فباطلٌ.

﴿فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ﴾؛ أي: بعد القرآنِ، والمعنى: سِواهُ ﴿يُؤْمِنُونَ ﴾ إذ[٣] لم يُؤمِنُوا به، وهو النِّهايةُ في الإيضاحِ والبيانِ.

* * *

(١٨٦) ـ ﴿ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾.

﴿ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ ﴾: مَن خذَلَه فسَلَكَ غيرَ الطَّريقِ المُستقيمِ، ﴿فَلَا هَادِىَ لَهُۥ﴾: لا يَهديهِ أحدٌ سوى الله، ﴿وَيَذَرُهُمْ﴾: يترُكُهم ويُمهِلُهم ﴿فِى طُغْيَٰنِهِمْ﴾: كُفرِهم وعُتوِّهم ﴿يَعْمَهُونَ ﴾: مُتحيِّرينَ.

---

(١) في (ن): «تفكروا».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٦٨)، وقد تقدم في تفسير سورة (الأنعام) أن العرب تقول: «ملكوت العراق واليمن».

(٣) في (و): «إذا».

(١٨٧) ـ ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴾ في سببِ النُّزولِ: قال قتادةُ: قالت قريشٌ لمحمَّدٍ عليه السَّلامُ: إنَّ بينَنا وبينَك قرابةً فأسِرَّ[١] إلينا متى السَّاعةُ، فأنزَلَ الله هذه الآيةَ[٢].

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: قالَ جبلُ بنُ أبي قشيرٍ وسموءلُ[٣] بنُ زيدٍ وكانا منَ اليهودِ: أخبِرْنا يا محمَّدُ متى السَّاعةُ إن كنتَ نبيًّا، فإنَّا نعلمُ متى هي؟ فأنزَلَ الله هذه الآيةَ[٤].

والمعنى: يطلُبون منك علمَ يومِ القيامةِ.

قولُه: ﴿أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾: متى وقوعُها ومُستقرُّها وظُهورُها وقيامُها ومُنتَهاها، وأصلُه منَ الإرساءِ، وهو إقرارُ الشَّيءِ الثَّقيلِ وإمساكُه، واستُعيرَ لها هذا اللَّفظُ لثِقَلِها على الخلائقِ.

﴿قُلْ﴾ يا محمَّدُ لهم: ﴿إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى﴾: لا يعلمُها غيرُه ﴿لَا يُجَلِّيهَا﴾: لا يُظهِرُها ولا يُقيمُها ولا يُرسيها ﴿لِوَقْتِهَآ﴾: لمعرفةِ وقتِها ﴿إِلَّا هُوَ﴾؛ أي: إلَّا الله.

و(جلَّى): أظهَرَ المعنى الغامضَ.

---

(١) في النسخ: «فأشر»، والمثبت من مصادر التخريج.

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٩٦٧)، والطبري في «تفسيره» (١٠/ ٦٠٤).

(٣) كذا في (ن)، وفي (و): «سمول» وهو الموافق لما في «تفسير الطبري»، وفي «سيرة ابن هشام»: «شمويل».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٦٠٤)، وهو في «سيرة ابن هشام» (١/ ٥٦٩).

﴿ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: خفِيَتْ على أهلِها.

أبو عبيدةَ: إذا خفيَ عليك شيءٌ فقد ثقُلَ عليك(١).

وقيل: ثقُلَتْ على مَن يعرِفُها لِـمَا بعدَها منَ الحسابِ والعقابِ.

وقيل: صعُبَتْ.

وقيل: ﴿ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ لأنَّها سببُ خرابِها وفسادِها(٢)، من قولِه: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾ [الانفطار: ١]، و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ [الانشقاق: ١] وأمثالها.

﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾: فجأةً، وهي أشدُّ.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ الحفيُّ(٣): العالمُ بالشَّيءِ المعنيُّ به، تقولُ: حفيَ عن الشَّيءِ: سألَ، وحفِيَ بالشَّيءِ: عُنِيَ به، وحفِيَ بالشَّيءِ حَفاوَةً: فرِحَ به.

وقيل: ﴿حَفِيٌّ﴾ من حَفا يحفُو: إذا أحكمَ(٤).

ويحتمِلُ أنَّه فعيلٌ بمعنى مُفعِلٍ؛ أي: أحفَيتَ في السُّؤالِ عنها وبالَغْتَ فيه(٥).

وقولُه: ﴿عَنْهَا﴾ فيه قولانِ:

أحدُهما: فيه تأخيرٌ، وتقديرُه: يسألونَكَ عنها كأنَّك حفيٌّ؛ أي: عالمٌ.

والثَّاني: واقعٌ موقعَه بمعنى الباءِ؛ أي: كأنَّك حفِيٌّ بها.

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٢٣٥).

(٢) في (و): «خرابهما وفسادهما».

(٣) «الحفي»: ليست في (و).

(٤) في (ن): «حكم»، والمثبت من (و)، ويؤيده ما قاله الزمخشري في «الكشاف» (٣/ ٤٤): «﴿كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾: كأنك عالمٌ بها، وحقيقتُه: كأنك بليغٌ في السؤال عنها؛ لأن مَن بالغ في المسألة عن الشيء والتنقيرِ عنه استَحْكَم علمُه فيه ورَصُنَ». وهذا أقرب إلى الإحكام منه إلى الحُكم.

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٣٠)، واستغربه.

وقيل: أكثرْتَ البحثَ عنها.

الزَّجَّاجُ: يسألونك عنها كأنّك حفيٌّ؛ أي: فرِحٌ بسُؤالِهم(١).

﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ كرَّرَ لأنَّ المُرادَ بالأوَّلِ علمُ وقتِها، وبالثَّاني علمُ كونِها.

* * *

(١٨٨) ـ ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ في سببِ النُّزولِ: قال الكلبيُّ: إنَّ أهلَ مكَّةَ قالوا: يا محمَّدُ، ألَا أخبرتَنا بالسِّعرِ الرَّخيصِ قبل أن يغلُوَ فنشتريَ ونربحَ به، وبالأرضِ التي تريدُ أن تُجْدِبَ فنرتحلَ عنها إلى ما قد أخصَبَتْ، فأنزَلَ الله تعالى هذه الآيةَ(٢).

والمعنى: لا أملكُ نفعَ نفسي ولا ضَرَّها إلّا ما شاءَ الله أن أملكَه.

وقيل: لا أملكُ هدًى ولا ضلالًا(٣).

﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾؛ أي: الذي سألتُموني عنه ﴿لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ﴾؛ أي: لادَّخَرْتُ في زمانِ الخِصْبِ منَ الطَّعامِ ما يكفيني وما أربحُ ﴿وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ﴾: الجدبُ والقحطُ.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٣٩٣).

(٢) انظر: «تفسير أبي الليث» (١/ ٥٧٣)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٢٢٨)، وهو في. و«تفسير الثعلبي» (٤/ ٣١٣)، و«البسيط» للواحدي (٩/ ٥٠٧)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٢٥٦)، و«زاد المسير» (٢/ ١٧٦) عن ابن عباس، ولعل الوارد عن ابن عباس هو من طريق الكلبي عن أبي صالح عنه.

(٣) في (ن): «ولا ضلالة».

وقيل: (الغيبُ) هاهنا: علمُ السَّاعةِ.

وقيل: (الغيبُ): الموتُ، و(الخيرُ): العملُ الصّالحُ.

وقيل: لو كنتُ أعلمُ بالغيبِ الذي تسألونَني عنه ﴿لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ﴾؛ أي: لأخبرتُكم عمَّا سُئِلْتُ ﴿وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾؛ أي: لم يلحَقْني تكذيبٌ.

﴿إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ﴾ للكافرين ﴿وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: للمؤمنين.

* * *

(١٨٩) - ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ يعني: آدمَ عليه السَّلامُ ﴿وَجَعَلَ﴾: وخلَقَ ﴿مِنْهَا﴾: منَ النَّفسِ. وقيل: من جنسِ ما خلَقَ منها[1] النَّفسَ ﴿زَوْجَهَا﴾: حوَّاءَ.

﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾: ليأنسَ بها أُنْسَ الشَّيءِ بشكلِه. وقيل: أُنْسَ الذَّكرِ بالأنثى.

الحسنُ: ليس المُرادُ بالنَّفسِ الواحدةِ وزوجِها آدمَ وحوَّاءَ، بل هو عامٌّ لجميعِ النَّاسِ؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ خُلِقَ من نفسٍ واحدةٍ أُنثاها من جنسِها[2].

﴿فَلَمَّا تَغَشَّاهَا﴾: لابسَها مُلابسةً مباشِرةً ﴿حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا﴾ يعني: النُّطفةَ، ﴿فَمَرَّتْ بِهِ﴾؛ أي: مرَّتْ وجاءَتْ وقعَدَتْ وقامَتْ، والباءُ للحالِ.

---

(١) قوله: «منها» كذا في النسخ، ولعل الضمير يعود على «ما» والتي هي بمعنى: التي؛ أي: من جنس المادة التي خلق منها النفس.

(٢) ذكره النحاس في «معاني القرآن» (٣/ ١١٦)، والبغوي في «تفسيره» (٢/ ٢٥٨) عن عكرمة.

وقيل: مرَّتْ: استَمرَّتْ، وكذلك قرأ ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما(١)، والاستمرارُ: المُصاحبةُ.

وقيل: هو من المقلوبِ؛ أي: استمرَّ بها الحملُ.

قتادةُ: ﴿فَمَرَّتْ بِهِۦ﴾: استبانَ حملُها(٢).

﴿فَلَمَّآ أَثْقَلَت﴾: صارَتْ ذاتَ ثِقْلٍ؛ كأثمرَ: صارَ ذا ثَمرٍ؛ أي: كبرَ الولدُ في بطنِها.

﴿دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا﴾: ولدًا سويًّا يُشبِهُ أبويه ﴿لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّٰكِرِينَ﴾ لك على نِعمِكَ.

***

(١٩٠) - ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا فَتَعَٰلَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا﴾: أجابَ دُعاءَهما ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ جلُّ المُفسِّرين على أنَّ هذا في آدمَ وحوّاءَ عليهما السَّلامُ، وذلك أنَّ حوَّاءَ لـمَّا أثقلَتْ أتاها إبليسُ فقال لها: ما يُدريكِ ما في بطنِكِ؟ لعلَّه كلبٌ أو خنزيرٌ أو بقرةٌ أو حمارٌ، وما يُدريكِ من أين يخرُجُ، أمِنْ أُذنِك أم من عينِكِ أم من كذا أو من كذا، أم يشُقُّ بطنَكِ فيقتُلُكِ؟ فخافَتْ حوَّاءُ من ذلك، ثمَّ قال لها: أطيعيني وسمِّي ولدَكِ عبدَ الحارثِ تلِدِي شَبَهَكُما(٣)، وكانَ اسمُه في الملائكةِ: الحارثَ، فذكَرَتْ ذلك لآدمَ

(١) انظر: «معاني القرآن» للنحاس (٣/ ١١٤)، و«المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ٥٣)، و«المحتسب» (١/ ٢٧٠)، و«تفسير الثعلبي» (١٢/ ٦٢١)، و«شواذ القراءات» لشمس القراء الكرماني (ص: ٢٠٠)، و«المحرر الوجيز» (٢/ ٤٨٦)، و«البحر» (١٠/ ٤٤١).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٦١٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٣١).

(٣) في (ن): «شبيهكما مثلكما».

فقال: لعلَّه صاحبُنا الذي قد علمتِ، فعاوَدَهما إبليسُ، فلم يزَلْ بهما حتَّى غرَّهما، فسمَّياه عبدَ الحارثِ[(١)].

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: كانت حوَّاءُ تلدُ لآدمَ فيُسمِّيه[(٢)] عبدَ الله وعُبيدَ الله وعبدَ الرَّحمن، فيُصيبُهم الموتُ، فأتاهما إبليسُ وقال: إنْ يسرَّكما[(٣)] أن يعيشَ لكما ولدٌ فسمِّياه عبدَ الحارثِ، فولدَتْ ابنًا فسمَّياه عبدَ الحارثِ، وقالَ آدمُ: لعلَّه لا يضُرُّ التَّسميةُ، ويبقى لنا ولدٌ نأنسُ به في حياتِنا، ويخلُفُنا بعد مماتِنا[(٤)].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٦٢١) عن سعيد بن جبير والسدي.

(٢) في (و): «فتسمية».

(٣) في (ن): «وقال أيسركما».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٦٢٤) عن ابن عباس رضي الله عنه.

ورواه الإمام أحمد في «مسنده» (٢٠١١٧)، والترمذي (٣٠٧٧) من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه مرفوعًا، ولفظ الترمذي: عن النبي ﷺ، قال: «لما حملت حواء طاف بها إبليس وكان لا يعيش لها ولد، فقال: سميه عبد الحارث، فسمته عبد الحارث، فعاش، وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره»، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث عمر بن إبراهيم عن قتادة، ورواه بعضهم عن عبد الصمد ولم يرفعه».

وهذا التفسير فيه مشكل؛ لأنه ينسب الإشراك لآدم وحواء، وإن قال بعضهم: إنه إشراك اسم لا إشراك عبادة، لكن الحديث معلول، قد أعله ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٤٧٥) من ثلاثة وجوه:

أحدها: أن عمر بن إبراهيم هذا هو البصري، وقد وثقه ابن معين، ولكن قال أبو حاتم الرازي: لا يحتج به، ولكن رواه ابن مردويه من حديث المعتمر عن أبيه عن الحسن عن سمرة مرفوعًا، فالله أعلم.

الثاني: أنه قد روي من قول سمرة نفسه ليس مرفوعًا، رواه الطبري.

الثالث: أن الحسن نفسه فسر الآية بغير هذا، فلو كان هذا عنده عن سمرة مرفوعًا لما عدل عنه: فقد روى الطبري عن الحسن: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ قال: كان هذا في بعض أهل الملل ولم =

= يكن بآدم.

ثم قال ابن كثير: «وهذه أسانيد صحيحة عن الحسن رضي الله عنه أنه فسر الآية بذلك، وهو من أحسن التفاسير وأولى ما حملت عليه الآية، ولو كان هذا الحديث عنده محفوظًا عن رسول الله ﷺ لما عدل عنه هو ولا غيره ولا سيما مع تقواه لله وورعه، فهذا يدلك على أنه موقوف على الصحابي، ويحتمل أنه تلقاه من بعض أهل الكتاب من آمن منهم مثل كعب أو وهب بن منبه وغيرهما، كما سيأتي بيانه إن شاء الله، إلا أننا برئنا من عهدة المرفوع».

ورجَّح ما فسر به الحسن الآية من أن المراد: ذرية آدم، وقال: «وأما نحن فعلى مذهب الحسن البصري رحمه الله في هذا، وأنه ليس المراد من هذا السياق آدم وحواء، وإنما المراد من ذلك المشركون من ذريته، ولهذا قال الله فتعالى الله عما يشركون».

وقبلَ ابنِ كثير ضعَّفَ هذا الروايات وهذا التفسير للآية ابنُ العربي في «أحكام القرآن» (٢/ ٣٥٥) فقال: «وفي الإسرائيليات كثير ليس لها ثبات، ولا يعوِّل عليها مَن له قلبٌ؛ فإن آدم وحواء وإن كان غرهما بالله الغرور فلا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، وما كانا بعد ذلك ليقبلا له نصحًا ولا يسمعا منه قولًا».

وممن أسهب في ردها وبيان خطأ مَن تناولها من المفسرين العلامة أبو شهبة في «الإسرائيليات والموضوعات» (ص: ٢٠٩ ـ ٢١٥) ثم خلص إلى أن التفسير الصحيح لها على وجهين ـ أحدهما قول كثير ـ فقال: والمحققون من المفسرين منهم مَن نحا منحى العلامة ابن كثير فجعل الآية الأولى في آدم وحواء، وجعل قوله: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا﴾ الآيةَ في المشركين من ذريتهما؛ أي: جعل أولادهما شركاء لله فيما أتاهما، والمراد بهم الجنس؛ أي: جنس الذَّكر والأُنثى، فمِن ثَمَّ حسُن قوله: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ بالجمع، ويكون هذا الكلام من الموصول لفظاً المفصول معنى، ومنهم من جعل الآيتين في ذرية آدم وحواء؛ أي: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ وهي نفس الذَّكر ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا﴾؛ أي: من جنسها ﴿زَوْجَهَا﴾ وهي: الأنثى، ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا﴾؛ أي: بشراً سويًّا كاملاً، ﴿جَعَلَا﴾؛ أي: الزوجان الكافران ﴿لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾، وبذلك أبدلا شكر الله كفرانًا به وجحودًا، وعلى هذا: لا يكون لآدم وحواء ذكر مّا في الآيتين.

وإنما أطلنا في هذا التعليق لأن كثيراً من كتب التفسير ذهبت إلى القول الأول، ومنهم شيخ المفسرين ابن جرير الطبري رحمه الله.

وقيل: سمَّياه عبدَ الحارثِ، كما قالَ حاتمٌ:

وإنِّي لعبدُ الضَّيفِ ما دامَ ثاويًا ... وما فيَّ إلّا تلك[1] مِنْ شيمةِ العبدِ[2]

وهذا معنى قوله: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ وهو شركُ تسميةٍ لا شركُ عُبودةٍ.

ثمَّ استأنفَ فقال: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ يعني: الكفَّارَ.

«الحجَّة»: تقديرُه: جعَل أولادُهما، فحُذِفَ المُضافُ[3]. والدَّليلُ عليه سياقُ الآيةِ: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ بلفظِ الجمعِ.

وقيل: الضَّميرُ في ﴿جَعَلَا﴾ يعودُ إلى الولدِ الذي دلَّ عليه قولُه: ﴿ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا﴾، وثُنِّيَ الضَّميرُ لأنَّ حوَّاءَ كانت مِتآمًا[4]، حملَتْ خمسَ مئةِ بطنٍ.

---

(١) في (ن): «تيك».

(٢) انظر: «ديوان حاتم» ت: أحمد رشاد، (ص: ١٩) و«تفسير الثعلبي» (١٢/ ٦٢٥)، و«شرح حماسة أبي تمام» للفارسي (٣/ ٢٩٥).

ونسب أيضاً لقيس بن عاصم المنقري في «الكامل» (٢/ ١٣٣)، و«قواعد الشعر» لثعلب (ص: ٤٤)، و«الجليس الصالح» (ص: ٦٠).

ولدعبل في «عيون الأخبار» (٣/ ٢٦٣).

وللمقنع الكندي في «محاضرات الأدباء» (١/ ٧٥١)، و«أمالي القالي» (١/ ٢٨١)، و«شرح ديوان الحماسة» للمرزوقي (ص: ٨٢٩)، والرواية في «الأمالي» و«شرح الحماسة»:

وإني لعبد الضيف مادام نازلا ... وما شيمة لي غيرها تشبه العبدا

(٣) انظر: «الحجة» (٤/ ١١١). ولم أجد مثل هذا التقدير في كلامه، بل لم يرد في مطبوعه شيء عن هذه القراءة، وانحصر كلامه في القراءة الأخرى كما سيأتي، وهذا التقدير الذي ذكره المؤلف قال عنه الواحدي في «البسيط» (٩/ ٥١٧): «وهذا معنى قول الحسن وقتادة وعكرمة».

(٤) المرأة المتآم: تلد التوأم كثيرًا. انظر: «العين» (٨/ ٤٢٤). وجعل المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٣٠) هذا القول من الغريب.

وقيلَ: جعَلا لغيرِه شركاءَ؛ أي: لغيرِ اللهِ، وهو إبليسُ لعنَه الله.

وقولُـه: ﴿شِـرْكًا فيمـا آتاهمـا﴾[1]؛ أي: (ذا شـركٍ)؛ لأنَّه مصـدرٌ؛ أو[2]: (ذَوِي شـركٍ) بالجمـعِ؛ لتُوافـقَ قـراءةَ ﴿شُرَكَآءَ﴾ بالجمعِ.

والمُـرادُ بالجمـعِ واحـدٌ فيمَن قـال: هو إبليـسُ، ومَن لـم يجعل القِصَّـةَ لآدمَ وحـوّاءَ ـ بـل للمشـركين من بنـي آدمَ ـ فــ ﴿شُرَكَآءَ﴾ جمعٌ لفظًـا وحكمًا.

وقيل: تقديرُ ﴿جَعَلَا﴾: جعَلَ أحدُهما؛ يعني: حوَّاءَ.

وقولُه: ﴿لَهُۥ﴾ قيل: الهاءُ يعودُ إلى الله سُبحانَه، وقيل: إلى إبليسَ؛ أي: جعلا لإبليسَ شركاءَ فيما آتاهُما الله، يُقوِّيه قولُ مَن قالَ: تقديرُه: لغيرِه.

ويحتمِلُ أنَّ الهاءَ يعودُ إلى الولدِ على تقديرِ: ﴿جَعَلَا﴾ للولدِ الصَّالحِ الذي آتاهُما اللهُ ﴿شُرَكَآءَ﴾: نصيبًا ﴿فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ منَ الرِّزقِ في الدُّنيا، وكانا قبلَه يأكُلانِ ويشرَبانِ وحدَهما، ثمَّ استأنفَ فقال: ﴿فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ يعني: الكفَّار.

ومَن قرأ: ﴿شِرْكًا﴾[3] فالمعنى: صارَا له ـ أي: معه ـ شركاً فيما آتاهُما.

وهذا القولُ لم أُسبَقْ إليه، وهو حسَنٌ؛ لأنَّه تنزيهٌ لآدمَ وحوَّاءَ عن الشِّركِ، وثناءٌ عليهما[4]، والله أعلمُ.

* * *

---

(١) هذه قراءة نافع وعاصم في رواية أبي بكر، وقرأ الباقون بضم الشين وفتح الراء والمد والهمز من غير تنوين. انظر: «السبعة» (ص: ٢٢٩)، و«التيسير» (ص: ١١٥).

(٢) في (و): «أي».

(٣) في (و): «ومن قال شركا».

(٤) قال المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٣٠): «العجيب ـ وهو أحسن الوجوه ـ: أن الهاء في قوله: (له) تعود إلى الولد، أي: جعل آدم وحواء للولد نصيبًا فيما آتاهما».

(١٩١) ـ ﴿ أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـًٔا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ﴾.

﴿ أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـًٔا ﴾ يعني: الأصنامَ ﴿وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ﴾ ذهبَ المُفسِّرون إلى أنَّ قوله: ﴿وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ﴾ للمعبودين، وإنَّما جُمع جَمْعَ السَّلامةِ بعد قوله: ﴿مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـًٔا﴾ لمَّا وصفَها بأنَّها تُعبَدُ.

وقيل: لأنَّ فيما يُعبَدُ الشَّياطينَ والملائكةَ والمسيحَ.

ويحتمِلُ أنَّ الضَّميرَ يعودُ إلى العابدين، وهم المُشركون، وتقديرُه: أيُشرِكون ما لا يقدرُ على خلقٍ، وهم مخلوقو الله؛ أي: فليعبُدوا خالقَهم.

***

(١٩٢) ـ ﴿ وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ لَهُمۡ نَصۡرًا وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ﴾.

﴿ وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ لَهُمۡ نَصۡرًا ﴾: لا تنصرُ مَن أطاعَها ﴿وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ﴾: ولا يدفَعون عن أنفُسِهم مضرَّةَ مَن قصَدَهم بكسرٍ أو غيرِه، هذا صفةٌ للأصنامِ.

***

(١٩٣) ـ ﴿وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمۡۚ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ أَدَعَوۡتُمُوهُمۡ أَمۡ أَنتُمۡ صَٰمِتُونَ ﴾.

﴿وَإِن تَدۡعُوهُمۡ ﴾ أيُّها المشرِكونَ؛ أي: أصنامَكم ﴿إِلَى ٱلۡهُدَىٰ ﴾: إلى الرُّشدِ والصَّوابِ ﴿لَا يَتَّبِعُوكُمۡ﴾ لأنَّها لا تعقلُ ولا تفهمُ.

وقيل: هذا خطابٌ للمسلمين، وضميرُ المفعولِ يعودُ إلى قومٍ منَ الكُفَّارِ علِمَ الله أنَّهم لا يُؤمِنون.

﴿سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ أَدَعَوۡتُمُوهُمۡ أَمۡ أَنتُمۡ صَٰمِتُونَ ﴾؛ أي: دُعاءُ الصَّنمِ والسُّكوتُ عن الدُّعاءِ سِيَّان؛ لأنَّه لا يسمعُ ولا يُجيبُ.

وقيل: دعاءُ هذا الكافرِ.

والتَّقديرُ: أدَعَوتُموهم أم صمَتُّم، واسمُ الفاعلِ نابَ عن الفعلِ.

(١٩٤) - ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾؛ أي: تعبُدون، وقيل: ﴿تَدْعُونَ ﴾ منَ الدُّعاء. وقيل: تُسمُّونَهم آلهةً، فحُذِفَ المفعولُ الثّاني.

﴿عِبَادٌ ﴾: جمعُ عبدٍ، وهو المملوكُ من ولدِ آدمَ ﴿أَمْثَالُكُمْ ﴾ في كونِها مخلوقةً لله تعالى.

وأجرَى ﴿ٱلَّذِينَ ﴾ ولفظَ ﴿عِبَادٌ ﴾ للأصنامِ على زَعمِ الكفَّارِ أنَّها تعقِلُ وتضُرُّ وتنفعُ، وله نظائرُ في القرآنِ، ومَن زعمَ أنَّ ذلك لاشتمالِ المعبودين على الملائكةِ والجنِّ وعيسى عليه السَّلامُ فمدفوعٌ هاهنا، كقولِه: ﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ﴾ الآية [الأعراف: ١٩٥].

وقيل: المُرادُ بهم الكفَّارُ، ثمَّ عدَلَ إلى ذكرِ الأصنامِ.

وقيل: هذا على طريقِ الاستفهامِ؛ أي: إنَّ(١) الذين تدعونَ(٢)...؟! والمعنى: أنتم أعلى وأفضلُ منها فلِمَ تعبدونَها؟!

---

(١) «إن»: ليست في (و).

(٢) ذكر هذا الوجه الواحدي في «البسيط» (٩/ ٥٣٠) عن صاحب «النظم» فقال: وسلك صاحب «النظم» في قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾ طريقة أخرى؛ فقال: تأويل قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ﴾ ﴿ إِنَّ ﴾ على استفهام، وفي الاستفهام طرف من الإنكار كقوله: ﴿أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا ﴾ [التغابن: ٦] إلا أنه استُثقل همزتان فاقتُصر على إحداهما، وقد تستفهم العرب بغير الألف، قال الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ ﴾ [الشعراء: ٢٢] بمعنى: أو تلك على الإنكار، ولا يجوز أن يكون هذا خبرًا؛ لأن تعبيده بني إسرائيل لم يكن منّة عليه، ومثله قول الشاعر:

أفـرحُ أن أرزأ الكـرامَ وأن ... أُورثَ ذودًا شـصائصًا نَبـلا

أراد: أأفرح؛ لأنه ينتفي من ذلك، ولا يرضى أن يقال له ذلك.

﴿فَٱدْعُوهُمْ﴾ أمرُ إنكارٍ ﴿فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ﴾؛ أي: فليُجيبوا، أمرُ تعجيزٍ.

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أنَّها تعقِلُ وتسمعُ وتُجيبُ.

* * *

(١٩٥) ـ ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ﴾.

﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ﴾ مشيَكُم ﴿أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ﴾: يتناولونَ بها ﴿أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ قيَّدَ الأعضاءَ والحواسَّ بمنافعِها؛ لأنَّ المُشركينَ يجعلون للأصنامِ صورةَ الأعضاءِ والحواسِّ.

﴿قُلِ﴾ يا محمَّدُ: أيُّها المشركون ﴿ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ﴾ وأضافَ إليهم؛ لأنَّهم يزعمُونَها شركاءَ لله.

﴿ثُمَّ كِيدُونِ﴾: بالِغُوا في مكروهي سرًّا وجهرًا، ﴿فَلَا تُنظِرُونِ﴾: لا تُؤخِّروا عنِّي ما تقدرون عليه منَ المكروهِ.

* * *

(١٩٦) ـ ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ﴾: نصيري ﴿ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾: القرآنَ، ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ يحفظُ المؤمنينَ الذين لا يُشرِكُونَ.

* * *

(١٩٧ ـ ١٩٨) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُواْ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾: دونِ الله ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ

يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ﴾ يعني: الأصنامَ ﴿إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾: يُقابلونَكَ، من قولهم: داري تنظرُ إلى دارِكَ.

وقيل: تراها كأنَّها تنظرُ إليك.

وقيل: فاتحةً أعينَها فعلَ النَّاظرِ.

﴿وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾؛ لأنَّها لا حياةَ بها(١).

وقيل: ﴿وَتَرَىٰهُمْ﴾؛ يعني: الكفَّارَ ﴿يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ بأعينِهم ﴿وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾؛ لأنَّهم لا يُقِرُّون بنُبوَّتِك، من قولِه: ﴿وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ﴾ [البقرة: ٧].

* * *

(١٩٩) ـ ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾.

﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ عن جماعةٍ منَ العلماء أنَّهم قالوا: ليس في القرآنِ آيةٌ أجمعَ لمكارمِ الأخلاقِ من هذه الآيةِ(٢).

ولمَّا نزلَتْ هذه الآيةُ قال عليه السَّلامُ لجبريلَ عليه السَّلامُ: «ما هذا؟» قال: لا أدري حتى أسألَ، ثمَّ رجعَ فقالَ: يا محمَّدُ، إنَّ ربَّك يأمُرُكَ أن تصِلَ مَن قطعَكَ، وتُعطِيَ مَن حرمَكَ، وتعفُوَ عمَّن ظلمَكَ(٣).

---

(١) في (ن): «لها».

(٢) قال ابن عبد ربه في «العقد الفريد» (٢/ ٢٥٥): «وقد جمع الله تبارك وتعالى لنبيه ﷺ جوامع الكلم في كتابه المحكم، ونظم له مكارم الأخلاق كلها في ثلاث كلمات، فقال: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾؛ ففي أخذه العفو: صلةُ مَن قطَعه والصفحُ عمن ظلمه، وفي الأمر بالمعروف: تقوى الله، وغضُّ الطرف عن المحارم، وصون اللسان عن الكذب، وفي الإعراض عن الجاهلين: تنزيه النفس عن مماراة السفيه ومنازعة اللجوج».

(٣) رواه ابن مردويه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، كما في «الدر المنثور» (٣/ ٦٢٨). =

قولُه: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ﴾ هو العفوُ عن المُذنبِ؛ أي: اترُكْ عقوبتَه، وهو منسوخٌ بآيةِ القتالِ.

وقيل: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ﴾ من أموالِـهم؛ أي: ما فضَلَ وطابَ وسهُلَ، من قوله: ﴿مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلۡعَفۡوَ﴾ [البقرة: ٢١٩]، وهو منسوخٌ بآيةِ الزَّكاةِ.

وقيل: ما عَفا من أخلاقِ الرِّجالِ وما لا يَجْهَدُهم.

﴿وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ﴾: بالمعروفِ، وهو ما حسُنَ فعلُه، وعرفَتْه القلوبُ ولم تُنكِرْه.

﴿وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ بتَركِ مُؤاخذتِهم، قيل: منسوخةٌ بالقتالِ.

وقيل: أعرِضْ عنهم بتركِ مُقابَلتِهم(١).

وقيل: بتركِ مُوافقتِهم.

* * *

(٢٠٠) ـ ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ﴾: نالَكَ منه وسوسةٌ وفسادٌ وغضبٌ.

والنَّزغُ: الإزعاجُ بالإغراءِ.

﴿فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ﴾: فاستَجِرْ بالله منَ الشَّيطانِ الرَّجيمِ من مكائدِه، واستَغِثْ به.

= ورواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٦٤٣) من طريق سفيان بن عيينة عن رجل قد سماه، ومن طريق سفيان عن أُميٍّ الصيرفي، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٣٨) من طريق سفيان عن أميٍّ عن الشعبي، وكل هذه مرسلات كما قال ابن كثير عند تفسير الآية، وزاد: «وقد روي له شواهد من وجوه أُخر». قلت: له شاهد من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه عند أحمد في «المسند» (١٧٤٥٢).

(١) في (و): «مقاتلتهم».

وقيل: معنى الآية: وإنْ دعاكَ الشَّيطانُ إلى خلافِ ما أمرناكَ بقولِنا: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ الآيةَ، فاستَعِذْ به منه.

﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾: يسمعُ الدُّعاءَ ويعلمُ ما في الضَّمائرِ.

***

(٢٠١) - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: إذا زلُّوا تابوا[١].

والطَّيفُ: ما يُتَخيَّلُ في العقلِ ممَّا لا تلحقُه العينُ أو يُرى في المنامِ.

وقيل: اللَّمَمُ والوسوسةُ والخَبْلُ.

تقولُ: طافَ الخيالُ يَطيفُ طيفًا، وطافَ الرَّجلُ يطوفُ طوفًا: إذا أقبَلَ وأدبَرَ.

و﴿طَيْفٌ﴾[٢] من طافَ الخيالُ، ويجوزُ أن يكونَ من طافَ الرَّجلُ، فيكونُ أصلُه (طيِّفٌ) بالتَّشديدِ، فخُفِّفَ كـ(ميِّتٍ)، و﴿طَٰٓئِفٌ﴾ اسمُ فاعلٍ من أحدِهما.

«الحجَّة»: يجوزُ أن يكونَ ﴿طَٰٓئِفٌ﴾ مصدرًا كالطَّيفِ[٣].

﴿تَذَكَّرُوا۟﴾ عقوبةَ الله. وقيل: تذكَّروا المَخرجَ منه بالتَّوبةِ.

ابنُ بحرٍ: أعاذُوا بذكرِ الله[٤].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٦٥٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٤١) عن السدي.

(٢) هي قراءة ابن كثير وأبي عمرو والكسائي، بياء ساكنة بين الطاء والفاء من غير همزة ولا ألف. انظر: «السبعة» (ص: ٣٠١)، و«التيسير» (ص: ١١٥).

(٣) انظر: «الحجة» (٤/ ١٢١).

(٤) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٥/ ٢٥٨)، وفيه: «عاذوا بذكر الله»، و(أعاذ) لغة في (عاذ).

﴿فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾: على بصيرةٍ. والمُبصِرُ: صاحبُ البصيرةِ.

وقيل: مُهتَدون. وقيل: مُنتَهون.

* * *

(٢٠٢) - ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾.

﴿وَإِخْوَانُهُمْ﴾ يعني: الشَّياطين، يجوزُ أن يكونَ الإخوانُ للشَّياطين والضَّميرُ للكفّارِ، ويجوزُ أن يكونَ الإخوانُ(١) للكفّارِ والضَّميرُ للشَّياطينِ.

﴿يَمُدُّونَهُمْ﴾: منَ (المدَدِ)، وهو الزِّيادةُ، ومنَ (المدِّ)، وهو الجذبُ؛ أي: يُزيِّنون لهم الكفرَ والمعاصيَ ويُغرونَهم.

و: ﴿يُمِدُّونهم﴾ بالضَّمِّ(٢): يُعينونَهم.

﴿فِي الْغَيِّ﴾: الضَّلالِ والهلاكِ، وهو نقيضُ الرُّشدِ.

﴿ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾: لا يُقلِعون ولا ينتَهون.

و﴿فِي﴾ مُتعلَّقةٌ بالمدِّ، وقيل: حالٌ للإخوانِ.

* * *

(٢٠٣) - ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي هَٰذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ﴾؛ أي: ممَّا اقترَحُوا عليك. وقيل: بآيةٍ منَ القرآنِ. وقيل: بفريضةٍ.

﴿قَالُوا لَوْلَا﴾: هلّا ﴿اجْتَبَيْتَهَا﴾: تقوَّلْتَها من نفسِك، تقولُ: اجتبَيْتَ الشَّيءَ واخترَعتَه وارتجَلْتَه واختَلَقْتَه؛ بمعنًى.

---

(١) «يجوز أن يكون الإخوان للشياطين والضمير للكفار ويجوز أن يكون الإخوان»: من (ن).

(٢) هي قراءة نافع بضم الياء وكسر الميم. انظر: «السبعة» (ص: ٣٠١).

وقيل: اخترتَها لنفسِكَ. وقيل: طلبتَها منَ الله.

الحسنُ: هي الآيةُ منَ القرآنِ إذا جاءَتْ كذَّبوا بها، وإذا تأخَّرَتْ طلَبُوها استهزاءً[١].

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّى﴾: لستُ آتيكم بها من قِبَلِ نفسي، فأجعلُ لكم ما تُريدونَ.

﴿هَٰذَا بَصَآئِرُ﴾؛ أي: القرآنُ بصائرُ ﴿مِن رَّبِّكُمْ﴾: فيه بيانُ كلِّ شيءٍ؛ أي: فأيُّ آيةٍ أعظمُ منه ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ به.

***

(٢٠٤) - ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ في سببِ النُّزولِ: عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: نزَلَتْ في رفعِ الأصواتِ في الصَّلاةِ خلفَ رسولِ الله عليه السَّلامُ[٢].

قتادةُ: كانوا يتكلَّمونَ في صلاتِهم أوَّلَ ما فُرِضَتْ، كانَ الرَّجلُ يقولُ لصاحبِهِ: كم صلَّيْتَ؟ فيقولُ: كذا وكذا، فأُنزِلَتْ هذه الآيةُ[٣].

---

(١) لم أجده.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٨٣٨٠)، والطبري في «تفسيره» (١٠/ ٦٦٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٤٥).

وقد روى أبو داود (٨٢٦)، والترمذي (٣١٢)، والنسائي (٩١٩)، وابن ماجه (٨٤٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ انصرف من صلاة جهر فيها بالقراءة فقال: «هل قرأ معي أحد منكم آنفًا؟» قال رجل: نعم يا رسول الله. قال: «إني أقول ما لي أنازع القرآن» قال: فانتهى الناس عن القراءة فيما جهر فيه رسول الله ﷺ بالقراءة من الصلاة حين سمعوا ذلك.

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٩٧٧)، والطبري في «تفسيره» (١٠/ ٦٦٢).

الزُّهريُّ: نزلَتْ في فتًى منَ الأنصارِ كانَ رسولُ الله عليه السَّلامُ كلَّما قرأ شيئًا قرأه، فنزلَتْ هذه الآيةُ[1].

سعيدُ بنُ جُبَيرٍ في جماعةٍ: نزلَتْ في الإنصاتِ للإمامِ في الخطبةِ يومَ الجمعةِ[2].

وقيل: هو عندَ قراءةِ القرآنِ، ومعنى ﴿وَأَنصِتُواْ﴾؛ أي: للاستماعِ.

* * *

(٢٠٥) ـ ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾.

﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ﴾؛ أي: خلفَ الإمامِ.

وقيل: واذكُرْهُ بقلبِكَ ولا تنسَهُ.

وقيل: واذكُرْه بالتَّسبيحِ والتَّحميدِ.

﴿تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ﴾: خاشِعًا مُتذلِّلًا خائفًا فَرِقًا.

﴿وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾؛ أي: اذكُرْهُ بقلبِكَ وبلسانِكَ غيرَ مجهورٍ به ولا مرفوعٍ به صوتُكَ.

﴿بِٱلۡغُدُوِّ﴾: بالبُكْرةِ ﴿وَٱلۡأٓصَالِ﴾: العَشيِّ، وهي جمعُ (أصيلٍ)، وقيل: جمع (أُصُلٍ)، و(أُصُلٌ) جمعُ (أصيلٍ)، وهو اسمٌ لِمَا بينَ العصرِ إلى المغربِ، وآصَلَ: دخَلَ فيه.

وقيل: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ﴾: صلاةُ الظُّهرِ والعصرِ ﴿وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ﴾ بالفجرِ والعِشاءَين؛ أي: ارفَعِ الصَّوتَ وسطًا.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٦٥٩).

(٢) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٢٩)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٦٦٦) بلفظ: «الإنصات: يوم الأضحى، ويوم الفطر، ويوم الجمعة، وفيما يجهر به الإمام من الصلاة».

﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ بقلبِكَ ولسانِكَ، والخطابُ للنَّبيِّ عليه السَّلامُ، والمُرادُ به هو والمؤمنون.

وقيل: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ﴾ أيُّها المُستمِعُ المُنصِتُ.

***

(٢٠٦) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ يعني: الملائكةَ، و﴿عِندَ﴾ للقربةِ والمنزلةِ.

وقيل: عندَ رحمتِه وفضلِه.

وقيل: (عندَه): على معنى: رُسُلِه.

﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾: لا يتعَظَّمون ﴿عَنْ عِبَادَتِهِۦ﴾: عن عبادةِ الله ﴿وَيُسَبِّحُونَهُۥ﴾: ويُنزِّهُونَه عمَّا لا يليقُ به.

المُفضَّلُ: يرفَعونَ أصواتَهم بذكرِه.

وقيل: ﴿يسبّحونه﴾: يُصلُّونَ له، من (السُّبْحةِ)، وهي الصَّلاةُ.

﴿وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ﴾.

***

سُورَةُ الأَنفَالِ

سُورَةُ الأَنفَالِ

خمسٌ وسبعون آيةً(١)، مدنيَّةٌ.

قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: إلَّا سبعَ آياتٍ، من قولِه: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ [٣٠] الآيات(٢).

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيم

(١) ـ ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾ في سببِ النُّزولِ: عن سعدِ بن أبي وقَّاصٍ رضي الله عنه قال: لمَّا كانَ يومُ بدرٍ قُتِلَ أخي عُمَيرٌ، وقَتَلْتُ سعيدَ بنَ العاصِ، فأَخَذْتُ سيفَه وكان يُسمَّى: ذا الكَتيفةِ، فأتيْتُ به رسولَ الله عليه السَّلامُ قال: «اذهَبْ فاطرَحْهُ في القَبَضِ»، فرجعتُ وبي ما لا يعلمُه إلَّا اللهُ مِن قَتْلِ أخي وأخذِ سَلَبي، فما جاوَزْتُ إلَّا قريبًا حتَّى نزلَتْ سورةُ الأنفالِ، فقال لي رسولُ الله عليه السَّلامُ: «اذهَبْ وخُذْ سيفَكَ»(٣).

---

(١) «خمس وسبعون آية»: ليست في (و). وانظر: «البيان في عد آي القرآن» للداني (ص: ١٥٨) وفيه: وهي سبعون وخمس آيات في الكوفِي، وست في المدنيين والمكي والبصري، وسبع في الشَّامي.

(٢) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٢/ ١٨٦) نقلاً عن الماوردي. قال البغوي في «تفسيره» (٢/ ٢٦٦): «والأصح أنها نزلت بالمدينة، وإن كانت الواقعة بمكة».

(٣) رواه أبو عبيد في «الأموال» (٧٥٦)، وسعيد بن منصور في «سننه» (٢٦٨٩)، وابن أبي شيبة في =

وعن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: لـمَّا كانَ يومُ بدرٍ قالَ رسولُ الله عليه السَّلامُ: «مَن قتَلَ قتيلًا فله كذا وكذا»، فذهبَ الشُّبَّانُ وجلسَ الشُّيوخُ تحتَ الرَّاياتِ، فلمَّا كانتِ الغنيمةُ جاءَ الشُّبَّانُ يطلُبون نَفْلَهُم، وقالتِ الشُّيوخُ: لا تستأثِرُوا علينا، فإنَّا كنَّا تحتَ الرَّاياتِ، ولو انهزَمْتُم كنَّا رِدْءًا لكم، فأنزلَ اللهُ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾، فقسَمَها بينَهم على السَّواءِ(1).

وعن عُبادةَ بنِ الصّامتِ رضي الله عنه قال: لمَّا هُزِمَ العدوُّ يومَ بدرٍ ذهبَتْ طائفةٌ خلفَ العدُوِّ، وأحدَقَتْ طائفةٌ رسولَ الله ﷺ، واستولَتْ طائفةٌ بالعسكرِ والنَّهبِ، ثمَّ

= «المصنف» (٣٣٠٨٥)، والإمام أحمد في «المسند» (١٥٥٦)، والبزار في «مسنده» (١٢٣٩)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ١٦)، من طريق محمد بن عبيد الله الثقفي عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه به، ورجاله ثقات غير أن فيه انقطاعاً، محمد بن عبيد الله الثقفي لم يُدرك سعداً، لكن رواه الإمام أحمد في «مسنده» (١٥٣٨)، وأبو داود (٢٧٤٠)، والترمذي (٣٠٧٩) متصلاً من طريق مصعب بن سعد، عن أبيه قال: لما كان يوم بدر جئت بسيف، فقلت: يا رسول الله، إن الله قد شفى صدري من المشركين ـ أو نحو هذا ـ هب لي هذا السيف، فقال: «هذا ليس لي ولا لك» فقلت: عسى أن يعطى هذا من لا يبلي بلائي، فجاءني الرسول فقال: «إنك سألتني وليس لي، وإنه قد صار لي وهو لك»، قال: فنزلت: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾ الآية، وقال الترمذي: «حسن صحيح».

وقوله: «سعيد بن العاص» كذا في الخبر، وقال الأستاذ محمود شاكر في تعليقه على «تفسير الطبري» (١٣/ ٣٧٤): فالذي جاء في الخبر هنا «سعيد بن العاص» وَهَم، فإن سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية الأموي متأخر، قُبِضَ رسولُ الله ﷺ وله تسع سنين، وهو لم يُشرك قط، وقُتل أبوه العاص بن سعيد بوم بدرٍ كَافراً، أما جده سعيد بن العاص بن أمية فمات قبل بدرٍ مشركاً، ويكون الصواب كما قال ابن حجر في «الإصابة» في ترجمة عمير بن أبي وقاص: العاص بن سعيد بن العاص، ويكون الاختلاف إذن في الذي قتَله: أهو علي بن أبي طالب، أم سعد بن أبي وقاص؟

(١) رواه أبو داود (٢٧٣٧)، والنسائي في «الكبرى» (١١١٣٣)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ١٣).

اختلَفُوا في الغنيمةِ، وادَّعى كلُّ واحدٍ أنَّها له، فأنزَلَ الله سورةَ الأنفالِ[١].

قولُه: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ الواوُ ضميرُ المؤمنين وإنْ لـم يتقدَّمْ في السُّورةِ ذِكرُهـم؛ لأنَّ الحالَ وسببَ النُّزولِ يدُلَّانِ على ذلك، ولأنَّ القرآنَ كلَّه كسورةٍ واحدةٍ.

والسُّؤالُ على وجهين؛ سؤالِ استعلامٍ، وسؤالِ طلبٍ، وهذا سؤالُ استعلامٍ؛ لأنَّه عُدِّيَ بـ(عن).

وقيلَ: معناه: يسألونَكَ عن حِلِّها وحُرمَتِها؛ ليعلَمُوا ما حكمُها مع تحريمِها على مَن كانَ قبلَهم.

وقيـلَ: (عـن) هاهنـا زيـادةٌ، والسُّـؤالُ للطَّلـبِ، وكذلـك قـراءةُ ابنِ مسـعودٍ رضـي الله عنـه[٢].

وقيل: (عَن) بمعنى (مِن).

والأنفالُ: جمع نَفَلٍ ونَفْلٍ[٣]، وهو العطيَّةُ، والنَّوفلُ: الرَّجلُ الكثيرُ العطاءِ.

وقيلَ: النَّفْلُ: الزِّيادةُ، ومنه: (النَّافلةُ) لولدِ الولدِ، وكذلك: النَّافلةُ منَ الصَّلاةِ.

﴿قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ﴾ بدأ بذكرِ الله تعظيمًا ﴿وَٱلرَّسُولِ﴾: ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أي: الأمرُ في الغنائمِ إلى الرَّسولِ عليه السَّلامُ[٤].

---

(١) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٤٨٥٥)، والحاكم في «المستدرك» (٢٦٠٧)، وصححه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٩)، وهي قراءة شاذة، انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٢٠١)، و«المحتسب» (١/ ٢٧٢).

(٣) «ونفل» من (ن).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٩) بلفظ: «الأنفال: المغانم كانت لرسول الله ﷺ خالصة ليس لأحد منها شيء، ما أصاب سرايا المسلمين من شيء أتوه به، فمن حبس منه إبرة أو سلكا فهو غلول...».

ابنُ جريرٍ: الأنفالُ غيرُ الغنائمِ، وإنَّما هي زياداتٌ يزيدُها الإمامُ مَن رأى(١).

الحسَنُ: هي ما شذَّ منَ العدُوِّ من عبدٍ أو دابَّةٍ بغيرِ قتالٍ، فللإمامِ أن يُنفِّلَ مَن يشاءُ(٢).

وقيلَ: الأنفالُ: أنفالُ السَّرايا خاصّةً.

مجاهدٌ: هي الخُمُسُ(٣).

فمَن جعلَها الغنائمَ(٤) قال: هي منسوخةٌ بقولِه: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم﴾ [الأنفال: ٤١]، ومَن لم يجعَلْها الغنائمَ قال: هي مُحكَمةٌ.

والفرقُ بينَ الفيءِ والنَّفلِ والغنيمةِ:

أنَّ الفيءَ: ما عادَ إلى المسلمين من أموالِ المُشركين من غيرِ حربٍ ولا إيجافِ خيلٍ، وذلك لبيتِ المالِ.

والغنيمةُ: ما أُصيبَ بحربٍ عن ظَفَرٍ، وذلك يُقسَمُ على حُكمِ قولِه تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم﴾ الآية [الأنفال: ٤١].

والنَّفْلُ: زيادةٌ على ما يُصيبُ منَ القسمةِ.

﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡ﴾؛ أي: الحالةَ التي بينكم؛ ليكونَ سببًا لأُلفَتِكُم واجتماعِ كلمَتِكُم. وقيل: أمورَكُم.

﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ﴾ في فرائضِه ﴿وَرَسُولَهُۥٓ﴾ في سُنَّتِه ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾؛ فإنَّ الإيمانَ يُوجِبُ ذلك.

* * *

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١١/ ١٠).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٧).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٠).

(٤) في (ن): «للغنائم».

(٢) ـ ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾.

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾: خافَتْ فانقادَتْ لأوامرِه، وارتَدَعَتْ عن نواهيه، واطمأنَّتْ إلى وَعْدِه، وفَرِقَتْ من وعيدِه.

﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ﴾؛ أي: القرآنُ ﴿زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ إذا تأمَّلُوا وتدبَّرُوا معانيَه يزيدُ في إيمانِهم ويقينِهم وقُوَّةِ بصائرِهم. وقيل: تصديقًا. وقيل: يقينًا. وقيل: خشيةً.

﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾: يُفوِّضون أمورَهم إليه.

* * *

(٣) ـ ﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾.

﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾: يُخرِجون حقَّ الله بالزَّكاةِ والصَّدقةِ.

وقيل: يُقِرُّونَ أنَّه من عندِ الله.

* * *

(٤) ـ ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾: سرًّا وجهرًا، بخلافِ المُنافقِ.

وقيل: هم الذين استحَقُّوا هذه التَّسميةَ.

وقيل: هو تأكيدٌ للكلامِ؛ أي: أُحُقُّ هذا الخبرَ حَقًّا.

و(الحقُّ) في الكلامِ على وجهَين:

أحدُهما: المُستَحَقُّ.

والثَّاني: ما له حقيقةُ الوجودِ، بخلافِ الباطلِ؛ فإنَّه لا وجودَ له.

وقيل: تمَّ الكلامُ على (المؤمنين)، و﴿حَقًّا﴾ مُتعلِّقٌ بقولِه: ﴿لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ

﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾؛ أي: منازلُ في الجنَّةِ. وقيل: مراتبُ، ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ للذُّنوبِ، ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾: خالصٌ منَ الشَّوائبِ[1]. وقيل: مُرتفِعُ القَدْرِ عندَ النَّاسِ.

***

(٥) ـ ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ﴾.

﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ﴾: كما أمرَكَ بالخروجِ ودعاك إليه ﴿مِنۢ بَيْتِكَ﴾ قيل: من مكَّةَ، حكاه الماوَرْديُّ[2].

والجمهورُ: على أنَّه منَ المدينةِ، حين سمعَ بأبي سفيانَ مُقبِلًا منَ الشَّامِ في عيرِ قُريشٍ ومعه أموالٌ وتجاراتٌ كثيرةٌ، وهي اللَّطيمةُ[3]، فقال للمُهاجرين والأنصارِ: «اخرُجوا معي إليها لعلَّنا نأتي بخيرٍ»، فخرجَ معه ثلاثُ مئةٍ وثلاثةَ عشرَ رجلًا، وكان الجملُ بين ثلاثةٍ يتعاقَبونَ عليه، ولم يكُنْ معهم إلَّا فَرَسانِ، فخرجُوا من غيرِ قُوتٍ ولا سلاحٍ لا يُريدونَ إلَّا أبا سفيانَ، ولا يرَوْنَ[4] أنْ يكونَ ثَمَّ قتالٌ، فلمَّا سمعَ أبو سفيانَ مسيرَ النَّبيِّ عليه السَّلامُ بعَثَ ضَمْضَمَ بنَ عمرٍو الغفاريَّ إلى مكّةَ ليُخبِرَهم أنَّ محمَّدًا قد عرَضَ لعِيرِهم، فغضِبَ أهلُ مكَّةَ فانتَدَبُوا ولم يتخلَّفْ عنهم إلَّا الضَّعيفُ، فلمَّا بلغَ رسولُ الله عليه السَّلامُ واديًا يُقالُ له: دَفِرانُ، أتاه جبريلُ عليه السَّلامُ فقال:

---

(١) في (ن): «شوائب الكدر».

(٢) انظر: «النكت والعيون» (٢/ ٢٩٥)، وفيه: «فيه قولان: أحدهما: كما أخرجك ربك من مكة إلى المدينة بالحق مع كراهة فريق من المؤمنين، كذلك ينجز وعدك في نصرك على أعدائك بالحق. والثاني: كما أخرجك ربك من بيتك من المدينة إلى بدر بالحق، كذلك جعل لك غنيمة بدر بالحق».

(٣) اللطيمة: العير التي تحمل الطيب وبز التجار، ولا يقال: لطيمة، إلا إذا كان فيها طيب، وإلا فهي عير. انظر: «فقه اللغة» (ص: ٣٤).

(٤) في (ن): «ولا يريدون».

إنَّ الله وعدَكُم إحدَى الطّائفتَين؛ إمَّا العيرَ، وإمَّا قُريشًا، فشَقَّ ذلك على بعضِهم وقالوا: يا رسولَ الله، هلَّا أخبَرْتَنا أنَّه يكونُ قتالٌ حتَّى نُخرِجَ سلاحَنا ونتأهَّبَ له، إنَّا خرَجْنا نُريدُ العيرَ، فاستشارَ عليه السَّلامُ أصحابَه فقالوا: امضِ لِمَا أمرَكَ اللهُ ونحنُ معَكَ، واللهِ ما نقولُ كما قالت بنو إسرائيلَ لموسى: ﴿اذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ﴾، فقالَ عليه السَّلامُ: «سيروا على بركةِ الله وأبشِروا، فإنَّ الله قد وعَدَني إحدى الطّائفتَين، ولكأنِّي الآنَ أنظُرُ إلى مصارعِ القومِ»، فسارَ رسولُ الله عليه السَّلامُ حتى نزَلُوا بدرًا بجانبِ الوادي الأدنى(١)، ونزلَ به المُشركونَ على جانبِه الأقصى على الماءِ وبينَهما الوادي(٢).

وفي قولِه: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ﴾ خلافٌ بينَ المُفسِّرين:

فذهَبَ بعضُهم إلى أنَّ التَّشبيهَ وقعَ بين الحقَّينِ؛ أي: ﴿هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ﴾. وقيل: قسمتُك الغنائمَ حقٌّ كما كانَ خروجُك حقًّا.

وقيل: بينَ الكراهتَين؛ أي: الأنفالُ لله ورسولِه وإنْ كرِهَ بعضُهم، كما أخرَجَكَ ربُّك وفريقٌ منهم(٣) كارِهونَ.

وقيل: بين المُجادَلَتَين؛ لأنَّهم جادَلُوا في الأموالِ، وادَّعى كلُّ فريقٍ أنَّها لهم، كما جادَلُوا في لقاءِ العدوِّ عندَ دُنوِّهم منهم. وقيل: يُجادِلُونَك في القتالِ كما جادَلُوا في الخروجِ.

---

(١) في (و): «الأيمن».

(٢) انظر سياق غزوة بدر في: «سيرة ابن هشام» (١/ ٦١٥)، و«تفسير الثعلبي» (١٣/ ٢٦)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٤١) عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما.

(٣) في (ن): «من المؤمنين».

وقيلَ: بينَ الصَّلاحَينِ؛ أي: صلاحُهم في إصلاحِ ذاتِ بينِهم كصلاحِهم في إخراجِ الله إيّاهُم[١].

وقيل: ﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥]، وهو مكَّةُ[٢] ﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ﴾، وهو مكَّةُ[٣].

وقيل: هو يمينٌ؛ أي: والذي أخرجَكَ، وهذا سهوٌ، وإن كانَ قائلُه أبا عُبيدةَ[٤].

وقيل: امضِ على ما أخرجَكَ ربُّك، والكافُ بمعنى (على)، حكاه قُطربٌ[٥]، ونسبَه إلى ابنِ عبَّاسٍ[٦].

قولُه: ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾؛ أي: بالواجبِ. وقيل: الخروجُ لذلك[٧] حقٌّ لا باطلٌ.

﴿وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ﴾؛ أي: الخروجَ، قيل: لأنَّ النَّبيَّ عليه السَّلامُ أمرَهُم بالخروجِ بغتةً كي لا ينتشِرَ الخبرُ فيبلُغَ أبا سفيانَ، ولم يكونُوا متأهِّبين للخروجِ.

---

(١) قال المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٣٤): «وأحسن هذه الوجوه الأربعة، التشبيه بين الحقين؛ لوجود لفظ الحق قبل ذكر الكاف وبعده، وأما الكراهة والجدال فمذكوران بعد الكاف في الآية، والصلاح مذكور قبل الكاف فحسب».

(٢) «معاد وهو» من (ن).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٣٤)، واستغربه.

(٤) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٢٤٠). وكذا استبعده أبو بكر الأنباري، ونص كلامه كما نقله الواحدي في «البسيط» (١٠/ ٣٠): «وهذا بعيد؛ لأن الكاف ليست من حروف الإقسام».

(٥) ذكره الطبري في «تفسيره» (١١/ ٣٤)، ونسبه إلى بعض نحويي البصرة. قال أبو حيان في «البحر المحيط» (٥/ ٢٧٣): «وهذا ضعيف؛ لأنه لم يثبت أن الكاف تكون بمعنى (على)، ولأنه يحتاج الموصول إلى عائد، وهو لا يجوز أن يحذف في مثل هذا التركيب».

(٦) ذكره الفيروزآبادي في «تنوير المقباس» (ص: ١٤٥).

(٧) في (و): «كذلك».

وقيل: كارِهونَ كراهةَ نِفَارِ الطَّبعِ عنِ المشاقِّ، لا كراهةً ضِدَّ الإرادةِ.

وقيل: كرِهُوا أوَّلًا ثمَّ أرادوه.

***

(٦) ـ ﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾.

﴿يُجَٰدِلُونَكَ﴾: يُخاصِمُونَكَ. والمُـجادَلةُ: المُخاصَمةُ والمُنازَعةُ التي يُعتَلى بها عن مذهبٍ إلى مذهبٍ؛ أي: يُجادِلُونَكَ حينَ فاتَهم العِيرُ ونزلَ بإزائِهم النَّفيرُ، ويقولون: لو علِمْنا أنَّا نُقاتِلُ لتأهَّبْنا للقتالِ وأعدَدْنا له عُدَّتَه.

وقيلَ: كرِهُوا القتالَ لِقلَّتِهم وكونِهم رَجَّالةً.

﴿فِى ٱلْحَقِّ﴾: في الجهادِ. وقيل: في الخروجِ.

﴿بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ﴾ أنَّ الجهادَ واجبٌ والخروجَ صوابٌ.

وقيل: بعدَ ما تبيَّنوا وعلمُوا أنَّ أمرَكَ أمرُ الله.

والتَّبيُّن: ظُهورُ المعنى للنَّفسِ.

﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾؛ أي: يكرهونَ القتالَ كراهيةَ مَن يُساقُ إلى الموتِ وهم ينظُرون إلى أسبابِه.

والسَّوقُ: الحثُّ على السَّيرِ.

وقيل: ﴿يُجَٰدِلُونَكَ﴾ يعني: الكفَّارَ ﴿فِى ٱلْحَقِّ﴾: في الإسلامِ ﴿بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ﴾: بانَ وظهرَ الإسلامُ ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ﴾ حين دُعوا إلى الإسلامِ ﴿وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ تلك الحالةَ.

***

(٧) - ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾.

﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ ﴾ إمَّا العيرَ وإمّا النَّفيرَ ﴿أَنَّهَا لَكُمْ ﴾: بدلٌ من ﴿إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ ﴾؛ أي: يصيرُ ما معَهم لكم.

والوعدُ: الخبرُ بما يَسُرُّ، بخلافِ الوعيدِ؛ فإنَّه خبرٌ بما يغُمُّ، ولا يكونانِ إلَّا بما يُستأنَفُ، والبشارةُ تقعُ للماضي والمُستقبلِ.

﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾: وتمنَّون أنَّ الطَّائفةَ غيرَ ذاتِ ﴿ٱلشَّوْكَةِ ﴾[(١)] السِّلاحِ؛ السَّيفِ والسِّنانِ والنِّصالِ.

وقيل: الشَّوكةُ: شِدَّةُ الحربِ.

والشَّوكةُ: الحِدَّةُ، واشتقاقُها منَ الشَّوكِ: وهو النَّبتُ الذي له حِدَّةٌ.

﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ ﴾: ينصُرَ أهلَ الإسلامِ. وقيل: يُظهِرَ الإسلامَ. وقيل: يأمرَ بالجهادِ.

﴿بِكَلِمَٰتِهِۦ ﴾: بأوامرِه ونواهيه. وقيل: بمواعيدِه.

﴿وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾: يستأصِلَهم.

والدَّابرُ: الآخرُ، والدَّابرُ: الأصلُ[(٢)]. وقيل: الدَّابرُ: آخرُ مَن بقيَ.

* * *

(٨) - ﴿ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾.

﴿ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ ﴾: ليُعبَدَ اللهُ وحدَه، وذلك تحقيقُ الحقِّ ﴿وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ ﴾: الكفرَ.

وقيل: ﴿ٱلْحَقَّ ﴾: القرآنَ، و﴿ٱلْبَٰطِلَ ﴾: إبليسَ.

---

(١) «الشوكة» ليست في (ن).

(٢) «والدابر الأصل» من (ن).

وقيل: لينصُرَ محمَّدًا عليه السَّلامُ، ويُبطِلَ فعلَ المُشركين.

وقيل: يحقِّقَ وعدَه.

ومعنى ﴿يُحِقَّ﴾: يُثبِتَ ويُظهِرَ، وكُرِّرَ لأنَّ الأوَّلَ مُتَّصلٌ بقولِه: ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾؛ أي: أنتم تُريدونَ العِيْرَ واللهُ يُريدُ إهلاكَ النَّفيرِ، والثَّاني مُتَّصلٌ بالكلِّ.

﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ ذلك.

الحسنُ في جماعةٍ: هاتانِ الآيتانِ مُتقدِّمتانِ في النُّزولِ على قوله: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ﴾، وفي القراءةِ بعدَهما[1].

***

(٩) ـ ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾.

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ الاستغاثةُ: طَلَبُ المَغُوثةِ[2]، وهي سدُّ الخَلَّةِ في وقتِ شدَّةِ الحاجةِ.

وقيل: الاستغاثةُ: طلَبُ الغَوْثِ، وهو التَّخليصُ منَ المكروهِ.

وقيل: ﴿تَسْتَغِيثُونَ﴾: تستَجيرون، منَ لغَوثِ؛ واغَوْثاهُ.

والمُستَغيثُ: المسلوبُ القدرةِ، والمُستعينُ: الضَّعيفُ القُدرةِ، والمُستجيرُ: طالبُ الخلاصِ، والمُستنصِرُ: طالبُ الظَّفَرِ.

﴿فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾: أجابَ.

وقيل: الاستجابةُ: ما تقدَّمَها امتناعٌ، والإجابةُ: لم يتقدَّمْها امتناعٌ[3].

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٢٩٧) عن الحسن.

(٢) في (و): «المعونة».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٣٥)، واستغربه.

﴿أَنِّي مُمِدُّكُم﴾: مُعينكم ﴿بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾: مُتتابعينَ.

وقيل: مع كلِّ مَلَكٍ مَلَكٌ، فيكونُ ألفَينِ.

وقيل: ﴿مُرْدِفِينَ﴾: جاؤوا على آثارِهم، قال:

إذا الجوزاءُ أَرْدَفتِ الثُّريَّا ظَنَنْتُ بآلِ فاطمةَ الظُّنونا[1]

والجوزاءُ: تطلُعُ على إثْرِ الثُّرَيَّا.

ومَن قرأ بالفتحِ[2]؛ أي: أُردفَ بعضُهم ببعضٍ، أو أردَفَهم المسلمون. تقولُ: رَدِفْتُه: إذا ركبْتَ خلفَه، وأَرْدَفْتُه[3]: أركبْتَه خلفَكَ.

الحسنُ: أُمِدُّوا بخمسةِ آلافٍ؛ هذا ألفٌ، وثلاثةٌ في آلِ عمرانَ، ثمَّ

---

(١) البيت لخزيمة بن نهد كما في «الأمثال» لأبي عبيد (ص: ٣٤٥)، و«تهذيب اللغة» (٩/ ٧١) (مادة ق ظ ر)، و«الصحاح» (مادة: ر د ف)، وورد فيه اسم الشاعر: خزيمة بن مالك بن نهد، وفي بعض المصادر: حزيمة بالحاء.

يقول: إذا أردفتِ الجوزاء الثريا؛ أي: إذا طلَعَتْ الجوزاء إثر الثريا عند الفجر ثم لم يَرْدُفْها نجم آخرُ لغلبة نورِ الشمس على النجوم، فلذلك خص الجوزاء بالإرداف دون غيرها، فإذا كان في ذلك الوقت رجع أهل البوادي إلى مياههم لانقطاع الحر وحاجتهم إلى المياه، قال: فعند ذلك أظن بآل فاطمة الظنون؛ لأني لا أدري أين ينزلون: معنا أم مع غيرنا؟ وقال قوم أراد بقوله: «إذا الجوزاء أردفت الثريا»: جعلتْها خلفها، وهذا لا يكون لأن الجوزاء لا تتقدم الثريا، فهذا كقولهم: حتى يشيب الغراب، و: حتى يبيضَّ القارُ، يقول: أنا لا أظن الشر بآل فاطمة أبداً. ذكر هذا المعنى الآخر محمد بن يزيد. انظر: «فصل المقال في شرح كتاب الأمثال» (ص: ٤٧٤).

(٢) هي قراءة نافع، وقرأ باقي السبعة بالكسر. انظر: «السبعة» (ص: ٣٠٤)، و«التيسير» (ص: ١١٦).

(٣) في (و): «ورادفته».

أردَفَهم ألفًا، فصاروا خمسةَ آلافٍ[١]. وقيل: صاروا[٢] ثمانيةَ آلافٍ.

***

(١٠) ـ ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ﴾؛ أي: الإمدادُ. وقيل: الإردافُ ﴿إِلَّا بُشْرَىٰ﴾: ما يُؤذِنُ بالمسرَّةِ ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ﴾: ولتسكُنَ به ﴿قُلُوبُكُمْ﴾.

وحُذِفَ (لكم) في هذه السُّورةِ لتقدُّمِ قولِه: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾، وقُدِّمَ ﴿بِهِۦ﴾ هاهنا لأنَّه القياسُ، وأُخِّرَ في (آل عمران) كما أُخِّرَ ﴿لَكُمْ﴾[٣].

﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾: لا يُغلَبُ ﴿حَكِيمٌ﴾: يضعُ الشَّيءَ موضِعَه.

***

(١١) ـ ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾.

﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ﴾ اذكُرْ إذْ، وقيل: لتطمَئِنَّ إذْ.

﴿يغشيكم﴾: علاكم[٤]، و﴿يُغَشِّيكُمُ﴾ اللهُ ﴿ٱلنُّعَاسَ﴾ والنُّعاسُ: النَّومُ، تقولُ: نَعَسَ ينعُسُ ـ بالضَّمِّ ـ فهو ناعِسٌ ونعسانُ.

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٤٢٢).

(٢) «صاروا»: ليست في (و).

(٣) في قوله: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٢٦]. انظر: «درة التنزيل» (١/ ٣٩٠) و«البرهان» للمصنف (ص: ٩٢ ـ ٩٣).

(٤) قوله: «يغشيكم علاكم» كذا في النسخ، ولعل المراد قراءة: ﴿يغشاكم﴾ بفتح الياء والتخفيف وضمِّ سِين ﴿النعاسُ﴾ مرفوعاً، وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي =

﴿أَمَنَةً﴾: أمْنًا ﴿مِّنْهُ﴾: من عندِ الله.

لمَّا وعدَ الله المسلمينَ بالنَّصرِ سكَنُوا إلى وعدِ الله فنامُوا؛ لأنَّ الأمْنَ يُنِيمُ والخوفَ يُسْهِرُ.

ابنُ مسعودٍ رضيَ الله عنه: النَّومُ عندَ القتالِ أَمَنةٌ منَ الله، والنَّومُ في الصَّلاةِ منَ الشَّيطانِ(١).

وجاء في الخبرِ: ناموا حتَّى احتَلَمَ أكثرُهم فأصبَحُوا مُجنِبين(٢).

﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ مُطِرُوا مطرًا جودًا(٣).

﴿لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ﴾: بالماءِ منَ الأحداثِ والجنابةِ، ﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾: كيدَه ووسوستَه، وقيل: عذابَه بالوسوسةِ(٤).

= بضم الياء وتشديد الشين من التغشية، وقرأ نافع بضم الياء وتخفيف الشين من الإغشاء، انظر هذه القراءات في «السبعة» (ص: ٢٨٢)، و«التيسير» (ص: ١١٦)، و«جامع البيان في القراءات السبع» للداني (٣/ ١١٣٥)، و«النشر» (٢/ ٢٧٦)، وسقطت قراءة نافع من مطبوع «التيسير».

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٠٠٠)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٩٣٩٤)، ولفظ عبد الرزاق: «النعاس في الصلاة من الشيطان، والنعاس في القتال أمنة من الله تعالى».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٦٤، ٦٧) عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما والضحاك، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٦٥ - ١٦٦٦) عن قتادة. ولفظ الطبري عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: «وذلك أن المشركين من قريش لما خرجوا لينصروا العير ويقاتلوا عنها، نزلوا على الماء يوم بدر، فغلبوا المؤمنين عليه، فأصاب المؤمنين الظمأ، فجعلوا يصلون مجنبين محدثين، حتى تعاظم ذلك في صدور أصحاب رسول الله ﷺ. فأنزل الله من السماء ماء حتى سال الوادي، فشرب المسلمون وملؤوا الأسقية، وسقوا الركاب واغتسلوا من الجنابة، فجعل الله في ذلك طهوراً، وثبت الأقدام. وذلك أنه كانت بينهم وبين القوم رملة، فبعث الله عليها المطر فضربها حتى اشتدت وثبتت عليها الأقدام».

(٣) في (و): «جوادًا». والمثبت من (ن)، والجَود: المطر البالغ.

(٤) «وقيل: عذابه بالوسوسة»: ليست في (و).

وقيل: ﴿رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾: الجنابةَ منَ الاحتلامِ؛ لأنَّه منَ الشَّيطانِ، وذلك أنَّ المُشركينَ غَلَبوا على الماءِ، فوسوَسَ إليهم الشَّيطانُ وقالَ: كيفَ ترجُونَ الظَّفَرَ وقد غُلِبتُم على الماءِ وأنتُم تُصلُّونَ مُجنِبينَ مُحدِثين، وتزعُمونَ أنَّكم أولياءُ الله وفيكم رسولُه؟!

﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾ باليقينِ، والرَّبطُ: الشَّدُّ.

﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾ وكانوا على كثيبٍ أعفرَ[1] تغيبُ فيه الأقدامُ، فلبَّدَه المطرُ.

وقيل: ﴿رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾: الكفرَ، ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾ بالإيمانِ، ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾: ويُقوِّيَ القلبَ، فيكونَ سببًا لثباتِ القَدمِ.

***

(١٢) - ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾.

﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ﴾ بالنُّصرةِ ﴿فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بالبشارةِ.

وكان الملَكُ يمشي أمامَ الصَّفِّ ويقولُ: أبشِرُوا أبشِرُوا، إنَّكم كثيرٌ، وعدوُّكم قليلٌ، واللهُ ناصِرُكم[2].

وقيل: كانوا يُخبِرون النَّبيَّ عليه السَّلامُ بالنُّصرةِ، وكان النَّبيُّ عليه السَّلامُ يُخبِرُ المُؤمنين بذلك.

﴿سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ﴾: الخوفَ. والرُّعبُ: امتلاءُ القلبِ

---

(١) قوله: «كثيب أعفر»؛ أي: رمل أبيض تعلوه حمرة. انظر: «فتوح الغيب» للطيبي (٧/ ٤٢).

(٢) ذكره الواحدي في «تفسيره» (١٠/ ٥٣)، والبغوي في «تفسيره» (٢/ ٢٧٤) عن مقاتل. وانظر: «تفسير مقاتل بن سليمان» (٢/ ١٠٤).

منَ الخوفِ، من قولِ العربِ: رَعَبَ السَّيْلُ الوادِيَ: إذا ملأَهُ ماء[١].

﴿فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ﴾ قيل: (فوقَ) صلةٌ. وقيل: بمعنى: على[٢].

وقيل: ما بدا من أعناقِهم.

وقيل: جلدةَ الأعناقِ. وقيل: فاضرِبُوا الرُّؤوسَ فوقَ الأعناقِ[٣].

ويحتملُ أنَّ (فوق) مفعولٌ به لا ظرفٌ، تقولُ: «فوقُكَ رأسُك» بالرَّفع، و«فوقَكَ قَلَنْسُوَتُكَ» بالنَّصبِ[٤].

﴿وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ﴾؛ أي: اضرِبُوا الرُّؤوسَ؛ فإنَّها المَقْتَلُ، واقطَعُوا الأناملَ؛ لأنَّها مواضعُ استعمالِ السِّلاحِ.

والبَنان: الأصابعُ، واحدُها: بنانةٌ، من أبَنَّ بالمكانِ: إذا أقامَ.

وقيل: ﴿كُلَّ بَنَانٖ﴾: كلَّ طَرَفٍ ومَفْصِلٍ.

وقيل: حيثُ استقبَلْتُم من أعضائِهم، وحيثُ استقبَلَكُم منها.

* * *

(١٣) ـ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: الضَّربُ والقتلُ ﴿بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾: بسببِ أنَّهم خالَفُوا اللهَ ورسولَه.

---

(١) «ماء» من (ن).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٣٦)، واستغربه.

(٣) ذكرهما المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٣٦)، واستغربهما. وزاد: «فحذف المفعول وبقي صفته، وهي الظرف».

(٤) انظر: «تعليق الفرائد» للدماميني (٣/ ١٢٥).

والشِّقاقُ: الخلافُ، وأصلُه من مُفارقةِ الشَّيءِ الشَّيءَ، وحقيقتُه: أن تكونَ في شقٍّ وغيرُك في شقٍّ، وعلى هذا أكثرُ هذا البابِ.

﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ في الدُّنيا بالقتلِ والأسرِ، وفي الآخرةِ بالنّارِ والنَّكالِ.

* * *

(١٤) - ﴿ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾.

﴿ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ﴾؛ أي: الأمرُ ذلكُم، وهو إشارةٌ إلى ما عُجِّلَ لهم يومَ بدرٍ.

ويجوزُ أن يكونَ نصبًا نحو: زيدًا فاضرِبْه.

﴿وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ عطفٌ على (ذلك)[1].

* * *

(١٥) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

عطاءٌ في جماعةٍ: منسوخةٌ، نسخَتْها آيةُ تحريضِ[2] المؤمنينَ على القتالِ[3].

الحسنُ في جماعةٍ: مخصوصةٌ بأهلِ بدرٍ[4].

---

(١) يعني على (ذلك) التي في ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ في وجهيه النصب والرفع. انظر: «الكشاف» (٢/ ٢٠٥).

(٢) في (و): «حرض».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٨٠)، وذكره النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٤٥٩)، والثعلبي في «تفسيره» (١٣/ ٤٥). وعندهم أن النسخ بقوله: ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ﴾ قال: فليس لقوم أن يفروا من مثلَيْهم. فنسخت تلك الآية هذه العِدَّة.

(٤) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٦٧٣٣)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ٧٩)، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٤٦٠).

ابنُ عبَّاسٍ في جماعةٍ: مُحكَمةٌ، والفرارُ منَ الزَّحفِ منَ الكبائرِ[١].

الزَّحفُ: الجيشُ يزحَفُ لقتالِ جيشٍ آخرَ، والزَّحفُ: السَّيرُ الثَّقيلُ، وهكذا سيرُ العساكرِ.

وقيل: الزَّحفُ: الدُّنوُّ قليلًا قليلًا.

وقيل: هو من زَحَفَ الصَّبيُّ: إذا جرَّ أسفَلَه على الأرضِ.

﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾: لا تنهَزِموا، ولا تجعَلُوا أدبارَكم ممَّا يلي أعداءَكم، وخُصَّ الدُّبُرُ بالذِّكرِ دونَ الظَّهرِ تقبيحًا للفرارِ.

***

(١٦) ـ ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾.

﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ﴾ مُستَطرِدًا[٢]، أو تولَّى مكيدةً ومكرًا، أو رأى غيرَ موضِعِه أصلحَ له. والتَّحرُّفُ: المصيرُ إلى الحَرْفِ، وهو الحدُّ.

﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾: أو مُنضمًّا إلى جماعةٍ غيرِهم بالقُربِ منهم، مُشتقٌّ من حُزْتُ الشَّيءَ: جمعتُه، وأصلُه: مُتَحَيْوِزٌ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٨١) ورجحه، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٤٦١).

(٢) في (ن): «متطردًا». والمثبت من (و) وهو الموافق لما في المصادر، ففي «تفسير مقاتل» (٢/ ١٠٥): مُستَطْرِداً يريد الكرة للقتال. وقال الطبري في «تفسيره» (١١/ ٧٥): إلا مستطرِدًا لقتال عدوه، يطلب عورةً له يمكنه إصابتها فيكرّ عليه. وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٧٠) عن سعيد بن جبير: مُستطردًا يريد الكَرَّةَ على المشركين. وقال الواحدي في «البسيط» (١٠/ ٦٣): أي: منعطفًا مستطردًا، كأنه يطلب عورة تمكنه إصابتها، فينحرف عن وجه، وُيرى أنه منهزم ثم يكر.

﴿فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾: استحَقَّ ورجعَ واحتملَ، وقد سبقَ.

﴿وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ﴾: مَرجِعُه إلى النَّارِ ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾.

* * *

(١٧) ـ ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِىَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ في سببِ نُزولِه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: أنَّ النَّبيَّ عليه السَّلامُ أخذَ قبضةً من حصباءِ الوادي يومَ بدرٍ، فرماهُم بها وقال: «شاهتِ الوجوهُ»، فلم تبقَ عينُ مُشركٍ إلّا دخلَها منها شيءٌ[١].

وقال حكيمُ بنُ حزامٍ: لـمَّا كانَ يومُ بدرٍ سمِعْنا صوتًا وقعَ منَ السَّماء إلى الأرضِ كأنَّه صوتُ حصاةٍ وقعَتْ في طَسْتٍ، ورمى رسولُ الله عليه السَّلامُ بتلك الحَصَياتِ فانهزَمْنا[٢].

وعن سعيدِ بنِ المُسيَّبِ: أنَّ النَّبيَّ عليه السَّلامُ طعَنَ أُبيَّ بنَ خلَفٍ يوم أحُدٍ بحَرْبَتِه، فسقَطَ أُبيٌّ عن فرسِه ولم يخرُجْ من طعنتِه دمٌ، فجعلَ يخورُ خوارَ الثَّورِ، فقيل له: ما أعجَزَكَ، إنَّما هو خَدْشٌ؟! [فذكرَ لهم قولَ رسولِ الله ﷺ: «بل أنا أقتُلُ أُبيًّا»] فقالَ: والذي نفسي بيدِه، لو كان هذا الذي بي بأهلِ ذي المَجازِ لماتُوا أجمعون[٣]،

---

(١) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٨٤ ـ ٨٦) عن ابن عبّاسٍ وقتادة وابن زيد والسدي.

ومن قوله: «شاهت الوجوه» إلى آخره رواه مسلم (١٧٧٧) عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه، لكن في قصة غزوة حنين.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٨٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٧٢).

(٣) في (ن): «جميعًا».

فماتَ أُبيٌّ، فأنزَلَ اللهُ في ذلك: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾(١).

وقيل: نزلَ يومَ حُنَينٍ، رمى رسولُ الله عليه السَّلامُ نحوَ الحصنِ بسهمٍ، فأقبلَ السَّهمُ يهوي حتَّى قتلَ كنانةَ بنَ أبي الحقيقِ وهو على فراشِه، فأنزلَ اللهُ هذه الآيةَ(٢).

وجمهورُ المُفسِّرينَ على القولِ الأوَّلِ؛ أي: فلم تقتُلُوهم فتستَحِقُّوا الأنفالَ، ولكنَّ الله قتلَهم؛ أي: تولَّى نصرَكُم وإمدادَكُم بالملائكةِ.

وقيل: ساقَهُم إليكم ومكَّنكُم منهم.

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٢٦٣)، وصححه، وما بين معكوفتين منه.

ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٧٣) بلفظ: «لما كان يوم أحد أخذ أبي بن خلف يركض فرسه حتى دنا من رسول الله ﷺ واعترض رجال من المسلمين لأبي بن خلف ليقتلوه فقال لهم فقال رسول الله ﷺ: «استأخروا»، فاستأخروا، فأخذ رسول الله ﷺ حربته في يده فرمى أبي بن خلف وكسر ضلعاً من أضلاعه، فرجع أبي بن خلف إلى أصحابه ثقيلاً فاحتملوه حتى ولَّوا قافلين، فطفقوا يقولون: لا بأس، فقال أبيٌّ حين قالوا ذلك له: والله لو كانت بالناس لقتلتهم، ألم يقل: إني أقتلك إن شاء الله تعالى؟ فانطلق به أصحابه يتغشونه حتى مات ببعض الطريق، فدفنوه. قال ابن المسيب: وفي ذلك أنزل عز وجل: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ الآية».

وروى الطبري في «تفسيره» (١١/ ٨٧) نحوه عن الزهري.

قال ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٨): «وهذا القول عن هذين الإمامين غريب جدًّا، ولعلهما أرادا أن الآية تتناوله بعمومها، لا أنها نزلت فيه خاصة».

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٧٣) عن عبد الرحمن بن جبير، وعزاه ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٧) إلى الطبري، وقال ابن كثير: «وهذا غريب، وإسناده جيد إلى عبد الرحمن بن جبير بن نفير، ولعله اشتبه عليه أو أنه أراد أن الآية تعم هذا كله، وإلا فسياق الآية في سورة الأنفال في قصة بدر لا محالة، وهذا مما لا يخفى على أئمة العلم، والله أعلم».

﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾؛ أي: ﴿مَا رَمَيْتَ﴾ في أعينِهم كلِّهم؛ لأنَّ ذلك ليسَ في طَوْقِ البشرِ ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾ من يدِكَ[1]، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ فلا اعتدادَ لرميِكَ.

وقيل: ﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾ قلوبَ المُشركينَ ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾ وجوهَهم بالحصباءِ، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ رَمْيَ الإصابةِ.

وقيل: ﴿مَا رَمَيْتَ﴾: ما ظَفِرْتَ، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾: أظفرَكَ، من قولِ العربِ: رَمَى اللهُ لك؛ أي: نصرَكَ[2].

﴿وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا﴾: ليُسدِيَ إليهم وينصُرَهُم ويُنعِمَ عليهم، تقولُ: أبلاهُ اللهُ: إذا أنعَمَ عليه، وبلاه: امتحَنَه.

والبلاءُ يُستَعملُ للخيرِ والشَّرِّ، فقيَّدَه بقوله: ﴿حَسَنًا﴾.

وتقديرُه: وليُبلِيَ المؤمنين فَعَلَ ما فَعَلَ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

* * *

(١٨) ـ ﴿ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

﴿ذَٰلِكُمْ﴾؛ أي: فعلُ اللهُ ذلك الذي شاهدتُموه.

ويجوزُ أن يكونَ خبرَ مبتدأٍ محذوفٍ؛ أي: الأمرُ ذلكُم.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: مُضْعِفُ كيدِ الكافرين بإبطالِ حيَلِهم، وإلقاءِ الرُّعبِ في قلوبِهم، وتفريقِ كلمتِهم، ونقضِ ما أبرَمُوا.

* * *

---

(١) في (و): «ربك».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٣٦)، واستغربه.

(١٩) - ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُوا نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾.

﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ ﴾: إن تستَنصِرُوا فقد جاءَكُم نصرُ الله.

وقيل: إن تستَقْضُوا فقد جاءكُم قضاءُ الله.

الخطابُ للكفَّارِ حيثُ قالوا: اللَّهمَّ افتَحْ بينَنا وبينَ محمَّدٍ(١).

وقال أبو جهلٍ يومَ بدرٍ: انصُرْ أعلى الجندَينِ، وأهدَى الفئتَينِ، وأكرَمَ الحزبَينِ، وأفضَلَ الدِّينَينِ(٢).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٩٠) عن مجاهد.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٩٢) عن السدي: أن المشركين أخذوا بأستار الكعبة واستنصروا الله وقالوا: «اللهم انصر أعز الجندين، وأكرم الفئتين، وخير القبيلتين» فقال الله: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ﴾، يقول: نصرت ما قلتم، وهو محمد ﷺ..

وروى الواقدي في «المغازي» (١/ ٧٠)، وابن إسحاق كما في «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٦٢٨)، ومن طريقه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٦٦٧٤)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٦٣١)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ٩٤)، ومن غير طريقه رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١١١٣٧)، والطبري (١١/ ٩٢) نفسه، والحاكم في «المستدرك» (٣٢٦٤)، وصححه، جميعهم عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير حليف بني زهرة قال: «كان المستفتِح يوم بدر أبا جهل، قال: اللهم أقطعنا للرحم، وآتانا بما لا نعرف، فأَحِنه الغداة»، فأنزل الله: ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ ﴾.

ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٣٦٦١)، ولم يذكر الآية.

وروى الطبري أيضًا عن يزيد بن رومان وغيره: «قال أبو جهل يوم بدر: اللهم انصر أحب الدينين إليك، ديننا العتيق، أم دينهم الحديث» فأنزل الله: ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾.

وروى الطبري في «تفسيره» (١١/ ٩٣) عن الزهري نحو هذا.

﴿وَإِن تَنتَهُوا﴾ عن الكفرِ والقتالِ ﴿فَهُوَ﴾؛ أي: الانتهاءُ ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُوا﴾ للقتالِ ﴿نَعُدْ﴾ للقتلِ والهزيمةِ ﴿وَلَن تُغْنِيَ﴾: تدفعَ ﴿عَنكُمْ فِئَتُكُمْ﴾: جَمْعُكُم ﴿شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ﴾ الفئةُ ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

وقيل: الخطابُ للمؤمنين، ومعنى الآية: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ﴾ يومَ بدرٍ، ﴿وَإِن تَنتَهُوا﴾ عن أمرِ الأنفالِ وفداءِ الأسرى ببدرٍ، ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُوا﴾ إلى معصيةِ الله ﴿نَعُدْ﴾ إلى الإنكارِ، ﴿وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ﴾ لكثرةِ أعدائِكم، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

والأوَّلُ أظهرُ.

وقيل: ﴿وَإِن تَعُودُوا﴾ للاستفتاحِ ﴿نَعُدْ﴾ لنصرِ محمَّدٍ والمؤمنين.

* * *

(٢٠) ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ فيما يدعوكُم إلى الجهادِ.

وقيل: هو قَبولُ الأمرِ والنَّهيِ، وخصَّ المؤمنين بالذِّكرِ رَفعًا لأقدارِهم، وإن كان غيرُ المؤمنينَ داخِلًا معهم.

﴿وَلَا تَوَلَّوْا﴾: لا تُعرِضُوا ﴿عَنْهُ﴾ ولا تُخالفوه، ووحَّدَ الكنايةَ لأنَّه يعودُ إلى الله.

وقيل: إلى رسولِه؛ لأنَّه المُنْبِئُ عن الله.

وقيل: إلى الله ورسوله، ووحَّدَ لأنَّ أمرَ كلٍّ واحدٍ أمرُ الآخرِ.

وقيل: يعودُ إلى الجهادِ والأمرِ الذي أُمِرُوا به.

ويحتملُ أنَّه لمَّا لم يجز إطلاقُ لفظِ التَّثنيةِ على الله سُبحانَه وتعالى وحدَه لم يجُزْ إجراءُ لفظِ التَّثنيةِ عليه مع غيرِه، بخلافِ لفظِ الجمعِ؛ فإنَّه لـمَّا جازَ إطلاقُ لفظِ الجمعِ عليه وحْدَه تعظيمًا، جاز إجراءُ لفظِ الجمعِ عليه مع غيرِه.

ولهذا(١) نظائرُ في القرآنِ، منها قولُه: ﴿إِذَا دَعَاكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]، ومنها: ﴿أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة: ٦٢].

وجاءَ النَّكيرُ عن النَّبيِّ عليه السَّلامُ على مَن ذكرَه مع غيرِه بلفظِ التَّثنية، وهو أنَّ رجُلًا قام بينَ يدَيه فقال: مَن أطاعَ الله ورسولَه فقد رَشَدَ، ومَن عصاهُما فقد غوَى، فقال: «بئسَ خطيبُ القومِ أنتَ، هلَّا قُلْتَ: ومَن عَصَى اللهَ ورسولَه»(٢)، والله أعلمُ.

﴿وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ القرآنَ. وقيل: الأمرَ والنَّهيَ.

* * *

(٢١) ـ ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ قيل: هم المُنافقون.

وقيل: هم أهلُ الكتابِ.

وقيل: هم المُشرِكون يسمعونَ بآذانِهم فلا ينتفعون، فصاروا كمَن لا يسمعُ.

وقيل: هم الذين قالوا: ﴿قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ﴾ [الأنفال: ٣١].

وقيل: نزلَتْ في النَّضرِ بنِ الحارثِ.

وقيل: في بني عبد الدَّارِ بنِ قُصيٍّ، لم يُسْلِمْ منه إلَّا رجلانِ: مصعبُ بنُ عُمَيرٍ، وابنُ حرملةَ(٣).

---

(١) أي: لذكرُ ضمير الواحد بعد ذكر الله سبحانه ورسوله ﷺ.

(٢) رواه مسلم (٢/ ٥٩٤) عن عدي بن حاتم رضي الله عنه.

(٣) روى البخاري (٤٦٤٦) عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما قال: «﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ قال: هم نفر من بني عبد الدار».

وقال الزمخشري في «الكشاف» (٢/ ٢٠٩ ـ ٢١٠): وقيل: هم بنو عبد الدار بن قصيٍّ، لم يُسلمْ منهم إلّا رجلان: مُصْعَبُ بن عُميْر وسُوَيْدُ بن حَرْمَلَة، كانوا يقولون: نحن صمٌّ بكمٌ عميٌ عما جاء به محمدٌ لا نسمعُه ولا نُجيبُه، فقُتلوا جميعاً بأُحدٍ وكانوا أصحابَ اللِّواء.

(٢٢) ـ ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾.

﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ كلُّ ما دبَّ على الأرضِ فهو دابّةٌ، ولا يُطلَقُ على الإنسانِ إلَّا ذمًّا، وعلى الذَّمِّ حُملَتِ الآيةُ؛ لأنَّهم كالأنعامِ حيثُ[1] لم يسمعُوا الموعظةَ ولم ينطِقُوا بالحقِّ، ولم يتدبَّروا القرآنَ فيعرِفُوا الرُّشدَ منَ الغيِّ.

* * *

(٢٣) ـ ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾.

﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا ﴾: إيمانًا وقَبولَ موعظةٍ. وقيل: سعادةً سبقَتْ لهم.

﴿لَّأَسْمَعَهُمْ﴾: جعلَهُم ينتفِعُونَ بالسَّمعِ.

﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾؛ أي: كلامَ الموتى بصحَّةِ نبوَّةِ محمَّدٍ ﷺ.

وقيل: ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾ جوابَ كلِّ ما سألوا عنه، ﴿لَتَوَلَّوا﴾ عن الإيمانِ ﴿وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾.

وقيل: تولَّوا عن الجهادِ.

ويحتملُ: ولو أسمَعَهم من غيرِ أن يَعلمَ فيهم خيرًا لتولَّوا، والله أعلَمُ.

* * *

(٢٤) ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ ولم يقُلْ: دَعَواكُم؛ لِمَا سبقَ.

---

(١) في (و): «بحيث».

وقولُه: ﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾؛ أي: للإيمانِ؛ فإنَّه الحياةُ، والكفرُ الموتُ.

وقيل: ﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾: الجهادُ.

وقيل: الشَّهادةُ؛ فإنَّ الشُّهداءَ أحياءٌ.

وقيل: العلمُ؛ فإنَّه سببُ الحياةِ الدَّائمةِ.

وقيل: لِمَا يُبقيكُم، وهو قتلُ الأعداءِ وكسرُهم حتَّى لا يجترِئُوا على الإقدامِ على مُقاتلَتِكُم.

وقيل: على ما ينالون منَ الغنيمةِ في الجهادِ ويعيشُونَ بها.

ورَوَى أبو هُريرةَ رضيَ الله عنه أنَّ أُبيًّا كان يُصلِّي، فدَعاهُ رسولُ الله عليه السَّلامُ فلم يُجِبْهُ حتى فرَغَ من صلاتِه، ثمَّ جاءَه وسلَّم عليه فقالَ عليه السَّلامُ: «لِـمَ لـمْ تُجِبْني إذْ دَعوتُكَ؟ أمَا تقرأُ قولَه: ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾؟» فقالَ: لـمْ أعلَمْ، ولا أعودُ بعدَه إلى مثلِه[1].

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾؛ أي: إنَّه في القُرْبِ بهذه الصِّفةِ، كقوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦][2].

---

(١) رواه الترمذي (٢٨٧٥)، والنسائي في «الكبرى» (١١١٤١). قال الترمذي: «حديث حسن صحيح». وروى نحوه البخاري (٤٤٧٤) عن أبي سعيد بن المعلى ولفظه: كنت أصلي في المسجد، فدعاني رسول الله ﷺ فلم أجبه، فقلت: يا رسول الله، إني كنت أصلي، فقال: «ألم يقل الله: ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾»، ثم قال لي: «لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن، قبل أن تخرج من المسجد». ثم أخذ بيدي، فلما أراد أن يخرج، قلت له: ألم تقل لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن، قال: «﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ هي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيته».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٣٨)، وعدَّه من العجائب، ولفظه هناك: «العجيب: يحول بين المرء وقلبه، فيكون أقرب إليه من حبل الوريد».

وقيل: بين المُؤمنِ والكفرِ، وبينَ الكافرِ والإيمانِ.

وقيل: يسلُبُه عقلَه، فلا يقدرُ على كفرٍ ولا إيمانٍ(1).

وقيل: يحولُ بينَه وبينَ ما يتمنَّاه من طولِ الحياةِ.

وقيل: يحولُ بين المرءِ وقلبِه بالموتِ، فتفوتُه التَّوبةُ.

وقيل: يُقلِّبُ قلبَه من حالٍ إلى حالٍ.

﴿وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ فيُجازيكم وَفقَ أعمالِكم.

* * *

(٢٥) ـ ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾.

﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗ﴾ الفتنةُ: البليَّةُ والامتحانُ والاختبارُ الذي يظهرُ به باطنُ أمرِ النَّاسِ، فيُستحَقُّ عليه الجزاءُ.

والمُرادُ بها هاهنا عند المُفسِّرين: إقرارُ المُنكَرِ؛ أي: لا تُقِرُّوا المُنكرَ بين أظهُرِكم فيعمَّكُم بالعذابِ.

وقيل: اتَّقوا أن يُبتَلى(2) الظَّالمون بنقمةٍ(3) منَ الله.

ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: الفتنةُ: الأموالُ والأولادُ، يُقوِّيه قولُه: ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ﴾ [التغابن: ١٥](4).

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٣٨)، واستغربه.

(٢) في (و) زيادة: «من القرآن».

(٣) كذا في النسخ الخطية، ولعل الأنسب للسياق أن تكون: «بفتنة»، والله أعلم.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١١٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٨٥)، ولفظه: «ما منكم من أحد إلا وهو مشتمل على فتنة، إن الله يقول: ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ﴾ [التغابن: ١٥]، فليستعذ بالله من مضلات الفتن».

الحسنُ: هي التي بُلِيَ بها النَّاسُ يومَ الجملِ[١].

وقيل: ظُهورُ البِدَعِ.

﴿لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾؛ أي: الفتنةُ، وقيل: عقوبةُ الفتنةِ؛ أي: يتعدَّى ضررُها إلى غيرِ الظَّالمين، فيكونُ للظَّالمين جزاءً على ذنوبهم، ويكونُ للصَّالحين امتحانًا يُثابونَ عليه.

وقيل[٢]: ﴿لَّا تُصِيبَنَّ﴾ نهيٌ، والضَّميرُ فيه للفتنة، من بابِ قولهم: لا أرَيَنَّكَ هاهنا؛ أي: لا تفعلُوا ما تُفتَنُوا به.

وقيل: قسَمٌ. حكاهُ عليُّ بنُ عيسى[٣].

ولا يصحُّ أن يكونَ جوابًا للأمرِ، ولا جزاءً لشرطٍ مُقدَّرٍ، كما ذهبَ إليه بعضُهم، وقاسُوه على قوله: ﴿ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ﴾ [النمل: ١٨][٤].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١١٣) عن الحسن بلفظ: «نزلت في علي وعثمان وطلحة والزبير رضي الله عنهم»، ورواه الطبري في تفسيره» (١١/ ١١٥) عن السدي بلفظ: «هذه نزلت في أهل بدر خاصة، وأصابتهم يوم الجمل فاقتتلوا».

(٢) في (و): «وقوله».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٣٨)، واستغربه، وفيه: «قسم؛ أي: والله لا تصيبن الذين ظلموا».

(٤) وسياقه في «غرائب التفسير» (١/ ٤٣٨) أوضح من هنا وأتم، ولفظه: «ذهب الفراء إلى أنه نهي فيه جواب الأمر، وذهب جماعة إلى أنه نهي فيه جزاء الشرط، وكلا القولين فاسد من حيث المعنى، والاحتجاج بقوله: ﴿ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ﴾ لا يصح؛ لأن تقدير هذه الآية: إن تدخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان، وهذا مستقيم، ولو قلت في الأول: إن تتقوها لا تُصيبنَّ الذين ظلموا منكم خاصةً، لا يستقيم في المعنى». وانظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٤٠٧).

وهذا الذي أجازه الفراء من كون الجملة جواباً للأمر منعه أبو حيان كالمؤلف، وأجازه الزمخشري =

المعنى[١]، ولا يصحُّ أن يكونَ وصفًا؛ للنُّونِ[٢].

﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ إذا عاقبَ.

***

(٢٦) ـ ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بقلَّةِ العددِ والعُدَّةِ، قيل: الخطابُ لمَن كانوا بمكَّةَ من المسلمين والضُّعفاءِ، وهم المُهاجرون. وقيل: لأهلِ بدرٍ. وقيل: للعربِ عامّةً.

﴿تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ﴾: كفَّارُ قريشٍ. وقيل: فارسُ والرُّومُ.

والخطفُ والتَّخطُّفُ: الأخذُ بسرعةٍ.

﴿فَـَٔاوَىٰكُمْ﴾ إلى المدينةِ. وقيل: حفِظَكم ونصَرَكم وجعلَ لكم مأوًى

= أيضاً، لكنه قدر الجملة هكذا: إنْ أصابتكم لا تُصِبِ الظالمين منكم خاصةً ولكنها تعمُّكم. فتعقبه أبو حيان أيضاً. انظر: «الكشاف» (٢/ ٢١١)، و«البحر» (٥/ ٣٠٤ ـ ٣٠٥)، و«الدر المصون» (٥/ ٥٨٩ ـ ٥٩٤). وانظر التعليق الآتي.

(١) أي: لا يصح أن تكون جملة ﴿تُصِيبَنَّ﴾ جواباً للأمر، أو الشرط مقدر؛ لفساد المعنى، فالمعنى في آية النحل: إن تدخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان، وهو مستقيم، أما المعنى في الآية فيصبح: إن تتقوا الفتنة لا تصيب الذين ظلموا خاصة، وهذا المعنى غير مستقيم: لأنه يرد عليه معنى مشكل، وهو إن تتقوا الفتنة لا تصيب الذين ظلموا خاصة، بل تعمّ الجميع، وهذا ظاهر الفساد والله أعلم.

(٢) أي: لا يجوز أن تكون جملة ﴿تُصِيبَنَّ﴾ صفة لـ ﴿فِتْنَةً﴾؛ لأن نون التوكيد لا تدخل على المنفي في غير القسم، انظر: ((التبيان)) للعكبري (٢/ ١٢٦).

تتحصَّنون به وتسكُنون فيه، ﴿وَأَيَّدَكُم﴾: وقوَّاكُم ﴿بِنَصْرِهِۦ﴾ على الكفَّارِ.

﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾: الحلالِ الذي ساقَ إليكم. وقيل: الغنائمِ؛ أحلَّها لكم دونَ غيرِكم، ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: لكي تشكُروا نعمَتي.

***

(٢٧)ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ في سببِ النُّزولِ: أنَّها نزلَتْ في أبي لُبابةَ بنِ عبدِ المُنذرِ الأنصاريِّ، وذلك أنَّ رسولَ الله صلّى الله عليه حاصرَ يهودَ قُريظةَ إحدى وعشرين ليلةً، فسألوا رسولَ الله عليه السَّلامُ الصُّلحَ على ما صالحَ عليه إخوانَهم من بني النَّضيرِ على أن يسيروا إلى إخوانِهم بأذرِعاتٍ وأريحا من أرضِ الشَّامِ، فأبى أن يُعطيَهم ذلك إلَّا أن ينزلُوا على حكمِ سعدِ بنِ مُعاذٍ، فأبَوا، وقالوا: أرسِلْ إلينا أبا لُبابةَ، وكان مُناصحًا لهم؛ لأنَّ عيالَه وولدَه ومالَه كانت عندَهم، فبعثَه رسولُ الله عليه السَّلامُ، فأتاهم فقالوا: يا أبا لُبابةَ، ما ترى؟ أننزلُ على حكمِ سعدٍ؟ فأشارَ أبو لُبابةَ إلى حلقِه؛ أي: إنَّه الذَّبحُ فلا تفعلُوا، قال أبو لُبابةَ: والله ما زالت قدمايَ حتى علمتُ أنِّي قد خُنْتُ اللهَ ورسولَه، فنزلَتْ فيه هذه الآيةُ، فلمَّا نزلَتْ شدَّ نفسَه على ساريةٍ من سواري المسجدِ وقال: والله ما أذوقُ طعامًا ولا شرابًا حتَّى أموتَ أو يتوبَ الله عليَّ، فمكَثَ سبعةَ أيَّامٍ لا يذوقُ فيها طعامًا حتَّى خرَّ مغشيًّا عليه، ثمَّ تابَ اللهُ عليه، فقيل: يا أبا لُبابة، قد تِيبَ عليك، فقالَ: لا والله، لا أَحُلُّ نفسي حتَّى يكونَ رسولُ الله هو الذي يَحُلُّني، فجاءَه فحلَّه بيدِه، ثمَّ قال أبو لُبابة: إنَّ من تمامِ توبتي أن أهجُرَ دارَ قومي التي أصبْتُ فيها الذَّنبَ، وأن أنخلعَ من مالي، فقال عليه السَّلامُ: «يَجزيك الثُّلثُ أن تتصدَّقَ به»[1].

---

(١) ذكره بهذا السياق الثعلبي في «تفسيره» (١٣/ ٧٢) عن الزهري والكلبي، وخبر الزهري رواه الطبري =

وعن عطاءِ بنِ أبي رباحٍ قال: نزلَتْ حينَ همَّ رسولُ الله عليه السَّلامُ بالذَّهابِ إلى أبي سُفيانَ، فكتبَ إليه رجلٌ من المنافقين: إنَّ محمَّدًا يُريدُكم فخُذوا حِذرَكُم[1].

السُّدِّيُّ: كانوا يسمعون الشَّيءَ من النَّبيِّ عليه السَّلامُ فيُفشونَه حتى يبلغَ المُشركينَ[2].

المُغيرةُ بنُ شُعبةَ رضي الله عنه: نزلَتْ هذه الآيةُ في قتلِ عثمانَ بنِ عفَّانَ رضيَ الله عنه، حكاه الثَّعلبيُّ[3].

= في «تفسيره» (١١/ ١٢١)، وخبر الكلبي رواه عبد بن حميد كما في «الدر المنثور» (٤/ ٤٨).
وذكره مطولاً ابن إسحاق كما في «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٢٣٦ ـ ٢٣٨)، ورواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٤/ ١٥) من طريق ابن إسحاق عن أبيه عن معبد بن كعب بن مالك، ثم قال: هكذا قال ابن إسحاقَ بإسناده، وزعَم سعيدُ بنُ المسيَّب أنَّ ارتباطَه بساريَة التَّوبة كان بعد تَخَلُّفِه عن غزوةِ تبوكَ، حين أَعْرَض عنه رسولُ اللهِ ﷺ، وهو عليه عاتبٌ بما فَعَل يومَ قُريظَةَ، ثُم تَخَلَّف عن غزوة تبوكَ فيمَن تَخَلَّف، واللهُ أعلمُ. وفي روايةِ عليِّ بن أبي طلحةَ، وعَطِيَّةَ بنِ سعدٍ، عن ابن عباسٍ في ارتباطه حين تَخَلَّف عن غزوة تبوكَ ما يؤكِّد قولَ ابن المسيِّب. اهـ. وروايتا علي بن أبي طلحة وعطية عن ابن عباس رواهما الطبري في «تفسيره» (١١/ ٦٥١ ـ ٦٥٢). وأبو لبابة مختلف في اسمه، فقيل: مروان، كما ذكر المؤلف، وقيل: بشير، وقيل غير ذلك. انظر ترجمته في «الإصابة» في الكنى و«الاستيعاب» (٤/ ١٧٤٠). وانظر ما سيأتي في قصة تبوك والمخلفين في سورة التوبة.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٢١) عن عطاء بن أبي رباح عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما. قال ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٣٦): «هذا حديث غريب جدًّا، وفي سنده وسياقه نظر. وفي «الصحيحين» قصة حاطب بن أبي بلتعة أنه كتب إلى قريش يعلمهم بقصد رسول الله ﷺ إياهم عام الفتح، فأطلع الله رسوله على ذلك، فبعث في إثر الكتاب فاسترجعه واستحضر حاطباً فأقر بما صنع..». والحديث رواه البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤) عن عليٍّ رضي الله عنه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٢٣).

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٣/ ٧٤)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٢٢). وهذا الخبر ـ إن =

والمعنى: ﴿لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ فتُضمِروا له خلافَ ما تُظهِرون.

وقيل: ﴿لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ﴾ بتركِ فرائضِه، ﴿وَٱلرَّسُولَ﴾ بتركِ سُنَّته.

﴿وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ﴾ قيل: هي الغنائمُ، وهو الغُلُولُ.

وقيل: لا تخونوا أماناتِكُم فيما بينكُم ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

وقيل: لا تخونُوا اللهَ والرَّسولَ، فتكونُوا قد خُنتُم أماناتِكُم.

وقيل: أماناتُكم: فرائضُ الله ودينُه.

ابنُ عيسى: الخيانةُ: منعُ الحقِّ الذي ضُمِنَ فيه التَّأديةُ.

وقيل: الخيانةُ: انتِقاصُ الحقِّ في خُفيةٍ، وأصلُها: النُّقصانُ، يُقالُ: خانَه واختانَه وتخوَّنَه: إذا انتَقَصَه.

وقيل: أصلُه: القَطعُ.

﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ حالٌ؛ أي: عن تعمُّدٍ وقصدٍ.

وقيل: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ما في الخيانةِ منَ الإثمِ.

ويجوزُ في ﴿وَتَخُونُوٓاْ﴾ النَّصبُ والجزمُ[1].

***

= صح ـ فليس مراد المغيرة نزولها بهذا السبب، وإنما المراد كما قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٢/ ٥١٧): أنه يُتمثل بالآية في قتل عثمان رحمه الله، فقد كانت خيانة لله وللرسول والأمانات.

(١) النصب على اعتبار الواو واو المعية، والجزم على اعتبارها عاطفة. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٩٥).

(٢٨) ـ ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾.

﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾: ابتلاءٌ وامتحانٌ، فلا يحملنَّكم حبُّها على الخيانةِ مثلَ أبي لُبابةَ.

وقيل: بأن تأخُذوا المالَ من غيرِ حِلِّه، أو تقعُدوا عن جهادٍ وطاعةٍ لمكانِهما، بل قوموا بالحقِّ فيهما يصيرا نعمةً خالصةً.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ لمَن آثرَ رِضا الله فيهما.

***

(٢٩) ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾: حُجَّةً وسُلطانًا؛ بإعزازِ دينِ الله وأهلِه، وخُذلانِ الشِّركِ وحِزبِه.

وقيل: مخرجًا ممَّا تحذَرون. وقيل: نجاةً. وقيل: فصلًا تُفرِّقون به بينَ الحقِّ والباطلِ.

﴿وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾: يسترُها بالعفوِ عنها ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ ذنوبَكم بفضلِه، ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ على عبادِه، والتَّكرارُ للتَّأكيدِ؛ لاختلافِ اللَّفظَينِ.

وقيل: السَّيِّئاتُ: الصَّغائرُ، والذُّنوبُ: الكبائرُ.

ويحتمِلُ أنَّ السَّيِّئاتِ: التي مضَتْ، والذُّنوبَ: التي تقعُ؛ لأنَّها في أهلِ بدرٍ، والله قد غفرَها لهم(١).

---

(١) ولا تكرار على هذا الاحتمال الذي أورده المصنف، ولا على القول الذي قبله. ويرى علماء البلاغة أن التكرار يجوز لتأكيد المعنى، ويحسن إن كان باختلاف اللفظين؛ لأن هذا الاختلاف يجيز إضافة الشيء إلى نفسه. انظر: «تفسير الماتريدي» (٣/ ٤٣٠)، و«الصحاح» مادة: (ج م ع) (٣/ ١١٩٩).

(٣٠) ـ ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾.

﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ في سببِ النُّزول: أنَّ رُؤَساءَ قريشٍ اجتمَعُوا في دارِ النَّدوةِ ليتشاوروا في أمرِ محمَّدٍ عليه السَّلامُ، وأغلقوا البابَ كي لا يدخُلَ عليهم أحدٌ من بني هاشمٍ، فدخل إبليسُ في صورةِ شيخٍ عليه ثيابٌ أطْمارٌ[1]، وجلسَ معهم فقالوا: من أنتَ؟ قال: شيخٌ من نجدٍ، سمعتُ باجتماعِكم فأردْتُ أن أحضُرَكم، ولن تَعْدَمُوا منِّي رأيًا ونُصْحًا، فقالوا: هذا رجلٌ من نجدٍ، لا بأسَ عليكم منه.

فتكلَّموا فيما بينَهم، فقال بعضُهم: الرَّأيُ أن تأخذوه وتجعلوه في بيتٍ، وتسدُّوا بابَه، وتدَعوا له كوَّةً لطعامِه وشرابِه حتى يموتَ، فقال الشَّيخُ النَّجديُّ: بئسَ الرَّأيُ رأيتُموه، تعمدونَ إلى رجلٍ له فيكم آصرةٌ وأهلُ بيتٍ، وقد سمعَ به مَن حولَكم فتحبِسُونَه، يوشكُ أهلُ بيتِه أن يُقاتلوكم ويُفسِدوا جماعتكم، قالوا: صدَقَ والله الشَّيخُ.

وقال بعضُهم: الرَّأيُ أن تحملوه على بعيرٍ، ثمَّ تُخرجوه من أرضِكم حتَّى يموتَ أو يذهبَ حيثُ يشاءُ، فقال إبليسُ: بئسَ الرَّأيُ رأيتُموه، تعمدونَ إلى رجلٍ قد أفسدَ جماعتَكم ومعه منكم طائفةٌ، فتُخرِجُونَه إلى غيرِكم، فيأتيهم فيُفسِدُ منهم أيضًا جماعةً، فيُقبِلُ عليكم فيكونُ فيه هلاكُكُم، قالوا: صدَقَ والله الشَّيخُ.

فقال أبو جهلٍ: الرَّأيُ أن يجتمعَ عليه فتيانٌ من قريشٍ، فيضربوه ضربةَ رجلٍ واحدٍ، فلا يقدرُ بنو هاشمٍ أن يطلُبوا ثأرَه[2] من جميعِ قريشٍ، فيرضَوا بالعقلِ، فقال الشَّيخُ: صدَقَ والله الشَّابُّ. فتفرَّقوا على ذلك.

---

(١) أي: ثياب بالية خلقة. انظر: «المخصص» لابن سيده (١/ ٣٩٨).

(٢) في (ن): «ثأرهم».

فأتى النَّبيَّ عليه السَّلامُ جبريلُ عليه السَّلامُ وأخبرَه الخبرَ وأمرَه بالهجرةِ، فبيَّتَ النَّبيُّ عليه السَّلامُ عليًّا كرَّمَ الله وجهَه على مضجعِه، فخرجَ هو وأبو بكرٍ إلى الغارِ، ونزلَ: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ الآية[١].

المكرُ: إيصالُ المكروهِ في خُفيةٍ.

﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾ في الوَثاقِ، وقيل: في الحبسِ. المُبرِّدُ: هو الإثخانُ بالجراحاتِ، تقولُ: ضربَه حتَّى أثبتَه؛ أي: جرَحَه جراحةً مُتلِفةً[٢].

﴿أَوْ يَقْتُلُوكَ﴾ بسيوفِهم ﴿أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ من مكَّةَ.

﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ﴾: ويرُدُّ مكرَهُم عليهم، فسمَّى ردَّ المكرِ: مكرًا.

وقيل: معنى مكرَ الله: جازاهُم على مكرِهم، وقد سبقَ.

وقيل: مَكْرُه: أنْ أخرَجَهم إلى بدرٍ فقُتِلوا.

﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ﴾: المُجازِينَ على المكرِ.

* * *

---

(١) ذكره بتمامه الثعلبي في «تفسيره» (١٣/ ٧٧) عن ابن عباس وغيره من المفسرين، ورواه ابن إسحاق ـ كما في «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٤٨٠) وما بعدها ـ فقال: فحدثني مَن لا أتهم من أصحابنا، عن عبد الله بن أبي نجيح، عن مجاهد بن جبر وغيره ممن لا أتهم، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، فذكره.

ورواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٣٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٨٨)، من طريق ابن إسحاق، عن عبد الله بن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنهما، دون قوله: « فبيَّتَ النَّبيُّ عليه السَّلامُ عليًّا كرَّمَ الله وجهَه على مضجعِه».

(٢) ذكر أبو حيان نحو هذا عطاء والسدّيّ. انظر: «البحر المحيط» (٥/ ٣٠٩).

(٣١) ـ ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾.

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا ﴾: القرآنُ ﴿قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا ﴾ في سببِ النُّزولِ: أنَّ قائلَ هذا الكلامِ النَّضرُ بنُ الحارثِ(١).

وقيل: إنَّما قالها الذين ائتَمَروا في أمرِ محمَّدٍ عليه السَّلامُ.

﴿لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾: ما سطَّرَه الأوَّلون وكتَبُوه، باهَتُوا بهذا الكلامِ؛ فإنَّهم قد دُعوا مرَّةً بعد أُخرى إلى الإتيانِ بسورةٍ مثلِه فعجَزُوا.

* * *

(٣٢) ـ ﴿ وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾.

﴿ وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ ﴾ هذه الآيةُ مُتَّصلةٌ بالأولى(٢)، وهي من كلامِ النَّضرِ.

ورُوِيَ أنَّ النَّضرَ لمَّا قال: إنْ هذا إلَّا أساطيرُ الأوَّلين، قال له النَّبيُّ عليه السَّلامُ: «ويلَكَ، إنَّ هذا كلامُ الله وتنزيلُه»، فرفعَ النَّضرُ رأسَه إلى السَّماءِ وقال: إنْ كانَ هذا هو الحقَّ من عندِكَ...(٣).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٤٢) عن ابن جريج والسدي وسعيد بن جبير، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٨٩) عن السدي وسعيد بن جبير.

(٢) في (و): «بالأخرى».

(٣) وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٣٩)، وعدَّه من العجائب.

وعن عطاءٍ قال: نزلَتْ في النَّضرِ بضعَ عشرةَ آيةً[١].

وعن أنسٍ رضي الله عنه: أنَّ قائلَه أبو جهلٍ[٢].

﴿إِن كَانَ هَٰذَا﴾؛ أي: القرآنُ ﴿هُوَ ٱلْحَقَّ﴾: ﴿هُوَ﴾ فَصْلٌ وعمادٌ، و﴿ٱلْحَقَّ﴾ خبرُ ﴿كَانَ﴾.

﴿مِنْ عِندِكَ﴾: وحيَكَ.

﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾؛ أي: منَ السَّماءِ لا منَ الهواءِ؛ استهزاءً منه، ﴿أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ سوى الحجارةِ.

* * *

(٣٣) - ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾.

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾؛ أي: استعجَلُوا العذابَ ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾؛ أي: لا يفعَلُ، وليس من شأنِه وأنتَ يا محمَّدُ فيهم وبينَ أظهُرِهم ومعهم؛ لأنَّك بُعِثْتَ رحمةً للعالمين، ولم يُعذَّبْ قومٌ ونبيُّهم بينَ ظَهرانيهم.

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ قال بعضُ المُفسِّرين: وفيهم مَن يستغفِرُ؛ يُريدُ: مَن بمكَّةَ منَ المؤمنين.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٤٥)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٣/ ٨٥)، والماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٣١٣).

(٢) رواه البخاري (٤٦٤٨)، ومسلم (٢٧٩٦)، ولفظ البخاري: «عن أنس بن مالك رضي الله عنه: قال أبو جهل: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم، فنزلت: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝٣٣ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ الآية».

وقيل: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ﴾ يعني: المُؤمنين، فلمَّا هاجرَ أولئكَ منها قالَ الله: ﴿وَمَا لَهُمۡ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ﴾ يعني: الكفَّارَ.

وعن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: هو استغفارُ الكفَّارِ؛ لأنَّهم كانوا يطوفونَ بالبيتِ ويقولون: لبَّيكَ اللَّهمَّ لبَّيكَ، لبَّيكَ لا شريكَ لك إلّا شريكٌ هو لك، تملكُه وما ملَك، قال: وكانوا يقولون: غُفرانَكَ اللَّهمَّ غُفرانَكَ[١].

وعن بعضِهم[٢]: كان لهم أمانانِ: النَّبيُّ عليه السَّلامُ، والاستغفارُ، فهاجَرَ رسولُ الله عليه السَّلامُ وبقيَ لهم الاستغفارُ[٣].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٥٠) من طريق عكرمة عن أبي زميل عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) بعدها في (و): «يعني ابن مسعود».

(٣) قطعة من خبر ابن عباس السابق، لكنه في «تفسير الطبري» بلفظ: «فذهب النبيُّ».

وروى الإمام أحمد في «المسند» (١٩٥٠٦)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ١٥٠)، والحاكم في «المستدرك» (١٩٨٩) عن أبي موسى رضي الله عنه: «أمانان كانا على عهد رسول الله ﷺ، رفع أحدهما، وبقي الآخر: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾.

وروى نحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٩٢) من قول ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما.

وروى نحوه الحاكم في «المستدرك» (١٩٨٨) من قول أبي هريرة رضي الله عنه.

ورواه الترمذي (٣٠٨٢) عن أبي موسى رضي الله عنه مرفوعاً بلفظ: «أنزل الله عَلَيَّ أمانين لِأُمتي ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾ إذا مَضَيْتُ تركتُ فيهم الاستغفارَ إلى يوم القيامة». قال: «هذا حديث غريب، وإسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر يضعف في الحديث».

وظاهر هذه الأخبار يخالف ما ذكره المؤلف: «فهاجَرَ رسولُ الله عليه السَّلامُ...»؛ لأن هذه الأخبار تدل على أن زوال الأمان المتعلق بالنبي ﷺ حاصل بموته لا بهجرته، وأن الأمة هي أمة الإسلام إلى قيام الساعة لا كفار قريش، كما يشير إلى ذلك ما ذكرناه من المرفوع، وكذا ما جاء في لفظ الموقوف عند الطبري: «إنه كان فيكم أمانان؛ قوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾ قال: أما النبي فقد مضى، وأما الاستغفار فهو دائر فيكم إلى يوم القيامة».

وقيل: ﴿وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾: سيُولَدُ منهم أولادٌ مُؤمنون[١].

وقال محمَّدُ بنُ إسحاقَ بنِ يسارٍ: هذه حكايةٌ عن المُشركين، كانوا يقولون: واللهِ إنَّ اللهَ لا يُعذِّبُنا ونحنُ نستغفرُ، ولا يُعذِّبُ أمَّةً ونبيُّها معها، حكاه الثَّعلبيُّ[٢]، وفيه بُعدٌ[٣].

***

(٣٤) - ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ﴾ وقد خرجَ محمَّدٌ عليه السَّلامُ من بينِ أظهُرِهم.

وقيل: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ﴾ في الآخرةِ. وقيل: يومَ بدرٍ.

ويحتملُ ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ﴾ وقد استحقُّوه، ولولا كونُكَ وكونُ مَن يستغفِرُ فيهم لعجَّلَ لهم[٤] العذابَ. والعذابُ: تجديدُ الآلامِ حالًا بعد حالٍ، وأصلُه الاستمرارُ.

﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾: يمنَعون المسلمين عنه ﴿وَمَا كَانُوا﴾ يعني: المشركين ﴿أَوْلِيَاءَهُ﴾: أولياءَ المسجدِ، وقيل: أولياءَ الله ﴿إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ﴾ الله[٥] ﴿إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنَّ ولايتَه للمُتَّقين.

***

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٣٩)، واستغربه.

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٣/ ٨٦)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٥١).

(٣) وكذا استغربه المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٣٩).

(٤) في (و): «عليهم».

(٥) اسم الجلالة: «الله» ليس في (و).

(٣٥) ـ ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾ في سببِ النُّزولِ: عن ابنِ عمرَ رضي الله عنهما قال: كانوا يطوفُونَ بالبيتِ فيُصفِّقون ـ ووَصفَ الصَّفْقَ بيدِه ـ ويُصفِّرونَ ـ ووَصفَ صفيرَهم ـ ويضَعُونَ خُدودَهم بالأرضِ، فنزلَتْ: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ﴾[1]؛ أي: الذي يُسمُّونَه صلاةً ﴿إِلَّا مُكَآءً﴾: هو تصويتٌ يُشبِهُ صوتَ المُكَّاءِ، وهو طائرٌ معروفٌ، تقولُ: مَكا يمكُو، قال:

تَمكُو فَريصَتُه كشِدْقِ الأعلَمِ[2]

وقيل: هو أن يجعلَ بعضَ أصابعِ اليمينِ وبعضَ أصابعِ الشِّمالِ في الفمِ، ثمَّ يُصفِّرَ فيه.

وقيل: المُكاءُ: الصَّفيرُ.

والتَّصديةُ: التَّصفيقُ، وهو ضربُ إحدى اليدَين على الأخرى، واشتقاقُه منَ

---

(١) رواه الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٣٦)، وبنحوه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٦٣)، وفي إسناده عطية العوفي، وهو ضعيف.

(٢) عجز بيت لعنترة في معلقته، وصدره:

وحَليلِ غانيةٍ تركتُ مُجَدَّلاً

انظر: «جمهرة أشعار العرب» (ص: ٣٦٣)، و«تفسير الطبري» (١١/ ١٦١)، و«شرح القصائد السبع الجاهليات» لأبي بكر الأنباري (ص: ٣٤٠)، و«شرح المعلقات» للزوزني (ص: ٢٥٦).

ومعنى تمكو: تصوِّت، والفريصة: لحمة في مرجع الكتف ترتعد عند الفزع، والأعلم المشقوق الشفة العليا.

(الصَّدى)، وهو أن تسمعَ مثلَ صياحِكَ في أماكنَ تمنعُ الصَّوتَ منَ النُّفوذ، وكانوا يُعارِضُونَ به القرآنَ.

يُقوِّيه قولُ سعيدِ بنِ جُبيرٍ في التَّصديةِ: إنَّها صلاتُهم عند المسجدِ الحرامِ[١].

وقيل: مُكاؤُهم: أذانُهم، وتصديتُهم: إقامتُهم، حكاه الثَّعلبيُّ[٢].

الحسنُ: إذا أرادَ النَّبيُّ عليه السَّلامُ الصَّلاةَ خلَّطوا عليه، وأرَوْا أنَّهم يُصلُّونَ لله عبادةً[٣].

ابنُ بحرٍ: أي: إنَّ صلاتَهم ودُعاءَهم غيرُ رادِّين عليهم ثوابًا إلَّا كما يُجيبُ الصَّدى الصَّائحَ[٤].

وقيل: أصلُ المُكاءِ مِن (مَكَّ)، وأصلُ التَّصديةِ مِن (صَدَّ): إذا صاحَ، أو منعَ، قُلِبَ اللَّامُ ياءً، وهذا شائعٌ[٥] عند اجتماعِ ثلاثِ مُتماثلاتٍ[٦].

---

(١) كذا في النسخ الخطية، وقوله: «صلاتهم عن» تصحيف، وصوابه «صدَّهم عن»، فقد روى الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٦٧) عن سعيد بن جبير: «﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾: صدهم عن بيت الله الحرام»، وقد استشهد النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ١٥٣) بقول سعيد هذا في أن القصدية مشتقة من (صدَّ).

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٣/ ٩٣)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٤٠) دون نسبة، واستغربه.

(٣) روى الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٦٤) عن سعيد قال: «كانت قريش يعارضون النبي ﷺ في الطواف يستهزئون به، يصفرون به ويصفقون، فنزلت: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾».

(٤) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٥/ ٣٥١)، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٤٠) دون نسبة، وعدَّه من العجائب.

(٥) في (ن): «سائغ».

(٦) نسب القول بأن التصدية مشتقة من (صدَّ) لأبي عبيدة، ولم أقف عليه في «مجاز القرآن»، وأما قلب المضعف ياء فقد ذكر سيبويه أنه ليس بمطرد، وذكر الجوهري أنهم يستثقلون ثلاثة أمثال. انظر: =

﴿فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ﴾؛ أي: يومَ بدرٍ، وقيل: في الآخرةِ ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾.

***

(٣٦) ـ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ في سببِ النُّزولِ: قال مقاتلٌ والكلبيُّ: نزلَتْ في المُطعِمين يومَ بدرٍ، وكانوا اثني عشرَ رجلًا، وكلُّهم من قُريشٍ، وكان يُطعِمُ كلُّ واحدٍ منهم كلَّ يومٍ عشرَ جُزُرٍ[١].

سعيدُ بنُ جُبيرٍ: نزلَتْ في أبي سُفيانَ، استأجرَ يوم أُحدٍ ألفَين من الأحابيشِ يُقاتلُ بهم النَّبيَّ عليه السَّلامُ سوى مَن استجاشَ منَ العربِ، وفيهم يقولُ كعبُ بنُ مالكٍ:

فَجِئْنا إلى مَوْجٍ مِنَ البَحْرِ وَسْطَهُ ... أَحَابِيشُ مِنْهُمْ حاسِرٌ وَمُقَنَّعُ
ثَلاثَةُ آلافٍ ونحنُ نَصِيَّةٌ[٢] ... ثلاثُ مِئِينٍ إنْ كَثُرْنا فَأَرْبَعُ[٣]

= «الكتاب» (٢/ ٤٢٤)، و«مجاز القرآن» (١/ ٢٤٦) و«الكنز اللغوي» (ص: ٥٩) و«الخصائص» لابن جني (٢/ ٢٣٣ ـ ٢٣٥) و«الصحاح» مادة (ق ض ض) (٣/ ١١٠٢).

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٣/ ٩٦)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٣٦)، وانظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ١١٤).

(٢) النصية: خيار القوم. انظر: «الإملاء المختصر في شرح غريب السير» لأبي ذر الهروي (ص: ٤٤٧). ووقع في النسخ: «بقية»، وقد وضع مثله في «البحر المحيط» لأبي حيان (٥/ ٣١٦)، والمثبت من مصادر التخريج.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٧٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٩٨)، وانظر الأبيات في «طبقات فحول الشعر» لابن سلام (١/ ٢٢٠)، وقد نسب ابن فارس البيت الأول لابن رواحة في «مقاييس اللغة» (٢/ ١٢٩).

وأنفقَ على المُشركين أبو سُفيانَ يومَ أُحدٍ أربعين أوقيَّةً، فنزلَتْ هذه الآيةُ[١].

وقال محمَّدُ بنُ إسحاقَ: لمَّا أُصِيبَ قُريشٌ يومَ بدرٍ فرجعَ كلُّهم إلى مكَّةَ، ورجعَ أبو سُفيانَ بِعِيرِه إليها، وجمعَ مَن بقيَ من الأكابرِ وقال[٢]: إنَّ محمَّدًا قد وَتَرَكُم وقتَلَ أشرافَكُم، فأعينُونا بهذا المالِ لعلَّنا نُدرِكُ منه ثأرًا بمَن أُصيبَ بنا، ففعلوا، فأنزَلَ الله تعالى فيهم هذه الآيةَ[٣].

قولُه: ﴿لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: دينِ الله والإسلامِ.

﴿فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ﴾: الأموالُ، وقيلَ: إنفاقُها؛ أي: وما يُنفِقونَه الآن ويُنفقونَ بعدُ.

وقيل: سيُنفِقُونَها بتمامِها[٤].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٧١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٩٧)، عن الحكم بن عتيبة.

(٢) كذا في النسخ، وفي مصادر التخريج أن القائل هم من أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم ببدر.

(٣) انظر: «سيرة ابن إسحاق» (ص: ٣٢٢)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٧٣)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٣٥٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٩٨)، وسياق الطبري: «عن ابن إسحاق قال: ثنا محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري، ومحمد بن يحيى بن حبان، وعاصم بن عمر بن قتادة، والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ، قالوا: لما أصابت المسلمون يوم بدر من كفار قريش من أصحاب القليب ورجع فلهم إلى مكة، ورجع أبو سفيان بعيره، مشى عبد الله بن ربيعة وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية في رجال من قريش أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم ببدر، فكلموا أبا سفيان بن حرب ومن كان له في تلك العير من قريش تجارة، فقالوا: يا معشر قريش، إن محمدًا قد وتركم وقتل خياركم، فأعينونا بهذا المال على حربه لعلنا أن ندرك منه ثأرًا بمن أصيب منا، ففعلوا. قال: ففيهم كما ذكر عن ابن عبّاسٍ أنزل الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾».

(٤) في (و): «﴿فَسَيُنفِقُونَهَا﴾؛ أي: ما ينفقونه الآن وينفقون بعد. وقيل: سينفقونها بتمامها. ﴿ثُمَّ تَكُونُ﴾ الأموال، وقيل: نفقاتها»، والسياق في (ن) أشبه بطريقة المصنف، فقد فسَّر بناء على المعنى الأحج للآية، وهو أن المراد بالضمير العائد على الأموال بعضها، ثم ذكر القول الآخر، وهو أن =

﴿عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ﴾: غمًّا على ما فاتَهم، ﴿ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ﴾: يُقهَرون.

وفيه تقديمٌ وتأخيرٌ؛ لأنَّ الحسرةَ عليها بعد الغَلَبةِ، وهذا دليلٌ من دلائلِ النُّبوَّةِ؛ إذ أخبرَ عنِ الله تعالى قبلَ وقوعِه، فكانَ كما أخبرَ[1].

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ﴾؛ أي: يُساقُونَ إليها ويُجمَعون فيها.

***

(٣٧) ـ ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجۡعَلَ ٱلۡخَبِيثَ بَعۡضَهُۥ عَلَىٰ بَعۡضٖ فَيَرۡكُمَهُۥ جَمِيعٗا فَيَجۡعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾.

﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ﴾؛ أي: يُغلَبون ليميزَ الله ﴿ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾: الكافرَ منَ المُؤمنِ.

وقيل: الكفرَ منَ الإيمانِ.

وقيل: الصَّلاحَ منَ الفسادِ.

وقيل: الطَّيِّبُ: إنفاقُ المُؤمنِ، والخبيثُ: إنفاقُ الكافرِ.

والخبيثُ: الرَّديءُ من كلِّ شيءٍ؛ كخَبَثِ الحديدِ والفضّةِ والذَّهبِ. والطَّيِّبُ: المُستلَذُّ من كلِّ شيءٍ.

﴿وَيَجۡعَلَ﴾ الله ﴿ٱلۡخَبِيثَ بَعۡضَهُۥ عَلَىٰ بَعۡضٖ فَيَرۡكُمَهُۥ جَمِيعٗا﴾: يجمعه ﴿فَيَجۡعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَ﴾ كلَّه؛ يعني: الكافرَ وما أنفقَه.

وفي الآثارِ: يُؤتَى بالدُّنيا يومَ القيامةِ قَضِّها بقضيضِها، فيُميَّزُ ما كان منها لله، ويُطرَحُ الباقي في النّارِ[2].

= المراد بالأموال تمامها، كما يدلّ عليه ظاهر اللفظ عند من لا يعرف طرائق العرب في التعبير. انظر «الرسالة» للإمام الشافعي (ص ٥٨٠).

(١) يُلاحظ اهتمام المصنف ـ رحمه الله ـ بهذا الجانب من دلائل النبوة، وقد تقدمت أمثلة على هذا أولها في سورة (البقرة)، وستأتي أمثلة أخرى آخرها في سورة (الكافرون).

(٢) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٥٤٤)، وهناد بن السري في «الزهد» (٢/ ٤٣٦)، والثعلبي في «تفسيره» =

﴿أُولَٰٓئِكَ﴾؛ أي: المُنفِقون أموالَهم ﴿هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾: خسِرُوا أموالَهم وأنفُسَهم.

***

(٣٨) ـ ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾.

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ أبي سُفيانَ وأصحابِه: ﴿إِن يَنتَهُواْ﴾ عنِ الكُفرِ بالله ﴿يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ﴾ من ذُنوبِهم وإنْ عَظُمَتْ، ﴿وَإِن يَعُودُواْ﴾ إلى الكفرِ ﴿فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ بالإهلاكِ في الدُّنيا، والعذابِ في العُقبَى.

وقيل: ﴿وَإِن يَعُودُواْ﴾ إلى الحربِ ﴿فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ بالإهلاكِ يومَ بدرٍ.

وسُنَّةُ الله: ما يفعلُها دائمًا.

***

(٣٩) ـ ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾.

﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾: لا يبقى شِركٌ ولا مُشركٌ.

﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾: ولا يُعبَدَ غيرُ الله، وتكونَ أنتَ الحاكمَ على الأديانِ، ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾.

= (٢٠/ ٥٢٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٠٣٦)، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، ولفظ ابن المبارك: «يؤتى بالدنيا يوم القيامة فيميز ما كان لله عز وجل، ثم يرمى بسائر ذلك في النار».

ورواه ابن المبارك في «الزهد» (٥٤٥) من طريق آخر عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه مرفوعًا، ورواه ابن أبي الدنيا في «ذم الدنيا» (٦) عن عبادة رضي الله عنه شاكًّا في رفعه.

ورواه العقيلي في «الضعفاء» (٢/ ٣٢٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا، وضعفه بعبد الرحمن ابن ثابت بن ثوبان الشامي.

(٤٠) ـ ﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾.

﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ﴾: أعرَضُوا عن الإيمانِ، وقيل: أعرَضُوا عن الانتهاءِ.

﴿فَاعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ﴾: يلي نصرَكُم ومعُونَتكُم.

﴿نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾: لا يَضيعُ مَن تولَّاه، ﴿وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾: لا يُغلَبُ مَن نصرَه.

***

(٤١) ـ ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم﴾؛ أي: ما أصبْتُم وأخذتُم منَ الكفَّارِ قهرًا ﴿مِّن شَيْءٍ﴾: قليلٍ وكبيرٍ ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ أجمعَ المُفسِّرون على أنَّ ذِكْرَ الله هاهنا للتَّعظيمِ والتَّيمُّنِ، وأنَّ الغنيمةَ تُقسَمُ خمسةَ أقسامٍ؛ أربعةٌ للمُقاتِلة وخُمُسٌ لخمسةٍ، هم المذكورون في قولِه: ﴿وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾[1] إلا الرَّبيعَ وأبا العاليةِ الرِّياحيَّ فإنَّهما ذهبا إلى أنَّ الخُمُسَ الباقيَ يُقسَمُ ستَّةَ أقسامٍ: قسمٌ لله، يُصرَفُ إلى عمارةِ الكعبةِ وتزيينِها[2].

وقد قيل: اسمُ الرَّسولِ أيضًا للتيمُّنِ والتَّبرُّكِ، وأنَّها تُقسَمُ[3] على أربعةِ أقسامٍ[4].

---

(١) إلى هذا ذهب الإمام الشافعي. انظر: «الأم» (٤/ ١٤٦ و١٦٠)، و«معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٤١٤).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٨٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٧٠٣) عن الربيع عن أبي العالية، ولفظ الطبري: «كان رسول الله ﷺ يؤتى بالغنيمة، فيقسمها على خمسة تكون أربعة أخماس لمن شهدها، ثم يأخذ الخمس، فيضرب بيده فيه، فيأخذ منه الذي قبض كفه فيجعله للكعبة، وهو سهم الله، ثم يقسم ما بقي على خمسة أسهم، فيكون سهم للرسول، وسهم لذي القربى، وسهم لليتامى، وسهم للمساكين، وسهم لابن السبيل».

(٣) «على»: من (ن).

(٤) هذا مستفاد من قول ابن عباس رضي الله عنه «فما كان الله والرسول فهو لقرابة النبي ﷺ» رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٩٠).

وأكثرُهم على أنَّها اليومَ تُقسَمُ ثلاثةَ أقسامٍ: اليتامَى والمساكينُ وابنُ السَّبيلِ، وسقَطَ سهمُ الرَّسولِ صلَواتُ الله عليه بمَوتِه، وكذلك سهمُ ذي القُربى رفعةً لهم عنها، وفُقَراؤُهم وأيتامُهم وابنُ السَّبيلِ منهم فيها كغيرِهم[١].

وذهبَ بعضُهم إلى أنَّ سهمَ ذي القُربى باقٍ، وأنَّ سهمَ الرَّسولِ عليه السَّلامُ يُصرَفُ إلى العُدَّةِ منَ الكُراعِ والسِّلاحِ وغيرِ ذلك.

وقال بعضُهم: يصرِفُ الإمامُ إلى مَن شاءَ منَ المسلمين، وإنَّ ذكرَ هؤلاءِ للاختصاصِ؛ كذكرِ جبريلَ وميكائيلَ بعد الملائكةِ في قولِه: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ﴾ الآية [البقرة: ٩٨][٢].

وذهبَ المُبرِّدُ إلى أنَّ قولَ مَن قال: «اسمُ الله هاهنا للتَّعظيمِ»[٣] سهوٌ، ولم يأتِ في بيانِ كلامِه بما فيه مَقْنَعٌ.

﴿وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾: قُربى النَّبيِّ عليه السَّلامُ، وهي مصدرُ (قَـرُبَ)، ووحَّدَ (ذو) لأنَّ الجمعَ في هذا كالواحِدِ.

قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: هم بنو هاشمٍ[٤].

---

(١) وهذا مذهب أبي حنيفة وأصحاب الرأي. انظر: «الإشراف» لابن المنذر (٤/ ٨٠).

(٢) وهذا مذهب مالك. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٤١٥).

(٣) وعبارتهم في ذلك أنهم قالوا: ﴿لله﴾ مفتاح كلام كل شيء، انظر: «الأم» (٤/ ١٦٠)، و«تفسير الطبري» (١١/ ١٨٨).

(٤) روى الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٩٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٧٠٤) عن سعيد المقبري، قال: كتب نجدة إلى ابن عبَّاسٍ يسأله عن ذي القربى، قال: فكتب إليه ابن عبَّاسٍ: «قد كنا نقول: إنَّا هم، فأبى ذلك علينا قومنا، وقالوا: قريش كلها ذوو قربى».
وجاء بأصرح من هذا في عدة روايات؛ فقد روى ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٣٤٥٢) عن عطاء بن السائب: «أن عمر بن عبد العزيز لما قام بعث بهذين السهمين: سهم رسول الله ﷺ، وسهم ذوي القربى»، يعني: لبني هاشم.
وروى الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٩٣) عن مجاهد قال: «قد علم الله أن في بني هاشم الفقراء، =

جُبَيرُ بنُ مُطعمٍ: بنو هاشمٍ وبنو المُطَّلبِ[١].

ولم يختلفوا في بني أُميَّةَ وبني نَوفلٍ.

واختلَفَ النَّحويُّون في قولِه: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم... فَأَنَّ﴾:

فذهبَ الفرَّاءُ إلى أنَّ (ما) للشَّرْطِ والفاءَ للجزاءِ[٢]. وهذا باطلٌ عند البصريِّين؛ لأنَّ (أنَّ) لا يدخُلُ (ما) الشَّرط.

وذهبَ الجمهورُ إلى أنَّ ﴿أَنَّمَا﴾ مفعولُ ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ﴾، والخبرُ محذوفٌ، والفاءُ للعطفِ، وهذا فيه كلامٌ[٣].

والوجهُ أن تكونَ (ما) هي الموصولةَ، و﴿غَنِمۡتُم﴾ صلتُه، والعائدُ محذوفٌ، والفاءُ داخلٌ في خبرِه، و(أنَّ لله خُـمُسَه) مع ما بعدَه خبرُه، والتَّقديرُ: فالأمرُ أنَّ لله خُـمُسَه، ومثلُه: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ﴾ [التوبة: ٦٣]، وكذلك: ﴿كُتِبَ عَلَيۡهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ﴾ [الحج: ٤].

وقال ابنُ عيسى: تقديرُه: فعلى أنَّ لله خُـمُسَه، فحُذِفَ الجارُّ[٤].

قولُه: ﴿إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ﴾ قيل: هو مُتعلِّقٌ بقولِه: ﴿فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ﴾.

وقيل: إنْ كنتُم آمنتُم بالله فاقبَلُوا ما أُمِرتُم به في الغنائمِ.

= فجعل لهم الخمس مكان الصدقة».

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٣٤٤٨)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ١٩٥).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٤١١)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٤١)، وعدَّه من العجائب.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٤١) دون نسبة، وعدَّه من العجائب، وقال: «لأن الخبر لا يحذف إلا بدليل»، وهذا الذي نسبه للجمهور لم أجد من قال به غيره.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٤٠) دون نسبة، واستغربه.

﴿وَمَآ أَنزَلْنَا﴾ النَّصرِ والإمدادِ منَ الملائكةِ.

وقيل: الأمرِ بقسمةِ الغنائمِ على خمسةِ أسهُمٍ.

﴿عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾: محمَّدٍ عليه السَّلامُ ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾: يومَ بدرٍ، فرَّقَ فيه بينَ الحقِّ والباطلِ.

﴿يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾: المسلمون والكفَّارُ، ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

***

(٤٢) ـ ﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا﴾: بشفيرِ الوادي الأقربِ إلى المدينةِ، ﴿وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ﴾: بشفيرِ الوادي الأبعدِ منَ المدينةِ.

و(القُصوى): شاذٌّ خرجَ على أصلِه(١).

﴿وَٱلرَّكْبُ﴾؛ أي: العِيرُ ﴿أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾؛ أي: مكانًا أسفَلَ من مكانِكُم؛

---

(١) أي: القياس هو قلب الواو ياءً كالعُليا، لكن (القُصوى) جاء على الأصل، كالقَوَد في مجيئه على الأصل، وقياسه أن تُقلب واوه ألفاً كأشباهه، فتركوه على ما كان، وقد جاء: (القُصْيا) إلَّا أن استعمال (القُصوى) أكثر؛ كما كثُرَ استعمالُ (استصوبَ) مع مجيء (استصابَ)، و(أَغْيَلَتْ) ـ أي: أرضعت ولدها وهي حامل ـ مع (أغالَتْ).

ونَصُّوا على أن (القُصْوى) شاذة وإن كانت لغة الحجاز، وأن (القُصْيا) قياسٌ، وهي لغة تميم. انظر: «الكتاب» (٤/ ٣٨٩)، و«شرحه» للسيرافي (٥/ ١٢٣ و٣٠٥)، و«الكشاف» مع شرحه «فتوح الغيب» (٧/ ١١٠)، و«البحر المحيط» (٥/ ٣٢٢)، و«الدر المصون» (٥/ ٦١١).

لأنَّكم على نَشَزٍ[1] من الأرضِ. وقيل: أقربَ إلى ساحلِ البحرِ.

﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ﴾: أنتم والمُشركون في[2] القتالِ، ﴿لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ﴾؛ أي: كانوا لا يصدُقونَ في مُواعدَتِكم؛ طلبًا لغِرَّتِكم والحيلةِ عليكم.

وقيل: لو تواعَدْتُم ثمَّ بلغَكُم كثرةُ عدوِّكُم، لنقضْتُم الميعادَ.

وقيل: لو تواعَدْتُم من غيرِ قضاءِ الله أمرَ الحربِ، لاختلفتُم في الميعادِ.

﴿وَلَكِن﴾ جمعَ بينكم ﴿لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا﴾: نصْرَ المُؤمنينَ وكسْرَ الكافرين ﴿كَانَ مَفْعُولًا﴾: كائنًا.

وسمَّاه ﴿مَفْعُولًا﴾ من حيثُ تحقُّقُ كونِه. وقيل: هو إشارةٌ إلى قولِه: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾ [التوبة: ٤٠].

والمعنى: جمعَ اللهُ بينكم من غيرِ إرادةٍ ولا قصدٍ منكُم.

﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ﴾ قيل: هذا اللَّامُ بدلٌ من قولِه: ﴿لِّيَقْضِيَ اللَّهُ﴾، وقيل: هو للعطفِ، والواوُ مُختزلٌ[3]، ويحتمِلُ أن يكونَ مُتَّصلًا بقولِه: ﴿مَفْعُولًا﴾، والتَّقديرُ: فعَلَ ليَهْلكَ.

والمعنى: أنَّ وقعةَ بدرٍ بيِّنةٌ واضحةٌ ومُعجزةٌ ظاهرةٌ، فمَن ضلَّ بعدَها فإنَّما يضِلُّ بعد أن تبيَّنَ له الأمرُ، ومَن اهتَدَى بعدها فإنَّما يهتَدي عن بيِّنةٍ.

وقيل: ليمُوتَ مَن يموتُ كافرًا عن حُجَّةٍ قائمةٍ عليه، ويعيشَ مَن يعيشُ عن بيِّنةٍ ثبتَتْ عندَه.

وقيل: ليهلكَ ببدرٍ من هلَكَ بعد أن رأى الآياتِ، ويحيى مَن حيَّ كذلك.

---

(١) أي: مرتفع. انظر: «لسان العرب» مادة (ن ش ز) (٥/ ٤١٧).

(٢) «في»: ليست في (ن).

(٣) أي: مضمر، فالتقدير: ليقضي الله وليهلك من هلك. ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٤١)، واستغربه.

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ﴾ لكلامهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بأفعالِـهم.

قلتُ: لـم أرَ فيما سمعتُ وطالعتُ منَ التَّفاسيرِ مع جموعِها مَن تكلَّمَ على لفظَي: ﴿يهلك﴾ و﴿هَلَكَ﴾، وكذلك في مُغايرةِ لفظَي ﴿وَيَحْيَىٰ﴾ و﴿حَيَّ﴾، وذلك يحتمِلُ ثلاثةَ أوجُهٍ:

أحدُها: أنَّ تقديرَه: ليَهلكَ مَن حَكَمَ الله بهلاكِه، ويحيا مَن حكَمَ الله بحياتِه.

والثّاني: ليحكُمَ بهلاكِ مَن هلكَ، ويحكُمَ بحياةِ مَن حيَّ.

والثّالث: وقعَ الماضي موقعَ[1] المستقبلِ، وفيه بعدٌ؛ لأنَّ الشَّيءَ لا يقومُ مَقامَ غيرِه إلَّا بدليلٍ[2].

***

(٤٣) ـ ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾.

﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾ الحسنُ في جماعةٍ: عينِكَ[3]؛ لأنَّه مَفْعَلٌ، وهو للمصدرِ والزَّمانِ والمكانِ.

---

(١) في (و): «موضع».

(٢) ذكر المصنف الأوجه الثلاثة في «غرائب التفسير» (١/ ٤٤٢)، ونسب الأخير لابن السراج.

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٧٠٩) بلفظ: «بعينك»، وفي سنده سهل السراج، وهو سهل بن أبي الصلت العيشي البصري، قال الحافظ ابن حجر في «التقريب»: «صدوق له أفراد، كان القطان لا يرضاه».

وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٤٢)، واستغربه، وقال ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٦٩): «هذا القول غريب».

وقال الزمخشري في «الكشاف» (٢/ ٢٢٥): «وهذا تفسيرٌ فيه تعسُّفٌ، وما أحسبُ الرِّوايةَ صحيحةً فيه عن الحسن، وما يُلائم علمَه بكلام العرب وفصاحتَه».

وقال الطبري في «تفسيره» (١١/ ٢٠٩): وقد زعم بعضهم أن معنى قوله: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى =

غيرُه: في رُؤياكَ؛ لأنَّ النَّبيَّ عليه السَّلامُ رآهُم في نومِه في قلَّةٍ وذلَّةٍ، فأوَّلَها أنَّهم يُغلَبون، وبشَّرَ المُؤمنين فسكَنُوا إليه، وعلِمُوا أنَّ رُؤيا الأنبياءِ حقٌّ.

﴿وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا﴾ أي: على صورةٍ عرَفْتَ أنَّ الغلبةَ لهم، ثمَّ أخبرتَهم به، ﴿لَّفَشِلْتُمْ﴾: جَبُنْتُم ﴿وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾: أمرِ القتالِ والفرارِ.

وهذا أظهرُ؛ لأنَّ (المنامَ) موضعُ النَّائمِ لا موضعُ[1] النَّومِ[2].

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ﴾ أي: سلَّمَكُم منَ الفشلِ والتَّنازعِ، وقيل: سلَّمَ لكم أمرَهُم حتَّى غلبْتُم أعداءَكم، وقيل: ولكنَّ الله سلَّمَكُم عن العدوِّ.

﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: بخفيَّاتِ القلوبِ.

***

(٤٤) ـ ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾.

﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا﴾ قلَّلَ الله الأعداءَ في أعيُنِ المؤمنين ساعةَ اللِّقاءِ، حتَّى رُوِيَ أنَّ ابنَ مسعودٍ رضي الله عنه قال: لقد قُلِّلوا في أعيُنِنا يومَ بدرٍ حتَّى قلتُ لرجلٍ إلى جَنْبي: تُراهُم سبعين؟ قال: أُراهُم مئةً، فأسَرْنا رجُلًا، فقلنا له: كم كنتُم؟ قال: ألفًا[3].

= مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾؛ أي: في عينك التي تنام بها، فصيَّر المنام هو العين، كأنه أراد: إذ يريكهم الله في عينك قليلا». ويريد الطبري بكلامه أبا عبيدة؛ فإنه قال ذلك في «مجاز القرآن» (١/ ٢٤٧).

(١) «النائم لا موضع» ليست في (ن).

(٢) أي: الأظهر أن المراد بالمنام الرؤيا؛ لأن النوم ليس مكانه العين، فكلمة (منام) في الآية تحتمل المصدر واسم الزمان فقط.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٧٨٣٣)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ٢١١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٧١٠).

﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ وقلَّلَ المُؤمنين في أعيُنِ الكافرين، حتَّى قالَ أبو جهلٍ وأصحابُه(١): إنَّ محمَّدًا وأصحابَه أكلةُ رأسٍ(٢).

ولم يُكثِّرِ المؤمنين في أعيُنِ الكفَّارِ ليَثْبُتَ الكفَّارُ فيقتُلَهم المؤمنون، أو يأسِروهُم ويغنَمُوهم.

وقيل: قلَّلَهم لئلَّا يستعِدُّوا كلَّ الاستعدادِ.

وقيل: قُلِّلوا مع إلقاءِ الرُّعبِ في قلوبهم، فيكونُ أعظمَ للحُجَّةِ عليهم.

﴿لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ سبقَ.

***

(٤٥) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً﴾ جماعـةً من الكفَّارِ في الحربِ ﴿فَٱثْبُتُواْ﴾ للقائِهـم وقاتلـوا ولا تنهزِمُـوا، ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ بالقلـبِ واللِّسـانِ، وهـو التَّكبيـرُ عنـدَ المُسـايفةِ: الله أكبـرُ الله أكبـرُ، وعـن عطـاءٍ قـال: يُكـرَهُ الـكلامُ فـي الحـربِ إلّا ذكـرَ الله(٣).

﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ تظفَرون في الدُّنيا وتبقَون في الجنَّةِ.

---

(١) «وأصحابه»: ليست في (ن).

(٢) قوله: «أكلة رأس» يُضرب مثلاً في القلة والأمر الذي لا يُعبأ به، قال الجوهري: «قولهم: هم أكلة رأس؛ أي: قليل يشبعهم رأس واحد، وهو جمع: آكل». انظر: «الصحاح» مادة: (أ ك ل) (٤/ ١٦٢٤)، و«مجمع الأمثال» للميداني (١/ ٤٩).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٧١١) من طريق ابن جُرَيجٍ عن عطاء قال: وَجَب الإنصاتُ والذِّكرُ عند الزحف ثُم تلا: ﴿إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ قلتُ: يجهرون بالذِّكر؟ قال: نعم.

(٤٦) - ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ في إقامةِ الجهادِ، ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ﴾ فتكونوا فيه على آراءٍ مختلفةٍ، ﴿فَتَفۡشَلُواْ﴾ فتجبُنوا، ﴿وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ﴾ استعارةٌ عن الدَّولةِ، وقيل: عن القوَّةِ والحِدَّةِ والجدِّ والمهابةِ، وقيل: عن النُّصرةِ، فكلٌّ قريبٌ.

وقيل: هي الرِّيحُ حقيقةً، وتلك الرِّيحُ[1] إذا كانت في قومٍ ظَفِرُوا[2]، ومنه قولُه عليه السَّلامُ: «نُصِرْتُ بالصَّبا، وأُهلِكَتْ عادٌ بالدَّبُورِ»[3].

﴿وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ ينصُرُهم ولا يخذُلُهم.

* * *

(٤٧) - ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرٗا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ﴾.

﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ﴾ يعني: أبا جهلٍ وأصحابَه يومَ بدرٍ، ﴿مِن دِيَٰرِهِم﴾ من مكَّةَ، ﴿بَطَرٗا﴾ فَخرًا وأشَرًا، والبَطَرُ: الغُلوُّ في النِّعمةِ واحتقارُ الغيرِ. ﴿وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ ليُثنُوا عليهم. ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: دينِ الله، والمصدرانِ والفعلُ حالٌ. ﴿وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ﴾ عالـمٌ به من كلِّ الوُجوهِ.

قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: لـمَّا رأى أبو سفيانَ أنَّه أحرَزَ عِيرَه أرسلَ إلى قُريشٍ: إنَّكم خرجتُم لتمنعُوا عِيرَكم فقد نجَّاها الله فارجِعُوا، فوافى الرَّكبُ الذي

---

(١) في (و): «ريح».

(٢) ذكر هذا عن قتادة وابن زيد والحكم ومقاتل. انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٢٩٨)، و«المحرر الوجيز» (٢/ ٥٣٧)، و«زاد المسير» (٢/ ٢١٥)، وقد ذكره المصنف بلا نسبة في «غرائب التفسير» (١/ ٤٤٢)، واستغربه.

(٣) رواه البخاري (١٠٣٥)، ومسلم (٩٠٠) عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما.

بعثَهم أبو سفيانَ قُريشًا بالجُحْفةِ، فقالوا لهم: انصرِفُوا، فقال أبو جهلٍ: واللهِ لا ننصرفُ حتَّى نرِدَ بدرًا لنُقيمَ به ثلاثًا، وننحَرَ الجُزُرَ، ونُطعِمَ الطَّعامَ، ونسقيَ الخمرَ، وتعزِفَ علينا القِيَانُ، وتسمعَ بذلك العربُ، فلا يزالون يهابونَنا أبدًا[1].

وكان بدرٌ موسمًا من مواسمِ العربِ يجتمعُ لهم بها سوقٌ كلَّ عامٍ، فنهى اللهُ المؤمنين أن يكونوا مثلَهم.

***

(٤٨) ـ ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾.

﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ ثمَّ إنَّ بعضَ قُريشٍ قالوا: بينَنا وبينَ كنانةَ إِحْنةٌ[2]، فلا نأمنُ أن يتعرَّضُوا لنا، وقد أغْنانا اللهُ عن هذا الخطرِ، فأتى إبليسُ قُريشًا في صورةِ سُراقةَ بنِ مالكِ بنِ جُعْشُمٍ في جماعةٍ ﴿وَقَالَ﴾ لهم: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾[3]؛ أي: لا أحدَ يغلبُكم.

قولُه: ﴿مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ أي: من كثرتِكُم[4]، وقيل: من جنسِ النَّاسِ.

﴿وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ﴾: مُجيرٌ لكم من بني كنانةَ، وضامنٌ أنْ لا يتعرَّضُوا لكم.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٢١٧)، وانظر: «سيرة ابن هشام» (١/ ٦١٨).

(٢) الإحنة: الحقد، وجمعها: إحَن. انظر: «الصحاح» مادة (أحن).

(٣) انظر: «سيرة ابن إسحاق» (ص: ٣٠٥)، و«سيرة ابن هشام» (١/ ٦٦٣)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٢٢١، ٢٢٢) عن السدي وابن إسحاق وغيرهما.

(٤) ظاهر صنيع المصنف هنا أنه يرجّح هذا القول، وقد ذكره في «غرائب التفسير» (١/ ٤٤٢)، واستغربه، والظاهر من ذلك أنه قد مال هناك إلى ما مال عنه هنا، والله أعلم.

﴿فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ﴾؛ أي: اجتمَعُوا واصطَفُّوا.

﴿نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾: رجعَ القَهْقَرى، وهي الرُّجوعُ إلى وراءٍ، وقيل: رجَعَ بخِزْيٍ[١]، وقيل: رجَعَ من حيثُ جاءَ.

﴿وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ﴾: أُفارِقُكم ولا أدنُو منكم.

وذُكِرَ في بعضِ[٢] القصصِ والمغازي أنَّ أبا جهلٍ أو غيرَه قال: يا سُراقُ، أفِرارًا من غيرِ قتالٍ؟! قال: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾ يعني: الملائكةَ ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ﴾[٣].

قيل: كذَبَ عدوُّ الله.

وقيل: خافَ أن ينالَه مكروهٌ منَ الملائكةِ؛ لأنَّهم كانوا يعرِفُونَه.

وقيل: خافَ أن يكونَ الوقتُ الذي أُنظِرَ إليه قد حانَ.

وقيل: معناه: إنِّي أخافُ اللهَ عليكم.

﴿وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ يجوزُ أن يكونَ متَّصلًا بكلامِه، ويجوزُ أن يكونَ مُستأنفًا.

وهذا إجماعٌ منَ المُفسِّرين إلّا الحسنَ وابنَ بحرٍ؛ فإنَّهما قالا: زيَّنَ

---

(١) في (و): «يجري».

(٢) «بعض» ليست في (و).

(٣) وفي أكثر المصادر: أن القائل هو الحارث بن هشام لا أبو جهل. انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ١١٩)، و«معاني القرآن» للفراء (١/ ٤١٣)، و«مغازي الواقدي» (١/ ٧١).

وفي بعضها: أنه الحارث بن هشام وعمير بن وهب الجمحي. انظر: «سيرة ابن إسحاق» (ص: ٣٠٥).

والحارث بن هشام هو أخو أبي جهل وابن عم خالدبن الوليد، أسلم يوم الفتح، وخرج إلى الشام في خلافة أبي بكر الصديق فشهد أجنادين وغيرها، حديثه في الصحيحين، ومات في طاعون عمواس سنة ثماني عشرة في خلافة عمر بن الخطاب، وقيل: استشهد يوم اليرموك. انظر: «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٦/ ٤)، و«الإصابة» لابن حجر (١/ ٦٩٧).

لهـم بوسوسـتِه(١)، قـالا: ونُكوصُـه علـى عقبَيـه إخلافُـه مـا وعـدَ لهـم.

***

(٤٩) - ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰؤُلَاءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ قيل: هم المنافقون أيضًا، وقد عُطِفَ الوصفُ على الوصفِ بالواوِ.

وقيل: هم قومٌ لم يكونوا مُطمئنِّين إلى الإيمانِ بعدُ، وهؤلاء كانوا بمكَّةَ فخرجُوا مع القومِ ليكونوا مع أكثرِ الفئتَين، فلمَّا رأوا محمَّدًا عليه السَّلامُ والصَّحابةَ في قلَّةٍ قالوا: ﴿غَرَّ هَٰؤُلَاءِ﴾ يعني: المؤمنين ﴿دِينُهُمْ﴾ حتَّى(٢) تعرَّضُوا لِـمَا لا طاقةَ لهم به، فحكَى اللهُ عنهم ذلك، فقُتِلَ هؤلاءِ فيمَن قُتِلَ.

﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾: يُفوِّض أمرَه إليه لا يُغلَبْ؛ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

***

---

(١) ذكره عن الحسن الزمخشري في «الكشاف» (٢/ ٢٢٧)، والرازي في «التفسير الكبير» (١٥/ ٤٩١). وضعَّفه ابن كمال باشا في «تفسيره» عند هذه الآية فقال: ولا يخفَى ضعفه؛ فإن قوله: ﴿وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ﴾ ليس مما يُلْقَى بالوسوسة، وكذا النُّكوص على عقبيه وما بعده من الأقوال، وليس مما يُلْقَى بها.

قلت: وقد روي عن الحسن خلافه، فقد روى الطبري في «تفسيره» (١١/ ٢٢٤) عنه قوله: «﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ الآية [الأنفال: ٤٨]، قال: سار إبليس مع المشركين ببدر برايته وجنوده، وألقى في قلوب المشركين أن أحدًا لن يغلبكم وأنتم تقاتلون على دين آبائكم، ولن تغلبوا كثرة. فلما التقوا ﴿نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾، يقول: رجع مدبراً وقال: ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾. يعني الملائكة».

(٢) في (ن): «حين».

(٥٠) ـ ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بقَبضِ أرواحِهم ﴿ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ ببدرٍ ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ﴾ إذا أقبَلُوا ﴿وَأَدْبَـٰرَهُمْ﴾: ظُهورَهم وأَسْتاهَهُم إذا أدبَرُوا؛ يُريدُ: حالةَ قبضِ الرُّوحِ[1].

وقيل: هو قتلُهم إيَّاهُم ببدرٍ، فإذا أقبلُوا ضرَبُوا وجوهَهُم، وإن أدبَرُوا ضرَبُوا ظُهورَهُم.

وقيل: هذا عامٌّ في كلِّ كافرٍ عندَ موتِه تضربُه الملائكةُ.

وقيل: الفعلُ لله تعالى، و﴿ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ ابتداءٌ، و﴿يَضْرِبُونَ﴾ خبرُه.

والأوَّلُ أظهَرُ بدلالةِ مَن قرأ بالتَّاءِ[2].

﴿وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ أي: ويقولون لهم: ذوقوا عذابَ الحريقِ، وقيل: هذا يكونُ في القيامةِ، والأوَّلُ أظهَرُ.

* * *

(٥١) ـ ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: الضَّربُ ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾؛ أي: كسَبَتْه، أضافَه إلى اليدِ مجازًا.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ﴾؛ أي: وبأنَّ الله، وقيل: ذلك أنَّ الله ﴿لَيْسَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾، فيأخُذَهُم بغيرِ ذنبٍ.

---

(١) في (ن): «أرواحهم».

(٢) قرأ بها ابن عامر، والباقون: ﴿يَتَوَفَّى﴾ بالياء. انظر: «السبعة» (ص: ٣٠٧)، و«التيسير» (ص: ١١٦). وقد استدل المصنف بقراءة ابن عامر على ضعف القول الأخير الذي جعل فاعل الفعل ﴿يَتَوَفَّى﴾ هو الله سبحانه وتعالى، واستظهر أن الفاعل هو الملائكة، كما في جميع الأقوال السابقة.

(٥٢) ـ ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾.

﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾: كعادتِهم وإدآبِ عملِهم، وقيل: كصنيعِ آلِ فرعونَ.

ومحلُّ الكافِ رفعٌ؛ أي: صنيعُ هؤلاءِ في كفرِهم كصنيعِ آلِ فرعونَ.

وقيل: محلُّه نصبٌ؛ أي: يفعلُ بهم كما فعَلَ بآلِ فرعونَ، أو يفعلُ هؤلاءِ كما فعلَ آلُ فرعونَ.

﴿وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ جرٌّ بالعطفِ على ﴿ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾، والضَّميرُ يعودُ إلى ﴿ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾، ويحتملُ أن يعودَ إلى كفَّارِ قُريشٍ، ويجوزُ أن يرتفعَ بالابتداءِ ﴿كَفَرُوا﴾ خبرُه.

ويجوزُ أن يكونَ ﴿كَفَرُوا﴾ لكفَّارِ قُريشٍ، ويجوزُ أن يكونَ لـ﴿ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ و﴿الَّذين مِن قَبْلِهم﴾، ويجوزُ أن يكونَ لـ﴿الَّذين مِن قَبْلِهِمْ﴾ فحسبُ.

﴿بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ﴾: بما نَصَبَ منَ الأدلَّةِ[1] وبعثَ مع الأنبياءِ مُعجزةً لهم.

﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾: عاقبَهُم عليها، ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لا يغلبُه شيءٌ.

* * *

(٥٣) ـ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: الأخذُ ﴿بِأَنَّ اللَّهَ﴾: بسببِ أنَّ اللهَ ﴿لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا﴾: مُبدِّلًا ﴿نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا﴾: يُبدِّلوا ﴿مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾؛ أي: التي هي ثابتةٌ عندَهم؛ يُريدُ: أهلَ

(١) في (و): «الدلالة».

مكَّةَ، بعثَ الله محمَّدًا عليه السَّلامُ نعمةً عليهم وأطعمَهُم من جوعٍ وآمنَهُم من خوفٍ، فكفَرُوا بمحمَّدٍ عليه السَّلامُ، وجحَدُوا نعمةَ الله سُبحانَه، فسلَبَهم النِّعمةَ بمُحمَّدٍ عليه السَّلامُ وجعلَه في الأنصارِ، وكذلك سلَبَهُم الأمنَ حتَّى قُتِلَ بعضُهم وهم سبعون، وأُسِرَ بعضُهم وهم سبعون، وهُزِمَ بعضُهم وهم مَن بقي؛ يُريدُ: يومَ بدرٍ.

وأصلُ ﴿يَكُ﴾: يكونُ، فحُذِفَ الحركةُ للجزمِ، وحُذِفَ الواوُ لالتقاءِ السَّاكنَين، وحُذِفَ النُّونُ لشبهِه بحروفِ المدِّ واللِّينِ، ولأنَّ كلمةَ الكَوْنِ يكثُرُ دَورُها؛ لأنَّه عامٌّ في كلِّ الأشياءِ.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

* * *

(٥٤) ـ ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ﴾.

﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ سبق.

﴿فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾ كلُّ أمَّةٍ أُهلِكَتْ بنوعٍ منَ العذابِ ﴿وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾؛ أي: أهلَكْناهم بماءِ البحرِ، ﴿وَكُلٌّ﴾؛ أي: كلُّ قومٍ منهم ﴿كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ﴾: كافرين.

والتَّكرارُ للتَّأكيدِ، وقيل: شُبِّهَ الكفرُ والأخذُ بالكفرِ والأخذِ في الأولى، وشُبِّهَ التَّغييرُ بالتَّغييرِ في الثَّانيةِ.

ويحتمِلُ أنَّ الفعلَ في قولِه: ﴿كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ لكفَّارِ قريشٍ كما سبَقَ، و﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ لآل فرعون والَّذين مِن قَبْلِهم، فأعادَ ذِكرَهم لـمَّا حيلَ بينَهم وبينَ أفعالِهم بأفعالِ غيرِهم.

* * *

(٥٥) ـ ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾.

﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾؛ أي: لا يوقنون؛ لكونِهم شرَّ الدَّوابِّ.

وقيل: الفاءُ لعطفِ جملةٍ على جملةٍ من غيرِ إضمارٍ، فيكونُ في قومٍ أخبرَ الله عنهم أنَّهم لا يُؤمِنون، كقولِه: ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦].

***

(٥٦) ـ ﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ﴾؛ أي: بني قُريظةَ، عاهَدَهُم النَّبيُّ عليه السَّلامُ على أن لا يُعاوِنُوا عليه عدوًّا، ثمَّ نقَضُوا العهدَ وأعانُوا مُشرِكي مكَّةَ بالسِّلاحِ على قتالِ النَّبيِّ عليه السَّلامُ، ودَعاهُم أبو سفيانَ إلى مقاتلةِ النَّبيِّ عليه السَّلامُ يومَ الأحزابِ فأجابُوه، ومالَؤوا(١) الكفَّارَ على رسولِ الله عليه السَّلامُ يومَ الخندقِ.

وقولُه: ﴿مِنْهُمْ﴾ قيل: (مِن) هاهنا صلةٌ؛ أي: عاهَدْتَهم، وقيل: ﴿مِنْهُمْ﴾؛ أي: معَهم، وقيل: محمولٌ على المعنى؛ أي: أخذتَ منهم العهدَ(٢)، ويَحتمِلُ أنَّه للتَّبعيضِ على أصلِه(٣).

﴿ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ﴾ يجوزُ أن يكونَ معنى ﴿فِى كُلِّ مَرَّةٍ﴾: في كلِّ مُعاهَدةٍ، ويجوزُ أن يكونَ ﴿فِى كُلِّ مَرَّةٍ﴾: عند كلِّ فتنةٍ وخُصومةٍ.

﴿وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴾ اللهَ في نقضِ العهدِ، وقيل: لا يتَّقونَ أن ينصُرَ الله المؤمنين فيقتُلوهُم(٤).

---

(١) في هامش (ن): «أي: عاونوا».

(٢) وهو ما يُعرف بالتضمين. انظر: «مغني اللبيب» لابن هشام (ص: ٨٩٧).

(٣) هذا هو الوجه الذي اختاره أبو حيان في «البحر المحيط» (٥/ ٣٣٩)، وضعَّف.

(٤) في (و): «﴿لَا يَتَّقُونَ﴾ أي: بنصر الله المؤمنين فيقتلونهم».

(٥٧) ـ ﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾.

﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي ٱلْحَرْبِ﴾: تظفرْ بهم وتجِدْهُم، وأصلُه: أخذُ الشَّيءِ بسرعةٍ، قالَه المُفضَّلُ. ورجلٌ ثَقِفٌ: سريعُ العملِ.

﴿فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ﴾: فنكِّلْ به مَن وراءَهُم؛ أي: مَن سِواهُم. وقيل: أثخِنْ[١] فيهم القتلَ حتَّى يهابَكَ غيرُهم منَ الكفَّارِ، وقيل: غيرُهم مِن ناقِضي العهدِ.

وأصلُه: التَّفريقُ، مِن شرَدَ البعيرُ، وكذلك مُعجمًا[٢]، وقُرِئَ به في الشَّواذِّ[٣].

وقيل: التَّشريدُ: التَّخويفُ الذي لا يبقى معه القَرارُ؛ أي: لا ترضَ منهم إلَّا الإيمانَ أو السَّيفَ ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾: يعتَبِرون.

* * *

(٥٨) ـ ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾.

﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ ﴾: تعلَمَنَّ ﴿مِن قَوْمٍ﴾ مُعاهِدين لكَ ﴿خِيَانَةً﴾: نَقْضَ عهدٍ بما يَظهرُ لكَ منهم منَ الأماراتِ، ﴿فَٱنبِذْ إِلَيْهِمْ﴾: ألقِ[٤] واطرَحْ إليهم عهدَهُم بإعلامِكَ إيّاهُم[٥] أنَّك فاسخٌ للعهدِ؛ يُريدُ: قبلَ المُناجزةِ.

﴿عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ لتكونَ أنتَ وهم في الخوفِ على سواءٍ مُستَوِين فيه، والسَّواءُ: الاستِواءُ.

---

(١) في (ن): «أنجز».

(٢) شـرد وشـرذ بمعنـى واحـد، وهي لغـة نـادرة، وقد ذكر ابـن جنـي أن الذال بـدل من الـدال. انظر: «المحتسـب» لابـن جنـي (١/ ٢٨٠)، و«تاج العـروس» مـادة (ش ر ذ) (٩/ ٤٢٥).

(٣) نسبت هذه القراءة لابن مسعود رضي الله عنه، ونسبت للأعمش. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ٥٥)، و«المحتسب» لابن جني (١/ ٢٨٠)، و«شواذ القراءات» لشمس القراء الكرماني (ص: ٢٠٧).

(٤) في (ن): «ألق إليهم».

(٥) في (و): «إليهم».

وقيلَ: ﴿عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾[1]: عَدْلٍ في العداوةِ.

وقيل: معنى ﴿عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾: جهرًا لا سرًّا.

وقيل: افعَلْ بهم مثلَ ما يفعلون.

وقيل: ﴿عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾: على مَهَلٍ، من قولِه: ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ [التوبة: ٢].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾: النَّاقِضين للعُهودِ.

* * *

(٥٩) ـ ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾.

﴿ولا تحسبنّ الّذين كفروا سبقوا﴾؛ أي: لا تحسبَنَّ يا محمَّدُ الذين كفَرُوا فاتُوا، فإنَّهم في القَبضةِ وإنْ طالتِ المدَّةُ، وقيل: سبقُوا إلى الأفضَلِ.

وقيل: ولا تحسبَنَّ الذين قُتِلُوا من هذه الحربِ سبقُوا إلى الحياةِ.

ومَن قرأ بالياءِ[2] فـ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الفاعلُ، و﴿سَبَقُوٓاْ﴾ سدَّ مسدَّ المفعولَين بإضمارِ (أنْ)[3]، وعليه قراءةُ ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه[4].

---

(١) في (و): «على المقاتلة سواء».

(٢) قرأ بالياء حفص وابن عامر وحمزة، وباقي السبعة بالتاء. انظر: «السبعة» (ص: ٣٠٧)، و«التيسير» (ص: ١١٧).

(٣) أي: مع اسمها، وظاهر كلام المصنف أنه يذهب إلى أن (أنْ) هنا هي المخففة من الثقيلة، وليست الناصبة، والله أعلم.

(٤) قرأ ابن مسعود رضي الله عنه: (ولا يحسبن الذين كفروا أنهم سبقوا)، ذكرها الزجاج في «معاني القرآن» (٢/ ٤٢١)، والواحدي في «البسيط» (١٠/ ٢١٣)، وشمس القراء الكرماني في «شواذ القراءات» (ص: ٢٠٧). والتقدير على هذا الوجه كما ذكر الزمخشري في «الكشاف» (٢/ ٢٣١) مستدلاً بقراءة ابن مسعود المذكورة: أنْ سبقوا، فحذفت (أنْ) كقوله: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ﴾ [الروم: ٢٤]. =

ويجوزُ أن يكونَ المفعولُ الأوَّلُ محذوفًا؛ أي: إيَّاهم سبَقُوا.

ويجوزُ أن يكونَ الفاعلُ النَّبيَّ عليه السَّلامُ كالوجهِ الأوَّلِ، لكنْ ذُكِرَ بلفظِ الغَيبةِ.

﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾؛ أي: لا يفُوتُونَكَ، وقيل: لا يفُوتُونَ الله، والإعجازُ: سلبُ القُدرةِ.

* * *

(٦٠) - ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾.

﴿وَأَعِدُّوا﴾ أيُّها المُؤمنون ﴿لَهُم﴾: للنَّاقِضي العهدِ، وقيل: لجميعِ الكفَّارِ.

﴿مَّا اسْتَطَعْتُم﴾: ما سهُلَ عليكم تحصيلُه ﴿مِّن قُوَّةٍ﴾ هي ما يُتقوَّى به في الحربِ منَ السِّلاحِ والخيلِ والنَّفقةِ، ورَوَى عقبةُ بنُ عامرٍ عن النَّبيِّ عليه السَّلامُ أنَّه قالَ على المنبرِ: «ألَا إنَّ القوَّةَ الرَّميُ، ألا إنَّ القوَّةَ الرَّميُ»، قالها ثلاثًا[1].

وعن عكرمةَ: أنَّها الحصونُ[2].

﴿وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾: الأفراسِ.

= وهذا الوجه من الإعراب ذكره الفراء، وتعقبوه بأن حذف (أنْ) المصدرية ضعيف في القياس شاذ في الاستعمال، فلا ينبغي أن يخرَّج عليه كلام الله تعالى. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٤١٤)، و«روح المعاني» (١٠/ ١٦٤).

وقد ذكر هذا القول المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٤٣)، واستغربه.

(١) رواه مسلم (١٩٠٧).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٦/ ٥٢١)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ٢٤٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٧٢٢)، والدارقطني في «المؤتلف والمختلف» (٣/ ١٣٨٠).

و(رِباطٌ) مصدرُ (ربَطَ) و(رابَطَ) جميعًا[(١)]، وهو شدُّ الحبلِ[(٢)] وإمساكُه.

الفرَّاءُ في جماعةٍ: ﴿رِبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾: الإناثُ منها[(٣)]. والخيلُ عامٌّ في الذُّكورِ والإناثِ.

﴿تُرْهِبُونَ بِهِۦ﴾: تُخوِّفون غايةَ التَّخويفِ، و﴿بِهِۦ﴾ يعودُ إلى (الإعدادِ)، أو إلى ﴿مَّا ٱسْتَطَعْتُم﴾، أو إلى ﴿رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾، أو إلى (القوَّةِ) حملًا على المعنى، أو إلى (القوَّةِ والرِّباطِ) فوُحِّدَ، وله نظائرُ.

﴿عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾؛ أي: الذين تعرِفُونَهم بالعداوةِ ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ﴾: غيرِهم، ومحلُّه نصبٌ عطفًا على ﴿عَدُوَّ ٱللَّهِ﴾، وقيل: جرٌّ عطفًا على ﴿لَهُم﴾ عند الكوفيِّين[(٤)].

---

(١) كذا قال، وهو غير ممتنع؛ لأن مصادر الثلاثي غير مقيسة، لكن نصَّ أكثر مصنفي المعاجم على أن مصدر (رَبَطَ): رَبْطاً، ومصدر (رَابَطَ): رباطاً، وهو الظاهر، لكن كلام المصنف يبقى محتملاً، والله أعلم. انظر: مادة (ر ب ط) في «العين» (٧/ ٤٢٢)، و«تهذيب اللغة» (١٣/ ٢٣٠)، و«مجمل اللغة» (ص: ٤١٤) و«المحكم» (٩/ ١٦١) وانظر: «المحرر الوجيز» (٢/ ٥٤٦).

(٢) في النسخ الخطية: «الخيل»، وهو تصحيف، وصوابه: «الحبل» كما أثبت؛ ففي «تصحيح الفصيح» لابن درستويه (ص: ٥٥): «وأما ربط يربط فهو بمعنى شدّ الحبل والخيط».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٤١٦)، ورواه ابن أبي شيبة والطبري وابن أبي حاتم عن عكرمة تتمة للخبر السابق، وهذا القول يقابل قول مجاهد وغيره: القوة في الآية هي ذكور الخيل. انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» (٥/ ١٧٢٢).

(٤) نصّ الفراء على أنه في موضع نصب في هذه الحالة، وكلام المصنف مبني على قولهم المشهور عنهم بجواز العطف على الضمير المخفوض بلا تكرار الخافض، والبصريون يوجبون تكرار حرف الجر. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٤١٦)، و«الإنصاف» للأنباري (٢/ ٣٧٩).

﴿لَا تَعۡلَمُونَهُمُ﴾: لا تعرِفُونَهم بأعيانِهم ﴿ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡ﴾: يعرِفُهم.

واختلَفُوا فيهم؛ ابنُ زيدٍ: هم المنافقون. مجاهدٌ: قُرَيظةُ. السُّدِّيُّ: أهلُ فارسَ[١].

ابنُ جريرٍ: هم الجنُّ؛ لأنَّ قولَه: ﴿عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ﴾ اشتملَ جميعَ الأعداءِ منَ الآدميِّين[٢].

ولو سكتَ المُفسِّرُ عن بيانِه بعدَ قولِ الله: ﴿لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡ﴾ جازَ[٣].

﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ﴾: يُوَفَّرُ عليكم جزاؤُه ﴿وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ﴾.

* * *

(٦١) - ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾.

﴿وَإِن جَنَحُواْ﴾: مالُوا، ومنه: الجَناحُ، وقيل: انقادُوا، وقيل: عدَلُوا إلى ما تُحِبُّ.

﴿لِلسَّلۡمِ﴾: الصُّلحِ والاستسلامِ والانقيادِ؛ بالدُّخولِ في الإسلامِ، أو بالتزامِ الجزيةِ.

﴿فَٱجۡنَحۡ لَهَا﴾: فمِلْ إليها وأعطِهم ما سألوكَ في الوقتِ، والسَّلْمُ مُؤنَّثٌ، وقيل: يعودُ إلى الفعلةِ.

﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ﴾: فوِّضْ أمرَكَ إليه واتَّخِذْه وكيلًا ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾.

---

(١) روى الأقوال الثلاثة الطبري في «تفسيره» (١١/ ٢٤٨ - ٢٤٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٧٢٣ - ١٧٢٤).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١١/ ٢٤٩ - ٢٥٠).

(٣) هذا رأي ذهب إليه المصنف بعد استعراض أقوال المفسرين، وهو جدير بالتأمل.

قتادةُ: نسخَتْها ﴿اقتلوا المشركين﴾ [التوبة: ٥][(١)].

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: النَّاسخُ لها: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوٓا إِلَى ٱلسَّلْمِ﴾ [محمد: ٣٥][(٢)].

وقيل: هي ثابتةٌ؛ لأنَّها في مُوادَعةِ أهلِ الكتابِ.

* * *

(٦٢) ـ ﴿وَإِن يُرِيدُوٓا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَإِن يُرِيدُوٓا أَن يَخْدَعُوكَ﴾: يمكُروا بكَ ويَغْدُروا، ﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ﴾: كافيكَ اللهُ ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ﴾: قوَّاكَ ﴿بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ جميعًا، وقيل: هم الأنصارُ.

* * *

(٦٣) ـ ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾: قلوبِ الأوسِ والخزرجِ، ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾؛ أي: بلَغَتْ عداوتُهم نهايةً لو أنفقَ مُنفِقٌ في إصلاحِ ذاتِ بينِهم ما في الأرضِ منَ الأموالِ لم يقدِرْ على الأُلفةِ والإصلاحِ ورفعِ الإِحْنةِ، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ بفضلِه ورحمتِه وعِزَّتِه وحكمتِه ﴿إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

* * *

(٦٤) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ في سببِ النُّزولِ: عن

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٠٢٦)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ٢٥٢)، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٤٦٨).

(٢) ذكره النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٤٦٨).

سعيدِ بنِ جُبيرٍ عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: أسلَمَ مع النَّبيِّ ﷺ تسعةٌ وثلاثون رجلًا، ثمَّ أسلَمَ عمرُ رضي الله عنه، فنزلَتْ هذه الآيةُ[1]؛ أي: الذي يكفيك كلَّ مُهِمٍّ ومحذورٍ اللهُ والمؤمنون.

ومحلُّ ﴿مَن﴾ نصبٌ؛ أي: يكفيك ومَن اتَّبعَكَ، ويجوزُ الرَّفعُ عطفًا على ﴿ٱللَّهُ﴾، ويجوزُ الجرُّ عندَ الكوفيِّين[2]، ويجوزُ الرَّفعُ بالابتداءِ؛ أي: ومَن اتَّبعَكَ منَ المؤمنين كذلك، والمعنى: حَسبُهم الله.

وكرَّرَ ﴿حَسْبُكَ﴾؛ لأنَّ الأوَّلَ في كفايةِ الخداعِ والثَّاني عامٌّ.

***

(٦٥) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ﴾ التَّحريضُ: الحثُّ على المُبادرةِ إلى الفعلِ والصَّبرِ عليه، وفي اشتقاقِه قولان:

أحدُهما: أنَّه منَ (الحارِضِ)، وهو الذي قارَبَ الهلاكَ، وقريبٌ منه: الحَرِضُ.

والثَّاني: من (الحُرُضِ)، وهو الأُشْنانُ[3]، والحرَّاضُ: مُحْرِقُه.

---

(١) رواه الآجري في «الشريعة» (١٣٥٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٤٧٠) عن سعيد بن جبير عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٧٢٨) عن سعيد بن جبير.

(٢) ولا يجوز هذا عند البصريين إلا بإعادة الجار، كما تقدم، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٤٤)، واستغربه.

(٣) انظر: «الصحاح» مادة: (ح ر ض) (٣/ ١٠٧٠) وفيه: «الحُرُضُ والحُرْضُ: الأُشْنانُ. والمِحْرَضَةُ =

﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ﴾ شرطٌ في معنى الأمرِ[١]؛ أي: ليصبِرْ عشرون وليَثْبُتُوا في مُقابلةِ مئتَينِ.

وعن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما قال: كان فرضًا على المسلمين أن يُقاتلَ الرَّجلُ منهم العشرةَ منَ المُشركين، فشقَّ ذلك عليهم، فأنزَلَ اللهُ التَّخفيفَ، فجعلَ على الرَّجلِ أن يُقاتِلَ الرَّجُلَين[٢].

﴿وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ وهذه الآيةُ[٣] تدلُّ على أنَّ الأولى ليست بمنسوخةٍ، بل خُفِّفَ حكمُها فصارَ كإفطارِ الصَّائمِ في السَّفرِ.

ومنهم مَن قال: الأولى منسوخةٌ بالثَّانيةِ، وهي ناسخةٌ للفرارِ منَ الزَّحفِ.

= بالكسر: إناؤه. والحَرَّاضُ: الذي يوقِد على الحُرُضِ ليتَّخذ منه القلي، وكذلك الذي يوقد على الصخر ليتخذ منه نورَةً أو جِصّاً».

وفي «تهذيب اللغة» (٤/ ١٢١): والحُرُض: الأُشْنان تُغسَل بِهِ الْأَيْدِي على أَثَر الطَّعَام.

والأشنان: شجر من الفصيلة الرمرامية ينْبت فِي الأَرْض الرملية يسْتَعْمل هُوَ أَو رماده فِي غسل الثِّيَاب والأَيدِي. انظر: «المعجم الوسيط» مادة: (أ ش ن) (١/ ١٩).

ويقال: الأشنان والإشنان بضم الهمزة وكسرها، وهو فارسي معرب. انظر: «حاشية ابن بري» (ص: ٣٣).

(١) ذكر ذلك الطبري في «تفسيره» (١١/ ٢٦٨).

(٢) رواه البخاري (٤٦٥٣) بلفظ: «لما نزلت: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ﴾ شق ذلك على المسلمين، حين فرض عليهم أن لا يفر واحد من عشرة، فجاء التخفيف، فقال: ﴿ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ﴾ قال: فلما خفف الله عنهم من العدة نقص من الصبر بقدر ما خفف عنهم».

(٣) في (و): «اللفظة».

قالَ ابنُ شُبْرُمَةَ: وكذا النَّهيُ عن المُنكرِ، لا يحلُّ للواحدِ أن يفِرَّ من اثنَين إذا كانا على مُنكرٍ، وله أن يفِرَّ منَ الأكثرِ(١).

الحسنُ: هذا التَّغليظُ كان على أهلِ بدرٍ خاصَّةً، ثمَّ جاءت الرُّخصةُ(٢).

ابنُ جريرٍ: لم يكُنْ أمرًا عزْمًا(٣)، بل كانَ تحريضًا على الثَّباتِ في الحربِ(٤).

قال الخليلُ: ﴿عِشْرُونَ﴾ جمع «عِشْرٍ» من أظماءِ الإبلِ، وهو تسعٌ في الحسابِ، لكنَّه جُمِعَ كما جُمِعَ ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ﴾ [البقرة: ١٩٧](٥).

---

(١) رواه البخاري بعد حديث (٤٦٥٢) ورواه أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» (ص:٢٩٤).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٦٧٣٣)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ٧٨)، كلاهما بلفظ: «هذا يوم بدر خاصة، ليس الفرار من الزحف من الكبائر»، ورواه الطبري (١١/ ٧٩) بلفظ: «ذلك يوم بدر، فأما اليوم فإن انحاز إلى فئة أو مصر ـ أحسبه قال: ـ فلا بأس به».

(٣) في (و): «جزمًا».

(٤) روى هذا الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما انظر: «تفسير الطبري» (١١/ ٢٦٤)، أما مذهبه فهو مخالف لما نسب المصنف إليه، فقد قال (١١/ ٢٦٨): «وهذه الآية ـ أعني قوله: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ﴾ ـ وإن كان مخرجها مخرج الخبر، فإن معناها الأمر، يدل على ذلك قوله: ﴿ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٦]، فلم يكن التخفيف إلا بعد التثقيل، ولو كان ثبوت العشرة منهم للمائة من عدوهم كان غير فرض عليهم قبل التخفيف وكان ندبًا لم يكن للتخفيف وجه؛ لأن التخفيف إنما هو ترخيص في ترك الواحد من المسلمين الثبوت للعشرة من العدو، وإذا لم يكن التشديد قد كان له متقدمًا لم يكن للترخيص وجه؛ إذ كان المفهوم من الترخيص إنما هو بعد التشديد. وإذ كان ذلك كذلك، فمعلوم أن حكم قوله: ﴿ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ ناسخ لحكم قوله: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾».

(٥) قوله: «كما جمع ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ﴾» يعني: أن أشهر الحج عند الأكثر شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة، وأقل الجمع ثلاثة أفراد عند الجمهور، فجُعِل بعضٌ من فردٍ فرداً ثم جُمع، وكذا قال اللّيث: =

وقيل: هو اسمٌ مفردٌ وُضِعَ علَمًا لعددٍ معلومٍ كثلاثينَ وأربعين وبابِه.

ذلك ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ أنَّ لهم الجنَّةَ والثَّوابَ والحياةَ بعد المماتِ، فلا يَثبُتون إنْ صدَقْتُموهُم القتالَ.

***

(٦٦) ـ ﴿ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾.

﴿ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾: عدمَ قوَّةٍ.

وقُرِئ: ﴿ضُعَفاءَ﴾ بالجمعِ[1]، ويحتملُ: ضَعْفًا عن مُقاومةِ الواحدِ العشرةَ.

= «قلت للخليل: زعمت أنّ عشرين جمع عِشْر، والعِشْرُ تسعةُ أيام، فكان ينبغي أن يكون العشرون سبعةً وعشرين يوماً، حتى تستكمل ثلاثة أتساع؟! فقال الخليل: ثماني عَشَرَ يوماً عِشْران، ولمّا كان اليومان من العِشْر الثالث مع الثمانية عشر يوماً سمَّيته بالجمع. قلت: من أين جاز لك ذلك، ولم تُستكمَلِ الأجزاء الثلاثة؟ هل يجوز أن تقول للدّرهمين ودانَقَيْن: ثلاثة دراهم؟ قال: لا أقيس على هذا ولكن أقيسه على قول أبي حنيفة، ألا ترى أنه قال: إذا طلقتها تطليقتين وعُشْر تطليقة فهي ثلاث تطليقات، وليس من التطليقة الثالثة في الطّلاق ألا عُشْرُ تطليقةٍ، فكما جاز لأبي حنيفةَ أن يَعتدَّ بالعُشْرِ جاز لي أن أعتدَّ باليومين». انظر: «العين» مادة: (ع ش ر) (١/ ٢٤٦).

وقوله: «جمع عِشْرٍ من أظماءِ الإبلِ» العِشر بكسر العين: وهو الظِّمء بين الوردين إذا كان ثمانية أيام، وهذه الأظماء معروفة، وكلها مكسورة الأوّل، وهي: وِرْدٌ وغِبٌّ ورِبْعٌ إلى العِشْر. انظر: «حاشية الشهاب على البيضاوي» (٨/ ٣٥٣).

(١) هي قراءة أبي جعفر من العشرة. انظر: «النشر» (٢/ ٢٧٧)، وقد اختلف باقي العشرة في ضم الضاد وفتحها، فقرأ حمزة وعاصم وخلف بفتح الضاد والباقون بضمها. انظر: «السبعة» (ص: ٣٠٩)، و«التيسير» (ص: ١١٧)، و«النشر» (٢/ ٢٧٧).

﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ قيَّدَ من كلِّ آيةٍ واحدًا بالصَّبرِ ليُقاسَ الثَّاني عليه.

وذِكْرُ المئةِ في الآيةِ الأولى وفي العشرينَ مَقنَعٌ، والألْفَ في الآيةِ الثّانيةِ وفي المئةِ مَقنَعٌ أيضًا؛ ليُعْلَمَ أنَّ هذا الحكمَ مُطَّرِدٌ في جميعِ الأعدادِ، وليس بمقصورٍ على المذكورِ.

﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾؛ أي: فمَن يغلِبُهم؟!

***

(٦٧) ـ ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ في سببِ النُّزولِ: عن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما قال: حدَّثني عمرُ بنُ الخطّابِ رضي الله عنه قال: لـمَّا كان يومُ بدرٍ والتَقَوا فهزَمَ الله المُشركينَ، وقُتِلَ منهم سبعونَ رجلًا وأُسِرَ سبعونَ رجُلًا، استشارَ رسولُ الله عليه السَّلامُ أبا بكرٍ وعمرَ وعليًّا رضي الله عنهم؛ فقال أبو بكرٍ: يا نبيَّ الله، هؤلاءِ بنو العمِّ والعشيرةِ والإخوانُ، وإنِّي أرى أن تأخُذَ منهم الفِديةَ، فيكونَ ما أخَذْنا منهم قوَّةً لنا على الكفَّارِ، وعسى أن يهديَهم الله فيكونُوا عضُدًا. فقال رسولُ الله عليه السَّلامُ: «ما تَرى يا ابنَ الخطّابِ؟» قال: قلتُ: والله ما أَرى ما رأى أبو بكرٍ، ولكنْ أرى أن تُمكِّنَني من فلانٍ ـ قريبٍ لعمرَ ـ فأضرِبَ عُنُقَه، وتُمكِّنَ عليًّا من عَقِيلٍ فيضرِبَ عنُقَه، وتُمكِّنَ حمزةَ من فلانٍ ـ أخيه ـ فيضربَ عُنُقَه، حتَّى يُعلَمَ الله أنْ ليسَ في قُلوبنا هَوادةٌ للمُشركين، هؤلاء صناديدُهم وأئمَّتُهم وقادتُهم، فهوِيَ رسولُ الله

عليه السَّلامُ ما قالَ أبو بكرٍ، ولم يَهْوَ ما قلْتُ[١]، فأخذَ منهم الفِداءَ، فلمَّا كانَ منَ الغدِ قال عمرُ: غدَوْتُ إلى النَّبيِّ عليه السَّلامُ فإذا هو قاعدٌ وأبو بكرٍ الصِّدِّيقُ، وإذا هما يبكِيانِ، فقلتُ: يا رسولَ الله، أخبِرْني[٢] ماذا يُبكيكَ أنتَ وصاحبَكَ؟ فإنْ وَجدْتُ بكاءً بكيتُ، وإنْ لـم أجِدْ بُكاءً تَباكَيتُ، فقالَ النَّبيُّ عليه السَّلامُ: «أبكي للَّذي عرَضَ عليَّ أصحابُك من الفِداءِ، لقد عُرِضَ عليَّ عذابُهم أدنَى من هذه الشَّجرةِ» ـ لشجرةٍ قريبةٍ ـ وأنزَلَ الله: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾[٣].

والمعنى: لم يكُنْ لنبيٍّ أن يشتغلَ بالأسرِ والفِداءِ ـ لأنَّ ذلك يذهبُ بالمهابةِ ـ حتَّى يكثُرَ القتلُ.

ابنُ عبّاسٍ: حتَّى يغلبَ عليها[٤]؛ ليقعَ له في القلوبِ مَهابةٌ ورُعبٌ.

والإثْخـانُ: الإكثـارُ منَ القتلِ، مُشـتقٌّ مـن (الثَّخانةِ)، وهي الصَّلابـةُ والكثافةُ، وقيل: الشِّـدَّةُ والقوَّةُ.

﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا﴾: المـالَ، فسـمَّاه عَرَضًـا؛ لأنَّـه سـريعُ الانقِضـاءِ قليلُ اللَّباثِ[٥].

﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾؛ أي: يُريدُ لكم ثوابَ الآخرةِ منَ الجنَّةِ والنَّعيمِ.

﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ أمرٌ بإثخانِ الكفَّارِ.

* * *

---

(١) في (و): «ما قال عمر».

(٢) في (و): «فقلت: أخبرني يا رسول الله».

(٣) رواه مسلم (١٧٦٣)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٤٠).

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٧٣٢) بلفظ: «حتى يظهر على الأرض».

(٥) في (و): «الثبات»، واللَّباث واللُّباث: المكث. انظر: «تاج العروس» مادة: (ل ب ث) (٥/ ٣٣٨).

(٦٨) ـ ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾ في هذا الكتابِ ستَّةُ أقوالٍ:

ابنُ عبَّاسٍ: أنَّه سيُحِلُّ لهم الغنائمَ(١).

وقيل: هو أن لا يُؤاخِذَ على جَهالةٍ.

وقيل: سبقَ لأهلِ بدرٍ أن لا يُعذِّبَهم.

وقيل: هو ما كُتِبَ في اللَّوحِ المحفوظِ أنْ لا يُعذِّبَهم على ذلك.

وقيل: سبقَ أنَّه لا يُعذِّبُ مَن أذنَبَ ثمَّ تابَ.

وقيل: الكتابُ قولُه: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ الآية [الأنعام: ٥٤].

﴿لَمَسَّكُمْ﴾: لنالَكُم وأصابكُم، وقيل: المسُّ: الطَّلبُ.

﴿فِيمَآ أَخَذْتُمْ﴾؛ أي: من فداءِ الأَسْرَى ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

ورُوِيَ أنَّه عليه السَّلامُ قال: «لو عُذِّبْنا في هذا الأمرِ يا عمرُ ما نجا غيرُك»(٢).

ورُوِيَ: «إلا سعدُ بنُ مُعاذٍ»(٣).

* * *

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٢٧٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٧٣٤).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٢٨٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٧٣٥) مرسلاً عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٢٨٣) مرسلاً عن ابن إسحاق، ولفظه: قال رسول الله ﷺ: «لو نزل عذاب من السماء لم ينج منه إلا سعد بن معاذ»؛ لقوله: يا نبي الله كان الإثخان في القتل أحب إلي من استبقاء الرجال.

(٦٩) ـ ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

ثمَّ أحلَّ لهم الغنائمَ، فقال: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ﴾: أصَبْتُم وأخَذْتُم منَ الكفّارِ قهرًا، و(مِن) للتَّبيينِ.

﴿حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾: لم تحلَّ لغيرِكم، وإنَّما كانت نارٌ تنزلُ منَ السَّماءِ فتأكلُها.

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾؛ أي: مُخالفتَه.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾: غفرَ لكم ذنبَكُم ﴿رَّحِيمٌ﴾: رخَّصَ لكم أخذَ الغنائمِ.

* * *

(٧٠) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ﴾ في سببِ النُّزولِ: قال الكلبيُّ: نزلَتْ في العبّاسِ بنِ عبد المُطَّلبِ وعقيلِ بنِ أبي طالبٍ ونَوفلِ بن الحارثِ، فكان العبَّاسِ أُسِرَ يومَ بدرٍ ومعه عشرونَ أوقيَّةً من ذهبٍ، كان خرجَ بها معه إلى بدرٍ ليُطعِمَ بها النَّاسَ، وكان أحدَ العشرةِ الذين ضمِنُوا إطعامَ أهلِ بدرٍ، ولم يكُنْ بلغَتْه النَّوبةُ حتَّى أُسِرَ فأُخِذَتْ معَه، فأخذَها رسولُ الله عليه السَّلامُ منه، قال: فكلَّمْتُ رسولَ الله عليه السَّلامُ أن يجعلَ لي العشرينَ أوقيةً من الذَّهبِ التي أخذَها منِّي في فدائي، فأبى عليَّ وقالَ: «أمَّا شيءٌ خرجتَ به تستعينُ به علينا فلا»، وكلَّفَني فداءَ ابنِ أخي عقيل بنِ أبي طالبٍ ونَوفلِ بنِ الحارثِ عشرينَ أوقيَّةً من فضَّةٍ، فقلتُ له: تركتَني والله أسألُ قريشًا بكفِّي والنَّاسَ ما بقيتُ، قال: «فأينَ الذَّهبُ الذي دفعْتَه إلى أمِّ الفضلِ وقتَ[1] مخرجِكَ إلى بدرٍ؟ وقلتَ لها: إنْ حدَثَ بي حدَثٌ في وجهي هذا فهو لكِ

(١) «وقت»: ليست في (ن).

ولعبدِ الله والفضلِ وقُثَمَ» قلتُ: وما يُدريكَ؟ قال: «أخبَرني اللهُ سُبحانَه بذلك»، قال: أشهدُ إنَّك صادقٌ، وإنِّي قد دفعتُ إليها الذَّهبَ ولم يطَّلعْ عليه أحدٌ[1] إلّا الله، وأنا أشهدُ أنْ لا إلهَ إلّا الله، وأنَّك رسولُ الله، قال العبَّاسُ: فأعطاني الله خيرًا ممّا أخَذَ منِّي كما قال، عشرينَ عبدًا كلُّهم يُضارِبُ بمالٍ كثيرٍ مكانَ العشرينَ أوقيةً، وأنا أرجو المغفرةَ من ربِّي[2].

﴿إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾: إيمانًا وإسلامًا، ﴿يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ﴾ من المالِ ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾؛ أي: خيرَ الدُّنيا بما يفتحُ لكُم[3]، وخيرَ الآخرةِ بما يغفرُ لكم ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

رُوِي أنَّ العبّاسَ كان يقولُ: أنجزَ أحدَ الوعدَينِ، وأنا على ثقةٍ منَ الآخرِ[4].

* * *

(١) «أحد»: ليست في (و).

(٢) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٤١). وروى نحوه الإمام أحمد في «مسنده» (٣٣١٠) عن ابن إسحاق عمن سمع عكرمة عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما، والحاكم في «المستدرك» (٥٤٠٩) ـ وصححه ـ من حديث عائشة رضي الله عنها، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ١٤٢) من طريق ابن إسحاق، عن يزيد بن رومان، عن عروة، عن الزهري وجماعة سماهم، وابن سعد في «الطبقات» (٤/ ٩) عن ابن إسحاق مرسلًا، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (٤٠٩) عن ابن إسحاق عن بعض أصحابه عن مقسم عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما.

وروى قول العباس في آخره: «فأبدلني الله...» أيضًا الطبري في «تفسيره» (١١/ ٢٨٤ ـ ٢٨٧) من طرق عن ابن عباس.

(٣) في (ن): «عليكم».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٢٨٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٧٣٧) عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما.

(٧١) ـ ﴿ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾.

﴿ وَإِن يُرِيدُواْ ﴾ يعني: الأسرى ﴿خِيَانَتَكَ﴾: نقضَ ما عَهِدوا معَكَ ﴿فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ﴾ بالكفرِ والشِّركِ ﴿مِن قَبْلُ﴾: من قبلِ العهد، وقيل: من قبلِ بدرٍ.

وقيل: معناه: إنْ منَعُوكَ ما تدعوهُم إليه منَ الإيمانِ فقد فعلُوا مثلَه قبلُ.

﴿فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾؛ أي: فأمكنَكَ منهم ونصرَكَ عليهم فهزَمْتَهم وأَسَرْتَهم، والمعنى: إنْ عادوا عُدْنا لهم ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

* * *

(٧٢) ـ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمِۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ ﴾ ديارَهم وأوطانَهم؛ يُريدُ: المهاجرين.

﴿وَجَٰهَدُواْ﴾: قاتَلُوا الكفَّارَ ﴿بِأَمْوَٰلِهِمْ﴾ صرَفُوها إلى أثمانِ الخيلِ والسِّلاحِ وأنفقوها على الفقراءِ فبذلوها كبَذلهم أنفُسَهم ﴿وَأَنفُسِهِمْ﴾ بمباشرةِ القتالِ ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ﴾ هم الأنصارُ آوَوا المُهاجرين وأسكَنُوهم منازِلَهم، وجعلوا لكلِّ واحدٍ مأوًى يأوي إليه ويسكُنُه، ﴿وَّنَصَرُوٓاْ﴾؛ أي: ونصروهم على أعدائِهم وحارَبُوا معهم.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾؛ أي: في الميراثِ، وكانوا يتوارَثونَ بالإيمانِ وبالهجرةِ وبالمُؤاخاةِ التي كانَ رسولُ الله عليه السَّلامُ يُؤاخي بينهم دونَ القرابةِ

المُفردةِ حتَّى نُسِخَ بقولِه: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٥][1]؛ أي: في الميراثِ، وقيلَ: يُريدُ بالولايةِ: المُؤازرةَ والنُّصرةَ والمُعاونةَ.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ﴾ من مكَّةَ ﴿مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ من ميراثٍ وغنيمةٍ وفيءٍ ﴿حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ﴾، فكان لا يرِثُ المؤمنُ الذي لا يُهاجِرُ ممَّن آمنَ وهاجرَ، وقيل: هي المُؤازرةُ كما سبق.

﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ﴾: طلبوا معونَتكم؛ أي: إنْ وقَعَ بينَهم وبينَ الكُفَّارِ قتالٌ ﴿فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ﴾؛ أي: فعلى المؤمنين أن ينصُروهم ﴿إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾: عهدٌ إلى مدَّةٍ أو مُوادعةٌ، فلا تغدُرُوا ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

* * *

(٧٣) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ﴾ في الميراثِ، وقيل: في المُؤازرةِ ﴿أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾ أي: ما أُمِرتُم به منَ التَّوارثِ بالإيمانِ والهجرةِ، وقيل: بالتَّعاوُنِ والتَّآزُرِ ﴿تَكُن فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: زوالُ نظامِ المؤمنين وتفريقُ كلمَتِهم ﴿وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ في الدِّينِ من جهةِ الكفَّارِ وسفكِ الدِّماءِ.

قسَّمَ النَّاسَ في هذه الآيةِ أربعةَ أقسامٍ:

ـ قسمٌ آمَنُوا وهاجَرُوا من مكّةَ، وهم المُهاجِرون.

ـ وقسمٌ آمَنُوا ونصَرُوا المؤمنين، وهم الأنصارُ.

---

(١) انظر: «الناسخ والمنسوخ» لأبي عبيد (ص: ٢٢٤).

ـ وقسمٌ آمَنُوا ولـم يُهاجِرُوا، وهم الذين أمَرَ بنصرِهم إنِ استَنْصَرُوهُم.

ـ وقسمٌ هم الكُفَّارُ.

فاختارَ من بينِهم المُهاجرين والأنصارَ، ثمَّ ألحقَ بهم مَن يأتي بعدَهم فقال:

* * *

(٧٤) ـ ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴾.

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗا ﴾: صِدْقًا؛ أي: المُبالغون في إيمانِهم، وقيل: ﴿حَقّٗا﴾: تأكيدٌ للكلامِ.

﴿لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾: الجنَّةُ.

ومعنى ﴿كَرِيمٞ﴾: لا منَّةَ فيه ولا تنغيصَ. وقيل: رزقٌ كريمٌ لا يصيرُ حَدَثًا، بل رَشْحًا كالمسكِ.

* * *

(٧٥) ـ ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴾.

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ ﴾: بعد نُزولِ هذه الآيةِ. وقيل: هي الهجرةُ الثّانيةُ.

﴿وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ﴾ ذكرَ في الآيةِ الأولى سبيلَ الله والأموالَ والأنفُسَ، وتركَ في الثّانيةِ الأموالَ والأنفُسَ اكتِفاءً بالذِّكرِ في الأولى، وتركَ في الثّالثةِ سبيلَ الله أيضًا اكتفاءً بالذِّكرِ فيهما.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡ﴾: في حُكمِكُم وجُملتِكُم ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ﴾

يعني: الأقرباءُ الذين تجمَعُهم بالقُربِ رَحِمٌ واحدةٌ، أو يُنسَبُونَ إلى أبٍ واحدٍ، بعضُهم أولى ببعضٍ في الميراثِ منَ الأجانبِ.

﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾: حُكمِه، وقيل: في القرآنِ، وهو ما في سورةِ (النِّساءِ) منَ الفرائضِ، وقيل: في اللَّوحِ المحفوظِ.

وهذه الآيةُ ناسخةٌ للتَّوارُثِ بالهجرةِ والإخاءِ[1].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ﴾ منَ الفرائضِ والمواريثِ وغيرِ ذلك.

* * *

---

(١) انظر: «الناسخ والمنسوخ» لأبي عبيد (ص: ٢٢٤)، وللنحاس (ص: ٤٧٤)، ولابن حزم (ص: ٣٩).

لُبابُ التَّفاسِيرِ

تأليفُ الإمامِ المُفسِّرِ

تاجِ القُرّاءِ الكَرْمانيّ

بُرْهانِ الدِّينِ أبي القاسمِ محمودِ بنِ حَمْزَةَ بنِ نَصْرٍ الكَرْمانيّ

المُتوفّى بعدَ سنةِ ٥٠٠هـ

يُطبع أوّلَ مرّةٍ مُحقّقاً على ثلاثِ نُسَخٍ خطّيّةٍ

تحقيقُ وتعليقُ

محمّد عبد الحليم بعّاج

المجلّد الرّابع

دار اللُّباب

لباب التفاسير

(٤)

حُقوقُ الطّبعِ مَحفُوظَة

الطبعَة الأولى
١٤٤٣هـ - ٢٠٢١م

يُمنع طباعةُ هذا الكتاب أو ترجمته أو تصويرُه ورقياً أو إلكترونياً
إلا بإذن خطي من الدار الناشرة
تحت المُساءلة الدُّنيوية والأُخروية

9 789933 930271

دار اللباب
للدراسات وتحقيق التراث

DAR-ALLOBAB
Lubab Yazma Eserleri İhya ve İlmi Araştırma Yayınları

بيروت - لبنان
009615813966
0096170112990

دمشق - سوريا
00963993151546
info@allobab.com
Www.allobab.com

اسطنبول - تركيا
00902125255551
00905454729850

İskenderpaşa mh. Kıztaşı cd. No:7 D:5 Fatih (Özel Fatih Hastanesi Karşısı)

بسم الله الرحمن الرحيم

سُورَةُ التَّوْبَةِ

سُورَةُ التَّوۡبَةِ(1)

مئةٌ وتسعٌ وعشرون آيةً(2)، مدنيَّةٌ.

مُقاتلٌ: إلّا آيتَين: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ﴾ [128](3).

وهي آخرُ ما نزلَتْ منَ السُّورِ.

ولهذه السُّورةِ أسماءٌ: سورةُ براءة، وسورةُ التَّوبةِ، والفاضِحةُ، والمُبعثِرة، والمُنقِّرة، والمُثيرة، والبَحوثُ(4).

وفي تركِ التَّسميةِ في ابتدائِها أقوالٌ:

---

(1) في (ن): «براءة».

(2) «مائة وتسع وعشرون آية»: ليست في (و).

(3) يعني: والآية التي بعدها، وهما آخر آيتين من سورة التوبة. انظر: «تفسير مقاتل» (2/ 154).

(4) قال ابن الجوزي في «زاد المسير» (2/ 230): «ولها تسعة أسماء: أحدها: سورة التوبة. والثاني: براءة، وهذان مشهوران بين الناس. والثالث: سورة العذاب، قاله حذيفة. والرابع: المقشقشة، قاله ابن عمر. والخامس: سورة البحوث؛ لأنها بحثت عن سرائر المنافقين، قاله المقداد بن الأسود. والسادس: الفاضحة؛ لأنها فضحت المنافقين، قاله ابن عباس. والسابع: المبعثرة؛ لأنها بعثرت أخبار الناس وكشفت عن سرائرهم، قاله الحارث بن يزيد وابن إسحاق. والثامن: المثيرة؛ لأنها أثارت مخازي المنافقين ومثالبهم، قاله قتادة. والتاسع: الحافرة؛ لأنها حفرت عن قلوب المنافقين، قاله الزجاج».

عليٌّ وابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهم قالا: لأنَّ (بسمِ الله) أمانٌ، و(براءة) نزلَتْ برفعِ الأمانِ[١].

أبيُّ بنُ كعبٍ: لأنَّها نزلَتْ في آخرِ ما نزَلَ، ولـم يأمرِ النَّبيُّ عليه السَّلامُ فيها بكتبِ (بسمِ الله)، وكانت قصَّتُها تُشبهُ قصَّةَ الأنفالِ في ذكرِ العهودِ ورفعِ العهودِ، فضُمَّتْ إليها وكُتِبَتْ في السَّبعِ الطِّوالِ[٢].

وقيـل: اختلفَتِ الصَّحابةُ فيهما؛ فقـال بعضُهم: الأنفالُ والتَّوبةُ سـورةٌ واحدةٌ، وقـال آخـرون: همـا سـورتان؛ ففُصِـلَ بينَهمـا علـى قولِ مَـن قـال: هما سـورتانِ، ولـم يُكتَـبْ: (بسـمِ الله) علـى قـولِ مَـن قـال: هـي سـورةٌ، فرضُـوا بذلـك جميعًا. وسُمِّيتا قرينتَين.

وعن عائشةَ رضيَ الله عنها قالت: نسيَ الكاتبُ أن يكتُبَ: (بسمِ الله) في أوَّلها، فترُكَتْ بحالِـها، حكاه أبو اللَّيثِ في «تفسيرِه»[٣]، وفيه بُعدٌ.

***

(١) ـ ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾.

قولُه: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ أي: هذه السُّورةُ أو الآياتُ براءةٌ، فيكونُ رفعًا بالخبرِ، وقيل: ارتفَعَ بالابتداءِ، والخبرُ ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ﴾.

---

(١) رواه ابن الأعرابي في «معجمه» (٥٦٧)، والحاكم في «المستدرك» (٣٢٧٣) عن ابن عباس قال: «سألت علي بن أبي طالب: لم لم يكتب في براءة (بسم الله الرحمن الرحيم)؟ قال: لأن (بسم الله الرحمن الرحيم) أمان، وبراءة ليس فيها أمان، نزلت بالسيف».

(٢) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» (٢/ ٤٢٧)، والواحدي في «البسيط» (١٠/ ٢٧٩).

(٣) انظر: «تفسير السمرقندي» (٢/ ٣٧). وهو مردود؛ لأن كتابة القرآن وإثبات ما فيه ليس مقتصراً على ذلك الكاتب، وما كان الصحابة ليسكتوا عن كتابة آية علموها من كتاب الله لأن الكاتب نسيها.

والبراءةُ: انقِطاعُ العِصمةِ؛ أي: برِئَ اللهُ إلى المُشركين منَ العهودِ التي عاهدَهُم النَّبيُّ عليه السَّلامُ والمُؤمنون، وانقطَعَتِ العِصمةُ بينهما.

وقيل: انقطَعَتْ لانقضاءِ مدَّةِ العهدِ.

واختُلِفَ في الذين عاهَدوهم:

قال ابنُ عبّاسٍ: كان لقومٍ عهودٌ، فأُمِرَ أن يُؤجِّلَهم أربعةَ أشهرٍ ولا عهدَ لهم بعدَها، وكان قومٌ لا عهودَ لهم فأجَّلَهم خمسينَ يومًا؛ عشرينَ من ذي الحجَّةِ والمُحرَّمَ كلَّه[1].

وقيل: هم صِنفانِ؛ صِنفٌ عاهدَه عليه السَّلامُ أقلَّ من أربعةِ أشهرٍ، وصِنفٌ عاهدَه إلى غيرِ[2] أجلٍ، فردَّ الجميعَ إلى أربعةِ أشهرٍ.

وقيل: هم صِنفانِ؛ صِنفٌ عُوهِدوا إلى أقلَّ من أربعةِ أشهرٍ، فأُتِمَّت[3] لهم أربعةُ أشهرٍ، وصِنفٌ عُوهِدوا إلى أكثرَ فأُمِروا[4] بالوفاءِ له، وهو قولُه: ﴿فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡ﴾ [التوبة: ٤].

وقيل: هم الذين نقَضُوا العهدَ، فأُمِرَ بنبذِ العهدِ إليهم وتأجيلِهم أربعةَ أشهرٍ، ومَن لم ينقُضِ العهدَ فهو على عهدِه، ومَن لم يكُنْ له عهدٌ أُجِّلَ خمسينَ يومًا.

* * *

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٣٠٦)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (١٢/ ٣٨٧).

(٢) «غير» من (ن).

(٣) في (و): «فأتى».

(٤) في (و): «فأمر».

(٢) ـ ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ﴾.

﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾؛ أي: أمِنْتُم فسيروا في الأرضِ كيف شِئتُم، والسَّيحُ: السَّيرُ على مَهَلٍ، والسِّياحةُ: الذَّهابُ في الأرضِ للعبادةِ.

وقيل: أقبِلُوا وأدبِرُوا أربعةَ أشهرٍ.

واختُلِفَ في قولِه: ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾: فذهبَ بعضُهم إلى أنَّ ابتداءَه كان يومَ عرفةَ إلى عشرينَ من شهرِ ربيعٍ الآخرِ.

وقيل: شوّالٌ وذو القعدةِ وذو الحجَّةِ والمُحرَّمُ.

وقيل: ابتِداؤُه منَ العشرينَ من ذي القَعْدةِ؛ لأنَّ الحجَّ في تلك السَّنةِ كان في ذلك اليومِ؛ لِمَا كانوا عليه في الجاهليَّةِ منَ النَّسيءِ، ثمَّ صار في السَّنةِ الثّانيةِ في العشرينَ من ذي الحجَّةِ، وفيها كان حجَّةُ الوداعِ، ثمَّ إنَّ النَّبيَّ عليه السَّلامُ بعَثَ عليًّا رضي الله عنه بعشرِ آياتٍ ـ وقيل: تسعِ آياتٍ، وقيل: ثماني عشرةَ آيةً، وقيل: بأربعين آيةً ـ من أوَّلِ براءة، فقرأها في الموسمِ يومَ النَّحرِ على جمرةِ العقبةِ، وكان أبو بكرٍ رضي الله عنه صاحبَ الموسمِ، فقال عليه السَّلامُ: «لا يُبلِّغُ عنِّي إلّا رجلٌ منِّي»، وبعثَ عليًّا رضي الله عنه، وألحقَه بأبي بكرٍ، وأمرَه أن يتولَّى قراءةَ الآياتِ، فلمّا لحقَ أبا بكرٍ قال له[1]: أميرًا جئتَ أم مأمورًا؟ فقال عليٌّ رضي الله عنه: بل مأمورًا، وقصَّ عليه القصّةَ[2].

---

(١) «له»: ليست في (و).

(٢) انظر في هذه القصة:

حديث جابر عند الدارمي في «سننه» (١٩١٥)، والنسائي (٢٩٩٣)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٦٤٥).

وحديث ابن عباس عند الترمذي (٣٠٩١)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ٣١٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٧٤٥). =

وكان أبو هريرةَ مع عليٍّ رضي الله عنهم(١).

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ﴾: غيرُ فائِتيه ولا سابِقيه ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: مُهلِكُهم، وقيل: مُذِلُّهم بالقتلِ والأسرِ.

ابنُ عيسى: الإخزاءُ: الإذلالُ بما فيه الفضيحةُ والعارُ.

* * *

= وحديث أبي هريرة عند أحمد (٧٩٧٧)، والنسائي (٧٩٧٧).

وحديث علي عند أحمد (٥٩٤)، والترمذي (٣٠٩٢)، و«الأباطيل والمناكير» للجوزقاني (١٢٧).

وحديث أنس عند أحمد (١٣٢١٤)، والترمذي (٣٠٩٠)، والنسائي في «الكبرى» (٨٤٠٦).

وحديث أبي سعيد الخدري عند ابن حبان في «صحيحه» (٦٦٤٤).

وأصل القصة عند البخاري (٤٦٥٥)، ومسلم (١٣٤٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أما قوله ﷺ: «لا يؤدِّي عنِّي إلَّا رجلٌ منِّي»، فقد ورد نحوه ضمن بعض الأحاديث التي ذكرناها، وهو مما ضعفه بعض العلماء واستنكروه، فقد أورده الجوزقاني في «الأباطيل» (١/ ١٣١) من عدة روايات، وقال: فهذه الروايات كلها مضطربة مختلفة منكرة، واستنكره أيضاً ابن تيمية في «منهاج السنة» (٥/ ٦٣)، ونقل عن الخطابي قوله في كتاب «شِعَارِ الدِّينِ»: وقولُه: «لَا يُؤَدِّي عَنِّي إِلَّا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي» هو شيءٌ جاء به أهلُ الكوفةِ عن زيد بنِ يُثيع، وهو متَّهَم في الرواية منسوبٌ إلى الرفض، وعامَّةُ مَن بَلَّغَ عنه غيرُ أهل بيته، فقد بَعث رسولُ الله ﷺ أسعد بنَ زُرارةَ إلى المدينة يدعو الناسَ إلى الإسلام ويُعلِّم الأنصار القرآن ويُفَقِّهُهم في الدِّين، وبَعث العلاءَ بنَ الحضرميِّ إلى البحرين في مثل ذلك، وبَعث معاذًا وأبا موسى إلى اليمن، وبَعث عَتَّابَ بنَ أَسِيدٍ إلى مكة، فأين قولُ مَن زعم أنه لا يُبلِّغُ عنه إلَّا رجلٌ من أهل بيته؟

(١) روى البخاري (٣٦٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعثني أبو بكر في تلك الحجة في مؤذنين يوم النحر، نؤذن بمنى: أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان، قال حميد بن عبد الرحمن: ثم أردف رسول الله ﷺ عليًّا، فأمره أن يؤذن ببراءة، قال أبو هريرة: فأذن معنا علي في أهل منى يوم النحر: «لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان».

(٣) ـ ﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥۚ فَإِن تُبۡتُمۡ فَهُوَ خَيۡرٌ لَّكُمۡۖ وَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾؛ أي: إعلامٌ، وقيل: الأذانُ هاهنا: النِّداءُ، وقيل: القَصَصُ، حكاهُ الماوردِيُّ[1].

﴿إِلَى ٱلنَّاسِ﴾: إلى العربِ ﴿يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ﴾ قيل: يومُ عرفةَ، وقيل: يومُ العيدِ، وقيل: أيّامُ الحجِّ، فيكونُ اليومُ بمعنى الوقتِ.

والحجُّ الأكبرُ: الحجُّ، والأصغرُ: العمرةُ.

وقيل: (الحجُّ الأكبرُ): القِرانُ، والأصغرُ: الإفرادُ.

وقيل: (الحجُّ الأكبرُ): يومُ النَّحرِ.

وقيل: اجتمعَ عيدُ المؤمنين وعيدُ اليهودِ وعيدُ النَّصارى في ذلك اليومِ، فسُمِّي: يومَ الحجِّ الأكبرِ.

وقيل: كان ذلك الاجتماعُ في حجَّةِ الوداعِ.

ويحتمِلُ أنَّ (الحجَّ الأكبر) هو الحجُّ في ذلك اليومِ فحسبُ؛ أي: أكبرُ من سائرِ الحجِّ؛ لِمَا جرى فيه ما هو إعزازٌ للإسلامِ وإذلالٌ للشِّركِ.

وقيل: (الحجُّ الأكبر) أن يكونَ يومُ عرفةَ يومَ الجمعةِ.

﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾؛ أي: من عُهودِهم ﴿وَرَسُولُهُۥ﴾؛ أي: هو ورسولُه.

﴿فَإِن تُبۡتُمۡ﴾: رجعتُم عن الكفرِ وأخلَصْتُم التَّوحيدَ ﴿فَهُوَ﴾؛ أي: التَّوبُ، والتَّوبُ والمتابُ والتَّوبةُ: الرُّجوعُ عن المعصيةِ إلى الطّاعةِ.

---

(١) انظر: «تفسير الماوردي» (٢/ ٣٣٩)، وذِكرُ أنَّ الإعلام هو قول الكافة.

﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ منَ الإقامةِ على الكفرِ.

﴿وَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ عـن الإيمـانِ ﴿فَاعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ﴾: لا تفوتُونه طلبًا ولا تُعجِزُونَـه هربًا، ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ استهزاءٌ بهم.

* * *

(٤) ـ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ استثناءٌ من قولِه: ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١].

الحسنُ: استثناءٌ من قولِه: ﴿اقتلوا المشركين﴾ [التوبة: ٥]. قال: وهذه الآيةُ نزلَتْ قبلَ تلك، وهم بنو مُدْلجٍ وكنانةُ، كانت بقي لهم تسعةُ أشهرٍ فأُتِمَّت لهم(١).

﴿ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا﴾؛ أي: شيئًا من شروطِ العهدِ؛ يُريدُ: وَفَوا بالعهدِ وأخلَصُوا النِّيَّةَ ولم ينقُضُوا العهدَ.

وقُرِئَ بالضَّادِ في الشَّواذِّ(٢)، وهو رائقٌ، لكنَّ الصّادَ أولى ليقعَ في مُقابلةِ التَّمامِ.

﴿وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا﴾: لم يُعاوِنُوا عليكم أحدًا(٣).

﴿فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ﴾: إلى تمامِ مُدَّتِهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾: الذي يتَّقون نقضَ العهدِ.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٣/ ٢٠٦) عن السدي وابن إسحاق والكلبي، والسمعاني في «تفسيره» (٢/ ٢٨٨) بلا نسبة وذكر ابن الجوزي في «زاد المسير» (٢/ ٢٣٦) عن ابن عباس.

(٢) نسبت لعطاء بن يسار. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ٥٦)، و«شواذ القراءات» لشمس القراء الكرماني (٢/ ٣١٨).

(٣) في (ن): «لم يعاونوا أعداءكم عليكم».

(٥) ـ ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ﴾ الانسلاخُ: خروجُ الشَّيءِ ممّا لابَسَه، من سَلْخِ الشّاةِ.

﴿ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ﴾ قيل: هو رجَبٌ وذو القَعْدةِ وذو الحجَّةِ والمُحرَّمُ.

وقيل: هي الأشهرُ التي تقدَّمَ ذكرُها، وهي مدَّةُ التَّأجيلِ.

﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾: حيثُ ظفرتُم بهم من حلٍّ وحرمٍ ﴿وَخُذُوهُمْ﴾ قيل: هو مُقدَّمٌ؛ أي: خذوهُم واقتلُوهم، وقيل: تأخَّرَ لأنَّ الواوَ لا يُوجِبُ التَّرتيبَ.

وقيل: ﴿خذوهم﴾؛ أي: ائسِروهُم، والأخذُ: الأسيرُ.

﴿وَٱحْصُرُوهُمْ﴾ أي: احبِسُوهُم، ابنُ عيسى: أصلُه: المنعُ منَ الخروجِ عن مُحيطٍ[1].

﴿وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾؛ أي: خذوا عليهم الطُّرقَ، وقيل: طريقَ الحجِّ، وتقديرُه: على كلِّ مرصدٍ، وقيل: هو كقولك: اقعُدْ مقعَدَكَ، واجلِسْ مجلِسَك.

وللعلماءِ في نسخِ هذه الآيةِ ثلاثةُ أقوالٍ[2]:

أحدُها: أنَّها منسوخةٌ بقولِه: ﴿فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ [محمد: ٤]، ولا يحلُّ قتلُ أسيرٍ صبرًا.

والثّاني: أنَّها ناسخةٌ لقولِه: ﴿فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾، ولا يُؤخَذُ منَ الأسيرِ الفِداءُ، ولا يُمَنُّ عليهم، إنَّما هو السَّيفُ أو الإيمانُ.

وقال بعضُهم: هما مُحكَمانِ، والأمرُ في ذلك إلى الإمامِ.

﴿فَإِن تَابُوا۟﴾ عن الشِّركِ ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ المفروضةَ ﴿وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ الواجبةَ، ﴿فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾ دَعُوهُم وما شاؤوا، ولا تتعرَّضوا لقتلِهم وأَسرِهم وحَصْرِهم.

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٠/ ٢٩٤)، والرازي في «تفسيره» (١٥/ ٥٢٨) بلا نسبة.

(٢) انظر: «الناسخ والمنسوخ» للنحاس (ص: ٤٩٣).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾: غفرَ الله لهم ما تقدَّمَ من ذنوبِهم ورحِمَهم.

* * *

(٦) ـ ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡلَمُونَ﴾.

﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ﴾؛ أي: وإن استجارَكَ[1]، والمعنى: إنْ طلَبَ منك واحدٌ ممَّن أُمِرْتَ بقتلِهم أن يكونَ في جوارِكَ، ﴿فَأَجِرۡهُ﴾: آمِنْه ﴿حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: القرآنَ؛ فيتبيَّنَ ويعرِفَ صِدقَكَ، وتقومَ عليه الحجّةُ ﴿ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥ﴾؛ أي: فإنْ أبى أن يُسلِمَ فرُدَّه إلى موضعِ أمنِه.

﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: المأمورُ في حقِّه ﴿بِأَنَّهُمۡ﴾: بسببِ أنَّهم ﴿قَوۡمٞ لَّا يَعۡلَمُونَ﴾ توحيدَ الله ونبوَّتكَ.

* * *

(٧) ـ ﴿كَيۡفَ يَكُونُ لِلۡمُشۡرِكِينَ عَهۡدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ فَمَا ٱسۡتَقَٰمُواْ لَكُمۡ فَٱسۡتَقِيمُواْ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾.

﴿كَيۡفَ يَكُونُ لِلۡمُشۡرِكِينَ عَهۡدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ﴾: استفهامٌ بمعنى النَّفي، ولهذا حسُنَ بعده (إلّا)، والمعنى: ليس لمَن لا يَفِي بعهدِه أن يَفِيَ اللهُ ورسولُه بالعهدِ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ وهم الذين استثْناهُم اللهُ.

ويجوزُ في محلِّ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ النَّصبُ والجرُّ.

وقيل: الاستثناءُ مُنقطعٌ؛ أي: لكن مَن عاهدتُموهُم عند المسجدِ الحرامِ، ﴿فَمَا ٱسۡتَقَٰمُواْ لَكُمۡ﴾ على وفاءِ العهدِ ﴿فَٱسۡتَقِيمُواْ لَهُمۡ﴾ على الوفاءِ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾.

---

(١) فـ (أحدٌ) في الآية فاعل لفعل محذوف يفسره المذكور بعده، وهذا على رأي البصريين. انظر: «الإنصاف» للأنباري (٢/ ٥٠٤).

(٨) ـ ﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴾.

﴿ كَيْفَ ﴾؛ أي: كيف لهم عهدٌ وحالُهم هذا، وقيل: كيف لا تقتُلونَهم ﴿وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ ﴾: يظفَروا بكُم ﴿لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ ﴾: لا يحفَظُوا فيكم ﴿إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ﴾؛ أي: لا يُبقُونَ عليكم لا لأجْلِ قرابةٍ ولا لأجْلِ عهدٍ.

والإلُّ: القرابةُ والعشيرةُ، والإلُّ: العهدُ، والإلُّ: الحلفُ واليمينُ، والإلُّ: الجِوارُ.

وقيل: الإلُّ: هو اللهُ سبحانَه، واستبعَدَه الحُذَّاقُ، وقالوا: إنَّما هو (إيل) في العِبْرانيِّ[1].

الخليلُ: الإلُّ: الرُّبوبيّةُ[2].

وفي اشتقاقِ (إلٍّ) قولانِ:

أحدُهما: من قولِه: أَلَّل الشَّيءَ: إذا حدَّدَه[3].

والثَّاني: من أَلَّ البرقُ: إذا لمَعَ.

والذِّمَّةُ: العهدُ والميثاقُ، وأصلُه منَ (الذَّمِّ)؛ أي: يخافُ الذَّمَّ والعيبَ فيه.

﴿يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾ بالوعدِ بالإيمانِ والطَّاعةِ والوفاءِ بالعهدِ ﴿وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ ﴾ إلَّا الكفرَ والعصيانَ والغدرَ ﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴾: خارِجُونَ عن العهدِ، وقيل: معنى ﴿أكثرهم﴾: كلُّهم.

وقيل: معنى قولِه: ﴿فَاسِقُونَ ﴾: مُتمرِّدون في الكفرِ، وتلك صفةُ رُؤسائِهم.

---

(١) انظر: «العين» (٨/ ٣٥٧)، ونقل هذا عن الأصمعي. انظر: «غريب الحديث» لأبي عبيد (٣/ ٨٢)، ونقل القول بأن الإل هو الله سبحانه عن يحيى بن يعمر ومجاهد، كما في «غريب الحديث» (٣/ ٨٣).

(٢) انظر: «العين» (٨/ ٣٦٠).

(٣) في (ن): «حدده».

(٩ ـ ١٠) ـ ﴿ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٩ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ﴾.

﴿ٱشْتَرَوْا۟﴾: استبدَلُوا ﴿بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾: القرآنِ ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: عرَضًا يسيرًا.

وقيل: استبدَلُوا الدُّنيا بالآخرةِ، وهم الذين جمعَهم أبو سفيانَ على طعامِه.

وقيل: هم اليهودُ، وآياتُ الله: التَّوراةُ، وهم قومٌ منهم دخلوا في العهدِ ثمَّ رجَعُوا عنه.

﴿فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ﴾: دينِه وطاعتِه، وقيل: ﴿سَبِيلِهِۦٓ﴾ بالمنعِ عن بيتِ الله.

﴿إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾؛ أي: بئسَ الصَّنيعُ صنيعُهم، فقال: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ﴾ فكان تفسيرًا لا تكرارًا.

وقيل: المُرادُ بهم: اليهودُ، فيكونُ (الإلُّ) هو الله عزَّ وجلَّ؛ إذ لم يكُنْ بين اليهودِ وبين العربِ قرابةٌ.

* * *

(١١) ـ ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿فَإِن تَابُوا۟﴾: أسلَمُوا ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ﴾؛ أي: فهم إخوانُكم ﴿فِى ٱلدِّينِ﴾ لا في النَّسبِ، ﴿وَنُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ﴾: نُبيِّنُها ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: يفهَمون فيتفكَّرون فيها.

* * *

(١٢) - ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ﴾.

﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ﴾؛ أي: نقضُوا العهودَ ﴿وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾: أظهَروا الذَّمَّ له، وقيل: قصَدُوا إفسادَه[1].

الزَّجَّاجُ: الطَّعنُ في الدِّينِ: نسبةُ النَّبيِّ عليه السَّلامُ إلى الكذبِ، وأنَّ القرآنَ غيرُ كلامِ الله، وتقبيحُ أحكامِ المسلمين، وهذا يُوجِبُ قتلَ الذِّمِّيِّ[2].

﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ﴾؛ أي: القادةَ، ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: هم أبو سفيانَ وأبو جهلٍ، والجماعةُ الذين همُّوا بإخراجِه[3].

وقيل: هم أهلُ البدعِ والأهواءِ.

وقيل: ذكرَ البعضَ وأرادَ الكلَّ.

وقيل: كلُّ كافرٍ إمامُ نفسِه، فهو عامٌّ.

﴿إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ﴾ صادقةً، وقيل: لا وفاءَ لهم بالأيمانِ.

و﴿لا إيمان لهم﴾[4]: لا إسلامَ لهم، الفرَّاءُ: يجوزُ أن يكونَ مصدرَ (آمَنَ)؛ أي: لا يُوثَقُ بأمانِهم[5].

---

(١) في (ن): «فساده».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٤٣٤)، وفيه: «وهذه الآية توجب قتل الذمي إذا أظهر الطعن في الإسلام؛ لأن العهد معقود عليه بألا يطعن، فإذا طعن فقد نكث».

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٣/ ٢١٥، ٢١٦)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٤٣).

(٤) هي قراءة ابن عامر. انظر: «السبعة» (ص: ٣١٢)، و«التيسير» (ص: ١١٧).

(٥) في (و): «يجوزُ أن يكونَ مصدراً؛ أي: لا يُوثَقُ بإيمانِهم». وعبارة الفراء: «وقد يكون المعنى على: لا أمانَ لهم؛ أي: لا تُؤْمِنوهم، فيكون مصدرَ قولك: آمنته إيماناً، تريد: أماناً. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٤٢٥) ونسب القراءة للحسن.

وقيل: ﴿لا إيمانَ لهم﴾ من جهةِ المسلمِين[1].

﴿لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾: لكي يَنْتَهوا عن الكفرِ والطَّعنِ ويدخُلُوا في الإسلامِ.

* * *

(١٣) - ﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخْشَوْنَهُمْۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ﴾ هذا تحريضٌ على القتالِ ﴿قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ﴾: نقَضُوا العهودَ وحنِثُوا في أيمانِهم، وقيل: نَكثُهُم العهدَ: إعانتُهم بني بكرٍ على خُزاعةَ.

وأصلُ النَّكثِ: نَقضُ الغزْلِ بعد فَتلِه.

﴿وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ﴾ قيل: هو ما سبقَ ذكرُه في قولِه: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الأنفال: ٣٠].

وقيل: هم اليهودُ، همُّوا بإخراجِ الرَّسولِ عليه السَّلامُ منَ المدينةِ، ونكَثُوا عهدَه، وظاهَرُوا أبا سُفيانَ عليه يومَ الأحزابِ.

وقيل: همَّت قُريشٌ يومَ الحديبيَةِ بأن يُدخِلُوا محمَّدًا مكَّةَ للحجِّ ثمَّ يُخرِجُوه قبلَ أن يُتِمَّ الحجَّ استِخْفافًا به.

وقيل: معنى ﴿همُّوا بإخراجِ الرَّسولِ﴾: تسبَّبوا بخُروجِه.

وقيل: ﴿همُّوا بإخراجِ الرَّسولِ﴾ فأخرَجُوه.

﴿وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ بالقتالِ، وقيل: بدؤوا خلافكُم فوجدتُم الرُّخصةَ؛ لقوله: ﴿لَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ﴾ [البقرة: ١٩١].

---

(١) وهذا يستقيم على ما نقلناه عن الفراء؛ أي: معنى: (لا إيمان لهم): لا أمان لهم من قبل المسلمين.

﴿أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ﴾؛ أي: أتخشونَ قتالَهم وأن ينالَكُم منهم مكروهٌ، ﴿فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ﴾؛ أي: عقابَه وعذابَه ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾: مُصدِّقين بعذابِه.

* * *

(١٤) ـ ﴿قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ﴾.

﴿قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ﴾: يقتُلْهم ﴿بِأَيۡدِيكُمۡ﴾: بسيوفِكُم ﴿وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ﴾؛ أي: إنْ تُقاتلوهُم فالظَّفَرُ لكم، وهذا وعدٌ بالنُّصرةِ للمُؤمنين.

﴿وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ﴾ بما فعَلَ بنبيِّهم، وقيل: ببني خُزاعةَ[1].

جعَلَ الموتورَ سقيمًا، وإصابةَ الثَّأرِ شفاءً.

* * *

(١٥) ـ ﴿وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡ﴾: حُزنَها وكربَها ﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾: يُوفِّقُهم للإيمانِ، كأبي سفيانَ وجماعةٍ هَداهُم الله للإسلامِ ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٦٩٠٢) عن عكرمة قال: «لما وادع رسول الله ﷺ أهل مكة، وكانت خزاعة حلفاء رسول الله ﷺ في الجاهلية؛ وكانت بنو بكر حلفاء قريش، فدخلت خزاعة في صلح رسول الله ﷺ ودخلت بنو بكر في صلح قريش، فكان بين خزاعة وبين بني بكر قتال، فأمدتهم قريش بسلاح وطعام، وظللوا عليهم، فظهرت بنو بكر على خزاعة، وقتلوا منهم، فخافت قريش أن يكونوا نقضوا، فقالوا لأبي سفيان: اذهب إلى محمد فأجرِ الحِلف وأصلح بين الناس....»، فذكر قصة الفتح، وفي آخر الخبر: أن النبي ﷺ أمن الناس إلا خزاعة من بني بكر، قال: فقتلهم خزاعة إلى نصف النهار، وأنزل الله: ﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ﴾ إلى: ﴿وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ١٤ وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡ﴾ قال: خزاعة.

(١٦) ـ ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾.

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ ﴾ في المُخاطَبين به قولانِ:

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: هم المُنافقون[1].

غيرُه: المُؤمنون، خُوطِبُوا به حينَ كرِهَ بعضُهم القتالَ وشقَّ عليهم.

و﴿ أَمْ ﴾ هي المُنقطعةُ بمعنى: (بل) والألفِ[2]، كأنَّه أضرَبَ عن الاستمرارِ في تلك القِصَّةِ واستفهَمَ عنِ الثَّانيةِ، والمعنى: أحسِبْتُم أن تُترَكوا بلا مُجاهَدةٍ ولا براءةٍ منَ المُشركين.

وقولُه: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ ﴾؛ أي: لـم يعلَمْ علمًا يُجازي عليه. وقيل: ولم تُجاهِدوا، فنَفيُ العلمِ لنفيِ المعلومِ. وقيل: لـم يعلَمْه موجودًا.

﴿وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ﴾: دَخيلةً من غيرِهم يُوالونَهم ويُفشونَ أسرارَهم إليهم، والوليجةُ والبطانةُ والدَّخيلةُ نظائرُ، واشتقاقُها من (وَلَجَ)، والتَّوْلَجُ: الكِناسُ[3].

وقيل: الوَليجةُ: المدخلُ يُدخَلُ فيه على سبيلِ الاستِسرارِ، شُبِّه به النِّفاقُ.

وقيل: خيانةً، وقيل: خديعةً، وقيل: خليطًا وودًّا، والوجهُ ما سبقَ.

﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾: من خيرٍ وشرٍّ فيُجازيكُم عليه.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٣/ ٢٢٢)، والواحدي في «البسيط» (١٠/ ٣٢٦).

(٢) أي: بمعنى (بل) مع تكرار همزة الاستفهام بعدها. انظر: «الكتاب» (٣/ ١٧٢)، و«حروف المعاني والصفات» للزجاجي (ص: ٤٨).

(٣) التولج تاؤه مبدلة من واو، والكناس: مأوى الظباء. انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير (٢/ ١٤١).

(١٧) ـ ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴾.

﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ ﴾ في سببِ النُّزولِ: أنَّه لـمَّا أُسِرَ العبّاسُ يومَ بدرٍ عيَّره المسلمون بكُفرِه بالله وقطيعةِ الرَّحمِ، وأغلَظَ له عليٌّ رضي الله عنه القولَ، فقال العبَّاسُ: ما لكم تذكُرونَ مساوِئَنا ولا تذكُرونَ محاسِنَنا؟! فقال له عليٌّ رضي الله عنه: ألكُم محاسِنُ؟! فقال: نعم، إنَّا لنعمُرُ المسجدَ الحرامَ، ونحجُبُ الكعبةَ، ونسقي الحاجَّ، ونفكُّ العانيَ، فأنزَلَ اللهُ ردًّا على العبّاسِ: ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ ﴾[1]؛ أي: لا يحقُّ ولا يليقُ بهم عمارةُ المسجدِ الحرامِ؛ أي: دخولُه والقعودُ فيه.

وقيل: عمارةُ المسجدِ: رَفعُ بنائِه وإصلاحُ ما استَرَمَّ[2] منه.

وقيل: عمارتُه: التَّعبُّدُ فيه والصَّلاةُ والطَّوافُ، لا ترميمُه وتجصيصُه.

﴿شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ﴾: هو شركُهم بالله، حيثُ قالوا في الطَّوافِ: لبَّيكَ لا شريكَ لك، إلّا شريكٌ هو لكَ، تملِكُه وما ملَكَ.

وقيل: هو إذا سُئِلوا عن دينِهم قالوا: نعبُدُ اللَّاتَ والعُزَّى.

وقيل: إذا كذَّبُوا محمَّدًا عليه السَّلامُ فقد شهِدُوا على أنفُسِهم بالكفرِ.

وقيل: الشَّهادةُ: البيانُ.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ﴾؛ أي: بطَلَ ثوابُها، مُشتقٌّ من حبِطَ بطنُ الشَّاةِ، وقد سبَقَ.

﴿وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴾: دائمونَ.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٨)، والواحدي في «البسيط» (١٠/ ٣٢٨) وفي «أسباب النزول» (ص: ٢٤٣)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ١٩).

(٢) في (و): «سيرم»، واسترمَّ الحائط: حان له أن يُرمَّ. انظر: «معجم ديوان الأدب» للفارابي (٣/ ١٨٥).

(١٨) ـ ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾.

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾؛ أي: بالبعثِ والنُّشورِ.

﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ﴾؛ أي: في أبوابِ الدِّينِ ﴿إِلَّا ٱللَّهَ﴾.

أي: يجوزُ لهم ويليقُ بهم عمارتُها، وجُمِعَ لأنَّ سائرَ المساجدِ في هذا كالمسجدِ الحرامِ.

﴿فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾: المُتمسِّكين بطاعةِ الله، و(عسى) منَ الله واجبٌ[1].

وقيل: (عسى) راجعٌ إلى المؤمنين؛ أي: هم بهذا العملِ على رجاءِ الجنَّةِ.

* * *

(١٩) ـ ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ﴾ السِّقاية هنا: مصدرُ سقَيْتُ، وكان المشركون يسقُونَ الحاجَّ الشَّرابَ والعسلَ والسَّويقَ والماءَ.

﴿وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾: ترميمَه وتجصيصَه.

﴿كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: كإيمانِ مَن آمَنَ، ويجوزُ أن يكونَ تقديرُه: أهلَ سقايةِ الحاجِّ كمَن آمَنَ[2]؟!

---

(١) كرّر المصنف هذا، وقيل: (عسى) من الله واجب إلا في قوله: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾. انظر: «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٢٦).

(٢) يعني: السقايةُ والعمارة مصدران، وقوله: ﴿كَمَنْ﴾ تشبيه بالجثة، والحدَث لا يُشبَّهُ بالجثَّة، فلا بدَّ من مُضْمَرٍ مدلولٍ عليه بقرينة السياق؛ إما في الأول ـ وهو: «أهل» ـ فلتقابل الجثةُ الجثةَ، وأما في الثاني ـ وهو «إيمان» ـ فليقابل المصدرُ المصدرَ. انظر: «البسيط للواحدي» (٣/ ٥١٨)، و(١٠/ ٣٣٧)..

﴿لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ﴾ نزلَتْ في مُناظرةِ عليٍّ والعبَّاسِ[1].

وقيل: نزلَتْ في اليهودِ حين أفتَوا قُريشًا بأنَّهم أفضلُ منَ المؤمنين[2] لذلك[3].

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: لا يُرشِدُهم.

* * *

(٢٠) ـ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ﴾: أعلى رُتبةً وأرفعُ منزلةً؛ لأنَّهم في الجنَّةِ، ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾: الظَّافرون بالأماني.

* * *

(٢١ ـ ٢٢) ـ ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا﴾ في الجنَّاتِ، وقيل: في الجنَّاتِ والرَّحمةِ والرِّضوانِ والبُشرى؛ لأنَّ الجنَّاتِ جمعُ القليلِ، وضميرُ جمعِ القليلِ (هُنَّ)، والوجهُ هو الأوَّلُ.

﴿نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾: ليِّنُ العيشِ على الدَّوامِ ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾: دائمًا سرمدًا.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٣٧٨ ـ ٣٨١) عن ابن عباس رضي الله عنهما والحسن والشعبي ومحمد بن كعب والسدي.

(٢) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» (٢/ ٤٣٨)، والماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٣/ ٢٠٧)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٣/ ١٦).

(٣) كذا في النسخ الخطية، ويحتمل أن يكون فيها تحريف، وأن الجملة تنتهي بكلمة المؤمنين، وتكون الجملة بعدها: كذلك ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

والأبدُ: الدَّهرُ المُستقبَلُ من غيرِ آخِرٍ، وقطُّ للماضي، وجمعُه: الآبادُ والأُبودُ، وكذلك (أَبيدٌ)، من قولِك: لا أفعَلُ أبدَ الأَبيدِ(١).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٌ﴾: دائمٌ لا ينقطعُ.

* * *

(٢٣) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ﴾ في سببِ النُّزولِ: قال الكلبيُّ: لمَّا أمرَ رسولُ الله عليه السَّلامُ بالهجرةِ إلى المدينةِ جعَلَ الرَّجلُ يقولُ لابنِه ولأخيه ولقرابتِه: إنَّا قد أُمِرْنا بالهجرةِ، فمنهم مَن يُسرِعُ إلى ذلك ويُعجِبُه، ومنهم مَن يتعلَّقُ به زوجتُه وعيالُه وولدُه فيقولون: أنشدُكَ اللهَ أن تدعَنا إلى غيرِ شيءٍ فنضيعَ، فيرِقُّ ويجلسُ معَهم ويدَعُ الهجرةَ، فنزلَتْ يُعاتِبُهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ الآية(٢).

ونزلَتْ في الذين تخلَّفوا بمكَّةَ ولم يُهاجِروا(٣).

قولُه: ﴿إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِ﴾: أحبُّوه واختارُوه ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾؛ أي: مَن تولَّى المُشركَ فهو مُشركٌ؛ لأنَّه رضيَ بشركِه.

---

(١) انظر: «غريب الحديث» لابن قتيبة (٢/ ٣١٠)، و«متخير الألفاظ» لابن فارس (ص: ٢٠٦).

(٢) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٤٥)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٣/ ٢٤١) عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٣٨٤) عن مجاهد بلفظ: «أمروا بالهجرة، فقال العباس بن عبد المطلب: أنا أسقي الحاج، وقال طلحة أخو بني عبد الدار: أنا صاحب الكعبة فلا نهاجر، فأنزلت: ﴿لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ﴾ إلى قوله: ﴿يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦ﴾ [التوبة: ٢٣ ـ ٢٤] بالفتح...».

(٢٤) ـ ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾.

﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ ﴾ ابنُ عيسى: الأبُ: المُختصُّ بانفصالِ نطفةِ الولدِ عنه.

﴿وَأَبْنَآؤُكُمْ ﴾ الابنُ: الولدُ الأكبرُ.

﴿وَإِخْوَٰنُكُمْ﴾ الأخُ: الشَّقيقُ في النَّسبِ منَ الأبوَين أو من أحدِهما.

﴿وَأَزْوَٰجُكُمْ﴾ الزَّوجةُ: المرأةُ التي زُوِّجَتْ على عقدِ نكاحٍ صحيحٍ.

﴿وَعَشِيرَتُكُمْ﴾: أقرباؤُكم، العشيرةُ: الجماعةُ ترجعُ إلى عقدٍ كعقدِ العشيرةِ.

﴿وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا ﴾: اكتسبْتُموها، وقد سبقَ.

﴿وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا ﴾: فواتَ وقتِ النَّفاقِ، وقيل: ﴿وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا ﴾: البناتُ الأيامَى إذا كسَدْنَ عندَ آبائِهنَّ ولم يُخطَبْنَ، حكاه أقضَى القضاةِ[1].

﴿وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟﴾: توقَّفُوا وانتَظِرُوا ﴿حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ هذا وعيدٌ؛ أي: عذابٌ عاجلٌ أو عقابٌ آجلٌ.

وقيل: ﴿بِأَمْرِهِۦ﴾ فتحُ مكَّةَ.

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾: لا يُرشِدُ مَن عصاه.

* * *

(١) انظر: «النكت والعيون» (٢/ ٣٤٩).

(٢٥) - ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾.

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾ في الخبرِ: أنَّ المواطِنَ التي نصرَ الله فيها النَّبيَّ عليه السَّلامُ والمؤمنين ثمانونَ مَوطِنًا(١).

والمَوطِنُ: مكانُ الإقامةِ، وكذلك الوطَنُ.

﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾: وادٍ بينَ مكَّةَ والطَّائفِ، وقيل: وادٍ إلى جنبِ ذي المجازِ، وكانت الحربُ فيه مع هوازنَ وثَقيفٍ.

وذلك أنَّ رسولَ الله عليه السَّلامُ خرجَ مُتوجِّهًا إلى حُنينٍ بعدما افتتحَ مكَّةَ، وكان معه اثنا عشرَ ألفًا منَ المُهاجرين والأنصارِ، وقيل: أحدَ عشرَ ألفًا وخمسُ مئةٍ، وقيل: عشرةُ آلافٍ، وكانوا يومَئذٍ أكثرَ ما كانوا قطُّ، وكان المُشرِكونَ أربعةَ آلافٍ، فلمَّا التَقى الجمعانِ قال عليه السَّلامُ: «لن نُغلَبَ اليومَ من قلَّةٍ»(٢)، وقيل:

---

(١) روى الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (١٣/ ٥١٨) عن الحسين بن يحيى قال: «اعتل المتوكل في أول خلافته، فقال: لئن برئت لأتصدقن بدنانير كثيرة، فلما برئ جمع الفقهاء، فسألهم عن ذلك، فاختلفوا، فبعث إلى علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر [بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب]، فسأله، فقال: يتصدق بثلاث وثمانين ديناراً، فعجب قوم من ذلك، وتعصب قوم عليه، وقالوا: تسأله يا أمير المؤمنين من أين له هذا؟ فرد الرسول إليه، فقال له: قل لأمير المؤمنين: في هذا الوفاء بالنذر؛ لأن الله تعالى قال: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾، فروى أهلنا جميعاً أن المواطن في الوقائع والسرايا والغزوات كانت ثلاثة وثمانين موطناً، وأن يوم حنين كان الرابع والثمانين، وكلما زاد أمير المؤمنين في فعل الخير كان أنفع له وأجدى عليه في الدنيا والآخرة».

(٢) ذكر ابن إسحاق كما في «سيرة ابن هشام» (٢/ ٤٤٤)، وفي «مغازي الواقدي» (٣/ ٨٩٠) أن =

قالَـها رجلٌ منَ المسلمينَ اسمُه: سلَمةُ بنُ سلامةَ[1]، فاقتتلَ المسلمون قتالًا شديدًا، فانهزمَ المُشركون وخلَّوا عن الذَّراري، ثمَّ نادَوا: يا حُماةَ السَّوءِ، اذكُروا الفضائحَ، فرجَعُوا وانكَشَفَ المسلمون[2].

= القائل ذلك أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وفي «مسند البزار» (٦٥١٨) عن أنس رضي الله عنه أن القائل غلام من الأنصار، وروى الطبري في «تفسيره» (١١/ ٣٨٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٧٧٣)، عن السدي أن قائل ذلك رجل من أصحاب رسول الله ﷺ. وكذا روى الطبري عن قتادة أنه قال: «وذكر لنا أن رجلاً قال...»، ومثله روى البيهقي في «الدلائل» (٥/ ١٢٣) عن الربيع.

والقول بأن قائل ذلك هو النبي ﷺ مردود مستبشع، وقد تابع فيه المؤلف الثعلبي (١٣/ ٢٤٧)، فكيف يتصور أن يقول النبي ﷺ مثل هذا الكلام البعيد عن فهم حقيقة الشرع وهو المبلِّغ عن ربه والمعلم للناس وأعلم الناس بهذا الدين وما يصح فيه وما لا يصح؟! أم كيف يغيب عنه أن الناصر هو الله سبحانه لا كثرةُ الجنود؟! وكذلك لا يتصور مثل هذا من الصديق أعظم الصحابة فهماً لدين الله وتصديقاً به ودفاعاً عنه، وأجلِّهم مكانة، وأقواهم إيماناً، وإنما يتصور مثل هذا من أولئك الذين كانوا حديثي عهد بالدين، أو الذين لم يترسخ الإيمان في قلوبهم، وقد خرجوا مع الجيش وكانوا فيه كثرة كالطلقاء وأمثالهم.

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٠/ ٣٤٦)، وفي «الوسيط» (٢/ ٤٨٧)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٤١٣)، عن ابن عباس رضي الله عنهما. وذكره دون نسبة: السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٤٨)، والثعلبي في «تفسيره» (١٣/ ٢٤٨).

وهذا من المستبعد أيضاً؛ لأن سلمة بن سلامة هذا صحابي كبير شهد العقبتين وبدراً وأحداً والمشاهد، فلا يخبر عنه بلفظ: «غلام من الأنصار» كما جاء في حديث أنس، علماً أن خبر ابن عباس الذي ورد فيه أنه سلامة قد ذكره الواحدي في تفسيريه من رواية عطاء عن ابن عباس، وهذا الطريق قد كثر وروده عند الواحدي، وإسناده ساقط لا يحتج به.

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٣/ ٢٤٨).

قال الكلبيُّ: فبقيَ مع رسولِ الله ﷺ ثلاثُ مئةٍ منَ المسلمين، وانهزَمَ سائرُ النّاسِ عنه(١).

ثمَّ قال النَّبيُّ عليه السَّلامُ للعبَّاسِ: «نادِ: يا معشرَ الأنصارِ، يا معشرَ المُهاجرينَ»، وكان العبَّاسُ رجلًا صيِّتًا، فجعلَ يُنادي: يا عبادَ الله! يا أصحابَ الشَّجرةِ(٢)! يا أصحابَ سورةِ (البقرةِ)! فعطفَ المسلمون حين سمِعُوا صوتَه عطفةَ البقرةِ على أولادِها، فالتقوا مع المشركين، فقال عليه السَّلامُ: «هذا حينَ حمِيَ الوطيسُ»(٣)، ثمَّ أخذَ بكفِّه(٤) كفًّا منَ الحصى، فرماهُم بها وقال: «شاهَتِ الوجوهُ»، ثمَّ قال: «انهزَمُوا وربِّ الكعبةِ، انهزَمُوا وربِّ الكعبةِ»، فهزمَهم اللهُ عزَّ وجلَّ، وأنجزَ وعدَه وأنزَلَ نصرَه وجُندَه(٥).

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٣/ ٢٤٩)، وفي هذا العدد نظر، فقد ذكر غير الكلبي أن الذين ثبتوا مع رسول الله ﷺ نفر قليل عدُّوهم بأسمائهم، فقد روى الإمام أحمد في «المسند» (١٥٠٢٧) بإسناد حسن عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: «فانطلق الناس إلا أن مع رسول الله ﷺ رهطاً من المهاجرين والأنصار، وأهل بيته غير كثير، ثبت معه ﷺ أبو بكر وعمر، ومن أهل بيته، علي بن أبي طالب، والعباس بن عبد المطلب، وابنه الفضل بن عباس، وأبو سفيان بن الحارث، وربيعة بن الحارث، وأيمن بن عبيد وهو ابن أم أيمن، وأسامة بن زيد..». وفي عددهم خلاف، أنقص بعضهم عمن ذكر وزاد آخرون حتى أوصلوهم إلى مئة رجل. انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٨/ ٣٠).

(٢) في (و): «العشيرة».

(٣) «حمي الوطيس»: الوطيس: شبهُ التنور يُخبز فيه، ويُضرب هذا مَثَلًا لشدة الحرب، فيُشبّه حرُّها بحرِّه، أو للأمر إذا اشتد، وذكر ابن دريد أن هذه الكلمة لم تُسمع قبل النبي ﷺ، ولم توجد في متقدم كلامها. انظر: «جمهرة اللغة» (٢/ ٨٣٩)، و«الزاهر» (٢/ ٩٦)، و«غريب الحديث» للخطابي (١/ ٦٥).

(٤) في (ن): «بيده».

(٥) سياق المصنف مختصر من «تفسير الثعلبي» (١٣/ ٢٥٣)، وروى القصة مسلم (١٧٧٥) عن =

وهـو قولـه: ﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾؛ يعنـي: قولـه: «لـن نُغلَـبَ اليومَ مـن قلَّةٍ».

﴿فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا﴾: لـم تدفعِ الكثرةُ عنكم شيئًا مـنَ العدوِّ، ويجوزُ: شيئًا من الغَناءِ[1].

﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾: برُحْبِها وسَعَتِها، والباءُ للحالِ؛ أي: رحيبةً، والمعنى: لـم تجِدوا مَوضِعًا لفرارِكُم عن أعدائِكم، وقيل: لم تثبُتوا فيها كما لا يثبُتُ مَن لا يسعُه مكانٌ.

﴿ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾؛ أي: ولَّيتُـم للكفَّـارِ ظُهورَكـم مُدبريـن عـن النَّبـيِّ عليه السَّـلامُ مُنهزِمينَ.

والإدبارُ: الذَّهابُ إلى خلفٍ، خلافُ الإقبالِ.

* * *

= العبـاس رضـي الله عنـه قـال: شـهدت مـع رسـول الله ﷺ يـوم حنيـن، فلزمـت أنـا وأبـو سـفيان بن الحـارث بـن عبد المطلب رسـول الله ﷺ فلـم نفارقه، ورسـول الله ﷺ على بغلة له بيضـاء أهداها له فـروة بـن نفاثـة الجذامي، فلما التقى المسـلمون والكفار ولى المسـلمون مدبرين، فطفق رسـول الله ﷺ يركـض بغلتـه قِبَـل الكفـار، قال عبـاس: وأنا آخـذ بلجام بغلـة رسـول الله ﷺ أكفهـا إرادة أن لا تسـرع، وأبـو سـفيان آخـذ بـركاب رسـول الله ﷺ، فقـال رسـول الله ﷺ: «أي عباس! نـاد أصحاب السـمرة»... الحديثَ.

(١) فـ ﴿شَيْـًٔا﴾ على القول الأول مفعول به، وعلى الثاني مفعول مطلق.

(٢٦) ـ ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾.

﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾؛ أي: رحمتَه، وقيل: أمنَه وطُمَأنينتَه، وقيل: وَقارَه، فأمِنُوا وسكَنَتْ قلوبُهم بعد الخوفِ.

﴿وَأَنزَلَ جُنُودًا﴾ يعني: الملائكةَ، وكانوا خمسةَ آلافٍ، وقيل: زيادة.

﴿لَّمْ تَرَوْهَا﴾ بأعيُنِكم، وقيل: رأى بعضُهم الكفَّارَ يُقاتَلون، وقيل: لم تُعايِنُوه.

﴿وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بالخوفِ والقتلِ والأسرِ ﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾؛ أي: ما فُعِلَ بهم جزاؤُهم في الدُّنيا.

* * *

(٢٧) ـ ﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ وهم الذين أسلَمُوا منهم بعدَ ذلك ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

* * *

(٢٨) ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾: قذَرٌ، فاجتَنِبُوهُم كما تُجتَنَبُ الأنجاسُ.

الحسنُ: نجِسُ العينِ، فمَن صافحَهُم وجَبَ عليه غسلُ يدِه(١).

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٥٧٢٧)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ٣٩٨)، بلفظ: «﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ فلا تصافحوهم، فمن صافحهم فليتوضأ».

قتادةُ: ﴿نَجَسٌ﴾ لأنَّهم لا يغتسِلون منَ الجنابةِ، ولا يتوضَّؤُونَ منَ الحدثِ[١].

وقيل: ﴿نَجَسٌ﴾: خبيثٌ، والخبيثُ[٢]: الرَّديءُ منَ الشَّيءِ.

وحكَى قُطرُبٌ في ماضي ﴿نَجَسٌ﴾ ثلاثةَ أوجهٍ[٣]، و(نَجَسٌ) مصدرٌ، و(نَجِسٌ) اسمٌ، و(نِجْسٌ) مُوافقةُ (رِجْسٍ).

﴿فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾ نَهاهُم عن الاقترابِ، والمرادُ: منعُ المؤمنين إيَّاهُم عن مُقاربةِ المسجدِ، وقيل: هو المسجدُ فحسبُ، وقيل: الحرمُ كلُّه، وقيل: خاصٌّ لمَن حجَّ، وقيل: عامٌّ فيهم.

﴿بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾ قيل: هو سنةُ تسعٍ، وهي سنةُ براءة، وقيل: سنةُ عشرٍ، وهي سنةُ حجَّةِ الوداعِ.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾: فَقْرًا؛ عالَ يعيلُ، والاسمُ: العائلُ، والجمعُ: العُيَّلُ.

قال المُفسِّرون: لمَّا نزلَتْ هذه الآيةُ قال بعضُهم: الآنَ تنقطعُ عنَّا الميرةُ، فنزلَتْ: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾[٤].

﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ بما تأخُذونَ منَ الجزيةِ وتنالونَ منَ الغنيمةِ، وقيل: ﴿مِن فَضْلِهِۦٓ﴾: من رزقِه، فمُطِرَتِ البلادُ وأخصَبَتْ، فحُمِلَتِ الميرةُ إلى مكَّةَ من كلِّ صَوبٍ، وقيل: هذا وعدٌ منَ الله قد أنجزَه.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٠٦٥)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ٣٩٧) عن معمر قال: «لا أعلم قتادة إلا قال: النجس: الجنابة». وفي رواية للطبري عن قتادة: «﴿نَجَسٌ﴾: أجناب».

(٢) في (و): «والخبث».

(٣) في هامش (ن): «الأوجه الثلاثة في ماضي (نجس) اختلاف حركات العين من فعله»، و(نجس) ككرم وسميع أما (نَجَس) بفتح الجيم فمعناها: عوَّذ الصبي. انظر: «تاج العروس» مادة: (ن ج س) (١٦/ ٥٣٥).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٤٠٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٧٧٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره.

﴿إِن شَآءَ﴾ قيَّده بالمشيئةِ؛ لأنَّ الغِنَى[1] يقعُ في حقِّ بعضٍ دونَ بعضٍ، وفي عامٍ دونَ عامٍ.

وقيل: هذا تعليمٌ بتعليقِ الأمورِ بمشيئةِ الله.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بما أمرَ ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما قدَّر.

ورُوِيَ عن بعضِ القُرَّاءِ الوقفُ على قولِه: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ على تقديرِ: لا تقربُوا وإنْ خِفْتُم عَيلةً، ثمَّ استأنفَ فقال: ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾[2].

* * *

(٢٩) - ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾.

﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ يُريدُ بهم: أهلَ الكتابِ، فنفى عنهم الإيمانَ باللهِ واليومِ الآخرِ؛ لأنَّ سبيلَهم سبيلُ مَن لا يُؤمِنُ، وقيل: لأنَّهم يصِفُونَ الله بما لا يليقُ به سُبحانَه، ويصِفُونَ نعيمَ الجنَّةِ بخلافِ ما هو عليه، يزعُمونَ لا أكلٌ فيها ولا شربٌ.

وقيل: هذا على سبيلِ الذَّمِّ.

﴿وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ لأنَّهم أحلُّوا ما حرَّمَ الله عليهم، وحرَّمُوا ما أحلَّ، وقيل: أحلُّوا الخمرَ.

﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ﴾ الحقُّ: هو اللهُ؛ أي: لا يدينون دينَ الإسلامِ، وهو دينُ محمَّدٍ عليه السَّلامُ النَّاسخُ لسائرِ الأديانِ.

---

(١) في (و): «الغناء».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٥٠).

وقيل: ﴿دِينَ ٱلْحَقِّ﴾: طاعةَ الحقِّ، تقولُ: دانَ له: إذا أطاعَ.

﴿مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يعني: اليهودَ والنَّصارى، و﴿مِنَ﴾ للتَّبيينِ(١)، وأمَّا المجوسُ فمُلْحَقون بأهلِ الكتابِ في الجزيةِ فحسبُ؛ لقولِه عليه السَّلامُ: «سُنُّوا بهم سُنَّةَ أهلِ الكتابِ»(٢)، وكذلك التُّركُ والهندُ والرُّومُ، فأمَّا العربُ فالسَّيفُ أو الإسلامُ.

﴿حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ﴾: هي ما يُؤخَذُ منهم، مُشتقٌّ من جزَى دَينَه؛ أي(٣): قضاه، وقيل: هي من قولِهم: هذا(٤) يَجزِي عن هذا؛ أي: يَكفي عنه.

---

(١) في (و): «للنبيين».

(٢) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (١/ ٢٧٨)، والبزار في «مسنده» (١٠٥٦)، عن جعفر بن محمد بن عليٍّ عن أبيه: أن عمر بن الخطاب ذَكَر المجوسَ فقال: ما أدري كيف أصنعُ في أمرهم؟ فقال عبد الرحمن بن عوفٍ: أشهدُ لَسمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «سُنُّوا بهم سُنَّةَ أهلِ الكتاب».
قال البزار: «وهذا الحديث قد رواه جماعة عن جعفر، عن أبيه، ولم يقولوا عن جده، وجده علي بن الحسين، والحديث مرسل ولا نعلم أحداً قال: عن جعفر عن أبيه عن جده إلا أبو علي الحنفي عن مالك».
وقال ابن عبد البر في «التمهيد» (٢/ ١١٤ ـ ١١٦): هذا حديث منقطع لأن محمد بن علي لم يلق عمر ولا عبد الرحمن بن عوف... ولكن معناه متصل من وجوه حسان.
وروى البخاري (٣١٥٦) عن عمرو قال: «كنت كاتباً لجزء بن معاوية، عم الأحنف، فأتانا كتاب عمر بن الخطاب قبل موته بسنة: فرقوا بين كل ذي محرم من المجوس، ولم يكن عمر أخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله ﷺ أخذها من مجوس هجر».

(٣) في (ن): «إذا».

(٤) في (ن): «فلا».

وقوله: ﴿عَن يَدٖ﴾ قيل: عن سُلطانٍ وقوَّةٍ لكم عليهم، وقيل: من إنعامٍ منكم[١] عليهم، واليدُ: السُّلطانُ، واليدُ النِّعمةُ.

وقيل: ﴿عَن يَدٖ﴾؛ أي: نقدًا.

وقيل: معنى ﴿عَن يَدٖ﴾: يُعطُونَها بأيديهم، يُعطي كلُّ رجلٍ ما عليه بيدِه لا يُرسلُه.

وقيل: ﴿عَن يَدٖ﴾: عن غِنًى.

وقيل: ﴿عَن يَدٖ﴾: عطاءٌ لا يُقابلُه جزاءٌ، يُؤخَذُ منَ الرِّجالِ البالغين دون النِّساءِ والأطفالِ في ابتداءِ الحولِ، وقيل: بعدَ حَوَلانِه.

ورُوِيَ أنَّ عمرَ رضيَ الله عنه أوجَبَ على مَن كانَ من أهلِ الذَّهبِ أربعةَ دنانيرَ، وعلى أهلِ الفِضَّةِ أربعينَ درهمًا[٢].

﴿وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾: أذلَّاءُ يمشون بها خاضِعين، لا يركَبُونَ ولا يجلِسُونَ حتَّى يُعطُوا[٣].

وقيل: ﴿وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾؛ أي: ذلك الصَّغارُ بعينِه، فيكونُ استِئنافًا، وعلى الوجهِ الأوَّلِ يكونُ حالًا.

***

---

(١) في (و): «لكم».

(٢) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (١/ ٢٧٩)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٦/ ٤٢٩).

(٣) وقعت العبارة في (و) هكذا: «لا يركبون البحر ولا يجلسون حتى يعطون الزراعة».

(٣٠) ـ ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾.

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ قال ذلك بعضٌ منهم، فنُسِبَ إلى الكلِّ لكونِهم منهم، وقيل: انقرَضَ قائلوه، وقيل: قالها فنحاصُ في جماعةٍ، وقيل: فنحاصُ وحدَه.

قالوا ذلك لمّا أحياهُ الله بعدَ مئةِ عامٍ، فأملى عليهم التَّوراةَ حِفظًا، وقد سبقَ في (البقرةِ).

واختلفَ القُرَّاءُ في التَّنوينِ، فمَن أثبتَ فلأنَّه مبتدأٌ، و(ابنُ) خبرُه، والتَّنوينُ يُحذَفُ في النَّسبِ[1]، ومَن حذَفَ التَّنوينَ فلالتقاءِ السَّاكنَين[2]، وهذا كثيرٌ في الشِّعرِ، وقد رُوِيَ عن أبي عمرٍو: (أحدُ اللهُ) بحذفِ التَّنوينِ[3].

وقيل: حُذِفَ؛ لأنَّه لا ينصرفُ للعُجمةِ والتَّعريفِ[4].

وقيل: حُذِفَ للنِّسبةِ على زعمِ اليهودِ، والخبرُ مُضمَرٌ؛ أي: عُزَيرُ ابنُ الله نبيُّنا،

---

(١) لأنهم يجعلون الاسم مع (ابن) بمنزلة اسم واحد. انظر: «الكتاب» لسيبويه (٢/ ٢٠٤).

(٢) قرأ عاصم والكسائي بالتنوين، وباقي السبعة بغير تنوين. انظر: «السبعة» (ص: ٣١٣)، و«التيسير» (ص: ١١٨). وقد ذكر القول في توجيه القراءة الفراء في «معاني القرآن» (١/ ٤٣٢).

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٨٣) عن نصر بن عاصم وأبي عمرو، ورويت عن عمر كما قال، والمشهور عن أبي عمرو التنوين كقراءة الجماعة.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٥٠)، واستغربه، ونقل عن النحاس قوله: «هذا سهو من قائله؛ لأن (عزيرًا) مشتق من قوله: (عزروه)، والياء فيه للتصغير».

قال: «وهذا لا يدفع كلام من قال: لا ينصرف؛ لأن (إسحاق) أيضاً يمكن أن يقال فيه: إن الألف والهمزة زائدتان، واشتقاته من (السحق)، وكذلك (يعقوب)، وأخواته». وانظر: «الحجة» لابن خالويه (ص: ١٧٤).

وهذا الوجهُ وإنْ كان قائلوه كبارًا مُزيَّفٌ؛ لأنَّ الإنكارَ ينصرفُ إلى الخبرِ، فيبقى النَّسبُ مُسلَّمًا، سُبحانَه عن ذلك(١).

﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ قيل: ذلك قولُ بعضِهم، وقيل: هو قولُ عامَّتِهم، قالوا ذلك حينَ أبرأ الأكمَهَ والأبرَصَ وأَحيَى الموتَى.

﴿ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ أي: لا(٢) حجَّةَ لهم ولا برهانَ على قولِهم، وقيل: قيَّدَ القولَ بالأفواهِ نفيًا للمجازِ؛ لأنَّ القولَ يُستَعملُ لغيرِ المنطقِ، قال:

امتلأ الحَوْضُ وقال قَطْني ... مَهلًا رُويدًا قد مَلأَتَ بَطْني(٣)

والأفواهُ: جمع فُوْهٍ، حُذِفَ الهاءُ من آخرِه وقُلِبَ الواوُ ميمًا، فصارَ (فمًا).

﴿يضاهون﴾: يُشبِّهون ويُشاكِلونَ، والهمزُ لغةٌ(٤).

والمُضاهاةُ: المُشاكلةُ، وامرأةٌ ضَهْياءُ: لا تحيضُ، وقيل: التي لا ثَدْيَ لها.

﴿قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ هم الذين قالوا: الملائكةُ بناتُ الله، ومنهم مَن قال: الأصنامُ بناتُ الله، وسمَّوا اللهَ أبا العُزَّى، سُبحانَه.

---

(١) ذكر الوجه الذي أنكره المصنف الزجاج في «معاني القرآن» (٢/ ٤٤٢)، وذكر الأخفش في «معاني القرآن» (١/ ٣٥٦) أنه خبر لمبتدأ محذوف، والإشكال وارد عليه أيضاً، وتابعه النحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ١١٥)، وأبو علي في «الحجة» (٤/ ١٨٣)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٥٠)، وعده من العجائب، وقال: «وهذا القول ضعيف وإن كان قائلوه أقوياء؛ لأن الإنكار أو الرد ينصرف إلى الخبر؛ لأنهم قالوا: تقدير: عزيرُ ابن.. نبيُّنا، أو: نبيُّنا عزيرُ ابن.. ، فيبقى النسب بينهما سبحانه عن ذلك».

(٢) في (و): «ولا».

(٣) الرجز بلا نسبة في: «العين» (٥/ ١٤)، و«إصلاح المنطق» (ص: ٥٠)، و«الكامل» (٢/ ٧٠)، و«تفسير الطبري» (٢/ ٤٦٩). وفي بعض المصادر: «قد خنق الحوض» بدل «امتلأ الحوض».

(٤) قرأ عاصم وحده: ﴿يضاهئون﴾ بالهمز وكسر الهاء، وقرأ الباقون بغير همز. انظر: «السبعة» (ص: ٣١٤)، و«التيسير» (ص: ١١٨).

وقيل: ضاهَى النَّصارى اليهودَ، وقيل: ضاهى خلَفُهم سلَفَهم.

﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾ دعاءٌ عليهم؛ أي: لعنَهُم الله، وقيل: أهلَكَهُم الله؛ لأنَّ مَن قاتلَه اللهُ هلَكَ، وقاتَلَ؛ بمعنى: قتَلَ(1).

وقيلَ: تعليمٌ؛ أي: قولُوا: قاتلَهُم اللهُ.

﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾: يُصرَفونَ عن الحقِّ إلى الباطلِ، والإفكُ: الصَّرفُ، وقيل: ﴿يُؤْفَكُونَ﴾: يُكذِّبون.

* * *

(٣١) - ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾.

﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ﴾: جمع حَبْرٍ، وقد سبقَ.

﴿وَرُهْبَٰنَهُمْ ﴾: جمع راهبٍ؛ كفارسٍ وفُرسانٍ، وهو كالعَلَمِ لزُهَّادِ النَّصارَى، مُشتقٌّ منَ (الرَّهبةِ)، ومصدرُه: الرَّهبانيَّةُ.

﴿أَرْبَابًا ﴾: آلهةً ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾: سِوى اللهِ من حيثُ أطاعوهُم في تحليلِ ما حرَّمَ الله وتحريمِ ما أحلَّ اللهُ من غيرِ دليلٍ وبيانٍ كطاعةِ الله.

وقيل: كانوا يأمُرونَهم بالسُّجودِ لهم.

﴿وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ ﴾ عطفٌ على ﴿أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ ﴾.

﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ ﴾: ليُوحِّدوا ويُطيعوا ﴿إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ وهو اللهُ عزَّ وجلَّ ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ يجوزُ أن يكونَ وصفًا لقولِه: ﴿إِلَٰهًا ﴾، ويجوزُ أن يكونَ مُستأنفًا.

---

(١) فهو لا يدلّ على المشاركة.

﴿سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: تنزيهًا له عن أن يكونَ له شريكٌ.

(٣٢) - ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا﴾: يرُدُّوا ويُخمِدُوا ﴿نُورَ ٱللَّهِ﴾: دلائلَه وحُجَجَه، وقيل: القرآنَ. وقيل: بيانَ صفةِ محمَّدٍ عليه السَّلامُ.

﴿بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾: بشِركِهم وكذِبِهم، وقيل: خُصَّ الفمُ دونَ اللِّسانِ لأنَّ الإطفاءَ بالشَّفةِ يكونُ.

﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ﴾: لا يرضى ولا يتركُ ﴿إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾ بإعلاءِ كلمةِ الله وإعزازِ دينِه ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ ذلك، وجوابُ (لو) محذوفٌ، ودخلَ (إلَّا) في الإثباتِ لأنَّ في الإباءِ معنى النَّفيِ[1]، وتقديرُه: ويأبى الله كلَّ شيءٍ إلَّا إتمامَ نورِه.

* * *

(٣٣) - ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ﴾: محمَّداً عليه السَّلامُ ﴿بِٱلْهُدَىٰ﴾: بالقرآنِ ﴿وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾: الإسلامِ.

وقيل: هو من بابِ: مسجدُ الجامعِ، وصلاةُ الأولى[2].

﴿لِيُظْهِرَهُۥ﴾: ليُعليَه ﴿عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾: على سائرِ الأديانِ ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ .

---

(١) انظر: «شرح التسهيل» لابن مالك (٢/ ٢٧٠)، و«مغني اللبيب» لابن هشام (ص: ٨٨٦).

(٢) أي: هو من إضافة الشيء إلى صفته. انظر: «الأصول» لابن السراج (٢/ ٨)، و«الإيضاح العضدي» لأبي علي (ص: ٢٧١).

(٣٤) - ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَـٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ﴾: يتملَّكُونَ ﴿أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ﴾ وقيل: يبتاعُ أموالَ النَّاسِ ﴿بِٱلْبَـٰطِلِ﴾ بالرُّشا في الحكمِ، وقيل: هي المآكلُ التي كانوا يُصيبُونَها من عوامِّهم ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ﴾.

في سببِ النُّزولِ: أنَّ معاويةَ قال: نزلَتْ في أهلِ الكتابِ. وقال أبو ذرٍّ رضي الله عنه: فينا وفيهم. فجرَى بينَهم في ذلك كلامٌ وخِصامٌ[1].

واختلفَ المُفسِّرون فيه أيضًا، والأكثرُ على أنَّها نزلَتْ في مانِعي الزَّكاةِ.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: الكنزُ: الذي لا يُؤدَّى زكاتُه[2].

وقيل: كانَ هذا في أوَّلِ الإسلامِ، كان الواجبُ عليهم أن يُؤدُّوا الفضلَ، ثمَّ نُسِخَ بآيةِ الزَّكاةِ[3].

ورُوِيَ عن عليٍّ رضي الله عنه أنَّه قال: أربعةُ آلافٍ وما دونَها نفقةٌ، وما فوقَها كنزٌ[4].

---

(١) رواه البخاري (١٤٠٦).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٠٥٢٠)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ٤٣٢)، ولفظه: «هم الذين لا يؤدون زكاة أموالهم. قال: وكل مال لا تؤدى زكاته كان على ظهر الأرض أو في بطنها فهو كنز، وكل مال تؤدى زكاته فليس بكنز كان على ظهر الأرض أو في بطنها».

(٣) هذا مروي عن السدي. انظر: «الناسخ والمنسوخ» للنحاس (ص: ٤٤٧).

(٤) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٠٧٥)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ٤٢٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٧٨٨).

ورَوَى ثوبانُ عن النَّبيِّ عليه السَّلامُ: أنَّه لمَّا نزَلَ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ﴾ قال عليه السَّلامُ: «تبًّا للذَّهب تبًّا للفضَّة» قالوا: يا رسولَ الله، فأيُّ المالِ ندَّخِرُه؟ قال: «قلبًا ذاكرًا، ولسانًا شاكرًا، وزوجةً صالحةً»(١).

والوجهُ ما قالَ ابنُ عبَّاسٍ، فقد قال عليه السَّلامُ: «كلُّ ما أدِّيت زكاتُه فليس بكنزٍ»(٢).

---

(١) حديث حسن بطرقه وشواهده، رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٢٣٩٢)، والترمذي (٣٠٩٤)، وابن ماجه (١٨٥٦)، من طريق سالم بن أبي الجعد عن ثوبان به، وهو منقطع، قال الترمذي: هذا حديث حسن، سألت محمد بن إسماعيل (البخاري) فقلت له: سالم بن أبي الجعد سمع ثوبان؟ فقال: لا.

ورواه الطبريُّ في «تفسيره» (١١/ ٤٢٨) بعضه عن سالم مرسلاً، وبعضه عن عمر، وفيه انقطاع؛ فإن سالم بن أبي الجعد روى عن عمر لكنه لم يدركه، وهو ثقة روى له الجماعة.

ويشهد له ما رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٣١٠١) من طريق سلم بن عطية الفقيمي عن عبد الله بن أبي الهذيل عن صاحب له: أنه انطلق مع عمر فقال: يا رسول الله، قولك: «تبًّا للذهب والفضة» ماذا؟ فقال ﷺ: «لساناً ذاكراً، وقلباً شاكراً، وزوجة تُعين على الآخرة» ورجاله ثقات غير سلم بن عطية فقد ليَّنه ابن حجر في «التقريب».

(٢) تقدم من قول ابن عباس قريباً. وروي عن ابن عمر مرفوعاً وموقوفاً، فقد رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٤/ ٨٣) من طريق محمد بن جبير عن سفيان عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر مرفوعاً وقال: ليس هذا بمحفوظ، وإنما المشهور عن سفيان عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر موقوفاً.

ورواه الطبراني في «الأوسط» (٨٢٧٩) وابن عدي في «الكامل» (٣/ ٤٢٦) من طريق سويد بن عبد العزيز عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر مرفوعاً، ولفظه: «كل مال وإن كان تحت سبع أرضين يؤدى زكاته فليس بكنز، وكل مال لا يؤدى زكاته وإن كان ظاهراً فهو كنز» قال ابن عدي: رفعه سويد إلى النبي ﷺ وغيره يرويه موقوفاً.

والموقوف رواه الشافعي في «مسنده» (٦١٢ ـ ترتيب السندي)، وعبد الرزاق في «المصنف» (٧١٤٠) و(٧١٤١). =

وأصلُ الكنزِ: جمعُ الشَّيءِ وتكثيفُه، تقول: هو مُكتنِزُ اللَّحمِ، والكنزُ: المالُ الكثيرُ مدفونًا وغيرَ مدفونٍ.

﴿وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ قيل: كنايةٌ عن الأموالِ والكنوزِ، وقيل: عن الفِضَّةِ؛ أي: لا يُنفِقون الفِضَّةَ فضلًا عن الذَّهبِ، وقيل: عن المصدرِ؛ أي: لا يُنفِقُونَ نفقةً.

وقيل: تقديرُه: يكنِزُونَ الذَّهبَ ولا يُنفِقونَه، والفِضّةَ ولا يُنفِقُونَها، فاكتفى بذكرِ أحدِهما، وهذا كثيرٌ.

ويحتمِلُ أنَّ الذَّهبَ والفِضَّةَ لمَّا كانا جنسَينِ جمعَهما كقولِه: ﴿خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُواْ﴾ [الحج: ١٩] ويُخرَّجُ على هذا: ﴿تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا﴾ [الجمعة: ١١] وقولُه: ﴿بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا﴾ [البقرة: ٤٥].

﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

* * *

= وفي الباب عن أم سلمة قالت: «كنتُ أَلبَسُ أوضاحاً مِنْ ذَهَبٍ، فقلت: يا رسولَ الله، أكنزٌ هو؟ قال: «ما بلغ أن تُؤَدَّى زكاتُه، فزُكِّيَ، فليس بكَنزٍ» أخرجه أبو داود (١٥٦٤) واللفظ له، والحاكم في «المستدرك» (١٤٣٨)، من طريق عطاء عن أم سلمة. ورجاله ثقات إلا أن عطاء ـ وهو ابن أبي رباح ـ لم يسمع من أم سلمة فيما قاله علي بن المديني. ومع ذلك فقد صححه ابن القطان، وجوَّد إسناده الحافظ العراقي، فيما نقله عنهما الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٣/ ٢٧٢).

وروى البخاري في «صحيحه» (١٤٠٤): عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سئل عن هذه الآية فقال: مَنْ كَنَزها فلم يؤدِّ زكاتها فويل له، إنما كان هذا قبل أن تنزل الزكاة، فلما أنزلت جعلها الله طهرًا للأموال. وقد ترجم له البخاري بقوله: (باب ما أدي زكاته فليس بكنز).

(٣٥) ـ ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾.

﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا﴾: على الذَّهبِ والفِضّةِ ﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾؛ أي: تُوقَدُ النَّارُ عليها، والإحماءُ فوقَ الإسخانِ.

﴿فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾ الكيُّ: الوسمُ.

ابنُ عيسى: الكيُّ أيضًا: إلصاقُ الحارِّ بعضوٍ منَ البدنِ.

قال: والجبهةُ: صفيحةُ أعلى الوجهِ قبلَ الحاجبِ، والجنبُ: الجانبُ المُشبَّكُ بالعظامِ المُقوَّسةِ، والظَّهرُ: الصَّفيحةُ المُقابلةُ للبطنِ.

وخَصَّ هذه المواضعَ بالكيِّ لأنَّ البخيلَ إذا سألَه السّائلُ زَوَى جبهتَه، ثمَّ أعرَضَ عنه، ثمَّ ولَّاه ظهرَه(١).

﴿هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ﴾؛ أي: يُقالُ لهم: هذا جزاءُ ما كنَزْتُم ﴿لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾؛ أي: جزاءَه.

***

(٣٦) ـ ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾.

﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ﴾؛ أي: مبلغَ عددِها ﴿عِندَ اللَّهِ﴾ يُريدُ: المَرْضيَّةَ عنده ﴿اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾؛ أي: الأحكامُ منَ الصَّومِ والحجِّ ووجوبِ الزَّكاةِ وانقضاءِ العِدَّةِ كلُّها مَنوطةٌ بالشُّهورِ القمريَّةِ والأهلَّةِ المرئيَّةِ التي تعرِفُها العربُ، دونَ الشَّمسيَّةِ التي تَعُدُّها الرُّومُ وفارسُ وأهلُ الكتابِ.

---

(١) ذكر البغوي أن هذا مروي عن أبي بكر الوراق. انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٣٤٤).

وسُمِّيَ الشَّهرُ شهرًا لشُهرةِ أمرِه، وإنَّما قُسِّمت السَّنةُ اثنَي عشرَ ليُوافقَ أمرُ الأهلَّةِ نزولَ الشَّمسِ في البروجِ الاثنَي عشرَ، كما قال: ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ﴾ [الرحمن: ٥].

﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾: في اللَّوحِ المحفوظِ الذي نُسِخَ فيه كتبُ الأنبياءِ المُنزَّلةُ عليهم، وقيل: في إيجابِه، وقيل: في حكمِه.

﴿يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾؛ أي: كتبَه لأمَّةِ محمَّدٍ عليه السَّلامُ يومَ خلقَ السَّماواتِ والأرضَ ﴿مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٞ﴾: واحدٌ فردٌ ـ وهو رجبُ مُضَرَ بين جُمادى وشعبانَ ـ وثلاثةٌ مُتتابعةٌ: ذو القَعدةِ وذو الحجَّةِ والمُحرَّمُ.

﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ﴾؛ أي: الدِّينُ المُستقيمُ، لا ما يفعلُه أهلُ الجاهليَّةِ من التَّقديمِ والتَّأخيرِ.

وقيل: ﴿ٱلدِّينُ﴾ هاهنا: الحسابُ.

﴿فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمۡ﴾؛ أي: في الأربعةِ بارتكابِ المعاصي.

ابنُ بحرٍ: لا تظلِمُوا أنفُسَكم بتركِ قتالِ مَن يُقاتِلُكم فيهنَّ، يدلُّ عليه ما بعدَه.

وقيل: ﴿فِيهِنَّ﴾ يعودُ إلى الجميعِ، والأوَّلُ[1] أظهرُ؛ لأنَّ (هنَّ) ضميرُ جمعِ القليلِ، و(هي) و(ها) ضميرُ جمعِ الكثيرِ، ولهذا قالَ: ﴿مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ﴾.

﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ﴾: جميعًا ﴿كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗ﴾: جميعًا.

و﴿كَآفَّةٗ﴾ مصدرٌ كالعافيةِ، وهي حالٌ لا يُثنَّى ولا يُجمَعُ[2]، ولا يدخلُها الألفُ واللَّامُ؛ لأنَّها من المصادرِ التي لا تتعرَّفُ، وهي في لُزومِ النَّكرةِ كـ(أجمعين) في لُزومِ المعرفةِ، واشتِقاقُها من (كُفَّةِ الشَّيءِ)؛ وهي حرفُه، كأنَّه كُفَّ عن الزِّيادةِ.

---

(١) أي: أن الضمير يعود إلى الأشهر الحرم دون غيرهن.

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» مادة: (ك ق ف) (٩/ ٣٣٦).

﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ هذه بشارةٌ وضمانٌ لهم بالنُّصرةِ.

وهذه ناسخةٌ، أُبيحَ فيها القتالُ في الشَّهرِ الحرامِ(١)، وقيل: هي مُحكَمةٌ كما كانت، وتقديرُ هذه الآياتِ: إنْ بدَؤُوكم فقاتِلُوهم، والأوَّلُ أصحُّ؛ لأنَّ النَّبيَّ عليه السَّلامُ قد حاصرَ الطَّائفَ فيه(٢).

***

(٣٧) - ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ﴾ ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: هو تأخيرُهم حُرمةَ شهرٍ حرَّمَه الله إلى شهرٍ لم يُحرِّمْه الله لحاجةٍ تَعرِضُ لهم(٣).

وكانوا يُبدِّلون المُحرَّمَ من صَفَرَ، وصَفَرَ منَ المُحرَّمِ، وكانت بنو فُقَيمٍ من بني كنانةَ تتولَّى ذلك، فتبِعَهم النَّاسُ.

وكان أوَّلُ مَن فعلَ نعيمُ بنُ ثعلبةَ(٤).

---

(١) وقيل بأن الآية الناسخ للقتال في الأشهر الحرم هي قوله تعالى: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾. انظر: «الناسخ والمنسوخ» لأبي عبيد (ص: ٢٠٨)، و«الناسخ والمنسوخ» للنحاس (ص: ١٢٣).

(٢) خرج رسول الله ﷺ لثلاث بقين من شوال سنة ثمان ورجع لثلاث وعشرين خلت من ذي القعدة. انظر: «دلائل النبوة» لأبي نعيم (٢٦٠).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٤٥٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٧٩٤) بلفظ: «﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ فهو المحرم كان يحرم عاماً وصفر عاماً، وزيد صفرٌ آخر في الأشهر الحرم، وكانوا يحرمون صفراً مرة ويحلونه مرة، فعاب الله ذلك، وكانت هوازن وغطفان وبنو سليم تفعله».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٣/ ٣٦٤)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ٤٦ - ٤٧)، عن الكلبي، وأورده الجرجاني في «درج الدرر» (١/ ٧٦٤) من رواية محمَّد بن مروان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. وهذا إسناد ساقط معروف. =

وقيل: القَلَمَّسُ أحدُ بني مالكِ بنِ كنانةَ(١).

وقيل: كانوا يُؤَخِّرون الحجَّ في كلِّ سنةٍ شهرًا، فيجعلُونَه في المُحرَّمِ ثمَّ في صفر، ثمَّ في شهر ربيعٍ الأوَّلِ، على هذا السَّبيلِ شهرًا بعدَ شهرٍ، وسنةً بعد سنةٍ، يحُجُّونَ في كلِّ شهرٍ عامَين، حتى وافَقَ حجُّ أبي بكرٍ رضي الله عنه الآخِرَ منَ العامَين في ذي القعدةِ قبل حجَّةِ النَّبيِّ عليه السَّلامُ، ثمَّ حجَّ النَّبيُّ عليه السَّلامُ من قابلٍ في ذي الحجَّةِ، فقالَ في خُطبتِه: «ألا إنَّ الزَّمانَ قد استدارَ كهيئةِ يومَ خلَقَ السَّماواتِ والأرضَ»(٢).

والنَّسيءُ: مصدرُ نَسَأَه؛ أي: أخَّرَه، تقولُ: نسَأَ اللهُ في أجَلِه، وأنسَأَ اللهُ أجلَه.

= وذكره أيضاً الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٣٦١) عن الزبير بن بكار. وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٤٣٥) عن الفراء، وهو في «معاني القرآن» للفراء (١/ ٤٣٦). وأورده ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٣/ ٣٣) عن أبي علي البغدادي، لكنه تعقبه بقوله: واسم نعيم لم يعرف في هذا، وما أرى ذلك إلا كما حكى النقاش: من بني فقيم كانوا يسمون: القلامس، واحدهم: قَلَمَّس، وكانوا يُفتون العرب في الموسم، يقوم كبيرهم في الحجر ويقوم آخر عند الباب ويقوم آخر عند الركن فيفتون.

وروى الطبري في «تفسيره» (١١/ ٤٥٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما أن فاعل ذلك هو جنادة بن عوف بن أمية الكناني.

وروى الطبري أيضاً (١١/ ٤٥٤) عن قتادة أنه أبو ثُمامة صفوان بن أمية أحد بني فُقيم بن الحارث ثم أحد بني كنانة.

قال ابن عطية: فهم على هذا عدة، منهم نعيم، وصفوان، ومنهم ذرية القلمَّسِ حذيفةَ بنِ عبد، وغيرُهم.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٤٥٦) عن ابن زيد. وانظر التعليق السابق.

(٢) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٢/ ١٤٩)، والطبري في «تفسيره» (٣/ ٤٨٦)، والمرفوع رواه البخاري (٣١٩٧)، ومسلم (١٦٧٩) عن أبي بكرة رضي الله عنه.

وقيل: فعيلٌ بمعنى مفعولٍ، والأوّلُ[١] أولى.

﴿زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ﴾؛ أي: هذا الفعلُ منهم زيادةٌ في الكفرِ.

﴿يَضِلُّ به الّذين كفروا﴾؛ أي: بالنَّسيءِ، فهم ضالُّونَ، وقُرِئَ: ﴿يُضَلُّ﴾[٢] فهم مُضَلُّونَ؛ أي: يُضِلُّهم الشَّيطانُ أو النَّسَأةُ.

﴿يُحِلُّونَهُۥ عَامًا﴾ يعني: المُحرَّمَ، وقيل: هو رجبٌ.

﴿وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا﴾ لأنَّه كان يُحرَّمُ سنةً ويُحلَّلُ سنةً، ويُجعَلُ مكانَ المُحلَّلِ مُحرَّمًا.

﴿لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾: أربعةَ أشهرٍ وإنْ كانت مُغيَّرةً مُبدَّلةً.

والمُواطأة: المُوافقةُ.

وقيل: اللّامُ في ﴿لِّيُوَاطِـُٔواْ﴾ مُتعلِّقٌ بـ(يحلّونه) و(يحرّمونه) جميعًا.

وقيل: مُتعلِّقٌ بقولِه: ﴿يحرّمونه﴾ فحسب، وعليه ظاهرُ الآية، فيكونُ الوقفُ على قولِه: ﴿يُحِلُّونَهُۥ عَامًا﴾.

﴿زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ﴾؛ أي: الشَّيطانُ زيَّنَ لهم ذلك، ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

* * *

---

(١) أي: أنه مصدر.

(٢) قرأ حفص وحمزة والكسائي: ﴿يُضَلُّ بِهِ﴾ بضم الياء وفتح الضاد، والباقون بفتح الياء وكسر الضاد. انظر: «السبعة» (ص: ٣١٤)، و«التيسير» (ص: ١١٨).

(٣٨) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ في سببِ النُّزولِ: أنَّها نزلَتْ في الحثِّ على غزوةِ تبوكَ، وذلك أنَّ رسولَ الله عليه السَّلامُ لمَّا رجعَ منَ الطَّائفِ وغزوةِ حُنَينٍ أمرَ بالجهادِ لغزوةِ[1] الرُّومِ، وذلك في زمانِ عُسرةٍ منَ النَّاسِ، وجَدْبٍ منَ البلادِ، وشدَّةٍ منَ الحرِّ، وكان[2] قد أخرفتِ[3] النَّخلُ وطابتِ الثِّمارُ، وعظُمَ على النَّاسِ الغزوُ وأحبُّوا الظِّلالَ والمُقامَ في المساكنِ والمنال[4]، وشقَّ عليهم الخروجُ إلى القتالِ، فلمَّا علِمَ الله تثاقُلَ النَّاسِ أنزَلَ هذه الآيةَ[5].

وقيل: لمَّا دعاهُم رسولُ الله عليه السَّلامُ وحثَّهم على الجهادِ صاروا ثلاثَ فِرَقٍ:

- فرقةٌ أسرعَتْ إلى المسيرِ، وهم المُهاجِرون والأنصارُ.
- وفرقةٌ ثقُلَتْ عليهم، فآثَروا طاعةَ الله ورسولِه على هواهُم فخرَجُوا.
- وفرقةٌ استأذَنُوا في التَّخلُّفِ، فأذِنَ لهم رسولُ الله عليه السَّلامُ، فنزلَتْ فيهم هذه الآياتُ.

---

(١) كذا في النسخ الخطية، وفي «أسباب النزول»: «للغزو»، وما ذكره المصنف صحيح، وهو موافق لنسخ من «تفسير الثعلبي» الذي اعتمد عليه المصنف فيما يبدو. انظر: «تفسير الثعلبي» (١٣/ ٣٦٩) مع حاشية محققة.

(٢) في (و): «كان» بلا واو.

(٣) في النسخ الخطية: «أخرجت» وهو تحريف، والتصويب من «تفسير الثعلبي» و«أسباب النزول». وأخرفت النخلة حان وقت جني رطبها. انظر: «إصلاح المنطق» (ص: ٥٧) و«الأفعال» لابن الحداد (١/ ٤٥٦).

(٤) في (و): «والمنازل»، والمثبت من (ن)، وهو الموافق لما في «تفسير الثعلبي».

(٥) ذكره بهذا اللفظ الثعلبي في «تفسيره» (١٣/ ٣٦٩) والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٤٦) دون نسبة، ورواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٤٥٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٧٩٦)، عن مجاهد.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: خِطابٌ لمَن تثاقَلَ دونَ مَن أسرَعَ وبادَرَ، ﴿مَا لَكُمۡ﴾: استفهامُ إنكارٍ؛ أي: أيُّ شيءٍ لكم؟ وما بعدَه حالٌ، و﴿إِذَا﴾ نابَ مَنابَ (قد) لدلالتِه على الاستقبالِ.

وقولُه: ﴿ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: اخرُجُوا إلى الجهادِ، وأصلُ النَّفْرِ: مُفارقةُ الوطنِ لأمرٍ هاجَ على ذلك، تقولُ: نفرَ إليه، وعلى الضِّدِّ: نفرَ عنه.

﴿ٱثَّاقَلۡتُمۡ﴾: تثاقَلْتُم وتباطَأْتُم ومِلْتُم ﴿إِلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾: إلى الإقامةِ بالمدينةِ، وقيل: ﴿إِلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ حين أخرجَتِ الثَّمرَ والزَّرعَ، وقيل: اطمأْنَنْتُم إلى الدُّنيا.

﴿أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ وغُرورِها ﴿مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾: بدلَ الجنَّةِ ونعيمِها، ﴿فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ يُريدُ اللَّذَّاتِ فيها والتَّمتُّعَ بها ﴿فِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾: في جنبِ الدَّارِ الآخرةِ ﴿إِلَّا قَلِيلٌ﴾: تافهٌ سريعُ الانقضاءِ.

* * *

(٣٩) - ﴿إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾.

﴿إِلَّا تَنفِرُواْ﴾؛ أي: إنْ لا تنفِرُوا إلى الحربِ ﴿يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا﴾ بإمساكِ المطرِ والجدوبةِ والقَحطِ، وقيل: بظفرِ الأعداءِ.

﴿وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ﴾: ويجعلْ مكانَكُم وبدلًا منكم آخَرينَ مُطيعينَ.

﴿وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗا﴾؛ أي: الرَّسولَ، وقيل: يعودُ إلى الله سُبحانَه، وقيل: إلى قولِه: ﴿قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ﴾.

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ منَ التَّبديلِ والتَّغييرِ.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: هذه الآيةُ منسوخةٌ بقولِه: ﴿وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗ﴾ [التوبة: ١٢٢][1].

(١) رواه أبو داود (٢٥٠٥).

وقيل: هما مُحكَمتانِ(١).

(٤٠) ـ ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾؛ أي: إنْ لا تنصُروا محمَّدًا ينصُرْه الله على عادتِه، فقد نصَرَه الله بإرشادِه إلى الهجرةِ، وقيل: بإمدادِ الملائكةِ ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ حين أخرَجه قُرَيشٌ؛ أي: حمَلُوه على الخروجِ من مكَّةَ.

وذلك أنَّهم اجتمَعُوا في دارِ النَّدوةِ فتشاوَرُوا في أمرِه فعزَمُوا على قتلِه، فأخبرَه الله ذلك، فخرَجَ هو وأبو بكرٍ نحوَ المدينةِ، فدخلُوا غارَ ثَورٍ، وهو جبلٌ بأسفلِ مكَّةَ، فأمرَ الله شجرةً فخرجَتْ في وجهِ رسولِ الله عليه السَّلامُ فسترَتْ وجهَه، وأمرَ العنكبوتَ فنسجَتْ ما بينهما، فسترَتْ وجهَ النَّبيِّ عليه السَّلامُ، وأرسلَ حمامتَين وحشيَّتَين، فوقَفا على بابِ الغارِ(٢)، وهو قولُه: ﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾.

---

(١) وهو ما رجحه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٤٦٢) وانظر كلامه ثمة. وقال النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٥٠٣): «قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ معناه: إذا احتيج إليكم وإذا استنفرتم، فهذا مما لا ينسخ؛ لأنه خبر ووعيد، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً﴾ [التوبة: ١٢٢] محكم؛ لأنه لابد من أن يبقى بعض المؤمنين لئلا تخلو دار الإسلام من المؤمنين فتلحقهم مكيدة، وهذا قول جماعة من الصحابة ومن التابعين».

(٢) رواه مطولًا ومختصراً ابن سعد في «الطبقات» (١/ ٢٢٩)، والفاكهي في «أخبار مكة» (٢٤١٦)، والبزار في «مسنده» (٤٣٤٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠/ ٤٤٣)، والعقيلي في «الضعفاء» (٣/ ٤٢٢ ـ ٤٢٣) من طريق عون بن عمرٍو القيسيِّ، عن أبي مصعبٍ المكيِّ قال: أدركْتُ زيد بنَ أَرقَمَ وأنسَ بن مالكٍ والمغيرةَ بنَ شعبةَ فسمعْتُهم يتحدَّثون: أن النبيَّ ﷺ ليلةَ الغار... فذكره، وعون ـ ويقال: عوين ـ بن عمرو القيسي، قال العقيلي: لا يتابع عليه، وأبو مصعب المكي مجهول. وانظر: =

ومعنى: ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ﴾: واحدٌ في جملةِ اثنَين، كما تقولُ: خامسَ خمسةٍ؛ أي: واحدٌ فيهم، وهو نصبٌ على الحالِ، ﴿إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ﴾؛ أي: حَصَلا فيه.

﴿إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ﴾؛ أي: يقولُ النَّبيُّ ﷺ لأبي بكرٍ: ﴿لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ وذلك أنَّ الطَّلَبَ دَنَوا منهما بحيثُ إنَّ أميَّةَ بنَ خلَفٍ بالَ فانتهى إلى أبي بكرٍ بولُه، فبكى، فقالَ له عليه السَّلامُ: «ما يُبكيك؟» فقال: أخافُ أن تُقتَلَ[1]، فقال: «لا تحزَنْ إنَّ الله معَنا» فأمِنَ حينَئذٍ[2].

﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ﴾: أمْنَه، والسَّكينةُ: ما يُوجِبُ السُّكونَ والأمنَ.

﴿عَلَيۡهِ﴾: على النَّبيِّ عليه السَّلامُ، وقيل: على أبي بكرٍ؛ فإنَّ النَّبيَّ عليه السَّلامُ لم يخَفْ، بل كانَ النَّبيُّ عليه السَّلامُ ساكنَ القلبِ رابطَ الجأشِ.

﴿وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمۡ تَرَوۡهَا﴾ يعني: الملائكةَ، وقيل: بالثِّقةِ بوعدِه واليقينِ

= «نصب الراية» (١/ ١٢٣). وقصة نسج العنكبوت رواها أيضاً الإمام أحمد في «المسند» (٣٢٥١) بإسناد ضعيف كما ذكر محققوه، لكن قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ٤٥١) عنه: هذا إسنادٌ حَسَنٌ، وهو من أَجودِ ما رُوِي في قصةِ نَسْج العنكبوتِ على فمِ الغارِ عليه.

(١) في (ن): «نقتل»، وهو تحريف، والصواب: «أخاف أن تُقتل»، ويدل على ما ذكره الزجاج: «أخاف أن تُقتل فلا يعبد الله بعد اليوم». انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٤٤٨).

(٢) ذكره بنحوه البلاذري في «أنساب الأشراف» (١/ ٢٦١) دون راو ولا سند، وقصة البول لم أجدها مسندة بهذا اللفظ، لكن جاء في خبر طويل رواه الطبراني في «الكبير» (٢٤/ ١٠٦ ـ ١٠٧) عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها: «قال أبو بكر لرجل يراه مواجه الغار: يا رسول الله! إنه ليرانا، فقال: «كلا، إن ملائكة تسترنا بأجنحتها»، فجلس ذلك الرجل فبال مواجه الغار». قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٥٤): رواه الطبراني وفيه يعقوب بن حميد بن كاسب وثقه ابن حبان وغيره وضعفه أبو حاتم وغيره.

وكذلك قول أبي بكر: «أخاف أن نقتل» ـ كما في (ن) ـ لم أجده، وقد تم التنبيه عليه، والذي رواه البخاري (٤٦٦٣)، ومسلم (٢٣٨١)، من حديث أبي بكر رضي الله عنه قال: كنتُ مع النبيِّ ﷺ في الغار فرأيتُ آثار المشركين، قلتُ: يا رسول الله، لو أنَّ أحدَهم رَفَع قَدَمَه رآنا، قال: «ما ظَنُّكَ...».

بنصرِه، وقيل: أيَّدَه بالملائكةِ يومَ بدرٍ، فيكونُ الكلامُ كافيًا على قولِه: ﴿عَلَيۡهِ﴾.

فخَرَجا منَ الغارِ وسارا نحوَ المدينةِ، وانصرَفَ القومُ آيسين[1] من لحاقِه.

﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰ﴾ يعني: الشِّركَ ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَا﴾ يعني: لا إلهَ إلّا الله، وقيل: كلمةُ الله قولُه: ﴿لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ﴾ [المجادلة: ٢١]، وقيل: علوُّ الكلمةِ: الغلَبةُ، وسَفالُ الكلمةِ: القَهرُ.

ابنُ بحرٍ: (كلمةُ الذين كفروا): اعتِزاؤُهم[2] في الحربِ: يا لَفلانٍ، وكلمةُ الله: الدُّعاءُ إليه والاستعانةُ به؛ أي: خُذِلُوا ونُصِرَ المُؤمنونَ.

وقيل: الغارُ في الآيةِ بمعنى: الغَيرةِ؛ أي: غارا على دينِ الله، حكاه الماورديُّ[3]، وهو تعسُّفٌ.

﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ في سُلطانِه وتدبيرِه.

***

(٤١) ـ ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾.

﴿ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا﴾ في سببِ النُّزولِ: أنَّها نزلَتْ في الذين اعتَذَروا واعتَلُّوا بالضَّيعةِ والشُّغلِ وانتشارِ الأمرِ.

السُّدِّيُّ: جاء المقدادُ بنُ الأسودِ إلى رسولِ الله عليه السَّلامُ وكان عظيمًا سمينًا،

---

(١) في (ن): «يائسين».

(٢) الاعتزاء: الاتصال في الدعوى إذا كانت حرب، فكل من ادعى في شعاره: أنا فلان بن فلان أو فلان الفلاني، فقد اعتزى إليه. انظر: «تهذيب اللغة» مادة: (ع ز و) (٣/ ٦٣).

(٣) انظر: «النكت والعيون» (٢/ ٣٦٤)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٥٤)، وعدَّه من العجائب.

فشكا إليه وسألَه أن يأذَنَ له في التَّخلُّفِ فنزلَ فيه: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾[(١)].

وعن أبي الضُّحى وأبي مالكٍ قالا: أوَّلُ ما نزَلَ من سورةِ (براءة) قولُه: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾[(٢)].

وقيل: أرادَ: أوَّلُ ما نزَلَ في غزوةِ تبوكَ قولُه: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾.

الحسنُ في جماعةٍ: ﴿خِفَافًا﴾: شُبَّانًا ﴿وَثِقَالًا﴾: شِيبًا[(٣)].

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٠٣)، ولفظه: «﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ يقول: غنيًّا وفقيرًا وقويًّا وضعيفًا، فجاءه رجل يومئذ زعموا أنه المقداد وكان عظيماً مسنًّا فشكى إليه وسأله أن يأذن له فأبى، فنزلت يومئذ ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾...».

وفي كون الرجل هو المقداد نظر، فإن الخبر ضعيف لإرساله، ثم إن الراوي لم يجزم بل قال: زعموا، وكأنه لم يثبت عنده أنه المقداد، ثم إن المقداد كان من شجعان الصحابة وشهد المشاهد كلها مع النبي ﷺ كما في «الإصابة» (٦/ ١٦١): أنه شهد بدراً والمشاهد بعدها، وكان فارساً يوم بدر، حتى إنه لم يثبت أنه كان فيها على فرس غيره، وقال زرّ بن حبيش عن عبد اللّه بن مسعود: أول من أظهر إسلامه سبعة، فذكره فيهم.

وروى البخاري (٣٩٥٢) عن ابن مسعود قال: شَهِدتُ من المقداد بن الأسود مَشهدًا، لَأَنْ أكونَ صاحبَه أحبُّ إليَّ ممَّا عُدِل به، أَتَى النبيَّ ﷺ وهو يدعو على المشركين، فقال: لا نقول كما قال قومُ موسى: اذهبْ أنت وربُّك فقاتِلا، ولكنَّا نقاتلُ عن يمينك، وعن شمالك، وبين يديك وخلفك «فرأيتُ النبيَّ ﷺ أشرق وجهُه وسَرَّه» يَعْنِي: قَوْلَهُ.

وثمة نظر آخر، وهو أنه جاء في خبر السدي أنه كان مسنًّا، ولم يكن المقداد وقتها كذلك، فقد قال في «الإصابة»: «اتفقوا على أنه مات سنة ثلاث وثلاثين في خلافة عثمان، قيل: وهو ابن سبعين سنة».

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٩٣٦١)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ٤٧٤) عن أبي الضحى.

ورواه سعيد بن منصور في «سننه» (٢٨٩٢)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٩٣٦٨) عن أبي مالك.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٤٦٨) عن الحسن وعكرمة والضحاك ومقاتل بن حيان ومجاهد وغيرهم.

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: نِشاطًا وغيرَ نِشاطٍ[١].

ابنُ عمرَ رضي الله عنهما: رُكْباناً ومُشاةً[٢].

الفرَّاءُ: ذا عيالٍ وغيرَ ذي عيالٍ[٣].

جُوَيبر: أصِحَّاءَ ومرضَى[٤].

وقيل: أغنياءَ وفُقراءَ.

وقيل: مشاغيلَ وغيرَ مشاغيلَ.

وقيل: ذا ضَيعةٍ وغيرَ ذي ضيعةٍ[٥].

ابنُ عيسى: خفَّةَ اليقينِ وثقلَ اليقينِ[٦].

وقيل: ﴿خِفَافًا﴾ إلى الطّاعةِ ﴿وَثِقَالًا﴾ عن المُخالفةِ[٧].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٤٧١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٠٢).

(٢) ذكره عن ابن عمر رضي الله عنهما الجصاص في «أحكام القرآن» (٣/ ١٥٠)، ولم أجده عنه مسندًا، ولعله محرف عن «أبي عمرو» فقد رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٤٧٢) عن أبي عمرو، وهو أبو عمرو الأوزاعي كما جاء عند مكي في «الهداية» (٤/ ٣٠٠٨)، والماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٣٦٥)، وابن كثير في «تفسيره» عند هذه الآية.

وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٣/ ٣٨٥) عن عطية العوفي.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٤٣٩).

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٣٦٥)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٢/ ٢٦٢).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٤٧٢) عن ابن زيد، ووقع في (ن): «ذا صنعة وغير ذي صنعة»، ولعله تحريف.

(٦) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٥/ ٤٢٣)، ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٥٤) بلا نسبة، واستغربه.

(٧) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٥٤)، وعدَّه من العجائب.

﴿وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من تركِه، وقيل: ليس (الخيرُ) هاهنا للتَّفضيلِ(١).

﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ شرطٌ جزاؤُه مُقدَّرٌ؛ أي: إن كنتُم تعلمون كونَ ذلك خيرًا فبادِرُوا إليه، ثمَّ نُسِخَ بقولِه: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ﴾ الآية [التوبة: ٩١].

* * *

(٤٢) ـ ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾.

﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا﴾ هذه الآيةُ نزلَتْ في المُتخلِّفين عن غزوةِ تبوكَ منَ المُنافقين؛ أي: لو كان المدعوُّ إليه شيئًا من منافعِ الدُّنيا. والعرَضُ: ما يحدُثُ منَ المنافعِ.

﴿قَرِيبًا﴾؛ أي: قريبَ المُتَناوَلِ سهلَ المأخذِ.

﴿وَسَفَرًا قَاصِدًا﴾: سهلًا قريبًا، وقيل: باقتِصادٍ من غيرِ طولٍ في أمرِه. وقيل: هيِّنًا غيرَ شاقٍّ.

والقاصِدُ والقَصْدُ: المُعتَدِلُ.

﴿لَّٱتَّبَعُوكَ﴾: لوافَقُوكَ في الخروجِ.

﴿وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ﴾: المسافةُ البعيدةُ. وقيل: ﴿ٱلشُّقَّةُ﴾: السَّفرُ البعيدُ. ابنُ عيسى: ﴿ٱلشُّقَّةُ﴾: القِطعةُ منَ الأرضِ يَشُقُّ ركوبُها على صاحبِها لبُعدِها(٢).

قال: ويحتمِلُ أن يكونَ اشتقاقُها منَ (الشَّقِّ) أو منَ (المشقَّةِ).

---

(١) (خير) اسم تفضيل في الأصل، ولكن كثيراً من أسماء التفضيل تتجرّد معنى التفضيل؛ لتدلّ على معنى المشبهة، وفق ذلك قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾.

(٢) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٥/ ٤٢٤)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٣٦٧)، والواحدي في «البسيط» (١٠/ ٤٥٢) بلا نسبة.

﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾ هذا إخبارٌ قبلَ الوقوعِ؛ أي: إذا رجعْتَ إلى المدينةِ جاءَتْكَ هذه الطَّائفةُ يحلِفُون بالله: لو سَهُلَ علينا الخروجُ وكان لنا سَعةٌ لخرَجْنا معكم.

﴿يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ بإيقاعِها في العذابِ؛ لأنَّ مَن حلَفَ بالله كاذبًا استحقَّ العذابَ.

وقيل: يُهلِكُونَ أنفُسَهم بالقعودِ عن الجهادِ.

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ لأنَّهم كانوا مُستَطيعين الخروجَ.

* * *

(٤٣) ـ ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾.

﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ﴾: محا الله ذنبَكَ، قدَّمَ العفوَ على العقابِ كي لا يسبقَ إلى قلبِهِ حُزنٌ.

وقيل: هذا توقيرٌ ودعاءٌ له، كما يقولُ الرَّجلُ: عفا الله عنك ما صنعْتَ في حاجَتي؟ ورضيَ الله عنك ألَا زُرتَني[1].

وقيل: معناه: أدامَ اللهُ لك العفوَ.

وحكى أبو اللَّيثِ رحمَه الله عن أبي سعيدٍ الفاريابيِّ أنَّ معناه: عافاكَ الله يا سليمَ القلبِ[2].

وهذا بعيدٌ؛ لأنَّ هذه اللَّفظةَ وإن كانت مدحًا كقولِه تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٥٥)، واستغربه.

(٢) انظر: «تفسير السمرقندي» (٢/ ٦٢).

﴿بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٩]، فقد صارَتْ تُستَعملُ لمَن له ركاكةٌ في الرَّأيِ وضعفٌ في العزمِ[(١)].

﴿لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ جمهورُ المُفسِّرين على أنَّ النَّبيَّ عليه السَّلامُ كانَ أذِنَ لقومٍ تخلَّفوا عن الغزوِ من غيرِ إذنِ الله، فعاتبَه سبحانَه وتعالى.

و﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ﴾ يتعلَّقُ بمُضمرٍ تقديرُه: كانَ يجبُ عليك أنْ لا تأذَنَ لهم حتَّى يتبيَّنَ لك الصّادقُ في إيمانِه منَ الكاذبِ المُنافقِ.

وقيل: الصَّادقُ في عذرِه منَ الكاذبِ المُتعلِّلِ.

وقيل: تمَّ الكلامُ عندَ قولِه: ﴿لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾، ثمَّ نهاه فقال: لا تأذَنْ لهم حتَّى يتبيَّنَ.

* * *

(٤٤) ـ ﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ﴾ في التَّخلُّفِ عن الجهادِ ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أَن يُجَٰهِدُواْ﴾: في أنْ لا يُجاهِدوا وكراهةَ أن يُجاهِدوا ﴿بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾.

* * *

---

(١) وكذا ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٥٥)، وعدّه من العجائب.

يريد المصنف أن كلمة (سليم القلب) التي وردت مدحاً في القرآن الكريم، جاءت في سياق كلام الفاريابي دالّة على معنى الغفلة، وهو معنى استجدّ للكلمة، فلذلك لم يرض عبارة الفاريابي واستبعدها.

(٤٥) ـ ﴿إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾.

﴿إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ﴾ في التَّخلُّفِ ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾: يومِ القيامةِ، وقيلَ: آخرِ أيَّامِ الدُّنيا.

﴿وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ﴾: شكُّوا في دينِهم واضطربوا في اعتقادِهم، ﴿فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ التَّردُّدُ: التَّصرُّفُ بالذَّهابِ والرُّجوعِ مرَّاتٍ مُتقاربةً.

ابنُ بحرٍ: عُوتِبَ لأنَّه أذِنَ لقومٍ في الخروجِ معَه ولم يكُنْ لهم أن يستأذِنُوا في الخروجِ ولا في التَّخلُّفِ، بل كان عليهم أن يقتَصِروا في الخروجِ على الدُّعاءِ العامِّ[1].

قال: ثمَّ ذمَّ مَن استأذَنَ في الخروجِ والذي استأذَنَ في التَّخلُّفِ.

* * *

(٤٦) ـ ﴿وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَـٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ﴾.

﴿وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ﴾؛ أي: لو عزمُوا على الخروجِ ﴿لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ﴾: للخروجِ، ويحتمِلُ: للجهادِ ﴿عُدَّةً﴾: أُهْبةً؛ لأنَّهم كانوا مَياسِير. والأُهبةُ: الآلةُ والوُصْلةُ إلى الشَّيءِ.

﴿وَلَـٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ﴾: نُهوضَهم للخروجِ، والانبِعاثُ: الانطلاقُ في الحاجةِ.

﴿فَثَبَّطَهُمْ﴾: حبَسَهم، والتَّثبيطُ: التَّوقيفُ عن الأمرِ بالتَّزهيدِ فيه.

﴿وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟﴾ قال بعضُهم لبعضٍ، وقيل: قال النَّبيُّ عليه السَّلامُ غَضَبًا عليهم لعلمِه بذلك منهم. وقيل: ألهمَهُم الله أسبابَ الخذلانِ.

﴿مَعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ﴾ لعُذرٍ كالنِّساءِ والصِّبيانِ، وقيل: مع القاعدينَ بغيرِ عُذرٍ.

---

(١) ذكره الرازي في «التفسير الكبير» (١٦/ ٥٩).

(٤٧) ـ ﴿ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

﴿ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم ﴾ في سببِ النُّزولِ: أنَّ رسولَ الله عليه السَّلامُ لـمَّا خرَجَ ضرَبَ عسكرَه على ثنيَّةِ الوداعِ، وضرَبَ عبدُ الله بنُ أُبيٍّ عسكرَه على ذي جُدَّةَ[1] أسفلَ من ثنيَّةِ الوداعِ، ولم يكُنْ بأقلِّ العسكرَين، فلمَّا سارَ النَّبيُّ عليه السَّلامُ تخلَّفَ عنه عبدُ الله بنُ أُبيٍّ ابنِ سلولَ فيمَن تخلَّفَ منَ المنافقين وأهلِ الرِّيَبِ، فأنزَلَ الله يُعزِّي نبيَّه: ﴿ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم ﴾[2]؛ أي: في جُملتِكُم ﴿مَّا زَادُوكُمْ ﴾؛ أي: بخروجِهم معكم ﴿إِلَّا خَبَالًا﴾ قيل: الاستثناءُ مُنقطعٌ، والخَبالُ: الفسادُ؛ أي: فسادًا في رأيِ ضَعَفةِ المؤمنين. وقيل: اضطِرابًا لانتظامِ أمرِكُم.

﴿وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ ﴾: أسرَعُوا ركابَهم السَّيرَ بينكم يُوهِمُونَ الهزيمةَ في القلوبِ، والإيضاعُ: السَّيرُ الشَّديدُ. وقيل: يُسرِعُونَ بينكم بالنَّميمةِ ﴿يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ ﴾: الشِّركَ، وقيل: التَّثبيطَ. وقيل: الاختلافَ. والخِلالُ: الوسطُ.

---

(١) قوله: «على ذي جدة» كذا وقع عند الثعلبي في «تفسيره» (١٣/ ٣٩٣) والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٤٧)، والذي في «تفسير الطبري» و«تاريخه»: «وضرب عبد الله بن أبي عسكره على حِدَةٍ أسفلَ منه بحذاء ذباب جبلٍ بالجبانة أسفل من ثنية الوداع». وفي «السيرة»: «وضَرَب عبدُ الله بنُ أُبيٍّ معه على حِدَةٍ عسكرَه أسفلَ منه، نحوَ ذبابٍ». وذُباب: جبل صغير يقع في شمال المدينة بالقرب من ثنية الوداع من جهة الشمال. انظر: «المدينة بين الماضي والحاضر» للعياشي (ص: ٧٤)، وما ذكره محقق «تفسير الثعلبي» (١٣/ ٣٩٣ ـ ٣٩٤).

(٢) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٥١٩)، و«تفسير الطبري» تحقيق أحمد ومحمود شاكر (١٤/ ٢٨٥ ـ ٢٨٦)، و«تاريخ الطبري» (٢/ ١٨٢)، و«تفسير الثعلبي» (١٣/ ٣٩٢ ـ ٣٩٣)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٢٤٧).

﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾: مَن يقبلُ قولَهم، وقيل: يُخبرونَهم بأخبارِكم وهم مُنافقون، وقيل: عيونٌ لهم وهم مؤمنون، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

* * *

(٤٨) ـ ﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾.

﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ﴾: إفسادَ أمرِكَ وغلبةَ الكافرين عليك ﴿مِن قَبْلُ﴾ يومَ أُحدٍ ﴿وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ﴾: احتالُوا في إيصالِ المكارِهِ إليك بكلِّ حيلةٍ.

وقيل: أفسَدُوا أمورًا لك بالتَّضريبِ والوشايةِ.

والتَّقليبُ: أن يُجعَلَ أسفَلُه أعلاه وباطنُه ظاهرَه.

وقيل: ﴿قلّبوا لك﴾: غالُوا الغوائلَ.

وقيل: هو طلبُ المكيدةِ، من قولهم: هو حُوَّلٌ قُلَّبٌ.

وقيل: هو النِّفاقُ؛ فإنَّ المنافقَ ظاهرُه خلافُ باطنِه.

﴿حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾؛ أي: غلَبَ الإسلامُ الشِّركَ، ﴿وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾: علا دينُ الله وهو الإسلامُ، وقيل: عَلَنَ[1].

﴿وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾؛ أي: على رغمٍ منهم، وذلك أنَّ عبدَ الله بنَ أُبيٍّ تأخَّرَ يومَ أُحدٍ وقال: لو نعلَمُ قتالًا لاتَّبعناكُم؛ أي: إنْ تخلَّفوا عنك في هذه النَّوبةِ فلهم سابقةٌ في التَّخلُّفِ.

* * *

(١) يقال: عَلَنَ وعلُن وعلِن، يعلُن ويعلِن ويعلَن. انظر: «تاج العروس» مادة: (ع ل ن) (٢٥/ ٤٠٨).

(٤٩) ـ ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي﴾ أجمع المُفسِّرون على أنَّها نزلَتْ في جَدِّ بنِ قيسٍ المنافقِ، وذلك أنَّ النَّبيَّ عليه السَّلامُ حين تأهَّبَ لغزوةَ تبوكَ قال له: «يا جَدُّ، هل لك في جِلادِ بني الأصفرِ تتَّخِذُ منها سراريَّ ووُصَفاءَ؟» فقال: يا رسولَ الله، لقد عرَفَ قومي أنِّي رجلٌ مُغرَمٌ بالنِّساءِ، وإنِّي أخشى إنْ رأيتُ بناتِ الأصفرِ أنْ لا أصبرَ عنهنَّ، فلا تفتِنِّي بهذا وأْذَنْ لي في القعودِ عنك وأُعينُك بمالي، فأعرَضَ عنه النَّبيُّ عليه السَّلامُ وقال: «قد أذِنْتُ لكَ» فأنزلَ الله هذه الآيةَ(١).

---

(١) ذكره بهذا اللفظ دون عزو الثعلبي في «تفسيره» (١٣/ ٣٩٨)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٤٧ ـ ٣٤٨)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ٥٧). ورواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٤٩٢) من قول ابن زيد.

ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢١٥٤)، من طريق الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما، وفيه: «هل لك في بنات بني الأصفر». وهذا ضعيف لانقطاعه؛ فإن الضحاك لم يسمع من ابن عباس.

ورواه الطبراني أيضاً في «المعجم الكبير» (١١٠٥٢) من طريق مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما، وفيه: «اغزوا تغنموا بنات بني الأصفر». قال في «مجمع الزوائد» (٧/ ٣٠): وفيه أبو شيبة إبراهيم بن عثمان وهو ضعيف.

قلت: فهذه الروايات كلها ضعيفة سنداً، كما أن الترغيب في الغزو ببنات بني الأصفر يُنزَّه عنه النبي ﷺ، ولعل الصواب ما رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٠٩) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما بلفظ: «هَلْ لَكَ فِي جِلَادِ بَنِي الأصفر؟».

وهكذا رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٤٩٢) من طريق ابن إسحاق عن الزهري ويزيد بن رومان وعبد الله بن أبي بكر وغيرهم، وفيه: «هل لك يا جدُّ العامَ في جلاد بني الأصفر». والله أعلم بالصواب.

وكان الأصفرُ رجلًا منَ الحبشةِ ملَكَ الرُّومَ، فاتَّخذَ من نسائِهم كلَّ وضيئةٍ حسناءَ، فولدَتْ له بنينَ وبناتٍ أَخَذْنَ من بياضِ الرُّومِ وسوادِ الحبشةِ، فكُنَّ صُفرًا ولُعْسًا، يُضرَبُ بهنَّ المثلُ في الحسنِ[1].

﴿وَمِنْهُم﴾؛ أي: ومنَ المُنافقين ﴿مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي﴾ في القعودِ ﴿وَلَا تَفْتِنِّيٓ﴾ بنساءِ الرُّومِ والنَّظرِ إليهنَّ.

وقيل: ﴿لا تَفْتِنِّيٓ﴾: لا تَكسِبْني بالعصيانِ في المُخالفةِ.

وقيل: لا تصرِفْني عن شُغلي.

﴿أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟﴾ قيل: في النَّارِ والعذابِ، وقيل: في الكفرِ والنِّفاقِ.

﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَـٰفِرِينَ﴾: مُطبِقةٌ بهم جامعةٌ لهم.

* * *

(٥٠) ـ ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ﴾.

﴿إِن تُصِبْكَ﴾: إنْ نالَكَ ﴿حَسَنَةٌ﴾: غنيمةٌ وظفرٌ ﴿تَسُؤْهُمْ﴾: غمَّهم ذلك، ﴿وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ﴾: كسْرٌ وهزيمةٌ. والإصابةُ: وقوعُ الشَّيءِ فيما قُصِدَ به.

وقيل: الإصابةُ: الإحطاطُ[2] من أعلى إلى أسفلَ، مُشتقٌّ منَ (الصَّوبِ).

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٤٤٠)، و«تفسير الثعلبي» (١٣/ ٣٩٨). قوله: «لعساً»، يقال: جارية لعساء: إذا كان في لونها أدنى سواد فيه شربة حمرة ليست بالناصعة. انظر: «تهذيب اللغة» مادة: (ل ع س) (٢/ ٥٩).

(٢) كذا في النسخ، ولعل الصواب: «الانحطاط».

﴿يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا﴾؛ أي: أخَذْنا بالحزمِ ﴿مِن قَبْلُ﴾ بالتَّخلُّفِ عن الجهادِ، ﴿وَيَتَوَلَّوا﴾ عن الإيمانِ ﴿وَهُمْ فَرِحُونَ﴾: مُعجَبون شامِتُون.

* * *

(٥١) ـ ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا﴾ شدَّةٌ ورخاءٌ وخيرٌ وشرٌّ ﴿إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ في اللَّوحِ المحفوظِ.

وقيل: ما كتَبَ الله لنا في القرآنِ، من قولِه: ﴿إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ﴾ [التوبة: ٥٢].

﴿هُوَ مَوْلَىٰنَا﴾: ناصِرُنا والذي يلي أمرَنا.

﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: فليُفوِّضُوا أمرَهم إليه وليَرضَوا بتدبيرِه.

* * *

(٥٢) ـ ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾.

﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا﴾: تنتظِرون بنا ﴿إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ﴾: الشَّهادةَ أو الغنيمةَ.

﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ﴾: بعقُوبتِه، وقيل: ﴿مِّنْ عِندِهِ﴾: الموتِ ﴿أَوْ بِأَيْدِينَا﴾: القتلِ.

﴿فَتَرَبَّصُوا﴾: انتظِروا مواعيدَ الشَّيطانِ ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾: مواعيدَ الله في إعلاءِ كلمتِه وإعزازِ دينِه.

(٥٣) ـ ﴿ قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾.

﴿ قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ﴾ تقديرُه: إنْ تُنفِقُوا طائعينَ أو كارِهينَ لن يُتقبَّلَ منكم.

قيل: هو جوابُ جدِّ بنِ قيسٍ حينَ قال: ائذَنْ لي في القعودِ وأُعينُكَ بمالي.

وقولُه: ﴿طَوْعًا﴾: هو ما لا يلزمُه كالصَّدقةِ، ﴿أَوْ كَرْهًا﴾: هو ما يلزمُه كالزَّكاةِ.

وقيل: ﴿طَوْعًا﴾: هو ما يسهُلُ ويخفُّ، و﴿كَرْهًا﴾: ما يصعُبُ ويثقُلُ.

﴿لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ﴾ لأنَّها لم تصدُرْ عنِ اعتقادٍ.

﴿إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾: خارِجينَ عن طاعةِ الله.

***

(٥٤) ـ ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴾.

﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ ﴾ تقديرُه عندَ المُفسِّرين: وما منَعَهُم اللهُ قَبولَ نفقاتِهم إلّا لأنَّهم كفَرُوا بالله.

ويحتملُ: وما منَعَهم قَبولَ نفقاتِهم إلّا كفرُهم بالله ورسولِه.

﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ﴾: مُتثاقِلينَ ﴿وَلَا يُنفِقُونَ﴾؛ أي: الزَّكاةَ ﴿إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ لأنَّهم لا يُريدونَ بهما وجهَ الله.

***

(٥٥) - ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾.

﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: الخطابُ للنَّبيِّ عليه السَّلامُ، والمُرادُ به الأمَّةُ.

قال بعضُ المُفسِّرين: فيه تقديمٌ وتأخيرٌ، تقديرُه: فلا تُعجِبْكَ أموالُهم ولا أولادُهم في الحياةِ الدُّنيا، إنَّما يُريدُ الله ليُعذِّبَهم بها في الآخرةِ، وتكونُ ﴿فِى﴾ متَّصلةً بالإعجابِ.

وقال الآخَرون: الآيةُ على ترتيبِها، و﴿فِى﴾ مُتَّصلةٌ بقولِه: (يُعذِّبَهم).

واختلَفُوا في المعنى؛ فقال بعضُهم: يُعذِّبهم بالمصائبِ فيها، وقيل: بـأخذِ الزَّكاةِ والأمرِ بالإنفاقِ، وقيل: بنَهْبِ أموالِهم وسَبْيِ أولادِهم، وقيل: يُعذِّبُهم بجَمْعِها وحِفْظِها وحبِّها والبخلِ بها والخوفِ عليها، وكلُّ هذا عذابٌ.

﴿وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ وأصلُ الزُّهوقِ: الخروجُ بصُعوبةٍ، والزُّهوقُ: الهلاكُ.

وقيل: ﴿وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ﴾: تخرجُ بادِرةً من أبدانِهم، تقولُ: زهَقَ الحجرُ من تحتِ حافرِ الدَّابَّةِ: إذا بدَرَ.

والزَّهوقُ: البُعدُ أيضًا، والزَّهوقُ: البِئرُ البعيدُ المَهواةِ.

﴿وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾: حالٌ لهم.

* * *

(٥٦) - ﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾.

﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ﴾ كاذبًا ﴿إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾ القتلَ والنَّهبَ والسَّبيَ.

(٥٧) ـ ﴿ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَـٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴾.

﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا﴾: حِصْنًا وحِرْزًا يلجَؤُونَ إليه، وقيل: مَلجأً منَ الكُفَّارِ يلجَؤُونَ إليه، تقولُ: لجأتُ إليه ولجِئْتُ؛ أي: تحصَّنتُ به، وألجأتُه: أحرَزْتُه.

﴿أَوْ مَغَـٰرَٰتٍ﴾: جمعُ مَغارةٍ، وهي البقعةُ تُغيِّبُ مَن دخلَها. وقيل: هي السَّرَبُ تحتَ الأرضِ. وقيل: المغارةُ: الغارُ، وهي الثُّقْبُ الواسعُ في الجبلِ.

﴿أَوْ مُدَّخَلًا﴾: موضِعًا يُدخَلُ فيه، وقيل: يُدخَلُ فيه بشدَّةٍ.

﴿لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ﴾: أقبَلُوا إليه[1] ﴿وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾: يُسرِعون، من قولِهم: فرسٌ جَموحٌ: يركبُ رأسَه.

* * *

(٥٨) ـ ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَـٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾.

﴿ وَمِنْهُم ﴾؛ أي: من المُنافقين ﴿مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَـٰتِ﴾ ومعنى: ﴿يَلْمِزُكَ﴾: يعيبُك، وقيل: يُحرِّكُ شفتَيه بالطَّلبِ، وقيل: يطعنُ عليك، وقيل: يغتابُك، وكلٌّ قريبٌ.

وقولُه: ﴿فِى ٱلصَّدَقَـٰتِ﴾؛ أي: في تفريقِ الصَّدقاتِ بينَ أهلِها.

﴿فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾؛ أي: إنْ أُعطِيَ رضيَ وإنْ مُنِعَ سخِطَ.

* * *

(١) في (ن): «نحوه».

(٥٩) - ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ﴾ كما قال المسلمونَ، ﴿سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾: خزائنِه ﴿وَرَسُولُهُۥٓ﴾ منَ الصَّدقةِ والغنيمةِ.

ويحتمِلُ أنَّ ذكرَ الله في أوَّلِ الآيةِ وذكرَ الرَّسولِ في آخرِها للتَّعظيمِ والتَّيمُّنِ، وإنْ كانَ الكلُّ من إيتاءِ الله.

﴿إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾؛ أي: نسألُ الله أن يُغنِيَنا من فضلِه بفضلِه، وجوابُ (لو) محذوفٌ تقديرُه: لكانَ أولى بهم.

* * *

(٦٠) - ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

ثمَّ بيَّنَ الله مواضِعَها التي تُوضَعُ فيها فقال: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ﴾ وهي مالُ الزكاة[1] والجزيةِ وسائرِ ما سبيلُه إلى بيتِ المالِ.

﴿لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ للمُفسِّرين فيهما ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: أنَّ الفقيرَ هو الذي له أدنى شيءٍ، واستدلَّ صاحبُ هذا القولِ بقولِ الشَّاعرِ:

أمَّا الفَقِيرُ الَّذِي كانَتْ حَلُوبَتُهُ ... وَفقَ العِيالِ فلَم يُترَكْ لَهُ سَبَدُ[2]

---

(١) في (و): «الصدقات».

(٢) البيت للراعي النميري في «ديوانه» (ص: ٦٤)، و«إصلاح المنطق» (ص: ٢٣٢)، و«أدب الكاتب» =

واشتِقاقُه منَ الفَقارِ، تقولُ: فَقَرْتُه: إذا أصبتَ فِقارَه، وهو أصلُ الظَّهرِ، كما تقولُ: رأَسْتُه ورجَلْتُه؛ أي: ضربتُ رأسَه ورِجلَه، فكأنَّه كُسِرَ ظهرُه.

وأنَّ المسكينَ هو: الذي لا شيءَ له، وانضَمَّ إلى فَقرِه ذلَّةٌ وعدمُ هدايةٍ إلى وجهِ المعاشِ، واستَدلَّ بقولِه: ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ [البلد: ١٦]؛ أي: لصقَ بالتُّرابِ من فقرِه، وليس بينَه وبينَ التُّرابِ حائلٌ.

والثَّاني: أنَّ المسكينَ: مَن له أدنى شيءٍ، وهو أحسنُ حالًا منَ الفقيرِ، واستدلَّ صاحبُ هذا القولِ بقولِه تعالى: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ﴾ [الكهف: ٧٩].

وأنَّ الفقيرَ هو: الذي لا شيءَ له، وكانَ النَّبيُّ عليه السَّلامُ يتعوَّذُ منَ الفقرِ، ويسألُ المسكنةَ فيقولُ: «اللَّهمَّ أحيِني مسكينًا، وأمِتْني مسكينًا، واحشُرْني في زُمرةِ المساكينِ»(١)، واشتِقاقُها منَ السُّكونِ، قال: وسُمِّيَ مسكينًا؛ لأنَّه لا يتحرَّكُ إلى ما يتحرَّكُ إليه الغنيُّ، وقيل: لأنَّه أسكنَه الفقرُ، وأجابُوا عن البيتِ بأنَّه سمَّاه فقيرًا بعد سَلْبِ الحَلوبةِ بقولِه:

... فلَـــم يُتــرَكْ لَـــهُ سَـــبَدُ

وأجابَ صاحبُ القولِ الأوَّلِ عن الاستدلالِ بقولِه: ﴿فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ﴾ بأنَّهم كانوا أُجراءَ، وقيلَ فيه غيرُ هذا، ويأتي موضِعَه.

= (ص: ٣٤) يشكو إلى عبد الملك بن مروان ظلم السعاة على الصدقات لقومه وجورهم عليهم وأنهم لم يتركوا للفقير شيئاً. وقوله: «وفق العيال»؛ أي: ما يكفي عياله، و«حلوبته» يراد به: ما فيه لبن يحلب، ويقال: ما لفلان حلوبة ولا ركوبة؛ أي: ناقة يحلبها وناقة يركبها. وقوله: «لم يترك له سبد»؛ أي: لم يترك له شيء. انظر: «شرح أدب الكاتب» للجواليقي (ص: ١٠٧).

(١) رواه الترمذي (٢٣٥٢) عن أنس رضي الله عنه وقال: «حديث غريب»، وابن ماجه (٤١٢٦) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. وضعف ابن حجر في «التلخيص الحبير» (٣/ ٢٤٠) إسناد الحديثين.

والثّالثُ: أنَّهما اسمانِ مُترادِفان لقومٍ واحدٍ، فكلُّ فقيرٍ مسكينٌ، وكلُّ مسكينٍ فقيرٌ، واللهُ سُبحانَه سمَّاهم باسمَين ليكونَ لهم سهمانِ منَ الصَّدقةِ نظرًا لهم ورحمةً عليهم(١).

وقيل: الفقراءُ أهلُ الحاجةِ منَ المُهاجرين، والمساكينُ من غيرِ المُهاجرين.

وقيل: المسكينُ منَ المسكنةِ وهي الذِّلّةُ، وهو على وجهَينِ: مسكينٌ لذلَّةِ الفقرِ ومسكينٌ لذلَّةِ الحالِ، والمسكنةُ: التي ضُربَتِ اليهودُ بها منها، وكذلك قولُه: ﴿لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ﴾، وكذلك قولُ عليٍّ رضي الله عنه: مسكينٌ ابنُ آدمَ ينظرُ بشحمٍ، ويتكلَّمُ بلحمٍ، ويسمعُ بعظمٍ، مستورُ الأجلِ، مكنونُ العِلَلِ، محفوظُ العملِ، تُؤلِـمُه البقَّةُ، وتقتُلُه الشَّرقةُ، وتُميتُه الغَرقةُ(٢).

﴿وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا﴾: هم السُّعاةُ الذين يجمَعونَ المالَ ويَجْبُون الخراجَ إلى بيتِ المالِ، فلهم سهمٌ من ثمانيةٍ فقراءَ كانوا أم أغنياءَ، يُعطيهم الإمامُ على قَدْرِ عملِهم.

﴿وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾: كانوا ساداتِ العربِ، لـمَّا أسلَمُوا استمالَ قلوبَهم النَّبيُّ عليه السَّلامُ فأجزَلَ حِباءَهُم، وأكثرُ المُفسِّرين على أنَّه سقطَ سهمُهم لقوَّةِ الإسلامِ، وأنَّ ذلك كان خاصًّا للنَّبيِّ عليه السَّلامُ في زمانِه، فسقَطَ بوفاتِه، وذهبَ بعضُهم إلى أنَّ للإمامِ أن يُعطيَ مَن يتألَّفُه على الإسلامِ ولا يدفعُ إلى الكفَّارِ.

واشتِقاقُها منَ (الأُلفةِ) وهي الجمعُ، تقولُ: ألِفتُه: أحبَبْتُه؛ لِمَا في الحبِّ منَ الاجتماعِ.

﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾ يُريدُ: المُكاتَبين، والمُكاتَبُ: هو الذي يشتَري نفسَه من مولاه، فيُعانُ على فَكاكِ رقبتِه.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٥٩)، واستغربه.

(٢) نسب هذا القول إلى الحسن البصري في «أمالي المرتضى» (١/ ١٥٨)، و«أدب الدنيا والدين» (ص: ٩١).

﴿وَٱلْغَٰرِمِينَ﴾: هم المفاليسُ الذين ذهَبَتْ أموالُهم في غيرِ معصيةٍ ولا إسرافٍ، وقيل: هو الذي استدانَ لقوتِ عيالِه فلا يقدرُ على أدائِه.

﴿وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: نفقةُ الغُزاةِ، وثمنُ الخيلِ والسِّلاحِ، وبناءُ المصانعِ، واتِّخاذُ القناطرِ.

﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: المُنقطِعُ يمرُّ بك، والضَّيفُ ينزلُ عليك، ونُسِبَ إلى السَّبيلِ لمُلابستِه إيَّاها.

﴿فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: فرَضَ دفعَها إلى المذكورين، ودلَّتِ الآيةُ على معنى (فرَضَ)، ونُصِبَتْ على المصدرِ، وقيل: على الحالِ، كما تقولُ: هو لك طِلْقًا[1].

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ يضعُ الصَّدقاتِ في مواضِعِها.

***

(٦١) - ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾.

﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ﴾ في سببِ النُّزولِ: أنَّها نزلَتْ في جماعةٍ منَ المُنافقين فيهم الجُلَاسُ بنُ سُوَيدٍ[2] فقال: نقولُ ما شِئْنا ثمَّ نأتيه فيُصدِّقُنا بما نقولُ، وإنَّما محمَّدٌ أُذُنٌ سامعةٌ[3].

---

(١) أي: حلالًا، انظر: «إصلاح المنطق» (ص: ١٣)، و«الصحاح» مادة: (ط ل ق).

(٢) الجلاس بن سويد بن الصامت الأنصاري له صحبة رضي الله عنه، كان متهمًا بالنفاق، وقد تاب وحسنت توبته وراجع الحق. انظر: «الاستيعاب» (١/ ٢٦٤)، و«أسد الغابة» (١/ ٥٤٨)، و«الإصابة» (١/ ٥٩٩).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٣/ ٤٥٠)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٤٩). وروى هذا القول دون تسمية قائله الطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٣٧) عن مجاهد، وبمعناه عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد.

محمَّدُ بنُ إسحاقَ: نزلَتْ في نَبْتَلِ بنِ الحارثِ[١]، وكان رجلًا أدلَمَ[٢] أحمرَ العينَينِ أسفعَ الخدَّينِ مُشوَّهَ الخلقةِ، وهو الذي ذكرَ النَّبيُّ عليه السَّلامُ فيه: «مَن أرادَ أن ينظُرَ إلى الشَّيطانِ فلينظُرْ إلى نَبْتَلِ بنِ الحارثِ»، وكان يَنِمُّ الحديثَ منَ النَّبيِّ عليه السَّلامُ إلى المنافقين، فقيل له: لا تفعَلْ، فقال: إنَّما محمَّدٌ أُذُنٌ، مَن حدَّثَه شيئًا صدَّقَه، نقولُ ما شِئْنا ثمَّ نأتيه فنحلِفُ له فيُصدِّقُنا، فأُنزِلَتْ هذه الآيةُ[٣].

ومعنى قوله: ﴿أُذُنٌ﴾؛ أي: يسمعُ كلامَ كلِّ أحدٍ ويعملُ به، قال الشَّاعرُ:

فقد صِرْتِ أُذْنًا للوُشاةِ سَميعةً   يَنالونَ مِنْ عِرْضي ولو شِئْتِ ما نالُوا[٤]

وفي التَّسميةِ بـ ﴿أُذُنٌ﴾ قولان:

---

(١) نبتل بن الحارث بن قيس بن زيد بن ضبيعة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف الأنصاري الأوسي. ذكره أبو عبيد القاسم بن سلام في «كتاب النسب» مقروناً بأخيه أبي سفيان. وقد ذكره ابن الكلبي، ثم البلاذري في المنافقين، فيحتمل أن يكون أبو عبيد قد وقف على خبرٍ فيه توبته. انظر: «الإصابة» (٦/ ٣٢٩).

(٢) الأدلم: الطويل الأسود، انظر: «العين» مادة (و ل م) (٨/ ٤٦)، و«معجم متن اللغة» مادة: (د ل م) (٢/ ٤٤٥).

(٣) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ١٢١)، و«تفسير الثعلبي» (١٣/ ٤٥٠)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٢٤٩)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٣٥) عن ابن إسحاق، ورواه مختصرًا ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٢٦) من طريق ابن إسحاق عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) البيت لعمرو بن أبي بكر العدوي القرشي قاضي دمشق من جملة أبيات ولها قصة مع الخليفة المأمون في «معجم الشعراء» (ص: ٢٢٠)، و«الجليس الصالح» (ص: ٩٩).
ونسبت لعبد الله بن محمد القاضي المعروف بالخلنجي، مع ذكر القصة نفسها. انظر: «معجم الأدباء» (١/ ١٧٢)، و«مرآة الزمان» (١٤/ ١٩٨)، و«الوافي بالوفيات» (١٧/ ٢٣٨).

أحدُهما: أنَّـه سُـمِّي بعُضـوٍ منـه لكثـرةِ اسـتعمالِه ذلـك العضـوَ، كتسـميتِهم الجاسـوسَ عينًـا، والدَّابـةَ ظَهـرًا.

والثَّاني: أنَّه (فُعُل) من أَذِنَ يأذَنُ أَذَنًا: إذا استمَعَ، كما تقولُ: أُنُفٌ وشُلُلٌ(1).

﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾: يسمعُ ما فيه صلاحُ المُؤمنين، لا ما فيه فسادُهم.

﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ ولا يكفرُ بالله ﴿وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: يُصدِّقُهم فلا يُكذِّبُهم، واللَّامُ زيادةٌ كقولِه: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٠].

وقيل: يُصدِّقُ بما يأتي من عندِ الله، ويُؤمِنُ للمُؤمنينَ بما وعَدَهُم الله.

وقيل: يُصدِّقُ المُؤمنين بما يُخبِرونَ لا المُنافقين.

﴿وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ﴾؛ أي: هو رحمةٌ، ومَن جرَّها(2) عطفَها على ﴿أُذُنُ خَيْرٍ﴾.

﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ﴾ بالقولِ والفعلِ ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

***

(٦٢) - ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ﴾ عمَّا قالوا من قولِهم: ﴿هُوَ أُذُنٌ﴾، وقيل: عن التَّخلُّفِ من الجهادِ، وقيل: عمَّا وقعَ منهم ممَّا يدلُّ على النِّفاقِ ﴿لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ وحَّدَ الكنايةَ، وقد سبقَ في (الأنفالِ) بيانُه.

﴿إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: صادِقين في إيمانِهم.

---

(١) يقال: روضـة أُنُفٌ؛ إذا لم تُسـرعَ، والرجلُ الشُّـلُلُ: الخفيف السـريع. انظر: «لسـان العرب» مادة: (ش ل ل) (١١/ ٣٦٢)، و«تاج العروس» مادة: (أ ن ف) (٢٣/ ٣....).

(٢) قرأ حمزة بالجر، وباقي السبعة بالضم. انظر: «السبعة» (ص: ٣١٥)، و«التيسير» (ص: ١١٨).

(٦٣) ـ ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴾.

﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ﴾: أنَّ الأمرَ والشَّأنَ ﴿مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾؛ أي: مَن يُحارِبْ أولياءَ الله ورسولِه ﴿فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ قال بعضُ النَّحويِّين: (أنَّ) بدلٌ منَ الأوَّلِ، وهو سهوٌ.

وقال الزَّجَّاجُ: أُعيدَ (أنَّ) توكيدًا لمَّا طالَ الكلامُ[١]. وقيل: فبأنَّ، و: لأنَّ.

وهذا كلُّه باطلٌ، فإنَّ ﴿مَن﴾ للشَّرطِ و﴿يُحَادِدِ﴾ مجزومٌ به، والفاءُ جزاءُ الشَّرطِ، وكان القياسُ كسرَ (أنَّ)، وقد قُرِئَ به[٢]، لكنَّه أضمرَ مبتدأً، وجعلَ (أنَّ) خبرَه، وتقديرُه: فالأمرُ أنَّ له نارَ جهنَّمَ، هذا معنى كلامِ أبي عليٍّ في «إصلاحِ الإغفالِ»[٣].

﴿خَٰلِدًا فِيهَا﴾: في النَّارِ ﴿ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴾: الإهلاكُ الدَّائمُ.

***

(٦٤) ـ ﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴾.

﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ ﴾ في سببِ النُّزولِ: قال الكلبيُّ: قال بعضُ المُنافقين: والله لوَدِدْتُ أنِّي قُدِّمْتُ فجُلِدْتُ مئةً، ولا ينزلُ فينا شيءٌ يفضَحُنا، فأنزَلَ الله هذه الآيةَ[٤].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٤٥٩).

(٢) قرئ بها في الشواذ، ونسبت للحسن بن عمران وابن أبي عبلة. انظر: «شواذ القراءات» لشمس القراء الكرماني (ص: ٢١٨).

(٣) انظر: «الإغفال» لأبي علي (٢/ ٤٢١).

(٤) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٧٠)، والثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٦٤) دون نسبة، وذكره =

وقال مجاهدٌ: كانوا يقولون القَولَ بينَهم، ثمَّ يقولون: عسى اللهُ أنْ لا يُفشِيَ علينا سِرَّنا، فنزلَتْ: ﴿ يَحۡذَرُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ ﴾[١].

﴿أَن تُنَزَّلَ عَلَيۡهِمۡ سُورَةٞ﴾ قال المُفسِّرون: السُّورةُ تنزلُ على النَّبيِّ عليه السَّلامُ ولكنْ لـمَّا كان في شأنِهم قال: ﴿تُنَزَّلَ عَلَيۡهِمۡ﴾، ويحتملُ أنَّه من قولِكَ: هذا عليكَ لا لكَ.

﴿تُنَبِّئُهُم﴾: تُخبِرُهم السُّورةُ ﴿بِمَا فِي قُلُوبِهِمۡۚ﴾ منَ الكفرِ والنِّفاقِ؛ أي: تفضَحُهم، ويحتملُ أن تكونَ التَّاءُ لخطابِ النَّبيِّ عليه السَّلامُ.

﴿قُلِ ٱسۡتَهۡزِءُوٓاْ﴾: أمرٌ وتهديدٌ؛ أي: أظهِرُوا خلافَ ما تُضمِرون.

واختلَفَ المُفسِّرونَ في معنى ﴿ يَحۡذَرُ ﴾ هاهنا بعدَ أنَّ[٢] المُنافقَ لا يعتقدُ أنَّ اللهَ يُنزِّلُ شيئًا:

فقال الزَّجَّاجُ: هو أمرٌ في صيغةِ الخبرِ[٣]، كما في (الصَّفِّ)[٤].

= الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٥٠) عن السدي، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٢٦) عن السدي.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٤٥٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٢٧).

(٢) قوله: «بعد أن» كذا في النسخ، ولعل المراد: «بعد اتفاقهم أن».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٤٥٩).

(٤) يعني: قوله تعالى: ﴿ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [الصف: ١١]. قال الزمخشري: وهو خبرٌ في معنى الأمر، ولهذا أُجيب بقوله: ﴿يَغۡفِرۡ لَكُمۡ﴾ وتَدلُّ عليه قراءةُ ابن مسعود: (آمِنُوا بالله ورَسُوله وجاهِدُوا)، فإن قلتَ: لمَ جيء به على لفظ الخبر؟ قلتُ: للإيذان بوجوب الامتثال، وكأنه امتُثِل فهو يُخبر عن إيمانٍ وجهادٍ موجودَيْن، ونظيرُه قولُ الدَّاعي: «غَفرَ اللهُ لك» و«يَغْفرُ اللهُ لك»، جُعلت المَغفرةُ لقوة الرجاء كأنَّها كانت ووُجدت. انظر: «الكشاف» (٤/ ٥٢٦).

وقيل: المُنافِقُ شاكٌّ، فلم يَأمَنُوا أن يكونَ محمَّدٌ عليه السَّلامُ صادقًا.

وقيل: قال المُنافقون: نخافُ أن يأتيَ محمَّدٌ عليه السَّلامُ بسورةٍ من عندِه ثمَّ يقولَ: أُنزِلَتْ فيهم كذا، فحكَى اللهُ عنهم قولَهم.

وقيل: كانوا يقولونَ استِهزاءً، ولهذا قالَ سُبحانَه: ﴿قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓاْ﴾.

وقولُه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ﴾؛ أي: مُنزِّلٌ هذه السُّورةَ ومُظهِرٌ نفاقَكُم، وقيل: ناصِرٌ مَن تخذُلون.

***

(٦٥) - ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ عن ابنِ عمرَ رضي الله عنهما قال: رأيتُ عبدَ الله بنَ أُبيٍّ يشتدُّ قُدَّامَ رسولِ الله عليه السَّلامُ والحصى والحجارةُ تنكُبُ رجلَيه يقولُ: يا رسولَ الله، إنَّما كنَّا نخوضُ ونلعبُ، والنَّبيُّ عليه السَّلامُ يقولُ: «﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾»(١).

وقال زيدُ بنُ أسلَمَ ومحمَّدُ بنُ كعبٍ: قال رجلٌ منَ المُنافقين في غزوةِ تبوكَ: ما رأيتُ مثلَ قُرَّائنا هؤلاءِ أرغبَ بُطونًا ولا أكذَبَ لسانًا ولا أجبَنَ عندَ اللِّقاءِ؛ يعنون: محمَّدًا وأصحابَه، فقال له عَوفٌ: كذَبْتَ، ولكنَّك مُنافقٌ، لأُخبِرَنَّ رسولَ الله، فذهبَ عَوفٌ ليُخبِرَه، فوجَدَ القرآنَ قد سبقَه، فجاءَ ذلك الرَّجلُ وقد ارتحلَ النَّبيُّ عليه

---

(١) رواه الهروي في «ذم الكلام» (٤/ ٩٣)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٥١)، من طريق نافع عن ابن عمر. ورواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٤٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٢٩)، عن زيد بن أسلم عن ابن عمر دون ذكر اسم الرجل.

السَّلامُ وركبَ ناقتَه، فقال: يا رسولَ الله، إنَّما كنَّا نخوضُ ونلعبُ ونتحدَّثُ بحديثِ الرَّكبِ نقطعُ عنَّا الطَّريقَ، فأنزَلَ الله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ﴾[1] وقلتَ لهم: لِمَ قُلتُم ذلك؟ لقالوا: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ نتجارَى[2] الأحاديثَ فعلَ المُسافرين، ﴿قُلْ﴾ يا محمَّدُ: ﴿أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾؛ أي: ما تعلَّلتُم به ليس عُذرًا، بل كان ذلك منكم استهزاءً وكُفرًا.

* * *

(٦٦) - ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾.

﴿لَا تَعْتَذِرُوا﴾: لا تطلُبوا إقامةَ العذرِ، فعُذرُكم غيرُ مقبولٍ ﴿قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾: بعد إظهارِكُم الإيمانَ، وقيل: كفرتُم بتأخُّرِكم عن تبوكَ، وقيل: بإيذائِكم رسولَ الله عليه السَّلامُ.

﴿إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ﴾ لتوبتِهم ﴿نُعَذِّبْ طَائِفَةً﴾ بإقامتِهم على النِّفاقِ ﴿بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾؛ أي: نُعذِّبْ بسببِ أنَّهم كانوا مُجرمين.

وقيل: كانوا ثلاثةَ نفرٍ، فهَزِئَ اثنانِ، وضحِكَ واحدٌ[3].

وقيل: بل أنكرَ عليهما بعضَ ما سمعَ.

---

(١) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٤٣ و٥٤٥)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٣/ ٤٦٠) واللفظ له.

(٢) في (ن): «نتجاذى».

(٣) انظر: «تفسير مقاتل بن سليمان» (٢/ ١٧٩)، و«معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٤٥٩).

وقيل: اسمُه مَخْشِيُّ بنُ حُمَيِّرٍ، فلمَّا نزلَتْ هذه الآيةُ بَرِئَ منَ النِّفاقِ(١)، فتكونُ الطَّائفةُ الأولى واحدةً(٢)، وكذلك في قولِه: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ﴾ [النور: ٢].

وعن عطاءٍ في جماعةٍ: أقلُّ الطَّائفةِ اثنانِ(٣).

***

(٦٧)- ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾.

﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ﴾ عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّ الرِّجالَ المُنافقين كانوا ثلاثَ مئةٍ، والنِّساءَ المُنافقاتِ كُنَّ مئةً وسبعينَ(٤).

﴿بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾؛ أي: هم يدٌ واحدةٌ، وقيل: يأخذُ بعضُهم من بعضٍ.

وقيل: رجالُهم ونساؤُهم صِنفٌ واحدٌ في إظهارِ الإيمانِ واستسرارِ(٥) الكفرِ، وغلَّبَ المُذكَّرَ على المُؤنَّثِ في الجميعِ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٤٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٣١) عن ابن إسحاق. ومخشي بن حمير الأشجعي حليف لبني سلمة، كان من المنافقين، وممن أرجفوا برسول الله ﷺ والمؤمنين في تبوك، ثم ثاب وتاب، وسماه رسول الله ﷺ عبدَ الرحمن، وسأل الله أن يقتله شهيداً لا يُعلَم مكانه، فقتل يوم اليمامة، فلم يوجد له أثر رضي الله عنه. انظر: «المؤتلف والمختلف» للدارقطني (٤/ ٢٠٨٩)، و«الاستيعاب» (٣/ ١٣٨١)، و«أسد الغابة» (٥/ ١٢٠). وفي «التيسير في التفسير» للنسفي عند هذه الآية عن السدي في قصةٍ: أن النبي ﷺ سماه: عبد الله ابن عبد الرحمن.

(٢) كذا في النسخ الخطية، والظاهر أن الصواب: واحداً؛ لأن المراد بالطائفة الأولى ـ وهي التي وُعدت بالعفو ـ شخص واحد، وهو مخشي، رضي الله عنه.

(٣) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٣٥٠٥)، وذكره ابن حزم في «المحلى» (١٢/ ٢١٧)، والواحدي في «البسيط» (١٠/ ٥٣٩).

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٣٧٩).

(٥) في (ن): «واستتار»، وفي الهامش كالمثبت نسخة.

وقيل: هذا جوابٌ لقولهم في قولِه: ﴿يحلفون بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ﴾ [التوبة: ٥٦].

﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ﴾: الكفرِ والعِصيانِ ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ﴾: الطَّاعةِ والإيمانِ ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ عن إخراجِ الزَّكاةِ والنَّفقةِ في الجهادِ، وقَبضُ اليدِ كنايةٌ عن البُخلِ(١).

وقيل: يقبِضُونَ أيديَهم عن رفعِها بالدُّعاءِ إلى الله.

﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ﴾: تركُوا العملَ بأوامرِه ﴿فَنَسِيَهُمْ﴾: خَذَلَهم، وقيل: جازاهُم على نسيانِهم.

﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾: الخارِجُونَ عن دينِ الله.

***

(٦٨) - ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا﴾: حالٌ مُقدَّرٌ(٢) ﴿هِىَ﴾؛ أي: النَّارُ ﴿حَسْبُهُمْ﴾: فيها كفايةٌ لجزاءِ كُفرِهم ﴿وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾: أبعدَهُم من رحمتِه ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾: دائمٌ لا ينقطعُ.

---

(١) انظر: «تفسير الماتريدي» (٥/ ٤٢٢)، و«البحر المحيط» (٥/ ٤٥٥).

(٢) الحال المقدرة: هي التي لا تقارن الفعل في الوقوع؛ كقوله تعالى: ﴿وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا﴾، وكقولك: «مَررتُ برَجُلٍ معه صَقْرٌ صائداً بهِ غداً»؛ لأن الجَبَل لا يكون بيتاً في حال النَّحت، وكذلك: «صائداً به غدًا»؛ أي: مقدَّراً به الصيد غدًا، وكذا هنا المعنى: مقدرين الخلود؛ لأن الخلود غير مقارن للوعد، وكذا كل حال مقدرة. انظر: «الكتاب» (٢/ ٤٩)، و«المرتجل» لابن الخشاب (ص: ١٦٤)، و«شرح كتاب الحدود» للفاكهي (ص: ٢٢٨).

(٦٩) ـ ﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَاسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ الْخَٰسِرُونَ﴾.

﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا﴾ في الكافِ قولانِ:

أحدُهما: أنَّه خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ؛ أي: أنتم كالذين من قبلِكُم. وقيل: حالُكُم كحالِ الذين من قبلِكُم.

وقيل: محلُّه نصبٌ؛ أي: وعدَ اللهُ المُنافقين وعدًا كما وعدَ الذينَ من قبلِكُم.

ورُوِيَ أنَّه قيلَ لرسولِ الله عليه السَّلامُ: أَهُمْ[1] أهلُ فارسَ والرُّومُ وأهلُ الكتابِ؟ فقال عليه السَّلامُ: «هل النَّاسُ إلَّا هم»[2].

ورُوِيَ عن ابنِ عبَّاسٍ أنَّه قالَ: ما أشبَهَ اللَّيلةَ بالبارحةِ، هؤلاءِ بنو إسرائيلَ شُبِّهْنا بهم[3].

﴿فَاسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ﴾: تلذَّذُوا بملاذِّ الدُّنيا، والخَلاقُ: التَّامُّ الوافرُ مِنَ النَّصيبِ، مُشتقٌّ من الخَلْقِ، وهو التَّقديرُ.

---

(١) في (و): «هم».

(٢) رواه أبو يعلى في «مسنده» (٦٢٩٢)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٥١)، عن أبي هريرة رضي الله عنه. وأصل الحديث رواه البخاري (٧٣١٩) بلفظ: «لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها، شبراً بشبر وذراعًا بذراع»، فقيل: يا رسول الله، كفارس والروم؟ فقال: «ومَن الناس إلا أولئك»، وروى نحوه البخاري (٣٤٥٦)، ومسلم (٢٦٦٩) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٥٢)،

الحسنُ: أي: دانُوا بما أرادوا منَ الأديانِ، ولـم يتديَّنُوا بدينِ الله[١].

﴿فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ﴾ في الباطلِ ﴿كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟﴾.

وقيل: انغَمَسْتُم في الدُّنيا وبِعتُم بها الأُخرَى كفعلِهم.

وقيل: لعِبْتُم كما لعِبُوا.

والتَّقديرُ: خُضْتُم كخَوضِهم[٢]، وقيل: كالذين خاضُوا، فحُذِفَ النُّونُ، أو أُجرِيَ (الذي) مُجرَى (مَنْ)[٣].

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ لأنَّهـم اختَرِمُـوا عنهـا[٤] ﴿وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ لأنَّهـم يدخُلـونَ النّارَ.

وقيل: معناه: حبِطَتْ في الآخرةِ أعمالُهم التي عمِلُوها في الدُّنيا. واللَّفظُ لا يحتمِلُه.

﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾: خسِروا الدُّنيا والآخرةَ.

* * *

(٧٠) ـ ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ ۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

ثمَّ ذكرَ نبأَ مَن قبلَهم فقالَ: ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ﴾

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١١٠٨)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٥٢ ـ ٥٥٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٣٤)، بلفظ: «﴿فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ﴾ قال: بدينهم».

(٢) انظر: «الأصول» لابن السراج (١/ ١٦٢) و(٢/ ٣٥٤).

(٣) انظر: «المفصل» للزمخشري (ص: ١٨٤ ـ ١٨٥) و«شرحه» لابن يعيش (٢/ ٣٩٦).

(٤) في (و): «اخترموا في الدنيا».

أُغرِقُوا بالماءِ ﴿وَعَادٍ﴾ أُهلِكُوا بالرِّيحِ ﴿وَثَمُودَ﴾ أُهلِكُوا بالرَّجفةِ ﴿وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ أُهلِكَ نُمْرودُ ببعوضةٍ، وأُهلِكَ أصحابُه فجعَلَهم الأخسَرين(١).

﴿وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ﴾ أُهلِكُوا بالحرِّ والنَّارِ يومَ الظُّلَّةِ.

﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ﴾: وهي قُرَيَّاتُ قومِ لُوطٍ أُهلِكَتْ فجُعِلَ عاليْها سافلَها، وأمطرَها حجارةً من سجِّيلٍ، والمعنى: اِئْتفكَتْ بهم؛ أي: انقلَبَتْ.

وقيل: المُؤتفِكاتُ عامٌّ في كلِّ مَن هلَكَ مُقابلَ المُؤتَفِكاتِ المُكذِّباتِ.

﴿أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ يعني: الكلَّ، وقيل: يعودُ إلى أهلِ المُؤتفكاتِ؛ أي: أتاهُم رسولٌ بعد رسولٍ. والأوَّلُ هو الوجهُ.

﴿فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ بإهلاكِهم ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بالكفرِ وتكذيبِ الرُّسلِ.

* * *

(٧١) - ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ في التَّعاضُدِ والتَّناصُرِ ﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: بالإيمانِ والطَّاعةِ ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾: الشِّركِ والمعصيةِ ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ يُريدُ: إذا صاروا إليه.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾: لا يمتنعُ عليه شيءٌ ﴿حَكِيمٌ﴾: يضَعُ الشَّيءَ موضِعَه.

* * *

(١) يريد ما في سورة الأنبياء: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ﴾.

(٧٢) ـ ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً﴾: طاهرةً يطيبُ فيها العيشُ ﴿فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾.

الحسنُ قال: سألتُ أبا هريرةَ وعمرانَ بنَ حُصينٍ رضي الله عنهما عن قولِه: ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً﴾ فقالا: على الخبيرِ سقطْتَ، سألْنا رسولَ الله ﷺ عن ذلك فقال: «قَصرٌ في الجنّةِ من لؤلؤةٍ بيضاءَ، فيها سبعون دارًا من ياقوتةٍ حمراءَ، في كلِّ دارٍ سبعون بيتًا من زبرجدٍ خضراءَ، في كلِّ بيتٍ سبعون سريرًا، على كلِّ سريرٍ سبعون فراشًا من كلِّ لونٍ، على كلِّ فراشٍ زوجةٌ من الحورِ العينِ، وفي كلِّ بيتٍ سبعون مائدةً، على كلِّ مائدةٍ سبعون لونًا من الطَّعام، في كلِّ بيتٍ سبعون وصيفةً، ويُعطَى المؤمنُ منَ القوَّةِ في كلِّ غداةٍ ما يأتي على ذلك كلِّه أجمَعَ»[1].

قولُه: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾: بُطْنانُ الجنَّةِ[2]؛ يُريدُ: وسطَها.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: سألتُ كعبَ الأحبارِ عن ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ فقال: هي الكُرومُ والأعنابُ بالسُّريانيَّةِ[3].

---

(١) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١٥٧٧)، والبزار في «مسنده» (٣٥٦٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٨/ ١٦٠)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (٣/ ٢٥٢) وقال: موضوع. وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢٠/ ٢٨٦): «وهذا الحديث غريب، بل الأشبه أنه موضوع».

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٣٧٤)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٤٠٣٣)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٦١) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٦١).

الحسنُ: جنَّاتُ عدنٍ وما أدراكَ ما جنَّاتُ عدنٍ؟! قصرٌ من ذهبٍ لا يدخلُه إلّا نبيٌّ أو صدِّيقٌ أو شهيدٌ أو حكَمٌ عَدْلٌ. رفعَ الحسنُ به صوتَه[١].

وقيل: مدينةُ الجنَّةِ.

وقيل: أعلى درجةٍ في الجنَّةِ، وفيها عينُ التَّسنيمِ، والجنانُ حولَها مُحدِقةٌ.

وعن النَّبيِّ عليه السَّلامُ: «جنَّاتُ عدنٍ: دارُ الله التي لم ترَها عينٌ ولا تخطرُ على قلبِ بشرٍ، لا يسكُنُها غيرُ ثلاثةٍ: النَّبيُّون والصِّدِّيقُونَ والشُّهداءُ، يقولُ الله سبحانَه: طوبى لمَن دخَلَكِ»[٢].

وأصلُه منَ (العَدْنِ)، وهو الإقامةُ، ومنها: المَعْدِنُ، ومثلُه[٣] جنَّةُ الخلدِ.

﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾؛ أي: رضَا اللهِ عنهم أكبرُ ممَّا ذُكِرَ؛ لا يُوصَلُ إلى شيءٍ من ذلك إلَّا بالرِّضوانِ.

ورَوَى أبو سعيدٍ الخدريُّ رضيَ الله عنه قالَ: قالَ رسولُ الله عليه السَّلامُ: «إنَّ الله يقولُ لأهلِ الجنَّةِ: يا أهلَ الجنَّةِ، فيقُولون: لبَّيكَ ربَّنا وسعدَيكَ، فيقولُ لهم: هل رضِيتُم؟ فيقولونَ: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتَنا ما لم تُعطِ أحدًا من

---

(١) رواه سعيد بن منصور في «سننه - التفسير» (١١٦٨)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٦٢).

(٢) رواه الدارمي في «الرد على الجهمية» (١٢٨)، والبزار في «مسنده» (٤٠٧٩)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٦٠)، والدارقطني في «المؤتلف والمختلف» (٣/ ١١٥١)، وابن الجوزي في «العلل» (٢١)، من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه. قال البزار: «وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن رسول الله ﷺ بهذا اللفظ إلا من هذا الوجه وزيادة بن محمد لا نعلم روى عنه غير الليث». وقال ابن الجوزي: هذا الحديث من عمل زيادة بن محمد، لم يتابعه عليه أحد.

(٣) في (و): «ومثله المعدن ومنه».

خلقِكَ؟! فيقولُ: أنا أُعطيكُم أفضلَ من ذلك، قالوا: يا ربّ، وأيُّ شيءٍ أفضلُ من ذلك؟ قال: أُحِلُّ عليكم رِضواني فلا أسخَطُ عليكم بعدَه أبدًا»[١].

﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: الرِّضوانُ، وقيل: جميعُ ما تقدَّمَ ﴿هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾.

***

(٧٣) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ﴾ بالسَّيفِ ﴿وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾ الحسنُ: بإقامةِ الحدودِ عليهم[٢].

ابنُ مسعودٍ رضيَ الله عنه: يُجاهِدُهم بيدِه، فإنْ لم يستطِعْ فبلسانِه، فإنْ لم يستطِعْ فبقلبِه، فإنْ لم يستطِعْ فليَكْفَهِرَّ في وجهِه[٣].

﴿وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡ﴾: بالِغْ في قتالِهم وجهادِهم[٤]. والغِلظةُ: قوَّةُ القلبِ على إحداثِ الألَمِ.

﴿وَمَأۡوَىٰهُمۡ﴾: مرجِعُهم ﴿جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾.

***

---

(١) رواه البخاري (٦٥٤٩)، ومسلم (٢٨٢٩).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١١١٠)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٦٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٤١).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٦٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٤١).

(٤) في (ن): «وجدالهم».

(٧٤) - ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْۚ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦۚ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْۖ وَإِن يَتَوَلَّوْاْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِۚ وَمَا لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾.

﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ ﴾ في سببِ النُّزولِ أقوالٌ:

قال الضَّحَّاكُ: سبَّ المنافقون في غزوةِ تبوكَ رسولَ الله عليه السَّلامُ وطعَنُوا في الدِّينِ في خلوةٍ، فنقلَ حُذَيفةُ إلى رسولِ الله عليه السَّلامُ ما قالوه، فقال عليه السَّلامُ: «يا أهلَ النِّفاقِ، ما هذا الذي بلغَني عنكم؟» فحلَفُوا ما قالوا شيئًا من ذلك، فنزلَتْ هذه الآيةُ[١].

قالَ قتادةُ: ذُكِرَ لنا أنَّ رجُلَين اقتَتَلا؛ رجلٌ من جُهَينةَ ورجلٌ من غِفارٍ، فظهرَ الغِفاريُّ على الجُهَنيِّ، فنادى عبدُ الله بنُ أبيٍّ: يا بني الأوسِ، انصُروا أخاكُم، فوالله ما مثَلُنا ومثَلُ محمَّدٍ إلّا كما قيلَ: سمِّنْ كلبَكَ يأكُلْكَ، والله لو رجَعْنا إلى المدينةِ ليُخرِجَنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ، فسعَى بها رجلٌ من المسلمين إلى رسولِ الله عليه السَّلامُ، فجعَلَ يحلِفُ بالله ما قالَ، فأنزَلَ اللهُ هذه الآيةَ[٢].

وقيل: نزلَتْ في الجُلاسِ بنِ سُوَيدٍ، قال: لَئِنْ كانَ ما جاء به محمَّدٌ حقًّا لنحنُ شرٌّ منَ الحميرِ، ثمَّ حلَفَ بالله ما قالَه[٣].

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٣/ ٤٨٢)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٥١).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ١٥٩) مختصرًا، ورواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٧٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٤٤).

(٣) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٨٣٠٣)، وابن شبة في «تاريخ المدينة» (١/ ٣٥٥)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٦٩) عن هشام بن عروة عن أبيه. وقد تقدم أن الجلاس تاب وحسنت توبته. =

﴿وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ﴾ يعني: سبَّ النَّبيِّ عليه السَّلامُ.

وقيل: هو قولُه: ﴿لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ [المنافقون: ٨].

ابنُ عيسى: كلُّ كلمةٍ فيها جَحْدٌ لنعمةِ الله فهي كُفرٌ.

﴿وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ﴾؛ أي: بعد إظهارِهم الإسلامَ، وقيل: هم قومٌ آمنُوا ثمَّ كفَرُوا.

﴿وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟﴾ من قتلِ محمَّدٍ عليه السَّلامُ، والهمُّ: دونَ العزمِ، والعزمُ فوقَه.

وقيل: همُّوا بقتلِ الذي سعى به.

وقيل: بالإخراجِ، من قولِه: ﴿لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ [المنافقون: ٨].

﴿وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ﴾؛ أي: ما عابُوا محمَّدًا عليه السَّلامُ ولم يرَوا منه ما أَوْرَثَ المُعاداةَ، بل أغناهُم الله بالغنائمِ حتَّى(١) كثُرَتْ أموالُهم.

وقيل: كان قُتِلَ لجُلاسٍ مولًى، فقضى له النَّبيُّ عليه السَّلامُ باثنَي عشرَ ألفَ درهمٍ، فاستَغْنَى بذلك(٢).

﴿فَإِن يَتُوبُوا۟﴾؛ أي: عن النِّفاقِ ﴿يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ﴾؛ أي: التَّوبُ خيرًا لهم ﴿وَإِن يَتَوَلَّوْا۟﴾: يُصِرُّوا على النِّفاقِ والكفرِ ﴿يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا﴾ بالفضيحةِ ﴿وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ بالنَّارِ ﴿وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ فيُنجِّيَهم منَ الفضيحةِ والنَّارِ.

= ورواه ابن شبة في «أخبار المدينة» (١/ ٣٥٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٤٢)، والبيهقي في «الدلائل» (٤/ ٥٧)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وفيه أن القائل رجل من المنافقين دون تعيين.

(١) في (و): «يعني».

(٢) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٨٣٠٣) عن هشام بن عروة عن أبيه.

(٧٥) - ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ﴾ عن أبي أُمامةَ الباهليِّ رضي الله عنه: أنَّ ثعلبةَ بنَ حاطبٍ الأنصاريَّ أتى رسولَ الله عليه السَّلامُ فقال: يا رسولَ الله، ادعُ الله أن يرزُقَني مالًا، فقال رسولُ الله ﷺ: «ويحكَ يا ثعلبةُ، قليلٌ تُؤدِّي شُكرَه خيرٌ من كثيرٍ لا تُطيقُه»، ثمَّ قال مرّةً أخرى، فقال: «أمَا ترضَى أن تكونَ مثلَ نبيِّ الله؟ فوالذي نفسي بيدِه لو شِئتُ أن تسيلَ معي الجبالُ ذهبًا وفضَّةً لسالَتْ» فقال: والذي بعثَكَ بالحقِّ، لَئِنْ دَعَوتَ الله أن يرزُقَني مالًا لأوتِيَنَّ كلَّ ذي حقٍّ حقَّه، فقال رسولُ الله عليه السَّلامُ: «اللَّهمَّ ارزُقْ ثعلبةَ مالًا»، فاتَّخذَ غنمًا فنمَتْ كما يَنْمي الدُّودُ، فضاقَتْ عنه المدينةُ، فتنحَّى عنها فنزلَ واديًا من أوديتِها حتَّى يُصلِّي الظُّهرَ والعصرَ في جماعةٍ ويترُكَ ما سِواهُما، ثمَّ نمَتْ وكثُرَت حتَّى تركَ الصَّلواتِ إلَّا الجمعةَ، وهي تنمي كما ينمي الدُّودُ حتَّى تركَ الجمعةَ، فسألَ رسولُ الله ﷺ فقال: «ما فعَلَ ثعلبةُ؟» فقالوا: اتَّخذَ غنمًا وضاقَتْ عليه المدينةُ، وأخبروه بخبرِه، فقال: «يا ويحَ ثعلبةَ» ثلاثًا، ثمَّ أتاه المُصدِّقُ من عندِ رسولِ الله، فأبَى وقال: ما هذه إلَّا جِزيةٌ، ما هذه إلَّا أختُ الجزيةِ، فنزلَ: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ﴾ فبلَغَ ذلك ثعلبةَ، فخرجَ حتّى أتى النَّبيَّ عليه السَّلامُ[1]، فسألَه أن يقبَلَ منه صدقَتَه، فقالَ: «إنَّ اللهَ قد منعَني أن أقبلَ منك صدَقَتَكَ»، فجعَلَ يحثُو التُّرابَ على رأسِه، فقال عليه السَّلامُ: «هذا عمَلُكَ، قد أمرتُكَ فلم تُطِعْني»، فقُبِضَ رسولُ الله عليه السَّلامُ ولم يقبَلْ منه شيئًا، ثمَّ أتى أبا بكرٍ فلم يقبَلْ منه صدقَتَه، ثمَّ أتى عمَرَ فلم يقبَلْها منه، ثمَّ أتى عثمانَ فلم يقبَلْها منه[2].

---

(١) بعدها في (و): «فأخرجه».

(٢) رواه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٢٥٣)، والطبري في «التفسير» (١١/ ٥٧٨)، =

قال الكلبيُّ: كان لثعلبةَ مالٌ بالشّامِ خافَ هلاكَه، فنذَرَ أن يتصدَّقَ منه، فلمَّا قدِمَ عليه بخِلَ به[1].

وقولُه: ﴿عَـٰهَدَ ٱللَّهَ﴾؛ أي: عاهدَ وحلَفَ.

﴿لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ﴾؛ أي: المالِ ﴿لَنَصَّدَّقَنَّ﴾: لنُخرِجَنَّ الصَّدقةَ ﴿وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ بإخراجِ الصَّدقةِ وحقِّ الله وصرفِ الباقي في الصَّلاحِ وما فيه رِضا الله.

* * *

(٧٦) ـ ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾.

﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾: أعطاهُم اللهُ المالَ ونالوا مُناهُم ﴿بَخِلُواْ بِهِۦ﴾: منعُوا حقَّ الله ولم يَفُوا بالعهدِ ﴿وَتَوَلَّواْ﴾ عن طاعةِ الله ﴿وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾: مُصِرُّونَ على الإعراضِ.

* * *

(٧٧) ـ ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ﴾.

﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ﴾: جعَلَ الله عاقبةَ فعلِهم ذلك نفاقًا في قلوبِهم، ويجوزُ أن يكونَ فاعلُ (أعقَبَ) ما سبقَ منَ البخلِ والتَّولِّي والإعراضِ.

= والطبراني في «المعجم الكبير» (٧٨٧٣)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٢٨٩ ـ ٢٩٢). قال البيهقي: «هذا حديث مشهور فيما بين أهل التفسير، وإنما يروى موصولًا بأسانيد ضعاف». وقال الذهبي في «تجريد أسماء الصحابة» (ص: ٦٦): «منكرٌ بمرَّة».

(١) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٧٥)، والثعلبي في «تفسيره» (١٣/ ٤٩٤)، والماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٣٨٤).

﴿إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾: يلقَون اللهَ، وقيل: فعلَهم، وقيل: جزاءَ فعلِهم.

وهو يومُ القيامةِ. وقيل: يومُ الموتِ، والمعنى: بخلُهم مع التَّولِّي والإعراضِ أورَثَهم نفاقًا لزِمَهم إلى المماتِ.

﴿بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ﴾؛ أي: بسببِ إخلافِهم في وعدِهم وكذبِهم في قولِهم.

* * *

(٧٨) ـ ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾.

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ﴾ يعني: المُنافقين كلَّهم، وقيل: مَن عاهدَ الله ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ﴾: ما أَسرُّوا في أنفُسِهم ﴿وَنَجْوَىٰهُمْ﴾: ما أسرُّوا به إلى الغيرِ ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ فلا يخفَى عليه شيءٌ.

* * *

(٧٩) ـ ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ في سببِ النُّزولِ: عن قتادةَ في جماعةٍ: أنَّ النَّبيَّ عليه السَّلامُ لـمَّا حثَّ على الصَّدقةِ جاء عبدُ الرَّحمنِ بنُ عوفٍ بأربعةِ آلافِ درهمٍ وقال: يا رسولَ الله، مالي ثمانيةُ آلافٍ، جئتُكَ بنصفِها فاجعَلْها في سبيلِ الله، وأمسكْتُ نصفَها لعيالي، فقالَ له عليه السَّلامُ: «بارَكَ اللهُ لك فيما أعطَيْتَ وفيما أمسَكْتَ»، فبارَكَ اللهُ له في مالِه، حتَّى إنَّه خلَّفَ امرأتَين يومَ ماتَ فبلغَ ثُمنُ مالِه لهما مئةَ ألفٍ وستِّين ألفَ درهمٍ، وتصدَّقَ يومَئذٍ عاصمُ بنُ عديٍّ بنِ العجلانِ بمئةِ وَسْقٍ

من تمرٍ، وجاءَ أبو عقيلٍ الأنصاريُّ بصاعٍ من تمرٍ وقال: يا رسولَ الله، بتُّ ليلَتي أجرُّ بالجريرِ حتَّى نِلتُ صاعَين من تمرٍ، فأمسكتُ أحدَهما لأهلي وأتيتُك بالآخرِ، فأمرَه رسولُ الله عليه السَّلامُ أن ينثُرَه في الصَّدقاتِ، فلمَزَهُم المُنافقون فقالوا: ما أعطى عبدُ الرَّحمنِ وعاصمٌ إلّا رياءً، ولقد كانَ اللهُ ورسولُه غنيًّا عن صاعِ أبي عقيلٍ، ولكنَّه أحبَّ أن يذكُرَ نفسَه، فأنزَلَ الله: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ﴾[1]؛ أي: يعيبُونَ ﴿ٱلْمُطَّوِّعِينَ﴾: الذين يتطوَّعونَ بالصَّدقاتِ، والتَّطوُّعُ منَ الصَّدقةِ: ما لا يلزمُه لزومَ الزَّكاةِ، ويقولون: فعَلُوا ذلك رياءً وسُمعةً ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾: إلّا غايةَ وُسعِهم وطاقتِهم. والجُهدُ بالضَّمِّ: غايةُ ما يقدرُ عليه الإنسانُ، وبالفتحِ: مصدرُ جَهَدَ في الأمرِ: إذا بالغَ، وقيل: هما لُغتانِ؛ يعنُونَ: أبا عقيلٍ.

﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾: يستهزِئُونَ بهم ﴿سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾: جازاهم جزاءَ سُخريَتِهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مُؤلِمٌ.

* * *

---

(١) رواه أبو الشيخ في «تفسيره» عن الحسن مرسلًا مطولًا كما في «الدر المنثور» (٤/ ٢٥٢)، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١١٢)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٩١) عن قتادة مختصرًا.
وللقصة شواهد عن جمع من الصحابة والتابعين رواها الطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٨٨ ـ ٥٩٦)، ومنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند البزار (٢٢١٦ ـ كشف الأستار).
وخبر أبي عقيل رواه البخاري (١٤١٥)، ومسلم (١٠١٨) من حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه.

(٨٠) ـ ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾.

﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ الصِّيغةُ صيغةُ الأمرِ، والمعنى معنى الشَّرطِ؛ أي: إنْ شِئْتَ فاستغفِرْ لهم، وإنْ شِئْتَ فلا تستغفِرْ لهم.

وقيل: أمرٌ معناه الاستواءُ؛ أي: استغفارُك لهم وتركُ الاستغفارِ سواءٌ.

وقيل: هذه مُبالغةٌ في الإياسِ، ومعناه: إنَّكَ لو طلبتَ الاستغفارَ لهم طلبَ المأمورِ به أو تركتَه تركَ المنهيِّ عنه لـم يُغفَرْ لهم.

﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ قال قتادةُ ومجاهدٌ: لمَّا نزلَتْ هذه الآيةُ قال عليه السَّلامُ: «لأَزِيدَنَّ على السَّبعينَ لعلَّ الله يغفرُ لهم» فأنزَلَ اللهُ: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [المنافقون: ٦](1).

وقيل: ليس هذا عددًا مُؤقَّتًا، وإنَّما الغرضُ منه الكثرةُ، كما تقولُ: قد قلتُ لك مئةَ مرَّةٍ، ونهيتُكَ عن ذلك ألفَ مرَّةٍ.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١١١٣)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ٦٠١) عن قتادة، ورواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٦٠٠) عن مجاهد.

وأصل الحديث رواه البخاري (٤٦٧٢)، ومسلم (٢٤٠٠) عن ابن عمر رضي الله عنهما، ولفظ البخاري: لما توفي عبد الله بن أبيٍّ جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله ﷺ، فأعطاه قميصه وأمره أن يكفنه فيه، ثم قام يصلي عليه، فأخذ عمر بن الخطاب بثوبه فقال: تصلي عليه وهو منافق، وقد نهاك الله أن تستغفر لهم؟ قال: «إنما خيرني الله ـ أو أخبرني الله ـ فقال: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ فقال: سأزيده على سبعين» قال: فصلى عليه رسول الله ﷺ وصلينا معه، ثم أنزل الله عليه: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَـٰسِقُونَ﴾ [التوبة: ٨٤].

وذهبَ الأزهريُّ في جماعةٍ من أهلِ اللُّغةِ[1]: إلى أنَّ السَّبعينَ هاهنا جمعُ السَّبعةِ التي تُستعمَلُ للكثرةِ، لا السَّبعةِ التي فوقَ السِّتَّة[2]. وقد سبقَ في (البقرةِ) عندَ قولِه: ﴿وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ [١٩٦].

وفي استغفارِ رسولِ الله عليه السَّلامُ لهم قولان:

أحدُهما: أنَّه لـم يكُ يعرِفُ نِفاقَهم، فدَعا واستغفرَ لهم.

والثّاني: أنَّ المُؤمنين من قومِهم كانوا يسألونَ النَّبيَّ عليه السَّلامُ أن يستغفرَ لهم في حياتِهم رجاءَ أن يُخلِصُوا في إيمانِهم، وبعدَ مماتِهم رجاءَ الغُفرانِ، فنهاهُ الله عن جميعِ ذلك وآيَسَهُم منه.

﴿ذَٰلِكَ﴾: إشارةٌ إلى الإياسِ منَ المغفرةِ ﴿بِأَنَّهُمْ﴾: بسببِ أنَّهم ﴿كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ والكافرُ لا يُغفَرُ له ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾: المُتمرِّدين في الكُفرِ.

* * *

(٨١) ـ ﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ﴾.

﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ﴾؛ أي: المتروكونَ، وقيل: الذين خلَّفَهم رسولُ الله ﷺ بأن أذِنَ لهم في التَّخلُّفِ ﴿بِمَقْعَدِهِمْ﴾: بقُعودِهم ﴿خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: بعد خُروجِه. و(خلافَكَ) بمعنى: خلفَك، ونصبُه على الظَّرفِ.

---

(١) «من أهل اللغة»: ليست في (و).

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» مادة (س ب ع) (٢/ ٧٠).

وقيل: (خلافَكَ) مصدرُ: خالَفَ، والمعنى: فرِحُوا بقُعودِهم في المدينةِ والتَّخلُّفِ عن الجهادِ، وأنْ لـم ينَلْهم حرُّ الصَّيفِ في السَّفرِ بخلافِ رسولِ الله عليه السَّلامُ، فيكونُ نصبًا على العِلّةِ أو على المصدرِ(١).

﴿وَكَرِهُوٓاْ﴾؛ أي: لـم يُريدوا ﴿أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّ﴾ قال بعضُهم لبعضٍ: لا تخرُجوا إلى الجهادِ في صميمِ الصَّيفِ.

وقيلَ: قالوا للمُؤمنينَ.

﴿قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا﴾ وقد اختَرتُموها بهذه المُخالفةِ والتَّخلُّفِ ﴿لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ﴾: يعلمون مآلَهم إليها ما اختارُوها وما تخلَّفُوا.

* * *

(٨٢) ـ ﴿فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗا وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرٗا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾.

﴿فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗا وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرٗا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾: نهاهُم عن الفرحِ بما تقدَّمَ منهم؛ لأنَّ الضَّحكَ منَ الفرحِ، وقولُه: ﴿قَلِيلٗا﴾؛ أي: في الدُّنيا، وهي قليلةٌ.

وقيل: ﴿قَلِيلٗا﴾ فإنَّ الهمومَ والأحزانَ يمنَعانِكُم عنه.

---

(١) في (و): «أو المصدر». وهذا الوجه أورده المؤلف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٦١)، واستغربه، ولفظه فيه: «الغريب: ﴿خِلَٰفَ﴾ مصدر خالف، ونصبه على المصدر أو العلة».

قلت: والنصب على المصدر بفعلٍ مقدرٍ مدلولٍ عليه بقوله: (مَقْعدهم)؛ لأنه في معنى: تخلَّفوا؛ أي: تخلفوا خلاف رسول الله. والنصب على العلة يعني: أنَّ ﴿خِلَٰفَ﴾ مفعولٌ من أجله، والعامل فيه: إمَّا ﴿فَرِحَ﴾، وإما (مَقْعد)، أي: فَرِحوا لأجل مخالفتهم رسول الله حيث مضى هو للجهاد وتَخلَّفوا هم عنه، أو بقعودِهم لمخالفتهم له. انظر: «البحر المحيط» (٥/ ٤٧٤)، و«الدر المصون» (٦/ ٩١). وأجاز الزمخشري وجهاً ثالثاً، وهو النصب على الحال؛ أي: قعدوا مخالفين له. انظر: «الكشاف» (٢/ ٢٩٦).

وقيل: عنَى بالقلَّةِ العدَمَ، كقولِ الشّاعرِ:

قليـلًا بهـا الأصـواتُ إلَّا بُغامُهـا[١]

أي: ليس بها صوتٌ.

﴿وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا﴾ لأنَّـه فـي القيامـةِ، وهـو يـومٌ مديـدٌ، وقيل: فـي النَّـارِ، وهي لا نهايـةَ لها.

وقيل: الضَّحكُ والبُكاءُ كنايتانِ عن السُّرورِ والغمِّ.

وقيل: الصِّيغةُ صيغةُ الأمرِ، ومعناهما الخبرُ.

* * *

(٨٣) ـ ﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُواْ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْخَـٰلِفِينَ ﴾.

﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ ﴾؛ أي: إنْ ردَّكَ اللهُ إلـى المدينـةِ من غزوةِ تبوك وفيهـا طائفـةٌ منهـم، وقيـل: كانوا اثنَي عشـرَ رجـلًا، وقيل: أكثـرَ من ذلـك تخلَّفوا بغيـرِ عذرٍ.

﴿فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ ﴾ إلى غزوةٍ أُخرَى بعد تبوكَ ﴿فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِىَ أَبَدًا ﴾؛ أي: فلا تأذَنْ لهم في الخروجِ وقُلْ لهم: لن تخرُجُوا معيَ أبدًا ﴿وَلَن تُقَـٰتِلُواْ مَعِىَ عَدُوًّا ﴾ لقُعودِكُم عن تبوكَ ونفاقِكُم ﴿إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾؛ أي: عن الوقتِ الذي تستأذِنُونَ فيه، فإنَّ غزوةَ تبوكَ لم تكُنْ بأوَّلِ غزوةٍ غزاها رسولُ الله عليه السَّلامُ.

---

(١) عجز بيت لذي الرمة في «ديوانه» (٢/ ١٠٠٤)، و«الصحاح» مادة (ب ل د) (٢/ ٤٤٩)، و«البسيط» (٣/ ٣٠٩)، وفي هذه المصادر: «قليلٍ»، وصدره:

أُنيْخَـتْ فألقَـتْ بلـدةً فـوقَ بلـدةٍ

وقيل: أوَّلَ مرَّةٍ دُعيتُم.

وقيل: ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ يعني: قبلَ الاستئذانِ.

﴿فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾: مع مَن تخلَّفَ بعذرٍ. وقيل: النِّساءِ والصِّبيان. تقول: خَلَفَه: نابَ عنه، قالَ الله تعالى: ﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾ [الأعراف: ١٤٢].

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿مَعَ الْخَالِفِينَ﴾؛ أي: الذين لا خيرَ فيهم(١).

وقيل: مع أهلِ الفسادِ(٢).

***

(٨٤) ـ ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾.

﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾؛ أي: منَ المُنافقين.

أجمعَ المُفسِّرون على أنَّها نزلَتْ حينَ صلَّى النَّبيُّ عليه السَّلامُ على عبدِ الله بنِ أُبيٍّ أو كادَ يُصلِّي، وذلك أنَّه لـمَّا ماتَ جاءَ ابنُه ـ وكانَ مُؤمنًا مُخلِصًا ـ إلى رسولِ الله عليه السَّلامُ وسألَه أن يُكفِّنَه في قميصِه الذي يلي جسدَه، وأن يُصلِّيَ عليه ويقومَ على قبرِه(٣).

---

(١) لعله يريد ما رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٦٠٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما من قوله: «الخالفون: الرجال»، ورواه عنه ابن المنذر وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٤/ ٢٥٨) بلفظ: «هم الرجال الذين تخلفوا عن النفور».

(٢) ووجه هذا القول كما قال الطبري في «تفسيره» (١١/ ٦٠٩) من قولهم: خلَف الرجل عن أهله يَخلُف خُلوفاً، إذا فسد، ومن قولهم: هو خَلْفُ سوء، وأصله إذا أريد به هذا المعنى قولهم: خَلَف اللبن يَخْلُف خلوفاً، إذا خبُث من طول وضعه في السقاء حتى يفسد، ومن قولهم: خلف فم الصائم: إذا تغيرت ريحه.

(٣) رواه البخاري (١٣٦٦) و(٤٦٧١)، ومسلم (٢٤٠٠) و(٢٧٧٤)، من حديث عمر رضي الله عنه، =

وقيل: إنَّه في مرضِه أرسلَ إلى النَّبيِّ عليه السَّلامُ ليأتيَه فأتاه فقال: «أهلكَكَ حبُّ اليهودِ» فقال: لا تُؤنِّبْني واستغفِرْ لي وأعطِني الثَّوبَ الذي يلي جسدَكَ، ففعَلَ عليه السَّلامُ رجاءَ أن يُؤمِنَ بذلك قومٌ[(١)].

فكانَ كما رجا، فإنَّ ألفًا من الخزرجِ أسلَمُوا لـمَّا رأَوه عندَ وفاتِه يستشفي بثوبِ رسولِ الله عليه السَّلامُ[(٢)].

= وفيه الجزم بأنه صلى عليه، ولفظه: فصلَّى عليه رسولُ الله ﷺ ثُم انصرف، فلمْ يمكُث إلا يَسيرًا حتى نزلت الآيتان من براءة: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا ﴾ إلى قوله: ﴿وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾.

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١١١٦)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ٦١٤)، عن قتادة. وفيهما: «ثم سأله عبد الله أن يعطيه قميصه أن يكفّن فيه، فأعطاه إياه، وصلى عليه، وقام على قبره، فأنزل الله تعالى ذكره: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ﴾»، قال: ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كلّم في ذلك، فقال: «وما يغني عنه قميصي من الله ـ أو ربي ـ وصلاتي عليه؟ وإني لأرجو أن يسلم به ألف من قومه».

وفي رواية للطبري: «وسأله قميصه أن يكفن فيه فأعطاه إياه، فاستغفر له رسولُ الله ﷺ، فمات فكفن في قميص رسول الله ﷺ، ونفث في جلده، ودلَّاه في قبره، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا ﴾».

وروى الإمام أحمد في «المسند» (٢١٧٥٨)، وأبو داود (٣٠٩٤)، والحاكم في «المستدرك» (١٢٦٢)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٢٨٥)، والضياء في «المختارة» (١٣٢٨)، عن أسامةَ بن زيد، قال: خرجَ رسولُ الله ﷺ يعودُ عبدَ الله بن أُبيّ في مرضه الذي مات فيه، فلما دخل عليه عَرَفَ فيه الموتَ، قال: «قد كُنتُ أنهاكَ عن حُبِّ يَهُود» قال: فقد أبغضهم أسعَد بن زُرارةَ فَمَهْ؟ فلما مات أتاه ابنُه فقال: يا رسول الله، إن عبد الله بن أُبيٍّ قد ماتَ، فأعطِني قميصَك أكفِّنْه فيه، فنزعَ رسولُ الله ﷺ قميصَه فأعطاه إياه.

(٢) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» (٢/ ٤٦٣)، ولم أجده مسنداً بهذا اللفظ، وتقدم رجاء ذلك من النبي ﷺ فيما رُوي عن قتادة.

فلمَّا قامَ يُصلِّي عليه جذَبَه عمرُ، ويقالُ: جذَبَه جبريلُ عليه السَّلامُ[١]، فصلَّى عليه، فنزلَتْ: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم ﴾ منَ المُنافقين؛ يُريدُ: صلاةَ الجنازةِ[٢]، وقيل: يُريدُ: الدُّعاءَ.

﴿وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾: ولا تقِفْ عندَ قبرِه حتَّى يُفرَغَ من دفنِه.

وقيل: ﴿وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾ لا تتولَّ دفنَه وقبرَه[٣]، فيكونُ مصدرًا، تقولُ: قبرَه إذا دفنَه[٤].

﴿إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾.

* * *

(٨٥) ـ ﴿ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾.

﴿ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ سبقَ تفسيرُها، وليست بتكرارٍ؛ لأنَّها في جماعةٍ وهذه في أُخرَى[٥].

ابنُ جريرٍ: أراد: أولادَ عبدِ الله وأموالَه[٦].

---

(١) كون الذي جذبه عمر رضي الله عنه رواه البخاري (١٣٦٦) و(٤٦٧١)، ومسلم (٢٤٠٠) و(٢٧٧٤)، من حديث عمر رضي الله عنه.

وكونه جبريل رواه أبو يعلى في «مسنده» (٤١١٢)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ٦١٢)، من رواية يزيد الرقاشي عن أنس: أن رسول الله ﷺ أراد أن يصلي على عبد الله بن أبيٍّ، فأخذ جبريل بثوبه وقال: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ﴾. ويزيدُ ضعيفٌ.

(٢) في (و): «الجنائز».

(٣) «ومَقْبَراً»: ليست في (و).

(٤) ومصدره: قَبْراً. انظر: «القاموس المحيط» مادة (ق ب ر) (ص: ٤٥٩).

(٥) وقد أشار المصنف إلى لطيفة بلاغية في مجيء هذه الآية بالواو، والتي قبلها بالفاء، وهي أن هذه قبلها إخبار بالماضي فناسبها الواو، وتلك قبلها مضارع يحتمل الشرط فناسبها الفاء. انظر: «البرهان» (ص: ١٣٥).

(٦) انظر: «تفسير الطبري» (١١/ ٦١٥)، وليس فيه التصريح بما ذكر المؤلف، وفيه: «ولا تعجبك يا =

(٨٦) ـ ﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴾.

﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ ﴾ يُريدُ: منَ القرآنِ، وهذا دليلٌ على أنَّ السُّورةَ كانت مُسوَّرةً على عهدِ رسولِ الله عليه السَّلامُ، لا كما زعمَ بعضُ المُبتدِعةِ أنَّها سُوِّرَتْ بعدَ رسولِ الله عليه السَّلامُ، وكذلك قولُه: ﴿فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ﴾[1] [البقرة: ٢٣].

﴿أَنۡ ءَامِنُواْ﴾؛ أي: بأنْ آمِنُوا ﴿بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ﴾ يجوزُ أن يكونَ الخطابُ للمُنافقين؛ أي: آمِنوا سرًّا كما آمنتُم جهرًا، ويجوزُ أن يكونَ للمؤمنين؛ أي: دُوموا على الإيمانِ وجاهِدوا ﴿مَعَ رَسُولِهِ﴾.

﴿ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ﴾ في التَّأخُّرِ ﴿أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ﴾: ذوو القدرةِ والسَّعةِ في المالِ ﴿وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ﴾؛ أي: الزَّمْنَى والضَّعْفَى.

* * *

(٨٧) ـ ﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ﴾.

﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ﴾؛ أي: النِّساءِ، جمعُ: خالفةٍ، من قولِهم: فلانٌ خالِفةُ قومِه: إذا كانَ لا خيرَ فيه، وقيل: طائفةٌ خالفةٌ، ثمَّ جُمِعَ على خَوالفَ.

﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ﴾[2]: استوثَقَ منها فلا يدخلُها الإيمانُ.

* * *

= محمد أموال هؤلاء المنافقين وأولادهم فتصلي على أحدهم إذا مات وتقوم على قبره من أجل كثرة ماله وولده».

(١) في (ن): «﴿فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ﴾» وهي الآية (١٣) من هود، وتصلح شاهداً كالمثبت.

(٢) زيد لفظ الجلالة «الله»: في (ن) وأحيط بدائرة. وقد ذكر المصنف وجه بنائه للمجهول في هذه الآية في «غرائب التفسير» (١/ ٤٦٢).

(٨٨) ـ ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ﴾ في الإنفاقِ ﴿وَأَنفُسِهِمْ﴾ في سبيلِ الله بالقتالِ ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ﴾: جمعُ خَيْرةٍ، تخفيفُ خَيِّرةٍ، والمرادُ بهنَّ الحورُ، كقولِه: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾ [الرحمن: ٧٠]، ويجوزُ أن يكونَ عامًّا في جميعِ الملاذِّ منَ الأطعمةِ والأشربةِ والمنازلِ والجواري والغِلمانِ.

وقيل: ﴿ٱلْخَيْرَٰتُ﴾: الغنائمُ.

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾: الباقون في النَّعيمِ.

* * *

(٨٩) ـ ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ لفظُ ﴿أَعَدَّ﴾ دلَّ على أنَّها مخلوقةٌ مُعَدَّةٌ.

ابنُ عيسى: الإعدادُ: تهيئةُ الشَّيءِ لغيرِه، وأصلُه العددُ، كأنَّه عدَّ ما احتيجَ إليه.

* * *

(٩٠) ـ ﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾ في وزنِ فعلِه خلافٌ[1]:

أحدُهما: أنَّه (مُفعِّل) منَ التَّعذيرِ.

والثاني: (مُفتَعِلٌ) منَ الاعتذارِ، نُقِلَت حركةُ التَّاء إلى الفاءِ، وأُدغِمَت التَّاءُ في العينِ[2].

---

(١) كذا في (ن)، وفي (و): «في وزن خلاف»، ولعل صواب العبارة: «في وزنه وفعله خلاف»، والله أعلم.

(٢) أي: أصل مُعَذِّر: مُعْتَذِر، ثم صارت مُعَتْذِر، ثم مُعَذِّر. وهذا الوجه ذكره الفراء في «معاني القرآن» (١/ ٤٤٧)، والزجاج فيه (٢/ ٤٦٤)، وابن الأنباري في «الأضداد» (ص: ٣٢١).

والفرقُ بينَ التَّعذيرِ والاعتذارِ: أنَّ التَّعذيرَ: التَّقصيرُ مع طلبِ إقامةِ العذرِ، والاعتذارَ: طلبُ العذرِ من غيرِ تصحيحٍ، فمَن جعلَه منَ التَّعذيرِ قال: هو ذمٌّ، وهو قولُ قتادةَ(١)، ومَن جعلَه منَ الاعتذارِ قال: هو عُذرٌ، وهو قولُ مُجاهدٍ(٢).

وقرأ ابنُ عبَّاسٍ في جماعةٍ: ﴿المُعذِرون﴾ خفيفًا(٣)، ومعنى أعذَرَ: أتى بعُذرٍ صحيحٍ، وكان ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما يقولُ: لعَنَ الله المُعذِّرين(٤)؛ يُريدُ: بالتَّشديدِ، كان يذهبُ إلى التَّعذيرِ(٥).

وفيهم قولانِ:

أحدُهما: أنَّهم كانوا مُنافقين، والكلُّ ذمٌّ، بدليلِ ما تقدَّم.

وقال بعضُهم: هؤلاءِ قومٌ منَ الأعرابِ غيرُ قُطَّانِ المدينةِ، تأخَّروا عن تبوكَ، فلمَّا سمِعُوا الوعيدَ أتَوا مُعتَذرين وسألُوا أن يُؤذَنَ لهم في التَّخلُّفِ والقُعودِ. وقيل: يُؤذَنَ لهم في الخروجِ.

ابنُ بحرٍ: هؤلاءِ الأعرابُ صنفانِ:

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٦٢١) بلفظ: «اعتَذَروا بالكذب».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٦٢٢) عن حميد: قرأ مجاهد: (وجاء المُعْذِرون) مخففةً، وقال: هم أهل العذر.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٦٢٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٦٠)، وهي قراءة يعقوب من العشرة. انظر: «النشر» (٢/ ٢٨٠).

(٤) رواه الفراء في «معاني القرآن» (١/ ٤٤٨)، وانظر: «تفسير الماتريدي» (٥/ ٤٤٥)، و«حجة القراءات» لابن زنجلة (ص: ٣٢١).

(٥) انظر: «غرائب التفسير» (١/ ٤٦٢)، وفيه بدل: «كان يذهبُ إلى التَّعذيرِ»: «ذهب إلى أنه من التعذير»، ومراد المؤلف والله أعلم: أن ابن عباس كان يرى أن ﴿ٱلْمُعَذِّرُونَ﴾ بالتشديد هو من التعذير المذموم، وأنه قرأ (المُعْذِرون) بالتخفيف ذهاباً منه إلى أن المعنى من أعذَرَ: إذا أتى بعُذرٍ صحيحٍ.

أحدُهما: مُعتذِرٌ التمَسَ الإذنَ في القُعودِ.

والآخرُ: مُصرِّحٌ بالنِّفاقِ غيرُ جانحٍ إلى عذرٍ، مُتجمِّلٌ بتعذيرٍ.

ابنُ عيسى: العُذرُ: سقوطُ اللَّومِ بانتفاءِ التَّمكُّنِ منَ الفعلِ(١).

قولُـه: ﴿وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾؛ أي: أضمَـرُوا خـلافَ مـا أظهَـرُوا، ثـمَّ أوعَدَهُـم عذابًـا فقـال: ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

***

(٩١) ـ ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ﴾؛ أي: الضَّعيفِ في نفسِه كالشَّيخِ، أو في عينِه كالأعمَى، أو في عقلِه كالمجنونِ، ﴿وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ﴾: جمعُ مريضٍ، ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ﴾؛ أي: الفقراءِ والمساكينِ ﴿حَرَجٌ﴾: إثمٌ في التَّأخُّرِ وضِيقٌ، بل هم مُوسَّعٌ عليهم في التَّأخُّرِ ﴿إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ في إخلاصِهم في أقوالِـهم وأفعالِـهم بما يعودُ إلى ما فيه صلاحُ الإسلامِ والمُسلمين.

﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ وهـم الـذين أطـاعُوا اللهَ ورسـولَه، وقيل: هم الذين نصَحُوا لله ورسولِه ﴿مِن سَبِيلٍ﴾؛ أي: ليس لأحدٍ إلى لائمَتِهم وعقابِهم سبيلٌ لأنَّهم مُحسِنون، ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لهم، وقيل: غفورٌ رحيمٌ للمُسيءِ، فكيف للمُحسنِ؟!

***

(٩٢) ـ ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ﴾.

﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾ في سببِ النُّزولِ: أنَّها نزلت في البكَّائينَ،

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٦٢) بلا نسبة.

وكانوا ستَّةً: مَعْقِلُ بنُ يسارٍ، وصخرُ بنُ خنساءَ، وعبدُ الله بنُ كعبٍ الأنصاريُّ، وسالمُ بنُ عُميرٍ، وثَعلبةُ بنُ غَنَمةَ، وعبدُ الله بنُ مُغفَّلٍ، أَتَوا رسولَ الله عليه السَّلامُ فقالوا: يا نبيَّ الله، نذَرْنا الخروجَ فاحمِلْنا على الخِفَافِ المرقوعةِ والنِّعالِ المخصوفةِ نغزُو معَكَ، فقال: «لا أجِدُ ما أحمِلُكم عليه» فتولَّوا وهم يبكُونَ(١).

مُجاهدٌ: نزلَتْ في بني مُقرِّنٍ؛ معقلٍ وسُويدٍ والنُّعمانِ(٢).

الحسنُ: نزلَتْ في أبي موسى وأصحابِه(٣).

وقيل: نزلَتْ في عِرْباضِ بنِ ساريةَ(٤).

قولُه: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ﴾ عطفٌ على ﴿ٱلضُّعَفَآءِ﴾ لا على ﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، وقوله: ﴿لِتَحْمِلَهُمْ﴾؛ أي: على النِّعالِ كما سبقَ، وروَى أبو هريرةَ رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله عليه السَّلامُ قال في غزوةِ تبوكَ: «أكثِروا منَ النِّعالِ؛ فإنَّ الرَّجلَ لا يزالُ راكبًا ما كانَ مُنتعِلًا»(٥).

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٣/ ٥٢٤)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٥٧)، وزادوا سابعًا وهو: «علبة بن زيد الأنصاري».

(٢) رواه سعيد بن منصور في «سننه ـ التفسير» (١٠٣١)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ٦٣٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٦٢)، دون تسميتهم، ووردت تسميتهم في «تفسير الثعلبي» (١٣/ ٥٢٥)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٢٥٧).

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٠/ ٥٩٥)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٢/ ٢٨٩). وانظر حديث أبي موسى رضي الله عنه في «صحيح البخاري» (٣١٣٣)، و«صحيح مسلم» (١٦٤٩).

(٤) رواه أبو داود (٤٦٠٧) عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي وحجر بن حجر.

(٥) ذكره عن أبي هريرة رضي الله عنه الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٣٩٢)، ورواه مسلم (٢٠٩٦) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

ورُوِيَ أنَّهم طلَبُوا ما يتزوَّدُونَه.

﴿قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾؛ أي: لا أملِكُ، تقولُ: حَمَلَه حُمْلانًا؛ إذا أعطاه ما يركبُه من دابَّةٍ أو نعلٍ، وحَمَلَه على ظهرِه حَمْلًا.

﴿تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾: تسيلُ، ولم يقُلْ: يفِضْنَ؛ أجراها مجرى جمعِ الكثيرِ، والفيضُ: سيلُ الماءِ عن[1] امتلاءِ الإناءِ.

﴿حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا﴾؛ أي: بسببِ أنْ لا يجِدُوا ﴿مَا يُنفِقُونَ﴾ في مَغزاهُم.

* * *

(٩٣) - ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَـْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ﴾؛ أي: اللَّائمةُ والعذابُ ﴿عَلَى الَّذِينَ يَسْتَـْذِنُونَكَ﴾ في التَّخلُّفِ ﴿وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

* * *

(٩٤) - ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ﴾: يُقيمونَ لأنفُسِهم عُذرًا باطلًا ﴿إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ من هذه السَّفرةِ، ﴿قُل لَّا تَعْتَذِرُوا﴾ بالأكاذيبِ والأباطيلِ ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ﴾: لن نُصدِّقَكُم ﴿قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾؛ أي: أخبارًا من أخبارِكُم وأطلَعنا على

---

(١) في (و): «على».

أسرارِكُم، ﴿وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ﴾ بعد اليومِ، فإيّاكُم ومُعاودةَ القبيحِ وما يُعتَذَرُ منه، ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾؛ أي: مصيرُكم إلى الله المُطَّلعِ على أعمالِ عبادِه سرِّها وجهرِها ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: يُوبِّخُكم به ويُعاقبُكم عليه.

* * *

(٩٥) - ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾.

﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾؛ أي: سيكونُ منهم حلفٌ بالكذبِ والباطلِ بعد انصرافِكُم إليهم من هذه السَّفرةِ إلى المدينةِ؛ ﴿لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ﴾ ولا تُعاتبوهُم، ﴿فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ﴾ ولا تُؤنِّبوهُم ﴿إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾: عملُهم خبيثٌ ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ﴾: مصيرُهم ﴿جَهَنَّمُ﴾: النّارُ ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾: جزاءً على فعلِهم.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: كانوا ثمانينَ رجلًا، فأمرَ النَّبيُّ عليه السَّلامُ حين قدِمَ المدينةَ أنْ لا يُجالِسوهُم ولا يُكلِّموهُم[1].

وقيل: نزلَتْ في عبدِ الله بنِ أُبيٍّ حلَفَ أنْ لا يتخلَّفَ عنه بعدَها، وأن يكونَ معَه على عدوِّه، وطلبَ إلى النَّبيِّ عليه السَّلامُ أن يرضى عنه[2].

* * *

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٤/ ٥)، وقول النبي ﷺ: «لا تجالسوهم ولا تكلموهم» رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٦٥) عن السدي مرسلاً.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ١٩١).

(٩٦) ـ ﴿ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾.

﴿ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ ﴾؛ أي: يطلُبون رِضاكُم بحلفِهم الباطلِ[1] ﴿فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ﴾ يُريدُ: فلا ترضَوا عنهم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ بل يسخطُ عليهم، والرِّضا ضدُّ السُّخْطِ، أَمرَ بالإعراضِ ونَهى عن الرِّضا.

***

(٩٧) ـ ﴿ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾.

﴿ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا ﴾ في سببِ النُّزولِ: أنَّها نزلَتْ في أعاريبَ من أسدٍ وغَطَفانَ، وأعاريبَ من أعرابِ حاضري المدينةِ[2]، وليس بعامٍّ.

والأعرابُ هم أولادُ عدنانَ وقَحْطانَ، وهم ساكِنُو الباديةِ، ومَن وُلِدَ بغيرِها فهو عربيٌّ.

قولُه: ﴿أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾ لأنَّهم لم يسمَعُوا كلامَ الله ولا مواعظَ أنبيائِه ولا حِكَمَهم، فيكونُ الكفرُ فيهم أكثرَ.

وقيلَ: ﴿أَشَدُّ كُفْرًا﴾ لأنَّ طباعَهم جافيةٌ وقلوبَهم قاسيةٌ، وكلَا القولَين واحدٌ.

﴿وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا﴾؛ أي: بأنْ لا يعلَمُوا، ومعنى ﴿أجدر﴾: أقرَبُ وأولى، قال أهلُ اللُّغةِ: هو منَ الجدارِ؛ أي: ألصَقُ وأعلى.

---

(١) في (و): «رضاكم بالباطل».

(٢) ذكره الفراء في «معاني القرآن» (١/ ٤٤٩)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٥٧).

﴿حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ مِنَ الفرائضِ والعباداتِ، وقيل: مِنَ الوعدِ والوعيدِ، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

***

(٩٨) ـ ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا﴾؛ أي: منهم مُنافقون غيرُ مُخلصين يَعُدُّون ما أنفَقُوا وتصدَّقوا به غُرْمًا؛ ثِقلًا أُلزِمَ من غيرِ وُجوبٍ، ولا يرجُو[1] عليه ثوابًا، ولا يحتسِبُه عندَ الله، وأصلُ الغُرْمِ: اللُّزومُ.

﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ﴾: ينتظرُ انقلابَ الأمرِ عليكم ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾؛ أي: عليهم تدورُ المصائبُ والحروبُ التي يتوقَّعون وُقوعَها في المسلمين، وهذا وعدٌ للمسلمين وإخبارٌ، ويحتملُ أن يكونَ دُعاءً عليهم؛ أي: قولوا: ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾؛ أي: المكروه.

وحقيقةُ الدَّائرةِ: ما تدورُ به الأيَّامُ، وقيل: يدورُ به الفَلَكُ في سيرِه، والدَّائرةُ: انقِلابُ النِّعمةِ إلى ضِدِّها، وقيل: هي الجائحةُ[2]، ووزنُها فاعلةٌ.

«الحجّةُ»: يجوزُ أن يكونَ مصدرًا كالعاقبةِ والعافيةِ، ويجوزُ أن يكونَ صفةً؛ أي: خلَّةً تدورُ وتُحيطُ بالإنسانِ حتَّى لا يكونَ له منها مَحيصٌ[3].

---

(١) كذا في النسخ الخطية، والضمير يعود إلى ﴿مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا﴾، وكأن المصنف لما قطع العبارة بتفسير الغرم غفل عن متابعتها بصيغة الجمع، والله أعلم.

(٢) في (و): «الحاجة».

(٣) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٤/ ٢٠٧).

و﴿ٱلسَّوْءِ﴾ بالفتحِ: المصدرُ، وبالضَّمِّ[1]: البلاءُ والمكروهُ، وإضافتُها للبيانِ كشمسِ النَّهارِ.

﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

***

(٩٩) - ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾: البعثِ والحسابِ والثَّوابِ والعقابِ.

﴿وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ﴾ في الجهادِ مع الرَّسولِ عليه السَّلامُ وما يتصدَّقُ به ﴿قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: تُقرِّبُه من رحمتِه ورضوانِه، وقيل: القربةُ: طلَبُ الثَّوابِ والكرامةِ، وقيل: هي الطّاعةُ.

﴿وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ﴾: دُعاؤُه واستِغفارُه. وفي محلِّها أقوالٌ:

أحدُها: أنَّه نصبٌ بالعطفِ على ﴿مَا يُنفِقُ﴾؛ أي: يتَّخِذُ ما يُنفِقُ وصلواتِ الرَّسولِ قُرباتٍ.

وقيل: نصبٌ بالعطفِ على ﴿قُرُبَٰتٍ﴾؛ أي: يتَّخِذُ ذلك قُرباتِ الله وصلواتِ الرَّسولِ؛ أي: يطلبُ الغفرانَ منَ الله والاستغفارَ منَ الرَّسولِ، وهذا قولُ المُبرِّدِ، وفيه تعسُّفٌ؛ لأنَّ المفعولَ الثّانيَ في (اتَّخذَ) يجبُ أن يكونَ هو الأوَّلَ.

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح السين، وباقي السبعة بالضم. انظر: «السبعة» (ص: ٣١٦)، و«التيسير» (ص: ١١٩).

وقيل: محلُّه جرٌّ بالعطفِ علـى الله سُبحـانَه؛ أي: يتَّخِذُ ذلك قُرباتٍ عندَ الله وعندَ صلواتِ الرَّسولِ.

﴿أَلَآ إِنَّهَا قُرۡبَةٞ لَّهُمۡۚ﴾: إنَّ نفقتَهم، وقيل: إنَّ صلواتِ الرَّسولِ، والمعنى: هذا تصديقٌ لمُخيِّلَتِهم ﴿سَيُدۡخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾.

***

(١٠٠) ـ ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾.

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ﴾ أكثرُ المُفسِّرين على أنَّهم هم الذين صلَّوا إلى القِبلتَين وشهِدوا بدرًا، وقيل: هم الذين أسلَمُوا قبل الهجرةِ، وقيل: هم الذين تقدَّمَ موتُهم.

﴿وَٱلۡأَنصَارِ﴾ مجـرورٌ؛ أي: السّـابقون منهمـا، وقُـرِئَ بالرَّفـعِ[1]، فيكـونُ (السَّابقون) منَ المُهاجرينَ فحَسبُ.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ﴾ فيه قولانِ:

أحدُهما: منَ المُهاجرينَ والأنصارِ أيضًا، فيكونُ سائرَ الصَّحابةِ.

والثّاني: مَن اتَّبعوهم بالإيمانِ والطّاعةِ إلى يومِ القيامةِ، وذكرَ المُفسِّرون والقرَّاءُ أنَّ عمرَ رضي الله عنه كان يقرأُ: (والأنصارُ الذين اتَّبعُوهُم)، بحذفِ الواوِ ورفعِ (الأنصار)، فقالَ له زيدُ بنُ ثابتٍ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم﴾ فقالَ عمر: (الذينَ اتَّبعُوهُم)،

---

(١) قرأ بها يعقوب من العشرة. انظر: «النشر» لابن الجزري (٢/ ٢٨٠).

فقال زيدٌ: أميرُ المؤمنين أعلَمُ، فقالَ عمرُ رضي الله عنه: ائتُوني بأُبيٍّ بنِ كعبٍ، فأتاهُ فسألَه، فقالَ أُبيٌّ: ﴿وَٱلَّذِينَ﴾ فقال عمرُ: فنعَمْ إذنْ[1].

﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بقبولِ الطّاعةِ ﴿وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ بما نالُوا منَ الثَّوابِ فوقَ ما تمنَّوا.

﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ وقرأ ابنُ كثيرٍ: ﴿من تحتِها﴾[2]، وليس لها في القرآنِ نظيرٌ.

***

(١٠١) ـ ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾.

﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ﴾ في سببِ النُّزولِ: أنَّها نزلَتْ في جُهَينةَ ومُزَينةَ وأشجَعَ وأسلَمَ وغِفارٍ، ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ﴾: ابنُ أُبيٍّ، وجدُّ بنُ قيسٍ، ومُعتِّبُ بنُ قُشَيرٍ، والجُلاسُ بنُ سُوَيدٍ، وأبو عامرٍ الرّاهبُ[3].

قال قتادةُ: أسرَّ النَّبيُّ عليه السَّلامُ إلى حُذيفةَ اثني عشرَ رجلًا منَ المُنافقين لا يدخُلونَ الجنَّةَ حتَّى يلِجَ الجملُ في سمِّ الخياطِ، وقال: «ستَّةٌ منهم تقتُلُهم الدُّبَيْلَةُ؛ سراجٌ من نارٍ يأخذُ في كتفِ أحدِهم حتَّى يخرجَ من صدرِه»، وكان عمرُ رضي الله عنه إذا ماتَ رجلٌ يظنُّه منهم نظرَ إلى حُذيفةَ؛ فإنْ صلَّى عليه اتَّبعَه، قال

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٦٤١)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٢٦٨) لأبي عبيد وسنيد وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه.

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٣١٧)، و«التيسير» (ص: ١١٩).

(٣) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٥٧) عن الكلبي.

حذيفةُ: قال لي عمرُ: أنشُدكَ الله أمِنهُم أنا؟ قلتُ: لا والله، ما جعلَكَ الله منهم[١].

وقولُه: ﴿ممّن حولكم﴾؛ أي: من أهلِ البوادي ممَّن حوالَي المدينةِ.

﴿مُنَٰفِقُونَۖ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ﴾ منافقون ﴿مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾ يجوزُ أن يكونَ وَصْفًا للمُنافقين، وحقُّه التَّقديمُ، وهذا قولُ الزَّجّاجِ[٢]، ويجوزُ أن يكونَ وصفًا لمُنافقي المدينةِ فحسبُ، وهذا قولُ جماعةٍ، فيكونُ الوقفُ على قولِه: ﴿مُنَٰفِقُونَ﴾، ثمَّ يستأنفُ ﴿وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ مَرَدُواْ﴾؛ أي: قومٌ مرَدُوا، ويحتملُ أن يكونَ ﴿مَرَدُواْ﴾ للكلِّ، ويحتملُ الاستئنافَ.

ومعنى ﴿مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾: أقامُوا عليه فلم يتوبُوا منه.

وقيل: لجُّوا فيه وأبَوا غيرَه.

وقيل: استمروا على ذلك وعتوا فيه[٣].

وقيل: اشتَدُّوا فيه، وقيل: دَرِبُوا به، وأصلُه منَ الشَّيطانِ الماردِ، واشتقاقُه منَ الملاسةِ، وقد سبقَ.

﴿لَا تَعۡلَمُهُمۡۖ﴾: لا تعرِفُهم بأعيانِهم ﴿نَحۡنُ نَعۡلَمُهُمۡۚ﴾، ويحتمِلُ: لا تعلَمُهم

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٦٤٦). وله شاهد رواه مسلم (٢٧٧٩) عن عمار رضي الله عنه أن حذيفة أخبره عن النبي ﷺ أنه قال: «في أصحابي اثنا عشر منافقاً، فيهم ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط، ثمانية منهم تكفيكهم الدبيلة، سراج من النار يظهر في أكتافهم حتى ينجم من صدورهم».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٤٦٧)، وعبارته: «مقدم ومؤخر، ﴿مَرَدُواْ﴾ متصل بقوله: ﴿مُنَٰفِقُونَ﴾».

(٣) «وقيل استمروا على ذلك وعتوا فيه» من (ن).

مُنافقيـن، وتقـدُّمُ لفـظِ النِّفاقِ قـامَ مَقـامَ الملفـوظِ، فيكونُ علـى أصلِـه مُتعدِّيًا إلى مفعولَين.

﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ محمَّدُ بنُ جريرٍ: لـم يُبيِّن اللهُ العذابَ لنا ما هما[1].

غيرُه: المرَّةُ الأولى في الدُّنيا بالقتلِ والفضيحةِ والهوانِ وأخذِ الزَّكاةِ والحملِ على الجهادِ، والمرَّةُ الثّانيةُ عذابُ القبرِ، والثَّالثةُ دخولُ النّارِ على الدَّوامِ.

***

(١٠٢) ـ ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ﴾ في سببِ النُّزولِ: قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: نزلَتْ في قومٍ كانوا[2] تخلَّفُوا عن غزوةِ تبوكَ، ثمَّ ندِمُوا وقالوا: نكونُ في الظِّلالِ مع النِّساءِ ورسولُ الله وأصحابُه في الجهادِ، والله لنوثِقَنَّ أنفُسَنا في السَّواري ولا نُطلِقُها حتَّى يكونَ الرَّسولُ هو الذي يُطلِقُنا ويعذُرُنا، فأوثَقُوا أنفُسَهم بسواري المسجدِ، فلمَّا رجَعَ رسولُ الله عليه السَّلامُ مرَّ بهم فرآهُم فقال: «مَن هؤلاءِ؟» قالوا: هؤلاءِ تخلَّفوا عنك، فعاهَدوا الله لا يُطلِقونَ أنفُسَهم حتَّى تكونَ أنتَ الذي تُطلِقُهم وترضى عنهم، فقالَ عليه السَّلامُ: «وأنا أُقسِمُ لا أُطلِقُهم ولا أعذُرُهم حتَّى أُؤمرَ بإطلاقِهم، رَغِبوا عنِّي وتخلَّفوا عنِ الغزوِ مع المسلمين» فنزلَتْ هذه الآيةُ، فلمَّا نزلَتْ أرسلَ إليهم النَّبيُّ عليه السَّلامُ فأطلَقَهم وعذَرَهُم، فلمَّا أُطلِقُوا قالوا: يا رسولَ الله، هذه

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١١/ ٦٤٩).

(٢) «كانوا»: ليست في (ن).

أموالُنا التي خلَّفَتْنا عنك فتصدَّقْ بها عنّا وطهِّرْنا واستغفِرْ لنا، فقال: «ما أُمِرْتُ أن آخُذَ من أموالِكُم شيئًا» فأنزَلَ الله: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةً﴾ [التوبة: ١٠٣] الآية(١).

قولُه: ﴿وَءَاخَرُونَ﴾؛ أي: وقومٌ آخَرون سِوى المذكورين.

قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: كانوا عشرةً(٢).

مجاهدٌ: هو أبو لُبابةَ وحدَه لِـمَا أصابَه حينَ بُعِثَ إلى بني قُريظةَ(٣).

﴿ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ﴾ في النِّفاقِ(٤) والتَّأخُّرِ عن الجهادِ.

﴿خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا﴾: التَّوبةَ ﴿وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾: النِّفاقَ(٥).

---

(١) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٥٨)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٦٥١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٧٢)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٢٧١)، وابن مردويه كما في «الكافي الشاف» (ص: ٨٠)، من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما. وهو منقطع؛ علي بن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس ولم يره، لكن ذكر النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٧٣) عن أحمد بن حنبل قوله: بمصر صحيفة في التَّفسير رواها عليُّ بن أبي طلحة لو رحل فيها رجل إلى مصر قاصداً ما كان كثيراً.

وذكره أبو حفص النسفي في «التيسير في التفسير» عند هذه الآية من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وهذا إسناد ضعيف جدًّا.

(٢) قطعة من حديث ابن عباس السابق، وفيه: أن الذين أوثقوا أنفسهم هم سبعة من هؤلاء العشرة.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٦٥٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٧٣)، وكان أشار لهم إلى حلقه، يُعلِّمهم أن حكم الله فيهم هو القتل.

(٤) قوله: «في النفاق» كذا قال، وفيه نظر، فهم لم يكونوا منافقين بل من خيار الصحابة، ولم يعترفوا بنفاق، وإنما هو التقصير الذي وقعوا فيه بتخلفهم عن الجهاد مع النبي ﷺ في تلك الغزوة. وقد ذكر أبو حفص النسفي في «التيسير في التفسير» عند هذه الآية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: هذا في أقوام كانوا تخلَّفوا عن غزوة تبوك لا على اعتقاد الخلاف، لكنْ لتأخُّرهم في الاستعداد إلى أن فاتهم اللُّحوق بالنبيِّ عليه السلام، وكان ذلك منهم ذنباً لا نفاقاً منهم، فندموا على ذلك واعترفوا، فتاب الله عليهم.

(٥) انظر التعليق السابق. وقد ذكر الواحدي في «البسيط» (١١/ ٣١ـ٣٢) عن الحسن: «العمل الصالح: =

وقيل: تقديرُه: وآخَرون خلَطُوا عملًا صالحًا وآخرَ سيِّئًا واعترَفُوا بذنوبِهم.

﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡ﴾ و(عسى) منَ الله واجبٌ.

والخلطُ: مَزجُ الشَّيءِ بالشَّيءِ حتَّى تدخُلَ أجزاؤُهما بعضُها في بعضٍ، وهاهنا مُستَعارٌ، والمُرادُ به: الجمعُ، ولهذا ذُكِرَ بالواوِ ولم يُذكَرْ بالباءِ[1]، تقولُ: خلَطْتُ الشَّيءَ بالشَّيءِ، وقيل: الواوُ بمعنى: مع.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾.

***

(١٠٣) - ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ﴾: هي كفَّارةٌ لذنوبِهم، وقيل: هي الزَّكاةُ المفروضةُ ﴿تُطَهِّرُهُمۡ﴾ يُريدُ: عن الذُّنوبِ، والتَّطهيرُ: إزالةُ النَّجاسةِ.

والتّاءُ خطابٌ للنَّبيِّ عليه السَّلامُ، فيكونُ حالًا، وقيل: التّاءُ للتَّأنيثِ، فيكونُ صفةً للصَّدقةِ.

وكذلك قولُه[2]: ﴿وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾؛ أي: تُنَمِّي حسناتِهم، وقيل: ﴿تزكّيهم بها﴾: تُكثِّرُ أموالَهم، والزَّكاءُ: نَماء المالِ، وقيل: تحكُمُ يا محمَّدُ بأنَّهم أزكياءُ.

وقيلَ: التّاءُ في ﴿تُطَهِّرُهُمۡ﴾ للصَّدقةِ، والتّاءُ في ﴿تزكّيهم﴾ للنَّبيِّ عليه السَّلامُ.

﴿وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡ﴾: ادعُ لهم واستغفِرْ لهم، والصَّلاةُ: الدُّعاءُ.

= خروجهم إلى الجهاد مع النبي ﷺ قبل هذا، والسيئ: تخلفهم عن تبوك». وعن الكلبي: «﴿خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا﴾: التوبة ﴿وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾: تقاعُدهم عن الغزو».

(١) أي: ﴿خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ﴾، وليس: خلطوا عملاً صالحاً بآخر.

(٢) أي: في كون التاء خطاباً للنبي ﷺ.

﴿إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾: طُمأنينةٌ لهم بأنَّ الله قبِلَ توبتَهم، وقيلَ: ﴿سَكَنٌ لَّهُمْ﴾: رحمةٌ عليهم، وقيل: يسكُنونَ إليها ويُسارِعُونَ إلى أداءِ الصَّدقاتِ.

ورُوِيَ أنَّ عبدَ الله بنَ أبي أوفَى قالَ: أَتيتُ رسولَ الله عليه السَّلامُ بصدقاتِ قومي فقُلتُ: يا رسولَ الله، صلِّ عليَّ، فقال: «اللَّهمَّ صلِّ على آلِ أبي أوفى»[1].

ويحتملُ: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ بعدَ موتِهم، خلافًا لمَن نُهي عنِ الصَّلاةِ عليه في قولِه: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾ [التوبة: ٨٤] ﴿إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ يثِقونَ بأنَّ مَن صلَّيتَ عليه مغفورٌ له[2] ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

***

(١٠٤) ـ ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾: عدَّاه هاهنا بـ ﴿عَنْ﴾ لتضمُّنِ القَبولِ معنى التَّجاوزِ. ﴿وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾: يقبَلُها.

وقيل: جعَلَ أَخْذَ الرَّسولِ أخذَ الله؛ لأنَّه أخذٌ بأمرِه[3].

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾: كثيرُ قَبولِ التَّوبةِ، وقيل: سريعُ القَبولِ.

***

(١) رواه البخاري (١٤٩٧)، ومسلم (١٠٧٨)، بلفظ: كان النبي ﷺ إذا أتاه قوم بصدقتهم، قال: «اللهم صل على آل فلان»، فأتاه أُبيٌّ بصدقته، فقال: «اللهم صل على آل أبي أوفى»، وقد تابع المصنف الماوردي في لفظه. انظر: «النكت والعيون» (٢/ ٣٩٩).

(٢) وقد ذكر النحاس أن الصلاة في الآية على هذا المعنى مما نسخ بقوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾، وفي هذا إشكال، وهو أنه جعل التائبين كالمنافقين، وما ذكره المصنف في هذا المعنى أقرب. انظر: «إعراب القرآن» (٢/ ١٣٣)، و«غرائب التفسير» (١/ ٤٦٥).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٦٥)، واستغربه.

(١٠٥) ـ ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾.

﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ ﴾؛ أي: الطَّاعة واحذَرُوا المعصيةَ ﴿فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ ﴾ بالموتِ ﴿إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ يُنبِّئُ تنبئةَ تذكيرٍ ومُجازاةٍ عليه.

***

(١٠٦) ـ ﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾.

﴿وآخرون مرجؤون﴾ في سببِ النُّزولِ: أنَّها نزلَتْ في كعبِ بنِ مالكٍ، ومرارةَ بنِ الرَّبيعِ، وهلالِ بنِ أميَّةَ، تخلَّفوا عن غزوةِ تبوكَ[1]، وهم الذين ذُكِروا في قوله: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَـٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ ﴾ [التوبة: ١١٨]؛ أي: هم ثلاثةُ زُمَرٍ؛ فزُمرةٌ: مرَدُوا على النِّفاقِ، وزُمرةٌ: اعترَفُوا، وزُمرةٌ: تُوُقِّفَ في أمرِهم.

قولُه: ﴿مرجؤون﴾؛ أي: ومنهم آخَرون مُرجَؤُونَ، الهمزُ وتركُ الهمزِ لُغتانِ[2].

وقيلَ: مَن همزَ فمعناه: مُؤخَّرون، ومَن تركَ الهمزَ فمعناه: جعلُوا يَرْجونَ.

أرجَى الله أمرهم، وقيل: أرجى النبيُّ أمرهم.

﴿لِأَمْرِ ٱللَّهِ ﴾: ليأمرَ اللهُ فيهم ويُنزِلَ في شأنِهم.

﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ ﴾ إنْ أصرُّوا على النِّفاقِ ﴿وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ﴾ إنْ تابُوا، وقيل: إمَّا يخذُلُهم وإمَّا يُوفِّقُهم، والتَّشكيكُ في حقِّ العبادِ، واللهُ عالمٌ بما تصيرُ إليه أمورُهم ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٦٧٠ ـ ٦٧١) عن مجاهد وقتادة وعكرمة والضحاك وابن إسحاق.

(٢) قرأ بالهمز ابن كثير وأبو بكر وأبو عمرو وابن عامر، والباقون بغير همز. انظر: «السبعة» (ص: ٢٨٧ ـ ٢٨٩)، و«التيسير» (ص: ١١٩).

(١٠٧) - ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا﴾ في سببِ النُّزولِ: عن سعدِ بنِ أبي وقَّاصٍ رضي الله عنه قال: إنَّ المُنافقين عرَّضوا لمسجدٍ يبنُونَه ليُضاهوا به مسجدَ قباءٍ - وهو قريبٌ منه - لأبي عامرٍ الرَّاهبِ، يرصدونَه إذا قدِمَ ليكونَ إمامَهم فيه، فلمَّا فرَغُوا من بنائِه أتَوا رسولَ الله عليه السَّلامُ فقالوا: إنَّا قد بنَينا مسجدًا فصلِّ فيه حتَّى نتَّخِذَه مُصلًّى، فأخذَ ثوبَه ليقومَ معَهم، فنزلَتْ هذه الآيةُ: ﴿لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗا﴾ [التوبة: ١٠٨][(١)].

وفي غيرِ هذه الرِّوايةِ: فدَعا رسولُ الله عليه السَّلامُ مالكَ بنَ الدُّخْشُمِ، ومعنَ بنَ عَديٍّ، وعامرَ بنَ السَّكنِ، والوحشيَّ قاتلَ حمزةَ، وقالَ لهم: «انطلِقُوا إلى هذا المسجدِ الظَّالمِ أهلُه فاهدِمُوه واحرِقُوه» فخرَجُوا، وانطلَقَ مالكٌ فأخذَ سعفةً منَ النَّخلِ فأشعَلَ فيها نارًا، ثمَّ دخلُوا المسجدَ وفيه أهلُه، فحرَّقُوه وهدَّمُوه، فتفرَّقَ عنه أهلُه، وأمرَ النَّبيُّ عليه السَّلامُ أن يُتَّخذَ ذلك كُناسةً يُلقَى فيها الجيَفُ والنَّتنُ[(٢)] والقُمامةُ، وماتَ أبو عامرٍ بالشَّامِ وحيدًا غريبًا[(٣)].

---

(١) رواه الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٦٠).

(٢) في (و): «والتبن».

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٤/ ٤٩)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٥٩) عن المفسرين، وهو مجموع من عدة روايات، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٦٧٣) من طريق ابن إسحاق عن الزهريّ، ويزيد بن رومان، وعبد الله بن أبي بكر، وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم.

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا﴾ قُرِئَ بالواوِ وبحذفِه[1]؛ فمَن قرأ بالواوِ جعلَه عطفَ جملةٍ على جملةٍ، ومحلُّه رفعٌ بالابتداءِ، وخبرُه يحتملُ وجهَين:

أحدُهما: أن يكونَ تقديرُه: ومنهم الذين اتَّخذُوا.

والثّاني: أن يكونَ تقديرُه: جازَيناهُم على فعلِهم.

ومَن قرأ بغيرِ واوٍ جازَ أن يكونَ مبتدأً وخبرُه: جازَيناهُم، وجاز أن يكونَ خبرُه: ومنهم[2]، فأُضمِرَ الخبرُ وأُضمِرَ الواوُ، وجازَ أن يكونَ بدلًا منَ الأول[3] بدلَ البعضِ من الكلِّ.

﴿مَسْجِدًا ضِرَارًا﴾؛ أي: للشَّرِّ والبلاءِ والإضرارِ بالمسلمين، وقيل: ضِرارًا لمسجدِ رسولِ الله، والضِّرارُ: مصدرُ ضرَّه ضِرارًا؛ وهو محاولةُ الضَّرِّ.

﴿وَكُفْرًا﴾: للكفرِ الذي يُضمِرونَه ﴿وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: ليُفرِّقوا جمعَهم ﴿وَإِرْصَادًا﴾: ترقُّبًا وانتظارًا، وأصلُه منَ الرَّصدِ، وهو الطَّريقُ، تقولُ: رصَدَه؛ إذا وقفَ في طريقِه يترقَّبُه، وأرصدَه كذا؛ أعدَّ له مُنتَظِرًا له به.

---

(١) قرأ نافع وابن عامر بغير واو، وباقي السبعة بالواو. انظر: «السبعة» (ص: ٣١٨)، و«التيسير» (ص: ١١٩).

(٢) وهما الوجهان السابقان مع الواو، والخبر محذوف على هذه الوجوه جميعاً.

(٣) في (و): «الواو»، والمثبت من (ن)، ويعني بالأول قوله: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ﴾ وقد أجاز البدلية الرازي في «تفسيره» (١٦/ ١٤٦) دون قيد، بينما قيَّد ذلك ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٣/ ٨٠) بكون قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ﴾ لم ينزل في أولئك الثلاثة، بل في غيرهم من المنافقين الذين كانوا معرضين للتوبة مع بنائهم مسجد الضرار. ولعل في تقييد المؤلف البدل ببدل البعض إشارة إلى أن قوله: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ﴾ شامل لكل مَن هو معرض للتوبة من الثلاثة وغيرهم، والله أعلم.

﴿لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ﴾: أبي عامرٍ الرّاهب، كانَ يومَ الأحزابِ يجمعُ الجيوشَ، فلمَّا هُزِمَ الكفّارُ خرجَ إلى الشَّامِ.

﴿وَلَيَحْلِفُنَّ﴾ بالله كاذِبين؛ يعني: بناة المسجدِ: ﴿إِنْ أَرَدْنَآ﴾ ببناءِ هذا المسجدِ ﴿إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ﴾: الخلَّةَ الحُسنَى، ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ في حَلِفِهم.

***

(١٠٨) ـ ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾.

﴿لَا تَقُمْ فِيهِ﴾ للصَّلاةِ ﴿أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ﴾: بناه المتَّقونَ على تقوى الله وطاعتِه.

الجمهورُ: على أنَّه مسجدُ قباءٍ، وقيل: هو مسجدُ رسولِ الله عليه السَّلامُ.

ورُوِيَ: أنَّ رجُلين تمارَيا فيه، فقال رسولُ الله عليه السَّلامُ: «هو مسجدي هذا»[١].

﴿مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾: من حينِ بُنِيَ، والقياسُ مُذْ، وفيه[٢] جوابانِ:

أحدُهما: أنَّ (مِنْ) عامٌّ في الزَّمانِ والمكانِ وغيرِهما[٣].

---

(١) رواه الترمذي (٣٢٣)، والنسائي (٦٩٧)، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. ورواه مسلم (١٣٩٨) بمعناه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، ولفظه: «دخلت على رسول الله ﷺ في بيت بعض نسائه، فقلت: يا رسول الله، أي المسجدين الذي أسس على التقوى؟ قال: فأخذ كفًّا من حصباء، فضرب به الأرض، ثم قال: «هو مسجدكم هذا» لمسجد المدينة».

(٢) في (ن): «وعنه».

(٣) وهذا مذهب الكوفيين. انظر: «شرح كتاب سيبويه» للسيرافي (١/ ٩٢). وقد مال إلى هذا الزجاج في «معاني القرآن» (٢/ ٤٧٨).

والثَّاني: أنَّ التَّقديرَ: من تأسيسِ أوَّلِ يومٍ[١]. وأُنشدَ قولُ الشَّاعرِ لعموم (مِن)[٢]:

لِمَنِ الدِّيارُ بقُنَّةِ الحَجْرِ ... أقْوَيْنَ مِن حِجَجٍ ومِنْ شَهْرِ[٣]

﴿أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾: أولى بأن تُصلِّيَ فيه. ﴿فِيهِ﴾: في المسجدِ ﴿رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ وهم الأنصارُ.

رُوِيَ عن النَّبيِّ عليه السَّلامُ أنَّه قالَ عند نُزولِ هذه الآيةِ للأنصارِ: «ما سببُ هذا الثَّناءِ عليكم منَ الله؟» فقالوا: إنَّا نُتْبِعُ الأحجارَ بالماءِ، ونغسِلُ عنَّا أثَرَ الغائطِ والبولِ[٤].

وقيل: يُطهِّرون أحوالَهم منَ المعاصي بالطَّاعةِ.

---

(١) وهذا مذهب البصريين، وقد ضعّفه العكبري. انظر: «التبيان» (٢/ ٦٦٠).

(٢) «لعموم من» ليست في (و).

(٣) البيت لزهير بن أبي سلمى في «ديوانه» (ص: ٣١)، و«البيان والتبيين» (٢/ ١٧٧)، و«الشعر والشعراء» (١/ ١٣٩)، و«معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٤٧٨)، و«تهذيب اللغة» (١٥/ ٣٤٠)، و«الصحاح» مادة: (م ن ن). قال الزجاج: وقيل: إن معنى هذا: مُذْ حِجج ومُذْ شَهْر. قلت: وقد جاء البيت بهذه الرواية أيضاً. انظر: «أمثال العرب» للمفضل الضبي (ص: ١٢)، و«الجمل في النحو» المنسوب للخليل (ص: ١٦١)، و«درة الغواص» للحريري (ص: ٢٨١).
قوله: «لمن الديار» استفهامُ تعجُّب من شدة خرابها، حتى كأنها لا تعرف ولا يعرف أصحابها وسكانها، والقُنة بضم القاف: أعلى الجبل، والحجر بكسر الحاء المهملة: منازل ثمود بناحية الشام عند وادي القرى، وأجاز بعضهم كونه بفتح الحاء وهي مدينة اليمامة، و«أقوين»: أقفرن. والحِجج بكسر الحاء المهملة وفتح الجيم: جمع حِجة بكسرها أيضاً وهي السنة، والدهر: الأبد الممدود، قيل: ومن رواه: «مذ حجج» كانت «مذ» حرف جر، والعامل فيها «أقوين». انظر: «شرح أبيات مغني اللبيب» للبغدادي (٦/ ٢٣).

(٤) رواه بنحوه ابن ماجه (٣٥٥)، والدارقطني في «سننه» (١٧٤)، والحاكم في «المستدرك» (٥٥٤) عن أبي أيوب وجابر وأنس رضي الله عنهم. قال الدارقطني: «عتبة بن أبي حكيم ليس بقوي».
وروى نحوه أيضاً الإمام أحمد في «المسند» (١٥٤٨٥)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٨٣)، =

(١٠٩) ـ ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾.

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾ هذا سؤالُ تقريرٍ، وجوابُه مسكوتٌ عنه لظُهورِه ووُضوحِه.

ومعنى ﴿أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ﴾: وضعَ أساسَ ما يبنيه على تقوى منَ الله ورِضوانٍ؛ أي: مُتَّقيًا عنِ المعاصي، طالبًا رِضا الله.

﴿خَيْرٌ﴾: أفضَلُ ﴿أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ﴾ شفا كلِّ شيءٍ: شَفيرُه، وأشفَى عليه: بلَغَ شَفاه، والجُرُفُ: ما تهدَّمَ من جوانبِ الوادي من جرفِ السَّيلِ؛ أي: جُرِفَ جرفًا عميقًا له ظاهرٌ رقيقٌ وأصلُه واهٍ ضعيفٌ.

ومعنى ﴿هَارٍ﴾: هائرٌ يسقطُ بعضُه على بعضٍ، وهو اسمُ الفاعلِ من (هارَ يهورُ) ـ وقيل: (هارَ يهارُ) ـ فقُلِبَ. وقيلَ: هو كـ(باب)[1].

= والطبراني في «الكبير» (١٧/ ٣٤٨)، من حديث عويم بن ساعدة الأنصاري رضي الله عنه.

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٢١٢): «رواه أحمد والطبراني في الثلاثة، وفيه شرحبيل بن سعد، ضعفه مالك وابن معين وأبو زرعة، ووثقه ابن حبان». وقال الحافظ في «التقريب»: «وفي سماعه من عويم نظر».

وأصل استنجاء أهل قباء بالماء عند أبي داود (٤٤)، والترمذي (٣١٠٠)، وابن ماجه (٣٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(١) قال المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٦٥): «في وزنه قولان: «فالٍ» والأصل: هائر، فقلب وحذف العين. والثاني: فَعَلٍ كـ(باب)، فعلى هذا يجري بالإعراب، وعلى الأول يبقى على الكسرة». وقد قال السمين الحلبي في «الدر المصون» (٦/ ١٢٦) عن هذا الوجه الأخير: «وهذا أعدل الوجوه لاستراحته من ادعاء القلب والحذف اللذين هما على خلاف الأصل لولا أنه غير مشهور عند أهل التعريف».

﴿فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾: فانهارَ الشَّفا بالبناءِ، وقيل: فانهارَ البناءُ بالباني وأهلِه.

قال جابرُ بنُ عبدِ الله رضي الله عنهما: رأيتُ الدُّخانَ يخرجُ من مسجدِ الضِّرارِ حينَ انهارَ(١).

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

* * *

(١١٠) - ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ﴾ أبو عليٍّ في «الحجَّة»: البُنيانُ مصدرٌ؛ بدليلِ دُخولِ التاءِ عليه، فتقولُ: بُنيانة، فلو كان جمعًا لـم يدخُلْه، ثمَّ يُستعملُ للاسمِ، كضَرْبِ الأميرِ ونَسْجِ اليمنِ(٢)، وفي الآيةِ مصدرٌ ليصِحَّ الخبرُ عنه بالرِّيبةِ، ويجوزُ أن يكونَ الاسمَ والمضافُ محذوفٌ؛ أي: بناءُ البُنيانِ(٣).

والمعنى: لا يزالُ ما اعتَقدوه وبنَوا له مسجدَ الضِّرارِ منَ الكفرِ والنِّفاقِ لازِمًا لقلوبِهم لا يُفارِقُها حتَّى يموتُوا.

«الحجّة»: لا يزالُ بناءُ المبنيِّ شكًّا في قلوبِهم من إظهارِ الإسلامِ والثَّباتِ على النِّفاقِ إلَّا(٤) أن تقطَّعَ قلوبُهم بالموتِ والبِلى(٥).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٦٩٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٨٤)، والحاكم في «المستدرك» (٨٧٦٣) وصححه.

(٢) في (ن): «اليمين». وقوله: «ضرب الأمير»، يراد به: مضروبه. وهذا الثوب «نسج اليمن»، يراد به: منسوج اليمن. انظر: «الحجة» للفارسي (٢/ ١٤٠و٤٤٢) و(٤/ ٢٢٢).

(٣) انظر: «الحجة» (٤/ ٢٢٢ـ ٢٢٣، و٢٣٠).

(٤) في (ن): «إلى».

(٥) انظر: «الحجة» (٤/ ٢٣٠).

وقيل: لا يزالُ تخريبُك لمسجدِهم يُورِثُهم[1] عداوةً في قلوبِهم إلى يومِ موتِهم.

وقيلَ: لا تزالُ نفقةُ بُنيانِهم حسرةً في قلوبِهم حتَّى الموتِ.

وقيل: ﴿رِيبَةً﴾: حَزازةً في قلوبِهم.

وقيل: ﴿رِيبَةً﴾: خَوفًا منَ المؤمنين لمَّا ظهرَ نفاقُهم.

وقولُه: ﴿إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾ ابنُ عيسى: ﴿إِلَّآ﴾ هاهنا بمعنى: حتَّى[2]؛ لأنَّه استثناءٌ منَ الزَّمانِ المُستقبَلِ، وقيل: الاستثناءُ مُنقطعٌ، وقيل: معنى ﴿إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾: بالتَّوبةِ فتُفارِقَها الرِّيبةُ.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بنيَّاتِهم ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما أمرَ بالهدمِ.

***

(١١١) ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ﴾ في سببِ النُّزولِ: قال محمَّدُ بنُ كعبٍ القُرَظيُّ: لمَّا بايعتِ الأنصارُ رسولَ الله عليه السَّلامُ ليلةَ العقبةِ بمكَّةَ ـ وهم سبعونَ نَفْسًا[3] ـ قال عبدُ الله بنُ رواحةَ: يا رسولَ الله، اشترِطْ لنفسِكَ ولربِّكَ ما شئتَ، فقال: «أشترِطُ لربِّي أن تعبُدوه ولا تُشرِكُوا به شيئًا، وأشترِطُ لنفسي أن تمنعُوني ممَّا تمنعُونَ منه أنفُسَكُم» قالوا: فإذا فعَلْنا ذلك فماذا لنا؟

---

(١) في (و): «تخريبك يؤثر».

(٢) ذكر الفراء في «معاني القرآن» (١/ ٤٥٢) هذا الوجه، لكن على قراءة الحسن: (إلى أن تقطع).

(٣) في (ن): «نقيبًا».

قال: «الجنَّةُ» قالوا: ربحَ البيعُ، لا نُقيلُ ولا نستقيلُ، فنزلَتْ هذه الآيةُ[1].

ومعنى: اشتَرى أنفُسَهم وأموالَهم؛ أي: ملَّكَهم أنفُسَهم وأموالَهم فصارَتْ لهم، ثمَّ اشتَرى منهم أنفُسَهم بأنْ يُجاهِدُوا بها، ﴿وَأَمْوَٰلَهُم﴾ بأن يُنفِقُوا في سبيلِ الله، وبأن يتصدَّقُوا بها.

﴿بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾؛ أي: بالجنَّةِ.

﴿يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾؛ أي: لهم الجنَّةُ قاتلين أو مقتولين[2] إذا باشَروا الحربَ.

وقيلَ: ضرَبَ المثَلَ بالشِّرَى لأنَّه أخذٌ وإعطاءٌ، وقد سبقَ، والشِّرى مُشتقٌّ من (الشَّروَى)، وهي المِثلُ.

﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾؛ أي: وَعَدَ وَعْدًا حقًّا ثابتًا لا خُلفَ فيه.

﴿فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ﴾؛ أي: مُبايَعتُكم هذه مذكورةٌ في الكتبِ الثَّلاثةِ.

وقيل: اشتَرَى من أمَّةِ موسى ومن أمَّةِ عيسى كما اشتَرى من أمَّةِ محمَّدٍ عليه السَّلامُ.

و(في) مُتعلِّقةٌ بالاشتراءِ، وقيل: بالوعدِ.

﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: لا أحدَ أولى بإنجازِ الوعدِ منَ الله.

﴿فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ﴾: فافرَحُوا به غايةَ الفرحِ ﴿وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾: نهايةُ كلِّ طالبٍ، ومرغوبُ كلِّ راغبٍ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٦).

(٢) في (و): «ومقتولين».

(١١٢) - ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلۡعَـٰبِدُونَ ٱلۡحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّـٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ﴾ ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: لمَّا نزَلَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ﴾ جاء رجلٌ من المُهاجرينَ فقال: يا رسولَ الله، وإنْ زنى وإنْ سرقَ، فنزلَتْ: ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ﴾[١]؛ أي: هم التَّائبون، وقيل: بدلٌ منَ المُضمَرِين في ﴿يُقَـٰتِلُونَ﴾.

و﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ﴾: الرَّاجِعونَ عن فعلِهم، وقيل: الرَّاجِعونَ إلى الله وإلى طاعتِه.

﴿ٱلۡعَـٰبِدُونَ﴾: المُوحِّدون، وقيل: المُطيعونَ.

الحسنُ: العابدون بطولِ الصَّلاةِ[٢].

﴿ٱلۡحَـٰمِدُونَ﴾ على الإسلامِ والإيمانِ وعلى ما نالَهم منَ السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ.

﴿ٱلسَّـٰٓئِحُونَ﴾ قيل: هم الصَّائمونَ[٣]؛ لِمَا رُوِيَ عن النَّبيِّ عليه السَّلامُ أنَّه قال: «سياحةُ أمَّتي الصَّومُ»[٤].

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٤٠٨)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٢/ ٣٠٣).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٨٨)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٤٠٨).

(٣) ذكر ابن الأثير في «جامع الأصول» (٤/ ٢٨٠) علة تسمية الصائم بالسائح فقال: «إنما قيل للصائم: سائح؛ لأن الذي يسيح في الأرض متعبداً يذهب ولا زاد له، فحين يجد الزاد يطعم، والصائم يمضي نهاره ولا يطعم شيئاً، فشبه به».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ١٥) عن عائشة رضي الله عنها موقوفاً بلفظ: (سياحة هذه الأمة الصيام). ورواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ١١)، والعقيلي في «الضعفاء» (١/ ٣١٧)، وابن عدي في «الكامل» (٢/ ٦٣٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً. وقال العقيلي: فيه حكيم بن خذام كان يرى القدر، منكر الحديث. =

ابنُ عبَّاسٍ في جماعةٍ: صومُ شهرِ رمضانَ[١].

وقيل: صومُ الأيَّامِ البيضِ، وقيل: صومُ الدَّهرِ.

وأصلُ السِّياحةِ: الاستمرارُ بالذَّهابِ في الأرضِ، وقيل: الاستمرارُ في[٢] الطَّاعةِ.

وقيلَ: ﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾: المُجاهدون، ورُوِيَ أنَّ رجلًا استأذَنَ رسولَ الله ﷺ في السِّياحةِ فقال: «سياحةُ أمَّتي الجهادُ في سبيلِ الله»[٣].

وقيل: هم المُهاجِرون.

عكرمةُ: هم طلَّابُ العلمِ[٤].

﴿ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ﴾: هم المُصلُّونَ.

﴿ٱلْأَمِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: بالإيمانِ والطَّاعةِ ﴿وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾:

= ورواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ١١) عن أبي هريرة موقوفاً، وصوَّب وقفه ابن كثير عند تفسير هذه الآية.

وروى الطبري في «تفسيره» (١٢/ ١٠ ـ ١١) مرسلًا عن عبيد بن عمير، قال: سئل النبي ﷺ عن السائحين، فقال: «هم الصائمون». قال ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ١٩٢): «مرسل جيد، وهذا أصح الأقوال وأشهرها».

وقد روي هذا القول عن جمع من الصحابة والتابعين، فقد رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ١١ ـ ١٥) عن أبي هريرة وعائشة كما تقدم، وعن ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم، وعن سعيد بن جبير ومجاهد والحسن والضحاك وعطاء.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ١٤) عن الحسن.

(٢) في (ن): «على».

(٣) رواه أبو داود (٢٤٨٦) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه. قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (٤/ ١٥٦٦): «إسناده جيد».

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٩٠)، والثعلبي في «تفسيره» (١٤/ ٨٠).

الشِّركِ والمعاصي ﴿وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ﴾ فيما أمرَ ونَهى ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: المُصدِّقين العاملين بها.

وفي الواوِ في قوله: ﴿وَٱلنَّاهُونَ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ:

قال ابنُ عيسى: الأمرُ بالمعروفِ والنَّهيُ عن المُنكرِ يُذكَرانِ معًا وهما كالشَّيءِ الواحدِ، قالَ: قال[1]: ﴿وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ﴾ لأنَّه أقربُ إلى المعطوفِ.

وقالَ صاحبُ «النَّظمِ»: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ﴾: مبتدأٌ، وما بعدَه نعتٌ لهم، ﴿ٱلْأَٰمِرُونَ﴾ خبرُ المبتدأ، وما بعدَه عطفٌ عليه[2].

وذهبَ بعضُ المُفسِّرين إلى أنَّ هذا واوُ الثَّمانيةِ[3]، واستدلُّوا بقولِه: ﴿وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف: ٢٢]، وبقولِه تعالى: ﴿وَأَبْكَارًا﴾ [التحريم: ٥] وبقولِه تعالى: ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧٣] وستأتي في مواضعِها إنْ شاءَ الله تعالى.

وهذا لقبٌ[4] لا يعرِفُه النُّحاةُ، اللَّهمَّ إلّا أن تقولَ: السَّبعةُ عددٌ مُستقلٌّ، وما بعدَه يجري مَجرى الاستئنافِ؛ لأنَّ العددَ إمَّا زوجٌ كالاثنينِ، وهو أوَّلُ الأعدادِ، وإمَّا فردٌ كالثَّلاثةِ، وهو أوَّلُ الأفرادِ، وإمَّا زوجُ زوجٍ كالأربعةِ وهو أوَّلُ تضعيفِ الزَّوجِ، وإمَّا زوجُ الفردِ كالسِّتِّ وهو أوَّلُ تضعيفِ الأفرادِ، فالسِّتُّ النِّهايةُ، ومنه نسبةُ السِّتِّين، ثمَّ ضُمَّ إليه واحدٌ وهو مَبدأُ العددِ ومَنشؤُه وليس بعددٍ، فتمَّ مبادئُ الحسابِ، وما بعدَه تكريرٌ وتضعيفٌ، والله تعالى أعلمُ[5].

---

(١) «قال»: لست في (ن)، وفي «غرائب التفسير»: «ثم استمرَّ فقال».

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (١١/ ٧٢)، والمصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٦٧)، واستغربه.

(٣) انظر: «فقه اللغة وسر العربية» للثعالبي (ص: ٢٤٨)، وقد استدل المصنف على ضعف القول بواو الثمانية بقوله تعالى ﴿حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾ إلى قوله: ﴿زَنِيمٍ﴾، فقال: «أوصاف تسعة، ولم يدخل بينها واو العطف، ولا بعد السابع، فدلّ على ضعف القول بواو الثمانية». انظر: «البرهان» (ص: ٢٣٩).

(٤) في (و): «لعب».

(٥) ذكر المصنف هذا القول في «غرائب التفسير» (١/ ٤٦٧)، وعدَّه من العجائب، وشرحه بنحو ما =

(١١٣) ـ ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ الْجَحِيمِ ﴾.

﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ رَوى البخاريُّ في «صحيحِه» ومسلمٌ جميعًا قالا: لـمَّا حضرَ أبا طالبٍ الوفاةُ دخلَ عليه رسولُ الله عليه السَّلامُ وعندَه أبو جهلٍ وعبدُ اللهُ بنُ أبي أميّةَ فقال: «أي عمِّ، قل: لا إلهَ إلّا الله، كلمةٌ أحاجُّ لك بها عندَ الله» فقال أبو جهلٍ وابنُ أبي أميّةَ: يا أبا طالبٍ، أترغبُ عن ملّةِ عبدِ المُطَّلبِ؟! فلم يزالا يُكلِّمانِه حتَّى قالَ آخرَ شيءٍ كلَّمَهم به: أنا على ملَّةِ عبدِ المُطَّلبِ، فقالَ النَّبيُّ عليه السَّلامُ: «لأستغْفِرَنَّ لكَ ما لم أُنْهَ عنه»، فنزلَتْ: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ ﴾ الآية[1].

وعن عبدِ الله بنِ مسعودٍ رضي الله عنه قال: خرَجَ رسولُ الله عليه السَّلامُ ينظرُ في المقابرِ وخرَجْنا معه، فأمَرَنا فجلَسْنا، ثمَّ تخطَّى القُبورَ حتَّى انتهى إلى قبرٍ منها فناجاه طويلًا، ثمَّ ارتفَعَ نحيبُ رسولِ الله باكيًا، فبكَينا لبكاءِ رسولِ الله عليه السَّلامُ، ثمَّ إنَّه أقبَلَ إلينا فتلقَّاه عمرُ بنُ الخطّابِ رضيَ الله عنه فقال: يا رسولَ الله، ما الذي أبكاكَ فقد أبكانا وأفزَعَنا، فجلَسَ إلينا وقالَ: «أفزَعَكُم بُكائي؟» فقلنا: نعم، فقال: «إنَّ القبرَ الذي رأيتُموني أُناجي فيه قبرُ آمنةَ بنتِ وهبٍ، وإنِّي استأذنتُ ربِّي في

= هنا، فقال بعد ما أورد الآيات السابقة المزعوم أن الواو فيها هي واو الثمانية: «ولهذا الكلام وجه وإن كان ضعيفاً، وهو أن يقال: لما كان السبع من العدد مشتملاً على جميع أوصاف العدد من الزوج والمفرد وزوج الزوج وزوج المفرد، وانضم إليها الواحد الذي هو مبدأ الأعداد وإن لم يكن هو من العدد في شيء، صار ما بعده كالمستأنف، فحسن دخول الواو عليه، وللآيات التي استدلوا بها وجوه تأتي في مواضعها إن شاء الله». وقال المرادي في «الجنى الداني» (ص: ١٩٧): «ذهب قوم إلى إثبات هذه الواو، منهم: ابن خالويه والحريري وجماعة من ضعفه النحويين».

(١) رواه البخاري (٤٦٧٥)، ومسلم (٢٤) عن سعيد بن المسيب عن أبيه.

زيارتِها فأذِنَ لي فيها، واستأذنتُ ربِّي في الاستغفارِ لها فلم يأذَنْ لي فيه، ونزَلَ عليَّ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ﴾ الآيتين، فأخذَني ما يأخذُ الولدَ للوالدةِ منَ الرِّقَّةِ، فذلك الذي أبكاني»(١).

قولُه تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ﴾ نفيٌ معناه نهيٌ.

﴿وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ﴾؛ أي: ولو كانَ المُستغفَرُ لهم آباءَهم أو أبناءَهم أو أقرِباءَهم ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾: بعدَ ما ظهرَ لهم أنَّهم ماتُوا على الكفرِ.

* * *

(١١٤) - ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾.

ثمَّ ذكرَ عُذرَ إبراهيمَ عليه السَّلامُ فقالَ: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ﴾؛ أي: وعَدَ إبراهيمُ عليه السَّلامُ أباه أن يستغفرَ له رجاءَ أن يرزُقَه الله الإيمانَ، وهو قولُه: ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ﴾ [مريم: ٤٧].

وقيل: وعَدَه أبوه أن يُؤمِنَ بالله، وأُوِّلَ قولُه: ﴿وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ [مريم: ٤٦] على أنَّه استمْهلَه ليتدبَّرَ ويتفكَّرَ.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٦٧١٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٩٣)، وابن حبان في «صحيحه» (٩٨١)، والحاكم في «المستدرك» (٣٢٩٢) وصححه، فتعقبه الذهبي بقوله: «أيوب بن هانىء ضعفه ابن معين». وله شاهد مختصر من حديث أبي هريرة رضي الله عنه رواه مسلم (٩٧٦) قال: قال رسول الله ﷺ: «استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي، واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي».

﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ﴾: لإبراهيمَ ﴿أَنَّهُۥ﴾: أنَّ أباه ﴿عَدُوٌّ لِّلَّهِ﴾ بأنْ ماتَ على كُفرِه ﴿تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ وقطعَ الاستغفارَ ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ﴾ يُكثِرُ قولَ: أَوْهِ.

قال كعبٌ: كان إبراهيمُ عليه السَّلامُ إذا سمعَ ذكرَ النَّارِ قال: أَوْهِ منَ النَّارِ أَوْهِ(١).

والعربُ تقولُ: أَوْهِ بكذا، وأَوْهِ من كذا، قال:

فَـأَوْهِ بِذِكْراهـا إذا مـا ذكرْتُـها ... ومِنْ بُعْدِ أرضٍ دُونَها وسماءِ(٢)

وأَوْهِ: مبنيٌّ على الكسرِ، ويقالُ: أَوْهُ بالضَّمِّ، ويُقالُ: أَيْهِ، والعامَّةُ تقولُ: آوَّهْ بالمدِّ(٣).

وحكى قطربٌ الفعلَ منه: آهَ يَؤُوهُ أَوْهًا؛ كقالَ يقولُ قَولًا، وأنكرَه سائرُ النُّحاةِ، وقالوا: ليس من لفظِه (فَعَلَ)، إنَّما يُقالُ: أَوَّهَ تأويهًا وتأوَّه تأوُّهًا(٤)، وأنشدُوا قولَ الرّاجزِ:

---

(١) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (٤٠٩)، والطبري في «تفسيره» (١٢/ ٤٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١١٠٤٥).

(٢) نسب لعتي بن مالك العقيلي في «الدر الفريد» للمستعصمي (٧/ ٣١٩).

والبيت بلا نسبة في «العين» (٨/ ٤٣٩)، و«معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٣)، و«تفسير الطبري» (١٢/ ٤٤)، و«سر صناعة الإعراب» (٢/ ٢٩٩)، و«الصحاح» مادة (أوه). وقد جاء في بعض المصادر: «فأوّ» وفي بعضها: «فآه». وصدره في «العين» والفراء والطبري وأكثر المصادر:

فَـأَوْهِ مِـنَ الذِّكْـرَى إذَا مَـا ذكَرْتُهـا

وفي «الصحاح» وبعض المصادر: «لذكراها» باللام، أما رواية المصنف: «فأوه بذكراها» فلم أجدها سوى في «تفسير ابن أبي زمنين» (٢/ ٢٣٥).

(٣) بالمدّ والتشديد وفتح الواو ساكنةَ الهاء، لتطويل الصوت بالشكاية، وربَّما أدخلوا فيه التاء فقالوا: أَوَّتاهُ، يُمَدُّ ولا يُمَدُّ. انظر: «الصحاح» مادة (أ و ه).

(٤) أي: لا تكاد العرب تنطق منه: بـ«فَعَلَ يَفعلُ»، وإنما تقول فيه: «فَعَّلَ يُفَعِّلُ» و«تَفَعَّلَ يَتَفَعَّلُ» مثل: «أَوَّهَ يُؤَوِّه» و«تأوَّه يتأوَّه». انظر: «تفسير الطبري» (١٢/ ٤٥).

فَــأَوَّهَ الرَّاعِــي وَضَــوْضَى أَكْلُبُــهْ[1]

وقولَ الشّاعرِ:

إِذا مــا قُمْــتُ أَرْحَلُهــا بِلَيْــلٍ تَــأَوَّهُ آهــةَ الرَّجُــلِ الحزِيــنِ[2]

وأَوْهَ[3] بالفتحِ.

واختلَفُوا في معناه: فرُوِيَ مرفوعًا إلى النَّبيِّ عليه السَّلامُ أَنَّه الدَّعَّاءُ للخيرِ[4].

---

(١) الرجز بلا نسبة في «تفسير الطبري» (١٢/ ٤٤)، و«تفسير الثعلبي» (١٤/ ١٠٢). وجاء في هامش (ن): «إذا خاف الكلب يقال: ضوضى وقوف».

(٢) البيت للمثقب العبدي. انظر: «ديوانه» (ص: ١٦٤)، و«المفضليات» (ص: ٢٩١)، و«العين» (٤/ ١٠٤)، و«طبقات فحول الشعراء» (١/ ٢٧٣).

(٣) في (و): «وآه».

(٤) لم أجده بهذا اللفظ مرفوعاً، لكنه جاء في «العين» (٤/ ١٠٤) في شرح معنى الأواه، وفيه: «والأواه: الدعاء للخير، قال جل وعز: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾».

لكن روي معناه عن النبي ﷺ في أحاديث:

منها: ما رواه الإمام أحمد في «مسنده» (١٧٤٥٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٧/ ٢٩٥) عن عقبة بن عامر: أن النبي ﷺ قال لرجل يقال له: ذو البجادين: «إنه أواه». وذلك أنه كان رجلاً كثير الذكر لله عز وجل في القرآن، ويرفع صوته في الدعاء

ومنها: ما رواه ابن المبارك في «الزهد» (١١٥٣)، والطبري في «تفسيره» (١٢/ ٤٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٩٥)، ولفظ ابن المبارك: عن شهر بن حوشب قال: حدثني عبد الله بن شداد، قال: قال رجل: يا رسول الله، ما الأواه؟ قال: «الأواه: الخاشع الدعاء المتضرع»، ثم قرأ: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾. وهذا مرسل.

ورواه بهذا اللفظ أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٥٣) من طريق شهر بن حوشب، عن عبد الله بن شداد، عن ميمونة بنت الحارث زوج النبي ﷺ وفيه قصة ورد اللفظ المذكور في آخرها. وشهر بن حوشب ضعيف.

النَّخعيُّ: الأوَّاه: الفقيهُ(١).

وقيل: المُؤمنُ بلغةِ حبشٍ(٢). وقيل: التَّلَّاءُ للكتابِ. وقيل: الرَّحيمُ. وقيل: الشَّفيقُ.

أبو عبيدةَ: هو المُتأوِّهُ شَفَقًا، المُتضرِّعُ يقينًا ولزومًا للطَّاعةِ(٣).

واختارَ الزَّجّاجُ قولَ أبي عبيدةَ(٤).

﴿حَلِيمٌ﴾: هو الصَّبورُ على الأذى، الصَّفوحُ عنِ الذُّنوبِ.

* * *

(١١٥) - ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ﴾ مُقاتلٌ والكلبيُّ: لـمَّا أنزلَ الله الفرائضَ فعمِلَ بها النَّاسُ ثمَّ جاءَ ما نسخَها منَ القرآنِ، وقد غابَ ناسٌ وهم يعملون بالأمرِ الأوَّلِ من القِبلةِ والخمرِ وأشباهِ ذلك، فسألُوا عنه رسولَ الله عليه السَّلامُ فأنزَلَ اللهُ هذه الآيةَ(٥).

وقيل: سببُ نزولِها: أنَّ قومًا منَ الأعرابِ أسلَمُوا وعادوا إلى بلادِهم، فعمِلُوا بما شاهَدُوا رسولَ الله عليه السَّلامُ يفعلُه منَ الصَّلاةِ إلى بيتِ المقدسِ وصيامِ أيَّامِ

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٤/ ١٠٠).

(٢) هذا مروي عن ابن عباس في «تفسير الطبري» (١٢/ ٤٠)، وانظر: «المهذب فيما وقع في القرآن من المعرَّب» للسيوطي (ص: ٧٥).

(٣) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٢٧٠).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٤٧٤).

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٢٠٠)، و«تفسير الثعلبي» (١٤/ ١٠٣). وأورده ابن الجوزي في «زاد المسير» (٢/ ٣٠٦) من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما.

البيضِ، ثمَّ قدِمُوا بعد ذلك على رسولِ الله عليه السَّلامُ، فوجدوه يُصلِّي إلى الكعبةِ ويصومُ شهرَ رمضانَ، فقالوا: يا رسولَ الله، دِنَّا اللهَ بعدَكَ بالضَّلالِ، إنَّكَ على أمرٍ وإنَّا على غيرِه! فأنزَلَ اللهُ هذه الآيةَ، حكاه أقضى القُضاةِ[1].

وقيل: الآيةُ مُتَّصلةٌ بما قبلَها.

﴿حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾: ما يأتون ويذَرُونَ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾.

***

(١١٦) ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ سبقَ تفسيرُه.

***

(١١٧) ـ ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ﴾ من إذنِه للمُنافقينَ في التَّخلُّفِ عنه في قولِه: ﴿لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٣].

وقيل: هو من تمامِ قولِه: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ﴾.

وقيل: تابَ عليهم فاستنقَذَهُم من شدَّةِ العُسرةِ.

---

(١) انظر: «النكت والعيون» (٢/ ٤١١).

وقيل: تابَ عليهم فغفَرَ لهم ذُنوبَهم، وهو قوله: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ يُريدُ: غزوةَ تبوكَ، وقيلَ: هي وغيرُها منَ الحروبِ.

و(ساعةُ العسرة): زمانُ عُسرةِ الظَّهْرِ؛ وكان الجملُ بينَ جماعةٍ يتعاقبونَ عليه، وعُسرةِ الماءِ وشِدَّةِ الحرِّ؛ حتَّى شرِبُوا الفَظَّ، وهو ماءُ الكرشِ، وعُسرةِ الزَّادِ حتَّى جاءَ في الآثارِ أنَّ الرَّجُلَين منهم كانا يقسمانِ تمرةً، وربَّما مصَّ التَّمرةَ جماعةٌ ليشربوا عليها الماءَ[1].

﴿مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾: تميلُ عن الجهادِ وتهمُّ بالانصرافِ.

وقيل: شكَّ جماعةٌ في الإسلامِ. والأوَّلُ هو الوجهُ.

﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: على الفريقِ الذين زاغَتْ قلوبُهم.

وقيل: تابَ عليهم جميعًا حينَ أحسَنُوا النِّيَّةَ.

وذُكِرَ أنَّ أبا بكرٍ وعمرَ رضي الله عنهما سألا رسولَ الله عليه السَّلامُ أن يستسقيَ اللهَ، ففعَلَ فمُطِروا حتَّى ملَؤُوا ما معَهم[2]. ﴿إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

---

(١) روى عبد الرزاق في «تفسيره» (١١٣٩)، والطبري في «تفسيره» (١٢/ ٥٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٩٨) عن عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾، قال: «خرجوا في غزوة تبوك الرجلان والثلاثة على بعير واحد، وخرجوا في حر شديد فأصابهم يوماً عطشٌ شديد حتى جعلوا ينحرون إبلهم فيعصرون أكراشها ويشربون ماءها، فكان ذلك عسرة من الماء، وعسرة من الظهر، وعسرة من النفقة».

(٢) روى نحوه البزار في «مسنده» (٢١٤)، والطبري في «تفسيره» (١٢/ ٥٢)، وابن خزيمة في «صحيحه» (١٠١)، وابن حبان في «صحيحه» (١٣٨٣)، والحاكم في «المستدرك» (٥٦٦)، من حديث ابن عباس قال: قيل لعمر بن الخطاب حدثنا عن شأن العسرة، فقال عمر: خرجنا مع =

وقولُه: ﴿كَادَ تَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾: في فاعلِ ﴿كَادَ﴾ أقوالٌ:

أحدُها: أنَّه ﴿قُلُوبُ فَرِيقٍ﴾، وفي الآيةِ تقديمٌ وتأخيرٌ؛ أي: كادَ قلوبُ فريقٍ منهم تزيغُ، فذكَّرَ الفعلَ الأوَّلَ لتقدُّمِه، وأنَّثَ الثَّانيَ لتأخُّرِه[١].

والثَّاني: أنَّ فاعلَه الأمرُ والشَّأنُ قياسًا على (كان)[٢]؛ لأنَّ (كادَ) تستدعي خبرًا كبابِ (كان).

الثَّالث: ضميرُ مَن تقدَّمَ ذِكرُهم منَ النَّبيِّ والأنصارِ والمُهاجِرين[٣]؛ لأنَّهم قومٌ واحدٌ.

والرَّابعُ: المصدرُ على تقديرِ: أن يَزيغَ[٤]، وهذا بعيدٌ؛ لا[٥] يُزادُ (أنْ) مع (كادَ) إلَّا في الشِّعرِ، قال:

قـد كادَ مِـنْ طُـولِ البِلـى أن يَمْصَحـا[٦]

= رسول الله ﷺ إلى تبوك في قيظ شديد فنزلنا منزلاً أصابنا فيه عطش شديد حتى ظننا أن رقابنا ستنقطع حتى أن كان أحدنا يذهب يلتمس الخلا فلا يرجع حتى يظن أن رقبته تنقطع وحتى أن الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويضعه على بطنه، فقال أبو بكر الصديق: يا رسول الله! إن الله قد عودك في الدعاء خيراً فادع لنا، فقال النبي ﷺ: «أتحب ذاك يا أبا بكر؟» قال: نعم، قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه فلم يرجعها حتى مالت السماء فأطلت ثم سكبت، فملؤوا ما معهم، ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر.

(١) وهذا على قراءة ﴿تزيغ﴾، وقد قرأ حمزة وحفص عن عاصم ﴿كَادَ يَزِيغُ﴾ بالياء وقرأ الباقون بالتاء. انظر: «السبعة» (ص: ٣١٩)، و«التيسير» (ص: ١٢٠).

(٢) في (ن): «كاد»، ولعله تحريف.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٦٨)، واستغربه.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٦٨)، وعدَّه من العجائب، واستبعده.

(٥) في (و): «لا يكاد».

(٦) الرجز لرؤبة بن العجاج، في ملحق «ديوان رؤبة» (ص: ١٧٢)، و«الكتاب» (٣/ ١٦٠)، و«الكامل» للمبرد (١/ ١٥٧)، و«الصحاح» مادة (ك و د) (٢/ ٥٣٢)، وقبله: =

(١١٨) ـ ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾؛ أي: وتابَ على الثَّلاثةِ، وهم: كعبُ بنُ مالكٍ وهلالُ بنُ أميّةَ ومرارةُ بنُ الرَّبيعِ، وهم المُرجَؤونَ، والإرجاءُ والتَّخليفُ واحدٌ.

وقيل: معنى ﴿خُلِّفُواْ﴾: تخلَّفوا عن الخروجِ من غيرِ عُذرٍ، وقيل: خُلِّفوا عن قَبولِ التَّوبةِ عند مَقدَمِ النَّبيِّ عليه السَّلامُ.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ﴾؛ أي: برُحبِها؛ لأنّهم كانوا مهجورينَ لا يُكلِّمُهم أحدٌ ولا يُعامَلون، وأمرَهم أن يعتزِلُوا نساءَهُم، وبقُوا كذلك خمسينَ يومًا بعدَ مَقدَمِه[١] عليه السَّلامُ من تبوكَ، وهي آخرُ مَغازيه ﷺ، وكانوا ربَطُوا أنفُسَهم بالسَّواري[٢].

= رَبْـعٌ عَفَـاهُ الدَّهْـر طَـوْرًا فامَّحَـى

وعزي لأبي النجم في «الفائق في غريب الحديث» للزمخشري (٤/ ٨١). وقال البطليوسي في «الاقتضاب» (٣/ ٢٦١): هذا البيت يروى لرؤبة بن العجاج، ولم أجده في ديوان شعره، يصف منزلاً بَلِيَ حتى كاد لا يتبين له أثر، ويقال: مَصح الشيءُ يَمْصحُ: إذا ذهب.

(١) في (ن): «مقدمة النبي».

(٢) الذين ربطوا أنفسهم بالسواري هم أبو لبابة ومن معه، وهم غير هؤلاء الثلاثة، وقد جاء التصريح بذلك في خبر عن ابن عباس رضي الله عنهما رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٦٦٩)، ولفظه: «وكان ثلاثة منهم ـ يعني: من المتخلفين عن غزوة تبوك ـ لم يوثقوا أنفسهم بالسواري أرجئوا سبتة ـ أي: برهة من الدهر ـ لا يدرون أيعذبون أو يتاب عليهم. فأنزل الله: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾».

وقد تقدمت قصة الذين أوثقوا أنفسم، وأما قصة الثلاثة فهي مشهورة مروية في الصحيحين ـ رواها =

وقيـلَ: ﴿ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ﴾: مثـلٌ يُضـرَبُ لمَن تحيَّـرَ في أمرٍ لا يَعـرِفُ عنه مَخْلَصًا.

﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ﴾: تبرَّمُوا بالهمِّ الذي حصَلَ فيها.

﴿وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ﴾؛ أي: أيقَنُوا أنَّه[١] لا يُنجِّيهم من عذابِ الله إلّا رحمتُه وفضلُه.

﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾: أنزلَ قَبولَ توبتِهم. وقيل: رزقَهُم التَّوبةَ. وقيل: (ثمَّ) هاهنا زيادةٌ. وقيلَ: تقديرُه: ثمَّ تابَ عليهم أيضًا معَ مَن تابَ عليهم ممَّن تقدَّمَ.

﴿لِيَتُوبُوٓاْ﴾: ليكونُوا في جملةِ التَّوَّابين ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

* * *

(١١٩) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾؛ أي: مِنْ مثلِ هذا الفعلِ فقد رأيتُم مغبَّتَه.

﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في إيمانِهم دونَ المُنافقين.

سعيدُ بنُ جُبيرٍ في جماعةٍ: كونوا كأبي بكرٍ وعمرَ وأصحابِهما[٢].

وقُرِئَ في الشَّواذِّ: (منَ الصَّادِقينَ)[٣].

مطولة مفصلة البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩)، من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه ـ وليس في شيء من الروايات أنهم أوثقوا أنفسهم أو ربطوها بالسواري، فلعله وهم أو سبق قلم من المصنف.

(١) في (و): «أنهم».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٨٦) عن الضحاك وسعيد بن جبير.

(٣) نسبت هذه القراءة لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه، روى ذلك الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٦٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٩٠٦). وقال الطبري: «رسوم المصاحف كلها مجمعة على: =

وقال كعبُ بنُ مالكٍ: فينا نزلَتْ: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[1].

وقيل: نزلَتْ في اليهودِ[2].

***

(١٢٠) - ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ﴾ هذا نفيٌ والمُرادُ به النَّهيُ.

وخُصَّ هؤلاءِ بالذِّكرِ - وكلُّ النّاسِ في ذلك سواءٌ - لقُربِهم منه، وأنَّه لا يخفَى عليهم خُروجُه.

﴿وَلَا يَرْغَبُوا﴾: ولا أن يرغَبُوا ﴿بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ﴾؛ أي: لا يصونُوا أنفُسَهم بما لم يُصَنْ هو منه.

وقيل: لن يرضَوا لأنفُسِهم بالخفضِ والدَّعةِ ورسولُ الله في الحرِّ والشِّدّةِ.

ويحتملُ: ولا يرغَبُوا بأنفُسِهم عن فداءِ نفسِه.

وقيلَ: ﴿وَلَا يَرْغَبُوا﴾ نهيٌ.

= ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾، وهي القراءة التي لا أستجيز لأحد القراءة بخلافها».

(١) رواه ابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٤/ ٣١٦).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٩٠٦) عن مقاتل بن حيان، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٤١٣).

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾؛ أي: ذلك النَّهيُ عن التَّخلُّفِ بأنَّهم ﴿لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ﴾: عطَشٌ ﴿وَلَا نَصَبٌ﴾: تعَبٌ يثقُل على البدنِ تحمُّلُه، ﴿وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: جوعٌ شديدٌ، مشتقٌّ من خَمِصَ بطنُه يخمَصُ: إذا دَقَّ.

﴿وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا﴾: لا يدخُلونَ ديارَهم وأماكنَهم، والمَوطِئُ: المكانُ ﴿يَغِيظُ الْكُفَّارَ﴾: يُغضِبُ الكفَّارَ دُخولُه ﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا﴾: قتلًا وأسرًا ومالًا وكسرًا ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾: ثوابٌ جزيلٌ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ في فعلِهم.

* * *

(١٢١) - ﴿وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً﴾؛ أي: في سبيلِ الله ﴿صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾؛ أي: قليلًا ولا كثيرًا ﴿وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا﴾ في مسيرتِهم[1]. وقيلَ: ولا يقطَعُونَ واديًا من جانبٍ إلى جانبٍ ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ﴾: أُثبِتَ لهم ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ﴾ بذلك أجرًا ﴿أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

وذهَبَ بعضُ النُّحاةِ إلى أنَّ اللَّامَ في ﴿لِيَجْزِيَهُمُ﴾ لامُ القسمِ، وأنشدَ:

إذا قالَ قَطْني قلتُ آليتُ حلفةً لَتُغنِيَ عني ذا إنائكَ أجمَعا[2]

---

(١) في (ن): «مسيرهم».

(٢) نسب البيت لأبي عناب الطائي في: «مجالس ثعلب» (ص: ١٠٣)، و«المسائل البصريات» (١/ ٤٠٥)، و«التذييل والتكميل» (١١/ ٣٦٦). وهو دون نسبة في «معاني القرآن» للأخفش (١/ ٣٦١)، و«كتاب الشعر» للفارسي (ص: ٢٠٦)، و«المغرب» للمطرزي (ص: ٣٤٧)، =

(١٢٢) ـ ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾.

﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً﴾ في سببِ النُّزولِ في روايةِ الكلبيِّ: لمَّا نزلَ عيوبُ المنافقين لتخلُّفِهم عن الجهادِ قال المؤمنون: والله لا نتخلَّفُ عن غزوةٍ يغزُوها رسولُ الله عليه السَّلامُ ولا سريَّةٍ أبدًا، فلمَّا أمرَ رسولُ الله ﷺ بالسَّرايا إلى الغزوِ، نفرَ المسلمون جميعاً وتركُوا رسولَ الله ﷺ وحدَه بالمدينةِ، فأنزلَ الله هذه الآيةَ[1].

أي: ما كانَ ينبَغي لهم أن ينفِروا كافَّةً جميعاً ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ﴾؛ أي: هلَّا خرجَ من كلِّ قبيلةٍ منهم جماعةٌ وأقامَ سائرُهم ﴿لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ﴾؛ أي: ما يتجدَّدُ من أحكامِ الدِّينِ بنُزولِ القرآنِ ﴿وَلِيُنذِرُوا۟﴾ بذلك ﴿قَوْمَهُمْ﴾ الغائبينَ ﴿إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ﴾ من غزوِهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ ما يجبُ اجتنابُه.

الحسنُ وابنُ جريرٍ: التفقُّهُ والإنذارُ راجعانِ إلى الطَّائفةِ النَّافرةِ[2]؛ أي:

= و«البسيط» للواحدي (١٣/ ٤٨)، و«أساس البلاغة» مادة: (ض ل ع).

وفي بعض المصادر: (قدني) بدل (قطني). ومعناهما: حَسْبي. واللامُ في «لَتُغْنَيَ» للقسَم، وأصله: «لَتُغْنِيَنْ» بالنون الخفيفة المؤكِّدة، فلما حُذفَت بَقِيت الياءُ مفتوحةً على ما كانت عليه قبل الحذفِ لثبوتِ النونِ الخفيفة في النية؛ أي: بَعِّدْ عني ونَحِّ ما في إنائك. انظر: «فتوح الغيب» للطيبي (١٢/ ٦٦٥).

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١١١)، والماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٤١٥)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٦٣).

(٢) رواه عن الحسن عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ١٧٠)، والطبري في «تفسيره» (١٢/ ٨٢)، وعده أولى الأقوال بالصواب، وانظر كلامه ثمة في تعليل اختياره.

ليتبصَّرُوا وليتيقَّنُوا بما يُريهم اللهُ مِنَ الظُّهورِ على الكفَّارِ ونُصرةِ المؤمنينَ، ولِيُنذِروا قومَهم الكفَّارَ إذا رجَعُوا إليهم من الجهادِ، ويُخبِروهم بنصرِ الله المؤمنين لعلَّهم يحذَرون.

وقال الكلبيُّ: ذُكِرَ أنَّ أحياءً من بني أسدٍ ورَدَتِ المدينةَ، فملأَتِ(١) الطُّرقَ بالعَذِراتِ وغلَتِ الأسعارُ، فأنزَلَ الله هذه الآيةَ(٢)؛ أي: لا ينبَغي أن يحضُروا بأجمعِهم، بل تحضرُ طائفةٌ فيتفقَّهونَ ويُنذِرُونَ قومَهم، ويُعلِّمونَهم(٣) إذا رجَعُوا إليهم.

عكرمةُ: لـمَّا نزَلَ قولُه: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ [التوبة: ١٢٠]، وقولُه: ﴿إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [التوبة: ٣٩] قال ناسٌ منَ المُنافقينَ: إذًا هلَكَ كلُّ مَن تخلَّفَ من أهلِ البدوِ، فنزلَتْ هذه الآيةُ(٤).

ابنُ زيدٍ: هذه الآيةُ ناسخةٌ لِـما قبلَها(٥).

غيرُه: هما مُحكمَتانِ.

***

---

(١) في (ن): «فملؤوا».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٤/ ١٣٢)، وذكره الفراء في «معاني القرآن» (١/ ٤٥٥) بلا نسبة.

(٣) «ويعلمونهم»: ليست في (و).

(٤) رواه سعيد بن منصور في «سننه ـ التفسير» (١٠٥١)، والطبري في «تفسيره» (١٢/ ٨٠ ـ ٨١).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٧٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٩٠٧).
وروي القول بالنسخ أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما. رواه أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» (١/ ٢٠٥).

(١٢٣) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ﴾: أُمِرُوا بقتالِ الأقربِ فالأقربِ إليهم دارًا ونسبًا.

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: مثلُ قُرَيظةَ والنَّضيرِ[1].

﴿وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗ﴾: شدَّةً وعُنفًا.

الحسنُ: صبرًا على جهادِهم[2].

والمعنى: اشتدُّوا عليهم ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ بالغلبةِ والنُّصرةِ.

* * *

(١٢٤) ـ ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾.

﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم﴾؛ أي: منَ المُنافقين ﴿مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ﴾: هذه السُّورةُ ﴿إِيمَٰنٗا﴾؛ أي: يُخاطِبُ بعضُهم بعضًا بهذا القولِ.

وقيل: كان المُنافقون يخاطِبون[3] ضعفةَ المُؤمنينَ بـه[4] استِهزاءً منهم؛ أي: أزادتْكَ هذه إيمانًا؟ فأخبرَ الله جوابًا للسَّائلِ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾ بالله[5]، وبصيرةً في دينِهم.

وقيلَ: ﴿فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا﴾ بالسُّورةِ؛ لأنَّه لـم يكُنْ يلزمُه العملُ بها قبل النُّزولِ.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٤/ ١٣٥)، والواحدي في «البسيط» (١١/ ٩٦).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٤/ ١٣٥)، والواحدي في «البسيط» (١١/ ٩٧).

(٣) في (و): «كان المخاطبون».

(٤) أي: بهذا الكلام.

(٥) أي: إيماناً بالله.

(١٢٥) ـ ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾.

﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾: شكٌّ ونِفاقٌ ببُغْضِ الإسلامِ والمسلمينَ، ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ ﴾: شكًّا إلى شكِّهم. وقيل: إثمًا إلى إثمِهم، ﴿وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾.

* * *

(١٢٦) ـ ﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾.

﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ﴾ يعني: المُنافقين ﴿أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ﴾: يُبتَلون ويُختبَرون بالجوعِ والقحطِ.

قتادةُ: بالغزوِ في سبيلِ الله والجهادِ[1].

الحسنُ: يُمتَحنون بالقتلِ والسَّبْيِ[2].

حُذيفةُ: تُصحَّحُ عليهم كذبةٌ أو كذبتانِ[3].

ابنُ عيسى: ما يظهرُ للمسلمين من نفاقِهم وسوءِ نيَّاتِهم. وهذا حسَنٌ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٩٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٩١٦).

(٢) روي عن الحسن نحو قول قتادة، رواه عنه عبد الرزاق في «تفسيره» (١١٤٥)، والطبري في «تفسيره» (١٢/ ٩٢).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٩٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٩١٦)، ولفظ الطبري: «كنا نسمع في كل عام كذبة أو كذبتين، فيضل بها فئامٌ من الناس كثير».

﴿ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ﴾ عن نفاقِهم، ﴿وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ لا ينتبهون على ما فيه خلاصُهم.

ومَن قرأ بالتَّاءِ(١) جعلَه تعجيبًا للمُؤمنين.

* * *

(١٢٧) - ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾.

﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾؛ أي: طعَنُوا فيها وعابُوها، ثمَّ خافُوا على إبلاغِ ما يقولون، فيقولُ بعضُهم لبعضٍ: هل يراكُم من أحدٍ؟

الفرَّاءُ: إذا أُنزِلَتْ سورةٌ فيها ذِكرُهم وعَيبُهم أشارَ بعضُهم إلى بعضٍ: هل يراكُم من أحدٍ إنْ قُمتُم من حضرةِ النَّبيِّ عليه السَّلامُ؟ فإنْ خفِيَ قامُوا وانصرَفُوا(٢).

وقيل: ثقُلَ سماعُ القرآنِ عليهم، فطلَبُوا الفِرارَ لئلَّا يسمَعُوها.

والنَّظرُ هاهنا دلالةٌ تدلُّ على القولِ من غمزٍ وإيماءٍ.

﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟﴾؛ أي: عن حضرةِ النَّبيِّ عليه السَّلامُ مخافةَ الفضيحةِ وأن ينزلَ فيهم شيءٌ.

وقيل: انصرفُوا عن الإيمانِ.

﴿صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾: أضلَّهم مُجازاةً على فعلِهم، وقيل: صُرِفَ عن الإيمانِ بالسُّورةِ.

---

(١) قرأ حمزة: ﴿أولا ترون﴾ بالتاء، وباقي السبعة بالياء. انظر: «السبعة» (ص: ٣٢٠)، و«التيسير» (ص: ١٢٠).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٤٥٥).

وقيل: ﴿صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾ دُعاءٌ عليهم.

﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ دينَ الله ولا العملَ به.

***

(١٢٨) ـ ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ﴾ يعني: محمَّدًا عليه السَّلامُ ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾: منَ العربِ، تعرِفُونَ كلامَه وصِدقَه وأمانتَه، وذلك شرَفٌ لكم ومَنقَبةٌ.

وقيل: آدميٌّ مثلُكم.

﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾؛ أي: عنتُكم، وهو المكروهُ والشِّدَّةُ، والمعنى: إثمُكم، وقيلَ: ضلالُكم.

﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾؛ أي: على إيمانِكم. والحِرصُ: أشدُّ الطَّلبِ.

﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ﴾: هو أشدُّ الرَّحمةِ ﴿رَّحِيمٌ﴾، هو كقولِه: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ١].

***

(١٢٩) ـ ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾.

﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ عن الإيمانِ بكَ وكادُوا عليكَ ﴿فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ﴾ الذي يكفيني كيدَ مَن كادَني ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾: فوَّضتُ أمري إليه، واتَّكلتُ على كفايتِه ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾: السَّريرِ الكبيرِ، والمُلكِ العظيمِ(١).

---

(١) قوله: «السَّريرِ الكبيرِ، والمُلكِ العظيمِ» هذا على مذهب.

الحسنُ: آخرُ ما نزلَتْ هاتانِ الآيتانِ[١].

والحمدُ لله حقَّ حمدِه[٢]

* * *

(١) رواه ابن الضريس وابن الأنباري وابن مردويه عن الحسن عن أبي بن كعب رضي الله عنه كما في «الدر المنثور» (٤/ ٣٣١). وهو في «فضائل القرآن» لابن الضريس (١٢٤) عن الحسن أن أبي بن كعب، كان يقول: إن آخر القرآن عهداً بالله هاتان الآيتان: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾.

ورواه الحاكم في «المستدرك» (٣٢٩٦) وصححه عن ابن عباس عن أبي بن كعب رضي الله عنهم.

ورواه الضياء في «المختارة» (١١٥٦) عن أبي العالية عن أبي بن كعب رضي الله عنه.

(٢) «والحمد لله حق حمده»: ليست في (و).

سُورَةُ يُونُسَ

سُورَةُ يُونُسَ

عليه السَّلامُ

مئةٌ وتسعُ آياتٍ[1]. مكِّيَّةٌ.

ابنُ عبَّاسٍ رضيَ الله عنهما: إلَّا ثلاثَ آياتٍ من قولِه: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ﴾ [٩٤][2].

بسمِ اللّٰه الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾.

﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾: سبقَ أوَّلَ (البقرةِ) الكلامُ فيه، و﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ

---

(١) «مئة وتسع آية»: من (ن). وانظر: «البيان في عد آي القرآن» للداني (ص: ١٦٣)، وفيه: «وهي مئة وعشر آيات في الشَّامي وتسع في عدد الباقين».

(٢) ذكره الجرجاني في «درج الدرر» (٣/ ٩٣٧)، وقد وقع فيها اختلاف كثير عن ابن عباس وغيره فصَّله ابن الجوزي في «زاد المسير» (٢/ ٣١٤)، وفيه:

روى عطيَّة وابن أبي طلحة عن ابن عباس أنها مكيّة، وبه قال الحسن وعكرمة.

وفي رواية عن ابن عباس: فيها ثلاث آيات من المدنيّ، أوّلها قوله: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ﴾ إلى رأس ثلاث آيات، وبه قال قتادة.

وروى أبو صالح عن ابن عباس أن فيها من المدني قوله: ﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾ الآية.

وقال مقاتل: هي مكيّة، غير آيتين، قوله: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ﴾ والتي تليها.

وقال بعضهم: هي مكيّة إلا آيتين، وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ﴾ والتي تليها.

﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ جاريةٌ مَجرى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ [البقرة: ٢] في الإشارةِ إلى البعيدِ واستدعاءِ شيءٍ سابقٍ، غيرَ أنَّ ﴿تِلْكَ﴾ للتَّأنيثِ، و﴿ذَٰلِكَ﴾ للتَّذكيرِ.

و﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾: القرآنُ، وقيل: التَّوراةُ والإنجيلُ، وقيل: الزَّبورُ.

و﴿ٱلْحَكِيمِ﴾: المُحكَمُ المُتقَنُ الممنوعُ منَ الخلَلِ. وقيل: الحكيمُ النَّاطقُ بالحِكَمِ.

* * *

(٢) ـ ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ﴾.

﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾ في سببِ النُّزولِ: قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: لـمَّا بعَثَ الله مُحمَّدًا رسولًا أنكرَتِ الكفَّارُ وقالوا: اللهُ أعظَمُ من أن يكونَ رسولُه بشرًا مثلَ محمَّدٍ، فأنزَلَ الله هذه الآيةَ[1].

أي: أكانَ إيحاؤُنا إلى رجلٍ بـ﴿أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ﴾؛ عجباً؛ أي: ليس بعجبٍ؛ لأنَّه أُرسِلَ إلى مَن قبلَهم مَن هو مثلُه، والتَّعجُّبُ إنَّما يكونُ ممَّا لا يُعهَدُ مثلُه ولا يُعرَفُ سببُه.

أنكَروا إرسالَ الله بشرًا إلى الخلقِ أصلًا.

الزَّجَّاجُ: قالوا: لم يجدِ الله رسولًا حتَّى أوحَى إلى يتيمِ أبي طالبٍ[2].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ١٠٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٩٢٣).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٥).

﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ ابنُ عبَّاسٍ: السَّعادةُ(١).

قتادةُ وابنُ زيدٍ: شفاعةُ محمَّدٍ عليه السَّلامُ(٢).

ابنُ جريرٍ: أعمالًا يستحقُّونَ بها الثَّوابَ(٣).

الزَّجَّاجُ: منزلةً رفيعةً(٤).

والقدمُ: ما قدَّمَه الإنسانُ من عملِ خيرٍ أو شرٍّ، وقولُه تعالى: ﴿صِدۡقٍ﴾ دليلٌ على أنَّه الخيرُ هاهنا، والمُرادُ: بـ﴿صِدۡقٍ﴾: صلاحٍ ونفعٍ، وليس الصِّدقُ هاهنا ضدَّ الكذبِ.

وقيل: هي استعارةٌ، كما تقولُ: له عندي يدٌ، وله عندي قدَمٌ(٥).

﴿قَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا﴾ الوحيَ ﴿لسِحْرٌ مبينٌ﴾ ومَن قرأ بالألفِ(٦)؛ أي: هذا الرَّجلَ لساحرٌ مبينٌ.

ابنُ جريرٍ: تقديرُه: فلمَّا أنذَرَهُم قال الكافرون: إنَّ هذا لساحرٌ مبينٌ(٧).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ١١٠)، والبيهقي في «القضاء والقدر» (٤٩٣)، بلفظ: «سبقت لهم السعادة في الذكر الأول».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ١١٠، ١١١) عن قتادة وزيد بن أسلم. وذكره البخاري قبل حديث (٤٦٨٠) عن زيد بن أسلم.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (١٢/ ١١١)، وقد روى نحوه عن ابن عباس رضي الله عنهما والضحاك ومجاهد وغيرهم.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٦).

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير»، وعدَّه من العجائب.

(٦) قراءة عاصم وحمزة والكسائي وابن كثير، والباقون بغير ألف. انظر: «السبعة» (ص: ٣٢٢)، و«التيسير» (ص: ١٢٠).

(٧) انظر: «تفسير الطبري» (١٢/ ١١٣).

(٣) ـ ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾.

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾؛ أي: في مُدَّةِ مقدارِ ستَّةِ أيَّامٍ؛ لأنَّ الأيَّامَ تكوَّنَتْ بعد خلقِ السَّماواتِ والأرضِ من دَورانِ الفلَكِ، وتخصيصُها بالسِّتَّةِ لأنَّ السِّتَّةَ نهايةٌ في العددِ.

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ سبقَ بيانُ هذا كلِّه.

﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾: يقضيه وحدَه.

ابنُ عيسى: يُرتِّبُ الأمورَ مراتبَها على أحكامِ عواقبِها.

﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ اختلفَ المُفسِّرون في اتِّصالِه بما قبلَه، فقال بعضُهم: هذا ردٌّ على مَن زعمَ أنَّ آلهتَهم ـ وهي من جملةِ المخلوقاتِ ـ تشفعُ لهم، وأنَّى لها الشَّفاعةُ والشَّفاعةُ لا تكونُ إلَّا بإذنِه، وليس لها محلُّ الإذنِ؟

وقيل: خلقَها لا بشفاعةِ شفيعٍ ولا تدبيرِ مُدبِّرٍ.

ابنُ بحرٍ: خلقَها ولم يكُنْ معه شفيعٌ؛ أي: لا حيَّ معه[(١)]، ثمَّ خلقَ الملائكةَ والجنَّ والإنسَ.

بإذنه[(٢)]: بأمرِه.

ويحتملُ أنَّ فيه تقديمًا وتأخيرًا تقديرُه: أنَّ لهم قدَمَ صدقٍ عند ربِّهم، وهي شفاعةُ محمَّدٍ عليه السَّلامُ، ما من شفيعٍ إلَّا من بعدِ إذنِه[(٣)]، والله أعلمُ.

---

(١) أي: جعله مشتقًّا من الشفع، كما قال المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٧٢)، واستغربه.

(٢) في (و): «وبإذنه»، والذي في الآية: ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ وفي «غرائب التفسير» (١/ ٤٧٢): ﴿مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ أي: خلقه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٧٢)، واستغربه.

﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾؛ أي: الذي خلقَ السَّماواتِ والأرضَ ربُّكُم، لا الأصنامُ.

﴿فَاعْبُدُوهُ﴾: وحِّدوه وأطيعُوه، ولا تعبُدوا معَه غيرَه.

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾: تتدبَّرون، فتعلَمُوا أنْ لا يستحِقُّ غيرُه العبادةَ.

***

(٤) - ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾.

﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ بالموتِ والبعثِ والنُّشورِ، والمَرجِعُ: الرُّجوعُ، شذَّ عن البابِ[١].

ابنُ عيسى: المرجعُ: مكانُ الرُّجوعِ[٢].

﴿وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا﴾؛ أي: وعدَ وعْدًا حقًّا لا خُلْفَ فيه.

﴿إِنَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾؛ أي: يخلقُه ثمَّ يُميتُه ثمَّ يُعيدُه.

وقُرِئَ بالفتحِ[٣]؛ أي: لأنَّه، وقيل: فاعلُ ﴿حَقًّا﴾ كما قالَ:

أَحَقًّا عبادَ الله أنْ لستُ لاقِيًا بُثَيْنَةَ أو يَلْقَى الثُّرَيا رَقِيبُها[٤]

---

(١) فهو مصدر جاء على (مَفْعِل) في الصحيح، وقياسه (مَفْعَل)، وقد نصَّ على مصدريته سيبويه (٤/ ٨٨).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٧٣)، واستغربه.

(٣) أي: بفتح همزة (أنه)، وهي قراءة أبي جعفر، وباقي العشرة بكسرها. انظر: «النشر» (٢/ ٢٨٢).

(٤) البيت لجميل بثينة. انظر: «ديوانه» (ص: ٣٤)، و«الدلائل في غريب الحديث» للسرقسطي (١/ ١٧٦)، و«أساس البلاغة» مادة (ر ق ب). ودون نسبة في «معاني القرآن» للفراء (١/ ٤٥٧)، و«الصحاح» مادة: (ر ق ب)، وفيه: ورقيبُ النَّجْمِ: الذي يغيب بطلوعه، مثل الثُّرَيَّا رَقيبُها الإكليلُ، إذا طَلَعَتِ الثُّرَيَّا عِشاءً غاب الإكليلُ، وإذا طلع الإكليلُ عِشاءً غابت الثُّرَيَّا.

﴿لِيَجْزِيَ﴾؛ أي: يُعيدُه ليجزيَ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ﴾: بالعدلِ، يُريدُ: الإحسانَ؛ كقولِه: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦٠]؛ أي: الجنَّةَ ونعيمَها.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ﴾: ماءٌ حارٌّ، فعيلٌ بمعنى مفعولٍ، تقولُ: حُمَّ الماءُ؛ إذا سَخُنَ، والحميمُ: العرَقُ منه لسُخونتِه، والحمَّامُ لحرارةِ مائِه أو لأنَّه(١) يُتعرَّقُ فيه.

﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾: بسببِ كُفرِهم.

***

(٥) - ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿هُوَ الَّذِي﴾؛ أي: اللهُ الذي ﴿جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً﴾؛ أي: خلَقَها ضياءً، فيكونُ حالًا، أو: صيَّرَها ضياءً، فيكونُ المفعولَ الثَّانيَ.

و﴿ضِيَاءً﴾: مصدرُ (ضاءَ)، و(ضاءَ) و(أضاءَ) لُغتانِ، فيكونُ التَّقديرُ: ذاتَ ضياءٍ، أو تُجعَلُ ذاتُ الشَّمسَ ضياءً لكثرةِ ضَوئِها(٢).

ويجوزُ أن يكونَ ﴿ضِيَاءً﴾ جمعَ (ضوءٍ)(٣).

﴿وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ يُستَضاءُ به في اللَّيالي ﴿وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ﴾؛ أي: قدَّرَهما، والتَّقديرُ:

---

(١) في (و): «ولأنه».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٧٣)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٧٣)، وعدَّه من العجيب.

جعَلَ الشَّمسَ ضياءً وقدَّرَها منازِلَ، وجعلَ القمرَ نورًا وقدَّرَه منازلَ[١]، على ما سبقَ.

ويجوزُ أن تعودَ إلى القمرِ فحسب، وخَصَّه بالذِّكرِ لمعانٍ:

أحدُها: أنَّ أحكامَ الشَّرعِ مَنوطةٌ به.

والثَّاني: لسُرعةِ سيرِه، فإنَّه يقطعُ الفلَكَ في ثمانيةٍ وعشرينَ ليلةً.

والثَّالثُ: أنَّ منازلَه تُدرَكُ بالعِيانِ، وكذلك الزِّيادةُ فيه والنُّقصانُ.

ومعنى ﴿وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ﴾: قدَّرَه يسيرُ منازلَ، فهي ظرفٌ للسَّيرِ[٢]. وقيل: قدَّرَ له منازلَ[٣].

﴿لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ﴾؛ أي: عددَ الشُّهورِ والسِّنين، فاكتَفَى بذكرِ السِّنين لأنَّ السَّنَةَ تشتملُ على الشُّهورِ.

﴿وَٱلۡحِسَابَ﴾؛ أي: المُعاملاتِ.

قال الأصمعيُّ: سُئِلَ أبو عمرٍو عن ﴿الحساب﴾ أتَنْصِبُه أم تجرُّه؟ فقال: ومَن يدري ما عددُ الحسابِ[٤]؟

﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾؛ أي: على أتمِّ ما يكونُ، وقيل: مُـحِقًّا لا مُبطِلًا.

ابنُ جريرٍ: الحقُّ هاهنا هو اللهُ؛ أي: ما خلَقَ الله ذلك إلّا بالله؛ أي: وحدَه لا شريكَ معَه[٥].

---

(١) فاكتفى بذكر أحدهما. ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٧٣)، واستغربه، وقد تقدم كلام المصنف على مثله في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ﴾ [التوبة: ١٢].

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٧٣)، واستغربه.

(٣) فحذف حرف الجر، وأوصل الضمير بالفعل، فصار: (قدره). انظر: «البحر المحيط» (٦/ ١٤).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير»، (١/ ٤٧٤) واستغربه، وذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٦/ ١٥) وقال: «يريد أنه بالنصب؛ لأنّ الجر إنما يكون مقتضياً أنّ الحساب يكون يعلم عدده، والحساب لا يمكن أن يُعلم منتهى عدده».

(٥) انظر: «تفسير الطبري» (١٢/ ١١٩).

﴿يُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ﴾: يُبيِّنُ آياتِ القرآنِ، وقيلَ: يُبيِّنُ[1] الحجَجَ.

﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ فهم ينتَفِعون بالتَّأمُّلِ فيها والتَّدبُّرِ.

* * *

(٦) - ﴿إِنَّ فِى ٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾.

﴿إِنَّ فِى ٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ في مجيءِ كلِّ واحدٍ منهما خلفَ الآخرِ، وقيل: في اختلافِ ألوانِهما.

﴿وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ منَ الخلائقِ والعجائبِ والدّلالاتِ ﴿لَـَٔايَـٰتٍ﴾ تُوجِبُ العلمَ اليقينَ ﴿لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾: لِمَن تأمَّلَ، وخصَّهم بالذِّكرِ لانتفاعِهم بها.

* * *

(٧) - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَـٰتِنَا غَـٰفِلُونَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾: أنكروا البعثَ والعقابَ والثَّوابَ، وقيل: معناه: لا يخافونَ لقاءَنا يومَ القيامةِ.

﴿وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ بدلَ الآخرةِ ﴿وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا﴾: سكَنُوا إليها ومالُوا نحوَها.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَـٰتِنَا غَـٰفِلُونَ﴾: لا يَتفكَّرونَ[2] فيها، والغفلةُ: ذهابُ المعنى عن القلبِ بحضورِ ما يُضادُّه.

---

(١) في (ن): «﴿نفصل﴾.. نبين.. نبين» الثلاثة بالنون. وهي قراءة سبعية، فقد قرأ أبو عمرو وابن كثير وحفص بالياء، والباقون بالنون. انظر: «السبعة» (ص: ٣٢٣)، و«التيسير» (ص: ١٢١).

(٢) في (و): «لا يفكرون».

(٨) ـ ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾: مَرجِعُهم النَّارُ بفعلِهم.

***

(٩) ـ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم ﴾ قيل: إلى الجنَّةِ. وقيل: يُثبِّتُهم على الهدايةِ. وقيل: يُرشِدُهم ﴿بِإِيمَٰنِهِمْ ﴾: بسببِ إيمانِهم، وقيل: لهم نورٌ يمشونَ به.

وقيل: يُقدِّمُهم إلى الثَّوابِ، من قولِ العربِ: القدَمُ تهدي السَّاقَ[1].

﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾؛ أي: من تحتِ منازِلِهم. وقيل: منابعُها من تحتِها. وقيل: بأمرِهم. وقيل: بينَ أيديهم وهم يرونَها.

***

(١٠) ـ ﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ ﴾؛ أي: دُعاؤُهم، والدَّعوى مصدرٌ كالدُّعاءِ، والمُرادُ به: النِّداءُ؛ أي: يدعونَ الله بقولِهم: سُبحانَكَ اللَّهمَّ؛ تلذُّذًا بذكرِه لا عبادةً[2]، والمعنى: هم في أكثرَ ممَّا يشتهون فلا يستَزيدونَ.

وقيل: ﴿ دَعْوَىٰهُمْ ﴾: كلامُهم وقولُهم.

وقال الكلبيُّ: إذا اشتَهَوا شيئًا قالوا: سُبحانَكَ اللَّهمَّ، فيُؤتَونَ به[3].

---

(١) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٦/ ١٧) بلا نسبة، وقول العرب الذي حكاه المصنف ذكره الأنباري في «شرح القصائد السبع الطوال» (ص: ٩٢).

(٢) انظر: «غرائب التفسير» (٢/ ٩٢٥).

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (١١/ ١٣١)، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ١٢٦) عن ابن =

﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا﴾: ما يُحيِّي بعضُهم بعضًا ﴿سَلَامٌ﴾.

وقيل: تُحيِّيهم الملائكةُ. وقيل: يُحيِّيهم اللهُ عزَّ وجلَّ.

وقيل: ﴿تحيَّتهم﴾: ملكُهم ﴿سَلَامٌ﴾: سالـمٌ، والتَّحيَّةُ: الملكُ.

﴿وَءَاخِرُ دَعْوَاهُمْ﴾؛ أي: إذا نالوا منه شهواتِهم قالوا: ﴿أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، وقيل: أوَّلُ كلامِهم التَّسبيحُ وآخرُه التَّحميدُ، وهم يتكلَّمون بينهما بما أرادوا أن يتكلَّمُوا به، وليس يعني أنَّه ينقطعُ.

ابنُ بحرٍ: هو قولُهم: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ [الأعراف: ٤٣].

و(أنْ) في قولِه: ﴿أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ زيادةٌ عندَ بعضِهم[١]، ومُخفَّفٌ منَ المُشدَّدِ عندَ بعضِهم، وقد قُرِئَ به[٢]، وتقديرُه: إنَّه الحمدُ. وقيل: آخرُ دَعواهم أن يقولوا: الحمدُ.

* * *

(١١) - ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.

﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ﴾ قال بعضُ المُفسِّرين: هو كقولِه: ﴿عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ [ص: ١٦]، وكقولِه: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ﴾ [الإسراء: ١١]، والمُرادُ بقولِه: (النّاس): الكفَّارُ، وكانوا يستعجِلونَ بالعذابِ كُفرًا منهم واستهزاءً.

﴿لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾؛ أي: أهلكَهُم وأفناهُم، وقيل: لانقَطَعَ الدُّنيا، ولكنْ لـم يفعَلْ بهم ما سألوا وأخَّرَهُم لتتمَّ إقامةُ الحجّةِ عليهم.

= جريج وسفيان، وروى نحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٩٢٩) عن الربيع بن أنس.

(١) هو صاحب «النظم» كما في «التفسير الكبير» للرازي (١٧/ ٢١٨)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٦/ ١٨).

(٢) نسبت لابن محيصن وبلال بن أبي بردة. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦١)، وزاد نسبتها في «المحتسب» (١/ ٣٠٨) ليعقوب.

نزلَتْ في النَّضرِ[1].

وذهبَ بعضُهم إلى أنَّ هذا عامٌّ، وذلك أنَّ الرَّجلَ يدعو على نفسِه وأقاربِه وأموالِه في حالِ ضجرِه وملالِه فيقولُ: أهلكَه اللهُ ولعنَه وأماتَه، ﴿ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ﴾: كما يدعو لهم بالخيرِ ﴿لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾: لهلكُوا.

وتقديرُ الآيةِ: ولو يُعجِّلُ اللهُ للنَّاسِ الشَّرَّ حينَ استعجَلوه استِعجالًا كاستِعجالِهم الخيرَ؛ أي: كما يجبُ أن يُستعجلَ الخيرُ.

والشَّرُّ: ظُهورُ ما فيه ضررٌ، مشتقٌّ من شررتُ[2] الشَّيءَ في الشَّيءِ؛ أي: أظهَرتُه.

وعُدِّي (قُضِيَ) بـ(إلى)؛ لِمَا فيه من معنى السُّرعةِ.

﴿فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ يعني: مُشركي مكَّةَ ﴿فِى طُغْيَٰنِهِمْ﴾: شِركِهم وضلالِهم، وقيل: ظُلمِهم ﴿يَعْمَهُونَ﴾: يتردَّدونَ، وقيل: يلعَبونَ، وقيل: يتَمادَونَ.

* * *

(١٢) - ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ الكافرَ ﴿ٱلضُّرُّ﴾: إذا نالَه ضررٌ ومكروهٌ ﴿دَعَانَا﴾: دعا اللهَ لإزالتِه ولم يَدْعُ غيرَه. ﴿لِجَنۢبِهِۦٓ﴾: مُضطجِعًا ﴿أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا﴾ يُريدُ: في جميعِ الأحوالِ، وحروفُ الجرِّ كلُّها تقَعُ أحوالًا.

---

(١) ذكره مقاتل في «تفسيره» (٢/ ١٠٦).

(٢) كذا ذكر، والذي في المعاجم: «أشررت». انظر: «الصحاح» و«اللسان» و«القاموس» و«التاج» (مادة: ش ر ر)، وقد ذكره ابن السكيت في «إصلاح المنطق» (ص: ١٨٦) في باب ما يتكلم فيه بأفعلت مما يتكلم فيه العامة بفعلت، وأفاد ابن قتيبة في «أدب الكاتب» (ص: ٣٥٧)، وابن القوطية في «كتاب الأفعال» (ص: ٧٦) أن (شررت) و(أشررت) لغتان، وانظر: «ما جاء على فعلت وأفعلت بمعنى واحد» للجواليقي (ص: ٤٨).

وقيل: مسَّه الضُّرُّ لجنبِه أو قائمًا أو قاعدًا دَعانا، فيكونُ العاملُ في الحالِ (مسَّ)، وعلى الأوَّلِ العاملُ: ﴿دَعَانَا﴾.

﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ﴾: أزَلْنا ما به ﴿مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ﴾؛ أي: استمرَّ على كُفرِه مُعرِضًا عن الشُّكرِ، وقيل: مرَّ على ما كانَ عليه.

ويحتمِلُ: مرَّ كأنْ لم يكُنْ به ضررٌ؛ أي: مُعافًى، ثمَّ لم يشكُرْنا عليه[1].

﴿كَذَٰلِكَ﴾؛ أي: كما زُيِّنَ لهذا الكافرِ الدُّعاءُ عندَ البلاءِ والإعراضُ عندَ الرَّخاءِ ﴿زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾: للكافرينَ ﴿مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ عمَلُهم.

وأصلُ ﴿كَأَن﴾: كأنَّه، خُفِّفَ وحُذِفَ الاسمُ.

قيل: نزلَتْ في هشامِ بنِ المُغيرةِ المخزوميِّ[2].

* * *

(١٣) - ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ ۙ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ يا أهلَ مكَّةَ ﴿لَمَّا ظَلَمُوا۟ ۙ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: بالمُعجزاتِ ﴿وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟﴾؛ أي: لم يكونوا يُؤمِنونَ ولو بَقَّاهم أبدًا ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾؛ أي: نفعلُ بمَن كذَّبَ بمحمَّدٍ عليه السَّلامُ كما فعَلْنا بمَن قبلَهم.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٧٥) واستغربه.

(٢) ذكره الجرجاني في «درج الدرر» (٣/ ٩٤١)، وذكره النسفي في «التيسير في التفسير» عند هذه الآية عن ابن عباس رضي الله عنهما وكناه: أبا حذيفة، وانظر: «تنوير المقباس» (ص: ١٧٠). وهو في «تفسير مقاتل» (٢/ ٢٣٠)، وفيه: «هاشم» بدل «هشام»، وكذا في «زاد اليسير» (٢/ ٣١٩) و«البحر المحيط» (٦/ ٢٠).

(١٤) - ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾.

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ ﴾: جمع (خليفةٍ)؛ أي: يخلُفونَهم قرنًا بعدَ قرنٍ ﴿فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ ﴾: في أماكنِهم ﴿لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾: لتعمَلُوا أعمالَكم فنراها مُشاهَدةً موجودةً، فارغَبُوا في الطَّاعةِ واحذَرُوا عنِ المعصيةِ.

* * *

(١٥) - ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ﴾: واضِحاتِ الدَّلائلِ؛ أي: القرآنُ، ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ﴾؛ أي: الكفَّارُ: ﴿ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ ﴾ لا يكونُ فيه ذكرُ البعثِ والنُّشورِ. وقيل: لا يكونُ فيه عَيبُ آلِـهتِنا؛ أي: ضُمَّ إليه قُرآنًا آخرَ، ﴿أَوْ بَدِّلْهُ ﴾ كتابًا آخرَ لا يكونُ فيه وعيدٌ. وقيل: بدِّلْ منه ذكرَ البعثِ.

﴿قُلْ ﴾ يا محمَّدُ: ﴿مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ﴾؛ أي: ليس هذا من كلامي فأُغيِّرَه.

﴿تِلْقَآئِ ﴾ مصدرٌ كالتِّبيانِ[1]، يُستعملُ ظرفًا[2] بمعنى: المُقابلةِ، مُشتقٌّ منَ التَّلقِّي.

﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ﴾: لا أَتَّبعُ إلَّا وحيَ الله من غيرِ زيادةٍ ولا نُقصانٍ ولا تبديلٍ.

---

(١) ظاهر كلام سيبويه في «الكتاب» (٤/ ٨٤) أنهما اسما مصدر، وليسا مصدرين؛ لأن المصادر في هذا الباب جاءت بفتح التاء، وقد ذكر ابن خالويه في «ليس في كلام العرب» (ص: ٢٧٨) أنهما مصدران، وذكر الأشموني في «شرح الألفية» (٢/ ٢٣٧) أن تفعال كله بالفتح إلا هذين

(٢) وهو من الظروف الموغلة في الإبهام. انظر: «اللمع» لابن جني (ص: ٥٦)، و«البديع» لابن الأثير (١/ ١٦٠).

﴿إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي﴾؛ أي: إنْ فعلتُ عصيتُ ربِّي ثمَّ لا آمَنُ ﴿عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾.

الكلبيُّ: نزلَتْ في المُستَهزِئين، قالوا: يا محمَّدُ، ائتِ بقرآنٍ غيرِ هذا فيه ما نسألُكَه[1].

مجاهدٌ: نزلَتْ في مُشركي مكّةَ[2].

***

(١٦) ـ ﴿قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦۖ فَقَدۡ لَبِثۡتُ فِيكُمۡ عُمُرٗا مِّن قَبۡلِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾.

﴿قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ﴾؛ أي: القرآنَ ﴿وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦ﴾؛ أي: لا أعلَمَكُم الله، تقولُ: دَريتُ الشَّيءَ: علمتُه، وأَدرَيتُه غيري: أعلَمْتُه إيّاه.

﴿فَقَدۡ لَبِثۡتُ فِيكُمۡ﴾: مكَثْتُ وبَقِيتُ بينكم لا أتلو القرآنَ ولا أتعلَّمُه ﴿عُمُرٗا﴾؛ أي: بعضًا من عمري، وهو أربعونَ سنةً؛ لأنَّه أُوحِيَ إليه بعد أربعينَ سنةً.

﴿مِّن قَبۡلِهِۦٓ﴾: من قَبْلِ القرآنِ، وقيل: من قبلِ التِّلاوةِ، وقيل: من قبلِ هذا الوقتِ، وقيل: من قبلِ نُزولِه.

﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ أنِّي صادقٌ، وهذا كلامُ الله، أمرَني أن أتلُوَه عليكم.

***

(١٧) ـ ﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾.

﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾؛ أي: لا أحدَ أظلَمُ ممَّن كذَبَ على الله

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٢٤)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٦٤).

(٢) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٦٤)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٢/ ٣٢٠)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ١٣٨) عن قتادة.

﴿أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ﴾؛ أي: الكاذبُ على الله والمُكذِّبُ بآياتِ الله في الكفرِ سواءٌ.

﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾: لا ينالونَ رُشدًا.

* * *

(١٨) ـ ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـٰٓؤُلَآءِ شُفَعَـٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: يُشرِكُونَ مع الله في العبادةِ ﴿مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾؛ لأنَّها أمواتٌ.

﴿وَيَقُولُونَ هَـٰٓؤُلَآءِ شُفَعَـٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ الحسنُ: يُريدونَ: في أمرِ الدُّنيا ومعاشِها؛ لأنَّهم لا يُقِرُّونَ بالبعثِ[1].

وقيل: معناه: هؤلاءِ شُفعاؤُنا عندَ الله إنْ يكُنْ بعثٌ ونشورٌ.

وقيل: في الكفَّارِ مَن يعتقدُ البعثَ.

﴿قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: أتُخبِرونَه بما لم يكُنْ ولا يكونُ؛ لأنَّه ليس فيهما مَن يستحِقُّ العبادةَ، فنفَى العلمَ لنفيِ المعلومِ.

﴿سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: نزَّهَ نفسَه عن أن يكونَ معَه معبودٌ أو شريكٌ.

* * *

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (١١/ ١٤٩)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٢/ ٣٢٢).

(١٩) - ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ﴾ يعني: بني آدمَ بعدَ آدمَ عليه السَّلامُ، وقيلَ: بعدَ إلياسَ.

وقيل: ﴿ٱلنَّاسُ﴾ هاهنا: العربُ.

﴿إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾: على دينٍ واحدٍ، وهو دينُ الإسلامِ.

وقيل: الشِّركُ[1]، وقد سبقَ.

﴿فَٱخْتَلَفُوا۟﴾: فصارُوا مِلَلًا كُفَّارًا.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ بتأخيرِ العذابِ إلى يومِ القيامةِ، يُريدُ: عذابَ هذه الأمَّةِ، من قولِه عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ﴾ [هود: ١٠٤].

وقيل: سبقَتْ أنَّه لا يُعاجِلُ العُصاةَ بالعقوبةِ.

وقيل: هو قولُه لآدمَ عليه السَّلامُ حينَ عطَسَ: «يرحمُكَ الله»، فسبقَتْ رحمتُه غضبَه[2].

﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾: لأُهْلِكَ المُبطِلُ في اختلافِهم، والاختلافُ: الذَّهابُ في جهتَينِ فصاعدًا.

* * *

---

(١) وهو على القول بأن ﴿ٱلنَّاسُ﴾ هم العرب.

(٢) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٦١٦٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨٨٨٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ولفظه: «لما خلق الله آدم عطس فألهمه ربه أن قال: الحمد لله، فقال له ربه: يرحمك الله، فلذلك سبقت رحمته غضبه».

(٢٠) ـ ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾.

﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾؛ أي: ممَّا اقترحُوا عليه في قولِه: ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [الإسراء: ٩٠] الآيات.

وقيل: تعنَّتُوا في طلبِ الآياتِ.

﴿فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ﴾؛ أي: هو أعلمُ بمصالحِ العبادِ ﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ﴾ وقوعَ الآية ﴿إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾، فوقعَتْ يومَ بدرٍ، فظهرَ المُحِقُّ من المُبطِلِ.

* * *

(٢١) ـ ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾.

﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ﴾: أهلَ مكَّةَ ﴿رَحْمَةً﴾: خِصْبًا وسَعةً ﴿مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ﴾: الجوعُ والقحطُ، وقيل: شفاءٌ بعدَ سَقَمٍ.

﴿إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا﴾؛ أي: مكَروا في آياتِنا بدفعِها وإنكارِها.

﴿قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾: استدراجًا لكم جزاءً على مكرِكُم ﴿إِنَّ رُسُلَنَا﴾؛ أي: الحفظةَ ﴿يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ فيُجازيكُم اللهُ عليه.

* * *

(٢٢) ـ ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَـٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ﴾: يحملكُم على السَّيرِ ويجعلُكم قادِرينَ على قطعِ المسافاتِ

بالأرجُلِ والدَّوابِّ والفُلكِ الجاريةِ في البحارِ، وهو قولُه: ﴿فِي ٱلْبَرِّ﴾: الأرضِ الواسعةِ ﴿وَٱلْبَحْرِ﴾: مُستقرِّ الماءِ.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ﴾: السُّفنِ، و(الفُلكُ) واحدٌ وجمعٌ، وقد سبقَ.

﴿وَجَرَيْنَ﴾؛ أي: السُّفنُ ﴿بِهِم﴾: بمَن فيها، رجعَ إلى الغيبةِ بعد الخطابِ، وهذا تلوينٌ، وهو كثيرٌ حسنٌ، وفي القرآنِ أحسَنُ؛ لأنَّ القرآنَ للنَّاسِ كلِّهم.

﴿بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾: ليِّنةِ الهُبوبِ، لا ضعيفةٍ ولا عاصفةٍ، ﴿وَفَرِحُواْ بِهَا﴾: بتلكَ الرِّيحِ للينِها واستقامتِها، ﴿جَآءَتْهَا﴾؛ أي: السَّفينةَ، وقيل: الرِّيحَ الطَّيِّبةَ ﴿رِيحٌ عَاصِفٌ﴾: ذاتُ عَصْفٍ؛ أي: شديدةُ الهبوبِ.

﴿وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ﴾ وهو ما علا منَ الماءِ ﴿مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾؛ أي: منَ البحرِ، وقيل: من كلِّ وُجهةٍ.

﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾: أُهلِكُوا وسُدَّتْ عليهم مسالكُ النَّجاةِ من جميعِ الجهاتِ ﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾: أخلَصُوا له الدُّعاءَ مُنقادين مُذعِنينَ دونَ الأوثانِ: ﴿لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ﴾: لَئِنْ خلَّصتَنا من هذه الواقعةِ، وقيل: من هذه الرِّيحِ وأنعمْتَ علينا يا ربَّنا ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ لنِعمتِكَ، مُؤمنينَ بك، مُستمسِكينَ بطاعتِكَ.

* * *

(٢٣) ـ ﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ﴾: أجابَ اللهُ دُعاءَهم ﴿إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: عادوا إلى الكفرِ والفسادِ ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ جهلًا وباطلًا؛ أي: مُبطِلين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾؛ أي: وَبالُ بغيِكُم عليكم. وقيل: بَغيُ بعضِكُم على بعضٍ.

﴿متاعُ الحياةِ الدُّنيا﴾ أي: ذلك متاعُ الحياةِ الدُّنيا، يتمتَّعونَه في الدُّنيا، فيكونُ

﴿بَغۡيُكُمۡ﴾ مبتدأ، ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾ خبرُه، و﴿متاعُ﴾ خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ، ويجوزُ أن يكونَ ﴿عَلَىٰٓ﴾ من صلةِ المصدرِ، و﴿متاعُ﴾ خبرُه.

ومَن نصَبَ(١) فعلى العلَّةِ أو المصدرِ، ويحتمِلُ أن يكونَ نصبًا على الظَّرفِ(٢)؛ أي: مُدَّةَ متاعِ الحياةِ(٣).

﴿ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُكُمۡ﴾ في القيامةِ ﴿فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾: نُخبِرُكم به ونُجازِيكُم عليه.

* * *

(٢٤) ـ ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلۡأَنۡعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ المثلُ: قولٌ سائرٌ يُشبَّهُ فيه حالُ الثّاني بالأوَّلِ.

وقيل: ﴿مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ﴾؛ أي: صِفةُ الحياةِ.

ابنُ عيسى: في المُشبَّه والمشبَّهِ به ثلاثةُ أقوالٍ(٤):

أحدُها: الحياةُ الدُّنيا بالنَّباتِ على تلك الأوصافِ.

والثّاني: الحياةُ الدُّنيا بالماءِ فيما تكونُ به منَ الامتناعِ ثمَّ الانقِطاعِ.

---

(١) هو حفص، قرأ ﴿متاع﴾ بالنصب، قرأ الباقون بالرفع. انظر: «السبعة» (ص: ٣٢٥)، و«التيسير» (ص: ١٢١).

(٢) ذكر المعربون وجوهاً لنصب ﴿مَّتَٰعَ﴾ منها أنه مفعول لأجله، أو مفعول مطلق، أو حال، أو مفعول به، أما المفعول فيه فلم أقف على من ذكره قبل المصنف، وقد ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٦/ ٣٥)، وانظر: «الحجة» لابن خالويه (ص: ١٨١)، ولأبي علي (٤/ ٢٦٧ ـ ٢٦٨)، و«التبيان» (٢/ ٦٧٠).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٨٠)، واستغربه.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٨٠) ونقله أبو حيان بلا نسبة وبتصرف. انظر: «البحر المحيط» (٦/ ٣٧).

الثّالثُ: الحياةُ الدُّنيا بحياةٍ مُقدَّرةٍ على هذه الأوصافِ.

وقولُه: ﴿كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ﴾ على التَّقديرِ الأوَّلِ كنباتِ ماءٍ، بحذفِ المُضافِ، وعلى القولِ الثّاني ظاهرٌ، وعلى القولِ الثّالثِ: كحياةِ قومٍ بماءٍ أنزَلْناه، ويُقوِّيه قولُه: ﴿وَظَنَّ أَهْلُهَآ﴾ [يونس: ٢٤].

وقولُه: ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾؛ أي: منَ السَّحابِ. وقيل: من جانبِ السَّماءِ.

﴿فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ﴾: بالماءِ اختلاطَ جِوارٍ؛ لأنَّ الاختلاطَ تداخلُ الأشياءِ بعضِها في بعضٍ[١].

وقيل: اختلَطَ به؛ أي: بسببِه ﴿نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾ فطالَتْ وامتدَّتْ ﴿مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ﴾: الحبوبِ والثِّمارِ والبُقولِ ﴿وَٱلْأَنْعَٰمُ﴾ الحشيشِ والمَراعي.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾: زينتَها بالنَّباتِ واختلافِ ألوانِه ﴿وَٱزَّيَّنَتْ﴾ وتزيَّنَتْ به ﴿وَظَنَّ أَهْلُهَآ﴾ أهلُ الأرضِ ﴿أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ﴾ على حصادِ نباتِها واجتِناءِ ثمارِها؛ إذ لا مانعَ دونَها، ﴿أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا﴾ ما يُهلِكُ الزَّرعَ ويُفنيهِ ﴿لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا﴾؛ أي: الأرضَ، وقيل: الغَلَّةَ، وقيل: الزِّينةَ ﴿حَصِيدًا﴾: محصودةً مقلوعةً منزوعةَ الأصولِ ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ﴾: كأنْ لم تقُمْ بهذه الصِّفةِ، من قولِهم: غَنِيْنا بمكانِ كذا؛ إذا أقَمْنا، والمغنى[٢]: المكانُ.

وقيل: من غَنِيَ؛ بمعنى: اكتفَى[٣].

مُقاتلٌ: ﴿تَغْنَ﴾: تنعَمْ[٤]؛ أي: كأنْ لم تُوجَدْ ولم تكُنْ تلك الأرضُ بهذه الصِّفةِ[٥].

﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فينتفِعون بضَرْبِ الأمثالِ.

---

(١) نقله أبو حيان في «البحر المحيط» (٦/ ٣٧) عن المصنف، ثم قال: «ولا يمتنع اختلاط النبات بالماء على سبيل التداخل».

(٢) في النسخ الخطية: «المعنى»، وهو تصحيف، والتصويب من «غرائب التفسير» (١/ ٤٨٠)، وانظر: «معجم ديوان الأدب» (٤/ ٣٣).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٨٠)، واستغربه.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٢٣٥).

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٨٠)، واستغربه.

(٢٥) ـ ﴿ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾.

﴿ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ ببعْثِ الرُّسلِ، وقيل: بنصبِ الأدلّةِ.

ودارُ السّلامِ: الجنّةُ، السَّلامُ: هو الله، والجنَّةُ دارُه، وهذه الإضافةُ كبيتِ الله وناقةِ الله(١).

وقيل: دارُ السَّلامةِ منَ الآفاتِ والأحزانِ، فحُذِفَ الهاءُ.

وقيل: (دار السّلام): هو منَ التَّحيَّةِ التي يُحيِّيهم الله والملائكةُ، من قولِه: ﴿ تَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞ ﴾ [إبراهيم: ٢٣].

﴿ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ ﴾: يُرشِدُ ويُوفِّقُ مَن يشاءُ ﴿ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾: الإسلامِ وكتابِ الله ومحمَّدٍ عليه السَّلامُ وأصحابِه. وقيل: الحقِّ. وقيل: إلى طريقِ الجنَّة.

* * *

(٢٦) ـ ﴿ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾.

﴿ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ﴾: آمَنُوا بالله ورُسلِه ﴿ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴾: الجنَّةُ.

و﴿ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴾ كالبُشرَى(٢)، وقيل: تأنيثُ الأحسنِ(٣).

﴿ وَزِيَادَةٞ ﴾: هي النَّظرُ إلى وجهِ الله الكريمِ(٤).

---

(١) فالغاية من هذه الإضافة تعظيم المضاف وتشريفه. انظر: «الحجة» لأبي علي (١/ ١٨٤)، و«مشكل الحديث» لابن فورك (ص: ٥٨).

(٢) أي: مصدر جاء على (فعلى)، على أن هذا البناء يأتي اسماً كرُؤيا، وصفة كحُبلى، ومصدراً كبُشرى. انظر: «شرح المفصل» لابن يعيش (٣/ ٣٨٤).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٨٠)، واستغربه.

(٤) رواه مسلم (١٨١) من حديث صهيب رضي الله عنه، فقد صحَّ هذا القول عمن لا ينطق عن الهوى، فلا يُقبل قولٌ سواه.

وقيل: ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾: جزاءُ حسناتِهم، والزِّيادةُ؛ بالواحدِ عشرًا؛ لتكونَ الزِّيادةُ منَ الجنسِ الأوَّلِ(١).

وقيل: ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾: عشرةٌ، والزِّيادةُ: تضعيفُ العشراتِ(٢).

وقيل: الزِّيادةُ: المغفرةُ والرِّضوانُ.

وقيل: الزِّيادةُ: ما نالُوا في الدُّنيا فلا يُحاسَبونَ عليه.

وإجماعُ المُفسِّرين على أنَّ الزِّيادةَ: النَّظرُ إلى الله عزَّ وجلَّ.

﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ﴾: لا يعلُوها ولا يغشاها، وأصلُ الكلمةِ: اللُّحوقُ.

﴿قَتَرٌ﴾: غَناءٌ(٣)، واحدُها: قَترةٌ، وأصلُ الكلمةِ: الغُبارُ. ﴿وَلَا ذِلَّةٌ﴾: هَوانٌ. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

***

(٢٧) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: الكفرَ والشِّركَ ﴿جَزَآءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا﴾؛ أي: يُجازَون بمثلِها، والضَّميرُ مُقدَّرٌ(٤)، والباءُ مُتعلِّقٌ بالمُضمرِ، وقيلَ: تقديرُه: لهم جزاءُ سيِّئةٍ مثلُها، والباءُ زيادةٌ(٥).

ويحتمِلُ أنَّ في الآيةِ تقديمًا وتأخيرًا.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٨٠)، وعدَّه من العجيب.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٨٠)، واستغربه.

(٣) في (و): «غبار».

(٤) ليكون رابطاً بين المبتدأ ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ والخبر ﴿جَزَآءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا﴾، والتقدير: جزاء سيئة منهم مقدَّرٌ بمثلها. والباء متعلقة بالخبر المحذوف على هذا القول. انظر: «الغرائب» (١/ ٤٨٠ ـ ٤٨١).

(٥) هذا قول الأخفش وابن كيسان، انظر «معاني القرآن» للأخفش (١/ ٣٧٢)، و«البحر المحيط» (٦/ ٤٤).

ويحتمِلُ أنَّ محلَّ ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا﴾ جرٌّ[1].

﴿وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾: ويلحقُهم ذُلٌّ وهَوانٌ ﴿مَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ﴾: من عقابه ﴿مِنْ عَاصِمٍ﴾: من مانعٍ ودافعٍ ﴿كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا﴾؛ أي: جُعِلَ عليها غِطاءٌ من سوادِ اللَّيلِ؛ أي: هم سودُ الوجوهِ.

ومَن قَرأ: ﴿قِطَعًا﴾ بالفتح جعلَها جمعَ (قِطْعةٍ)، وجعلَ ﴿مُظْلِمًا﴾ حالًا عن ﴿اللَّيْلِ﴾، ومَن سكَّنَ الطَّاءَ[2] أخذَه من قولِه: ﴿بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ﴾ [هود: ٨١]، وهو جزءٌ منَ اللَّيلِ بعد طائفةٍ منه. ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

* * *

(٢٨) - ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾؛ أي: الكفَّار وغيرَهم ﴿جَمِيعًا﴾ حالٌ ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ﴾، ﴿مَكَانَكُمْ﴾[3] كلمةُ وعيدٍ عندَ العربِ[4]، معناه: انتظِروا وامكُثوا، وهي من الأسماءِ التي سُمِّيت الأفعالُ بها[5]، وفيه ضميرٌ مرفوعٌ، ﴿أَنتُمْ﴾ تأكيدٌ له، ﴿وَشُرَكَاؤُكُمْ﴾ عطفٌ عليه.

---

(١) أي: في محل جر عطفاً على ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ﴾؛ أي: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾، ثم قال: (ولِلَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ)، فيكون كل واحد من الأخير في مقابلةِ كل واحد من الأول، ويكون الباقي ﴿بِمِثْلِهَا﴾ ﴿وَزِيَادَةٌ﴾. هكذا ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٨٠)، واستغربه.

(٢) قرأ ابن كثير والكسائي بإسكان الطاء، والباقون بفتحها. انظر: «السبعة» (ص: ٣٢٥)، و«التيسير» (ص: ١٢١).

(٣) (﴿مَكَانَكُمْ﴾): ليست في (ن)، وفي «غرائب التفسير» (١/ ٤٨١): «مكانك».

(٤) ذكر ذلك الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٦/ ٣٦)، والهروي في «الغريبين» (٦/ ١٧٦٨).

(٥) وهي ما تعرف اليوم بأسماء الأفعال. انظر: «الكتاب» (١/ ٢٤٨ - ٢٤٩)، و«معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٢٢ - ٣٢٣)، و«الحلبيات» لأبي علي (ص: ١٠٧).

﴿فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ تقولُ: زالَ[١] فلانٌ الشَّيءَ يَزيلُه: نحَّاهُ، و(زيَّلَه) مُبالغةٌ وتكثيرٌ للفعلِ.

﴿وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم﴾، أي: الأصنامُ، وقيل: الملائكةُ والشَّياطينُ: ﴿مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾؛ أي: لم يكُنْ برِضانا ولا أمرِنا ولا شعَرْنا ذلك.

***

(٢٩) - ﴿فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَـٰفِلِينَ﴾.

﴿فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾؛ أي: اللهُ شاهدٌ على صِدْقِنا بأنَّا لـم نشعُرْ بعبادَتِكُم.

﴿إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَـٰفِلِينَ﴾ ابنُ عيسى: هذا الجحودُ على جهةِ الإهانةِ والرَّدِّ عليهم؛ أي: لا نعقدُ بذلك، وقال أيضًا: دُهِشُوا كدهشةِ الصَّبيِّ.

***

(٣٠) - ﴿هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾.

﴿هُنَالِكَ﴾ عندَ تلك المُخاصَمةِ. المُفضَّلُ: ﴿تَبْلُوا۟﴾: تخبُرُ ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾، تقولُ: بلَوتُه وابتَلَيتُه وخَبَرتُه واختبَرْتُه بمعنًى واحدٍ.

وقُرِئَ ﴿تتلوا﴾[٢]؛ أي: تقرأُ كتابَ الحفظةِ، وقيل: تتبعُ عملَه.

ورُوِيَ: أنَّ عمَلَ الإنسانِ يأتي يومَ القيامةِ على صورةِ حيوانٍ يقودُ عاملَه إلى الجنَّةِ أو إلى النّارِ[٣].

﴿مَّآ أَسْلَفَتْ﴾: قدَّمَتْ، والإسلافُ: تقديمٌ لِـمَا بعدَه.

---

(١) في النسخ الخطية: «أزال»، وهو تحريف، والتصويب من «تهذيب اللغة» (١٣/ ١٧٣)، و«غرائب التفسير» (١/ ٤٨٢).

(٢) هي قراءة حمزة والكسائي. انظر: «السبعة» (ص: ٣٢٥)، و«التيسير» (ص: ١٢١).

(٣) روى معناه البخاري (٨٠٦)، ومسلم (١٨٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ولفظهما: «يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئًا فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت...».

﴿وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾؛ أي: ما وعدَهُم الله. وقيل: إلى الموضعِ الذي يُجازي فيه.

﴿مَوۡلَىٰهُمُ﴾: مُدبِّرهـم ومُتولِّي أمرِهـم ﴿ٱلۡحَقِّ﴾: على الحقيقـةِ لا ما اتَّخذوه مولًـى. ﴿وَضَلَّ عَنۡهُم﴾: بطَلَ وذهَـبَ ﴿مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾: افتِراؤُهـم[1] في الدُّنيا.

***

(٣١) ـ ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾.

﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: المطرَ ﴿وَٱلۡأَرۡضِ﴾: النَّباتَ، وقيل: مَن يرزُقُكم من أهلِ السَّماءِ وأهلِ الأرضِ؟.

(أم)[2] جوابٌ لِمَا يتضمَّنُه (مَنْ) مِنَ الاستفهامِ.

﴿أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾: يملِكُ القدرةَ عليها بالسَّلبِ والإعطاءِ ﴿وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ﴾؛ أي: مَن المُحيي والمُميتُ؟ ﴿وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ﴾: أمرَ العالمين[3].

وهذا السُّؤالُ تبكيتٌ للكفَّارِ وتقريعٌ لهم على اتِّخاذِهم الأصنامَ مع إقرارِهم بأنَّ خالقَ هذه الأشياءِ هو اللهُ سُبحانَه.

﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾؛ أي: فسيُجيبونَك عند سُؤالك أنَّ القادرَ على هذه الله، ولا يَكْذِبونَ فيه، ﴿فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ اللهَ أن يُعاقبَكُم على اتِّخاذِكُم الأصنامَ.

***

---

(١) في (و): «أمراؤهم».

(٢) في (ن): «وأمر»، وهو تصحيف، والمراد: (أم) المدغمة في (مَن) الثانية جواب لأن (مَن) الأولى معناها: أمَنْ، والله أعلم.

(٣) في (و): «العاملين»، وهو تصحيف.

(٣٢) ـ ﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾.

﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ﴾ على الحقيقةِ ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ﴾؛ أي: إذا كان الحقُّ عبادةَ الله فعبادةُ غيرِه ضلالٌ باطلٌ.

﴿فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾؛ أي: كيف[1] تُصرَفون منَ الحقِّ إلى الباطلِ؟!

* * *

(٣٣) ـ ﴿ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾.

﴿ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ﴾؛ أي: كما صحَّ أنَّ اللهَ الخالقُ حقَّتْ كلمتُه ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ ﴾، وهي مُفسَّرةٌ بقولِه: ﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾، وهم قومٌ أخبرَ الله أنَّهم لا يُؤمنون.

* * *

(٣٤) ـ ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾.

﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ كانوا مُقرِّين بأنَّ الله يبدأُ الخلقَ، وأنَّ الأصنامَ لا تخلُقُ شيئًا، وفيهم مَن يُقِرُّ بالإعادةِ.

﴿قُلِ ﴾؛ أي: فإنْ أجابوكَ وإلَّا فقُلْ أنتَ؛ إذ لا جوابَ إلَّا هذا: ﴿ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾: كيف تُصرَفونَ عن قصدِ السَّبيلِ؟!

* * *

---

(١) سقطت «أي» من (ن)، و«كيف» من (و).

(٣٥) ـ ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾.

﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾: يُرشِدُ إليه، فإذا قالوا: لا، ولا بدَّ لهم منه، ﴿قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾: يُرشِدُ إليه ﴿أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ﴾؛ أي: لا[1] يهتَدي بنفسِه إلّا أن يهديَه هادٍ، ولا يَقبلُ الهدايةَ.

وقيل: لا يقدرُ على التَّنقُّلِ من موضعٍ إلى موضعٍ حتَّى يُنقَلَ.

وقيل: أرادَ به الرُّؤساءَ المُضِلِّين.

﴿فَمَا لَكُمْ﴾ في عبادةِ الأوثانِ، وقيل: تعجُّبٌ[2] ﴿كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾؛ أي: ليسا في القضيّةِ سواءً، فلِمَ سوَّيتُم بينهما؟

***

(٣٦) ـ ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾.

﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا﴾ قال بعضُ المُفسِّرين: ﴿أَكْثَرُهُمْ﴾: كلُّهم، وقال بعضُهم: أرادَ بالأكثرِ: أتباعَ الرُّؤساءِ، وقيل: الرُّؤساءَ.

وقيل: ﴿أَكْثَرُهُمْ﴾: أكثرُ النّاسِ؛ لأنَّ المؤمنينَ هم الأقلُّون.

وقولُه: ﴿إِلَّا ظَنًّا﴾؛ أي: يظنُّونَ الباطلَ[3] حقًّا، وأنَّ الأصنامَ آلهةٌ، فيَدِينون به ويدعُونَ النّاسَ إليه.

---

(١) في (ن): «أن لا»، وفي (و): «أي» وحدها.

(٢) فهو كلام تام؛ (ما) اسم استفهام في محل رفع مبتدأ، والجار والمجرور (لكم) متعلقان بخبره. انظر: «غرائب التفسير» (١/ ٤٨٣).

(٣) في (ن): «أي يظنون ظنًا طل» هكذا وقع، ولعلها: «الباطل» فسقط بعضها، فصارت «طل».

﴿إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾؛ أي: لا يقومُ الظَّنَّ مقامَ العلمِ، يُريدُ: الظَّنُّ فيما تُعبِّدَ الإنسانُ بعلمِه كالتَّوحيدِ وأصولِ الدِّين، وأمَّا الفروعُ فالعملُ فيها بالظَّنِّ جائزٌ(١).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ من اتِّباعِ الظَّنِّ واعتقادِ الباطلِ.

* * *

(٣٧) ـ ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ جوابٌ لقولِهم: ﴿ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ﴾ [يونس: ١٥]؛ أي: ما كان هذا القرآنُ افتراءً منَ البشرِ ﴿وَلَٰكِن﴾ كانَ ﴿تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾؛ أي: بينَ يدَي القرآنِ منَ البَعثِ والحسابِ، والقرآنُ يَقْدمُه.

وقيل: ﴿تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾؛ أي: كتُبِ الله المُنزِّلةِ قبلَه.

وقيل: تصديقَ الشَّيءِ الذي القرآنُ بينَ يدَيه منَ الأخبارِ والأقاصيصِ.

﴿وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: تبيينَ ما كُتِبَ عليكُم وفُرِضَ ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: لا تهمةَ أنَّه من عندِ الله؛ لأنَّه في أعلى طبقاتِ البلاغةِ بحُسنِ النِّظامِ والجزالةِ.

* * *

---

(١) انظر: «العدّة» للقاضي أبي يعلى (٤/ ١٢٢٨)، و«التحصيل» للأرموي (١/ ٤٢٨)، و«فصول البدائع» للفناري (٢/ ١٩).

(٣٨) ـ ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ قيل: تقديرُه: بل يقولون، وقيل: تقديرُه: أيُقِرُّونَ به أم يقولون: افتراه محمَّدٌ من قِبَلِ نفسِه؟!

﴿قُلْ﴾ يا محمَّدُ مُحتجًّا عليهم: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾: مثلِ القرآنِ في النَّظمِ والبيانِ[1]، ﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾؛ أي: مَن هو في التَّكذيبِ مثلُكم؛ يُريدُ: استَعينوا بمَن شئتُم وأطَعتُم سوى الله؛ ليُعاونوكُم عليه ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أنَّ محمَّدًا تقوَّلَه من تلقاءِ نفسِه.

* * *

(٣٩) ـ ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾؛ أي: عرَفُوا عجزَهُم عن الإتيانِ بمثلِه، ولكنْ كذَّبوا محمَّدًا بردِّهم ما جهلوا ولم يُحيطوا به علمًا من ذكرِ البَعثِ والحسابِ والجنَّةِ والنَّارِ.

﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾؛ أي: لم يأتِهم وسيأتيهم ما يؤُولُ إليه حقيقةُ ما وُعِدوا.

وقيل: ﴿تَأْوِيلُهُ﴾: مصداقُ مواعيدِ القرآنِ.

وقيل: ﴿ما لم يُحيطوا بعلمِه﴾: هو القرآنُ ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾: معاني القرآنِ؛ لأنَّهم سمِعُوا ما لم يعرِفُوا تأويلَه.

---

(١) في (ن): «والتبيان».

﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ يعني: كفَّارَ الأممِ الخاليةِ كذَّبوا رسلَهم، ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

* * *

(٤٠) - ﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾.

﴿وَمِنْهُم﴾: من أهلِ مكَّةَ ﴿مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾: باللهِ[1] سوى مَن آمَنَ به ﴿وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾ وهم الذين ماتُوا على الكفرِ[2]، ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾؛ أي: الكافرين المُكذِّبين.

* * *

(٤١) - ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾ الآيةُ منسوخةٌ بآيةِ القتالِ[3]؛ أي: لي جزاءُ عملي ولكم جزاءُ أعمالِكُم ﴿أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾: لا تُؤاخذُونَ بعملي ولا أُؤاخذُ بعملِكُم.

* * *

(٤٢) - ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ استماعَ تعنُّتٍ فلا ينتفِعونَ بما يسمعونَ، فصاروا كالأصمِّ الذي لا يسمعُ أصلًا، ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ﴾ وليس في طوقِكَ سلبُ الصَّممِ ﴿وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ﴾ كيف تهديهم؟

---

(١) «بالله»: ليست في (ن).

(٢) فـ(يؤمن) على هذا بمعنى: سيؤمن، و(لا يؤمن) بمعنى: لن يؤمن حتى يموت كافراً، والله أعلم.

(٣) انظر: «الناسخ والمنسوخ» لابن حزم (ص: ٤١).

(٤٣) ـ ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ﴾.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ﴾ ويرى صحَّةَ نبوَّتِكَ بالمُعجزاتِ والدَّلائلِ الواضِحاتِ، ولا ينتفعُ بنظرِه، فصارَ كالأعمى الذي لا يُبصِرُ أصلًا، ﴿أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ﴾ وليس في وُسعِكَ إزالةُ عماه ﴿وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ﴾ كيف تهديهم؟ أي: هم مُعانِدون فلا ينفعُ إنذارُهم ودُعاؤُهم.

وفضَّلَ السَّمعَ على البصرِ لأنَّه يزولُ بزوالِه العقلُ، ولا يزولُ بزوالِ العينِ إلَّا البصرُ.

* * *

(٤٤) ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾؛ أي: لم يظلِمْهم بسَلْبِ حواسِّهم، بل هم ظلَمُوا أنفسَهم بتفويتِ منافِعِها عليهم.

* * *

(٤٥) ـ ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ﴾ يعني: في الدُّنيا، استَقْصَروا مدَّةَ لُبثِهم فيها.

ابنُ عبَّاسٍ: لم يلبَثُوا في قبورِهم[١].

﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾: يتعارَفُ بعضُهم بعضًا، فهو متعدٍّ.

وقيل: بعضُهم بعضًا معرفتَهم في الدُّنيا، ثمَّ تنقطعُ المعرفةُ[٢].

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٤/ ٢١٩)، والواحدي في «البسيط» (١١/ ٢١٠).

(٢) أي: يعرف بعضهم بعضاً كمعرفتهم في الدنيا، ثم تنقطع المعرفة إذا عاينوا أهوال القيامة، فلا يعرف =

«الحجَّة»: يتعرَّفُ بعضُهم من بعضٍ مدَّةَ لُبثِهم في القبورِ[1].

﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ﴾: البعثِ والنُّشورِ وحظوظِ الخيراتِ، ﴿وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾ إلى الإيمانِ.

* * *

(٤٦) ـ ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾.

﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾ رُؤيةَ البصرِ ﴿بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾ منَ العذابِ في حياتِكَ ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ ولم نُرِكَ ذلك، ﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ في القيامةِ، ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾؛ أي: عالمٌ بفعلِهم وتكذيبِهم فيُجازيهم عليه، والذي أُريهُم[2] في حياتِه يومُ بدرٍ، والعذابُ الأليمُ مُدَّخرٌ لهم[3] للمعادِ.

* * *

(٤٧) ـ ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ منَ الأممِ الماضيةِ ﴿رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ﴾ وبلغَتْهم دعوتُه فلم يُؤمِنُوا ﴿قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾؛ أي: أُهلِكوا ونجا المؤمنون، وكان ذلك من الله عدلًا.

وقيل: هو من قولِه: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ [النساء: ٤١].

* * *

= أحد أحدًا. انظر: «تفسير الثعلبي» (١٤/ ٢٢٠)، و«البسيط» للواحدي (١١/ ٢١١)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٣٥).

(١) انظر: «الحجة» لأبي علي (٤/ ٣٠٢)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٨٤)، واستغربه.

(٢) في (و): «أراهم».

(٣) في (و): «مدخر ليوم لهم».

(٤٨) ـ ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾.

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ ﴾؛ أي: وعدُ العذابِ استهزاءً، وقيل: يومُ القيامةِ.

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ خطابٌ منهم للنَّبيِّ وللمُؤمنين.

* * *

(٤٩) ـ ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾.

﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾؛ أي: لا أقدرُ لها على ضرٍّ ولا نفعٍ ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ أن أملكَه، فكيف آتيكُم بالعذابِ؟!

﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ﴾: مدَّةٌ ﴿إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ ﴾: وقتُ فناءِ أعمارِهم ﴿فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾؛ أي: لا يتأخَّرون ولا يتقدَّمون.

* * *

(٥٠) ـ ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ ﴾: أخبِروني: ﴿إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ﴾ الذي تستعجِلُون به ﴿بَيَٰتًا ﴾: وقتَ بياتٍ، وهو اللَّيلُ، ﴿أَوْ نَهَارًا ﴾، ضرَّكُم ذلك[1]، وهو جوابُ الشَّرطِ.

---

(١) كذا قدر جواب الشرط هنا، و قدره في «غرائب التفسير» (١/ ٤٨٤): «هلكتم وندمتم»، وذهب الزمخشري في «الكشاف» (٢/ ٣٥١) ومتابعوه كالبيضاوي والنسفي إلى أن الجواب: «تَنْدَموا على الاستعجال»، أو: «تَعْرِفوا الخطأ فيه»، بينما قدره أبو حيان: «فأخبروني ماذا يستعجل منه المجرمون»، ولم يرتض أبو حيان في «البحر» (٦/ ٦٨) تقدير الزمخشري؛ لأن الجواب ـ كما قال ـ لا يقدَّر إلا مما تقدمه لفظاً أو تقديراً، تقولُ: أنت ظالمٌ إنْ فَعلتَ، فالتقدير: إنْ فَعلتَ فأنت ظالم. وتعقبه الآلوسي في «روح المعاني» (١١/ ١٣٣) بقوله: «ولم يدر (أي: أبو حيان) أن تقديره من غير جنس المذكور إذا قامت قرينة عليه ليس بعزيز، ولئن سلم صحة الحصر الذي ادعاه فما ذكر غير خارج عنه بناء على أن المقصود =

﴿مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ﴾: منَ العذابِ، وقيل: منَ الله ﴿الْمُجْرِمُونَ﴾؛ أي: ما أعظَمَ ما يستعجِلُونَه!

* * *

(٥١) - ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ءَآلْـَٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ﴾.

﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ﴾ ابنُ عيسى: استفهامُ إنكارٍ[1].

قد أكثَروا القولَ في هذا الاستفهامِ، والوجهُ أن يُقدَّرَ هاهنا فعلٌ تقديرُه: فيقعُ العذابُ ويُؤمِنون به فيُقالُ لهم: ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ﴾[2] بالعذابِ، وقيلَ: بالله.

﴿ءَآلْـَٔنَ﴾ تُؤمِنون به ﴿وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ﴾: بالعذابِ تكذيبًا واستِهزاءً.

وقيل: (ثمَّ) هاهنا معنى: هُنالِكَ، وهذا شيءٌ لا تحتمِلُه العربيَّةُ.

* * *

(٥٢) - ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾.

﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ﴾؛ أي: على الدَّوامِ، ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ بكُفرِكُم واستِهزائِكُم؟

* * *

(٥٣) - ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾.

﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ﴾ قال مُقاتلٌ: لمَّا قدِمَ حُيَيُّ بنُ أخطَبَ مكَّةَ قالَ

= من ﴿أَرَأَيْتُمْ ماذا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ﴾... إلخ تنديمهم أو تجهيلهم كما نص عليه بعض المحققين».
وأخيراً فقد ذهب الفخر الرازي في «تفسيره» (١٧/ ٢٦٣) إلى أن الجواب هو قولُه: ﴿مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ قال: «وهو كقولك: إنْ أَتيتُك ماذا تطعمُني؟».

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٨٥).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٨٥)، واستغربه.

لرسـولِ الله عليـه السَّـلامُ: أحقٌّ مـا تقـولُ أم باطـلٌ[١]؟ أي: أَبِجِدٍّ منك هـذا أم أنتَ هازِلٌ؟

﴿قُلْ﴾ يا محمَّدُ: ﴿إِي وَرَبِّي﴾: نعَمْ واللهِ ﴿إِنَّهُ﴾: إنَّ العذابَ، وقيل: إنَّ القرآنَ، وقيل: البعثَ والحسابَ ﴿لَحَقٌّ﴾: كائنٌ لا محالةَ، ﴿وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾: فائتين.

***

(٥٤) ـ ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ ۗ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ ۖ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ﴾: أشرَكَتْ وكفَرَتْ ﴿مَا فِي الْأَرْضِ﴾ منَ المُلكِ والمالِ ﴿لَافْتَدَتْ بِهِ﴾ لإزالةِ العذابِ عن نفسِه، ولكنْ لا يُؤخَذُ الفِداءُ.

﴿وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾؛ أي: كتَمُوها. وقيل: أظهَرُوها[٢]، وهذا أولى؛ لأنَّه ليس ثَمَّ وقتُ تَصنُّعٍ، وقيل: انطَوَوا لا عن قصدٍ.

﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ليس هذا تكرارًا؛ لأنَّ الأوَّلَ في قومٍ وهذا في آخَرين.

***

(٥٥) ـ ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فلا مانعَ من عذابِه، وقيلَ: فلا يقبلُ فداءً، ﴿أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾؛ أي: وعدُه وعقابُه[٣] كائنانِ لا خُلفَ فيهما، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

---

(١) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ١٢٠) عن قتادة ومقاتل بلفظ: «أحقٌّ هذا العذاب».

(٢) نص علماء اللغة على أن الفعل (أسرَّ) من الأضداد. انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٣٥٧)، و«الأضداد» للأنباري (ص: ٤٥).

(٣) في (ن): «ووعيده».

(٥٦) - ﴿هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

﴿هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾ في الدُّنيا ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ في العُقبى.

* * *

(٥٧) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾؛ أي: ما فيه وَعْظٌ وزَجْرٌ ﴿وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾: ودَواءٌ لداءِ الجهلِ والشَّكِّ ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾: نجاةٌ لهم، وهذا كلُّه من صفةِ القرآنِ، وهو المُرادُ به[1].

* * *

(٥٨) - ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾.

﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ﴾: الإسلامِ ﴿وَبِرَحْمَتِهِۦ﴾: القرآنِ.

وقيل: ﴿بِفَضْلِ ٱللَّهِ﴾: القرآنِ ﴿وَبِرَحْمَتِهِۦ﴾: الإسلامِ.

﴿فَبِذَٰلِكَ﴾؛ أي: بهما ﴿فَلْيَفْرَحُوا۟﴾ لا بما أُوتوا منَ المالِ ﴿هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ من حُطامِ الدُّنيا؛ فإنَّها فانيةٌ زائلةٌ عن قريبٍ، وإنَّ ثوابَ هذا لصاحبِهِ باقٍ ثابتٌ.

* * *

(٥٩) - ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾.

---

(١) «به»: من (ن).

﴿قُلْ أَرَءَيْتُم﴾: أخبروني: ﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ﴾: مطرٍ، وهو سببُ النَّباتِ، وفيه معاشٌ للحيوانِ. ﴿فَجَعَلْتُم مِّنْهُ﴾ منَ الرِّزقِ، وقيل: ممَّا أنزلَ ﴿حَرَامًا وَحَلَٰلًا﴾ يعني: قوله: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا﴾ [الأنعام: ١٣٦]، وقوله: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ﴾ الآية [المائدة: ١٠٣]. ﴿قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾ فيه وأمرَكُم به ﴿أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾: تكذِبون؟!

* * *

(٦٠) ـ ﴿وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾.

﴿وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾؛ أي: ينسُبون ذلك إليه، هذا تهديدٌ؛ أي: لا يظنُّوا لأنفسِهم خيرًا ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾.

وقيل: أيحسَبونَ أن يصفَحَ عنهم؟! كلا.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ بتأخيرِ العذابِ وبما أنزَلَ منَ الرِّزقِ ووسَّعَ على العبادِ، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾؛ أي: النَّاسِ ﴿لَا يَشْكُرُونَ﴾ اللهَ على نِعَمِه.

* * *

(٦١) ـ ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾.

﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ﴾ في حالٍ وأمرٍ من أمورِكَ.

الزَّجَّاجُ: العبادةُ[1].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٦).

وقيل: الشَّأنُ: كلُّ أمرٍ قُدِّرَ، تقولُ: شَأَنْتُ زيدًا أشأَنُه: قصَدْتُه، واشأَنْ شأنَكَ: اعمَلْ عمَلَكَ.

﴿وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ﴾؛ أي: منَ الشَّأنِ، وقيل: منَ الله، وقيل: منَ القرآنِ؛ أي: بعضًا منه.

﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾ عمَّمَ الخطابَ ﴿إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ﴾ أي: شُهداءَ.

وقيل: حاضِرينَ؛ فيكونُ (على) بمعنى: (مع).

ومعنى ﴿تُفِيضُونَ﴾: تخوضُونَ وتنتشِرونَ[1] في الحديث، وقيل: تندفِعُونَ في تكذيبِ العذابِ.

قولُه: ﴿فِيهِ﴾: في العملِ، وقيل: في القرآنِ.

﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ﴾: لا يَغيبُ عن علمِه ﴿مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾: وزنِ نملةٍ صغيرةٍ، وقيل: الذَّرَّةُ: الهباءُ. ﴿فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾: في اللَّوحِ المحفوظِ.

قُرِئَ بالرَّفعِ والنَّصبِ[2]، الرَّفعُ من وجهَين:

أحدُهما: أن يكونَ عطفًا على محلِّ ﴿مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾[3].

والثَّاني: أن يكونَ بالابتداءِ، وخبرُه ﴿إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾، حكاهُما الزَّجَّاجُ وغيرُه[4].

---

(١) في (و): «وتنشرون»، وقد ذكر ابن سيده في «المخصص» (٤/ ٣٨١) أن معنى أفاضوا في الحديث: انتشروا.

(٢) قرأ حمزة بضم الراء في: (ولا أصغرُ) (ولا أكبرُ)، والباقون بفتحها. انظر: «السبعة» (ص: ٣٢٨)، و«التيسير» (ص: ١٢٣).

(٣) لأنه اسم مجرور لفظاً مرفوع محلًا على أنه فاعل (يعزب). انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٤٧٠).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٦).

والنَّصبُ من وجهَينِ:

أحدُهما: أن يكونَ عطفًا على لفظِ ﴿مِّثْقَالِ﴾، أو عطفًا على ﴿ذَرَّةٍ﴾؛ فيكونُ مجرورًا في الحكمِ فُتِحَ لأنَّه لا ينصرفُ(١).

والثّاني: نصبٌ على التَّبرئةِ(٢)، و﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ﴾ خبرُه، وهذا الوجهُ غيرُ ممتنعٍ وإنْ لـم أُسبَقْ إليه فيما علِمْتُ(٣).

فمَن رفعَ أو فتحَ على المحلِّ، فقولُه: ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ﴾ مُشكِلٌ، وذهبَ النُّحاةُ إلى أنَّ التَّقديرَ: ما ذلك كلُّه إلّا في كتابٍ، فيحسنُ الوقفُ على ﴿وَلَآ أَكۡبَرَ﴾.

***

(٦٢) - ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾.

﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ﴾: هم المُؤمنونَ المُخلِصون ﴿لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ على الدَّوامِ ﴿وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ إذا حزِنَ النّاسُ.

***

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٦)، و«الحجة» لأبي علي (٤/ ٢٨٥).

(٢) قوله: «التبرئة»؛ يعني به: «لا» النافية للجنس.

(٣) لم أقف على أحد سبق المصنف إلى هذا القول، وقد مال إليه الزمخشري في «الكشاف» (٢/ ٣٥٥)، واستشكل العطف، وذكر أبو حيان في «البحر» (٦/ ٧٩) أن الزمخشري تبع الزجاج، وقد وهم في هذا؛ فالزجاج قوله الذي تقدم، والزمخشري إنما تبع المصنف، وقد ذكر المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٨٨) هذا الوجه فقال: «الثاني، وهو الغريب: أنه بني مع (لا) على الفتح، وما بعده الخبر؛ لأنه لما جاز رفعه على الاستئناف جاز فتحه على التبرئة»، وقد قوّى ابن هشام في «مغني اللبيب» (ص: ٣١٧) رأي المصنف؛ ورأى أنه يُخرج من إشكال ثبوت الغروب عند ثبوت الكتاب الذي يرد على القول بالعطف.

(٦٣) ـ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ الشِّركَ والمعاصيَ، يجوزُ أن يكونَ وصفًا لهم[1]، ويجوزُ أن يكونَ مُبتدأً، ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾ خبرُه.

* * *

(٦٤) ـ ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

قولُه: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ قيل: هو قولُه تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [النور: ٥٥].

وقيل: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾ عندَ النَّزعِ.

وقيل: هي الرُّؤيا الصّالحةُ يراها المُؤمنُ لنفسِه أو يراها له مُؤمنٌ، جاء ذلك عن النَّبيِّ عليه السَّلامُ مرفوعًا[2].

﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾: لا مانعَ لإمضائِها، ولا خُلفَ لوعدِه.

﴿ذَٰلِكَ﴾: إشارةٌ إلى مدلولِ البُشرى أو إلى التَّبشيرِ ﴿هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾: الظَّفرُ بالبُغيةِ.

* * *

---

(١) أي: الاسم الموصول ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يجوز أن يكون في محل نصب صفة ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ وقد ذكر النحاس أنه بدل، وأجاز مكي البدل والنعت. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ١٥٢)، ولمكي (١/ ٣٤٨).

(٢) رواه الترمذي (٢٢٧٣) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، وقال: «حديث حسن».
ورواه الإمام أحمد (٢٢٧٦٧)، والترمذي أيضاً (٢٢٧٥) عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

(٦٥) ـ ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾.

﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ﴾: تكذيبُهم إيَّاكَ وإشراكُهم بالله، وتمَّ الكلامُ، ثمَّ استأنَفَ فقال: ﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ ﴾: القدرةَ والغلبةَ له ﴿جَمِيعًا ﴾.

وقُرِئَ في الشَّواذِّ: (أنَّ العِزَّةَ) بالفتح[1]؛ أي: لأنَّ العِزَّةَ لله[2].

وذكرَ القُتَبِيُّ في هذا فصلًا لا طائلَ تحتَه[3].

﴿هُوَ ٱلسَّمِيعُ ﴾ لقولِهم ﴿ٱلْعَلِيمُ ﴾ بفعلِهم.

***

(٦٦) ـ ﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾.

﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ مِنَ الملائكةِ والإنسِ والجنِّ؛ أي: كلُّهم مملوكُونَ له ﴿وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ﴾ قولُه: ﴿شُرَكَآءَ ﴾ مفعولُ ﴿يَدْعُونَ ﴾، ومفعولُ ﴿يَتَّبِعُ ﴾ محذوفٌ تقديرُه: علمًا ويقينًا[4].

وقيل: ﴿ما﴾ للاستفهامِ، والتَّقديرُ: يتَّبعُه[5].

---

(١) نسبت لأبي حيوة. انظر: «الكشاف» للزمخشري (٢/ ٣٥٧)، و«التفسير الكبير» للرازي (١٧/ ٢٧٩).

(٢) «لله»: من (ن).

(٣) لعل المراد ما نقله ابن عطية في «المحرَّر الوجيز» (٣/ ١٢٩) عن ابن قتيبة أنه قال: «لا يجوز فتح همزة (إن) في هذا الموضع، وهو كفر»، ولم أقف على كلام ابن قتيبة فيما بين يدي من كتبه.

(٤) استظهر أبو حيان «البحر» (٦/ ٨٤) أن ﴿شُرَكَآءَ ﴾ مفعول ﴿يَتَّبِعُ ﴾، ولم يجز ذلك العكبري في «التبيان» (٢/ ٦٨٠)، وذكر الوجهين. الذين ذكرهما المصنف.

(٥) أي: (مَا) للاستفهام على وجه الإنكار، وهو نصب بـ(يَتَّبِعُ)، و﴿شُرَكَآءَ ﴾ منصوب بـ﴿يَدْعُونَ ﴾. =

﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ في عبادةِ الأصنامِ؛ لأنَّهم زعَمُوا أنَّ الله أعظَمُ من أن يُعبَدَ من دونِ واسطةٍ ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ وما هم إلّا كاذِبون.

* * *

(٦٧) - ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾.

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ﴾؛ أي: خلَقَ ﴿لِتَسْكُنُواْ فِيهِ﴾ وتستَريحوا من تعبِ النَّهارِ ونَصَبِه ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ لتُبصِروا فيه، كقولك: ليلُه قائمٌ ونهارُه صائمٌ[1].

وقيل: ﴿النّهار مبصرًا﴾: مُضيئًا، من قولِهم: أبصَرَ النَّهارُ: إذا أضاءَ.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾: يعقِلونَ أنْ لولا تعاقبُهما لَمَا كان نباتٌ ولا حيوانٌ.

* * *

(٦٨) - ﴿قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ ٱلْغَنِىُّ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍ بِهَٰذَآ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾؛ أي: تبنّاه ﴿سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾ عن الولدِ والشَّريكِ ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: مُلكًا.

﴿إِنْ عِندَكُم﴾: ما عندكُم ﴿مِّن سُلْطَٰنٍ﴾: حجَّةٍ وبرهانٍ ﴿بِهَٰذَآ﴾: على هذا القولِ، ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ جهْلًا منكم؟!

= انظر: «غرائب التفسير» (١/ ٤٨٩).

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٩٠)، واستغربه.

(٦٩) ـ ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾.

﴿ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ﴾ في اتِّخاذِ الولدِ ﴿لَا يُفْلِحُونَ ﴾: لا ينجون منَ النَّارِ، ولا يفوزُونَ بالجنَّةِ.

* * *

(٧٠) ـ ﴿ مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴾.

﴿ مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ﴾: لهم مُهلةٌ مُـدَّةَ بقائِهم، ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ﴾ بالموتِ والبعثِ، ﴿ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ ﴾: النّارَ على الدَّوامِ، ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴾: بكُفرِهم.

* * *

(٧١) ـ ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴾.

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ ﴾: واقرأ عليهم ﴿نَبَأَ نُوحٍ ﴾: خبرَه مع قومِه ﴿إِذْ قَالَ ﴾: حينَ قال ﴿لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم ﴾: عَظُمَ عندكُم ﴿مَّقَامِى ﴾: كَوني بينَ أظهُرِكُم، وقيل: ثباتي على ما أنا عليه، ﴿وَتَذْكِيرِى ﴾ إيَّاكُم ﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾: وتلاوتي عليكم كتابَ الله، ﴿فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ ﴾: وثِقتُ به وفوَّضتُ أمري إليه ﴿فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ ﴾: اعزِمُوا عليه، وقيل: أعِدُّوا له.

﴿وَشُرَكَآءَكُمْ ﴾: واجمَعُوا شُركاءَكم، تقولُ: أجمعتُ الأمرَ وجمعتُ القومَ[1]، فيكونُ منصوبًا بمُضمَرٍ.

---

(١) في (و): «الشركاء».

وقيل: مع شُركائِكُم، ويُقوِّيه قراءةُ مَن قرأ بالرَّفعِ[١].

﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾: مُلْتبِسًا، لا تدرونَ وجهَه، واجعلوه ظاهرًا مُنكشِفًا، وقيل: غمًّا عليكم، وقيل: معناه: افعَلُوا ما تُريدونَ على مشورةٍ؛ لتكونوا على بيِّنةٍ.

﴿ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ﴾؛ أي: اقضُوا ما أنتم قاضُونَ، وافعَلُوا ما تُريدونَ، وقيل: افْرُغُوا عنِّي[٢]، من قضَيتُ دَيني، وقيل: اقتُلوني إنْ قدَرْتُم.

ابنُ بحرٍ: أعلِمُوني بآخرِ ما عندكُم، من قولِه: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الإسراء: ٤]؛ أي: أعلَمْناهُم[٣].

﴿وَلَا تُنظِرُونِ﴾: لا تُؤخِّرون.

ابنُ بحرٍ: لا تُؤخِّروا إعلامي.

والمعنى: ما أخافُ غائلةَ عداوتِكُم.

* * *

---

(١) هي قراءة يعقوب، وقرأ باقي العشرة بالنصب. انظر: «النشر» (٢/ ٢٨٦). وفيه اعتراض وجواب ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٩٠) فقال: «فإن قيل: إنما يصح المفعول معه حيث يصح العطف، والعطف هاهنا ممتنع؟ الجواب: ليس هو في تقدير العطف على ﴿أَمْرَكُمْ﴾، بل في تقدير العطف على الضمير في ﴿فَأَجْمِعُوا﴾؛ أي: أجمعوا أنتم مع شركائكم أمركم».

(٢) كذا في النسخ الخطية، ولو كانت العبارة: «افرُغوا إليّ»، أو «افرَغوا فنّي» لكان أوضح. انظر: «تفسير الطبري» (١٢/ ٢٣٤)، و«الغريبين» للهروي (٥/ ١٥٥٦).

(٣) نقل نحوه الرازي في «التفسير الكبير» عن القفال فقال: «ومجاز دخول كلمة (إلى) في هذا الموضع من قولهم: برئت إليك، وخرجت إليك من العهد، وفيه معنى الإخبار».

(٧٢) ـ ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن الإيمانِ وقَبولِ كلامي ﴿فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ﴾ فيه وجهانِ:

أحدُهما: ما سألتُكُم من أجرٍ فأوجَبَ التَّولِّي.

والثَّاني: ما سألتُكُم من أجرٍ ففاتَني بتولِّيكُم(١).

﴿إِنْ أَجْرِيَ﴾: ثوابي ﴿إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾: المُستسلِمين لأوامِره ونَواهيه.

* * *

(٧٣) ـ ﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ﴾.

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾: داموا على تكذيبِه ﴿فَنَجَّيْنَاهُ﴾ منَ الغرَقِ ومُقاساةِ الكفَّارِ ﴿وَمَن مَّعَهُ﴾: ونجَّينا مَن معَه ﴿فِي الْفُلْكِ﴾؛ أي: في السَّفينةِ، وكانوا ثمانينَ نفرًا ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ﴾ عمَّن كانوا في الأرضِ ﴿وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾: أهلَكْناهم بالماءِ ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ﴾: الكافرين، وخَوِّفْ أُمَّتَك مثلَ ما نزَلَ بهم.

* * *

(٧٤) ـ ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا﴾: أرسَلْنا ﴿مِن بَعْدِهِ﴾: بعدَ نوحٍ ﴿رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ﴾ كلُّ رسولٍ إلى

---

(١) في (و): «بتوليتكم».

قومٍ، والقومُ تقعُ على الكثيرِ الجمَّاءِ[١] الغَفيرِ وعلى القليلِ بعد أن يكونوا[٢] جمعًا[٣].

﴿فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: بالمُعجِزاتِ ﴿فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُ﴾؛ أي: قبلَ مجيئِهم، والمعنى: أصَرُّوا على الكفرِ بعد المجيءِ كما كانوا عليه قبل المجيءِ.

وقيل: يُريدُ بقولِه: ﴿مِن قَبْلُ﴾: ما حكمَ اللهُ عليهم بالشَّقاوةِ[٤] والتَّكذيبِ.

وقيل: ﴿بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُ﴾: كنايةٌ عن قومِ نوحٍ؛ أي: قبل هؤلاءِ.

﴿كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾: هكذا نطبعُ على قلوبِ الكافرينَ.

***

(٧٥) ـ ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم﴾: بعد هؤلاءِ الرُّسلِ ﴿مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾: الوليدِ بنِ مصعبٍ[٥] ﴿وَمَلَإِيْهِۦ﴾: جمعِه ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾: اليدِ والعصا وغيرِهما ﴿فَٱسْتَكْبَرُواْ﴾: تمرَّدُوا وطلَبُوا الكبرَ ﴿وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾: مُذنبين، أجرَمَ: أتى بالجُرمِ واكتسبَ الجُرمَ، وهو الذَّنبُ العظيمُ الذي يقطعُ الوُصْلةَ، من جَرَمه: إذا قطعَه.

***

---

(١) في (و): «الجمع».

(٢) في (و): «يكون».

(٣) لم أقف على مثل هذا القيد، وإنما يُنبّه عادة على أن القوم هو الرجال الذين يقوم بعضهم ببعض، فلا يدخل فيه النساء إلا تبعاً، وأنه يدل على أكثر من ثلاثة. انظر: «الزاهر» للأنباري (٢/ ١٦١)، و«الصحاح» مادة: (ق و م) (٧/ ٢٠١٦)، و«فقه اللغة» (ص: ٢٣٤)، و«المخصص» (١/ ٣١٤).

(٤) في (ن): «الشقاوة».

(٥) انظر في اسمه فرعون: «تفسير مقاتل» (٤/ ٦٨٨)، و«الطبري» (١/ ٦٤٢).

(٧٦) ـ ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ﴾؛ أي: مُعجزاتُه ﴿مِنۡ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحۡرٞ﴾: حيلةٌ وتمويهٌ ﴿مُّبِينٞ﴾: ظاهرٌ.

* * *

(٧٧) ـ ﴿قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمۡۖ أَسِحۡرٌ هَٰذَا وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ﴾.

﴿قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمۡۖ أَسِحۡرٌ هَٰذَا﴾ محكيُّ القولِ مُضمَرٌ تقديرُه: ﴿أَتَقُولُونَ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمۡۖ﴾: سِحرٌ، ثمَّ قال موسى مُنكِرًا عليهم: ﴿أَسِحۡرٌ هَٰذَا﴾؟

وقيل: الألفُ زيادةٌ وما بعدَه محكيُّ القولِ.

وقيل: هو استفهامُ تعجُّبٍ، وهو محكيُّ القولِ.

﴿وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ﴾ من تمامِ كلامِ موسى.

الزَّجَّاجُ: أي: مع علمي بأنَّ السَّاحرَ لا يُفلِحُ كيف آتي بالسِّحرِ[١]؟!

وقيل: معنى ﴿لا يفلح السّاحرون﴾: يضمَحِلُّ أصلُ[٢] سحرِهم ولا يبقَى.

* * *

(٧٨) ـ ﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا نَحۡنُ لَكُمَا بِمُؤۡمِنِينَ﴾.

﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا﴾: لتصُدَّنا وتصرِفَنا، واللَّفتُ: الصَّرفُ[٣]، تقولُ: لَفَتَ عُنقَه؛ أي: صرَفَه، من بناءِ (لَفَت)[٤].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٩)، وفيه: «والمفلح الذي يفوز بإرادته؛ أي: فكيف يكون هذا سحراً وقد أفلح الذي أتى به؟ أي: فاز، وفلح في حجته».

(٢) «أصل»: ليست في (ن).

(٣) في هامش (ن): في نسخة: «الالتفات الانصراف».

(٤) في (و): «فتل»، وهما أخوان، قال الزمخشري في «الكشاف» (٢/ ٣٦٢): «واللفت والفتل أخوان، =

﴿وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ﴾: الملكُ والعظمةُ والعلوُّ ﴿فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾: بمُصدِّقين.

* * *

(٧٩) - ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ﴾.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ﴾: حاذِقٍ في سحرِه.

* * *

(٨٠) - ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ﴾.

﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ﴾؛ أي[1]: إنْ كنتُم لا بدَّ مُلْقِين.

* * *

(٨١) - ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾.

﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟﴾؛ أي: حبالَهم وعِصيَّهم ﴿قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ﴾؛ أي: الذي جئتُم به السِّحرُ، لا ما قُلتُم فيه: إنَّه سحرٌ.

ومَن قرأ: ﴿آلسِّحرُ﴾[2] بالاستفهامِ[3]، يكونُ ﴿مَا﴾ للاستفهامِ، و﴿آلسِّحرُ﴾ بدلٌ منه، و﴿جِئْتُم﴾ الخبرُ، وإنْ شئتَ جعلتَ ﴿آلسِّحرُ﴾ مبتدأً، وأضمَرْتَ له خبرًا تقديرُه: آلسِّحرُ جِئتُم به؟

= ومطاوعهما الالتفات والانفتال»، وقال الأزهري في «تهذيب اللغة» (١٤/ ٢٠٣): «اللَّفت اللَّيُّ، يُقال: لَفَتَ الشيءَ وفتَله: إذا لَوَاه، وهذا مقلوب».

(١) «أي»: ليست في (ن).

(٢) هي قراءة أبي عمرو، والباقون بغير مد. انظر: «السبعة» (ص: ٣٢٨)، و«التيسير» (ص: ١٢٣).

(٣) في (و): «بالألف».

قولُـه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ﴾: يُظهِـرُ للنَّاسِ بُطلانَه ويجعلُه هبـاءً منثورًا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾: الكافرين.

* * *

(٨٢) ـ ﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾.

﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ﴾: ما أتى به موسى؛ أي: يُثبِتُ ما جئتُ به ويُبيِّنُ للنَّاسِ صحَّتَه، وينصُرُه عليكم فتصيرون مغلوبين.

﴿بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾: بأمرِه، وقيل: بوعدِه موسى، وقيل: بحكمِه في اللَّوحِ المحفوظِ.

﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ ذلك.

* * *

(٨٣) ـ ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾.

﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ﴾؛ أي: بموسى، وقيل: لأجلِ موسى ﴿إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ﴾: قومِ موسى، وقيل: قومِ فرعونَ؛ يُريدُ: القِبْطَ.

والذُّرِّيَّةُ: الأولادُ والشُّبَّانُ منَ القومِ.

مُجاهدٌ: طالَ الزَّمانُ، ففني الآباءُ وآمنَ به الأولادُ[1].

ابنُ جريرٍ: كانت الذُّرِّيَّةُ آباءُهم منَ القِبْطِ وأمَّهاتُهم من بني إسرائيلَ[2].

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: معناه: ما آمنَ به إلَّا قليلٌ من قومِه[3].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٢٤٥). وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٣٨٢) لابن أبي شيبة وابن المنذر وأبي الشيخ.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١٢/ ٢٤٧).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٢٤٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٩٧٥).

﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ﴾؛ أي: أشرافِهم، وفي هذا الجمعِ أقوالٌ:

قال بعضُهم: هو كما يقولُ مَن له أتباعٌ مُطيعون: نحنُ نفعلُ، وإنَّا لنأمرُ.

وقيلَ: يُريدُ: فِرعونَ وجُنودَه وملأَهُم، فيعودُ إلى الجنودِ.

وقيل: على خوفٍ من آلِ فرعونَ وملَئِهم، فحُذِفَ المُضافُ[١].

وقيلَ: ومَلَأِ الذُّرِّيَّةِ؛ أي: آبائهم[٢]، وكانوا منَ القِبْطِ، فخافُوهم وخافُوا فرعونَ؛ أي: أسرُّوا إيمانَهم خوفًا منهم.

﴿أَن يَفْتِنَهُمْ﴾: يُهلِكَهم. وقيل: يُعذِّبَهم فيحملَهم على الرُّجوعِ إلى الكفرِ.

﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ﴾: مُرتفعِ الأمرِ ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾: أرضِ مصرَ، وقيل: ﴿لَعَالٍ﴾: جبَّارٌ مُستكبرٌ طاغٍ باغٍ ﴿وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾: المُعتَدِين، وقيل: يُكثِرُ القتلَ.

* * *

(٨٤) ـ ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ﴾: فوِّضُوا أمرَكُم إليه والزَمُوا الإيمانَ ﴿إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ جعلَ الإيمانَ والإسلامَ شرطًا في التَّوكُّلِ، وهو على التَّرتيبِ، كما تقولُ: إنْ دخَلْتِ الدَّارَ فأنتِ طالقٌ إنْ كلَّمتِ زيدًا، فهما شرطانِ والجزاءُ واحدٌ، وليس هذا شرطًا دخلَ على شرطٍ[٣].

* * *

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٩١)، وعدَّه من العجيب، ثم ضعَّفه؛ لأنه لا يجوز أن تقول: زيد جاءت، وأنت تريد: جاريةُ زيد، ولا: هندٌ جاء، وأنت تريد: غلامُ هند.

(٢) في (ن): «آباءهم»، وفي (و): «أباهم»، والصواب المثبت.

(٣) انظر: «شرح الكافية الشافية» لابن مالك (٣/ ١٦١٤)، و«المغني» لابن هشام (ص: ١٠١)، وقد أفرد ابن هشام هذا البحث برسالة طبعت بعنوان: «اعتراض الشرط على الشرط» فانظرها.

(٨٥) ـ ﴿فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ أي: لا تُسلِّطْهم علينا فيفتِنُونا.

وقيل: لا تنصُرْهم علينا فيظنُّوا أنَّهم على الحقِّ.

وقيل: لا تُسلِّطهم علينا فنرتاب.

* * *

(٨٦) ـ ﴿وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

﴿وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ وحُلْ بينَنا وبينَهم، وخلِّصْنا من مُشاهدتِنا إيَّاهُم.

* * *

(٨٧) ـ ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا﴾ أبو عليٍّ: بوَّأ وتبوَّأ كلاهما مُتعدٍّ[1]، كقطَّعتُه وتقطَّعتُه، وخلَّصتُه وتخلَّصتُه[2].

وقيل: بوَّأتُ لنفسي منزلًا، وتبوَّأتُ لغيري منزلًا.

﴿بِمِصْرَ﴾ قيل: هو الإسكندريَّةُ، وقيل: مصرُ فرعونَ.

﴿بُيُوتًا﴾ يسكنون فيها، وقيل: بيوتًا يُصلُّون فيها، وكان فرعونُ أمرَ بهدمِ المواضعِ التي كانوا يُصلُّون فيها، فأُمِروا أن يُصلُّوا في بيوتِهم.

﴿وَٱجْعَلُوا۟﴾ أنتما وقومُكما ﴿بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾؛ أي: صلُّوا فيها.

---

(١) في (ن): «متعديان».

(٢) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٤/ ٣٠٩).

الحسنُ: توجَّهوا إلى الكعبةِ[١].

سعيدُ بنُ جُبيرٍ: اجعلُوا بيوتَكم يُقابِلُ بعضُها بعضًا[٢].

﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يا موسى.

ابنُ جريرٍ[٣]: بشِّرْ يا محمَّدُ المؤمنين بالنُّصرةِ في الدُّنيا والجنَّةِ في العُقبى[٤].

***

(٨٨) - ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً﴾: حُليًّا منَ اللِّباسِ والمراكبِ ﴿وَأَمْوَٰلًا﴾: ذهبًا وفضَّةً ونِعمًا وضِياعًا ﴿في الحياةِ الدُّنيا ربَّنا ليضِلُّوا عن سبيلِكَ﴾[٥] اللّامُ لامُ العاقبةِ؛ كقولِه تعالى: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا﴾ [القصص: ٨]؛ أي: ليكونَ عاقبةُ ذلك الضَّلالَ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٢٥٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٩٧٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما. ورواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٢٥٨) عن مجاهد.
وذكر الرازي في «التفسير الكبير» (١٧/ ٢٩١) أنه نقل عن ابن عباس أنه قال: «كانت الكعبة قبلة موسى عليه السَّلامُ». قال: «وكان الحسن يقول: الكعبة قبلة كل الأنبياء».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٢٦٠)، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٩٧٧) عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٩١)، واستغربه.

(٣) في (ن): «ابن بحر».

(٤) انظر: «تفسير الطبري» (١٢/ ٢٦٠).

(٥) قوله: ﴿ليضِلُّوا﴾ ضبط في النسختين بضم الياء، لكن الظاهر مما سيأتي أنها بفتحها، وهي قراءة ابن عامر وابن كثير وأبي عمرو ونافع، وقرأ باقي السبعة: ﴿لِيُضِلُّوا﴾ بضم الياء من الرباعي. انظر: «السبعة» (ص: ٢٦٧)، و«التيسير» (ص: ١٠٦).

وقيل: هي لامُ (كي)، والاستفهامُ مُقدَّرٌ[١].

وقيل: لامُ الأمرِ على وجهِ الدُّعاءِ عليهم[٢].

وقيل: لئلَّا يَضِلُّوا، و(لا) مُقدَّرٌ[٣].

﴿رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ﴾: اجعلْها حجارةً. مُجاهدٌ وقتادةُ ومُقاتلٌ: صارَتْ دنانيرُهم ودراهمُهم وزُروعُهم وسَكَرُهم[٤] حجارةً، وبقي شكلُها ونقشُها[٥].

والطَّمسُ: إذهابُ الشَّيءِ.

﴿وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾: اطبَعْ عليها. الضَّحَّاكُ: أهلِكْهُم[٦].

وقيل: اشدُدْ على قلوبِهم؛ ليصبِروا على الأموالِ المطموسةِ، ولا ينفِرُوا إلى الخِصْبِ والسَّعةِ.

﴿فَلَا يُؤۡمِنُواْ﴾ قيل: منصوبٌ بالجوابِ[٧]. وقيل: دُعاءٌ عليهم؛ أي: لا آمَنُوا.

---

(١) أي: الاستفهام مقدر في أول الكلام تقديره: أئنك آتيت، ذكر ذلك المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٩٢)، وكذلك قرأ بالاستفهام الفضل الرقاشي. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦٢)، و«الكشاف» (٢/ ٣٦٦).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٩٢)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٩٢)، وعدَّه من العجيب.

(٤) لعل المراد بالسُّكر هنا: الطعام، ويدلُّ على ذلك ما رُوي عنه السدي: «مسخ الله أموالهم حجارة؛ النخل والثمار والدقيق والأطعمة. انظر: «البسيط» للواحدي (١١/ ٢٩٤)، و«القاموس المحيط» مادة (س ك ر).

(٥) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١١٦٦)، والطبري في «تفسيره» (١٢/ ٢٦٥)، عن قتادة بلفظ: «بلغنا أن حروثاً لهم صارت حجارة»، وذكره عن مقاتل: مكي في «الهداية» (٥/ ٣٣١٥)، وروي عن القرظي والضحاك وأبي العالية، كما في «الدر المنثور» (٤/ ٣٨٤).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٢٦٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٩٧٩) بلفظ: «أهلكهم كفارًا».

(٧) النصب بالجواب هو النصب بأن المضمرة بعد فاء السببية أو واو المعية. انظر: «الأصول» لابن السراج (٢/ ١٧٩)، و«علل النحو» لابن الوراق (ص: ٤٣٠).

وقال صاحبُ «النَّظمِ»: فلن يُؤمِنُوا، فصارَ النُّونُ ألفًا، وهذا ضعيفٌ[١].

وقيل: فلا يُؤمنون، وحُذِفَ النُّونُ تخفيفًا، وهذا أيضًا ضعيفٌ[٢].

وقيل: تقديرُه: ليَضِلُّوا فلا يُؤمِنُوا، وفي الآيةِ تقديمٌ وتأخيرٌ، وهذا هو الوجهُ.

﴿حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ هو الغرقُ.

* * *

(٨٩) ـ ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾: ثنَّى لأنَّ التَّقديرَ: قال موسى وهارونُ: ربَّنا.

وقيل: كان موسى يدعو وهارونُ يُؤمِّنُ، والمُؤمِّنُ داعٍ[٣].

ومعنى ﴿أُجِيبَت﴾: استجابَ الله دُعاءَكما.

وقيل: هو من قولِـهم: أَجِبِ الدَّاعيَ؛ أي: مُرْ إليه[٤].

﴿فَٱسْتَقِيمَا﴾ على ما أنتما عليه، ولا تترُكا دعاءَ فرعونَ وموعظتَه إلى أن يأتيَ العذابُ، وكانَ بينَ هذا الدُّعاءِ والغرقِ أربعون سنةً.

وقيل: استقيما على طاعتي واتِّباعِ أمري.

﴿وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الصَّوابَ، وقيل: سبيلَ الكفَّارِ والجُهَّالِ.

وقيل: لا تستعجِلا قضائي، فلا خُلفَ لوعدي ووعيدي.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٩٢)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٩٢)، وعدَّه من العجائب.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٢٤٧)، و«معاني القرآن» للفراء (١/ ٤٧٨).

(٤) قوله: «مُرْ إليه» كذا وقع في النسختين، والضبط من (و)، ولم تضبط الراء في (ن)، ولم يظهر لي معناها، ولعلها: «مُرَّ إليه».

ومَن قرأ بالتَّخفيفِ[(١)] فهو نفيٌ؛ أي: أنتما لا تتَّبعانِ سبيلَ الذين لا يعلمون، وقيل: حالٌ؛ أي: غيرَ مُتَّبعَين[(٢)]، وقيل: هي المُخفَّفةُ دخلَتْ للتَّوكيدِ.

***

(٩٠) ـ ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾.

﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ﴾؛ أي: صيَّرناهم إلى الشَّطِّ الآخرِ، تقولُ: جازَ الشَّيءَ وجاوَزَه واجتازَه: فارقَه فصارَ قُدَّامَه، وجاوزَ بغيرِه الشَّيءَ: جعلَه قُدَّامَه.

﴿فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ﴾؛ أي: تبِعَهم، ومعنى (أتبعَهُم): أدركَهم، و(اتَّبعَهم) موصولٌ[(٣)]: أخذَ في أثرِهم.

﴿بَغۡيٗا وَعَدۡوًا﴾: باغيًا عاديًا؛ أي: مُستكبِرًا ظالِـمًا.

وذلك أنَّ الله أمرَ موسى أن يخرُجَ ببني[(٤)] إسرائيلَ من مصرَ ليلًا، فاستعارَ بنو إسرائيلَ منَ القِبْطِ حُليَّهم بعلَّةِ عُرسٍ لهم، وسرى بهم موسى وهم ستُّ مئةِ ألفٍ وعشرون ألفًا، لا يُعدُّ فيهم ابنُ ستِّين ولا ابنُ عشرين سنةً، مُتوجِّهين إلى البحرِ، وماتَ أبكارُ القِبْطِ تلك اللَّيلةِ وشُغِلوا عن بني إسرائيلَ حتَّى أصبحوا ـ وهو قولُه: ﴿فَأَتۡبَعُوهُم مُّشۡرِقِينَ﴾ [الشعراء: ٦٠] ـ بعدَما دفَنُوا أولادَهم، فلمَّا بلغَ فرعونَ خروجُهم ركبَ في طلبِهم ومعه ألفُ ألفٍ وستُّ مئةِ ألفٍ[(٥)].

---

(١) قرأ ابن عامر في رواية ابن ذكوان: (ولا تتبعانِ) بتخفيف النون، والباقون بتشديدها. انظر: «السبعة» (ص: ٣٢٩)، و«التيسير» (ص: ١٢٣).

(٢) والنون على هذين القولين الأخيرين هي نون رفع المضارع.

(٣) أي: همزته همزة وصل، بخلاف (أتبع) فهمزته همزة قطع.

(٤) في (و): «بني».

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٤/ ٢٧٥) دون نسبة.

قال محمَّدُ بنُ كعبٍ: كان في عسكرِ فرعونَ مئةُ ألفِ حصانٍ أدهمَ سوى سائرِ الشِّياتِ(١)، وكان فرعونُ يكونُ في الدُّهْمِ، وكان هارونُ على مُقدِّمةِ بني إسرائيلَ، وموسى في السَّاقةِ، فلمَّا انتهَوا وقرُبَتْ منه مُقدِّمةُ فرعونَ وكانوا سبعَ مئةِ ألفِ رجلٍ، كلُّ رجلٍ على حصانٍ على رأسِه بيضةٌ وبيدِه حربةٌ، وفرعونُ خلفَهم في الدُّهْمِ، فقالَتْ بنو إسرائيلَ لموسى: أينَ ما وعَدْتَنا؟ هذا البحرُ أمامَنا إنْ دخلناه غرِقْنا، وفرعونُ خلفَنا إنْ أدركَنا قتلَنا، قال: ﴿كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٢]، فأوحى الله تعالى إليه أنِ اضرِبْ بعصاكَ البحرَ، فضَرَبَ فلم ينفلِقْ، وقالَ: أنا أقدَمُ منكَ وأشدُّ خَلقًا. فأوحى اللهُ تعالى إلى موسى أن كنِّه وقُل: انفَلِقْ أبا خالدٍ بإذنِ الله. ففعَلَ، فانفلَقَ البحرُ، وصارَ فيه اثنا عشرَ طريقًا، لكلِّ سبطٍ طريقٌ، وكشفَ الله عزَّ وجلَّ عن وجهِ الأرضِ فصارَتْ طرقًا يابسةً، وارتفَعَ من كلِّ طريقِ الماءُ كالجبلِ، وكانوا لا يرى بعضُهم بعضًا، ولا يسمعُ بعضُهم كلامَ بعضٍ، فقال كلُّ فريقٍ: قد غرِقَ أصحابُنا، فأوحى الله إلى الجبالِ من الماءِ تشبَّكي فتشبَّكَتْ، وصارَ فيه كهيئةِ الطِّيقانِ(٢)، فجعَلَ بعضُهم ينظرُ إلى بعضٍ، فلمَّا وصَلَ فرعونُ بجنودِه إلى البحرِ ورأوا البحرَ بتلكَ الهيئةِ قال فرعونُ: هابَني البحرُ. وخافُوا دخولَ البحرِ، وكان فرعونُ على حصانٍ، ولم يكُ في خيلِ فرعونَ فرسٌ أنثى، فجاءَ جبريلُ على فرسٍ وَدِيقٍ(٣)، وخاضَ البحرَ، وميكائيلُ يسوقُهم لا يشذُّ منهم رجلٌ، فلمَّا شمَّ أدهمُ فرعونَ ريحَ فرسِ جبريلَ ـ وفرعونُ لا يراه ـ انسلَّ خلفَ فرسِ جبريلَ في الماءِ، ولم يملِكْ فرعونُ من أمرِه شيئًا، واقتحَمَتِ الخيولُ خلفَه في الماءِ، فلمَّا دخَلَ آخرُهم

---

(١) جمعُ شِيَة، وهي كل لون يخالف معظم لون الفرس وغيره. انظر: «أدب الكاتب» لابن قتيبة (ص: ١٣٣)، و«الصحاح» مادة (و ش ي) (٦/ ٢٥٢٤).

(٢) في (و): «الطبقات»، وفي (ن): «الطباق»، والمثبت من «تفسير الثعلبي».

(٣) أتان ودوق ووديق: إذا أرادت الفحل. انظر: «جمهرة اللغة» مادة (د ق و) (٢/ ٦٧٧).

البحرَ وهمَّ أوَّلُهم أن يخرُجَ انطبقَ الماءُ عليهم، فلمَّا ألجمَ فرعونَ الغرقُ قالَ: آمنتُ بالذي آمنَتْ به بنو إسرائيلَ، فدسَّ جبريلُ في فيه من حمأةِ البحرِ وقالَ: ﴿ ءَآلْـَٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[1].

فلمَّا أخبرَ موسى قومَه بهلاكِ فرعونَ وقومِه، قالت بنو إسرائيلَ: ما ماتَ فرعونُ ولا يموتُ، فأمرَ الله البحرَ فألقى فرعونَ على السَّاحلِ، فرأته[2] بنو إسرائيلَ، وهو قولُه: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ ﴾: لحقَه الموتُ بالماءِ ﴿قَالَ ءَامَنتُ﴾: صدَّقْتُ موسى ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾؛ أي: بأنَّه، ومَن كسرَ[3] فبإضمارِ القولِ؛ أي: آمنتُ وقلتُ: إنَّه لا إلهَ إلّا الّذي، ويجوزُ أن يكونَ ﴿ءَامَنتُ﴾ تامًّا، ثمَّ استأنفَ فقالَ فرعونُ: إنَّه لا إلهَ إلّا الّذي[4].

قُطربٌ: ﴿إنَّه لا إلهَ إلّا الّذي﴾ من قولِ الله، وهذا ضعيفٌ.

﴿وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾: المُنقادين المُطيعينَ له.

***

(٩١) ـ ﴿ ءَآلْـَٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾.

﴿ ءَآلْـَٔنَ ﴾؛ أي: قالَ جبريلُ: آلآنَ تُؤمِنُ؟ وقيلَ: قالَ الله.

أي: أفي هذا الزَّمانِ تُؤمِنُ ﴿وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾؛ أي: كفَرْتَ ﴿وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾: المانِعين النّاسَ منَ الإيمانِ.

***

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٤/ ٢٧٥ ـ ٢٧٧)، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٢٧٥) من طريق محمد بن كعب عن عبد الله بن شداد، وسياق الثعلبي أتم.

(٢) في (و): «فرآه».

(٣) قرأ حمزة والكسائي بكسر الهمزة والباقون بفتحها. انظر: «السبعة» (ص: ٣٣٠)، و«التيسير» (ص: ١٢٣).

(٤) «ويجوز أن يكون ﴿ءَامَنتُ﴾ تامًّا ثم استأنف فقال فرعون: إنه لا إله إلا الذي»: ليست في (ن).

(٩٢) ـ ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴾.

﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ ﴾ ابنُ عبَّاسٍ في جماعةٍ: نُلقيك على نَجوةٍ منَ الأرضِ ليراكَ بنو إسرائيلَ ميتًا[1].

﴿بِبَدَنِكَ ﴾؛ أي: بدرعِكَ[2]، والمعنى: عليك سلاحُك، وذلك آيةٌ؛ لأنَّ الحديدَ يرسُبُ ولا يطفُو.

وقيل: ﴿بِبَدَنِكَ ﴾؛ أي: عُريانًا.

وقيل: نُخرِجُكَ صحيحًا لـم يأكُلْه شيءٌ من دَوابِّ الماءِ.

وقيل: نُخرِجُكَ على سوءِ عملِكَ.

وقيل: ﴿نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ ﴾: نُخرِجُكَ من ملكِكَ فريدًا وَحيدًا، من قولِه: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ﴾ [الأنعام: ٩٤].

وقيل: ﴿نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ ﴾: نُلقيكَ في البحرِ، منَ (النَّجا)، وهو ما سلَخْتَه عنِ الشّاةِ، أو ألقَيْتَه عن نفسِكَ من ثيابٍ وسلاحٍ.

---

(١) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٦/ ١٠٣) عن ابن عباس، وذكره الواحدي في «البسيط» (١١/ ٣٠٦) عن أبي عبيدة، وأبي عمرو بن العلاء، ويونس، وذكر أنه اختيار الزجاج وابن قتيبة. وانظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٢٨١)، و«معاني القرآن» للأخفش (١/ ٣٧٨)، و«غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ١٩٩)، و«معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٣٢)، ولم يصرح ابن قتيبة والزجاج باختياره، ورواه ابن الأنباري وأبو الشَّيخ عن يونس بن حبيب النَّحويّ كما في «الدر المنثور» (٤/ ٣٨٨)، وجعله المؤلف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٩٣) قول الجمهور.

(٢) ولم يرتض هذا القول الأخفش والنحاس. انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ٣٧٨)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ١٥٧).

وقيـل: عطفٌ على الاستفهامِ قبلَـه(١)؛ أي: أترجُـو النَّجاةَ؟ هيهـاتَ لا تنجُو، وهـذا ضعيـفٌ؛ لقولِـه سبحانه: ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾، ويُقـالُ: الـلامُ لامُ القسـمِ علـى ما سبق.

وقيل: نترُكُكَ حتَّى تغرقَ، والنَّجاءُ: التَّركُ.

وقيل: نجعَلُكَ علامةً، والنَّجاءُ: العلامةُ.

وقيل: نُغرِقُكَ، من قولِـهم: نَجا البحرُ أقوامًا: إذا أغرَقَهم(٢).

ويحتملُ أنَّه منَ (النَّجاءِ)(٣) الذي معناه: الإسراعُ؛ أي: نُنْجي إهلاكَك، وقولُه تعالى: ﴿بِبَدَنِكَ﴾ تأكيدٌ؛ كما تقولُ: قال بلسانِه، وجاء بنفسِه(٤). والله أعلم.

﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ﴾ في طولِ الزَّمانِ ﴿ءَايَةً﴾: عبرةً ونكالًا.

وقيل: لمَن تأخَّرَ عن قومِكَ.

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا﴾: في موسى وفرعونَ وسائرِ الآياتِ ﴿لَغَٰفِلُونَ﴾: لاهون.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٩٣)، واستغربه.

(٢) كذا في النسخ الخطية، ولم أقف على أحد سبق المصنف إلى هذا المعنى أو تابعه إلا أبو حيان في «البحر المحيط» (٦/ ١٠٣)، وقد ذكر المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٩٣) أنه استند إلى ما حكاه الأزهري من قولهم: أنجى؛ إذا غرق، والذي حكاه الأزهري إنما هو: عرق؛ بالعين المهملة. انظر: «تهذيب اللغة» (١١/ ١٣٦)، و«لسان العرب» (١٥/ ٣٠٥).

(٣) تقول العرب: النَّجا النَّجا والنَّجاء النَّجاء بالمدِّ والقصر إذا جمعوا بينهما، وإذا أفردوا قالوا: النَّجاء؛ مدُّوه ولم يقصروه. نقله أبو علي القالي عن أحمد بن عبيد في «المقصور والممدود» (ص: ٢٨٦).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٩٤)، واستغربه، والظاهر أنَّ هذا الكلام هو احتمال أورده المصنف، ولم ينقله عن غيره، ولذلك نسبه إليه أبو حيان في «البحر المحيط» (٦/ ١٠٣).

(٩٣) - ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا﴾: أنزَلْنا ﴿بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾: مرضيٍّ في نفسِه صالحٍ، وكذلك في كلِّ شيءٍ تقولُ: رجلُ صدقٍ، وثوبُ صدقٍ.

وحكى أقضى القُضاةِ: ﴿مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾: تصدَّقَ به عليهم[1]. وهو ركيكٌ.

الحسنُ: يُريدُ به: مصرَ[2].

قتادةُ: الشّامُ وبيتُ المقدسِ[3].

الضّحّاكُ: الشّامُ ومصرُ[4].

و﴿مُبَوَّأَ﴾: نصبٌ على أنّه مفعولٌ، ويجوزُ أن يكونَ مصدرًا والمفعولُ محذوفٌ.

﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾؛ أي: اللّذيذَ، وقيل: الحلالَ.

﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾؛ أي: المعلومُ عندَهم، وهو محمَّدٌ عليه السَّلامُ؛ أي: ما اختَلَفُوا في كونِه نبيًّا حتَّى جاءَهُم.

وقيل: ﴿ٱلْعِلْمُ﴾: القرآنُ.

وقيل: التَّوراةُ؛ اختلفوا في أحكامِها.

---

(١) انظر: «النكت والعيون» (٢/ ٤٤٩).

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (١١/ ٣١١).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١١٧٢)، والطبري في «تفسيره» (١٢/ ٢٨٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٩٨٥).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٢٨٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٩٨٥).

وقيل: الدَّليلُ المُؤدِّي إلى العلمِ من جهةِ الرَّسولِ والكتابِ، فآمَنَ به بعضٌ وكفَرَ به بعضٌ.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾؛ أي: يُظهرُ لهم.

* * *

(٩٤ ـ ٩٥) ـ ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾.

﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾ رُوِيَ أنَّ النَّبيَّ ﷺ لمَّا نزلَتْ هذه الآيةُ قال: «لا أشُكُّ ولا أسأَلُ» فلم يسأَلْ[1].

وقيلَ: خِطابٌ للنَّبيِّ عليه السَّلامُ والمُرادُ به غيرُه؛ كقولِه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: ١]، و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ﴾ [الطلاق: ١].

وقيلَ: (إنْ) هاهنا للنَّفيِ؛ أي: ما كنتَ في شكٍّ، كقولِه: ﴿وَإِنْ أَدْرِىٓ﴾ [الأنبياء: ١٠٩].

وقيل: هذا تبكيتٌ للشَّاكِّين، كقولِه لعيسى عليه السَّلامُ: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ﴾ [المائدة: ١١٦] تبكيتًا لقائليه.

وقيل: ﴿فِى شَكٍّ﴾: في ضيقِ صدرٍ؛ أي: إنْ ضِقْتَ به ذَرْعًا فاصبرْ واسألِ الذين يقرؤُونَ الكتابَ من قبلِكَ: كيفَ صبرَ الأنبياءُ؟

قالَ الفرَّاءُ في جماعةٍ: هذا كقولِ الرَّجلِ لعبدِه وابنِه: إنْ كنتَ عبدي

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١١٧٣)، والطبري في «تفسيره» (١٢/ ٢٨٨) عن قتادة مرسلاً.

فأطِعْني، وإنْ كنتَ ابني فلا تُخالفني، وليس هو بشاكٍّ فيهما[١].

واختارَ هذا القولَ جماعةٌ منَ المُفسِّرين، وفيه ضَعْفٌ؛ لأنَّ قولَ القائلِ لعبدِه وابنِه: «إنْ كنتَ» تقديرُه: أنتَ عبدي وأنتَ ابني، فيصيرُ تقديرُ الآيةِ: أنتَ في شكٍّ؛ إذ ليس في الآيةِ على تأويلِهم ما يدلُّ على النَّفيِ.

ويحتملُ أن يُقالَ[٢]: ليس هذا خطابًا للنَّبيِّ عليه السَّلامُ، بل خطابُه مُضمَرٌ، وتقديرُه: قل يا محمَّدُ للشّاكِّ في نُبوَّتِكَ: فإنْ كنتَ في شكٍّ ممّا أنزَلْنا إليك؛ والقرآنُ منزَّلٌ على الأنبياءِ، ومُنزَّلٌ إلى كلِّ واحدٍ من الخلقِ؛ كقولِه: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾ [البقرة: ١٣٦]، وقد سبقَ.

ويُقوِّي هذا ما بعدَه من قولِه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي شَكّٖ مِّن دِينِي﴾ [يونس: ١٠٤]، وقولِه: ﴿فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكَ﴾؛ أي: مُؤمني أهلِ الكتابِ ومُتديِّنيهم، وقيلَ: عبدَ الله بنَ سلامٍ رضي الله عنه وأضرابَه؛ ليُخبِروك بصحَّةِ نُبوّةِ محمَّدٍ عليه السَّلامُ.

وعلى هذا باقي الآياتِ: ﴿لَقَدۡ جَآءَكَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾: الشّاكِّين، وقُلْ: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾؛ فإنَّ النَّبيَّ عليه السَّلامُ أعزُّ وأجلُّ قدرًا عندَ الله سبحانَه وتعالى من أن يُخاطبَه بمثلِ هذا الخطابِ أصلًا ورأسًا.

وقولُهم: هو بمنزلةِ قولِه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ﴾، و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ فليس

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٤٧٩).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٩٣)، ورأى أنَّه الوجه الذي ينبغي اعتماده، وهذا الوجه مروي عن ثعلب والمبرد. انظر: «تفسير القرطبي» (٨/ ٣٨٢).

كذلك؛ لأنَّ النَّبيَّ عليه السَّلامُ مأمورٌ بالتَّقوى كسائرِ المؤمنين، وهو في حكمِ الطَّلاقِ كغيرِه منَ المؤمنين، وسيأتي في موضعِه، والحمدُ لله حقَّ حمدِه[1].

***

(٩٦ ـ ٩٧) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٩٦ وَلَوۡ جَآءَتۡهُمۡ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾: وجَبَ عليهم الوعيدُ، قيل: هو قولُه: ﴿لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾ [هود: ١١٩].

وقيل: كلمتُه: لعنتُه في قولِه: ﴿أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨].

وقيل: سَخَطُه بما عَصَوه.

وقيل: ﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾: إخبارُه أنَّهم لا يُؤمِنُون، يُريدُ به: مُشركي العربِ.

﴿لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٩٦ وَلَوۡ جَآءَتۡهُمۡ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ﴾ فحينَئذٍ لا ينفعُهم إيمانُهم كما لـم ينفعْ فرعونَ إيمانُه.

***

(٩٨) ـ ﴿فَلَوۡلَا كَانَتۡ قَرۡيَةٌ ءَامَنَتۡ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفۡنَا عَنۡهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ﴾.

﴿فَلَوۡلَا كَانَتۡ قَرۡيَةٌ ءَامَنَتۡ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفۡنَا عَنۡهُمۡ﴾ أي: فهلَّا أهلُ قريةٍ آمَنُوا بأجمعِهم قبلَ مجيءِ العذابِ فنفعَها إيمانُها كما فعَلَ قومُ يونسَ؛ يُحرِّضُهم على الإيمانِ[2].

---

(١) في (ن): «في موضعه إن شاء الله تعالى».

(٢) ذكر هذا الوجه يحيى بن سلام في «التصاريف» (ص: ١٤١)، وقد قرأ أُبيٌّ وعبد الله: (فهلّا) بدل ﴿فَلَوۡلَا﴾، كما في «بصائر ذوي التمييز» (٤/ ٤٥٩).

وقيل: فما كانت قريةٌ آمنَتْ بعدَ مجيءِ العذابِ فنفعَها إيمانُها ـ كما لم ينفَعْ فرعونُ ـ إلّا قومَ يونسَ، فإنَّهم لـمَّا رأوا أماراتِ العذابِ آمَنُوا فنفعَهم إيمانُهم، وهو قوله:

﴿كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ﴾: الهلاكَ والهوانَ ﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾: إلى آجالِهم.

وقيل: كشَفْنا عنهم العذابَ إلى يومِ القيامةِ، فيُجازَونَ بالثَّوابِ والعقابِ.

وذلك أنَّ يونسَ عليه السَّلامُ ـ فيما ذكرَه المُفسِّرون ـ بعثَه الله إلى أهلِ نينَوى من أرضِ الموصلِ، فدعاهُم إلى الإسلامِ، فأبَوا ثمَّ دعاهُم فأبَوا، فأوحى اللهُ إليه: أن أخبِرْهُم أنَّ العذابَ مُصبِّحُهم إلى ثلاثٍ، فأخبرَهم وخرجَ من بينِ أظهُرِهم، فقالوا: إنَّا[1] لم نُجرِّبْ عليه كذبًا، فانظُروا فإنْ خرَجَ من بينِنا فاعلموا أنَّ[2] العذابَ مُصبِّحُكم، فلمَّا أصبَحُوا غامَتِ السَّماءُ غيمًا أسودَ هائلًا له دخانٌ شديدٌ، فهبطَ حتّى غشيَ مدينتَهم، فلمَّا رأوا ذلك أيقَنُوا بالهلاكِ، فطلَبُوا يونسَ فلم يجِدوه، وقذَفَ الله في قلوبِهم التَّوبةَ، فخرَجُوا إلى الصَّعيدِ بأنفُسِهم ونسائِهم وصبيانِهم ودوابِّهم، ولبِسُوا المسوحَ وأخلَصُوا النِّيَّةَ، وأظهَرُوا الإيمانَ والتَّوبةَ، وفرَّقُوا بين كلِّ والدةٍ وولدِها منَ النَّاسِ والأنعامِ يحِنُّ بعضُها إلى بعضٍ، وعلَتْ أصواتُها، واختلَطَتْ أصواتُها بأصواتِهم وحنينُها بحنينِهم، وعجُّوا وتضرَّعُوا إلى الله وقالوا: يا حيُّ حينَ لا حيَّ، يا حيُّ مُحيي الموتَى، يا حيُّ لا إلهَ إلّا أنتَ. فكشَفَ الله عنهم العذابَ، وكان يونسُ قد جنحَ وأقامَ ينتظرُ العذابَ، فلمَّا كَشفَ اللهُ

---

(١) في (و): «كنا».

(٢) في (و): «فإن» بدل: «فاعلموا أن».

عنهم العذاب قال: كيفَ أرجعُ إلى قومي وقد كذَّبْتُهم؟ فذهَبَ مُغاضِبًا لقومِه، وركبَ السَّفينةَ[١]، ويأتي في موضعِه إن شاءَ الله.

قولُه: ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾ استثناءٌ منقطعٌ، ويجوزُ أن يكونَ صحيحًا[٢].

* * *

(٩٩) ـ ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ يُريدُ: إيمانَ اضطرارٍ وإكراهٍ، وكانَ النَّبيُّ عليه السَّلامُ حريصًا على إيمانِ قومِه، وقيل: نزلَتْ في أبي طالبٍ.

﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾.

* * *

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٤/ ٢٩٣ ـ ٢٩٥). وهو مجموع من أخبار رواها الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٢٩٢ ـ ٢٩٦) عن ابن عباس وابن مسعود ومجاهد وقتادة وسعيد بن جبير والربيع بن أنس وابن جريج.

وما جاء من دعائهم في آخره رواه الإمام أحمد في «الزهد» (١٨٥)، والطبري في «تفسيره» (١٢/ ٢٩٦) عن أبي الجلد، هو جيلان بن أبي فروة الأسدي.

(٢) قال النحاس في «معاني القرآن» (٣/ ٣١٩): «هذا عند الخليل وسيبويه استثناء ليس من الأول، وقال غيرهما: هو استثناء منقطع»، وأجاز الفراء أن يكون الاستثناء منقطعاً أو متصلاً بما قبله، وهو ما عبَّر عنه المصنف بكلمة (صحيح)، وقد ذكر أبو عبيد أن (إلا) هنا بمعنى الواو، ولم يُتابع على ذلك. انظر: «الكتاب» (٢/ ٣٢٥)، و«معاني القرآن» للفراء (١/ ١٦٧)، و«مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٢٨٢).

(١٠٠) ـ ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾.

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾: بعلمِه وإرادتِه، وقيل: بإطلاقِه لها ذلك، وقيل: بإذنٍ أذِنَ لها فيه، فلا تُجهِدْ نفسَكَ في هُداها؛ فإنَّ ذلك إلى الله.

﴿وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ ﴾: العذابَ. وقيل: الإثمَ. وقيل: النَّتْنَ والعذابَ. وقيل: الشَّيطانَ. وقيل: الغضبَ والسَّخطَ ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ دلائلَه وأوامرَه ونواهيَه.

* * *

(١٠١) ـ ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾.

﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾؛ أي: تفكَّروا في عجائبِ صُنعِ الله فيهما؛ فإنَّها كلَّها تدلُّ على وحدانيَّتِه وقُدرتِه.

﴿وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ ﴾ يجوزُ أن يكونَ (ما) نفيًا، ويجوزُ أن يكونَ استفهامًا.

ومعنى ﴿تُغْنِى﴾: تنفعُ، وقيل: تدفعُ؛ أي: الآياتُ مع كثرتِها لا تنفعُ ولا تدفعُ المُعانِدَ الجاحِدَ.

﴿وَٱلنُّذُرُ﴾: جمعُ نذيرٍ، وقولُه: ﴿عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾؛ أي: حكَمَ الله بكُفرِهم.

* * *

(١٠٢) ـ ﴿فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴾.

﴿فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ ﴾؛ أي: ما ينتظِرونَ إلَّا أيَّامًا يقعُ عليهم فيها العذابُ ﴿مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ ﴾: مضوا ﴿مِن قَبْلِهِمْ ﴾.

وأيّامُ الله: عُقوباتُه، وأيَّامُ العربِ: وقائِعُها.

﴿قُلْ فَٱنتَظِرُوٓاْ﴾ مثلَها إنْ لـم تؤمِنُوا ﴿إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾ لذلك.

وقيل: انتظِرُوا هلاكي إنِّي معكُم منَ المُنتَظرين هلاكَكُم، جوابٌ لهم حينَ قالوا: نتربَّصُ بكمُ الدَّوائرَ.

***

(١٠٣) ـ ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾؛ أي: كنَّا أهلكْنا الذينَ خلَوا، ثمَّ نجَّينا الرُّسلَ والمُؤمنينَ.

﴿كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: نُنجي محمَّدًا عليه السَّلامُ ومَن آمنَ معه.

وقولُه تعالى: ﴿حَقًّا﴾ يجوزُ أن يكونَ صفةَ مصدرٍ؛ أي: إنجاءً حقًّا، ويجوزُ أن يكونَ تأكيدًا للكلامِ؛ أي: حقًّا غيرَ شكٍّ.

وقولُه: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ يجوزُ أن يكونَ مُتَّصلًا بالأوَّلِ، ويجوزُ أن يكونَ بالثَّاني[1].

***

(١٠٤) ـ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُمْۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي﴾: خطابٌ لأهـلِ مكَّةَ؛ أي: إنْ كنتم لا تعرِفونَ ما أنا عليه فأنا أُبيِّنُه لكم.

---

(١) فيكون في محل نصب نائب مصدر للفعل ﴿نُنَجِّي﴾، ويكون الوقف عنده، أو في محل نصب نائب مصدر للفعل ﴿نُنجِ﴾، ويكون الوقف عند ﴿ءَامَنُواْ﴾، ذكر الوجهين النحاس في «القطع والائتناف» (ص: ٣١٢)، وذكر أن الوجه الأول هو اختيار ابن قتيبة.

وقيل: إنْ كنتُم في شكٍّ من ديني فأنا عليه[1] على يقينٍ. ثمَّ وصفَ دينَه فقال: ﴿فَلَآ أَعۡبُدُ﴾.

وقيل: إنْ شككْتُم في أنَّ ديني أفضلُ أم دينُكم[2] فاسمَعُوا.

وجعلَهُم شاكِّين لاضطرابِهم عند نزولِ الآياتِ.

وقيل: كان فيهم شاكُّون؛ كقولِه حكايةً عن الكفّارِ: ﴿وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٍ﴾ [هود: ٦٢].

﴿فَلَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: تعبُدونَه منَ الأصنامِ لأجلِ شكِّكُم، ﴿وَلَٰكِنۡ أَعۡبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُمۡ﴾: يُميتُكم ويقبِضُ أرواحَكُم، وصَفَه بوصفٍ لا يُمكِنُهم دفعُه، وفيه إنذارٌ لهم؛ لأنَّ وفاةَ الكافرين ميعادُ عذابِهم.

﴿وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ بما أتى به الأنبياءُ قبلي.

* * *

(١٠٥) - ﴿وَأَنۡ أَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾.

﴿وَأَنۡ أَقِمۡ﴾ عطفٌ على المعنى؛ لأنَّ تقديرَ قولِه: ﴿وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾: كُنْ مُؤمنًا ثمَّ أَقِمْ ﴿وَجۡهَكَ لِلدِّينِ﴾؛ أي: استقبلِ الكعبةَ في الصَّلاةِ وتوجَّهْ نحوَها.

وقيل: استقِمْ مُقبِلًا بوجهِكَ على ما أمرَكَ الله ﴿حَنِيفٗا﴾: على ملَّةِ إبراهيمَ.

وقيل: تقديرُه: وأوحَيْنا إليك أنْ أقِمْ وجهَكَ.

---

(١) «عليه» من (ن).

(٢) كذا ضبطت في (و)، وهي بلا ضبط في (ن)، ووجهها أن تكون (أم) قد عطفت جملة على جملة، و(دينكم) مبتدأ خبرة محذوف، والله أعلم.

ويحتملُ: أُوحِيَ إليَّ أنْ أقِمْ؛ ليكونَ في مُقابلةِ ﴿أُمِرْتُ﴾.

﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

***

(١٠٦) ـ ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾؛ أي: لا ينفعُكَ إنْ دعوتَه ولا يضرُّكَ إنْ خذلتَه؛ أي: لا تدْعُ آلهةً كما يدعو المشركونَ الأوثانَ آلهةً.

وقيل: هذا تحقيرٌ للأوثانِ وهوانٌ.

﴿فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الذين وضَعُوا الدُّعاءَ غيرَ موضعِه.

***

(١٠٧) ـ ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾: يُصِبْكَ به ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ﴾: لذلك الضُّرِّ ﴿إِلَّا هُوَ﴾: إلّا الله، ﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ﴾؛ أي: إن يُرِدْ بكَ خيرًا يوصِلْه إليك ﴿فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾: لا رادَّ لمُرادِه ﴿يُصِيبُ بِهِۦ﴾: بالخيرِ ﴿مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ فلا تيأسُوا من غُفرانِه ورحمتِه.

***

(١٠٨) ـ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾.

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾: يا أهلَ مكّةَ ﴿قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ يعني: محمَّدًا عليه السَّلامُ والقرآنَ؛ ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾: آمَنَ بمحمَّدٍ وعمِلَ بما في الكتابِ ﴿فَإِنَّمَا

﴿يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ﴾؛ أي: فلنفسِه ثوابُ اهتدائِه، ﴿وَمَن ضَلَّ﴾: كفرَ بهما ﴿فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾؛ أي: على نفسِه وَبالُ ضلالِه، ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾: بحافظٍ رعايةَ ما وُكِّلَ به، فانظُروا لأنفُسِكم، وقيل: ﴿بِوَكِيلٍ﴾ مُسيطرٍ.

* * *

(١٠٩) - ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾.

﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾ منَ التَّبليغِ والتَّبشيرِ والإعذارِ والإنذارِ.

﴿وَٱصْبِرْ﴾ على تبليغِ الرِّسالةِ وتحمُّلِ المكارِهِ ﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ﴾ بالعذابِ أو يأمرَ بالقتلِ والجهادِ، ثمَّ نَسَخَ فأمرَ بقتلِ المُشركينَ وأخذِ الجزيةِ من أهلِ الكتابِ[1]، ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ لأنَّه المُطَّلعُ على السَّرائرِ، فلا يحتاجُ إلى بيِّنةٍ وشُهودٍ.

* * *

(١) قال النحاس في الآية: «مذهب ابن زيد أنها منسوخة، وإنما نُسخ منها الصبر». انظر: «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٥٣١).

سُورَةُ هُودٍ

سُورَةُ هُودٍ

مئةٌ وثلاثٌ وعشرونَ آيةً[١]. مكِّيَّةٌ.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: إلَّا آيةً من قولِه: ﴿أقمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾ [هود: ١١٤][٢].

ورُوِيَ أنَّ النَّبيَّ عليه السَّلامُ قيلَ له: عجَّلَ إليك الشَّيبُ، فقال: «شيَّبَتْني سورةُ هودٍ وأخواتُها؛ الحاقَّةُ والواقعةُ وعمَّ يتساءلونَ والغاشيةُ»[٣].

---

(١) «مئة وثلاث وعشرون آية»: من (ن). وانظر: «البيان في عد آي القرآن» (ص: ١٦٥)، وفيه: «وهي مئة وإحدى وعشرون آية في المدني الأخير والمكي والبصري، واثنتان في المدني الأول والشامي، وثلاث في الكوفي، اختلافها سبع آيات...».

(٢) ذكره الجرجاني في «درج الدرر» (٣/ ٩٦١)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٢/ ٣٥٥).

(٣) روى نحوه الثعلبي في «تفسيره» (١٤/ ٣٠٨) بإسنادين عن أبي جحيفة، وعن أنس رضي الله عنه.

وروى نحوه الترمذي (٣٢٩٧) من حديث ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما، ولفظه: قال أبو بكر: يا رسول الله قد شبت، قال: «شيبتني هود، والواقعة، والمرسلات، وعم يتساءلون، وإذا الشمس كورت»، وقال الترمذي: «حديث حسن غريب لا نعرفه من حديث ابنُ عبَّاسٍ إلا من هذا الوجه».

وذكر الدارقطني هذا الحديث، وأطال الكلام عليه في «علله» (١/ ١٩٤ ـ ٢١٠) وذكر الاختلاف فيه، فلينظر ثمَّة.

بسم الله الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾.

﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ﴾؛ أي: هذا كتابٌ.

وقيل: ﴿الٓر﴾ اسمُ كتابٍ، وقيل: ﴿الٓر﴾ بعضُ حروفِ كتابٍ، فهو مبتدأٌ وخبرٌ.

﴿أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ عن التَّناقُضِ والكذبِ والباطلِ.

وقيل: ﴿أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ بالنَّظمِ العجيبِ، واللَّفظِ الرَّصينِ، والمعنى البديعِ.

وقيل: ﴿أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ بالحُجَجِ والدَّلائلِ.

وقيل: أُحكِمَ القرآنُ من أن يُنسَخَ بكتابٍ سواه، كما نُسِخَ سائرُ الكتبِ به.

وقيل: أُحكِمَتْ آياتُ هذه السُّورةِ، فليس فيها منسوخٌ(١).

﴿ثُمَّ فُصِّلَتۡ﴾: أُنزِلَتْ فصلًا فَصلًا، ونَجمًا نَجمًا.

مجاهدٌ: معنى ﴿فُصِّلَتۡ﴾: فُسِّرَتْ(٢).

---

(١) قال النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٥٣١): «لم نجد فيها مما يدخل في هذا الكتاب إلا آية واحدة» ثم روى عن ابن أبي عباس أنّ ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا﴾ منسوخة بقوله تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ [الإسراء: ١٨] ثم قال: «محال أن يكون ها هنا نسخ؛ لأنه خبر».

أما ابن حزم فذكر أن المنسوخ منها ثلاث آيات؛ هذه، وقوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ﴾، وقوله: ﴿وَٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾، وهاتان منسوختان بآية السيف. انظر: «الناسخ والمنسوخ» لابن حزم (ص: ٤١).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٣١٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٩٩٥).

ابنُ عبَّاسٍ: بُيِّنَتْ بالأحكامِ والحلالِ والحرامِ[١].

الحسنُ: أُحكِمَتْ آياتُه بالأمرِ والنَّهيِ، ثمَّ فُصِّلَتْ بالوعدِ والوعيدِ، والثَّوابِ والعقابِ[٢].

﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾؛ أي: هذا الكتابُ من عندِ الله.

الحكيمُ: يضَعُ الشَّيءَ موضِعَه.

الخبيرُ: يعلَمُ ما كانَ وما يكونُ.

***

(٢) ـ ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾.

﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾؛ أي: ضُمِّنَ[٣] أنْ لا تعبُدوا إلّا اللهَ، وقد فُصِّلَ بأنْ لا تعبُدوا... وقيل: كتَبَ أنْ لا تعبُدوا إلّا الله[٤]، فتكونُ (أنْ) للمصدرِ[٥]، ويجوزُ أنْ

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٤/ ٣١٢)، والواحدي في «البسيط» (١١/ ٣٤٣). وصرح الواحدي بأنه عن ابن عباس من رواية الكلبي، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٣١٠) عن قتادة.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٣٠٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٩٩٥)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٩٧)، واستغربه.

(٣) الظاهر أن (ضمَن) هنا مبني للمجهول، وأن الفاعل هو لله سبحانه، ونائب الفاعل خبر مستتر يعود على (الكتاب)؛ لأن العبارة مبنية على القول بأن ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ﴾ بدلٌ من ﴿ءَايَٰتُهُۥ﴾، وقد وصف أبو حيان في «البحر المحيط» (٦/ ١٢٠) هذا التقدير بأنه بمعزل عن علم الإعراب. انظر: «الدر المصون» (٦/ ٢٨٠).

(٤) من قوله: «وقد فصل» إلى قوله: «إلا الله» ليست في (و).

(٥) هي في محل نصب بنزع الخافض، والجملة بعدها نفي. انظر: «غرائب التفسير» (١/ ٤٩٨).

تكونَ المُفسِّرةَ[١]، ويجوزُ أن تكونَ رَفْعًا؛ أي: في الكتابِ أنْ لا تعبُدوا إلّا الله[٢].

﴿إِنَّنِي لَكُم﴾؛ أي: قل يا محمَّدُ: (الر كتاب)... (إنني لكم).

وقيل: قل: لا تعبُدوا إلّا اللهَ إنَّني لكم.

﴿مِّنْهُ﴾: منَ الله، ﴿نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾: مُنذِرٌ ومُبشِّرٌ.

***

(٣) ـ ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾.

﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ حكمُ (أنْ) حكمُ الأوَّلِ، والمعنى: سَلُوه مغفرةً من ذنوبِكم، ﴿ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾: ارجِعُوا إليه بالطَّاعةِ والعبادةِ.

وأخَّرَ التَّوبةَ لأنَّ التَّقديرَ: سَلُوا الله المغفرةَ، وتوسَّلوا إليها[٣] بالتَّوبةِ؛ فالمغفرةُ أوَّلٌ في الطَّلَبِ وآخِرٌ في السَّببِ.

وقيلَ: استغفِروا لِمَا مضى منَ الذُّنوبِ، ثمَّ توبوا إليه لِمَا عسى يقعُ منَ الذُّنوبِ في المُستأنَفِ، حكاهما ابنُ عيسى[٤].

وقيل: ﴿ثُمَّ﴾ مع الجملةِ يدلُّ على التَّقديمِ.

---

(١) ولا محل لها من الإعراب، والجملة بعدها نهي. انظر: «التبيان» للعكبري (٢/ ٦٨٩)، و«الكشاف» (٢/ ٣٧٨).

(٢) وهي على هذا الوجه مخففة من الثقيلة في محل رفع مبتدأ، وقد ذكر المصنف نحوه في «غرائب التفسير» (١/ ٤٩٨)، واستغربه، لكنه جعل الرفع بتقدير: هو أن لا تعبدوا، فتكون في محل الرفع خبر.

(٣) أي: إلى المغفرة.

(٤) ذكرهما المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٩٨) بلا نسبة، واستغرب هذا الثاني.

الفَرَّاءُ: ﴿ثُمَّ﴾ هاهنا بمنزلةِ الواوِ[١].

﴿يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا﴾: يُعِشْكُم في خَفْضٍ[٢] ودَعَة، وأمْنٍ وسَعة ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: هو الموتُ، سعيدُ بنُ جُبيرٍ: يومُ القيامةِ[٣].

ابنُ عبَّاسٍ: إلى وقتٍ لا يعلمُه إلّا اللهُ[٤].

﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾؛ أي: كلَّ ذي حسنةٍ وخيرٍ جزاءَ فضلِه في الدُّنيا والآخرةِ.

وقيل: الضَّميرُ في ﴿فَضْلَهُۥ﴾ لله.

الضَّحَّاكُ: كلَّ ذي عملٍ جزاءَ عملِه[٥].

وقيل: يُريدُ تضعيفَ الحسناتِ.

الزَّجَّاجُ: مَن كانَ ذا فضلٍ في دينِه، فضَّلَه اللهُ في الدُّنيا بالمنزلةِ كما فضَّلَ أصحابَ نبيِّه عليه السَّلامُ، وفي الآخرةِ بالثَّوابِ الجزيلِ[٦].

---

(١) لم أجده في «معاني القرآن» للفراء، وما فيه يدلّ على خلاف هذا ؛ فإنه ذكر (١/ ٣٩٦) أن (ثم) يمكن أن تكون للاستئناف، أو أنها لترتيب الخبر لا لترتيب الوجود، ثم قال: «وخِلْقَةُ (ثم) أن يكون آخِر، وكذلك الفاء، فأما الواو فإن شئت جعلت لآخر هو الأول الأول هو الآخر»، وهذا يدلّ على أنه يرى الترتيب بـ(ثم)، وهذا ما نقله عنه السيرافي في «شرح كتاب سيبويه» (٤/ ٣٣٤)، أما ما ذكره المصنف فقد ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٤/ ٣١٣)، والواحدي في «البسيط» (١١/ ٣٤٥)، وأبو حيان في «ارتشاف الضرب» (٤/ ١٩٨٨)، والمرادي في «الجنى الداني» (ص: ٤٢٨)، وكثيرة هي الأقوال التي تنسب إلى الفراء من غير تحقيق، والله أعلم.

(٢) في (و): «حفظ».

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٩٩٧)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٤٥٧).

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٩٩٧)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٤٥٧).

(٥) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ١٢٧).

(٦) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٣٨).

﴿وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ قيل: أصلُه: تَتولَّوا، فحُذِفَ التّاءُ، والدَّليلُ عليه قراءةُ ابنِ كثيرٍ: ﴿وإنْ تّولَّوا﴾ بالتَّشديدِ[1].

وقيلَ: ﴿وَإِن تَوَلَّوْا﴾ ماضٍ، وقولُه: ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بلفظِ الخِطابِ على التَّلوينِ.

واليومُ الكبيرُ: يومُ القيامةِ.

وقيل: في الدُّنيا فابتُلُوا بالقَحْطِ حتَّى أكلوا الجيفةَ.

وقيل: ﴿أَخَافُ﴾: أعلمُ.

***

(٤) - ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ﴾: رُجوعُكُم، شذَّ عن القياسِ[2]. وقيل: مَوضِعُ رُجوعِكُم. ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

***

(٥) - ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾.

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾ في سببِ النُّزولِ: قال الكلبيُّ: إنَّها نزلَتْ في الأخنَسِ بنِ شَرِيقٍ، وكانَ مُنافقًا حُلوَ الكلامِ[3].

وقال المُفسِّرون: نزلَتْ في طائفةٍ منَ المُشركينَ قالوا: إذا أغلَقْنا أبوابَنا،

---

(١) هي رواية البزي عن ابن كثير. انظر: «التيسير» (ص: ٨٣)، و«النشر» (٢/ ٢٣٢).

(٢) انظر: «الكتاب» (٤/ ٨٨).

(٣) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ١٣٨)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٦٥)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٤/ ٣١٥)، والماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٤٥٨) عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما.

وأرخَيْنـا سُـتورَنا، واستغشَـيْنا ثيابَنـا، وطوَيْنـا صدورَنـا علـى عداوةِ محمَّـدٍ، كيف يعلَـمُ بنـا؟ فأنـزلَ الله: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ﴾(١).

فيه وجهانِ:

أحدُهما: وهو قولُ الجمهورِ؛ أي: يطوونَها ويعطِفُونَها على عداوةِ محمَّدٍ، وقيلَ: على الكفرِ، وقيل: على حديثِ النَّفسِ، من قولِـهم: ثنيتُ الشَّيءُ: عطَفْتُه، ومنه: الاثنان والاستِثناءُ والثَّناءُ(٢).

والثَّاني: ولَّوا ظُهورَهم(٣)، وهو قولُ عبدِ الله بنِ شدَّادٍ(٤).

﴿لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ﴾ جلُّ المُفسِّرين على أنَّ معناه: ليستَتِرُوا منَ الله بزَعمِهم.

وهذا يحتاجُ إلى بيانٍ؛ فإنَّ ثنيَ الصُّدورِ على الكفرِ(٥) والعداوةِ لا تكونُ علَّةً لاستِتارةِ النُّفوسِ، ووجهُ ذلك أن يُقالَ: تقديرُه: ليستَخفِيَ سرُّهُم، فحُذِفَ المُضافُ وأُسنِدَ الفعلُ إلى الضَّميرِ فارتفَعَ به.

أو يُقالُ: تقديرُه: ليستَخْفُوا هم(٦) بما أسرُّوا، فحُذِفَ؛ لأنَّ معنى (استَخْفَى به) و(أخفاه) واحدٌ.

ومَن جعَلَ معناه: ولَّوا ظُهورَهم، لم يحتَجْ إلى هذا التَّأويلِ، ويكونُ ﴿مِنۡهُۚ﴾ عائدًا إلى النَّبيِّ عليه السَّلامُ، وهو قولُ ابنِ شدَّادٍ.

---

(١) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» (٣/ ٣٨).

(٢) انظر: «لسان العرب» مادة (ث ن ي) (١٤/ ١١٦).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٩٨)، واستغربه.

(٤) رواه سعيد بن منصور في «سننه ـ التفسير» (١٠٧٨)، والطبري في «تفسيره» (١٢/ ٣١٦) بلفظ: «كان أحدهم إذا مر برسول الله ﷺ قال بثوبه على وجهه وثنى ظهره».

(٥) من قوله: «وقيل: على حديث النفس» إلى هنا ليس في (و).

(٦) «هم»: ليست في (و).

﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾: جوابٌ على وَفْقِ كلامِهم ﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾ في قلوبِهم ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ بأفواهِهم.

ابنُ عبَّاسٍ: عملَ اللَّيلِ وعملَ النَّهارِ[1].

وقيل: يُريدُ: اللَّيلَ والوقتَ الذي يأوي إلى فراشِه في الظُّلمةِ ويتغطَّى بثيابِه ويستَخفي بسرِّه، وذلك النِّهايةُ في الخفاءِ، وهو لله ظاهرٌ جليٌّ.

وقيل: نزلَتْ في قومٍ كانوا لا يتعرَّونَ ولا يُبدونَ أجسادَهُم للسَّماءِ، وكانوا يتمسَّكُونَ بسَترِ أجسادِهم بالثِّيابِ، ويزعُمونَ أنَّ ذلك يُقرِّبُهم منَ الله[2]، فأعلَمَهُم سُبحانَه أنَّ هذا اعتقادٌ باطلٌ، وأنَّه يجزي بالنِّيَّاتِ ويعلمُ الطَّوِيَّاتِ، وهذا قولٌ زيَّفه المُفسِّرون.

﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بأسرارِ ذاتِ الصُّدورِ.

وقيل: ذاتُ الصُّدورِ: القلوبُ.

* * *

(٦) ـ ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾.

﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ﴾: ما من حيوانٍ يأكلُ ﴿إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾: غذاؤُها وما تحتاجُ إليه، تكفَّلَ الله بأرزاقِهم فضلًا منه ورحمةً.

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٤٥٨). ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٠٠) بلفظ: «﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ يقول: فاعملوا بالليل والنهار».

(٢) روى معناه البخاري (٤٦٨١) عن محمد بن عباد: أنه سمع ابنُ عبّاسٍ يقرأ: (ألا إنهم تَثْنَوْني صدورُهم)، قال: سألته عنها فقال: أناس كانوا يستحيون أن يتخلوا فيفضوا إلى السماء، وأن يجامعوا نساءهم فيفضوا إلى السماء، فنزل ذلك فيهم.

وقيل: إلّا منَ الله رزقُها.

وقيلَ: إلى الله رزقُها؛ إنْ شاءَ وسَّعَه، وإن شاءَ ضيَّقَه.

﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا﴾؛ أي: مأواها في حياتِها ﴿وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾: قبرَها بعدَ موتِها، وقد سبقَ في قولِه: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ [الأنعام: ٩٨].

﴿كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ يعني: اللَّوحَ المحفوظَ.

* * *

(٧) ـ ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِن بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾.

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ يُريدُ: وما بينَهما ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ ابنُ عبّاسٍ: من أيَّامِ الآخرةِ[1].

الحسنُ: من أيّامِ الدُّنيا[2]، وقد سبقَ.

﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾؛ أي: فوقَ الماءِ قبلَ خلقِ السَّماواتِ والأرضِ، وكانَ الماءُ على متنِ الرِّيحِ.

وقيل: هو كقولِكَ: السَّماءُ فوقَ الأرضِ، لا أنَّه مُتَّصلٌ به.

وقيل: ثمَّ خلقَ العرشَ، وصارَ عرشُه على الماءِ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٥٩٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٩٦).

(٢) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ١٣٩). وبعض المفسرين رجح قول ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما من أنها من أيام الآخرة وعده قول الجمهور كالمصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٠٦)، وبعضهم رجح قول الحسن أنها من أيام الدنيا، وعده قول الجمهور، كابن عطية في «المحرر الوجيز» (٣/ ١٠٤).

﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾؛ أي: وخلقكم ليبلُوكم ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾.

صاحبُ «النَّظمِ»: كلٌّ في كتابٍ مُبينٍ ليبلُوكم.

ابنُ عبّاسٍ: ليبلُوكم أيُّكم أعمَلُ بطاعتِه(١).

مقاتلٌ: أتقَى لله(٢).

الحسنُ: أزهَدُ في الدُّنيا(٣).

ابنُ عمرَ عن النَّبيِّ عليه السَّلامُ: «أيُّكُم أحسَنُ عقلًا، وأورَعُ عن محارِمِ الله، وأسرَعُ في طاعةِ الله»(٤).

﴿وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾؛ أي: ما هذا الذي تقولُ إلّا سحرٌ مبينٌ؛ أي: إحياءُ الموتَى سحرٌ.

وقيل: إلّا باطلٌ. وقيل: السِّحرُ هاهنا: الخِداعُ(٥).

ومَن قرأ: ﴿ساحرٌ﴾ بالألفِ(٦)، فإنَّهم عَنَوا به النَّبيَّ عليه السَّلامُ.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٤/ ٣٢٣)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٢/ ٣٥٩).

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٤/ ٣٢٣)، وانظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٢٧٢)، وفيه: «خلقهما وما فيهما من الآيات ليختبركم أيكم أحسن عملًا لربه».

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٤/ ٣٢٣)، والواحدي في «البسيط» (١٣/ ٥٢٩).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٣٣٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٠٦)، والدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (٢/ ١٢٥)، وفيه داود بن المحبر، وقد ذكر هذا الحديث في «كتاب العقل». قال الدارقطني: «كتاب العقل وضعه أربعة وضعه ميسرة بن عبد ربه ثم سرقه داود ابن المحبر منه فركبه بأسانيد غير ميسرة، وسرقه عبد العزيز بن أبي رجاء فركبه بأسانيد أخر، ثم سرقه سليمان بن عيسى السجزي وركبه بأسانيد أخرى». انظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٢/ ١٤٥).

(٥) قاله صاحب «النظم» كما في «البسيط» للواحدي (١١/ ٣٥٦).

(٦) قرأ بها حمزة والكسائي، والباقون من غير ألف. انظر: «السبعة» (ص: ٢٤٩)، و«التيسير» (ص: ١٠١).

(٨ ـ ٩) ـ ﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴾.

﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ ﴾ إلى حينٍ؛ كقولِه: ﴿وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ [يوسف: ٤٥] أي: جماعةٍ منَ الزَّمانِ.

وقيلَ: إلى مجيءِ أمَّةٍ وانقراضِ أمَّةٍ.

وقولُه: ﴿مَّعْدُودَةٍ﴾؛ أي: معلومةٍ، وقيل: قلائلَ.

﴿لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ﴾: ما يمنعُ العذابَ منَ الوقوعِ، قالوه استهزاءً.

﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ﴾؛ أي: العذابُ يومَ بدرٍ ﴿لَيْسَ مَصْرُوفًا﴾؛ أي: ليس العذابُ مصروفًا ﴿عَنْهُمْ﴾ وقيل: ليس اليومَ مصروفًا عنهم، ثمَّ قالَ: ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾، أي: العذابُ. وقيل: أحاطَ بهم ونزَلَ بهم جزاءُ استهزائِهم.

* * *

(١٠) ـ ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾.

﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ ﴾: وسَّعْنا عليه النِّعمةَ، والنَّعماءُ: النِّعمةُ مع النِّعمةِ(١)، يُريدُ: المالَ والصِّحَّةَ ﴿بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ﴾: بعد الفقرِ الذي نالَه.

والضَّرّاءُ: الفقرُ المُضِرُّ بالبدنِ لعدَمِ المالِ.

﴿لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓ﴾؛ أي: لو كشفْنا عنه الضُّرَّ الذي نزَلَ به ظنَّ أنَّه فازَ بخيرٍ لا يُفارِقُه؛ لأنَّه لا يعرِفُ نقمَ الله وتغييراتِه.

---

(١) ذكر العسكري في «الفروق اللغوية» (ص: ١٩٧): أن النعماء هي النعمة الظاهرة، والنعمة قد تكون خافية، فلا تسمى نعماء.

﴿إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ﴾: مَرِحٌ أَشِرٌ.

والفَرَحُ مذمومٌ حيثُ جاء في القرآنِ؛ كقولِه: ﴿لَا تَفْرَحْۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ [القصص: ٧٦]، وكقولِه: ﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ﴾ [التوبة: ٨١]، والسُّرورُ محمودٌ حيثُ قال: ﴿وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ [الإنسان: ١١](١).

﴿فخورٌ﴾: مُتكبِّرٌ مُتطاوِلٌ.

* * *

(١١) ـ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾ على الضَّرّاءِ، ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، وشكَرُوا على النَّعماءِ، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ لذنوبِهم ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ يعني: الجنَّة.

والاستثناءُ صحيحٌ؛ لأنَّ الإنسانَ اسمٌ للجنسِ؛ أي: الإنسانُ بهذه الصِّفةِ إلّا المؤمنين، وقيل: مُنقطعٌ؛ أي: لكن الذين صبَروا(٢).

* * *

(١٢) ـ ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾.

﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ﴾ قال بعضُ المُشركين: ائتِنا بكتابٍ ليس فيه عيبُ آلهتِنا نُجالِسْك ونتَّبِعْك. وقالَ بعضُهم: ﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ

---

(١) انظر: «تفسير ابن عرفة» (٢/ ٣٢٠).

(٢) الاستثناء الصحيح هو المتصل، وقد استخدم هذا التعبير ابن السراج في «الأصول» (١/ ٣٩٠)، واستخدمه الطبري، وتبعه على ذلك المفسرون، وليس هذا بشائع عن النحاة، وقد ذكر ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٣/ ١٥٤) نحواً من كلام المصنف، واستخدم تعبير الاستثناء المتصل.

مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ الآية [الفرقان: ٧ ـ ٨]، فهمَّ بما قالَ الأوَّلون حِرْصًا على إيمانِهم، وهو أنْ لا يقرأ عليهم ما يكرَهُونَ، واهتمَّ بما قال الآخِرونُ، فأنزلَ اللهُ: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ﴾[١].

﴿بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدْرُكَ﴾: غيرُ مُبلِّغِه إيّاهُم.

اللَّفظُ خبرٌ، والمعنى نهيٌ؛ أي: لا تركَنْ إلى كلامِهم ولا يضِقْ صدرُكَ باقتراحِهم، ولا تهتمَّ إنْ لم تُؤتَ ما سألُوكَه.

﴿أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ﴾ يُنفِقُه ﴿أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ﴾ يُصدِّقُه، هذا تفسيرُ الهاءِ في قولِه: ﴿وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدْرُكَ﴾، وتقديرُه: وضائقٌ بـ﴿أَن يَقُولُوا۟﴾ ـ الآيةَ ـ صدرُك.

وقيل: لأَنْ يقولوا، وقيل: هو أن يقولوا.

قال ابنُ الأنباريِّ: يجوزُ في الضَّميرِ في ﴿بِهِۦ﴾ ثلاثةُ أوجُهٍ:

أحدُها: أن يعودَ إلى ﴿بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ﴾.

والثّاني: إلى التَّبليغِ.

والثّالثُ: إلى التَّكذيبِ[٢].

والوجهُ ما ذكرتُ: أنَّها كنايةٌ فسَّرَها ما بعدَها.

﴿إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ﴾ ليس عليك إلّا البلاغُ، ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾: عالمٌ حافظٌ.

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (١١/ ٣٦١)، وذكر مقاتل بعضه في «تفسيره» (٢/ ٢٧٣).

(٢) ذكر نحوه ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٣/ ١٥٤) بلا نسبة، وقال الزمخشري في «الكشاف» (٢/ ٣٨٢): «فإن قلت: لم عدل عن ضيِّقٍ إلى ضائق؟ قلت: «ليدلَّ على أنه ضيق عارض غير ثابت؛ لأن رسول الله ﷺ كان أفسح الناس صدراً».

ابنُ عيسى: ﴿ضائقٌ﴾ في مُقابلةِ ﴿تارِكٌ﴾، ولأنَّ الضَّائقَ وصفٌ عارضٌ، والضِّيقَ وصفٌ لازمٌ(١).

* * *

(١٣) ـ ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾: اختلقَه محمَّدٌ، ﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ﴾ في البلاغةِ، والإخبارِ عمَّا كانَ ويكونُ، ﴿مُفْتَرَيَاتٍ﴾: مختلَقاتٍ بزعمِكُم.

الكلبيُّ: ﴿بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ﴾: مثلِ سورةِ البقرةِ إلى سورةِ هودٍ، وهي العاشرةُ.

وهذا ضعيفٌ؛ لأنَّ البقرةَ وآلَ عمرانَ والنِّساءَ والمائدةَ والأنفالَ والتَّوبةَ مدنيَّاتٌ نزلَتْ بعد سورةِ هودٍ بزمانٍ، وسورةُ هودٍ مكِّيَّةٌ(٢).

﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ إلى المُعاونةِ على المُعارضةِ ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أنَّه مُفترًى مُتقوَّلٌ؛ أي: ادعُوا كلَّ مخلوقٍ يقدرُ على مُعاونتِكُم، وهذا لأنَّه لمَّا قال: ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أدخَلَ فيه كلَّ مَن سواه، وأخرَجَ بلفظِ الاستطاعةِ مَن لا يتكلَّمُ بالعربيَّةِ منهم.

* * *

(١٤) ـ ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا﴾؛ أي: فإنْ لم يفعلِ المُدَّعون ما دعوتُموهم إليه

---

(١) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٦/ ١٢٩) بلا نسبة.

(٢) ذكر قول الكلبي والرد عليه: السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ١٤١).

لعجزِهم ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ﴾ أنزلَه جبريلُ عليه السَّلامُ بإذنِ الله وعلمِه.

وقيل: من علمِ الله، والباءُ بمعنى (مِن).

﴿وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: واعلموا أنَّه لا إلهَ إلّا هو مُنزِّلُ القرآنِ على محمَّدٍ عليه السَّلامُ.

﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾؛ أي: إذا رأيتُم العربَ قاطبةً عجزَتْ عن الإتيانِ بمثلِ شيءٍ منَ القرآنِ فأسلِموا.

وفي الآيةِ قولانِ:

أحدُهما: أنَّه خطابٌ للكفَّارِ.

وقيل: خطابٌ للنَّبيِّ ﷺ والمؤمنين؛ أي: فإنْ لـم يستَجيبوا لكم فقولوا لهم: ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ﴾.

وقيل: الخطابُ للنَّبيِّ ﷺ وحدَه بلفظِ التَّعظيمِ، وفي هذا القولِ ضَعفٌ.

* * *

(١٥) - ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ﴾.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا﴾ بإحسانِه إلى النَّاسِ كإطعامِه إلى الفقراءِ[1] وكسوتِهم والعدلِ بينَ النَّاسِ، ولـم يُؤمِنْ بالآخرةِ ﴿نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ﴾؛ أي: وفَّاه الله جزاءَ عملِه الصّالحِ في الدُّنيا بالحظِّ منها وبالجاهِ والرِّئاسةِ من غيرِ بخسٍ ولا نقصٍ.

وقيل: نزلَتْ في المنافقين الذين كانوا يغزُونَ مع النَّبيِّ عليه السَّلامُ فيقولُ: يُعطَون منَ الغنيمةِ[2].

---

(١) في (و): «كإطعام الفقير».

(٢) ذكر السمرقندي في «بحر العلوم» (٢/ ١٤١) عن الحسن أنها نزلت في المنافقين والكافرين وحمل =

(١٦) ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ﴾ لأنَّهم استوفَوا جزاءَهم في الدُّنيا ﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا﴾ في الدُّنيا؛ لأنَّهم لم يُريدوا به وجهَ الله ولم يُؤمِنوا به ﴿وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾؛ أي: حبِطَ لأنَّ أعمالَهم كانت باطلةً.

وجُزِمَ ﴿نُوَفِّ﴾ لأنَّه جوابٌ للشَّرطِ، وهو قولُه: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ﴾.

***

(١٧) ـ ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتۡلُوهُ شَاهِدٞ مِّنۡهُ وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامٗا وَرَحۡمَةًۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ مِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ فَٱلنَّارُ مَوۡعِدُهُۥۚ فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُۚ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾.

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ يعني: محمَّدًا عليه السَّلامُ، والبيِّنةُ: القرآنُ ﴿وَيَتۡلُوهُ﴾: ويقرؤُه عليه ﴿شَاهِدٞ﴾: جبريلُ ﴿مِّنۡهُ﴾: منَ الله، هذا قولُ ابنِ عبّاسٍ في جماعةٍ[1].

وقيل: ﴿يتلوه﴾: يتبعُه ملَكٌ يحفظُه.

الحسنُ: ﴿شَاهِدٞ مِّنۡهُ﴾: لسانُ محمَّدٍ عليه السَّلامُ[2]. فيكونُ معنى ﴿يتلوه﴾: يقرؤُه.

= النحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ١٦٣) الآية على طلب الغنيمة، وذكر الزمخشري في «الكشاف» (٢/ ٣٨٤) نحو كلام المصنف.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٣٥٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠١٤).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٣٥٤)، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠١٤)، والثعلبي في «تفسيره» (١٤/ ٣٣٣)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٠٠)، واستغربه.

وعن ابنِ الحنفيَّة[١] أنَّه قال: قلتُ لأَبِي رضي الله عنه: أنت التَّالي؟ قال: وما تعني بالتَّالي؟ قلتُ: قولَه سبحانه: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ قال: ودِدْتُ أنِّي هو، ولكنَّه لسانُ النَّبيِّ عليه السَّلامُ[٢].

وعن الحسينِ بنِ عليٍّ رضي الله عنهما: ﴿شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾: محمَّدٌ عليه السَّلامُ[٣].

فيكونُ ﴿مَنْ كَانَ﴾ هو المؤمنُ ﴿عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾: على بيانٍ وبصيرةٍ من دينِه ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾: ويشهدُ له محمَّدٌ عليه السَّلامُ يومَ القيامةِ، من قولِه: ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١].

وقيل: ﴿يتلوه﴾: يتبعُ محمَّدًا ﴿شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾: عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه، حكاه الثَّعلبيُّ في تفسيرِه وأطنَبَ[٤].

وقيل: ﴿شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾: أبو بكرٍ رضي الله عنه، حكاه محمَّدُ بنُ الهَيْصَمِ في تنزيلِه[٥].

---

(١) هو أبو القاسم محمد بن علي بن أبي طالب، سُمِّي ابن الحنفية تمييزاً له عن أولاد عليٍّ من فاطمة رضي الله عنهما.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٣٥٣)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٦٨٢٨)، و«مسند الشاميين» (٢٦٣٠)، والسمرقندي في «تفسيره» (٢/ ١٤٢).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣١٧٧٦)، والطبري في «تفسيره» (١٢/ ٣٥٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠١٤).

(٤) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٤/ ٣٣٤-٣٣٦).

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٠٠)، وعدَّه من العجائب، وفيه: «في تفسيره»، وذكره أبو حيان في «البحر» (٦/ ١٣٥)، وتعقبه الآلوسي في «روح المعاني» بقوله: «وفيه ما فيه».
ومحمد بن الهيصم هو أبو عبد الله، شيخ الكرامية وعالمهم في وقته بخُراسان، وهو الذي ناظر الإمام أبا بكر بن فُورك بحضرة السلطان محمود بن سُبُكتكين، وليس للكرامية مثله في معرفة =

وقيل: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾: بيانٍ وبصيرةٍ، ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾: عقلُه.

وتقديرُ الآيةِ: أفمَن كانَ بهذه الصِّفةِ كمَن كان بضِدِّها، فحُذِفَ الجوابُ.

﴿وَمِن قَبْلِهِۦ﴾ قيل: قبلِ نزولِ القرآنِ، وقيل: قبلِ محمَّدٍ عليه السَّلامُ.

﴿كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾: التَّوراةُ عطفًا على الشَّاهدِ، وقيل: مبتدأٌ، وقيل: كان الأصلُ النَّصبَ، عطفٌ على الهاءِ من ﴿يتلوه﴾، فرُفِعَ على الاستئنافِ؛ أي: ومن قبلِه كتابُ موسى كذلك؛ لأنَّ فيه ذكرَ محمَّدٍ عليه السَّلامُ ونعتَه.

﴿إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ للنَّاسِ جميعًا، وقيل: لليهودِ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾: بالقرآنِ، وقيل: بالتَّوراةِ.

وقيل: نزلَتْ في عبدِ الله بنِ سلامٍ، وهذا ضعيفٌ؛ لأنَّ السُّورةَ مكِّيَّةٌ[1].

وقيل: فيمَنْ آمنَ منَ اليهودِ بمكَّةَ.

﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ﴾: بالقرآنِ، وقيل: بمحمَّدٍ عليه السَّلامُ[2].

﴿مِنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾: منَ الكفَّارِ الذين تحزَّبوا واجتمَعُوا على رسولِ الله عليه السَّلامُ وعداوتِه منَ اليهودِ والنَّصارَى وسائرِ المِلَلِ.

﴿فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾: مصيرُه ومَورِدُه.

وهذا دليلٌ على بُطلانِ مذهبِ أحمدَ بنِ حمدانَ الهرويِّ؛ فإنَّه زعمَ: أنَّ الكفَّارَ في الحقيقةِ هم الدَّهريَّةُ، وأمَّا اليهودُ والنَّصارى وسائرُ أصنافِ الكفرةِ فليسوا بكفَّارٍ

= الكلام والنظر. انظر: «تاريخ الإسلام» للذهبي (٢٨/ ٢٣١).

(١) ذكر هذا القول والرد عليه: السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ١٤٣).

(٢) في (و): «﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ﴾: بمحمَّدٍ عليه السَّلامُ، وقيل: بالقرآن».

حقيقةً، ومنزلتُهم منزلةُ المُبتدِعةِ، يُنجِّيهم اللهُ يومًا منَ النَّارِ، حكى مذهبَه محمدُ بنُ الهَيْصَمِ وغيرُه من المُتكلِّمين(١).

﴿فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾؛ أي: من أنَّ موعدَه النَّارُ. وقيل: منَ القرآنِ.

قالوا: الخطابُ للنَّبيِّ عليه السَّلامُ والمُرادُ به غيرُه، ويَحتمِلُ أنَّ التَّقديرَ: قل للشَّاكِّ في ذلك: فلا تكُ في مريةٍ منه ﴿إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

* * *

(١٨) - ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُولَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾؛ أي: أعتى وأشدُّ كفرًا ﴿مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ أنَّ له ولدًا وشريكًا، ووصفَه بغيرِ صفتِه، وافترى عليه ما لم يُنزِّلْه.

﴿أُولَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ في المحشرِ للحسابِ ﴿وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾: الحفظةُ، وقيل: الأنبياءُ، وقيل: الخلائقُ يعرفونَهم بسيماهم، وقيل: ألسنتُهم وأيديهم وأرجلُهم.

﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ﴾: عذابُه وسَخطُه ﴿عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: الكاذبين على ربِّهم، فهم الكفَّارُ.

* * *

(١٩) - ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: دينِ الله ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾: عُدولًا عن طريقِ الصَّوابِ ﴿وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾.

---

(١) وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٠١)، وعدَّه من العجائب.

(٢٠) ـ ﴿أُولَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۚ مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ﴾.

﴿أُولَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: فائتين هَرَبًا ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾ يمنَعونَهم من عذابِه.

﴿يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ قيل: للَّذين أضلُّوا[1]. وقيل: يُضاعَفُ بتضاعُفِ الإجرامِ. وقيل: كلَّما مضى ضِعفٌ جاءَ ضِعفٌ.

﴿مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ﴾؛ أي: ثَقُلَ عليهم سماعُ الحقِّ وإبصارُه، و﴿ما﴾ نفيٌ.

وقيل: يُضاعَفُ لهم العذابُ بـ﴿مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ﴾ فلم يسمَعُوا، وبـ﴿مَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ﴾ الحقَّ فلم يُبصِروا[2].

وقيل: يُريدُ به: الآلهةَ.

* * *

(٢١) ـ ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾.

﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ وهو أعظمُ الخسرانِ، ومعنى ﴿خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾: خسِروا راحةَ أنفُسِهم وسعادتَها.

﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ عنى بذلك الأوثانَ، وقيل: بطلَ سعيُهم وخابَ رجاؤُهم، وقيل: لم ينتفِعُوا بكذبِهم.

* * *

(١) في (ن): «أضلوهم».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٠١)، واستغربه.

(٢٢) ـ ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾.

﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾ لأنَّهم ضلُّوا وأضلُّوا.

وقولُه: ﴿لَا جَرَمَ﴾ معناه: حقًّا.

وقيل: معناه: حقٌّ[(١)].

وقيل: معناه: لا بدَّ ولا محالةَ.

وذهبَ بعضُ النَّحويِّين إلى أنَّ (لا) ردٌّ لكلامٍ سابقٍ، ومعنى: ﴿جَرَمَ﴾: كسَبَ، وفاعلُه مُضمَرٌ تقديرُه: كسَبَ فعلُهم أنَّهم في الآخرةِ هم الأخسَرون، وكذلك قولُه: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ [النحل: ٦٢]، ومنه قولُ الشّاعرِ:

ولقد طَعنْتَ أبا عُيَيْنة طَعْنَةً ... جرَمَتْ فَزارةَ بعدَها أن يغضَبُوا[(٢)]

وقيلَ: معنى (جَرَمَ): قطَعَ؛ أي: لا قطَعَ قاطعٌ عن ذلك[(٣)].

---

(١) في (و): «حق له». وقال المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٠١): «قال بعضهم: (لا) نفي و(جَرَمَ) اسم ركِّبا، كما تقول: لا بد ولا محالة، ومعناه: حقٌّ، ومحلُّه رفع بالابتداء، وأن مع ما بعده في محل رفع بالخبر».

(٢) البيت لأبي أسماء بن الضريبة أو عطية بن عفيف. كما في «مجاز القرآن» (١/ ٣٥٨)، وهو في «الكتاب» (٣/ ١٣٨) منسوب للفزاري، قال أبو محمد السيرافي في «شرح أبيات سيبويه» (٢/ ١٣٤): «الشعر لرجل من بني فزارة، والمطعون رجل من فزارة، وذكر قصة فيها أن المطعون هو حصن بن حذيفة الفزاري، والمعنى: كَسَبَت الطعنةُ فَزارَةَ الغضبَ عليك». وورد البيت دون نسبة في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٩)، و«معاني القرآن» للأخفش (١/ ٢٧٢)، و«تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (ص: ٢٩٣)، و«المقتضب» للمبرد (٢/ ٣٥٢)، و«معاني القرآن» للزجاج (٣/ ١٩٤)، و«الصحاح» مادة: (ج ر م).

(٣) ذكر المصنف أن (لا) ردٌّ لكلام سابق، وذكر في معنى الفعل (جَرَمَ) ثلاثة أقوال: بمعنى كسب، وقطع، ووجب. انظر: «غرائب التفسير» (١/ ٥٠١ ـ ٥٠٢)، وانظر أقوال النحاة في (لا جرم) في: «الكتاب» (٣/ ١٣٨)، و«المقتضب» (٢/ ٣٥٢)، و«الأصول» لابن السراج (١/ ٢٧٩)، و«حروف =

وقال بعضُهم: (جَرَمَ) اسمٌ يُبنَى مع (لا) على الفتحِ؛ كقولهم: لا بدَّ، ولا محالةَ.

ورُوِيَ عن العربِ: «لا جرمَ إنَّه» بالكسرِ[1]، ورُوِيَ أيضًا: «لا جَرَ أنَّه» بحذفِ الميمِ[2].

وقيل: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ﴾ في محلِّ رفعٍ كما تقولُ: حقًّا أنَّه كذا.

* * *

(٢٣) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓاْ﴾: تواضعُوا وخشعُوا.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أنابُوا[3]. وقيل: اطمَأنُّوا. وقيل: سكَنَتْ جوارِحُهم.

واشتقاقُه منَ الخَبْتِ، وهو الأرضُ المُنخفِضةُ، وقيل: المُستويةُ، كما تقولُ: أنْجَدَ وأتْهَمَ.

﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ و(إلى) واقعٌ موقعَ اللّامِ لِـمَا بينَهما منَ القُربِ.

= المعاني والصفات» للزجاجي (ص: ٧٢)، و«الجنى الداني» للمرادي (ص: ٤١٣ ـ ٤١٥).

(١) كذا ذكر المصنف، وقد ضبطت بكسر الجيم في (ن)، وبفتحها في (و)، وقد ذكر أبو حيان في «البحر المحيط» (٦/ ١٣٨) عبارة المصنف فاختصرها، وقد نصَّ السمين الحلبي في «الدر المصون» على أن كسر الجيم لغة، ولكني أميل إلى أن المراد كسر الهمزة؛ فقد قُرِئ بذلك في الشواذ. انظر: «مختصر في شواذ القرآن» لابن خالويه (ص: ٧٦)، و«شواذ القراءات» للكرماني (ص: ٢٧٣).

(٢) من اللغات التي حكاها الكوفيون فيها: لا جُرم، ولا جرَ، ولا ذا جرم، ولا ذا جرَ، ولا إنَّ ذا جرم، ولا عزَّ ذا جرم، ومعنى هذه اللغات كلها عندهم واحد. انظر: «شرح الكتاب» للسيرافي (٣/ ٣٦٤)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٦/ ١٣٨).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٣٧٤).

وقيل: قصَدُوا بإخباتِهم إلى ربِّهم.

وقيل: بمعنى (مِنْ)؛ أي: أخبَتُوا من خوفِ ربِّهم، قاله الكلبيُّ(١).

***

(٢٤) ـ ﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾.

﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ﴾: الكافرِ والمُؤمنِ ﴿كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ﴾ يجوزُ أن يكونَ التَّقديرُ: كالذي يجمعُ عماه إلى صمَمِه، والذي يجمعُ إبصارَه إلى سمعِه؛ فيكونَ الواوُ لعطفِ الصِّفةِ على الصِّفةِ، كقولِ الشّاعرِ:

إلى المَلِكِ القَرْمِ وابنِ الهُمامِ ... وَلَيثِ الكَتِيبَةِ في المُزدَحَمْ(٢)

ويجوزُ أن يكونَ المُرادُ به واحدًا؛ أي: كالأعمى والبصيرِ، والأصمِّ والسَّميعِ.

والعمى والصَّممُ: آفتانِ يمنَعانِ عن الإبصارِ والسَّمعِ، وليسا ضِدَّين؛ لأنَّه لا تعاقُبَ بينَهما(٣).

﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾؛ أي: في المثَلِ، وهو نصبٌ على التَّمييزِ.

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ فتنتَفِعوا(٤) بضَربِ المثَلِ.

***

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٠٣)، وعدَّه من العجائب.

(٢) البيت دون نسبة في «معاني القرآن» للفراء (١/ ١٠٥)، و«تفسير الطبري» (٣/ ٨٧)، و«إعراب ثلاثين سورة» لابن خالويه (ص: ٢٢٥)، و«تفسير الثعلبي» (٣/ ٣٠٥).

(٣) ذكر أبو حيان في «البحر المحيط» (٦/ ١٣٨) عبارة المصنف بلا نسبة.

(٤) في (و): «فتنتفعون».

(٢٥) ـ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾ المبعوثِ إليهم ﴿أنّي لكم﴾: بأنّي لكم ﴿نَذِيرٌ﴾: أُنذِرُكم عذابَ الله ﴿مُّبِينٌ﴾: أُبيِّنُ لكم مصالِـحَكُم.

ومَن كسَرَ[1] فبإضمارِ القولِ؛ أي: فأتاهُم فقالَ: إنِّي لكم نذيرٌ مبينٌ.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أوحى اللهُ تعالى إلى نوحٍ وهو ابنُ أربعِ مِئة سنةٍ وثمانينَ سنةً، ودعا قومَه مئةً وعشرين سنةً، وركبَ السَّفينةَ وهو ابنُ ستِّ مئةِ سنةٍ، وبقيَ بعد هلاكِ قومِه ثلاثَ مئةٍ وخمسين سنةً، فذلك ألفُ سنةٍ إلَّا خمسينَ عامًا[2].

وهبٌ: أُوحِيَ إليه وهو ابنُ خمسينَ سنةً، ولبثَ في قومِه تسعَ مئةٍ وخمسينَ سنةً، وعاشَ بعد هلاكِ القومِ خمسين سنةً، وكان عمرُه ألفًا وخمسينَ سنةً[3].

عكرمةُ: سُمِّيَ نوحًا لأنَّه كان ينوحُ على نفسِه[4]، قال: وكانَ اسمُه ساكنًا[5].

والجمهورُ على أنَّه اسمٌ أعجميٌّ[6].

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي: (أني لكم) بفتح الهمزة، والباقون بكسرها. انظر: «السبعة» (ص: ٣٣٢)، و«التيسير» (ص: ١٢٤).

(٢) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٣٤)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٢/ ٢٤٥) من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما. والكلبي متروك، وأبو صالح لم يسمع من ابن عباس، كما تقدم.

(٣) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ١٤٦)، وأبو طالب المكي في «الهداية» (٤/ ٢٤١٤).

(٤) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ١٤٦)، وأخرجه ابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٣/ ٤٧٩).

(٥) قال مقاتل في «تفسيره» (٤/ ٤٤٩): «ونوح بالسريانية: الساكن الذي سكنت إليه الأرض»، ونقله عنه الثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ٤٠٧)، وفي «تفسير السمرقندي» (٢/١٤٦) أن اسمه كان شاكراً، وفي «زاد المسير» (١/ ٢٧٤) عن أبي سليمان الدمشقي أن اسمه السكن.

(٦) ذهب النحاة إلى أن نوحاً ولوطاً اسمان أعجميان، لكنهما صُرفا لقلة الحروف. انظر: «شرح الكتاب» للسيرافي (٤/ ١٢).

(٢٦) ـ ﴿أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ﴾.

﴿أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ يجوزُ أن يكونَ نصبًا على تقديرِ: أرسلناه بأنْ لا تعبُدوا، وقيل: أُبيِّنُ لكم أنْ لا تعبُدوا.

ويجوزُ أن يكونَ جَزْمًا على النَّهيِ، و﴿أَن﴾ هي المُفسِّرةُ.

﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ﴾ يُريدُ: الغرقَ، و﴿يَوۡمٍ أَلِيمٖ﴾ كقولِهم: نهارُه صائمٌ؛ لأنَّ الألـمَ والإيلامَ يقعُ فيه[1].

***

(٢٧) ـ ﴿فَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ﴾.

﴿فَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ﴾: أشرافُ قومِه ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا﴾: آدميًّا ﴿مِّثۡلَنَا﴾، وسُمِّيَ الإنسانُ بشرًا لظُهورِ بَشَرتِه، خلافًا للطُّيورِ والبهائمِ والصَّدفِ.

﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا﴾ ابنُ عيسى: جُمِعَ (رَذْلٌ) على (أَرْذُلٍ)[2] ثمَّ (أَراذِلَ)؛ كـ: كَلْبٍ، وأَكْلُبٍ، وأَكالِبَ.

وقيل: جمعُ الأَرْذَلِ، وهو النَّاقصُ القَدْرِ.

والأوَّلُ أظهرُ[3]؛ لأنَّ الأفضلَ يقتضي الشَّركةَ أوَّلًا ثمَّ الزِّيادةَ.

ومعنى ﴿أَرَاذِلُنَا﴾: أخِسَّاؤُنا الذين لا شرَفَ لهم ولا مالَ.

---

(١) انظر: «الكتاب» (١/ ١٦٠)، و«تمهيد القواعد» لناظر الجيش (٤/ ٢٠١٦).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٠٣)، واستغربه، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٤٦٥)، والواحدي في «البسيط» (١١/ ٣٩٢) بلا نسبة.

(٣) وهو أنه صفة مشبهة، لا اسم تفضيل.

﴿بَادِىَ ٱلرَّأْيِ﴾ قُرِئَ بالهمزةِ؛ أي: أوَّلَ الرَّأيِ، وقُرِئَ بالياءِ[١]؛ أي: ظاهِرَ الرَّأيِ، وكلاهما قريبٌ؛ لأنَّ الشَّيءَ إذا بدأ ظهرَ.

وفي ﴿ٱلرَّأْيِ﴾ قولانِ:

أحدُهما: منَ الرُّؤيةِ؛ كقولِه: ﴿رَأْىَ ٱلْعَيْنِ﴾ [آل عمران: ١٣].

والثّاني: منَ التَّفكُّرِ، وهو أظهَرُ.

وفي انتصابِه[٢] ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: أنّه نصبٌ على المصدرِ، وهو قولُ ابنِ عيسى[٣].

والثّاني: على الظَّرفِ، وهو قولُ أبي عليٍّ في «الحجَّةِ»[٤]، وإنَّما حملَه على الظَّرفِ وليس بزمانٍ ولا مكانٍ؛ لأنَّ (في) مُقدَّرٌ عندَه؛ أي: في ظاهِرِ الرَّأيِ[٥] وفي أوَّلِ الأمرِ.

والثّالثُ: الحالُ، وهو حالٌ عن نوحٍ عليه السَّلامُ، ومَن جعلَه لنوحٍ فنصبُه على النِّداءِ أَوْلى.

وفي تقديرِه ثلاثةُ أوجُهٍ:

أحدُها: ما نراكَ اتَّبعَكَ إلّا الذين هم أراذِلُنا أوَّلَ رأيِنا وظاهرَ رأيِنا؛ فالرَّأيُ من رُؤيةِ العينِ، وهو نصبٌ على المصدرِ، كما تقولُ: ضربتُه أوَّلَ الضَّربِ. ابنُ عيسى: أوَّلَ ما نَراهم نزدَريهم[٦].

---

(١) قرأ أبو عمرو بهمزة مفتوحة بعد الدال، والباقون بياء مفتوحة. انظر: «السبعة» (ص: ٣٣٢)، و«التيسير» (ص: ١٢٤).

(٢) أي: انتصاب كلمة ﴿بَادِىَ﴾.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٠٣)، واستبعده، قال: «لأن ما بعد (إلا) لا يعمل فيه ما قبله، ولا هو يعمل فيما قبل (إلا)».

(٤) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٤/ ٣١٨).

(٥) في (ن): «الأمر».

(٦) ذكره الواحدي في «البسيط» (١١/ ٣٩٦) بلا نسبة.

والثّاني: اتَّبعَكَ الأراذِلُ أوّلَ رأيِهم وظاهرَ رأيِهم؛ أي: من غيرِ تفكُّرٍ ولا رأيٍ سديدٍ، وهم يرجِعونَ عنكَ عندَ التَّفكُّرِ والتَّدبُّرِ.

والثّالث: اتَّبعوك ظاهرَ رأيٍ، فيكونُ حالًا عن نوحٍ عليه السَّلامُ، وهو ما قلنا(١): إنَّ النِّداءَ أولى به؛ عَنَوا: يا بادِيَ الرَّأيِ؛ أي: ما في نفسِكَ منَ الرَّأيِ ظاهرٌ لكلِّ أحدٍ، قالوه تعجيزًا له.

﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ عَنَوا: نوحًا وأتباعَه؛ أي: ليس لكم علينا زيادةٌ في مالٍ ولا نسبٍ ولا دينٍ، ﴿بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ﴾؛ أي: نوحًا في دَعواه، وأنتم في تصديقِكُم إيَّاه.

***

(٢٨) ـ ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ﴾.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾: ثقةٍ. ابنُ عيسى: حُجّةٍ(٢).

﴿وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ﴾: النُّبوّةَ والرِّسالةَ.

﴿فعَمِيَتْ عليكم﴾: خفِيَتْ، وكذلك ﴿عُمِّيَتْ﴾ بالتَّشديدِ(٣)؛ أي: أعماها اللهُ وأخفاها عليكم.

ابنُ عيسى: هو من المقلوبِ؛ أي: فعُمِّيتُم عنها، كما تقولُ: أدخلتُ الخاتمَ في الإصبعِ(٤).

---

(١) في (ن): «قلت».

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٤٦٥).

(٣) هي قراءة حفص وحمزة والكسائي، وقرأ الباقون بالتخفيف. انظر: «السبعة» (ص: ٣٣٢)، و«التيسير» (ص: ١٢٤).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٠٤) واستغربه.

﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾؛ أي: البيِّنةَ والرَّحمةَ؛ أي: لا نُلزِمُكم ذلك ﴿وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾: لا تُريدونَها، وقَبولُكم لها لا يصحُّ مع الكراهةِ.

مُقاتلٌ: لو استطاعَ نبيُّ الله لألزَمَها قومَه، ولكنْ لم يملِكْ ذلك[1].

* * *

(٢٩) - ﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًاۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾.

﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾: على تبليغِ الرِّسالةِ، كنايةٌ عن غيرِ مذكورٍ.

﴿مَالًا﴾: جُعْلًا ﴿إِنْ أَجْرِىَ﴾: ثوابي ﴿إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾.

﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ جوابٌ لهم حينَ سألُوا طردَهُم ليُؤمِنُوا به أنفةً منَ المُجالسةِ معَهم، ﴿إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾: يُقِرُّونَ بالبعثِ والنُّشورِ، وقيل: مُلاقُو ربِّهم فيُخاصمُوني عندَ الله، ﴿وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾؛ أي: في سُؤالِكم طردَهم وكُفرِكم بآياتِ الله، و﴿تَجْهَلُونَ﴾ أنَّ هؤلاءِ خيرٌ منكم لإيمانِهم.

* * *

(٣٠) - ﴿وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾.

﴿وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ﴾: من عذابِ الله ﴿إِن طَرَدتُّهُمْ﴾: أبعدتُهم، ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾: ألا تُراجِعون عقولَكم فتعرفوا الصَّوابَ؟!

* * *

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٣٨٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٢٣) عن قتادة.

(٣١) ـ ﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾.

﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ ﴾: خزائنُ أموالِه فأُعطيَكم على الإيمانِ، وقيل: خزائنُ المطرِ فأسوقَها إليكم، وقيل: مفاتحُ الغيبِ.

﴿وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ ﴾ ـ هو ما غابَ عن الإدراكِ ـ فأُخبِرَكم به، وهو عطفٌ على القولِ لا المَقولِ[1].

﴿وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ﴾ جوابٌ لقولِهم: ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا﴾ [هود: ٢٧]، والمعنى: لستُ أدَّعي ما ليس فيَّ.

﴿وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ ﴾ يعني: مَن آمنَ معه، ومعنى ﴿تَزْدَرِىٓ﴾: تحتقِرُ، والازدِراءُ: افتِعالٌ من قولِهم: زَرَيتُ على الشَّيء؛ إذا عِبتَه، وأَزْرَيتُ به: إذا قصَّرْتَ به.

﴿لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ﴾: توفيقًا وإيمانًا، جوابٌ لقولِهم: اتَّبعوكَ في ظاهرِ الرَّأيِ وباطنُهم على خلافِ ذلك.

﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ منَ الخيرِ والشَّرِّ، لستُ مأخوذًا به.

﴿إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ إنْ قلْتُ من هذه شيئًا.

* * *

(٣٢) ـ ﴿ قَالُوا۟ يَـٰنُوحُ قَدْ جَـٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾.

﴿ قَالُوا۟ يَـٰنُوحُ قَدْ جَـٰدَلْتَنَا ﴾: خاصَمْتَنا، والجِدالُ: فتلُ الخصمِ عن رأيه بالحِجاجِ[2].

---

(١) أي: جملة الفعل (أعلم) معطوفة على جملة الفعل (أقول)، لا على جملة (عندي خزائن الله).

(٢) في (و): «بالجدال».

الكلبيُّ: دَعَوْتَنا[1]. وقيل: وَعَظْتَنا.

﴿فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا﴾: أتيتَ بأنواعِ الجدالِ وفُنونِه. وقيل: أطَلْتَ الجِدالَ. الكلبيُّ: فأكثَرْتَ الدَّعوةَ[2]. وقيل: فأكثَرْتَ الوعظَ.

فما صحَّتْ لنا دَعواكَ، ﴿فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ منَ العذابِ ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في وعيدِكَ.

* * *

(٣٣) ـ ﴿قَالَ إِنَّمَا يَأۡتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ﴾.

﴿قَالَ إِنَّمَا يَأۡتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾؛ أي: العذابِ ﴿إِن شَآءَ﴾ عاجلًا أو آجلًا، ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ﴾: لم تقدِروا على الهرَبِ منه، وقيل: لا تفوتون.

* * *

(٣٤) ـ ﴿وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ هُوَ رَبُّكُمۡ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾.

﴿وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ﴾: دُعائي ﴿إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ﴾: يُضلَّكُم؛ أي: إرادةُ الله فوقَ كلِّ إرادةٍ، وهذا شرطٌ دخلَ على شرطٍ، فيكونُ الثَّاني مُقدَّمًا في الحكمِ، تقديرُه: إنْ كانَ الله يُريدُ أن يُغوِيَكم لا ينفعُكُم نُصحي إنْ أردْتُ أن أنصَحَ لكم.

﴿هُوَ رَبُّكُمۡ﴾: خالقُكم مُتصرِّفٌ فيكم على قضيَّةِ إرادتِه، ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ بالموتِ والبعثِ، فيُجازيكُم على أعمالِكُم.

---

(١) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ١٤٨).

(٢) المصدر السابق.

(٣٥) ـ ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ﴾.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ يعني: ما أخبـرَ به محمَّدٌ عليه السَّلامُ ﴿قُلْ﴾ يا محمَّدُ: ﴿إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي﴾: وَبالُ جُرمي وجزاؤُه دونكم، تقولُ: أجرَمَ الرَّجلُ: إذا أذنبَ، والاسمُ: الجُرْمُ والذَّنْبُ.

﴿وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ﴾: وليس عليَّ من إجرامِكم شيءٌ.

وعن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ يعني: نوحًا عليه السَّلامُ[1]. فيحتاجُ إلى إضمارٍ؛ أي: فقلنا لنوحٍ: ﴿قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ﴾.

والأوَّلُ أظهرُ، وأنَّه اعتراضٌ في خلالِ قصَّةِ نوحٍ عليه السَّلامُ.

* * *

(٣٦) ـ ﴿وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾.

﴿وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ﴾ آيَسه اللهُ من إيمانِ قومِه، فدَعا عليهم وقالَ: ﴿لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦].

﴿فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ قيل: هذا خطابٌ له بعدَ الدُّعاءِ؛ لأنَّه لـمَّا دَعا عليهم حزِنَ واغتَمَّ، وقيل: مُتَّصلٌ بالأولى.

والابتِئاسُ: افتِعالٌ منَ البُؤْسِ، والبُؤْسُ: الحزنُ، والبُؤْسُ: الفقرُ أيضًا، والبأسُ: الشِّدَّةُ.

ابنُ عيسى: والابتِئاسُ: الحزنُ في استِكانةٍ[2].

* * *

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٤/ ٣٤٩)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٠٤)، واستغربه.

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٤٦٩) بلا نسبة.

(٣٧) ـ ﴿ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴾.

﴿ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ ﴾: واعملِ السَّفينةَ ﴿بِأَعۡيُنِنَا﴾ بحيثُ نراها، والعينُ عبارةٌ عن الرُّؤيةِ.

وقيل: بعلمِنا وحفظِنا.

وقيل: بأعيُنِ أوليائِنا[١]؛ يعني: الملائكةَ.

وقيل: جمعُ عينِ الماءِ، وفيه بُعدٌ[٢].

﴿وَوَحۡيِنَا﴾: على ما أوحَينا إليك من صفتِها.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: لـم يعلَمْ كيفَ صنعةُ الفُلكِ، فأوحى اللهُ إليه أن اصنَعْه مثلَ جُؤْجُؤِ الطّائرِ[٣].

وقيل: أوحَيْنا إليكَ أنِ اصنَعْها.

﴿وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾: لا تُراجِعْني فيهم ﴿إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ﴾.

وقيل: المُرادُ بقولِه: ﴿فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ واعلةُ زوجتُه، وكنعانُ ابنُه[٤].

* * *

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٠٤)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٠٤)، وعدَّه من العجائب. وفي هامش (ن): «وبعدُه من حيث إنه لا يمكن صنعة السفينة في الماء، إلا أن تجعل الباء بمعنى اللام، أو يقدر فيه غير ذلك».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٣٩٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٢٥). الجؤجؤ: الصدر. وقيل عظامه، والجمع الجآجئ. انظر: «النهاية» مادة (ج ؤ ج ؤ).

(٤) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٤/ ٣٥١).

(٣٨) ـ ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾.

﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ﴾ حكايةُ حالٍ.

وجاء في التَّفسير: أنَّ الله أمرَه بغرسِ الأشجارِ، فغرَسَها حتَّى أدركَتْ، وكانت أشجارَ ساجٍ، فقطعَها حتّى يبِسَتْ، ثمَّ اتّخذَ منها السَّفينةَ، واستأجرَ أُجراءَ ينحتُونَ معَه.

الحسنُ: كان طولُها ألفَ ذراعٍ ومئتَي ذراعٍ، وعرضُها ستُّ مئةِ ذراعٍ(١).

وقيل: كان طولُها ثلاثَ مئةِ ذراعٍ، وعرضُها خمسون ذراعًا، وارتفاعُها ثلاثون ذراعًا، وبابُها في عرضِها.

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: كانت ثلاثَ طبقاتٍ؛ طبقةٌ للنّاسِ وهي العُليا منها، وطبقةٌ للطّيرِ، وطبقةٌ للدَّوابِّ والوحشِ(٢).

وهبٌ: تمَّت في مئةِ سنةٍ(٣). وقيل: في أربعِ مئةِ سنةٍ.

﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ﴾: استهزَؤُوا منه(٤)، وقالوا: يا نوحُ، صرتَ نجّارًا بعد النُّبوّةِ.

وإنَّما سخِرُوا لأنَّه كان يعملُها في البرِّ ولا ماءَ هناك يَحملُ مثلَها.

وقيل: لم يكونوا رأوا سفينةً قبلَها، وكانوا يتضاحَكُونَ ويتعجَّبون من عملِه لها.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٣٩٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٢٦).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٣٩٥)، والثعلبي في «تفسيره» (١٤/ ٣٥٤).

(٣) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ١٤٩).

(٤) في (ن): «به».

﴿قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ قيل: نُجازيكُم على سُخريتِكُم.

الزَّجَّاجُ: إن تستَجْهِلُونا فإنّا نستَجْهِلُكُم كما تستَجْهِلون[1].

وقيل: إنَّا نسخرُ منكم عندَ الغرقِ.

***

(٣٩) ـ ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾.

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾: يُهلِكُه ويفضَحُه ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ﴾: وينزلُ عليه ﴿عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾: دائمٌ عليهم.

و﴿مَن﴾ بمعنى: الذي، ومحلُّه نصبٌ. وقيل: استفهامٌ، ومحلُّه رفعٌ.

***

(٤٠) ـ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ بالعذابِ ﴿وَفَارَ﴾ ابنُ عبَّاسٍ: نبعَ الماءُ[2].

غيرُه: ارتفعَ، من فارتِ القِدْرُ تفورُ فَوْرًا وفَورانًا.

﴿ٱلتَّنُّورُ﴾ ابنُ عبَّاسٍ في جماعةٍ: التَّنُّورُ: وجهُ الأرضِ[3].

وعن عليٍّ رضي الله عنه: التَّنُّورُ: طلوعُ الفجرِ[4].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٥٠).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٤٠٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٢٨).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٤٠١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٢٩).

(٤) رواه سعيد بن منصور في «سننه ـ التفسير» (١٠٨٨)، والطبري في «تفسيره» (١٢/ ٤٠٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٢٨).

قتادةُ: التَّنُّورُ: أشرفُ موضعٍ في الأرضِ وأعلى مكانٍ فيها[١].

والأكثرُ: على أنَّه تنُّورُ الخبزِ، وكان ذلك علامةً لمجيءِ العذابِ، واختُلِفَ في موضعِه؛ فقيل: كان في الكوفةِ في موضعِ مسجدِها، وقيل: كان في الهندِ، وقيل: بعينِ وردةَ من أرضِ الجزيرةِ.

وقيل: ﴿فَارَ التَّنُّورُ﴾: كنايةٌ عن اشتدادِ الأمرِ وصُعوبتِه، كما يُقالُ: حَمِيَ الوطيسُ: إذا اشتدَّتِ الحربُ. والتَّنُّورُ مُعرَّبٌ[٢].

﴿قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا﴾: في السَّفينةِ ﴿من كلِّ زوجين اثنين﴾.

الزَّوجُ: الفردُ، من قولِه: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ [الأنعام: ١٤٣].

والزَّوجُ أيضًا: اثنانِ ممَّا لا يتباينانِ في الأكثرِ، كزوجِ نعلٍ وزوجِ حمامٍ.

والزَّوجُ: الصِّنفُ أيضًا من قولِه: ﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [الحج: ٥].

أي: من كلِّ صنفَين ذكرٍ وأُنثَى اثنين، فيكونُ ﴿اثْنَيْنِ﴾ مفعولَ ﴿احْمِلْ﴾.

ومَن نوَّنَ[٣] فالمعنى: من كلِّ حيوانٍ فردَين ذكرٍ وأُنثى، فـ﴿زَوْجَيْنِ﴾ المفعولُ، و﴿اثْنَيْنِ﴾ تأكيدٌ.

﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ تقدَّمَ قَولي لك: لا تُخاطبني فيه، وهو امرأتُه وابنُه.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٤٠٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٢٩).

(٢) انظر: «فقه اللغة» للثعالبي (ص: ٢٧٨)، و«المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب» للسيوطي (ص: ٨٠). وقد قال ابن جني إلى أنه لفظ عربي مشتق من (ت ن ر)، وهو أصل لم يستخدم إلا في هذه الكلمة، ثم قال: «ويقال: إن التنور لفظ اشترك فيه جميع اللغات من العرب وغيرهم، فإن كان كذلك فهو طريف». انظر: «الخصائص» (٣/ ٢٨٨).

(٣) قراءة حفص، والباقون بغير تنوين. انظر: «السبعة» (ص: ٣٣٣)، و«التيسير» (ص: ١٢٤).

وقيل: ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ﴾ فيهم؛ فإنَّهم مُهلَكُونَ، وهم الكفَّارُ.

وقيل: القولُ هاهنا: الوعيدُ.

وقيل: ﴿أهلَكَ﴾ هاهنا فعلٌ ماضٍ؛ أي: أهلَكَ اللهُ إلّا مَن سبقَ عليه القولُ بالنَّجاةِ، وهم المُؤمنونَ منهم.

والقولُ هو الأوَّلُ؛ لأنَّ مَن سبقَ عليه القولُ يُستعملُ في الوعيدِ دونَ الوعدِ.

﴿وَمَنْ ءَامَنَ﴾؛ أي: واحمِلْ مَن آمنَ.

﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ قيل: ثمانون من رجلٍ وامرأةٍ.

وقيل: لم يكُنْ في السَّفينةِ إلّا نوحٌ وامرأتُه وثلاثةٌ من بنيه ونساؤُهم، فجميعُهم ثمانيةٌ، وقيل: سبعةٌ.

وأسماءُ بنيه: يافِثُ وسامٌ وحامٌ، وأصابَ حامٌ امرأتَه في السَّفينةِ، فدعا نوحٌ أن يُغيِّرَ نُطفتَه فجاء بالسُّودانِ(١).

ورَوَى المُفسِّرون عن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما قال: قال الحواريُّونَ لعيسى عليه السَّلامُ: لو بعثْتَ لنا رجلًا شهِدَ السَّفينةَ فحدَّثَنا عنها، فانطلَقَ بهم حتَّى انتهى إلى كثيبٍ من ترابٍ، فأخذَ كفًّا من ذلك التُّرابِ بكفِّه قال: أتدرونَ ما هذا؟ قالوا: اللهُ ورسولُه أعلَمُ، قال: هذا كعبُ حامِ(٢) بنِ نوحٍ عليه السَّلامُ، قال: فضربَ الكثيبَ بعصاه وقال: قُمْ بإذنِ الله، فإذا هو قائمٌ ينفضُ التُّرابَ عن رأسِه قد شابَ، قال له عيسى: هكذا هلَكْتَ؟ قال: لا، متُّ وأنا شابٌّ، ولكنِّي ظننتُ أنَّها السَّاعةُ فمِن

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٤١١) عن ابن جريج، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٣٢) عن أبي صالح، وهو مأخوذ من الإسرائيليات.

(٢) في (ن): «سام».

ثَمَّ شِبْتُ، قال: حدِّثْنا عن سفينةِ نوحٍ، قال: كان طولُـها ألفَ ذراعٍ ومئتَي ذراعٍ، وعرضُها ستُّ مئةِ ذراعٍ، وكانت ثلاثَ طبقاتٍ؛ فطبقةٌ فيها الدَّوابُّ والوحشُ، وطبقةٌ فيها الإنسُ، وطبقةٌ فيها الطَّيرُ، فلمَّا كثُرَتْ أرواثُ الدَّوابِّ أوحى الله إلى نوحٍ أن اغمِزْ ذنبَ الفيلِ، فغمزَ فوقعَ منه خنزيرٌ وخنزيرةٌ، فأقبَلا على الرَّوثِ، فلمَّا وقعَ الفأرُ في السَّفينةِ جعلَ يقرضُها وحبالَـها، وذلك أنَّ الفأرَ توالَدَتْ في السَّفينةِ، أوحى الله إلى نوحٍ أن اضرِبْ بينَ عينَي الأسدِ، فضرَبَ فخرجَ من منخرِه سنَّورٌ وسنَّورةٌ، فأقبلا على الفأرِ، فقال له عيسى: كيفَ علِمَ نوحٌ أنَّ البلادَ قد غرِقَتْ؟ قال: بعثَ الغرابَ ليأتيَه بالخبرِ، فوجدَ جيفةً فوقعَ عليها، فدعا عليه بالخوفِ، فلذلك لا يألَفُ البيوتَ، ثمَّ بعثَ حمامةً فجاءَتْ بورقِ زيتونٍ بمِنقارِها وطينٍ برجلَيها، فعلمَ أنَّ البلادَ قد غرِقَتْ، قال: فطوَّقَها الحلقةَ التي في عنُقِها، ودعا لها أن تكونَ في أُنسٍ وأمانٍ، فمِن ثَمَّ تألَفُ البيوتَ، قال: فقالوا: يا رسولَ الله، ألا نَنطلقُ به إلى أهلِنا فيجلسَ معنا ويُحدِّثَنا؟ قال: كيف يتَّبِعُكم مَن لا رزقَ له؟ قال: فقالَ له: عُدْ بإذنِ الله، فعادَ تُرابًا[1].

***

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٣٩٥)، والثعلبي في «تفسيره» (١٤/ ٣٥٤). قال ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٧٧): «أثر غريب». قلت: ولا يصح مثل هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما، وما هو إلا من التخريفات والأباطيل كما قال محمد أبو شهبة في «الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير» (ص: ٢١٧)، قال: «وهذا لا يمكن أن يمت إلى الإسلام بصلة، وإنما هي أحاديث خرافة اختلقها اليهود وأضرابهم على توالي العصور، وكانت شائعة مشهورة في الجاهلية، فلما جاء الإسلام نشرها أهل الكتاب الذين أسلموا بين المسلمين، وهؤلاء رووها بحسن نية، ولم يزيفوها اعتمادًا على أنها ظاهرة البطلان، وأوغل زنادقة اليهود وأمثالهم في الكيد للإسلام ونبيه، فزوروا بعضها على النبي ﷺ».

(٤١) ـ ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِيهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا﴾؛ أي: صِيْروا فيها، وجعلَ ذلك رُكوبًا لأنَّها تجري جريَ المركوبِ منَ الدَّوابِّ، وقال: ﴿فِيهَا﴾ لأنَّ استقرارَهُم فيها.

فلمَّا ركبَها نوحٌ وأصحابُه أرسلَ الله السَّماءَ عليهم مدرارًا، وفجَّرَ الأرضَ عيونًا، والتَقى الماءانِ حتَّى غرِقَ الجبالُ ومَن عليها.

﴿بسم اللّه مُجْراها ومُرْساها﴾: اركبُوا باسمِ الله، وقيل: ابدؤُوا بسمِ الله.

وقيل: ﴿مُجْراها ومرساها﴾؛ أي: إجراؤُها وإرساؤُها بالله، فهو مبتدأٌ وخبرٌ.

الضَّحَّاكُ: إذا أرادَ أن تجريَ قال: بسمِ الله، فجَرَتْ، وإذا أرادَ أن ترسُوَ قال: بسمِ الله، فرَسَتْ(١).

والمُجرَى والمُرسَى صالحانِ للمصدرِ والزَّمانِ والمكانِ، وكذلك مَن قرأ: ﴿مَجْرِيهَا﴾ بالفتحِ(٢).

﴿إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ﴾ لمَن آمنَ منهم ﴿رَحِيمٌ﴾ حين خلَّصَهم.

* * *

(٤٢) ـ ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿وَهِيَ﴾؛ أي: السَّفينةُ ﴿تَجْرِي بِهِمْ﴾؛ أي: وهم فيها ﴿فِي مَوْجٍ﴾: جمعُ (مَوْجةٍ)؛ كتمرٍ وتمرةٍ. والمَوجُ: حركةُ الماءِ الكثيرِ بدخولِ الرِّياحِ الشَّديدةِ في خلالِه.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٤١٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٣٣).

(٢) قرأ حفص وحمزة والكسائي ﴿مجريها﴾ بفتح الميم والباقون بضمها، واتفق السبعة على ضم الميم في ﴿مُرساها﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٣٣٣)، و«التيسير» (ص: ١٢٤).

﴿كَٱلۡجِبَالِ﴾ في العِظَمِ. ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ﴾ كنعانَ، وقيل: اسمُه يام.

وجُلُّ المُفسِّرين على أنَّه ابنُه لصُلبِه، وعن عليٍّ رضي الله عنه أنَّه قال: لم يكُنْ ابنَه، وإنَّما كانَ ابنَ امرأتِه، وكان يقرأُ: (ابنَها)[1]، وعن بعضِ القُرَّاءِ: (ابنَهَ) بفتح الهاءِ؛ يريدُ: ابنَها[2]. وهو شاذٌّ.

وعن الحسنِ أيضًا: أنَّه ليس بابنِه[3]. ورُوِيَ عنه أيضًا أنَّه قال: كان لغيرِ رِشْدةٍ[4]. وهذا قولٌ مرغوبٌ عنه؛ لأنَّ الله عصَمَ أنبياءَه من مثلِ هذا، وحمَلَ المُفسِّرون قولَه: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ [التحريم: ١٠] على الدِّينِ، لا على الفَرْجِ[5].

﴿وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ﴾ عن أبيه وعن السَّفينةِ. وقيل: بمعزلٍ عن دينِ أبيه. والعزلةُ: البعدُ.

﴿يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا﴾ في السَّفينةِ ﴿وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾؛ أي: أسلِمْ واركَبْ، وقيل: كان يُنافقُ.

---

(١) ذكرها ابن جني في «المحتسب» (١/ ٣٢٢)، والواحدي في «البسيط» (١١/ ٤٣٣)، وذكر الثعلبي في «تفسيره» (١٤/ ٣٧٥) أن هذا قول محمد الباقر.

(٢) ذكرها النحاس في «معاني القرآن» (٣/ ٣٥٢) عن هشام بن عروة عن أبيه، وقال: «يريد: ابنها، ثم حذف الألف، ومثل هذا لا يجوز عند أهل العربية».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٤٢٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٣٤).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٤٢٧)، ولفظه: «عن سعيد، عن قتادة، قال: سمعت الحسن يقرأ هذه الآية: ﴿«إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖ»﴾ [هود: ٤٦]، فقال عند ذلك: والله ما كان ابنه ثم قرأ هذه الآية: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾[التحريم: ١٠] قال سعيد: فذكرت ذلك لقتادة، قال: ما كان ينبغي له أن يحلف»، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٤٧٥)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٠٦)، وعدَّه من العجائب.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ١٩٥)، و«تأويلات أهل السنة» للماتريدي (١٠/ ٩٧)، و«التفسير الكبير» للرازي (١٧/ ٣٥١).

(٤٣) - ﴿قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ﴾.

﴿قَالَ سَـَٔاوِيٓ﴾: سأصيرُ ﴿إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِ﴾: يمنَعُني منَ الغرقِ. والعِصمةُ: المنعُ منَ الآفةِ.

﴿قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ فيه قولان:

أحدُهما: أنَّه استثناءٌ مُنقطعٌ؛ لأنَّ مَن رُحِمَ معصومٌ، والمفعولُ ليس من جنسِ الفاعلِ، وتقديرُه: لكنْ مَن رحمَه الله معصومٌ، ومحلُّ ﴿مَن﴾ نصبٌ.

والثّاني: أنَّ الاستثناءَ صحيحٌ، ومحلُّ ﴿مَن﴾ رفعٌ، وفي تقديرِه أربعةُ أوجهٍ:

أحدُها: أنَّ ﴿مَن رَّحِمَ﴾ هو الله عزَّ وجلَّ؛ أي: لا عاصمَ إلّا اللهُ.

والثاني: أنَّ العاصمَ نوحٌ، وقد دعاه إلى النَّجاةِ.

والثّالث: أنَّ المُرادَ به: لا ذا عصمةٍ إلَّا مَن رحمَه الله؛ فإنَّه ذو عصمةٍ.

والرّابعُ: ﴿عَاصِمَ﴾ بمعنى: معصومٍ كـ ﴿عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ﴾ [الحاقة: ٢١]، و﴿مَّآءٖ دَافِقٖ﴾ [الطارق: ٦]، وناقةٍ راحلةٍ، وسرٍّ كاتمٍ، وأمرٍ عارفٍ، وتطليقةٍ بائنةٍ، ويمينُكَ آشِرَةٌ(١)، وما زيدٌ بحازمِ الأمرِ، وهذا قولُ الكوفيِّين(٢).

﴿وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ﴾: بينَ ابنِه والجبلِ، وقيل: بين نوحٍ وابنِه، ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ﴾ أي: صارَ منَ المُهلكينَ بالماءِ.

---

(١) آشرة هنا بمعنى مأشورة؛ أي مقطوعة، من قولهم: أشرت الخشبة؛ إذا قطعتها. ويقال أيضًا: وشرتها ونشرتها، ويقال: هو المئشار والميشار والمنشار. انظر: «الأضداد» لابن الأنباري (ص: ١٢٨).

(٢) نقل ابن ولّاد اتفاق أهل اللغة على أن الاستثناء هنا منقطع، ولكن أجاز الفراء من الكوفيين أن يكون متصلًا على أن (عاصم) بمعنى: معصوم، وقد ردَّ هذا الوجه ابن ولّاد. انظر: «الكتاب» (٢/ ٣٢٥)، و«معاني القرآن» للفراء، (٢/ ١٥)، و«شرح الكتاب» للسيرافي (٣/ ٧١)، و«الانتصار» لابن ولّاد (ص: ١٦٥).

(٤٤) ـ ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ﴾: أدخِلي الماءَ في أجزائِكِ بسرعةٍ شيئًا فشيئًا.

﴿مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي﴾: ويا سحابُ أمسِكي عن إنزالِ الماءِ.

وقيل: كانتِ المياهُ يومَئذٍ تنزلُ منَ السَّماءِ، وتنبعُ العيونُ منَ الأرضِ السّابعةِ.

تقولُ: أقلعَتِ السَّماءُ: إذا ذهبَ مطرُها، وأقلعَ عنِ الأمرِ: إذا تركَه.

﴿وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ﴾: نقَصه الله، و(غاضَ) لازمٌ ومتعدٍّ.

والغيضُ: غَيبةُ الماءِ في الأرضِ على جهةِ[1] النَّشَفِ.

﴿وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾: فُرِغَ من إهلاكِ مَن هلَكَ وإنجاءِ مَن نجا.

﴿وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّ﴾: استقرَّتِ السَّفينةُ عليه، و(الجوديُّ): جبلٌ معروفٌ بناحيةِ الموصلِ، وقيل: في جزيرةِ الشَّامِ، وقيل: بناحيةِ آمِدَ[2]، وقيلَ: من وراءِ آمِدَ.

وقيل: اسمٌ لكلِّ جبلٍ، حكاه الماوَرْديُّ[3]، وهو سهوٌ.

﴿وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ أي: أبعدَهم الله من الخيرِ والرَّحمةِ، وهو نصبٌ على المصدرِ، وهو من كلامِ الله لهم. وقيل: قال المؤمنونَ على وجهِ الدُّعاءِ عليهم.

وجاء في الخبرِ: أنَّ نوحًا عليه السَّلامُ ركبَ في السَّفينةِ في العاشرِ من رجَبٍ، ونزلَ عنها في العاشرِ منَ المُحرَّمِ[4].

---

(١) في (ن): «وجه».

(٢) هي من مدن ديار بكر، فُتحت عام عشرين للهجرة، ووُصفت بأنها أحصن مدينة في بلاد العرب. انظر: «البلدان» لابن الفقيه (ص: ١١١)، و«معجم البلدان» لياقوت الحموي (١/ ٥٦).

(٣) انظر: «النكت والعيون» للماوردي (٢/ ٤٧٤).

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٧٨٤٩)، والطبري في «تفسيره» (١٢/ ٤٢١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٢٣)، عن قتادة.

أجمعَ المُعاندون على أنَّ طوقَ البشرِ قاصرٌ عن الإتيانِ بمثلِ هذه الآيةِ بعد أن فتَّشُوا جميعَ كلامِ العربِ والعجَمِ، فلم يجدوا مثلَها في فخامةِ ألفاظِها، وحُسنِ نظمِها، وجودةِ معانيها في تصويرِ الحالِ مع الإيجازِ من غيرِ إخلالٍ[١].

***

(٤٥) ـ ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾.

﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ﴾ أي: دعا ربَّه، فقال: أي[٢] ربِّ، إنَّ ابني من أهلي الذين أمرتَني بحملِهم ووعدتَني نجاتَهم، وإنَّ وعدَكَ حقٌّ لا خُلفَ فيه ﴿وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾: لا شططَ في حُكمِكَ ولا ميلَ.

قيل: سألَ هذا حينَ صار عنه بمعزلٍ. وقيل: سألَ قبل أن عرَفَ هلاكَه. وقيل: سألَ مغفرتَه بعد أن عرَفَ هلاكَه، وهذا أليَقُ بالآيةِ.

وقيل: ﴿إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى﴾: من زوجَتي، حكاه الثَّعلبيُّ[٣].

***

(٤٦) ـ ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾.

﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ لأنَّه كافرٌ، والكفرُ يقطعُ الولايةَ بين المؤمنِ والكافرِ، وقيل: ليس من أهلِ دينِكَ، وقيل: ليس من أهلِكَ الذينَ وعدتُكَ إنجاءَهُم.

---

(١) توالى علماء البلاغة والبيان على الإشادة ببلاغة هذه الآية، والتنويه على عظمة الإعجاز القرآني فيها، وقد أفرد لها بعض فرسان البلاغة تصنيفاً. انظر: «العمدة» لابن رشيق (١/ ٢١١)، و«سر الفصاحة» للخفاجي (ص: ٢٢٤)، و«مفتاح العلوم» للساكي (ص: ٤١٧).

(٢) في (ن): «يا».

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٤/ ٣٧٥) عن أبي جعفر الباقر، وقد تقدم الكلام على قراءة عليٍّ رضي الله عنه: (ونادى نوح ابنها).

الحسنُ: لغيرِ رِشْدةٍ، وقد سبق.

﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ فيه قولانِ:

أحدُهما: أنَّه يعودُ إلى ابنِ نوحٍ؛ أي: إنَّه ذو عملٍ غيرِ صالحٍ لكثرةِ وقوعِه منه.

والثَّاني: أنَّ سُؤالَك إيّايَ تخليصَه بعد كُفرِه عملٌ غيرُ صالحٍ؛ أي: غيرُ مرضيٍّ.

وقيل: سؤالُك تخليصَه بعدَ قولِك: ﴿لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦] عملٌ غيرُ صالحٍ.

ومَن قرأ: ﴿عَمِلَ غيرَ صالحٍ﴾ على الفعلِ(١)، فهو لابنِ نوحٍ لا غير.

﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ بجوازِ مسألتِه(٢). وقيل: لا تعلَمُ كونَه صوابًا. وقيل: لا تعلَمُ أنَّه جائزٌ في حُكمي.

﴿إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ بوعدي لك. وقيل: أعِظُكَ بمواعظي لئلّا تكونَ منَ الجاهلين بما أمرتُكَ به. وقيل: منَ الجاهلين فتظنَّ أنْ لا أفي بوَعدي.

وقيل: منَ الجاهلين بنَسَبِكَ، وهذا قولُ الحسَنِ(٣).

* * *

(٤٧) - ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ﴾: أعتصِمُ وأمتنعُ ﴿أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى﴾ ذَنْبي بسُؤالي ﴿وَتَرْحَمْنِىٓ﴾ بفضلِكَ ﴿أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾.

---

(١) هي قراءة الكسائي. انظر: «السبعة» (ص: ٣٣٤)، و«التيسير» (ص: ١٢٥).

(٢) في (ن): «لجواز مسألته»، والمثبت من (و) وهو الصواب، والمعنى: ما ليس لك بجواز مسألته علم.

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٤٧٦)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٢/ ٣٧٨)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٠٨)، واستغربه.

وقولُهُ: ﴿بِهِۦ عِلْمٌ﴾ الجارُّ متعلّقٌ بمُضمَرٍ دلَّ عليه العلمُ[1]، كقولِه: ﴿كانوا فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ﴾ [يوسف: ٢٠] وأخواتِه.

وأجازَ أبو عليٍّ في «الحجّةِ» أن يتعلَّقَ بالمُضمرِ في الظَّرفِ وهو الاستقرارُ، كما تقولُ: ليس لك فيه رِضا[2].

* * *

(٤٨) - ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا﴾: انزِلْ منَ السَّفينةِ بسلامةٍ وخَلاصٍ من المكارهِ؛ أي: سالمًا، وقيل: بتحيَّةٍ منَّا.

﴿وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ﴾: وزياداتٍ في نسلِكَ حتَّى صارَ أبا البشرِ بعد آدمَ.

ورُوِيَ عن النَّبيِّ عليه السَّلامُ أنَّه قالَ: «سامُ بنُ نوحٍ أبو العربِ، ويافثُ أبو الرُّومِ، وحامٌ أبو الحبشِ»[3].

ولم يتَّصِلْ من غيرِه ممَّن كانَ معه نسلٌ[4]، يُقوِّيه قولُه: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾ [الصافات: ٧٧].

---

(١) يمنع البصريون تعليق الجار والمجرور بالمصدر إذا تقدم عليه؛ فلذلك علقوه بمضمر يفسّره ما بعده، أما الكوفيون فيمنعون إعمال المصدر أصلاً ما لم يكن مضافاً. انظر: «شرح الأشموني على لألفية ابن مالك» (٢/ ٢٠٠).

(٢) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٤/ ٣٤٤).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٠٠٩٩)، والترمذي (٣٩٣١) وحسنه من طريق الحسن عن سمرة بن جندب رضي الله عنه، وفيه عنعنة الحسن، لكن رواه الحاكم في «المستدرك» (٤٠٠٦) وصححه عن الحسن عن عمران بن حصين عن سمرة رضي الله عنه، وقد ضعّف الحديث محققو «المسند» فلينظر الكلام عليه في حواشيه.

(٤) انظر تفصيل هذه المسألة عند تفسير قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ [الإسراء: ٣].

وقيل: البركاتُ هاهنا: السَّعادةُ. وقيل: النِّعمةُ الباقيةُ.

﴿وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَ﴾؛ أي: وعلى أُممٍ يلِدون ممَّن معَك، يُريدُ: أولادَ أولادِكَ ما تناسَلُوا.

جعلَهم قسمَين: قسمٌ دخلَ تحتَ السَّلامِ والبركاتِ، وهم المُؤمنون من ذُرِّيَّتِه إلى يومِ القيامةِ، وقسمٌ هو المذكورُ بقوله: ﴿وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ﴾؛ أي: في الدُّنيا بالسَّعةِ في الرِّزقِ والخفضِ في العيشِ ﴿ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾؛ أي: في القيامةِ، وهم الكفَّارُ[1] من ذُرِّيَّتِه.

وقيل: سائرُ الحيوانِ داخلٌ تحتَ البركاتِ.

***

(٤٩) ـ ﴿تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ﴾.

﴿تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ﴾: إشارةٌ إلى قصَّةِ نوحٍ وقومِه. وقيل: إشارةٌ إلى السَّفينةِ؛ أي: خبرِها، ومعنى ﴿مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ﴾؛ أي: غِبْتَ عنها.

﴿نُوحِيهَآ إِلَيۡكَ﴾: ينزِلُ بها جبريلُ عليك مُعجِزةً لك وصِحَّةً لنبوَّتِكَ.

﴿مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ﴾؛ أي: لم يكُنْ هذا من علمِكَ ولا من علمِ قومِكَ ﴿مِن قَبۡلِ هَٰذَا﴾: قبلَ القرآنِ، وقيلَ: قبلَ هذا الوقتِ.

﴿فَٱصۡبِرۡ﴾ على أذى قومِكَ كما صبرَ نوحٌ؛ ﴿إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ﴾: النَّصرَ والظَّفرَ ﴿لِلۡمُتَّقِينَ﴾: للمُوحِّدين.

---

(١) في (ن): «الكافرون»، وفي الهامش في نسخة: «الكفار».

(٥٠) ـ ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾.

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾؛ أي: وأرسَلْنا هودًا إلى عادٍ. وقيل: هو عطفٌ على ما قبلَه[١]. وسمَّاه أخاهم لأنَّه كانَ من نسبِهم.

الزَّجَّاجُ: هو أخوهم من حيثُ إنَّه من ولدِ آدمَ، وهم أولادُه[٢].

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾؛ أي: وحِّدوه ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ﴾: معبودٍ ﴿غَيْرُهُۥٓ﴾: غيرُ الله، ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾: كاذِبون في إشراكِكُم معَ الله الأوثانَ.

* * *

(٥١) ـ ﴿يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

﴿يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾: على تبليغِ الرِّسالةِ ﴿أَجْرًا﴾: جُعْلًا، وقيل: رزقًا ﴿إِنْ أَجْرِىَ﴾: ثوابي ورِزْقي ﴿إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ﴾: خلقَني ولم أكُ شيئًا ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: أفلا تستعملون عقولَكم فتعرِفُوا الخطأ منَ الصَّوابِ؟!

* * *

(٥٢) ـ ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ﴾.

﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾؛ أي: اطلُبوا المغفرةَ وتوسَّلُوا إليها بالتَّوبةِ.

الفرَّاءُ: ﴿ثُمَّ﴾ بمعنى الواوِ، وقد سبقَ[٣].

---

(١) وهو كلمة (نوحاً) في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾ [هود: ٢٥].

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٣٤٧).

(٣) عند تفسير الآية (٣) من هذه السورة، وقد تقدم أن ما في «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٩٦) مخالف لهذا، وأنَّا لم نجد فيه ما يدلُّ على هذا القول، ونضيف هنا: أن سيبويه نص في =

وقيل: استغفِرُوا وآمِنُوا، ثمَّ توبوا إليه من سالفِ ذُنوبِكم.

﴿يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم﴾؛ أي: المطرَ ﴿مِّدۡرَارٗا﴾: دائمًا ساكنًا، وذلك أنفعُ ما يكونُ، وأصلُه من درَّ اللَّبنُ: إذا نزلَ مُتتابعًا. وقيل: هو المطرُ في وقتِه.

وقيل: كثيرُ البركةِ. ومِفعالٌ من بناءِ المُبالغةِ، يستَوي فيه المُذكَّرُ والمُؤنَّثُ.

﴿وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ﴾: شدَّةً إلى شدَّتِكُم، وقيل: عزًّا إلى عزِّكُم بكثرةِ عددِكُم وأموالِكُم.

عكرمةُ: ولدُ الولدِ[1]، وذلك أنَّ الله حبَسَ عنهم القطرَ وأعقَمَ أرحامَ نسائِهم ثلاثَ سنين، فوعدَهُم هودٌ عليه السَّلامُ المطرَ والأولادَ على الإيمانِ والاستغفارِ والتَّوبةِ.

﴿وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ﴾: مُشركين.

***

(٥٣) - ﴿قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوۡلِكَ وَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾.

﴿قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ﴾: برهانٍ وحجَّةٍ ﴿وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوۡلِكَ﴾؛ أي: لا نترُكُ عبادةَ آلهتِنا عن جهةِ قولك، كما تقولُ: جئتُه عن يمينِه ﴿وَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾: بمُصدِّقين.

= «الكتاب» (٣/ ٥٠١) على أن (ثم) تأتي بمنزلة الواو في مثل قولنا: «واللهِ ثم إليه لأفعلنَّ» وليس هذا في ما نحن فيه، والله أعلم.

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٤٥)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٤٧٧).

(٥٤ ـ ٥٥) ـ ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾.

﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ﴾؛ أي: ما نقولُ فيك إلَّا قولَنا: اعتراكَ: أصابَكَ ﴿بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ﴾: بجُنونٍ وخَبلٍ بسببِ سبِّكَ إيّاها، فصرتَ تتكلَّمُ بما نسمعُ.

﴿قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ﴾: إنِّي بريءٌ من آلهتِكُم التي تُخوِّفونَني بها. وقيل: معناه: إنِّي بريءٌ منَ الأصنامِ فسَمُّوني ما شئتُم.

﴿فَكِيدُونِى جَمِيعًا﴾ يُريدُ: أنتم وآلهتُكم؛ أي: احتالوا في هلاكي.

﴿ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾: ولا تُؤخِّروني؛ فإنِّي على ثقةٍ من ربِّي، ولا تقدرون على إساءتي.

* * *

(٥٦) ـ ﴿إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

﴿إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ﴾: فوَّضتُ أمري إلى الله ﴿رَبِّى وَرَبِّكُم﴾: خالقي وخالِقكُم.

﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ﴾: حيوانٍ يَدِبُّ ﴿إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾؛ أي: هو مُقتدرٌ عليه متمكِّنٌ من تصريفِه فيما يريدُ. والنّاصيةُ: شعرُ مُقدَّمِ الرَّأسِ، وقيل: قِصاصُ[1] الشَّعرِ.

وقيل: ﴿ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ يُحييها ويُميتُها.

وقيل: يقهرُها؛ لأنَّ مَن أُخِذَتْ ناصيتُه فقد قُهِرَ، ومنه: ﴿لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ﴾ [العلق: ١٥]، و﴿يُؤْخَذُ بالنَّواصِيْ والأَقْدامِ﴾ [الرحمن: ٤١].

﴿إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ يُثيبُ المُحسِنَ ويُعاقِبُ المُسيءَ.

---

(١) بضم القاف وكسرها، وهو: منتهى منبت الشعر من مقدم الرأس. انظر: «إصلاح المنطق» لابن السكيت (ص: ٨٤)، و«الكنز اللغوي» له أيضاً (ص: ١٧٨).

وقيل: هو كقولِه تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤][1].

وقيل: يحملُكم على صراطٍ مُستقيمٍ، وهو الإسلامُ[2].

***

(٥٧) ـ ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾.

﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾: تُعرِضُوا ولم تُؤمِنُوا ﴿فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ﴾ من الإعذارِ والإنذارِ ﴿وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾: إن لم تُؤمِنُوا أقامَ خلقًا يكونون سكَّانَ الأرضِ بعدَكُم ﴿وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا﴾: لا يضرُّه إهلاكُكم وكفرُكُم.

﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾؛ أي: مُستَولٍ عليه. وقيل: لكلِّ شيءٍ حافظٌ. وقيل: يحفظُ أعمالَ العبادِ ليُجازيَ عليها. وقيل: معناه: يحفظُني منكم.

وهذه الآيةُ من كلامِ هودٍ لعادٍ، وقيل: استِئنافٌ؛ أي: قل يا محمَّدُ لأمَّتِك: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ الآية.

***

(٥٨) ـ ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾.

﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾؛ أي: عذابُنا، وقيل: أمرُنا بعذابِ عادٍ ﴿نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾ جاء في التَّفسيرِ أنَّهم كانوا أربعةَ آلافٍ[3] ﴿وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ وهو الرِّيحُ التي أُهلِكَتْ عادٌ بها، وقيل: هو عذابُ يومِ القيامةِ.

---

(١) أي: أنه لا يخفى عليه مستتر، ولا يعدل عنه هارب، فهو تهديد ووعيد، وهذا القول منقول عن الكسائي. انظر: «تفسير الثعلبي» (١٥/ ٤٦٨) (١٥/ ٤٦٨)، و«البسيط» للواحدي (١١/ ٤٤٩)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٠٨)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٠٤)، وعدَّه من العجائب.

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٤/ ٣٨٦).

(٥٩) ـ ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾.

﴿وَتِلْكَ عَادٌ﴾: قبيلةُ عادٍ ﴿جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾: أنكَرُوها ﴿وَعَصَوْا رُسُلَهُ﴾: هودًا؛ أي: كفروا به، وجُمِعَ لأنَّ الكفرَ بواحدٍ منهم كفرٌ بالجميعِ[1].

﴿وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ﴾: كافرٍ قهَّارٍ يُجبِرُ غيرَه على ما يُريدُ، وبابُ فعَّالٍ (فَعَلَ)، وقد جاءَ من (أفعلَ): أجبرَ فهو جبَّارٌ، وأدرَكَ فهو درَّاكٌ.

والجبَّارُ في حقِّ الله من الجَبْرِ، وهو الإصلاحُ، ويجوزُ أن يكونَ من أجبرَ أيضًا[2].

﴿عَنِيدٍ﴾: طاغٍ باغٍ، تقولُ: عَنَدَ عَنْدًا وعَنَدًا وعُنُودًا: إذا تجبَّرَ وطَغَى، وعَنِدَ[3] عن الحقِّ: مالَ.

وقيل: هو فعيلٌ من لفظِ (عندَ)[4]؛ مَن كان فيه معنى الإعجابِ وحُسنِ الظَّنِّ بنفسِه وما عندَه.

والمعنى: عَصَوا مَن في طاعتِه سعادتُهم، وأطاعُوا مَن في طاعتِه شَقاوَتُهم.

***

(٦٠) ـ ﴿وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾.

﴿وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾؛ أي: بعدَ هلاكِهم تلعَنُهم الملائكةُ والمؤمنون.

---

(١) ذكر نحوه السمرقندي في «بحر العلوم» (٢/ ١٥٧)، وتداوله المفسرون، وذكر الجرجاني في «درج الدرر» (٣/ ٩٧٤) أنه جُمع على سبيل التشريف، أو أن هوداً كان معه رسل؛ كما كان هارون مع موسى، وهذا لا يثبت بغير الأخبار الصادقة عن الله ورسوله.

(٢) انظر: «تفسير أسماء الله» للزجاج (ص: ٣٤)، و«اشتقاق أسماء الله» للزجاجي (ص: ٢٤٠).

(٣) في «إكمال الإعلام بتثليث الكلام» لابن مالك (٢/ ٤٥٣): وعند عن الحق ـ بالكسر والفتح والضم ـ: خالفه عارفاً له.

(٤) أي: الظرفية وهي مثلثة العين. انظر: «القاموس المحيط» مادة (ع ن د) (ص: ٣٠٢).

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ يجوزُ أن يكونَ عطفًا على محلِّ ﴿فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا﴾، كقولِ الشّاعرِ:

إذا ما تَلاقَيْنا مِنَ اليومِ أو غدًا[1]

ويجوزُ أيضًا أن يكونَ تقديرُه: ولعنةَ يومِ القيامةِ، فحُذِفَ المُضافُ؛ أي: ويُلعَنونَ أيضًا يومَ القيامةِ.

﴿أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُواْ رَبَّهُمْ﴾: (ألا) تُذكَرُ قبل كلامٍ يعظُمُ موقِعُه.

﴿كَفَرُواْ رَبَّهُمْ﴾؛ أي: كفَروا بربِّهم، فحُذِفَ الجارُّ، وقيل: كفروا نعمةَ ربِّهم.

﴿أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾؛ أي: أبعدَهُم بُعدًا[2] كقولِه: ﴿أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [نوح: ١٧]، ويحتملُ: أبعَدَهم فبَعُدوا بُعدًا.

* * *

(٦١) ـ ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾.

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾: وأرسَلْنا صالحًا إلى ثمودَ، وكانت منازلُ ثمودَ بوادي القُرى بينَ المدينةِ والشّامِ، ومنازلُ عادٍ كانت باليمنِ.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾: وحِّدُوه وأطيعُوه ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم﴾: خلقَكُم من غيرِ استعانةٍ بشيءٍ منَ الأسبابِ ﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ يُريدُ: آدمَ أبا البشرِ، وولدُه تبعٌ له.

وقيل: أنشأكُم في الأرضِ[3].

---

(١) عجز بيت لكعب بن جُعَيل، كما في «الكتاب» (١/ ٦٨). وصدره:

أَلا حَيَّ نَدْمَانِي عُمَيْرَ بنَ عَامِرٍ

(٢) فهو اسم مصدر، ويسميه سيبويه مصدر على غير الفعل. انظر: «الكتاب» (٤/ ٨١)، و«إرشاد السالك» (١/ ٣٥٦).

(٣) فـ(من) بمعنى: في، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٠٩)، واستغربه.

وقيل: أنشأكُم بنباتِ الأرضِ، حكاهُ الماوَرْدِيُّ[١].

﴿وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾: أعاشَكُم منَ العمرِ، فيكونُ استَعْمَرَ وأعمَرَ بمعنًى، نحو: استَحياه وأحياه: إذا ترَكَه حيًّا، ومثلُ ذلك: استَغْواهُ وأَغْواهُ، واستَهْلَكَه وأهْلَكَه.

وقيلَ: منَ العِمارةِ؛ أي: أقدَرَكُم على العِمارةِ وجعلَكُم عمَّارَها.

مُجاهدٌ: منَ العُمْرَى، تقولُ: أعمَرْتُ فُلانًا دارًا[٢]: جعَلْتَها له عُمْرَه.

﴿فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ﴾ سبق.

﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ﴾ لراجيه ﴿مُّجِيبٞ﴾ لداعيه.

ابنُ عيسى: ﴿قَرِيبٞ﴾ هاهنا منَ الإسراعِ لا من قُربِ المكانِ؛ أي: سريعُ الإجابةِ.

* * *

(٦٢) ـ ﴿قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوّٗا قَبْلَ هَٰذَآۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٖ﴾.

﴿قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوّٗا قَبْلَ هَٰذَآ﴾ لِمَا كنْتَ عليه منَ العقلِ والرَّأيِ والعِفَّةِ والسَّدادِ، وكنَّا نرجو أن تكونَ لنا سيِّدًا. وقيل: كنَّا نرجُو أن تعودَ إلى ما نحنُ[٣] عليه؛ لأنَّه كان يُخالِفُهم في عبادةِ الأصنامِ ولا ينهاهُم عنها قبلَ هذا اليومِ.

الماورديُّ: منَ الإرجاءِ[٤]. وهو سهوٌ[٥].

---

(١) انظر: «النكت والعيون» (٢/ ٤٧٨).

(٢) في (ن): «داري إذا».

(٣) في (و): «كنا».

(٤) انظر: «النكت والعيون» للماوردي (٢/ ٤٧٩)، وقد ذكر وجهين هذا أحدهما، ولفظه: «أي: حقيرًا، من (الإرجاء)، وهو التأخير»، وقد جعل المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٠٩) قول الماوردي هذا قولين؛ أحدهما غريب والآخر عجيب.

(٥) في هامش (ن): «لو كان من الإرجاء كقول الماوردي لكان: (مرجيّ)، فسهوه ظاهر إذن». =

﴿أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ يُريدُ: الأصنامَ ﴿وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ﴾: تهمةٍ وحيرةٍ ﴿مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ﴾ يعنون: عبادةَ الله وتوحيدَه ﴿مُرِيبٍ﴾: مُوْقِعٍ في التُّهمةِ مُوجبٍ لها.

***

(٦٣) ـ ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ﴾: أعلِمْتُم، وهو هاهنا مُعلَّقٌ[1]؛ لأنَّ باب الظَّنِّ يُعلَّقُ على الشَّرطِ كما يُعلَّقُ على الاستفهامِ واللَّامِ والنَّفي.

﴿إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى﴾: بيانٍ وبصيرةٍ، ﴿وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً﴾: نبوَّةً، ﴿فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: مَن يُعينُني على الله ويمنعُني من عذابِه ﴿إِنْ عَصَيْتُهُۥ﴾ في تبليغِ رسالتِه ومنعِكُم عن عبادةِ الأوثانِ.

والفاءُ في قولِه: ﴿فَمَن يَنصُرُنِى﴾ جزاءُ الشَّرطِ الأوَّلِ، وجزاءُ الشَّرطِ الثَّاني محذوفٌ دلَّ عليه الأوَّلُ[2]، كما تقولُ: إنْ دخلْتِ الدَّارَ، فأنتِ طالقٌ إنْ كلَّمْتِ فُلانًا.

= قلت: كذا وقع في النسخة: (مرجيّ)، ولعل صوابه: (مُرْجًأ) اسم مفعول من أرجأ.

(١) التعليق هو ترك العمل في اللفظ لا في التقدير، ويكون ذلك في أفعال العلم والظن عند أكثر النحاة، وذهب بعضهم إلى التعليق للعلم لا للظن، وقد اتفق أكثر النحاة على التعليق بالاستفهام ولام الابتداء والمزحلقة و(ما) و(إن) النافيتان، وفي غيرها خلاف. انظر: «شرح الشافية الكافية» لابن مالك (٢/ ٥٥٩)، و«الارتشاف» لأبي حيان (٤/ ٢١١٤)، و«التذييل والتكميل» له أيضاً (٦/ ٩٤).

(٢) فجواب الشرط الأول هو الجملة الشرطية الثانية في المعنى، والتقدير: إن كنت على بينة من ربي فإن عصيته فمن ينصرني، لكن تقدمت جملة جواب الشرط الثاني عليه، واستغنى الشرط عن الجواب لتقدم ما يدلّ عليه، والله أعلم.

﴿فَمَا تَزِيدُونَنِي﴾ باحتجاجِكُم بقولِكُم: ﴿أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ ﴿غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾: نسبتي إيَّاكُم إلى الخسرانِ، تقولُ: خسَّرتُه، كما تقولُ: فسَّقتُه وزنَّيتُه[1]، إذا نسبْتَه إلى شيءٍ من ذلك.

ابنُ عبَّاسٍ رضيَ الله عنهما: ﴿غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾: بصارةٍ في خَسارَتِكُم[2].

الفرَّاءُ: غيرَ تضليلٍ[3].

وقيل: معناه: ما يزدادونَ إلّا خَسارًا، فنسبَه إلى نفسِه لأنَّهم أعطَوه ذلك، وكان يسألُهم الإيمانَ.

وقيل: إنْ أجبتُكُم إلى ما تدعونَني إليه كنتُ بمنزلةِ مَن يزدادُ الخسرانَ.

وقيل: ما تزيدونَني على ما أنا عندكُم إلّا تخسيرًا[4].

ابنُ بحرٍ: إن انتصرتُ بكم لَمَا[5] تزيدونَني إلّا خَسارًا[6].

* * *

(٦٤) - ﴿وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾.

﴿وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾ سألوا صالحًا آيةً ليُؤمِنُوا بها، فأظهرَ الله

---

(١) أي: سبب إلى الزنى، وفي النسخ الخطية: «زينته»، وهو تعريف. انظر: «الحجة» لأبي علي (٣/ ٣٠٢).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٤/ ٣٩٣)، والواحدي في «البسيط» (١١/ ٤٥٧).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٠).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥١٠)، واستغربه.

(٥) كذا في النسخ الخطية، وفي «غرائب التفسير» (١/ ٥١٠): «لم تزيدونني»، وهو خطأ، والظاهر أن في العبارة تجوُّزاً، وأن المراد: «فما تزيدونني»، والله أعلم.

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥١٠)، وعدَّه من العجائب.

النّاقةَ فلم يؤمنوا، وهو قولُه: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾: تدلُّ على صِدْقي وصِحّةِ نُبوَّتي، وهي نصبٌ على الحالِ، والعاملُ فيها معنى الإشارةِ[1].

﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ﴾: تَرْعَ، والأكلُ عامٌّ في كلِّ ما يُغتذَى؛ أي: تَرْعى نباتَ الأرضِ وتشربُ ماءَها ولكم دَرُّها.

﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾: عقْرًا ونَحْرًا، ﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ يريدُ: في الدُّنيا.

***

(٦٥) ـ ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾.

﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ﴾ صالحٌ: ﴿تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ﴾؛ أي: عيشُوا في منازلِكُم.

وقيل: المُرادُ بـ﴿دَارِكُمْ﴾: دارُ الدُّنيا.

وقيل: إنَّما وحَّدَ لأنَّ المُرادَ بها البلدُ.

ويحتملُ: كلُّ واحدٍ في دارِه.

﴿ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾ ثمَّ تُهلَكُون، ﴿ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾؛ أي: غيرُ مكذوبٍ فيه، وقيل: ﴿مَكْذُوبٍ﴾ مصدرٌ كالمعقولِ والمحصولِ.

***

(٦٦) ـ ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ﴾.

﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا﴾؛ أي: العذابُ، وقيل: أمرُنا بالعذابِ ﴿نَجَّيْنَا صَٰلِحًا

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٣٤٩)، و«التعليقة» لأبي علي (١/ ٢٦٠)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٥/ ٩٢).

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَمِنۡ خِزۡيِ يَوۡمِئِذٍ﴾؛ أي: نجَّيناه منَ العذابِ بالصَّيحةِ ومنَ الخِزْيِ.

ابنُ عيسى: الخِزْيُ: العيبُ الذي تظهرُ فضيحتُه ويُستَحيَى من مثلِه(١).

وبُنِيَ ﴿يومَئذٍ﴾ على الفتحِ ـ فيمَن فتحَ ـ لأنَّه أُضيفَ إلى مبنيٍّ، ونُوِّنَ (إذٍ) لأنَّه عِوَضٌ ممّا حُذِفَ، وهي الجملةُ المُقدَّرةُ، ومَن جرَّه(٢) فللإضافةِ.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ﴾ فلا يُغلَبُ، ولا يمتنعُ عليه شيءٌ.

* * *

(٦٧) ـ ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ﴾.

﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ﴾: صاحَ بهم جبريلُ عليه السَّلامُ، والصَّيحةُ: خرورُ صوتٍ في فمٍ وحلقِ حيوانٍ(٣).

ابنُ بحرٍ: ﴿ٱلصَّيۡحَةُ﴾: العذابُ، كما تقول: صاحَ فلانٌ بفلانٍ: إذا زجرَه وردَعَه.

﴿فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ﴾: منازِلِهم ﴿جَٰثِمِينَ﴾: ميِّتين صَرْعَى.

والجثومُ: السُّقوطُ على الوجهِ، وقيلَ: القعودُ على الرُّكبِ.

فأماتَهم الله إلّا رجُلًا كان في حرمِ الله، فمنعَه حرَمُ الله من عذابِ الله، وجاء في الخبرِ: أنَّه أبو ثقيفٍ(٤).

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (١١/ ٤٦٠)، والرازي في «التفسير الكبير» (١٨/ ٣٧٠) بلا نسبة.

(٢) قرأ نافع والكسائي بفتح الميم، والباقون بكسرها. انظر: «السبعة» (ص: ٣٣٦)، و«التيسير» (ص: ١٢٥).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٥) بلا نسبة في تفسير قوله تعالى: ﴿إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ﴾.

(٤) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٦١٩٧) من حديث جابر رضي الله عنه، و(٦١٩٨) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٦٨) ـ ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ۗ أَلَا إِنَّ ثَمُودَا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ﴾.

﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾: كأنْ لـم يُقيموا فيها؛ لانقطاعِ آثارِهم بهلاكِهم بأجمعِهم إلَّا ما بقيَ من أجسادِهم الدّالَّةِ على الخِزْيِ النَّازلِ بهم.

﴿أَلَا إِنَّ ثَمُودَا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ﴾ سبق.

* * *

(٦٩) ـ ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا ۖ قَالَ سَلَامٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾.

﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ﴾ يعني: جبريلَ وميكائيلَ وإسرافيلَ عليهم السَّلامُ، وقيل: كانَ جبريلُ في اثني عشرَ ملَكًا.

﴿بِالْبُشْرَىٰ﴾: بالبشارةِ بالولدِ، وقيل: بشَّرُوا بهلاكِ قومِ لوطٍ.

﴿قَالُوا سَلَامًا﴾؛ أي: سلَّمُوا سلامًا، فهو نصبٌ على المصدرِ، كما تقولُ: كلَّمُوا كلامًا، وأعطَوا عطاءً، وأنبتَ نباتًا، وقيل: نصبٌ لأنَّه مفعولُ القولِ، وإذا وقعَتْ بعد القولِ جملةٌ حكَيتَها، وإنْ وقعَ بعدَه مُفردٌ بمعنى الجملةِ نصبتَه، نحو: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [النمل: ٥٩] حُكِيَت الجملةُ، وفي المفردِ نحو: قلْتَ حقًّا، إذا قالَ المُؤذِّنُ: الله أكبرُ؛ لأنَّ (حقًّا) بمعنى: الله أكبرُ، وهو لم يلفِظْ به(١).

﴿قَالَ سَلَامٌ﴾؛ أي: وعليكم سلامٌ.

وللرَّفعِ مزيَّةٌ على النَّصبِ؛ لأنَّه إخبارٌ عن شيءٍ ثابتٍ، والنَّصبُ طلَبُ إيقاعِ ما لم يقَعْ، فصارَ مُندرِجًا في قولِه تعالى: ﴿فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا﴾ [النساء: ٨٦].

---

(١) انظر: «الكتاب» (١/ ١٢٢)، و«شرح التسهيل» لابن مالك (٢/ ٩٨).

وقُرِئَ: ﴿سِلْمٌ﴾[١]، وله وجهانِ:

أحدُهما: سِلْمٌ وسلامٌ لغتانِ؛ كحِرْمٍ وحرامٍ، وحِلٍّ وحلالٍ.

والثّاني: سِلْمٌ: صُلْحٌ[٢]؛ أي: نحنُ سِلْمٌ، والأمرُ سِلْمٌ.

الزَّجَّاجُ: أمري معكُم سلامٌ[٣].

الفرَّاءُ: هو سلامٌ إنْ شاءَ الله، فمَن أنتم[٤]؟

﴿فَمَا لَبِثَ﴾: ما أبطأ، ومعنى (لبث) و(مكَثَ): أقامَ أكثرَ من ساعةٍ.

﴿أَن جَآءَ﴾؛ أي: عن أن جاءَ، فهو خفضٌ عند الخليلِ، ونصبٌ عند غيرِه[٥].

﴿بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾: محنوذٍ، وهو المشويُّ بالحجارةِ المُحمَّاةِ.

مجاهدٌ: مطبوخٍ[٦].

---

(١) هي قراءة حمزة والكسائي. انظر: «السبعة» (ص: ٣٣٧)، و«التيسير» (ص: ١٢٥).

(٢) بعدها في النسختين: «وعن النبي عليه السَّلامُ»، ولا وجه لها.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٦٠).

(٤) فالقومُ سلَّموا، فقال إبراهيم: هو سلام إن شاء الله، لكنه كان ينكرهم فقال: فمن أنتم؟ .انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢١).

(٥) قال المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥١١، ٥١٢): ﴿ما﴾ نفي، وفي ﴿لَبِثَ﴾ ضمير إبراهيم، و﴿أَن جَآءَ﴾ في محل نصب بنزع الخافض وتعدي الفعل إليه، وتقديره: فما لبث إبراهيم عن أن جاء.
الغريب: ﴿أَن جَآءَ﴾ فاعل ﴿لَبِثَ﴾، وليس فيه ضمير إبراهيم، أي: ما لبث مجيئُه بعجل.
العجيب: ﴿ما﴾ بمعنى الذي، و﴿أَن جَآءَ﴾ خبره، والتقدير: فالذي لبث قدرُ أن جاء بعجل.

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥١٢)، وأبو حيان في «البحر المحيط» (٦/ ١٨٠)، وروى الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٤٦٨) عنه قوله: «نضيجٍ سخنٍ أُنضج بالحجارة».
وقال الفراء في «معاني القرآن» (٢/ ٢١): «والحنيذ: ما حفرت له في الأرض ثم غممته، =

الحسنُ: نضيجٍ مشويٍّ(١).

شِمْرٌ: مشويٍّ يقطرُ ودَكُه(٢). من قولهم: حنَذْتُ الفرسَ: إذا عرَّقْتَهُ بالجِلالِ.

وقيل: ﴿حَنِيذٍ﴾: سميطٍ(٣).

السُّدِّيُّ: ﴿حَنِيذٍ﴾: سمينٍ(٤).

ظنَّهم أضيافًا، والملائكةُ لا يأكُلون ولا يشرَبون.

الحسنُ: أتَوه على صورةِ الأضيافِ؛ لأنَّه كانَ يُحِبُّ قِرَى الضُّيوفِ(٥).

***

(٧٠) ـ ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾.

﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ﴾؛ أي: فلمَّا رآهُم لا يأكُلون الطَّعامَ ولا يمدُّونَ أيديَهم إليه ﴿نَكِرَهُمْ﴾: أنكَرَ ذلك منهم، ونكِرَ وأنكَرَ لغتانِ، قال الأعشى:

= وهو من فعل أهل البادية معروف، وهو محنوذ في الأصل، فقيل: حنيذ، كما قيل: طبيخ للمطبوخ، وقتيل للمقتول».

(١) لم أقف عليه عن الحسن، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٤٦٨) عن مجاهد، ورواه أيضاً عن ابن عباس قتادة والضحاك، لكن دون كلمة: مشوي.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٤٦٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٥٣).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٥٣) عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٤٧٣).

(٥) ذكر نحوه الواحدي في «البسيط» (١١/ ٤٧٢).

وأنْكَرَتْني ومـا كـانَ الذي نَكِـرَتْ   منَ الحـوادثِ إلَّا الشيبَ والصَّلَعا[١]

فجمَعَ اللُّغتَينِ في البيتِ.

ابنُ عيسى: نكِرْتُه أشدُّ مبالغةً.

وإنَّما نكِرَهُم؛ لأنَّهم لم يتحرَّموا بطعامِه[٢]، فلم يأمَنْ أن يكونَ ذلك لبلاءٍ.

﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾: وقعَ في نفسِه خَوفٌ منهم.

والإيجاسُ: الإدراكُ؛ أي: أدرَكَ وأحسَّ بخوفٍ حدثَ في نفسِه، وجاء في الخبرِ: أنَّ إبراهيمَ عليه السَّلامُ سألَ الملائكةَ عن تركِهم الأكلَ فقالوا: لا نأكُلُ إلّا بثمنٍ، قال إبراهيمُ عليه السَّلامُ: فإنَّ ثمنَه أن تُسَمُّوا الله، فقالوا: الله أعلَمُ بهذا حين اتَّخذَه خليلًا[٣].

وذكرَ المُفسِّرون أنَّه أُرعدَ من خوفِهم ﴿قَالُوا﴾ له: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾؛ أي: نحنُ ملائكةُ الله بعثَنا لعذابِ قومِ لوطٍ.

* * *

(٧١) ـ ﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾.

﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ﴾ بخدمةِ الأضيافِ، وكان لا تحتجبُ نساؤُهم كعادةِ الأعرابِ ونازلةِ البوادي والصَّحراءِ، ولم يكُنِ التَّبرُّزُ مكروهًا، وكانت عجوزًا، وخدمةُ الضِّيفانِ ممَّا يُعَدُّ من مكارمِ الأخلاقِ.

---

(١) انظر: «ديوان الأعشى» (ص: ١٠١)، و«معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٢٤)، و«تفسير الطبري» (١٢/ ٤٧٢).

(٢) في (و): «بزاده». وفي هامش (ن): «معنى «لم يتحرموا»؛ أي: ما طلبوا حرمته بأكل طعامه».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٤٧٣) عن السدي.

وقيل: كانت سارةُ قائمةً وراءَ السِّترِ تسمعُ ما يجري بينَ إبراهيمَ وبينَ الضِّيفانِ.

وقيلَ: دَعا جبريلُ فأحيا الله العِجْلَ المشويَّ، فقام يَطفرُ[1]، فخرجَتْ سارةُ لهذه العجيبةِ.

المُبرِّدُ: وامرأتُه[2] قائمةٌ عن الولدِ[3].

وقيل: كانت قائمةً تُصلِّي.

وفي الشَّواذِّ: (وامرأتُه قائمةٌ وهو جالسٌ)[4].

قوله: ﴿فَضَحِكَتْ﴾؛ أي: تبسَّمَتْ سرورًا بالأمنِ؛ لأنَّها خافَتْ كما خافَ إبراهيمُ عليه السَّلامُ.

وقيل: ضحِكَتْ تعجُّبًا من إحياءِ الله تعالى العِجلَ المشويَّ وطَفرِه وعَدْوِه إلى مَرعاه.

وقيل: ضحِكَتْ من خوفِ إبراهيمَ وهو بين أهلِه وحشَمِه.

وقيل: ضحِكَتْ منِ امتناعِ الضَّيفِ منَ الأكلِ، ولم تكُنْ رأتْ مثلَ ذلك.

وقيل: ضحِكَتْ منَ البشارةِ بالولدِ، وفيها تقديمٌ وتأخيرٌ؛ أي: بشَّرْناها بإسحاقَ فضَحِكَتْ.

وقال محمَّدُ بنُ قيسٍ: لـمَّا امتَنَعُوا منَ الطَّعامِ وكانت لهم شارةٌ وشبابٌ وجمالٌ

---

(١) الطفر: وُثُوبٌ في ارتفاع. انظر: «العين» (٧/ ٤١٧).

(٢) «وامرأته»: ليست في (ن).

(٣) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٦/ ١٨١).

(٤) نسبت هذه القراءة لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه. انظر: «تفسير الطبري» (١٢/ ٤٧٣)، و«تفسير الثعلبي» (١٤/ ٤٠٣).

ظَنَّتْ أَنَّهم على رأيِ قومِ لوطٍ في اللِّواطةِ[١] فضَحِكَتْ تعجُّبًا من ذلك[٢].

والضَّحكُ خاصَّةٌ للإنسانِ إذا رأى العجيبَ البديعَ حصَلَ في مادَّةِ البدنِ كهيئةِ الضَّحِكِ.

عكرمةُ ومجاهدٌ: ﴿ضحكت﴾: حاضَتْ[٣]، ورواه الخليلُ أيضًا[٤]، وقالوا: ضحِكَتِ الأرنبُ: إذا حاضَتْ[٥].

وقيل: ﴿ضحكت﴾ أي: أشرَقَ وجهُها، كما تقولُ: الرَّوضةُ تضحَكُ.

وقيل: معنى حاضَتْ أقربُ إلى البشارةِ بالولدِ؛ أي: رأَتْ أمارةَ ذلك بعد البشارةِ أو قبلَها، وأُنشِدَ:

وعَهْدي بسَلْمَى ضاحِكاً في لُبَابَةٍ ... ولم يَعْدُ حُقَّا ثَدْيِها أنْ تَحَلَّما[٦]

---

(١) في (و): «اللواط».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٤٧٥). قال ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٣٣٤): «وقول محمد بن قيس: إنها إنما ضحكت من أنها ظنت أنهم يريدون أن يعملوا كما يعمل قوم لوط، وقول الكلبي: إنها إنما ضحكت لما رأت من الروع بإبراهيم = ضعيفان جدًّا، وإن كان ابن جرير قد رواهما بسنده إليهما، فلا يلتفت إلى ذلك».

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٢١٢) عن عكرمة، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٤٧٦) عن مجاهد وعكرمة.

(٤) انظر: «العين» (٣/ ٥٨)، وفيه: «﴿فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا﴾ يعني: طمثت».

(٥) ذكر هذا القول المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥١٢)، وعدَّه من العجائب.

وتعقب هذا التأويل ابن المنير في «الانتصاف» (٢/ ٤١٠) بقوله: «ويبعد هذا التأويل أنها قالت بعد: ﴿يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ﴾ فلو كان حيضها قبل بشارتها لما تعجبت، إذ لا عجب في حمل من تحيض، والحيض في العادة مهماز على إمكان الحمل».

(٦) البيت بلا نسبة في «الإبانة في اللغة» للعوتبي (٣/ ٤١٢)، و«تفسير البيضاوي» (٣/ ١٤١)، =

أي: حائضًا في لُبابةٍ، واللُّبابةُ والعِلْقةُ والشَّوْذَرُ واحدٌ[1]. ومنه: ضحِكَتِ الكافورةُ: إذا انشقَّتْ، وضحِكَت السَّمُرةُ: إذا سالَ صَمْغُها، وهو يُشبِهُ الدَّمَ.

﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾: وبعد بشارةِ إسحاقَ يعقوبُ.

ورَوَى جماعةٌ منَ المُفسِّرين وكثيرٌ[2] من أهلِ اللُّغةِ أو كلُّهم: أنَّ الوراءَ ولدُ الولدِ[3]، والعربُ تقولُ: هذا ابني منَ الوراءِ؛ أي: ابنُ ابني[4]، وهو مشكِلٌ في

= و«البحر المحيط» (٦/ ١٧٣). قال العوتبي: ولَمْ يَعْدُ؛ أي: لم يُجاوِزْ، والحُقَّان: ما تَفَلَّكَ منَ الثَّدْيَيْنِ، تَحَلَّما: ارْتَفَعَا وقَوِيَا».

وقال الشهاب الخفاجي في حاشيته على البيضاوي المسمَّاة: «عناية القاضي وكفاية الرَّاضي» (٥/ ١١٥): «و«تحلما» أصله: تتحلما؛ أي: تظهر حلمته وتكبر، وهي رأس الثدي، وفي نسخة: «تحلبا» بالباء؛ كأنّ معناه خروج لبنهما».

(١) في هامش (ن): «اللبابة: ثوب يغطى به، وكذلك أخواته». وانظر: «الجيم» لأبي عمرو الشيباني (٢/ ١٥٠ ـ ١٥٩)، وفيه: «الشَّوْذَرُ واللُّبابة والعِلْقة: ثوب يجاب ولا يخاط جانباه فتلبسه الجارية، وهو إلى الحجزة».

(٢) في (و): «وجماعة».

(٣) رواه سعيد بن منصور في «سننه» (١٠٩٦)، والطبري في «تفسيره» (١٢/ ٤٧٩ ـ ٤٨٠)، عن الشعبي، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥١٣)، واستغربه.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٤٧٩ و٤٨٠) عن ابن عباس والحسن:

أما الأول: فرواه عن حبيب بن أبي ثابت قال: جاء رجل إلى ابن عباس ومعه ابن ابنه فقال: مَن هذا معك؟ قال: هذا ابن ابني، قال: هذا ولدُك من الوراء! قال: فكأنه شقَّ على ذلك الرجل، فقال ابن عباس: إن الله يقول: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾، فولد الولد هم الوراء.

وأما الثاني: فرواه عن أبي اليسع إسماعيل بن حماد بن أبي المغيرة مولى أبي موسى الأشعري، قال: كنت إلى جنب جدي أبي المغيرة بن مهران في مسجد عليّ بن زيد، فمر بنا الحسنُ بن أبي الحسن فقال: يا أبا المغيرة من هذا الفتى؟ قال: ابني من ورائي، قال الحسن: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾.

الآيـةِ جـدًّا، ولـم يُبيِّنْه المُفسِّـرون لأنَّ الـوراءَ إذا حملْتَه علـى ولدِ الولدِ يكـونُ أولادَ يعقـوبَ لا يعقـوبَ، ووجـهُ ذلـك أن يُقالَ: سُـمِّيَ ولدُ إسـحاقَ وراءً لأنَّهـم وراءَها؛ أي: أولادُ أولادِهـا، فبُشِّـرَ مـن بينِهـم بيعقوبَ لأنَّها رأتْه ولـم تـرَ غيرَه.

و﴿مِن﴾ للتَّبعيضِ، و﴿وراء﴾ يقعُ للجمعِ كالولدِ.

ومَن رفَعَ ﴿يعقوب﴾[1] فهو مبتدأٌ، والجارُّ والمجرورُ خبرُه تقدَّمَ عليه، ومَن نصبَه فبفعلٍ مُضمَرٍ؛ أي: وهَبْنا له يعقوبَ.

وقيل: هو محمولٌ على (إسحاقَ)[2] لفظًا وتقديرًا؛ أمَّا اللَّفظُ: فلأنَّه لا ينصرفُ، وأمَّا التَّقديرُ: فلأنَّه المُبشَّرُ به، وهو مفعولٌ[3].

وهو ضعيفٌ[4]؛ لأنَّ الظَّرفَ حيلَ به بينَ الواوِ والمعمولِ[5]، وبابُ هذا الشِّعرُ كقولِه:

يَوْمًا تـراها كـشِبْـهِ أَرْدِيـةِ الـ ... ـعُصْبِ[6] ويومًا أَدِيْمَها نَغِلا[7]

---

(١) قرأ ابن عامر وحمزة وحفص: ﴿يَعْقُوبَ﴾ بنصب الباء، والباقون برفعها. انظر: «السبعة» (ص: ٣٢٨)، و«التيسير» (ص: ١٢٥).

(٢) أي: معطوف عليه بالواو.

(٣) كأن مراده: أن كلمة (المبشَّر) اسم مفعول، والله أعلم.

(٤) في (ن): «وفيه ضعف».

(٥) في هامش (ن): «ومثال قوله: ﴿وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ في أن الظرف حال بين الواو والمعطوف قوله: ﴿وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [البقرة: ١٢٨]، وله نظائر، وإنما يجوز هذا حيث يكون العامل فعلاً، فأما إذا كان اسمًا فلا يجوز، تقول: مررت برجل ضارب زيدًا يوم الجمعة وبكراً يوم السبت، فتحيل بين الظرف والمعمول بظرف مع اسم الفاعل».

(٦) كتب فوقها في (ن): «البُرد اليماني».

(٧) البيت للأعشى يذكر نبات الأرض. انظر: «ديوانه» (ص: ٢٣٣)، و«غريب الحديث» لأبي عبيد (٤/ ١٣٧)، و«الشعر والشعراء» (١/ ٧٠)، و«تهذيب اللغة» (٧/ ٩٠) مادة: (خ م س) و(٨/ ١٣١) =

ومَن جعلَ هذا من بابِ العطفِ على عاملَين فقد سَها.

وإنَّما خُصَّتْ بالبشارةِ لظُهورِ أثرِ الحبَلِ عليها وهو الحيضُ على ما سبق، وقيل: جزاءً على خدمتِها للضَّيفِ، وقيل: لأنَّ النِّساءَ أعظمُ سُرورًا بالولدِ منَ الرِّجال.

ويحتملُ أنَّ سارةَ خُصَّتْ بالبشارةِ حيثُ لـم يكُنْ لها ولدٌ، وكان لإبراهيمَ ولدٌ وهو إسماعيلُ صلَواتُ الله عليهم أجمعين(١).

ويجوزُ أنَّ الله سُبحانَه سمَّاهما إسحاقَ ويعقوبَ، ويجوزُ أنَّ الله بشَّرهما بالولدِ وولدِ الولدِ، ثمَّ إنَّهما سمَّياهما(٢) بإسحاقَ ويعقوبَ.

***

= مادة: (ن غ ل)، و«الصحاح» مادة: (خ م س) و(ن غ ل) و(أ د م)، ورواية الديوان وهذه المصادر: «أردية الخمس». قال الجوهري في «الصحاح» مادة: (خ ع س): «الخِمْسُ: بُرْدٌ من برود اليمن». وقال الأزهري: «نَغِلَ وجهُ الأرضِ: إذا تهشَّم من الجُدُوبة».

وهو برواية المصنف في «الحجة» لأبي علي الفارسي (٤/ ٣٦٧) وعنه أخذ المؤلف هذا البحث، و«الخصائص» لابن جني (٢/ ٣٩٧)، وقد شرح ابن جني البيت على ما ذهب إليه شيخه أبو علي من عدم جواز العطف على (إسحاق) في هذه القراءة فقال: «أراد: تراها يومًا كمثل أردية العُصب، وأديمَها يومًا آخَرَ نَغِلاً، ففصَل بالظرف بين حرف العطف والمعطوف به على المنصوب من قبله، وهو «ها» من «تراها»، وهذا أسهل من قراءة من قرأ: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾، وإنما كانت الآية أصعب مأخذًا من قِبَل أنَّ حرف العطف منها الذي هو الواو ناب عن الجار الذي هو الباء في قوله: ﴿بِإِسْحَٰقَ﴾، وأقوى أحوال حرف العطف أن يكون في قوة العامل قبله، وأن يليَ من العمل ما كان الأول يليه، والجار لا يجوز فصله من مجروره، وهو في الآية قد فُصِل بين الواو و﴿يَعْقُوبَ﴾ بقوله: ﴿مِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ﴾ والفصل بين الجار ومجروره لا يجوز.

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥١٣)، واستغربه.

(٢) في (و): «إنها سمتهما».

(٧٢) ـ ﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ﴾.

﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ﴾: إيذانٌ بأمرٍ فظيعٍ، والويلُ: حلولُ الشَّرِّ، والألفُ في آخرِه بدلٌ منَ الإضافةِ، وقيل: يجري مَجرى ألفِ النُّدبةِ، وهو ضعيفٌ[1].

﴿ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ﴾: ابنةُ تسعينَ سنةً، وقيل: تسعٍ وتسعينَ سنةً ﴿وَهَٰذَا بَعْلِى﴾ زوجي، والبِعالُ: الجِماعُ، وأصلُه: القائمُ بأمرِه[2]، ومنه بعلُ النَّخلةِ؛ لاستغنائِه عن تكلُّفِ السَّقيِ له.

﴿شَيْخًا﴾: ابنُ مئةِ سنةٍ، وقيل: ابنُ مئةٍ وعشرين سنةً.

وقيل: عرَّضَتْ بقولِها: ﴿شَيْخًا﴾ عن تركِ غشيانِه لها، حكاه الماورديُّ[3].

و﴿شَيْخًا﴾ حالٌ، والعاملُ ﴿هذا﴾، والجملتانِ[4] حالانِ، والعاملُ فيهما: ﴿ءَأَلِدُ﴾.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ﴾: الولدُ من شيخَين أمرٌ عجيبٌ لم يُعهَد مثلُه؛ استغرَبَتْ من حيثُ العرفُ لا إنكارًا لقدرةِ الله.

* * *

---

(١) في هامش (ن): «قول من قال: إن الألف جاء مجرى الندبة، ضعيف؛ لأن ألف الندبة تكون في المعرفة، وهذا نكرة».

(٢) في (و): «بالأمر».

(٣) انظر: «النكت والعيون» (٢/ ٤٨٧)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥١٤)، وعدَّه من العجائب.

(٤) أي: جملة (وأنا عجوز) وجملة (وهذا بعلي شيخاً).

(٧٣) - ﴿ قَالُوٓاْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾.

﴿ قَالُوٓاْ ﴾ يعني: الملائكةُ: ﴿أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾: استفهامُ تنبيهٍ، وأمرُ الله: حكمُه وقضاؤُه.

﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ يريدُ: يا أهلَ البيتِ؛ دعاءٌ لهم، وقيل: إخبارٌ وتذكيرٌ للنِّعمةِ. ومن بركاتِه: أنَّ جميعَ الأنبياءِ بعده من نسلِه.

﴿إِنَّهُۥ حَمِيدٌ﴾: محمودٌ على كلِّ حالٍ، وقيل: ﴿حَمِيدٌ﴾ يَحمدُ المؤمنين من عبادِه.

﴿مَّجِيدٌ﴾: يَكثرُ الخيرُ من قِبَلِه، ومنه: في كلِّ شجرٍ نارٌ، واستَمْجَدَ المَرْخُ والعَفارُ(١).

والمَجدُ: نيلُ الشَّرفِ. مَجَدَ فهو ماجدٌ، ومَجُدَ فهو مجيدٌ.

الحسنُ: المجيدُ: الكريمُ(٢). وقيل: العظيمُ.

* * *

(٧٤) - ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴾.

﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ ﴾ الرَّوعُ: الفزَعُ، وبالضَّمِّ: القلبُ، تقولُ العربُ: رِيعَ رُوعي: خافَ قلبي، وأحسَنُ ما تكونُ الظَّبيةُ إذا رِيعَتْ.

﴿وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾ سبقَ ﴿يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ﴾ القياسُ: (جادَلَنا)؛ لأنَّ (لمَّا) علَمٌ للظَّرفِ إذا وقعَ الشَّيءُ بوقوعِ غيرِه، وتقديرُ الآيةِ: أخذَ يُجادِلُنا، وهو حكايةُ

---

(١) قولهم: «في كل شجرة نار واستمجد المرخ والعفار» يضرب مثلاً في تفضيل الرجال بعضهم على بعض؛ أي: لكل واحد من هؤلاء فضل إلا أن فلانًا أفضل. والمرخ والعفار: من الشجر يكون فيهما النار. انظر: «جمهرة الأمثال» (٢/ ٩٢).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٤٠)، والواحدي في «البسيط» (١١/ ٤٨٧).

حالٍ، والمعنى: يُجادِلُ رسُلَنا؛ أي: يُكرِّرُ السُّؤالَ ليعلمَ بأيِّ شيءٍ استحقُّوا عذابَ الاستِئصالِ، وأنَّ ذلك واقعٌ لا محالةَ أم على سبيلِ الإخافةِ.

وقيلَ: جادَلَهم بقولِه: أرأيتُم إنْ كانَ فيها خمسونَ من المسلمين أُتهلِكُونَهم؟ قالوا: لا، قال: أربعونَ؟ قالوا: لا، حتَّى بلغَ الواحدَ، قالوا: لا، قالَ: ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾ [العنكبوت: ٣٢] الآية(١).

وقيل: ﴿يُجَٰدِلُنَا﴾: يتشفَّعُ في قومِ لوطٍ(٢).

وقيل: يُكلِّمُنا(٣).

* * *

(٧٥) ـ ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾.

﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾ سبقَ في (براءة).

* * *

(٧٦) ـ ﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾.

﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾؛ أي: قالتِ الملائكةُ: يا إبراهيمُ ﴿أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ﴾ الجدالِ، ﴿إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ بعذابِهم، ﴿وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾: غيرُ مصروفٍ عنهم، ثمَّ خرجُوا من عندِ إبراهيمَ مُتوجِّهينَ نحوَ قومِ لوطٍ، وكانَ بينَ قريةِ إبراهيمَ وقومِ لوطٍ أربعةُ فراسخَ، قالَه الكلبيُّ(٤).

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٢٢١)، والطبري في «تفسيره» (١٢/ ٤٩٠)، عن قتادة.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥١٤)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥١٤)، وعدَّه من العجائب.

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٤٨٨)، والواحدي في «البسيط» (١١/ ٤٩١).

(٧٧) ـ ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾.

﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا﴾؛ أي: لمَّا أتَوه وضافُوه فرآهُم وهيئاتِهم وجمالَهم ﴿سِيٓءَ بِهِمْ﴾: ساءَه مجيئُهم وأُحزِنَ بهم ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾: وضاقَ بمكانِهم صدرُه؛ لأنَّه[١] علِمَ أنَّه سيُدفَعُ إلى الذَّبِّ عنهم والطَّردِ دونَهم، وأنَّ قومَه يُسارِعُونَ إلى أمثالِهم.

ابنُ عيسى: يُقالُ: ضاقَ بأمرِه ذَرْعًا: إذا لم يجِدْ منَ المكروهِ سبيلًا، ونُسِبَ إلى الذَّرعِ على عادةِ العربِ في وصفِ القادرِ على الشَّيءِ المُنبسِطِ فيه بالتَّذرُّعِ والتَّبوُّعِ[٢] وطولِ اليدِ والباعِ والذِّراعِ، ثمَّ يُوضَعُ ضيقُ الذِّراعِ مكانَ ضيقِ الصَّدرِ، وهو نصبٌ على التَّمييزِ.

﴿وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾: شديدٌ في الشَّرِّ، وكذلك عَصَبْصَبٌ، وأصلُه منَ العَصْبِ، وهو الشَّدُّ، وقيل: خافَهم كما خافَ إبراهيمُ.

ثمَّ إنَّ عجوزَ السَّوءِ خرجَتْ وأخبرَت القومَ بمجيئِهم، وقالت: ما رأيتُ أحسنَ منهم وجهًا، ولا أطيبَ ريحًا، ولا أنظَفَ ثيابًا، فأقبلوا نحوَهم مُسرِعين، وهو قولُه:

(٧٨) ـ ﴿وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾.

﴿وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾؛ أي: لطلَبِ الفاحشةِ منهم، والإهراعُ: الإسراعُ.

الكسائيُّ: الإهراعُ: الإسراعُ مع رِعْدةٍ[٣].

---

(١) في (ن): «كأنه».

(٢) في (و): «والنبوغ».

(٣) ذكره الأزهري في «تهذيب اللغة» مادة (ه رع) (١/ ١٠١)، والماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٤٨٨)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥١٤)، واستغربه.

وقيلَ: هو الشَّوقُ العنيفُ.

وجاء على لفظِ المجهولِ كما جاء: عُنِيْتُ بكذا، وزُهِيْتَ علينا[١]. وقيل: كانَ يسوقُ بعضُهم بعضًا، ويحثُّ بعضُهم بعضًا.

﴿وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: قبلَ مجيءِ الملائكةِ ﴿كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ كنايةٌ عن إتيانِ الذُّكرانِ، وقيل: من قبلُ كانوا يأتون النِّساءَ من أدبارِهنَّ. والمعنى: أَلِفُوا[٢] الفاحشةَ فجاهَروا بها ولم يستَحْيُوا منها.

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي﴾ قيل: أرادَ بناتِ صلبِه، وهما ابنتانِ زعورا وريثا، وذكرَ المُفسِّرون أنَّه أرادَ أن يقِيَ أضيافَه ببناتِه.

وقيل: أرادَ بناتِ قومِه، وكلُّ نبيٍّ أبو أمَّتِه، ومنه قراءةُ مَن قرأ: (وأزواجُه أمَّهاتُهم وهو لهم أبٌ)[٣]، وهذا أولى؛ لجمعِ البناتِ.

وقيل: كان في قومِه رجُلان مُطاعان، فأرادَ أن يُزوِّجَ ابنتَيه منهما، وكان النِّكاحُ جائزًا بينَ المُسلمةِ والكافرِ.

الحسنُ: كانوا من قبلُ يخطِبون بناتِه فيأبى، فحمَلَه ضيقُ الأمرِ على أن ضمِنَ إسعافَهم[٤].

وقيل: شرَطَ عليهم الإيمانَ بدليلِ قوله: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾.

---

(١) انظر: «البارع» لأبي علي القالي (ص: ١٤٨)، و«المخصص» لابن سيده (٤/ ٤٠١)، و«إتحاف الفاضل بالفعل المبني لغير الفاعل» لابن علان (ص: ٤).

(٢) في (و): «ركبوا».

(٣) نسبت هذه القراءة لأبي بن كعب وابن عبّاسٍ وجعفر بن محمد. انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٣٥)، و«شواذ القراءات» لشمس القراء الكرماني (ص: ٣٨٣).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥١٥)، واستغربه.

قوله: ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ أي: أنظفُ فِعلًا، وقيل: أحلُّ، وقيل: أعفُّ.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي﴾: ولا تُذِلُّوني ولا تُهينُوني، وقيل: ولا تُشوِّروني[1] فيهم، منَ الخزايةِ وهي الاستحياءُ، وقيل: لا تُخزوني: لا تُهلِكُوني في حقِّهم، عَدَّ ذلك إهلاكًا.

﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ قيل: مُؤمنٌ، وقيل: آمرٌ بالمعروفِ ناهٍ عن المُنكرِ.

عكرمةُ: مَن يقولُ: لا إلهَ إلّا الله[2].

و(ليسَ) في الآية بمعنى (ما) النَّفي، والاستفهامُ للإنكارِ.

* * *

(٧٩) ـ ﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾.

﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾؛ أي: لسنَ لنا بأزواجٍ فنستحِقَّهنَّ.

وقيل: ﴿مِنْ حَقٍّ﴾: حاجةٍ وشهوةٍ.

﴿وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ أي: الذُّكرانَ.

وقيل: ادَّعُوا في الضِّيفانِ حقًّا حين نهَوه عن إيواءِ المُردِ منَ الضِّيفانِ وشرطُوه أن يستَبيحُوهُم، فلمَّا أضافَ أولئك ادَّعَوا فيهم حقًّا للنَّهيِ المُتقدِّمِ، فهذا باطلٌ تعلَّقُوا به[3].

* * *

(٨٠) ـ ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾.

﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾؛ أي: لو قدرتُ على دفعِكُم بيدي[4]

---

(١) التشوير: التخجيل، يقال: شورت بفلان، وتشور فلان. انظر: «العين» (٦/ ٢٨١).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٦٣) عن عكرمة عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥١٦)، واستغربه.

(٤) في (ن): «ببدني».

وقوَّتي، أو أنضمُّ وأرجعُ إلى عشيرةٍ ومنَعةٍ ينصُرونَني، لدفعتُكم، وجوابُ (لو) محذوفٌ.

وعن زيدِ بنِ ثابتٍ: أنَّه لو كانَ لِلُوطٍ مثلُ رهطِ شُعيبٍ لجاهدَ بهم قومَه[١].

وعن ابنِ عبَّاسٍ: ما بعثَ الله بعد هذه الكلمةِ من لوطٍ نبيًّا إلّا في عزٍّ وثروةٍ من قومِه[٢].

ورُوِيَ عن النَّبيِّ عليه السَّلامُ أنَّه قال عندَ قراءةِ هذه الآيةِ: «رحمَ الله أخي لوطًا، لقد كانَ يأوي إلى رُكنٍ شديدٍ»[٣] يُريدُ: نصرَ الله وعَونَه[٤].

---

(١) رواه سعيد بن منصور في «سننه ـ التفسير» (١١٠٠)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥١٧)، واستغربه.

(٢) رواه سعيد بن منصور في «سننه ـ التفسير» (١٠٩٨)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥١٧)، واستغربه.

وقد ورد مرفوعًا، روى الترمذي (٣١١٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ورحمة الله على لوط إن كان ليأوي إلى ركن شديد، إذ قال: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٖ شَدِيدٖ﴾ فما بعث الله من بعده نبيًّا إلا في ذروة من قومه»، وفي رواية عنده: «ما بعث الله بعده نبياً إلا في ثروة من قومه». وفيه: قال محمد بن عمرٍو: «الثَّروةُ: الكثرةُ والمَنَعةُ»، وقال الترمذي: «هذا حديثٌ حسنٌ».

(٣) رواه البخاري (٣٣٧٥)، ومسلم (١٥١)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) قال ابن حزم في «الملل والنحل» (٤/ ٧): «أما قوله عليه السَّلامُ: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٖ شَدِيدٖ﴾ فليس مخالفًا لقول رسول الله ﷺ: «رحم الله لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد» بل كلا القولين منهما عليهما السلام حق متفق عليه؛ لأن لوطاً عليه السَّلامُ إنما أراد منعة عاجلة يمنع بها قومه مما هم عليه من الفواحش من قرابة وأو عشيرة أو أتباع مؤمنين، وما جهل قط لوط عليه السَّلامُ أنه يأوي من ربه تعالى إلى أمنع قوة وأشد ركن، ولا جناح على لوط عليه السَّلامُ في طلب قوة من الناس؛ فقد قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾، فهذا الذي طلب لوط عليه السَّلامُ، وقد طلب رسول الله ﷺ من الأنصار والمهاجرين منعة حتى يبلغ كلام ربه تعالى، فكيف =

وقيل: جوابُ (لو): لأجبَرتُكم على تركِ ما أنتم عليه، والله لا يُجبِرُ.

وكانَ لوطٌ عليه السَّلامُ قد أغلَقَ بابَه دونَ ضيفِه يُناظِرُ قومَه ويُناشِدُهم من وراءِ البابِ، وهم يُعالجون تسوُّرَ الجدارِ، فلمَّا رأتِ الملائكةُ ما لقِيَ لوطٌ منَ المشقَّةِ والتَّعبِ بسببِهم:

(٨١) ـ ﴿قَالُواْ يَـٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾.

﴿قَالُواْ يَـٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ﴾: لا تراهُم بعدَ هذا؛ لأنَّا مُهلِكوهُم قبلَ أن يصِلُوا إليك وإلى ضيفِكَ بمكروهٍ، فهوِّنْ عليك.

فلمَّا سمعَ مقالتَهم خلَّى بين القومِ وبين الدُّخولِ إلى منزلِه، فدخلوا، فضرَبَ جبريلُ عليه السَّلامُ بجناحِه وجوهَهم فطمَسَ أعيُنَهم وأعماهم، فصاروا لا يُبصِرونَ الطَّريقَ ولا يهتَدون إلى بيوتِهم، ويقولون: في بيتِ لوطٍ سحرةٌ، كما أنتَ يا لوطُ حتّى نُصبِحَ؛ يُوعِدونَه.

ثمَّ قالوا له: إنَّا أُمِرْنا أن نُهلِكَهم حينَ يَنبلجُ الصُّبحُ، فاخرُجْ أنتَ بمَن آمنَ بك من أهلِكَ، فذلك قولُه: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ الإسراءُ والسُّرى: سيرُ اللَّيلِ؛ أي: سِرْ بأهلِكَ[1] ليلًا ﴿بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ قيل: بطائفةٍ منَ اللَّيلِ، وقيل: بنصفِ اللَّيلِ، كأنَّه قطعَ نصفَين، وقيل: بسوادِ اللَّيلِ.

= ينكر على لوط أمراً هو فعله عليه السَّلامُ؟ تالله ما أنكر ذلك رسول الله ﷺ وإنما أخبر عليه السَّلامُ أن لوطاً كان يأوي إلى ركن شديد، يعني: مِن نصر الله له بالملائكة، ولم يكن لوط علم بذلك، ومن اعتقد أن لوطاً كان يعتقد أنه ليس له من الله ركن شديد فقد كفر؛ إذ نسب إلى نبي من الأنبياء هذا الكفر...».

(١) في (ن): «بهم».

﴿وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ﴾: لا يتخلَّفْ منكم أحدٌ، وقيل: معناه: لا ينظُرْ إلى ورائِه، وقيل: معناه: لا يلتفِتْ إلى مالِه هناك، لا يُبالِ به.

﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ﴾ النَّصبُ على الاستثناءِ من قولِه: ﴿فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ﴾ إلا امرأتَكَ، ومَن رفعَ[(١)] فعلى البدلِ من ﴿أَحَدٌ﴾، ويجوزُ النَّصبُ من هذا الوجهِ أيضًا، والرَّفعُ أقيَسُ.

مجاهدٌ: تُعُبِّدوا بأنْ لا يلتفِتُوا إلى ورائِهم[(٢)].

وفي الخبرِ أنَّها كانت مع لوطٍ، فلمَّا رفعَ جبريلُ الأرضَ سمعتِ الهدَّةَ فقالت: واقَوماهُ، فأدركَها حجرٌ فقتلَها[(٣)].

﴿إِنَّهُۥ﴾: إنَّ الأمرَ ﴿مُصِيبُهَا﴾ منَ العذابِ ﴿مَآ أَصَابَهُمۡۚ إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ﴾: موعدَ هلاكِهم ﴿ٱلصُّبۡحُ﴾: وقتُ الصُّبحِ، فقالَ لوطٌ: أُريدُ الآنَ، فقالوا: ﴿أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ﴾؛ أي: الوقتُ الذي أُمِرْنا بإهلاكِهم فيه قريبٌ، وهو أوَّلُ الفجرِ.

***

(٨٢) ـ ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ﴾.

﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا﴾: إهلاكُنا، وقيل: جاء أمرُنا بالعذابِ؛ أي: قيل له: كُنْ. وقيل: ﴿جَآءَ أَمۡرُنَا﴾: هو الملائكةُ.

---

(١) وهما ابن كثير وأبو عمرو، والباقون قرؤوا بالنصب. انظر: «السبعة» (ص: ٣٣٨)، و«التيسير» (ص: ١٢٥).

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (١١/ ٥٠٧) بلفظ: «لا ينظروا وراءهم؛ كأنهم تعبدوا بذلك»، وروى الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٨٨) عن مجاهد قال: «لا ينظر وراءه أحد».

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣١٨٣٥) عن حذيفة رضي الله عنه، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٥١٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٦٦) عن سعيد بن جبير.

﴿جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا﴾: أدخَلَ جبريلُ جناحَه تحتَ قُرى قومِ لوطٍ؛ سدوم وعاموراء وداذوماء وصبوائيم، وهي المُؤتفكاتُ، فرفعَها حتَّى سمعَ أهلُ السَّماءِ صياحَ الدِّيكةِ ونُباحَ الكلابِ، ثمَّ جعلَ عاليَها سافلَها.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا﴾: على المدُنِ، وقيل: على شُذَّاذِها ومُسافريها ﴿حِجَارَةً﴾؛ أي: جعَلْنا الحجارةَ بدلَ المطرِ حتَّى أهلكَهُم من آخرِهم.

﴿مِّن سِجِّيلٍ﴾ فيه ثمانيةُ أقوالٍ:

الأوَّلُ: حجارةٌ صلبةٌ ليست من جنسِ حجارةِ الثَّلجِ والبَرَدِ.

ابنُ عبَّاسٍ: فارسيٌّ مُعرَّبٌ: (سَنْك وكِلْ)[1] بدليلِ قولِه: ﴿حِجَارَةً مِّن طِينٍ﴾ [الذاريات: ٣٣].

الثَّاني: شديدٌ منَ الحجارةِ، عن أبي عبيدةَ[2].

الثَّالثُ: من مثلِ السَّجْلِ في الإرسالِ، والسَّجْلُ: الدَّلوُ.

الرَّابعُ: من (أسجَلْتُه): أرسَلْتُه.

الخامسُ: من (أسجَلْتُه): أعطَيْتُه، وتقديرُه: من مثلِ العطيَّةِ في الإدرارِ.

السَّادسُ: من (السِّجِلِّ)، وهو الكتابُ، وتقديرُه: من مكتوبِ الحجارةِ، وهي حجارةٌ كتَبَ الله أن يُعذِّبَهم بها.

السَّابعُ: من سجين؛ أي: من جهنَّمَ، أُبدِلَتْ نونُه لامًا[3].

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٩٩٧٨)، والطبري في «تفسيره» (١٢/ ٥٢٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٦٨)، وزاد بعضهم فيه: «حجر وطين».

(٢) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٢٩٦).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥١٨)، واستغربه.

الثّامنُ: منَ السَّماءِ الدُّنيا، وهي تُسمَّى سجِّيلًا[١]، حكاها ابنُ عيسى.

وأحسنُ الأقاويلِ ما وافقَ القرآنَ، وهو قولُ ابنِ عبّاسٍ (سَنْك وكِلْ)[٢]؛ لقولِه: ﴿حِجَارَةً مِّن طِينٍ﴾ [الذاريات: ٣٣]، ويقرُبُ منه قولُ مَن قالَ: إنَّه من السِّجِلِّ.

﴿مَّنضُودٍ﴾: نُضِدَ بعضُه على بعضٍ حتَّى صارَ حجَرًا.

وقيل: ﴿مَّنضُودٍ﴾: مصفوفٍ في تتابعٍ، نُضِدَتْ حينَ أُمطِرَتْ كالمطرِ قطرةً بعد قطرةٍ.

***

(٨٣) - ﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾.

﴿مُّسَوَّمَةً﴾: مُعلَّمةً ببياضٍ إلى حمرةٍ من السَّماءِ.

وقيل: مكتوبٌ عليها اسمُ مَن أُهلِكَ بها.

﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ في خزائنِه، وقيل: في علمِه.

وهبُ بنُ منبِّهٍ: أُمطِرَ عليهم الكبريتُ والنَّارُ[٣].

﴿وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ يُريدُ: ظالمي أمَّةِ محمَّدٍ عليه السَّلامُ.

وقيل: هو ترهيبٌ لقريشٍ.

وقيل: هو في قومِ لوطٍ، وهم الظّالمون؛ أي: لـم يبعُدْ عن ظالمٍ منهم، بل أصابَ جميعَهم حيثُ كانوا.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥١٨)، وعدَّه من العجائب.

(٢) في (و): «سندكل».

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٠/ ١٠٨)، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ١٦٥)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٤٩٧) إلى ابن أبي حاتم.

وذكَّرَ (بعيد)؛ أي: بمكانٍ بعيدٍ، وقيل: حُمِلَ على لفظِ الحجرِ، وقيل: ليس في لفظِ ﴿هِيَ﴾ علامةُ التَّأنيثِ.

***

(٨٤) - ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾.

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾؛ أي: وأرسلْنا شُعيبًا إلى بني مديَنَ، وقيل: ساكني مديَنَ.

ومدينُ هذا يُقالُ: إنَّه ابنٌ لإبراهيمَ عليه السَّلامُ، فصارَ اسمًا للقبيلةِ، أو سُمِّيت البلدةُ باسمِه، وهو شاذٌّ في القياسِ كمَزْيَدَ ومَريمَ(١).

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ﴾: المَكيلَ بالمكيالِ والمَوزونَ بالميزانِ؛ أي: لا تبخَسُوا النَّاسَ حقوقَهم، كانوا مع كُفرِهم مُطفِّفين.

والكيلُ: تعديلُ الشَّيءِ بالمكيالِ في القلَّةِ والكثرةِ، والميزانُ: آلةُ الوزنِ، والوزنُ: تعديلُ الشَّيءِ بالشَّيءِ في الخفَّةِ والثِّقلِ.

﴿إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ﴾: نعمةٍ وخِصْبٍ، فلا حاجةَ بكم إلى التَّطفيفِ مع النِّعمةِ ورخصِ السِّعرِ.

﴿وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ قيل: هو غلاءُ السِّعرِ، وقيل: الاستئصالُ في الدُّنيا، وقيل: العذابُ في الآخرةِ.

---

(١) والقياس أن تقْلَب الواو فيها ألفًا بعد نقل حركتها إلى ما قبلها. انظر: «شرح المفصل» لابن يعيش (١/ ١٠٧).

(٨٥) ـ ﴿وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾.

﴿وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ﴾: أتِمُّوهما، والوفاءُ: تمامُ الحقِّ، والإيفاءُ: إتمامُه.

﴿بِٱلۡقِسۡطِ﴾: بالعدلِ، مصدرٌ أُمِيتَ فِعلُه، والفعلُ منه بالزِّيادةِ «أقسَطَ».

﴿وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ﴾: حقوقَهم، ذُكِرَ بأعمِّ الألفاظِ[١].

والبَخْسُ: ضِدُّ الإيفاءِ، وهو نُقصانُ الحقِّ.

﴿وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾ العِثِيُّ والعَيْثُ: أشدُّ الفسادِ.

* * *

(٨٦) ـ ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ﴾.

﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ البقيَّةُ: تركةُ شيءٍ من شيءٍ قد مضى؛ أي: ما أبقى الله لكم بعد إيفاءِ الحقِّ منَ[٢] الكيلِ والوزنِ خيرٌ لكم منَ التَّطفيفِ؛ لأنَّ الله يجعلُ فيها البركةَ.

وقيل: طاعةُ الله؛ لأنَّها تبقى.

الحسنُ: فرائضُ الله[٣]. وقيل: رزقُ الله. وقيل: نعمةُ الله[٤]، من قولِه: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ﴾ [القصص: ٦٠]. وقيل: وصيَّةُ الله.

---

(١) وهو لفظ (شيء)، وقد نصَّ على أنه أعم الألفاظ الرازي في «التفسير الكبير» (١٢/ ٤٩٩)، وأبو حيان في «البحر المحيط» (٤/ ٤٥٩).

(٢) «الحق من»: ليست في (ن).

(٣) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٦/ ١٩٦)، وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٧٢) عن الحسن قال: «رزق الله خير لكم من بخسكم الناس»، وهو القول الآتي.

(٤) في (ن): «رحمة الله».

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾؛ أي: خيرٌ لكم بشرطِ الإيمانِ ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾: يحفظُ عليكم نعمَكُم، فاحفَظُوها بتركِ المعصيةِ، وقيل: ﴿بِحَفِيظٍ﴾: يحفظُكم عن البَخْسِ.

* * *

(٨٧) ـ ﴿قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾.

﴿قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ﴾ منَ الأصنامِ، وكانَ كثيرَ الصَّلاةِ. وقيل: أقراءَتُك تأمرُك؟ وقيل: أدِينُك يأمرُك؟

﴿أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْ﴾ عطفٌ على ﴿مَا﴾؛ أي: نتركَ فِعْلَنا ما نشاءُ في أموالِنا، وليس بعطفٍ على ﴿أَن﴾ في قولِه: ﴿أَن نَّتْرُكَ﴾.

وقُرِئَ في الشَّواذِّ بالتَّاءِ[1]، فيكونُ عطفًا عليه، أو يُضمَرُ (لا).

وقيل: الأمرُ يتضمَّنُ معنى النَّهيِ، والنَّهيُ يتضمَّنُ معنى الأمرِ، فصار تقديرُه: تأمُرُكَ بهذا وتنهاكَ عن هذا[2].

فعلى هذه الوجوهِ يكونُ عطفًا على ﴿أَن﴾.

و﴿أَوْ﴾ في الآيةِ قيل: بمعنى الواوِ، وقيل: كقولِك: يركبُ البغلَ أو الفرسَ؛ أي: مرّةً هذا ومرّةً ذاك.

﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ قيل: بزعمِكَ، وقيل: أرادوا ضدَّهما استهزاءً به.

---

(١) أي: (أو أنْ تَفْعَلَ في أموالِنا ما تَشاءُ) بتاء الخطاب فيهما، وقد نسبت هذه القراءة للسلمي والضحاك بن قيس. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦٥).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥١٩)، واستغربه.

وقيل: قالوا له: إنَّك لأنتَ السَّفيهُ الجاهلُ، فردَّ الله عليهم وقال: ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾، وهذا ضعيفٌ بل مردودٌ[١].

ويحتملُ أنَّ التَّقديرَ: ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾؛ أي: كنَّا نظنُّك قبل هذا بهذه الصِّفةِ، كما قالوا لصالحٍ: ﴿يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ﴾ [هود: ٦٢][٢].

وما كانوا يفعلون في أموالِـهم هو البَخْسُ والتَّطفيفُ.

وقيل: كانوا يقطَعون الدَّراهمَ والدَّنانيرَ، فنهاهُم عن ذلك[٣].

سفيانُ الثَّوريُّ: كان يأمرُهم بالزَّكاةِ، حكاه الماورديُّ[٤]. وإنَّما يصحُّ هذا على القراءةِ الشَّاذَّةِ.

و(رشيدٌ): فعيلٌ، يصلحُ للفاعلِ والمفعولِ، تقولُ: رشَدَ رُشْدًا ورَشَدًا فهو رشيدٌ، وأرشدَه الله فهو رشيدٌ؛ مُرشِدٌ ومُرشَدٌ فيهما جميعًا.

***

(٨٨) ـ ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى﴾: بيانٍ وبرهانٍ، ﴿وَرَزَقَنِى مِنْهُ﴾: منَ الله، وقيل: منَ البيانِ ﴿رِزْقًا حَسَنًا﴾: حلالًا من غيرِ بَخْسٍ وتطفيفٍ، وقيل: علمًا ومعرفةً[٥]، وقيل: نُبوَّةً.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥١٩)، وعدَّه من العجائب.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥١٩)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥١٩)، وعدَّه من العجائب.

(٤) انظر: «النكت والعيون» (٢/ ٤٩٦)، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٧٣).

(٥) في (ن): «ومغفرة».

وجوابُ الشَّرطِ محذوفٌ، وتقديرُه: أتكرَهُون ذلك، وقيل: تقديرُه: أفأعدِلُ عنها وأتَّبعُ الضَّلالَ؟!

﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُ﴾ معناه: لا أنهاكُم عن شيءٍ ثمَّ آتيهِ.

وقيل: معناه: لا أجعَلُ فعلي مخالفًا لقولي.

﴿إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُ﴾؛ أي: ما أُريدُ إلّا إصلاحَ أمرِكُم قَدْرَ طاقَتي على حسبِ قَبولِكُم منِّي.

ويحتمِلُ أنَّ المُرادَ به[1] المدَّةُ والدَّوامُ، كما تقولُ: ما طلعَتْ شمسٌ، و: ما ذرَّ شارِقٌ[2]؛ لأنَّ الاستطاعةَ من شروطِ[3] الفعلِ دونَ الإرادةِ[4].

وقيلَ: ﴿مَا ٱسۡتَطَعۡتُ﴾ يتعلَّقُ بـ ﴿ٱلۡإِصۡلَٰحَ﴾.

﴿وَمَا تَوۡفِيقِيٓ﴾ لدُعائِكُم إلى الإسلامِ وتركِ التَّطفيفِ ﴿إِلَّا بِٱللَّهِ﴾، ومعنى ﴿تَوۡفِيقِيٓ﴾: لا تكونُ أفعالي مُوافِقةً للصَّوابِ إلَّا بمعونةِ[5] الله، ﴿عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ﴾: استعَنْتُ به ووثِقْتُ به، ﴿وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾: أرجعُ في السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ، وقيل: أرجعُ في المعادِ، وقيل: له أدعو.

* * *

(١) الضمير يعود على (ما) في قوله: ﴿مَا ٱسۡتَطَعۡتُ﴾، والمعنى أن (ما) تحتمل أن تكون الظرفية الزمانية، ويكون معنى الآية: ما أريد إلا الإصلاح ما دمت أستطيع.

(٢) يقال: لا أفعل ذلك ما ذر شارق؛ أي: طلع، يراد بذلك طلوع الشمس. انظر: «مقاييس اللغة» مادة: (ش ر ق) (٣/ ٢٦٤).

(٣) في (و): «شرط».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥١٩)، واستغربه.

(٥) في (و): «بإذن».

(٨٩) - ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ﴾.

﴿وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ﴾: لا يَكْسِبنَّكم ولا يحملنَّكم ﴿شِقَاقِيٓ﴾: مُشاقَّتي وعداوتي وخِلافي ﴿أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ﴾: الغرقُ ﴿أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ﴾: الرِّيحُ ﴿أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖ﴾: الرَّجفةُ، ﴿وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ﴾ لا في الزَّمانِ ولا في المكانِ.

* * *

(٩٠) - ﴿وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ﴾.

﴿وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾ سبق، وقيل: ﴿ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾؛ أي: دُومُوا على التَّوبةِ.

﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ﴾ بالمؤمنين، ﴿وَدُودٞ﴾: مُتحبِّبٌ إلى عبادِه بالإحسانِ إليهم. وقيل: مُحِبٌّ للمؤمنين. وقيل: محبوبُ المؤمنين، حكاه الثَّعلبيُّ[1].

* * *

(٩١) - ﴿قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ﴾.

﴿قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ﴾: ما نفهمُ وما نعقلُ ﴿كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ﴾ يريدُ: التَّوحيدَ وتَرْكَ البَخْسِ ﴿وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗا﴾: ضعيفَ البصرِ، وقيل: أعمى، عمِيَ من كثرةِ البكاءِ من خشيةِ الله، وقيل: ضعيفَ البدنِ، وحِمْيَرُ تُسمِّي الأعمى: ضعيفًا[2].

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٤/ ٤٣٩). وفي هامش (ن): «قول الثعلبي بعيد؛ لأنه لم يأت فعول بمعنى مفعول، ولا يعرف».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٧٤)، و«معاني القرآن» للنحاس (٣/ ٣٧٦).

﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ﴾: عشيرَتُك، وكانَ في عزٍّ ومنَعةٍ من قومِه، قال قتادةُ: بلغَنا أنَّهم كانوا أربعةَ آلافِ ألفٍ[1].

ابنُ عيسى: أصلُ الرَّهْطِ: الشَّدُّ، ومنه التَّرهيطُ: شدَّةُ الأكلِ، والرَّاهطاءُ[2]، والرَّهْطُ أيضًا: اسمٌ لِمَا دونَ العشرةِ منَ الرِّجالِ، وجمعُه: أراهِطُ، وهو شاذٌّ، ولا يقعُ الرَّهطُ والعُصبةُ والنَّفَرُ إلَّا على الرِّجالِ.

﴿لَرَجَمْنَاكَ﴾: قتلْناك، وقيل: سبَبْناك.

﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾: لستَ عندَنا من أهلِ الكرامةِ والتَّوقيرِ. وقيل: وما أنتَ علينا بذي غلبةٍ. وقيل: مُلْكٍ، وكانوا يُسمُّون المَلِكَ عزيزًا.

***

(٩٢) ـ ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِيٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّاۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِيٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾: أمنعُ، وهذا إنكارٌ؛ أي: حِفْظُكم إيّايَ في الله أولى منه في رَهْطِي.

﴿وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا﴾ الظِّهرِيُّ: المنسيُّ المتروكُ الذي جُعِلَ كأنَّه خلفَ الظَّهرِ، فيكونُ الضَّميرُ في قوله: ﴿وَٱتَّخَذْتُمُوهُ﴾ يعودُ إلى الله سبحانَه، وقيل: إلى

---

(١) المروي عن قتادة مثل هذا عن قوم لوط، رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٢٢٢)، والطبري في «تفسيره» (١٢/ ٥٣٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥١٧).

(٢) «الراهطاء»: جُحر من جِحَرةِ اليربوع بين النافقاء والقاصعاء يخبأ فيه أولاده. انظر: «العين» (٤/ ٢٠)، و«مقاييس اللغة» (٢/ ٤٥٠) مادة: (ر هـ ط)، وفيه: «الراء والهاء والطاء أصل يدل على تجمع في الناس وغيرهم». فالرَّهطُ: العصابة من ثلاثة إلى عشرة... وتخفيف الرهط أحسن من تثقيله».

أمرِ الله. وقيل: إلى ما جاءَ به شُعَيبٌ، والمعنى: لم يلتفِتُوا إليه، وهذا قولُ جمهورِ المُفسِّرين في الظِّهرِيِّ.

وقيل: الظِّهرِيُّ أيضًا: العَوْنُ وما يُتقَوَّى به، وهو ظَهرِيْ؛ أي: عُدَّتي، وفلانٌ بين ظَهْرَيهم وظَهْرانَيهم؛ على التَّثنية.

قال المُبرِّدُ: فعلى هذا: اتَّخذتُم العِصيانَ عُدَّةً لدَفعي، وينبَغي أن يكونَ (وَراء) بمعنى (قُدَّام)[(١)].

﴿إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾: عالِمٌ به مُجازٍ عليه.

هو[(٢)] من قولِهم: حملتَ فلانًا على ظهرِك: إذا أظهرتَ عِنادَه[(٣)].

* * *

(٩٣) ـ ﴿وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾.

﴿وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ سبقَ في (الأنعام) تفسيرُه، وقولُه: ﴿يُخْزِيهِ﴾ أي: يُهلِكُه ويفضَحُه.

﴿وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ﴾ قيل: تقديرُه: ويُخزي مَن هو كاذبٌ.

وقيل: عطفٌ على الأوَّلِ. وهو الأظهرُ.

﴿وَارْتَقِبُوا﴾: انتظِروا هلاكي ﴿إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ لهلاكِكُم.

---

(١) الذي في «الكامل» للمبرد (١/ ٢٣) موافق لقول الجمهور في الظهري، حيث قال: ﴿وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا﴾؛ أي: رميتم به وراء ظهوركم؛ أي: لم تلتفتوا إليه، يقال في المثل: «لا تجعل حاجتي منك بظهرٍ»؛ أي: «لا تطرحها غير ناظر إليها».

(٢) في (و) زيادة: «الحسن».

(٣) لم أقف على أحد نسب هذا القول للحسن، ولذلك لم أثبت ما جاء في (و). وفي «النكت والعيون» (٢/ ٥٠٠)، وفيه: يعني: أنكم حملتم أوزار مخالفته على ظهوركم، قاله السدي، من قولهم: حملت فلاناً على ظهري، اذا أظهرتُ عناده».

(٩٤) ـ ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَـٰرِهِمْ جَـٰثِمِينَ﴾.

﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ﴾ قيل: ﴿الصَّيْحَةُ﴾: الصِّياحُ، صاحَ بهم جبريلُ عليه السَّلامُ فماتُوا.

وقيل: ﴿الصَّيْحَةُ﴾ هاهنا: العذابُ، وإنَّما أُهلِكُوا بالحرِّ، وهم أهلُ يومِ الظُّلَّةِ.

وقيل: بعَثَ الله شُعيبًا إلى مدينَ وأصحابِ الأيكةِ، فأهلَكَ أصحابَ مدينَ بالصَّيحةِ كما في الآيةِ، وأصحابَ الأيكةِ بالحرِّ، ويُقوِّيه ما بعدَه: ﴿أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾، وثمودُ أُهلِكُوا بالصَّيحةِ.

﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَـٰرِهِمْ جَـٰثِمِينَ﴾: ميِّتين صَرْعَى هَلْكَى.

***

(٩٥) ـ ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَآ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾.

﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَآ﴾: لم يُقيموا ولم يكونُوا فيها، شبَّه هلاكَهم بانقطاعِ آثارِهم منها بما لم يكونوا فيها، ﴿أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ﴾: هلاكًا وإبعادًا ﴿كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾: هلَكَتْ، (بَعُدَ) بالضَّمِّ: ضِدُّ قَرُبَ، و(بَعِدَ) بالكسرِ: هَلَكَ.

***

(٩٦) ـ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾: هي المُعجِزاتُ التِّسعُ ﴿وَسُلْطَـٰنٍ﴾: حُجَّةٍ واضحةٍ نيِّرةٍ، واشتقاقُه من السَّليطِ، وهو الزَّيتُ.

﴿مُّبِينٍ﴾: واضحٍ ومُوضِّحٍ، و(أبانَ): لازمٌ ومُتعدٍّ.

***

(٩٧) ـ ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾.

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ﴾؛ أي: الملأُ ﴿أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ جوابٌ لفرعونَ في قولِه: ﴿وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩].

وقيل: معناه: وما أمرُه ذا[١] صلاحٍ.

وقيل: (الرَّشيدُ) هاهنا بمعنى: المُرشِدِ، على ما سبق.

***

(٩٨) ـ ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ﴾.

﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ يتقدَّمُهم: يقودُهم إلى النّارِ ﴿فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ وذِكرُه بلفظِ الماضي يحتملُ وجهَين:

أحدُهما: فأورَدَهم في الدُّنيا النَّارَ؛ أي: إلى مُوجِبِه، وهو الكفرُ.

والثّاني: أنَّ ألفاظَ القيامةِ أكثرُها جاء بلفظِ الماضي تحقيقًا، فيكونُ المعنى: يقودُهم إلى أن يُورِدَهُم، فيدخلُ قبلَهم وهم خلفَه.

﴿وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ﴾: المدخلُ المدخولُ فيه النَّارُ[٢]، وهو ذمٌّ للنَّارِ، وقيل: للوارِدينَ، وأصلُه منَ (الوُرودِ)، وهو إتيانُ الماءِ.

ابنُ عبّاسٍ: ﴿ٱلْوِرْدُ﴾: الدُّخولُ[٣].

***

(١) في (و): «ذو».

(٢) «النار» هو المقصود بالذم، و«المدخل» فاعل فعل الذم، و«المدخول فيه» صفته، كما تقول: بئس الرجلُ الجبان زيد.

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٢٥٢)، والطبري في «تفسيره» (١٢/ ٥٦٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٨٠).

(٩٩) ـ ﴿ وَأُتْبِعُواْ فِي هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴾.

﴿ وَأُتْبِعُواْ فِي هَٰذِهِۦ لَعْنَةً ﴾ يعني: في هذه الدُّنيا ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ سبقَ. وقيل: ويُلعَنونَ يومَ القيامةِ.

﴿بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴾: العَطاءُ المُعطَى، والعَوْنُ المُعانُ، وأصلُ الرِّفدِ: شيءٌ يُضافُ إلى شيءٍ ليَعمِدَه ويُقوِّيَه، تقولُ: رفَدْتُ الحائطَ، واسمُ ذلك: رِفْدٌ، ثمَّ جُعِلَ كلُّ إعانةٍ رِفْدًا، والمعنى: بئسَ العطاءُ المُعطَى اللَّعنةُ بعدَ اللَّعنةِ.

* * *

(١٠٠) ـ ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴾.

﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أي: ذلك النَّبأ ﴿مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ﴾: نُخبِرُك به، ﴿مِنْهَا قَآئِمٌ ﴾؛ أي: عامرٌ ﴿وَحَصِيدٌ ﴾: ومنها حصيدٌ خرابٌ، وأصلُ الحصدِ: قطعُ الشَّيءِ من أصلِه، ومعنى الحصيدِ: المحصودُ.

وقيل: ﴿قَآئِمٌ ﴾ بناؤُها خالٍ عن أهلِها، ﴿وَحَصِيدٌ ﴾: مطموسُ العينِ والأثرِ.

وقيل: القائمُ ما بقيَتْ حيطانُه؛ كقولِه عزَّ وجلَّ: ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴾ [الحج: ٤٥]، والحصيدُ: المخسوفُ به وما قد مُحِيَ أثرُه.

ويحتمِلُ أنَّ المُرادَ بالقُرى: قُرى مَن تقدَّمَ ذِكرُهم، وأنَّ القائمَ منها ديارُ قومِ هودٍ وصالحٍ وموسى عليهم السَّلامُ، والحصيدُ ديارُ قومِ نوحٍ ولوطٍ.

* * *

(١٠١) ـ ﴿ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴾.

﴿ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ ﴾ بإهلاكِنا إيَّاهم ﴿وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ باتِّخاذِهم الأصنامَ

﴿فَمَآ أَغۡنَتۡ عَنۡهُمۡ﴾: ما نفعَتْهُم ولا دفعَتْ عنهم ﴿ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ لَّمَّا جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَ﴾: العذابُ ﴿وَمَا زَادُوهُمۡ غَيۡرَ تَتۡبِيبٖ﴾: هلاكٍ. وقيل: خسارةٍ، من قولِه: ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ﴾ [المسد: ١]. وقيل: تدميرٍ وتخسيرٍ.

***

(١٠٢) ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾؛ أي: كما بيَّنّا من أخذِه وإهلاكِه ﴿أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ﴾؛ أي: أهلَكَها[1] ﴿وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ﴾؛ أي: أهلُها كافِرون ﴿إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ﴾: مُؤلمٌ ﴿شَدِيدٌ﴾: يعسُرُ زوالُه.

***

(١٠٣) ـ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّمَنۡ خَافَ عَذَابَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ﴾.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّمَنۡ خَافَ عَذَابَ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾؛ أي: إنَّ في ذلك الذي نزَل بالأممِ المُهلَكةِ من أنواعِ العذابِ لعبرةً لمَن خافَ عذابَ الآخرةِ؛ أي: اعتقَدَ صِحَّتَه ووجودَه.

وقيل: ﴿لَأٓيَةٗ﴾: علامةً أنَّ الله يُنجِزُ وعدَه للمُؤمنين.

وقيل: للأنبياءِ أن ينصُرَهم.

﴿ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ﴾: يُحشَرُ الخلائقُ كلُّهم فيه، وليس يومٌ بهذه الصِّفةِ إلّا يومَ القيامةِ.

﴿وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ﴾: يشهدُه أهلُ السَّماواتِ والأرَضين، وفي تفسيرِ ﴿وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ﴾ [البروج: ٣]: أنَّ الشَّاهدَ: محمَّدٌ عليه السَّلامُ، والمشهودَ: يومُ القيامةِ.

---

(١) في (و): «أهلها».

(١٠٤) ـ ﴿ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴾.

﴿ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ ﴾؛ أي: اليومَ المذكورَ، وقيل: الجزاءَ ﴿إِلَّا لِأَجَلٍ﴾: لوقتٍ مُؤَخَّرٍ، عُيِّنَ لوقوعِ أمرٍ ما فيه ﴿مَّعْدُودٍ﴾: معلومٍ محسوبٍ.

***

(١٠٥) ـ ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴾.

﴿ يَوْمَ يَأْتِ ﴾؛ أي: يومَ يأتي الجزاءُ، ويحتمِلُ أنَّ اليومَ بمعنى الحينِ؛ أي: حينَ يأتي ذلك اليومُ ﴿لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ﴾: تَنْفعُ من شفاعةٍ أو وسيلةٍ ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾.

وقيل: إنَّ فيه وقتًا يُمنَعون عنِ الكلامِ إلَّا بإذنِ الله.

﴿فَمِنْهُمْ﴾؛ أي: منَ الذين جُمِعُوا لمجيءِ الأجلِ. وقيلَ: يعودُ إلى النَّفسِ، والمُرادُ بها الإنسانُ.

﴿شَقِىٌّ﴾ مستحقٌّ للنَّارِ، سبقت له الشَّقاوةُ، ﴿وَسَعِيدٌ ﴾؛ أي: ومنهم سعيدٌ مُستحقٌّ للجنّةِ، سبقَتْ له السَّعادةُ.

وقيل: ﴿شَقِىٌّ﴾: مُعذَّبٌ، ﴿وَسَعِيدٌ ﴾: مُنعَّمٌ.

***

(١٠٦) ـ ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴾.

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴾ الزَّفيرُ: ابتداءُ صوتِ الحمارِ في النَّهيقِ، وأصلُه منَ (المزفورِ)، وهو الشَّديدُ الخَلْقِ.

والشَّهيقُ: آخرُ صوتِ الحمارِ، وأصلُه: الطُّولُ، منَ الجبلِ الشّاهقِ.

وقيل: الشَّهيقُ: الصَّوتُ الشَّديدُ يصدرُ عن اشتدادِ الكربِ، وربَّما تبعَتْه الغَشْيةُ وتلاه الموتُ.

(١٠٧) ـ ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ حالٌ مُقدَّرٌ، تقولُ العربُ: مررتُ برجلٍ معَه صقرٌ صائدًا به غدًا[1]، والعاملُ فيه معنى الاستقرارِ في قولِه: ﴿فَفِي ٱلنَّارِ﴾[2].

﴿مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ أي: دوامَ السَّماواتِ والأرضِ، وأرادَ بالدَّوامِ وقتَ الدَّوامِ، وقيَّدَ الخلودَ بالدَّوامِ؛ لأنَّ العربَ لا تفهمُ خُلودًا لا نهايةَ له، وهذه لفظةٌ وُضِعَتْ للدَّوامِ، ولها أمثالٌ.

وفي هذه الآيةُ والتي تليها سؤالانِ:

أحدُهما: أنَّ السَّماواتِ والأرضَ فانياتٌ، وأنَّ بقاءَ أهلِ الدّارَينِ بصفةِ الدَّوامِ، فكيف علَّقَ ما يبقى بما يفنَى؟

والثّاني: بمَ يتَّصِلُ الاستثناءُ؟

وقد أكثرَ المُفسِّرون والنُّحاةُ الكلامَ فيهما، أمَّا السُّؤالُ الأوَّلُ فالجوابُ عنه من وجوهٍ:

أحدُها: أنَّ العربَ كانت تعتقِدُ دوامَهما، فخاطبَهم على ما اعتَقَدوا وإن كانَ الله علِمَ من شأنِهما ما جهِلُوا.

والثّاني: أنَّهما تُعادانِ، وإذا أُعيدَتا بقيَتا إلى غيرِ نهايةٍ، يُقوِّيه قولُه تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨].

---

(١) تريد: قاصِداً به الصَّيْدَ غداً. انظر: «الكتاب» (٢/ ٥٢). وسميت: الحالَ المقدرةَ؛ لأنها لا تقارن الفعل في الوقوع؛ كقوله تعالى: ﴿وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا﴾، وكما تقول: «خِطْ هذا الثوبَ قمِيصاً»، و: «إبْرِ هذه القصبةَ قلماً»، فهذه كلها من الحال المقدَّرة؛ لأن الجَبَل لا يكون بيتاً في حال النَّحت، ولا الثوبُ والقصَبَةُ قميصاً وقلماً في حال الخياطةِ والبَرْي.

(٢) والتقدير: أما الذين شقوا فاستقروا في النار خالدين.

والثّالثُ: ما دامتِ السَّماءُ سماءً والأرضُ أرضًا، وهذا شيءٌ[(١)] لا يُفارِقُهما في ذواتِهما، بقِيَتا أو فنِيَتا.

والرّابعُ: ما دامت سماءُ الجنّةِ وأرضُ النّارِ.

ويحتملُ أنَّ المُرادَ منه المعنى؛ لأنَّ الكلامَ على ضربَين؛ ضربٌ يصِلُ إلى الغرضِ بدلالةِ اللَّفظِ وحدَه، نحو: قامَ زيدٌ وجلسَ عمرٌو، وضربٌ آخرُ لا يصِلُ إلى الغرضِ بدلالةِ اللَّفظِ وحدَه، ولكن يدلُّكَ اللَّفظُ على معناه الذي يقتَضيه موضوعُه في اللُّغة، ثمَّ تجدُ لذلك المعنى معنًى تصِلُ به إلى الغرضِ؛ كقولِه: ﴿سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ﴾ [الأعراف: ١٤٩]، و: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ [الكهف: ١١]، و: فلانٌ طويلُ النَّجادِ كثيرُ الرَّمادِ، وكلُّ واحدٍ من هذه يدلُّ لفظُه على معنًى، والمعنى على معنًى آخرَ، وكذلك ﴿مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ دلَّ على الأبدِ بواسطةِ ألفاظٍ هي غيرُ مُرادةٍ لها، بل لمعنَى المعنَى[(٢)].

﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ وهو السُّؤالُ الثّاني، وعنه عشرةُ أجوبةٍ:

أحدُها: أنَّ قولَه: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ يُصرَفُ إلى السَّماواتِ والأرضِ، والخلودُ بحالِه؛ أي: إلّا أن يشاءَ الله فيهما ما يشاءُ.

وقيل: إلّا ما شاءَ الله من زيادةِ الدَّوامِ على دوامِ السَّماواتِ والأرضِ.

وقيل: ﴿إِلَّا﴾ هاهنا بمعنى: سِوَى، تقولُ: لك عليَّ ألفٌ إلّا الألفانِ اللَّذانِ تعرِفُهما، فيلزَمُكَ ثلاثةُ آلافٍ.

وقيل: هذا الإطلاقُ يُوجِبُ أن يكونُوا في حالِ الإخبارِ في الجنَّةِ أو في النّارِ، فاستثنى مُدَّةَ لُبثِهم في الدُّنيا والبرزخِ.

---

(١) «شيء»: ليست في (و).

(٢) يلاحظ أن المصنف في هذا الكلام مطبق لنظرية الجرجاني في قضية المعنى ومعنى المعنى أكثر من الجرجاني نفسه، وهذا ظاهر عند تأمل كلام الجرجاني في «دلائل الإعجاز» (ص: ٢٦٣) وموازنته بكلامه في «درج الدرر» (٣/ ٩٨٥).

وقيل: مُدَّةَ وقوفِهم في القيامةِ قبلَ الدُّخولِ.

وقيل: إلّا ما شاءَ ربُّك بزيادةِ العذابِ على أهلِ النّارِ، وبزيادةِ النَّعيمِ على أهلِ الجنّةِ.

قال الفرَّاءُ: ﴿إِلَّا﴾ بمعنى: الواوِ؛ أي: وما شاءَ ربُّك[1].

وقيل: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ بمعنى: مَن، وهم قومٌ يخرُجُونَ منَ النّارِ ويدخُلون الجنّةَ فيُقالُ لهم: الجهنَّميُّونَ[2]، وهم المُستثنَونَ من أهلِ الجنَّةِ أيضًا؛ لمُفارقتِهم إيّاها بكونِهم في النّارِ أيّامًا، وهؤلاءِ لـم يَشْقَوا شقاءَ مَن يدخُلُ النّارَ على التّأبيدِ، ولا سُعِدُوا سعادةَ مَن لا تمسُّه النّارُ.

وقيلَ: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ وهو ما رُوِيَ عن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما أنّه قال: ليأتينَّ على جهنَّمَ زمانٌ تُطبِقُ أبوابَها ليس فيها أحدٌ، وذلك بعد ما يلبَثون فيها أحقابًا، فيأمرُ الله النّارَ فتأكلُهم[3].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٨)، وقد ذكر وجوهاً يحتمل أحدها هذا المعنى.

(٢) روى البخاري (٦٥٥٩) عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ قال: «يخرج قوم من النار بعد ما مسهم منها سفع، فيدخلون الجنة، فيسميهم أهل الجنة: الجهنميين».

(٣) هذا مجموع من قولي ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم، رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٥٨٢) قال: حدثت عن المسيب عمن ذكره عن ابن عباس قال: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ استثناء الله، يأمر النار أن تأكلهم. قال: وقال ابن مسعود: ليأتين على جهنم زمان تخفق أبوابها ليس فيها أحد، وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقابًا». وإسناده ضعيف لانقطاعه.

وروى الفسوي مثل قول ابن مسعود لكن دون قوله: «وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقاباً»، في «المعرفة والتاريخ» (٢/ ١٠٣)، والبزار في «مسنده» (٢٤٢٨)، من قول عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، وفي إسناده أبو بلج، واسمه يحيى بن سليم الفزاري الواسطي، ذكر له الذهبي في ترجمته في «الميزان» هذا الخبر وقال: «هذا منكر، قال ثابت البناني: سألت الحسن عن هذا =

وقال الشَّعبيُّ: جهنَّمُ أسرعُ الدّارَين عذابًا وأسرعُهما خَرابًا[1]. ولهذا قال في الجنّةِ: ﴿عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ﴾ [هود: ١٠٨]، ولـم يقل مثلَه في النّارِ.

ورُوِيَ عن الدَّهانِ وجهٌ فيه جوابُ المسألتَين، وذلك أنَّه جعلَ ﴿مَا﴾ للنَّفي، و﴿إِلَّا﴾ جوابًا له على تقديرِ: لا تدومُ السَّماواتُ والأرضُ إلّا مقدارَ ما شاءَ ربُّك، قال: ويكونُ المعنى: يدخُلونَها عن قريبٍ[2].

وقيل: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ وهو لا يشاءُ غيرَ تخليدِهم.

وقيل: لهم فيها زفيرٌ وشهيقٌ إلّا ما شاءَ ربُّك من أنواعِ العذابِ.

﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ﴾ من غيرِ اعتراضٍ عليه.

* * *

(١٠٨) ـ ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ﴾.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ تقول: سَـعَدَهُ اللهُ فسَـعِدَ، ومَسْـعودٌ منه، و(أسـعَدَ) هو المعروفُ فـي كلامِ العربِ؛

= فأنكره». قلت: وكذا روى الفسوي عن الحسن عقب الخبر.

وهذان الخبران ـ إن صحا ـ فقد ذكر لهما أبو حيان رحمه الله تأويلاً يزيل الإشكال عنهما حيث قال: والذي روي ونقل عن ابن مسعود وغيره: «أنها تخلو من النار» إنما هو الدرك الأعلى المختص بعصاة المؤمنين، وهو الذي يسمى جهنم، وسمِّي الكل به تجوزاً. انظر: «البحر» (٦/ ٢١٣).

قلت: ويؤيد هذا التأويل أنه جاء في روايته عند البزار في آخره: «يعني: من الموحدين»، وكذا ما رواه ابن عدي في «الكامل» (٥/ ٢٢٠) عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً: «ليأتين على جهنم يوم تصفق أبوابها، ما فيها من أمة محمد أحد».

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٥٨٢) بلفظ: «جهنم أسرع الدارين عمرانًا، وأسرعهما خرابًا».

(٢) ذكره المصنف بلا نسبة في «غرائب التفسير» (١/ ٥٢١).

كقولِكَ: أَحَبَّ فهو محبوبٌ، وقد جاءَ: (حَبَّه) كما جاءَ (سَعَدَه)[1].

﴿عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ﴾: غيرَ مقطوعٍ عنهم، و﴿عَطَآءً﴾ نصبٌ على المصدرِ؛ أي: أُعطُوا عطاءً، وقيل: حالٌ عن ﴿ٱلۡجَنَّةِ﴾ كقولِه: ﴿نَصِيبَهُمۡ غَيۡرَ مَنقُوصٖ﴾ [هود: ١٠٩].

* * *

(١٠٩) ـ ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّمَّا يَعۡبُدُ هَٰٓؤُلَآءِۚ مَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبۡلُۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمۡ نَصِيبَهُمۡ غَيۡرَ مَنقُوصٖ﴾.

﴿فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّمَّا يَعۡبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ المِريةُ: الشَّكُّ تطلُبُ معه اليقينَ، والفعلُ منه: امترَى وتَمارَى، ومارَى غيرَه مُماراةً ومِراءً.

وفيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: أنَّ المعنى: لا تشُكَّ أنَّ عبادةَ ما يعبُدونَه ضلالٌ.

والثّاني: لا تشُكَّ أنَّها تقليدٌ لآبائِهم واقتداءٌ منهم بهم.

والثّالثُ: أنَّ الكفَّارَ نوعانِ؛ نوعٌ يَنفُونَ الصَّانعَ، ونوعٌ يُقِرُّونَ بالله ويعبُدون الأصنامَ؛ أي: فلا تشُكَّ في أنَّ هؤلاءِ في الكفرِ كهؤلاءِ.

﴿مَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبۡلُ﴾؛ أي: هم كآبائِهم في الكفرِ والتَّقليدِ.

ومعنى ﴿كَمَا يَعۡبُدُ﴾: كما كانَ يعبُدُ، فحُذِفَ لأنَّ ﴿قَبۡلُ﴾ يدلُّ عليه.

﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمۡ نَصِيبَهُمۡ﴾: حظَّهم ﴿غَيۡرَ مَنقُوصٖ﴾ قيل: منَ الرِّزقِ، وقيل: منَ الخيرِ والشَّرِّ، وقيل: منَ العذابِ.

---

(١) في هامش (ن): «وقد جاء سُعِدَ ـ بضم السين ـ فهو مسعود، ونُحِس فهو منحوس، وسُبِتَ فهو مسبوت؛ أي: أصابه السبات، وهو النوم القليل، وصَعِقَ وصُعِقَ جائزان في قوله: ﴿ٱلَّذِي فِيهِ يُصۡعَقُونَ﴾ كسَعِدَ وسُعِدَ، وكلمات جاءت فَعَل بفتح العين متعديًا وبكسره لازمًا منه سَعَد وحَزَن بفتح العين، فافهم».

(١١٠) ـ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾: التَّوراةَ ﴿فَٱخْتُلِفَ فِيهِ﴾: فصدَّقَه قومٌ وآمنَ به، وكفَرَ به قومٌ، وهذه تسليةٌ لرسولِ الله عليه السَّلامُ.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ بتأخيرِ العذابِ عن أمَّةِ محمَّدٍ عليه السَّلامُ إلى يومِ القيامةِ ﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾: لأُهلِكُوا وفُرِغَ من عذابِهم، ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾؛ أي: رَيبٍ يُوقِعُ الرِّيبةَ[(١)].

* * *

(١١١) ـ ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا﴾: المؤمنَ والكافرَ، اختلفَ القُرَّاءُ في تخفيفِ (إنَّ) وتشديدِه بعدَ إجماعِهم على نصبِ (كلّ) إلّا شاذًّا، واختلفُوا في تخفيف (لمَّا)[(٢)] وتشديدِه[(٣)].

فمَن خفَّفَ فلكراهةِ اجتماعِ اللَّامَين زِيدَ بينهما (ما)، وهي صلةٌ، واللَّامُ الأولى لامُ الابتداءِ، وهو الذي يدخُلُ في خبرِ (إنَّ)، والثّانيةُ لامُ القسمِ[(٤)].

---

(١) ظاهر صيغ المصنف أنه فسّر الشك بالريب، وللراغب كلام يعترض فيه على هذا الصنيع. انظر: «المفردات» للراغب الأصفهاني (ص: ٥٦).

(٢) في (ن): «واختلفوا في تخفيف إن»، وفي (و): «واختلفوا في لما»، والصواب المثبت.

(٣) قرأ نافع وابن كثير وأبو بكر: (وإنْ كلاًّ) بإسكان النون، والباقون بتشديدها، وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة: ﴿لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ﴾ بتشديد الميم، والباقون بتخفيفها. انظر: «السبعة» (ص: ٣٣٩)، و«التيسير» (ص: ١٢٦).

(٤) انظر: «الكتاب» (٣/ ١٠٩)، و«اللامات» للزجاجي (ص: ١١٨).

وقيل: (ما) بمعنى الذي؛ أي: لَلَّذي لَيُوفِّيَنَّهم، وقيل: بمعنى: مَن؛ أي: لمَن ليُوفِّيَنَّهم.

ومَن شدَّدَ فهو مُشكِلٌ، قال الكسائيُّ: لا أعرِفُ للتَّشديدِ وجهًا(١).

قال أبو عليٍّ: لم يُبعِدْ فيما قالَ(٢).

وقال بعضُهم: معناه: (إلّا) كما تقولُ: نشَدْتُكَ الله لـمَّا فعلتَ كذا، و: إلَّا فعلتَ كذا، بالكسرِ؛ أي: ما أسألُكَ بالله إلّا كذا، وهذا بعيدٌ؛ لأنَّ النَّاصبةَ لا تقعُ بعدَها (لمَّا) ولا (إلّا)، إنَّما يقَعانِ إذا تقدَّمَهما نفيٌ وطلبٌ.

قال المازنيُّ: أصلُه (لَمَا) بالتَّخفيفِ، فشُدِّدَ(٣). وهو بعيدٌ.

وقال الفرَّاءُ: أصلُه (لمَنْ ما) فأُدغِمَ النُّونُ فصار ميمًا، ثمَّ حُذِفَ وأُدغِمَ الميمُ المفتوحةُ(٤). وهذا أيضًا كما تَرى بعيدٌ.

وقيل: إنَّما هو (لمًّى) فَعْلَى، مِن لَمَمْتُ، أو: (لَمًّا) فأُجرِيَ الوصلُ مجرَى الوقفِ، وقد قُرِئَ: (لمًّا) في الشّاذِّ، كقولِه: ﴿أَكْلًا لَّمًّا﴾ [الفجر: ١٩](٥).

ومعنى: ﴿لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾؛ أي: جزاءَ أعمالهم ﴿إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

***

---

(١) أي: لتشديد الميم على قراءة مَنْ قرأ ﴿لَّمَّا﴾.

(٢) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٤/ ٣٨٨).

(٣) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» (٣/ ٨١)، والنحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ١٨٦).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٩).

(٥) نسبت هذه القراءة إلى الزهري. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ٦٦)، و«المحتسب» لابن جني (١/ ٣٢٨)، و«شواذ القراءات» لشمس القراء الكرماني (ص: ٢٣٩).

(١١٢) - ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾.

﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ﴾؛ أي: أمرِ ربِّك، وبلِّغِ الرِّسالةَ، وادعُ النَّاسَ إلى الإيمانِ بالله.

عائشةُ في جماعةٍ: استقِمْ على القرآنِ(١).

السُّدِّيُّ: الخطابُ للنَّبيِّ عليه السَّلامُ، والمُرادُ به الأمَّةُ(٢).

قال ابنُ عبّاسٍ: ما نزلَتْ على رسولِ الله عليه السَّلامُ في جميعِ القرآنِ آيةٌ كانت أشدَّ ولا أشقَّ عليه من هذه الآيةِ، ولهذا قال: «شيَّبَتْني سورةُ هودٍ»(٣).

﴿وَمَن تَابَ مَعَكَ ﴾؛ أي: آمنَ بك فليستقيموا، ﴿وَلَا تَطْغَوْاْ﴾: لا تُجاوِزُوا أمرَ الله، ﴿إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾: يعلَمُ أعمالَكُم فيُجازِيكُم عليها.

***

(١١٣) - ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾.

﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: لا تميلُوا(٤). وقيل: لا ترضَوا أعمالَهم. وقيل: لا تُدهِنُوا، من قوله: ﴿وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾ [القلم: ٩]. وقيل: لا تلحقُوا بالمُشركين.

وحقيقةُ الرُّكونِ: السُّكونُ إلى الشَّيءِ بالمحبَّةِ له، تقولُ: ركَنَ يَرْكَنُ بالفتحِ والضَّمِّ؛ إذا مالَ، والرُّكنُ: ناحيةٌ منَ الجبلِ أو الحائطِ قويَّةٌ.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٤/ ٤٦٣) عن عائشة رضي الله عنها وسفيان، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٥٩٩) عن سفيان بن عيينة.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٤/ ٤٦٣).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٤/ ٤٦٣). وحديث: «شيبتني هود» تقدم تخريجه في أول السورة.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٦٠١)، وذكره الواحدي في «البسيط» (١١/ ٥٧٧).

﴿فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾: فيُصيبكُم العذابُ ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ﴾: أعوانٍ يمنَعونكُم من عذابِ الله ﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾: حالٌ وليسَ بعطفٍ[١]؛ أي: حالُكم حينَئذٍ هذا.

* * *

(١١٤) ـ ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾.

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾ في سببِ النُّزولِ برواياتٍ جمَّةٍ وطُرقٍ مختلفةٍ: أنَّها نزلَتْ في رجلٍ أتى النَّبيَّ عليه السَّلامُ فقال: إنِّي أصبتُ من امرأةٍ غيرَ أنِّي لم آتِها، فأنزلَ الله: ﴿أقم ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾[٢].

وفي روايةٍ أُخرَى: فقالَ الرَّجلُ: ألي خاصَّةً يا رسولَ الله أم للنَّاسِ عامَّةً؟ فضرَبَ عمرُ صدرَه، وقال: لا، ولا نُعْمةَ عينٍ، ولكنْ للنّاسِ عامَّةً، فضحِكَ رسولُ الله عليه السَّلامُ فقال: «صدَقَ عمرُ»[٣].

---

(١) الكلام عن ﴿وَمَا لَكُم﴾، والله أعلم.

(٢) رواه البخاري (٥٢٦)، ومسلم (٢٧٦٣) عن ابن مسعود رضي الله عنه: أن رجلاً أصاب من امرأة قبلة، فأتى النبي ﷺ، فأخبره فأنزل الله عز وجل: ﴿أقم ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ فقال الرجل: يا رسول الله ألي هذا؟ قال: «لجميع أمتي كلهم».
وليس في الصحيحين تعيين صاحب القصة، ورواه الترمذي (٣١١٥) من حديث أبي اليسر قال: «أتتني امرأة تبتاع تمراً...» فذكره، قال الترمذي: «حسن غريب، وقيس بن الربيع ضعفه وكيع وغيره».
وللحديث روايات كثيرة كما أشار المصنف في السنن والمسانيد.

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٢٠٦)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٢/ ٢١٥) عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما. وفي إسناده علي بن زيد وهو سيئ الحفظ ثقة، وبقية رجاله ثقات. انظر: «مجمع الزوائد» (٧/ ٣٨). قلت: لكن يشهد له حديث ابن مسعود في الصحيحين، وحديث أبي اليسر عند الترمذي اللذين ذكرناهما قريباً.

وذكرَ الثَّعلبيُّ أنَّ اسمَ الرَّجلِ أبو اليَسَرِ عمرُو بنُ غزيَّةَ الأنصاريُّ(١).

قولُه: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾؛ أي: المفروضةَ ﴿طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾: صلاةُ الصُّبحِ، واختُلِفَ في الطَّرفِ الثّاني:

ابنُ عبّاسٍ: المغربُ(٢).

القُرَظيُّ: الظُّهرُ والعصرُ(٣).

الضَّحّاكُ: صلاةُ العصرِ(٤).

مُقاتلٌ: صلاةُ الفجرِ والظُّهرِ طَرَفٌ، وصلاةُ العصرِ والمغربِ طرفٌ(٥).

﴿وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾: العشاءُ الآخِرةُ.

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٤/ ٤٦٧)، وتعقبه ابن حجر في «الإصابة» (٤/ ٥٥٣) بأنَّهم لم يذكروا من الصحابة ممن يكنى أبا اليسر إلا أبا اليسر كعب بن عمرو، وقد وردت هذه القصة عنه أيضاً، قال: فإن كان الثعلبي ضبَطَه حُمل على أن عمرو بن غزية كان يكنى أبا اليسر أيضاً، فيستدرك على مصنّفي المشتبِه.

وقد وقع في صاحب القصة اختلاف، ومما قيل في اسمه: كعبُ بنُ عمرٍو أبو اليَسَرِ كما قدمنا، وقيل: إنَّه عمرُو بنُ غَزِيَّةَ بنِ عمرٍو الأنصاريُّ أبو حَبَّةَ التَّمَّارُ، وقيل: ابنُ مُعَتِّبٍ رجلٌ من الأنصارِ، وقيل: أبو مُقْبِلٍ عامرُ بن قيس الأنصاريُّ، وقيل: نبهانُ التمّارُ، وقيل: عبَّادٌ.

وقال الحافظ في «الفتح» (٨/ ٣٥٧) بعد أن ذكر الاختلاف عليه: وأقوى الجميع أنه أبو اليسر.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٦٠٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٩١).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٦٠٢)، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٩١)، والثعلبي في «تفسيره» (١٤/ ٤٦٥).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٦٠٤)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٩٣).

(٥) ذكره عن مقاتل الثعلبي في «تفسيره» (١٤/ ٤٦٧). وجاء في «تفسير مقاتل بن سليمان» (٢/ ٣٠٠): «طرفي النهار يعني: صلاة الغداة وصلاة الأولى والعصر، ثم قال: ﴿وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ يعني: صلاة المغرب والعشاء».

الحسنُ: ﴿زُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ﴾: المغربُ والعشاءُ[١].

والزُّلفةُ: السَّاعةُ منَ اللَّيلِ، والزُّلفةُ: المنزلةُ والقُربةُ، ومنه: الزُّلفَى والمُزدلفةُ.

﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ إنَّ الصَّلواتِ الخمسَ تذهبُ بالذُّنوبِ، وفي الحديثِ: أنَّ الصَّلواتِ الخمسَ تُكفِّرُ ما بينَها منَ الذُّنوبِ[٢].

الحسنُ: إذا كانَ قبلَ الأذانِ يُنادي مُنادٍ: يا بني آدمَ، قُومُوا فأطفِئُوا نيرانَكُم ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[٣].

وقيل: الحسناتُ: سُبحانَ الله، والحمدُ لله، ولا إلهَ إلّا الله، واللهُ أكبرُ.

﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: الذي ذكَرْنا، وقيل: القرآنُ ﴿ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾؛ أي: لمَن شأنُه أن ينتبِهَ إذا نُبِّه.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٧٧١)، والطبري في «تفسيره» (١٢/ ٦٠٩).

(٢) ورد في معنى ذلك عدة أحاديث:

منها: ما رواه مسلم (٢٣١) عن عثمان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما من مسلم يتطهر، فيتم الطهور الذي كتب الله عليه، فيصلي هذه الصلوات الخمس، إلا كانت كفارات لما بينها».

ومنها: ما رواه مسلم (٢٣٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، كفارات لما بينهن».

(٣) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٤٥) بلفظ: «ما ينادي مناد من أهل الأرض بالصلاة حتى ينادي مناد من أهل السماء: قوموا يا بني آدم فأطفئوا نيرانكم»، قال: «فيقوم المؤذن يؤذن، ثم يقوم الناس إلى الصلاة».

وبنحو هذا رواه أبو بكر الشافعي في «الغيلانيات» (٦٤٨).

وروي نحوه مرفوعاً، رواه الطبراني في «الصغير» (١١٣٥)، و«الأوسط» (٩٤٥٢)، من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله تبارك وتعالى ملكاً ينادي عند كل صلاة: يا بني آدم قوموا إلى نيرانكم التي أوقدتموها على أنفسكم فأطفئوها بالصلاة».

قال ابن رجب في «تفسيره» (١/ ٥٥٨): «فإقامةُ الصلواتِ المفروضاتِ على وجهِها يوجبُ تبريدَ الحريقِ الَّذي تكسبه الذنوبُ وإطفاءَه».

(١١٥) ـ ﴿وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿وَاصْبِرْ﴾ على الصَّلواتِ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾: المُصلِّين، هو كقولِه: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢].

وقيل: واصبرْ فإنَّ بالصَّبرِ تُنالُ درجةُ المُحسِنين.

وقيل: واصبرْ على ما يُصيبُك من أذى قومِك.

* * *

(١١٦) ـ ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾.

﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ﴾؛ أي: فهلَّا كانَ، وهو موضوعٌ للتَّحضيضِ ومختصٌّ بالفعلِ[1].

وقيل: هو مُركَّبٌ من (لو) الذي للتَّمنِّي و(لا) النَّافيةِ[2]؛ أي: لم يكُنِ المُتمنَّى كونُه.

والبقيَّةُ: الباقي منَ الشَّيءِ؛ أي: بقيَتْ له بقيَّةٌ من الرَّأيِ والعقلِ والتَّمييزِ والبصيرةِ، فيعرِفُ الحقَّ منَ الباطلِ، والصَّوابَ منَ الخطأ.

ابنُ عيسى: ﴿أُولُوا بَقِيَّةٍ﴾: أصحابُ جماعةٍ تبقَى من نسلِهم.

ابنُ بحرٍ: مَن يُبقي على نفسِه وقومِه من عذابِ الله تعالى.

والمعنى: لو كانَ منهم مَن هذه صفتُه لَمَا نزلَ بهم العذابُ.

---

(١) انظر: «الكتاب» (٣/ ١١٤)، و«شرح المفصل» لابن يعيش (١/ ٤١٦)، و«الجنى الداني» للمرادي (ص:٦٠٥).

(٢) انظر: «المقتضب» للمبرد (٣/ ٧٦).

﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾؛ أي: لكنْ قليلًا منهم أنجَيْناهُم؛ لأنَّهم كانوا بهذه الصِّفةِ.

والاستثناءُ مُنقطِعٌ.

﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ﴾؛ أي: عُوِّدُوا التَّرفُّهَ بالنَّعيمِ واللَّذَّةِ، والتَّرفُّهُ[1]: عادةُ النِّعمةِ.

وقيل: أُبطِرُوا فيه.

والمعنى: آثَرُوا الدُّنيا والتَّنعُّمَ فيها على الآخرةِ، ﴿وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾: كافرين.

* * *

(١١٧) ـ ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾؛ أي: بظُلْمٍ منَ الله وأهلها مصلحون: مُؤمِنون مُحسِنون.

وقيل: ﴿بِظُلْمٍ﴾ منهم؛ أي: بعضِهم[2]، والأكثرُ على الصَّلاحِ.

وقيل: ﴿بِظُلْمٍ﴾ منهم، وهو الشِّركُ، ﴿وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ في المُعاملاتِ فيما بينَهم، ولا يَظلمُ بعضُهم بعضًا؛ لأنَّ مُكافأةَ الكفرِ والشِّركِ النّارُ، وإنَّما أُهلِكَ مَن أُهلِكَ بالتَّعدِّي في الشِّركِ.

وقيل: وفيهم مُصلِحون يأمُرونَ بالمعروفِ وينهَونَ عن المُنكرِ.

* * *

(١) في (و): «والرفه».

(٢) أي: من بعضهم، فالبعض بدل من الهاء في «منهم».

(١١٨ ـ ١١٩) ـ ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾.

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾؛ أي: مُسلمين كلِّهم، لكنْ لم يشأْ[1] ذلك ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ في الأديانِ كاليهودِ والنَّصارى والمجوسِ.

والاختلافُ: اعتقادُ كلِّ واحدٍ خلافَ[2] ما يعتقِدُ الآخرُ.

﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ فهداه إلى الإيمانِ، فإنَّه ناجٍ منَ الاختلافِ بالباطلِ. والاستثناءُ مُنقطعٌ.

الحسنُ: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ في الأرزاقِ والأحوالِ من تسخيرِ بعضِهم لبعضٍ[3].

وقيل: معنى ﴿لا يزالون مختلفين﴾[4]: لا يزالُ الخلَفُ فيهم يَتْبعُ السَّلَفَ.

والاختلافُ افتعالٌ، من خلَفَه يخلُفُه: إذا قامَ بالشَّيءِ بعدَه مَقامَه، فخلَفوا واختلَفوا كقولِهم: قتَلُوا واقتتَلُوا، فعلى هذا يكونُ اعتِراضًا، والتَّقديرُ: ولو شاءَ ربُّكَ لجعَلَ النّاسَ أمَّةً واحدةً كفَّارًا إلَّا مَن رحِمَ ربُّك فهداه، ولا يزالونَ مُختلفين[5].

قولُه: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾؛ أي: للرَّحمةِ خلقَهم، واللَّامُ لامُ العاقبةِ.

---

(١) في (و): «ما».

(٢) في (ن): «نقيض».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٦٣٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٩٤) عن الحسن، بلفظ: «مختلفين في الرزق يسخر بعضهم لبعض».

(٤) «في الأرزاق والأحوال من تسخير بعضهم لبعض، وقيل: معنى ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾»: ليست في (و).

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٢٣)، واستغربه.

ابنُ عيسى: على الاختلافِ خلقَهم، واللَّامُ يعاقبُ (على) في مواضعَ، تقولُ: أكرمتُكَ لبِرِّك وعلى بِرِّك[1].

وقيل: للاختلافِ والرَّحمةِ خلقَهم، فوحَّدَ كقولِه: ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾[2] [البقرة: ٦٨].

وقيل: للسَّعادةِ والشَّقاوةِ.

وقيل: للجنّةِ والنّارِ.

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾: وعيدُه. وقيل: هي قولُه: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾. وقيل: يمينُه، وهي: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾؛ أي: منهما لا من أحدِهما، وليس ذلك للإحاطةِ.

وقيل: من عُصاةِ الجنّةِ والنّاسِ أجمعين، فتكونُ للإحاطةِ.

***

(١٢٠) ـ ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ﴾؛ أي: نتلو عليكَ من أخبارِهم ﴿مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾: نُسكِّنُ به فؤادَك، فيَقْوَى به قلبُكَ، فتطيبُ به وتصبرُ صبرَهم.

و﴿كُلًّا﴾ منصوبٌ نصبَ المصدرِ؛ أي: وكلَّ القَصَصِ نقُصُّ عليك. وقيل: هو مفعولُ ﴿نَقُصُّ﴾، و﴿مَا نُثَبِّتُ﴾: منصوبٌ بدلٌ عن ﴿كُلًّا﴾.

---

(١) تقدم التنبيه إلى أن الكوفيين يميلون إلى أن حروف الجر تتعاور، فيأخذ بعضها معنى بعض، أما البصريون فلا يرضون ذلك، وقد أنكر النحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ٢٦٦) أن تكون اللام بمعنى: على، وأثبته كثير من النحاة. انظر: «الجنى الداني» (ص: ١٠٠)، و«شرح الأشموني على الألفية» (٢/ ٨١).

(٢) في هامش (م): «في سورة البقرة: ﴿عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾».

ابنُ عيسى: الفؤادُ: العضوُ الذي يَحْمَى بالغضبِ الذي يحلُّ فيه، منَ المُفتَأَدِ، وهو المُشتَوَى، وأنشدَ:

كأنَّـه خارِجًـا مـن جنـبِ صَفْحَتِهِ سَـفُّودُ شَـرْبٍ نَسُـوهُ عندَ مُفتَـأَدِ[1]

﴿وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ﴾؛ أي: فـي هذه السُّورةِ، وقيل: في هذه الأنباءِ، وقيل: في هذه السُّورةِ مع سائرِها، وقيل: فـي هذه الدُّنيا ﴿ٱلْحَقُّ﴾: النُّبوّةُ ﴿وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: عبرةٌ لمَن اعتبرَ وتذكرةٌ لمَن تذكَّرَ.

***

(١٢١ ـ ١٢٣) ـ ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ سبقَ.

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ابنُ عبَّاسٍ: خزائنُهما[2].

وقيل: ما غابَ عنِ العبادِ.

وقيل: غيبُ نزولِ العذابِ.

---

(١) البيت للنابغة الذبياني. انظر: «ديوانه» (ص: ٣٤)، و«مجاز القرآن» (٢/ ١٣٢)، و«تصحيح الفصيح وشرحه» (ص: ٢٨١)، و«الخصائص» (٢/ ٢٧٧)، و«إسفار الفصيح» (٢/ ٦٠٧)، و«خزانة الأدب» للبغدادي (٣/ ١٨٥)، والبيت في وصف كلب صيد كان يطارد ثوراً، فطعنه الثور، فخرج قرنه من صفحة الكلب، فشبه ذلك المنظر بمنظر لحم مشوي على حديدة، وقد نسبه قوم شغلهم الشراب على المطبخ والمشتوى.

وهذا البيت من قصيدة للنابغة الذبياني يمدح بها النعمان بن المنذر ويعتذر إليه فيها مما بلغه عنه.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٤/ ٤٧٥)، والواحدي في «البسيط» (١١/ ٥٩٤).

وقيل: ما اشتمَلَتْ عليه السَّماواتُ والأرضُ.

﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾: يومَ الدِّينِ، فلا يبقى لأحدٍ فيه مُلكٌ ولا أمرٌ.

﴿فَٱعْبُدْهُ﴾ وحدَه وأطِعْه ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾: ثِقْ به وفوِّضْ أمرَكَ[1] إليه.

﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ رُوِيَ عن كعبِ الأحبارِ أنَّه قالَ: خاتمةُ التَّوراةِ هذه الآيةُ[2].

والحمدُ لله حقَّ حمدِه[3]

***

(١) في (ن): «أمورك».

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٠٢٧٤)، والدارمي في «سننه» (٣٤٤٥)، وابن الضريس في «فضائل القرآن» (٢٠٢)، والطبري في «تفسيره» (١٢/ ٦٤٥).

(٣) «والحمد لله حق حمده»: ليست في (و).

سُورَةُ يُوسُفَ

سُورَةُ يُوسُفَ

عليه السَّلامُ

مئةٌ وإحدى عشرةَ آيةً[1]. مكِّيَّةٌ عندَ الجمهورِ.

قال ابنُ عبَّاسٍ: مكِّيَّةٌ إلّا أربعَ آياتٍ من أوَّلِ السُّورةِ[2].

عكرمةُ والحسنُ: مدنيَّةٌ[3].

رَوَى البخاريُّ في «صحيحِه» عن سعدِ بنِ أبي وقَّاصٍ رضيَ الله عنه في قولِه: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣]، قال: أُنزِلَ القرآنُ على رسولِ الله عليه السَّلامُ فتلاهُ عليهم زمانًا، فقالوا: يا رسولَ الله، لو قصَصْتَ، فأنزَلَ الله هذه السُّورةَ، وفيها: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ فتلاهُ عليهم زمانًا، فقالوا: يا رسولَ الله، لو حدَّثتنا، فأنزَلَ الله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾ [الزمر: ٢٣]، قالَ: كلُّ ذلك يُؤمَرونَ بالقرآنِ[4].

---

(١) «مئة وإحدى عشرة آية»: من (ن).

(٢) ذكره هكذا الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٥) عن ابن عبَّاسٍ وقتادة. وذكر الجرجاني في «درج الدرر» (٢/ ١١٩) عن ابنِ عبَّاسٍ: إلا أربع آيات: ثلاث من أولها، والرابعة: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي﴾ [يوسف: ١١١]. قال السيوطي في «الإتقان» (١/ ٥٩) عن استثناء ثلاث من أولها: «وهو واه جداً لا يلتفت إليه».

(٣) قاله الزجاج في «معاني القرآن» (٣/ ٨٧)، ولم أقف عليه عن عكرمة والحسن، وإنما ذكر الباقلاني في «الانتصار للقرآن» (١/ ٢٤٨) عنهما أنها مكية.

(٤) لم يروه البخاري في «صحيحه»، ورواه البزار في «مسنده» (١١٥٣)، وأبو يعلى في «مسنده» =

ويُروَى أنَّ الصَّحابةَ قالوا: يا رسولَ الله، لو يُنزِّلُ الله سورةً ليس فيها أمرٌ ولا نهيٌ ولا وَعدٌ ولا وعيدٌ، فتَتَنزَّهَ بقراءتِها، وتنفتحَ بها قلوبُنا، فأنزلَ الله هذه السُّورةَ(١).

ورُوِيَ أيضًا: أنَّ علماءَ اليهودِ قالوا لأصحابِ النَّبيِّ عليه السَّلامُ: سَلُوا صاحبَكُم محمَّدًا؛ لِماذا انتقَلَ يعقوبُ من أرضِ كنعانَ إلى مِصرَ؟ فأنزَلَ الله هذه السُّورةَ(٢).

ورُوِيَ أيضًا: أنَّ اليهودَ افتخرَتْ بأنَّ في كتابنا قصَّةَ يوسفَ، وليس ذلك في كتابِكُم، فأنزَلَ الله قصّةَ يوسفَ في سورةٍ واحدةٍ على أحسنِ ترتيبٍ وأعجَبِ نظامٍ(٣).

بسم الله الرَّحمنِ الرَّحيم

(١) ـ ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾.

﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾ سبقَ بيانُ الحروفِ أوَّلَ (البقرةِ) وغيرِها.

وقولُه: ﴿ٱلۡمُبِينِ﴾؛ أي: حلالَه وحرامَه، وما تحتاجونَ إليه من أمرِ دينِكُم. و(أبانَ) لازمٌ ومُتعدٍّ(٤).

وقيل: ظاهرٌ في نفسِه أنَّه كلامُ الله.

وقال معاذُ بنُ جبلٍ رضيَ الله عنه: المُبينُ للحروفِ التي سقَطَتْ من ألسُنِ الأعاجمِ، وهي ستَّةٌ(٥). حكاه المُفسِّرون.

= (٧٤٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٢٠٩)، والحاكم في «المستدرك» (٣٣١٩) وصححه، والضياء في «المختارة» (١٠٦٩)، وحسَّن إسناده الحافظ ابن حجر في «المطالب العالية» (٣٦٣٤).

(١) ذكره بنحوه السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ١٧٨).

(٢) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ١٧٨)، والبغوي في «تفسيره» (٢/ ٤٧٧).

(٣) لم أقف عليه.

(٤) وهو على المعنى الذي ذكر أولاً متعدّ، وعلى المعنى الذي سيأتي لازم.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٦)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٤/ ٤٨١)، والماوردي في =

وأرادَ بالسِّتَّةِ: الصّادَ والضّادَ والطّاءَ والظّاءَ والعَينَ والحاءَ، وكذلك الثّاءُ والقافُ، وأمّا الذّالُ المُعجَمةُ فلا تقعُ أيضًا في أوائلِ الكلمِ[1] العجميّةِ، وإذا وقعَ في الحشوِ والآخرِ فمنهم مَن جعلَه دالًا، ومنهم من جعلَه ذالًا.

والمعنى[2]: يُبينُ بهذه الحروفِ: أنَّ هذا القرآنَ عربيٌّ وبلسانِكُم يا معشرَ العربِ.

* * *

(٢) ـ ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ يعني: الكتابَ، وقيل: نبأ يوسُفَ، وقيل: تعودُ إلى القرآنِ[3]، و﴿قُرْءَٰنًا﴾: مصدرُ (قرأت)؛ أي: يُقرأُ قُرآنًا.

وقيل: أنزَلْناه مجموعًا.

ويَحتمِلُ أنَّه كنايةٌ عن المصدرِ؛ أي: أنزَلْنا قرآنًا عربيًّا إنزالًا[4].

و ﴿عَرَبِيًّا﴾: بلسانِ العربِ وبلُغتِهم، والعربيُّ منسوبٌ إلى العربِ، والعربُ جمعُ عربيٍّ، كروميٍّ ورومٍ، وهو منسوبٌ إلى أرضٍ يسكُنونَها، وهي عَرَبةُ؛ باحةُ دارِ إسماعيلَ بن إبراهيمَ عليهما السَّلامُ، قال الشّاعرُ:

وعَرْبةُ أَرضٌ[5] ما يُحِلّ حرامَها ... منَ النّاسِ إلّا اللَّوذَعيُّ الحُلاحِلُ[6]

= «النكت والعيون» (٣/ ٥). وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٢٥)، وعدَّه من العجائب.

(١) «الكلم» من (ن).

(٢) أي: على ما رُوي عن معاذ رضي الله عنه.

(٣) في (و): «الكتاب».

(٤) «قرآنًا عربيًّا»: من (ن)، وهو الموافق لما في «غرائب التفسير» (١/ ٥٢٥)، واستغرب فيه المصنف هذا القول والذي قبله.

(٥) في (و): «دار».

(٦) البيت بلا نسبة في «تهذيب اللغة» مادة (ع ر ب) (٢/ ٢٢٢)، و«البسيط» للواحدي (١١/ ١٢). =

يعني: النَّبيَّ عليه السَّلامُ، أُحِلَّتْ له مكّةُ، وسكَّنَها الشّاعرُ ضرورةً(١).

وإنْ شئتَ قلتَ: نُسِبَ القرآنُ إليها ابتداءً(٢)؛ أي: على لغةِ أهلِ هذه القريةِ.

﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: لكي تفهَمُوا معانيَه. وقيل: لتكُونوا على رجاءِ فهمِ معانيه.

* * *

(٣) - ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾.

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾: نتلُو عليك ونُتبِعُ بعضَ الحديثِ بعضًا ﴿أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾: أحسَنَ البيانِ، فهو مصدرٌ.

وقيل: ﴿الْقَصَصِ﴾: المفعولُ، كالسَّلَبِ والطَّلَبِ للمصدرِ والمفعولِ.

والأحسنُ: الأعظمُ في الحُسنِ.

وقيل: أحسنُ منَ الأمورِ السّالفةِ والكتُبِ الماضيةِ.

وقيل: هو بمعنى الحَسَنِ؛ كقولِه: ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٤].

و﴿أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ جميعُ القرآنِ، وهو الظّاهرُ، وقيل: هو قصّةُ يوسفَ عليه السَّلامُ، وسمَّاها أحسنَ القصَصِ؛ لاشتمالِها على ذكرِ حاسدٍ ومحسودٍ، ومالكٍ

= ونسب لأبي طالب كما في «معجم البلدان» (٤/ ٩٧)، و«تاج العروس» مادة: (ق ن ب ل)، ورواية العجز في بعض المصادر:

مـــن النـــاس إلا الشـــوتري القنابـــل

وفي نسبته لأبي طالب نظر؛ لأن موته كان قبل إحلال مكة للنبي ﷺ بوقت طويل.

(١) وقال الواحدي: اضطر الشاعر إلى شيئين: سكون الراء من «عربة» وهي مفتوحة، وكان يجب أن يقول: أحلت له، فقال: يُحل هو.

وقد ذكر هذا القول المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٢٦)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٢٦)، واستغربه.

ومملوكٍ، وعاشقٍ ومعشوقٍ، وشاهدٍ ومشهودٍ، وحبسٍ وإطلاقٍ، وسجنٍ وخَلاصٍ، وخِصْبٍ وجَدْبٍ، وغيرِها ممَّا يعجزُ عن بيانِها طَوقُ البشرِ.

﴿بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ﴾؛ أي: بإيحائِنا، و(ما) للمصدرِ، وقيل: بمعنى الذي، وفيه بُعدٌ[1].

﴿وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾: هي المُخفَّفةُ منَ الثَّقيلةِ، ويلزمُ بعدَها لامُ الفرقِ، وليست بالتي تدخُلُ خبرَ (إنَّ) وهي مُثقَّلةٌ[2].

﴿مِن قَبۡلِهِۦ﴾: من قبلِ القرآنِ. وقيل: القصصِ.

﴿لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾؛ أي: عن قصَّةِ يوسفَ، وقيل: عمَّا عرَّفَكَ الله بالقرآنِ.

***

(٤) - ﴿إِذۡ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ﴾.

﴿إِذۡ قَالَ يُوسُفُ﴾: واذكُرْ إذ قالَ، ويجوزُ أن يكونَ بدلًا من ﴿أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ﴾ فيكونَ مفعولًا به على الاتِّساعِ، ويجوزُ أن يكونَ ظرفًا لقولِه: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ﴾[3].

﴿لِأَبِيهِ﴾: يعقوبَ، وهو اسمٌ أعجميٌّ، وقيل: سُمِّي يعقوبَ؛ لأخذِه عقبَ عيص عندَ الولادةِ.

---

(١) «وفيه بعد»: من (ن). وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٢٦)، وعدَّه من العجائب.

(٢) فالتي تدخل على خبر (إنّ) المثقلة تسمّى اللام المزحلقة. انظر: «اللمع» لابن جني (ص: ٤٢)، و«شرح المقدمة المحسبة» لابن بابشاذ (١/ ٢٥٦).

(٣) في (و): «ظرفًا كقوله قال يا بني»، وفي (ن): «ظرفًا لقوله يا بني»، والصواب المثبت، قال أبو حيان في «البحر» (٥/ ٢٨٠): «والذي يظهر أن العامل فيه ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ﴾ كما تقول: إذ قام زيد قام عمرو، وتبقى ﴿إِذۡ﴾ على وضعها الأصلي من كونها ظرفاً لمَا مضى».

ويوسفُ: اسمٌ أعجميٌّ، وقيل: هو منَ الأسفِ والأسيفِ، ولعلَّ هذا على قراءةِ مَن همَزَ(١)، وتكونُ العِلَّتانِ التَّعريفَ ووزنَ الفعلِ.

وزعمَ أهلُ الكتابِ أنَّ معنى يوسفَ بالعجميَّةِ: فيروز.

ورَوى أبو هريرةَ رضيَ الله عنه عن النَّبيِّ عليه السَّلامُ أنَّه قالَ: «الكريمُ ابنُ الكريمِ ابنِ الكريمِ ابنِ الكريمِ يوسفُ بنُ يعقوبَ بنِ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ»(٢).

﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ التَّاءُ عندَ النَّحويِّين بدلٌ من ياءِ الإضافةِ، وخُصَّ بالنِّداءِ(٣).

وقيل: هي تاءُ التَّأنيثِ، كعمَّةٍ وخالةٍ، ولكنْ لـمَّا جُعِلَ للأمِّ اسمٌ مفردٌ جُعِلَ الأبُ والأبةُ للأبِ(٤).

ويحتملُ أن تكونَ بدلًا منَ الواوِ التي هي لامُ الفعلِ في (أبوانِ) و(أبوَينِ)(٥).

﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ أصلُه: أحدٌ وعشرٌ، فرُكِّبا وبُنِيا على الفتحِ لتضمُّنِ الحرفِ.

والكوكبُ: النَّجمُ، وليس له نظيرٌ إلَّا (بابلُ)(٦).

﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ همـا المعروفـانِ ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ كـرَّرَ الرُّؤيـةَ لأنَّ الأولـى مُتعلِّقـةٌ بالـذَّاتِ، والأُخـرَى بالحـالِ.

وقيل: لمَّا طالَ الكلامُ أعادَها.

---

(١) قرأ طلحة بـن مصرف: (يؤسِف) بكسر السين، وبعض بني أسد: (يؤسُف) بضم السين، وعن بعضهم بفتحها. انظر: «شواذ القراءات» لشمس القراء الكرماني (ص: ١٤٧ ـ ١٤٨).

(٢) رواه الترمذي (٣١١٦)، ورواه البخاري (٣٣٩٠) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٢)، و«المقتضب» للمبرد (٤/ ٢٦٢).

(٤) انظر: «الكتاب» (٢/ ٢١٢)، و«المقتضب» للمبرد (٤/ ٢٦٣)، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٢٦)، وعدَّه من العجائب.

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٢٦)، واستغربه.

(٦) في هامش (ن): «لأن كوكباً وبابل فاؤهما وعينهما من جنس واحد».

ويحتمِـلُ أنَّـه جـوابٌ ليعقـوبَ، كأنَّه قالَ لـه: كيفَ رأيتَهـا؟ فقـال: رأيتُهم لي سـاجدينَ مُتَواضِعينَ[١].

وقيل: سجدةُ تحيَّةٍ، وذكَّرَ الكنايةَ وجمَعَ جمْعَ العُقَلاءِ لمَّا وصفَها بوصفِهم.

قالَ ابنُ عبَّاسٍ: الشَّمسُ والقمرُ أبواه، والأحدَ عشرَ كوكبًا إخوتُه[٢].

السُّدِّيُّ: الشَّمسُ والقمرُ أبوه وخالتُه[٣]، وكانت أمُّه راحيلُ تُوفِّيت[٤].

وقيل: القمرُ أبوه للتَّذكيرِ، والشَّمسُ أمُّه أو خالتُه على القولَينِ للتَّأنيثِ.

وأسماءُ إخوتِه: رُوبينُ ـ ويُقالُ باللَّامِ ـ، وشَمْعُونُ، ولاوي، ويَهُوذا، وبِشْمسخودُ[٥]، وزَبُولُونُ، وتولونُ[٦]، ونفتولي، وكودواء، وشير، وبِنْيامينُ، ويوسُفُ[٧].

وذكرَ السُّدِّيُّ عن جابرٍ رضيَ الله عنه قال: أتى النَّبيَّ عليه السَّلامُ رجلٌ منَ اليهودِ فقالَ: يا محمَّدُ، أخبِرْني عن الكواكبِ التي رآها يوسفُ ساجدةً له، ما

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٢٦)، واستغربه.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٤/ ٤٩١)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ١٢) عن السدي بالشك عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما.

(٣) في (ن): «الشمس أبوه والقمر خالته».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٤/ ٤٩١)، والواحدي في «البسيط» (١٢/ ١٨). وقال الطبري في «تفسيره» (١٣/ ١٣): «وروي عن ابن عبّاسٍ أنه قال: «الكواكب إخوته، والشمس والقمر: أبوه وخالته»، من وجه غير محمود، فكرهت ذكره».

(٥) في (و): «ويشوخير».

(٦) في (ن): «ودون».

(٧) في كتب التفسير والتاريخ اختلاف كثير في ذكر أسماء إخوة يوسف، والبحث في ذلك أمر لا طائل منه؛ لأنه لم يرد فيه شيء.

أسماؤُها؟ فسكَتَ رسولُ الله عليه السَّلامُ ولـم يُجِبْه بشيءٍ، فنزَلَ عليه جبريلُ عليه السَّلامُ فأخبرَه بأسمائِها، فقالَ له النَّبيُّ عليه السَّلامُ: «هل أنتَ تُؤمِنُ إنْ أخبرتُكَ بأسمائِها؟» قال: نعم، قال: «جَرْبانُ والطَّارقُ والذَّيَّال وذو الكتفاتِ وقابسٌ ووثَّابٌ وعَمودان والـمُصبِّحُ والفَلِيقُ والضَّروحُ والفَرْغُ والضِّياءُ والنُّورُ، نزَلْنَ منَ السَّماءِ فسَجَدْنَ له»، فقالَ اليهوديُّ: إي والله إنَّها لأسماؤُها[1].

***

(١) رواه سعيد بن منصور في «سننه ـ التفسير» (١١١١)، وابن حبان في «المجروحين» (١/ ٢٥٠ ـ ٢٥١)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ١٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٠١)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ٩٧)، من طريق الحكم بن ظهير عن السدي عن عبد الرحمن بن سابط عن جابر به.

وقال ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٣١٧): «تفرد به الحكم بن ظهير الفزاري وقد ضعفه الأئمة، وتركه الأكثرون».

وقال ابن حبان: هذا لا أَصْلَ له مِن حديثِ رسول الله ﷺ، والحكم بن ظهير الفزاريّ الكوفِي كان يشتم أصحاب محمد ﷺ، يَروِي عن الثِّقات الأشياء الموضوعات.

وقال ابن الجوزي: هذا حديث موضوع على رسول الله ﷺ.

وله طريق آخر ليس فيه الحكم بن ظهير، رواه الحاكم في «المستدرك» (٨١٩٦) من طريق أسباط بن نصر عن السدي به، وصححه على شرط مسلم، وسكت عنه الذهبي. وجعله السيوطي في «اللآلئ المصنوعة» (١/ ٨٣) متابعةً لرواية الحكم بن ظهير، وتابع السيوطي في ذلك الشوكاني في «الفوائد المجموعة» (ص: ٤٦٤)، لكن الشيخ عبد الرحمن المعلمي في تعليقه على «الفوائد» رد ذلك فقال: «وقف الذهبي في «تلخيصه» فلم يتعقبه، ولا كتب علامة الصحة كعادته فيما يقر الحاكم على تصحيحه، وقد جزم الجوزجاني ثم العقيلي بأن الحكم بن ظهير تفرد به عن السدي، ومن طريق الحكم، ذكره المفسرون، مع أن تفسير أسباط عن السدي عندهم جميعًا، فكيف فاتهم منه هذا الخبر ووقع للحاكم بذاك السند؟ هذا يشعر بأن بعض الرواة وهم؛ وقع له الخبر من طريق الحكم، ثم التبس عليه فظنه من طريق أسباط كالجادة، والله أعلم».

(٥) ـ ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾.

﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ﴾ تصغيرُ (ابنٍ)، صغَّرَه لصِغَرِ سِنِّه، وكان ليوسفَ يومَئذٍ اثنتا عشرةَ سنةً[1].

﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ﴾ ابنُ عيسى[2]: الرُّؤيا تُصوِّرُ المعنى في المنام على توهُّمِ الإبصارِ، قال: وذلك لأنَّ العقلَ مغمورٌ في النَّومِ، فإذا تصوَّرَ الإنسانُ المعنى توهَّمَ أنَّه يراه.

﴿فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا﴾: فيحتالُوا في هلاكِكَ حيلةً، تقولُ: كادَه وكادَ له، مثل: نصحتُه ونصَحْتُ له.

﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾: ظاهرُ العداوةِ.

* * *

(٦) ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾؛ أي: مثلُ هذا الاجتباءِ الذي عليه دلَّ رُؤياكَ ﴿يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ﴾: يختارُكَ، من جَبيتُ الشَّيءَ: إذا جمعتَه لنفسِكَ، وجَبَيْتُ الماءَ في الجابيةِ[3].

﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ معاني الكلامِ في آياتِ الله وكتُبِه، والأكثرُ على أنَّه تعبيرُ الرُّؤيا؛ أي: ما يؤُولُ إليه أمرُها، وكانَ أعبرَ النَّاسِ للرُّؤيا.

وقيل: ﴿تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾: عواقبُ الأمرِ وما يؤُولُ إليه آخرُه.

---

(١) ويحتمل أنه صغَّره تحبُّباً. انظر: «شرح التصريح على التوضيح».

(٢) «ابن عيسى»: من (ن).

(٣) في (ن): «الخابية»، وهو تصحيف، والجابية: الحوض الذي يُجبى فيه الماء للإبل. انظر: «الصحاح» مادة (ج ب و) (٦/ ٢٢٩٧).

﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ﴾ بالنُّبوّةِ؛ الحسنُ: هذا شيءٌ أعلَمَه الله يعقوبَ من أنَّه سيُعطي يوسفَ النُّبوّةَ(١).

﴿وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾: أهلِ بيتِه وولدِه.

وقيل: أهلِ دينِه بأن يجعلَ فيهم النُّبوَّةَ.

﴿كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ﴾: كما اختارَهما للنُّبوَّةِ والرِّسالةِ ﴿مِن قَبْلُ﴾: من قبلِكَ، وقيل: من قبلِ هذا الوقتِ.

و﴿أَبَوَيْكَ﴾: تثنيةُ (أبٍ)، والمُرادُ: أبا أبيك وأباه؛ أي: جدُّك وجدُّ أبيك ﴿إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ﴾ بدلٌ من ﴿أَبَوَيْكَ﴾، وهما اسمانِ أعجميَّانِ، قيل: معناه(٢): أبٌ رحيمٌ، وقيل: من البَرْهَمةِ، وهي شدّةُ النَّظرِ.

وإسحاقُ قيلَ: معناه: الضَّاحِكُ.

﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ﴾ بمَن يستحِقُّ الاجتباءَ ﴿حَكِيمٌ﴾: يضعُ الأشياءَ مواضِعَها، والآيةُ دالّةٌ على نُبوَّةِ يوسفَ ونبوَّةِ إخوتِه(٣).

***

(٧) ـ ﴿لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ﴾.

﴿لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ﴾: عجائبُ واضِحةٌ ودلائلُ قاطعةٌ ﴿لِّلسَّآئِلِينَ﴾ عن قصّةِ يوسفَ.

وقيل: للسَّائلينَ وغيرِ السَّائلينَ.

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٨) مختصرًا.

(٢) أي: معنى إبراهيم.

(٣) ذهب إلى هذا الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٦/ ٢٠٩).

ومَن وحَّدَ الآيَةَ[1] أرادَ: قصَّةُ يوسفَ آيةٌ.

* * *

(٨) - ﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ﴾ بِنْيامينُ[2] ﴿أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا﴾ ثمَّ بلغَ إخوةَ يوسفَ رُؤياه، فحسدُوه أشدَّ الحسدِ لعلمِهم تأويلَها، فقالوا هذه المقالةَ بينَهم.

﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾: جماعةٌ أقوياءُ.

والعَصَبةُ: في النَّسبِ، والعُصْبةُ: هي العشرةُ، المُبرِّدُ: من عشرةٍ إلى أربعينَ[3]، واشتقاقُه منَ العَصبِ والتَّعصُّب، ولا يقالُ للضِّعافِ: عُصبةٌ.

﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾؛ أي: عن التَّعديلِ في المحبَّةِ بينَ الأولادِ.

وقيل: في غلطٍ من أمرِ دُنياه، فإنَّا نقومُ بأموالِه ومواشيه.

وقيل: في ضلالٍ باختيارِه الصَّغيرَ على الكبيرِ، والقليلَ على الكثيرِ، وغيرَ المُعينِ على المُعينِ.

وقيل: في ضلالٍ عن الطَّريقِ الذي يكونُ عليه الآباءُ في أبنائِهم.

وقيل: في ضلالِ محبَّةٍ.

* * *

(١) قرأ ابن كثير (آية)، وقرأ الباقون: ﴿ءَايَٰتٌ﴾ بالألف على الجمع. انظر: «السبعة» (ص: ٣٤٤)، و«التيسير» (ص: ١٢٧).

(٢) «بنيامين»: من (ن).

(٣) وورد عن مقاتل كما في «تفسيره» (٣/ ٣٥٥)، وقتادة كما رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٣١٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٠٥)، وبه قال أبو عبيد في «الغريب المصنف» (١/ ٣٨١)، وابن السكيت في «الألفاظ» (ص: ٢٥)، وابن قتيبة في «أدب الكاتب» (ص: ١٧٥).

(٩) ـ ﴿ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴾.

﴿ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ ﴾ قال بعضُهم لبعضٍ. وقيلَ: قالَه شمعون. وقيلَ: روبين.

﴿أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾: أبعِدوه عن أرضِ أبيه إلى أرضٍ بعيدةٍ عنه، وتقديرُه: في أرضٍ، فحُذِفَ الجارُّ وتعدَّى الفعلُ إليه.

﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾: تَصْفُ مودَّتُه لكم ويُقبِلُ بكلِّيَّتِه عليكم ﴿وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾: من بعدِ قتلِه أو طرحِه ﴿قَوْمًا صَٰلِحِينَ﴾ تقديرُه: ثمَّ توبُوا لتكونُوا قومًا صالحينَ، هيِّئوا التَّوبةَ قبلَ المعصيةِ.

وقيلَ: ﴿صَٰلِحِينَ﴾: تائبين. وقيل: صالحين مع أبيكُم في أمرِ دُنياكُم.

* * *

(١٠) ـ ﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴾.

﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ ﴾ يعني: رُوبين، وهو ابنُ خالةِ يوسفَ، وكانَ أحسنَهم فيه رأيًا وأكبرَهم سنًّا. وقيل: يهوذا، وكان أعقلَهم. مجاهد: شمعون[١].

﴿لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ﴾ فإنَّ القتلَ عظيمٌ ﴿وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾: في قعرِ البئرِ.

وقيل: (غيابةُ الجبِّ): الموضعُ الذي يغيبُ خبرُه ويذهبُ أثرُه.

ابنُ عيسى: كلُّ ما غيَّبَ شيئًا عن الحسِّ بكونِه فيه[٢] فهو غيابةٌ.

والجبُّ: بئرٌ تُجبُّ؛ أي: تُقطَعُ وتُحفَرُ من غيرِ طيٍّ.

قتادةُ: بئرُ بيتِ المقدسِ[٣].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٢١).

(٢) «بكونه فيه»: من (ن).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٢٧٦)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ٢١)، وابن أبي حاتم في =

وقيل: بينَ مَدينَ ومصرَ.

وقيل: بالأردُنِّ.

وقيلَ: على ثلاثةِ فراسخَ من بيتِ يعقوبَ.

وقيلَ: كانت ثمانينَ قامةً، أسفلُها واسعٌ وأعلاها ضيِّقٌ.

﴿يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ﴾ يأخذْه بعضُ المُجتازين، يُقالُ: لقطْتُ الشَّيءَ والتَقطْتُه.

ابنُ عيسى: الالتِقاطُ: تناوُلُ الشَّيءِ منَ الطَّريقِ، ومنه اللُّقَطةُ واللَّقيطُ.

والسَّيَّارةُ: رفقةٌ مُسافِرونَ يسيرونَ في الأرضِ.

﴿إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ به شيئًا. وقيل: إن كنتُم فاعلين بمَشورتي. وقيل: إن كنتُم فاعلينَ ما قصدتُم منَ التَّفريقِ بينَه وبينَ أبيه.

واختلَفُوا في إخوةِ يوسفَ حينَ قالُوا هذا وفعلُوا؛ فذهبَ بعضُهم إلى أنَّهم قارَبُوا الحُلُمَ ولم يكونُوا بالِغِينَ، وذهبَ بعضُهم إلى أنَّهم كانوا بالِغينَ أقوياءَ، ولم يكونُوا بعدُ أنبياءَ.

***

(١١) ـ ﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ﴾.

﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ﴾ فلمَّا عزمُوا على طرحِه في البئرِ جاؤوا أباهُم وقالوا: يا أبانا ما لَكَ لا تأمنَّا؟ أي: لا تأمنُنا[1] أن تُرسلَه معنا؛ أي: لِمَ تخافُنا عليه؟ وأُدغِمَ النُّونُ في النُّونِ بإشمامٍ وغيرِ إشمامٍ[2].

﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ﴾: حافِظونَ نحفظُه ونردُّه عليك سالمًا. وقيل: مُحِبُّون مُشفِقونَ.

= «تفسيره» (٧/ ٢١٠٧).

(١) «أي لا تأمننا»: من (ن).

(٢) قرأ أبو جعفر بلا إشمام، وقرأ باقي العشرة بالإشمام. انظر: «النشر» (١/ ٣٠٣).

والنُّصحُ: طلَبُ الصَّلاحِ. وقيل: هو إصلاحُ العملِ. والنَّاصحُ: الخيَّاطُ.

قال مقاتلٌ: فيها تقديمٌ وتأخيرٌ؛ لأنَّ هذا جوابٌ لقولِه: ﴿إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ﴾ الآية[١].

***

(١٢) ـ ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾.

﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا﴾: خلِّهِ غدًا يخرُجْ معنا إلى الصَّحراءِ ﴿يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾ قُرِئَ بكسرِ العينِ وجزمِه[٢]؛ فمَن كسرَه جعلَه منَ الرَّعيِ، وهو افتعالٌ منه، ومَن قرأ بالجزم جعلَه منَ الرَّتعِ، وهو الرَّعيُ أيضًا، قالَ:

وكلَّفْتَنِي ذَنْبَ امْرِئٍ وتَرَكْتَهُ كَذي العُرِّ يُكْوى غَيْرُهُ وهوَ راتِعُ[٣]

أبو عُبيدةَ: ﴿نَرْتَعْ﴾: نلهُو[٤].

ابنُ عيسى: الرَّتعةُ: التَّصرُّفُ في الشَّهواتِ[٥]، ومنه المثَلُ: «القَيْدُ والرَّتْعةُ»[٦].

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٣٢١)، وذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (١٤/ ٥٠٤).

(٢) قرأ: ﴿نَرْتَعِ ونَلْعَبْ﴾ ابن كثير بخلاف عن قنبل، ﴿نرتعي ونَلْعبْ﴾ قنبل بوجهه الآخر، ﴿نَرْتَعْ ونَلْعَبْ﴾ ابن عامر وأبو عمرو، ﴿يَرْتَعِ ويَلْعَبْ﴾ نافع وأبو جعفر، ﴿يَرْتَعْ ويَلْعَبْ﴾ الباقون. انظر: «التيسير» (ص: ١٢٨)، و«النشر» (٢/ ٢٩٣ و٢٩٧).

(٣) البيت للنابغة الذبياني كما في «ديوانه» (ص: ٧٨)، و«الحيوان» (١/ ١٧)، و«أدب الكاتب» (ص: ٣١٠). قال ابن قتيبة في «المعاني الكبير» (٢/ ٩٢٩): «كانت العرب إذا وقع العُرُّ في إبلهم ـ وهو قرحٌ يخرج في مشافِرها ـ اعترضوا بعيراً لم يقع ذلك فيه فيكوى مشفره، ويرون أنهم إذا فعلوا ذلك ذهب العر من إبلهم».

(٤) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٣٠٣)، وفيه: «﴿نَرْتَع ونَلْعَب﴾؛ أي: ننعم ونلهو».

(٥) ذكره الواحدي بلا نسبة في «تفسير مقاتل» (١٢/ ٣٩).

(٦) انظر: «أمثال العرب» للمفضل الضبي (ص: ١٤١)، و«الأمثال» لأبي عبيد (ص: ٥٦)، وذكر كل منهما له قصة، وذكره أيضاً الفراء في «معاني القرآن» (٢/ ٣٨)، وأبو عبيدة في «مجاز القرآن» (١/ ٣٠٣).

ومَن قرأ بالنُّونِ أرادَ: نرتعُ مواشيَنا، و﴿نَلْعَبْ﴾: نلهُو ونَنْشُطُ. وقيل: نلعبُ بالرَّمي. وقيل: بالشَّدِّ والعَدْوِ.

ورَوَى هارونُ صاحبُ أبي عمرٍو أنَّه قال: قلتُ لأبي عمرٍو: كيفَ تقرأُ: ﴿نَلْعَب﴾ بالنُّونِ وهم أنبياءُ؟ قال: لم يكونُوا يومَئذٍ أنبياءَ(١).

ومَن قرأ بالياءِ؛ أي: يرتعُ يوسفُ ساعةً ويلعبُ ساعةً.

ورُوِيَ عن يعقوبَ: (نَرْتَعْ) بالنُّونِ، (ويَلْعَبْ) بالياءِ(٢).

﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ عن أن ينالَه مكروهٌ.

***

(١٣) - ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ﴾.

﴿قَالَ﴾ يعقوبُ: ﴿إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ﴾؛ أي: يحزُنُني ذهابُكم به ويألَمُ قلبي بفراقِه.

والصَّحيحُ أنَّ (أذهبَه) و(ذهبَ به) بمعنًى واحدٍ؛ كقولِه: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ [البقرة: ١٧]، و﴿يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [النور: ٤٣].

﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ﴾ وكان أرضُهم مَذْأَبةً.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٢٥)، وذكره النحاس في «معاني القرآن» (٣/ ٤٠١)، وأبو علي الفارسي في «الحجة» (٤/ ٤٠٦).

(٢) هي روايةٌ عن روح عن يعقوب. انظر: «تفسير الثعلبي» (١٤/ ٥٠٦)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ٢٤٥)، و«الكامل في القراءات» للهذلي (ص: ٥٧٥).

وقيلَ: رأى في المنامِ أنَّ الذِّئابَ كانت تقصدُ يوسفَ[١].

ابنُ عيسى: الذِّئبُ: سبُعٌ دونَ الأسدِ وفوقَ الكلبِ، يطلبُ الغنمَ أشدَّ الطَّلبِ، وهو من تذَأَّبَتِ الرِّيحُ: إذا هبَّتْ من كلِّ جهةٍ.

قيلَ: كأنَّه لقَّنهم بقولِه: ﴿أخاف أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾ علَّةً وعُذرًا وكانوا لا يدرُونَ ﴿وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ﴾[٢].

* * *

(١٤) ـ ﴿ قَالُوا۟ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴾.

﴿ قَالُوا۟ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ﴾: عشرةٌ نحفظُه ﴿إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴾: عاجِزونَ ضُعَفاءُ مغبونُون.

وجاء في القِصّةِ: فأقبلَ على يوسفَ وقالَ له: أُتحِبُّ ذلك يا بنيَّ؟ وقد كانوا قالوا له: اطلُبْ من أبيكَ أن يبعثَكَ معَنا، قال: نعم، قال يعقوبُ: إذا كان غدًا أذِنْتُ لك في ذلك، فلمَّا أصبحَ يوسفُ لبسَ ثيابَه وشدَّ عليه منطقتَه، وخرجَ مع إخوتِه، فشيَّعَهم يعقوبُ وقال: يا بَنيَّ، أوصيكم بتقوَى الله وبحبيبي يوسفَ، ثمَّ أقبلَ على يوسفَ وضمَّه إلى صدرِه وقبَّلَ بين عينَيه ثمَّ قالَ: أستودِعُكَ اللهَ ربَّ العالمين، وانصَرفَ.

* * *

---

(١) قال الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٦/ ٢١٥): «لكن هذا لا يحتمل؛ لأن رؤيا الأنبياء أكثرها صدق وحق، فلا يحتمل أن رأى ذلك ثم يقول: ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾ أو يدعه يذهب معهم، لكنه خاف عليه أكل الذئب على ما يُخاف على الصبيان في المفاوز والبراري».

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٠٨) عن أبي مجلز، ولفظه: «لا ينبغي لأحد أن يلقن ابنه الشر، فإن بني يعقوب لم يدروا أن الذئب يأكل الناس، حتى قال لهم أبوهم: إني أخاف أن يأكله الذئب».

(١٥) ـ ﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓاْ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓاْ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾؛ أي: عزَمُوا على إلقائِه في البئرِ، يُقالُ: أجمَعَ أمرَه: إذا صحَّحَ العزمَ.

أَتَوا به البئرَ وجعلوا يُدلُونَه فيها، فيتعلَّقُ بشفيرِها، فربَطُوا يدَيه ونزَعُوا قميصَه وقالَ: يا إِخوتاهُ، رُدُّوا عليَّ قميصي أتوارَى به في الجبِّ، فقالوا: ادعُ الأحدَ عشرَ كوكبًا والشَّمسَ والقمرَ يكسوك ويُؤنِسوكَ، فدلَّوه في البئرِ حتَّى إذا بلغَ نصفَها ألقَوه، وكان في البئرِ ماءٌ، فسقطَ فيه، ثمَّ أوى إلى صخرةٍ في البئرِ فقامَ عليها يبكي[1]، فجاءَه جبريلُ عليه السَّلامُ بالوَحْيِ منَ الله، وهو قولُه: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم﴾: لتُخبِرَنَّ يا يوسفُ إخوتَكَ ﴿بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا﴾: بصنيعِهم هذا، يُريدُ: بمصرَ، وهو قولُه: ﴿هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ﴾ [يوسف: ٨٩].

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ قيل: متَّصلٌ بالوحيِ؛ أي: أوحَينا وهم لا يشعُرونَ.

وقيل: متَّصِلٌ بقولِه: ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُم﴾، ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أنَّك يوسفُ؛ أي: لا يعرِفُونَك.

وقيلَ: كان الوحيُ وحيَ إلهامٍ.

وقيلَ: كانت بئرًا قليلةَ الماءِ تُغيِّبُه ولا تُغرِقُه.

وقيلَ: جعلوه في جانبٍ منها.

---

(١) ذكر المفسرون في القصة أشياء كثيرة تتضمن كيفية إلقائه في غيابة الجب، ومحاورته لهم بما يلين الصخر وهم لا يزدادون إلا قساوة، ولم يتعرض القرآن ولا الحديث الصحيح لشيء منها، قاله أبو حيان. انظر: «البحر المحيط» (٥/ ٢٨٧).

وجوابُ ﴿فَلَمَّا﴾ مُضمَرٌ تقديرُه: عظُمَتْ فتنتُهم، وقال الكوفيُّونَ: الواوُ زائدةٌ، ومثلُه: ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ﴾ [الصافات: ١٠٣](1)، قالَ الشّاعرُ:

فلمَّـا أجَزْنـا سـاحةَ الحيِّ وانْتَـحى بنا بَطْـنُ خَبْـتٍ ذي قِفـافٍ عَقَنْقَـلِ(2)

***

(١٦) ـ ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ﴾.

﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ﴾: آخرَ النَّهارِ ﴿يَبۡكُونَ﴾ قيل: يتباكَون، وقيل: بكَوا ببكاءِ أبيه عليه، فلمَّا سمعَ أصواتَهم فزِعَ وقال: ما لكم يا بَنيَّ، وأينَ يوسفُ؟

***

---

(١) انظر: «الإنصاف» للأنباري (٢/ ٣٧٤)، وهو قول الفراء في الآية. انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٥٠)، لكن الفراء في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ﴾ جعل الجواب في قوله تعالى: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ﴾، وصنيع المؤلف يوهم أن الجواب في قوله: ﴿وَتَلَّهُۥ﴾ حيث لم يكمل الآية. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ١٠٨) و(٢/ ٢١١ و٣٩٠).

(٢) البيت من معلقة امرئ القيس. انظر: «ديوانه» (ص: ٣٩)، و«جمهرة أشعار العرب» (ص: ١٢٦)، و«معاني القرآن» للفراء (٢/ ٥٠). ورواية «الديوان»: «حقاف» بدل «قفاف». وقوله: «انتحى بنا بطن خبت» أسند الفعل إلى (بطن خبت) والفعل عند التحقيق له وللحبيبة، ولكنه ضرب من الاتساع في الكلام، يقول: فلما جاوزنا ساحة الحي وخرجنا من بين البيوت وصرنا إلى أرض مطمئنة أحاطت بها أراض مرتفعة طاب حالنا وراق عيشنا.

وزعم أبو عبيدة وأكثر الكوفيين أن الواو في (وانتحى) مقحمة زائدة، وهو عندهم جواب (لَمّا). ولا تقحم الواو زائدة في جواب (لَمّا) عند البصريين، والجواب عندهم في مثل هذا الموضع محذوف، وتقديره: فلما كان كذا وكذا تنعمت وتمتعت بها، وحذفُ جواب (لَمّا) كثير في التنزيل وكلام العرب. انظر: «شرح المعلقات» للزوزني (ص: ٥٠).

(١٧) ـ ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴾.

﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ ﴾: من السِّباقِ في الرَّمي. وقيل: في العَدْوِ؛ لنعلَمَ أيُّنا أشدُّ عدْوًا ﴿ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا ﴾: رَحْلِنا ﴿ فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا ﴾ الجمهورُ: بمُصدِّقٍ لنا؛ أي: تُسيءُ ظنًّا بنا لشدَّةِ محبَّتِكَ ليوسفَ ﴿وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴾ جوابُه: ما صدَّقْتَنا لاتِّهامِكَ لنا في أمرِ يوسفَ.

قال صاحبُ «النَّظمِ»: (لو) فيه طرفٌ منَ التَّمنِّي وطرفٌ منَ النَّفيِ؛ لأنَّ قولَكَ: «لو كانَ» دليلٌ على أنَّه لـم يكُنْ، ولا يُتمنَّى إلَّا ما هو غيرُ موجودٍ، فدلَّ على أنَّهم لم يكونُوا صادِقين(١).

وقيل: تقديرُه: وما أنتَ بمُصدِّقٍ لنا وإنْ كنَّا قد صدَقنا(٢)، وهذا قميصُه بالدَّمِ.

* * *

(١٨) ـ ﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾.

﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖ ﴾؛ أي: بدمٍ ذي كذِبٍ، يُريدُ: مكذوبًا فيه؛ لأنَّه لـم يكُنْ دمَ يوسفَ، بل دمَ سخلةٍ.

قتادةُ: دمُ ظَبْيٍ(٣).

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٢٩)، وعدَّه من العجائب.

(٢) في (و): «صادقين» بدل: «قد صدقنا».

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١١١)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ١٥).

وقُرِئَ: (بدمٍ كَدِبٍ) بالدَّالِ[1]؛ أي: طريٍّ.

ورَوَى أبو الفضلِ الرَّازيّ: (بدمِ كَدْبٍ) بالإضافةِ وفتحِ الكافِ وسُكونِ الدَّالِ غيرَ مُعجَمةٍ، وفسَّرَه: الجَدْيُ، وهو غريبٌ[2].

وقولُه: ﴿عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ﴾ حالٌ لـ(دمٍ) وليس بصلةٍ للمصدرِ، وصفةُ النَّكرةِ إذا تقدَّمَتْ انتصَبَتْ على الحالِ.

وقيل: تقديرُه: وجاؤوا بقميصِه عليه دمٌ كذبٌ، فقدَّمَ الدَّمَ لأنَّه الأهمُّ.

﴿قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗا﴾؛ أي: زيَّنتْ.

وقيل: التَّسويلُ: جَعْلُ الشَّيءِ بالحكمِ سُؤْلًا؛ أي: مطلوبًا، وذلك أنَّ يعقوبَ قال لهم: أرُوني قميصَه، فأرَوْه، فقال: تاللهِ ما رأيتُ كاليومِ ذئبًا حكيمًا، أكلَ ابني ولـم يخرِقْ عليه قميصَه، فعندَ ذلك قالَ: ﴿بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗا﴾.

ويحتمِلُ أنَّه فرِحَ بذلك؛ لأنَّ القميصَ كذَّبَهم، فدلَّ أنَّ يوسفَ حيٌّ لم يأكُلْه الذِّئبُ.

﴿فَصَبۡرٞ جَمِيلٞ﴾ أي: أولى وأفضَلُ. وقيل: فصبري صبرٌ جميلٌ[3].

الشَّعبيُّ: لقميصِ يوسفَ ثلاثُ آياتٍ:

إحداها: حينَ جاؤوا عليه بدمٍ كذبٍ.

والثّانيةُ: حينَ قُدَّ.

---

(١) نسبت إلى الحسن وابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما وأبي السمال. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦٧)، و«شواذ القراءات» لشمس القراء الكرماني (ص: ٢٤٣).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٣٠)، وعدَّه من الغريب العجيب.

(٣) فعلى الأول يكون (صبر) مبتدأ، و(جميل) صفته، و(أولى) خبره، وعلى الثاني يكون (صبري) مبتدأ، و(صبره) خبره، و(جميل) صفة الخبر.

والثّالثة: حين أُلقِيَ على وجهِ أبيه يعقوبَ(١).

﴿وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾: تكذِبون.

***

(١٩) ـ ﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ﴾: هم المُسافِرون يُسيرون من أرضٍ إلى أرضٍ ـ وقيل: المارّةُ في الطَّريقِ ـ وفيهم مالكُ بنُ ذُعْرٍ(٢).

﴿فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ﴾: مَن يرِدُ الماءَ ليستقيَ منه ﴿فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ﴾: أرسلَ الدَّلوَ ليملأَها ﴿قال يا بشرايَ هذا غلامٌ﴾ يُريدُ: ثمَّ دلَّاها؛ أي: أخرَجها فتشبَّثَ بها يوسفُ، فلمَّا رآه قال: يا بُشرايَ، بشَّرَ المُدْلي نفسَه، وقال: يا بُشرَى، تعالَي هذا أوانُكِ.

وقيلَ: بشَّرَ أصحابَه بأنَّه وجدَ غلامًا.

وقيل: بُشرَى: اسمُ صاحبٍ له، ناداه يُخبِرُه خبرَ الغُلامِ.

قالَ الأصمعيُّ: سألتُ أبا عَمرٍو عن ﴿بُشرايَ﴾ فقال: يا حِرْزا وأبتَغي النَّوافلا(٣)،

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢٠٧)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ٣٨).

(٢) كذا بالمعجمة في النسخ الخطية، وقد جُعل بالمهملة في كثير من التفاسير وكتب التاريخ واللغة، وجُعل بالمعجمة في كثير منها أيضاً، وربما جُعل مرة بالمعجمة ومرة بالمهملة في بعضها، وقد ذكره الصاغاني في «التكملة والذيل والصلة» (٢/ ٥٢٥) في مادة (ذ ع ر) وهو الصواب إن شاء الله.

(٣) أي: أدركت ما أردت وأطلب الزيادة، قالوا: والحرز بمعنى المحرَز، كأنه أراد: يا قوم أبصروا ما أحرزت من مرادي ثم أبتغي الزيادة، و«حرزا» يريد به: حرزي، فعوض من الياء ألفاً في النداء لخفته كقولهم: يا غلاماً، في موضع يا غلامي، ويروى: «واحرزا» قالوا: يريد: «واحرزاه» فحذف، يضرب لمن طمع في الربح حتى فاته رأس المال. انظر: «الأمثال» لأبي عبيد (ص: ٢٠٠)، و«مجمع الأمثال» للميداني (٢/ ٤١٩).

هذا مَثَلٌ معناه: قد أحرَزْتُ ما كنتُ أطلُبُه، فأنا أطلُبُ الفُضولَ[١].

وفي ﴿بشراي﴾ قراءتانِ: الإضافةُ إلى ياءِ المُتكلِّمِ وفتحُه، والثَّانيةُ: الإفرادُ[٢].

وإذا أضفْتَ[٣] فالألفُ في حكمِ النَّصبِ كـ: يا عبدَ الله، وقيل: في حكمِ الكسرِ كميمِ (غُلامي).

وقُرِئَ: (يا بُشرايْ) بسكونِ الياءِ[٤]، وقُرِئَ: (يا بُشرَيَّ) بتشديدِ الياءِ[٥].

ومَن أفردَ جازَ أن يكونَ في محلِّ نصبٍ؛ لأنَّها نكرةٌ، وجازَ أن يكونَ مضمومًا، وإنْ جعلتَه اسمَ عَلَمٍ على ما سبقَ فهو مضمومٌ.

وأجازَ الكوفيُّون أن يكونَ المُنادَى محذوفًا تقديرُه: يا قوم، بُشرايَ هذا غلامٌ[٦].

﴿وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً﴾ الإسرارُ: ضدُّ الإعلانِ، والبضاعةُ: القطعةُ منَ المالِ تُجعَلُ للتِّجارةِ، مُشتقَّةٌ من: بضَعْتُه؛ أي: قطَعتُه، ومنه المِبْضَعُ.

وفي هذا الضَّميرِ قولان:

أحدُهما: أنَّه يعودُ إلى الوارِدِ وأصحابِه؛ أي: أخفَوا حالَه وكتَمُوا شأنَه، وقالوا

---

(١) فسَّر أبو عمرو الآية بالمثل، وجعلهما بمعنى واحد.

(٢) قرأ الكوفيون: ﴿يَٰبُشْرَىٰ﴾ بغير إضافة، وقرأ الباقون بألف بعد الراء وفتح الياء. انظر: «السبعة» (ص: ٣٤٧)، و«التيسير» (ص: ١٢٨)، و«النشر» (٢/ ٢٩٣).

(٣) في (ن): «أضيف».

(٤) وهي رواية لورش عن نافع، قال ابن مجاهد: ورأيت أصحاب ورش لا يعرفون هذا ويروون عنه بفتح الياء. انظر: «السبعة» (ص: ٣٤٧). وانظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦٧).

(٥) نسبت إلى ابن أبي إسحاق وغيره. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ٦٧)، و«شواذ القراءات» لشمس القراء الكرماني (ص: ٢٤٣).

(٦) وليس هذا ببعيد عن قول سيبويه والبصريين. انظر: «الكتاب» (٢/ ٢٢٠)، و«الأصول» لابن السراج (١/ ٣٥٤).

للسَّيّارةِ: «هو بضاعةٌ أبضَعَناها أهلُ الماءِ لنبيعَه بمصرَ» لئلا يَسْتَشْرِكَهُم فيه النّاسُ، و﴿بِضَٰعَةً﴾: نصبٌ على الحالِ، الزَّجّاجُ: أسرُّوه جاعِليه بضاعةً(١).

والثّاني: أنّه يعودُ إلى إخوةِ يوسفَ، وذلك أنَّ يهوذا كان يأتيه بالطَّعامِ كلَّ يومٍ؛ لأنَّه بقيَ فيها ثلاثةَ أيّامٍ، فأتاه يومئذٍ بالطَّعامِ فلم يجِدْه فيها، فأخبرَ إخوتَه، فأتَوا مالكًا وقالوا: هذا عبدُنا أبَقَ(٢) منّا، وكتمَ يوسُفُ شأنَه مخافةَ أن يقتُلَه إخوتُه.

ويقالُ: قالوا ليوسفَ بالعبرانيّةِ: إن لم تُقِرَّ بأنَّك عبدٌ انتزَعْناكَ منَ السَّيّارةِ ثمَّ لنقتُلَنَّكَ، فقال يوسفُ: إنِّي عبدٌ، وأرادَ به: عبدُ الله، فكتَموا حرِّيَّتَه وباعوه على أنَّه بضاعةٌ.

قتادةُ: أسرُّوا بيعَه(٣).

ابنُ عبّاسٍ: أسرَّ إخوةُ يوسفَ أنَّه أخوهم وجعلوه بضاعةً وباعوه(٤).

ويحتمِلُ أنَّ معنى ﴿أسرّوه بِضَٰعَةً﴾: أظهَروه بضاعةً(٥)؛ سواءٌ يعودُ الضَّميرُ إلى الواردِ وأصحابِه أو إلى الإخوةِ، وهذا كما تقولُ: هذا شيءٌ أظهَرْتُه أُعجوبةً، و: هذا مالٌ أظهَرتُه بضاعةً، والمعنى: أظهَروا حالَ يوسفَ على هذا الوجهِ، والله أعلَمُ.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾ بيوسف.

***

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٩٨).

(٢) في (و): «فأبق».

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٢٨٩)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ٤٨).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٤٩)، ولفظه: «﴿وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً﴾ يعني: إخوة يوسف أسروا شأنه وكتموا أن يكون أخاهم، فكتم يوسف شأنه مخافة أن تقتله إخوته، واختار البيع، فذكره إخوته لوارد القوم، فنادى أصحابه قال: ﴿يَٰبُشۡرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٞ﴾ يباع، فباعه إخوته». وإسناده ضعيف جدًّا.

(٥) وهذا مبني على أن (أسرَّ) من الأضداد؛ فيعني: أخفى وأظهر. انظر: «الأضداد» للأنباري (ص: ٤٦).

(٢٠) ـ ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴾.

﴿ وَشَرَوْهُ ﴾؛ أي: باعُوه، والشِّرى: البيعُ، مشتقٌّ منَ الشَّرْوَى؛ لأنَّ البائعَ والمُشتريَ يُعطي شيئًا ويأخذُ شيئًا.

والضَّميرُ عند الجمهورِ يعودُ إلى إخوةِ يوسفَ؛ لأنَّهم باعوه من مالكِ بنِ ذُعْرٍ.

ابنُ بحرٍ[1]: الضَّميرُ يعودُ إلى الواردِ وأصحابِه؛ أي: أسرُّوه بضاعةً وحملوه إلى مصرَ فباعوه بثمنٍ طفيفٍ؛ لأنَّهم عرَفوا أنَّه حرٌّ يظهرُ أمرُه فقَنِعُوا باليسيرِ[2].

ويحتملُ أنَّ قولَه: ﴿ وَشَرَوْهُ ﴾ على ظاهرِه من معنَى اشترَوا؛ أي: اشترَى الواردُ وأصحابُه من إخوتِه، والله أعلَمُ.

﴿بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾: حرامٍ؛ لأنَّه حرٌّ. وقيل: ظُلمٍ؛ لأنَّهم ظلَمُوه في بيعِه. وقيل: ذي بخسٍ؛ أي: ناقصٍ. وقيل: قليلٍ. وقيل: زَيفٍ.

﴿دَرَاهِمَ﴾ بدلٌ منَ الثَّمنِ ﴿مَعْدُودَةٍ﴾: قليلةٍ، عشرينَ درهمًا اقتَسَمُوا دِرهمَينِ دِرهمَينِ. وقيل: اثنانِ وعشرونَ درهمًا. وقيل: أربعون درهمًا. وقيل: ما كانوا يزِنون دونَ الأوقيّةِ، وهي أربعونَ درهمًا[3].

﴿وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴾: ﴿فِيهِ﴾ يعودُ إلى الثَّمنِ، وقيل: إلى يوسفَ.

والضَّميرُ في ﴿وَكَانُوا﴾ يعودُ إلى الإخوةِ إلّا على قولِ ابنِ بحرٍ.

ومعنى ﴿مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴾: غيرَ مُحتاجين إليه ولا راغبينَ فيه، ولا يجوزُ أن

---

(١) في (و): «وقيل».

(٢) ذكر نحوه الرازي في «التفسير الكبير» (١٨/ ٤٣٤) بلا نسبة.

(٣) «درهما»: من (ن).

يكونَ ﴿فِيهِ﴾ من صلةِ ﴿ٱلزَّٰهِدِينَ﴾ لأنَّ اسمَ الفاعلِ إذا كانَ فيه الألفُ واللّامُ لا يعملُ فيما قبلَه(١)، وعندَ النُّحاةِ: أنَّ ﴿مِنَ﴾ للتَّبيينِ، والتَّقديرُ: وكانوا فيه زُهَّدًا منَ الزّاهدين(٢)، وجازَ حذفُ العاملِ لأنَّ الظَّرفَ جائزٌ فيه هذا الاتِّساعُ، ولم يجُزْ: كانوا زيدًا منَ الضَّاربين(٣).

* * *

(٢١) - ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ﴾ ثـمَّ إنَّ مالـكَ بـنَ ذُعْـرٍ حملَـه إلـى مصـرَ وباعَـه فيمَن يزيدُ بعشـرينَ دينـارًا، وقيل: بوزنِه فضَّـةً، وقيل: بوزنِه ذهبًـا، وقيل: أكثرَ مـن ذلك، فاشـتراه عزيزُ مصـرَ، وكان صاحبَ خزانةِ الملكِ، واسـمُه: قِطْفيرُ، واسـمُ الملـكِ الوليدُ بـنُ الريَّانَ.

---

(١) وهذه المسألة فيها خلاف، وليست من المتفق عليه بين النحويين، فقد ذهب البصريون إلى المنع مطلقاً، وذهب الكوفيون إلى الجواز مطلقاً، وقال ابن الحاجب: إنه متعلق بالصلة، والمعنى عليه بلا شبهة، وإنما فروا منه لِمَا فهموا من أنّ صلة الموصول لا تعمل فيما قبل الموصول مطلقاً، وبين صلة (أل) وغيرها فرْق، فإنّ هذه على صورة الحرف المنزل منزلة جزء من الكلمة فلا يمتنع تقديم معمولها عليها. انظر: «أمالي ابن الحاجب» (١/ ٢٨٣)، و«حاشية الشهاب» (٥/ ٢٦٥)، و«روح المعاني» (١٢/ ٢٥٤)، و«همع الهوامع» للسيوطي (١/ ٣٤٢).
وأجاز بعضهم ذلك في الظرف فقط دون المفعولات، ومنهم المؤلف كما سيأتي.

(٢) فالجار والمجرور متعلقان باسم فاعل مقدر دلّ عليه ما جاء بعده.

(٣) لأن «زيداً» من صلة «الضاربين»، ولا تتقدم الصلة على الموصول ما لم يكن ظرفاً أو جارًّا ومجروراً: ولم يجز تقدير عامل محذوف؛ لأن المعمول ليس ظرفاً.

قالَ ﴿لِٱمۡرَأَتِهِۦٓ﴾ واسمُها عندَ جُلِّ المُفسِّرين: راعيلُ، وقيل: فيكا[١]، وقيل: زَلِيْخا:

﴿أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ﴾ يصلُحُ للمصدرِ؛ أي: إقامتَه، ويصلحُ للمكانِ؛ أي: موضعَ إقامتِه، والمعنى: أحسِني إليه في جميعِ حالاتِه من مأكولٍ ومشروبٍ وملبوسٍ.

ابنُ عيسى: الإكرامُ: إعطاءُ المُرادِ على وجهِ الإعظامِ[٢].

﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾ في ضِياعِنا وأموالِنا، وقيل: لعلَّنا نبيعُه بثمنٍ أزيدَ ممَّا اشتريناه به، ﴿أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا﴾: نتبنَّاه، ولم يكُنْ له ولدٌ.

ورُوِيَ عن ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه أنَّه قالَ: أحسَنُ النَّاسِ فِراسةً ثلاثةٌ: العزيزُ حينَ قالَ في يوسفَ: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا﴾، وابنةُ شُعيبٍ حين قالت لأبيها: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ﴾ الآية [القصص: ٢٦]، وأبو بكرٍ الصِّدِّيقُ حين استخلَفَ عمرَ الفاروقَ رضيَ الله عنهما[٣].

﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾؛ أي: تحبيبُ الله يوسفَ إلى مُشتَريه أوَّلُ تمكينِه في الأرضِ.

﴿وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ﴾ عطفٌ على مُضمرٍ تقديرُه: لنُوحي إليه ولنُعلِّمَه.

وقيل: كما أنعَمْنا عليه بالخروجِ مكَّنَّاه في الأرضِ لنُوحيَ إليه ولنعلِّمه.

﴿مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ﴾: عِبارةِ[٤] الرُّؤيا ومعاني كتُبِ الله.

---

(١) في (ن): «بكاء».

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٢/ ٦٠) بلا نسبة.

(٣) رواه سعيد بن منصور في «سننه ـ التفسير» (١١١٣)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ٦٣)، وأبو بكر بن الخلال في «السنة» (٣٤٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٩/ ١٦٧)، والحاكم في «المستدرك» (٣٣٢٠)، وصححه ووافقه الذهبي.

(٤) في (و): «عبارة عن».

الزَّجَّاجُ: مثلَ الذي وصَفْنا مكَّنَّا ليوسفَ في الأرضِ[١].

﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ﴾ لا يردُّه شيءٌ، وقيل: غالبٌ على أمرِ يوسفَ ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾: أهلَ مصرَ، وقيل: أهلَ مكَّةَ ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ لطائفَ صُنعِ الله.

* * *

(٢٢) - ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ﴾: مُنتَهى اشتدادِ جسمِه وقوَّتِه.

الضَّحَّاكُ: عشرينَ سنةً[٢].

مجاهدٌ: ثلاثًا وثلاثينَ سنةً[٣].

وابتداءُ الأشُدِّ: بلوغُ الحُلُمِ، وقيل: ثماني عشرةَ سنةً. وقيل: إحدى وعشرينَ سنةً؛ لأنَّه يتقوَّى لسبعِ سنينَ، ويبلُغُ لسبعٍ بعدَها، ويتناهَى طولُه وقوَّتُه لسبعٍ بعدَها.

وآخرُ الاشتدادِ[٤] أربعونَ سنةً، وقيل: ستُّونَ.

﴿ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا﴾: حكمةً وعقلًا. وقيل: حكمًا على النَّاسِ. وقيل: نُبوَّةً. وقيل: فِقهًا. وقيل: إصابةَ القولِ.

﴿وَعِلْمًا﴾ بتأويلِ الأحاديثِ.

وقيل: أُعطِيَ النُّبوَّةَ في الجبِّ، ثمَّ لـمَّا بلَغَ أشُدَّه أُمِرَ بإظهارِ الدَّعوةِ.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٩٩).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٦٨).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٦٧).

(٤) في هامش (ن): في نسخة: «الأشد».

﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ ابنُ عبَّاسٍ: المُؤمنين(١). وقيل: الصَّابرين. وقيل: كما فعَلْنا بيوسفَ نفعلُ بمحمَّدٍ عليهما السَّلامُ.

***

(٢٣) - ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا﴾ يعني: راعيلُ طلبَتْ يوسفَ أن يُواقِعَها، وأصلُه من: رادَ يرودُ: إذا جاءَ وذهبَ، ومنه: الرَّائدُ؛ لأنَّه يجولُ في الصَّحراءِ لطلبِ المَرعى.

ابنُ عيسى: المُراودةُ: المُطالبةُ بأمرٍ يُعمَلُ به(٢)، ولا يُقالُ في مُطالبةِ الدَّينِ: راودَه(٣).

﴿عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ﴾ التَّغليقُ: إطباقُ البابِ بما يَعْسُرُ فتحُه، والتَّشديدُ للمُبالغةِ في الإيثاقِ، وقيل: للكثرةِ، وكانت سبعةَ أبوابٍ.

﴿وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَ﴾: تعالَ وأَقْبِلْ، وهي منَ الأسماءِ التي سُمِّيتِ الأفعالُ بها، وقُرِئَ: (هِئْتُ) بكسرِ الهاءِ وضمِّ التّاءِ بغيرِ همزٍ وبهمزٍ(٤)، وهي من قولِكَ: هِئْتُ أهيءُ هَيْئَةً، كجِئْتُ أجِيءُ جَيْئَةً، ومعناه: تهيَّأْتُ، و﴿لَكَ﴾ على هذا الوجهِ مُتعلِّقٌ بالفعلِ، وعلى الوجهِ الأوَّلِ تبيينٌ للمدعوِّ.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٤/ ٥٣٩).

(٢) ذكر نحوه الواحدي في «البسيط» (١٢/ ٦٥) بلا نسبة.

(٣) فالمطالبة تستعمل في العين والدراهم، والمراودة لا تستعمل إلا في العمل. انظر: «تفسير الرازي» (٢٩/ ٣١٥).

(٤) قرأ نافع وابن ذكوان: ﴿هِيتَ﴾ بكسر الهاء من غير همز وفتح التَّاء، وهشام كذلك إلا أنه يهمز: ﴿هِئْتَ﴾، وقد رُوِيَ عنه ضم التَّاء: ﴿هِئْتُ﴾، وابن كثير بفتح الهاء وضم التَّاء: ﴿هَيْتُ﴾، والباقون بفتحهما. انظر: «السبعة» (ص: ٣٤٧)، و«التيسير» (ص: ١٢٨).

الزَّجَّاجُ: المعنى في اللّامِ[1]: تَقدَّمْ لنفسِكَ؛ أي: لكَ في التَّقدُّمِ حظٌّ[2].

﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: أعتصِمُ به، وهو نصبٌ على المصدرِ؛ أي: أعوذُ بالله عياذًا ﴿إِنَّهُۥ رَبِّيٓ﴾: إنَّ الله خالقي ولا أعصيه[3]. وقيل: إنَّ العزيزَ ربِّي وسيِّدي اشتَراني[4] وأحسنَ منزلَتي، فلا أخونُه في أهلِه.

﴿أَحۡسَنَ مَثۡوَايَ﴾ حيثُ قالَ: ﴿أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ﴾، ﴿إِنَّهُۥ﴾: الأمرَ والشَّأنَ ﴿لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: الواضِعونَ الشَّيءِ غيرَ موضعِه، والمُرادُ به هاهنا: الزُّناةُ.

***

(٢٤) - ﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾.

﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا﴾؛ أي: همَّا بالذَّنبِ، والهمُّ بالشَّيءِ: مُقارَبتُه من غيرِ دخولٍ، ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: استلقَتْ على قَفاها وحلَّ هو هِمْيانَه؛ أي: سراويلَه، وجلَسَ منها مجلسَ الخاتنِ[5].

---

(١) في (و): «معنى اللام».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٩٩)، ولفظه: «المعنى: هلم لك؛ أي: أقبل إلى ما أدعوك إليه»، وقد ذكره المصنف باللفظ أعلاه في «غرائب التفسير» (١/ ٥٣٣)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٣٣)، واستغربه، ورجَّح القول الآتي أنه العزيز.

(٤) في (و): «ابتدأني».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٨٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٢٣).

قال الإمامُ أبو منصور الماتريدي رحمه الله: أمَّا ما قالَه بعضُ أهل التَّفسير أنَّها استلقَتْ له، وهمَّ بها، وحلَّ إزارَه، وأمثالَ هذا من الخرافات؛ فهذا كلُّه ممَّا لا يحلُّ أنْ يُقال، والدلالةُ على فسادِ ذلك وجوهٌ: أحدُها: قوله تعالى: ﴿هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِي﴾. والثَّاني: قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ =

الحسنُ: أمّا همُّها فكانَ أخبثَ همٍّ، وأمّا همُّه فما طُبِعَ عليه الرِّجالُ من شهوةِ النِّساءِ من غيرِ عزمٍ على الزِّنى(١).

وقيل: همَّ بضربِها والفِرارِ منها(٢).

وقيلَ: همَّ بها ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾، وهذا حسَنٌ في المعنى ضعيفٌ في

= عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ﴾. والثَّالث: قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ﴾. والرَّابع: قولهنَّ: ﴿مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ﴾. والخامس: قولها: ﴿ٱلْـَٔـٰنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ﴾.

فهذا كلُّه دليلٌ على أنَّه لم يكنْ منهُ شيءٌ من ذلك، وليس في ظاهرِ الآية ممَّا قالوا من قليلٍ ولا كثيرٍ؛ إذ ليس فيه شيءٌ سوى أن ﴿هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا﴾. انظر: «تأويلات أهل السنة» (٦/ ٢٢٥ـ٢٢٦).

وما أحسن كلام الزمخشري في رد تلك الأباطيل حيث قال: ولو وُجدتْ من يوسفَ عليه السلام أدنى زلَّةٍ لنُعِيَتْ عليه وذُكِرَتْ توبتُه واستغفارُه كما نُعيَتْ على آدم صلوات الله عليه زلَّتُه، وعلى داود وعلى نوح وعلى أيُّوب وعلى ذي النُّون عليهم السلام، وذُكِرَت توبتُهم واستغفارُهم، كيف وقد أُثنيَ عليه وسُمِّي مخلَصاً، فعُلم بالقطع أنه ثبتَ في ذلك المقام الدَّحْضِ، وأنه جاهدَ نفسَه مجاهدةَ أولي القوة والعزم، ناظراً في دليل التحريم ووجهِ القبح، حتى استَحَقَّ من الله الثناءَ فيما أُنزل من كتب الأوَّلين، ثم في القرآن الذي هو حجةٌ على سائر كتبه ومِصداقٌ لها، ولم يَقتصِر إلَّا على استيفاء قصَّتهِ وضربِ سورةٍ كاملةٍ عليها؛ ليجعل له لسانَ صدقٍ في الآخِرين كما جَعَله لجدِّه الخليلِ إبراهيمَ عليه السلام، وليقتدي به الصالحون إلى آخر الدَّهْر في العفَّة وطِيْبِ الإزار، والتثبُّتِ في مواقف العِثَار. انظر: «الكشاف» (٢/ ٤٥٧).

(١) ذكره الجصاص في «أحكام القرآن» (٣/ ٢٢٠)، والماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٢٤).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٣٣)، واستغربه. وضعَّفه الماتريدي فقال: يدخل عليه قوله: ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾، لو كان همه بها هم دفع لم يكن لقوله: ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾ معنى. ثم ذكر له تخريجاً بأن يكون التقدير: هم بقتلها، فإذا كان هم بقتلها فرأى برهان ربه فتركها لما لا يحل قتلها. انظر: «تأويلات أهل السنة» (٦/ ٢٢٦).

الإعرابِ؛ لأنَّ جوابَ ﴿لَوْلَآ﴾ لا يتقدَّمُ عليه، بل جوابُه مُقدَّرٌ تقديره: لولا أنْ رأى برهانَ ربِّه لأمضى ما همَّ به(١).

وفي ﴿بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾ أقوالٌ:

ابنُ عبَّاسٍ في جماعةٍ: هو أنْ رأى يعقوبَ - أي: صورةَ يعقوبَ - عاضًّا على أناملِه(٢).

قتادةُ: نُودِيَ: يا يوسفُ، أنت مكتوبٌ في الأنبياءِ وتعملُ عملَ السُّفهاءِ(٣).

وقيل: رأى جبريلَ.

وقيل: تذكَّرَ جزاءَ الزِّنى(٤).

وقيل: رأى قِطْفِيرَ.

وقيل: رأى كفًّا بلا مِعصَمٍ يمنعُه منَ المُواقعةِ(٥).

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٣٣)، وعدَّه من العجائب، وقد بيَّن أبو حيان أن هذا التضعيف لا طائل تحته وأن الجواب مقدر دلَّ عليه ما تقدم. انظر: «البحر المحيط» (٦/ ٢٥٨).
قلت: رؤية البرهان منعت الهم مطلقاً؛ وتقدير الكلام: ولولا أن رأى برهان ربّه لهمت به وهمّ بها ولكن تقدم الهم في الآية أتاح لسامع الذكر الحكيم الفرصة ليتخيل السلوك الذي يتبعه البشر بحكم الغريزة في مثل هذا الموقف ثم يمضي مع الآية ليرى طهر يوسف عليه السلام، ويشعر من خلال المقارنة بسموِّ الكريم ابن الكريم ابن الكريم عليه السلام.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٩٠ - ٩١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٢٣).

(٣) روى نحوه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٢٩٥)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ٨٩، ٩٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٢٤).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٣٤) واستغربه.

(٥) في هامش (ن): «قال: وقد رأيت في بعض التفاسير أن البرهان في قوله: ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾ نبتٌ ظهر في أنفها؛ شعرات قبيحة، وذلك مما تنفر الطباع عنه، فامتنع يوسف عنها».
وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٣٤)، وعدَّه من العجائب.

﴿كَذَٰلِكَ﴾؛ أي: كذلك فعَلْنا، فهو في محلِّ نصبٍ.

﴿لِنَصْرِفَ عَنْهُ﴾: عن يوسفَ ﴿ٱلسُّوٓءَ﴾: الذَّنبَ ﴿وَٱلْفَحْشَآءَ﴾: الزِّنى ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾: أخلَصَهم الله واختارَهُم، ومَن كسرَ[1] فالمعنى: أخلَصُوا دينَهم لله.

***

(٢٥) - ﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ﴾: طلَبَا المُبادرةَ إلى البابِ، وذلك أنَّ يوسفَ لمّا رأى برهانَ ربِّه قصدَ البابَ للخروجِ، وقصدَتِ البابَ لتمنعَه منَ الخروجِ، فلم تصِلْ إلّا إلى ذيلِه من خلفِه، فتشبَّثَتْ به فشقَّته، وهو قولُه: ﴿وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ﴾ القَدُّ: الشَّقُّ طولًا، والقَطُّ: عرضًا.

﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ﴾: صادَفا زوجَ المرأةِ على البابِ، فلمَّا رأته خافَتْ فاحتالَتْ لتبرئةِ[2] نفسِها ﴿قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: أوهمَتْ أنَّه قصدَها، وأنَّ البِدارَ[3] كانَ منها.

و﴿مَا﴾ نفيٌ، وتقديرُه: إلّا السِّجنُ أو عذابٌ أليمٌ، وهو الضَّربُ الوجيعُ.

وقيل: ﴿مَا﴾ للاستفهامِ، وتقديرُه: هل جزاؤُه إلّا السِّجنُ، وفيه ضعفٌ[4].

***

(١) قرأ الكوفيون ونافع بفتح اللام، والباقون بكسرها. انظر: «السبعة» (ص: ٣٤٨)، و«التيسير» (ص: ١٢٨).

(٢) في (ن): «لتنزيه».

(٣) البدار؛ أي: المبادرة بدفعه.

(٤) في هامش (ن): «وضعَّف مَن يجعل ﴿مَا﴾ بمعنى (هل) أنه لم يأت بمعناه». وذكر هذا القول المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٣٤)، واستغربه.

(٢٦) ـ ﴿قَالَ هِيَ رَٰوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾.

﴿قَالَ هِيَ رَٰوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي﴾؛ أي: طالبَتْني بالمُواقعةِ، ولـم يكُنْ عليه السَّلامُ يكشفُ الأمرَ ويفضحُها إنْ لم تكذِبْ عليه.

﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ﴾: أخبرَ مُخبِرٌ من أهلِها.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: كان صبيًّا أنطقَه الله[1]. وإليه ذهبَ جماعةٌ منَ المُفسِّرين.

وقيل: كانَ رجلًا له رأيٌ من خاصَّةِ الملكِ[2].

وقيل: الشّاهدُ: العزيزُ[3].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ١٠٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٢٨).

وروى الإمام أحمد في «المسند» (٢٨٢٢)، والبزار (٢٤ ـ كشف)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ١٠٦)، والحاكم في «المستدرك» (٣٨٣٥) وصححه، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً: «تكلم أربعة صغار: عيسى ابن مريم عليه السَّلامُ، وصاحب جريج، وشاهد يوسف، وابن ماشطة ابنة فرعون».

ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٨٢١)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٩٠٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٢٧٩)، عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفاً. إلا أنه في رواية ابن حبان قال بدل «شاهد يوسف»: «والرابع لا أحفظه».

وروى البخاري (٣٤٣٦)، ومسلم (٢٥٥٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة...» فذكر عيسى، وصاحب جريج، وابن المرأة التي مر عليها الراكب ذو الشارة، وروى مسلم (٣٠٠٥) من حديث صهيب قصة أصحاب الأخدود، وفيه ذكر تكلُّم ولد المرأة التي أحرقت في الأخدود؛ فصار ما ذكر في الصحيحين أربعة، ومع حديث ابن عباس يصبحون ستة، والله أعلم.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ١٠٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٢٩) عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٣٤)، واستغربه.

وفي بعضِ التَّفاسيرِ: السِّنَّورُ[١].

وعن مجاهدٍ: القميصُ المقدودُ[٢].

***

(٢٧) ـ ﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾.

﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ ومعنى: ﴿إِن كَانَ﴾: إنْ يصحَّ.

المُبرِّدُ: يجوزُ بقاءُ ﴿كَانَ﴾ على الماضي، وإليه ذهبَ الزَّجَّاجُ[٣]، ويأباه أبو عليٍّ.

وكان القياسُ: وشهِدَ شاهدٌ أنَّه، لكنْ ذهبَ به مذهبَ القولِ والحكايةِ.

و(قَدْ) مُضمَرٌ مع (قُدَّ)؛ أي: إنْ يكُنْ الآنَ قَدْ قُدَّ قميصُه، وهذه دلالةُ عادةٍ: أنَّ الذي شُقَّ قميصُه هو الهاربُ كما أنَّ الذي في ظهرِه الضَّربةُ هو المهزومُ في الحربِ، قالَه ابنُ عيسى[٤].

ويحتملُ أنَّ الشَّاهدَ علِمَ قطعًا أنَّ الذَّنبَ لها، فلم يُرِدْ أن يُصرِّحَ بذلك فعرَّضَ بهذا[٥].

***

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٣٤) عن النقاش، وعدَّه من العجائب.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٣٤)، وعدَّه من العجائب.

(٣) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» (١/ ١٠٧) عن المبرد، وليس فيه التصريح بالترجيح.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٣٤).

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٣٥)، واستغربه.

(٢٨) ـ ﴿فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ﴾.

﴿فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ﴾؛ أي: رآه بعينِه. وقيل: علِمَ صِدقَه.

﴿قَالَ﴾ يعني: الزَّوجَ، وقيل: الشّاهدَ.

﴿إِنَّهُۥ﴾ يعودُ إلى قولِه: ﴿مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا﴾، وقيلَ: إلى السُّوءِ، وقيل: إلى كذِبِها.

﴿مِن كَيۡدِكُنَّ﴾: من حيلتِكُنَّ ﴿إِنَّ كَيۡدَكُنَّ﴾: حيلتكُنَّ ﴿عَظِيمٞ﴾: يَخلصُ إلى الصَّالحِ والطَّالحِ، والبريءِ والسَّقيمِ، وكيدُ الشَّيطانِ ضعيفٌ؛ لأنَّه وسوسةٌ وغيبٌ، وكيدُهنَّ مُواجهةٌ وعينٌ(١).

ثمَّ أقبلَ على يوسفَ وقال:

(٢٩) ـ ﴿يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَاطِـِٔينَ﴾.

﴿يُوسُفُ﴾ يريدُ: يا يوسفُ ﴿أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَا﴾: اكتُمْه ولا تذكُرْه، وقيل: دَعْ ذلك.

ثمَّ أقبلَ(٢) على راعيلَ وقال: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِ﴾: تُوبي إلى الله من خطيئَتِكِ ﴿إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَاطِـِٔينَ﴾ ذكَّرَ لتغليبِ الرِّجالِ.

ورُوِيَ عن بعضِهم أنَّه قال: كان السَّيِّدُ قليلَ الغَيرةِ؛ حيثُ اقتصرَ على قولِه: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِ﴾(٣).

---

(١) قال الطيبي في «حاشيته على الكشاف» (٨/ ٣١٠): «وفيه نظر؛ لأن الذي في هذه الآية من كلام العزيز، فيمكن أن تكون حكايته تصحيحًا لكلامه لا تحقيقًا، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ مقابل بكيد الله، فحقه أن يكون ضعيفًا، ولأن كيد الشيطان أصل لكيد النساء، فلا يكون كيدهن أعظم».

(٢) في (و): «مال».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٣٥)، وعدَّه من العجائب.

(٣٠) ـ ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾.

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ﴾: تطلُبُ مُواقعةَ غلامِها إيَّاها ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾: دخلَ حبُّه شَغافَ قلبِها، والشَّغافُ: باطِنُ القلبِ، وهو حبّةُ القلبِ وسُوَيداؤُه.

وقيل: الشَّغافُ: غلافُ القلبِ.

وقيل: الشَّغافُ: داءٌ يكونُ في الجوفِ.

و﴿حُبًّا﴾ نصبٌ على التَّمييزِ لصرفِ الفعلِ عنه.

وقيل: ﴿شَغَفَهَا﴾ مثلُ: رَأَسهُ ورَجَلَهُ[1] ﴿حُبًّا﴾ بالحبِّ، والأوَّلُ أَولى.

﴿إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾: في ضلالٍ عنِ الرُّشدِ، وقيل: في محبَّةٍ عظيمةٍ.

* * *

(٣١) ـ ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾.

﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾؛ أي: سمعَتْ راعيلُ بوقيعتِهنَّ.

وقيل: سُمِّيَ مكرًا لأنَّهنَّ قُلنَ ذلك لتُرِيَهنَّ يوسفَ، وكان يُوصَفُ لهنَّ حسنُه وجمالُه.

﴿أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ﴾ تدعُوهنَّ إلى مأدُبةٍ اتّخذَتْها، فدعَتْ أربعين امرأةً، قيل[2]:

---

(١) رأسه: أصاب رأسه، ورجله: أصاب رجله.

(٢) «قيل» من (ن).

وفيهنَّ أربعٌ قد أطلَعَتْهُنَّ على سرِّها، واستكْتَمَتْهُنَّ فأفشَينَ سِرَّها، وذلك مكرُهنَّ.

﴿وَأَعۡتَدَتۡ﴾: وأعدَّتْ، منَ العتيدِ، وهو المُعَدُّ.

﴿لَهُنَّ مُتَّكَـٔٗا﴾: مجلسًا فيه ما يتَّكِئْنَ عليه منَ الوسائدِ والنَّمارقِ، وفيه الطَّعامُ والشَّرابُ.

الحسنُ في جماعةٍ: ﴿مُتَّكَـٔٗا﴾: طعامًا[1]، قال الشّاعرُ:

فظَلِلْنا بنِعْمةٍ واتَّكأْنا ... وشرِبْنا الحلالَ مِنْ قُلَلِهْ[2]

وقيل: ﴿مُتَّكَـٔٗا﴾: ما يُقطَعُ بالسِّكِّينِ، مثلُ: الأُتْرُجِّ والبِطِّيخِ والمَوز.

وقيلَ: الزُّماوَرْدُ[3]، وهو الرِّقاقُ الملفوفُ باللَّحمِ وغيرِه، كأنَّه يُتَّكأُ عليه بالسِّكِّين.

﴿وَءَاتَتۡ كُلَّ وَٰحِدَةٖ مِّنۡهُنَّ سِكِّينٗا﴾ المُبرِّدُ: كانوا في ذلك الزَّمانِ لا يأكلونَ إلّا

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ١٢٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٣٣).

(٢) البيت لجميل بن معمر كما في: «ديوان جميل بثينة» (ص: ١٨٩)، و«المعاني الكبير» لابن قتيبة (١/ ٢٥٧)، و«الصحاح» مادة: (ق ل ل)، و«خزانة الأدب» للبغدادي (١٠/ ٢١). القلل: جمع قلة، وهي الجرة، و«الحلال»: فسره بعضهم بالنبيذ، لكن تعقب البغدادي ذلك بقوله: ولا يخفى أن حمله على ظاهره أنسب؛ لأن قائله مؤمن وكان في عرفة في موسم الحج.

(٣) الزَّماورد ـ ويقال: الزُّماورد والبَزْمَاوَرْد ـ وهو طعام من البيض واللحم والسمن، معرب كما في «القاموس»، أو هو الرقاق الملفوف باللحم، كما ذكر المصنف وكما في حواشي «الكشاف»، وربما قيل له: لقمة القاضي، أو: لقمة الخليفة، وقيل: هو ضرب من الحلوى يصنع من العجين بالسكر، وقيل: كل ما عمل من السكر حلوى فهو زماورد. انظر: «معجم متن اللغة» لأحمد رضا (٣/ ٦١).

بالملاعقِ والسَّكاكينِ كفعلِ الأعاجمِ، قال: والعربُ تنهَسُ نَهسًا لا تبتَغي سكِّينًا(١).

﴿وَقَالَتِ ٱخۡرُجۡ عَلَيۡهِنَّ﴾ فخرَجَ عليهنَّ يوسفُ.

عكرمةُ قال: كان فضلُ يوسفَ على النَّاسِ في الحُسنِ كفضلِ القمرِ ليلةَ البدرِ على نُجومِ السَّماءِ(٢).

﴿فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ أَكۡبَرۡنَهُۥ﴾: هالَـهُنَّ أمرُه. وقيل: أعظَمْنَه.

مجاهدٌ: حِضْنَ(٣). قالَ:

نأتــي النِّســاءَ علــى أطهارِهِــنَّ ولا نأتــي النِّســاءِ إذا أكْبَــرْنَ إكبــارا(٤)

والهاءُ في قولِه: ﴿أَكۡبَرۡنَهُۥ﴾ على هذا يعودُ إلى المصدرِ؛ أي: أكْبَرْنَ إكبارًا، وقيل: أكْبَرْنَ له، فحُذِفَ اللّامُ.

---

(١) روى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٣٤) عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما قال: «كانت سنتهم إذا وضعوا المائدة أعطي كل إنسان منهم سكيناً يأكل بها».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٤/ ٥٩٢).

(٣) ذكره عن مجاهد الزجاج في «معاني القرآن» (٣/ ١٠٦)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ١٣١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٣٥)، عن ابن عباس رضي الله عنهما. وقال الزجاج: «وليس ذلك بمعروف في اللغة».

وذكر المصنف هذا القول في «غرائب التفسير» (١/ ٥٣٥)، وعدَّه من العجائب، وقال: «ويمكن تصحيح (أكْبَرَ) بمعنى: حاض أو أمذى الغلامُ والجارية من وجه، وهو أن يحمل على أول حيض وأول إمذاء، فإن ذلك علامة الكبر، ثم صار كناية عن الحيض والإمذاء».

(٤) البيت بلا نسبة في «تفسير الطبري» (١٣/ ١٣٢)، و«معاني القرآن» للزجاج (٣/ ١٠٦)، و«تهذيب اللغة» (١٠/ ١٢٠) مادة: (ك ب ر). و«غرائب التفسير» للمصنف (١/ ٥٣٦)، وفيه: «والمحققون على أن بيت «أكبرن» مصنوع لا يعرف قائله». وقال الزجاج: وهذه اللفظة ليست بمعروفة في اللغة، والهاء في ﴿أَكۡبَرۡنَهُۥ﴾ تنفي هذا؛ لأنه لا يجوز أن يقول: النساء قد حِضْنَهُ يا هذا؛ لأن (حضن) لا يتعدى إلى مفعول.

وقيل: المرأةُ إذا اشتدَّتْ غُلمَتُها حاضَتْ، ومنه قولُ المُتنبِّي:

خَفِ اللهَ واسترْ ذا الجمالَ ببُرْقُعٍ فإنْ لُحتَ حاضَتْ في الخدورِ العَواتقُ(١)

وقال بعضُ المُفسِّرين: أمنَيْنَ من حُسنِه كما يُمنيْنَ منَ الجماعِ.

والاستدلالُ بشعرِ المُحدَثين في المعاني جائزٌ بإجماعٍ، وأمَّا ابنُ عيسى فإنَّه قال: العلماءُ بروايةِ الشِّعرِ لا يعرِفُونَ هذا البيتَ.

﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾: خدَشْنَها بالسَّكاكينِ وخِلْنَ يقطَعْنَ الطَّعامَ.

قتادةُ: أَبَنَّ أيديَهُنَّ حتَّى أَلقَيْنَها(٢). وهذا غُلوٌّ، وإنَّما قال هذا كقولِ القائلِ: قطعتُ يدي: إذا خدَشَها أو جرَحَها.

وهبٌ: بلغَني أنَّ سبعًا منَ الأربعينَ مِتْنَ في ذلكَ المجلسِ وَجْدًا بيوسفَ عليه السَّلامُ(٣).

﴿وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾: ﴿حَٰشَ لِلَّهِ﴾: تنزيهٌ له عن حالِ البشرِ.

أبو عبيدةَ: لهذه اللَّفظةِ معنيانِ: الاستثناءُ، والتَّنزيهُ(٤).

«الحجَّة»: لا يخلو (حاشى) من أن يكونَ الحرفَ الجارَّ في الاستثناءِ أو الفعلِ، فلا يجوزُ أن يكونَ الجارَّ؛ لأنَّ الجارَّ لا يدخلُ على مثلِه، فثبتَ أنَّه (فَاعَلَ)

---

(١) انظر: «ديوان المتنبي» بشرح عبد الرحمن البرقوقي (٣/ ٨٩)، و«الكشاف» (٢/ ٤٦٥)، وفي «الديوان»: «ذابت» بدل «حاضت».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ١٣٥)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٣٦)، بلا نسبة، وعدَّه من العجائب، وقال: «فيه بعد».

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٤/ ٥٩٧)، وفيه: «تسعًا» بدل «سبعًا»، وهو أبعد مما قبله.

(٤) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٣١٠).

منَ (الحشا) الذي يُعنَى به: النّاحيةُ، وفاعلُه يوسفُ؛ أي: صار في حشًا من ذلك، هذا معنى كلامِ أبي عليٍّ[(١)]، وحُذِفَ ألفُه اكتفاءً بالفتحِ عليه دليلًا.

﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾؛ أي: مثلُ هذا الجمالِ ليس بمعهودٍ في البشرِ، إنَّما هو ملَكٌ.

* * *

(٣٢) ـ ﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾.

﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ﴾: أكثَرْتُنَّ مَلامَتي فيه؛ أي: في حبِّي إيَّاه وشَغفي به، وكان القياسُ هذا، ولكنَّه غابَ عن أعينِهنَّ.

﴿وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ أقرَّتْ لهنَّ حين عرَفَتْ أنَّهنَّ يعذُرْنَها.

﴿فَٱسْتَعْصَمَ﴾: امتنعَ بطلبِ العصمةِ من رُكوبِ الفاحشةِ.

ثمَّ قُلنَ له: أطِعْ مولاتَك، فقالَتْ راعيلُ: ﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ﴾: ليُحْبَسَنَّ، والسَّجنُ مصدرُ سجَنَه؛ أي: منعَه منَ التَّصرُّفِ بالحبسِ.

﴿وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾: الأذِلَّاءِ، والفعلُ منه: صَغِرَ ـ بالكسرِ ـ يَصغَرُ صَغَرًا وصَغارًا، وفي الدِّقَّةِ والسِّنِّ: صَغُرَ صِغَرًا، فهو صغيرٌ.

والوقفُ على قولِه: ﴿لِيَكُونًا﴾ بالألفِ، ومثلُه: ﴿لَنَسْفَعًا﴾ [العلق: ١٥]، وليس لهما في القرآنِ نظيرٌ.

* * *

(١) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٤/ ٤٢٣)، وقد ذكر المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٣٦) القول بأنه حرف جر، وعدَّه من العجائب، وقال: وهذا بعيد؛ لأنه لا يدخل الجار على الجار.

(٣٣) ـ ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾.

﴿ قَالَ ﴾ يوسفُ عليه السَّلامُ: ﴿رَبِّ ﴾: يا ربِّ ﴿ٱلسِّجْنُ ﴾: الكونُ في السِّجنِ ﴿أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ﴾؛ أي: الزِّنى.

ابنُ عيسى: إنَّما قالَ: ﴿أَحَبُّ إِلَيَّ ﴾ ولم يكنِ الزِّنى محبوبًا إليه؛ لأنَّ المعنى: لو كان ذلك ممَّا أُريدُه لكانت إرادَتي لهذا أشدَّ، والمعنى: وطَّنْتُ نفسي على السِّجنِ.

﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ ﴾: دُعاءَهنَّ إيَّاي إلى الزِّنا، وسمَّاه: كيدًا لأنَّهنَّ يُحسِّنَّ عندَه ذلك.

﴿أَصْبُ إِلَيْهِنَّ ﴾: أمِلْ بطبعي وغلبةِ شهوتي إلى إجابتِهنَّ، تقولُ: صَبا الرَّجلُ(١) إلى المرأةِ: مالَ إليها وغازَلَها، صِبًا وصَباءً؛ إذا كسَرْتَ قَصَرْتَ، وإذا فتَحْتَ مدَدْتَ(٢)، والصِّبا: رِقَّةُ الهوى.

وذُكِرَ بلفظِ الجمعِ لأنَّهنَّ قُلنَ له: أطِعْ مولاتَكَ.

وقيلَ: أصبُ إلى قولِـهِنَّ.

وقيل: كلُّ واحدةٍ منهنَّ دَعَته إلى نفسِها سرًّا، وظاهرُ الآيةِ يدُلُّ على ذلك.

﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾: منَ العاصين.

* * *

(٣٤) ـ ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾.

﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ﴾: فأجابَ الله دُعاءَه ﴿فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ﴾: مكرَهُنَّ ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لدُعائِه ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بحالِه وحالِـهِنَّ.

---

(١) في (ن): «الزوج».

(٢) انظر: «المقصود والممدود» لأبي علي القالي (ص: ١٨٣)، والكلام فيه على (الصِّبا) بمعنى الصِّغر.

وقيلَ: ﴿ٱلسَّمِيعُ﴾ لدُعاءِ الدَّاعي، ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بإخلاصِه.

* * *

(٣٥) ـ ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ﴾.

﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ﴾؛ أي: ظهرَ لهم بعد أنْ لم يكُنْ، والضَّميرُ يعودُ إلى العزيزِ والنِّساءِ، وذكَّرَ تغليبًا للمُذكَّر.

وقيل: تعودُ إلى العزيزِ وحدَه، وجُمِعَ جمعَ الملوكِ.

وقيل: إلى العزيزِ وأهلِ مشورتِه.

وفي فاعلِ ﴿بَدَا﴾ قولانِ: أحدُهما: رأيٌ وبَداءٌ، والعربُ تقولُ: بدا لي، ولا يذكُرون (بَداءً)؛ لكثرتِه، قال الشّاعرُ:

لعلَّكَ والموعودُ حقٌّ لقاؤُهُ[1] بَدا لكَ في تلكَ القَلوصِ بَداءُ[2]

والبَداءُ في الرَّأيِ: التَّلوُّنُ[3] فيه.

وقال الكوفيُّونَ: فاعلُ ﴿بَدَا﴾ قولُه: ﴿لَيَسْجُنُنَّهُۥ﴾، وعند البصريِّين: لا تقعُ الجملةُ فاعلةً قطُّ[4]، بل قولُه: ﴿لَيَسْجُنُنَّهُۥ﴾ تفسيرٌ للبَداءِ[5].

---

(١) في (ن): «وفاؤه»، وهي الرواية في «أمالي القالي» و«المحكم»، والمثبت من (و)، وهي الرواية في أكثر المصادر.

(٢) البيت للشماخ. انظر: «ملحق ديوانه» (ص: ٤٢٧)، و«أمالي القالي» (٢/ ٧١)، و«الحجة» للفارسي (٢/ ٥٨)، و«الخصائص» لابن جني (١/ ٣٤١)، و«المحكم» (٩/ ٤٤١)، و«لسان العرب» (١٤/ ٦٦)، مادة: (ب د و) (١٤/ ٦٦).

(٣) في (ن): «التكون»، وهو تحريف. يقال: بدا لي بَداء؛ أي: تغيّر رأيي عما كان عليه. انظر: «المقصور والممدود» لابن ولاد (ص: ١٦).

(٤) في (ن) زيادة: «فقال». ولا يظهر لها وجه، وانظر تفصيل أقوال الكوفيين في جملة الفاعل في «مغني اللبيب» لابن هشام (ص: ٢٤).

(٥) انظر: «تفسير الطبري» (١٣/ ١٥٠)، و«البسيط» للواحدي (١٢/ ١٠٩).

قالَ المُبرِّدُ: ثمَّ بدا لهم سجنُه(١).

والآياتُ: قَدُّ القميصِ، وقَطعُ الأيدي، والاستِعصامُ، ويحتملُ أنَّ كلامَ الشَّاهدِ هو الآيةُ إذا حملتَه على الصَّبيِّ، وهو الأكثرُ.

وقولُه: ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ قيل: سبعُ سنينَ، وقيل: خمسُ سنينَ.

السُّدِّيُّ: وذلك أنَّ المرأةَ قالت لزوجِها: إنَّ هذا العبدَ العِبْرانيَّ قد فضَحَني في النّاسِ، يعتذرُ إليهم، ويخبِرُهم أنّي راوَدْتُه عن نفسِه، فإمَّا أن تأذَنَ لي فأخرُجَ وأعتذِرَ، وإمَّا أن تحبِسَه كما حبَسْتَني، فحبَسَه بعد علمِه ببراءتِه(٢).

***

(٣٦) - ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًاۖ وَقَالَ ٱلْأَخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ﴾؛ أي: أُدخِلَ يوسفُ السِّجنَ، فدخَلَ، ودخَلَ معه فتيانِ، قيل: مملوكانِ للملكِ.

وقيل: شابَّانِ؛ صاحبَ شرابِ الملكِ، وصاحبُ طعامِه؛ بلغَ الملكَ أنَّ خبَّازَه يُريدُ أن يسُمَّهُ، وأنَّ ساقيَه مالأَه على ذلك، فحبَسَهما.

﴿قَالَ أَحَدُهُمَآ﴾ -يعني: صاحبَ شرابه- ليوسفَ: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًا﴾: أستخرجُ العصيرَ منَ العِنَبِ. سُمِّيَ العصيرُ خمرًا بما يَؤُولُ إليه. والعَصرُ: استِخراجُ المائعِ.

وقيل: الخمرُ: العِنَبُ بلغةِ عُمَانَ.

---

(١) كذا ذكر المؤلف عن المبرد هنا وفي «غرائب التفسير» (١/ ٥٣٧)، وذكر غيره عنه كالقول الأول: أن الفاعل مضمر، وهو مصدر ﴿بَدَا﴾. انظر: «الهداية» لمكي بن أبي طالب (٥/ ٣٥٥٨)، و«تفسير القرطبي» (٩/ ١٨٦)، و«المقاصد الشافية» للشاطبي (٢/ ٥٤١).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ١٥٠)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٢٢٠).

الزَّجَّاجُ: أعصِرُ عِنَبَ الخمرِ(١). والوجهُ الأوَّلُ.

﴿وَقَالَ ٱلْآخَرُ﴾ يعني: صاحبَ الطَّعامِ: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ﴾؛ أي: فإذا سباعُ الطَّيرِ تنهَسُ منه.

﴿نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ﴾: أخبِرْنا بتفسيرِه ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾: العالِمين، من قولِهم: فلانٌ يُحسِنُ هذا العلمَ.

وقيل: من المُحسنين إلينا إنْ فسَّرتَ رُؤيانا(٢).

وقيل: كان يُداوي مريضَهم، ويُعزِّي حزينَهم، ويجتهدُ لربِّه في الحبسِ.

***

(٣٧) ـ ﴿قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ﴾.

﴿قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَا﴾؛ أي: أنا عالمٌ بتعبيرِ الرُّؤيا حتَّى لو رأى واحدٌ منكما في منامِه طعامًا يأكلُه عبَّرتُ رُؤياه وأخبرتُه بما يَؤولُ إليه قبلَ أن يكونَ.

وقيل: لا يأتيكُما طعامٌ في اليقظةِ، فيكونُ المعنى معنى كلامِ عيسى عليه السَّلامُ في قولِه: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ﴾ [آل عمران: ٤٩].

ابنُ جُرَيجٍ: كانَ الملكُ إذا أرادَ قتلَ إنسانٍ صنعَ له طعامًا معلومًا؛ أي: أُخبِرُكما بذلك الطَّعامِ إنْ أُتيتُما به قبلَ أن يأتيَكُما(٣).

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ١٠٩).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٣٧)، واستغربه.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ١٦١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٤٧)، وذكره =

﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ﴾ يجوزُ أن يكونَ: ﴿ذَٰلِكُمَا﴾ ابتداءً ﴿مِمَّا عَلَّمَنِي﴾ خبرُه.

ويجوزُ أن يكونَ ﴿ذَٰلِكُمَا﴾ فاعلَ ﴿يَأۡتِيَكُمَا﴾، وقولُه: ﴿مِمَّا عَلَّمَنِي﴾ متَّصلٌ بقولِه: ﴿نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ﴾؛ أي: من جهةِ تعليمِ الله.

وإنَّما عدَلَ عن التَّعبيرِ إلى هذا الكلامِ؛ لأنَّه كرِهَ تعبيرَ رُؤيا السُّوءِ، وهو ما في رُؤيا صاحبِ الطَّعامِ، فلمَّا ألزَمَه أخبَرَه به.

وقيلَ: عدَلَ عن ذلك فدعاهما إلى الإسلامِ أوَّلًا، وكان ذلك أولى.

ويحتمِلُ أنَّه ليس بعدولٍ؛ لأنَّ في المنامِ ذكرَ الطَّعامِ.

وقولُه: ﴿مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ﴾؛ أي: أُخبِرُكم عن علمٍ ووَحْيٍ، لا على طريقِ الكَهانةِ والعرافةِ والتَّنجيمِ.

﴿إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ﴾ لمَّا قدَّمَ الصِّلةَ أعادَ ﴿هُمۡ﴾.

* * *

(٣٨) ـ ﴿وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ﴾.

﴿وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: الاتِّباعُ ﴿مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا﴾ بالإسلامِ والنُّبوَّةِ ﴿وَعَلَى ٱلنَّاسِ﴾: وعلى سائرِ النَّاسِ الذين عصمَهُم الله عن الكفرِ، ووفَّقَهُم للإسلامِ واتِّباعِ الأنبياءِ.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ﴾؛ أي: لا يشكرونَ الله على نعمِه.

ثمَّ دعاهُما إلى الإسلامِ، فقال:

= المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٣٧)، واستغربه.

(٣٩) ـ ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾.

﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ﴾: يا ساكنيهِ ﴿ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ﴾: أأصنامٌ شتَّى مختلفةُ الذَّواتِ والحقائقِ والأفعالِ.

وقيل: ﴿مُّتَفَرِّقُونَ﴾، أي: أصنامٌ وأوثانٌ وجِنٌّ وملائكةٌ.

﴿خَيۡرٌ﴾: أعظمُ وأولى بالاتِّباعِ ﴿أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ﴾: المُنفردُ بالإلهيَّةِ ﴿ٱلۡقَهَّارُ﴾: الذي يغلِبُ ولا يُغلَبُ.

* * *

(٤٠) ـ ﴿مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾.

﴿مَا تَعۡبُدُونَ﴾ أنتما ومَن على دينِكما ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾: دونِ الله ﴿إِلَّآ أَسۡمَآءٗ﴾: لا طائلَ تحتَها، ولا معانيَ فيها.

وقيل: إلّا أصحابَ أسماءٍ.

وقيل: كأنَّهم اعتقَدوا وجودَ ما ليس بموجودٍ، فصاروا يعبُدون اسمًا لا مُسمَّى له.

﴿سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍ﴾؛ أي: لم يأمُرْ بعبادتِها ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾؛ أي: القَضاءُ والقدَرُ والأمرُ والنَّهيُ لله ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ﴾: المستقيمُ ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾.

في رُؤياهما ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: أنَّهما تحالَما وأرادا تجربةَ علمِه.

وقيل: بل كانت رُؤيا حقيقةً.

وقيل: رُؤيا السّاقي حقيقةً، ورُؤيا صاحبِ الطَّعامِ تحالُمًا.

ثمَّ عبَرَ الرُّؤيا فقالَ:

(٤١) ـ ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُۥ خَمْرًاۖ وَأَمَّا ٱلْـَٔاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾.

﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا﴾؛ أي: السَّاقي ﴿فَيَسْقِي رَبَّهُۥ﴾: سيِّده ﴿خَمْرًا﴾.

وجازَ تسميتُه ربًّا للإضافةِ، والمعنى: يعودُ إلى منزلتِه.

﴿وَأَمَّا ٱلْـَٔاخَرُ﴾؛ أي: الخبَّازُ ﴿فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ﴾ فقالا: لم نرَ شيئًا، وقيل: قال الخبَّازُ، فأجابَه فقالَ: ﴿قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾؛ أي: قضَى الله لكلِّ واحدٍ منكما ما عبَرْتُ رُؤياه[1] به، صدَقَ فيها أم كذَبَ؛ لأنَّ هذا منَ الله لا من تلقاءِ نفسي.

* * *

(٤٢) ـ ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾.

﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا﴾؛ أي: علِمَ وتيقَّنَ[2]؛ لقولِه: ﴿قُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾.

وقيل: إنَّما قال: ﴿ظَنَّ﴾ لمَّا[3] أنكرا رُؤياهُما.

ومعنى: ﴿نَاجٍ﴾: مُتخلِّصٌ ينجُو منَ الهلاكِ ويتخلَّصُ منه.

﴿ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾: سيِّدِك؛ يعني: الملِكَ، وقُلْ له: إنَّ في السِّجنِ غلامًا حُبِسَ ظُلمًا.

﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ﴾ في الضَّميرَين قولانِ:

---

(١) «رؤياه»: من (ن).

(٢) في (ن): «وأيقن». انظر: «شرح الكافية الشافية» لابن مالك (٢/ ٥٤٤).

(٣) في (ن): «حين».

أحدُهما: أنَّهما يعودانِ إلى السّاقي.

والثّاني: يعودانِ إلى يوسفَ؛ أي: أنسى الشَّيطانُ يوسفَ ذكرَ الله حتَّى استعانَ بغيرِ الله، ورُوِيَ عن النَّبيِّ عليه السَّلامُ أنَّه قالَ: «رحِمَ الله أخي يوسُفَ، لو لم يقُلْ: ﴿ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾ لَمَا لبِثَ في السِّجنِ سبعًا بعدَ الخمسِ»[1].

﴿فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ﴾ فمكَثَ وبقيَ فيه ﴿بِضْعَ سِنِينَ﴾: سبعَ سنين.

وقيل: هذه مُدَّةُ لُبثِه في السِّجنِ.

وقيل: سبعَ سنين بعدَ الرُّؤيا، وكان فيه خمسَ سنينَ قبلَ ذلك، وهو ما جاءَ في الخبرِ.

وقيل: ﴿بِضْعَ سِنِينَ﴾: خمسَ سنين.

والبِضْعُ: نَيِّفٌ ما بين الثَّلاثةِ إلى العشرةِ، وهذا هو الأصحُّ، وقيل: من الثَّلاثةِ إلى الخمسةِ. وقيل: إلى السَّبعةِ. وقيل: إلى التِّسعةِ.

وهي بِضعةٌ منَ الدَّهرِ؛ أي: قِطعةٌ منه.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٣١٠)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ١٧٣)، عن قتادة قال: بلغني أن النبي ﷺ قال: «لو لم يستعن يوسف على ربّه، ما لبث في السجن طول ما لبث».
وروى نحوه ابن حبان في «صحيحه» (٦٢٠٦) من طريق محمد بن عمرو عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «رَحِمَ اللهُ يوسفَ لولا الكلمةُ التي قالها: ﴿ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾ ما لَبِثَ في السجنِ ما لَبِثَ...» الحديث، وتعقبه ابن كثير في «البداية والنهاية» (١/ ٤٧٨) بسبب إدراج هذا الحديث في «صحيحه»، وقال: «إنه حديث منكر من هذا الوجه، ومحمد بن عمرو بن علقمة له أشياء ينفرد بها وفيها نكارة، وهذه اللفظة مِن أنكرها وأشدها».
وبنحو لفظ ابن حبان رواه ابن أبي الدنيا في «العقوبات» (١٦٠)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ١٧٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١١٦٤٠) من حديث ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما، وإسناده ضعيف جدًّا كما قال ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٣٩١)، ثم قال: «سفيان بن وكيع ضعيف، وإبراهيم بن يزيد ـ هو الخوزي ـ أضعف منه أيضًا. وقد روي عن الحسن وقتادة مرسلًا عن كلٍّ منهما، وهذه المرسلات هاهنا لا تقبل لو قُبل المرسل من حيث هو في غير هذا الموطن».

(٤٣) ـ ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴾.

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ ﴾؛ أي: رأيتُ في المنامِ كأنِّي أرى سبعَ بقراتٍ.

ابنُ عيسى: البقرُ: حيوانٌ مُهيَّأٌ للكِرابِ، ومنه المثَلُ: الكِرابُ على البقرِ[1].

والسِّمَنُ: زيادةُ البدنِ في الشَّحمِ واللَّحمِ.

وأُجرِيَ الصِّفتانِ[2] على المُضافِ إليه، وفي قولِه: ﴿سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾ [الملك: ٣] على المُضافِ، وكلاهما جائزٌ.

﴿يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ﴾: ضِعافٌ مهازيلُ، والعَجَفُ: أشدُّ الهُزالِ، والفاعلُ: أعجَفُ وعَجفاءُ[3]، والجمعُ: عِجافٌ، شذَّ عنِ الأقيسةِ، وكذلك سِمانٌ، جمعُ (سَمينٍ)[4].

---

(١) قوله: «الكراب على البقر»: هذا من قولك: كربت الأرض؛ إذا قلبتها للزراعة، أي: لا تُكْرَبُ الأرضُ إلَّا على البقر. والمعنى: وجوب ممارسة كل أمر بآلته، وقيل: يضرب في تخلية المرء وصناعته. ويروى: «الكلاب على البقر» يضرب عند تحريش بعض القوم على بعض من غير مبالاة؛ يعني: لا ضرر عليك فخلهم، وقيل غير ذلك. وفي كليهما يجوز الرفع على الابتداء والنصب على إضمار الفعل. انظر: «مجمع الأمثال» (٢/ ١٤٢)، و«المستقصى في الأمثال» (١/ ٣٣٠).

(٢) في (ن): «وأجرى الصفات».

(٣) فهما صفتان مشبهتان باسم الفاعل أغنتا عنه.

(٤) لا يُجمع (أفعل) و(فعلاء) على (فِعال) في القياس، لكنهم حملوه على ضدّه، فجعلوه مثل (سِمان) جمع (سمين)، وقد ذكر في «العين» (١/ ٢٣٤) أنها رواية شاذة عن العرب، وذكر ابن خالويه في كتاب «ليس في كلام العرب» (ص: ١٢٣) أنها إحدى ثلاثة أحرف، ولا يسلم له هذا الحصر. انظر: «المحكم» لابن سيده (١/ ٣٣٦).

والبقرةُ مُؤنَّثةٌ، وقيل[١]: البقرةُ كالجماعةِ تقعُ على المُذكَّرِ والمُؤنَّثِ.

وقيل: جمعُ سمينةٍ، كصبيحةٍ وصِباحٍ[٢]، وظريفةٍ وظِرافٍ، حكاهُما سيبويهِ[٣].

وحُكِيَ عن قُطربٍ: أَبْطَحُ وبِطاحٌ، وأَجْرَبُ وجِرابٌ، وأقعَسُ وقِعاسٌ، مثل عِجافٍ.

﴿وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ﴾ ابنُ عيسى: السُّنبلةُ: نباتٌ كالقصبةِ حملُه حبوبٌ مُنتظِمةٌ، وتقديرُه: وسبعَ سُنبلاتٍ أخرَ يابساتٍ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ أي: عَبِّروها إنْ كنتُم عالِمِينَ بها.

ابنُ عيسى: العِبارةُ: نقلُ معنَى التَّأويلِ إلى نفسِ السّائلِ بالتَّفسيرِ.

وفي دُخولِ اللّامِ أقوالٌ:

أحدُها: أنَّ الفعلَ واقعٌ موقعَ المصدرِ؛ أي: للرُّؤيا عِبارَتَكم.

والثّاني: أنَّ الفعلَ واقعٌ موقعَ الفاعلِ؛ أي: للرُّؤيا مُعبِّرين.

والثّالثُ: أنَّ المفعولَ محذوفٌ واللامَ للعلّةِ؛ أي: تَعبُرونَ ما تَعبُرون للرُّؤيا.

والرّابعُ: أنَّ المفعولَ إذا تقدَّمَ ضعُفَ الفعلُ فقُوِّيَ باللّامِ، وهذا مُطَّرِدٌ فيما يَرِدُ عليك منَ اللّاماتِ في مثلِ هذه الآيةِ[٤].

---

(١) في (و): «وقيل بل» بزيادة «بل».

(٢) في (و): «كصحيفة وصحاف».

(٣) انظر: «الكتاب» (٣/ ٦٣٦).

(٤) انظر: «الكتاب» (٣/ ١٦١)، و«المقتضب» للمبرد (٢/ ٣٦ ـ ٣٧)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٤/ ٥٥٤).

وذلك أنَّه لمَّا دَنا فرَجُ يوسفَ رأى ملكُ مصرَ في منامِه سبعَ بقراتٍ سِمانٍ خرَجْنَ من نهرٍ يابسٍ، وسبعَ بقراتٍ عِجافٍ مهازيلَ، فابتلَعَتِ العِجافُ السِّمانَ، فدخَلْنَ في بُطونِهنَّ ولـم يُرَ منهنَّ شيءٌ، ورأى سبعَ سُنبلاتٍ خُضْرٍ قد أدرَكَ حَبُّها، وسبعًا أُخرَ يابساتٍ قد استُحصِدَتْ وأُفرِكَتْ، فالتَوَتِ اليابساتُ على الخضرِ حتَّى غلَبْنَ عليها، فجمَعَ الكهنةَ والسَّحرةَ فاستفتاهُم فيها فعَجَزُوا.

***

(٤٤) ـ ﴿قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾.

﴿قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ﴾؛ أي: هذه أضغاثُ ﴿أَحۡلَٰمٖ﴾: رُؤيا مختلفةٌ أباطيلُ، واحدُها: ضِغْثٌ، ومنه الضِّغْثُ منَ الحشيشِ، وهو الحزمةُ من أنواعٍ مختلفةٍ منه.

﴿وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾: ليس تعبيرُ الرُّؤيا من شأنِنا وعلمِنا.

والحلُمُ: ما يُرَى في النَّومِ.

ابنُ عيسى: أصلُ الكلمةِ الأناةُ؛ لأنَّ النومَ[1] حالةُ أناةٍ وسكونٍ، والحلَمةُ تحلِّمُ الطِّفلَ؛ أي: تُسكِّنُه.

***

(٤٥) ـ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنۡهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ فَأَرۡسِلُونِ﴾.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنۡهُمَا﴾: من صاحبَي السِّجنِ، وهو السَّاقي ﴿وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ﴾؛ أي: تذكَّرَ يوسفَ بعد أن نسِيَه ونسِيَ ما وصَّاه به من تذكيرِ الملكِ.

و ﴿أُمَّةٍ﴾: حينٍ منَ الدَّهرِ؛ أي: جماعةٍ مجتمعةٍ منَ الزَّمانِ.

---

(١) في (و): «الحلم».

وفي الشَّواذِّ: (أَمَهٍ) بفتحتَين[١]؛ أي: بعدَ نسيانٍ، ورُوِيَ: (أَمْهٍ) بسكونِ الميمِ[٢]، وهو زوالُ العقلِ.

﴿أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ﴾ ذكَّرَ حملًا على الحلُمِ؛ أي: أدلُّكم على مَن يُخبِرُكم بتأويلِه ﴿فَأَرۡسِلُونِ﴾؛ أي[٣]: إلى السِّجنِ.

***

(٤٦) - ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖ لَّعَلِّيٓ أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾.

﴿يُوسُفُ﴾؛ أي: فأُرسِلَ فجاءَ إلى السِّجنِ، وقال: يا يوسفُ ﴿أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾: هو المبالِغُ في الصِّدقِ ﴿أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖ لَّعَلِّيٓ أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ﴾: أعودُ إلى الملكِ، فإنَّ الملكَ رآها في منامِه، وقيل: إلى النّاسِ جميعًا ﴿لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ تأويلَ رُؤيا الملكِ، وقيل: لعلَّهم يعلمون حالَكَ ومنزلتَكَ ومَقالَك.

و(لعلَّ) هاهنا بمعنى لامِ (كي). وقيلَ: هو على أصلِه من معنى الطَّمعِ.

***

(١) انظر: «المحتسب» (١/ ٣٤٤) عن ابن عباس، وابن عمر بخلاف، وعكرمة ومجاهد بخلاف عنهما، والضحاك وأبي رجاء وقتادة وشُبيل بن عَزْرَة الضُّبعِي وربيعة بن عمرو وزيد بن علي. ورواها الطبري في «تفسيره» (١٣/ ١٨٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٥٢)، من طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواها الطبري أيضاً عن عكرمة والضحاك ومجاهد.

(٢) رواها الطبري في «تفسيره» (١٣/ ١٨٦) عن مجاهد، وعزاها في «البحر» (١٢/ ٤٩٠) لمجاهد وشبيل بن عزرة. وخطَّأ الزجاج في «معاني القرآن» (٣/ ١١٣) هذه القراءة، وروى الهروي في «الغريبين» مادة: (أ م ه)، عن أبي الهيثم قال: «(بعد أَمْهٍ) بجزم الميم، و(أَمَهٍ) خطأ».

(٣) «أي»: من (ن).

(٤٧) ـ ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾.

﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾: على عادَتِكُم المُستمرَّةِ الدَّائبةِ.

وقيل: تجتَهِدونَ في الزِّراعةِ اجتهادًا.

والدَّأبُ: العادةُ، والدُّؤوبُ: المُبالغةُ في السَّيرِ.

وقولُه: ﴿تَزْرَعُونَ﴾؛ أي: تحرُثون، والزَّرعُ منَ الخلقِ: حَرْثٌ، ومنَ الله: إنباتٌ.

﴿فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِۦٓ﴾ كي لا يأكلَه السُّوسُ، وفي مُصحفِ ابنِ مسعودٍ رضيَ الله عنه: (فَذَرُوهُ في سُنبُلِه هو أبقَى له)[1].

﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾: من تلكَ السِّنين لغذائِكُم، يجوزُ أن يكونَ عبرَ الرُّؤيا فقال: البقراتُ السِّمانُ هي السِّنونَ الخِصبةُ، والسَّنابلُ الخضرُ زكاءُ الزَّرعِ، ثمَّ أمرَهُم بما هو الصَّوابُ نصيحةً لهم لكونِه نبيًّا، فقالَ: ﴿فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾.

ويجوزُ أن يكونَ ﴿تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾ في معنى الأمرِ أيضًا، كأنَّه قال: ازرَعُوا سبعَ سنينَ على العادةِ، فما حصدتُم فذروه في سُنبلِه هو أبقى له إلَّا قليلًا ممَّا تأكلونَ، والله أعلَمُ.

* * *

(٤٨) ـ ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ﴾.

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ﴾ السَّبعُ الشِّدادُ:

---

(١) رواها ابن المنذر ـ كما في «الدر المنثور» للسيوطي (٤/ ٥٤٦) ـ عن ابن جريج في قوله: ﴿فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِۦٓ﴾ قال: في بعض القراءة الأولى: (هو أبقى له لا يؤكل)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٣٩)، واستغربه.

البقراتُ العِجافُ والسَّنابلُ اليابساتُ ﴿يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾ يريدُ: تأكلونَ فيها، فأَسندَ الفعلَ إلى الظَّرفِ كقولِهم: ليلُه قائمٌ ونهارُه صائمٌ، وقد سبقَ.

وقولُه: ﴿مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾؛ أي: في السِّنينَ المُخصِبةِ ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ﴾: تدَّخِرونَ استِظهارًا وعُدَّةً لبذورِ الزِّراعةِ.

***

(٤٩) ـ ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾.

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ﴾؛ أي: في السَّنةِ الثّامنةِ ﴿فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ﴾؛ أي: يُمطَرون، منَ الغَيثِ، تقولُ العربُ: غِثْنا ما شِئْنا[1]، وقيل: منَ الغَوْثِ، تقولُ: استَغاثَ فأغاثَه؛ أي: يُغيثُهم الله منَ القَحْطِ والجوعِ.

﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾؛ أي: تكثرُ الثِّمارُ والأعنابُ والسِّمْسِمُ والزَّيتونُ، فيعصِرونَها ويتَّخِذونَ الأدهانَ والأشربةَ.

ابنُ عبّاسٍ: يحلُبونَ المواشيَ من كثرةِ المَراعي[2].

أبو عبيدةَ: ﴿يَعْصِرُونَ﴾: يَنجُونَ، من قولِهم: هو عُصْرَةُ المَنْجُودِ[3]. قال:

---

(١) قال الأصمعي: أخبرني أبو عمرو بن العلاء قال: سمعت ذا الرمة يقول: قاتل الله أمة بني فلان ما أفصحها! قلت لها: كيف كان المطر عندكم؟ فقالت: غثنا ما شئنا. «غثنا» بكسر الغين؛ أي: سقينا الغيث، وهو المطر. انظر: «لسان العرب» مادة: (غ ي ث).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ١٩٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٥٥)، دون قوله: «المواشيَ من كثرةِ المَراعي»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٤٠)، واستغربه.

(٣) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٣١٣).

صادِيًا يستغِيْثُ غيرَ مُغاثٍ ولقدْ كانَ عُصْرَةَ المَنْجُوْدِ[١]

أي: المَكروبِ.

وحكى أقضى القُضاةِ: تعصِرونَ السَّحابَ بنُزولِ الغيثِ[٢]. وإنَّما يصِحُّ هذا المعنى على قراءةِ مَن قرأ: (وفيه يُعْصَرُون) على المجهولِ، وهو شاذٌّ[٣].

قال الزَّجَّاجُ: من قولِه: ﴿مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ﴾ [النبأ: ١٤][٤].

* * *

(٥٠) ـ ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾.

فرجعَ السَّاقي وأخبرَ الملكَ بتعبيرِ رُؤياه ونُصحِه إيَّاه ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ﴾ ليُخرِجَه منَ السِّجنِ ﴿قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ يُريدُ: الملِكَ ﴿فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ يُريدُ بذلك إظهارَ براءتِه ممّا نُسِبَ إليه، وأنَّه كان محبوسًا ظُلمًا.

ورُوِيَ عن النَّبيِّ عليه السَّلامُ أنَّه قال: «رحِمَ الله أخي يوسُفَ، لو كنتُ مكانَه

---

(١) لأبي زبيد الطائي. انظر: «ديوانه» (ص: ٤٤)، و«جمهرة أشعار العرب» (ص: ٥٨٣)، و«تفسير الطبري» (١٣/ ١٩٧).

(٢) انظر: «النكت والعيون» (٣/ ٤٥) وعزاه لعيسى بن عمر الثقفي، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٤٠)، وعدَّه من العجائب.

(٣) نسبت لعيسى والأعرج. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦٨)، و«شواذ القراءات» لشمس القراء الكرماني (ص: ٢٤٨). أما المتواتر فقد قرأ حمزة والكسائي: ﴿تَعْصِرون﴾ بالتاء، وباقي السبعة بالياء. انظر: «السبعة» (١/ ١٢٩)، و«التيسير» (٢/ ٢٩٥).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ١١٤). وفيه: ومَن قرأ: (يُعْصَرونَ) أراد: يُمْطَرُون، من قوله: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ﴾.

لبادَرْتُهم إلى البابِ، إنْ كانَ لَحليمًا ذا أناةٍ»(١)، ويُروَى: «لو كنتُ مكانَه ما أخبرتُهم حتَّى أشترِطَ أن يُخرِجُوني»(٢).

وقولُه: ﴿فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ﴾؛ أي: فاسألْه أن يسألَ النِّسوةَ: ما بالُـهنَّ وشأنُهنَّ؟ وعمَّهُنَّ بالذِّكرِ دونَ امرأةِ العزيزِ صيانةً لها، وأنَّها معَهنَّ تعريضًا لا تصريحًا.

ويحتملُ أنَّ المعنى: ما بالُـهُنَّ لـم يشهَدْنَ ببراءتي وقد عرَفْنَ ذلك بإقرارِ امرأةِ العزيزِ عندَهُنَّ؟

ويحتملُ أنَّه خافَ أن تُحيلَ الذَّنبَ عليه كالأوَّلِ.

﴿إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ حيـنَ قلْـنَ لـي: أطِعْ مولاتَـكَ، وقيـل: أرادَ بقولِه: ﴿إِنَّ رَبِّى﴾: العزيزَ.

***

(٥١) ـ ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.

فرجعَ الرَّسولُ إلى الملكِ من عندِ يوسفَ برسالتِه، فدَعا الملكُ النِّسوةَ اللاتي قطَّعْنَ أيديَهنَّ ودَعا امرأةَ العزيزِ.

---

(١) هذا معنى حديث رواه البخاري (٣٣٧٢)، ومسلم (١٥١) عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «لو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف لأجبت الداعي»، ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٨٥٥٤) بلفظ: «لو كنتُ أنا لأسرعتُ الإجابةَ، وما ابتغيْتُ العذرَ». وانظر التعليق الآتي.

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٣١٣)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ٢٠٢) عن عكرمة مرسلاً، ولفظه: «لقد عجبت من يوسف وصبره وكرمه فالله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف السمان، ولو كنت مكانه ما أخبرتهم حتى أشترط عليهم أن يخرجوني، ولقد عجبت من يوسف وصبره وكرمه والله يغفر له حين أتاه الرسول، ولو كنت مكانه لبادرتهم الباب، ولكنه أراد أن يكون له العذر، ولولا أنه قال الكلمة التي قال ما لبث في السجن طول ما لبث».

﴿قَالَ﴾ لهنَّ: ﴿مَا خَطْبُكُنَّ﴾: ما شأنُكُنَّ؟

والخَطْبُ: الأمرُ العظيمُ يُخاطَبُ فيه صاحبُه.

﴿إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ﴾: معاذَ الله ﴿مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ﴾: ذنبٍ.

وقيل: معناه: ما دَعَوناه إلى أنفُسِنا، وإنَّما دَعَوناه إلى امرأةِ العزيزِ، وما علِمْنا سوءًا في أن ندعُوَ المملوكَ إلى طاعةِ صاحبتِه(١).

﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ﴾، وقيل: أقرَّتْ مخافةَ أن يشهَدْنَ عليها.

﴿أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في قولِه: ﴿هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى﴾.

ومعنى: ﴿حَصْحَصَ﴾: بانَ وظهرَ. عن ابنِ عبّاسٍ(٢).

ابنُ عيسى: هو من قولِهم: حَصَّ شعرَه: إذا استأصَلَ قِطعةً، والحِصَّةُ: القطعةُ منَ الشَّيءِ(٣).

* * *

(٥٢) ـ ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ﴾.

ثمَّ رجعَ الرَّسولُ إلى يوسفَ فأخبرَه بكلامِ النِّسوةِ وإقرارِ امرأةِ العزيزِ، وبشهادتِها على نفسِها، فقال يوسفُ:

﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: رَدِّي الرَّسولَ(٤) إلى الملكِ وامتِناعي منَ الخروجِ ﴿لِيَعْلَمَ﴾ العزيزُ

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٤١)، واستغربه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٢٠٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٥٦).

(٣) ذكر نحوه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ١٤٠)، والماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٤٧) بلا نسبة.

(٤) في (ن): «أي رد السؤال».

﴿أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾: غائبًا عنِّي. وقيل: ليعلمَ الملكُ أنِّي لـم أخُنِ العزيزَ ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾: لا يهدي الخائنينَ بكيدِهم.

***

(٥٣) ـ ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ:

أحدُها: أنَّ جبريلَ عليه السَّلامُ لقاه[١] فقالَ له: ولا حينَ همَمْتَ؟ فقالَ: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾ عن ابنِ عبّاسٍ[٢].

السُّدِّيُّ: خاطَبَتْه بذلك راعيلُ امرأةُ العزيزِ فقالَتْ: ولا حينَ خلَعْتَ السَّراويلَ؟ فقالَ: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾[٣].

الحسنُ: لمَّا زكَّى نبيُّ الله نفسَه استدرَكَ فقالَ: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾[٤].

قتادةُ: خاطبَه الملِكُ فقال له[٥]: اذكُرْ ما همَمْتَ؟ قالَ: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾[٦]: لا أُنزِّهُها.

﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾: كثيرةُ الأمرِ بالمعصيةِ ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ قيل:

---

(١) «لقاه»: من (ن) وليست في (و)، ولعل الصواب: (أتاه).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٢١١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٥٨)، ولم يرتضه الزمخشري وعدَّه من الروايات المصنوعة. انظر كلامه في «الكشاف» (٢/ ٤٨١).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٢١٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٥٨). وهذا أشد وأدهى مما قبله، ولا شك أنه من أباطيل الإسرائيليات.

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٥٨). وهذا هو المناسب في حق الأنبياء عليهم السلام.

(٥) «له»: من (ن).

(٦) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢١٧)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ٢١٤)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٤١)، واستغربه.

استثناءٌ متَّصلٌ؛ أي: إلّا مَن رحِمَه الله فعصمَه عن السُّوءِ، وقيل: مُنقطِعٌ؛ أي: لكنْ مَن رحمَه، وقيل: ﴿مَا﴾ للمصدرِ، ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

وذهبَ جماعةٌ منَ المُفسِّرين إلى أنَّ هذا كلَّه من كلامِ امرأةِ العزيزِ، وهو متَّصلٌ بقولِها: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ﴾؛ أي: الإقرارُ على نفسي ﴿لِيَعْلَمَ﴾ يوسفُ ﴿أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ﴾: بظهرِ الغيبِ، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾﴾ ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ﴾ عن ذنبٍ همَمْتُ به، ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ إذا غلبَتِ الشَّهوةُ ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾ بنزعِ الشَّهوةِ عن نفسِ[1] يوسفَ، ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. وهذا قولٌ لطيفٌ وهو الأظهر، والأول قول الجمهور[2] وفيه غموضٌ.

واعتراضُ صاحبُ «النَّظمِ» بقولِه: «يجوزُ أن يكونَ من كلامِ المرأةِ لولا قولُه: ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾» لا يدفعُه؛ لأنَّ الكفَّارَ مُقرُّونَ بالله.

* * *

(٥٤) ـ ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي﴾: أجعلْه خالصًا لنفسي من غيرِ شركةٍ ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ﴾: عبَرَ رُؤياه شِفاهًا ودلَّه على الرُّشدِ في أُمورِه ﴿قال﴾ الملِكُ ليوسفَ: ﴿إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ﴾: ذو مكانةٍ ومنزلةٍ ﴿أَمِينٌ﴾: مأمونٌ.

وقيل: ﴿أَمِينٌ﴾: آمِنٌ لا يخافُ العواقبَ، فمَن لي بما هَديتَ إليه وأَشَرْتَ به؟

---

(١) «نفس»: من (ن).

(٢) في (و): «وهذا قولٌ لطيفٌ، والأوَّلُ أظهرُ». والمثبت من (ن)، وهو الأقرب لما في «غرائب التفسير» (١/ ٥٤١) حيث عقبه بقوله: «وهذا القول ظاهر، والأول قول الجمهور».

(٥٥) ـ ﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾.

﴿قَالَ﴾ يوسفُ: ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِ﴾: أرضِ مصرَ ﴿إِنِّي حَفِيظٌ﴾؛ أي: حفيظٌ لها ممَّن لا يستحِقُّها ﴿عَلِيمٞ﴾ بوجوهِ التَّدبيرِ فيها ومُتصرَّفاتِها(١).

وقيل: ﴿حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾: كاتبٌ حاسبٌ.

وقيل: ﴿حَفِيظٌ﴾ لكتُبِ الله، ﴿عَلِيمٞ﴾ بمعانيها، وفيها هدايةُ العبادِ ومصالحُ الأمورِ والرَّشادِ(٢).

وقيل: عليمٌ بالألسُنِ(٣).

وقيل: في الآيةِ تقديمٌ وتأخيرٌ تقديرُه: اجعَلْني على خزائنِ الأرضِ إنِّي حفيظٌ عليمٌ، وقال الملِكُ: إنَّك اليومَ لدَينا مكينٌ أمينٌ؛ أي: أجابَه إلى مُلتَمَسِه(٤).

* * *

(٥٦) ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ جاء في القصصِ: أنَّ الملِكَ أجلَسَه على السَّريرِ وفوَّضَ إليه جميعَ الأمورِ، وجعلَه مكانَ العزيزِ قِطفير، وقيلَ: أطفير، وأنَّ

---

(١) قال المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٤٢): «قيل: هذا دليل على أنه يجوز للإنسان أن يصف نفسه بالفضل عند من لا يعرفه، وأنه ليس من المحظور الداخل في قوله عز وجل: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ [النجم: ٣٢]، ودليل أيضًا على جواز تولي القضاء من جهة الباغي الظالم».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٤٢)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٤٢)، وعدَّه من العجائب.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٤٢)، واستغربه.

العزيزَ تُوفِّيَ في تلكَ اللَّيالي، وزوَّجَ الملكُ يوسفَ امرأةَ العزيزِ راعيلَ، فوجَدَها عذراءَ، ووُلِدَ له ابنانِ أفراثيم وميشا.

﴿يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ﴾: ينزلُ منها حيثُ يُريدُ ويَهْوَى، ومَن قرأ بالنُّونِ(١)؛ أي: حيثُ يشاءُ اللهُ ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

***

(٥٧) ـ ﴿وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾.

﴿وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ يُريدُ: يوسفَ عليه السَّلامُ وغيرَه منَ المؤمنينَ إلى يومِ القيامةِ ﴿وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾: الشِّركَ والفواحشَ.

ثمَّ انقضَتْ السِّنونَ المُخصِبةُ ودخلَتِ المُجدِبةُ، وعمَّ أهلَ مصرَ ونواحيَها والشَّامَ وأطرافَها القحطُ وقلَّةُ الطَّعامِ، وكان بمصرَ ما أعدُّوه بنصيحةِ يوسفَ، فجعلَ أهلُ مصرَ يبتاعُونَ من يوسفَ الطَّعامَ بالنُّقودِ حتَّى لـم يبقَ لهم درهمٌ جعلوا يبتاعونَ بالحليِّ والجواهرِ، ثمَّ بالمواشي والدَّوابِّ، ثمَّ بالعبيدِ والإماءِ، ثمَّ بالضِّياعِ والعقارِ والدُّورِ، ثمَّ بأولادِهم، فدخلَتِ السَّنةُ السَّابعةُ ولـم يبقَ لهم شيءٌ، فابتاعُوا الطَّعامَ برِقابهم حتَّى لم يبقَ في مصرَ حرٌّ ولا حرّةٌ إلّا صارَ عبدًا له، ثمَّ إنَّ الملِكَ استشارَ يوسفَ في أمرِهم، وجعَلَ يوسفَ وكيلَه فيما يستفتونَه فيه فأعتَقَهم جميعًا، وردَّ عليهم أملاكَهم، وقصَدَ النّاسُ في تلك السِّنينَ مصرَ من كلِّ أوبٍ يمتارُونَ، وجعَلَ يوسفُ لا يُمكِّنُ أحدًا وإنْ كانَ عظيمًا من أكثرَ من حِـمْلِ بعيرٍ.

وأصابَ أرضَ كنعانَ منَ الشِّدّةِ ما أصابَ سائرَ البلادِ، فأرسلَ يعقوبُ عشرةً من بنيه إلى مصرَ للميرةِ(٢)، وهو قولُه:

---

(١) قرأ بها ابن كثير، وباقي السبعة بالياء. انظر: «السبعة» (ص: ٣٤٩)، و«التيسير» (ص: ١٢٩).

(٢) في هامش (ن): «الميرة: الطعام يجلب ويحمل من غير بلدك».

(٥٨) ـ ﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾.

﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ﴾؛ أي: مجلسِ يوسفَ، ﴿فَعَرَفَهُمْ﴾ يوسفُ ﴿وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾؛ أي: عرفَهُم ولم يعرِفُوه، ولم يكُنْ لهم فِعلٌ، ونكِرَ وأنكَرَ بمعنًى[1].

وإنَّما لم يعرِفُوه لأنَّه كانَ قد تقرَّرَ في أنفُسِهم هلاكُه، ولأنَّ بينَ إلقائِهم إيّاه في البئرِ وبين دُخولِهم عليه أربعينَ سنةً، قالَه ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما[2].

وقيل: كانَ بينَهم وبينَه حجابٌ.

وقيل: لأنَّه كان في زِيِّ الملوكِ على رأسِه تاجٌ، وفي عنُقِه طَوقٌ من ذهبٍ، وعليه ثيابُ حريرٍ، جالسًا على سريرٍ، فلمَّا نظرَ إليهم يوسُفُ وكلَّموه بالعِبْرانيّةِ قالَ لهم: أخبِروني: مَن أنتم؟ وما أمرُكُم؟ ولعلَّكم عيونٌ جئتُم تنظرونَ عورةَ بلادِنا؟ قالوا: والله ما نحنُ بجواسيسَ، وإنَّما نحنُ إخوةٌ بنو أبٍ واحدٍ، وهو شيخٌ يُقالُ له: يعقوب، نبيٌّ منَ الأنبياءِ، قالَ: فكم أنتُم؟ قالوا: كنَّا اثنا عشرَ، فذهَبَ أخٌ لنا إلى البرِّيّةِ فهلَكَ فيها وكانَ أحبَّنا إلى أبينا، قال: فكم أنتُم هاهنا؟ قالوا: عشرةً، قالَ: فأينَ الآخَرُ؟ قالوا: عندَ أبينا، وهو أخُو الذي هلَكَ من أمِّه، وأبونا يتسلَّى به، قال: فمَن يعلَمُ أنَّ الذي تقولون حقٌّ؟ قالوا: أيُّها الملِكُ، إنّا ببلادٍ لا يعرِفُنا أحدٌ، فقال يوسفُ: فائتُوني بأخيكم الذي من أبيكُم إنْ كنتُم صادِقين، فأنا أرضَى بذلك؛ أظهرَ لهم أنَّه يُريدُ أن يستبرِئَ به أحوالَهم.

---

(١) تقدم في تفسير ﴿نَكِرَهُمْ﴾ عن ابن عيسى أن (نكر) أشد مبالغة من (أنكر)، واسم الفاعل هنا من (أنكر).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ٦٢) عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٢٧٣)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٠٥٢٧) عن سلمان الفارسي رضي الله عنه.

قالَ صاحبُ «النَّظمِ»: سألوه أن يُعطِيَهم وِقرًا لأخٍ لهم[1] من أبيهم، فأعطاهُم، ثمَّ اعتلَّ عليهم في الرَّجعةِ فقال: ائتوني بهذا الأخِ الذي لأبيكُم حتَّى أعلَمَ صِدقَكُم من كذبِكُم، وإنْ لم تأْتُوني به علمتُ كذبَكُم فلم أُعطِكُم شيئًا بعدَه.

قالوا: إنَّ أبانا يحزنُ على فراقِه، وسنُراوِدُ عنه أبانا وإنَّا لفاعلون، قال: فدَعُوا بعضَكُم عندي رهينةً حتَّى تأتوني بأخيكم الذي من أبيكُم، فاقترَعُوا بينَهم فأصابتِ القرعةُ شمعونَ، وكانَ أحسنَهم رأيًا في يوسفَ وأبرَّهُم به، فجعلُوه عندَه، وهو قولُه:

(٥٩) - ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾.

﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ﴾؛ أي: مارَهُم، وكان لكلِّ واحدٍ منهم كيلُ بعيرٍ، والباءُ زائدةٌ؛ أي: جهَّزَهُم جهازَهُم.

ابنُ عيسى: الجَهازُ: فاخِرُ المتاعِ الذي يُحمَلُ من بلدٍ إلى بلدٍ[2].

﴿قَالَ ٱئْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ﴾: أُتِمُّه. وقيلَ: معناه: ألا ترونَ أنَّ بيدي الكيلَ ﴿وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾: المُضِيْفين.

ابنُ عيسى: المُنزِلُ: واضِعُ الشَّيءِ في منزِلِه.

رغَّبَهم بهذا الكلامِ على الرُّجوعِ إليه، ونكَّرَ قولَه: ﴿بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ﴾ وحقُّه التَّعريفُ؛ لأنَّ التَّقديرَ: بأخٍ لكم قد سمعتُ به، والوصفُ ينوبُ عنِ التَّعريفِ.

* * *

---

(١) في (و): «لأخيه».

(٢) ذكر نحوه السمعاني في «تفسيره» (٣/ ٤٣) بلا نسبة.

(٦٠) - ﴿ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴾.

﴿ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي ﴾؛ أي: لا تُباعُ الميرةُ منكم فيُكالَ لكم، ﴿وَلَا تَقْرَبُونِ ﴾: لا تقرَبُوا دارِي وبلادِي.

* * *

(٦١) - ﴿ قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴾.

﴿ قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ ﴾؛ أي: نجتهدُ في طلبِه من أبيه، وأصلُه من رادَ يرودُ: إذا جاءَ وذهَبَ.

﴿وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴾ ما أمَرْتَنا به. وقيل: لفاعلون المُراوَدةَ[1].

وأرادَ بذلك يوسفُ تنبيهَ يعقوبَ على حالِ يوسفَ، وقيلَ: أمرَه الله بذلك.

* * *

(٦٢) - ﴿ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾.

﴿ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ ﴾: الفِتيةُ والفِتيانُ[2]: جمعُ فتًى، والفتى: الشَّابُّ القويُّ.

قتادةُ: كانوا غلمانًا له[3].

و﴿بِضَٰعَتَهُمْ﴾: ما جعلوها في ثمنِ الطَّعامِ، قتادةُ: أوراقَهم[4].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٤٣).

(٢) قرأ حفص وحمزة والكسائي: ﴿وقال لفتيانه﴾ بالألف والنون، والباقون: ﴿لفتيته﴾ بالتاء من غير ألف. انظر: «السبعة» (ص: ٣٤٩)، و«التيسير» (ص: ١٢٩).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٢٢٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٦٥).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٢٢٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٦٥). والمعنى: أثمان الطعام التي أُخذت منهم كما أشار الطبري.

الضَّحَّاكُ: كانت نِعالًا وأَدَمًا[1].

والرَّحلُ: الشَّيءُ المُعَدُّ للرَّحيلِ من حملٍ ووعاءٍ للمتاعِ.

وإنَّما فعلَ ذلك يوسفُ مخافةَ أن لا يكونَ عندَ أبيه ما يرجعونَ إليه مرَّةً أخرى.

وقيل: أرادَ أن يتَّسِعَ به أبوه.

وقيل: رأى لو ما أخذَ ثمنَ الطَّعامِ من إخوتِه وأبيه.

وقيل: حرَّضَهم بذلك على الرُّجوعِ.

﴿لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾؛ أي: لكي يعرِفُوا ذلك عند انصِرافِهم إلى أهلِهم، فيرجِعُوا إليَّ.

* * *

(٦٣) - ﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾.

﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ﴾ بالطَّعامِ وأخبروه خبرَه ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ﴾: حُكِمَ بمنعِه بعدَ هذا إنْ لم نذهَبْ بأخينا بنيامين. وقيل: مُنِعَ منَّا إتمامُ الكيلِ الذي أرَدْنا[2]، ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ﴾: نكتالُ لنا وله، و: ﴿يكتل﴾ بالياءِ[3] هو لنفسِه وعيالِه، والاكتيالُ: الكيلُ للنَّفسِ، ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ عن أن ينالَه مكروهٌ.

* * *

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ٦٧)، والواحدي في «البسيط» (١٢/ ١٦٤) من طريق الضحاك عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما.

(٢) في (و): «أردت».

(٣) قرأ بها حمزة والكسائي، وقرأ الباقون بالنون. انظر: «السبعة» (ص: ٣٥٠)، و«التيسير» (ص: ١٢٩).

(٦٤) - ﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾.

﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ﴾: على بنيامين ﴿إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ﴾: يوسفَ ﴿مِن قَبْلُ﴾ وقد قلتُم: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [يوسف: ١٢]؛ لم يثِقْ بهم لِمَا كانَ منهم في حقِّ يوسفَ.

﴿فاللهُ خيرٌ حِفْظًا وهو أَرْحَمُ الرَّاحِمِين﴾؛ أي: حِفْظُ الله خيرٌ من حِفظِكُم، ومَن قرأ بالألفِ[1] فنصبُه على التَّمييزِ، وقيلَ: على الحالِ.

قال كعبٌ: لـمَّا قالَ: ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا﴾ قالَ الله تعالى: وعزَّتي وجَلالي لأَرُدَّنَّ عليك كلَيهما بعدَما فوَّضْتَ إليَّ[2].

* * *

(٦٥) - ﴿وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾.

﴿وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمْ﴾: أوعيتَهم ﴿وَجَدُواْ﴾ الوِجْدانُ: ظهورُ الشَّيءِ للنَّفسِ بحاسَّةٍ أو ما يُغني عن الحاسَّةِ.

﴿بِضَٰعَتَهُمْ﴾: ثـمنَ الطَّعامِ ﴿رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُواْ﴾ لأبيـهم: ﴿يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى﴾ ﴿مَا﴾ للاستفهامِ؛ أي: ماذا نطلُبُ، وماذا نُريد؟ وهل فوقَ هذا من مزيد؟ أكرَمَنا وباعَ منَّا وردَّ علينا الثَّمنَ[3].

---

(١) قرأ بها حفص وحمزة والكسائي: ﴿خَيْرٌ حَٰفِظًا﴾ بفتح الحاء وألف بعدها وكسر الفاء، والباقون: ﴿حفظًا﴾ بكسر الحاء وإسكان الفاء من غير ألف. انظر: «السبعة» (ص: ٣٥٠)، و«التيسير» (ص: ١٢٩).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٢٣٧)، والواحدي في «الوسيط» (٢/ ٦٢١).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٤٤)، واستغربه.

وقيلَ: ﴿مَا﴾ للنَّفي؛ أي: لا نطلُبُ منك ما تزُدُّنا به إلى مصرَ ﴿هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا﴾: نتصرفُ بها.

وقيلَ: ﴿مَا نَبۡغِي﴾: ما نكذِبُ فيما نُخبِرُكَ به عن صاحبِ مصرَ(١)، ﴿هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا﴾: ما حمَلْناه في ثمنِ الطَّعامِ ﴿رُدَّتۡ إِلَيۡنَا﴾.

﴿وَنَمِيرُ أَهۡلَنَا﴾: نجلِبُ إليهم الميرةَ، والميرةُ: الطَّعامُ يُحمَلُ من غيرِ بلدِكَ.

﴿وَنَحۡفَظُ أَخَانَا﴾ في ذهابِنا ومجيئِنا ﴿وَنَزۡدَادُ كَيۡلَ بَعِيرٖ﴾: حملَ جملٍ، مجاهدٌ: حمارٍ(٢).

﴿ذَٰلِكَ كَيۡلٞ يَسِيرٞ﴾: يسهُلُ عليه، واليُسرُ: إتيانُ الخيرِ بغيرِ(٣) مشقَّةٍ، وهذا يدفعُ قولَ صاحبِ «النَّظمِ»(٤).

* * *

(٦٦) - ﴿قَالَ لَنۡ أُرۡسِلَهُۥ مَعَكُمۡ حَتَّىٰ تُؤۡتُونِ مَوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأۡتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمۡۖ فَلَمَّآ ءَاتَوۡهُ مَوۡثِقَهُمۡ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ﴾.

﴿قَالَ لَنۡ أُرۡسِلَهُۥ مَعَكُمۡ حَتَّىٰ تُؤۡتُونِ مَوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ﴾: عَقْدًا مُؤكَّدًا بذكرِ الله.

جُوَيبِرٌ عنِ الضَّحّاكِ عن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما: حتَّى تحلِفُوا لي بحقِّ محمَّدٍ خاتمِ النَّبيِّين وسيِّدِ المُرسلين أنْ لا تغدُروا بأخيكُم(٥).

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير»، وعدَّه من العجائب.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٢٣٤)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٤٤)، واستغربه.

(٣) في (و) «بعد»، وهو تحريف، والله أعلم.

(٤) وهو ما تقدم عن صاحب «النظم» من أن إخوة يوسف سألوه أن يعطيهم وقراً لأخ لهم من أبيهم.

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ٧٣)، وجويبر متروك، والضحاك لم يسمع من ابن عباس.

﴿لَتَأۡتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمۡ﴾: إلَّا أن تهلِكُوا جميعًا.

قتادةُ: إلّا أن تُغلَبُوا حتّى لا تُطيقوا ذلك(١).

ابنُ عيسى: ﴿أَن يُحَاطَ﴾ موضِعُه نصبٌ؛ لأنَّه مفعولٌ له.

﴿فَلَمَّآ ءَاتَوۡهُ مَوۡثِقَهُمۡ﴾: عهدَهُم.

ابنُ عبّاسٍ: حلَفُوا بمنزلةِ محمَّدٍ عليه السَّلامُ(٢).

﴿قَالَ﴾ يعقوبُ: ﴿ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ﴾: شاهدٌ، وقيل: كفيلٌ حفيظٌ، وقيل: ﴿وَكِيلٞ﴾: ضامِنٌ للقيامِ على ما أُسنِدَ إليه.

* * *

(٦٧) ـ ﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾.

﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖ﴾ جُلُّ المُفسِّرين على أنَّه خافَ عليهم العينَ؛ لأنَّهم كانوا ذَوي صورةٍ وجمالٍ.

وقيل: خافَ عليهم حسَدَ النّاسِ، وأن يبلُغَ الملِكَ قوَّتُهم وشدَّةُ بطشِهم فيُهلِكَهُم خوفًا على مملكتِه.

إبراهيمُ النَّخعيُّ: قال ذلك رجاءَ أن يلقَوا يوسُفَ(٣).

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٣٢١)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ٢٣٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٦٧).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ٧٤) من رواية جويبر عن الضحاك عن ابن عباس، وحاله كما ذكرنا.

(٣) رواه سعيد بن منصور في «سننه ـ التفسير» (٥/ ٤٠١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٦٨)، =

وأنكرَ أبو عليٍّ الجُبَّائيُّ العينَ[١]، وليس كما زعمَ؛ فإنَّ النَّبيَّ عليه السَّلامُ قال: «العينُ حقٌّ»[٢]، وقال: «العينُ تُدخِلُ الرَّجلَ القبرَ، والجمَلَ القِدْرَ»[٣]، وقال في عُوذَتِه للحَسَنِ والحُسَينِ رضيَ الله عنهما: «وأُعيذُكما من كلِّ عينٍ لامَّةٍ»[٤]، ونزلَ في العينِ أيضًا: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ﴾ [القلم: ٥١].

﴿وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾ أحذَرُه عليكم، يُريدُ أنَّ المقدورَ كائنٌ، وأنَّ الحذرَ لا ينفعُ منَ القدَرِ.

﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ جمعَ بينَ الواوِ والفاءِ في عطفِ الجملةِ لمَّا تقدَّم[٥] الصِّلةُ، وهي ﴿عَلَيْهِ﴾[٦].

* * *

= وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٤٤) دون نسبة، واستغربه.

(١) أبو علي الجبائي هو محمد بن عبد الوهاب، من أئمة المعتزلة، ورؤساء علم الكلام، وإليه تنسب الطائفة الجبائية، وقوله في العين ذكره الرازي في «التفسير الكبير» (١/ ٤٨٢)، وردَّ عليه كما فعل المصنف.

(٢) رواه البخاري (٥٧٤٠)، ومسلم (٢١٨٧)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٩٠)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١٠٥٧)، عن جابر رضي الله عنه.

(٤) رواه البخاري (٣٣٧١) عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنه: كان النبي ﷺ يعوذ الحسن والحسين ويقول: «إن أباكما كان يعوذ بها إسماعيل وإسحاق: أعوذ بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة».

(٥) في (و): «في عطفِ الجملةِ على الجملةِ على ما تقدم»، والمثبت من (ن)، وهو الموافق لما في «غرائب التفسير» (١/ ٥٤٤).

(٦) لا يجوز في الأصل دخول حرف العطف على مثله، لكن تقدُّم الجار والمجرور فصل بين الواو والفاء، فجاء دخولهما على جملة واحدة. انظر: «شرح المفصل» لابن يعيش (٥/ ٢٦).

(٦٨) ـ ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم﴾ كانت لمصرَ أربعةُ أبوابٍ، فدخَلُوها مُتفرِّقين.

﴿مَّا كَانَ يُغْنِى﴾ دُخولُهم من أبوابٍ مُتفرِّقةٍ ﴿عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾ صدَّقَ الله نبيَّه يعقوبَ في قولِه: ﴿وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾، قولُه: ﴿إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ﴾: حزازةً وهمَّةً[1] ﴿قَضَىٰهَا﴾: قضى تلكَ الحاجةَ، وهي تفريقُهم خوفَ العينِ، أو خوفَ الحسدِ، أو رجاءَ أن يلقَوا يوسُفَ.

﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ﴾: ذو يقينٍ ومعرفةٍ بالله.

وقيلَ: معناه: ليس يعملُ على جهلٍ، بل على علمٍ.

وقيلَ: كان عاملًا بعلمِه.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنَّ يعقوبَ بهذه الصِّفةِ، وقيل: لا يعلمون ما يعلَمُ يعقوبُ.

* * *

(٦٩) ـ ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾: أنزلَه في الموضعِ الذي يأوي إليه، وخلا به دونَهم، وقيل: ضمَّه إليه وأنزلَه عندَه، وقيل: اعتنقَه وبكى.

---

(١) ذكر هذا التفسير الثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ٧٦)، وقال الواحدي في «البسيط» (١٢/ ١٧٤): «والمفسرون فسروا الحاجة هاهنا: الحزازة والهمة؛ قال ابن الأنباري: وقد يقال للحاجة: حزازة؛ لأنها تؤثِّر في القلب، ويلزم همُّها النفس، المعنى: أن ذلك الدخول شفى حزازةَ قلبه، ولما سميت الحزازةُ حاجة، جُعل إزالتها قضاء».

والإيواءُ: تصييرُ الشَّيءِ إلى المأوى الذي يأوي إليه.

﴿قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ﴾ اعترَفَ له بنسبِه وقالَ له: لا تُخبِرْهم بما أخبرتُكَ.

وهبٌ: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ﴾ مكانَ أخيك الذي زَعَمُوا أنَّه أكلَه الذِّئبُ(١).

﴿فَلَا تَبْتَئِسْ﴾: لا تحزَنْ. والابتِئاسُ: افتِعالٌ من البُؤْسِ، وهو سوءُ العيشِ.

﴿بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ في حقِّنا.

* * *

(٧٠) ـ ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ﴾.

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾؛ أي: فلمَّا هيَّأَ أسبابَهم وأوفَى الكيلَ لهم وحمَلَ لهم بعيرًا بعيرًا، وحملَ باسمِ بنيامين بعيرًا، ثمَّ أمرَ بسقايةِ الملكِ فجُعِلَتْ في رحلِ أخيه بنيامين بغيرِ علمِه.

وقيل: كان ذلك بتقريرٍ منه وتوطينِ نفسٍ على ما نُسِبَ إليه منَ السَّرقةِ.

وكانت مِشْرَبةً يشربُ منها الملِكُ.

وقيل: كان كأسًا من فضَّةٍ.

وقيل: من ذهبٍ مُرصَّعةً بالجوهرِ(٢).

وقيل: السِّقايةُ والصَّاعُ واحدٌ.

وقيل: كانت سِقايةً فجُعِلَتْ صاعًا يُكالُ به؛ لعزَّةِ الطَّعامِ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٢٤٢)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٤٥)، واستغربه.

(٢) في (ن): «بالجواهر».

وقولُه: ﴿فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾: في جملةِ متاعِه.

﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ﴾: نادى مُنادٍ، وقيل: أعلَمَ مُعْلِمٌ.

والتَّأذينُ: إعلامٌ بقولٍ يُسمَع بالآذان(١)، وحُمِلَ هاهنا على معنى القولِ، ولهذا لم يقعْ بعدَه (أنْ) ولا (أنَّ).

﴿أَيَّتُهَا الْعِيرُ﴾ يُريدُ: يا أهلَ العيرِ، فحُذِفَ المُضافُ.

و﴿الْعِيرُ﴾: الإبلُ، لا واحدَ لها.

مُجاهدٌ: ﴿الْعِيرُ﴾: الحميرُ(٢).

﴿إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ اختَلَفوا في تأويلِه؛ قال بعضُهم: إنَّ المُناديَ ناداهُم من غيرِ إذنِ يوسفَ.

وقيل: إنَّكم لَسارقون يوسفَ، يُريدُ: حينَ أخذوه من أبيه ورمَوه في الجُبِّ(٣).

وقيل: فيه استفهامٌ؛ أي: أَإِنَّكم لسارِقون؟

وقيل: أرادَ: إنْ ظهرَ منكم السَّرَقُ فإنَّكم سارِقون.

وقيل: إنَّكم في قومٍ مَن يسرِقُ، كما يُقالُ: قتلَ بنو فلانٍ رجلًا، والقاتلُ واحدٌ أو اثنانِ.

وقيل: تعريضٌ.

* * *

(٧١) - ﴿قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ﴾.

﴿قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِم﴾؛ أي: قابَلُوهم بوجوهِهم ﴿مَّاذَا تَفْقِدُونَ﴾: أيَّ شيءٍ ضاعَ منكم؟ والفَقْدُ: غيبةُ الشَّيءِ عنِ الحسِّ بحيثُ لا يُدرَى أين هو.

---

(١) في (و): «والتأذين قول يسمع بالأذن».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٢٤٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٧٢).

(٣) في (ن): «البئر».

(٧٢) ـ ﴿قَالُواْ نَفۡقِدُ صُوَاعَ ٱلۡمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمۡلُ بَعِيرٖ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٞ﴾.

﴿قَالُواْ نَفۡقِدُ صُوَاعَ ٱلۡمَلِكِ﴾ الصُّواعُ: المِكيالُ لا غير، يُذكَّرُ ويُؤنَّثُ[١].

﴿وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ﴾: أظهرَ الصُّواعَ وردَّه ﴿حِمۡلُ بَعِيرٖ﴾ هذا دأبُ النّاشدِ في طلبِ ضالَّته.

﴿وَأَنَا۠ بِهِۦ﴾: بالحِمْلِ ﴿زَعِيمٞ﴾: كفيلٌ ضمينٌ.

وحَّدَ المُؤذِّنَ ثمَّ جمعَ الضَّميرَ العائدَ ثمَّ وحَّدَ الزَّعيمَ؛ لأنَّ المُؤذِّنَ أو النّاشدَ لا يكونُ إلّا واحدًا، والزَّعيمُ هو المُؤذِّنُ ولسانُ القومِ[٢].

***

(٧٣) ـ ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ عَلِمۡتُم مَّا جِئۡنَا لِنُفۡسِدَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ﴾.

﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ عَلِمۡتُم مَّا جِئۡنَا لِنُفۡسِدَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ﴾ التّاءُ بدلٌ منَ الواوِ، والواوُ بدلٌ من الباءِ، وخُصَّ اسمُ الله به[٣]، وفيه معنى التَّعجُّبِ[٤].

وإنَّما قالوا ذلك لأنَّهم كلَّما دخلُوا مصرَ كَعَمُوا[٥] أفواهَ دوابِّهم كي لا تتناوَلَ من حروثِ النّاسِ، وكان قد عُرِفَ ذلك منهم.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ١٣٠)، وقال أبو عبيد: «أنا لا أرى التذكير والتأنيث اجتمعا في اسم الصواع، ولكنهما عندي إنما اجتمعا لأنه سمي باسمين؛ أحدهما مذكر والآخر مؤنث، فالمذكر الصواع، والمؤنث السقاية». انظر: «المذكر والمؤنث» للأنباري (١/ ٤٨٢).

(٢) لسان القوم هو المتكلم عنهم. انظر: «المنجد» لكراع النمل (ص: ٣٦).

(٣) أي: بالتاء، وقد نصَّ سيبويه في «الكتاب» (٧/ ٥٩) على اختصاصه بلفظ الجلالة، وقد حُكي عن العرب دخولها على الربِّ والرحمنِ وحياتِكَ، قالوا: تَرَبِّ الكعبة، وتَالرَّحمنِ، وتحياتك. انظر: «شرح التسهيل» لابن مالك (٣/ ١٢ ـ ١٣)، و«ارتشاف الضرب» لأبي حيان (ص: ١٧١٧)، و«البحر» له أيضاً (٦/ ٣٠٤٤).

(٤) انظر: «الكتاب» (٢/ ٢٩٣) و(٣/ ٤٩٧)، و«المقتضب» للمبرد (٤/ ١٧٥).

(٥) كعَمَ البعير: شدَّ فاه لئلا يعض أو يأكل. انظر: «المحكم» مادة: (ك ع م) (١/ ٢٨٨).

وقيل: لأنَّهم ردُّوا ما وجَدُوا في رحالِـهم، وهذا لا يليقُ بالسَّرَّاقِ.

قال الشَّيخُ[١] رحمَه الله: ويحتملُ أنَّ التَّقديرَ: تالله ما كنَّا سارِقين، ولقد علمتُم ما جِئْنا لنُفسِدَ في الأرضِ؛ لتكونَ اليمينُ واقعةً على فعلِهم لا فعلِ غيرِهم[٢].

***

(٧٤) ـ ﴿قَالُوا۟ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَـٰذِبِينَ﴾.

﴿قَالُوا۟ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ﴾: فما عقوبةُ السّارقِ؟ وقيل: ما جزاءُ السّارقِ ﴿إِن كُنتُمْ كَـٰذِبِينَ﴾ في قولِكُم: ﴿ما كُنَّا سَـٰرِقِينَ﴾؟

***

(٧٥) ـ ﴿قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾.

﴿قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ﴾؛ أي: جزاؤُه أَخْذُ مَن وُجِدَ في رحلِه رِقًّا فهو جزاؤُه عندَنا، وكانَ عندَ آلِ يعقوبَ: مَن يسرِقُ يُسترَقُّ، وعند أهلِ مصرَ أن يُضرَبَ ويُغرَّمَ.

وله تقديرانِ منَ الإعرابِ:

الأوّلُ: ﴿جَزَٰٓؤُهُۥ﴾ رفعٌ بالابتداءِ ﴿مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ﴾ خبرُ المبتدأ، ولا بدَّ من إضمارٍ ليأتَلِفا، تصحيحُه: جزاؤُه استِرقاقُ مَن وُجِدَ في رحلِه؛ أي: جزاؤُه ذاتُه، و﴿مَن﴾ بمعنى: الذي، والفاءُ في قولِه: ﴿فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ﴾ لعطفِ جملةٍ على جملةٍ.

---

(١) «الشيخ»: من (ن).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٤٥)، واستغربه، والظاهر أنه رأي للمصنف، ولم أقف على من قال به قبله.

والثّاني: أن يكونَ ﴿ جَزَآؤُهُۥ ﴾ رفعًا بالابتداءِ، و﴿مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ ﴾ ابتداءٌ[1] ثانٍ ﴿فَهُوَ جَزَآؤُهُۥ ﴾ خبرٌ، والعائدُ إلى المبتدأ الأوَّلِ عينُ المبتدأ، كما تقولُ: زيدٌ ضربتُ زيدًا؛ تُريدُ: ضربتُه، و﴿مَن﴾ على هذا يحتملُ وجهَين:

أحدُهما: أن يكونَ شرطًا، والفاءُ دخلَ للجزاءِ.

ويجوزُ أن يكونَ بمعنى: الذي، والفاءُ دخلَ لتضمينِ المبتدأ معنى الشَّرطِ.

﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: السَّارِقين.

* * *

(٧٦) ـ ﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾.

﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ ﴾ يُريدُ: المُؤذِّنَ الزَّعيمَ، وقيل: ردُّوهم إلى مصرَ، فبدأ يوسفُ واحدًا بعدَ واحدٍ ﴿قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ﴾؛ لتزولَ الرِّيبةُ، ولو بدأ بوعاءِ أخيه لَعلِمُوا أنَّهم جعلوه فيه.

﴿ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا﴾؛ أي: السِّقايةَ، وقيل: الصُّواعَ، وقيل: السَّرِقةَ ﴿مِن وِعَآءِ أَخِيهِ ﴾.

﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ﴾: صنَعْنا له، وقيل: ألهَمْنا له، وقيل: أرَدْنا، كما أنَّ قولَه: ﴿يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ [الكهف: ٧٧] بمعنى: يكادُ[2].

وقيل: كِدْنا لأجلِ يوسفَ إخوتَه بما دبَّرْنا في أمرِه[3].

ابنُ عيسى: الكيدُ: التَّعريضُ للضرِّ في خُفيةٍ.

---

(١) في (ن): «مبتدأ».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٤٦) واستغربه، ولم أقف على من ذكره قبل المصنف.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٤٦)، واستغربه.

والكيدُ هاهنا: ردُّ الحكمِ إلى بني يعقوبَ ﴿مَا كَانَ لِيَأۡخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ﴾: حُكمِه وسُلطانِه وطاعتِه؛ لأنَّ دينَه في السَّرقةِ الضَّربُ والتَّغريمُ ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ الحسنُ: لأنَّ اللهَ أمرَه بذلك(١). وقيل: هو ما أجرَى على لسانِ إخوتِه: أنَّ جزاءَ السَّارقِ الاستِرقاقُ، والتَّقديرُ: إلّا بمشيئةِ الله.

﴿نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُ﴾ بالعلمِ ﴿وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ﴾ وهو الله سُبحانَه، وقيل: وفوقَ كلِّ عالمٍ عالمٌ إلى أن ينتهيَ العلمُ إلى الله وحدَه.

* * *

(٧٧) - ﴿قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾.

﴿قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ﴾؛ أي: بنيامين ﴿فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُ﴾ يعنُونَ: يوسفَ؛ أي: له عِرْقٌ في السَّرقةِ من أخيه نزَعَ في الشَّبهِ إليه.

عكرمةُ: هذه عقوبةٌ منَ الله ليوسفَ، أجراها على ألسنتِهم في مُقابلةِ قولِه: ﴿إِنَّكُمۡ لَسَٰرِقُونَ﴾(٢).

وللمُفسِّرين في ذلك أقوالٌ:

قيل: إنَّه كان يسرِقُ الطَّعامَ منَ المائدةِ ويدفعُه إلى الفقراءِ والمساكينِ.

وقيل: أخذَ بيضةً فدفعَها إلى الفقيرِ، وقيل: ديكًا، وقيل: جَدْيًا.

مجاهدٌ: إنَّ عمَّتَه بنتَ إسحاقَ ورِثَتْ من أبيها مِنطَقَةً له، وكانت هي تكفلُ

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٢/ ١٩١).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ١٤٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٧٧). وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٤٦)، واستغربه.

يوسفَ وتحبُّه ولا تصبرُ عنه، فأرادَ يعقوبُ أخذَ يوسفَ منها، فساءَها ذلك، فشدَّتِ المِنطَقَةَ على وسطِه، ثمَّ أظهرَتْ ضَياعَ المِنطَقةِ، فصارَتْ في حُكمِهم أحقَّ به(١).

سعيدُ بنُ جُبيرٍ: سرقَ صنمًا من أبي أمِّه فكسرَه وألقاه في الطَّريقِ(٢).

الحسنُ: بَهَتُوا عليه(٣).

﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ﴾: وَعاها وأكنَّها ولم يُظهِرْها؛ إرادةَ التَّوبيخِ عليها والمُجازاةِ بها.

وفي الضَّميرِ ثلاثةُ أقوالٍ: قولٌ للزَّجَّاجِ، وزيَّفَه أبو عليٍّ في «إصلاحِ الإغفالِ»، وقولانِ لأبي عليٍّ؛ أمَّا قولُ الزَّجَّاجِ فإنَّه ذكرَ في «المعاني» أنَّها كنايةٌ بشريطةِ التَّفسيرِ، وفسَّرَها قولُه: ﴿قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ كأنَّه أضمرَ هذه الكلمةَ؛ أي: أنتم شرٌّ مكانًا في السَّرقةِ(٤).

قال أبو عليٍّ: الإضمارُ على شريطةِ(٥) التَّفسيرِ ضربانِ:

إمَّا جملةٌ تُفسِّرُ مُفرَدًا نحو: ﴿هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ يُريدُ: الضَّميرَ الذي يتقدَّمُ المبتدأَ والخبرَ، ويُسمِّيه النَّحويُّون: ضميرَ الأمرِ والشَّأنِ، وكذلك مع العواملِ الدَّاخلةِ على المُبتدأ والخبرِ.

وإمَّا مُفردٌ يُفسِّرُ مُفرَدًا نحو: نِعْمَ رجُلًا، ورُبَّه رجُلًا، فرجلٌ تفسيرُ المُضمرِ

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٢٧٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٧٨).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٢٧٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٧٧).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٦٥) عن الحسن بلفظ: «إنهم كذبوا عليه فيما نسبوه إليه»، وذكره الرازي في «التفسير الكبير» (١٨/ ٤٩٠) دون نسبة.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ١٢٣).

(٥) في (و): «الإضمار بشريطة».

في (رُبَّه) كما كانَ تفسيرًا لفاعلِ (نِعْمَ)، وليس لهذَين المُفردَين نظيرٌ، ولا في التّقسيمِ ثالثٌ(١).

وأمَّا قولا أبي عليٍّ(٢):

فأحدُهما: أنَّه كنايةٌ عن الإجابةِ؛ أي: أسرَّها إلى وقتٍ ثانٍ.

والثّاني: كنايةٌ عن المقالةِ، وأرادَ بها المقولَ؛ كضَرْبِ الأميرِ، ونَسْجِ اليمَنِ.

ومعنى: ﴿شَرٌّ مَّكَانًا﴾ عندَ ابنِ عبَّاسٍ: شرٌّ صنيعًا؛ لِمَا فعلتُم من ظُلمِ أخيكم وعُقوقِ أبيكم(٣).

وقيل: ﴿شَرٌّ مَّكَانًا﴾ في السَّرَقِ؛ لأنَّكم سرَقتُم أخاكُم يوسفَ من أبيكم على الحقيقةِ.

وقيل: أنتم شرٌّ فِعالًا.

وليس (أفعَلَ) هاهنا للتَّفضيلِ، بل للمُبالغةِ.

﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾: تقولون، وقيل: تكذِبون.

***

(٧٨) ـ ﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا﴾: كَلِفًا بحبِّه ﴿كَبِيرًا﴾ في السِّنِّ، وقيل: في المنزلةِ.

---

(١) انظر: «الإغفال» لأبي علي (٢/ ٣٣٢ ـ ٣٣٦)، وقد أعاد المصنف تأليف كلام أبي علي واختصره؛ على عادته في أكثر ما ينقل.

(٢) انظر: «الإغفال» لأبي علي (٢/ ٣٣٦ ـ ٣٣٧).

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٢/ ١٩٨) من رواية عطاء عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما.

﴿فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ﴾: خُذْ أحدًا منَّا عبدًا بدَلَه.

﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ في أفعالِك. وقيل: منَ المُحسنين بالمسلمين. وقيل: منَ المُحسنين إلينا بردِّ بضاعتِنا وإيفاءِ الكيلِ لنا. وقيل: إنْ فعلتَ أحسنتَ إلينا.

* * *

(٧٩) ـ ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ﴾.

﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾: أعوذُ بالله وأعتصِمُ به ﴿أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا﴾: الصَّاعَ ﴿عِندَهُۥٓ﴾؛ أي: أستجيرُ بالله من أخذي بريئًا بسقيمٍ ﴿إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ﴾ في الحكمِ والقضاءِ.

* * *

(٨٠) ـ ﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾.

﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟﴾: أيِسُوا، ويئِسَ واستَيْأسَ بمعنًى، كسَخِرَ واستَسْخَرَ، وعجِبَ واستَعْجَبَ، وأيِسَ مقلوبُ يئِسَ وبمعناه[1]، ومنه قراءةُ ابنِ كثيرٍ: ﴿استايسَ﴾[2].

﴿مِنْهُ﴾: من يوسفَ وإجابتِه إيَّاهُم، وقيل: بنيامين.

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» مادة: (ي أ س) (١٣/ ٩٧)، و«الخصائص» لابن جني (٢/ ٤٤١).

(٢) رويت عن البزي عن ابن كثير بخلف عنه فيها وفي أخواتها: ﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ﴾، و﴿لَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ﴾، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ﴾، وفي الرعد: ﴿أَفَلَمْ يَا۟يْـَٔسِ ٱلَّذِينَ﴾؛ بقلب الهمزة إلى موضع الياء وتأخير الياء إلى موضع الهمزة، ثم تبدل الهمزة ألفًا، والوجه الثاني له كقراءة الجمهور. انظر: «السبعة» (ص: ٣٥٠)، و«التيسير» (ص: ١٢٩)، و«العنوان في القراءات السبع» (ص: ١١١)، و«النشر» (١/ ٤٠٥).

﴿خَلَصُواْ﴾: انفرَدُوا من غيرِ أن يكونَ معَهم مَن ليس منهم ﴿نَجِيّٗا﴾: يتناجَون، ووحَّدَ ﴿نَجِيّٗا﴾ لأنَّه مصدرٌ. والنَّجِيُّ: النَّاجي أيضًا، وجمعُه: أَنْجِيَةٌ.

ابنُ عيسى: أصلُه منَ النَّجْوِ، وهو الارتفاعُ منَ الأرضِ؛ لأنَّ المُناجيَ يرفعُ ما عندَه إلى صاحبِه في خُفيةٍ.

﴿قَالَ كَبِيرُهُمۡ﴾ في الرَّأيِ، وهو شمعونُ رئيسُهم. وقيل: كبيرُهم في السِّنِّ، وهو روبيلُ، وقيل: يهوذا.

﴿أَلَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمۡ قَدۡ أَخَذَ عَلَيۡكُم مَّوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: عَهْدًا وثيقًا، وهو قولُه: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَوۡهُ مَوۡثِقَهُمۡ﴾ [يوسف: ٦٦].

﴿وَمِن قَبۡلُ مَا فَرَّطتُمۡ فِي يُوسُفَ﴾؛ أي: قدَّمتُم، ومنه: الفارِطُ. وقيل: قصَّرتُم، وتقديرُه: وتعلمونَ تفريطَكُم.

وقيل: ﴿مَا فَرَّطتُمۡ﴾ مبتدأٌ، خبرُه: ﴿مِن قَبۡلُ﴾؛ أي: وتفريطُكم في يوسفَ ثابتٌ من قبلُ.

وقيل: ﴿فِي يُوسُفَ﴾ خبرُه، وهذا أظهرُ.

وقيل: ﴿مَا﴾ صلةٌ، وتقديرُه: ومن قبلُ فرَّطتُم في يوسفَ.

﴿فَلَنۡ أَبۡرَحَ ٱلۡأَرۡضَ﴾: لا أفارِقُ أرضَ مصرَ، وبرِحَ وزالَ بمعنًى.

و﴿ٱلۡأَرۡضَ﴾ منصوبةٌ بواسطةِ الجارِّ[1]؛ أي: عنِ الأرضِ، وليست ظرفًا ولا مفعولًا به[2].

---

(١) استعمل المصنف هذا المصطلح هنا، وفي «غرائب التفسير» (٢/ ٨٧٧)، وهو يقابل النصب بنزع الخافض. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٤٠٥)، و«شرح أبيات سيبويه» للسيرافي (١/ ١٧٠)، و«شرح الرضي على الكافية» (٢/ ١٩٠).

(٢) وفي هذا الجزم بمنع كونها مفعولًا به نظر، فقد أجاز ذلك أبو حيان وتابعه السمين على أن يكون ﴿أَبۡرَحَ﴾ تامًّا مضمناً معنى: أفارق. انظر: «البحر» (٦/ ٣١٢)، و«الدر المصون» (٦/ ٥٤٢).

﴿حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِيٓ أَبِيٓ﴾؛ أي: في الرُّجوعِ إليه ﴿أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِي﴾: يقضيَ لي بالخروجِ منها فيرُدَّ عليَّ أخي.

وقيل: يأمرَ لي بالمُقاتلةِ مع القومِ. وذلك أنَّ بني يعقوبَ كانوا يُكلِّمون العزيزَ في أخيهم، فقالَ روبيلُ: أيُّها الملِكُ، والله لتترُكنَّنا(١) أو لأصيحَنَّ صحيةً لا تبقى بمصرَ امرأةٌ حاملٌ إلّا وضعَتْ وألقَتْ ما في بطنِها لها، وقامَتْ كلُّ شعرةٍ في جسدِه فخرَجَتْ من ثيابِه، فقالَ يوسفُ لأخيه: قُمْ إلى جنبِ روبيلَ فمُسَّه، وكانَ بنو يعقوبَ إذا غضبَ أحدُهم فمَسَّه الآخرُ ذهبَ غضبُه، فقال روبيلُ: مَن هذا؟ إنَّ في هذا البلدِ لبذرًا من بذرِ يعقوبَ، فقال يوسفُ: مَن يعقوبُ؟ قال: أيُّها الملكُ، لا تذكرْ يعقوبَ، فإنَّه إسرائيلُ الله، ابنُ ذبيحِ الله، ابنُ خليلِ الله. وهذا معنى قولِ مَن قال: يأمرَ لي بالقتالِ ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾.

***

(٨١) ـ ﴿ٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ﴾.

﴿ٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ﴾؛ أي: اشرَحُوا له كيفيَّةَ الحالِ.

وقولُه: ﴿سَرَقَ﴾، يعنون: في ظاهرِ الأمرِ.

وقُرِئَ: (سُرِّقَ) بالتَّشديدِ(٢)، وله وجهانِ: أحدُهما: أنَّه نُسِبَ إلى السَّرقةِ، والثَّاني: أنَّه علمَ منه أنَّه سَرَقَ.

---

(١) في (و): «لتتركنا».

(٢) نسبت لابن عباس وغيره. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٢١٢)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (٣/ ٢٧٠).

﴿وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ﴾؛ أي: شهادتُنا بما ظهر ورأينا، والغيبُ عندَ الله.

وقيل: ﴿وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾؛ أي: وما قلنا إلّا بما رأينا؛ أُخرِجَتْ من رحلِه.

وقيل: ﴿وَمَا شَهِدْنَآ﴾ أنَّ السّارقَ يُسترَقُّ ﴿إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾ من كتبنا؛ لأنَّ يعقوب قال لهم: ومن أين علم الملك أن السارقَ يُسترقُّ؟

ولم نعلَمْ أنَّ ابنَكَ يُسترَقُّ.

وقيل: معناه: لا ندري باطنَ أمرِ السَّرقةِ.

وقيل: معناه: لم نعلَمْ أنَّك تُصابُ به كما أُصِبْتَ بيوسفَ(١).

ابنُ عبَّاسٍ: الغيبُ: اللَّيلُ بلغةِ حميرَ(٢)؛ أي: ما كنَّا نحفظُه باللَّيلِ.

عكرمةُ: فلعلَّها دُسَّتْ في رحلِه باللَّيلِ(٣).

قال الشَّيخُ رحمَه الله: ويحتملُ: وما كنَّا نحفظُه إذا غابَ عنَّا.

* * *

(٨٢) - ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾.

﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا﴾ قيل: مصرَ، وقيل: قريةً بالقُربِ منها؛ لأنَّهم كانوا خرجُوا من مصرَ.

---

(١) في (و): «به».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ١١٢)، وذكره الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٢٩٠) دون نسبة، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٤٧) دون نسبة، واستغربه.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ١١٢)، والواحدي في «البسيط» (١٢/ ٢٠٨).

وأرادَ: أهلَ القريةِ، فحُذِفَ المضافُ إيجازًا من غيرِ إخلالٍ.

وقيل: ليس في هذا حذفٌ، والمعنى: ليس بمُستنكَرٍ أن تُكلِّمَك جدرانُ القريةِ؛ فإنَّك نبيٌّ[1].

﴿وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ وكان معهم جماعةٌ من أهلِ كنعانَ.

والعِيرُ: الإبلُ، وقيل: القافلةُ منَ الحميرِ وقد يُستعملُ للإبلِ مجازًا، والعَيرُ: حمارُ الوحشِ[2].

﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ تأكيدٌ يجري مَجرى القسمِ.

***

(٨٣) ـ ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ﴾ يُريدُ: فلمَّا رجعُوا إلى يعقوبَ وقالوا له هذا القولَ وشرَحُوا هذا الأمرَ اتَّهمَهُم وقالَ: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾: زيَّنَتْ، وقيل: سهَّلَتْ.

ابنُ عيسى: التَّسويلُ: حديثُ النَّفسِ بما تطمعُ فيه[3]، ومنه السُّولُ غيرَ مهموزٍ[4]، وهو المُنَى.

﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾؛ أي: فأمري صبرٌ جميلٌ، وقيل: فصبرٌ جميلٌ أولى وأمثَلُ.

والصَّبرُ الجميلُ: هو الذي لا جزَعَ فيه ولا شكوَى.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٥٠)، واستغربه.

(٢) وقيل: هو الحمار أهلياً كان أو وحشياً، لكنه غلب على الوحشي. انظر: «تاج العروس» مادة: (ع ي ر) (١٣/ ١٧٢).

(٣) ذكر نحوه الواحدي في «البسيط» (١٢/ ٤٨) ونسبه لأهل المعاني.

(٤) ذكر الأزهري أن الأصل في الهمزة لكنه ضعف. انظر: «تهذيب اللغة» مادة: (س أ ل) (١٣/ ٤٧).

﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾ يُريدُ: يوسفَ وبنيامين وأخاهما الذي بمصرَ ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ﴾ بحالي ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ بتدبيرِه.

***

(٨٤) ـ ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾.

﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾: أعرَضَ عنهم. والتَّولِّي: الانصِرافُ بالوجهِ عن الشَّيءِ.

سعيدُ بنُ جُبيرٍ عن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما عن النَّبيِّ عليه السَّلامُ أنَّه قال: «لم يُعطَ أحدٌ منَ الأممِ «إنَّا لله وإنّا إليه راجِعون» إلّا أمّةُ محمَّدٍ»، ألا ترى أنَّ يعقوبَ حين أصابَه ما أصابَه لـم يسترجِعْ إنَّما قال: ﴿وَقَالَ يَٰأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾(١).

الأَسَفُ: أشدُّ الحزنِ، وقيلَ: الأسَفُ: أشدُّ الحزنِ على ما فاتَ، والألفُ بدلٌ من ياءِ الإضافةِ، والمعنى: يا أسَفِي تعالَ فهذا أوانُكَ.

﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ﴾: انقلَبَتْ إلى حالِ البياضِ؛ أي: عمِيَتا فغطَّى البياضُ سوادَ الحدقةِ ﴿مِنَ ٱلْحُزْنِ﴾؛ أي: لكثرةِ بُكائِه منَ الحزنِ، فحُذِفَ لدلالةِ الحالِ عليه.

﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ فعيلٌ بمعنى: مفعولٍ، كقولِه: ﴿إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ [القلم: ٤٨]؛ أي: مملوءٌ حُزنًا.

---

(١) رواه هكذا الثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ١١٧)، والواحدي في «الوسيط» (٢/ ٦٢٧).

ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٣٣٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٢٤٢) عن سعيد بن جبير موقوفًا عليه، وقال البيهقي: «رفعه بعض الضعفاء إلى ابن عبّاسٍ، ثم منه إلى النبي ﷺ».

ورواه بنحوه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٤١١)، وفي «الدعاء» (١٢٢٨)، ولفظه: «أعطيت أمتي شيئاً لم يعطه أحد من الأمم عند المصيبة: إنا لله وإنا إليه راجعون». قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٣٣٠): «رواه الطبراني في الكبير، وفيه محمد بن خالد الطحان، وهو ضعيف».

وقيل: فعيلٌ بمعنى: فاعلٍ، كقولِه: ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]؛ أي: ممسكٌ للحُزنِ في قلبِه لابنَيه، وأصلُه من كظَمَ البعيرُ جِرَّتَهُ: رَدَّها في جوفِه، وكظَمَ الغيظَ: اجترَعَه.

المُبرِّدُ: ﴿كَظِيمٌ﴾: أخذَ الحزنُ بكَظَمِه، وهو مَجرى النَّفَسِ[١].

السُّدِّيُّ: ﴿كَظِيمٌ﴾ بالغيظِ على نفسِه؛ لِـمَ أرسلَه مع إخوتِه[٢]؟

وقيل: انْضافَ حزنُه بيوسفَ إلى حزنِه ببنيامين، وانضافَ إليهما حزنُ ذهابِ بصرِه، فصارَ كظيمًا ممتلِئًا حزنًا، ولهذا حسُنَ الفاءُ في ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾.

وذهبَ بعضُ المُفسِّرين إلى أنَّه عمِيَ وذهبَ بصرُه، وذهبَ بعضُهم إلى أنَّه ضعُفَ بصرُه لبياضٍ حصَلَ فيه من كثرةِ البكاءِ.

الحسنُ: كان بينَ خروجِ يوسفَ من حَجْرِ أبيه إلى يومِ التقى معه ثمانون سنةً لـم تجِفَّ عينا يعقوبَ، وما على وجهِ الأرضِ أكرمُ على الله من يعقوبَ[٣].

* * *

(١) انظر: «البسيط» للواحدي (٥/ ٥٩٥)، وفيه: «قال المبرد: تأويله: أنه كتمه على امتلائه منه، ويقال: كظمت السقاء: إذا ملأته، وشددت عليه. ويقال: ما يكظم فلان على جرة: إذا كان لا يحتمل شيئًا».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٢٩٧)، بلفظ: «كظيم من الغيظ».

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «الهم والحزن» (٦)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ٣١٣)، والثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ١١٨).

وروى عنه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٣٩٢٠)، والدينوري في «المجالسة» (٢٨٠٢) أنه قال: «ألقي يوسف في الجب وهو ابن سبع عشرة سنة، وكان في العبودية والملك والسجن ثمانين سنة، ثم جمع له شمله فعاش بعد ذلك ثلاثًا وعشرين سنة».

(٨٥) ـ ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ﴾.

﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ﴾؛ أي: لا تزالُ تتوجَّعُ عليه وتذكرُه، وقيل: لا تفتأُ، تقولُ: فتِئَ يفتأُ فَتاءً وفُتُوءًا، وتقديرُه: لا تفتأُ؛ لأنَّ القسمَ إذا لم يكُنْ معه علامةُ الإثباتِ وهي (إنَّ) أو اللّامُ عُلِمَ أنَّه للنَّفيِ؛ قال:

لقد آلَيْتُ أَغْدِرُ في جَداعٍ[١]

﴿حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ﴾ ابنُ عبَّاسٍ: ﴿حَرَضًا﴾ دَنِفًا[٢].

أبو عبيدةَ: الحرَضُ: الذي أذابَه الهمُّ[٣].

ابنُ عيسى: الحرَضُ: فسادُ الجسمِ والعقلِ للحزنِ أو للحُبِّ[٤]، قال:

---

(١) لأبي حنبل الطائي، انظر: «غريب الحديث» لأبي عبيد (١/ ١٨٧)، و«الشعر والشعراء» (١/ ١١٩)، و«المعاني الكبير» لابن قتيبة (٢/ ١١٢٣)، و«الزاهر» لابن الأنباري (١/ ٣٨٧)، وله قصة ذكرها الميداني في «مجمع الأمثال» (٢/ ٣٧٧) ملخصها: أن امرأ القيس نزل به ومعه أهله وماله وسلاحه، فقالت زوجته: رزق أتاك الله به، ولا ذمة له عليك، ولا عقد، ولا جوار، فأرى لك أن تأكله وتطعمه قومك، فقال هذا الشعر، فقيل في المثل: أوفى من أبي حنبل، وعجزه:

ولو مُنِّيتُ أُمَّات الرِّبَاعِ

قوله: «آليت أغدر»؛ أي: لا أغدر. والرِّباع: ما ولد من الإبل في الربيع. والأمَّات: جمع أم من البهائم. وجداع: السنة الشديدة التي تجدع بالمال؛ أي: تذهب به.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٨٧)؛ ورواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٣٠١) بلفظ: «الجهد في المرض البالي». والدَّنَف: المرض الملازم. انظر: «الصحاح» مادة: (د ن ف).

(٣) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٣١٦)، وفيه: «والحرض: الذي أذابه الحزن أو العشق، وهو في موضع محرض».

(٤) حكاه الواحدي في «البسيط» (١٢/ ٢٢٠) عن أصل المعاني، وذكره الحوفي في «البرهان» (ص: ٢٩٣) بلا نسبة.

إنِّـي امـرؤٌ لـجَّ بـي حـبٌّ فأحْرَضَـني   حتَّى بَلِيْـتُ وحتَّـى شَـفَّني السَّـقَمُ[1]

ابنُ بحرٍ: ﴿حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَـٰلِكِينَ﴾؛ أي: حتَّى تمرضَ أو تموتَ، قالوا ذلك لأبيهم شفقًا عليه.

* * *

(٨٦) ـ ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ ابنُ عبّاسٍ: ﴿بَثِّي﴾: همِّي[2]. وقيل: حاجَتي. وقيل: البثُّ منَ الحزنِ: ما لا صبرَ على كتمانِه. وقيل: تفريقُ الهمِّ عن القلبِ بإظهارِه، تقولُ: بثَّه ما في نفسِه وأبثَّه.

أي: أشكو إلى مَن يملكُ الفرَجَ منَ البلوى لا إليكُم، ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ قيل: إنَّ ملكَ الموتِ أخبرَه بحياةِ يوسفَ يقظةً. وقيل: رأى ملكَ الموتِ في المنامِ، فسألَه عن يوسفَ فقال: هو في الأحياءِ.

ابنُ عبّاسٍ: علِمَ أنَّ رُؤيا يوسفَ صادقةٌ، وأنَّه يسجدُ له[3].

وقيل: علِمَ بإحسانِ الله ما يُوجِبُ حسنَ الظَّنِّ بالله.

* * *

(٨٧) ـ ﴿يَـٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾.

---

(١) البيت للعرجي. انظر: «ديوانه» (ص: ٥)، و«تفسير الطبري» (١٣/ ٣٠١)، و«غريب الحديث» للخطابي (١/ ١٣٨).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٣٠٦).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٣٠٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٨٩).

﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾: استكشِفُوا عن أحوالِـهما واستَخْبِرُوا خبرَهما. والتَّحسُّسُ: طلَبُ الإحساسِ مرَّةً بعدَ أُخرَى، والإحساسُ: الإدراكُ، والحِسُّ الاسمُ، كالطّاعةِ من (أطاعَ)[1].

قيل: إنَّ يعقوبَ لـمَّا سمعَ من بنيه ما حكَوا له من أحوالِ الملِكِ مع بنيامين؛ من طلبِهِ أوَّلًا، ثمَّ خُلُوِّه به دونَهم، ثمَّ إمساكِه إيَّاه بالاحتيالِ في الصُّواعِ= قال لهم: ﴿ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ﴾ ونسَبِه وآبائِه ودينِه، فإنِّي أرجو وأظنُّ أنَّه يوسفُ ﴿وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ﴾: لا تقنَطُوا من رحمةِ الله وفرجِه.

والرَّوحُ: الاستِراحةُ، ابنُ عيسى: الرَّوحُ يقعُ[2] بريحٍ يَلَذُّ.

﴿إِنَّهُۥ﴾: إنَّ الأمرَ والشَّأنَ ﴿لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾؛ أي: الإيمانُ باللهِ وبصفاتِه يُوجِبُ للمُؤمنِ رجاءَ ثوابِه من غيرِ قنوطٍ من رحمتِه.

* * *

(٨٨) ـ ﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ﴾.

﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ﴾ يُريدُ: خرَجُوا من عندِ أبيهم راجِعينَ إلى مصرَ حتَّى وصلُوا إليها ودخلُوا على[3] يوسفَ ﴿قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ﴾؛ أي: الملكُ بلغةِ حميرَ، ﴿مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ﴾؛ أي: أصابَنا وأهلَنا الجوعُ ﴿وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ﴾: دراهمَ رديئةٍ،

---

(١) أي: الحسُّ اسم للإحساس، والكرامة: اسم للإكرام، والطاعة اسم للإطاعة. انظر: «الإبانة» للعوتبي (٤/ ١٠٩).

(٢) في (ن): «نفع»، والظاهر أنه تصحيف.

(٣) في (و): «قبل».

وقيل: زُيوفٍ، وقيل: بضاعةِ الأعرابِ؛ أي: الصُّوفِ والسَّمنِ والأقِطِ، وقيل: الحبَّةِ الخضراءِ والصَّنوبرِ، وقيل: خَلَقِ الغِرارِ[1] والحبالِ، وقيل: النِّعالِ والأدَمِ.

ومعنى ﴿مُّزۡجَىٰةٍ﴾: قليلةٍ، وقيل: نفايةٍ، وقيل: كاسدةٍ، وأصلُه منَ الدَّفعِ، ومنه: تَزْجِيَةُ الأوقاتِ.

﴿فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ﴾: أَتِمَّ لنا الكيلَ.

﴿وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآ﴾ فيه قولانِ:

أحدُهما: أنَّ الصَّدقةَ التي هي زكاةُ الأموالِ لـم تحِلَّ لنبيٍّ قطُّ، وهذا قولُ جُلِّ المُفسِّرين، فحمَلوا عليه قولَه: ﴿وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآ﴾ على معنًى يصحُّ من الأنبياءِ:

فقال بعضُهم: تصدَّقْ علينا بما بينَ السِّعرَين؛ فأعطِنا بالرَّديءِ ما تُعطي بالجيِّدِ. وقيل: تصدَّقْ علينا بأخذِ متاعِنا وإنْ لم يكُنْ من حاجتِك. وقيل: تصدَّقْ علينا بأخينا. وقيل: تفضَّلْ علينا. وقيل: تجوَّزْ عنَّا.

والثَّاني: أنَّ الصَّدقةَ كانت حلالًا للأنبياءِ، وإنَّما حُرِّمَتْ على نبيِّنا محمَّدٍ عليه السَّلامُ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ﴾: يُكافِئُهم.

والصَّدقةُ: العطيَّةُ للفقراءِ ابتغاءَ الأجرِ.

---

(١) كذا في النسختين: «الغرار والحبال»، والذي في المصادر: «الغرائر والحبال». انظر: «درج الدرر» للجرجاني (٢/ ١٤٣) وعزاه لابن زيد، و«تفسير السمعاني» (٣/ ٦٠) عن الكلبي، و«تفسير البغوي» (٤/ ٢٧٢) دون نسبة، و«تفسير القرطبي» (٩/ ٢٧٣) عن ابن عباس.

والغرائر: جمع الغرارة، وهي: وعاء من صوف أو شعر أو خيش لنقل التبن وما أشبهه، وهو الحوالق، أو هو أكبر منه. انظر: «معجم ديوان الأدب» (٣/ ٩٦)، و«تهذيب اللغة» (٨/ ١٨)، و«المعجم الوسيط» مادة: (غ ر ر).

(٨٩) ـ ﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ ﴾.

﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ ﴾ اختلَفَ المُفسِّرون في مُوجِبِ قولِه: ﴿هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ ﴾:

فقالَ بعضُهم: لمَّا قالوا: ﴿يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ﴾ دخلَتْه رِقَّةٌ فعندَها قال.

وقيل: كتَبَ إليه يعقوبُ كتابًا في تخليصِ بنيامين، وذكرَ فيه أحوالَه وما هو فيه منَ الحزنِ على فَقدِ يوسفَ وأخيه، وذكرَ أحوالَ أبوَيه إسحاقَ وإبراهيمَ فأخذَتْه رِقَّةٌ.

وقيلَ: قالَ لهم: إنَّ مالكَ بنَ ذُعْرٍ قال: اشتريتُ منكم بمكانِ كذا غُلامًا من صفتِه كذا وكذا، فقالوا: نحنُ بعناه منه، فغضبَ عليهم وأمرَ بقتلِهم، فبكَوا وجزِعُوا، فدمعَتْ عيناهُ ورقَّ لهم، وقالَ: ﴿هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ ﴾ حكاه الثَّعلبيُّ[١].

وحكى ابنُ الهيصَمِ في «قصصِه»: أنَّه صلبَهم[٢].

وفي القولَينِ بُعدٌ، والله أعلَمُ.

﴿إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ ﴾ قيل: شُبَّانٌ، ومَظِنَّةُ الجهلِ الشَّبابُ. وقيل: صِبيانٌ، وفيه بُعدٌ. وقيل: مُذنِبون.

وقيل: ﴿إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ ﴾: يومَ كنتُم جاهلين.

وقيل: جاهلون بعاقبةِ ما يصيرُ إليه أمرُكم وأمرُ يوسفَ.

ابنُ عيسى: هذا تذكيرٌ يتضمَّنُ التَّوبيخَ لهم بما صنَعوا به من إلقائِه في الجبِّ بعد أن كانوا عزَمُوا على قتلِه، ثمَّ بيعِهم إيَّاه منَ التّاجرِ، وبما صنَعوا بأخيه، من

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ١٣٨) عن الكلبي، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٤٩)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٤٩)، وعدَّه من العجائب.

إفـرادِه عـن أخيـه لأبيـه وأمِّه، ثـمَّ جفائهم بـه حتَّـى كان لا يُكلِّمُ أحـدًا منهـم إلّا كلامَ الذَّليـلِ للعزيز[١].

***

(٩٠) ـ ﴿ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِي قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾.

﴿ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ﴾ قُرِئَ بالخبرِ والاستفهام[٢]، والوجهُ الخبرُ؛ لأنَّ بينَ الاستفهامِ وبين (إنَّ) واللَّامِ تنافيًا؛ هذا للتَّردُّدِ، وهذا للتَّحقيقِ[٣].

وقيل: هو ألفُ النِّداءِ، وتقديرُه: يا مَن تُخاطِبُنا إنَّك لأنتَ يوسفُ.

وقيل: مَن قرأ بالخبرِ فالاستفهامُ[٤] مُقدَّرٌ، والوجهُ ما سبقَ.

وجاء في القِصّةِ: أنَّه كان يتكلَّمُ معَهم قبل ذلك من وراءِ الحجابِ، فرَفعَ يومئذٍ الحجابَ، ووضعَ التّاجَ وتبسَّمَ في وجوهِهم فعرفُوه، وقالوا: ﴿إنَّك لأنتَ يوسفُ﴾، ﴿قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِي﴾ من أبي وأمّي ﴿قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ﴾ بالسَّلامةِ والكرامةِ ﴿إِنَّهُۥ﴾: إنَّ الأمرَ والشَّأنَ ﴿مَن يَتَّقِ﴾ الفاحشةَ ﴿وَيَصْبِرْ﴾ على بلواه، وقيل: يتَّقِ الزِّنى ويصبِرْ على الغُرْبةِ، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ في الدُّنيا والآخرةِ،

---

(١) في (و): «العزيز للذليل». ذكر الزمخشري في «الكشاف» (٢/ ٥٠١) بعض كلام ابن عيسى بلا نسبة.

(٢) قرأ ابن كثير بالخبر، والباقون على الاستفهام. انظر: «السبعة» (ص: ٣٥٠)، و«التيسير» (ص: ١٣٠).

(٣) ويرجح جانب الاستفهام قوله عقبه: ﴿أَنَا۠ يُوسُفُ﴾، ويرجح جانب الخبر اللام، ذكر ذلك المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٤٩) وقد كان متقدمو النحويين مولعين بالترجيح بين القراءات، ولا وجه للترجيح بين القراءات المتواترة، فهي كلها قرآن معجز، نبه على ذلك أبو حيان في «البحر المحيط» (٢/ ٥٨٨) و(٣/ ٢٣٢).

(٤) في (و): «بالاستفهام فالخبر».

والعائدُ على المبتدأ محمولٌ على المعنى؛ لأنَّ المتَّقيَ الصّابرَ مُحسِنٌ لا محالةَ(١).

* * *

(٩١) ـ ﴿ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴾.

﴿ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا ﴾: اختارَكَ وفضَّلَكَ علينا بالعقلِ والحِلمِ(٢) والحُسْنِ.

وحقيقةُ الإيثارِ: تفضيلُ الشَّيءِ لكونِ أثرِه أجملَ من أثرِ غيرِه.

﴿وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴾: مُذنبين، فمَن ذهبَ إلى أنَّهم كانوا بالغينَ احتجَّ بهذا، ومَن ذهبَ إلى أنَّهم لم يكونُوا بالِغين، وأنَّ ذلك كانَ منهم لصِباهُم، قال: إقامتُهم على كتمانِ الأمرِ عن أبيهم ـ مُوهِمينَ له أنَّ الأمرَ على ما أخبَروه أوَّلًا ـ خطأٌ ومعصيةٌ.

* * *

(٩٢) ـ ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾.

﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ﴾: لا تعييرَ عليكُم، وقيل: لا أذكرُ لكم ذنبَكُم، وقيل: لا مُجازاةَ لكم عندي على ما فعلتُم، وقيل: لا تخليطَ عليكم ولا إفسادَ.

الزَّجَّاجُ: لا إفسادَ(٣).

---

(١) المبتدأ هو (مَنْ)، وهو اسم موصول على قراءة ابن كثير حيث أثبت الياء فقرأ (مَنْ يتقي)، وخبر (مَنْ) على هذه القراءة هو جملة (فإن الله لا يضيع أجر المحسنين)، وقد سبق التنبيه على دخول الفاء في جملة الخبر، ولكن الجملة ليس فيها ضمير يعود على (من)، فقالوا: المحسن هو معنى المنفي، فإعادة معنى اللفظ أغنى عن إعادة الضمير. انظر: «السبعة» (ص: ٣٥١)، و«معاني القراءات» للأزهري (٢/ ٥٠)، و«الحجة» لأبي علي (٣/ ٦٣)، و«التبيان» للعكبري (٢/ ٧٤٤)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٦/ ٣٢٠).

(٢) في (و): «والعلم».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ١٢٨).

وقيلَ: لا لومَ ولا عتبَ.

ابنُ عيسى: التَّثريبُ: تعليقُ الضُّرِّ بالإنسانِ من أجلِ جُرمٍ كانَ منه[١].

ابنُ بحرٍ: هو مأخوذٌ من الثَّرْبِ، وهو شحمُ الجوفِ، وهو بلوغُ الأقصى منَ الأمرِ[٢].

قال الشَّيخُ رحمَه الله: ويحتمِلُ أنَّه منَ الثَّرْبِ، حيثُ لم يأتِ على هذا التَّرتيبِ من هذا التَّركيبِ غيرُه[٣]، ويكونُ المعنى: لا تعييرَ عليكم، كما يُقالُ: فلانٌ يتناولُ كبدَ فلانٍ ويأكلُ الكبدَ، جعلَ أكلَ الكبدِ كنايةً عن التَّوبيخِ، وعن اللَّومِ، وعن الانتظارِ، وهذا معنًى جليٌّ[٤]، والله أعلَمُ[٥].

﴿يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ ما كانَ منكم، دَعا لهم من غيرِ مسألةٍ.

وقيل: خبرٌ، والمعنى: كانَ اللهُ آخذَكم بحقِّي إلَّا أنْ أصفَحَ، وقد صفَحْتُ عنكم، ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾.

* * *

(٩٣) ـ ﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا﴾ وذلك أنَّه سألَهم عن حالِ أبيه فقالوا: إنَّه عَمِيَ من كثرةِ البكاءِ. وفي القميصِ قولانِ:

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٥١)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٥١)، وعدَّه من العجائب.

(٣) جعل ابن فارس في «مقاييس اللغة» مادة: (ث ر ب) (١/ ٣٧٥) كلمتي (الثوب) و(التثريب) متباينتي الأصل، وذكر أنه لا فروع لهما.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٥١)، واستغربه.

(٥) «والله أعلم»: من (ن).

أحدُهما: كان قميصَه الذي يلبَسُه.

والثَّاني: كانَ القميصُ منَ الجنَّةِ، لا يمسُّه ذو عاهةٍ إلّا صَحَّ، وجاء في التَّفسيرِ أنَّه القميصُ الذي ألبَسَه الله إبراهيمَ يومَ طُرِحَ في النَّارِ، فكساه إسحاقَ، ثمَّ كساه يعقوبَ، ثمَّ جعلَه يعقوبُ في تعويذٍ وعلَّقَه من جيدِ[1] يوسفَ، ولم يعلَمْ إخوتُه بذلك[2].

﴿فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا﴾: يرجِعْ إلى حالِ الصِّحّةِ والبصرِ، وقال بعضُهم: معناه: يأتيني بصيرًا.

﴿وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾: نسائِكم وأولادِكم وعبيدِكم وإمائِكم.

***

(٩٤) - ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾.

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ﴾: خرجَتِ الرُّفقةُ من مصرَ نحو كنعانَ ﴿قَالَ أَبُوهُمْ﴾ لمَن حضَرَه من أسباطِه، وإنَّ أولادَه بعدُ في الطَّريقِ: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾: أدرَكَه شمًّا.

ابنُ عبَّاسٍ: حملتِ الرِّيحُ رائحةَ يوسفَ من مسيرةِ ثماني ليالٍ[3].

الحسنُ: من مسيرةِ شهرٍ[4].

---

(١) كذا في النسخ الخطية، وفي «غرائب التفسير» (١/ ٥٥١): «في تعويذة وعلقة في جيد»، وهو واضح.

(٢) روى نحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٩٦) عن المطلب بن عبد الله بن حنطب، والثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ١٤٧) عن مجاهد.

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٣٤٣)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ٣٣٣).

(٤) رواه ابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٤/ ٥٨١). وذكر الواحدي في «البسيط» (١٢/ ٢٤٢) عن الحسن قال: «وجد يعقوب ريح يوسف من مسيرة عشرة أيام».

مجاهدٌ: من مسيرةِ ثلاثةِ أيَّامٍ(١).

وذلك أنَّهم حين نشروه فاحَتْ منه رائحةُ الجنَّةِ، فحملَتْها الرِّيحُ إلى يعقوبَ، فعلِمَ أنْ ليس في الأرضِ من ريحِ الجنَّةِ إلّا ما كان من ذلك القميصِ، فمِن ثَمَّ قال: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾.

ومَن ذهَبَ إلى أنَّه قميصُه الذي كان يلبَسُه قال: بلغَتْ ريحُ يوسفَ يعقوبَ على بُعدِ المسافةِ مُعجزةً حيثُ كانوا أنبياءَ.

﴿لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ﴾: تُجهِّلون وتُسفِّهون وتُهزِّمون وتُكذِّبون وتُحمِّقون وتُضعِّفون وتُقبِّحون وتُعجِّزون وتُضلِّلون، هذه كلُّها أقوالُ المُفسِّرين.

والتَّفنيدُ في اللُّغةِ: تضعيفُ الرَّأيِ، والفَنَدُ: ضَعفُ الرَّأيِ، والتَّفعيلُ هاهنا للنَّسْبِ إلى الشَّيءِ(٢).

وجوابُ (لو) محذوفٌ، وتقديرُه: لقلتُ: إنَّه قريبٌ.

* * *

(٩٥) - ﴿قَالُواْ تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾.

﴿قَالُواْ﴾؛ أي: أسباطُه: ﴿تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾: خطَئِكَ(٣) القديمِ من حُبِّ يوسفَ لا تنساه، غلَّظُوا له القولَ بهذه الكلمةِ إشفاقًا عليه، وكان عندَهُم أنَّه قد ماتَ.

سعيدُ بنُ جُبيرٍ: ﴿ضَلَٰلِكَ﴾: حَيرتِك(٤).

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ١٤٩).

(٢) قال السيرافي في «شرح كتاب سيبويه» (٤/ ٤٣٨): «الباب في نسبته إلى الشيء أن يكون على (فعَّلت)، كقولك: لحَّنته وخطَّأته».

(٣) في (و): «خطابك».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٥٢)، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٩٨)، وذكره الماوردي في «تفسيره» (٣/ ٧٨)، كلاهما بلفظ: «جنونك القديم».

الحسنُ: هذا عقوقٌ(١). كأنَّه لـم يرضَ هذا القولَ.

وقيل: ﴿فِي ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾: محبَّتِكَ القديمةِ(٢).

قال الشَّيخُ: ويحتمِلُ أنَّهم عَنَوا بهذا الضَّلالِ ما حكى الله عن نبيِّه في قولِه: ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ ولهذا قالوا: ﴿فِي ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾؛ لأنَّ القديمَ هو الموجودُ الذي لـم يزَلْ، ثمَّ يستعملُ للعتيقِ مُبالغةً كقولِه: ﴿كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾ [يس: ٣٩](٣)، والله أعلَمُ.

***

(٩٦) - ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ﴾ جُلُّ المُفسِّرين على أنَّ البشيرَ يهوذا بنُ يعقوبَ، قال: أنا ذهبتُ إليه بالقميصِ مُلطَّخًا بالدَّمِ، فأكونُ أنا الذَّاهبَ بالقميصِ مُبشِّرًا.

ورُوِيَ عن ابنِ عبَّاسٍ أيضًا: أنَّ البشيرَ مالكُ بنُ ذُعْرٍ(٤).

﴿أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾؛ أي: ألقى البشيرُ القميصَ على وجهِ يعقوبَ ﴿فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا﴾: عادَ كما كانَ.

وقيل: ﴿فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا﴾ بخبرِ يوسفَ. حكاه أقضى القُضاةِ(٥).

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٩٨)، وذكره الماوردي في «تفسيره» (٣/ ٧٨).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٥٢)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٥٢)، واستغربه.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ١٥٦) من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما.

(٥) انظر: «النكت والعيون» (٣/ ٧٨).

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من حياةِ يوسفَ، وأنَّ الله يجمعُ بيننَا.

وقيل: إنِّي أعلَمُ من صحَّةِ رُؤيا يوسفَ.

وقيل: بلوى الأنبياءِ بالمِحَنِ ونزولِ[1] الفرجِ.

وقيل: من إخبارِ ملَكِ الموتِ إيّايَ.

* * *

(٩٧) ـ ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ﴾.

﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ﴾؛ أي: سلِ الله لنا مغفرةَ ما ارتكَبْناه في حقِّكَ وحقِّ ابنِكَ، إنَّا تُبنا واعترَفْنا بخطَئِنا.

* * *

(٩٨) ـ ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ﴾ أخَّره إلى صلاةِ اللَّيلِ، وقيل: إلى السَّحَر[2]، وقيل: إلى ليلةِ الجمعةِ، وقيل: أدومُ إلى الاستغفارِ خلفَ كلِّ صلاةٍ، وقيل: عندَ[3] كلِّ دعاءٍ، وقيل: أسألُ يوسفَ، فإنْ عفا عنكم أستغفِرُ لكم ربِّي ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

ثمَّ إنَّ يوسفَ حملَ إلى يعقوبَ جهازَ السَّفرِ ومئتَي راحلةٍ، وسألَه أن يأتيَه بأهلِه أجمعين، فهيَّأ يعقوبُ أسبابَ السَّفرِ فخرجَ بأهلِه ـ قالَ ابنُ سيرين: كانوا

---

(١) في (ن): «وبزوال».

(٢) في (و): «السجود».

(٣) في (و): «عند».

ثلاثـةً وسـبعينَ إنسـانًا(١) ـ فلمَّـا بلـغَ قريبًـا مـن مصرَ كلَّـمَ يوسـفُ الملِـكَ الكبيرَ، فخـرجَ يوسـفُ والملكُ فـي جُنـدٍ عظيـمٍ، وأدخَلُوهم مصرَ، وهـو قولُه:

(٩٩) ـ ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾.

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ﴾: ضمَّ إليه ﴿أَبَوَيْهِ﴾: يُريدُ: أباه وخالتَه، وكانت تحتَ يعقوبَ.

الحسنُ: كانت أمُّ يوسفَ راحيلُ باقيةً إلى دخولِ مصرَ(٢).

﴿وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ﴾ قيل: هذا كانَ قبلَ الدُّخولِ. وقيل: بعد أن دخلوا مصرَ؛ أي: ادخلوا مُقيمينَ فيها.

﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ من ملوكِها، وكانوا لا يدخلونَ إلّا بجِوارٍ، وقيل: آمنين منَ القَحْطِ.

والاستثناءُ منَ الأمنِ، وقيل: كان قبلَ الدُّخولِ(٣).

وقيل: هو راجعٌ إلى قولِ يعقوبَ؛ سوف أستغفر لكم ربي إن شاء الله(٤).

---

(١) لم أقف عليه، وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٩٦) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «كان أهله حين أرسل إليهم وهو بمصر ثلاثة وتسعين إنساناً رجالهم أنبياء ونساؤهم صديقات، والله ما خرجوا مع موسى حتى بلغوا ستمائة ألف وسبعين ألفًا».

(٢) ذكره الماوردي في «تفسيره» (٣/ ٨٢) عن الحسن وابن إسحاق، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٣٥٢) عن ابن إسحاق، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٥٢) عن الحسن، واستغربه، وروى الثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ١٦٧) أنها نشرت من قبرها لتحقيق الرؤية.

(٣) فالاستثناء من الدخول، والمعنى: ادخلوا إن شاء الله مصر. والمراد بالاستثناء قول: «إن شاء الله»، وليس الاستثناء المعروف في النحو. انظر: «الكليات» للكفوي (ص: ٩١).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٥٢)، وعدَّه من العجائب.

قال الشَّيخُ رحمَه الله: ويحتمِلُ أنَّ هذا على وجهِ التَّسبيحِ[١]، كقولِه عليه السَّلامُ حين دخلَ المقابرَ: «وإنَّا بكم لاحِقونَ إنْ شاءَ اللهُ»[٢]، وإلى هذا المعنى ذهبَ بعضُ المُفسِّرين في قولِه: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الفتح: ٢٧][٣].

* * *

(١٠٠) - ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا﴾ الواوُ لا تقتضي التَّرتيبَ، وفيه تقديمٌ وتأخيرٌ؛ أي: خرُّوا له سُجَّدًا ورفعَ أبويه على العرشِ: على السَّريرِ، وكان تحيَّتَهم السُّجودُ[٤].

الحسَنُ: أمرَهُم الله بالسُّجودِ له لتأويلِ الرُّؤيا[٥].

ابنُ عبّاسٍ: خرُّوا لله سُجَّدًا[٦].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٥٢)، واستغربه.

(٢) رواه مسلم (٢٤٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «وإنَّا إنْ شاء اللهُ بكم لاحِقون».

(٣) قال ثعلب في الآية: «استثنى وهو يعلم ليعلّمنا الاستثناء». انظر: «المسائل البصريات» لأبي علي الفارسي (١/ ٢٧٤).

(٤) هو مروي عن عدي بن حاتم وقتادة. انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» (٧/ ٢٢٠٢).

(٥) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٨٢).

(٦) ذكر الأزهري في «تهذيب اللغة» (١٠/ ٣٠١) أنه قول الحسن، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٢٥٩)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٥٣) بلا نسبة، واستغربه.

﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ﴾: صادقةً، وكان بينَ الرُّؤيا وبين التَّأويلِ أربعون سنةً. الحسنُ: ثمانونَ سنةً[1]. وقيل: ستٌّ وثلاثونَ سنةً. وقيل: اثنتانِ وعشرونَ سنةً. وقيل: ثماني عشرةَ سنةً.

﴿وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ﴾ ولم يذكرِ الجبَّ؛ لقولِه: ﴿لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾.

﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ﴾ وكانوا يسكُنون البرارِيَ، وقيل: جاؤوا منَ الباديةِ، وكانوا يسكُنونَ المُدنَ قِبَلَ فلسطين، وقيلَ: الجزيرةَ من حَرَّانَ.

﴿مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾: أفسَدَ وحرَّشَ ﴿بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ﴾ وقيل: أفسَدَ ذاتَ بينِنا.

﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ﴾ بالغٌ إرادتَه، وقيل: لطَفَ بيوسفَ حتَّى نجا منَ الشَّدائدِ ونالَ ما نالَ ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾.

***

(١٠١) - ﴿رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

﴿رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ﴾: ملكِ مصرَ، ودخلَ ﴿مِنَ﴾ للتَّبعيضِ؛ لأنَّه لم يُؤتَ الملكَ كلَّه[2]، وقيل: ﴿مِنَ﴾ للبيانِ.

﴿وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ﴾: تفسيرِ كتُبك المُنزَّلةِ على الأنبياءِ، وقيل: تعبيرِ الرُّؤيا، و﴿مِنَ﴾ للتَّبعيضِ أو للتَّبيينِ كالأوَّلِ.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٣٩٢٠)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ٣١٣)، والثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ١١٨).

(٢) ذكر القشيري في «تفسيره» (٢/ ٢٠٩) أن (من) للتبعيض؛ لأن الملك بالكمال لله وحده.

﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ﴾: ناصِري ومُعيني ومُتولِّي تدبيري ﴿فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا﴾: اقبِضْني على الإسلامِ مُخلِصًا في الطَّاعةِ.

ابنُ جريرٍ: سألَ الموتَ، وما سألَه غيرُه[1].

وقيل: ليس هذا سؤالًا، وإنَّما المعنى: توفَّني يومَ توفَّني[2] مُخلِصًا.

﴿وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾: الأنبياءِ. وقيل: آبائي إبراهيمَ وإسحاقَ ويعقوبَ. وقيل: أهلِ الجنّةِ.

* * *

(١٠٢) ـ ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۖ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ أَجۡمَعُوٓاْ أَمۡرَهُمۡ وَهُمۡ يَمۡكُرُونَ﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾ يعني: نبأَ يوسفَ ﴿مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ﴾: منَ الأخبارِ العظيمةِ وقد غبتَ عنها ﴿نُوحِيهِ إِلَيۡكَ﴾: نُرسِلُ به جبريلَ إليك، ولم يكُنْ من علمِكَ ولا من علمِ قومِكَ.

﴿وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ﴾: لدى بني يعقوبَ ﴿إِذۡ أَجۡمَعُوٓاْ أَمۡرَهُمۡ﴾: عزَمُوا على ما همُّوا به من إلقاءِ يوسفَ في الجُبِّ ﴿وَهُمۡ يَمۡكُرُونَ﴾ بيوسفَ، وقيل: بأبيهم.

* * *

(١٠٣) ـ ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾.

﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾ كانَ رسولُ الله عليه السَّلامُ

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٣/ ٣٦٥)، وفيه: «وقيل: إنه لم يتمن أحد من الأنبياء الموت قبل يوسف».

(٢) كذا في (و)، وسقطت الجملة من (ن)، وفي «غرائب التفسير» (١/ ٥٥٣): «حين تتوفى»، وفي (ط) «تتوفاني».

يرجو إيمانَ قُريشٍ واليهودِ لمَّا سألُوا عن قصَّةِ يوسفَ، فقصَّ الله عليهم أحسَنَ القصَصِ وبيَّنَها أحسَنَ بيانٍ، فلم يكونوا عندَ ظنِّه، فنزلَتْ هذه الآيةُ[1]، وتقديرُها: وما أكثرُ النّاسِ بمُؤمنينَ ولو حرَصْتَ: اجتَهَدْتَ كلَّ الاجتهادِ، فإنَّ ذلك إلى الله فحسب.

***

(١٠٤) ـ ﴿وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ﴾: على القرآنِ، وقيل: على التَّبليغِ، وقيل: على الإنباءِ ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾: جُعْلٍ ومالٍ فيُثقِلَهم ذلك، ﴿إِنْ هُوَ﴾: ما هو ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾؛ أي: ما في القرآنِ إلّا عِظةٌ ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾: للخلائقِ أجمعين.

***

(١٠٥) ـ ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾.

﴿وَكَأَيِّن﴾ معناه: كم، وتقديرُه: كأيِّ عددٍ شئتَ، ويلزمُ ما بعدَه من قولِه: ﴿مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الآية: ما يُوجِبُ العلمَ اليقينَ عندَ التَّأمُّلِ.

﴿يَمُرُّونَ عَلَيْهَا﴾: على الآياتِ.

وقيل: على الأرضِ[2]. ويُقوِّي هذا القولَ قراءةُ مَن قرأ بالرَّفعِ والنَّصبِ[3]،

---

(١) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٦/ ٣٣٠)، ونقله عن ابن الأنباري، والظاهر أن المصنف أفاده منه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٥٣)، واستغربه.

(٣) يعني قوله: (والأرض) قرئت بالنصب والرفع، وقد نسبت القراءة بالنصب للسدي، وبالرفع إلى ابن عبّاسٍ وعكرمة. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٧٠)، و«شواذ القراءات» لشمس القراء الكرماني (ص: ٢٥٢).

وكذلك قراءةُ ابنِ مسعودٍ رضيَ الله عنه: (يمشون عليها)[1]، والكلُّ شاذٌّ.

﴿وَهُمْ عَنْهَا﴾: عنِ الآياتِ ﴿مُعْرِضُونَ﴾: غيرُ مُفكِّرينَ فيها.

الحسنُ: منَ الآياتِ إهلاكُ مَن أُهلِكَ منَ الأُممِ[2].

***

(١٠٦) - ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾.

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ أكثرُ المُفسِّرين على أنَّها نزلَتْ في الكفّارِ؛ لأنَّهم مُقِرُّونَ بأنَّ الله خالقُهم ورازقُهم، وإذا حزبَهم أمرٌ شديدٌ دعَوُا الله.

وقيل: نزلَتْ في الثَّنَوِيَّةِ وقولِهم بالنُّورِ والظُّلمةِ، والمجوسِ وقولِهم: الخيرُ منَ الله والشَّرُّ من إبليسَ.

وقيل: في النَّصارى، آمَنُوا ثمَّ أشرَكُوا بالتَّثليثِ.

ابنُ عبّاسٍ: نزلَتْ في تلبيةِ المُشركين، وهي قولُهم: لبَّيكَ اللَّهمَّ لبَّيكَ، لبَّيكَ لا شريكَ لك، إلّا شريكٌ هو لك، تملِكُه وما مَلَكَ[3].

وقيل: نزلَتْ في المنافقين، أظهَروا الإسلامَ[4] وأسرُّوا الكفرَ والشِّركَ.

وقيل: نزلَتْ في أهلِ الكتابِ، آمنوا ببعضِ الأنبياءِ وكفروا ببعضٍ، فجمَعُوا بين الإيمانِ والشِّركِ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٣٧٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٠٧) عن قتادة، وذكر هذه القراءة ابن جني في «المحتسب» (١/ ٣٥٠).

(٢) لم أجده.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٢٦٢)، ورواه مسلم (١١٨٥) لكن دون ذكر النزول، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٥٤)، واستغربه.

(٤) في (و): «الإيمان».

ابنُ جريرٍ: هو كقولِ القائلِ: لولا اللهُ وفلانٌ لكانَ كذا[١].

وقيل: تقديرُه: وما يُؤمِنُ أكثرُهم بالله إلّا وهم كانوا مشركين، وله نظائرُ.

ورُوِيَ عن ابنِ عمرَ رضي الله عنهما عن رسولِ الله عليه السَّلامُ: «مَن حلَفَ بغيرِ الله فقد أشرَكَ»[٢].

***

(١٠٧) ـ ﴿أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأۡتِيَهُمۡ غَٰشِيَةٞ مِّنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوۡ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾.

﴿أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأۡتِيَهُمۡ غَٰشِيَةٞ مِّنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ﴾: عقوبةٌ تغشاهُم وتَشْملُهم ﴿أَوۡ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾: القيامةُ ﴿بَغۡتَةٗ﴾: فجأةً من غيرِ سابقةِ علامةٍ ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ بإتيانِها؛ أي: وهم غيرُ مُستعِدِّين لها.

***

---

(١) روى الطبري عن عكرمة: «لولا كلبنا لدخل علينا اللصُّ الدار...» ثم قال: «فنهاهم الله تعالى أن يشركوا به شيئاً وأن يعبدوا غيره...» والظاهر أن هذا تعليق على الآية ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا﴾، وليس على هذا التفسير. انظر: «تفسير الطبري» (١/ ٣٩٢)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٥٤)، وعدَّه من العجائب، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٠٨) عن أبي جعفر محمد بن علي، وكذا ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٨٧) عن أبي جعفر، فلعل المصنف وهم فظنه أبا جعفر الطبري صاحب التفسير، أو أنه جعل تعليق الطبري المتقدم على كلام عكرمة إقراراً له، فنقله عنه، وقد تبيّن أن المصنف ينقل الشيء عمن تقدمه بمجرَّد روايته له، أو ذكره له ولو احتمالاً، فلا يستغرب أن يكون هذا من ذلك والله أعلم.

(٢) رواه أبو داود (٣٢٥١)، والترمذي (١٥٣٥) وقال: «حديث حسن».

(١٠٨) - ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾.

﴿ قُلْ ﴾: يا محمَّدُ: ﴿هَٰذِهِۦ﴾ الطَّريقةُ وهذه الدَّعوةُ ﴿سَبِيلِىٓ﴾: طريقي ومنهاجي ﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾؛ أي: أدعو النَّاسَ إلى الله ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠﴾: على هُدًى وبيانٍ.

ابنُ عيسى: البصيرةُ: المعرفةُ التي يتميَّزُ بها الحقُّ منَ الباطلِ، وهي مصدرُ (بَصُرَ).

﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾: آمَنَ بي وصدَّقَني؛ أي: وهم يدعون النَّاسَ أيضًا إلى الله.

وقيل: تمَّ الكلامُ على قولِه: ﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾، ثمَّ استأنفَ فقالَ: ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ فيكونُ ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ خبرَ المبتدأ[1]، وهذا أحسنُ، وعلى الوجهِ الأوَّلِ حالٌ.

﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: وقل: سبحانَ الله، نزِّهْهُ عمَّا لا يليقُ بوصفِه.

﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ معَ الله غيرَ الله.

* * *

(١٠٩) - ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾.

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ﴾؛ أي: حالُ مَن سبقَ منَ الأنبياءِ كحالِكَ، وبُعِثُوا من أهلِ القُرى لأنَّهم أعلَمُ وأحلَمُ، ولم يَبعثِ الله نبيًّا منَ الباديةِ ولا منَ النِّساءِ، الحسنُ: ولا منَ الجنِّ[2].

---

(١) انظر: «إيضاح الوقف والابتداء» للأنباري (٢/ ٧٢٨)، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٥٤)، واستغربه.

(٢) ذكره الماوردي في «تفسيره» (٣/ ٨٨)، والواحدي في «البسيط» (١٢/ ٢٦٤).

و﴿مِن﴾ لابتداءِ الغايةِ، و(قبل): اسمٌ للزَّمانِ الذي تقدَّمَ زمانَ ما أُضيفَ (قبل) إليه، وأفادَ دُخولُ ﴿مِن﴾ استيعابَ الطَّرفَينِ[1].

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ يُحذِّرُ أمَّةَ محمَّدٍ عليه السَّلامُ من تكذيبِه بما وقعَ بمَن كذَّبَ الرُّسلَ قبلَهم، ويُحرِّضُهم على الامتدادِ في الأرضِ والنَّظرِ إلى مصارعِ مَن أُهلِكُوا قبلَهم.

وأفادَ دخولُ الفاءِ أنَّ ما قبلَه يقتضي ما بعدَه.

﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾ يعني: الجنَّة ﴿خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الشِّركَ وآمَنُوا بالله ﴿أفلا يعقلون﴾[2] فيعرِفُوا أنَّها خيرٌ فيتوسَّلُوا بالإيمانِ إليها.

وقيل: أوَلَـم يقرؤُوا القرآنَ فيعرِفُوا كيفَ كان حالُ مَن كذَّبَ الرُّسلَ قبلَهم.

وأضافَ (الدّارَ) هاهنا إلى (الآخرةِ) على تقديرِ حذفِ الموصوفِ، كأنَّه قال: ولَدارُ النَّشأةِ الأُخرى، وفي غيرِها صفةٌ لـ(الدّار)[3].

***

(١١٠) ـ ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾.

﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ﴾: يئِسُوا وانقَطَعَ رجاؤُهم من صلاحِ القومِ وإيمانِهم ﴿وظنّوا أنّهم قد كُذِّبوا﴾: وأيقَنَ الرُّسلُ أنَّ قومَهم كذَّبوهم.

---

(١) «الطرفين»: من (ن)، و«البرهان» للمصنف (ص: ١٥٠)، وذلك لأن (قبل) قد يقع على بعض ما تقدم، فلما دخلت عليه (من) أفاد الاستيعاب.

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي بالياء، وقرأ نافع وعاصم وابن عامر بالتاء. انظر: «السبعة» (ص: ٢٥٦)، وقراءة المصنف بالياء.

(٣) ومن ذلك: ﴿وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ٣٢].

ومَن قرأ بالتَّخفيفِ[(١)] يَحتمِلُ وجهَين:

أحدُهما: أنَّ الضَّميرَ للمُرسَلِ إليهم، ودلَّ ﴿ٱلرُّسُلُ﴾ على المُرسَلِ إليهم، وقيل: تقدَّمَ ذِكرُهم في قوله: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

والثّاني: أن يعودَ إلى ﴿ٱلرُّسُلُ﴾، والمعنى: ظنَّ الرُّسلُ أنَّ قومَهم كذَبوهم فيما وعَدُوهم منَ الإجابةِ إلى الإيمانِ.

و(كذَبَ) يتعدَّى إلى مفعولَين: كذَبتُه الحديثَ.

وما ذكَره القُتَبيُّ في جماعةٍ في هذه الآيةِ فبعيدٌ، لا نعتَقِدُ مثلَه في الأنبياءِ والمُرسَلين[(٢)].

﴿جَآءَهُمْ نَصْرُنَا﴾: نُصرَتُنا للأنبياءِ والمُؤمنين بهم ﴿فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ﴾: النَّبيُّ ومَن آمَنَ به، ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾؛ أي: وأهلَكْنا الكاذبين حيثُ لا رادَّ لعذابِنا عنهم إذا نزَلَ بهم.

* * *

---

(١) قرأ الكوفيون: ﴿قَدْ كُذِبُواْ﴾ بتخفيف الذال، والباقون بتشديدها. انظر: «السبعة» (ص: ٣٥١)، و«التيسير» (ص: ١٣٠).

(٢) قال المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٥٦): «العجيب: حكى القتبي في «المشكل»: كانوا بشراً؛ يعني: الرسل. يذهب إلى أن الرسل ضعفوا فظنوا أنهم أخلقوا». ثم تعقبه المصنف بقوله: «وهذا بعيد لا يعتقد مثله في الأنبياء والمرسلين».

والذي في «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (ص: ٢٣٤) هو نقل لأقوال المفسرين من الصحابة والتابعين في الآية، ومنها ما روي عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما: «كانوا بشراً؛ يعني: الرسل، يذهب إلى أن الرسل ضعفوا فظنّوا أنهم قد أخلفوا». وهو ما نقله المصنف عن ابن قتيبة على عادته بنسبة القول إلى مَن نقله رواية أو احتمالاً، على أنَّ ابن قتيبة استحسن واختار قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «لم يزل البلاء بالرّسل حتى خافوا أن يكون من معهم من المؤمنين قد كذّبوهم».

(١١١) - ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ﴾؛ أي: في قَصَصِ الأنبياءِ وأُممِهم. وقيل: في قصَّةِ يوسفَ وإخوتِه وأبيه ﴿عِبْرَةٌ﴾: ما يُعبرُ به عن الجهلِ إلى العلمِ ﴿لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾: ذَوي العقولِ. ولبُّ كلِّ شيءٍ: خُلاصتُه وخِيارُه.

أي: الذي قَدرَ على إعزازِ يوسفَ بعد الجُبِّ والسِّجنِ، وتمليكِه مصرَ بعد العبوديّةِ والذُّلِّ، والجمعِ بينَه وبينَ إخوتِه على المحبوبِ بعد المدَّةِ المديدةِ والشُّقَّةِ البعيدةِ = قادرٌ على إعزازِ محمَّدٍ عليه السَّلامُ وإعلاءِ كلمتِه على مَن عاداه منَ الكفَّارِ والجُهَّالِ.

﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ﴾؛ أي: ما كانَ القرآنُ حديثًا مُفترًى كما زعمَ الكفّارُ ﴿وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾؛ أي: ولكنْ كانَ تصديقَ الكتُبِ المُتقدِّمةِ ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾: وبيانَ دينِ الله وشرائعِه ﴿وَهُدًى﴾ منَ الضَّلالِ ﴿وَرَحْمَةً﴾ منَ العذابِ ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: يُصدِّقونَ بتوحيدِ الله، ويُقرُّونَ بنبوّةِ محمَّدٍ ﷺ.

* * *

سُورَةُ الرَّعۡدِ

سُورَةُ الرَّعْدِ

ثلاثٌ وأربعونَ آيةً[1]. مدنيَّةٌ في قولِ قتادةَ[2].

وقـالَ عطاءٌ: هـي مكِّيَّةٌ إلّا آيةً من قولِـه: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا﴾ [٤٣][3].

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿الٓمٓر ۚ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ ۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

---

(١) «ثلاث وأربعون آية» من (ن). وانظر: «البيان في عد آي القرآن» للداني (ص: ١٦٩)، وفيه: «وهي أربعون وثلاث آيات في الكوفي وأربع في المدنيين والمكي وخمس بَصري وسبع شامي، اختلافها خمس آيات..».

(٢) ذكره عن قتادة هكذا دون استثناء الجرجاني في «درج الدرر» (٢/ ١٤٧). وعند غيره عن قتادة استثناء قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ﴾ [الرعد: ٣١] فهي مكية، هكذا رواه النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٥٣٥)، وابن المنذر وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» (٤/ ٥٩٩)، وذكره مكي في «الهداية» (٥/ ٣٦٥٩)، والداني في «البيان في عد آي القرآن» (ص: ١٦٩).

(٣) ذكره هكذا عن عطاء أبو حيان في «البحر» (٦/ ٣٤٢) ولعله أخذه من المؤلف، وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٢/ ٤٧٩) من رواية أبي صالح عن ابن عباس مع استثناء آية أخرى وهي قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ﴾. وذكر الداني في «البيان في عد آي القرآن» (ص: ١٦٩) عن ابن عباس وعطاء ومجاهد وسعيد بن جبير أنها مكية ولم يستثن. وهكذا رواه النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٥٣٥) عن ابن عباس وسعيد بن جبير.

﴿الٓمٓر﴾ ابنُ عبَّاسٍ رضيَ الله عنهما: أنا الله أعلَمُ وأرى[1]. والكلامُ فيها سبقَ.

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ قيل: الكتابُ: التَّوراةُ والإنجيلُ، وقيل: الزَّبورُ، وقيلَ: القرآنُ، وقيل: اللَّوحُ المحفوظُ.

﴿وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾: القرآنُ بإجماعٍ؛ لقولِه: ﴿مِن رَّبِّكَ﴾ فمَن جعَلَ الكتابَ القرآنَ جعَلَ الواوَ مُقحَمًا[2]، أو جوَّزَ العطفَ على الوصفِ بالواوِ[3]، كقولِ الشّاعرِ:

إلى المَلِكِ القَرْمِ وَابْنِ الهُمامِ ... ولَيْثِ الكَتيبَةِ في المُزْدَحَمْ[4]

وقيل: ﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ ما نزَلَ منَ القرآنِ قبلَ هذه السُّورةِ، ﴿وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ﴾ هذه السُّورةُ.

ومحلُّ ﴿الّذي﴾ رفعٌ بالابتداءِ، ﴿ٱلْحَقُّ﴾ خبرُه، وقيل: جَرٌّ عطفًا على ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾، و﴿ٱلْحَقُّ﴾ خبرُ المبتدأ[5].

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ نزلَتْ حينَ قالتِ العربُ: إنَّ محمَّدًا يتقوَّلُ القرآنَ من تلقاءِ نفسِه.

---

(١) رواه الداني في «المكتفى في الوقف والابتدا» (٦٦)، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٢١٥)، والثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٢٦٧)، والواحدي في «البسيط» (١٢/ ٢٧٩). وروى الطبري في «تفسيره» (١/ ٢٠٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «﴿الٓمٓ﴾: أنا الله أعلم».

(٢) أي: زائدة، وهذا قول الكسائي. انظر: «تفسير الثعالبي» (٣/ ٣٠٥).

(٣) في (و): «جوّز عطف الوصف بالوصف». والمثبت من (ن)، والمعنى: أن الواوَ تكونُ داخلةً وقد ذكر المصنف أن العرب قد تعطف بالواو. انظر: «غرائب التفسير» (١/ ١٠١).

(٤) البيت بلا نسبة في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٥٨)، و«تفسير الطبري» (٣/ ٨٧)، و«تفسير الثعلبي» (٣/ ٣٠٥)، و«الاستذكار» (٢/ ١٨٨).

(٥) أي: خبر مبتدأ محذوف، والجملة صفة (الذي)، وقد ذكر الطبري أن الصواب على هذا الوجه أنه يقرأ (الحق) بالخبر. انظر: «تفسير الطبري» (١٣/ ٤٠٧)، «والبحر المحيط» (٦/ ٣٤٣).

(٢) ـ ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾.

﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ﴾؛ أي: وضعَها من جانبِ العُلوِّ ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾: جمعُ عِمادٍ. وقيل: جمعُ: عَمُودٍ، فإنَّ العربَ تقولُ: عِمادُ البيتِ وعَمودُ البيت، وجمعُهما: عَمَدٌ بفتحتَينِ كأَدَمٍ وأَفَقٍ وأَهَبٍ[١]، وهو قليلٌ.

ابنُ عيسى: هو جسمٌ مُستطيلٌ يمنعُ المرتفِعَ أن يميلَ[٢].

﴿تَرَوْنَهَا﴾ الضَّميرُ يعودُ إلى ﴿السَّمَاوَاتِ﴾؛ أي: ترونَها كذلك، فلا حاجةَ إلى بيانٍ.

وقيل: يعودُ إلى العَمَدِ، وفيه قولانِ:

أحدُهما: لها عمَدٌ غيرُ مرئيَّةٍ، وهي قدرةُ الله سبحانَه.

وقيل: هي جبلُ قافٍ، والسَّماواتُ مُقَبَّبةٌ عليه، وإنَّ خُضْرةَ السَّماءِ من جبلِ قافٍ[٣].

﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ سبقَ بيانُه.

---

(١) إهاب وأَهَب، وأديم وأَدَم، وأَفيق وأَفَق. انظر: «غرائب التفسير» (١/ ٥٥٨).

(٢) ذكر نحوه السمعاني في «تفسيره» (٣/ ٧٥)، وابن الجزري في «النشر» (٢/ ٤٠٣) بلا نسبة.

(٣) روي في هذا المعنى خبر عن ابن عباس رضي الله عنه، وفيه: «(ق) جبل محيط بالأرض من زمردة خضراء، خضرة السماء منه...» ذكره أبو الليث السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٣٣١)، والنسفي في «التيسير في التفسير» عند هذه الآية، ولعله لا يصح عن ابن عباس، وقصة جبل قاف من خرافات الإسرائيليات، وقد ذهب القرافي إلى أن جبل قاف لا وجود له، وبرهن عليه ثم قال: «ولا يجوز اعتقاد ما لا دليل عليه». ذكر ذلك الآلوسي في «روح المعاني» (٢٥/ ٤١٢)، ثم قال: «والذي أذهب إليه ما ذهب إليه القرافي من أنه لا وجود لهذا الجبل بشهادة الحس، فقد قطعوا هذه الأرض برها وبحرها على مدار السرطان مرات فلم يشاهدوا ذلك، والطعن في صحة هذه الأخبار أهون من تكذيب الحس».

﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾: ذلَّلهما لِـمَا يُرادُ منهما تذليلَ الفرسِ للرُّكوبِ.

وقيل: سخَّرَهما لمنافعِ العبادِ.

﴿كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: لانقِضاءِ الدُّنيا، والأجلُ: الوقتُ المضروبُ لحدوثِ أمرٍ أو انقطاعِه.

ابنُ عبّاسٍ: ﴿يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يُريدُ: درجاتِهما ومنازِلـهما ينتَهيانِ إليها لا يتجاوَزانِها(١).

﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾: يقضيه وحدَه ﴿يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ﴾: يُبيِّنُها ويُميِّزُ بعضَها عن بعضٍ ﴿لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾: كي تتفكَّروا فتعرِفُوا قدرتَه على البعثِ والإعادةِ.

***

(٣) ـ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ﴾: بسَطَها طُولًا وعرضًا ليُثبِّتَ عليها أقدامَ الخلقِ.

واختلفوا في شكل الأرض فقيل: بسيطٌ، وقيل: كُرِيٌّ، والآيةُ حُجَّةٌ لمَن قالَ: بسيطٌ(٢).

﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾: جبالًا ثوابتَ، من رسا الشَّيءُ: إذا ثبَتَ، وكانتِ الأرضُ تضطرِبُ، فخلَقَ الله الجبالَ أوتادًا فاستقرَّتْ.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ٢٠٦)، والواحدي في «البسيط» (١٢/ ٢٨٥).

(٢) ذكر المصنف هذا الخلاف في كروية الأرض في «غرائب التفسير» (١/ ١٢٥) ومال إلى أنها غير كروية، وقد أثبت العلم أن الأرض كروية، وليس في الآية ما ينافي ذلك، فإن المد يتعلق بما يعاينه الإنسان في محيطه الذي تبلغه حواسه، وهذا لا يظهر في الكروية لاتساع مساحة الأرض. وانظر: «تفسير الرازي» (١٣/ ٨٣).

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: كان أبو قُبَيسٍ أوَّلَ جبلٍ وُضِعَ على الأرضِ(١).

و﴿رَوَاسِيَ﴾: جمعُ راسيةٍ، والتّاءُ للتّأنيثِ؛ أي: جبلٌ راسٍ، وأجبُلٌ راسيةٌ، وجبالٌ رواسٍ، فجبالٌ جمعُ أجبُلٍ.

وقيلَ: التّاءُ للمُبالغةِ، كنسَّابةٍ وعلَّامةٍ(٢)، والأوَّلُ أولى.

﴿وَأَنْهَٰرًا﴾: جمعُ نهرٍ، وهو مسيلُ الماءِ، من نهَرْتُ الشّيءَ؛ أي: وسَّعتُه.

﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾؛ أي: لونَينِ وضربَين؛ حُلوًا وحامِضًا، ومُرًّا وعذْبًا، وحارًّا وبارِدًا، يُريدُ اختلافَ كلِّ جنسٍ منَ الثَّمرِ.

والزَّوجُ: واحدٌ، والزَّوجُ: اثنانِ(٣)، ولهذا قُيِّدَ ليُعلَمَ أنَّ المُرادَ بالزَّوجِ هاهنا: الفردُ، لا التَّثنيةُ فيكونَ أربعًا.

وخَصَّ اثنَين بالذِّكرِ ـ وإنْ كان من أجناسِ الثِّمارِ ما يزيدُ على ذلك ـ لأنَّه الأقلُّ؛ إذ لا نوعَ ينقصُ أصنافُه عن اثنَينِ(٤).

وقيلَ: ﴿زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾: الشَّمسُ والقمرُ، وقيل: اللَّيلُ والنَّهارُ، على أنَّ الكلامَ تمَّ على قولِه: ﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾(٥).

---

(١) رواه الأزرقي في «أخبار مكة» (١/ ٣٢)، وأبو عروبة الحراني في «الأوائل» (٥)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ٢٠٧)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٤١٢). ورواه العقيلي في «الضعفاء» (٢/ ٣٤١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٦٩٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا. وفيه: عبدُ الرحمن بنُ علِي بن عَجلان القرشيُّ، قال العقيلي: مجهولٌ.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٥٩)، واستغربه.

(٣) ذكره ذلك ابن قتيبة في «تأويل مشكل القرآن» (ص: ٢٧٠)، وقال ابن شميل: الزوج اثنان، أما الأصمعي قال لا يجيز أن يقال لاثنين من الحمام: زوج، ويقول: هما زوجان، واختار ذلك الأزهري. انظر: «تهذيب اللغة» مادة: (ز و ج) (١١/ ١٠٦).

(٤) نقل أبو حيان كلام الكرماني هذا في «البحر المحيط» (٦/ ٣٤٧).

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٥٩)، واستغربه.

قولُه: ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾، أي: يأتي باللَّيلِ في إثرِ النَّهارِ فيسترُه بظلامِه.

وقيل: يُغشي اللَّيلَ النَّهارَ، ويُغشي النَّهارَ اللَّيلَ، فاكتَفَى بذكرِ أحدِهما.

قال الشَّيخُ رحمَه الله: ويحتمِلُ: أنَّ الاكتِفاءَ بأحدِهما إنَّما وقعَ لاحتمالِ أنَّ ﴿ٱلَّيْلَ﴾ ظرفٌ و﴿ٱلنَّهَارَ﴾ مفعولٌ به، وأنَّ ﴿ٱلنَّهَارَ﴾ ظرفٌ، و﴿ٱلَّيْلَ﴾ مفعولٌ به[١].

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

***

(٤) ـ ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ﴾: ﴿قِطَعٌ﴾: جمعُ قِطْعةٍ، ﴿مُّتَجَٰوِرَٰتٌ﴾: مُتَدانياتٌ؛ بعضُها مُنبتٌ طيِّبٌ[٢]، وبعضُها سَبِخةٌ غيرُ مُنبتٍ.

وقيل: ﴿قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ﴾؛ أي: قرى[٣] مُتَدانياتٌ بعضُها من بعضٍ.

﴿وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ﴾: وبساتينُ من ثمرِ الكرمِ.

﴿وَزَرْعٌ﴾ الزَّرعُ: إلقاءُ الحبِّ للنَّباتِ في الأرضِ.

﴿وَنَخِيلٌ﴾: جمعُ نخلةٍ ﴿صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾ الصِّنوانُ: النَّخلاتُ أصلُها واحدٌ، ﴿وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾: المُتفرِّقاتُ، واحدُها: صِنْوٌ، ومثلُها: قِنْوٌ وقِنْوانٌ، وهو العِذْقُ[٤].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٠٧)، وعدَّه من العجائب.

(٢) في (و): «بعض».

(٣) «قرى»: ليس في (و).

(٤) العَـذق بالفتـح: النخلة بحملها، وبالكسـر: القنـو منها. انظـر: «القاموس المحيط» مـادة: (ع ذ ق) (ص: ٩٠٧).

وقيل: ﴿صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾ وصفٌ للجنّاتِ؛ أي: أشكالٌ وغيرُ أشكالٍ[١]، والصِّنْوُ: الشَّكلُ. والأوَّلُ أكثرُ.

﴿يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ﴾: اختلافُ ألوانِ الماءِ وطُعومِه بالمُجاورةِ، والماءُ في أصلِه متَّحِدُ الوصفِ.

﴿وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ﴾ في الثَّمرِ، وهو خلاصةُ الشَّجرِ.

وهذا مثلٌ لبني آدمَ صالِحهم وطالِحهم وأبوهم واحدٌ[٢].

وقيل: مثلٌ لقلوبِ بني آدمَ ينزلُ عليها تذكيرٌ واحدٌ فيرِقُّ بعضُها ويقسو البعضُ[٣].

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: دلالاتٍ لمَن يتفكَّرُ.

* * *

(٥) - ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

﴿وَإِن تَعْجَبْ﴾ من إنكارِهم البعثَ والنُّشورَ ﴿فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾؛ أي: إذا كنَّا ترابًا نُبعثُ ونُحيى؟! وحُذِفَ لأنَّ قولَه: ﴿لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ يدلُّ عليه.

وليس ﴿جَدِيدٍ﴾ بعاملٍ في (إذا)؛ لأنَّ ما بعدَ (إنَّ) لا يعملُ فيما قبلَه[٤].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٥٩)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٥٩)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٥٩)، واستغربه.

(٤) نبه على ذلك الزجاج في «معاني القرآن» (٣/ ١٣٩).

واختلفَ القرَّاءُ في الاستفهامَين، وكتبُ القراءةِ أولى بهذه المسألةِ[١]، وتقديرُ الآيةِ: وإنْ تعجَبْ فقولُهم: أئذا كنَّا تُرابًا إنَّا لفي خلقٍ جديدٍ عجَبٌ، فـ(القولُ): مبتدأٌ، و(عجبٌ): خبرُه.

واختلفُوا في وصفِ الله بالعجَبِ؛ فذهبَ قتادةُ إلى جوازِه[٢]، وأنكرَه غيرُه[٣]، وقالوا: إنَّما يكونُ العجبُ منَّا إذا شاهَدْنا ما لـم نُشاهِدْ مثلَه ولـم نعرِفْ سببَه، وهذا مُنتَفٍ عن الله عزَّ وجلَّ، قالوا: والمعنى: فعَجَبٌ قولُـهم عندَكُم.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ﴾ لأنَّهم أنكَروا البعثَ.

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِيٓ أَعْنَاقِهِمْ﴾ هي جمعُ: غُلٍّ، والغُلُّ: ما يَجمعُ اليمينَ والعنُقَ في القيدِ والتَّعذيبِ.

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

***

(٦) ـ ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ﴾: الاستعجالُ طلَبُ التَّعجيلِ، والتَّعجيلُ: تقديمُ الشَّيءِ قبل وقتِه.

﴿بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ﴾: بالعقوبةِ قبل العافيةِ، وهو اختيارُ كثيرٍ منَ المُفسِّرين. وقال بعضُهم: بالشَّرِّ قبل الخيرِ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٣٥٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٢).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٤٣٢)، ولفظه: «إن عجبت يا محمد فعجب ﴿قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾، عجب الرحمن تبارك وتعالى من تكذيبهم بالبعث بعد الموت»، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٦٠)، واستغربه.

(٣) كشريح. انظر: «الأسماء والصفات» للبيهقي (٢/ ٤١٥ ـ ٤١٧).

وقيل: بالكفرِ قبل الإجابةِ.

ابنُ عيسى: يطلُبون ما يسوؤُهم منَ العذابِ قبلَ الإحسانِ بالإنظارِ[(١)].

وقيل: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ﴾: بالعذابِ بقولِهم: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَآءِ﴾ [الشعراء: ١٨٧]، وقولِهم: ﴿إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا﴾ الآية [الأنفال: ٣٢].

قيل: الحسنةُ: التَّوحيدُ؛ أي: الله يدعوهم إلى التَّوحيدِ ليُكرمَهم، وهم يستعجِلون بالعذابِ.

وقيل: السَّيِّئةُ: الشِّركُ، والحسنةُ: التَّوحيدُ.

وقيل: معنى ﴿قَبْلَ﴾ هاهنا: الوقتُ؛ أي: ويستعجِلونَك بالعذابِ وقتَ إحسانِ الله إليهم بتأخيرِه عنهم إلى يومِ القيامةِ[(٢)].

وقيل: معناه التَّفضيلُ[(٣)]؛ أي: تطلُبونَ العذابَ مُؤْثِرين له على ما تُوعَدون من الإحسانِ.

قال الشَّيخُ رحمه الله: ويحتملُ ﴿قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾: دونَ الحسنة كما يُستعملُ (دونَ) بمعنى: قبل، نحوَ قولِه عليه السَّلامُ: «مَن قُتِلَ دونَ مالِه فهو شهيدٌ»[(٤)]، و: اخترِ الجودَ قبلَ البُخلِ؛ أي: دونَه[(٥)].

﴿وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ﴾ قد مضَتْ وتقدَّمَتْ عقوباتُ الله بالأممِ الكافرةِ قبلَهم.

---

(١) ذكره المصنف بلا نسبة في «غرائب التفسير» (١/ ٥٦٠).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٦٠)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٦٠)، واستغربه.

(٤) رواه البخاري (٢٤٨٠)، ومسلم (١٤١)، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٥) ذكر المصنف هذا القول في «غرائب التفسير» (١/ ٥٦٠)، وعدَّه من العجائب.

الحسنُ: وقائعُ الله في الأممِ الخاليةِ[1].

واحدُها: مَثُلةٌ، نحو: صَدُقةٍ وصَدُقاتٍ، تقولُ: مَثَلَ به يمثُلُ مَثْلًا ـ بفتحِ الميمِ وسكونِ الثّاءِ ـ: إذا فعَلَ به فعلًا يُنكِّلُ به غيرَه، والاسمُ المَثُلةُ، ويجوزُ التَّسكينُ والنَّقلُ[2].

أبو عبيدةَ: هي الأمثالُ والأشباهُ والنَّظائرُ[3].

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ يريدُ: تأخيرَ العذابِ إلى يومِ الدِّينِ، لا غُفرانَ الذُّنوبِ، وقيل: هو كقولِه: ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ١٢٩].

قولُه: ﴿عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ حالٌ ﴿لِّلنَّاسِ﴾ ما لم يكُنْ شِرْكًا.

ابنُ بحرٍ: ﴿عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ بالتَّوبةِ منه[4].

وقيل: ﴿عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾: على الصَّغائرِ.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ يعني: على المُشركين.

* * *

---

(١) لم أقف عليه عن الحسن، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٤٣٥) عن قتادة، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٢٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) فيقال: المَثْلة، والمُثْلة، وقد ذكر غير المصنف أنها تثقّل فيقال: المُثُلة. انظر: «تاج العروس» مادة: (م ع ل) (٣٠/ ٣٨٥).

(٣) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٣٢٣)، وفيه: «﴿ٱلْمَثُلَٰتُ﴾ واحدتها: مثلة، ومجازها مجاز الأمثال»، وقال في (٢/ ١١٦): «﴿ٱلْأَمْثَٰلُ﴾ [العنكبوت: ٤٣] مجازها: هذه الأشباه والنظائر نحتج بها».

(٤) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٢/ ٢٩٨) عن الحسن، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٦٠) بلا نسبة.

(٧) - ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾.

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾؛ أي: هلَّا أُنزِلَ، يُريدُ: ما اقترحوا عليه منَ الآياتِ.

﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ﴾؛ أي: ليس عليك إلّا إبلاغُ الرِّسالةِ وإنذارُ الكفَّارِ وتبشيرُ المُؤمنين، ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ يهدي إلى الطّاعةِ، وفيه أربعةُ أقوالٍ:

أحدُها: أنَّ الهاديَ هو المُنذرُ وهو النَّبيُّ عليه السَّلامُ؛ أي: أنت مُنذرٌ وهادٍ لكلِّ قومٍ.

والثّاني: الهادي هو الله تعالى؛ أي: والله هادٍ لكلِّ قومٍ، ورُوِيَ عن بعضٍ الوقفُ على قولِه: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ۝٧ اللَّهُ﴾، فيكونُ المبتدأُ متأخِّرًا لا مُضمرًا[١].

والثّالثُ: عامٌّ؛ أي: ولكلِّ أمَّةٍ نبيٌّ بُعِثَ إليهم يهديهم بما يُعطيه الله منَ الآياتِ، لا بما يتحكَّمون فيه وعليه.

وعن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾: داعٍ إلى الحقِّ[٢]، وهو منَ القولِ الثّالثِ.

---

(١) ذكر ذلك المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٦١)، ولم أقف على من ذكر هذا الوقف في كتب الوقف والابتداء.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٤٤٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٢٥)، من طريق علي بن أبي طلحة دون قوله: «إلى الحق».

وروى عنه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٢٥) من طريق عكرمة كالقول الأول، ولفظه: «﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ قال: هو المنذرُ وهو الهادِ».

وروى عنه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٤٤٠) من طريق العوفي كالقول الثاني، ولفظه: «أنت يا محمد منذر، وأنا هادي كل قوم».

والرّابع: حكاه الثَّعلبيُّ ﴿وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ﴾: هو[١] عليٌّ رضي الله عنه[٢].

* * *

(٨) - ﴿ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۚ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ﴾.

﴿ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ﴾ منَ العددِ، الذَّكرِ والأنثى، والصُّورةِ والشَّكلِ، والسَّعادةِ والشَّقاوةِ.

﴿وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُ﴾: (غاضَ) لازمٌ ومُتعدٍّ؛ فإنْ جعلتَه اللّازمَ فـ﴿مَا﴾ للمصدرِ؛ أي: وغَيْضَ الأرحامِ وازديادَها، وإن جعلتَه المُتعدِّيَ فتقديرُه: وما تَغيضُه الأرحامُ؛ أي: وما تنقصُه.

والمُرادُ بالنُّقصانِ: السِّقْطُ والخديجُ، وبالازديادِ: التَّمامُ.

وقيل: نُقصانُ مدَّةِ الحملِ، فيأتي لستَّةِ أشهرٍ، وازديادُ مدَّةِ الحملِ فيأتي لسنتَينِ، وقيل: أكثرَ.

وقيل: نقصانُ دمِ الحيضِ وازديادُه.

وقيل: الحبَلُ والحيالُ[٣].

وقيل: كلَّما حاضَتْ على حملِها يومًا ازدادَتْ في طُهرِها يومًا حتى تستكملَ تسعةَ أشهرٍ طهرًا[٤]. ومعنى حاضَتْ على حملِها: رأت دمًا.

---

(١) في (ن): «وهو».

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٥/ ٢٢٠)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٤٤٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا. قال ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٣٧٢): «هذا الحديث فيه نكارة شديدة». وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٦١)، وعدَّه من العجائب.

(٣) حَالَت تَحُولُ حِيَالًا: إذا وُطِئت فلم تحمِل، فهي حَائِل. انظر: «غريب الحديث» لأبي عبيد (٢/ ٤٠٧)، و«تهذيب اللغة» (٥/ ١٥٧).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٦٢)، وعدَّه من العجائب.

قال الشَّيخُ: ويحتملُ: ﴿وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ﴾ عن الواحدِ بالإسقاطِ والإخلاجِ، ﴿وَمَا تَزْدَادُ﴾ على[1] الواحدِ والاثنين[2].

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ من غَيضِ الأرحامِ وازديادِها.

وقيل: طولِ الجنينِ وعرضِه وحياتِه وموتِه ورزقِه وأجلِه.

وقيل: عامٌّ.

***

(٩) ـ ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾.

﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾: ما غابَ عن العبادِ فلا اطِّلاعَ لهم عليه، ﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾: ما عاينُوه وعلِمُوه، لا يخفَى على الله من ذلك شيءٌ.

﴿ٱلْكَبِيرُ﴾: عظيمُ الشَّأنِ ﴿ٱلْمُتَعَالِ﴾ عن المكانِ والزَّمانِ، وعمَّا يقولُ الظَّالمون.

***

(١٠) ـ ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾.

﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ﴾: مَن أضمرَ معنى القولِ في نفسِه من غيرِ لفظٍ ﴿وَمَن جَهَرَ بِهِۦ﴾: رفعَ الصَّوتَ بالقولِ، ومعنى: ﴿سَوَآءٌ﴾: ذو سواءٍ؛ لأنَّه مصدرٌ، والمعنى: مُستويانِ؛ أي: المُسِرُّ والمُجاهِرُ سواءٌ.

﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ﴾: مُتَوارٍ، وهو الذي يطلُبُ الخفاءَ كي لا يُرى، و﴿بِٱلَّيْلِ﴾ ظرفٌ؛ أي: في اللَّيلِ[3].

---

(١) في (و): «عن».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٦٢)، واستغربه.

(٣) وهذا على مذهب الكوفيين الذين يرون أن حروف الجر تتعاور، وقد تقدمت الإشارة إلى مذهبهم.

قال الشَّيخُ: ويحتمِلُ أنَّه للآلةِ؛ أي: يستتِرُ به[1].

﴿وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾: ظاهرٌ خارجٌ، من سرَبَ سُروبًا: إذا خرَجَ وبرَزَ.

وقيل: السّارِبُ: السّائرُ، من سرَبَ الماءُ: إذا خرَجَ منَ الخُرْزةِ.

وقيل: يُخفي عملَه باللَّيلِ ويُظهِرُه بالنَّهارِ.

وقيل فيهما[2] على الضِّدِّ[3]، والمُستَخفي من خفَيتُ الشَّيءَ: أظهرتُه، والمُختَفي النَّبَّاشُ من هذا، والسَّارِبُ الدَّاخلُ في السَّرَبِ.

* * *

(١١) - ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾.

﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ﴾ الهاءُ تعودُ إلى ﴿مَّنۡ﴾، وقيلَ: إلى الله تعالى.

والمُعقِّباتُ: جمعُ (مُعقِّبةٍ)، بُنِيَ على (فَعَّلَ) للمُبالغةِ، وأصلُه من عَقَبَه يعقُبُه: إذا جاء بعدَه، وهم الحفظةُ الكرامُ البَرَرةُ، على كلِّ إنسانٍ ملَكانِ باللَّيلِ وملَكانِ بالنَّهارِ، وقيل: عشرةٌ باللَّيلِ وعشرةٌ بالنَّهارِ.

وعن ابنِ عبّاسٍ ومجاهدٍ: هم الحرسُ والرِّجالُ يتعقَّبون على الأمراءِ[4].

---

(١) وهذا على مذهب البصريين الذين يرون أن لكل حرف معنى خاص، ومعنى الباء عندهم الاستعانة.

(٢) في (ن): «فهما».

(٣) أي: يظهر عملة بالليل، ويخفيه بالنَّهار.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٤٦٠) من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس بلفظ: «ذكر ملكاً من ملوك الدنيا له حرس من دونه حرس».

ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٢٩) من طريق جويبر عن الضحاك عنه بلفظ: «يعني بالمُعقِّبات: الملوكَ الذين يَتَّخذون الحرسَ».

عكرمةُ: هم الجَلاوِزةُ(١).

قولُه: ﴿مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ﴾؛ أي: قُدَّامَه ووَراءَه.

﴿يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾ ما لم يجِئِ القدَرُ، فإذا جاء القَدَرُ خلَّوا بينَه وبينَه(٢).

وقيل: يحفظونَه منَ المخلوقاتِ كالعقاربِ والحيَّاتِ، وكلُّها من أمرِ الله(٣).

وقيل: فيه تقديمٌ وتأخيرٌ؛ أي: له مُعقِّباتٌ من أمرِ الله، كما تقولُ: له غلامٌ يحفظُه مِن مصرَ(٤)، وهذا أظهر(٥).

وقيل: ﴿مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾: بأمرِه، وهو معنى قولِ مَن قالَ: ﴿مِنۡ﴾ لابتداءِ الغايةِ؛ أي: ابتداءُ حفظِهم إيَّاه منَ الله.

ومَن فسَّرَ المُعقِّباتِ على الحرسِ والرِّجالِ والجَلاوِزةِ فقولُه: ﴿يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾ على زَعمِه أو زَعمِهم.

وقيل: الهاءُ في ﴿لَهُۥ﴾ يعودُ إلى النَّبيِّ عليه السَّلامُ؛ أي: لمُحمَّدٍ عليه السَّلامُ

---

(١) رواه بهذا اللفظ ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٣٠)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٤٦١) بلفظ: «المواكب من بين يديه ومن خلفه». وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٦٣)، وعدَّه من العجائب. والجلاوزة: جمع جلواز، وهو الشرطي. انظر: «الصحاح» (٣/ ٨٦٩) مادة: (ج ل ز).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٦٣)، وعدَّه من العجائب.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٦٢)، واستغربه.

(٤) اختلفت النسخ الخطية في هذا الموضع؛ ففي (ن): «ممن يضرُّه»، وفي (و): «من بصره»، وفي (ط): «من مصر»، وهذا الأقرب؛ فما في (ن) مستقيم اللفظ، ولكن ليس فيه تقديم وتأخير، وما في (و) غير واضح، وهو كذلك في «غرائب التفسير» (١/ ٥٦٢) ولعله: «من مِصرِه»، والله أعلم.

(٥) «وهذا أظهر» ليس في (و).

مُعقِّباتٌ منَ الله يحفظونَه عنِ الأعداءِ، وذلك حين همَّ به أَرْبَدُ وعامرٌ فكفاهما الله[1]، ويأتي ذكرُهما.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾؛ أي: لا يسلبُ ما أعطاهم منَ النِّعمةِ والعافيةِ ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ منَ الأحوالِ الجميلةِ والطّاعةِ، فيعصُون الله ويظلِمون النَّاسَ، والمعنى: لا يُغيِّرُ الله ذلك حتَّى يكونوا هم يُغيِّرونَه بالمعصيةِ وتركِ الشُّكرِ.

وقال النَّحَّاسُ: لا يُغيِّرُ ما بقومٍ مؤمنين صالحين فيُسمِّيهم كافرين فاسقين إلّا أن يفعلوا ما يُوجِبُ ذلك، ولا يأمرُ بإذلالِهم إلّا أن يُغيِّروا ما بأنفُسِهم[2].

﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا﴾ عذابًا وعقابًا ﴿فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ﴾: فلا يدفعُه شيءٌ ﴿وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ﴾: من دونِ الله ﴿مِن وَالٍ﴾ يلي أمرَهم وينصرُهم، وهو اسمُ الفاعلِ من: وَلِيَ يلي؛ إذا تولَّى تدبيرَ شيءٍ، والوليُّ بمعناه.

***

(١٢) ـ ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ﴾.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ﴾ هو لَمْعٌ كعمودِ النّارِ يَنْقدحُ منَ السَّحابِ ﴿خَوْفًا﴾ للمُسافرِ من أذاه ﴿وَطَمَعًا﴾ للمُقيمِ في الرِّزقِ به.

وقيل: خوفًا منَ الصَّواعقِ التي تكونُ مع البرقِ، وطمعًا في الغيثِ.

ونصبُهما يحتمِلُ وجهَين:

---

(١) في (و): «وكفاهما بالله». وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٦٣)، واستغربه، وفيه: «فكفاه الله».

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٢٢١)، وقد روى النحاس معناه عن مجاهد في «معاني القرآن» (١/ ٢٧٢).

أحدُهما: المصدرُ وقعَ موقعَ الحالِ؛ أي: خائفين طامعين؛ كقولِه: ﴿يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ [البقرة: ٢٦٠].

والثّاني: المفعولُ له؛ أي: إخافةً وإطماعًا؛ كما تقولُ: فعلتُ ذلك رَغْمًا للشَّيطانِ؛ أي: إرغامًا له(١).

﴿وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ﴾: الغيمَ المُنسحِبَ في الهواءِ ﴿ٱلثِّقَالَ﴾ بالماءِ.

* * *

(١٣) - ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَـٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾.

﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ﴾ الرَّعدُ: ملَكٌ مُوكَّلٌ بالسَّحابِ، وقيل: الرَّعدُ: صوتُه. وجاءَ في الحديثِ: أنَّ رسولَ الله عليه السَّلامُ كانَ إذا سمعَ الرَّعدَ قال: «سُبحانَ مَن يُسبِّحُ الرَّعدُ بحمدِه»(٢).

وعن(٣) ابنِ عبَّاسٍ أنَّه قال: مَن سمعَ صوتَ الرَّعدِ فقال: سُبحانَ مَن يُسبِّحُ الرَّعدُ بحمدِه والملائكةُ من خيفَتِه وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ، فإنْ أصابَتْه صاعقةٌ فعليَّ دِيَتُه(٤).

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٦٣)، واستغربه، وهذا القول مبني على أن المفعول لأجله لا يكون إلا للفعل المبتدي. انظر: «إتحاف الحثيث» للعكبري (ص: ٢٨٥)، و«شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك» (٢/ ١٤٥)، و«شرح الحدود» للفاكهي (١٧٤).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٤٧٧) من رواية إسرائيل عن أبيه عن رجل عن أبي هريرة رفعه، وإسناده ضعيف لإبهام الراوي عن أبي هريرة. وقد صح موقوفًا كما رواه الإمام مالك في «الموطأ» (٢/ ٩٩٢)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧٢٣) عن عبد الله بن الزبير.

(٣) «وعن» ليست في (ن).

(٤) رواه سعيد بن منصور في «سننه ـ التفسير» (١١٦٥)، وابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٤/ ٦٢٤)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ٢٥١).

وقيلَ: الرَّعـدُ: صوتُ أجـرامِ السَّـحابِ، وتسـبيحُه: دلالتُه علـى وحدانيّةِ الله تعالـى[1]. والوجهُ الأوَّلُ.

﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ﴾؛ أي: وتُسبِّحُ الملائكةُ من خوفِ الله، وقيل: من خيفةِ الرَّعدِ، حكاه الماوَرْدِيُّ[2].

﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ﴾ في سببِ النُّزولِ: عن أنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله عليه السَّلامُ بعثَ رجلًا مرَّةً إلى رجلٍ من فراعنةِ العربِ فقال: «اذهَبْ إليه فادعُه لي» فقال: يا رسولَ الله، إنَّه أعتى من ذلك، قال: «اذهَبْ فادعُه لي»، قال: فذهَبَ إليه فقال: يدعوكَ رسولُ الله عليه السَّلامُ، فقال: وما اللهُ؟ أمِن ذَهَبٍ هو أو فضَّةٍ أو من نُحاسٍ؟ قال: فرجعَ إلى رسولِ الله عليه السَّلامُ فأخبرَه وقال: قد أخبرتُكَ أنَّه أعتى من ذلك، قالَ لي كذا وكذا، فقال: «ارجِعْ إليه الثّانيةَ فادعُه»، فرجعَ إليه فأعادَ عليه مثلَ الكلامِ الأوَّلِ، ورجعَ إلى النَّبيِّ عليه السَّلامُ فأخبرَه، فقال: «ارجِعْ إليه»، فرجعَ إليه الثّالثةَ فأعادَ عليه ذلك الكلامَ، فبينا هو يُكلِّمُه إذ بعثَ الله سُبحانَه حِيالَ رأسِه سحابةً، فرعَدَتْ فوقعَتْ منها صاعقةٌ فذهبَتْ بقِحْفِ رأسِه، فأنزَلَ الله: ﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ﴾[3].

﴿وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ﴾ قالَ ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: نزلَتْ هذه الآيةُ والتي قبلَها في عامرِ بنِ الطُّفَيلِ وأَرْبَدَ بنِ ربيعةَ، وذلك أنَّهما أقبلا يُريدانِ رسولَ الله عليه

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٦٤)، واستغربه.

(٢) انظر: «النكت والعيون» (٣/ ١٠١).

(٣) رواه البزار في «مسنده» (٧٠٠٧)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١١٩٥)، وأبو يعلى في «مسنده» (٣٤٦٨)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ٤٨٠)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٣/ ٩٦) عن أنس رضي الله عنه. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٤٢): «ورجال البزار رجال الصحيح غير ديلم بن غزوان وهو ثقة، وفي رجال أبي يعلى والطبراني علي بن أبي سارة وهو ضعيف».

السَّلامُ، فقال رجلٌ من أصحابِه: يا رسولَ الله، هذا عامرُ بنُ الطُّفيلِ قد أقبلَ نحوَكَ فقال: «دَعْه فإنْ يُرِدِ الله به خيرًا يَهْدِه»، فأقبلَ حتَّى قامَ عليه، فقالَ: يا محمَّدُ؛ ما لي إنْ أسلَمْتُ؟ قال: «لك ما للمُسلمين وعليكَ ما عليهم» قال: تجعلُ لي الأمرَ بعدَك؟ قال: «لا، ليس ذلك إليَّ، إنَّما ذلك إلى الله يجعلُه حيثُ يشاءُ»، قال: فتجعلُني على الوبرِ وأنتَ على المدَرِ؟ قال: «لا»، قال: فماذا تجعلُ لي؟ قال: «أجعلُ لك أعِنّةَ الخيلِ تغزُو عليها»، قال: أوَلَيس ذلك إليَّ اليومَ؟! وكانَ أوصى إلى أَرْبَدَ إذا رأيتَني أُكلِّمُه فدُرْ من خلفِه فاضرِبْه بالسَّيفِ، فدارَ أَرْبَدُ ليضرِبَه فاختَرَطَ من سيفِه شبرًا، ثمَّ حبَسَه الله فلم يقدِرْ على سلِّه، فجعلَ عامرٌ يُومِئُ إليه، فالتَفَتَ رسولُ الله عليه السَّلامُ، فرأى أَرْبَدَ وما يصنعُ بسيفِه، فقالَ: «اللَّهمَّ اكفِنيهما بما شِئْتَ»، فأرسلَ الله على أَرْبَدَ صاعقةً في يومٍ صائفٍ صاحٍ فأحرَقَتْه، وولَّى عامرٌ هارِبًا وقال: يا محمَّدُ، دَعَوْتَ ربَّك فقتَلَ أَرْبَدَ، والله لأملأنَّها عليك خيلًا جُرْدًا وفِتيانًا مُرْدًا، فقال رسولُ الله عليه السَّلامُ: «يمنعُكَ اللُّه من ذلك وابنا قَيْلَةَ» يُريدُ: الأوسَ والخزرجَ، فنزلَ عامرٌ بيتَ امرأةٍ سلوليَّةٍ، فلمَّا أصبحَ ضمَّ عليه سلاحَه، وخرجَ وهو يقولُ: واللّاتِ لَئِنْ أصحَرَ محمَّدٌ إليَّ وصاحبُه ـ يعني: ملكَ الموتِ ـ لَأنفذَنَّهما برُمحي، فلمَّا رأى الله ذلك منه أرسلَ ملَكًا فلَطَمَه بجناحِه، فأذراه في التُّرابِ وخرَجَتْ على رُكبتِه غُدَّةٌ عظيمةٌ في الوقتِ، فعادَ إلى بيتِ السَّلوليّةِ وهو يقولُ: غُدَّةٌ كغُدَّةِ البعيرِ، وموتٌ في بيتِ سلوليَّةٍ، ثمَّ ماتَ على ظهرِ فرسِه، وأنزَلَ اللهُ فيه هذه الآيةَ(١).

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٧٦٠)، و«المعجم الأوسط» (٩١٢٧) من طريق عبد العزيز ابن عمرانَ، عن عبد الرحمن وعبد الله ابنا زيد بن أسلَمَ، عن أبيهما، عن عطاء بن يسار، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٤٢): «وفي إسنادهما عبد العزيز بن عمران وهو ضعيف». =

والصَّواعقُ: جمعُ صاعقةٍ، وهي نارٌ تسقطُ من شدَّةِ البرقِ تحرقُ ما أصابته، وتُستعملُ أيضًا في الأمرِ الشَّديدِ المُهلِكِ.

﴿فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمۡ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ﴾ الجدالُ: التَّشدُّدُ في الخصومةِ، مشتقٌّ منَ الجَدْلِ، وهو الفَتْلُ.

وقيل: الجدالُ: المُصارعةُ، مشتقٌّ من الجَدالةِ، وهو وجهُ الأرضِ.

وجِدالُهم في الله: دَفعُ الإيمانِ به.

الحسنُ: جِدالُهم في الله: مُجادَلتُهم لرسولِ الله في عبادتِهم الأوثانَ[1].

والواوُ يصلُحُ للحالِ، ويصلُحُ لعطفِ الجملةِ على الجملةِ.

﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ﴾: والله شديدُ القوَّةِ، وقيل: شديدُ الغضبِ، وقيل: شديدُ الأخذِ والانتقامِ، وقيل: شديدُ العداوةِ، وقيل: شديدُ الإهلاكِ بالمَحْلِ، وهو القَحْطُ، حكاه أقضى القُضاةِ[2].

وفي الميمِ قولانِ:

أحدُهما: أنَّ الميمَ أصلٌ، تقولُ: محَلَ به؛ إذا عرَّضَه للهلاكِ، وكذلك: ماحلَه محالًا.

والثَّاني: أنَّ الميمَ زيادةٌ، والكلمةُ[3] منَ الحولِ والحيلةِ، وهو مرويٌّ عن ابنِ

= ورواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٤٦٧ ـ ٤٧٠) عن عبد الرحمن بن زيد أسلم، و(١٣/ ٤٨١ ـ ٤٨٢) عن ابن جريج. وكلاهما مرسل.

ورواه الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٢٧٦) من طريق محمد بن مروان عن الكلبي عن أبي صالح (وتسمى سلسلة الكذب) عن ابن عباس.

(١) هو مستفاد من كلام الحسن. انظر: «تفسير الثعلبي» (١٥/ ٢٥٥) و«تفسير البغوي» (٣/ ١٢).

(٢) انظر: «النكت والعيون» (٣/ ١٠٢).

(٣) في (ن): «في الكلمة».

عبّاسٍ وقتادةَ وغيرِهما[1]، ولعلَّهم عنَوا به معنى المِحالِ لا لفظَه؛ فإنَّ هذا عند النُّحاةِ فاسدٌ؛ لأنَّ مِفْعَلًا ومِفْعالًا يصحَّانِ كالمِخْيَطِ والمِقْوَدِ والمِحْوَرِ[2].

* * *

(١٤) ـ ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾.

﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾: لا إلهَ إلّا الله؛ أي[3]: هو المُستحِقُّ للدُّعاءِ، ودعاءُ غيرِه باطلٌ، وإضافتُه كـ«ثوب خزٍّ»[4].

وقيلَ: دعوةُ الطَّلبِ الحقِّ؛ أي: مرجوُّ الإجابةِ؛ ودعاءُ غيرِ الله لا يُجابُ، وهو قولُه: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ﴾.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٤٨٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: «شديد الحول»، وعن قتادة بلفظ: «شديد الحيلة». وقال: «وقولاهما يدلان على أنهما كانا يقرآن: (وهو شديد المَحال) بفتح الميم؛ لأن (الحيلة) لا يأتي مصدرها (مِحالاً) بكسر الميم، ولكن قد يأتي على تقدير المَفْعَلة منها، فيكون (مَحالة)، ومن ذلك قولهم: «المرء يعجز لا محالة»، والمَحالة في هذا الموضع: المَفعلة من الحيلة، فأما بكسر الميم فلا تكون إلا مصدراً من ماحلت فلاناً أماحله محالاً، والمماحلةُ بعيدة المعنى من الحيلة، ولا أعلم أحداً قرأه بفتح الميم...».

وهذا القول ذكره المؤلف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٦٤)، وجعله من الغريب العجيب، واستبعده معللاً ذلك بما سيأتي.

(٢) أما تصحيح مِفعال فلأن ما بعد الياء ساكن، وأما تصحيح مِفْعَل فلأنه منقوص منه. انظر: «المنصف» لابن جني (ص: ٣٢٣).

(٣) «أي» من (ن).

(٤) أي: من الاسم إلى جنسه، والبعض إلى الكل. انظر: «المقتضب» للمبرد (٤/ ٢٤)، و«الأصول» لابن السراج (١/ ٥٣).

﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ﴾ يحتملُ وجهَين:

أحدُهما: أنَّ الذين يدعونَ هم الكفَّارُ، والمفعولُ محذوفٌ؛ أي: يدعونَ الأصنامَ، وقولُه: ﴿لَا يَسۡتَجِيبُونَ﴾ يعودُ إلى الأصنامِ كما سبقَ.

والثّاني: أنَّ قولَه: ﴿وَٱلَّذِينَ﴾ للأصنامِ، و﴿يَدۡعُونَ﴾ للكفَّارِ، والضَّميرُ محذوفٌ؛ أي: يدعونَهم.

فـ﴿لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم﴾ خبرُ ﴿الّذين﴾ في الوجهَينِ؛ أي: لا يفعلونَ شيئًا ممَّا يُسألون.

وقولُه: ﴿إِلَّا كَبَٰسِطِ﴾ الاستثناءُ منَ الاستجابةِ؛ أي: لا يستجيبُ الصَّنمُ إلّا كاستجابةِ الماءِ داعيَه، وهذا مَثلٌ؛ أي: عابدُ الصَّنمِ وراجيهِ[1] كمَن يُشيرُ إلى الماءِ ليبلُغَ فاه، والماءُ غيرُ بالغٍ فاه بدعائِه إيّاه إلَّا أن يغترفَ بيدِه أو بإنائِه.

وقيل: كالماءِ في البئرِ بلا دلوٍ ولا رِشاءٍ، يريدُ أن يتناولَه بكفَّيه فلا ينالُه.

وقيل: كالقابضِ على الماءِ فلا محصولَ له.

وقيل: كباسطِ كفَّيه إلى الماءِ فلا يحصُلُ في كفَّيه ما لم يقبِضْهما ويجمعُ الأناملَ.

وقيل: كمَن كرَبَه الموتُ عطشًا وكفَّاه في الماءِ فلا يقدرُ على شُربِه.

وقيل: كمَثَلِ العطشانِ ينظرُ في خيالِه في الماءِ، وهو يريدُ أن يتناولَه فلا يقدرُ.

والمعنى: أنَّ الصَّنمَ لا يُجيبُهم كما لا يُجيبُ الماءُ مَن دَعاه.

﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ اللهَ ﴿إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ﴾؛ فإنَّ أصواتَهم محجوبةٌ عنِ الله تعالى.

وقيلَ: ﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ الأصنامَ ﴿إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ﴾ لا يُجدي شيئًا.

---

(١) في (و): «وداعيه».

(١٥) ـ ﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ﴾.

﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ سجودَ تعبُّدٍ وانقيادٍ ﴿طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا﴾: ﴿طَوۡعٗا﴾: سجودُ الملائكةِ والمؤمنين، ﴿وَكَرۡهٗا﴾: مَن أُكرِهَ على الإيمانِ.

وقيل: الطَّواعيةُ والكراهيةُ في سجودِ أهلِ الأرضِ، فإنَّ مَن في السَّماواتِ يسجُدون طَوعًا، وقيل: طَبعًا.

وقيل: المُرادُ بالسُّجودِ كَرْهًا: قهرُ الله الأشياءَ لما[1] أرادَ منهم، وإنْ لـم يسجُدوا سجودَ عبادةٍ.

﴿وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ﴾؛ أي: وتسجدُ ظِلالُهم: جمعُ الظِّلِّ، وهو ما ستَرَ الشَّيءَ عن شُعاعِ الشَّمسِ، يقصُرُ مرَّةً ويمتدُّ أُخرى، وظلُّ الكافرِ يسجدُ طَوعًا وهو كارهٌ، وظلُّ المؤمنِ يسجدُ طَوعًا وهو طائعٌ.

وقيل: ظلُّ كلِّ شيءٍ من كلِّ جنسٍ يسجدُ لله.

قولُه: ﴿بِٱلۡغُدُوِّ﴾ قال الفرَّاءُ: هو مصدرٌ ﴿وَٱلۡأٓصَالِ﴾ جمعٌ[2]، كقولِه: ﴿بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ﴾ [آل عمران: ٤١] العشيُّ: اسمٌ، والإبكارُ مصدرٌ.

وقيل: الغُدُوُّ: جمعُ غداةٍ، كقُنِيٍّ وقَناةٍ، والآصالُ جمعُ: أصيلٍ.

وقيل: جمعُ أُصُلٍ، وأُصُلٌ جمعُ أصيلٍ، وهو ما بينَ العصرِ إلى المغربِ.

وقيل: ظلالُهم: أشخاصُهم[3]. وكُرِّرَ لأنَّ الأوَّلَ للقلوبِ، والثَّانيَ للأشخاصِ.

* * *

---

(١) في (ن): «كما»، وهو تحريف.

(٢) نقله عن الفراءِ النحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ٨٧)، والواحدي في «البسيط» (٤/ ٢٧٠٢)، لكنهما ذكرا عنه أن الآصال واحدها أُصُل، وواحد الأُصُل: أصيل. وهو قول سيذكره المصنف قريبًا.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٦٥)، واستغربه.

(١٦) - ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴾.

﴿ قُلْ ﴾ يا محمَّدُ للكفَّارِ: ﴿مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؟ استفهامُ تقريرٍ واستنطاقٍ، فإنَّهم يقولون: اللهُ، فإذا قالوها ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾؛ أي: هو اللهُ كما قلتُم.

وقيل: فإنْ أجابوكَ وإلّا فقُل: اللهُ؛ إذ لا جوابَ غيرُ هذا.

﴿قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم﴾ استفهامُ إنكارٍ على شركِهم بعدَ إقرارِهم، والمعنى: أعدَدْتُم لمَنافعِكُم ودَفعِ مضارِّكُم ﴿مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ هذا مثَلٌ ضربَه اللهُ لمَن يعبدُ الأصنامَ ولمَن يعبدُ اللهَ؛ أي: ليسا بسواءٍ.

﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ﴾: الشِّركُ والإيمانُ ﴿أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾ قيل: هي المُنقطِعةُ، والمعنى: بل أجعلُوا لله شركاءَ؟ وقيل: المُعادِلةُ؛ لتقدُّمِ الاستفهامِ.

وقولُه: ﴿خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ﴾: خلقُوا مثلَ ما خلقَ اللهُ ﴿فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾: اشتبهَ مخلوقُ الله بمخلوقِ الشُّركاءِ.

﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾؛ أي: خالقُ الأجسامِ والأعراضِ، فيدخلُ فيه أفعالُ العبادِ، ومَن أثبتَ للعبادِ فعلًا فقد فعلوا كفِعلِه وصنَعُوا كصُنعِه(١).

﴿وَهُوَ﴾: اللهُ ﴿ٱلْوَٰحِدُ﴾ المُنفرِدُ بالخلقِ والإحداثِ ﴿ٱلْقَهَّٰرُ﴾: يقهرُ كلَّ شيءٍ بقُدرتِه.

---

(١) هذا ردّ على المعتزلة، وأهل السنة على أنها من خلق الله. انظر: «مناقب الشافعي» للبيهقي (١/ ٤١٥)، و«مقالات الإسلاميين» للأشعري (١/ ٩١)، و«التوحيد» للماتريدي (ص: ٩٢)، و«الكشاف» للزمخشري (٢/ ٩٢)، وكتابُ الإمام البخاري «خلق أفعال العباد» عمدةُ هذا الباب.

(١٧) - ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًاۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءًۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾.

﴿أَنزَلَ﴾؛ أي: أنزلَ الواحدُ القهَّارُ، وهو اللهُ سبحانه ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: من السَّحابِ، وقيل: من جانبِ السَّماءِ ﴿مَآءً﴾: مطرًا ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةُۢ﴾: جمعُ وادٍ، وهو الموضعُ الذي يسيلُ فيه الماءُ بكثرةٍ.

﴿بِقَدَرِهَا﴾ في الصِّغَرِ والكِبَرِ.

والقَدَرُ: اتِّزانُ الشَّيءِ بغيرِه من غيرِ زيادةٍ ولا نُقصانٍ.

الزَّجَّاجُ: ﴿بِقَدَرِهَا﴾: ما قُدِّرَ لها من مَلْئِها، قال: ويجوزُ بقَدَرِ مَلْئِها(١).

﴿فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ﴾: دفَعَ، وأصلُه: الحَمْلُ على الظَّهرِ.

﴿زَبَدًا﴾ ابنُ عيسى: الزَّبَدُ: وَضَرُ الغليانِ وخَبَثُه(٢).

والمعنى: علاهُ زَبَدٌ، ومعنى: ﴿رَّابِيًا﴾: عاليًا. ابنُ عيسى: زائدًا بانتِفاخِه(٣).

أجمعَ المُفسِّرون على أنَّ هذا مَثَلٌ ضربَه الله للقرآنِ والقلوبِ والحقِّ والباطلِ، فالماءُ هو مَثَلُ القرآنِ لِمَا فيه من حياةِ القلوبِ وبقاءِ الشَّرعِ والدِّينِ، والأوديةُ مَثَلُ القلوبِ، ومعنى(٤): ﴿بِقَدَرِهَا﴾ على سَعةِ القلبِ وضِيْقِه، فمنها ما انتفَعَ به وحفِظَه

---

(١) انظر: «معاني القرآن» (٣/ ١٤٥). والأول من وجهي الزجاج ذكره المؤلف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٦٦)، واستغربه.

(٢) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٦/ ٣٤٢)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٦٦)، لكن المصنف لم ينسبه ثمة.

(٣) ذكره المؤلف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٦٦)، واستغربه.

(٤) في (و): «والمعنى»، والمثبت من (ن)، وهو الموافق لما في «غرائب التفسير» (١/ ٥٦٦).

ووَعاهُ فتدبَّرَ فيه، فظهرَتْ ثمرتُه وأدركَ تأويلَه ومعناه، ومنها دونَ ذلك بطبقةٍ، ومنها دونَه بطبقاتٍ، والزَّبَدُ مَثَلُ الشُّكوكِ والشُّبَهِ وإنكارِ الكافرين أنَّـه كلامُ الله ودَفعِهم إيَّاه، والماءُ الصَّافي المُنتَفَعُ به مَثَلُ الحقِّ.

ثمَّ قال: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي ٱلنَّارِ﴾ يُريدُ: الفِلزَّاتِ كالذَّهبِ والفِضَّةِ والرَّصاصِ والصُّفْرِ والنُّحاسِ، ومعنى: ﴿يُوقِدُونَ عَلَيْهِ﴾: يُلقُونَ الحطَبَ في النّارِ تحتَه ﴿ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ﴾: طلَبَ حُليٍّ، هو الذَّهبُ والفِضّةُ يُتَّخذُ منهما حِلْيَةُ السَّيفِ والمركبِ والدَّوابِّ وحليةُ النِّساءِ[١] ﴿أَوْ مَتَٰعٍ﴾ كالرَّصاصِ والنُّحاسِ والصُّفْرِ، منها تُتَّخذُ الأواني وما يُتَمتَّعُ به في السَّفرِ والحضَرِ.

﴿زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ﴾؛ أي: خَبَثٌ؛ يُريدُ: لهذه الفِلزَّاتِ إذا أُغليَتْ زَبَدٌ مثلُ زبَدِ الماءِ.

﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ﴾؛ أي: يضربُ الله مثَلَ الحقِّ والباطلِ.

﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً﴾: باطِلًا، من قولِهم: جَفَأَتِ القِدْرُ وأجْفَأَتْ: إذا رَمَتْ زبَدَها عندَ الغَلَيانِ، وجَفَأْتُ الرَّجُلَ: صَرَعْتُه، وبناءُ (فُعال) مـمَّا يُرمَى ويُطَّرَحُ[٢].

وقيل: جَفَأَ الوادي وأَجْفَأَ: إذا نَشِفَ[٣].

مُجاهدٌ: ﴿جُفَآءً﴾: جُمُودًا[٤]. لأنَّه يجتمِعُ على الماءِ، ويجمُدُ حتَّى يذهبَ به الماءُ.

﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ منَ الماءِ والحُليِّ والأواني ﴿فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ يشربُ منه الحيوانُ ويُزرَعُ به، فيكونُ منه معاشُ الخلقِ، وانتفاعُ النّاسِ بالأمتعةِ والحُليِّ ظاهرٌ.

---

(١) في (و): «الدنيا».

(٢) قال الزجاج في «معاني القرآن» (٣/ ١٤٦): «وزعم البصريون والكوفيون جميعاً أن ما كان مثل القماش والقمام والجفاء، فهذه الأشياء تجيء على مثال فُعال».

(٣) ذكره المؤلف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٦٦)، وعدَّه من العجائب.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٥٠٠) بلفظ: «جموداً في الأرض».

﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾؛ أي: كما بيَّنَ هذا بضربِ المثَلِ كذلك يُبيِّنُ الله سائرَ المُشكلاتِ، وفي الآيةِ تقديمٌ وتأخيرٌ.

* * *

(١٨) ـ ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾.

﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾؛ أي: أجابُوا وآمنُوا، و﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾: الجنَّةُ، وقيل: تضاعُفُ الحسناتِ، وقيل: الحياةُ والرِّزقُ.

﴿وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ﴾؛ أي: كفرُوا به ولم يُؤمنُوا ﴿لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ﴾؛ أي: لو ملكُوا أموالَ الدُّنيا وملكُوا معها مثلَها ﴿لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ﴾: لبذَلُوه ليدفعُوا عن أنفُسِهم عذابَ الله، وتقديرُه: لو أنَّ لهم ما في الأرضِ جميعًا ومثلَه وقُبِلَ الفِداءُ لافتدَوا به.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ﴾: المُناقشةُ فيها، و«مَن نُوقِشَ الحسابَ هلَكَ»[1].

وقيل: ﴿سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ﴾: أن لا تُغفرَ سيِّئاتُهم، ولا تُقبلَ حسناتُهم.

وقيل: ﴿سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ﴾: الذي معه التَّوبيخُ والتَّقريعُ.

وقيل: ﴿سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ﴾: شدَّةُ العذابِ، و﴿ٱلْحِسَابِ﴾: الجزاءُ وإعطاءُ الاستِحقاقِ.

وقيل: ﴿سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ﴾: المُقايَسةُ بالأعمالِ.

﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾: مرجِعُهم إلى النَّارِ ﴿وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾: المُستقَرُّ، والمكانُ المذمومُ محذوفٌ؛ وهو جهنَّمُ.

* * *

(١) جزء من حديث رواه مسلم (٢٨٧٦) والإمام أحمد (٢٥٥١٥) عن عائشة رضي الله عنها.

(١٩) ـ ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.

﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ﴾: (ما) بمعنى: الذي، و﴿ٱلْحَقُّ﴾ خبرُه، والمُراد به: القرآنُ.

﴿كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ﴾ عمَى القلبِ، لا يتنبَّه على رشدِه بالقرآنِ، وقيل: كمَن أنكرَ القرآنَ فجرَى مَجرى العميانِ.

نزلَتْ بمكَّةَ في حمزةَ وأبي جهلٍ[1]؛ أي: هما لا يستويانِ.

﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: ذَوو العقولِ، ولُبُّ كلِّ شيءٍ: أفضَلُ ما فيه.

* * *

(٢٠) ـ ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ﴾: ما عُهِدَ إليهم يومَ الميثاقِ.

وقيل: ما عُهِدَ إليهم في الكتبِ المُتقدِّمةِ.

وقيلَ: ما في جبلَّتِهم وعقولِهم.

قتادةُ: إنَّ الله تعالى لم يتقدَّمْ في ذنبٍ ما تقدَّمَ في نقضِ هذا الميثاقِ، لقد ذكرَه في بضعٍ وعشرينَ آيةً تَقْدِمةً ونصيحةً وعِظةً[2].

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٢/ ٣٣٨)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٢/ ٤٩٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٥٠٧)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٣٣٧)، بلفظ: «فعليكم بوفاء العهد ولا تنقضوا هذا الميثاق، فإن الله تعالى قد نهى وقدَّم فيه أشد التَّقْدمة، فذكره في بضع وعشرين موضعًا، نصيحةً لكم وتقدِمَةً إليكم، وحجة عليكم، وإنما يعظُمُ الأمر بما عظَّمه الله به عند أهل الفهم والعقل، فعظِّموا ما عظم الله».

(٢١) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ قيل: الرَّحِمُ، وقيل: نُصرةُ المُؤمنين، وقيل: صِلةُ محمَّدٍ عليه السَّلامُ، وقيل: الإيمانُ بجميعِ الأنبياءِ عليهم السَّلامُ من غيرِ تفريقٍ بينَهم في النُّبوَّةِ.

﴿وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ﴾: يخافون عِقابَه، وقيل: ﴿يخشون رَبَّهُمۡ﴾: يُعظِّمونَه.

﴿وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ﴾: شديدَه، وقد سبقَ.

* * *

(٢٢) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ﴾: طلَبَ رِضا الله، وقيل: طلَبَ تعظيمِ الله.

﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ المفروضةَ ﴿وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ﴾: الزَّكاةَ وسائرَ مُواساةِ المُسلمين ﴿سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ﴾: مُسرِّينَ الإنفاقَ ومُعلنينَ له ﴿وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾؛ أي: يُجازُونَ الإساءةَ إليهم بالإحسانِ منهم كما قال:

يَجْزُونَ مِن ظُلمِ أهلِ الظُّلمِ مَغفِرةً   ومِنْ إساءةِ أهلِ السُّوءِ إِحسانا[1]

وقيل: يدرؤُونَ بالتَّوبةِ الذَّنبَ.

وقيل: يدفَعُونَ العذابَ بالصَّدقةِ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾: العاقبةُ الحسنةُ، وقيل: ﴿عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾: الجنَّةُ، وقيل:

---

(١) نسب البيت لقريط بن أنيف أحد بني العنبر، كما في «شرح ديوان الحماسة» للتبريزي (١/ ٥)، و«المقاصد النحوية» للعيني (٣/ ١٠٥٨)، و«خزانة الأدب» للبغدادي (٧/ ٤٤١).

عُقبَى الشَّيءِ[1]: مُنتَهاه؛ أي: كانت لهم بعدَ دارِ الدُّنيا ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ﴾ فهي بدلٌ من ﴿عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾.

* * *

(٢٣) ـ ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ﴾.

﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ﴾: دارُ إقامةٍ، وقد سبقَ.

﴿يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡ﴾؛ أي: هم ومَن صلَحَ، وأجازَ الزَّجَّاجُ أن يكونَ مفعولًا معه[2].

ووصفَهم بالصَّلاحِ ليُعلمَ أنَّ مُجرَّدَ النَّسبِ لا يُغني.

﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ﴾ بالتَّحيَّةِ والسَّلامِ.

* * *

(٢٤) ـ ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾.

﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ﴾؛ أي: يقولونَ: سلامٌ عليكم، وقيل: هي بشارةٌ بدوامِ السَّلامةِ.

﴿بِمَا صَبَرۡتُمۡ﴾؛ أي: بدَلَ صبرِكُم، والباءُ يجوزُ أن تكونَ مُتَّصلةً بالسَّلامِ، ويجوزُ أن تكونَ مُتَّصلةً بـ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ﴾.

﴿فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾؛ أي: الجنَّاتُ.

---

(١) في (و): «الدار».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ١٤٧)، وعبارته: «موضع (من) رفع، عطف على الواو في قوله: (يدخلونها) وجائز أن يكون نصباً، كما تقول: قد دخلوا وزيداً؛ أي: مع زيد».

(٢٥) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ سبقَ تفسيرُه.

وقالَ عليه السَّلامُ: «إذا لم تمشِ إلى ذي رَحِمِك برِجلِكَ، ولم تُعطِه من مالِكَ، فقد قطَعْتَه»(١).

﴿وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالكفرِ والظُّلمِ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ﴾: الإبعادُ منَ الرَّحمةِ ﴿وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ يعني: جهنَّمَ ونكالَها.

* * *

(٢٦) ـ ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ﴾.

﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ﴾: يُوسِّعُه، والبَسطُ: مُباعَدةُ أطرافِ الشَّيءِ.

﴿وَيَقْدِرُ﴾؛ أي: ويقدرُ لمن يشاءُ: يُضيِّقُ، من قولِه: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ﴾ [الطلاق: ٧].

المُبرِّدُ: يبسطُ الرِّزقَ ويقدرُ؛ أي: ويَخيرُ له في البسطِ.

﴿وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: أشِرُوا وبطِرُوا بما نالُوا منها ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾: في جنبِ الآخرةِ ﴿إِلَّا مَتَٰعٌ﴾ كزادِ الرّاعي.

وقيل: قليلُ النَّفعِ ينقطعُ عن قريبٍ.

وقيل: مُتعةٌ وبُلغةٌ لا تدومُ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٥١٥) عن ابن جريج بلاغًا. وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٦٣٧) لابن جرير وابن المنذر وأبي الشيخ.

(٢٧) ـ ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَنۡ أَنَابَ﴾.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ﴾ سبق.

﴿قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾ باقتراحِ الآياتِ بعد ظُهورِ المُعجِزاتِ ﴿وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَنۡ أَنَابَ﴾: آمنَ وتابَ.

* * *

(٢٨) ـ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾؛ أي: هم الذين آمَنُوا، وقيل: بدلٌ من ﴿مَنۡ﴾ ومحلُّه نصبٌ[١].

﴿وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾: تسكُنُ وتهدَأُ ويزولُ عنها القَلَقُ والاضطرابُ، والهمزةُ أصلٌ عند المُحقِّقين، وقيل: زيادةٌ، وأصلُه منَ الطَّمْنِ، وهو الأرضُ المُنخفِضةُ[٢].

قولُه: ﴿بِذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾: بوعدِ الله، فهو مصدرٌ مضافٌ إلى الفاعلِ؛ أي: تطمئنُّ بوعدِه كما تَوْجَلُ بوعيدِه.

وقيل: بذكرِهم اللهَ بألسنتِهم أو بألسنةِ غيرِهم، فيكونُ مصدرًا مُضافًا إلى المفعولِ.

وقيل: ذكرُ الله هاهنا: القرآنُ[٣].

---

(١) لأن (من) في الآية السابقة في محل نصب مفعول به، و(الذين)على هذا القول بدل منه، وعلى القول الأول خبر لمبتدأ محذوف، فهو في محل رفع.

(٢) يقال: (طمأن) و(طأمن) و(أطمأنّ)، وبقاء الهمزة في اللغات الثلاثة دليل أصالة، والأصل: طامن عند سيبويه. انظر: «الكتاب» (٣/ ٤٦٧)، و«مقاييس اللغة» لابن فارس (٣/ ٤٢٢).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٦٩)، واستغربه.

وقيل: بنعمةِ الله[١].

﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ بسببِ ذكرِه تطمئِنُّ قلوبُ المُؤمنين.

***

(٢٩) ـ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ﴾ فيها أقوالٌ:

أحدُها: أنَّها شجرةٌ في الجنَّةِ غرسَها الله بيدِه في دارِ كلِّ مؤمنٍ، منها غصنٌ كالشَّمسِ. وقيل: أصلُها في دارِ النَّبيِّ عليه السَّلامُ. وقيل: في دارِ عليٍّ رضي الله عنه، حكاه الثَّعلبيُّ[٢].

وقيل: ﴿طُوبَىٰ﴾: اسمٌ من أسماءِ الجنّةِ، كلمةٌ حبشيّةٌ، وقيل: هنديّةٌ.

وقيل: طُوبى: فُعْلى من الطِّيبِ؛ أي: الرّاحةُ والطِّيبُ ولينُ العَيشِ لهم. وقيل: خيرٌ لهم. وقيل: غِبطةٌ لهم[٣]. وقيل: قُرَّةُ عينٍ وفرحٌ لهم.

وقيل: هي تأنيثُ الأفعلِ؛ أي: أطيبُ الأشياءِ لهم، وهي الجنّةُ، وهذا ضعيفٌ؛ لأنَّ الأفعلَ تأنيثُه الفُعْلى بالألفِ واللّامِ أو بالإضافةِ.

﴿وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾؛ أي: حسنُ مرجعٍ.

***

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٦٩)، وعدَّه من العجائب.

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٥/ ٢٩٤ ـ ٢٩٥).

(٣) في (و): «خير لهم وغبطة».

(٣٠) ـ ﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَـٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَـٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾.

﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَـٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ﴾ أي: كما أرسلنا قبلَكَ رُسُلًا أرسلناكَ إلى أمَّتِكَ.

﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ﴾؛ أي: لستَ بِدْعًا منَ الرُّسلِ، وليست أمَّتُك أُولى أمَّةٍ أُرسِلَ إليها رسولٌ ﴿لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ يعني: القرآنَ.

﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَـٰنِ﴾ جاء في سببِ النُّزولِ: أنّها نزلَتْ في صُلحِ الحُديبيةِ حين أرادوا كتابَ الصُّلحِ، فقال رسولُ الله عليه السَّلامُ لعليٍّ رضي الله عنه: «اكتُبْ: بسمِ الله الرَّحمنِ الرحيمِ»، فقال سُهَيلُ بنُ عمرٍو والمشركون: ما نعرِفُ الرَّحمن إلّا صاحبَ اليمامةِ ـ يعنون: مُسيلمةَ الكذَّابَ ـ اكتُبْ: باسمِكَ اللَّهمَّ، وهكذا كانَ أهلُ الجاهليّة يكتُبون، فأنزَلَ اللهُ فيهم هذه الآيةَ[1].

ابنُ عبَّاسٍ في روايةِ الضَّحَّاكِ: نزلَتْ في كفَّارِ قُريشٍ حينَ قال لهم: ﴿ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَـٰنِ﴾ [الفرقان: ٦٠]، قالوا: وما الرَّحمنُ[2]؟!

﴿قُلْ هُوَ رَبِّى﴾؛ أي: الرَّحمنُ ربِّي؛ خالِقي ورازِقي ومُدبِّري.

﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾: وثِقْتُ به وفوَّضْتُ أمري إليه ﴿وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾: وإلى الله أتوبُ من خطيئَتي السّالفةِ. وقيل: إليه مَرجِعي.

* * *

---

(١) رواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٥٣١) عن قتادة ومجاهد، وعزاه الثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ٢٩٦) لقتادة وابن جريج، واللفظ له. وأصل الحديث رواه البخاري (٢٧٣١) من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم، ومسلم (١٧٨٤) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ٢٩٧)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٧٣).

(٣١) ـ ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾.

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ﴾ في سببِ النُّزولِ: أنَّ قُريشًا اجتمعَتْ وقالت: يا محمَّدُ، إنْ سَرَّكَ[1] أن نتَّبعَكَ فسيِّرْ لنا جبالَ مكَّةَ بالقرآنِ، أو سخِّرْ[2] لنا الرِّيحَ نركبُها إلى الشَّامِ، أو أحْيِ آباءَنا لنسألَهم: أحقٌّ ما تقولُ أم باطلٌ؟ فأنزلَ اللهُ: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا﴾[3]: كتابًا ﴿سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾، وجوابُ (لو) محذوفٌ، وهو محذوفًا أبينُ منه ملفوظًا، واختلفُوا فيه:

فقالَ بعضُهم: جوابُه: لكانَ هذا القرآنَ.

وقيل: جوابُه: لَمَا آمَنُوا، كقولِه: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ الآية [الأنعام: ١١١].

وقيل: جوابُه: ما يدلُّ عليه قولُه: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾؛ أي: وهم يكفُرون بالرَّحمنِ ولو أنَّ قُرآنًا سُيِّرَتْ به الجبالُ[4].

---

(١) في (و): «يسرك».

(٢) في (و): «وسخر».

(٣) ذكره مقاتل في «تفسيره» (٢/ ٣٧٩)، والثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ٢٩٨)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ٣١٩)، دون راو ولا سند، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٥٣٤ ـ ٥٣٥)، عن قتادة والضحاك وابن زيد.

وروى الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٦١٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما: «قالوا للنبي ﷺ: إن كان كما تقول: فأرنا أشياخنا الأول من الموتى نكلمهم، وافتح لنا هذه الجبال جبال مكة التي قد ضمتنا، فنزلت». قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٤٣): «فيه قابوس بن أبي ظبيان وهو ضعيف، وقد وثق».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٦٩)، واستغربه.

وقيل: هذا تفخيمٌ للقرآنِ، وأنَّه ليس في كتبِ الله ما يجمعُ من الحِكَمِ والشَّواهدِ والدَّلائلِ والبيِّناتِ[١] ما يجمعُه القرآنُ، ولو سُيِّرَتْ[٢] جبالٌ بقراءةِ كتابٍ لكانَ هذا القرآنَ.

﴿بَل لِّلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ جَمِيعًا﴾؛ أي: هذا وأمثالُه يفعلُه الله القادرُ الذي له كلُّ الأمرِ.

وقيلَ: ﴿بَل لِّلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ جَمِيعًا﴾ وليس لأحدٍ أن يقترحَ عليه آيةً.

﴿أَفَلَمۡ يَاْيۡـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ اليأسُ ضدُّ الطَّمعِ، وفيه لُغتان سبقَ بيانُهما[٣]، واختلفُوا في الآيةِ، فذهبَ أكثرُهم إلى أنَّه بمعنى العلمِ، وأنشدَ:

أَلَمْ يَيْأَسِ الأقوامُ أنِّي أنا ابنُه ... وإنْ كنتُ عن أرضِ العشيرةِ نائيا[٤]

يُريدُ: أَلَم يعلَمْ، وهي لغةُ نَخَعٍ[٥]، وقيل: لغةُ هوازِنَ.

المُبرِّدُ: ﴿أَفَلَمۡ يَاْيۡـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ علمًا منهم أنْ لو يشاءُ الله لهدَى النَّاسَ جميعًا.

وقيل: أفلم يعلمِ الذين آمنُوا علمًا يئِسُوا معَه من أن يكونَ غيرَ ما علِموا.

---

(١) في (و): «والبيان».

(٢) في (و): «وموأن قرآناً سيرت».

(٣) اللغتان: أيس ويئس، وقد تقدم الكلام عليها في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ خَلَصُواْ نَجِيًّا﴾ [يوسف: ٨٠].

(٤) نسب البيت لرباح بن عدي كما في «النكت والعيون» (٣/ ١١٣)، و«تفسير القرطبي» (٩/ ٣٢٠). ونسب لمالك بن عوف في «تفسير السمرقندي» (٢/ ٢٢٨). وهو بلا نسبة في «العين» (٧/ ٣٣١)، و«تفسير الطبري» (١٣/ ٥٣٦)، و«شرح القصائد السبع» لابن الأنباري (ص: ٥٦٧).

(٥) انظر: «تفسير الطبري» (١٣/ ٥٣٦)، و«المحكم» لابن سيده (٨/ ٦٣٢)، و«بصائر ذوي التمييز» للفيروزآبادي (٥/ ٣٧٥).

وقيل: ﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ من إيمانِ هؤلاءِ الذين وصفَهم الله أنَّهم لا يُؤمنون؛ لأنَّه قد قالَ: ﴿لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ فيكونُ ﴿يَاْيْـَٔسِ﴾ على أصلِه.

وقرأ ابنُ عبَّاسٍ: (أفلَمْ يَتبيَّنِ الذين آمَنُوا)[1]؛ أي: أفلمْ يعلَمُوا، وقُرِئَ: (أفلم يتبيَّن للَّذين آمنوا)[2]؛ أي: يَظهرْ.

ورُوِيَ عن عكرمةَ عن ابنِ عبَّاسٍ أنَّه قال: ما كتبَها الكاتبُ إلَّا وهو ناعسٌ[3].

---

(١) رواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ٣٠٢)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ٥٣٧).

(٢) ونسبت لابن عباس رضي الله عنهما أيضاً. انظر: «معاني القرآن» للنحاس (٣/ ٤٩٧)، و«تفسير السمرقندي» (٢/ ٢٢٨).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٥٣٧)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٧٠)، وعدَّه من العجائب.

وهذا الخبر رجاله جميعهم ثقات لكن ظاهر متنه النكارة، ولذلك فقد اشتد إنكار جماعة من المفسرين عليه دون نظر منهم لإسناده، منهم الزمخشري الذي قال في «الكشاف» (٢/ ٥٣٠): «وهذا ونحوُه ممَّا لا يُصدَّق في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطلُ مِن بين يديه ولا مِن خَلْفه، وكيف يَخْفَى مثلُ هذا حتى يَبْقى ثابتاً بين دفَّتي الإمام، وكان متقلِّباً في أيدي أولئك الأعلام المحتاطِينَ في دِين الله المُهيمِنين عليه...» إلى أن قال: «وهي والله فرية ما فيها مرية».

أما أبو حيان فكان أكثر عمقاً من الزمخشري حيث ميز بين القراءة وقصة الناعس، فقال في «البحر» (٦/ ٣٩١): «وهذه القراءة ليست قراءة تفسير لقوله: ﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ﴾ كما يدل عليه ظاهر كلام الزمخشري، بل هي قراءة مسندة إلى الرسول ﷺ، وليست مخالِفة للسواد إذ كتبوا ﴿ييئس﴾ بغير صورة الهمزة، وهذا كقراءة: ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ و: ﴿فتثبتوا﴾ وكلتاهما في السبعة، وأما قول مَن قال: إنما كتبه الكاتب وهو ناعس فسوى أسنان السين، فقول زنديق ملحد». وتابعه في كلامه هذا الآلوسي في «روح المعاني» (٧/ ١٤٨).

قلت: وفي هذا ـ بعد صحة الإسناد ـ ما لا يخفى من المبالغة، لكن مما يشكل على هذا الخبر أيضاً أن الطبري رواه عن شيخه أحمد بن يوسف عن القاسم ـ هو ابن سلام ـ بإسناده إلى ابن عباس، وأحمد بن يوسف التغلبي الأحول شيخ الطبري، هو صاحب أبي عبيد القاسم بن سلام، مشهور =

ونسبةُ الرّاوي إلى النُّعاسِ أولى[1] من كتابِ الله الذي لا يأتيه الباطلُ من بينِ يدَيه ولا من خلفِه.

وقولُه: ﴿يَشَآءُ ٱللَّهُ﴾ على لفظِ المُستقبلِ، و﴿لَهَدَى﴾ على لفظِ الماضي؛ لأنَّ ما يشاؤُه الآنَ فهو الذي شاءَه قبلُ، فلفظُ الماضي والمُستقبلِ سواءٌ.

﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ عامٌّ، وقيل: طائفةٌ منهم ﴿تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ﴾؛ أي: بصنيعِهم، وقيل: بالذي صنَعوه ﴿قَارِعَةٌ﴾: داهيةٌ تُقلِقُهم ونازلةٌ تُهلِكُهم، منَ القَرْعِ، وهو الضَّربُ بالمِقرَعةِ؛ أي: لا يأمَنُون المسلمين بعدَ اليومِ.

= بصحبته، وهو ثقة مأمون، وهو الذي أخذ عنه الطبري كتب أبي عبيد القاسم بن سلام، كما قال الشيخ أحمد شاكر، لكن أبا عبيد رواه في «فضائل القرآن» (ص: ٣٠٢) بذلك الإسناد مقتصراً على ذكر القراءة فقط، دون قصة الناعس.

ومن العلماء من مال لجانب البحث عن تأويل لهذا الخبر المشكل وأمثاله مما صح إسناده، منهم ابن حجر في «فتح الباري» (٨/ ٣٧٣): «وهذه الأشياء وإن كان غيرها المعتمد لكن تكذيب المنقول بعد صحته ليس من دأب أهل التحصيل فلينظر في تأويله بما يليق به». وقد تكلم الشيخ أحمد شاكر رحمه الله في تعليقه على «تفسير الطبري» (١٦/ ٤٥٢) على هذا الأثر وبين صحة إسناده، وذكر أنه كتب رسالة مستقلة حول هذا الأثر المشكل وأشباهه.

قلت: وقد نقل السيوطي في «الإتقان» (٢/ ٣٢٩) تأويل بعض العلماء ـ وهو ابن أشتة ـ لما روي من هذه الأخبار المشكلات، فذكر في هذا الخبر: أن معنى قولِ ابنِ عبَّاسٍ: «كتبَهَا وهو ناعِسٌ» يعني: فلم يتدبَّرِ الوجهَ الذي هو أولى من الآخر. والله أعلم بالصواب. وانظر كلام الباقلاني في «الانتصار للقرآن» (٢/ ٥٣١).

(١) كلمة: «أولى» كذا في النسخ الخطية، وكأن مراد المصنف: ونسبة الراوي إلى النعاس أولى من نسبة الخطأ إلى كتاب الله... وكلامه غير واضح، وقد قال المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٧٠): «وهذا بعيد لا يجوز القول به».

﴿أَوْ تَحُلُّ﴾ القارعةُ ﴿قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾: هي سرايا المُسلمين، وقيل: هي أنواعُ البلاءِ منَ القَحْطِ والجلاءِ والأسرِ والجِزْيةِ وغيرِها.

ابنُ عبَّاسٍ: أو تحلُّ أنتَ يا محمَّدُ قريبًا من دارِهم، وهذا وعدٌ بفتحِ مكّةَ[1].

وقيل: ﴿وَعْدُ ٱللَّهِ﴾ يومُ القيامةِ.

﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾: لا خُلفَ في موعودِه.

* * *

(٣٢) ـ ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾.

﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾: يُعزِّي نبيَّه عليه السَّلامُ على ما نالَه من استهزاءِ قومِه به.

﴿فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾: أطَلْتُ لهم المُدَّةَ وأخَّرتُ عنهم العذابَ.

﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ﴾: عاقبْتُهم بأشدِّ العقابِ ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾؛ أي: عقابي إيّاهم.

* * *

(٣٣) ـ ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَـٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾.

﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ ابنُ عبَّاسٍ: الله يعلَمُ أينما كنتم[2].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٥٤٠)، وحسن إسناده ابن حجر في «فتح الباري» (٨/ ٣٧٣).

(٢) كذا في النسخ الخطية، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٥٤٦) بلفظ: « ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ =

وقيل: توكيلُه الحفظةَ عليهم: قيامُه على كلِّ نفسٍ.

وقيل: القائمُ على الشَّيءِ: هو الحافظُ له يُدبِّرُ أمرَه.

وقيل: هو المُجازي على الأعمالِ.

وقيل: هو القاهرُ له المُقتَدِرُ عليه.

والخبرُ محذوفٌ تقديرُه: كغيرِه منَ المخلوقين؟ أو: كمَن ليس بهذه الصِّفةِ؟ ثمَّ استأنفَ فقال:

﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾ يعني: الأصنامَ ﴿قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ بما خلَقُوا وصنَعُوا وأماتُوا وأحيَوا لتصِحَّ الشَّركةُ.

وقيل: طالِبُوهم بحجَّةٍ على أنَّها آلهةٌ.

وقيل: صِفُوهم فانظُروا هل يستحِقُّون الإلهيّةَ.

وقيل: هذا تهديدٌ، كما تقولُ لِمَن تُهدِّدُه على شُربِ الخمرِ: سمِّ الخمرَ بعد هذا.

﴿أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ نفى العلمَ لانتفاءِ المعلومِ؛ أي: لا شريكَ له في السَّماواتِ والأرضِ فلا يعلمُه.

ابنُ عبَّاسٍ في جماعةٍ: أي: إذا ادَّعَيتُم في الأرضِ إلهًا غيرَ الله فقد أخبرتُم اللهَ بما لا وجودَ له(١).

= بِمَا كَسَبَتْ﴾ يعني بذلك نفسه، يقول: هو معكم أينما كنتم، فلا يعمل عامل إلا وهو حاضر»، والظاهر أن (يعلم) تصحيف، وأن صوابها: «معكم»، والله أعلم.

(١) لم أجده هكذا عن ابن عباس رضي الله عنهما، وروى معناه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٥٤٨) عن ابن جريج قال: «﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ﴾، ولو سموهم كذبوا وقالوا في ذلك ما لا يعلم الله، ما =

الحسنُ: إذا ادَّعَيتُم فعلًا لأصنامِكُم فقد أخبرتُم اللهَ بما لا يعلمُ.

والكلُّ يعودُ إلى القول الأول(١).

وقال صاحبُ «النَّظمِ»: (لا) بمعنى: ليس، والعلمُ زيادةٌ(٢)، وتقديرُه: بما ليس في الأرضِ، وهذا مُزَيَّفٌ.

﴿أَم بِظَـٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ﴾؛ أي: باطلٍ.

وقال:

وتِلْكَ شَكاةٌ ظاهرٌ عنكَ عارُها(٣)

وقيل: ظاهرٌ منَ القولِ: مجرَّدُ التَّسميةِ.

وقيل: ﴿أَم بِظَـٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ﴾ أنزلَه على بعضِ الأنبياءِ.

وقيل: أرادَ ﴿بِمَا لَا يَعْلَمُ﴾: المعدومَ، و﴿بِظَـٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ﴾: الموجودَ، والمعنى: أتُنبِّئُون اللهَ بشيءٍ موجودٍ أم معدومٍ.

﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ﴾: زيَّنَ الشَّيطانُ لهم كُفرَهم وتمويهَهُم ﴿وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾؛ أي: عن سبيلِ اللهِ.

= من إله غير الله، فذلك قوله: ﴿أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾. وبنحوه عن الضحاك، وروى معهما على أنه من ذات المعنى قول ابن عباس: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾ والله خلقهم.

(١) في (و): «يعود إلى الله تعالى».

(٢) ذهب إلى هذا ابن فارس في «الصاحبي في فقه اللغة» (ص: ١٥٧)، ونقل الواحدي هذا القول عن صاحب النظم في «البسيط» (١٢/ ٣٦٠).

(٣) عجز بيت لأبي ذؤيب الهذلي، انظر: «ديوان الهذليين» (١/ ٢١)، وصدره:

وعيَّرها الواشون أنِّي أحبُّها

ومَن قرأ بالفتحِ[1] فالمعنى: وصَدُّوا المسلمينَ عن سبيلِ الله.

﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾؛ أي: مَن خذَلَه لا يُوفِّقْه غيرُه.

***

(٣٤) - ﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ﴾.

﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ بالقتلِ والأَسرِ والجلاءِ ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَقُّ﴾: أشدُّ لدوامِه واستمرارِه ﴿وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ﴾: دافعٍ يدفعُ عنهم عذابَ الله.

***

(٣٥) - ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾.

﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ قيل: شبهُ الجنَّةِ. وقيل: صِفةُ الجنَّةِ. وهذا ضعيفٌ في اللُّغةِ.

وقيل: ﴿مَّثَلُ﴾ زيادةٌ كـ(مِثْلٍ) في مواضعَ[2].

وهو مرفوعٌ بالابتداءِ، وخبرُه عند سيبويهِ: فيما أُنزِلَ[3].

---

(١) قرأ الكوفيون: ﴿وَصُدُّواْ﴾ بضم الصاد، والباقون بفتحها. انظر: «السبعة» (ص: ٣٥٩)، و«التيسير» (ص: ١٣٣).

(٢) أما زيادة (مِثل) فكثيرة، ومما استدلَّ به على ذلك قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، وقوله ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ [البقرة: ١٣٧]، وقد ذهب إلى ذلك الأخفش، وقال أبو حيان في «المختار عند حذاق النحويين أن الأسماء لا تزاد»، والقول بزيادة (مَثَل) أضعف مما قبله. انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ١٩٧)، و«المقتضب» للمبرد (٤/ ٤١٨)، و«مشكل إعراب القرآن» لمكي (٢/ ٦٧٣)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٣/ ٢٥٨).

(٣) أي: الخبر محذوف هذا المذكور تقديره، أو نحوه كـ: فيما قَصَصْناه عليكم مَثَلُ الجنَّة. انظر: «الكتاب» (١/ ١٤٣)، و«الكشاف» (١/ ٧٢) و(٢/ ٥٣٢).

وقيل: خبرُه: ﴿تَجۡرِي﴾ فيمَن جعل (مَثَلًا) زيادة.

وأجازَ الفرَّاءُ أن يكونَ ﴿تَجۡرِي﴾ الخبرَ[١]، وإنْ لـم يَجعَلْ (مَثَلًا) زيادةً.

وقيل: الخبرُ محذوفٌ لطولِ الكلامِ.

وقيل: هذه صفةُ الجنَّةِ، فهو خبرُ[٢] المُبتدأ، ثمَّ أخذَ يصِفُها.

وقيلَ: مثلُ الجنَّةِ التي وُعِدَ المتَّقون جنَّةٌ تجري.

قولُه: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٞ﴾؛ أي: ثمرُها دائمُ الوجودِ لا ينقطعُ صيفًا ولا شتاءً.

وقال مالكُ بنُ أنسٍ: ليس في الدُّنيا شيءٌ يُشبِهُ ثمرَ الجنَّةِ إلّا الموزُ، فإنَّه يوجدُ صيفًا وشتاءً[٣].

وقيل: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٞ﴾: لا ينقطعُ بالموتِ والبِلى.

﴿وَظِلُّهَا﴾؛ أي: وظلُّها أيضًا دائمٌ لا تنسخُه الشَّمسُ، وإنَّما يستضيءُ أهلُ الجنَّةِ بنورٍ لا حرَّ معه ولا بردَ.

﴿تِلۡكَ عُقۡبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾؛ أي: الجنَّةُ الموصوفةُ عُقبَى تقواهم؛ أي: مُنتَهى أمرِهم ومآله[٤]، ﴿وَّعُقۡبَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾؛ أي: مُنتَهى دارِهم وأعمالِـهم.

* * *

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٦٥).

(٢) أي: «مَثَلُ» خبر مبتدأ محذوف تقديره: هذه.

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٣٣١)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٦٥٧) إلى ابن المنذر وأبي الشيخ.

(٤) في (ن): «أعمالهم».

(٣٦) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ۚ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ قيل: همُ اليهودُ والنَّصارى؛ أي: يفرحونَ بما يُوافِقُ كتبَهم ويُصدِّقُ ما معهم.

وقيل: هم الذين آمنُوا منهم كابنِ سلَامٍ وأصحابِه.

﴿وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾ الأحزابُ: هم الذين تحزَّبُوا على رسولِ الله عليه السَّلامُ؛ أي: اجتَمَعوا على عداوتِه، وهم المُشرِكون.

﴿مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ﴾: يُقِرُّون بالله ويُنكِرونَ نُبوّةَ محمَّدٍ عليه السَّلامُ.

وقيل: ﴿يُنكِرُ بَعْضَهُۥ﴾: ذِكرَ الرَّجْمِ.

وقيل: ﴿الّذين ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ﴾ يعني: مُؤمنيهم ﴿وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ﴾ الباقونَ منهم.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ﴾ آمنتُم أو كفرتُم ﴿إِلَيْهِ أَدْعُوا۟﴾: إلى الله أدعوكُم ﴿وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ﴾: وإلى الله مرجِعي ومرجِعُكم.

* * *

(٣٧) ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾؛ أي: كما أنزلنا الكتابَ على الأنبياءِ بلسانِهم ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾؛ أي: القرآنَ عليك ﴿حُكْمًا﴾: يحكُمُ ويفصِلُ بين الحقِّ والباطلِ ﴿عَرَبِيًّا﴾ بلسانِهم.

وقيل: ﴿كذلك﴾ إشارةٌ إلى قولِه: ﴿أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ﴾؛ أي: كما أمرناكَ أن تقولَه أنزلناه في القرآنِ.

﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم﴾ في دُعائِهم إيَّاكَ إلى ملَّةِ آبائِهم ﴿بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ هذا وعيدٌ حسَمَ به طمعَهم.

* * *

(٣٨) - ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ في سببِ النُّزولِ:

قالَ الكلبيُّ: عيَّرتِ اليهودُ رسولَ الله عليه السَّلامُ وقالت: ما نرى لهذا الرَّجلِ هِمَّةً إلَّا النِّساءَ والنِّكاحَ، ولو كان نبيًّا كما زعمَ لشغَلَه أمرُ النُّبوَّةِ عن النِّساءِ، فأنزَلَ الله هذه الآيةَ[١].

والمعنى: كانوا بشرًا يأكلُون ويباشِرُون النِّساءَ ويلِدُونَ الأولادَ.

﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾؛ أي: ليس في وُسعِهم إتيانُ الآياتِ على ما يقترِحُه قومُهم، إنَّما ذلك إلى الله.

وقولُه: بإذنِه: بعلمِه وأمرِه.

واللَّفظُ لفظُ الحظرِ، والحظرُ إنَّما يكونُ مع القُدرةِ، ومثلُه: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ﴾ [مريم: ٣٥]، والمعنى معنى النَّفيِ؛ أي: لا يفعلُ ما لا يليقُ به[٢].

﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ الأجَلُ: الوقتُ الذي يقَعُ فيه المقدورُ، والكتابُ: المكتوبُ؛ أي: كُتِبَ في اللَّوحِ المحفوظِ.

---

(١) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٧٤).

(٢) لأن الله سبحانه وتعالى لا يُحظر عليه، كما قال مكي في «الهداية» (٣/ ٤٥٣٨)، والحظر المنع من الفعل والحكم بأنه لا يكون، ومن عباراته: (ما كان) و(ما ينبغي)، وربما كان الامتناع بحكم العقل أو الشرع. انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٤/ ٣٨٥).

وقيل: هو مُتَّصلٌ بالأوَّلِ على تقديرِ: لكلِّ ما اقترَحُوا أجَلٌ يقعُ فيه.

وقيل: هذا مِنَ المقلوبِ؛ أي: لكلِّ كتابٍ أنزَلَه الله منَ السَّماءِ أجَلٌ ووقتٌ معلومٌ[1].

وقيل: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ﴾: انقضاءُ عمرِ الإنسانِ ﴿كِتَابٌ﴾ مشتمِلٌ على جميعِ أعمالِه.

وقيل: لكلِّ أمرٍ قضاه الله كتابٌ كتبَه فهو عندَه.

وقيل: معناه: لكلِّ وقتٍ حُكمٌ.

* * *

(٣٩) - ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ الْكِتَابِ﴾.

﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾ ما يشاءُ.

وقال بعضُهم: يمحو ويُثبِتُ إلّا الشَّقاوةَ والسَّعادةَ.

وقيل: إلّا الأجلَ والرِّزقَ.

وقيل: المُراد به: المنسوخُ والنّاسخُ.

وقيل: المُرادُ: يمحو السَّيّئاتِ منَ التَّائبِ ويُثبِتُ مكانَها الحسناتِ.

وقيل: يمحو من كتابِ الحفظةِ ما لا يتعلَّقُ به جزاءٌ ولا حسابٌ ويُثبِتُ ما سواه؛ أي: يتركُه مُثبَتًا.

وقيل: يمحو مَن قد جاءَ أجلُه، ويُثبِتُ مَن لم يجِئْ أجلُه.

وقيل: يغفرُ ذنوبَ مَن يشاءُ ويتركُ ذنوبَ مَن لم يغفرْ له.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٧١)، واستغربه.

وقيل: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾: القمرَ، ﴿وَيُثْبِتُ﴾: الشَّمسَ.

وقيل: يمحو الله بالنَّومِ ويُثبِتُ باليقظةِ.

وقيل: يمحو الله الدُّنيا ويُثبِتُ الآخرةَ.

قال الشَّيخُ: ويحتمِلُ: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ عندَ الموتِ ﴿وَيُثْبِتُ﴾ عندَ الولادةِ[1].

﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ الْكِتَـٰبِ﴾: اللَّوحُ المحفوظُ، وهو أصلُ كلِّ كتابٍ، فيه ما خَلَقَ وما يخلُقُ.

وقيل: فيه الحلالُ والحرامُ.

وقيل: ﴿أُمُّ الْكِتَـٰبِ﴾: جملةُ الكتابِ.

***

(٤٠) ـ ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَـٰغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾.

﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِى نَعِدُهُمْ﴾ يعني: العذابَ ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبلَ أن نُرِيَكَ[2] فيقعَ بهم في الدُّنيا ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَـٰغُ﴾ يريدُ: تبليغَ الرِّسالةِ ﴿وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾: المُجازاةُ.

وقيل: ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِى نَعِدُهُمْ﴾ من إظهارِ دينِ الإسلامِ على سائرِ الأديانِ ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبلَ ذلك.

***

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٧١)، واستغربه.

(٢) في (ن): «نرينَّك».

(٤١) ـ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ قيل: نفتحُ على المسلمين شيئًا فشيئًا، وذلك نُقصانُ أرضِ الكفَّارِ وزيادةُ أرضِ المسلمين.

وقيل: ﴿نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ يريدُ: خرابَ العمرانِ وهلاكَ أهلِها[1].

وقيل: ﴿نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾: بذهابِ البركةِ[2] عن ثمارِها ونباتِها.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: نُقصانُها: موتُ العلماءِ والفقهاءِ وخيارِ النَّاسِ[3].

وقيل: نُقصانُها: موتُ أهلِها[4]، والمُرادُ بالأرضِ: أهلُها.

وقيل: نُقصانُها: جَورُ وُلاتِها[5].

وقيل: ننقُصُ من جوانبِ الشَّامِ ونزيد في الشَّامِ، وهي أرضُ المحشَرِ، حكاه مُجاهدٌ[6].

---

(١) روى الطبري نحوه عن مجاهد. انظر: «تفسير الطبري» (١٣/ ٥٧٦).

(٢) في (و): «نأخذ البركة».

(٣) رواه نعيم بن حماد في «الفتن» (ص: ٦٩٠)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ٥٧٨).

(٤) رواه الطبري عن مجاهد أيضاً في «تفسيره» (١٣/ ٥٧٧).

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٧٢)، واستغربه.

(٦) لم أجده، وروى عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢٤٠) عن مجاهد نحو قول ابن عباس، وقال يحيى بن سلام في «تفسيره» (١/ ٣١٧): «وفي تفسير عمرو عن الحسن عن الأحنف بن قيس: أن الله تبارك وتعالى يبعث نارًا قبل يوم القيامة تطرد الناس من أطراف الأرض إلى الشام، تنزل معهم إذا نزلوا، وترتحل معهم إذا ارتحلوا، فتقوم عليهم القيامة بالشام وهو قوله: ﴿نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾»، وروى الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٣١٢) عن قتادة: «ما نقص من الأرض زيد في الشام، وما نقص من الشام زيد في فلسطين، وكان يقال: هي أرض المحشر والمنشر».

﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ﴾: لا مُغيِّرَ لإرادتِه ولا مانعَ.

ابنُ عيسى: التَّعقيبُ: ردُّ الحكمِ بعد فَصْلِه[1].

﴿وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ حسابُه لأعمالهم أسرعُ من لمحِ البصرِ لا يشغلُه مُحاسبةُ أحدِهم عن مُحاسبةِ الآخرين.

وقيل: لا يحتاجُ إلى تأمُّلٍ وتفكُّرٍ وعقدٍ باليدِ.

وقيل: ﴿سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾: سريعُ الجزاءِ.

* * *

(٤٢) ـ ﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ﴾.

﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ يُريدُ كفَّارَ الأممِ الخاليةِ، كفروا ومكروا بأنبيائِهم. والمكرُ: إرادةُ المكروهِ في خُفيةٍ.

﴿فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا﴾؛ أي: أسبابُ المكرِ بيدِ الله لا يضرُّه إلّا مَن أرادَه[2].

وقيل: مكرُهم بالأنبياءِ مكرُهم بأنفسِهم؛ لأنَّ الله يُنجِّي الأنبياءَ ويُهلِكُهم.

﴿يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ من الخيرِ والشَّرِّ فيُجازيها عليه.

﴿وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ﴾؛ أي: العاقبةُ المحمودةُ، واللّامُ يدلُّ على المحمودةِ، كما أنَّ (على) يدلُّ على المذمومةِ[3]، وهذا وعيدٌ للكفّارِ.

---

(١) في (ن): «قضائه».

(٢) أي: لا يضرُّ المكرر ـ الذي سببه بيد الله ـ إلا مَن أراد الله أن يضرَّه به.

(٣) أي: لو قلنا: سنعلم على مَن عقبى الدار، دلت (على) في العبارة على أن الدار مذمومة.

(٤٣) - ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا﴾ جاء في التَّفسيرِ: أنَّ المُرادَ بهم كعبُ بنُ الأشرفِ وأصحابُه ورُؤساءُ اليهودِ، جحدوا فقالوا: لستَ مُرسلًا[١].

﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ فلا حاجةَ مع شهادتِه إلى شهادةِ غيرِه، والباءُ دخلتِ الفاعلَ، و﴿شَهِيدًۢا﴾ منصوبٌ على التَّمييزِ، وقيل: على الحالِ.

وقيل: معناه: اكتفِ به.

﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ قيل: هو عبدُ الله بنُ سلامٍ[٢].

وقال عبدُ الله: فِيَّ نزلَتْ هذه الآيةُ[٣].

ومجاهدٌ والضَّحَّاكُ أنكراه وقالا: كيف نزلَتْ فيه والسُّورةُ مكِّيَّةٌ[٤]؟! وقد سبقَ أوَّلَ السُّورةِ الكلامُ في نزولِها.

وقيل: هم مَن آمَنَ مِن أهلِ الكتابِ.

وقيل: هو اللهُ عزَّ وجلَّ[٥]، وتقديرُه: كفى بالله الذي عندَه علمُ الكتابِ

---

(١) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٢٣٢) دون نسبة بلفظ: «﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا﴾ يعني: كعب بن الأشرف وحيي بن أخطب وسائر اليهود».

(٢) رواه ابن شبة في «تاريخ المدينة» (٤/ ١١٨٢)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ٥٨٢)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (١/ ٣٠٥) عن مجاهد. وروي عن غيره أيضًا.

(٣) رواه الترمذي (٣٢٥٦) وقال: «حديث غريب».

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ١١٩) عن الحسن ومجاهد والضحاك، ورواه سعيد بن منصور في «سننه ـ التفسير» (١١٧٧)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ٥٨٦)، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٥٣٥) عن سعيد بن جبير، وذكره نحوه السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٢٣٣) عن عبد الله بن مسعود، وذكر نحوه السمعاني في «تفسيره» (٣/ ١٠١) عن الشعبي وعكرمة.

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٧٢)، وعدَّه من العجائب.

شـهيدًا بينـي وبينكـم، ودليلُه قراءةُ مَـن قرأ: (ومِنْ عنـدِه عِلْمُ الكتـابِ)[١]، وكذلك قـراءةُ مَن قـرأ: (ومِنْ عنـدِه عُلِمَ الكتـابُ)[٢].

وقيل: هو عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه، حكاه الثَّعلبيُّ[٣].

ومحلُّ ﴿مَنْ﴾ جرٌّ بالعطفِ على (الله)، ويجوزُ أن يكونَ رَفعًا على المحلِّ؛ لأنَّ[٤] التَّقديرَ: كفى اللهُ[٥]، واللهُ تعالى أعلمُ.

---

(١) نسبت للنبي ﷺ، وعليٍّ وابن عباس وأبيٍّ رضي الله عنهم، وسعيد بن جبير وعكرمة، ومجاهد بخلاف، والحسن بخلاف، وعبد الرحمن بن أبي بكرة وابن أبي إسحاق والضحاك والحكم بن عتيبة، ورُويت عن الأعمش. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ٧٢)، و«المحتسب» لابن جني (١/ ٣٥٨).

ورواهـا الطبـري فـي «تفسـيره» (١٣/ ٥٨٤ ـ ٥٨٦) عـن ابـن عبـاس رضـي الله عنهمـا ومجاهـد وسعيد بن جبير والضحاك.

وأما نسبتها للنبي ﷺ فقد قال الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٥٨٦) بعد أن ذكر خبرًا مرفوعًا عن النبيِّ ﷺ يؤيد هذه القراءة: «وهذا خبر ليس له أصلٌ عند الثِّقات من أصحاب الزُّهري، فإذا كان ذلك كذلك، وكانت قراء الأمصار من أهل الحجاز والشَّام والعراق على القراءة الأخرى، وهي: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٤٣]، كان التَّأويل الذي على المعنى الذي عليه قرَّاء الأمصار أولى بالصَّواب ممَّن خالفه، إذ كانت القراءة بما هم عليه مجمعون أحق بالصواب».

(٢) نسبت لعلي رضي الله عنه وابن السميفع والحسن. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٧٢)، و«المحتسب» (١/ ٣٥٨).

ورواها الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٥٨٥ ـ ٥٨٦) عن الحسن.

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ٣٤٥) عن أبي جعفر.

(٤) «لأن»: ليست في (و).

(٥) فلفظ الجلالة في اسم مجرور لفظاً مرفوع محلاً على أنه فاعل، ويجوز عطف (مَن) على لفظه أو على محلّه، والله أعلم.

سُورَةُ إِبۡرَاهِيمَ

سُورَةُ إبْرَاهِيمَ

عليه السَّلامُ

اثنتانِ وخمسونَ آيةً(1)، مكيّةٌ.

قتادةُ: مكّيّةٌ إلّا آيتينِ من قولِه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾ [إبراهيم: 28](2).

ليس فيها ناسخٌ ولا منسوخٌ، ولم تُذكَرْ في سببِ النُّزولِ.

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(1) ـ ﴿الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾.

﴿الر﴾: أنا الله أعلَمُ وأرى، وقد سبقَ الكلامُ فيه.

﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ﴾ يعني: القرآن ﴿لِتُخْرِجَ النَّاسَ﴾؛ أي: أنزَلْناه لتُخرِجَ النّاسَ بدُعائِكَ إيّاهُم ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ الجمهورُ على أنَّ المُرادَ بـ﴿الظُّلُمَاتِ﴾: الكفرُ وبـ﴿النُّورِ﴾: الإيمانُ.

---

(1) «اثنتان وخمسون آية» من (ن). وانظر: «البيان في عد آي القرآن» للداني (ص: 171)، وفيه: «وهي خمسون وآيةٌ في البَصْريّ، وآيتان في الكوفي، وأربع في المدنيين والمكي، وخمس في الشّامي»، ثم ذكر الآيات التي وقع الاختلاف فيها.

(2) ذكره مكي بن أبي طالب في «الهداية» (5/ 3767)، والماوردي في «النكت والعيون» (3/ 120). وهاتان الآيتان نزلتا بالمدينة في قتلى قريش يوم بدر، كما في «البيان في عد آي القرآن» للداني (ص: 171)، ونسبه لابن عباس ومجاهد وعطاء وقتادة.

وقيل: منَ الشَّكِّ إلى اليقينِ.

وقيل: منَ البِدعةِ إلى السُّنّةِ[١]. والوجهُ الأوَّلُ.

﴿بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ﴾ قيل: بتوفيقِ ربِّهم. وقيل: بعلمِ ربِّهم.

وقيل: بإطلاقِ الله ذلك لك[٢].

﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ﴾ بدلٌ من ﴿ٱلنُّورِ﴾ وهو الإسلامُ ﴿ٱلۡعَزِيزِ﴾: الغالبِ المُمتنعِ ﴿ٱلۡحَمِيدِ﴾ لأفعالِ الخلقِ، وهو بمعنى فاعلٍ، وقيل: بمعنى مفعولٍ.

* * *

(٢) - ﴿ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٖ شَدِيدٍ﴾.

﴿ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ قُرِئَ بالجرِّ على عطفِ البيانِ أو البدلِ[٣]، وبالرَّفعِ[٤] على الاستئنافِ.

﴿وَوَيۡلٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٖ شَدِيدٍ﴾ فشِدَّةُ[٥] عذابٍ لهم، وقد سبقَ.

* * *

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٧٣)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٧٣)، واستغربه.

(٣) قال المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٧٣): «ولا ينجر على الوصف، فإن اسم الله تعالى جارٍ مجرى الأعلام، والأعلام توصف ولا يوصف بها».

(٤) قرأ نافع وابن عامر بالرفع، والباقي بالكسر على البدل. انظر: «السبعة» (ص: ٣٦٢)، و«التيسير» (ص: ١٣٤).

(٥) في (و): «شدة».

(٣) ـ ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ ﴾.

﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْآخِرَةِ ﴾؛ أي: يختارُونَ ويُؤثِرون الدُّنيا على العُقبَى ويترُكون العملَ بها.

ابنُ عيسى: الاستِحبابُ: طلَبُ المحبّةِ بالتَّعريضِ لها[1].

﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ بتعويقِ النَّاسِ عن الإيمانِ بمُحمَّدٍ عليه السَّلامُ.

﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾: يلتَمِسُونَ لها[2] زَيْغًا وعَيْبًا، تقولُ: بغَيتُه الشَّيءَ: طلبتُه له، وأبغَيْتُه: أعَنْتُه.

وقيل: ينتظِرونَ لمُحمَّدٍ عليه السَّلامُ هلاكًا، حكاه الماوَرْدِيُّ[3].

وقيل: يطلُبونَ غيرَ سبيلِ القصدِ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾؛ أي: الموصوفونَ ﴿فِي ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ﴾: في خطأٍ وطريقٍ جائرٍ عن الصَّوابِ.

* * *

(٤) ـ ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾.

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ ﴾؛ أي: بلُغتِهم ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ ما هو

---

(١) ذكره نحو الواحدي في «البسيط» (١٠/ ٣٤١) بلا نسبة.

(٢) في (ن): «يلتمسونها».

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٤٦٤) عن السدي، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٧٣)، واستغربه.

مبعوثٌ به وله، ومحمَّدٌ عليه السَّلامُ مبعوثٌ إلى الخلقِ كافَّةً بلسانِ قومِه الذي وُلِدَ فيهم وتربَّى بينَهم، وليس المُرادُ بالقومِ الأمّةَ.

وقيل: تقديرُ الآيةِ: وما أرسلنا قبلَكَ رسولًا إلّا بلسانِ قومِه وإليهم فحَسْبُ، وأنتَ مُرسَلٌ بلسانِ قومِك إلى الكافّةِ.

الكلبيُّ: إنَّ الله بعَثَ جميعَ الكتبِ إلى جبريلَ بالعربيَّةِ، وأمرَه أن يأتيَ رسولَ كلِّ قومٍ بلُغتِهم(١)، حكاه النَّقّاشُ في «تفسيرِه»(٢).

وعن عليٍّ رضي الله عنه: بعَثَ الله نبيًّا حبشيًّا(٣).

ثمَّ استأنَفَ فقالَ: ﴿فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ﴾ بالخذلانِ عن الإيمانِ ﴿وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ بالتَّوفيقِ ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

***

(٥) ـ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ يُريدُ: اليدَ والعصا إلى سائرِ آياتِه التِّسعِ.

﴿أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ ﴿أَنْ﴾ هي المُفسِّرةُ بمعنى: أي.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٧٤)، وعدَّه من العجائب.

(٢) في هامش (ن): «قال: كانت صحف شيث وإدريس بالسريانية حتى وصل أيام إبراهيم وبعده إلى أيام عيسى بالعبرانية، ومعنى العبرانية: أي عبَّر عنه إلى غيره، والسريانية: لا أعبرت عنها».

(٣) ذكره السمعاني في «تفسيره» (٥/ ٣٢).

وقيل: معناه: بأن تُخرِجَ قومَك، فحُذِفَ الجارُّ.

والأمرُ واقعٌ موقعَ الخبرِ، والمعنى: إنَّ موسى كانَ مأمورًا كما أنتَ مأمورٌ به.

والقومُ: القِبْطُ، و﴿ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: الكفرِ، و﴿ٱلنُّورِ﴾: الإيمانِ، على ما سبقَ.

وقيل: القومُ: بنو إسرائيلَ، فيكونُ المعنى: أخرِجْ قومَكَ من ذُلِّ الاستعبادِ إلى عزِّ الملكةِ؛ لأنَّ بني إسرائيلَ كانوا مُؤمنين.

﴿وَذَكِّرْهُم﴾: جدِّدْ لهم الذِّكرَ. والذِّكرُ: حصولُ المعنى للنَّفسِ، وقد يغيبُ عنها بالنِّسيانِ فيُعادُ إليها بالتَّذكيرِ.

﴿بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ يُريدُ: ما خلا منَ الزَّمانِ.

وقيل: بنِقَمِه وشدائدِه، وأكثرُ استعمالِ الأيّامِ للوقائعِ والشَّدائدِ.

وقيل: بنِعَمِ الله، وجاء ذلك مرفوعًا(١).

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾؛ أي: للمُؤمنين، فإنَّ الإيمانَ نصفانِ؛ نصفٌ صبرٌ ونصفٌ شكرٌ.

* * *

---

(١) روى مسلم (٢٣٨٠) عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنه بينما موسى عليه السَّلامُ في قومه يذكرهم بأيام الله، وأيام الله نعماؤه وبلاؤه، إذ قال: ما أعلم في الأرض رجلاً خيراً وأعلم مني...».

وروى الإمام أحمد في «مسنده» (٢١١٢٨)، وعبد بن حميد في «مسنده» (١٦٨)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١١٩٦) عن ابن عباس، عن أبي بن كعب، عن النبي ﷺ في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ قال: «بنعم الله». قال ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤١١): «ورواه عبد الله ابنه أيضًا موقوفًا، وهو أشبه».

(٦) ـ ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ سبق.

قولُه: ﴿وَيُذَبِّحُونَ﴾ عطفٌ على ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ وحيثُ لا واوَ بدلٌ عنِ الأوَّلِ[١].

***

(٧) ـ ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾.

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ﴾: أعلَمَ، وتأذَّنَ وأذَّنَ بمعنًى واحدٍ، كتوعَّدَ وأوْعَدَ، وهو عطفٌ على كلامِ موسى عليه السَّلامُ لقومِه.

وقيل: ﴿تَأَذَّنَ﴾: قالَ[٢]، وقيل: سمعَ.

﴿لَئِن شَكَرْتُمْ﴾؛ أي: إنْ شكرتُم ما أنعمتُ به عليكم في قولِه: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ ﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ نعمةً إلى نعمةٍ.

﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ﴾: جحَدْتُم حقِّي وحقَّ نعمَتي ﴿إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ يُريدُ: في الدُّنيا بسلبِ النِّعمةِ، وفي العُقبى بالنَّارِ والنَّكالِ.

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٢٢٨)، وقد أفاد أنَّ الواو تفيد أن التذبيح غير العذاب، وحذفها يجعل العذاب الذي ذكر أولاً هو التذبيح. انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٦٨)، وللنحاس (٣/ ٥١٦).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٧٤)، واستغربه.

(٨) ـ ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾.

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ ﴾؛ أي: هو غنيٌّ عن عبادتِكُم ﴿ حَمِيدٌ ﴾: يحمدُه أهلُ السَّماواتِ والأرضِ.

وقيل: ﴿ حَمِيدٌ ﴾ بإحسانِه لمَن عبَدَه.

* * *

(٩) ـ ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِيٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾.

﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ﴾ للمُفسِّرين فيه قولانِ:

أحدُهما: أنَّ هذا من كلامِ موسى لقومِه.

والثّاني: أنَّه خطابُ محمَّدٍ[١] عليه[٢] السَّلامُ.

﴿وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ لكثرتِهم، ولا يعرفُ رسلَهم إلّا اللهُ.

وأكثرُ المُفسِّرين رَوَوا أنَّ النَّبيَّ عليه السَّلامُ قال عندَ نزولِ هذه الآيةِ: «كذَبَ النَّسَّابون»[٣].

---

(١) في «غرائب التفسير» (١/ ٥٧٤): «خطاب للنبي ﷺ».

(٢) في (ن): «عليهما».

(٣) رواه ابن سعد في «الطبقات» (١/ ٤٧)، وخليفة بن خياط في «طبقاته» (ص: ٢٧)، عن هشام بن محمد ابن السائب الكلبي، عن أبيه، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ إذا انتهى إلى معد ابن عدنان أمسك ثم يقول: «كذب النسابون قال الله: ﴿وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴾» وإسناده ضعيف جداً.
وروي موقوفًا على عدد من الصحابة والتابعين، منهم عمر رضي الله عنه، رواه ابن شبة في «تاريخ المدينة» (٣/ ٧٩٨).

=

﴿جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾: بالمُعجِزاتِ التي تَثْبُتُ بها نُبوَّتُهم، ووجبَتْ إجابتُهم ثمَّ لـم يُؤمِنوا، وهو قولُه: ﴿فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ﴾ وفيها أقوالٌ:

أحدُها: أنَّ الضَّميرَين يعودانِ إلى الكفرةِ؛ أي: ردَّ القومُ أيديَهم في أفواهِهم غيظًا عليهم بها؛ كقولِه: ﴿عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِ﴾ [آل عمران: ١١٩] وهو قولُ ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه[١].

قال ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: عجِبُوا من كلامِ الله فوضعوا أيديَهم مُتفكِّرين فيه[٢].

وقالَ بعضُهم: أشارُوا إليهم بالسُّكوتِ، ووضَعُوا أناملهم[٣] على شفاهِهم، وقد طبقُوها.

وقيل: الضَّميرُ الثّاني يعودُ إلى الأنبياءِ؛ أي: ردَّ القومُ أيديَهم في أفواهِ الرُّسلِ كي لا يتكلَّموا بما أُرسِلوا به. وهو قولُ الحسَنِ والفرَّاءِ، وأشارَ الفرَّاءُ بظهرِ كفِّه إلى مَن كانَ يُخاطِبُه[٤].

وقيل: الضَّميرانِ يعودانِ إلى الرُّسلِ، فيكونُ المعنى: لـم يقبَلُوا كلامَهم بل ردُّوا عليهم ما أَتَوا به، فيكونُ هذا مَثَلًا.

= وابن مسعود رضي الله عنه وعمرو بن ميمون، رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٦٠٤).

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٤٠٠)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ٦٠٥)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٩١١٩)، والحاكم في «المستدرك» (٣٣٣٧) وصححه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٦٠٧) بلفظ: «لما سمعوا كتاب الله عجبوا، ورجعوا بأيديهم إلى أفواههم». وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ٣٥٧).

(٣) في (و): «أيديهم»، والمثبت من (ن)، وهو الموافق لما في «غرائب التفسير» (١/ ٥٧٤).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٦٩).

وقيل: ردُّوا نعمَهم في أفواهِهم؛ لأنَّ ما أتَوا به كانَ نعمةً.

وقيل: ﴿فِىٓ﴾ هاهنا بمعنى: الباءِ؛ أي: رَدُّوا النِّعمَ بأفواهِهم بالنُّطقِ بالتَّكذيبِ، فيكونُ بـ﴿أَفْوَٰهِهِمْ﴾ للقومِ.

وقيل: كانت بعثةُ الرُّسلِ نعمةً حصَلَتْ في أفواهِهم فلَفَظُوها من أفواهِهم ورَدُّوها.

﴿وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ﴾؛ أي: بما تدَّعونَ أنَّه رسالةٌ ﴿وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾: مُوقعٍ في الرِّيبةِ. أرابَ: أتى بالرِّيبةِ، وأتْهمَ: أتى بالتُّهمةِ.

* * *

(١٠) ـ ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾.

﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ هذا جوابٌ لهم على قولِهم: ﴿وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ﴾؛ أي: لا تشكُّوا في وجودِ الله ووَحدانيَّته سُبحانَه، فقد دلَّ على توحيدِه ووجودِه وقُدرتِه خلقُه السَّماواتِ والأرضَ ابتداءً.

﴿يَدْعُوكُمْ﴾ إلى الإيمانِ ببعثِه إيَّانا إليكم ﴿لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ إذا آمنتُم به ﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهو الموتُ، فلا يأخذُكم بالعذابِ كما أخذَ به مَن كفرَ قبلَكم.

و﴿مِّن﴾ زيادةٌ(١).

---

(١) ذكر أبو بكر الأنباري في «الأضداد» (ص: ٢٥٢ ـ ٢٥٤): أن (من) تفيد في هذه الحالة معنى: كل، فمعناه: يغفر لكم ذنوبكم، وذكر أن بعضهم قال: إنها مجنسة، والمعنى: يغفر لكم من أجل وقوع الذنب منكم.

ابنُ عيسى: ﴿مِّن﴾ للبدلِ؛ أي: يجعلُ لكم المغفرةَ بدلَ الذُّنوبِ(١).

قالَ الشَّيخُ: ويحتمِلُ أنَّه للتَّبعيضِ؛ أي: ما سلَفَ من ذُنوبِكم(٢).

﴿قَالُوٓاْ﴾؛ أي: القومُ ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾؛ أي: أنتم مثلُنا في الصُّورةِ والهيئةِ، ولستُم ملائكةً، تحبُّون صدَّنا عن عبادةِ الأصنامِ التي كان يعبدُها آباؤُنا ﴿فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾: حُجّةٍ واضِحةٍ نتيقَّنُ بها أنَّكم مُحِقُّون في دَعواكُم.

***

(١١) ـ ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾.

﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾؛ أي: سلَّمْنا لكم أنَّا بشرٌ مثلُكم ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ بالإيمانِ والنُّبوَّةِ والتَّوفيقِ كما مَنَّ علينا بها ﴿وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ﴾ جوابُ لقولِهم: ﴿فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾، اقترَحُوا عليهم آياتٍ سوى ما كانَ معهم منَ المُعجِزاتِ فقالوا: ﴿وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ﴾: بيانٍ ومعجزةٍ من تلقاءِ أنفُسِنا.

وقيل: معناه: إنَّ الذي أتَينا به من عندِ الله؛ لأنَّا لا نقدرُ على الإتيانِ بالآياتِ ﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: بأمرِه وعلمِه.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٧٥)، واستغربه.

(٢) ذهب المصنف إلى أن (مِن) باقية على معناها الأشهر، وهو التبعيض، وفسَّر هذا بأن البعض الذي يغفره هو ما كان من ذنب قبل الإسلام، وقد ذهب الرازي في «تفسيره» إلى أن المعنى: مَن غفر محلَّ بعض منه فقد غفر كله، وذهب أبو الفداء في «الكناش» (٢/ ٧٥) إلى أن المغفرة للبعض فقط وأن هذا القوم نوح.

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: مَن كان يُريدُ اتِّباعَ الحقِّ إذا قامَ الدَّليلُ فإنَّه يتوكَّلُ على الله، ويرضى بما يُعطيهِ، ولا يُعانِدُ باقتراحِ الآياتِ.

ويحتمِلُ أنَّه استئنافٌ منَ الله(١).

***

(١٢) ـ ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾.

﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي: لا عُذرَ لنا إنْ تركْنا التَّوكُّلَ عليه ﴿وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا﴾: أرشَدَنا للإيمانِ ورزَقَنا النُّبوّةَ، وأفادَ دخولُ (أنْ) إثباتَ التَّوكُّلِ عليه.

﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا﴾ جوابُ قسمٍ مُضمَرٍ، حلَفُوا على الصَّبرِ على أذاهُم وأن لا يُمسِكُوا عن دُعائِهم.

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ يُريدُ: في صبرِنا على أذاكُم.

والتَّوكُّلُ على الله: تفويضُ الأمرِ إليه والتَّسليمُ له.

ويحتملُ أنَّه استئنافٌ منَ الله(٢).

***

(١٣ ـ ١٤) ـ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ﴾: لنُخرِجنَّكم ومَن آمنَ

---

(١) «ويحتمل أنه استئناف من الله»: ليس في (ن).

(٢) «ويحتمل أنه استئناف من الله» من (ن).

معكم من بلادِنا ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾: إلّا أن ترجِعُوا عن دعوتِكم هذه وتعودوا إلى عبادةِ الأصنامِ.

و(أو) هاهنا مثلُ (أو) في ﴿أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ [الفتح: ١٦]، والعَودُ سبقَ بيانُه في (الأعراف).

﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾: أوحى اللهُ تعالى إلى الأنبياءِ عليهم السَّلامُ أنَّه يُهلِكُ الكافرين ويُورِثُهم ديارَهم وأموالَهم، فأنجزَ وعدَه.

﴿ذَٰلِكَ﴾ الإهلاكُ والإسكانُ ﴿لِمَنْ خَافَ مَقَامِى﴾؛ أي: مقامَه بينَ يديَّ، وأضافَه سُبحانَه إليه لأنَّه يُقيمُه فيه.

﴿وَخَافَ وَعِيدِ﴾: عذابي[1]، وقيل: زَواجِرَ القرآنِ.

وقيل: ﴿خَافَ مَقَامِى﴾ من قولِه سُبحانَه: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ﴾ [الرعد: ٣٣]، حكاه الثَّعلبيُّ[2].

* * *

(١٥) ـ ﴿وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾.

﴿وَٱسْتَفْتَحُوا۟﴾: سألوا الفتحَ وهو النَّصرُ، وقيل: سألوا الفتحَ وهو القضاءُ.

وذهبَ بعضُ المُفسِّرين إلى أنَّ الضَّميرَ للأنبياءِ؛ أي: سألوا الله أن ينصُرَهم على الكفّارِ.

---

(١) في (و): «وعيدَ ربي».

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٥/ ٣٦١)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٧٥)، واستغربه.

وذهبَ بعضُهم إلى أنَّه للكُفَّارِ؛ كقولِهم: ﴿ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ [الأعراف: ٧٧] و﴿إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ﴾ [الأنفال: ٣٢].

وقيل: إنَّه يعودُ إلى الجميعِ؛ أي: كلُّهم سألُوا أن يُنصرَ المُحِقُّ ويُهلَكَ المُبطِلُ.

﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾: خابَ ما أرادَ ولم يُدرِكْ ما تمنَّى.

والجبَّارُ: العاتي المُتكبِّرُ على الله، وهو صفةُ ذمٍّ في المخلوقين، وقيل: هو الذي لا يرى لأحدٍ عليه حقًّا.

تقولُ: أجبرَ فهو جبَّارٌ، ومثلُه: أسأَرَ فهو سأَّرٌ[١]، وأدرَكَ فهو درَّاكٌ، وهو قليلٌ[٢].

وقيل: (جبّارٌ) في حقِّ الله من (جبَرَ)، وقد سبقَ.

والعنيدُ: المائِلُ عن الحقِّ.

ابنُ عيسى: تقول: عَنَدَ عنِ الحقِّ: قصدَ عنه، والعنيدُ منَ الإبلِ: الذي يخرُجُ عن الطَّريقِ، وعِرْقٌ عاندٌ: لا يرقأُ دمُه كأنَّه خرجَ عنِ المُعتادِ[٣].

قتادةُ: الجبَّارُ العنيدُ: الذي يأبى أن يقولَ: لا إلهَ إلّا الله[٤].

* * *

---

(١) تلفظ: سيناً فهمزة ساكنة فمفتوحة فألف فراء.

(٢) يعني: مجيء «فعَّال» من «أَفْعَلَ» الرباعي، وحصره ابن خالويه في هذه الأفعال الثلاثة، وزاد ابن جني: أقصر عن الشيء فهو قصار، وحصرها في هذه الأربعة، وذكر أبو علي الفارسي أن بعضهم ينكر (سأَّر). انظر: «الحجة في القراءات السبع» لابن خالويه (ص: ٣١٥)، و«المسائل البصريات» لأبي علي (١/ ١٧). و«المحتسب» (٢/ ٢٤١ و٣٤٩). ومعنى أسأر: أبقى شيئاً من الشراب في قعرِ الإناء، وسَأَّرٌ نعت منه على غير قياسٍ؛ لأن قياسه: مُسْئِر. انظر: «الصحاح» مادة: (س أ ر).

(٣) ذكر نحوه الأزهري في «تهذيب اللغة»، مادة: (ع ن د) (٢/ ١٣١).

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٤٠١)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ٦١٦).

(١٦) ـ ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ﴾.

﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ﴾ أكثرُهم على أنَّه هاهنا بمعنى: قُدَّام، وقيل: من وراءِ حياتِه؛ أي: بعدَ موتِه، وهو ظرفُ مكانٍ خلافَ: قُدَّام.

وقيل: هو منَ الأضدادِ، وحقيقتُه: ما توارى عنك[١].

وقيل: معناه: من وراءِ ما هو فيه جهنَّمُ؛ أي: يتلوه.

﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ﴾ جاءَ في التَّفسيرِ: أنَّه القيحُ والدَّمُ.

قتادةُ: ما يخرُجُ من بينِ جلدِ الكافرِ ولحمِه[٢].

الرَّبيعُ بنُ أنسٍ: هو غُسالةُ أهلِ النّارِ، وذلك من فُروجِ الزُّناةِ[٣].

فعلى هذه الأقاويلِ ﴿صَدِيدٍ﴾ بدلٌ منَ (الماءِ).

وقيل: من ماءٍ مثلِ صديدٍ، فحُذِفَ المُضافُ[٤].

وقيل: ﴿صَدِيدٍ﴾: يصُدُّ عن شُربه لكراهةِ مذاقِه، فيكونُ وصفًا[٥].

* * *

(١٧) ـ ﴿يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾.

﴿يَتَجَرَّعُهُۥ﴾: يتحسَّاهُ ويشربُه جُرعةً جُرعةً لمَرارتِه وحرارتِه.

---

(١) انظر: «الأضداد» للأنباري (ص: ٦٨).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٤٠٢)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ٦١٩).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ٣٦٤).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٧٥ ـ ٥٧٦)، واستغربه.

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٧٦)، وعدَّه من العجائب.

﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾؛ أي: يُسيغُه بعد إبطاءٍ، تقولُ: ساغَ الشَّرابُ يسوغُ سَوغًا: إذا جازَ الحَلْقَ ووصلَ إلى الجوفِ.

وقيل: لا يسوغُ في حلقِه، بل يَغَصُّ به فيطولُ به عذابُه.

وقيل: الإساغةُ إنَّما تكونُ مع تقبُّلِ النَّفسِ، فيكونُ ﴿لَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾ نفيًا.

﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾؛ أي: أسبابُه منَ الشَّدائدِ التي الواحدةُ منها مُهلِكةٌ لو كانَ ثَمَّ موتٌ.

وقولُه: ﴿مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾: من جهاتِه السِّتِّ.

وقيل: ﴿مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾ من بدنِه حتَّى أطرافِ شعرِه(١).

﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ لأنَّه لو ماتَ استراحَ، وليس لهم موتٌ ﴿وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾: ومن وراءِ المذكورِ الخلودُ في النَّارِ، وقيل: هو حبسُ الأنفاسِ.

* * *

(١٨) - ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَىْءٍۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾.

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ﴾؛ أي: فيما أنزلَ الله ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾(٢)، ثمَّ ابتَدأ فقال: ﴿أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ﴾.

وقيل: تقديرُه: مثَلُ أعمالِ الذين كفَروا بربِّهم كرمادٍ، فلما حُذِفَ التبَسَ فأُعيدَ(٣).

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٧٦) واستغربه.

(٢) أي: ﴿مَّثَلُ﴾ مرفوعٌ بالابتداءِ، وخبرُه محذوف تقديره: فيما أنزلَ الله، أو نحوه كـ: فيما يقص عليكم مَثَلُ الذين كفروا. انظر: «الكتاب» (١/ ١٤٣)، و«الكشاف» (١/ ٧٢) و(٢/ ٥٣٢ و٥٤٧).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٧٦)، واستغربه.

وقيل: المثلُ زيادةٌ، وتقديرُه: الذين كفروا أعمالُهم كرَمادٍ.

وقيل: معنى المثَلِ الصِّفةُ، وفيه ضعفٌ، وقد سبق.

﴿كَرَمَادٍ﴾ ابنُ عيسى: هو جسمٌ يسحَقُه الاحتِراقُ سحقَ الغُبارِ[١].

﴿ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ﴾؛ أي: حملَتْه.

وقيل: ﴿ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ﴾: أسرعَتِ الذَّهابَ به.

﴿فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ العُصوفُ: اشتِدادُ الرِّيحِ، وجازَ وصفُ اليومِ به كما جاء: نهارُه صائمٌ وليلُه قائمٌ؛ أي: هو صائمٌ قائمٌ فيه، وكذلك: ﴿يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾؛ أي: ريحُه عاصفةٌ.

وقيل: في يومٍ عاصفِ الرِّيحِ، فحُذِفَتِ الرِّيحُ ونُوِّنَ الاسمُ.

وقال الكوفيُّونَ: مجرورٌ للجِوارِ[٢]، وفيه ضعفٌ.

قال الشَّيخُ[٣]: ويحتمِلُ: ﴿فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ هبوبُ ريحِه.

وقيل: ﴿عَاصِفٍ﴾ ذو عَصْفٍ.

﴿لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ فيه قولانِ:

أحدُهما: أعمالُهم وكسبُهم هي التي كسبوها منَ الخيراتِ كالصَّدقاتِ وصلةِ الرَّحمِ وبناءِ القناطرِ وسائرِ أبوابِ البرِّ؛ لأنَّ الكفرَ مُحبِطٌ.

والثاني: هي أعمالُهم التي عمِلُوها للأصنامِ.

---

(١) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٦/ ٤٢١).

(٢) أي: ﴿عَاصِفٍ﴾ مِن صِفَة الرِّيح، إلاَّ أنه لمَّا جاء بعدَ اليومِ أُتبِعَ إعرابَه كما قيل: جُحرُ ضَبٍّ خَرِبٍ. انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٧٣)، و«البحر» (٦/ ٤٢٣).

(٣) «قال الشيخ»: ليست في (ن).

ومعنى الآيةِ: إنَّ أعمالَ الكفّارِ تصيرُ هباءً منثورًا، فتَبْطُلُ بُطلانَ رمادٍ حصلَ في غبراءَ ذهبَتْ به الرِّيحُ فبدَّدَتْه ومزَّقَتْه فصيَّرَتْه بحيثُ لا يُرَى ولا يُنتَفَعُ به.

﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾؛ أي: ما وصَفْنا ﴿هُوَ ٱلضَّلَٰلُ﴾ عنِ القصدِ ﴿ٱلْبَعِيدُ﴾ عن الرَّشادِ.

***

(١٩) ـ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ﴾: ألم تعلَمْ ﴿أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾؛ أي: قُلْ لكلِّ واحدٍ منهم. وقيل: الخطابُ للنَّبيِّ عليه السَّلامُ والمُرادُ به غيرُه.

وقُرِئَ: ﴿خالقُ﴾ بالإضافةِ[١]، والمعنى فيهما سواءٌ.

قولُه: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ أي: محقًّا. وقيل: لـم يخلُقْهما عبثًا. وقيل: للحقِّ؛ أي: ليُعلِّمَ النّاسَ الحقَّ ويأمرَهُم به.

﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ فيه قولانِ:

أحدُهما لجلِّ[٢] المُفسِّرين؛ أي: يُفني مَن على الأرضِ ويأتي بأمثالٍ لهم.

وقيل: يُفني بني آدمَ ويأتي بنوعٍ غيرِهم[٣].

وقيل: خطابٌ لأهلِ مكّةَ؛ أي: يُميتُكم ويخلُقُ غيرَكم مَن هم أطوعُ له منكم.

والجديدُ: القريبُ العهدِ بالجَدِّ، وهو القطعُ.

---

(١) قرأ بها حمزة والكسائي، والباقون: ﴿خَلَقَ﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٣٦٢)، و«التيسير» (ص: ١٣٤).

(٢) في (و): «جلّ».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٧٦)، واستغربه.

(٢٠) ـ ﴿ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾.

﴿ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾: ممتنعٍ، بل سهلٌ عليه يسيرٌ.

* * *

(٢١) ـ ﴿ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴾.

﴿ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾؛ أي: خرَجُوا من قُبورِهم لأمرِ الله ومحاسبتِه.

والبُروزُ: الظُّهورُ، والبَرازُ بفتحِ الباءِ: الصَّحراءُ؛ لظُهورِها.

﴿فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ ﴾: جمعُ ضعيفٍ؛ أي: ضعيفُ الرَّأيِ والتَّدبيرِ، وهم السَّفلةُ والتَّابعون.

﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ ﴾: تكبَّروا. ابنُ عيسى: طلَبُوا الكِبْرَ، والكِبْرُ: رفعُ النَّفسِ فوقَ القَدْرِ[1]. وهم الرُّؤساءُ والسّادةُ.

﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا ﴾؛ أي: فعَلْنا ما أمرتُمونا به، جمعُ تابعٍ، وقيل: مصدرٌ.

﴿فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾: فهل تقدرون أن تدفعُوا عنّا شيئًا ممّا نحنُ فيه بصرفِه عنَّا أو بحملِه، وإنْ قلَّ.

﴿قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ﴾؛ أي: اختَرْنا لكم ما اختَرْناه لأنفُسِنا، وكنَّا حَسِبْنا أنّا راشِدون مُرشِدون، ولكنْ ضلَلْنا فأضلَلْناكُم.

وقيل: لو هدانا الله إلى النَّجاةِ منَ العذابِ لهدَيناكُم إليها.

﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا ﴾ قال مُقاتلٌ: إنَّهم يقولون في النّارِ: تعالَوا نجزَعْ،

---

(١) ذكره إسماعيل حقي في «روح البيان» (٣/ ١٩٢) بلا نسبة.

فيجزَعُونَ خمسَ مئةِ عامٍ فلا ينفعُهم الجزَعُ، فيقولون: تعالَوا نصبِرْ، فيصبِرون خمسَ مِئةِ عامٍ فلا ينفعُهم الصَّبرُ، فحينئذٍ يقولون: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا﴾[1].

﴿مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾: مَهربٍ ومَعدِلٍ[2] عنِ العذابِ. والحيصُ: الزَّوالُ عنِ المكروهِ. وقيل: الحيصُ: العدول[3] على جهةِ الفرارِ، ووقعَ فلانٌ في حَيْصَ بَيْصَ: إذا وقعَ فيما لا يقدرُ أن يتخلَّصَ منه[4].

* * *

(٢٢) - ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ يعني: إبليسَ ﴿لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾: أُحكِمُ وفُرِغَ منه ودخَلَ أهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ وأهلُ النَّارِ النَّارَ.

وجاء في التَّفاسيرِ: أنَّه يُوضَعُ له مِنبرٌ في النَّارِ فيرقاهُ، فيقولُ: يا أهلَ النَّارِ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ﴾؛ أي: وعَدَ وأنجزَ ﴿وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾؛ أي: وعدتُكم وعدَ الباطلِ، وهو ما وعَدَ وأخلَفَ، وهما ضِدّانِ، ووعدُ الله الجنّةُ والثّوابُ، ووعدُ إبليسَ أنْ لا جنّةَ ولا نارَ ولا بعثَ ولا حساب.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٤٠٢)، وذكره عن مقاتل الثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ٣٦٩)، وروى الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٦٢٧ - ٦٢٨) معناه عن ابن زيد.

(٢) أي: مَصرِف. انظر: «تاج العروس» مادة: (ع و ل) (٢٩/ ٤٤٩).

(٣) في (و): «العدل».

(٤) انظر: «العين» مادة: (ح ي ص) (٣/ ٢٦٩)، و«الإتباع» لأبي الطيب اللغوي (ص: ١٤).

﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ﴾: حجَّةٍ وبرهانٍ. وقيل: من اقتدارٍ وإمكانٍ ﴿إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ﴾ استثناءٌ مُنقطعٌ؛ أي: لكنِّي دعوتُكم بالوساوسِ ﴿فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي﴾: أسرعتُم إجابَتي ﴿فَلَا تَلُومُونِي﴾ فإنَّ مَن تجرَّدَ بالعداوةِ لا يُلامُ إذا دعا إلى أمرٍ قبيحٍ، ولأنَّ الله قد قالَ لكم: ﴿لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٢٧].

﴿وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم﴾ إذ تبِعتُموني لا لحجَّةٍ وبرهانٍ، ولا لتَسليطٍ وغلَبةٍ.

﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ﴾: بمُغيثِكُم فأُخرِجَكم منَ النّارِ ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ﴾: بمُغيثِيَّ فتُخرِجُوني منها.

تقولُ: استَصْرَخني فأَصْرَخْتُه؛ أي: استَغاثَني فأغَثْتُه، وأصلُه منَ الصُّراخِ، وهو الصَّوتُ الشَّديدُ.

وقراءةُ حمزةَ[1] محمولةٌ على أنَّ الياءَ حُرِّكت بالكسرِ عند اجتماعِ السّاكنَين، ووجهُ قراءةِ سائرِ القُرّاءِ أنَّ الياءَ لـمَّا وجَبَ تحريكُه رُدَّ إلى حركتِه التي كانت له، وهي الفتحُ.

﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ﴾: (ما) بمعنى: مَن، و﴿مِن قَبْلُ﴾ متَّصلٌ بالكفرِ؛ أي: كفرتُ باللهِ زمنَ آدمَ حينَ امتنعْتُ عنِ السُّجودِ له.

ابنُ جريرٍ: جحَدْتُ أن أكونَ شريكًا لله فيما أشرَكْتُمُوني فيه من عبادتِكُم في الدُّنيا[2].

---

(١) قرأ حمزة: (بمصرخيِّ) بتحريك الياء بالكسر، وحركها الباقون بالفتح. انظر: «السبعة» (ص: ٣٦٢)، و«التيسير» (ص: ١٣٤)، وقال الداني: «هي لغة حكاها الفراء وقطرب وأجازها أبو عمرو».

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١٣/ ٦٢٩).

ابنُ بحرٍ: إنِّي كفرتُ اليومَ بما كنتُم في الدُّنيا تدَّعونَه لي من الشَّركةِ لله[1]. قال: وهذا كقولِه: ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡ﴾ [فاطر: ١٤].

وقيل: كفرتُ بإشراكِكُم إيّايَ بالله.

وقيل: بطاعتِكُم إيّايَ في الدُّنيا.

وقيل: إنِّي كفرتُ قبلَكم بما أشرَكْتُمُوني من بعدُ، فإنَّ كفرَ إبليسَ قبلَ كُفرِهم.

﴿إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ يحتمِلُ أنَّه من تمامِ كلامِ إبليسَ، ويحتمِلُ الاستئنافَ.

* * *

(٢٣) ـ ﴿وَأُدۡخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡۖ تَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾.

﴿وَأُدۡخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡۖ تَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾: هو تسليمُ بعضِهم على بعضٍ في الجنَّةِ، وتسليمُ الملائكةِ عليهم.

* * *

(٢٤) ـ ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾.

﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: ألَم تعلَمْ، والعلمُ مُعلَّقٌ لمكانِ الاستفهامِ[2]، والمعنى: تنبَّه لهذا المثَلِ.

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ١٣١).

(٢) أي: علق الفعل (تر) عن العمل بسبب الاستفهام، والتعليق: ترك العمل في اللفظ لا في التقدير =

والكلمةُ الطَّيِّبَةُ: هي لا إلهَ إلّا الله محمَّدٌ رسولُ الله، هذا قولُ الجمهورِ.

وقيل: الكلمةُ الطَّيِّبَةُ: جميعُ أفعالِ المُؤمنِ وطاعتِه.

الأصمُّ: الكلمةُ الطَّيِّبَةُ: القرآنُ[1].

ابنُ بحرٍ: الكلمةُ الطَّيِّبَةُ: دعوةُ الإسلامِ، وهو الدِّينُ وما يَعتزي إليه المُؤمنُ[2].

والمُرادُ بالطَّيِّبِ: أن يكونَ منَ الإخلاصِ.

﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: هي شجرةٌ في الجنّةِ[3].

والجمهورُ على أنَّها النَّخلةُ، وفي «الصِّحاحِ» من حديثِ ابنِ عمرَ رضي الله عنهما: أنَّ النَّبيَّ عليه السَّلامُ قال ذاتَ يومٍ لأصحابِه: «إنَّ شجرةً منَ الشَّجرِ لا تطرحُ ورقَها، وهي مَثَلُ المؤمنِ، فأخبِروني ما هي؟» قال: فوقعَ النّاسُ في شجرِ البوادي، ووقعَ في نفسي أنَّها النَّخلةُ وأردتُ أن أقولَ: هي النَّخلةُ، ثمَّ نظرتُ فإذا أنا أصغرُ القومِ فاستحيَيْتُ وسكَتُّ، فقالَ رسولُ الله عليه السَّلامُ: «هي النَّخلةُ» فذكَرْتُ ذلك لأبي فقالَ: يا بُنيَّ، لو كنتَ قُلتَها لكانَتْ أحبَّ إليَّ من حُـمْرِ النَّعَمِ[4].

وقيل: الشَّجرةُ الطَّيِّبَةُ: هي المؤمنُ[5].

= لمانع، وقد ذهب الجمهور إلى أن التعليق يكون في أفعال القلوب عامة، ونقل عن ثعلب والمبرد وابن كيسان أن أفعال الظن لا تعلق. انظر: «ارتشاف الضرب» لأبي حيان (٤/ ٢١١٤)، و«همع الهوامع» للسيوطي (١/ ٥٥٦).

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٧٨)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٧٨)، وعدَّه من العجائب. ويعتزي: ينتمي وينتسب.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٦٤١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٤٤).

(٤) رواه البخاري (١٣١)، ومسلم (٢٨١١).

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٧٨) واستغربه.

قولُه: ﴿أَصْلُهَا﴾: أصلُ هذه الشَّجرةِ ﴿ثَابِتٌ﴾ في الأرضِ ﴿وَفَرْعُهَا﴾: أعلاها وأفنانُها ﴿فِي السَّمَآءِ﴾؛ أي: عالٍ نحوَ السَّماءِ، كذلك الإيمانُ والقرآنُ ثابتٌ في قلبِ المؤمنِ، وقراءتُه وتسبيحُه وطاعتُه عالٍ(١) مُرتفِعٌ إلى السَّماءِ ليس لها حجابٌ، ومثلُه قولُه: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠].

* * *

(٢٥) ـ ﴿تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

﴿تُؤْتِي أُكُلَهَا﴾: تُخرِجُ ثمرَها ﴿كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ قيل: كلَّ سنةٍ؛ لأنَّ الثَّمرَ في السَّنةِ مرّةٌ.

وقيل: ستّةَ أشهُرٍ؛ لأنَّ الثَّمرةَ تبقى عليها ستَّةَ أشهرٍ.

وقيل: شهرَين، وهما مدّةُ الصِّرامِ إلى وقتِ ظُهورِ الطَّلْعِ(٢).

وقيل: بُكرةً وعشيًّا، وهذا فيمَنْ فسَّرَ الشَّجرةَ بالمُؤمنِ؛ أي: يصعدُ منها إلى الله صالحُ أعمالِه دائمًا(٣).

وأصلُ (حين) اسمٌ للزَّمانِ مُبهَمٌ(٤).

والمعنى: أنَّ المؤمنَ في إدامةِ الخيرِ من جهتِه كالنَّخلةِ دامَ خيرُها.

﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾ فإنَّها أتمُّ للبيانِ وأوضحُ للبرهانِ ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

---

(١) «عال»: من (ن).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٧٩)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٧٩)، وعدَّه من العجائب.

(٤) المقصود باسم الزمان المبهم أنه يُفسر بما يضاف إليه، ولكن أسماء الزمان المبهمة تقسم إلى موغل في الإبهام. وغير موغل في الإبهام، و(حين) غير موغل في الإبهام. انظر: «المقتضب» للمبرد (٢/ ٥٤)، و«المفصل» للزمخشري (ص: ٨١)، و«البديع» لابن الأثير (١/ ١٥١).

(٢٦) ـ ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾.

﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾ يعني: الكفرَ، وقيل: كلُّ كلمةٍ نهى الله عنها فهي خبيثةٌ.

ابنُ بحرٍ: دعوةُ الكفرِ وما يَعتزي إليه الكافرُ[1].

والخبيثُ: القبيحُ، وكلُّ كلامٍ لا يرضاهُ الله فهو خبيثٌ.

﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾ رُوِيَ عن النَّبيِّ عليه السَّلامُ أنَّه قالَ: «إنَّها الحنظلُ»[2].

وقيلَ: الكُشُوث[3].

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: هذه شجرةٌ لم يخلُقْها الله، وهو مثَلٌ[4].

ومعنى ﴿خَبِيثَةٍ ﴾: كريهةُ المطعمِ مرُّ المَذاقِ، تنفرُ عنها الطِّباعُ.

﴿ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾: استُؤصِلَتْ جُثَّتُه وقُلِعَتْ بتمامِها؛ لأنَّ عروقَها قريبةٌ منَ الظّاهرِ لا تثبُتُ زمانًا، بخلافِ النَّخلةِ وكثيرٍ من سائرِ الأشجارِ، كذلك الكافرُ ليس لقولِه ولا لعملِه أصلٌ يستقرُّ على الأرضِ ولا فرعٌ يصعدُ إلى السَّماءِ.

---

(١) ذكر أبو حيان في «البحر المحيط» (٦/ ٤٣٣)، وقد وقع في المطبوع منه: «أن تجر»، وهو تحريف، ووقع فيه: «يعزى» وهو تحريف أيضاً، والاعتزاء الاتصال بالدعوى إذا كانت حرب، فكل من ادَّعى أنا فلان بن فلان، فقد اعتزى إليه. واعتزى إلى أبيه: انتسب. انظر: «العين» مادة: (ع ز و) (٢/ ٢٠٥)، و«ديوان الأدب» للفارابي (٤/ ١٢٤).

(٢) رواه الترمذي (٣١١٩) عن أنس رضي الله عنه، مرفوعًا وموقوفًا، ورجح الموقوف، ورواه أيضًا أبو يعلى في «مسنده» (٤١٦٥)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٧٥).

(٣) (الكشوث) بالثاء المثلثة: نبت يتعلق بأغصان الشجر من غير أن يضرب بعرق في الأرض. انظر: «الصحاح» مادة: (ك ش ث).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٦٥٤)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٧٩)، واستغربه.

ورُوِيَ عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أنَّه قال: ذُكِرَتِ الكَمْأةُ عندَ رسولِ الله عليه السَّلامُ، فقالَ رجلٌ: إنّي لأراها الشَّجرةَ اجتُثَّتْ من فوقِ الأرضِ، واللهِ ما لها من فرعٍ ولا أصلٍ، فقالَ عليه السَّلامُ: «لا تقُلْ ذلك، إنَّها منَ المنِّ، وماؤُها شفاءٌ للعينِ[1]، والعجوةُ منَ الجنَّةِ، وهي شفاءٌ منَ السُّمِّ»[2].

ورَوَى أبو موسى الأشعريُّ رضي الله عنه عن النَّبيِّ عليه السَّلامُ أنّه قال: «مثَلُ المؤمنِ الذي يقرأ القرآنَ كمَثَلِ الأُتْرُجَّةِ؛ ريحُها طيِّبٌ وطعمُها طيِّبٌ، ومثَلُ المؤمنِ الذي لا يقرأُ القرآنَ كمثَلِ التَّمرةِ؛ طعمُها طيِّبٌ ولا ريحَ لها، ومثَلُ الفاجرِ الذي يقرأُ القرآنَ كمثَلِ الرَّيحانِ؛ ريحُها طيِّبٌ وطعمُها مرٌّ، ومثَلُ المنافقِ الذي لا يقرأُ القرآنَ كمثَلِ[3] الحنظَلِ؛ طعمُه خبيثٌ وريحُه خبيثٌ»[4].

***

(٢٧) ـ ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾.

﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴾، أي: يُديمُهم عليه ويمنعُهم منَ الزَّوالِ والاضطِرابِ، والقولُ الثّابتُ هو قولُ: لا إلهَ إلّا الله محمَّدٌ رسولُ الله.

والباءُ باءُ السَّببِ[5]؛ أي: بسببِه.

---

(١) في (و): «العين».

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٨٠٥١)، والترمذي (٢٠٦٨) وقال: «حديث حسن».

(٣) في (و): «مثل» دون كاف في المواضع الثلاثة.

(٤) رواه البخاري (٥٠٢٠)، ومسلم (٧٩٧).

(٥) وهو متعلق بالفعل (يثبت)، وهذه الباء تشبه الباء التي يسميها النحويون باء الاستعانة، ولكن استخدام الاستعانة غير جائز إلا في الأفعال المنسوبة إلى الله تعالى، أما السبب فلا إشكال فيه، انظر: «شرح التسهيل» لابن مالك (٣/ ١٥٠)، و«الجنى الداني» للمرادي (ص: ٣٩).

وقيل: الباءُ مُتَّصلٌ بالإيمانِ؛ أي: آمنوا بهذا القولِ[١].

ومعنى ﴿ٱلثَّابِتِ﴾: الدّائمُ النَّفعِ في الحياةِ الدُّنيا وفي الآخرةِ.

جمهورُ المُفسِّرين على أنَّ هذه الآيةَ نزلَتْ في عذابِ القبرِ.

ورَوَى البراءُ بنُ عازبٍ رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله عليه السَّلامُ ذكرَ قبضَ روحِ المؤمنِ قال: «فتُعادُ رُوحُه في جسدِه ويأتيه ملَكانِ فيُجلِسانِه في قبرِه ويقولانِ له: مَن ربُّك؟ وما دِينُك؟ ومَن نبيُّك؟ فيقولُ: الله ربِّي[٢]، وديني الإسلامُ، ونبيِّي محمَّدٌ، فينتَهِرانِه ويقولانِ الثّانيةَ: مَن ربُّك؟ وما دِينُك؟ ومَن نبيُّك؟ وهي آخرُ فتنةٍ، فيُنادي مُنادٍ منَ السَّماءِ: أنْ صدَقَ عبدي» قالَ: «فذلك قولُه: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾»[٣].

﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ﴾ قيل: ﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: القبر، ﴿وَفِي ٱلْآخِرَةِ﴾: بعدَ البعثِ.

وقيل: ﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ يُريدُ: الإيمانَ في الدُّنيا ﴿وَفِي ٱلْآخِرَةِ﴾ القبرِ.

وقيل: يَحْيَى في الدُّنيا على الإيمانِ، ويُحشَرُ على الإيمانِ.

وقيل: التَّثبيتُ في الدُّنيا: الفتحُ والنَّصرُ، وفي الآخرةِ: الجنَّةُ والثَّوابُ.

﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فلا يُثبِّتُهم على القولِ الثّابتِ.

وقيل: ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ أي: يخذُلُهم ولا يُوفِّقُهم.

﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾: فلا اعتِراضَ عليه في تثبيتِ المُؤمنين وإضلالِ الظّالمين.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٧٩)، واستغربه.

(٢) في (ن): «فيقول ربي الله».

(٣) رواه البخاري (١٣٦٩)، ومسلم (٢٨٧١)، والطيالسي في «مسنده» (٧٥٣)، وأبو داود (٤٧٥٣). ورواية الصحيحين مختصرة.

(٢٨) - ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾ هم صناديدُ قُريشٍ وظلَمَتُهم، قطعَ الله دابرَهم يومَ بدرٍ.

وعن عمرَ بنِ الخطّابِ وعليٍّ رضيَ الله عنهما: أنَّها نزَلَتْ في الأفجَرَين[1] من قُريشٍ؛ بنو المُغيرةِ وبنو أميَّةَ، فأمَّا بنو المُغيرةِ فكُفيتُموهُم يومَ بدرٍ، وأمَّا بنو أميّةَ فمُتِّعوا إلى حينٍ[2].

وقيل: هو عامٌّ في جميعِ المُشركين.

و﴿نِعْمَتَ اللَّهِ﴾: محمَّدٌ عليه السَّلامُ، بعثَه الله نعمةً عليهم فكفَرُوا وغيَّروا.

وقولُه: ﴿بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾؛ أي: بدَّلوا شكرَ نعمةِ الله كُفرًا.

الزَّجَّاجُ: هم أهلُ مكّةَ؛ أسكنَهم الله حرَمَه، وآتاهُم نِعَمَه، وجعلَهم قُوَّامَ بيتِه، فبدَّلوا ذلك كفرًا[3].

---

(١) في (ن) و(ط): «الأفخرين» وكذا وقع في مطبوع «المعجم الأوسط»، ولم تنقط في (و)، والمثبت من باقي المصادر.

(٢) في (و): «حتى حين». رواه عن علي رضي الله عنه سفيان في «تفسيره» (٤٦٤)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (١٤١٠) و(٢٩٧٠)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ٦٧٠)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٧٧٦)، والحاكم في «المستدرك» (٣٣٤٣)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (٧٢٦). ورواه عن عمر رضي الله عنه البخاري في «التاريخ الكبير» (٨/ ٣٧٣)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ٦٦٩) واللفظ له.

(٣) لم أقف عليه عن الزجاج، وذكره مكي بن أبي طالب في «الهداية» (٥/ ٣٨١٥) دون نسبة. وروى عبد الرزاق في «تفسيره» (١٤١١)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ٦٧٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما: «هم والله ﴿الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ قال: قريش أو قال: أهل مكة».

﴿وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾: هي جهنَّمُ. والبَوارُ: الهلاكُ، والبُوارُ: الهَلْكى، ورجلٌ بُورٌ، وامرأةٌ بُورٌ، ونسوةٌ بُورٌ.

وعن عليٍّ رضي الله عنه: دارُ البوارِ: بدرٌ(١).

* * *

(٢٩) - ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾.

﴿جَهَنَّمَ﴾ بدلٌ من: ﴿دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾.

وعلى قولِ عليٍّ رضي الله عنه منصوبةٌ بفعلٍ دلَّ عليه ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ ومعناه: يدخلُونها، وقيل: يُقاسُونَ حرَّها ﴿وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾؛ أي: وبئسَ المقرُّ جهنَّمُ.

* * *

(٣٠) - ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِۦۗ قُلْ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ﴾.

﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ﴾؛ أي: سمَّوا أصنامَهم ﴿أَندَادًا﴾: أمثالًا لله ﴿لِيَضلُّوا عن سبيلِه﴾ اللّامُ لامُ العاقبةِ، والمعنى: كانت عاقبةُ اتِّخاذِهم الأندادَ الضَّلالَ عن الصَّوابِ، ومَن ضمَّ الياءَ(٢) فاللّامُ لامُ (كي)(٣).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٦٧١)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٢٠٣) عن علي رضي الله عنه قال في الآية: «هم كفار قريش يوم بدر».

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء، والباقون بضمها. انظر: «السبعة» (ص: ٢٦٧)، و«التيسير» (ص: ١٣٤).

(٣) انظر: «اللامات» للزجاجي (ص: ١١٩)، و«منازل الحروف» للرماني (ص: ٢٢)، و«نتائج الفكر» للسهيلي (ص: ١٠٨).

﴿قُلْ تَمَتَّعُوا۟﴾ بشهواتِكُم وبعبادةِ الأوثانِ ﴿فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ﴾؛ أي: مآلُكم ومرجِعُكم إليها، أمرُ تهديدٍ ووعيدٍ.

* * *

(٣١) ـ ﴿قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ﴾.

﴿قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ خصَّهم اللهُ بالإضافةِ إليه تشريفًا لهم(١).

﴿يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ المفروضةَ، وإقامتُها: إدامتُها بشروطِها.

﴿وَيُنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ الزَّكاةَ الواجبةَ، وسائرَ أبوابِ البِرِّ.

وجَزمُ ﴿يُقِيمُوا۟﴾ ﴿وَيُنفِقُوا۟﴾ مُختَلَفٌ فيه:

فذهبَ بعضُهم إلى أنَّ ﴿قُل﴾ بمعنى: مُرْ؛ أي: مُرْهُم بالصَّلاةِ يُقيمُوها؛ لأنَّهم مُؤمنون.

وذهبَ بعضُهم إلى أنَّ ﴿قُل﴾ يقتَضي مقولًا وهو: «أقيموا»؛ أي: قل: أقيموا يُقيموا؛ لأنَّهم آمنُوا.

وبعضُهم ذهبَ إلى أنَّه أمرٌ، والتَّقديرُ: لِيُقيمُوا ولْيُنفِقُوا، فحُذِفَ اللّامُ.

﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ مصدرانِ وقَعا موقعَ الحالِ؛ أي: مُسرِّين ومُعلِنين.

والسِّرُّ: ما خفِيَ، والعلانيةُ: ما ظهرَ. وقيل: السِّرُّ: التَّطوُّعُ، والعلانيةُ: الفرضُ. وقيل: السِّرُّ: الصَّدقاتُ، والعلانيةُ: النَّفقاتُ.

﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ﴾ يُريدُ: من قبلِ يومِ القيامةِ، ومعنى:

---

(١) لفظ (عباد) مخصوص بإضافته إلى الله سبحانه وتعالى، وقد تقدم تنبيه المصنف على ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨].

﴿لَّا بَيْعٌ فِيهِ﴾: لا فِداءٌ، وقيل: لا يَقدرُ على ابتياعٍ[1] ما يُنجيه ﴿وَلَا خِلَٰلٌ﴾؛ أي: لا مُخالّةٌ، وهي المودّةُ؛ أي: لا شفاعةَ للكفّارِ؛ لأنَّ الخليلَ يشفعُ للخليلِ.

و(الخِلالُ) مصدرٌ، وقيل: جمعُ خُلَّةٍ، كقُلَّةٍ وقِلالٍ.

* * *

(٣٢) ـ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ﴾.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: منَ السَّحابِ. وقيل: من جانبِ السَّماءِ. وقيل: منَ السَّماءِ التي فيها الملائكةُ ينزلُ إلى السَّحابِ، ثمَّ ينزلُ منَ السَّحابِ إلى الأرضِ.

﴿مَآءً﴾: مطرًا ﴿فَأَخْرَجَ بِهِۦ﴾: بالمطرِ ﴿مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ حملِ الأشجارِ وغيره ﴿رِزْقًا لَّكُمْ﴾ مَعاشًا وغِذاءً.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ﴾ ذلَّلَ لكم رُكوبَ[2] السُّفُنِ ﴿لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ﴾ تجري فيها المياهُ.

وقيل: تسخيرُ هذه الأشياءِ: تعليمُ كيفيّةِ اتِّخاذِها.

* * *

(٣٣) ـ ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ﴾ في إصلاحِ ما يُصلِحانِه منَ النّاسِ والنَّباتِ لا يفتُرانِ. وقيل: دُؤُوبُهما في طاعةِ الله.

---

(١) في (و): «بيع».

(٢) في (و): «ركاب».

وغلَّبَ تذكيرَ القمرِ على تأنيثِ الشَّمسِ[١].

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ﴾: هيَّأهما لمعاشِكُم، ولو كان الوقتُ كلُّه ليلًا أو كلُّه نهارًا ما كانَ على الأرضِ نباتٌ ولا حيوانٌ كما هو كذلك؛ حيثُ لا تُفارِقُه الشَّمسُ، وحيثُ لا تطلعُ عليه الشَّمسُ.

* * *

(٣٤) - ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ﴾.

﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُ ﴾؛ أي: طلبتُم منَ الله ورغِبتُم فيه، والتَّقديرُ: من كلِّ شيءٍ سألتُموه شيئًا، كقولِه: ﴿وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ ﴾ [النمل: ٢٣]: أي: من كلِّ[٢] شيءٍ احتاجَتْ إليه شيئًا.

وقيل: ما مِن شيءٍ إلّا وقد سألَه بعضُ النّاسِ[٣].

وقيل: معنى ﴿مِّن كُلِّ ﴾ التَّكثيرُ، كما تقولُ: فلانٌ يعرِفُ كلَّ شيءٍ.

وقرأ يعقوبُ بالتَّنوينِ[٤]، فيكونُ ﴿مَا﴾ مفعولًا، ويجوزُ أن يكونَ نفيًا، ويجوزُ أن يكونَ للعمومِ.

﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ ﴾ (نعمةُ الله) هاهنا للجنسِ، وقد يأتي المُضافُ

---

(١) ومن سنن العرب تغليب المذكر على المؤنث إذا اجتمعا. انظر: «فقه اللغة» (ص: ٢٢٥).

(٢) «من كل» من (ط).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٨٠)، واستغربه.

(٤) هي رواية شاذة عنه. انظر: «شواذ القراءات» لشمس القراء الكرماني (ص: ٢٦١)، و«زاد المسير» لابن الجوزي (٢/ ٥١٤).

جنسًا، والإحصاءُ: الإحاطةُ بمبلغِ العددِ، والمعنى: إن تَروموا عدَّها بقَصدِكم إليها لا تُحصوها لكثرتِها.

وقيل: وإنْ تعدُّوا آحادَها لا تُحصوا نهايتَها؛ لكثرتِها وجُمومِها[١].

﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ﴾؛ أي: ظَلومٌ على نفسِه ﴿كَفَّارٌ﴾: كفورٌ نِعمَ ربِّه.

الزَّجَّاجُ: تقديرُه: غيرَ المُؤمنين[٢].

***

(٣٥) - ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾.

﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ﴾: اذكُرْ إذ قالَ إبراهيمُ: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ﴾ صيِّرْ مكّةَ ﴿ءَامِنٗا﴾: ذا أمنٍ لمَن سكنَها.

قتادةُ: حرِّمْه من استِحلالِ حُرُماتِ الله فيه والاستِخفافِ بحقِّه[٣].

﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾؛ أي: بَعِّدْنا واجعَلْنا منه في جانبٍ؛ أي: ناحيةٍ وبُعدٍ؛ أي: ثبِّتنا على اجتنابِها، تقولُ: جنبَه اللهُ السُّوءَ وأجْنبَه وجنَّبَه بمعنًى.

***

(٣٦) - ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنۡ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾.

﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا﴾؛ أي: ضلَّ بسببِ الأصنامِ كثيرٌ ﴿مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾.

وقيل: هي ما يُسمَعُ منَ الصَّوتِ يخرجُ من أفواهِها بدخولِ الشَّيطانِ فيها.

---

(١) جموم: جمع جَمٍّ، وجمُّ الماء: معظمه. انظر: «تاج العروس» مادة: (ج م م) (٣١/ ٤١٨).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ١٦٤).

(٣) لم أقف عليه عن قتادة، وذكر نحوه مقاتل في «تفسيره» (٢/ ٤٠٨).

﴿فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى﴾ على ديني وملَّتي، وقيل: وليِّي ونَصيري.

﴿وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾؛ أي: له إنْ تابَ وآمنَ.

***

(٣٧) - ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾.

﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى﴾ يعني: إسماعيلَ وأمَّه هاجرَ، والمفعولُ محذوفٌ، وقيلَ: ﴿مِن﴾ زيادةٌ[1]، والوجهُ الأوَّلُ.

﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ﴾ يعني: مكَّةَ، لا زرعَ بها ولا نباتَ؛ لأنَّها جبلٌ وحجرٌ، والباءُ بمعنى: في.

﴿عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾ هو بيتُ الله لم يملِكْه أحدٌ سوى الله.

ومعنى ﴿ٱلْمُحَرَّمِ﴾: حرَّمَ فيه المُجامعةَ وأشياءَ ممّا يجوزُ لهم تعاطيها في بيوتِهم منَ الدِّماءِ والأقذارِ وغيرِها.

ابنُ بحرٍ: ﴿ٱلْمُحَرَّمِ﴾؛ أي: عظيمِ الحرمةِ.

وأشارَ بقولِه: ﴿بَيْتِكَ﴾ إلى ما بناه آدمُ عليه السَّلامُ فرفعَ زمنَ[2] الطُّوفانِ.

وقيل: ﴿بَيْتِكَ﴾ الذي قضَيتَ في سابقِ علمِكَ أن يُبنَى.

وجاءَ في القصصِ: أنَّ سارةَ كانت لها جاريةٌ يُقالُ لها: هاجَرُ، فوهبَتْها لإبراهيمَ

---

(١) التقدير على القول الأول: أسكنت ذريةً من ذريتي؛ فـ (مِن) للتبعيض، والجار والمجرور صفة المفعول المحذوف، والتقدير على القول الثاني: أسكنت ذريتي، والمعنى أدق على التقدير الأول؛ لأن إسحاق وأبناءه من ذرية إبراهيم ولم يسكنهم مكة.

(٢) في (و): «من».

عليه السَّلامُ، فولدَتْ منه إسماعيلَ، فغارَتْ سارةُ وناشدَتْه أن يُخرِجَهما من عندِها، فأخرَجَهما إبراهيمُ إلى أرضِ مكّةَ، ثمَّ رجعَ إلى سارةَ.

وذكرَ محمَّدُ بنُ الـهَيْصَمِ في «القصصِ»: أنَّ سارةَ بعدَما بُشِّرت بالولدِ جعلَتْ تُهيِّئُ أسبابَ الولادةِ منَ المهدِ وغيرِه، وكان فيها أصفرُ وأخضرُ، فضحكَ إسماعيلُ، فغضِبَتْ سارةُ وقالت: منزلتُك بلغَتْ أن تضحَكَ منِّي، إنِّي لا أراكَ تمكُثُ هاهنا، فحملَه إبراهيمُ وأسكنَه الوادي، فأظهَرَ الله عينَ زمزمَ، ثمَّ إنَّ جُرهُمَ ـ قبيلةً منَ العربِ ـ نظروا فرأَوا ثَمَّ طيورًا، فقالوا: لا طيرَ إلّا على الماءِ، فقصدوا ذلك الموضعَ فرأَوا هاجرَ وإسماعيلَ وعندَهما عينُ ماءٍ، فقالوا: أشرِكينا في مائِكِ هذا نُشرِكْكِ في ألبانِنا، ففعَلَتْ ذلك، فنزَلُوا.

واختلَفُوا في سِنِّ إسماعيلَ؛ فقيل: كان بالغًا حينَ أسكنَه الوادي، ألا ترى أنَّه كان يُعينُ إبراهيمَ في بناءِ البيتِ. وقيل: إنَّه كان قد نشأ ولـم يبلُغْ بعدُ. وقيل: إنَّه كان طفلًا. وهو الأكثرُ.

﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ هذه لامُ (كي)، وهي مُتَّصلةٌ عندَ بعضِ النُّحاةِ بقولِه: ﴿أَسۡكَنتُ﴾، وعندَ بعضِهم بقولِه: ﴿وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ ﴿لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾.

وعندَ بعضِهم: هي لامُ الأمرِ، كأنَّه دَعا لهم بإقامةِ الصَّلاةِ.

﴿فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾: جمعُ فؤادٍ، وسُمِّي فُؤادًا لتَفَـؤُّدِه[1]، وفَأَدْتُ: شَـوَيْتُ، والمِفْأَدُ: السَّـفُّودُ[2].

وقال المُؤرِّجُ: الأفئدةُ: القِطَعُ منَ النّاسِ بلُغةِ قُريشٍ، وإليه ذهبَ ابنُ بحرٍ، وفيه نظرٌ[3].

---

(١) أي: لتوقُّده. انظر: «العين» مادة: (ف ي د) (٨/ ٧٩).

(٢) السَّفُّود: حديدة يُشوَى عليها اللحمُ. انظر: «اللسان» مادة: (س ف د).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٨١)، واستغربه، وذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٦/ ٤٤٧).

﴿تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾: تُسرِعُ إليهم بالمودَّةِ والمحبَّةِ فينزلون بها ويحجُّونَ إليها عامًا فعامًا، والهُوِيُّ: النُّزولُ من عُلْوٍ إلى سُفْلٍ، وإذا كانَ على الضِّدِّ فـ(الهَوِيُّ) بالفتحِ[1].

وقُرِئَ في الشَّواذِّ: (تَهْوَى) بالفتحِ[2] من: هَوِيتُ الشَّيءَ.

مُجاهِدٌ: لو لـم يُدْخِلْ (من) لازدَحَمَتْ عليه فارسُ والرُّومُ[3].

ابنُ جُبيرٍ: لو قالَ: أفئدةَ النّاسِ، لحجَّتِ اليهودُ والنَّصارى[4].

سألَ اللهَ إبراهيمُ أن يُحبِّبَ مكّةَ إلى النّاسِ، فاستجابَ الله دُعاءَه ففرَضَ على النّاسِ الحجَّ إليه، فسارُوا إليه من كلِّ فجٍّ عميقٍ.

وقولُه: ﴿وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾: هي ما تُحمَلُ إليها منَ الأطرافِ، فصارَ سببًا لمعاشِهم، وأظهرَ طائفَ بالقُربِ منها، أو نُقلَ إليها على ما يُذكرُ في (القصصِ)[5]، ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾.

* * *

(٣٨) - ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾.

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ﴾: ما نُظهِرُ وما نُضمِرُ.

---

(١) انظر: «الأضداد» للأنباري (ص: ٣٧٩).

(٢) نسبت هذه القراءة لجعفر بن محمد ومجاهد اليماني. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ٧٣)، و«شواذ القراءات» لشمس القراء الكرماني (ص: ٢٦١).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٦٩٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٤٩).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٦٩٨)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ٤٠٣).

(٥) في (ن): «في القصص: أن طائف هي قرية من سبأ نقل إلى قرب مكة، ومن وادي مكة نقل إلى سبأ».

﴿وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ قيل: هو اعتراضٌ بينَ كلامِ إبراهيمَ عليه السَّلامُ وبينَ كلامِ الله.

وقيل: ذلك من تمامِ كلامِ إبراهيمَ عليه السَّلامُ.

* * *

(٣٩) - ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾ ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: وُلِدَ إسماعيلُ لإبراهيمَ وهو ابنُ تسعٍ وتسعينَ سنةً، ووُلِدَ له إسحاقُ وهو ابنُ مئةٍ واثنتَي عشرةَ سنةً(١).

وقيل: سبعَ(٢) عشرةَ ومئةِ سنةٍ(٣).

﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾: سامعٌ له، وقيل: مُجيبُ الدُّعاءِ لمَن أرادَ.

* * *

(٤٠) - ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ﴾.

﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ ابنُ عبّاسٍ: لا يزالُ ناسٌ من ولدِ إبراهيمَ على الفطرةِ حتَّى تقومَ السّاعةُ(٤).

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ٤٠٤)، والواحدي في «البسيط» (١٢/ ٤٩٠).

(٢) في (ن): «تسع». والمثبت من (و) و(ط)، وهو الموافق لما في المصادر وستأتي.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٧٠٢) عن سعيد بن جبير، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ٤٠٤)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ٣٥٧)، والزمخشري في «الكشاف» (٢/ ٥٦١).

(٤) رواه ابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٥/ ٤٩) عن ابن جريج.

﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ﴾: استَجِبْ دُعائي. وقيل: اجعَلْه دُعاءً[1] مقبولًا مُجابًا. وقيل: معنى[2] دُعائي: إيماني وعمَلي وعبادَتي.

* * *

(٤١) ـ ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾.

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾ العذرُ لإبراهيمَ عن استغفارِه لأبيه سبقَ[3].

وقد قُرِئَ في الشَّواذِّ: (ولولديَّ)[4] يُريدُ: إسماعيلَ وإسحاقَ.

قولُه: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾: يومَ القيامةِ.

* * *

(٤٢) ـ ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ ميمونُ بنُ مِهْرانَ: إنَّ هذا وعيدٌ للظّالمينَ وتعزيةٌ للمظلومين[5].

﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ﴾: يُؤخِّرُ عذابَهم ويُمهِلُهم ﴿لِيَوْمٍ﴾: لجزاءِ يومٍ. ويجوزُ:

---

(١) «وقيل اجعله» ليس في (ن).

(٢) «معنى» من (ن).

(٣) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ﴾ [التوبة: ١١٥].

(٤) نسبت إلى الحسين بن علي والزهري والنخعي. انظر: «المحتسب» (١/ ٣٦٥)، و«شواذ القراءات» لشمس القراء الكرماني (ص: ٢٦٢)،

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٧٠٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٥١)، والخرائطي في «مساوئ الأخلاق» (٥٩٥).

إلـى يـومٍ ﴿تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾؛ أي: لا تغتمِضُ ممَّا تنالُه منَ الكـربِ والهولِ، مثلُه: ﴿فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الأنبياء: ٩٧].

***

(٤٣) ـ ﴿مُهۡطِعِينَ مُقۡنِعِي رُءُوسِهِمۡ لَا يَرۡتَدُّ إِلَيۡهِمۡ طَرۡفُهُمۡۖ وَأَفۡـِٔدَتُهُمۡ هَوَآءٞ﴾.

﴿مُهۡطِعِينَ﴾: مُسرِعين إلى الدَّاعي، والإِهْطاعُ في اللُّغةِ: الإسراعُ والبِدارُ[١].

وقيل: المُهطِعُ: الفاتحُ عينَه لا يَطرُفُ.

وقيل: النَّاظرُ بذُلٍّ.

ابنُ عيسى عن أبي زيدٍ: المُهطِعُ: المُطرِقُ لا يرفعُ رأسَه[٢].

وقيل: الإهطاعُ: إدامةُ النَّظرِ مع فتحِ العينَينِ، وليس من هذا التَّركيبِ غيرُ هذه الكلمةِ.

﴿مُقۡنِعِي رُءُوسِهِمۡ﴾ مُفسَّرٌ بوجهَين:

أحدُهما: رافِعي رُؤوسِهم، وهو قولُ ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما[٣].

والثّاني: ناكِسي رُؤوسِهم بلغةِ قُريشٍ، حكاه المُؤرِّجُ[٤].

والأوَّلُ أكثرُ[٥].

---

(١) وهو المعنى الأشهر كما قال الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٧٠٦).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٧٠٦) عن ابن زيد، وذكره عن الثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ٤٠٦)، وحكي في «الهداية» (٥/ ٣٨٣٤)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٣/ ٣٤٤)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٢/ ٥١٧).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٧٠٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٥١).

(٤) انظر: «النكت والعيون» (٣/ ١٤٠).

(٥) فهو من الأضداد، ومعنى رفع فيه أكثر كما نقل أبو حيان عن المبرد. انظر: «البحر المحيط» (٦/ ٤٤٣).

﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾؛ أي: نظرُهم، فهو مصدرٌ؛ أي: بقيَتْ عيونُهم شاخصةً منَ الخوفِ لا تطرُفُ.

وقيل: الطَّرفُ: العينُ، ووحَّدَ اكتِفاءً بجمعِ المُضافِ إليه(١).

﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾: لا تعي شيئًا.

وقيل: نُزِعَتْ أفئِدتُهم من أجوافِهم.

وقيل: ﴿هَوَاءٌ﴾: جَوْفٌ لا عقلَ لها.

وقيل: خاليةٌ عن كلِّ خيرٍ.

وقيل: تدورُ في أجوافِهم لا تستقرُّ(٢).

وقيل: الفؤادُ موضعُ القلبِ كالصَّدرِ(٣).

والمعنى: خلَعَ الخوفُ قلبَهم فليس بينَ جوانِحِهم قلبٌ.

* * *

(٤٤) - ﴿وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾.

﴿وَأَنذِرِ النَّاسَ﴾: أنذِرْ يا محمَّدُ كفَّارَ مكَّةَ وغيرَهم ﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ﴾ يُريدُ: يومَ القيامةِ، وهو مفعولٌ به(٤).

---

(١) فكلمة (عينهم) تدلُّ على ما تدلُّ عليه (عيونهم)؛ لأنه يستحيل أن تكون لهم جميعاً عين واحدة.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٨٢)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٨٢)، وعدَّه من العجائب.

(٤) لأن يوم مجيء العذاب ليس ظرفاً للإنذار، فهو يوم لا ينفع فيه الإنذار سواء فسِّر بيوم القيامة أو يوم الموت.

وقيل: يومَ الموتِ[١].

﴿فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾؛ أي: يقولُ الكفّارُ: ﴿رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ نُّجِبۡ دَعۡوَتَكَ﴾؛ أي: أخِّرِ العذابَ عنّا ورُدَّنا إلى الدُّنيا.

ومَن حمَلَ (اليومَ) على يومِ الموتِ قالَ: سألُوا أن يُؤخِّرَهم فلا يُميتَهم في الوقتِ ويُبقِيَهم إلى أجلٍ يُؤمنون فيه.

ومعنى ﴿قَرِيبٖ﴾: مِقدارُ ما نُجيبُ دعوتَك، وهو الإسلامُ، ﴿وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ﴾ على دينِهم، وذلك زمانٌ قليلٌ. فيُجابون:

﴿أَوَلَمۡ تَكُونُوٓاْ أَقۡسَمۡتُم مِّن قَبۡلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٖ﴾؛ أي: حلَفتُم في الدُّنيا أنَّكم إذا مِتُّم لا تزولون عن تلك الحالةِ إلى حياةٍ ثانيةٍ، كقولِه: ﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَا يَبۡعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ [النحل: ٣٨].

وقيل: حلَفْتُم لا تزولون بعذابٍ، وليس يعني به زوالَ موتٍ؛ لأنَّهم مُقِرُّون بالموتِ.

وقيل: لا تزولون عن هذه الدُّنيا إلى دارٍ أُخرَى، بل نحيَى فيها ونموتُ فيها[٢].

المُبرِّدُ: تمَّ الكلامُ عندَ قولِه: ﴿أَقۡسَمۡتُم مِّن قَبۡلُ﴾ يعني: قولَهم: ﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَا يَبۡعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾، ثمَّ استأنفَ فقالَ: ﴿مَا لَكُم مِّن زَوَالٖ﴾؛ أي: لا تزولون عمّا أنتم عليه، ولا تُجابونَ إلى ما تُريدونَ[٣].

* * *

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٨٢)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٨٢)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٨٣) دون نسبة، واستغربه.

(٤٥) ـ ﴿ وَسَكَنتُمْ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾.

﴿ وَسَكَنتُمْ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ﴾ بالكفرِ والمعاصي؛ أي: نزلتُم منازلَ الكفّارِ قومِ نوحٍ وعادٍ وثمودَ وغيرِهم ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ ﴾؛ أي: ظهرَ لكم حالُهم.

وقولُه: ﴿كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ ﴾ تفسيرُ الحالِ؛ أي: شاهدتُم في منازلِهم آثارَ ما نزَلَ بهم؛ فإنَّها باقيةٌ.

﴿وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾؛ أي: حُكمُكُم في كُفرِكُم حُكمُهم في حُلولِ العذابِ.

* * *

(٤٦) ـ ﴿ وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴾.

﴿ وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ ﴾ في تأييدِ الكفرِ[1] وبُطلانِ أمرِ الأنبياءِ عليهم السَّلامُ، والمعنى: فعَلُوا ما أمكَنَهُم.

﴿وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ ﴾: جزاءُ مكرِهم. وقيل: هو ثابتٌ عندَ الله ليومِ الجزاءِ غيرُ خافٍ عليه.

﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾؛ أي: وما كانَ مكرُهم لتزولَ، و﴿إِنْ﴾ بمعنى: (ما) كقولِه: ﴿إِنْ أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴾ [الجن: ٢٥] ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُۥ﴾ [الأنبياء: ١١١]، واللامُ للجحدِ نحو: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ ﴾ [الأنفال: ٣٣][2].

---

(١) في (و): «في تأييدهم في الكفر».

(٢) يرى البصريون أن المضارع ينتصب بعدها بأن المضمرة، ويرى الكوفيون أنها تنصبه بنفسها. انظر: =

و﴿ٱلۡجِبَالُ﴾ أمرُ النَّبيِّ عليه السَّلامُ وأعلامُه ودلالاتُه[١].

ومَن قرأ بفتحِ اللامِ[٢] فـ﴿إِن﴾ هي المُخفَّفةُ منَ الثَّقيلةِ، فيكونُ التَّعظيمُ لمكرِهم كقولِه: ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا﴾ [نوح: ٢٢] خلافَ القراءةِ الأُخرى، وهذا كلُّه معنى كلامِ أبي عليٍّ[٣].

وعن عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضي الله عنه في جماعةٍ: أنَّ المُرادَ بالمكرِ هاهنا: ما كانَ من نُمْروذَ الجبَّارِ، وذلك أنَّه قالَ: إنْ كانَ ما يقولُه إبراهيمُ حقًّا فلا أنتهي حتَّى أعلَمَ ما في السَّماءِ، فعمَدَ إلى أربعةِ أفرُخٍ منَ النُّسورِ وعلَفَها اللَّحمَ وربَّاها حتَّى شبَّتْ واستفحَلَتْ ـ ويروى: استفلحت[٤] ـ، ثمَّ قعدَ في تابوتٍ، وجعَلَ معَه رجلًا آخرَ، وجعلَ له بابًا من أعلى وبابًا من أسفلَ، وربطَ التَّابوتَ بأرجُلِ النُّسورِ، وعلَّقَ اللَّحمَ فوقَ التَّابوتِ على عصًا، ثمَّ خلَّا عن النُّسورِ فطِرْنَ وصَعِدْنَ طمعًا في اللَّحمِ حتَّى أبعَدْنَ في الهواءِ، فقال نُمْروذُ لصاحبِه: افتحِ البابَ الأعلى وانظُرْ إلى السَّماءِ هل قربْنا منها، ففتحَ ونظرَ فقال: إنَّ السَّماءَ كهيأتِها، ثمَّ قالَ: افتحِ البابَ الأسفَلَ فانظُرْ إلى الأرضِ كيفَ تراها؟ ففعلَ ذلك، فقالَ: أرى الأرضَ مثلَ اللُّجّةِ البيضاءِ، والجبالَ مثلَ الدُّخانِ، فطارتِ النُّسورُ وارتفَعَتْ حتَّى حالتِ الرِّيحُ بينَها

= «حروف المعاني والصفات» للزجاجي (ص: ٤٥)، و«شرح كتاب سيبويه» للسيرافي (٣/ ١٩٦)، و«الإنصاف» للأنباري (٢/ ٤٨٥).

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ١٦٧)، وفيه: «أي: ما كان مكرهم ليزول به أمر النبي ﷺ وأمر دين الإسلام، وثبوته كثبوت الجبال الراسية».

(٢) قرأ الكسائي: ﴿لَتَزُولُ﴾ بفتح اللام الأولى ورفع الثانية، والباقون بكسر الأولى ونصب الثانية. انظر: «السبعة» (ص: ٣٦٣)، و«التيسير» (ص: ١٣٥).

(٣) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٥/ ٣١ ـ ٣٢).

(٤) «ويروى: استفلحت» ليس في (و)، ومعنى استفلح: فاز. انظر: «غريب الحديث» لأبي عبيد (٥/ ٧٩).

وبين الطَّيرانِ، فقالَ لصاحبِه: افتحِ البابين، ففتحَ الأعلى فإذا السَّماءُ كهيأتِها، وفتحَ الأسفلَ فإذا الأرضُ سوداءُ مُظلِمةٌ، ونُودِيَ: أيُّها الطّاغيةُ، أين تُريدُ؟

قال عِكرمةُ: كان معَه في التّابوتِ غلامٌ قد حملَ القوسَ والنُّشّابَ، فرمى بسهمٍ فعادَ إليه السَّهمُ مُتلطِّخًا بدمٍ، فقال: كُفيتَ شغلَ إلهِ السَّماءِ.

قال عكرمةُ: سمكةٌ فدَتْ نفسَها من بحرِ الهواءِ.

وقيل: طائرٌ منَ الطُّيورِ أصابَه السَّهمُ.

ثمَّ إنَّ نُمْروذَ أمرَ صاحبَه أن يُصوِّبَ العصا ويُنكِّسَ اللَّحمَ، ففعلَ ذلك، فهبَطَتِ النُّسورُ بالتّابوتِ(١).

وروَى الثَّعلبيُّ: فسمِعَتِ الجبالُ حفيفَ التّابوتِ والنُّسورِ، ففزِعَتْ وظنَّتْ أنْ قد حدَثَ بها حدَثٌ منَ السَّماءِ، وأنَّ السّاعةَ قد قامَتْ، فذلك قولُه: ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾(٢). والعُهدةُ في هذا وأمثالِه على الرّاوي(٣).

---

(١) ذكره الثعلبي «تفسير الثعلبي» (١٥/ ٤١٢ ـ ٤١٤)، وعنه نقل المصنف، ورواه عن علي رضي الله عنه بنحوه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٧١٨)، ورواه أيضًا عن سعيد بن جبير ومجاهد، ورواه الطبري أيضًا (١٤/ ٢٠٣) عن السدي، وفي خبر مجاهد أنه بختنصر، وكيف كان فقد ردَّ العلماء هذه القصة، قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٣/ ٣٤٦): «وذلك عندي لا يصح عن علي رضي الله عنه، وفي هذه القصة كلها ضعف من طريق المعنى، وذلك أنه غير ممكن أن تصعد الأنسر كما وصف، وبعيد أن يغرر أحد بنفسه في مثل هذا».

وقال الخازن في «تفسيره» (٣/ ٤٥): «واستبعد العلماء هذه الحكاية وقالوا: إن الخطر فيه عظيم، ولا يكاد عاقل أن يقدم على مثل هذا الأمر العظيم، وليس فيه خبر صحيح يعتمد عليه، ولا مناسبة لهذه الحكاية بتأويل الآية البتة».

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٥/ ٤١٤)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٧٢١) عن سعيد بن جبير.

(٣) وهذه العبارة من المصنف تدلُّ على أنه يرى في هذه الأخبار شيئاً، لكن الظاهر أنه لم يكن من نقّادها.

(٤٧) ـ ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾.

﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ﴾ هذا خطابٌ للنَّبيِّ عليه السَّلامُ والمُرادُ به غيرُه. وقيل: تقديرُه: قل لكلِّ عاتٍ منهم.

وجمهورُ المُفسِّرين على أنَّ التَّقديرَ: مُخلِفَ رُسُلِه وعدَه، فأُضيفَ إلى (الوعدِ) وهو في تقديرِ الانفصالِ؛ أي: مُخلِفًا وعدَه رُسُلَه.

الفرَّاءُ وقُطربٌ: لـمَّا تعدَّى الفعلُ إليهما جميعًا لم يُبالِ بالتَّقديمِ والتَّأخيرِ[1].

قال الشَّيخُ[2]: ويحتمِلُ أنَّ ﴿رُسُلَهُۥٓ﴾ منصوبٌ بالوعدِ لا بـ﴿مُخْلِفَ﴾[3]، ويكونُ معناه من قولِه: ﴿ءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ [آل عمران: ١٩٤]، واقتصرَ المُخلِفُ على مفعولٍ واحدٍ كقولِه: ﴿لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ﴾[4] [الزمر: ٢٠].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾؛ أي: لا يمتنعُ عليه شيءٌ.

ابنُ عيسى: الانتقامُ: الانتِصافُ منَ الجاني بالعقابِ.

* * *

(٤٨) ـ ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾.

﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: تُزالُ وتُجعَلُ مكانَها أُخرَى.

والتَّبديلُ يُستَعملُ أيضًا في تغييرِ الأوصافِ مع بقاءِ الذَّاتِ، كما يُبدَّلُ الخاتمُ خاتمًا إذا كُسِرَ وصيغَ صياغةً أُخرَى.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٧٩، ٨٠)، «البسيط» (١٢/ ٥١٣).

(٢) «قال الشيخ»: ليست في (ن).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٨٤)، واستغربه.

(٤) في (و): «﴿لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾»، وهي الآية (٩) من آل عمران، و(٣١) من الرعد. وتصلح شاهداً كالمثبت.

فذهَبَ جماعةٌ إلى أنَّ الله تعالى يُفني هذه ويأتي بأُخرَى.

وابنُ مسعودٍ رضي الله عنه في جماعةٍ قالوا: يُؤتَى بأرضٍ كالفِضَّةِ نقيّةٍ لم يُسفَكْ فيها دمٌ، ولم يُعمَلْ عليها خطيئةٌ(١).

وقيل: تلك الأرضُ نارٌ(٢)، والجنّةُ من ورائِها يُرى أكوابُها وكواعِبُها.

وعن عليٍّ رضي الله عنه: أنَّ تلك الأرضَ من فضّةٍ، والجنّةُ من ذهبٍ(٣).

وعن سعيدِ بنِ جُبَيرٍ ومحمَّدِ بنِ كعبٍ: هي أرضٌ من خُبزٍ يأكلُ منها المؤمنون من تحتِ أقدامِهم(٤). وجاء هذا مرفوعًا أيضًا(٥).

وذهبَ بعضُهم إلى أنْ تبدَّلَ أوصافُها، فابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما قالَ: تُمَدُّ كما يُمَدُّ الأديمُ العكاظيُّ، وتُزالُ عنها جبالُها وآكامُها وأشجارُها وجميعُ ما فيها حتَّى تصيرَ مُستويةً، لا تَرى فيها عِوَجًا ولا أمْتًا(٦).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٧٢٩)، والشاشي في «مسنده» (٢/ ١٣١)، والطبراني في «الكبير» (٩/ ٢٠٥)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٥٩٨)، والحاكم في «المستدرك» (٨٦٩٩)، وقال الذهبي: «إسناده قوي».

(٢) في (ن): «النار»، والمثبت موافق لما رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٧٣٣) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٦٢)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ٧٣٣ ـ ٧٣٤)، وإسناده ضعيف لجهالة الراوي عن علي رضي الله عنه.

(٤) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٧٣٥).

(٥) رواه البخاري (٦٥٢٠)، ومسلم (٢٧٩٢)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٦) روى ابن أبي الدنيا في «الأهوال» (٢١٧)، وذكر الثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ٤١٦) واللفظ له عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: الأرض هي تلك الأرض، وإنما تبدل آكامها وجبالها وأنهارها وأشجارها، ثم أنشد:

=

وقيل: يُزادُ فيها ويُنقَصُ.

﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾؛ أي: وتُبدَّلُ السَّماواتُ غيرَ السَّماواتِ.

قال عليٌّ رضي الله عنه: تصيرُ السَّماءُ من ذهبٍ(١).

كعبُ الأحبارِ: تصيرُ السَّماواتُ جِنانًا، ويصيرُ مكانُ البحرِ النّارَ(٢).

وقيل: تبديلُ السَّماواتِ: تكويرُ شمسِها وانتِثارُ كواكبِها وانشِقاقُها، وخُسوفُ قمرِها، وهو قولُ ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما(٣).

وقيل: تبديلُها: طيُّها، من قولِه: ﴿يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

= وما النـاس بالناس الذيـن عهدتهم ... ولا الـدار بالدار التـي كنت تعرف

وروى الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٧٣٥)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٣٨٦)، والبيهقي في «البعث والنشور» (٦٠٩)، واللفظ للطبري، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يبدل الله الأرض غير الأرض والسماوات، فيبسطها، ويسطحها، ويمدها مد الأديم العكاظي، لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً، ثم يزجر الله الخلق زجرة، فإذا هم في هذه المبدلة في مثل مواضعهم من الأولى، ما كان في بطنها ففي بطنها، وما كان على ظهرها كان على ظهرها، وذلك حين يطوي السماوات كطي السجل للكتاب، ثم يدحو بهما، ثم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات».

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «الأهوال» (٦٦)، وهو رواية ثانية للخبر المتقدم قريباً عن علي: أنَّ تلك الأرضَ من فضّةٍ، والجنّةُ من ذهب، وإسناده مثله ضعيف.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٧٣٥)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ٤١٦).

(٣) ذكره عن ابن عباس رضي الله عنهما ابن الجوزي في «زاد المسير» (٢/ ٥٢٠). وبلا نسبة: الزجاج في «معاني القرآن» (٣/ ١٦٩)، وابن أبي زمنين في «تفسيره» (٢/ ٣٧٦)، ومكي بن أبي طالب في «الهداية» (٥/ ٣٨٤٦)، والزمخشري في «الكشاف» (٢/ ٥٦٧) وغيرهم.

وروى البيهقي في «البعث والنشور» ـ كما في «الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ٥٧) ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: « ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾: تذهب شمسها وقمرها ونجومها». ولم أقف عليه في المطبوع من «البعث».

وقيل: تبديلُها: أن تكونَ مَرّةً كالمُهلِ، ومرّةً وردةً كالدِّهانِ.

وعن عائشةَ رضيَ الله عنها قالت: سألتُ رسولَ الله عليه السَّلامُ: أين يكونُ النّاسُ يومَ تُبدَّلُ الأرضِ؟ فقالَ: «على الصِّراطِ»(١). ويُروَى: «على جسرِ جهنَّمَ»(٢)، ويُروَى: «أضيافُ الله»(٣)، ويُروَى: «في الظُّلمةِ دونَ الجسرِ»(٤).

﴿وَبَرَزُوا﴾: خرَجُوا من قُبورِهم ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾: لمُحاسبتِه إيّاهُم ومُجازاتِه على أعمالِهم.

* * *

(٤٩) - ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾.

﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ﴾؛ أي: الكفّارَ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: يومَ القيامةِ ﴿مُقَرَّنِينَ﴾: مشدودينَ في القَرَنِ(٥) وهو الحبلُ، وقيل: قُرِنوا في القيودِ والأغلالِ، من قرَنْتُ الشَّيءَ بالشّيءِ؛ أي: ضمَمْتُه، فيُقرَنُ الكافرُ مع الكافرِ، وقيلَ: الكافرُ مع شيطانِه.

المُبرِّدُ: يُجعَلُ كلُّ واحدٍ مع قرينِه.

﴿فِي الْأَصْفَادِ﴾: جمعُ صَفَدٍ، وهو الغُلُّ. وقيل: القَيدُ والكَبْلُ.

والصَّفَدُ: العطاءُ أيضًا(٦).

---

(١) رواه مسلم (٢٧٩١).

(٢) رواه الطبراني في «مسند الشاميين» (٢٧٢٣) عن عائشة رضي الله عنها.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٧٣٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٥٣) عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه.

(٤) رواه مسلم (٣١٥) عن ثوبان رضي الله عنه.

(٥) في (و): «القران».

(٦) قال ابن فارس في «مقاييس اللغة» (٣/ ٢٣٩): «الصاد والفاء والدال أصلان صحيحان: أحدهما =

(٥٠) ـ ﴿ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴾.

﴿ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ ﴾: قُمصانُهم. وقيل: لباسُهم، والقَطِرانُ: ما يُدهَنُ به الإبلُ.

قتادةُ: القَطِرانُ: النُّحاسُ[1].

الضَّحّاكُ: القَطِرانُ: النُّحاسُ، والنُّحاسُ: الصُّفْرُ[2].

وقيل: القَطِرانُ: شيءٌ منَ[3] النّارِ. والله أعلَمُ به.

وقيل: القَطِرانُ ما يتحلَّبُ من شجرِ[4] الأبْهَلِ[5]، وهو أقبلُ الأشياءِ اشتِعالًا.

وقُرِئَ: (مِنْ قِطْرٍ آنٍ)[6]، فالقِطْرُ: النُّحاسُ لا غيرُ، والآني: الذي بلَغَ النِّهايةَ في الحرارةِ.

﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴾: تعلُوها باشتِعالِها.

* * *

= عطاء، والآخر شذٌّ بشيء».

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٤٢٦)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ٧٤٣).

(٢) في (ن): «القطران والنحاس الصفر». لم أقف عليه عن الضحاك بهذا اللفظ، وذكر السمرقندي في «بحر العلوم» (٢/ ٢٤٩) عن الضحاك: «من صفر حار قد انتهى حرُّه».

(٣) في (ن): «في».

(٤) في (ن): «شجرة».

(٥) انظر: «العين» مادة: (ق ط ر) (٥/ ٩٦).

(٦) رويت عن علي وابن عباس وأبي هريرة وعكرمة وغيرهم. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٧٤)، و«المحتسب» (١/ ٣٦٦)، و«المحرر الوجيز» (٣/ ٣٤٨)، و«البحر» (١٣/ ٢١٨). ورواها الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٧٤٣ـ ٧٤٥) عن عكرمة.

(٥١) ـ ﴿ لِيَجْزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾.

﴿ لِيَجْزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْۚ ﴾: يجزي وَفْقَ أعمالِـهم؛ إنْ خيرًا فخيرٌ، وإنْ شرًّا فشرٌّ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾: يُحاسِبُ جميعَ العبادِ في أسرعَ(١) من لَـمْحِ البصرِ.

* * *

(٥٢) ـ ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾.

﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ ﴾؛ أي: القرآنُ.

وقيل: هذه(٢) السُّورةُ، وحُمِلَ على قولِه: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ ﴾.

وقيل: ما فيها منَ الوَعْظِ بلاغٌ أبلَغَ الله به إليهم في الحجّةِ عليهم.

وقيل: عِظةٌ كافيةٌ.

وقيل: البلاغُ: الكفايةُ، من قولِه: ﴿ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا﴾ [الأنبياء: ١٠٦]؛ أي: هو كافٍ في إنذارِ النّاسِ.

﴿وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ ﴾: بالقرآنِ، وقيل: بالرَّسولِ ﴿وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ لا شريكَ معَه ولا مُعينَ ﴿وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾.

المازنيُّ: الواوُ في ﴿وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ﴾ زائدةٌ(٣).

---

(١) في (و): «أقرب».

(٢) «هذه»: من (ن).

(٣) في (ن): «زيادة». وقد ذكره المصنف بلا نسبة في «غرائب التفسير» (١/ ٥٨٤)، ونسبه أبو حيان في «البحر المحيط» (٦/ ٤٥٩) للماوردي.

المُبَرِّدُ: لعطفِ مُفردٍ على مُفردٍ؛ أي: هذا إبلاغٌ[١] وإنذارٌ[٢].

وقيل: محمولٌ على المعنى؛ أي: ليُبلَّغُوا وليُنذَرُوا به.

ويحتمـلُ أنَّـه عطـفٌ علـى أوَّلِ السُّـورةِ؛ أي: أنزلنـاهُ إليـك لتُخـرِجَ النّـاسَ وليُنـذَرُوا به[٣].

وقيـل: الـلّامُ لامُ الأمـرِ. وهو حسَـنٌ لـولا قولُـه: ﴿وَلِيَذَّكَّرَ﴾؛ فإنَّـه منصوبٌ لا غيرُ[٤].

* * *

(١) في (و): «بلاغ».

(٢) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٦/ ٤٥٩)، والسمين الحلبي في «الدر المصون» (٧/ ١٣٤).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٨٤)، واستغربه. وهذا إنما يصحُّ على الوجه الثالث من تفسير ﴿هَٰذَا﴾، وهو حمله على ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ﴾.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٨٤)، وعدَّه من العجائب.

لُبَابُ التَّفَاسِيرِ

تأليف الإمام المفسر

تاج القُرَّاءِ الكرماني

بُرْهَانِ الدينِ أبي القاسم محمود بن حمزة بن نصر الكرماني

المُتوفّى بعد سنة ٥٠٠هـ

يُطبع أول مرة محققاً على ثلاث نسخ خطية

تحقيق وتعليق

محمد عبد الحليم بعّاج

المجلد الخامس

دار اللُّباب

لباب التفاسير

(٥)

حُقوق الطّبع محفُوظَة

الطبعة الأولى
١٤٤٣هـ - ٢٠٢١م

يُمنع طباعةُ هذا الكتاب أو ترجمته أو تصويرُه ورقياً أو إلكترونياً
إلا بإذن خطي من الدار الناشرة
تحت المُساءلة الدُّنيوية والأُخروية

9 789933 930271

دار اللُّباب
للدِّراسات وتحقيق التُّراث

DAR-ALLOBAB
Lubab Yazma Eserleri İhya ve İlmi Araştırma Yayınları

بيروت - لبنان
009615813966
0096170112990

دمشق - سوريا
00963993151546
info@allobab.com
Www.allobab.com

اسطنبول - تركيا
00902125255551
00905454729850

İskenderpaşa mh. Kıztaşı cd. No:7 D:5 Fatih (Özel Fatih Hastanesi Karşısı)

بسم الله الرحمن الرحيم

سُورَةُ الحِجرِ

سُورَةُ الحِجْرِ

تسعةٌ وتسعونَ آيةً[1]، مكِّيَّةٌ.

ليس فيها ناسخٌ ولا منسوخٌ إلّا قولُه: ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥]، وكذلك: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤]، فإنَّهما منسوختانِ بآيةِ القتال[2].

بسم الله الرَّحمنِ الرَّحيم

(١) ـ ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ﴾.

﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ﴾؛ أي: هذه آياتُ الكتاب، و﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾: القرآنُ، وعُطِفَ عليه ﴿وَقُرْءَانٍ﴾ كما يُعطَفُ الوصفُ على الوصفِ[3].

وقيل: ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ للجنسِ، والمُرادُ به: ما تقدَّمَ القرآنَ منَ الكتبِ؛ أي: هذه الآياتُ آياتُ الكتبِ التي تقدَّمتِ القرآنَ، يريدُ: معنى هذه معناها.

---

(١) «تسعة وتسعون آية» من (ن).

(٢) في (و): «السيف». وما ذكره المصنف موافق لما ذكره النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٥٣٩)، أما ابن حزم فذكر في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٤٢) ثلاث آيات أخرى، وهي: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟﴾، و﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾، و﴿وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ﴾.

(٣) هذا بشرط الاختلاف كما هو معلوم، وقد تقدم الكلام عليه في تفسير قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ﴾، وانظر: «شرح المقدمة المحسبة» لابن بابشاذ (٢/ ٤٠٩)، و«نتائج الفكر» للسهيلي (ص: ١٨٦)، و«شرح قطر الندى» لابن هشام (ص: ٢٩٥).

وقيل: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يُريدُ: التَّوراةَ والإنجيلَ، وهذه آياتُ قرآنٍ مُبينٍ تُبيِّنُ الرُّشدَ منَ الغيِّ، والهدى منَ الضَّلالِ.

***

(٢) ـ ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ﴾.

﴿رُبَّما يودُّ الَّذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾ قيل: هي عندَ النَّزْعِ[1].

وقيل: إذا عايَنُوا حُسنَ أحوالِ المُؤمنينَ.

وقيل: هو ما رَوَى سعيدُ بنُ جُبيرٍ عن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما، أنَّه قال: يُخرَجُ منَ النّارِ حتَّى يُقالَ: أخرِجُوا مَن كانَ في قلبِه مثقالُ حبّةٍ من خردلٍ من إيمانٍ، فيتمنَّى الكافرُ لو كان مسلمًا[2].

ورُوِيَ عنِ النَّبيِّ عليه السَّلامُ أنَّه قال: «إذا كان يومُ القيامةِ اجتمعَ أهلُ النّارِ في النّارِ ومعهم مَن شاءَ الله من أهلِ القِبلةِ، قالَ الكفّارُ لمَن في النّارِ من أهلِ القِبلةِ: ألستُم مسلِمين؟ قالوا: بلى، قالوا: فما أغنَى عنكم إيمانُكم وأنتُم معنا في النّارِ؟ فيغضبُ الله لهم، فيأمرُ بكلِّ مَن كانَ من أهلِ القِبلةِ فيُخرَجونَ منها، فحينَئذٍ ﴿يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ﴾»، وقرأ رسولُ الله عليه السَّلامُ هذه الآيةَ[3].

---

(١) في (و): «قيل: عند النزول».

(٢) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٢٥٠)، ورواه من طريق آخر: الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٩)، والآجري في «الشريعة» (٧٧٦)، والحاكم في «المستدرك» (٣٣٤٥).

(٣) رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٨٤٤)، والحاكم في «المستدرك» (٢٩٥٤) وصححه، عن أبي موسى رضي الله عنه. ورواه النسائي في «الكبرى» (١١٢٠٧)، والطبراني في «الأوسط» (٥١٤٦)، عن جابر رضي الله عنه. ورواه ابن حبان في «صحيحه» (٧٤٣٢)، والطبراني في «الأوسط» (٨١١٠) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

قال الشَّيخُ[١]: ويحتمِلُ اللَّفظُ عمومَ هذه الأحوالِ.

وكلمةُ: (رُبَّ) للقِلَّةِ عندَ النَّحويِّين خلافَ (كم)، وجميعُ ما جاء في الشِّعرِ جاء للكثرةِ، وكذلك في الآيةِ تدلُّ على الكثرةِ؛ لأنَّ الكفَّارَ في العُقبى دائمًا يَودُّون لو كانوا مسلِمين، فلعلَّهم استعمَلُوها استعمالَ الشَّيءِ بضدِّ ما وُضِعَ له، نحو: الضَّريرُ يُسمَّى بصيرًا، أو مقصودُ النُّحاةِ بقولِهم: وُضِعَ للتَّقليلِ؛ أي: بالإضافةِ إلى (كم)[٢].

وقد خُفِّفَ، كما قرأه نافعٌ وعاصِمٌ[٣].

وقد تدخلُها (ما) الكافَّةُ، فإنَّه حرفٌ يجرُّ ما بعدَه ويختصُّ بالاسمِ النَّكرةِ، فإذا كُفَّتْ وقعَ بعدَه الاسمُ والفعلُ الماضي، وجاءَ ﴿يَوَدُّ﴾ على حكايةِ الحالِ، وهذا كلامُ أبي عليٍّ[٤].

وقال الكوفيُّونَ: ما هو آتٍ لا محالةَ فهو كالماضي[٥].

وقيل: (كانَ) هاهنا مُضمَرٌ، وهو بعيدٌ[٦].

---

(١) «قال الشيخ»: ليست في (ن).

(٢) نصّ ابن السراج في «الأصول» (١/ ٤١٦) وكثير من النحويين من بعده على أن (ربّ) للتقليل، لكن سيبويه لم يذكر ذلك صراحة، ونص في «الكتاب» (٢/ ١٥٦ و١٦١ و١٣٣) على أن (ربّ) بمعنى (كم)، وهذا يحتمل أنها للتكثير، وقال الرضي في «شرح الكافية» (٤/ ٢٨٧): «هذا الذي ذكرنا من التقليل أصلها، ثم تستعمل في معنى التكثير، حتى صارت في معنى التكثير كالحقيقة، وفي معنى التقليل كما لمجاز».

(٣) والباقون بالتَّشديد. انظر: «السبعة» (ص: ٣٦٦)، و«التيسير» (ص: ١٣٥).

(٤) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٤/ ٤٤٥)، و(٥/ ٣٩)، وانظر: «الإيضاح العضدي» (ص: ٢٥٤).

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٨٦) دون نسبة، واستغربه.

(٦) نقل أبو حيان هذا عن الكوفيين وابن السراج، قال: «ولا يجوز على مذهب سيبويه». انظر: «الكتاب» (٣/ ١١٥ و٥١٨)، و«الارتشاف» (٤/ ١٧٤٩).

قال ابنُ السَّرّاجِ: الأفعالُ كلُّها جنسٌ واحدٌ، فجازَ وقوعُ كلِّ لفظٍ منها موقعَ الآخرِ إذا لـم يُورِثْ اشتباهًا[١].

***

(٣) ـ ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾.

﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ الصِّيغةُ صيغةُ الأمرِ، والمعنى: الوعيدُ؛ إذ لـم يكونُوا ممنوعين منَ الأكلِ والتَّمتُّعِ؛ أي: دَعِ الكفَّارَ يأكُلون في الدُّنيا ويتمتَّعوا من لذَّاتِها وتشغَلُهم الأمانيُّ عن الإيمانِ والتَّكثيرِ منَ الطَّاعاتِ ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ ما يصيرون إليه من عذابِ الله.

***

(٤) ـ ﴿ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴾.

﴿ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴾؛ أي: أجلٌ مقدَّرٌ[٢] ووقتٌ محدودٌ.

وقيل: هو كتابٌ فيه أعمالُهم وأعمارُهم وآجالُهم وهَلاكُهم.

ومعنى ﴿مَّعْلُومٌ ﴾؛ أي: تعلمُ الملائكةُ ذلك الوقتَ.

---

(١) انظر: «الأصول في النحو» لابن السراج (١/ ٤١٩ ـ ٤٢٠)، وفيه: «ولما كانت «رب» إنما تأتي لِمَا مضى فكذلك (ربما) لمَّا وقع بعدها الفعل كان حقَّه أن يكون ماضيًا، فإذا رأيت الفعل المضارع بعدها فثم إضمارُ (كان)، قالوا: في قوله: ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴾: إنه لصدق الوعد كأنه قد كان كما قال: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ ﴾ [سبأ: ٥١] ولم يكن، فكأنه قد كان لصدق الوعد».
قلت: ولعل المتأمل في كلامه يلاحظ أنه يجمع الأقوال الثلاثة الأخيرة، أعني: قول الكوفيين، والقول بإضمار (كان)، والقول المنسوب إليه، فتأمل.
وهذا القول ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٨٦)، وعدَّه من العجائب.

(٢) في (و): «مقدور».

وقيل: ﴿مَّعْلُومٌ﴾ منَ العلامةِ، وفيه نظرٌ(١).

وذكرَ الماورديُّ: ﴿كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾: فرضٌ محتومٌ(٢). وهذا التَّأويلُ هاهنا بعيدٌ جدًّا.

أي: ما أهلَكْنا قومَ قريةٍ إلّا ولإهلاكِهم وقتٌ مُعيَّنٌ لا يتقدَّمُ ولا يتأخَّرُ، وهو قولُه:

(٥) ـ ﴿مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ﴾.

﴿مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾؛ أي: وقتَ إهلاكِها ﴿وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ﴾ يُريدُ: عنِ الوقتِ المضروبِ لهم.

و(مِن) في الآيتَينِ صِلةٌ، والواوُ للحالِ، ويجوزُ حذفُه في غيرِ القرآنِ(٣)، و﴿يَسْتَـْٔخِرُونَ﴾ محمولٌ على المعنى(٤).

الحسنُ: ﴿مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾: رسولَها وكتابَها فتُعذَّبَ قبلَه، ﴿وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ﴾؛ أي: لا يستأخرُ القومُ إذا كذَّبوا الرُّسلَ(٥).

* * *

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٨٦)، واستغربه. ولو كان من العلامة مكان (مُعَلَّم).

(٢) انظر: «النكت والعيون» للماوردي (٣/ ١٤٨)، وعدَّه المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٨٦) من العجائب.

(٣) ظاهر كلام المصنف يوهم أن المراد جواز حذف الواو، والأمر على خلاف هذا، وإنما مراده جواز حذف الصلة في غير القرآن.

(٤) لذلك جاء ضمير جماعة الذكور على اعتبار أن الأمة فيها ذكور وإناث، والذكور يُغلبون على الإناث، كما سبق.

(٥) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ١٤٨).

(٦ ـ ٧) ـ ﴿ وَقَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٌ ۝٦ لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَـٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾.

﴿ وَقَالُواْ ﴾ يعني: الكفَّار ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ﴾ يعنون: محمَّدًا عليه السَّلامُ، و﴿ٱلذِّكۡرُ﴾: القرآنُ؛ أي: نُزِّلَ عليه بزعمِه ودَعواه، قالوه استِهزاءً.

﴿إِنَّكَ لَمَجۡنُونٌ﴾: مُصابٌ في عقلِكَ ورأيكَ مستورٌ عليك وجهُ الصَّوابِ، إنْ كنتَ تُقدِّرُ أنَّا نَدَعُ دينَ آبائِنا ونصيرُ لك تبعًا من غير بيِّنةٍ وبرهانٍ:

﴿ لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا ﴾: هلّا تأتينا. وقيل: لِمَ لا تأتينا[1]؟

﴿بِٱلۡمَلَـٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ أي: هلّا كانَ معكَ ملائكةٌ يُصدِّقونَك ويشهَدون لك على دعواكَ، فإنّا[2] إذا رأينا ذلك صدَّقناكَ وآمنّا بك واتَّبعناك.

* * *

(٨) ـ ﴿مَا نُنَزِّلُ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذٗا مُّنظَرِينَ﴾.

﴿مَا نُنَزِّلُ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾: إلّا بالرِّسالةِ أو العذابِ أو الموتِ، ولو كذَّبوا الملَكَ لوَجَبَ هلاكُهم عاجلًا.

ابنُ عيسى: ﴿إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾ الذي لا يثبُتُ معه الباطلُ طرفةَ عينٍ.

وقيل: إلّا بالقرآنِ.

﴿وَمَا كَانُوٓاْ إِذٗا مُّنظَرِينَ﴾ أي: لو نزلتِ الملائكةُ لم يُنظَروا.

* * *

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٨٦)، واستغربه.

(٢) في (و): «دعوتك فأما» وفي (ن): «وإنا».

(٩) ـ ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ﴾ يعني: القرآنَ ﴿وَإِنَّا لَهُۥ﴾ للقرآنِ ﴿لَحَٰفِظُونَ﴾ من أن يُزادَ فيه ما ليس منه، أو يُنقَصَ منه ما هو فيه.

وقيل: ﴿لَحَٰفِظُونَ﴾ من إبليسَ والشَّياطينِ أن يزيدوا فيه باطلًا.

قتادةُ: ﴿لَهُۥ﴾ لمحمَّدٍ عليه السَّلامُ ﴿لَحَٰفِظُونَ﴾ نحفظُه من أعدائِه[١].

وقيل: ﴿لَحَٰفِظُونَ﴾ في قلبِ مَن أَرَدْنا به الخيرَ.

* * *

(١٠) ـ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: جمعُ شيعةٍ، وهي الأممُ والفِرَقُ والطَّوائفُ والتَّوابعُ والأنصارُ، مُشتقَّةٌ من شاعَه؛ أي: تبعَه[٢]، وأصلُه من الشِّياعِ، وهو الحطبُ الصِّغارُ يُوقَدُ به الكبارُ.

و﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾ قيل: من إضافةِ الشَّيءِ إلى صفتِه، وهذا ممتنعٌ عند سيبويهِ[٣].

وقيل: ﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾: هم الأقدمونَ الذين سنُّوا الضَّلالةَ لمَن بعدَهم، ومَن تبِعَهم شيعتُهم؛ لاقتدائِهم بهم.

---

(١) ذكره الطبري في «تفسيره» (١٤/ ١٩) دون نسبة، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٨٧)، واستغربه.

(٢) انظر: «الصحاح» مادة: (ش ي ع).

(٣) والبصريون يوافقون سيبويه على المنع، أما الكوفيون فيجيزون ذلك. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٣٠) و(٢/ ٥٦)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٢١٦)، و«الإنصاف» للأنباري (٢/ ٣٥٦).
ولا بد من التنبيه إلى أن سيبويه استخدم الإضافة بمعناها هنا، واستخدم حروف الإضافة بمعنى حروف الجر، واستخدم الإضافة بمعنى النسبة، وباب الإضافة عنده هو باب النسبة. انظر: «الكتاب» (١/ ١٨٢) و(١/ ١٢) و(٣/ ٢٢٥).

(١١) ـ ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾.

﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾: يُعزِّي نبيَّه عليه السَّلامُ.

* * *

(١٢) ـ ﴿ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾.

﴿ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾؛ أي: كما سلَكْنا الكفرَ والاستهزاءَ في شيَعِ الأوَّلين ﴿نَسْلُكُهُۥ﴾ أي: الكفرَ والاستهزاءَ ﴿فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ من أمَّتِكَ.

* * *

(١٣) ـ ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾.

﴿ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ بالله. وقيل: بالذِّكرِ. وقيل: بالعذابِ، حكاه الماورديُّ(١).

وقيل: نسلُكُ الذِّكرَ في قلوبِ المُجرمينَ بإسماعِ النَّبيِّ إيَّاهم ذلك، وهم مع ذلك لا يُؤمنون به(٢).

والسَّلْكُ: إدخالُ الشَّيءِ في الشَّيءِ، وجاء (أسلَكَه) أيضًا(٣)، والسُّلوكُ لازمٌ ومُتعدٍّ(٤).

﴿وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ للمُعانِدين بالخُذْلانِ. وقيل: للكافرينَ بالعذابِ.

* * *

(١) انظر: «النكت والعيون» (٣/ ١٥٠).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٨٧)، واستغربه.

(٣) انظر: «ما جاء على فعلت وأفعلت» للجواليقي (ص: ٤٦).

(٤) يقال: سلكَ الطريق سلوكاً؛ بمعنى: صلح للمسير فيه، وهذا لازم، وهو بمعنى الإدخال متعدٍّ. انظر: «العين» مادة: (س ل ك) (٥/ ٣١١)، و«الأفعال» لابن القوطية (ص: ٦٩).

(١٤ ـ ١٥) ـ ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾.

﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾؛ أي: لو أظهَرْنا لهم أوضحَ آيةٍ، وهو فتحُ بابٍ منَ السَّماءِ ﴿فَظَلُّواْ﴾: أقاموا النَّهارَ كلَّه ﴿فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾: يصعَدون.

قتادةُ: ﴿يَعْرُجُونَ﴾: يختلِفون فيه جائينَ وذاهِبين(١).

والذين يعرُجونَ بنو آدمَ، وقيل: تعرُجُ الملائكةُ في البابِ، وهذا جوابٌ لقولِهم: ﴿لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾؛ أي: لو أُجيبوا إلى ما اقترَحوا ﴿لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا﴾ الأخفشُ: أُمسِكَتْ، تقولُ: سكَرتُ البابَ: إذا حبستَه بخشبةٍ.

أبو عمرٍو: غُشِيَتْ(٢) أبصارُنا وأُخِذَتْ(٣).

الحسنُ: سُحِرَتْ(٤).

وقيل: دِيْرَ بنا(٥).

الزَّجَّاجُ: تحيَّرتْ وسكَنَتْ عن أن تنظُرَ(٦).

الضَّحَّاكُ: سُدَّتْ(٧).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٢٤) من طريق قتادة عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) في (ن) و(و): «غشي».

(٣) ذكره عنه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٢٥)، وابن زنجلة في «حجة القراءات» (ص: ٣٨٢)، والماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ١٥١) جميعهم بلفظ: غشيت وغطيِّت، وذكر عنه الطبري أنه كان يقرأ بتخفيف الكاف ويقول: هو مأخوذ من سكر الشراب، ومعناه: قد غشَّى أبصارنا السُّكر.

(٤) ذكره النحاس في «معاني القرآن» (٤/ ١٤)، والثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ٤٣٤).

(٥) «وقيل: دير بنا»: من (ن).

(٦) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ١٧٥).

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٢٧).

الكلبيُّ: عَمِيَتْ[١].

قتادةُ: خُدِعَتْ[٢].

وقُرِئَ: (سُكِرَتْ) بالتَّخفيفِ[٣].

قال أبو عليٍّ: هما سواءٌ، لكنَّ التَّشديدَ يدلُّ على المُبالغةِ، وأصلُه منَ الحبسِ، تقولُ: سكَرْتُ النَّهرَ، والسِّكْرُ: ما يُسْكَرُ به[٤].

ابنُ عيسى: أصلُه: إدخالُ اللَّطيفِ في المسامِّ، ومنه السُّكْرُ، والسَّكْرُ: السَّدُّ بالتُّرابِ.

﴿بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾: مخدوعون، وقيل: سحَرَنا محمَّدٌ.

* * *

(١٦) ـ ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّـٰهَا لِلنَّـٰظِرِينَ﴾.

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾؛ أي: خلَقْنا فيها ﴿بُرُوجًا﴾ الحسنُ ومجاهدٌ وقتادةُ: نُجومًا[٥].

ابنُ جريرٍ: هي كواكبُ تَنزِلُها الشَّمسُ والقمرُ[٦].

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ٤٣٤)، ومكي بن أبي طالب في «الهداية» (٦/ ٣٨٧٠).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ١٥١)، والقرطبي في «تفسيره» (١٠/ ٨) عن جويبر.

أما قتادة فقد روى الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٢١) عنه قوله: «أخذت»، وهكذا ذكر الثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ٤٣٤)، والماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ١٥١) عن قتادة.

(٣) قرأ بها ابن كثير، والباقون بتشديد الكاف. انظر: «السبعة» (ص: ٣٦٦)، و«التيسير» (ص: ١٣٦).

(٤) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٥/ ٤٣).

(٥) ذكره عنهم ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٧١٦) ورواه عن سعيد بن جبير، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٠٩٤)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣١) عن قتادة.

ورواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣٠) عن مجاهد بلفظ: «كواكب».

(٦) انظر: «تفسير الطبري» (١٤/ ٣٠).

غيرُهم: هي البروجُ الاثنا عشرَ: الحمَلُ والثَّورُ والجَوْزاءُ والسَّرَطانُ والأسدُ والسُّنبلةُ والميزانُ والعقربُ والقوسُ والجَدْيُ والدَّلْوُ والحوتُ، وهي منازلُ الشَّمسِ والقمرِ والنُّجومِ التي تجري فيها(١).

وذلك أنَّ الفلَكَ قُسِّمَ اثني عشرَ قسمًا، وكلُّ قسمٍ منها سُمِّي بُرجًا، ولُقِّبَ كلُّ بُرجٍ ببعضِ الكواكبِ التي في ذلك القسمِ، كالحمَلِ والثَّورِ... إلى التَّمامِ.

وقيل: البروجُ: قصورٌ في السَّماءِ(٢).

وأصلُ الكلمةِ من بُروجِ الحصنِ، واشتقاقُه منَ البروجِ؛ وهو الظُّهورُ.

﴿وَزَيَّنَّاهَا﴾ قيل: السَّماءَ، وقيل: البُروجَ ﴿لِلنَّاظِرِينَ﴾: للمُعتَبِرين.

* * *

(١٧) - ﴿وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ﴾.

﴿وَحَفِظْنَاهَا﴾: السَّماءَ ﴿مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ﴾: ملعونٍ.

وقيل: مَرميٍّ بالنُّجومِ(٣).

* * *

(١٨) - ﴿إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾.

﴿إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ﴾ الزَّجَّاجُ: يجوزُ أن يكونَ خفضًا؛ أي: إلّا ممَّن استرَقَ، ويجوزُ أن يكونَ الاستثناءُ مُنقطِعًا(٤).

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٥/ ٤٣٥).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٨٧)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٨٧)، واستغربه.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ١٧٦)، وعدَّ المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٨٨) الجرَّ من الغريب.

﴿فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾؛ أي: رامَ اختِلاسَه سرًّا، والسَّمعُ: المسموعُ، فتبِعَه[١] ﴿شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾: نارٌ تظهرُ لكلِّ ذي عينَينِ.

ابنُ عيسى: الشِّهابُ: عمودٌ من نارٍ يمتدُّ بشدَّةِ[٢] ضيائِه كالنّارِ.

قال ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: كانت الشَّياطينُ لا يُحجَبون عن السَّماواتِ، وكانوا يدخلُونها ويأتون بأخبارِها، لأنَّ الملائكةَ يتدارَسون ممَّا انتسَخُوه منَ اللَّوحِ المحفوظِ، ثمَّ يأتونَ الكهنةَ فيُخبِرونهم بذلك، فيخلِطُون به كذبَهم، فلمَّا وُلِدَ عيسى عليه السَّلامُ مُنِعوا من ثلاثِ سماواتٍ، ولم يُمنَعوا من أربعٍ، فلمَّا وُلِدَ محمَّدٌ عليه السَّلامُ مُنِعوا منَ السَّماواتِ كلِّها، فما منهم مَن يريدُ استراقَ السَّمعِ إلّا رُمِيَ بشهابٍ، فيَجرحُه[٣] أو يخبِّلُه أو يحرِقُ جزءًا منه، ولا يقتلُه[٤].

الحسَنُ: يقتلُه[٥].

ولا يعودُ الشِّهابُ، وقيل: يُرجَمون بها وتعودُ الشُّهبُ إلى أماكنِها.

***

---

(١) في (ن) و(ط): «فيتبعه».

(٢) في (ن): «شدة».

(٣) في (ن): «فيخرجه»، وفي (و): «فيجزعه»، ولعل معناه القطع أو الكسر، من اجتزعه: كسره وقطعه. انظر: «القاموس» مادة: (ج ز ع).

(٤) ذكر نحوه السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٢٥٣)، والثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ٤٣٦)، والواحدي في «البسيط» (١٢/ ٥٦٦).

وروى بعضه البخاري (٧٧٣)، ومسلم (٤٤٩) عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «انطلق النبي ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين إلى قومهم، فقالوا: ما لكم؟ فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشهب، قالوا: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث...» الحديث.

(٥) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ١٥٣)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٣/ ٣٥٤).

(١٩) ـ ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾.

﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا﴾: بسَطْناها مِن تحتِ الكعبةِ؛ من قولِه: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ [النازعات: ٣٠].

وعن الحسنِ أنَّه قالَ: أخذَ الله طينةً فقالَ لها: انبَسِطي، فانبسَطَتْ[1].

والجمهورُ على أنَّ الله تعالى مدَّها على وجهِ الماءِ.

﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا﴾: في الأرضِ ﴿رَوَٰسِيَ﴾: جبالًا ثوابتَ، والرَّاسي: الثّابتُ. وقيل: الغائبُ في الأرضِ.

﴿وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ قيل: في الأرضِ. وقيل: في الجبالِ. وقيل: فيهما[2].

ومعنى ﴿مَّوْزُونٍ﴾؛ أي: شأنُها أن تُوزَنَ كالحنطةِ والشَّعيرِ والزَّعفرانِ والذَّهبِ والفِضّةِ والنُّحاسِ.

وقيل: ﴿مَّوْزُونٍ﴾: معلومٍ عندَ الله.

وقيل: ﴿مَّوْزُونٍ﴾: مقدورٍ بقَدَرٍ.

قتادةُ: ﴿مَّوْزُونٍ﴾: مقسومٍ[3].

---

(١) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٦/ ٤٧٢)، وذكر نحوه الثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ٢١٣)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٣/ ٢٩٥)، ولفظ الثعلبي: «كانت الأرض في يد الرحمن طينة واحدة، فسطحها وبطحها فصارت الأرض قطعًا متجاورة...».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٨٨)، واستغربه.

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ١٥٤)، وروى عبد الرزاق في «المصنف» (١٤٣٥)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣٦) عن قتادة قال: «معلوم».

قال الشَّيخُ[1]: ويحتمِلُ أنَّ المُرادَ به المكيلُ والموزونُ والمعدودُ؛ لأنَّ مآلَ الكلِّ إلى الوزنِ؛ كالخبزِ وحبِّ الرُّمَّانِ والمَجُّ[2].

ويحتمِلُ أنَّ المُرادَ بالموزونِ: ما له منزلةٌ؛ كما تقولُ: ليس له وزنٌ؛ أي: قَدْرٌ ومنزلةٌ[3].

***

(٢٠) ـ ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ﴾.

﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا﴾: في الأرضِ ﴿مَعَايِشَ﴾: جمع معيشةٍ، وهي مصدرُ عاشَ، فجُعِلَ اسمًا لِمَا يُعاشُ به.

ابنُ عيسى: المعيشةُ: طلبُ أسبابِ الرِّزقِ منَ المطاعمِ والمشاربِ والملابسِ مدَّةَ الحياةِ، قد يطلُبها الإنسانُ بالكسبِ والتَّصرُّفِ، وقد تُطلَبُ له، فإنْ أتاه من غيرِ[4] طلبٍ فهو العيشُ الهنيُّ[5].

﴿وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ﴾: العبيدُ والإماءُ؛ أي: يخدمونكم والله يرزقُهم.

مجاهدٌ: الدَّوابُّ والأنعامُ والبهائمُ[6]. وفيه بُعدٌ، أو يُضَمُّ إليها العبيدُ والإماءُ[7].

---

(١) «قال الشيخ»: ليست في (ن).

(٢) «المج»: حب كالعدس إلا أنه أشد استدارة منه، وهذه الحبة يقال لها: الماش. انظر: «معجم متن اللغة» مادة: (م ج ج)، وهذا القول ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٨٨)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٨٨)، وعدَّه من العجائب.

(٤) في (ن): «أتاه بغير».

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٨٩).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٦٠). وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٨٨)، واستغربه، وقال: «ولفظ (من) يدفع هذا القول».

(٧) وجه بُعده أن ما ذكره مجاهد غير عاقل و(مَن) تدل على العاقل، ولكن إذا انضاف إليه الإماء والعبيد وهم عقلاء، غُلِّبوا على غير العقلاء.

وقيل: أرادَ به الوحشَ والسِّباعَ والطَّيرَ[١].

ومحلُّ ﴿مَن﴾ جرٌّ، وهذا ممتنعٌ من وجهَين[٢]:

أحدُهما: أنَّه لا يجوزُ العطفُ على الضَّميرِ المجرورِ إلّا بإعادةِ الجارِّ[٣].

والثّاني: أنَّه يحتاجُ إلى إضمارِ (معايش) فيصيرُ عطفًا على عاملَينِ مختلفَين، وهذا لا يجوزُ أيضًا.

بل محلُّه[٤] نصبٌ من وجهَينِ:

أحدُهما: بالعطفِ على ﴿مَعَٰيِشَ﴾.

والثّاني: بالعطفِ على محلِّ[٥] ﴿لَكُمْ﴾.

ومن هذا الوجهِ يحتمِلُ الرَّفعَ أيضًا؛ أي: ومَن لستُم له برازقين جعَلْنا له فيها معايشَ.

قال الشَّيخُ[٦]: ويحتملُ أنَّ المُرادَ به قومٌ عقلاءُ ليسوا من بني آدمَ؛ كالجنِّ[٧]، فيكونُ محلُّ ﴿مَن﴾ نصبًا.

---

(١) رده المصنف كسابقه للعلة نفسها. انظر المرجع السابق.

(٢) ذكر وجها الامتناع في حاشية (ط) باختلاف يسير.

(٣) وليس هذا من المجمع عليه، بل هو مذهب البصريين، ومذهب الكوفيين الجواز، ووافقهم ابن مالك؛ لوروده في القراءة المتواترة: ﴿والأرحامِ﴾ [النساء: ١] بالجر، وهي قراءة حمزة من السبعة، وقراءة ابن عباس والحسن وأبي رزين ومجاهد وقتادة والنخعي والأعمش ويحيى بن وثاب. وانظر: «الإنصاف» للأنباري (٢/ ٣٧٩)، و«شرح التسهيل» لابن مالك (٣/ ٣٧٦).

(٤) في (و): «ومحله».

(٥) «محل»: ليس في (و).

(٦) «قال الشيخ»: ليست في (ن).

(٧) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٨٨)، واستغربه.

(٢١) - ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾.

﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ ﴾ ذهبَ بعضُهم إلى أنَّ المُرادَ به المطرُ، وأنَّه أصلُ جميعِ الأشياءِ، والمُرادُ بالخزائنِ: أنَّه القادرُ عليه وعلى إحداثِه.

وذهبَ بعضُهم إلى أنَّ التَّقديرَ: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ ﴾ ممَّا تُنبتُه الأرضُ منَ الثِّمارِ والأشجارِ ﴿ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ ﴾ يُريدُ الماءَ أيضًا، لكنَّه جعلَ خزائنَ الماءِ خزائنَ هذه الأشياءِ لـمَّا كانَتْ منه، وهذا هو القولُ الأوَّلُ بعينِه.

ابنُ بحرٍ: لفظُ الخزائنِ مُستَعارٌ، والمعنى: أنَّ الخيرَ كلَّه بيدِ الله(١).

وقيل: خزائنُه: مفاتحُه(٢).

وقيل: عندَنا خُزَّانُه يُرسِلون منه.

ابنُ عيسى: خزائنُ الله: مقدوراتُه(٣).

الثَّعلبيُّ حاكيًا: في العرشِ تِمثالُ جميعِ ما خلَقَ الله في البرِّ والبحرِ، قال: وهو تأويلُ قولِه عزَّ وجلَّ: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ ﴾(٤).

وقيلَ: يُريدُ الماءَ الذي في السَّماءِ ينزلُ إلى السَّحابِ ثمَّ ينزلُ إلى الأرضِ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٨٩)، وعدَّه من العجائب.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٨٩)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٨٩)، وأبو حيان في «البحر المحيط» (٩/ ٥٧٥)، ونسبه الواحدي في «البسيط» (١٢/ ٥٧٥)، والرازي في «تفسيره» (٣٠/ ٥٤٩) إلى أهل المعاني، ونسب أبو حيان نحوه في «البحر» (٤/ ٥١٨) للكلبي.

(٤) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٥/ ٤٤٨) وقد رواه من طريق جعفر بن محمد عن أبيه عن جده. وجده هو علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم أجمعين.
وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٨٩)، وعدَّه من العجائب.

﴿وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾؛ أي: معلومٍ عندَ الله حدُّه ومبلَغُه.

قال ابنُ مسعودٍ: ليس أرضٌ بأمطرَ من أرضٍ، ولا عامٌ بأمطرَ من عامٍ، ولكنَّ الله يقسمُه ويُقدِّرُه في الأرضِ كيف يشاءُ، عامًا هاهنا وعامًا هاهنا(١).

وفي روايةٍ أخرى: وربَّما كان في البحرِ(٢).

ورُوِيَ أيضًا: أنَّه ينزلُ مع المطرِ منَ الملائكةِ أكثرُ من عددِ ولدِ إبليسَ وولدِ آدمَ، يعلمون كلَّ قطرةٍ حيثُ تقعُ وما تُنبِتُ(٣).

* * *

(٢٢) ـ ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ﴾.

﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ﴾: جمعُ لاقحةٍ، وفي لاقحةٍ ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: حاملةٌ، والمعنى: وأرسَلْنا الرِّياحَ حواملَ بالسَّحابِ؛ لأنَّها تحملُ السَّحابَ.

وقيل: ذاتُ لقحٍ، وهي كالأوَّلِ.

وقيل: لاقحةٌ بمعنى: مُلْقِحةٍ؛ لأنَّ الرِّياحَ تُلْقِحُ الأشجارَ، وهي ضدُّ العقيمِ، وقيل: تُلقِحُ السَّحابَ، وقيل: تُلْقحُهما.

---

(١) رواه الداني في «الفتن» (٢١١)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣٩ـ ٤٠). ورواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٦٤٨١) مرفوعًا، وقال: «والصحيح موقوف».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٤٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٦٠)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤٩٣)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ٤٤٧)، جميعهم من قول الحكم بن عتيبة.

(٣) في (و): «ولا تنبت»، وفي (ن): «تنبت»، والمثبت من (ط)، وهو موافق لـ «تفسير الطبري»، فهذا الخبر هو تتمة الخبر السابق عن الحكم بن عتيبة.

ورَوَى أبو هريرةَ رضي الله عنه: الرِّيحُ الجنوبُ منَ الجنَّةِ، وهي الرِّيحُ اللَّواقحُ التي ذكرَها الله تعالى في كتابِه[(١)].

مَن قرأ: ﴿ٱلرِّيَٰحَ﴾ فوجهُها ظاهرٌ، ومَن قرأ: ﴿الرِّيحَ﴾[(٢)] حملَها على الجنسِ كالإنسانِ.

﴿فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ﴾؛ أي: جعلْنا المطرَ سقيًا لكم، وفيه حياتُكم ﴿وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ﴾؛ أي: في السَّماءِ، بل خَزْنُه وإنزالُه إلى الله.

وقيل: ﴿وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ﴾: حافظين في الأرضِ لولا حفظُ الله إيّاه لكم.

***

(٢٣) ـ ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾.

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ﴾؛ أي: نُحيي بالإيجادِ ونُميتُ بالإفناءِ، ﴿وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾ إذا ماتَ الخلائقُ كلُّها.

***

(٢٤ ـ ٢٥) ـ ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ۝٢٤ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ﴾ في سببِ النُّزولِ: عن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما قالَ: كانت تُصلِّي خلفَ النَّبيِّ عليه السَّلامُ امرأةٌ حسناءُ في

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٤٦)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٣٠٥) كلاهما عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا، وساقه ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٥٦) عن الطبري وقال: «هذا إسناد ضعيف».

(٢) قرأ حمزة: (الريح) بالتوحيد، والباقون بالجمع. انظر: «السبعة» (ص: ١٧٣)، و«التيسير» (ص: ٧٨).

آخرِ النّاسِ، وكان بعضُهم يتقدَّمُ في الصَّفِّ الأوَّلِ لئلّا يراها، وكان بعضُهم يكونُ في الصَّفِّ المُؤخَّرِ، فإذا ركعَ قال هكذا فينظرُ من تحتِ إبطِه، فنزلَتْ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ﴾[١].

وقالَ الرَّبيعُ بنُ أنسٍ: حضَّ رسولُ الله عليه السَّلامُ على الصَّفِّ الأوَّلِ في الصَّلاةِ، فازدَحَمَ النّاسُ عليه، وكانت بنو عُذْرةَ دُورُهم قاصيةٌ عن المسجدِ، فقالوا: نبيعُ دُورَنا ونشتَري دُورًا قريبةً منَ المسجدِ، فأنزلَ الله هذه الآيةَ[٢].

والمعنى: نعلَمُ المُتقدِّمَ والمُتأخِّرَ، ونعلَمُ نيّاتِهم فنُجازيهم عليها يومَ القيامةِ، وهو قولُه: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾.

وقيل: المُستقدِمون: هم الأمواتُ، والمُستأخِرون: الأحياءُ، وهذا المعنى أليَقَ بما قبلَه وما بعدَه منَ الآياتِ.

عكرمةُ: المُستقدِمون: الذين خُلِقُوا، والمُستأخِرون: الذين لم يُخلَقوا بعدُ[٣].

وقيل: هم الأوَّلون والآخِرون.

وقيل: المُستأخِرون: أمَّةُ محمَّدٍ عليه السَّلامُ، والمُستقدِمونَ: مَن قَبْلَهم.

وقيل: المُستقدِمون في الخيراتِ، والمُستأخِرون عنها.

* * *

---

(١) رواه الترمذي (٣١٣٢)، والنسائي (٨٧٠)، وابن ماجه (١٠٤٦)، وذكر الترمذي: أنه روي نحوه مرسلاً ولم يذكر فيه: «عن ابن عباس»، قال: «وهذا أشبه أن يكون أصح من حديث نوح».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ٤٥٦، ٤٥٧)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٧٦). وروى البخاري (٦٥٦) عن أنسٍ: أنَّ بني سلمة أرادوا أن يتحولوا عن منازلهم فينزلوا قريبًا من النبيِّ ﷺ، قال: فكره رسول الله ﷺ أن يعروا المدينة، فقال: «ألا تحتسبون آثاركم؟!».

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٤٤٦)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ٤٨).

(٢٦) ـ ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ﴾.

﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ يعني: آدمَ عليه السَّلامُ ﴿مِن صَلۡصَٰلٖ﴾: حَمَأةٍ صارَتْ بمُفارقةِ الماءِ طيناً يُصوِّتُ إذا نُقِرَ، مشتقٌّ من الصَّلصلةِ، وهي صوتُ الشَّيء إذا نُقِرَ. وقيل: من صلَّ اللَّحمُ: إذا أنتَنَ.

﴿مِّنۡ حَمَإٖ﴾: جمع حمأةٍ، وهي الطِّينُ يَطولُ جرَيانُ الماءِ عليه[1] فيُنتِنُ ويسوَدُّ.

﴿مَّسۡنُونٖ﴾: مصبوبٍ لييْبَسَ، والسَّنُّ: الصَّبُّ.

وقيل: مُتغيرٍ من حالِ الحَمْأةِ إلى حالِ الصَّلصلةِ.

وقيل: مُتغيِّرِ الرَّائحةِ.

سيبويهِ: مُصوَّرٍ، من سُنَّةِ الوجهِ، وهي صورتُه، حكاه الثَّعلبيُّ[2].

الفرَّاءُ: ﴿مَّسۡنُونٖ﴾: حكَّ بعضُه بعضًا، من سنَنْتُ الحجرَ بالحجرِ: إذا حككْتَهما[3].

وقيل: المسنونُ: الرَّطبُ.

وقيل: المُخلَصُ، من قولِهم: سَنَّ سيفَه: جلاه.

* * *

(٢٧) ـ ﴿وَٱلۡجَآنَّ خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾.

﴿وَٱلۡجَآنَّ خَلَقۡنَٰهُ﴾ الحسنُ وقتادةُ ومقاتلٌ: إبليسُ[4].

---

(١) «عليه» من (ط)، وهو موافق لـ«غرائب التفسير» (١/ ٥٩٠).

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٥/ ٤٦٠)، وذكره الواحدي في «البسيط» (١٢/ ٥٩٧)، ونسبه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٦٠) لبعض نحويي البصريين.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٨٨)، وفيه: «والمسنون: المتغير والله أعلم، أخذ من سننت الحجر على الحجر، والذي يخرج مما بينهما يقال له: السنين».

(٤) ذكره عنهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما الواحدي في «البسيط» (١٢/ ٥٩٨)، ورواه الطبري في =

الكلبيُّ في جماعةٍ: أبو الجِنِّ[١].

وقيل: الجِنُّ كلُّه.

ابنُ عبَّاسٍ: آدمُ أبو البشرِ، والجانُّ أبو الجِنِّ، وإبليسُ أبو الشَّياطينِ، وهم لا يموتون إلّا معَ أبيهم، والجنُّ يموتون، ومنهم كافرٌ ومنهم مؤمنٌ[٢].

﴿مِن قَبْلُ﴾: قبلِ آدمَ ﴿مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾: الرِّيحِ الحارَّةِ التي تقتلُ، وسُمِّيت سَمومًا لدخولِها في المسامِّ[٣].

الكلبيُّ: نارٌ لا دُخانَ لها[٤].

وقيل: هي نارٌ فوقَ النَّارِ التي فوقَ الهواءِ، وهي نارٌ بين السَّماءِ وبين الحجابِ.

عَمرُو بنُ دينارٍ: من نارِ الشَّمسِ، حكاه الماورديُّ[٥].

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّ إبليسَ من حيٍّ من أحياءِ الملائكةِ يُقالُ لهم: الجنُّ، خُلِقوا من نارِ السَّمومِ من بينِ الملائكةِ، وخُلِقَ الجنُّ الذي ذُكِرَ في القرآنِ من مارجٍ من نارٍ[٦].

= «تفسيره» (١٤/ ٦٣) عن قتادة، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ٤٦٢) عن قتادة ومقاتل، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ١٥٨) عن الحسن، وانظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٤٢٨).

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ١٥٨).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ١٥٨).

(٣) روى عبد الرزاق في «المصنف» (٣٠٣٥٧)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٩٠٥٧)، والحاكم في «المستدرك» (٣٧٧٠) وصححه، عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: «السموم التي خلق الله منها الجان جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ٤٦٣).

(٥) انظر: «النكت والعيون» (٣/ ١٥٩)، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٩٠) دون نسبة، واستغربه.

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٦٤)، والثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ٤٦٣)، من طريق الضحاك =

(٢٨) - ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾.

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ ﴾: واذكُرْ إذ قالَ ربُّك ﴿لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا ﴾ يعني: آدمَ عليه السَّلامُ ﴿مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾.

* * *

(٢٩) - ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾.

﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ ﴾: أتمَمْتُ خَلْقَه ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾: جعلْتُ فيه الرُّوحَ، وأضافَ الرُّوحَ إلى نفسِه تخصيصًا.

والرُّوحُ: ما يصيرُ الجسمُ به حيًّا مُدرِكًا.

وقيل: الرُّوحُ هاهنا: ما يأتي الأنبياءَ منَ الله وفيه صلاحُ العبادِ.

﴿فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾: أمرٌ من وَقَعَ يقَعُ؛ أي: اسقُطوا على الأرضِ، والمعنى: اسجُدوا له.

* * *

(٣٠) - ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾.

﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ ﴾: (كلٌّ) تأكيدٌ للاستيعابِ والإحاطةِ بالجميع.

﴿أَجْمَعُونَ ﴾: مُجتمعين في حالٍ واحدةٍ.

* * *

(٣١) - ﴿ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾.

﴿ إِلَّآ إِبْلِيسَ ﴾ قيل: الاستثناءُ صحيحٌ، وهو من قومٍ منَ الملائكةِ يُقالُ لهم: الجِنُّ.

= عن ابن عباس. وهذا ضعيف لانقطاعه؛ فإن الضحاك لم يلق ابن عباس.

الحسنُ في جماعةٍ: الاستثناءُ مُنقطِعٌ، ولم يكُنْ هو من الملائكةِ ولا طرفةَ عينٍ[1].

﴿أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾: امتنعَ من أن يكونَ معَهم.

***

(٣٢) ـ ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾.

﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾: أيُّ شيءٍ حصَلَ لك فمنَعَكَ من أن تسجُدَ؟

***

(٣٣ ـ ٣٤) ـ ﴿قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾.

﴿قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا﴾: من السَّماءِ، وقيل: منَ الجنَّةِ، وقيل: من صورةِ الملائكةِ؛ ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾: ملعونٌ مطرودٌ. وقيل: إنْ حاوَلْتَ الرُّجوعَ إلى السَّماءِ رُجِمْتَ بالشِّهابِ كما تُرجَمُ الشَّياطينُ[2].

***

(٣٥ ـ ٣٦) ـ ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾.

﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ﴾: فأخِّرْني ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾: يومَ القيامةِ، يُريدُ أن ينجُوَ منَ الموتِ[3].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٨٩)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٥/ ١٦٨١)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ١٧٢)، وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٦٦) عن الحسن قال: «قاتل الله أقواماً يزعمون أن إبليس كان من ملائكة الله، والله تعالى يقول: كان من الجن».

(٢) بعدها في (و): «ينجو من الموت». ولعلها سبق نظر من الناسخ، وستأتي العبارة في موضعها المناسب.

(٣) «ينجو من الموت» ليست في (و).

(٣٧ ـ ٣٨) ـ ﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ۝٣٧ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴾.

﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ۝٣٧ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴾؛ أي: المعلومِ عند الله، وهي النَّفخةُ الأولى عندَ الجمهورِ.

***

(٣٩) ـ ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾.

﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى ﴾ قسَمٌ؛ أي: بإغوائِكَ، وقيل: بسببِ إغوائِكَ، وهو الإضلالُ، وقيل: التَّعريضُ للغوايةِ، وقيل: النَّسبُ إليها.

﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: أدعوهم بالوسوسةِ إلى المعاصي ﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾: أحملُهم على عصيانِكَ.

***

(٤٠) ـ ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾.

﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ المخلصين﴾: الذين أخلَصُوا أنفُسَهم لله وطاعتِه، و﴿ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ بالفتحِ[1]؛ أي: أخلَصْتَهم لطاعتِكَ وطهَّرتَهم منَ الشَّوائبِ، وأكثرُ هذه الآياتِ سبقَ تفسيرُها.

***

(٤١) ـ ﴿ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ﴾.

﴿ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ ﴾: (هذا): إشارةٌ إلى الائتمارِ لأمري والطَّاعةِ لي.

وقيل: إشارةٌ إلى الإخلاصِ.

ومعنى ﴿عَلَىَّ﴾: إليَّ.

---

(١) قرأ الكوفيون ونافع: ﴿المخلصين﴾ إذا كان في أوله ألف ولام بفتح اللام حيث وقع، والباقون بكسرها. انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢٨).

وقيل: تقديرُه: عليَّ أن أُبيِّنَه وأُظهِرَه.

وقيل: هو كقولِه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ﴾ [الفجر: ١٤].

وقيل: هذا تهديدٌ، كما تقولُ لمَن تُهدِّدُه: عليَّ طريقُك.

وقُرِئ: ﴿عَلِيٌّ﴾[1]؛ أي: عالٍ ﴿مُسۡتَقِيمٞ﴾.

* * *

(٤٢) - ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴾.

﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ ﴾: حُجّةٌ وبُرهانٌ.

وقيل: قَهرٌ وحملٌ على العصيانِ، يُريد: المُخلِصين منهم.

﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴾ بتزيينِك ووَسوسَتِك.

* * *

(٤٣) - ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوۡعِدُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾.

﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوۡعِدُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾ يُريدُ: الكفّارَ الذين وُعِدوا بالنّارِ.

* * *

(٤٤) - ﴿لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٖ لِّكُلِّ بَابٖ مِّنۡهُمۡ جُزۡءٞ مَّقۡسُومٌ﴾.

﴿لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٖ﴾ يدخُلُ المُعذَّبون فيها.

وقيل: هي طبقاتٌ؛ أوَّلُها جهنَّمُ، ثمَّ لظًى، ثمَّ الحُطَمةُ، ثمَّ السَّعيرُ، ثمَّ السَّقَرُ، ثمَّ الجحيمُ، ثمَّ الهاويةُ، وهي أسفلُها.

﴿لِّكُلِّ بَابٖ مِّنۡهُمۡ﴾: من أتباعِ إبليسَ ﴿جُزۡءٞ مَّقۡسُومٌ﴾: نصيبٌ مفردٌ.

---

(١) هي قراءة يعقوب من العشرة، وقرأ الباقون بفتح اللام من غير تنوين. انظر: «النشر» (٢/ ٣٠١).

الضَّحَّاكُ: أعلاها: فيه أهل التَّوحيدِ يُعذَّبون على قَدْرِ أعمالِـهم ثمَّ يُخرَجون، والثّاني: فيه اليهودُ، والثّالثُ: فيه النَّصارى، والرّابعُ: فيه الصّابئون، والخامسُ: فيه المَجوسُ، والسّادسُ: فيه مُشركو العربِ، والسّابعُ: فيه المنافقون؛ لقولِه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥][(١)].

***

(٤٥ ـ ٤٦) ـ ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا﴾؛ أي: يُقالُ لهم: ادخُلوها ﴿بِسَلَٰمٍ﴾؛ أي: بسلامةٍ منَ النّارِ ومنَ الآفاتِ والعاهاتِ.

وقيل: ﴿بِسَلَٰمٍ﴾: بتحيّةٍ منّا تصحبُكم.

﴿ءَامِنِينَ﴾ منَ المرضِ والموتِ فيها والخروجِ منها.

***

(٤٧) ـ ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾.

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾؛ أي: نزَعْنا في الدُّنيا بما أُلقِيَ بينَهم منَ الأُلفةِ، وهو قولُه: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ [الأنفال: ٦٣].

وقيل: ﴿وَنَزَعْنَا﴾ في الجنَّةِ ﴿مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ كان في الدُّنيا.

والغِلُّ: الغَدْرُ والخيانةُ، ومنه الحسدُ والمُنافسةُ والبُخلُ.

﴿إِخْوَٰنًا﴾: حالٌ.

﴿عَلَىٰ سُرُرٍ﴾: جمعُ سريرٍ. وقيل: جمعُ سرورٍ، حكاه أقضى القُضاةِ[(٢)].

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٦٥)، والثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ٤٧١).

(٢) انظر: «النكت والعيون» للماوردي (٣/ ١٦٢)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٩١)، واستغربه.

﴿مُّتَقَـٰبِلِينَ﴾ بالوجوهِ يرى بعضُهم بعضًا. وقيل: مُتقابلين بالمودَّةِ والمحبّةِ. وقيل: مُتقابلين في المنزلةِ لا يُفضُلُ بعضُهم بعضًا. وقيل: لا يرى بعضُهم قَفَا بعضٍ.

***

(٤٨) ـ ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾.

﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا﴾: في الجنَّةِ ﴿نَصَبٌ﴾: تعبٌ ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ فإنَّ تمامَ النِّعمةِ بالخلودِ.

في سببِ النُّزولِ عن عليِّ بنِ الحسينِ رضي الله عنهما: أنَّ هذه الآيةَ نزلَتْ في أبي بكرٍ وعمرَ وعليٍّ رضي الله عنهم، قال: والله إنَّها لفيهم نزلَتْ، وفيمَنْ نزلَتْ إلّا فيهم؟ فقيل: وأيُّ غِلٍّ هو؟ قال: غِلُّ الجاهليّةِ، إنَّ بني تميمٍ وعديٍّ وبني هاشمٍ كان بينَهم في الجاهليّةِ ما كانَ، فلمَّا أسلَمَ هؤلاءِ القومُ تحابُّوا، فأخذَتْ أبا بكرٍ الخاصرةُ، فجعَلَ عليٌّ يُسخِّنُ يدَه ويُكمِّدُ بها خاصرةَ أبي بكرٍ، فنزلَتْ هذه الآيةُ[١].

ورُوِيَ عن عليٍّ كرَّمَ الله وجهه أنَّه كان يقولُ: فينا أهلَ بدرٍ نزلَتْ هذه الآيةُ[٢].

وقال له رجلٌ: الله أعدَلُ من أن يجمَعَ بينَك وبين طلحةَ والزُّبيرِ في الجنَّةِ وقد سلّا عليك السَّيفَ، فقال: مه، بفيكَ التُّرابُ، إنْ لم نكُنْ أصحابَ هذه الآيةِ فمَن هم[٣]؟!

---

(١) رواه عبد الله بن الإمام أحمد في زوائده على «فضائل الصحابة» لأبيه (١٢٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٦٧).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٩٠٢)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ٧٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٧٨)، وابن بطة في «الإبانة» (٧٠).

(٣) رواه الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (١٣٠٠)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ٧٦). =

(٤٩ ـ ٥٠) ـ ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾.

﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ في سببِ النُّزولِ: رَوَى ابنُ المباركِ رحمَه الله بإسنادِه عن رجلٍ من أصحابِ النَّبيِّ عليه السَّلامُ أنَّه قال: اطَّلعَ علينا رسولُ الله عليه السَّلامُ منَ البابِ الذي يدخلُ فيه بنو شيبةَ ونحن نضحكُ، فقال: «لا أراكُم تضحَكُونَ»، ثمَّ أدبرَ، حتى إذا كان عند الحجرِ رجعَ إلينا القهقَرى، فقال: «إنِّي لـمَّا خرجْتُ جاء جبريلُ ـ عليه السَّلامُ ـ فقال: يا محمَّدُ، يقولُ الله تبارَكَ وتعالى: لِـمَ تُقنِّطْ عبادي؟ ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾»[1].

قتادةُ: بلَغَنا أنَّ نبيَّ الله عليه السَّلامُ قال: «لو يعلَمُ العبدُ قَدْرَ عفوِ الله لَـمَا تورَّعَ عن حرامٍ، ولو يعلمُ قَدْرَ عذابِه لبخَعَ نفسَه»[2].

* * *

= ورواه من طريق آخر الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (١٢٩٥)، وفيه: «فقال له ابنُ الكوَّاءِ: اللهُ أعدلُ من ذلك، فقام إليه بِدِرَّتِه فضربه، فقال: أنت لا أُمَّ لك وأصحابُك تنكرون هذا؟».

ورواه الحاكم في «المستدرك» (٥٦١٣) وصححه، وفيه: «فقال رجلان جالسان إلى ناحيةٍ، أحدُهما الحارثُ الأعورُ: اللهُ أعدلُ من ذلك، أنْ نقتلَهم ويكونوا إخوانَنا في الجنةِ، قال: قُوما أَبْعَدَ أرضِ الله وأسحَقَها، فمَن هو إذا لم أكن أنا وطلحةُ». قلت: ولعل الرجل الآخر هو ابن الكواء.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٨٢)، والسمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٢٥٨)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ٤٧٦)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٧٧).

(٢) انظر: «الزهد والرقائق» لابن المبارك (١/ ٣١٢)، وقد رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٨١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٦٨).

(٥١) ـ ﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴾.

﴿ وَنَبِّئْهُمْ ﴾: أخبِرْ أمَّتَكَ ﴿عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴾: أضيافِه؛ يعني: الملائكةَ الذين أتَوه للبُشرى بالولدِ ولإهلاكِ قومِ لوطٍ.

* * *

(٥٢) ـ ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴾.

﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا ﴾: قولًا سلامًا، وقيل: سلَّموا سلامًا ﴿قَالَ ﴾ يعني: إبراهيمُ ﴿إِنَّا مِنكُمْ ﴾: أنا وأصحابي ﴿وَجِلُونَ ﴾: خائفون؛ إذ لم تتناوَلُوا من طعامِنا.

* * *

(٥٣) ـ ﴿ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴾.

﴿ قَالُوا لَا تَوْجَلْ ﴾: لا تخَفْ.

ابنُ عيسى: الوجَلُ: اضطرابُ النَّفسِ لتوقُّعِ ما تكرهُ.

﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴾: هو إسحاقُ؛ لقولِه في الأُخرَى: ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ﴾ [هود: ٧١]، والمعنى: إذا بلَغَ كان عليمًا نبيًّا.

* * *

(٥٤) ـ ﴿ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴾.

﴿ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ ﴾؛ أي: على هذه الحالةِ أم أُرَدُّ إلى حالِ الشَّبابِ.

مجاهدٌ: قال ذلك تعجُّبًا من الولدِ على كبَرِه وكبَرِها[1].

وقال بعضُهم: ﴿عَلَىٰ﴾ هاهنا بمعنى: في؛ أي: أبشَّرتُموني في وقتِ الكِبَرِ.

وقيل: ﴿عَلَىٰ﴾ هاهنا بمعنى: بعدَ؛ أي: أبشَّرتموني بعد أن مسَّنيَ الكِبَرُ[2].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٨٣)، وذكره مكي بن أبي طالب في «الهداية» (٦/ ٣٩٠٩).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٩١)، واستغربه.

ابنُ بحرٍ: هذا كما تقولُ لصاحبِكَ وقد أخبرَكَ بشيءٍ يبعُدُ عنك: ما تقولُ يا هذا؟ وانظُرْ ما تقولُ[١].

﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾ بما قد فاتَ؟ استفهامٌ بمعنى الجحدِ، و﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾ أبأمرِ[٢] الله أم لا؟

* * *

(٥٥) ـ ﴿قَالُواْ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ﴾.

﴿قَالُواْ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾: بالصِّدقِ، وقيل: بأمرِ الله، وقيل: بيقينٍ[٣] من جهةِ الله.

﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ﴾: من اليائسينَ مِن[٤] ذلك.

* * *

(٥٦) ـ ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾.

﴿قَالَ﴾؛ أي: إبراهيمُ ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾: الجاهلونَ بالله، الذين لا يعرِفونَ سعةَ رحمةِ الله وقُدرتَه.

وقيل: لا يقنطُ إلَّا الضَّالُّون في الآخرةِ؛ لأنَّهم لا يرجُونَ هناك خيرًا.

ابنُ عيسى: القُنوطُ: اليأسُ من رحمةِ الله، مع فتحِ الطَّريقِ إليها، والحثِّ على طلبِها[٥].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٩١)، وعدَّه من العجائب.

(٢) في (و): «أفبأمر»، وفي (ط): «بأمر».

(٣) في (ن): «تيقُّنٍ»، وهي غير واضحة في (و).

(٤) في (ن): «في».

(٥) وتفسير القنوط باليأس من الرحمة هو قول الجمهور، كما قال الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٣١٥).

وفيه لُغتانِ: الفتحُ والكسرُ[١]، وقُرِئَ في الشَّاذِّ: (يقنُطُ) بالضَّمِّ أيضًا[٢]، واجتمعَ القرَّاءُ أيضًا على فتحِ ماضيه.

* * *

(٥٧ـ٥٨)ـ ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٖ مُّجْرِمِينَ ﴾.

﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ ﴾: ما شأنُكم؟ والخَطْبُ: الأمرُ العظيمُ.

﴿أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٖ مُّجْرِمِينَ ﴾ يُريدونَ قومَ لوطٍ.

* * *

(٥٩)ـ ﴿ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾.

﴿ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ﴾ يُريدُ: أهلَه المؤمنين ﴿إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ ممَّا يُعذَّبُ القومُ به.

* * *

(٦٠)ـ ﴿ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾.

﴿ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾؛ أي: قُلنا وكتَبْنا وأخبَرْنا؛ ليصحَّ وقوعُ: ﴿إِنَّهَا ﴾ بعدَها.

وقيل: قدَّرْنا عليها.

ابنُ عيسى: التَّقديرُ: جعلُ الشَّيءِ على مقدارِ غيرِه لتظهرَ المُساواةُ والمُباينَةُ، والمعنى: مع الباقين منَ الكفَرةِ لتهلكَ معهم.

---

(١) قرأ ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وحمزة: ﴿يقنط﴾ بفتح النون، وقرأ أبو عمرو والكسائي بكسر النون. انظر: «السبعة» (ص: ٣٦٧)، و«التيسير» (ص: ١٣٦).

(٢) نسبت ليحيى بن يعمر والأشهب العقيلي وعيسى. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٧٥)، وللأعمش والأشهب وأبي البرهسم. انظر: «شواذ القراءات» لشمس القراء الكرماني (ص: ٢٦٦).

الزَّجَّاجُ: الاستثناءُ الأوَّلُ مُنقطعٌ؛ أي: لكنَّ آلَ لوطٍ، والثَّاني صحيحٌ[١].

المُبرِّدُ: كلاهما صحيحانِ، و﴿ءَالَ لُوطٍ﴾: مُستثنًى من ﴿قَوۡمٍ مُّجۡرِمِينَ﴾، وليسوا هم بمُجرمين، و﴿ٱمۡرَأَتَهُۥ﴾ مُستثناةٌ من ﴿ءَالَ لُوطٍ﴾ مردودةٌ إلى حكمِ الأوَّلين[٢].

***

(٦١) ـ ﴿فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾.

﴿فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ إنَّما قال: ﴿جَآءَ ءَالَ لُوطٍ﴾ وهم أتوا لوطًا؛ لأنَّهم كانوا في بلدةٍ واحدةٍ.

وقال المُبرِّدُ: (آلُ لوطٍ): شخصُه، وقد تقدَّمَ[٣].

***

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ١٨١)، وعبارته: «﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ﴾: استثناء ليس من الأول».

(٢) في «تفسير ابن عطية» (٣/ ٣٦٧): ومثل بعض الناس في هذا بقولك: لي عندك مائة درهم إلا عشرة دراهم إلا درهمين، فرجعت الدرهمان في حكم التسعين الدرهم، وقال المبرد: ليس هذا المثال بجيد؛ لأنه من خَلَق الكلام ورَثِّه؛ إذ له طريق إلى أداء المعنى المقصود بأجمل من هذا التخليق، وهو أن يقول: لي عندك مئة إلا ثمانية، وإنما ينبغي أن يكون مثالاً للآية قولك: ضربتُ بني تميم إلا بني دارمٍ إلا حاجباً؛ لأن حاجباً من بني دارم، فلما كان المستثنى الأول في ضمنه ما لا يجري الحكم عليه، والضرورةُ تُدخله في لفظه، ولا يمكنك العبارة عنه دون ذلك الذي يجري الحكم عليهم، اضطررت إلى استثناء ثان.

قال ابن عطية: ونزعة المبرد في هذا نبيلة. انظر: «المحرر الوجيز» (٣/ ٣٦٧).

(٣) ذكره المصنف في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ﴾ [البقرة: ٥٠]، واستشهد عليه بخبر عن الحسن، فلينظر ثمة، وانظر: «الفروق اللغوية» للعسكري (ص: ٢٨١)، وقد جاء في (ن): «تقدم تفسيره».

(٦٢) ـ ﴿ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴾.

﴿ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴾ ابنُ جريرٍ: لا نعرِفُكم، قالوا: نحنُ رسُلُ الله[1].

المُبرِّدُ: سلَّموا فأنكرَهم؛ لأنَّهم لم يكُنْ يُسلِّمُ بعضُهم على بعضٍ.

وقيل: معناه: أنكَرْتُ مجيئَكُم وكرِهتُه، وإنَّما ذلك لخوفِه عليهم من قومِه.

* * *

(٦٣) ـ ﴿ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾.

﴿ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾؛ أي: نحنُ ملائكةُ الله جئناكَ بعذابِ قومِكَ الذي أوعدْتَهم به فشكُّوا فيه.

وقيل: جئناك بتصحيحِ ما شكُّوا فيه.

* * *

(٦٤) ـ ﴿ وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾.

﴿ وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ ﴾: بالعذابِ ﴿ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾ فيما أخبَرْناكَ به.

* * *

(٦٥) ـ ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴾.

﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ ﴾؛ أي: اذهَبْ بهم في طائفةٍ منَ اللَّيلِ، وقد سبقَ.

﴿ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ ﴾: تأخَّرْ أنتَ على أثرِهم وسِرْ خلفَهم.

﴿ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ ﴾؛ أي: لا يمتنِعَنَّ عن المُضيِّ.

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٤/ ٨٦).

وقيل: ﴿لَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾ لينظُرَ ما وراءَه.

وقيل: لئلّا يُصيبَه ما أصابَهم.

وقيل: لئلّا يرى من هولِ ما ينزلُ بهم ما لا تُطيقُه نفسُه.

وقيل: لا ينصرِفَنَّ أحدُكم فيُصيبَه ما يُصيبُ القومَ.

﴿وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾: حيثُ أمرَكم الله بالمُضيِّ إليه.

وقيل: أمرَكم جبريلُ.

ابنُ عبَّاسٍ: الشَّام[1].

مقاتلٌ: مِصر[2].

* * *

(٦٦) ـ ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾.

﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ﴾؛ أي: أعلَمْناه وأوحينا إليه، ومعنى: ﴿ذَٰلِكَ الْأَمْرَ﴾: إهلاكُ القومِ.

﴿أَنَّ دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾ بدلٌ من ﴿ذَٰلِكَ الْأَمْرَ﴾، ومحلُّه نصبٌ، وقيل: معنى ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ﴾ فرغنا إلى لوط من ذلك الأمر[3] وأخبَرْناه أنَّ دابرَ

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ٤٨١)، والواحدي في «البسيط» (١٢/ ٦٢٦).

(٢) ذكره بلا نسبة الزمخشري في «الكشاف» (٢/ ٥٨٤) وأبو حيان في «البحر» (٦/ ٤٨٨)، وفي «تفسير الثعلبي» (١٥/ ٤٨١): «وقال مقاتل: يعني: صُغَر؛ لأن لوطًا عليه السلام دخلها. صغر: اسم قرية من قرى لوط ـ عليه السلام ـ وكان له خمس قرى فأهلك أربعة ونجا صغر؛ لأن لوطًا عليه السلام دخل صغر». وانظر: «البسيط» للواحدي (١٢/ ٦٢٦)، وفي «تفسير مقاتل بن سليمان» (٢/ ٤٣٣) نحو قول ابن عباس، وذكر ياقوت في «معجم البلدان» (٣/ ١٤٣) أن زغر قرية بمشارف الشام، وأنها سميت باسم ابنة لوط عليه السلام لأنها نزلت بها وذكر (٣/ ٤١١) أن أهلها يسمونها صفر، وأنها بقية مدائن لوط عليه السلام.

(٣) «ومحله نصب، وقيل: معنى ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ﴾ فرغنا إلى لوط من ذلك الأمر» سقطت (ن) و(و).

هـؤلاءِ، بدليـلِ قراءةِ ابنِ مسـعودٍ رضـي الله عنه: (وقُلنا لـه إنَّ دابرَ هـؤلاءِ)[1]؛ أي: أصلَهم. وقيـل: آخرَهم.

﴿مَقْطُوعٌ﴾: مُستأصَلٌ، ﴿مُّصْبِحِينَ﴾: وقتَ دُخولِـهم في الصُّبحِ.

***

(٦٧) ـ ﴿وَجَآءَ أَهْـلُ ٱلْمَدِينَـةِ يَسْتَبْشِرُونَ﴾.

﴿وَجَآءَ أَهْـلُ ٱلْمَدِينَـةِ﴾ يعني: سَدُوْمَ ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ بأضيافِ لوطٍ طمَعًا منهم في رُكوبِ الفاحشةِ.

قال عطاءُ بنُ أبي رباحٍ: ظهرَتِ امرأةُ لوطٍ على سطحٍ، فلوَّحَتْ إلى قومٍ تُعلِمُهم بالأضيافِ[2].

ويُقالُ: بعثَتْ إليهم، وكانتِ العلامةُ بينَها وبينَهم: أطعِمُونا ملحًا، فيعرِفون ما تُريدُ[3].

***

(٦٨) ـ ﴿قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ﴾.

﴿قَالَ﴾ لـوطٌ: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى﴾ ولا بـدَّ مـن مُراعاتِهـم، ﴿فَلَا تَفْضَحُونِ﴾ فيهم وعندَهم.

***

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٩٠)، و«تفسير الطبري» (١٤/ ٨٩)، و«تفسير الثعلبي» (١٥/ ٤٨١).

(٢) روى الطبري نحوه في «تفسيره» (١٢/ ٥٢١) عـن حذيفة رضـي الله عنه، وفيه: «فلما دخلوا ذهبت عجوزه، عجوز السوء، فصعدت فلوحت بثوبها». وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٩٢)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٩٢)، وعدَّه من العجائب.

(٦٩) ـ ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ﴾.

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ﴾: لا تُهينوني ولا تُخجِلوني، يجوزُ أن يكونَ منَ (الخِزْيِ)[1]، ويجوزُ أن يكونَ منَ (الخَزايةِ)، وهو الحياءُ.

***

(٧٠) ـ ﴿قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: عن ضيافةِ الغُرباءِ؛ فإنَّا نغلِبُكَ عليهم.

***

(٧١) ـ ﴿قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾.

﴿قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ﴾ قيل: بناتُ قومي.

قتادةُ: أرادَ أن يقِيَ أضيافَه ببناتِه[2]؛ أي: تزَوَّجوهُنَّ، وكان جائزًا إنكاحُ المُؤمناتِ من الكافرين[3].

وقيل: شرَطَ عليهم الإسلامَ.

﴿إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾؛ أي: راغبين فيهنَّ.

الحسنُ: ﴿إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ كنايةٌ عن الجماعِ[4].

المُبرِّدُ: إن كنتم تُريدونَ النِّكاحَ الحلالَ[5].

---

(١) وهو الهوان.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٩١)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٣٤٦).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٩٢)، وعدَّه من العجائب.

(٤) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٢/ ٦٣٠)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٩٢)، واستغربه.

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٩٢)، واستغربه.

وقيل: كانت له ثلاثُ بناتٍ، ارتحلَ بهنَّ لوطٌ حتَّى إذا كان بمكانٍ منَ الشّامِ مرِضَتْ الكبرى وتُوفِّيت، فظهرَ عندَها عينُ ماءٍ يُقالُ لها: عينُ الدّابّةِ، ثمَّ ماتتِ الصُّغرى، وبقيتِ الوُسطى.

وقيل: كانوا خطَبُوا إليه بناتِه فامتَنَعَ، فأجابَ إلى ذلك يومَئذٍ.

وقيل: كانت لهم سادةٌ إليهم يَؤولُ أمرُهم، فأرادَ أن يُزوِّجَهم بناتِه.

***

(٧٢) ـ ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.

﴿لَعَمْرُكَ﴾ أجمعَ[1] المُفسِّرون على أنَّ الله سبحانَه وتعالى لـم يُقسِمْ بحياةِ أحدٍ منَ الآدميِّين سواه تعظيمًا له وتفضيلًا على غيرِه.

والعَمْرُ والعُمْرُ: مدَّةُ بقاءِ الحيِّ، ولا يُستعمَلُ في القَسَمِ إلّا مفتوحًا[2].

وذهبَ بعضُهم إلى أنَّ معناه: وحقِّكَ، كما تقولُ: لَعَمرُ الله؛ أي: حقُّه.

و﴿لَعَمْرُكَ﴾ رفعٌ بالابتداءِ، وخبرُه محذوفٌ تقديرُه: لَعمرُكَ قَسَمي.

المُبـرِّدُ: يجـوزُ أن يكـونَ ﴿لَعَمْرُكَ﴾ من قولِهم: قـد عَمَرَ فلانٌ دينَـه: إذا صلَّى وصـامَ، وفلانٌ يَعْمُـرُ اللهَ؛ أي: يعبُدُه، وعَمَـرَ ركعتَين[3].

قتادةُ: ﴿لَعَمْرُكَ﴾؛ أي: عمَلُك[4]. والوجهُ الأوَّلُ.

---

(١) «أجمع»: من (ن).

(٢) انظر: «الصحاح» مادة: (ع م ر) (٢/ ٧٥٦)، وعلة ذلك أن العرب استخفوا الفتح في القسم. انظر: «الكتاب» (١/ ٢١٠)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٦/ ٤٩٠).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٩٣)، واستغربه، وعلى هذا القول يكون القسم بعبادة النبي ﷺ.

(٤) ذكره المـاوردي فـي «النكـت والعيـون» (٣/ ١٦٦)، وذكـره المصنـف فـي «غرائـب التفسـير» (١/ ٥٩٣)، وعدّه من العجائب.

﴿إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ﴾ قيل: الضَّميرُ يعودُ إلى قُريشٍ. وقيل: إلى قومِ لوطٍ.
والسَّكْرةُ: الضَّلالةُ والجهلُ، وقيل: الغَفْلةُ.
﴿يَعْمَهُونَ﴾: يتردَّدون. قتادةُ: يلعبون[1]. ابنُ عبَّاسٍ: يتمادَون[2].

* * *

(٧٣) ـ ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ﴾.
﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾: العذابُ ﴿مُشْرِقِينَ﴾: مُصادِفين لطُلوعِ الشَّمسِ.
وقيل: داخلين في وقتِ شروقِ الشَّمسِ.

* * *

(٧٤) ـ ﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾.
﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾: رفعَها جبريلُ عليه السَّلامُ إلى السَّماءِ ثمَّ قلبَها.
﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً﴾ فيه قولانِ:
أحدُهما: رفعَها جبريلُ إلى السَّماء وأُمطِروا حجارةً ثمَّ قلبَها.
والثَّاني: أُمطِروا على الغائبينَ منَ البلدِ.
﴿مِّن سِجِّيلٍ﴾ منَ السَّماءِ الدُّنيا.
وقد سبقَ بيانُ أكثرِ هذا في (سورةِ هودٍ) عليه السَّلامُ.

* * *

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٤٥٢)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ٩٢).
(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٩٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٢٦).

(٧٥) ـ ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾.

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾: للمُتفكِّرين[١] المُعتَبِرين.

وقيل: المُتفرِّسين، وهو الذي يطلُبُ سمةَ الشَّيءِ ووَسْمَه، وهو العلامةُ.

وقيل: العارِفين.

***

(٧٦ ـ ٧٨) ـ ﴿ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴾.

﴿ وَإِنَّهَا ﴾: وإنَّ سَدُوْمَ ﴿لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾: بطريقٍ بيِّنٍ واضحٍ.

وقيل: ﴿مُّقِيمٍ﴾: معلومٍ.

وقيل: ﴿مُّقِيمٍ﴾: مُعبَّدٍ دائمِ السُّلوكِ.

ابنُ عبّاسٍ رضيَ الله عنهما: ﴿لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾: هلاكٍ دائمٍ[٢].

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴾؛ أي: وإنَّ الأمرَ والشَّأنَ كانَ أصحابُ الأيكةِ ﴿لَظَٰلِمِينَ ﴾: لكافرين.

الأَيْكَةُ: الشَّجرةُ المُتكاثِفةُ؛ أي: المُلتفَّةُ، وجمعُها: أَيْكٌ.

وجاءَ في التَّفسيرِ: أنَّ عامّةَ شجرِهم الدَّوْمُ، وهو المُقْلُ[٣].

والأَيْكةُ: الغَيضةُ، بعثَ الله إليهم شُعيبًا فكذَّبوه فأُهلِكُوا بالظُّـلَّةِ.

---

(١) في (ن): «للمتذكرين».

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٧٠)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ١٦٨).

(٣) الدَّوْمُ: ضِخامُ الشَّجرِ ما كان، وقيل: هو شجرٌ يُشبِهُ النَّخل، إلاَّ أنه يُثمِرُ المُقْلَ، وله لِيفٌ وخُوْصٌ. انظر: «مجمع الغرائب» للفارسي مادة: (د و م).

وقيل: الأَيْكةُ: اسمُ النّاحيةِ، ولَيْكةُ: اسمُ المدينةِ؛ كمكَّةَ وبكَّةَ.

وقُرِئَ في (الشُّعراءِ) و(ص): ﴿لَيْكَةَ﴾[1] على أنَّها اسمُ علمٍ.

وقيل: كانوا أصحابَ غِياضٍ ورِياضٍ وأشجارٍ وأنهارٍ، يأكلونَ في الصَّيفِ الفاكهةَ الرَّطبةَ وفي الشِّتاءِ اليابسةَ.

* * *

(٧٩) ـ ﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾.

﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ﴾؛ أي: كذَّبوا شُعَيبًا فانتقَمْنا منهم، يُريدُ: أهلَكْناهُم وعذَّبناهُم.

﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ الجمهورُ على أنَّ الكنايةَ تعودُ إلى قريتَي قومِ لوطٍ وشُعَيبٍ ﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾: طريقٍ منَ الحقِّ واضحٍ.

وقيل: الخبرَ بهلاكِ قومِ لوطٍ وأصحابِ الأيكةِ لمكتوبٌ في إمامٍ مبينٍ. وهو اللَّوحُ المحفوظُ.

المُؤرِّجُ: الإمامُ: الكتابُ بلغةِ حميرَ[2].

المُفضَّلُ: وإنَّ آياتِ عذابِنا لقومِ لُوطٍ وشُعيبٍ بالإمامِ.

* * *

(٨٠) ـ ﴿وَلَقَدۡ كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡحِجۡرِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾.

﴿وَلَقَدۡ كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡحِجۡرِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ وهم ثمودُ، نبيُّهم وهو صالحٌ، وجُمِعَ لأنَّ مَن كذَّبَ نبيًّا فقد كذَّبَ الكلَّ.

---

(١) بغير همز والهاء في آخره مفتوحة قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي وأبو عمرو فيهما بالهمز والألف وكسر الهاء. انظر: «السبعة» (ص: ٤٧٣)، و«التيسير» (ص: ١٦٦).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ١٦٩).

والحِجْرُ: بينَ المدينةِ والشّامِ.

ورَوَى عبدُ الله بنُ عمرَ وجابرُ بنُ عبدِ الله رضي الله عنهما، قالا: مرَرْنا مع رسولِ الله عليه السَّلامُ على الحِجْرِ، فقالَ لنا رسولُ الله عليه السَّلامُ: «لا تدخُلوا مساكنَ الذينَ ظلَمُوا أنفُسَهم إلّا أن تكونُوا باكين؛ حذَرًا أن يُصيبَكم مثلُ ما أصابَهم»، ثمَّ قالَ: «هؤلاءِ قومُ صالحٍ أهلَكَهُم الله إلّا رجُلًا كان في حرمِ الله منعَه حرمُ الله من عذابِ الله»، قيل: مَن هو يا رسولَ الله؟ قال: «أبو رِغال» ـ وإليه تُنسَبُ ثقيفٌ ـ ثمَّ أسرعَ حتَّى خلَّفَها[1].

***

(٨١) ـ ﴿وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ الآياتُ: النَّاقةُ وسقبُها[2] وشِربُها ودرُّها.

وقيل: أنزلَ إليهم آياتٍ من كتابِ الله.

وقيل: يُريد بها: نصبَ الأدلَّةِ، فأعرَضُوا عنها ولم يُؤمِنُوا بها.

***

---

(١) هكذا تبع المصنفُ الثعلبيَّ في «تفسيره» (١٥/ ٤٨٨) حيث أدخل حديث جابر رضي الله عنه في حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، فأما حديث ابن عمر فرواه البخاري (٤٧٠٢)، ومسلم (٢٩٨٠)، إلى قوله: «أن يُصيبَكم مثلُ ما أصابَهم».
وأما حديث جابر رضي الله عنه فرواه الإمام أحمد في «مسنده» (١٤١٦٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٦١٩٧)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ١٠٤)، والحاكم في «المستدرك» (٣٢٤٨): أن رسول الله ﷺ قال وهو بالحجر: «هؤلاء قومُ صالح أهلكهم اللهُ إلا رجلاً كان في حَرَم الله مَنَعه حَرَمُ الله من عذاب الله»، قيل: يا رسول الله! مَن هو؟ قال: «أبو رِغالٍ». لفظ الطبري.

(٢) السَّقْبُ: ولد الناقة. انظر: «تاج العروس» مادة: (س ق ب) (٣/ ٦١).

(٨٢) ـ ﴿ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴾.

﴿ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ﴾: يُنقِّبونَ في الجبلِ. وقيل: يبنونَ منَ الحجارةِ. وأصلُ النَّحتِ في الخشبِ، ثمَّ يُستَعارُ لغيرِه.

﴿ءَامِنِينَ ﴾ منَ الخرابِ ووقوعِ الجبلِ عليهم. وقيل: منَ العذابِ. وقيلَ: منَ الموتِ.

***

(٨٣) ـ ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴾.

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ ﴾: العذابُ ﴿مُصْبِحِينَ ﴾: في اليومِ الرَّابعِ وقتَ الصُّبحِ.

***

(٨٤) ـ ﴿ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾.

﴿ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾؛ أي: لـم تدفَعْ عنهم أموالُهم وأولادُهم وبيوتُهم الحصينةُ، بل خرُّوا جاثمين.

***

(٨٥) ـ ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴾.

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾؛ أي: وما خلَقْنا الخلائقَ إلّا بالعدلِ والإنصافِ؛ أي: لم نُهلِكْ مَن تقدَّمَ ذِكرُهم إلّا بعدَ إقامةِ الحجّةِ عليهم.

﴿وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ﴾؛ أي: الجزاءُ قريبٌ ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴾ ولا تعجَلْ عليهم، وهذه منسوخةٌ كما سبقَ[1].

---

(١) في مطلع السورة، وقد استبعد الرازي في «تفسيره» (١٩/ ١٥٨) أن تكون هذه الآية من المنسوخ فقال: «المقصود من ذلك أن يظهر الخلق الحسن والعفو والصفح، فكيف يصير منسوخاً؟!».

والصَّفْحُ الْجَمِيلُ: الإعراضُ؛ كقولِه: ﴿فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا﴾ [المعارج: ٥]، ﴿وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا﴾ [المزمل: ١٠].

وقيل: من غيرِ عتابٍ.

وقيل: في حقِّ نفسِه[1].

وقيل: لا تُعرِضْ عنهم كلَّ الإعراضِ، ولا تيأسْ من صنيعِ الله.

وقيل: هو كقولِه: ﴿فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ﴾ [النساء: ٦٣].

وقيل: اصفَحْ حيثُ الصَّفحُ أدعى إلى الإيمانِ، وأَخشِنْ حيثُ الخشونةُ أولى.

* * *

(٨٦) ـ ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ﴾.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ﴾ لجميعِ الموجوداتِ ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾: العالمُ بأحوالِهم.

* * *

(٨٧) ـ ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ﴾.

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي﴾ فيه خمسةُ أقوالٍ:

أحدُها: أنَّه فاتحةُ الكتابِ، وذهبَ إلى هذا عدَّةٌ من الصَّحابةِ والتَّابعين، واختارَه كثيرٌ منَ المُفسِّرين، وسُمِّيَ: المثاني؛ لأنَّها نزلَتْ مرَّتين، وقيل: لأنَّ أكثرَ كلماتها مثنًى. وقيل: لأنَّ أوَّلها ثناءٌ على الله تعالى. وقيل: لأنَّها تُثنَّى في كلِّ صلاةٍ.

والثَّاني: أنَّ المثانيَ السَّبعُ الطُّوَلُ: (البقرةُ) و(آلُ عمرانَ) و(النِّساءُ) و(المائدةُ) و(الأنعامُ) و(الأعرافُ) و(التَّوبةُ)، وقيل: (يونسُ).

---

(١) أي: أمره بالصفح في حق نفسه فيما بينه وبينهم، قاله الحسن. انظر: «النكت والعيون» (٣/ ١٧٠).

والطُّوَلُ: جمعُ الطُّولى، كالكُبْرى والكُبَرِ.

وسُمِّيت المثاني؛ لأنَّ القِصصَ فيها مثنَّاةٌ، والتَّثنيةُ: إضافةُ مثلِ الشَّيءِ إلى الشَّيءِ.

والثَّالثُ: أنَّ المثانيَ: جميعُ القرآنِ؛ لقولِه: ﴿كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ﴾ [الزمر: ٢٣].

والرَّابعُ: أنَّ المثانيَ: معاني القرآنِ، وهي سبعةٌ: أمرٌ، ونهيٌ، وتبشيرٌ، وإنذارٌ، وضربُ أمثالٍ، وتعديدُ نِعَمٍ، وأنباءُ قُرونٍ.

والخامسُ: كراماتٌ أكرمَ الله نبيَّه بها. حكاه أقضى القُضاةِ(١).

﴿وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ﴾؛ أي: عظيمَ القدرِ، مَنَّ الله عليه بفاتحةِ الكتابِ على الخصوصِ ـ أو بالسَّبعِ الطُّوَلِ ـ كما منَّ عليه بجميعِ القرآنِ.

الزَّجَّاجُ: ﴿مِّنَ﴾ للتَّبيينِ(٢). غيرُه: للتَّبعيضِ.

* * *

(٨٨) ـ ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ﴾ حظَرَ على النَّبيِّ عليه السَّلامُ أن يمُدَّ عينَيه إلى الدُّنيا، ونهاهُ أن يَرْغَبَ فيها، والمعنى: لا تطمَحْ ببصرِكَ إلى ما متَّعنا به أقوامًا لا خَلاقَ لهم تمتيعًا سريعَ الزَّوالِ قليلَ اللَّباثِ(٣).

قال أنسٌ رضي الله عنه: مرَّتْ برسولِ الله عليه السَّلامُ إبلٌ أيَّامَ الرَّبيعِ، وقد

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ١٧١) عن جعفر بن محمد، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٩٤)، وعدَّه من العجائب.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ١٨٥ ـ ١٨٦).

(٣) في (ن) كتب تحتها: «اللبث».

عَبِسَتْ في أبعارِها وأبوالِـها، فغطَّى رسولُ الله عليه السَّلامُ عينَه بكمِّه فقال: «بهذا أمرَني ربِّي»، ثمَّ تلا هذه الآيةَ(١).

قولُـه تعالـى: ﴿أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾ قيـل: أمثالًا فـي النِّعَـمِ. وقيل: أزواجًـا أغنياءَ. وقيـل: أصنافَ اليهـودِ والنَّصارى والمُشـركين.

وقيل: ﴿أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾: هم الرِّجالُ معهم نساؤُهم، فيكونُ بمنزلةِ: أعطَينا اثنَين اثنَين منهم ذكرًا وأُنثى(٢).

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ إنْ لـم يُؤمنوا.

وقيل: لا تحزَنْ لِمَا أنعمتُ عليهم دونَك.

وقيل: لا تحزَنْ عليهم لِمَا يصيرونَ إليه بكُفرِهم.

﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ جَناحا الرَّجلِ: جانباه؛ أي: تواضَعْ لهم وارفُقْ بهم؛ ليُحبُّوك ويُجالسوك ولا ينفَضُّوا من حولِك.

---

(١) ذكره بهذا اللفظ عن أنس الثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ٥١٧). ورواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ١١٥) و«غريب الحديث» (٢/ ٢٧٤) عن يحيى بن أبي كثير بلفظ: مر رسول الله ﷺ على إبل لحي يقال لهم بنو الملوح، أو بنو المصطلق، قد عَبِست في أبوالها من السمن، قال: فتقنع بثوبه ثم قرأ هذه الآية ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [طه: ١٣١]. وهو مرسل.
قال أبو عبيد: قوله: «عَبِسَت في أبوالها من السِّمن» يعني: أن تجفّ أبوالها وأبعارها على أفخاذها، وذلك إنّما يكون من كثرة الشّحم، فذلك العَبَس.
وعزاه في «الدر المنثور» (٥/ ٩٧) لأبي عبيد وابن المنذر عن يحيى بن أبي كثير، لكن فيه: «عنست» بالنون، وله وجه أيضاً، قال الأزهري في «تهذيب اللغة» (٢/ ٦١): «العَنْس: النّاقة الصُّلْبة، وقال اللّيْث: تسمّى عَنْساً إذا تمّت سِنُّها واشتدَّت قُوَّتُها ووَفَر عظامُها وأعضاؤها». قلت: لكن كلام أبي عبيد يدل أنها بالباء، والقول ما قالت حذام.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٩٤)، واستغربه.

(٨٩) ـ ﴿وَقُلْ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ﴾.

﴿وَقُلْ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ﴾: المُنذِرُ، وقيل: ذو الإنذارِ ﴿ٱلْمُبِينُ﴾: أُبيِّنُ الرُّشدَ منَ الغيِّ.

* * *

(٩٠) ـ ﴿كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ﴾.

﴿كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ﴾؛ أي: أنا أُنذِرُكم[1] عذابًا كما أنزَلْنا على المُقتَسِمين.

وقيل: أنزَلْنا عليك الكتابَ لتُنذِرَ به كما أنزَلْنا على المُقتَسِمين.

وقيل: آتيناكَ سبعًا منَ المثاني والقرآنَ العظيمَ كما أنزَلْنا على المُقتَسِمين، وقولُه: ﴿لَا تَمُدَّنَّ﴾ اعتراضٌ.

و﴿ٱلْمُقْتَسِمِينَ﴾ من القِسْمةِ، وقيل: منَ القَسَمِ. وفي ﴿ٱلْمُقْتَسِمِينَ﴾ أقوالٌ:

ابنُ عبَّاسٍ: هم اليهودُ والنَّصارى؛ آمنوا ببعضِ القرآنِ وهو ما وافقَ كتابَهم، وكفروا ببعضٍ وهو ما خالفَ[2].

عكرمةُ: هو قولُهم: «هذه السُّورةُ لي، وهذه السُّورةُ لك» استِهزاءً[3].

مجاهدٌ: هو إيمانُهم ببعضِ كتُبِهم وكفرُهم ببعضٍ، قال: وكلُّ كتبِ الله قرآنٌ[4].

---

(١) في (و): «أعدكم».

(٢) رواه البخاري (٣٩٤٥) عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما، قال: هم أهلُ الكتابِ، جَزَّؤوه أجزاءً فآمَنوا ببعضِه وكفروا ببعضِه، يعني قولَ اللهِ تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾. ورواه (٤٧٠٥) بلفظ: ﴿كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ﴾ قال: آمَنوا ببعضٍ وكفروا ببعضٍ، اليهودُ والنصارى.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ١٣١) بلفظ: «كانوا يستهزئون، يقول هذا: لي سورة البقرة، ويقول هذا: لي سورة آل عمران»، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٣٥٢).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ١٣١) ولفظه: «هم اليهود والنصارى، قسموا كتابهم ففرقوه وجعلوه أعضاء»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٩٤) واستغربه.

مُقاتلٌ والفرّاءُ: هم قـومٌ اقتَسَموا طرقَ مكَّةَ وعقابَها، وقعدوا عليها وجعلوا يردُّونَ النَّاسَ عن الإيمانِ بمحمَّدٍ عليه السَّلامُ، فقال بعضُهم: سـاحرٌ، وبعضُهم: كاهنٌ، وبعضُهم: شاعرٌ(١).

قتادةُ: قسموا القولَ في القرآنِ، فقالوا: سِحرٌ وكهانةٌ وشعرٌ وأساطيرُ الأوَّلين(٢).

الأخفشُ: هم قومٌ تواطَؤوا وتقاسَمُوا لا يُؤمِنون بمحمَّدٍ عليه السَّلامُ، ويُعادُونه وأصحابَه أبدًا(٣).

ابنُ زيدٍ: هم الذين تقاسَمُوا لصالحٍ وأرادوا تبييتَه، من قولِه: ﴿وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾ [النمل: ٤٨] الآيتَين(٤).

* * *

(٩١) ـ ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾: واحدُها (عِضَـةٌ) محـذوفُ الـلّامِ، فذهـبَ بعضُهـم إلـى أنّه مـن العُضـوِ، تقـولُ: عَضَّيْتُ الشَّـيءَ: جعلتُـه عُضوًا عُضـوًا؛ أي: عَضَّـوا القـرآنَ وجـزَّؤوه أجزاءً.

وذهبَ بعضُهم إلى أنَّه منَ العَضِيهة، وهـي الكذبُ والسِّحرُ، والعاضِهةُ: السَّاحِرةُ، وجُمِعَ جمعَ السَّلامةِ خبرًا كما جُمِعَ: سِنُونَ وقِلونَ(٥).

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٤٣٨)، و«معاني القرآن» للفراء (٢/ ٩١، ٩٢).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٤٦١)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ١٥١).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ١٧٣)، والقرطبي في «تفسيره» (١٠/ ٥٨).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ١٣٢)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ٥٢١)، وعنه نقل المصنف، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٩٤)، وعدَّه من العجائب.

(٥) في (ن): «مئون»، وكلاهما صواب، وقد ذكر سيبويه: سنون وقلون وثبون ومئون. انظر: «الكتاب» =

(٩٢ ـ ٩٣) ـ ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾.

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ أقسمَ الله سُبحانَه بذاتِه ورُبوبيَّتِه ومُلكِه ليسألَنَّ يومَ القيامةِ واحدًا واحدًا من هؤلاءِ المُقتَسِمين عمَّا قالوه في رسولِ الله عليه السَّلامُ وفي القرآنِ. وقيل: في كتُبِ الله.

وقيل: عامٌّ في جميعِ الكفّارِ، فيسألُهم عن عبادتِهم الأوثانَ[1] وتركِ إجابتِهم المُرسَلين.

***

(٩٤) ـ ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾.

﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ الزَّجَّاجُ: منَ الصَّديعُ وهو الصُّبحُ، قال:

كأنَّ بياضَ غُرَّتِه صَديعُ[2]

أي: أبِنْ وأظهِرْ.

= (٣/ ٥٩٨). والقلون جمع: القُلَةِ، وهي الخشبة الصغيرةُ التي تُنْصَبُ وهي قَدْرُ ذراع، ويجوز في القاف الضم والكسر. انظر: «الصحاح» (٦/ ٢٤٦٧) و«اللسان» مادة: (ق ل ا) (١٥/ ١٩٩).

(١) في (ن): «الأصنام».

(٢) البيت لعمرو بن معد يكرب. انظر: «ديوانه» (ص: ١٣٣)، و«الأغاني» للأصفهاني (١٥/ ١٤٨)، و«لسان العرب» مادة: (ص د ع) (٨/ ١٩٥)، و«معاهد التنصيص» للعباسي (٢/ ٢٣٦)، و«خزانة الأدب» للبغدادي (٨/ ١٨٦)، وهو بلا نسبة في «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ١٨٦)، و«أمالي ابن الشجري» (٢/ ٥٥٨)، وصدره:

سباها الصمة الجشميُّ غصباً

مجاهدٌ: اجهَرْ به في الصَّلاةِ(١).

وما زالَ النَّبيُّ عليه السَّلامُ مُستَخفيًا حتّى نزلَتْ: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾(٢).

وقيل: أصلُه إعلانُ الحقِّ، وقيل: منَ الفصلِ؛ أي: احكُمْ وافصِلْ(٣).

ابنُ بحرٍ: جدِّدْ لهم القولَ في الدُّعاءِ إلى الإيمانِ مُبشِّرًا لهم بالجنّةِ(٤).

ابنُ عيسى: منَ الفَرْقِ؛ أي: افرُقْ بما تُؤمَرُ(٥).

النَّقّاشُ: فرِّقِ القولَ فيهم مُجتَمِعين وفُرادَى(٦).

أبو عُبيدةَ عن رُؤبةَ قال: ما في القرآنِ أغربُ من قولِه: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾(٧).

وفي قولِه: ﴿بِمَا تُؤۡمَرُ﴾ قولانِ:

أحدُهما: تُؤمَرُ به، فحُذِفَ الجارُّ ثمَّ حُذِفَ الضَّميرُ.

والثاني: أنَّ (ما) للمصدرِ؛ أي: اصدَعْ بالأمرِ.

﴿وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾؛ أي: اصبِرْ على أذاهُم(٨).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ١٤٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٧٤).

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٥/ ٥٢٨).

(٣) في (ن): «واقض».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٩٥)، واستغربه. وفيه: «جرد» مكان: «جدد».

(٥) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ١٧٤)، وفيه: «افرق بين الحق والباطل».

(٦) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ١٧٤)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٩٥)، وعدَّه من العجائب.

(٧) وهذا القول أيضاً ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ١٧٤)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٩٥)، وعدَّه من العجائب.

(٨) في (ن) زيادة: «وحذر» من (ن).

ابنُ عبّاسٍ(١): هذا منَ المنسوخِ(٢).

وقيل: لا تلتَفِتْ إلى ما يقولونَ.

ابنُ بحرٍ: الإعراضُ: تركُ الالتفاتِ، قال: وهو هاهنا استِهانةٌ كما تقولُ: لا تلتَفِتْ إليه ولا تخَفْهُ(٣).

***

(٩٥) ـ ﴿ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴾.

﴿ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴾ جمهورُ المُفسِّرين على أنَّها نزلت في خمسةٍ ـ وقيل: سبعةٍ ـ من قريشٍ كانوا يُبالغون في إيذاءِ رسولِ الله عليه السَّلامُ والاستهزاءِ به، فأهلَكَهم الله جميعًا، فمنَ الخمسةِ:

الوليدُ بنُ المُغيرةِ: مرَّ برجلٍ من خزاعةَ يَريشُ نَبْلًا له فوطِئَ سهمًا من سهامِه فانكسرَ وطارَتْ منه شظيّةٌ، فأصابَتْ منه عرقَ النَّسا فجعلَ يقولُ: قتَلَني ربُّ محمَّدٍ، حتَّى ماتَ.

ومنهم **العاصُ بنُ وائلٍ السَّهميُّ**: وكان أهلُ مكّةَ مُطِروا ليلًا فقالَ لابنِه: أرحِلْ لي بعيري حتَّى أطوفَ في شعابِ مكّةَ، فخرجَ مُتنزِّهًا، فأناخَ بعيرَه بشِعبٍ من تلك

---

(١) في (ن): «ابن عيسى».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ١٤٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٧٤)، وانظر: «الناسخ والمنسوخ» للنحاس (ص: ٥٣٩).

(٣) ذكر الماوردي أن الأمر بالإعراض في الآية مع وجوب الإنكار دالٌّ على أن المراد الإعراض عن السفهاء استهانة بهم ـ وأنه وإن كان خطاباً للنبي ﷺ ـ فهو تأديب لجميع الخلق. انظر: «النكت والعيون» (٢/ ٢٨٨).

الشِّعابِ، فلمّا وضعَ قدَمَه على الأرضِ ضرَبَتْه حيّةٌ في رجلِه فانتفَخَتْ حتَّى صارَتْ مثلَ عنُقِ البعيرِ، فجعَلَ يقولُ: قتَلَني ربُّ محمَّدٍ، فماتَ مكانَه.

ومنهم **الحارثُ بنُ قيسٍ**: أكلَ سمكًا مَليحًا فأصابَه عُطاشٌ شديدٌ، فجعَلَ يشربُ ولا يَرْوَى وكلَّما تنفَّسَ قال: قتلَني ربُّ محمَّدٍ، حتَّى انفتَقَ بطنُه فماتَ مكانَه(١).

ومنهم **الأسودُ بنُ المُطَّلِبِ**: خرجَ لتلقِّي ابنِه زَمعةَ قادِمًا منَ الشّامِ، فقعدَ في أصلِ شجرةٍ، فأتاه جبريلُ عليه السَّلامُ فجعَلَ يضربُ رأسَه بالشَّجرةِ وهو يقولُ: يا غُلاماه أدرِكْني، فقال الغلامُ: ما أرى أحدًا يضرِبُ رأسَكَ وإنَّما أنتَ تضرِبُه، ولا يزالُ يضرِبُ رأسَه حتّى ماتَ، ووافقَ قدومَ ابنِه زمعةَ منَ الشّامِ.

ومنهم **الأسودُ بنُ عبدِ يغوثَ**: ذهبَ إلى ماءٍ لبني كنانةَ يُحذِّرُهم النَّبيَّ عليه السَّلامُ ويضمنُ لهم الضَّماناتِ على اغتيالِـهم إيّاه، فأصابَتْه سَمومٌ، فاسودَّ حتَّى صارَ كأنَّه حبشيٌّ، فأتى أهلَه فلم يعرِفُوه وأغلَقُوا البابَ في وجهِه، فصارَ يطوفُ في شعابِ مكّةَ ويقولُ: قتلَني ربُّ محمدٍ، حتَّى ماتَ، فذلك قولُه: ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾(٢).

الحسنُ: المُرادُ به كلُّ مُشركي العربِ(٣).

***

---

(١) «مكانه»: من (ن).

(٢) روى نحوه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٤٦٥)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٤٩٨٦)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٧٧٣١)، والضياء المقدسي في «المختارة» (١٠/ ٩٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ١٤٦ ـ ١٥١) عن ابن الزبير، وسعيد بن جبير، ومقسم، وقتادة وغيرهم. وانظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٤٠٩ ـ ٤١٠).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٩٦)، واستغربه.

(٩٦) ـ ﴿ ٱلَّذِينَ يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴾.

﴿ ٱلَّذِينَ يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴾ عاقبةَ أمرِهم يومَ القيامةِ.

* * *

(٩٧) ـ ﴿ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾.

﴿ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾؛ أي: يقولونَ على الله منَ الشُّركاءِ والصّاحبةِ والولدِ، ويقولون فيك منَ النِّسبةِ إلى السِّحرِ والشِّعرِ وغيرِ ذلك.

* * *

(٩٨) ـ ﴿ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾.

﴿ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ ﴾: فالجأ إلى التَّسبيحِ والتَّنزيهِ، وقُلْ: سبحانَ الله وبحمدِه.

وقيل: فصَلِّ، وفي الخبرِ: أنَّ النَّبيَّ عليه السَّلامُ كان إذا حزَبه أمرٌ فزعَ إلى الصَّلاةِ[1].

﴿وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾: منَ المُصلِّين، وقيل: منَ المُتواضِعين.

* * *

(٩٩) ـ ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾.

﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ جمهورُ المُفسِّرين على أنَّ اليقينَ الموتُ، والمعنى: اعبُدْ ربَّك دائمًا.

وسُمِّيَ الموتُ يقينًا؛ لأنَّه مُتيقَّنٌ به مُتَّفقٌ على لحاقِه كلَّ حيٍّ مخلوقٍ.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٣٢٩٩)، وأبو داود (١٣١٩) عن حذيفة رضي الله عنه، ولفظه: «كان النبي ﷺ إذا حزبه أمر، صلى».

ابنُ بحرٍ: ﴿ٱلۡيَقِينُ﴾: النَّصرُ على الكافرين(١).

ورُوِيَ عن أبي مسلمٍ الخَوْلانيِّ قال: قال رسولُ الله عليه السَّلامُ: «ما أُوحِيَ إليَّ أن اجمَعِ المالَ وكُنْ منَ التّاجرين، ولكِنْ أنْ سبِّحْ بحمدِ ربِّك وكُنْ منَ السَّاجدين، واعبُدْ ربَّك حتَّى يأتيَكَ اليقينُ»(٢).

***

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٩٧)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٩٧)، وعدَّه من العجائب، والحديث رواه عبد الله بن الإمام أحمد في «الزهد» (٢٣١٦)، وابن عدي في «الكامل» (٣/ ٥٢٢)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ١٣١) عن أبي مسلم الخولاني مرسلًا.

ورواه أبو الشيخ في «أخلاق النبي» (٨٥٣)، والواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٤) من طريق أبي مسلم الخولاني عن جبير بن نفير، وهو مرسل أيضاً.

ورواه الجرجاني في «تاريخ جرجان» (ص: ٣٤٢)، وابن مردويه في «التفسير» كما في «تخريج أحاديث الإحياء» للعراقي (ص: ٥٠٥) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، وفي سنده لين كما قال العراقي.

سُورَةُ النَّحۡلِ

سُورَةُ النَّحلِ

مئةٌ وثمانٍ وعشرونَ آيةً[١].

ويُروَى: (سورةُ النِّعَمِ)[٢].

مكِّيَّةٌ إلّا قولَه: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾ [النحل: ١٢٦] الآيات، فإنَّها نزلَتْ بينَ مكَّةَ والمدينةِ عندَ مُنصَرَفِ رسولِ الله عليه السَّلامُ من أُحدٍ[٣].

قتادةُ بإسنادِ النَّحَّاسِ: مدَنيَّةٌ[٤].

ابنُ عبَّاسٍ وقتادةُ: أوَّلُها إلى قولِه تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا﴾ [النحل: ٩٥] نزلَتْ بمكَّةَ، والباقي بالمدينةِ[٥].

---

(١) «مئة وثمان وعشرون آية» من (ن).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٩٥) عن قتادة.

(٣) رواه النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٥٤١) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) ذكر النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٥٤٢) عن قتادة أن قوله تعالى: ﴿وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ نزل والخمر يومئذ حلال، ثم أنزل الله بعدُ تحريمها في سورة المائدة. وهذا يدلُّ على ما ذهب إليه المصنف. وفي «درج الدرر» للجرجاني (٢/ ١٨١): و«روى همام ومعمر عن قتادة أنها مدنية».

(٥) ذكره عنهما الجرجاني في «درج الدرر» (٣/ ١٨١)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ١٧٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) - ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾.

﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ في سببِ النُّزولِ: عن[1] ابنِ عبّاسٍ رضيَ الله عنهما: لمَّا أنزَلَ الله: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾ [القمر: ١] قال الكفَّارُ بعضُهم لبعضٍ: إنَّ هذا يزعُمُ أنَّ القيامةَ قد قرُبَتْ، فأمسِكُوا عن بعضِ ما كنتم تعملون حتَّى ننظُرَ ما هو كائنٌ، فلمَّا رأوا أنَّه لا ينزلُ شيءٌ قالوا: ما نرى شيئًا، فأنزلَ الله: ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ﴾ الآية [الأنبياء: ١] فأشفَقُوا وانتظَروا قربَ السّاعةِ، فلمَّا امتدَّتِ الأيّامُ قالوا: يا محمَّدُ ما نرى شيئًا ممَّا تُخوِّفُنا به، فأنزلَ اللهُ سبحانَه: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ فوثَبَ النَّبيُّ عليه السَّلامُ ورفعَ النّاسُ رؤوسَهم، فنزلَتْ: ﴿فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُ﴾ فاطمأنُّوا، فلمَّا نزلَتْ هذه الآيةُ قالَ رسولُ الله عليه السَّلامُ: «بُعِثتُ أنا والسّاعةُ كهاتَين - وأشارَ بأُصبُعَيه - إنْ كادَتْ لتَسْبِقُني»[2].

و(الأمرُ) على هذا: يومُ القيامةِ، واستُعملَ لفظُ الماضي للمُستقبلِ تحقيقًا.

وقيل: لأنَّ ما هو آتٍ قطعًا فهو كما أتى.

---

(١) في (ن): «قال».

(٢) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٤٤٧)، والثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ١١)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٧٨)، والجرجاني في «درج الدرر» (٢/ ١٨١)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ٧)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٢/ ٥٤٩)، والقرطبي في «تفسيره» (١٢/ ٢٦٨)، جميعهم عن ابن عباس رضي الله عنهما ولم يذكر أحد له سنداً.
وقوله ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين» رواه البخاري (٦٥٠٣)، ومسلم (٢٩٥٠) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه، وروي عن عدد من الصحابة.
وقوله ﷺ: «إن كادت لتسبقني» رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٨٧٧٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢/ ١٢٦) عن أبي جحيفة رضي الله عنه، ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٢٩٤٧) عن بريدة رضي الله عنه، وقال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١١/ ٣٤٨): «وسنده حسن».

وقيل: معناه: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ وعدًا ﴿فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُ﴾ وُقوعًا.

وقيل: معناه: يأتي، ومثلُه: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ﴾ [الأعراف: ٤٨].

وقيل: الأمرُ هاهنا: العذابُ بالسَّيفِ، وهذا جوابٌ للنَّضرِ بنِ الحارثِ حيثُ استعجَلَ بالعذابِ.

وقيل: (الأمرُ) هاهنا: مصدرُ (أمَرَ)، والمُرادُ به: فرائضُه وأحكامُه.

الزَّجَّاجُ: هو ما وعدَهُم الله على كُفرِهم[1].

وقيل: المُرادُ به: بعضُ أشراطِ السّاعةِ.

وقيل: الأمرُ هاهنا: ما وعَدَ الله نبيَّه منَ النَّصرِ.

والاستِعجالُ: طلَبُ التَّعجيلِ، والتَّعجيلُ: إحضارُ الشَّيءِ قبل وقتِه.

﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ﴾: تنزيهًا له وتعاليًا ﴿عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ التَّاءُ على الخطابِ، والياءُ على الغَيبة[2].

***

(٢) ـ ﴿يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾.

﴿يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ﴾ ابنُ عبَّاسٍ: ﴿بِٱلرُّوحِ﴾: بالوحي[3].

وقيل: هي النُّبوَّةُ. وقيل: هو القرآنُ؛ لِـمَا فيهما من حياةِ الدِّينِ وحياةِ النُّفوسِ بالإرشادِ إلى أمرِ الله.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ١٨٩).

(٢) قرأ حمزة والكسائي: ﴿تشركون﴾ بالتاء، والباقون بالياء. انظر: «التيسير» (ص: ١٢١).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ١٦٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٧٦).

وقيل: الرُّوحُ: هم حفظةٌ على الملائكةِ لا تراهُم الملائكةُ، كما أنَّ الملائكةَ حفَظةٌ علينا لا نراهُم.

مجاهدٌ: اسمُ ملَكٍ(١).

وقيل: هي الرُّوحُ تحيَى بها الأجسامُ.

أبو عُبيدةَ: ﴿بِٱلرُّوحِ﴾: مع الرُّوحِ، وهو جبريلُ عليه السَّلامُ(٢).

قولُه تعالى: ﴿أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ تقديرُه: أنذِرُوا المشركين العذابَ وبشِّروا المؤمنين؛ لأنَّه لا إلهَ إلّا أنا.

وقيل: أنذِرُوا أهلَ الكفرِ والمعاصي بأنَّه لا إلهَ إلّا أنا؛ أي: مُرْهُم بالتَّوحيدِ.

والأوَّلُ أوجَهُ؛ لأنَّ قولَه: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ ممَّا يُبشَّرُ به.

وقيل: ﴿أَنذِرُوٓاْ﴾: أعلِمُوا، من قولِهم: نَذِرَ به؛ أي: عَلِمَ.

﴿فَٱتَّقُونِ﴾: فخافُوني.

* * *

(٣) ـ ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ﴾ لا بالباطلِ.

وقيل: معنى ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾: لتعبُدوني.

﴿تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾: تنزَّهَ عن أن يكونَ له شريكٌ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ١٦٢) بلفظ: «لا ينزل ملك إلا ومعه روح»، وفي رواية ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٧٦): «إنه لا ينزل ملك إلا ومعه روح كالحفيظ عليه، لا يتكلم ولا يراه ملك ولا شيء مما خلق الله».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ١٣)، والواحدي في «البسيط» (١٣/ ١٠). وفي «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٣٦٨): «روح القدس: جبريل عليه السَّلامُ».

(٤) ـ ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾.

﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴾؛ أي: نوعَ الإنسانِ ﴿مِن نُّطْفَةٍ ﴾: مَنِيٍّ.

﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾ قيل: هذا مدحٌ له؛ أي: قويٌّ على مُنازعةِ الخصومِ يُبيِّنُ الحقَّ منَ الباطلِ.

وقيل: هو ذمٌّ؛ أي: يُجادِلُ أولياءَ الله ويُنكِرُ الحقَّ.

وذكرَ الكلبيُّ أنَّها نزلَتْ في أُبيِّ بنِ خلَفٍ، أخذَ عظمًا باليًا ففتَّتَه فقالَ: مَن يُحيي العظامَ وهي رَميمٌ[(١)]؟

* * *

(٥) ـ ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾.

﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ ﴾: هي الإبلُ والبقرُ والغنَمُ ﴿فِيهَا دِفْءٌ ﴾: ما يُدفِئُ فيَقِي البردَ منَ الأكسِيةِ والقُطُفِ وغيرِها.

وقيل: هو الملابسُ تمنعُ البردَ والحرَّ، واقتصرَ على ذكرِ أحدِ الضِّدَّين؛ كقولِه تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ ﴾ [النحل: ٨١].

وقيل: هو[(٢)] البيوتُ المُتَّخَذةُ من أوبارِها وأشعارِها.

الكلبيُّ: دِفءُ أولادِها[(٣)].

---

(١) ذكره عن الكلبي الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ١٧٩). وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٢٦٦)، والثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ١٣)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٧٨) بلا نسبة.

(٢) في (و): «هي».

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ١٧٩)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٢/ ٥٥٠). وفي «مقاييس اللغة» لابن فارس (٢/ ٢٨٧) مادة: (د ف أ): «قال الأموي: الدفء عند العرب: نتاج الإبل وألبانها والانتفاع بها، وهو قوله جل ثناؤه: ﴿لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ ﴾».

وقولُه: ﴿لَكُمْ﴾ يجوزُ أن يتعلَّقَ بـ﴿خَلَقَهَا﴾، ويجوزُ أن يتعلَّقَ بما بعدَه؛ أي: ﴿لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾ وهذا أظهرُ؛ لقولِه تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَمَنَافِعُ﴾؛ أي: نسلُها ودرُّها وظهورُها.

﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾؛ أي: ومنها ما تأكلُون، وقيل: ومن لُحومِها تأكلُون.

***

(٦) - ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾.

﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾: زينةٌ وحُسنُ منظرٍ؛ لأنَّ الإنسانَ يُعجَبُ به ﴿حِينَ تُرِيحُونَ﴾: تردُّونَها من مَراعيها إلى مُراحِها بالعشيِّ ﴿وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾: تُخرِجُونها بالغداةِ إلى مسارِحِها.

قتادةُ: أعجَبُ ما تكونُ الأنعامُ إذا راحَتْ عظامًا ضُروعُها طِوالًا أسنِمَتُها[1].

والسَّرْحُ: خروجُ الماشيةِ إلى المرعى بالغداةِ.

والإراحةُ: رُجوعُها منَ المَرعى عشِيًّا.

***

(٧) - ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ﴾: أمتعةَ السَّفرِ، وقيل: أحمالَكُم[2].

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٤٧٠)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ١٦٩).

(٢) في (و): «أعمالكم».

الجرجانيُّ(١): أبدانَكُم، قال(٢): ومنه: الثَّقَلانِ، للجنِّ والإنسِ، ومنه قولُه تعالى: ﴿أخرجت ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [الزلزلة: ٢] يعني: أبدانَ بني آدمَ(٣).

﴿إِلَىٰ بَلَدٍ﴾: هي المدينةُ. عكرمةُ: مكَّةُ(٤). وقيل: مصرُ. وقيل: هو على العمومِ.

﴿لَّمْ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ﴾ القراءةُ بالكسرِ، وهو المشقَّةُ، والشِّقُّ: أحدُ نصفَي الشَّيءِ.

وقرأ يزيدُ: ﴿بشَقِّ الأنفس﴾ بالفتح(٥)، قيل: هما لُغتانِ، وقيل: الفتحُ مصدرُ شقَقْتُ الشَّيءَ بنصفَين، والكسرُ بمعنى: المشقَّةِ.

وذهبَ بعضُهم إلى أنَّ معناه: لم تكونوا بالِغيه إلَّا بنصفِ النَّفْسِ لذهابِ نصفِها بالتَّعبِ؛ أي: بنصفِ قوى أنفُسِكُم(٦).

ومعنى: ﴿لَّمْ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ﴾ لا تسيرونَ إليه إلَّا بمشقَّةٍ شديدةٍ، فكيفَ كنتم تقدرون على نقلِ أمتعتِكُم؟!

وقيل إلا بشق الأنفس لولاها، فحُذِفَ: لولاها؛ لأنَّ الحالَ تدلُّ عليه(٧).

﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ ومن رأفتِه خلَقَ لكم ما خلَقَ.

---

(١) كتب تحت هذه الكلمة في (ط): «صاحب النظم»، وليس المراد الإمام عبد القاهر الجرجاني، والعبارة غير موجودة في «درج الدرر».

(٢) «قال»: من (ن).

(٣) ذكر نحوه ابن فارس في «مقاييس اللغة» (١/ ٣٨٢)، ومكي في «الهداية» (٦/ ٢٩٥٣) بلا نسبة.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ١٧٠)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ١٥).

(٥) انظر: «النشر» (٢/ ٣٠٢). ويزيد: هو ابن القعقاع أبو جعفر أحد القراء العشرة.

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٩٩)، واستغربه.

(٧) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ١٨٠) بلفظ: «أنكم لولاها ما بلغتموه إلا بشق الأنفس»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٩٩)، وعدَّه من العجائب.

(٨) ـ ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾.

﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ ﴾ هي عطفٌ على قولِه تعالى: ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ﴾.

﴿لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ﴾؛ أي: لتركبُوها ولتَزَيَّنوا بها، فحُذِفَ اللّامُ لأنَّ الأولى تدلُّ عليها.

وقيل: وجعَلَها زينةً.

قال ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: ولحمُ الخيلِ حرامٌ؛ لأنَّها للرُّكوبِ والزِّينةِ(١).

قال جابرٌ رضي الله عنهما: لحمُه حلالٌ، وقال: كنَّا نأكُلُ لحمَ الخيلِ على عهدِ رسولِ الله عليه السَّلامُ(٢).

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٤٣٢٠)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ١٧٤)، ولفظ الطبري: «أنه سئل عن لحوم الخيل، فكرهها وتلا هذه الآية: ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا ﴾». وذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٦/ ٤٧٨)، ثم عقبه بقوله: «وتمام هذا: أن الله ذكر الأنعام وما ذُكر من النِّعم والانتفاعِ بها، وبالغ في ذكرها؛ لأنه قال: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ وقال: ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ الآية، وقال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ ﴾... فذكَر جميع ما يُنتفع به من أنواع المنافع ذكرًا شافيًا مبالغاً غير مَكْفي، فدل ما ذُكَر في الخيل من الركوب، وكذلك في البغال والحمير؛ على أنه ليس فيها منفعة أخرى سوى ما ذكر وهو الركوب؛ إذ خرج الذكر لها على المبالغة والاستقصاء؛ ليس على الاكتفاء، ولو كان هنالك منفعة أخرى لذكَر على ما ذكَر في غيره». والله أعلم.

(٢) رواه ابن المبارك في «مسنده» (١٨٢)، وعبد الرزاق في «المصنف» (٨٧٣٣)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٤٣٢١)، والنسائي (٤٣٣٠)، وابن ماجه (٣١٩٧). وإسناده صحيح.

ويشهد له ما رواه البخاري (٥٥٢٠)، ومسلم (١٩٤١)، عن جابر: «نهى النبي ﷺ يوم خيبر عن لحوم الحمر، ورخص في لحوم الخيل».

وروى أبو داود (٣٨٠٨) عن عمرو بن دينار، أخبرني رجل، عن جابر بن عبد الله، قال: نهى رسول الله ﷺ يوم خيبر عن أن نأكل لحوم الحمر، وأمرنا أن نأكل لحوم الخيل، قال عمرو: =

﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ بعد هذه الأشياءِ، فإنَّ خَلْقَ الله في البرِّ والبحرِ والهواءِ أكثرُ من أن يُعَدَّ ويُحصى، ورُوِيَ عن النَّبيِّ عليه السَّلامُ أنَّه قال: «إنَّ الله تعالى خلقَ أرضًا بيضاءَ مثلَ الدُّنيا ثلاثينَ مرّةً محشوَّةً خَلْقًا من خَلْقِ الله، لا يعلمون أنَّ الله يُعصَى طرفةَ عينٍ واحدةٍ»، قالوا: يا رسولَ الله، أمِن ولدِ آدمَ؟ قال: «ما يعلمون أنَّ الله خلَقَ آدمَ» قالوا: فأينَ إبليسُ منهم؟ قال: «ما يعلَمون أنَّ الله خلَقَ إبليسَ»، ثمَّ قرأ رسولُ الله عليه السَّلامُ: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾(١).

مقاتلٌ: إنَّ عن يمينِ العرشِ نهرًا من نورٍ مثلَ السَّماواتِ السَّبعِ والأرضين السَّبعِ والبحارِ السَّبعِ يدخلُه جبريلُ عليه السَّلامُ كلَّ سحَرٍ، فيغتسلُ فيزدادُ نورًا إلى نورِه، وجمالًا إلى جمالِه، وعِظَمًا إلى عِظَمِه، ثمَّ ينفضُ فيُخرِجُ الله من كلِّ قطرةٍ تقعُ من ريشِه كذا وكذا ألفَ ملكٍ، يدخلُ منهم كلَّ يومٍ سبعون ألفَ ملكٍ البيتَ المعمورَ، وسبعون ألفًا الكعبةَ لا يعودون إليه إلى أن تقومَ السّاعةُ(٢).

= فأخبرت هذا الخبر أبا الشعثاء، فقال: قد كان الحكم الغفاري فينا يقول هذا، وأبى ذلك البحرُ. يريد: ابن عباس.

وإسناده صحيح، والرجل المبهم هو محمد بن علي الباقر كما جاء بيانه في الحديث رقم (٣٧٨٨) عند أبي داود.

وذكر مسلم في «مقدمة صحيحه» (١/ ٣٢): عن جابر قال: «أطعمنا رسول الله ﷺ لحوم الخيل، ونهانا عن لحوم الحمر».

(١) ذكره المطهر بن طاهر المقدسي في «البدء والتاريخ» (٢/ ٧٣)، والسمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٢٦٧)، والماوردي في «تفسيره» (٣/ ١٨١) دون سند ولا راو. قال المقدسي: والله أعلم بصحة الرواية.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٢٤)، والواحدي في «البسيط» (١٣/ ٢١) من طريق مقاتل عن الضحاك، وذكره الواحدي أيضاً من طريق عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما. وكلاهما من الأخبار التالفة التي لا يحتج بها، والذي صح منها هو في حديث المعراج المعروف كما رواه =

قال الشَّيخُ الإمامُ رحمَه الله: ويحتمِلُ(١) أنَّ السُّكوتَ عن تفسيرِ ما يقولُ الله عزَّ وجلَّ فيه: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أولى.

* * *

(٩) ـ ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ بيانُ طريقِ الحقِّ لكم وتبيينُه، والقَصدُ: الطَّريقُ المُستقيمُ.

﴿وَمِنْهَا﴾: منَ السَّبيلِ ﴿جَائِرٌ﴾ عنِ الاستقامةِ مُعوَجٌّ.

مجاهدٌ: طريقُ الحقِّ على الله(٢).

ابنُ بحرٍ: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ كقولِه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤](٣).

المُبرِّدُ: وعلى الله قَبولُ قصدِ الإسلامِ والرِّضا به.

﴿وَمِنْهَا جَائِرٌ﴾ قيل: مِلَلُ الكفرِ، وقيل: أهلُ الأهواءِ والبِدَعِ.

وقيل: وعلى الله قَصدُ الحقِّ والحكمُ بينَ عبادِه، وفي مصحفِ عبدِ الله: (ومنكُم جائِرٌ)(٤).

= البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤): «فرفع لي البيت المعمور، فسألت جبريل، فقال: هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا لم يعودوا إليه».

(١) «الإمام رحمه الله: ويحتمل»: من (ن).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ١٧٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٧٨). وهو تفسير قوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾.

(٣) ذكر المصنف نحوه في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ بلا نسبة.

(٤) ذكرها النحاس في «معاني القرآن» (٤/ ٥٨)، والثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٢٥). ورواها الطبري في «تفسيره» (١٤/ ١٧٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٧٨) عن قتادة عن ابن مسعود وذكر أبو حيان في «البحر المحيط» (٦/ ٥١٠) أن قراءة عليٍّ: (فمنكم جائر).

﴿وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ إلى قصدِ السَّبيلِ، وقيل: لوفَّقكم، وقيل: لأوصَلَكُم إلى الجنّةِ بغيرِ استحقاقٍ.

* * *

(١٠) - ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: منَ السَّحابِ، وقيل: من جانبِ السَّماءِ، وقيل: من سماءِ الملائكةِ إلى السَّحابِ ثمَّ إلى الأرضِ ﴿مَآءً﴾: مطرًا ﴿لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ﴾؛ أي: ماءٌ مشروبٌ ﴿وَمِنْهُ شَجَرٌ﴾ يُريدُ: ما يُنبِتُ المَرعى، وكلُّ ما يَنْبُتُ على الأرضِ فهو شجرٌ، وأنشدَ الزَّجّاجُ:

نعلِفُها اللَّحمَ إذا عزَّ الشَّجرْ
والخيلُ في إطعامِها اللَّحمَ ضررْ[١]

يُريدُ بالشَّجرِ: النَّباتَ.

وقيل: تقديرُه: لكم منه شرابٌ ومنه شربُ شجرٍ[٢].

﴿فِيهِ تُسِيمُونَ﴾: ترعَونَ إبلَكُم، ومَواشيكم[٣].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ١٩٢)، والرجز للنمر بن تولب، كما في «ديوانه» (ص: ٧٧، ٧٨)، و«الحيوان» (٧/ ٨٤)، و«الشعر والشعراء» (١/ ٢٩٩).

ورواية الديوان: «نطعمها» بدل «نعلفها»، و«عَسَرْ» بدل «ضرر»، وفيه تقديم وتأخير في ترتيب الرجز. قال الأصمعي: يريد: نطعمها اللَّبَنَ، فَسمى اللَّبَنَ لَحماً لِأَنَّها تَسْمَنُ على اللَّبن. انظر: «تهذيب اللغة» (٥/ ٦٩).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٠١)، واستغربه.

(٣) في (و): «إبلكم وشرب مواشيكم».

والسَّـومُ: من السُّـومةِ، وهي العلامـةُ؛ لأنَّها تُؤثِّرُ فـي الأرضِ برعيِها علاماتٍ، وقد سـبقَ.

* * *

(١١) ـ ﴿ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾.

﴿ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ ﴾: الحبوبَ ﴿وَٱلزَّيْتُونَ ﴾واحدُها(١): زَيتونةٌ ﴿وَٱلنَّخِيلَ ﴾: جمعُ نَخْلٍ كعبيدٍ ﴿وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾: الفواكهِ، وحملُ كلِّ شجرةٍ ثمرتُها.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾: ينظُرونَ في حقائقِ الأشياءِ.

* * *

(١٢) ـ ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴾: جعلَهمـا مُتعاقِبَيـن لتنتفِعُـوا بهما، ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾: هيَّأهمـا لمنافـعِ الخلـقِ، ولولاهمـا ما كانَ نهـارٌ ولا حيـوانٌ ولا معايشُ، ﴿والنّجـومَ مسـخّراتٍ﴾ إنَّمـا أعـادَ ذِكـرَ المُسـخَّرات لأنَّ المعنـى: مُسـخَّرةً لله، سـخَّرَها لكـم، ومَـن رفعَهـا جعلَهـا اسـتئنافًا(٢).

---

(١) في (و): «جمع».

(٢) قرأ ابن عامر: ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ والنُّجُومُ مُسخَّراتٌ﴾ كلها بالرفع. وروى حفص عن عاصم مثل قراءة ابن عامر في ﴿والنُّجُومُ مُسَخَّراتٌ﴾ وحدهَا ونصب الباقي. وقرأ الباقون بنصب ذلك كله. انظر: «السبعة» (ص: ٣٧٠)، و«التيسير» (ص: ١٣٧).

قال المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٠١): «من نصب عطفها على الأول، وأعاد المسخرات لأن المعنى: مسخرةً لله سخرها لكم، فهي نصب على الحال، ومن رفع الكل، جعل الواو للحال».

﴿بِأَمْرِهِۦٓ﴾: بصُنعِه وتقديرِه.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ لأنَّ بالعقلِ يُهتدَى إلى دلائلِها، وجمعَ الآياتِ لتقدُّمِ المُسخَّراتِ، وكذلك الثّانيةُ(١).

* * *

(١٣) ـ ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾.

﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ﴾؛ أي: خلقَه لكم، والذَّرْءُ: إظهارُ الشَّيءِ بإيجادِه، تقولُ: ذرَأه يذرَؤُه ذَرْءًا، ومِلْحٌ ذَرْآنيٌّ: ظاهرُ البياضِ.

﴿فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ﴾: أصنافُه، وقيل: ﴿أَلْوَٰنُهُۥٓ﴾ منَ البياضِ والسَّوادِ.

وقيل: يُريدُ: الحيوانَ والجمادَ، فإنَّها كلَّها مُنتفَعٌ بها في الأطعمةِ والأشربةِ والأدويةِ والأمتعةِ.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾: يتَّعِظُون.

* * *

(١٤) ـ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ يُريدُ به أنواعَ صيدِ السَّمكِ، ﴿وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾: هي اللآلئُ تُنظَمُ فتصيرُ ملبوسًا.

---

(١) في حاشية (ط): «أراد بالثانية قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ﴾ ثم جمع فقال: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ﴾ [النحل: ٧٩].

وقيل: اللُّؤلؤُ والمرجانُ.

﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ﴾: السُّفنَ ﴿مَوَاخِرَ فِيهِ﴾: في البحرِ جوارِيَ.

والمَخْرُ: شقُّ الماء من يمينٍ وشمالٍ، وهي ماخرةٌ، والجمعُ: مواخِرُ.

وقيل: المَخْرُ: استدبارُ الرِّيحِ، ومنه قولُه: «استَمْخِرُوا الرِّيحَ، وأعِدُّوا النُّبَلَ»(١) يعني: عندَ البولِ.

وقيل: المَخرُ: صوتُ هُبوبِ الرِّيحِ إذا اشتدَّ الهبوبُ.

وقيل: المَخرُ: قطعُ الشَّيءِ والدُّخولُ فيه.

مقاتلٌ: ﴿مَوَاخِرَ﴾: مُقبِلةً ومُدبرةً بريحٍ واحدةٍ.

---

(١) رواه الخطابي في «غريب الحديث» (٢/ ٥٥٩) عن سُراقةَ أنه قال لقومه: إذا أَتَى أحدكم الغائطَ فلْيُكْرِمْ قِبلةَ الله ولا يَسْتَدْبِرْها ولْيَتَّقِ مجالسَ اللعن: الطريقَ والظلَّ، واستَمْخِروا الريح، واسْتَشِبُّوا على سُوقكم، وأَعِدُّوا النُّبَلَ.

وذكر له الطبراني في «المعجم الأوسط» (٥١٩٨) قصة عن سراقة بن مالك بن جعشم: أنه كان إذا جاء من عند رسول الله ﷺ حدث قومه وعلمهم، فقال له رجل يوماً ـ وهو كأنه يلعب ـ: ما بقي لسراقة إلا أن يعلمكم كيف التغوط، فقال سراقة: «إذا ذهبتم إلى الغائط فاتقوا المجالس على الظل والطريق، خذوا النبل، واستنشبوا على سوقكم، واستجمروا وتراً». قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٢٠٤): «إسناده حسن».

وسأل عنه ابن أبي حاتم أباه كما في «العلل» (١/ ٥٠٩) وساقه بسنده إلى سراقة بن مالك رضي الله عنه، فقال: «إنما يروونه موقوفاً، وأسنده عبد الرزاق بأخرة».

وروى أبو عبيد في «غريب الحديث» (١/ ٤١٨) عن واصل مولى أبي عيينة قال: كان يقال: «إذا أراد أحدكم البول، فليتمخر الريح»، وروى (١/ ٢١٠) بسنده عن الشعبي عمن سمع النبي ﷺ: «اتَّقوا الملاعن وأعدُّوا النُّبل». ومعنى «اسْتمخروا الريحَ»: اجعلوا الريحَ وَراءَ ظهوركم. والنُّبَل: حجارة الاستنجاء.

الحسَنُ: مواقِرَ[١].

الفرَّاءُ والأخفشُ: تشقُّ الماءَ بجُؤْجُئِها[٢].

وقيل: صوائِخَ[٣].

وقيل: مُعترِضةً.

﴿وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ﴾: من سَعةِ رزقِه في التِّجارةِ والقصدِ إلى البلادِ الشَّاسعةِ.

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾؛ أي: تشكُرونَ الله على ما أنعمَ به عليكم.

***

(١٥) ـ ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ الإلقاءُ عند بعضِ النَّحويِّين: من اللُّقْيَة؛ لأنَّ معنى الإلقاءِ: جَعلُ الشَّيءِ مماسًّا لغيرِه.

والرَّواسي: الثَّوابتُ، والمَيدُ: المَيلُ.

والمعنى: خلقَ الله في الأرضِ جبالًا كراهةَ أن تميدَ وتضطربَ بكم.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ١٨٦). والمواقر: ذوات الأحمال الثقيلة. انظر: «اللسان» مادة: (و ق ر).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٦٨)، وفيه: «ومخرها: خرقُها للماء إذا مرت فيه، واحدها: ماخرة». وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٣٠) عن عكرمة والفراء والأخفش بلفظ: «شواقّ تشقُّ الماء بجناحيها».

وذكره التوحيدي في «البصائر والذخائر» (٧/ ١٦٨) عن اليزيدي قال: «مخرت السفينة إذا شقّت الماء بجؤجؤها، والمواخر هي الشواقّ». والجؤجؤ من الطائر والسفينة: صدرهما، والجمع: الجآجي.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٣٠) عن أبي عبيدة.

وعند الكوفيِّين: لأنْ لا تميدَ بكم(١).

قال وهبٌ: لمَّا خلَقَ الله الأرضَ جعلَتْ تمورُ، فقالتِ الملائكةُ: إنَّ هذه غيرُ مُقِرَّةٍ أحدًا على ظهرِها، فأصبحَتْ قد أُرسِيَتْ بالجبالِ لـم تدرِ الملائكةُ ممَّ خُلِقَتِ الجبالُ(٢).

﴿وَأَنْهَرًا﴾؛ أي: وجعَلَ فيها الأنهارَ، جمعُ نَـهَرٍ.

﴿وَسُبُلًا﴾: طرُقًا ﴿لعلَّكم تهتدون﴾ لمقاصدِكم، وقيل: لتهتَدوا إلى توحيدِ ربِّكم.

* * *

(١٦) ـ ﴿وَعَلَـٰمَـٰتٍۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾.

﴿وَعَلَـٰمَـٰتٍ﴾ ابنُ عيسى: العلامةُ: صورةٌ يُعلَمُ بها المعنى من خطٍّ أو لفظٍ أو إشارةٍ أو هيئةٍ(٣)، والمُرادُ بها هاهنا: معالِـمُ الطَّريقِ.

وقيـل: هـي الجبـالُ، وانتِصابُهـا علـى هـذا القـولِ بالعطـفِ علـى موضـعِ ﴿أَن تَمِيدَ﴾، وتقديـرُ الـكلامِ: ألقى رواسـيَ لئلَّا تميـدَ، ولتكونَ علامـاتٍ لطرُقِكم بالنَّهارِ.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٢٧)، و«إيضاح الوقف والابتداء» للأنباري (٢/ ٦٦٩).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٣١). ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٤٧٩)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ١٩٠) عن الحسن. ورواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ١٨٩) عن قيس بن عباد، وروي نحوه مرفوعًا رواه الترمذي (٣٣٦٩) بلفظ: «لما خلق الله الأرض جعلت تميد، فخلق الجبال، فقال بها عليها فاستقرت، فعجبت الملائكة من شدة الجبال...»، وقال الترمذي: «هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعًا إلا من هذا الوجه».

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٣/ ٣٥) بلا نسبة، وذكره أبو حيان منسوباً لابن عيسى في «البحر المحيط» (٦/ ٥١٤).

وقيل: هي النُّجومُ[١].

﴿وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾؛ أي: في اللَّيلِ، ومَن جعلَ العلاماتِ النُّجومَ فكأنَّه قال: وبها هم يهتَدون، فصرَّحَ.

والنَّجمُ: اسمُ الجنسِ، والمُرادُ به الجميعُ.

وقيل: المُرادُ به هاهنا الجَدْيُ، وهو السَّابعُ من بناتِ النَّعشِ الصُّغرى، والفرقَدانِ الأوَّلانِ منها، وليس بالجَدْيِ الذي هو المنزلُ، وبعضُهم يُصغِّرُ هذا فيقولُ: جُدَيٌّ، فإنَّ ابنَ عبّاسٍ رضي الله عنهما قال: سألتُ رسولَ الله عليه السَّلامُ عن قولِه تعالى: ﴿وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ قال: «هو الجَدْيُ يا ابنَ عبّاسٍ، عليه قبلتُكم، وبه تهتَدون في برِّكم وبحرِكم»[٢].

ورُوِيَ أيضًا: الجَدْيُ والفرقدانِ[٣].

قال قتادةُ: إنَّما خلقَ الله النُّجومَ لثلاثةِ أشياءَ: زينةً للسَّماءِ، ومَعالِـمَ للطُّرقِ[٤]، ورُجوماً[٥] للشَّياطين، فمَن قالَ غير هذا فقد قالَ رأيَه، وتكلَّفَ ما لا علمَ له به[٦].

* * *

(١٧) ـ ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾.

﴿أَفَمَن يَخْلُقُ﴾ وهو الله سبحانَه، وقد سبق ذكرُ بعضِ ما خلق الله في السُّورةِ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٠٢)، واستغربه.

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ١٨٣)، والديلمي في «الفردوس» (٢٦٤٧).

(٣) كذا فسره الفراء في «معاني القرآن» (٢/ ٩٨).

(٤) في (و) و(ن): «زينة السماء، ومعالم الطرق»، وما في (ط) أقرب إلى مصادر التخريج.

(٥) في (ن): «رجوم».

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ١٩٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩١٣)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٠٣)، واستغربه.

﴿كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ وهو الصَّنمُ؛ فإنَّه جمادٌ مَواتٌ، وعبَّرَ عنه بـ(مَن) ازدواجًا للكلامِ وبناءً على زعمِ الكفَّارِ.

وقيل: معناه: أنَّ الحيَّ المميِّزَ الذي ليس بخالقٍ ليس كالّذي هو خالقٌ، فكيف الجمادُ؟!

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ فتعرِفُوا فسادَ ما أنتم عليه.

***

(١٨) ـ ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ﴾ المُرادُ بها: النِّعمُ، والمُضافُ قد يأتي للجنسِ(١).

﴿لَا تُحْصُوهَا﴾: لا يُمكِنُكم عَدُّها لكثرتِها.

وقيل: ﴿لَا تُحْصُوهَا﴾: لا تُطيقوا أداءَ شُكرِها.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ﴾ لمَن قصَّرَ في شُكرِها ﴿رَّحِيمٌ﴾.

***

(١٩) ـ ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾؛ أي: لا يخفى عليه شكرُ الشّاكرِ وكفرُ الكافرِ.

***

(٢٠) ـ ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا﴾ لأنَّها مواتٌ عَجزةٌ ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ لأنَّها من جنسِ الأرضِ.

---

(١) لأن إضافة النكرة إلى المعرفة تفيد العموم إذا كانت اسم جنس. انظر: «كتاب الشعر» لأبي علي الفارسي (ص: ٤٨٤).

(٢١) ـ ﴿ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾.

﴿ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ﴾؛ أي: هي مَواتٌ ليس فيها أرواحٌ، وقولُه تعالى: ﴿غَيْرُ أَحْيَآءٍ﴾ تأكيدٌ لنفيِ مجازٍ يُستعملُ، وهو أنَّ الحيَّ قد يُسمَّى ميِّتًا نحوَ قولِه: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر: ٣٠]؛ أي: في حكمِ الأمواتِ[١].

﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ فيه قولانِ:

أحدُهما: لا يعلَمُ الكافرون متى يُبعَثون.

والثّاني: لا تعلَمُ الأصنامُ متى تُبعَثُ.

* * *

(٢٢) ـ ﴿ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾.

﴿ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ الخطابُ عامٌّ، والمعنى: معبودُكم المستحِقُّ للعبادةِ معبودٌ واحدٌ، وهو الله عزَّ وجلَّ.

﴿فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ﴾ هم الكفّارُ ﴿قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ﴾ لتوحيدِ الله غيرُ عارفةٍ به ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ عن الإيمانِ بمحمَّدٍ واتِّباعِه.

* * *

(٢٣) ـ ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾.

﴿ لَا جَرَمَ ﴾: حقًّا ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾ ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ﴾ محلُّه رفعٌ بالمصدرِ، وعند الزَّجّاجِ: ﴿لَا﴾ للرَّدِّ و﴿جَرَمَ﴾ فِعْلٌ[٢].

---

(١) ذكر المصنف نحوه في «غرائب التفسير» (١/ ٦٠٣)، ونحوه قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم﴾ [آل عمران: ١٦٧]، وقوله: ﴿طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام: ٣٨].

(٢) أي: حَقَّ أن الله يعلم ووَجَب. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ١٩٤).

(٢٤) ـ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم﴾: لهؤلاءِ الكفّارِ: ﴿مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ﴾: ما الذي أنزلَه الله على محمَّدٍ؟ ﴿قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾؛ أي: ما دوَّنَتْه الأوائلُ في كتُبِهم، ومثلُه: ﴿قالوا أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا﴾ الآية [الفرقان: ٥].

قال الزَّجّاجُ: (ما) مُبتدأةٌ، و(ذا) في معنى: الذي.

قال: و﴿أَسَٰطِيرُ﴾ مرفوعةٌ على الجوابِ؛ كأنَّهم قالوا: [الذي] أنزلَ أساطيرُ[1]؛ أي: الذي تذكُرونَ أنتم أنَّه مُنزَّلٌ أساطيرُ الأوَّلينَ؛ أي: أكاذيبُ الأوَّلين.

قال الشَّيخُ رحمَه الله: ويحتمِلُ وجهًا آخرَ، وهو أنَّهم أعرَضُوا عن الجوابِ إنكارًا للإنزالِ، وقالوا: هو أساطيرُ الأوَّلين، بخلافِ قولِ المُؤمنين فإنَّهم قالوا: في الجوابِ: ﴿خَيْرًا﴾؛ أي: أنزلَ خيرًا، كما في الآيةِ بعدَها[2].

***

(٢٥) ـ ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾.

﴿لِيَحْمِلُوٓاْ﴾ اللّامُ لامُ العاقبةِ؛ أي: مآلُ فعلِهم هذا العذابُ.

قال الشَّيخُ رحمه الله: ويحتمِلُ أنَّه لامُ الأمرِ، ومثلُه في المعنى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت: ١٣].

وقولُه تعالى: ﴿أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً﴾؛ أي: آثامَهم تامَّةً لا ينقُصُ شيءٌ منها بالتَّوبةِ والحسناتِ.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ١٩٤)، وما بين معكوفتين منه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٠٤)، واستغربه.

﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَمِنۡ أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍ﴾ لأنَّهم تسبَّبوا إلى ضلالتِهم، فللمُضِلِّين مثلُ وزرِ الضّالِّين من غيرِ أن ينقصَ من أوزارِهم[1] شيءٌ.

وقيل: للضَّالِّين مثلُ وزرِ المُضلِّين لطاعتِهم، حكاه أقضى القُضاةِ[2].

قولُه تعالى: ﴿بِغَيۡرِ عِلۡمٍ﴾: بتقليدٍ من غيرِ استدلالٍ.

وقيل: بغيرِ علمٍ بما تحمَّلُوه من أوزارِ الضّالِّين.

﴿أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾: ﴿سَآءَ﴾ يجري مَجرى (بئسَ)[3]، و﴿مَا يَزِرُونَ﴾ محلُّه رفعٌ؛ لأنَّه فاعلُ ﴿سَآءَ﴾، والمذمومُ محذوفٌ دلَّ عليه ما قبلَه.

* * *

(٢٦) - ﴿قَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنۡيَٰنَهُم مِّنَ ٱلۡقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّقۡفُ مِن فَوۡقِهِمۡ وَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ﴾.

﴿قَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنۡيَٰنَهُم مِّنَ ٱلۡقَوَاعِدِ﴾ جمهورُ المُفسِّرين على أنَّ المُرادَ به نُمْرُودُ بنُ كنعانَ حين رامَ صُعودَ السَّماءِ بفراخِ النُّسورِ، فعجزَ عن ذلك على ما سبقَ آخرَ سورةِ (إبراهيم)، بنى الصَّرحَ ببابلَ ورامَ منه الصُّعودَ إلى السَّماءِ ينظرُ إلى إلهِ إبراهيمَ.

قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: كان طولُ الصَّرحِ في السَّماءِ خمسةَ آلافِ ذراعٍ[4].

---

(١) في (ن): «وزرهم».

(٢) انظر: «النكت والعيون» (٣/ ١٨٤).

(٣) فهو في هذا السياق فعل جامد الإنشاء والذم. انظر: «المقتضب» للمبرد (٢/ ١٥٠)، و«المفصل» للزمخشري (ص: ٣٦٢).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٣٧).

مقاتلٌ وكعبٌ: كان طولُه فرسخَين، فهبَّتْ ريحٌ وألقَتْ رأسَ الصَّرْحِ في البحرِ، فخرَّ عليهم(١) الباقي، وائْتَفكتْ بيوتُهم، فأحدَثَ نُمْرُودُ، وتبَلْبَلَتْ ألسُنُ النَّاسِ يومئذٍ منَ الفزعِ، فتكلَّموا بثلاثةٍ وسبعين لسانًا، ولذلك سُمِّي بابلَ، وإنَّما كان لسانُ النّاسِ قبلَ ذلك بالسُّريانيّةِ، وبلاهُ الله في نفسِه ببعوضةٍ دخلَتْ دماغَه وكبِرَتْ فيه، فمكَثَ في ذلك أربعَ مئة سنةٍ، تُضرَبُ رأسُه بالمطارقِ(٢).

وذهبَ بعضُ المُفسِّرين إلى أنَّ المُرادَ(٣) به بُخْتَنَصَّرُ.

وذهبَ ابنُ بحرٍ والزَّجَّاجُ: إلى أنَّ هذا مَثَلٌ؛ جُعِلَتْ أعمالُهم التي عملوها بمنزلةِ الباني بناءً يسقطُ عليه، فمَضرَّةُ عملِهم كمضرَّةِ بناء الباني إذا سقَطَ عليه(٤).

قولُه تعالى: ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾: قلَعَه من أصلِه، وأتاه بأنْ أزالَه.

والبنيانُ: مصدرُ بنَيتُ، والقواعدُ: جمعُ قاعدةٍ.

المُبرِّدُ: قصدَ لإهلاكِه منَ الأساسِ، وقيلَ: منَ الأساطينِ(٥).

---

(١) في (و): ﴿وألقي عليهم﴾.

(٢) ذكره عنهما الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٣٧)، وانظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٤٦٥)، وهذا من خرافات الإسرائيليات. وقال أبو العلاء المعري في «اللامع العزيزي» (ص: ١٠٠٤): «وأصحاب الكتب القديمة كاليهود ومن اتبعهم يذكرون أن قوماً اجتمعوا لبناء صرح يبلغون به إلى السماء، فأصبحوا وقد تبلبلت ألسنتهم؛ أي: افترقت، وكانوا قبل ذلك يتكلمون بلسان واحد، وأن سبب اختلاف الألسن هو هذا الحديث والمعقول يشهد بأنه كذب، و(بابل) ليست في (لفظة البلبلة)».

(٣) في (ن): «إلى أنه أراد».

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ١٩٥).

(٥) جمع: أسطوانه، وهي العمود، وهي على وزن أفعوالة، وقد ذكر عن الفراء أن هذه الكلمة لا نظير لها في كلام العرب. انظر: «تهذيب اللغة» مادة: (س ط ن) (١٢/ ٢٣٧).

﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ﴾: أعلى البيوتِ ﴿مِن فَوْقِهِمْ﴾؛ أي: كانوا تحتَها، وقيل: أتاهم العذابُ منَ السَّماءِ، ﴿وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾؛ أي: من مأمَنِهم.

* * *

(٢٧) ـ ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ﴾: يُهينُهم ويفضَحُهم على رؤوسِ الخلائقِ ويُعذِّبُهم بأنواعٍ منَ العذابِ سوى ما عُذِّبوا به في الدُّنيا.

﴿وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ﴾؛ أي: النَّبيَّ والمُؤمنينَ ﴿فِيهِمْ﴾؛ أي: تُخالفونَهم، وقيل: تُعادُونَهم، وقيل: تُحارِبون، والأصلُ أن يكونوا في شقٍّ غيرِ شقِّ المؤمنين.

وقرأ نافعٌ بكسرِ النُّونِ[1]، وتقديرُه: تُشاقُّونَني، فحُذِفَ النُّونُ الأولى تخفيفًا، قال:

يســـوءُ الفاليـــاتِ إذا فَلَيْنـــي[2]

---

(١) وقرأ الباقون: ﴿تُشَٰٓقُّونَ﴾ بفتح النون. انظر: «السبعة» (ص: ٣٧١)، و«التيسير» (ص: ١٣٧).

(٢) عجز بيت لعمرو بن معد يكرب، وصدره:

تَـراه كالثَّغَـامِ يُعَـلُّ مِسْـكاً

انظر: «ديوان عمرو بن معد يكرب» (ص: ١٨٠)، و«الكتاب» (٣/ ٥٢٠)، و«معاني القرآن» للفراء (٢/ ٩٠)، و«معاني القرآن» للأخفش (١/ ٢٥٤)، و«الحجة» للفارسي (٣/ ٣٣٤) و(٥/ ٤٦).

وقول المؤلف: «فحذف النون الأولى» مخالف لقول أبي علي، حيث قال في قراءة نافع: (فبم تبشرونِ) بكسر النون: «حذف النون الثانية؛ لأنّ التكرير بها وقع، ولم يحذف الأولى التي هي علامة الرفع، وقد حذفوا هذه النون في كلامهم؛ لأنّها زائدة، ولأنّ علامة الضمير الياء دونها». وقد أشار أبو علي لهذا ـ أعني: حذف النون الثانية ـ عند هذه القراءة أيضاً. =

أي: فلينَني، فحُذِفَ تخفيفًا.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ يعني: الملائكةَ. الحسَنُ: المؤمنين[1].

﴿إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ﴾: الذِّلَّةَ ﴿وَٱلسُّوٓءَ﴾: العذابَ ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

* * *

(٢٨) ـ ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُاْ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: تقبضُ أرواحَهم بأمرِ الله.

الحسنُ: تتوفَّاهُم إلى النَّارِ؛ أي: تحشُرُهم إليها[2].

والمُتوفِّي هو الله سبحانَه وتعالى، لقولِه تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢] وليس بينهما تَنافٍ؛ لأنَّ الملائكةَ يتولَّون ذلك بأمرِ الله، فجازَ إسنادُه إلى الله لأنَّه بأمرِه وقدرتِه، وجاز إضافتُه إلى الملائكةِ لكونِهم مُباشِرين لذلك.

وقيل: أسبابُ التَّوفِّي بالملائكةِ، وإتمامُ التَّوفِّي بالله سبحانَه.

﴿ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾؛ أي: وهم قد ظلَموا أنفُسَهم.

عكرمةُ: نزلَتْ في قومٍ أسلَمُوا بمكّةَ ولـم يُهاجِروا، فأخرَجَهم قُريشٌ إلى بدرٍ

= وكذا في البيت اتفقوا على أن الحذف للنون الثانية، ذكر ذلك الأخفش وأبو علي وقال ابن السيرافي في «شرح أبيات سيبويه» (٢/ ٢٦٥): «الشاهد فيه أنه حذف إحدى النونين، والمحذوفة التي مع الياء، والأولى لا يجوز حذفها؛ لأنها ضمير الفاعلات، والفاعل لا يجوز حذفه».

(١) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٢٧١)، والثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٣٨)، والواحدي في «البسيط» (١٣/ ٤٩)، جميعهم بلا نسبة.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٤٨٦).

كرهًا فقُتِلوا[1]. ومعنى ﴿ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾: في مُقامِهم بمكّةَ وتركِهم الهجرةَ.

﴿فَأَلۡقَوُاْ ٱلسَّلَمَ﴾: الصُّلحَ.

الأخفشُ: الاستسلامَ[2].

مُقاتلٌ: الخضوعُ[3].

والمعنى: انقادوا له حين عايَنوا الموتَ قد نزَلَ بهم.

وقيل: معناه: لـمَّا عايَنُوا وزالَ شكُّهم أظهَروا الإيمانَ والإسلامَ، وهو إلقاءُ السَّلَمَ والخروجُ منَ العداوةِ.

﴿مَا كُنَّا نَعۡمَلُ مِن سُوٓءِۭ﴾؛ أي: يقولون للملائكةِ: ﴿مَا كُنَّا نَعۡمَلُ مِن سُوٓءِۭ﴾؛ أي: من كُفرٍ ومعصيةٍ، وقيل: معناه: ﴿مِن سُوٓءِۭ﴾ في مُعتَقَدِنا؛ لأنَّا لو علِمْنا الكفرَ سوءًا ما اختَرْناه، والقيامةُ لا نكذبُ فيها.

﴿بَلَىٰٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾؛ أي: فتُجيبُهم الملائكةُ: بلى كنتُم كافرين، والله يعلَمُ كُفرَكُم ومعاصِيَكُم.

* * *

(٢٩) - ﴿فَٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَلَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾.

﴿فَٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ﴾ قيل: دَرَكاتِها، وقيل: أصنافَها، كما يُقالُ: فلانٌ ينظرُ في بابٍ منَ العلمِ؛ أي: صِنْفٍ.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٢٤٠)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ٢٠٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٣٧). ورواه بنحوه البخاري (٧٠٨٥) من طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما، لكن في نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ [النساء: ٩٧].

(٢) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ١٨٠).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٤٦٦).

وقيلَ: هذا عامٌّ لأصنافِ الكافرين كقولِه تعالى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [الحجر: ٤٤].

وقيلَ: المُرادُ به عذابُ القبرِ، فقد جاء في الخبرِ: «القبرُ روضةٌ من رياضِ الجنّةِ، أو حُفرةٌ من حُفَرِ النّارِ»(١).

وقيل: يُخاطَبونَ به عند البعثِ.

﴿خَٰلِدِينَ﴾؛ أي: ناوين الخلودَ(٢) ومُقدِّرين ﴿فِيهَا﴾: في جهنَّمَ. وقيل: في الأبوابِ؛ فيمَن جعلَها الدَّركاتِ وألوانَ العذابِ.

﴿فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾: المُتعظِّمين من اتِّباعِ محمَّدٍ عليه السَّلامُ جهنَّمُ(٣) وأبوابُها.

* * *

(٣٠ ـ ٣١) ـ ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ خَيْرًا لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ﴾ يعني: المؤمنين من أهلِ مكّةَ.

﴿مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ﴾ على محمَّدٍ ﴿قَالُواْ خَيْرًا﴾؛ أي: أنزَلَ خيرًا، وهو القرآنُ الجامعُ لجميعِ الخيراتِ.

---

(١) رواه الترمذي (٢٤٦٠) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وقال: «هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه».

(٢) في (ط): «الخلد»، ولكن كتب تحتها: «الخلود».

(٣) (جهنم) مخصوص بالذم، فهي مبتدأ مؤخر أو خبر لمبتدأ محذوف.

وقيل: ﴿خَيْرًا﴾: ثوابًا لمَن آمنَ باللهِ.

ولو قُرِئ: (خيرٌ) بالرَّفعِ على تقديرِ: الذي أنزَلَه خيرٌ؛ لكانَ له وجهٌ[1]، ولكنْ لمَّا كان الرَّفعُ يحتملُ وجهَين على ما ذكرتُ صارَ إلى الوجهِ الذي لا يحتمِلُ إلّا وجهًا واحدًا.

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا﴾؛ أي: آمنوا وعملوا الصَّالحاتِ، وقيل: قالوا: لا إلهَ إلّا اللهُ ﴿حَسَنَةٌ﴾: ثوابٌ مُضاعَفٌ. وقيل: أمنٌ وغنيمةٌ وأهلٌ ومالٌ. وقيل: هو بدلٌ من (خير)[2]. وقيل: استئنافٌ.

﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾: النَّشأةُ الآخرةُ، وقيل: الحياةُ الآخرةُ ﴿خَيْرٌ﴾ منَ الدّارِ الدُّنيا، وقيل: الجنّةُ خيرٌ منَ النّارِ.

﴿وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ الدّارُ الآخرةُ.

وقيل: ولنعمَ دارُ المتَّقين الدُّنيا يتزوَّدون فيها للأُخرَى.

وقيل: ولنعمَ دارُ المتَّقين ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾.

وقيل: هي جنّاتُ عدنٍ.

وقيل: رفعٌ بالابتداءِ ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ خبرُه.

﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾؛ أي: منابعُها من تحتِ أشجارِها، وقد سبقَ.

﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ﴾: يشتهون ﴿كَذَلِكَ﴾: مثلَ هذا الجزاءِ ـ وهو الجنّةُ ـ ﴿يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ﴾.

* * *

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٩)، وللأخفش (١/ ٦٠).

(٢) أي: قوله: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ وما بعده بدلٌ من ﴿خَيْرًا﴾ حكايةً لقول الذين اتَّقوا؛ أي: قالوا هذا القولَ، فقدَّم عليه تسميتَه خيراً ثمَّ حكاه. انظر: «الكشاف» (٢/ ٦٠٣).

(٣٢) ـ ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾.

﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ﴾: مؤمنين.

ابنُ عيسى: صالحين بأعمالِـهم الحسنةِ.

وقيل: ﴿طَيِّبِينَ ﴾: فرِحين ببشارةِ الملائكةِ إيَّاهُم بالجنَّةِ[1].

وقيل: طيَّبَ الله أنفُسَهم بنظافةِ الإيمانِ وطهارةِ الإسلامِ.

مجاهدٌ: هم طيِّبون إذا ناموا أحياءً، وإذا ماتوا قدَّرَ اللهُ لهم ذلك[2].

﴿يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ﴾؛ أي: تقولُ الملائكةُ.

والسَّلامُ: تبشيرٌ بالجنَّةِ. وقيل: إعلامٌ بالموتِ.

﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ ﴾ قيل: معناه: أبشِروا بالجنَّةِ، وقيل: يُقالُ لهم في الآخرةِ: ادخلوا الجنَّةَ.

﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾: بسببِ عملِكم، وقيل: بدلَ عملِكم.

* * *

(٣٣) ـ ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾.

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ ﴾؛ أي: ما ينتظِرُ الكفَّارُ الذين تقدَّمَ ذِكرُهم؟ والمعنى: يلحقُهم لا محالةَ لحوقَ المنتظِرِ وإنْ لم يكونوا مُنتظِرين.

---

(١) في (و): «الجنة».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٢١٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٨٢).

﴿إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ يُريدُ: لقَبضِ أرواحِهم ﴿أَوۡ يَأۡتِيَ أَمۡرُ رَبِّكَ﴾ يعني: يومَ القيامةِ.

الزَّجَّاجُ: ﴿أَمۡرُ رَبِّكَ﴾: عذابُه الذي أوعَدَهُم وتأخَّرَ عنهم[1].

وقيل: تأتيهم الملائكةُ بما وعدَهم منَ العذابِ يومَ القيامةِ، ويأتي أمرُ ربِّك بذلك، فيكونُ ﴿أَوۡ﴾ بمعنى (الواو) على هذا القولِ.

﴿كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ استَبْطَؤوا العذابَ كاستِبطاءِ هؤلاءِ. وقيل: انتظروا انتظارَ هؤلاءِ. وقيل: كفَرُوا كفرَ هؤلاءِ.

﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ بكفرِهم ومعصيتِهم.

* * *

(٣٤) ـ ﴿فَأَصَابَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾.

﴿فَأَصَابَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ﴾؛ أي: جزاءُ أعمالِـهم السَّيِّئةِ، وفيه تقديمٌ وتأخيرٌ؛ أي: فأصابَهم سيِّئاتُ ما كسَبُوا وما ظلَمَهُم الله.

﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾: وأحاطَ بهم جزاءُ استهزائِهم.

والحَيْقُ: الإحاطةُ بالشَّيءِ، لا يُستعملُ إلّا في الشَّرِّ[2].

* * *

(٣٥) ـ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ نَّحۡنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ﴾؛ أي: ما أشركنا

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ١٩٦).

(٢) في (و): «للشر». وقد ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٤/ ٤٢٧)، ونسبه للضحاك.

بعبادةِ الأوثانِ ﴿نَّحۡنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ﴾ يعني: السّائبةَ والوصيلةَ وغيرَها. وللمُفسِّرين في هذا قولانِ:

أحدُهما: مذهبُ السُّنَّةِ والجماعةِ: وهو أنَّهم قالوا هذا الكلامَ استهزاءً[١]، ولو قالوه اعتقادًا لكان إيمانًا.

والثّاني: أنَّهم فعلوا خلافَ ما شاءَ الله تعالى[٢]، وليس هذا المذهبَ.

﴿كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾؛ أي: كذَّبوا الرُّسلَ وحرَّموا الحلالَ وقالوا مثلَ قولِهم استهزاءً.

﴿فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ (البلاغُ) بمعنى: الإبلاغِ، كالطّاعةِ والجابة والطّاقةِ[٣].

وقيل: (البلاغُ) مصدرُ بلَغَ بُلوغًا وبلاغًا، وإذا بلَّغَ الرَّسولُ فالإيمانُ به واجبٌ.

والبلاغُ يأتي بمعنى: البُلغةِ، وهو الاجتِزاءُ في الوصولِ إلى الشَّيءِ.

* * *

(٣٦) ـ ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾.

﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا﴾ قيل: هذا عامٌّ في كلِّ الأممِ؛ لأنَّ مَن بلغَتْه دعوةُ نبيٍّ وخبرُ شرعِه فقد بلَّغَه النَّبيُّ.

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٥٠١).

(٢) وهذا هو مذهب المعتزلة. انظر: «الكشاف» للزمخشري (٢/ ٦٠٤).

(٣) الطاقة: اسم من الإطاقة، كالطاعة من الإطاعة، والجابة من الإجابة، وهي توضع موضع المصدر. انظر: «البسيط» للواحدي (٤/ ٥٤٠).

يُريدُ: كما بُعِثْتَ إلى أمَّتِكَ. وقيل: أرادَ بها: الأممَ المُهلَكةَ.

﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾؛ أي: بأنْ وحِّدوه ﴿وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾: الشَّيطانَ وكلَّ ما يُعبَدُ من دونِ الله، مُشتقٌّ منَ الطُّغيانِ؛ أي: تباعَدوا من إغوائِه.

﴿فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ﴾: وفَّقهم للإيمانِ، وهم المؤمنون.

﴿وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾ بالقضاءِ السّابقِ، فحادَ عن قصدِ السَّبيلِ.

وقيل: حقَّتْ عليهم: وجَبَتْ[1].

فالضَّلالُ هاهنا: العذابُ. وقيل: الضَّلالُ عن طريقِ الرَّحمةِ.

﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ خطابٌ لأمّةِ محمَّدٍ عليه السَّلامُ ﴿فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ قومِ عادٍ وثمودَ[2] وغيرِهم.

وقيل: معنى ﴿سيروا فِي الْأَرْضِ﴾: اقرؤوا القرآنَ فتعرَّفُوا كيفَ حالُ عاقبتِهم.

* * *

(٣٧) - ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾.

﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ﴾: إن تطلُبْ هُداهُم أشدَّ الطَّلبِ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ﴾؛ أي: مَن أضلَّه الله بخُذلانِه لا يُوفِّقُه لهدايتِه.

وقيل: ﴿لَا يَهْدِي﴾؛ أي: لا يهتَدي[3].

---

(١) في (ن): «وقيل: حقت: وجب عليه العذاب».

(٢) في (ن) زيادة: «وصالح».

(٣) فهو على هذا لازم، و﴿مَن﴾ فاعله، وضمير الفاعل في ﴿يُضِلُّ﴾ لله تعالى، والعائد محذوف؛ أي: من يضله. انظر: «روح المعاني» (١٤/ ١٠٨).

وهذا القول ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٠٥)، واستغربه.

وقُرِئَ: ﴿لا يُهْدَى﴾[1]؛ أي: مَن يُضِلُّه لا يُهدَى؛ أي: لا يهديه أحدٌ؛ كقولِه تعالى: ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ﴾ [الأعراف: ١٨٦].

﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾: مَن ينصرُهم من عذابِ الله ويمنعُهم عنه.

* * *

(٣٨) ـ ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ في سببِ النُّزولِ: قال الرَّبيعُ بنُ أنسٍ عن أبي العاليةِ: كانَ لرجلٍ على رجلٍ من المُشركين دَينٌ، فأتاه يتَقاضاه، فكان فيما يتكلَّمُ به: والذي أرجوه بعدَ الموتِ، فقال المشركُ: وإنَّك لَتزعمُ أنَّك تُبعَثُ بعد الموتِ؟ فأقسَمَ بالله لا يَبعثُ الله مَن يموتُ، فأنزَلَ الله هذه الآيةَ[2].

أي: حلَفُوا بأغلَظِ الأيمانِ، وهو ما ليس فوقَه مزيدٌ.

وقيل: جَهْدُ اليمينِ: ما ليس باللَّغوِ.

﴿لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾: لا يُحيي الله أحدًا بعدَ موتِه.

قالَ قتادةُ: ذُكِرَ لنا أنَّ رجلًا قال لابنِ عبَّاسٍ: إنَّ ناسًا منَ العراقِ يزعُمون أنَّ عليًّا مبعوثٌ قبل يومِ القيامةِ، ويتأوَّلون هذه الآيةَ، فقال ابنُ عبّاسٍ: كذَبَ ابنُ الإماءِ،

---

(١) قرأ الكوفيون: ﴿لَا يَهْدِى﴾ بفتح الياء وكسر الدال، والباقون بضم الياء وفتح الدال. انظر: «السبعة» (ص: ٣٧٢)، و«التيسير» (ص: ١٣٧).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٢٢٠)، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٧٩)، وعنه نقل المصنف.

إنَّ هذه الآيةَ عامّةٌ للنّاسِ، ولو كان عليٌّ مبعوثًا قبلَ يومِ القيامةِ ما أنكَحْنا نساءَه، ولا قسَمْنا ميراثَه[٣].

﴿بَلَىٰ﴾ إثباتٌ لِـمَا نفَوه؛ أي: لَيبعثَنَّ، وقيل: قلْ[٤] يا محمَّدُ: ﴿بَلَىٰ﴾.

﴿وَعۡدًا﴾؛ أي: وعدَ ذلك وَعْدًا ﴿عَلَيۡهِ﴾ قيل: منه، وقيل: عليه إنجازُه ﴿حَقّٗا﴾ وصفٌ للوعدِ. والوعدُ الحقُّ: ما قُرِنَ بالإنجازِ.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ أنَّه وعدٌ لا يأتي عليه خُلْفٌ.

ورَوَى الثَّعلبيُّ في «تفسيرِه» أنَّ في الخبرِ: «إنَّ الله تعالى يقولُ: كذَّبَني ابنُ آدمَ ولـم يكُنْ له أن يُكذِّبَني، وشتَمَني ابنُ آدمَ ولـم ينبغِ له أن يشتُمَني، فأمَّا تكذيبُه إيّاي فحَلِفُه أنِّي لا أبعثُ الخلقَ، وأمّا شتمُه[٥] إيّاي فقولُه: اتَّخذَ الله ولدًا، وأنا الواحدُ الصَّمدُ، لـم ألِدْ ولـم أُولَدْ، ولم يكُنْ لي كفُوًا أحدٌ»[٦].

* * *

(٣٩) ـ ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي يَخۡتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰذِبِينَ﴾.

﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي يَخۡتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰذِبِينَ﴾ بلى بعثَهم ليَظهرَ لمُنكِري البعثِ والمُقسِمين[٧] صحَّةُ ما اختلَفُوا فيه، وليعلَمُوا كونَهم كاذِبين.

---

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٤٨٤)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ٢١٩)، والحاكم في «المستدرك» (٣٠٥٠).

(٤) في (و): «ليبعثن وقل».

(٥) في (و): «سبه».

(٦) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٦/ ٤٤)، والحديث رواه البخاري (٤٩٧٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه، ورواه البخاري أيضاً بنحوه (٤٤٨٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٧) في (ن): «المقتسمين»، والمثبت من (و) و(ط).

وقيل: اللّامُ متَّصلٌ بقولِه: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا ﴾ ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ﴾.

ثمَّ ذكرَ سُهولةَ البعثِ عليه فقالَ:

(٤٠) ـ ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾.

﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ هـذا عبـارةٌ عـنِ التَّكوينِ، وقد سـبقَ بيانُه فـي (البقرةِ).

***

(٤١) ـ ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ ٱلْأٓخِرَةِ أَكْبَرُۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾.

﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ﴾ الآية، في سببِ النُّزولِ: أنَّها نزَلَتْ فـي أصحابِ النَّبيِّ عليه السَّلامُ بمكَّةَ: بلالٍ وصُهَيبٍ وخبَّابٍ وعمَّارٍ وعابسٍ وأبي جندلِ بنِ سُهَيلٍ(١)، أخذَهم المشركون بمكّةَ فعذَّبوهم وآذوهم، فبوَّأهم الله المدينةَ بعد ذلك(٢).

﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾: فارَقُوا أوطانَهم ﴿فِي ٱللَّهِ﴾: في ذاتِ الله وابتغاءَ دينِه ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ﴾؛ أي: ظلَمَهُم قُرَيشٌ وعذَّبوهم(٣) ليرتدُّوا عنِ الإيمانِ.

---

(١) في النسخ الخطية: «وأبي جندل وسهيل»، والمثبت من مصدري التخريج.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٤٦)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٧٩).

ورواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٢٢٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٨٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما دون تسميتهم فقال: «والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا قال: إنهم قوم من أهل مكة، هاجروا إلى رسول الله ﷺ بعد ظلمهم، ظلمهم المشركون».

وروى عبد الرزاق في «مصنفه» (١٤٨٦)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ٢٢٥) عن عن داود بن أبي هند، قال: «نزلت في أبي جندل بن سهيل».

(٣) في (ن): «وعذبهم».

﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾: لنُهيِّئَنَّ لهم مسكنًا يرضَونَه، والجمهورُ على أنَّها المدينةُ.

مجاهدٌ: لنرزُقنَّهم رزقًا هنيئًا(١).

ورُوِيَ أنَّ عمرَ رضي الله عنه كان إذا أعطى الرَّجُلَ منَ المُهاجرين عطاءَه قال له: خُذْ بارَكَ الله لك فيه، هذا ما وعدَكَ الله في الدُّنيا، وما ذُخِرَ لك في الآخرةِ أفضلُ، ثمَّ تلا هذه الآيةَ(٢).

الزَّجَّاجُ: هو أنَّهم صاروا مع النَّبيِّ عليه السَّلامُ إلى الإسلامِ، وإلى أنْ سمِعُوا ثناءَ الله عليهم(٣).

وقيل: أسكنَهم المدينةَ، ورزقَهم الغنيمةَ.

وقيل: هي النُّصرةُ على العدوِّ.

وقيل: هي لسانُ الصِّدقِ.

وقيل: هي ما استولَوا عليه منَ الفُتوحِ.

﴿وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ جوابُ (لو) محذوفٌ.

* * *

(٤٢) ـ ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾ على أذى الكفَّارِ ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾: فوَّضُوا الأمرَ إلى ربِّهم ورضُوا بما ينالُهم في دينِ الله.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٢٢٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٨٤).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٢٢٤)، وذكره النحاس في «معاني القرآن» (٤/ ٦٧)، والثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٤٦).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٠٠).

(٤٣) ـ ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾ في سببِ النُّزولِ: أنَّها نزلَتْ في مُشركي مكَّةَ، أنكَرُوا نُبوَّةَ محمَّدٍ عليه السَّلامُ وقالوا: اللهُ أعظَمُ من أن يكونَ رسولُه بشرًا، فهلَّا بعَثَ إلينا ملَكًا[1]، فهذا جوابٌ لهم.

ثمَّ قالَ: ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ﴾: أصحابَ التَّوراةِ والإنجيلِ والزَّبورِ.

وقيل: العلماءَ بأخبارِ مَن سلَفَ.

ابنُ زيدٍ: ﴿أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ﴾: أهلَ القرآنِ[2].

﴿إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾.

* * *

(٤٤) ـ ﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾: بالمُعجِزاتِ. وقيل: بالحلالِ والحرامِ ﴿وَٱلزُّبُرِ﴾: الكتُبِ.

وفي الباءِ قولانِ:

أحدُهما: أنَّه مُتَّصلٌ بقولِه: ﴿أَرۡسَلۡنَا﴾؛ أي: وما أرسلنا من قبلِكَ بالبيِّناتِ والزُّبرِ إلَّا رجالًا، وفيه ضَعفٌ؛ لحيلولةِ الاستثناءِ بينهما[3].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٢٢٨)، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٧٩).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٢٢٨)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٨/ ١٠٣)، والماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ١٨٩).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٠٦)، واستغربه، وانظر: «إعراب القرآن» للباقولي (٢/ ٧٢٣)، و«التبيان» للعكبري (٢/ ٧٩٦).

فذهبَ بعضُ النُّحاةِ إلى أنَّ ﴿إِلَّا﴾ هاهنا وصفٌ كـ(غير)، كما في قولِه تعالى: ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [الأنبياء: ٢٢][1].

والثّاني: أنَّه متَّصلٌ بمحذوفٍ تقديرُه: إلّا رجالًا أُرسِلُوا بالبيِّناتِ والزُّبرِ، فيكونُ وصفًا للرِّجالِ، والمعنى: إن كنتم لا تعلمون فإنَّهم يُعلِمُونكم أنَّ الله لـم يبعَثْ إلى أمّةٍ إلّا آدميًّا رجلًا.

وقـال القُرطـيُّ: قـال رسـولُ الله عليـه السَّـلامُ: «لا يحـلُّ للعالـمِ إلّا أن يبـذُلَ علمَـه، ولا يحلُّ للجاهلِ إلّا أن يتعلَّمَ» ثمَّ تـلا: ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [النحـل: ٤٣][2].

﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ﴾: القرآنَ. وقيل: العلمَ.

﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ﴾ بلسـانِ العـربِ ﴿مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ﴾ مـنَ الأحـكامِ والمواعـظِ ﴿وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيعلَمُوا أنَّه كلامُ الله.

* * *

(٤٥) ـ ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ﴾.

﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: احتالوا لهلاكِ الأنبياءِ.

وقيل: ظلَموا أصحابَ رسولِ الله عليه السَّلامُ وراموُا صدَّهُم عن دينِهم.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٠٦)، وعدَّه من العجائب.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٥٣١) بلفظ: «لا يحل لعالم أن يسكت على علمه، ولا لجاهل أن يسكت على جهله، قال الله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ الآية، وقال عز وجل: ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾». وذكر نحوه الزمخشري في «الكشاف» (١/ ٤٥١).

﴿أَن يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ﴾ كما فُعِلَ بقومِ لوطٍ. وقيل: كما فُعِلَ بنُمْرُوْدَ. وقيل: يَغُوروا في الأرضِ فيَهلِكوا.

﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بغتةً من غيرِ سابقةٍ ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ﴾: مجيئِهم وذهابِهم في ديارِهم وأسفارِهم ﴿فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾ جنودَ الله. تقولُ: أعجزَه: وجدَه عاجزًا، وأعجزَه: جعلَه عاجزًا[١].

* * *

(٤٦) - ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾.

﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ﴾: يُهلِكَهم ويُعذِّبَهم ﴿عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾: مُطاوِعُ: خوَّفته. تقولُ: خوَّفتُه فتخَوَّفَ، والمعنى: على تخوُّفِ كلِّ قومٍ بأخذِ قومٍ قبلَه، فكلُّ قومٍ مأخوذٍ مُتخوِّفٌ.

وقيل: على تنقُّصٍ. قال سعيدُ بنُ المسيِّبِ: بينا عمرُ بنُ الخطّابِ رضيَ الله عنه على المنبرِ فقالَ: يا أيُّها النّاسُ، ما تقولون في قولِ الله تعالى: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾؟ فسكتَ النّاسُ، فقام شيخٌ فقال: يا أميرَ المؤمنين، هذه لُغتُنا بني هُذَيلٍ، التَّخوُّفُ: التَّنقُّصُ، قال عمرُ: فهل تعرفُ العربُ ذلك في أشعارِها؟ قال: نعم، قال شاعرُنا أبو كبيرٍ الهذليُّ يصِفُ ناقةً:

تخـوَّفَ السَّـيرُ منهـا تـامكًا قَـرِدًا ... كما تخـوَّفَ عُـودَ النَّبعـةِ السَّـفَنُ[٢]

---

(١) انظر: «الكليات» للكفوي (ص: ١٤٩).

(٢) في هامش (ن): «التامك: السنام، والقَرِد: القراد، والسَّفَن: ما ينحت به العود؛ أي: أثَّر الرحلُ في سنامها وتَنقَّصَ منها كما ينقص السَّفَن من العود».

ونسب البيت لأبي كبير الهذلي في «تفسير الثعلبي» (٦/ ١٩)، و«البسيط» للواحدي (١/ ٤٠١)، و«إيجاز البيان عن معاني القرآن» لأبي القاسم النيسابوري في (٢/ ٤٨٢)، و«تفسير القرطبي» (١٢/ ٢٣٢)، و«تفسير البيضاوي» (٣/ ٢٢٨)، وأبو كبير: عامر بن الحُلَيس، شاعر هذلي مذكور =

فقال عمرُ: عليكم بديوانِكم لا تضِلُّوا، قالوا: وما ديوانُنا؟ قال: شعرُ الجاهليّةِ، فإنَّ فيه تفسيرَ كتابِكم ومعانيَ كلامِكم(١).

وقيل: ﴿عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾ بالعللِ والأمراضِ والآفاتِ.

ابنُ بحرٍ(٢): ﴿عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾: ضدُّ البغتةِ؛ أي: على(٣) حدوثِ حالاتٍ يُخافُ منها كالرِّياحِ والزَّلازلِ والصَّواعقِ، ولهذا ختمَ بقولِه: ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ لأنَّ في ذلك مُهلةً وامتدادَ وقتٍ، فيُمكِنُ فيها التَّلافي.

***

= في «ديوان الهذليين» (٢/ ٨٨)، ولم أقف على البيت ثمة، لكن قال الشهاب الخفاجي في «حاشيته على البيضاوي» (٥/ ٣٣٤): «والبيت من قصيدة له مذكورة في شعر هذيل».

ونُسب لابن مقبل كما في «ديوان ابن مقبل» (ص: ٢٨٣)، و«القلب والإبدال» لابن السكيت (ص: ٩)، و«تهذيب اللغة» للأزهري (٧/ ٢٤٢)، و«البسيط» للواحدي (١٣/ ٧١).

ونسب لزهير كما في «الكشاف» للزمخشري (٢/ ٦٠٨).

ونسب لذي الرمة في «الصحاح» للجوهري مادة: (خ و ف) و(س ف ن)، وهو في ملحق «ديوانه» (٣/ ١٩١٧).

وقال الزبيدي في «تاج العروس» مادة: (س ف ن): «أورده أبو عدنان في كتاب «النبل» لابن المزاحم الثمالي، وقال: لم أجده في شعر ذي الرمة، وقال غيره: هو لعبد الله بن عجلان النهدي».

(١) ذكره عن سعيد بن المسيب الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٥٠ ـ ٥١)، والواحدي في «البسيط» (١/ ٤٠١)، وقال القسطلاني في «إرشاد الساري» (٧/ ١٩٦): «إسناد فيه مجهول».

وقد رواه بنحوه دون الشعر الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٢٣٦) من طريق رجل عن عمر.

(٢) ذكر قوله أبو حيان في «البحر الميحط» (٦/ ٥٣٥).

(٣) في (ن): «أبي علي».

(٤٨) ـ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾؛ أي: قد رأيتُم، فما بالُكم لا تتفكَّرون فتعلمونَ أنَّ عبادةَ خالقِها واجبةٌ عليكم؟ و﴿مِن﴾ للتَّبيينِ.

﴿يَتَفَيَّؤُا﴾: يرجعُ من موضِعٍ إلى موضِعٍ.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: يتميَّلُ[١].

تقولُ: فاءَ الظِّلُّ وتفيَّأَ بمعنًى[٢].

والظِّلُّ: ما غابَ عن مُسامَتَةِ[٣] الشَّمسِ فلم يُصِبْه شُعاعُها.

﴿ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ﴾: عن يمينِ الشَّيءِ، جعَلَ وجهَ الشَّيءِ ما يُواجِهُ الشَّمسَ؛ لأنَّه ينتقلُ الظِّلُّ منَ اليمينِ إلى جانبٍ آخَرَ.

وذهبَ كثيرٌ منَ المُفسِّرين إلى أنَّ ﴿عَنِ الْيَمِينِ﴾: أوَّلُ النَّهارِ، ﴿وَالشَّمَائِلِ﴾[٤]: آخرُ النَّهارِ.

ابنُ عيسى: يتقلَّصُ بالغداةِ عن يمينِ الجبلِ، ويتقلَّصُ بالعشيِّ من جهةِ الشِّمالِ.

﴿سُجَّدًا لِّلَّهِ﴾ قتادةُ: ظِلُّ كلِّ شيءٍ سجودُه.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٢٤٠)، وذكره الواحدي في «البسيط» (١٣/ ٧٥)، ثم قال: «وهو معنى وليس بتفسير...» وانظر باقي كلامه ثمة.

(٢) ذكر سيبويه أن صيغة (تَفَعَّل) تفيد الأخذ من الشيء الأول فالأول، وذكر أنها تفيد الدخول في الشيء، والتثبت، وغير ذلك. انظر: «الكتاب» (٤/ ٧١ ـ ٧٣).

(٣) تحتها في (ن): «طريقه».

(٤) في (ن): «وعن الشمائل».

مجاهدٌ: إذا زالتِ الشَّمسُ سجَدَ كلُّ شيءٍ[١].

وقيل: أرادَ بالظِّلالِ الأشخاصَ.

ابنُ جرير: سجود الظِّلالُ: ميَلانُها ودَوَرانُها[٢].

ابنُ عيسى: السُّجودُ بالعبادةِ وبالدُّعاءِ إلى العبادةِ، وكلُّ شيءٍ منَ المخلوقاتِ يسجدُ بالدُّعاءِ إلى العبادةِ، وخصَّ الظِّلَّ بالذِّكرِ لأنَّه سريعُ التَّغيُّرِ، والتَّغيُّرُ يقتضي مُغيِّرًا غيَّره ومُدبِّرًا دبَّرَه[٣].

الحسنُ: أمّا ظلُّك فيسجدُ لله، وأمّا أنت فلا تسجدُ له، فبئسَ والله ما صنَعْتَ[٤].

وفي توحيدِ ﴿ٱلۡيَمِينِ﴾ وجمعِ ﴿الشَّمائل﴾ أقوالٌ:

أحدُها: أنَّ الابتداءَ عن اليمينِ ثمَّ ينقصُ حالًا بعد حالٍ عن الشَّمائلِ، ولهذا جُمِعَ.

والثّاني: أنَّه بمعنى: الأيمانِ، وجمعُ (الشَّمائلِ) يدلُّ عليها.

والثّالثُ: لمَّا كانَ لفظُ ﴿مَا﴾ مُوحَّدًا ومعناه جمعًا، حُمِلَ (اليمينُ) على اللَّفظِ، وحُمِلَ (الشَّمائلُ) على المعنى، ولهذا أيضًا جمعَ الظِّلالَ ووحَّدَ الضَّميرَ[٥].

ويحتمِلُ أنَّ المُرادَ بالشَّمائلِ: الشِّمالُ والقُدّامُ والخَلْفُ؛ لأنَّ الظِّلَّ يفيءُ منَ الجهاتِ كلِّها، فبدأ باليمينِ لأنَّ ابتداءَ التَّفيُّؤ منها، أو تيمُّنًا بذكرِها، ثمَّ جمعَ الباقي

---

(١) رواهما الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٢٤٠ ـ ٢٤١).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١٤/ ٢٤٢).

(٣) ذكر العبارة الأخيرة «وخصَّ الظلَّ...» أبو حيان في «البحر المحيط» (٦/ ٥٤٠) بلا نسبة.

(٤) ذكره أبو علي الفارسي في «الحجة» (٥/ ٧٠)، والماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ١٩١).

(٥) ذكر المصنف الأقوال الثلاثة في «غرائب التفسير» (١/ ٦٠٦)، واستغرب هذا الثالث.

على لفظِ الشِّمالِ لِمَا بينَ اليمينِ والشِّمالِ منَ التَّضادِّ، وتنزَّلَ القُدَّامُ والخَلْفُ منزلةَ الشِّمالِ لِمَا بينَهما وبين اليمينِ منَ الخلافِ[1].

﴿وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾: صاغِرون، يُريدُ: سجودَ اضطِرارٍ لا اختيارٍ.

* * *

(٤٩) - ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾.

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ﴾ بعضُها بالاختيارِ وبعضُها بالاضطرارِ؛ كقولِه[2] تعالى: ﴿طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [آل عمران: ٨٣].

﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ خصَّهم بالذِّكرِ رَفعًا لمنزلتِهم، ولأنَّهم لا يُذنِبون.

﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ لأنَّ سُجودَهم طَوْعًا.

وقيل: طبعًا، وفي هذا القولِ نظرٌ[3].

* * *

(٥٠) - ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾.

﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾؛ أي: يخافونَ عذابَ ربِّهم من فوقِهم.

وقيل: يخافونَ اللهَ أن يُنزِلَ عليهم عذابًا من فوقِهم.

وليس بحالٍ من ﴿رَبَّهُم﴾ تعالى اللهُ عن ذلك[4].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٠٦)، واستغربه.

(٢) في (و): «لقوله».

(٣) ذكره المصنف في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [الرعد: ١٥]، وانظر: «غرائب التفسير» (١/ ٥٦٥).

(٤) علوُّه على خلقه ـ سبحانه وتعالى ـ ورد في آيات كثيرة، تارةً بالتَّمدُّح بأسمائه: العلي، والأعلى، والمتعالي، وذي المعارج، وتارة بالخبر عن ذلك في آياتٍ عديدة، كقوله هنا: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن =

والملائكةُ موصوفونَ بالخوفِ؛ لأنَّهم قادِرون على العصيانِ وإن كانوا لا يعصونَ اللهَ ما أمرَهم.

﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ منَ الطّاعةِ وغيرِها.

* * *

(٥١) ـ ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾.

﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾؛ أي: لا تعبدُوا إلهين اثنَين.

وقيل: لا تعتقِدوا المعبودَ اثنَين.

وقيل: فيه تقديمٌ وتأخيرٌ؛ أي: لا تتَّخِذوا اثنَين إلهين؛ لأنَّ كلَّ ما له ثانٍ فليس بإلهٍ؛ لأنَّ الإلهَ هو الذي لا ثانيَ له(١).

﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾؛ أي: اللهُ واحدٌ لا ثانيَ له ﴿فَإِيَّايَ﴾؛ أي: فأنا ذلك الإلهُ الواحدُ ﴿فَارْهَبُونِ﴾: فخافوني.

* * *

(٥٢) ـ ﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ﴾.

﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ خلقًا ومُلْكًا ﴿وَلَهُ الدِّينُ﴾: الطّاعةُ والإخلاصُ فيها ﴿وَاصِبًا﴾: لازِمًا.

= فَوْقِهِمْ﴾، وقوله: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]، وقوله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ۝١٥٧ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٧، ١٥٨]، وقوله: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة: ٥]، وقوله: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤]، وقوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، وهذه المسألة تبحث في كتب العقائد.

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٠٧)، واستغربه.

وقيل: دائمًا، وعبادةُ غيرِه تضمحِلُّ سريعًا.

وقيل: ﴿وَاصِبًا﴾: شاقًّا، تقولُ: وَصَبَ الدِّينُ يَصِبُ وُصوبًا ووَصَبًا، ووَصِبَ في الألَـمِ يَوْصَبُ وَصَبًا، فهو وَصِبٌ.

ابنُ بحرٍ: هو منَ الوَصَبِ، وهو الوجعُ الثَّابتُ[1]؛ أي: له الطّاعةُ لازمةً لخلقِه.

﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ﴾.

***

(٥٣) ـ ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾.

﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ﴾: عافيةٍ وغِنًى وخِصْبٍ ﴿فَمِنَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: فمِنَ الله ذلك، والمبتدأُ إذا كان موصولًا بفعلٍ أو ظرفٍ حسُنَ دخولُ الفاءِ في خبرِه[2].

﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ﴾: المرَضُ والفقرُ والجدبُ ﴿فَإِلَيْهِ﴾: إلى الله ﴿تَجْـَٔرُونَ﴾: ترفعُونَ أصواتَكُم بالدُّعاءِ، وأصلُه من جُؤارِ البقرِ: وهو صوتُه إذا رفعَه لألـمٍ يلحقُه.

***

(٥٤) ـ ﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾.

﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ﴾ النّازِلَ بكم ﴿عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم﴾ وهم الكفّارُ ﴿بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ في عبادةِ الله[3] الأصنامَ.

***

(٥٥) ـ ﴿لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ اللامُ لامُ العاقبةِ؛ أي: جعلوا عاقبةَ النِّعمِ الكفرَ بدلَ

---

(١) في (و): «أي: الثابت».

(٢) ذكر ذلك أبو علي الفارسي في «الإيضاح العضدي» (ص: ٥٥).

(٣) اسم الجلالة: «الله» ليس في (ن).

الشُّكرِ، ثمَّ أوعدَهُم أغلَظَ الوعيدِ قال: ﴿فَتَمَتَّعُواْ﴾ لا تُمنَعون عن ذلك الآنَ ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ إذا وافَيتُم الميعادَ.

***

(٥٦) ـ ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ﴾؛ أي: يعتَقِدون ويحكُمون لِـمَا يعلمونَ، (ما) للأصنامِ، والفعلُ للكفّارِ، والعائدُ محذوفٌ، وتقديرُه عندَ بعضِهم: أنَّه ينفعُ ويضرُّ، وعند بعضِهم: لا يعرِفُونها ولو عرَفُوها لَـمَا اتَّخذوها آلهةً.

صاحبُ «النَّظمِ»: العلمُ هاهنا لازمٌ، والفعلُ للأصنامِ، والواوُ هو العائد؛ أي: لِـما ليس يعلَمون لأنَّها أمواتٌ[١].

ابنُ المِهْرَبْزُدِ[٢]: ﴿لِمَا لَا يَعْلَمُونَ﴾ الفعلُ للكفّارِ، والمعنى: لجهلِهم، وهذا صحيحٌ لكنَّ الكلامَ يبقى بعده غيرَ تامٍّ، فإنَّ تقديرَ ما ذهبَ إليه: ويجعلون لأجلِ جهلِهم نصيبًا، فيحتاجُ الكلامُ إلى إضمارِ الأصنامِ[٣].

وقولُه: ﴿نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ هو ما جعلوا لأصنامِهم من حُروثِهم وأنعامِهم.

﴿تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾: تكذِبون، فتعلمون أنَّكم مُستحِقُّون العذابَ.

***

---

(١) في (و): «أموات» وقول صاحب النظم ذكره الواحدي في «البسيط» (١٣/ ٨٩).

(٢) محمد بن علي بن محمد بن الحسين بن مهربزد أبو مسلم الأصبهاني المعتزلي، كان عارفاً بالتفسير والنحو والأدب، غالياً في مذهب الاعتزال، صنف التفسير في عشرين مجلداً، هو آخر من حدث بأصبهان عن أبي بكر بن المقرئ. توفي سنة (٤٥٩ هـ). انظر: «تاريخ إربل» (٢/ ٦٣٣)، و«تاريخ الإسلام» للذهبي (١٠/ ١١٥)، و«طبقات المفسرين» للسيوطي (ص: ٩٩).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٠٧)، وعدَّه من العجائب.

(٥٧) ـ ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ﴾ هم بنو خُزاعةَ وبنو كنانةَ قالوا: الملائكةُ بناتُ الله ﴿وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ يعني: البنينَ. ومحلُّه رفعٌ بالابتداءِ والخبرِ(١).

وقيل: نصبٌ، وأنكرَه الزَّجَّاجُ في جماعةٍ(٢).

ووجهُ ذلك أن يُقالَ: مَن نصبَ فتقديرُه: ﴿وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾؛ أي: إذا اشتَهَوا أن يكونَ لهم أولادٌ تمنَّوا الذُّكرانَ وكرِهوا الإناثَ.

* * *

(٥٨) ـ ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾.

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم﴾ البشارةُ هاهنا مُستعارةٌ، وقد سبقَ.

﴿بِٱلْأُنثَىٰ﴾: ببنتٍ ﴿ظَلَّ وَجْهُهُۥ﴾: دامَ النَّهارَ كلَّه ﴿مُسْوَدًّا﴾ السَّوادُ كنايةٌ عن العُبوسِ والكراهةِ مـمَّا أُخبِرَ به، وعن تغيُّرِ اللَّونِ منَ الحزنِ والاغتمامِ(٣).

وقيل: أسودَ اللَّونِ، والأوَّلُ أظهَرُ.

﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾: حزينٌ ممتلئٌ غيظًا، فعيلٌ بمعنى: فاعلٍ، وقيل: بمعنى مفعولٍ كقولِه: ﴿وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ [القلم: ٤٨]، وقد سبقَ(٤).

* * *

---

(١) أي: ولهم البنون. قاله المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٠٧).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٠٦)، وانظر تعليله للمنع ثمة. وهذا القول ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٠٧)، واستغربه.

(٣) في (ن): «والاهتمام».

(٤) «وقد سبق»: من (ن).

(٥٩) - ﴿يَتَوَارَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾.

﴿يَتَوَارَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ﴾: يَبْعدُ عنهم ﴿مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ﴾ مُقدِّرًا في نفسِه ﴿أَيُمْسِكُهُۥ﴾: أيترُكُها، وذكَّرَ الكنايةَ لأنَّها تعودُ إلى لفظِ ﴿مَا﴾.

﴿عَلَىٰ هُونٍ﴾: هوانٍ. وقيل: على مشقَّةٍ. وقيل: على قلَّةٍ.

صاحبُ «النَّظمِ»: ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ ﴿أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ﴾، والكظمُ: سترُ المكروهِ في القلبِ(١).

وقولُه: ﴿أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ﴾: أم يئِدُه وينبِذُه.

وقيل: يُخفيه على النّاسِ حتَّى لا يعرِفوه، حكاه الماورديُّ(٢).

﴿أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ من قولِهم: لله البناتُ ولهم ما يشتهون.

***

(٦٠) - ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ﴾ قيل: ﴿مَثَلُ﴾ بمعنى: الصِّفةِ ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾: الصِّفةُ العُليا.

وقيل: تمَّ الكلامُ على قولِه: ﴿مَثَلُ ٱلسَّوْءِ﴾(٣) ثمَّ قالَ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾(٤): الأفضَلُ والأحسَنُ، وهو التَّنزيهُ عمَّا لا يليقُ به.

---

(١) أي: جعل صاحب «النظم»: ﴿أَيُمْسِكُهُۥ﴾ متصلًا بـ﴿كَظِيمٌ﴾. وهذا القول ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٠٨)، واستغربه.

(٢) انظر: «النكت والعيون» (٣/ ١٩٥)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٠٨)، واستغربه.

(٣) انظر: «الملتقى في الوقف والابتدا» لأبي عمرو الداني (ص: ١١٨).

(٤) بعدها في (ن): «في السموات والأرض».

الزَّجّاجُ: ﴿ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾: قولُ: لا إلهَ إلّا اللهُ[1].

وقيل: الصِّفةُ التي وَصَفَ بها هؤلاءِ الجهَّالُ ربَّهم هم أولى بها منَ اللهِ، ولله الصِّفةُ العُليا، وهو أنَّه لـم يلِدْ ولـم يُولَدْ، ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

* * *

(٦١) - ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾.

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم﴾؛ أي: لو يُعاقِبُهم بكُفرِهم ﴿مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ﴾: على الأرضِ، كنايةٌ عن غيرِ مذكورٍ[2]، وجاز لأنَّ الدَّوابَّ لا تكونُ إلّا في الأرضِ.

وفي الدّابّةِ قولانِ:

أحدُهما: أنَّها عامّةٌ في بني آدمَ وغيرِهم ممَّا يَدِبُّ.

والثّاني: أنَّ المُرادَ بها هاهنا البهيمةُ.

وفي المعنى ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: لو عجَّلَ عقوبةَ كفَّارِ بني آدمَ ما تركَ على الأرضِ ما يَدبُّ عليها.

والثّاني: معنى ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾: من ظالمٍ.

والثّالثُ: لو أهلَكَ الآباءَ بكفرِهم لـم تكُنِ الأبناءُ.

﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ قيل: هو وقتُ العذابِ، وقيل: حينُ الموتِ، وقيل: إلى يومِ القيامةِ.

﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾؛ أي: فإذا أتى أحدُ هذه الأوقاتِ هلكوا البتَّةَ من غيرِ تقديمٍ ولا تأخيرٍ.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٠٧).

(٢) أي: عاد الضمير إلى (الأرض) مع أنها لم تذكر سابقاً.

(٦٢) - ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴾.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾؛ أي: ما يكرَهُونَه لأنفُسِهم، وهو البناتُ.

﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ﴾؛ أي: ويقولون الكذبَ، و﴿ٱلْكَذِبَ﴾ مفعولٌ به، وأضافَ الوصفَ إلى اللِّسانِ لأنَّ القولَ به يكونُ.

﴿أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾: بدلٌ منَ ﴿ٱلْكَذِبَ﴾، و﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾: البنونَ، وقيل: الجنَّةُ، على تقديرِ: إنْ كانَ البعثُ حقًّا.

﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ الزَّجَّاجُ: ﴿لَا﴾ ردٌّ لكلامِهم، ومعنى: ﴿جَرَمَ﴾: كَسَبَ؛ أي: كَسَبَ فِعْلُهم ﴿أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ﴾[1].

قُطرُبٌ: ﴿جَرَمَ﴾ بمعنى: وجَبَ، فيكونُ ﴿أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ في محلِّ رفعٍ[2]، وقيل: حقَّتْ لهم النّارُ.

وقيل: معناه: فليس بجُرمٍ، وهذا فعلُهم وقولُهم أن يُعذَّبوا بالنّارِ.

﴿وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ﴾ عطفٌ على ﴿أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ﴾؛ أي: أُعجِلُوا إلى النّارِ فهم فيها فَرَطٌ لمَن تقدَّمَهم. والفارِطُ: المُتقدِّمُ، من هذا.

وقيل: معناه: متروكون منسيُّون.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٠٧).

(٢) وعلى القول الذي قبله في محل نصب، والفاعل مضمر وهو (فعلُهم) كما تقدم. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٠٧)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٢٥٣)، و«غرائب التفسير» (١/ ٦٠٨)، وقد تقدم كلام المصنف على معناها في تفسير قوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾ [هود: ٢٢].

وقُرِئَ: ﴿مُفْرِطون﴾ بالكسرِ والتَّخفيفِ، و﴿مُفَرِّطون﴾ بالكسرِ والتَّشديدِ[١].

قيل: هما بمعنًى.

«الحجَّة»: أفرَطَ كأقطَفَ وأجرَبَ؛ أي: صاروا ذَوي فرَطٍ إلى النّارِ وسبْقٍ إليها[٢].

وقيل: أفرَطُوا في أعمالِهم؛ أي: أسرَفُوا في الآثامِ على أنفُسِهم.

* * *

(٦٣) ـ ﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ﴾؛ أي: أرسَلْنا رسلًا إلى مَن تقدَّمَكَ منَ الأممِ ﴿فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾؛ أي: فكفروا بالمُرسلين وقبِلوا غرورَ الشَّيطانِ وخيَّلَ إليهم أنَّ ما هم عليه خيرٌ ﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ﴾؛ أي: فإبليسُ يتولَّى أمورَهم.

و﴿ٱلْيَوْمَ﴾ يريدُ: يومَ القيامةِ؛ أي: لا وليَّ لهم سواه.

وقيل: في الدُّنيا؛ أي: هو وليُّهم وهم أولياؤُه، والله عدوُّه وعدوُّهم.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في القيامةِ.

* * *

(٦٤) ـ ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ﴾ يا محمَّدُ ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: القرآنَ ﴿إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ﴾: للنّاسِ ﴿ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾؛ أي: تُبيِّنَ لهم الحقَّ منَ الباطلِ.

---

(١) هذه قراءة أبي جعفر من العشرة، والتي قبلها قراءة نافع، وقرأ الباقون بفتح الراء والتخفيف. انظر: «السبعة» (ص: ٣٧٦)، و«التيسير» (ص: ١٣٨)، و«النشر» (٢/ ٣٠٤).

(٢) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٥/ ٧٣).

﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ عطفٌ على موضعِ اللّامِ؛ لأنَّه مفعولٌ له.

***

(٦٥) ـ ﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾.

﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾: مـنَ السَّـحابِ، وقيـل: من جانـبِ السَّـماءِ. وقيل: من سـماءِ[١] الملائكـةِ إلى السَّـحابِ ثمَّ إلـى الأرضِ.

﴿مَآءً ﴾: مطرًا ﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ ﴾؛ أي: أنبتَ فيها من كلِّ[٢] أنواعِ النَّباتِ ﴿بَعْدَ مَوْتِهَآ ﴾: يبَسِها، وذلك موتُها وحياتُها.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾: لمَن أصغَى إلى كلامِ الله ووعظِه ولم يُعانِدْ.

***

(٦٦) ـ ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴾.

﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ﴾: دلالةً وعلامةً يُعبرُ بها منَ الجهلِ إلى العلمِ.

﴿نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ ﴾ ذهبَ بالأنعامِ إلى النَّعَمِ؛ لأنَّ الألفَ واللّامَ للجنسِ، فسواءٌ دخلَ الواحدَ أو[٣] الجمعَ[٤].

---

(١) «سماء» ليست في (و).

(٢) «كل»: ليست في (ن).

(٣) في (و) و(ن): «و» بدل «أو».

(٤) انظر: «معاني القرآن» (١/ ١٣٠)، و«غرائب التفسير» (١/ ٦٠٩)، وفيه: ذهب جماعة إلى أن ﴿ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ محمولة على معنى النَّعم؛ لأن الألف واللام إذا دخل الآحاد ألحقه بالجمع كقوله: «والله لا أتزوج المرأة»، فإنه يحنث بالواحدة والجمع، وإذا دخل الجمعَ ألحقه بالواحد كقوله: «والله لا =

أبو عبيدةَ: الهاء تعودُ إلى البعضِ؛ لأنَّ لبعضِها لبنًا دونَ الجميعِ، وهو الأُنثى(١).

﴿مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا﴾؛ أي: الأنعامُ تُعلَفُ الحشيشَ والخضرَ، فجعلَ الله بعضَه دمًا وبعضَه فَرْثًا، ويُحيلُ بعضَ الدَّمِ الأحمرِ لبنًا أبيضَ ﴿خَالِصٗا﴾: صافيًا من نَتْنِه ولونِه، حلوًا دَسِمًا.

وقيل: إذا استقرَّ العلفُ في بطنِ الدَّابَّةِ طبخَتْه فاستحالَ أعلاهُ دمًا وأوسطُه لبنًا وأسفلُه فَرْثًا، فيُجري الكبدُ الدَّمَ إلى العِرْقِ، واللَّبنَ إلى الضَّرعِ، ويبقى الفَرْثُ ثمَّ ينحدرُ، وفي ذلك عبرةٌ لمَن اعتبرَ.

﴿سَآئِغٗا لِّلشَّٰرِبِينَ﴾: يسوغُ في حلقِ مَن تناوَلَه.

ابنُ جريرٍ: لم يَغَصَّ أحدٌ باللَّبنِ قطُّ(٢).

وقيل: ﴿سَآئِغٗا﴾: حلالًا.

وقيل: لا تَعافُه النَّفسُ وإن خرَجَ من بينِ الدَّمِ والفَرْثِ.

* * *

= أتزوج النساء»، فإنه يحنث بالواحدة، ولو قال: «لا أتزوج نساء»، فإنه يحنث بدون الثلاث»، كذا عبارة المطبوع من الغرائب، وظهر كلام المصنف أن في المسألتين فرقاً وينبغي أن تكون العبارة: «فإنه لا يحنث بدون الثلاث» وانظر: «المحيط البرهاني» لابن مازة الحنفي (٤/ ٢٣٨)، و«تبيين الحقائق» للزيلعي (١/ ٢٢١)، و«تحفة المحتاج» للهيتمي (١٠/ ٣٤).

(١) انظر: «مجاز القرآن» لأ (١/ ٣٦٢)، وفيه: «والعرب قد تظهر الشيء ثم تخبر عن بعض ما هو بسببه وإن لم يظهروه». وذكر قبله وجهين حيث قال: «﴿وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ﴾ يذكَّر ويؤنث، وقال آخرون: المعنى على النعم؛ لأن النعم؛ يذكر ويؤنث...».

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١٤/ ٢٧٤).

(٦٧) - ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا وَرِزۡقًا حَسَنًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾.

﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ﴾ تقديرُه: ومن ثمراتِ النَّخيلِ والأعنابِ آياتٌ؛ بالرَّفعِ على الابتداءِ، أو: آياتٍ؛ بالنَّصبِ عطفاً[١] على اسمِ (إنَّ).

وعند الكوفيِّين: ما ﴿تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ﴾، وعندَ البصريِّين: شيءٌ ﴿تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ﴾[٢].

وفي تذكيرِ الضَّميرِ أقوالٌ:

أحدُها: أنَّه يعودُ إلى (ما).

والثَّاني: إلى (شيءٍ) على ما سبقَ.

وقيل: إلى ذلك. وقيل: إلى الثَّمرِ كالنَّعَمِ[٣]. ويحتمِلُ أن يعودَ إلى البعضِ كما قالَ أبو عبيدةَ في النَّعمِ، واستحسَنَه النُّحاةُ.

﴿سَكَرٗا وَرِزۡقًا حَسَنًا﴾ فيه أقوالٌ:

ابنُ عبَّاسٍ والحسَنُ في جماعةٍ: السَّكرُ: الخمرُ، والرِّزقُ الحسَنُ: التَّمرُ والزَّيتُ والدِّبسُ والخلُّ، والآيةُ سابقةٌ على تحريمِ الخمرِ[٤].

---

(١) في (و): «بالعطف».

(٢) وتفصيل القولين: أن قوله: ﴿تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا﴾ الضمير فيه على مذهب الكوفيين يعود إلى مضمر، وذلك المضمر موصول، وهذه الجملة صلة على تقدير: ما تتخذون منه، وقال البصريون: لا يجوز حذف الموصول وإقامة الصِّلَةِ مقامه، أما حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه فكثير، كقوله: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٞ مَّعۡلُومٞ﴾ [الصافات: ١٦٤]؛ أي: أحدٌ. انظر: «غرائب التفسير» (١/ ٦٠٩).

(٣) في (و): «وقيل: إلى النعم». والمراد أن الضمير عاد إلى لفظ (الثمر) وهو مذكر؛ لأنه بمعنى الثمرات.

(٤) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٢٨٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٨٨) عن ابن =

وعن أبي عبيدٍ[١]: السَّكَرُ: الخلُّ، والرِّزقُ الحسَنُ: ما هو خيرٌ منَ الخلِّ[٢].

الحسَنُ: ما كان منَ العنبِ فهو خمرٌ، وما كان منَ التَّمرِ فهو سَكرٌ[٣].

الشَّعبيُّ وأبو رَزِينٍ وابنُ جريرٍ[٤]: السَّكَرُ: ما يحلُّ شُربُه كالنَّبيذِ والخلِّ[٥].

عامرٌ: السَّكَرُ: ما شرِبْتَ، والرِّزقُ الحسَنُ: ما أكلْتَ[٦].

وقيل: السَّكَرُ: الطُّعمُ، قال:

جعلْــتَ أعــراضَ الكــرامِ سَــكَرا[٧]

= عباس رضي الله عنهما. وروى الطبري معناه في «تفسيره» (١٤/ ٢٧٩) عن الحسن، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٧١ ـ ٧٢) رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن الحسن وجماعة عدهم.

(١) في (و): «عبيدة».

(٢) روى نحو هذا القول ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٨٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «السكر: الخل والنبيذ وما أشبهه، والرزق الحسن: الثمر والزبيب وما أشبهه».

(٣) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٧٠٥٤) عن ابن المسيب عن النبي ﷺ مرسلًا، ورواه ابن حبان في «الثقات» (٦/ ٨٧) من قول عمر رضي الله عنه، وروى الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٢٧٩) عن الحسن قال: «السكر: ما حرَّم الله منه، والرزق الحسن ما أحلَّ الله منه».

(٤) «وابن جرير» من (ن).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٢٨٣ ـ ٢٨٤) عن الشعبي، ورجَّحه. أما أبو رزين فروى عنه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٢٧٨) قوله: «﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ نزل هذا وهم يشربون الخمر، فكان هذا قبل أن ينزل تحريم الخمر».

(٦) عامر هو الشعبي، والأثر عنه ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٧٢)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٢٨٤) بلفظ: «السكر: النبيذ، والرزق الحسن: التمر الذي كان يؤكل».

(٧) هكذا ورد في المصادر بلا تتمة، وهو بلفظ المؤلف في «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٠٩)، و«تهذيب اللغة» (١٠/ ٣٥)، و«الكشاف» (٢/ ٦١٧)، و«اللسان» مادة: (س ك ر). وجاء في «مجاز =

الأصمُّ: السَّكَرُ: كلُّ ما حرَّمَه الله من ثمرِها، والرِّزقُ الحسَنُ: ما أحلَّه الله[1].

ابنُ بحرٍ: السَّكَرُ: المُسكِرُ، قال: فأضافَ الله تعالى إلى نفسِه[2] سقيَ اللَّبنِ، وأضافَ إلى العبادِ اتِّخاذَ السَّكَرِ، وهو ادِّخارُهم لذلك حتّى يصيرَ سَكرًا.

وقيل: السَّكَرُ: ما سدَّ الجوعَ، مُشتقٌّ من قولِهم: سَكَرْتُ النَّهرَ: إذا سدَدْتَه.

وقيل: هو إنكارٌ مِنَ الله عزَّ وجلَّ عليهم، وتقديرُه: أتتَّخِذُونَ منه سَكرًا ورزَقكُم الله رِزقًا حسنًا؟!

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ هذا تحريضٌ من الله للعاقلِ ليتأمَّلَ في الآياتِ.

***

(٦٨) - ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾.

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ قيل: ألهمَها، وهو إلقاءُ الله في رُوعِ الحيوانِ.

وقيل: هو إيجادُه على تلك الحالةِ؛ لأنَّ الله جعَلَ في طِباعِها اتِّخاذَ البيوتِ والأكلَ من الثَّمراتِ وغيرَ ذلك، وفيها أُعجوبةٌ لمن تأمَّلَ.

والنَّحلُ: زَنابيرُ العسلِ، واحدُها: نحلةٌ، وقيل: ذُبابُ العسلِ.

= القرآن» (١/ ٣٦٣)، و«تفسير الطبري» (١٤/ ٢٨٤)، و«تفسير الثعلبي» (١٦/ ٧٤)، برواية:

جعلت عيب الأكرمين سكرا

ونسبه أبو عبيدة لجندل، ولعله جندل بن المثنى الطهوي الذي له ترجمة في «سمط اللآلي» (ص: ٦٤٤).

(١) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٢٧٩) عن الحسن.

(٢) في (ن): «فأضاف إلى نفسه سبحانه».

﴿أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا﴾؛ أي: في الجبالِ[١]، ويحتملُ أنَّه للتَّبعيضِ؛ لأنَّ ذلك وُجِدَ في بعضِ الجبالِ، وسمَّاها بيوتًا تشبيهًا ببيوتِ الإنسانِ، وقيل: لأنَّها مبنيَّةٌ على حُسنِ الصَّنعةِ وصحَّةِ القِسمةِ[٢].

﴿وَمِنَ ٱلشَّجَرِ﴾ في الغِياضِ والجبالِ والصَّحاري.

﴿وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ ابنُ زيدٍ: الكرومُ[٣].

غيرُه: ﴿يَعْرِشُونَ﴾: يبنُونَ، يُريدُ: منازلَ النَّاسِ.

***

(٦٩) ـ ﴿ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾؛ أي: منَ الثِّمارِ والأنوارِ[٤]؛ حُلوِها ومرِّها.

وقيل: أعجَبُ ما يكونُ العسلُ[٥] إذا كان من أنوارٍ مختلفةِ الطِّباعِ والطُّعومِ.

﴿فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ﴾: امضي فيما سخَّرَكِ الله له ﴿ذُلُلًا﴾: جمعُ ذَلولٍ، وهي حالٌ من السُّبلِ.

مجاهدٌ: لا يتوعَّرُ عليها مكانٌ سلكَتْه[٦].

---

(١) فـ(مِن) على هذا بمعنى: في، وهو مذهب الكوفيين، وإليه مال عامة متأخري النحاة. انظر: «شرح الأشموني على الألفية» (٢/ ٧٢).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦١٠)، واستغربه.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٢٨٧)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٧٤).

(٤) الأنوار: جمع النَّوْر، وهو زهر النبت. انظر: «جمهرة اللغة» (٢/ ٨٠٧).

(٥) في (و) و(ن): «في العسلِ».

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٢٨٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٩٠).

غيرُه: ﴿ذُلُلًا﴾[1]: حالٌ منَ النَّحلِ؛ أي: مُطيعةً لله سبحانَه.

﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ﴾: هو العسلُ تُلقيه مِن فيها.

ورُوِيَ عن الحسَنِ أنَّه قال: لبابُ البُرِّ بلُعابِ النَّحلِ بخالصِ السَّمنِ ما عابَه مسلمٌ[2]؛ فجعلَه لُعابًا كالرِّيقِ الدّائمِ الذي يخرجُ من فمِ ابنِ آدمَ.

وقيل: يخرجُ من فيها، وسُمِّي الفمُ بطنًا لأنَّه في حكمِ البطنِ، ولأنَّه ممَّا يَبطُنُ ولا يظهرُ.

وقيل: تُلقيه من أسفلِها، ورُوِيَ عن عليٍّ رضي الله عنه أنَّه قال: أمَّا العسلُ فونيمُ الذُّبابِ[3].

وقيل: إنَّها تحملُ الطَّلَّ الواقعَ على الشَّجرِ فتضعُه من فيها في كورِها فيصيرُ عسلًا.

وقيل: العسلُ أنوارٌ مختلفةٌ تحملُها النَّحلُ إلى كورِها وتضعُ بعضَها على بعضٍ، فيستحيلُ على الأيّامِ شَهْدًا عسلًا، وهذا ضعيفٌ[4]؛ لأنَّ الله تعالى قالَ: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا﴾ إلّا أن يُؤوَّلَ البطنُ.

---

(١) في (و): «ذلك».

(٢) رواه الطبري في «تاريخه» (١١/ ٦٣٩)، والدينوري في «المجالسة» (١٧٣٧)، وذكره الجاحظ في «البيان والتبيين» (١/ ٣٩)، والثعلبي في «تفسيره» (١١/ ٤٧٠). وفي قصته: أن الحسن سمع رجلاً ـ وعند الطبري أنه ابنه ـ يعيب الفالوذج؛ فقال: «لباب البر...».

(٣) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٣/ ٤٠٦)، ولفظه: «وورد عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال في تحقير الدنيا: أشرف لباس ابن آدم فيها لعاب دودة، وأشرف شرابه رجيع نحلة». وونيم الذباب: سلحه. انظر: «الصحاح» مادة: (و ن م).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦١١)، واستغربه.

﴿مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ﴾ أبيضُ وأحمرُ وأصفرُ، وذُكِرَ أنَّ الأبيضَ منَ العسلِ يُلقيه الشَّبابُ منَ النَّحلِ، والأصفرَ يُلقيه الكُهولُ منها، والأحمرَ يُلقيه الشِّيبُ منها.

﴿فِيهِ شِفَآءٞ لِّلنَّاسِ﴾ جمهورُ المُفسِّرين على أنَّ الضَّميرَ يعودُ إلى العسلِ، ونُكِّرَ ﴿شِفَآءٞ﴾ لبعضِ الأدواءِ، ولا يجبُ من قولِه تعالى: ﴿فِيهِ شِفَآءٞ﴾ أن يُشفَى به كلُّ عليلٍ.

ورَوَى قتادةُ: أنَّ رجلًا جاءَ إلى رسولِ الله عليه السَّلامُ، فذكرَ أنَّ أخاه يشتكي بطنَه فقالَ عليه السَّلامُ: «اذهَبْ فاسقِه عسلًا»، فرجعَ وقالَ: سقيتُه فلم يَزُلْ ما به، فقال عليه السَّلامُ: «اذهَبْ فاسقِه عسلًا، فقد صدَقَ الله وكذَبَ بطنُ أخيك» فسقاه ثانيًا فكأنَّما أُنشِطَ من عقالٍ[١].

ورُوِيَ عنه عليه السَّلامُ: «لو كانَ شيءٌ يُنجي منَ الموتِ لكانَ السَّنا[٢] والسَّنُّوتُ»[٣]؛ السَّنُّوتُ: العسلُ[٤].

---

(١) رواه البخاري (٥٦٨٤)، ومسلم (٢٢١٧)، من طريق قتادة عن أبي المتوكل عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) كتب تحته في (ط): «المكي»، والسنا: نبات يتداوى به، وأجور السنا المكي أو الحجازي. انظر: «المقصور والممدود» لابن ولاد (ص: ٦٢)، وللغالي (ص: ١٠٤)، و«شرح الكتاب» للسيرافي (٤/ ١٣٧).

(٣) رواه ابن ماجه (٣٤٥٧)، والحاكم في «المستدرك» (٧٤٤٢) عن أبي أُبيٍّ بن أم حرام رضي الله عنه، ولفظه: «عليكم بالسنا والسنوت؛ فإن فيهما شفاء من كل داء، إلا السام» ، قيل: يا رسول الله، وما السام؟ قال: «الموت». وإسناده ضعيف جدًا، عمرو بن بكر السَّكسكي متروك، وذهل الحاكم فصحح إسناده، فتعقبه الذهبي بقوله: «عمرو اتهمه ابن حبان».
وله شاهد من حديث أنس بن مالك عند النسائي في «الكبرى» (٧٥٣٣)، ولفظه: «ثلاثٌ فيهنَّ شفاءٌ مِن كلِّ داءٍ إلَّا السَّامَ: السَّنَا والسَّنُّوتُ» ـ قال محمدٌ (هو ابن عمارة أحد رجاله): ونَسِيتُ الثالثةَ ـ قالوا: يا رسولَ الله، هذا السَّنَا قد عرَفْناه، فما السَّنُّوتُ؟ قال: «لو شاء الله لَعَرَّفَكُموه» ومحمَّد بن عمارة وثقه ابن معين، وقال أبو حاتم: صالح ليس بذاك القوي، وقد تفرد بهذا الحديث عن أنس.

(٤) انظر: «غريب الحديث» لابن قتيبة (١/ ٣٥٨)، و«المنتخب» لكراع النمل (ص: ٣٨٠)، و«جامع الأصول» (٧/ ٥٢٤).

وقال بعضُهم: الضَّميرُ يعودُ إلى القرآن؛ أي: في القرآنِ شفاءٌ للنّاسِ[١].

وقيل: إليهما[٢]؛ لقولِه عليه السَّلامُ: «عليكم بالشِّفاءَين: العسلِ والقرآنِ»[٣].

وقيل: الضَّميرُ يعودُ إلى ما بيَّنَ الله منَ الدَّلائلِ والاعتبارِ في النَّحلِ، فيكونُ الشِّفاءُ لداءِ الجهلِ، يُقوِّيه قولُه تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٤].

* * *

(٧٠) ـ ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾.

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ﴾: يقبضُ أرواحَكم من أبدانِكم؛ طِفلًا رضيعًا أو صبيانًا أو شُبَّانًا[٥] أو كُهولًا أو شيوخًا.

﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ﴾ الرَّدُّ: الإعادةُ إلى حالٍ تقدَّمَتْ ﴿إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾ يعني: الهرَمَ الذي ينقُصُ فيه عقلُه وقوَّتُه. ورُذالُ كلِّ شيءٍ: ما يُنفَى ويُطرَحُ، ضدُّ: الخِيارِ.

ابنُ زيدٍ: ﴿أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾: الخرَفُ. قتادةُ: تسعونَ سنةً[٦].

وعن عليٍّ رضي الله عنه: خمسٌ وسبعونَ سنةً[٧].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦١١)، واستغربه.

(٢) ذكر المصنف هذا القول في «غرائب التفسير» (١/ ٦١١) وعده من العجائب.

(٣) رواه ابن ماجه (٣٤٥٢) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً، ورواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص ٥٧ و٣٨٤)، والحاكم في «المستدرك» (٧٤٣٦)، عن ابن مسعود موقوفاً، وهو الصواب.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦١١)، واستغربه.

(٥) في (ن): «شبابًا».

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٧٨).

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٢٩٢)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٧٩).

وقيل: ثمانون سنةً، حكاه أقضى القُضاةِ وقُطربٌ[1].

قيل: ﴿أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ﴾: أنقصُه وأوضَعُه.

﴿لِكَيۡ لَا يَعۡلَمَ بَعۡدَ عِلۡمٖ شَيۡـًٔاۚ﴾ يجوزُ في اللّامِ أن تكونَ لامَ (كي)، فيصيرُ المعنى: كيلا يعلَمَ بعدَ علمٍ شيئًا فيكونَ عبرةً للمُعتبِرِ، وليَعلَمَ أنَّه كما هو قادرٌ على نقلِه منَ العلمِ إلى الجهلِ قادرٌ على إماتتِه وإحيائِه.

ويجوزُ أن تكونَ لامَ العاقبةِ؛ أي: يصيرُ إلى حالِ الطُّفولةِ بنسيانِ ما كان يعلمُ.

وقيل: لئلّا يعمَلَ بعد علمِه شيئًا؛ أي: يَفْتُرَ على العملِ بالعلمِ؛ لأنَّ تأثيرَ الكِبَرِ في العملِ أكثرُ منه في العلمِ، حكاه الماوَرديُّ[2].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٞ قَدِيرٞ﴾.

* * *

(٧١) - ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلرِّزۡقِۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّي رِزۡقِهِمۡ عَلَىٰ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَهُمۡ فِيهِ سَوَآءٌۚ أَفَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ﴾.

﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلرِّزۡقِ﴾ يُريدُ بالتَّفضيلِ هاهنا: زيادةَ المالِ ﴿فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ﴾ في الرِّزقِ؛ يعني: المالِكين ﴿بِرَآدِّي رِزۡقِهِمۡ﴾: بمُعطي رزقِهم؛ يُريدُ: ما زادَ على رزقِ عبيدِهم، استعملَ لفظَ الرَّدِّ موضعَ الإعطاءِ ﴿عَلَىٰ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ﴾ منَ العبيدِ والإماءِ.

﴿فَهُمۡ فِيهِ سَوَآءٌ﴾ فيه قولانِ:

أحدُهما: أنَّه حالٌ، والمعنى: إنَّكم لا تُشرِكُونَ عبيدَكم في أموالِكم، والله سبحانَه أحقُّ أن لا يُشرِكَ في الإلهيَّةِ الأصنامَ.

---

(١) حكاه الماوردي عن قطرب. انظر: «النكت والعيون» (٣/ ٢٠٠).

(٢) انظر: «النكت والعيون» (٣/ ٢٠٠).

والثّاني: استئنافٌ؛ أي: إنَّهم سواءٌ في أنّي رزَقْتُ الجميعَ، وأنَّه لا يُمكِنُ أحدٌ أن يرزقَ عبدَه إلّا برِزقي إيَّاه، هذا لفظُ ابنِ عيسى(١).

ويحتملُ وجهَين آخرَين:

أحدُهما: أنَّ قولَه: ﴿فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ﴾ جملةٌ واقعةٌ موقعَ جوابِ النَّفي، وتقديرُه: فما الذين فُضِّلوا برادِّي رزقِهم على ما ملكت أيمانُهم فيَستووا مع عبيدِهم في الرِّزقِ.

والثّاني: على إضمارِ(٢) ألفِ الاستفهامِ، وتقديرُه: أَفَهُم فيه سواءٌ؟

وقولُه تعالى: ﴿أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ حيثُ يتَّخِذون معه شُركاءَ؛ استفهامٌ بمعنى الإنكارِ.

وفي سببِ النُّزولِ: أنَّها نزلَتْ في وفدِ نجرانَ حيثُ قالوا في عيسى عليه السَّلامُ ما قالوا(٣).

***

(٧٢) ـ ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾.

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ يُريدُ: حوَّاءَ خُلِقَتْ من آدمَ عليه السَّلامُ، وقيل: من جِنسِكم؛ لتأنَسُوا بها أُنسَ الشَّبيهِ بالشَّبيهِ المُوافقِ.

﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾: اختلَفُوا في الحفَدةِ:

---

(١) ذكر بعضه المنتجب في «الفريد في إعراب القرآن المجيد» (٤/ ١٣٥) بلا نسبة.

(٢) في (ن): «والثاني إضمار».

(٣) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٢٨٢) بلا نسبة، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٨١)، والواحدي في «البسيط» (١٣/ ١٣٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

فقيل: هم الخدَمُ، والحَفْدُ: الإسراعُ في الخدمةِ، والحافِدُ: الخادِمُ، والحفَدةُ جمعُه كالسَّفرةِ.

ونصبُه بـ ﴿جَعَلَ﴾؛ أي: وجعلَ لكم حفدةً.

وقيل: هم أولادُ الأولادِ.

وقيل: هم أزواجُ البناتِ، وهم الأَخْتانُ.

وقيل: البناتُ؛ لأنَّهنَّ يخدمنَ في البيوتِ أتمَّ خدمةٍ.

وقيل: أولادُ المرأةِ من زوجٍ قبلَه.

وقيل: هم البنونَ؛ أي: يأنسُ بهم في الصِّغرِ ويخدمونَه في الكِبَرِ.

﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾: منَ الحلالِ، وقيل: منَ اللَّذيذِ كاللَّبنِ والعسلِ والثِّمارِ، وقيل: هو ما يأتيك عفوًا.

﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾ وهم الأصنامُ ﴿وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ حيثُ أضافُوا النِّعمَ إلى الأصنامِ، ولا يُضيفونَها إلى المُنعِمِ بها عليهم.

ابنُ جريرٍ: يُصدِّقونَ أولياءَ الشَّيطانِ فيما يُحرِّمونَه منَ البَحيرةِ وأخَواتها[1].

الحسنُ: آمنوا بالشَّيطانِ وكفروا بمحمَّدٍ عليه السَّلامُ وكذَّبوه[2].

***

(٧٣) ـ ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا﴾ يُريدُ أنَّ

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٤/ ٣٠٤).

(٢) لم أجده عن الحسن، وقد ذكر نحوه الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٦/ ٥٣٩) بلا نسبة، روى نحوه ابن المنذر عن ابن جريج، كما في «الدر المنثور» (٥/ ١٤٩).

الصَّنمَ جمادٌ لا يملكُ رِزقَ شيءٍ، فالرِّزقُ مصدرٌ، والشَّيءُ مفعولُ المصدرِ[١]، وقيل: بدلٌ منَ الرِّزقِ[٢].

وأرادَ ﴿مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: المطرَ ﴿وَٱلۡأَرۡضِ﴾: النَّباتَ.

﴿وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ﴾؛ أي: ليس لها الآنَ مَلَكةٌ، ولا في استطاعتِهم أن يملكوا أبدًا.

ووحَّدَ ﴿يَمۡلِكُ﴾ على لفظِ ﴿مَا﴾، وجَمع: ﴿يَسۡتَطِيعُونَ﴾ على المعنى قياسًا على (مَن).

* * *

(٧٤) ـ ﴿فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾.

﴿فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾ الزَّجَّاجُ: لا تجعلوا لله مِثْلًا، فإنَّه واحدٌ لا مِثْلَ له[٣]؛ أي: لا تجعلوا له الشُّركاءَ.

وقيل: لا تقيسوه على شيءٍ من خلقِه، ولا أفعالَه على أفعالِكم[٤].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ وإنَّما تُضرَبُ الأمثالُ لمَن لا يعلمُ.

---

(١) كما تقول: «هو يخدم من لا يستطيع إعطاءه درهماً»، وإلى هذا ذهب الفراء في «معاني القرآن» (٢/ ١١٠)، في «غريب القرآن» (ص: ٢٤٧)، وأبو علي في «الحجة» (٢/ ٤٣١)، ونسبه الأصبهاني في «إعراب القرآن» (ص: ١٩٣) للكوفيين وبعض البصريين.

(٢) هو قول الأخفش كما في «معاني القرآن» (٢/ ٤١٧)، ونسبه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣٠٦) لبعض البصريين.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢١٤).

(٤) في (و): «ولا أفعالكم على أفعاله».

(٧٥) ـ ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبۡدٗا مَّمۡلُوكٗا لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَمَن رَّزَقۡنَٰهُ مِنَّا رِزۡقًا حَسَنٗا فَهُوَ يُنفِقُ مِنۡهُ سِرّٗا وَجَهۡرًاۖ هَلۡ يَسۡتَوُۥنَۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾.

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبۡدٗا مَّمۡلُوكٗا لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَمَن رَّزَقۡنَٰهُ مِنَّا رِزۡقًا حَسَنٗا﴾ فيه قولانِ:

أحدُهما: أنَّه مَثَلٌ ضربَه الله لنفسِه ولمَن عُبِدَ دونَه أو معَه؛ لأنَّه عاجزٌ مُدبَّرٌ مملوكٌ لا يقدرُ على نفعٍ ولا ضرٍّ، والله واسعٌ رازقٌ جوادٌ مقتدِرٌ.

والثّاني: أنَّه الكافرُ لا يعملُ بطاعةِ الله؛ أي: كأنَّه لا يقدرُ على ما يُنفِقُه في طاعةِ الله ﴿وَمَن رَّزَقۡنَٰهُ﴾ منَ المؤمنين مالًا حلالًا ﴿فَهُوَ يُنفِقُ مِنۡهُ﴾؛ أي: يتصدَّقُ منه ﴿سِرّٗا وَجَهۡرًاۖ هَلۡ يَسۡتَوُۥنَ﴾؛ أي: في الطّاعةِ.

الزَّجَّاجُ: بيَّنَ الله أنَّ المُتساوِيَين في الخَلْقِ إذا كانَ أحدُهما مُقتَدِرًا على الإنفاقِ والآخرُ عاجزًا لا يقدرُ أن يُنفِقَ لا يستويانِ، فكيف بينَ الحجارةِ التي هي مَواتٌ وبين الله الذي هو على كلِّ شيءٍ قديرٌ، وهو رازقُ جميعَ خلقِه[٥]؟!

ومعنى قولِه تعالى: ﴿عَبۡدٗا مَّمۡلُوكٗا﴾ يُريدُ: أيَّ عبدٍ كانَ.

وعن عطاءٍ: أنَّه أبو جهلِ بنُ هشامٍ، ﴿وَمَن رَّزَقۡنَٰهُ﴾: أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه[٦].

قولُه تعالى: ﴿مِنَّا رِزۡقًا حَسَنٗا﴾: ملَّكناه مالًا حلالًا ﴿فَهُوَ يُنفِقُ مِنۡهُ سِرّٗا

---

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢١٤)، وعبارته: «أي: هل يستوي القادر التام التميز والعاجز الذي لا يحس ولا يأتي بخير، فكيف يسوون بين الله وبين الأحجار».

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٨٨)، والواحدي في «البسيط» (١٣/ ١٤٣)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٤٧٢).

وَجَهْرًا﴾؛ أي: دائمًا ﴿هَلْ يَسْتَوُۥنَ﴾ ولفظُ الجمعِ يدلُّ على أنَّ المُرادَ بالعبدِ العمومُ[١]؛ أي: لا يستوي القَبيلانِ.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾؛ أي: قل: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾.

وقيل: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على الكمالِ لا لِمَا يعبُدونه ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فيجعلون الحمدَ والعبادةَ لغيرِ الله.

وقيل: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ لأنَّهم لا يتفكَّرون في الأدلَّةِ فيعرفون أنَّ الحمدَ والعبادةَ لله.

* * *

(٧٦) - ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾؛ أي: أخرسُ وُلِدَ أصمَّ فهو لا يَفهَمُ[٢] شيئًا.

وقيل: هو الكافرُ لا ينطقُ بالخيرِ[٣].

وقيل: هو المسلوبُ الفؤادِ الذي لا يَعقلُ شيئًا.

﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ﴾: وَبالٌ وثِقْلٌ على سيِّده ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ﴾؛ أي: يبعثه سيِّدُه ﴿لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾ وهذا وَصفٌ يجمعُ جميعَ الفضائلِ، فلا جوابَ إلَّا أن يُقالَ: لا.

---

(١) وفي هذا ردٌّ لقول عطاء الذي تقدَّم.

(٢) في (و): «لا يقدر».

(٣) في (ن): «بخير».

﴿وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسۡتَقِيمٖ﴾: على منهاجٍ واضحٍ من دينِه ودُنياه.

وجمهورُ المُفسِّرين على أنَّ هذا أيضًا مَثَلٌ ضربَه الله تعالى لنفسِه وللأصنامِ التي تُعبَدُ معه.

وفي سببِ النُّزولِ: أنَّها نزلت في عثمانَ بنِ عفَّانَ ومولاه أَسِيدِ[1] بنِ أبي العِيْصِ[2].

وقيلَ: في عثمانَ وصاحبَين له؛ أحدُهما مؤمنٌ يأمرُ بالخيرِ ويحثُّه عليه، والآخرُ ينهاه عن الإنفاقِ في سبيلِ الله[3].

***

(٧٧) ـ ﴿وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾.

﴿وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ مقاتلٌ: سببُ نزولِها: أنَّ كفَّارَ قُريشٍ سألوا رسولَ الله عليه السَّلامُ عن السَّاعةِ[4].

---

(١) في (و) و(ط): «السيد»، وما أثبت من (ن) هو الصواب. انظر: «الإكمال» لابن ماكولا (١/ ٥٨ و١١٨)، و«تبصرة المنتبه» لابن حجر (١/ ٤٤).

(٢) رواه الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٧٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣١٢)، والضياء المقدسي في «المختارة» (١٥٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما دون تسمية مولى عثمان رضي الله عنه. ورواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٢٠٣٩)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٩٧١) عن ابن عباس رضي الله عنهما، بلفظ: «هو عثمان بن عفان».

(٣) روى الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣١٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما في الآية قال: «هو عثمان بن عفان، والأبكم الذي أينما يوجه لا يأت بخير، ذاك مولى عثمان بن عفان، كان عثمان ينفق عليه ويكفله ويكفيه المئونة، وكان الآخر يكره الإسلام ويأباه وينهاه عن الصدقة والمعروف، فنزلت فيهما».

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٤٧٩).

قيل: تقديرُه: ولله علمُ غيبِ السَّماواتِ والأرضِ.

وقيل: ولله غيبُ ملكِ السَّماواتِ والأرضِ، والغيبُ هاهنا: ما لا يُدرَكُ بالحسِّ ولا يُفهَمُ بالعقلِ.

وقيل: ﴿غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ما في قولِه تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤].

المُفضَّلُ: لله ما غابَ عن الخلقِ؛ أي: في قبضتِه لا يعزُبُ عنه[١].

ابنُ بحرٍ: ﴿غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: ما اشتمَلَتا عليه ودخلَ فيهما فهو غيبٌ؛ أي: مُغيَّبٌ، من قولِه: ﴿غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾ [يوسف: ١٠] أي: داخلَ الجبِّ.

﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ﴾ في قُربِ كونها وسرعةِ قيامِها.

والسّاعةُ: اسمٌ لوقتِ النُّشورِ.

الزَّجَّاجُ: اسمٌ لإماتةِ الخلقِ وإحيائِهم[٢].

والأوَّلُ أظهَرُ، وسُمِّيَ ساعةً لأنَّه جزءٌ من يومِ القيامةِ، وأجزاءُ الزَّمانِ تُسمَّى ساعاتٍ[٣].

﴿إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ﴾: كرجعِ طرفٍ.

وقيل: مسافةُ ما يلمحُه البصرُ، حكاه الماوَرديُّ[٤].

---

(١) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٦/ ٥٧٢).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢١٤).

(٣) ذكر نحوه الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٢٠٥).

(٤) لم أجده بهذا اللفظ في «النكت والعيون»، والذي فيه (٣/ ٢٠٥): ﴿إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ لأنه بمنزلة قوله: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾.
وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦١٤)، وعدَّه من العجائب.

والأوَّلُ الوجهُ؛ لأنَّ المُرادَ بلمحِ البصرِ: السُّرعةُ والسُّهولةُ، وضُرِبَ المثَلُ به إذ لا يُعرَفُ زمانٌ أقلُّ منه.

﴿أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾: (أو) بمعنى: بل، وقيل: بمعنى الواو، وقيل: للشَّكِّ في حقِّ المُخاطَبِ، ويحتمِلُ[1] تصحيحُ قولِه: ﴿أَقْرَبُ﴾؛ لأنَّ اللَّمحَ فعلانِ؛ وضعُ الجَفْنِ ورفعُه، وقيامُ السَّاعةِ فعلٌ واحدٌ.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

* * *

(٧٨) ـ ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَٰرَ وَالْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ بالولادةِ، وأمَّهاتٌ: جمعُ أمٍّ، زِيدَ فيها الهاءُ فرقًا بين أمَّهاتِ النّاسِ وأمَّاتِ[2] البهائمِ[3]، وقد جاء في الواحدةِ أُمَّهةٌ، قال:

أمَّهَتي خِنْدفُ والْياسُ أبي[4]

---

(١) كتب تحتها في (ط): «ويمكن»، ومعنى العبارة أن المصنف يميل إلى أن المراد أنَّ قيام الساعة أقرب من لمح البصر، وأن (أو) بمعنى (بل). انظر: «التصاريف» ليحيى بن سلام (ص: ٢٥٨)، و«حروف المعاني والصفات» للزجاجي (ص: ١٣)، وذهب ابن قتيبة إلى أنها بمعنى الواو في «مشكل القرآن» (ص: ٢٩٠)، وذهب النحاس في «معاني القرآن» (٤/ ٩٥) إلى أنها حق المخاطب، وانظر: «شرح الكتاب» للسيرافي (٣/ ٤٣٠)، و«الكشاف» (٢/ ٦٢٣).

(٢) في (ن): «أمهات».

(٣) انظر: «المقتضب» للمبرد (٣/ ١٦٩)، و«تهذيب اللغة» (٦/ ٢٥١)، و«رسائل في اللغة» لابن السيد البطليوسي (ص: ٢٧٠).

(٤) ينسب الرجز لقصي بن كلاب، وقبله:

إنـي لـدى الحـرب رَخِـيٌّ لَبَبِـي =

﴿لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾؛ أي: جُهَّالًا غير عالِمِين مع توفُّرِ أداةِ العلمِ منَ السَّمعِ والبصرِ والفؤادِ.

وقيل: تمَّ الكلامُ على قوله: ﴿شَيْـًٔا﴾، ثمَّ استأنفَ فقالَ: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾؛ أي: جعلَها بحيثُ تنتفِعون بها.

﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الإخراجَ. وقيل: تشكُرونَ الجَعْلَ، وهو الخلقُ.

***

(٧٩) - ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ﴾: جمعُ طائرٍ ﴿مُسَخَّرَٰتٍ﴾ لأمرِ الله، وقيل: مُذلَّلاتٍ ﴿فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ﴾: فتحِ ما بينَ السَّماءِ والأرضِ.

قتادةُ: ﴿جَوِّ ٱلسَّمَآءِ﴾: كبدِ السَّماءِ[(١)].

الزَّجَّاجُ: ﴿جَوِّ ٱلسَّمَآءِ﴾: الهواءِ البعيدِ منَ الأرضِ[(٢)].

الفرَّاءُ: ﴿جَوِّ ٱلسَّمَآءِ﴾: هو السَّماءُ[(٣)].

= عنـد تناديهـم بهـالٍ وهَبِـي
مُعتـزِم الضربـة عـالٍ نسـبي
أُمَّهتـي خِنْـدِفُ واليـاسُ أبـي

انظر: «معجم ديوان الأدب» (٤/ ١٧٥)، و«الصحاح» (٦/ ٢٢٢٥)، و«شرح ديوان المتنبي» للمعري (ص: ٢٤٣)، و«شرح التسهيل» (١/ ٩٩).

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣١٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٩٤)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦١٥)، واستغربه.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢١٤).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦١٥)، واستغربه.

﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾ في الهواءِ عن السُّقوطِ بلا مِساكٍ ولا عِمادٍ ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾.

الكلبيُّ: ما يُمسِكُهنَّ عن إرسالِ الحجارةِ عليكم إلّا اللهُ.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: جمعَ آياتٍ؛ لقولِه(١): ﴿مُسَخَّرَٰتٍ﴾، وقد سبقَ في السُّورةِ(٢).

* * *

(٨٠) ـ ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾.

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾: موضِعًا تسكُنون فيه عن تردُّدِكم وذهابِكُم ومجيئِكُم.

﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا﴾: البيتُ: عامٌّ يقعُ على ما يُتَّخذُ مِنَ الطِّينِ والخشبِ والآجُرِّ والصُّوفِ والشَّعرِ، وأرادَ بـ﴿جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ ما يُتَّخذُ منَ الأدَمِ.

الحسَنُ: هي المُتَّخَذةُ مِنَ النّابتِ على الجلودِ، وهي الوَبَرُ والصُّوفُ والشَّعرُ(٣).

﴿تَسْتَخِفُّونَهَا﴾: تجِدونَها خفيفةً، ويخِفُّ عليكم حملُها ﴿يَوْمَ ظَعْنِكُمْ﴾: في السَّفرِ ﴿وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾: ثباتِكم في منازِلكم ﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا﴾: الضَّائنةِ ﴿وَأَوْبَارِهَا﴾: الإبلِ ﴿وَأَشْعَارِهَآ﴾: الماعزِ ﴿أَثَٰثًا﴾: متاعَ البيتِ، واحدُها: أثاثةٌ.

---

(١) في (ن): «كقوله»، وهو تحريف.

(٢) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ﴾ [النحل: ١٢]، والمراد أن لفظ (آيات) جاء مجموعاً لمناسبة لفظ (مسخرات).

(٣) لم أقف عليه عن الحسن. وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٣/ ٤١٢) عن أبي عبيد، وذكره البيضاوي في «تفسيره» (٣/ ٢٣٦)، بلا نسبة.

ابنُ جريرٍ: الأثاثُ: اجتماعُ بعضِ المتاعِ إلى بعضٍ حتى يكثُرَ، كالشَّعرِ الأثيثِ[١].

ابنُ عبّاسٍ: الأثاثُ: المالُ والزِّينةُ[٢].

المُؤرِّجُ: الثِّيابُ بلغةِ قُريشٍ[٣].

وقيل: الأثاثُ: ما يُلبَسُ ويُفترَشُ كالأكسيةِ وما يُشبِهُها.

﴿وَمَتَٰعًا﴾ المُفضَّلُ: ما يتَّجِرونَ به. غيرُه: ما يُنتفَعُ به.

﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ مدَّةٍ منَ الزَّمانِ لصلابتِها.

وقيل: إلى فَنائِها؛ لأنَّها سريعةُ الفسادِ قليلةُ البقاءِ.

وقيل: إلى حينِ المماتِ.

* * *

(٨١) ـ ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾.

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا﴾: ما تستظِلُّون به منَ الشَّجرِ والجبلِ والأبنيةِ وغيرِها، ولولا ظلُّ هذه الأشياءِ لم يكُنْ للحيوانِ في الأرضِ قرارٌ.

﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا﴾: جمعُ كِنٍّ، وهو ما ستَرَكَ من كهفٍ وغارٍ.

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٤/ ٣١٧).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣١٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٩٥) ولم يذكرا الزينة.

(٣) ورواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣١٩) عن حميد بن عبد الرحمن، وذكره مقاتل في «تفسيره» (٢/ ٤٨٠).

﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ﴾: كلُّ ما يُلبَسُ من ثوبٍ أو دِرعٍ فهو سِرْبالٌ.
وقيل: القميصُ خاصَّةً[٤].

﴿تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾: تصونُكم منَ الحرِّ إذا ضَحِيتُم[٥]، وخُصَّ الحرُّ بالذِّكرِ ـ وهي تقي البردَ أيضًا ـ اكتفاءً بأحدِ الضِّدَّين، ولأنَّه خاطبَ العربَ وهم يستريحونَ إلى البردِ، ولأنَّ التَّخصيصَ بالذِّكرِ لا يدلُّ على نَفيِ ما عداه[٦].

﴿وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾: تقي أبدانكم في الحربِ من سلاحِ العدوِّ. يُريدُ: الدِّرعَ وما يجري مَجراها.

﴿كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: كما أتمَّ هذه النِّعمَ التي تقدَّمَتْ يُتِمُّ ما تحتاجون إليه ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾: تَنقادُونَ له بالطَّاعةِ. وقيل: ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾؛ أي: تُؤمنون.

وقُرِئَ في الشَّواذِّ: (تَسْلَمون)[٧]؛ أي: منَ الحرِّ والحربِ[٨].

* * *

(٨٢) ـ ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾.

﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾: أعرَضُوا عنِ الإسلامِ ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾: الإبلاغُ؛ كالطَّاعةِ مِن أطاعَ.

---

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦١٥)، واستغربه.

(٥) يقال: ضَحِي وضَحِيَ؛ أي: أصابته الشمس. انظر: «تاج العروس» مادة: (ض ح و) (٣٨/ ٤٥٧).

(٦) انظر: «معاني القرآن» (٢/ ١١٢).

(٧) نسبت لابن عباس رضي الله عنهما. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ٧٧)، و«شواذ القراءات» لشمس القراء الكرماني (ص: ٧٧).

(٨) في (ن): «والبرد».

(٨٣) ـ ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ يعني: المُشركينَ يعرفونَ أنَّ الله خالقُهم ورازِقُهم وهو المُنعِمُ عليهم ﴿ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾: ولا يُؤدُّونَ حقَّها.

السُّدِّيُّ والزَّجَّاجُ: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾: أمرَ محمَّدٍ عليه السَّلامُ ﴿ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ بتكذيبِهم إيَّاه[1].

مجاهدٌ: يُقِرُّون بنِعَمِ الله ثمَّ يُنكِرونها بإسنادِها إلى غيرِ الله، نحوَ أن يقولَ: أصبتُه بجَلادَتي، وورِثتُه من فلانٍ، ووَهَبَ لي فلانٌ[2].

وقيل: ﴿ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ بإضافتِها إلى شفاعةِ الأصنامِ.

﴿وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ الجمهورُ على أنَّ المُرادَ بالأكثرِ الجميعُ، وقيل: لأنَّ فيهم الصَّبيَّ والمَؤْوفَ[3]، وقيل: عزَلَ البعضَ احتقارًا له أن يذكُرَه.

* * *

(٨٤) ـ ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾.

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ﴾: نَحشُرُ ﴿مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ يعني: نبيَّهم يشهَدُ على أمَّتِه بما فعلوا.

---

(١) رواه عن السدي الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣٢٥)، وانظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢١٦).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣٢٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٩٦)، وهو في «تفسير مجاهد» (ص: ٤٢٤)، ولفظه عندهم: «هي المساكن والأنعام وما يرزقون منها، والسرابيل من الحديد والثياب، تعرف هذا كفار قريش ثم تنكره بأن تقول: هذا كان لآبائنا فورَّثونا إياه».

(٣) في (و): «الأحمق»، وكتب تحتها في (ط): «أي: الأحمق»، والمؤوف: الذي أصابته آفة. انظر: «الغريب المصنف» لأبي عبيد (٢/ ٤٦٣)، و«معجم ديوان الأدب» للفارابي (٤/ ١٩٩).

وقيل: مِن كلِّ جيلٍ في كلِّ زمانٍ شهيدًا على أهلِ زمانِه بما كانوا يفعلون.

﴿ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في الاعتذارِ، وقيل: لا يُسمَعُ عُذرُهم، ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾: ولا يُطلَبُ منهم أن يرجعوا إلى ما يُرضي الله، والعُتبَى: الرِّضا(١).

* * *

(٨٥) ـ ﴿وَإِذَا رَءَا الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾.

﴿وَإِذَا رَءَا الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ﴾: جهنَّمَ ونيرانَها، ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ﴾؛ أي: العذابُ، ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾: يُؤخَّرون ويُمهَلون.

* * *

(٨٦) ـ ﴿وَإِذَا رَءَا الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِن دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾.

﴿وَإِذَا رَءَا الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ﴾: أوثانَهم التي عبدُوها، ﴿قَالُوا رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِن دُونِكَ﴾ لأنَّ الله يبعثُها حين يُورِدُهم النَّارَ فيعرِفُونَها ويقولون هذه المقالةَ.

﴿فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾؛ أي: أجابُوهم بالتَّكذيبِ؛ لأنَّها كانت جمادًا ما تعرِفُ مَن عبدَها.

وقيل: هذا في عُزَيرٍ وعيسى ومَن عُبِدَ منَ الملائكةِ، لمَّا رأَوهُم في الجنَّةِ وهم في النَّارِ قالوا هذه المقالةَ، فأجابُوهم بأنَّكم كاذِبون في قولِكم: إنَّا دعوناكُم إلى عبادَتِنا والإشراكِ بالله.

* * *

---

(١) انظر: «جمهرة اللغة» مادة: (ع ت ب) (١/ ٢٥٥).

(٨٧) ـ ﴿ وَأَلْقَوْاْ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾.

﴿ وَأَلْقَوْاْ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ ﴾: أسلَمَ الكفَّارُ يومَ البعثِ حين لا ينفعُ.

وقيل: أسلَموا لأمرِه أنفُسَهم.

وقيل: استسلَمُوا بالذُّلِّ لحكمِ الله.

﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾: ضاعَ سعيُهم وخابَ أملُهم من شفاعةِ آلهتِهم.

***

(٨٨) ـ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ ﴾؛ أي: بسببِ صدِّهم ومنعِهم النَّاسَ عن الإيمانِ، وقيل: عن الجهادِ ﴿زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ ﴾؛ أي: عذابًا بكُفرِهم وعذابًا بصدِّهم وإفسادِهم.

***

(٨٩) ـ ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾.

﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم ﴾ يعني: نبيَّهم يَشهدُ عليهم ﴿مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾: من بني آدمَ. وقيل: من قومِهم.

﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ يعني: أمَّتَكَ ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ قيل: حالٌ، وقيل: استئنافٌ، وهذا أظهرُ.

﴿تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ تأتـونَ وتـذَرُونَ[١] ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ للجميـعِ ﴿وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ خاصّـةً.

***

(٩٠) ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾ بالتَّسويَةِ والإنصافِ.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: بشهادةِ أنْ لا إلهَ إلَّا الله[٢].

﴿وَٱلْإِحْسَـٰنِ﴾: نفعٍ لا ضررَ فيه.

ابنُ عبَّاسٍ: أداءُ الفرائضِ[٣].

ابنُ جريرٍ: الصَّبرُ على أوامرِه ونواهيه[٤].

وقيل: العدلُ: الإنصافُ، والإحسانُ: التَّفضُّلُ.

وقيل: الإحسانُ هاهنا: العفوُ.

الحسَنُ: العدلُ والإحسانُ: الفرضُ والنَّافلةُ[٥].

﴿وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾: إعطاءِ القرابةِ ما يَحتاجُ إليه، يُريدُ: صِلةَ الرَّحمِ.

---

(١) في (ن): «يأتون ويذرون».

(٢) ذكره الرازي بلا نسبة في «تفسيره» (١٠/ ١٤٧).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣٣٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٩٩).

(٤) انظر: «تفسير الطبري» (١٤/ ٣٣٥).

(٥) لم أقف عليه عن الحسن. وذكره مكي بن أبي طالب في «تفسيره» (٦/ ٤٠٧١)، والزمخشري في «الكشاف» (٢/ ٦٢٩)، والقرطبي في «تفسيره» (١٠/ ١٦٥) بلا نسبة.

﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ﴾ الزِّنى وكلِّ ذنبٍ له حدٌّ.

وقيل: الفحشاءُ: كلُّ قبيحٍ من قولٍ وفعلٍ. وقيل: البُخلُ.

﴿وَٱلْمُنكَرِ﴾: ما لا يُعرَفُ في شريعةٍ من شرائعِ الأنبياءِ.

وقيل: ما تُنكِرُه العقولُ.

وقيل: ما يكرَهُ الإنسانُ ظُهورَه منه للنَّاسِ.

﴿وَٱلْبَغْيِ﴾ ابنُ عبَّاسٍ: الكِبْرُ والظُّلمُ(١).

وقيل: تجاوُزُ الحقِّ إلى الباطلِ.

ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: هذه الآيةُ أجمَعُ آيةٍ في القرآنِ للخيرِ والشَّرِّ(٢).

مسروقٌ: أجمعُ آيةٍ في القرآنِ لحلالٍ وحرامٍ(٣).

﴿يَعِظُكُمْ﴾: يُحذِّرُكم وينهاكُم عن هذا كلِّه ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ما أُمِرْتُم به وهو ثلاثٌ(٤)، ونُهيتُم عنه وهو ثلاثٌ(٥)، فاتَّعِظُوا.

وذكرَ المُفسِّرونَ أنَّ النَّبيَّ عليه السَّلامُ قرأ على الوليدِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ﴾ إلى آخرِ الآيةِ فقالَ(٦) له: يا ابنَ أخي، أعِدْ، فأعادَ عليه السَّلامُ، فقال: إنَّ له واللهِ لحلاوةً، وإنَّ

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣٣٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٩٩).

(٢) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٦٠٠٢)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣٣٧)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٨٦٥٨)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣٨٨) وصححه.

(٣) هي إحدى الروايات عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في الخبر السابق، كما رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٤٨٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٨٦٦١).

(٤) العدل والإحسان وإيتاء ذي القربى.

(٥) الفحشاء والمنكر والبغي.

(٦) في (و) و(ن): «قال»، والتصويب من (ط).

له لطلاوةً، وإنَّ أعلاه لمُثمِرٌ، وإنَّ أسفلَه لمُغدِقٌ، وما هو بقولِ البشرِ[١].

***

(٩١) ـ ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾.

﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ ﴾: أتِمُّوا ما ضمِنْتُم من أحكامِ الدِّينِ. وقيل: النُّذورُ. وقيل: كلُّ عهدٍ في طاعةِ الله. وقيل: هو الإيمانُ.

﴿وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ﴾: لا تحنَثُوا في أيمانِكم المُؤكَّدةِ بذكرِ الله ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ﴾؛ أي: قلتُم عند الحَلِفِ: اللهُ راعٍ عليَّ كفيلٌ أن أفعَلَ كذا.

وقيل: ﴿كَفِيلًا ﴾: شاهدًا وقيِّمًا.

وقيل: يكفلُ لكم بالجنَّةِ إذا وفيتُم.

وقيل: ﴿عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ﴾ بالوفاءِ.

وفي سببِ نزولِه قولانِ:

---

(١) رواه السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٢٨٨) عن عكرمة مرسلًا، وكذا رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٣٨٣) دون تعيين الآية.

ورواه دون تعيين المسموع أيضاً الحاكم في «المستدرك» (٣٨٧٢) وصححه، والبيهقي في «الدلائل» (٢/ ١٩٨)، وفي «الشعب» (١٣٤)، من طريق عبد الرزاق عن معمر عن أيوب السختياني عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما. وجود إسناده العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ٢٢٣).

قال البيهقي: «هكذا حدثناه موصولاً، ورواه حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمة مرسلاً وذكر الآية التي قرأها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾».

أحدُهما: نزلَتْ في الذين بايَعُوا رسولَ الله عليه السَّلامُ، أمَرَهم بالوفاءِ به.

مُجاهدٌ وقتادةُ: نزلَتْ في حِلْفِ أهلِ الجاهليّةِ[1]. والأكثرُ على أنَّه عامٌّ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ﴾.

***

(٩٢) - ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثٗا تَتَّخِذُونَ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرۡبَىٰ مِنۡ أُمَّةٍۚ إِنَّمَا يَبۡلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ﴾.

﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا﴾ هذا مثَلٌ لناقِضي العهدِ، فقال بعضُهم: ضرَبَ الله هذا المثَلَ، وقال بعضُهم: أرادَ أيَّةَ امرأةٍ صنعَتْ هذا، وقيل: هي رَيْطةُ بنتُ عَمرٍو، وكانتِ امرأةً خرقاءَ حمقاءَ من قُريشٍ تُلقَّبُ بـ جَعْر، وقيل: جعرَ[2]، كانت قد اتَّخذت مغزَلًا[3] بقَدْرِ ذراعٍ، وصِنَّارةً مثلَ الأُصبعِ، وفَلْكَةً كبيرةً على قَدْرِها، وكانت تغزلُ منَ الصُّوفِ والشَّعرِ والوبرِ، وتأمرُ جواريها بذلك، فكُنَّ يغزِلْنَ منَ الغدِ إلى نصفِ النَّهارِ، فإذا انتصَفَ النَّهارُ أمرَتْ جواريَها بنَقْضِ جميعِ ما غزَلْنَ، فكان هذا دأْبُها[4].

الغَزْلُ: المصدرُ، والغَزْلُ: الاسمُ[5].

---

(١) ذكر القولين الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ١١١).

(٢) في (ن): «بجعفر، وقيل: جعراء»، وفي (و): «بجعد وقيل بجعر»، والمثبت من (ط).

(٣) في (و): «غزلاً».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ١١٢)، والبغوي في «تفسيره» (٥/ ٣٩ـ ٤٠) عن الكلبي ومقاتل. وانظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٤٨٤).

(٥) أي: اسم الشيء المغزول. انظر: «الصحاح» مادة: (غ ز ل) (٥/ ١٧٨١).

﴿مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ﴾ يجوزُ أن يتعلَّقَ بقولِه: ﴿نَقَضَتۡ..مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ﴾، ويجوزُ أن يتعلَّقَ بالغَزْلِ.

والقوَّةُ: الطَّاقةُ الواحدةُ؛ أي: بعد أن جعلَتْها قوًى وطاقاتٍ.

المُبرِّدُ: من بعد قوَّةِ إحكامٍ وإبرامٍ.

وقيل: من بعدِ شدَّةِ فَتْلٍ.

﴿أَنكَٰثٗا﴾: جمعُ نِكْثٍ، وهو ما نُكِثَ ونُقِضَ بعد الغَزْلِ والفَتْلِ.

﴿تَتَّخِذُونَ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ﴾: خيانةً ومكرًا. الزَّجَّاجُ: غِشًّا وغِلًّا(١).

وقيل: ﴿دَخَلَۢا﴾: دغلًا وغَدْرًا.

والدَّخَلُ: كلُّ أمرٍ لم يكُنْ صحيحًا.

ابنُ بحرٍ: الدَّخَلُ: الشَّيءُ الدَّاخلُ في الشَّيءِ لم يكُنْ منه(٢)، تقولُ: دخَلَ يدخُلُ فهو دَخَلٌ، ومِثْلُه: سَقَطَ يسقُطُ فهو سَقَطٌ.

﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرۡبَىٰ مِنۡ أُمَّةٍ﴾؛ أي: لا تغدُروا بقومٍ لقلَّتِهم وكثرتِكُم وقد وَثِقُوا بكم.

مجاهدٌ: كانوا يُحالفون الحلفاءَ، فإذا وجدوا أكثرَ وأعزَّ حالَفوا الذين هم أكثرُ وأعزُّ، فنُهوا عن ذلك(٣).

ومعنى ﴿أَن تَكُونَ﴾: بأن تكونَ، ولأنْ تكونَ ﴿أَرۡبَىٰ﴾: أزيدَ(٤) عددًا.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢١٧).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦١٦) واستغربه، وذكره السمين الحلبي في «الدر المصون» (٧/ ٢٨١) بلا نسبة.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣٤٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٠٠).

(٤) في (و): «وأزيد».

﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ﴾: يختبرُكم بالوفاءِ بالعهدِ، وقيل: بالأمرِ، وقيل: بالعزِّ والذُّلِّ والغِنى والفقرِ، وقيل: بالعهدِ، وقيل: بالكثرةِ، وقيل: بالقِلَّةِ، والمُرادُ: القُلُّ والكُثْرُ(١).

﴿وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ إذا جازاكم على أعمالِكم بالثَّوابِ والعقابِ.

***

(٩٣) - ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً﴾: ملَّةً ﴿وَٰحِدَةً﴾: على دينِ الإسلامِ، ﴿وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ بالخذلانِ والتَّوفيقِ، ﴿وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ثمَّ يُجازيكُم جزاءَكُم، المُطيعُ منكم بطاعتِه والعاصي بمعصيتِه.

وقيل: لتُسألُنَّ سؤالَ: لِمَ عمِلتُم؟ فيكونُ تبكيتًا.

***

(٩٤) - ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ﴾ للدَّخلِ؛ لتتوصَّلوا بها إلى قطعِ أموالِ المسلمين.

﴿فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾: فتصيرَ فاسقًا بعد الصَّلاحِ. وزليلُ(٢) القدمِ: عبارةٌ عن

---

(١) القُلُّ: القلة والفقر، والكُثْر: الكثير. انظر: «تاج العروس» مادة: (ك ث ر) (١٤/ ١٧).

(٢) في (ن): «وزائل»، والذليلُ مصدر مثل الزلل. انظر: «الصحاح» مادة (ز ل ل)، و«تاج العروس» =

السُّقوطِ عن الصِّراطِ السَّويِّ؛ لأنَّ مَن ثبَتَ قدمُه كان مُؤمنًا مرضيًّا، ومَن زلَّتْ كان هالكًا.

﴿وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ﴾: العذابَ ﴿بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: بصدِّكم النّاسَ عن الإيمانِ بالله ﴿وَلَكُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾: دائمٌ لا ينقطعُ.

* * *

(٩٥) ـ ﴿ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾.

﴿ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًا ﴾؛ أي: لا تُبدِّلوا عهدَ الله وتأخُذوا ذا ثمنٍ، وقد سبقَ بيانُه.

﴿إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾؛ أي: الثَّوابُ المُدَّخرُ عندَه خيرٌ لكم ﴿إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾.

* * *

(٩٦) ـ ﴿ مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾.

﴿ مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُ﴾: ينقَضي ويفْنَى، ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖ﴾: لا يزولُ ولا يفْنَى.

﴿وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾؛ أي: ولنجزيَنَّ الصّابرَ على المكروهِ أحسنَ الجزاءِ وأفضلَ الثَّوابِ.

* * *

= مادة: (ز ل ل) (٢٩/ ١٢٩).

(٩٧) - ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾.

﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ قيَّدَ بالإيمانِ لأنَّ أعمالَ الكفّارِ غيرُ مُعتدٍّ بها.

﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ في الدُّنيا بأن نُوسِّعَ عليه الرِّزقَ الحلالَ، ونُيسِّرَه لصالحِ الأعمالِ، ونُصفِّي حياتَه منَ الهمومِ والآفاتِ.

وقيل: حياةً في الجنَّةِ.

الحسَنُ: الحياةُ الطَّيِّبةُ: القناعةُ(١).

﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾؛ أي: نُجازي على الطّاعةِ. وقيل: نُضاعِفُ الجزاءَ.

* * *

(٩٨) - ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾.

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾؛ أي: إذا أرَدْتَ قراءتَه، وقيل: إذا كنتَ قارئًا ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ﴾، وقيل: فيه تقديمٌ وتأخيرٌ تقديرُه: فإذا استعَذْتَ بالله فاقرأ القرآنَ(٢).

ويُروَى عن سليمٍ عن حمزةَ: أنَّه كان يتعوَّذُ بعد القراءةِ أخذًا بظاهرِ اللَّفظِ(٣)، وتلك روايةٌ مرغوبٌ عنها.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (١٥٨٧)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣٥٢).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦١٦)، واستغربه، وذكره السمين الحلبي في «الدر المصون» (٧/ ٢٨١) بلا نسبة.

(٣) ذكره ابن كثير في «تفسيره» (١/ ١١٠) عن حمزة فيما ذكره ابن قلوقا عنه. وهي ليست الرواية =

ومعنى: ﴿فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾: سَلْه أن يُعيذَكَ من وَساوسِ[1] إبليسَ ومكائدِه.

والشيطانُ: هو إبليسُ، والرجيمُ: المطرودُ الملعونُ.

وقيل: الرَّجيمُ بالشُّهُبِ.

= المعتمدة عن حمزة قال ابن الجزري في «النشر» (١/ ٢٥٥): «أما رواية ابن قلوقا عن حمزة فهي منقطعة في الكامل لا يصح إسنادها». وابن قلوقا هو عبد الرحمن بن قلوقا ـ ويقال: أقلوقا ـ الكوفي راو معروف ضابط، أخذ القراءة عرضاً عن حمزة، وعرض أيضاً على سليم عن حمزة. انظر: «طبقات القراء» لابن الجزري (١/ ٣٧٦).

وسليم هو ابن عيسى بن سليم بن عامر، أبو عيسى، ويقال: أبو محمد الحنفي مولاهم الكوفي المقرئ ضابط محرر حاذق، ولد سنة ثلاثين ومئة، وعرض القرآن على حمزة، وهو أخص أصحابه وأضبطهم وأقومهم بحرف حمزة وهو الذي خلفه في القيام بالقراءة. انظر: «طبقات القراء» لابن الجزري (١/ ٣١٨).

وهذا القول ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦١٦)، وعدَّه من العجائب.

والقول بالاستعاذة بعد القراءة رواه الشافعي في «مسنده» (ص: ٣٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه، ولفظه: «عن صالح بن أبي صالح: أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه وهو يؤم الناس رافعاً صوته: ربنا إنا نعوذ بك من الشيطان الرجيم في المكتوبة وإذا فرغ من أم القرآن».

وحكي عن أبي هريرة رضي الله عنه ومالك وداود. كما في «تفسير الثعلبي» (١٦/ ١١٩)، و«البسيط» للواحدي (١٣/ ١٩٢)، ونقله النووي في «المجموع» (٣/ ٣٢٥) عن أبي هريرة وابن سيرين والنخعي.

ونقله الجصاص في «أحكام القرآن» (٥/ ١٢)، والمازري في «شرح التلقين» (١/ ٥٧٤) عن الإمام مالك وخصه في الصلاة بعد أم الكتاب.

وأنكر ابن العربي نسبة هذا القول إلى مالك في «تفسيره» (٣/ ١٥٩) فقال: «ومن أغرب ما وجدناه قول مالك في المجموعة في تفسير هذه الآية: ﴿فإذا قرأت القرآن﴾ الآية قال: ذلك بعد قراءة أم القرآن لمن قرأ في الصلاة، وهذا قول لم يرد به أثر، ولا يعضده نظر...».

(١) في (و): «وسواس».

وقيل: (فعيلٌ) بمعنى: فاعلٍ؛ أي: يرجُمُ بني آدمَ ويرميهم بالسَّيِّئاتِ والغوائلِ.
والاستعاذةُ نَدْبٌ واستحبابٌ(١)، وليست بفرضٍ(٢).

* * *

(٩٩) ـ ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ﴾: لإبليسَ ﴿سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

سُلطانُه: إغواؤُه، والمؤمنُ المُتوكِّلُ لا يَقبلُ منه وساوِسَه.

وقيل: سُلطانُه: حُجَّتُه، من قولِه: ﴿وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

* * *

(١٠٠) ـ ﴿إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾.

﴿إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ﴾: يُحبُّونَه ويتَّبعونَ وساوِسَه ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ﴾: باللهِ ﴿مُشْرِكُونَ﴾، وقيل: تعودُ إلى إبليسَ؛ أي: بسببِه هم مُشركون.

* * *

(١٠١) ـ ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ﴾: إذا نسَخْنا آيةً وأنزَلْنا مكانَها أُخرَى.

---

(١) في (و): «واستحسان».

(٢) هذا مذهب عامة الفقهاء، وذهب عطاء إلى وجوبها لكل قراءة في الصلاة وغيرها، وذهب ابن سيرين إلى وجوبها ولو مرة في العمر، وقد ذهب الظاهرية إلى أنها فرض على كل مصل إذا قرأ، وما لك رحمه الله لا يرى الاستعاذة إلا في النافلة. انظر: «المحلى» لابن حزم (٢/ ٢٧٨) و«تفسير الرازي» (١/ ٦٧)، و«المغني» لابن قدامة (١/ ٣٤٣).

نزلَتْ حينَ قال المشركون: إنَّ محمَّدًا يَسخرُ بأصحابِه؛ يأمرُهم اليومَ بأمرٍ وينهاهُم عنه غدًا، ويأتيهم بما هو أهونُ عليهم، وما هو إلّا مُفترٍ يتقوَّلُه من تلقاءِ نفسِه، فأنزَلَ الله هذه الآيةَ والتي بعدَها[1].

ابنُ بحرٍ: ﴿ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ﴾: شريعةً تقدَّمتْ بشريعةٍ مُستأنفةٍ[2].

﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾ ناسِخًا ومنسوخًا؛ لأنَّه المُدبِّرُ المُتعبِّدُ عبادَه بما هو خيرٌ لهم.

﴿قَالُوٓاْ﴾ يعني: الكفَّارُ: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ﴾ يا محمَّدُ ﴿مُفۡتَرِۭ﴾ تقولُه من تلقاءِ نفسِك، وهذا جوابُ ﴿إذا﴾، ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾ اعتراضٌ، ويحتمِلُ أن يكونَ حالًا.

﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ وجهَ المصلحةِ والصَّوابِ فيه.

* * *

(١٠٢) ـ ﴿قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ﴾.

﴿قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ﴾: جبريلُ عليه السَّلامُ ﴿مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ﴾ لإظهارِ الحقِّ وإبطالِ الكفرِ ﴿لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ على الإيمانِ ﴿وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ﴾ بأنَّهم من أهلِ الجنَّةِ.

* * *

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (٤/ ٥)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٢٨٠)، و«زاد المسير» (٢/ ٥٨٣).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٢١٤).

(١٠٣) - ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾.

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ في سببِ النُّزولِ: عن عبدِ الله بنِ مسلمٍ قال: كان غلامانِ نصرانيّانِ؛ اسمُ أحدِهما يسارٌ، والآخرُ جبرٌ، وكانا يصنَعانِ السُّيوفَ بمكّةَ ويقرأانِ كتبًا لهم بلسانِهم، وكانَ رسولُ الله عليه السَّلامُ يمرُّ بهما ويسمعُ قراءتَهما، فكان المُشركون يقولون: يتعلَّمُ منهما، فأنزلَ الله عزَّ وجلَّ، فأكذبَهم[١]، وقالَ: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾[٢].

وقال طلحةُ بنُ عَمرٍو: بلغَني أنَّ خديجةَ كانت تختلفُ إلى جبرٍ، وكانت قُريشٌ تقولُ: إنَّ عبدَ[٣] الحضرميِّ يُعلِّمُ خديجةَ، وخديجةُ تُعلِّمُ محمَّدًا[٤].

وقيل: ﴿بَشَرٌ﴾: أبو ميسرةَ النَّصرانيُّ[٥].

ابنُ عبّاسٍ: كان رسولُ الله عليه السَّلامُ يُعلِّمُ قَينًا بمكَّةَ اسمُه بلعامُ، وكان

---

(١) في (و) و(ن): «فأكذبهم الله».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣٦٧)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٨١).

(٣) في (و) و(ن): «عبداً»، والمثبت من (ط)، وهو الصواب.

(٤) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٢٩٢)، والثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ١٢٨)، والواحدي في «البسيط» (١٣/ ١٩٨).

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ١٣٠) عن السدي وسماه هكذا: أبو ميسرة، ورواه عنه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٠٣) ولفظه: «كان رسول الله ﷺ إذا آذاه أهل مكة دخل على عبد لبني الحضرمي يقال له: أبو يسر، كان نصرانياً وكان قد قرأ التوراة والإنجيل، فساءله وحدثه. فلما رآه المشركون يدخل عليه قالوا: يعلمه أبو اليسر. قال الله: هذا لسان عربي مبين ولسان أبي اليسر عجمي».

نصرانيًّا، فرآه المُشركونَ يدخلُ على النَّبيِّ عليه السَّلامُ ويخرُجُ من عندِه فقالوا: إنَّما يُعلِّمُه بلعامُ[١].

عكرمةُ وقتادةُ: كانَ النَّبيُّ عليه السَّلامُ يُقرِئُ غلامًا لبني المُغيرةِ يقال له: يعيشُ، وكان يقرأ الكتبَ، فقال قريش[٢]: إنَّما يُعلِّمُه يعيشُ[٣].

قال الفرَّاءُ: قال المُشركون: إنَّما يُعلِّمُه عائشٌ، مملوكٌ كانَ لحُوَيطبِ بنِ عبدِ العُزَّى، وكان قد أسلَمَ فحسُنَ إسلامُه[٤].

وقال سعيدٌ: إنَّه كان غلامًا أعجميًّا لامرأةٍ[٥] بمكّةَ يقالُ له: أبو فُكَيهةَ[٦].

وذكر غيرُه أنَّ أبا فُكَيهةَ هو يسارٌ[٧].

الضَّحّاكُ: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ﴾ سلمانُ الفارسيُّ[٨].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣٦٥).

(٢) في (و): «يقالُ له: يعيشُ، وكانَ يكتبُ، فقالوا».

(٣) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣٦٥-٣٦٦)، ذكر السيوطي في «مفحمات القرآن» (ص: ٦٤) أن الحافظ ابن حجر ضبطه بياء تحتية وحاء وسين مهملتين، بينهما نون مشدَّدة (يُحَنَّس).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١١٣).

(٥) في (ن): «كان غلامٌ أعجميٌّ».

(٦) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٢/ ٥٨٥).

(٧) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٤٨٧)، و«البسيط» للواحدي (١٣/ ٢٠٠)، و«تفسير السمعاني» (٣/ ٢٠٢)، و«تفسير البغوي» (٥/ ٤٤)، و«أحكام القرآن» لابن العربي (٤/ ٨٧).

(٨) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣٦٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٠٣)، وقال الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ١٣٠): «وهذا قول غير مرضي؛ لأن سلمان رضي الله عنه إنما أتى النبي ﷺ في المدينة، وهذه الآية مكية».

﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ﴾: يُميلون إليه[1]، وقيل: يعترِضون به ﴿أَعْجَمِىٌّ﴾: دَخيلٌ في العربِ؛ أي: بلغةِ العجمِ ﴿وَهَٰذَا﴾ يعني: القرآنَ ﴿لِسَانٌ عَرَبِىٌّ﴾: بلغةِ العربِ ﴿مُّبِينٌ﴾: يُعرَفُ معناه من لفظِه بأدنى تأمُّلٍ.

والمعنى: أنتم أفصحُ العربِ وأبلغُهم وأقدَرُهم على الكلامِ نظمًا ونثرًا، وقد عجَزْتُم وعجَزَ جميعُ العربِ عنه، فكيفَ تنسُبُونَه إلى أعجميٍّ أَلْكَنَ؟!

* * *

(١٠٤) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ يعني: القرآنَ، وأنَّه من عندِ الله ﴿لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ﴾: لا يُوفِّقُهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مُؤلِمٌ دائمٌ.

* * *

(١٠٥) ـ ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾.

﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ جوابٌ لهم حين قالوا: إنَّما أنتَ مُفترٍ ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ ابنُ بحرٍ: أعلَمَ أنَّهم هم أهلُ تلكَ الصِّفةِ دونَ رسولِ الله عليه السَّلامُ، فردَّ عليهم بالوصفِ دونَ النَّصِّ أوَّلًا، ثمَّ ردَّ نصًّا فقالَ: ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾.

* * *

(١) ذكر الطبري هذا المعنى على قراءة (يَلحدون) بفتح الياء، وهي قراءة حمزة والكسائي. انظر: «السبعة» (ص: ٢٩٨)، و«التيسير» (ص: ١٣٨)، وانظر: «تفسير الطبري» (١٤/ ٦٩).

(١٠٦) - ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ﴾ في سببِ النُّزولِ: قال ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: نزلَتْ في عمَّارِ بنِ ياسرٍ، وذلك أنَّ المُشركين أخذوه وأباه ياسرًا وأمَّه سُميَّةَ وصُهَيبًا وبلالًا وخبَّابًا وسالِـمًا فعذَّبوهم، فأمَّا سُميّةُ فإنَّها رُبطَتْ بين بعيرَين، ووُجِئَ قُبُلُها بحربةٍ، وقيل لها: إنَّكِ أسلَمْتِ لأجلِ الرِّجالِ، فقُتِلَتْ وقُتِلَ زوجُها ياسرٌ، وهما أوَّلُ قتيلٍ في الإسلامِ، وأمَّا عمارٌ فإنَّه أعطاهم ما أرادوا بلسانِه مُكرَهًا، وأُخبِرَ رسولُ الله عليه السَّلامُ بأنَّ عمّارًا كفَرَ، فقالَ: «كلّا، إنَّ عمّارًا مُلِئَ إيمانًا من قَرنِه إلى قدَمِه، واختلَطَ الإيمانُ بلحمِه ودمِه»، فأتى عمّارٌ رسولَ الله عليه السَّلامُ وهو يبكي، فجعَلَ رسولُ الله عليه السَّلامُ يمسحُ عينَيه وقال: «إنْ عادُوا لك فعُدْ لهم بما قُلتَ»، فأنزَلَ الله هذه الآيةَ[1].

---

(١) ذكره بهذا السياق الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ١٣٥)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٨١)، ورواه مختصرًا الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣٧٣). وانظر: «الطبقات الكبرى» (٣/ ١٨٨، ١٨٩).
وقول النبي ﷺ: «إنّ عمّارًا ملئ إيمانًا من قرنه إلى قدمه، واختلط الإيمان بلحمه ودمه» روى نحوه ابن أبي شيبة في «الإيمان» (٩١)، والإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (١٦٠٠) عن عمرو بن شرحبيل، ورواه النسائي (٥٠٠٧) عن عمرو بن شرحبيل عن رجل من أصحاب النبي ﷺ.
ورواه ابن أبي شيبة في «الإيمان» (٩٢)، وابن ماجه (١٤٧) عن علي رضي الله عنه، بلفظ: «إن عمارًا مليء إيمانًا إلى مُشاشه».
وروى يحيى بن سلام في «تفسيره» (١/ ٩٢)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (١٥٠٩)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣٧٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٠٤) عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر، قال: أخذ المشركون عمار بن ياسر فعذَّبوه حتى باراهم في بعض ما أرادوا، فشكا ذلك إلى النبيّ ﷺ، فقال النبيُّ ﷺ: «كَيْفَ تَجِدُ قَلْبَكَ؟» قال: مطمئنًا بالإيمان. قال النبيُّ ﷺ: «فإنْ عادُوا فَعُدْ». قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١٢/ ٣١٢): وهو مرسل ورجاله ثقات. =

وقال مجاهدٌ: نزلَتْ في ناسٍ من أهلِ مكّةَ آمَنُوا، وكتَبَ إليهم المسلمون بالمدينةِ أنْ هاجِرُوا؛ لأنَّا لا نراكُم منَّا حتَّى تُهاجِروا إلينا، فخرَجُوا يُريدونَ المدينةَ، فأدرَكَتْهم قريشٌ في الطَّريقِ وفتَنُوهم مُكرَهين، ففيهم نزَلَتْ هذه الآيةُ[1].

قولُه تعالى: ﴿مَن كَفَرَ﴾: الزَّجَّاجُ: ﴿مَن﴾ رفعٌ على البدلِ من ﴿ٱلْكَـٰذِبُونَ﴾ ومُفسِّرٌ له، ولا يجوزُ أن يرتفعَ بالابتداءِ؛ لأنَّه لا خبرَ له[2].

وأجازَ بعضُهم أن يكونَ رفعًا بالابتداءِ، وقولُه تعالى: ﴿مَّن شَرَحَ﴾ بدلٌ عنه، ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ خبرٌ عنهما[3].

وقولُه تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ﴾؛ أي: على التَّلفُّظِ بكلمةِ الكفرِ ﴿وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ﴾؛ أي: قابلُ الإيمانِ[4] وساكنٌ إليه.

﴿وَلَـٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا﴾؛ أي: قبِلَه على اختيارٍ وانشراحِ صدرٍ[5].

﴿صَدْرًا﴾: نصبٌ على التَّمييزِ؛ أي: شرَحَ صدرَه، فصُرِفَ الفعلَ إلى المُضافِ إليه، فانتَصَبَ على التَّمييزِ[6].

= ورواه الحاكم في «المستدرك» (٣٣٦٢) عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر عن أبيه، وصححه، وقال الحافظ: «وهو مرسل أيضاً، وأخرج الطبري [في «تفسيره» (١٤/ ٣٧٣ ـ ٣٧٤)] من طريق عطية العوفي عن ابن عباس نحوه مطولاً، وفي سنده ضعف».

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣٧٨)، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٨٢).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢١٩).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦١٦)، وعدَّه من العجائب.

(٤) في (و): «بالإيمان».

(٥) في (و): «صدره».

(٦) هو تمييز منقول عن مفعول، وقد ذهب إلى جوازه أكثر المتأخرين، وأنكره أبو علي الشلوبين والأبذي وابن أبي الربيع. انظر: «التوطئة» للشلوبين (ص: ٣١٤ ـ ٣١٥)، و«ارتشاف الضرب» لأبي حيان (٤/ ١٦٢٣).

﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

* * *

(١٠٧) ـ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾ الغضبُ والعـذابُ ﴿بِأَنَّهُمُ﴾: بسبـبِ أنَّهم، وبدلَ أنَّهم ﴿ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾؛ أي: آثَروها عليها ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

* * *

(١٠٨) ـ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾: ختَمَ ﴿وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ﴾؛ أي: خذَلَـهم ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ عن آياتِ الله؛ لتركِهم التَّأمُّلَ فيها.

* * *

(١٠٩) ـ ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾.

﴿لَا جَرَمَ﴾: مَن جعلَه اسمًا فهو مفتوحٌ، ومَن جعلَه فعلًا جعَلَ ﴿لَا﴾ ردًّا، وقد سبقَ[1] ﴿أَنَّهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾.

* * *

---

(١) الأول مذهب الكسائي والفراء والكوفيين، والثاني مذهب البصريين، ونص عليه سيبويه والمبرد وابن السراج وأبي علي الفارسي، وفيها لغات ذكرها المصنف في تفسير مثيلة هذه الآية في سورة (هود). انظر: «الكتاب» (٣/ ١٣٨)، و«المقتضب» (٢/ ٢٥١)، و«معاني القرآن» للفراء (٢/ ٨)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ١٦٥)، و«أمالي ابن الحاجب» (١/ ٢٣٤).

(١١٠) - ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ جَٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

قولُه تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ﴾ في سببِ النُّزولِ: قالَ قتادةُ: ذُكِرَ لنا أنَّه لمَّا أنزلَ الله أنَّ أهلَ مكَّةَ لا يُقبَلُ منهم إسلامٌ حتَّى يُهاجِروا، وكتبَ بها أهلُ المدينةِ إلى أصحابِهم، فخرَجُوا فأدركَتْهُم قريشٌ ففتَنُوهم مُكرَهين، ومنهم مَن قُتِلَ ومنهم مَن نجا، فأنزلَ الله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ﴾[1]؛ أي: عُذِّبوا وأُوذوا حتَّى تلفَّظوا بما يُرضِيْهم ﴿ثُمَّ جَٰهَدُوا۟﴾ مع النَّبيِّ عليه السَّلامُ ﴿وَصَبَرُوٓا۟﴾ على الدِّينِ والجهادِ ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا﴾: بعدِ الفتنةِ التي أصابَتْهم، وقيل: المُجاهدةِ، وقيل: الهجرةِ ﴿لَغَفُورٌ﴾: يغفرُ ما تلفَّظُوا به منَ الكُفرِ تقيَّةً ﴿رَّحِيمٌ﴾: يرحمُهم.

ومَن قرأ: ﴿فَتَنوا﴾[2] فتقديرُه: فتَنُوا أنفُسَهم.

ولـمّا طالَ الكلامُ أعادَ ﴿إِنَّ﴾ واسمَها.

* * *

(١١١) - ﴿يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

﴿يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ﴾ يعني: يومَ القيامةِ ﴿تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾: لا يُهِمُّه[3] إلَّا نفسُه، يحاجُّ الملكَ حالةَ المُحاسبةِ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣٧٨).

(٢) بفتح الفاء والتاء قراءة ابن عامر، والباقون بضم الفاء وكسر التاء. انظر: «السبعة» (١/ ٣٧٦)، و«التيسير» (ص: ١٣٨).

(٣) في (و) و(ن): «يهمها». والصواب ما في (ط)؛ لأن المصنف أعاد الضمير على معنى النفس، وهو الإنسان.

والمُجادلةُ: التَّشدُّدُ في الخصومةِ.

﴿وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾: تُعطَى جزاءَ عملِها وافيًا ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: لا يُنقَصون ممَّا يستحِقُّه[1] شيئًا.

* * *

(١١٢) ـ ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾.

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً﴾ ابنُ عبَّاسٍ في جماعةٍ: هي مكّةُ[2].

ورُوِيَ عن حفصةَ زوجِ النَّبيِّ عليه السَّلامُ أنَّها قالت عند قتلِ عثمانَ رضيَ الله عنه: إنَّها القريةُ والذي نفسي بيدِه ـ تعني: أنَّ المدينةَ هي القريةُ التي ضرَبَ الله المثَلَ بها ـ وسترَون ما يحِلُّ بأهلِها[3].

وعن الحسنِ[4]: هي بلدةٌ عظيمةٌ قديمةٌ آمنةٌ، كفرَ أهلُها فعذَّبهم الله أوَّلًا بالجوعِ والخوفِ ثمَّ استأصَلَهم، فضرَبَ تلك البلدةَ مثلًا لأهلِ مكّةَ، كانت آمنةً ممَّا ابتُليَ غيرُهم به من الحربِ[5] والقتلِ والسَّبْيِ، وهم من ذلك آمِنون[6].

---

(١) أي: «يستحقه عملها»، كما في هامش (ط).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣٨٣) عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد.

(٣) رواه ابن جرير في «تفسيره» (١٤/ ٣٨٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٠٥).

(٤) في (و): «الحسين رضي الله عنه».

(٥) في (و): «الخوف».

(٦) ذكر نحوه ابن الجوزي في «زاد المسير» (٢/ ٥٨٩) عن الحسن.
وفي «النكت والعيون» (٣/ ٢١٨) ذكر ثلاثة أقوال: مكة، والمدينة، والثالث: «أنه مثل مضروب بأي قرية كانت على هذه الصفة من سائر القرى».

﴿كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً﴾: قارَّةً بأهلِها لا يحتاجُونَ إلى الانتقالِ للانتجاعِ كما يَحتاجُ إليه سائرُ العربِ.

﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا﴾: أقواتُها، وقيل: موادُّها ﴿رَغَدًا﴾: كثيرًا واسعًا بلا عَناءٍ ﴿مِّن كُلِّ مَكَانٍ﴾: من نواحيها وفِجاجِها، وقيل: من ثلاثِ سُبُلٍ: اليَمَنِ والشّامِ والحبشةِ، ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ﴾: بما أنعمَ الله عليهم، وقيل: بمحمَّدٍ والقرآنِ والإسلامِ.

وأنعُمٌ: جمعُ نعمةٍ، كشِدَّةٍ وأَشُدٍّ، وقيل: جمعُ نعماءَ، كبأساءَ وأبؤُسٍ، وقيل: جمعُ نُعْمٍ، كطُعْمٍ وأطْعُمٍ.

﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ وذلك أنَّ النَّبيَّ عليه السَّلامُ دَعا على قُريشٍ حين أفرَطُوا في أذاه، فقال: «اللَّهمَّ اشدُدْ وطأتكَ عليهم، واجعَلْ لهم سنينَ كسِنِيْ يوسفَ»[1]، فقطعَ الله عنهم التِّجاراتِ والأمطارَ، وقُحِطوا سبعَ سنينَ مُتواليةً حتَّى أكلوا العِلْهِزَ والجِيَفَ[2]، وأوقعَ خوفَ النَّبيِّ عليه السَّلامُ والمؤمنين في قلوبِهم.

واستعارَ الذَّوقَ لكلِّ ما يُلِذُّ أو[3] يُؤلِمُ[4].

---

(١) رواه البخاري (٨٠٤)، ومسلم (٦٧٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه النَّسائي في «الكبرى» (١١٢٨٩) في تفسير سورة المؤمنين من حديث ابن عباس قال: جاء أبو سفيان إلى النَّبي ﷺ فقال: يا محمد، أَنْشدك الله والرحم فقد أكلنا العلهز؛ يعني: الوبر والدَّم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٦].

العلهز: طعام كانوا يتخذونه من الدم ووبر البعير في سني المجاعة، وقد تقدم في رواية النسائي انظر: «الصحاح» (٣/ ٨٨٧).

(٣) في (و): «ويؤلم».

(٤) ذكر ضياء الدين بن الأثير في «المثل السائر» (٢/ ٩١) أن في الآية ثلاث استعارات بُني بعضها على =

(١١٣) ـ ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ﴾ يعني: محمَّدًا عليه السَّلامُ ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ قال المُفسِّرون: إنَّه القتلُ بالسَّيفِ يومَ بدرٍ، وقيل: الجدْبُ الشَّديدُ. ثمَّ خاطبَ المؤمنين فقال:

* * *

(١١٤) ـ ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾.

﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾: منَ الغنائمِ ﴿حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ حكى الفقيهُ أبو اللَّيثِ رحمَه الله في «تفسيرِه»: أنَّ أهلَ مكَّةَ بَعثُوا إلى النَّبيِّ عليه السَّلامُ فقالوا: إنْ عادَيْتَ الرِّجالَ فما بالُ الصِّبيانِ والنِّساءِ؟ فأذِنَ رسولُ الله عليه السَّلامُ في حملِ الطَّعامِ إليهم ولـم يقطَعْ عنهم[1]، فقالَ الله تعالى: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾؛ يعني: خُزاعةَ وثقيفًا؛ أي: ما أحلَّ اللهُ لكم ﴿وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾.

* * *

= بعض؛ استعارة القرية لأهلها، واستعارة الذوق للباس، واستعارة اللباس للجوع والخوف، وبين هذه الاستعارات تناسب لا يخفى. ولفظ الذوق أبلغ في الإحساس وأدخل في الإيلام، أما لفظ اللباس فدل على أن الألم يشملهم ويغطيهم ويحيط بهم كما يغطي اللباس الجسم. انظر: «الطراز» ليحيى بن حمزة الطالبي (١/ ١٢٣).

(١) انظر: «تفسير السمرقندي» (٢/ ٢٩٥).

(١١٥) ـ ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ سبقَ تفسيرُه في (البقرةِ).

* * *

(١١٦) ـ ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾.

﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ﴾؛ أي: لوصفِ ألسنتِكُم الكذبَ ﴿هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ﴾ كما قالوا في البَحيرةِ، وكما قالوا[1] ﴿مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ...﴾.

﴿لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ قيل: هي لامُ العاقبةِ، وقيل: هي لامُ (كي)؛ لأنَّهم قالوا: اللهُ أمرَنا بهذا ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾.

* * *

(١١٧) ـ ﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ﴾؛ أي: هو متاعٌ قليلٌ لا بقاءَ له؛ لأنَّ عمرَ الدُّنيا قصيرٌ، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يُريدُ: في الآخرةِ.

* * *

(١١٨) ـ ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾ يُريدُ: ما تقدَّمَ من قولِه: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ

---

(١) «ما» سقطت من (و) و(ن).

هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾ [الأنعام: ١٤٦]، وقولُه تعالى: ﴿مِن قَبْلُ﴾ يتعلَّقُ بـ﴿قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾، وقيل: بـ﴿حَرَّمْنَا﴾، والأوَّلُ أظهرُ.

﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾ بالتَّحريمِ ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ فحرَّمْنا عليهم عقوبةً لهم على معاصيهم.

* * *

(١١٩) - ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ﴾: جهالةِ غَلَبةِ الشَّهوةِ والشَّبابِ.

الفرَّاءُ: كلُّ مَن عمِلَ سوءًا فهو جاهلٌ[١].

ابنُ عيسى: عمِلوه بداعي الجهلِ.

﴿ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا﴾: من بعدِ التَّوبةِ وبعدِ الجهالةِ ﴿لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

* * *

(١٢٠) - ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾؛ أي: مُعلِّمًا للخيرِ يأتمُّ به أهلُ الدُّنيا.

مجاهدٌ: كان مُؤمنًا وحدَه والنَّاسُ كلُّهم كفَّارٌ[٢].

وقيل: كان يقومُ مَقامَ أمَّةٍ[٣].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١١٤).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٠٦)، وذكره النحاس في «معاني القرآن» (٤/ ١١١).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦١٧)، واستغربه.

المُؤرِّجُ: الأمَّةُ: الإمامُ يُقتَدَى به؛ في لغة قريشٍ.

وعن شهرِ بنِ حَوْشَبٍ: لـم تبقَ الأرضُ إلّا وفيها أربعةَ عشرَ يدفعُ الله بهم عن أهلِ الأرضِ، وتُخرِجُ بركتَها، إلّا زمنَ إبراهيمَ عليه السَّلامُ؛ فإنَّه كانَ وحدَه(١).

وقيل: سُمِّي أمَّةً؛ لأنَّه انفردَ بالتَّوحيدِ في دهرِه، كما قال عليه السَّلامُ في قسِّ بنِ ساعدةَ: «يُحشَرُ يومَ القيامةِ أمَّةً»(٢).

﴿قَانِتًا لِّلَّهِ﴾: هو المُطيعُ الدّائمُ على الطَّاعةِ، وقد سبقَ.

﴿حَنِيفًا﴾: مائـلًا عن الأديـانِ، وقيل: مُسـتقيمًا، وقيل: حاجًّا، وقيـل: مُختَتِنًا، وقـد سبقَ.

وقد ذكرَ المُفسِّرون أنَّ ابنَ مسعودٍ قرأ(٣): (إنَّ مُعاذًا كانَ أمَّةً قانتًا) فقيل: غلطتَ، إنَّما هو إبراهيمُ، فأعادَها ثلاثًا، ثمَّ قال: إنَّا معاشرَ أصحابِ رسولِ الله ﷺ

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣٩٥)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ١٥٤).

(٢) رواه أبو سعيد النقاش في «فنون العجائب» (٢٨) و(٢٩)، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (٥٥)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ١٠٥ ـ ١١٣)، في خبر طويل عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقال البيهقي: «وقد روي من وجه آخر عن الحسن البصري منقطعاً، وروي مختصراً من حديث سعد بن أبي وقاص وأبي هريرة، وإذا روي حديث من أوجه ـ وإن كان بعضها ضعيفاً ـ دل على أن للحديث أصلاً، والله أعلم».

وروي نحوه في شأن زيد بن عمرو بن نفيل، رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٦٤٨)، عن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، قال: كان رسول الله ﷺ بمكة هو وزيد بن حارثة، فمر بهما زيد بن عمرو بن نفيل، فدعواه إلى سفرة لهما، فقال: يا ابن أخي، إني لا آكل مما ذبح على النصب، قال: فما رئي النبي ﷺ بعد ذلك أكل شيئاً مما ذبح على النصب. قال: قلت: يا رسول الله، إن أبي كان كما قد رأيت وبلغك، ولو أدركك لآمن بك واتبعك، فاستغفر له؟ قال: «نعم، فأستغفر له، فإنه يبعث يوم القيامة أمة وحده». وفي إسناده ضعف.

(٣) في مصادر التخريج: «قال» أي: قالها تمثُّلاً بالآية، وليست بقراءة، والله أعلم.

كُنَّا نُشبِّهُه بإبراهيمَ عليه السَّلامُ، ثمَّ قال: أتدري ما الأمّةُ وما القانتُ؟ قلنا: الله أعلَمُ، فقالَ: الأمَّةُ: الذي يُعلِّمُ الخيرَ، والقانتُ: المُطيعُ لله، وكذلك كان معاذُ بنُ جبلٍ مُعلِّمًا للخيرِ مُطيعًا لله، حكاه الثَّعلبيُّ وغيرُه(١).

﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ كما زَعمُوا، وحُذِفَ النُّونُ تشبيهًا بحروفِ المدِّ واللِّينِ(٢).

***

(١٢١) ـ ﴿ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾.

﴿ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ﴾؛ أي: لنِعَمِه، وقعَ الجمعُ القليلُ موقعَ الجمعِ الكثيرِ(٣).

﴿ٱجْتَبَىٰهُ﴾: اختارَه لنُبوَّتِه ﴿وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ وهو الإسلامُ، لا كما زعمَ اليهودُ والنَّصارى.

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٦/ ١٥٣)، ورواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٢/ ٢٦٥)، وأبو زرعة في «تاريخه» (ص: ٦٤٨)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣٩٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٩٩٤٤) و(٩٩٤٧)، والحاكم في «المستدرك» (٥١٨٨). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٤٩): «رواه الطبراني بأسانيد ورجال بعضها رجال الصحيح».
وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦١٧)، وعدَّه من العجائب.

(٢) هذا التعليل هو ظاهر مذهب سيبويه، ولذلك لا يجوز عنده حذف النون إذا وليها ساكن، وهو حذف على خلاف الأصل عنده، وقد ذكر المبرد أنها حذفت استخفافاً، أما ابن السراج فذكر أن هذه النون حذفت لكثرة الاستعمال، وأن هذه النون شبهت بالنون الزائدة ونون الإعراب التي تحذف في بعض المواضع، وقد وافق أبو علي سيبويه، ووافق الرماني ابن السراج. انظر: «الكتاب» (٤/ ١٨٤)، و«المقتضب» (٣/ ١٦٧)، و«الأصول» (٣/ ٣٤٣)، و«التعليقة» لأبي علي (٥/ ١١٧)، و«شرح الكتاب» للرماني (ص: ٢٨٨).

(٣) ذكر سيبويه أن مجمع القلة (أبنية أدنى العدد) أربعة أبنية هي: أَفْعُل وأفْعال وأفْعِلَة وفِعْلة وأن هذه الأبنية للقلة في الأصل، لكن ربما جاءت للكثرة. انظر: «الكتاب» (٣/ ٤٩٠).

(١٢٢) ـ ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾: لسانَ الصِّدقِ والثَّناءَ الجميلَ.

قتادةُ: هي أنْ جعلَه بحيثُ كلُّ المِلَلِ ينتسِبُونَ إليه(١).

الحسَنُ: النُّبوَّةَ(٢).

سعيدُ بنُ جُبيرٍ: الولدَ الطَّيِّبَ(٣).

﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ منَ الأنبياءِ.

* * *

(١٢٣) ـ ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾؛ أي: بعدَ إبراهيمَ بالزَّمنِ الطَّويلِ أمرناكَ باتِّباعِ طريقتِه في عبادةِ ربِّه؛ ليعلمَ أهلُ الأديانِ أنَّ الذي يدعو إليه محمَّدٌ النَّاسَ دينُ إبراهيمَ عليهما السَّلامُ.

* * *

(١٢٤) ـ ﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾: هم اليهودُ، وإنَّما عدَّاه بـ﴿عَلَى﴾ لأنَّ اليومَ صارَ عليهم ـ لا لهم ـ بارتكابِهم المعاصيَ فيه.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٢٤٤)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣٩٨).

(٢) ذكره الماوردي في «تفسيره» (٣/ ٢١٩).

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٧/ ٥١٦) عن الكلبي، وذكر النحاس في «معاني القرآن» (٥/ ٢٢٠) عن سعيد بن جبير أنه وافق عكرمة بأن أهل الملل كلها تدعيه، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ١٥٥) بلا نسبة، وحكاه ابن الجوزي في «زاد المسير» (٢/ ٥٩٢) عن الثعلبي.

وقيل: معناه: حرَّمَ الكسبَ عليهم؛ أي: العمَلَ فيه.

الحسَنُ: جعَلَ السَّبتَ لعنةً عليهم بأنْ جعَلَ منهم القردةَ(١).

وقيل: أوحينا إليهم تعظيمَه.

ومعنى: ﴿ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ﴾؛ أي: حلَّلَه قومٌ منَ اليهودِ وحرَّمَه قومٌ.

ابنُ عبَّاسٍ: إنَّ الله تعالى قال: ذَرُوا الأعمالَ في يومِ الجمعةِ وتفرَّغُوا فيه لعبادتي، فقالوا: نُريدُ السَّبتَ؛ لأنَّ اللهَ فرَغَ فيه من خلقِ السَّماواتِ والأرضِ، فهو أولى بالرّاحةِ، وقال بعضُهم: نُحِبُّ أن يكونَ يومَ الأحدِ؛ لأنَّ فيه بدأ الله الخلقَ، فألزَمَهم السَّبتَ، وشدَّدَ التَّكليفَ فيه؛ لمُخالفتِهم أمرَه(٢).

ورَوَى أبو هريرةَ رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ عليه السَّلامُ قال: «كتَبَ الله الجمعةَ على مَن كانَ قبلَنا فاختلَفُوا فيها، وإنَّ اللهَ هدانا لها، فالنّاسُ لنا فيها تبعٌ؛ فلليهودِ غدٌ، وللنَّصارى بعدَ غدٍ»(٣).

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾.

* * *

(١٢٥) ـ ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾.

﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾؛ أي: ادعُ يا محمَّدُ أمَّتَكَ ومَن بُعثتَ إليه إلى الإسلامِ ﴿بِٱلۡحِكۡمَةِ﴾: النُّبوَّةِ ﴿وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ﴾: القرآنِ.

---

(١) نقله ابن حيان في «البحر المحيط» (٦/ ٦١٢).

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٣/ ٢٢٩) من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٥١) عن الكلبي.

(٣) رواه البخاري (٨٧٦)، ومسلم (٨٥٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ابنُ جريرٍ: ﴿بِٱلْحِكْمَةِ﴾ بالقرآنِ، ﴿وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ العِبَرِ المعدودةِ في هذه السُّورةِ[١].

وقيل: الحكمةُ والموعظةُ: القرآنُ.

ابنُ عيسى: الحكمةُ: المعرفةُ بمراتبِ الأفعالِ، والموعظةُ الحسنةُ: أن تختلطَ الرَّغبةُ بالرَّهبةِ، والإنذارُ بالبشارةِ[٢].

﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ الزَّجَّاجُ: أي: جادِلْهم غيرَ فظٍّ ولا غليظِ القلبِ في ذلك، بل أَلِنْ لهم جانبَكَ[٣].

مجاهدٌ: أعرِضْ عن أذاهُم إيّاكَ[٤].

وقيل: على قَدْرِ ما يَحتمِلون، رَوَى أُبيٌّ رضي الله عنه عنِ النَّبيِّ عليه السَّلامُ أنَّه قالَ: «أُمِرْنا معاشرَ الأنبياءِ أن نُكلِّمَ النَّاسَ على قدرِ عقولِهم»[٥].

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٤/ ٤٠٠).

(٢) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٦/ ٦١٣).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٢٣).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٤٠١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٠٧).

(٥) لم أقف عليه عن أبي رضي الله عنه. وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٢٢٠) من حديث نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما.

ورواه خيثمة بن سليمان في «حديثه» (ص: ٧٥) عن سعيد بن المسيب مرسلًا، وقال الزركشي في «التذكرة» (ص: ١٠٧): «رواه صاحب مسند الفردوس من جهة أبي معشر عن رجل سماه عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعًا، وفي إسناده ضعيف ومجهول».

وله شواهد موقوفة:

منها: ما رواه البخاري (١٢٧) عن علي رضي الله عنه قال: «حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله؟». =

والجِدالُ: فتلُ[١] الخصمِ عن مذهبِه بطريقِ الحِجَاجِ[٢].

وذهبَ بعضُ المُفسِّرين إلى أنَّه منسوخٌ.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾؛ أي: ثمَّ إنْ لم يقبلُوا رُشدَهُم بعدَ اللُّطفِ فأنفُسَهم يضرُّونَ.

***

(١٢٦) - ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾.

في سببِ النُّزولِ: عن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله عليه السَّلامُ يومَ قُتِلَ حمزةُ ومُثِّلَ به: «لَئِنْ ظَفِرْتُ بقُريشٍ لأُمثِّلَنَّ بسبعين رجلًا منهم»، فأنزَلَ الله هذه الآياتِ، فقال رسولُ الله ﷺ: «بل نصبرُ يا ربِّ»[٣].

= ومنها: ما رواه مسلم في مقدمة «صحيحه» (١/ ١١) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «ما أنت بمحدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة».

(١) في (ن): «نقل».

(٢) تقدم توهين المصنف للجدال بنحو هذا في تفسيره قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا﴾، وقد ذكره قبل ذلك ابن فورك في «تفسيره» (١/ ٣٩٩)، والثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ٦٩).

(٣) رواه البزار في «مسنده» (٩٥٣٠)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٤٤٧)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٩٣٧)، والحاكم في «المستدرك» (٤٨٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وصححه الحاكم، وتعقبه الذهبي بقوله: «صالح المري واه».

ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١٠٥١)، والدارقطني في «سننه» (٤٢٠٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. قال الدارقطني: «فيه عبد العزيز بن عمران ضعيف». وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ١٢٠): «رواه الطبراني، وفيه أحمد بن أيوب بن راشد وهو ضعيف». =

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾: جازَيتُم المُسيءَ على إساءتِه ﴿فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ﴾ أمرٌ أن يكونَ الجزاءُ على الذَّنبِ مثلَه، لا كما كانت العربُ تفعلُه وجرَى على لفظِه عليه السَّلامُ.

وهذا فيمَن جعلَ السُّورةَ مكِّيَّةً إلّا هذه الآياتِ، ومَن جعَلَ السُّورةَ كلَّها مكِّيَّةً حملَ معناها على ما يشبهُ هذه الآيةَ من قولِه تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ﴾ [النساء: ٦٣]، و﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ [الغاشية: ٢٢]، ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠]؛ أي: الصَّفحُ عن الشَّيءِ ما لـم يُؤدِّ إلى ضررٍ أحمدُ عندَ الله والمُؤمنين.

* * *

(١٢٧) ـ ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾.

﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾: لا تجزَعْ على ما أصابَكَ، وقولُه: ﴿إِلَّا بِٱللَّهِ﴾: بمَعونتِه، وقيل: إلّا لله.

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ فهم شهداءُ عندَ الله يُرزَقُونَ فرِحينَ ﴿وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ منَ القتلِ والمُثلةِ.

ومَن قالَ: كلُّها مكِّيَّةٌ، فالمعنى: ﴿وَٱصْبِرْ﴾ على أذى المُشركين ﴿وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾: بتوفيقه ومعونتِه، ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ في تكذيبِهم إيّاك وإفراطِهم في أذاكَ، ولا يضيقُ صدرُك بمكرِهم في إبطالِ دينِ الله.

* * *

= ورواه الدارقطني (٤٢٠٩) من طريق آخر من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وقال: «لم يروه غير إسماعيل بن عياش وهو مضطرب الحديث عن غير الشاميين».

(١٢٨) ـ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ ﴾ ما حُرِّمَ عليهم ﴿وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾ فيما رزقَهم الله.
ومعنى: ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ ﴾: ناصِرُهم ومُعينُهم في الدُّنيا والعُقبَى.

* * *

سُورَةُ الإِسۡرَاءِ

سُورَةُ بَنِي إِسْرَائِيلَ

مِئَةٌ وَإِحدَى عَشَرَ آيةً(١)، مكِّيَّةٌ عند الجميعِ.

قتادةُ: مكِّيَّةٌ إلَّا ثمانِ آياتٍ من قولِه: ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفۡتِنُونَكَ ﴾ [الإسراء: ٧٣] إلى آخرِ ثمانِ آياتٍ(٢)، وفيها: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ ﴾ [الإسراء: ٨٠] نزلت بين مكَّة والمدينةِ(٣).

---

(١) «مئة وإحدى عشر آية»: ليست في (و). وفيها قول آخر: مئة وعشر آيات، واختلافهم في آية ﴿لِلۡأَذۡقَانِ سُجَّدٗا﴾ عدَّها الكوفي ولم يعدَّها الباقون. انظر: «البيان في عد آي القرآن» للداني (ص: ١٧٧).

(٢) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٧)، لكن روي عن قتادة خلافه، فقد روى الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٤) من طريق سعيد عن قتادة: ذكر لنا أن قريشاً خلوا برسول الله ﷺ ذات ليلة إلى الصبح يكلمونه ويفخمونه ويسوّدونه ويقاربونه، وكان في قولهم أن قالوا: إنك تأتي بشيء لا يأتي به أحد من الناس، وأنت سيدنا وابن سيدنا، فما زالوا يكلّمونه حتى كاد أن يقارفهم، ثم منعه الله وعصمه من ذلك، فقال: ﴿ وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ شَيۡـٔٗا قَلِيلًا ﴾.

وروى عبد الرزاق في «تفسيره» (١٥٩٧) نحوه عن معمر عن قتادة.

وفي هذه القصة دلالة على أنَّ الآيات مكية في قول قتادة.

وقد صح استثناء آخر من مكيتها، وهو قوله تعالى: ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ﴾ الآية؛ لما أخرج البخاري (١٢٥)، ومسلم (٢٧٩٤) عن ابن مسعود: أنها نزلت بالمدينة في جواب سؤال اليهود عن الروح.

(٣) ذكره الجرجاني في «درج الدرر» (٢/ ٦٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما، ولعله يشير لما رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٩٤٨)، والترمذي (٣١٣٩) ـ وقال: حسن صحيح ـ عن ابن عباس قال: كان رسولُ الله ﷺ، بمكةَ، ثُم أُمر بالهجرة، وأُنزل عليه: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي =

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

﴿سُبْحَانَ الَّذِي﴾ ﴿سُبْحَانَ﴾ مصدرٌ كالغُفْران، وليس من لفظه فعلٌ، وقيل: هو الاسمُ من سَبَّح، والتَّسبيحُ مصدرُه[1]، ونصبُ ﴿سُبْحَانَ﴾ على المصدرِ، ولم يُستعملْ إلَّا منصوباً، وأكثرُ مجيئه مضافاً، وقد جاءَ منوَّناً كقولِ أُميَّةَ:

سُبْحَانَهُ ثُمَّ سُبْحَاناً نَعُوذُ بِهِ[2] ... وَقَبْلَنَا سَبَّحَ الْجُودِيُّ وَالْجُمُدُ[3]

وجاءَ غيرَ مضافٍ ولا منوَّنٍ، قال:

= مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا﴾. والظاهر من الخبر أنها نزلت قبل خروجه؛ أي: في مكة. كما أن هذا الحديث في إسناده ضعف، فيه قابوس ـ وهو ابن أبي ظبيان الجنبي الكوفي ـ وهو ضعيف يكتب حديثه ولا يحتج به، وباقي رجاله ثقات، كما ذكر محققو «المسند».

(١) في (و): «مصدر».

(٢) في (و): «ثُمَّ سُبْحَانه نَعُوذُ بِهِ»، وفي (ن) و(ط): «ثم سبحاناً نقول له». والمثبت موافق لما في المصادر، لكن جاء في بعضها: «يعود له» بدل: «نعوذ به»، وهي رواية له كما ذكر البغدادي في «خزانة الأدب» (٤/ ٤٢).

(٣) نسب لأمية في «الكتاب» (١/ ٣٢٦)، ونسبه أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (١/ ٢٩٠) لزيد بن عمرو بن نفيل، وفي «الزاهر» لابن الأنباري (١/ ٥١) لزيد بن عمرو بن نفيل أو ورقة بن نوفل.
وقال البغدادي في «الخزانة» (٣/ ٣٨٩): «وهذا البيت من أبيات لورقة بن نَوْفَل قَالها لكفار مَكَّة حين رآهم يعذبون بلالًا على إسلامه» فذكرها، ثم قال بعد ذلك: «وقد وقع بيت الشاهد في كتاب سيبويه غير معزوٍّ إلى واحد، واختلف شرَّاح شواهده؛ فأكثرهم قال: إنها لأمية بن أبي الصَّلْت، وقال بعضهم: إنها لزيد بن عَمْرو بن نفَيْل. والصواب ما قدمْناه». والجوديُّ والجمد جبلان كما ذكر البغدادي في «خزانة الأدب» (٧/ ٢٤٢).

أَقُـولُ لَمَّـا جَـاءَنِــي فَـخْـرُهُ سُبْحَانَ مِـنْ عَلْقَمَـةَ الفَاخِـرِ[١]

جعله عَلَماً، وفيه الألفُ والنُّونُ فلم يَنْصرِفْ.

وفي معناه أقوالٌ، وقد سبقَ[٢] أحدُها: تنزيهٌ وتبرئةٌ.

وكيعٌ: إنزاهُ اللهِ من السُّوءِ[٣].

مجاهدٌ: إنكافُ اللهِ[٤].

ابن عبَّاسٍ: تعجُّبٌ[٥].

الحسنُ: كلمةٌ اتَّخذها اللهُ لنفسه[٦].

---

(١) البيت للأعشى. انظر: «ديوانه» (ص: ٩٤)، و«الكتاب» (١/ ٣٢٤)، وعلقمة هو ابن علاثة، والبيت في هجائه، وقد تقدم.

(٢) في قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾.

(٣) لم أجده عن وكيع، وروي مرفوعاً، رواه البزار في «مسنده» (٣٠٨٢ ـ كشف الأستار)، والطبري في «تفسيره» (١٢/ ١٢٨)، من طريق موسى بن طلحة عن أبيه طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه عن النبي ﷺ.

ورواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ١٢٨) و(١٤/ ٤١٢) من طريق موسى بن طلحة عن النبي ﷺ مرسلاً، والمرفوع ضعيف الإسناد، وقد أورده الدارقطني في «العلل» (٤/ ٢٠٨) موصولاً ومرسلاً، وقال: «المرسل أصح».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٤١٢). ومعنى أنكفته: نزهته عما يستنكف منه. انظر: «عمدة الحفاظ» للسمين الحلبي (٤/ ٢٢٢).

(٥) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٩٦٨) بلفظ: «سبحان: عجب».

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ١٢٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٢٣) عن علي رضي الله عنه، ولفظ الطبري: «كلمة رضيها الله لنفسه».

﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ السُّرَى والإسراءُ: الذَّهابُ في اللَّيلِ، وقُرِئ ﴿فَأَسْرِ﴾ [هود: ٨١] بالوجهين[١]، وتَعَدَّى بالباءِ، وعبدُه: محمَّدٌ عليه السلام[٢].

﴿لَيْلًا﴾ قيَّده بذكر اللَّيلِ ـ والإسراءُ لا يكونُ إلَّا باللَّيلِ ـ تأكيداً، كما تقولُ: أخذَ[٣] بيده، وقالَ بلسانه.

وقيل: المرادُ بقوله: ﴿لَيْلًا﴾؛ أي: في بعضِ اللَّيلِ لا في كلِّه، على تقليل الوقت[٤].

وقيل: أرادَ: أوَّلَ اللَّيل.

وقيل: قوله: ﴿لَيْلًا﴾ يدلُّ على جوفِ اللَّيلِ؛ أي: لم يكنْ إدلاجاً[٥] ولا ادِّلاجاً[٦].

وقيل: لقطعِ مَجازٍ يُستعملُ له السُّرى[٧]، تقولُ: سَرَى الشَّيءُ في الشَّيءِ: إذا جرى فيه برفقٍ وخفاءٍ.

﴿مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ فيه قولان:

أحدُهما: أنَّ المسجدَ الحرامَ اسمٌ لجميعِ بلدِ مكَّة، وكان النَّبيُّ عليه السَّلام

---

(١) قرأ بهمزة الوصل نافع وابن كثير، والباقون بهمزة القطع. انظر: «السبعة» (ص: ٣٣٨)، و«التيسير» (ص: ١٣٦).

(٢) ووصف النبي ﷺ بالعبودية في هذا المقام وصف تشريف. انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٧/ ٨)، و«التفسير الكبير» للرازي (١/ ٢١٤)، و«الاعتصام» للشاطبي (٣/ ٣١٠).

(٣) في (ن): «أخذه».

(٤) «على تقليل الوقت» ليست في (و).

(٥) تحتها في (ن): «أول الليل» شرح.

(٦) تحتها في (ن): «آخر الليل» شرح.

(٧) أي: نفياً للمجاز الذي يستعمل له السُّرى. انظر: «غرائب التفسير» (١/ ٦٢٠).

تلك اللَّيلة في بيتِ أمِّ هانئٍ بنتِ أبي طالبٍ، قالت أمُّ هانئٍ: ما أُسري برسولِ اللهِ عليه السَّلام إلَّا من بيتي، وكان في بيتي نائماً تلك اللَّيلة، فصلَّى العشاءَ الآخرةَ، ثمَّ نامَ ونمنا، فلمَّا كان قُبَيل[١] الفجرِ هبَّنا هو[٢]، فلمَّا صلَّى الصُّبحَ وصلَّينا معه قالَ: «يا أمَّ هانئٍ، لقد صلَّيتُ معكم العشاءَ الآخرةَ كما رأيتِ بهذا الوادي، ثمَّ جئتُ بيتَ المقدسِ فصلَّيتُ فيه، ثمَّ صلَّيتُ صلاةَ الغداةِ الآن معكم كما ترينَ[٣]»[٤].

والثَّاني: أنَّه الكعبةُ، فإنَّ أنساً روى عن النَّبيِّ عليه السَّلام أنَّه قال: «بينا أنا عند البيتِ بين النَّائمِ واليقظانِ إذ سمعتُ قائلاً يقولُ: قمْ يا محمَّدُ، فجلستُ فلم أرَ شيئاً، فعدتُ لمضجعي حتَّى جاءني[٥] الثَّانيةَ، فأخذَ بعَضُدِي وأخرجني إلى بابِ المسجدِ»[٦].

---

(١) في (و): «قبل».

(٢) قوله: «هبنا هو» كذا في النسخ الخطية، وفي المصادر: «أهبنا رسول الله ﷺ»، و(هبَّ) يأتي لازماً كما هو مشهور ويأتي متعدياً أيضاً كما استعمله المصنف. انظر: «تاج العروس» مادة: (هـ ب ب) (٤/ ٣٧٢).

(٣) في (و): «ترون».

(٤) رواه الطبري في «التفسير» (١٤/ ٤١٤)، من طريق ابن إسحاق عن الكلبي عن أبي صالح عن أم هانئ رضي الله عنها، وهو في «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٤٠٢) عن ابن إسحاق قال: بلغني... فذكره.

ورواه الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ١٧٩) من طريق محمد بن مروان عن الكلبي به.

والكلبي متروك، ومحمد بن مروان هو السدي الصغير كذاب، كما أن في متنه نكارة نبه عليها الحافظ ابن حجر في «الإصابة» (٨/ ١٣٧)، وهي: أنه صلى العشاء الآخرة والصبح معهم، وإنما فُرضت الصلاة ليلة المعراج، وكذا نومه الليلة في بيت أم هانئ، وإنما نام في المسجد.

(٥) في (ن): «جاء».

(٦) لم أجده هكذا من حديث أنس رضي الله عنه، وأقرب شيء إليه وجدته هو ما رواه ابن إسحاق كما في «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٣٩٧)، ومن طريقه الطبري في «التفسير» (١٤/ ٤١٥)، =

قولُه تعالى: ﴿إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ وهو بيتُ المقدسِ بإجماعٍ من المفسِّرين، وقالوا: بناه سليمانُ بن داودَ عليهما السَّلام.

وقيل: بينه وبين الكعبةِ أربعونَ عاماً[1].

ووَصَفَه بالأقصى كأنَّه قال: من المسجدِ الأدنَى منهم إلى المسجدِ الأقصى منهم؛ أي: من العربِ، أو من أهلِ مكَّةَ، أو من النَّبيِّ وأصحابه، وقيل: الأقصى من المسجدِ الحرامِ.

﴿ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ بالمياهِ والأشجارِ.

وقيل: معناه: جعلنا فيه السَّعةَ في الرِّزقِ والرُّخصَ في السِّعرِ، فلا يحتاجُ إلى جلبِ المِيْرِ[2].

= عن الحسن بن أبي الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «بينا أنا نائم في الحجر جاءني جبريل فهمزني بقدمه فجلست فلم أر شيئاً فعدت لمضجعي فجاءني الثانية فهمزني بقدمه فجلست فلم أر شيئاً فعدت لمضجعي فجاءني الثالثة فهمزني بقدمه فجلست فأخذ بعضدي فقمت معه فخرج بي إلى باب المسجد...» ثم ذكر قصة البراق. وإسناده ضعيف لإرساله.

أما حديث أنس رضي الله عنه فرواه البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤) من حديث أنس عن مالك بن صعصعة رضي الله عنه بلفظ: «بَيْنَا أنا عند البيت بينَ النَّائم واليقظان إذْ سمعت قائلًا يقول: أحدُ الثَّلاثة بين الرَّجُلَين، فَأُتِيتُ فانْطُلِقَ بي فأُتِيتُ بطَسْتٍ من ذهبٍ فيها من ماء زمزمَ...» ثم ذكر قصة شق صدره وغسله بماء زمزم ثم قصة البراق.

وفي رواية عند البخاري (٣٨٨٧) من حديث أنس عن مالك بن صعصعة أيضاً: «بينما أنا في الحطيم ـ وربما قال: في الحِجْرِ ـ مضطَجِعًا إذ أَتاني آتٍ...». قال في «الفتح» (٧/ ٢٠٤): المراد بالحطيم هنا الحجر.

(١) في (ن): «وقيل: بني بعد الكعبة بأربعين عاماً».

وهذا القول رواه البخاري (٣٣٦٦)، ومسلم (٥٢٠)، من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٢) المِيَرُ: جمع المِيْرَة، وهي: جلب الطعام للقوم، وقيل: اسم للطعام الذي يحمل من بلد إلى بلد. =

وقيل: ﴿بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ﴾ بأنْ صيَّرناه موضعاً للعباداتِ ومسكناً للأنبياءِ عليهم السَّلام، وأرادَ بقوله: ﴿حَوۡلَهُۥ﴾ الشَّامَ. وقيل: تقديره: ما حوله.

﴿لِنُرِيَهُۥ﴾ يعني: محمَّداً عليه السَّلام ﴿مِنۡ ءَايَٰتِنَآ﴾ الدَّالَّةِ على توحيدِ اللهِ وصدقِ نبوَّته برؤيته السَّماواتِ وما فيها من العجائبِ والآياتِ، ومشاهدتِه بيتَ المقدسِ ومقاماتِ الأنبياءِ ومواضعَ العباداتِ.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لدعائه ﴿ٱلۡبَصِيرُ﴾ بأعماله.

وقيل: سمعَ مقالةَ الكفَّارِ وأبصرَ مطالبتَهم بالآياتِ.

وقيل: يسمعُ ما يقولون في الإسراءِ ويُبصرُ ما يعملون.

ويحتمِلُ: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ أسمعَ النَّبيَّ[1] كلامَه، ﴿ٱلۡبَصِيرُ﴾ المُبصِرُ؛ أبصرَه الآياتِ وأرشدَه.

واختلفوا في المعراجِ:

فذهبت عائشةُ رضي الله عنها إلى أنَّه أسرى بروحه ولم يُسرَ بجسمه وما فُقِدَ[2] جسمُه[3].

= انظر: «العين» مادة: (م ي ر) (٨/ ٢٩٥)، و«إسفار الفصيح» (١/ ٥١٠).

(١) «النبي»: ليست في (و).

(٢) في (و): «وما صعد».

(٣) رواه ابن إسحاق كما في «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٤٠٠) قال: حدثني بعضُ آل أبي بكر عن عائشة أمِّ المؤمنين أنها كانت تقول: «ما فُقِدَ جسد رسول الله...».، ومن طريق ابن إسحاق رواه الطبري في «التفسير» (١٤/ ٤٤٥). وهو منقطع كما ترى، وقد اعترض بما سيأتي في التعليق الآتي.

وذهبَ معاويةُ إلى أنَّ ذلك كان رؤيا من اللهِ صادقةً[١]، وأنكره الحسنُ[٢].

وذهبَ جماعةٌ من المفسِّرين إلى أنَّه أُسري بجسده وروحه إلى بيتِ المقدسِ ثمَّ رجعَ من ليلته إلى مكَّةَ[٣].

وذهبَ الجمهورُ إلى أنَّه أُسري بجسده وروحه إلى بيتِ المقدسِ ثمَّ إلى السَّماواتِ حتَّى انتهى إلى سدرةِ المنتهى على ما يأتي في سورةِ «النَّجمِ» إن شاءَ اللهُ تعالى، وهذا مذهبُ السُّنَّةِ والجماعةِ[٤]، وعليه يدلُّ ظاهرُ القرآنِ، ووردَ في

---

(١) رواه ابن إسحاق كما في «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٤٠٠)، ومن طريقه الطبري في «التفسير» (١٤/ ٤٤٥)، وفي «تهذيب الآثار» (٧٣٢)، وجاء في هذه المصادر عن ابن إسحاق أنه قال: حدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أن معاوية بن أبي سفيان كان إذا سئل عن مسرى رسول الله ﷺ قال: «كانت رؤيا من الله صادقة».وهذا الخبر فيه انقطاع؛ فإن يعقوب وإن كان ثقة إلا أنه لم يدرك معاوية. انظر: «سبل الهدى والرشاد» (٣/ ٦٩).

وقال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٣/ ٤٣٥): «واعتُرض قول عائشة بأنها كانت صغيرة لم تشاهد ولا حدَّثت عن النبي عليه السلام، وأما معاوية فكان كافراً في ذلك الوقت غيرَ مشاهد للحال صغيراً، ولم يحدث عن النبي ﷺ». وقد تمسَّك المعتزلة بهذا، ومنعوا كون الإسراء في اليقظة. انظر: «البحر المحيط» للزركشي (٥/ ٢٢٥).

(٢) لم أجد الإنكار، لكن روي القولان عن الحسن، فقد قال ابن إسحاق عقب خبر معاوية وعائشة: فلم ينكَر ذلك من قولهما؛ لقول الحسن: إن هذه الآية نزلت في ذلك: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾. انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٤٠٠)، و«تفسير الطبري» (١٤/ ٤٤٦). لكن قال القاضي عياض في مبحث الإسراء والمعراج من «الشفا» (١/ ١٨٧): «والمشهور عن الحسن خلافه».

(٣) وهؤلاء يثبتون الإسراء دون المعراج؛ لأن الإسراء ثبت بالقرآن الكريم، أما المعراج فلا، ومنهم من استدلَّ عليه بأول سورة (النجم)، ومنهم من استدلَّ عليه بقوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ [الانشقاق: ١٩] وانظر: «فتح القدير» لابن الهمام (١/ ٣٥٠).

(٤) وهو إثبات الإسراء والمعراج بالروح والجسد. انظر: «مقالات الإسلاميين» (ص: ٢٢٩)، و«الإبانة» للأشعري (ص: ٣١)، و«فتح الباري» لابن حجر (٧/٩٦). (٧/ ١٩٦ ـ ٢٠٣)، و«عمدة القاري» للعيني (١٧ / ١٩).

صحَّته ما لا يُحصى من الأخبارِ، ولو كانت رؤيا ما أنكره قريش، وما ارتدَّت جماعةٌ ممَّن كانوا أسلموا حين سمعوا منه هذا الكلامَ؛ لأنَّ الرُّؤيا لا يُنكَرُ منها مثلُ ذلك وما هو أبعدُ منها.

ثمَّ ذهبَ جماعةٌ إلى أنَّ هذه اللَّيلة ليلةُ المعراجِ، وهو قولُ ابن مسعودٍ رضي الله عنه، وذهبَ جماعةٌ[1] إلى أنَّ ليلةَ المعراجِ ليلةٌ أخرى سوى هذه اللَّيلةِ[2].

***

(٢) ـ ﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴾.

﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾: التَّوراةَ ﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى﴾ يعني: التَّوراةَ، وقيل: موسى ﴿لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴾ قُرِئ بالياءِ والتَّاء[3]، والياءُ للغيبةِ؛ أي: لِأَنْ لا يتَّخذوا، ويجوزُ أن يكون (لا) نهياً فتكونُ (أن) المفسِّرةَ.

والتَّاءُ للخطابِ، فيجوزُ أن يكون القولُ مُضمَراً، ويجوزُ أن يكونَ من تلوينِ الخطابِ.

ويجوزُ أن يكونَ خطاباً[4] لذرِّيَّة نوحٍ عليه السَّلام، فيكون[5] منصوباً على النِّداءِ.

وقيل: تقديره: لا تتَّخذوا ذرِّيَّة مَن حملنا مع نوحٍ وكيلاً، فيكونُ (الوكيلُ) المفعولَ

---

(١) في (ن): «بعضهم».

(٢) انظر: «درج الدرر» للجرجاني (٣/ ١٠٨٦)، و«فتح الباري» لابن حجر (١/ ٤٥٩ ـ ٤٦٠).

(٣) قرأ بالياء أبو عمرو، والباقون بالتاء. انظر: «السبعة» (ص: ٣٧٨)، و«التيسير» (ص: ١٣٩).

(٤) في (و): «الخطاب».

(٥) أي: لفظ ﴿ذُرِّيَّةَ﴾.

الثَّاني، و(فَعيلٌ) قد يقعُ موقعَ الجمعِ كقوله تعالى: ﴿وَحَسُنَ أُولَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

وقيل: ﴿ذُرِّيَّةَ﴾ بدلٌ من (الوكيلِ).

والمعنى: لا تتَّخذوا من دوني إلهاً.

مجاهدٌ: شريكاً(١).

ابنُ جريرٍ: حفيظاً لكم سواي(٢).

وقيل: الوكيلُ: هو المعتمَدُ عليه المرجوعُ إليه الموثوقُ به، وهذه صفةُ الذي لا إلهَ غيرُه.

الزَّجَّاجُ: أي: لا تتوكَّلوا على غيري ولا تتَّخذوا غيري ربًّا(٣).

***

(٣) ـ ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾.

﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ أجناسُ النَّاسِ ـ عربِهم وعَجَمِهم ـ من ذرِّيَّة مَن حُمِلَ مع نوحٍ في السَّفينةِ.

وقيل: عنَى بذلك سامَ بنَ نوحٍ؛ لأنَّ بني إسرائيلَ من ولدِه، ولأنَّ الصَّحيحَ أنَّ مَن كان معه غيرَ أولاده ماتوا حين هبطوا من السَّفينةِ(٤)، والنَّاسُ بعد نوحٍ من ولدِ نوحٍ كما كانوا من ولدِ آدمَ.

---

(١) رواه يحيى بن سلام في «تفسيره» (١/ ١١٤)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ٤٥٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٠٩)، وهو في «تفسير مجاهد» (ص: ٤٢٨).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١٤/ ٤٥٠).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٢٦).

(٤) حديث موت من كان على السفينة مع نوح سوى أولاده رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٣٥٨) من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفاً. وقاله مقاتل في «تفسيره» =

﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا﴾ كنايةٌ عن نوحٍ عليه السَّلامُ، وكان لا يلبسُ جديداً إلَّا حمدَ اللهَ عند لباسِه، وقيل: كان يحمدُ على طعامِه؛ أي: كونوا يا أولاده مثلَه.

وقيل: المرادُ به موسى عليه السَّلام.

* * *

(٤) - ﴿وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَتُفۡسِدُنَّ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَّتَيۡنِ وَلَتَعۡلُنَّ عُلُوّٗا كَبِيرٗا﴾.

﴿وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾: أوحينا إليهم وأَعْلَمْناهم وأخبرناهم وعهدنا إليهم ﴿فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾: في التَّوراةِ، وقيل: في اللَّوحِ المحفوظِ، قضى اللهُ عليهم في سابقِ علمه ﴿لَتُفۡسِدُنَّ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَّتَيۡنِ﴾: لتَعْصُنَّ اللهَ عصياناً بعد عصيانٍ ﴿وَلَتَعۡلُنَّ عُلُوّٗا كَبِيرٗا﴾ لتَسْتكْبِرُنَّ عن طاعةِ اللهِ، من قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [القصص: ٤].

وقيل: العُلوُّ: الظُّلْمُ، وقيل: القهرُ، وكانوا يقتلون النَّاسَ ظلماً[١] ويَغْلِبون على أموالهم قهراً، ويُخرِبون الدِّيار بغياً، ويقتلون النَّبيِّين، وفيمَن قتلوا من الأنبياءِ زكريَّا، وقيل: شَعْياءَ[٢].

= (٣/ ٦١٠)، وجويبر متروك، والضحاك لم يسمع من ابن عباس، ومقاتل متروك أيضاً.

لكن روي ما يؤيد هذا، فقد روى الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٥٦١) من طريق عليّ عن ابن عباس في قوله: ﴿وَجَعَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلۡبَاقِينَ﴾ [الصافات: ٧٧] يقول: لم يبق إلا ذرية نوح.

وهذا منقطع، فعليٌّ ـ وهو ابن أبي طلحة ـ لم يسمع من ابن عباس ولم يره، وروايته عنه صحيفة، لكن ذكر النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٧٣) استحسان الإمام أحمد بن حنبل لها.

وروى الطبري أيضًا في الآية نفسها عن قتادة قال: «فالناس كلهم من ذرية نوح»، ومثل قول قتادة ذكر النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٢٨٨) عن سعيد بن المسيب.

(١) في (ن): «قهراً».

(٢) في (ن) زيادة: «ويحيى»، وشعياء قبل زكريا ويحيى وعيسى، وهو الذي بشَّر بعيسى ومحمد عليهم السلام فيما ذكر إنما إسحاق. انظر: «تفسير الطبري» (١٤/ ٤٥٩، ٤٦٣).

(٥) ـ ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴾.

﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا ﴾ الوعدُ بمعنى: الموعِد، والموعدُ: الوقتُ؛ أي: وقتُ أُولى المرَّتين، كقوله: ﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ ﴾ [الأنبياء: ٩٧].

وقيل: الوعدُ بمعنى: الموعودِ؛ أي: موعودُ أُولاهما.

وقيل: الوعدُ بمعنى الوعيدِ؛ أي: عقوبةُ أُولاهما.

وقيل: فإذا جاءَ ما وَعَدْنا على المعصيةِ الأُولى.

﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾؛ أي: خلَّيناهم وسلَّطنا عليكم.

وقيل: هيَّجنا وأثَرْنا.

واختلفوا في الذين بعثهم اللهُ عليهم:

فقال ابنُ عبَّاسٍ وقتادةُ: هو جالوتُ إلى أن قتله داودُ.

سعيدُ بنُ المسيَّبِ: هو بختنصَّر.

سعيدُ بنُ جُبَيرٍ: هو سنحاريبُ.

الحسنُ: هم العمالقةُ(١).

وقيل: كانوا قوماً مؤمنين بعثهم اللهُ وأمرهم بغزوِ بني إسرائيلَ، واستدلُّوا على إيمانهم بقوله: ﴿عِبَادًا لَّنَآ﴾؛ لأنَّ اللهَ تعالى لم يُضِفْهم إلى نفسه إلَّا بعد أن كانوا مؤمنين(٢)، ومعنى: ﴿أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾: الأشدَّاءُ الأقوياءُ الأنجادُ ذوي العُدَّةِ والعَددِ والغَلَبةِ.

---

(١) ذكر هذه الأخبار جميعاً الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٢٢٩)، ورواها عدا قول الحسن الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٤٧١ ـ ٤٧٥).

(٢) وهذا القول عدَّه المؤلف من الغريب في «غرائب التفسير» (١/ ٦٢١).

﴿فَجَاسُواْ خِلَـٰلَ ٱلدِّيَارِ﴾: تردَّدوا فيها للغارةِ.

الزَّجَّاج: طافوا ينظرون هل بقيَ أحدٌ لم يقتلوه، والجَوْسُ: طلبُ الشَّيء باستقصاءٍ(١). وكذلك الحَوْسُ(٢).

الأصمعيُّ: جاسوا: وَطِئوا(٣)، وقيل: عاثُوا.

والخِلالُ: انفراجُ ما بين الشَّيئين أو أكثرَ لضربٍ من الوَهْنِ.

أي: قُتلوا في الأزقَّةِ والطُّرقِ.

﴿وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾؛ أي: كان الجوسُ وعداً من اللهِ مفعولاً لا محالةَ.

وقيل: ما وَعَدْنا من أنَّهم يُفسدون مرَّتين وعداً كائناً.

* * *

(٦) ـ ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَـٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَـٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾.

﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ لمَّا تابوا وأصلحوا ما أفسدوا، أعانَهم اللهُ، وكرُّوا على الذين قَتلوا منهم، فاستنقذوا مَن بقي من الأسرى، واسترجَعوا أموالَهم.

وقيل: ألقَى اللهُ في قلبِ الملِكِ حتَّى أطلقَ أسراهم من غيرِ قتالٍ.

ابنُ عبَّاسٍ: هو غلبةُ طالوتَ وقتْلُ داودَ جالوتَ(٤).

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٢٨).

(٢) انظر: «غريب الحديث» للقاسم بن سلام (٤/ ٢٩٥). وبمعنى جاسوا وحاسوا أيضاً: وآسوا وهاسوا فيما ذكر السجستاني في «غريب القرآن» (ص: ١٧٥).

(٣) ذكر القالي عن الأصمعي أنه قال: تركت فلاناً يجوس بيني فلان ويحوسهم؛ إذا كان يدوسهم وذكر الهروي عن الأزهري أن (جاسوا) بمعنى: وطئوا. انظر: «الأمالي» للقالي (٢/ ٧٨)، و«تهذيب اللغة» للأزهري (١١/ ٩٦)، و«الغريبين» للهروي (١/ ٣٨٤).

(٤) ورد ذلك في خبر ابن عباس المتقدم في تفسير قوله تعالى: ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾، =

﴿وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ﴾: أعنَّاكم بالمالِ وكثرةِ الأولادِ؛ فإنَّ القوَّةَ فيهما، والإمدادُ: الإعانةُ.

﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ أكثر من الأعداء أَعداداً وأنصاراً، والنَّفيرُ: النَّفْرُ[1]، وهو مَن ينفرُ معك.

الزَّجَّاج: يجوزُ أن يكون نَفِيرٌ جمعَ: نَفْرٍ، ككَلْبٍ وكَلِيبٍ وعَبْدٍ وعَبِيدٍ[2]. وهم المُجْتَمَعون[3] للمصيرِ إلى الأعداءِ.

* * *

(٧) ـ ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ لِيَسُـۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا﴾.

﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾؛ أي: قلنا لهُم وأوحينا إليهم: إنَّكم مجزيُّون على الإحسانِ والإساءةِ.

قوله: ﴿فَلَهَا﴾؛ أي: عليها، وجاءَ باللَّامِ ازدواجاً[4].

= ذكر ذلك الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٤٧٦). وانظر: «النكت والعيون» (٣/ ٢٢٩).

(١) ضبطت في (ط) بتحريك الفاء، والنَّفر: هم رهط الإنسان وجماعته، وهو اسم جمع يقع على جماعة دون العشرة من الرجال خاصة، ويقال للناس كلهم: نَفَرٌ أيضاً. وضبطت في (و) بسكون الفاء، وهو الأنسب للمعنى الذي ذكره المصنف. انظر: «تاج العروس» (١٤/ ٢٦٧).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٢٨).

(٣) في (ر) و(ن): «المجمعون».

(٤) وقد ذكر المصنف هذا مراراً، وربّما سماه مزاوجة، وقد تقدم بيانه في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾، وقد نقل أبو حيان في «البحر» (١٧/ ١٥) كلام الكرماني هذا، وربّما سُمِّي تقابلاً، كما في «البسيط» للواحدي (١٣/ ٢٦١)، وهذا المذهب يختلف عن قول قطرب الذي نقله الثعلبي في «تفسيره» (١١/ ١٤٤).بأن ﴿فَلَهَا﴾ بمعنى: فعليها، وأنكره النحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ٢٦٦)؛ لأنه مبني على جواز الجر، وقد تقدم الكلام فيه.

وقيل: معناه: فإليها.

وقيل: فلها الجزاءُ والعقابُ.

الحسينُ بنُ الفضلِ: فلها ربٌّ يغفرُ الإساءةَ، حكاه الثَّعلبيُّ وغيره[١].

﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ أي: المرَّةِ الثَّانيةِ والعقوبةِ الثَّانية على ما سبقَ، وهو أنَّهم أفسدوا في الأرضِ ثانياً حتَّى قتلوا يحيى بنَ زكريَّا، فبعثَ اللهُ عليهم طَطوسَ الرُّوميَّ حتَّى خربَ بيتَ المقدسِ وحرقَ التَّوراةَ، وقيل: هو بختنصَّر.

﴿لِيَسُـࣳـُٔواْ وُجُوهَكُمۡ﴾ جوابُ مُضْمرٍ؛ أي: بَعَثْناهم ليَسُوءوا، وقيل: جاؤوا، ﴿لِيَسُـࣳـُٔواْ وُجُوهَكُمۡ﴾: ليفعلوا[٢] ما تكرهون، والتَّقديرُ: أصحابُ الوجوهِ.

ومَن قرأَ: ﴿لِيَسُوءَ﴾ ففاعلُه يجوزُ أن يكون الوعدَ أو البعثَ أو اللهَ تعالى، ويُقوِّيه قراءةُ مَن قرأَ بالنُّونِ[٣]، وهو اللهُ سبحانه لا غيرَ.

﴿وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ﴾ بيتَ المقدسِ ﴿كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَلِيُتَبِّرُواْ﴾ ليُخرِّبوا فيهلكوا، والتِّبرُ: كلُّ جوهرٍ من النُّحاس والذَّهب[٤] قبلَ أن يُستعملَ.

﴿مَا عَلَوۡاْ تَتۡبِيرًا﴾: ما أتَوا عليه وغَلَبوا، وقيل: وَطِئوا واستَوْلَوا عليه، وقيل: في حالِ علوِّهم، وقيل: ﴿مَا﴾ للمصدرِ التي يُسمِّيها بعضُ الأدباءِ: المدَّة[٥].

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٦/ ٢٨٧). وذكره أيضاً السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٣٠٢) دون عزو.

(٢) في (ن): «لتفعلوا»، ولم تنقط في (و).

(٣) هذه قراءة الكسائي، والتي قبلها قراءة ابن عامر وشعبة وحمزة، والباقون: ﴿لِيَسُـࣳـُٔواْ﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٣٧٨)، و«التيسير» (ص: ١٣٩).

(٤) في (و): «من نحاس».

(٥) في (و): «للمدة». وقد ذكر المصنف هذا القول في «غرائب التفسير» (١/ ٦٢٢)، واستغربه، وعدَّ الذي قبله من العجائب.

(٨) ـ ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾.

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾؛ أي: وهذا أيضاً ممَّا أخبرَ أنَّه في كتابكم، والمعنى: لعلَّ ربَّكم أن يرحمكم إن تبتُم؛ يريدُ: بعد الثَّانيةِ، فتابوا فكشفَ اللهُ عنهم العذابَ وأعادَ إليهم الإحسانَ وبعثَ فيهم الأنبياءَ.

﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ قتادةُ: عَادُوا إلى الكفرِ بمحمَّدٍ عليه السَّلامُ، فعادَ اللهُ عليهم بالجزيةِ، فهم أذلَّاء إلى يومِ القيامةِ[١].

﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ الحسنُ: هو الذي يُفرَش ويُبسَط[٢]؛ أي: جعلنا جهنَّمَ لهم مِهاداً.

والجمهورُ على أنَّه الحبسُ[٣]؛ أي: جعلنا جهنَّم سجناً للكفَّارِ يُحصرون فيها ويُحبسون، فَعِيل بمعنى: مَفْعُولٍ.

***

(٩) ـ ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾.

﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ أي: الطَّريقةِ أو الحالةِ أو الدِّيانةِ التي هي أقومُ وأتمُّ استواءً وأسدُّ من سائرِ السُّبلِ، وهي شهادةُ أن لا إلهَ إلَّا اللهُ.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٥٣٨)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥٠٦).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥٠٨). وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٢٢)، واستغربه.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥٠٧ ـ ٥٠٨) عن ابن عباس وأبي عمران ومجاهد وقتادة وابن زيد.

الزَّجَّاجُ: أقومُ الحالاتِ(١).

﴿وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ يعني: الجنَّة.

***

(١٠ ـ ١١) ـ ﴿وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾.

﴿وَأَنَّ ٱلَّذِينَ﴾؛ أي: وبأنَّ الَّذينَ ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ﴾ من الإعتادِ، وقيل: أعددنا، قُلبت تاءً(٢).

﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ يعني: النَّارَ.

﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ﴾؛ أي: قد يدعو الإنسانُ عند الغضبِ والضَّجرِ على نفسه وأولاده وأعزَّته من غيرِ أن يُحبَّ استجابته.

﴿دُعَآءَهُۥ﴾؛ أي: دعاءً مثلَ دعائه ﴿بِٱلْخَيْرِ﴾؛ أي: كما يدعو بالخيرِ ويُحبُّ إجابته، ومثلُه: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ﴾ الآية [يونس: ١١].

وذُكر في بعضِ التَّفاسيرِ في سببِ نزولِ الآية: أنَّ النَّبيَّ عليه السَّلام دفعَ إلى سودةَ بنتِ زمعةَ أسيراً فرحمته لأنينِه وأَرْخَتْ كتافَه فهربَ، فدعا عليها رسولُ اللهِ عليه السَّلامُ بقطعِ اليدِ، ثمَّ ندمَ فقال: «اللَّهمَّ إنَّما أنا بشرٌ، فمَن دعوتُ عليه فاجعلْ دُعائي رحمةً له» فأنزلَ اللهُ: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ﴾(٣)؛

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٢٩).

(٢) القول الأول قول البصريين، والثاني قول الكوفيين، وذهب إليه ابن عيسى، كما ذكر المصنف في تفسير قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٨].

(٣) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» (٣/ ٢٢٩)، والثعلبي في «تفسيره» (دار إحياء التراث العربي) =

أي: يدعو بما لو أُجيبَ لَشقَّ عليه وساءه إذا زالَ غضبُه.

﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾؛ أي: إلى أمرِ الدُّنيا. والعجلةُ: طلبُ الشَّيءِ قبلَ وقته، والسُّرعةُ: عملُ الشَّيءِ في أوَّلِ وقته(١).

وقيل: المرادُ بالعَجولِ: آدمُ عليه السَّلام؛ لأنَّه حين نفخَ اللهُ فيه الرُّوحَ نظرَ إلى بدنه يُخلقُ وبقيت رِجلاه، فرامَ النُّهوضَ قبل وصولِ الرُّوحِ إلى قدمه، فصارت العجلةُ في ولده، قاله ابنُ عبَّاسٍ(٢).

وعن سلمانَ رضي الله عنه قال: لمَّا خلقَ اللهُ آدمَ عليه السَّلام بدأَ بأعلاه قبل أسفلِه فجعلَ آدمُ ينظرُ فلمَّا كانَ بعد العصرِ قال: يا ربِّ عجِّلْ قبل اللَّيلِ، فذلك قولُه: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾(٣).

وقال الحسنُ: ﴿كَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ أي: من عَجَلٍ، وهو الضَّعفُ؛ يعني: النُّطفةَ(٤).

= (٦/ ٨٧)، ولم أجده مسنداً.

وقد روى الواقدي في «المغازي» (٢/ ٥٥٤) من رواية ذكوان عن عائشة: أن النبي ﷺ دخل عليها بأسير، وقال لها: «احتفظي به». قالت: فلهوتُ مع امرأة فخرج ولم أشعر، فدخل يسأل عنه فقلتُ: والله ما أدري، فقال: «قطع الله يدك»، فذكر نحوَ ما تقدم. ورواه بنحو هذا من طريق ذكوان عن عائشة أيضاً البيهقيُّ في «السنن الكبرى» (٩/ ٨٩)، والزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٢/ ٢٦٠). وليس في قصة عائشة رضي الله عنها ذكر النزول.

(١) انظر: «معجم الفروق اللغوية» (ص: ٢٧٦).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١/ ٤٨٦)، والرؤية فيه عن ابن عباس وابن مسعود وناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وقد ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٢٣٢) عن إبراهيم والضحاك.

(٣) رواهما الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥١٤)، وجعل المؤلف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٢٢) قول ابن عباس من الغرائب، وقول سلمان من العجائب.

(٤) ذكره عن الحسن الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٧/ ٣٤٤) بلفظ: ﴿عجولًا﴾؛ أي: ضعيفاً.

وقيل: ﴿عَجُولًا﴾ ضجوراً لا يصبرُ على سرَّاءَ ولا ضرَّاءَ.

ابنُ بحرٍ: هذا الدُّعاءُ من مثلِ ما قاله الكافرون: ﴿إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ﴾ الآية [الأنفال: ٣٢]، وقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾ [الحج: ٤٧].

***

(١٢) ـ ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا﴾.

﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ﴾؛ أي: خَلَقهما آيتَين على وحدانيَّته سبحانه وعِلمه وقُدرته، و(آيتان) نصب على الحالِ، وليس (جعلَ) هاهنا بمعنى: صيَّرَ؛ لأنَّ ذلك يقتضي حالةً تقدَّمت نُقِل الشَّيءُ عنها إلى حالةٍ أخرى، ولا الذي بمعنى: سمَّى وحكمَ[١].

﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾ قال ابنُ عبَّاسٍ رضي اللهُ عنهما: جعلَ اللهُ نورَ الشَّمسِ سبعين جزءاً، ونورَ القمرِ سبعين جزءاً، فمحا من نورِ القمرِ تسعةً وستِّين جزءاً فجعلها مع نورِ الشَّمسِ، فالشَّمسُ على مئةٍ وتسعةٍ وثلاثين جزءاً والقمرُ على جزءٍ واحدٍ[٢].

وذكرَ المفسِّرون أنَّ ابنَ الكوَّاءِ سألَ عَليًّا رضي الله عنه على اللَّطخةِ التي في القمرِ فقالَ: ذلك آيةُ اللَّيلِ مُحيت[٣].

---

(١) (جعل) عند المصنف هنا بمعنى: خلق، وهو معنى يذهب إليه كثيراً، كما في قوله تعالى: ﴿قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾، و(جعل) إن كان بمعنى: حيّر، تعدّى مفعولين: وكذلك إن كان بمعنى: سمّى، أما إن كان بمعنى: خلق، فيتعدّى إلى مفعول واحد. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ١٥٦ ـ ١٥٧).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٢٩٤)، والبغوي في «تفسيره» (٥/ ٨١)، ولم أجده مسنداً.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥١٥)، وبنحوه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٩٧٠).

قتادةُ: محوُ آيةِ اللَّيلِ: السَّوادُ الذي فيه[١].

ابنُ جريرٍ: أي: من نِعَمه عليكم مخالفتُه بين علامةِ اللَّيلِ وعلامةِ النَّهارِ، بإظلامه علامةَ اللَّيلِ وإضاءتِه علامةَ النَّهارِ[٢].

ابنُ كثيرٍ: الآيتان: ظلمةُ اللَّيلِ وضوءُ النَّهارِ[٣]. وتقديرها: وجعلنا الليل والنهار ذوَي آيتين، ثمَّ فصَّل فقال: ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾.

أو نجعل تقديرها: وجعلنا الليل والنهار آيتين: وجعلنا الشمس والقمر فيهما آيتين، ثم قال: ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾؛ أي: القمر، وأضافها إلى الليل لكونها فيه.

ومعنى ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾؛ أي: لم نجعلْ للقمرِ نوراً؛ لأنَّ القمرَ شعاعُ الشَّمسِ انعكسَ عن جِرْمِ القمر إلى ما يُقابله من الأرضِ، وأرادَ بالمحوِ: نقصانَ ضوءِ القمرِ، وقيل: لأنَّه يَطْلُعُ صغيراً ثمَّ يَنْمِي ثمَّ يَنْقُصُ حتَّى يَستَتِرَ.

﴿وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ فيها ثلاثةُ أقوالٍ:

المبصرةُ: المضيئةُ.

والثَّاني: وجَعَلْنا النَّهارَ مُبصِراً؛ أي: أصحابَه بُصراءَ؛ كقولهم: أجبنَ الرَّجلُ: إذا كان أهلُه جبناءَ، وأضعفَ: إذا كان دوابُّه ضعفاءَ[٤].

---

(١) لم أجده هكذا، وفي «تفسير يحيى بن سلام» (١/ ١٢٠): «﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾ قال قتادةُ: وهو السواد الذي في القمر»، وهذا راجع إلى ما روي عن عليٍّ رضي الله عنه، وقد جعل الماوردي قول علي وقتادة واحداً. انظر: «النكت والعيون» (٣/ ٢٣٢).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١٤/ ٥١٥).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥١٧) عن عبد الله بن كثير بلفظ: «ظُلْمةُ الليل وسدفةُ النهار».

(٤) في (ن): «ضعافاً».

والثَّالثُ: من قولهم: بَصُرَ فهو بصيرٌ، وأبصرَه اللهُ عزَّ وجلَّ: صيَّرَه بصيراً؛ أي: جعلَ النَّهارَ بحيثُ يُبصِرُ النَّاسَ[1]؛ لأنَّ بالضَّوءِ يُبصِرُ النَّاسُ الأشياءَ.

ابنُ عيسى: معنى: ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيۡلِ﴾؛ أي: جعلناها لا يُبصَر بها المَرئيَّاتُ؛ كما لا يُبصَر ما مُحي من الكتابِ، قال: وهذا من البلاغةِ الحسنةِ جدًّا[2].

﴿لِّتَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ لتبتغوا في النَّهارِ؛ لـ[3]تطلبوا المعاشَ، ﴿وَلِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَ﴾ بالقمرِ.

﴿وَكُلَّ شَيۡءٖ فَصَّلۡنَٰهُ تَفۡصِيلٗا﴾ أي: بيَّنَّا في القرآنِ كلَّ ما تحتاجون إليه.

محمَّد بنُ كعبٍ: شمسٌ بالنَّهارِ وشمسٌ باللَّيلِ، فمُحِيت شمسُ اللَّيلِ[4].

ابنُ عبَّاسٍ رضي اللهُ عنهما: كانَ في الزَّمنِ الأوَّلِ لا يُعرف اللَّيلُ من النَّهارِ، فبعثَ اللهُ جبريلَ فمسحَ جناحَه [بالقمر] فذهبَ ضوءُه، فبقيَ علامةُ جناحه، وهو السَّوادُ الذي في القمرِ[5].

* * *

(١٣) - ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا﴾.

﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦ﴾ قتادةُ عن جابرٍ رضي الله عنه عن النَّبيِّ عليه

---

(١) كذا ضبط في (ط) و(و)، وهو بلا ضبط في (ن)، والمعنى عند ضبطه بالضمِّ أظهر.

(٢) ذكره أبو حيان في «البحر» (٧/ ٢٠).

(٣) في (و): «وتطلبوا».

(٤) انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» (٧/ ٢٣٢٠)، و«بحر العلوم» للسمرقندي (٢/ ٣٠٣).

(٥) رواه ابن أبي حاتم وابن مردويه بسند واهٍ، كما قال السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٢٤٧)، وذكره أبو الليث السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٣٠٣) وما بين معكوفتين منه وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٢٩٦)، وذكره السمعاني في «تفسيره» (٣/ ٢٤) عن قتادة وابن عباس وجماعة من المفسرين.

السَّلامُ أنَّه قال: «لا عدوى ولا طِيَرةَ ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ﴾»[١].

ابنُ عبَّاسٍ: طائرُه: عملُه وما قُدِرَ عليه، فهو مُلازِمُه حُكماً[٢].

وقيل: جُزاء عمله.

أبو عبيدةَ: حظُّه الذي قُضي له[٣]. من قولهم: طارَ سهمُه: إذا ظهرَ نصيبُه.

السُّدِّيُّ: طائرُه: كتابُه[٤].

ابنُ بحرٍ: دليلُه، ولكلِّ إنسانٍ دليلٌ من نفسه يُرشدُه.

مجاهدٌ: ورقةٌ فيها مكتوبٌ: شقيٌّ، أو: سعيدٌ[٥].

الضَّحَّاك: أجَلُه ورزقُه وما يُصيبُه من المصائبِ[٦].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥١٩) ورجاله ثقات إلا أن قتادة لم يسمع من جابر شيئاً.
ورواه مسلم (٢٢٢٢) من طريق أبي الزبير عن جابر، وفيه بدل الآية: «ولا غُول».
وله دون ذكر الآية أيضاً شاهد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، رواه البخاري (٥٧٠٧)، ومسلم (٢٢٢٠).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥١٩) بلفظ: «عمله وما قدر عليه، فهو ملازمه أينما كان، فزائل معه أينما زال».

(٣) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٣٧٢) واقتصر على لفظ: «حظَّه».

(٤) رواه ابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٥/ ٢٥٠) بلفظ: «الكافر يُخرج له يوم القيامة كتاب فيقُول: رب إنَّك قد قضيت أنَّك لست بظلام للعبيد فاجْعَلْني أحاسب نفسي، فيُقال له: ﴿ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾».
ورواه بلفظ المؤلف ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٧٦٦) من قول أنس رضي الله عنه.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥٢٠).

(٦) رواه ابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٥/ ٢٥٠) من طريق جويبر عن الضَّحَّاك في قوله: ﴿طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ قال: قال عبد الله رضي الله عنه: الشَّقاء والسعادة والرزق والأجل.
وذكر مثله النحاس في «معاني القرآن» (٤/ ١٣٠) من قول الضحاك.

وأصلُ هذا: أنَّ العربَ كانت تزجرُ بالسَّانحِ والبارحِ[١] من الطَّيرِ والظَّبي والأَرْوَى[٢] والثَّعلبِ وغيرها، فزعموا أنَّها تدلُّ على الخيرِ والشَّرِّ، وسمَّوا ذلك: الطِّيَرة.

وهو مصدرٌ على وزنِ (الخِيَرَة)، ولا ثالثَ لهما.

ابنُ عيسى: طائرُه: عملُه من خيرِه وشرِّه كالطَّائرِ الذي يجيء من ذاتِ اليمينِ فيُتبرَّك به، والطَّائرُ الذي يجيءُ من ذاتِ الشِّمالِ فيُتشاءمُ به، وإضافتُه إلى العُنقِ للملازمةِ، وخصَّ العُنُق لأنَّه موضعُ القلادةِ والغُلِّ والسِّمةِ.

﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ كِتَـٰبًا﴾؛ أي: مكتوباً ﴿يَلْقَىٰهُ﴾ بعينه، ويقرؤه بلسانه.

وقُرِئ: ﴿يُلَقَّاهُ﴾[٣]؛ أي: يُلْقيهِ اللهُ أو الحفظةُ.

﴿مَنشُورًا﴾: غيرَ مطويٍّ؛ ليُمْكِنَه قراءتُه، وذلك أنَّ ابنَ آدمَ إذا ماتَ طُويت صحيفته[٤] التي فيها عملُه، فإذا كان يومُ القيامةِ نُشر كتابه ورُفعَ إليه منشُوراً.

والأحسنُ أن يُنصبَ: ﴿كِتَـٰبًا﴾ على الحالِ على تقديرِ: ونُخرجُ طائرَه كتاباً؛ ليُحمل عليه قراءةُ أبي جعفرٍ: ﴿ويُخْرَجُ﴾ وقراءةُ يعقوبَ: ﴿ويَخْرُجُ﴾[٥].

---

(١) السانح: ما ولاك ميامنه من طائر أو غيره، بأن يمر من مياسرك إلى ميامنك. والبارح: ما ولاك مياسره بأن يمر من ميامنك إلى مياسرك. وقد تقدم الكلام عليه في تفسير قوله تعالى: ﴿يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾. وسيأتي عند قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَـٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ [النمل: ٤٧].

(٢) الأروى: جمع كثرة أو اسم جمع للأرويّة، وهي الأنثى من الوعول، وهي تسكن الجبال والوعور. انظر: «لسان العرب» (١٤/ ٣٥١).

(٣) قرأ بها ابن عامر. انظر: «السبعة» (ص: ٣٧٨)، و«التيسير» (ص: ١٣٩).

(٤) في (و): «صفحته».

(٥) قرأ أبو جعفرٍ بالياء وضمِّها وفتحِ الراء، وقرأ يعقوبُ بالياء وفتحِها وضمِّ الراء، وقرأ الباقون بالنون =

(١٤) ـ ﴿ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ﴾.

﴿ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ ﴾؛ أي: ونقولُ له: ﴿ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ ﴾؛ أي: كتابَ أعمالكَ.

قتادةُ: سيقرأُ يومئذٍ مَن لم يكنْ قارئاً.

﴿كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا﴾؛ أي: كفى نفسُك، والباءُ زائدةٌ، والحسيبُ: المحاسِب.

الحسنُ: شاهداً[(١)]. وقيل: حاكماً. وقيل: حفيظاً.

الحسنُ: قد عدلَ ـ والله ـ عليكَ مَن جعلكَ حسيبَ نفسك[(٢)].

ويحتمِلُ أنَّ التَّقديرَ: اقرأْ كتابَك عليك، كفى بنفسكَ اليومَ حسيباً[(٣)].

* * *

(١٥) ـ ﴿ مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ﴾.

﴿ مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ ﴾ إلى الرَّشادِ ﴿فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦ﴾: فإنَّ ثوابَ اهتدائه له.

= وضمِّها وكسر الراء. انظر: «النشر» (٢/ ٣٠٦).

(١) لم أجده عن الحسن إلا في «غرائب التفسير» (١/ ٦٢٣)، وهو قول لبعض المفسرين منهم يحيى بن سلام في «تفسيره» (١/ ١٢٢) وأبو الليث السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٣٠٤)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٢٣٣) أحد قولين في الآية.

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٩٥٣)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥٢٣ ـ ٥٢٤)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٢٤)، واستغربه.

(٣) في (و) و(ن): «اقرأ كتابك كفى عليك...»، وفي (ط) و«غرائب التفسير» (١/ ٦٢٤): «ومن الغريب: يحتمل أن ﴿عَلَيۡكَ﴾ متصل بقوله: ﴿ ٱقۡرَأۡ ﴾؛ أي: اقرأ عليك كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً»، وهو المراد بعبارة المصنف هنا.

﴿وَمَن ضَلَّ﴾ عن الرَّشادِ ﴿فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾؛ أي: فعليها وبالُ الضَّلالِ.

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾: لا تحملُ الوازرةُ المتاقلةُ بالذُّنوبِ ذنبَ نفسٍ أخرى، والمعنى: لا يُؤخذ أحدٌ بذنبِ غيره، وقيل: معناه: ليسَ لأحدٍ أن يعملَ ذنباً لأنَّ غيره عملَه، وشبَّه حَمْل معصيةِ الله المؤدِّيةِ إلى النَّارِ بالوِزرِ، وهو الحمْلُ الثَّقيلُ.

﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ﴾ قتادةُ: عذابَ الآخرةِ(١)، مقاتلٌ: عذابَ الاستئصالِ في الدُّنيا(٢) ﴿حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ يبيِّنُ التَّوحيدَ والشَّرعَ، وقيل: يبيِّنُ الشَّرعَ وحده؛ فإنَّ العقلَ كافٍ لبيانِ التَّوحيدِ(٣).

***

(١٦) ـ ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾.

﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً﴾ يريدُ: فـي الدُّنيا. وقيلَ: وإذا أهلكنا، والإرادةُ صلةٌ. وقيل: تقديره: وإذا أَمَرنا مُترَفيها ففسقوا أردنا أنْ نهلكَهم.

قوله تعالى: ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أكثرنا، تقول: أمرتُ الشَّيءَ وآمَرْتُه بالمدِّ والقصرِ: أكثرتُه، ومنه: مُهرةٌ مَأْمُورةٌ(٤).

---

(١) انظر: «النكت والعيون» (٣/ ٢٣٤).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٥٢٥)، وعنه الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٢٣٤).

(٣) هذا مذهب المعتزلة، والأول مذهب الأشاعرة وأهل السنة، أما الماتريدية فذهبوا إلى أن البعض يكفيه العقل لمعرفة التوحيد، والبعض يحتاج إلـى الشرع والسمع. انظر: «مقالات الإسلاميين» (ص: ٥٩)، و«التوحيد» للماتريدي (ص: ١٨٥ و٣٧٣)، و«تأويلات أهل السنة» (٤/ ٥٠٨) و(٩/ ٣٦)، و«الكشاف» (٢/ ٦٥٣)، و«التفسير الكبير» للرازي (٢٠/ ٣١٢).

(٤) صاحب هذا القول هو أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (١/ ٣٧٢)، وروي عن بعض السلف، فقد رواه =

والثَّاني: أمَرْنا مُتَرفيها بالطَّاعةِ ففسقوا[1].

والثَّالثُ: أمَّرتُه وأمَرتُه بالتَّشديدِ والتَّخفيفِ: جعلتُه أمِيراً، ومنه قولهم: هو أميرٌ غيرُ مأمورٍ؛ أي: لم يُؤمِّره أحدٌ.

والمُتْرَفُ: الذي أبطرته النِّعمةُ وسعةُ الغذاءِ حتَّى تعدَّى طورَه وطفا، والتُّرْفةُ: النِّعمةُ، وغلامٌ مُترَفٌ: ناعمُ البدنِ، حكاه الأزهريُّ[2].

﴿فَفَسَقُواْ فِيهَا﴾: تمرَّدوا في كفرهم.

﴿فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ﴾: ظهرَ صدقُ خبرِ اللهِ عنهم أنَّهم لا يؤمنون.

وقيل: وجبَ عليها ما وعدَ على الفسقِ بقولٍ سابقٍ لا يقعُ فيه خُلفٌ.

﴿فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا﴾: أهلكنا النَّاسَ وخربنا الدِّيارَ، تقولُ: دَمَرَ يَدْمُرُ دماراً: إذا هلكَ، ودمَّرَ: أهلكَ.

* * *

(١٧) ـ ﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِنۢ بَعۡدِ نُوحٖۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا﴾.

﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِنۢ بَعۡدِ نُوحٖ﴾؛ أي: أهلكنا أُمماً كثيرةً، والقرنُ: أهلُ كلِّ

= عبد الرزاق في «تفسيره» (١٥٤٥) عن قتادة، وفي «تفسير القرآن من الجامع» لابن وهب (٤٦) عن مجاهد، وروي في «تفسير مجاهد» (ص: ٤٣٠) عن الحسن، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥٣٠ ـ ٥٣٢) عن ابن عباس وعكرمة وقتادة والحسن وابن زيد لكن على قراءة (آمرنا) بالمد، وهي قراءة يعقوب من العشرة. انظر: «النشر» (٢/ ٣٠٦).

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥٢٧) عن ابن عباس بإسناد فيه انقطاع، وعن سعيد بن جبير.

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» (١٤/ ١٩٣)، وكلمة (مترف) ضبطت في (ن) بتشديد الراء، وفي (ط) و() بتخفيفها، وفي هامش (ط) ضبطت بالتشديد، ولكن شطب عليها.

عصرٍ، ويقعُ على الزَّمانِ؛ فقيلَ: مئةٌ وعشرون سنةً، وعن النَّبيِّ عليه السَّلامُ: «مئةُ سنةٍ»[١]، وقيل: أربعون سنةً.

﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾ هذه كلمةُ تهديدٍ ووعيدٍ؛ أي: اللهُ يعلمُ ويرى ما يكونُ منهم، فيُجازيهم عليه ما يستحقُّون.

* * *

(١٨) - ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾.

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ ﴿كَانَ﴾ هاهنا صلةٌ عند بعضهم[٢]، ويحتملُ أنَّ التَّقديرَ: مَن يكنْ يريدُ العاجلةَ[٣]، و﴿ٱلْعَاجِلَةَ﴾: الدُّنيا؛ لتقدُّمها على الآخرةِ.

﴿عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾؛ أي: مَن آثرَ الدُّنيا على العقبى وكذَّبَ بها نُعطي ما نشاءُ منها مَن يشاءُ منهم على ما يُوجبه التَّدبيرُ، ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ﴾ في الآخرةِ ﴿يَصْلَىٰهَا﴾ يدخلها ﴿مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾: مطروداً مُبعَداً.

وقيل: الآيةُ نزلت في المنافقين، كانوا يغزُون مع المسلمين وغرضُهم أن يغنَموا لا يقصدون بذلكَ الثَّوابَ ﴿عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ﴾ على قدْرِ استحقاقهم بسهامِهم من الغنيمةِ ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ﴾ لكفرِه ونفاقِه.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥٣٤) من طريق محمد بن القاسم، عن عبد الله بن بسر المازني قال: وضع النَّبيُّ ﷺ يده على رأسي وقال: «سَيَعِيشُ هذا الغُلام قَرْناً» قلت: كم القرن؟ قال: «مئةُ سنةٍ». ثم روى عقبه عن محمد بن القاسم، قال: «ما زلنا نعدُّ له حتى تمَّت مئة سنة، ثم مات».

(٢) هذا قول الفراء. انظر: «معاني القرآن» (٢/ ٦)، و«البسيط» للواحدي (١١/ ٣٦٦)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٦/ ١٣٣).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٢٤)، واستغربه.

(١٩ ـ ٢٠) ـ ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾.

﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا ﴾: عَمِلَ بطاعةِ اللهِ ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ يريدُ دينَ الإسلام ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم ﴾: عملُهم ﴿مَّشْكُورًا ﴾: مجزيًّا عليه جزاءً حسناً.

وقيل: ﴿مَّشْكُورًا ﴾: مقبولاً، وقيل: محفوظاً لهم حتَّى يُدخلهم اللهُ الجنَّةَ.

﴿ كُلًّا ﴾؛ أي: الفريقَين ﴿نُّمِدُّ ﴾: نُعطي مرَّةً بعد أخرى، وشيئاً بعد شيءٍ، ﴿هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ ﴾ بدلٌ من قوله: ﴿ كُلًّا ﴾، ﴿مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ﴾ متَّصلٌ بـ﴿نُّمِدُّ ﴾.

﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾؛ أي: لا يُحظرُ الرِّزقُ في الدُّنيا على أحدٍ؛ مؤمناً كان أو كافراً، وإنَّما الآخرةُ[1] هي دارُ الجزاءِ.

* * *

(٢١) ـ ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾.

﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ في سعةِ الرِّزق وضيقِه[2]، والنَّاسُ في ذلك متفاوتون.

﴿وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾؛ أي: التَّفاوتُ هناك أكبرُ وأعظمُ؛ لأنَّ التَّفاوتَ فيها من وجهَين:

أحدهما: بالجنَّةِ والنَّارِ.

والثَّاني: بالدَّرجاتِ في الجنَّةِ والدَّركاتِ في النَّارِ، فقد رُوي عن النَّبيِّ عليه السَّلامُ:

---

(١) في (و): «الأخرى».

(٢) «وضيقه»: ليس في (ن).

«إِنَّ بين أعلى أهلِ الجنَّةِ وأسفلهم درجةً كالنَّجمِ يُرى في مشارقِ الأرضِ ومغاربها»[(١)].

وذهبَ ابنُ جريرٍ في قوله تعالى: ﴿كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ إلى أمرِ الدُّنيا؛ أي: بعضُهم آثرَ الآخرةَ فوفَّقناه للرَّشادِ، وبعضُهم آثرَ الدُّنيا فخذَلناه[(٢)].

***

(٢٢) ـ ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾.

﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ﴾ الخطابُ للنَّبيِّ عليه السَّلامُ والمرادُ به أُمَّته.

ويجوزُ أن يكون التَّقديرُ: قلْ يا محمَّدُ: يا أيُّها الإنسانُ، لا تجعلْ مع اللهِ إلهاً آخرَ ﴿فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا﴾ يذمُّكَ اللهُ والملائكةُ والمؤمنون ﴿مَّخْذُولًا﴾ يخذلكَ اللهُ ولا ينصرك.

وقيل: معنى ﴿فَتَقْعُدَ﴾: فتعجزَ، تقولُ: فلانٌ قاعدٌ عن الشَّيءِ؛ أي: عاجزٌ عنه، ضدُّ قوله: ساعٍ في الخيرِ.

***

(٢٣) ـ ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾.

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ الجمهورُ على أنَّ معنى ﴿قضى﴾ هاهنا: أمَرَ، وزادَ بعضهم: أمَرَ أمراً قاطعاً، وقيل: ألزمَ، وقيل: عَهِدَ.

وقرأَ ابنُ مسعودٍ وابنُ عبَّاسٍ وابنُ جُبيرٍ: (وَوَصَّى)، ورُوي عن ابنِ عبَّاسٍ والضَّحَّاكِ أنَّهما قالا: كان في المصحفِ: (وَوَصَّى رَبُّكَ) فالتزقت الواوُ بالصَّادِ[(٣)]،

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥٤٠) من طريق قتادة عن النبي ﷺ مرسلًا.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١٤/ ٥٤٠).

(٣) انظر: «معاني القرآن للفراء» (٢/ ١٢٠)، و«تفسير الطبري» (١٤/ ٥٤٣)، و«المختصر في شواذ =

وهذه القراءةُ في جملةِ الشَّواذِّ مقبولةٌ عند القرَّاءِ، والحكايةُ مردودةٌ[(١)].

﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ وأَمَرَ بالوالدَين إحساناً، وقيل: وقَضَى بالوالدَين إحساناً، ويحتمِلُ: وأَحْسِنوا بالوالدَين إحساناً، ولا يتعلَّقُ الباءُ بالمصدرِ[(٢)].

﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ أصلُ (إِمَّا): (إِنْ ما)؛ (إِنْ) للشَّرطِ، و(ما) للتَّوكيدِ، وأكثرُ ما يقعُ الفعلُ بعده يقعُ مع نونِ التَّأكيدِ.

ومعنى ﴿أُفٍّ﴾ عند سيبويه: نتناً ودَفْراً[(٣)].

أبو عبيدةَ: ﴿أُفٍّ﴾: ما غَلُظَ من الكلامِ[(٤)].

مجاهدٌ: إذا أَحْدَثا فلا تَضْجَرْ ولا تقلْ: ﴿أُفٍّ﴾ مستقذِراً، فقد وَلِيا ذلك منكَ في صِغَرِك ولم يَضجرا[(٥)].

= القراءات» (ص: ٧٩). وهذه الرواية عن ابن عباس والضحاك ذكرها المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٢٤)، وعدَّها من العجائب، والقراءة مروية عن ابن مسعود، وذكر أنها كذلك في مصحفه كما في «تفسير مقاتل» (٢/ ٥٢٧) وتفسير عبد الرزاق (٢/ ٢٩٥). ونسبت القراءة لعلي وأُبيٍّ أيضاً كما في «تفسير الثعلبي» (١٦/ ٣٠٩).

(١) نقل ابن عطية تضعيف هذه الحكاية عن أبي حاتم. انظر: «المحرر الوجيز» (٣/ ٤٤٧).

(٢) يعني: تتعلق الباء في (بالوالدين) بفعل محذوف، ولا يجوز أن تَتَعلَّق الباء بالإحسان؛ لأنَّ المصدر لا يتقدَّم عليه صِلَتُه. قاله الزمخشري في «الكشاف» (٢/ ٦٥٧)، وانظر: «الخصائص» لابن جني (٢/ ٤٩١)، و«التذييل التكميل» لأبي حيان (١١/ ٧٦).

وقال المؤلف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٢٤): «الباء متصل بـ(أَمَر) أو بـ(قَضَى) أو (أَحْسِنوا)، ولا يجوز أن يتعلق بقوله: ﴿إِحْسَٰنًا﴾؛ لأن معمول المصدر لا يتقدم عليه».

(٣) انظر: «الكتاب» (١/ ٣٥٤). ودَفَرَ: أنتنَ. انظر: «كتاب الأفعال» لابن الحداد (٣/ ٣٢٧).

(٤) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٣٧٤).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥٤٥).

والمعنى: بالغْ في إلطافهما إذا بلغَ أحدُهما أو كلاهما حالَ الخرفِ.

وفي ﴿أُفٍّ﴾ لغاتٌ؛ الكسرُ مع التَّنوين وبغيرِ التَّنوين، وكذلكَ الفتحُ والضَّمُّ[١].

والتَّنوينُ للتَّنكيرِ، وحذفُه للتَّعريفِ[٢]، وهي من الكلماتِ التي سُمِّيت الأفعالُ بها، ومعناها: الكرهُ والضَّجرُ، ومثله في الخبرِ: سرْعَان ووشْكَان[٣]، ومحلُّها من الإعرابِ محلُّ جملةٍ؛ لأنَّها قائمةٌ مقامَ جملةٍ فعليَّةٍ[٤].

﴿وَلَا نَنْهَرْهُمَا﴾ ابنُ عيسى: النَّهرُ: زجرٌ بإغلاظٍ وصياحٍ.

المبرِّد: لا تَصِحْ في وجوههما، يقالُ: نهرَه وانتهرَه: إذا زجرَه.

---

(١) فهذه ست لغات قرئ بها جميعاً كما قال الزمخشري في «الكشاف» عند هذه الآية: «والمتواتر منها ثلاث: قرأ نافع وحفص بالتنوين وكسر الفاء، وابن كثير وابن عامر بفتح الفاء من غير تنوين، وباقي السبعة بكسرها من غير تنوين». انظر: «السبعة» (ص: ٣٧٩)، و«التيسير» (ص: ١٣٩).
وانظر الباقي مع من قرأ به في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٧٩)، و«المحتسب» (٢/ ١٨).
وفي الكلمة لغات جمة؛ فقد نقل أبو حيان في «البحر» (١٤/ ٥٠) عن الزناتي في «الحلل»: أن في (أف) لغات تقارب الأربعين، ثم سردها أبو حيان كاملة مع الضبط، أما صاحب «التاج» فقد أوصلها للخمسين.

(٢) انظر: «أوضح المسالك» لابن هشام (٤/ ٨٧).

(٣) مثلثي الأول من سَرُعَ وَوَشُكَ، وهما بمعنى. انظر: «القاموس» مادة: (س ر ع) و(و ش ك).
وقوله: «في الخبر» يعني: في غير الأمر والنهي، ومثال اسم الفعل في الأمر: صه، وهلم، ودونك، ونحوها، وهي الأصل في أسماء الأفعال، فقد قال ابن جني في «الخصائص» (٣/ ٣٩): وقد جاءت هذه التسمية للفعل في الخبر، وإنما بابها الأمر والنهي من قبل أنهما لا يكونان إلا بالفعل... ثم ذكر من أمثلة الخبر هذه الثلاثة: أف وسرعان ووشكان.

(٤) ذكر الأشموني أن الصحيح أن أسماء الأفعال لا محل لها من الإعراب. انظر: «شرح الأشموني» (١/ ٤٣)، وهذا الخلاف مبني على أن أسماء الأفعال نائبة عن الأفعال أو عن مصادرها، فعلى الأول لا محل لها من الإعراب، وهو قول الجمهور. انظر: «المقاصد الشافية» للشاطبي (٥/ ٤٩٥).

وقيل: هو إقصاءٌ وطردٌ، من قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى: ١٠].

﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ كلُّ شيءٍ حوى محاسنَ النَّوعِ الذي هو منه وخلا من مساوئه فهو كريمٌ.

الزَّجَّاج: قولاً سهلاً سَلِساً لا شراسةَ فيه(١).

المُبرِّد: قولاً حسناً(٢).

وقيل: ليِّناً رقيقاً.

عمرُ بنُ الخطَّابِ رضي الله عنه: لا تَمْتنِعْ من شيءٍ يريدانه(٣).

* * *

(٢٤) ـ ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾.

﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾: لا ترفَّعْ عليهما استكباراً، مأخوذٌ من علوِّ الطَّائرِ بجناحه؛ أي: أَلِنْ جانبك لهما، وجناحُ الإنسانِ: يداه.

ابن جريرٍ: كُنْ لهما ذليلاً رحمةً منك بهما(٤).

وقيل: معنى ﴿مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾: كُنْ لهما كذلك من جهةِ مُبالَغتِكَ في الرَّحمةِ لهما.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٣٤).

(٢) وهو قول ابن قتيبة والطبري. انظر: «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (ص: ٢٦٩)، و«تفسير الطبري» (١٤/ ٥٤٨).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥٤٩) من طريق المعتمر بن سليمان، عن عبد الله بن المختار، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
قال الطبري: «وهذا الحديث خطأ إنما هو: عن هشام بن عروة عن أبيه، ليس فيه عمر... ثم رواه من طريق ابن علية على وجه الصواب.

(٤) انظر: «تفسير الطبري» (١٤/ ٥٥٠).

﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ هـذا خطابٌ للنَّبيِّ عليه السَّلامُ والمرادُ به أمَّتُه من غيرِ أنْ يكون للنَّبيِّ عليه السَّلامُ فيه اشتراكٌ.

قتادةُ: نسخَ اللهُ تعالى من هذه الآيةِ هذا اللَّفظَ بقوله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١١٣](١).

والأوَّلُ أصحُّ؛ لقوله تعالى: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا﴾، فهذا لا يصحُّ أنْ يُحملَ على النَّبيِّ عليه السَّلامُ؛ لأنَّه فقَدَ أبوَيه قبل هذا الخطابِ بإجماعٍ.

والمعنى: يا ربِّ، تعطَّفْ عليهما بمغفرتكَ ورحمتكَ كما تَعَطَّفَا عليَّ في صغري ورحماني وربَّياني صغيراً.

وقيل: معناه: أنعِمْ عليهما بمغفرتكَ نِعمةً كنعمتِهما عليَّ.

وعن النَّبيِّ عليه السَّلامُ: «لِيَعْمَلِ البرُّ ما شاءَ فلن يَرَى النَّارَ أبداً، ولْيَعْمَلِ العاقُّ ما شاءَ فلن يرى الجنَّةَ أبداً»(٢).

* * *

(٢٥) - ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا﴾.

﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ﴾ من الصَّلاحِ والفسادِ والبِرِّ والعقوقِ ﴿إِن تَكُونُواْ

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥٥٤) عن ابن عباس وعكرمة، وظاهر قول قتادة الذي رواه الطبري قبلهما خلافه، بل هو قريب مما قدمه المؤلف قبل هذا وسيصححه بعده.

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٣١٦) من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا. قال الحافظ ابن حجر في «الكافي الشاف» (ص: ٩٨): «فيه أحمد بن محمد بن غالب غلام الخليل، وهو كذاب».
وذكره السمعاني في «تفسيره» (٣/ ٢٣٢) من قول علي رضي الله عنه.

﴿صَٰلِحِينَ﴾: طائعين للهِ في برِّ الوالدَين وترْكِ العقوقِ لهما ﴿فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلۡأَوَّٰبِينَ غَفُورٗا﴾ ابنُ عبَّاسٍ: هم المسبِّحون(١).

قتادةُ: المطيعون(٢).

ابنُ المنكدر يرفعُه: «هم الذين يصلُّون بين المغربِ والعشاءِ»(٣).

زيدُ بنُ أرقمَ: خرجَ رسولُ اللهِ عليه السَّلامُ على أهلِ قُباءَ وهم يصلُّون الضُّحى فقال: «صلاةُ الأوَّابين إذا رَمِضَتِ الفِصالُ من الضُّحى»(٤).

وقيل: هم التَّائبون.

مجاهدٌ: الذي يُذنبُ سرًّا ويتوبُ سرًّا(٥).

وذهبَ بعضُ المفسِّرين إلى أنَّ هذا في البادرةِ تَبْدُرُ من الولدِ في حقِّ الوالدَين، ثمَّ يندمُ ويتوبُ(٦).

***

(٢٦) ـ ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا﴾.

﴿وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ﴾؛ أي: منك في النَّسبِ، له حقٌّ في مالِكَ إذا كان عديماً فقيراً.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥٥٧) من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس.

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٥٥٦)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥٥٧) بلفظ: «﴿لِلۡأَوَّٰبِينَ﴾: للمطيعين المصلين».

(٣) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١٢٥٩)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥٥٨)، وهو مرسل.

(٤) رواه مسلم (٧٤٨)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٧٧٨٥)، والإمام أحمد في «المسند» (١٩٢٦٤)، وليس في رواية مسلم: «من الضحى».

(٥) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (١١٨٢).

(٦) رواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥٥٧) عن سعيد بن جبير وحبيب بن أبي ثابت، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٢٥)، واستغربه.

السُّدِّيُّ: ذا القربى من رسولِ اللهِ عليه السَّلامُ في النَّسبِ، وإليه ذهبَ عليُّ بنُ الحسينِ رضي اللهُ عنهما[١].

﴿وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾: لا تنفقها في معصيةِ اللهِ، وقيل: رِياءً وسُمعةً.

***

(٢٧) ـ ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾.

﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ لأنَّ مقاصدَهم مقاصدُ الشَّياطين.

الزَّجَّاجُ: المبذِّرُ يُنفقُ مالَه فيما يُسوِّله الشَّيطانُ[٢].

وقيل: قرينُ الشَّيطانِ في النَّارِ، والقَرينانِ يقالُ لهما: أخوان.

﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾: مُبالِغاً في الكفرِ.

***

(٢٨) ـ ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾.

﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ﴾ كان رسولُ اللهِ عليه السَّلامُ إذا سأله فقراءُ أصحابِه ولم يكنْ عنده ما يُعطيهم أعرضَ عنهم حياءً منهم وسكتَ، فأنزلَ اللهُ: ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ﴾[٣]

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥٦٣) عن السدي، عن أبي الديلم قال: «قال علي بن الحسين عليهما السلام لرجل من أهل الشام: أقرأت القرآن؟ قال: نعم، قال: أفما قرأت في بني إسرائيل: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾؟ قال: وإنكم لَلقرابةُ التي أَمر الله جل ثناؤه أن يؤتى حقه؟ قال: نعم».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٣٥).

(٣) ذكرته كتب التفسير دون سند. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٣٦)، و«التفسير الوسيط» للواحدي (٣/ ١٠٥)، و«المحرر الوجيز» (٣/ ٤٥٠)، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥٧١) عن الضحاك.

تَقْطَعْ عنهم عطاءَكَ ﴿ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ﴾: لطلبِ توسعةِ الرِّزقِ من عنده ﴿تَرْجُوهَا﴾: ترجو الرَّحمةَ، أي: رحمةٍ مرجُوَّة.

﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ الزَّجَّاجُ: قل: يرزقُنا اللهُ وإيَّاكم من فَضْلِه[١].

وقيل: سهلاً ليِّناً، تقولُ: يَسَرْتُ الأمرَ وأيسَرتُه ويسَّرته[٢]: ليَّنْتُه.

وقيل: الرَّحمةُ هاهنا: الفيءُ والغنيمةُ.

الفرَّاءُ: عِدْهم عِدَةً جميلةً[٣].

وقيل: ﴿مَّيْسُورًا﴾: معروفاً.

المبرِّد: نزلت في مُزَينةَ حين جاؤوا يَستحملونه، فقال: «لا أجدُ ما أحملكم عليه»[٤].

ابنُ زيدٍ: إذا أعرضتَ عمَّن سألكَ حَذَراً أن يُنفقَه في معصيةٍ، فمنعتَه ابتغاءَ رحمةٍ له، فقلْ قولاً ميسوراً ليِّناً، حكاه الماورديُّ[٥].

* * *

(٢٩) ـ ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾.

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً﴾ في سببِ النُّزولِ: جابرُ بنُ عبدِ اللهِ رضي اللهُ عنهما قالَ: بينا رسولُ اللهِ عليه السَّلامُ قاعدٌ فيما بين أصحابِه[٦] أتاه صبيٌّ فقال: يا رسولَ اللهِ،

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٣٥).

(٢) «ويسرّته»: ليس في (ن). وانظر: «كتاب الأفعال» لابن القوطية (ص: ١٦٢).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٢٢).

(٤) رواه سعيد بن منصور وابن المنذر عن عطاء الخراساني كما في «الدر المنثور» (٥/ ٢٧٥).

(٥) انظر: «النكت والعيون» (٣/ ٢٣٩)، وقد رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥٧٢).

(٦) في (ط): «الصحابة».

إنَّ أمِّي تستكسيكَ دِرعاً، ولم يكنْ عند رسولِ اللهِ عليه السَّلامُ إلَّا قميصُه، فقال للصَّبيِّ: «من ساعةٍ إلى ساعةٍ يظهرُ، فعدْ وقتاً آخرَ»، فعادَ إلى أمِّه فقالت له أمُّه[1]: قلْ له: إنَّ أمِّي تستكسيك القميصَ الذي عليك، فدخلَ رسولُ اللهِ عليه السَّلامُ داره ونزعَ قميصَه وأعطاه وقعدَ عرياناً، فأذَّنَ بلالٌ للصَّلاةِ وانتظرَ فلم يخرجْ، فشغلَ قلوبَ الصَّحابةِ، فدخلَ عليه بعضهم فرآه عرياناً[2]، فأنزلَ اللهُ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً﴾[3].

﴿إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ هذا مَثَلٌ للإمساكِ عن الإعطاءِ؛ لأنَّ مَن قبضَ يدَه عن الإعطاءِ صار كاليدِ المشدودةِ إلى العنقِ[4].

---

(١) «أمه»: ليست في (و).

(٢) قوله: «فأذَّنَ بلالٌ للصَّلاةِ وانتظرَ فلم يخرجْ، فشغلَ قلوبَ الصَّحابةِ، فدخلَ عليه بعضهم فرآه عرياناً»: ليس في (ن).

(٣) ذكره أبو الليث السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٣٠٩)، والثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٩٦)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٨٧)، والبغوي في «تفسيره» (٥/ ٩٠)، وأبو حفص النسفي في «التيسير في التفسير» عند هذه الآية، والزمخشري في «الكشاف» (٢/ ٦٦٢).
قال الحافظ في «تخريج أحاديث الكشاف» (ص: ٩٩): «لم أجده».
وقال الآلوسي في «روح المعاني» (٢٩/ ١٤): «وأنت تعلم أنه يأبى هذا كونُ السورة مكية والآية ليست من المستثنيات، ولعل الخبر لم يثبت، فعن ولي الدين العراقي: أنه لم يجده في شيء من كتب الحديث؛ أي: بهذا اللفظ، وإلا فقد أخرج ابن مردويه عن ابن مسعود قال: جاء غلام إلى النبي ﷺ فقال: إن أمي تسألك كذا وكذا فقال: «ما عندنا اليوم شيء»، قال: فتقول لك: اكسني قميصك، فخلع عليه الصلاة والسلام قميصه فدفعه إليه وجلس في البيت حاسراً فنزلت، وأخرج ابن أبي حاتم عن المنهال ابن عمرو نحوه، وليس في شيء منهما حديث أذان بلال وما بعده».

(٤) قال العسكري في «الصناعتين» (ص: ٢٧٥): «حقيقته: لا تكونن ممسكاً، والاستعارة أبلغ؛ لأن الغلَّ مشاهد، والإمساك غير مشاهد، فصور له قبح صورة المغلول؛ ليستدل على قبح الإمساك».

ثمَّ قال: ﴿وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ﴾ فجعلَ بسْطَ اليدِ عبارةً عن الإعطاءِ؛ لأنَّ المعطِي يَبسطُ يدَه نحو المعطَى، والبَسْطُ ضدُّ القبضِ.

﴿فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا﴾ يَلومُكَ النَّاسُ، وقيل: مستحِقًّا للملامةِ، وقيل: يلومُك اللهُ.

﴿مَّحۡسُورًا﴾ الزَّجَّاجُ: أي: بالغتَ في الحملِ على نفسكَ وحالِك حتَّى تصيرَ بمنزلةِ مَن حُسِرَ، والحَسيرُ: المحسورُ الذي بلغَ الغايةَ في النَّصبِ[1].

قتادةُ: نادماً على ما فَرَطَ منكَ[2].

وقيل: هو العاجزُ، وقيل: هو الذي ذهبَ مالُه كلُّه.

وسببُ النُّزولِ يدلُّ على أنَّ المعنيَّ بالمحسورِ: المكشوفُ، من حَسَرْتُ عن الدِّرعِ؛ أي: كَشَفْتُ، وهو أصلُ الكلمةِ.

* * *

(٣٠) ـ ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا﴾.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ﴾ يُوسعُه كالثَّوبِ المبسوطِ يُصيبُ الجهاتِ ﴿وَيَقۡدِرُ﴾: يُضيِّقُ، يريدُ: لمن يشاءُ، فيجعلُه على التَّضايُقِ.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا﴾ يعلمُ مصالحَ العبادِ؛ كما قالَ في الأخرى: ﴿وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الشورى: ٢٧].

* * *

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٣٦).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥٧٥).

(٣١) ـ ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴾.

﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ﴾: مخافةَ الفاقةِ، والمَلَقُ: الخضوعُ، وأَمْلَقَ: حَمَلَه الفقرُ على المَلَقِ.

وقيل: أملقَ: خلا من المالِ، من قولِهم: صفًا مِلقٌ ومـلَّاقٌ[1]: إذا غسلَه المطرُ.

وذهبَ بعضُ المفسِّرين إلى أنَّ المرادَ بقتلِ الأولادِ: وأدُ البناتِ، وكانت العربُ تفعلُ ذلك مخافةَ العارِ. وزعمَ بعضهم أنَّ الله صاحبُ البناتِ؛ لأنَّ الملائكةَ بناتُه، فإلحاقُهنَّ به أولى[2].

وظاهرُ الآيةِ يدلُّ على أنَّهم كانوا يقتلون الأولادَ مخافةَ الفقرِ، وتقديرُه في هذه السُّورةِ: خشيةَ إملاقٍ بهم ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ وفي الأخرى: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١]؛ أي: خشيةَ إملاقٍ بكم، ولهذا أيضاً ذكَّرَ الضَّميرَ.

ومَن ذهبَ إلى الأوَّلِ قال: إنَّما ذكَّرَ ـ وإن كانَ المرادُ به البناتِ ـ حملاً على لفظِ الأولادِ.

﴿إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾: ذنباً عظيماً، والخِطْءُ والخَطَأُ لغتان كمِثْلٍ ومَثَل.

---

(١) قوله: «صفا مَلِق ومَلَّاق» كذا في النسخة الخطية، والذي وقفت عليه في المصادر: أن الصَّفاة الملساء يقال لها: مَلَقة، وجَمعها مَلَقات. والمَلَّاق: المتملِّق، وقال صاحب «اللسان»: ورجلٌ مَلِقٌ ومَلَّاق، وقيل: المَلَّاق الذي لا يَصْدُقُ وُدُّه. والمَلِقُ أيضاً: الذي يَعِدُك ويُخْلِفك فلا يَفِي ويَتَزَيَّن بما ليس عنده. انظر: «تهذيب اللغة» (٩/ ١٤٩)، و«الصحاح» و«اللسان» مادة: (م ل ق).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٢٦)، واستغربه.

وقيل: الخِطءُ: السَّهو، والخطأُ: العمدُ، والخِطَاءُ: مصدرُ فاعَلَ، فإنَّ النُّحاةَ يُنكِرون المدَّ فيه مكسوراً ومفتوحاً[1].

* * *

(٣٢) ـ ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾.

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ ﴾: وَطْءَ المرأةِ من غيرِ نكاحٍ ولا مِلْكِ يمينٍ ﴿إِنَّهُۥ﴾: إنَّ الزِّنى ﴿كَانَ فَٰحِشَةً ﴾ مُنكَراً من المعاصي، والفاحشةُ: ما اشتدَّ قبحُه[2]، والتَّاءُ للمبالغةِ، ويجوزُ أن يكونَ تقديرها: خلَّةً أو خصلةً فاحشةً، وأفادَ ﴿كَانَ﴾ أنَّه لم يَزَلْ محرَّماً.

﴿وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾؛ أي: وساءَ السَّبيلُ[3] إلى الجِماعِ سبيلُ الزِّنى.

* * *

(٣٣) ـ ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴾.

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ ﴾ يريدُ: المؤمنَ، وكذلك المعاهَدُ والذِّمِّيُّ.

﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾: إلَّا أن يَصيرَ قتلُها حقًّا، وهو القصاصُ والارتدادُ وسائرُ ما يبيحُ

---

(١) أن أصل اللغة فيثبتونه، كما في «المقصور والممدود» للقالي (ص: ٢٨٥ و٢٩١)، وقد ذكره عمر بن خلف في «تذكرة الخاصة على العامة وليس بمنكر، انظر: «تثقيف اللسان» (ص: ١٨٦). وظاهر كلام الزمخشري جوازه، فقد قال في تفسير هذه الآية: يقال: «خَطِئَ خِطْئاً» كأَثِمَ إِثماً، و«خَطَأً» وهو ضدُّ الصواب، اسمٌ من أَخطأ، وقيل: هو والخِطْءُ كالحَذَرِ والحِذْرِ، و«خِطَاءً» بالكسر والمدّ، و«خَطاءً» بالفتح والمدّ، و«خَطْأً» بالفتح والسكون، وانظر: «أبنية الأسماء والأفعال» لابن القطاع (ص: ٣٧١).

(٢) في (و): «فحشه».

(٣) في (و): «سبيلًا».

دمَ المسلمِ ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا﴾ من غيرِ أن يأتيَ ما يبيحُ دمَه ﴿فَقَدْ جَعَلْنَا﴾: حكَمْنا ﴿لِوَلِيِّهِۦ﴾ وارثِه، وقيل: وليِّ الدَّمِ ﴿سُلْطَانًا﴾ قتادةُ: هو القَوَدُ[١].

مجاهدٌ: السُّلطانُ: الحجَّةُ على القاتلِ[٢].

والجمهورُ: أنَّ السُّلطانَ هو القَوَدُ أو العفوُ، وقيل: القَوَدُ أو العفوُ أو الدِّيةُ.

﴿فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ﴾ الضَّميرُ فيه يعودُ إلى القاتلِ ابتداءً.

وقيل: إلى الوليِّ، وإسرافُه: أن يقتُلَ غيرَ القاتلِ كما كانت العربُ تفعلُه.

ومَن قرأَ بالتَّاءِ[٣] جازَ أن يكونَ خطاباً للقاتلِ ابتداءً، وجازَ أن يكونَ للوليِّ، وقيل: خطابٌ للنَّبيِّ[٤] عليه السَّلام وخلفائه من بعده.

وقيل: سُلطاناً يَنصرُه ويُنصفه من خصمِه ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾.

* * *

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥٨٤).

(٢) رواه ابن الجعد في «مسنده» (٢٢٢٢) بلفظ: «حجة للذي قتل». وقال السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٣١٠): «﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَانًا﴾؛ أي: سبيلاً وحجة عليه، إن شاء قتله، وإن شاء عفا عنه، وإن شاء أخذ الدية؛ يعني: إذا اصطلحا، وقال مجاهد: «كل سلطان في القرآن فهو حجة، وكل ظن في القرآن فهو يقين».

(٣) القراءة في «السبعة» (ص: ٣٨٠)، و«المحرر الوجيز» (٢/ ٤٥٣)، عن حمزة والكسائي وابن عامر، ولم تذكر باقي المصادر ابن عامر. انظر: «حجة القراءات» لابن زنجلة (ص: ٤٠٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٠)، و«الإقناع في القراءات السبع» لابن الباذش (ص: ٣٤٠)، و«المبسوط في القراءات العشر» لأبي بكر النيسابوري (ص: ٢٦٩)، و«النشر» (٢/ ٣٠٧). وقال في «البحر المحيط» (١٤/ ٧٢): في نسخة من «تفسير ابن عطية»: «وابن عامر، وهو وهم».

(٤) في (و): «وجاز خطاب النبي».

(٣٤) ـ ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾.

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ ﴾؛ أي: لا تتصرَّفوا فيه، وخصَّ اليتيمَ بالذِّكرِ لأنَّ الطَّمعَ في ماله أكثرُ، وأنَّ مالَه إلى الصَّونِ أحوجُ.

﴿إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ بما يحفظُ أصولَه ويثمِّرُ فروعَه، وقيل: هي التِّجارةُ، وقد سبقَ(١).

﴿حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ ثماني عشرةَ سنةً، وقيل: الاحتلامُ مع إيناسِ الرُّشدِ.

﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ﴾: أوامرِ اللهِ ونواهيه، وقيل: هو العهدُ في الوصيَّةِ بمالِ اليتيمِ، وقيل: كلُّ عقدٍ بين متعاقدَين.

﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ السُّدِّيُّ: كان مطلوباً.

وقيل: ناقضُ العهدِ كان مسؤولاً عنه.

وقيل: يُسألُ العهدُ لِمَ نُقضتَ؛ كقولِه: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ﴾ [التكوير: ٨](٢).

* * *

(٣٥) ـ ﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾.

﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ ﴾؛ أي: لا تبخسوا في الكيلِ ولا تُطفِّفوا، وكذلك الوزنُ، وهو قولُه: ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ المورِّج: هو الميزانُ بلغة الرُّومِ(٣)، الحسنُ: هو

---

(١) في أوائل سورة: (النساء).

(٢) ذكر الأقوال الثلاثة الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٢٤٢).

(٣) ذهب ابن درستويه إلى أن (القسطاس) عربي صحيح مشتق من (قسط)، وذهب الأكثرون إلى أنه رومي معرب، أما قول المؤرج فذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٧/ ٢٣)، وانظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٥٣٠)، و«أدب الكاتب» لابن قتيبة (ص: ٤٩٦)، و«المهذب» للسيوطي (ص: ١٢٥)، =

القبَّانُ[١]، الزَّجَّاجُ: ميزانُ العدلِ أيَّ ميزانٍ كانَ[٢]، وقيل: هو الشَّاهينُ، وقيل: إقامةُ لسانِ الميزانِ، والكسرُ والضَّمُّ لغتانِ.

﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: الإيفاءُ ﴿خَيْرٌ﴾ أكبرُ بركةً في الدُّنيا ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ مآلاً في العقبى ومرجعاً.

* * *

(٣٦) ـ ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾.

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ أبو عبيدةَ: لا تتَّبعْ ما لا تعلمُ[٣].

قطربٌ: قَفَوْتُ الرَّجلَ بقَبيحٍ: إذا رميتَه به.

وعن ابنِ الحنفيَّةِ: أنَّه شهادةُ الزُّورِ[٤].

وأصله من القَفا، وقيل: القَفْوُ شبيهٌ بالعَضِيهةِ[٥] والبهتانِ، وقيل: هو نهيٌ عن القذفِ والرَّمي.

الفرَّاءُ: هو مقلوبٌ من القيافةِ[٦]، وهو تتبُّعُ الأثرِ.

= وفيه ستُّ لغات قُسْطاس، وقِسطاس، وقُصطاس، وقُسْتاس، وقُسَّاط، وقِسَّاط. انظر: «الصاحبي في فقه اللغة» لابن فارس (ص: ٤٠).

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥٩١).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٣٨).

(٣) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٣٧٩).

(٤) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٣٠٤١)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥٩٤).

(٥) قوله: «بالعضيهة»: هي البهيتة، وهي الإفك والبهتان. انظر: «الصحاح» مادة: (ع ض ه).

(٦) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٢٤).

﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ﴾؛ أي: كلُّ هذه، فأجراهُ مجرى العقلاءِ.

﴿كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ تُسأَلُ هذه الأعضاءُ عمَّا قاله، الزَّجَّاجُ: يُستشهَدُ بها كما قالَ: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم﴾ [النور: ٢٤](١).

والهاءُ في ﴿عَنْهُ﴾ يعودُ إلى مصدرِ قوله: ﴿وَلَا تَقْفُ﴾ وهو القَفْوُ، وقيل: إلى ﴿مَا﴾، وقيل: إلى ﴿كُلُّ﴾، وقيل: إلى الإنسان؛ لأنَّه صاحبُ السَّمعِ والبصرِ والفؤادِ، و﴿مَسْئُولًا﴾ يجوزُ أن يكونَ لـ﴿كُلُّ﴾، ويجوزُ أن يكونَ للإنسانِ، والمعنى: لا تَستعملْ هذه الأعضاءَ في محرَّمٍ.

وقيل: استعملْها في دلائلِ توحيدِ اللهِ ولا ترضَ بالتَّقليدِ(٢).

***

(٣٧) ـ ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾.

﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾: ذا اختيالٍ وتكبُّرٍ لا ترى فوقكَ مِن مَزيدٍ(٣).

﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ﴾: لن تقطعَه، والخَرْقُ: الفلاةُ؛ لانقطاعِ أطرافِها لتباعُدِها.

﴿وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾؛ أي: إنَّك لن تبلغَ ممَّا تريدُ كبيرَ(٤) مَبْلَغٍ، كما لا يُمكنكَ أن تبلغَ هذا، فما وجهُ المثابرةِ على ما هذه سبيلُه؟ ذكره ابنُ عيسى(٥).

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٣٩).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٢٧)، واستغربه.

(٣) في (ن): «لا ترى قومك من يزيد»، وهو تصحيف.

(٤) في (ن): «كثير»، وأشير إلى الوجهين في (ط).

(٥) في (ن) زيادة: «كان معتزلياً». قلت: وهو علي بن عيسى الرماني، وقد تقدمت ترجمته.

ويحتملُ أنَّ المعنى: إنَّك في طُولِك وعرضكَ لا تنالُ درجةَ هذَين الجمادَين ولا جزءاً من درجتهما.

* * *

(٣٨) ـ ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكۡرُوهًا﴾.

﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكۡرُوهًا﴾ قُرِئ: ﴿سيِّئةً﴾ بالتَّنوين[1]، فيكونُ ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةً إلى قوله: ﴿وَلَا تَقۡفُ﴾ وما بعده، وذكَّر ﴿مَكۡرُوهًا﴾ لأنَّه خبرٌ بعد خبرٍ، أو يكونُ[2] حالاً مِن الضَّميرِ في ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾.

ومَن قرأَ: ﴿سَيِّئُهُۥ﴾ بالإضافةِ فالوجهُ ما قاله الحسنُ: إنَّ اللهَ ذكرَ أموراً منها حسنٌ ومنها سيِّئٌ، والسَّيِّئُ مِن كلِّ ذلك كان مكروهاً[3].

* * *

(٣٩) ـ ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدۡحُورًا﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: ما أَمَرَ به ونَهَى عنه ﴿مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِ﴾؛ أي: جملةِ الحِكمِ التي أَوْحَى اللهُ إليكَ في القرآنِ من القرآن.

وعن ابنِ عبَّاسٍ رضي اللهُ عنهما: هذه الثَّماني عشرةَ آيةً كانت في ألواحِ موسى عليه السَّلامُ التي كتبَ اللهُ سبحانَه أنزلها على محمَّدٍ عليه السَّلامُ، ابتداؤها: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ وآخِرُها: ﴿مَّدۡحُورًا﴾[4].

---

(١) قرأ بها ابن كثير ونافعٌ وأبو عمرو، وقرأ الباقون: ﴿سَيِّئُهُۥ﴾ بالرفع والإضافة. انظر: «السبعة» (ص: ٣٨٠)، و«التيسير» (ص: ١٤٠).

(٢) في (و): «ويكون».

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٣/ ٣٣٧).

(٤) ذكره عن ابن عباس أبو الليث السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٣٠٦)، والزمخشري في «الكشاف» =

ومعنى قوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا﴾ تلومُ نفسكَ ﴿مَّدْحُورًا﴾ مُبعَداً من رحمةِ اللهِ، وقيل: مطروداً، الخطابُ للنَّبيِّ عليه السَّلام والمرادُ به غيرُه[1]، والتَّقديرُ: قلْ للكافرِ.

* * *

(٤٠) ـ ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾.

﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ﴾ استفهامُ إنكارٍ على مَن زعمَ أنَّ الملائكةَ إناثٌ، وأنَّها بناتُ اللهِ؛ أي: خصَّكم وأخلصَ لكم البنينَ ﴿وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا﴾؛ أي: وجعلَ البناتِ مشتركةً بينكم وبينه، فاختصَّكم بالأجَلِّ وجعلَ لنفسِه الأدونَ ﴿إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ يعظمُ الإثمُ فيه والعقوبةُ عليه.

* * *

(٤١) ـ ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ كرَّرنا القولَ في هذا القرآنِ من المواعظِ والأخبارِ.

وقيل: غايَرنا القولَ فيه، فتارةً حُجَجاً ودلائلَ، وتارةً عِبراً وأمثالاً، وتارةً قِصصاً وأخباراً.

المبرِّد: بيَّنَّا بكلِّ وجهٍ يَتصرَّفُ فيه القَولُ.

= (٣/ ٦٦٨)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٣٤١) عن الكلبي. والذي رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٣٨) عن ابن عباس هو قوله: «إن التوراة كلها في خمس عشرة آية من بني إسرائيل، ثم تلا: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾». قال الآلوسي في «روح المعاني» (١٤/ ٥١٦): وهذا أعظم مدحاً للقرآن الكريم مما في «الكشاف».

(١) قال ابن قتيبة في «تأويل مشكل القرآن» (ص: ١٦٧): «القرآن نزل عليه ـ أي: النبي ﷺ ـ بمذاهب العرب كلهم، وهم قد يخاطبون الرجل بالشيء ويريدون غيره».

﴿لِيَذْكُرُوا﴾؛ أي: ليَذْكُروا الأدلَّةَ فيُؤمنوا به، وقُرئ بالتَّشديدِ[١]؛ أي: ليَفهَموا.
﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ عن الحقِّ واتِّباعه، وقيل: عن النَّظرِ والاعتبارِ به.

* * *

(٤٢) - ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾.

﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ للآيةِ وجهان:

أحدهما: لو كان في الوجودِ آلهةٌ لطلبوا مغالبةَ اللهِ والاستيلاءَ على ذي العرشِ، وهو اللهُ سبحانَه وتعالى، وقيل: (ذو) زيادةٌ؛ أي: لطلبوا الاستيلاءَ على العرشِ، والعرشُ: السَّريرُ العظيمُ، وقيل: المُلْكُ.

والثَّاني: لو كان معه آلهةٌ أخرى لابتغوا إليه الوسيلةَ؛ لأنَّهم عرفوا قُدرته وعجزَهم، وهو قوله: ﴿يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [الإسراء: ٥٧].

* * *

(٤٣) - ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾.

﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾؛ أي: هو منزَّهٌ عن الشَّركةِ في الإلهيَّةِ، وعمَّا ادَّعوا من الباطل[٢]، وكان القياسُ: تَعالِياً، لكنْ ردَّه إلى الأصلِ؛ كقوله: ﴿أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [نوح: ١٧][٣].

* * *

---

(١) قرأ حمزة والكسائي بإسكان الذال وضم الكاف مخففًا، والباقون بفتحهما مشددين. انظر: «السبعة» (ص: ٣٨٠)، و«التيسير» (ص: ١٤٠).

(٢) في (و): «من الآلهة».

(٣) فالمصدر جاء على غير لفظ الفعل؛ لأن المعنى واحد. انظر: «الكتاب» (٤/ ٨١)، و«أدب الكاتب» لابن قتيبة (ص: ٦٣٠).

(٤٤) ـ ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا﴾.

﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾؛ أي: تُنزِّهُه مِن أنْ يكونَ له ضدٌّ أو ندٌّ أو صاحبةٌ أو ولدٌ.

﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ﴾ قيل: وإنْ من شيءٍ من الأحياءِ.

وقيل: عامٌّ حتَّى صريرُ البابِ ورعدُ السَّحابِ.

وقيل: تسبيحُه دلالتُه على وحدانيَّةِ اللهِ.

وقيل: تسبيحُه حملُ غيرِه على التَّسبيحِ إذا تأمَّلَ فيه وتدبَّرَ.

﴿وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡ﴾ يريدُ: الكفَّارَ الذين لا ينظرون في الدلالاتِ، وكيف يعرفُ الدَّليلَ مَن لا يتأمَّله؟!

وقيل: لا تفقهون تسبيحَهم؛ لأنَّه بغيرِ لسانِكم.

وقيل: لأنَّها تتكلَّمُ في بعضِ الحالاتِ دون بعضٍ.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا﴾ عن جهلِ العبادِ ﴿غَفُورٗا﴾ لذنوبِ المؤمنينَ.

* * *

(٤٥) ـ ﴿وَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ جَعَلۡنَا بَيۡنَكَ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ حِجَابٗا مَّسۡتُورٗا﴾.

﴿وَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ له وجهان:

أحدهما: قاله قتادةُ والزَّجَّاجُ في جماعةٍ[1]: أي: إذا قرأتَ القرآنَ يا محمَّدُ ﴿جَعَلۡنَا بَيۡنَكَ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾: لا يُقرُّون ﴿بِٱلۡأٓخِرَةِ﴾: بالبعثِ والثَّوابِ والعقابِ

---

(١) رواه عن قتادة الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٦٠٨)، وانظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٤٣).

﴿حِجَابًا﴾ يحجبُ قلوبَهم عن فهمِ ما تقرأُه عليهم، ويُقوِّيه ما بعده من قوله: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾.

وقولُهُ: ﴿مَّسْتُورًا﴾ قيل: ساتراً، كقوله: ﴿وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا﴾ [مريم: ٦١]؛ أي: آتٍ، وقيل: مستوراً عن عيونِ العبادِ، وقيل: مستوراً أن يأتوا بمثله؛ يعني: القرآنَ، المبرِّدُ: يجوزُ أن يكون التَّقديرُ: حجاباً مستوراً به[١]، وقيل: يجوزُ أن يكون حالاً ممَّا تقدَّمَ لا وصفاً للحجابِ[٢].

والثَّاني: أنَّ قوماً من الكفَّارِ كانوا يُؤذون النَّبيَّ عليه السَّلامُ ويمنعونه من الخروجِ إلى الصَّلاةِ، فستَره عن الأعينِ الظَّاهرةِ، وكان رسولُ اللهِ عليه السَّلامُ يَستترُ من المشركين بثلاثِ آياتٍ؛ الآيةِ التي في (الكهفِ): ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ [٥٧]، والآيةِ التي في (النَّحلِ): ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [١٠٨]، والآيةِ التي في (الجاثية): ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [٢٣][٣].

* * *

(١) ذكره عن المبرد أبو حيان في «البحر» (٧/ ٥٦)، وذكره السمعاني في «تفسيره» (٣/ ٢٤٥)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٣/ ٤٦٠)، بلا نسبة، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٢٨)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٢٨)، وعدَّه من العجائب.

(٣) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٣١٣) عن الكلبي، ورواه الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٣٥٣) من طريق الكلبي عن رجل من أهل الشام عن كعب، وذكره دون نسبة الرازي في «تفسيره» (٢٠/ ٣٤٩).
ووقع في (ن) و(و): «الفرقان» بدل: «الجاثية»، وهو خطأ ظاهر، والصواب المثبت من (ط) فإن الآية التي في الفرقان هي قوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ [٤٣]، وإنما المراد آية (الجاثية)؛ لأن فيها ذكر الختم: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً﴾.

(٤٦) ـ ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا﴾.

﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾: خلَقْنا ﴿أَكِنَّةً﴾: جمعُ كِنانٍ، وهو الذي يُكِنُّ الشَّيء ويَستُره ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾: كراهةَ أن يفقهوه، وقيل: أن لا يفقهوه ﴿وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ ثِقلاً يمنعُ عن الاستماع.

﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ﴾؛ أي: قلتَ: لا إلهَ إلَّا اللهُ ﴿وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ﴾: رجعوا على أعقابهم ﴿نُفُورًا﴾ من استماعِ التَّوحيدِ، والنُّفورُ مصدرُ نفَرَ: إذا هربَ، ويجوزُ أن يكونَ جمعَ نافرٍ[1].

* * *

(٤٧) ـ ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾.

﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ﴾ يُسمِعُه بعضُهم بعضاً ﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾: يُصغون إليكَ ليستمعوا القرآنَ ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ﴾ مُتناجين[2] في دارِ النَّدوةِ ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ هذا ما كانوا يتناجون به، وذلك أنَّهم اجتمعوا في دارِ النَّدوةِ، وكان إذا أرادوا مشورةً اجتمعوا هناك، وقالَ بَعضُهم: إنَّ محمَّداً مجنونٌ، وبعضُهم: إنَّه ساحرٌ، وبعضُهم: إنَّه شاعرٌ، وبعضُهم: إنَّه كاهنٌ.

ومعنى: ﴿مَّسْحُورًا﴾ عند أبي عُبيدةَ: سُحر فزالَ عقلُه وصارَ مجنوناً[3].

---

(١) وعلى تقدير المصدر يعرب مفعولًا لأجله، أما على الجمع فيعرب حالًا. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٢٧٤).

(٢) في (ط): «متناجون»، ووجه الرفع أن تكون الكلمة بدلًا من النجوى، ووجه النصب أن تكون تفسيراً للجملة الحالية.

(٣) في (و): «مسحوراً». والقول لم أجده عن أبي عبيدة، لكن ذكره الماوردي في «النكت والعيون» =

وقيل: ﴿مَّسْحُورًا﴾: له سَحْرٌ؛ يأكلُ ويشربُ كسائرِ النَّاسِ[1].

وقيل: ﴿مَّسْحُورًا﴾: مخدوعاً، وقيل: مغروراً مكذوباً.

***

(٤٨) ـ ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾.

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ﴾ بالمجنونِ والكاهنِ والشَّاعرِ والسَّاحرِ والمعلَّمِ والمخدوعِ؛ أي: تَفكَّرْ كيف وصفوكَ بهذه الصِّفاتِ ﴿فَضَلُّوا۟﴾ عن الحقِّ ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ إلى أن يُبيِّنوا للنَّاسِ أنَّكَ كاذبٌ؛ لتناقُضِ كلامِهم.

وقيل: لا يستطيعون سبيلاً إلى الرُّشدِ والهدايةِ.

***

(٤٩) ـ ﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾.

﴿وَقَالُوٓا۟﴾ يعني: مُنكري البعثِ ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا﴾ استبعَدوا الإحياءَ بعد الموتِ ﴿أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾: أنُبعثُ ونُخلَقُ خلْقاً جديداً حين صرْنا عظاماً.

= (٤/ ١٣٤) دون نسبة، وليس فيه: «وصار مجنوناً».

(١) وهذا هو قول أبي عبيدة في الآية، فقد قال في «مجاز القرآن» (١/ ٣٨١): ﴿مَّسْحُورًا﴾؛ أي: له سَحْر، وهو أيضاً: مسحَّرٌ، وكذلك كلُّ دابَّة أو طائر أو بشر يأكل فهو مسحور؛ لأن له سَحْراً، والسَّحْر: الرِّئة، قال لبيد:

فإن تسألينا فيم نحن فإننا ... عصافير من هذا الأنام المسحَّر

وقال:

ونُسْحَر بالشراب وبالطَّعام

أي: نغذَّى.

﴿وَرُفَٰتًا﴾: حُطاماً، وكلُّ مدقوقٍ مبالَغٍ في الدَّقِّ رُفاتٌ ومرفوتٌ(١).

الفرَّاءُ: الرُّفاتُ: التُّرابُ(٢).

وقيل: فُتاتاً، وقيل: العظمُ إذا تحطَّمَ فهو رُفاتٌ.

والعاملُ في (إذا) لفظٌ من البعثِ كما ذكرتُ، لا المبعوث؛ لأنَّ ما بعد (إنَّ) لا يعملُ فيما قبله(٣).

* * *

(٥٠ ـ ٥١) ـ ﴿قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۝٥٠ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾.

﴿قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۝٥٠ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾ مجاهدٌ: ما شئتُم فكونوا، فسيُعيدُكم اللهُ كما كنتُم(٤).

الزَّجَّاجُ: أَقَرُّوا بأنَّ اللهَ خالقهم وأنكَروا البعثَ، فقيل لهم: استَشْعِروا أنَّكم لو خُلِقْتُم من الحجارةِ أو الحديدِ لأماتكم ثمَّ أحياكم، ولفظ: ﴿كُونُوا۟﴾ أمرٌ، والمعنى: لو كنتُم كذلك لأماتكم ثمَّ أحياكم؛ لأنَّ مَن قدرَ على خلْقِكم من التُّرابِ والنُّطفةِ قدرَ على خلْقِكم من العظامِ والرُّفاتِ، وهذا أقربُ إلى الإنسانيَّةِ(٥).

---

(١) انظر: «الغريبين» للهروي (١/ ٣٢٤).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٢٥)، وزاد: «لا واحد له، بمنزلة الدُّقاق والحطام».

(٣) انظر: «شرح الرضي على الكافية» (٤/ ٤٦٤).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٦١٨).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٤٤)، والكلام فيه بنحوه.

وقيل: تقديرُه: إذا جازَ أن يُحيلَ الإنسانَ حجارةً أو حديداً ما الذي يمنعُ من الإعادةِ من العظامِ والرُّفاتِ أو ما يكبُر في صدوركم؟

ابنُ عبَّاسٍ وابنُ جُبيرٍ والضَّحَّاكُ: الموت(١)، وهو أكبرُ الأشياءِ في صدورهم؛ أي: لو كنتم الموتَ لأماتكم ثمَّ أحياكم.

الكلبيُّ: البعثُ(٢).

مجاهدٌ: هو السَّماءُ والأرضُ والجبالُ(٣).

وقيل: عامٌّ؛ أي: أيَّ شيءٍ ممَّا يستكبرون.

الحسنُ: ما أدري ما هو(٤).

﴿فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾: خلقَكم ابتداءً بالإيجادِ ﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾: يُحرِّكونها فِعْلَ المُستبعِدِ للشَّيءِ، وقيل: فِعْلَ المستهزِئ ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ﴾ استبعاداً له ونفياً.

تقولُ: نغضَ السِّنُّ: تحرَّكَ، وأنغضْتُه: حرَّكتُه.

﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾؛ أي: هو قريبٌ، و﴿عَسَىٰٓ﴾ للوجوبِ، و﴿قَرِيبًا﴾ يجوزُ أن يكون خبرَ (كان)، ويجوزُ أن يكون ظرفاً؛ أي: في زمانٍ قريبٍ(٥).

---

(١) رواه عن سعيد بن جبير عبد الرزاق في «تفسيره» (١٥٧٤)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٦١٦ ـ ٦١٧) عن ابن عباس وابن عمر وأبي صالح والحسن وسعيد بن جبير والضحاك.

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٢٤٨).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٥٧٥).

(٤) جعله المؤلف من العجيب في «غرائب التفسير» (١/ ٦٢٩)، ولم أجده عند غير المؤلف، وقد روى الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٦١٦) وأبو الشيخ في «العظمة» عن الحسن: أنه الموت. واختار الطبري (١٤/ ٦١٨) أنه كلّ ما كبر في صدور بني آدم من خلقه.

(٥) وهذا على اعتبار (كان) تامة.

(٥٢)- ﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾.

ثمَّ بيَّنَ وعيَّنَ فقالَ: ﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ ﴾؛ أي: إلى المحاسبةِ، وهو يومُ القيامةِ.

وقيل: يدعوكم من قبورِكم.

وقيل: يدعوكم إسرافيلُ، وهي النَّفخةُ الأخيرةُ.

مقاتلٌ: وذلك أنَّ إسرافيلَ يقومُ على صخرةِ بيتِ المقدسِ يدعو أهلَ القبورِ في قرنٍ، ويقولُ: أيَّتها العظامُ الباليةُ، واللُّحومُ المتفرِّقةُ، والعروقُ المتقطِّعةُ؛ اخْرُجوا من قبورِكم، فيَخرجون من قبورهم[1].

ابنُ عبَّاسٍ رضي اللهُ عنهما: لمعنى الدُّعاءِ وجهان:

أحدهما: النِّداءُ بالخروجِ إلى أرضِ المحشرِ نداءً يسمعُه جميعُ العبادِ.

والثَّاني: الصَّيحةُ التي يسمعونها فتكونُ داعيةً لهم إلى الاجتماعِ إلى أرضِ القيامةِ[2].

﴿فَتَسْتَجِيبُونَ ﴾: فتُجيبون ﴿بِحَمْدِهِۦ﴾ قيل[3]: بأمرِه، وتَقْصِدون نحو[4] الدَّاعي.

قتادةُ: بمعرفتِه وطاعتِه[5]. وهذا ليس بتفسيرِ اللَّفظِ.

ابنُ جريرٍ: بقُدرتِه ودعائِه إيَّاكم[6].

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٥٣٥).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٢٤٨) لكن لم ينسبه لابن عباس أو غيره.

(٣) في (ن): «وقيل».

(٤) في (و): «إلى».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٦٢٢).

(٦) انظر: «تفسير الطبري» (١٤/ ٦٢٢).

وقيل: بحمدِ اللهِ لا بحمدٍ مِنهُم؛ لأنَّه حالُ اضطِرارٍ[١].

الزَّجَّاجُ: الباءُ للحالِ؛ أي: تجيبون حامدين[٢].

وقيل: على ما يقتضي الحمدَ.

﴿وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ﴾: ما لبثتُم ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾؛ أي: يستقصرون مدَّةَ موتهم؛ لأنَّهم لا يشعرون بالمدَّةِ التي مرَّتْ بهم وهم أمواتٌ.

قتادةُ: تحاقَرَتِ الدُّنيَا في أنفُسِهم وقلَّتْ حينَ عايَنُوا يومَ القيامةِ[٣].

وقيلَ: ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ في الدُّنيا.

وقيل: بين النَّفختَين يُرفَّهون من العذابِ، وبينهما أربعون سَنةً، فيرونها لاستراحتِهم قليلاً.

* * *

(٥٣) ـ ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾.

﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ في سببِ النُّزولِ:

أنَّها نزلَت في عمرَ بنِ الخطَّابِ، وذلك أنَّ رجلاً من العربِ شتمَه، فهمَّ به عمرُ رضي الله عنه، فأمرَه اللهُ بالعفوِ[٤].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٢٩)، واستغربه.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٤٥)، ولفظه: «ومعنى تستجيبون بحمده: تستجيبون مقرين بأنه خالِقكُمْ». وفي عبارته إشارة للحالية في الباء.

(٣) رواه يحيى بن سلام في «تفسيره» (١/ ١٤٢)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ٦٢٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٣٤).

(٤) ذكره مقاتل في «تفسيره» (٢/ ٥٣٥)، وأبو الليث السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٣١٦)، والثعلبي =

وقيـل: نزلَـت فـي أبـي بكـرٍ الصِّدِّيقِ رضـي الله عنـه، حـكاه الفقيهُ أبـو اللَّيثِ رحمـه الله في «تفسـيره»(١).

قالَ الكلبيُّ: كان المشركون يُؤذون أصحابَ رسولِ اللهِ عليه السَّلامُ بالقولِ والفعلِ، فشكَوا ذلك إلى رسولِ اللهِ عليه السَّلامُ، فأنزلَ اللهُ في ذلك: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾(٢)؛ أي: يردُّوا خيراً على مَن أساءَ القولَ فيهم.

وقيل: هي الشَّهادتان: لا إلهَ إلَّا اللهُ محمَّدٌ رسولُ اللهِ.

وقيل: الأمرُ بالمعروفِ والنَّهيُ عن المنكرِ.

الزَّجَّاجُ: لا يذكروا غيرَهم إلَّا بالمحاسنِ ويكفُّوا عن مساوئِه(٣).

﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾: يُهيِّجُ بينهم الشَّرَّ ويُفسدُ أحوالَهم، والنَّزغُ: إيقاعُ الشَّرِّ وإفسادُ ذاتِ البَينِ.

﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾: ظاهرَ العداوةِ.

* * *

= في «تفسيره» (١٦/ ٣٦١)، والماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٢٤٩)، والواحدي في «أسباب النزول» (١/ ٢٨٨).

(١) انظر: «بحر العلوم» للسمرقندي (٢/ ٣١٦).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٣٦١)، والواحدي في «أسباب النزول» (١/ ٢٨٨). وذكره أبو الليث السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٣١٥) عن ابن عباس، ولعله مما روي من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.

(٣) لم أقف عليه.

(٥٤) ـ ﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾.

﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ ﴾ بالهدايةِ والتَّوفيقِ ﴿أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ﴾ بالخذلانِ.

وقيل: ﴿إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ ﴾ بالتَّوبةِ، ﴿أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ﴾ بالإقامةِ على المعصيةِ.

وقيل: ﴿إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ ﴾ فيُنَجِّيكم من أعدائِكم، ﴿أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ﴾ فيُسلِّطْهم عليكم.

و﴿أَوْ ﴾ للإضرابِ، ولهذا كرَّرَ ﴿إِن ﴾[1].

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾ قيل: كفيلاً، وقيل: وما وكَّلناكَ في منعِهم من الكفرِ باللهِ.

***

(٥٥) ـ ﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾.

﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾؛ أي: هو عالمٌ بأهلِ السَّماواتِ وأهلِ الأرضِ، وهو أعلمُ بصلاحِ كلِّ واحدٍ منهم.

وقيل: تقديرُه: أعلمُ بمن في السَّماواتِ والأرضِ من الملائكةِ وغيرِهم[2].

﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ فمنهم مَن كلَّمه اللهُ، ومنهم مَن اتَّخذه خليلاً، ومنهم مَن اصطفاه، وهو محمَّدٌ عليه السَّلام.

---

(١) في هامش (ن): «كأنه يقول لفريقين، يقول [لفريق]: ﴿إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ ﴾ ولفريق: ﴿أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ﴾، وتكرار ﴿إِن ﴾ لذلك؛ لأن أصل (أو) للإضراب كما ذكرت».

(٢) و(أعلم) على هذا القول اسم تفضيل، أما القول الأول فهو صفة مشبهة باسم الفاعل.

﴿وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا﴾ وهو مئةٌ وخمسون سورةً ليسَ فيها حكمٌ ولا فرضٌ، إنَّما هو ثناءٌ ووعظٌ.

***

(٥٦) ـ ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا﴾.

﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم﴾: ادَّعيتم أنَّها آلهةٌ ﴿مِّن دُونِهِۦ﴾ سوى الله ﴿فَلَا يَمۡلِكُونَ﴾، أي: المدْعُوُّون ﴿كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ﴾ يعني: البؤسَ والشِّدَّةَ والقحطَ الذي ابتُلوا به سبعَ سنين ﴿وَلَا تَحۡوِيلًا﴾: تحويلَ ذلك منكم إلى غيرِكم.

وقيل: ﴿وَلَا تَحۡوِيلًا﴾ من السَّقمِ إلى الصِّحَّة، والفقرِ إلى الغِنى.

نزلَت في قريش حين شكَتْ[١] إلى رسولِ اللهِ عليه السَّلامُ ما نزلَ بهم من القحطِ[٢].

***

(٥٧) ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا﴾.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ﴾؛ أي: يدعونَهم آلهةً، وقيل: يعبدُونهم.

ابنُ عبَّاسٍ وابنُ مسعودٍ وابنُ زيدٍ والحسنُ: هم الملائكةُ[٣].

قتادةُ في جماعةٍ: هو المسيحُ وعُزيرٌ والشَّمسُ والقمرُ[٤].

---

(١) في (ن): «نزلت حين شكت قريش».

(٢) ذكره دون راو ولا سند الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٣٦٣)، وعزاه الواحدي في «البسيط» (١٣/ ٣٦٨) للمفسرين.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٦٣٠) عن ابن مسعود وابن زيد.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٦٣١) عن ابن عباس رضي الله عنهما. وروي عن قتادة أنهم قوم عبدوا الجنَّ، فأسلم الجن. انظر: «تفسير الطبري» (١٤/ ٦٢٩).

وقيل: هم خزاعةُ، كانوا يعبدونَ قوماً من الجنِّ، فأسلمَ الجنُّ، وبقيت خزاعةُ على كفرِهم(١).

﴿يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾: يتضرَّعون إلى اللهِ ويطلبون القُربةَ والزُّلفةَ إليه، والوسيلةُ: الطَّلبةُ.

المبرِّدُ: كلُّ ما قرَّبَ من شيءٍ فهو وسيلةٌ إليه.

﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾؛ أي: يبتغِي الذي هو أقربُ إلى ما عندَه ـ وقيل: إلى رحمتِه ـ وسيلةً إلى اللهِ، فـ﴿أَيُّهُمْ﴾ بدلٌ من واوِ ﴿يَبْتَغُونَ﴾(٢)، والمعنى: يعبدونَ عبداً يطلبُ ما يُقرِّبُه إلى اللهِ تعالى.

وقيل: ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ بدلٌ من ﴿ٱلْوَسِيلَةَ﴾(٣)؛ أي: أيُّهم أقربُ من اللهِ منزلةً فيتوسَّلُون به إلى اللهِ.

﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾(٤)؛ أي: معبودوكم طالِبُو الزُّلفةِ إلى اللهِ وراجُو رحمتِه وخائِفُو عذابِه.

أبو عليٍّ: هم الأنبياءُ الذين ذُكِروا في الآيةِ الأولى؛ أي: أولئك الذين يدعونَ اللهَ. وقيل: يدعونَ النَّاسَ إلى عبادةِ اللهِ يبتغُون إلى ربِّهم الوسيلةَ.

* * *

---

(١) رواه مسلم (٣٠٣٠)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ٦٢٧ ـ ٦٢٩)، دون تسمية خزاعة.

(٢) ﴿ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ على هذا الوجه المدعوُّون. انظر: «غرائب التفسير» (١/ ٦٣٠).

(٣) و﴿ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ على هذا الوجه الداعون. انظر: «غرائب التفسير» (١/ ٦٣٠).

(٤) ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ تأخرت إلى ما بعد قوله: «أولئك الذين يدعون الله» في (د) و(ن)

(٥٨) ـ ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَسْطُورًا﴾.

﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ يعني: عذابَ الاستئصالِ للكفَّارِ في الدُّنيا، ﴿أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا﴾ بالبلايا والشَّدائدِ والقتلِ والجدبِ.

وقيل: ﴿أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا﴾ في القيامةِ.

وقيل: المهلكةُ هي الصَّالحةُ بآجالِهم، والمعذَّبةُ هي الطَّالحةُ(١).

﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَـٰبِ﴾: في اللَّوحِ المحفوظِ ﴿مَسْطُورًا﴾: مُثْبَتاً مكتوباً.

* * *

(٥٩) ـ ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾.

﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ﴾ في سببِ النُّزولِ:

عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما قالَ: سألَ أهلُ مكَّةَ النَّبيَّ عليه السَّلام أن يجعلَ لهم الصَّفا ذهباً، وأن ينحِّي عنهم الجبالَ فيزرعون، فقيل له: إن شئتَ أن نستأنيَ بهم لعلَّنا نجتبِي منهم، وإن شئتَ أن نؤتيَهم الذي سألُوا، فإن كفروا أُهلكوا كما أُهلِك مَن قبلهم، قال: «لا بل استأنِ بهم» فأنزلَ اللهُ هذه الآيةَ: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾(٢)؛ أي: ما مَنَعنا إرسالَ الآياتِ التي اقترحُوها

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٣١)، واستغربه.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٣٣٣)، والنسائي في «الكبرى» (١١٢٢٦)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ٦٣٥)، والحاكم في «المستدرك» (٣٣٧٩). وجاء في رواية أحمد والنسائي: «بل أستأني بهم»، وعند الطبري: «بل تستأني بهم»، ولم ترد العبارة في رواية الحاكم. وأيضاً جاء في رواية النسائي: «لعلنا نَنْتَج منهم»، وعند الطبري: «لعلنا نجتني منهم»، وفي رواية الحاكم: «لعلنا =

إلَّا علمْنا أنَّهم يكذِّبون رسولي كما كذَّبَ الأوَّلون رسلَهم فأهلكنَاهم؛ لأنَّ سُنَّتنا مضَت بإهلاكِ مَن كذَّبَ بالآياتِ المقترَحةِ، فيجبُ إهلاكُ قومك، وقد قضيتُ أنْ لا أستأصلَ أُمَّتَك؛ لأنَّ منهم مَن يؤمنُ أو يلدُ مؤمناً، ثمَّ ذكرَ من الأممِ المُهلَكةِ باقتراحِ الآياتِ وتركِ الإيمانِ بها أمَّةَ صالحٍ.

قولُه تعالى: ﴿أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ﴾ في موضعِ المفعولِ الثَّاني ﴿أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ رفعٌ بالفاعلِ، والباءُ في قولِه: ﴿بِٱلْـَٔايَـٰتِ﴾ زيادةٌ[1]، ويجوزُ أن يكونَ حالاً والمفعولُ محذوفٌ[2].

﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ﴾ بسؤالِهم واقتراحِهم ﴿مُبْصِرَةً﴾ آيةً بيِّنةً ظاهرةً خرجَت من صخرةٍ صَلْدةٍ حاملاً كما اقترحوا.

وقيل: ﴿مُبْصِرَةً﴾: مُتضمِّنةً لبصائرَ[3] في الدِّين لمن استبصرَ.

وقيل: ﴿مُبْصِرَةً﴾ يُبصَرُ بها كـ«ليلةٍ نائمةٍ»: يُنامُ فيها، و«يومٍ صائمٍ» يُصامُ فيه[4].

وقيل: ﴿مُبْصِرَةً﴾: جاعلةً إيَّاهم ذوي بصائر.

﴿فَظَلَمُوا۟ بِهَا﴾ قيل: فكفروا[5] بعقرِها؛ أي: بسببِ عقرِها.

= نستحيي منهم»، ولم ترد العبارة في رواية أحمد. والحديث إسناده صحيح.

(١) و(الآيات) اسم مجرور لفظاً منصوب محلًا على أنه مفعول به للفعل (نرسل).

(٢) قوله: «ويجوزُ أن يكونَ حالًا والمفعولُ محذوفٌ»؛ أي: الباء في «بالآيات» باء الحال، أي: وما منعنا إرسالَ الرسل ملتبسين بالآيات. أو: وما منعنا إرسال رسولنا ومعه الآيات. انظر: «الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد» للمنتجب الهمذاني (٤/ ٢٠٠)، و«إعراب القرآن» للباقولي (١/ ٢٦٨).

(٣) في (و): «البصائر».

(٤) فهو على سبيل السعة في الكلام، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٣١)، واستغربه. وانظر: «الكتاب» (١/ ١٦٠)، و«المقاصد الشافية» للشاطبي (٣/ ٣٤٥).

(٥) في (و) و(ن): «وكفروا»، والمثبت من (ط)، وهو الأظهر؛ لأن المصنف جعل الفعل (ظلموا) =

وقيل: فظلموا أنفسَهم بعقرِها.

ويحتملُ: فظلموها، والباء زائدةٌ؛ لأنَّ الله حرَّم قتلها فعقرُوها[1].

﴿وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَٰتِ﴾ يريدُ: المعجزاتِ لا المقترَحاتِ.

وقيل: الآياتُ: القرآنُ.

الحسنُ: الموتُ الذَّريعُ[2].

ابن جريرٍ: العِبَرُ[3].

﴿إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ للعبادِ؛ ليُؤمنوا أو يتذكَّروا.

* * *

(٦٠) ـ ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا﴾.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ﴾ ابن عبَّاسٍ: أحاطَ علمُه بهم[4].

الفرَّاءُ في جماعةٍ: ﴿أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ﴾ بأهلِ مكَّةَ، وإنَّها ستُفتحُ لك[5].

= مضمناً معنى: كفروا؛ لأنه عُدِّي بالباء. وانظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٣٨٤)، و«درج الدرر» للجرجاني (٣/ ١١١٢).

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٣١)، واستغربه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٦٣٨ ـ ٦٣٩).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (١٤/ ٦٣٨).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٣٦٩)، وهو عند السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٣١٨) عن الكلبي. فلعله مما رواه الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٢٦)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٣٦٩) عن الفراء ومقاتل. وقد جاء في (ن) و(و): «وإنّما ستُفتحُ لك» وهو تحريف.

وقيل: معناه: النَّاسُ في قبضتِه وهو مانِعُكَ منهم، فلا تبالِ بهم وبلِّغْ ما أُرسلتَ به(١).

والحَوطُ: الحفظُ، وتحوَّطه: تعهَّده، وأحاطَ واحتاطَ: أَحْدَقَ، وحوَّط حائطاً.

﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ جمهورُ المفسِّرين على أنَّ هذه الرُّؤيا رؤيا عينٍ، وهي ليلةُ الإسراءِ من مكَّةَ إلى المسجدِ الأقصى إلى سِدرةِ المنتهى إلى حيثُ عَلِمَ اللهُ(٢)، وصارتْ فتنةً للنَّاسِ فارتدَّ قومٌ لمَّا سمعوا ذلك وصدَّقه الآخرون ممَّن أسلمَ.

وعن ابنِ عبَّاسٍ أيضاً: أنَّها رُؤيا منامٍ؛ رأى أنَّه يدخلُ مكَّة. ويُقوِّيه قولُه: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾ [الفتح: ٢٧].

ومعنى الفتنةِ على هذا القولِ: أنَّه لمَّا رجعَ من الحديبيةِ اشتبَهَ على كثيرٍ منهم وجهُ الأمرِ، حتَّى قالَ أبو بكرٍ رضي الله عنه: أقالَ لكم: تدخلُونها في هذه السَّنةِ؟ قالوا: لا، قالَ: فستدخلونَها من بعدُ لا محالةَ على ما أخبرَ(٣).

وعن سعيدِ بن المسيِّبِ: أنَّها رؤيا منامٍ، وهو أنَّه عليه السَّلام رأى قِردةً يَنْزون على منبرِه(٤) نزوَ القِردةِ فساءه ذلك، فقال: «هو حظُّهم في الدُّنيا يُعطَوْنه من الدُّنيا

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٦٤٠) عن قتادة، وبنحوه عن الحسن ومجاهد وعروة بن الزبير.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٦٤١ ـ ٦٤٥) عن ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن ومسروقٍ وأبي مالك وإبراهيم النخعي وقتادة ومجاهدٍ وغيرِهم. وقول ابن عباس عند البخاري (٣٨٨٨) و(٤٧١٦).

(٣) تفسير الآية بقصة الحديبية رواه عن ابن عباس رضي الله عنهما الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٦٤٥) دون كلام أبي بكر، وهذه قطعة من حديث صلح الحديبية الطويل الذي رواه البخاري (٢٧٣١) عن مروان بن الحكم ومسور بن مخرمة.

(٤) بعدها في (ن): «وينزون عليه».

بإسلامهم»[١]، ومعنى الفتنةِ على هذا: ما كان في ذلك الوقتِ.

وقيل: هو مِن قوله: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾ [الأنفال: ٤٣] وهذا أبعدُ الوجوهِ[٢].

﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾ وهي عطفٌ على ﴿ٱلرُّءْيَا﴾، وهي عند الجمهورِ شجرةُ الزَّقُّومِ التي ذُكرت في قولِه: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٦٤]، وذكروا أنَّه[٣] لمَّا نزلت في الزَّقُّوم هذه الآيةُ قال أبو جهلٍ وأكابرُ قريش: ما نعرفُ الزَّقُّوم إلَّا أكلَ التَّمرِ بالزُّبدِ، فجعلوا يأكلون التَّمرَ بالزُّبدِ ويقولون: تَسارَعْنا إلى ما تَوَعَّدَناه محمَّدٌ في النَّار[٤]؛ استهزاءً.

---

(١) رواه أبو القاسم الكعبي البلخي في «قبول الأخبار ومعرفة الرجال» (١/ ٢٢٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٣٦)، والثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٣٨١)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ٥٠٩)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٧/ ٣٤١)، جميعهم من طريق علي بن زيد، عن سعيد بن المسيب في قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ قال: رأى ناسًا من بني أمية على المنابر، فساءه ذلك، فقيل له: إنما هي دنيا يعطونها، فسري عنه.

وفي رواية: رأى النبيُّ ﷺ بني أميةَ على منبره فساءه ذلك، فأُوحيَ إليه: أنما هي دنيا أُعطُوها، فَقَرَّتْ عينُه. وهي قولُه تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾. وإسناده ضعيف لضعف علي بن زيد.

(٢) وقد عده المصنف من العجائب، وعدَّ الذي قبله عن ابن المسيب من الغريب. انظر: «غرائب التفسير» (١/ ٦٣١ ـ ٦٣٢).

(٣) في (و): «أنها».

(٤) رواه بنحوه عن ابن عباس الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٦٤٨)، وإسناده ضعيف، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ١٤٦) دون عزو. وروى الإمام أحمد في «المسند» (٣٥٤٦)، والنسائي في «الكبرى» (١١٤٢٠) بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما: «وقال أبو جهلٍ: أَيُخَوِّفُنا محمد بشجرة الزَّقُّوم؟ هاتوا تَمرًا وزُبْدًا فتزقَّموا».

وقد كثر في كتب التفسير نحو هذا الخبر عن ابن عباس وقتادة والسدي وغيرهم في الآيات التي ذكر فيها الزقوم والشجرة.

وعن ابنِ عبَّاسٍ: أنَّها الكَشُوثُ الذي يلتوي على الشَّجرةِ(١).

وقيل: هم(٢) اليهودُ، وقيل: هي قبيلةٌ من العربِ(٣).

وقيل في ﴿ٱلْمَلْعُونَةَ﴾ أقوالٌ:

أحدها: أنَّها لمَّا أَشْبَهَ طلعُها رؤوسَ الشَّياطين، والشَّيطانُ ملعونٌ، كانت الشَّجرةُ ملعونةً.

والثَّاني: أي: آكِلُها ملعونٌ، فأجرى اللَّعنةَ عليها.

والثَّالث: سُمِّيت ملعونةً لضررها، والعربُ تُسمِّي كلَّ ضارٍّ ملعوناً.

ومَن حملها على اليهودِ فظاهرٌ، ومَن حملها على القبيلةِ ففيه نظرٌ والله أعلم، والعهدةُ على الرَّاوي في هذه الآيةِ وفي أمثالها.

﴿وَنُخَوِّفُهُمْ﴾ بالنَّار وما فيها ﴿فَمَا يَزِيدُهُمْ﴾ التَّخويفُ ﴿إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا﴾: كفراً ومجاوزةَ حدٍّ في الطُّغيان.

* * *

(٦١) - ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ﴾ سبقَ تفسيرُه، وقوله: ﴿ءَأَسْجُدُ﴾ استفهامُ إنكارٍ ﴿لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾؛ أي: خلَقْتَه مِن الطِّينِ، فهو نصبٌ بتعدِّي الفعلِ بعد حذفِ الواسطةِ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٦٥١ - ٦٥٢). و«الكشوث» بالثاء المثلثة: نبت يتعلق بأغصان الشجر من غير أن يضرب بعرق في الأرض. انظر: «الصحاح» مادة: (ك ش ث).

(٢) أي: المراد بالناس.

(٣) وجعله المصنف من العجائب، والذي قبله من الغريب. انظر: «غرائب التفسير» (١/ ٦٣٢).

الزَّجَّاجُ: نصبٌ على الحالِ؛ أي: في حالِ كونه طيناً، وقال الزجَّاجُ أيضاً: هو نصب على التَّمييزِ(١).

* * *

(٦٢) ـ ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴾.

﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ ﴾؛ أي: كرَّمته عليَّ، والمعنى: فضَّلْتَه عليَّ بإسجادِ الملائكةِ.

الزَّجَّاج: ﴿أَرَءَيْتَكَ﴾ في معنى: أخبرني، والكافُ لا موضعَ له من الإعرابِ، والجوابُ محذوفٌ؛ أي: أخبرني عن هذا الذي كرَّمتَ عليَّ لِمَ كرَّمتَ عليَّ وقد خلقتني من نارٍ وخلقتَه من طينٍ، فحُذفَ لأنَّ في الكلامِ دليلاً عليه(٢).

﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾؛ أي: أخَّرتَ إماتتي وتركْتَني حيًّا، ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا﴾؛ أي: أُضلَّنَّهم، اللَّامُ الأُولى لامُ توطئةِ القسمِ، والثَّانيةُ لامُ جوابِ القسمِ، و(أَحْتَنِكَنَّ) عند بعضهم: مِن حَنَكْتُ الدَّابَّةَ واحتَنكْتُها: إذا جعلتَ في حنكها الأسفلِ حبلاً تَقودُها به، وعند بعضهم: مِن احتنكَتِ الجرادُ الأرضَ: إذا أكلتْ نباتَها، قال:

أَشْكُو إِلَيْكُمْ سَنَةً قَدْ أَجْحَفَتْ
وَاحْتَنَكَتْ أَمْوَالَنَا وجَلَّفَتْ(٣)

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٤٩).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٤٩). وقد تقدم الكلام على معنى ﴿أرأيت﴾ في تفسير قوله تعالى ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ﴾ [لأنعام: ٤٠]، وانظر: «غرائب التفسير» (١/ ٣٥٩).

(٣) الرجز في «مجاز القرآن» (١/ ٣٨٤)، و«تفسير الطبري» (١٤/ ٦٥٤)، و«معاني القرآن» للزجاج =

وقيل: هو مِن حَنكتُ الصَّبيَّ واحتنكتُه[١]: إذا جعلتَ في حنكِه حلاوةً[٢].

﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ وهم المخلِصون من عبادِ اللهِ.

***

(٦٣) ـ ﴿قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا﴾.

﴿قَالَ ٱذْهَبْ﴾ هذا طردٌ وإبعادٌ وليس فيه مجيءٌ ولا ذهابٌ، وقيل: تباعَدْ عن جملةِ أوليائي بعد أن عصيتَ[٣] ﴿فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ﴾؛ أي: جزاؤهم وجزاؤكَ، وغلَّبَ المخاطبُ على الغائبِ[٤]. ﴿جَزَآءً مَّوْفُورًا﴾ متمَّماً مكمَّلاً، المبرِّد: لا يُعزلُ عنهم من عذابِهم شيءٌ، تقولُ: وَفَرْتُ الشَّيءَ فوفَر، لازمٌ ومتعدٍّ[٥]، قال الشَّاعرُ:

وَمَنْ يَجْعَلِ المَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ ... يَفِرْهُ وَمَنْ لا يَتَّقِ الشَّتْمَ يُشْتَمِ[٦]

= (٣/ ٢٤٩). وقال الأستاذ محمود شاكر في تعليقه على «تفسير الطبري»: «هذه أبيات ثلاثة من مشطور الرجز، من الأرجوزة السادسة في بقية «ديوان الزفيان السعدي» (عطاء بن أسيد الراجز)، وهي ملحقة بـ«ديوان العجاج» المطبوع في ليبزج سنة (١٩٠٣) (ص: ٦٥)، مع اختلاف في رواية بعضها. ومعنى أجحفت: أضرت بنا، ومعنى جلفت: قشرت، والأبيات شاهد على أن الاحتناك معناه الاستئصال».

(١) قوله: «واحتنكته» ليس في (و). وفي «الصحاح» مادة: (ح ن ك): وحَنَكْتُ الصبيَّ وحنَّكْتُه: إذا مضَغْتَ تمراً أو غيره ثم دَلَكْتَهُ بحَنَكِه. والصبيُّ مَحْنوكٌ ومُحَنَّكٌ، ولم أقف على مَن ذكر (احتنك) بمعنى حنَّك، والله أعلم.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٣٣)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٣٣)، واستغربه.

(٤) مع أن المخاطب واحد، والغائب جمع، وقد تقدم بيان المصنف أن الغلبة للخطاب في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٩١].

(٥) انظر: «الفائق في غريب الحديث» للزمخشري (٢/ ٣٩٤).

(٦) البيت من معلقة زهير. انظر: «شرح القصائد السبع» لابن الأنباري (ص: ٢٨٧)، و«شرح المعلقات» =

وقيل: (موفورٌ) بمعنى: وافرٍ.

***

(٦٤) - ﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾.

﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ ﴾: أَزْعِجْه، وأصلُ الفزِّ: القطعُ، ومنه تفزَّزَ الثَّوبُ: إذا تَخَرَّقَ(١)، وفزَزْتُه: قطعْتُه.

الزَّجَّاجُ: استَدْعِهم استدعاءً يحملُهم إلى إجابتكَ(٢).

قطربٌ: استخِففْ(٣)، مِن الخِفَّة.

ابن جريرٍ: استجهل(٤).

﴿بِصَوْتِكَ ﴾ ابن عبَّاسٍ: بدعائكَ إيَّاهم إلى طاعتكَ(٥).

مجاهدٌ: هو الغناءُ واللَّهوُ واللَّعبُ(٦).

ابن جريرٍ: كلُّ صوتٍ دعا إلى الفسادِ فهو من صوتِ الشَّيطانِ(٧).

﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ ﴾: صِحْ عليهم، وأصله: الجَلَبَةُ، وهي شدَّةُ الصَّوتِ.

= للزوزني (ص: ١٩٤)، و«البسيط» للواحدي (١٣/ ٣٨٩).

(١) في (و): «تقطع».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٥٠) ولفظه: «استدعهم استدعاءً تستَخِفُّهم به إلى إجابتك».

(٣) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٣٨٤)، ولفظه: «استخفف واستجهل».

(٤) انظر: «تفسير الطبري» (١٦/ ٦٥٦) ولفظه: «استخفف واستجهلْ».

(٥) انظر: «تفسير الطبري» (١٦/ ٦٥٧).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٦٥٧).

(٧) انظر: «تفسير الطبري» (١٦/ ٦٥٨).

والمعنى: أُحثُثْهم عليه[١] بالإغواءِ والدُّعاءِ إلى طاعتكَ والصَّدِّ عن طاعتي بركبانكَ، ﴿وَرَجِلِكَ﴾: مُشاتِكَ.

قتادةُ: للشَّيطانِ خيلٌ ورَجِلٌ من الجنِّ والإنسِ، وهم الذين يُطيعونه[٢].

وقيل: كلُّ راكبٍ وماشٍ في معصيةِ اللهِ فهو من أصحابِ إبليسَ.

الفرَّاءُ: خيلِ المشركين ورجالِهم[٣].

الزَّجَّاج: هذا مَثَلٌ، والمعنى: اجمعْ عليهم كلَّ ما تقدرُ عليه من مكائدكَ[٤].

أبو عليٍّ: ليس للشَّيطان خيلٌ ولا رجلٌ ولا هو مأمورٌ، إنَّما هو زجرٌ واستخفافٌ به[٥]، كما تقولُ لمن تُهدِّده: اذهبْ فاصنعْ ما بدا لكَ، واستَعِنْ بمَن شئتَ[٦].

﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ﴾ قيل: هو الرِّبا.

وقيل: البَحِيرةُ وأخواتُها.

وقيل: ما ذُبحَ للأصنامِ.

وقيل: كلُّ مالٍ يُعصَى اللهُ فيه.

﴿وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ قيل: هم أولادُ الزِّنى.

وقيل: الموءودةُ.

---

(١) في (ن): «عليهم».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٦٥٨ ـ ٦٥٩).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٢٧).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٥٠).

(٥) «به»: ليست في (ط)، ولعله أنسب.

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٣٣)، وعدَّه من العجائب، وذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٧/ ٨٠).

وقيل: هو تهويدُهم وتنصيرُهم وتمجيسهم.

وقيل: هو تسميتُهم أولادَهم عبدَ العزَّى وعبدَ اللَّاتِ وعبدَ شمسٍ وعبدَ الحارثِ.

وقيل: أن يستعملوا أولادَهم في معصيةِ اللهِ.

﴿وَعِدْهُمْ﴾؛ أي: عِدْهم بالمواعيدِ الباطلةِ، وقيل: منِّهم.

﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ يغترُّهم[1] به، والغرورُ: تزيينُ الخطأِ بما يُوهم أنَّه صوابٌ.

* * *

(٦٥) ـ ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾.

﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾: إنَّ عبادي الذين خلقتُهم لجنَّتي ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ على أن تُضلَّهم أو تحملَهم على ذنبٍ لا يُغفر.

وقيل: لا سبيلَ لك على عبادي سوى وسوستِكَ لهم في الدُّعاءِ إلى المعاصي[2].

ابن جريرٍ: إنَّ عبادي الذين أطاعوني وعصوكَ ليس لك عليهم حجَّةٌ[3].

﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾: حافظاً وناصراً.

* * *

(٦٦) ـ ﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾.

﴿رَّبُّكُمُ﴾؛ أي: خالقُكم الذي يستحِقُّ العبادةَ ﴿ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى

---

(١) في (و): «يعتريهم».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٣٤)، واستغربه.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (١٦/ ٦٦٦)، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٣٤)، واستغربه.

﴿ٱلْبَحْرِ﴾: يُجريه على سَنَنٍ؛ ﴿لِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾: لتطلبوا الرِّبحَ في التِّجارةِ، وقيل: لتنالوا ما ليس عندكم ممَّا تفضَّلَ اللهُ بخَلْقه لكم.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ﴾: بالمؤمنين ﴿رَحِيمًا﴾.

***

(٦٧) - ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾.

﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ﴾: عصوفُ الرِّياحِ وخوفُ الغرقِ ﴿ضَلَّ﴾ بطلَ وزالَ، وقيل: غابَ ﴿مَن تَدْعُونَ﴾ من الآلهةِ ﴿إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ لم تدعو في تلك الحالةِ إلَّا الله، وقيل: نسيتم كلَّ معبودٍ لكم وذهبَ عنكم ذكْرُه إلَّا الله.

﴿فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ﴾ من الغرقِ ﴿إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾ عن الإيمانِ والتَّوحيدِ.

وقيل: ﴿أَعْرَضْتُمْ﴾: اتَّسعْتُم في كفرانِ[1] النِّعمةِ، قال ذو الرُّمَّة:

عَطَاءُ فَتًى تَمَكَّنَ فِي المَعَالِي[2] ... فَأَعْرَضَ فِي الْمَكَارِمِ واسْتَطَالَا[3]

وقيل: هو العدولُ عن السَّنَن.

﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾: جَحوداً نِعَمَ ربِّه.

---

(١) في (و): «أعرضتم من العرض اتسعتم من كفران».

(٢) في (م): «المعاصي».

(٣) انظر: «ديوان ذي الرمة» (٣/ ١٥٤٩)، و«المنجد» لكراع النمل (ص: ١٢٩)، و«أمالي القالي» (١/ ١٢١)، و«المحكم» (١/ ٣٩٣). ورواية «الديوان»:

تبوَّأ فابْتَنَى وبَنَى أبوه ... فأَعْرَضَ في المكارم واستطالا

وهذا القول ذكره المصنف في: «غرائب التفسير» (١/ ٦٣٤)، واستغربه.

(٦٨) - ﴿ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴾.

﴿ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ ﴾: يدخِلكم في الأرضِ كما فعلَ بقارونَ، وجانبُ البر: ناحيةٌ من الأرضِ.

وقيل: جانبُ البر: ساحلُ البحرِ.

﴿أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ﴾: حجارةً من السَّماءِ كما فَعَل بقومِ لوطٍ.

وقيل: الحاصبُ: الرِّيحُ التي تأتي بالحصباءِ.

﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴾: مَن يحفظُكم ويخلِّصُكم.

* * *

(٦٩) - ﴿ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴾.

﴿ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾؛ أي: يُلجئكم إلى ركوبِ البحرِ مرَّةً أخرى.

قطربٌ: أَتَرْتُه: جئتُ به تارةً؛ أي: أَعَدْتُه(١).

﴿فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ ﴾ هي التي تَقْصِفُ كلَّ شيءٍ؛ أي: تكْسِره.

﴿فَيُغْرِقَكُم ﴾ اللهُ ﴿بِمَا كَفَرْتُمْ﴾ بسببِ كفركم به ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ﴾: بالإغراقِ، وقيل: بالإرسالِ، وقيل: يعودُ إليهما.

﴿تَبِيعًا﴾ أبو عبيدةَ: مُطالباً(٢).

---

(١) انظر: «المجموع المغيث» لأبي موسى المديني (١/ ٢٤٦)، وفيه: «قَولُه تَعالى: ﴿تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [الإسراء: ٦٩]؛ أي: مَرَّةً. وأترتُه: فَعلتُه مَرَّةً بعد أُخرى، وتَاوَرْتُه فهما يَتَتَاوران، إذا فعل هذا مَرَّةً وذاك أخرى». وجعل المؤلف قول قطرب من الغريب. في: «غرائب التفسير» (١/ ٦٣٤).

(٢) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٣٨٥)، ولفظه: «﴿تَبِيعًا ﴾؛ أي: مَن يتبعنا لكم تبيعة ولا طالباً لنا بها».

الزَّجَّاج: مَن يَتْبَعُنا بإنكارِ ما نزلَ بكم، ولا مَن يَتْبَعُنا ليَصْرِفه عنكم(١).

الفرَّاء: طالباً ثائراً(٢).

ابن عبَّاسٍ: نَصيراً(٣).

وقيل: مَن يَطْلُبُنا بدمائكم.

* * *

(٧٠) ـ ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾.

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾: شرَّفناهم، وقيل: أكثَرْنا لهم الكرامةَ، وقيل: نَسَبْناهم إلى الكَرَم.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: كلُّ شيءٍ يتناولُ مأكولَه بفِيه من الأرضِ إلَّا بني آدمَ فإنَّه يرفعُه بيده(٤).

الضَّحَّاك: بالنُّطقِ والتَّمييز.

عطاءٌ: بتعديلِ القامةِ وامتدادها.

وعن ابنِ عبَّاسٍ أيضاً: بالعقلِ.

محمَّد بن كعبٍ: بأنْ جَعَلْنا محمَّداً عليه السَّلام منهم(٥).

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٥٢).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٢٧)، ولفظه: «ثائرًا وطالبًا؛ فـ(تبيع) في معنى: تابع».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٦٧١ ـ ٦٧٢).

(٤) رواه ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه في تفاسيرهم كما في «الدر المنثور» (٥/ ٣١٦)، والبيهقي في «الشعب» (٥٨٤١).

(٥) ذكر هذه الأقوال الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٣٩٢)، والواحدي في «البسيط» (١٣/ ٤٠٢)، =

ابن جريرٍ: بتسليطِهم على غيرهم[١].

وقيل: بحسنِ الصُّورة.

وقيل: الرِّجالُ باللِّحى، والنِّساءُ بالذَّوائبِ.

وقيل: بالخطِّ[٢].

هذا ما ذكره المفسِّرون، وما خصَّ الله بني آدمَ من بين المخلوقاتِ كثيرٌ جدًّا.

﴿وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾؛ أي: في البرِّ على الدَّوابِّ، وفي البحرِ على السُّفنِ، تقول: حملتُه حُملاناً وحَملاً: إذا جعلتَ له ما يركبُه من دابَّةٍ وغيرها، وقد سبقَ في قوله: ﴿مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ [التوبة: ٩٢].

﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾: المستلَذَّاتِ.

مقاتلٌ: السَّمنُ والزُّبدُ والتَّمرُ والملاذُّ[٣]. وقيل: الحلالاتِ. وقيل: كسبُ يده، حكاه أقضى القُضاةِ[٤].

﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ قيل: الاستثناءُ للملائكةِ. وقيل: جبريلَ وميكائيلَ وعزرائيلَ وإسرافيلَ عليهم السَّلام. وقيل: المرادُ بالكثيرِ الكلُّ؛ كقوله: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٣]؛ أي: كلُّهم.

= والبغوي في «تفسيره» (٥/ ١٠٨)، وقول محمد بن كعب ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٣٥)، واستغربه.

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٦/ ٦٧٢ ـ ٦٧٣).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٣٥)، وعدَّه من العجائب.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٣٩٣)، والواحدي في «البسيط» (١٣/ ٤٠٢)، والبغوي في «تفسيره» (٥/ ١٠٨).

(٤) انظر: «النكت والعيون» للماوردي (٣/ ٢٥٨)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٣٦)، واستغربه.

ويحتمِلُ: وفضَّلنا[1] كثيراً منهم على مَن خَلَقْنا، على القلبِ، فيكونوا الأنبياءَ والأولياءَ، فإنَّهم فُضِّلوا على الملائكة، واللهُ أعلمُ.

ومعنى ﴿فَضَّلْنَاهُمْ﴾؛ أي: بالغلبةِ والاستيلاءِ.

وقيل: بالثَّواب والجزاءِ يومَ القيامةِ؛ ولهذا ذهبَ بعضُ النُّحاةِ إلى أنَّ قوله: ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ﴾ منصوبٌ بقوله: ﴿فَضَّلْنَاهُمْ﴾؛ والتَّقدير: نُفضِّلهم.

والفرقُ بين التَّكريمِ والتَّفضيلِ: أنَّ التَّفضيلَ يستدعي آخرَ مفضولاً بخلافِ التَّكريمِ، وذكرَ المفسِّرون عن زيدِ بنِ أسلمَ قال: قالت الملائكةُ: ربَّنا إنَّك أعطيتَ بني آدمَ الدُّنيا يأكلون فيها ويتنعَّمون، ولم تُعطِنا ذلك فأعطناه في الآخرةِ، فقال: وعزَّتي وجلالي لا أجعلُ ذرِّيَّةَ مَن خلقتُ بيدي كمَن قلتُ له: كن، فكانَ[2].

***

(٧١) ـ ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾.

﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ مجاهدٌ: نبيِّهم[3].

الضَّحَّاكُ وابن زيدٍ: بكتابهم[4].

---

(١) في (ن) و(و): «وفضلناهم»، والمثبت من من (ط) و«غرائب التفسير» (١/ ٦٣٦)، وهو الأنسب بالسياق.

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٥٩٢)، ومن طريقه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥).

وله شاهد رواه الطبراني في «مسند الشاميين» (٥٢١)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٦٨٩) عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «لما خلق الله آدم وذريته قالت الملائكة: يا رب، خلقتهم يأكلون ويشربون وينكحون ويركبون فاجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة...» الحديث. ورواه البيهقي في «الشعب» (١٤٩) وقال: في ثبوته نظر.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٦) عن مجاهد وقتادة.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٧ ـ ٨) عن الضحاك ومجاهد، ورواه عن ابن زيد بلفظ: «بكتابهم الذي أنزل عليهم فيه أمر الله ونهيه وفرائضه، والذي عليه يحاسبون».

فعلٌ ثلاثيٌّ كعَمِي وحَوِلَ وعَوِرَ[1]، وما لم يكنْ له فعلٌ ثلاثيٌّ كالحُمرة والبياضِ والسَّواد فلا.

***

(٧٣) ـ ﴿ وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴾.

﴿ وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ ﴾ في سببِ النُّزولِ:

عن ابنِ عبَّاس رضي الله عنهما: أنَّها نزلت في وفدِ ثَقيفَ، أتَوا رسولَ اللهِ عليه السَّلام فقالوا: متِّعْنا باللَّات سنةً وحرِّمْ وادينا كما حرَّمتَ مكَّة، فإنَّا نُحبُّ أن تعرفَ العربُ فضلَنا عليهم، فإن خشيتَ أن تقولَ العربُ: أعطيتَهم ما لم تُعطِنا، فقل: اللهُ أمرني بذلك، وأقبلوا يُلحُّون على النَّبيِّ عليه السَّلامُ، فأمسكَ رسولُ اللهِ عليه السَّلامُ عنهم وقد همَّ أن يُعطيَهم ذلك، فأنزلَ اللهُ هذه الآيةَ[2].

---

(١) المشهور خلاف هذا، وأن صحة حرف العلة في هذه الأفعال دليل على أن معنى (عور) مثلًا: اعورَّ، وأنه بحكم الزائد على ثلاثة أحرف. انظر: «الإيضاح» لأبي علي (ص: ٩٣)، و«الخصائص» لابن جني (٢/ ٤٤٢).

(٢) ذكره عن ابن عباس بأتم من هذا الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٤٠٨ ـ ٤١٠)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٨٩)، وقال ابن حجر في «تخريج أحاديث الكشاف» (ص: ١٠٠): «ذكره الثعلبي عن ابن عباس من غير سند». وقال العراقي كما في «روح المعاني» (١٥/ ٣٢): «لم نجده في كتب الحديث».

قلت: رواه ابن شبة في «أخبار المدينة» (٨٨٤) عن الكلبي. وقد روي بعضه بإسناد رواته ثقات، فقد روى الإمام أحمد في «المسند» (١٧٩١٣)، وأبو داود (٣٠٢٦)، من طريق الحسن عن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه: أن وَفْدَ ثَقيفٍ لَمَّا قدمِوا على رسولِ الله ﷺ أنزلَهم المسجدَ ليكون أرقَّ لقلوبهم، فاشترطوا عليه أن لا يُحْشَروا ولا يُعْشَرُوا ولا يُجَبُّوا، فقال رسولُ الله ﷺ: «لكم أن لا تُحشَروا ولا تُعشَروا، ولا خيرَ في دِين ليس فيه ركوعٌ». ورجاله ثقات، إلا أن في سماع الحسن ـ وهو البصري ـ من عثمان بن أبي العاص اختلافاً، ويُثبت سماعه منه ما أورده البخاري في «التاريخ =

وعن سعيدِ بنِ جُبيرٍ: قال المشركون للنَّبيِّ عليه السَّلامُ: لا نَكُفُّ عنكَ ولا نمكِّنُكَ من استلامِ الحجرِ إلَّا أن تُلِمَّ بآلهتنا وتمسَّها بيدكَ ولو بطرفِ إصبعكَ، فقال عليه السَّلامُ: «ما عليَّ لو فعلتُ واللهُ يعلمُ إنِّي لكارهٌ» فأنزلَ اللهُ: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ﴾[1].

قتادةُ: ذُكر لنا أنَّ قريشاً خلَوا برسولِ اللهِ عليه السَّلامُ ذاتَ ليلةٍ إلى الصُّبحِ يُكلِّمونه ويفخِّمونه ويسوِّدونه ويقاربونه، وقالوا: إنَّك تأتي بشيءٍ لا يأتي به أحدٌ من النَّاسِ، أنتَ سيِّدُنا وابنُ سيِّدِنا، فما زالوا به حتَّى كادَ يُقاربُهم في بعض ما يريدون، ثمَّ عصمه الله من ذلك وأنزل هذه الآية[2]: ﴿وَإِن كَادُواْ﴾: أرادوا وقارَبوا ﴿لَيَفْتِنُونَكَ﴾: يَصْرِفونكَ ويَسْتنزِلونكَ ﴿عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾: عن القرآنِ وأوامرِ اللهِ ﴿لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ﴾: غيرَ ما أُوحيَ إليكَ.

وقيل: هو قولُهم: قل: اللهُ أمرني بذلكَ.

﴿وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا﴾: لو قلتَ ما قالوهُ وفعلتَ ما أرادوه لأحبُّوكَ.

ابن بحرٍ: لأخذوكَ وأنت إليهم محتاجٌ فقيرٌ[3].

* * *

(٧٤) ـ ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾.

﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ﴾: عصمناكَ ﴿لَقَدْ كِدتَّ﴾: أَرَدْتَ وهَمَمْتَ ﴿تَرْكَنُ﴾: تميلُ ﴿إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾: ركوناً قليلاً.

= الكبير» (٦/ ٢١٢) عن الحسن قوله: «كنا ندخل على عثمان بن أبي العاص».

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٣)، وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٤٢)، وقال: «وهذا باطل».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٣).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٣٨)، واستغربه.

قطربٌ: احتالوا ليقعَ منه همٌّ، ولم يقعْ منه همٌّ ولا غيرُه.

الحسنُ: همَّ[١]، وهذا الهمُّ ممَّا يتجاوزُ اللهُ عنه.

فظاهرُ الآيةِ يدلُّ على أنَّه عليه السَّلام لم يهمَّ؛ لأنَّ ﴿لَوْلَا﴾ يدلُّ على امتناعِ الشَّيءِ لوجودِ غيرِه[٢]، والممتنعُ في الآيةِ إرادةُ الرُّكونِ لوجودِ تثبيتِ اللهِ إيَّاه، واللهُ أعلمُ.

وقال صاحبُ «النَّظم» في قوله: ﴿وَإِن كَادُواْ﴾: إنَّه مِن كاد يكيد؛ أي: احتالُوا ليوقعوكَ في الفتنةِ[٣].

الزَّجَّاج: أرادوا منه أن يطردَ سُقَّاطَ النَّاسِ ومَن رائحته كرائحةِ الضَّأنِ؛ أي: لباسهم الصُّوفُ، فهمَّ بذلكَ، فتوعَّده اللهُ على ذلك أشدَّ التَّوعُّدِ[٤].

***

(٧٥) ـ ﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾.

﴿إِذًا﴾ قوله: ﴿إِذًا﴾ أي: إنْ وقعَ هذا الرُّكون، وهذا أيضاً يدلُّ على أنَّه لم يقع ﴿لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ عذابَ الدُّنيا والآخرةِ، والضِّعفُ من أسماءِ العذابِ، قاله أبو عبيدةَ[٥].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٣٧)، واستغربه، ثم قال: «والوجه هو الأول».

(٢) انظر: «الأصول» لابن السراج (٢/ ٢١١)، و«حروف المعاني والصفات» للزجاجي (ص: ٣).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٣٧)، واستغربه. وكتاب «النظم» هو «نظم القرآن» لأبي علي الحسن بن يحيى بن نصر الجرجاني، وقد تقدمت الإشارة إليه. انظر: «تاريخ جرجان» (ص: ١٨٧)، و«كشف الظنون» (٢/ ١٤٦٧).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٥٤).

(٥) ذكر السجستاني في «غريب القرآن» (ص: ٣١٥): أن الضعف من أسماء العذاب، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٢٢٢) عن مجاهد، وفي «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٣٨٦) «﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ﴾ مختصر، كقولك: ضعف عذاب الحياة وعذاب الممات، فهما عذابان: =

والضِّعف: المِثلُ، وقيل: المثلان، وقد سبقَ[١].

***

(٧٦) ـ ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَاۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ في سببِ النُّزول:

ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: حسدَتِ اليهودُ مقامَ النَّبيِّ عليه السَّلام بالمدينةِ، فقالوا: إنَّ الأنبياءَ إنَّما بُعثوا بالشَّامِ، فإن كنتَ نبيًّا فالْحَقْ بها، فإنَّك إن خرجتَ إليها صدَّقناكَ وآمنَّا بكَ، فوقع ذلك في قلبه لِمَا يحبُّ من إسلامهم، فرحل من المدينةِ مرحلةً، فأنزلَ اللهُ هذه الآيةِ[٢].

عبد الرَّحمن بن غَنْمٍ: إنَّ اليهود أتوا النَّبيَّ عليه السَّلام فقالوا: إن كنتَ صادقاً أنَّك نبيٌّ فالحقْ بالشَّامِ، فإنَّ الشَّامَ أرضُ الحشرِ والنَّشرِ وأرضُ الأنبياءِ، فصدَّق ما قالوا وغزا غزوةَ تبوكَ لا يريدُ بذلك إلَّا الشَّامَ، فلمَّا بلغَ تبوكَ أنزلَ اللهُ عليه ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ﴾[٣].

= عذاب الممات به ضوعف عذاب الحياة»، ولا يظهر منه تفسير الضعف بالعذاب.

(١) في تفسير قوله تعالى: ﴿فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ﴾.

(٢) ذكره عن ابن عباس الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٩٠)، ولعله من رواية الكلبي عن أبي صالح عنه؛ فقد أورده الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٤١١) عن الكلبي. والكلبي متروك.
ورواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٨) من طريق سليمان التيمي عن حضرميٍّ. وحضرمي شيخ بالبصرة، وكان قاصًّا، وقال أحمد: لا أعلم يروي عنه غير سليمان التيمي. قاله في «التهذيب».
وذكره مقاتل في «تفسيره» (٢/ ٥٤٥). ومقاتل متروك.
فهذه الأخبار ليس فيها ما يحتج به، وقد روي لها شاهد لا يفرح به، وهو الحديث الآتي.

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٤١)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٢٥٤)، والثعلبي =

مجاهدٌ وقتادةُ والحسنُ: همَّ أهلُ مكّةَ بإخراجِ النَّبيِّ عليه السَّلام من مكَّة، فأمره اللهُ بالخروجِ، وأنزلَ هذه الآيةَ إخباراً عمَّا همُّوا به[1]: ﴿وَإِن كَادُواْ﴾ ﴿إِنْ﴾ مخفَّفةٌ من الثَّقيلةِ، واللَّام للفرقِ، وتقديره: وإنَّ المشركين كادوا يستفزُّونكَ: يُزعجونك ويستخفُّونكَ ﴿مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ من مكَّة أو المدينةِ على ما سبقَ.

ويُروى عن الحسنِ: يستفزُّونكَ: يقتلونكَ[2].

وقيل: ﴿مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾: أرضِ العربِ.

﴿لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خلفَكَ[3]﴾ بعدكَ، و﴿خِلَٰفَكَ﴾ بمعناه، وقيل: هو مصدرُ خالفَ، والمعنى: بخلافهم إيَّاكَ.

﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ هو مدَّةُ لَبْثِهم إلى يومِ بدرٍ.

وقيل: إلى قتلِ بني قُريظةَ وجلاءِ بني النَّضير.

* * *

= في «تفسيره» (١٦/ ٤١٢). وقال ابن كثير (٥/ ١٠٠): «وفي هذا الإسناد نظر، والأظهر أن هذا ليس بصحيح؛ فإن النبي ﷺ لم يغز تبوك عن قول اليهود، إنما غزاها امتثالاً لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾ [التوبة: ١٢٣]، وقوله تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩]، وغزاها ليقتص وينتقم ممن قتل أهل مؤتة من أصحابه، والله أعلم».

(١) رواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٩) عن قتادة.

(٢) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٧/ ٩٣)، والماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٢٦١).

(٣) قرأ ابن عامر وحفص وحمزة والكسائي ﴿خِلَٰفَكَ﴾، وقرأ الباقون (خَلْفَك) بفتح الخاء وإسكان اللام، انظر: «التيسير» (ص: ١٤١).

(٧٧) ـ ﴿ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴾.

﴿ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ﴾ المبرِّدُ: اسْتَنَّ بهم سُنَّةَ مَن قَبْلَك[1]، كقوله: طيَّ المِحْمَلِ[2]، وتقدير الآية: سُنَّتَنا في أُممِ مَن قد أرسلنا، والدَّليلُ عليه قوله: ﴿وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا﴾: ما حكَمْنا بكونِه[3] ﴿تَحْوِيلًا﴾: تغييراً وتبديلاً.

***

(٧٨) ـ ﴿ أَقِمِ الصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ الَّيْلِ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾.

﴿ أَقِمِ الصَّلَوٰةَ ﴾: أدمْها واثبُتْ عليها ﴿لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾: بعد دلوكِ الشَّمسِ، ومثلُه: لخمسٍ خلونَ، ولعشرٍ خلتْ؛ أي: بَعْدَهما.

ابن عبَّاسٍ في جماعةٍ: دلوكُ الشَّمسِ: زوالُها، والصَّلاةُ المأمورُ بها: الظُّهر[4].

الخليلُ: دلوكُ الشَّمسِ: غروبها[5]، وإليه ذهبَ ابنُ مسعودٍ في جماعةٍ[6].

---

(١) «قبلك» ليس في (ط).

(٢) هو جزء من بيت لأبي كبير الهذلي استشهد به سيبويه في «الكتاب» (١/ ٣٥٩ ـ ٣٦٠) والمراد حمل المصدر على فعل دلَّ عليه أول الكلام، وتمام البيت:

ما إن يمسَّ الأرضَ إلّا مَنْكِبٌ ... منه وحرفُ السَّاقِ طيَّ المحْمَلِ

(٣) في (و): «به».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٥ ـ ٢٧) عن ابن عباس وأبي برزة ومجاهد وقتادة والضحاك والحسن.

(٥) انظر: «العين» (٥/ ٣٢٩).

(٦) رواه عن ابن مسعود عبد الرزاق في «المصنف» (٢٠٩٦)، والطبراني في «الكبير» (٩١٢٧ـ٩١٣٨)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٢ ـ ٢٤)، والحاكم في «المستدرك» (٣٣٨٢). وروي عن ابن عباس أيضاً، رواه ابنُ أبي شيبة في «المصنف» (٦٢٧٤)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٣ ـ ٢٤).

أبو عبيدةَ: دلوكُها: مِن عند زوالها إلى اللَّيلِ[١].

الزَّجَّاج: دلوكُها: زوالُها للظُّهر وميلُها للغروبِ[٢].

ابنُ عيسى: اشتقاقُه من: دلَكْتُ الشَّيءَ؛ لأنَّ النَّاظر إليها يَدْلُكُ عينيه في تبصُّرها ليدفعَ شعاعَها[٣].

قوله: ﴿إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ﴾: إلى ظُلمةِ اللَّيلِ.

مجاهدٌ: غَسَقُ اللَّيلِ: غروبُ الشَّمسِ[٤].

ابن جريرٍ: غَسَقُ اللَّيْلِ: إقبالُه ودنوُّه بظلامه[٥].

ابنُ عيسى: ظهورُ الظَّلامِ، يُقال: غَسَقتِ القَرْحةُ: إذا انفجرَتْ وظهرَ ما فيها، و﴿إِلَىٰ غَسَقِ[٦] ٱلَّيۡلِ﴾ يريدُ: صلاةَ المغربِ والعشاءِ الآخرةِ.

وقيل: غَسَقُ اللَّيْلِ صلاة العصرِ.

﴿وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ﴾ عطفٌ على ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾؛ أي: أَقِمِ القرآنَ، وهو صلاةُ الفجرِ.

المبرِّدُ: أقمِ القرآنَ لصلاةِ الفجرِ[٧].

الأخفشُ: نصبٌ على الإغراءِ[٨].

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٣٨٧). وفيه: «إلى أن تغيب».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٥٥).

(٣) ذكر نحوه الرازي بلا نسبة في «تفسيره» (٢١/ ٣٨٣).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣١).

(٥) انظر: «تفسير الطبري» (١٥/ ٣٠).

(٦) في (و): «صلاة».

(٧) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٣٨)، وعدَّه من العجائب.

(٨) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (٣/ ٢٥٥)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٣٨)، واستغربه.

﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ تشهدُه ملائكةُ اللَّيلِ وملائكةُ النَّهارِ، وفي الخبرِ: «يشهدُه اللهُ سبحانه ثمَّ ملائكةُ اللَّيلِ والنَّهارِ»(١).

ابن بحرٍ: هذا للتَّرغيبِ في حضورِ المساجدِ لها وشهودِ الجماعة لأجلها.

***

(٧٩) - ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾.

﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ ﴾: استيْقِظْ، هجَدَ: نامَ، وتهجَّد: استيقَظَ، ومثلُه: حنَثَ وتحنَّثَ، والتَّهجُّد: تركُ النَّومِ للصَّلاةِ، فإنْ لم يُصلِّ فليسَ بتهجُّدٍ.

قوله: ﴿بِهِۦ﴾ أي: بالقرآنِ.

﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾ فإنَّ اللهَ قد غفرَ لكَ ما تقدَّم من ذنبكَ وما تأخَّرَ.

وقيل: ﴿نَافِلَةً﴾ لا فرضاً، والنَّافلةُ: ما ليس بواجبٍ.

وقيل: ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾: غنيمةً لكَ.

ابن عيسى: النَّافلةُ: فعلُ ما فيه الفضيلةُ، وكان في حقِّه فرضاً فنُسِخَ(٢).

---

(١) رواه الدارمي في «الرد على الجهمية» (٥٩)، وابن أبي شيبة في «العرش» (٨٦)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٤)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٤٦)، والطبراني في «الأوسط» (٨٦٣٥)، والدارقطني في «النزول» (٧٣)، وابن بطة في «الإبانة» (١٦٩)، وأبو طاهر المخلص في «المخلصيات» (٢٣٤)، واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٧٥٦). جميعهم من طريق زِيَادةَ بن محمد، عن محمد بن كعب القُرَظِي، عن فَضَالةَ بن عُبَيْد، عن أبي الدرداء رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ في خبر طويل. قال ابن كثير عند هذه الآية: «تفرد به زيادة بن محمد». وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٥٥): «فيه زيادةُ بن محمد الأنصاريُّ، وهو منكرُ الحديث».

(٢) ذهب إلى هذا الإمام الشافعي في «الرسالة» (ص: ١١٣)، وانظر: «الناسخ والمنسوخ» للنحاس (ص: ٧٥٣ و٧٥٩).

وقيل: معنى ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾: عطاءً لك خصوصاً.

﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ ﴿عَسَىٰٓ﴾ من اللهِ واجبٌ.

ابن بحرٍ: افعلْ ذلك راجياً من اللهِ أن يُعطيَكَ مقاماً محموداً(١).

وتقديرُه(٢): يبعثكَ ربُّك مَبْعثاً، فهو مصدرٌ من غير لفظِ الفعلِ السَّابقِ، وله أمثالٌ، والمعنى: يَبْعثَكَ محموداً غيرَ مذمومٍ.

وقيل: معناه: يُقِيمَكَ ربُّك في مقامٍ محمودٍ.

ويحتمِلُ: يبعثكَ في مقامٍ، فهو نصبٌ على الظَّرفِ.

والمقامُ المحمودُ عند الجمهورِ: مقامُ الشَّفاعةِ يحمدُه فيه الخلقُ.

أبو هريرة رضي الله عنه عن رسولِ اللهِ عليه السَّلامُ ﴿مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ قالَ: «الشَّفاعة»(٣).

وعن نافعٍ عن ابن عمرَ رضي الله عنهما عن النَّبيِّ عليه السَّلام في قوله: ﴿مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ قال: «يُدنيني فيُقعِدُني معهُ على العرشِ»، وفي روايةٍ: «على الكرسيِّ»، وفي روايةٍ: «على السَّرير»(٤)، ولفظ: «مع» هاهنا كقوله تعالى: ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾

---

(١) فعلى هذا القول ﴿مَقَامًا﴾ مفعول به لـ﴿يَبْعَثَكَ﴾ لكونه مضمناً معنى يعطيك. انظر: «حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي» (٦/ ٥٥).

(٢) قوله: «وتقديره» كذا في النسختين بالواو، ولعل الأولى العطف بـ(أو) لأنه قول آخر.

(٣) رواه الترمذي (٣١٣٧) وحسنه.

(٤) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٤٤٥) من حديث ابن عمر بالرواية الأولى والثالثة. وفي إسناده محمد بن أحمد بن مهدي، أبو عمارة، قال الدارقطني: ضعيف جدًّا، وقال أيضاً: متروك. وقال الخطيب: في حديثه مناكير وغرائب. انظر ترجمته في «الميزان» (٣/ ٤٥٦).

وبالثانية رواه الثعلبي أيضاً في «تفسيره» (١٦/ ٤٤٩) عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه موقوفاً، =

[الأعراف: ٢٠٦] و﴿عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ﴾ [التحريم: ١١]، والمراد به: رفعُ المنزلةِ، واللهُ سبحانه منزَّهٌ عن المكانِ والنُّقلةِ والانتقالِ.

* * *

(٨٠) ـ ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا﴾.

﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ يعني: المدينةَ ﴿وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ يعني: من مكَّةَ، وذلك حين أمرَه بالهجرةِ منها إلى المدينةِ.

وعن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أمتْني إماتةَ صدقٍ، وأخرجني بعدَ موتي من قبري يومَ القيامةِ مخرجَ صدقٍ(١).

مجاهدٌ: أَدْخِلْني في النُّبوَّة، وأَخْرِجْني من تبليغِ الرِّسالةِ(٢).

وقيل: أدخلني مكَّةَ عامَ الفتحِ، وأخرجني منها آمناً(٣).

= ولفظه: إذا كان يوم القيامة يؤتى بنبيكم ﷺ، فيقعد بين يدي الرب عز وجل على الكرسي.
قال ابن حجر في «الفتح» (٢/ ٩٥): «قال ابن الجوزي: والأكثر على أن المراد بالمقام المحمود الشفاعة، وقيل: إجلاسه على العرش، وقيل: على الكرسي. وحكَى كلًّا من القولين عن جماعةٍ، وعلى تقدير الصحة لا ينافي الأولَ؛ لاحتمال أن يكون الإجلاس علامةَ الإذن في الشفاعة، ويحتمل أن يكون المراد بالمقام المحمود الشفاعةَ كما هو المشهورُ وأن يكون الإجلاس هي المنزلةَ المعبَّر عنها بالوسيلة أو الفضيلة».

(١) هـذه عبارة الطبري التي روى بعدها خبر ابن عباس رضي الله عنهما. انظر: «تفسير الطبري» (١٥/ ٥٦)، وانظر: «غرائب التفسير» (١/ ٦٣٩).

(٢) روى قول مجاهد وقول ابن عباس الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥٦)، وذكرهما الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٢٦٦ ـ ٢٦٧).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٣٩)، واستغربه.

وقيل: إلى بدرٍ، وأخرجني منه.

وقيل: أدخلني في الجنَّة، وأخرجني من الدُّنيا.

وقيل: في جميعِ أمورِ دنياه وآخرتِه.

معنى ﴿صِدۡقٍ﴾: صلاحٍ، تقول: رجلُ صدقٍ؛ أي: صالحٌ، ورجلُ سوءٍ؛ أي: طالحٌ.

وقيل: ﴿صِدۡقٍ﴾: مرضيٍّ.

وقيل: المرادُ صدقُ الظَّنِّ؛ أي: يَصْدُقُ فيه ما يُظَنُّ به من الخيرِ.

﴿وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا﴾ عزًّا وقوَّةً لأُقيمَ به دِينَكَ.

مجاهدٌ: حجَّةً بيِّنةً[1].

الحسنُ: السُّلطان: السَّيفُ[2].

* * *

(٨١) ـ ﴿وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا﴾.

﴿وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ﴾: الإسلامُ والدِّين ﴿وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُ﴾: الكفرُ والشِّرك.

قتادةُ: جاءَ القرآنُ وهلكَ الشَّيطانُ[3].

مجاهدٌ: ﴿ٱلۡحَقُّ﴾: الجهادُ و﴿ٱلۡبَٰطِلُ﴾: الشِّركُ[4].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥٦).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٢٦٧) بلفظ: «السلطة على الكافرين بالسيف، وعلى المنافقين بإقامة الحدود».

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٦٢٢)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٦١)، وذكره يحيى بن سلام في «تفسيره» (١/ ١٥٨)، والماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٢٦٧).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٦١)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٤٥٧)، والماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٢٦٧)، والواحدي في «البسيط» (١٣/ ٤٥٣) كلُّهم عن ابن جريج.

وقيل: طاعةُ اللهِ ومعصيتُه.

وروى ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ عليه السَّلامُ دخلَ مكَّة يومَ الفتحِ وحولَ الكعبةِ ثلاثُ مئةٍ وستُّون صنماً، فجعلَ يَطعنُها بمِخْصَرةٍ في يده ويقول: «جاءَ الحقُّ وزهقَ الباطلُ»[1].

﴿إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ يَبْطُلُ ويزولُ، والحقُّ يبقى ويدومُ، وزهَقَ: بطلَ، وزَهَقَتْ نفسُه: ماتَ.

***

(٨٢) ـ ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾.

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ قيل: شفاءٌ من كلِّ سَقَامٍ لِمَا فيه من البركاتِ، وقيل: من داءِ الضَّلالِ، وقيل: شفاءٌ من داءِ الجهلِ.

﴿وَرَحْمَةٌ﴾: وبيانٌ وبركةٌ وهدًى.

وأفادَ دخولُ ﴿مِنَ﴾ أنَّه نزلَ نجماً نجماً وشيئاً شيئاً، وقيل: للتَّبعيضِ[2]، وقيل: هو زيادةٌ كقوله: ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]، وقيل: للتَّبيين[3].

﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾: هلاكاً؛ لتكذيبهم إيَّاه فتزدادُ خسارتهم.

---

(١) رواه البخاري (٤٢٨٧)، ومسلم (١٧٨١).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٣٩)، وعدَّه من العجائب، وبيَّن المراد به فقال: «العجيب: ﴿مِنَ﴾ للتبعيض، والمراد به الناسخ دون المنسوخ»، وجعل من الغريب: أن تكون ﴿مِنَ﴾ فيه لابتداء الغاية؛ أي: وننزل ما هو شفاء ورحمة من القرآن لا من غيره. ثم استحسنهما بقوله: «وهذان القولان حسنان».

(٣) في هامش (ط): «إذا جعلت (من) للتبيين فتقديره: وننزل ما هو شفاء ورحمة من القرآن لا من غيره». وهذا كقوله تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ [الحج: ٣٠]. انظر: «غرائب التفسير» (١/ ٦٣٩).

(٨٣) ـ ﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴾.

﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ ﴾ بالمالِ والصِّحَّة والأمنِ ﴿أَعْرَضَ﴾ يريدُ: الكافرَ، وقيل: عامٌّ، وقيل: نزلت في الوليدِ بنِ المغيرةِ[١]؛ أي: أعرضَ عن ذكْرِ ما كان فيه من السَّقمِ والضَّررِ والفقرِ قبل ذلك.

﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾: بَعُدَ بنفسِه عن القيامِ بحقوقِ نِعَم اللهِ، وأعرضَ عن الدُّعاءِ والابتهالِ.

وقيل: ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾: أُعجِب بنفسه؛ لأنَّ المعجَبَ متباعدٌ عن النَّاس.

﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾: الخوفُ والفقرُ والمرضُ ﴿كَانَ يَـُٔوسًا﴾: قنوطاً من الرَّوحِ[٢] والفَرَجِ.

* * *

(٨٤) ـ ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴾.

﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ ﴾ ابن عبَّاسٍ: طبيعتِه، وقيل: عادتِه، وقيل: على أخلاقه، ابن زيدٍ: على دِينه، قتادةُ: على نيَّته[٣]، وقيل: ناحيَته وطريقتِه[٤].

---

(١) ذكره مكي في «الهداية» (٦/ ٤٢٧٦)، وانظر: «البسيط» للواحدي (١٣/ ٤٥٤)، و«الكشاف» للزمخشري (٤/ ٢٠٥).

(٢) الروح بفتح الراء: الراحة والرحمة. انظر: «القاموس» مادة: (ر و ح).

(٣) ذكر هذه الأقوال الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٢٦٧)، وقول ابن زيد رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٦٦).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٦٦) عن ابن عباس ومجاهد وقتادة دون قوله: «وطريقته». لكن الطبري رحمه الله قدم له بقوله: ﴿عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾: على ناحيته وطريقته. وقال الفراء في «معاني القرآن» (٢/ ١٣٠): ﴿عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾: ناحيته، وهي الطريقة والجديلة.

والشَّاكلتان: ظاهرُ الطَّفْطَفتَين[١] من أدنى مبلغِ القُصَيْرى[٢] من جانبَي البطنِ.

والشَّاكلةُ: الدِّين[٣].

وقيل: على قَدْرِ قوَّته وضعفِه وشبابِه وهرمِه.

والكلُّ يعودُ إلى معنى الشَّكلِ وهو الـمِثْلُ.

وقيل: إلى شاكلتِه: إلى[٤] ما هو أشكلُ بالصَّوابِ وأَولى بالحقِّ عنده.

وقيل: على عادته التي أَلِفَها.

﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾: أصوبُ طريقاً وأصحُّ مذهباً، فينبغي أن يُقارِبَ الخيرَ ويُجانِبَ الشَّرَّ.

* * *

(٨٥) ـ ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾ في سببِ النُّزولِ:

عن البخاريِّ ومسلمٍ عن ابن عبَّاسٍ: قالت قريش لليهودِ: أعطونا شيئاً نسألُ عنه الرَّجلَ، فقالوا: سلُوه عن الرُّوح، فنزلَت هذه الآيةُ[٥].

---

(١) في هامش (ن): «الطفطفة: الخاصرة».

(٢) القُصَيرى: أسفل الأضلاع، أو آخر ضلع في الجنب. انظر: «القاموس» مادة: (ق ص ر).

(٣) قوله: «والشاكلة: الدين» كذا في النسخ، وهو تكرار؛ فقد تقدم من قول ابن زيد.

(٤) في (و): «وإلى».

(٥) ليس هذا الحديث في الصحيحين، لكن رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٣٠٩)، والترمذي (٣١٤٠)، والنسائي في «الكبرى» (١١٢٥٢). قال الترمذي: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ من هذا الوجه.

وروى البخاري (٤٧٢١)، ومسلم (٢٧٩٤) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: بينا أنا مع النبي ﷺ في حرث، وهو متكئ على عسيب، إذ مر اليهود، فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح، فقال: =

وقال المفسِّرون: إنَّ اليهودَ اجتمعوا فقالوا لقريش: سلُوا محمَّداً عن الرُّوح، وعن فِتيةٍ فُقدوا في أوَّلِ الزَّمانِ، وعن رجلٍ بلغَ شرقَ الأرضِ وغربَها، فإن أجابَ في ذلك كلِّه فليس بنبيٍّ، وإنْ لم يُجبْ في ذلك كلِّه فليس بنبيٍّ، وإنْ أجابَ عن بعضِ ذلك وأمسكَ عن بعضٍ فهو نبيٌّ، فسألوه عنها فأنزل في شأنِ الفِتيةِ: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ ﴾ [الكهف: ٩]، وأنزلَ في الرَّجلِ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ﴾ [الكهف: ٨٣]، وأنزلَ في الرُّوحِ: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ﴾ [الإسراء: ٨٥](١).

واختُلِفَ(٢) في المرادِ بالرُّوحِ المسؤولِ عنها:

قتادةُ: هو جبريلُ عليه السَّلامُ(٣).

وعن(٤) عليٍّ وابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهم: هو ملَكٌ له سبعون ألفَ وجهٍ، لكلِّ وجهٍ سبعون ألفَ لسانٍ، لكلِّ لسانٍ سبعون ألفَ لغةٍ، يُسبِّحُ اللهَ بتلك

= ما رأيكم إليه؟ وقال بعضهم: لا يستقبلكم بشيء تكرهونه، فقالوا: سلوه، فسألوه عن الروح، فأمسك النبي ﷺ فلم يرد عليهم شيئاً، فعلمت أنه يوحى إليه، فقمت مقامي فلما نزل الوحي، قال: «﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾».

(١) ذكره بهذا اللفظ والسياق الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٤٦٧) دون عزو، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٩٢) وعزاه للمفسرين. ورواه ابن إسحاق في «السير والمغازي» (ص: ٢٠١ ـ ٢٠٢)، ومن طريقه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٤٣)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٢٧٠)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وشيخ ابن إسحاق فيه مبهم لم يسمه. وفيه أن قريشاً هم الذين أرسلوا إلى اليهود يطلبون منهم أسئلة، فأرسلوا إليهم بذلك في خبر طويل.

(٢) في (و): «واختلفوا».

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٦١٥)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٧٠ ـ ٧١)، وهو في رواية عبد الرزاق عن قتادة والحسن، وذكر عبد الرزاق والطبري عن قتادةَ: «وكان ابن عباس يكتمه».

(٤) «وعن»: ليست في (و).

اللُّغـاتِ كلِّهـا، يخلـقُ من كلِّ تسـبيحةٍ ملَـكٌ يطيرُ مع الملائكـةِ إلى يـومِ القيامةِ(١).

الحسنُ: عن القرآنِ ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾؛ أي: وحيِ ربِّي، قال: ويدلُّ عليه الآيتان بعدها(٢).

أبو عبيدةَ(٣): خلقٌ كخلقِ بني آدمَ في السَّماءِ كهيئةِ النَّاسِ يأكلون ويشربون وليسوا من النَّاسِ(٤).

مجاهدٌ: الرُّوحُ خلقٌ على صورةِ بني آدمَ، وما ينزلُ ملكٌ من السَّماءِ إلَّا ومعه واحدٌ من الرُّوحِ(٥).

وقيل: هي التي يُحيَى بها الحيوانُ(٦).

---

(١) رواه عن علي رضي الله عنه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٧١)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤٠٨).
وقال ابن كثير (٥/ ١١٥ ـ ١١٦): «وهذا خبر غريب عجيب».
أما ابن عباس فروى قوله الطبري مختصراً بلفظ: «الروح ملك».

(٢) تفسير الروح بالقرآن ذكره عن الحسن الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٢٦٩)، وزاد: «كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢] فيكون معناه: إن القرآن من أمر الله تعالى ووحيه الذي أنزل عليَّ وليس هو مني».

(٣) في (ط): «عبيد».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٤٠) بلا نسبة، واستغربه.

(٥) رواه بنحوه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٤٦٨) (٣٤٦٩)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٨)، عن مجاهد.
ورواه مجاهد عن ابن عباس، كما في «تفسير مجاهد» (ص: ٦٩٦).
وقد ضعف الرازي أمثال هذه الأخبار التي فيها أنهم على صورة بني آدم في «تفسيره» (٢١/ ٣٩٤) فقال: «ولم أجِدْ في القرآن ولا في الأخبار الصحيحة شيئاً يمكنُ التمسُّك به بهذا القول».

(٦) وعليه جماعة المفسرين كما قال المؤلف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٤٠).

عليٌّ بن عيسى: الرُّوحُ: جسمٌ رقيقٌ هوائيٌّ في كلِّ جزءٍ[١] من الحيوانِ، قال: وكلُّ حيوانٍ فهو روحٌ وبدنٌ[٢].

﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾ قيل: مِن خَلْقِ ربِّي.

وقيل: من وحي ربِّي.

وقيل: ﴿مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾؛ لأنَّه ممَّا لم يُطلِعْ عليه أحداً[٣].

﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾ قيل: خطابٌ للَّذين سألوه عن الرُّوحِ. وقيل: لليهودِ، وقيل: بل هو عامٌّ في جميعِ الخلقِ.

﴿إِلَّا قَلِيلٗا﴾ من العلمِ، ويحتمِلُ: إلَّا قليلاً منكم، وهم العلماءُ.

وإنَّما لم يُجابوا ليُوافقَ ما في كتابهم.

وقيل: لأنَّ معرفته بالعقلِ دونَ السَّمعِ[٤].

وقيل: لأنَّهم سألوه سؤالَ تعنُّتٍ.

وقيل: لأنَّ هذا من كلامِ الفلاسفةِ لا من كلامِ الأنبياءِ[٥].

وقيل: قد أجابَهم؛ لأنَّهم قد سألوه: أقديمٌ هو أم مُحدَثٌ؟ فقال: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾؛ أي: من خلقِه، فهو مُحدَثٌ[٦].

* * *

(١) في (و): «جسم».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٤٠)، عدَّه من العجائب.

(٣) في (ن): «أحد».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٤١)، واستغربه.

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٤١)، واستغربه.

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٤١)، وعدَّه من العجائب.

(٨٦) ـ ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴾.

﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾ يعني: القرآنَ، بأنْ نمحوَه عن قلبكَ.

الزَّجَّاج: لو شئنا لمحَوْنا هذا القرآنَ عن قلبكَ ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴾: ثمَّ لا تجدُ مَن تَكِلُ إليه ردَّه إليك(١).

وقيل: الوكيلُ هاهنا بمعنى الكفيلِ؛ أي: كفيلاً يضمَنُ لك أن يأتيَك بما أُخذَ منك.

وقيل: مَن يمنعُنا من ذلك، وينصرُكَ، فيحولُ بيننا وبين ما نفعلُه.

***

(٨٧) ـ ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴾.

﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾: لكنْ رحمةً منَّا أدركتْكَ فبقيَ في قلبكَ وفي قلوبِ المؤمنين.

ابن جريرٍ: لكنه لا يشاءُ ذلك رحمةً من ربِّك وتفضُّلاً.

﴿إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴾ حين أرسلكَ نبيًّا وأنزلَ عليك كتاباً(٢).

***

(٨٨) ـ ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾.

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾: مُعيناً يعاونُ بعضهم بعضاً عليه.

في سببِ النُّزولِ: أنَّ أحبارَ اليهودِ قالوا: إنْ كنتَ نبيًّا فائتنا بآيةٍ كآيةِ موسى، فإنَّ

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٥٨ ـ ٢٥٩).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١٥/ ٧٥).

القرآنَ وإن عجزَ عن الإتيانِ بمثله حاضروك، فلعلَّ في الغائبين مَن لا يعجزُ عنه، فأنزلَ: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ ﴾(١).

الحسنُ: الملائكةُ أيضاً منويُّون في الآيةِ؛ لأنَّهم لا يقدرون أيضاً على الإتيانِ بمثلِ القرآنِ(٢).

ويحتمِلُ أنَّه إنَّما اقتصرَ على ذكْرِ الإنسِ والجنِّ لأنَّه عليه السَّلام كان مبعوثاً إلى الثَّقَلين دون الملائكة(٣).

***

(٨٩) ـ ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾.

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ ﴾: ذكرْنا وبيَّنَّا ﴿فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴾ من كلِّ صنفٍ(٤): من التَّرغيبِ والتَّرهيبِ، وأنباءِ الأوَّلين والآخِرين، وذكْرِ الجنَّة والنَّارِ.

وقيل: من كلِّ مَثَلٍ من الأمثالِ التي يجبُ الاعتبارُ بها.

وقيل: ليس المرادُ بالمَثَلِ هاهنا الكلمةَ السَّائرةَ، إنَّما المرادُ: من كلِّ شيءٍ ونوعٍ من الكلامِ.

﴿فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ ﴾: أكثرُ أهلِ مكَّة، وقيل: أرادَ: أكثرَ النَّاسِ في ذلك الوقتِ.

﴿إِلَّا كُفُورًا ﴾ لأنَّهم اقترحوا الآياتِ بعد ظهورِ المعجزاتِ.

***

(١) لم أجده. بهذا اللفظ، وانظر: «تفسير الطبري» (١٠/ ٧٥ ـ ٧٦)، و«الهداية» لمكي (٦/ ٤٢٨٤).

(٢) ذكره المؤلف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٤١)، ولم أجده عند غيره.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٤١)، واستغربه.

(٤) في (ن): «صفة».

(٩٠) - ﴿ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا ﴾.

﴿ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا ﴾ في سببِ النُّزولِ:

روى عكرمةُ عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّ عُتبةَ وشيبةَ وأبا سفيانَ والنَّضْرَ بن الحارثِ وأبا البَخْتَرِيِّ والوليدَ بنَ المغيرةِ وأبا جهلٍ وعبدَ اللهِ بنَ أميَّةَ وأميَّةَ بنَ خلفٍ ورؤساءَ قريش اجتمعوا عند ظَهْرِ الكعبةِ، فقال بعضُهم لبعضٍ: ابْعَثوا إلى محمَّدٍ فكلِّموه وخاصِمُوه حتَّى تُعذَروا فيه، فبعثوا إليه: إنَّ أشرافَ قومكَ قد اجتمَعوا إليكَ ليكلِّموك، فجاءهم سريعاً وهو يظنُّ أنَّه بدا لهم في أمره بَدَاءٌ، وكان عليهم حريصاً يحبُّ رُشدَهم ويَعِزُّ عليه عَنَتُهم، حتَّى جلسَ إليهم، فقالوا: يا محمَّدُ، إنَّا واللهِ لا نعلمُ رجلاً من العربِ أدخلَ على قومه ما أدخلتَ على قومكَ، لقد شتَمْتَ الآباءَ، وعِبْتَ الدِّينَ، وسفَّهْتَ الأحلامَ، وشتَمْتَ الآلهةَ، وفرَّقتَ الجماعةَ، وما بقيَ أمرٌ قبيحٌ إلَّا وقد جئتَه فيما بيننا وبينك، فإنْ كنتَ تطلبُ مالاً جعلنا لك من أموالِنا ما تكونُ به أكثرَنا مالاً، وإنْ كنتَ تَطلبُ الشَّرفَ فينا سوَّدناكَ علينا، وإن كنتَ تريدُ مُلْكاً ملَّكناكَ علينا، وإن كان الرَّئِيُّ[1] يأتيكَ وقد غلبَ عليك بذلنا أموالَنا في طلبِ الطِّبِّ لكَ حتَّى نُبْرِئَكَ منه أو نُعْذَرَ فيك، فقال عليه السَّلامُ: «ما بي ما تقولون، ما جئتكم بما جئتُكم به أطلبُ أموالَكم ولا الشَّرفَ فيكم ولا المُلكَ عليكم، ولكنَّ اللهَ بعثني إليكم رسولاً، وأنزلَ عليَّ كتاباً، وأمرني أن أكونَ لكم بشيراً ونذيراً، فبلَّغتكم رسالةَ ربِّي ونصحتُ لكم؛ فإن تقبلوا منِّي ما جئتُكم به فهو حظُّكم في الدُّنيا والآخرةِ، وإن تردُّوه عليَّ أصبرْ لأمرِ اللهِ حتَّى يَحكمَ اللهُ بيني وبينكم».

قالوا: يا محمَّدُ، فإن كنتَ غيرَ قابلٍ منَّا ما عرَضْنا عليكَ فقد عَلِمْتَ أنَّه ليس

---

(١) في هامش (ن): «الرئي: التابع من الجن».

أحـدٌ مـن النَّـاسِ أضيقَ بـلاداً منَّـا ولا أقلَّ مـالاً(١) ولا أشـدَّ عيشـاً منَّا، فسَـلْ لنا ربَّك الـذي بعثـكَ بمـا بعثكَ فلْيُسـيِّرْ عنَّـا هذه الجبـالَ التي قـد ضيَّقَـتْ علينا، ويَبْسُـطَ لنا بلادنـا، ويفجِّـرَ فيها أنهـاراً كأنهار الشَّـام والعـراقِ، ولْيَبْعَـثْ لنـا مَن مضى مِـنَ آبائنا، ولْيَكُـنْ ممَّـن يُبعثُ لنا منهـم قصيُّ بنُ كلابٍ؛ فإنَّه كان شـيخاً صدوقاً، فنسـألَهم عمَّا تقـولُ: أحقٌّ هو أم باطلٌ؟ فإنْ صنعتَ ما سـألناكَ صدَّقنـاك وعَرَفْنا به منزلتكَ عند اللهِ، وأنَّـه بعثـكَ رسـولاً كما تقـولُ، فقـال عليه السَّـلام: «ما بهـذا(٢) بُعثـتُ، إنَّمـا جئتُكم مـن عنـد اللهِ بمـا بَعَثني بـه، فقـد بلَّغْتُكم ما أُرسـلتُ به؛ فـإنْ تَقْبلوه فهو حظُّكـم، وإنْ تـردُّوه أصبِرْ لأمـرِ اللهِ».

قالوا: فإنْ لم تفعلْ هذا فسَلْ ربَّك أن يبعثَ مَلَكاً يصدِّقُكَ، وسَلْه فيَجعل لكَ جناناً وكنوزاً وقصوراً من ذهبٍ وفضَّةٍ ويُغنيك بها عمَّا نراك، فإنَّك تقومُ في الأسواقِ وتلتمسُ المعاشَ، فقال عليه السَّلام: «ما أنا بالذي يسـألُ ربَّه هذا، وما بُعثتُ إليكم بهذا، ولكنَّ اللهَ بَعَثني بشيراً ونذيراً» قالوا: فأسقِطْ علينا السَّماء كما زعمتَ أنَّ ربَّك إن شاءَ فعلَ.

وقال قائلٌ منهم: لن نُؤمنَ لك حتَّى تأتيَنا باللهِ والملائكةِ قبيلاً.

وقام عبدُ الله بنُ أبي أميَّةَ المخزوميُّ وهو ابنُ عاتكةَ بنت عبدِ المطَّلبِ ابنُ عمَّةِ النَّبيِّ عليه السَّلام وقال: لا أؤمنُ بك أبداً حتَّى تتَّخذَ إلى السَّماء سُلَّماً، ثمَّ ترقَى فيه وأنا أنظرُ حتَّى تأتيَها، وتأتيَ بنسخةٍ منشورةٍ معك ونفرٍ من الملائكة يشهدون لك أنكَّ كما تقولُ.

وانصرفَ رسولُ الله عليه السَّلام إلى أهله حزيناً لِمَا فاته من متابعةِ قومه، ولِمَا

---

(١) في (ن): «ماء».

(٢) في (و): «لهذه».

رأى من مباعدتهم عنه، فأنزلَ اللهُ: ﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴾ الآيات[١].

ومعنى ﴿تُفَجِّرَ﴾[٢]: تُشقِّق، والفجرُ: الشَّقُّ، والتَّفجيرُ للمبالغةِ.

﴿مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾: من مكَّة.

﴿يَنۢبُوعًا﴾: عيناً ينبعُ منها الماءُ، يَفْعُولٌ[٣] من (نَبَعَ).

ابنُ عيسى: الينبوعُ: عينٌ تنبَعُ بالماءِ؛ أي: تفورُ.

قتادةُ: نهراً يجري بمكَّة[٤].

***

(٩١) ـ ﴿ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَـٰرَ خِلَـٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴾.

﴿ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ ﴾: حائطٌ وبستانٌ ﴿مِّن نَّخِيلٍ ﴾: جمعُ نَخْلٍ، كعَبْدٍ وعَبِيدٍ، وكَلْبٍ وكَلِيبٍ.

﴿وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَـٰرَ﴾: جمعُ نهرٍ ﴿خِلَـٰلَهَا﴾: وَسَطها ﴿تَفْجِيرًا﴾: مرَّةً بعد أخرى.

***

---

(١) رواه ابن إسحاق في «السير والمغازي» (ص: ١٩٧ ـ ٢٠٠)، ومن طريقه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٨٧ ـ ٩٠)، من طريق ابن إسحاق قال: ثني شيخ من أهل مصر قدم منذ بضع وأربعين سنة، عن عكرمة، عن ابن عباس.

(٢) بالتشديد في النسخ الخطية، وهي قراءة أبي عمرو وابن عامر وابن كثير ونافع، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي بالتخفيف. انظر: «السبعة» (ص: ٣٨٤ ـ ٣٨٥)، و«التيسير» (ص: ١٤١).

(٣) في (ن): «مفعول»، وهو تحريف.

(٤) رواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٧٨).

(٩٢) ـ ﴿ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴾.

﴿ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا ﴾ عنوا به قوله: ﴿أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [سبأ: ٩] فطالَبوه به استهزاءً؛ أي[1]: تسقط السَّماءَ طبقاً[2] علينا، تقولُ: كسفتُ الشَّيءَ: غطَّيته. وقيل: قِطَعاً بالعذابِ، تقول: كسفتُه: قطعته أيضاً. والكِسَفُ بالفتح جمعٌ، وبالسُّكون واحدٌ كالذِّبْح والطِّحْنِ، وهو نصبٌ حالٌ من ﴿ٱلسَّمَآءَ﴾.

﴿أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا﴾ قيل: ضميناً، من المقابلةِ، وهي الضَّمانُ.

وقيل: ﴿قَبِيلًا﴾: مقابَلةً معايَنةً.

وقيل: ﴿قَبِيلًا﴾: شهيداً.

وقيل: مجتمعِينَ اجتماعَ القبائل.

وقيل: ﴿قَبِيلًا﴾: كفيلاً على صدقِ دعواكَ ووفائكَ بالوعدِ والوعيدِ.

* * *

(٩٣) ـ ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾.

﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ﴾: من ذهبٍ.

الزَّجَّاج: الزُّخرفُ: الزِّينة[3].

---

(١) في (و) و(ن): «أو»، والمثبت من (ط) أظهر.

(٢) في (ن): «كسفاً».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٦٠).

مجاهدٌ: كنَّا لا ندري ما الزُّخرفُ حتَّى رأينا في قراءةِ ابن مسعودٍ رضي الله عنه: (بيتٌ من ذهبٍ)[١].

﴿أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾؛ أي: تصعدُ إليها ﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ﴾ هذا قولُ عبدِ الله بن أبي أُميَّة، قال: لن نؤمنَ لك حتَّى تُنزِّل علينا كتاباً من السماء فيه: من ربِّ العالمين إلى عبدِ اللهِ بنِ أبي أُميَّة، إنِّي قد أرسلتُ محمَّداً نبيًّا، فآمِنْ به وصدِّقْه، وواللهِ لو أَتَيْتَني به أيضاً لَمَا آمنتُ بك ولا صدَّقتُكَ[٢].

﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾؛ أي: لو قدرتُ على ما تريدون لكنتُ إلهاً، واللهُ منزَّهٌ عن الشَّريكِ، ولستُ أنا[٣] إلَّا آدميًّا مثلكم خصَّني مِن بينِكم بالرِّسالة فأرسلني إليكم.

ومَن قرأ: ﴿قال﴾[٤]؛ أي: قال محمَّدٌ مجيباً لهم.

* * *

(٩٤) ـ ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا﴾.

﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟﴾؛ أي: ما منعَ النَّاسَ من الإيمان ﴿إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾: النَّبيُّ والقرآنُ[٥] ﴿إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟﴾: إلَّا قولُهم: ﴿أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا﴾ أنكروا أنْ يكون

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٦٢٧)، وأبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ٣٠٣)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٨٥).

(٢) ورد بنحوه ضمن خبر ابن عباس الطويل الذي تقدم قريباً.

(٣) «أنا»: ليست في (و).

(٤) وهي قراءة ابن كثير وابن عامر. انظر: «السبعة» (ص: ٣٨٥)، و«التيسير» (ص: ١٤١).

(٥) في (و): «بالقرآن».

الرَّسولُ من جنسهم؛ أي: هلَّا بعثَ ملكاً، وجَهِلوا أنَّ التَّجانسَ يُورث التَّوانُسَ، والتَّخالُفَ يقتضي التَّنافرَ.

***

(٩٥) ـ ﴿ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴾.

﴿ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ ﴾ بدلَ الآدميِّين ﴿يَمْشُونَ ﴾ كما يمشي بنو آدمَ ﴿مُطْمَئِنِّينَ ﴾: مستوطِنين الأرضَ، وقيل: مطمئنِّين غيرَ خائفين من اللهِ، ﴿لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴾؛ أي: من جنسهم؛ ليكونوا منه أقبلَ وإليه أسرعَ.

***

(٩٦) ـ ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴾.

﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا ﴾ في التَّفسيرِ: فقالوا: ومَن يشهدُ لك أنَّك رسولُ اللهِ؟ فنزلَ[1]: ﴿قُلْ ﴾ يا محمَّدُ: ﴿كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ﴾ بأنِّي رسولُه.

وقيل: المعنى: إنِّي أُشهِدُ الله على أنِّي بلَّغْتُكم ما أمرني بتبليغِه واجتهدْتُ، وأنَّكم كفرتُم؛ ليَشْهَدَ لي[2] عليكم يومَ القيامةِ ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا ﴾ بما كان ﴿بَصِيرًا ﴾ بما يكونُ.

***

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٦١)، وللنحاس (٤/ ١٩٦)، و«بحر العلوم» للسمرقندي (٢/ ٣٢٩)، و«الهداية» لمكي (٦/ ٤٢٩٤).

(٢) في (و): «ليشهدني».

(٩٧) ـ ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾.

﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾: مَن وفَّقه اللهُ للإيمان فهو الذي اهتدَى وأصابَ الرَّشاد، ﴿وَمَن يُضْلِلْ﴾: يَخْذُلْه ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ﴾؛ أي: وليًّا يهديه.

﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ قيل: يُسْحَبون عليها، وقيل: يمشُّون عليها.

وقيل: المرادُ به الإسراعُ بهم إلى النَّار، تقولُ العربُ: قد مرَّ القومُ على وجوههم؛ إذا أسرعوا.

﴿عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ ابن جريرٍ: حين يخرجون من قُبورهم يكونون بهذه الصِّفةِ، ثمَّ يَرَوْن ويَنْطِقون ويسمعون[1].

وقيل: هذه بعد الفراغِ من الحسابِ؛ يُجرُّون على وجوههم إلى النَّارِ بهذه الصِّفةِ.

ابن عبَّاسٍ والحسنُ رضي الله عنهم: ﴿عُمْيًا﴾: لا يرون شيئاً يَسُرُّهم، ﴿بُكْماً﴾: لا ينطقون بحجَّةٍ، ﴿صُمًّا﴾: لا يسمعون ما يسرُّهم[2].

وقيل: ذلك في بعضِ الأوقاتِ وبعضِ الأماكنِ، ويُروَى عن النَّبيِّ عليه السَّلامُ: «إنَّ أهلَ الموقفِ ثلاثةُ أثلاثٍ: فثلثٌ على الدَّوابِّ، وثلثٌ يَنْسِلون على أقدامهم نسلاً، وثلثٌ على وجوههم» فقيل: كيفَ يمشون على وجوههم؟ فقال: «الذي أمشاهُم على أقدامهم قادرٌ على أن يُمشِيَهم على وجوههم»[3].

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٥/ ٩٣).

(٢) ذكره عنهما الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٢٧٥)، وذكره عن ابن عباس رضي الله عنهما الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٤٨٦)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٥٥).

(٣) رواه إلى قوله: «وثلث على وجوههم» إسحاق بن راهويه في «مسنده» (١٢٨)، وابن أبي داود =

﴿مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ﴾؛ أي: عن اللَّهبِ مع بقاءِ حرِّها وأصلِها ﴿زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾: توقُّداً، فلا تَفْتُرُ[1] أبداً.

الضَّحَّاك: إذا أحرقَتْهم فصاروا جمراً يتوهَّجُ، فذلك خبوُّها، خُلقوا لها خلقاً جديداً[2].

وقيل: كلَّما خبتْ بعضُ النِّيرانِ اشتعلَتْ بهم ناراً أخرى من جهةٍ أخرى، فهم معذَّبون بنارٍ بعد نارٍ.

* * *

(٩٨) ـ ﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾.

﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾؛ أي: ذلك العذابُ، وقيل: ذلك العمَى والصَّممُ والخَرَسُ بسببِ أنَّهم

= في «البعث» (٢٢)، والثعلبي في «تفسيره» (١٩/ ٤٠٩ ـ ٤١٠)، والبيهقي في «البعث» (٢٧٦)، جميعهم من طريق بشر بن المفضل، عن علي بن زيد، عن أوس بن أبي أوس، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ.

ورواه بنحوه لكن بتمامه الترمذي (٣١٤٢) وحسنه، والإمام أحمد في «المسند» (٨٧٥٥)، من طريق حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن أوس بن أبي أوس، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ.

ويشهد لآخره ما رواه البخاري (٤٧٦٠)، ومسلم (٢٨٠٦) عن أنس رضي الله عنه: أن رجلًا قال: يا رسول الله، كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال: «أليس الذي أمشاه على رجليه في الدنيا قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة؟».

(١) في (و): «يفتر»، وهو بلا نقط في (ن).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٩٦) بلفظ: «زدنا هؤلاء الكفار سعيراً، وذلك إسعار النار عليهم والتهابها فيهم وتأجحها بعد خبوها، في أجسامهم».

كفروا بمحمَّدٍ عليه السَّلامُ وأنكروا البعثَ والنُّشورَ، وقد سبقَ تفسيرُه.

***

(٩٩) ـ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾: أولم يعلموا؛ أي: هم يعلمون بعيونِ بصائرهم علماً ﴿أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾؛ أي: هم مقرُّون بأنَّ اللهَ خالقُ السَّماواتِ والأرضِ وخالقُهم ابتداءً ومميتُهم، فلِمَ أنكروا الإعادةَ؟!

﴿وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ يعني: الموتَ.

وفيه تقديمٌ وتأخيرٌ، وتقديرُه:... خلقَ[1] السَّماواتِ والأرضَ وجعلَ لهم أجلاً لا ريبَ فيه قادرٌ على أن يخلقَ مثلهم.

﴿فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾؛ أي: فأبوا إلَّا الكفرَ عن علمٍ منهم.

***

(١٠٠) ـ ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ قَتُورًا﴾.

﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي﴾ قيل: خزائنَ الرِّزقِ. وقيل: الرَّحمةُ هاهنا المالُ.

﴿إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنفَاقِ﴾ أي: لبخلتُم وأمسكتُم عن الصَّدقةِ.

وقيل: ما جُدْتُم بها كجُودِ[2] اللهِ سبحانه.

---

(١) كذا في النسخ الخطية، وفيه اختصار، والمراد: وتقديره: أن الله الذي خلق... وجعل... قادرٌ....

(٢) في (و): «بجود».

و﴿ٱلۡإِنفَاقِ﴾: الفقر، قاله أبو عبيدةَ[١]. أملقَ وأنفقَ وأعدمَ وأصرمَ بمعنًى[٢].

وقيل: خشيةَ أنْ يُفنيه الإنفاقُ[٣].

﴿وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ قَتُورٗا﴾: بخيلاً، ومَن كان جواداً عند النَّاسِ فهو بخيلٌ بالإضافةِ إلى اللهِ[٤] سبحانه وتعالى؛ لأنَّه قال: ﴿خَزَآئِنَ رَحۡمَةِ رَبِّيٓ﴾.

الزَّجَّاج: هذا جوابٌ لقولهم: ﴿لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا﴾[٥].

وقيل: ابتدأ بوصفهم بالبخلِ.

وقيل: متَّصلٌ بحسدهم على رسولِ اللهِ عليه السَّلامُ، وبخلِهم بعطاءِ اللهِ عندهم.

***

(١٠١) ـ ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ تِسۡعَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ فَسۡـَٔلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِذۡ جَآءَهُمۡ فَقَالَ لَهُۥ فِرۡعَوۡنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسۡحُورٗا﴾.

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ تِسۡعَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ﴾: علاماتٍ واضحاتٍ.

ووَزْن بيِّنَة: فَيْعِلَة[٦]، من بانَ الشَّيءُ يَبِينُ.

---

(١) ذكره عن أبي عبيدة الواحدي في «البسيط» (١٣/ ٤٩١)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٩٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما. والذي في «مجاز القرآن» (١/ ٣٧٥ و٢٠٨) تفسير الإملاق بالفقر، من: أملق فلان؛ أي: ذهب ماله واحتاج، وأقفر مثلها.

(٢) انظر: «فقه اللغة» للثعالبي (ص: ٥٩)، و«معاني القرآن» للنحاس (٤/ ١٩٨).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٢٣)، ونسبه للمبرد.

(٤) في (ن): «بخيل عند الله بالإضافة إلى الله».

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٦١).

(٦) في (ن): «فعيلة».

عطاءٌ: هي العصا، ويدُه، والطُّوفانُ، والجرادُ، والقُمَّلُ، والضَّفادعُ، والدَّمُ، والسِّنونَ لأهل البوادي، ونقصٌ من الثَّمرات[١].

الحسنُ: السِّنون ونقصُ الثمراتِ واحدةٌ، والتَّاسعةُ تلقُّفُ العصا ما يأفكون[٢].

ابن عبَّاسٍ: التَّاسعةُ إزالة العقدةِ التي كانت بلسانِه[٣].

وقيل: اليدُ، والعصا، والحجرُ الذي انفجرتْ منه العيونُ، وانفلاقُ البحرِ، والطُّوفانُ، والجرادُ، والقُمَّل، والضفادعُ، والدَّم.

وروى صفوانُ أنَّ يهوديًّا أتى النَّبيَّ عليه السَّلامُ فسأل عنها فقالَ: «أنْ لا تشركوا باللهِ شيئاً، ولا تسرقُوا، ولا تزنُوا، ولا تقتلوا النَّفسَ التي حرَّمَ اللهُ إلَّا بالحقِّ، ولا تَسْحَروا، ولا تأكلوا الرِّبا، ولا تمشُوا ببريءٍ إلى ذي[٤] سلطانٍ ليقتلَه، ولا تَقْذِفوا محصَنةً، ولا تَفِرُّوا من الزَّحفِ، ولا تعدوا في السَّبتِ»، فقبَّلَ اليهوديُّ يدَ النَّبيِّ عليه السَّلام ورجلَه[٥].

---

(١) رواه عنه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٠١) دون قوله: والسِّنونَ لأهل البوادي، ونقصٌ من الثَّمرات. لكن هذه التسعة جاءت في قول ابن عباس رضي الله عنهما، رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٦٣٢)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٠٢)، بلفظ: «﴿تِسْعَ ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ﴾ وهي متتابعات، وهي في سورة الأعراف ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ قال: السنين في أهل البوادي، ونقص من الثمرات لأهل القرى، فهاتان آيتان، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، هذه خمس، ويد موسى إذ أخرجها بيضاء للناظرين من غير سوء: البرص، وعصاه إذ ألقاها فإذا هي ثعبان مبين».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٠٢).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٩٩)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٤٨٨).

(٤) «ذي»: ليست في (ن).

(٥) رواه الترمذي (٢٧٣٣) و(٣١٤٤)، والنسائي (٤٠٧٨)، وقال الترمذي: «حسن صحيح». وعندهما أنهما يهوديان، وكذلك في «تفسير الطبري» (١٥/ ١٠٣٠)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (٤/ ١١٠٧) =

﴿فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ﴾؛ أي: سلْ يا محمَّدُ إذ جاءهم؛ أي: سَلْهم عمَّا جرى بين موسى وفرعونَ وآلِهِ إذ جاءهم، لا بدَّ من هذا[1] الإضمارِ؛ لأنَّ (سل) لا يصحُّ عاملاً في (إذ).

وقيل: هو خطابٌ لموسى عليه السَّلامُ، على تقدير: فقلنا: سلْ بني إسرائيلَ؛ أي: سلْ فرعونَ إطلاقَ بني إسرائيلَ، حكاه أقضى القضاةِ[2]. وفيه ضعفٌ؛ لقوله: ﴿إِذْ جَآءَهُمْ﴾ بلفظِ الغيبةِ، إلَّا أن يُحمَل الكلامُ على تلوينِ الخطابِ، أو يُجعلَ الكلامُ تامًّا عند قوله: ﴿فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ ثمَّ استأنف فقال: ﴿إِذْ جَآءَهُمْ﴾.

﴿فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾: سُحِرْتَ فأُزيلَ عقلُكَ؛ كقوله له: ﴿مَجْنُونٌ﴾ [الذاريات: ٣٩].

وقيل: خُدعتَ وحُملت على ما تقولُ.

ابن جريرٍ: مَسْحورٌ بمعنى: ساحرٍ، كمَيْمون بمعنى: يَامِن، ومَشْؤومٍ بمعنى: شائِم، ومَأْتِيٍّ بمعنى: آتٍ[3].

* * *

(١٠٢) ـ ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾.

﴿قَالَ﴾ يعني: موسى: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ يا فرعونُ بقلبكَ ﴿مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ﴾؛ أي:

= وغيرها من التفاسير، وهو في «النكت والعيون» للماوردي (٣/ ٢٧٧) عن قويم من اليهود.

(١) «هذا»: ليست في (و).

(٢) انظر: «النكت والعيون» (٣/ ٢٧٧)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٤٤)، واستغربه.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (١٥/ ١٠٦)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٤٤) دون نسبة، واستغربه.

الآياتِ ﴿إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ لكَ، وهذا كقوله: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ [النمل: ١٤].

وقرأ الكسائيُّ: ﴿لقد علمْتُ﴾ بالضَّمِّ[1] على أنَّ موسى أخبرَ عن نفسه، ورُوي أنَّ عليًّا رضي الله عنه قال: واللهِ ما علمَ عدوُّ اللهِ وإنَّما علمَ موسى عليه السَّلامُ[2].

والأوَّلُ أظهرُ؛ لأنَّ علْمَ موسى لا يكونُ حجَّةً على فرعون.

قوله: ﴿بَصَآئِرَ﴾: جمعُ بصيرةٍ، ومعناها الدَّالَّة.

وقيل: هي من بصيرةِ الدَّمِ، وهي ما يدلُّ على الصَّيدِ أو القتيلِ[3]، وهي من الأوَّل أيضاً.

وقيل: البصيرةُ: الشَّاهد.

وانتصابُ ﴿بَصَآئِرَ﴾ على الحالِ، وأجاز الزَّجَّاج نصبَها على المفعول له؛ أي: ليتبصَّر بها[4].

﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ﴾: أعلمُ وأُوْقِنُ[5] ﴿يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾: ممنوعاً من الخيرِ، وقيل: مُهْلَكاً، وقيل: هالكاً.

ابن عبَّاسٍ: المثبورُ: الملعونُ[6].

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٣٨٦)، و«التيسير» (ص: ١٤١).

(٢) رواه الفراء بإسناده في «معاني القرآن» (٢/ ١٣٢)، وذكره ابن الجعد في «مسنده» (٢٥٧٨)، والنحاس في «معاني القرآن» (٤/ ٢٠٢)، والواحدي في «البسيط» (١٣/ ٤٩٦).

(٣) في (و): «القتل». وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٤٤)، واستغربه.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٤٤)، واستغربه. ولم أجده في «معاني القرآن» للزجاج.

(٥) في (ن) و(و): «وأيقن»، والصواب المثبت من (ط).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٠٨، ١٠٩).

ابن زيدٍ: المثبورُ: الذي لا عقلَ له في دِينه ومعاشِه[١].

* * *

(١٠٣) ـ ﴿ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴾.

﴿ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم ﴾: يُخْرِجهم ويَقْلَعهم، ﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾: أرضِ مصرَ وقيل: يَقتلُهم[٢]، ﴿فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا﴾.

* * *

(١٠٤) ـ ﴿ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾.

﴿ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾: من بعد غرقِ فرعونَ ﴿لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ ﴾: مصرَ والشَّامَ ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ﴾: القيامةِ، والوعدُ: الموعودُ.

وقيل: هو نزولُ عيسى عليه السَّلام.

﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾ اللَّفيفُ: الجماعاتُ من قبائلَ شتَّى.

الفرَّاء: من هاهنا وهاهنا[٣].

وقيل: اللَّفيفُ: المختلِطون[٤] من كلِّ شكلٍ.

* * *

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١١٠).

(٢) في (ن) و(و): «وقيل: يقتلهم، من الأرض: أرض مصر».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٣٢).

(٤) في (ن) و(و)، والجادة: «المختلطين»، والمثبت من (ط)، وهو الصواب.

(١٠٥) ـ ﴿وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَۗ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾.

﴿وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ﴾ يريدُ: القرآنَ؛ أي: أنزلَ القرآنَ بالحقِّ غير الباطلِ.

وقيل: ما يتضمَّنه حقٌّ؛ أي: صدقٌ وعدلٌ.

﴿وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَ﴾ قيل: الباء هاهنا بمعنى: على؛ أي: وعلى محمَّدٍ نزلَ(١).

وقيل: توكيدٌ للأوَّلِ كألفاظِ المصادرِ وألفاظِ التَّوكيدِ بعضِها بعد(٢) بعضٍ؛ نحو: كلُّهم أجمعون أكتعون أبصعون(٣).

وقيل: قصدَ بإنزاله إثباتَ الحقِّ ونفيَ الباطلِ، وهو أيضاً في نفسه حقٌّ وصدقٌ؛ لأنَّهما سيَّان(٤).

ويجوزُ أيضاً أن يقال: لمَّا صحَّ في التَّقسيمِ: أنزلْتُه فنزلَ، وأنزلته فلم ينزل إذا عرضَ مانعٌ، أخبرَ أنَّه كما أَنزَلَ نزلَ من غيرِ مانعٍ(٥).

وقيل: الحقُّ الأوَّلُ: الحقيقةُ، والثَّاني: المستحَقُّ؛ أي: أتاكم بما تستحِقُّونه(٦).

وقيل: الهاءُ في ﴿أَنزَلۡنَٰهُ﴾ يعودُ إلى موسى؛ كقوله: ﴿وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ﴾ [الحديد: ٢٥](٧).

---

(١) (الحق) على هذا القول هو محمد عليه السلام، كما في «غرائب التفسير» (١/ ٦٤٥)، وقد عدَّه من العجائب. وانظر: «البسيط» للواحدي (١٣/ ٥٠١).

(٢) في (ن): «على».

(٣) هذه تواكيد تؤكد كلمة واحدة؛ لأنها بمعنى واحد، وقيل: هذا من الإتباع، وربَّما زيد في هذه الألفاظ (أبتعون). انظر: «الإتباع» لأبي علي القالي (ص: ٨٥)، و«تهذيب اللغة» للأزهري (١/ ١٩٨)، و«الخصائص» لابن جني (١/ ٨٤).

(٤) كذا في (و) و(ن)، وفي (ط): (شيئان).

(٥) أي: كما أنزله الله نزل، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٤٥)، واستغربه.

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٤٥)، واستغربه.

(٧) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٤٥)، واستغربه.

وقيل: يعودُ إلى الآياتِ، فذُكِّر حملاً على معنى: ذلك.

وقيل: إلى الوعدِ المذكورِ قبله.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا﴾ للمؤمنين ﴿وَنَذِيرٗا﴾ للكافرين.

* * *

(١٠٦) ـ ﴿وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا﴾.

﴿وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ﴾: بيَّنَّاه وفصَّلناه. وقيل: فرَقنا فيه الحقَّ من الباطلِ.

وقيل: هو بمعنى المشدَّدة، وقُرئ بالتَّشديدِ(١).

ونُصب قولُه: ﴿وَقُرۡءَانٗا﴾ بفعلٍ مضمرٍ دلَّ عليه ﴿فَرَقۡنَٰهُ﴾.

وقيل: عطفٌ على قوله: ﴿مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾ ﴿وَقُرۡءَانٗا﴾؛ أي: ذا قرآنٍ(٢).

وقيل: وآتيناك قرآناً(٣).

﴿لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ﴾: برِسْلٍ(٤) وتُؤَدةٍ.

وفي الحديث: أنَّ رسولَ اللهِ عليه السَّلام كان يقرأُ القرآنَ قراءةً ليِّنةً يتلبَّث فيها(٥).

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٣٣)، و«المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ٨١)، و«المحتسب» (٢/ ٢٣)، ونسبت القراءة لأبيٍّ وعليٍّ وابن عباس ومجاهد وابن مسعود وجمع من التابعين.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٤٥)، واستغربه.

(٣) ويعرب لفظ ﴿قرآناً﴾ على هذا التقدير مفعولًا به لفعل محذوف.

(٤) الرِّسل بكسر الراء: الرفق والتؤدة. انظر: «القاموس» مادة: (ر س ل).

(٥) روى البخاري (٥٠٤٧) عن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه قال: «رأيت النبي ﷺ يقرأ وهو على ناقته أو جمله، وهي تسير به، وهو يقرأ سورة الفتح ـ أو من سورة الفتح ـ قراءة لينة يقرأ وهو يرجع».

وعن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: لَأنْ أقرأَ البقرةَ وأرتِّلَها وأتدبَّرَ معانيَها أحبُّ إليَّ من أنْ أقرأَ جميعَ القرآنِ هذًّا[١].

﴿وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾: أنزلناه شيئاً بعد شيءٍ عشرين سنةً على حَسَبِ الحاجةِ إليه.

***

(١٠٧) - ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾.

﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟﴾ قوله: ﴿أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟﴾ تهديدٌ ووعيدٌ، ومثلُه: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]، والمعنى: اختاروا لأنفسكم النَّعيمَ المقيمَ أو العذابَ الأليمَ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ﴾ يعني: مؤمني أهلِ الكتابِ، وقيل: هم بعضٌ من أهلِ الكتابِ.

الحسنُ: هم المؤمنون[٢].

ابنُ عيسى: هم العلماءُ باللهِ.

﴿إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ قيل: القرآنُ، وقيل: التَّوراةُ ﴿يَخِرُّونَ﴾: يسقطون ﴿لِلْأَذْقَانِ﴾ قيل: للوجوهِ، وقيل: للِّحى، والذَّقَن: مجتمَعُ اللَّحيين[٣]؛ أي: إذا سمعوا القرآنَ عرفوا أنَّه كلامُ اللهِ وقَبِلوه ﴿سُجَّدًا﴾ وسجدوا تعظيماً للهِ.

***

---

(١) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١١٩٣)، وعبد الرزاق في «مصنفه» (٤١٨٧)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢٤٣٠).

(٢) في «النكت والعيون» (٣/ ٢٨٠) عن الحسن: أنهم أمة محمد ﷺ.

(٣) مثنى: لَحْيٍ، وهو منبت اللحية. انظر: «القاموس» مادة: (ل ح ي).

(١٠٨) - ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾.

﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ﴾ نزَّهوه ﴿إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾؛ أي: أَنْجزنا ما وَعَدَنا[1] به في التَّوراةِ من إرسالِ محمَّدٍ وإنزالِ القرآنِ عليه.

***

(١٠٩) - ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾.

﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ﴾؛ أي: يسجدونَ باكين ﴿وَيَزِيدُهُمْ﴾ تلاوةُ القرآنِ، وقيل: بكاؤهم ﴿خُشُوعًا﴾: خضوعاً.

ورُوي عن النَّبيِّ عليه السَّلام أنَّه قال: «مَن قرأَ القرآنَ في أقلَّ من ثلاثٍ لم[2] يَفْقَهْهُ، اتلوهُ وابْكوا، فإنْ لم تبكُوا فتباكَوا»[3].

***

(١١٠) - ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾.

﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ﴾ في سببِ النُّزولِ:

---

(١) في (ن): «وعدناه».

(٢) في (و) و(ط): «فلم».

(٣) هذا مجموع حديثين:

الأول: رواه أبو داود (١٣٩٤)، والترمذي (٢٩٤٩) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما مرفوعاً: «لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث». وقال الترمذي: «حسن صحيح».

والثاني: رواه ابن ماجه (١٣٣٧) من حديث سعد رضي الله عنه مرفوعاً: «إن هذا القرآنَ نَزَلَ بحُزْنٍ، فإذا قرأْتُمُوه فابكُوا، فإنْ لم تَبْكُوا فتباكَوا». وفي إسناده أبو رافع، واسمه إسماعيل بن رافع بن عويمر الأنصاري، قال عنه الحافظ في «الكافي الشاف» (ص: ١٠٦): «لين». لكن جوَّد إسناده العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ٢٢٦).

قال ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: تهجَّدَ رسولُ اللهِ عليه السَّلامُ ذاتَ ليلةٍ بمكَّة فجعلَ يقولُ في سجوده: «يا رحمنُ يا رحيمُ» فقال المشركون: كان محمَّدٌ يدعو إلهاً واحداً وهو الآن يدعو إلهَين اثنَين؛ الله[1] والرحمنَ، ما نعرفُ الرَّحمنَ إلَّا رحمنَ اليمامةِ؛ يعنون: مسيلمةَ الكذَّاب، فأنزلَ اللهُ هذه الآيةَ[2].

ميمونُ بن مِهْرانَ: كان يكتبُ رسولُ اللهِ عليه السَّلام في أوَّل ما يُوحى إليه: «باسمكَ اللَّهمَّ» حتَّى نزلت: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [النمل: ٣٠]، فقال مشركو العربِ: هذا الرَّحيمُ نعرفه، فما الرَّحمنُ؟ فأنزلَ اللهُ هذه الآيةَ[3].

قال الضَّحَّاك: قال أهلُ الكتابِ لرسولِ اللهِ عليه السَّلام: إنكَ لتُقِلُّ ذكرَ الرَّحمنِ، وقد أكثرَ اللهُ في التَّوراةِ هذا الاسمَ، فأنزل اللهُ: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَ﴾[4]؛ أي: ادعوهُ اللهَ أو ادعوهُ الرَّحمنَ، فإنَّ له تسعاً وتسعين اسماً، فبأيِّها شئتُم فادعوهُ.

﴿أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ المعنى: أيُّ اللَّفظين دعوتُم اللهَ به أصبتُم.

و﴿مَّا﴾ زيادةٌ مؤكِّدةٌ عند جماعةٍ من النَّحويِّين[5]، زيدت عوضاً عمَّا مُنعَ من الإضافةِ، وذهبَ بعضهم إلى أنَّ ﴿مَّا﴾ أيضاً للشَّرطِ، فأُدخلَ شرطٌ على شرطٍ[6].

---

(١) لفظ الجلالة ليس في (و) ولا (ن).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٢٣)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٥٠٥) واللفظ له.

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٨٧٣).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٥٠٦)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٩٥)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٦٠).

(٥) انظر: «الكتاب» (٢/ ٣٩٨)، و«المقتضب» (٢/ ٥٤٠)، و«حروف المعاني والصفات» (ص: ٢٠).

(٦) تقدم الكلام في مسألة دخول الشرط على الشرط، وانظر: «شرح الرضي على الكافية» (٤/ ٤٦٥)، ولابن هشام مبحث في «اعتراض الشرط على الشرط» فلينظر.

ومَن وقفَ على ﴿أَيًّا﴾ جعلَ معناه: أيَّ اللفظين دعوتُموه به جازَ، ثمَّ استأنفَ فقال: ﴿مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ لأنَّ كلَّ أسمائه مدحٌ وثناءٌ لائقٌ بذاته وأفعاله.

﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ في سببِ النُّزولِ:

ذكره البخاريُّ ومسلمٌ جميعاً عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: نزلَت بمكَّة والنَّبيُّ عليه السَّلام مختَفٍ بمكَّةَ، وكانوا إذا سمعوا القرآنَ سبُّوا القرآنَ ومَن أنزله ومَن جاءَ به، فأنزل الله: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ فيسمعَ المشركون فيسبُّوا القرآنَ ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ عن أصحابكَ فلا يسمعون ﴿وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾[1].

عائشةُ رضي الله عنها: نزلت في التَّشهُّد، كان الأعرابيُّ يجهرُ فيقول: التَّحيَّاتُ للهِ، يرفعُ بها صوتَه، فنزلت الآيةُ[2].

وعن عائشةَ أيضاً: أنَّها نزلت في الدُّعاءِ: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾[3].

قيل: هي عينُ الصَّلاةِ، وقيل: القراءةُ في الصَّلاةِ، وقيل: القرآن، وقيل: التَّشهُّد، وقيل: الدُّعاء.

﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ المخافتةُ: الإسرارُ، والخفوتُ: خفوضُ الصَّوتِ من جزعٍ.

﴿وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾: بين الجهرِ والخَفْتِ؛ كقوله: ﴿عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ [البقرة: ٦٨].

ورُوي عن أبي بكرٍ رضي الله عنه: كان يُخافتُ ويقول: أناجي ربِّي وأتضرَّعُ

---

(١) رواه البخاري (٤٧٢٢)، ومسلم (٤٤٦).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٣٤)، ورواه الحاكم في «المستدرك» (٨٣٩)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٣٤) مختصراً بلفظ: «نزلت هذه الآية في التشهد».

(٣) روه البخاري (٤٧٢٣)، ومسلم (٤٤٧).

إليه، وكان عمرُ رضي الله عنه يجهرُ ويقولُ: أطردُ الشَّيطانَ وأوقظُ الوسنانَ وأطيعُ الرَّحمنَ، فلمَّا نزلت هذه الآيةُ قال عليه السَّلام لأبي بكرٍ: «ارفع شيئًا[1]» وقال لعمرَ: «اخفض شيئاً»[2].

وقيل: لا تجهرْ بصلاتكَ كلِّها ولا تُخافت بكلِّها، وابتغِ بين ذلك سبيلاً.

***

(١١١) ـ ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾.

﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ﴾ كما قاله بعضُ اليهودِ في عُزيرٍ، والنَّصارى في عيسى، والمشركون في الملائكةِ.

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾؛ أي: في الإلهيَّة كما زعمَ عابدُ الصَّنمِ.

وقيل: لم يكنْ له شريكٌ في خلقِ السَّماواتِ والأرضِ.

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾؛ أي: لم يتخذْ وليًّا فيتعزَّزَ به سبحانه، والله وليُّ المؤمنين.

---

(١) في (و): «قليلاً».

(٢) رواه أبو داود (١٣٢٩)، والترمذي (٤٤٧) عن أبي قتادة، وقال الترمذي: «هذا حديث غريب، وإنما أسنده يحيى بن إسحاق، عن حماد بن سلمة، وأكثر الناس إنما رووا هذا الحديث عن ثابت، عن عبد الله بن رباح مرسلًا».

لكن قال النووي في «خلاصة الأحكام» (١/ ٣٩٢): «رواه أبو داود بإسناد صحيح».

وروى نحو هذه القصة مختصرة أبو داود (١٣٣٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه النووي أيضا في المصدر المذكور.

وقيل: معناه: لم يحالفْ أحداً(١).

وقيل: لم يكنْ له وليٌّ من اليهودِ والنَّصارى؛ لأنَّهم أذلُّ النَّاسِ، فيكون ﴿مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾ صفةً لـ﴿وَلِيٌّ﴾(٢).

وسمعتُ من يُفسِّرها بالبنتِ والختنِ(٣).

﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ صِفْه بالعظمةِ والكبرياءِ؛ أي: احمدوا مَن هذه صفتُه.

ورُوي عن النَّبيِّ عليه السَّلام أنَّه قال: «خيرُ الأقوالِ: سبحانَ اللهِ، والحمدُ للهِ، ولا إلهَ إلَّا اللهُ، واللهُ أكبرُ»(٤).

***

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٤٦)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٤٦)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٤٦)، وعدَّه من العجائب.

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٠٢٢٣)، وابن ماجه (٣٨١١)، وابن حبان في «صحيحه» (٨٣٩) عن سمرة بن جندب رضي الله عنه بلفظ: «أفضل الكلام بعد القرآن ـ وهو من القرآن ـ أربع لا يضرك بأيهن بدأت: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر».

وروى الإمام أحمد نحوه في «المسند» (٨٠١٢) عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما، ولفظه: «إن الله اصطفى من الكلام أربعاً: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر...».

سُورَةُ الكَهۡفِ

سُورَةُ الكَهفِ

مئةٌ وعشرُ آية[1]. مكيَّةٌ عند الجميع.

ابنُ عباسٍ وقتادةُ: مكيَّةٌ إلا آيةً منها نزلتْ بالمدينة، وهي قولُه: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم﴾ [الكهف: ٢٨][2].

بسم الله الرّحمن الرّحيم

(١) - ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ﴾.

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾؛ أي: المستحِقُّ للحمدِ هو سبحانه.

وقيل: تعليمٌ؛ أي: قولوا: الحمدُ لله، وقد سَبَق.

﴿ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ﴾: محمَّدٍ عليه السَّلام ﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾: القرآنَ ﴿وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ﴾: اختلافًا يناقِضُ بعضه بعضًا.

ابن عباسٍ: ملتَبِسًا[3].

---

(١) «مئة وعشر آية» من (ن). وقوله: «آية» كذا وقع في النسخة، والجادة: «آيات».

وانظر: «البيان في عد آي القرآن» للداني (ص: ١٧٩)، وفيه: مئة وخمس آيات في المدني والمكي، وست في الشَّامي، وعشر في الكوفي، وإحدى عشرة في البصري.

(٢) ذكره الجرجاني في «درج الدرر» (٢/ ٢٣٦)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٦٣)، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وذكره ابن الجوزي أيضاً عن قتادة.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٤٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٤٤)، والنحاس في =

ابن جريرٍ: ليس فيه ميلٌ عن الحقِّ إلى الباطل، وعن الاستقامةِ إلى الفساد، وعن البلاغة إلى العِيِّ[١].

وقيل: اللَّام زيادةٌ؛ أي: ولم يجعَلْه عوجًا. والعِوَجُ بالكسر: في الدِّين والطَّريق وفيما لم يكن منتصِبًا، وبالفتح: فيما هو منتصِبٌ كالجدار والقناة.

***

(٢) ـ ﴿قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾.

﴿قَيِّمًا﴾: مستقيمًا. أبو عبيدةَ[٢]: مصلِحًا[٣]. ابن عبَّاس: معتدِلًا[٤].

وقيل: ﴿قَيِّمًا﴾: المعتمَدُ عليه والمرجوعُ إليه، كقيِّم الدَّار[٥].

والجمهور: على أنَّه في التَّقدير مقدَّمٌ؛ أي: أنزلَ الكتاب قيِّمًا ولم يجعلْ له عوجًا، هذا إذا جعلتَ قوله: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾ عطفًا على صلة الموصول، فأمَّا مَن جعَلَه حالًا ـ وهو الأظهرُ ـ فليس فيه تقديمٌ وتأخيرٌ، بل هما حالان من ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾؛ أحدُهما مفرَدٌ والآخرُ جملةٌ[٦].

= «معاني القرآن» (٤/ ٢١٢).

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٥/ ١٤١).

(٢) في (ط): «عبيد».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٤٧).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٤٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٤٤)، والنحاس في «معاني القرآن» (٤/ ٢١٢)، جميعهم بلفظ: «أنزل الكتاب عدلًا قيمًا».

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٤٧)، واستغربه.

(٦) قال المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٤٧): «والجمهور على أن قوله: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾ عطف على الجملة قبلها، ولا محل لهما من الإعراب، و﴿قَيِّمًا﴾ موجز في اللفظ ومقدم في =

﴿لِّيُنذِرَ﴾؛ أي: أنـزلَ الكتـابَ لينـذِرَ العبـدُ ـ وهـو محمَّـد عليـه السَّـلامُ ـ الكافريـن ﴿بَأۡسًا﴾: عذابًـا ﴿شَدِيدًا﴾ أي: عـذابَ الاسـتئصالِ فـي الدُّنيـا، وقيـل: عـذابَ جهنَّـم.

﴿مِّن لَّدُنۡهُ﴾: مِن عندِه، والمعنى: من قُدرته، وهو منزَّهٌ عن المكان.

﴿وَيُبَشِّرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا حَسَنًا﴾ وهو الجنَّة.

* * *

(٣) ـ ﴿مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾.

﴿مَّٰكِثِينَ﴾: دائمين ﴿فِيهِ﴾: في الأجر وهو الجنَّة ﴿أَبَدًا﴾: دائمًا.

* * *

(٤) ـ ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾.

﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ يعني: اليهودَ والنَّصارى والمشركين.

* * *

= التقدير، وهو حال من ﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾، وفي هذا نظر؛ لأنه يؤدي إلى الإحالة بين الصلة والموصول وتمامها، وعنه مندوحة من ثلاثة أوجه:

أحدها: أن يجعل ﴿قَيِّمًا﴾ حالاً من الهاء في ﴿لَّهُۥ﴾؛ أي: ولم يجعل له حالةَ استقامته عوجًا.

والثاني: أن يجعل ﴿وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ﴾ في محل نصب حالًا عن الكتاب، و﴿قَيِّمًا﴾ حال عن الهاء كما سبق، أو حالًا بعد حال عن الكتاب.

والثالث: أن تجعل الجملة حالًا من ضمير الفاعل في ﴿أَنزَلَ﴾، أي: أنزله غير جاعل فيه عوجًا، و﴿قَيِّمًا﴾ حال من الهاء، أو من المفعول».

(٥) - ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٖ وَلَا لِأٓبَآئِهِمۡۚ كَبُرَتۡ كَلِمَةٗ تَخۡرُجُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبٗا﴾.

﴿مَّا لَهُم بِهِۦ﴾: بالقول ﴿مِنۡ عِلۡمٖ﴾؛ أي: هذا قولٌ عن[1] جهلٍ.

وقيل: بالاتِّخاذ من علمٍ.

وقيل: بالله من علمٍ.

﴿وَلَا لِأٓبَآئِهِمۡۚ﴾ الذين يقولون هذه المقالةَ ﴿كَبُرَتۡ كَلِمَةٗ﴾: عَظُمتْ[2] مقالتُهم هذه في الكفرِ والجرأةِ على الله، و﴿كَلِمَةٗ﴾ نصبٌ على تقديرِ: كَبُرَت الكلمةُ كلمةً، كما تقولُ في أفعال المدح والذَّمِّ: نِعْمَ الرجلُ رجلًا زيدٌ، و: بئسَ الرجلُ رجلًا زيدٌ[3].

الزَّجَّاج: كَبُرتْ مَقالَتُهم كلمةً[4].

وقيل: نصبٌ على التَّمييز كالفعل المنقول نحو: تَفَقَّأتِ الدَّابَّةُ شَحْمًا[5].

---

(١) في (و): «من».

(٢) في (ن): «تعظمت».

(٣) في (ن): «عمرو».

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٦٨).

(٥) أي: تشقق شحمها سِمَناً. انظر: «معجم متن اللغة» مادة: (ف ق أ)، وذكر المصنف هذا القول في «غرائب التفسير» (١/ ٦٤٨)، وعدَّه من العجائب.

قوله: «الفعل المنقول»؛ أي: نُقل الفعل عن الثاني إلى الأول، وذلك أن قولك: تَفَقَّأتِ الدَّابَّةُ شَحْمًا، معناه: تفقأ شحم الدابة، ومثله: ﴿وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا﴾ [مريم: ٤]، وإنما هو: اشتعل شيبُ الرأس، فنُقل الفعل عن الثاني إلى الأول ونُزع عن الثاني، فارتفع الأول بالفعل المنقول إليه، فصار فاعلاً في اللفظ، فمَنع الفعلَ أن يعمل في فاعله على الحقيقة فيرفعَه؛ لأنه لا يرتفع به أكثر من واحد وتوابعه، وانتصب المنقول عنه الفعل؛ لأن الفعل لا تصح إضافته إليه فينخفضَ به، ولا يرتفعُ به وقد ارتفعَ به =

أبو عبيدةَ: نصبٌ على التَّعجُّب؛ أي: أَكْبِرْ بها كلمةً؛ أي: مِن كلمةٍ[1].

﴿تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ﴾؛ أي: تكلَّموا بها.

﴿إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾: ما يقولون إلَّا الكذبَ بقولهم: ﴿ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ [البقرة: ١١٦].

* * *

(٦) ـ ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا﴾.

﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾؛ أي: قاتلُها. والبَخْعُ: الذَّبحُ البليغ[2].

وقيل: معناه: النَّهي؛ أي: لا تَبْخَعْ نفسَك.

﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ﴾ إذا ولَّوا عن الإيمان.

وقيل: إذا ماتوا على الكفر، تقول العرب: بكى على أثر فلانٍ: إذا بكى على فراقه.

﴿إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾: القرآنِ ﴿أَسَفًا﴾: حزنًا، والفعلُ منه (أَسَفَ) بالفتح. وقيل: غَضَبًا، والفعلُ منه (أَسِفَ) بالكسر. و(أَسُفَ) بالضم: رقَّ قلبه، فهو أَسيفٌ.

والتَّقدير: فلعلَّك باخعٌ نفسَك أسفًا، وهو نصبٌ على التَّمييز، وقيل: مفعولٌ له.

* * *

= غيرُه، ولم يبق إلا النصب فنصب. انظر: «شرح كتاب سيبويه» لأبي سعيد السيرافي (٢/ ٧٧). وقد تقدم في تفسير قوله تعالى ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ وقوله: ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا﴾.

(١) ذكره عن أبي عبيدة أبو حيان في «البحر» (٧/ ١٣٨)، وأورده النحاس في «معاني القرآن» (٤/ ٢١٤) دون نسبة، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٤٨)، واستغربه.

(٢) قال الزمخشري في «الكشاف» (٣/ ٢٩٨): «البخع: أن يبلغ الذبح البخاع؛ بالباء، وهو عرق مستبطنها الفقار، وذلك أقصى حدِّ الذبح».

(٧) - ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا﴾ ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: هو النَّبات[١].

قتادةُ: كلُّ ما على الأرضِ من شيءٍ[٢].

الكلبيُّ: الرِّجالُ[٣].

وقيل: الأنبياءُ والعلماءُ.

وجاء أيضًا: حفظةُ القرآن، فيكونُ ﴿مَا﴾ بمعنى: (مَن)[٤].

مقاتلٌ: الأشجار والأنهار[٥].

---

(١) ذكره أبو حفص النسفي في «التيسير في التفسير» عند هذه الآية عن الكلبي، فلعله مما روي من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٦٥) عن مقاتل. والكلبي ومقاتل متروكان، وهذا القول مرغوب عنه؛ لقوله بعده: ﴿لنبلوكم﴾؛ فليس البلاء بالنبات وحده وإن كان مما زين الله به الأرض، فالأولى هنا أن يقال بالعموم لكل ما يصلح أن يكون زينة لها ولأهلها من زخارف الدنيا. انظر: «الكشاف» (٢/ ٧٠٤).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٥١) عن مجاهد، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٤٩) بلا نسبة، واستغربه. ولا وجه لاستغرابه، فإن العموم الوارد فيه هو الأنسب بأمر الابتلاء، والله أعلم.

وقد روي عن قتادة في الآية معنى هذا القول مرفوعاً حيث قال: ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول: «إن الدنيا خضرة حلوة، وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء». رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٥١)، وجعله بمعنى قول مجاهد.

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٢٨٥). ورواه ابن المنذر وابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٥/ ٣٦١) من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس.

(٤) على الأقوال الثلاثة الأخيرة.

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٥٧٣) وفيه: «﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾ من النبت عامًا بعامٍ».

ويحتمِل ـ والله أعلمُ ـ أنَّ المراد بـ﴿مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾ هاهنا: المحرَّماتُ منها؛ لأنها خُلِقت زينةً لها؛ أي: فلا تتعرَّضوا لها، ويقوِّيه ما بعدَها، وهو قولُه: ﴿لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أي: في تركِه وتعاطِيْه[١].

وقيل: معنى ﴿لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾: لنأمرَهم بالطَّاعة وننهاهُم عن المعصية، والمعنى: نعامِلُ معاملةَ المبتلِي.

و﴿مَا﴾ و﴿زِينَةً﴾ مفعولَا ﴿جَعَلْنَا﴾.

وقيل: ﴿جَعَلْنَا﴾ بمعنى: خلَقْنا، و﴿زِينَةً﴾ مفعولٌ له[٢].

***

(٨) ـ ﴿وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾.

﴿وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ ﴿صَعِيدًا﴾: ترابًا، وقيل: كصعيدٍ، وهو وجهُ الأرض.

﴿جُرُزًا﴾: بلقعًا لا شيء فيه، مجاهدٌ: الذي لا نباتَ بها[٣].

السُّدِّي: الصَّعيدُ: الأملسُ المستوي، والجُرُز: الميِّت الذي لا نباتَ فيه[٤].

الزَّجَّاج: التي كأنَّها تأكلُ النباتَ أكلًا[٥]. ولعلَّه جعَله جمعَ جُرُوزٍ[٦]، وهو الَّذي

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٤٩)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٤٩)، واستغربه.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٥٣) بلفظ: «بلقعًا». وهكذا هو في «تفسير مجاهد» (ص: ٤٤٥)، وذكره النحاس في «معاني القرآن» (٥/ ٢١٢)، وأبو حيان في «البحر المحيط» (٧/ ١٤١) بنحو لفظ المصنف.

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٦٣).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٦٩).

(٦) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٢٠٤)، و«أساس البلاغة» للزمخشري (١/ ١٣٣)، و«تاج =

يأتي على كلِّ شيءٍ أكلًا، وأصلُه: القَطْعُ، والمعنى: نعيدُها بعد عمارتها خرابًا.

***

(٩) ـ ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴾.

﴿ أَمْ حَسِبْتَ ﴾: بل أَحَسِبْتَ، تَرَكَ الكلامَ الأوَّلَ واستَفْهَمَ عن الثَّاني، والمراد: النَّهيُ؛ أي: لا تتعجَّبْ من ذلك فليس ذلك بالبَديع من صُنْعِنا.

مجاهدٌ: لم يَنْهَه عن التَّعجُّب وإنَّما أراد: كلُّ آياتنا كذلك[١].

قتادةُ: لا تَعْجَبْ منها؛ فالعجائبُ في خَلْقِ السَّماوات والأرضِ وما فيهنَّ أكثرُ[٢].

ابن عبَّاسٍ: أي: سألوك عن ذلك ليَجْعلوا جوابَكَ علامةً لصِدْقِك، وكذلك سائرُ آياتِ القرآن أبلغُ وأعجبُ وأدلُّ على صِدْقِك[٣].

وقيل: معناه: أَعَلِمْتَ[٤]؛ أي: لم تَعْلَمْه حتى أَعْلَمْناك.

وسبب نزولها: أنَّ يهود المدينة قالوا لقريشٍ: سَلُوا محمَّدًا عن ثلاثِ خِصالٍ، فإنْ أَخبركم عن خَصْلتينِ ولم يُخبِرْكم عن الثَّالثة فاعلموا أنَّه نبيٌّ فاتَّبعوه، فإنَّا قد سألنا مسيلمةَ الكذَّابَ عن هذه الخصالِ فلَمْ يَدْرِ ما هي، وقد زعمتُم أنَّه يتعلَّم من

= العروس» مادة: (ج ر ز) (١٥/ ٥١).

(١) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٥٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٤٦) بألفاظ متقاربة، منها: «ليسوا عجبًا بأعجب آياتنا».

(٢) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٥٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٤٧) ولفظ الطبري: «قد كان من آياتنا ما هو أعجبُ من ذلك»، ولفظ ابن أبي حاتم: «ليسوا بأعجب آياتنا».

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٤٦) بلفظ: «الذي آتيتك من العلم والسنة والكتاب أفضل من شأن أصحاب الكهف والرقيم».

(٤) أي: بل أعلمت، ولكنه أسقط «بل» اعتماداً على ما تقدم.

مسيلمةَ، سَلُوه عن أصحابِ الكهف، وعن ذي القَرْنَينِ، وعن الرُّوح؛ فسألوه عنها فقال لهم: «ارجِعوا غدًا أخبركم» ولم يقل: إن شاء الله، فرجعوا ولم ينزل عليه إلى ثلاثة أيَّامٍ ـ وفي رواية الكلبيِّ: إلى خمسةَ عشر يومًا، وفي رواية الضّحاك: إلى أربعين يومًا ـ فقال المشركون: إن محمَّدًا قد ودَّعه ربُّه وقَلَاه، فأنزل الله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى: ٣]، ونزل: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾، ونزل: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾[1].

والكهف: الغار في الجبل.

مجاهدٌ: تَفريجٌ بين جبَلين[2].

المبرِّد: مدخلٌ في الجبل.

وفي الرَّقيم أقوالٌ:

ابن عبَّاسٍ: اسمٌ للجبل الذي فيه الكهف[3].

---

(١) ذكره هكذا السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٣٣٦)، والخبر رواه ابن إسحاق في «السير والمغازي» (ص: ٢٠١) عن رجل من أهل مكة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما، فذكره مطولاً. ومن طريق ابن إسحاق رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٤٣)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٢٧٠). وما جاء عند السمرقندي من ذكر مسيلمة في الخبر وتابعه فيه المصنف هو سهو ظاهر، فقد كان ظهور مسيلمة في أواخر أيام النبي ﷺ، وهذه القصة كانت في بداية البعثة لما كانت قريش تبحث عن طريقة لرده، وقد جاء في رواية ابن إسحاق ومن رواه عنه: أنهم أرسلوا إلى اليهود في تلك المهمة اثنان هما النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط، وهذان كلاهما قتلا ببدر، فأين هذا من ظهور مسيلمة؟

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٣٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٥١) بلفظ: «كهفهم بين جبلين».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٥٩).

وعنه أيضًا: اسمُ القرية التي كانوا منها[١].

الضَّحَّاك: اسمُ الوادي[٢].

سعيد بن جُبَيرٍ: اسمُ كَلْبِهم[٣].

مجاهدٌ: الرَّقيم: الكتابُ الذي كُتب فيه شأنُهم وأيَّامُهم[٤].

وكان من رصاصٍ، وقيل: من حجرٍ، فعيلٌ بمعنى: مفعولٍ، كقوله: ﴿كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ﴾ [المطففين: ٩].

وقيل: الرَّقيم: الدَّواة بالرُّوميَّة، حكاه الماوردي[٥].

وقيل: الرَّقيم: دراهمُهم، حكاه محمَّد بن الهَيْصَم[٦].

وجاء في الخبر: أنَّ الرَّقيم جماعةٌ؛ روى النُّعمان بن بشيرٍ الأنصاريُّ أنَّه سمع النبيَّ عليه السَّلامُ يَذْكُر الرَّقيمَ قال: «إنّ ثلاثةَ نفرٍ خرجوا يرتادون لأهليهم، فبينما[٧]

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٦٥٤)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٥٧) بلفظ: «يزعم كعب أن الرقيم القرية».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٥٨).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٢٨٧)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٥٠)، واستغربه.

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٣٢٥)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٥٨) على الشك بلفظ: «يقول بعضهم: الرقيم: كتاب تبيانهم، ويقول بعضهم: هو الوادي الذي فيه كهفهم».

(٥) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٢٨٧) عن أبي صالح، وذكره في «زاد المسير» (٣/ ٦٦) عن عكرمة ومجاهد في رواية، وانظر: «المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب» للسيوطي (ص: ٩٣).

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٥٠)، واستغربه.

(٧) في (ن): «فبينا».

هم يمشون إذ أصابَتْهم السَّماء، فأَوَوا إلى كهفٍ فانحطَّت صخرةٌ من الجبل فانطَبَقتْ على باب الكهف فأُوْصِد عليهم، فقال قائلٌ منهم: اذكُروا أيّكم عَمِلَ حَسَنةً لعلَّ اللهَ تعالى برحمتِه يَرْحَمُنا.

فقال رجلٌ منهم: إنِّي عملتُ حسنةً مرَّةً؛ كان لي أُجَرَاءُ يعملون عملًا لي استأجرتُ كلَّ رجلٍ منهم بأجرٍ معلومٍ، فجاءني رجلٌ ذاتَ يومٍ وَسَطَ النَّهار فاستأجرتُه بشرط أصحابه، فعَمِلَ في بقيَّة نهاره كما عَمِلَ رجلٌ منهم في نهاره كلِّه، فرأيتُ عليَّ في الذِّمام أنْ لا أَنْقُصَه ممَّا استأجرتُ به أصحابَه لِمَا جَهِد في عمله، فقال رجلٌ منهم: أتُعْطِي هذا مثلَ ما أعطيتَني ولم يَعملْ إلَّا نصفَ النَّهار؟ قلتُ: يا عبدَ الله، لمْ أَبْخَسْك شيئًا من شَرْطِك، وإنَّما هو مالي أحكُمُ بما شئتُ، قال: فغضبَ وتَرَكَ أَجْرَه، فوضعتُ حقَّه في جانبٍ من البيت ما شاء الله، ثم مرَّت بي بعد ذلك بقرٌ فاشتريتُ به فصيلةً من البقر، فبلَغَتْ ما شاء الله، فمرَّ بي بعد حينٍ شيخٌ ضعيفٌ لا أعرفُه، فقال لي: إنَّ لي عندك حقًّا، فذكَره حتى عَرَفْتُه، قلتُ: إيَّاك أبغي، وهذا حقُّك، فعرَضْتُها عليه جميعًا، فقال: يا عبدَ الله لا تَسْخَرْ بي، إنْ لم تَصدَّقْ عليَّ فأعطِني حقِّي، قلتُ: والله ما أسخرُ، إنَّها لَحقُّك ما لي فيه شيءٌ، فدفعْتُها إليه جميعًا، اللَّهمَّ إنْ كنتُ فعلتُ ذلك لوجهِكَ فافْرُجْ عنَّا، فانْفرَجَ[1] الجبلُ حتى رأوا وأبصروا.

وقال الآخر: قد عمِلْتُ حسنةً مرَّةً؛ كان فيَّ فضلٌ وأصابتِ الناسَ شدَّةٌ، فجاءتني امرأةٌ وطلبت منِّي معروفًا فقلتُ: والله ما هو دونَ نفسِكِ، فأَبَتْ عَلَيَّ وذَهبتْ، ثم رجَعَتْ فذكَّرَتْني فأَبَيْتُ، وقلتُ: لا واللهِ ما هو دونَ نَفْسِكِ، فأَبَتْ عَلَيَّ وذهبتْ وذكَرَتْ لزوجِها، فقال لها: أعطِيْه نَفْسَكِ وأَغِيثِي عيالَكِ، فرجَعَتْ إليَّ ونَشَدَتْني باللهِ فأَبَيتُ عليها، وقلتُ لها: واللهِ ما هو دون نَفْسِكِ، فلمَّا رأت ذلك أَسْلَمَتْ إليَّ

---

(١) في (ن): «فانصدع».

نَفْسَها، فلمَّا تكشَّفْتُها وهمَمْتُ بها ارتَعدَتْ مِن تحتي، فقلتُ لها: ما شأنُكِ؟ قالت: أخافُ اللهَ ربَّ العالَمين، فقلتُ لها: خِفْتِيه في الشِّدَّة ولم أَخَفْه في الرَّخاء، فتركتُها وأعطيتُها ما يَحِقُّ عليَّ بكَشْفِها، اللَّهمَّ إن فعَلْتُ ذلك لوجهِكَ فافْرُجْ عنَّا، فانْصَدَع حتى عَرَفوا وتبيَّن لهم.

وقال الآخَرُ: قد عَمِلْتُ حسنةً مرَّةً؛ كان لي أبوانِ شيخانِ كبيرانِ، وكانت لي غَنَمٌ، وكنتُ أُطعِمُ أَبويَّ وأَسقِيهِما ثمَّ أَرجِعُ إلى غَنَمي، قال: فأصابَني يومًا غيثٌ حَبَسني حتى أمسيتُ، فأَتَيتُ أهلي، فأخذتُ مِحْلَبي فحَلَبْتُ غنمي وتركتُها قائمةً، فمضَيْتُ إلى أبويَّ فوجدتُهما قد ناما، فشَقَّ عليَّ أن أوقِظَهما وشَقَّ عليَّ أنْ أترُكَ غَنَمي، فما بَرِحْتُ جالسًا ومِحْلَبي على يدِي حتى أيقظَهما الصُّبحُ فسقَيْتُهما، اللهمَّ إن فعلت ذلك لوجهك فافرج عنَّا» قال النُّعمان: لكأنِّي أسمعُ من رسولِ الله عليه السَّلام قال: «قال الجبل: طاق؛ ففرَّجَ الله عنهم فخرجوا»[1].

* * *

(١٠) - ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾.

﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ ﴾؛ أي: اذكُرْ يا محمَّدُ إذ أَوَى. وقيل: العامل فيه ﴿عَجَبًا ﴾. ومعنى ﴿أَوَى ﴾: صار إليه وجعَله مأواه.

والفتيةُ: جمع فتًى، كغِلْمةٍ وصِبْيةٍ.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٨٤١٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٤٧)، والطبراني في «الدعاء» (١٩٠). وقصة الثلاثة الذين آواهم المبيت رواها البخاري (٢٢٧٢)، ومسلم (٢٧٤٣) عن ابن عمر رضي الله عنهما وفي سياقها بعض اختلاف.

واختلف المفسِّرون في سبب مصيرهم:

قال ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: كانت مدينةٌ بالرُّوم[١] ظهر عليها ملكٌ من ملوك الروم يقال له: دقيانوس، فغَلَب على مدينتِهم وأرضِهم، واسمُ مدينتهم: أَفْسُوسُ، فجعل يَدعُوْهم إلى عبادةِ الأوثان، فمَن كفَر بالله واتَّبع دينَه تَركه، ومَن لم يتَّبعْ دينَه قتَله، فهدَى الله شابًّا من أهلِ تلك المدينةِ إلى دِين الإسلام، فجَعَل يدعو النَّاس سرًّا حتى هدَى اللهُ على يدِه خمسةَ أَغْلِمةٍ، ففَطِنَ لهم الملكُ فأخذهم ودفَعهم إلى آبائهم يحفَظونهم حتى يرسلَ إليهم مَن يَطلبُهم من آبائهم، فأرسَلَ إليهم فهربوا، وقال الآباء: خرجوا من عندنا أمسِ فما ندري أين هم؟ ومرُّوا بغلامٍ راعٍ ومعه كلبٌ له، فدعَوْه إلى أمرهم، فأعجَبَه ذلك فتابَعهم عليه، فمضى معهم واتَّبعه كلبُه ـ وقال كعب الأحبار: مرُّوا بكلبٍ فنبَح عليهم فطرَدوه فعاد ففَعَلوا ذلك مرارًا، فقال لهم الكلب: ما تريدون منِّي؟ لا تخشوا جانبي، أنا أحبُّ أحبَّاءَ الله، فناموا حتى أحرُسَكم[٢] ـ ثم أتوا الكهفَ فدخلوا، ثم أرسَلُوا بعضَهم إلى السُّوق ـ قيل: هو الذي اسمُه تَمليخا ـ ليشتريَ لهم طعامًا من السُّوق، وركبَ الملكُ والنّاسُ معه في طلَبِهم وهم يَسألون عنهم، فسمع تَمليخا بذلك فعَجِلَ[٣] أنْ يشتريَ لهم كلَّ الذي أرادوا، واشترى بعضًا وأتاهم به وأخبرهم أنَّ الناسَ والملكَ في طلبهم، فأكلوا ما أتاهم به ولم يَشْبَعوا، ثم ناموا على جوعهم فضرب الله على آذانهم بالنَّوم، وسار الملكُ والنّاسُ معه حتى انتهَوْا إلى باب الكهف، فوجدوا آثارَهم داخلِين ولم يجدوا آثارَهم خارجِين، فدخلوا الكهف وطلبوهم، فأعمَى الله عليهم فلم يجدوا شيئًا،

---

(١) «بالروم»: ليس في (و).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٢٧)، والواحدي في «البسيط» (١٣/ ٥٥٨).

(٣) في (ن): «فجعل».

فقال الملك: سدُّوا عليهم بابَ الكهف حتى يموتوا فيه فيكونَ قبورَهم إن كانوا فيه، ثم انصرف الملك، فعَمَد رجلان مسلمان يكتمان إيمانهما إلى لوحٍ من رصاصٍ وكتبَا فيه أسماءَ الفِتْيَة وأسماءَ آبائِهم ومدينتِهم، وأنَّهم خرجوا فِرارًا من دقيانوسَ الملكِ الكافرِ، فمَن ظَفِر بهم فإنَّهم مسلمون، وألْزَقاه في السدِّ من داخل الكهف[١].

ورُوي عن السُّدِّيِّ أنَّه قال: كان في المدينة فتيةٌ ليس منهم أحدٌ يَعرف صاحبَه، فخرج ملكُهم مَخْرَجًا كان له وخرج الناسُ معه، وخرج الفتيةُ ومعهم واحدٌ معه كلبٌ، وليس منهم أحدٌ إلا وفي نَفْسه يقول: إنْ رأيتُ أحدًا استضعَفْتُه دعوتُه، فلمَّا رجع الناسُ تخلَّفتِ[٢] الفِتْيةُ، فاجتمعتْ على باب المدينة وقد أُغلق، فطلبوا أن يدخلوا فلم يُفتح لهم، فقال بعضُهم: إني أُسِرُّ إليكم أمرًا فإنْ تابَعْتُموني عليه رَشَدْنا، فقصَّ عليهم أمرَه فقالوا جميعًا: نحن على هذا، فذلك قوله: ﴿إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فصاروا إلى الكهف، فدخلوا الكهفَ فرَقدوا ورقدَ الكلبُ بفِنَاءِ الكهف، فضُرب على آذانهم بالنَّوم، فلمَّا فقَدَهم أهلُهم انطلقوا إلى الملك فأخبروه خبرَهم، فدعا بصخرةٍ فكتب عليها أنَّهم هلكوا في زمانِ كذا، ثم ضربَها في سور المدينة على الباب، قال: وهو الرَّقيم[٣].

وفي روايةِ عُبيدِ بنِ عُمَيرٍ: كان أصحابُ الكهف فتيانًا مطوَّقين مسوَّرين ذوِي ذَوائبَ، وكان معهم كلبُ صيدِهم، فخرجوا في عيدٍ لهم عظيمٍ في زيٍّ ومركبٍ وأَخرجوا معهم آلهتَهم التي كانوا[٤] يعبدونها من دون الله، وقد قذَفَ اللهُ تعالى في

---

(١) ذكره السمرقندي في «تفسير السمرقندي» (٢/ ٣٣٦، ٣٣٧)، والجرجاني في «درج الدرر» (٢/ ٢٣٨).

(٢) في (ن): «تخلف».

(٣) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٣٣٧).

(٤) «كانوا»: ليس في (ن).

قلوبِ الفتيةِ الإيمان، وكان أحدُهم وزيرَ الملك، فآمَنوا وأخفَى كلُّ واحدٍ منهم الإيمانَ من صاحبه، فقالوا في أنفسِهم مِن غيرِ أن يُظهِرَ بعضُهم لبعضٍ: نَخرجُ من بينِ أظهُرِ هؤلاء القوم لا يُصيبنا عقابٌ بجُرْمهم، فخرج شابٌّ منهم حتى انتهَى إلى ظلِّ شجرةٍ فجلس فيه، ثمَّ خرج آخرُ فرآه جالسًا وحده فرَجَا أن يكونَ على مِثْلِ أمْرِه من غيرِ أن يُظهِرَ ذلك فجلس إليه، ثمَّ خرج الآخَرون فجاؤوا فجلسوا إليهما واجتمَعوا، فقال بعضُهم لبعضٍ: ما جَمَعَكم؟ وقال الآخَرُ: بل ما جَمَعَكم؟ وكلُّ واحدٍ[1] يكتُم صاحبَه إيمانَه مخافةً على نفسه، ثمَّ قالوا: ليَخْرُجْ كلُّ فَتيَيْنِ منكم فيَخْلُوَا ثمَّ يُفشي كلُّ واحدٍ منهم أمرَه إلى صاحبه، فأقبَلوا مستبشِرين أنْ قد اتَّفَقْنا على أمرٍ واحدٍ، فإذا هم جميعًا على الإيمان، وإذا كهفٌ في الجبل قريبٌ منهم، فقال بعضُهم لبعضٍ: ائْوُوا إلى الكهف يَنْشُرْ لكم ربُّكم من رحمته ويهيِّئْ لكم من أمرِكم مِرْفَقًا، فدخلوا الكهفَ ومعهم كلبُ صيدهم، فناموا ثلاثَ مئةٍ سنين، قال: وفقدهم قومُهم فطلبوهم فعمَّى الله عليهم آثارَهم وكهفهَم، فلمَّا لم يَقْدَموا كُتبت أسماؤهم وأنسابُهم في لوحٍ: فلانٌ وفلانٌ وفلانٌ أبناءُ ملوكِنا فقدناهم في شهرِ كذا في سنةِ كذا في مملكةِ فلانِ بنِ فلانٍ، ووضَعوا اللَّوحَ في خزانة الملك، وقالوا: ليكونَنَّ لهذا شأنٌ، ومات ذلك الملك[2] وجاء قرنٌ بعد قرنٍ[3].

وفي رواية وهبِ بن المنبِّه: جاء رجلٌ من حواريِّي عيسى ابنِ مريم عليه السّلام إلى مدينةِ أصحاب الكهف، فأراد أن يدخلها فقيل له: إنَّ على بابها صنمًا لا يدخلُها أحدٌ إلَّا سجد له، فكَرِه أن يدخلَها، فأتى حمَّامًا كان بالقرب من المدينة وكان يَعملُ

---

(١) «واحد»: ليس في (و).

(٢) في (و): «الرجل».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٧٣)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٣١).

فيه يؤاجِرُ نفسَه من صاحب الحمَّام، ورأى صاحبَ الحمَّام في حمَّامه البَرَكة ودرَّ عليه الرِّزقُ، واجتمعَ عليه فتيةٌ من أهل المدينة، فجَعَل يُخْبِر مَن رآه خبرَ السَّماء والأرض، وخبرَ الآخرةِ، حتَّى آمنوا به[١] وصدَّقوه، وكانوا على مثلِ حالهِ في حُسنِ الهيئة، فكان على ذلك حتَّى جاء ابنُ الملك بامرأةٍ، فدخل بها الحمامَ فماتا في الحمَّام جميعًا، فجاء الملكُ، فقيل له: قَتَل صاحبُ الحمَّام ابنك، فالتَمَسه فلم يَقدرْ عليه، فقال: مَن كان يصحبُه؟ فسَمَّوا الفتيةَ، فالتُمِسوا فخرجوا من المدينة، فمرُّوا بصاحبهم في زرعٍ له وهو على مثلِ حالهم وأمرِهم، فذكروا بأنَّهم التُمِسوا، فانطلَق معهم ومعه كلبٌ حتَّى آواهم اللَّيل إلى الكهف فدخلوه، وقالوا: نبيت هاهنا اللَّيلة ثمّ نصبح إن شاء الله فترَوْنَ رأيكم، فضربَ الله تعالى على آذانهم، فخرج الملك في أصحابه يَتْبعونهم حتَّى بلغوا الكهف، فكلُّ مَن أراد الدّخولَ أُرعب، فلم يُطِقْ أحدٌ أن يدخله، فقال قائلٌ: أليس لو كنتَ قدرتَ عليهم قتَلْتَهم؟ قال: بلى، قال: فابنِ عليهم بابَ الكهف واتركهم فيه فيموتوا عطشًا وجوعًا، ففعل.

قال وهبٌ: فغَبَروا نائمِين[٢] بعدما سَدُّوا عليهم باب[٣] الكهف زمانًا بعد زمانٍ، ثمَّ إنَّ راعيًا أدركه المطرُ عند الكهف فقال: لو فتحتُ باب الكهفِ وأدخلْتُه غنمي من المطر، فلم يَزَلْ يعالجه حتَّى فُتح، وردَّ الله إليهم أرواحهم من الغد حين أصبحوا، فنظر واحدٌ منهم إلى الشَّمس عند زوال الشَّمس، وقيل: عند غروبها، فقال: ﴿كَمۡ لَبِثۡتُمۡ﴾ قال واحدٌ منهم: ﴿لَبِثۡنَا يَوۡمًا﴾ وقال الآخر: ﴿أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ﴾، فقال كبيرُهم: لا تختلِفوا، فإنَّه لم يختلِفْ قومٌ إلّا هلكوا، ثمّ قال: ﴿فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ

---

(١) «به»: ليس في (و).

(٢) «نائمين»: ليس في (ط).

(٣) في (ط): «سدّ عليهم الباب».

هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا ﴾ يعني: أَطهَرَ وأَحلَّ؛ لأنَّهم كانوا يذبحون الخنازير، فدفعوا الدَّراهمَ إلى تمليخا، فلمَّا انتهى إلى بابِ الكهف[1] إذا حجارةٌ مكسورةٌ على بابه، فقال: إنَّ هذا الشَّيء ما رأيناه بالأمس، فلمَّا خرج ودنا إلى باب المدينة لم يَعرفها، فلمَّا دخل المدينةَ لم يَعرف أحدًا من النّاس، فأَشْكَلَ عليه فقال: لعلَّ هذه غيرُ تلك المدينة، فسأل إنسانًا فقال: أَيَّةُ مدينةٍ هذه؟ فقال: أَفْسُوسُ، فقال: لقد أصابني شيءٌ غيَّرَ عَقْلي، هذه مدينتُنا ولا أعرفُها ولا أحدًا من أهلها، فأَخرج الدَّراهم إلى الخبَّاز ودفع إليه، وأخذَ الخبَّازُ الدَّراهمَ وأَنْكَرها، وقال: مِن أين لكَ هذه الدّراهمُ؟ لعلَّك وجدْتَ كنزًا لَتُخْبِرَنِّي وإلَّا رَفَعْتُك[2] إلى الملِك، وكان كلُّ ملكٍ يَحْدُثُ بعد آخَرَ يَضرب الدَّراهمَ على اسمِه، فمَن وُجِد معه غيرُ ذلك الضَّربِ عُلِم أنَّه كنزٌ، فلمَّا وجَدوا عنده تلك الدَّراهم قالوا: هذا كنزٌ، فقال: إنَّ هذه ما أخرجْتُه من المدينة إلَّا أمسِ، فظنَّ الخبَّازُ أنَّه يحتالُ عليه ليُرْسِلَه، فقال له: علِمْتُ أنَّك تحتالُ عليَّ لأُرْسِلكَ[3]، واللهِ لا أُرسِلُك حتّى تُعطيَني من هذا الكنزِ أو لأَرفعنَّك[4] إلى الملك.

فاجتمع النَّاس فذهبوا به إلى الملك، وجعَل تمليخا يبكي فَرَقًا من أن يُدْفَعَ إلى ملكهم الذي فرَّ منه، فلمَّا دخل على غيرِه سَكَن، فقال له الملِكُ: مِن أين لك هذه الدَّراهمُ؟ قال: خرَجْتُ بها عشيَّةَ أمسِ أنا وأصحابٌ لي فرارًا من الملك دقيانوس، فقال: أنت رجلٌ شابٌّ، وذلك قد مضى منذ دهرٍ طويلٍ، فما أنا الذي أُرسِلُك حتّى تُخْبِرَني من أين لك هذه؟ فقصَّ عليه أمْرَه وأمْرَ أصحابه، فقال أناسٌ من المسلمين:

---

(١) في (و): «السد».

(٢) في (ن): «دفعتك».

(٣) «لأرسلك»: ليس في «م».

(٤) في (ن): «لأدفعنك».

قد أَخبرَنا بعضُهم أنَّ آباءنا أَخبَرونا أنَّ فتيةً قد خرجوا بدِينهم فرارًا من دقيانوس، وإنَّا والله ما ندري لعلَّه صادقٌ، فاركَبْ فانظر لعلَّه أراد الله[1] أنْ يُظهِرَك عليه أو يكونَ في ولايتك، فركب الملكُ وركب معه النَّاسُ المسلمُ والكافر، حتّى انتهَوْا إلى الكهف، فلمَّا رأى أصحابُه النَّاسَ قد انتهَوا إليهم عانَقَ بعضُهم بعضًا يبكون ولا يشكُّون أنَّه الملكُ الجبَّار الكافر، فقال لهم تمليخا: امكُثوا حتَّى أدخلَ أوَّلًا، فدخل عليهم وأخبرهم بالقصَّة[2].

قال ابن عبَّاسٍ في رواية أبي صالحٍ قال: دخل عليهم الملكُ والنَّاسُ يسألونهم عن أمرهم، وقصُّوا عليهم قصَّتَهم، فنظروا فإذا اللَّوحُ الذي كتبَه المسلمانِ فيه أسماؤهم وأسماءُ آبائهم، فقال الملك: قومٌ هلكوا في زمانِ دقيانوس، فأحياهم الله في زماننا[3]، فلم يَبْقَ أحدٌ من الكفَّار إلّا أَسْلَم إذ رآهم، فبينما يحدِّثونهم إذ ماتوا[4].

وقال ابن عبَّاسٍ في رواية سعيد بن جبيرٍ: إنَّ القومَ لمَّا انتهَوْا إلى الكهف فقال لهم الفتى: مكانَكم حتى أَدخُلَ على أصحابي، ولا تهجُموا عليهم فيَفزعوا منكم، فدخل فعُمِّي عليهم المكان، فلم يدروا أين ذهب، ولم يقدروا على الدُّخول عليهم[5]، فقالوا: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ فاتَّخذوا عليهم مسجدًا وجعلوا يصلُّون فيه[6].

---

(١) في (و): «فانظر لعل الله».

(٢) روى نحوه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٦٥٦)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٧٤)، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٣٣٩) وعنه نقل المصنف.

(٣) في (ن): «زماني».

(٤) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٣٣٩).

(٥) في (ن) زيادة: «ففزعوا».

(٦) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٣٣٩).

﴿فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾: أعطِنا من عندك وقِبَلِك تعطُّفًا ﴿وَهَيِّئْ لَنَا﴾: سهِّل لنا، والتَّهيئةُ: إحداثُ هيئةِ الشَّيء وشَكْلِه.

﴿مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾: صلاحًا وفلاحًا.

* * *

(١١) ـ ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾.

﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ﴾: أنَمْناهم، من قولهم: ضربتُ على السَّطر: إذا أبطَلْتَه وجعَلْتَ عليه ما يَمنعُ من الإدراك(١).

وقيل: أَلْقَينا النَّومَ عليهم.

وقيل: منَعْناهم الإدراكَ بالآذان.

وقيل: ضَرَبَهم اللهُ بالنَّوم، كما يقالُ: ضَرَبه الله بالفالج.

وقيل: تقولُ العرب: ضَرَب اللهُ على أُذُن فلانٍ ليلتَه: إذا نام فيها فلم يَنتبِهْ في جميعِها.

ويحتمِلُ أنَّ المعنى: سَلَبْنا حَوَاسَّهم؛ لأنَّ النَّائم مسلوبُ الحوَاسِّ.

وخصَّ السَّمعَ بالذِّكر من بين الحواسِّ لأنَّ مَن سُلب سَمْعَه سُلب عقلَه، والنَّائم مسلوبُ العقلِ، بخلافِ سائرِ الحَوَاسِّ.

﴿سِنِينَ عَدَدًا﴾؛ أي: معدودًا، وقيل: ذاتَ عددٍ، والمعنى: سنينَ كثيرةً، وقيل: سنينَ معدودةً عند الله لا يعلمُها أحدُ الحِزْبَين.

الفرَّاء: سنينَ تَعُدُّونها ولا تُحقِّقُونها(٢).

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٥٢) عن ابن عيسى.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٣٥)، وفيه: «العدد هاهنا في معنى معدودة... فالعدد هاهنا مع =

(١٢) ـ ﴿ثُمَّ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِنَعۡلَمَ أَيُّ ٱلۡحِزۡبَيۡنِ أَحۡصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدٗا﴾.

﴿ثُمَّ بَعَثۡنَٰهُمۡ﴾: أيقظْناهم ﴿لِنَعۡلَمَ﴾ عِلْمَ مشاهَدةٍ ووجودٍ.

ابنُ جَريرٍ: ليَعْلَمَ عبادُنا(١).

﴿أَيُّ ٱلۡحِزۡبَيۡنِ﴾ الحزبُ: الجماعةُ، والحزبان عند السُّدِّيِّ: اليهودُ والنَّصارى(٢).

وقيل: هما من أصحابِ الكهف؛ فحزبٌ قال: ﴿كَمۡ لَبِثۡتُمۡ﴾، وحزبٌ قال: ﴿لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ﴾.

قتادةُ: المؤمنون والكافرون(٣).

وقيل: أصحابُ الكهف في قولِهم: ﴿لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ﴾، واليهودُ في قولهم: ﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ﴾.

ابنُ بحرٍ: أحدُ الحزبين: اللهُ، والثَّاني: الخَلْقُ، كقوله تعالى: ﴿ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٠](٤).

﴿أَحۡصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدٗا﴾: ﴿أَحۡصَىٰ﴾: (أفعَلُ مِن) عند الجمهورِ، من الإحصاء، وهو: العَدُّ.

أبو عليٍّ الفارسيّ: (قد أحصَى) على المضيِّ؛ أي: أحاط علمًا بأمدِ لبثِهم.

= السنين بمنزلة قوله تبارك وتعالى في يوسف: ﴿وَشَرَوۡهُ بِثَمَنِۭ بَخۡسٖ دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖ﴾ [يوسف: ٢٠] لأن الدراهم ليست بمسماة بعدد».

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٥/ ١٧٦).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٥٢)، وأبو حفص النسفي في «التيسير في التفسير» عند هذه الآية.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٧٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٥٠).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٥٢)، وعدَّه من الغريب العجيب.

والصَّوابُ ما ذهب إليه أبو عليٍّ؛ لأنَّ التَّفضيلَ من بناء (أَفْعَلَ) شاذٌّ، حكَى سيبويه: «ما أَعْطاه» و: «ما أَوْلاهُ» فحَسْبُ[١].

﴿لِمَا لَبِثُوٓا﴾؛ أي: لمـدَّة لُبْثِهـم ﴿أَمَدًا﴾: غايـةً، مقاتـلٌ: أجـلًا[٢]، مجاهـدٌ: عـددًا[٣].

---

(١) انظر: «الكتاب» (٤/ ٩٩) (باب يستغنى فيه عن: ما أفعله)، ولم يذكر هذين الاستثناءين، لكنه استخدم كلمة (أولى) في كلامه كثيراً، وأجاز التعجب من (أعطى) تصريحاً. انظر: «الكتاب» (١/ ١٧ و٧٣). وقد ذكر هذين الاستثنائين. غيره ممن جاء بعده. انظر: «المقتضب للمبرد» (٤/ ١٧٨) و«الأصول في النحو» لابن السراج (١/ ٩٩ و١٠٣)، و«شرح كتاب سيبويه» لأبي سعيد السيرافي (٤/ ٤٧٤)، و«المفصل» (ص: ٣٦٧). وأما قول المؤلف: «فحسب» فهو يوهم الحصر بالمذكورَين، وليس كذلك، فقد قال أبو حيان في «التذييل والتكميل» (١٠/ ٢٣٩ ـ ٢٤٠): «وقد جاءت ألفاظ من «أَفْعَلَ» تُعُجِّبَ منها والهمزةُ لنقل ولغير نقل، فمن الأول قولهم: ما آتاه للمعروف! وما أعطاه للدراهم! وما أولاه بالمعروف! وما أَضْيَعَه لكذا! ومن الثاني قولهم: ما أَنْتَنَه! في لغة مَن قال أَنْتَنَ، وما أَخْطَأَه! وما أَصْوَبَه! وما أَيْسَرَه! وما أَعْدَمَه! وما أَسَنَّه! وما أَوْحَشَ الدارَ! وما أَمْتَعَه! وما أَسْرَفَه! وما أَفْرَطَ جهلَه! وما أَظْلَمَه! وما أَضْوَأَه...».

وقال: «إذا كان الفعل على وزن «أَفْعَلَ» ففي حكم التعجب منه ثلاثة مذاهب:

أحدها: أنه لا يجوز أن يُبنى منه أَفْعَلَ ولا أَفْعِلْ على الإطلاق، وهو مذهب أبي الحسن والمازنيّ والمبرد وابن السَّرّاج والفارسيّ.

والثاني: أنه يجوز، وهو مذهب الأخفش فيما قيل، ونُسب إلى سيبويه، وصححه ابن هشام الخضراوي.

والثالث: التفصيل بين أن تكون الهمزة للنقل فلا يجوز، وبين ألاَّ تكون للنقل فيجوز، ونُسب إلى س، وصحَ!حه ابن عصفور».

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٥٧٦).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٧٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٥٠).

و﴿أَمَدًا﴾ نصبٌ على التَّمييز لوقوعه بعد (أَفْعَل)، وقيل: نصبٌ بوقوعِ ﴿لَبِثُوٓاْ﴾ عليه[1]، وعلى قولِ أبي عليٍّ: مفعولُ ﴿أَحْصَىٰ﴾[2].

***

(١٣) ـ ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾.

﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ﴾: بالصِّدق، وقيل: باليقين.

﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ﴾: شبَّانٌ ﴿ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾: ثبَّتْناهم على ذلك.

***

(١٤) ـ ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًاۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا﴾.

﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾: قوَّيْنا قلوبَهم على إتمام ما نَوَوْا، وقيل: أَلْهَمْناهم الصَّبرَ ﴿إِذْ قَامُواْ﴾ بين يدي دقيانوس الملكِ.

وقيل: قاموا بالدَّعوة إلى الإيمان سرًّا.

وقيل: قاموا على أرجلهم.

وقيل: قاموا من رقدتهم.

وقيل: قاموا على إيمانهم ولم يرتدُّوا.

﴿فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: خالقُهما ﴿لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًاۖ لَّقَدْ قُلْنَآ

---

(١) ذكر هذين الوجهين النحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ٢٩٠)، واختار الأول.

(٢) رجح مكي في «مشكل إعراب القرآن» (١/ ٤٣٨) ما رجّحه المصنف، وذكر حجة المصنف ذاتها.

إِذًا شَطَطًا ﴾: كذبًا وخَطأً وجَورًا وقولًا غاليًا، وهذه أقوالٌ، وأصله من شطَّتِ الدَّارُ[١] أي: بَعُدَتْ، وأَشَطَّ؛ أي: جاوَزَ الحدَّ[٢].

***

(١٥) ـ ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۢ بَيِّنٖۖ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ﴾.

﴿ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ﴾؛ أي: في النَّسب ﴿ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ ﴾؛ أي: هلَّا يأتُون ـ تحريضٌ ـ ﴿عَلَيۡهِم﴾: على عبادتهم ﴿بِسُلۡطَٰنِۢ بَيِّنٖ﴾: بحُجَّةٍ ظاهرةٍ، وقيل: بعُذرٍ، وقيل: بكتابٍ.

قتادةُ: كلُّ سلطانٍ في القرآن فمعناه الحجَّةُ[٣].

﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ﴾ في إشراكه مع الله آلهةً.

***

---

(١) «الدار»: من (ط).

(٢) في (ط): «القدر».

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٦٥٨)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٣٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٩٦٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما، ثم قال: «وروي عن عكرمة ومحمد بن كعب وسعيد بن جبير والسدي والضحاك والنضر بن عدي نحو ذلك»، وذكره السمرقندي في «بحر العلوم» (٢/ ٣١٠) عن مجاهد.
أما قتادة فقد روى عنه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٣٢٧)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٨١) قوله: «﴿بِسُلۡطَٰنِۢ بَيِّنٖ﴾: بعذر بيِّن». وفي «تفسير يحيى بن سلام» (١/ ١٧٤): «وتفسير قتادة فيه في القرآن كله: عذر بيِّن».

(١٦) ـ ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾.

﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ﴾؛ أي: بَعُدْتُم عن القوم، وأصلُ هذا التَّركيبِ البُعْدُ.

﴿وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾؛ أي: الأصنامَ[١]، والاستثناءُ منقطعٌ، ويجوزُ أن يكونَ القومُ كانوا يعبدون اللهَ ويعبدون الأصنامَ، ويكونَ الاستثناءُ متَّصلًا.

ويحتمِلُ ﴿إِلَّا ٱللَّهَ﴾: دونَ الله، ويقوِّيه مصحفُ ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه: (وما يعبدون مِن دون الله)[٢].

﴿فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾: صِيْروا إليه ﴿يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم﴾: يَبْسُطْ ويوسِّعْ عليكم ﴿مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾: رزقِه، وقيل: من توفيقِه ﴿وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾: يُسهِّلْ لكم ما تريدون من أمر الدِّين، وقيل: معاشَكم.

والمرفقُ: الرِّفقُ والفَلَاح، وقيل: ما تَرتفِقون به[٣].

***

---

(١) قوله: «أي: الأصنام» تفسير لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ﴾؛ أي: اعتزلتموهم واعتزلتم الأصنامَ التي يعبدونها.

(٢) رواها الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٨٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٥١) عن قتادة عن ابن مسعود، وقال: «هذا تفسيرها»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٥٣)، واستغربه.

(٣) يقال: مِرفَق، وهو ما يُرتفق به، ومَرفِق ومَرفَق، وهما مصدران بمعنى الرفق.

انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٢٩٠)، و«إسفار الفصيح» للهروي (٢/ ٦٨٢)، و«التبيان» للعكبري (٢/ ٨٤٠).

وقد قرأ نافع وابن عامر بفتح الميم وكسر الفاء، والباقون بكسر الميم وفتح الفاء. انظر: «السبعة» (ص: ١٤٢) و«التيسير» (ص: ١٤٢).

(١٧) ـ ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾.

﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ﴾؛ أي: لو رأيتهم بهذه الصِّفة ﴿إِذَا طَلَعَت﴾ عليهم ﴿تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ﴾: تميلُ عنه ولا يَقعُ شعاعُها عليهم؛ لأنَّ الكهف في مقابَلةِ بناتِ النَّعْش ﴿ذَاتَ ٱلْيَمِينِ﴾؛ أي: ذاتَ يمينِ القوم، ويجوزُ: يمينِ الكهف ﴿وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ﴾: تتركُهم وتَعْدِلُ عنهم ﴿ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾.

ابنُ عبَّاسٍ: تمرُّ بهم(١).

الفرَّاءُ: هو المحاذاة(٢).

قُطْرُبٌ: ﴿تَّقْرِضُهُمْ﴾: تأتي عليهم يمينًا وشمالًا.

ابنُ عيسى: تعطيهِم اليسيرَ من شُعاعها، ثم تأخذُه بانصرافها، مِن: قَرْضِ الدَّراهمِ(٣).

﴿وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ﴾: متَّسَعٍ وفضاءٍ ﴿مِّنْهُ﴾: من الكهف، ينالُهم نسيمُ الرِّيح وبردُ الهواء.

سعيد بن جبيرٍ: ﴿فَجْوَةٍ مِّنْهُ﴾: داخلٍ منه(٤). وقيل: المكانُ الموحِش.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٨٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٥١) بلفظ: «تذرهم».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٣٧).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٢٩٠) بلا نسبة.

(٤) ذكره بهذا اللفظ الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٢٩١)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٨٩) بلفظ: «المكان الداخل».

﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: المذكورُ ﴿مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: آياتِ قدرتِه على ما يريدُ.

﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾: مَن يوفِّقْه فهو الذي اهتَدَى وأصاب، ﴿وَمَن يُضْلِلْ﴾: يخذُلْه ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾؛ أي: ومَن أضلَّه فلا هاديَ له.

***

(١٨) - ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴾.

﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا﴾: جمعُ يَقُظٍ؛ بالضَّمِّ والكسر.

﴿وَهُمْ رُقُودٌ﴾؛ أي: لو رأيتَهم مشاهَدةً لظنَنْتَ ذلك؛ لأنَّ عيونهم كانت مفتوحةً كأنَّهم أحياءٌ ينظرون.

﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ يريد: في رقدتهم؛ كَيْ لَا تأكلَ الأرضُ ما يَلِيْها من أبدانهم على طولِ المدَّة.

و﴿ذَاتَ ٱلْيَمِينِ﴾ صفةُ البقعةِ؛ أي: من البقعةِ التي تلي أيمانهم إلى البقعةِ التي تلي شمالَهم، وهي نصبٌ على ظرف المكان.

وعن قتادةَ: أنَّ التَّقليب كان في الرَّقدة الأولى(١).

وعن ابن عبَّاسٍ: أنَّ لهم في كلِّ عامٍ تقليبتين(٢).

﴿وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ﴾ الإجماعُ على أنَّه الكلبُ المعروفُ، وكان لهم؛ لقوله سبحانه: ﴿وَكَلْبُهُم﴾.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٩١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٥٢).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٥٢)، وابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٥/ ٣٧٣) بلفظ: «ستة أشهر على ذي الجنب، وستة أشهر على ذي الجنب».

وقيل: كان لواحدٍ منهم، وهو الرَّاعي الذي تَبِعهم ومعه كلبُه، وإضافتُه إلى الجماعة إضافةُ اجتماعٍ.

وقيل: لم يكن كلبًا، وإنَّما كان طبَّاخًا لهم تَبِعَهم. وقيل: كان راعيًا.

وهذان القولان خلاف الإجماع[١].

واختُلف في اسم الكلب ولونِه؛ فقيل: كان أصفرَ، وقيل: كان أحمرَ، كأنَّه كساءٌ أَنْبَجانيٌّ[٢]، وقيل: أَنْمرَ[٣]، وهو الأكثرُ في التَّفاسير، وقيل: كالخَلَنْج[٤].

الثَّعلبيُّ: قيل: لون الحجر، وقيل: لون السَّماء[٥].

عليٌّ رضي الله عنه: اسمه: زبّان[٦]، ابن عبّاسٍ: قطمير، وقيل: قطفير، الأوزاعيُّ: تَنُوهُ، وقيل: حُمْرانُ، ابن كثيرٍ: قُطْمور[٧]، ....

(١) ذكر المصنف القولين في «غرائب التفسير» (١/ ٦٥٤)، وعدَّهما من الغريب العجيب جدًّا.

(٢) كِساء أَنْبَجَانِيٌّ: هو كساءٌ يُتَّخذُ مِن الصُّوف وله خَمْل ولا عَلَم له، وهي من أَدْون الثِّياب الغليظة. منسوبٌ إلى مَنْبِج المدينة المعروفة، وهي مكسورةُ الباء، ففُتِحَتْ في النَّسَبِ وأبدلت الميم همزةً، وقيل: إنها منسوبةٌ إلى موضعٍ اسمُه: أَنْبِجَان، وهو أشبه؛ لأن الأولَ فيه تعسُّف. انظر: «النهاية» لابن الأثير مادة: (ن ب ج) (١/ ٧٣).

(٣) الأنمر من الخيل والنعم: ما كان على شِيَة النمر فيه بقعةٌ بيضاءُ وأخرى على أي لون كان. انظر: «التاج» مادة: (ن م ر) (١٤/ ٢٩٩).

(٤) الخلنج: شجر يُتخذ من خشبه الأواني. انظر: «المحكم» (٥/ ٣٢٤).

(٥) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٧/ ٦٦).

(٦) في (و): «زبَّار». وفي «تفسير الثعلبي» تحقيق ابن عاشور: «ريان».

(٧) رواه الثعلبي عن عبد الله بن كثير بلفظ: «قطمير»، وذلك محققه أنه في نسخة: قطمون، وفي طبعة ابن عاشور (٦/ ١٦٠): «قطمور»، كما نقل المصنف.

السُّدِّيُّ: نَوْرٌ، ابن سلامٍ: بسيطٌ، كعبٌ: أصهب[١]، وهبٌ: تقي[٢].

ولولا أنَّ المفسِّرين ذكروا ذلك لكان الإضرابُ عنه أولى[٣].

﴿بِٱلۡوَصِيدِ﴾ ابن عبَّاسٍ: فِناءُ الكهف[٤].

ابن جُبيرٍ: الوصيدُ: الصَّعيد[٥]. وهو التُّراب.

السُّدِّيُّ: الوصيدُ: الباب[٦].

عطاءٌ: الوصيدُ: عَتَبةُ الباب[٧]، تقول العرب: آصَدْتُ البابَ وأَوْصَدْتُه: إذا أَطْبَقْتَه.

وقيل: الوصيدُ: الحَظيرة[٨].

﴿لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾: لو أشرفْتَ عليهم فنظَرْتَ إليهم ﴿لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا﴾: لأَعرَضْتَ عنهم وهرَبْتَ منهم، ﴿وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا﴾: وامتلأْتَ منهم خوفًا؛ لأنَّ

---

(١) في (و): «صهب».

(٢) نقل المصنف عامة هذه الأقوال من الثعلبي، وفي ضبطها شيء من الاختلاف. انظر: «تفسير الثعلبي» (١٧/ ٦٦ ـ ٦٨).

(٣) تعكس هذه العبارة ما سبق التنبيه عليه من منهج المصنف؛ فهو ناقد للأقوال مميِّز في كثير من الأحيان لغثِّها من سمينها، لكنه ملتزم بذكر أقوال المفسرين ولو كانت غير مرضية عنده. وقد قال ابن كثير في «تفسيره» (٥/ ١٤٤): «وقد اختلفوا في كونه على أقوال لا حاصل لها، ولا طائل تحتها، ولا دليل عليها، ولا حاجة إليها، بل هي مما ينهى عنه، فإن مستندها رجم بالغيب».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٩٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٥٣).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٩٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٥٣)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٥٤) واستغربه.

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٧٠)، والواحدي في «البسيط» (١٣/ ٥٦١).

(٧) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٧١)، والواحدي في «البسيط» (١٣/ ٥٦١).

(٨) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٥٤)، واستغربه.

أظفارهم وشعورَهم طالت، وأنَّ الله ألبَسهم من الهيبة ما لا يصلُ إليه واصلٌ، ولا تَلْمَسُهم يدُ لامِسٍ، وهم في مكانٍ موحِشٍ مظلِمٍ خالٍ.

ويحتمِلُ أنّ الخطاب للنَّبيِّ عليه السَّلامُ والمرادُ به غيرُه، وكذلك ما قبله من قوله: ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ﴾، وقوله: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا﴾.

وقوله: ﴿بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ﴾ إنَّما نُوِّنَ ـ واسمُ الفاعل إذا كان بمعنى الماضي لا يُنوَّنُ[1] ـ لأنَّه حكايةٌ عن الحالِ التي كان الكلبُ عليها؛ لأنَّ المعنى: يَبْسطُ الكلبُ ذراعيهِ على عادة الكلب، فأبقاه الله كذلك إلى أن بُعِث[2] القوم.

***

(١٩) ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ﴾ الزَّجّاج: بَعَثْناهم آيةً كما أَنَمْناهم آيةً[3].

ابن جريرٍ: كما أَنَمْناهم مدَّةً طويلةً بقُدْرتنا كذلك بعثناهم مِن مرقدهم بقدرتنا[4].

وقيل: شبَّه حالَهم بعد البعث بحالهم قبل النَّوم.

---

(١) انظر: «الكتاب» (١/ ١٦٤ و١٧١)، وقد خالف في هذا الكسائي فأجاز تنوين اسم الفاعل وإن كان بمعنى المضي، وردَّ عليه أبو علي الفارسي بمثل ردِّ المصنف، ونسب قول الكسائي للكوفيين. انظر: «الإيضاح العضدي» (ص: ١٤٢)، و«شرح المقدمة المحسبة» لابن بابشاذ (٢/ ٣٩١)، و«المرتجل» لابن الخشاب (ص: ٢٣٩).

(٢) في (و): «يبعث».

(٣) لم أجده في «معاني القرآن» للزجاج، ونسبه إليه أيضاً أبو حيان في «البحر» (٧/ ١٥٥)، واستحسنه الزمخشري في «الكشاف» (٢/ ٧١١)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٥٥) دون نسبة.

(٤) انظر: «تفسير الطبري» (١٥/ ١٩٥).

﴿لِيَتَسَآءَلُواْ بَيۡنَهُمۡ﴾: ليسأَلَ بعضُهم بعضًا. اللَّامُ لامُ العاقبة عند بعضِهم؛ أي: بعثناهم لِيَتَساءلوا[1].

وقيل: تقديرُه: لِيَتَساءلوا فلِيَعْرفوا ما جرى عليهم، ويعلَموا قدرةَ الله، وليَعْلَمَ سائرُ النَّاس أيضًا حالَهم.

﴿قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ﴾: مكَثْتُم، واللَّبثُ: البقاءُ أكثرَ من ساعةٍ، وتقديرُه: كم مدَّةً لَبِثْتُم؟ وإنَّما شكُّوا لأنَّهم كانوا في موضعٍ مُظلِمٍ ولم يَدْروا أفي يومِهم أم في غَدِهم؟

﴿قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ﴾ وليس هذا منهم كذبًا؛ لأنَّهم عَنَوا في ظنِّهم، والسُّؤال وقع عن الظَّنِّ؛ لأنَّ النَّائم لا يُحصي مدَّةَ نومه، ثم أحالوا على الله معرفةَ ذلك ﴿قَالُواْ رَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثۡتُمۡ﴾: (ما) للمصدر، أي: مدَّةَ لبثِكم.

﴿فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ﴾: بدِرْهَمكم، والوَرِقُ: الفضَّة والدِّرهم؛ أي: أَنفِذوا الدَّراهم مع واحدٍ غيرِ معروفٍ في المدينة ﴿فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ﴾: أيُّ بائعِي أهل المدينة ﴿أَزۡكَىٰ طَعَامٗا﴾: أحلُّ طعامًا.

عكرمة: ﴿أَزۡكَىٰ﴾: أكثرُ[2]. والزَّكاء: النَّماء.

ابن عبَّاسٍ: أطهرُ[3].

وقيل: أرخصُ، وقيل: أطيبُ.

الزَّجَّاج: ما لم يؤخَذْ غصبًا، ولا هو من جهةٍ لا تحلُّ[4].

---

(١) في (و) و(ن): «فليتساءلوا»، والمثبت من (ط).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٦٦٣)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢١٢).

(٣) رواه ابن أبي شيبة وابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٥/ ٣٧٤).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٧٦).

﴿فَلۡيَأۡتِكُم بِرِزۡقٖ مِّنۡهُ﴾: بطعامٍ ﴿وَلۡيَتَلَطَّفۡ﴾ قيل: في اختيارِ الأزكى؛ لأنَّهم كانوا يذبحون الخنزير. وقيل: فلْيترفَّق في شرائه وفي دخول المدينة. وقيل: يُخفي نفسَه وما يشتريه لئلَّا يُعلمَ به ﴿وَلَا يُشۡعِرَنَّ بِكُمۡ أَحَدًا﴾؛ أي: لا يَفْعَلْ ما يكون سببًا لمعرفة القوم بأحوالكم.

* * *

(٢٠) - ﴿إِنَّهُمۡ إِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ يَرۡجُمُوكُمۡ أَوۡ يُعِيدُوكُمۡ فِي مِلَّتِهِمۡ وَلَن تُفۡلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا﴾.

﴿إِنَّهُمۡ﴾: أهلَ القرية، ويجوزُ أن يعود إلى (أحد) لأنَّه للعموم[1]؛ كقوله: ﴿مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٧].

﴿إِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ﴾: يَعْلُوْكم ويَظْفَروا بكم، مِن ظَهَره: إذا عَلَاه وغَلَبه.

وقيل: يطَّلعوا عليكم ويَعْلَموا بمكانكم.

﴿يَرۡجُمُوكُمۡ﴾: يقتلوكم، وقيل: يسبُّوكم، وقيل: يَرْموكم بالحجارة، والرَّجمُ: أسوأُ القتل.

﴿أَوۡ يُعِيدُوكُمۡ فِي مِلَّتِهِمۡ﴾: يكلِّفوكم العودةَ إلى الكفر ﴿وَلَن تُفۡلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا﴾ بعد العَوْدِ إلى الكفر، ﴿أَبَدٗا﴾: دائمًا.

* * *

(١) والعمومُ يُعاملُ معاملةَ الجمع، وإن كان لفظ (أحد) مفرداً.

(٢١) ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: كما أيقظناهم، وقيل: كما أعلَمْناك من قصَّتهم أعثرناكَ عليهم.

ومعنى ﴿أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾: أَظهَرْنا أمرَهم، تقول: عَثَر على الشَّيء عُثورًا: إذا عَلِمه، ويقال: عثَر، كما قيل: وَقَع على الشَّيء وسَقَط عليه: إذا عَلِمه.

وقيل: لأنَّ مَن عثَر بشيءٍ وهو غافلٌ نَظَر إليه ليَعْلَمَ ما هو، ثم استُعير مكانَ التَّبيُّن.

﴿لِيَعْلَمُوٓاْ﴾؛ أي: النَّاسُ ﴿أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بالثَّوابِ والعقاب ﴿حَقٌّ﴾: كائنٌ ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ﴾: القيامةَ ﴿لَا رَيْبَ فِيهَآ﴾: لا شكَّ فيها؛ أي: يَستدلُّون بأمرهم على صحَّةِ أمرِ البعثِ.

﴿إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ﴾: حينَ يتنازَعُ أهلُ ذلك الزَّمانِ أمرَ أصحابِ الكهف.

﴿بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾؛ أي: بين[1] أهل الزَّمان.

والجمهور على أنَّ التَّنازُعَ بعدَ اليقظة، وهو أنْ قال بعضُهم: قد ماتوا في الكهف، وبعضُهم قال: بل هم نيامٌ كما ناموا أوَّلَ مرَّةٍ.

وقيل: التَّنازُعُ: هو أنَّهم لمّا أُظهِروا عليهم قال بعضُهم: ﴿ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا﴾ يُعْرَفون به، وقال آخرون: اتَّخِذوا عليهم مسجدًا.

وقيل: اختلفوا؛ فقالت النَّصارى: نبني كنيسةً، وقال المسلمون: نبني مسجدًا.

---

(١) في (و): «أمرهم من» بدل «أي بين»، وفي (ن): «أحدهم بين»، والمثبت من (ط).

وقيل: كان التَّنازُعُ قبل أنْ يستيقظوا، فتَنازعَ المسلمون في بناءِ مسجدٍ؛ ليصلُّوا فيه إذا انتبهوا.

﴿رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ﴾؛ أي: على دِينِهم دِينِ أصحاب الكهف ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ يُصلَّى فيه.

***

(٢٢) - ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْۚ قُل رَّبِّيٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾.

﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾؛ أي: هم ثلاثةُ رجالٍ وكلبٌ، ومعنى ﴿رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾: يَرْبَعُهم بانضمامهم إليه، وكذلك خامسُ الأربعةِ وسادسُ الخمسة إلى عاشر التِّسعة، وأمَّا ﴿ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣] ورابعُ أربعةٍ و﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ﴾ [التوبة: ٤٠] فالمعنى: واحدُ الثَّلاثة، وواحدُ الأربعة، وواحدُ الاثنين.

﴿وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ﴾؛ أي: تخرُّصًا وظنًّا.

وقيل: قذفًا بالغيب؛ أي: ظنًّا يظنُّونه.

وقيل: ﴿رَجْمًۢا﴾: ظنًّا بلغة هُذَيلٍ(١).

﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾، ورُوِي عن ابن جريجٍ ومحمَّد بن إسحاق: أنَّهم كانوا ثمانيةً سوى الكلبِ، وأوَّلوا قولَه: ﴿وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾؛ أي: صاحبُ كلبهم(٢).

---

(١) انظر: «اللغات في القرآن» لابن حسنون (ص: ٣٥).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٢٩٧)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٥٦)، وعدَّه من العجائب.

وفيه بُعدٌ كالطَّبَّاخ والرَّاعي.

واختلف المفسِّرون في القائلين:

فقال بعضهم: قالت اليهود: ﴿ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾، وقالت النَّصارى: ﴿خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾.

وعن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: لمّا قدِم السَّيِّدُ والعاقِبُ حَبْرا أهلِ نجرانَ مع قومهم سألهم النّبيُّ عليه السَّلامُ عن عدد أصحابِ الكهف، فقال العاقبُ: ﴿ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾، وقال السَّيِّد: ﴿خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾[1]، فأنزل الله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾؛ أي: قل يا محمَّد: هم كذلك، فيكون الفعلُ مسندًا إلى الله بلفظِ الجمع، أو إلى مَن ارتضَى الله قولهم، وهم المؤمنون.

ويقوِّي هذا القولَ تقدُّمُ قوله: ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾؛ لأنَّه ذُكر عَقيب الثَّلاثةِ والخمسة، ولو كانت السَّبعةُ مثلَهما لذكَرها عَقيب الكلّ، وكثيرٌ من المفسِّرين على ما ذهب إليه ابنُ عبَّاسٍ من أنَّ الكلام تمَّ على قوله: ﴿سَبْعَةٌ﴾، وأنَّ الواوَ للاستئناف.

واختلف في هذا الواو، فللنُّحاة فيه قولان:

أحدهما: أنَّ الجملة إذا عُطفت على جملةٍ وفي الثَّانية ما يعودُ إلى الجملة الأولى، فأنتَ في إلحاقِ الواوِ وحذفِه مخيَّرٌ.

والقول الثّاني: أنَّ رابعَهم وخامسَهم حكايةٌ، وثامنُهم استئنافٌ من الله، وهو ما ذكرتُه آنفًا[2].

---

(١) ذكره الجرجاني في «درج الدرر» (٢/ ٢٤٤) من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما، وأورده أبو حفص النسفي في «التيسير في التفسير» عند هذه الآية عن الكلبي، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٣٤٣)، والثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٨٤) بلا نسبة.

(٢) ذكر هذا القول والذي قبله الزجاج في «معاني القرآن» (٣/ ٢٧٧)، والنحاس في «إعرابه» (٢/ ٢٩٢)، وانظر: «أمالي ابن الحاجب» (١/ ٢٤٨).

ابن عيسى: الأوَّل والثَّاني صفةٌ، والثَّالثُ عطفٌ وليس بصفةٍ[1].

وقال بعض المفسِّرين: الواوُ واوُ الثَّمانية[2]؛ لأنَّ العرب تقول: واحدٌ اثنان ثلاثةٌ أربعةٌ خمسةٌ ستَّةٌ سبعةٌ وثمانيةٌ، لأنَّ العقد كان عندهم سبعةً كما هو اليومَ عندنا عشرةٌ، ولهذا كثُر ذكرُ السَّبع في القرآن والأخبار، ومثلُه قولُه تعالى: ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلۡعَـٰبِدُونَ﴾ [التوبة: ١١٢]، وقد[3] ذكَرْتُ هناك بأشْرَحَ من هذا، ومثلُه: ﴿وَأَبۡكَارٗا﴾ [التحريم: ٥]، وسيأتي ذكرُها إن شاء اللهُ تعالى، وكذلك قولُه: ﴿وَفُتِحَتۡ﴾ في (الزمر) [٧٣].

﴿قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم﴾ استدلَّ بعضُهم بهذا على أنَّ قوله: ﴿وَيَقُولُونَ سَبۡعَةٞ وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ...﴾ رجماً بالغيب كالأوَّلَين، فأجاب بعضُهم بأنَّ التَّقدير: قل: ربِّي أعلم بعدَّتهم وقد أخبركم بها بقوله: ﴿وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ﴾.

﴿مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٞ﴾ قيل: هو النَّبيُّ عليه السَّلام، وقيل: هم أهل الكتاب، قال ابن عبَّاسٍ: أنا من ذلك القليل[4]، وعدَّ أسماءهم فقال: مكسلمينا وتمليخا، وهو صاحب الوَرِق، ومرطوس، وبنينوس، وسارينوس، وذونوانس، وكعيسيطيوس[5]. والرِّوايات مختلفةٌ في أسمائهم.

---

(١) ذكره المصنف في «البرهان» (ص: ١٦٨) بلا نسبة.

(٢) قال المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٥٧): «وهذا لقب لا نعرفه»، وقد تقدم كلام المصنف عليه في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلۡعَـٰبِدُونَ﴾ [التوبة: ١١٢].

(٣) في (و): «فقد».

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٦٦٥)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢١٩ ـ ٢٢٠).

(٥) رواه الطبراني في «الأوسط» (٦١١٣)، والثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٨٩ ـ ٩٠). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٥٣): «فيه يحيى بن أبي روق، وهو ضعيف». وهذه الأسماء وقع في رسمها في المصادر اختلاف، وقال القرطبي في «تفسيره» (١٠/ ٣٦٠): وأما أسماء أهل الكهف فأعجمية، والسند في معرفتها واه.

﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ﴾: لا تجادِلْ، والمراءُ: محاولةُ إخراجِ ما في قلبِ المناظِرِ[١] من الخطأ بطريقِ الحِجَاج.

﴿إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا﴾، الزَّجَّاج: أي: لا تأتِ في أمرهم بغيرِ ما أُوحيَ إليك[٢]؛ أي: أَفْتِ في قصَّتهم بالظَّاهر الذي أُنزل إليك، ولا تتعرَّفْ أَزْيَدَ من ذلك من اليهود والنَّصارى، المراءُ الظَّاهرُ بالقرآن.

مجاهدٌ: إلَّا ما أَظْهَرْنا لك من أَمْرنا[٣].

ابن عبَّاسٍ: حَسْبُك ما قَصَصْتُ عليك[٤].

ابنُ بحرٍ: ﴿مِرَآءً ظَٰهِرًا﴾: يشهدُه النَّاس.

المبرِّد: إلَّا قولًا بيِّنًا.

ابن زيدٍ: هو أنْ يقولَ: ليس الأمرُ كما تقول[٥].

﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾: لا تطلُبِ الفتوى في أصحابِ الكهف أحدًا من اليهود، وقيل: من المسلمين.

* * *

---

(١) في (و): «المناظرين».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٧٧).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٢١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٥٤).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٢١).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٢٢) ولفظه بتمامه: «يقول لهم: ليس كما تقولون، ليس تعلمون عدتهم، إن قالوا كذا وكذا فقل: ليس كذلك؛ فإنهم لا يعلمون عدّتهم»، وقرأ: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ حتى بلغ ﴿رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ﴾.

(٢٣ ـ ٢٤) ـ ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَن يَشَاءَ ٱللَّهُ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾.

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَن يَشَاءَ ٱللَّهُ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾ سبق ذكرُ نزوله[١]، ومعنى الآيةِ: تأديبٌ من الله لنبيِّه إذا أَخبرَ بأمرٍ يفعلُه في المستقبل أن يقولَ: إنْ شاء الله؛ لأنَّه لا يدري أَيتِمُّ ذلك أم يَعُوقُ دونَ وقوعِه عائقٌ، فيَدخُلَ ميعادَه خُلْفٌ.

ورَوى أبو هريرة عن النَّبيِّ عليه السَّلامُ أنَّه قال: «لا يَتِمُّ إيمانُ العبدِ حتَّى يستثنيَ في كلِّ كلامه»[٢].

وتقديرُه: إلَّا بمشيئةِ الله؛ لأنَّ ﴿أَن﴾ مع الفعلِ في تأويلِ المصدرِ وحَذْفِ الجارِّ، ومعنى بمشيئةِ الله: أن يقولَ معه: إنْ شاءَ الله.

الفرَّاء: معنى ﴿إِلَّا أَن يَشَاءَ ٱللَّهُ﴾: إلَّا الخيرَ؛ فإنَّ الخيرَ بمشيئة الله[٣]. فلا يكونُ على قوله مِن بابِ الاستثناء.

---

(١) في أول السورة، وذلك أن النبي ﷺ حين سئل عن أصحاب الكهف وذي القرنين والروح، فقال: أخبركم غداً، ولم يستثن. وانظر: «السير والمغازي» لابن إسحاق (ص: ٢٠١)، و«تفسير الطبري» (١٥/ ١٤٣).

(٢) رواه العقيلي في «الضعفاء» (٤/ ٢٥٥)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٧٧٥٦)، والثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٩٥)، وقال العقيلي: «معارك بن عباد العيشي، عن عبد الله بن سعيد المقبري، ولا يصح حديثه»، وقال الذهبي: «معارك بن عباد عن ابن سعيد المقبري؛ قال البخاري: منكر الحديث. وقال الدارقطني وغيره: ضعيف. قلت: وشيخه عبد الله واه»، ثم ذكر هذا الحديث وقال: «هذا الحديث الباطل قد يحتج به المرقة الذين لو قيل لأحدهم: أنت مسيلمة الكذاب، لقال: إن شاء الله». انظر: «ميزان الاعتدال» (٤/ ١٣٣ ـ ١٣٤).

(٣) ذكره هكذا المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٥٧)، واستغربه. والذي في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٣٨): «﴿إِلَّا أَن يَشَاءَ ٱللَّهُ﴾ إلا أن تقول: إن شاء الله، ويكون مع القول».

وجمهورُ المفسِّرين على أنَّ هذا عامٌّ في جميع الأمور، وذهب بعضهم إلى أنَّ هذا كان في قصَّة أصحاب الكهف فحَسْبُ.

﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ ذهب ابن عبَّاسٍ والحسن إلى أنَّ المعنى: إذا نَسِيْتَ الاستثناءَ ثم ذكَرْتَ فاستَثْنِ. ومذهبُه أن يصحَّ الاستثناءُ إلى سنةٍ(١).

الحسن: يصحُّ الاستثناء في مجلسِ يمينه، ولا يصحُّ إذا فارَقه(٢).

وقيل: يصحُّ ما لم يأخُذْ في كلامٍ غيرِ يمينه، فإنْ أَخَذ في كلامٍ غيرِ اليمين لا يَصحُّ الاستثناء.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٢٥)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١١٠٦٩)، والحاكم في «المستدرك» (٧٨٣٣) وصححه، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٥٧)، وعدَّه من العجائب.

وقال القرطبي في بيانه: «هذا في تداركه التبرُّك بالاستثناء للتَّخلُّص عن الإثم، وأما الاستثناء المغيِّر حكمًا فلا يصحُّ إلَّا متَّصلًا». انظر: «تفسير القرطبي» (١٣/ ٢٥١). وقال المبرد كما في «البسيط» (١٣/ ٥٨٦): «إن ابن عباس أعلم من أن يسقط حكم الحنث بالاستثناء الذي لا يصله الحالف بيمينه، ولعله قال هذا في الاستثناء من غير يمين كما قال المفسرون، قال: إذا نسي أن يقول: إن شاء الله، ثم ذكر فليقله. فظن بعض الناس أنه يقول ذلك في اليمين، فروى عنه ذلك في اليمين».

قلت: وقد روي عن ابن عباس أن هذا خاص بالنبي ﷺ، رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١١٤٣)، و«الأوسط» (٦٨٧٢)، و«الصغير» (٨٧٦)، بلفظ: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ قال: «إذا نَسيتَ الاستثناءَ فاستَثنِ إذا ذَكَرْتَ، وهي لرسول الله ﷺ خاصةً، وليس لأحدٍ منَّا أنْ يَستثنيَ إلَّا بصِلَة اليمين». قال في «مجمع الزوائد» (٧/ ٥٣): «رواه الطَّبَرانيُّ في الثلاثة، وفيه عبدُ العزيز بنُ حُصَيْنٍ وهو ضعيفٌ».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٢٦)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٣٦٦)، بلفظ: «إذا ذكر أنه لم يقل: إن شاء الله، فليقل: إن شاء الله»، وانظر، «الإشراف» لابن المنذر (٧/ ١٢١).

والفقهاء على أنَّه لا يصحُّ إلَّا متَّصلًا(١).

عكرمة: معنى ﴿إِذَا نَسِيتَ﴾: غَضِبْتَ(٢)، وفي التَّوراة: «ابنَ آدمَ، اذكُرْني حينَ تَغْضَبُ أَذْكُرْكَ حينَ أَغْضَبُ». حكاه الثَّعلبيّ(٣).

قيل: واذكرْ ربَّك إذا نسيتَ شيئًا، وسَلْه أنْ يذكِّرك ذلك، فإنْ ذكَّرك وإلَّا فقُلْ: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾؛ أي: عسى أن يدلَّني على ما هو أرشدُ مِن هذا الذي نسيتُه وما هو أصلحُ لي منه.

الزَّجَّاج: قل: عسى أن يعطيَني ربِّي من الآيات والدَّلالات على نبوَّتي ما يكونُ أقربَ من الرُّشد وأدلَّ من قصَّة أصحاب الكهف(٤).

الحسن: ﴿مِنْ هَٰذَا﴾: من عبادة الأوثان(٥).

---

(١) وهذا قول مالك والشافعي وأصحاب الرأي والثوري، وهو رواية عن أحمد، وروي عن أحمد أنه يجوز الاستثناء ما لم يطل الفصل. انظر: «المغني» لابن قدامة (٩/ ٥٢٢).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥٤٦٥) بلفظ: «إذا عصيت، وقال بعضهم: إذا غضبت».
قلت: واللفظ الأول مشكل، ورواه باللفظ الثاني الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٢٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٥٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٣٣٤)، والبيهقي في «الشعب» (٨٢٩٦)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٤/ ٨٢)، وهكذا ذكره الجصاص في «أحكام القرآن» (٣/ ٢٧٩)، والثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٩٧)، والماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٢٩٩)، وفي «أدب الدنيا والدين» (ص: ٣١٨)، والواحدي في «البسيط» (١٣/ ٥٨٦)، وغيرهم، وهو الصواب إن شاء الله.
وهذا القول ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٥٧)، واستغربه.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٩٨) عن وهب، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٥٧)، واستغربه.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٧٨).

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٥٧)، واستغربه.

(٢٥) - ﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا﴾.

﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا﴾؛ أي: تسعَ سنين؛ لأنَّ الأوَّل يدلُّ عليه، وأمَّا قوله: ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤] فتذكيرُه يمنعُه من أن يكونَ من الجنسِ الأوَّل.

وفيه قولان:

قتادةُ: إنَّ هذا من كلامِ أهلِ الكتاب[1]؛ في أنَّهم اختلفوا في مدَّة لبثِهم كما اختلفوا في عِدَّتهم؛ فقال بعضهم: ثلاثَ مئةٍ، وقال بعضهم: ثلاثُ مئةٍ وتسعُ سنين.

والثّاني، وهو قولُ الجمهور: أنَّ هذا إخبارٌ من الله سبحانه، أَخبر أنَّهم لبثوا في كهفهم ثلاثَ مئةٍ سنينَ وازدادوا على ثلاثِ مئةٍ تسعَ سنين.

وقال بعضُهم: إنَّما هو ثلاثُ مئةٍ سنين بالشَّمسيَّة، وازدادوا تسعًا بالقمريَّة؛ لأنَّه في كلِّ سنةٍ تتفاوَتُ أحدَ عَشَرَ يومًا، فيكونُ مجموعُ ذلك تسعَ سنين وأشهرًا، فأَضْرَبَ عن ذكر الأشهُر لأنَّ الكلامَ يجري في ذكر السِّنين.

وقوله: ﴿ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ﴾ قرئ بالإضافة وبالتَّنوين[2]، فمَن أضاف فعلى القياس المتروك؛ لأنَّ المئة تَجري في العَشَرات مَجرى عشرةٍ في الآحاد، فكما أُضيف العشرةُ إلى الجمع وَجَب إضافةُ المئة إلى الجمع، لكنَّهم أفردوا المعدودَ قياسًا على ما قبله من التِّسعين والثمانين[3].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٢٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٥٦).

(٢) قرأ حمزة والكسائي مضافًا غير منون، والباقون منونًا. انظر: «السبعة» (ص: ٣٨٩)، و«التيسير» (ص: ١٤٣).

(٣) في (و): «التسعين والمئة»، والمثبت من (ن) وهو الصواب، وفي «غرائب التفسير» (١/ ٦٥٧): «السبعين والثمانين».

وقيل: إنَّما جاز ذلك لأنَّ (السِّنين) قد ينوَّن[1]، كما قال الشَّاعر:

مَتى تَنْجُ حَبْوًا مِنْ سنينٍ مُلِحَّةٍ نُشمِّرْ لأُخرى تُنزِلُ الأعصمَ الفَرْدا[2]

فخرج عن أن يكون جمعَ سلامةٍ، ودخل في حيِّز الآحاد.

وقيل: لأنَّه يُشبِهُ النَّفَرَ والقَبيل، فجاز الإضافةُ إليها، كما تقولُ: مئةُ نفرٍ، ومئة قبيلٍ.

وقيل: أُجري ﴿ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ﴾ مُجرى (ثلاثٍ)، فأُضيفَ إلى الجمع.

ومَن نوَّن جعَلَه بدلًا من ﴿ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ﴾، وقيل: فيه تقديمٌ؛ أي: لبثوا في كهفهم سنين ثلاثَ مئةٍ، ويحتمِل أنَّه لمّا نوَّن نصبَه، فتكون القراءتان واحدةً.

* * *

(٢٦) ـ ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾.

﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟﴾ مَن ذهب إلى أنَّ الأوَّل من كلامِ أهلِ الكتاب استدلَّ بهذا على أنَّهم لم يعلموا فإنَّ علمَها عند الله، ومَن ذهب إلى أنَّه إخبارٌ من الله قال: تقديره: قل لمَن جاءك وزعَم أنَّها أكثرُ أو أقلُّ: الله أعلم بما لبثوا وقد أَخبرَ بذلك.

وقيل: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟﴾: إنَّما هو للُبْثهم بعد موتهم إلى زمانِ محمَّدٍ عليه السّلام.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٥٨)، واستغربه.

(٢) ذكره الفراء في «معاني القرآن» (٢/ ٩٢) وقال: «أنشدني بعض بني عامر». وعن الفراء نقله ابن الأنباري في «إيضاح الوقف والابتداء» (١/ ٣١٠)، وأبو حيان في «التذييل والتكميل» (١/ ٣٣٠)، وذكره أيضاً الصقلي في «تثقيف اللسان» (ص: ١٩٣). وعند الفراء: «ننج...نشمر» وعند غيره: «تنج...تشمر». الأعصم: الوعِل الَّذي في يديه بياض، ولعله أراد: الوعِل المعتصم بالجبل.

ابن جَرِيرٍ: قالت اليهود: إنَّهم منذ دخلوا الكهفَ إلى يومنا ثلاثَ مئةِ سنةٍ، فقال الله: بل لَبِثوا في كهفهم إلى يومِ موتهم ثلاثَ مئةِ سنةٍ وتسعَ سنين، واللهُ أعلم بما لبثوا بعد موتهم إلى يومِنا[1].

﴿لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ فهو أعلمُ منكم.

﴿أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡ﴾؛ أي: ما أبصرَه وأسمعَه! اللَّفظُ لفظُ الأمر والمعنى معنَى التَّعجُّبِ، والمجرورُ محلُّه رفعٌ؛ لأنَّه الفاعل[2].

السُّدِّيُّ: ﴿أَبۡصِرۡ﴾ بالله ﴿وَأَسۡمِعۡ﴾ بما لبثوا[3]. والوجهُ الأوَّلُ.

﴿مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ﴾ لكفَّار قريشٍ، وقيل: لجميع الخَلْق، والقصَّةُ تمَّتْ عند قولِه: ﴿لَبِثُواْ﴾، ويحتمِلُ أنَّ الضَّميرَ في ﴿مَا لَهُم﴾ يعودُ إلى أصحابِ الكهف.

﴿وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا﴾ قيل: لا يشركُ فيما يُخبرُ به من الغيب أحدًا.

وقيل: لا يجعلُ لأحدٍ أن يغيِّر حكمَه في عباده.

وقرئ بالجزمِ على النَّهي[4]؛ أي: لا تُشْرِكْ أيُّها الإنسانُ في حُكمِه أحدًا.

***

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٥/ ٢٣١).

(٢) هذا مذهب المبرد والفارس وابن جني، وذهب الزجاج والزمخشري إلى أنه فعل أمر صريح، والباء وما عملت فيه في موضع نصب مفعول به، انظر: «المقتضب» للمبرد (٤/ ١٨٣)، و«العسكريات» لأبي علي (ص: ٧٣)، و«الخصائص» لابن جني (٢/ ٣٠٣)، و«توجيه اللمع» لابن الخباز (ص: ٣٨٤).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٥٨)، واستغربه.

(٤) قرأ ابن عامر: ﴿ولا تشركْ﴾ بتاء المخاطبة والجزم على النهي، والباقون بالياء والرفع على الخبر. انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٠)، و«التيسير» (ص: ١٤٣).

(٢٧) ـ ﴿وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدٗا﴾.

﴿وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ﴾؛ أي: اقرأ، وقيل: اتَّبعِ القرآنَ، وقيل: قصَّةَ أصحاب الكهف.

﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾: لا مغيِّرَ لقوله في وعدٍ ووعيدٍ.

وقيل: ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾: لا كذبَ في ميعاده.

وقيل: لا خُلْفَ لقوله.

﴿وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدٗا﴾: مَعْدِلًا يُمالُ ويُعدَلُ عن غيره إليه.

الزَّجَّاج: مَعْدِلًا عن أمره ونهيه، ولا ملجأَ إلَّا إليه[1].

* * *

(٢٨) ـ ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا﴾.

﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ﴾ في سببِ النُّزول: عن سلمانَ الفارسيِّ رضي الله عنه قال: جاءتِ المؤلَّفةُ قلوبُهم إلى رسول الله ﷺ؛ عُيَيْنةُ بنُ حصينٍ والأقرعُ بن حابسٍ وذووهم، فقالوا: يا رسول الله، إنَّك لو جلسْتَ في صدر المجلس ونحَّيْتَ عنَّا هؤلاء وأرواحَ جِبَابِهم ـ يعنونني وأبا ذرٍّ وفقراء المسلمين، وكانت عليهم جِبَابُ صوفٍ[2] لم يكن عليهم غيرُها ـ جلَسْنا إليك وحادَثْناك وأخَذْنا عنك،

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٨٠).

(٢) في (و): «الصوف».

فأنزلَ الله هذه الآيات، فقام رسول الله ﷺ يلتَمِسُهم، حتَّى إذا أصابهم في بعضِ المسجد يَذكرون الله، فقال: «الحمدُ لله إذ[١] لم يُمِتْني حتَّى أمرَني أنْ أَصْبِرَ نَفْسي مع رجالٍ من أمَّتي، معكم المَحيا ومعكم المَمات»[٢].

﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ﴾؛ أي: احْبِسْها ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ يعني: فقراءَ المهاجرين والأنصار ﴿بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾: طَرَفي النَّهار، يصلُّون ثمَّ يشتغِلون بالتَّسبيح والتَّحميد والدُّعاء، وقد سبق في (الأنعام).

أبو عبيدٍ: أُمر أنْ يَصبرَ على أنْ يُقْرِئَهم القرآنَ، وأمَّا غيرُ ذلك فحدِّث القومَ ما حَدَجوك بأبصارهم[٣]؛ أي: رَمَقوكَ.

﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾: رضا اللهِ وطاعتَه.

ابن بحر: يريدون الوجه الذي يؤدِّيهم إلى رضا الله.

ابن عيسى: يريدون تعظيمه[٤]، كما تقول: هذا وجهُ الأمر ووجهُ الرَّأي؛ أي: هذا الرَّأي الحقُّ المعظَّم.

﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾: لا تَصْرِفْ بَصرَكَ إلى غيرهم من ذوي الهيئات والزِّينة،

---

(١) في (و): «الذي».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٤٠ـ ٢٤١)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣٤٥)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٩٧).

(٣) أما أن المراد بالصبر الذي أمر به النبي ﷺ هو الصبر على إقراء القرآن، فقد رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٣٦٨) عن أبي جعفر، وذكره مكي بن أبي طالب في «الهداية» (٦/ ٤٣٦٥) بلا نسبة. وقوله: «حدِّث القومَ ما حَدَجوك بأبصارهم» نص قول لابن مسعود ذكره أبو عبيد في «غريب الحديث» (٥/ ١١٦).

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٣٠١) بلا نسبة.

تقول: عدا كذا: إذا[١] جاوَزَه، وعدا عنه: إذا انصرفَ عنه، وهو لازمٌ ومتعدٍّ[٢].

والنَّهي للعَيْنِ والمراد: صاحبُها.

ويحتمِل أنَّ قوله: ﴿تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ للْعَينِ، ووحِّد كقوله:

بِهــا العَيْنــانِ تَنهَــلُّ[٣]

والوجه: أن يكون حالًا للمخاطَب؛ أي: مُريدًا مجالسةَ الأغنياء.

﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾ عـن ابـن عبَّـاسٍ رضـي الله عنهمـا: أنَّها نزلت فـي أميَّـةَ بنِ خلفٍ الجمحـيِّ، دعا النَّبيَّ عليه السَّـلامُ إلـى طرد الفقـراءِ عنه وتقريبِ صناديـدِ قريشٍ، فنزلـت: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾: خَذَلْنـاه[٤] لتركه الطَّاعة.

المفضَّل: أخليناه عن الذِّكر، وهو القرآن[٥].

---

(١) في (و): «أي».

(٢) وقد ذهب ابن الشجري في «أماليه» (١/ ٢٢٣) إلى أنه لازم، ولكنه عُدِّي بـ(عن) حملًا على معنى: انصرف. وانظر «تاج العروس» مادة: (ع د و) (٣٩/ ٧).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١٢/ ٤٧٠)، واستغربه. وهذا عجز بيت من الهزج، نسب لامرئ القيس، وصدره:

لِمَــنْ زُحْلُوقَــةٌ زُلٌّ

انظر: «ملحق ديوان امرئ القيس» تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (ص: ٤٧٣)، و«جمهرة اللغة» (١/ ٥٩)، و«أمـالـي القالي» (١/ ٤٢)، و«المحتسب» (٢/ ١٨٠)، و«الإبانة فـي اللغة العربية» (٢/ ١٤٤)، و«أمالي ابن الشجري» (١/ ١٨٣). قال القالي: الزحلوقة: آثار تزلج الصبيان من فوق إلى أسفل. وقال ابن جني: ولم يقل: تنهلان؛ لكونهما كالعضو الواحد. والبيت في وصف قبر، كما ذكر السيوطي في «المزهر» (١/ ٤٣١).

(٤) في (ن): «خذلنا».

(٥) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٧/ ١٦٧).

ابن جريرٍ: شغَلْنا قلبَه بالكفر وغَلَبَةِ الشَّقاء[١].

وقيل: ﴿أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ﴾: وجَدْناه غافلًا؛ أي: ساهيًا.

وقيل: نَسَبْناه إلى الغفلة.

ابن عيسى: لم نَسِمْه بما نَسِمُ به قلوبَ المؤمنين ممّا يُبيِّنُ[٢] فلاحَهم، كما قال: ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾ [المجادلة: ٢٢]، من قولهم: بعيرٌ غُفْلٌ: لم يكن عليه سِمَةٌ، وكتابٌ غُفْلٌ: لم يكن عليه إعجامٌ[٣].

﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾: أضاع نفسَه باتِّباع هواه، ﴿وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾: تجاوُزًا للحقِّ وخروجًا عنه.

ابن بحرٍ: الفُرُط: العاجل السَّريع، كما قال: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ [الإسراء: ١١].

قطربٌ: خطأً وتفريطًا[٤].

وقيل: ندمًا، وقيل: سَرَفًا، وقيل: ضياعًا؛ لأنَّه ترك الإيمانَ والاستدلال.

***

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٥/ ٢٤١).

(٢) في (ن): «بما نبين»، وهي كذلك في (و)، لكنها بلا نقط، والمثبت من (ط).

(٣) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٧/ ١٦٧)، وقد ذهب إلى أن هذا القول من الروياني تابع من اعتزاله، أما أهل السنة فيرون أن الله خالق الضلال فيه والغفلة.

(٤) ذكر السمرقندي في «بحر العلوم» (٢/ ٣٤٤) عن الزجاج أن الفرط التفريط، وذكره ابن الجوزي بلا نسبة في «تذكرة الأريب» (ص: ٢١٣).

(٢٩) ـ ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾.

﴿وَقُلِ﴾: يا محمَّدُ ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾؛ أي: الإسلام والقرآن، وقيل: ﴿ٱلْحَقُّ﴾: هو الذي يكون من جهة الله، وقيل: يعودُ إلى تقريب الفقراء.

﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا﴾: هيَّأنا، والعتيدُ: الحاضر.

﴿لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ﴾: أحرَقَتِ النَّارُ من كلِّ الجوانب.

﴿سُرَادِقُهَا﴾ ابن عبَّاسٍ: هو حائطٌ من نارٍ محيطٌ بهم[١].

ابن عيسى: هو المحيطُ بما فيه ممَّا يُنقَلُ معه.

ابن بحرٍ: السُّرادقُ والحائطُ سواءٌ، غير أنَّ السُّرادِقَ يكونُ لأهل الوَبَرِ والمَدَر[٢]، والحائطَ لأهل المدَرِ خاصَّةً.

وقيل: هو الدُّخانُ أو[٣] اللَّهبُ يحيط بهم قبل[٤] وصولِ النَّار إليهم.

وقيل: هو البحر المحيط بالدُّنيا، حكاه أقضى القُضاة[٥].

والفعلُ منه: سَرْدَقَهُ، فهو مُسَرْدَقٌ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٤٦).

(٢) ذكر نحوه الجرجاني في «درج الدرر» (٣/ ١١٤٦) بلا نسبة.

(٣) في (و) و(ن): «إذ»، والتصويب من (ط).

(٤) في (ن): «قيل».

(٥) انظر: «النكت والعيون» للماوردي (٣/ ٣٠٣).

﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا﴾؛ أي: من العطش ﴿يُغَاثُوا﴾ يُجعَل مكانَ الإغاثة ﴿بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ﴾ ابن عبَّاسٍ: كدُرْدِيِّ الزَّيت، أسودُ غليظٌ، إذا أُدْنيَ من المستغيثِ سقطت فروةُ رأسه فيه منه(١).

وقيل: هو الصَّديد.

أبو عبيدةَ: ما أُذيب من الفِلِزِّ، وهو جواهِرُ الأرض من الذَّهب والفضَّة والنُّحاس وغيرِها(٢).

قطربٌ: المُهْلُ: ما يَتحاتُّ من خُبز المَلَّةِ إذا أخرجت من المَلَّة(٣).

﴿بِئْسَ ٱلشَّرَابُ﴾؛ أي(٤): المهلُ، ﴿وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾: وبئستِ النَّارُ متَّكأً، تقول العرب: ارتَفَقَ: توكَّأَ على مِرْفَقه.

---

(١) رواه عن ابن عباس ـ دون قوله: «إذا أدني...إلخ» ـ الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٤٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٥٨).

ورواه بتمامه ابن المبارك في «الزهد» (٣١٦ ـ زوائد نعيم بن حماد)، وعبد بن حميد في «المنتخب» (٩٣٠)، والترمذي (٢٥٨١) و(٢٥٨٤) و(٣٣٢٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٤٧٣)، والطبري في «التفسير» (١٥/ ٢٥٠)، والحاكم في «المستدرك» (٨٧٨٦)، والبيهقي في «البعث» (٦٠٤) من طريق دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعاً. وإسناده ضعيف، دراج ـ وهو أبو السمح ـ يضعف في روايته عن أبي الهيثم، وهو سليمان بن عمرو العتواري. وقال الترمذي: هذا حديث غريب.

ودردي الزيت: عكره وما يستقر منه في قعر الإناء. انظر: «حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي» (٦/ ٩٨).

(٢) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٤٠٠).

(٣) الملة: الرماد الحار أو الجمر. انظر: «القاموس» مادة: (م ل ل).

(٤) في (ن): «اسم».

مجاهدٌ: ساءت مجتمَعًا[1]. من معنى المرافقة.

وقيل: مكانًا ومجلسًا.

المفضَّل: مستقرًّا.

***

(٣٠) ـ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ قيل: تقديره: منهم، فحُذف العائد.

وقيل: ﴿مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾: هم الذين آمنوا، فوقع المُظْهَرُ مقامَ المُضْمَر[2].

وقيل: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ اعتراضٌ، والخبرُ ما بعده، وهو قولُه:

(٣١) ـ ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ ﴾؛ أي: إقامةٍ ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا ﴾: في الجنَّة ﴿مِنْ أَسَاوِرَ ﴾: جمعُ أَسْورةٍ، وأَسْورةٌ: جمعُ سِوارٍ بالكسر، وهو ما يُلْبَس في الذِّراع ﴿مِن ذَهَبٍ ﴾، وفي أخرى: ﴿من فضّةٍ﴾ [الإنسان: ٢١].

﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا ﴾ لأنَّ الأخضر ـ فيما قيل ـ أحسنُ ألوان الثِّياب ﴿مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ ﴾ السُّندسُ: الحريرُ، والإستبرقُ: الدِّيباج الرُّوميُّ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٥٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٥٩). وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٥٩)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٥٩)، واستغربه، وقد تقدم الكلام على قيام المظهر مقام المضمر.

أبو عبيدٍ: السُّندسُ: الرَّقيقُ من الدِّيباج، والإستبرقُ: الصَّفِيقُ العَيْنِ(١).

السُّندس: بِزْيَـون(٢)، والإستبرق: ديباجٌ يُعمل بالذَّهب، وكأنَّه أُعرِبَ من إسْتَبْره(٣).

﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ﴾؛ أي: في حالِ اتِّكائهم على السُّرُر في الحِجَال(٤).

و﴿ٱلۡأَرَآئِكِ﴾: جمع أريكةٍ، وهي الفُرُش في الحِجَال، وقيل: السُّرُر في الحِجَال، وقيل: هي السُّرر(٥) عليها حجالٌ، ويحتمِل أنَّ اشتقاقَها مِن أَرَكَ: إذا أقام.

﴿نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ﴾: الجنَّةُ، ﴿وَحَسُنَتۡ﴾ الجنَّةُ، وقيل: الأرائكُ ﴿مُرۡتَفَقًا﴾: متَّكأً.

* * *

(٣٢) ـ ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ أَعۡنَٰبٖ وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٖ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا﴾.

﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ﴾ الآياتِ، ذهب بعضُ المفسِّرين إلى أنَّهما أخوان من أهلِ مكَّة؛ أحدُهما مؤمنٌ والآخَرُ كافرٌ، واسمُ المؤمن: أبو سَلَمَةَ عبدُ الله بنُ

---

(١) انظر: «غريب الحديث» لأبي عبيد (٤/ ٢٤٢)، وفيه: «الإستبرق يعني: الغليظ من الديباج».

(٢) البِزْيَون: بالكسر وبوزن العُرْجُون: من ثياب الروم، وقيل: هو السندس. انظر: «المغرب» (مادة: بزن).

(٣) انظر: «المسائل الحلبيات» لأبي علي الفارسي (ص: ٣٥٤ـ٣٥٧)، و«حاشية ابن بري» (ص: ٢٩)، وقد استعمل المصنف لفظ (أعرب) بمعنى: عُرِّب، وهذا اللفظ هو الذي كان شائعاً عند متقدمي النحاة كسيبويه وأبي علي وغيرهما. انظر: «الكتاب» (٣/ ٢٢٩).

(٤) الحجلة: ساتر كالقبة يزين بالثياب والستور للعروس. انظر: «المعجم الوسيط» مادة: (ح ج ل).

(٥) «في الحجال وقيل هي السرر» من (ن).

عبـدِ الأسـد بـن عبد ياليـل، زوجُ أمِّ سـلمةَ قبـل النَّبـيِّ عليه السّـلام، والآخـرُ كافرٌ وهو الأسـودُ بـن عبد الأسـد[١].

وقيـل: كانـا أخويـن في بنـي إسـرائيل، اسـم المؤمن يهـوذا، وقيـل: تمليخا، واسـم الكافـر فطـروس، وقيـل: فطـرس، وهمـا اللَّـذان وصفهمـا الله فـي سـورة ﴿وَالصَّٰٓفَّٰتِ﴾[٢].

الزَّجَّاج: أشارت اليهودُ إلى الكفَّار بامتحانه بالسُّؤال عن قصَّة هذين[٣]، وقيل: هذا مَثَلٌ لا يُشترط وجوده[٤].

ابن عبَّاسٍ: كانت لهما ثمانيةُ ألفِ دينارٍ ورثاها من أبيهما، فأَنْفَق المؤمنُ ماله في وجوه البِرِّ وسبيل الله، واعتَقَلَ بها الكافرُ الضِّياعَ والعَقار[٥]، ومآلُ أمرهما مذكورٌ في الآية.

قوله: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا﴾؛ أي: حدِّثهم بما في مِثْله العبرةُ.

---

(١) ذكره بلا نسبة السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٣٤٦)، والثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ١٣١)، وعزاه القرطبي في «تفسيره» (١٣/ ٢٦٩) للكلبي.

(٢) سيأتي قريباً عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٨٤).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٦٠)، واستغربه.

(٥) نسب لابن عباس في «بحر العلوم» للسمرقندي (٢/ ٣٤٦)، و«الهداية» لمكي (٦/ ٤٣٧٨)، وروى الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ١٣١) هذه القصة مطولة عن عطاء الخراساني، وذكرت بنحوها في «تفسير مقاتل» (٢/ ٥٨٤) و(٣/ ٦٠٧)، و«تفسير يحيى بن سلام» (١/ ١٨٥)، و«تفسير ابن أبي زمنين» (٣/ ٦٢)، و«التيسير في التفسير» لأبي حفص النسفي عند هذه الآية، وعزاه أبو حفص للكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس؛ فمدارها على الكلبي ومقاتل، وهما متروكان.

قيل: ﴿لَهُم﴾: لأهل مكَّةَ، وقيل: للنَّاس كافَّةً، وقيل: للَّذين سألوا طردَ الفقراء[1]. وقيل: للَّذين سألوه عن ذلك امتحانًا.

﴿جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ﴾ الجنَّتان: بستانان، وقيل: بستانٌ واحدٌ محيطٌ به جدارٌ واحدٌ، وبين الجنَّتين زرعٌ.

﴿وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ﴾: جعَلْنا النَّخل محيطةً بهما، وقيل: ﴿وَحَفَفْنَاهُمَا﴾: جعَلْنا حَفافَيْهما؛ أي: جانبَيْهما نخلًا، ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾.

* * *

(٣٣) ـ ﴿كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا﴾.

﴿كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ﴾ ﴿كِلْتَا﴾: تأنيثُ (كِلَا)، والتَّاء ليستْ للتَّأنيث لسكونِ ما قَبْلَها، وهو اسمٌ مفرَدٌ معناه التَّثنيةُ، وكذلك (كِلَا).

﴿آتَتْ أُكُلَهَا﴾: أعطَتْ ثَمرها ﴿وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ﴾: مِن أُكُلِها ﴿شَيْئًا﴾؛ أي: لم تَنقُصْ ممَّا عُهِدَ. قطربٌ: لم تَمْنَعْ.

﴿وفَجَرْنا[2] خِلَالَهُمَا نَهَرًا﴾: شقَقْنا في المكانِ المتخلِّلِ بينهما حيث الزَّرعُ، ومَن شَدَّد فلِدَوَامِ النَّهر[3].

---

(١) «وقيل للذين سألوا طرد الفقراء»: ليس في (و).

(٢) ضبطت بتشديد الجيم في (ن) و(ط)، وبتخفيفها في (و)، وظاهر كلام المصنف أنه فسَّرها على التخفيف، ثم ذكر التشديد.

(٣) كل العشرة قرؤوا في المشهور عنهم بالتشديد في ﴿وَفَجَّرْنَا﴾، وقرأ يعقوب برواية روح وزيد بالتخفيف. انظر: «المبسوط في القراءات العشر» (ص: ٢٧٧). وانظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٨٣).

(٣٤) ـ ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾.

﴿وَكَانَ لَهُۥ﴾: لصاحب الجنَّة ﴿ثَمَرٌ﴾: مالٌ سوى الجنَّتين، الثُّمُر: الذَّهَبُ والفضَّة. ابن عبَّاسٍ: صنوفُ الأموال[1].

ويجوزُ أن يكون جمعَ ثمارٍ.

ومَن قرأ بفتحتين[2]؛ أي: كان له من النَّخيلِ والأعنابِ ثَمرٌ كثيرٌ.

﴿فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ﴾: أخيهِ ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾: يراجِعُه في الكلام، مشتقٌّ مِن حارَ: إذا رجَعَ، وذلك أنَّه سأله عن ماله: فيمَ أَنْفقه؟ فقال: أنفقْتُه في وجوهِ البِرِّ، وقدَّمْتُه بين يديَّ لأَقْدَمَ عليه، فقال الكافرُ: ضيَّعْتَ مالَكَ بظنٍّ ظنَنْتَه مِن بعثٍ وأجرٍ، واللهِ لا يكونُ ما ظنَنْتَ.

﴿أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾: عشيرةً وأنصارًا ينْفِرون معه في المُلِمَّات.

مجاهدٌ: أعوانًا[3].

* * *

(٣٥) ـ ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا﴾.

﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ﴾ أَخَذ بيدِ أخيه المسلِمِ وأدخلَهُ جنَّته يطوفُ به فيها، ووحَّدَ

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٦٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٦١).

(٢) قراءة عاصم، وقرأ أبو عمرٍو بضم الثاء وتسكين الميم، والباقون بضم الثاء والميم. انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٠)، و«التيسير» (ص: ١٤٣).

(٣) لم أقف عليه، ولعلَّه مستفاد مما ذهب إليه مجاهد من أن الرسل من الإنس وإن النذر من الجن يسمعون كلامهم، ويبلغونه أقوامهم، وهو قول وصفه السمعاني بأنه مهجور. انظر: «تفسير الثعلبي» (١٢/ ٢١٧) و«البسيط» (٨/ ٤٤٣)، و«تفسير السمعاني» (٦/ ٩).

الجنَّةَ لاتِّصال كلِّ واحدةٍ[١] منهما بالأخرى، ويَحتمِلُ أنَّه إنَّما وحَّد لأنَّ الدُّخولَ في الجنَّتين معًا متعذِّرٌ[٢].

﴿وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ ضارٌّ لها بكفره ﴿قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ﴾ تَفْنَى وتَهْلِكَ ﴿هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا﴾ هذه الجنَّةُ، وقيل: الأرضُ، أَنكر أنَّ الله يُفْنِي الأرضَ[٣] وأنَّ القيامةَ تقومُ.

***

(٣٦) ـ ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾.

﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾: كائنةً ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ﴾: نُشِرْتُ بعدَ موتي ﴿إِلَىٰ رَبِّى﴾ أي: إنْ يَكُنْ بعثٌ ودارٌ أخرى كما زَعَمْتَ ﴿لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا﴾: من جنَّته، و: ﴿منهما﴾[٤]: من الجنَّتين ﴿مُنقَلَبًا﴾ انقلابًا، وقيل: موضِعَ انقلابٍ؛ أي: كما أعطاني وأكرمني في الدُّنيا يُعطِيْني في الأخرى ويُكْرِمُني هناك.

***

(٣٧) ـ ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾.

﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ﴾ يعني: أخاه المسلمَ ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾: يُراجعُه في الكلام: ﴿أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾ يعني: أباك آدمَ، ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾؛ أي: خلقَكَ من نطفةِ أبيكَ في رَحِمِ أمِّك، ﴿ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾: جعلَكَ معتدِلَ الخَلْقِ والقامة، ذا

---

(١) في (و): «واحد».

(٢) انظر: «الكشاف» للزمخشري (٢/ ٧٢١)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٧/ ١٧٦).

(٣) في (ن): «الدنيا».

(٤) قرأ بها نافع وابن كثير وابن عامر. انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٠)، و«التيسير» (ص: ١٤٣).

عَقلٍ وتمييزٍ، ثم جَهِلْتَ أمرَ الإعادةِ ولم تَستدِلَّ بالمبدأ على المَعاد.

* * *

(٣٨) ـ ﴿ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴾.

﴿ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي ﴾؛ أي: لكنْ أنا هو اللهُ ربِّي ﴿وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴾.

* * *

(٣٩) ـ ﴿ وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالٗا وَوَلَدٗا ﴾.

﴿ وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ ﴾ ﴿لولا﴾ هذه للتَّحضيضِ وتَختصُّ بالفعل؛ أي: هلَّا إذ دخَلْتَ جنَّتك ﴿قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾؛ أي: ما شاء اللهُ كان، فهو رفعٌ بالابتداء والخبرُ مضمَرٌ. وقيل: الأمرُ ما شاء الله، فيكون المبتدأُ مضمَرًا. وقيل: محلُّه نصبٌ بوقوع ﴿شَآءَ﴾ عليه.

وروى أنسٌ رضي الله عنه عن النَّبيِّ عليه السَّلام أنَّه قال: «مَن رأى شيئًا فأعجبه فقال: ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ لم يَضرَّه»[1].

ورُوي عنه عليه السَّلام أيضًا أنَّه قال: «مَن أُعطيَ خيرًا من أهلٍ ومالٍ فيقولُ عند ذلك: ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾، لم يرَ فيه ما يَكْرَه»[2].

---

(١) رواه البزار في «مسنده» (٧٣٣٩)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٢٠٧). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ١٠٩): «رواه البزار من رواية أبي بكر الهذلي، وأبو بكر ضعيف جدًّا».

(٢) ذكره بهذا اللفظ دون راو ولا سند السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٣٤٧)، ورواه بنحوه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٤٢٦١) من طريق عيسى بن عون عن عبد الملك بن زرارة عن أنس رضي الله عنه يرفعه: «ما أنعم الله على عبد نعمةً في أهل أو مال أو ولد، فقال: ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ فيرى فيه آفةً دون الموت» وقرأ: ﴿ وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾. قال ابن كثير =

﴿إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ ﴿أَنَا۠﴾ في الآيةِ عمادٌ[١].

* * *

(٤٠) ـ ﴿فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾.

﴿فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرًا مِّن جَنَّتِكَ﴾ في الدُّنيا. وقيل: في الآخرة.

﴿وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ ابنُ عبَّاسٍ: نارًا[٢]. قتادةُ: عذابًا[٣].

الأخفش: مراميَ[٤].

= في «البداية والنهاية» (٢/ ٥٧٦): «قال الحافظ أبو الفتح الأزدي: عيسى بن عون عن عبدالملك بن زرارة عن أنس لا يصح».

وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٦٣) عن أنس رضي الله عنه موقوفًا: «من رأى شيئًا من ماله فأعجبه فقال: ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ لم يصب ذلك المال آفة أبدًا، وقرأ: ﴿وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ﴾ الآية».

(١) أي: فصل، فالعماد مصطلح الكوفيين، والفصل مصطلح البصريين، وهو ما كان ذكره لا يغير الحال التي كانت قبله. انظر: «الكتاب» (٢/ ٣٩٠)، و«معاني القرآن» للفراء (١/ ١٠٤)، و«الإنصاف» للأنباري (٢/ ٥٧٨).

(٢) رواه الطَّستي كما في «الدر المنثور» (٥/ ٣٩٤) في خبر مسائل نافع بن الأزرق لابن عباس، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ١٤٢)، وذكره الواحدي في «البسيط» (١٤/ ٢٣) من رواية عطاء عن ابن عباس.

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٦٨٤)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٦٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٦٣).

(٤) أورده عن الأخفش الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ١٤٢)، وذكره الماورديُّ في «النكت والعيون» (٣/ ٣٠٧) بلفظ: «مرامي كثيرة»، وذكره بلفظ المؤلف الواحدي في «البسيط» (١٤/ ٢٣) عن =

ابن زيدٍ: قضاءً من الله يَقضِيْه(١).

الزَّجَّاج: هذا موضعٌ لطيفٌ يحتاج أن يُشرَحَ، وهو: أنَّ الحسبان في اللُّغة: الحساب؛ كقوله تعالى: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن: ٥]، والمعنى: يُرسِل عليها عذابَ حسبانٍ، وذلك حسابُ ما كَسَبتْ يداك(٢).

ابن عيسى: الحسبانُ: المرامي الكثيرةُ كجريدةِ الحساب.

﴿فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾ الصَّعيد: التُّرابُ، وقيل: وجهُ الأرض.

والزَّلَق: المكان الذي لا تَثْبُتُ عليه القدمُ، بل تَزِلُّ عنه.

الزَّجَّاج: الصَّعيد الزَّلَقُ: الطريقُ الذي لا نباتَ فيه(٣).

الحسن: الزَّلَق: الخراب(٤)، والمعنى: تصبحُ جنَّتُك هذه أرضًا ملساءَ لا شيءَ فيها، قد ذهب ما فيها من غرسٍ ونبتٍ(٥).

* * *

= أبي عمرو، وقاله أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (١/ ٤٠٣). وانظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ٣٠٧_٣٠٨).

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٦٦)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ١٧١)، والواحدي في «البسيط» (١٤/ ٢٣).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٨٩).

(٣) في (و): «الصعيد الزلق الذي لا ثبات فيه»، والمثبت من (ن)، ومثله في «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٨٩).

(٤) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٧/ ١٨٠) بلا نسبة.

(٥) قائل هذا الكلام الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٦٦)، أما الحسن ففي «تفسير يحيى بن سلام» (١/ ١٨٧) عنه أنه قال: «الزلق: التراب الذي لا نبات فيه».

(٤١) - ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا﴾.

﴿أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا﴾: ذاهبًا في الأرض سفلًا لا تَلْحَقُه الأَرْشِيَةُ[1] ﴿فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا﴾: لا يتأتَّى منك طَلَبُه.

وقيل: لن تستطيعَ ردَّ الماءِ الغائر.

وقيل: لن تستطيعَ طَلَبَ غيرِه بدلًا منه. حكاه الماورديُّ[2].

***

(٤٢) - ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّيٓ أَحَدًا﴾.

﴿وَأُحِيطَ﴾؛ أي: استجابَ اللهُ دعاءه فأحاط الله العذابَ ﴿بِثَمَرِهِۦ﴾: بماله ومَنالِه، وذلك أنَّه نزلتْ به نارٌ فأحرقَتْه ﴿فَأَصْبَحَ﴾؛ أي: الكافرُ ﴿يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾: يصفِّق بيده على الأخرى ويقلِّبُ كفَّيه ظهرًا لبطنٍ تلهُّفًا ﴿عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا﴾؛ أي: عليها.

وقيل: يُقلِّب مُلْكه فلا يَرى فيه عِوَضَ ما أَنْفقَ، حكاه الماورديُّ[3].

﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾: ساقطةٌ بعضُها على بعضٍ.

وقيل: خاليةٌ على بيوتها، والعروشُ: الأبنيةُ.

وقيل: العروشُ: ما عُرِش من كرومها؛ أي: عروشُها قائمةٌ لا ثمرَ فيها.

ويَحتمِلُ: حيطانُها ساقطةٌ على عروش كرومها.

ويَحتمِلُ أيضًا: أنَّ ﴿خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ كنايةٌ عن الخراب.

---

(١) جمع: رِشاء، وهو الحبل. انظر: «لسان العرب» مادة: (ر ش و) (١٤/ ٣٢٢).

(٢) انظر: «النكت والعيون» (٣/ ٣٠٨).

(٣) انظر: «النكت والعيون» (٣/ ٣٠٨).

﴿وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّيٓ أَحَدًا﴾ تمنَّى أنَّه كان غيرَ مشركٍ حين لم ينفَعْه التَّمنِّي.

(٤٣) ـ ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾.

﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: لم ينصُرْه النَّفَر الذي قال فيهم مُفتخِرًا: ﴿وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾.

والفئةُ: الجماعةُ تكونُ رِدءًا للعسكرِ يَفِيءُ إليها اللَّاجئ.

وقيل: هي جماعةٌ في تَفْرقةٍ.

﴿وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾؛ أي: بنفسه؛ أي: لم يَقدر على دفعِه بنفسه ولا له أعوانٌ نَصَروه.

* * *

(٤٤) ـ ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾.

﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ﴾؛ أي: في تلك الحالِ ـ يعني: يومَ القيامة ـ ﴿ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ﴾؛ أي: يتولَّون اللهَ ويؤمنون به ويتبرَّؤون من الأصنام.

قُرئ بالفتح والكسر[١]، وهما لغتان كالوكالة والوصاية والدّلالة.

وقيل: معنى الكسرِ: أنَّ الله متفرِّدٌ بالملكِ والسُّلطانِ يومَئذٍ، ومعنى[٢] الفتحِ: النُّصرةُ[٣].

---

(١) قرأ حمزة والكسائي بكسر الواو، والباقون بفتحها. انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٢)، و«التيسير» (ص: ١٤٣).

(٢) «معنى»: من (ط).

(٣) نسب هذا قول لابن السكيت، وذكر سيبويه أن الولاية بالكسر اسم، وبالفتح مصدر. انظر: «الكتاب» (٤/ ١١)، و«إصلاح المنطق» لابن السكيت (ص: ٨٨)، و«التقفية» للبندنيجي (ص: ٧٠٨)، و«لسان العرب» (١٥/ ٤٠٧).

ورُوي عن بعض القرَّاء الوقفُ على ﴿هُنَالِكَ﴾ فيكونُ متَّصلًا بقوله: ﴿مُنتَصِرًا﴾.

وقرئ: ﴿الحقُّ﴾ بالرَّفع[1] صفةٌ لـ﴿ٱلْوَلَٰيَةُ﴾[2]، والجرُّ صفةٌ ﴿لِلَّهِ﴾.

وقيل: الرَّفعُ على الابتداء[3] وما بعدَه خبرُه[4].

﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا﴾: أفضلُ ثوابًا ممَّن يُرْجَى ثوابُه، ﴿وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾؛ أي: طاعةُ اللهِ خيرٌ عقبَى من طاعةِ غيرِه.

* * *

(٤٥) - ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾.

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: اذكُرْ لهم ما يُشْبِه الحياةَ الدُّنيا، ثم قال: ﴿كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ﴾؛ أي: هو كماءٍ أنزلناه ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: من السَّحاب، وقيل: من جانب السَّماء.

﴿فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ﴾: بالماءِ، وقيل: بسببه، وقيل: بسبب الإنزال.

﴿نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾ لكثرة أنواعه ولكثافته، وقيل: لكثرة الماء اختلطَ بالنَّبات ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا﴾: جافًّا مهشومًا مكسورًا بعد تمامِ النَّبات وتزيُّنِ الأرض به، أو قبلَ تمامه بانقطاعِ المطر عنه.

---

(١) قرأ بها أبو عمرو والكسائي، والباقون بالكسر. انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٢)، و«التيسير» (ص: ١٤٣).

(٢) في (ن): «الولاية».

(٣) في (و): «الرفع بالابتداء».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٦٢)، واستغربه.

﴿تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ﴾: تَنْسِفُه فتفرِّقُه، تقولُ: ذَرَاه يَذْرُوه ويَذْرِيه.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾: قادرًا، قَدِرَ واقْتَدَرَ بمعنًى[1]، والنَّحويُّون يسمُّون هذا: (كان) الدَّوامَ[2].

الحسن: كان قبلَ كونِ كلِّ شيءٍ قادرًا على أنْ يُكوِّنَ فكوَّنه.

وقيل: هو صلةٌ.

* * *

(٤٦) ـ ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾.

﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾؛ أي: يَتزيَّن بهما الإنسان في دنياه؛ شقيًّا كان أو سعيدًا.

﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾: جزاءً ﴿وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾؛ لأنَّ صاحبه ينالُ مأمولَه.

وقيل: لأنَّ الأملَ للعمل الصَّالح خيرٌ من الأملِ للعملِ السَّيِّئ؛ أي: خيرٌ من زينة المال والبنين.

وفي ﴿الباقياتِ الصَّالحاتِ﴾ أقوالٌ، وجاء مرفوعًا أنَّها: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إلهَ إلَّا اللهُ، واللهُ أكبرُ، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا بالله العَلِيِّ العظيم»[3].

---

(١) ولا يخفى أن مع ذلك أن زيادة المبنى تدلُّ على زيادة المعنى. انظر: «معجم ديوان الأدب» للفارابي (٢/ ٤٠٤)، و«الخصائص» لابن جني (٣/ ٢٦٨).

(٢) انظر: «التذييل والتكميل» لأبي حيان (٤/ ٢١١)، و«المقاصد الشافية» للشاطبي (٢/ ١٤٦).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١١٧١٣)، وأبو يعلى في «مسنده» (١٣٨٤)، والطبري في =

ابن عبَّاسٍ: هي الصَّلواتُ الخمس(١).

ابن زيدٍ: الأعمالُ الصَّالحة(٢).

وقيل: الكلام الطَّيِّب.

ابنُ جَريرٍ: الصَّلاةُ إلى الصَّلاة، والجمعةُ إلى الجمعةِ، وشهرُ رمضانَ إلى شهرِ رمضانَ، والحجُّ إلى الحجِّ(٣).

* * *

= «تفسيره» (١٥/ ٢٧٩)، وابن حبان في «صحيحه» (٨٤٠)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٨٧): «رواه أحمد وأبو يعلى... وإسنادهما حسن».

ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٥١٣) من حديث عثمان رضي الله عنه، وإسناده حسن.

ورواه الإمام أحمد في «المسند» (١٨٣٥٣) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

ورواه النسائي في «الكبرى» (١٠٦١٧)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٧٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٢٥٨)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٧٤ ـ ٢٧٥).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٨٠)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٣١٠).

(٣) هذا لفظ خبر ذكره أبو حفص النسفي في «التيسير في التفسير» عند هذه الآية عن سعيد بن جبير، ولم أجد في كلام ابن جرير هذا اللفظ، لكنه ذهب إلى هذا المعنى من القول بعموم الآية، فقال في «تفسيره» (١٥/ ٢٨١): «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: هن جميع أعمال الخير...»، قال: «فإن ظن ظان أن ذلك مخصوص بالخبر الذي رويناه عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، فإن ذلك بخلاف ما ظن، وذلك أن الخبر عن رسول الله ﷺ إنما ورد بأن قول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، هن من الباقيات الصالحات، ولم يقل: هن جميع الباقيات الصالحات، ولا كل الباقيات الصالحات، وجائز أن تكون هذه باقيات صالحات، وغيرها من أعمال البر أيضًا باقيات صالحات».

(٤٧) ـ ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾.

﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ ﴾: واذكُرْ يومَ نسيِّرُ، فيكونُ مفعولًا به لا ظرفًا.

وقيل: تقديره: والباقياتُ الصَّالحات خيرٌ يومَ نسيِّرُ الجبال[1]. والواو يَدفعُ هذا القول.

ابن بحرٍ: الأعمالُ الصّالحةُ أحمدُ عاقبةً ويومَ نُسيِّر الجبال يكون عُقْبى ذلك[2].

والمعنى: يسيِّرُ الله الجبالَ عن وجهِ الأرض فيقلعُها قلعًا.

﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾: باديةً، بَرَزتْ عن تحتِ الجبالِ والأشجار والأبنية؛ ليَرى بعضُهم بعضًا.

وقيل: بارزةً موتاها عند البعث.

﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ﴾؛ أي: الموتى ﴿فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ﴾: لم نترُكْ ﴿أَحَدًا﴾، والمغادرةُ: التَّرك.

***

(٤٨) ـ ﴿ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴾.

﴿ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ ﴾ كما يُعرض الجند؛ أي: أُظهِروا، تقول: عرَضْتُ الشَّيء فأَعْرَضَ؛ أي: أَظهَرْتُه فظَهَر.

﴿صَفًّا﴾: مصطفِّين، وقيل: صفًّا صفًّا.

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٢٩٧)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٦٢)، وعدَّه من العجائب.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٦٢)، واستغربه، وزاد: فهو ظرف لـ«يكون» المقدر.

﴿لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾؛ أي: فيقالُ لهم: قد جئتُمونا كما خلقناكم أوَّل مرَّةٍ.

الزَّجَّاج: بعَثْناكم كما خلَقْناكم[(١)].

وجاء في الخبر أنَّهم: «يحشرون حفاةً عراةً غرلًا»[(٢)].

وقيل: خاليًا من المال والولد.

وقيل: أحياءً كهيئاتهم[(٣)] عند الخَلْق الأوَّل.

﴿بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾ ﴿بَلْ﴾ تفيدُ العطفَ هاهنا فحسب[(٤)]؛ أي: وزعَمْتُم أنْ لا نَفِيَ بوعدِنا في إعادتكم[(٥)].

وقيل: الموعدُ هاهنا: مكانُ الوعد بالمحاسبة.

* * *

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٧٣).

(٢) رواه البخاري (٣٣٤٩)، ومسلم (٢٨٦٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) في (ن): «كهيئاتكم».

(٤) في كلام سيبويه ما يشير إلى أن (بل) تكون للعطف كالواو والفاء، لكن ذهب الأكثرون إلى أن المراد لهذا العمل، أما معنى الإضراب فهو لازم لها، لكنه يكون تارة بإبطال حكم سابق، وتارة بالإعراض عن كلام سابق وتقرير ما هو أولى منه، ونص الزجاجي وابن مالك على أنها إنما جاءت في القرآن على هذا الوجه.

انظر: «الكتاب» (١/ ٤٣٥ و٤٤٠)، و«شرحه» للسيرافي (٢/ ٣٣٧)، و«حروف المعاني والصفات» للزجاجي (ص: ١٤)، و«شرح الكافي الكافية الشافية» لابن مالك (٣/ ١٢٣٣).

(٥) فالوعد على هذا: زمان الوعد للمحاسبة، وهو الظاهر.

(٤٩) - ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾.

﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ يعني: كتابَ الأعمالِ المشتمِلَ على جميع أعمالِ العبد؛ خيرِها وشرِّها، وهو ما كتبه الحفَظَةُ.

وقيل: وُضع الكتابُ في يمينه أو شماله.

وقيل: معناه: وُضع الحسابُ.

﴿فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾؛ أي: ترى المذنِبين خائفين وقوعَ المكروه ﴿مِمَّا فِيهِ﴾: من الذُّنوب ﴿وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ﴾ تعجُّبًا من شأنه ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾؛ أي: من الذُّنوب.

وقيل: بل جميعُ أعماله مكتوبٌ فيه.

﴿إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾: عدَّها وأحاط بجميعها.

﴿وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا﴾: مكتوبًا، وقيل: جزاءَه حاضرًا.

﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ بزيادةِ العذابِ أو نقصانِ الثَّواب.

* * *

(٥٠) - ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴾.

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ ﴾ سجودَ تحيَّةٍ، وقيل: سجودَ انقيادٍ.

﴿فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ ابن عبَّاسٍ: حيٌّ من أحياء الملائكة يُقال لهم: الجنُّ، خُلقوا من نار السَّموم، وخُلقتِ الملائكةُ غيرَ هذا الحيِّ من نورٍ(١).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٨٦)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ١٦٩)، وعنه نقل المصنف.

ورُوِي عن ابن عبَّاسٍ أيضًا: نسب إلى الجِنَان؛ لأنَّه كان خازنًا لها؛ كالمكِّيِّ والمدنيِّ(١).

الحسن: لم يكن من الملائكة ولا طرفةَ عينٍ، بل هو أصل الجنِّ، كما أنَّ آدم أصل الإنس(٢).

شهر بن حوشب: كان إبليسُ من الجنِّ الذين ظَفِرَ بهم الملائكة، فأَسَره بعضُ الملائكة فذهب به إلى السّماء(٣).

قتادةُ: جُنَّ عن طاعة الله(٤).

ابن عبَّاسٍ: كان اسمُه بالسريانيَّة: عزازيل، وبالعربيَّة: الحارث(٥).

وله زوجةٌ وذرِّيَّةٌ؛ لقوله: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ﴾.

مجاهدٌ: من ذرِّيَّة إبليس لاقِيسُ ووَلهانُ، وهما صاحبا الطَّهارة والصَّلاة، والهَفافُ ومُرَّةُ، وبه يكنى أبا مُرَّةَ، وزَلَنْبورُ صاحبُ الأسواق، يرفعُ رايتَه بكلِّ سوقٍ، وثُبَرُ وهو صاحبُ المصائب، والأعورُ وهو صاحب أبواب الزِّنى، ومِسْوَطٌ وهو

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٨٧)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٥/ ١٦٨٠).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٨٩)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٥/ ١٦٨١)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ١٧٢)، وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٦٦) عن الحسن قال: «قاتل الله أقواماً يزعمون أن إبليس كان من ملائكة الله، والله تعالى يقول: كان من الجن».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٩٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٦٦).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٥٣٨)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٥/ ١٦٧٧).

(٥) ذكره هكذا الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ١٦٩). وروى الطبري في «تفسيره» (١/ ٥٣٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان ملكًا من الملائكة اسمه عزازيل»، و(١٥/ ٢٨٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان اسمه الحارث».

صاحبُ الأخبارِ[١] يأتي بها فيُلْقِيها في أفواه النَّاس ولا يجدون لها أصلًا، وداسمٌ وهو الذي إذا دخل الرَّجل بيته فلم يُسلِّم ولم يذكُرِ اسمَ الله بصَّره من المتاعِ ما لم يُرْفَعْ أو يَحسُنْ موضِعُه، وإذا أكل ولم يَذكُرِ اسمَ الله أكَلَ معه[٢].

﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾: خرج.

وقيل: اتَّسع، تقول: فسق فلانٌ في الأرض: إذا اتَّسع فيها.

أبو عبيدةَ: هذه[٣] لم نسمَعْها من العرب، إنَّما تكلَّمت بها العربُ بعد نزول القرآن[٤].

---

(١) في (ن): «أخبار».

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٧/ ١٧٤)، ورواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٩٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٦٧)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٥/ ١٦٨٢)، وابن أبي الدنيا في «مكائد الشيطان» (٣٥) ولم يذكروا في رواياتهم: «لاقيس وولهان والهفاف ومرة». وقوله: «ما لم يرفع أو يحسن موضعه» لم أجد من شرحه، لكن قد يبينه لفظ «أضواء البيان» (٣/ ٢٩٣): «بصَّره ما لم يُرفع من المتاع وما لم يَحْسُن موضعه يثير شره على أهله».

وذكر الخبر ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٣/ ٥٢٢) ثم قال: وهذا وما جانسه مما لم يأت به سند صحيح...، قال: ولم يمر بي في هذا صحيح إلا ما في «كتاب مسلم» من أن للوضوء والوسوسة شيطاناً يسمَّى خنزب، وذكر الترمذي: أن للوضوء شيطاناً يسمى الولهان.

قلت: روى مسلم (٢٢٠٣) أن عثمانَ بنَ أبي العاصِ أَتَى النبيَّ ﷺ فقال: يا رسول الله، إن الشيطان قد حال بَيْني وبين صلاتي وقراءتي يَلْبِسُها عَلَيَّ، فقال رسول الله ﷺ: «ذاك شيطانٌ يقالُ له: خَنْزَبٌ، فإذا أحسَسْتَه فتَعَوَّذْ بالله منه، واتْفِلْ على يسارك ثلاثًا» قال: ففَعَلْتُ ذلك فأذهبه الله عنِّي.

وروى الترمذي (٥٧) وضعفه، وابن ماجه (٤٢١)، عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إنَّ للوضوء شيطانًا يقال له: الوَلَهانُ، فاتَّقُوا وَسواسَ الماء». وإسناده ضعيف جدًا، فيه خارجة بن مصعب متروك الحديث، وعتي بن ضمرة فيه جهالة.

(٣) يعني: كلمة (فسوة)، كما في «البسيط» للواحدي.

(٤) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٤/ ٤٧) عن أبي عبيد، وقد تعقبه بقوله: قال أهل المعاني المبردُ =

ومعنى ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ الزَّجَّاج: خرج عن أمر ربِّه(١).

قطربٌ: ﴿فسق عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾: عدل.

وقيل: الملائكة خُلقوا من الرِّيح، وهم روحانيُّون، وإبليسُ وسائر الجنِّ من النَّار، وآدمُ من الطِّين، وقد سبق معنى هذه الآية(٢).

﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى﴾ فتطيعوهم فيما يدعونكم إليه؛ أي: تتولَّونهم ولا تتولَّوني ﴿وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ﴾؛ أي: أعداءٌ ﴿بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾: بئس البدلُ من الله إبليسُ وذرِّيَّتُه.

وقيل: بئس البدلُ معصيةُ الله من طاعته.

وقيل: بئس البدلُ النّارُ من الجنَّة.

= وغيره: «هي كلمة فصيحة على ألسنة العرب» وأوكدُ الأمور ما جاء في القرآن، ومعناه: الخروج، كما قال:

فواسقًا عن قصدها جوائرا

قلت: وهذا الرجز ذكره أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (١/ ٤٠٦) عند هذه الآية وعزاه لرؤبة بن العجاج، وقد ساقه شاهداً على تفسير ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ بـ: جار عنه وكفر به، وليس فيه ما نقله عنه المصنف، وقد نقل الجوهري في «الصحاح» (٤/ ٥٤٣) عن ابن الأعرابي مثل ما نقل عن أبي عبيدة، وقد ذكر ابن فارس في «الصاحبي» (ص: ٤٥) أن هذه الكلمة من الألفاظ الإسلامية، وأن العرب لا تعرف إلا «فقست الرطبة» إذا خرجت من قشرها..

(١) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» (٣/ ٢٩٤) وذكر غيره، ثم قال: «ومذهب سيبويه والخليل ـ وهو الحق عندنا ـ: أن معنى ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾: أتاه الفسق لمَّا أُمر فعصى، فكان سببَ فسقه أمرُ ربه، كما تقول: أطعمه عن جوع وكساه عن عري. المعنى: كان سببَ فسقه الأمرُ بالسجود، كما كان سببَ الإطعام الجوعُ وسببَ الكسوة العريُ».

(٢) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ [البقرة: ٣٤].

(٥١) ـ ﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا﴾.

﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ﴾: ما أحضَرْتُهم؛ يعني: إبليسَ وذرّيّته، وقيل: الكفَّار أجمع.

وقيل: الملائكة.

﴿خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ فأستعينَ بهم على خَلْقها أو أشاورَهم فيه.

﴿وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ﴾: ولا استعَنْتُ ببعضِهم على خَلْقِ بعضٍ.

وقيل: ما أشهدتُ بعضَهم خلقَ بعضٍ.

وقيل: ما أعلَمْتُهم خَلْقَ أنفسهم، فكيف يَعلمون خَلْقَ غيرهم، حكاه الماورديُّ(١).

﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا﴾: أنصارًا وأعوانًا في خَلْق السّماوات.

وقيل: أولياء.

وقيل: أعوانًا لعبدة الأوثان.

* * *

(٥٢) ـ ﴿وَيَوۡمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ فَدَعَوۡهُمۡ فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُم مَّوۡبِقٗا﴾.

﴿وَيَوۡمَ يَقُولُ﴾ اللهُ للكفَّار: ﴿نَادُواْ﴾؛ أي: ادعُوا بصوتٍ عالٍ ﴿شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ﴾؛ أي: زعمتُم أنَّها لي شركاءُ ليَمْنعوكم(٢) من عذابي.

---

(١) انظر: «النكت والعيون» (٣/ ٣١٥).

(٢) أعاد المصنف الضمير للأصنام مرة على اعتبارها جمادات غير عاقلة على الحقيقة، ومرة على اعتبارها في زعم الكفار، ولذلك نظائر في القرآن، كما قال المصنف في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡ﴾ [الأنعام: ٣٨].

﴿فَدَعَوْهُمْ﴾: فنادَوهم لائمِينَ لهم على إضلالِهم إيَّاهم ﴿فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ﴾ واستغاثوهم فلم يُغيثوهم؛ لشغلهم بأنفسهم.

ويحتمِلُ أنَّ تركَ الإجابة لكونهم(١) جمادًا.

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم﴾: بين الكفَّار وآلهتِهم ﴿مَّوْبِقًا﴾ ابن عبَّاسٍ في جماعةٍ: هلاكًا(٢). وهو النَّار، وجُعلت بينهم لاستوائهم فيها.

وقيل: بين المؤمنين والكفَّارِ ﴿مَّوْبِقًا﴾: عداوةً.

وقيل: بين الكفَّار؛ لقوله: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧].

الفرَّاء: البَيْنُ هاهنا بمعنى الوصال؛ أي: تواصُلُهم في الدُّنيا صار مَهْلَكًا لهم(٣).

أبو عبيدةَ: الموبق: الموعِدُ(٤)؛ كقوله: ﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾ [الكهف: ٥٩].

مجاهدٌ في جماعةٍ: الموبِقُ: وادٍ في جهنَّم من قيحٍ ودمٍ(٥).

الواحديُّ: ﴿مَّوْبِقًا﴾: حاجزًا(٦).

---

(١) في (ن): «لكونها».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٩٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٦٧).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٤٧)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٦٣) واستغربه، وقد ذكر ابن الأنباري أن البين من الأضداد، وأنه يأتي بمعنى الوصال والفراق. انظر: «الأضداد» (ص: ٧٥).

(٤) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٤٠٦).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٩٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٦٧).

(٦) انظر: «الوجيز» للواحدي (ص: ٦٦٥)، وذكره الواحدي في «البسيط» (١٤/ ٥٢، ٥٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عطاء، وعن ابن الأعرابي، ثم قال: «وعلى هذا القول الكناية في قوله: ﴿بَيْنَهُم﴾ يعود إلى الفريقين من المؤمنين والكافرين، وليس يعرف للموبق بمعنى الحاجز اشتقاق».

وأصلُه من وَبَق يَبِقُ: إذا هلك.

(٥٣) ـ ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا﴾.

﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ﴾: عاينوها ﴿فَظَنُّوٓاْ﴾: أيقنوا ﴿أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾؛ أي: واقعون فيها وداخِلُوها، مِن وقع: إذا سَقَط.

﴿وَلَمْ يَجِدُواْ﴾ يعني: الكفَّار، وقيل: الأصنام ﴿عَنْهَا﴾: عن النَّار ﴿مَصْرِفًا﴾: موضِعًا يَعْدِلون إليه؛ لإحاطتها بهم، وقيل: ملجأً.

* * *

(٥٤) ـ ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾؛ أي: ردَّدْنا القولَ فيه مرَّةً بعد أخرى ﴿لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ يحتاجون إليه ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ﴾؛ أي: أكثرَ شيءٍ خلقَه الله ﴿جَدَلًا﴾: جدالًا وحجاجًا وخصامًا.

وقيل: ﴿ٱلْإِنسَٰنُ﴾ عامٌّ.

وقيل: أراد الكافرَ أُبيَّ بن خلفٍ[1]. وقيل: النّضرَ بن الحارث[2].

وقيل: كثرة مجادلة النَّاسِ الأنبياءَ فيما أَتَوْهم من الله.

* * *

(١) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٣٥١)، والثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ١٨٠)، وعزاه الواحدي في «البسيط» (١٤/ ٥٧) إلى الكلبي.

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٤/ ٥٧)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٣/ ٥٢٤)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٩٢)، وعزوه إلى ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥٥) ـ ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا﴾.

﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ﴾: أهلَ مكَّة ﴿أَن يُؤْمِنُوٓاْ﴾ من الإيمان ﴿إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ﴾: الرَّسولُ والقرآن ﴿وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ﴾ من الذُّنوب التي مَضَتْ ﴿إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: إلَّا إتيانُ سنَّةِ الأوَّلين، وهو الاستئصالُ.

الزَّجَّاجُ: إلَّا طلبُ سنَّةِ الأوَّلين؛ يريد: قوله: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢][(١)].

وقيل: إلَّا انتظارُ العذاب.

أبو عبيدةَ: إلَّا عادةُ الأوَّلين[(٢)].

ابن بحرٍ: ﴿ما﴾ هاهنا للاستفهام[(٣)]. غيرُه: للنَّفي.

﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا﴾ قرئ بالضَّمِّ والكسر[(٤)]؛ فالكسرُ معناه: معايَنةً ومقابَلةً، والضَّمُّ معناه: صِنفًا صِنفًا يتلو بعضُها بعضًا، جمع: قَبيلٍ.

وقيل: الضَّمُّ والكسرُ لغتان بمعنى المقابَلة.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٩٦).

(٢) قال أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (٢/ ١٥٦): «مجازه: إلا دأب الأولين وفعلهم وصنيعهم، وله موضع آخر كقولك: هل ينظرون إلا أن يلقوا مثل ما لقي الأولون من الموت وصنوف العذاب والتغيير؟». قاله في تفسير قوله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [فاطر: ٤٣].

(٣) وكذا فسرها جمع منهم: يحيى بن سلام في «تفسيره» (١/ ١٦٣)، وابن أبي زمنين في «تفسيره» (٣/ ٤٠).

(٤) قرأ عاصم وحمزة والكسائي بضم القاف والباء، والباقون بكسر القاف وفتح الباء. انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٣)، و«التيسير» (ص: ١٤٤).

وقيل: ﴿قُبُلًا﴾: خلافُ دُبُرٍ، والمعنى: يأتيهم عذابٌ يستأصلُهم أو يُقتَلون[1] بالسَّيف معايَنةً يومَ بدرٍ.

* * *

(٥٦) - ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا﴾.

﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾ للمؤمنين بالجنَّة ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ للكافرين بالنَّار.

﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ في طلب الآيات ودفع النُّبوَّات.

ابن جريرٍ: جدالُهم بالباطل: سؤالُهم النَّبيَّ ﷺ عن أصحاب الكهف وذي القرنَينِ والرُّوح تعنُّتًا[2].

﴿لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ﴾: بالجدال ﴿ٱلْحَقَّ﴾: النُّبوَّة؛ أي: يُزيلوه.

﴿وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى﴾: القرآنَ، وقيل: دلائلي ﴿وَمَآ أُنذِرُوا۟﴾: وإنذارَهم، وقيل: وما أُنذروا به؛ أي: النَّارَ ﴿هُزُوًا﴾: استهزاءً ولعبًا وباطلًا.

* * *

(٥٧) - ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا﴾.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾؛ أي: لا أحدَ أظلمُ ﴿مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ﴾: وُعِظَ وتُلِيَ عليه القرآنُ ﴿فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾: ترَكَ قَبولَه وصار عنها في عُرْضٍ وناحيةٍ ﴿وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾: غفَلَ عن ذنوبه السَّالفةِ، وقيل: ترَكها ترْكَ ما يُنْسَى.

---

(١) في (ن) و(و): «يقاتلون»، والمثبت من (ط).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١٥/ ٣٠٢).

﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾: جمعُ كِنَانٍ؛ أي: غِشاوةً ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾: كراهةَ أنْ يَفقهوه، و: لئلَّا يَفْقَهوه(١)، ﴿وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾: ثِقْلًا وصَمَمًا عن استماعِ الحقِّ؛ أي: خَذَلْناهم.

﴿وَإِن تَدْعُهُمْ﴾ يا محمَّدُ ﴿إِلَى ٱلْهُدَىٰ﴾: الإيمانِ والقرآنِ، ﴿فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا﴾؛ أي: بعد الأكنَّة والوَقْر.

***

(٥٨) ـ ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا﴾.

﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ فلا يُعجِّلُ بالعقوبة ﴿لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟﴾: بكُفرهم ﴿لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ﴾ في الدُّنيا، ﴿بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ﴾ يعني: يومَ القيامة ﴿لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا﴾: موضعَ نجاةٍ.

***

(٥٩) ـ ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾.

﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾ يريد: قومَ نوحٍ وعادٍ وثمودَ ﴿لَمَّا ظَلَمُوا۟﴾: كفروا.

﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾: وقتًا وزمانًا هلكوا فيه.

وقيل: هو مِن قوله: ﴿تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾ [هود: ٦٥].

وقيل: وجَعَلنا لمهلِكِ قومك.

والهلاكُ لازمٌ، والإهلاكُ متعدٍّ؛ فمَن فتح الميمَ فهو مضافٌ إلى الفاعل، ومَن ضمَّ الميمَ فهو مضافٌ إلى المفعول(٢).

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٦٤)، واستغربه.

(٢) قرأ أبو بكر بفتح الميم واللام، وحفص بفتح الميم وكسر اللام، وباقي السبعة بضم الميم وفتح اللام. انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٣)، و«التيسير» (ص: ١٤٤).

وقيل: (هلك) متعدٍّ أيضًا[١]، وأُنشد:

ومَهْمَـهٍ هالِـكِ مَـن تَعَرَّجـا[٢]

فيكونُ الفتحُ مضافًا إلى الفاعل، وإنْ شئتَ إلى المفعول.

* * *

(٦٠) - ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴾.

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ ﴾؛ أي: اذكُرْ إذ قال؛ فإنَّ في ذلك عبرةً لمن اعتبَر.

و(فتاه): مملوكٌ له، وهذا قولٌ غريبٌ[٣].

وجمهورُ المفسِّرين على أنَّه يُوْشَعُ بنُ نونٍ، وقيل: كان أخًا ليُوشَعَ[٤]، وسمِّي فتاه لأنَّه كان يلازِمُه ويخدمُه.

﴿لَآ أَبْرَحُ﴾: لا أزالُ، والخبرُ محذوفٌ؛ أي: لا أبرحُ ماشيًا.

وحكى الزَّجَّاج أنَّ بعضهم قال في تفسيره: ﴿لَآ أَبْرَحُ﴾: لا أزولُ، قال: وهذا

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٦٤)، واستغربه.

(٢) الرجز للعجاج. انظر: «ديوان العجاج» (ص: ٣٣٤)، و«العين» (٢/ ٣٧٨)، و«أدب الكاتب» (ص: ٤٣٩)، و«المقتضب» (٤/ ١٨٠)، و«جمهرة اللغة» (٢/ ٩٨٣)، و«معجم ديوان الأدب» (٢/ ١٧٨). قال البطليوسي في «الاقتضاب» (٣/ ٢٧٦): «فيه قولان؛ قال أبو عبيدة: «هالك» بمعنى مُهلِك، وكذلك حكى يونس، وقال: كانت لغة رؤبة بن العجاج: هَلَكني وهَلَكه الله، فـ«مَن» على قولهما في موضع نصب، ومَن قال: لا يجوز: هَلَكته، إنما يقال: هلك وأهلكه الله، فـ«مَن» على رأيه في موضع رفع كأنه قال: هالك المتعرج فيه، كما تقول: مررت برجلٍ فارهِ العبد؛ أي: فارهٍ عبدُه». ومعنى البيت: من أقام بهذه الأرض القفر وأبطأ السير فيها فقد هلك.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٦٤)، وعدَّه من العجائب.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٦٤)، واستغربه.

محالٌ؛ لأنَّه إذا لم يَزُل من مكانه لم يَقْطَعْ أرضًا، قال: وإنَّما المعنى: لا أزال أسيرُ[١]؛ أي: أدومُ عليه ولا أَفترُ حتَّى يكونَ أحدُ الأمرين.

ولعلَّ القائل أراد: لا أزولُ عن حالي في السَّير، لا: عن مكاني، فلا يكونُ فيه استحالةٌ، وكذلك ظاهرُ القرآن: ﴿لَآ أَبۡرَحُ﴾، فإذا لم يَبْرَحْ كيف يَصلُ، وإنَّما المراد: لا أبرحُ من السَّيرِ حتَّى أَصِلَ.

﴿حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾ قيل: هو بحرُ فارسَ والرُّومِ.

محمَّد بن كعب: اسمُه طنجة[٢].

أبيُّ بن كعبٍ: إفريقيةُ[٣].

مقاتلٌ: اسمُ أحدهما: الرَّشُّ، والآخر: الكنْزُ[٤].

وقيل: بحرُ المشرقِ والمغربِ اللَّذان يحيطان بجميع الأرض.

وقيل: العذبُ والملح[٥].

وقيل: البحران من العلم، وهما موسى والخضِر[٦].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٩٨)، وذكر المصنف القول الذي نقله الزجاج في «غرائب التفسير» (١/ ٦٦٤)، واستغربه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٠٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٧٦).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٧٥).

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٥٩٢)، وفيه: «الكر» بدل «الكنز»، وفي «تفسير ابن أبي حاتم» (٧/ ٢٣٧٦) عن السدي أنها الكرّ والرّس، وفي «مفحمات الأقران» (ص: ٦٩) أنهما الكتر والرشن، والله أعلم.

(٥) «وقيل العذب والملح»: ليس في (ن). ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٦٥)، واستغربه.

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٦٥)، وعدَّه من العجائب.

وسببُ ذلك[١]: أنَّ موسى عليه السَّلامُ خطَب للنَّاس خطبةً بليغةً فأُعجب بها، فقال له رجلٌ: هل تعلمُ أحدًا أعلمَ منك؟ فقال: لا، فأوحَى الله إليه: بلى[٢]، عبدُنا الخضِرُ. فسأل موسى السَّبيلَ إلى لُقيِّه، فجعل اللهُ له الحوتَ آيةً، فقيل له: إذا فقَدْتَ الحوتَ فارجِع؛ فإنَّك ستَلْقاه، فانطَلَق هو وفتاهُ حتَّى أتيا الصَّخرةَ التي عند مجمَعِ البحرين، وهو قوله: ﴿حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾[٣].

﴿أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا﴾ تقديره: حتَّى يكون إمَّا لقاءُ الخضرِ بمجمعِ البحرين، وإمَّا السَّيرُ حتَّى أصلَ إليه وإن كان حُقُبًا، والحُقُب في قول ابن عبَّاسٍ: الدَّهرُ[٤].

مجاهدٌ: سبعون سنةً[٥].

وقيل: ثمانون سنةً.

وقيل: سنةٌ بلغة قيسٍ[٦].

قتادةُ: هو زمانٌ غيرُ محدودٍ[٧].

* * *

(٦١) - ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجۡمَعَ بَيۡنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ سَرَبٗا﴾.

﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجۡمَعَ بَيۡنِهِمَا﴾؛ أي: بلغَا مجمَعَ البحرين.

---

(١) في (و): «وذلك» بدل: «وسبب ذلك».

(٢) «بلى»: ليس في (ن).

(٣) رواه بنحوه البخاري (١٢٢) و(٤٧٢٦)، ومسلم (٢٣٨٠)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣١١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٧٦).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣١٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٧٦).

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٦٥)، واستغربه.

(٧) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٦٩٤)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣١١).

و﴿بَيْنِهِمَا﴾ يَحتمِلُ أمرين:

أحدهما: أن يكون ظرفًا، فأضيفَ إليه على الاتِّساع، ومثلُه: ﴿شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٦].

والثّاني: أن يكون بمعنى الوصل؛ أي: مجمَعَ وَصْلِهما(١).

﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ ثم سارا حتَّى انتهَيَا إلى الصَّخرة، فوضَعَ فتاهُ المكتَلَ، وكان فيه خُبزٌ وسمكٌ مالحٌ، وقيل: مشويٌّ، وقيل: طريٌّ.

فتمسَّح يوشعُ بالماء، فانتضَحَ على الحوت فعاش ووثب في الماء؛ لأنَّ العين التي اغتسل منها عينُ ماءٍ يقال لها: عينُ ماءِ الحياة، لا يُصيب منها(٢) ميِّتًا إلّا عاش(٣).

فقام الفتى ليُخْبِرَ موسى فنَسِي، وإنَّما نسي ومثلُ ذلك لا يُنسى؛ لأنَّه كان في زمان النُّبوَّة، وكان يقعُ لهم أمثالُ ذلك.

ونُسب النِّسيان إليهما لأنَّ موسى نَسِي تعرُّفَ خبرِ الحوت وقد بلَغ الموضعَ الموصوفَ له، ونسي الفتى أن يخبرَه بما كان من الحوت.

وقيل: نُسب إليهما وهو لأحدهما، كقوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٢٢]، وهما يَخرُجانِ من الأُجَاج.

ولا يَخرجَانِ من الفُرات.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٦٥)، واستغربه.

(٢) في (ط): «منه»، والهاء تعود على الماء، وفي (ن) و(و) على العين، والفاعل ضمير مستتر، وكلمة (ميتاً) حال في هذا السياق، وفي «تفسير ابن أبي حاتم» (٧/ ٢٣٧٠) عن سفيان: «ولا يصيب ماؤها ميتاً إلا عاش»، وهو أظهر.

(٣) ذكره الثعلبي في «عرائس المجالس» (ص: ٣٠٠) عن الكلبي.

وقيل: تقديره: نَسي أحدُهما، فحُذف المضاف وارتَفَع الضَّميرُ واتَّصل بالفعل(١).

وقيل: هو كقوله: نَسُوا زادَهم، وإنَّما ينساه متعهِّدُ الزَّادِ(٢).

﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ﴾؛ أي: اتَّخذ طريقًا له من البرِّ إلى البحر ﴿سَرَبًا﴾: سَرَب فيه سَرَبًا(٣)، المعنى: دخل فيه واستَتَر به.

وقيل: تقديرُه: واتَّخذ سبيلَه سربًا، فهما مفعولان(٤)، كقوله: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥]، وقيل: بَقِي طريقُه كالسَّرَب(٥).

* * *

(٦٢) - ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾.

﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾؛ أي: مجمَعَ البحرين، ثم نَزَلا وقد سارا ما شاءَ اللهُ ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾: طعامَنا لنتغدَّى به ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾: تَعبًا، وقيل: وَهنًا، يريد: ذلك اليومَ فحسبُ؛ لأنَّه جاوَزَ الموعد من المكان.

وقيل: لم يَعْيَ موسى عليه السَّلام في سفرٍ قطُّ إلَّا في ذلك السَّفر.

* * *

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٦٥)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٦٥)، وعدَّه من العجائب.

(٣) في هامش (ن): «السرب: المحفور من الأرض لا نفاذ له». قلت: وهو على هذا القول منصوب على أنه نائب مصدر مفعول مطلق، انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٩٩).

(٤) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٣٠٠).

(٥) لعله يريد: جمد طريقُه في البحر فكان كالسرب. انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٥٤).

(٦٣) ـ ﴿قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾.

﴿قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ﴾ مقاتلٌ: هي بـ«شَرْوان» على ساحل بحرِ أَيْلةَ[١]. وقيل: عند نهر الزَّيت[٢].

﴿فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ﴾؛ أي: حملَ الحوت. وقيل: ذكرَ الحوت؛ تذكَّرَ الفتى ما كان من الحوت؛ لأنَّ موسى كان يأكلُ منه، فقال: أرأيتَ؛ ذكره ما شاهد[٣].

وقيل: معناه: تنبَّه إذ أَوَيْنا حين عَدَلْنا عن الجُدَد إلى الصَّخرة، فإنِّي نسيت الحوت.

ثم اعتذر فقال: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾؛ أي: شغل قلبي بوسوستِه[٤]، فنسيتُ أن أذكره؛ أي: ذِكرَه، ومحلُّه نصبٌ على البدَلِ من الهاء بدَلَ اشتمالٍ[٥].

وقيل: أن[٦] لا أذكرَه.

﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾ فيه ثلاثةُ أوجُهٍ:

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٥٩٣)، وفيه: «مروان» بدل «بشروان». وفي «المسالك والممالك» للبكري (١/ ٤٤٣): «هي صخرة شروان، والبحر بحر جيلان، والقرية قرية باجروان». وفي «الروض المعطار» (ص: ٣٤٠): «شروان: هي إحدى مدن أرمينية».

(٢) ذكره الثعلبي في «عرائس المجالس» (ص: ٣٠٠) عن معقل بن زياد. ونهر الزيت: اسمُ نهرٍ معيَّنٍ سمِّي به لكثرةِ أشجارِ الزيت على شاطئه. انظر: «فتوح الغيب» للطيبي (٩/ ٥١٢).

(٣) في (و): «ثانياً».

(٤) سقطت الباء من (و).

(٥) في (و): «الاشتمال».

(٦) سقطت «أن» من (ن).

أحدها: أنَّ الفعلَ لموسى؛ أي: اتَّخذَ موسى سبيلَ الحوت في البحر عجبا؛ أي: تعجَّبَ من ذلك.

والثَّاني: ﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ﴾ من كلام الفتى، والفعلُ للحوت، و﴿عَجَبًا﴾ من كلام موسى؛ أي: عجبتُ من ذلك عَجَبًا.

وقيل: تعجَّبَ من يوشعَ ونسيانِه ذلك؛ لأنَّ موسى عَلِم أنْ يكونَ[1] ذلك.

والثَّالث: أن يكون[2] الجميعُ من كلام يوشعَ؛ أي: اتَّخذ سبيلَه في البحر اتِّخاذًا عجبًا، وذلك أنَّ أثره بقيَ إلى حيث سار.

وقيل: جَمَد الماءُ تحته، وقيل: صار صخرًا، وقيل: بقيَ كالكوَّة، وقيل: ضرب بذنَبه فصار المكانُ يَبَسًا.

قال وهبٌ: لا، بل كان حوتًا يمشي في البحر ككوكبٍ درِّيٍّ، فكانا يمشيان على أثَره إلى أن بَلَغَا الخضرَ عليه السَّلام[3].

وهذا القولُ محتاجٌ إلى شرحٍ؛ كأنَّه رأى الفتى حوتًا يمشي في البحر بهذه الصِّفة فنسي ذكرَه لموسى عليه السَّلام، فلمَّا قال موسى: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ تذكَّر الحوت، فأخبر موسى بذلك، فقال: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ﴾.

ورُوي عن ابن عبَّاسٍ عن أبيٍّ عن رسولِ الله ﷺ قال: «انتهَيا إلى الصَّخرة

---

(١) كذا ضبطت في (و)، وهي بلا ضبط في بقية النسخ، ويمكن أن تكون (أن) مخففة وأن تضبط (يكون) بالضم.

(٢) «يكون»: ليس في (و).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٦٩)، واستغربه، وذكر الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ١٩٧) عن وهب أنه قال: «ظهر في الماء من أثر جرى الحوت شق وأخدود شبه نهر».

فناما واضطربَ الحوتُ في المِكْتَلِ، فخرج منه وسقطَ في البحر، فاتَّخذ سبيلَه سَرَبًا، فأمسكَ على الحوت جِرْيَةَ الماء، فصار عليه مثلَ الطَّاق»(١).

فعلى هذا يجوزُ أن يكونَ قوله: ﴿فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا﴾، ﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾ من قول الله، و﴿عَجَبًا﴾ كقوله: ﴿فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾ [الرعد: ٥].

* * *

(٦٤) - ﴿قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾.

﴿قَالَ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: أمرُ الحوت ﴿مَا كُنَّا نَبْغِ﴾: نطلبُه، ﴿فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾: رجعَا في الطَّريق الذي جاءا فيه يتتبَّعان أثرَ المجيء، ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ﴾ الجمهورُ على أنَّه الخضِرُ، واسمُه: بَليا بنُ مَلكان، وقيل: الْيَسَعُ، وقيل: إلياسُ، وقيل: خضرونُ بنُ قابيل بنِ آدم، حكاه النَّقَّاش(٢).

عُبيدُ بن عُمَيرٍ يرفعُه قال: «لمّا خرج موسى يطلبُ العالِمَ انتهَى إلى البحر، فإذا هو به نائمٌ فوق الماء عليه قطيفةٌ خضراءُ قد أدخلَها تحت رأسه وتحت رجليه، فلمَّا رأى موسى عَرَف الشِّدَّةَ والشَّهامة، قال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم، قال: لقد كان لك في التَّوراة عِلمٌ وفي بني إسرائيل شُغلٌ»(٣).

وقيل: رأى خَضِرًا على طِنْفسةٍ خضراءَ على وجه الماء فسلَّم عليه(٤).

---

(١) رواه البخاري (٣٤٠١)، ومسلم (٢٣٨٠).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٦٩)، واستغربه.

(٣) لم أقف عليه إلا عند المصنف هنا وفي «غرائب التفسير» (١/ ٦٦٨)، ويشهد لبعضه ما سيأتي.

(٤) رواه بنحوه البخاري (٤٧٢٦) قطعة من حديث طويل، ولفظه: «فوَجَدَا خَضِرًا على طِنْفِسَةٍ خضراءَ على كَبِدِ البحرِ». وكبد البحر: وسطه، والطنفسة: بساط صغير كالنمرقة، يقال بكسر الطاء والفاء، وضمهما، وبكسر الطاء وفتح الفاء، وهو الأصح، وحكى أبو حاتم فتح الطاء. انظر: «إكمال المعلم» (٧/ ٣٧١).

وجاء في الخبر: «إنَّما سمِّي الخَضِرُ خَضِرًا؛ لأنَّه جلس على فروةٍ بيضاء فاهتزَّت تحته خضراءَ»(١). الفروة: الأرضُ المرتفعةُ، وقيل: الصُّلبة.

مجاهدٌ: إنَّما سمِّي الخضِرُ خضرًا؛ لأنَّه إذا صلَّى اخضرَّ ما حولَه(٢).

سعيدٌ: الخضِرُ أمُّه روميَّةٌ وأبوه فارسيٌّ(٣).

ورُوي عن رسول الله ﷺ في بعض الأخبار: أنَّه ذكر قصَّة الخضر فقال: كان ابنَ ملكٍ من الملوك، فأراد أن يستخلِفَه مِن بعدِه فلم يَقبلْ منه، ولَحِقَ بجزائر البحور، فطلبَه أبوه فلم يَقدِرْ عليه، وأطال الثَّعلبيُّ الكلام في ذلك الملِك في كتاب «العرائس»(٤).

وعن ابن لَهِيعةَ: أنَّ الخضر ابنُ فرعون موسى، حكاه النَّقَّاش في «تفسيره» والعُهْدةُ عليه(٥).

* * *

---

(١) رواه البخاري (٣٤٠٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه يرفعه بلفظ: «إنَّما سُمِّيَ الخَضِرَ أنَّهُ جلسَ على فَرْوَةٍ بيضاءَ، فإذا هي تهتزُّ من خلفِهِ خضراءَ».

(٢) رواه ابن الأنباري في «الزاهر» (٢/ ١٥٤)، والثعلبي في «عرائس المجالس» (ص: ٣٠١)، وذكره الثعلبي أيضاً في «تفسيره» (١٧/ ١٩٩)، والواحدي في «البسيط» (١٤/ ٨١)، والمصنف في «غرائب التفسير» (١٧/ ١٩٩)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٩٧).

(٣) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٦/ ٤٠١) عن سعيد بن معبد.

(٤) انظر: «عرائس المجالس» للثعلبي (ص: ٣٠١)، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٣٥٤)؛ كلاهما دون سند.

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٦٨)، واستغربه جداً ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ١٧٩).

(٦٥) ـ ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾.

وقيل: في قوله: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ﴾: كان ملكًا، أمر الله موسى أن يأخذَ منه من عِلْم الباطن(١).

وقيل: كان عالمًا.

واختلفوا في نبوَّته؛ أعني: الخضرَ؛ فمنهم مَن قال: هو نبيٌّ، ومنهم مَن قال: هو وليٌّ.

واختلفوا في حياته، فقال بعضهم: هو حيٌّ بعدُ في زماننا، وأنكره بعضُهم بأنْ لا يكونُ بعد محمَّدٍ عليه السّلام نبيٌّ.

أبو عليٍّ: كان الخضرُ نبيًّا بعد موسى، قال: وهذا أيضًا نبيٌّ، ولكنْ كان قبلَ موسى والخضرِ عليهما السَّلام(٢).

وقيل: الخضرُ نبيٌّ، وإلياسُ نبيٌّ، وهما في الأحياء يلتقيان في كلِّ موسمٍ في عرفاتٍ(٣).

وروي عن محمَّد بن إسحاق: أنَّ موسى صاحبَ الخضر هو موسى بنُ ميشا بنِ يوسف(٤)، وقيل: موسى بن أفراثيم بن يوسف، وهذا بعيدٌ(٥)؛ فإنَّ في

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٦٨)، وعدَّه من العجائب.

قلت: بل من المناكير والتقولات الفارغة بعدما ثبت في الصحيحين من قصة موسى والخضر.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٦٨) واستغربه، ولفظه: «قال أبو علي: الخضر كان نبيًّا قبل موسى، وكان بعد موسى خضر آخر، وكان نبياً أيضاً».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٦٨)، واستغربه.

(٤) رواه عنه الحاكم في «المستدرك» (٤٠٩٣)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٣٢١)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٩٥). وهذا القول قال عنه ابن الجوزي: «ليس بشيء؛ للحديث الصحيح». وسيأتي لاحقاً.

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٦٨)، وعدَّه من العجائب، واستبعده وضعفه.

«الصَّحيح» عن البخاريِّ: أنَّ سعيد بن جُبيرٍ قال: قلت لابن عبّاسٍ: إنَّ نَوْفًا البِكَاليَّ[١] ـ وكان قاضيًا بالكوفة[٢] ـ يزعم أنَّ موسى صاحبَ الخضر ليس[٣] موسى بني إسرائيل، إنَّما هو موسى آخر، قال: كَذَبَ عدوُّ الله[٤].

وفي بعضِ القصص: أنَّ الخضر لمّا رأى يوشعَ بنَ نونٍ شربَ من ماءِ الحياة أَخَذَه وجعله في تابوتٍ وشدَّه بالرَّصاص، ورمَى به في موج البحر[٥]. وهذا بعيدٌ، بل صَرَفه موسى وردَّه إلى بني إسرائيل.

وإنَّما ذَهَب إلى هذا مَن ذَهَب؛ لأنَّ ذكرَه انقطع هاهنا، وفي الخبر عن النَّبيِّ عليه السّلام: «إنَّ أخي الخضرَ لَيَقْضي ثلاثَ ساعاتٍ من النَّهار بين أمواجِ البحر، ويشهدُ الصّلواتِ كلَّها في المسجد الحرام، ويتهجَّدُ بالسَّحَر عند سدِّ يأجوجَ ومأجوج»[٦].

---

(١) نوف بن فضالة الحميري البكالي، أبو يزيد، ويقال: أبو الرشيد، ويقال: أبو رشدين، ويقال: أبو عمرو، الشامي من أهل دمشق، ويقال: من أهل فلسطين، وهو ابن امرأة كعب الأحبار، قال أبو عمران الجوني: كان نوف أحد العلماء، وقال يحيى بن أبي عمرو الشيباني: كان نوف إماماً لأهل دمشق. انظر: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٨/ ٥٠٥)، «تهذيب الكمال» (٣٠/ ٦٥)، و«تهذيب التهذيب» (١٠/ ٩٠).

(٢) «وكان قاضيًا بالكوفة»: ليس في (و).

(٣) في (و) زيادة: «هو».

(٤) رواه البخاري (١٢٢)، ومسلم (٢٣٨٠).

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٦٩)، وعدَّه من الغريب العجيب.

(٦) لم أقف عليه، وروى الحارث بن أبي أسامة في «مسنده» كما في «بغية الباحث» (٩٢٦)، وأبو نعيم في «الطب النبوي» (٦٨٢)، عن عبد الرحيم بن واقد، عن القاسم بن بهرام، عن أبان، عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الخضر في البحر واليسع في البر، يجتمعان كل ليلة عند الردم الذي بناه ذو القرنين بين الناس وبين يأجوج ومأجوج، ويحجان أو يجتمعان كل عام، ويشربان من زمزم شربة تكفيهما إلى قابل»، وزاد أبو نعيم: «وطعامهما الكرفس». قال ابن حجر في =

وفي القصص: لمَّا ورد موسى البحرين وقف على ساحل البحر، فأبصر حوتًا قد علا الماءَ ونَشَر جناحَيْه على متن البحر، فوضع موسى رجليه على جناحه اليمنى، ووضع فتاه قدميه على جناحه اليسرى، وجعل الحوتُ يسبح ويقطعُ بهما[1] أهاويلَ البحر حتى انتهى إلى الصَّخرة[2]؛ يعني: الحوت.

قوله: ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾: هي النُّبوَّة، وقيل: العلمُ، وقيل: الطَّاعةُ، وقيل: طولُ الحياة.

﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾: عُلِّم مِن عِلْمِ[3] الغيب ما لم يَعْلَمْ غيرُه.

مقاتلٌ: إنَّ اسمه اليَسَعُ، وإنَّما سمِّي اليسعَ لأن علمَه وسعَ ستَّ سماواتٍ وستَّ أرضين[4]. وهذا الكلامُ مزيَّفٌ جدًّا.

* * *

(٦٦) ـ ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾.

﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾؛ أي: هل أصحَبُك على شرطِ أن تعلِّمني هدًى وصوابًا ممَّا عُلِّمته؟

والرُّشْدُ والرَّشَدُ[5] لغتان كالبُخْل والبَخَل.

= «الإصابة» (٢/ ٢٥١): «وعبد الرحيم وأبان متروكان».

(١) «بهما»: ليس في (و).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٦٩) وعده من العجائب. ولا شك أنه من خرافات الإسرائيليات.

(٣) «علم»: ليس في (و).

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٥٩٤).

(٥) قرأ أبو عمرو بفتح الراء والشين، والباقون بضم الراء وإسكان الشين. انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٤)، و«التيسير» (ص: ١٤٤)، وذكر ابن مجاهد رواية عن ابن ذكوان عن ابن عامر بضمِّ الراء والشين.

وانتصابُ ﴿رُشْدًا﴾ على أنَّه مفعولُ ﴿تُعَلِّمَنِ﴾، وأجاز أبو عليٍّ أن يكونَ مفعولًا له؛ أي: هل أتَّبِعُك للرُّشْد[1]، ويجوزُ أن يكون مصدرًا؛ أي: تعلِّمَني وتُرشِدَني بذلك رشدًا.

والعلمُ هاهنا يتعدَّى إلى مفعولٍ واحدٍ، فعدِّي بالتَّشديد إلى مفعولين.

* * *

(٦٧ ـ ٦٨) ـ ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۝٦٧ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾.

﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾؛ أي: يَشُقُّ عليك الصَّبرُ ويَثْقُلُ.

وقيل: نفَى الصَّبرَ على زَعْمِه.

﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾: اعتذَر عن كلامه؛ أي: ليس هذا غضاضةً منك، بل لأنَّك ترى ما يَقْبُحُ في المعتاد، فيَلزمُكَ عندك الإنكارُ والتَّغيير وأنت لا تعلمُ باطنَه، ولا تعلمُ أنَّ الأمر بخلافِ ظاهره.

وقيل: ﴿مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾: لم تستيقِنْه، والخُبْرُ والخُبْرةُ واحدٌ[2].

* * *

(٦٩) ـ ﴿قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾.

﴿قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا﴾؛ أي: عن الإنكار، وقيل: عن السُّؤال.

﴿وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾؛ أي: أتابعُك على كلِّ ما تريدُ.

وقيل: لا أَبتدئُ بالإنكارِ حتَّى تَبتدِئَ بالإخبار.

وقيل: العصيانُ هاهنا مجازٌ وإعظامٌ منه له.

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٥/ ١٥٥).

(٢) ومعناهما: العلم بالشيء، ويجوز في الخاء فيهما الضم والكسر. انظر: «القاموس» مادة: (خ ب ر).

وقيل: تمَّ الكلام على قوله: ﴿صَابِرًا﴾؛ فصَبَر لمّا(١) استثنى بقوله: ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾، وعصَى حيث لم يَستَثْنِ.

وقيل: لم يَلزَمْه الصَّبرُ لمّا استثنَى، كقوله: أنت طالقٌ إنْ شاء الله(٢).

* * *

(٧٠) ـ ﴿قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا﴾.

﴿قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا﴾؛ أي: لا تبتَدِئني بالسُّؤال عمَّا يَصْدُرُ منِّي وإنْ أنكرتَه إلى أنْ أَبتدِئَك ببيانه وأُخبرَكَ به.

الفرَّاء: حتّى أكون أنا الذي أسأَلُك(٣).

* * *

(٧١) ـ ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ قَالَ أَخَرَقۡتَهَا لِتُغۡرِقَ أَهۡلَهَا لَقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـًٔا إِمۡرٗا﴾.

﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ﴾؛ أي: أخذا يمشيان ـ يريد: موسى والخضر ـ على السَّاحل، فمرَّت بهما سفينةٌ، فحمَلَهُما أصحابُها بغيرِ نَوْلٍ، وقالوا: سِيْماهُما سِيْما الزُّهَّادِ.

وقيل: فلوَّح الخَضِرُ بثوبه، فأُدْنِيتْ من السَّاحل، فركباها.

وقيل: عَرَفوا الخضرَ، فحملوهما بغيرِ نَولٍ.

---

(١) في (و) بدل «فصبر لما»: «وإنما».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٧٠)، واستغربه.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٥٥)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٧٠)، واستغربه

فبينما هم في السَّفينة أخذَ الخضرُ فأسًا فخَرَق لوحًا من السَّفينة حتى دخلها الماء، وجاء في التَّفسير: فحشاها موسى بثوبه(١).

السُّدِّيّ: ﴿خَرَقَهَا﴾ ثمَّ أخذ قدحًا من زجاجٍ كان في السَّفينة فألقَمَه الخَرْقَ(٢).

وقال بعضهم: ثمَّ أخذ منقارًا له ومِطْرقةً، فضرب فيها بالمنقار حتَّى خرقها، ثمَّ أخذ لوحًا وطبَّقه عليها، ثمَّ جلس يَرْقَعُها.

﴿قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ وكذلك كان في عِلم موسى.

وقيل: لأنَّ السَّفينةَ إذا دخلها الماءُ رَسَب فغَرَّق أهلَها.

قوله: ﴿لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ قيل: اللَّام لامُ العاقبة.

وقيل: معناه: هذا الفعلُ يُشْبِهُ فِعْلَ مَن يريدُ الإغراق(٣).

﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾: داهيةً. مجاهدٌ: منكرًا(٤). مقاتل: عجبًا(٥).

ابن عيسى: هو مأخوذٌ من الإمر: وهو الفاسدُ الذي يحتاجُ أن يُؤْمَر بتركه إلى الصَّلاح، ومنه رجلٌ إمِرٌ: إذا كان ضعيفَ الرّأي يحتاجُ أن يُؤْمَر حتَّى يَقْوَى رأْيُه(٦).

وقيل: أصله الشِّدَّةُ.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٢٠٤) من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه مرفوعاً، والحديث رواه البخاري (١٢٢) و(٣٤٠١) و(٤٧٢٥) و(٤٧٢٧)، ومسلم (٢٣٨٠)، دون ذكر الحشو، وليس في شيء من روايات الصحيحين ذكر سد الخرق بأي طريقة من الطرق.

(٢) ذكره البغوي في «تفسيره» (٣/ ٢٠٦)، والعليمي في «فتح الرحمن» (٤/ ٢٠٠) بلا نسبة.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٧٠).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٣٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٧٨).

(٥) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٣٢٧). ورواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٣٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٧٨) عن قتادة.

(٦) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٣٢٧) بلا نسبة.

و﴿إِذَا﴾ في قوله: ﴿إِذَا رَكِبَا﴾[١] في موضع جرٍّ بـ﴿حَتَّىٰٓ﴾، وهي عاملةٌ في المعنى؛ لأنَّ ما بعدها جملةٌ، كما تقول: جلس حتى إذا قُمْنا ذهب[٢].

* * *

(٧٢) ـ ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾.

﴿قَالَ﴾ يعني: الخضرَ: ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾ وجاء في الخبر: «وكانا في ذلك إذ جاء عصفورٌ فنَقَرَ نَقْرةً من ماءٍ ثم طار، فقال الخضرُ: إنَّ عِلْمي وعلمَك وعلمَ الخلائق كلِّهم في عِلمِ الله كهذه النَّقْرة التي أخذها من عُرض البحر»[٣].

فلمَّا رأى موسى أنَّ الخرقَ لم يَدخلْ منه[٤] الماءُ ولم يضرَّ مَن في السَّفينة:

(٧٣) ـ ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا﴾.

﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ﴾ يعني: بذلك نسيانَه العهدَ الذي كان أعطاه مِن نَفْسه أنْ لا يسألَه عن شيءٍ حتى يكونَ يُخْبِرُه.

وقيل: ﴿بِمَا نَسِيتُ﴾؛ أي: بما غَفَلْتُ؛ فإنَّ النِّسيان مرفوعٌ عن الإنسان.

وقيل: من النِّسيان الذي هو التَّرْكُ.

ورُوي عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّ موسى لم ينسَ، ولكنَّه من معاريضِ الكلام، وأراد شيئًا آخرَ نَسِيَه[٥].

---

(١) في (ن): «حتى إذا».

(٢) انظر: «الأصول» لابن السراج (١/ ٤٢٨)، و«شرح الكتاب» للسيرافي (٣/ ٢٠٩).

(٣) قطعة من حديث ابن عباس رضي الله عنهما رواه البخاري (١٢٢)، ومسلم (٢٣٨٠)، وقد تقدم.

(٤) في (ن): «به».

(٥) رواه مقاتل في «تفسيره» (٣/ ٥١)، والفراء في «معاني القرآن» (٢/ ١٥٥)، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٣٥٦)، والماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٣٢٧).

﴿وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾: لا تضايِقْني بهذا القَدْرِ فتَعْسُرَ مصاحَبتُك.

وقيل: لا تكلِّفْني ما لا أَقْدِرُ عليه.

ابن عيسى: لا تُغْشِني[١]، قال: وهو مِن قولهم: رَهِقَ الفارسَ: إذا غَشِيَه وأدركَه، وغلامٌ مراهقٌ: قارَبَ أن يَغْشاه حالُ البلوغ.

***

(٧٤) - ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾.

﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا﴾ ثم إنَّهما خرجا من السَّفينة ودخلا البلد فلَقِيَا غلمانًا يلعبون، فأخَذَ الخضرُ أحسنَهم وجهًا وأنظفَهم ثوبًا فذبَحه بالسِّكِّين[٢]، وقيل: فدمَغَ رأسه بالحجر، وقيل: رفسه برجله فقتله، وقيل: نزع رأسه[٣]، وقيل: ضربَ رأسَه الجدارَ ﴿فَقَتَلَهُ﴾[٤]، وكان غلامًا لم يبلغِ الحِنْثَ، ولهذا أزْكاه موسى.

وقيل: كان بالغًا، ولهذا قال موسى: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَاكِيَةً بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ ولو كان صغيرًا لم يكن عليه قصاصٌ ولا تَبِعةٌ، وكان اسمُه خَيْسُور، وقيل: خشنوذ[٥].

---

(١) لم أقف عليه عن ابن عيسى، وهو قول أبي عبيدة وابن قتيبة والزجاج. انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٤١٠)، و«غريبه» لابن قتيبة (ص: ٢٧٠)، و«معانيه» للزجاج (٣/ ٣٠٢).

(٢) في «البخاري» (٤٧٢٦): قال يعلى (هو ابن مسلم): قال سعيد (هو ابن جبير): «وجد غلمانًا يلعبون، فأخذ غلامًا كافرًا ظريفًا فأضجعه ثم ذبحه بالسكين». وانظر التعليق الآتي.

(٣) وهو الوارد في أكثر روايات البخاري؛ ففي الرواية (١٢٢): «فأخذ الخضرُ برأسه من أعلاه فاقتلع رأسَه بيده»، ومثله في الرواية (٣٤٠١) و(٤٧٢٥) و(٤٧٢٧)، ومسلم (٢٣٨٠). وجمع ابن حجر بين هذه الروايات والرواية السابقة بأنه ذبحه ثم اقتلع رأسه. انظر: «فتح الباري» (٨/ ٤١٩).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٢١٠).

(٥) في (و): «حسنوذ» بالسين، وفي (ن): «خشنوذ وقيل خنشود».

وهبٌ: اسمُ أبيه: مَلَّاس، واسمُ أمِّه: رَحْمتي[١].

النَّقَّاش: اسمُه: حسين بن كازري، واسم أمِّه: شهوى[٢].

الضَّحَّاك: كان رجلًا يعملُ الفسادَ وتأذَّى منه أبواه[٣].

الحسن: كان رجلًا كافرًا[٤]، والعربُ قد تقول للرَّجل البالغ: غلامٌ[٥].

الكلبيُّ: كان فتًى يَقطَعُ الطَّريق ويأخذُ المتاعَ ويَلجأُ إلى أبويهِ فيَحْلِفان دونه ولا يَعلَمان ذلك[٦].

﴿قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾ الزَّكيَّة والزَّاكية[٧]: الطَّاهرة من المعاصي.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٢١٠). وعزاه ابن حجر في «فتح الباري» (٨/ ٤٢١): لكتاب «المبتدأ» لوهب بن منبه، لكن فيه أن اسم أمه: رُحمى.

(٢) ذكره مقاتل في «تفسيره» (٢/ ٥٩٦).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٢٠٩).

(٤) ذكره بهذا اللفظ أبو حفص النسفي في «التيسير في التفسير» عند هذه الآية، وأورده البغوي في «تفسيره» (٥/ ١٩١) لكن دون كلمة: «كافراً». وهذا مخالف لما رواه البخاري (٤٧٢٥) من حديث ابن عباس عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ، وفيه: «...إذ أبصرَ الخضرُ غلامًا يَلعبُ مع الغِلمانِ...».

(٥) ذكر الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٣٢٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رجلًا شاباً قد قبض على لحيته؛ لأن غير البالغ لا يجري عليه القلم بما يستحق به القتل، وقد يسمى الرجل غلاماً، قالت ليلى الأخيلية في الحجاج:

شفاها من الداء العضال الذي بها ... غلام إذا هز القناة سقاها

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٢١٠).

(٧) قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي: ﴿زكية﴾، وقرأ الباقون: ﴿زاكِيَةً﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٥)، و«التيسير» (ص: ١٤٤).

ورُوي عن أبي عمرٍ و والمفضَّل أنَّهما قالا: الزَّاكية: التي لم تُذْنِب قطُّ، والزَّكيَّة: التي أَذْنَبتْ ثم غُفِر لها(١).

وعن ابن عبَّاسٍ: إنَّ الغلامَ طُبِعَ كافرًا(٢).

﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾؛ أي: بغيرِ نفسٍ قتَلَها عمدًا فيُقادَ بها.

وقيل: أراد: زكيَّةً في علمي.

﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا﴾؛ أي: منكَرًا يُنكِره العقلاء، والنُّكْرُ أشدُّ من الإمْر.

وقيل: بل الإمرُ أشدُّ؛ لأنَّه كاد في الظَّاهر يُهْلِكُ أهلَ السَّفينة وكانوا جماعةً(٣).

وإنَّما دخل الفاءُ في قوله: ﴿فَقَتَلَهُۥ﴾ دون أختيه؛ لأنَّ القتل اتَّصل(٤) باللِّقاء، بخلافِ الأُخْرَيَين فإنَّهما وقَعَتا بعد تَراخٍ(٥).

* * *

(٧٥) - ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾.

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾ زاد في هذه الآية ﴿لَّكَ﴾(٦) لأنَّ النَّكير فيه أكثرُ.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٢١٢)، والماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٣٣٠) عن أبي عمرو.

(٢) رواه هكذا موقوفاً عن ابن عباس رضي الله عنهما عبد الرزاق في «تفسيره» (١٧١١)، ورواه مسلم (٢٦٦١) من حديث ابن عباس عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٧١)، واستغربه.

(٤) في (و): «اتصال».

(٥) في (ن): «براح»، وفي هامشها: «البراح: القتل».

(٦) «لك... الأول»: ليس في (و).

وقيل: بيَّن في الثَّاني المقولَ(١) له ولم يُبيِّن في الأوَّل(٢).

* * *

(٧٦) - ﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾.

﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا﴾: بعد هذه المسألة. وقيل: بعد هذه المرَّة. وقيل: بعد هذه النَّفس المقتولة. وقيل: الفعلة.

﴿فَلَا تُصَاحِبْنِي﴾: فلا تتابِعْني ولا توافِقْني في الصُّحبة؛ لأنَّه لا مزيدَ على مخالَفتكَ ثلاثَ مرَّاتٍ، ورُوي عن النَّبيِّ عليه السَّلام أنَّه قال: «رحمةُ الله عليَّ وعلى أخي موسى، لو لم يَحْمِلْه الحياءُ على أخذِ ذِمَامه ألَّا يصاحبَه بعدَها لَرأى من عجائبِ غيبِ الله وعِلْمِه شيئًا كثيرًا»(٣).

﴿قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾: أَعْذَرْتَ(٤) فيما بَيْني وبَيْنك في الفِراق.

* * *

(٧٧) - ﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾.

---

(١) في (ن): «المقتول»، وهو تحريف.

(٢) ذكر المصنف هذين الوجهين في «البرهان» (ص: ١٧٠)، وزاد وجهاً ثالثاً، وهو أنه تأكيد كما تقول لمن توبخه: لك أقول، وإياك أعني.

(٣) ورد نحوه من حديث أُبيٍّ المتقدم عند البخاري (١٢٢)، ومسلم (٢٣٨٠)، ولفظ مسلم: «رحمة الله علينا وعلى موسى، لولا أنه عجَّل لرأى العجب، ولكنَّه أخذته من صاحبه ذمامة ﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾، ولو صبر لرأى العجب».

(٤) أعذر؛ أي: صار ذا عذر، فلا يُلام، ومن المثل: «أعذرَ مَن أنذرَ». انظر: «الصحاح» مادة: «ع ذ ر» (٢/ ٧٣٨)، و«جمهرة الأمثال» للعسكري (١/ ١٦٢).

﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ ابن عبَّاسٍ: أنطاكيَّة[١].

ابن سيرينَ: الأُبُلَّةُ، قال: وهي أبعدُ أرضِ اللهِ من السَّماء[٢].

وقيل: باجروان بأرمينيّة.

﴿اسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا﴾ تقول: ضِفْتَه: إذا جِئْتَه ضيفًا، وأَضَفْتَه: إذا دَعَوْتَه إلى ضِيَافتك، وكذلك: ضيَّفْتَه؛ وأصلُه: الميل؛ أي: استضافاهم وسألاهم طعامًا فأبوا أن يطعموهما.

أبيٌّ بن كعبٍ عن النَّبيِّ عليه السّلام أنَّه قال في هذه الآية: «كانوا أهلَ قريةٍ لئامًا»[٣].

﴿فَوَجَدَا فِيهَا﴾: في القريةِ ﴿جِدَارًا﴾: حائطًا ﴿يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾: ذهبَ بعضُ المفسِّرين إلى أنَّ لفظَ الإرادة هنا مجازٌ، وأنَّ المرادَ به: يَقْرُبُ، وله نظائرُ[٤].

وذهب بعضُهم إلى أنَّ إرادةَ الجدار: ميلُه.

ومعنى ﴿أَن يَنقَضَّ﴾: يُسرع تَفَرُّق أجزائه، من قولهم: قَضَضْتُ الشَّيءَ؛ أي[٥]: كَسَرْتُه.

وقيل: ﴿يَنقَضَّ﴾: يسقطَ، ومنه انقضاضُ الكواكب.

---

(١) ذكره النحاس في «معاني القرآن» (٤/ ٢٧٢)، والسمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٣٥٧)، والثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٢١٥). وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٧٩) من طريق قتادة، عن ابن عباس قال: «هي أبرقة»، قال: «وحدثني رجل أنها أنطاكية».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٤٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٧٩).

(٣) ورد في حديث أبيٍّ المتقدم في رواية مسلم (٢٣٨٠).

(٤) كقوله تعالى: «كدنا ليوسف» قيل: معناه: أردنا. انظر: «غرائب التفسير» (١/ ٥٤٦).

(٥) «أي»: من (ط).

﴿فَأَقَامَهُۥ﴾؛ أي: هدَمه وجدَّد بناءَه وأعاده صحيحًا. مقاتلٌ: سوَّاه بالحديد[١].

وعن النّبيِّ عليه السَّلام: «هدَمه ثمَّ قَعَد يَبنِيْهِ»[٢].

وقيل: دَعَمه بِدِعامةٍ فمَنَعه[٣] من السَّقوط، وذلك إقامتُه.

وقيل: مسَّه الخضِرُ بيده فاستوى الجدار[٤].

وهبٌ: كان طولُه في السَّماء مئةَ ذراعٍ[٥].

﴿قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَخِذْتَ عليه أجرًا﴾: تَخِذَ واتَّخذ لغتان[٦]، كتَبِعَ واتَّبَع، وليس من الأخذ عند البصريِّين[٧].

وقوله: ﴿أَجْرًا ﴾: جُعْلًا وأُجرةً، وقيل: قِرًى وضيافةً.

***

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٥٩٧)، وفيه: «فأقامه الخضر جديدًا»، ولعلها: «حديدًا» فتصحفت.

(٢) هي رواية الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٢٧) في حديث أبي رضي الله عنه.

(٣) في (ن): «تمنعه».

(٤) في إحدى روايات البخاري (٢٢٦٧) لحديث أبي المتقدم: «قال يعلى: حسبت أن سعيدًا قال: «فمسحه بيده، فاستقام»، وفي أخرى له (٤٧٢٥): «مائل، فقام الخضر فأقامه بيده»، ونحوه في بعض الروايات الأخرى، ولم يذكر بعضها الآخر: «مائل».

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٢١٨).

(٦) قرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿لَتَخِذْتَ﴾، والباقون: ﴿لاتخذت﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٦)، و«التيسير» (ص: ١٤٥).

(٧) وقد خالف في هذا أبو إسحاق الزجاج في «معاني القرآن» (٣/ ٣٠٧)، فذهب إلى أنها من الأخذ، وأنكر عليه ذلك ابن جني في «الخصائص» (٢/ ٢٨٩)، وانظر: «الكتاب» (٤/ ٤٨٣)، والأصول (٣/ ١٢٧ و٤٣٣).

(٧٨) ـ ﴿ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾.

﴿ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ﴾ المشارُ إليه الوقتُ؛ أي: هذا الوقتُ آخِرُ صُحبتنا[١]. وقيل: هذا السُّؤال منك سببُ فِراقنا.

وإضافتُه إلى (بين) على السَّعة إذ كان للظَّرف[٢]، وكرَّر (بين) توكيدًا، والقياسُ: (بيننا).

﴿سَأُنَبِّئُكَ﴾: سأُخْبِرُك قبلَ أنْ نتفرَّقَ ﴿بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾؛ أي: بمآلِ ما سألتَ[٣] عنه ولم تَصْبِرْ عليه. ثم فصَّل فقال:

(٧٩) ـ ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾.

﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ ﴾ ذهب بعضُهم إلى أنَّهم سُمُّوا مساكينَ لعَجْزهم عن دفع الملِك، وقيل: لفَقْرهم وشدَّةِ حاجتِهم، وقيل: لشدَّة معاناتهم في البحرِ، وقيل: لزَمانةٍ كانت بهم وعِلَلٍ.

وكانوا عشرةً، والسَّفينةُ كانت وَقْفًا عليهم، وسُئل ابنُ عبَّاسٍ: كيف كانوا مساكين والسَّفينةُ قد تساوي ألفَ دينارٍ؟ فقال: المسافرُ مسكينٌ وإنْ كان معه ألفُ دينارٍ[٤].

---

(١) في (و): «صحبتك».

(٢) وهو قول أبي علي الفارسي والجرجاني، وقد ذكره المصنف واستغربه، ومال إلى أنَّ المبين هنا بمعنى الوصال، فتكون الإضافة على الأصل. انظر: «الحجة» (٣/ ٣٥٨)، و«البسيط» للواحدي (٧/ ٥٦٦)، و«غرائب التفسير» (١/ ٦٧٣).

(٣) في (و) و(ن): «ما سألته»، والمثبت من (ط)، وهو الأنسب.

(٤) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٢٢٨).

وقيل: كانوا أُجَراءَ فيها.

وقيل: مساكينُ: جمعُ مَسَاكٍ، فَعَالٍ من أمسكتُ الشَّيء كبَراءٍ وكَهَامٍ(١)، وهو الملَّاح(٢).

وقرئ في الشَّواذِّ: (لمسَّاكين)(٣)؛ أي: ملَّاحين، وقيل: دبَّاغين.

﴿يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ﴾: يؤاجِرونَ ويَكسبون قُوْتَهم، وقيل: يَغوصون في البحر.

﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾: أجعلَها ذاتَ عيبٍ.

﴿وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ﴾: قدَّامهم؛ كقوله ﴿مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ﴾ [إبراهيم: ١٦]. وقيل: خَلْفَهم ملكٌ ومرجِعُهم عليه. وحقيقتُه: ما وارَى عنك شيئًا(٤).

---

(١) يقال: بريء وبراء، ويقال: كهيم وكهام، وهو الذي لا غناء عنده، يقال في السيف والرجل والفرس. انظر: «العين» (٣/ ٣٨٢)، و«إصلاح المنطق» لابن السكيت (ص: ٨٥).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٧٤)، واستغربه. وكلام المؤلف هنا يوهم أن المسَاك ـ بتخفيف السين ـ معناه في اللغة: الملاح، وليس كذلك، بل ذلك معنى مسَّاك ـ المشدد السين ـ كما سيأتي، ولعل عبارة المؤلف في «غرائب التفسير» توضح مراده حيث قال: «العجيب: جمع مَسَاك، ومسَاك ومَسِيك مثل برَاء وبَريء، والمعنى: لأقوياء، يريد بهم الملاحين، وقرىء في الشواذ: (مسَّاكين) ـ مشدد السين ـ فحمل المعنى على الملاحين، وقيل: على الدباغين».

فقد فسر المصنف المَسَاك بالقوي، وهو عام يمكن أن يندرج فيه الملاح؛ لكونه يجب أن يكون قويًّا، لا أن المساك ـ بتخفيف السين ـ معناه الملاح، وانظر التعليق الآتي.

(٣) انظر: «إعراب ثلاثين سورة» لابن خالويه (ص: ٩٢)، ونسبها لقطرب نقلًا عن ابن مجاهد، ووردت بلا نسبة في «النكت والعيون» (٣/ ٣٣٢)، و«المحرر الوجيز» (٣/ ٥٣٥). ونسبها أبو حيان في «البحر» (٧/ ٢١٢) لعلي رضي الله عنه، لكن قال السمين في «الدر المصون» (٧/ ٥٣٦): «ولا أظنها إلا تحريفاً على أمير المؤمنين».

(٤) وهو من الأضداد كما في «الأضداد» للأنباري (ص: ٦٨).

وكان اسمُه جُلَنْدَى بنَ كِرْكِرٍ، وكان كافرًا.

وهبٌ: اسمُه مَنُولةُ بن خُلَيدٍ الأَزْديُّ[١]، وقيل: هُدَدُ بنُ بُدَدَ.

﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾؛ أي: يأخذُها ويَغْصِبُ عليها صاحبَها؛ والمعنى: كلَّ سفينةٍ صحيحةٍ غيرِ مَعيبةٍ.

وقرأ ابن مسعودٍ رضي الله عنه: (كلَّ [سفينةٍ] صحيحةٍ)[٢].

وقرأ عثمان رضي الله عنه: (كلَّ سفينةٍ صالحةٍ)[٣].

قيل: وأَمَر عثمانُ فكتب إلى بلاد المسلمين بأنْ يُكتب في المصاحف: (صالحةٍ)، وقال: قد قامت عندي البيِّنةُ بها، وكان ذلك في آخِرِ عمرِه فلمْ يَنتشر[٤].

---

(١) لم أقف عليه عن وهب. وفي «تفسير مقاتل» (٢/ ٥٩٨): «مبدلة بن جلندي الأزدي». وفي «تفسير الثعلبي» (١٧/ ٢٣١) عن ابن إسحاق: «مؤولة بن خليد الأزدي».

(٢) ذكرها هكذا ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ١٠٢) عن أبي بن كعب رضي الله عنه، ونسبها ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٣/ ٥٣٥) لابن جبير وابن عباس بلفظ: (وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صحيحة)، وهكذا رواها الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٥٤) عن قتادة قال: كان في بعض القراءة... فذكرها، «وذكر الطبري» في تفسيره (١٨، ٨٤) عن قتادة قال: «هي في حرف ابن مسعود: (وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصباً». وما بين معكوفتين من «غرائب التفسير» (١/ ٦٧٤).

(٣) رواها عن عثمان أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ٢٩٨)، ورواها عبد الرزاق في «تفسيره» (١٦٩٩) عن ابن مسعود، ورواها الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٥٦) عن ابن عباس عن أبيٍّ، ورواها البخاري (٤٧٢٥)، ومسلم (٢٣٨٠) عن ابن عباس.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٧٤)، واستغربه.

قال الباقلاني في «الانتصار للقرآن» (٢/ ٤٢٥): «إن هذه أخبار آحاد غير مقطوع عليها ولا موثوق بصحتها، وإننا لا نجوِّز أن نثبت قرآنًا بطريق لا يوجب العلم ولا يقطع العذر، وإن الشهادة على أدنى المؤمنين منزَّلةٌ بمثل ذلك، فلا يجب الاعتداد بمثل هذه القراءات على وجه».

(٨٠) ـ ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾.

﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾؛ أي: فعَلِمْنا إن عاش أن يصيرَ سببًا لكفرِ والدَيْه وعِصْيانهما اللهَ لمرضاته.

ومعنى: ﴿يُرْهِقَهُمَا﴾: يحمِلَهما، وقيل: يكلِّفَهما الـمَشقَّةَ.

الزَّجَّاج: يحمِلَهما على الرَّهَق، وهو الجهلُ(١).

* * *

(٨١) ـ ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾.

﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾؛ أي: أَردْنا أن يَرْزُقَهما الله ولدًا يكون ﴿خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً﴾: أتمَّ صلاحًا وأطهَرَ دِينًا.

وقيل: ﴿خَيْرًا﴾ لهما ﴿مِّنْهُ﴾.

وقيل: ﴿خَيْرًا﴾: بِرًّا وصلاحًا ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾: رحمةً وعطفًا.

وقيل: أَبَرَّ بوالديه. وقيل: أَرْحَمَ لوالديه.

والرُّحْمُ والرَّحمةُ كالكُثْرِ والكَثْرة، وهو مصدرٌ معناه: أقربَ أنْ يَرْحَمَ، وقيل: أقربَ أنْ يُرْحَمَ؛ فإنَّ ابنَ جُريجٍ فسَّر: أقربَ أن يَرْحَمَه أبواه(٢).

وقيل: هو من الرَّحِمِ والقرابةِ؛ أي: أَوْصَلَ للرَّحِمِ(٣).

الكلبيُّ: فبدَّلهما اللهُ جاريةً فتزوَّجها نبيٌّ فولَدَتْ له نبيًّا، فهَدَى الله به أمَّةً من الأُممِ(٤).

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٣٠٥).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٦٠ ـ ٣٦١).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٧٤)، واستغربه.

(٤) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٣٥٨)، والثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٢٣٤).

وقيل: وَلَدتْ سبعين نبيًّا[1]؛ أي: مِن نسلِها.

ابنُ جُريجٍ: أَبْدَلهما بغلامٍ مسلِمٍ[2]، وكان المقتول كافرًا.

والإبدالُ والتَّبديلُ واحدٌ. وقيل: التَّبديلُ مع بقاءِ الأصلِ، والإبدالُ مع زوالِه[3]، وهذا لا يَطَّرِدُ.

***

(٨٢) ـ ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾.

﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ واسمُهما: أصرمُ وصُرَيمٌ[4] ﴿وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا﴾ عن النَّبيِّ ﷺ: «كان ذهبًا وفضَّةً»[5].

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٤/ ١٢٣) عن ابن عباس من رواية عطاء، وإسناده واهٍ. ورواه الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٢٣٤ ـ ٢٣٥) من طريق جعفر بن محمد عن أبيه، وفيه عبد الله بن ميمون بن داود القداح، وهو منكر الحديث متروك.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٥٩)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٢٩) لأبي عبيد وابن المنذر.

(٣) انظر: «معجم الفروق اللغوية» (ص: ١١٣).

(٤) ذكره مقاتل في «تفسيره» (٢/ ٥٩٩)، وتبعه كثيرون، وقال الماتريدي داعياً إلى التوقف على ذكره الله في كتابه: «وليس في الكتاب إلا ذكر عبد من عبادنا، وذكر الغلام، وذكر الفتى، وذكر غلامين يتيمين في المدينة، وأمثاله يقال ما فيه، ولا يزاد على ذلك مخافة الشهادة على الله بالكتاب، والله أعلم». انظر: «تأويلات أهل السنة» (٧/ ٢٠٣).

(٥) رواه الترمذي (٥/ ٣١٣) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه وقال: «غريب». قلت: فيه يزيد بن يوسف الصنعاني، وهو متروك.

ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: ما كان الكنزُ إلَّا علمًا[١].

سعيد بن جبيرٍ: كانت صحفًا فيها علمٌ[٢].

وعن ابن عبَّاسٍ أيضًا والحسنِ: كان لوحًا من ذهبٍ مكتوبًا فيه: عَجَبٌ لمن يؤمن بالقَدَر كيف يحزنُ، وعَجَبٌ لمن يؤمِنُ بالرِّزق كيف يَتعبُ، وعَجَبٌ لمن يؤمِنُ بالموت كيف يَفْرحُ، وعَجَبٌ لمن يؤمنُ بالحساب كيف يَغْفُلُ، وعَجَبٌ لمن جرَّب[٣] الدُّنيا وتقلُّبَها بأهلها كيف يطمئنُّ إليها، لا إلهَ إلَّا اللهُ محمَّدٌ رسولُ الله[٤].

وروي أيضًا هذا القول مرفوعًا[٥].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٦٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٧٥)، والحاكم في «المستدرك» (٣٣٩٦).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٦٢)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ١٨٨).

(٣) في (ن): «يعرف».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٦٣)، واللالكائي في «الاعتقاد» (٤/ ٧٥٣) عن الحسن، ورواه ابن عدي في «الكامل» (٢/ ٧٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وفيه كثير بن مروان الفلسطيني وشيخه أبين بن سفيان، وهما ضعيفان. ورواه ابن بطة في «الإبانة الكبرى» (١٦٦١) من طريق آخر عن ابن عباس رضي الله عنهما، وفي إسناده انقطاع.

(٥) رواه البزار في «مسنده» (٤٠٦٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٧٥)، من حديث أبي ذر رضي الله عنه. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٥٣): «رواه البزار من طريق بشر بن المنذر عن الحارث بن عبد الله اليحصبي، ولم أعرفهما، وبقية رجاله ثقات». وقال ابن كثير في «تفسيره» عند هذه الآية: «بشر بن المنذر هذا يقال له: قاضي المصيصة، قال الحافظ أبو جعفر العقيلي: في حديثه وهم».
ورواه البيهقي في «الزهد» (٥٤٥)، وابن مردويه في «تفسيره» كما في «الدر المنثور» (٥/ ٤٢١)، من حديث علي رضي الله عنه. وفيه جويبر بن سعيد، وهو متروك.
ورواه السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٣٥٨) عن أبيه بإسناده عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً. ولم يذكر إسناده.

﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ واسمُه: كاشَح.

حُفِظا بصلاحِ أبيهما، ولم يُذكَرْ منهما[1] صلاحٌ، وكان بينهما وبين الأبِ الذي حُفِظا به[2] سبعةُ آباءٍ، وكان سَيَّاحًا[3].

﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾؛ أي: الحُلُمَ ووُفُورَ العقلِ وتدبيرَ المعاشِ، ﴿وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا﴾: ويُخرِجا مالَهما ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ قيل: هو متَّصلٌ باستخراجِ الكنز، وقيل: بفِعْله، وتقديره: فعَلْتُ ما فَعَلْتُ رحمةً من ربِّك.

﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ الهاءُ تعودُ إلى الكلِّ، وقيل: إلى الجدار، ومعنى: ﴿عَنْ أَمْرِى﴾: عن رأيي وتدبيري.

﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: الأجوبةُ الثَّلاثة ﴿تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ حَذَف التَّاءَ تخفيفًا.

ولمّا أراد موسى أن يُفارقه قال له: أَوْصِني بشيءٍ، فقال له: كُنْ نفَّاعًا ولا تكن ضَرَّارًا، ارجعْ عن اللَّجَاجة ولا تمشِ في غيرِ حاجة، ولا تضحَكْ مِن غيرِ عَجَبٍ، ولا تعيِّرَنَّ[4] أحدًا بخطيئةٍ يا ابنَ عمران[5].

وذَكر في الآية الأولى: ﴿فَأَرَدتُّ﴾، وفي الثَّانية: ﴿فَأَرَدْنَآ﴾، وفي الثَّالثة: ﴿فَأَرَادَ

---

(١) في (ن): «فيهما».

(٢) «به»: من (ط).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٦٣) عن هنَّادة بنت مالك الشيبانية، وفي مطبوعه: «وكان نسَّاجاً»، وكذا ذكره ابن كثير في «تفسيره» (٥/ ١٨٦)، وذكره الثعلبي بلفظ المصنف في «تفسيره» (١٧/ ٢٤١). والسيّاح: كثير السياحة في الأرض.

(٤) في (ن): «ولا تعيّر».

(٥) رواه ابن أبي الدنيا في «التوبة» (٥٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٢٦٧) عن جرير عن أبي عبد الله، قال البيهقي: «أظنه الملطي»، وروى نحوه عبد الله بن أحمد في «الزهد» (٣٤٠) عن وهب، والسمرقندي في «تنبيه الغافلين» (ص: ١٩٦) من قول إسحاق بن منصور.

رَبُّكَ﴾ لأنَّ الأولى في الظَّاهر إفسادٌ فأَسنده إلى نفسه، والثَّانيةَ: إفسادٌ من حيث القتلُ إنعامٌ من حيث التَّبديلُ، فأَسندَ إلى نفسه وإلى الله جميعًا، والثَّالثةَ: إنعامٌ محضٌ فأسنده[1] إلى الله سبحانه وتعالى[2].

وقيل: لأنَّ القتلَ كان منه وإزهاقَ الرُّوح كان من الله عزَّ وجلَّ[3].

***

(٨٣) ـ ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ قال قتادةُ: إنَّ اليهود سألوا النَّبيَّ عليه السّلام عن ذي القرنين فأنزل الله هذه الآيات[4]، وقد سبق.

وقيل: يجوز أن يكون تعريفًا قبل السُّؤال؛ أي: سيسألونك عنه.

والجمهورُ: على أنَّه الإسكندر.

وعن ابن عبَّاسٍ: هو: عبد الله بن الضَّحَّاك[5].

وإنَّما سمِّي ذا القرنين؛ لأنَّه بلَغ قَرْنَيِ الأرض؛ المشرقَ والمغربَ.

وقيل: لأنَّه مَلَكَ فارسَ والرُّوم.

وقيل: كان له قرنانِ صغيران تُوارِيهما العِمامةُ.

---

(١) في (و): «فأسنده سبحانه».

(٢) انظر: «البرهان» للمصنف (ص: ١٧٠)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (٣/ ٥٣٧): و«زاد المسير» لابن الجوزي (٣/ ١٠٤).

(٣) انظر: «غرائب التفسير» (١/ ٦٧٦).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٦٩)، وروي نحوه عن ابن عباس رضي الله عنهما رواه ابن إسحاق في «السير والمغازي» (ص: ٢٠١ ـ ٢٠٢)، ومن طريقه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٤٣)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٢٧٠) في خبر طويل.

(٥) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٣٣٧)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ١٠٥).

وقيل: كان على رأسه قَرْنان؛ أي: ذُؤابتان.

وهبٌ: كان صَفْحَتَا رأسه من نحاسٍ[1]، وهذا قولٌ كما تَرَى وتسمعُ.

السُّدِّيُّ: كان له قرنانِ من ذهبٍ[2].

قال الشيخُ رحمه الله[3]: ولعلَّه أراد: كان يشربُ منهما كعادةِ الملوك، أو هو مثلُ قولِ وهبٍ[4].

وعن عليٍّ رضي الله عنه: أنَّ الله بَعَثَه إلى قومه فضربوه على قرنِه فمات، ثمَّ بعثه الله إليهم فضربوه على قرنِه ضربةً أُخرى فمات، فسمِّي ذا القرنين[5].

وقيل: رأى في المنام كأنَّه أخذ بقرني الشَّمس، فأَخبر برؤياه فسُمِّي ذا القرنين.

وقيل: كان كريمَ الطَّرَفينِ.

وقيل: لأنَّه انقرضَ في وقته قرنانِ من النَّاس وهو حيٌّ.

وقيل: لأنَّه أُعطي علمَ الظَّاهر والباطن.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٩٠)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٤٥١)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٧٦) وعده من العجائب.

(٢) واتخاذ القرن للشرب أمر معقول، أما قول وهب فمرفوض، وكذلك كلام السدِّيِّ إن حمل على معنى أن له قرنين في رأسه من ذهب.

(٣) «قال الشيخ رحمه الله» من (ن).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٧٦) وعده من العجائب.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٧٠)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (٧٢٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٧/ ٣٣٤)، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ ٢٣٤) بلفظ: «كان عبداً صالحاً أحب الله فأحبه الله، وناصح الله فناصحه الله، دعا قومه إلى الهدى فضربوه على قرنه فمكث ما شاء الله، ثم دعاهم إلى الله فضربوه على قرنه الآخر، ولم يكن له قرنان كقرني الثور»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٧٦)، وعدَّه من العجائب.

وقيل: لأنَّه دخل الظُّلمةَ والنُّور.

وقيل: لأنَّه كان يحارِبُ بيده وركابه.

وقيل: كان رأسُه كرأسِ الثَّور، وسائرُ بدنه كالفرس، وهذه كبيرةٌ حكاها النَّقَّاش في «تفسيره»[(١)].

واختُلف فيه؛ فقيل: كان نبيًّا.

وقيل: كان مَلِكًا مَلَكَ المشرقَ والمغرب[(٢)] ولم يملِكْهما إلّا مسلمان؛ سليمانُ وذو القرنين، وكافران؛ نمروذ وبُخْتَنَصَّرُ[(٣)].

وقيل: كان مَلَكًا من الملائكة؛ فإنَّه رُوي عن عمرَ رضي الله عنه أنَّه سمع رجلًا يقول لرجلٍ: يا ذا القرنين، فقال: أمَا ترضَوْن أن تَسَمَّوا بأسماءِ الأنبياء حتَّى تَسمَّوا بأسماء الملائكة[(٤)].

وروي عن النَّبيِّ عليه السَّلام أنّه قال: «إنَّ ذا القرنين ملِكٌ مَسَحَ الأرضَ بالأسباب»[(٥)].

﴿قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾: سأُخبِرُكم ﴿مِّنْهُ﴾، قيل: من الله، وقيل: من ذي القرنين. ثم أخبر فقال:

(٨٤) ـ ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٩٧٧)، وعدَّه من العجائب.

(٢) في (ن): «الشرق والغرب».

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣١٩١٦)، والطبري في «تفسيره» (٤/ ٥٧١)، عن مجاهد.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٩٠)، وأبو الشيخ في «العظمة» (١٤٧٩).

(٥) رواه ابن عبد الحكم في «فتوح مصر» (ص: ٦٠)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٩٠)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٤٧٩) عن خالد بن معدان الكلاعي مرسلًا.

﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: مكَّنَّاه من التَّصرُّفِ فيها على حَسَبِ إرادته ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾؛ أي: من كلِّ شيءٍ احتاجَ إليه ﴿سَبَبًا﴾: وُصلةً وذريعةً إلى المطلوب.

وقيل: ﴿سَبَبًا﴾: علمًا.

الزَّجَّاج: السَّبب: ما يُتوصَّلُ به إلى الشَّيء[1].

وقيل: ﴿سَبَبًا﴾: آلةً.

* * *

(٨٥) ـ ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾.

﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ قيل: طريقًا بين المشرق والمغرب، والسَّببُ: الطَّريق.

وقيل: طريقًا ومسلكًا لفتحِ المدائن وقَتْلِ الأعداء.

وقيل: الثَّاني هو الأوَّلُ؛ أي: آتيناه سببًا فأَتْبَعه، وهذا يستدعِي الألِفَ واللَّامَ[2]، ولعلَّ حذفَهما لرويِّ الآية.

الحسن: آتيناه بلاغًا لحاجته فأَتْبَع بلاغًا لحاجته[3].

---

(١) ذكره بهذا اللفظ القشيري في «لطائف الإشارات» (٣/ ٣٠٦)، وفي «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٣٠٨): «﴿سَبَبًا﴾؛ أي: علماً يوصله إلى حيث يريد، كما سخَّر الله عز وجل لسليمان الريح، ومعنى ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ ـ والله أعلم ـ أي: فأتبع سببًا من الأسباب التي أوتي». وقال أبو عبيد الهروي في «الغريبين» (٣/ ٨٥٠): «ويقال للطريق: إلى الشيء: سبب، وللحبل يتوصل به إلى الماء: سبب، ولكل ما يتوصل به إلى شيء يبعد عنك: سبب».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٧٧)، وعدَّه من العجائب، وقال: «وهذا بعيد؛ لأنه يستدعي الألف واللام؛ لأن النكرة إذا تكررت صارت معرفة».

(٣) ذكره يحيى بن سلام في «تفسيره» (١/ ٢٠١) بلفظ: «﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾: بلاغاً لحاجته»، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٢٤٩) بلفظ: «بلاغًا إلى حيث أراد»، وفي «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٢٠٦): ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾؛ أي: بلاغاً لحاجته.

ابنُ الأنباريِّ: ﴿فاتَّبعَ سَببًا﴾ فقفَا الأثرَ[١].

اتَّبعَ وأَتْبعَ بمعنًى[٢]، وقيل: بالقطع: أَدْرَك، وبالوصل: اتَّبعَ الأثَرَ وإنْ لم يَلْحَقْ[٣]، تقول العرب: اتَّبعْته حتَّى أَتْبعْتُه، الثَّاني بالقطع[٤].

أبو عليٍّ: بالوصلِ يتعدَّى إلى مفعولٍ وبالقطعِ يتعدَّى إلى مفعولين، والثاني من الآية محذوفٌ[٥].

* * *

(٨٦) ـ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٖ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمٗاۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنٗا﴾.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ﴾ وهبٌ قال: كان ذو القرنين رجلًا من الرُّوم، ابنَ عجوزٍ من عجائزها، ليس لها ولدٌ غيرُه، وكان اسمُه بالعربيَّة عَمْرًا، وبالعِبْرانيَّة إسكندرَ، فلمَّا بلَغ ـ وكان عبدًا صالحًا ـ قال اللهُ له: يا ذا القَرنين، إنِّي باعثُكَ إلى أُمَمِ الأرض، وهي أممٌ[٦] مختلفةٌ ألسنتُهم، وهم في[٧] جميعِ الأرض، ومنهم أمَّتان بينهما عَرْضُ الأرض كلِّها، وأممٌ في وسطِ الأرض منهم الجنُّ

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٣٣٨).

(٢) قرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي: ﴿فَأَتْبَعَ﴾ بهمزة قطع، وقرأ الباقون بهمزة وصل. انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٧ ـ ٣٩٨)، و«التيسير» (ص: ١٤٥)..

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٧٧)، واستغربه.

(٤) أي: والأول بالوصل، كما في «غرائب التفاسير» (١/ ٦٧٧).

(٥) انظر: «الحجة» لأبي علي (٥/ ١٦٧).

(٦) في النسخ الخطية: «أمة»، والمثبت من المصادر وستأتي.

(٧) «في»: ليس في (و).

والإنسُ ويأجوجُ ومأجوج، فأمَّا اللَّتان بينهما طولُ الأرض فأمَّةٌ عند مَغْرِب الشَّمس يقال لها: ناسكٌ، وأمَّا الأخرى فعند مَطْلِعها يقال لها: مَنْسكٌ، وأمَّا اللتان بينهما عرضُ الأرض فأمَّةٌ في قُطْر الأرضِ الأيمنِ يقال لها: هاويل، والأخرى في القطرِ الأيسر يقال لها: تاويل[١]. وهو[٢] قولُه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ﴾ أي: ما زال يسيرُ في البلاد ويفتحُها حتّى بلَغ أقصَى عِمَارةِ الأرض، ورأى هناك ماءً عظيمًا كدرًا.

﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾: ذاتِ حَمْأةٍ، وقرئ: ﴿حاميةٍ﴾[٣]؛ أي: حارَّةٍ، ويجوزُ أن تكون من الأولى ليِّنت همزتُها، ورُوي: أنَّ معاوية كان يقرأ القرآن فقرأ: ﴿في عينٍ حاميةٍ﴾، فقال ابن عبَّاسٍ: إنَّما هو ﴿حَمِئَةٍ﴾ فقال معاويةُ لعبدِ الله بنِ عمرِو بنِ العاص: كيف تقرأُ[٤]؟ فقال: كما قرأْتَها يا أمير المؤمنين، فقال ابن عبَّاسٍ: إنَّما نزل القرآن في بيتي، فأرسل معاويةُ إلى كعبٍ: أين تجدُ الشَّمسَ تَغْرُبُ في التَّوراة؟ فقال كعبٌ: إنَّا نجد في التَّوراة أنَّها تغرب في طينٍ ذي حمأةٍ، فأمَّا العربيَّة فأنتم أعلمُ بها. وأنشد رجلٌ من اليمن في تقويةِ قول ابن عبَّاسٍ:

بَلَغَ المشارِقَ والمغارِبَ يَبْتَغِي ... أسبابَ أمرٍ مِن حَكيمٍ مُرْشِدِ
فرَأى مَغارَ الشمسِ عندَ مآبِها ... في عينِ ذِي خُلُبٍ وثَأْطٍ حَرْمَدِ

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٩٠)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٤٥١)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٢٧٢). وهو من أقاصيص أهل الكتاب.

(٢) في (ن): «ومنه».

(٣) قرأ بها عاصم في رواية شعبة وابن عامر وحمزة والكسائي، والباقون: ﴿حَمِئَةٍ﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٨)، و«التيسير» (ص: ١٤٥).

(٤) في (ن): «تقرأ القرآن».

فقال ابن عبَّاسٍ: ما الخُلُب؟ فقال: الطِّين، قال: فما الثَّأْطُ؟ قال: الحَمْأَةُ، قال: فما الحرمد؟ قال: الأسود[١].

فذهب بعض المفسِّرين إلى أنَّها تَغْرُبُ في وسط العين، وأنَّ الماء يفورُ كغليان القِدْر، لولا أصواتُ أهل مدينةٍ بالمغرب يقال لها: جابرسا، لها اثنا عشر ألف بابٍ، لسَمِعْتُم وَقْعَ هَدَّتها إذا وقعت[٢].

وذهب المحقِّقون من المفسِّرين إلى أنَّه تراءى له أنَّ الشَّمس تَغْرُبُ في ذلك الماء، وذلك أنَّه لم يكن في مَطمَحِ بصره شيءٌ غيرُ الماء، فرأى الشَّمس كأنَّها تغيبُ فيه، كما أنَّ مَن في البحر يظنُّ أنَّ الشَّمس تَطْلُعُ من الماء وتَغْرُبُ فيه، وكذلك مَن في المَفَازة يظنُّ أنَّها تَطْلُعُ منها وتغيبُ فيها، وكذا أصحابُ الجبال، والحقيقةُ بخلافِ ذلك، وإنَّما ذلك في مرأى العين.

﴿وَوَجَدَ عِندَهَا﴾: عند تلك العينِ ﴿قَوْمًا﴾: مدينةً فيها قومٌ عراةٌ من الثِّياب، لباسُهم جلودُ الصَّيد، وطعامُهم ما لَفَظَه البحرُ، وكانوا كفارًا.

﴿قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ مَن قال: كان نبيًّا، قال: أَوْحَى الله إليه بهذا، ومَن قال: لم يكن نبيًّا، ففيه قولان:

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٧١٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٨٥)، والنحاس في «معاني القرآن» (٤/ ٢٨٦)، والثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٢٥٨) واللفظ له، والواحدي في «الوسيط» (٥٧٥)، ورواه غيرهم مختصرًا، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٧٨)، واستغربه.

(٢) روي نحو هذا عن ابن جريج، رواه أبو يعلى كما في «المطالب العالية» (٣٦٥٧)، وعنه أبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٤٤٠ـ ١٤٤١)، وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه في «تفاسيرهم» كما في «الدر المنثور» (٥/ ٤٥٢). وذكر نحوه مقاتل في «تفسيره» (٤/ ٤٧٦). ولعله من خرافات أهل الكتاب.

أحدهما: أوحَى الله إلى نبيٍّ فأمَره النَّبيُّ بذلك.

والثَّاني: كان إلهامًا وإلقاءً في القلب.

وفي معناه قولان:

أحدهما: إن شئتَ فاقْتُلْهم، وإنْ شئتَ فاسْتَبْقِهم بالإعراض عن تعذيبِهم بالسَّيف، وهو اتِّخاذ الحُسْن فيهم، الزَّجَّاج: هو أنْ يَعِظَهم بلسانه ويَهْدِيَهم ببيانه[١].

والثَّاني: إمَّا تعذِّبُهم بالسَّيف إنْ أصرُّوا على أمرهم، وإمَّا أن تتَّخذ فيهم حُسنًا بإكرامهم وتعليمِ شرائع الدِّين إنْ آمنوا.

وقيل: العذابُ: القتلُ، واتِّخاذ الحُسن: الأَسْرُ.

* * *

(٨٧) ـ ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا﴾.

﴿قَالَ﴾؛ أي: ذو القَرنين: ﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ﴾؛ أي: كَفَر ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ﴾ أنَا ومَن معي بالقتل، ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا﴾ في القيامةِ لم يُعْهَدْ مثله.

* * *

(٨٨) ـ ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾.

﴿وأمّا من آمن وعمل صالحًا فله جزاءُ الحسنى﴾؛ أي: جزاءُ حسناتِه.

وقرئ بالنَّصب[٢] على تقديرِ: فله الحُسنى جزاءً؛ أي[٣]: مجزيَّةً، وهي الجنَّة.

---

(١) لم أجده.

(٢) هي قراءة حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص، وقرأ الباقون: (جزاءُ الحسنى) بالرفع والإضافة. انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٨)، و«التيسير» (ص: ١٤٥).

(٣) في (و): «وهي».

﴿وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنۡ أَمۡرِنَا﴾: فيما نأمرُه به ﴿يُسۡرٗا﴾: معروفًا، وقيل: كلامًا حسنًا، وقيل: نستعملُه على ما يتيسَّرُ له، وقيل: نأمرُه بطاعةِ اللهِ مع إحسانِنا إليه.

* * *

(٨٩) - ﴿ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا﴾.

﴿ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا﴾ ابن عبَّاسٍ: ثم سلك طريقًا ومنازلَ[1].

* * *

(٩٠) - ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطۡلِعَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَطۡلُعُ عَلَىٰ قَوۡمٖ لَّمۡ نَجۡعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتۡرٗا﴾.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطۡلِعَ ٱلشَّمۡسِ﴾؛ أي: حتى إذا أتى مطلعَ الشَّمس، وقيل: ثم سار من المغربِ نحوَ المشرقِ حيث[2] ظنَّ الشَّمسَ تَطْلُعُ منه.

وقيل: حتى لم يبقَ بينه وبين مطلِعِ الشَّمسِ أحدٌ.

﴿وَجَدَهَا تَطۡلُعُ عَلَىٰ قَوۡمٖ لَّمۡ نَجۡعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتۡرٗا﴾ قتادة: لم يكن بينهم وبين الشَّمس سترٌ، وذلك أنَّهم كانوا في مكانٍ لا يَستقرُّ عليه بِناءٌ، وأنَّهم كانوا في أسرابٍ[3] لهم، حتى إذا زالت الشَّمس عنهم خرجوا إلى معاشِهم وحروثِهم[4].

الحسن: كانت أرضُهم لا تحتمِلُ البناءَ، وكانوا إذا طلعَتْ عليهم الشَّمسُ تهوَّروا[5] في الماء، فإذا ارتفعَتْ عنهم خرجوا فتراعَوا كما تراعَى البهائمُ[6].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٨١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٨٢) بلفظ: «يعني: منزلًا»، وذكر الثعلبي لفظ المصنف بلا نسبة في «تفسيره» (١٧/ ٢٦١).

(٢) في (و): «حتى».

(٣) جمع سَرَبٍ، وهو الحجر. انظر: «تاج العروس» مادة: (س ر ب) (٣/ ٤٩).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٨٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٨٦).

(٥) أي: تساقطوا. انظر: «مقاييس اللغة» لابن فارس (٦/ ١٨).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٨١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٨٦)، وعزاه =

وقيل: يصطادون السَّمك فيطرحونه في الشَّمس فيَنْضُجُ، فذلك طعامُهم.

***

(٩١) ـ ﴿كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾.

وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ فيه أقوالٌ:

أحدها: أنَّه كان مأمورًا فيهم بقوله: ﴿إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ كأصحابِ مغربِ الشَّمس.

وقيل: اتَّخذ سبيلًا إلى المشرق كما اتَّخذ إلى المغرب سبيلًا قَبْلَه.

وقيل: كذلك قصَصْنا شأنَ ذي القرنين، ثمَّ استأنف فقال: ﴿وَقَدْ أَحَطْنَا﴾.

وقيل: لم نجعل لهم سترًا كما جعَلْنا لأهل المغرب، وقيل: كما لم نجعَلْ لهم سترًا.

ومعنى: ﴿أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾: علِمْنا بجيوشه وعُدَّته وما كان منه لم يَخْفَ علينا شيءٌ منها.

و﴿خُبْرًا﴾ نصبٌ على المصدر؛ لأنَّ في ﴿أَحَطْنَا﴾ معنى: خَبَرْنا[1].

***

= السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٥٤) للطيالسي، والبزار في «أماليه»، وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ، وجاء في آخره: «ثم قال الحسن: هذا حديث سمرة».

ورواه أبو يعلى كما في «المطالب العالية» (٣٦٥٧)، وعنه أبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٤٤٠ ـ ١٤٤١)، وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه في «تفاسيرهم» كما في «الدر المنثور» (٥/ ٤٥٢)، من طريق ابن جريج: حدث الحسن (وفي «الدر المنثور»: حدثت عن الحسن) عن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: «﴿لَمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ إنَّها لم يبن فيها بناء قطّ، كانوا إذا طلعت الشَّمس دخلوا أسراباً لهم حتى تزول الشَّمس».

(١) في (و) زيادة: «خبرًا».

(٩٢ ـ ٩٣) ـ ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ۝٩٢ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾.

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾: ثم سار عَرْضًا ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ﴾؛ أي: المكانَ الذي بُنى فيه[1] السَّدِّين، وهو بين جبلَيْ أرمينيةَ وأذربيجانَ.

وقيل: السَّدَّان: جبلان مُنِيفان مِن ورائهما يأجوجُ ومأجوجُ.

السّدُّ بالفتح والضَّمِّ لغتان[2].

وقيل: ما كان من الله كالجبال والشِّعاب فهو بالضَّمِّ، وما كان من الآدميِّ فهو بالفتح[3].

وقيل: ما كان خِلْقةً بالضَّمِّ، وما كان مِن عمل النَّاس بالفتح[4].

«الحجَّة»: الفتحُ مصدرٌ، والضَّمُّ اسمُ المسدود[5].

﴿وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾: لا يعلمون ولا يفقهون.

وقيل: لا يفقهون خيرًا من شرٍّ، ولا ضلالًا من هُدًى.

---

(١) في (و): «من».

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص بفتح السين، والباقون بضمها. انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٩)، و«التيسير» (ص: ١٤٥). والقول بأنهما لغتان مروي عن الكسائي، واختاره الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٨٥).

(٣) هذا مروي عن عكرمة، كما في «تفسير الطبري» (١٠/ ٣٨٥).

(٤) هذا والذي قبله واحد، وقد ذكر الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٨٥) عن أبي عمرو بن العلاء أن السد ـ بالفتح ـ الحاجز بينك وبين الشيء، وبالضم ما كان من غشاوة في العين، النحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ٣٠٦) عن ابن أبي إسحاق أن السد بالفتح ما لم تره عيناك وبالضم ما رأته.

(٥) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٥/ ١٧١).

وقيل: لا يَعرفون غيرَ لغتهم.

ومَن ضمَّ(١) فالمعنى: لا يُفهِمون(٢) غيرَهم.

وقيل: يَفهمون ويَفقهون بعد مشقَّةٍ.

* * *

(٩٤) - ﴿قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾.

﴿قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ قال المترجِم، وفي مصحفِ ابن مسعودٍ: (قال الذين مِن دُونِهم يا ذا القرنين)(٣) ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ وهبٌ في جماعةٍ: هما رجلان من ولد يافث بن نوحٍ. الضَّحَّاك: هم جيلٌ من التُّرك(٤).

كعبٌ: هم نادرةٌ من ولدِ آدم عليه السَّلام؛ لأنَّهم ولدُ آدمَ من غيرِ حوَّاء، وذلك أنَّ آدمَ عليه السَّلامُ قال(٥) ذات يومٍ فاحتَلَم، وامتزجَتْ نطفتُه بالتُّراب، فلمَّا انتبه أَسِف على ذلك الماءِ الذي خرج منه، فخلَق الله من ذلك الماءِ يأجوجَ ومأجوجَ، فهم متَّصلون بنا من جهة الأب دون الأمّ(٦).

---

(١) قرأ بها حمزة والكسائي. انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٩)، و«التيسير» (ص: ١٤٥).

(٢) في (و): «لا يفقهون».

(٣) ذكرها الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٢٦٧).

(٤) ذكر القولين الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٢٦٨)، والواحدي في «البسيط» (١٤/ ١٤٣).

(٥) في هامش (و): «نام» ولم تصحح، فهي شرح؛ فإن «قال» من القيلولة.

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٢٦٨)، والواحدي في «البسيط» (١٤/ ١٤٣)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٨٠)، وعدَّه من العجائب، وقال ابن كثير في «تفسيره» (٥/ ١٩٥): «هذا قول غريب جدًّا، ثم لا دليل عليه لا من عقل ولا من نقل، ولا يجوز الاعتماد هاهنا على ما =

وذكر محمَّد بن الهيصم في «تنزيله»: أنَّ اسم يأجوجَ: كمين، واسم مأجوج: مَغْمَغ[1]، قال: وهما ابنا يافث بن نوحٍ[2].

ويأجوجُ ومأجوجُ اسمان عجميَّان، وعلَّةُ منعِ الصَّرف: العُجمةُ والتَّعريفُ.

وقيل: اسمان عربيَّان مشتقَّان من أَجِيج النَّار، أو من أَجَّ الظَّليمُ[3]: إذا أَسرَعَ، والوزنُ: يَفْعُولُ ومَفعولُ، ويَحتمِلُ ﴿ماجُوجُ﴾[4] فيمَن لم يَهمِزْ أن يكونَ من مجَّ الماءَ من فيه، والعلَّتان: التَّأنيثُ والتَّعريفُ.

وجُمعَ كما جُمعَ ﴿خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟﴾ [الحج: ١٩].

ويُروى عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ الله جزَّأَ الإنسَ عشرةَ أجزاءٍ، فتسعةُ أجزاءٍ يأجوجُ ومأجوجُ، وسائرُ النَّاس جزءٌ واحدٌ[5].

وقوله: ﴿مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: أرضِنا وبلادِنا، يأكلون رَطْبَ ما نَبتَ فيها، ويحملون يابسها، ويقتلون مَن ينالونه، ولا يموتُ الواحدُ منهم حتى يَلِدَ ألفًا من صُلبه، وإنْ أتتْ مدَّةٌ على ما يُرى مِن نمائهم فإنَّهم يملؤون الأرض، ويُجْلُون أهلَها منها، ويَظْهرون عليها، ويُفْسدون فيها.

= يحكيه بعض أهل الكتاب؛ لما عندهم من الأحاديث المفتعلة».

(١) في (و): «معمع»، وفي «غرائب التفسير»: «مضمغ».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٨٠)، واستغربه.

(٣) في (ن): «النعام». والظليم: الذكر من النعام. انظر: «المنتخب من كلام العرب» لكراع النمل (١/ ١٠٨).

(٤) قرأ عاصم: ﴿يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾ بالهمز، والباقون بغير همز. انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٩)، و«التيسير» (ص: ١٤٥).

(٥) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٨٧)، وابن مردويه كما في ((الدر المنثور)) للسيوطي (٥/ ٤٥٧)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٢٤٤)، والحاكم في «المستدرك» (٨٥٠٦)، وابن بشران في «أماليه» (٥٢٩). عن عبد الله بن عمرو، وهو الصواب، والله أعلم.

﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ ذهب بعضُهم إلى أنَّ الخَرْجَ والخراج[1] واحدٌ، والأكثرُ على أنَّ الخراجَ على الأرض والذِّمَّة، والخَرْجَ المصدرُ، وقيل: الخَرْج: الجُعْلُ والأجرُ، والمعنى: هل نجعلُ لك عطيَّةً نخرجُها إليك من أموالنا، وتجعلُ بيننا وبينهم ﴿سَدًّا﴾ مّا يَنتفِي به الخرقُ، تقول: سدَدْتُه فانسدَّ.

***

(٩٥) ـ ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾.

﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾؛ أي: ما أعطانيهِ سبحانه من التَّمكين خيرٌ من عطيَّتكم.

وقيل: تمكينُ الله ومعونتُه لي خيرٌ ممَّا تَعرِضون عليَّ من الأجر والجُعْل.

والضَّمير في ﴿فِيهِ﴾ يعود إلى السَّدِّ المسؤول، وقيل: إلى ﴿مَا مَكَّنِّي﴾؛ أي: ما مكَّنِّي من المال والآلات خيرٌ ممَّا تبذلونه.

ومَن قرأ: ﴿مَكَّنني﴾[2] بنونَينِ فعلى الأصل، ولأنَّهما غيرُ لازِمَينِ، ومَن أَدْغَم فلاجتِماعِ متماثِلَينِ.

﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾: بآلةٍ. مقاتلٌ: برجالٍ[3]؛ أي: بقوَّة أبدانكم.

ابن عيسى: بما أتقوَّى به على ما أُريد.

﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾: سدًّا متراكبًا[4] بعضُه على بعضٍ، من رَدَمْتُ، وقيل: حجابًا شديدًا.

---

(١) قرأ حمزة والكسائي: ﴿خراجاً﴾ والباقون: ﴿خرجاً﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٤٠٠)، و«التيسير» (ص: ١٤٦).

(٢) هي قراءة ابن كثير، والباقون بالإدغام. انظر: «السبعة» (ص: ٤٠٠)، و«التيسير» (ص: ١٤٦).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٦٠١).

(٤) في (ن): «متراكمًا».

(٩٦) - ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾.

﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ﴾: قِطَعَ الحديد، والزُّبْرةُ: القطعةُ الكبيرة، وجمعُها: زُبَرٌ، والمعنى: اتَّخذوها وأَعِدُّوها للسَّدِّ.

ومعنى ﴿ائْتُوني﴾ بالوصل[1]: جِيئوني بها، فحذف الجارّ.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ﴾ أي: فأُحضِرَتْ، فأَمَر العَمَلةَ بتَنْضيدها ﴿بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ﴾ وكان بينهما مئةُ فرسخٍ، فلمَّا أخذ في بناء الرَّدْم حَفَر أساسَه إلى أن بلغ الماءَ، ثمَّ جعَل عَرْضَه خمسين فرسخًا، وقيل: جَعَل عرضَه ميلًا، وجَعَل حَشْوَه الصُّخورَ، وطِينَه النُّحاسَ؛ يذابُ ثم يُصبُّ عليه، حتَّى صار المنضودُ منها مساويًا للصَّدفين؛ أي: جعَل أحدهما في قَدْرِ الآخَر.

والصَّدَفان[2]: جانبا الجبَلين.

ابنُ عيسى: الصَّدفان: جَبَلان، كلُّ واحدٍ منهما منعزِلٌ عن الآخر[3]؛ لأنَّه مِن صَدَفَ؛ أي: مالَ.

والقراءاتُ الثَّلاث لغاتٌ[4].

---

(١) قراءة حمزة، وأبي بكر بخلف عنه، والباقون: ﴿ءَاتُونِي﴾ بالمد، وهو الوجه الثاني لأبي بكر. انظر: «السبعة» (ص: ٤٠١)، و«التيسير» (ص: ١٤٦).

(٢) ضبطت في (ط) بضمة وفتحة على كلٍّ من الصاد والدال، وكتب فوقها: معاً.

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٣٤٣).

(٤) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بضم الصاد والدال، وقرأ نافع وحمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص بفتحهما، وقرأ عاصم في رواية شعبة بضمِّ الصاد وتسكينِ الدال. انظر: «السبعة» (ص: ٤٠١)، و«التيسير» (ص: ١٤٦).

﴿قَالَ ٱنفُخُواْ﴾؛ أي: قال ذو القرنين للعَمَلةِ: انفُخوا في الأكوار، ويجوزُ: في الحديد ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ﴾؛ أي: المنفوخَ فيه ـ وهو الحديدُ ـ ﴿نَارًا﴾ كالنَّار بالإحماء ﴿قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرًا﴾؛ أي: آتوني قِطْرًا ـ وهو: النُّحاسُ المذابُ ـ ﴿أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ﴾: أَصُبُّ عليه كصَبِّ الماء، وهو نصبٌ بـ﴿أُفۡرِغۡ﴾ لأنَّه أقربُ العامِلَين، ويجوزُ أن ينتصِبَ بـ﴿ءَاتُونِيٓ﴾.

والقِطْرُ: النُّحاسُ المذاب، وقيل: الحديدُ المذاب، قال:

حُساماً[1] كَلَوْنِ المِلْحِ صافٍ حَدِيدُهُ ... جُرازًا مِنَ اقْطارِ الحدِيدِ المُثقَّبِ[2]

وقيل: القطرُ: الرَّصاص.

فاختَلَطَا ولَصِقَ بعضُها ببعضٍ حتَّى صار جبلًا كأنَّه بُرْدٌ مُحبَّرٌ.

* * *

(٩٧) ـ ﴿فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا﴾.

﴿فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ﴾؛ أي: يَعْلُوا السَّدَّ ﴿وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا﴾: لم يقدروا أن يَنْقُبوه مِن تحته.

مَن شدَّد أدغم التَّاء في الطَّاء، ومَن خفَّف حذَف التَّاءَ تخفيفًا[3]، وقرئ في

---

(١) في (ن): «حسام».

(٢) البيت من قصيدة للشنفرى كما في «المفضليات» (ص: ١٠٨)، وبلا نسبة في «مجاز القرآن» (١/ ٤١٥)، و«تفسير الطبري» (١٥/ ٤١٠)، و«النكت والعيون» للماوردي (٣/ ٣٤٤)، ورواية «المفضليات»:

حُسامٍ كلونِ الملحِ صافٍ حديدُه ... جُرازٍ كأَقطاعِ الغَدِيرِ المُنَعَّتِ

والجراز: القاطع، وأقطاع الغدير: قطع الماء فيه، شبه السيف بها في اللمعان والبريق.

(٣) قرأ حمزة بتشديد الطاء، والباقون بتخفيفها. انظر: «السبعة» (ص: ٤٠١)، و«التيسير» (ص: ١٤٦).

الشَّـواذِّ: (فما أسـطاعوا) بالقطع(١)، وهو مرويٌّ عن العرب، ووزنُه أَسْـفَعَلَ، والسِّـينُ زيـادةٌ، وليس لـه نظيرٌ(٢).

* * *

(٩٨) ـ ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾.

﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾؛ أي: فلمَّا فَرغ من بناءِ السَّدِّ وجاء كما أحبَّ ذو القرنين قال: ﴿هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾؛ أي: هذا العملُ نعمةٌ من الله عليَّ وعلى مَن خاف مَعَرَّةَ يأجوجَ ومأجوجَ.

﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دكّاً﴾(٣) هـو قـولُه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ [الأنبياء: ٩٦] الآيات، وكان الله أخبره بذلك؛ أي: جَعَله مدكوكًا، مِن قوله: ﴿فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾ [الحاقة: ١٤]، وقوله: ﴿إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾(٤) [الفجر: ٢١]، وقيل: جعَله كِسَرًا، وقيل: جعله ملصقًا بالأرض.

قتادة: ﴿جَعَلَهُۥ دكّاً﴾؛ أي: الجبلين؛ أراد(٥): ما بينهما(٦).

---

(١) عزاها ابن خالويه في «المختصر في شواذ القراءات» (٣/ ٣١٢) إلى ابن مسعود رضي الله عنه، وذكرها الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤١١)، والزجاج في «معاني القرآن» (٣/ ٣١٢) بلا نسبة.

(٢) هـذا قول سـيبويه وأبـي زيـد، والكوفيون يقولـون: ليس فـي كلام العرب سـين تزاد وحدهـا، وإنما هـو اسـتطاع، فأسـقطوا التـاء. انظـر: «الكتـاب» (١/ ٢٥)، و«ليـس فـي كلام العرب» لابـن خالويه (ص: ١٠٤).

(٣) في (ن): «دكاء».

(٤) في (و): «فدكت الجبال دكًا»، وفي (ن): «فدكت الجبال دكًا دكًا»، والتصويب من (ط).

(٥) في (و) و(ن): «أي: ما بينهما»، والمثبت من (ط).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤١٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٩٠) بلفظ: «لا أدري الجبلين يعني به أو ما بينهما».

ومَن مَدَّ(١) شبَّهه بناقةٍ دكَّاء؛ أي: لا سنامَ لها.

روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النّبيِّ ﷺ: «أنَّ يأجوج ومأجوج يحفرون الرَّدم كلَّ يومٍ حتى يَروا شعاع الشّمس من الجانب الآخر، فيقولُ الذي عليهم: ارجعوا فستخرجون غدًا، فيعيده الله كأشدِّ ما كان إلى حينٍ يريدُ اللهُ خروجَهم فلا يُعيده، فيخرجون على النَّاس، فيشربون المياه كلَّها حتّى لا يبقَى منها بقيَّةٌ، ويتحصَّن النَّاس منهم في حصونهم، ويَقتلون مَن يدركونه، فإذا لم يروا أحدًا رمَوا بسهامهم نحو السَّماء، فيعود عليهم كهيئةِ الدَّم، فيقولون: قَهَرْنا أهلَ الأرض وعلونا أهلَ السَّماء، فبعث الله تعالى نَغفًا عليهم في أقفِيَتهم فيَقْتُلهم»، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، إنَّ دوابَّ الأرض لتَسْمَنُ وتَشْكَرُ شَكَرًا(٢) من لحومهم»(٣).

---

(١) قرأ حمزة والكسائي وعاصم: ﴿دَكَّآءَ﴾ بالمد، والباقون بغير مد. انظر: «السبعة» (ص: ٤٠٢)، و«التيسير» (ص: ١٤٦).

(٢) أي: تمتلئ امتلاء. انظر: «الفائق في غريب الحديث» للزمخشري (٢/ ٢٤٨).

(٣) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (١٠٦٣٢)، والترمذي (٣١٥٣) وحسنه، وابن ماجه (٤٠٨٠)، والحاكم في «المستدرك» (٨٥٠١) وصححه، وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٤/ ٢٠١): «صحيح رجاله ثقات». قلت: لكن نبه الحافظ ابن كثير في «تفسيره» (٥/ ١٩٨) على نكارة في رفعه فقال: «إسناد جيد قوي، ولكن متنه في رفعه نكارة؛ لأن ظاهر الآية ـ أي: قوله تعالى: ﴿فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَـٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا﴾ ـ يقتضي أنهم لم يتمكنوا من ارتقائه ولا من نَقْبه؛ لإحكام بنائه وصلابته وشدته، ولكن هذا قد روي عن كعب الأحبار: أنهم قبل خروجهم يأتونه فيلحسونه حتى لا يبقى منه إلا القليل، فيقولون كذلك، ويصبحون وهو كما كان فيلحسونه ويقولون: غدًا نفتحه، ويُلهَمون أن يقولوا: إن شاء الله، فيصبحون وهو كما فارقوه، فيفتحونه. وهذا متجه، ولعل أبا هريرة تلقاه من كعب، فإنه كثيرًا ما كان يجالسه ويحدثه، فيحدث به أبو هريرة عنه فيتوهم بعض الرواة عنه أنه مرفوع، فيرفعه، والله أعلم». وقد استشهد ابن كثير على نكارة هذا المرفوع بحديث البخاري ومسلم: «فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا» وأرى أنه يمكن أن يكون الحديث شاهداً للأول، وأن كلام كعب يمكن أن يكون عن أبي هريرة رضي الله عنه، لا العكس.

﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾؛ أي: كائنًا، يجوزُ أن يكون من تمامِ كلامِ ذي القرنين، ويجوزُ أن يكون استئنافًا من الله.

* * *

(٩٩) - ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾.

﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: عن ابن عبَّاسٍ: أنَّه ترَك يأجوجَ ومأجوجَ يموجُ بعضُهم في بعضٍ(١)، قال: وفي الآية تقديمٌ وتأخيرٌ؛ أي: ساوَى بين الصَّدفين، وتركْنا بعضَهم يومئذٍ يموجُ في بعضٍ.

الزَّجَّاج: أي: تركَهم يموجون متعجِّبينَ من السَّدِّ(٢).

فيجوزُ أن يكون ليأجوجَ ومأجوج، ويجوز أن يكون للَّذين اجتمعوا للسَّدِّ.

وقيل: إنَّه تُرِكَ يومَ بنَى ذو القرنين السَّدَّ بعضُ يأجوجَ ومأجوجَ خارجَ السّدِّ، لا حاجزَ بينهم وبين سائر بني آدم يموجون؛ أي: يختلِطون بسائر النّاس.

قال(٣): وهم الذين يُعرفون بالتُّرك، وسُمُّوا تركًا؛ لتَرْكِ ذي القرنين إيَّاهم مع النَّاس؛ لأنَّه لم يُخَفْ منهم ما خِيْفَ من مُعْظَمهم(٤).

وقيل: هذا بعد خروج يأجوج ومأجوج، لا يمنعُهم الله عن النَّاس، بل يتركُهم يموجون في النَّاس؛ أي: يختلِطون بهم ويُفسدون فيهم.

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٣٤٦)، والزمخشري في «الكشاف» (٢/ ٧٤٨)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ١١١) بلا نسبة.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٣١٣).

(٣) قوله: «قال»؛ أي: صاحب هذا القول، ولم أعرفه. ولم ترد كلمة «قال» في «غرائب التفسير».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٨١)، وعدَّه من العجائب.

ابن جرير[١]: ينسفُ الله الجبالَ فيزولُ السَّدُّ[٢].

وقيل: يموج الإنسُ في الجنِّ، والجنُّ في الإنس.

وقيل: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ﴾ متَّصلٌ بكلامِ ذي القرنين[٣].

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾؛ أي: لقيامِ السَّاعة، والصُّورُ: شيءٌ يُنفخ فيه، وهو كلامُ الجمهور[٤].

الحسن وقتادة وأبو عبيدةَ: جمعُ صورةٍ[٥].

وقيل: هو مَثَلٌ كقوله: ﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ۝١٣ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ﴾ [النازعات: ١٣ ـ ١٤].

﴿فَجَمَعْنَٰهُمْ﴾ يعني: جميعَ الخلائق للثَّواب والعقاب، ﴿جَمْعًا﴾ تأكيدٌ.

* * *

(١٠٠) ـ ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا﴾.

﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا﴾؛ أي: أظهَرْناها لهم قبل أن يدخلوها زجرًا وتهويلًا.

* * *

---

(١) (ن) و(و): «جريج»، والتصويب من (ط).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١٥/ ٤١٥).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٨١)، واستغربه.

(٤) ويشهد له ما رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٦٥٠٧)، وأبو داود في «سننه» (٤٧٤٢) عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً: «الصور قرن ينفخ فيه».

(٥) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ١٩٦)، وذكره ابن فورك في «تفسيره» (١/ ١٠١) عن الحسن، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٠/ ٣٤٧) عن قتادة وأبي عبيدة، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٨٣) عن الحسن واستغربه.

(١٠١) ـ ﴿ٱلَّذِينَ كَانَتۡ أَعۡيُنُهُمۡ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكۡرِي وَكَانُواْ لَا يَسۡتَطِيعُونَ سَمۡعًا﴾.

﴿ٱلَّذِينَ كَانَتۡ أَعۡيُنُهُمۡ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكۡرِي﴾: في غشاوةٍ لا يعتبرون بآياتي فيذكروني بالتَّوحيد.

وقيل: يريد: عيونَ القلوب، كقوله: ﴿وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

﴿وَكَانُواْ لَا يَسۡتَطِيعُونَ سَمۡعًا﴾؛ أي: استماعَ القرآنِ استثقالًا للقرآن ومَقْتًا للنَّبيِّ.

وقيل: لا يسمعون أصلًا.

وقيل: حُجِبوا من السَّمع إذ آذَوا رسول الله عليه السّلام، من قوله: ﴿وَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ جَعَلۡنَا﴾ الآية [الإسراء: ٤٥].

ويحتمِلُ أنَّ قوله: ﴿أَعۡيُنُهُمۡ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكۡرِي﴾ معناه: لايقرؤون من المكتوب ﴿وَكَانُواْ لَا يَسۡتَطِيعُونَ سَمۡعًا﴾ ممَّن يَقرأُ عليهم[1].

* * *

(١٠٢) ـ ﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِي مِن دُونِيٓ أَوۡلِيَآءَۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ نُزُلًا﴾.

﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِي مِن دُونِيٓ أَوۡلِيَآءَ﴾ استفهامُ إنكارٍ؛ أي: أفظَنَّ الكفَّارُ اتِّخاذَهم عبادي ـ يعني: الملائكةَ وعيسى عليهم السّلام ـ أولياءَ نافِعَهم؟ بئس ما ظنُّوا، والمفعول الثَّاني محذوفٌ، وهو: نافِعَهم.

وقيل: تقديره: أفظَنُّوا أن يَتَّخِذُوهم أولياءَ دوني ثم لا أعذِّبُهم، كلَّا، ودلَّ على العذاب قولُه: ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ نُزُلًا﴾[2].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٨٢)، واستغربه.

(٢) سقطت هذه الفقرة من (و)، من قوله: «وقيل تقديره أفظنوا» إلى قوله: «نزلًا».

وقيل: تقديره: أظنُّوا أن يتَّخذوا الملائكة والجنَّ أربابًا فينفعوهم؟

وقيل: تقديره: أفظنُّوا أنَّهم مع كفرهم يُوالِيْهم بالنُّصرة والمعونة أحدٌ من عبادي المخلَصين؟ كلَّا؛ فإن عبادي يُعادُون الكفَّار[1].

ومَن قرأ: (أفَحَسْبُ الذين) بالرَّفع[2] جعلَه مبتدأ، و﴿أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ﴾ خبرُه.

وقوله: ﴿نُزُلًا﴾؛ أي: مَنْزِلًا. وقيل: مأكولًا مُعَدًّا لهم كما يُعَدُّ للضَّيف. وقيل: جمعُ نازلٍ، ونصبُه على الحال[3].

ويريد بـ﴿جَهَنَّمَ﴾: ما فيها من الزقُّوم والغسلين وغير ذلك[4].

* * *

(١٠٣) ـ ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا﴾.

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا﴾ جاء في التَّفسير: أنَّهم اليهود والنَّصارى[5].

---

(١) «والمعونة أحد من عبادي المخلصين كلا فإن عبادي يعادون الكفار» من (ن).

(٢) نسبت لعلي بن أبي طالب وابن عباس رضي الله عنهم ومجاهد وعكرمة وقتادة والضحاك وغيرهم. وانظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٨٥)، و«المحتسب» (٢/ ٣٤).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٨٢)، واستغربه.

(٤) وهذا على القول الثاني، أما على القولين الأول والثالث فغير لازم، وهذا واضح في عبارة المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٨٢).

(٥) رواه البخاري (٤٧٢٨) عن مصعب بن سعد، قال: سألت أبي: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا﴾ [الكهف: ١٠٣]: هم الحرورية؟ قال: «لا، هم اليهود والنصارى...».

وعن عليٍّ رضي الله عنه: أنَّهم القسِّيسون والرُّهبانُ، أتعَبوا أنفسَهم وحبَسوها في الصَّوامع[١].

وعن عليٍّ رضي الله عنه أيضًا: الخوارج[٢].

وقيل: أهلُ الأهواء.

وقيل: كلُّ مَن دان بدِينٍ غيرِ الإسلام فهو من الأخسرين أعمالًا في الآخرة.

والأَخْسَرُ: مَن أتعب نفسَه طلبًا للنَّجاة فيؤدِّيه إلى النَّار، والخُسْرانُ: ضدُّ الرِّبح.

و﴿أَعۡمَٰلًا﴾ نصبٌ على التَّمييز، والقياسُ أن يكون مفردًا[٣]، لكنَّه جُمع لاختلاف أجناس الأعمال؛ أي: خسروا فيها كلِّها[٤].

***

(١٠٤) ـ ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا﴾.

﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾: بَطَل عملُهم؛ لأنَّهم قاموا بأحكام كتابهم، فلمَّا كفروا بمحمَّدٍ عليه السَّلام حَبِطت أعمالهم، فلا يثابُون عليها ﴿وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا﴾؛ أي: يحسبون أنَّهم على الحقّ.

---

(١) رواه ابن وهب في «جامعه ـ التفسير» (٢٣١)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٢٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٩٣).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٢٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٩٣).

(٣) هذا هو المشتهر عند متأخري النحاة، أما المتقدمون ففرقوا بين تمييز العدد وغيره، فتميز العدد مميزه واحد، وغيره مميزه يمكن أن يكون واحداً أو جمعاً. انظر: «المقتضب» للمبرد (٣/ ٣٤) و(٤/ ١٦٢)، و«الأصول» لابن السراج (١/ ٢٢٣)، و«التعليقة» لأبي علي (١/ ٢٧٥، ٣١٦).

(٤) ولو أفرد لالتبس أمرها، ولظُنَّ أن الخسارة التي يتفاوتون فيها إنما هي عمل واحد. انظر: «البديع» لابن الأثير (١/ ٢٠٨)

(١٠٥) ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا﴾.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ﴾: القرآنِ، وقيل: الأدلَّة، وقيل: كتبِهم.

﴿وَلِقَآئِهِۦ﴾؛ أي: بالبعث والنُّشور، وقيل: ولقاءِ ما وعدهم، وقيل: بجزاء أعمالهم.

واللِّقاء: قربُ الشَّيء من الشَّيء من غيرِ فصلٍ.

﴿فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ﴾: فبطَلَتْ أعمالُهم الصَّالحةُ؛ أي: لا يثابون عليها ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا﴾: لا نُثقِّلُ موازينَهم بأعمالهم. وقيل: لا يكون لهم منزلةٌ ولا جاهٌ، من قولهم: لا وزنَ لفلانٍ عند النَّاس. وقيل: لا يُعْتدُّ بهم.

* * *

(١٠٦) ـ ﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمۡ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾.

﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمۡ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾؛ أي: الأمرُ ذلك.

ابن جريرٍ: ﴿ذَٰلِكَ﴾ بمعنى: أولئك، أي: أولئك جزاؤهم جهنَّم(١).

وقيل: ذلك الاستخفافُ بهم، وهو أن لا يُجعلَ لهم وزنٌ.

ويحتمِل: ﴿ذَٰلِكَ﴾ مبتدأٌ ﴿بِمَا كَفَرُواْ﴾ خبرُه و﴿جَزَآؤُهُمۡ جَهَنَّمُ﴾ اعتراضٌ بينهما(٢).

ومعنى الآية: جزاؤهم العذاب بكفرهم واستهزائهم برسلِ الله وآياته.

* * *

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٥/ ٤٣٠)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٨٢)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٨٢)، واستغربه.

(١٠٧) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ معنى ﴿كَانَتْ﴾ هاهنا: سَبَق لهم وعدُ الله بها، والفردوسُ: البستانُ يجمعُ الكرمَ والنَّخل، وقد سبق[١]، ورُوي عن النَّبيِّ عليه السَّلامُ أنّه قال: «الجنَّةُ مئةُ درجةٍ، ما بين كلِّ درجةٍ مسيرةُ مئة عامٍ، والفردوسُ أعلاها درجةً، منها تتفجَّر الأنهار، والفردوسُ من فوقها، فإذا سألتُم الله الجنَّة[٢] فاسألوه الفردوسَ، وفوقَها عرشُ الرَّحمن»[٣].

قتادةُ: الفردوسُ: ربوةُ الجنَّة وأوسطُها وأفضلُها[٤].

كعبٌ: هو اسم جنَّةٍ من الجنان ما فيها أعلى منه، وفيها الآمرون بالمعروف والنَّاهون عن المنكر[٥].

السُّدِّيُّ: النَّبَطُ يُسمُّون العنبَ: فردوسًا[٦].

﴿نُزُلًا﴾ سبق.

* * *

(١) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ...﴾ [البقرة: ٢٥].

(٢) «الجنة»: ليس في (و).

(٣) رواه البخاري (٧٤٢٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله، كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٣١)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٣٠٢).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٣١)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٣٠٣).

(٦) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٩٤)، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٣٦٥).

(١٠٨) ـ ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا﴾.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ حالٌ مقدَّرٌ.

﴿لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا﴾: تحوُّلًا[1]، وقيل: بَدَلًا، قطربٌ: الحِوَلُ: الحيلةُ؛ أي: لا يَطلبون حيلةً ليُنقَلوا عنها إلى غيرها؛ لأنَّ فيها ما تشتهي الأنفسُ وتَلَذُّ الأعيُنُ وما لم يخطُرْ بقلب بشرٍ.

* * *

(١٠٩) ـ ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا﴾.

﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا﴾ في سبب النُّزول: قال ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما: قالت اليهودُ لمّا قال لهم النّبيُّ عليه السَّلام: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [الإسراء: ٨٥]: كيف وقد أُوتينا التَّوراة ومَن أُوتي التَّوراة فقد أُوتي خيرًا كثيرًا؟! فنزلت[2]: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي﴾؛ أي: يريد: البحرَ المحيط.

---

(١) في (و): «تحويلاً».

(٢) رواه مطولًا الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٥٧٢ ـ ٥٧٣) من طريق ابن إسحاق، قال: ثني رجل من أهل مكة، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس: «أن أحبار يهود قالوا لرسول الله ﷺ بالمدينة: يا محمد...» الحديث.

ورواه الطبري أيضًا من طريق محمد بن إسحاق، عن بعض أصحابه، عن عطاء بن يسار، قال: «لما نزلت بمكة ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ يعني: اليهود، فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، أتاه أحبار يهود، فقالوا: يا محمد...».

وفي هذين الخبرين التصريح بأن اليهود خاطبوا النبي ﷺ بذلك في المدينة ما يدل على أن الآية مدنية، لكن سنديهما ضعيفان لإبهام شيخ ابن إسحاق فيهما.

وانظر: «تفسير السمرقندي» (٢/ ٣٦٥)، و«تفسير الثعلبي» (٤/ ١٦٢)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٢٩٨)، و«البسيط» (١٤/ ١٧٢).

والمدادُ: ما يُكتبُ به. أبو عُبيدٍ(١): يجوزُ أن يكونَ مصدرَ مادَدْتُه مِدادًا(٢).

السُّدِّيُّ: يريد بالكلمات: نعيمَ الجنَّة ونِعْمتَها(٣). مجاهدٌ: معلوماتِه(٤).

وقيل: معناه: كلماتُ الله لا يَلحقُها الإحصاء؛ إذ لا نهايةَ لها، والكلماتُ: هي ما وعد الله أهلَ الجنَّة من الثَّواب والكرامة، وأهلَ النار من العقاب والملامة.

وقيل: كما أنَّ الله تعالى غيرُ مُتَناهٍ فكلامُه غيرُ مُتناهٍ؛ لأنَّه متكلِّمٌ به أبدًا سرمدًا.

وقيل: متى شاء تكلَّم به.

وقيل: كلماتُ الله: ذكرُ ما خَلَقَ وما يَخلُق.

وقيل: لمّا قصَّ عن الخضِر وعن ذي القرنين ذَكَر بعدها ما يدلُّ على أنَّ عجائب الله عظيمةٌ كثيرةٌ لا يأتي عليها مدادُ البحر وأقلامُ الأرض.

وتقدير الآية: لو كان البحرُ مدادًا لكلمات ربِّي وكُتبتْ به ﴿لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي﴾: قبلَ نفادِها ﴿وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ﴾: بمثلِ البحر ﴿مَدَدًا﴾ زيادةً على البحر، وقُرئ في الشَّواذِّ: (مِدادًا)(٥).

* * *

(١) في (ن): «عبيدة». وإنما هو أبو عبيد الهروي، والله أعلم.

(٢) انظر: «الغريبين» لأبي عبيد الهروي (٦/ ١٧٣٥).

(٣) في «تفسير يحيى بن سلام» (١/ ٢١١) عن السدي: «لعلم ربي وعجائبه».

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٩٤) بلفظ: «علم ربي»، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٣٨) بلفظ: «للقلم».

(٥) نسبت لابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم ومجاهد والأعمش وغيرهم. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٨٥)، و«المحتسب» (٢/ ٣٥).

(١١٠) ـ ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ في سببِ النُّزول: عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّها نزلت في جُندبِ[1] بن زهيرٍ، وذلك أنَّه قال: إنِّي أعمل العملَ لله، فإذا اطُّلِع عليه سرَّني، فقال عليه السَّلام: «إنَّ الله طيِّبٌ لا يَقبلُ إلَّا الطَّيِّبَ، ولا يقبلُ ما شُورِكَ فيه» فأنزلَ الله هذه الآية[2].

وقال طاوسٌ: قال رجلٌ: يا نبيَّ الله، إنِّي أحبُّ الجهاد في سبيل الله، وأحبُّ أن يُرى مكاني، فأنزل الله هذه الآية[3].

مجاهدٌ: جاء رجلٌ إلى النَّبيِّ عليه السَّلام فقال: إنِّي أتصدَّقُ وأَصِلُ الرَّحِم، ولا أصنعُ ذلك إلَّا لله، فيُذكَرُ ذلك منِّي وأُحمدُ عليه فيَسرُّني ذلك وأُعجب به، فسكت ولم يقل شيئًا، فأنزل الله: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ الآية[4].

---

(١) في (ن) و(و): «حيدر»، وفي هامش (ن): في نسخة: «في جند بن»، وفي (ط): «جيدر»، والمثبت من مصادر التخريج.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٣٠٦)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٩٢)، قال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٢/ ٣١٣): «غريب». قلت: وهذه الكلمة يقولها للحديث الذي لم يجده. وقد رواه بنحوه أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (١٥٩١)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١١/ ٣٠٤)، من طريق محمد بن مروان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، ومحمد بن مروان كذاب، والكلبي متروك، وأبو صالح لم يسمع من ابن عباس.

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٧٢٨)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٤٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٩٤). ورواه موصولًا الحاكم في «المستدرك» (٢٥٢٧) وصححه عن طاوس عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) رواه وكيع في «الزهد» (٢٤٦)، وهناد في «الزهد» (٢/ ٤٣٥)، وذكره الواحدي في «أسباب =

﴿قُلْ﴾: يا محمَّد ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ﴾ يعني: آدميًّا ﴿يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ﴾؛ أي: المستحِقُّ للعبادة هو وحدَه لا يتَّصف غيرُه بوصفه ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ﴾: يطمعُ ﴿لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾: ثوابَ ربِّه.

الزَّجَّاج: يرجو صالحَ المنقلَبِ عند ربِّه[1].

مقاتلٌ: يخاف[2]، وقيل: إنَّما يأتي (يرجو) ـ بمعنى: الخوف ـ في النَّفي[3].

﴿فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا﴾: خالصًا؛ أي: فلْيُكثِرْ من العمل الصَّالح، وهو الطَّاعةُ لله، ﴿وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ لا يُرائي، وهو نهيٌ عن الرِّياء.

وقال رسول الله ﷺ: «مَن قرأ سورةَ الكهف فهو معصومٌ ثمانيةَ أيَّامٍ من كلِّ فتنةٍ تكون، فإنْ خرج الدَّجَّال في تلك الثَّمانية عصَمه اللهُ من فتنةِ الدَّجَّال، ومَن قرأ الآيةَ التي في آخرها: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ﴾ ـ إلى آخر الآية ـ حين يأخذُ مضجَعه كان له نورٌ يتلألأُ من مضجعه إلى مكَّةَ، حشوُ ذلك النُّورِ ملائكةٌ يصلُّون عليه حتَّى يقومَ من مضجعِه، وإنْ كان مضجعُه بمكَّة فتلاها كان له نورٌ يتلألأُ من مضجعه إلى بيت المعمور، حشوُ ذلك النّورِ ملائكةٌ يصلُّون عليه ويستغفِرون له حتَّى يستيقظ»[4].

= النزول» (ص: ٢٩٩)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ١١٥).

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٣١٦).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٦٠٥).

(٣) انظر: «الأضداد» للأنباري (ص: ١٧).

(٤) رواه بهذا اللفظ السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٣٦٦)، والمستغفري في «فضائل القرآن» (١١٨٤ ـ ١١٨٥) عن أبيِّ بن كعب رضي الله عنه. وهو جزء من حديث أبيٍّ الطويل المعروف في فضائل القرآن سورة سورة، وقد رد العلماء هذا الحديث ونبهوا على وضعه، قال السيوطي في «تدريب الراوي» (١/ ٢٨٨ ـ ٢٨٩): «ومن الموضوع: الحديث المروي عن أبي بن كعب مرفوعًا في فضل =

= القرآن سورة سورة من أوله إلى آخره».

وروى بعضه إسحاق بن راهويه كما في «المطالب العالية» (٣٦٥٤)، والبزار في «مسنده» (٢٩٧)، والثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٣١٤)، والحاكم في «المستدرك» (٣٤٠٣)، جميعهم من طريق النضر بن شميل، حدثني أبو قرة الأسدي، قال: سمعت سعيد بن المسيب، يحدث عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن قرأ في ليلةٍ ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠] كان له نورٌ من عدن أبين إلى مكة حشوه الملائكة». قال الحاكم: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه». وتعقبه الذهبي بقوله: «أبو قرة فيه جهالة ولم يضعف». وقال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٢/ ٢٩٤): «رواه البزار ورواته ثقات، إلا أن أبا قرة الأسدي لم يرو عنه فيما أعلم غير النضر بن شميل». وقال ابن كثير في «تفسيره» (٥/ ١٨٦): «غريب جدًّا».

ثم جاء في خاتمة (ط): «ثم النصف الأول من كتاب «لباب التفاسير»، ووقع الفراغ منه ببلد شيراز حماه الله على يد العبد الضعيف الراجي رحمة الله تعالى محمد بن أبي طاهر في التاسع من شوّال سنة تسع وستمئة: الحمد لله حق حمده، والصلاة على نبيه المصطفى محمد وعترته الأكرمين».

وجاء في هامش (ن): «بلغت المقابلة بالنسخة المذكورة في أول الكتاب بالمدينة المشرفة على مشرّفها من الصلوات أفضلها ومن التحيات أكملها سنة ٧٩٣).

وجاء في خاتمة (و): «تمّ الجزء الأوّل من كتاب «لباب التّفاسير» على يد العبد الفقير اللاجئ إلى عفو الله ورحمته حسين بن أبان النّحويّ، في العشر الأوسط من شهر الله الأصمّ رجب من شهور سنة ثلاثٍ وسبعين وستِّ مئةٍ، والحمد لله كما هو أهله، والصّلاة التّامّة الزّاكية على سيِّدنا نبيِّ الرّحمة محمّدٍ وعلى آله الطّاهرين وصحبه الأكرمين وحسبنا الله ونعم الوكيل».

سُورَةُ مَرْيَمَ

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة مريم

ثمانٍ وتسعون آيةً(١). مكِّيَّةٌ؛ قيل: مكِّيَّةٌ إلَّا آيةَ السَّجدة(٢).

(١) ـ ﴿كٓهيعٓصٓ﴾.

﴿كٓهيعٓصٓ﴾ وقد ذكرتُ فيما سبق ما قاله المفسِّرون في حروف التَّهجِّي الواقعةِ أوائلَ السُّور، وقرأتُ في بعض التَّفاسير أنَّ هذه الحروفَ من حساب الجُمَّل(٣)، وهي تدلُّ على مدَّة بقاءِ الإسلام(٤)، والمدَّة ستُّ مئة سنةٍ وثلاثٌ

---

(١) تسع وتسعون فِي المدني الأخير والمكي، وثمان في عدد الباقين. انظر: «البيان في عد آي القرآن» للداني (ص: ١٨١).

(٢) وبكلٍّ قال قوم؛ فممن قال باستثناء آية السجدة مقاتل في «تفسيره» (٢/ ٦١٩)، والبيضاوي في «تفسيره» (٤/ ٥). وممَّن قال بمكيتها دون استثناء: يحيى بن آدم في «تفسيره» (١/ ٢١٣)، وابن قتيبة في «غريب القرآن» (ص: ٢٩٢)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٤٣)، والماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٧/ ٢١٨)، والنحاس في «معاني القرآن» (٤/ ٣٠٧)، وأبو الليث السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٣٦٧)، والثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٣٢١)، ومكي في «الهداية» (٧/ ٤٤٨٧)، والداني في «البيان في عد آي القرآن» (ص: ١٨١)، والواحدي في «الوسيط» (٣/ ١٧٤)، والبغوي في «تفسيره» (٥/ ٢١٥). وغيرهم من أئمة التفسير.

(٣) ذهب إلى ذلك مقاتل، ولم ير الطبري مانعاً من أن يكون أحد المعاني المرادة بفواتح السور، واستحسنه ابن فارس، وأنكره ابن كثير وابن حجر. انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٢٨)، و«تفسير الطبري» (١/ ٢٢٤)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ١٦١)، و«البرهان» للزركشي (١/ ١٧٤)، و«الإتقان» للسيوطي (٣/ ٣٠).

(٤) ذكر ذلك السيوطي في «الإتقان» (٣/ ٣٠) عن السهيلي.

وتسعون سنةً، ثمَّ تقومُ السَّاعة[1]، وهذا ضعيفٌ، بل باطلٌ من ثلاثة أوجهٍ:

أحدها: أنَّ هذا دعوى علم يوم القيامة، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٦٣].

والثَّاني: أنَّ حساب الجُمَّل لا تعرفُه العرب، واللهُ تعالى يقول: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣]، و﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ﴾ [الشعراء: ١٩٥].

والثَّالث: أنَّه أخذ حسابَ الحروف غيرَ مكرَّرةٍ، ولو أخذ حسابها مكرَّرةً لوَجَدها أضعافًا.

وذهب بعضُ المفسِّرين إلى أنَّه اسمٌ من أسماء الله تعالى، وقيل: إنَّه الاسم الأعظم.

ورُوي عن عليٍّ كرَّم الله وجهه: أنَّه كان يحلِف بـ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ وكان يدعو ويقول في دعائه: يا ﴿كٓهيعٓصٓ﴾[2]. وهذا يحتمِل وجهين:

أحدهما: ما ذُكر أنَّه اسمٌ من أسماء الله.

والثَّاني: أنَّه صفاتُ الله، كما رُوي عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما أنَّه قال: الكافُ من كافٍ ـ وقيل: من كريمٍ، وقيل: من كبيرٍ ـ والهاءُ من هادٍ[3].

ولم يروَ عن ابن عبَّاسٍ في الياء شيءٌ[4]؛ لأنَّه لم يأتِ في أسماءِ الله ما

---

(١) في (ف): «القيامة».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٥١).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٧٣١) بلفظ: «كافٌ من كافٍ، وياءٌ من حكيمٍ، وعينٌ من عليمٍ، وصادٌ من صادقٍ، وهاءٌ من هادٍ». وروى الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٤٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما: كان يقول: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ قال: كافٌ: كبير.

(٤) كذا قال، وقد تقدم في رواية عبد الرزاق عن ابن عباس رضي الله عنهما: «وياء من حكيم».

أَوَّلُه ياءٌ، وعن غيره: الياء من يمينٍ[(١)]، وقيل: من عليمٍ، وقيل: من حكيمٍ[(٢)].

وقيل: من قولهم: «يا مَن يُجِيرُ ولا يُجارُ عليه»، قاله الرَّبيع بن أنسٍ[(٣)].

والعينُ من عليمٍ[(٤)]، وقيل: من عزيزٍ[(٥)]، وقيل: من عدلٍ.

والصَّاد من صادقٍ[(٦)].

وقيل: هو اسمٌ للقرآن، وقيل: اسمٌ للسُّورة.

***

(٢) - ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ﴾.

﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ﴾؛ أي: هذا ذكرُ ربِّك عبدَه بالرَّحمة، فيكون الرَّبُّ فاعلَ الذِّكر و﴿عَبْدَهُۥ﴾ مفعولَه.

وقيل: ﴿رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ﴾، فيكون الرَّبُّ فاعلَ الرَّحمة، و﴿عَبْدَهُۥ﴾ مفعولَها، والرَّحمةُ مفعولَ الذِّكر.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٤٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ ففي قول المصنف: «عن غيره» نظر.

(٢) تقدم في رواية عبد الرزاق عن ابن عباس.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٤٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٩٦).

(٤) تقدم بهذا اللفظ في رواية عبد الرزاق عن ابن عباس، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٤٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما وسعيد بن جبير بلفظ: «عينٌ من عالم».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٤٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما وسعيد بن جبير.

(٦) تقدم في رواية عبد الرزاق عن ابن عباس، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٥٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما وسعيد بن جبير والضحاك.

ويجوزُ أن يكون الذِّكرُ مضافًا إلى الرَّحمة، وهي فاعلُه، و﴿عَبۡدَهُۥ﴾ مفعولها، كما تقول: ذَكَرني جودُ زيدٍ[1].

وقيل: الرَّحمةُ صلةٌ[2].

و﴿زَكَرِيَّآ﴾ بـدلٌ عـن العبد، وقـرئ في الشَّـواذِّ: (عبـدُه) بالرَّفـع[3]، فيكونُ فاعـلَ الذِّكر.

***

(٣) ـ ﴿إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا﴾.

﴿إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا﴾: دعاهُ دعاءً سرًّا كما هو المأمورُ في قوله: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥].

وقيل: رَفَع صوتَه فأخفاهُ عن القوم.

---

(١) ويجوز على هذا القول أن يكون ﴿عَبۡدَهُۥ﴾ مفعول الذكر أيضاً، قال ابن كمال باشا في «تفسيره» عند هذه الآية: ﴿عَبۡدَهُۥ﴾ مفعول الرحمة، أو الذكر على أن الرحمة فاعلُه على الاتِّساع، كقولك: ذَكَرني جودُ زيد.

وإلى هذا يوحي كلام المؤلف في «غرائب التفسير» (٢/ ٦٨٥) حيث قال: «الغريب: ﴿ذِكۡرُ﴾ مضاف إلى الفاعل وهو الرحمة، وتقديره: ذكر رحمة ربِّك عبدَه، كما تقول: ذكرني جودُك، فيكون المعنى: ذكر ربِّك عَبْدَهُ بالرحمة».

قلت: ويلاحظ من هذا الكلام أن المؤلف جعل هذا الوجه والوجه الأول واحداً.

ثم قال: «وقول من قال: الرحمة صلة، يريد: بهذا المعنى؛ إذ لا يجوز أن يكون صلة بين المضاف والمضاف إليه».

(٢) انظر التعليق السابق.

(٣) نسبت ليحيى بن يعمر. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ٨٦)، و«شواذ القراءات» لشمس القراء الكرماني (ص: ٢٩٧).

ابن عيسى: النِّداء: الدُّعاء على طريقة: يا فلان(١).

وقيل: ﴿نِدَآءً خَفِيًّا﴾: لا يدخلُه رياءٌ.

وقيل: لأنَّه استحيا من القوم أن يَسألَ اللهَ الولدَ على كبرِ السِّنِّ من امرأةٍ عاقرٍ.

وقيل: دعاه في وسط اللَّيل.

وقيل: عَلِم أنَّ رَفْعَ الصَّوت وخَفْضَه عند الله سواءٌ، وفي الخفضِ خضوعٌ فاختاره.

﴿إِذْ نَادَىٰ﴾ ظرفٌ للذِّكر. وقيل: للرَّحمة. وقيل: ظرفٌ لـ﴿قَالَ﴾ بعده، ويحتمِل أنَّه خبرُ المبتدأ، والمبتدأُ قولُه: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ﴾(٢).

* * *

(٤) - ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي﴾ هذا تفسيرُ الدُّعاء، ومعناه: ضَعُفَ بدني لكِبَرِ سنِّي، والواهنةُ: الضَّعفُ، وكان له سبعونَ سنةً.

وقيل: ﴿وَهَنَ﴾ بمعنى: وَهِيَ، تقول: وَهَنَ يَهِنُ، ووَهِنَ يَوْهَنُ، ووَهِنَ يَهِنُ(٣).

وخصَّ العَظْمَ بالذِّكر لأنَّه أقوى ما في الإنسان.

ويحتمِلُ أنَّ المرادَ بالعَظْم الأسنان(٤).

---

(١) ذكره ابن فورك في «تفسيره» (٢/ ٢٩٠) بلا نسبة.

(٢) ذكر المصنف القولين الأخيرين في «غرائب التفسير» (٢/ ٦٨٦)، واستغربهما.

(٣) هي لغات، والثانية أجودها. انظر: «تاج العروس» مادة: (و ر ث) (٥/ ٣٨٠).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٦٨٦)، واستغربه.

﴿وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا﴾: فشا في رأسي المشيبُ.

اشتعالُ النَّار: إذا تفرَّقتْ في التهابِها وصارت شُعُلًا.

وقيل: الاشتعال: انتشارُ شعاعِ النَّار؛ أي: اشتَعَل الشَّيبُ فيه اشتعالَ شعاعِ النَّار.

وقيل: هاج الشَّيب فيه.

وفي نصبه قولان:

أحدهما: التَّمييزُ؛ لأنَّ اشتعالَ الرَّأس مبهَمٌ لا يُدْرَى ممَّ اشتَعَل.

وقيل: انتصابُه على المصدر؛ لأنَّ اشتَعَل بمعنى: شاب.

ويَحتمِلُ أنَّه من باب تفقَّأتِ الدَّابَّة شحمًا[1]؛ لأنَّ تقديره: واشتَعَل شيبُ الرَّأس[2].

وقيل: من شيبٍ، و: بشيبٍ، فنُصِبَ بنزعِ الخافض. وفيه بُعْدٌ.

﴿وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا﴾؛ أي: كنتُ مستجابَ الدَّعوةِ قبلَ اليومِ سعيدًا به غيرَ شقيٍّ فيه.

والسَّعادة: إدراكُ الخير، والشَّقاوة: حرمانُه.

وقيل: بدعائك إيَّاي[3].

وقيل: مَن دعاك مخلِصًا فوحَّدك وعبَدَك لم يكن بعبادتك شقيًّا.

* * *

(١) فهو فعل منقول، وانتصاب الاسم بعده على التمييز أيضاً، وقد تقدم الكلام عليه في تفسير قوله تعالى: ﴿كَبُرَتۡ كَلِمَةٗ تَخۡرُجُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ﴾، وانظر: «المقتضب» للمبرد (٣/ ٣٦)، و«الأصول» لابن السراج (١/ ٢٢٣ ـ ٢٢٤)، و«شرح الكتاب» للسيرافي (٢/ ٧٧).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٦٨٦)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٦٨٧)، واستغربه.

(٥) - ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴾.

﴿ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ ﴾ يعني: العُصبةَ، وقيل: بني العمِّ، وقيل: الكَلالةَ.

﴿مِن وَرَآءِى ﴾: مِن بعدي، وقيل: مِن حَولي، حكاه محمَّد بن الهيصَم[١].

إنِّي خفت أن يكونوا هم يَرِثون مالي مِن بعدي. قتادةُ قال: رُوي أنَّ رسول الله ﷺ قال: «رَحِمَ اللهُ زكريَّا؛ ما كان عليه مَن وَرِثه؟»[٢].

وقيل: خاف أن يُفْسِدوا بعده في دِين الله.

وقيل: خاف أن يَرِثَه غير الولد.

وقرئ: (**خَفَّتِ الموالي مِن ورائي**)[٣]؛ أي: ماتوا وذهبوا.

ويحتمِلُ: خِفْتُ فَوَات الموالي مِن ورائي قبلَ موتي، فهَبْ لي وليًّا يبقَى بعدي، سأل ولدًا يرثُه عِلْمَه ويَجْرِي في دِين الله على سُنَّته.

﴿وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا ﴾: لا تَلِدُ، وإنَّما ذكَر ﴿ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا ﴾ لأنَّه سأل الله إزالةَ العلَّة عنها لتَحْبَل.

﴿فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ﴾: مِن قُدْرتِكَ وفضلِكَ ﴿وَلِيًّا ﴾: ابنًا يَلِي أمرَك بعدي.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٦٨٧)، واستغربه.

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٧٣٤)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٥٩) عن قتادة مرسلاً، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٥٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٩٧) عن الحسن مرسلًا. قال ابن كثير في «تفسيره» (٥/ ١٨٩): «وهذه مرسلات لا تعارض الصحاح»؛ يعني: من أن الأنبياء لا يورثون المال، كما ثبت في الصحاح، وسيأتي.

(٣) نسبت لعثمان رضي الله عنه ومحمد بن علي وعلي بن الحسن. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٨٦)، و«المحتسب» (٢/ ٣٧).

(٦) ـ ﴿ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾.

﴿ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ﴾ مَن رَفَع جعَلَه وصفًا لـ(وليٍّ)، ومَن جَزَمه[1] جعَلَه جوابًا للأمر.

و(وليٌّ) عامٌّ وُضِعَ موضعَ الخاصِّ، أي: وليًّا وارثًا يَرِثُني ويَرِثُ مِن آلِ يعقوب؛ قيل: المالَ؛ كما سبق، وفيه ضعفٌ؛ لقوله ﷺ: «إنَّا معاشرَ الأنبياء لا نورِّث، ما تَرَكْناه صدقةٌ»[2].

وقيل: يرثُني النُّبوَّة؛ وهذا أيضًا فيه كلامٌ؛ لأنَّ النُّبوَّة ليست بالوراثة، ولو كانت بالوراثة لكنَّا جميعًا أنبياءَ؛ لأنَّ آدم عليه السَّلامُ كان نبيًّا بالإجماع[3].

ويحتمِلُ أنَّ التَّقدير: وليًّا بهذه الصِّفة؛ أي: ولدًا نبيًّا، وبابُ السُّؤال والدُّعاء مفتوحٌ.

﴿وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ﴾ قيل: النُّبوَّةَ، وقيل: المالَ.

وقيل: يعقوبُ هذا ليس بيعقوبَ بنِ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ، وإنَّما هو يعقوبُ بنُ ماثانَ، وكانت امرأةُ زكريَّا أختَ مريمَ بنتِ عِمرانَ بنِ ماثان[4].

---

(١) قرأ أبو عمرو والكسائي بالجزم، والباقون بالرفع. انظر: «السبعة» (ص: ٤٠٧)، و«التيسير» (ص: ١٤٨).

(٢) رواه البخاري (٤٠٣٥)، ومسلم (١٧٥٨) عن عائشة رضي الله عنها بلفظ: «لا نورث ما تركنا صدقة». ورواه النسائي في «السنن الكبرى» (٦٢٧٥) عن عمر رضي الله عنه بلفظ: «إنا معشر الأنبياء لا نورث، ما تركنا فهو صدقة». قال ابن حجر في «التلخيص الحبير» (٣/ ٢١٥): «وإسناده على شرط مسلم». ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٩٩٧٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «إنا معشر الأنبياء لا نورث ما تركت بعد مؤونة عاملي ونفقة نسائي صدقة».

(٣) ذكر نحوه النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٥) ثم قال: «ووراثة الحكمة والعلم مذهب حسن».

(٤) عد المصنف هذا القول قول الجمهور، وعدَّ الغريب قول من قال: هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام. انظر: «غرائب التفسير» (٢/ ٦٨٧).

مجاهدٌ: ﴿يَرِثُنِي﴾ عِلْمِي ﴿وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ النُّبوَّةَ(١).

الضَّحَّاك: ﴿يَرِثُنِي﴾ مالي ﴿وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ النَّسبَ والعِلْم(٢).

﴿وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ قيل: مَرْضيًا تَرْضاه، وقيل: تقيًّا، وقيل: راضيًا بحُكْمِك.

فأجابَ اللهُ دعاءَه وقال:

(٧) - ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾.

﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ﴾ تولَّى اللهُ تسميتَه تشريفًا له ﴿لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾؛ أي: لم يُسَمَّ أحدٌ بيحْيى قبلَه(٣).

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾؛ أي: مِثْلًا وشَبيهًا(٤)؛ لأنَّه لم يَعْصِ ولم يَهُمَّ بمعصيةٍ قطُّ.

وقيل: في كونه حَصُورًا.

وقيل: لم تَلِدِ العَوَاقرُ مِثْلَه(٥).

وقرأتُ في بعض التَّفاسير: ﴿لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ﴾: لزكريَّا ﴿مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾: ولدًا، والعربُ تسمِّي الولدَ: سَمِيًّا، حكاه النَّقَّاش في «تفسيره»(٦).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٥٨) بلفظ: «وكان وراثته علمًا وكان زكريا من ذرية يعقوب».

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٩٨) بلفظ: «السنة والعلم».

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣١٩٠١)، والحاكم في «المستدرك» (٣٤٠٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وصححه الحاكم.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٣٣٦) من رواية مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٦٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٩٩) عن مجاهد.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٦١) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٦٨٨)، وعدَّه من العجائب.

وسمِّي يحيَى لأنَّه يحيا به دِينُ الله.

وقيل: لأنَّ رَحِمَ أمِّه حَيَّ به(١).

وقيل: هذا على الضِّدِّ؛ أي: يموتُ؛ كالمَفازةِ والسَّليم.

وقيل: لأنَّ الله أحياهُ من بَيْنِ ميِّتينِ في حُكْم الولادة.

وقيل: لأنَّه استُشهِد، والشُّهداءُ أحياءٌ(٢).

وقيل: اشتُقَّ له من: يا حيُّ، حكاه النَّقَّاش.

ويحتمِل أنَّه اسمٌ أعجميٌّ، وهو الأظهرُ(٣).

***

(٨) ـ ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴾.

فلمَّا بشَّرته الملائكة به ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ ﴾؛ أي: مِن أين يكون لي الولد ﴿وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا ﴾: لا تلد ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴾: نهايةً؛ أي: صرتُ قَحْلَ العِظَام يابسًا، تقولُ: عتا يعتُو عُتُوًّا وعُتِيًّا: إذا بالغَ في سنٍّ أو كفرٍ، وكذلك عُسِيًّا(٤).

---

(١) انظر: «تفسير السمرقندي» (١/ ٢١٠)، و«تنوير المقباس» (ص: ٢٥٤).

(٢) قال أبو القاسم بن حبيب، كما في «البحر المحيط» لأبي حيان (٣/ ١٣٠)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٦٨٧)، واستغربه.

(٣) وقال ابن الباذش: كل اسم أعجمي استعملته العرب فالنحويون يتكلمون على أحكامه في التصريف على الحدّ الذي يتكلمون في العربي»، وذلك بعد أن نصَّ على أن يحيى وموسى وعيسى أسماء أعجمية. انظر: «تمهيد القواعد» لناظر الجيش (١٠/ ٤٩٨٠).

(٤) انظر: «الغريب المصنف» لأبي عبيد (١/ ٣٩٣).

الحسن: معناه: أصبتُ شدَّةً.

وإنَّما سأل بعدَ علمه بأنَّ الله قادرٌ على ذلك لِمَا دخله من السُّرور، فاستعجَلَ معرفةَ كيفيَّةِ ما بُشِّر به قبل وقوعِه، والسُّؤالُ وقع عن جائزَيْنِ عنده:

أحدهما: أن يعيدَه وامرأتَه شابَّين أم على هَيْئتِهما.

والثَّاني: أن يقوِّيَه على المجامَعةِ وامرأتَه على عُلوقِ الولد.

وقيل: استعلامٌ، أَمِنْ زوجتِه العاقرِ أم يَنكِحُ غيرَها؟

***

(٩) ـ ﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴾.

﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ ﴾؛ أي: الأمرُ كما قيل لك. وقيل: تقديرُه: كما أنتما؛ أي: على الحالِ التي أنتما عليه. وقيل: تقديره: كذلك قال ربُّك؛ يعني: كما قيلَ لك ﴿قَالَ رَبُّكَ هُوَ﴾؛ أي: إعطاء الولد على هذه الحالة منكما ﴿عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾: سهلٌ ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴾ بل كنتَ مَعدومًا.

***

(١٠) ـ ﴿ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾.

﴿ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ﴾؛ أي: علامةً أَعرِفُ بها حَبَلَ امرأتي، وهذا السُّؤالُ أيضًا لفَرْطِ فَرَحِه بما بُشِّر به.

﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾؛ أي: آيةُ ذلك ألَّا تَقْدِرَ على مكالمةِ النَّاس مِن غيرِ بَكَمٍ ولا خَرَسٍ ثلاثَ ليالٍ مع أيَّامها، مستويَ الأعضاء لا لمرضٍ ولا خَلَلٍ بك.

وعن ابن عبَّاسٍ: ثلاثَ ليالٍ متتابعاتٍ[(١)]. جعَلَه[(٢)] وصفًا لـ﴿ثَلَٰثَ﴾.

وقيل: ربا لسانُه في فيه فلمْ يَقدر على كلامٍ ثلاثةَ أيَّامٍ عقوبةً على السُّؤال[(٣)]. وقد سَبَق في (آل عمران)[(٤)].

ابن بحرٍ: تعبَّده اللهُ بالسُّكوت عن جميعِ الأمور إلَّا عن التَّسبيح والتَّهليل. وقال: المراد بالآية: الفَرْضُ، كقوله: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ [النور: ١]؛ أي: فرائض[(٥)].

وقيل: رأى في المنام أنْ بُشِّر بالولد، فسأل الله حقيقةَ الرُّؤيا.

***

(١١) ـ ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾.

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ﴾: مِن المصلَّى، وقيل: نَزَل من الغرفة، والمحرابُ أشرفُ موضعٍ في البيت[(٦)].

﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ﴾: أَوْمَأَ برأسه ويدَيْه.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٧٠).

(٢) أي: لفظ (سوياً)، وهو على القول الأول حال من الصغير المستتر في (تكلم).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٦٨٨)، وعدَّه من العجائب.

(٤) وقد ذكره المصنف هناك عن قتادة والربيع، واستظهر القول الأول.

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٦٨٨)، واستغربه، وذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ١٣٨).

(٦) قال في «العين» (٢/ ٢١٤): «المحراب عند العامة اليوم: مقام الإمام في المسجد، وكانت محاريب بني إسرائيل مساجدهم التي يجتمعون فيها للصلاة، والمحراب: الغرفة...»، وقال أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (١/ ٩١): «المحراب: سيد المجالس ومقدمها وأشرفها»، وقد ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٠٩) بلفظ المصنف.

وقيل: كَتَبه على الأرض، وكان إذا أراد أمرًا كتَب لهم كتابًا. والوحي: الكتابة.

﴿أَن سَبِّحُواْ بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ قيل: صلُّوا، والسُّبْحَةُ: الصَّلاة. وقيل: يريدُ به التَّسبيحَ والتَّهليل.

والبُكرة: الغدَاة، مشتقَّةٌ من التَّقدُّم، والعشيُّ مشتقٌّ من الظُّلمة.

***

(١٢) ـ ﴿يَـٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَـٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾.

﴿يَـٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ يعني: التَّوراة، وقيل: ما كان يوحَى إليه.

﴿بِقُوَّةٍ﴾: بجِدٍّ وعزيمةٍ، يريد: غايةَ ما تَقْوَى عليه وتُطيقُه، واحملِ النَّاس على العمل بما فيه.

﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾؛ أي: الحكمةَ، كالقُلِّ والقِلَّة.

وقيل: ﴿ٱلْحُكْمَ﴾: الفهْمَ بكتاب الله.

وقيل: كان يقومُ بالأحكام في حالِ طفوليَّته.

الحسن: ﴿ٱلْحُكْمَ﴾: النُّبوَّة[١].

ابن عبَّاسٍ: مَن قرأ القرآن قبلَ أن يحتلِمَ فهو ممَّن أوتي الحكم صبيًّا[٢].

***

(١٣) ـ ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا﴾.

﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾؛ أي: رحمةً من عندنا. وقيل: رحمةً لأبويه. وقيل: تحيَّةً.

---

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ١٧٨)، والبغوي في «تفسيره» (٣/ ٢٢٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) رواه ابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٥/ ٤٨٥) موقوفًا، ورواه مرفوعًا ابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٥/ ٤٨٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٧٩٨).

والحنَانُ: العطفُ والشَّفقةُ، يقال: حنانَكَ يا ذا الحنَان؛ أي: ارْحَمْ يا رحيمُ، وقد يُثنَّى في الدُّعاء، قال الشَّاعر:

حَنانَيْكَ بَعْضُ الشَّـرِّ أَهْـوَنُ من بَعْضِ[1]

ورُوِي عن ابن عبَّاسٍ أنَّه قال: ما أدري ما الحنَانُ[2]؟

ابن الأعرابيِّ عن المفضَّل بنِ محمَّدٍ: ﴿حنانًا﴾: رزقًا[3].

﴿وَزَكَوٰةً﴾: طهارةً وصلاحًا فلم يَعْمَلْ بذنبٍ.

الكلبيُّ: صدقةً تصدَّق الله بها على أبويه[4].

وقيل: بركةً ونماءً.

ابن عيسى: جعَلْناه زكاةً لمَن قَبِل منه؛ أي: ذا طهارةٍ.

ونُصِبَ (حنانًا) و(زكاةً) عطفًا على ﴿ٱلْحُكْمَ﴾.

وقيل: نَصْبٌ على المفعول له.

﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾: مخلِصًا مسلِمًا مطيعًا.

***

---

(١) عجز بيت لطرفة بن العبد، وصدره:

أبـا منذر أفنيـتَ فاسـتَبْقِ بَعْضَنا

انظر: «ديوان طرفة» (ص: ٦١)، و«مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ٣)، و«غريب الحديث» لأبي عبيد (٤/ ٤٠١)، و«تفسير الطبري» (١٥/ ٤٧٨).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٧٧)، والثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٣٤٢)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٦٨٩)، وعدَّه من العجائب.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٦٨٩)، واستغربه.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٣٤٤)، والواحدي في «البسيط» (١٤/ ٢٠٩).

(١٤) ـ ﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾.

﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ﴾؛ أي: بارًّا بهما لا يَعْصِيهما، والبِرُّ: الحُبُّ، وقيل: الإسراعُ إلى الطَّاعةِ والمبالغةُ في الخدمة؛ تقول: بَرِرْتُ والديَّ أَبَرُّهما.

﴿وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا﴾: قتَّالًا متكبِّرًا.

الكلبيُّ: الجبَّار: الذي يَضربُ ويقتلُ على الغضب[١].

﴿عَصِيًّا﴾: عاصيًا لربِّه.

* * *

(١٥) ـ ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾.

﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ﴾؛ أي: سلامٌ له منَّا حين ولد.

ابن جَريرٍ: أي: الأمانُ من الله له يومَ وُلد من أن ينالَه الشَّيطان بما ينالُ به بني آدم، وأمانٌ له من فتَّاني القبر، وأمانٌ له من الفزع الأكبر[٢].

ابنُ عُيينةَ: أوحشُ ما يكونُ المرءُ في ثلاثةِ مواطنَ: يومَ وُلد فيَرى نفسَه خارجًا ممَّا كان فيه، ويومَ يموتُ فيرى قومًا لم يكن عايَنَهم، ويومَ القيامةِ فيَرَى نفسَه في هولٍ عظيمٍ، فأكرمَ اللهُ عزَّ وجلَّ يحيى فيها وخصَّه[٣].

وذكر المفسِّرون أنَّ يحيى وعيسى عليهما السَّلام الْتَقيا، فقال يحيى لعيسى: استَغْفِرْ لي فأنت خيرٌ منِّي، وقال عيسى ليَحيى: استغفرْ لي فأنت خيرٌ

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٣٤٧)، والواحدي في «البسيط» (١٤/ ٢١٠).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١٥/ ٤٨١).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٨٢)، وذكره مكي بن أبي طالب في «الهداية» (٧/ ٤٥٠٥)، والواحدي في «البسيط» (١٤/ ٢١١)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ١٢٣).

منِّي، أنا سلَّمت على نفسي وسلَّم عليك الله، ولا يعرفُ فضلَ ذلك إلَّا الله[١].

﴿يَوْمَ وُلِدَ﴾ من أمِّه، واسمها: أيلشفع، حكاه النَّقَّاش[٢].

﴿وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ في الآخرة.

***

(١٦) ـ ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾.

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾: في القرآنِ، وقيل: من القرآن ﴿مَرْيَمَ﴾ قصَّتَها وقصَّةَ ابنِها عيسى عليه السَّلامُ.

و(مريم): اسمٌ عجميٌّ.

وقيل: عربيٌّ، قال الشَّاعر:

قلتُ لزيرٍ لم تصِلْهُ مَرْيَمُهْ[٣]

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٧٤٢)، وعبد الله بن أحمد في «الزهد» (٣٩٤)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٨٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤٠٢)، والثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٣٤٨) عن الحسن.

(٢) وذكر السيوطي في «مفحمات الأقران» (ص: ٢٤) أن اسمها إيشاع أو أشيع، ولا طائل من معرفة ذلك، والله أعلم.

(٣) الرجز لرؤبة بن العجّاج. انظر: «ديوان رؤبة» (ص: ١٤٩)، و«العين» (٧/ ٩)، وبعده:

ضِلِّيلُ أهواءِ الصِّبا يندِّمُهْ

والزير من الرجال: الذي يحب محادثة النساء ومجالستهن، والمريم من النساء: من تحب محادثة الرجال، فهي كالزير من الرجال. يوقعُ هذا الزير في الندامة مَن ضلَّ في أهواءِ الصبا ويَعْذلُه في عشقه، ويقول له: اقطع مَن قطَعك، ولا تطلب وَصْلَ مَن هجرك. وهذا الكلام أشد لإغرائه، والبيت من رجز طويل لرؤبة مدح به أبا العباس السفاح أول الخلفاء العباسية. انظر: «شرح أبيات المغني» للبغدادي (٣/ ٣ ـ ٤).

وهي التي تغازلُ الرِّجال[١].

﴿إِذِ انتَبَذَتْ﴾: تباعَدَتْ وقَعدَتْ نَبْذةً[٢]؛ أي: متباعِدةً، لازِمُ نَبَذَ[٣]، وهو الطَّرح.

﴿مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾: تقابلُ المشرقَ فتستدفئ بالشّمس، وقيل: مَشرُقة دارها[٤]. قتادة: ﴿شَرْقِيًّا﴾: شاسعًا بعيدًا[٥].

قيل: ومِن ثَمَّ اتَّخذ النّصارى المشرقَ قبلةً؛ لأنَّه ميلادُ عيسى.

* * *

(١٧) ـ ﴿فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾.

﴿فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا﴾ قيل: استَتَرت بجبلٍ، وقيل: بجدرانٍ. وقيل: جَعلتْ بينها وبين أهلها حجابًا يسترُها لتغتسلَ وراءه.

---

(١) قال الآلوسي في «روح المعاني» (١/ ٣١٦): والأولى عندي أن التسمية وقعت بالعبري لا بالعربي، بل يكاد يتعين ذلك كما لا يخفى على المنصف.
وفي «التبيان» للعكبري (١/ ٨٨): (مريمُ) علَمٌ عجَمي، ولو كان مشتقًّا مِن رامَ يَريم كان مَرِيماً؛ بفتح الميم وسكون الياء، وقد جاء في الأعلام بفتحِ الياء نحو: مَزْيَد، وهو خلاف القياس.

(٢) بفتح النون وتضم: ناحيةً. انظر: «القاموس» مادة: (ن ب ذ).

(٣) نبذ الشيء: طرحه، وانتبذ: تنحَّى. انظر: «المغرب» للمطرزي (ص: ٤٥٢).

(٤) «المشرقة»: أي: موضع القعود لإشراق الشمس. انظر: «فتوح الغيب» (٩/ ٥٨٦).
وقال الشهاب في «عناية القاضي» (٦/ ١٤٨): المشرقة مثلثة الراء: محل شروق الشمس والقعود فيه شتاء.

(٥) ذكره بهذا اللفظ الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٣٦١). وأبو حيان في «البحر المحيط» (٧/ ٢٤٨)، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٧٥٣) بلفظ: «منتحياً»، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٨٤)، وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٥/ ٤٩٤)، بلفظ: «قِبَل المشرق شاسعاً منتحيًا».

قتادةُ: اتَّخذت قِبَلَ المشرق مسجدًا فتوارت منهم واعتزلَتْ لعبادة ربِّها[١].

﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾: جبريلَ، وأضافه إليه سبحانه تشريفًا له.

وقرأ أبو حيوةَ: (روحنَّا) بالتَّشديد[٢]، وفسَّره ابنُ مِهْرانَ أنَّه اسم جبريل[٣].

﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾؛ أي: تشبَّه وظهَر لها في صورةِ رجلٍ معتدِلِ القامة والخِلْقة، وقيل: مُساوِيًا لخِلْقةِ أشخاصِ البشر.

قال أُبيُّ بن كعبٍ رضي الله عنه: لمّا أخذ الله من آدم ذرِّيَّتَه كانت رُوحُ عيسى عليه السَّلام من تلك الأرواحِ التي أَخَذ ميثاقَها، فأَرْسَلها اللهُ إلى مريم في صورة بشرٍ، فتمثَّل لها، فحَمَلت الذي خاطبها وهو روحُ عيسى عليه السّلام[٤].

***

(١٨) ـ ﴿قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾.

﴿قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ﴾: لمّا رأت جبريلَ في صورة شابٍّ خيِّل إليها أنَّه طالبُ فسادٍ فاستعاذت؛ أي: أَلْتجِئُ إلى الله وأسأله أن يُعيذني ممَّا أخاف من جهتك ﴿إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾؛ أي: مسلمًا مطيعًا لله، وجزاءُ الشَّرط محذوفٌ؛ تقديرُه: فاخْرُجْ عنِّي، الزَّجّاج: فستَتَّعِظُ بتَعويذي بالله منك[٥].

---

(١) انظر التعليق السابق.

(٢) انظر: «البحر المحيط» (٧/ ٢٤٨)، وفيه: «وذكر النقاش أنه قرئ: (روحنَّا) بتشديد النون اسم ملك من الملائكة».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٦٩٠)، وعدَّه من العجائب.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٧٠٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤٠٣)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٦٩٠)، واستغربه.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٣٢٣)، وجاء فيه: «بتعوذي»، وكذلك في «المحكم» (٦/ ٥٩٩)، و«البسيط» (١٤/ ٢١٤)، وقد جاء بلفظ المصنف في النسختين، و«غرائب =

وقيل: فلا تتعرَّضْ لي.

وقيل: ﴿إِن﴾ بمعنى: ما؛ أي: ما كُنْتَ تقيًّا بدخولك عليَّ ونظرِكَ إليّ[(١)].

وقيل: إنَّ تقيًّا اسمُ رجلٍ كان مِن أمثلِ النَّاس في ذلك الزَّمان، فقالت: إن كنتَ في الصَّلاح مثل التَّقيِّ فإنِّي أعوذُ بالرَّحمن منك، كيف يكونُ رجلٌ أجنبيٌّ وامرأةٌ أجنبيَّةٌ في حجابٍ واحدٍ؟ حكاه الثَّعلبيّ[(٢)].

وقيل: إنَّ تقيًّا اسمُ رجلٍ كان يتعرَّض للنِّساء، وكانت سمعَتْ مريمُ بقصَّته وفساده.

وقيل: إنَّ تقيًّا تِرْبٌ لها يقالُ له: يوسفُ، مِن خَدَمِ بيتِ المقدس، أتاها جبريلُ على صُورتِه فظنَّتْ أنَّ الشَّيطان استزلَّه فتعرَّض لمريم، فقالت: إنْ كنتَ مَن أظنُّه فإنِّي أعوذُ بالرَّحمن منك، حكاه ابن مِهْرَبْزُدَ[(٣)].

* * *

= التفسير» (٢/ ٦٩٠)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٧/ ٢٤٨)، والتعويذ اسم كالعوذة والمعاذة، أما التعوذ فمصدر. انظر: «الصحاح» (٢/ ٥٦٧)، وهو الصواب.

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٦٩٠)، واستغربه.

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٧/ ٣٥٣)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٦٩٠)، واستغربه.

(٣) محمد بن علي بن محمد بن الحسين بن مهربزد أبو مسلم الأصبهاني المعتزلي تقدمت ترجمته. والقول ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٦٩٠)، وعدَّه من العجائب.

قلت: ولا حاجة لكل هذه التكلفات، فإن ﴿بَشَرًا سَوِيًّا﴾ بإطلاقه يعني أن جبريل عليه السلام قد أتاها بهيئة بشر سوي في كل ما تحتمله الكلمة من معان، ومنها نور الإيمان وطهارة المظهر، وهذا يجعلها تعلم أن الذي أمامها هو رجل تقي مؤمن، لكنها أرادت الزيادة في التأكد من ذلك.

(١٩) ـ ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾.

﴿**قال إنّما أنا رسول ربّك لِيَهَبَ لك غلامًا زكيًّا**﴾ أجابها جبريل فقال: لستُ الذي تخافينه، إنَّما أنا رسولٌ من الله إليكِ ليَهَبَ ربُّك.

وقرئ: ﴿لِأَهَبَ﴾[1]، وله ثلاثةُ أوجُهٍ:

أحدها: أنَّه أسندَ إلى السَّبب، والواهبُ هو الله سبحانه؛ أي: أَنْفُخَ في جيبك فيَخلُقَ الله من النَّفخة في بطنك غلامًا زكيًّا.

وقيل: معناه: أرسلني بهبتهِ إليك.

وقيل: تقديره: إنَّما أنا رسولُ ربِّك، قال ربُّك: ﴿لِأَهَبَ﴾[2]، وإضمارُ القول كثيرٌ.

و﴿غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾: طاهرًا من الذّنوب، وقيل:ناميًا على الخير.

* * *

(٢٠) ـ ﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾.

﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ﴾؛ أي: كيف ومِن أين ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾: لم يباشرني زوجٌ بالنّكاح ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾: فاجرةً تتعاطى الزِّنى، والولدُ يكون من أحد هذين؟

وفي حذفِ الهاء ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّ وزنه فَعُولٌ، وفعولٌ يستوي فيه المذكَّر والمؤنَّث[3].

---

(١) قرأ أبو عمرو، وورش عن نافع، والحلواني عن قالون عن نافع: ﴿لِيَهَبَ﴾، والباقون: ﴿لأهب﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٤٠٨)، و«التيسير» (ص: ١٤٨).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٦٩١)، واستغربه.

(٣) انظر: «عمدة الكتاب» للنحاس (ص: ٥٣)، و«الممتع» لابن عصفور (ص: ٣٤٩).

والثَّاني: أنَّ لفظ البغيِّ خاصٌّ في النِّساء، فصار كالحائض والطَّالق[1]، وإنَّما يقال للرَّجل: باغٍ.

والثَّالث: فعيلٌ بمعنى مفعولٍ؛ كعينٍ كحيلٍ ولحيةٍ دهينٍ.

وقيل: شذَّ كأخواته من قوله: ﴿وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨] و﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦] و﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [ق: ٣١].

وحُذف النُّون من ﴿أَكُ﴾ تخفيفًا، وقد سبق[2].

***

(٢١) - ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾.

﴿قَالَ﴾؛ أي: جبريلُ ﴿كَذَٰلِكِ﴾؛ أي: الأمرُ كما قلتِ: لم يمسَسْكِ رجلٌ لا بالنِّكاح ولا بالسِّفاح.

وقيل: ﴿كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ﴾؛ أي: هكذا قال ربُّك.

ويحتمِلُ أن يكون معنى ﴿كَذَٰلِكِ﴾؛ أي: كما أنتِ يكونُ لك الولدُ من غيرِ مسيسِ بشرٍ.

﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾؛ أي: إعطاءُ الولدِ من غير أبٍ عليَّ سهلٌ.

﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ﴾؛ أي: الولدَ من غير مسيسٍ ﴿ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾: علامةً على قدرتنا وتفضيلًا لكِ على سائر النِّساء ﴿وَرَحْمَةً مِّنَّا﴾: نعمةً منَّا على الخلق يهتدون به ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾: تقدَّم قضاءُ الله وحكمُه به.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٦٩١)، واستغربه.

(٢) في تفسير قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً﴾ [الأنفال: ٥٣].

وقيل: مقضيًّا في اللَّوح المحفوظ.

قوله: ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ﴾ عطفٌ على قوله: ﴿لِيَهَبَ﴾.

ومذهبُ أبي حاتمٍ والمبرِّد: أنَّه الاستئناف، واللامُ لامُ القَسَم كُسِر لمّا لم يَصحبه النُّون[١].

ويحتمِل: ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ فعَلْنا ما فعَلْنا[٢].

***

(٢٢) ـ ﴿فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا﴾.

﴿فَحَمَلَتْهُ﴾؛ أي: دنا جبريلُ منها فنَفَخ في جيبِ[٣] دِرْعها فدخلت النَّفخة في جوفها، فحملت كما تحمل النّساء[٤].

وقيل: نفخ جبريلُ من بعيدٍ فوصلتِ الرِّيحُ إليها.

أبيٌّ بن كعبٍ قال: دخل الرُّوح في فيها فدخل بطنَها وولدَتْه[٥].

قال ابن عبَّاسٍ: ما هو إلَّا أنْ حَملتْ فوضَعَتْ[٦].

وقيل: بقي ساعةً.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٦٩١) عن أبي حاتم، وعده من العجائب.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٦٩١)، واستغربه.

(٣) «جيب»: ليس في (ف).

(٤) رواه الحاكم في «المستدرك» (٤١٥٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٧٠/ ٨٦)، ورواه ابن عساكر من طريق آخر عن ابن عباس (٧٠/ ٨١ ـ ٨٣).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٧٠٥).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٩٧).

مقاتل بن سليمان: حملته في ساعةٍ، وصوِّر في ساعةٍ، ووضعَتْه في ساعةٍ حين زالت الشّمس من يومها[(١)].

وهي بنتُ عشر سنين، وقيل: ثلاثَ عشرةَ، وقد كانت حاضتْ حيضتين قبل أن تحمِل بعيسى[(٢)].

وقيل: لم تكن حاضَتْ بعد، حكاه محمَّد بن الهيصم[(٣)].

وقيل: ولدت لثمانيةِ أشهرٍ وما عاش مولودٌ وُلد لثمانية أشهرٍ غيرَ عيسى عليه السّلام[(٤)].

وقيل: وُلد لتسعةِ أشهرٍ، وقيل: لستَّة أشهرٍ.

ومَكَث مع أمِّه ثلاثًا وثلاثين سنةً، وعاشت أمُّه بعد رَفْعه إلى السَّماء ستَّ سنين، وماتت ولها اثنتان وخمسون سنةً.

﴿فَانتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا﴾؛ أي: تباعَدَتْ وهي حاملٌ بعيسى مكانًا بعيدًا، والقصيُّ والقاصي: البعيدُ. وقيل: المكانُ القصيُّ: أوَّلُ أراضي مصرَ وآخِرُ بلاد الشَّام. وهبٌ: كانت بإيلياء. وقيل: بقريةٍ يقال لها: بيت لحم على ستَّة أميالٍ من إيلياء[(٥)].

* * *

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٦٢٤).

(٢) قاله مقاتل في «تفسيره» (٢/ ٦٢٤).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٦٩٢)، واستغربه.

(٤) حكاه الزجاج. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٣٢٤)، و«زاد المسير» (٣/ ١٢٥).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٩٧) عن وهب بن منبه، وفيه: «لما حضر ولادُها ووجدت ما تجد المرأة من الطلق، خرجت من المدينة مغربة من إيلياء، حتى تدركها الولادة إلى قرية من إيلياء على ستة أميال يقال لها: بيت لحم، فأجاءها المخاض إلى أصل نخلة...».

(٢٣) ـ ﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴾.

﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ ﴾: أَلْجأها، تقولُ العرب: جاءه وأجاءَه غيرُه، وفي المثلِ: شرٌّ ما أجاءَكَ إلى مخَّةِ عرقوبٍ[١].

وقرئ في الشَّواذِّ: (فاجَأَها)[٢]؛ أي: أتاها بغتةً.

والمخاضُ: اشتدادُ وَجَعِ الولادة.

و﴿جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾: ما بين الأرضِ ومتشعَّبِ الأغصان، ويقالُ للغصنِ أيضًا: الجِذْعُ، وأكثرُ المفسِّرين على أنَّه كان جذعًا لم يكن على رأسه سَعَفٌ، وقيل: كان جذعًا يابسًا قد جيءَ به ليُبْتَنى به بناءٌ في بيت لحمٍ فصارت إلى النَّخلة لتتفيَّأ بها.

ابن جريرٍ: لمّا وجدت من المخاض شدَّةً التجأت إلى النَّخلة فاحتضنَتْها على عادة النِّساء، واحتَوَشَتْها[٣] الملائكةُ مُحْدِقِين بها صُفوفًا[٤].

﴿قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى﴾؛ أي: قالتْ في تلك الحالةِ: يا ليتَني ﴿مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا﴾؛ تمنَّت الموتَ استحياءً من النَّاس.

ابن عبَّاسٍ: إنَّ كربَ البلاء أنساها بشارةَ الملائكة[٥].

---

(١) يضرب مثلاً لكل مضطر إلى ما لا خير فيه، والعرقوبُ لا مخَّ فيه. انظر: «الألفاظ» لابن السكيت (ص: ٣٧٠)، و«مجمع الأمثال» (١/ ٥٤٩).

(٢) نسبت لحماد بن سليمان عن عاصم. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ٨٧)، و«شواذ القراءات» لشمس القراء الكرماني (ص: ٢٩٨).

(٣) احتوش القوم فلاناً وتحاوشوه: جعلوه وسطهم. انظر: «العين» مادة: (ح و ش) (٣/ ٢٦٢).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٩٤ ـ ٤٩٧) في آخر خبر طويل عن وهب بن منبه.

(٥) ذكره الرازي في «تفسيره» (٢١/ ٥٢٦) عن وهب.

وقيل: علمَتْ أنَّ الناسَ يقولون فيها وفي ابنِها ما يصيرون بذلك كفَّارًا، فتمنَّت الموت، لا أنَّها[1] لم ترضَ بقضاءِ الله سبحانه.

﴿وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ قرئ بالفتح والكسر[2]، ومعناهما واحدٌ، وهو الشَّيء الذي يُنسى وما إذا ذُكر لم يُطلب.

وقيل: حيضةً ملقاةً.

وقيل: خِرقةَ الحيض.

وقيل: النَّسْيُ المصدر، والنِّسْيُ: الشَّيءُ المنسيُّ.

السُّدِّيُّ: أي: نُسيَ ذكري وأثَري، فلا يُرَى ولا يُسمَعُ لي أثرٌ[3].

* * *

(٢٤) ـ ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾.

﴿فنادَاهَا مَنْ تَحْتَها﴾ قيل: جبريلُ، وقيل: عيسى، وكذلك مَن قرأ بالكسر[4]، فإنْ جعلْتَ الكنايةَ عن مريمَ فعيسى أَلْيَقُ بالمعنى؛ لأنَّ جبريل ينادي من فوقُ.

وقيل: ﴿مِن تَحْتِهَآ﴾ من بطنِها بالقبطيَّة، حكاه النَّقَّاش[5].

---

(١) في (ف): «لأنها».

(٢) قرأ حمزة وعاصم في رواية حفص: ﴿نَسْيًا﴾ بفتح النون، والباقون بكسرها. انظر: «السبعة» (ص: ٤٠٨)، و«التيسير» (ص: ١٤٨).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٩٨ ـ ٤٩٩).

(٤) قرأ حمزة والكسائي ونافع وعاصم في رواية حفص: ﴿مِن﴾ بكسر الميم، والباقون بفتحها. انظر: «السبعة» (ص: ٤٠٨ ـ ٤٠٩)، و«التيسير» (ص: ١٤٨). ومن قرأ بكسر الميم كسَر التاء من ﴿تَحْتِهَآ﴾، ومن فتح الميم فتح التاء.

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٦٩٢) عن المؤرج، واستغربه.

وإنْ جعَلْتَ الكنايةَ عن النَّخلة أو عن البُقعة أو جعَلْتَ ﴿تَحۡتِهَآ﴾ بمعنى: بينَ يديها أو دونها، فجبريلُ أَلْيَقُ بالمعنى.

﴿أَلَّا تَحۡزَنِي﴾: لا تتمنَّي الموت[1] ﴿قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا﴾ الجمهورُ على أنَّه النَّهرُ الصَّغير.

وذهب الحسنُ في جماعةٍ إلى أنَّ السَّريَّ هو الرَّجلُ الكريم، وهو عيسى عليه السَّلام[2].

ومَن حمَله على النَّهر فقوله: ﴿تَحۡتَكِ﴾ يريدُ: بينَ يديكِ ودونكِ، كما تقول: جلس تحتَه؛ أي: دونه، وذلك أنَّها عطِشَتْ عند الولادة فأَنْبَعَ الله عندها عينَ ماءٍ، وقيل: ساق إليها نهرًا من أردنَّ كان قد يَبِسَ.

***

(٢٥) ـ ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا﴾.

﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا﴾ فهزّته وليس له رأسٌ ولا ثمرٌ، فجعل الله له رأسًا وخوصًا و﴿رُطَبٗا﴾؛ قيل: هي البَرْنيُّ، وهو أشبعُ التَّمر، وقيل: عجوةٌ، وقيل: صَرَفانةٌ[3].

---

(١) «الموت»: ليس في (ف).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥٠٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤٠٥)، عن الحسن بلفظ: «السري: عيسى نفسه»، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٣٦٥)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٦٩٣) عن السدي، واستغربه. وقد روي عن الحسن أنه تراجع عنه، ففي «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٣٢٥): «فعرف الحسنُ أن من العرب من يسمِّي النهر سرياً فرجع إلى هذا القول، ولا اختلاف بين أهل اللغة أنَّ السَّريَّ النهر بمنزلة الجدول».

(٣) الصرفانة: تمرةٌ حمراءُ نحوُ البَرنية إلاَّ أنها صُلْبةُ المَمْضَغةِ عَلِكةٌ، وهي أرزنُ التمر كله. انظر: «المصباح» مادة: (ص ر ف).

وقيل: الجنيُّ: ما يَرْطُب من البُسر، وقيل: المذنَّب، وقيل: ﴿جَنِيًّا﴾ بغُبَاره[١].

والجنيُّ: فَعيلٌ مِن جَنيْتُ؛ بمعنى: مفعولٍ؛ أي: مَجْنِيٍّ.

وذهب جماعةٌ إلى أنَّه كان من رُطَب الجنَّة.

وقيل: معناه: كأنَّه جَنيٌّ؛ أي: لم يغيِّرْه السُّقوط.

وقوله: ﴿بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ في الباء ثلاثةُ أقوالٍ:

أبو عليٍّ: الباءُ زيادةٌ؛ أي: هزِّي جذعَ النَّخلة[٢].

الفرَّاء: يقال: هزَّه وهزَّ به، وأخذه وأخذ به، وتعلَّقه وتعلَّق به[٣].

المبرِّد: الباءُ حالٌ من الرُّطَب؛ أي: هزِّي رُطَبًا بجذعِ النَّخلة[٤].

ويحتمِلُ أن يكون جذعُ النَّخلة غيرَ النَّخلةِ التي صار لها رأسٌ وخُوصٌ ورُطبٌ، بل كان خشبًا مُلقًى؛ أي، هزِّي بهذه الخشبة رطبًا، فيكون الباءُ للآلة، كما تقول: كتبتُ بالقلم[٥]. والله أعلم.

و﴿رُطَبًا﴾ يُنصَبُ بأربعة أوجهٍ:

أحدها: أن يكون مفعولًا به لـ﴿هزّي﴾.

---

(١) رواه الخطيب في «تالي تلخيص المتشابه» (١٤٩) من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. وذكره دون نسبة ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ١٢٧) بلفظ: «هو الطريّ بغباره».

(٢) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٥/ ٢٠٠).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٦٥)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٦٩٣)، واستغربه.

(٤) ذكره مكي بن أبي طالب في «الهداية» (٧/ ٤٥٢٥)، والواحدي في «البسيط» (١٤/ ٢٢٩) عن المبرد، وذكر نحوه الأخفش في «معاني القرآن» (٢/ ٤٣٨).

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٦٩٣)، واستغربه.

والثَّاني: أن يكون مفعولًا به لـ ﴿تسَّاقط﴾ بالياء والتَّاء[1]، الياءُ للجذع أو الهزِّ، والتَّاءُ للنَّخلة، وتفاعَلَ قد جاء متعدِّيًا، قال الشَّاعر:

لعـوبٍ تَنَاسَـاني إذا قُمـتُ سِـرْبالي[2]

والتَّفاعُلَ الذي جاء متعدِّيًا في القرآن قولُه: ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ [يونس: ٤٥]؛ أي: يَعْرِفُ بعضُهم بعضًا.

والثَّالث: أن يكونَ بمنزلةِ: تفقَّأتِ الدَّابَّة شحمًا[3].

والرَّابع: أن يكون حالًا؛ أي: تسَّاقطِ التَّمرةُ في هذه الحالة.

* * *

(٢٦) - ﴿فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾.

﴿فَكُلِي﴾ من الرُّطب ﴿وَٱشْرَبِي﴾ من ماءِ السَّري فيمَن جعلَه نهرًا ﴿وَقَرِّي عَيْنًا﴾ بالولد، وفيه قولان:

---

(١) قرأ حمزة: ﴿تَسَاقَطْ﴾ بفتح التاء مخففة السين، وحفص: ﴿تُساقِطْ﴾ بضم التاء وكسر القاف مخففة السين، وقرأ شعبة بخلف عنه يعقوب: ﴿يسَّاقَطْ﴾ بالياء على التذكير وفتحها وتشديد السين وفتح القاف، والباقون وهو الوجه الثاني لشعبة: ﴿تَسَّاقطْ﴾ بفتح التاء مشددة السين. انظر: «التيسير» (ص: ١٤٨)، و«النشر» (٢/ ٣١٨).

وليست قراءة حفص هنا بمرادة للمصنف؛ لأنها من فاعَلَ، بينما كلامه عن تَفَاعَلَ كما سيأتي.

(٢) عجز بيت لامرئ القيس، وصدره:

ومِثْلِـكِ بَيضـاءِ العــوارِضِ طَفْلَـةٍ

انظر: «ديوان امرئ القيس» (ص: ١٣٦)، و«مجاز القرآن» (٢/ ٦)، و«تفسير الطبري» (١٣/ ٧٤٢)، و«ديوان الأدب» (٤/ ١٣٦)، و«الحجة» للفارسي (٥/ ١٩٩). ورواية الديوان وبعض المصادر: «تنسيني» فلا شاهد فيه.

(٣) فالفعل منقول، وقد تقدم الكلام عليه.

أحدهما: من القَرِّ، وهو: البردُ، والقَرُور: الماءُ البارد، ودمعةُ السُّرور باردةٌ، ودمعةُ الحزن حارَّةٌ، ولهذا قيل لضدِّها: سُخْنةُ العين، والفعلُ قَرِرْتُ بالكسر أَقَرُّ بالفتح.

والثّاني: من القرار؛ أي: صادفَتِ العين ما ترضاه فقرَّت وسكَنَتْ من النَّظر إلى غيره، وقيل: صادفَتْ سرورًا فذهب سَهَرُها فنامت وقرَّتْ، والفعلُ منه بالفتح والكسر، و﴿عَيْنًا﴾ نصبٌ على التَّمييز.

﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾؛ أي: إذا رأيتِ آدميًّا وسألَكِ عن حالك فقولي له: إنِّي نذَرْتُ للرَّحمن سكوتًا، وقيل: صمتًا، وقيل: كانوا يصومون عن الكلام كما يصومون عن الطَّعام والشَّراب، وقيل: قيامًا في الصَّلاة؛ أي: لا تجيبيه وأَحِيليه بالجواب عليَّ، فيمَن جعَل هذا الكلامَ من عيسى.

﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾: آدميًّا بعد أن أَخْبَرْتُ بنَذْرِي وصومي، بل أَشتغِلُ بالعبادة لله والدُّعاءِ إليه.

* * *

(٢٧) - ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَامَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾.

﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ﴾؛ أي: فلمَّا فرغَتْ من الولادة أقبلتْ نحوَهم حاملةً إيَّاه، قيل: بعد أربعين يومًا حين طَهُرت من النِّفاس.

﴿قَالُوا يَامَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾؛ أي: منكَرًا عظيمًا، ابنٌ لا يُعْرفُ له أبٌ، والفَرْيُ: القطعُ للإصلاح، قال الشَّاعرُ:

ولأنتَ تَفْرِي ما خَلَقْتَ وبعـ ـضُ القومِ يخلقُ ثم لا يَفْرِي[1]

(١) البيت لزهير بن أبي سلمى. انظر: «ديوانه» (ص: ٣٢)، و«غريب الحديث» لأبي عبيد (٢/ ٥٧)، و«الشعر والشعراء» لابن قتيبة (١/ ١٣٩).

والفَرِيُّ: العظيمُ من الأمر، يُستعمل في الخير والشَّرِّ، قال النَّبيُّ عليه السَّلام في عمر رضي الله عنه: «فلَمْ أَرَ عَبْقرِيًّا يَفْرِي فَرِيَّه»[١].

***

(٢٨) ـ ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا﴾.

﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ﴾ فيه أقوالٌ:

أحدها: كانت من قبيلةٍ تُنسَبُ إلى هارونَ أخي موسى، كما تقولُ: يا أخا تميمٍ؛ إذا كان من صُلْبهم.

والثَّاني: أنَّ هارون هذا رجلٌ زاهدٌ، جاء في التَّفسير: أنَّه يومَ مات تبعَ جنازتَه أربعون ألفًا من بني إسرائيل، كلُّهم يسمَّون: هارون[٢]، فخاطَبوها بذلك استهزاءً.

والثَّالث: أنَّ هارون رجلٌ فاسقٌ، فشتَموها بأنَّكِ مِثْلُه.

والرَّابع: أنَّها أختُ هارونَ أخي موسى، وفيه بعدٌ[٣]؛ لأنَّ بينهما ستَّ مئةِ سنةٍ، وقيل: ألفَ سنةٍ، وفي الحديثِ: أنَّ عائشة رضي الله عنها قرأت: ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ﴾، فقال لها كعبٌ: إن كنتِ سمعتِ رسول الله ﷺ فهو أعلم، وإلَّا فأنا أجدُ بينهما عشرين أبًا[٤].

---

(١) رواه البخاري (٣٦٣٣)، ومسلم (٢٣٩٣)، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥٢٣) عن قتادة.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٦٩٥) وعده من العجائب.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥٢٣) عن محمد بن سيرين، قال: «نبئت أن كعبًا، قال: إن قوله: ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ﴾ ليس بهارون أخي موسى، فقالت له عائشة: كذبت، قال: يا أم المؤمنين، إن كان النبي ﷺ قاله فهو أعلم وأخبر، وإلا فإني أجد بينهما ست مئة سنة، قال: فسكتت».
وروى مسلم (٢١٣٥) عن المغيرة بن شعبة، قال: لما قدمتُ نجران سألوني، فقالوا: إنكم تقرؤون يا أخت هارون، وموسى قبل عيسى بكذا وكذا، فلما قدمت على رسول الله ﷺ سألته عن ذلك، فقال: «إنهم كانوا يسمُّون بأنبيائهم والصالحين قبلهم».

﴿مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ﴾ أي: طالح[(١)]، تقولُ: رجلُ سَوءٍ، وضدُّه: رجلُ صدقٍ؛ أي: صالحٌ، وهذه إضافةُ تخصيصٍ.

﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾: فاجرةً، والبغيُّ: طالبةٌ للشَّهوة من أيِّ رجلٍ كان.

* * *

(٢٩) ـ ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾.

﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾: إلى عيسى بأنْ تجعَلُوا الكلام معه، فتَعجَّبوا من ذلك؛ وذلك أنَّ عيسى عليه السَّلام قد قال لها: لا تحزني وأَحِيلي بالجوابِ عَلَيَّ.

وقيل: أَمَرها جبريلُ بذلك.

﴿قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾: رضيعًا في المهد، والمهدُ: سرير الصَّبيِّ.

قتادةُ: المهدُ: الحِجْر[(٢)]، وكلُّ موطَّأٍ مهدٌ.

وفي ﴿كَانَ﴾ هاهنا أقوالٌ:

أحدها: أنَّه صلةٌ زائدةٌ[(٣)].

والثَّاني: أنَّه بمعنى: وَقَع[(٤)]، و﴿صَبِيًّا﴾ حالٌ، والعاملُ فيه ﴿كَانَ﴾.

وقيل: العامل فيه ﴿قال﴾ بعده[(٥)].

---

(١) في (ف): «صالح».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥٢٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤٠٧)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٦٩٥)، واستغربه.

(٣) هو قول أبي عبيدة، والثعلبي والجرجاني. انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٧)، و«تفسير الثعلبي» (١٧/ ٣٧١)، و«درج الدرر» للجرجاني (٢/ ٥١٦)، و«شرح المفصل» لابن يعيش (٤/ ٧٤٣).

(٤) فهي تامة على هذا القول. ذكره الزجاج في «معاني القرآن» (٣/ ٣٢٨).

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٦٩٥)، واستغربه.

والثَّالث: أنَّ ﴿مَن﴾ للشَّرط، فيصير ﴿كَانَ﴾ بمعنى: الاستقبال؛ أي: مَن يكُنْ في المهد كيف نكلِّم[1].

والرَّابع: بمعنى: صار؛ أي: صار في المهد[2].

* * *

(٣٠) - ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾.

﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ جاء في التَّفسير: أنَّه أخرج أصبعَه السَّبَّابةَ فقال بصوتٍ رفيعٍ سمعه الحاضرون: إنِّي عبد الله.

﴿ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ﴾: الإنجيلَ؛ أي: علَّمنيه وأنزله عَلَيَّ ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾؛ أي: رسولًا.

ذهب بعضهم إلى أنَّ هذا إخبارٌ بما يكونُ له في وقته، وأنَّ هذا كان إبراءً لأمِّه ممَّا قُذِفتْ به.

وعند بعضهم: أنَّ الله جعله بالغًا عاقلًا كما خَلَق آدمَ، وكان نبيًّا مكلَّفًا مبعوثًا إلى النَّاس في ذلك الوقت وإنْ كان ظاهرُ جسمِه كجسم الأطفال، وإليه ذهب الحسن[3].

* * *

(٣١) - ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾.

﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾؛ أي: آمرًا بالمعروف وناهيًا عن المنكر. وقيل:

---

(١) اختاره الزجاج في «معاني القرآن» (٣/ ٣٢٨).

(٢) هذا قول قطرب، كما في «زاد المسير» لابن الجوزي (٥/ ١٦٠).

وانظر في أقسام (كان) ومعانيها «تفسير الرازي» (٧/ ٨٥)، و«اللمعة» لابن الصائغ (٢/ ٥٧٧).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٣٧٠).

﴿مُبَارَكًا﴾: معلِّمَ الخير. وقيل: ثابتًا على دين الله، وأصلُ البركة: الثَّبات. وقيل: نفَّاعًا. وقيل: مباركًا على النَّاس في دينهم يتعلَّمون منِّي.

ويحتمِلُ أنَّ قوله: ﴿مُبَارَكًا﴾ نفيٌ لِمَا جرتْ عادةُ النَّاس به من التَّشاؤم من الشَّيء يقع على خلافِ مَجْرَى العادة، والله أعلم.

﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾؛ أي: أوصاني بأنْ أصلِّيَ وأُخْرجَ زكاةَ مالي إذا مَلَكْتُه، وقيل: صدقةَ الفطر، وقيل: الزَّكاةُ: تطهيرُ البدن من دَنَس الذُّنوب؛ أي: أُمِرْتُ بالطَّاعة واجتنابِ المعاصي مدَّةَ عُمري.

ويحتمل: وأوصاني بأنْ آمُرَكم بالصَّلاة والزَّكاة؛ فإنِّي نبيٌّ، والله أعلم.

* * *

(٣٢) ـ ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾.

﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي﴾؛ أي: بارًّا بها أُكرِمُها وأعظِّمُها ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾؛ أي: متكبِّرًا على الله لا يَرَى لأحدٍ عليه حقًّا. وقيل: الجبَّارُ: الذي يَقتُلُ على الغضب.

* * *

(٣٣) ـ ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾.

﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾؛ أي: رَزَقني الله السَّلامة والكرامةَ منه في هذه الأوقات.

وقيل: كأنَّه دعا وسأل السَّلامةَ على أحواله مِن يومِ ولادتِه إلى يومِ موته ثمَّ بَعْثِه.

وقيل: سلَّم على نَفْسه بأمرِ الله.

وقيل: يريد: سلامَ جبريل عليه يومَ الولادة، وسلامَ عزرائيلَ يومَ الموت، وسلامَ الملائكةِ يومَ البعث.

ويحتمِلُ تنكيرُ ﴿سلامٌ﴾ في الأولى وتعريفُ ﴿السَّلامُ﴾ في الأُخرى وجهين:

أحدهما: أنَّ نكرةَ الجنس ومعرفةَ الجنس يُفيدان فائدةً واحدةً، نحو: واللهِ لا أشربُ ماءً، و: لا أشربُ الماء، هما سواءٌ(١).

والثَّاني: أنَّ الأوَّل من اللهِ، والقليلُ منه سبحانه كثيرٌ(٢).

وقيل: الألفُ واللَّام هاهنا للعهد، يعودُ إلى قوله: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ﴾ [مريم: ١٥].

***

(٣٤) ـ ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ﴾.

﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ﴾؛ أي: الذي تقدَّم ذكرُه بالصِّفة المذكورةِ هو عيسى ابنُ مريمَ، لا كما يَصِفُه النَّصارى.

﴿قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ﴾؛ أي: كلمةَ اللهِ، والقولُ هو الكلمةُ، والحقُّ هو الله، وأُضيفَ القولُ إلى الله كإضافةِ الكلمة إليه.

وقيل: ﴿ٱلۡحَقِّ﴾ من صفةِ القول، أُضيفَ إليه إضافةَ التَّبعيض، كثوبِ خزٍّ، وخاتمِ حديدٍ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفاسير» (٢/ ٦٩٦)، وانظر: «المرتجل» لابن خشاب (ص: ٣٠٠).

(٢) ذكره المصنف في «البرهان» (ص: ١٧٢).

قرئ بالرَّفع والنَّصب[1]؛ الرَّفعُ على أنَّه صفةٌ[2] لـ﴿عِيسَى﴾، أو خبرٌ بعد خبرٍ، أو خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ تقديره: هو قولُ الحقِّ، والنَّصبُ على المصدر، وله وجهان:

أحدهما: قال عيسى قولَ الحقِّ؛ يعني: قولَه: ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ الآية [مريم: ٣٠].

والثَّاني: قال اللهُ قولَ الحقِّ بما أَخبرَ عن قصَّة عيسى وأمِّه.

﴿ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾: يشكُّون؛ شكُّوا في أمره وفي نبوَّته، من قولهم: مَرَيْتُ في الشَّيء وامتريتُ فيه؛ إذا شككْتَ فيه، والمريَةُ: الشَّكُّ.

وقيل: ﴿يَمْتَرُونَ﴾: يختصِمون، فصاروا فيه فِرَقًا وأحزابًا، والامتراءُ: الاختصامُ.

***

(٣٥) ـ ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾.

﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥ﴾: نزَّه نفسَه عن اتِّخاذ الأولاد.

وقيل: تقديره: ما كان اللهُ ليتَّخذ ولدًا، فقدَّم اللَّام[3].

﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾: كان في عِلْمه ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾؛ أي: الأمرُ سهلٌ عليه هيِّنٌ، وقد سبق.

***

---

(١) قرأ ابن عامر وعاصم: ﴿قَوْلَ ٱلْحَقِّ﴾ بالنصب، وقرأ الباقون بالرفع. انظر: «السبعة» (ص: ٤٠٩)، و«التيسير» (ص: ١٤٩).

(٢) في (ف): «صلة».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٦٩٧)، واستغربه.

(٣٦) ـ ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾.

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ الجمهورُ على أنَّ هـذا مِن تمامِ كلامِ عيسى عليه السَّلام.

﴿وأنَّ﴾ مَن فتَح[1] عطَفه على ﴿وَأَوْصَٰنِى﴾؛ أي: وأوصاني بأنَّ اللهَ ربِّي وربُّكم، وقيل: ولأنَّ الله، وقيل: قضى أنَّ الله[2].

ومَن كَسَر جعَلَه استئنافَ كلامٍ من عيسى، والمعنى: كما أنا عبدُه فأنتم عبيدُه، وعَلَيَّ وعليكم أنْ نَعبدَه.

* * *

(٣٧) ـ ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ﴾؛ أي: اختلَفَ النَّصارى، ثم اتَّفقوا على أن يرجعوا إلى قولِ ثلاثةٍ من علمائهم كان عندهم أنَّهم أعلمُ زمانهم، وهم: يَعقوبُ ونَسْطُورُ ومَلْكَا، فقيل ليعقوبَ: ما تقولُ في عيسى؟ فقال: هو اللهُ هبطَ إلى الأرض ثم صعدَ إلى السَّماء، وقيل لنَسطور: ما تقولُ أنت؟ فقال: لم يكنِ اللهَ، ولكنْ ابنُ الله، أظهَرَه ما شاء ثم رفعه إلى عنده، وقيل لملكا: ما تقولُ أنت؟ فقال: كَذَبوا، وإنَّما كان[3] عبدًا مخلوقًا نبيًّا، فتَبع كلَّ واحدٍ منهم قومٌ فسُمُّوا باسمه: اليَعقوبيَّة والنَّسطوريَّة والملكانيَّة[4].

---

(١) قرأ نافع وابن كثير وأبي عمرو بفتح همزة (أن)، وقرأ باقي السبعة بكسرها. انظر: «السبعة» (ص: ٤١٠)، و«التيسير» (ص: ١٤٩).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٦٩٧)، واستغربه.

(٣) «كان»: من (ف).

(٤) تقدم التعريف بهذه الفرق في تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ﴾.

وقيل: كانوا أربعةً، والرَّابع اسمُه: إسرائيل، فقال: هو إلهٌ وأمُّه إلهٌ واللهُ إلهٌ، والثَّلاثةُ أقانيم، والرُّوح واحدٌ، فتَبِعه جماعةٌ[1].

وقوله: ﴿مِنۢ بَيۡنِهِمۡ﴾ قيل: تقديرُه: من بين النَّاس، وقيل: من بين أممِ عيسى.

وقيل: ﴿مِنۢ﴾ زيادةٌ.

وقيل: من البَيْنِ الذي معناه: البُعْدُ؛ أي: اختَلَفوا فيه لبُعْدهم عن الحقِّ[2].

﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: فشدَّةُ العذابِ لهم ﴿مِن مَّشۡهَدِ يَوۡمٍ عَظِيمٍ﴾: من حضورِ يومِ القيامة.

والمشهدُ مصدرٌ مضافٌ إلى المفعول؛ أي: مشهدِهم يومًا، ويجوزُ أن يكون مضافًا إلى الظَّرف؛ أي: مشهَدِه في يومٍ عظيمٍ، وهو أعظمُ يومٍ على الخلق.

* * *

(٣٨ ـ ٣٩) ـ ﴿أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ يَوۡمَ يَأۡتُونَنَا لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلۡيَوۡمَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٣٨﴾ وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ إِذۡ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ وَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾.

﴿أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ يَوۡمَ يَأۡتُونَنَا﴾ جمهورُ المفسِّرين على أنَّ هذا لفظُ أمرٍ معناه التَّعجُّبُ، والمجرورُ مرفوعُ المحلِّ بالفاعليَّة، والمعنى: هم في محلِّ مَن يُتعجَّبُ منه.

قتادةُ: أي: لئن كانوا في الدُّنيا صُمًّا عُميًا عن الحقِّ، فهم سُمَعاءُ للحقِّ بُصَراءُ حينَ لا ينفعُهم[3].

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٧٦٥) عن قتادة، ومن طريقه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٣٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤٠٩).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٦٩٧)، واستغربه.

(٣) روى نحوه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٧٦٦)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥٤٣)، ولفظ الطبري: «ذاك والله يوم القيامة، سمعوا حين لا ينفعهم السمع، وأبصروا حين لا ينفعهم البصر».

وقيل: معناه: أسمِعْهم وبَصِّرْهم اليومَ كيفَ يُصنَعُ بهم يومَ القيامة.

وقيل: معناه: أسمعِ النَّاسَ بهؤلاءِ الأنبياءِ وبصِّرْهم بهم؛ ليَعْرِفوهم فيُؤْمِنوا بهم[١].

والقولُ هو الأوَّلُ.

﴿لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٣٨ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾؛ أي: خوِّفْهم من ذلك اليوم ﴿إِذْ قُضِىَ﴾: فُرِغ من الحسابِ وأُدخلَ أهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ وأهلُ النَّارِ النَّارَ، وذُبِح الموت، فقد رُوي عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «يُجاءُ بالموتِ على صورةِ كبشٍ أَمْلَحَ، فيُوقَفُ بين الجنَّة والنَّار، فيقالُ: يا أهلَ الجنَّة، هل تعرفون هذا؟ فيَشرئبُّون وينظرون؛ فيقولون: نعم هذا الموت، فيُؤمَرُ به ويُذْبَح، فيقال: يا أهلَ الجنَّة خلودٌ فلا موتَ، ويا أهل النَّار خلودٌ فلا موتَ»، ثمَّ قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ﴾[٢] فأشارَ به إلى الدُّنيا ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

وقيل: قُضي الأمرُ الذي يَحلُّ بهم[٣].

ابنُ بحرٍ: إذا انْقَضى أمرُ الدُّنيا بإقامةِ القيامة[٤].

وقيل: ﴿قُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾: ذُبحَ الموتُ.

* * *

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٦٩٨)، واستغربه.

(٢) رواه البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٦٩٨)، واستغربه.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٦٩٨)، وعدَّه من العجائب.

(٤٠) ـ ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾.

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا ﴾؛ أي: نميتُهم فيَبْقَى الرَّبُّ سبحانه فيَرِثُهم، والوِراثة: مِلْكُ الشَّيء بوفاةِ مالِكِه.

﴿وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾: يُرَدُّون فنجازِيْهم جزاءً وفاقًا.

***

(٤١) ـ ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾.

﴿وَٱذْكُرْ﴾ لقومِكَ ﴿فِى ٱلْكِتَـٰبِ﴾: القرآنِ ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾: قصَّةَ إبراهيمَ مع أبيه ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا﴾: كثيرَ الصِّدقِ ﴿نَّبِيًّا﴾: رسولًا يُنبئُ عن الله.

***

(٤٢) ـ ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴾.

﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ ﴾ وهو يَعْبدُ الصَّنم: ﴿يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ ﴾ الدُّعاءَ ﴿وَلَا يُبْصِرُ﴾ العبادةَ ﴿وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا﴾: لا يدفعُ عنك مَضرَّةً ولا مكروهًا.

وقيل: لا يَدْفعُ عنك عذابَ الله.

***

(٤٣) ـ ﴿يَـٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴾.

﴿يَـٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ بالتَّفكُّر والاستدلالِ ﴿مَا لَمْ يَأْتِكَ ﴾.

قيل: مِن العلم أنَّ مَن عَبدَ غيرَ اللهِ عذَّبه اللهُ في النَّار.

وقيل: ﴿جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ ﴾: من الوحي ﴿مَا لَمْ يَأْتِكَ ﴾.

﴿فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا﴾: أبيِّنْ لكَ تلك الدَّلائل.

وقيل: أهدِكَ دينًا قِيَمًا يَرْضاه الله.

***

(٤٤) ـ ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا﴾.

﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَ﴾: لا تُطِعْه ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا﴾: عاصيًا.

قيل: ﴿كَانَ﴾ زيادةٌ، وقيل: معناه: صار، وقيل: معناه الدَّوام[١].

***

(٤٥) ـ ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا﴾.

﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾: إنْ أقَمْتَ على الشِّرك، والجمهورُ على أنَّ المعنى: أَعْلَمُ يقينًا أنْ يَمسَّك عذابٌ من الرَّحمن[٢].

وقيل: معناه: أخافُ أنْ لا تَقْبلَ منِّي نصيحتي فيعذِّبَك الله.

﴿فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا﴾: قرينًا في النَّار تَلِيهِ ويَلِيك.

وقيل: معناه: يتبرَّأُ الله منك.

***

(١) تقدم الكلام على ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا﴾، وقوله: ﴿مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا﴾.

(٢) ذكر ابن تيمية في «تأويل مشكل القرآن» (ص: ١٢١) أن خاف وخشي تأتي بمعنى: علم، قال: «لأن في الخشية والمخافة طرفاً من العلم».

(٤٦) ـ ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴾.

﴿ قَالَ ﴾ يعني: أبا ابراهيم ﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴾: استفهامُ إنكارٍ؛ أي: أترغَبُ عن عبادتها وتميلُ عنها؟!

﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ ﴾ عن مقالَتِكَ وأمري ونهيي ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ ﴾: لأعيبنَّك، وقيل: لأشتُمنَّك بمخالَفتِكَ لي، وقيل: لأقتلنَّك؛ كسائرِ ما في القرآن(١)، وقيل: لأَرْمِينَّك بالحجارة.

﴿وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴾: سالمًا صحيحًا؛ أي: تباعَدْ عني وعِرْضُكَ سالمٌ مِن عقوبتي.

وقيل: ﴿مَلِيًّا ﴾: عمرًا طويلًا.

السُّدِّيُّ: أبدًا(٢).

* * *

(٤٧) ـ ﴿ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴾.

﴿ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ﴾: سلِمْتَ منِّي لا أُصيبُكَ بمكروهٍ.

وقيل: أكرمَكَ اللهُ بالهدى.

وقيل: هو إيذانٌ بالهجران، كما تقول: سلَّمت على فلانٍ، و: كبَّرْتُ عليه.

﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴾؛ أي: لا أتركُ مجهودِي في تخليصِكَ، بل أسألُ الله توفيقَك.

الحسن: هذه صغيرةٌ من إبراهيم عليه السَّلام، ولهذا قال الله سبحانه: ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ ﴾ [الممتحنة: ٤](٣).

---

(١) تقدم ذكر هذه المعاني في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ ﴾.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٦٩٩)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٦٩٩)، وعدَّه من العجائب.

وقيل: أَستغفِرُ لك إنْ تُبْتَ وآمنتَ.

وقيل: وَعَدَه قبلَ أنْ نهاهُ ربُّه عن ذلك.

وقيل: كان يَستغفرُ له مادام أبوه حيًّا، فلمَّا مات كافرًا تَركَ الاستغفارَ له.

قوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾: بارًّا لطيفًا، وقيل: مُحْسِنًا، وقيل: عالمًا، وقيل: مُكْرِمًا، وقيل: ذو عنايةٍ.

* * *

(٤٨) ـ ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا﴾.

﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: الأصنامَ ﴿وَأَدْعُواْ رَبِّى﴾؛ أي: أتباعَدُ بدِيني وأتفرَّدُ بعبادةِ الله ﴿عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا﴾ كما شَقِيْتُم أنتم بعبادةِ الأصنام.

وقيل: يتقبَّلُ عبادتي ويُثيبُني، والشَّقاءُ بالدُّعاء: تركُ إجابةِ الدَّاعي.

* * *

(٤٩) ـ ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾.

﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ وذلك أنَّه لمّا خرج من بينِ ظَهْرانَي قومِه مهاجرًا وقصَد الشَّامَ أتى أوَّلًا حرَّانَ، وتزوَّجَ في طريقه سارةَ فولدَتْ له إسحاقَ، ووَهَبتْ له هاجَرَ فولدَتْ له إسماعيلَ.

﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾؛ أي: كلَّ واحدٍ منهما، وقيل: منهم.

* * *

(٥٠) ـ ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا﴾ المالَ والولدَ والنُّبوَّة ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾؛ أي: القولَ بالحكمة والخير، وسمِّي القولُ لسانًا لأنَّه باللِّسان يكون.

وقيل: الثَّناءَ الحسنَ والذِّكرَ الرَّفيعَ في كلِّ الأديان.

***

(٥١) ـ ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾.

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلِصاً﴾: مُسلِمًا موحِّدًا غيرَ مُراءٍ، و﴿مُخْلَصًا﴾ بالفتح(١): أَخْلَصه الله، ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾.

***

(٥٢) ـ ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾.

﴿وَنَادَيْنَاهُ﴾؛ أي: دعَوْناه وكلَّمناه ليلةَ الجمعة ﴿مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾ وهو: الجبلُ بين مصرَ ومَدْيَنَ، واسمُه زَبير.

و﴿الْأَيْمَنِ﴾: اليمين، والجمهورُ على أنَّ الأيمنَ يُمنَى موسى، وليس للجبل يمينٌ ولا شمالٌ، وإنَّما ذلك بالقياس إلى غيره ممَّا له يمينٌ ويسارٌ.

مقاتل: مِن يُمنى الجبل(٢). والأوَّلُ أصحُّ.

﴿وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾: تقريبَ تشريفٍ؛ أي: أكرَمْناه بمناجاتنا إيَّاه.

---

(١) قرأ حمزة والكسائي وعاصم: ﴿مُخْلَصًا﴾ بفتح اللام، والباقون بكسرها. انظر: «السبعة» (ص: ٤١٠)، و«التيسير» (ص: ١٤٩).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٣٥) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ﴾ [طه: ٨٠] وعبارته: «يعني حين سار موسى مع السبعين عن يمين الجبل فأعطي التوراة».
وهذا القول ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٦٩٩)، وعدَّه من العجائب.

عطاءٌ: قرَّبه حتَّى سمع صريرَ القلم(١).

وفي روايةٍ أخرى: صريفَ القلم الذي كُتِبَ به التَّوراة(٢).

وقيل: رُفع من سماءٍ إلى سماءٍ، ومِن حجابٍ إلى حجابٍ، حتَّى لم يكن بينه وبينه إلَّا حجابٌ واحدٌ، حكاه الثَّعلبيّ(٣).

و﴿نَجِيًّا﴾ من النَّجوى؛ أي: مُناجيًا، وقيل: من النَّجوة، وهو(٤) الارتفاعُ.

* * *

(٥٣) ـ ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا﴾.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا﴾؛ أي: أجبنا دعاءه في طَلِبتِه حيث قال: ﴿وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي﴾ [طه: ٢٩ ـ ٣٠].

* * *

(٥٤) ـ ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾.

﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ كان إذا وَعَدَ أنجزَ، وذكر المفسِّرون أنَّه وعد رجلًا أن يقومَ مقامه حتَّى يرجع إليه، فقام إسماعيلُ

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣١٨٤٥)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥٥٩)، والنحاس في «معاني القرآن» (٤/ ٣٣٧) عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» (٣/ ٣٣٣)، والماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٣٧٦) بلا نسبة.

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٧/ ٣٩٣).

(٤) في (ف): «وهي».

مكانه ثلاثة أيَّامٍ[1]، وفي رواية الكلبيِّ: انتظره حتّى حال عليه الحول[2].

ومعنى ﴿صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾: يَصْدُقُ إذا وَعَد ويَفِي إذا ضَمِن.

أبو عُبيدٍ: ﴿صَادِقَ﴾ بمعنى: مصدوقٍ؛ أي: كان مصدوقَ الوعد[3].

* * *

(٥٥) ـ ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا﴾.

﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ﴾: أمَّته ﴿بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا﴾: صالحًا زكيًّا.

* * *

(٥٦) ـ ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾.

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ﴾ وهو جدُّ أبي نوحٍ واسمُه أَخْنُوخُ، وقيل: إلياسُ، وسمِّي

---

(١) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٣٧٧)، والثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٣٩٦) عن مقاتل، وانظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٦٣١)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥٦١) عن سهل بن عقيل بنحوه، ولفظه: «إن إسماعيل عليه السلام وعد رجلًا مكانًا أن يأتيه، فجاء ونسي الرجل، فظل به إسماعيل، وبات حتى جاء الرجل من الغد، فقال: ما برحت من هاهنا؟ قال: لا، قال: إني نسيت، قال: لم أكن لأبرح حتى تأتي، فبذلك كان صادقًا».

(٢) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٣٧٧)، والثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٣٩٦)، وروى نحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤١١) عن سفيان الثوري. وفيه نظر، فكيف لنبي من أنبياء الله حامل لتكاليف النبوة أن يضيع سنة كاملة في انتظار رجل مخلف لوعده؟! وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٦٩٩)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٦٩٩) واستغربه، ونسب فيه لأبي عبيدة، وكذا نسب إليه في «الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد» للمنتجب الهمداني (٤/ ٣٧٢).

إدريسَ لكثرةِ دَرْسه، وكان خيَّاطًا، وهو أوَّلُ مَن خاط الثِّيابَ ولَبِسَ المَخِيط، وكانوا يَلبسون قبل ذلك الجلودَ، وأوَّلُ مَن خَطَّ[١].

وقيل: هو أوَّلُ مَن نظر في النُّجوم والحساب[٢].

﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾: أنزل الله عليه ثلاثينَ صحيفةً.

* * *

(٥٧) ـ ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾.

﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ قيل: هو الرُّتبةُ والنُّبوَّةُ والمنزِلة، وقيل: ﴿مَكَانًا عَلِيًّا﴾ الجنَّةُ وهو فيها، وقيل: هو السَّماء الرَّابعة وفيها مات[٣]، وقيل: السَّادسة[٤]، والله أعلم.

* * *

(٥٨) ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩﴾.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ بالنُّبـوَّة ﴿مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾؛

---

(١) ذكره العسكري في «الأوائل» (ص: ٤٢٣)، والثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٣٩٨)، ومكي في «الهداية» (٧/ ٤٥٥٥)، والجرجاني في «درج الدرر» (٣/ ١١٧٨).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٣٩٨)، والجرجاني في «درج الدرر» (٣/ ١١٧٨)، وأبو حيان في «البحر المحيط» (٧/ ٢٧٦) وزاد: «وجعله الله في معجزاته». وذكر الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٣٧٨) أنه أول من أعطى النبوة من ولد آدم، وأول من اتخذ السلاح وجاهد في سبيل الله وسبى، وأول من وضع الأوزان والكيول.

(٣) كونه في السماء الرابعة ورد في حديث الإسراء الطويل، رواه البخاري (٣٢٠٧) و(٣٨٨٧) من حديث أنس عن مالك بن صعصة، ومسلم (١٦٢) من حديث أنس، وليس في شيء من هذه الروايات أنه مات بها.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥٦٤) عن ابن عباس والضحاك، وخبر ابن عباس إسناده ضعيف.

أي: ومن ذرِّيَّة مَن حَمَلْنا مع نوحٍ، وإدريسُ لم يكن ممَّن حُمِل مع نوحٍ.

﴿وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ يعني: إسحاقَ وإسماعيلَ ﴿وَإِسْرَائِيلَ﴾؛ أي: ومن ذرِّيَّة يعقوبَ؛ يعني: موسى وهارون، وفيهم كثرةٌ.

﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا﴾ إلى دِيننا ﴿وَاجْتَبَيْنَا﴾ مِن بينِ النَّاس؛ يعني: المؤمنين ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ﴾: إذا تُليتْ عليهم كتبُ اللهِ المنزَلةُ ﴿خَرُّوا سُجَّدًا﴾: سَقَطوا لوجوههم ساجِدين تعظيمًا لله ولكلامه ﴿وَبُكِيًّا﴾؛ أي: وباكين خوفًا منه وطمعًا.

وقيل: وبكَوا بُكيًا، وهو مصدرٌ.

***

(٥٩) ـ ﴿ ۞ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾.

﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾؛ أي: جاء بعدَهم قومٌ لا خيرَ فيهم، و﴿خَلْفٌ﴾ إذا أضَفْتَه سكَّنْتَ اللَّام تقول: خَلْفُ صدقٍ وخَلْفُ سوءٍ، وإذا لم تُضِفْ سكَّنْتَه في الشرِّ وفتَحْتَه في الخير[١].

﴿أَضَاعُوا الصَّلَاةَ﴾: لم يعتقِدوا وجوبَها؛ لقوله: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ﴾ [مريم: ٦٠] فدلَّ على كفرهم. وقيل: تَركوها ولم يحافِظوا عليها.

---

(١) الأشهر عند أهل اللغة أنَّ التحريك للمدح والتسكين للزم؛ أُضيفا أو لم يُضافا، وقيل: هما لغتان، وقيل: التحريك في المدح والذم والتسكين في الذم فقط، ولم يجز التسكين في المدح إلا الفراء وأبا عبيدة، والظاهر من كلام أئمة اللغة أنك إذا أضفته فتحت اللام؛ للاتفاق على جواز الفتح في المدح والذم، ولم أقف على من ذكر مثل قول المصنف عند الإضافة، والله أعلم. انظر: «معاني القرآن» (١/ ٣٩٩)، وللأخفش (١/ ٣٤١)، و«إصلاح المنطق» (ص: ٥٦)، و«تفسير الطبري» (١٠/ ٥٣٤)، و«معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٣٣٥) و«تصحيح التصحيح» لابن درستويه (ص: ٣٧٧)، و«معجم ديوان الأدب» للفارابي (١/ ١١٩)، و«غريب الحديث» للخطابي (١/ ٥٤) و«درة الغواص» للحريري (ص: ١٩٠)، و«البحر المحيط» (٥/ ٢١٠ و٢١٥).

وعن جماعةٍ: أخَّروها عن مواقيتِها.

﴿وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾: الزِّنى، وقيل: ارتكابَ المعاصي.

﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ أبو عبيدٍ: ضلالًا[١]، وأنشد:

وَمَـن يَغْـوِ لا يَعْدَمْ علـى الغَـيِّ لائما[٢]

الحسن: عذابًا طويلًا[٣].

ابن عبَّاسٍ: شرًّا[٤].

وقيل: الغَيُّ: اسمُ وادٍ في النَّار، أشدُّها حرًّا وأبعدُها قَعْرًا، فيه بئرٌ يقالُ لها: الهَبْهَبُ.

الزَّجَّاج: أي: جزاءَ غَيِّهم[٥].

وقيل: اسمُ نهرٍ في النَّار.

وقيل: آبارٌ في جهنَّم يسيلُ إليها الصَّديدُ والقَيْحُ.

***

---

(١) ذكره عنه ابن سيده في «المخصص» (٤/ ٥٠) مع البيت الآتي.

(٢) عجز بيت للمرقش الأصغر، وصدره:

فمَـن يَلْـقَ خـيراً يَحمـدِ النـاسُ أمـرَه

انظر: «المفضليات» (ص: ٢٤٧)، و«إصلاح المنطق» (ص: ١٥١)، و«الشعر والشعراء» (١/ ٢١٠).

(٣) في (ف): «شديدًا». ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٢٠٦)، واقتصر على قوله: «عذابًا».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥٧٣).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٣٣٦).

(٦٠) ـ ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾.

﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾؛ أي: رجع عن ذنبه وآمَنَ بلسانه وقلبه ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ جاز أن يكون مصدرًا، وجاز أن يكون مفعولًا به[1].

* * *

(٦١) ـ ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا﴾.

﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾ بدلٌ من ﴿ٱلْجَنَّةَ﴾، وقيل: نصبٌ على المدح، و﴿عَدْنٍ﴾؛ بمعنى: إقامةٍ، وقد سَبَق[2].

ومعنى: ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾؛ أي: هم في الدُّنيا والموعودُ في حالِ غَيبةٍ عنهم.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا﴾ قيل: بمعنى: آتٍ[3]، وقيل: ذو إتيانٍ، وقيل: إتيانُها: المصير إليها.

* * *

(٦٢) ـ ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾.

﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾: فُحشًا وكذبًا وسبًّا، واللَّغْوُ: ما لا خيرَ فيه من الكلام.

وقيل: لا يسمعون كلامًا لا معنًى له.

﴿إِلَّا سَلَٰمًا﴾ الجمهورُ على أنَّه استثناءٌ منقطعٌ، وتقديره: لكنْ يَسمعون سلامًا.

---

(١) المصدر على معنى: لا يظلمون أيَّ ظلمٍ ولو كان يسيراً، والمفعول على معنى: لا يُبخسون من جزاء أعمالهم شيئاً.

(٢) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ [التوبة: ٧٢].

(٣) هذا قول ابن قتيبة. انظر: «غريب القرآن» له (ص: ٢٧٤)، وأنكره النحاس في «معاني القرآن» (٤/ ٣٤٢)، وقال: «الضعيف في العربية يقول: مفعول بمعنى: فاعل».

ويحتمِلُ أنَّ التَّقدير: لا يسمعون قولًا لغوًا إلّا قولًا سلامًا.

ومعنى ﴿سَلَٰمًا﴾: يَسْلَمون معه من الأحزان.

الزَّجَّاج: السَّلام: اسمٌ جامعٌ للخير(١).

وقيل: لا يسمعون إلَّا ما يؤدِّي إلى السَّلامة.

﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾؛ أي: على قياسِ أهل الدُّنيا ومقدارِ أوقاتها.

وقيل: لأنَّ العرب كانت في زمانها مَن وَجَد غداءً مع عشاءٍ فذلك هو النَّاعم.

ويحتمِلُ أنَّ البُكرةَ والعَشِيَّ كنايةٌ عن الدَّوام(٢).

وليس في الجنَّة ليلٌ، وجاء في التَّفسير: ليس في الجنَّة ليلٌ، ولهم مقدارُ اللَّيل بإرخاء الحُجُب ومقدارُ النَّهار برفعِ الحُجُب(٣).

وقيل: يَخدمُهم باللَّيل الجواري وبالنَّهار الغلمانُ، فذلك آيةُ اللَّيل والنَّهار(٤).

***

(٦٣) - ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾.

﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾؛ أي: تلك الجنَّةُ التي وُصِفَتْ هي

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٣٣٧).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٠٢)، واستغربه.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥٧٦) عن زهير بن محمد، ولفظه: «ليس في الجنة ليل، هم في نور أبدًا، ولهم مقدار الليل والنهار، يعرفون مقدار الليل بإرخاء الحجب وإغلاق الأبواب، ويعرفون مقدار النهار برفع الحجب وفتح الأبواب».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٠٢)، واستغربه.

التي يُعْطَى المتَّقون، والوراثةُ أقوى لفظةٍ تُستعمَلُ في هذا الباب، لا تُعْقَبُ[١] بفسخٍ ونقضٍ واسترجاعٍ.

وقيل: المؤمنون يَرِثونها من الكفَّار؛ فإنَّ الله قد خَلَق لكلِّ مكلَّفٍ قصرًا في الجنَّة، فمَن آمَن سكَن قصرَه، ومَن كفَر جُعِل قصرُه لمؤمنٍ زيادةً في درجته وكرامته.

* * *

(٦٤) ـ ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾.

﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴾ عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: قال رسول الله ﷺ لجبريل: «ما يمنعُكَ أن تزورَنا أكثرَ ممَّا تزورُنا؟» قال: فنزل: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴾ الآية[٢].

وقال مجاهدٌ: أبطأَ الملَكُ على رسول ﷺ، ثمَّ أتى فقال: «لعلِّي أبطأتُ؟ فقال: قد فَعَلْتَ، قال: ولِمَ لا أفعلُ وأنتم لا تتسوَّكون ولا تقصُّون أظفارَكم ولا تُنَقُّون براجمَكم؟ قال: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴾»[٣].

---

(١) في (ن): «يعقب».

(٢) رواه البخاري (٣٢١٨).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤١٤)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٤١٦).
وله شاهد مرفوع رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢١٨١)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٢٢٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ، أنه قيل له: يا رسول الله، لقد أبطأ عنك جبريل عليه السلام، فقال: «ولم لا يبطئ عني، وأنتم حولي لا تستنون، ولا تقلمون أظفاركم، ولا تقصون شواربكم، ولا تنقون رواجبكم؟». قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ١٦٧): «رواه أحمد والطبراني وفيه أبو كعب مولى ابن عباس قال أبو حاتم: لا يعرف إلا في هذا الحديث. ورجاله ثقات».

وقال عكرمةُ والضَّحَّاك وقتادةُ ومقاتلٌ والكلبيُّ: احتَبَس جبريل عليه السَّلام عن النَّبيِّ ﷺ حين سأله قومُه عن أصحاب الكهف وذي القَرنين والرُّوح ولم يَدْرِ ما يُجيبهم، ورجا أن يأتيَه جبريلُ بجوابِ ما سألوه، فأبطأَ عليه فشَقَّ على رسول الله مشقَّةً شديدةً، ولمّا نزل جبريلُ قال: «أبطأتَ عليَّ حتَّى ساء ظنِّي واشتقتُ إليك»، فقال جبريلُ عليه السَّلام: إنِّي كنتُ أَشْوَقَ إليكَ ولكنِّي عبدٌ مأمورٌ إذا بُعِثْتُ نزلت، وإذا حُبِسْتُ احتبَسْتُ، فأنزل الله: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾[1]؛ أي: قُلْ يا جبريلُ لمحمَّدٍ: إنِّي لا أنزل إلَّا إذا أُمرت بالنُّزول.

﴿لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾: ما سيكونُ ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾: ما كان ﴿وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾: وما في الحالِ ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾؛ أي: لم يَنْسَكَ ربُّك.

وقيل: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾: أمرُ الآخرة، ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾: أمرُ الدُّنيا، ﴿وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾: ما بين النَّفختين.

وقيل: ﴿وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾: ما يكونُ من هذا الوقت إلى يوم القيامة.

وقيل: المراد به الأزمانُ، وقيل: الأزمانُ والأماكنُ والأجسام.

ابنُ بحرٍ خالَفَ الجمهور فقال: هذا من كلامِ أهل الجنَّة بعضِهم لبعضٍ إذا دخلوها، وهي متَّصلةٌ بالآية الأولى إلى قوله: ﴿وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾، ثمَّ استأنف فقال: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾[2].

---

(١) ذكره عنهم الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٤١٧)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٠١).
والذي في الصحيح في سبب النزول ما رواه البخاري (٣٢١٨) عن ابن عباسٍ رضي اللهُ عنهما، قال: قال رسولُ الله ﷺ لجبريل: «ألا تزورُنا أكثرَ ممَّا تزورُنا؟»، قال: فنزلت: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا﴾ الآيَة.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٠٢)، وعدَّه من الغريب العجيب.

(٦٥) ـ ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾.

﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾؛ أي: على عبادته ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ قيل: مِثْلًا، وقيل: أحدًا يُسمَّى الله.

وقيل: أحدًا يُسمَّى الرَّحمن.

وقيل: أحدًا يستحقُّ أن يُسمَّى إلهًا.

وقيل: أحدًا يستحقُّ أن يوصَفَ بصفات الله.

* * *

(٦٦) ـ ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾.

﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ في سبب النُّزول: قال الكلبيُّ: نزلت في أبيِّ بنِ خلفٍ حينَ أخذ عظامًا باليةً ففتَّتها بيده وقال: يَزْعُم محمَّدٌ لكم أنَّا نُبعَثُ بعدما نموت(١).

أي: يقول الإنسان ـ يعني: أبيًّا ـ: ﴿أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾؛ أي: يقال لي: واللهِ لسوفَ أُخرج من التُّراب بعدَ الموتِ والبِلَى حيًّا، قاله استبعادًا للبعث وإنكارًا.

* * *

(٦٧) ـ ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾.

﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ يعني: أبيًّا ﴿أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾ فيعرفَ ببديهةِ العقل أنَّ مَن قَدَر على الإنشاء قَدَر على الإعادة؛ فمَن قرأ بالتَّخفيف فهو من الذِّكر،

---

(١) ذكره عن الكلبي الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٠١)، وعزاه في «البسيط» (١٤/ ٢٨٤) لرواية أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما. وهي من طريق الكلبي عن أبي صالح. والكلبي متروك.

والذَّاكرُ للشَّيء عارفٌ به في الحال، ومَن شدَّد[١] فمِن التَّذكُّر، وهو التَّدبُّر والتَّفكُّر، وقولُه: ﴿وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ دليلٌ على أنَّ المعدوم ليس بشيءٍ[٢].

* * *

(٦٨) ـ ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾.

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ﴾ أقسَمَ اللهُ بذاته فقال: ﴿لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾؛ أي: لنجمعنَّهم في المَعَاد؛ يعني: المشركين المنكِرين للبعث، ﴿وَالشَّيَاطِينَ﴾ يعني: قرناءَهم الذين أضلُّوهم، يُقْرَنُ كلُّ كافرٍ بشيطانٍ في سلسلةٍ، والواوُ بمعنى: (مع).

﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ﴾؛ أي: في جهنَّم، ويقال: إذا حضَروا جهنَّم حُبِسوا حولها وأَحْدَقوا[٣] بها ﴿جِثِيًّا﴾: على رُكبهم حتى يُدفعوا فيها الأوَّلُ فالأوَّلُ.

ويقال: ﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ﴾: ثم لنُدخلنَّهم.

مقاتلٌ: ﴿جِثِيًّا﴾: جميعًا[٤].

وقيل: جماعاتٍ جماعاتٍ؛ جمعُ جُثْوةٍ، وقيل: جمعُ جاثٍ؛ أي: جاثيةً على ركبهم.

* * *

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي: (يذَّكَّرُ) بتشديد الذال والكاف، والباقون مخففًا. انظر: «السبعة» (ص: ٤١٠)، و«التيسير» (ص: ١٤٩).

(٢) هذا ردٌّ على المعتزلة الذين يقولون: إن المعدوم شيء، وإليه ذهب السمعاني. انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٨/ ٧٠٠ ـ ٧٠١)، و«لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ٤٢١)، و«تفسير السمعاني»، و«الكشاف» للزمخشري (٣/ ٧).

(٣) في (ف): «فأحدقوا».

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٦٣٤).

(٦٩) ـ ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا﴾.

﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ﴾: لنُخرِجنَّ من كلِّ أمَّةٍ وأهلِ دينٍ ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا﴾: جراءةً، وقيل: ذنبًا، وقيل: كذبًا وفجورًا، وقيل: غُلُوًّا في الكفر؛ أي: قائدَهم ورئيسَهم، والمعنى: نبدأُ بالأكابر فالأكابرِ جُرْمًا.

وفي رفعِ ﴿أَيُّهُمْ﴾ أقوالٌ:

قال سيبويه: هو مبنيٌّ هاهنا.

وقال الخليل: رفعٌ على الحكاية؛ أي: لننزعنَّ الذي يقالُ له لعُتوِّه: ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ﴾.

يونس: النَّزع من الأفعال التي تعلَّقُ وتُلْغى[1]، وفيه وجوهٌ أُخَرُ ضعيفةٌ.

* * *

(٧٠) ـ ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا﴾.

﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا﴾؛ أي: نحن أعلمُ أنَّ الذين هم أشدُّ عتيًّا هم أولى بها ﴿صِلِيًّا﴾ قيل: دخولًا، وقيل: لزومًا.

* * *

(٧١) ـ ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾.

﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنَّ الورودَ هو الدُّخول، واستَدلَّ القائلُ بقوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ﴾ [هود: ٩٨]، وبقوله: ﴿أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾

---

(١) انظر: «الكتاب» (٢/ ٣٩٩ ـ ٤٠١)، و«معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٣٣٩)، و«البسيط» للواحدي (١٤/ ٢٩٠)، أمّا المصنف فذكر في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٠٤) أن في رفع ﴿أَيُّهُمْ﴾ سبعة وجوه، وقال بعد نقله لكلام سيبويه: «وخالف سيبويه في هذا جمهور النحاة».

[الأنبياء: ٩٨]، وبقوله: ﴿لَوۡ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةٗ مَّا وَرَدُوهَا﴾ [الأنبياء: ٩٩]، وبقوله عقيبه: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الآية [مريم: ٧٢]، وقال: المتَّقون يجتازون بها كالبرقِ الخاطفِ تَحِلَّةً للقسم، فتكون عليهم بردًا وسلامًا[1].

والثَّاني: أنَّ الورودَ الوصولُ دونَ الدُّخولِ؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ﴾ [القصص: ٢٣]، قال: وورودهم: إشرافُهم عليها وحصولُهم حواليها.

مجاهدٌ: هو الحمَّى والأمراضُ تأخُذُ المؤمن[2].

وقيل: ﴿وَارِدُهَا﴾ يعود إلى القيامة، حكاه أبو جعفرٍ النَّحّاس[3].

﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا﴾: قطعًا جزمًا ﴿مَّقۡضِيّٗا﴾: قضاءً من الله، بتَّ الحكمَ به فلا محيصَ عنه ألبتَّة، وقيل: قسمٌ أَقْسَمَ الله به.

***

(١) روى البخاري (١٢٥١) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد، فيَلِجَ النار، إلا تحلة القسم» قال البخاري: ﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَا﴾.

وما رواه الترمذي (٣١٥٩) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يرد الناس النار ثم يصدرون منها بأعمالهم، فأولهم كلمح البرق، ثم كالريح، ثم كحضر الفرس، ثم كالراكب في رحله، ثم كشد الرجل، ثم كمشيه»، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن، ورواه شعبة عن السدي، فلم يرفعه».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥٩٣) بلفظ: «الحمى حظ كل مؤمن من النار، ثم قرأ: ﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَا﴾»، ويشهد له ما روى البخاري (٣٢٦٣)، ومسلم (٢٢١٠) عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ: «الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء».

وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٠٥)، واستغربه.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للنحاس (٤/ ٣٤٩)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٠٥)، واستغربه.

(٧٢) - ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾.

﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا﴾ في مسيرهم على الصِّراط من الوقوع فيها والتَّأذِّي بحرِّها، ومَن دَخلَ الصِّراطَ فقد دخَل النَّار ﴿وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا﴾: ونتركُ الكفَّارَ في النَّار ﴿جِثِيًّا﴾: جميعًا ساقطين على ركبهم.

ابن زيدٍ: الجُثِيُّ: شرُّ الجلوس(١).

* * *

(٧٣) - ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾.

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾ يعني: القرآنَ ﴿بَيِّنَاتٍ﴾: واضحاتِ الدَّلائل، وفيها ذكرُ المؤمنين، وأنَّ اللهَ وليُّهم وناصرُهم ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ تكذيبًا للقرآن: ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ﴾: المؤمنينِ والكافرين ﴿خَيْرٌ مَّقَامًا﴾: مَنزِلًا وحالًا ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾: أَزْيَنُ مجلسًا ومكانًا، والنَّديُّ والنَّادي: المجلسُ الذي يَجمع القومَ لحادثةٍ أو مَشُورةٍ.

وقيل: النَّديُّ: مجلسُ أهلِ النَّدى، وهو الكَرَم، وذلك أنَّ مشركي قريشٍ كانوا أصحابَ مالٍ وزينةٍ من الدُّنيا، وكان المؤمنون أصحابَ فقرٍ وفاقةٍ.

النَّقَّاش: نزلت في النَّضْر بن الحارث(٢).

وقيل: أيُّ الفريقين منَّا ومنكم أوسعُ عيشًا، وأنعَمُ بالًا، وأحسنُ مَسكنًا، وأجمعُ عددًا، يريدون: في الدُّنيا؛ أي: كثرةُ أموالنا وحُسنُ أحوالنا في الدُّنيا(٣) دليلٌ على حُسْنِ حالنا عند الله، وعلى أنَّنا خيرٌ منكم.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٦٠٧).

(٢) وذكره مقاتل في «تفسيره» (٢/ ٦٣٦) وغيره.

(٣) «في الدنيا» من (ف).

ومعنى الآية: أنَّ الله يقولُ: إذا أنزلنا آيةً فيها دلائلُ أعرَضوا عن التَّدبُّر فيها إلى الافتخارِ والمكاثَرةِ بالثَّروةِ والمال وحُسنِ المنزل والحال.

***

(٧٤) ـ ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا﴾.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا﴾ أجابهم الله أنَّه قد أهلكَ أسلافهم، وكانوا في الدُّنيا أكثرَ نعمةً وأوفرَ زينةً، فلم يَنْفَعْهم ذلك من الله ولم يقرِّبْهم من رحمته والنَّجاةِ من عذابه.

والأَثاثُ: ما يَتمتَّعُ الإنسانُ به في بيته من أداةٍ لا غِنَى عنها، مشتقٌّ من الأَثِيث[1]، وهو الكثير.

وقيل: ﴿أَثَٰثًا﴾: جهازًا.

وقوله: ﴿وَرِءْيًا﴾: منظرًا.

قال أبو عليٍّ: الرِّئْيُ المفعولُ، والرَّئْيُ المصدر، كالطِّحْن والطَّحين، والذِّبْح والذَّبيح[2].

وقرئ بالتَّشديد[3]، فهو مخفَّفٌ من المهموز، ويجوزُ أن يكونَ من الرِّيِّ، وهو الارْتِواءُ ونضارةُ الوجهِ وبَرِيقُه.

وقرئ في الشَّواذِّ: (وزِيًّا) بالزَّاي[4]؛ أي: زينةً، من قولِ العرب: زَيَّيْتُ الشَّيء؛ إذا زيَّنتَه، والزِّيُّ: ما حَسُنَ وظهرَ من الإنسان.

---

(١) انظر: «العين» مادة: (أ ث ث) (٨/ ٢٥٣)، و«الكنز اللغوي» لابن السكيت (ص: ١٧١).

(٢) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٥/ ٢١٠).

(٣) أي: بالتشديد بلا همز، قرأ بها ابن ذكوان وقالون. انظر: «السبعة» (ص: ٤١١)، و«التيسير» (ص: ١٤٩).

(٤) نسبت لسعيد بن جبير. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٨٩)، و«المحتسب» (٢/ ٤٣ ـ ٤٤).

(٧٥) ـ ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾.

﴿قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾؛ أي: مَن كان في الكفر مَدَّه الله في كفره ومتَّعه بطولِ عمرِه؛ ليزدادَ طغيانًا وضلالًا.

وقيل: معناه: زادَه اللهُ ضلالًا(١).

وقيل: معناه: فلْيَعِشْ ما شاء فإنَّ مَصيرَه إلى النَّار(٢).

المبرِّد: أي: قل: فإنِّي أدعو له بالبقاءِ لعلَّه يؤمن، وهذا قبلَ أنْ أُمِر بالقتال.

مجاهدٌ: نمدُّ لهم في العمر ليُقْلِعوا، فإنْ أصرُّوا فلهم العذابُ(٣).

وقوله: ﴿فَلْيَمْدُدْ﴾ الصِّيغةُ صيغةُ الأمر والمعنى الخبرُ، وقيل: هو دعاءٌ وأمرٌ، على ما سبق للمبرِّد.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ﴾ من الجزاءِ على كفرهم، ثمَّ فصَّل فقال: ﴿إِمَّا ٱلْعَذَابَ﴾؛ أي: في الدُّنيا بالسَّيف وسائرِ أنواع الهلاك، ﴿وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ﴾ يعني: القيامةَ، فهما بدَلان من ﴿مَا يُوعَدُونَ﴾.

﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾: منزلًا، هذا جوابٌ لهم على قولهم: ﴿أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا﴾.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٠٥)، واستغربه، واستغرب أيضًا قول المبرد الآتي.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٠٥)، وعدَّه من العجائب.

(٣) لم أجده هكذا، وروى الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٦١٥) من طريق ابن أبي نجيح وابن جريج عن مجاهد قال: «فليدعه الله في طغيانه». وهكذا ورد في «تفسير مجاهد» (ص: ٤٥٨) من طريق ابن أبي نجيح عنه، وكذا في «تفسير يحيى بن سلام» (١/ ٢٤٠) من طريق ابن مجاهد عن أبيه.

﴿وَأَضْعَفُ جُندًا﴾: أقلُّ فئةً، وقيل: أنصارًا، أهم أم المؤمنون؟!

***

(٧٦) ـ ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾.

﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى﴾؛ أي: يزيدُ المؤمنين نصرةً وتوفيقًا ورشدًا.

﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ قيل: الصَّلواتُ الخمسُ، وقيل: هي الطَّاعاتُ، وقيل: أداءُ الفرائضِ، وقيل: «سبحانَ اللهِ، والحمدُ للهِ، ولا إلهَ إلَّا اللهُ، واللهُ أكبرُ، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا باللهِ العَلِيِّ العظيم»، وهي الباقياتُ؛ لأنَّها يبقَى ثوابُها أبدًا.

﴿خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾ يعني: أفضلُ ثوابًا، أي: خيرٌ ممَّا فيه الكفَّارُ من المال وحُسنِ الحال ﴿وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾: مرجِعًا، وقيل: منقلَبًا، وقيل: ﴿مَّرَدًّا﴾: زكاءً وثمرةً.

ابن عيسى: خيرٌ نعيمًا تَردُّه الباقياتُ الصَّالحاتُ على صاحبها بَدَلَها، فيجدُه في نفسه.

وقيل: ﴿مَّرَدًّا﴾: عاقبةً ومرجعًا.

***

(٧٧) ـ ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾.

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ في سبب النُّزول: عن خبَّاب بنِ الأرتِّ قال: كان لي دينٌ على العاصِ بن وائلٍ، فأتَيْتُه أتقاضاه، فقال العاصُ: لا واللهِ حتَّى تكفُرَ بمحمَّدٍ، قلتُ: لا واللهِ لا أكفُرُ بمحمَّدٍ حتّى تموتَ ثم تُبْعَثَ، فقال: فإنِّي إذا ما متُّ ثم بُعِثْتُ جِئتَني، فيكونُ لي ثَمَّ مالٌ وولدٌ فأعطيك ـ وفي روايةٍ: لئن كان ما تقولُ حقًّا إنِّي لأفضلُ منها نصيبًا منك ـ فأنزل الله تعالى هذه الآية(١).

---

(١) رواه بنحوه البخاري (٢٠٩١)، ومسلم (٢٧٩٥)، من حديث خباب رضي الله عنه.

الحسن: نزلت في الوليد بن المغيرة[١].

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ استفهامُ تعجيبٍ.

﴿وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾؛ أي: في الآخرة، ذكرَ على وجهِ الاستهزاءِ والإنكار للجزاء.

وقيل: أراد: في الدُّنيا، والمعنى: أَقَمْتُ على دينِ آبائي وعبادةِ آلهتي، فآتاني مالًا وولدًا في الدُّنيا.

وقيل: معناه: لو كنتُ على باطلٍ ما أُوتِيْتُ مالًا وولدًا في الدُّنيا.

وقيل: معناه: أَنَظَرَ في اللَّوح المحفوظ[٢]؟!

الوَلَدُ: المولودُ، كالقَبَضِ بمعنى المقبوض، يقعُ على الواحدِ والجمع، والوُلْدُ لغةٌ فيه كالبَخَل والبُخْل، وقيل: هو جمعُ الوَلَد كأُسْدٍ وأَسَدٍ[٣].

الأخفشُ: الولدُ: الابن والابنة، والوُلْد: هم الأهلُ والولد[٤].

* * *

(٧٨) ـ ﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾.

﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ﴾: أَعَلِمَ عِلْمَ الغيبِ حتَّى يَعلَمَ أفي الجنَّة هو أم لا؟!

---

(١) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٧/ ٢٥٦)، والماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٣٨٧)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٤/ ٣٠).

(٢) كذا جاءت هذه العبارة في هذا الموضع في النسختين الخطيتين، وهي مروية عن ابن عباس والكلبي في تفسير الآية الآتية، وهي ﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ﴾. انظر: «تفسير الثعلبي» (١٧/ ٤٥١)، و«البسيط» للواحدي (١٤/ ٣١٢)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٥١).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٠٦)، وعدَّه من العجائب.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٠٦)، وعدَّه من العجائب.

والطُّلوع: ظهورُ الشَّيء وخروجُه عن الخَفَاء.

﴿أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ يعني: أم قال: لا إلهَ إلَّا اللهُ.

وقيل: ﴿عَهْدًا﴾[1]: عملًا صالحًا قدَّمه؟!

وقيل: أعَهِدَ اللهُ إليه أنَّه يُدخلُه الجنَّة[2]؟!

* * *

(٧٩) ـ ﴿كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾.

﴿كَلَّا﴾ ردٌّ عليه؛ أي: لم يَفْعَلْ ذلك.

و﴿كَلَّا﴾ في القرآنِ على وجهين:

أحدهما: أنْ يكونَ ردًّا للكلام الأوَّل ونفيًا، كما في هذه السُّورة وسورةِ (عبس) وغيرِهما.

والثَّاني: بمعنى: حقًّا.

وإنْ حملتَ الكلَّ على النَّفي لا يَبْعُدُ، فيصيرُ كقوله: ﴿لَا أُقْسِمُ﴾ [القيامة: ١].

﴿سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾: سنَحْفَظُ عليه ما يقولُه فنجازيه به في الآخرة.

﴿وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾: نَزيدُه عذابًا فوقَ العذاب.

* * *

(٨٠) ـ ﴿وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾.

﴿وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ﴾؛ أي: يموتُ ونَرِثُه مالَه وولدَه ﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ في القيامةِ لا

---

(١) في (ن): «أعهد عهداً».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٠٦)، واستغربه.

يَصْحَبُه شيءٌ، وتقديره: نرثُه ما يقول: إنَّه في الدّنيا يَملكُه، ويُعطَى في الآخرة مِثْلَه.

وقيل: نَسْلبُه ما عنده من المال(١).

* * *

(٨١) ـ ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾.

﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾ أي: عبدَ الكفَّار الأصنامَ والشَّياطين والملائكةَ وعيسى؛ ليتعزَّزوا في الدُّنيا، ويَصيروا إلى العزِّ الدَّائم في العُقْبى.

* * *

(٨٢) ـ ﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾.

﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ﴾ في الآخرة، وفيه قولان:

أحدهما: أنَّ العابِدِينَ يكفرون بعبادةِ ما عَبَدوه.

والثَّاني: أنَّ المعبودِينَ يكفرونَ بعبادةِ الكَفَرة لهم، كقوله: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا﴾ الآية [البقرة: ١٦٦].

﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ قيل: عليهم أعوانًا، وقيل: أرادوا أن يكونوا لهم شفعاءَ فيَصيرون لهم خُصماءَ، والضِّدُّ يقع على الواحدِ وعلى الجمع.

* * *

(٨٣) ـ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾؛ أي: سلَّطْناهم عليهم.

وقيل: قيَّضْناهم، كقوله: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ﴾ [فصلت: ٢٥].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٠٦)، واستغربه.

وقيل: خلَّينا الشّياطين وإيّاهم.

﴿تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾: تُغريهِم إغراءً، وقيل: تُزْعِجُهم وتُشْلِيهِم(١).

الزَّجّاج: تُزعِجُهم حتَّى يرَكْبوا المعاصيَ(٢).

وقيل: تُغْوِيهم وتهيِّجهم.

وقيل: تَسُوقُهم إلى الشَّرِّ سَوْقًا عنيفًا.

والأزُّ والهزُّ واحدٌ(٣)، وهو التَّحريكُ، وقيل: الأزُّ: الحملُ على الشَّيء برفقٍ واحتيالٍ.

والمعنى: مكَّنّا الشَّياطين من دعاءِ الكفَّار بالوساوس إلى الكفر والشِّرك وتزيينِ المعاصي بالتَّمويهات.

***

(٨٤) ـ ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾.

﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾ العقوبةُ لهم، وارْفُق(٤) بهم، وكرِّرْ لهم الموعظةَ؛ فإنَّ موعدَ عذابهم قريبٌ(٥)، ....

(١) في هامش (ن): «أشلى الكلب على الصيد؛ إذا أغراه».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٣٤٥).

(٣) قال ابن جني في «الخصائص» (٢/ ١٤٨): «﴿تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾: أي: تزعجهم وتقلقهم، فهذا في معنى: تهذهم هزاً، والهمزة أخت الهاء، فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين وكأنهم خصوا هذا المعنى بالهمزة؛ لأنها أقوى من الهاء، وهذا المعنى أعظم في النفوس، من الهز؛ لأنك قد تهز ما لا بال له كالجذع وساق الشجرة ونحو ذلك».

(٤) كذا في النسختين الخطيتين، ولو قال «فارفق» لكان أظهر.

(٥) عدَّ ابن حزم في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٤٥) هذه الآية منسوخة بآية السيف، وتبعه الفيروزآبادي في «بصائر ذوي التمييز» (١/ ٣٠٦).

وهـو قولُـه: ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ قيـل: نَعُـدُّ أعمالَهـم، وقيـل: آجالَهـم، وقيـل: أيَّامَهـم، وقيـل: أنفاسَـهم.

* * *

(٨٥) ـ ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾.

﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ﴾؛ أي: نجمعُ المؤمنين ﴿إِلَى الرَّحْمَٰنِ﴾ إلى اللهِ سبحانه ﴿وَفْدًا﴾: راكبينَ على النُّوق، وقيل: على نجائبَ.

والوفدُ: مصدر وَفَد يَفِدُ وفدًا ووُفودًا ووِفادةً؛ إذا زار الملوكَ والأشراف، وقيل: جمعُ وافدٍ، وقيل: جماعةً.

* * *

(٨٦) ـ ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾.

﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ﴾ كما يُسـاقُ البهائمُ ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾: مشـاةً، وقيل: عطاشًا، وقيـل: أورادًا؛ لأنَّ الـوارد يَـرِدُ لإزالةِ العطشِ، ويُسـاقون إلى جهنَّـم فيكونون وردًا لهـا؛ أي: نصيبًـا وحظًّـا، والـوردُ: النَّصيـب؛ أي: هـم نصيـبُ جهنَّـم، والمؤمنـون نصيـبُ الجنَّة.

* * *

(٨٧) ـ ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾.

﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ﴾ قيـل: الضَّميـرُ لـ﴿الْمُتَّقِينَ﴾، والمعنـى: لا يملكـونَ الشَّـفاعة ﴿إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾.

وقيل: يعود إلى ﴿الْمُجْرِمِينَ﴾؛ أي: لا يملكون أن يُشفَع فيهم ﴿إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ﴾ استثناءٌ منقطعٌ.

وقيل: يعود إلى الملائكة.

ومعنى ﴿ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا﴾؛ أي: قال: لا إلهَ إلَّا اللهُ. وقيل: مَن مات على الإيمان؛ فإنَّ الله أعطَى عَهْدَه أن يُدخلَه الجنَّة. وقيل: ﴿عَهۡدٗا﴾: عملًا صالحًا.

* * *

(٨٨) ـ ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا﴾.

﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا﴾ يعني: النَّصارى وبعضُ الكفرة.

* * *

(٨٩) ـ ﴿لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا﴾.

﴿لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا﴾ خاطبَهم الله بهذا الكلام، أو أَمَر نبيَّه بأن يقول لهم.

والإدُّ: العظيمُ من الكفر، وأصلُه الدَّاهيةُ، وقيل: أعظمُ الدَّواهي، تقول: أدَّ الأمرُ يَئِدُّ أدًّا؛ إذا عَظُم، وقيل: الإدُّ: المنكَر.

* * *

(٩٠) ـ ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا﴾.

﴿تَكَادُ﴾: تُريد ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ﴾[1]: يتشقَّقْنَ منه من عِظَم هذا القولِ ﴿وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا﴾ كَسْرًا، وقيل: قَطْعًا، وقيل: هَدْمًا.

والهدَّةُ: صوتُ الصَّاعقة من السَّماء.

* * *

(١) في (ن): «ينفطرن منه». قرأ حفص والكسائي ونافع وابن كثير: ﴿يَتَفَطَّرۡنَ﴾ بالتاء، وقرأ باقي السبعة بالنون. انظر: «السبعة» (ص: ٤١٢ ـ ٤١٣)، و«التيسير» (ص١٥٠).

(٩١) ـ ﴿أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا﴾.

﴿أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا﴾ بدلٌ من الهاء في قوله: ﴿يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾، ويجوز أن يكونَ خبرَ مبتدأٍ؛ أي: هو أنْ دَعَوا للرَّحمن ولدًا، ويجوز أن يكون نصبًا أو خفضًا[١]، على تقدير: لأنْ دعوا للرَّحمن ولدًا، فيكونُ الوقفُ على ﴿يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾[٢].

* * *

(٩٢) ـ ﴿وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾.

﴿وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾؛ أي: لا يَليقُ به ذلك؛ فإنَّه غنيٌّ بنفسه، غيرُ محتاجٍ إلى معونةِ الأولاد والأُنسِ معهم والتَّزيُّنِ بهم.

* * *

(٩٣) ـ ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾.

﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾؛ أي: كلُّهم مُقِرُّونَ بعبوديَّته.

وقيل: نسبةُ الجميع إليه نسبةُ العبد إلى المولى، فكيف يكونُ البعضُ ولدًا والبعضُ عبدًا وهما يتنافيان؟!

وآتٍ: اسمُ فاعلٍ مِن أتى، وهو الاستقبالُ[٣]، والتَّقدير: يأتيه.

* * *

---

(١) النصب على نزع الخافض عند غير الخليل، وكان الخليل يرى بقاءه على الخفض بعد نزع الخافض، وقد تقدم الكلام عليه في تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾.

(٢) في (ق): «ينفطرن منه».

(٣) كذا في النسختين الخطيتين، ولو كان: «للاستقبال» لكان أظهر، والمراد أن الإضافة هنا لفظية؛ لأن اسم الفاعل عامل عمل فعله المتعدي لدلالته على الاستقبال، وإنما تكون الإضافة معنوية إن دلَّ على المعنى. انظر: «شرح الرضي على الكافية» (٢/ ٢١٢).

(٩٤) ـ ﴿لَقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾.

﴿لَقَدْ أَحْصَىٰهُمْ﴾؛ أي: عَلِم عددَهم وأحوالَهم وأفعالَهم وأقوالَهم ﴿وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾؛ أي: عَلِم عددَهم وأنفاسَهم وحركاتِهم وسكناتِهم.

***

(٩٥) ـ ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا﴾.

﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا﴾: وحيدًا بلا مالٍ ولا ولدٍ، وقيل: بلا ناصرٍ ولا مُعينٍ.

***

(٩٦) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وُدًّا﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وُدًّا﴾؛ أي: يحبُّهم ويحبِّبهم إلى النَّاس، روَى أبو هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلّى الله عليه قال: «إذا أحبَّ الله عبدًا قال لجبريل: قد أحبَبْتُ فلانًا فأحِبُّوه، فيُحبُّه أهل السَّماء، ثمَّ يَضَعُ له المحبَّة في أهل الأرض، وإذا أَبْغَض العبدَ قال لجبريل: قد أبغضتُ فلانًا فأَبْغِضوه، ثمّ يقع له البغضاءُ في أهل الأرض»[١].

وقيل: إنَّ ذلك في الآخرة، يَنزِعُ اللهُ ما في صدورهم من الغِلِّ، فلا يكونُ بينهم تباغُضٌ، فتَبْقَى محبَّةٌ محضةٌ وودٌّ خالصٌ.

ابن بحرٍ: معناه: يَهَبُ لهم ما يحبُّون[٢].

---

(١) رواه مسلم (٢٦٣٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وروى البخاري (٣٢٠٩) شطره الأول فقط.

(٢) ذكره الرازي في «تفسيره» (٢١/ ٥٦٨)، وذكر الوجوه التي أوردها ابن بحر لترجيحه، وأجاب عنها.

وقيل: يجعلُ لهم حبًّا في قلوب المؤمنين، وهذا من القولِ الأوَّل.

قال كعبٌ: ما يستقرُّ لعبدٍ ثناءٌ في الأرض حتَّى يستقرَّ له في السَّماء(١).

قيل: نزلتْ في عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضي الله عنه، حكاه الثَّعلبيُّ(٢).

وقيل: نزلتْ في عبد الرَّحمن بن عوفٍ(٣).

***

(٩٧) - ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾.

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ﴾ يعني: القرآنَ؛ أي: سهَّلْنا قراءةَ القرآن على لسانك ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ يعني: المؤمنين ﴿وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾ ابن عبَّاسٍ: شِداداً في الخصومة(٤).

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٦٥٠٨)، ومن طريقه ابن عبد البر في «التمهيد» (٢١/ ٢٣٩).

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٧/ ٤٧١)، وروى في ذلك حديثًا لا يصح رفعه، ولفظه: قال رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه: «يا علي، قل: اللهم اجعل لي عندك عهداً، واجعل لي في صدور المؤمنين مودة» فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾.

قال الحافظ في «الكافي الشاف» (ص: ١٠٨): «أخرجه الثعلبي، والطبراني في مسند حمزة الزيات، وابن مردويه، من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما، وفيه إسحاق بن بشر عن خالد بن زيد، وهما متروكان».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٦٤٤) عن عبد الرحمن بن عوف: «أنه لما هاجر إلى المدينة، وجد في نفسه على فراق أصحابه بمكة، منهم شيبة بن ربيعة، وعتبة بن ربيعة، وأمية بن خلف»، قال ابن كثير في «تفسيره» (٥/ ٢٣٨): «وهو خطأ؛ فإن هذه السورة بتمامها مكية لم ينزل منها شيء بعد الهجرة، ولم يصح سند ذلك».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٤٧٤).

وقيل: جَدَلًا بالباطل.

الحسن: صُمًّا[١].

وقيل: صُمَّ آذانِ القلوب.

وقيل: الألدُّ: الذي لا يَقبلُ الحقَّ ويدَّعي الباطلَ.

وقيل: هو الخَصِمُ؛ وعن النَّبيِّ عليه السّلام أنَّه قال: «أبغضُ الرِّجالِ إلى الله الألَدُّ الخَصِم»[٢]. واشتقاقُه من (لَدِيدَيِ الوادي)[٣]، وقد سبق[٤].

وقيل: ﴿قَوۡمًا لُّدًّا ﴾ لا يستقيمون، واشتقاقُه من اللَّدود في الفم[٥]، كلَّما أخَذْتَه في جهةٍ عدَل عنها إلى جهةٍ أخرى.

* * *

(٩٨) ـ ﴿ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هَلۡ تُحِسُّ مِنۡهُم مِّنۡ أَحَدٍ أَوۡ تَسۡمَعُ لَهُمۡ رِكۡزَۢا ﴾.

﴿ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هَلۡ تُحِسُّ مِنۡهُم مِّنۡ أَحَدٍ ﴾: هل تجدُ، وقيل: هل ترَى، والإحساسُ: الإدراك بالحاسَّة.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٦٤٦) بلفظ: «صمًا عن الحق».

(٢) رواه البخاري (٢٤٥٧)، ومسلم (٢٦٦٨) عن عائشة رضي الله عنها.

(٣) وهما جانباه؛ لأنه كلما أخذت عليه جانباً من المحجة أخذ في جانب آخر، كما ذكر القاضي عياض في «مشارق الأنوار» (١/ ٣٥٦)، وانظر: «العين» (٨/ ٩).

(٤) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ﴾.

(٥) هو دواء يسقى في أحد شقي الفم، وأما الوجور فهو في وسط الفم، انظر: «غريب الحديث» للقاسم بن سلام (١/ ٢٣٥).

﴿أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ وهو الصَّوتُ الخفيُّ والحركةُ التي لا تفهمه؛ أي: لمّا أتاهم عذابُنا لم يَبْقَ منهم شخصٌ يُرَى ولا صوتٌ يُسْمَعُ.

الحسن: هل ترى من عينٍ أو تسمعُ من صوتٍ[1]؟

وقيل: ماتوا ونُسيَ ذكرُهم.

***

سُورَةُ طه

سُورَةُ طه

مئةٌ وخمسٌ وثلاثون آيةً[1]، مكِّيَّةٌ.

ويقالُ لها: سورةَ موسى[2]، وهي من أوائلِ ما نَزَل، وفي الخبرِ عن النَّبيِّ ﷺ: «أنَّه لا يَقرأ أهلُ الجنَّة في الجنَّة إلَّا طه ويس»[3].

بسم الله الرّحمن الرّحيم

(١ ـ ٢) ـ ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ﴾.

﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ﴾ في سبب النُّزول: قال مقاتلٌ: قال أبو جهلٍ والنَّضرُ بن الحارث للنَّبيِّ عليه السَّلام: إنَّك لتَشْقَى بتركِ ديننا ـ وذلك لِمَا رأَوْا من طولِ عبادتِه وشدَّةِ اجتهاده ـ فأَنزل الله هذه الآية[4].

---

(١) هذا في عدّ الكوفي، وهي مائة واثنتان وثلاثون في عدّ البصري، وأربع في عدّ المكي والمدنيين، وثمان في عدّ أهل حمص، وأربعون في عدّ الشامي.

انظر: «البيان في عدّ آي القرآن» للداني (ص: ١٨٣)، و«فنون الأفنان» لابن الجوزي (ص: ٢٩٢).

(٢) انظر: «المبسوط» لابن مهران (ص: ٢٩٢)، و«مصاعد النظر» للبقاعي (٢/ ٢٦٧)، و«الإتقان» للسيوطي (١/ ١٩٩)، وذكر فيه أنها تسمى سورة الكليم أيضاً.

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٤٨٦) عن الحسن مرسلاً، وفيه المسيب بن شريك متروك.

وروى نحوه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص ٢٥٢) عن شهر بن حَوْشبٍ مرسلاً بلفظ: «يُرْفعُ القرآنُ عن أهل الجنة إلا طه ويس».

(٤) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٣٠٣)، وعبارته كما «تفسير مقاتل» (٣/ ٢٠): «وذلك أن =

وعن جُويبرٍ عن الضَّحَّاك قال: لمّا نزل القرآنُ على النَّبيِّ ﷺ قام هو وأصحابه فصلَّوا، فقال كفَّار قريشٍ: ما نزل هذا القرآنُ على محمَّدٍ إلَّا ليشقَى به، فأنزل الله: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ﴾(١).

مجاهدٌ: كان رسولُ الله ﷺ وأصحابُه يربطون الحبالَ في صدورهم في الصَّلاة باللَّيل كي لا يَغْلِبَ عليهم النَّوم، ثمَّ نُسخ بالفرضِ، وأنزل الله هذه الآية(٢).

وعن ابنِ شُعبةَ قال: قام رسولُ الله ﷺ حتَّى تورَّمت قدماه، فقيل له: أليسَ قد غَفَر اللهُ لك ما تقدَّم من ذنبِك وما تأخَّر؟ فقال: «أفلا أكونُ عبداً شكوراً»(٣).

ورَوَى بعضُ المفسِّرين أنَّه عليه السَّلام كان إذا صلَّى باللَّيل رفع رجلاً ووضَعَ أخرى، فنزل ﴿طه﴾ الآية(٤).

= أبا جهل والوليد بن المغيرة والنضر بن الحارث والمطعم بن عدي قالوا للنبي ـ ﷺ ـ: إنك لتشقى حين تركت دين آبائك فاتتنا ببراءة أنه ليس مع إلهك إله، فقال لهم النبي ﷺ: «بل بعثت رحمة للعالمين»، قالوا: بل أنت شقي، فأنزل الله عز وجل في قولهم للنبي ﷺ: ﴿طه﴾.

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤١٥)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٠٣).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤١٥) بلفظ: «﴿مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ﴾ قال: هي مثل قوله: ﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُ﴾ فكانوا يعلقون الحبال في صدورهم في الصلاة».

(٣) رواه البخاري (٤٨٣٦)، ومسلم (٢٨١٩) من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

(٤) رواه البزار في «مسنده» (٩٢٦) عن علي رضي الله عنه بلفظ: «كان النبي ﷺ: يراوح بين قدميه يقوم على كل رجل حتى نزلت ﴿مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ﴾»، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٥٦): «رواه البزار وفيه يزيد بن بلال، قال البخاري: فيه نظر. وكيسان أبو عمر، وثقه ابن حبان وضعفه ابن معين، وبقية رجاله رجال الصحيح». وحسن إسناده السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٤٩). =

وفي ﴿طه﴾ أقوالٌ سِوَى ما سَبَق أَوَّلَ البقرةِ مجمَلاً:

مجاهدٌ والحسنُ وعطاءٌ في جماعةٍ: معناه: يا رجلُ[١].

عكرمةُ: «يا رجلُ» بلسان الحبشة[٢].

قتادةُ: «يا رجلُ» بالسُّرْيانيَّة[٣].

ابن جبيرٍ: بالنَّبَطيّة[٤].

السُّدِّيُّ: معنى ﴿طه﴾: يا فلانُ[٥].

الكلبيُّ: يا رجلُ بلغةِ عَكٍّ[٦]، وأنشد:

= وروي نحوه عدة روايات. انظر: «تخريج أحاديث الكشاف» (٢/ ٣٤٧، ٣٤٨)، و«الكاف الشاف» (ص: ١٠٨)، و«الدر المنثور» (٥/ ٥٤٩).

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥ ـ ٧) عن ابن عباس وابن جبير ومجاهد وعكرمة والضحاك وقتادة والحسن.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤١٥)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٤٩٠)، ورواه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤٠٩) عنه يذكره عن ابن عباس رضي الله عنهما، وانظر «المهذب» للسيوطي (ص: ١١٠).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٦)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٤٩٠).

(٤) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٩٩٧٤).

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٤٩٠) عن السدي عن أبي مالك وعكرمة. وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٣٨٩) عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٠٩)، واستغربه.

(٦) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٣٨٩) من رواية أبي صالح عن ابن عباس، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٤٩١) عن الكلبي.

إِنَّ السَّــفاهَةَ طَاهَــا فــي خلائقكُــم لا قَــدَّسَ اللهُ أَخــلاقَ المَلاعِيــنِ(١)

القُرَظيُّ: أقسَمَ الله بطَوْله وهدايته(٢). والعربُ تعبِّرُ عن الشَّيء ببعضِ حروفه، وهذا بابٌ واسعٌ.

وقيل: الطَّاءُ: طبولُ الغُزاةِ، والهاءُ: هَيْبَتُهم.

وقيل: الطَّاء: طُوبى، والهاءُ: الهاوية.

وقيل: ﴿طه﴾: اسمُ الله، وقيل: اسمُ القرآنِ، وقيل: اسمُ السُّورة.

عطاءٌ: اسمُ النَّبيِّ ﷺ، فقد رُوي أنَّ للنَّبيِّ ﷺ سبعةَ أسماءٍ في القرآن: محمَّدٌ، وأحمدُ، وطه، ويس، والمزَّمِّل، والمدَّثر، وعبد الله(٣).

---

(١) البيت في «تفسير الطبري» (١٦/ ٧)، و«الأضداد» لابن الأنباري (ص: ٤٠٤)، و«تفسير الثعلبي» (١٧/ ٤٩١)، و«النكت والعيون» (٣/ ٣٩٢)، و«البسيط» (١٤/ ٣٤٨)، و«الكشاف» (٣/ ٥٠).

وعزاه الماوردي ليزيد بن مهلهل. ورواية عجزه عند الطبري:

لا بــاركَ اللهُ فــي القــومِ المَلاعِيــنِ

قال الزمخشري: «واللهُ أعلمُ بصحَّةِ ما يقال: إن (طاها) في لغة عَكٍّ في مَعْنَى: (يا رَجُل)، ولعَلَّ عَكًّا تصرَّفُوا في (يا هذا)، كأنهم في لغَتهمْ قالِبُون الياء طاءً فقالوا في (يا): (طا)، واختَصَروا (هذا) فاقتَصَرُوا على (ها) وأَثَرُ الصَّنعة ظاهِرٌ لا يَخفى في البَيت المستشهَد به».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٤٩٢)، والواحدي في «البسيط» (١٤/ ٣٤٩).

(٣) عزاه القاضي عياض في «الشفا» (١/ ٤٥٠) إلى النقاش، وذكره ابن العربي في «أحكام القرآن» (٤/ ١٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما وقال: «حديث لا يصح».

وروى الآجري في «الشريعة» (١٠١٥)، وابن عدي في «الكامل» (٤/ ٥٠٩)، من طريق أبي يحيى التيمي، عن سيف بن وهب، عن أبي الطفيل قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لي عند ربي عز وجل عشرة أسماء» قال: أبو الطفيل: قد حفظت منها ثمانية: محمد، وأحمد، وأبو القاسم، والفاتح، والخاتم، والماحي، والعاقب، والحاشر» قال أبو يحيى التيمي: وزعم سيف أن أبا جعفر قال له: =

وقيل: الطَّاء في حساب الجُمَّل تسعٌ، والهاءُ خمسٌ، فيكونُ أربعَ عشرةَ، ومعناه: يا أيُّها البدرُ، حكاه الثَّعلبيُّ[١].

وقرئ: (طَهْ) بسكونِ الهاء[٢]، وهو أمرٌ، وفيه وجهان:

أحدهما: أن تكونَ الهمزةُ قُلبت هاءً، نحو: هِيَّاك وإيَّاك.

والثَّاني: أن تكونَ الهاءُ للاستراحة، وطَ: أمرٌ من (وَطِيَ) على ترك الهمزة.

وأجازَ ابنُ الأنباريِّ أن تكونَ الهاءُ للكنايةِ عن الموضع فسكِّن كبابِ: ﴿يُؤَدِّهْ﴾[٣].

= إن الاسمين الباقيين: طه، ويس. وأعله ابن عدي بسيف بن وهب. وكذا فعل العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (ص: ٨٧٠).

وقال ابن قيم الجوزية في «تحفة المودود» (ص: ١٢٧): «وأما ما يذكره العوام أن (يس وطه) من أسماء النبي ﷺ فغير صحيح، ليس ذلك في حديث صحيح ولا حسن ولا مرسل ولا أثر عن صاحب، وإنما هذه الحروف مثل: (الم وحم والر) ونحوها»، قال: «ومما يُمنع منه التسميةُ بأسماء القرآن وسوره مثل: (طه ويس وحم)، وقد نص مالك على كراهة التسمية بـ (يس) ذكره السهلي».

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٧/ ٤٩٤)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٠٩)، واستغربه.

(٢) نسبت للحسن. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ٨٩)، و«زاد المسير» لابن الجوزي (٣/ ١٥٠). وذكرها الهذلي في «الكامل في القراءات» (ص: ٥٩٧) عن أبي حنيفة والحسن وورش في اختياره.

(٣) بسكون الهاء قراءة أبي بكر وأبي عَمْرو وحمزة، وقالون باختلاس كسرةِ الهاء، وكذا روى الحلواني عن هشام، والباقون بإشباع الكسرة، والوَقْف للجميع بالإسكان. انظر: «السبعة» (ص: ٢٠٧)، و«التيسير» (ص: ٨٩).

وقول المصنف: «للكناية عن الموضع»، أراد والله أعلم: أن الهاء هنا ضمير وليست مقلوبة عن الهمزة كما في الوجه السابق، وهي كناية عن الأرض. وذكر ابن الأنباري في «الأضداد» (ص: ٤٠٤) أن (طه) مما يُفسر تفسيرين متضادين.

قال الشَّيخ رحمه الله[١]: ويحتمِلُ أنَّ (طَ) أمرٌ من وَطِئَ[٢] يَطَأُ، حُذف همزُه كما يُحذف مِن (اقرأ)[٣] وبابِه، و(ها) كنايةٌ عن الأرض؛ أي: طَأِ الأرضَ بقدميك، وحذف الألف من الخطِّ كما حُذف من قوله: (أيُّها المؤمنون)، فإنَّه في الإمام: ﴿أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [النور: ٣١]، وكذلك ﴿أيّه ٱلسَّاحِرُ﴾ [الزخرف: ٤٩]، وهذا ظاهرٌ جدًّا، والله أعلم[٤].

وكان بعد ذلك يضعُ قدميه ويصلِّي بعضَ اللَّيل وينامُ بعضَه.

وقيل: هو نفيٌ لِمَا قال الكفَّار: شَقِيَ بترك دين آبائه؛ أي: ما أنزلناه لتَشْقَى بل لتَسْعَد.

***

(٣) ـ ﴿إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾.

﴿إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾: تذكيراً للخلق، ونصبُها على الاستثناء المنقطِع.

وقيل: مفعولٌ له[٥].

---

(١) «قال الشيخ رحمه الله»: ليس في (ف).

(٢) في (ف): «وطأ».

(٣) في (ن): «قرأ».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٠٩)، واستغربه.

(٥) أي: هو مفعولٌ من أجله، والعاملُ فيه عند بعضهم ـ كالزمخشري ـ فِعْلُ الإنزال، وكُلُّ واحدٍ من ﴿لِتَشْقَىٰٓ﴾ و﴿تَذْكِرَةً﴾ عِلَّةٌ لِلفعلِ، ووجبَ مجيءُ الأولِ مع اللام لأنه ليس لفاعلِ الفعلِ المُعَلَّل، ففاتَتْه شريطةُ الانتصابِ، والثاني جاز قطع اللام عنه ونصبه لاستجماعه الشرائط، وليس انتصابه على البدل من محلِّ ﴿لِتَشْقَىٰٓ﴾؛ لاختلاف الجنسين؛ فالتذكرة ليست بشقاء هذا مختصر كلام الزمخشري بشقاء. انظر: «الكشاف» (٣/ ٥٠)، و«الدر المصون» (٨/ ٨). =

وقيل: على التَّقديم: ما أنزلنا إلَّا تذكرةً لا لتَشْقَى(١).

وقيل: معناه: ما أنزلناه لتَتْعَبَ في دعاء الكفَّار، فلستَ عليهم بحفيظٍ، بل لتُذكِّرَ به.

﴿لِّمَن يَخْشَىٰ﴾؛ أي: يخشَى اللهَ فينتفعَ به، وخصَّ الخاشعَ لانتفاعه به.

* * *

(٤) ـ ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى﴾.

﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى﴾؛ أي: نزَّله الله تنزيلاً.

وقيل: بدلٌ من التَّذكرة(٢).

و﴿ٱلْعُلَى﴾: جمع العُلْيا، وهي تأنيثُ الأَعْلى.

* * *

= والمصنف رحمه الله في «غرائب التفسير» (٢/ ٧١٠) لم يرتض هذا القول؛ أعني: كون (تشقى) و(تذكرة) علتين لـ﴿أَنزَلْنَا﴾، قال: لأن ذلك جمع بين علتين لفعل واحد من غير عطفٍ: أحدُهما باللام والآخرُ بالمصدر، وذلك ممتنع.

ثم قال: وللآية وجهان:

أحدهما: أن تقديره: ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ما أنزلناه إلا تذكرة لمن يخشى، فكل واحد منهما متعلق بفعل سوى الآخر.

والثاني: أن الاستثناء منقطع؛ أي: لكن تذكرة لمن يخشى.

(١) واستبعده المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧١٠)؛ لأن إضمار «لا» ـ كما قال ـ إنما يجوز في القسم.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧١٠)، واستغربه. قال: «والتنزيل والتذكرة في المعنى واحد».

(٥) ـ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾.

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾؛ أي: هو الرَّحمنُ، وما بعده في محلِّ نصبٍ على الحال، وقيل: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ مبتدأٌ وما بعدَه خبرُه.

ومعنى قوله: ﴿ٱسۡتَوَىٰ﴾ سبَق في سورة (الأعراف)، وليس ذلك بمعنى التَّمكُّنِ في المكان، فإنَّه كان بلا مكانٍ بإجماعٍ، فلم يَحتَجْ بعد خَلْقِ المكان إلى ما كان عنه غنيًّا.

ورُوي عن ابن عبَّاسٍ الوقفُ على قوله: ﴿عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ ثم ابتدأ[1]: ﴿ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ...﴾ الآية[2].

***

(٦) ـ ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ﴾.

﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ﴾؛ أي: تحت الأرض.

و﴿ٱلثَّرَىٰ﴾: التُّرابُ النَّديُّ، وقيل: ﴿ٱلثَّرَىٰ﴾: الماء، من قولهم: التقى الثَّريَانِ، ويروى: الثَّرَوَانِ؛ أي: ماءُ السَّماء وماءُ الأرض[3]، ولا يَعلم ما تحت الثَّرى إلَّا اللهُ وحدَه.

---

(١) في (ف): «ثم قال».

(٢) ذكره الداني في «المكتفى في الوقف والابتدا» (ص: ١٢٩) من طريق الكلبي عن أبي صالح. والكلبي متروك.

(٣) تقول العرب: إذا التقى الثريان فهما الحيا، والمراد: ندى المطر وندى باطن الأرض، وفسّره ابن فارس في «متخير الألفاظ» بأنه ندى المطر القديم وندى الحديث، ولكنه قال بالأول في «المجمل» و«المقاييس». انظر مادة (ث ر ي) في «جمهرة اللغة» (٢/ ١٠٣٤)، و«متخير الألفاظ» (ص: ٢٠٧)، و«مجمل اللغة» (ص: ١٥٨)، و«مقاييس اللغة» (١/ ٣٧٥).

(٧) ـ ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾.

﴿وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ﴾؛ أي: تُعْلِنْ به ﴿فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾؛ أي: وأَخْفى من السِّرِّ.

ابن عبَّاسٍ: ﴿السِّرَّ﴾: ما أَسرَرْتَ في نفسك، ﴿وَأَخْفَى﴾ ما لم يكنْ وهو كائنٌ[(١)].

وقيل: ﴿السِّرَّ﴾: ما أَسرَّ ابنُ آدمَ في نفسه، ﴿وَأَخْفَى﴾: ما خَفِيَ على ابنِ آدم ممَّا هو فاعلُه قبل أن يَعْلَمه.

وقيل: ﴿السِّرَّ﴾: العَمَل بخُفْيَةٍ عن النَّاس، ﴿وَأَخْفَى﴾: الوسوسةُ.

الحسن: ﴿السِّرَّ﴾ ما أسرَّه الرَّجل إلى غيره، ﴿وَأَخْفَى﴾ ما أسرَّه في نَفْسه[(٢)].

زيد بن أسلَمَ: يَعلمُ أسرارَ العباد ﴿وَأَخْفَى﴾ سِرَّه فلا يُعْلَمُ[(٣)]. فعلى هذا ﴿أَخْفَى﴾ فعلٌ ماضٍ[(٤)].

وقيل: ﴿أخفى﴾ بمعنى: الخفيّ[(٥)]؛ أي: يعلمُ السِّرَّ والخَفِيَّ، وله نظائرُ[(٦)].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ١٤)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٥١٧)، وابن بطة في «الإبانة» (١٦٣٨).

(٢) رواه ابن وهب في «جامعه ـ التفسير» (١٠٢)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٥٠٣).

(٣) رواه ابن وهب في «جامعه ـ التفسير» (٧٧)، والفريابي في «القدر» (١٠٦)، والآجري في «الشريعة» (٤٨١).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧١١)، واستغربه، ولم يرتضه الزمخشري في «الكشاف» (٣/ ٥٢).

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧١١)، وعدَّه من العجائب. وانظر: «المقتضب» (٣/ ٥).

(٦) تقدم منها قوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾، ومنها قوله تعالى: ﴿أحسن مقيلًا﴾ [الفرقان: ٢٤]، وسيأتي.

وتقدير الآية: وإنْ تجهَرْ بالقول لم يكن عنده أظهرَ ممَّا تسرُّه، وجوابُ الشَّرط محذوفٌ، ثمَّ عَطف عليه جملةً تكشفُه فقال: ﴿فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾(١).

***

(٨) ـ ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ يريد: صفاته، وهو ما رُوي عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «إنَّ لله تسعةً وتسعين اسماً، مئةً إلَّا واحداً، مَن أحصاها دَخَل الجنَّة»(٢).

ومعنى ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾؛ أي: في الآذانِ والقلوب.

وقيل: هي الحسنى لأنَّ سماعَها يدلُّ على توحيدِه وجُودِه وكرمه.

و﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ صفةُ الجمع؛ كقوله: ﴿حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ [النمل: ٦٠].

***

(٩) ـ ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾.

﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾؛ أي: تأسَّ بـه واصْبِرْ على المكارهِ والأذى تَنَلِ الدَّرجةَ العليا كما نالها أخوك موسى.

ومعنى ﴿هل أتاك﴾: قد أتاكَ(٣)، ....

---

(١) وجملة الجواب تُقدر بـ: فإنه غني عن جهرك، وإنما يُقدر هذا الجواب لأن الله يعلم السر والجهر دائماً، وهذا أمـر غير مترتب على الشرط، وهو الجهر بالقول، والله أعلم، وقد عدَّه الزمخشري جواباً في «الكشاف» (٣/ ٥٢)، فلينظر ثمة.

(٢) رواه البخاري (٢٧٣٦)، ومسلم (٢٦٧٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) ذكر سيبويه أن (هل) بمعنى: قد، وزعم الزمخشري أنها عنده على هذا فقط، وأنكر ذلك ابن هشام، وإنما ذكر المفسرون والنحاة ذلك في قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾. انظر: «الكتاب» (١/ ١٠٠)، و«معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢١٣)، و«حروف المعاني والصفات» للزجاجي =

وقيل: استفهامٌ يتضمَّنُ الحثَّ على الإصغاء إلى ما يُخبر به منه[1].

الكلبيُّ: أي: لم يأتك[2]، فهو استفهامٌ بمعنى النَّفي.

* * *

(١٠) ـ ﴿إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾.

ثم أخبر فقال: ﴿إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ﴾ وذلك أنَّ موسى عليه السَّلامُ لمّا قضَى الأجلَ استأذَنَ شعيباً في الرُّجوع إلى والدته، فأَذِنَ له فيه، فخرج بأهله وسار عن مدينَ، فلمَّا بلغَ وادي طُوًى وفيه جبلُ زَبِير ـ وهو الطُّور ـ وكانت ليلةَ الجمعة، غامت عليه السّماء، وهاجَتْ نكباءُ، وأضلَّ الطَّريق، وتبدَّدت غنمُه، وأخذ امرأتَه الطَّلْقُ، فبينا هو كذلك إذ رأى مِن جانبِ الطُّور ناراً، فقال ﴿لِأَهْلِهِ﴾ امرأتِه وولديه: ﴿ٱمْكُثُوٓاْ﴾: أقيموا على مكانكم ﴿إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾: أبصرتُ ناراً وأحسَسْتُها، يقال للذي أَبصرَ الشَّيءَ من بعيدٍ ممَّا يَسْكُنُ إليه: آنَسَه، قال:

آنَسَ خِربانَ فَضاءٍ فانكَدَرْ[3]

= (ص: ٢)، و«المفصل» للزمخشري (ص: ٤٣٧)، و«المغني» لابن هشام (ص: ٤٦٠)، وذكر الزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٦٦٥) أن (هل) بمعنى: قد في الاستفهام خاصة.

(١) ذهب ابن قتيبة وابن جني إلى أن (هل) على أصل معناها في مثل هذا الموضع، وأنها إنما جاء الاستفهام بها للتقرير. انظر: «تأويل مشكل القرآن» (ص: ٢٨٩)، و«الخصائص» (٢/ ٤٦٤).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٥٠٤)، والواحدي في «البسيط» (١٤/ ٣٦٢).

(٣) الرجز للعَجَّاج يمدح عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي، وهو في «ديوانه» (١/ ٤٣)، و«الأزمنة وتلبية الجاهلية» لقطرب (ص: ٣٠)، و«مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ٢٨٧)، و«تفسير الطبري» (٢٤/ ١٣٢)، و«الزاهر» لابن الأنباري (١/ ٤٢٣)، وقبله:

إذا الكرامُ ابتدروا الباعَ بَدَرْ

وكان نوراً تراءى له ناراً.

﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ﴾ القبسُ: الشُّعلة من نارٍ في طرفِ عودٍ أو فتيلةٍ.

وقيل: القبس: الجمرةُ الصَّغيرة.

﴿أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى﴾: هادياً يدلُّني على الطَّريق والماء.

أي: أرجو أن أَلْحقَ ناساً وأقتبِسَ ناراً.

* * *

(١١ ـ ١٢) ـ ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى﴾.

﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا﴾؛ أي: النَّارَ، وجد ناراً بيضاءَ تتوقَّدُ في شجرةٍ خضراءَ، وجاء في التَّفسير أنَّها شجرةُ العُنَّاب[1]، ولم يجد عندها أحداً ﴿نُودِيَ﴾ موسى: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ كرَّر الكنايةَ لتوكيدِ الدلالة، ومَن فتَحَ حمَله على ﴿نُودِيَ﴾ ومَن كسَر[2] أضمَرَ القولَ، أو نزَّل النِّداء منزلةَ القول؛ لأنَّ النِّداءَ قولٌ.

= تَقَضِّـيَ البـازي إذا البـازي كَسَـرْ
دَانَـى جناحَيْـهِ مـن الطُّـودِ فمَـرّ

يصفه بالكرم وأنه لحرصه على السبق للمكارم يسرع إليها إسراع بازٍ رأى صيداً فانقض عليه، و«خربان» بكسر الخاء المعجمة وسكون الراء المهملة: جمع خَرَبٍ بفتحتين، وهو ذكَر الحُبَارى وهي طائر معروف، وانكدر: أسرع بعض الإسراع. انظر: «الغريب المصنف» لأبي عبيد (١/ ٣٧٣)، و«المنجد في اللغة» لكراع النمل (ص: ٩٣)، و«حاشية الشهاب على البيضاوي» (٨/ ٣٢٦). والرجز في المصادر السابقة بلفظ: «أبصر خربان»، ولا شاهد فيه؛ فقد استشهد به المصنف على لفظ «آنس»، وهو بهذا اللفظ في «مجاز القرآن» (٢/ ١٠٢)، و«تفسير الطبري» (١٨/ ٢٣٨).

(١) العناب: شجر شائك من الفصيلة السدريَّة، يبلغ ارتفاعه ستَّة أمتار ويُطلق العنَّاب على ثمره أيضًا، وهو أحمر حُلو لذيذ الطَّعم على شكل ثمرة النَّبق. انظر: «المعجم الوسيط» مادة: (ع ن ب).

(٢) قرأ أبو عمرو وابنُ كثير: ﴿أَنِّي﴾ بالفتح، والباقون بالكسر. انظر: «السبعة» (ص: ٤١٧)، و«التيسير» (ص: ١٥٠).

﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ﴾ قيل: كانا من جلدِ حمارٍ غيرِ مدبوغٍ[1].

الحسنُ في جماعةٍ: كانا من جلدِ بقرٍ، وإنَّما أُمر بخلعِهما لتنالَ قدمُه بركةَ الوادي المقدَّس[2].

وقيل: أمَره بذلك تأديباً له وأمراً بالخضوع.

والخلع: نَزْعُ الملبوس.

وقيل: معناه: فرِّغْ قلبَك مِن شُغل الأهل والولد، حكاه الثَّعلبيّ[3].

فخلَعهُما موسى وألقاه[4] من وراء الوادي.

﴿إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ﴾ الوادي: سفحُ الجبل، ويقال: هو مجرًى عظيمٌ من مجاري الماء.

و﴿ٱلۡمُقَدَّسِ﴾: المطهَّر بإزالةِ النَّجاسات، وكذلك بإزالةِ الكفرِ والمعصيةِ عنه.

وقيل: ﴿ٱلۡمُقَدَّسِ﴾: المبارك.

﴿طُوًى﴾: اسمُ علَمٍ للوادي؛ مَن صَرَفه قال: سمِّي مذكَّرٌ بمذكَّرٍ، ومَن لم يَصْرِفه[5] فلتأنيثِ البقعةِ والتَّعريف، وقيل: للعَدْل والتَّعريف.

---

(١) هذا مروي عن علي وأبي ذر وأبي أيوب رضي الله عنهم، وفيه حديث مرفوع عن ابن مسعود رضي الله عنه. انظر: «تفسير الطبري» (١٦/ ٢٥)، و«تفسير ابن كثير» (٥/ ٢٧٦)، والحديث رواه الترمذي (١٧٣٤)، والحاكم في «المستدرك» (٣٤٣١)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٤١٨)، وأبو يعلى في «مسنده» (٤٩٨٣)، ومداره على حميد الأعرج، وهو متروك.

(٢) ذكره مكي بن أبي طالب في «الهداية» (٧/ ٤٦١٨)، وابن عبد البر في «الاستذكار» (٨/ ٣١٥).

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٧/ ٥١٠)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧١١)، واستغربه.

(٤) في (ف): «فألقاه».

(٥) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو بضم الطاء غير مصروف، والباقون بضم الطاء مصروفاً. انظر: «السبعة» (ص: ٤١٧)، و«التيسير» (ص: ١٥٠).

وقيل: ﴿طُوًى﴾ مصدرٌ مثل: هُدًى، والمعنى: نُوديَ طوًى؛ أي: مرَّتين؛ لأنَّ الثَّانية إذا أَعْقَبتِ الأولى صارتْ كالمطوِيَّة عليها، وكذلك فيمَن كَسَر (طِوًى)[1]، ومثلُه: «لا ثِنَى في الصَّدَقة»[2].

وقيل: ﴿ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾؛ أي: قدِّس مرَّتين.

وقيل: ﴿طُوًى﴾: ليلاً[3].

وقيل: طَوَيْتُ الوادي واجْتَزْتُ به طُوًى، فهو أيضاً مصدرٌ.

الضَّحَّاك: وادٍ مستديرٌ عميقٌ، مثلَ البئرِ الطَّويّ[4].

وقيل: ﴿طُوًى﴾ من الطَّوي، وهو: الجوعُ؛ أي: صائمٌ[5].

* * *

(١٣) - ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾.

﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾: تؤمَرُ وتُنْهى.

* * *

---

(١) ذكرها ابن مجاهد في «السبعة» (ص: ٤١٧) عن أبي عمرو، وهي خلاف المشهور عنه.

(٢) رواه أبو عبيد في «الأموال» (٩٨٢) من طريق حسن بن حسن عن أمه فاطمة بنت حسين عن النبي ﷺ، وهو مرسل.

ورواه الديلمي عن أنس رضي الله عنه كما في «كنز العمال» (٦/ ٣٣٢)، ومعناه: لا تؤخذ الصدقة في السنة مرتين. انظر: «عمدة الحفاظ» للسمين الحلبي (١/ ٢٨٩).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧١٢)، وعدَّه من العجائب.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٥١١).

(٥) والصائم على هذا موسى عليه السلام. انظر: «تفسير التستري» (ص: ١٨٦).

(١٤) ـ ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ﴾.

﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي﴾: وحِّدني وأَطِعْني ولا تَعْبدْ غيري.

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ﴾ فيه ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: لتَذْكُرني فيها.

والثَّاني: لأَذْكُرك فيها[1]، وهذا غريبٌ.

والثَّالث: إذا ذكَرْتَ الصَّلاةَ فصَلِّها[2]، وروَى قتادةُ عن أنسٍ رضي الله عنه: أنَّ رسول ﷺ قال: «مَن نَسيَ صلاةً أو نامَ عنها فلْيُصلِّها إذا ذكَرَها، إنَّ الله تعالى يقول: ﴿أقم ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ﴾»[3].

وقيل: هو خطابٌ للنَّبيِّ عليه السَّلامُ إلى قوله: ﴿فَتَرْدَىٰ﴾، ثمَّ رجع إلى قصَّة موسى، حكاه الفقيهُ أبو اللَّيث في «تفسيره»[4].

وقيل: ﴿لِذِكْرِيٓ﴾: مردودٌ على الوحي ﴿فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾: فاستَمِعْ لذكري، حكاه الثَّعلبيُّ[5].

* * *

(١) في (ف): «بها».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧١٣)، واستغربه.

(٣) رواه البخاري (٥٩٧)، ومسلم (٦٨٤).

(٤) انظر: «تفسير السمرقندي» (٢/ ٣٩١)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧١٣)، وعدَّه من العجائب.

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٥١٥). وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧١٣)، وعدّه من العجائب أيضاً.

(١٥) ـ ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾.

﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ﴾: كائنةٌ لا محالةَ ﴿أَكَادُ﴾: أريدُ[١].

وقيل: زيادةٌ[٢].

وقيل: على أصله من تقريبِ الفعل.

وقيل: متَّصلٌ بـ﴿ءَاتِيَةٌ﴾؛ أي: أكادُ إتيانَها[٣]، ثمَّ استأنَفَ فقال: ﴿أُخْفِيهَا﴾ وفيه قولان:

أحدهما: أسترُها، وعِلْمُ السَّاعةِ مستورٌ عن الخلائق كلِّهم، وقُرِئ: (أُخفِيْها عن نفسي)[٤]؛ أي: أُخفيْها جدًّا[٥].

والثّاني: أُظْهِرُها، والإخفاءُ من الأضداد، وحقيقةُ ذلك: أَسْلُبُ خفاءَها، والخَفاءُ: الغطاء.

---

(١) تقدم ذكر هذا المعنى عند المصنف في تفسير قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾، وذكره أبو بكر الأنباري في «الأضداد» (ص: ٩٧)، وإليه ذهب الأخفش وأبو مسلم كما في «البحر المحيط» لأبي حيان (٧/ ٣١٩).

(٢) ذكره الأنباري أيضاً، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧١٣)، وعدَّه من العجائب.

(٣) كذا في النسختين، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧١٣)، واستغربه، وفي «الأضداد» (ص: ٩٦): «أكاد آتي بها»، وهو أظهر مما ذكر المصنف.

(٤) رواها عبد الرزاق في «تفسيره» (١٨٠٧) عن قتادة، وذكرها الفراء في «معاني القرآن» (٢/ ١٧٦)، وابن خالويه في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٠) عن أبيٍّ، وذكرها السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٣٩٢) عن عطاء.

(٥) هذا مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما، كما في «البحر المحيط» (٧/ ٣١٩).

انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ١٦)، و«الأضداد» للأنباري (ص: ٩٥ ـ ٩٩)، و«سر صناعة الإعراب» لابن جني (١/ ٥١).

﴿لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ﴾: بما تعملُ من خيرٍ وشرٍّ فتُجازَى عليه.

ويقوِّي الإظهارَ قراءةُ مَن قرأَ: (أَخْفِيها) بالفتح[١]؛ فإنَّه الإظهارُ لا غير، واللَّام متَّصلةٌ بالإخفاء فيمَن جعلَه بمعنى الإظهار.

وقيل: متَّصلٌ بقوله: ﴿ءَاتِيَةٌ﴾.

الزَّجَّاج: يجوزُ أن تكونَ متَّصلةً بقوله: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ ﴿لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ﴾[٢].

* * *

(١٦) ـ ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ﴾.

﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا﴾: عن الإيمانِ بالقيامةِ وعن التأهُّبِ لها ﴿مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ والصَّدُّ يُستعمَلُ في الخير، تقولُ: صدَّه عن الخير، ولا تقولُ: صدَّه عن الشَّرِّ[٣]، والهوَى يُستعمَلُ في المعاصي، وحقيقةُ ميلِ النَّفسِ إلى الشَّيء للشَّهوة.

﴿فَتَرۡدَىٰ﴾: فتَهْلِكَ في القيامةِ وتعذَّبَ في النَّار، الخطابُ له والمرادُ به غيرُه.

* * *

---

(١) أي: بفتح الهمزة، نسبت لأبي الدرداء وسعيد بن جبير. انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٧٦)، و«معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٤٠٢)، و«تفسير الطبري» (١٦/ ٣٦)، و«معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٣٥٢)، و«المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٠).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٣٥٣)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧١٤)، واستغربه.

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٤/ ٣٧٩)، والصد المنع برفق، كما ذكر ابن فارس في «الصاحبي في فقه اللغة» (ص: ١٤٢).

(١٧) ـ ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ﴾.

﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ﴾: استفهامٌ يَتضمَّنُ التَّنبيهَ على ما في العصا من العجائب التي لم يَعهَدْ مثلَها مِن قَبْلِها حيَّةً تسعَى.

الزَّجَّاج: استفهامٌ يؤخَذُ به إقرارُ المخاطَبِ؛ ليكونَ أبعدَ مِن بَعْدُ عن الإنكارِ وعن الادِّعاء أنَّها لم تَزَلْ كذلك[١].

وقيل: أراد الاستئناسَ ورَفْعَ الهيبةِ في المكالمة.

وإنَّما قال: ﴿بِيَمِينِكَ﴾ ولم يقُلْ: بيدك؛ لأنَّه يحتمِلُ أنَّه كان في يساره خاتمٌ أو شيءٌ آخَرُ، فكان يَلْتَبِسُ عليه الجوابُ.

وذهب كثيرٌ من المفسِّرين إلى أنَّ ﴿بِيَمِينِكَ﴾ صلةٌ لـ﴿تِلْكَ﴾؛ أي: وما التي بيمينك[٢]، وزعموا أنَّ أسماءَ الإشارةِ قد تُوْصَلُ[٣]، وأنشدوا:

عَـدَسْ ما لعبَّادٍ علـيكِ إمـارةٌ ... نجَوْتِ وهذا تحمِلِيـنَ طليقُ[٤]

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٣٥٣)، وعبارته: «وهذا الكلام لفظه لفظ الاستفهام ومجراه في الكلام مجرى ما يسأل عنه، ويجيب المخاطب بالإقرار به لتثبت عليه الحجة بعدما قد اعترف، مستغنًى بإقراره عن أن يجحد بعد وقوع الحجة، ومثله من الكلام أنْ تُرِيَ المخاطب ماءً فتقول له: ما هذا؟ فيقول: ماء، ثم تحيله بشيء من الصِّبْغ فإن قال: إنه لم يزل هكذا، قلت له: ألست قد اعترفت بأنه ماء؟».

(٢) ذهب إلى هذا الفراء في «معاني القرآن» (٢/ ١٧٧)، والطبري في «تفسيره» (١٦/ ٤٢).

(٣) ذهب إلى هذا الفراء والزجاج، وهو منسوب للبغداديين والكوفيين، قال: إن أسماء الإشارة تأتي بمعنى أسماء الموصول فتوصل، وردَّ ذلك البصريون. انظر: «شرح الكتاب» للسيرافي (٣/ ١٨٥)، و«الحجة» لأبي علي (٢/ ٣٢٠)، و«الإنصاف» للأنباري (٢/ ٥٨٩).

(٤) البيت ليزيد بن مفرغ الحميري. انظر: «الفرق» للسجستاني (ص: ٢٥٩)، و«البغال» للجاحظ (ص: ٥٩)، و«الشعر والشعراء» (١/ ٣٥٢). وكان الشاعر هجا عباد بن زياد والي سجستان فسجنه، =

ويحتمِلُ أنَّ قوله: ﴿بِيَمِينِكَ﴾ حالٌ لـ﴿تِلْكَ﴾ لا صلةٌ[1].

* * *

(١٨) ـ ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾.

﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ﴾: وكانت عصًا طولُها عشرةٌ، ولها شُعْبتانِ، وفي أسفلِها سنانٌ، وكانت من آسِ الجنَّة، واسمها: عُلَيْقٌ، وقيل: نَبعةٌ، وقيل: غيرُهما[2].

﴿أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا﴾ اتّكاءً وأعتمِدُ عليها إذا مشَيْتُ وإذا أَعيَيْتُ، وعند الوثبةِ والطَّفْرة.

﴿وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي﴾: أَخْبِطُ بها الشَّجرَ؛ ليتناثرَ ورقُها فتأكلَه غنمي.

﴿وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾: جمعُ مَأْربةٍ بالحركات الثَّلاث، وهي الحاجةُ.

ووحَّد ﴿أُخْرَى﴾ لتأنيثِ الجماعة، وقيل: لرويِّ الآية.

قال ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: كان موسى يحمِلُ عليها زادَهُ وسِقاءَهُ، وتماشِيْهِ وتُحدِّثُه، وكان يَضرِبُ بها الأرضَ فيَخرُجُ ما يأكلُ يومَه، ويَرْكُزُها فيَخرجُ منها الماء، فإذا رفَعَها ذهب الماءُ، وإذا ظهَر له عدوٌّ حارَبَتْ وناضَلَتْ عنه، وإذا أراد الاستِقاءَ

= فأمر الخليفة معاوية رضي الله عنه فأُطلق، وقدمت إليه بغلةٌ ليركبها. فنفرت، فقال هذا الشعر، و«عدس» اسم صوت لزجر البغل.

(١) هذا ردّ البصريين على احتجاج الكوفيين بالآية كما في «الإنصاف» (٢/ ٥٨٩).

(٢) أي: عوسج أو سمرة، والأول قول وهب بن منبه كما في «الهداية» لمكي (٨/ ٥٥٢٧)، والثاني قول مقاتل كما في «تفسير الثعلبي» (١٧/ ٥١٨)، وفي «تفسير مقاتل» (٣/ ٢٥): «شفعة»، وعلم ذلك مما لا يضرُّ الجهل به، والله أعلم.

من البئر أَدْلاها فكانت على طولِ البئر، وصارتْ شُعبتاها كالدَّلو حتَّى يستقيَ، وكان يَظهرُ على شُعبتيها كالشَّمع باللَّيل يضيءُ له ويهتدِي به، وإذا اشتَهَى ثمرةً من الثِّمار ركَزَها فتغصَّنتْ غصنَ تلك الشّجرة، وأَوْرَقتْ وَرَقَها، وأَثْمَرَتْ ثَمرَها(١).

وإنَّما زاد على الجواب تعداداً للنِّعم وشكراً(٢)، وقيل: خاف أن يُنْكَرَ عليه استصحابُ العصا كالنَّعلين.

وقيل: هو جوابُ سؤالٍ آخر، كأنَّه لمّا قال: ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ﴾ قيل له: ما تصنع بها؟ فأخذ يَعُدُّ منافعَها، وعلى هذا القولِ يحتمِلُ أنَّ قوله: ﴿عَصَايَ﴾ جوابُ سؤالٍ آخَرَ؛ لأنَّ جوابَ قوله: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ﴾ أن يقول: عصًا، ثمَّ قيل: لِمَن هي؟ فقال: عصايَ، ثمّ قيل: وما تصنعُ بها؟ فعَدَّ مَنافِعَها(٣).

ويحتمِلُ أنَّ ما عدَّ ابنُ عبَّاسٍ من منافعِ عصاهُ حَصَل فيها بعدَ السُّؤال(٤)؛ لأنَّ أكثرَها مُعجزٌ، ولم تكن لموسى قبلَ تلك اللَّيلةِ معجزةٌ.

* * *

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٥٢٠)، وذكر نحوه مقاتل في «تفسيره» (٣/ ٢٥)، وقال ابن كثير (٥/ ٢٧٩) متعقبًا: «والظاهر أنها لم تكن كذلك، ولو كانت كذلك لما استنكر موسى عليه السلام صيرورتها ثعباناً، فما كان يفر منها هارباً، ولكن كل ذلك من الأخبار الإسرائيلية».

(٢) قال أبو حيان في «البحر المحيط» (٧/ ٣٢١): «وحكمة زيادة موسى عليه السلام رغبته في مطاولة مناجاته لربه تعالى، وازدياد لذاذته بذلك، كما قال الشاعر:

أطلتُ ذنوباً كي يطول عتابُه ... وأملى عتاباً يُستطاب فليتني».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧١٤)، واستغربه.

(٤) في (ق): «بعد ذلك السؤال».

(١٩ ـ ٢٠) ـ ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ۝١٩ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾.

﴿قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ﴾: اطْرَحْ عصاك ﴿فَأَلْقَىٰهَا﴾: فطَرَحها ﴿فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾: تمشي سريعاً.

وجاء في التَّفسير: فمرَّت بشجرةٍ فأكلَتْها، وبصخرةٍ فابتلعَتْها، فهالَ موسى ما رآه وولَّى هارباً خوفاً.

ابن عبَّاسٍ: صارت حيَّةً صغيرةً لها عُرفٌ كعُرْفِ الفَرَس، وجعلَتْ تَزِيدُ حتَّى صار[1] ثعباناً. والجانُّ أوَّلُ حالتِها، وهي الصَّغيرة من الحيَّات، والثُّعبان آخِرُ حالها، وهي أكبرُ ما يكونُ، والحيَّة للجنس يعمُّ الكلَّ[2].

***

(٢١) ـ ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾.

﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾: سنَرُدُّها إلى خِلْقتِها وهيئتِها.

والسِّيرة: مرورُ الشَّيء في جهةٍ، مِن قولهم: سار بهم سيرةً حسنةً أو قبيحةً، والتَّقدير: سنُعيدها إلى سيرتها، فحُذف الجارُّ.

فمدَّ موسى يدَه إلى قرنَيْها فعادتا شُعبتين، وصارت عصاً كما كانت.

***

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٥٢١)، وفيه: «صفراء» بدل «صغيرة». انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٧/ ٣٢٣).

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٨/ ٥٦)، و«تفسير السمرقندي» (٢/ ٥٧٤)، و«تفسير الثعلبي» (١٧/ ٥٢١)، و«الهداية» لمكي (٨/ ٥٣٧٣)، و«المخصص» لابن سيده (٢/ ٣١٢).

(٢٢) ـ ﴿وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخۡرَىٰ﴾.

﴿وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ يعني: إبطك.

الكلبيُّ: أسفل الإبط(١).

مجاهدٌ: تحت عَضُدِك(٢).

مقاتلٌ: مع جناحِكَ(٣).

وقيل: ﴿إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾: إلى عصاك(٤).

وقيل: جناحا الإنسان: جنباه؛ كجناحَيِ العسكر. وقيل: جَناحاه: يداه، والمرادُ في الآية: الجنبُ، وقيل: العَضُدُ؛ إذ لا معنَى لقوله: واضمُمْ يدَكَ إلى يدِك.

﴿تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ﴾ ذاتَ نورٍ وشعاعٍ، وكانت يدُه كالشَّمس ﴿مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ﴾: علَّةٍ ولا مكروهٍ، وجاء في التَّفسير: من غيرِ بَرَصٍ(٥).

﴿ءَايَةً أُخۡرَىٰ﴾: علامةً أخرى لنبوَّتك، وانتصابُها على الحال.

* * *

(٢٣) ـ ﴿لِنُرِيَكَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا ٱلۡكُبۡرَى﴾.

﴿لِنُرِيَكَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا ٱلۡكُبۡرَى﴾ من المعجزاتِ العِظَامِ التي نُعطِيْكَها، و﴿ٱلۡكُبۡرَى﴾ صفةُ الآيات.

---

(١) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٣٩٣)، والثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٥٢٢).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٤٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤٢١).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٥٢٣)، ولفظه: «يعني: مع جناحك، وهو عضده»، وفي «تفسير مقاتل» (٣/ ٢٥): «إلى جناحك؛ يعني: عضدك».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧١٦)، واستغربه.

(٥) انظر: «التصاريف» ليحيى بن سلام (ص: ١٢٢)، وذكره عن قتادة، و«معاني القرآن» للفراء (١/ ١٥٦)، ورواه عن ابن عباس.

وقيل: تقديره: لنُرِيَك الكبرى من آياتِنا(١).

* * *

(٢٤) ـ ﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾.

﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾؛ أي: اذهَبْ بهاتين الآيتينِ في الحال إليه وادعُه إلى عبادتنا؛ ﴿إِنَّهُ طَغَىٰ﴾: عصَى وعلَا وكفَر وتكبَّر.

ابن عبَّاسٍ: لم يرجِعْ موسى إلى أهله إلَّا بعدَ حولٍ(٢).

* * *

(٢٥) ـ ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾.

﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾: وسِّع وليِّن قلبي بالنُّبوَّة.

ابنُ جريرٍ: اشرحْ لي صدري لأَعِيَ عنكَ ما تُودِعُه من وحيِكَ، وأجترئَ على خطاب فرعون(٣).

* * *

(٢٦) ـ ﴿وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾.

﴿وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾: سهِّل عليَّ ما أَمَرْتَني من تبليغِ الرِّسالة إلى فرعون.

* * *

---

(١) هو قول أبي عبيدة في «مجاز القرآن» (٢/ ١٨)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧١٦)، واستغربه.

(٢) لم أجده.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (١٦/ ٥٢).

(٢٧ ـ ٢٨) ـ ﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي﴾.

﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي﴾: افتحْ وأَزِلْ ما بلساني من الرُّتَّة[١].

ابن عبَّاسٍ: العقدةُ في اللِّسان: كلُّ ما لم يَنطِقْ بحرفٍ مثلَ التَّمتمةِ والفَأْفَأة[٢].

قطربٌ: العقدةُ: ما لم ينطِقْ وكانت فيه مُسْكةٌ[٣].

مجاهدٌ: العقدةُ من الجمرةِ التي أَدْخَلَها فاه؛ وذلك أنَّ الله تعالى ألقَى محبَّته في قلب آسِيَةَ، وسألتْ فرعون ألَّا يَذبحَه كما يَذبحُ سائرَ أولاد بني إسرائيل، فبينا هي تُرْقِصُه يوماً وتَلعَبُ به أخذه فرعون، فلمَّا تمكَّن في حِجْره أخذَ لحيتَه فنتَفَها، فغضبَ فرعونُ غضباً شديداً، فدعا السَّيَّاف، فقالت: إنَّما هو صبيٌّ لا يفرِّقُ بين الياقوتِ والجَمْر، فأُحضِرا بينَ يديه، فأراد مدَّ اليدِ إلى الياقوت، فحوَّلَ جبريلُ يدَه إلى الجمرة، فأخذَها ووضَعَها في فيه فاحترَق لسانه، فظهر به تَتَعْتُعٌ وتَحبُّسٌ عند بعضِ الحروف، فسأل الله تعالى أن يُزيل ذلك من لسانه[٤].

---

(١) الرتة: عجلة في الكلام، كما في «العين» مادة: (ر ت ت) (٨/ ١٠٦)، و«فقه اللغة» للثعالبي (ص: ٩٠).

(٢) كذا فسَّره أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (٢/ ١٨)، وذكر نحوه أبو حيان في «البحر المحيط» (٧/ ٣٢٧) عن ابن عيسى، والتمتمة أنه يتردَّد في التاء، والفأفأة أن يتردَّد في الفاء، كما في «الزاهر» للأزهري (ص: ٧٥).

(٣) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٧/ ٣٢٧).

(٤) روى نحو هذه القصة الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥٣ ـ ٥٤) عن سعيد بن جبير ومجاهد وابن جريج والسدي. وورد معناها فيما رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١١٢٦٣)، وأبو يعلى في «مسنده» (٢٦١٨)، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وفيه أنها قالت: «اجعلْ بيني وبينك أمرًا يُعْرَفُ فيه الحقُّ، ائْتِ بجمرتين ولؤلؤتين فقرِّبْهنَّ إليه، فإنْ بَطَش باللُّؤلؤ واجْتَنَب الجمرتين عَرَفْتَ أنه يَعْقِلُ، وإنْ تناول الجمرتين ولمْ يُرِدِ اللُّؤلؤتين عَلمتَ أنَّ أحدًا لا يُؤْثِرُ الجمرتين على اللُّؤلؤتين وهو يَعقلُ، فقَرَّب =

(٢٩) ـ ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي﴾.

﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي﴾: الوزيرُ من الوِزْر؛ أي: يحمِلُ الثِّقلَ عن أميرِه، وقيل: من الوَزَر، وهو الملجأُ.

* * *

(٣٠) ـ ﴿هَٰرُونَ أَخِي﴾.

﴿هَٰرُونَ أَخِي﴾؛ أي: ﴿وَٱجۡعَل﴾ أخي هارونَ ﴿وَزِيرٗا﴾ لي ﴿مِّنۡ﴾ بينِ ﴿أَهۡلِي﴾: أهلِ بيتي[1].

* * *

(٣١) ـ ﴿ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي﴾.

﴿ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي﴾: ظهري، وقيل: قوَّتي، وقيل: ضَعْفي[2]؛ أي: اجعَلْه لي مُعاوناً أتقوَّى برأيه ومشورته.

* * *

(٣٢) ـ ﴿وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي﴾.

﴿وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي﴾؛ أي: اجعَلْه شريكي في النُّبوَّة.

وقرئ: ﴿أَشْدُدْ﴾ بالفتح ﴿وأُشْرِكْهُ﴾ بالضَّمِّ[3] جواباً لقوله: ﴿اجعل﴾.

ابن عيسى: الشَّدُّ: جمعٌ يَستَمْسِكُ به المجموعُ، قال: ومثلُه: الرَّبطُ والعَقْدُ.

= ذلك إليه فأخذ الجمرتين فانتزعوهما منه مخافة أن يحرقا يده». قال الحافظ في «الكافي الشاف» (ص: ١٠٩): «وهذا يدل على أنه لم يرفعهما إلى فيه. وهو أصح ما ورد في ذلك».

(١) في (ق): «أهل بيتي».

(٢) ذكره الأزهري في «تهذيب اللغة» (١٣/ ١٦٩) عن ابن الأعرابي، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧١٧)، واستغربه.

(٣) هي قراءة ابن عامر الشامي من السبعة. انظر: «السبعة» (ص: ٤١٨)، و«التيسير» (ص: ١٥١).

(٣٣ ـ ٣٥) ـ ﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا﴾.

﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا﴾: ننزِّهَك عمَّا لا يليقُ بك، ونقول: سبحان الله.

وقيل: نصلِّي لك.

﴿وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾ بالدُّعـاء والثَّناء على كـلِّ حالٍ.

﴿إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا﴾: عالماً بأحوالنا نَفِي بما ضَمِنَّاه أم لم نَفِ.

وقيل: عالماً بما يَصْلُح لنا في أداءِ ما أمَرْتَنا به.

* * *

(٣٦) ـ ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾.

فأجابه الله تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾؛ أي: أجبْتُك إلى مُلتمَسِك، وأُعطيتَ سؤلَكَ: من شرحِ الصَّدر، وتيسيرِ الأمر، وإزالةِ العقدةِ عن اللِّسان، وتقويةِ الظَّهرِ بنبوَّة الأخ.

وقيل: ﴿سُؤْلَكَ﴾: أمنِيَتكَ، فيمَن خصَّه بحذفِ الهمزة[١].

* * *

(٣٧) ـ ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ﴾.

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ﴾؛ أي: أنعمْنا عليك في زمانٍ آخَرَ قبل هذه المرَّة.

والمرَّةُ: الواحدةُ من مرَّات الزَّمان أو مرورِه، ويقال: مرًّا أيضًا، قال الشَّاعر:

---

(١) في «تاج العروس» مادة: (س أ ل) (٢٩/ ١٥٨): «والسؤل؛ بالضم مهموزاً، والسؤلة: بالهاء، وهذه عن ابن جني، ويُترك همزهما، وبهما قرئ قوله تعالى: ﴿قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾؛ أي: ما سألته؛ أي: أعطيت أمنيتك التي سألتها. وقال الزمخشري: السؤل فعل بمعنى مفعول، كعرف ونكر. وقال ابن جني: أصل السول الهمز عند العرب، استثقلوا ضغطة الهمزة فيه، فتكلموا به على تخفيف الهمزة». وانظر: «الكشاف» (٣/ ٦٢).

مــرًّا ســحابٌ ومــرًّا بــارحٌ تــرب[1]

وقيل: المرّةُ: الكرّةُ الواحدة.

***

(٣٨ ـ ٣٩) ـ ﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾.

﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ﴾ حين وُلدت، وكان فرعون يقتل أمثالك فنجّيناك وألهمنا أمّك. وقيل: رأت في المنام. ثم فسّر ﴿مَا يُوحَىٰٓ﴾ بقوله:

﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ﴾؛ أي: اقذفي التّابوت وهو فيه في البحر.

وقيل: ﴿ٱلْيَمِّ﴾: اسم نيل مصر خاصّةً[2]، ويَمَّ: غرقَ في البحر[3].

﴿فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ﴾: أمر البحر بأن يلقي التّابوت إلى شاطئ البحر.

وقيل: هو جوابٌ خرج مخرج الأمر كقوله: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَـٰيَـٰكُمْ﴾ [العنكبوت: ١٢].

﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ﴾ يريد: فرعون.

فاتّخذَتْ تابوتًا، وجعلت فيه قطنًا، ووضعتْ فيه موسى، وقيّرتْ رأسه وخَصاصَه[4].

---

(١) عجز بيت لذي الرمة، وصدره:

لا بَـلْ هـو الشّـوقُ مِـنْ دارٍ تخوَّنهـا

انظر: «ديوان ذي الرمة» (١/ ١٩)، و«جمهرة أشعار العرب» (ص: ٧٤٥).

(٢) والأول هو الصواب، لأن الله تعالى قال: ﴿فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾ ولم يُغرقوا في النيل. انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٧/ ٣٣٠).

(٣) انظر: «كتاب الأفعال» لابن القوطية (ص: ٣٠٤)، ولابن القطاع (٣/ ٣٧٧).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٥٢٩). وقيرت: طلت بالقار، وخصاصه: شقوقه، قاله الثعلبي.

قال مقاتل: اسمُ مَن صَنَع التَّابوتَ: خربيل، وهو مؤمنُ آلِ[١] فرعون[٢].

ثم ألقَتْه في اليمِّ، وكان فرعونُ جالسًا في مجلسٍ له على شفيرِ النِّيل جاء التَّابوت يدفعُه الماءُ إلى الشَّطِّ، وامرأتُه آسِيَةُ بنتُ مزاحمٍ جالسةٌ معه، فأُتِيا بالتَّابوت ففتحاه فرأَيا غلامًا، ووقعتْ محبَّتُه في قلوبهما، وهو قوله: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾.

قتادةُ: مَلاحةً كانت في عينيْ موسى مَن رآه أحبَّه لها[٣].

عطيَّة العَوْفيُّ: جعَلَ عليه مَسحةً من جمالٍ لا يكادُ يَصْبِرُ عنه مَن رآه[٤].

وقيل: معنى قوله: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾: أحببْتُك.

﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾: على علمٍ منِّي. وقيل: على محبَّتي، فيمَن قال: أحببْتُك.

وهو عطفٌ على المعنى؛ أي: ليُحبَّك فرعونُ ولا يقتلَك، ولتُصْنعَ على عيني.

***

(٤٠) ـ ﴿إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ﴾.

﴿إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ﴾: إذ مشَتْ أختُك وكان اسمُها

---

(١) في (ف): «من آلِ»، والمثبت من (ن)، وهو الذي ذكره كثير من المفسرين. انظر: «تفسير السمرقندي» (٢/ ١٢٧)، و«تفسير الثعلبي» (٢٣/ ١٤٩)، و«النكت والعيون» للماوردي (٤/ ٢٣٦).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٢٧)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٥٢٩)، وفيه: «حزقيل»، ولكنه ذكره بلفظ المصنف في تفسير سورة غافر (٢٣/ ١٤٩).

(٣) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦١/ ٢٣)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٥٣٠).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٥٣٠)، والواحدي في «البسيط» (١٤/ ٣٩٦).

مريمَ - حكاه الثَّعلبيُّ[(١)] - فقالت لآسيةَ وكانت تطلبُ حاضنةً وأنتَ تأبى رَضاعَ مَن تَحضُرُ من النِّساء: أَلَا أَدلُّكِ على مَن يَضمَنُ القيامَ بإرضاعه وتربيته؟

﴿فَرَجَعْنَاكَ﴾: فردَدْناكَ ﴿إِلَىٰٓ أُمِّكَ﴾ كما وعَدْناها بقولِنا: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ﴾ [القصص: ٧]، ﴿كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ سروراً بالولد ولقائِه ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ على فراقِه.

﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا﴾؛ أي: القِبْطيَّ.

ابن عبَّاسٍ: قَتَل قِبْطيًّا كافرًا[(٢)].

كعبٌ: كان إذ ذاك ابنَ اثنتيْ عشرةَ سنةً[(٣)].

﴿فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾: من خوفِ القتلِ، وذهَبْنا بك من مصرَ إلى مدينَ حتى زال.

وقيل: من غمِّ التَّابوت وكَرْبِه.

وقيل: من غمِّ البحر.

المؤرِّج: ﴿ٱلْغَمِّ﴾: القتلُ بلغةِ قريشٍ[(٤)].

قال وهبٌ: أوحى اللهُ إلى موسى لو أنَّ النَّفس التي قَتَلْتَ أَقرَّتْ ساعةً من ليلٍ أو نهارٍ بأنِّي خالقُها ورازقُها لأذَقْتُكَ طَعْمَ العذابِ، ولكنِّي عفَوْتُ عنك أمرَها أنَّها لم تُقِرَّ لي ساعةً.

﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾: وابتلَيْناكَ ابتلاءً.

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٧/ ٥٣١).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٥٣١).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٥٣٢).

(٤) ذكره دون نسبة النسفي في «مدارك التنزيل» (٤/ ٥٤٥)، والنيسابوري في «تفسيره» (٤/ ٥٤٥)، والشوكاني في «فتح القدير» (٣/ ٤٣٢)، واستبعده.

ابن عبَّاسٍ: بلاءً على بلاءٍ(١).

وقيل: أخلَصْناك إخلاصاً.

ابنُ عيسى: عامَلْناك مُعاملةَ المختبِرِ حتَّى صلَحْتَ للاصطفاء بالرِّسالة، وكان هذا أكبرَ نعمةٍ(٢).

﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ﴾: مكَثْتَ عشرَ سِنينَ في مَدْيَنَ، وهي بلدةُ شُعيبٍ على ثمانِ مراحِلَ مِن مِصرَ(٣).

وهبٌ: لبثَ عشرَ سنينَ عند أَخْتانِه حين أجَّر نفسَه من أبِ امرأتِه لمهرِ امرأته، وثمانِ عشرةَ سنةً قام بها حتَّى وُلد له(٤).

﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ﴾ القَدَرُ: المقدورُ، والمجيءُ على الشَّيء: بلوغُه والوصولُ إليه؛ أي: بلَغْتَ ما كان اللهُ قضاه وقدَّره مِن قدومِكَ في هذا المكان وإرسالِكَ إلى فرعون.

الزَّجَّاج: على موعدٍ(٥).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٦٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤٢٣) بلفظ: «ابتليناك ابتلاء».

(٢) سيأتي نقل المصنف تفسير الفتنة بالاختبار عن ابن عيسى في تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ﴾ [طه: ٨٥].

(٣) قيل بأنها سميت باسم مدين بن إبراهيم عليه السلام. انظر: «البلدان» لابن الفقيه (ص: ١٠١) و«معجم البلدان» الياقوت (٥/ ٧٧).

(٤) ذكر نحوه الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٥٣٣)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ١٥٩).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٣٥٧).

ابن عبَّاسٍ: جئتَ لميقاتٍ[1].

وقيل: للوقتِ الذي أجَّلْناه للوحي إليكَ وانبعاثِكَ للرِّسالة، وكلُّ شيءٍ لا يتجاوزُ وقتَه ولا يَزيدُ ولا يَنقصُ عن مقدارِ مُريدِه وفاعلِه فهو على قَدَرٍ.

وقيل: على رأسِ أربعين سنةً، وهو القَدرُ الذي يُوْحَى فيه إلى الأنبياء.

***

(٤١) ـ ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾.

﴿وَاصْطَنَعْتُكَ﴾: اخترْتُكَ واصطفيتُكَ واجتبَيْتُكَ.

ابن عيسى: الاصطناعُ: الإخلاصُ بالألطاف.

﴿لِنَفْسِي﴾: لمحبَّتي. وقيل: معناه: اتَّخذتُك وليًّا. ويحتمِلُ أنَّ النَّفس تأكيدٌ؛ أي: اصطنعتُكَ[2] لي نَفْسي.

***

(٤٢) ـ ﴿اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾.

﴿اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي﴾؛ أي: اذهبا إلى فرعون رسولَينِ لي بما معكما من المعجزات ﴿وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾: لا تَضْعُفَا ولا تَهِنَا. وقيل: لا تَفْتُرَا، من الوَنْيِ، والوَنْيُ هو الفتور؛ أي: لا تقصِّرا في تبليغِ ذِكْري إلى النَّاس.

***

(٤٣) ـ ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾.

﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ﴾ أعاد لأنَّ الأوَّلَ مطلَقٌ والثَّاني مقيَّدٌ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٧١).

(٢) في (ف): «اصطفيتك».

﴿إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾: كفَر وجاوَز الحدَّ في الكفر.

* * *

(٤٤) - ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾.

﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾: يحلُو في السَّمع ويأخُذُ بمجامِعِ المستمِع، ولا تُخْشِنا له في القول.

وجاء في التَّفسير: أنَّ معناه: كنِّياه في المخاطَبة، وقيل: كنيتُه أبو العبَّاس، وقيل: أبو الوليد، وقيل: أبو مُرَّةَ[1].

وقيل: كلِّماه على رِفقٍ كَيْ لَا يغضبَ ويزدادَ كفرًا.

وقيل: قولُهما: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [طه: ٤٧] هو القولُ اللَّيِّن[2].

وقوله: ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾؛ أي: اذهبَا على رجائِكما وطمَعِكما.

ابن عبَّاسٍ: (لعلّ) هاهنا استفهامٌ؛ أي: أَيتذكَّرُ فيَرْتَدِعَ، أو يَخْشَى فيَنْزَجِرَ[3]؟

وقيل: هي بمعنى: (كي)؛ أي: كي يتذكَّرَ[4].

---

(١) ذكره الفراء في «معاني القرآن» (٢/ ١٨٠) عن محمد بن أبان القرشي، والطبري في «تفسيره» (١٦/ ٧٤) عن السدي، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤٢٣) عن علي وسفيان، والثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٥٣٥) عن عكرمة. وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧١٧)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧١٧)، وعدَّه من العجائب.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٧٥) بلفظ: «هل يتذكر أو يخشى». وقد قال الكوفيون بأن لعلَّ تدل على الاستفهام وتبعهم ابن مالك. انظر: «بمعنى الذي» للمرادي (ص: ٥٨٠).

(٤) أثبت الكسائي والأخفش هذا المعنى لـ(لعل)، قال الأخفش: «نحو قول الرجل لصاحبه: افرغ لعلنا نتغدى، والمعنى: لنتغدى، وحتى نتغدى». انظر: «معاني القرآن» لأخفش (٢/ ٤٤٣)، و«مغني اللبيب» لابن هشام (ص: ٣٧٩).

(٤٥) ـ ﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾.

﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ﴾: يُعجِّلَ بعقوبتِنا، وقيل: يبادِرَ بعقوبتنا، وقيل: يَشْتِمَنا ﴿أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾: يتجاوزَ حدَّه.

ويحتمِلُ أنَّ معنى قولِهما: ﴿أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾ وقد أخبرهما اللهُ مرَّتين فقال: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ [النازعات: ١٧]، ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾؛ أي: يدومَ على طغيانه، والله أعلم.

* * *

(٤٦) ـ ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾.

﴿قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ﴾ ما تقولون ﴿وَأَرَىٰ﴾ ما تفعلون.

وقيل: معناه: حافِظُكما، كما تقولُ: اللهُ معك.

* * *

(٤٧) ـ ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ﴾.

﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾؛ أي: أطلِقْهم ﴿وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾؛ أي: لا تُتْعِبْهم في العمل، وكان بنو إسرائيلَ عند آلِ فرعون في تعبٍ ونَصَبٍ وعذابٍ شديدٍ: مِن قتل الأبناء، واستخدامِ النِّساء، وكان يكلِّفُهم الأعمالَ الشَّاقَّة: مِن ضَرْبِ اللَّبِن، وبناءِ المدائن، وعَمَلِ الطِّين، ونَقْلِ الحجر.

﴿قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ﴾ يريد: اليدَ، فأراها إيَّاه فإذا لها شعاعٌ يَغْلِبُ نورَ الشَّمس، فعَجِبَ من ذلك.

والجمهورُ على أنَّها اليدُ كما ذكرتُ، ويحتمِلُ أنَّها العصا؛ لقوله في الآية

الأخرى: ﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ [الشعراء: ٣٠ ـ ٣٢].

ويحتمِل أنَّها العصا واليدُ معًا؛ لقوله عَقِيبَه: ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ﴾ [الشعراء: ٣٣].

﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ قيل: السَّلامةُ؛ أي: نال السَّلامةَ مَن اتَّبعَ الهدى، وقيل: مَن اتَّبع الهدى فله التَّحيَّةُ والسَّلامة، وقيل: السَّلامةُ والنَّجاةُ لمن اتَّبع الهدى، وقيل: دعاءٌ منهما.

* * *

(٤٨) ـ ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾.

﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ﴾ يعني: في الدُّنيا والآخرة ﴿عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾؛ أي: كذَّب الأنبياءَ وتولَّى عن الإيمان.

قيل: هذه أَرْجَى آيةٍ في القرآن، حكاه الثَّعلبيُّ(١).

* * *

(٤٩) ـ ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ﴾.

﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ﴾؛ أي: فأَتَياه وأَدَّيَا الرِّسالةَ وقالا له كلَّ ما أُمِرا به، فقال: فمَن ربُّكما الذي تَدْعُوانِني إليه يا موسى؟ فوحَّد(٢) لأنَّ المتكلِّم كان هو وحدَه، وقيل: لتغليبِ الخطاب(٣)، وقيل: لرَوِيِّ الآية.

* * *

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٧/ ٥٤١)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧١٨) واستغربه.

(٢) فقال: يا موسى، ولم يقل: يا موسى وهارون.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧١٨)، واستغربه.

(٥٠) ـ ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾.

﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾؛ أي: أعطَى كلَّ واحدٍ من المخلوقات ما به قِوَامُه واستقلالُه في كونِه ومَعاشه.

﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾؛ أي: هدَاه إلى ما يَتِمُّ به وله أمرُ مَعاشه.

ابن عبَّاسٍ: أعطَى كلَّ شيءٍ زوجَه ثم هَدَاه لمَنْكَحِه ومَطْعَمه ومَشْرَبه[1].

وقيل: أعطاه نظيرَه في الصُّورة من الذُّكورة والأُنوثة ثمَّ هدَاه لمأتَى النَّسْلِ.

وقيل: معناه: ملَّكَ عباده جميعَ الدُّنيا، ثم هداه[2] إلى معرفة توحيدِه؛ أي: دَلَّه.

ويحتمِل أنَّ الهاء في ﴿خَلۡقَهُۥ﴾ تعودُ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ على هذا القول[3]، وعلى غيره من الأقوال تعودُ إلى ﴿كُلَّ شَىۡءٍ﴾.

وقيل: أعطَى كلَّ شيءٍ صورتَه ثمَّ هداه لمعيشتِه.

وقيل: أعطَى كلَّ شيءٍ قوَّته.

* * *

(٥١) ـ ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ﴾.

﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ﴾؛ أي: لم يكونوا على ما تَدْعوني إليه ثم لم يَنَلْهم ما تُوْعِدُني به من العذاب.

وقيل: إنَّما قال ذلك حين ذكَر البعثَ، فقال: ما بالُ القرونِ الأولى لم يُبعَثوا؟

وقيل: معناه: إنْ كُنْتُما نبيَّينِ فأَخبِراني حالَ القرونِ الماضية.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٧٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤٢٤).

(٢) أي: هدى الخلق.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧١٨)، واستغربه.

(٥٢) ـ ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾.

﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ﴾؛ أي: أسماؤُهم وأفعالُهم مُثْبتةٌ في اللَّوح المحفوظ، وقد أحاطَ علمُه سبحانه بهم وهو يُجازيْهم في دارِ الجزاءِ ووقْتِه.

﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾؛ أي: لا يُخطِئُ، ولا يَنْسَى ما عَلِمَ.

وقيل: عَدَل فرعونُ عن المُحاجَّة في الله إلى ذِكر القرون.

ابن عيسى: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي﴾: لا يذهب عليه، تقول العرب: «ضلَّ منزلَه» بغير ألفٍ، وفي الحيوان: «أضلّ بعيرَه» بالألف[١].

وقيل: ﴿لَّا يَضِلُّ﴾[٢] الكتابُ.

﴿وَلَا يَنسَى﴾ ما في الكتاب.

ويقال: ﴿وَلَا يَنسَى﴾: لا يترُك مؤمناً إلَّا جازاه على خيرِه، ولا كافراً إلَّا جازاه على شرِّه.

وقيل: ذكَر ذلك لأنَّه لم يكن نَزَل عليه التَّوراةُ بعدُ.

* * *

(٥٣) ـ ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾.

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾: مسكَناً يُمْكِنُكم الاستقرارُ فيها، ولم يَجعلْها حَزْنةً غليظةً لا يمكنُ الاستقرارُ عليها ولا حَرْثُها ولا حَفْرُها.

---

(١) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٧/ ٣٤١).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧١٩)، واستغربه.

والمهدُ: يَصْلُحُ للاسم والمصدر، والمهادُ يَصْلُحُ للواحد كالفراش والجمع، والمهدُ: ما يُهيَّأ للصَّبيِّ لينامَ فيه[١].

﴿وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾: نَهجَ وأَوْضَحَ لكم طرقاً تسلُكونها.

وقيل: إنَّ المعنى: أَدْخَلَ لأَجْلِكم فيها طرقاً تبلُغون إلى مَنافِعها، فإنَّها متفرِّقةٌ فيها، فما فُقِدَ في مكانٍ جُلب إليه من مكانٍ، من قوله: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾ [المدثر: ٤٢].

﴿وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾: مطراً ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾ ذُكر بلفظ التَّعظيم، وقيل: يجوز أن يكون تقديره: فأخرَجْنا نحن[٢] معاشَ عبادِه بالحَرْث والزَّرْع، وقد سبق.

﴿أَزْوَاجًا﴾: أصنافاً وألواناً ﴿مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾: متفرِّقٍ كثيرٍ، يجوزُ أن يكونَ من وصفِ الأزواج؛ أي: أزواجاً شتَّى من النَّبات، ويجوزُ أن يكونَ مِن وصفِ النَّبات.

***

(٥٤) ـ ﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ﴾.

﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ﴾؛ أي: كُلوا منها ما يَصْلُحُ لقُوتِكُم وغِذائكُم وتفكُّهِكم، ﴿وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ﴾: الكلأَ والحشيشَ والخُضَر.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾؛ أي: في إنباتِ الألوانِ المختلِفة من ماءٍ واحدٍ ﴿لَآيَاتٍ﴾: لبصائرَ ودلالاتٍ ﴿لِّأُولِي النُّهَىٰ﴾: لذَوِي العقول، واحدُها: نُهْيَةٌ[٣]، وسمِّي نُهْيةً؛ لأنَّها تَنْهَى

---

(١) قرأ ابن عامر ونافع بالرفع وابن كثير وأبو عمرو (مهاداً) بالألف وكسر الميم وفتح الهاء، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي ﴿مَهْداً﴾ بفتح الميم من غير ألف. انظر: «السبعة» (ص: ٤١٨)، و«التيسير» (ص: ١٥١).

(٢) أي: بني آدم، وقد تقدم ذكر هذا في تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٩٩].

(٣) انظر: «التقفية في اللغة» للبندنيجي (ص: ١٢٥).

صاحبَها عمَّا لا يُحبُّ ولا يَحْسُنُ، وقيل: لأنَّ صاحبها يُنتَهَى إلى رأيه ومعرفته، وقيل: يُنْتَهَى إلى رأيه فيُعْمَلُ به.

* * *

(٥٥) ـ ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾.

﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ﴾؛ أي: من الأرض.

وأراد به آدمَ عليه السَّلامُ؛ لأنَّه خُلِقَ من طينٍ، وهو الأصلُ.

وقيل: لأنَّ النُّطفة يكوِّنُها الله من أنواعِ الأغذية وهي من الأرض[1]، والأوّل هو الوجه.

﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ بعد الموت.

وقيل: حقيقةُ الإعادة: انحلالُ تركيبه وعَوْدُ كلِّ جزءٍ إلى أصله، والأوَّلُ أظهر.

﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾؛ أي: نخلُقكم؛ كقوله: ﴿النَّشْأَةَ الْأُخْرَىٰ﴾ [النجم: ٤٧].

* * *

(٥٦) ـ ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا﴾ يريد: آياتِنا التي أَصْحَبْنا موسى ﴿فَكَذَّبَ﴾؛ أي: فرعونُ موسى ﴿وَأَبَىٰ﴾: امْتنَعَ من طاعةِ الله والإيمانِ به.

* * *

(٥٧ ـ ٥٨) ـ ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝٥٧ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى﴾.

﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا﴾ يعني: مصرَ ﴿بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾؛ أي: قد عرَفْنا

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧١٩)، واستغربه.

خداعَكَ ﴿ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ ﴾: نُقابلنَّكَ[1] بمثْلِ فعلِكَ ﴿فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا﴾؛ أي: واعِدْنا مكاناً نجتمِعُ للمغالَبة فيه؛ فيتبيَّنُ صدقُكَ في دعوَى النُّبوَّة، ثم لا نُخْلِفُ ذلك الموعِدَ لا نحنُ ولا أنت.

﴿سُوًى﴾: سَوِيًّا لا ساترَ فيه، وقيل: عدلاً، وقيل: نَصَفاً بين الفرقين، وقيل: مكاناً يستوِي مسافتُه على الفريقين.

قرئ بالضَّمِّ والكسر[2]، وهما صفتان كلُبَدٍ وحُطَمٍ[3]، ولحمٍ زِيَمٍ[4]، وقومٍ عِدًى.

ونُصبَ ﴿مَكَانًا﴾ على البدلِ من موعد.

الكلبيُّ: مكاناً سِوَى هذا المكان[5]. وفيه بعدٌ عند المحقِّقين.

---

(١) في (ف): «نقابلك».

(٢) قرأ عاصم وابن عامر وحمزة: ﴿سُوًى﴾ بضم السين منوناً، وباقي السبعة بكسرها منوناً. انظر: «السبعة» (ص: ٤١٨)، و«التيسير» (ص: ١٥١).

وقرئ في الشاذ بالضم وبالكسر بلا تنوين فيهما. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٠)، و«المحتسب» (٢/ ٥٣).

(٣) اللُّبد: من لا يبرح منزله، ولا يطلب معاشاً، كما في «القاموس المحيط»، مادة (ل ب د) (ص: ٣١٦)، والحُطم: الشديد الحَطْم، كما في «تصحيح الفصيح» لابن درستويه (ص: ٤٣٠).

(٤) لحم زيم؛ أي: مكتنز، أو متفرق، كأنه ضدٌّ. انظر: «مقاييس اللغة» مادة (ز ي م) (٣/ ٤١)، و«معجم ديوان الأدب» (٣/ ٣٤٦)، و«تاج العروس» (٣٢/ ٣٤٥).

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٥٥١)، والواحدي في «البسيط» (١٤/ ٤٣٠)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧١٩)، وعدَّه من العجائب. ثم قال: «وفيه بعد؛ لأنه لا يستعمل غير مضاف».

(٥٩) ـ ﴿ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴾.

﴿ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ ﴾ ابن عبَّاسٍ: يومُ عاشوراءَ[1].

سعيدٌ: يومُ سُوقٍ لهم[2].

وقيل: يومُ النَّيْروز.

الكلبيُّ: يومُ عيدٍ لهم من كلِّ سنةٍ يتزيَّنون ويجتمِعون فيه[3].

وقيل: السَّبت.

﴿وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴾: وأنْ يُساقَ النَّاس للاجتماع ضُحًى.

وقيل: ما كان لهم اجتماعٌ، وإنَّما قال موسى: يجب أن يُحشروا لأمرنا.

***

(٦٠) ـ ﴿ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴾.

﴿ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴾: أَدْبَرَ عن موسى مُعْرِضاً، وجمَع مَكْرَهُ ثم جاء الموعدَ[4].

وقيل: تَرَكَ ما كان فيه وقَصَد لجمعِ سَحَرته ﴿ثُمَّ أَتَىٰ﴾: تَهيَّأ لمغالبةِ موسى.

وقيل: مضَى ليَفعلَ ما قال وتهيَّأ لمقاومةِ موسى.

---

(١) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٤٠٣)، والثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٥٥٢)، والماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٤٠٩).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٩١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤٢٦).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٢٤٩)، والواحدي في «تفسيره» (١٤/ ٤٣٢).

(٤) في (ف): «للموعد».

وقولـه: ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ﴾ والقيـاسُ: أَجْمَـعَ[١]؛ لأنَّ المـرادَ بالكيد السَّـحرةُ، فحُمـل علـى المعنى.

ابن عبَّاسٍ: كانوا اثنين وسبعين ساحرًا، مع كلِّ واحدٍ حبلٌ وعصًا[٢].

وقيل: كانوا أربعَ مئةٍ، حكاه الثَّعلبيُّ[٣].

***

(٦١) ـ ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ﴾.

﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾: لا تقولوا لِمَا جئتُ به: سحرٌ ﴿فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ﴾: فيُهْلِكَكم، قتادةُ: يستأصلكم[٤]. وقيل: فيذبَحَكم.

ابن عيسى: أصل السَّحْتِ: استقصاءُ الحَلْق، سَحَتَ وأَسْحَتَ لغتان[٥].

﴿وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ﴾: من كذَب لينال رغيبةً خاب آخرًا.

***

(٦٢) ـ ﴿فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ﴾.

﴿فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾؛ أي: تنـازَعَ السَّـحَرة فقـال بعضُهـم: هـذا سـاحرٌ

---

(١) لأن (أجمع) أكثر ما يقال في المعاني، و(جمع) أكثر ما يقال في الذوات، والكيد معنى، فكان القياس أن يقال: فأجمع كيده. انظر: «شروح درة الغواص» للشهاب الخفاجي (ص: ٢٨١).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٨/ ٧)، والماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٤١٣).

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٨/ ٧).

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٨٢٠)، والطبري في «تفسيره» (١٦/ ٩٤).

(٥) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٧/ ٣٣٥) بلا نسبة، وزاد أن (سحت) لغة الحجاز، و(أسحت) لغة نجد وتميم.

مثلُنا، وقال بعضُهم: ليس هذا من كلامِ السَّحرة، يعني: قولَه: ﴿لَا تَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ الآية.

﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَىٰ﴾؛ أي: أسرُّوا كلامهم هذا فيما بينهم.

وقيل: تناجَوا فيما بينهم: إنْ غلبَهم موسى آمنوا.

والتَّنازُعُ: الاختلافُ؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ[1] يَنزِعُ المعنى عن صاحبه.

وقيل: الضَّمير في ﴿تَنَٰزَعُوٓاْ﴾ لفرعونَ وقومِه والسَّحرة جميعاً؛ أي: تشاوَروا في أمر موسى وفيما يَخافون مِن قِبَله.

* * *

(٦٣) ـ ﴿قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخۡرِجَاكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِمَا وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ﴾.

﴿قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾؛ أي: قال فرعون وأصحابُه للسَّحرة وغيرِهم: ﴿إِنۡ هَٰذَٰنِ﴾ يعني: موسى وهارون ﴿لَسَٰحِرَٰنِ﴾.

ويَحتمِل أنَّه تفسيرٌ لـ﴿ٱلنَّجۡوَىٰ﴾.

﴿يُرِيدَانِ أَن يُخۡرِجَاكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم﴾ مصرَ ﴿بِسِحۡرِهِمَا﴾؛ أي: هما يجتهِدان في إبطالِ دينِكم والاستيلاءِ على دياركم ﴿وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ﴾؛ أي: والذَّهابَ بطريقتِكم المُثْلى، وهي: أحسنُ العاداتِ والسِّيَرِ والهيئات، فاجتهِدوا في إبطالِ ما أَتَيا به وابذُلوا وسعَكم فيه.

ومعنى (طريقتِكم): أهلِ طريقتِكم، و﴿ٱلۡمُثۡلَىٰ﴾: تأنيثُ الأَمثل، وهو الأحسنُ الأفضل.

---

(١) في (ف): «واحد منهم».

الزَّجَّاج في جماعةٍ: الطَّريقةُ: الأشرافُ والأفاضل، يُقال للرَّجل الفاضل: هذا طريقةُ قومه ونظيرةُ قومه، قال: وحقيقتُه: أن يُجعلَ قدوةً فتُتَّبعَ طريقتُه، وأن يُنْظَرَ إليه فيُتَّبعَ(١). وعلى هذا لا يحتاجُ إلى إضمارِ الأهل.

ابن عبَّاسٍ: أي: أمثَلكم، وهم بنو إسرائيل(٢).

مجاهدٌ: أولو الفضلِ والشَّرف(٣).

وقيل: الذي أنتم عليه، مِن قولِه: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ﴾ [غافر: ٢٦].

وقولُه: ﴿إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ اختلَف النُّحاةُ فيه:

فذهب بعضُهم إلى أنَّ هاهنا إضمارَ الأمر والشَّأن؛ أي: إنَّه هذان، قال الشَّاعر:

إنَّ مَــن لامَ فــي بنــي بنــت حسَّــا ... ن أَلُمْــهُ وأَعْصِــه فــي الخُطــوبِ(٤)

يريد: إنَّه مَن لامَ.

وقال بعضهم: ﴿إِنَّ﴾ بمعنى: نعم، قال الشَّاعر:

ويَقُلْــنَ: شيــبٌ قــد عــلا ... كَ وقــد كبــرتَ، فقلــتُ: إنَّــهْ

لا بــدَّ مــن شــيبٍ ومِــن ... كبــرٍ، فدَعْــنَ مَلَامَكُنَّــه(٥)

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٣٦٤).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ١٠٢).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ١٠٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤٢٧).

(٤) البيت للأعشى. يمدح قيس بن معدي كرب الكندي والد الأشعث بن قيس الصحابي، يريد أنه يحبهم، وأنَّ مَن لامه في محبته إياهم كافأه على لوم بلومٍ مثله، ولم يطعه في أمره، وقوله: «بني بنت حسان» حسان أحد تبابعة اليمن. انظر: «ديوان الأعشى» (ص: ٣٣٥)، و«الكتاب» (٣/ ٧٢)، و«المسائل الحلبيات» (ص: ٢٦١)، و«شرح أبيات سيبويه» لأبي محمد السيرافي (٢/ ٩٥)، و«خزانة الأدب» (٥/ ٤٢٣).

(٥) البيتان لعبيد الله بن قيس الرقيات كما في «ديوانه» (ص: ٢١٢)، و«غريب الحديث» لأبي عبيد =

واعتذروا عن اللامِ بأنَّ اللام قد يَدخلُ الخبرَ كما يَدخلُ المبتدأ، قال:

خالــي لأَنــتَ ومَــن جَريــرٌ خــالُــه يَــنَلِ العَــلاءَ ويُكْــرِمِ الأخْــوالا[١]

الزَّجَّاج: لهما ساحران[٢]. وزيَّفه أبو عليٍّ.

وقال بعضُهم هذا بلغةِ بَلْحارثِ بن كعبٍ وخَثعمٍ[٣]، وأنشد:

فأَطْـرَقَ إطـراقَ الشـجاعِ ولـو يَرَى مسـاغاً لنابـاه الشـجاعُ لصمَّمـا[٤]

أي: لنابَيْه[٥].

= (٢/ ١٢٥)، و«البيان والتبيين» (٢/ ١٩١)، و«المنتخب من كلام العرب» لكراع النمل (ص: ٦٢٢)، و«الأغاني» (٤/ ٧١). والبيت الثاني لم يُذكر إلا في «الأغاني» برواية:

لا بـدّ مـن شـيب فدعــ ـــن ولا تطلــن ملامكنَّــه

(١) البيت بلا نسبة في «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٣٦٣)، و«سر صناعة الإعراب» لابن جني (٢/ ٥٦)، و«المحكم» لابن سيده (٤/ ٤٧٣)، و«البسيط» للواحدي (١٤/ ٤٤٢)، و«شرح التسهيل» لابن مالك (١/ ٢٩٩).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٣٦٣).

(٣) واختار هذا أبو حيان فقال في «البحر» (٧/ ٣٥٠): والذي نختاره في تخريج هذه القراءة أنها جاءت على لغة بعض العرب من إجراء المثنى بالألف دائماً، وهي لغة لكنانة؛ حكى ذلك أبو الخطاب، ولبني الحارث بن كعب وخثعم وزبيد وأهل تلك الناحية؛ حُكِي ذلك عن الكسائي، ولبني العنبر وبني الهجيم ومراد وعذرة. وقال أبو زيد: سمعت من العرب من يقلب كل ياء ينفتح ما قبلها ألفاً.

(٤) البيت للمتلمس بن عبد المسيح الضبعي، كما في «العين» (٧/ ٩٢)، و«الأصمعيات» (ص: ٢٤٦)، و«الشعر والشعراء» لابن قتيبة (١/ ١٧٨)، و«تهذيب اللغة» (١٢/ ٩٠)، ونسبه ابن السيد في «الحلل» (ص: ٢٨٥) لعمرو بن شأس الأسدي، وهو دون نسبة في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٨٤). ورواية الخليل والأصمعي: «لنابيه» فلا شاهد فيه.

(٥) في هامش (ن): «تثنية الناب، وهو الضرس».

وقال بعضهم: ألفُ ﴿هَٰذَٰنِ﴾ ألفُ الأصل، وألفُ التَّثنية حُذفت لالتقاء السَّاكنَين بخلافِ سائرِ ما في آخرِه ألفٌ؛ لأنَّ النُّون هاهنا لازمٌ فصار دليلَ التَّثنية[1]، ولهذا شدَّد مَن شدَّد النُّون[2].

وقراءة أبي عمرٍو صحيحٌ في الإعراب مخالفٌ للإمام، وقراءةُ مَن خفَّف النُّون أحسنُ الثّلاثة[3].

***

(٦٤) ـ ﴿فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ﴾.

﴿فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ﴾ هذا مِن قول السَّحرة بعضِهم لبعضٍ، وقيل: من قول فرعون لهم، والمعنى: ليكن عزمُكم كلُّكم على الكيدِ مجتمعِين عليه غيرَ مختلِفين فيه؛ فمَن وصل احتجَّ بقوله ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ﴾ [طه: ٦٠] وقد سبق، ومَن قطع[4] فلأنَّك تقول: أجمعتُ الأمرَ وجمعتُ القومَ، والكيدُ أمرٌ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٢١)، واستغربه. وفيه: «ومن الغريب: أنه لما ثنى «هذا» اجتمع في التثنية ألف «هذا» وألف التثنية، فحذف ألف التثنية لالتقاء الساكنين، وناب عن ألف التثنية النون، فإنه لازم له لا تحذفه الإضافة؛ لأنه لا يضاف، ومَن قرأه (هذين) قال: حذف ألف «هذا» وبقي ألف التثنية، ثم انقلبت في حال النصب والجر ياء، وهذا كما في واوَيْ: مقْوُول، وألفي: رأيت عصا، في الوقف، فتأمل فإنه أحسن ما قيل فيه.

(٢) وهو ابن كثير كما سيأتي.

(٣) قرأ أبو عمرٍو: ﴿إنَّ هذَيْنِ لساحِرانِ﴾، وابنُ كثير وحفصٌ: ﴿إنْ هذان لساحران﴾، والباقون: ﴿إنَّ هذان لساحران﴾، وشدد ابن كثير النُّون من ﴿هذانِّ﴾ والباقون يخففونها. انظر: «السبعة» (ص: ٤١٩)، و«التيسير» (ص: ١٥١).

(٤) قرأ أبو عمرو بوصل الألف وفتح الميم، والباقون بقطع الألف وكسر الميم. انظر: «السبعة» (ص: ٤١٩)، و«التيسير» (ص: ١٥٢).

﴿ثُمَّ ٱئۡتُواْ صَفّٗاۚ﴾؛ أي: مصطفِّين، وقيل: صفوفاً، وقيل: هو موضعٌ يجتمِعون فيه في الأعياد كالمصلَّى وما أَشبهه[1].

﴿وَقَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡيَوۡمَ مَنِ ٱسۡتَعۡلَىٰ﴾؛ أي: نال البُغْيَة والظَّفَر مَن غلَب.

***

(٦٥) ـ ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ﴾.

﴿قَالُواْ﴾؛ أي: السَّحرةُ ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ﴾: إمَّا أنْ تبدأ فتطرحَ ما معك من العصا، وإمَّا أنْ نبدأ فنطرحَ ما معنا، وهو قوله: ﴿وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ﴾.

وموضعُ ﴿أَن﴾ فيهما نصبٌ؛ أي: اخترْ أحدَ هذين، ويجوز أن يكونَ رفعاً بالابتداء والخبرُ مضمرٌ.

***

(٦٦) ـ ﴿قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ﴾.

﴿قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْ﴾؛ أي: اطرحوا حبالكم وعصيَّكم.

ذكر بعض المفسِّرين أنَّهم كانوا سبعين ألفَ ساحرٍ، معهم سبعون ألفَ حبلٍ وسبعون ألف عصًا[2].

وهبٌ: خمسةَ عشرَ ألفاً[3].

السُّدِّيُّ: ثلاثاً وثلاثين ألفاً[4].

---

(١) ذكره أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٣) بعد سابقه، وذكره الزجاج في «معاني القرآن» (٣/ ٣٦٥)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٢٢)، واستغربه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٣٥٨)، والثعلبي في «تفسيره» (١٨/ ٣٠)، عن القاسم بن أبي بزة.

(٣) ذكره مكي بن أبي طالب في «الهداية» (٧/ ٤٦٦٧).

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٣٥).

ابن جُريجٍ: تسعَ مئةٍ؛ ثلاثَ مئةٍ من الفرس، وثلاثَ مئةٍ من الرّومٍ، وثلاثَ مئةٍ من إسكندريَّة، ومعهم حملُ ثلاثِ مئة بعيرٍ[١].

﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ﴾؛ أي: فألْقَوا فإذا حبالُهم وعصيُّهم ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾: تمشي سريعاً؛ لأنَّهم جعلوا فيها الزئبقَ، والزِّئبقُ يتحرَّك عند اشتدادِ حرِّ الشَّمس عليه، فتخيَّلت له أنَّها تتحرَّك، وكذلك تراءَى للنَّاس أنَّ الواديَ امتلأ حيَّاتٍ عظاماً يركبُ بعضُها بعضًا.

وقيل: ﴿إِلَيْهِ﴾ يعودُ إلى فرعون[٢].

وخيالُ الشَّيء: ما يُتصوَّر في النَّفس على مثالِ الشَّيء وليس به في الحقيقة.

وقوله: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ﴾ يُخيَّل إليه[٣] سعيُها، ومَن قرأ بالتَّاء[٤] فالفعلُ مسندٌ إلى ضمير الحبال والعصيِّ، و﴿أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ بدلٌ منها.

* * *

(٦٧) ـ ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾.

﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾؛ أي: تَدَاخَلَ موسى من ذلك رعبُ البشريَّة عند معايَنةِ الأهوال التي لا عَهْدَ له بها.

وقيل: خاف موسى أن يَفْتَتِنَ النَّاسُ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ١٠٨) بلفظ: «كان السحرة ثلاث مئة من العريش، وثلاث مئة من فيوم، ويشكُّون في ثلاث مئة من الإسكندرية».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٢٢)، واستغربه.

(٣) «أنها تسعى يخيل إليه» ليس في (ن).

(٤) وهي قراءة ابن ذكوان. انظر: «التيسير» (ص: ١٥٢).

وقيل: لمّا أَبطأ عليه الوحيُ بإلقاء عصاه خاف.

وقيل: الإيجاسُ: الإحساسُ والإضمار.

وقيل: [أوجس]: أَحسَّ [و]وَجَد(١).

وتقدير الآية: فأَوْجَس موسى خِيفةً في نفسه، فأُخِّر لرويِّ الآية.

* * *

(٦٨) ـ ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾.

﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾؛ أي: لا تخف ما توهَّمتَ فالنُّصرةُ والظَّفَرُ(٢) لك.

* * *

(٦٩) ـ ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾.

﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ﴾(٣): واطْرَحْ عصاكَ تَبتلِعْ عصيَّهم وحبالهم. والتَّلَقُّفُ: أخذُ الشَّيء بسرعةٍ، تقول: لَقِفْتُه وتَلَقَّفْتُه.

والتَّاء في ﴿تَلْقَفْ﴾ للتَّأنيث. ويجوزُ أن تكونَ للخطاب على طريق السَّبب(٤).

فألقاها ففتَحَتْ فاها ووضعتْ إحدى مِشْفَرَيها على الأرض ورفعتِ الأخرى

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٨٦)، و«تفسير السمرقندي» (٢/ ٤٠٥)، و«تفسير الثعلبي» (١٨/ ٣٦)، وما بين معكوفتين من هذه المصادر.

(٢) في (ف): «والغلبة».

(٣) في (ن): «تَلْقَفْ ما صنعوا»، وهي قراءة حفص بإسكان اللام مع تخفيف القاف والجزم، وقرأ الباقون بفتح التاء واللام وتشديد القاف، مع الرفع لابن ذكوان والجزم للباقين. انظر: «السبعة» (ص: ٤٢٠)، و«التيسير» (ص: ١١٢ و١٥٢).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٢٢)، واستغربه.

فابتلعَتْ كلَّها ولم يَظهَرْ أثرُ ذلك عليها، ثمَّ جاءت إليه فقَبَض عليها فإذا هي عصًا كما كانت.

﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ﴾: حيلةُ ساحرٍ، و﴿كَيْدُ سَاحِرٍ﴾ إضافةُ تبعيضٍ؛ أي: الذي صنعوه وعَمِلوه.

وقيل: معنى ﴿صَنَعُوا﴾: احتالوا وكذَبوا.

﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾: حيث كان وأين كان؛ أي: يُقتلُ حيث وُجد، قال عليه السلام: «إذا رأيتم السَّاحرَ فاقتُلوه»، ثمَّ قرأ: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾(١).

وقيل: معناه: لا ينال الظَّفَر؛ لأنَّه باطلٌ.

* * *

(٧٠) ـ ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾.

﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾؛ أي: لمّا رأى السَّحرةُ ذلك تحقَّقوا أنَّه ليس بسحرٍ وأنَّه من الله، فآمَنوا كلُّهم وخرُّوا ساجِدين لله ورفعوا أصواتهم ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾؛ أي: آمنَّا بالله وأقرَرْنا بأنَّ الذي أتى به موسى وهارونُ من عند الله، وليس هو بسحرٍ ولا مِن أفعال البشر.

وذُكر بلفظ المجهول؛ أي: دُفعوا ـ لعظيمِ ما رأَوا وظهَر لهم من الآية ـ إلى الإيمان والسُّجود وهم مختارون، وقيل: لسرعةِ ما سجدوا كأنَّهم أُلْقُوا.

وقدَّم ﴿هَارُونَ﴾ لرويِّ الآية، ولأنَّ الواو لا يُوجِبُ ترتيباً.

---

(١) رواه ابن بشران في «أماليه» (٨٥٧) عن جندب بن عبد الله البجلي، وروى الترمذي (١٤٦٠) عن جندب قال: قال رسول الله ﷺ: «حد الساحر ضربة بالسيف»، وقال: «هذا حديث لا نعرفه مرفوعًا إلا من هذا الوجه، وإسماعيل بن مسلم المكي يضعف في الحديث من قبل حفظه، وإسماعيل بن مسلم العبدي البصري قال وكيع: هو ثقة، ويروي عن الحسن أيضًا، والصحيح عن جندب موقوفًا».

وقيل: قدَّم ﴿هَٰرُونَ﴾ لأنَّ فرعونَ ربَّى موسى في صِغره، فربَّما يَتوهَّمُ مُتوهِّمٌ أنَّهم عَنَوا بربِّ موسى: فرعون(١).

***

(٧١) ـ ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ﴾.

﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ﴾: لموسى، تقول: آمنتُ له وآمنتُ به.

ابنُ عيسى: اللَّام يتضمَّن معنى الاتِّباع دون الباء(٢).

﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾: آمُرَكم به ﴿إِنَّهُۥ﴾: إنَّ موسى ﴿لَكَبِيرُكُمُ﴾: أستاذُكم ومعلِّمُكم وأعلَمُكم ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾ وأنتم تواطَأْتُم على ما فعَلْتُم ﴿فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ﴾: اليدَ اليمنَى والرِّجلَ اليسرى.

ويحتمِل: مِن أجل خلافٍ ظهَر منكم(٣).

﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾: ولأجعلنَّكم على الخُشُبِ حتَّى تموتوا عليها جوعاً وعطشاً.

وقيل: هو أنْ يُترك على الخشب إلى أن يسيلَ منه الصَّليبُ، وهو الوَدَك(٤).

وفرعون أوَّلُ مَن صَلَب(٥).

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٢٣)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤١٨)، وذكر نحوه الخطيب الإسكافي في «درة التنزيل» (٢/ ٦٧٢) بلا نسبة.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٢٣)، واستغربه.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٢٣)، واستغربه.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٣٦٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

و﴿فِي﴾ ههنا بمعنى: على؛ لأنَّ المصلوب إذا علا على الخشب صار الخشبُ ظرفاً له ومستقرًّا، ولأنَّ حروفَ الجرِّ ينوبُ بعضُها عن بعضٍ[1].

﴿وَلَتَعۡلَمُنَّ أَيُّنَآ﴾ أنا أم ربُّ موسى الذي آمنتُم به خوفاً من عذابه ﴿أَشَدُّ عَذَابٗا وَأَبۡقَىٰ﴾: أَدْوَمُ.

❋ ❋ ❋

(٧٢) ـ ﴿قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ﴾.

﴿قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ﴾: لن نختارَكَ ﴿عَلَىٰ مَا جَآءَنَا﴾ موسى ﴿مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾: الدَّلالاتِ القاطعةِ.

﴿وَٱلَّذِي فَطَرَنَا﴾: خلَقَنا، وهو عطفٌ على ﴿مَا﴾، وقيل: أَقْسَموا بالله أنَّهم لا يُؤْثِرونه.

﴿فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾؛ أي: قاضيهِ؛ أي: اصنَعْ وافْرُغْ ممَّا تفعل بنا، وقيل: احكم ما أنت حاكمٌ.

﴿إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ﴾؛ أي: قضاؤك بما تقضيهِ وسلطانُك فيما تأتيهِ إنَّما هو في هذه الدُّنيا، فهي ظرفٌ، وقيل: مفعولٌ به.

❋ ❋ ❋

(١) هذا مذهب الكوفيين كما تقدم التنبيه عليه أكثر من مرة، وقد قال فيه ابن جني في «الخصائص» (٢/ ٣٠٨): «هذا باب يتلقاه الناس مغسولاً ساذجاً من الصنعة، وما أبعد الصواب عنه وأوقفه دونه...» ثم بيَّن أن اتساع العرب في إنابة حروف الجر إنما يكون لضرب من تضمين الفعل معنى فعل آخر يتعدى بذلك الحرف.

(٧٣) ـ ﴿إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾.

﴿إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا﴾: كُفْرنا وذنوبنا ﴿وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ﴾: بدعائك إيَّانا إليه.

وقيل: بحَمْلِك إيَّانا على تعليمه وتعلُّمِه.

وقيل: بإكراهك إيَّانا على مقابلةِ موسى بالسِّحر.

وقيل: ﴿ما﴾ نفيٌ، وتقديرُه: خطايانا من السِّحر لم تُكْرِهنا عليه، وفيه ضعفٌ؛ لأنَّ ضميرَ المجرور لا يتقدَّمُ على المجرور[1].

﴿وَٱللَّهُ خَيْرٌ﴾ جزاءً وثواباً ﴿وَأَبْقَىٰٓ﴾ عقاباً وعذاباً، جوابٌ[2]؛ لقوله: ﴿أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ﴾.

* * *

(٧٤) ـ ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾.

﴿إِنَّهُۥ﴾: الأمرَ والشَّأنَ ﴿مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ﴾ في الآخرة ﴿مُجْرِمًا﴾: كافراً مات على كفره ﴿فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ﴾ يحتمِلُ الضَّميرُ أن يعودَ إلى المجرم، ويحتمِلُ أن يعودَ إلى ﴿رَبَّهُۥ﴾.

﴿لَا يَمُوتُ﴾ المجرمُ ﴿فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾؛ أي: ﴿لَا يَمُوتُ﴾ فيستريحَ، ﴿وَلَا يَحْيَىٰ﴾ فيتهنَّى.

وقيل: ﴿لَا يَمُوتُ﴾ فتخرجَ نفسُه، ﴿وَلَا يَحْيَىٰ﴾ فتستقرَّ نفسُه في مَقَرِّها[3]، ولكنَّها تتعلَّق بالحناجر.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٢٣)، وعدَّه من العجائب.

(٢) «جواب» ليس في (ن).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٢٤)، واستغربه.

(٧٥ ـ ٧٦) ـ ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ۝٧٥ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾.

﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا﴾: مُطيعاً مات على إيمانه ﴿قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ في الدّنيا ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ﴾: المنزلةُ والمكانة، وقيل: المكانُ والمنزلُ، ثم فسَّر فقال:

﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾: تطهَّرَ من الكفر وطلبَ أن يكونَ عند الله زاكياً.

وقيل: قال: لا إلهَ إلَّا اللهُ.

اختلف المفسِّرون في الآية؛ فقال بعضهم: هي من كلامِ السَّحرة[1]، وقال بعضهم: ابتداءُ كلامٍ من الله، وهذا أظهرُ.

* * *

(٧٧) ـ ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى﴾ لمّا أراد اللهُ إهلاكَ فرعونَ وقومِه أَمر موسى أن يَخرجَ بهم مِن مصرَ ليلاً ويأخُذَ بهم طريقَ البحر ﴿فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ﴾: اتَّخِذْ طريقاً بضربِ الماء بعصاك.

ابن عيسى: اضْرِبْ بعصاك يجعَلْ طريقاً[2].

وقيل: هو كضربِ الدَّراهم والدَّنانير[3].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٢٤)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٢٤)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٢٤)، وعدَّه من العجائب.

﴿يَبَسًا﴾: يابساً، وهو مصدرٌ؛ أي: ذا يَبَسٍ ليس فيه ماءٌ ولا طينٌ.

﴿لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا﴾: لا تخافُ أن يُدْرِكَكَ أحدٌ ﴿وَلَا تَخْشَىٰ﴾ مِن قِبَلِه شيئاً.

وقيل: ﴿لَّا تَخَٰفُ﴾ خوفاً مِن خَلْفِك ﴿وَلَا تَخْشَىٰ﴾ الغَرَقَ من قُدَّامِك.

وقرئ بالرَّفع والجزم(١)، الرفعُ على الحال والاستئنافِ، والجزمُ على الجواب.

وقوله: ﴿وَلَا تَخْشَىٰ﴾ استئنافٌ، ويجوز أن يكون الألفُ للإطلاق كما في قوله: ﴿ٱلظُّنُونَا۠﴾ [الأحزاب: ١٠] و﴿ٱلرَّسُولَا۠﴾ [الأحزاب: ٦٦](٢).

وقيل: خطابٌ لمحمَّدٍ عليه السّلام.

* * *

(٧٨) ـ ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾.

﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ﴾ وذلك أنَّ موسى عليه السَّلامُ خرج بهم مِن أوَّلِ اللَّيل ـ وكانوا سبعين ألفاً ـ فأُخْبِرَ فرعونُ بذلك، وكان بنو إسرائيل قد استعاروا حليًّا كثيراً، فركب في ستِّ مئةِ ألفٍ من القِبْطِ فقصَّ أثرهم، وهو قولُه: ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ﴾؛ أي: أَلْحقَهم جنودَه وكان معهم، فتكونُ الباء زائدةً، وقيل: الباءُ للحال والمفعولُ محذوفٌ.

وقيل: معناه: فلَحِقَهم(٣).

---

(١) قرأ حمزة: ﴿لا تخفْ﴾ بالجزم، والباقون بالرفع. انظر: «السبعة» (ص: ٤٢١)، و«التيسير» (ص: ١٥٢).

(٢) أي: الفعل مجزوم بلا الناهية، ولكن الفتحة أُشبعت ألفاً للإطلاق، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٢٤)، وعدَّه من العجائب.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٢٥)، واستغربه.

وقرئ في الشَّواذِّ: (فاتَّبعهم)[١]، والمعنى: خرج خلفهم ومعه جنوده.

﴿فَغَشِيَهُم﴾: نالَهم ﴿مِّنَ ٱلْيَمِّ﴾: البحرِ ﴿مَا غَشِيَهُمْ﴾ يعني: الماء، وقيل: الغَرَق، ذُكر بلفظ العموم تهويلاً وتعظيماً[٢].

وقيل: غَشِيَهم من اليمِّ ما غرَّقهم[٣].

***

(٧٩) ـ ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ﴾.

﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ﴾ قيل: أضلَّهم في البحر؛ لأنَّهم غرِقوا فيه، وقيل: أضلَّ فرعون قومَه عن الدّين، ﴿وَمَا هَدَىٰ﴾؛ أي: وما هداهم، وقيل: وما هدى هو[٤]؛ أي: وما نجا، وقيل: وما هداه الله إلى الصَّواب[٥].

***

(٨٠) ـ ﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾.

﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ﴾ قيل: متَّصلٌ بما أوحى الله إلى موسى؛ أي:

---

(١) عن الحسن وقتادة. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٣٠٩). وهي رواية عبيد عن أبي عمرو في غير المشهور عنه. انظر: «السبعة» (ص: ٤٢٢).

(٢) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٧/ ٣٣٠).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٢٥)، واستغربه.

(٤) أي: وما اهتدى؛ فـ(هدى) يأتي بمعنى: اهتدى، فيكون لازماً في هذه الحالة انظر: «تأويلات أهل السنة» (١٠/ ٢٥٢)، و«غرائب التفسير» (٢/ ٧٢٥)، و«البحر المحيط» (٧/ ٣٦٣)، و«تاج العروس» مادة (هـ د ي) (٤٠/ ٢٨٤).

(٥) ذكر الأقوال الثلاثة السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٤٠٧).

أَوْحَينا إلى موسى أنْ أَسْرِ بعبادي وقلنا: يا بني إسرائيل، وقيل: خطابٌ للنَّبيِّ ﷺ؛ أي: قل لهم.

وقوله: ﴿مِّنْ عَدُوِّكُمْ﴾ يعني: فرعونَ وجنودَه.

﴿وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ﴾ يعني: السَّبعين الذين اختارهم موسى ليَسمعوا كلامَ الله إذا كلَّم موسى ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ يريد: في التِّيه، وقد سبَق.

* * *

(٨١) ـ ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ﴾.

﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾: لذيذاتِ، وقيل: حلالاتِ ﴿وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ﴾ الهاءُ يعودُ إلى ﴿مَا﴾؛ أي: لا تُجاوِزوا الحدَّ في المنِّ والسَّلوى ولا تدَّخِروا.

ابن عبَّاسٍ: لا يَظْلِمْ بعضُكم بعضاً فيه(١).

وقيل: لا تَعْصُوني بتَرْكِ شكري في المنِّ والسَّلوى.

﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى﴾: فينزِلَ عليكم عذابي فيمَن قرأ بالرَّفع، ومَن كَسَر(٢) فمعناه: يَجِبُ.

أبو عليٍّ: هو مِن «حِلٍّ وبِلٍّ»؛ أي: مباحٍ غيرِ محظورٍ(٣).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ١٢٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤٢٩).

(٢) قرأ الكسائي: ﴿فَيَحُلَّ عَلَيْكُم﴾ بضم الحاء ﴿وَمن يَحْلُلْ﴾ بضم اللاَّم الأولى، والباقون بكسر الحاء واللَّام. انظر: «السبعة» (ص: ٤٢٢)، و«التيسير» (ص: ١٥٢).

(٣) انظر: «الحجة» للفارسي (٥/ ٢٤٢ ـ ٢٤٣)، وفيه: «وجه قراءة من قرأ: (يحلّ) بكسر الحاء: أنه روي في زمزم: «إنه لشارب حِلٌّ وبِلٌّ»؛ أي: مباحٌ له غيرُ محظور عليه ولا ممنوعٍ منه، والحلّ =

﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ﴾: فقد هَلَك.

وقيل: تَرَدَّى في النَّار، وقيل: ﴿هَوَىٰ﴾: وقعَ في الهاوية[1].

* * *

(٨٢) ـ ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾.

﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾؛ أي: عن الشِّرك ﴿وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾: ثم أقامَ على ذلك.

وقيل: لَزِمَ الإسلامَ حتَّى يموت.

وقيل: أَخَذ بسنَّةِ نبيِّه.

وقيل: أصاب العملَ.

ابن عبَّاسٍ: لم يشكَّ في إيمانه[2].

الفرَّاء: عَلِم أنَّ لذلك ثواباً وعقاباً[3].

= والحلال في المعنى مثل المباح، فهو خلاف الحظر والحجر والحرام والحرم، فهذه الألفاظ معناها المنع، وهي خلاف الحلّ والحلال الذي هو الإباحة والتوسعة».

وهذا القول ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٢٦)، واستغربه.

والخبر المذكور رواه أبو عبيد في «غريب الحديث» (٥/ ٣٠) من قول العباس، ومن قول ابنه عبد الله رضي الله عنهما، ومن قول أبيه عبد المطلب. ورواه عبد الرزاق في «المصنف» (٩١١٣) و(٩٧١٨) عن الزهري في خبر طويل، وفيه أن عبد المطلب أُمر في المنام بقول ذلك لمّا حاول الحسدة من قريش إفساد عمله في حفر البئر، فقاله.

(١) ذكرهما المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٢٦)، واستغربهما، وذكر الرازي الثاني في «تفسيره» (٢٢/ ٨٣).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ١٢٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤٣٠).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٨٨).

ويحتمِلُ أنَّ التَّقدير به التَّقديم؛ أي: لمن اهتَدَى وتاب[١].

***

(٨٣ ـ ٨٤) ـ ﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ﴾.

﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ وذلك أنَّ موسى لمّا انتهى إلى الجبل مع السَّبعين الذين اختارهم عَجِل موسى شوقاً إلى كلام الله، وخلَّف السَّبعين وأمَرهم أن يتْبَعوه إلى الجبل، فقال الله لموسى: ﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾: ما الذي حملَك على العجَلة؟

﴿عَن قَوۡمِكَ﴾؛ أي: السَّبعين، استفهامُ إنكارٍ.

﴿قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي﴾؛ أي: هم خَلْفي يَلْحقون بي.

الحسن: يعني: إنَّهم ينتظِرون مِن بعدي ما آتِيهم به مِن عندك[٢].

قال: ومعنى: ﴿ما أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ﴾: ما جاء بك؟

و﴿أُوْلَآءِ﴾ بمعنى: هؤلاء، ﴿عَلَىٰٓ أَثَرِي﴾ خبرٌ بعد خبرٍ، ويجوزُ أن يكونَ صلةً لـ﴿أُوْلَآءِ﴾، كما سبق في ﴿تِلۡكَ﴾[٣].

فاعتَذَر موسى وقال: ﴿وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ﴾؛ أي: لم أقصِدْ بذلك تعظُّماً عليهم، إنَّما قصدْتُ المسارعةَ طلباً لمرضاتك.

***

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٢٦)، واستغربه.

(٢) انظر: «تفسير يحيى بن سلام» (١/ ٢٧١).

(٣) انظر تفسير قوله تعالى في هذه السورة: ﴿وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾.

(٨٥) ـ ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ﴾.

﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ﴾: ابتَلَيْنا قومَك بعبادةِ العجل بعد خروجِك مِن عندهم.

وقيل: دُفعوا إلى حالٍ شديدٍ تُظهِر دِخْلتَهم.

ابن عيسى: عامَلْناهم معاملةَ المختبِر[١].

﴿وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ﴾ بدعائه إيَّاهم[٢] إلى عبادة العجل وإجابتِهم له.

قيل: كان السَّامريُّ من كَرْمانَ[٣].

وقيل: من قبيلةٍ يقال لها: سامِرةُ، وكان من عظماءِ بني إسرائيل.

* * *

(٨٦) ـ ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى﴾.

﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ﴾ من مناجاة ربِّه ﴿إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ﴾: بغيظٍ وغضبٍ ﴿أَسِفًا﴾: حزيناً متلهِّفاً على ما فاته.

وقيل: الأسَفُ: اشتدادُ الغضب، وقيل: جَزِعاً.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا﴾ الحسنُ: هو الجنَّة[٤]، وقيل: هو قولُه:

---

(١) تقدم نحوه عن ابن عيسى في تفسير قوله تعالى: ﴿وفتناك فتوناً﴾.

(٢) في (ف): «بدعائهم».

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤٣٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وذكره الزجاج في «معاني القرآن» (٣/ ٣٧١)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٢٦) عن سعيد بن جبير، وعدَّه من العجائب، وذكره الزمخشري في «الكشاف» (٣/ ٨١)، وأبو حيان في «البحر المحيط» (٧/ ٣٦٧).

(٤) كذا في النسختين الخطيتين، ولعل المراد: الوعد الحسن: هو الجنة، كما في «تفسير السمعاني» (٤/ ١٥١)، والله أعلم.

﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾ الآية [طـه: ٨٢]، وقيل: هو إنزالُ التَّوراة عليهم، وقيل: صدقاً.

﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ﴾ بإنزال التَّوراة كما وعدكم. وقيل: مدَّةَ فراقي إيَّاكم؛ وذلك أنَّ موسى وعد قومه حين أتى الجبلَ أن يرجعَ إليهم بعد ثلاثين يوماً، فلمَّا جاوَزَ وَعْدَه من ثلاثين إلى أربعين، قال لهم السَّامريُّ: إنَّ موسى غضِب عليكم لأجل حليِّ القِبْط، استعَرتُم ثمّ لم تَرُدُّوها عليهم.

الكلبيُّ: إنَّ موسى وعدهم أربعين يوماً، وكانوا يَعُدُّون اليومَ واحداً والليلةَ واحداً، فلمَّا كَمل عشرون ولياليها قالوا: إنَّ موسى أَخطأَ الطَّريق وخالَفَنا في الوعد[1].

﴿أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ﴾: يجبَ عليكم ﴿غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ بعبادتِكم العجلَ ﴿فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي﴾ اختلف المفسِّرون فيه، فأكثرُهم على أنّ المعنى: خالَفْتُموني فيما تواعَدْنا عليه.

المفضَّل: أَوَجَدْتُموني أَخْلَفْتُ فيما وعدتُكم؟ مِن قول العرب: فلانٌ أَخْلَفَ وَعْدَ فلانٍ: إذا وجَده وقع فيه الخُلفُ[2].

وقيل: أخلَفْتُم ما وَعَدْتُمونيهِ في اللَّحاقِ بي واتِّباعي الموعد.

ويحتمِلُ: أنَّ الوعد مـن القوم، وإضافتُه إلى موسى إضافةُ المصدرِ إلى المفعول[3]، ولهذا وقع الإخلافُ منهم، ووَعْدُهم لموسى هو أنْ وَعَدوه أن يتمسَّكوا بدينِ الله وسنَّةِ موسى، ولا يخالفوا أمرَ الله أبداً.

(١) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (١/ ٥٢) من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنه. وانظر: «تفسير يحيى بن سلام» (١/ ٢٧٢).

(٢) ذكره المصنف فـي «غرائب التفسير» (٢/ ٧٢٧)، واستغربه، وذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٧/ ٣٦٨).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٢٧)، واستغربه.

وإنْ جعَلْتَ المصدر مضافاً إلى الفاعل فالوجهُ ما ذكره المفضَّل.

* * *

(٨٧) ـ ﴿قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ﴾.

﴿قالُوا ما أَخْلَفْنا مَوْعِدَكَ بِمِلْكِنا﴾ أي: بمِلْكنا الصَّواب، ولكنْ أخطَأْنا، وقيل: معناه: بسلطانٍ كان لنا ولا قدرةٍ. وقيل: بطاقَتِنا.

«الحجَّة»: لم يَكُنْ لنا مِلْكٌ فنُخلِفَ موعدكَ لمكانِ[1] مِلْكنا، كقوله: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة: ٢٧٣]؛ أي: ليس لهم سؤالٌ فيكونَ لهم إلحافٌ[2].

والملك: بالحركات الثَّلاث لغاتٌ[3].

وقيل: قال المؤمنون: إنَّ الذين أَخْلَفوا موعِدَك لم نقدرْ أن نردَّهم، ولم نملكْ أن نمنعَهم عن ذلك.

وقيل: معناه: لم نملكِ الوفاءَ فتركناه عن تمكُّنٍ، لكن الذي حُمِّلْناه من زينةِ القوم شَغَلَنا عن الاهتمام بذلك.

﴿وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ﴾ وذلك أنَّهم كانوا قد استعاروا من القِبْطِ حليًّا كثيراً ليومِ زينةٍ لهم، فبقِيَتْ معهم، وقيل: أَمَرهم موسى بالاستعارة، وقيل: أَمَر اللهُ موسى بذلك، وكان حلالاً لهم.

---

(١) في (ف): «بمكان».

(٢) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٥/ ٢٤٤).

(٣) قرأ نافع وعاصم بفتح الميم، وحمزة والكسائي بضمِّها، والباقون بكسرها. انظر: «السبعة» (ص: ٤٢٢)، و«التيسير» (ص: ١٥٣).

و﴿أَوۡزَارٗا﴾: أثقالاً، وكان كثيراً.

وقيل: هو ما ألقاهُ البحرُ على السَّاحل من ذَهَبِهم وفضَّتهم وحليِّهم بعد إغراقهم، فأَخَذوه.

وقيل: ﴿أَوۡزَارٗا﴾: آثاماً؛ أي: حمِّلنا من حليِّ القوم؛ لأنَّهم استعاروه ليتزيَّنوا في عيدٍ كان لهم، ثمَّ لم يردُّوها عليهم عند الخروج من مصر مخافةَ أن يعلموا بخروجهم فحملوها[١].

فلمَّا تأخَّر مجيءُ موسى من الجبل، قال لهم السَّامريّ: إنَّما أَخْلَفَ موسى ميعادَكم لِمَا معكم من حليِّ القوم، وإنَّها حرامٌ عليكم ـ وقيل: لم تكن الغنائمُ حلالاً لهم ـ قالوا: فما الرّأي؟ قال: نحفرُ حُفيرةً ونَسْجُرُ فيها ناراً وكلُّ مَن معه شيءٌ منها قذَفَه فيها، ففعلوا وقذف السَّامريُّ ما معه، وهو قولُه: ﴿فَقَذَفۡنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ﴾، وقيل: ﴿فَقَذَفۡنَٰهَا﴾[٢] عن أنفسِنا وأولادنا.

❊ ❊ ❊

(٨٨) ـ ﴿فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ﴾.

﴿فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا﴾ ثم أخذ السَّامريُّ تلك المذوَّبة والأوزارَ وصاغَها كصورةِ العجل ﴿جَسَدٗا﴾ لحماً ودماً، وقيل: مُزَعْفراً، من (الجِسَاد)[٣].

﴿لَّهُۥ خُوَارٞ﴾ قيل: كان يخورُ فيَسجدون، ثم يخورُ فيرفعون رؤوسهم.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٢٧)، واستغربه.

(٢) في (ف): «قذفناها».

(٣) الجساد ككتاب: الزعفران. انظر: «غرائب التفسير» (٢/ ٧٢٧)، و«القاموس» مادة: (ج س د).

وقيل: ما خار إلَّا مرَّةً واحدةً، وقد سبق بيانُه[1].

﴿فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ﴾؛ أي: قال السَّامريُّ لهم فقَبِلوه.

﴿فَنَسِيَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنَّ موسى نسيَ إلهه وذهب يَطلبُه، وهو مِن تمامِ قولِ السَّامريِّ.

وقيل: استئنافُ كلامٍ من الله؛ أي: نسيَ السَّامريُّ اللهَ والإيمان، وقيل: نسيَ السَّامريُّ الاستدلالَ على أنَّ العجلَ لا يجوزُ أن يكون إلهاً بقوله:

(٨٩) ـ ﴿أَفَلَا يَرَوۡنَ أَلَّا يَرۡجِعُ إِلَيۡهِمۡ قَوۡلٗا وَلَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا﴾.

﴿أَفَلَا يَرَوۡنَ﴾؛ أي: لا يَعْلمون ﴿أَلَّا يَرۡجِعُ﴾: أنَّـه لا يَرجعُ ﴿إِلَيۡهِمۡ قَوۡلٗا﴾؛ أي: لا يُجيبُهم ولا يكلِّمُهم ﴿وَلَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا﴾: لا يقدرُ على نفعِهم ولا ضَرِّهم، وقيل: لا يخورُ ثانياً.

* * *

(٩٠) ـ ﴿وَلَقَدۡ قَالَ لَهُمۡ هَٰرُونُ مِن قَبۡلُ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي﴾.

﴿وَلَقَدۡ قَالَ لَهُمۡ هَٰرُونُ مِن قَبۡلُ﴾؛ أي: قال لمَن عبدوا العجلَ قبل رجوع موسى: ﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ﴾: ابتُلِيتُم بالعجل ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ لا العجلُ، ﴿فَٱتَّبِعُونِي﴾ على دِيني ﴿وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي﴾ فاعبُدوا اللهَ ولا تعبُدوا العجل.

* * *

---

(١) في تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ﴾.

(٩١) ـ ﴿قَالُواْ لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ﴾.

﴿قَالُواْ لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ﴾: لن نزالَ مقيمِينَ على العجل وعبادتِه ﴿حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ﴾.

وجاء في التَّفسير: فاعتَزَلهم هارونُ في اثني عشر ألفاً، وهم الذين لم يَعبدوا العجل(١).

***

(٩٢ ـ ٩٤) ـ ﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ۝٩٢ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي ۝٩٣ قَالَ يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي﴾.

﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ﴾؛ أي: فلمَّا رجع موسى قال: يا هارون ﴿مَا مَنَعَكَ﴾.

وقيل: فلمَّا رجع موسى سمع الصِّياحَ والجَلَبَةَ ـ وكانوا يرقُصون حول العجل ـ قال السَّبعون الذين معه: هذا صوتُ الفتنة، فلمَّا رأى موسى هارونَ أَخذ شعرَه بيمينه ولحيتَه بيساره وقال: ﴿يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ﴾ بعبادةِ العجل وأشركوا ﴿أَلَّا تَتَّبِعَنِ﴾: أيُّ شيءٍ منعَك من تركِ اتِّباعي(٢) حين لم يَقْبَلوا قولَك واللُّحوقِ بي كيلا تكونَ من العاصين؟

وقيل: هلَّا اتَّبعْتَ عادتي في منعِهم والإنكارِ عليهم.

وجمهورُ المفسِّرين على أنَّ ﴿لَا﴾ زائدةٌ، كما في قوله: ﴿لِّئَلَّا يَعۡلَمَ﴾ [الحديد: ٢٩](٣).

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٨/ ٤٧).

(٢) قوله: «أيُّ شيءٍ منعَك من تركِ اتِّباعي» هذه العبارة مشكلة؛ لأن مؤداها العتاب على الاتباع لا على تركه، ويستقيم المعنى بحذف: «ترك».

(٣) انظر: «البسيط» للواحدي (١٤/ ٥٠٣)، و«تفسير السمعاني» (٣/ ٣٥)، و«التبيان» للعكبري (٢/ ٩٠١).

وقال ابن عيسى: التَّقدير: ما منعك بدعائه إيّاك أن لا تتّبعني.

﴿أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ۝٩٣ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ الجمهورُ على أنَّه كان أخاه من أبيه وأمِّه، ولكنه ذكر الأمَّ استعطافاً وترفيقاً.

وقيل: كان أخاه لأمِّه.

الزَّجّاج: وقد قيل في هارون: إنَّه لم يكن أخا موسى لأمِّه، قال: وقد يقولُ القائلُ لمن ليس بأخٍ لأمٍّ ولا بأخٍ البتَّةَ: يا ابنَ أمّ، وكذلك يقولُ للأجنبيِّ: يا ابن عمّ[1].

﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ﴾؛ أي: شعرِ رأسي.

ذهب بعضُهم إلى أنَّ أخذَ اللِّحية في ذلك الوقتِ كأخذِ اليدِ في وقتنا.

وقال بعضهم: كانا كشخصٍ واحدٍ، فسواءٌ أَخذ بلحيةِ نفسِه أو بلحيةِ أخيه، والإنسانُ قد يأخذ لحيتَه عند الغضب، وعند التَّأمُّل في الأمرِ يَستقبلُه.

وقال بعضُهم: أخَذ بأُذنه وبلِحيته يُسِرُّ إليه نزولَ الألواحِ عليه ويُخفِيهِ عن بني إسرائيل في تلك الحالةِ حتَّى يتوبوا، فعبَّر عن الأذن بالرَّأس.

وقوله سبحانه حكايةً عنه: ﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ﴾ يضعِّف هذه الأقاويل.

وقيل: معناه: لا تخاطِبْني وخاطِبْهم، كما تقول: دعني وخَلِّ لحيَتي ورأسي، وهو لم يأخُذْ بلحيته ورأسه، وهذا يدفعُه قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أخذ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ﴾ [الأعراف: ١٥٠][2].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٣٧٣).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٢٨)، وعدَّه من العجائب.

والأحسنُ إجراؤه على الظَّاهر، وأنَّ موسى فَعَل في غضبه في الله ما فَعَل، والله أعلم.

ثم ذكَر عُذْره وقال: ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾؛ أي: خِفْتُ إنْ خرجْتُ وفارَقْتُهم لَحِقَ بي فريقٌ، وتبعَ السَّامريَّ على عبادة العجل فريقٌ، وتوقَّف فريقٌ، ولم آمَنْ مقاتلتَهم فتقولَ لي: فرَّقْتَ بين بني إسرائيل، أو تقولَ: قد تسبَّبْتَ لمقاتَلَتِهم ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ حيث قلتَ: ﴿ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ﴾ [الأعراف: ١٤٢].

* * *

(٩٥) ـ ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ﴾.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ﴾ ثم أَقْبَل على السامريِّ فقال منكِراً عليه: ما شأْنُكَ يا سامريُّ؟ وما الذي حَمَلك على ما فعلْتَ؟

* * *

(٩٦) ـ ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾.

﴿قَالَ﴾ يعني: السَّامريَّ: ﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ﴾ فيه قولان:

أحدهما: علِمْتُ ما لم تَعْلَموا؛ أي: علِمْتُ أنَّ تراب أثرِ الرَّسول ـ وقيل: أثرِ فرسِ الرَّسول، والرَّسولُ ههنا جبريل ـ يصيرُ به الجَمادُ حيواناً.

والثَّاني: رأيتُ ما لم ترَوْه؛ يعني: جبريلَ ـ تقول: بَصُرْتُ؛ بمعنى: أَبْصَرْتُ ـ قال موسى: وما الذي أَبْصَرْتَه؟ قال: رأيتُ جبريلَ على فرس الحياة فأُلقِيَ في نفسي أن أَقْبِضَ من أَثَرِه، فما أَلقيتُ على شيءٍ إلَّا صار له روحٌ ولحمٌ ودمٌ، وذلك أنَّه رأى جبريلَ حين فَلَق البحرَ فعرفه؛ لأنَّ أمَّه أَلقَتْه حين ولدَتْه خوفاً عليه من فرعونَ حين

يقتلُ[1] أولادَ بني إسرائيل، وكان يَغْذُوه جبريلُ صغيراً، فعَرَفه في كِبَره، فأخَذ قَبضةً من ترابِ حافرِ فرسه، وهو قوله:

﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ﴾؛ أي: أخذتُ بجميعِ[2] كفِّي مرَّةً واحدةً.

﴿فَنَبَذْتُهَا﴾ قيل: فيما ذاب من الحليِّ، وقيل: في جوفِ العجل حتَّى خارت، وقيل: حتى صار لحماً ودماً، وقيل: مسحَه به.

وقيل: الرَّسولُ هو موسى، والقبضةُ: ما أَخَذ مِن عِلْمه، وأثرُه: شَرْعُه وسنَّتُه، وقوله: ﴿فَنَبَذْتُهَا﴾؛ أي: طَرَحْتُ شريعةَ موسى وسنَّتَه ثم اتَّخذتُ عجلاً، وذلك أنَّه كفَر باتِّخاذ العجل، ثم لمّا جاء موسى صرَّح بذلك.

وقوله: ﴿مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ﴾؛ أي: بزَعْمه وزَعْمِ بني إسرائيل.

﴿وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى﴾؛ أي: زيَّنَتْه وحسَّنَتْه، وفعَلْتُ من تِلْقاءِ نفسي من غيرِ أنْ دَعاني إلى ذلك داعٍ.

وقيل: معناه: أطمَعَتْني نفسي في انقلابه حيواناً، والسُّولُ: ما يتمنَّاه الإنسان.

وقيل: ناقَضَ في جوابه؛ لأنَّه قال: ﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ﴾ فادَّعى العلم، ثم قال: ﴿سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى﴾ فنسَبه إلى حديثِ النَّفس.

* * *

(١) كذا في النسختين الخطيتين، ولو كان: «حين كان يقتل» لكان أظهر.

(٢) كذا في النسختين الخطيتين، ولعل صوابه: «بجمع كفي» بضم الجيم وكسرها، وهو ملء الكف. انظر: «العين» مادة: (ج م ع) (١/ ٢٤٠).

(٩٧) ـ ﴿قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا﴾.

﴿قَالَ﴾ يعني: موسى: ﴿فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾؛ أي: إنَّك لا تمسُّ أحداً ولا يَمسُّكَ أحدٌ في حياتك، ولا يكونُ بينك وبينَ النَّاس مماسَّةٌ، فأَمَر موسى بني إسرائيل ألَّا يؤاكِلوه ولا يجالِسُوه ولا يبايِعُوه.

وقيل: معنى ﴿لَا مِسَاسَ﴾: إنَّك تعيش في البريَّة مع السِّباع والوحوشِ ولا تَـمَسُّ ولا تُـمَسُّ.

وقيل: ما مَسَّ أحداً ولا مَسَّه أحدٌ إلَّا حُمَّا معاً[1]، ومَن أراد أن يمسَّه جهلاً بحاله قال له السَّامريُّ: (لا مِساسَ)؛ خوفاً من الحمَّى وتنبيهاً للغير.

ويقال: ذلك باقٍ في عَقِبه إلى اليوم.

وقيل: أراد موسى أن يقتلَه فمنعَه اللهُ مِن قَتْلِه، وقال: لا تَقتُلْه فإنَّه سَخيٌّ[2].

﴿وإنَّ لكَ مَوْعِدًا لن تُخْلِفَه﴾: لن تَغِيبَ عنه بل توافِيْه، ومَن فتحَ اللَّامَ[3] فمعناه: لن يُخْلِفَكه اللهُ.

﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾ يعني: العجلَ، و﴿ظَلْتَ﴾ أصلُه: ظَلِلْتَ، فحَذَف إحدى اللَّامَينِ تخفيفاً، ويجوزُ كسرُ الظَّاء.

أي: تأمَّل فيما يُفْعَلُ بمعبودِك من التَّحريق والتَّفريق، ثمَّ أكَّد باليمين فقال: ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾؛ أي: بالنَّار ﴿ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ﴾: نُثيرُ رمادَه ﴿فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا﴾.

---

(١) في (ف): «جميعاً».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسير» (١٨/ ٥٢)، والقرطبي في «تفسيره» (١١/ ٢٤١).

(٣) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بكسر اللام، والباقون: ﴿لَّن تُخْلَفَهُۥ﴾ بفتح اللام على ما لم يسمَّ فاعلُه. انظر: «السبعة» (ص: ٤٢٤)، و«التيسير» (ص: ١٥٣).

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أَحْرقَه بالنَّار ثم ذرَّاه في البحر[1]. وهذا فيمَن قال: صار لحماً ودماً.

ومَن قال: بقي ذهباً قرأ: ﴿لنَحْرُقنَّه﴾[2]؛ أي: لنَبْرُدَنَّه بالـمِبْرَد، ويجوزُ أن تكونَ قراءةُ العامَّة من هذا أيضاً؛ تحريقاً مِن حَرَّقَه بالمِبْرَد[3].

ومعنى نَسَفْتُه: ذَرَوْتُه؛ من نَسَفْتُ الطَّعام؛ إذا ذَرَوْتَه ليطيرَ عنه القُشورُ.

***

(٩٨) ـ ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾.

﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ﴾ يعني: معبودُكم المستحقُّ للعبادةِ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ لا العجلُ، والمعنى: لا يَضيقُ عِلْمُه عن شيءٍ، وتقديرُه: وَسِع عِلْمُه كلَّ شيءٍ؛ أي: أطاقَه وأحاطَ به، فصُرِف الفعلُ إلى المضافِ إليه وانتصَبَ المضافُ على التَّمييز.

واسمُ السَّامريِّ فيما ذكره النَّقَّاش: موسى بنُ ظَفرٍ[4]، وقيل: غيرُه.

***

(٩٩) ـ ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا﴾.

﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾؛ أي: كما قصَصْنا عليك قصَّةَ موسى نقصُّ عليك ﴿مِنْ

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ١٥٦)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٨/ ٥٤).

(٢) هي قراءة أبي جعفر من رواية ابن وردان عنه، وقرأ في رواية ابن جماز: ﴿لنُحْرِقنه﴾ بضم النون وكسر الراء، وباقي العشرة: ﴿لَنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾. انظر: «النشر» (٢/ ٣٢٢).

(٣) ولخص الزمخشري القول في القراءات الثلاث بقوله: ﴿لنُحَرِّقنه﴾ و﴿لنُحْرِقنَّه﴾ القراءتان من الإحراقِ، وذكر أبو علي الفارسي في ﴿لَنُحَرِّقنهُ﴾ أنَّه يجوز أن يكون (حَرَّقَ) مبالغةً في (حَرَق)؛ إذا برَد بالمِبْرَدِ، وعليه القراءةُ الثالثة. انظر: «الكشاف» (٣/ ٨٥).

(٤) ورواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٦٧٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

﴿أَنبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾؛ أي: بعضَ أخبارِ مَن سَبَقَ زمانُه زمانَك؛ أي: تقدَّم بالزَّمان من الأنبياء وأممِهم. وقيل: أخبارَ كلِّ شيءٍ[1].

﴿وَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ﴾: أعطيناك ﴿مِن لَّدُنَّا﴾: مِن عندنا ﴿ذِكْرًا﴾ يعني: القرآنَ. وقيل: آتيناك شرفاً.

***

(١٠٠) - ﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وِزْرًا﴾.

﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾: عن القرآنِ، وقيل: عن الله ﴿فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وِزْرًا﴾: يحمِلُ أعباءَ كُفره وذنوبه؛ أي: يعذَّب عذاباً شديداً.

***

(١٠١) - ﴿خَـٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ حِمْلًا﴾.

﴿خَـٰلِدِينَ فِيهِ﴾: في الوِزْر؛ أي: في جزاءِ الوِزْر، وهو العذابُ ﴿وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ حِمْلًا﴾؛ أي: ساءَ حِملاً للذُّنوب[2].

***

(١٠٢) - ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾.

﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ يريد: يومَ القيامة، والصُّور: شِبْهُ قرنٍ، وقيل: جمعُ صورةٍ، وقد سبق بيانُه[3].

---

(١) و(من) على هذا بيانيه، أما على القول الأول فهي للتبعيض.

(٢) كذا في النسختين الخطيتين، ولعل الصواب: «ساء حملًا الذنوب»؛ فقد جرت عادة المصنف أن يفسر الآيات التي فيها أسلوب مدح أو ذم بذكر الممدوح والمذموم المضمر، كما فعل في تفسير قوله تعالى: ﴿وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ﴾، وقوله ﴿وَسَآءَ سَبِيلًا﴾، والله أعلم.

(٣) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾.

﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾: زُرْقةُ العينِ وسوادُ الوجهِ مِن علامةِ أهلِ النَّار، وزُرْقتُها: أنْ تَضْرِبَ الحَدَقةُ إلى خُضرةٍ، والعربُ تتشاءَمُ بزُرْقةِ العين[١].

وقيل: ﴿زُرْقًا﴾: أعداءً، تقولُ العربُ: عدوٌّ أزرقُ[٢].

وقيل: تصيرُ أعينُهم من العطشِ زرقاً، وكذلك تصيرُ العينُ في شدَّة العطش[٣].

وقيل: هي عبارةٌ عن العَمَى ليُوافقَ الآيةَ الأخرى[٤].

وقيل: الأزرقُ: شاخصُ البصرِ كأنَّه محدِّقٌ نحوَ شيءٍ أبداً.

* * *

(١٠٣) ـ ﴿يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾.

﴿يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ﴾: خافَتَ؛ بمعنى: خَفَتَ؛ أي: أَخْفاه، وأصلُه السُّكون.

﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾ يقولُ بعضُهم لبعضٍ سرًّا[٥]: لَبِثْنا في القبور عشرَ ليالٍ؛ أي: منذُ انقطَعَ عنهم عذابُ القبر.

وقيل: إن لَبِثْتُم في الدُّنيا، فيَنْسَون مِن هولِ ما يَرِدُ عليهم ما كانوا فيه من نعيم الدُّنيا.

---

(١) ذكر ذلك الثعلبي في «تفسيره» (١٨/ ٥٧)، وأبو حيان في «البحر المحيط» (٧/ ٣٨٢).

(٢) انظر: «كتاب الألفاظ» لابن السكيت (ص: ٦٠)، و«متخير الألفاظ» لابن فارس (ص: ١٢٣)، و«فقه اللغة» للثعالبي (ص: ٧٤).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٣٠)، واستغربه.

(٤) وهي قوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٤]، وقد ذكر هذا المعنى ابن دريد في «جمهرة اللغة» (٢/ ٧٠٨)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٣٠)، وعدَّه من العجائب.

(٥) في (ف): «بسر».

(١٠٤) ـ ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾.

﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً﴾: أعدلُهم قولاً، وقيل: أجودُهم عملاً، وقيل: أعلمُهم عند نَفْسه بما يقول، وقيل: ﴿أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً﴾: رأياً وحالاً وعملاً.

﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ الحسنُ: لطول لَبْثِهم في النَّار يقلِّلون لَبْثَهم في الدُّنيا[1].

وقيل: تحاقَرتِ الدُّنيا عندهم حين عايَنوا الآخرة.

* * *

(١٠٥) ـ ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ﴾؛ أي: سيَسْألُونكَ: إلامَ يؤُولُ أمرُ الجبالِ؟ ولهذا أُجيبَ بالفاء، وقيل: سأله رجالٌ من ثَقيفٍ عنها.

﴿فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ كما يَنْسِفُ الطَّعام على الرِّيح، وهو تَنْقِيَتُه من القُشور.

وقيل: يقلعُها[2] من أصلِها، ثم يبدِّدُ[3] أجزاءها فتصيرُ كأنْ لم تكُنْ.

وقيل: يجعلُها اللهُ بمنزلةِ الرَّمل، ثم يُرْسِلُ عليها ريحَ الدَّبور فينسفُها ويفرِّقُها.

وقيل: يقلعُها من أماكنها ويطرحُها في النَّار فتستوي الأرضُ.

* * *

---

(١) كذا ذكره المصنف عن الحسن، وفيه إشكال؛ فإن هذه المقاولة وقعت في المحشر، ولم يدخلوا النار بعد حتى يقارنوا لبثهم فيها بغيره، وقد ذكر الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٤٢٥) عن الحسن غير هذا، وعبارته: «إن لبثتم في الدنيا إلا عشرًا؛ لما شاهدوا من سرعة القيامة»، وقد وردت عبارة «يقللون لبثهم في الدنيا» بلا نسبة في «تفسير ابن أبي زمنين» (٣/ ١٢٧).

(٢) في (ن): «نقلعها».

(٣) في (ن): «نبدد».

(١٠٦) ـ ﴿ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴾.

﴿فَيَذَرُهَا﴾ الكنايةُ عن الأرض، ولم يتقدَّمْ ذكرُها للعلم بها.

وقيل: يعودُ إلى مواضع الجبال.

﴿قَاعًا﴾: مستوياً صَلْباً لا ترابَ عليه ﴿صَفْصَفًا﴾: لا يُنْبِتُ.

وقيل: القاعُ: الذي يَعْلُوه الماء، والصَّفْصفُ: المستوي، كأنَّها من استوائها على صفٍّ واحدٍ.

وقيل: القاعُ: المنكشِفةُ، والصَّفْصَفُ: التي لا أثرَ للجبال فيها.

* * *

(١٠٧) ـ ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴾.

﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا﴾: أوديةً ﴿وَلَآ أَمْتًا﴾: روابيَ.

وقيل: الأمتُ: الارتفاعُ والانخفاضُ والغِلَظُ والدِّقَّة[1].

وقيل: الشُّقوقُ في الأرض.

* * *

(١٠٨) ـ ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾.

﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ ﴾؛ أي: داعيَ الله الذي يَدْعُوهم إلى الموقِف، وهو إسرافيلُ، فيُسرعُ المؤمنون ويَتثاقلُ المجرمون، فيرسلُ اللهُ ناراً فيَسوقُهم إلى جهنَّم.

وقيل: يَدْعوهم من صخرةِ بيتِ المقدس.

---

(١) في (ف): «والرّقة».

﴿لَا عِوَجَ لَهُۥ﴾: لا يقدِرُ أحدٌ أنْ يَعْدِلَ عنه، والتَّقديرُ: لا عِوَج لهم عنه.

﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ﴾؛ أي: سكَنَتْ لمهابةِ الله ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ الحسن: صوتَ وَطْءِ الأقدام ونَقْلِها إلى المحشر(١).

وقيل: صوتاً خفيًّا كتحريكِ الشَّفَة.

* * *

(١٠٩) ـ ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا﴾.

﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ﴾؛ أي: إلَّا شفاعةُ مَن أَذِنَ ﴿لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا﴾؛ أي: في الدُّنيا، وهو قولُ: لا إلهَ إلَّا الله.

وقيل: لا تنفعُ إلَّا لِمَن أَذِنَ اللهُ للشَّافعِ أنْ يَشفعَ فيه.

وقيل: معنى ﴿أَذِنَ﴾: سَمِع.

* * *

(١١٠) ـ ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾؛ أي: النَّاسِ، وقيل: الملائكةِ؛ يريد: ما كان قبلَهم.

﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: وما يكونُ بعدَهم.

وقيل: على العكس، واللَّفظ صالحٌ لهما.

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه يعودُ إلى قوله: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾.

والثَّاني: أنَّه يعودُ إلى الله سبحانه؛ أي: لا يُحيطون علماً بذاته.

* * *

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ١٦٩).

(١١١) ـ ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾.

﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ﴾؛ أي: ذلَّتْ وانقادَتْ؛ أي: أصحابُها، والعَنْوةُ: تكون تسليماً؛ أي: استَسْلَموا لِمَا يَفعلُه، وتكونُ غلَبةً وقَهْراً؛ أي: صاروا كلُّهم أسرى له.

وقيل: هي السُّجودُ على سبعةِ أعضاءٍ: الجبهةِ والكفَّين والرُّكبتين والقَدَمين.

﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾: انقطَعَ رجاؤه ويَئِسَ ممَّا طَلَب، وقوله: ﴿مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾؛ أي: شركاً وثِقلَ مغبَّتِه ووِزْرَه، كقوله: ﴿يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ﴾ [الأنعام: ٣١].

***

(١١٢) ـ ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾.

﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ يريد: الإيمانَ والطَّاعات ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾: لا يُزادُ في سيِّئاته ولا يُنقَصُ من حسناته، وأصلُ الهضمِ: الكسرُ، والمعنى: لا يُظْلَمُ بحِرْمان الثَّواب، ولا يُهْضَمُ بنقصانِ الجزاء.

مَن رَفَع جَعَل تقديره: فهو لا يخافُ، ومَن جَزَم[1] جعلَه نهياً، ودخل الفاءُ لجزاءِ الشَّرط.

***

(١١٣) ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ بلغة العرب، وهو نَسَقٌ على قوله: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ [طه: ٩٩].

---

(١) هي قراءة ابن كثير، والباقون بالرفع. انظر: «السبعة» (ص: ٤٢٤)، و«التيسير» (ص: ١٥٣).

وقيل: كما رغَّبنا أهلَ الإيمان بالوعد حذَّرنا أهل الشَّرك بالوعيد.

﴿وَصَرَّفۡنَا فِيهِ﴾: كرَّرْنا القولَ فيه ﴿مِنَ ٱلۡوَعِيدِ﴾: ذكرِ الطُّوفانِ والصَّيحةِ والرَّجفةِ والمسخ ﴿لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ﴾ أن يَنزلَ بهم مثلُ ما نزل بمَن تقدَّمَهم ﴿أَوۡ يُحۡدِثُ لَهُمۡ ذِكۡرٗا﴾: عظةً واعتباراً. وقيل[1]: شرَفاً بإيمانهم به، و﴿أَوۡ﴾ بمعنى: الواو.

وأُسند الإحداثُ إلى القرآن لأنَّه يقع عنده.

* * *

(١١٤) ـ ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾.

﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ﴾: ارتفعَ صفاتُه من صفاتِ المخلوقين ﴿ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّ﴾؛ أي: يَستحقُّ الوصفَ بالملك، وقيل: هو المالكُ حقًّا.

﴿وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥ﴾ قيل: كان النَّبيُّ ﷺ يَعْجَلُ بالقراءة من قبلِ أن يَستَتِمَّ جبريلُ وحيَه مخافةَ أن ينساه أو يفوتَه شيءٌ منه، فيَقرأُ مع جبريل[2].

ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: لا تَعْجَلْ حتَّى نبيِّنَه لك[3].

السُّدِّيُّ: لا تَسأل إنزالَه قبل أن يأتيَك[4].

---

(١) «قيل» من (ف).

(٢) ذكر ابن حزم في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٤٥) أن هذه الآية منسوخ معناها لا لفظها بقوله تعالى: ﴿سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ١٨٠).

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٤٢٩) بلا نسبة، وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» =

وقيل: لا تَعْجَلْ بتعليمِه ما لم تَفْهَمه.

ومعنى ﴿يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾: يَتمُّ بيانُه، وقيل: يُفْرَغُ مِن إيحائِه وإنزاله.

﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾: سَلِ اللهَ أن يزيدَ علماً إلى عِلْمكَ بوحيِه إليك.

وقيل: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾: أدباً في دينك.

وقيل: زدني علماً بقِصَصِ أنبيائك.

وقيل: زدني حفظاً حتَّى لا أنسَى ما أُوحي إليَّ.

* * *

(١١٥) ـ ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾.

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ﴾؛ أي: أمَرْناه أنْ لا يَقْرَبَ الشَّجرةَ ولا يأكلَ منها ﴿مِن قَبْلُ﴾: قبلَ هذا الزَّمان، وقيل: قبلَ أولاده.

﴿فَنَسِىَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: نسيَ العهدَ وسَهَا.

والثَّاني: تَرَك أمرَ ربِّه.

وقيل: نسي فأوَّلَ.

وقيل: حمَل النَّهي على التَّنزيه لا على التَّحريم، وقد سبق في أوَّل (البقرة) بيانُه.

= (٣/ ١٧٨)، ونسبه للماوردي، وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤٣٧) عن السدي: «كان النبي ﷺ إذا أنزل عليه جبريل بالقرآن أتعب نفسه في حفظه حتى يشق على نفسه؛ يتخوف أن يصعد جبريل ولم يحفظه، فينسى ما علمه، فقال الله: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ قال: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾».

وقيل: إنَّ حوَّاء قَدِمَتْ عليها فلم يُصبها شيءٌ، ثم أبتْ أن يجامِعَها إلّا أنْ يأكُلَ منها، فأكلَ منها(١).

﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ فيه قولان:

أحدهما: عزماً على الذَّنب؛ لأنَّه أخطأ ولم يَتعمَّدْ.

والثَّاني: من أهل العزيمة والثَّبات. وروي عن أبي أُمامةَ أنَّه قال: لو وُزِنَتْ أحلامُ بني آدمَ بحِلْم آدمَ لرَجَح حِلْمُه، وقد قال الله: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾(٢).

ولا يصحُّ أن يُطْلَقَ في نفي العزمِ عنه، بل يقيَّدُ فيقالُ: لم يكن له عزمٌ في التَّحفُّظ عن مكايدةِ إبليس.

وقيل: لم نجدْ له عزماً في العَوْد إلى الذَّنبِ ثانياً.

وقيل: ﴿عَزْمًا﴾: رأياً وصبراً.

وقيل: نسيَ الوعيدَ لا العهدَ.

والعزمُ: اعتقادُ القلبِ على الشَّيء، وقيل: العزمُ: المحافظةُ على أمر الله.

❊ ❊ ❊

(١١٦) - ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ﴾.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ﴾ سبَق(٣).

❊ ❊ ❊

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٣٠)، وعدَّه من العجائب.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ١٨٥)، وابن منده في «الرد على الجهمية» (ص: ٢٣).

(٣) في تفسير سورة البقرة.

(١١٧) ـ ﴿ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴾.

﴿ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴾ أراد: تشقيا، لكنه وحَّد لمشاكلةِ رؤوسِ الآي.

وقيل: أوَّلُ الخطاب له وحدَه، فجُعل آخِرُه كأوَّله.

وقيل: حوَّاءُ تَبَعٌ لآدم.

ومعنى ﴿فَتَشْقَىٰٓ﴾: يشدَّدُ عيشُك، والشَّقاء: كَدُّ العيش.

وقيل: معنى ﴿تشقى﴾: تأكلُ مِن كدِّك وكَسْبِك.

* * *

(١١٨ ـ ١١٩) ـ ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴾.

﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴾؛ أي: لا ينقطِعُ الطَّعامُ والشَّرابُ واللِّباسُ عنك، بل يَحْضُرُك ما تريدُه أبداً.

ومعنى ﴿وَلَا تَضْحَىٰ ﴾: لا يُصيبُكَ حرُّ الشَّمس؛ إذ ليس فيها شمسٌ.

قُرئ: (إنَّ) بالكسر والفتح[1]، والكسرُ على العطفِ على الأوَّل، والفتحُ على العطفِ على ﴿أَلَّا تَجُوعَ﴾، ومحلُّه نصبٌ بـ﴿إِنَّ﴾، وجاز كما تقولُ: إنَّ في عِلمي أنَّك جالسٌ، كما وقع مبتدأً[2] في قول الشَّاعر:

---

(١) قرأ عاصم في رواية أبي بكر ونافعٌ: ﴿وإنك لا تظمأ﴾ بالكسر، والباقون بالفتح. انظر: «السبعة» (ص: ٤٢٤)، و«التيسير» (ص: ١٥٣).

(٢) أي: المصدر المؤول من (أنَّ) وما بعدها مبتدأ، وخبره مقدم عليه، وهو متعلق الجار والمجرور.

أفـي الحـقِّ أنّـي مُغـرَمٌ بـكِ هائمٌ   وأنّـك لا خَـلٌّ هـواك ولا خمـرُ(١)

***

(١٢٠) ـ ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾.

﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾؛ أي: ألقى الشَّيطانُ في نفسه، و﴿شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ﴾: هي التي مَن أكَل منها لا يموتُ ﴿وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾: لا يزولُ، وقيل: لا ينقطعُ بالموت.

***

(١٢١) ـ ﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾.

﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا ﴾: أقبلا وداما ﴿يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾: يَستُران عورتَيْهما ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ﴾ بأكلِ(٢) الشَّجرةِ ﴿فَغَوَىٰ﴾: ارتكبَ ما فيه الهلاكُ أو فسادٌ عظيمٌ.

وقيل: غَوَى: ضلَّ عمَّا أُمر به، وقيل: جَهِل وجهَ الأمر، وقيل: تعدَّى إلى شيءٍ لم يكن له أن يتعدَّى إليه، وقيل: خاب ما كان يظنُّ أن ينالَه بأكلِ الشَّجرة من الخلود. وقيل: ﴿فَغَوَىٰ﴾: حُرِم ما جعَل الله له من الدَّوام في الجنَّة.

---

(١) نسب البيت لعائد بن المنذر القشيري في «المقاصد النحوية» (٣/ ١٠٦٥)، وذكر الأزهري في «شرح التصريح» (١/ ٥٨٧) أنه فائد بالفاء، ونُسب لأبي الطمحان القيني في: «محاضرات الأدباء» (٢/ ٥٧)، ودون نسبة في «الحماسة» بشرح المرزوقي (ص: ٨٨٨).

(٢) في (ف): «فأكل».

(١٢٢ ـ ١٢٣) ـ ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى (١٢٢) قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾.

﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى (١٢٢) قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ يعني: اهْبِطا أنتما وإبليسُ جميعاً، ولفظُ (جميع) يدلُّ على ذلك.

وقيل: إنَّه خطابٌ لآدمَ وإبليسَ وذرِّيَّتِهما.

وقيل: كان أُهبِطَ إبليسُ قبلهما، والمعنى: اهبِطا جميعاً، ثم أنتما وإبليس ـ وقيل: والحيَّة ـ ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾.

﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ﴾: خطابٌ لآدم وحوَّاء وذرِّيَّتِهما.

وقيل: وإبليسُ أيضاً مخاطبٌ به، والأوَّل الوجه.

﴿مِنِّي هُدًى﴾: كتابٌ ورسولٌ ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ﴾: كتابي ورسولي ﴿فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ سبَق.

* * *

(١٢٤) ـ ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾.

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي﴾ قيل: القرآن، وقيل: الهدى فلم يَتَّبعْه ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾: ضيِّقاً غيرَ موسَّعٍ؛ يعني: في النَّار، وقيل: حراماً؛ يعني: في الدُّنيا.

وقيل: هو الكسبُ الخبيثُ والعملُ السَّيِّئ.

وقيل: ﴿مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ يضيِّقُ عليه قبرُه.

وقيل: هو عذابُ القبر، وبذلك فسَّره رسول الله ﷺ[(١)].

ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: الشَّقاءُ معيشةُ الضَّنك[(٢)].

ابن جبيرٍ: يسلبه القناعة حتّى لا يشبع[(٣)].

وقيل: عيش الدُّنيا ضنكٌ ضيِّقٌ؛ لانقضائه وقِصَرِ مدَّته وكثرةِ شوائبه، وإنَّما العيشُ الواسعُ عيشُ الآخرة.

﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ قيل: عن الحجَّة[(٤)]، وقيل: أعمى البصر، وقيل: أعمى القلب.

وعن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: يُحشر بصيراً، ثمَّ إذا سيق إلى المحشر عَمِيَ[(٥)].

وقيل: أعمَى عن كلِّ شيءٍ إلَّا عن جهنَّم.

---

(١) جاء في ذلك أكثر من حديث مرفوع:

منها: ما رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٤٣٩) وصححه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ قال: «عذاب القبر».

ومنها: ما رواه ابن حبان في «صحيحه» (٣١١٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ مثل حديث أبي سعيد.

ومنها: ما رواه البزار في «مسنده» (٩٤٠٧)، وأبو يعلى في «مسنده» (٦٦٤٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٣١٢٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ قال: «المعيشة الضنك الذي قال الله تبارك وتعالى: أنه يسلط عليه تسعة وتسعون حية ينهشون لحمه حتى تقوم الساعة».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ١٩٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤٣٩).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٨/ ٨٠).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٣١)، واستغربه.

(٥) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٤١٦)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ١٨١).

(١٢٥) ـ ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا﴾.

﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا﴾ في الدُّنيا.

* * *

(١٢٦) ـ ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ﴾.

﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا﴾؛ أي: إنَّما عَمِيتَ جزاءً على فِعْلِكَ، وهو نسيانُ آياتِ الله، وقيل: تركُ العمل بها.

﴿وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ﴾: تُترَكُ في العمَى والعذاب.

وقيل: تُعامَلُ معك معاملةَ المنسيِّ.

* * *

(١٢٧) ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَنۡ أَسۡرَفَ وَلَمۡ يُؤۡمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦۚ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبۡقَىٰٓ﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَنۡ أَسۡرَفَ﴾؛ أي: كما جازَيْنا المُعرِضَ نَجزي المسرِفَ.

والإسرافُ: مجاوزةُ الحدِّ المحمود.

﴿وَلَمۡ يُؤۡمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ﴾ يريد: فعصَى اللهَ وكفرَ به.

﴿وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ الذي ينالُه بعد ذلك ﴿أَشَدُّ وَأَبۡقَىٰٓ﴾.

* * *

(١٢٨) ـ ﴿أَفَلَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ يَمۡشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ﴾.

﴿أَفَلَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ يَمۡشُونَ﴾ هؤلاء ﴿فِي مَسَٰكِنِهِمۡ﴾ ديارِ المُهْلَكين ومنازلِهم إذا سافروا واتَّجروا ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ﴾.

اختلفوا في فاعل ﴿يَهۡدِ﴾ فقال الكوفيُّون: فاعلُه ﴿كَمۡ أَهۡلَكۡنَا﴾[1]، وهذا لا يجوزُ

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٣٢)، وعدَّه من العجائب.

عند البصريِّين؛ لأنَّ الجُملَ لا تكون فاعلةً، وقال البصريُّون: فاعلُه مضمَرٌ يفسِّرُه ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾، قالوا: ويجوزُ أن يكونَ مصدراً كما قيل في قوله: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم﴾ [يوسف: ٣٥](١).

ويحتمِلُ أنَّ الفاعلَ هو الله سبحانه على تقدير: أفلم يَهْدِ اللهُ لهم فيَعلموا، ويقوِّيه قراءةُ مَن قرأ: (نهد) بالنُّون، وهو يعقوب(٢).

* * *

(١٢٩) ـ ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ تقدير الآية: ولولا كلمةٌ سبقَتْ بتأخير العذاب عن أمَّة محمَّدٍ ﷺ، وقيل: بأنْ يؤمنَ بعضُهم، و﴿أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ يعني: القيامةَ، لكان العذابُ لزاماً لهم لا يفارقُهم كما لم يفارقِ القرونَ الماضيةَ الكافرة.

وقيل: الأجلُ المسمَّى: الموت.

وقيل: ﴿لِزَامًا﴾: قتلاً، وقيل: ما أصابهم يومَ بدرٍ لَزِمهم حتَّى يُستأصلوا.

* * *

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٢١٠)، و«الهداية» لمكي بن أبي طالب (٩/ ٦٠٢٨)، و«البسيط» للواحدي (١٨/ ١٦٠).

(٢) وهي رواية زيد عن يعقوب كما في «المبسوط في القراءات» (ص: ٣٥٤)، ونسبت لعلي وابن عباس والسلمي. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١١٩)، وقد ذكر المصنف هذا القول في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٣١)، واستغربه.

(١٣٠) ـ ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾.

﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ منسوخٌ بآية السَّيف[1]، وقيل: اصْبِرْ على أذاك ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾: صلاةَ الفجر ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾: صلاةَ العصر ﴿وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ﴾ يعني: المغربَ والعشاءَ الآخرة ﴿وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾: الظُّهرَ، وجُمع لأنَّ النَّهارَ جنسٌ.

وقيل: أراد بـ﴿أطراف النَّهَارِ﴾: التَّطوُّعَ في جميع أجزاء النَّهار، وبـ﴿آنَاءِ اللَّيْلِ﴾ صلاةَ اللَّيل كلِّه. و﴿آنَاءِ﴾: جمعُ أَنًى وإِنًى وأَنْيٌ[2].

﴿لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾: بما تُعطَى، ومثلُه: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ [الضحى: ٥]، و﴿تَرْضَىٰ﴾: يرضيكَ اللهُ بكرامته.

***

(١٣١) ـ ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾.

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ في سببِ النُّزول: عن أبي رافعٍ مولى رسول الله ﷺ: أنَّ ضيفاً نزل برسول الله ﷺ فدعاني فأَرْسلني إلى رجلٍ من اليهودِ يبيعُ طعاماً: يقولُ لكَ محمد عليه السَّلام: إنَّه نزل بنا ضيفٌ ولم نُلفِ عندنا بعضَ الذي نُصلحه، فبِعْني كذا وكذا من الدَّقيق، وأَسْلِفْني إلى هلالِ رجب، فقال اليهوديُّ: لا أبيعُه ولا أُسْلِفُه إلَّا برهنٍ، قال: فرجعتُ إليه وأخبرتُه، فقال: «واللهِ إنِّي لأمينٌ في السَّماء

---

(١) انظر: «الناسخ والمنسوخ» لابن حزم (ص: ٤٥).

(٢) هذه أقوال في مفرد (آناء)، وفيها أقوال أخرى منها: إِنْوٌ، وإِنْيٌ، وأَناءٌ. انظر: «المنتخب» لكراع النمل (ص: ٥٣٦)، و«الصحاح» مادة (أ ن ي) (٦/ ٢٢٧٣)، و«تاج العروس» مادة (أ ن ي) (٣/ ١٠٦).

وأمينٌ في الأرض، ولو أسلَفَني أو باعَني لأدَّيتُ إليه، اذهَبْ بدرعي»، ونزلت هذه الآية تعزيةً له عن الدُّنيا(١).

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾؛ أي: لا تنظُرْ، وقيل: لا يَعْظُمْ في عينك، وقيل: لا تتأسَّفْ وارْضَ بما رزَقَك الله.

وقوله: ﴿أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾؛ أي: أصنافاً، وهم الرِّجالُ والنِّساء.

وقيل: ﴿أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾ أشكالاً منهم؛ لأنَّهم أشكالٌ في الذَّهاب عن الصَّواب.

﴿زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: زينتَها وحُسْنَها وبهجَتَها.

والزَّهْرةُ: المضيءُ المستحسَنُ.

﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾: لنُعامِلَ معهم معاملةَ المختبِرِ، وقيل: لنشدِّدَ تكليفَهم.

﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ﴾ في الجنَّة ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾.

* * *

(١٣٢) - ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾.

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ﴾؛ أي: أمَّتَك، وقيل: أهلَ بيتِك ﴿وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾: داوِمْ عليها ﴿لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا﴾ لخَلْقِنا ولا لنفْسِك ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ فالتَمِسْ منَّا، فإنَّ الله رازقُ الجميعِ ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾؛ أي: الصَّلاحُ في آخِرِ الأمر للمتَّقين.

* * *

---

(١) رواه البزار في «مسنده» (٣٨٦٣)، والروياني في «مسنده» (٦٩٥)، والطبري في «تفسيره» (١٦/ ٢١٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٧٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٩٨٩)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٠٤). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ١٢٦): «رواه الطبراني في الكبير، والبزار، وفيه موسى بن عبيدة الربذي، وهو ضعيف».

(١٣٣) ـ ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾.

﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ﴾؛ أي: آيةٍ تدلُّ على صدقِ محمَّدٍ عليه السَّلام ﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾ يعني: القرآنَ، فيه بيانُ ما في التَّوراة والإنجيل والزَّبور.

وقيل: أليس قد أُعلموا أنَّ الله قال في الكتب المتقدِّمة: إنَّ الآيةَ المقترحةَ إذا لم يُؤمَنْ بها تَبِعها عذابُ الاستئصال.

وقيل: بيانُ صفةِ محمَّدٍ ﷺ.

* * *

(١٣٤) ـ ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَـٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَـٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾.

﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَـٰهُم﴾ يعني: العربَ ﴿بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ﴾: قبلِ محمَّدٍ والقرآنِ ﴿لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ﴾: هلَّا ﴿أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾ يدْعونا ﴿فَنَتَّبِعَ ءَايَـٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾ بالعذابِ. وقيل: نذلَّ في الدُّنيا ونخزى في العُقْبى.

* * *

(١٣٥) ـ ﴿قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا۟ ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَـٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾.

﴿قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ﴾: منتظِرٌ دورانَ الزَّمانِ ولمن يكون الفتح والنَّصر ﴿فَتَرَبَّصُوا۟﴾ أنتم ﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾ إذا جاءت القيامة ﴿مَنْ أَصْحَـٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ﴾: المستقيمِ، وقيل: السَّويُّ: الذي يستوِي سالكُه إلى نجاحه.

﴿وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ من الضَّلالة، أنحن أم أنتم؟ هذا إذا جعلتَ ﴿مَنْ﴾ استفهاماً، وإنْ جعَلْتَه خبراً نصبتَه، والمعنى: ستعرفون.

وقرئ في الشَّواذِّ: (الصِّراط السَّوء)، و(السُّوأى)[1]، ﴿وَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ﴾ للازدواج، والله أعلم بالصَّواب، وإليه المرجعُ والمآب.

* * *

(١) القراءتان في «البحر» (٧/ ٤٠٢)؛ الأولى عن ابن عباس، والثانية عن الجحدري وابن يعمر.

لُبَابُ التَّفَاسِيرِ

تأليف الإمام المفسّر

تاج القُرّاء الكرماني

برهان الدين أبي القاسم محمود بن حمزة بن نصر الكرماني

المتوفى بعد سنة ٥٠٠ هـ

يطبع أول مرة محققاً على ثلاث نسخ خطية

تحقيق وتعليق

محمد عبد الحليم بعاج

المجلد السادس

دار اللباب

لباب التفاسير

(٦)

حُقوق الطّبع مَحفُوظَة

الطبعَة الأولىٰ
١٤٤٣هـ - ٢٠٢١م

يُمنع طباعةُ هذا الكتاب أو ترجمته أو تصويرُه ورقياً أو إلكترونياً
إلا بإذن خطي من الدار الناشرة
تحت المُساءلة الدُّنيوية والأُخروية

9 789933 930271

دار اللُّباب
للدِّراسَاتِ وَتحقِيقِ التُّراثِ

DAR-ALLOBAB
Lubab Yazma Eserleri İhya ve İlmi Araştırma Yayınları

بيروت - لبنان
009615813966
0096170112990

دمشق - سوريا
00963993151546
info@allobab.com
Www.allobab.com

اسطنبول - تركيا
00902125255551
00905454729850

İskenderpaşa mh. Kıztaşı cd. No:7 D:5 Fatih (Özel Fatih Hastanesi Karşısı)

بسم الله الرحمن الرحيم

سُورَةُ الأَنبيَاءِ

سُورَةُ الأَنبِيَاءِ

عليهم السّلام

مئةٌ واثنتا عَشْرةَ آيةً، مكيَّةٌ[1].

ابنُ مسعود رضي الله عنه: سورةُ بني إسرائيل والكهفِ ومريمَ وطه والأنبياءِ هي من العِتَاقِ الأُوَل، وهنَّ من تِلَادي[2].

بسم الله الرّحمن الرّحيم

(١) - ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ﴾.

﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ﴾ ابنُ عيسى: الاقترابُ: قِصَرُ المدَّة للشَّيء بالإضافة إلى ما مَضى من زمانه[3].

وحقيقةُ القرب: قلَّةُ ما بين الشَّيئين.

وهو على ثلاثةِ أوجهٍ: قربُ زمانٍ، وقربُ مكانٍ، وقربُ حالٍ.

والحسابُ: إخراجُ الكمِّيَّة من مَبلغِ العدد[4].

والغفلةُ: ذهابُ المعنى عن النَّفس.

---

(١) في الكوفي، وإحدى عشرة في عدد الباقين. انظر: «البيان» للداني (ص: ١٨٧).

(٢) رواه البخاري (٤٩٩٤). أراد بالعتاق الأول: السور التي نزلت أولًا بمكة، ولذلك قال: «تلادي» يعني: من أول ما تعلمته، والتلاد والتالد: المال الموروث القديم، والطريف: المكتسب. انظر: «جامع الأصول» (٢/ ٢١٠).

(٣) ذكر نحوه الواحدي في البسيط (١٥/ ٨) بلا نسبة.

(٤) في (ن): «العدة».

والإعراضُ: الذَّهاب عن الشَّيء إلى غيرِ عُرْضِه؛ أي: ناحيته[١].

والمعنى: ﴿اقْتَرَبَ﴾ لأهلِ مكّة ـ وقيل: عامٌّ في منكري البعث ـ ﴿حِسَابُهُمْ﴾: وقتُ محاسبةِ الله إيَّاهم ومجازاتِه لهم على أعمالهم؛ يعني: يومَ القيامة؛ لأنَّ ما هو آتٍ قريبٌ؛ لدخوله فيما ينقضي.

﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ عن التَّأهُّبِ لها ﴿مُعْرِضُونَ﴾ عن الإيمان. وقيل: تأتيهم بغتةً.

* * *

(٢) ـ ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾.

﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ قيل: من القرآنِ، وقيل: من الوعظ، وقيل: الذِّكرُ: محمَّدٌ ﷺ، بدليلِ قوله حكايةً عنهم: ﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ [الأنبياء: ٣]. والوجه الأوّل.

﴿مُحْدَثٍ﴾ بالتَّنزيل، يُنزِّله الله ليذكِّرهم ويَعِظَهم به، ومَن جعَل الذِّكرَ الرَّسولَ[٢] قال: محدَثٍ بالإرسال.

﴿إِلَّا اسْتَمَعُوهُ﴾: أَصْغَوا إليه، وقيل: أَدْرَكوه، والاستماعُ يأتي للمعنيَيْنِ.

﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ مستهزِئون به.

* * *

(٣) ـ ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾.

﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾: ساهيةً غافلةً، وقيل: هو من اللَّهو واللَّعب؛ أي: قلوبهم في اللَّعب.

---

(١) ذكره النيسابوري في «تفسيره» (٤/ ٣٨٠).

(٢) في (ن): «للرسول».

﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى﴾ قيل: كتموه، وهو الأظهرُ، وقيل: أظهروا ﴿ٱلنَّجْوَى﴾: ما تحدَّثوا به سرًّا.

﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾: كفروا. واختلف النُّحاةُ في ارتفاعه:

فقال بعضُهم: بدلٌ من الواو في ﴿أَسَرُّوا﴾، وهو قولُ أكثرهم.

وقال بعضُهم: خبرُ مبتدأٍ؛ أي: هم الذين ظلموا.

وقيل: هذا على لغةِ أَزْدِ شَنُوءةَ[1]، كما قال:

يَلُومُونني في اشتراءِ النَّخيـ ـلِ أهلي وكلُّهمُ ألومُ[2]

الكسائيُّ: رفعٌ بالابتداء، وفيه تأخيرٌ؛ أي: الذين ظلموا أسرُّوا النَّجوى[3].

وقيل: محلُّه نصبٌ بإضمار: أعني.

---

(١) أي: هو فاعل (أَسَرُّوا) والواوُ حرفٌ دالٌّ على الجمعيَّة كواوِ (قائمون) وتاء (قامت) وهذا على لغة: (أكلوني البراغيث)، وقد كرَّر سيبويه ذكرها من غير تضعيف، وهي لغةٌ حسنةٌ على ما نص أبو حيان وليست شاذةً كما زعمه بعضهم، وعليه خُرِّجَ قولُه: ﴿ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾ [المائدة: ٧١]، وقد تقدم الكلام على هذه اللغة ثمة. انظر: «الكتاب» (١/ ١٧٩) و«معاني القرآن» للأخفش (١/ ٢٨٦) و«البحر» (٧/ ٤٠٨)، و«روح المعاني» (٩/ ٩).

(٢) نسب لأحيحة بن الجلاح في: «الأزمنة والأمكنة» للأصفهاني (ص: ٥١٩)، و«شرح ديوان المتنبي» لأبي العلاء المعري (ص: ٢٤٢)، و«محاضرات الأدباء» للراغب (٢/ ٦١٦).

ونسب لأمية ابن أبي الصلت في «شرح ألفية ابن مالك» للشاطبي (٢/ ٥٥٧)، وهو في «ملحق ديوانه» (ص: ٥٥٤)، والبيت فيهما برواية: «فكلهم يعذلُ»، ومثله في رواية الراغب، وكذا ذكره أبو سعيد السيرافي في «شرح كتاب سيبويه» (٢/ ٣٦٦)، ولعله الأرجح فإن بعده:

وأهلُ الذي باع يَلْحَوْنَه كما لُحِيَ البائعُ الأوَّلُ

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٨/ ٩٩)، والبغوي في «تفسيره» (٣/ ٢٨٣)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٣٤) دون نسبة، وعدَّه من العجائب.

وقيل: محلُّه جرٌّ بالبدلِ عن (النَّاس)[١].

ويَحتمِلُ أنَّه رفعٌ بإضمارِ القولِ؛ أي: وأسرُّوا النَّجوى وقال الذين ظلموا[٢]، وإضمارُ القول كثيرٌ، وهذا ظاهرٌ، واللهُ أعلمُ.

﴿هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾: آدميٌّ مثلُكم؛ يَعْنون: محمَّداً ﷺ، وهذا تفسيرُ النَّجوى، أو محكيُّ القول كما ذكَرْتُ.

﴿أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾: أَتقْبلون سِحرَه وأنتم ترَوْنَ أنَّه رجلٌ مثلُكم؟!

وقيل: أَتقْبَلونه وأنتم تعلمون أنَّه سحرٌ؟! وقيل: تَقْبَلون وأنتم عقلاءُ؟!

وعَنَوا بالسِّحر: القرآن.

* * *

(٤) ـ ﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

﴿قل﴾ يا محمَّد؛ أي: أَجِبْهم ﴿رَبِّي يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ﴾: ما يقالُ ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

ومَن قرأ: ﴿قَالَ﴾[٣] فعلى الحكايةِ من محمَّدٍ ﷺ.

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ فلا يَخْفَى عليه سرُّكم ونجواكم.

* * *

---

(١) ذكره الفراء في «معاني القرآن» (١/ ٣١٧)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٣٣)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٣٤)، واستغربه.

(٣) قرأ بها حمزة والكسائي وحفص، والباقون: (قل). انظر: «السبعة» (ص: ٤٢٨)، و«التيسير» (ص: ١٥٤).

(٥) ـ ﴿ بَلۡ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمِۭ بَلِ ٱفۡتَرَىٰهُ بَلۡ هُوَ شَاعِرٞ فَلۡيَأۡتِنَا بِـَٔايَةٖ كَمَآ أُرۡسِلَ ٱلۡأَوَّلُونَ ﴾.

﴿ بَلۡ قَالُوٓاْ ﴾ ﴿ بَلۡ ﴾ يأتي على وجهين:

أحدهما: الإضرابُ عن الأوَّل والإثباتُ للثَّاني.

والثَّاني: إتمامُ[1] الأوَّل والابتداءُ بالثَّاني.

وما كان في حقِّ الله سبحانه وتعالى فمِن الوجهِ الثَّاني[2]، وهو قوله: ﴿أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمِۭ﴾؛ أي: أشياءُ مختلفةٌ رآها في المنام ﴿بَلِ ٱفۡتَرَىٰهُ﴾: اختلَقَه مِن تلقاءِ نفسِه وأضافه إلى الله ﴿بَلۡ هُوَ شَاعِرٞ﴾ كسائرِ الشُّعراء تفرَّدَ بنوعٍ منه.

أي: قسَّموا الكلامَ في القرآن أربعةَ أقسامٍ؛ فقائلٌ: هو سحرٌ، وقائلٌ: هو أضغاث أحلامٍ، وقائلٌ: هو مفترًى، وقائلٌ: هو شعرٌ.

ويجوز أن يكون التَّقدير: ناقَضُوا قولَهم، فمرَّةً يقولون: هو كذا، ومرَّةً يقولون: هو كذا.

و﴿بَلۡ﴾ الحرفُ الثَّاني والثَّالثُ يجوزُ أن يكونَ من الله كالأوَّل على التَّأويل الذي ذكرتُ، ويجوز أن يكون محكيًّا عنهم.

﴿فَلۡيَأۡتِنَا بِـَٔايَةٖ كَمَآ أُرۡسِلَ ٱلۡأَوَّلُونَ﴾ إن كانت دعواه صادقةً وليس[3] كما نظنُّ، فلْيأْتنا بمعجزةٍ ظاهرةٍ كما أُرْسِلَ مَن قَبْلَه باليدِ البيضاء، والعصا، وإبراءِ الأكمه والأبرص، وإحياء الموتى.

---

(١) في (ن): «لتمام».

(٢) ذكر لك الزجاج في «حروف المعاني والصفات» (ص: ١٤ ـ ١٥)، وابن مالك في «شرح الكافية الشافية» (٣/ ١٢٣٣).

(٣) في (ق): «ليست».

(٦) ـ ﴿ مَآ ءَامَنَتۡ قَبۡلَهُم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآۖ أَفَهُمۡ يُؤۡمِنُونَ ﴾.

﴿ مَآ ءَامَنَتۡ قَبۡلَهُم مِّن قَرۡيَةٍ ﴾؛ أي: مِن أهل قريةٍ ﴿أَهۡلَكۡنَٰهَآ﴾: حكَمْنا بإهلاكها، وقيل: مِن القرى المهلَكةِ بما اقْتَرحوا من الآياتِ لمّا جاءت؛ لأنَّهم طلبوها تعنُّتاً.

﴿أَفَهُمۡ يُؤۡمِنُونَ﴾: استفهامُ تبعيدٍ وإنكارٍ؛ أي: فلا تأتيهم؛ إذ قَضَيْنا في السَّابق ألَّا نعذِّبَ أمَّةَ محمَّدٍ ﷺ بالاستئصال.

* * *

(٧) ـ ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾.

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡ ﴾ هذا جوابُ قولهم: ﴿هَلۡ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ﴾.

﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ﴾: الكتبِ المتقدِّمة، وقيل: مَن آمَنَ منهم.

وعن عليٍّ كرَّم الله وجهه: نحن أهلُ الذِّكر[1]؛ يعني: المؤمنين، والسُّؤالُ شفاءٌ من الجهل.

وقيل: ﴿ٱلذِّكۡرِ﴾: العِلْمُ بأخبارِ مَن مضى من الأمم[2].

﴿إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾.

* * *

(٨) ـ ﴿ وَمَا جَعَلۡنَٰهُمۡ جَسَدٗا لَّا يَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ﴾.

﴿ وَمَا جَعَلۡنَٰهُمۡ جَسَدٗا لَّا يَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ﴾؛ أي: وما جعلْنا الرُّسلَ ذوي أجسادٍ لا يأكلون الطَّعام ولا يموتون.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٢٢٩).

(٢) ذكر المصنف هذا القول والذي قبله في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٣٥)، واستغربهما.

وقيل: وما جعَلْناهم أجساداً لا يأكلون؛ ذهب بها مذهَبَ أربابها من العقلاء[(١)].

وقيل: الجسد في الأصل مصدرٌ سمِّي به، ولهذا لم يُجمع.

ويحتمِل: وما جعَلْنا كلَّ واحدٍ جسداً.

مجاهدٌ: الجسد: ما لا يأكلُ ولا يشربُ[(٢)].

والجسم[(٣)]: ما له ثلاثةُ أبعادٍ؛ الطُّولُ والعَرْضُ والعُمْقُ[(٤)]، وكلُّ ما له قِوامٌ بذاته فهو جسدٌ.

والمعنى: هم من جميعِ الوجوهِ كسائرِ بني آدمَ إلَّا في رتبةِ النُّبوَّة وشَرَفِ المنزِلة.

***

(٩) - ﴿ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ﴾.

﴿ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ﴾؛ أي: أنجزنا وعدنا؛ فأنجينا الأنبياء والمؤمنين، وأنزلنا وعيدنا بالكافرين.

والإسراف: مجاوزةُ الحدِّ المحمودِ إلى الباطلِ المذموم[(٥)].

***

---

(١) أي: عامل لفظ (الأجساد) معاملة أصحابها العقلاء، فأعاد الضمير عليها بالواو والنون، ولم يقل: أجساداً لا تأكل، والله أعلم.

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٤٣٨).

(٣) في (ف) زيادة: «والجسد».

(٤) ذكره الخوارزمي في «مفاتيح العلوم» (ص: ٢٢٦).

(٥) ذكر نحوه الخطيب الإسكافي في «درة التنزيل» (٢/ ٦٣٢).

(١٠) ـ ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ يعني: القرآنَ، فيه شرفُكم ومنزلتُكم.

وقيل: ذكرُ دِينكم ودُنياكم. وقيل: تذكيرُكم ووعظُكم. وقيل: حديثُكم. وقيل: ما يُتذكَّر به ويُهتدَى.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ما فضَّلتُكم به على غيرِكم.

* * *

(١١) ـ ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾.

﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ﴾: أهلَكْنا أهلَ قريةٍ.

والقَصْمُ: كسرُ الشَّيء الصُّلب حتَّى يَبِينَ[١].

﴿كَانَتْ ظَالِمَةً﴾؛ أي: أهلُها ظالمون ﴿وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا﴾: بعد إهلاكِ أهلِها ﴿قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾.

والإنشاءُ: إحداثُ الشَّيء.

ابنُ عيسى: إيجادُ الشَّيء من غيرِ سببٍ، تقول: أنشأَهُ فنشأَ، وهو ناشئٌ، والجمعُ: نَشَأٌ، كخادمٍ وخَدَمٍ، وخارِبٍ وخَرَبٍ[٢].

* * *

(١٢) ـ ﴿فَلَمَّآ أَحَسُّوا۟ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ﴾.

﴿فَلَمَّآ أَحَسُّوا۟ بَأْسَنَآ﴾؛ أي: أدركوا بحواسِّهم عذابَنا؛ يعني: أهلَ القريةِ المهلَكةِ

---

(١) انظر: «كتاب الألفاظ» لابن السكيت (ص: ٩٣)، و«فقه اللغة» للثعالبي (ص: ١٦٦) و«المحكم» (٦/ ٢١٩)، وقد ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٧/ ٤٠٥) بلفظ المصنف.

(٢) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٧/ ٤١٢)، لكنه نسب في المطبوع منه لابن عباس، ولا شك أنه تصحيف، وذكر نحوه العسكري في «الفروق» (ص: ١٣٤)، وابن فورك في «تفسيره».

﴿إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ﴾: من القريةِ ﴿يَرْكُضُونَ﴾: يَخرجون مسرعينَ، وقيل: يَهْرُبون سراعاً.

وقيل: يركضون على أرجلهم فارِّين، تقول: ركَضْتُ الدَّابَّةَ؛ إذا ضَرَبْتَه[1] لتَجِدَّ في السَّير، وركَضْتُ برِجلي على الأرض؛ إذا ضرَبْتَها بها.

***

(١٣ ـ ١٤) ـ ﴿لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾.

﴿لَا تَرْكُضُوا﴾؛ أي: قيل لهم: لا تركُضُوا؛ فإنَّ هرَبَكم لا ينفعُكم، وسعيَكم لا يُغنِيْكم من القَدَر.

﴿وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ﴾: إلى تَنعُّمِكم، والتَّرَفُّهُ: التَّلذُّذُ بالنِّعمة.

﴿وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ﴾ فيه أقوالٌ:

الحسنُ: ستُعذَّبون[2]، و(لعلَّ) من اللهِ واجبٌ.

قتادةُ: هذا على وجهِ السُّخريَة والاستهزاء[3].

مجاهدٌ: لعلَّكم تَفْقَهون بالمسألة[4].

---

(١) كذا في النسختين، والجادة: «ضربتها».

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٥/ ٢٣)، والمصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٣٥).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٨٥١)، والطبري في «تفسيره» (١٦/ ٢٣٥ ـ ٢٣٦)، والثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٢٧١)، وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٥/ ٦١٨)، بلفظ: «﴿وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ﴾: ارجعوا إلى دنياكم التي أترفتم فيها ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ﴾ من دنياكم شيئًا، استهزاء بهم».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٢٣٥)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٣٥)، واستغربه.

الكلبيُّ: هم أهلُ حَضوراءَ[١] من قرى اليمن، أرسل الله إليهم نبيًّا فكذَّبوه ثم قتلوه، فسلَّط الله عليهم بختنصَّر فقاتلهم[٢] فهزمهم، فمرُّوا على دُورهم ولم يَلْوُوا على شيءٍ منها، فردَّهم الملائكةُ حتَّى رجعوا إلى دُورهم، فدخل عليهم بختَنصَّرَ فأهلَكهم، والملائكةُ يقولون: يا ثارات فلانٍ، يسمُّونه، فلمَّا سمعوا ذلك ﴿قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾[٣].

وقيل: لعلَّكم تُسألون الإيمانَ كما سُئِلْتُموه قبلَ نزولِ العذاب.

وقيل: لعلَّكم تُسألون مِن دنياكُم أشياءَ؛ استهزاءً بهم.

الزَّجَّاج: تُسألون أشياءَ ممَّا أُتْرِفْتُم فيه[٤].

وقيل: لعلَّكم تُسألون عمَّا تشاهدون فتُجيبوا.

ويَحتمِلُ على قولِ الكلبيِّ أنَّهم خرجوا هرباً من بختَنَصَّرَ فأوقَعَ اللهُ في قلوبهم ـ أو قال بعضهم لبعضٍ ـ: لا تهربوا وارجِعوا إلى منازلكم وأموالِكم لعلَّكم

---

(١) في النسختين الخطيتين: «حصوراء»، والتصويب من مصادر التخريج.

(٢) في (ف): «فقاتلوه».

(٣) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٤٢١) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وذكر نحوه ابن عبد ربه في «العقد» (٣/ ٣٣٦)، والسهيلي في «التعريف والإعلام» (ص: ١١٢)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ١٨١) عن أهل التفسير والأخبار، واسم المدينة عندهم: حضور، واسم نبيهم الذي قتلوه: شعيب بن ذي مهدم.

وفي «البسيط» للواحدي (١٥/ ٢٧) عن ابن عباس: «يريد مدائن كانت باليمن؛ حَضُوراء وبيت شِبَام مدائن كثيرة»، وقد ذكر محققه أن كلمة (حضوراء) بالمهملة في معظم النسخ الخطية، كما في النسخ الخطية لـ«لباب التفاسير»، وقد ورد اسمها بالمعجمة أيضاً في «تفسير الثعلبي» (٨/ ١٠٧)، و«معجم البلدان» لياقوت (٢/ ٢٧٢)، وهو الصواب والله أعلم.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٣٨٦).

تُسألون مالاً وخراجاً؛ أي: نُرْضي بختَنَصَّرَ بالمال فلا يتعرَّض للقتل والقتال.

﴿قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ﴾؛ أي: هلَكْنا ووقَعْنا في أشدِّ البلاء ﴿إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾: أَقَرُّوا على أنفسِهم بظلمِهم بالإشراك بالله وقتلِ نبيِّهم.

* * *

(١٥) ـ ﴿فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ﴾.

﴿فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ﴾: لم يزالوا يردِّدون كلمةَ الويل، والدَّعوى: الادِّعاء.

﴿حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا﴾: محصوداً بالسَّيف.

الحسن: مُستأصَلاً بالعذاب(١).

ووحَّد لأنَّ (فَعِيلاً) قد يقعُ مَوقعَ الجمع، وقيل: بل أُجري مجرى المصادر(٢).

﴿خَٰمِدِينَ﴾: ميِّتين، مِن خَمَدتِ النَّارُ خُموداً.

* * *

(١٦) ـ ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾.

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾ اللَّعِبُ: فِعْلٌ يدعو إليه الجهلُ، يَرُوقُ أوَّلُه ولا ثباتَ له، وإنَّما خلَقْناهما لنجازيَ المحسِنَ والمسيءَ، وليُستدلَّ بها على وحدانيَّة الله وقدرته(٣).

* * *

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٤٣٩).

(٢) انظر: «شرح الكتاب» للسيرافي (٢/ ٢٠٨)، و«البسيط» للواحدي (١٣/ ٤٨٠ ـ ٤٨١).

(٣) نقله أبو حيان عن الكرماني في «البحر المحيط» (٧/ ٤١٥).

(١٧) ـ ﴿لَوۡ أَرَدۡنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهۡوٗا لَّٱتَّخَذۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾.

﴿لَوۡ أَرَدۡنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهۡوٗا لَّٱتَّخَذۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ﴾ ابن عيسى: اللَّهو: صرفُ الهمِّ عن النَّفس بفعلِ القبيح[١].

واختَلف المفسِّرون في الآية:

فذهب الحسنُ في جماعةٍ إلى أنَّ المراد به هاهنا: الزَّوجة[٢]، ردٌّ على مَن قال: مريمُ صاحبتُه.

الزَّجَّاج في جماعةٍ: الولدُ بلغةِ حضرموتَ[٣]، ردٌّ على مَن قال: عيسى ابنُه.

وقيل: ردٌّ على المشركين ما أضافوا إليه مِن[٤] أُنْسِه بالأصنام.

وقيل: هو اللَّهوُ على ظاهره.

قوله: ﴿مِن لَّدُنَّآ﴾: مِن عندِنا.

وقيل: لاتَّخذناه بحيث لا يَطَّلِعُ عليه أحدٌ؛ لأنَّه نقصٌ وسترُه أولَى[٥].

السُّدِّيُّ: من السَّماء لا مِن الأرض[٦].

﴿إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ قيل: شرطٌ؛ أي: إنْ كنَّا ممَّن يفعلُ ذلك ولَسْنا كذلك.

---

(١) ذكره المصنف بلا نسبة في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٣٦)، وذكر نحوه ابن فورك في «تفسيره» (١/ ٤٤٧).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٢٣٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٤٤٧).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٣٨٦).

(٤) «من»: من (ف)، وهو في «غرائب التفسير»: «من الشبه».

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٣٦)، واستغربه.

(٦) ذكره المصنف بهذا اللفظ في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٣٦)، وأبو حيان في «البحر المحيط» (٧/ ٤١٥)، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٤٤٧) بلفظ: «يقول: لو أردت إن أتخذ ولدًا لاتخذت من الملائكة».

وقيل: هو نفيٌ؛ كقوله: ﴿وَإِنْ أَدْرِىٓ﴾ [الأنبياء: ١٠٩]؛ أي: ما كنَّا فاعلين.

وقيل: معناه: لو كنَّا فاعلين.

ابن بحرٍ: ليس في الآيةِ ذكرُ الولدِ والزَّوج، وإنَّما هي عطفٌ على الآية الأولى؛ أي: لو كان اللَّعبُ يَليقُ بنا لاتَّخذنا منه ما يكون في عِلْمِنا وقُدرَتِنا.

* * *

(١٨) ـ ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾.

﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ﴾ بالإسلامِ على الإشراك، وقيل: بالقرآن على إبليس، وقيل: بالوعظِ على المعاصي، وقيل: بالحجَّة على الشُّبهة، وقيل: بالدَّليل المبطِلِ للباطل على الباطل.

﴿فَيَدْمَغُهُۥ﴾: فيَكْسِرُه ويبلغُ أمَّ دماغه، فلا يحيَا ولا يبقَى بعدَه.

﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾: هالكٌ ذاهبٌ ﴿وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ﴾: شدَّةُ العذاب ﴿مِمَّا تَصِفُونَ﴾ أي: تَصِفون اللهَ به ممَّا لا يَليقُ به.

* * *

(١٩) ـ ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾.

﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: خَلْقاً ومُلكاً، فكيف يكونُ ولداً[١] وبينهما تَنافٍ؟

﴿وَمَنْ عِندَهُۥ﴾؛ أي: في محلِّ كرامته؛ يعني: الملائكةَ ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ﴾: لا يَتعظَّمون ﴿وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾: لا يَعْيَوْن؛ فإنَّ تسبيحَهم يَجري مَجْرى التَّنفُّس منَّا.

وقيل: لا ينقطعون. حَسَر واستَحْسَر بمعنًى، وحَسَر لازمٌ ومُتَعدٍّ[٢].

---

(١) في (ن): «والداً».

(٢) واستحسر بمعنى اللازم، وقد ذكر السمين الحلبي في «الدر المصون» (٨/ ١٤١) أن أحسر =

(٢٠) ـ ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾.

﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴾: ينزِّهون الله عن الولدِ والزَّوجة والشَّريك، وعمَّا لا يليقُ به ﴿لَا يَفْتُرُونَ ﴾: لا يَضْعُفون عنه.

ورُوي عن بعضِ القرَّاء الوقفُ على قوله: ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ ﴾، ثمَّ استأنَفَ فقال: ﴿وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ أي: عن سائرِ الأعمالِ ممَّا يأمرُهم اللهُ تعالى، وفيه ضعفٌ؛ لأنَّ عملهم لا يمنعُهم من التَّسبيحِ، كما أنَّ أعمالَنا لا تمنعُنا عن التَّنفُّس وطَرْفِ العَين[1].

* * *

(٢١) ـ ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴾.

﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴾: يُحْيُونَ الموتَى؛ أي: الإحياءُ والإماتةُ بيدِ الله سبحانه.

وقوله: ﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ ﴾ صفةٌ للآلهة.

وقيل: تقديره: أم اتَّخذوا آلهةً هم يُنْشِرون من الأرض الموتَى.

* * *

= بمعنى المتعدي، فيكون لهذا الفعل وجهان، ولكل وجه فعل بمعناه، مع المبالغة عند الزيادة، كما لا يخفى.

(١) ذكره أبو بكر الأنباري في «الوقف والابتداء» (٢/ ٧٧٤) وقال: «وهذا غلط؛ لأنهم لا يوصفون بأنهم يسبحون الليل دون النهار ولا النهار دون الليل، الدليل على ذلك قوله: ﴿ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ﴾ [فصلت: ٣٨]»، وانظر: «المكتفي في الوقف والابتدا» للداني (ص: ١٣٣)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٣٦)، واستغربه.

(٢٢) ـ ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾.

﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾؛ أي: غيرُ الله، ولهذا رُفع[1]، ويأتي (إلَّا) بمعنى (غير)، كما جاء (غير) بمعنى (إلَّا)[2]، وهو الكثيرُ، ولو نصَبْتَه في الآيةِ لبَطَل المعنى المقصودُ، وصار الآلهةُ مُثْبتةً مع الله، تعالى اللهُ عن ذلك.

وإثباتُ إلهينِ ينقسِمُ إلى ثلاثةِ أقسامٍ: إمَّا أن يكونا عاجزَيْنِ، أو قادرَيْنِ، أو قادراً وعاجزاً؛ والعاجزُ لا يَصْلُحُ أن يكونَ إلهاً فبَطَل قِسْمان، وبَطَل الثَّالثُ أيضاً؛ لأنَّ الإله واجبُ الوجود، ووجوبُ الوجود لا يصحُّ لاثنين، ويَبطُل أيضاً لاستحالةِ وجودِ الشَّيء من فاعلَين وليس أحدُهما بأَوْلى به من الآخَرِ، والسَّماواتُ والأرضُ موجوداتٌ، فدلَّ وجودُهما على وحدانيَّة الموجِدِ، وهو اللهُ سبحانه.

﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾؛ أي: له السَّماواتُ والأرضُ وما فوقَهما من الكرسيِّ والعرش، وهو منزَّهٌ عن الوصفِ بالشَّريك والصَّاحبة والولد.

***

(٢٣) ـ ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾.

﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾؛ أي: ليس عليه اعتراضٌ في حُكمه؛ إذ لا أحدَ مثلُه وفوقَه فيسألَه عن فِعْله بعباده، ﴿وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾؛ أي: العبادُ مسؤولون عن أفعالهم.

---

(١) ذكر مكي بن أبي طالب في «الهداية» (٧/ ٤٧٤٣) أن هذا مذهب البصريين وسيبويه، وانظر: «الكتاب» (٢/ ٣٣١)، و«المقتضب» للمبرد (٤/ ٤٠٨)، و«حروف المعاني والصفات» للزجاجي (ص: ٧).

(٢) انظر: «حروف المعاني والصفات» للزجاجي (ص: ٦٦)، و«الإيضاح العضدي» لأبي علي الفارسي (ص: ٢٠٩).

وقيل: لا يسـألُه الملائكةُ وهم يُسـألون بقولـه: ﴿أَهَٰؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ﴾ [سبأ: ٤٠].

وقيل: لا يُسألُ سبحانه والذين اتَّخذتُموهم آلهةً كعيسى والملائكةِ والأوثانِ يُسألون.

وقيل: لا يُسأل؛ لأنَّ جميعَ أفعاله صوابٌ، وهم يُسألون؛ لأنَّهم يخطِئون(١).

ورُوي عن الضَّحَّاك: أنَّ كفَّار قريشٍ قالوا: يا محمَّد، ربُّنا يكتبُ علينا الذَّنْبَ ثم يعذِّبنا عليه؟! قالوه تكذيباً بالقَدَر، فأنزل الله: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾؛ أي: لا يُسألُ عن قضائه وهم يُسألونَ عن أفعالهم(٢).

***

(٢٤) ـ ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ﴾.

﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ أمرَهم اللهُ تعالى بعبادتها في كتابٍ من الكتب ﴿قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ﴾: قدِّموا حجَّتكم على ذلك.

﴿هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ﴾؛ أي: هذا القرآنُ فيه ذكرُ أُمَّتي وذكرُ الأُمم المتقدِّمة، وليس فيه جوازُ ذلك ولا الأمرُ بعبادة الأوثان.

وقيل: تقديره: ﴿هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ﴾ يعني: القرآنَ ﴿وَذِكْرُ مَن قَبْلِى﴾ يعني: التَّوراةَ والإنجيل، وليس فيها كلِّها إباحةُ ذلك.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٣٧)، واستغربه.

(٢) لم أقف عليه بتمامه، وروى الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٢٤٧) عن الضحاك آخره بلفظ: «لا يسأل الخالق عما يقضي في خلقه، والخلق مسئولون عن أعمالهم»، وذكره الواحدي بهذا اللفظ عن الضحاك في «البسيط» (١٥/ ٥٠)، وذكر عن أبي ذر أن وفد نجران قالوا: يا محمد، يكتب علينا الذنب ويعذبنا؟ انظر: «البسيط» للواحدي (٢١/ ١٢٥).

وليس قولُه: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا﴾ بتكرارٍ ساذَجٍ، بل الأوَّلُ للقياس؛ أي: أَوَجَدوا آلهةً يُنشِرون الموتى من الأرض فاتَّخذوهم آلهةً قياساً؟! والثَّاني للتَّقليد، والمعنى: أَوَجَدوا في كتبِ الله الأمرَ باتِّخاذِ آلهةٍ فاتَّخذوهم آلهةً تقليداً.

والبرهان: البيِّنُ الواضحُ من القول.

وقيل: معنى: ﴿ذِكْرُ مَن مَّعِيَ﴾: خبرُ مَن مَعي وخبرُ مَن قَبْلي، فمَن نجا فبالإيمان، ومَن هَلَك فبالشِّرْك.

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ بسببِ جَهْلِهم.

وقيل: لا يعلمون القرآنَ، فهم لأجلِ ذلك مُعْرِضون تاركون.

ثم أكَّد ذلك فقال:

(٢٥) - ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾: وحِّدوني ولا تُشرِكوا بي شيئاً.

* * *

(٢٦) - ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾.

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ يعنُون: الملائكةَ ﴿سُبْحَانَهُ﴾: نزَّه نفسَه عن اتِّخاذ الولد؛ لأنَّ ذلك يقتضي المجانسةَ، واللهُ منزَّهٌ عن الوصفِ بالجنس والنَّوع.

﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾؛ أي: بل هم عبادٌ مكرَمون وليسوا بأولادٍ.

* * *

(٢٧) - ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾.

﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ﴾: لا يتكلَّمون إلَّا بما أَمرهم به.

وقيل: لا يَتعدَّون ما أُمِروا به.

وقيل: لا يتقدَّمون ولا يتأخَّرون إلَّا بأمرِه.

وقيل: لا يقولون قبل أن يقولَ.

وقيل: لا يقولون إلَّا بما يُوْحَى إليهم.

﴿وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾؛ أي: يَعمَلون ما يَعمَلون بأمره.

* * *

(٢٨) ـ ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ قد سبق[1]، وقيل: ما كان قبلَ الملائكة وما يكونُ بعدَهم ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾؛ أي: مَن رضيَه الله، وقال: لا إلهَ إلَّا اللهُ محمّدٌ رسولُ الله.

﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾: خائفون أنْ يَحِلَّ بهم عقابُه.

وقيل: يخافون أن يَشْفَعوا إلَّا بإذنه.

وقيل: يخافون من التَّقصير في العبادة.

* * *

(٢٩) ـ ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ﴾؛ أي: من الملائكة، وقيل: من الملائكة وممَّن عُبِدوا من دون الله ﴿إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ﴾؛ أي: فذلك القائلُ ﴿نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ أي: الكافرين.

---

(١) في تفسير مثل هذه الآية من سورة البقرة، وسورة طه.

وذهبَ جماعةٌ من المفسِّرين إلى أنَّ المرادَ به إبليس، فإنَّه ادَّعى الإلهيَّة لنفسِه ووَسْوَسَ إليهم.

***

(٣٠) ـ ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قُرئ بالواو وحذفِها[١]، وهما في المعنى سواءٌ، والرُّؤيةُ بمعنى العلم، وقيل: هي من رؤيةِ العين.

﴿أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا﴾: مُنْسدًّا[٢]، ووُحِّد لأنَّه مصدرٌ. والرَّتْق: السَّدُّ، وكلُّ شيئين لا فرجةَ بينهما فهما رتقٌ.

﴿فَفَتَقْنَاهُمَا﴾: فشقَقْناهما، والفتق: الفصلُ بين الشَّيئين كانا ملتئِمَين.

وفيها أربعةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّ السَّماوات كانت متَّصلةً بالأرض ففتقناهما بأن جعلنا بينهما الهواء[٣].

والثَّاني: أنَّ السَّماوات كانت واحدةً ففتقناها بأنْ جعلناها سبعاً، وكذلك الأرضُ كانت واحدةً فجعلناها سبعاً[٤].

والثَّالث: أنَّ السَّماوات كانت رَتْقاً لا تُمطِرُ ففتقناها بالمطر، وكانت الأرضُ

---

(١) قرأ ابن كثير: (ألم ير) بلا واو، والباقون بالواو. انظر: «السبعة» (ص: ٤٢٨)، و«التيسير» (ص: ١٥٥).

(٢) أي: كتلةً واحدةً منسدةً لا انفتاحَ فيها، ومنه: امرأةٌ رَتْقاءُ؛ أي: مُنْسَدَّة الفَرْجِ. انظر: «الدر المصون» (٨/ ١٤٩)، و«أيسر التفاسير» (٣/ ٤٠٩).

(٣) هذا قول الحسن وقتادة، كما في «تفسير الطبري» (١٦/ ٢٥٦).

(٤) هذا قول مجاهد، كما في «تفسير عبد الرزاق» (٢/ ٣٨٤).

رَتْقاً لا تُنْبِتُ ففتقناها بالنَّبات[١]، وعلى هذا القولِ المرادُ بالسَّماوات: سماءُ الدُّنيا، فجُمع.

والرَّابع: ﴿كَانَتَا رَتْقًا﴾ بالظُّلمةِ لا يُرى ما فيهما ﴿فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ بخَلْقِ الأبراج النَّيِّرة، حكاه ابن هَيْضَم[٢].

﴿وَجَعَلْنَا﴾: وخَلَقْنا ﴿مِنَ ٱلْمَآءِ﴾ المشروبِ، وقيل: من النُّطفة[٣] ﴿كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾: كلَّ شيءٍ له حياةٌ.

وقيل: ﴿جَعَلْنا﴾ هاهنا يتعدَّى إلى مفعولين، فالمعنى: يعيشُ كلُّ شيءٍ بالماء، وهذا لا يصحُّ إلَّا على قراءةِ مَن قرأ: (حيًّا)[٤]، أو على إضمارٍ تقديره: وجعلنا من الماءِ حياةَ كلِّ شيءٍ حيٍّ، وحُذف المضاف، و﴿كُلَّ شَىْءٍ﴾ هاهنا للأغلب الأكثرِ لا للعموم.

ويحتمِل أنَّ التَّقدير: وجعَلْنا من الماء، أو ممَّا يَنْبُتُ بالماء كالنَّبات، أو ممَّا يتولَّد بالنَّبات كاللَّحم، فإنَّ أصل كلِّها الماءُ[٥].

﴿أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ مع ظهور الآيات.

* * *

---

(١) هذا قول ابن قتيبة، ورواه الطبري عن عكرمة وعطية وابن زيد، ورجّحه. انظر: «غريب القرآن» (ص: ٢٨٦)، و«تفسير الطبري» (١٦/ ٢٥٧ ـ ٢٥٨).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٣٧)، واستغربه.

(٣) هو قول قطرب، كما في «النكت والعيون»، للماوردي، (٣/ ٤٤٤)، وقول أبي العالية كما في «زاد المسير» لابن الجوزي (٣/ ١٨٩)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٣٧)، واستغربه.

(٤) ذكرها ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ١٨٩) عن معاذ القارئ وابن أبي عبلة وحميد بن قيس.

(٥) جعل المصنف هذه المعاني الأخيرة مما يستدعيه القول بأن المراد بالماء المشروب وقد عدّ ذلك من العجائب: انظر: «غرائب التفسير» (٢/ ٧٣٧).

(٣١) ـ ﴿ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾.

﴿ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ ﴾: جبالاً، مِن رَسَا؛ إذا ثَبَت، وقيل: سمِّي رواسي؛ لأنَّ الأرض رَسَتْ بها.

﴿أَن تَمِيدَ بِهِمْ ﴾: كراهةَ أنْ تميدَ، وقيل: لِأَنْ لا تميدَ.

ومعنى ﴿تَمِيدَ ﴾: تميلَ، وقيل: تَضطربَ بالذَّهاب في الجهات.

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا ﴾: في الأرض، وقيل: في الجبال[1].

﴿فِجَاجًا ﴾: طرقاً، جمعُ فجٍّ، وهو الطَّريق الواسع، وقيل: الفجُّ: الطَّريق بين الجبلين، وقيل: ﴿فِجَاجًا ﴾ أعلاماً.

﴿سُبُلًا ﴾: مسالكَ للسَّابلة، وقيل: سُبُلاً للاعتبار.

﴿لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ إلى ديارهم وأوطانهم، وقيل: يهتدون بالاعتبار.

* * *

(٣٢) ـ ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴾.

﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا ﴾: كلُّ ما رُفِعَ وسُمِكَ على شيءٍ فهو سقفُه.

﴿مَّحْفُوظًا ﴾ من السُّقوط، وقيل: محفوظاً من الشَّياطين بالشُّهب، وقيل: محفوظاً في الهواء من غير علَّاقةٍ ولا عمادٍ، وقيل: محفوظاً من الشِّرك والمعاصي.

﴿وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا ﴾: عن الأدلَّة التي فيها كالشَّمس والقمر والنُّجوم ﴿مُعْرِضُونَ ﴾: غيرُ متفكِّرين فيها[2].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٣٧)، واستغربه.

(٢) «فيها»: ليس في (ف).

(٣٣) - ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾.

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴾ اللَّيل: عبارةٌ عن زمانِ غروبِ الشَّمس، والنَّهار: عبارةٌ عن زمان طلوعها، ولولا تعاقُبُهما لَمَا كان لبشرٍ ولا نباتٍ ولا لحيوانٍ قرارٌ؛ كما في الأماكن التي لا تَزولُ عنها الشَّمس والأماكنِ التي لا تَطْلُعُ عليها.

﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ﴾؛ أي: اللَّيلُ والنَّهارُ والشَّمسُ والقمرُ.

وقيل: والنُّجومُ، وذكرُ اللَّيلِ يَدلُّ عليها.

﴿فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: الفَلَكُ: السَّماء[١].

وأكثرُ المفسِّرين على أنَّ الفَلَك: موجٌ مكفوفٌ تحت السَّماء تجري فيه الشَّمسُ والقمر والنُّجوم[٢].

الحسن: الفَلَكُ يُشبِهُ الطَّاحونةَ تجري تحتَ السَّماء[٣].

قتادةُ: الفَلَك: استدارةٌ بين السَّماء والأرض تدورُ بالنُّجوم مع ثبوتِ السّماء[٤].

وقيل: إنَّه يدورُ دورةَ الكُرة[٥].

وقيل: يدورُ دورَ الرَّحا[٦].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٢٦٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٤٥٢).

(٢) ذكر ذلك الفراء في «معاني القرآن» (٢/ ٢٠١)، والطبري في «تفسيره» (١٦/ ٢٦٥)، وانظر: «تفسير النسفي» (٢/ ٤٠٣)، و«البحر المحيط» (٧/ ٤٢٧).

(٣) ذكره يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٨٠٩)، والطبري في «تفسيره» (١٦/ ٢٦٦).

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٤٤٦).

(٥) في (ن): «دور البكرة».

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٣٨)، واستغربه.

وقيل: الفَلَك: القطبُ الذي تدورُ عليه النُّجوم(١).

وقيل: الفلك: المواضع التي ركِّبت فيها.

وقيل: ﴿فِي فَلَكٍ﴾: دورانٍ.

وقيل: الفلك: جرمٌ مستديرٌ، ولاستدارته سمِّي فَلَكاً، ولكلِّ واحدٍ من السَّيَّارات فلكٌ، وفَلَكُ الأفلاك: تحرُّكها حركةً واحدةً من المشرق إلى المغرب، والله أعلم.

ومن المفسِّرين مَن قال: إنَّ الله هو العالم بكيفيَّة جَرْيها كما يشاء.

قوله: ﴿يَسْبَحُونَ﴾؛ أي: يسيرون، وقيل: يدورون، وأصل السَّبْح: العَوْمُ في الماء، ثم جُعِل كلُّ مسرعٍ في سيره سابحاً، وفرسٌ سابحٌ وسَبُوحٌ: مسرعٌ، وأُجْرِيَ مُجْرى العقلاء لمَّا أُخْبِر عنه كما يُخْبَرُ عن العقلاء(٢)، وليس له حياةٌ ولا عقلٌ، خلافٌ لمن زعم ذلك(٣).

***

(٣٤) - ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾.

﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾: البقاءَ السَّرْمَدَ الدَّائمَ ﴿أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ نزلتْ حين قالوا: ﴿نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾ [الطور: ٣٠]، نفَى عنه شماتةَ الموت.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٣٨)، واستغربه.

(٢) ذكر ذلك السمرقندي في «بحر العلوم» (٢/ ٤٢٥)، ومكي في «الهداية» (٩/ ٦٠٣٩)، والواحدي في «البسيط» (١٥/ ٦٨).

(٣) هو أبي علي بن سينا، كما في «تفسير الرازي» (٢٢/ ١٤٢).

والفاءُ الأوَّلُ لعطفِ جملةٍ على جملةٍ، والثَّاني لجزاءِ الشَّرط، وألفُ الاستفهامِ حقُّه الجزاءُ، ودخَل الشَّرطُ لأنَّ الاستفهامَ له صدرُ الكلام.

***

(٣٥) ـ ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾.

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ﴾؛ أي: كلُّ ذي جسدٍ وروحٍ.

﴿ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾؛ أي: سيذوقُ ويُقاسي(١) مرارةَ الموت، واستُعير لفظُ الذَّوق كما استُعير لفظُ المرارة(٢).

﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ ﴾: الفقرِ والضّرِّ ﴿وَٱلْخَيْرِ ﴾: الغِنَى والنَّفْعِ.

وقيل: ما تحبُّون وما تكرهون.

﴿فِتْنَةً ﴾: امتحاناً لصبركم وشكركم، وقيل: نعاملُكم معاملةَ المختبِر.

﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ للحساب والثَّواب والعقاب.

***

(٣٦) ـ ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴾.

﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾ في سببِ النُّزول: أنَّ أبا جهلٍ وأبا سفيان كانا

---

(١) في (ق): «سيذوق ويقاسي».

(٢) فالموت في آلامه كالموت الذي يكره ذوقه، وقد استعير الذوق للعذاب أيضاً في قوله تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ ﴾، وقوله: ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ ﴾. انظر: «النكت في إعجاز القرآن» للرماني (ص: ٩٤)، و«البسيط» للواحدي (٢٠/ ١٢٦)، و«درج الدرر» للجرجاني (٢/ ٢١١).

جالسَين في جماعةٍ من قريشٍ، فاجتاز النَّبيُّ ﷺ، فقال أبو جهلٍ لأبي سفيان: انظرْ إلى نبيٍّ بني عبدِ مَنافٍ! استهزاءً. فقال أبو سفيان: وما تُنكِرُ أن يكونَ نبيَّ بني عبد منافٍ؟ فسمع النَّبيُّ ﷺ قولَهما، فقال لأبي جهلٍ: ما أُراكَ تنتهي حتَّى ينزلَ بك ما نَزَل بعمِّك الوليدِ بنِ المغيرة، وقال لأبي سفيان: إنَّما قلتَ الذي قلتَه حميَّةً؛ فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾[1].

﴿إِن يَتَّخِذُونَكَ﴾: ما يتَّخذونك ﴿إِلَّا هُزُوًا﴾ يَهْزؤون بك، وقيل: تقديره: وإذا رأَوْك داعياً إلى رفضِ آلهتهم هَزَؤوا وقالوا: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾؛ أي: يَعِيبُها ﴿وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ قيل: يريد: الذين قالوا: وما الرَّحمن؟ لا نعرفُ الرَّحمنَ إلَّا رحمن اليمامة؛ يعني: مسيلمةَ.

وقيل: ﴿بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾؛ أي: بتوحيدِه.

وقيل: ذكرُ الرَّحمن: القرآنُ.

وقيل: ﴿بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾: بشُكره.

وقيل: إذا ذكَروا الرَّحمن قالوا: الأصنامُ شركاؤه، فهم بذكر[2] الرَّحمن هم كافرون[3].

وكرَّر ﴿هم﴾ لأنَّ الصِّلة حالت بينه وبين الخبر، فأعاد المبتدأ، وقيل: كرَّر للتَّأكيد.

* * *

---

(١) ذكره مقاتل في «تفسيره» (٣/ ٧٩)، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٤٢٥) عن السدي.

(٢) في (ف): «وهم بهذا».

(٣) أي: هم عندما يذكرون الرحمة كافرون؛ لأنهما يذكرونه مشركين به.

(٣٧) ـ ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍۚ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾.

﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ قيل: المرادُ به: آدمُ عليه السَّلام(١).

مجاهدٌ: هو أنَّ آدم لمّا دخل الرُّوحُ رأسَه وعينيه رأى الشَّمسَ قاربتِ الغروبَ، فقال: يا ربِّ عجِّلْ تمامَ خَلْقي قبلَ أن تغيبَ الشَّمسُ(٢).

سعيدٌ: لمّا بلغتِ الرّوحُ ركبتيه كاد يقومُ، فقال الله: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾(٣).

قال ابن زيدٍ: خلَقَه الله آخِرَ يومِ الجمعة على عجلةٍ في خَلْقه(٤).

وقيل: ﴿ٱلْإِنسَٰنُ﴾ هاهنا عامٌّ، والمعنى: خُلق عجولاً، والعَجَلُ والعَجَلةُ مصدران، والعجلةُ: فعلُ الشَّيء قبل وقته.

وقيل: ﴿مِنْ عَجَلٍ﴾ مبالغةٌ في الوصف بالعَجَلة، كما يوصَفُ الإنسانُ بالشَّيء إذا كَثُرَ(٥) منه، تقولُ: خُلق الإنسانُ من الكَرَم، وخُلق فلانٌ من اللُّؤم؛ إذا كَثُر ذلك منهما.

أبو عمرٍو: خُلِقَ العَجَلةُ من الإنسان، على طريق القلب؛ كما تقولُ: عرضتُ الإبلَ على الحوض(٦).

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٣٩)، واستغربه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٢٧٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٤٥٣).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٢٧١).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٢٧٢) بلفظ: «على عجل خلق آدم آخر ذلك اليوم من ذينك اليومين ـ يريد يوم الجمعة ـ وخلقه على عجل، وجعله عجولًا».

(٥) في (ن): «أكثر».

(٦) ذكره عن أبي عمرو أبو حيان في «البحر المحيط» (٨/ ١٥٦). وهو قول أبي عبيدة في «مجاز القرآن» (٢/ ٣٨)، والمحاسبي في «فهم القرآن» (ص: ٤٨٥)، وابن قتيبة في «تأويل مشكل القرآن» =

وزعموا أنَّ في حرفِ ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه: (خُلِقَ العَجَلُ مِن الإنسان)[١].

الفرَّاء: ﴿مِنْ عَجَلٍ﴾ على عَجَلٍ[٢].

الأخفش: ﴿مِنْ عَجَلٍ﴾ لأنَّ الله قال له: كنْ فكان[٣].

الحسن: ﴿مِنْ عَجَلٍ﴾ أي: ضعفٍ؛ يعني: النُّطفةَ[٤].

وقيل: العَجَل: الطِّين، وأنشد أبو عبيدة:

النَّبعُ في الصَّخرة الصَّماء مَنْبَتُه ... والنَّخلُ مَنْبَتُه في الماء والعَجَل[٥]

ابنُ عيسى: خُلِقَ على حُبِّ العَجَل في أمره، وهو مأمورٌ بالتَّثبُّت.

= (ص: ١٢٥)، وذكره دون عزو الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٢٧٣)، والزجاج في «معاني القرآن» (٣/ ٣٩٢)، والثعلبي في «تفسيره» (١٨/ ١٢٧).

(١) ذكرها أبو حيان في «البحر المحيط» (٨/ ١٥٦).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٠٣).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٤٤٩).

(٤) ذكر الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٧/ ٣٤٤) عن الحسن قال: «أي: ضعيفاً، وضعفه هو أن يضيق صدره ويحرج عند إصابة أدنى شيء، حتى يحمله ضيق صدره على أن يدعو على نفسه وعلى مجيئه (كذا في المطبوع، ولعل الصواب: محبِّيه) بالهلاك لضيق صدره، وذلك لضعف فيه».

وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٣٩)، وعدَّه هو وقول أبي عبيدة الآتي من العجيب.

(٥) ذكر هذا القول مع البيت عن أبي عبيدة الثعلبي في «تفسيره» (١٨/ ١٢٨)، وأبو حيان في «البحر المحيط» (٧/ ٤٣١)، وذكره الواحدي في «البسيط» (١٥/ ٧٧) عن نفطويه.

والبيت ذكره مقاتل في «تفسيره» (٣/ ٩٨)، والأزهري في «تهذيب اللغة» (١/ ٢٣٧)، وتلميذه أبو عبيد الهروي في «الغريبين» مادة: (ع ج ل)، والشريف المرتضى في «أماليه» (١/ ٤٦٩)، وعزاه مقاتل للشماخ، ولم يعزه غيره، ولا وقفت عليه في «ديوان الشماخ».

وقد نقل الأزهري هذا التفسير للآية مع البيت عن ابن عرفة (وهو نفطويه نفسه) وعقبه بقول ابن عرفة: وليس عندي في هذا حكايةٌ عمَّن يُرجَع إليه فِي علم اللُّغة.

﴿سَأُوْرِيكُمْ ءَايَـٰتِي﴾ قيل: نزلت في النَّضر بن الحارث حين استعجَلَ العذابَ[١]؛ أي: الآياتِ التي طلَبوها.

وقيل: ﴿سَأُوْرِيكُمْ ءَايَـٰتِي﴾ على صدقِ محمَّدٍ ﷺ.

وقيل: آياتي في آثارِ قومِ نوحٍ وعادٍ وثمود، فتعلَمون قدرتي على إهلاكِكُم.

﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ بالعذاب.

***

(٣٨) ـ ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾.

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾؛ أي: وعدُ العذاب، وقيل: السَّاعةُ ووقتُها.

***

(٣٩) ـ ﴿ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾.

﴿ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ ﴾؛ أي: لا يقدرون فيه على كفِّ النَّار؛ لأنَّها محيطةٌ بجميع أبدانهم.

وقيل: عن وجوههم النَّارَ ولا عن ظهورهم السِّياطَ.

﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾: يُمنَعون من عذاب الله.

وجوابُ ﴿ لَوْ﴾ محذوفٌ؛ أي: لَمَا استعجلُوه، وقيل: لعَلِموا البعثَ والنُّشور، وقيل: لعَلِموا صدقَ الموعد[٢].

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٥/ ٧٨)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ١٩١) من رواية عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) في (ف): «الموعود».

(٤٠) ـ ﴿ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾.

﴿ بَلْ تَأْتِيهِم ﴾؛ أي: السَّاعةُ ﴿بَغْتَةً ﴾: فجأةً لا يعلمون بها ﴿فَتَبْهَتُهُمْ ﴾: فتحيِّرُهم ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا ﴾: لا يقدِرون على دفعِها ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾: لا تؤخَّر عنهم.

***

(٤١) ـ ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾.

﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾: يعزِّي نبيَّه بهذا ﴿فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾: فحلَّ بهم جزاءُ استهزائهم، وعاد عليهم ما أرادوا بالرُّسل.

***

(٤٢) ـ ﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴾.

﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾: مَن يحفظُكم ويمنعُكم من عذابه إنْ أتاكم ليلاً أو نهاراً؟ استفهامٌ معناه النَّفيُ؛ أي: أيُّ كالئٍ لكم؟ يقال: كَلَأه كَلَاءةً؛ أي: حفِظَه.

﴿بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴾؛ أي: عن عِلم قدرتِه عليهم معرِضون[1]، وقيل: عن مواعظِ ربِّهم معرِضون لا يلتفتون إليها، وقيل: عن القرآنِ لا يتدبَّرونه.

***

(١) «معرضون»: ليس في (ف).

(٤٣) ـ ﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَاۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ﴾.

﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا﴾؛ أي: أَلَهم آلهةٌ تجعلُهم في مَنَعةٍ وعزٍّ من أنْ ينالَهم مكروهٌ من جِهَتنا.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أم لهم آلهةٌ مِن دوننا تمنعُهم، فقدَّم وأخَّر[1]، تقول: مَنَعْتُ دونَه: كَفَفْتُ أذاه.

﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ﴾: لا تستطيعُ آلهتُهم دفعَ ذبابٍ عنها، فكيف يَرْجُون نصرها؟!

﴿وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ﴾ قيل: الكنايةُ للآلهة[2]؛ أي: لا يَصْحَبُها الله معونةً على النَّصر.

وقيل: الكنايةُ للكفَّار، والمعنى: لا يُجارُون ولا يُمنعون.

والصُّحبة: النُّصرةُ والحفظ، تقول: صَحِبَك الله؛ أي: حَفِظَك الله ونَصَرك.

* * *

(٤٤) ـ ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَٰؤُلَاءِ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَاۚ أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾.

﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَٰؤُلَاءِ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾؛ أي: ليس لهم آلهةٌ يَرْجُون

---

(١) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٧/ ٤٣٣)، وذكره دون نسبة: مقاتل في «تفسيره» (٣/ ٨١)، والواحدي في «البسيط» (١٥/ ٨٤)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ١٩١).

(٢) وقد عوملوا معاملة العقلاء لأن الكفار يزعمون أنها تعقل وتضر وتنفع، وقد تقدم نحوه في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾.

نصرَها، بل وسَّعنا عليهم ما يَعيشون به وعلى آبائهم مِن قبلِهم، وطوَّلنا أعمارَهم فغرَّهم ذلك، وتركوا التَّدبُّر في آياتنا فصاروا كفَّاراً.

ثم استأنف فقال: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾: نفتحُها على محمَّدٍ ﷺ ونُخرِجُها من أيدي المشركين، ونَزيدُها في أرضِ المسلمين ﴿أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ رسولَ الله والمؤمنين.

وقيل: ﴿نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾: نُميت الواحدَ بعدَ الواحدِ، والقَرْنَ بعد القَرْن. وجاء مرفوعاً: أنَّ نقصانَها موتُ علمائها[1].

وقيل: جَوْرُ وُلاتها[2].

***

(٤٥) - ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾.

﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ﴾؛ أي: أُنذركم عذابَ اللهِ بأمرِه وبما أُوحِيَ إليَّ، ﴿وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾ نزَّلهم مَنزلةَ الأصمِّ؛ لقلَّةِ الانتفاع بما يَسمعون.

---

(١) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٢٣٢)، ورواه الحاكم في «المستدرك» (٣٣٣٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفًا عليه، وصححه، وخالفه الذهبي فقال: «طلحة بن عمرو قال أحمد: متروك». وهو الذي ذكره المصنف في تفسير قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾، وذكر غير هذه الأقوال ثمة.

وروى البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣) عن عبد الله بن عمرو قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يُبْقِ عالماً اتَّخذ الناس رؤوساً جهالاً، فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٧٢)، واستغربه.

(٤٦)- ﴿ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾.

﴿ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾؛ أي: إن نالهم أدنى عذابٍ من الله ذلُّوا وخضعوا ودَعَوا بالويلِ على أنفُسهم مُقرِّين بأنَّهم كانوا ظالمين.

والنَّفحةُ: الدَّفعة من الشَّيء، تقول: أعطِني نفحةً؛ أي: شيئاً يسيراً.

وقيل: النَّفحةُ: الزَّمهرير، وأصلُها من النَّفحة، وهي: الرِّيحُ اللَّيِّنةُ، وكذلك نفحُ الطِّيب، ويجوزُ أن يكونَ مِن نَفَحَتِ الدَّابَّةُ: إذا رَمَحت.

ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿نَفْحَةٌ﴾: طَرَفٌ[1].

قتادةُ: عقوبةٌ[2].

***

(٤٧) - ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾.

﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ﴾: جمع ميزانٍ، وهو: ما يُوزَنُ به الشَّيءُ فيُعرَف كمِّيَّتُه، وله لسانٌ وكِفَّتان. وقيل: هي عبارةٌ عن العدل، وقد سبقَ[3].

ويَحتمِلُ أنَّه جمعُ موزونٍ.

﴿ٱلْقِسْطَ﴾: القسطُ: العدلُ، وهو مصدرٌ.

﴿لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: لجزاءِ يومِ القيامة، وقيل: لأهلِ القيامة، وقيل: في يومِ القيامة.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٨/ ١٣٣)، والواحدي في «تفسيره» (١٥/ ٩٢).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٢٨٤)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٨/ ١٣٣).

(٣) انظر ما تقدم في تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾.

﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ من حقِّه، وقيل: شيئاً من الظُّلم[١].

﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾؛ أي: وإن كان الشَّيءُ مثقالَ حبَّةٍ، وقيل: وإن كان الظُّلامةُ. ومَن رَفَع[٢] جَعَل ﴿كَانَ﴾ بمعنى: وقَع؛ أي: وإنْ وقَع وحَصَلَ مثقالُ حبَّةٍ من خردلٍ ﴿أَتَيْنَا بِهَا﴾: أحضرناها إيَّاه ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾: لا مزيدَ على عَدْلِنا وحسابنا.

***

(٤٨) ـ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ﴾: التَّوراةَ الفارِقَ بين الحقِّ والباطل، وقيل: هو النَّصرُ والنَّجاةُ من آلِ فرعون، وقيل: ﴿ٱلْفُرْقَانَ﴾: انْفِراقُ البحر.

﴿وَضِيَآءً﴾: نوراً يُستضاءُ به. وقيل: الواوُ زيادةٌ، وإليه ذهبَ ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما، وقرأ به[٣]. وقيل: تقديرُه: وآتيناهُ ضياءً.

﴿وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾: يَذْكُرون ما لهم وعليهم.

***

(٤٩) ـ ﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾: يَخافونه ويعظِّمونه في سريرتهم وخَلَواتهم، وقيل: يخشَوْنه ولم يَرَوْه بعدُ ﴿وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ﴾: من القيامةِ ﴿مُشْفِقُونَ﴾: خائفون.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٤٠)، واستغربه، و(شيئاً) مفعول به على القول الأول، ونائب مصدر مفعول مطلق على الثاني.

(٢) قرأ نافع (مثقالُ) بالرفع، والباقون: ﴿مِثْقَالَ﴾ بالنصب. انظر: «السبعة» (ص: ٤٢٩)، و«التيسير» (ص: ١٥٥).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٤٥٤)، وانظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٤)، و«المحتسب» (٢/ ٦٣).

(٥٠) ـ ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾.

﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ﴾ يعني: القرآنَ ﴿مُّبَارَكٌ﴾: كثيرُ الخيرِ دائمُ النَّفْع ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ على محمَّدٍ ﷺ ﴿أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ استفهامُ توبيخٍ؛ أي: أتُنْكِرون أنَّه من الله وتَنْسُبونه إليه؟!

***

(٥١) ـ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ﴾: هُداه وتوفيقَه، وقيل: نبوَّته، وقيل: الكُتُبَ والحكمةَ.

﴿مِن قَبْلُ﴾: قبلِ موسى وهارون.

وقيل: ﴿مِن قَبْلُ﴾؛ أي: في صِغَره حيث قال: ﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ الآيات [الأنعام: ٧٩].

وقيل: قبل محمَّدٍ ﷺ.

﴿وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾: بإبراهيمَ، وقيل: ﴿بِهِۦ﴾ يعودُ إلى الرُّشد؛ أي: عَلِمْنا أنَّه أهلٌ لِمَا آتيناه.

***

(٥٢) ـ ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾.

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾: جمعُ تمثالٍ، وهو شيءٌ يُعمَلُ مُشبِهاً لغيرِه في الشَّكل.

والعُكوفُ: إطالةُ الإقامة.

وكانت تماثيلَ على صورِ السِّباع والطُّيور والإنسان، وقيل: على صورِ هياكلِ الكواكب، يعبدون الله بوساطةِ عبادةِ الكواكب، ثم اعتقَدوا أنَّها في أنفُسِها آلهةٌ.

(٥٣) ـ ﴿قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ﴾.

﴿قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ﴾؛ أي: اتَّبَعْنا آباءَنا في ذلك واقتدَيْنا بهم.

***

(٥٤) ـ ﴿قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

﴿قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾: خطأٍ بيِّنٍ وعدولٍ عن الصَّواب.

***

(٥٥) ـ ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ﴾.

﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ﴾: بالجِدِّ ﴿أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ﴾؛ أي: أبجِدٍّ منك هذا الكلامُ أم تلعبُ بهذا المقال؟!

***

(٥٦) ـ ﴿قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾.

﴿قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ﴾؛ أي: لستُ بلاعبٍ، وإنَّما ربُّكم وخالقُكم الذي يجبُ عليكم عبادتُه هو ربُّ السَّماواتِ والأرضِ وفاطرُهما[1].

ويحتمِلُ أنَّ الضَّمير في ﴿فَطَرَهُنَّ﴾ يعودُ إلى التَّماثيل، واللهُ أعلمُ.

﴿وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾: أنَّه ربُّكم، وتقديرُه: وأنا شاهدٌ على ذلكم من الشَّاهدين، ولا يجوزُ تعلُّقُ ﴿عَلَىٰ﴾ بـ﴿ٱلشَّٰهِدِينَ﴾، وقد سبَقَ في سورة يوسف عليه السَّلام[2].

---

(١) في (ف): «وفاطرها».

(٢) إن امتنع تعليق الجار والمجرور بـ﴿ٱلشَّٰهِدِينَ﴾؛ لأنه اسم فاعل، والألف واللام التي دخلت عليه بمثابة الموصول، ولا يتقدم شيء من العلة على الموصول، وانظر ما تقدم عند تفسير قوله تعالى: =

(٥٧) ـ ﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴾.

﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴾: لأَكْسِرنَّها بعد ذهابكم عنها إلى عيدٍ لكم، وسمَّاه كيداً لأنَّه مَكَر بذلك عابدِيها، وقيل: معناه: أدبِّرُ عليها سوءاً.

وأصل ﴿تالله﴾: والله، قُلب الواو تاءً، وخُصَّ اسمُ الله به، وقد سبَق(١).

* * *

(٥٨) ـ ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴾.

﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا ﴾؛ أي: قِطَعاً، والجَذُّ: القطعُ ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ ﴾ للأصنام، وقيل: للكفَّار؛ فكسر الأصنامَ وجعَل الفأسَ في عُنق الصَّنم الأكبر ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴾ قيل: إلى الكبير، وقيل: إلى الله، وقيل: إلى إبراهيم فيحاجَّهم، وقيل: إلى الجذِّ، وفيه بعدٌ(٢).

* * *

(٥٩) ـ ﴿ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

﴿ قَالُوا۟ ﴾؛ أي: الكفَّارُ بعضُهم لبعضٍ حين رجَعوا من عيدهم ورأوا ذلك ﴿مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ بفعلِه هذا.

= ﴿وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴾ [يوسف: ٢٠]، وقال المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٤١): «وقيل: الألف واللام إذا كان للتعريف جاز تقديم ما بعده عليه».

(١) في تفسير قوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [يوسف: ٧٣]، وتقدم ذكر اختصاصه بلفظ الجلالة في (الفاتحة)، وهو مذهب سيبويه والمبرد والفراء، وخالف فيه الأخفش.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٤١)، واستغربه.

وقيل: من الظَّالمين لنفسِه؛ لأنَّه يُقتَلُ لو عُلِم به[1].

* * *

(٦٠) ـ ﴿قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ﴾.

﴿قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾: يَعِيبُهم، فلعلَّه الذي فَعَل هذا، قيل: سُمِع منه قولُه: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم﴾ [الأنبياء: ٥٧].

﴿يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ﴾ أي: يُسمَّى إبراهيمَ، وهو رفعٌ بالخبر؛ أي: هو إبراهيمُ.

وقيل: ضمٌّ بالنِّداء؛ أي: يقالُ له: يا إبراهيمُ[2].

* * *

(٦١) ـ ﴿قَالُواْ فَأْتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾.

﴿قَالُواْ فَأْتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾؛ أي: اجْعَلوه حيث تقعُ عيونُ النَّاس على ما يُفعَلُ به من العذابِ والعِقاب فينكُلُ غيرُه[3] عن مِثْلِ ما فَعَل هو إذا رأى ما يُفعل به.

وقيل: معناه: لعلَّهم يشهدون عليه بفِعْله أو بقوله، فيكونَ حجَّةً عليه، كرهوا أن يأخذوه بغير بيِّنةٍ.

وقيل: ﴿عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ﴾ معناه: ظاهراً.

وقيل: ﴿عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ﴾: خواصِّ الملكِ وأوليائه[4].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٤١)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٤١)، واستغربه.

(٣) قوله: «فينكل غيره» من قولهم: نكل عن الأمر؛ أي: نكص وجبن. انظر: «القاموس» مادة: (ن ك ل).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٤١)، واستغربه.

(٦٢) ـ ﴿ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴾.

﴿ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴾ فأحضروه فسُئل عن ذلك.

* * *

(٦٣) ـ ﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴾.

﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴾ اختلف المفسِّرون في تأويل هذه الآية؛ فقال بعضُهم: إنَّ إبراهيم عليه السَّلام كذَب، وإنَّ الكذِبَ في بعض المواضع أحسنُ من الصِّدق، وهو[1]: إذا تعلَّق بالكذب نفعٌ لا فسادَ معه ألبتَّة، وقيَّدوا ذلك بما رُوي عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «لإبراهيمَ ثلاثُ كذباتٍ: أحدُها: قوله: ﴿فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ﴾، والثَّاني: قولُه: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾، والثَّالثُ: قولُه لسارةَ: هي أُختي»[2].

قال بعضُهم: ليس ببعيدٍ أن يأذَنَ اللهُ له في ذلك لِمَا في ضِمْنه من الاحتجاج لإبراهيمَ؛ كما أَذِنَ ليوسفَ في قوله: ﴿إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ﴾ [يوسف: ٧٠][3].

وقال بعضُهم: إنَّ ذلك على طريقِ الشَّرطِ والجزاء؛ أي: فَعَله كبيرُهم إنْ كانوا يَنْطِقون، وقولُه: ﴿فَسْـَٔلُوهُمْ﴾ اعتراضٌ بينهما، وحقُّه التَّأخيرُ، فعُدِم الشَّرطُ وعُدِم الجزاءُ.

وحمَل بعضُهم على الشَّرطِ والجزاء من وجهٍ آخَرَ فقال: تقديرُه: إنْ كانوا آلهةً كما تزعُمون فهذا الذي هو أكبرُهم فعَل بها ذلك ليكونَ وحده إلهاً؛ قال:

---

(١) في (ن): «وقيل».

(٢) رواه البخاري (٣٣٥٨)، ومسلم (٢٣٧١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٤٢)، وعدَّه من العجائب.

وبيـانُ ذلـك في قوله: ﴿فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ﴾، وهذا شـرطٌ وجـزاءٌ آخَرُ.

وقيل: خرج هذا مخرجَ الخبر وليس بخبرٍ، وإنَّما هو إلزامٌ؛ أي: ما تُنْكِرون أن يكونَ فَعَله كبيرُهم.

وقال الكسائيُّ ـ حكاه الثَّعلبيُّ[1] ـ: إنَّ الوقف على قوله: ﴿بَلۡ فَعَلَهُۥ﴾[2]، قال: ومعناه: فَعَلَه مَن فَعَلَه.

ويحتمِلُ على هذا الوجه أن يكونَ أُسنِدَ الفعلُ إلى الفتى المذكور في قوله: ﴿قَالُواْ سَمِعۡنَا فَتٗى يَذۡكُرُهُمۡ﴾، ويحتمِلُ أيضاً أنَّه أُسند إلى إبراهيمَ في قولهم: ﴿يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ٦٢ قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ﴾ المنادى، وفي المعاريضِ مندوحةٌ عن الكذب وسَعَةٌ.

ثمَّ قال: ﴿كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا﴾ مبتدأٌ وخبرٌ، ﴿فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ﴾ شرطٌ، والجزاء مضمرٌ دلَّ عليه ما تقدَّم.

* * *

(٦٤) ـ ﴿فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

﴿فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: راجَعوا عقولَهم وظهَر لهم أنَّهم ظلَموا أنفسَهم بعبادةِ ما لا يَنطِقُ ولا يدفعُ عن نفسه.

وقيل: معناه: أنتم الظَّالمون بسؤالكم إبراهيمَ.

وقيل: أنتم الظَّالمون إذ لم تحفظوا الأصنامَ مِن مِثْلِ ما نزل بها.

* * *

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٨/ ١٤٥).

(٢) بعدها في (ن): «جائز».

(٦٥) ـ ﴿ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ﴾.

﴿ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ قتادةُ: أدركَ القومَ حيرةٌ(١).

وقيل: أطرقوا حَيَارَى خَجِلين.

ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: رجَعوا إلى شركهم بعد المعرفة(٢).

وقيل: معناه: رُدُّوا، تقولُ: نكَسْتُ الأمر؛ إذا أَعَدْتَه إلى أوَّله.

وقيل: انقلبتْ آراؤهم.

مجاهدٌ: ردَّت السَّفِلةُ على الرُّؤساء(٣)؛ أي: رجع بعضُهم إلى بعضٍ.

ويحتمِلُ أنَّ المعنى: ثمَّ ردُّوا إلى رأسِ أمرِهم وقالوا: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ﴾ فكيف تأمُرُنا بسؤالها؟!

***

(٦٦ ـ ٦٧) ـ ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ (٦٦) أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ (٦٦) أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾؛ أي: قُبحاً لكم ونَتْناً، وقد سبق(٤).

***

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٣٠٢).

(٢) ذكره الواحدي في «تفسيره» (١٥/ ١١٦) عن الكلبي، وقال: «وهذا معنى قول السدي: نكسوا في الكفر، ومعنى قول ابن عباس: نكسوا في الفتنة».

(٣) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٧/ ٤٤٩) عن مجاهد، وفي «تفسير مقاتل» (٣/ ٨٥) عن الحسن: «﴿ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾: يعني على الرؤساء والأشراف».

(٤) في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ﴾ [الإسراء: ٢٣].

(٦٨) ـ ﴿ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴾.

فلمَّا لَزِمَتْهم(١) الحجَّةُ وعجزوا عن الجواب ﴿ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ ﴾؛ أي: حرِّقوه بالنَّار ﴿وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ﴾ بالانتقامِ لها منه ﴿إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ للانتصارِ، وجوابُ الشَّرطِ محذوفٌ دلَّ عليه قولُه: ﴿حَرِّقُوهُ﴾.

ورُوي في التَّفاسير عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ الذي أشار بتحريقِ إبراهيمَ رجلٌ من أعراب فارس ـ أي: أكرادِها ـ يسمَّى هيون، خَسَفَ الله به الأرضَ، فهو يَتجَلْجَلُ فيها إلى يومِ القيامة(٢).

وهبٌ: قاله نمروذ(٣).

* * *

(٦٩) ـ ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾.

﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ ثم إنَّ نمروذَ اللَّعين أجَّجَ ناراً عظيماً وبنى بنياناً، فرفعوا إبراهيمَ على البنيان وقيَّدوه، ثم اتَّخذوا مَنْجَنيقاً ووضَعوه فيه ورمَوا به إلى النَّار من مَضْربٍ شاسعٍ، وهو يقولُ: حسبيَ اللهُ ونِعْمَ الوكيلُ، فاستَقْبَله جبريلُ عليه السَّلامُ، فقال: يا إبراهيمُ، ألك حاجةٌ؟ فقال: أمَّا إليك فلا، قال: فسَلْ ربَّك، قال إبراهيم: حَسْبي مِن سؤالي عِلْمُه بحالي، فقال الله: ﴿يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾(٤).

---

(١) في (ق): «ألزمهم».

(٢) رواه دون تسمية الذي أشار: الطبري «تفسيره» (١٦/ ٣٠٥). وفيه عنعنة ابن إسحاق وضعف ليث بن أبي سليم. ورواه الطبري أيضًا عن مجاهد، وروى عن شعيب الجبائي قال: «إن الذي قال: ﴿حَرِّقُوهُ﴾ (هيزن) فخسف الله به الأرض، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة».

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٥/ ١٢٠) عن الكلبي.

(٤) ذكره الثعلبي في «عرائس المجالس» (ص: ١١٦) عن المعتمر عن أبي بن كعب عن أرقم، والبغوي =

السُّدِّيُّ: قال ذلك جبريلُ عليه السَّلام[١].

قال: والمعنى: كوني ذاتَ بردٍ وسلامةٍ، و(كان) بمعنى: وقع، و﴿بَرْدًا وَسَلَامًا﴾ نصبٌ على الحال، ويحتمِلُ أنْ يُجعَلَ (كان) هاهنا بمعنى: صار؛ لأنَّه يُفيدُ الانتقالَ من حالٍ إلى حالٍ، فبردَتْ نفسُ النَّار ورُفعتْ عنه الحرارة.

وقيل: جَعَل اللهُ بينَهما ما مَنَعه[٢] من إحراقِه وإيذائِه.

ورُوي عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما أنَّه قال: لو لم يُتْبِع بَرْدَها سلاماً لمات إبراهيمُ من بردها[٣].

الحسن: هو تسليمٌ من الله عزَّ وجلَّ عليه[٤].

= في «تفسيره» (٥/ ٣٢٧) عن أبي بن كعب قوله، والقرطبي في «تفسيره» (١٤/ ٢٢٧) عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ. ولعله كله وهم، وصوابه: المعتمر عن ابن كعب عن أرقم، هكذا جاء في «تفسير الثعلبي» (١٨/ ١٥٢)، وهكذا روى الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٣٠٩) بعض هذه القصة، انظر التعليق الآتي.

وقوله: (حسبي من سؤالي علمُه بحالي) ذكره ابن عراق في «تنزيه الشريعة» (١/ ٢٥٠) بلفظ: «علمه بحالي يغني عن سؤالي» وقال: «قال ابن تيمية: موضوع».

وجاء في «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (١/ ١٨٣): «ليس له إسناد معروف، وهو باطل، بل الذي ثبت في الصحيح [البخاري (٤٥٦٣)] عن ابن عباس أنه قال: «حسبي الله ونعم الوكيل»».

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٣٠٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٤٨).

(٢) كذا في النسخ الخطية، والجارة: «منعها»، والله أعلم.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٣٠٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٤٨).

(٤) الكلام على هذا جملتان الأولى (يا نار كوني برداً)، والثانية (سلاماً على إبراهيم)، والواو على هذا العطف الجمل، و(سلاماً) نائب مصدر، وهذا القول كالردِّ على ما قبله، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٤٣)، واستغربه.

قال النَّقَّاش في «تفسيره»: لو كان كما قال الحسنُ لكان رفعاً ولم يكن نصباً(١).

قلتُ: لا يدفعُ كونُه نصباً تأويلَ الحسن؛ ألَا ترى إلى قوله: ﴿قَالُواْ سَلَٰمًا﴾ [هود: ٦٩]؛ أي: سلَّموا سلاماً؟! كذلك هاهنا؛ أي: سلَّم الله سلاماً على إبراهيم، ومثلُه في المعنى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الصافات: ١٠٩] في السُّورة الأخرى.

فلم تُحرق النَّار من إبراهيم إلَّا وثاقه.

الكلبيُّ: بنَوا له أَتُوناً وألقَوْه فيه وأَوْقَدوا عليه النَّار(٢).

* * *

(٧٠) ـ ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾.

﴿وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا﴾: ضَرراً، وقيل: مَكْراً ﴿فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ﴾؛ أي: أَخْسَرَ مِن كلِّ خاسرٍ.

* * *

(٧١) ـ ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾.

﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ﴾؛ أي: خلَّصْناه وخلَّصْنا لوطاً وهو ابنُ عمِّ إبراهيمَ عليهما السَّلام، وقيل: ونجَّيناه وأرسَلْنا لوطاً.

عن الزَّجَّاج: من أرضِ بابلَ إلى أرض الشَّام(٣).

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٤٣).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٤٥٣).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٣٩٨)، وفيه: «جاء في التفسير أنها من أرض الشام إلى العراق»، وفي «غرائب التفسير» (٢/ ٧٤٣) أن هذا قول الجمهور.

وهي الأرضُ المباركةُ كثيرةُ المياهِ والأشجار، فيها ربوةٌ ذاتُ قرارٍ ومَعِينٍ.

وقيل: سمِّيت مباركةً لأنَّ الله تعالى ينزِّل من السَّماء الماءَ العذبَ إلى صخرةِ بيتِ المقدِس، ومنها يتفرَّقُ في سائر الأرض.

وقيل: سمِّيت مباركةً؛ لأنَّ أكثرَ الأنبياءِ منها.

وقيل: ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ مكَّةَ، وهذا عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما أيضاً[١].

* * *

(٧٢) ـ ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ﴾.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ[٢]:

أحدها: أنَّ النَّافلة: العطيَّةُ؛ فيعودُ إليهما جميعاً.

والثَّاني: النَّافلةُ: الزِّيادةُ على الشَّيء كالنَّافلة من الصَّلَوات، ويعودُ إلى يعقوبَ وحده؛ أي: سأل ولداً فأعطاه إيَّاه ـ وهو إسحاقُ ـ وزاده يعقوبَ من غيرِ مسألةٍ.

والثَّالث: أنَّ النَّافلة: ولدُ الولدِ، فيكون التَّقدير: وهَبْنا له إسحاقَ ولداً ويعقوبَ ولدَ الولد.

وقيل: هي مصدرٌ من غيرِ لفظِ الفعلِ السَّابق؛ أي: وَهَبْنا له هبةً[٣].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٣١٤)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٤٣)، واستغربه.

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (١٥/ ٢٥٦)، و«البسيط» للواحدي (١٥/ ١٢٥).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٤٤)، واستغربه.

﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ﴾؛ أي: إبراهيمَ ولوطاً وإسحاقَ ويعقوبَ جعَلْناهم أنبياءَ.

وقيل: أمرناهم بالصَّلاح فصَلَحوا.

* * *

(٧٣) ـ ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾.

﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً﴾: أنبياءَ، والإمامُ: الذي يُقتدَى به.

﴿يَهْدُونَ﴾؛ أي: النَّاس ﴿بِأَمْرِنَا﴾: بوَحْينا وإذْنِنا.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ﴾: أنِ افْعَلوا الخيراتِ وأقيموا الصَّلاةَ وآتوا الزَّكاة.

وقيل: وألزَمْناهم فعلَ الخيراتِ وإقامَ الصَّلاة وإيتاءَ الزَّكاة.

وحُذف الهاءُ من (إقامة الصَّلاة)؛ لأنَّ الإضافةَ تَنوبُ عنه؛ كما قالوا: ليت شِعْري؛ أي: شِعْرتي[1]، و: فلانٌ أبو عُذْرِها؛ أي: عُذْرَتها.

﴿وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾: مطيعِينَ موحِّدين.

* * *

(١) هذا مذهب سيبويه في «كتابه» (٤/ ٤٤)، وكما صرّح السيرافي وابن سيده والرضي. انظر: «شرح الكتاب» للسيرافي (٤/ ٤٢٧)، و«المحكم» لابن سيده (١/ ٣٦٣)، و«المخصص» له (٤/ ٢٩٨)، و«شرح المفصل» لابن يعيش (٤/ ٧٠)، و«شرح الرضي على الكافية» (٤/ ٣٧٨).

(٧٤) ـ ﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ﴾.

﴿وَلُوطًا﴾: أرسَلْنا لوطاً، وقيل: واذكُرْ، وقيل: وآتَيْنا لوطاً[1]، وكذلك انتصابُ مَن بعدَه مِن الأنبياء عليهم السَّلام.

﴿ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا﴾: نبوَّةً ﴿وَعِلْمًا﴾: كتاباً.

وقيل: الحكمُ: القضاءُ بين النَّاس، والعلمُ: الفَتْوى.

﴿وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ﴾؛ أي: من أهلِها، وهي سَدُومُ ﴿ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾: ما كَرِهَه اللهُ من اللِّواط، وقَطْعِ السَّبيل، وإتيانِ المنكَرِ من التَّضارُطِ وحَذْفِ البنادق.

وقيل: ونجَّيناه ممَّا عُذِّبوا به.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ﴾: شرارٍ ﴿فَٰسِقِينَ﴾: خارجين عن طاعة الله.

* * *

(٧٥) ـ ﴿وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

﴿وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

* * *

(٧٦) ـ ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾.

﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ﴾: دعا اللهَ على قومِه بالهلاك ﴿مِن قَبْلُ﴾: قبلَ قومِ لوطٍ ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾: أجاب اللهُ دعاءه؛ يعني: قوله: ﴿لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٣٩٩).

﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾؛ أي: أهلَ بيته.

والكربُ: أقصَى الغمِّ الآخذِ بالنَّفس، وهو هاهنا: الغرقُ[1]، وقيل: أذى قومِه.

* * *

(٧٧) ـ ﴿وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

﴿وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾؛ أي: على القوم، وقيل: منَعْناه منهم.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ﴾: شرارٍ ﴿فَأَغْرَقْنَاهُمْ﴾: أهلَكْناهم بالماء ﴿أَجْمَعِينَ﴾: صغيرَهم وكبيرَهم، ذكَرَهم وأُنثاهم.

* * *

(٧٨) ـ ﴿وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾.

﴿وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ﴾ قتادةُ في جماعةٍ: كان زرعاً[2].

ابن مسعودٍ رضي الله عنه في جماعةٍ: كان كَرْماً تدلَّتْ عناقيدُه[3].

﴿إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ﴾؛ أي: رَعَتْه ليلاً، والنَّفْشُ: الرَّعْي باللَّيلِ من غيرِ راعٍ، والهَمَلُ: بالنَّهار بلا راعٍ.

﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾: عالِمين، والضَّميرُ يعودُ إلى داودَ وسليمانَ والخَصْمَين.

---

(١) ذكر أبو حيان في «البحر المحيط» (٧/ ٤٥٣) عبارة المصنف، وفي المطبوع منه: «أقصى الغم والأخذ بالنفس...».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٣٢٥)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٨/ ١٦٥).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٣٢١)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٨/ ١٦٦).

وقيل: إلى ﴿ٱلۡقَوۡمِ﴾ في قوله: ﴿غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ﴾(١).

وقيل: إلى داودَ وسليمانَ، فجُمِع كما جُمِع في قوله: ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ﴾ [النساء: ١١](٢).

* * *

(٧٩) - ﴿فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾.

﴿فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَ﴾: القضيَّةَ والحكومةَ.

أجمع المفسِّرون على أنَّ داودَ قضَى بالغنمِ لصاحبِ الحَرْث، وقيل(٣): قيمةُ الغنمِ كانت مثلَ قيمةِ الحَرْث، وإنَّ سليمان قال: غيرُ هذا أرفَقُ بالفريقين؛ تُدْفَعُ الغنمُ إلى صاحبِ الحرثِ لينتفِعَ بنَسْلها ودرِّها وشعرِها، ويُدْفَعُ الحرثُ إلى صاحبِ الغنمِ ليقومَ بعِمَارته، حتَّى إذا كان من القابِلِ وعاد إلى مِثْلِ حاله ردَّ كلٌّ واحدٍ إلى صاحبه ما كان له(٤).

ثم اختلف المفسِّرون في ذلك:

فقال بعضُهم: إنَّ داود أفتى في الأوَّل، ولمَّا سمع من سليمان حَكَم به.

وقال بعضُهم: كان ذلك بالاجتهادِ والرَّأي، وللأنبياء الاجتهادُ كغيرهم، وكلُّ مجتهدٍ مصيبٌ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٤٤)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٤٤)، وعدَّه من العجائب.

(٣) «وقيل»: ليس في (ف).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٣٢٢) وما بعدها عن ابن مسعود وابن عباس ومجاهد والزهري وابن زيد وغيرهم.

وقال بعضُهم: لا يجوزُ للأنبياء الاجتهاد؛ لأنَّ الاجتهاد عند عَدَم النَّصِّ، وهم لا يُعْدَمون النَّصَّ، وقالوا: عَمِل داودُ بنصٍّ ثمَّ نُسخ ذلك بنصٍّ نَزَلَ على سليمان[1].

ولولا إجماعُ المفسِّرين على ما حكيتُ لاحْتَمَل أن يقال: ﴿إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ﴾ هاهنا مثلُ ما في قوله: ﴿يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ﴾ [المائدة: ٩٥]، وقولُه: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ﴾؛ أي: سليمانَ وداودَ، بدليلِ قوله: ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ وليس في الآيةِ ما يدلُّ على ردِّ قولِ داود، وخصَّ سليمانَ بالذِّكر شَرَفاً له ولأبيه؛ أي: أُوتيِ ابنُه الحكمَ صبيًّا، وكان له يومئذٍ إحدى عَشْرَةَ سنةً، والله أعلم.

ومذهبُ أهلِ العراق في ذلك: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «جُرْحُ العَجْماءِ جُبارٌ»[2]، فلا يَلْزمُ صاحبَ الماشية ضمانٌ إذا لم يَقْصِدْ[3].

ومذهبُ أهلِ المدينة: أنَّ النَّبيَّ ﷺ لمّا دخلتْ ناقةُ البراء بنِ عازبٍ حائطاً فأفسدَتْه، فقضَى أنَّ على أهل الأموالِ حفظُها بالنَّهار، وعلى أهلِ الماشيةِ حفظُها باللَّيل[4].

ومذهبُ الحسن: أنَّ حُكمَ سليمانَ عليه السّلامُ اليومَ ثابتٌ يُعملُ به[5].

---

(١) ذكر هذا القول الأخير عن الجبائي، وهو قول المعتزلة، والذي قبله قول الجمهور من أهل السنة، وانظر في المسألة: «التبصرة» للشيرازي (ص: ٥٢١)، و«الاجتهاد» للجويني (ص: ٧٧)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٩٩ ـ ٣٠٠)، و«تفسير الرازي» (٢٢/ ١٦٤).

(٢) رواه البخاري (١٤٩٩)، ومسلم (١٧١٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) انظر: «المبسوط» لمحمد بن الحسن (٤/ ٥٥٩)، و«بدائع الصنائع» (٦/ ١٧٠)، و«الهداية» (٤/ ٤٨٣).

(٤) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (٢/ ٧٤٧) مرسلاً، ووصله أبو داود (٣٥٦٩)، وابن ماجه (٢٣٣٢). وانظر: «الأم» للشافعي (٦/ ٢٥٦)، و«مختصر اختلاف العلماء» لابن المنذر (٥/ ٢١٢).

(٥) فقد ذكر عنه أنه قال: «هذه الآية محكمة، والقضاة بذلك يقضون إلى يوم القيامة» انظر: «تفسير الرازي» (٢٢/ ١٦٧).

﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾؛ أي: ذلَّلْنا الجبالَ والطَّير تسيرُ معه حيث سار، ويسبِّحْنَ تسبيحاً يسمعُه النَّاس.

وقيل: كانت تصلِّي مع داود.

وقيل: تسخيرُ الجبال بالسَّير هو تسبيحُها؛ لدلالتِها على الله وحملِ غيرها على التّسبيح.

وقيل: هو تفعيلٌ من السِّباحة.

الحسن: جميعُ ما خَلَقَ اللهُ من الجبال والطَّير كانت تسبِّح مع داودَ بالغَداةِ والعشيِّ[1].

﴿وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾: قادرِينَ على ذلك.

***

(٨٠) ـ ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾.

﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ﴾: عمَلَ الدُّروع، وهو أوَّلُ مَن عَمِلَ الدُّروع، وكان قبل ذلك صفائح[2].

وقيل: اللَّبوس: السِّلاحُ كلُّه مِن درعٍ وسيفٍ وسهمٍ.

﴿لِتُحْصِنَكُمْ﴾: لتَدْفعَ السِّلاحَ عنكم.

النُّون للهِ سبحانه، والياءُ لله، ويجوزُ أن تكونَ لـ﴿لَبُوسٍ﴾، والتَّاءُ للصَّنعة أو الدِّرع على المعنى[3].

---

(١) لم أجده عن الحسن، وذكره يحيى بن سلام في «تفسيره» (١/ ٣٣٠) عن السدي، وذكره ابن أبي زمنين في «تفسيره» (٣/ ١٥٥) بلا نسبة.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٣٢٩) عن قتادة.

(٣) قرأ ابن عامر وحفص: ﴿لِتُحْصِنَكُمْ﴾ بالتَّاء، وأبو بكر بالنُّون، والباقون بالياء. انظر: «السبعة» (ص: ٤٣٠)، و«التيسير» (ص: ١٥٥).

﴿مِّنۢ بَأۡسِكُمۡۖ فَهَلۡ أَنتُمۡ شَٰكِرُونَ﴾ فاشكُروا اللهَ على ذلك.

***

(٨١) - ﴿وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةٗ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦٓ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيۡءٍ عَٰلِمِينَ﴾.

﴿وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾؛ أي: وسخَّرْنا لسليمانَ الرِّيح ﴿عَاصِفَةٗ﴾: شديدةَ الهُبوب ﴿تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦٓ﴾: بأمرِ سليمانَ ﴿إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا﴾: هي الشَّامُ، وكان يَغْدو مسيرةَ شهرٍ ويَرُوحُ مسيرةَ شهرٍ إليها، وكان يَستوطِنُها، وإذا أراد أن يَغزوَ أَمرَ الرِّيح فحملَتْه إلى الموضع وعادتْ به.

ابنُ جُبيرٍ: كان يوضعُ لسليمانَ ستَّ مئة ألفِ كرسيٍّ، فيجلسُ على ما يليه المؤمنون من الإنس، ثم مِن دونِ الإنسِ المؤمنون من الجنِّ فيظلِّلُهم الطَّير، ثم يأمرُ الرِّيح فتحملُه إلى حيث شاء مسيرةَ شهرٍ غُدوةً ومثلَها عَشيَّةً، وهو قولُه: ﴿غُدُوُّهَا شَهۡرٞ وَرَوَاحُهَا شَهۡرٞ﴾ [سبأ: ١٢][(١)].

وذكر المفسِّرون أنَّه وُجد مكتوباً في منزلٍ بناحيةِ دِجلةَ: نحن نَزَلْناه وما بنَيْنَاه، ومبنيًّا وجَدْناه، غدَوْنا من إصْطَخْرَ فقِلْناه، ونحن رائحونَ منه إليها إنْ شاء الله. فقيل: إنَّ أصحاب سليمانَ كتبوه[(٢)].

﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيۡءٍ عَٰلِمِينَ﴾؛ أي: نعلم ما يصلح لكلّ أحدٍ، وما يصلح هو له.

***

---

(١) رواه مختصرًا ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٦/ ٣٣٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٨٥٥).
ورواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣١٨٥٢) من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٣٣١) و(١٩/ ٢٢٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٨٥٦) عن وهب بن منبه، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٤٥)، واستغربه.

(٨٢) ـ ﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعۡمَلُونَ عَمَلٗا دُونَ ذَٰلِكَۖ وَكُنَّا لَهُمۡ حَٰفِظِينَ﴾.

﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ﴾؛ أي: سخَّرنا له[1] من الشَّياطينِ مَن يَنزلون له إلى قعرِ البحر ويُخرِجون نفائسَ البحر.

﴿وَيَعۡمَلُونَ عَمَلٗا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ سوى الغوصِ، وهو بناءُ المحاريبِ والتَّماثيل.

﴿وَكُنَّا لَهُمۡ حَٰفِظِينَ﴾: حَفِظْناهم على سليمان.

وقيل: حافظينَ من أنْ يُفسِدوا ما عَمِلوه.

***

(٨٣) ـ ﴿وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾.

﴿وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ وهبٌ: هو أيُّوب بنُ أَموصَ بن تارخ[2]، غيره: أيُّوبُ بن أقشر[3].

وزوجتُه ماخير بنت ميشا بن يوسف، وقيل: رحمة بنت أفراييم بن يوسف، حكاه الثّعلبيّ[4]. النَّقَّاش: ليَّا بنتُ يعقوب[5].

وكان ملكاً في أرضه، وقيل: كان رجلاً من الرُّوم وله أموالٌ كثيرةٌ من كلِّ جنسٍ

---

(١) «له»: ليس في (ف).

(٢) ذكره بهذا اللفظ البغوي في «تفسيره» (٣/ ٣٠٣)، وذكره المطهر بن طاهر في «البدء والتاريخ» (٣/ ٧٢) بلفظ: «أيوب بن موص بن رعويل».

(٣) وقد اختلفوا في نسبه كما ذكر العيني في «عمدة القاري» (١٥/ ٢٨٢) ونقل فيه أقوالًا كثيرة.

(٤) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٨/ ١٨٨).

(٥) ذكره الجرجاني في «درج المدرر» (٢/ ٦٤٤) بلا نسبة.

من صُنوف الأموال، وكان له أولادٌ رجالٌ ونساءٌ، وكان برًّا تقيًّا رحيماً بالمساكين، فحسده إبليسُ، فسأل اللهَ أن يسلِّطه على ماله ليُجرِّبه، فأجابه إلى ذلك، فأهلَكَ ما كان له من الأموال عن آخرها، فبلغَ الخبرُ أيُّوبَ، فقال: هو الذي أعطَى وهو الذي أَخذ، ثمَّ سأل الله أن يسلِّطه على أولاده، وكان له سبعةُ بنينَ وثلاثُ بناتٍ ـ وقيل: سبعةٌ وسبعٌ ـ، فأجابه إلى ذلك فأهلكهم إبليسُ أسوأ إهلاكٍ، فبلَغه ذلك فقال: هو الذي أعطى وهو الذي أخذ.

وذكر وهبٌ: أنَّ إبليس جاءه على صورة معلِّمِ أولادِه، فجعَل يَصِفُ ما حلَّ بأولاده، فلم يتمالَكْ حتّى رَفع قبضةً من التُّراب، فجعل على رأسه، ثمَّ ندم من ساعته وتاب فغُفر له.

ثمَّ إنَّ إبليسَ سأل الله أن يسلِّطه على بدنه، فقال الله تعالى: لك ذلك، إلَّا قَلْبَه فإنَّه محلُّ المعرفة والفِكْر، ولسانَه فإنَّه محلُّ التَّسبيح والذِّكر، فأتاه إبليسُ وهو في صلاته، فنفخَ في منخرِه فظهر في جميع بدنه قروحٌ يسيلُ منها الصَّديد، ووقع فيها الدُّود، فتفرَّق عنه النَّاسُ وهجروه ورمَوه على كناسةٍ لبني إسرائيلَ، ولا يَقْربُه أحدٌ إلّا امرأتُه، وأتَى على ذلك سِنونَ[(١)]، قيل: ثمانِ عشرةَ سنةً[(٢)]، وقيل: سبعُ سنين، وقيل: ثلاثُ سنين.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٣٣٤) وما بعدها عن وهب بن منبه.

(٢) روى البزار (٢٣٥٧ ـ كشف)، وأبو يعلى في «مسنده» (٣٦١٦)، والطبري في «تفسيره» (٢٠/ ١٠٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٤٦٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٨٩٨)، والضياء في «المختارة» (٢٦١٧)، عن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ نبيَّ الله أيوبَ لَبِثَ به بلاؤهُ ثماني عشرة سنة، فرَفَضه القريبُ والبعيدُ إلا رجلانِ مِن إخوانه...» الحديث. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٢٠٨): «رواه البزار وأبو يعلى ورجال البزار رجال الصحيح». وقال ابن كثير: «رفع هذا الحديث غريب جدًّا». ورواه الحاكم في «المستدرك» (٤١١٥)، ووقع فيه: «خمس عشرة سنة».

وكانت زوجتُه تدخُلُ على النَّاس وتَخدمُهم وتأخُذُ ما تُنْفِقُ عليه، ثم إن إبليسَ أتاها فقال لها: إن أردتِ أن يَبْرأَ زوجُك من علَّته فلْيَذْبحْ شاةً على اسمي، وأتاها بشاةٍ، فأخبرَتْه امرأتُه بذلك، فقال لها: ذلك إبليسُ، فألحَّتْ عليه، فغضب فقال: إن بَرِئْتُ لأضربنَّكِ مئةً، فقالت: متى تبرأُ؟! فعندها قال: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾.

وقيل: باعت ذؤابتَها برغيفٍ فأتَتْه به، فعندها قال: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾. قيل: المرض، وقيل: البلاء، وقيل: ﴿ٱلضُّرُّ﴾: الشَّيطان؛ لقوله في الآية الأخرى: ﴿مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [ص: ٤١].

وقيل: بلغت الأكلةُ لسانَه فخاف أن يضعُفَ عن ذكر الله.

وقيل: خاف شماتةَ الأعداء.

وقيل: سقطت منه دودةٌ فردَّها إلى بدنه، فعضَّته عضَّةً زاد ألمُها على ما قاساه من قبلُ.

وقيل: انقطعَ الوحي عنه أيَّاماً.

وقيل: أراد الصّلاة فلم يقدر عليها فقال: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ مخبِراً لا شاكياً(١).

---

(١) وكل هذه الأقوال لم يصح منه شيء كما نقل القرطبي في «تفسيره» (١٥/ ٢١٠) عن أبي بكر بن العربي قوله: «ولم يصح عن أيوب في أمره إلا ما أخبرنا الله عنه في كتابه في آيتين؛ الأولى قوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ [الأنبياء: ٨٣]، والثانية: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [ص: ٤١] وأما النبي ﷺ فلم يصح عنه أنه ذكره بحرف واحد إلا قوله: «بينا أيوب يغتسل إذ خرَّ عليه رِجلٌ من جراد من ذهب» الحديث. وإذ لم يصح عنه فيه قرآن ولا سنة إلا ما ذكرناه، فمن الذي يوصل السامع إلى أيوب خبره، أم على أي لسان سمعه؟ والإسرائيليات مرفوضة عند العلماء على البتات، فأعرض عن سطورها بصرك، وأصمَّ عن سماعها أذنيك؛ فإنها لا تعطي فكرك إلا خيالاً، ولا تزيد فؤادك إلا خبالًا».

(٨٤) ـ ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾.

﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ﴾: فأجاب الله دعاءه وأَوْحَى إليه: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ [ص: ٤٢]، فركَضَ رجلَه فانفَجرتْ عينُ ماءٍ، فاغتَسَل منها فصحَّ بدنُه، ثم نُودي: اركُضْ برجلك، فركَضَ رجلَه فخرجت عينٌ أخرى، فشربَ منها فصحَّ ما في جوفه، وكان هذا في غيبةِ زوجته، فلمَّا رجعَتْ إليه لم تعرِفْه وقالت: هل رأيتَ نبيَّ الله المبتلَى؟ فضحك في وجهها فعرفَتْه بثغره.

﴿وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أحيَا الله أولادَه بأعيانهم وأموالَه ومواشيَه ومِثْلَها ومِثْلَهم معهم(١).

وقيل: ردّ الله أولاده وأبقاهم حتّى جعل من نسلهم مثلهم.

وقيل: أعطاه مثلَهم في الدُّنيا ويُعطيهِ في الجنَّة مَن ماتوا.

﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾؛ أي: نعمةً عليه ﴿وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾: يَقتدون به في الصَّبر على البلاء والشُّكر على النَّعْماء.

عقبةُ بنُ عامرٍ عن النَّبيِّ ﷺ قال: «أوحَى اللهُ إلى أيُّوبَ: تدري ما ذنبُكَ عندي حتَّى ابتلَيْتُك؟ قال: لا يا ربِّ، قال: دخلتَ على فرعونَ فأَدْهَنْتَ له بكلمتين»(٢).

ورُوي أنَّه مُطِر على أيُّوب جرادٌ من ذهبٍ، فجعَل يجمعُه ويجعلُه في ثوبه، فقال: يا أيُّوبُ، أمَا تَشبعُ؟ فقال: ومَن يَشْبَعُ مِن رحمتك(٣)؟!

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٣٦٦). وإسناده ضعيف جداً.

(٢) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٠/ ٦٠). قال سبط ابن الجوزي في «مرآة الزمان» (٢/ ١٠): «قلت: ولا يصح هذا الحديث مرفوعًا، وإنما هو موقوف؛ وأيوب لم يفارق الشام ولا دخل مصر باتفاق الرواة».

(٣) رواه البخاري (٢٧٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه ولفظه: «بينا أيوب يغتسل عريانًا، فخر عليه جراد =

(٨٥) ـ ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

﴿وَإِسْمَٰعِيلَ﴾: هو ابنُ إبراهيم ﴿وَإِدْرِيسَ﴾: هو ابنُ شيثِ بنِ آدم، وهو أخنوخ ﴿وَذَا ٱلْكِفْلِ﴾؛ أي: اذكُرْهم.

قال ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: ذو الكفلِ هو: إلياسُ[1].

الحسن: هو نبيٌّ اسمُه ذو الكفل[2].

وقيل: هو يوشعُ بنُ نونٍ. والكفلُ: الحظُّ، واللهُ ضاعَفَ ثوابَه لأنَّه ضاعَفَ عملَه.

المبرِّد: كان رجلاً صالحاً عَبَد اللهَ في غارِ جبلٍ[3]. والكفلُ: الجبلُ.

وقيل: كان رجلاً صالحاً اسمُه عُوَيْبٌ، ولم يكن نبيًّا، بل تكفَّل للهِ بأمورٍ فوفَى بها. والكفلُ: الكفالة.

وقيل: هو زكريَّا.

﴿كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾؛ أي: كلُّ هؤلاء المذكورين، كلُّهم موصوفون بالصَّبر.

***

(٨٦) ـ ﴿وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

﴿وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ﴾ قيل: هي النُّبوَّة، وقيل: هي النِّعمةُ في الآخرة ﴿إِنَّهُم

= من ذهب، فجعل أيوب يحتثي في ثوبه، فناداه ربه: يا أيوب، ألم أكن أغنيتك عما ترى؟ قال: بلى وعزتك، ولكن لا غنى بي عن بركتك».

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٨/ ٢٣٠) بلا نسبة.

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٤٦٤)، والواحدي في «البسيط» (١٥/ ١٥٣).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٣٧١ ـ ٣٧٣) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه وعن مجاهد.

﴿مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: من الأنبياء، وسُمُّوا صالحين؛ لأنَّ صلاحَهم لا يشوبُه كدَرُ الفساد.

ومعنى: ﴿وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ﴾: غمَرَتْهم الرَّحمةُ، فهو أبلغُ مِن: رَحِمْناهم[1].

***

(٨٧) ـ ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿وَذَا ٱلنُّونِ﴾ أجمعَ المفسِّرون على أنَّه يونسُ عليه السَّلام، والنُّونُ: الحوتُ؛ لتسميةِ اللهِ إيَّاه في السُّورة الأخرى: (صاحب الحوت)[2].

﴿إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا﴾ فيه أقوالٌ:

أحدها: مغاضباً لقومه حين دعاهم إلى اللهِ مدَّةً مديدةً فلم يُجيبوه، فأَوْعدَهم بالعذاب، ثم خرج مِن بينِهم على عادة الأنبياء عند نزولِ العذاب بالقوم قبلَ أن أَذِنَ اللهُ له في الخروج.

وقيل: مغاضباً للملِك، واسمه: حِزقيا، وذلك أنَّ يونسَ كان يسكنُ فلسطين، فغزاهم ملكٌ، فسبَى منهم تسعةَ أسباطٍ ونصفَ سبطٍ، وبقيَ سبطانِ ونصفُ سِبطٍ، فأَوْحَى الله إلى شَعْياء النَّبيِّ عليه السَّلامُ أنْ سِرْ إلى حزقيا الملك، وقل له حتَّى يوجِّه نبيًّا قويًّا أميناً، فإنِّي أُلْقي في قلوب أولئك حتَّى يُرسلوا معه بني إسرائيل، قال له الملِكُ: فمَن تَرى؟ وكان في مملكته خمسةٌ من الأنبياء، قال: يونسُ، فإنَّه قويٌّ

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٥/ ١٥٣) ونسب لأهل المعاني. وقد جاء هذا المعنى من حرف الجر (في) الذي أفاد أن الرحمة صارت لهم ظرفاً محيطاً غامراً، ويظهر من لفظ (أدخلناهم) معنى لطيف، وهو أن الرحمة خاصة بهؤلاء، فلا يمكن الدخول فيها إلا بإدخال من الله سبحانه وتعالى وإذن منه سبحانه.

(٢) وذلك في سورة القلم، في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ [القلم: ٤٨].

أمينٌ، فدعا الملِكُ يونسَ فأمره بالخروج، فقال يونسُ: هل أَمَرك اللهُ بإخراجي؟ قال: لا، قال: فهل سمَّاني لك؟ قال: لا، قال: هاهنا غيري أنبياءُ، فألحُّوا عليه فخرج مغاضباً للملك[١].

وقيل: ذهب مغاضباً لربِّه؛ لأنَّه وعدَهم بالعذابِ فلم يأتهم لميعاده، ولم يَعرِفْ أنَّ الله صَرَف عنهم العذابَ لتوبتِهم وإنابَتِهم وأنَّهم آمنوا، وكرِهَ أن يعودَ إليه[٢] كذَّاباً[٣].

وقيل: خاف أن يقتلوه، وهذا بعيدٌ.

وقيل: ﴿مُغَـٰضِبًا﴾ بمعنى: غضبان؛ لأنَّ المفاعلةَ قد يأتي من واحدٍ؛ كطارَقْتُ وسافَرْتُ، ومعنى غضبانَ: إنِفاً[٤] أن يعودَ إليهم فيكذِّبوه.

الحسن: إنَّما غاضَبَ ربَّه من أجلِ أنَّه أُمرَ بالمصير إلى قومه ليُنذرَهم، فسأل ربَّه أن يُنظِرَه ليتأهَّب للشُّخوص إليهم، فقيل له: الأمرُ أسرعُ من ذلك، ولم يُنظَرْ، حتَّى سأل أن يأخُذَ نعلاً يَلبسُها، فقيل له: الأمرُ أسرعُ من ذلك، وكان رجلاً في خُلُقه ضِيقٌ، فقال: أَعْجَلَني ربِّي، فخرج مغاضباً[٥].

ورُوي عن وهبٍ أنَّه قال: إنَّ يونسَ عليه السَّلامُ كان عبداً صالحاً، وكان في

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٨/ ٢٣٢)، والواحدي في «البسيط» (١٥/ ١٥٤) من طريق عطية العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما. وعطية ضعيف.

(٢) كذا، ولو قال: «أن يعود إليهم»، لكان أظهر.

(٣) رواه بأتم من هذا الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٣٧٥) من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس.

(٤) في هامش (ف): «أي: أنف».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٣٧٦)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٨/ ٢٣٦) وعنه نقل المصنف.

خُلُقه ضِيقٌ، فلمَّا حُمِّل أثقالَ النُّبوَّة قذفَها وخرج هارباً منها[1]، فأخرجَه الله مِن أُولي العزم، فقال: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ [القلم: ٤٨]، وقال: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥][2].

﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ فيه أقوالٌ:

أحدها: لن نضيِّقَ عليه، من قوله: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾ [الطلاق: ٧]، ومصدرُه: القَدْرُ، بالسُّكون.

وقيل: لن نَقدِرَ عليه بالعقوبة، من القَدَر بالفتح؛ أي: لن نَقْضِيَ عليه، وهو بمعنى التَّشديد، وقد قُرئ بالتَّشديد[3].

وقيل: لن نقدِّرَ عليه الرِّسالةَ.

وقيل: لن نقدِّرَ عليه كونَه في بطنِ الحوت.

وقيل: استزلَّه الشَّيطانُ فظنَّ أنْ لن يَقدرَ عليه ربُّه، من القُدرة، وهذا فاسدٌ.

وقيل: تقديره: أفظنَّ أنْ لن نقدِرَ عليه.

وقيل: فَعَلَ فِعْلَ مَن ظنَّ أنْ لن نقدِرَ عليه؟

---

(١) في ما بين يدي من النسخ الخطية: «منه»، والتصويب من مصادر التخريج.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٣٧٦) وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٢٩)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٨/ ٢٣٦)، وفي قوله - إن صح الخبر -: «فلمَّا حُمِّل أثقالَ النُّبوَّة قذفَها وخرج هارباً» نكارة عظيمة لا تليق بأنبياء الله، بل ولا بتنزيه الخالق الذي اختارهم لحمل رسالته، ولا حاجة لأمثال هذه التعسفات والمبالغات، وليت المفسرين ينزهون كتبهم عن مثل هذه الأقوال الخارجة عن الصواب، والتي لم يرد بها الكتاب ولا السنة.

(٣) نسبت لابن أبي ليلى وأبي شرف والكلبي ويعقوب في غير المشهور عنه. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٥).

وقُرِئ: ﴿يُقْدَرَ﴾ على المجهول[1].

وقيل: لن نُقْدِر عليه الملك حزقيا.

﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ ذهب من قومِه وسار حتَّى بلَغ السَّفينةَ فركبها، فساهَم فسُهِم، فألْقَى نفسَه في البحر فالْتَقَمه الحوتُ، ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: اللَّيلِ والبحرِ وبطنِ الحوت، وقيل: ظُلمةِ الأمعاءِ، وظُلمةِ البطنِ، وظُلمةِ البحرِ، وظُلمةِ اللَّيل.

وروى المفسِّرون: أنَّ سالم بن أبي الجَعْدِ قال: الْتَقَمَ ذلك الحوتَ حوتٌ آخَرُ[2]. فتكون الظُّلماتُ ستًّا.

﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ لنَفْسي في خروجي من قومي قبلَ أنْ تأذَنَ لي.

* * *

(٨٨) ـ ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ﴾ جاء في التَّفسير: لمّا الْتَقَمه الحوتُ سار به إلى بحرِ النِّيل، ثم إلى[3] بحرِ فارسَ، ثم إلى بحرِ دجلة، ثم ألقاه بنَصِيبِينَ بعد أربعين يوماً وليلةً.

وقيل: سار به البحارَ كلَّها ثم ألقاه بنَصِيبِينَ.

وكان حَبْسُه في بطنِ الحوتِ تأديباً له، وبقاؤه فيه معجزةً له.

قيل: لبثَ فيه ثلاثةَ أيّامٍ، وقيل: من ارتفاع النَّهار إلى آخره، وقيل: أربعَ ساعاتٍ.

---

(١) هي قراءة يعقوب من العشرة. انظر: «النشر» (٢/ ٣٢٤).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣١٨٦٨)، والإمام أحمد في «الزهد» (١٨٤)، والطبري في «تفسيره» (١٦/ ٣٨٣).

(٣) في (ف): «سار به على بحر النيل ثم على».

ففتح الحوتُ فاه، فرأى يونسُ ضوءَ الشَّمس فقال: ﴿سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، فلَفَظه الحوتُ.

وعن سعيد بن المسيِّب يرفعُه: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «اسمُ الله الذي إذا دُعي به أجابَ، وإذا سُئلَ به أَعْطَى: دعوةُ يونسَ النَّبيِّ»، قال الرَّاوي: قلتُ: يا رسول الله، أله خاصَّةً؟ فقال: «له خاصَّةً ولجميعِ المؤمنين عامَّةً إذا دَعَوا بها، ألم تسمعْ قولَ الله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾»[1].

وعن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّ رسالةَ يونس بعد أن نبذَه الحوت إلى العراء، قال: والدَّليل على ذلك قولُه في قصَّته بعد ذلك: ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات: ١٤٧][2]. والجمهورُ على ما سبق.

وعن النَّبيِّ ﷺ: أنَّ يونسَ لمَّا استقرَّ به الحوتُ في قرارِ البحر حرَّك رجليه، فلمَّا تحرَّكتَا سجَد مكانه وقال: يا ربِّ، اتَّخذتُ لك مسجداً في موضعٍ ما اتَّخذه أحدٌ[3].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٣٨٦) من طريق سعيد بن المسيب عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه. ورواه عن سعد رضي الله عنه من طريق آخر: الترمذي (٣٥٠٥)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٤١٦)، والإمام أحمد في «المسند» (١٤٦٢)، والحاكم في «المستدرك» (٤١٢١) ـ وصححه ـ بلفظ: «دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له».

(٢) رواه النحاس في «معاني القرآن» (٦/ ٦٣)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٦٣٩) دون قوله: «والدليل...».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٤٦) عن النبي عليه السلام، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٣٨٤) من قول عوف الأعرابي، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٢٩)، والحاكم في «المستدرك» (٤١٢٩) من طريق عوف الأعرابي عن الحسن قوله، ولم أقف عليه مرفوعاً عند غير المصنف.

﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ﴾: غـمِّ الخطيئـة، وقيـل: تغطيـةِ الظُّلمات: ظلمـةِ الخطيئةِ، وظلمةِ الشِّـدَّة، وظلمـةِ الوحدة.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ أي: كما نجَّيناه نُنْجي مَن اقتَدَى به ودعا اللهَ بإخلاصٍ، وكتب ﴿نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ في الإمام بنونٍ واحدةٍ، وقرأت الجماعة بالإخفاء، وقرأ ابن عامرٍ وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: ﴿نجِّي﴾ مشدَّدة الجيم[1]، واضطرب النُّحاة فيه؛ فذهب بعضُهم إلى أنَّه خطأٌ، وذهب بعضُهم إلى أنَّ المراد بالتَّشديد الإخفاء، وذهب بعضُهم إلى أنَّ التَّقدير: نُجِّيْ، والفعل للمجهول، والمصدرُ اسمه، وسكَّن الياء تخفيفاً[2].

والأوجه الثّلاثة فيها ضعفٌ:

أمَّا قولُ مَن قال: «هو خطأٌ» فإنَّه لم يَعرف الأسانيد، وأنَّ هذا ثَبَتَ بطرقٍ ثبت بها جميعُ القرآن فلا يمكنُ دفعُها.

ومَن قال: «إنَّما هو إخفاءٌ» بعيدٌ؛ إذ لو كان كذلك لم يكن بين القرَّاء خلافٌ.

وقولُ مَن قال: «مبنيٌّ للمجهول» بعيدٌ من وجهين:

أحدهمـا: أنَّـه أَسـندَ الفعلَ إلى المصـدر مع وجـودِ المفعول، وهـذا لا يجوزُ فـي الإعراب.

والثّاني: تسكينُ الياء، وبابُه للضَّرورات.

ويحتمِلُ أن يقال: أصله: (نُنَجِّي) من التَّنجية، فحذفَ النّونُ الثَّانيةُ لاجتماعِ النُّونات كما حُذف في مواضعَ لا تُحصى[3].

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٣٠)، و«التيسير» (ص: ١٥٥).

(٢) وعلى هذا القول الأخير خرَّج القراءة ابن خالويه في «الحجة في القراءات السبع» (ص: ٢٥٠).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٤٧)، واستغربه.

(٨٩) ـ ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾.

﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾؛ أي: فرداً بلا ولدٍ ولا وارثٍ، وأنت خيرُ مَن يرثُ العبادَ من الأهلِ والأولاد.

وقيل: فرداً عن عصمتِكَ(١).

وقيل: تقديره: إنْ رزَقْتَني ولداً وارثاً، وإنْ لا فأنتَ خيرُ الوارثين(٢).

***

(٩٠) ـ ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾.

﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾ وكانت عاقراً عقيماً.

وقيل: كانت سيِّئة الخلق.

وقيل: كانت عجوزاً، فردَّ إليها ماءَ الشَّباب.

﴿إِنَّهُمْ﴾: زكريَّا ويحيى وزوجته.

وقيل: هم الذين تقدَّم ذكرهم(٣).

﴿كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾: يبادِرونَ إليها ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا﴾ في الثَّواب ﴿وَرَهَبًا﴾ من العقاب.

---

(١) أي: خليّاً عنها، بعيداً عن الطاعة. انظر: «تفسير العزّ بن عبد السلام» (٢/ ٣٣٦).

(٢) ذكر أبو جعفر النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٥٦) أنه سمع نحوه من علي بن سليمان الأخفش الصغير)، وأنه أحسن ما سمعه في تأويل هذه القراءة. ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٤٧)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٤٧)، واستغربه.

وقيل: ﴿رَغَبًا﴾ في الطَّاعة ﴿وَرَهَبًا﴾ عن المعصية.

وقيل: ﴿رَغَبًا﴾ ببطنِ الأكُفِّ ﴿وَرَهَبًا﴾ بظهر الأَكُفِّ(١).

﴿وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ﴾: متواضِعينَ خائفِينَ، راغِبينَ راهِبين.

وقيل: هو وضعُ اليُمنى على اليسرى، والنَّظرُ إلى موضع السُّجود.

* * *

(٩١) ـ ﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَـٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾.

﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ يريد: مريمَ؛ أي: حَفِظَتْه ومَنَعَتْه من الأزواج.

وقيل: منعَتْه من جبريلَ لمّا قَرُبَ منها ليَنْفُخَ فيه قبلَ أن تَعلَمَ أنّه رسول الله.

وقيل: ﴿فَرْجَهَا﴾: جيبَ قميصها، حفِظَتْه ومنعَتْه وضيَّقَتْه.

﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا﴾ مدَّ جيبَ درعها بأصبعيه، ثم نفخَ فيها فحملت بعيسى، والتَّأنيث للنَّفس(٢).

قوله: ﴿مِن رُّوحِنَا﴾؛ أي: أَمْرِنا، أي: نَفَخ فيها جبريلُ بأَمْرِنا، وأضافه سبحانه إلى ذاته تشريفاً، وقد سبق في سورة (مريم).

﴿وَجَعَلْنَـٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾؛ أي: آيةً توجِبُ العلمَ اليقينَ لِمَن تأمَّلَ، ووحَّد ﴿ءَايَةً﴾ لأنَّ الأعجوبةَ فيهما واحدةٌ، وقيل: قصَّتَهما آيةً.

* * *

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٤٧)، واستغربه.

(٢) انظر: «درة التنزيل» للخطيب الإسكافي (١/ ٩١٢)، و«البرهان» للمصنف (ص: ١٨٠).

(٩٢) ـ ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴾.

﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ ﴾؛ أي: ملَّتُكم. والأمَّة: الملَّة؛ يعني بها: الإسلام، وهي ملَّةُ جميعِ الأنبياء والمؤمنين.

وقيل: هذه جماعتُكم ـ والأمَّةُ: الجماعة ـ جماعةً واحدةً في أنَّها مخلوقةٌ لله ومملوكةٌ له، واللهُ خالقُها ومالكُها.

وقيل: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ ﴾: مقصودٌ بها دينٌ واحدٌ، والأَمُّ: القَصْد.

وقيل: طريقتُكم وسيرتُكم؛ أي: أنتم وآباؤكم طريقةٌ في الكفر بالله.

وهي نصبٌ على الحال؛ أي: متوحِّدةً غيرَ متفرّقةٍ[1]، وقيل: بدلٌ من اسم ﴿ إِنَّ ﴾.

﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴾: وحِّدوني وأطيعوني.

وقيل: عدَّد الله في هذه السّورة عِدَّةً من الأنبياء[2]، ثم جمعَهم في خصلةٍ واحدةٍ، وهي عبادةُ الله.

* * *

(٩٣) ـ ﴿وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ ﴾.

﴿وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ﴾: تفرَّقوا في الدِّين فصاروا فِرَقاً ﴿كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ ﴾: فنَجزِيهم بأعمالهم.

* * *

---

(١) أي: هذه أمتكم في حال اجتماعها على الحق، فإذا افترقت فليس من خالف الحق داخلًا فيها. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٤٠٤).

(٢) في هامش (ن): «أربعة عشر نبيا».

(٩٤) - ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ﴾.

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ بمحمَّدٍ والقرآن؛ لأنّ البرَّ من غيرِ إيمانٍ باطلٌ.

﴿فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ﴾: لا نُبْطِلُ عملَه ولا نَجحَدُ، بل نجازيهِ أحسنَ الجزاء ﴿وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ﴾: حافظونَ ما عَمِلَ إلى يومِ الجزاء.

و﴿مِنَ﴾ في الآية صلةٌ. ويحتمِلُ التَّبعيضَ والمفعولُ محذوفٌ؛ أي: بِرًّا.

والصّالحاتُ: أبوابُ البِرِّ.

***

(٩٥) - ﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾.

﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾؛ أي: أهلِ قريةٍ ﴿أَهْلَكْنَٰهَآ﴾: حكَمْنا بإهلاكها، وقيل: وجَدْناها هالكةً، الثَّوابُ ﴿أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾: لأنّهم لا يرجعون إلى التَّوبة.

وقيل: حرامٌ عليهم أن يرجعوا إلى الدّنيا، و﴿لَا﴾ صلةٌ، والحرامُ: المنعُ والعزم.

وقيل: تقديره: عزمٌ عليهم ومُوجَبٌ عليهم تركُ الرُّجوع إلى الدنيا[١]، فيكون ﴿لَا﴾ واقعاً موقعَه.

وقيل: هو متَّصلٌ بقوله: ﴿كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ﴾، وحرامٌ عليهم تركُ الرُّجوع إلى الحساب والثّواب والعقاب؛ لأنّهم إذا مُنِعوا من أنْ لا يرجعوا فقد حُمِلوا على أنْ يرجعوا[٢].

---

(١) في النسختين: «النار»، والمثبت من «غرائب التفسير» (٢/ ٧٤٨)، وعدَّه من الغريب.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٤٨)، واستغربه.

ويحتمِل أنَّ التَّقدير: ومَن يعملْ من الصَّالحات وهو مؤمنٌ فلا كفرانَ لسعيه، وحرامٌ ذلك على الكفَّار؛ لأنَّهم لا يرجعون إلى الإيمان.

***

(٩٦) ـ ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴾.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ﴾؛ أي: سدُّهما بأنْ يَخرُجَا منه، وقد سبق ذكرُهما في (الكهف).

﴿وَهُم﴾ يعني: يأجوجَ ومأجوجَ، وقيل: الخلق جميعاً.

﴿مِّن كُلِّ حَدَبٍ﴾: مِن كلِّ نَشَزٍ وارتفاعٍ ﴿يَنسِلُونَ﴾: يخرُجون، مِن نَسَل شعرُه.

وقيل: يُسرعون، من نَسَلان الذِّئب، وهو عَدْوُه.

وعن أمِّ سلمة رضي الله عنها: أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان نائماً في بيتي، فاستيقظَ محمرًّا عيناه فقال: «لا إلهَ إلَّا اللهُ ـ ثلاثاً ـ ويلٌ للعربِ من أمرٍ قد اقترَب، قد فُتِح اليومَ من ردمِ يأجوجَ ومأجوجَ مثلُ هذا» وأشار بيده إلى عَقْدِ تسعين(١).

وقيل: إنَّ ملك الرُّوم يبعثُ كلَّ يومٍ خيلاً يخرجون إلى الرَّدم ويحرسونه، فإذا عادوا قالوا: مازلنا نسمعُ من وراء السَّدِّ جَلَبَةً وأمراً شديداً، كأنَّهم يسمعون قرعَ فؤوسهم.

---

(١) رواه البخاري (٧٠٥٩)، ومسلم (٢٨٨٠) من طريق سفيانَ بنِ عُيَيْنَةَ، عن الزُّهريِّ، عن عروة، عن زينب بنت أم سلمة، عن أم حبيبة بنت أبي سفيان، عن زينب بنت جحش رضي الله عنهن. وفيهما أن الذي عقد بيده هو سفيان، وجاء في رواية البخاري: وعَقَد سفيانُ تِسعِين أو مئةً. وفي رواية مسلم: وعَقَد سفيانُ بيده عَشَرةً. وروى البخاري (٧١٣٦)، ومسلم (٢٨٨١) من طريق وُهَيْبٍ، عن عبد الله بن طاوسٍ، عن أبيه، عن أبي هريرةَ، عن النبيِّ ﷺ قال: «فُتح اليومَ من ردم يأجوج ومأجوج مِثْلُ هذه» وعَقَد وُهيبٌ بيده تِسعين.

وقوله: ﴿حَتَّىٰٓ﴾ غايةُ الرُّجوع، وفي جوابِ ﴿إِذَا﴾ أقوالٌ:

أحدها: ﴿وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ﴾ والواو مقحمةٌ زائدةٌ.

وقيل: تقديره: قالوا: يا ويلنا.

وقيل: جوابُه: شَخَصَتْ أبصارُ الذين كفروا(١).

وقيل: جوابُه مضمَرٌ؛ أي: رَجَعوا.

* * *

(٩٧) ـ ﴿وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾.

﴿وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ﴾؛ أي: القيامةُ، والحقُّ: الذي لا خُلْفَ فيه.

﴿فَإِذَا هِيَ﴾ (إذا) للمفاجأة، وهي كنايةٌ عن القصَّة تجري مَجرى الأمرِ والشَّأن مع المذكَّر(٢).

وقيل: كنايةٌ عن الأبصار، ومثلُها: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [الحج: ٤٦].

وقيل: كنايةٌ عن العيون، وشُخوصها: امتدادُها فلا تَطْرُف.

وعن بعض القرَّاء الوقفُ على ﴿هِيَ﴾، كأنَّه جعلَها كنايةً عن السَّاعة؛ أي: فإذا هي قائمةٌ، ثمَّ استأنف فقال: ﴿شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾(٣)؛ أي: أبصارُ

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٤٩)، واستغربه.

(٢) ضمير الشأن أو الأمر أو القصة أو الحديث خبر هو ضمير لا يعود على شيء متقدّم ذكره، وإنما يتصل بالجملة التالية له، فيكون هو كناية عنها، وتكون هي خبراً له، ويسميه الكوفيون المجهول، ويرون جواز الإخبار عنه المفرد أيضاً. انظر: «الأصول» لابن السراج (١/ ١٨٢)، و«شرح الكتاب» للسيرافي (١/ ٣٤٨)، و«التعليقة» لأبي علي الفارسي (٢/ ٢٧٣).

(٣) انظر: «منار الهدى في الوقف والابتدا» للأشموني (٢/ ٤٢).

الذين كفروا شاخصةٌ، يقولون: ﴿يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا﴾؛ أي: لم نعلم أنَّه حقٌّ ﴿بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ لأنفسِنا بترك الإيمان به.

* * *

(٩٨) - ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾.

﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: الأوثانَ ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنَّه متَّصلٌ بالأوَّل؛ أي: وقُلْنا لهم: إنَّكم.

والثَّاني: استئنافٌ.

و﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾: ما يُهَيَّجُ به النَّار، والحَصَبُ: ما يُحصَبُ؛ أي: يُرْمَى به، تقول: حَصَبه يَحْصِبُه: رماه بالحَصْباء.

وقيل: ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾: حطبُ جهنَّم بلغةِ حَبَشةَ[1].

ويقال: ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾: ما تُرفَعُ النَّارُ به، تقولُ: حَصَبَ النَّارَ؛ إذا رَفعَها، وتقولُ: حَصَب في الأرض؛ إذا ذَهَب فيها.

﴿أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾: داخلون، و﴿لَهَا﴾ بمعنى: إليها.

وقيل: ﴿وَٰرِدُونَ﴾ مُشْرِفون عليها، وقد سَبَق في سورة (مريم).

* * *

(١) ذكره السجستاني في «غريب القرآن» (ص: ١٩٤)، وفي «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢١٢) أنها لغة أهل اليمن، وفي «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٧/ ٣٧٧) عن ابن عباس أنها بالزنجية، وذكر ابن سمنون في «اللغات في القرآن» (ص: ٣٧) أنها لغة قريش، وقد قرئ (حَصْب) و(حَضَب) و(حَضْب)، و(حَطَب). انظر: «المحتسب» لابن جني (٢/ ٦٧).

(٩٩ ـ ١٠٠) ـ ﴿لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٩٩ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾.

﴿لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً﴾ كما زعمتُم ﴿مَّا وَرَدُوهَا﴾: ما دخَلوا النَّار، ﴿وَكُلٌّ﴾: العابدُ والمعبودُ ﴿فِيهَا﴾: في النَّار ﴿خَٰلِدُونَ﴾.

﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾: أنينٌ وتنفُّسٌ شديدٌ وبكاءٌ وعَوِيلٌ ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ حين صاروا صُمًّا عُمياً بُكماً.

وقيل: لا يسمعون ما يَسُرُّهم.

وقيل: لأنَّهم في توابيتَ من نارٍ(١).

***

(١٠١) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ في سبب النُّزول: عن أبي بكرِ بنِ عيَّاشٍ، عن عاصمٍ بروايته، عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: آيةٌ لا يسألُني النَّاسُ عنها، لا أدري أَعَرَفوها فلم يَسألوا عنها، أم جَهِلوها فلا يَسألون عنها؟ قيل له: وما هي؟ قال: لمّا نزلت: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ شقَّ على قريشٍ فقالوا: شتَم آلهتنا، فجاء ابنُ الزِّبَعْرَى فقال: ما لكم؟ قالوا: شتَم آلهتَنا، قال: فما قال؟ قالوا: قال: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «صفة النار» (١٠٣)، والطبري في «تفسيره» (١٦/ ٤١٥)، والطبراني في «الكبير» (٩٠٨٧)، وعبد بن حميد وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٥/ ٦٨١)، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: إذا أُلقي في النار من يخلد فيها جعلوا في توابيت من نار، ثم جعلت تلك التوابيت في توابيت أخرى، ثم جعلت التوابيت في توابيت أخرى فيها مسامير من نار، فلا يرى أحد منهم أن في النار أحداً يعذَّب غيره، ثم قرأ: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾.

﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾، قال: ادعُوه لي، فلمَّا دُعي عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ قال: يا محمَّد؛ هذا شيءٌ لآلهتنا خاصَّةً أو لكلِّ مَن عُبِد من دون الله؟ قال: «لا، بل لكلِّ مَن عُبد من دون الله»، فقال ابنُ الزِّبَعْرَى: خَصَمْتُ[1] وربِّ هذه البَنِيَّة ـ يعني: الكعبةَ ـ ألستَ تزعُمُ أنَّ الملائكةَ عبادٌ صالحون، وأنَّ عيسى عبدٌ صالحٌ، وأنَّ عزيراً عبدٌ صالحٌ، وهذه بنو مَليحٍ يعبدون الملائكة، وهذه النَّصارى يعبدون عيسى، وهذه اليهودُ يعبدون[2] عزيراً، قال: فضجَّ أهلُ مكَّة، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾[3].

﴿الْحُسْنَىٰ﴾: السَّعادةُ، وقيل: العِدَةُ، وقيل: بِشارةُ الله بالجنَّة، وقيل: الجنَّةُ، وقيل: الطَّاعة التي يُجازَون عليها، وقيل: التَّوبة.

﴿أُولَٰئِكَ عَنْهَا﴾: عن جهنَّم ﴿مُبْعَدُونَ﴾.

الحسين بن الفضل[4]: إنَّما أراد بقوله: ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ الأصنامَ؛ لأنَّه لو أراد النَّاسَ لقال: ومَن تعبُدون.

---

(١) هكذا ضبطت في النسختين، ومعناه: غلبتُ في الخصومة. انظر: «طلبة الطلبة» للنسفي (ص: ١٢٦).

(٢) في (ف): «تعبد».

(٣) رواه الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٣/ ١٥)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٧٣٩)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٠٥)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٦٩): «فيه عاصم بن بهدلة وقد وثِّق وضعفه جماعة». ورواه بنحوه دون ذكر الآية الإمام أحمد في «المسند» (٢٩١٨). وهو في «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٣٥٨ـ٣٥٩) عن ابن إسحاق، ورواه عنه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٤١٧ ـ ٤١٨).

(٤) في النسختين: «الحسن بن فضل» والتصويب من «تفسير الثعلبي» (١٨/ ٢٦٧)، والحسين بن الفضل مفسر معمَّر، كان رأساً في معاني القرآن، أصله من الكوفة، انتقل إلى نيسابور، توفي سنة (٢٨٢هـ) وهو ابن مئة وأربع سنين. انظر: «سير أعلام النبلاء» (١٣/ ٤١٤). وقد كثر النقل عنه في كتب التفسير.

وقيل: أراد بقوله: ﴿سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾: جميعَ المؤمنين[١].

وعن عليٍّ رضي الله عنه: أنَّه خطَب فقرأ هذه الآية، ثم قال: عثمانُ منهم[٢].

* * *

(١٠٢) - ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِي مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ﴾.

﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾: صوتَها، هذه مبالغةٌ في الإبعادِ عنها؛ أي: لا يَقْرَبونها فيَسمعوا صوتَها وصوتَ مَن فيها.

﴿وَهُمْ فِي مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ﴾؛ أي: في غايةِ التَّنعُّم ونعيمِ الجنَّة وملاذِّها.

* * *

(١٠٣) - ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾.

﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾ قيل: حين يُذبح الموت، وقيل: إذا أُطْبقتِ النَّار، وقيل: عند النَّفخة الثَّانية إذا خرجوا من قبورهم.

﴿وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: تستقبلُهم بالبُشرى ﴿هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ في الدُّنيا، فأَبْشِروا بالأمنِ والفوز.

* * *

(١٠٤) - ﴿يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾.

﴿يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ﴾: نطوِيْها بعد نشرِها، وقيل: طيُّها: إبطالُها وإفناؤها، وقيل: طيُّها: تبديلُها.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٤٩)، واستغربه.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٢٠٥٢)، والطبري في «تفسيره» (١٦/ ٤١٥).

﴿كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ﴾؛ أي: نَطْويها كما يُطْوَى السِّجلُّ، والسِّجلُّ: الصَّحيفة.

﴿لِلْكُتُبِ﴾[1]: على ما كُتِب فيه؛ كي لا يُطَّلَعَ عليه. وقيل: كطيِّ الصَّحيفة لأجلِ الكتاب الذي فيها. وقيل: اللَّام زائدةٌ، والكتابُ بدلٌ من ﴿ٱلسِّجِلِّ﴾؛ أي: كطيِّ الكتاب.

وقيل: السِّجلُّ: الرَّجلُ بلغة حبشةَ[2].

ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: اسمُ كاتبٍ لرسول الله ﷺ[3].

السُّدِّيُّ: اسمُ ملكٍ يكتبُ بالنُّور استغفارَ الخلق[4].

وقيل: هو الملك الذي إذا مات الإنسان دفع إليه صحيفته فيطويها.

---

(١) في (ف): «للكتاب». وهما قراءتان سبعيتان، قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص: ﴿للكُتُب﴾ على الجمع، والباقون: ﴿للكِتَاب﴾ على الواحد. انظر: «السبعة» (ص: ٤٣١)، و«التيسير» (ص: ١٥٥).

(٢) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» (٣/ ٤٠٦)، وفي المطبوع منه: «الجيش» وصوابه: «الحبش». ورواه ابن مردويه عن ابن عباس وذكر السيوطي في «المهذب» (ص: ٩٥)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٤٩)، وعدَّه من العجائب.

(٣) رواه أبو داود (٢٩٣٥)، والطبري في «تفسيره» (١٦/ ٤٢٤). قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٨/ ٣٤٠): «وقد عرضت هذا الحديث على شيخنا الحافظ الكبير أبي الحجاج المزي فأنكره جدًّا، وأخبرته أن شيخنا العلامة أبا العباس ابن تيمية كان يقول: هو حديث موضوع وإن كان في «سنن أبي داود» فقال شيخنا المزي: وأنا أقوله». وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٤٩)، واستغربه.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٤٢٣) من قول ابن عمر رضي الله عنهما. وروى عقبه عن السدي قوله: السجل ملك. وضعف هذا القول والذي قبله الطبري بقوله: «ولا يعرف لنبينا ﷺ كاتب كان اسمه السجل، ولا في الملائكة ملك ذلك اسمه».

ومن هنا إلى قسم من الآية رقم ٤ من سورة الحج سقط من (ق).

فعلى هذه الوجوه ﴿ٱلسِّجِلِّ﴾ فاعلٌ، والمصدرُ مضافٌ إليه، وعلى الوجهِ الأوَّل مفعولٌ؛ أي: كطيِّ السِّجلِّ المجعولِ للكتابة.

﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾؛ أي: إذا أَفْنَيْنا الخلقَ أَعَدْناهم خلْقاً كما بدأناه؛ أي: قدرتُنا في الإعادة كقدرتِنا في الابتداء.

وقيل: خلَقْناهم من الماء ثم نُعيدُهم من التُّراب.

وقيل: نُعيدهم حفاةً عراةً غُرْلاً كيومَ ولدَتْه أمُّه.

وقيل: المراد بالإعادة: السَّماوات؛ أي: نُفنِيْها ثمَّ نُعيد خَلْقَها في الآخرة كما خلَقْناها في الدُّنيا.

﴿وَعْدًا عَلَيْنَآ﴾؛ أي: وَعَدْنا وَعْداً علينا إنجازُه ﴿إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾: لا خُلْفَ لوعدِنا وقولِنا، وقيل: إنَّا فعَلْنا أوَّلاً وآخِراً لا فاعلَ للخلق غيرُنا.

* * *

(١٠٥) ـ ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ﴾: في كتابِ داودَ عليه السّلام.

و(الزَّبورُ) بالفتح: كتابُ داود، والضَّمُّ لغةٌ فيه[1]، وقيل: الضَّمُّ جمعُ زَبْرٍ، وهو الكتاب، مِن زَبَرْتُه؛ إذا كَتَبْتَه.

﴿مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾ الذِّكْرُ: التَّوراة.

وقيل: الزّبورُ: كُتُب الله المتقدِّمةُ، والذِّكرُ: اللَّوحُ المحفوظ.

وقيل: ولقد كتَبْنا في زبورِ داودَ (بعد الذِّكر): بعدَ العِظَة.

وقيل: الزَّبورُ: كتابُ داودَ، والذِّكرُ: القرآن، و(بعدَ) بمعنى: قبلَ؛ كقوله:

---

(١) قرأ حمزة بضم الزاي والباقون بفتحها. انظر: «السبعة» (ص: ٤٣١)، و«التيسير» (ص: ٩٨).

﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ [النازعات: ٣٠]؛ أي: قبل ذلك، ومثلُه في الظَّرف: (وراءَ) يُستعمَلُ لهما[١].

﴿أَنَّ الْأَرْضَ﴾؛ أي: أرضَ الجنَّة ﴿يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾: المؤمنون.

وقيل: الأرضَ المقدَّسةَ يرثُها بنو إسرائيل.

وقيل: ﴿الْأَرْضَ﴾ الغبراءَ كلَّها ﴿يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ أمَّةُ محمدٍ ﷺ[٢].

* * *

(١٠٦) - ﴿إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾.

﴿إِنَّ فِي هَذَا﴾؛ أي: في القرآنِ ﴿لَبَلَاغًا﴾: سببَ بلوغٍ إلى المقصود ﴿لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾: موحِّدين مطيعين.

وقيل: (بلاغاً): مَقْنعاً ومُكتفًى.

وقيل: (بلاغاً): يبلغون رضوان الله وجزيلَ ثوابه.

وقيل: فيما تعبَّدْنا أمَّةَ محمّدٍ ﷺ من الصَّوم والصَّلاة وغيرِ ذلك بلاغٌ في عبادةِ الله تعالى.

وقيل: في توريث الجنَّة للصَّالحين بلاغٌ في المُجازاة؛ أي: كفايةٌ.

* * *

(١٠٧) - ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ﴾ يا محمَّد ﴿إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾: نعمةً تشملُهم.

---

(١) انظر: «الأضداد» للأنباري (ص: ١٠٧ - ١٠٨)، وانظر: (ص: ٦٨) أيضاً.

(٢) القول الأول قول سعيد بن جبير، والثاني قول الكلبي، والثالث قول ابن عباس، كما في «النكت والعيون» للماوردي (٣/ ٤٧٥).

قيل: هي للمؤمنين خاصَّةً، وإليه ذهب ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما[1].

وقيل: عامٌّ فيهم، أَمِنوا من الخسفِ والمسخِ والعذاب.

وقيل: هو تعريضُهم للنَّعيم الدَّائم، لكنْ فوَّتوه على أنفسِهم بكُفْرِهم.

***

(١٠٨) ـ ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾.

﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾؛ أي: أسلِموا.

***

(١٠٩) ـ ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ وَإِنْ أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾.

﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ فلم يُؤمنوا ﴿فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾: أعلَمْتُكم ما أُمِرْتُ به، وسوَّيْتُ بينكم في الإعلام، لم أُخْفِ عن بعضِكم شيئاً وأُظهرنَّه[2] لغيره.

وقيل: ﴿ءَاذَنتُكُمْ﴾ أنَّا وإيَّاكم حربٌ لا صُلحَ بيننا.

وقيل: ﴿ءَاذَنتُكُمْ﴾ أنَّا ﴿عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾: على عدلٍ.

و﴿عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ صفةُ مصدرٍ محذوفٍ؛ أي: إيذاناً على سواءٍ، وقيل: حالٌ من الفاعل، أو من المفعول، أو منهما جميعاً.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٤٤١) عن ابن زيد، وذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (١٨/ ٢٨١). والمروي عن ابن عباس رضي الله عنهما القول الذي بعده، وهو أنه عام كما رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٤٤٠) بلفظ: «من آمن بالله واليوم الآخر كتب له الرحمة في الدنيا والآخرة، ومن لم يؤمن بالله ورسوله عوفي مما أصاب الأمم من الخسف والقذف». وذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٥٩) بلفظ: «كان محمد عليه السلام رحمة لجميع الناس...»، وانظر: «تفسير الثعلبي» (١٨/ ٢٨١).

(٢) في (ن): «وأظهرته»، والمثبت من «غرائب التفسير» (٢/ ٧٥٠).

﴿وَإِنْ أَدْرِي﴾: ما أدري ﴿أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾؛ أي: لا أدري متى يكونُ يومُ القيامة.

وقيل: لا أدري متى يَحِلُّ بكم العذابُ إن لم تؤمنوا.

* * *

(١١٠) ـ ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾.

﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ﴾ يعني: العَلَانِيَةَ من القولِ ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾: ما تُسِرُّون.

* * *

(١١١) ـ ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾.

﴿وَإِنْ أَدْرِي﴾ يعني: وما أدري ﴿لَعَلَّهُ﴾: لعلَّ تأخيرَ العذابِ عنكم في الدُّنيا ﴿فِتْنَةٌ لَّكُمْ﴾: بلاءٌ واختبارٌ؛ لأنَّهم كانوا يقولون: لو كان التَّوحيد حقًّا لنزَل عذابٌ بنا.

﴿وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾: لتُمتَّعوا بحياتكم إلى الأجلِ المعلوم، وهو الموتُ.

وقيل: إلى يوم بدرٍ.

وقيل: إلى يوم القيامة.

* * *

(١١٢) ـ ﴿قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾.

﴿قُلْ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ﴾: اقضِ بيننا وبين أهلِ مكَّة بالعدل.

وقيل: بما يَستحِقُّ الكفَّارُ على كفرهم.

وقيل: عجِّلْ.

وقُرئ: ﴿قَلَ﴾ على الخبر(١).

وقُرئ: (أَحْكَمُ) على التَّفضيل(٢).

تُعُبِّدوا بهذا الدُّعاء، والله لا يَحْكُم إلَّا بالعدلِ والحقّ.

﴿وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾: العاطفُ على خلقه ﴿ٱلْمُسْتَعَانُ﴾: المطلوبُ منه المعونةُ والنصر.

وقيل: معناه: نسألُه أن يُعينَنا على قتالكم.

﴿عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾: تقولون وتَكذِبون، والله أعلم.

* * *

---

(١) قرأ بها عاصم في رواية حفص، والباقون: ﴿قل﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٤٣١)، و«التيسير» (ص: ١٥٦).

(٢) نسبت لابن عباس والجحدري وعكرمة والضحاك وابن محيصن. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ٩٦)، و«المحتسب» (٢/ ٦٧).

سُورَةُ الحَجِّ

سورة الحج

ثمانٌ وسبعونَ آيةً.

مكّيّةٌ إلّا ثلاثَ آياتٍ من قوله: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟﴾ [٢٠ـ٢٢][١].

وقيل: مدنيّةٌ إلّا أربعَ آياتٍ من قوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ [٥٣ـ٥٧][٢].

وقيل: مكّيّةٌ إلى قوله: ﴿كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [٣٨][٣].

بسم الله الرّحمن الرّحيم

(١) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ هذه اللّفظةُ تدلُّ على أنّها نزلت بمكّةَ، لِمَا سَبَق أنَّ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ خطابٌ لأهلِ مكّةَ.

---

(١) وهو قول مجاهد. انظر: «البيان في عد آي القرآن» للداني (ص: ١٨٩). وذكره الداني عن ابن عباس وعطاء بن يسار، قال: إلّا أن ابن عبّاس لم يذكر إلى أين ينتهين، وذكر عطاء: أنه إلى قوله تعالى: ﴿وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ﴾. قلت: فهي على قول عطاء ست آيات.

(٢) وهو قول قتادة. انظر المصدر السابق.

(٣) قول الجمهور في الحج أنها مختلطة؛ بعضها مكي وبعضها مدني، كما ذكره القرطبي وصححه في «تفسيره» (١٢/ ١)، وذكره الدمياطي في «إتحاف فضلاء البشر» (ص: ٣٩٦)، ويندرج تحت قول الجمهور ما ذكره المصنف هنا، وقد ذكر نحوه ابن الجوزي عن أبي سليمان الدمشقي، إلا أنه جعل آخر المكي قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الحج: ٣٧]. انظر: «زاد المسير» (٣/ ٢٢٠).

﴿ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ﴾: أَطِيعوه واحْذَروا عقابَه.

﴿إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ﴾ فيها قولان:

أحدهما: أنَّها تقعُ في يومِ القيامة(١)، فأضافَ إلى الظَّرف.

وقيل: إنَّما تكونُ في الدُّنيا في آخرِ الزَّمان، ويَتْبَعُها طلوعُ الشَّمس من مَغْربها(٢)، وأُضيفَ إلى السَّاعة لأنَّها من أشراطها.

---

(١) وهذا هو الصواب، فقد روي مرفوعاً بأسانيد صحيحة، رواه الترمذي (٣١٦٩)، والنسائي في «الكبرى» (١١٢٧٧)، والطبري في «تفسيره» (١٦/ ٤٥٠)، من طريق الحسن عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: كنَّا مع النبي ﷺ في مسيرٍ، فتَفاوَتَ بين أصحابه في السَّير، فرَفَع رسول الله ﷺ صوته بهاتين الآيتين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ﴾، فلمَّا سمع ذلك أصحابُه حثُّوا المطي وعَرَفوا أنه عند قولٍ يقوله، فقال: «هل تدرون أيُّ يومٍ ذلك؟» قالوا: اللهُ ورسولُه أعلمُ، قال: «ذلك يومٌ يُنادِي اللهُ فيه آدم فيناديهِ ربُّه فيقولُ: يا آدمُ ابْعَثْ بَعْثَ النار، فيقولُ: أي ربِّ، وما بَعْثُ النار؟ فيقولُ: مِن كلِّ ألفٍ تسعُ مئةٍ وتسعةٌ وتِسعون إلى النار وواحدٌ في الجنة» فيئس القومُ، حتى ما أبدَوْا بضاحكةٍ... الحديث. قال الترمذي: حسن صحيح، وقد روي من غير وجه عن عمران.

ورواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٤٥٠)، والطبراني في «الكبير» ١٨/ (٥٤٦) من طريق سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن العلاء بن زياد العدوي، عن عمران. وهذا إسناد صحيح أيضاً، وبه يزول محذور عدم سماع الحسن من عمران رضي الله عنه.

ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٨٩٥)، والطبري في «تفسيره» (١٦/ ٤٥٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٣٥٤)، والحاكم في «المستدرك» (٧٩) وصححه، من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) رواه نعيم بن حماد في «الفتن» (١٧٨٠)، والطبري في «تفسيره» (١٦/ ٤٤٦)، وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٦/ ٧)، عن علقمة قال: «الزلزلة قبل الساعة». وبنحوه رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٨٩٤).

ورواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٤٤٧)، وابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٦/ ٧)، عن الشعبي بلفظ: «هذا في الدنيا من آيات الساعة».

=

والتَّقدير في الوجهين: زلزلةُ الأرض، وهي تحرُّكُها بشدَّةٍ وعنفٍ.

﴿شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾: هائلٌ فظيعٌ.

الحسن: أشدُّ الزَّلزال ما يكونُ مع قيامِ السَّاعة[1].

وقيل: ﴿زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ﴾ استعارةٌ، والمراد: شدَّتُها[2].

***

(٢) ـ ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾.

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا﴾ قيل: الزَّلزلةَ، وقيل: السَّاعةَ ﴿تَذْهَلُ﴾: تَغْفُلُ، والذُّهولُ: الغَفْلةُ، وقيل: تَسْلُو، وقيل: تَنْسَى ﴿كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾ المرضعةُ: هي التي تُرْضِعُ، والمرضِعُ: ذاتُ الولدِ الرَّضيع[3]، والمراد هاهنا: ذاتُ الولد، ودخلتِ التَّاءُ لمعنيَيْنِ:

أحدهما: ازدواجاً، كقوله: ﴿أَرْضَعَتْ﴾[4].

= قال الطبري: «وهذا القول الذي ذكرناه عن علقمة والشعبيّ ومن ذكرنا ذلك عنه قولٌ لولا مجيء الصحاح من الأخبار عن رسول الله ﷺ بخلافه، ورسول الله ﷺ أعلم بمعاني وحي الله وتنزيله، والصواب من القول في ذلك ما صح به الخبر عنه».

(١) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٧/ ٤٨).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٥١)، واستغربه.

(٣) ذكره الفراء في «معاني القرآن» (٢/ ٢١٤)، وذكر أنه لو قيل في الأم: رضع، وفي ذات الولد: الرضعة، لكان صواباً، ولا حاجة على قوله لتعليل دخول التاء في الآية، والمراد أنه إن أريد وصف المرأة قيل: مرضع، وإن أريد ذكر فعلها قيل: مرضعة. انظر: «المذكر والمؤنث» للأنباري (٢/ ٨٩).

(٤) قاله المبرد في «المقتضب» (٣/ ١٦٣).

والثَّاني: لكونها في المستقبل، كما تقولُ: حائضةٌ غداً وطالقةٌ بعد غدٍ[١].

﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾: محمولَها وهو ولدُها، والجمهورُ على أنَّ هذا في القيامة، وذهب بعضُهم إلى هذا في الدُّنيا مع الزَّلزلة التي من أشراطِ السَّاعة، وقال: لا يكون يومَ القيامة حاملٌ ولا مرضعٌ؛ لأنَّ الخلقَ خارجون من قبورهم، والوجهُ القولُ الأوَّل؛ لقوله ﷺ: «كما تكونون تُبْعَثون»، ويُروى: «كما تموتون تُبْعثون»[٢].

﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ﴾ من الفزَع والخوف ﴿وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾ من الشَّراب.

وقيل: وترى النَّاسَ كالسُّكارى زائلةً عقولُهم مضطربةً نفوسُهم، وما هم بسكارى عن شرابٍ ﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ فهم يخافون.

وقرئ ﴿سَكْرَى﴾[٣]، ولها وجهان:

أحدهما: أنه نزَّل (السُّكرَ)[٤] منزلةَ العِلَل، فجمع فَعْلان على فَعْلَى، نحو: مريضٍ ومرضَى، وصَريعٍ وصَرعَى.

والثَّاني: أنَّها صفةٌ مفردةٌ، كقوله: ﴿حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ [النمل: ٦٠]، وكقولهم: القومُ غَضْبى[٥].

---

(١) انظر: «تصحيح الفصيح» لابن درستويه (ص: ٤١٩ ـ ٤٢٠)، و«شرح الكتاب» للسيرافي (٤/ ١٣٣).

(٢) ذكره النيسابوري في «تفسيره» (٦/ ٩٢)، والقاري في «مرقاة المفاتيح» (٦/ ٢٤٨٩)، ولم أقف له على إسناد. وبمعناه ما رواه مسلم (٢٨٧٨) عن جابر رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ، يقول: «يبعث كل عبد على ما مات عليه».

(٣) وهي قراءة حمزة والكسائي. انظر: «السبعة» (ص: ٤٣٤)، و«التيسير» (ص: ١٥٦).

(٤) في (ن): «السكرى»، والتصويب من «غرائب التفسير» (٢/ ٧٥١).

(٥) ذكر الوجهين الواحدي في «البسيط» (١٥/ ٢٥٠)، والأول هو قول سيبويه، قال قال في «الكتاب» (٣/ ٦٤٩): «قالوا: رجل سكران وقوم سَكرى، ذلك لأنهم جعلوه كالمرضى».

(٣) ـ ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ﴾.

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾؛ أي: بجهلٍ منه.

نزلت في النَّضر بن الحارث، وكان كثيرَ الجِدَال يَزْعُمُ أنَّ القرآن أساطيرُ الأوَّلين، وأنْ لا بعثَ بعد الموتِ ولا حسابَ، وأنَّ الملائكةَ بناتُ الله[1].

وقيل: نزلتْ فيه وفي الوليدِ بن المغيرة[2].

﴿وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ﴾؛ أي: يتَّبعُ في مجادَلَتِه إبليسَ، وقيل: المَرِيدُ: الغاوي، وقيل: المتجرِّدُ للفساد، وأصله: العُرْي والمَلاسةُ.

* * *

(٤) ـ ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾.

﴿كُتِبَ عَلَيْهِ﴾: كَتَب الله على ذلك الشَّيطانِ.

وقيل: كُتِبَ فيما تقدَّم من الكتبِ الإخبارُ بذلك.

﴿أَنَّهُۥ﴾: أنَّ الأمرَ والشَّأن ﴿مَن تَوَلَّاهُ﴾: تَبِعَه[3]؛ أي: تَبِعَ الشَّيطانَ وأحبَّه ونصَرَه.

﴿فَأَنَّهُۥ﴾ يجوزُ أن يكونَ العائدُ إلى الشَّيطان، ويجوزُ أن يكونَ العائدُ إلى ﴿مَن﴾، ويجوز أن يكون للأمر.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٤٥٩) عن ابن جريج، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) ذكر الواحدي في «التفسير البسيط» (١٥/ ٢٥٠) في رواية عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أنها نزلت في الوليد وعتبة بن ربيعة.

(٣) هنا آخر السقط في (ف).

﴿يُضِلُّهُۥ﴾؛ أي: عن سواءِ الصِّراط ﴿وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾: النَّار.

وقيل: تقديره: مَن تولَّى الشَّيطانَ يُضلُّه الله.

قال الزَّجَّاج: الفاءُ للعطف، و(أنَّ) مكرَّرةٌ للتَّأكيد(١).

وردَّ عليه أبو عليٍّ في «إصلاح الإغفال» وقال: ﴿مَن﴾ هاهنا إمَّا أنْ تكونَ شرطاً، وإمَّا أن تكونَ بمعنى (الذي)؛ فإنْ جعَلْتَه للشَّرط فالفاءُ دخل لجزاءِ الشَّرط، وإنْ جعَلْتَه بمعنى الذي فالفاءُ دخل على خبرِ المبتدأ، والتَّقدير: فالأمرُ أنَّه يضلُّه، قال: والعطفُ والتَّأكيدُ يكونان بعد تمام الأوَّل، والمعنى: كُتب على الشَّيطان إضلالُ مَن تولَّاه وهدايتُه إلى النَّار(٢).

***

(٥) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۢ بَهِيجٖ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾: أيُّها الشَّاكُّون في البعث ﴿إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ﴾: في شكٍّ في قدرةِ الله على البعث وفي شكٍّ مِن صدق محمَّدٍ ﷺ ﴿فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم﴾؛ أي: فانظُروا في ابتداءِ خَلْقِكم فإنَّا خلقناكم ﴿مِّن تُرَابٖ﴾ يعني: آدمَ عليه السَّلام ﴿ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ﴾ ثم أولادَه من منيٍّ، والنَّطْفُ: الصَّبُّ، والنُّطفة: المصبوبُ، وقيل: هي الماءُ القليل، وقيل: هي الماءُ الصَّافي.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٤١١).

(٢) انظر: «الإغفال» لأبي علي الفارسي (٢/ ٤٢٠ ـ ٤٢٥).

﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ وهي: الدَّمُ الجامدُ قبلَ أن ييْبَس ﴿ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ﴾ وهي: القطعةُ من اللَّحم مقدارَ ما يُمْضَغُ ﴿مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾: تامٍّ وساقطٍ، وقيل: مصوَّرةٍ وغيرِ مصوَّرةٍ، وقيل: لتمامِ الشَّهر ونقصانه، وقيل: تامِّ الأعضاء وناقصِها.

والمخلَّقةُ: المخلوقة، والتَّشديدُ لتكرارِ الفعل من السَّمع والبصرِ والأنفِ والفم وغيرِ ذلك[1].

﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ رشدَكم وضلالَكم.

وقيل: نقَلْناكم في ابتداءِ الخلق من حالٍ إلى حالٍ مع قُدرتنا على إنشائكم دفعةً واحدةً؛ لنبيِّن لكم قدرتَنا على ما نَشاءُ.

﴿وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ﴾ استئنافٌ ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهو وقتُ الولادة، وقيل: إلى التَّمام.

﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ والطِّفلُ يقعُ على الجمعِ كقوله: ﴿أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ﴾ [النور: ٣١].

وقيل: يُخرجُ كلَّ واحدٍ طفلاً، وقيل: أصلُه مصدرٌ ولهذا لم يُجمع. و﴿طِفْلًا﴾ نصبٌ على الحال.

﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ﴾ هاهنا فعلٌ مضمرٌ؛ تقديره: ثم نربِّيكم ﴿لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ﴾ حدَّ البلوغ، وقيل: أربعين سنةً، وكلاهما من القرآن[2]، وقد سبق[3].

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٧/ ٣٩١).

(٢) أما أن الأشدَّ أربعون سنة فمن قوله تعالى: ﴿إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ [الأحقاف: ١٥]، وأما أنه البلوغ فحملت عليه عدة آيات منها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

(٣) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾ [الأنعام: ١٥٢]. =

وقيل: ﴿أَشُدَّكُمْ﴾ تمامَ فَهْمِكم وعقلِكم.

﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ﴾ عند بلوغِ الأَشُدِّ أو قبلَه أو بعدَه ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾: الهَرَمِ، وهو أهونُه وأخسُّه عند أهله؛ لأنَّه يَصيرُ كلًّا عليهم.

وقيل: أرذلُ العمر: الشَّيبُ؛ لأنَّه لا يرجو بعدَه قوَّةً ولا بقاءً.

وأفاد قولُه: ﴿يُرَدُّ﴾ الرُّجوعَ إلى حالةٍ كان عليها قبلُ، وهي الضَّعفُ زمنَ الطُّفولة وقلَّةُ الفهم.

﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾: لا يستفيدَ علماً، ويَنْسَى ما كان عالماً به.

وقيل: لا يَعْقِلُ بعد عَقْلِه شيئاً.

وقيل: لا يَفهمُ.

وقيل: لا يعملُ بعد عَمَله، حكاه الماورديُّ(١).

والمعنى: ردَدْناه إلى حالِه الأولى في حياته ليَعْلَمَ قدرتَنا على ردِّه بعدَ موتِه.

﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً﴾: يابسةً ساكنةً ميتةً، مِن هَمَدتِ النَّار؛ إذا صارتْ رماداً لم يَبْقَ فيها حرارةٌ، وقيل: أصلُه الدُّروسُ.

﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ﴾: المطرَ ﴿ٱهْتَزَّتْ﴾: تحرَّكت لإخراج النَّباتِ منها ﴿وَرَبَتْ﴾: زادتْ وانتفختْ ونَمَتْ.

وقيل: اهتزَّ نباتُها، فحُذِف المضاف.

الحسن: فيه تقديمٌ وتأخيرٌ؛ أي: ربَتْ واهتزَّتْ(٢).

= وقوله: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [يوسف: ٢٢].

(١) انظر: «النكت والعيون» (٣/ ٢٠٠).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٩).

﴿وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ﴾: صنفٍ ونوعٍ، وقيل: كلِّ لونٍ ﴿بَهِيجٖ﴾: حسنٍ رائقٍ.

والمعنى: حياةُ الأرضِ بنباتها بعد موتها بهمودِها دالَّةٌ على قدرتِنا على إحياء الموتى(١).

* * *

(٦) ـ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ﴾؛ أي: فَعَلَ ذلك ـ وهو ما سَبَق ـ بسببِ أنَّ الله.

أبو عليٍّ: ﴿ذَٰلِكَ﴾ مبتدأٌ ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ﴾ خبرُه(٢).

الزَّجَّاج: الأمرُ ذلك(٣). وردَّ عليه أبو عليٍّ وقال: يَبْقَى الجارُّ غيرَ متعلِّقٍ بشيءٍ(٤).

﴿هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾: المستحِقُّ لكمالِ الصِّفات ﴿وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ كما أَحْيا الأرضَ ﴿وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾: قادرٌ.

* * *

(٧) ـ ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾.

﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا﴾ لا تَرْتابوا فيها ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ فقد قام الدَّليلُ على ذلك.

* * *

---

(١) في (ف) زيادة: «فيها».

(٢) انظر: «الإغفال» لأبي علي (٢/ ٤٢٨ ـ ٤٢٩).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٤١٣)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٥٣)، وعدَّه من العجائب.

(٤) انظر: «الإغفال» (٢/ ٤٢٩).

(٨) ـ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ﴾ في صفاتِه فيَصِفُه بغيرِ ما هو له، نزلَتْ في النَّضْر بنِ الحارث كما سبق[١].

وقيل: نزلتْ في أبي جهلٍ[٢].

وقيل: في المشركين.

﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: حجَّةٍ وبرهانٍ وعقلٍ ﴿وَلَا هُدًى﴾: سُنَّةٍ متَّبعةٍ ﴿وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾: واضحٍ مُبِينٍ أُنزل من عند الله. وحصولُ علمِ الإنسان من هذه الوجوهِ الثَّلاثة.

***

(٩) ـ ﴿ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾.

﴿ثَانِىَ عِطْفِهِۦ﴾؛ أي: متكبِّراً، والعِطْفُ: الجِيْدُ.

قتادةُ: لاوِياً عُنقَه[٣].

وقيل: لاوياً رأسَه مُعْرِضاً عن استماعِ ما قيلَ له.

وقيل: هو إدبارُه وإعراضُه عن الحقِّ استخفافاً به.

﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: يجادلُ ليُضِلَّ عن دِينه.

﴿لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ﴾ قيل: يومَ بدرٍ ﴿وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ وهو النَّارُ، أي: جُمعَ له عذابُ الدُّنيا وعذابُ الآخرة.

---

(١) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ﴾ [الحج: ٣].

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٥/ ٢٧٧) من رواية عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٩٠٢)، والطبري في «تفسيره» (١٦/ ٤٧٠).

(١٠) ـ ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾.

﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾؛ أي: يقالُ له يومَ القيامة: هذا التَّعذيبُ بكُفرِك وتكذيبِك محمَّداً ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ بل يجازِيْهم على أعمالهم، وذُكر الظَّلَّامُ بلفظِ المبالغةِ لمَّا اقترن بالعبيد وهو اسمُ الجمع[١].

* * *

(١١) ـ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ في سبب النُّزول: أنَّها نزلت في أعرابٍ كانوا يَقْدَمون على رسول الله ﷺ المدينة مهاجِرين من بادِيَتهم، وكان الواحدُ منهم إذا قَدِم المدينة فإنْ صحَّ بها جسمُه، ونُتِجَتْ فرسُه مُهْراً حَسَناً، وولَدَتِ امرأتُه غلاماً، وكثُر مالُه ومواشيه، رضي به واطمأنَّ، وقال: ما أَصَبْتُ مُذْ دخلتُ في دِيني هذا إلَّا خيراً، وإنْ أصابه وجعُ المدينة، وولدَتِ امرأتُه جاريةً، وأَجْهَضَتْ رِماكُه[٢]، وذهب مالُه، أتاه الشَّيطان فقال له: واللهِ ما أَصبْتَ مُذْ دَخلْتَ في دِينكَ هذا إلّا شرًّا، فيَنقلِبُ عن دِينه[٣].

---

(١) أي: قوله: ﴿لِّلْعَبِيدِ﴾ هو جمع، وهو محلًّى بلام الاستغراق، فإذا وُزع نفي الظلم عن كلِّ فردٍ فردٍ من أفراد هذا العامِّ يكون الأنسب فيه صيغة تناسب هذا التكثير وهي صيغة المبالغة، فصح أن يُقال: ﴿لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾، وقيل: إنَّ نفي كثير الظلم يستلزم نفي قليله، وقيل: إنَّ صيغة المبالغة لا تدلُّ إلا على ما يدل عليه اسم الفاعل في سياق النفي، وقيل: إن صيغة المبالغة فيها بمعنى الصفة المشبهة، فمعنى ظلَّام: ذو ظلم، انظر: «معترك الأقران» للسيوطي (١/ ٣٢٦)، و«فتوح الغيب» للطيبي (٧/ ١٣٢).

(٢) جمع رَمَكَةٍ، وهي الفرس أو البرذونة التي تُتَّخذ للنَّسل. انظر: «العين» مادة، (ر م ك) (٥/ ٣٧٠)، و«تاج العروس» مادة: (ر م ك) (٢٧/ ١٧٧).

(٣) ذكره بهذا اللفظ الثعلبي في «تفسيره» (١٨/ ٣٠٤) دون نسبة، وعزاه تلميذه الواحدي في «البسيط» =

وعن عطيَّة عن أبي سعيدٍ الخُدْريِّ رضي الله عنه قال: أسلم يهوديٌّ فذهب بصرُه ومالُه وولدُه، فتشاءمَ بالإسلام، فأتى النَّبيَّ ﷺ وقال: أَقِلْني، قال: «إنَّ الإسلامَ لا يُقال»، قال: إنِّي لم أُصِبْ في دِيني هذا خيراً؛ ذهبِ بصري ومالي وولدي، فقال: «يا يهوديُّ، إنَّ الإسلامَ لَيَسْبِكُ الرِّجالَ كما تَسْبِكُ النَّارُ خَبَثَ الحديد والفضَّة والذَّهب»، فنزلت: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖ﴾[1]؛ أي: على حدٍّ من دِينه غيرِ متوغِّلٍ فيه.

وقيل: على طَرَفٍ، وحرفُ الشَّيء: طَرَفه.

وقيل: على شكٍّ.

وقيل: على ضعفٍ كضعفِ القائمِ على حرفٍ.

وقيل: على لَونٍ واحدٍ، وهو تتبُّعُ مُراده.

وقيل: هو المنافقُ؛ يؤمِنُ بلسانه دون قلبه[2]، والمؤمِنُ يعبدُ الله على حرفينِ؛ لسانِه وقلبِه.

= (١٥/ ٢٨٨) للكلبي وغيره من المفسرين، وفي «أسباب النزول» (ص: ٣٠٧) للمفسرين، ورواه باختلاف يسير الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٤٧٢ ـ ٤٧٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وإسناده ضعيف، لكنه صح عن ابن عباس رضي الله عنهما مختصراً عند البخاري (٤٧٤٢) بلفظ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖ﴾ قال: «كان الرجل يقدم المدينة، فإن ولدت امرأته غلامًا، ونتجت خيله، قال: هذا دين صالح، وإن لم تلد امرأته ولم تنتج خيله، قال: هذا دين سوء».

(١) رواه ابن مردويه كما في «الكافي الشاف» (ص: ١١٢)، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٠٧)، قال ابن حجر: «وإسناده ضعيف». وأخرج العقيلي نحوه في «الضعفاء» (٣/ ٣٦٨) من رواية عنبسة بن سعيد عن أبي الزبير عن جابر ولم يذكر فيه نزول الآية. قال الحافظ: «وعنبسة ضعيف جدًّا».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٨/ ٣٠٦) عن الحسن، وذكر اللذَين قبله بلا نسبة.

وقيل: الحرفُ عند العرب ما لا تمكُّن له ولا حقيقةَ لشأنه، قال:

رِكابـي علـى حَـرْفٍ وَقَلْبـي مُشَيَّعٌ وغيـرُ بِـلادِ الباخِلِـيْنَ بِـلادُ[1]

الكلبيُّ: على حرفِ دينٍ[2].

وقيل: هو كقوله: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ [النساء: ١٤٣][3].

﴿فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ﴾: صحَّةٌ ومالٌ ومحبوبٌ ﴿ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ﴾: سكَنَ واستقرَّ به بسبب الخيرِ الذي أصابه، وقيل: ﴿بِهِۦ﴾ أي: بالدِّين فيَعْبُدُ الله.

﴿وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ﴾: مرضٌ وفقرٌ ومكروهٌ ﴿ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾؛ أي: انْقَلَب إلى الكفر، وقيل: قَلَب وجهَه عمَّا كان عليه، وقيل: معناه: تغيَّر عمَّا كان عليه؛ كما يقال: قلَبَ ظَهْرَ المِجَنّ[4].

﴿خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ﴾: خسرَ الدُّنيا حيث لم يَعمل فيها خيراً، والآخرةَ حيث لا يَنالُ نعيماً.

وقيل: قُتل في الدُّنيا وحُرم الجنَّة في العُقبى.

وقيل: معناه: لم يظفر بمراده.

﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: خسرانُ الدُّنيا والآخرةِ ﴿هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾: الظَّاهرُ حالُه، لا خُسرانَ أَخْسَرُ منه.

---

(١) البيت لبشار بن برد. انظر: «ديوانه» (٣/ ٤٩)، و«الأغاني» للأصفهاني (٣/ ١٤١)، و«الدر الفريد» للمستعصمي (٢/ ٢١٩)، و«خزانة الأدب» للبغدادي (٣/ ٢٢٩).

(٢) لم أقف عليه عن الكلبي. وبه فسره كثير من المفسرين؛ منهم مكي في «الهداية» (٧/ ٤٨٥٢)، والبغوي في «تفسيره» (٥/ ٣٦٨)، والزمخشري في «الكشاف» (٣/ ١٢٦)، وكذا متابعوه: الرازي والبيضاوي والنسفي والنيسابوري والآلوسي.

(٣) انظر: «تفسير الرازي» (٢٣/ ٢٠٨)، و«المفردات» للراغب (ص: ٢٢٨).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٥٣)، واستغربه.

(١٢) ـ ﴿ يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴾.

﴿ يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ﴾: يَعبُدُ ما لا نَفْعَ فيه ولا ضرَّ ﴿ذَٰلِكَ ﴾؛ أي: ذلك الفعلُ ﴿هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴾: العُدولُ عن الصَّواب.

* * *

(١٣) ـ ﴿ يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦۚ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴾.

﴿ يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ ﴾؛ أي: لَمَن ضَرُّ دعائه أقربُ مِن نَفْعِه؛ لأنَّه يُوجب القتلَ في الدُّنيا، والنَّارَ في الأُخرى[١].

﴿لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ ﴾ الصَّنمُ ﴿وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴾ الصَّاحبُ والخليطُ، وأصلُه الجمع، ومنه: العشيرةُ والعَشْرُ والعِشْرةُ، وبُرْمةٌ أعشارٌ[٢].

وقيل: ﴿ٱلْمَوْلَىٰ ﴾ هاهنا: ابنُ العمِّ، و﴿ٱلْعَشِيرُ ﴾: الخليط.

وقيل: ﴿ٱلْمَوْلَىٰ ﴾: ابنُ العمِّ، و﴿ٱلْعَشِيرُ ﴾: العشيرة؛ أي: بئسَ ابنُ العمِّ هذا الذي يَعبدُ اللهَ على حرفٍ.

وفي لامِ ﴿ يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ ﴾ أقوالٌ:

قيل: هي زيادةٌ، و(مَن) مفعولُ ﴿يدعو﴾.

وقيل: اللَّامُ مقدَّمٌ والنيَّة به التَّأخيرُ؛ أي: يدعو مَن لضرُّه أقربُ من نَفْعِه، وهو[٣]

---

(١) في (ف): «العقبى».

(٢) البرمة: القدر، و«برمة أعشار»: إذا انكسرت قطعًا. انظر: «الصحاح» مادة: (ع ش ر).

(٣) في (ف): «وهذا».

قول الزَّجَّاج(١)، وزيَّفه أبو عليٍّ(٢).

وقيل: هو جوابُ قسمٍ.

وقيل: ﴿يدعو﴾ بمعنى: يقولُ، و﴿لَمَن ضَرُّهُۥٓ﴾ مبتدأٌ، وخبرُه مضمرٌ تقديره: لَمَن ضرُّه أقربُ من نَفْعه مولايَ(٣).

وقيل: ﴿يدعو﴾ تكرارٌ للأوَّل، ومفعولُه هو مفعولُ الأوَّل، ﴿لَمَن ضَرُّهُۥٓ﴾ مبتدأٌ خبرُه ﴿لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ﴾.

وقيل: ﴿يدعو﴾ حالٌ من ﴿ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ﴾.

وقيل: ﴿ذَٰلِكَ﴾ هاهنا موصولٌ ﴿هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ﴾ صلتُه، وهو نصبٌ بـ﴿يدعو﴾(٤)، ويجوز أن يكون رفعاً و﴿يدعو﴾ خبرُه، على تقدير: يدعوه.

***

(١٤) - ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ لا دافعَ لإرادته ولا مانعَ.

---

(١) ونسبه للبصريين والكوفيين انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٤١٥)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٥٣)، وعدَّه من العجائب.

(٢) انظر: «الإغفال» لأبي علي الفارسي (٢/ ٤٣٧) وما بعدها.

(٣) هذا القول ذكره الزجاج أيضاً، وارتضاه أبو علي. انظر «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٤١٦)، و«الإغفال» لأبي علي (٢/ ٤٤٣).

(٤) ذكر المصنف هذا القول في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٥٤)، واستغربه، وذكر الثلاثة التي سبقته بلا إنكار، وذكر الثلاثة الأول راداً الثاني منها، مستبعداً الأول والثالث.

(١٥) ـ ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ﴾.

﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ قيل: نزلت الآيةُ ابتداءً من الله عزَّ وجلَّ من غيرِ سببٍ ذكرٍ كأكثرِ القرآن.

وقيل: هو متَّصلٌ بقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾.

وقيل: نزلت في قومٍ من أسدٍ وغطفانَ تباطَؤوا عن الإسلام، وقالوا: نخافُ أن لا يُنصَرَ محمَّدٌ فيُقطَعَ الذي بيننا وبين حلفائنا من اليهود فلا يُجيروننا ولا يُؤْوُوننا[١].

وقيل: كان قومٌ من المسلِمين لشدَّة غيظِهم على المشركين يستبطِئُون ما وُعد لهم من النُّصرة، وآخرون من المشركين يريدون اتِّباعه، ويَخْشَون أنْ لا يَتِمَّ أمرُه، فنزلت الآية[٢].

فـ﴿مَن﴾ في قوله: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ﴾ عامٌّ على قولِ مَن لَمْ يَحْكِ للآية سببَ نزولٍ، وخاصٌّ في قولِ مَن يَحْكِي له سبباً.

---

(١) أورده السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٤٥٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهو في «تفسير مقاتل» (٣/ ١١٩)، وذكره بلا نسبة الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٤٨٤)، والثعلبي في «تفسيره» (١٨/ ٣١١)، والواحدي في «البسيط» (١٥/ ٣١٣).

(٢) ذكره ابن قتيبة في «تأويل مشكل القرآن» (ص: ٢١١)، وعنه السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٤٥٢)، والواحدي في «البسيط» (١٥/ ٣١٠). والظاهر من المصادر السابقة أنه ليس خبراً مروياً في سبب نزول الآية بل هو من شرح ابن قتيبة للآية، فقد جاء عنده بدل قول المؤلف: «فنزلت»: «فقال تعالى: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ﴾...»، وقدَّم الواحديُّ لما نقله عن ابن قتيبة بقوله: «وشرح ابن قتيبة هذه الآية على هذا القول بأبلغ بيان فقال...».

والهاءُ في ﴿يَنصُرَهُ﴾ يعودُ إلى محمَّدٍ ﷺ وإنْ لم يتقدَّم ذكرُه في هذه السُّورة؛ لأنَّ القرآن كلَّه كسورةٍ واحدةٍ[١].

وقيل: يعود إلى ﴿مَن﴾، والمعنى: ينصرَه اللهُ على أعدائه، وقيل: معناه: يرزقَه بكثرةِ الأمطار ورُخصِ الأسعار، من قولهم: أرضٌ منصورةٌ؛ أي: ممطورةٌ[٢].

قوله: ﴿فِي ٱلدُّنْيَا﴾؛ أي: بالغَلَبة والحجَّة، ﴿و﴾ في ﴿الآخرةِ﴾ بالحُجَّة والشَّفاعة والثَّواب.

﴿فَلْيَمْدُدْ﴾: فلْيَطْرحْ ولْيَشْدُد ﴿بِسَبَبٍ﴾: بحبلٍ ﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾: إلى سقفِ البيت، وقيل: إلى الهواءِ جهةَ السّماء، وقيل: إلى السَّماء الدّنيا.

﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾ قيل: معناه: فلْيَختنِقْ، والعرب تقول: قَطَع فلانٌ؛ إذا اخْتنَق، حكاه المحقِّقون منهم.

وقيل: فلْيَقْطعِ الحَبْلَ. وقيل: فلْيَقطَعْ مَسافةَ السَّماء. وقيل: فلْيَقطعِ الأرض، وهذا كما خاطبَه بقوله: ﴿أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام: ٣٥].

وقيل: فلْيَقْطَعْ تلك المادَّةَ[٣]. وقيل: فلْيَقطَعْ عُنقَه. وقيل: فلْيَقْطَعِ الحبلُ عنقَه.

---

(١) هذه العبارة مروية عن الحسن، كما في «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (١٠/ ١٨٦)، وذكرها مكي في «الهداية» (١٢/ ٧٨٥٠)، لكن المصنف كرَّرها مرَّات، منها ما تقدم في مطلع سورة الأنفال، وما سيأتي في الشعراء، وربما يدل هذا على أن المصنف ينظر إلى القرآن الكريم نظرة كلية، وكأنه يمهد الطريق للتفسير الموضوعي للقرآن الكريم.

(٢) هذا مذهب أبي عبيدة في تفسير الآية. انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٤٦)، وانظر: «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (ص: ٢١٢).

(٣) أوضح المصنف هذه العبارة في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٥٤) فقال: «فليقطع مادة النُّصرة منَّا؛ فإن النصرة ثابتة من السماء».

وقوله: ﴿فَلْيَنظُرْ﴾ مَن جَعَل (فليقطع) أو ﴿فَلْيَمْدُدْ﴾ كنايةً عن مُهْلِكٍ جَعَل ما بعدَه من الفعلِ على سبيل التَّوهُّم؛ أي: لِيَتوهَّمْ هذه الحالةَ في نَفْسه، وليس بأمرٍ حَتْمٍ.

قوله: ﴿هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ﴾: خَنْقُه وقَطْعُه على ما فُصِّل ﴿مَا يَغِيظُ﴾: الذي يَغِيظُه ويَسُوءه، وقيل: ﴿مَا﴾ للمصدر؛ أي: غيظَه.

وفي معنى الآيةِ أقوالٌ:

أحدها: مَن ظنَّ أنْ لن يَنصُرَ اللهُ محمَّداً في الدُّنيا والآخرة، وغاظه نصرُ الله إيَّاه فلْيَخْتَنِقْ وليمت غيظاً، كما يقال: مَن لم يحبَّ هذا فلْيَخْتَنِقْ، ومَن لم يَرْضَ هذا فرأسُه والجدار.

وقيل: معناه: فلْيَمْدُدْ بحبلٍ إلى السَّماء فلْيَرْتَقِ فيه ثم لْيَقْطَعِ الحبلَ حتى يَخِرَّ فيَهْلِكَ فيَنْظُرَ هل يَنفعُه ذلك.

وقيل: مَن ظنَّ أنْ لن يَنصُرَ اللهُ محمَّداً فلْيَمُتْ غيظاً.

وقيل: مَن ظنَّ أنْ لن يَنصرَ اللهُ محمّداً وأراد قَطْعَ مادَّة النُّصرة والوحيِ منه فلْيَمدُدْ بحبلٍ إلى السَّماء ولْيَعْرُجْ إليها ولْيَقْطَعْ تلك المادَّة، فإنَّها تأتيهِ من السَّماء مع الملائكة.

وقيل: معناه: مَن لم يثِقْ بوعدِ محمَّدٍ واستَعْجَلَ فلْيَخْتَنِقْ ولْيَجْتهِدْ جُهْدَه.

وقيل: معناه: مَن كان يَحسَبُ أنْ لن يَرْزُقَ اللهُ محمَّداً وأمَّتَه فيوسِّعَ عليهم مِن فضلِه في الدُّنيا والآخرةِ من جزيلِ عطائهِ فلْيُهْلِكْ نفسَه، فإنَّ ذلك كائنٌ لا محالةَ.

وقيل: معناه: مَن كان يظنُّ أنْ لن يَرزُقَه اللهُ فلْيَمْدُدْ حبلاً يَختَنِقُ به، هل يأتيه ذلك الرِّزق؟ فيكونُ العائدُ إلى ﴿مَن﴾ والنُّصرة: الرِّزق، كما سبق.

وقيل: معناه: مَن استَبْطأَ رِزقَ الله ونصرَه وطلَبَ الموعودَ عاجلاً فلْيُهْلِكْ نفسه بخنقٍ أو خُرورٍ من الهواء، فإنَّ لذلك وقتاً لا يجوزُ إيقاعُه إلَّا فيه، واللهُ أعلم.

* * *

(١٦) ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾؛ أي: كما بيَّنَّا ابتداءَ الخلقِ والمعادَ ﴿أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾: واضحاتٍ؛ يريد: جميعَ القرآن.

وقيل: كما بيَّنَّا قدرتَنا على الخَلْقِ عقلاً أنزلنا آياتٍ؛ أي: في القرآن آياتٌ واضحاتٌ بصحَّةِ ذلك.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ﴾؛ أي: ولأنَّ اللهَ يَهْدي إلى النُّبوَّة مَن يريدُ، وقيل: إلى التَّوبة.

الحسن: يَهْدِي مَن يهتدِي بهُداه[1].

* * *

(١٧) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: يَحْكُم بينهم؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ يدَّعي أنَّه على الحقِّ وصاحبُه مُبْطِلٌ.

والثَّاني: يفرِّقُ بينهم، فالمؤمنون في الجنَّة والكافرون في النَّار.

---

(١) ذكر نحوه الرازي في «تفسيره» (٢٣/ ٢١١) بلفظ: «إن الله يهدي مَن قبل، لا مَن لم يقبل».

وخبر ﴿إِنَّ﴾ الأوَّلِ ﴿إِنَّ﴾ الثَّاني؛ كما تقول: إنَّ زيداً إنَّ أباه قائمٌ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾: عالمٌ به حافظٌ له.

* * *

(١٨) ـ ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُۤ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ﴾.

﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُۤ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ هو على العموم، وسجودُهم سجودُ طاعةٍ، وقيل: طبعاً، وفيه بُعْدٌ.

﴿وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ خصوصٌ في المؤمنين.

﴿وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ﴾ في سجودِها ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّها تسجدُ لكنَّا لا نَقِفُ على سجودِها كما لا نَقِفُ على تسبيحها، من قوله: ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡ﴾ [الإسراء: ٤٤].

وقيل: سجودُها بظلالها كما في الآية الأخرى[1].

وقيل: سجودُها: دلالتُها على وحدانيَّةِ اللهِ، وحملُ غيرِها على السُّجود عند الاستدلالِ، وتأتِّيها لمراده.

﴿وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ هو عطفٌ على الأوَّل؛ أي: يسجدُ كثيرٌ من النَّاس، وهم المؤمنون.

وقيل: استئنافٌ؛ أي: وكثيرٌ من النَّاس حَقَّ له الثَّوابُ، ودلَّ عليه ما بعدَه من قوله: ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُ﴾ بكفرِه وإبائه السُّجودَ.

---

(١) وهي قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ﴾ [الرعد: ١٥].

وقيل: ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾ أيضاً معطوفٌ على الأوّل إذا أردت بالسُّجود سجودَ الظِّلِّ أو سجودَ الدَّلالةِ؛ لأنَّ ذَيْنِكَ موجودان في الكفَّار، و﴿حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾ صفتُه.

والجمهورُ على أنَّ قوله: ﴿وَكَثِيرٌ﴾ مبتدأٌ ﴿حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾ خبرُه.

﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ﴾ بالشَّقاوة وإدخالِ النَّار ﴿فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾: يُكرِمُه بالسَّعادة وإدخالِ الجنَّة، وقرئ في الشَّواذِّ: (من مُكْرَمٍ) بالفتح[1]؛ أي: إكرام.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ من الإهانةِ والإكرام.

* * *

(١٩) ـ ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ﴾.

﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ﴾ في سببِ النُّزول: رواه البخاريُّ في «صحيحه»: أنَّ أبا ذرٍّ رضي الله عنه كان يقول: أُقْسِمُ باللهِ لقد نزلَتْ هذه الآيةُ في هؤلاء السِّتَّة: حمزةَ وعليٍّ وعبيدةَ وعُتبةَ وشيبةَ والوليدِ بنِ عُتبةَ[2].

وعن عليٍّ رضي الله عنه أنَّه قال: فينا نزلَتْ هذه الآيةُ وفي مبارَزَتِنا يومَ بدرٍ[3].

ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: هم أهلُ الكتاب قالوا للمؤمنين: نحن أولى بالله

---

(١) قرأ بها أبو معاذ كما في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٧)، وهي قراءة ابن أبي عبلة، كما في «المحرر الوجيز» لابن عطية (٤/ ١١٣).

(٢) رواه البخاري (٣٩٦٩)، ومسلم (٣٠٣٣).

(٣) رواه البخاري (٣٩٦٧).

منكم؛ كتابُنا ونبيُّنا قبل كتابِكُم ونبيِّكم، وقال المؤمنون: نحن أحقُّ بالله آمنَّا بنبيِّنا ونبيِّكم وما أَنْزَلَ اللهُ من كتابٍ(١).

الحسن: هما جملةُ المؤمنين والكافرين اختصَموا في دين الله(٢).

قوله: ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ﴾ يريد: جمعَ الكفَّار وجمعَ المؤمنين، وهو مصدرٌ فلا يثنَّى ولا يُجمَعُ مع التَّثنية والجمع(٣).

وقيل: جمعُ خاصمٍ كراكِبٍ ورَكْبٍ(٤).

﴿ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡ﴾ فجُمع حملاً على المعنى(٥).

عكرمةُ: الخصمان: الجنَّة والنَّار(٦)، روى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: «تحاجَّتِ الجنَّةُ والنَّارُ، فقالت النَّار: أُوْثِرْتُ بالمتكبِّرين والمتجبِّرين، وقالت الجنَّةُ: ما لي لا يَدْخُلُني إلّا ضعفاءُ النَّاس؟ فقال اللهُ للجنَّة: إنَّما أنت رحمتي أَرحمُ بكِ مَن أشاءُ مِن عبادي، وقال للنَّار: إنَّما أنتِ عذابي أعذِّبُ بكِ مَن أشاءُ من عبادي، ولكلِّ واحدةٍ منكما مَلْؤُها»(٧).

﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ﴾ هذا أحدُ الخصمين، ومعنى ﴿قُطِّعَتۡ﴾: قُدِّرت

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٤٩١) عن ابن عباس بإسناد ضعيف.

(٢) ذكره مكي بن أبي طالب في «الهداية» (٧/ ٤٨٦٢).

(٣) إلا إذا اختلف النوعان، كما في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٥٥).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٥٥)، واستغربه.

(٥) لأن كل واحد من الخصمين جمع، ولذلك لم يقل: اختصما. انظر: «تصحيح الفصيح» لابن درستويه (ص: ٢٥٤)، و«تفسير السمرقندي» (٢/ ٤٥٤).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٤٩٣).

(٧) رواه البخاري (٤٨٥٠)، ومسلم (٢٨٤٦).

وجُعِلت وسوِّيت ﴿لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾؛ أي: النَّارُ أحاطت بهم كإحاطةِ الثِّياب المقطوعة.

وقيل: يذابُ النُّحاس عليهم فيَصيرُ مثلَ الثِّياب عليهم.

سعيدُ بن جُبيرٍ: ﴿ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾؛ أي: نحاسٍ، وليس شيءٌ أشدَّ حرًّا منه إذا أُحمي[1]. ومثلُه قولُه: ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ﴾ [إبراهيم: ٥٠] وهو النُّحاس.

﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ﴾: الماءُ الحارُّ الشَّديدُ الحرارة المحرِقُ مِن حرارته.

***

(٢٠) ـ ﴿يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ﴾.

﴿يُصْهَرُ بِهِۦ﴾: بالحَميم؛ أي: يُذابُ، تقول: صَهَرَتْه الشَّمس؛ أي: أذابَتْه، والصُّهارة: الألْيَةُ المُذابةُ.

﴿مَا فِى بُطُونِهِمْ﴾: أجوافِهم من الأحشاء ﴿وَٱلْجُلُودُ﴾ هي: عطفٌ على ﴿مَا فِى بُطُونِهِمْ﴾؛ أي: إذا بلَغ الحميمُ رؤوسَهم أذابَ اللَّحمَ والعَظم، ووصلَ إلى الجوف فأذاب الأمعاء، ثم سالت جلودُهم.

***

(٢١) ـ ﴿وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾.

﴿وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾: يُعذَّبون بها، جمعُ مِقْمَعةٍ، وهي: سلاحٌ كالمِدَقَّة، وقيل: هي السِّياط، وحقيقتُها ما يُقْمَعُ به؛ أي: يُكَفُّ بعُنفٍ.

وقيل: فيه تقديمٌ وتأخيرٌ، وتقديرُه: ولهم مقامعُ من حديدٍ يُثْقَبُ بها رؤوسُهم ثم يُصَبُّ فيها مِن فوق رؤوسِهم الحميمُ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٤٩٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٤٨١).

وقال بعض المفسِّرين: مقامعُ جمعُ مِقْمَعٍ، وهو القِمْعُ[١] واحدُ الأقماع، وفي الآيةِ تقديمٌ وتأخيرٌ كما حَكَيْتُ.

* * *

(٢٢) ـ ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ﴾.

﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا﴾: من النَّار ﴿مِنۡ غَمٍّ﴾: من غمِّها وحُزنها.

وقيل: الغمُّ هاهنا: تغطيةُ العذابِ لهم والأخذُ بكَظَمهم[٢]؛ لأنَّ ما هم فيه أعظمُ من الحزن.

﴿أُعِيدُواْ فِيهَا﴾: بالمقامع ﴿وَذُوقُواْ﴾؛ أي: يقالُ لهم: ذوقوا ﴿عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ﴾ النَّارَ. ثم ذكَر الخصمَ الآخرَ فقال:

(٢٣) ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا﴾: يَلْبَسون فيها ﴿مِنۡ أَسَاوِرَ﴾: جمعُ أَسْوِرَةٍ، وأَسْوِرَةٌ جمعُ سِوَارٍ، وهو: ما يُلْبَس في الذِّراع ﴿مِن ذَهَبٖ﴾ أو فضَّةٍ ﴿وَلُؤۡلُؤٗا﴾: مَن جرَّه[٣] جعَله عطفاً على ﴿ذَهَبٖ﴾ والمعنى: مرصَّعةً، وقيل: جعَلَه عطفاً على ﴿أَسَاوِرَ﴾، ومَن نَصَبه

---

(١) قال الزبيدي في «تاج العروس» مادة: (ق م ع) (٢٢/ ٩٧): «والقَمْعُ بالفتح والكسر وكعِنَب... والعامة تقول بالضم، وهو غلط».

(٢) ذكر هذا القول الخطيب الإسكافي في «درة التنزيل» (١/ ٩٢٤)، والكَظَمُ، محركةً: الحَلْقُ أو مَخْرَجُ النَّفَس. انظر: «النهاية» مادة: (ك ظ م).

(٣) قرأ نافع وعاصم بالنصب، وباقي السبعة بالجر. انظر: «السبعة» (ص: ٤٣٥)، و«التيسير» (٦/ ٧٥).

جَعَله عطفاً على ﴿أَسَاوِرَ﴾ في المعنى؛ أي: يحلَّون أساورَ ويحلَّون لؤلؤاً.

وكرَّر ﴿مِنْ﴾ لأنَّ الأوَّلَ للتَّبعيض والثَّاني للتَّبيين.

و﴿فِيهَا﴾ ظرفُ ﴿يُحَلَّوْنَ﴾، وقيل: صفةٌ لـ﴿أَسَاوِرَ﴾ تقدَّمتْ عليها فهي حالٌ لها(٤)، وأفاد أنَّها معدَّةٌ.

﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾: ثيابُهم من إبريسم.

* * *

(٢٤) - ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ﴾.

﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾: أُرْشِدوا إليه ودُلُّوا عليه في الدُّنيا.

و﴿ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾: لا إلهَ إلَّا الله محمَّدٌ رسول الله.

وقيل: القرآن.

وقيل: سبحان الله والحمد لله.

وقيل: إلى البشاراتِ التي تأتيهِم من الله في الجنَّة، وإلى التَّحيَّة والسَّلام من الله؛ كقوله: ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ [إبراهيم: ٢٣].

﴿وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ﴾؛ أي: الإسلام، و﴿ٱلْحَمِيدِ﴾ هو الله سبحانه، بمعنى: حامدٍ، وقيل: محمودٍ، وقيل: طالبِ حمدٍ.

وقيل: ﴿ٱلْحَمِيدِ﴾ الإسلام. أي: إلى صراط الإسلام، وقيل: هُدُوا إلى طريق الجنَّة.

* * *

---

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٥٥)، واستغربه.

(٢٥) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ نزلتْ في أبي سفيانَ وأصحابِه حين صَدُّوا رسولَ الله عن البيت[1]، والمعنى: إنَّ الذين كفروا فيما مضَى ويَصدُّون عن سبيل الله الآن.

وقيل: ﴿يصدّون﴾ بمعنى: صَدُّوا؛ أي: يَمنَعون ويَمتنِعون[2] من الدُّخول في الإسلام.

﴿وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾؛ أي: ويصدُّون عن المسجدِ الحرام والدُّخولِ فيه والطَّوافِ بالبيت ﴿ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾: ﴿ٱلْعَٰكِفُ﴾: مَن كان مِن أهله، ﴿وَٱلْبَادِ﴾: مَن نَزَع إليه بحجٍّ أو عمرةٍ.

وقيل: المقيمُ وغيرُ المقيم، والعُكوفُ: الإقامةُ، ﴿وَٱلْبَادِ﴾: نازلُ بدوٍ.

وقرئ ﴿سَوَاء﴾ بالرَّفع والنَّصب[3]؛ الرَّفعُ على أنَّه خبرٌ والمبتدأُ مؤخَّرٌ؛ أي: العاكفُ فيه والبادِ سواءٌ، ومَن نَصَب جَعَله مفعولاً ثانياً أو حالاً، وارتَفَع به ﴿العاكف﴾ و﴿الباد﴾.

والمعنى: هما سواءٌ في النُّزول به، وليس أحدُهما أحقَّ به مِن الآخر. وقيل: هما سواءٌ في قضاء النُّسك وتعظيمِ الحُرمة وأداءِ الواجب فيه عليهما.

﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ﴾: الباءُ زيادةٌ؛ أي: إلحاداً، وقيل: تقديرُه: ومَن يُرِدْ

---

(١) ذكره الجرجاني في «درج الدرر» (٣/ ١٢٥٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) «ويمتنعون» من (ق).

(٣) قرأ حفص بالنصب، والباقون بالرفع. انظر: «السبعة» (ص: ٤٣٥)، و«التيسير» (ص: ١٥٧).

إرادةً بإلحادٍ. وقيل: الفعلُ محمولٌ على المصدر؛ أي: مَن إرادتُه بإلحادٍ[١]، كما سبق في اللَّام[٢]. وباءُ ﴿بِظُلْمٍ﴾ متَّصلٌ بالإرادة.

والإلحادُ: الميلُ عن الصَّواب، والظُّلْمُ هاهنا: الشِّركُ، وقيل: ركوبُ الآثامِ واستحلالُ الحرام.

وجاء مرفوعاً: أنَّه الاحتكار[٣].

وكان ابن عمر[و] رضي الله عنهما يقول: من الإلحادِ فيه أن يقولَ الرَّجلُ: كلَّا واللهِ، و: بَلَى واللهِ[٤].

وقيل: مَن همَّ بذنبٍ فيه كُتب عليه.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٥٧)، واستغربه.

(٢) في تفسير قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٤]، وانظر: «غرائب التفسير» (١/ ٤٢٤).

(٣) رواه أبو داود (٢٠٢٠) من طريق جعفر بن يحيي بن ثوبان، عن عُمارة بن ثوبان، عن موسى بن باذان، عن يعلى بن أمية عن النبي ﷺ قال: «احتكارُ الطعامِ في الحَرَمِ إلحادٌ فيه». وهذا إسناد ضعيف؛ لأن جعفر بن يحيى بن ثوبان وعمارة بن ثوبان وموسى بن باذان ثلاثتهم مجهولون كما قال ابن القطان في «بيان الوهم والإيهام» (٣/ ١٦٧). وقال الذهبي في «الميزان» في ترجمة جعفر بن يحيى: «هذا حديث واهي الإسناد».

وقد روي هذا الحديث موقوفاً على عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو الصحيح، فقد رواه البخاري في «التاريخ الكبير» (٧/ ٢٥٥) والأزرقي في «أخبار مكة» (٢/ ١٣٥)، والفاكهي في «أخبار مكة» (١٧٧٦)، من طريق عبيد الله بن عياض بن عمرو القاري، عن يعلى بن منية ـ وهو ابن أمية نفسه ـ أنه سمع عمر بن الخطاب يقول: «احتكار الطعام بمكة إلحاد». وإسناده حسن.

(٤) رواه الأزرقي في «تاريخ مكة» (٢/ ١٣١)، والطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥١٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٤٨٤)، والثعلبي في «تفسيره» (١٨/ ٣٣٩)، جميعهم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما. ووقع في النسختين: «ابن عمر»، والمثبت من المصادر.

وقيـل: هـو القتـلُ؛ نزلت في ابن خَطَـلٍ، بَعَث معـه[١] رجليـن أحدُهما مهاجرٌ والآخـرُ أنصـاريٌّ، فافتَخَـروا، فغضـبَ ابـنُ خَطَـلٍ وقَتَل الأنصـاريَّ وارتـدَّ ولَحِقَ بمكَّـة كافراً[٢].

وقيل: هو ما نُهِيَ عنه فيه.

قوله: ﴿نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾؛ أي: في الآخرة.

واختلف النَّحاة في خبر ﴿إِنَّ﴾:

فقال بعضُهم: الواوُ في ﴿وَيَصُدُّونَ﴾ زيادةٌ، وهو الخبرُ[٣].

وقيـل: ﴿نُّذِقۡهُ﴾، وهـو قـولُ الزَّجَّاج[٤]، وزيَّفـه النَّحَّاس[٥]، ووجـهُ ذلك[٦] أنَّ الموصـول فيـه معنى الشَّـرط، فجاز وقـوعُ المجزوم خبـراً عنه[٧].

---

(١) أي: النبيُّ صلى الله عليه وسلم؛ فهو الذي بعث معه الرجلين، كما في مصادر التخريج.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ١٢١ ـ ١٢٢)، و«تفسير السمرقندي» (٢/ ٤٥٥).

(٣) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٦٦)، ومكي في «مشكل إعرابه» (٢/ ٤٨٩)، وقال أبو حيان في «البحر» (٧/ ٤٩٩): «وهو قول كوفي مرغوب عنه».

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٤٢٠)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٥٧)، وعدَّه من العجائب. وقال: «وهو مزيف من وجهين: أحدهما: أنه مجزوم، وخبر (إن) لا يأتي مجزوماً. والثاني: أن الشرط يبقى من غير جزاء».

(٥) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٦٦)، وتزييفه له بالوجهين السابقين.

(٦) أي: وجه قول الزجاج الذي زيفه النحاس، ولم يرتضه المصنف.

(٧) وهذا التوجيه لم يرتضه المؤلف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٥٧) فقال: «فإن قيل: كما يجوز إدخال الفاء في خبر (إنَّ) إذا كان اسمه موصولاً بفعلٍ أو ظرفٍ ـ لتضمُّن الموصول معنى الشرط ـ جاز الجزم أيضاً. قيل له: لا يجوز في الآية؛ لأن قوله: ﴿مَن يُرِدۡ﴾ مجزوم بـ﴿مَن﴾، ولا يجوز عطفه على اسم ﴿إِنَّ﴾؛ لأن (إنَّ) لا تدخل على (مَن) إذا كان شرطاً».

وقيل: الخبرُ محذوفٌ؛ أي: هَلَكوا[١].

وقيل: خبره: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [الحج: ٣٨] وإنْ طال؛ لأنَّ الكلَّ صفةُ المسجد والحجِّ وما يتعلَّق بذلك[٢].

***

(٢٦) - ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾.

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ﴾؛ أي: واذكُرْ يا محمَّدُ كيف كان بدءُ بناء البيت، وقيل: فيه مضمرٌ تقديره: وأَوْصَينا إذ ﴿بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ﴾، تقول: تبوَّأ الرَّجلُ منزلاً: اتَّخذه، وبوَّأ غيره منزلاً: أعطاه، وأصله: باءَ؛ إذا رجع، وبوَّأْتُه: جعَلْتُ له منزلاً يرجعُ إليه.

واللَّام في ﴿لِإِبْرَٰهِيمَ﴾ زيادةٌ؛ كقوله: ﴿بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [يونس: ٩٣]، وقوله: ﴿تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٢١].

﴿مَكَانَ ٱلْبَيْتِ﴾: موضعَ الكعبة[٣]، وكان البيتُ قد رُفع.

﴿أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا﴾؛ أي: وأَمَرْنا، وقيل: وقُلْنا: لا تشرك بي شيئاً.

﴿وَطَهِّرْ بَيْتِىَ﴾ من الأوثان وأنْ لا يُعْبَدَ فيه غيري.

وقيل: من الأقذار، وأن يُجرَى فيه ما يُجرَى في سائر البيوت.

﴿لِلطَّآئِفِينَ﴾: لمن يطوفُ به، ﴿وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾؛ أي: المصلِّين؛

---

(١) ذكره الزجاج، وهو اختيار النحاس. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٦٦).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٥٧)، واستغربه.

(٣) في (ف): «البيت».

فإنَّ الصَّلاة قيامٌ وركوعٌ وسجودٌ، ﴿وَٱلرُّكَّعِ﴾: جمعُ راكعٍ، و﴿ٱلسُّجُودِ﴾: جمعُ ساجدٍ.

ولم يُذْكَر الواوُ بين الرُّكوع والسُّجود وذُكِر بين القيام والرُّكوع؛ لأنَّ الصَّلاة قاعداً جائزةٌ، ولا تجوزُ بغير الرُّكوع والسُّجود.

وقيل: ﴿وَٱلْقَآئِمِينَ﴾ بمعنى: المقيمين فيه.

* * *

(٢٧) ـ ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾.

﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾ هذا عطفٌ على ما قبله؛ أي: أَمَرْنا إبراهيمَ وقُلنا له: أذِّنْ في النَّاس بالحجِّ: أَعْلِمْهم ونادِ فيهم.

الحسن: هذا استئنافٌ وخطابٌ لمحمَّدٍ ﷺ(١).

والأوَّلُ أظهر؛ لأنَّ جلَّ المفسِّرين رَوَوْا أنَّ إبراهيمَ عليه السَّلام قال لمّا أَمَره الله بالتَّأذين: يا ربِّ، وما يَبْلُغُ صوتي؟ فقال الله: عليك الأذانُ وعليَّ الإبلاغ، فقام إبراهيم على المقام ـ وقيل: على أبي قبيسٍ ـ ونادى: يا أيُّها النَاس، إنَّ ربَّكم بنَى بيتاً فحُجُّوه، فأَسْمعَ اللهُ ذلك مَن في أصلاب الرِّجال وأرحامِ النِّساء، وما بين المشرقِ والمغربِ، والبحرِ والبرِّ، ممَّن سَبَق في علم الله أنْ يحجَّ إلى يوم القيامة، فأجابوه وقالوا: لبَّيك اللَّهمَّ لبَّيك(٢).

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٨/ ٣٤٢)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٥٨)، واستغربه.

(٢) روى نحوه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣١٨١٨)، والطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥١٤ ـ ٥١٥)، والحاكم في «المستدرك» (٣٤٦٤) وصححه، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وروى نحوه مرفوعًا الفاكهي في «أخبار مكة» (٩٧٣)، والكلاباذي في «معاني الأخبار» =

ورُوي عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما أنَّه قال: (النَّاس) هاهنا: أهلُ القِبلة[١].

قولـه[٢]: ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾؛ أي: ماشينَ على أقدامهم، جمعُ راجلٍ، والرَّاجل: هو الذي يمشي على رجليه، وكذلك رَجْلٌ[٣] ورَجْلان، وامرأة رَجْلَى، حكاهُ سيبويه[٤].

﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾؛ أي: بعيرٍ مهزولٍ أَتْعَبَه السَّفَرُ لبُعْدِه.

وقيل: ﴿كُلِّ ضَامِرٍ﴾ الضُّمَّر: الصِّلَاب الأقوياء.

﴿يَأْتِينَ﴾ جُمع حَمْلاً على معنى ﴿كُلِّ ضَامِرٍ﴾.

﴿مِن كُلِّ فَجٍّ﴾: طريقٍ ﴿عَمِيقٍ﴾: بعيدٍ، وأصلُ العمق: البُعْدُ سفلاً، تقول: بئرٌ عميقٌ؛ أي: بعيدةُ الغورِ، والفعلُ عَمِقَ وعَمُقَ[٥].

﴿لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾: ليَحْضُروا منافعَ دِينهم، وقيل: متاجِرَ، وقيل: الأسواقَ، وقيل: منافعَ الدِّين والدُّنيا معاً.

وقيل: معنى ﴿لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾: ليشهَدوا مكَّةَ ومَشاهِدَها للحجِّ والعمرة.

= (ص: ١٨٤)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥١٧)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٨/ ٣٤٢).

(٢) «قوله» من (ف).

(٣) بسكون الجيم وبكسرها وضمها. انظر: «القاموس» مادة: (ر ج ل).

(٤) انظر: «الكتاب» (٣/ ٦٤٦).

(٥) ضبطت في (ن): عَمَقَ وعَمُقَ، والضم فيها مشهور، وهو الذي ذكره أكثر أئمة اللغة، فهو عندهم من باب كَرُم، وذكر محمد بن عمر في «فتح الأقفال» (ص: ٤٢ و٥٦) أنه من باب سمِع أيضاً، وأما الفتح فذُكر في الاسم؛ يقال: عَمْقُ البئر وعُمْقها، كما في «إصلاح المنطق» لابن السكيت (ص: ٧٤)، ولم أقف على من ضبط (عَمَقَ) بفتح الميم، والله أعلم.

وقيل: العفوَ والمغفرة.

﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾ يريد: ذكرَ اسمِ الله عند الذَّبح.

والأيامُ المعلومات: قيل: هي عشرُ ذي الحجَّة، وقيل: يومُ النَّحر، وقيل: يومُ التَّروية وأربعةٌ بعده، والأحسنُ أن تُجعَلَ أيَّامَ النَّحر؛ لأنَّ المرادَ بذكرِ اسمِ الله: ذكرُ اسمِه على القَرابين، وأنَّها تكون في أيَّام النَّحر.

﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾؛ أي: فلْيُضَحُّوا الضَّحايا من الإبلِ والبقرِ والغَنم، واذكُروا اسمَ الله عندَ الذَّبْح، وأضافَ البَهِيمةَ إلى الأنعام لأنَّها قد تكونُ من غيرِ الأنعام؛ لأنَّ كلَّ ما لا يَعْقِلُ بهيمةٌ، فصار من باب: (ثوبُ خزٍّ)[1].

﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾؛ أي: من لحومِها ﴿وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾: الزَّمِنَ المحتاجَ، و﴿الْبَائِسَ﴾: الذي في بؤسٍ وشدَّةٍ من العيش، و﴿الْفَقِيرَ﴾: الذي كأنَّه أصيبَ فَقَارُه.

وفي الأكلِ والإطعامِ ثلاثةُ أقوالٍ: أحدها: أنَّهما واجبان، والثَّاني: أنَّهما مستحَبَّان، والثَّالث: أنَّ الأكلَ مستحَبٌّ والإطعامَ واجبٌ، وهذا فيما كان تطوُّعاً، فأمَّا إذا كان واجباً فلا يجوزُ الأكلُ منه[2].

***

---

(١) أي: من باب إضافة الشيء إلى جنسه، وبعض الشيء إلى كلِّه. انظر: «المقتضب» (٤/ ٢٤)، و«الأصول» لابن السراج (١/ ٥٣).

(٢) انظر: «الإشراف» لابن المنذر (٣/ ٣٤٥)، و«الأشباه والنظائر» للسبكي (٢/ ١٩٤)، و«التمهيد» للإسنوي (ص: ٢٧٤)، و«الفوائد السنية» للبرماوي (٥/ ١٩١).

(٢٩) - ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾.

﴿ ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ ﴾: أَخْذُ الشَّارب، وحَلْقُ العانةِ، ونَتْفُ الإبط، والأخذُ من الشَّعر وتقليمُ الأظفار، كأنَّه الخروجُ من الإحرام إلى الإحلال.

وقيل: هو ما يَلْزمُ المُحْرِمَ من إماطةِ الأذى.

وقيل: التَّفَثُ: سائرُ المناسك.

ابنُ عمرَ رضي الله عنه: التَّفَثُ: الآثام[١].

وقيل: هو رميُ الجِمَار.

وأصلُ التَّفَثِ: الوَسَخُ، وكلُّ قاذورةٍ تَلحَقُ الإنسان، وحكَى قطربٌ: تَفِثَ الرَّجلُ؛ إذا كَثُرَ وسخُه في سفَره[٢].

أبو محمَّدٍ البصريُّ: أصل التَّفَث: من التَّفِّ، وهو وسخُ الأظفار، قُلِبَ الفاءُ ثاءً كجَدَثٍ ومُغْثُورٍ[٣].

الزَّجَّاج: معنى التَّفَثِ لا يعرفُه أهلُ اللُّغة إلَّا من التَّفسير[٤].

---

(١) لم أقف عليه عن ابن عمر رضي الله عنه، وروى الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥٢٥) عن ابن عمر رضي الله عنه: ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ ﴾ قال: «ما هم عليه في الحج».

(٢) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٧/ ٤٧٨)، و«الدر المصون» للسمين الحلبي (٨/ ٢٦٨).

(٣) الجدث والجدف: القبر. والمغثور والمغفور: شَيْء كالصمغ يسيل من بعض الشّجر حُلْو كالعسل وَله رَائِحَة كريهة، جمعها: المغاثير والمغافير. انظر: «المعجم الوسيط» مادة: (غ ث ر).

وهذا القول ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٥٩)، واستغربه، وذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٧/ ٤٧٩).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٤٢٣)، ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٥٩)، وعدَّه من العجائب.

﴿وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ﴾؛ أي: فلْيُتِمُّوا، وإيفاؤها: الإتيانُ بها عن آخرها.

وقيل: فلْيُوفوا اللهَ بما نَذَروا من هَدْيٍ وبَدَنةٍ وغيرِ ذلك.

وقيل: هي إراقة الدِّماء.

﴿وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ﴾ يريد: طوافَ الزِّيارة بعد الحَلْق أو القصر.

والطَّواف: أن يَدورَ حولَ البيت.

والبيتُ العتيق: الكعبةُ، وفي تسميتِه عتيقاً أقوالٌ:

أحدها: أنَّه القديم؛ لأنَّ آدمَ بناهُ وجدَّده إبراهيمُ عليهما السّلام.

وقيل: العتيقُ: الذي لم يَمْلِكه أحدٌ.

وقيل: أُعْتِق من الطُّوفان فلَمْ يَهْدِمْه.

وقيل: أُعْتِق من الهُلْك، فلم يَغْلِبْ عليه مَلِكٌ.

وقيل: العتيقُ: الكريمُ.

* * *

(٣٠) ـ ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦۗ وَأُحِلَّتۡ لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: الأمرُ ذلك، وهو خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ.

وقيل: ﴿ذَٰلِكَ﴾ الأمرُ والشّأن، فهو مبتدأٌ محذوفُ الخبر.

وقيل: تقديرُه: ليَفْعَلوا ذلك(١).

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٥٩)، واستغربه. ذكر التستري في «تفسيره» (ص: ١٠٧) =

﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ﴾: دِينَ الله، وقيل: هي ما وَجَب القيامُ به.

وقيل: هي تعظيمُ الكعبة، وحجُّها بالإتيانِ بما أُمِر والكفِّ عمَّا نُهِي.

ابن زيدٍ: ﴿حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ﴾: البيتِ الحرامِ، والمشعرِ الحرام، والشَّهرِ الحرام[١].

﴿فَهُوَ﴾؛ أي: التَّعظيم ﴿خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾: ثوابٌ له مدَّخرٌ.

﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: مباحٌ أكلُها إلّا ما ذُكر في قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ الآية [المائدة: ٣].

وقيل: أحلَّ لكم في حالِ إحرامِكُم أكلُ لحومِ الأنعام إلَّا ما يُتْلى عليكم من الصَّيد في الإحرام.

﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾؛ أي: اجتَنِبوا الأوثانَ كما يُجتَنَبُ الشَّيءُ القَذِر؛ أي: دَعُوا عبادةَ الأوثان.

وقيل: هي ما كانوا يَنحرون عليها هَدْيَهم ويَصُبُّون عليها الدِّماء، ومع رِجْسِها يمسحونها، فنهَى الله عن ذلك. والأوَّل أظهر.

والرِّجسُ على وجهين؛ الرِّجسُ القَذِرُ المُنْتِنُ في النِّهاية، والرِّجسَ: القبيحُ في النِّهاية[٢].

و﴿مِنَ﴾ فيه للتَّبيين، وقيل: لابتداء الغاية؛ أي: من عبادةِ الأوثان[٣].

= عن الحسن أنه قال: «إنما سمّاه عتيقاً تكرمةً له»، وذكر الزجاج في «معاني القرآن» (٣/ ٤٢٤) عن الحسن أنه القديم.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥٣٤).

(٢) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٢/ ٢٠٠).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٥٩)، واستغربه.

وقيل: واجتنِبَوا من الأوثانِ الرِّجْسَ، وهو عبادةُ الأوثان[١].

﴿وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾: الكذبَ، قال رسول الله ﷺ: «إيَّاكم والزُّورَ، فإنَّ الله تعالى جعلَه عديلاً للشِّرك، وجَمَع بينهما في النَّهي عنهما»[٢].

وقيل: الزُّور: الشِّرك، وقولُهم: الملائكةُ بناتُ الله، وأنَّه حرَّم البَحيرة وأخواتِها.

***

(٣١) ـ ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾.

﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ﴾: على ملَّة إبراهيم، وقيل: مخلِصين بالتَّلبية ﴿غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ﴾ لأنَّهم كانوا يقولون: لبَّيك لا شريك لك، إلَّا شريكاً هو لك، تملكُه وما مَلَك.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٥٩)، وعدَّه من العجائب.

(٢) روى نحوه أبو داود (٣٥٩٩)، والترمذي (٢٣٠٠)، وابن ماجه (٢٣٧٢)، عن خُريمِ بنِ فاتكٍ، عن النبي ﷺ: «عدلت شهادة الزور بالإشراك بالله» ثلاث مرار، ثم قرأ: ﴿فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾. قال ابن حجر في «التلخيص الحبير» (٤/ ٣٤٩): «إسناده مجهول».

ورواه الترمذي (٢٢٩٩) من طريق مروان بن معاوية الفزاري، عن سفيان العصفري، عن فاتك بن فضالة، عن أيمن بن خُريم مرفوعاً. وقال: «هذا حديث غريب، إنما نعرفه من حديث سفيان بن زياد، واختلفوا في رواية هذا الحديث عن سفيان بن زياد، ولا نعرف لأيمن بن خريم سماعاً من النبي ﷺ».

وفي الباب ما يغني عنه عن أبي بكرة عند البخاري (٢٦٥٤)، ومسلم (٨٧)، ولفظه: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ ـ ثلاثاً ـ: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور، أو قول الزور». وعن أنس بن مالك عند البخاري (٥٩٧٧)، ومسلم (٨٨).

﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ الزَّجَّاج: أي: بُعْدُ مَن أَشْركَ به من الحقِّ كبُعْدِ مَن خرَّ من السَّماء ﴿فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾[1] فذَهَب به الطَّير، أو هَوَتْ به الرِّيحُ في مكانٍ بعيدٍ من السَّماء[2].

وقيل: معناه: مَن كَفَر فلا اعتصامَ له؛ كمَن خرَّ من السَّماء ولا شيءَ له يَتعلَّقُ به فيَنْجُو.

وقيل: معناه: بُعْدُ مَن أَشركَ بالله من الخَلَاص كبُعْدِ مَن خرَّ من السَّماء فاختطَفَتْه الطَّيرُ من الخلاص[3]، أو الهُوِيِّ[4] من مكانٍ بعيدٍ مُهْلِك.

وقيل: مَن أَشْركَ بالله بَعُدَ في القيامة مِن الخير كبُعْدِ مَن اختطَفَتْه الطَّيرُ بمخالبها، أو حملَتْه الرِّيحُ فلا يَقْدرُ على استمساكٍ.

وقيل: أعمالُه باطلةٌ كعملِ مَن هذه حالُه.

وقوله: ﴿أَوْ تَهْوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ عطفٌ على ﴿خَرَّ﴾، وتقديره: فكأنَّما تهوي به الرِّيح من مكانٍ مرتفعٍ إلى مكانٍ منخفضٍ بعيدٍ.

والخُرور: السُّقوط على الوجه، والخَطْفُ والتَّخطُّفُ: السَّلْبُ بسرعةٍ، والهُوِيُّ: السُّقوط، والسَّحيقُ: البعيدُ، تقول: (سَحُقَ) بالضَّمِّ: بَعُدَ، و(سَحَقَه) بالفتح: أَبْعَدَه، و(سَحِقَ) بالكسر: هَلَكَ.

* * *

(١) لم تذكر الآية هنا في (ن).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٤٢٥).

(٣) في (ن): «فتخطفه الطير: فاختطفته الطير، فبعد من الخلاص».

(٤) قوله: «أو الهوي» كذا في النسختين، والضبط من (ف) ولم يضبط في (ن)، ولعلّه معطوف على (بعد)؛ أي: أو كالهويِّ، والله أعلم.

(٣٢ ـ ٣٣) ـ ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: الأمرُ ذلك، وقد سَبَق.

﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ في الشَّعائر ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: ﴿شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾: جمعُ شعيرةٍ، وهي: البُدْنُ أُشْعِرَتْ بالدَّمِ وقُلِّدتْ بلِحَاءِ الشَّجر أو بالنَّعْل ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ﴾؛ أي: اللَّبَنُ والوَبَرُ والحَمْلُ عليها والرُّكوب والكِرَاء[1] ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: إلى أن تُشْعَرَ، فإذا أُشْعِرتْ لا يجوزُ ركوبها إلَّا عند الضَّرورة ﴿ثُمَّ﴾ أي: بعدَ أنْ تُشْعِرَ ﴿مَحِلُّهَآ﴾: موضعُ نَحْرِها ﴿إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾: الحَرَمِ كلِّه، ومنهم مَن جوَّز الانتفاعَ بها بعدَ أنْ تُشْعَرَ إلى أنْ تُنْحَرَ، وتعظيمُها على هذا القولِ: تحسينُها وتَسْمينُها، ﴿فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾؛ أي: أصحاب القلوب.

والثَّاني: ﴿شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾: فرائضَ الحجِّ، ومواضع[2] نُسكه ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ﴾ بالتِّجارات والمعامَلات في الأسواق ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: وقتِ الخروجِ من هذه المواضع ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾: إلى طوافِ الزِّيارة والخروجِ من الإحرام.

والثَّالث: ﴿شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾: دِينَه كلَّه وفروضَه، وتمَّ الكلام على ﴿ٱلْقُلُوبِ﴾ ثم عاد إلى حديث الأنعام.

وقيل: بل الضَّميرُ يعودُ إلى ﴿شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ وهي الدِّين، ومنافعُ الدِّين لا تخفَى ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: الموتِ، ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ﴾ يُشْكِلُ على هذا التَّأويل؛ فقيل: الإيمانُ به والتَّوجُّهُ إليه بالصَّلاة، وكذلك القصدُ بالحجِّ والعمرة، ولو قيل على هذا التَّأويل: إنَّ البيت العتيقَ الجنَّةُ، لم يَبعُدْ، والله أعلم.

---

(١) في (ن): «والكرى».

(٢) في (ن): «وهو مواضع».

(٣٤) - ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا ۗ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾؛ أي: ولكلِّ أهلِ دِينٍ قبلَكم ﴿جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾: ذبائحَ يتقرَّبون بها إلى الله.

والنُّسكُ: الذَّبْحُ، والنَّسيكةُ: الذَّبيحةُ على وجهِ التَّقرُّب.

وقيل: النُّسك: العبادة، والمنسَكُ: موضعُها، الفتحُ الأصلُ، والكسرُ على الشُّذوذ[1]، كالمطلِع والمغرِب.

وقيل: ﴿مَنسَكًا﴾ عيداً وقرباناً. وقيل: إراقةَ دمٍ.

﴿لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾ دونَ غيره ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾؛ أي: مرجعُ الأديانِ إلى توحيد الله ﴿فَلَهُ أَسْلِمُوا﴾؛ أي: استَسْلِموا لمحمَّدٍ وآمِنوا به وانقادوا له واخضَعوا للهِ وأطيعوه ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾: المتواضعِين، وقد سبَق اشتقاقُه[2].

* * *

(١) قرأ حمزة والكسائي بكسر السين والباقون بفتحها. انظر: «السبعة» (ص: ٤٣٦)، و«التيسير» (ص: ١٥٧). وقول المؤلف: «على الشذوذ» لا يريد به شذوذ القراءة؛ لأنها قراءة متواترة، بل يريد أنها جاءت على خلاف القياس في اللغة، فالأصل أن ما كن مضارعه (يفعُل) أن يكون اسم المكان والزمان منه (مفعَل)، قال السيرافي في «شرح الكتاب» (٤/ ٤٦٥): «وقد جاءت عن العرب أحد عشر حرفاً على (مفعِل) مما فعله على (فعل يفعُل)، وهي: منسِك ومحرز ومنبت ومطلع ومشرق ومغرب ومفرق ومسقط ومسكن ومرفق ومسجد».

(٢) في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾، واشتقاقه من (الخبت)، وهو الأرض المنخفضة.

(٣٥) ـ ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾.

﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ هيبةً منه وخوفاً، والوَجَلُ: الخوف.

﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ ﴾ في اللهِ وفي مَرازئِهم.

﴿وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ ﴾؛ أي: يقيمونها في مواقيتِها.

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾: يزكُّون ويتصدَّقون.

* * *

(٣٦) ـ ﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾.

﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم ﴾ البُدْنُ: جمعُ بَدَنةٍ كخَشَبةٍ وخُشْبٍ، وأصلُه الضَّمُّ، ثم خفِّف. وقيل: بُدْنٌ وبُدُنٌ كأُسْدٍ وأُسُدٍ. وقيل: بادِنٌ وبُدْنٌ كفَارِهٍ وفُرْهٍ. وأصلُها من الضَّخامة، يقالُ: بَدُنَ بَدانةً.

والبُدْنُ: الإبلُ، وقيل: الإبلُ والبقرُ، وقيل: المرادُ به: ما يَصْلُحُ للأُضْحِية.

﴿مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ ﴾: مُتعبَّداتِه، وقيل: من أعلامِ دِينه.

﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾: في نحرِها وذبحِها ثوابٌ.

وقيل: ﴿فِيهَا خَيْرٌ﴾: مَن احتاجَ إلى ظهرِها رَكِب، وإنِ احتاجَ إلى لَبَنِها شَرِب.

﴿ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ﴾ يريد: عند ذَبْحِها.

قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: هو أن يقول: بسمِ اللهِ واللهُ أكبرُ، لا إلهَ إلَّا اللهُ واللهُ أكبرُ(١).

﴿صَوَآفَّ﴾؛ أي: قِفُوها مَصفوفةً وانحَرُوها قائمةً؛ يعني: الإبلَ خاصَّةً، والسُّنَّة أن يَنْحَر الإبلَ قائمةً.

وقرئ: (صَوَافِنَ)(٢)، وهي: التي عُقِلَتْ إحدى قوائمِها تشبيهاً بالفرسِ الصَّافِن.

وقرئ: (صوافي)(٣)؛ أي: خالصةً لله وحدَه لا يُذْكَر معه الوثنُ.

﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾: سقطَتْ على الأرض، وهذا يدلُّ على قيامِها.

وقيل: هو عبارةٌ عن الموتِ.

﴿فَكُلُواْ مِنْهَا﴾: أمرُ إباحةٍ، ومن السُّنَّة أكلُ لحمِ الأُضْحِيَة، وكان المشركون لا يأكلون من ذبائحِهم.

﴿وَأَطْعِمُواْ ٱلْقَانِعَ﴾: السَّائل، قَنَع قُنوعاً؛ إذا سَأَل. وقيل: القانعُ: الزَّاهدُ، مِن قَنِعَ قَناعةً. وقيل: القانعُ: المسكين.

مجاهدٌ: جارُكَ وإن كان غنيًّا(٤).

وقيل: القانعُ: الذي إذا أَعطيتَه شيئاً قَنِعَ وقَبِلَ.

---

(١) روى الحاكم في «المستدرك» (٧٥٧١) وصححه عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّه قال في الآية: «قيامًا على ثلاث قوائم معقولة، بسم الله، والله أكبر، اللَّهمَّ منك وإليك».

(٢) نسبت لابن مسعود وابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم وغيرهم. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٧ ـ ٩٨)، و«المحتسب» (٢/ ٨١)، و«البحر» (١٥/ ٣٦٠).

(٣) نسبت لأبي موسى الأشعري والحسن وزيد بن أسلم وجمع. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٧) و«المحتسب» (٢/ ٨١)، و«البحر» (١٥/ ٣٥٩).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥٦٦).

الحسن: القانعُ: الذي يُقْنِعُ إلى الرَّجل فيسأله[١]، كما قال: ﴿مُقۡنِعِي رُءُوسِهِمۡ﴾ [إبراهيم: ٤٣]، وهذا يقتضِي: المُقْنِعَ[٢].

أبو عبيدةَ: القانعُ: السَّائلُ الذي يَقْنَعُ إليك؛ أي: يَخْضَعُ[٣].

﴿وَٱلۡمُعۡتَرَّ﴾ المعتَرُّ: الذي يتعرَّضُ للمعروف، اعْتَرَّه وعَرَّه وعَرَاه واعْتَرَاه بمعنًى.

وقُرِئَ: (المُعْتَرِ)[٤]؛ أي: المعتَرِيَ.

وقيل: المعترُّ: السَّائلُ.

﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرۡنَٰهَا لَكُمۡ﴾؛ أي: كما أَمَرَكم بنحرِها سخَّرها لكم.

وقيل: هو كقوله: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ﴾ [الحج: ٣٠] ﴿ذَٰلِكَ وَمَن﴾ [الحج: ٣٢] فيما سبق[٥]، ثم استأنفَ فقال: ﴿سَخَّرۡنَٰهَا لَكُمۡ﴾: ذلَّلناها لكم مع قوَّتها وعِظَمِ أَجْرامِها ﴿لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾: لكي تَشْكُروا نِعْمَتي.

***

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥٦٥).

(٢) لأن فعله (أقنعَ)، وأقنعَ رأسَه: نصبه لا يلتفت يميناً ولا شمالًا. انظر: «تاج العروس» مادة: (ق ن ع) (٢٢/ ٩٥).

(٣) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٥١). ووقع في (ف): «قنع إليك؛ أي: خضع».

(٤) بكسر الراء وتخفيفه. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٨) عن عمرو وإسماعيل، و«شواذ القراءات» لشمس القراء الكرماني (ص: ٣٢٩) عن الحسن وأبي رجاء وعمرو بن عبيد.

(٥) أي: (كذلك) مبتدأ خبره محذوف، أو خبر لمبتدأ محذوف، فهو جملة اسمية تامة، وما بعدها جملة جديدة.

(٣٧) ـ ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾.

﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا ﴾: كانوا في الجاهليَّة إذا ذَبحوا القَرابينَ لطَّخوا جدار الكعبة بدمائها، فهمَّ المسلمون بمثل ذلك فأنزل الله: ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا ﴾[١].

﴿وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾ قيل: معناه: لن يَقْبَلَ اللهُ اللحمَ والدَّم وإنَّما يقبلُ التَّقوى، وقيل: لن يَصْعَد إليه اللَّحمُ والدَّم، ولكنْ يَصْعَدُ إليه التَّقوى، ومثلُه: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾ [فاطر: ١٠].

وقيل: معنى ﴿يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾: يَعْتَدُّ ذلك[٢] منكم ويَحْسُنُ موقعُها عندَه.

وقيل: معناه: ينفعُكم ذلك[٣].

وقيل: لن ينالَ رضا اللهِ اللَّحمُ والدَّمُ، ولكنْ ينالُ رضا اللهِ التَّقوى[٤].

﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ ﴾؛ أي: البُدْنَ ﴿لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾ يريد: التَّسمية عندالذَّبْحِ، وقيل: هو التَّكبيرُ عندَ الإحلال، كالتَّلبيةِ عندَ الإحرام، والمعنى: لتعظِّموا اللهَ على ما أَرْشدَكم إليه.

﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾: الممتَثِلينَ أوامرَه ونواهِيَه بالقَبول، وقيل: بالجنَّة.

* * *

---

(١) رواه ابن المنذر وابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٦/ ٥٥ ـ ٥٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) في (ن): «بذلك».

(٣) كذا في (ف)، وفي (ن): «ينفعكم ذلك التقوى»، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٦٠) بلفظ: «﴿يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾؛ أي: ينفعكم التقوى» واستغربه.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٦٠)، واستغربه.

(٣٨) - ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴾.

﴿إنَّ اللهَ يَدْفَعُ عنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يريدُ: غائلةَ المشركين عن الدِّين.

وقرئ: ﴿يُدَٰفِعُ﴾[1]، وهو بمعنَى ﴿يدفع﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ﴾ في أمانةِ الله ﴿كَفُورٍ﴾ نعمةَ ربِّه.

وقيل: هو خبرُ ﴿إِنَّ﴾ [الحج: ٢٥] كما سَبَق، وهو[2] من تمامِ الكلام في الحجِّ[3].

***

(٣٩) - ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ﴾.

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ﴾ في سببِ النُّزول: أنَّ أهل مكَّةَ كانوا يؤذُون أصحابَ رسولِ اللهِ ﷺ ولا يزالُون يَجِيئُون مِن بينِ مضروبٍ ومشجوجٍ، ويَشْكُون إلى رسولِ اللهِ ﷺ فيقولُ لهم: «اصْبِروا؛ فإنِّي لم أُؤْمَرْ بالقتالِ»، حتَّى هاجَرَ رسولُ اللهِ ﷺ فأَنْزَل اللهُ هذه الآية[4].

ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: لمّا أُخْرِج رسولُ الله عليه السَّلامُ من مكَّةَ قال أبو بكرٍ رضي الله عنه: أَخْرَجوا نبيَّهم، إنَّا لله [وإنَّا إليهِ راجِعُون]، ليَهْلِكُنَّ، فأنزل الله

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو: (يَدْفَعُ)، والباقون: ﴿يُدَٰفِعُ﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٤٣٧)، و«التيسير» (ص: ٨٢).

(٢) في (ن): «وهذا».

(٣) وقد تقدم الكلام على هذا الوجه، وأن المصنف استغربه في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٥٧)، والأظهر أن هذا استئناف، والله أعلم.

(٤) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٨/ ٢٥) وعزاه للمفسرين، وكذا الواحدي في «البسيط» (١٥/ ٤٢٣) وذكره ابن حجر في «العجاب في بيان الأسباب» (٢/ ٩١٨) عن قتادة ومقاتل.

تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ﴾ الآية، قال أبو بكرٍ رضي الله عنه: فعَرَفْتُ أنَّه سيكونُ قتالٌ[١].

مجاهدٌ: نزلت في أقوامٍ بأعيانهم أرادوا الخروج من مكَّةَ إلى المدينةِ للهجرة، فمُنعوا، فأَذِنَ اللهُ لهم في قتالِ الذين يمنعونهم من الهجرة[٢].

والمعنى[٣]: أَذِن اللهُ للمؤمنين الذين يَصْلُحون للقتال في قتالِ الكفَّار، ﴿بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ﴾: بسببِ أنَّهم ظُلموا، ومِن أَجْلِ أنَّهم ظلموا. ومَن فَتَح التَّاءَ[٤] فالمعنى: أُذِنَ لِمَن يقاتَلُ بأنْ يقاتَلَ؛ لأنَّهم ظُلموا بالقتال والإخراجِ من ديارهم.

ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: هذه أوَّلُ آيةٍ نزلتْ في القتال[٥]، نُسِخَتْ بها كلُّ آيةٍ أُمِر فيها بالكفِّ عن القتال.

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ﴾: على نصرِ المؤمنين وقهرِ الكفَّار ﴿لَقَدِيرٌ﴾: قادرٌ، وهذه بشارةٌ للمؤمنين بالنُّصرة.

* * *

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٨٦٥)، والترمذي (٣١٧١) وحسنه، والنسائي (٣٠٨٥)، والطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥٧٣ ـ ٥٧٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٧١٠). وما بين معكوفتين من المصادر.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥٧٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٤٩٦).

(٣) على قراءة (ويقاتِلون) بكسر التاء.

(٤) قرأ نافع وابن عامر وحفص: ﴿يُقَـٰتَلُونَ﴾ بفتح التاء، والباقون بكسرها. انظر: «السبعة» (ص: ٤٣٧)، و«التيسير» (ص: ١٥٧).

(٥) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (١٨٦٥)، والنسائي (٣٠٨٥).

(٤٠) ـ ﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٍ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ﴾؛ أي: أُخرجوا من مكَّةَ ظُلماً ﴿بِغَيۡرِ حَقٍّ﴾ أَوْجَبَ إخراجَهم، وقيل: ﴿بِغَيۡرِ حَقٍّ﴾؛ أي: مِن غيرِ حقٍّ[1] استَحقُّوا ذلك.

﴿إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ هذا استثناءٌ منقطعٌ؛ أي: لكنَّهم يقولون: ربُّنا الله.

وقيل: محلُّه جرٌّ بدلاً من قوله: ﴿بِغَيۡرِ حَقٍّ﴾ أي: أُخرجوا بأنْ يقولوا: ربُّنا الله؛ أي: بسببِ قولهم[2].

﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٍ﴾؛ أي: يَدفَعُ الكفَّارَ عن المسلِمين وديارِهم ومتعبَّداتهم بالمسلمين وبأمثالهم من الكفَّار.

وقيل: ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ﴾ عن المؤمنين بالنَّبيِّين، وعن القاعِدين بالمجاهِدين.

وقيل: دفعُ الله بأصحابِ رسولِ الله ﷺ عمَّن بعدَهم من التَّابعين.

وقيل: ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ﴾ عن النُّفوس بالقصاص، وعن المنكَر بالمعروف.

﴿لَّهُدِّمَتۡ﴾: لخُرِّبَتْ ﴿صَوَٰمِعُ﴾؛ أي: صوامعُ الرُّهبان.

قتادةُ: مصلَّى الصَّابئين[3].

الحسن: صوامعُ المؤمنين[4]؛ ....

---

(١) قوله: «أي: مِن غيرِ حقٍّ» ليس في (ن).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٦٠)، واستغربه.

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٩٣٨)، والطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥٨١).

(٤) روى ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٥٣٠٧)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ١٩) عن الحسن =

لقوله ﷺ: «نِعْمَ صَوْمَعَةُ المُؤمِنِ بيتُه»(١)، واشتقاقُها من (الصَّمع) وهو الصِّغَرُ في الأُذُن، تقول: أذنٌ صَمْعاءُ(٢).

﴿وَبِيَعٌ﴾؛ أي: بيع النَّصارى.

مجاهدٌ: كنائس اليهود(٣).

الحسن: هي مواضعُ يتَّخذُها المؤمنون للصَّلاة.

واحدُها بِيْعةٌ.

= قال: «صوامع المؤمنين بيوتهم». ولعل هذا اللفظ هو مراد المؤلف لما أتبعه من الحديث المرفوع.

(١) رواه القضاعي في «مسند الشهاب» (١٣٢٢)، والشجري في «الأمالي الخميسية» (٢١٨٥)، من طريق عفير بن معدان عن سليم بن عامر عن أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعًا. وعفير هذا قال عنه أبو حاتم كما في «الجرح والتعديل» لابنه (٧/ ٣٦): «يكثر الرواية عن سليم بن عامر عن أبي أمامة عن النبي ﷺ بالمناكير ما لا أصل له، لا يشتغل بروايته».

ورواه ابن حبان في «المجروحين» (٢/ ٣٠٥)، وابن عدي في «الكامل» (٧/ ٥٣٢)، من حديث أنس رضي الله عنه، وفيه محمد بن سليمان بن هشام الخزاز، ابنُ بنت مطر الوراق، قال عنه ابن حبان: «منكر الحديث بين الثقات كأنه يسرق الحديث، يعمد إلى أحاديث معروفة لأقوام بأعيانهم حدث بها شيوخهم، لا يجوز الاحتجاج به بحال».

ورواه ابن المبارك في «الزهد» (١٤)، والإمام أحمد في «الزهد» (٧٢١)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٤٥٩٥)، وهناد في «الزهد» (١٢٣٥)، والخرائطي في «مكارم الأخلاق» (٧٤٨)، من قول أبي الدرداء رضي الله عنه، ولفظه: «نعم صومعة المرء المسلم بيته، يحفظ عليه نفسه وسمعه وبصره، وإياكم ومجالس السوق؛ فإنها تلهي وتطغي».

(٢) هذا مذهب سيبويه وغيره. انظر: «الكتاب» (٤/ ٣١٤)، و«المخصص» لابن سيده (٤/ ٦٧)، و«المصباح المنير» مادة: (ص م ع) (١/ ٣٤٧).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥٨٣).

﴿وَصَلَوَٰتٌ﴾ الضَّحَّاك: كنائسُ اليهود، قال: ويسمُّونها: صَلُوتَا[١].

وقيل: مواضعُ صلواتِ المؤمنين[٢]، فحُذف المضاف.

الحسن: هي عينُ الصَّلاة، وقال: هدمُها بقَتْلِ مَن عليها ومَنْعِهم عنها[٣].

ويَحتمِلُ: وتُرِكَتْ صلواتٌ، كقول الشاعر:

يــا ليــتَ زَوْجَــكِ قــد غَدَا مُـتَــقلِّداً سـيْفاً ورُمحــاً[٤]

أي: وحاملاً رمحاً.

ورُوي عن الحَجَّاج: (وصُلُوب)[٥]، جمعُ صَليبٍ، ومثلُه: ظَريفٌ وظُروفٌ[٦]، وعَنَاقٌ وعُنوقٌ[٧]، وهما أختان.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥٨٤)، وذكره السيوطي في «المهذب» (ص: ١٠٧ ـ ١٠٨).

(٢) في (ف): «المسلمين».

(٣) لم أجده بهذا اللفظ، وذكر النحاس في «معاني القرآن» (٤/ ١٤٨)، ومكي في «الهداية» (٧/ ٤٩٠١) عن الحسن قال «هدمها: تركها».

(٤) لعبد الله بن الزِّبَعْرى، وهو في ديوانه (ص: ٣٢)، و«مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ٦٨)، و«معاني القرآن» للفراء (١/ ١٢١)، و«معاني القرآن» للأخفش (١/ ٢٧٧)، و«الكامل» للمبرد (١/ ٢٩١) و(٢/ ٢٠٤)، و«الخصائص» لابن جني (٢/ ٤٣١) و«تفسير الطبري» (١/ ١٣٧). ويروى الشطر الأول:

ورأيــتُ زوجَــكِ فــي الوغــى

(٥) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٨)، و«شواذ القراءات» لشمس القراء الكرماني (ص: ٣٣٠).

(٦) قال أبو حيان في «البحر المحيط» (٧/ ٥١٧): «وهو جمع شاذٌّ؛ أعني: جمع فَعيل على فُعُول».

(٧) العناق: الاثنين من أولاد المعزى إذا أتت عليها السنة، وجمعها: عنوق، وهذا جمع نادر. انظر: «الكتاب» (٣/ ٦٠٥)، و«تهذيب اللغة» مادة (ع ن ق) (١/ ١٦٩).

﴿ وَمَسَٰجِدُ ﴾: هي مساجدُ المسلمين.

﴿يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴾؛ أي: في المساجد، وقيل: في جميع ما تقدَّم.

الزَّجَّاج: ﴿لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ﴾ في أيَّامِ شريعةِ عيسى، ﴿وَبِيَعٌ﴾ في أيَّام شريعةِ موسى، ﴿ وَمَسَٰجِدُ ﴾ في أيَّام شريعةِ محمَّدٍ عليهم السَّلام، والمعنى: لهدِّمَ في أيَّام كلِّ شريعةٍ موضع عبادتهم[1].

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ﴾؛ أي: ينصرُ دينَه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾.

***

(٤١) ـ ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾.

﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ الحسن: هم هذه الأمَّة[2].

وقيل: هذه صفةُ الذين أُخرجوا من ديارهم.

﴿وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾: مرجعُ الأمور كلِّها إليه، فيجازي كلًّا بعمله.

***

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٤٣١)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٦١)، واستغربه.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٨/ ٣٧٨) عن الحسن وأبي العالية، وفي (ن) «هم جميع هذه الأمة».

(٤٢ ـ ٤٤) ـ ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾.

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ ﴾ في هذه الآياتِ تسليةٌ لمحمَّدٍ ﷺ من تكذيبِ أهلِ مكَّة إيَّاه؛ أي: لستَ بأوَّل مَن نُسِب إلى الكذب من الأنبياء، بل كذَّب كلُّ قومٍ نبيَّهم أوَّلَ ما أتاهم، فأَمْهَلهم اللهُ ولم يُهْمِلْهم، فلك بهم أسوةٌ واقتداءٌ.

وظاهرُه شرطٌ، والجزاءُ مضمَرٌ تقديرُه: وإنْ يكذِّبوك فلا تحزنْ، والفاءُ في قوله: ﴿فَقَدْ كَذَّبَتْ ﴾ لعطفِ جملةٍ على جملةٍ بينهما اتِّصالٌ شديدٌ، وليس بجزاء الشَّرط؛ لوقوع التَّكذيب منهم.

﴿قَبْلَهُمْ ﴾: قبلَ قومِكَ ﴿قَوْمُ نُوحٍ ﴾ نوحاً ﴿وَعَادٌ﴾ هوداً ﴿وَثَمُودُ ﴾ صالحاً ﴿ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ﴾ إبراهيمَ ﴿وَقَوْمُ لُوطٍ﴾ لوطاً ﴿وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ﴾ شعيباً ﴿وَكُذِّبَ مُوسَىٰ ﴾ كذَّبه فرعونُ وقومُ فرعون، ولم يقل: قومُ موسى؛ لأنَّ قومَ موسى بنو إسرائيل وكانوا قد آمنوا به[1].

﴿فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾: أخَّرْتُ آجالَهم ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾: عاقَبْتُهم على كفرِهم وأهلَكْتُهم؛ يعني: قومَ نوحٍ بالطُّوفان، وعاداً بالرِّيح، وثموداً بالصَّيحة، ونمروذَ ببعوضةٍ، وقومَ لوطٍ بالخسف وإمطارِ الحجارةِ عليهم، وأصحابَ مديَنَ بالظُّلَّة، وأعداءَ موسى بالغرق، ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾: إنكاري بالعذاب والهلاك.

* * *

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٦/ ٥٨٩)، و«تفسير الرازي» (١٣/ ٢٣١).

(٤٥) ـ ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾.

﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾: أهلِ قريةٍ ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾: أهلَكْناهم ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ أهلُها مشركون ﴿فَهِيَ﴾؛ أي: القريةُ ﴿خَاوِيَةٌ﴾ فيها قولان:

أحدهما: ساقطةٌ ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾: سُقوفِها؛ أي: سقطَتْ ثم سقطَتْ عليها الجُدُر، وقيل: على عروشِ كُرومِها.

والثَّاني: ﴿خَاوِيَةٌ﴾: خاليةٌ من أهلِها باقيةٌ على حالها، وفي العروشِ على هذا الوجه قولان: أحدهما: ما سبق، والثَّاني: جمعُ عرشٍ، وهو: سريرُ المُلْك(١).

﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ﴾: مُبْطَلَةٍ بهلاكِ أهلها.

وقيل: بتركِ الاستقاءِ منها، وفَقْدِ دَلْوِها ورِشائها، ورَفْضِ تفقُّدِها وعمارتها.

وقيل: غارَ ماؤها فيَبِسَت.

وتعطيلُ الشَّيء: إبطالُ عملِه. والبئرُ: من بَأَرْتُ؛ أي: حفَرْتُ، وهي مؤنَّثةٌ.

﴿وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ قيل: حَصينٍ، وقيل: رَفيعٍ، مِن قولِ العرب: شادَهُ؛ إذا رفعَه.

وقيل: ﴿مَّشِيدٍ﴾ مبنيٍّ بالشِّيد، وهو الجِصُّ.

عُطف بهما على ﴿قَرْيَةٍ﴾؛ أي: وكأيِّن من قريةٍ وبئرٍ وقصرٍ. وقيل: عُطِفا على ﴿عُرُوشِهَا﴾، وإنما يكونُ ذلك على مَن جَعَل معنى ﴿خَاوِيَةٌ﴾: خاليةً باقيةً.

والمعنيُّ بهما: الباديةُ والحاضرةُ، وهما النَّاسُ جميعاً(٢).

وفي البئرِ والقصرِ قولان:

---

(١) انظر ما تقدم في تفسير قوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩].

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٦٢)، واستغربه.

أحدهما: أَنَّهما للعموم، وهو الأظهَرُ والأَوْلَى.

وقيل: للخصوص[١]، وفيه قولان:

أحدهما: أَنَّهما بحضرموتَ من أرض البحر، وهما معروفان، والقصرُ مشرفٌ على قُلَّةِ جبلٍ لا يُرْتَقَى إليه بحالٍ، والبئرُ في سفحِه لا تُقِرُّ الريحُ شيئاً يَسقطُ فيها.

والثّاني: قال الضَّحَّاك: هذه كانت بحضرموتَ في بلدةٍ يقال لها: حاضُورا، نزل بها أربعةُ آلافٍ ممَّن آمَنَ بصالحٍ، أَتَوا حضرموتَ ومعهم صالحٌ، فلمَّا حَضَروه مات صالحٌ فسمَّوا المكانَ حضرموت، ثمَّ إنَّهم كَثُروا وكَفَروا وعَبَدُوا الأصنامَ، فبَعَثَ اللهُ إليهم نبيًّا يقال له: حنظلةُ بنُ صفوانَ، وكان حمَّالاً ـ وقيل: اسمُه: شريحُ بنُ صفوانَ ـ فقتَلوه في السُّوق، فأهلَكهم الله عن آخرهم، وعطَّل بئرَهم وخرَّب قصرَهم[٢].

وقال ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أمَّا البئرُ المعطَّلةُ فإنَّها كانت لأهلِ عَدَنَ من اليمن وهي الرَّسُّ، قال: وكذلك قال الله تعالى لهم: ﴿أصحابُ الرَّسِّ﴾[٣].

ورَوَى الواقديُّ بإسناده عن نوفٍ البِكَاليِّ عن كعبِ الأحبار: أنَّ القصر بناه عادٌ الثَّاني، وهو منذرُ بنُ عادِ بنِ إرَمَ بنِ عادٍ، حكاه النَّقَّاش، ووصَفَ البناءَ بما لا فائدةَ في وصفه، ثم قال: فكذَّبوه فأهلَكَهم الله، وإنَّه لَيَخْرُجُ منها دخانٌ أسودُ مُنْتِنٌ، فمَن دنا اليومَ من القصر سمع أنينَ القوم[٤].

* * *

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٦٢)، وعدَّه من العجائب، وأشار للقولين الآتيين محيلًا إلى تفسيره هنا.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٨/ ٣٨٢)، وأبو بكر النقاش في «تفسيره» كما في «التعريف والإعلام» للسهيلي (ص: ١١٨).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٩/ ٤١٣) بلا نسبة.

(٤) ذكره مختصرًا أبو حيان في «البحر المحيط» (٧/ ٥٢٠)، ولعله نقله من المصنف.

(٤٦) ـ ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾.

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ فيَرَوا آياتِ عذابِ اللهِ في الذين كذَّبوا الأنبياءَ، فيَحْذَروا وقوعَ مِثْلِ ذلك بهم.

وقيل: معناه: قد ساروا ورأَوا فهلَّا أَعْمَلوا عقولَهم واعتبَروا.

﴿فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ ﴾ ما يرادُ بهم؛ أي: يعلَمون بها.

والعقلُ: علمٌ غريزيٌّ يُكتسَبُ به العلم الاختياريُّ(١).

﴿أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾ ما يُوْعَظون به؛ أي: يَنْتَفِعون بما يَسمعون.

﴿فَإِنَّهَا﴾ قيل: هي القصَّةُ، كالأمرِ والشَّأن، وقيل: كنايةٌ عن الأبصار بشريطةِ التَّفسير ﴿لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ﴾؛ أي: عن النَّظر ﴿وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ عن الاعتبارِ.

وقيل: معناه: ليس العَمَى عَمَى البصرِ، ولكنَّ العَمَى عَمَى القلبِ.

ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما ومقاتلٌ: لمّا نزل: ﴿ وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ ﴾ [الإسراء: ٧٢] جاء ابنُ أمِّ مكتومٍ ـ وهو عبدُ الله بن زائدةَ ـ إلى النَّبيِّ ﷺ فقال: يا رسولَ الله، أنا في الدُّنيا أعمى، أفَأكونُ في الآخرةِ أعمى؟ فأنزل اللهُ هذه الآية(٢).

---

(١) ذكر الماوردي أن العقل علم، وذكر السمعاني أنه علم غريزي، وخصه العسكري فقال: «العقل هو العلم الأول الذي يزجر عن القبائح». انظر: «الفروق اللغوية» للعسكري (ص: ٨٣)، و«النكت والعيون» للماوردي (٤/ ٣٠٢)، و«تفسير السمعاني» (٣/ ٤٤٥).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٨/ ٣٨٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما ومقاتل، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٤٩٨) عن قتادة. وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٦٢)، واستغربه.

وأكَّد القلبَ بالصَّدرِ تأكيداً، ونَفْياً لمجازٍ يُستعمل القلبُ له[١].

ابنُ عيسى: القلبُ اسمٌ مشتركٌ، فقيِّد بالصَّدر[٢].

قال المفسِّرون: وفي الآية دليلٌ على أنَّ القلبَ محلُّ العقلِ والعلمِ لا الدِّماغَ[٣].

* * *

(٤٧) ـ ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾؛ أي: استهزاءً، نزلت في النَّضر بن الحارث[٤].

﴿وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾: لا يجوزُ عليه الخُلْفُ، فهو يأتيهم به للوقتِ الذي عيِّن له، وقيل: ولن يُخْلِفَ اللهُ وعدَه في النَّظِرة[٥] لهم.

﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾؛ أي: عذابُ يومٍ من أيَّام الآخرة يقومُ مَقامَ عذابِ ألفِ سنةٍ من سِنِيْ الدُّنيا، فهم يَستعجلون ما هذه صفتُه.

وذهب ابن مسعودٍ رضي الله عنه في جماعةٍ إلى أنَّ كلَّ يومٍ هناك في قَدْرِ ألفِ سنةٍ من الدُّنيا[٦].

وقيل: عذابُ يومٍ في الآخرةِ منزَّلٌ[٧] منزلةَ عذابِ ألفِ سنةٍ، وكذلك

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٤٣٢).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٦٢).

(٣) انظر البحث في هذه المسألة في: «تفسير الماتريدي» (٩/ ٣٦٦)، و«تفسير الرازي» (٢٤/ ٥٣١).

(٤) ذكره مقاتل في «تفسيره» (٣/ ١٣١)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢٧) بلا نسبة.

(٥) النظرة: التأخير، قال تعالى ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾. انظر «تاج العروس» مادة: (ن ظ ر) (١٤/ ٢٤٩).

(٦) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٣٣) عن مجاهد، وروى معناه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥٩٧ ـ ٥٩٨) عن ابن عباس وأبي هريرة وعكرمة ومجاهد.

(٧) في (ف): «ينزل».

نعيمُ يومٍ في الآخرةِ يقومُ مقامَ لـذَّاتِ الدُّنيا ونعيمِها ألفَ سنةٍ لو عاش فيها.

وقيل: معناه: لا فوتَ، وأنَّ يوماً عنده وألفُ سنةٍ سواءٌ(١).

ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما في جماعةٍ: أنّ كلّ يومٍ من الأيّام السّتّة التي خلق الله فيها السّماوات والأرض كألف سنةٍ ممّا تعدّون(٢).

***

(٤٨) ـ ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾.

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا﴾: أمهلتُها بتأخير عقوبتها ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾: كافرةٌ ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهَا﴾ بالعذاب(٣) ﴿وَإِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾: مرجعُ الجميع، فلا يفوتني شيءٌ.

***

(٤٩) ـ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾.

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾: يا أهل مكّة ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾؛ أي: بشيرٌ ونذيرٌ.

ثم بشَرَ فقال:

(٥٠) ـ ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾.

﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾: الجنّةُ، والكريمُ من الأشياء: هو الذي جمع فضائل متنوّعةً.

وقيل: ﴿كَرِيمٌ﴾: حسنٌ. وقيل: ﴿كَرِيمٌ﴾(٤): شريفٌ واسعٌ. وقيل: ﴿رزقٌ

---

(١) أي: لا يفوته شيء، وإنَّ يومًا عنده في الإمهال وألف سنة سواء؛ لأنَّه قادرٌ عليهم متى شاء أخذهم. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٤٣٣)، و«البسيط» للواحدي (١٥/ ٤٤٧).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥٩٦).

(٣) في (ف): «بالعقوبة».

(٤) «كريم»: ليس في (ف).

﴿كَرِيمٌ﴾ لا يكتسب بالدّنيّات من التّذلّل للخلق والأخذ من المنّان وارتكاب الظّلم.

ثم أنذر فقال:

(٥١) ـ ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾.

﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا﴾: يجتهدون في ردّ القرآن وإبطاله ﴿مُعَاجِزِينَ﴾: مقدّرين أنّهم يعجزوننا ظانّين ذلك، ﴿ومُعَجِّزِين﴾[1]: مثبّطين النّاس عن الإيمان بمحمّدٍ عليه السّلام.

وقيل: ﴿مُعَاجِزِينَ﴾: يغالبون النّبيَّ طامعين في إعجازه.

﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾: النّارِ الموقَدةِ، وقيل: الجحيمُ: إحدى الطّبقات.

* * *

(٥٢) ـ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾ ﴿مِن﴾ لابتداء الغاية.

﴿مِنْ رَسُولٍ﴾ ﴿مِن﴾: زيادةٌ لعموم النّفي.

﴿وَلَا نَبِيٍّ﴾: اختلَفوا في الرّسول والنّبيِّ[2]:

فقال بعضُهم: كلُّ رسولٍ نبيٌّ، وكلُّ نبيٍّ رسولٌ[3].

---

(١) هي قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وقرأ الباقون ﴿معاجزين﴾ بالألف. انظر: «السبعة» (ص: ٤٣٩)، و«التيسير» (ص: ١٥٨).

(٢) انظر: «معجم الفروق اللغوية» (ص: ٥٣٠ ـ ٥٣١)، و«تفسير الثعلبي» (١٨/ ٣٩٠)، و«الهداية» لمكي (٧/ ٤٩١٣ ـ ٤٩١٦)، و«تفسير الرازي» (٢٣/ ٢٣٦) وما بعدها.

(٣) نسب هذا القول للمعتزلة، ومال إليه مكي في «الهداية» (٧/ ٤٩١٣)، وانظر: «تفسير الرازي» (٢٣/ ٢٣٦).

وقال بعضُهم: الرَّسولُ أعلى شأناً؛ لأنَّ كلَّ رسولٍ نبيٌّ، وليس كلُّ نبيٍّ رسولاً.

وقال بعضُهم: الرَّسول: صاحبُ الشَّرع، والنَّبيُّ: هو الذي يؤمَرُ باتِّباعِ شرعٍ سابقٍ.

وقال بعضُهم: الرَّسولُ: الذي يأتيهِ الملَكُ بالوحي، والنَّبيُّ: الذي يَرَى في المنام ما يوحَى إليه.

وقيل: النَّبيُّ: المحدَّثُ الذي لم يُرْسَلْ[1].

وقيل: المرادُ بالرَّسول هاهنا: الملَكُ، وبالنَّبيِّ: الإنسُ، وفيه ضعفٌ؛ لأنَّ ما بعدَه ليس مِن وَصْفِ الملَكِ[2].

﴿إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ فيها قولان:

أحدهما: ﴿تَمَنَّىٰٓ﴾ حدَّث به نفسه.

والثّاني: تلا، وأُنشد:

تَـمَـنَّـى كـتـابَ الله آخـرَ لَيْلِهِ ... تمَنِّيَ داوُدَ الزَّبُورَ عَلى رِسْـلِ[3]

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٦٣)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٦٣)، وعدَّه من العجائب.

(٣) البيت برواية المؤلف دون نسبة في «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٥٣٨)، و«المنجد في اللغة» لكراع النمل (ص: ١٥٤)، و«الزاهر» لابن الأنباري (٢/ ١٥١)، و«تفسير القرآن» لابن أبي زمنين (٣/ ١٨٩)، و«الغريبين» للهروي مادة: (م ن ا)، (٦/ ١٧٨٢) و«المحرر الوجيز» (٤/ ١٢٨)، و«المحكم» لابن سيده (١٠/ ٥١١). وعزاه الآلوسي في «روح المعاني» (١٧/ ٣٦٠) لحسان، وليس في ديوانه. و«رِسْل» بكسر فسكون بمعنى: تؤدَةٍ وهِينةٍ.

وذكروا بيتاً آخر بهذا المطلع، وتتمته مختلفة كما في «العين» (٨/ ٣٩٠)، و«السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٥٣٨)، و«المنجد في اللغة» لكراع النمل (ص: ١٥٤)، و«معاني القرآن» للزجاج =

وأصلُ الكلمة من: مَنَى الله كذا؛ أي[1]: قدَّر، وتَمنِّي الإنسان: تقديرُه بلوغَه. والتَّمنِّي: التِّلاوة؛ لأنَّ التَّاليَ يُقدِّر الحروفَ ويذكرُها شيئاً فشيئاً.

﴿أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ في سببِ النُّزول: أنَّ النَّبيَّ ﷺ لمّا رأى تولِّيَ قومه عنه شقَّ عليه ما رأى من مُباعَدَتهم عمَّا جاءهم به، تمنَّى في نفسه أن يأتيَه من الله ما يُقاربُ به بينَه وبينَ قومه، وذلك لحِرْصِه على إيمانهم، فجلسَ ذاتَ يومٍ في نادٍ من أندية قريشٍ كثيرٍ أهلُه، وأحبَّ أنْ لا يأتيَه من الله شيءٌ يَنْفِرون به عنه، وتمنَّى ذلك، فأنزلَ اللهُ سورةَ: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ [النجم: ١] فقرأها رسولُ الله ﷺ حتَّى بلَغ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٩ ـ ٢٠] ألقى الشَّيطانُ على لسانه بما كان يحدِّثُ به نفسَه ويَتمنَّاه: «تلك الغرانيقُ العُلَى وإنَّ شفاعتهنَّ لتُرْتَجى».

ورُوي: «تلك الغرانقةُ العُلى».

= (٣/ ٤٣٥)، و«الزاهر» لابن الأنباري (٢/ ١٥٠)، و«أمالي الزجاجي» (ص: ٢٠)، و«تفسير السمرقندي» (٢/ ٤٦٤)، و«الوجوه والنظائر» لأبي هلال العسكري (ص: ١٥٠)، و«الغريبين» للهروي مادة: (م ن ا) (٦/ ١٧٨٢)، و«تفسير الثعلبي» (١٨/ ٣٢٢)، و«المحكم» لابن سيده (١٠/ ٥١١)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ١٢٨). وتتمته:

.........................أوّلَ ليلةٍ   وآخرَه لاقَى حِمَامَ المَقَادِرِ

وذكر بعضهم كابن الأنباري والهروي والثعلبي: أنه في رثاء عثمان رضي الله عنه.

ووقع في النسخ: «ليلةٍ»، والمثبت من أكثر المصادر وهو أصح، قال الشهاب في «الحاشية على البيضاوي» (٢/ ١٨٩): و«ليله» قيل: مضاف إلى ضمير الغائب، لا بتاء التأنيث للوحدة على ما في بعض النسخ، يعرف ذلك بالتأمل، ويؤيده أنّ ابن الأنباري وغيره أنشد تمامه: «وآخره لاقى..»، ولم يرو: وآخرها.

(١) في (ف): «إذا».

ويروى: «الغرانيقُ الأولى منها الشَّفاعةُ تُرْتَجَى».

والغرانيقُ والغرانقةُ: جمع غُرنوقٍ وغِرْناقٍ. وهو الحسن.

وقيل: جمع غِرنيقٍ، وهو الطَّيرُ العظيم، كانوا يدَّعون أنَّها تَصْعَدُ إلى السَّماء وتعلمُ الغيوبَ.

وقيل: عَنَوا أنَّها كالملائكة.

فلمَّا سمعتْ قريشٌ ذلك فرحوا، ومضى رسولُ الله ﷺ في قراءته، فقرأ السُّورة، فسَجَدَ المسلمون بسجوده وسَجَد جميعُ مَن في المسجدِ من المشركين، فلم يَبْقَ في المسجد مؤمنٌ ولا كافرٌ إلَّا سَجَد، إلَّا الوليدَ بنَ المغيرةِ وأبا أحيحةَ سعيدَ بن العاص، فإنَّ كلَّ واحدٍ منهما أَخَذ كفًّا من ترابِ البطحاء ورفَعَه إلى جبهتِه وسجَد عليها؛ لأنَّهما كانا شيخين كبيرين لم يستطيعا السُّجود، وتفرَّقت قريشٌ وقد سرَّهم ما سمعوا، وقالوا: قد ذَكَر محمَّدٌ آلهتَنا فأَحْسَنَ الذِّكر، وقالوا: قد عرفنا أنَّ الله يُحْيِي ويُميتُ ويَخْلُقُ ويَرزقُ، ولكنَّ آلهتَنا هذه تَشْفعُ لنا عنده، فإذا جعَل معه لها محمَّدٌ نصيباً فنحن معه، فلمَّا أمسى رسولُ الله ﷺ أتاه جبريلُ فقال: ماذا صنعتَ؟ تلوتَ على النَّاس ما لم آتِكَ به عن الله، وقلتَ ما لم أَقُلْ لك! فحَزِن رسولُ ﷺ حزناً شديداً وخاف مِن الله خوفاً كثيراً، فأنزل الله هذه الآية، فقالت قريشٌ: نَدِم محمَّدٌ على ما ذَكَر من منزلةِ آلهتِنا عند الله، فازدادوا شرًّا إلى ما كانوا عليه.

قال قتادة: ﴿أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ في تلاوته وهو ناعسٌ.

وقيل: ﴿أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ في تلاوته بقراءةِ الشَّيطانِ رافعاً صوتَه، فظنَّ النَّاس السَّامعون أنَّه من قراءةِ النَّبيِّ ﷺ(١).

---

(١) قصة الغرانيق معروفة، ولا يصح فيها شيء، فقد رويت فيها مرسلات عن قتادة والضحاك وأبي =

ابن عيسى: تلاوةُ منافقٍ من شياطين الإنس، فخُيِّل إلى النَّاس أنَّه من تلاوةِ النَّبيِّ عليه السّلام(١).

الحسن: تلك الغرانيقُ العُلَى بزَعْمِكم أيُّها المشركون(٢).

= العالية وأبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وغيرهم، وروي فيها خبر من طريق عطية العوفي عن ابن عباس، لكن إسناده ضعيف جداً. وتنظر هذه الأخبار في «تفسير الطبري» (١٦/ ٦٠٤ ـ ٦١٢).

وقد تكلم العلماء المحققون في توهين ما روي في هذه القصة وردها عقلاً ونقلاً فلا داعي للإطالة في ذلك. ويكفي في ردها ما قاله القاضي عياض: «فيكفيك أنّ هذا حديث لم يُخرِّجه أحد من أهل الصحَّة، ولا رواه ثقة بسند سليم متصل، وإنما أُولِع به وبمِثْله المفسرون والمؤرخون المُولَعون بكلِّ غريب، المتلقِّفون من الصحف كلّ صحيح وسَقيم، وصَدَق القاضي بكرُ بن العلاء المالكيّ حيث قال: لقد بُلِي الناس ببعض أهل الأهواء والتفسير، وتعَلَّق بذلك المُلحِدون مع ضَعْف نَقَلَتِه واضطراب رواياتِه وانقطاع إسنادِه واختلاف كلماتِه...». انظر: «الشفا» (٢/ ١٢٥).

وممن تكلم في توهين هذه القصة الإمام أبو حفص النسفي في «التيسير في التفسير» عند هذه الآية، فذكر ثلاثة وجوه في إبطالها بحيث لا يبقى شك في ذلك لمن طالع كلامه. ثم ختم ذلك بقوله: فبَطَلت الوجوه كلُّها، ولم يبق إلا وجهٌ واحد، وهو أن النبي ﷺ سكت عند قوله: ﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ﴾ والشيطانُ حاضرٌ، فتكلَّم الشيطان بهذه الكلمات متَّصلاً بقراءة النبيِّ ﷺ، فوقع عند بعضهم أن النبيَّ ﷺ هو الذي تكلَّم بها، ويكون هذا إلقاءً في قراءة النبي ﷺ، وكان الشيطان يتكلَّم في زمن النبي ﷺ ويُسمَع كلامه؛ كما ذُكر عنه في اليوم الذي مكَروا بالنبيِّ ﷺ في دار الندوة، وإبليس ظهر يوم أحدٍ على صورة شيخ نجديٍّ... إلى آخر ما قال.

قلت: وهذا الذي رجحه النسفي سيشير إليه المؤلف لاحقاً.

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفاسير» (٢/ ٧٦٤)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٦٤)، وعدَّه من العجائب، وفيه: «كان قرآنًا فنسخ».

وبعضُ المفسِّرين أنكرَ هذا أصلاً، وقال: النَّبيُّ عليه السَّلام معصومٌ من أن يَجريَ على لسانه ما هو كفرٌ.

وبعضهم قال: هذا من الأخبار الآحاد التي لا تُوجب علماً.

ويحتمِل أنَّه حكى كلامَهم ثمَّ أَنْكر عليهم، وتقديرُها: تلك الغرانيقُ العُلَى[1] بزَعْمِكم ـ كما قال الحسن ـ أَمِنْها الشَّفاعةُ ترتجَى، وكم مَلَكٍ في السّماوات لا تُغْني شفاعتُهم شيئاً؟! والله أعلم.

﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: فيبيِّن بطلانَ ذلك ويُخبِرُ أنَّه من الشَّيطان ﴿ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ﴾؛ أي: يُنزِلُها مُحْكَمةً مثبتةً[2] لا يَجِدُ أحدٌ إلى بُطلانها سبيلاً.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بوَحْيه ﴿حَكِيمٌ﴾ بخَلْقه.

* * *

(٥٣) ـ ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾.

﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً﴾: ضلالاً. وقيل: امتحاناً. وقيل: عذاباً؛ أي: سببَ عذابٍ.

﴿لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: شكٌّ ونفاقٌ، وهم المنافقون ﴿وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ هم المشركون ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: المنافقينَ والمشركينَ ﴿لَفِى شِقَاقٍۭ﴾: خلافٍ ﴿بَعِيدٍ﴾: عن الحقِّ.

---

(١) في (ف) زيادة: «أيها المشركون».

(٢) في (ف): «مبينة».

وقيل: ﴿شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾: خلافٍ طويلٍ مع النَّبيِّ والمؤمنين.

* * *

(٥٤) ـ ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾: الإيمانَ والتَّوحيد، وهم المؤمنون، وقيل: العقل والتّمييز ﴿أَنَّهُ﴾: أنَّ القرآنَ ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ﴾: بالقرآنِ وبالله ﴿فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ﴾: فيتواضعوا لله ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ يُثبِّتُهم عليه.

* * *

(٥٥) ـ ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾.

﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾: شكٌّ لا يفارقُهم أبداً من سجود النّبيِّ عليه السّلام، وقيل: ممَّا تلاه، وقيل: مِن القرآن.

﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾: القيامةُ، وقيل: الموت ﴿بَغْتَةً﴾: مباغتاً؛ أي: مفاجئاً.

﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ﴾ قيل: هو لأحدِ الشَّيئين على أصله، وقيل: بمعنى الواو[1].

---

(١) الأول مذهب البصريين، والثاني مذهب الكوفيين، والبصريون يرون هذا شاذاً لا يُحمل عليه القرآن الكريم، وقد ذهب إليه قطرب، وارتضاه ابن مالك، وتبعه عامة المتأخرين. انظر: «حروف المعاني والصفات» للزجاجي (ص: ٥٢)، و«شرح الكتاب» للسيرافي (٣/ ٤٣٢)، و«الزاهر» للأزهري (ص: ٣٦)، و«الخصائص» لابن جني (٢/ ٤٦٢)، و«الإنصاف» للأنباري (٢/ ٣٩١)، و«شرح التسهيل» لابن مالك (٣/ ٣٦٤).

﴿عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾: يومِ القيامة؛ لأنَّه لا يَعْقُبُ بعدَه يومٌ.

وقيل: عقيمٍ على الكفَّار فلا يكونُ لهم فيه خيرٌ.

وقيل: ﴿يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾: يوم بدرٍ، سمِّي عقيماً لأنَّ نسلَهم انْقَطَع فيه، وقيل: لأنَّهم لم ينظروا إلى اللَّيل، وقيل: عقيمٌ لعِظَم أمره، وأنَّه لا مِثْلَ له؛ لقتالِ الملائكة فيه.

* * *

(٥٦ - ٥٧) - ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٥٦) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾.

﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾: يومَ القيامة، كقوله: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ﴾ [غافر: ١٦] ﴿يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾: يقضي بينهم.

ثم بيَّن حكمَه فيهم فقال: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٥٦) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾؛ أي: عذابٌ معه ذلَّةٌ وهوانٌ.

وقيل: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: يومَ بدرٍ، فحَكَم لنبيِّه بالنُّصرة، وللمؤمنين بالجنَّة، ولأعدائه بالقتلِ والهزيمةِ والنَّار.

* * *

(٥٨) - ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: خرجوا من أوطانهم مجاهِدِين ﴿ثُمَّ قُتِلُوا﴾ في الجهادِ ﴿أَوْ مَاتُوا﴾ حَتْفَ أَنْفِهم ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾: الجنَّةَ ونعيمَها.

وقيل: الشَّهادةَ ثم الجنَّة.

وقيل: العلمَ والحكمةَ في الدُّنيا.

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ لأنَّه يرزقُهم إلى غيرِ نهايةٍ.

* * *

(٥٩) ـ ﴿لَيُدۡخِلَنَّهُم مُّدۡخَلٗا يَرۡضَوۡنَهُۥۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٞ﴾.

﴿لَيُدۡخِلَنَّهُم مُّدۡخَلٗا﴾: مكاناً: الجنَّةَ، وقيل: هو مصدرٌ، ومَن قرأ بالفتح فعلى هذين الوجهين[١].

﴿يَرۡضَوۡنَهُۥ﴾: الجنَّةَ يرضاها كلُّ أحدٍ لا يبتغِي عنها[٢] حِوَلاً ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ﴾ بأحوالهم ﴿حَلِيمٞ﴾ لم يُعجلْهم بالعقوبة والعذاب.

* * *

(٦٠) ـ ﴿ذَٰلِكَۖ وَمَنۡ عَاقَبَ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيۡهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: الأمرُ ذلك ﴿وَمَنۡ عَاقَبَ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ﴾ نزلتْ في قومٍ من المشركين أرادوا قتالَ قومٍ من المسلمين لِلَيلتَينِ بَقِيَتا من المحرَّم، فكره المسلمون القتال فيه وسألوهم أن يكفُّوا عن قتالِهم؛ للشَّهر الحرام، فأبَى المشركون إلَّا القتالَ، فقاتَلَهم المسلمون ونصَر اللهُ المسلمين[٣].

وقيل: نزلت في أحدٍ[٤].

---

(١) قرأ نافع: (مَدْخَلًا) بفتح الميم، والباقون بضمها. انظر: «السبعة» (ص: ٤٣٩)، و«التيسير» (ص: ٩٥).

(٢) في (ف): «يرضاه... لا يبتغي عنه».

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ١٣٥).

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٥١٥) عن قتادة، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٦٧٤٤) عن =

ومثلُه: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾ [النحل: ١٢٦]، فسمَّى الأوَّل عقاباً ازْدِواجاً للكلام، ومثلُه قولُهم: «كما تَدِينُ تُدَانُ»، والأوَّلُ ليس بمجازاةٍ.

﴿ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ﴾؛ أي: حارَبُوه بعد ذلك، وقيل: ﴿ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ﴾ بعد أَخْذِ حقِّه.

﴿لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ﴾ أَوْجَبَ اللهُ على نفسه نصرةَ المبغيِّ عليه.

مجاهدٌ: ﴿ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ﴾ يعني: محمَّداً ﷺ، وعَدَه اللهُ أنْ يَنْصُرَه[1].

الحسن: ﴿ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ﴾: أُخْرِجَ مِن مَنزله[2].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ للمنتصِرِ من الظَّالم.

* * *

(٦١) ـ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ فيكونُ النّهارُ خمسَ عَشْرةَ ساعةً، واللَّيل تسعَ ساعاتٍ.

وقيل: اللَّيلُ والنَّهار أبداً اثنتا عشرةَ ساعةً، تَطُولُ وتَقْصُرُ السَّاعات[3].

والمعنى: فلا يخفَى عليه شيءٌ فيهما ولا يَعجزُ عن شيءٍ أرادَه.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ﴾ متَّصلٌ بالآيةِ الأولى؛ أي: سَمِع قولَ المعاقِبِ والباغي ﴿بَصِيرٌ﴾: أبصرَ فِعْلَهم، فيَجْزِيهم.

= الشعبي، كلاهما في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٦٢٠) عن ابن جريج.

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٥/ ٤٨١).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٦٦)، وعدَّه من العجائب.

(٦٢) ـ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾؛ أي: ذو الحقِّ. وقيل: هو المستحِقُّ للعبادة. وقيل: الثَّابتُ الموجودُ، لا أوَّلَ لوجوده ولا آخِرَ.

﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾: الأصنامَ، وقيل: الشَّيطان ﴿هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾: الزَّائلُ لا وجودَ لوصفِ الإلهيَّة له ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾.

***

(٦٣) ـ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾: مطراً، هذا استفهامٌ معناه الخبرُ، ولهذا رُفع بعدَه: ﴿فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾[(١)].

قيل: أَنْزَلَ فأَصْبَحَ، ويُنْزِلُ فيُصْبِحُ، فاقتُصِر من كلٍّ بلفظةٍ[(٢)]، ومنه قول الشّاعر:

ولقَد أَمرُّ على اللَّئيمِ يَسُبُّني ... فمضيتُ ثُمَّتَ قلتُ لا يعنيني[(٣)]

---

(١) ذكر سيبويه في «الكتاب» (٣/ ٤٠): أنه سأل الخليل عن هذه الآية فقال: «هذا واجب، وهو تنبيه، كأنك قلت: أتسمع أن الله أنزل من السماء فكان كذا وكذا. وإنما خالف الواجب النفي؛ لأنك تنقض النفي إذا نصبت وتغير المعنى....». فليس اخضرار الأرض واقعاً من أجل الرؤية وبسببها، وإنما هو واقع في كل حال.

(٢) أي: تقدير الآية: أنزلَ من السماء ماء فأصبحت الأرض مخضرة، ويُنزل فتصبح، فاكتفى عن كلِّ زمانٍ بذكر لفظ واحد، كما في البيت الآتي. انظر: «غرائب التفسير» (٢/ ٧٦٦).

(٣) أي: أمرُّ فيسبني فأمضي، كما مررت فسبني فمضيت، واستغرب المؤلف هذا القول في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٦٦)، وقد ذهب أبو علي في «الحجة» (٢/ ٢٠٨)، وابن جني في «الخصائص» =

قوله: ﴿فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ بالنَّبات بعد أن كانتْ مسودَّةً يابسةً.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ﴾: لا يَخْفى عليه شيءٌ.

وقيل: ﴿لَطِيفٌ﴾ باستخراج النَّبات منها ﴿خَبِيرٌ﴾: عالمٌ به.

* * *

(٦٤) ـ ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾.

﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾؛ أي: لغنيٌّ عن خَلْقه حميدٌ على فِعْله.

* * *

(٦٥) ـ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: تستعملونه فيما احتَجْتُم إليه.

﴿وَٱلْفُلْكَ﴾: السُّفُنَ ﴿تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ﴾، فهي[1] عطفٌ على ﴿مَّا﴾، و﴿تَجْرِى﴾ حالٌ لها.

وقيل: عطفٌ على اسم ﴿أَنَّ﴾.

﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾: يحفظُها مِن أنْ تقَع، وقيل: كراهةَ أن تقع، وقيل: لئلَّا تقع ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾: بأمره وإرادته ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ تفضَّلَ عليهم بما عدَّ في الآية.

= (٣/ ٣٣٤) إلى أن المراد بالمضارع الماضي؛ أي: ولقد مررت. والبيت لشمر بن عمر الحنفي كما في «الأصمعيات» (ص: ١٢٦).

(١) أي: لفظة (الفلك).

(٦٦) ـ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحۡيَاكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحۡيَاكُمۡ﴾؛ أي: في الأرحام ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ﴾ عند الموت ﴿ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ﴾ للبعثِ والنُّشور ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ﴾ قيل: عامٌّ، والمراد به: كفرانُ النِّعمة.

وقيل: أراد بـ﴿ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ الكفَّارَ.

***

(٦٧) ـ ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكًا هُمۡ نَاسِكُوهُۖ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلۡأَمۡرِۚ وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدٗى مُّسۡتَقِيمٖ﴾.

﴿لِّكُلِّ أُمَّةٖ﴾: أهلِ دِينٍ، وقيل: دِينٍ ﴿جَعَلۡنَا مَنسَكًا﴾ قيل: عيداً، وقيل: موضعَ عبادةٍ، وقيل: إراقةَ دمٍ، وقيل: شريعةً تُعبِّدُوا بها، وقيل: ذبيحةً.

﴿هُمۡ نَاسِكُوهُ﴾؛ أي: يَنْسُكونَ تلك المناسكَ ﴿فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلۡأَمۡرِ﴾؛ أي: ليس لليهود وغيرهم من ذوي الأديان والمشركين بأنْ يُنازِعُوك في شريعةِ قومِكَ وذبائحهم.

﴿وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾: ادعُ النَّاسَ إلى عبادةِ الله ﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدٗى مُّسۡتَقِيمٖ﴾: طريقٍ واضحٍ.

***

(٦٨ ـ ٦٩) ـ ﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ﴾.

﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ﴾ ولم يقْبَلوا منك ﴿فَقُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾.

﴿ٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ﴾: أَوْعَدهم بحُكْمِه فيهم يومَ القيامة، ويجوزُ أن يكون استئنافاً.

وقيل: جادلوكَ في أكلِ الميتة، فقالوا: تأكلونَ ما قَتلتُم ولا تأكلونَ ما قَتَله الله[١]؟ والآيةُ منسوخةٌ بآية السَّيف[٢].

***

(٧٠) ـ ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ فيعلَمَ أعمالَكم فيجازِيَكم على ذلك.

﴿إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ﴾ يريد: اللَّوحَ المحفوظ ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ يكوِّنه بقوله: كنْ، فيكون[٣].

وقيل: إنَّ الحكم بينكم يسيرٌ على الله.

***

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٨/ ٤٠٣) دون سند ولا راوٍ. وروي نحو هذا في نزول قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١٢١]، رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٨٥٠) عن قتادة، ورواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٥٢٢ ـ ٥٢٦) عن ابن عباس وعكرمة وقتادة ومجاهد والضحاك وغيرهم.

(٢) ذكر ابن حزم في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ١٧) أن قوله تعالى: ﴿وَإِن جَادَلُوكَ﴾ من المنسوخ قوله تعالى ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾، وقال الواحدي في «البسيط» (١٥/ ٤٩٢): «قال الكلبي ومقاتل: نسختها آية السيف. وهذا النسخ الذي قالا لا يرجع إلى الحكم؛ لأن الله يحكم يوم القيامة بين المحق والمبطل فيدخل المحق الجنة والمبطل النار، ولكن النسخ يعود إلى النبي ﷺ لمَّا أمر بالقتال كان يقاتل من خالفه ولم يصدقه، ولا يدفع بالقول والمداراة كما أمر في هذه الآية بأن يقول إذا جادلوه: ﴿اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾».

(٣) «فيكون»: ليس في (ف).

(٧١) ـ ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾؛ أي: حُجَّةً وبرهاناً على عبادته ﴿وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾؛ أي: يَعبدونه تقليداً وجهلاً، لا عن عقلٍ وسمعٍ.

﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾: مانعٍ من عذابِ الله.

* * *

(٧٢) ـ ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾: على أهلِ مكَّة ﴿ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ﴾ بالفرائضِ والأحكام، والحلالِ والحرام؛ يريد: القرآنَ ﴿تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ﴾: الكراهِيَةَ والعُبوسَ والإنكارَ على تاليهِ، و﴿ٱلْمُنكَرَ﴾ مصدرٌ، ويجوز أن يكون مفعولاً؛ أي: الذي تنكره[1].

﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾: يَقْرُبون من الوثوبِ عليهم بالقتلِ والضَّرب، وقيل: يَبْطُشون، يقال: سطا به وعليه يسطو سَطْواً وسطوةً؛ إذا حَمَل عليه وبَطَش به.

ابنُ عيسى: السَّطوةُ: إظهارُ الحالِ الهائلة للإخافة[2].

﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ﴾: بشرٍّ عليكم وأكرهَ إليكم من الذي تسمعون؛

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٦٦)، واستغربه.

(٢) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٧/ ٥١٣) بلفظ: «إظهار ما يهول للإخافة».

أي: إنْ ساءكم سماعُ كلامِ الله وفيه إبطال دينكم، وحَسِبْتُموه شرًّا لكم، فأنا أنبِّئكم بشرٍّ من ذلكم، ثم فسّر فقال: ﴿ٱلنَّارُ﴾؛ أي: هي النارُ ﴿وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ النَّارُ.

وقيل: بأشدَّ[١] من سطوتكم.

وقيل: بشرٍّ عليكم[٢] من غيظِكم على مَن تلاه.

وقيل: بشرٍّ عليكم ممَّا يَلحَقُ التَّاليَ منكم.

***

(٧٣) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ﴾؛ أي: جُعِل مَثَلٌ، مِن قوله: ﴿ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾ [آل عمران: ١١٢].

الأخفشُ: ليس هاهنا مَثَلٌ، وإنَّ المعنى: جَعَل الكفَّار لله مثلاً؛ أي: مثلاً وشبيهاً في عبادةِ غيرِه معه[٣].

---

(١) كذا في النسختين الخطيتين، والظاهر أنها: «بشرٍّ من سطوتكم» والله أعلم.

(٢) في (ف): «بشر لكم».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٤٥٢)، وفيه: «فان قيل: فأَيْنَ المثَل؟ قلتُ: ليس هاهنا مثل؛ لأنه تبارك وتعالى قال: ضُرِبَ لِي مَثَلٌ فَجُعِلَ مَثَلاً عندهم لي، فاستمعوا لهذا المثل الذي جعلوه مثلي في قولهم واتخاذهم الآلهة وأنهم لن يقدروا على خلق ذباب ولو اجتمعوا له وهم أضعف لو سلبهم الذباب شيئاً فاجتمعوا جميعاً ليستنقذوه منه لم يقدروا على ذلك، فكيف تضرب هذه الآلهة مثلاً لربها وهو رب كل شيء الواحد الذي ليس كمثله شيء، وهو مع كل شيء، وأقرب من كل =

وقيل: هو مَثَلٌ من حيث المعنى؛ لأنَّه ضَرَبَ مَثَلَ مَن يَعبُدُ الأصنامَ بمَن يَعبُدُ ما لا يخلُقُ ذباباً.

قوله: ﴿فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ﴾ قيل: الأوثان، وقيل: الشَّياطين، وقيل: الرُّؤساء ﴿لَهُۥ﴾: لخَلْق الذُّباب، وجوابُ ﴿لو﴾ مضمرٌ؛ أي: لعَجزوا عنه.

وخصَّ الذُّباب لمهانتِه وضعفِه واستقذاره، وسمِّي الذُّباب ذباباً لأنَّه يُذبُّ استقذاراً واحتقاراً، وجمعُه: أَذِبَّةٌ وذُبَّانٌ[١].

﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ﴾؛ أي: إنْ يَسْلُبْهم من الطَّعام الذي كانوا يضعونه لها[٢].

وقيل: من العسل الذي كانوا يَطْلُون رؤوسَها.

وقيل: من العطر الذي كانوا يمسَحُونها به.

وقيل: أراد إفسادَ الذُّباب ثمارَ النَّاس وطعامَهم.

وقيل: هو الألمُ الذي يمسُّ الإنسانَ في عضِّ الذُّباب أو قَرْصِه.

﴿لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ﴾ لم يتهيَّأ لهم تخليصُه منه، تقول: أَنْقَذَه واستَنْقَذَه؛ إذا خلَّصه.

والمعنى: كيف يَصْلُح للإلهيَّة ما لا يَقدرُ على دفعِ أذيَّة ذبابٍ ضعيفٍ صغيرٍ

= شيء، وليس له شبه ولا مثل ولا كفء».

(١) انظر: «أدب الكاتب» لابن قتيبة (ص: ٤١٠)، و«جمهرة اللغة» مادة: (ذ ب ب) (٢/ ١٠٠٠)، و«الصحاح» (١/ ١٢٦)، و«تحرير ألفاظ التنبيه» للنووي (ص: ١٦٨).

(٢) في (ف): «يصنعونه لها». والمراد: الأصنام.

عن نفسه ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ﴾: الصَّنم يَطْلُبُ ما سُلِب منه ﴿وَٱلْمَطْلُوبُ﴾: الذُّبابُ يُطْلَبُ ما سَلَب.

وقيل: ﴿ٱلطَّالِبُ﴾: الكافر، ﴿وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ إليه: الصَّنم.

وقيل: معناه التَّعجُّبُ؛ أي: ما أَضْعفَ هذا الطَّالبَ وهذا المطلوبَ[1]؟!

***

(٧٤) ـ ﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾.

﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: نزلت في مالكِ بن الصَّيفِ وكعبِ بن الأشرف وجماعةٍ من اليهود قالوا: خَلَق الله السَّماواتِ وأَعْيا مِن خَلْقِها، فاستَلْقَى واستراحَ يومَ السَّبت، فوضعَ إحدى رجليهِ على الأُخرى[2].

والمعنى: ما عظَّموه حقَّ عظَمتِه.

وقيل: ما عَرَفوه حقَّ معرفته.

وقيل: ما وَصَفوه حقَّ صِفَته.

وقيل: ما اعتَقَدوا في الله ما يجبُ اعتقاده.

أي: الذين جعلوا هذا الصَّنم الضعيفَ شريكاً لله ما قَدَروا الله حقَّ قَدْره ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾: لا يَعْيَا ولا يُغْلَبُ.

---

(١) يعني الضرب الفعل على صيغة (فَعُلَ)، وتضمَّنه معنى المدح والذم، وذلك بشرط أن يكون ذلك الفعل يمكن التعجب منه بقياس، ولو لم يكن معناه التعجب لما لزم ذلك فيه، وقد حمل بعض النحاة قوله تعالى: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ على ذلك. انظر: «شرح التسهيل» لابن مالك (٣/ ٢٨)، و«تحصيد القواعد» لناظر الجيش (٦/ ٢٦٢٤).

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٥/ ٥٠٢) عن الكلبي.

وقيل: متَّصلٌ بالأوَّل؛ أي: لا يقدرُ أحدٌ على سَلْب شيءٍ من مملكته ولا على مُغالبته.

* * *

(٧٥) ـ ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾.

﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِي﴾: يختارُ ﴿مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ مثلَ جبريلَ وميكائيلَ عليهما السَّلامُ وغيرُهما، فهم رسلُ اللهِ إلى أنبيائه.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾؛ أي: ومِن النَّاس رسلاً؛ يعني: محمَّداً وموسى وعيسى عليهم السَّلام، وغيرَهم من الأنبياء والمرسلين.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لمقالَتِهم ﴿بَصِيرٌ﴾ بأفعالهم ومَن هو خيرٌ لهم[١].

* * *

(٧٦) ـ ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: أمرَ الدُّنيا ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: أمرَ الآخرة.

وقيل: ما مضَى وما لم يأتِ.

وقيل: ما كان قبلَ خلقِ[٢] الملائكةِ والنّبيّين ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ بعد فنائهم.

وقيل: ما قدَّموه وما أخَّروه.

﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾؛ أي: مَرْجعُ جميعِ الأمورِ إليه.

* * *

---

(١) أي: من الناس والملائكة، فيصطفيه إليهم رسولًا.

(٢) «خلق» من (ف).

(٧٧) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ﴾ الكلبيُّ: كانوا أوَّلَ الإسلام يصلُّون بغيرِ ركوعٍ ولا سجودٍ فأُمروا بهما[1].

وقيل: معناه: صلُّوا، وقيل: ولا تَقْصِدوا بالرُّكوع والسُّجود غيرَ الله من صنمٍ أو رياءٍ.

﴿وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ﴾ يريد: سائرَ العبادات والفروض.

وقيل: وادعوا ربَّكم في صلاتِكم؛ فإنَّها موضعُ رجائكم.

﴿وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ﴾ أراد: النَّوافل وسائرَ أبواب البِرِّ.

﴿لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾: كي تُفلِحوا وتَفُوزوا وتَبْقَوا في الجنَّة.

وقيل: لتكونوا على رجاءِ الفلاح.

عليٌّ رضي الله عنه: إذا فعلتُم ذلك ظَفِرْتُم بالمراد[2].

* * *

---

(١) ذكر نحوه الفراء في «معاني القرآن» (٢/ ٢٣١) بلا نسبة، وفيه: «كان الناس يسجدون بلا ركوع، فأمروا أن تكون صلاتهم بركوع قبل السجود»، ذكر السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٤٧١) عن ابن عباس رضي الله عنهما نحوه، وقال الآلوسي في «روح المعاني» (١٧/ ٤٢٣): «لم نره في أثر يعتمد عليه».

(٢) لم أجده.

(٧٨) ـ ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ﴾.

﴿وَجَٰهِدُواْ﴾؛ أي: جاهدوا الكفَّارَ في نُصرةِ الإسلام ﴿فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾، وحقُّ جهاده: أنْ لا تخافوا لومةَ لائمٍ.

وقيل: اعمَلوا للهِ حقَّ عمله.

وقيل: حتَّى لا يُعْبَدَ غيرُه.

وقيل: هي كقوله: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ [التغابن: ١٦]، و﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

ابن المبارك: هو جهادُ النَّفس والهوى، وهو الجهادُ الأكبر(١).

﴿هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ﴾: اختاركُم لهذا الدِّين.

وقيل: اختاركم لجهادِ عدوِّه ونصرةِ نبيِّه.

وقيل: معناه: هداكم.

﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ﴾: ضِيقٍ؛ أي: لم يضيِّقْ عليكم ولم يكلِّفْكم بما يَشتدُّ القيامُ به عليكم، بل رخَّص لكم في جميع ما كلَّفكم من الصَّلاة والصَّوم وغيرِ ذلك، وكذلك الخروجُ من الأيمان بالكفَّارات.

وقيل: معناه: جَعَل لكم من كلِّ ذنبٍ مَخرجاً بالتَّوبة وردِّ المَظْلِمة(٢)، فليس في

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٨/ ٤١٣)، والواحدي في «البسيط» (١٥/ ٥٠٦).

(٢) اللام فيه مثلثة على ما نقله الزبيدي في «تاج العروس» مادة: (ظ ل م) (٣٣/ ٣٥).

دِين الإسلامِ ما لا سبيلَ إلى الخلاص، فلا عُذرَ لأحدٍ في تركِ الاستعدادِ للقيامة.

﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾ في نصبِ الملَّة أقوالٌ:

أحدها: خذُوها واتَّبعوها.

وقيل: وسَّع عليكم كملَّةِ إبراهيم؛ لأنَّ العرب من ذرِّيَّته. وقيل: لأنَّ النَّبيَّ أبو المؤمنين.

﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا﴾ ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما في جماعةٍ: ﴿هُوَ﴾؛ أي: اللهُ سمَّاكم المسلمينَ في التَّوراةِ والإنجيلِ وسائرِ كتبه(١).

﴿وَفِي هَٰذَا﴾؛ أي: في القرآن، وقيل: في هذا الزَّمان.

الحسن: ﴿هُوَ﴾؛ أي: إبراهيمُ سمَّاكم المسلمين(٢)؛ يريد: قولَه: ﴿وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [البقرة: ١٢٨].

ويحتمِلُ على هذا التَّأويلِ أنْ يكونَ تقديرُ قوله: ﴿وَفِي هَٰذَا﴾؛ أي: في القرآنِ بيانُ تسميته إيَّاكم مسلمين، وهو قولُه: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [البقرة: ١٢٨](٣).

﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ بالطَّاعةِ والقبول.

وقيل: ﴿شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ في إبلاغِ رسالة ربِّه إليكم.

وقيل: ﴿شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ يزكِّيكم.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٦٤٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: «اللهُ سماكم المسلمين من قبلُ».

(٢) ذكره مكي بن أبي طالب في «الهداية» (٧/ ٤٩٣٨) عن الحسن وابن زيد، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٦٤٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٠٧) عن ابن زيد.

(٣) ذكر هذا الاحتمال المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٦٨)، واستغربه.

﴿وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ بتبليغِ الرُّسل رسالاتِ الله إليهم.

وقيل: شهداءَ على مَن بعدَكم بأنْ قد بلَّغتم إليهم ما بَلَّغ إليكم الرَّسولُ.

﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ بشرائطها ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ بفرائضها ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ﴾: تمسَّكوا بدِينه وامتَنِعوا بطاعته عن معصيته، واجعَلُوه عصمةً لكم ممَّا تحذرون.

وقيل: تمسَّكوا بقولِ: لا إلهَ إلَّا اللهُ.

﴿هُوَ مَوْلَىٰكُمْ﴾: مالكُكُم وناصرُكم ومتولِّي أموركم وخالقُكم ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾ لِمَن تولَّاه ونعمَ المولى لا يمنعُ الرِّزقَ بالعصيان ﴿وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾: نعمَ النَّاصرُ لمن استَنْصَره بلزومِ عبادته.

* * *

سُورَةُ المُؤْمِنُونَ

سُورَةُ المؤْمِنُونَ

مئةٌ وثماني عشْرةَ آيةً[١]، مكِّيَّةٌ بالإجماعِ[٢].

بسمِ اللّه الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: قد ظفِروا بالأُمنيةِ، والفَلاحُ: الظَّفرُ بالأُمنيةِ.

وقيل: فازُوا، والفلاحُ: الفَوزُ.

وقيل: بقُوا، والفلاحُ: البقاءُ.

وقيل: رشَدُوا، والفلاحُ: الرُّشْدُ وصلاحُ أمرِ الدِّينِ والدُّنيا.

وأفاد ﴿قَدْ﴾ تقريبَ الماضي منَ الرّاهنِ وإثباتَ الفلاحِ لهم في الحالِ[٣].

* * *

(٢) ـ ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾.

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ في سببِ النُّزولِ: عن محمَّدِ بنِ سيرينَ، عن أبي هريرةَ رضي الله عنه: كانَ رسولُ الله ﷺ ينظرُ في الصَّلاةِ إلى السَّماءِ،

---

(١) في الكوفي، وتسع عشرة آية في عدد الباقين. انظر: «البيان» للداني (ص: ١٩١).

(٢) في (ف): «سورة المؤمنين مكية».

(٣) ذكره ابن فورك في «تفسيره» (١/ ٦٢)، وقد تقدمت الإشارة إلى هذا المعنى في التعليق على تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَد دَّخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ﴾.

فأنزلَ اللهُ هذه الآيةَ، فجعلَ رسولُ الله ﷺ وجهَه حيثُ يسجُدُ[١].

وأكثرُ المُفسِّرين على أنَّ الخشوعَ في الصَّلاةِ هو: أن ينظُرَ إلى موضعِ سُجودِه إذا كان قائمًا.

ومنهم مَن قال: إلَّا بمكَّةَ؛ فإنَّه يُستَحَبُّ أن ينظُرَ إلى البيتِ.

وقيل: ﴿خَٰشِعُونَ﴾: خائفون.

وقيل: مُتواضِعون.

عطاءٌ: هو ألَّا تعبَثَ بشيءٍ من جسدِكَ في الصَّلاةِ[٢]؛ فإنَّ النَّبيَّ ﷺ أبصرَ رجلًا يعبَثُ بلحيتِه في الصَّلاةِ فقال: «لو خشَعَ قلبُ هذا لخشَعَتْ جوارِحُه»[٣].

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٤٨٣) من طريق محمد بن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه، وقال: «صحيح على شرط الشيخين لولا خلاف فيه على محمد، فقد قيل عنه مرسلاً». وقال الذهبي: «الصحيح مرسل».

والمرسل رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٣٢٦١)، وأبو داود في «المراسيل» (٤٥)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٧)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢/ ٢٨٣) وقال: «هذا هو المحفوظ مرسل».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٨/ ٤٣٥)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٦٩)، واستغربه.

(٣) رواه الترمذي الحكيم في «نوادر الأصول» (٣/ ٢١٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا، وسنده ضعيف كما قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ١٠٥).

وفيه سليمان بن عمرو، قال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٢/ ٤٠٠): «وسليمان بن عمرو هذا يشبه أن يكون هو أبو داود النخعي فإني لم أجد أحداً في هذه الطبقة غيره، وقد اتفقوا على ضعفه، قال ابن عدي: أجمعوا على أنه يضع الحديث.

وقال العراقي: والمعروف أنه من قول سعيد بن المسيب». قلت: روى هذه القصة عن سعيد بن المسيب: ابنُ المبارك في «الزهد» (١١٨٨)، وعبد الرزاق في «المصنف» (٣٣٠٨)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٦٧٨٧)، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (١٥١).

وروى مثله المروزي أيضًا (١٥٠) عن حذيفة رضي الله عنه.

والخشوعُ في اللُّغةِ: التَّذلُّلُ والإخباتُ.

***

(٣) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ﴾ ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: اللَّغْوُ: الباطلُ[١].

الحسَنُ: جميعُ المعاصي[٢].

السُّدِّيُّ: الكذبُ[٣].

وقيل: الشَّتمُ[٤].

وقيل: مجالسُ المُبتَدِعين.

الكلبيُّ: الحلِفُ[٥].

واللَّغوُ: ما حقُّه أن يُطَّرَحَ ويُلْغَى.

﴿مُعۡرِضُونَ﴾ الإعراضُ عن الشَّيءِ: أن يكونَ في عُرْضٍ غيرِ عُرْضِه؛ أي: ناحيتِه وجانبِه[٦].

***

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ١١).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٩٥٦)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ١١).

(٣) ذكره عن السدي ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٢٥٦)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٤٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ١٥٢).

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٣٩)، والواحدي في «البسيط» (١٥/ ٥٢٢)، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٦) تقدم نحوه في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ﴾.

(٤) ـ ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴾.

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴾ الزَّكاةُ في الشَّرعِ: أداءُ الصَّدقةِ الواجبةِ في المالِ بالحولِ، وهو المرادُ في الآيةِ.

وقيل: صدقةُ الفِطرِ.

وقيل: هي الصَّدقةُ؛ لأنَّ هذه السُّورةَ نزلَتْ قبل فرضِ الزَّكاةِ.

واستُعملَ[1] لفظُ الفعلِ لعمومِه في جميعِ الأفعالِ وكلِّ ما يُحدَثُ، قال أميَّةُ:

المُطعِمونَ الطَّعامَ في السَّنةِ ... الأَزمةِ والفاعِلُونَ للزَّكَواتِ[2]

ودخلَ اللَّامُ لتقدُّمِ المفعولِ، ولأنَّ اسمَ الفاعلِ لا يبلُغُ قوَّتُه في العملِ قوّةَ الفعلِ، تقولُ: هذا ضاربٌ لزيدٍ، ولا يجوزُ: ضَرَبَ لزيدٍ[3].

ويحتمِلُ أن يكونَ المفعولُ محذوفًا، واللامُ لامُ العلَّةِ، والمعنى: يفعلون ما يفعلون للزَّكاةِ؛ أي: ليصيرُوا عندَ الله أزكياءَ.

***

(٥) ـ ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ﴾.

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ﴾ لا يبذُلونَها في المُحرَّمِ.

---

(١) في (ف): «ويستعمل».

(٢) انظر: «ديوان أمية» (ص: ٣٠)، و«تفسير الثعلبي» (١٨/ ٤٤٤)، و«البسيط» (١٥/ ٥٣٣).

(٣) لأن تأخر العامل عن المعمول يكسبه ضعفاً، فتأتي هذه اللام لتقوي هذا الضعف، تقول: لك ضربت، فإذا قدمت قلت: ضربتك، وكذا إذا كان العامل فربما قوي بهذه اللام. انظر: «المقتضب» (٢/ ٣٧)، و«شرح التسهيل» لابن مالك (٣/ ١٤٨)، و«شرح الرضي على الكافية» (٢/ ٢٠٣) و(٤/ ٢٨٤).

الحسَنُ: ﴿لِفُرُوجِهِمْ﴾: لثيابهم[١].

دخلَ اللَّامُ لتقدُّمِ المفعولِ وضَعْفِ اسمِ الفاعلِ، كما سبقَ.

***

(٦) - ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾.

﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ أرادَ: إلَّا على نسائِهم وإمائِهم، و﴿مَا﴾ بمعنى (مَن)[٢].

و﴿عَلَىٰٓ﴾ هاهنا بمعنى (مِن)؛ أي: يحفَظُونَها إلّا مِنَ الأزواجِ والإماءِ[٣].

وقيل: ضدُّ الحفظِ الاسترسالُ والتَّخليةُ، وذلك يقتَضي (على).

المُبرِّدُ: في الحفظِ معنى الامتناعِ، والتَّقديرُ عندَه: امتنَعَتْ إلّا على أزواجِهم[٤].

وذهبَ الزَّجَّاجُ إلى أنَّ المعنى: يُلامون في إطلاقِ ما حُظِرَ عليهم إلَّا على أزواجِهم[٥].

والعبدُ والأمةُ يُسمَّيانِ مِلْكَ اليمينِ دونَ العَقارِ والدَّارِ.

﴿فَإِنَّهُمْ﴾؛ أي: الحافظينَ فُروجَهم ﴿غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ لا يُلامُونَ على استرسالِها على الأزواجِ والإماءِ.

---

(١) في (و) و(ن): «لنسائهم». والمثبت من (ف) و«غرائب التفسير» (٢/ ٧٧٠)، وفيه: «لثيابهم حافظون فلا يكشفونها على محرم»، واستغربه.

(٢) ذكر هذا المبرد في «المقتضب» (١/ ٤٢)، وذكر وجهاً آخر، وهو أن تكون (ما) مصدرية. انظر: (٢/ ٥٢)، وانظر: «شرح الكافية الشافية» لابن مالك (١/ ٢٧٦).

(٣) ذكره الفراء في «معاني القرآن» (٢/ ٢٣١).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٧١).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٦)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٧١)، واستغربه.

(٧) ـ ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾.

﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: طلَبَ سواها ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾؛ أي: مَن طلبَ من غيرِ الأزواجِ والإماءِ قضاءَ شهوتِه فهو مُتَجاوِزٌ ما حُدَّ له منَ الحلالِ إلى الحرامِ.

ومَن استَمْنَى بيدِه فهو منَ العادِين، وسُئِل ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما عن ذلك فقال: هو ناكحُ يدِه[1].

***

(٨) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾ الأمانةُ: ما ائتُمِنُوا فيه من أمرِ الدِّينِ والدُّنيا، منَ الصَّلاةِ والزَّكاةِ والصَّومِ والاغتسالِ منَ الحدَثِ والجَنابةِ، وكذلك أمانةُ بعضِهم لبعضٍ منَ الودائعِ والبضائعِ، وكذلك ما عُوهِدوا عليه في الدِّينِ والدُّنيا، وما عقَدَ بعضُهم لبعضٍ منَ العقودِ والعهودِ التي يجبُ الوفاءُ بها.

وأصلُ المُراعاةِ: قيامُ الرَّاعي بإصلاحِ ما يتولَّاه.

***

(٩) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ يريدُ: الصَّلواتِ الخمسَ؛ أي: يُحافِظون أوقاتَها ووُضوءَها ورُكوعَها وسُجودَها.

---

(١) لم أقف عليه عن ابن عباس رضي الله عنه، وقد استدل الإمام الشافعي رحمه الله على تحريم الاستمناء باليد بهذه الآية الكريمة. انظر: «الأم» (٥/ ١٠٢، ١٥٥).

وأعادَ ذِكرَ الصَّلاةِ وقد بدأ بها تأكيدًا لحفظِ الصَّلاةِ، ولأنَّ(١) الخشوعَ فيها غيرُ المُحافظةِ عليها(٢).

وقيل: يُريدُ: التَّطوُّعَ(٣).

***

(١٠) - ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾؛ أي: الذين اجتمَعَتْ فيهم هذه الخصالُ ﴿هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾ ثمَّ بيَّنَ ما يرِثُونَ فقالَ:

(١١) - ﴿ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ﴾ في الوراثةِ أقوالٌ:

أحدُها: أنَّها بمعنى العاقبةِ وإنْ لم يكُنْ لمَن تقدَّمه.

والثَّاني: أنَّهم يرِثُونَ منَ الكفَّارِ منازِلَهم حيثُ فوَّتَها الكفَّارُ على أنفسِهم بكُفرِهم؛ لأنَّ اللهَ خلَقَ لكلِّ إنسانٍ منزلًا في الجنَّةِ ومنزلًا في النَّارِ.

والثَّالثُ: الوراثةُ أقوى سببٍ يقعُ في ملكِ الشَّيءِ، لا يَتعقَّبُه ردٌّ ولا فَسْخٌ ولا إقالةٌ ولا نَقْضٌ(٤).

والفردوسُ: البستانُ يَجمعُ محاسِنَ النَّباتِ والأشجارِ، والعربُ تُسمِّي البستانَ الذي فيه الكَرْمُ فردوسًا، وكَرْمٌ مُفَرْدَسٌ: مَعْروشٌ.

---

(١) في (ف): «ونهى».

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٨/ ٤٤٩).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٦٩)، واستغربه.

(٤) تقدم هذا القول والذي قبله في تفسير قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾.

وقيل: أصلُه روميٌّ فعُرِّبَ[(١)].

الحسنُ في جماعةٍ: هي اسمُ الجنَّةِ[(٢)].

وقيل: أفضلُ الجنانِ وأوسطُها، وعن أبي هريرةَ رضي الله عنه: «إنَّ في الجنَّةِ مئةَ درجةٍ، بينَ كلِّ درجتَينِ كما بينَ السَّماءِ والأرضِ، وإذا سألتُم اللهَ فاسألوه الفردوسَ فإنَّها أعلى الجنَّةِ، وفوقَها عرشُ الرَّحمنِ، ومنها تُفجَّرُ أنهارُ الجنَّةِ»[(٣)].

﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

***

(١٢ ـ ١٣) ـ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ﴾ في الإنسانِ هاهنا قولانِ:

أحدُهما: أنَّه آدمُ عليه السَّلامُ، والسُّلالةُ: كلُّ لطيفٍ استُخرِجَ من كثيفٍ.

وقيل: السُّلالةُ: ما يخرجُ بين الأُصبُعَين منَ الشَّيءِ إذا عُصِرَ.

ابنُ عيسى: السُّلالةُ: صَفوةُ الشَّيءِ التي تخرجُ منه؛ كأنَّها تُسَلُّ منه[(٤)].

والمعنى: خلَقْنا آدمَ من تربةٍ سُلَّتْ ونُزِعَتْ من طينٍ؛ أي: من هاهنا وهاهنا.

---

(١) ذكر هذا السيوطي في «المهذب» (ص: ١٢٠ ـ ١٢١) عن مجاهد وسعيد بن جبير، وذكر عن السدي أنها الكرم بالنبطية، وعن كعب أنها جنات الأعناب بالسريانية.

(٢) ذكره يحيى بن سلام في «تفسيره» (١/ ٣٩٤)، والماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٤٧).

(٣) رواه البخاري (٢٧٩٠). وقد تقدم الكلام على (الفردوس) في تفسير قوله تعالى: ﴿كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾.

(٤) ذكره ابن فورك في «تفسيره» (١/ ٧٠) بلا نسبة.

وأجمَعوا على أنَّ اللهَ خلقَ آدمَ عليه السَّلامُ من تُرابٍ.

واختلَفُوا في حوَّاءَ؛ والجمهورُ على أنَّها خُلِقَتْ من ضِلَعٍ من أضلاعِه.

وقيل: خُلِقَتْ من بقيَّةِ طينِ آدمَ.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَهُ﴾؛ أي: نسلَه، فحُذِفَ المُضافُ وأُقيمَ المضافُ إليه مُقامَه؛ لأنَّ آدمَ لـم يُصيَّرْ نُطفةً، والمعنى: خلَقْنا نسلَه مـن نطفةٍ، ومثلُه قولُه: ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ [السجدة: ٨].

والثَّاني: أنَّ الإنسانَ عامٌّ في بني آدمَ، والسُّلالةُ على هذا القولِ: النُّطفةُ، والطِّينُ: آدمُ عليه السَّلامُ؛ لأنَّه خُلِقَ منه، وتقديرُه: خلَقْنا بني آدمَ من نُطفةِ آدمَ؛ فإنَّ ابنَ عبَّاسٍ رضي الله عنهما في جماعةٍ ذهبوا إلى أنَّ السُّلالةَ هاهنا: ماءُ الفحلِ الذي هو آدمُ(١).

﴿نُطْفَةً﴾؛ أي: قدَّرْنا ذلك الماءَ نُطفةً، فذكَّرَ الكنايةَ عن السُّلالةِ(٢) حملًا على المعنى؛ لأنَّها الماءُ.

وقيل: يعودُ إلى الإنسانِ على تقديرِ ذكرِ بدءِ الخلقِ، وبنو آدمَ كلُّهم من نُطفةٍ إلّا عيسى عليه السَّلامُ؛ فإنَّه خُلِقَ منَ الرُّوحِ، وقيل: منَ التُّرابِ كآدمَ.

عطاءٌ الخراسانيُّ: بلَغَني أنَّه يذرُّ على النُّطفةِ منَ التُّربةِ التي يُدفَنُ فيها(٣).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ١٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: «صفوة الماء»، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٨/ ٤٦٠) بلفظ: «أي: من صفوة ماء آدم ـ الذي هو من الطين ـ ومنيه».

(٢) فقال: جعلناه؛ بضمير المذكر.

(٣) رواه ابن عبد البر في «التمهيد» (٢٤/ ٤٠٠)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٨٤) إلى عبد بن حميد وابن المنذر، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٧٢)، وعدَّه من العجائب.

الحسَنُ: أي: خلقْنا آدمَ منَ الطِّينِ ونسلَه منَ النُّطفةِ(١).

المُبرِّدُ: النُّطفةُ: الماءُ الصَّافي يبقَى في الشَّيءِ وإنْ كثُرَ كدجلةَ وأشباهِها، ونُطفةُ الرَّجلِ مُشبَّهةٌ بذلك الماءِ(٢).

قولُه: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً﴾: صيَّرناه وقدَّرْناه ﴿فِى قَرَارٍ﴾ القَرارُ: مصدرُ قرَّ يَقِرُّ قرارًا، ثمَّ يُسمَّى الموضعُ الذي يَقِرُّ فيه: قرارًا، والمُرادُ به: الرَّحِمُ.

﴿مَّكِينٍ﴾: حَصينٍ منيعٍ؛ أي: مَكُنَ لاستقرارِه فيه إلى التَّمامِ.

***

(١٤) ـ ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾.

﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾؛ أي: صيَّرْناها وقدَّرْناها، بدلالةِ تعدِّيه إلى مفعولَين والخلقُ يتعدَّى إلى مفعولٍ واحدٍ(٣)، والمعنى: أحلْنا النُّطفةَ البيضاءَ علقةً حمراءَ، والعلَقةُ: القِطعةُ منَ الدَّمِ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٦٠٠) عن قتادة بنحوه.

(٢) في «الصحاح» مادة: (ن ط ف): النطفة: الماء الصافي قل أو كثر، والجمع: النطاف، والنطفة: ماء الرجل، والجمع: نُطَف.

(٣) ذكر المصنف أن (جعل) يأتي بمعنى: خلق، وصيّر، وسمَّى، وحكم. ذكر ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ﴾، وذكر هنا أن (خلق) بمعنى: صيَّر، وأنها تنصب لذلك مفعولين، وقال أبو حيان في «ارتشاف الضرب» (٤/ ٢١٠٦): «وقال بعض الناس: يصح أن يكون خلق بمعنى جعل، فيكسبها ذلك قوة التعدي إلى اثنين، فيكون (ضعيفاً) من قوله تعالى: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ مفعولاً ثانياً. اهـ. ولا أعلم نحوياً ذهب إلى أن (خلق) يتعدّى إلى اثنين، فيكون من هذا الباب». وقد نقل القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٢٠٨) عن سيبويه أنه جعل (طباقاً) في قوله تعالى: ﴿خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾ مفعولاً ثانياً، فيكون (خلق) بمعنى: جعل وصيَّر ولم أقف على هذا النقل في «الكتاب»، والله أعلم.

﴿فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾: أحَلْنا العلَقةَ مُضغةً، وهي القِطعةُ منَ اللَّحمِ مقدارَ ما يُمضغُ ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ﴾: أحَلْناها وصيَّرْناها عظامًا ﴿فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا﴾: أنبَتْنا عليها اللَّحمَ فصارَ لها كاللِّباسِ.

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ﴾ الهاءُ يعودُ إلى الإنسانِ.

وقيل: إلى المذكورِ؛ أي: أنشأنا ذلك.

﴿خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما في جماعةٍ: أنَّه نفْخُ الرُّوحِ[1].

قتادةُ والضَّحَّاكُ: إنشاؤُه خلقًا آخرَ بعد الولادةِ في الطُّفولةِ والكهولةِ والاغتذاءِ ونباتِ الشَّعرِ والسِّنِّ[2].

مجاهدٌ: أنَّه حينَ استوَى شبابُه[3].

الحسَنُ: جعلَه ذكرًا أو أُنثى[4].

﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ أي: المُقدِّرين؛ أي: أعلَمُهم وأصنَعُهم، والعربُ تُسمِّي كلَّ صانعٍ خالقًا.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٢)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٨/ ٤٦٣) عن ابن عباس ومجاهد والشعبي وعكرمة وأبي العالية والضحاك وابن زيد.

(٢) ذكره عنهما الواحدي في «البسيط» (١٥/ ٥٤٠) بلفظ: «هو نبات الشعر والأسنان»، ورواه عنهما بنحو هذا الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٤)، ورواه الطبري أيضاً عن ابن عباس بمعنى لفظ المؤلف، لكن إسناده ضعيف.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٤)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٧٣)، واستغربه.

(٤) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٧/ ٤٥٦)، وابن أبي زمنين في «تفسيره» (٣/ ١٩٦)، والماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٤٨)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٢٥٧).

وقيل: خلْقُه حقيقةٌ، وخلْقُ غيرِه مَجازٌ وتمثيلٌ وباطلٌ، من قولِه: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت: ١٧]، الحُسْنُ متعلِّقٌ بالخلقِ.

ورُوِيَ أنَّ عمرَ رضي الله عنه كان حاضِرًا، فلمَّا سمعَ الآيةَ قال: فتباركَ اللهُ أحسنُ الخالقين، فوافقَ قراءتَه وحيُ جبريلَ عليه السَّلامُ، فقالَ النَّبيُّ ﷺ: «هكذا أُنزِلَ»(١)، ويُقالُ: كان قائلُ هذا الكلامِ معاذَ بنَ جبلٍ رضي الله عنه(٢).

ورُوِيَ عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: كانَ عبدُ اللهِ بنُ أبي سَرْحٍ يكتُبُ هذه الآيةَ لرسولِ اللهِ ﷺ، فلمَّا انتَهى إلى قولِه: ﴿خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ عجِبَ من تفصيلِ خلقِ الإنسانِ فقالَ: تباركَ اللهُ أحسَنُ الخالقين، فقالَ النَّبيُّ ﷺ: «اكتبْ، هكذا أُنزِلَتْ»،

---

(١) رواه أبو داود الطيالسي في «مسنده» (٤١)، والآجري في «الشريعة» (١٣٢٩)، وابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» عند هذه الآية، من طريق أنس عن عمر رضي الله عنهما.
ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٢٤٤)، و«الأوسط» (٥٦٦٢)، عن ابن عباس رضي الله عنهما. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٦٨): «رواه الطبراني في «الكبير» و«الأوسط»، وفيه أبو عبيدة بن الفضيل بن عياض، وهو لين، وبقية رجاله ثقات».
وليس في هذه الروايات: «هكذا أنزل»، لكن رَوَى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر ـ كما في «الدر المنثور» (٦/ ٩٢) ـ وابن شاهين في «شرح مذاهب أهل السنة» (١٣٧) عن صالح أبي الخليل قال: نزلت هذه الآية على النَّبي ﷺ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ إلى قوله: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ قال عمر: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ فقال: «وَالَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا ختمت بِالَّذِي تَكَلَّمت يَا عمر».
وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٧٣)، واستغربه.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٤٦٥٧)، وابن أبي حاتم في كما في «تفسير ابن كثير» (٥/ ٤٠٩)، من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه، قال ابن كثير: «وفي إسناده جابر بن يزيد الجعفي ضعيف جداً، وفي خبره هذا نكارة شديدة، وذلك أن هذه السورة مكية، وزيد بن ثابت إنما كتب الوحي بالمدينة، وكذلك إسلام معاذ بن جبل إنما كان بالمدينة أيضاً، فالله أعلم».

فشَكَّ عندَ ذلك وقالَ: إنْ كانَ محمَّدٌ صادِقًا فيما يقولُ: إنَّه يُوحَى إليه، فقد أُوحِيَ إليَّ كما أُوحِيَ إليه، وإنْ قالَ من ذاتِ نفسِه فقد قلتُ مثلَ ما قالَ، فكفرَ بالله(١).

وقيل: هذه الحكايةُ غيرُ صحيحةٍ؛ لأنَّ ارتدادَه كان بالمدينةِ، وهذه السُّورةُ مكيَّةٌ.

***

(١٥) ـ ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾.

﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾: بعدَ الخلقِ.

وقيل: بعد ما ذكَرْنا من أمرِكم.

﴿لَمَيِّتُونَ﴾ أي: صائرون إليه، فنزِّلَ منزلةَ الكائنِ؛ إذ لا بدَّ من كونِه.

***

(١٦) ـ ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾: تُحيَون بعدَ المماتِ للجزاءِ والحسابِ.

***

---

(١) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٤٧٦)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٢٤) من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، ومعلوم أنه طريق ساقط، وقال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٢/ ٤٠١): «غريب»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٧٣)، وعدَّه من العجائب.

وأصل القصة رواها أبو داود (٤٣٥٨)، والنسائي (٤٠٦٩)، ولفظه: «عن ابن عباس قال: كان عبد الله بن سعد بن أبي سرح يكتب لرسول الله ﷺ، فأزله الشيطان، فلحق بالكفار، فأمر به رسول الله ﷺ أن يقتل يوم الفتح، فاستجار له عثمان بن عفان، فأجاره رسول الله ﷺ».

(١٧) ـ ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴾.

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ ﴾ أجمعَ المُفسِّرون على أنَّ المُرادَ بها: السَّماواتُ، جمعُ طريقةٍ، وهي من قولِ العربِ: طارَقْتُ النَّعلَ؛ أي: جعلْتُ بعضَها فوقَ بعضٍ[١].

وقيل: لأنَّها طُرُقُ الملائكةِ يسيرون فيها ويقِفون عليها[٢].

وقيل: لأنَّ كلَّ واحدةٍ منها طريقةٌ[٣]؛ أي: حالٌ وهيئةٌ وصِبغةٌ غيرُ صِبغةِ[٤] الأُخرَى.

﴿وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴾ أي: كُنَّا حافظين لِمَا خلَقْنا.

وقيل: ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴾ فحفِظْناها عنِ السُّقوطِ عليهم.

وقيل: وما كنَّا عمَّن تحتَها منَ الخلقِ غافلين.

وقيل: وما كنَّا عن خلقِ السَّماواتِ غافلين فيقعَ فيها التَّفاوُتُ والفطورُ[٥].

الحسَنُ: لم يَغْفُلْ عن إنزالِ ما يُحييهم عليهم منَ المطرِ[٦].

وقيل: لم تحجُبْنا السَّماواتُ عمَّا تحتَها.

وقيل: ما كنَّا عن أرزاقِهم غافلين، ويحتمِلُ: عن شكرِهم وكفرِهم.

والغُفولُ: ذَهابُ المعنى عن النَّفسِ، ومثلُه السَّهوُ.

---

(١) هذا قول الخليل وابن قتيبة، ونسب للفراء والزجاج. انظر: «العين» مادة: (ط ر ق) (٥/ ٩٧)، و«معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٣٢)، و«غريبه» لابن قتيبة (ص: ٢٩٦)، و«معانيه» للزجاج (٤/ ٩) و(٥/ ١٩٨)، و«اللباب» لابن عادل (١٤/ ١٨٥).

(٢) هذا قول علي بن عيسى الرقاني. انظر: «اللباب» لابن عادل (١٤/ ١٨٥).

(٣) في (ف): «لأنَّ لكلِّ واحدةٍ منها طريقةً».

(٤) في (ف): «وصيغة غير صيغة».

(٥) في (ف): «والفتور».

(٦) ذكره ابن أبي زمنين في «تفسيره» (٣/ ١٩٧)، والثعلبي في «تفسيره» (١٨/ ٤٧٣)، والماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٤٩)، ولو أخر المصنف كلمة (عليهم)، لكان أظهر، وكذا لو لم يذكرها.

(١٨) ـ ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ﴾.

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: من جانبِ السَّماءِ.

وقيل: منَ السَّحابِ.

وقيل: من عينِ السَّماءِ.

﴿مَآءً﴾: مطرًا ﴿بِقَدَرٍ﴾: قَدْرَ ما يكفيهم لشُربِهم وزَرعِهم.

وقيل: بقدرٍ معلومٍ لا يزيدُ عليه ولا يُنقَصُ منه.

ورُوِيَ عن ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه أنَّه قال: ليست سَنَةٌ بأمطرَ من سنةٍ، ولكنَّ اللهَ يُصرِّفُه حيثُ يشاءُ(١).

وقيل: ﴿بِقَدَرٍ﴾: بوزنٍ، والجارُّ والمجرورُ صفةٌ للماءِ.

وقيل: هذا الماءُ غيرُ المطرِ، وإنَّما هو أنهارٌ أربعةٌ تخرجُ منَ الجنَةِ: سَيْحانُ نهرُ الهندِ، وجَيْحانُ نهرُ بلْخَ، ودِجْلةُ والفُراتُ نهرا عراقٍ، وزاد بعضُ المُفسِّرين خامسًا وهو نيلُ مصرَ(٢).

وقيل: جميعُ مياهِ الأرضِ منَ المطرِ، وهو قولُه: ﴿فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: جعَلْناه ثابتًا في الأرضِ لِيَنتفِعَ به عبادُه في شُربِهم ومعاشِهم، ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ﴾؛ أي: كما قدَرْنا على إنزالِه نقدرُ على إذهابِه، فيُصبِحُ ماؤُكم غَورًا.

***

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «المطر والرعد» (٧٦)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ٤٠)، ورواه العقيلي في «الضعفاء» (٣/ ٢٢٨) مرفوعًا وموقوفًا، وقال: «الموقوف أولى».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٧٤)، واستغربه.

(١٩) ـ ﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾.

﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ﴾: فخلَقْنا لكم بالماءِ ﴿جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ﴾ خُصّا بالذِّكرِ لكثرتِهما بالحجازِ. النَّخْلُ بمكَّةَ، والعِنَبُ بالطَّائفِ(١).

﴿لَّكُمْ فِيهَا﴾: في الجنَّاتِ ﴿فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ﴾ سوى النَّخيلِ والأعنابِ.

وقال بعضُ المفسِّرين: التَّمرُ والعِنَبُ ليسا منَ الفواكهِ، ولهذا أفردَ الفواكهَ بالذِّكرِ(٢).

﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ قيل: منَ النَّخيلِ والأعنابِ.

وقيل: منَ الجنَّاتِ؛ أي: من ثمارِها وزُروعِها.

وقيل: منَ الفواكهِ(٣)، على تقديرِ: لتتَفكَّهوا بها فتأكلوا منها؛ لأنَّ الواوَ تمنعُ من أن يكونَ الضَّميرُ منَ الفواكهِ إلَّا بإضمارٍ كما ذكرتُ(٤).

***

(٢٠) ـ ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ﴾.

﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ﴾ أي: وأنشأنا شجرةً، وهي شجرةُ الزَّيتونِ، وخُصَّ بالذِّكرِ لبركتِه وكثرةِ الانتفاعِ به منَ الاستصباحِ به والاصطِباغِ.

﴿تَخْرُجُ﴾: تنبُتُ، والطُّورُ: الجبلُ.

---

(١) ذكر نحوه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٨)، لكنه ذكر المدينة لا مكة، وذكر مكة سهو؛ فمكة في واد غير ذي زرع، والله أعلم.

(٢) قال الأزهري في «تهذيب اللغة» (٦/ ١٨): «وما علمت أحداً في العرب قال في النخيل والكروم وثمارهما: إنها ليست من الفاكهة»، وذهب إلى أنها إنما ذكرت بعد الفاكهة تنبيهاً على فضلها.

(٣) ذكره الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٨)، ونبَّه المصنف على وجه جوازه في اللغة.

(٤) ذكر الزمخشري وجهاً آخر للإضمار، فقال: «لا يجوز أن يكون قوله: ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ من قولهم: يأكل فلان من حرفة يحترفها، ومن ضيعة يغتلّها، ومن تجارة يتربَّح بها، يعنون أنها طعمته وجهته التي منها يحصل رزقه...». انظر: «الكشاف» (٣/ ١٨٠).

عكرمةُ: هو الجبلُ بالسُّريانيَّةِ، والسَّيناءُ: الحسَنُ بالحبشيَّةِ[١].

الكلبيُّ: كلُّ جبلٍ ذي شجرٍ: سيناءُ[٢].

الضَّحَّاكُ: ﴿طُورِ سَيْنَآءَ﴾: الجبلُ الحسَنُ بالنَّبَطِيَّةِ[٣].

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما في جماعةٍ: السَّيناءُ: المُبارَكُ[٤].

وقيل: ﴿سَيْنَآءَ﴾: حجارةٌ[٥]. وقيل: ﴿سَيْنَآءَ﴾ اسمُ المكانِ، والجمهورُ على أنَّه جبلُ موسى عليه السَّلامُ بينَ مصرَ وأيلةَ.

ابنُ جريرٍ: ﴿سَيْنَآءَ﴾: اسمُ علمٍ أُضيفَ إليه الطُّورُ فتعرَّفَ به[٦].

وقيل: ﴿سَيْنَآءَ﴾ فَيْعالَ منَ السَّنَا، وهو الارتفاعُ.

وقيل: الطُّورُ أيضًا من الارتفاعِ، ومنه قولُهم: عَدا طَوْرَه: إذا جاوَزَ الحدَّ[٧].

﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ﴾ مَن فتحَ فالباءُ للتَّعدِّي؛ أي: تُخرِجُ الدُّهنَ، وسُمِّيَ الزَّيتونُ دُهنًا بما يَؤُولُ إليه، ومَن ضمَّ[٨] فله ثلاثةُ أوجهٍ:

أحدُها: أن تكونَ الباءُ زيادةً؛ كقولهم:

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ١٥)، والواحدي في «البسيط» (١٥/ ٥٤٨).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٤١٤)، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٤٧٧).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٣٠)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٨/ ٤٧٦)، والواحدي في «البسيط» (١٥/ ٥٤٨)، وذكره السيوطي في «المهذب» (ص: ١٠٣).

(٤) هو مستفاد من كلام ابن عباس الذي رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٩) بلفظ: «هو جبل بالشام مبارك».

(٥) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٧/ ٤٦١)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٧٤)، واستغربه.

(٦) انظر: «تفسير الطبري» (١٧/ ٣١).

(٧) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٧٤) مع ما قبله، جعله قولاً واحداً، وعدَّه من العجائب.

(٨) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بضم التاء وكسر الباء، والباقون بفتح التاء وضم الباء. انظر: «السبعة» (ص: ٤٤٥)، و«التيسير» (ص: ١٥٩).

نضـربُ بالسَّـيفِ ونرجـو بالفَـرَجْ[(١)]

والثَّاني: أن تكونَ للحالِ والمفعولُ محذوفٌ؛ أي: تُنبتُ الزَّيتونَ ومعه الدُّهنُ، كما تقولُ: خرجَ بثيابِه؛ أي: معه ثيابُه، يُريدُ: تشربُ الماءَ وتُخرِجُ الدُّهنَ.

والثَّالثُ: أن يكونَ (أنبتَ) لازمًا[(٢)]، ومنه قولُ الشَّاعرِ:

رَأَيْـتُ بَنِـي الحاجـاتِ حَـوْلَ بُيُوتِهِمْ   قَطِينًـا لَهُـمْ حَتَّـى إِذا أَنْبَـتَ البَقْـلُ[(٣)]

والزَّيتونُ: المعروفُ، والزَّيتُ دُهنُه، والدُّهنُ: عصارةُ اللَّوزِ والزَّيتونِ وغيرِهما، والدَّهْنُ بالفتحِ: مَسحُ الشَّيءِ بالدُّهْنِ.

وقيل: ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ﴾ بالمطرِ اللَّيِّنِ، حكاه أقضى القُضاةِ، وهو غريبٌ[(٤)].

﴿وَصِبۡغٖ لِّلۡأٓكِلِينَ﴾: إدامٍ لهم، والصِّبغُ: المائعُ مـنَ الإدامِ يُغمَسُ فيه الخبزُ، والقياسُ: أن يكونَ الصِّبغُ غيرَ الدُّهنِ؛ لأنَّ المعطوفَ غيرُ المعطوفِ عليه[(٥)].

---

(١) الرجز للنابغة الجعدي. انظر: «ديوانه» (ص: ٢١٦)، وفيه: نضرب بالبيض، وقبله:

نحـن بنـو جعـدة أصحـاب الفلـج

وقد ذكره بلفظ المصنف أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٦٤)، وابن قتيبة في «أدب الكاتب» (ص: ٥٢٢)، وكراع النمل في «المنتخب» (١/ ٧١١)، والطبراني في «تفسيره» (٢٣/ ١٥٤)، وغيرهم.

(٢) فهو بمعنى: نبت. انظر: «المخصص» لابن سيده (٤/ ٣٥٣)، و«ما جاء على فعلت وأفعلت بمعنى واحد» للجواليقي (ص: ٧٢).

(٣) البيت لزهير بن أبي سلمى من قصيدة في مدح هرم بن سنان وقومه. انظر: «ديوان زهير» بشرح الشنتمري (ص: ٢٢)، و«معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٣٣)، و«تفسير الطبري» (١٧/ ٣٣)، و«معاني القرآن» للزجاج (٤/ ١٠)، و«معاني القرآن» للنحاس (٤/ ٤٥٣)، و«المحتسب» (٢/ ٨٩).

قطيناً؛ أي: مقيماً، جمع قاطن، يقولُ: رأيت ذوي الحاجات مقيمين حول بيوتهم لقضاء حوائجهم، حتى إذا نبت البقلُ وظهر الخصبُ فينتجعون وينفضون من حولها. انظر: «فتوح الغيب» (١٠/ ٥٦٧).

(٤) ذكـره المـاوردي فـي «النكت والعيـون» (٤/ ٥٠) عـن محمد بن درسـتويه، وذكـره المصنف في «غرائب التفسـير» (٢/ ٧٧٥)، واسـتغربه.

(٥) انظر: «شرح الكتاب» للسيرافي (٣/ ١٧٩)، وقد نقل أبو حيان في «البحر المحيط» (٧/ ٥٥٥) =

الفرَّاءُ: الصِّبغُ: الزَّيتُ بعينِه[١].

***

(٢١) ـ ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾.

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ﴾: جمعُ نَعَمٍ، وهو الإبلُ.

وقيل: الإبلُ والبقرُ والغنمُ، وقد سبقَ[٢].

﴿لَعِبْرَةً﴾: اتِّعاظًا.

﴿نُّسْقِيكُم﴾ يعني: اللَّبنَ، (سقَى) و(أسقى) لُغتانِ[٣]، وقُرِئَ بالتّاءِ[٤]، فيكونُ الفعلُ لـ﴿ٱلْأَنْعَٰمِ﴾.

﴿مِّمَّا فِي بُطُونِهَا﴾: منَ العَلَفِ والكلأِ والحشيشِ؛ فإنَّ اللَّبنَ منه يكونُ.

وقيل: قولُه: ﴿مِّمَّا فِي بُطُونِهَا﴾ كقولِه: ﴿مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ﴾ [النحل: ٦٦].

﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ﴾ في ظُهورِها ورُكوبِها وأوبارِها وأصوافِها وأشعارِها، ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ يعني: لحومَها.

***

(٢٢) ـ ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾.

﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ﴾ يعني: الإبلَ تركبونَ عليها في البرِّ، وعلى الفُلْكِ في

= كلام المصنف هذا.

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٣٣).

(٢) في تفسير قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ وقوله: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾.

(٣) انظر: «العين» مادة: (س ق ي) (٥/ ١٩٠)، و«معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٠٨)، و«الحجة» لأبي علي (٥/ ٢٩٣).

(٤) هي قراءة أبي جعفر، وقرأ نافع وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر ويعقوب بفتح النون من السَّقي، والباقون بضمها من الإسقاء. انظر: «السبعة» (ص: ٤٤٥)، و«التيسير» (ص: ١٣٨)، و«النشر» (٢/ ٣٠٤).

البحرِ ﴿تُحْمَلُونَ﴾ تقولُ: حمَلتُه حُمْلانًا: أركَبْتُه، وقد سبقَ[١].

* * *

(٢٣) ـ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾: وحِّدُوه وأطيعُوه ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ﴾: معبودٍ ﴿غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾: أفلا تخافونَ أن يُهلِكَكُم في الدُّنيا بعذابِ الاستِئصالِ، ثمَّ في الآخرةِ بعذابِ النَّارِ؟

* * *

(٢٤) ـ ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾ أي: أشرافُهم لعوامِّهم ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ﴾: آدميٌّ ﴿مِّثْلُكُمْ﴾ يأكلُ ويشربُ ﴿يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾ يسودَكم ويَرأسَكُم. وقيل: يتكلَّفَ أن يكونَ أفضلَ منكم فتُطيعوه فيما يأمرُكم به وينهاكُم عنه.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾ أي: لو شاءَ اللهُ إرسالَ رسولٍ لأرسلَ ملائكةً.

﴿مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾ فيه أقوالٌ:

أحدُها: ما سمِعْنا آدميًّا بعثَه اللهُ رسولًا.

والثَّاني: ما سمِعْنا بما يأمرُنا به منَ التَّوحيدِ.

والثَّالثُ: ما سمِعْنا سبَّ آلهتِنا وإنكارَ عبادتِها كما يسُبُّه هذا وينكِرُ عبادتَه.

وقولُه: ﴿فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾ قيل: هو الأبُ الأدنى؛ لأنَّه هو الأقربُ، فصارَ هو الأوَّلَ.

---

(١) في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾.

وقيل: هو الأبُ الأبعدُ؛ لأنَّه أوَّلُ أبٍ[١].

* * *

(٢٥) ـ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ﴾.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ﴾: ما هو إلَّا رجلٌ به جُنونٌ: سوداءُ تغلبُ على دماغه فتُنقُصُ من عقلِه ورأيه، ولجنونِه يأتي بمثلِ هذا. وقيل: لجنونِه طمعَ فيما طمعَ.

﴿فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ﴾: فانتظِروا حتَّى يموتَ فتَنْجُوا منه ولا تقتلوه، أو يُفيقَ من جنونِه فيَدَعُ هذا، أو يستبينَ جنونُه فيُعذَرُ.

* * *

(٢٦) ـ ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ﴾.

﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ﴾ أي: فلمَّا أَيِسَ من إيمانِهم قال: يا ربِّ انتقِمْ لي فأهلِكْهم بسببِ تكذيبِهم إيَّايَ.

* * *

(٢٧) ـ ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَـٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾.

﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾: بحفظِنا ﴿وَوَحْيِنَا﴾: أمرِنا.

وقيل: ﴿وَحْيِنا﴾ تعليمِنا إيَّاكَ صَنْعَتَها.

﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا﴾: عذابُنا ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾: وطلَعَ الصُّبحُ، وقيل: وحمِيَ الوطيسُ[٢]، وقد سبَقَ في (هودٍ).

---

(١) ذكر الوجهين الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٥٢).

(٢) هذا قول ابن بحر، ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٥٢)، وذكره المصنف في «غرائب =

﴿فَاسْلُكْ فِيهَا﴾: أدخِلْ في السَّفينةِ، و(سلَكَ) مُتعدٍّ؛ كقولِه: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾ [المدثر: ٤٢].

﴿مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾: من كلِّ نوعٍ منَ الحيوانِ ذكرًا وأُنثى.

﴿وَأَهْلَكَ﴾: نساءَك وأولادَك. وقيل: مَن آمنَ معك.

﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾ أي: سبقَ القولُ من الله بهلاكِه، وهو ابنُه وإحدى زوجتَيه.

وقيل: سبقَ القولُ بأنَّه لا يؤمنُ.

وقيل: ﴿وَأَهْلَكَ﴾ من الإهلاكِ[1]، فيكونُ سبقَ القولُ بخلاصِه.

﴿وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾؛ أي: لا تسألْني إنجاءَهم، فإنِّي أُغرِقُهم.

* * *

(٢٨) ـ ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ﴾ أي: إذا علَوْتَ أنت ومَن معك مُستويًا.

وقيل: إذا استقرَّ الفُلْكُ على وجهِ الماءِ.

﴿فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾: من أذى الكفَّارِ.

وقيل: الحمدُ للهِ على أنْ أهلكَهُم ولم يُهلِكْنا.

* * *

(٢٩) ـ ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾.

﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا﴾ أي: إنزالًا، وقيل: مكانًا، ومَن فتحَ[2] جعلَه مكانًا

= التفسير» (٢/ ٧٧٥)، وعدَّه من العجائب.

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٧٥)، وعدَّه من العجائب.

(٢) قرأ عاصم في رواية أبي بكر بفتح الميم وكسر الزاي، والباقون بضم الميم وفتح الزاي. انظر: «السبعة» (ص: ٤٤٥)، و«التيسير» (ص: ١٥٩).

مُباركًا بالسَّلامةِ والنَّجاةِ. قالها عندَ الرُّكوبِ في السَّفينةِ. وقيل: قالَها عندَ النُّزولِ عنها والخروجِ منها(١).

﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾.

***

(٣٠) ـ ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ فيما فُعِلَ بنوحٍ وقومِه ﴿لَءَايَٰتٍ﴾ لعِبَرًا ومواعظَ ﴿وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ مُمتحِنين عبادَنا بالغرقِ والإهلاكِ.

وقيل: باتِّخاذِ السُّفنِ، وكانت أوَّلَ سفينةٍ صُنعِت(٢).

﴿وَإِن﴾ هي المُخفَّفةُ منَ المُحقَّقةِ، واللَّامُ للفرقِ(٣).

***

(٣١) ـ ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾.

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا﴾: خلَقْنا وأظهَرْنا ﴿مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾: بعد قومِ نوحٍ ﴿قَرْنًا﴾: قومًا ﴿ءَاخَرِينَ﴾.

***

(٣٢) ـ ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾.

﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ﴾ أي: إليهم، وأفادَ ﴿فِيهِمْ﴾ أنَّه لـم يأتِهم من مكانٍ غيرِ مكانِهم، وإنَّما

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٧٥)، واستغربه.

(٢) ذكر ذلك المصنف في «البرهان» (ص: ١٢١)، و«غرائب التفسير» (١/ ٤١٠)، وذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٥/ ٨١)، والسمين الحلبي في «الدر المصون» (٥/ ٣٥٤)، وذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٤/ ١٤١) وقال: «إن صحَّ».

(٣) وهي التي تلزم دخول خبر (إنْ) المخففة؛ لتمييزها عن (إنْ) النافية، وتسمى لام الفصل. انظر: «الأصول» لابن السراج (١/ ٢٣٥)، و«اللامات» للزجاجي (ص: ١٥٠)، و«البديع» لابن الأثير (١/ ٥٥٦).

أُوحيَ إليه وهو فيما بينَهم ﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ أي: من قومِهم، وفي الرَّسولِ والقومِ قولانِ:

ابنُ جريرٍ: الرَّسولُ صالحٌ عليه السَّلامُ، والقومُ ثمودُ[1].

غيرُه: الرَّسولُ هودٌ عليه السَّلامُ، والقومُ عادٌ.

﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾.

* * *

(٣٣) ـ ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾.

﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ﴾ ذُكِرَ بالواوِ لأنَّه ليس بجوابٍ للنَّبيِّ مُتَّصلٍ بكلامِه، وفي قصَّةِ نوحٍ عليه السَّلامُ بالفاءِ لأنَّه جوابٌ لقولِه: ﴿فَقَالَ يَا قَوْمِ﴾ [المؤمنون: ٢٣] واقعٌ عقيبَه، وقدَّمَ ﴿مِن قَوْمِهِ﴾ كراهةَ الإحالةِ بين المعطوفِ والمعطوفِ عليه في الصِّلةِ، وذلك ممتنعٌ مع الصِّلةِ، وأُخِّرَ في الأُخرى حيثُ لم تَطُلِ الصِّلةُ[2].

ومعنى ﴿وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ﴾ أنكروا البعثَ والنُّشورَ.

﴿وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بكثرةِ المالِ والأولادِ فتنعَّموا فيها، والتَّرفُّهُ: النِّعمةُ. وقيل: التُّحفةُ.

﴿مَا هَٰذَا﴾ أي: النَّبيُّ ﴿إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ فمِن أين يدَّعي رسالةَ اللهِ من بينِكم، وليس هو بأولى بها من غيرِه؟

* * *

(٣٤) ـ ﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ﴾.

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٧/ ٣٩).

(٢) انظر: «درة التنزيل» للخطيب الإسكافي (٣/ ٩٣٤ ـ ٩٣٦).

﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ﴾ فيما يأمركم به وينهاكم عنه ﴿إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ﴾ عقولَكم، ومغبونُون رأيكم.

* * *

(٣٥) ـ ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ﴾.

﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا﴾ أي: إذا صِرتُم تُرابًا وعظامًا لا لحمَ عليها ولا جلدَ ﴿أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ﴾: مبعوثون للسُّؤالِ والحسابِ والثَّوابِ والعقابِ.

وكرَّرَ ﴿أَنَّكُمْ﴾ لمَّا طالَ الكلامُ دون الخبرِ، وتقديرُه: أيعِدُكم أنَّكم مُخرَجون إذا مِتُّم وكنتُم ترابًا وعظامًا[1].

وقيل: ﴿أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ﴾ في تقديرِ المصدرِ، وقولُه: ﴿إِذَا مِتُّمْ﴾ خبرُه تقدَّمَ عليه، وتقديرُ: أنَّكم إخراجُكم إذا متُّم، والجملةُ خبرُ (أنَّ)، وهذا رأيُ أبي عليٍّ[2].

* * *

(٣٦) ـ ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾.

﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: بعيدٌ بعيدٌ ما تُوعَدون[3].

وقيل: بُعدًا بُعدًا.

والمُحقِّقون على أنَّه من الأسماءِ التي سُمِّيت الأفعالُ بها، وأنَّها وقعَتْ في الخبرِ كسُرعانَ وشَتَّانَ[4]، وتقديرُه: بَعُدَ إخراجُكم بَعُدَ إخراجُكم لوعدِكم.

---

(١) ذكره الخطيب الإسكافي في «درة التنزيل» (٢/ ٥٥٩)، وذكره المصنف في «البرهان» (ص: ١٦٣).

(٢) انظر: «المسائل البصريات» لأبي علي الفارسي (١/ ٦٦٨ ـ ٦٧١).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٢)، وذكره البخاري بعد حديث (٤٧٤٤) معلقًا.

(٤) انظر: «المقتضب» للمبرد (٣/ ١٨٢)، و«الإيضاح» لأبي علي (ص: ١٦٥)، و«المسائل العسكريات» له أيضاً (ص: ٦٧).

(٣٧) ـ ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾.

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ أي: ما الحياةُ إلَّا حياتُنا الدُّنيا التي نحنُ فيها ودنَتْ منَّا، والحياةُ التي تدَّعي بعد الموتِ باطلةٌ، و(هي) كنايةٌ عن الحياةِ.

وقيل: (هي) كنايةٌ عن النِّهايةِ؛ أي: ما نهايتُنا ومدَّةُ بقائِنا إلَّا حياتُنا الدُّنيا، ولا بعثَ بعدَها ولا حياةَ[1].

وقيل: هي كنايةٌ عن الأحوالِ؛ أي: ما أحوالُنا إلّا حياتُنا التي نحنُ فيها، ثمَّ نموتُ وقد انقضى الأمرُ وانقطعَ النِّظامُ[2].

﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ أي: يموتُ الآباءُ ويحيا الأولادُ ثمَّ يموتون.

وقيل: يموتُ قومٌ ويُولَدُ قومٌ.

وقيل: فيها تقديمٌ وتأخيرٌ، وتقديرُه: إن هي إلّا حياتُنا الدُّنيا نحيا ونموتُ ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ بعد الموتِ.

***

(٣٨) ـ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿إِنْ هُوَ﴾: ما هو ﴿إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى﴾: اختلَقَ ﴿عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ في دَعواه الرِّسالةَ والبعثَ بعد الموتِ ﴿وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾: بمُصدِّقين فيما يدَّعيه ولا نُؤمنُ به.

***

(٣٩) ـ ﴿قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾.

﴿قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾ أي: أهلِكْهم بسببِ تكذيبِهم إيَّاي وانتقِمْ لي منهم. دَعا الرَّسولُ عليهم فأجابَه اللهُ بقولِه:

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٧٧)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٧٧)، وعدَّه من العجائب.

(٤٠) ـ ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ﴾.

﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ﴾ أي: عن قليلٍ منَ الزَّمانِ، و(ما) صلةٌ.

﴿لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ﴾ إذا عايَنوا ما يحلُّ بهم ثمَّ لا ينفعُهم ندمُهم.

* * *

(٤١) ـ ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾ صاحَ بهم جبريلُ صيحةً هائلةً تصدَّعَتْ قلوبُهم فماتوا بها؛ وذلك أنَّ قومَ صالحٍ أُهلِكوا بالصَّيحةِ.

وقيل: هي عبارةٌ عن أيِّ عذابٍ كانَ.

﴿بِالْحَقِّ﴾ أي: لا دافعَ لها.

وقيل: بما استَحَقُّوه بفعلِهم.

ويحتمِلُ معنى ﴿بِالْحَقِّ﴾: بالوعدِ الصِّدقِ.

﴿فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً﴾ ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: باليًا[(١)].

وقيل: مَوْتَى صَرْعَى كالغُثاءِ، وهو: ما يحمِلُه السَّيلُ ممَّا قد بَلِي وتغيَّرَ منَ القصبِ والوَرَقِ وغيرِ ذلك.

وقيل: هي كقولِ العربِ لمَن ذهبَ وهَلَكَ: سالَ به السَّيلُ؛ لأنَّ ما حملَه السَّيلُ يُسمَّى غُثاءً[(٢)].

وقيل: هو كقولِه: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٧][(٣)].

﴿فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٦) ولفظه: «جعلوا كالشيء الميت البالي من الشجر».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٧٧)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٧٧)، وعدَّه من العجائب.

(٤٢) ـ ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ﴾.

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾: بعد قومِ صالحٍ ﴿قُرُونًا ءَاخَرِينَ﴾ بعد أعصارٍ.

***

(٤٣) ـ ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ﴾.

﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ﴾ قيل: أجلُ الموتِ.

وقيل: أجلُ العذابِ.

***

(٤٤) ـ ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾ أي: تواترتِ الرُّسلُ بعدَهم إلى زمنِ موسى، وفي ﴿تَتْرَا﴾ قولانِ:

أحدُهما: يتلو بعضُهم بعضًا، وبينَ كلِّ اثنين فترةٌ.

والثّاني: مُتتابعةً لا فُتورَ فيها.

وأصلُه منَ الوِتْرِ؛ أي: واحدًا بعدَ واحدٍ. وقيل: من الوَتَرِ واتِّصالِه. وأصلُه: وَتْرَى، قُلِبت الواوُ تاءً كتُخَمةٍ وتُراثٍ، فمَن نوَّنَ جَعَلَ ألفَه للإلحاقِ كأَرْطَى ومِعْزَى، أو بدلًا من التَّنوينِ فيمَن لم يُمِلْها، ومَن لـم ينوِّنْ[1] قال: الألفُ للتَّأنيثِ[2].

﴿كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا﴾ بالإهلاكِ ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ﴾ عِبرًا

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿تترًا﴾ بالتنوين، والباقون: ﴿تترى﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٤٤٦)، و«التيسير» (ص: ١٥٩).

(٢) انظر: «العين» مادة: (و ت ر) (٨/ ١٣٣)، و«سر صناعة الإعراب» لابن جني (١/ ١٥٦).

﴿فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: أبعدَهم اللهُ، ونُكِّرَ[1] لأنَّ التَّقديرَ: ومَن لا يُؤمِنُ كمَن لم يُؤمِنوا.

***

(٤٥) ـ ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾.

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ التِّسعِ، وقيل: بالتَّوراةِ ﴿وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾: حُجَّةٍ ظاهرةٍ.

***

(٤٦) ـ ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ﴾.

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ عن قَبولِ الإيمانِ تعظُّمًا وترفُّعًا ﴿وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ﴾ قاهِرين مُتكبِّرين.

***

(٤٧) ـ ﴿فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ﴾.

﴿فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا﴾ يعني: بني إسرائيلَ ﴿لَنَا عَٰبِدُونَ﴾؛ أي: هم لنا كالخَوَلِ والعبيدِ، يخدُموننا طائِعِين خاضِعين.

الحسَنُ: كانت بنو إسرائيلَ يعبُدون فرعونَ، وفرعونُ كان يعبدُ الصَّنمَ[2].

وقيل: يعبدُ العجلَ.

***

(٤٨) ـ ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ﴾.

---

(١) أي: لفظ (قوم)، وتنكيره أفاد العموم، فدخل فيه الأقوام الذين ذُكر عدم إيمانهم، ومن كان على صنعتهم ممّن لم يُذكر.

(٢) ذكره ابن أبي زمنين في «تفسيره» (٢/ ١٣٧)، والماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٥٥).

﴿فَكَذَّبُوهُمَا﴾ أي: موسى وهارونَ ﴿فَكَانُواْ﴾ قومُ فرعونَ ﴿مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ﴾ بالغرقِ في بحرِ قُلْزُمَ(١).

***

(٤٩) ـ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: التَّوراةَ ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ أي: بني إسرائيلَ ﴿يَهْتَدُونَ﴾ به إلى الحلالِ والحرامِ.

***

(٥٠) ـ ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾.

﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ يعني: عيسى عليه السَّلامُ ﴿وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾ تدلُّ على قُدرتِه على ما يشاءُ؛ لأنَّه خُلقَ من غيرِ مادَّةِ نطفةٍ، ووحَّدَ(٢) لأنَّ الأعجوبةَ فيهما واحدةٌ.

وقيل: وجعَلْنا قصَّةَ ابنِ مريمَ.

﴿وَءَاوَيْنَٰهُمَآ﴾ أي: جعَلْنا مأواهما؛ أي: منزلَهما ﴿إِلَىٰ رَبْوَةٍ﴾ قتادةُ: هي بيتُ المقدسِ(٣)، وسُمِّيت رَبْوةً لأنَّها أقربُ الأرضِ إلى(٤) السَّماءِ بثمانيةَ عشرَ ميلًا(٥).

سعيدُ بنُ المسيِّبِ: هي دمشقُ(٦).

---

(١) وهو البحر الأحمر. انظر: «المعجم الوسيط» مادة: (ق ل ز م).

(٢) فقال: آية، ولم يقل: آيتين. وقد تقدم كلام المصنف على هذا في تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾.

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٩٦٨)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٥٥).

(٤) في (ف): «من».

(٥) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٩٧٠)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٥٥)، من قول كعب الأحبار. وهذا التقدير بالأميال من خرافات الإسرائيليات.

(٦) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٩٦٩)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٢٤٦٣)، والطبري في =

وقيل: غوطةُ دمشقَ.

ابنُ زيدٍ: هي مصرُ، قال: ولولا أنَّ قُراها على رُبًى لغَرِقت تلك القُرى[١].

أبو هريرةَ رضي الله عنه: فلسطينُ[٢].

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: هي أرضٌ مستويةٌ فيها ماءٌ[٣].

﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾ مستويةٍ بسيطةٍ يمكنُ الاستقرارُ عليها.

وقيل: فيها منازلُ يستقرُّون فيها.

وقيل: القرارُ: مُستقَرُّ الماءِ.

﴿وَمَعِينٍ﴾: ماءٍ ظاهرٍ، من قولِك: عانَتِ الرَّكِيَّةُ؛ إذا خرجَ ماؤُها.

وقيل: ﴿معين﴾ من المَعْنِ؛ أي: مُنتفَعٍ به[٤].

وقيل: من عِنْتُه؛ إذا نظَرْتَ إليه، وهذا لا يصِحُّ؛ لأنَّه لم يأتِ بمعنى النَّظرِ، وإنَّما جاءَ بمعنى: أصبتُه بعيني، ومنه:

أنَّك سيِّدٌ معيونٌ[٥]

= «تفسيره» (١٧/ ٥٤).

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٥٥)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٧٨)، واستغربه.

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٩٧٢)، ومن طريقه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٥٤)، بلفظ: «هي الرَّملة من فلسطين»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٧٨)، وعدَّه من العجائب.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٥٦) بلفظ: «الربوة: المستوية».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٧٨)، واستغربه.

(٥) قطعة من بيت لعباس بن مرداس يخاطب كليب بن عهمة أخا بني سليم بن منصور. انظر: «شرح نقائض جرير والفرزدق» لأبي عبيدة (٣/ ١٠٠٩)، و«الألفاظ» لابن السكيت (ص: ٤٠٣)، و«الحيوان» (٢/ ٣٢٧)، و«الصحاح» مادة: (ع ي ن). وتمامه:

قد كان قَومُكَ يَحسبُونَكَ سَيِّدًا ... وإخالُ أنَّكَ سَيِّدٌ مَعْيُونُ

(٥١) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: أنَّه خطابٌ لعيسى عليه السَّلامُ بلفظِ التَّعظيمِ؛ لاتِّصالِ الآيةِ بذكرِه، وكان يأكلُ من غَزْلِ أمِّه، وهو أحلُّ الأشياءِ وأطيبُ الطَّيِّباتِ[١].

والثَّاني: أنَّه خطابٌ لمحمَّدٍ ﷺ وكان يأكلُ منَ الغنائمِ، وذُكرَ بلفظِ الجمعِ لأنَّ تقديرَه: اقتدِ بما اقتَدَى به الأنبياءُ قبلَكَ[٢].

والثَّالثُ: أنَّه خطابٌ لجميعِ الأنبياءِ الذين تقدَّمَ ذِكرُهم بإضمارِ القولِ؛ أي: وقلنا لهم: كُلوا منَ الطَّيِّباتِ[٣].

﴿وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا﴾ يُوافقُ رضايَ ﴿إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾ فأُجازِيْكُم على أعمالِكم.

***

(٥٢) - ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ﴾.

﴿وأن هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ عطفٌ على موضعِ (ما)؛ أي: بما تعمَلُون وبأنَّ هذه، هذا قولُ الزَّجَّاجُ[٤].

غيرُه: ولأنَّ هذه أمَّتُكم.

وكذلك مَن خفَّفَ، ومَن كسرَ فهو استئنافٌ[٥]، وفي المعنى قولان:

---

(١) هذا اختيار الطبري في «تفسير» (١٧/ ٥٩)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٧٨)، واستغربه.

(٢) ذكر الواحدي أن هذا قول الحسن ومجاهد وقتادة والسدي والكلبي ومقاتل، وأنه اختيار الفراء وابن قتيبة والزجاج. انظر: «البسيط» (١٥/ ٦٠٣).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٧٨)، وعدَّه من العجائب، وهو اختيار الواحدي في «البسيط» (١٥/ ٦٠٢).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجـاج (٣/ ٤٠٤)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٧٩)، واستغربه.

(٥) قرأ حمزة والكسائي وعاصم بكسر الألف، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافعٌ بفتحها، وخفف ابن =

أحدُهما: وإنَّ الدِّينَ أيُّها الرُّسلُ دينٌ واحدٌ، وهو الإسلامُ، ومثلُه: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩] ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ﴾ وإنَّ الإلهَ إلهٌ واحدٌ، وهو اللهُ سبحانَه.

وقيل: ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ﴾ شَرَعْتُها لكم.

والثّاني: وإنَّ هذه الجماعةَ واحدةٌ، كلُّهم عبادُ اللهِ، واللهُ خالقُهم ومُربِّيهم.

ونصبُ ﴿أُمَّةً﴾ على الحالِ، والمعنى: أنَّها ما دامَت مُتوحِّدةً فهي مَرْضيَّةٌ، فإذا تفرَّقَت فلا.

﴿فَٱتَّقُونِ﴾ فخافونِ في شقِّ العصا وتفريقِ كلمتِكم.

* * *

(٥٣) - ﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾.

﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا﴾ تقطَّعَ بمعنى قطَّعَ؛ أي: قطَّعُوا أمرَ دينِهم.

وقيل: فرَّقوا ما أُمِروا به[1] أن يكونَ دينًا واحدًا، والمعنى: جعلوا دينَهم أديانًا.

و﴿زُبُرًا﴾: جمعُ زَبورٍ؛ أي: كتُبًا مختلفةً، آمَنُوا ببعضٍ وكفَرُوا ببعضٍ.

وقيل: فِرَقًا مختلفةً، واحدُها زَبورٌ.

وقُرِئَ في الغريبِ: (زُبَرًا) بفتحِ الباءِ[2]، جمع زُبرةٍ؛ أي: فِرَقًا[3].

= عامر النُّون مع فتح الهمزة. انظر: «السبعة» (ص: ٤٤٦)، و«التيسير» (ص: ١٥٩).

(١) «به» من (ف).

(٢) نسبها الداني في «جامع البيان» لابن عامر (٢/ ٣٠٣) لكن بخلاف بين أصحاب هشام راوية ابن عامر، ونسبت لأبي عمرو في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٠١).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٧٩)، وعدَّه من العجائب.

﴿كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ منَ الكتابِ والدِّينِ، وقيل: بالمالِ والأولادِ ﴿فَرِحُونَ﴾ مسرورونَ مُعجَبون، والمحِقُّ واحدٌ.

* * *

(٥٤) ـ ﴿فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾.

﴿فَذَرْهُمْ﴾ دَعْهم ﴿فِي غَمْرَتِهِمْ﴾ في جَهالتِهم وضَلالتِهم السَّاترةِ وجهَ الصَّوابِ، وأصلُه السَّترُ.

وقيل: فيما غمرَهم من دُنياهم ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ قيل: الموتِ. وقيل: العذابِ. وقيل: القتلِ يومَ بدرٍ.

وقيل: الآيةُ منسوخةٌ.

وقيل: مُحكَمةٌ؛ لأنَّها مؤقَّتةٌ وجاريةٌ مَجرى التَّهديدِ.

* * *

(٥٥ ـ ٥٦) ـ ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾.

﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ جزاءً على حُسنِ صنيعِهم ﴿بَل﴾ ليس الأمرُ على ما توهَّموا ﴿لَّا يَشْعُرُونَ﴾ أنَّ ذلك امتحانٌ واستدراجٌ، وفي ﴿أَنَّمَا﴾ قولان:

أحدُهما: أنَّ (ما) اسمُ (أنَّ)، و﴿نُسَارِعُ﴾ خبرُه، والتَّقديرُ: نُسارعُ لهم بذلك في الخيراتِ.

والثَّاني: أنَّ (ما) كافَّةٌ، و﴿بِهِۦ﴾ يعودُ إلى الفرحِ، و﴿نُسَارِعُ﴾ حالٌ منَ الضَّميرِ من اسمِ اللهِ تعالى[1].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٧٩)، واستغربه، وفيه: «... حال من ضمير اسم الله تعالى»، والمراد بالضمير المذكور الضمير (نحن) المستتر في ﴿نحدّهم﴾.

(٥٧) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم﴾ من خوفِ عذابِ اللهِ ﴿مُّشْفِقُونَ﴾: حَذِرون، والخشيةُ: الخوفُ مع تعظيمِ المخشيِّ عنه، والشَّفَقُ: الحذرُ منَ المكروهِ[1].

* * *

(٥٨) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ قيل: بالكتبِ. وقيل: بالدَّلائلِ.

* * *

(٥٩) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ أي: الأصنامَ. وقيل: لا يُراؤونَ.

* * *

(٦٠) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟﴾ يُعطُون ما أعطَوا منَ الصَّدقةِ، وقيل: منَ الزَّكاةِ ﴿وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ خائفةٌ ألَّا يُقبلَ منهم لتقصيرِهم ﴿أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ الجمهورُ على أنَّ التَّقديرَ: لأنَّهم.

وقيل: هو مفعولُ الوَجَلِ؛ أي: وَجِلةٌ الرُّجوعَ[2] إلى اللهِ.

والمعنى[3]: أي: يعمَلُون على وَجَلٍ، والواوُ للحالِ.

* * *

---

(١) ذكر الراغب في «تفسيره» (١/ ١٦٣) أن الشفقة خوف مع محبة، فتكون مقابلًا للخشية، وهو خوف مع تعظيم، ولكن أنكر العسكري في «الفروق اللغوية» (ص: ٢٤١) أن تكون الشفقة من الخوف.

(٢) في (ن): «للرجوع».

(٣) بعدها في (ن): «وجلهم».

(٦١) ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ يُبادِرونَ إلى الطَّاعاتِ ويعمَلونها عَجِلين، وقيل: يستكثِرون منها. وهذا خبرُ (إنَّ)[١].

﴿وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ أي: لأجلِ الخيراتِ سابقون إلى الجنَّاتِ.

وقيل: اللَّامُ بمعنى: إلى؛ أي: إلى الخيراتِ سابقون[٢].

وقيل: هم للسَّعادةِ سابقون إلى الجنَّةِ[٣].

* * *

(٦٢) ـ ﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ وَلَدَيۡنَا كِتَٰبٞ يَنطِقُ بِٱلۡحَقِّۚ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾.

﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا﴾؛ أي: لا نُحمِّلُها فوقَ طاقتِها، والوُسعُ: ما في القدرةِ، وهو مصدرُ (وَسِعَ).

﴿وَلَدَيۡنَا كِتَٰبٞ يَنطِقُ بِٱلۡحَقِّ﴾ يُريدُ: كتُبَ السَّفرةِ. وقيل: اللَّوحُ المحفوظُ، والمعنى: يُفهَمُ من جهتِه بقراءةِ ذلك بالحقِّ من غيرِ زيادةٍ ولا نقصانٍ.

﴿وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ بزيادةِ عقابٍ أو نُقصانِ ثوابٍ. وقيل: بتكليفِ ما لا يسَعُه.

* * *

(٦٣) ـ ﴿بَلۡ قُلُوبُهُمۡ فِي غَمۡرَةٖ مِّنۡ هَٰذَا وَلَهُمۡ أَعۡمَٰلٞ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمۡ لَهَا عَٰمِلُونَ﴾.

﴿بَلۡ قُلُوبُهُمۡ﴾ قلوبُ الكفَّارِ ﴿فِي غَمۡرَةٖ﴾ غطاءٍ ﴿مِّنۡ هَٰذَا﴾ قيل: من هذا الذي وُصِفَ به المؤمنون.

---

(١) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ﴾.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٧٩)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٧٩)، وعدَّه من العجائب.

وقيل: من كتابِ الحفَظةِ.

وقيل: منَ القرآنِ.

وقيل: منَ الحقِّ.

﴿وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: لهم أعمالٌ خبيثةٌ دونَ الشِّركِ.

وقيل: دونَ الحقِّ.

وقيل: دونَ أعمالِ أهلِ الإيمانِ.

وقيل: معنى: ﴿دُونِ ذَٰلِكَ﴾: سوى ذلك.

وقال الحسنُ في جماعةٍ: لهم أعمالٌ من دونِ ما هم عليه لا بدَّ من أن يعمَلُوها[1].

وقيل: الضَّميرُ في قوله: ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ﴾ يعودُ إلى المؤمنين، وقولُه: ﴿فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ أي: مغمورةٌ بالإشفاقِ مع هذه الأفعالِ الحسنةِ، ﴿وَلَهُمْ﴾؛ أي: للمُؤمنين ﴿أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ﴾ يريدُ بالأوَّلِ: الفرائضَ، وبالثَّاني: النَّوافلَ[2].

﴿هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ﴾ وعليها مُقيمون.

***

(٦٤) ـ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ﴾.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم﴾ مُتنعِّميهم ورُؤسائِهم ﴿بِٱلْعَذَابِ﴾ عذابِ الدُّنيا، وهو: القَحْطُ سبعَ سنينَ.

وقيل: القتلُ يومَ بدرٍ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٧٦)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٨٠)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٨٠)، واستغربه.

وقيل: عذابُ الآخرةِ.

﴿إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ﴾: يصرَخُون صُراخَ الثَّورِ، ويتضرَّعون إلى اللهِ ليقبلَ توبتَهم، فقال لهم:

(٦٥) ـ ﴿لَا تَجْـَٔرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ﴾.

﴿لَا تَجْـَٔرُوا الْيَوْمَ﴾: لا تتضرَّعوا، وهذا يأسٌ لهم منَ النَّجاةِ لا نهيٌ.

﴿إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ﴾ أي: إنَّكم من عذابِ اللهِ لا تُمنعون.

وقيل: لا تُنصَرون بقَبولِ التَّوبةِ؛ أي: لا ينصرُكُم أحدٌ منَّا.

* * *

(٦٦) ـ ﴿قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ﴾.

﴿قَدْ كَانَتْ آيَاتِي﴾ أي: القرآنُ ﴿تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ﴾: تُعرِضُونَ مدبِرين عن الإيمانِ بها وسماعِها والعملِ بما فيها، والنُّكوصُ: رُجوعُ القَهْقَرى، وهو أقبحُ مِشيةٍ؛ لأنَّه لا يَرى ما وراءَه.

وقيل: تستأخِرُون.

* * *

(٦٧) ـ ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ﴾.

﴿مُسْتَكْبِرِينَ﴾ مُتكبِّرين على المسلمين ﴿بِهِ﴾ ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما في جماعةٍ: ﴿بِهِ﴾ بالبيتِ أو بالحرمِ[1]؛ أي: يقولون: لا يظهرُ علينا أحدٌ[2]، فهي كنايةٌ من غيرِ مذكورٍ.

---

(١) في النسختين: «بالحرام»، والصواب المثبت، كما في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٨٠).

(٢) رواه بهذا اللفظ الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٨٠ ـ ٨١) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وفيه: «لا يظهرُ علينا فيه أحدٌ»، ورواه الطبري بنحوه عن مجاهد والحسن وسعيد بن جبير وقتادة والضحاك، وفيها جميعاً: «بالحرم».

وقيل: بمحمَّدٍ ﷺ(١).

وقيل: بالقرآنِ؛ أي: يتكبَّرون عن الإيمانِ به.

الزَّجَّاجُ: يجوزُ أن تكونَ الهاءُ كنايةً عن الكتابِ المتلوِّ(٢).

والباءُ(٣) متَّصلٌ بقولِه: ﴿مُسْتَكْبِرِينَ﴾. وقيل: متَّصلٌ بما بعدَه(٤).

﴿سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ﴾ هو فاعلٌ منَ السَّمَرِ، وهو: التَّحدُّثُ ليلًا، وأصلُه منَ السَّمَرِ، وهو ظِلُّ القمرِ. وقيل: السَّمَرُ: القمرُ(٥).

وكانوا يجتمِعون عندَ الكعبةِ ويتحدَّثون عندَها باللَّيلِ، ويُسيئون القولَ في محمَّدٍ ﷺ، والسَّامِرُ صفةُ القومِ كالحيِّ الحاضرِ والباقرِ والجاملِ(٦).

وقيل: اكتفَى بذِكرِ الواحدِ عن الجمعِ(٧).

وقيل: (سامرٌ) من صفةِ البيتِ، فيكونُ نصبًا على الحالِ من الهاءِ في ﴿بِهِۦ﴾ يعني: مسمورًا فيه(٨).

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٨٠)، واستغربه.

(٢) أي: يحدث لكم بتلاوته عليكم استكبار. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ١٨).

(٣) في (ف): «والهاء»، والمثبت هو الصواب. انظر: التعليق الآتي.

(٤) انظر: «غرائب التفسير» (٢/ ٧٨١)، وفيه: «والباء في ﴿بِهِۦ﴾ متصل بـ ﴿مُسْتَكْبِرِينَ﴾، وقيل: متصل بـ﴿سَٰمِرًا﴾، وقيل: متصل بـ﴿تَهْجُرُونَ﴾».

(٥) كذا ذكره المصنف هنا وفي القمر «غرائب التفسير» (٢/ ٧٨٠)، والقول المقابل لظل القمر في تفسير السمره هو ضوء القمر، لا تضر نفسه، والله أعلم. انظر: «تاج العروس» (١٢/ ٧٣).

(٦) أي: هو اسم مفرد بمعنى الجمع، فهو كالحاضر: وهم القوم النازلون على الماء، والباقر: جمع البقر، والجامل: جمع الإبل ذكورها وإناثها، ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ [الحج: ٥]. انظر: «تفسير القرطبي» (١٢/ ١٣٧)، و«تاج العروس» مادة: (س م ر) (١٢/ ٧٣).

(٧) ذكر الواحدي أن هذا مذهب المفضل وأبي عبيدة. انظر: «البسيط» (١٦/ ٢٧).

(٨) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٨١)، وعدَّه من العجائب.

وقيل: السَّامرُ: اللَّيلُ، كقولِه: السَّاهِرة، وهو قولُ المبرِّدِ[١].

وقيل: السَّامرُ: المجلسُ باللَّيلِ، والنَّدِيُّ بالنَّهارِ.

﴿تَهْجُرُونَ﴾؛ أي: القرآنَ والدِّينَ.

وقيل: تهجُرونَ منَ (الهُجْرِ)، وهو: القبيحُ منَ الكلامِ.

وقُرِئَ: ﴿تُهْجِرُون﴾ بضمِّ التَّاءِ[٢]: تقولون الهُجْرَ لا غيرُ، وهو وصفُهم النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه بالقبيحِ، والطَّعنُ فيه، والتَّكلُّمُ بالشِّركِ.

وقيل: تَهذُونَ كالمريضِ إذا هذَى[٣].

* * *

(٦٨) ـ ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ﴾ أي: أفلم يتدبَّروا ولم يتفكَّروا في القرآنِ فيعرِفوا أنَّه منَ اللهِ، فهذا نفيٌ لتدبُّرِهم.

وقيل: القولُ هاهنا كلامُ النَّبيِّ ﷺ؛ أي[٤]: قد فهِمُوا قولَه ودعوتَه.

ويحتمِلُ أنَّ التَّدبُّرَ هاهنا هو الفهمُ، فيكونُ المعنى: أفلم يفهَمُوا القرآنَ؛ أي: قد فَهِموه، لأنَّه بلغةٍ يعرِفونَها[٥].

---

(١) ذكر المبرد في «الكامل» (٢/ ١٨٤) أنَّ السمر جمع السامر، وهم الجماعة يتحدثون ليلاً، وذكر في «الفاضل» (ص: ١٠) أن الساهرة وجه الأرض، وما ذكره المصنف هنا ذكره في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٨١) بلا نسبة، واستغربه.

(٢) وهي قراءة نافع. انظر: «السبعة» (ص: ٤٤٦)، و«التيسير» (ص: ١٥٩).

(٣) والهَجر ـ بالفتح ـ: الهذيان. انظر: «الكشاف» للزمخشري (٣/ ١٩٤).

(٤) «أي»: ليس في (ف).

(٥) فالاستفهام خرج إلى معنى النفي على التقدير الأول، لكنه يحتمل التقرير على هذا التقدير، وهو على معنى التقرير أيضاً على القول الثاني.

﴿أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَاءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾؛ أي: ليس محمَّدٌ ﷺ بِدْعًا منَ الرُّسلِ، فقد جاءَ آباءَهم رسلٌ من قبلِه.

وقيل: معناه: أم جاءَهُم أمانٌ منَ العذابِ(١).

عكرمةُ عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّ ﴿أَمْ﴾ في معنى: (بل)؛ أي: جاءَهُم ما لم يأتِ آباءهم الأوَّلين(٢)؛ كقولِه: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ [يس: ٦] فيمَن جعلَ ﴿مَّآ﴾ نفيًا، وتقديرُه: أَوَلم يأتِهم ما لم يأتِ آباءَهُم، والمعنى: قد جاءَهم رسولٌ وكتابٌ مفهومٌ.

* * *

(٦٩) - ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾.

﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ﴾ بالصِّدقِ والأمانةِ ووُفورِ العقلِ وصحَّةِ النَّسبِ وحُسنِ الأخلاقِ؛ أي: عرَفُوه بهذه الأوصافِ ﴿فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ بغيًا وحسدًا.

* * *

(٧٠) - ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾.

﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ﴾ لأنَّه طمِعَ في اتِّباعِنا إيَّاه، وذلك طمعٌ في غيرِ مَطمعٍ.

وقيل: ليُنفِّروا عنه النَّاسَ(٣).

﴿بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ أي: الأمرُ على خلافِ ما توهَّموا به، فإنَّه جاءهم بالقرآنِ

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٨١)، وعدَّه من العجائب.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٨٧) بلفظ: «لعمري لقد جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين، ولكن أو لم يأتهم ما لم يأت آباءهم الأولين»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٨١)، واستغربه.

(٣) دل كلام المصنف هنا، كما قال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر: ٦] إلى أن كفار قريش لم يعتقدوا جنون النبي ﷺ، وإنما اتهموه بذلك تنفيراً عنه، أو قالوه له مجادلة؛ فقد كانت دلائل كمال عقله أظهر من أن تخفى.

والإسلامِ ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾ أي: كرِهوا اتِّباعَه والتَّصديقَ به.

***

(٧١) ـ ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ﴾.

﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ﴾ هو اللهُ سُبحانَه ﴿أَهْوَآءَهُمْ﴾: مُرادَهم ومُشتَهاهم ﴿لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ لأنَّهم يدَّعونَ آلهةً شتَّى، فلو كان فيهما آلهةٌ إلَّا اللهُ لفَسَدَتا، وقد سبقَ.

وقيل: ﴿ٱلْحَقُّ﴾: ضدُّ الهوى، ومحالٌ الجمعُ بينهما.

وقيل: ﴿ٱلْحَقُّ﴾: التَّنزيلُ.

وقيل: لفَسَدَتْ أحوالُ السَّماواتِ والأرضِ ومَن فيهنَّ.

وقولُه: ﴿وَمَن فِيهِنَّ﴾ خَصَّ العقلاءَ بالذِّكرِ لأنَّ غيرَهم تَبَعٌ.

وقيل: فسادُ الملائكةِ بأنْ يُعبَدوا من دونِ اللهِ، وفسادُ الإنسِ بأنْ يَعبُدوا غيرَ اللهِ، وفسادُ الجنِّ بأن يُطاعوا فيطغَوا.

﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ﴾ في الذِّكرِ قولان:

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: الذِّكرُ بيانُ الحقِّ[1]، وهو القرآنُ.

غيرُه: ﴿بِذِكْرِهِمْ﴾: بشرفِهم؛ لأنَّ الرَّسولَ منهم والقرآنَ بلسانِهم.

﴿فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ﴾؛ أي: يُعرِضون عن القرآنِ والشَّرفِ.

***

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٨٩).

(٧٢) - ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾.

﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ﴾ يرجعُ إلى قولِه: ﴿أَم بِهِ جِنَّةٌ﴾ ﴿خَرْجًا﴾: أجرًا وجُعْلًا على أداءِ الرِّسالةِ.

وقُرِئَ: ﴿خراجًا﴾[1]، وهو ما تُخرِجُه الرَّعيَّة من أموالِهم إلى الأمراءِ.

ابنُ عيسى: ما يُخرجُ منَ الغَلَّةِ على سبيلِ الوظيفةِ.

﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ﴾ رزقُ ربِّكَ في الدُّنيا.

وقيل: ثوابُ ربِّك في العُقبى.

﴿خَيْرٌ﴾ لأنَّه أبقى وأدومُ ﴿وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾: خيرُ المعطينَ.

* * *

(٧٣) - ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾: دينِ الإسلامِ.

* * *

(٧٤) - ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ﴾.

﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ﴾ أي: الصِّراطِ المذكورِ، وهو: الصِّراطُ المستقيمُ ﴿لَنَاكِبُونَ﴾: عادِلون عنه مائلون إلى غيرِه.

وقيل: طريقُ الجنَّةِ.

---

(١) قرأ حمزة والكسائي: ﴿خَرَاجاً فخَرَاجُ﴾، وابن عامر: ﴿خَرْجاً فخَرْجُ﴾، وباقي السبعة: ﴿خَرْجاً فخَرَاجُ﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٤٤٧)، و«التيسير» (ص: ١٤٦). وقد تقدم كلام للمصنف على الفرق بين الخرج والخراج في تفسير قوله تعالى: ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾ [الكهف: ٩٤].

وقيل: الصِّراطُ الذي يكونُ في الآخرةِ ﴿لَنَٰكِبُونَ﴾ نأخذُهم يمنةً ويسرةً إلى النّارِ، تقولُ: نكَبَ عنِ الطَّريقِ، و(نكَّبَ) بمعناه[1].

***

(٧٥) ـ ﴿وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.

﴿وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ﴾: قَحْطٍ وجُوعٍ ﴿لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ﴾: لأقامـوا وثبَتُـوا علـى كفرِهـم ﴿يَعْمَهُونَ﴾ يتـردَّدون مُتحيِّريـن.

وقيل: إنْ أخرَجْناهم منَ النَّارِ إلى الدُّنيا لعادُوا إلى الكفرِ، كقولِه: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨].

***

(٧٦) ـ ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾.

فـي سببِ النُّزولِ: عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: جاءَ أبو سفيانَ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقال: «يامحمَّدُ، أنشُدُكَ اللهَ والرَّحِمَ لقد أكلْنا العِلْهِزَ»، يعني: الوبرَ بالدَّمِ[2]، فأنزلَ اللهُ: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾[3]؛ أي: بالقحطِ والجوعِ.

وقيل: بالقتلِ يومَ بدرٍ، وقد سبقَ اشتقاقُ الاستكانةِ والتَّضرُّعِ[4].

---

(١) انظر: «الصحاح» مادة: (ن ك ب) (١/ ٢٢٨). وهما لغتان صحيحتان؛ بتخفيف الكاف وتشديدها، وذكر الصقلي في «تثقيف اللسان» (ص: ١٢٨) أن الصواب التخفيف، والحق أنهما لغتان، كما ذكر الجوهري والمصنف وأبو حيان في «البحر المحيط» (٧/ ٥٤٥).

(٢) وهو طعام كانوا يتخذونه زمن المجاعة. انظر: «الصحاح» (٣/ ٨٨٧).

(٣) رواه النسائي في «الكبرى» (١١٢٨٩)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٩٣)، وابن حبان في «صحيحه» (٩٦٧)، والحاكم في «المستدرك» (٣٤٨٨) وصححه.

(٤) تكلم المصنف في اشتقاق الاستكانه عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟﴾ [آل عمران: ١٤٦]، وتكلم في اشتقاق التضرع عند تفسير قوله تعالى: ﴿تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥].

(٧٧) ـ ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾؛ أي: أنزلْنا عليهم عذابًا.

الزَّجَّاجُ: العذابُ الأوَّلُ: القَحْطُ، والثَّاني: القتلُ[1].

وقيل: العذابُ الأوَّلُ: همومُ الدُّنيا وابتلاؤُها وغمُّها، والثَّاني: عذابُ الآخرةِ.

﴿إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾: آيِسون من كلِّ خيرٍ مُتحيِّرين.

* * *

(٧٨) ـ ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾.

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ ﴾: خلقَ ﴿لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾؛ أي: تشكرون شكرًا قليلًا، و﴿مَّا﴾ صِلةٌ[2].

وقيل: معناه: قليلًا مَن يشكُرُ[3].

* * *

(٧٩) ـ ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾.

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ أي: منه المبدأُ وإليه المَعادُ.

* * *

(٨٠) ـ ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾.

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾: مجيءُ أحدِهما عقيبَ الآخرِ.

وقيل: اختلافُهما بالظُّلمةِ والنُّورِ.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ١٩).

(٢) انظر: «التبيان» للعكبري (١/ ٩٠).

(٣) وناصب (قليلاً) مضمر على هذا القول، والتقدير: صاروا قليلاً يشكرون. وقد تقدم كلام المصنف على نحوه في تفسير قوله تعالى: ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٨٨].

وقيل: معناه: وله ملكُ اختلافِهما وله التَّدبيرُ فيهما.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ فتعرِفوا قُدرَتَنا على البعثِ.

* * *

(٨١ ـ ٨٢) ـ ﴿بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾.

﴿بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ﴾؛ أي: آباؤُهم، ثمَّ بيَّن ما قالوا فقال: ﴿قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ استبطَؤوا أمرَ البعثِ.

* * *

(٨٣) ـ ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾.

﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ﴾؛ أي: هذا الذي تعِدُنا منَ البعثِ، فقد وُعِدْنا نحنُ وآباؤُنا فما صدقَ وعدُهم ولا شاهَدْنا ذلك، ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾: أكاذيبُهم، وقد سبقَ بيانُ الآيةِ قبلُ[1].

* * *

(٨٤ ـ ٨٥) ـ ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾.

﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾؛ أي: قل لهم: لِمَنْ خلْقُ الأرضِ؟ فإنَّهم سيقولون: لله؛ لأنَّهم مقِرُّون بأنَّ اللهَ هو الخالقُ، فإذا قالوها قُلْ لهم: أفلا تذكَّرون أنَّ مالكَ الشَّيءِ يقدرُ على التَّصرُّفِ في الشَّيءِ، والأمواتُ مملوكةٌ للهِ، فهو قادرٌ على إحيائِها بعد

---

(١) في تفسير سورة (الأنعام).

الموتِ قُدرتَه عليها في المرّةِ الأولى، فإنَّها كانت أمواتًا فأحياها.

* * *

(٨٦ - ٨٧) - ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾.

﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾؛ أي: سلْهُم عن أعظمَ مِن الأرضِ ومَن فيها وهي السَّماواتُ السَّبعُ والعرشُ العظيمُ، فإنَّهم لا يُنكِرون أنَّ اللهَ خالقُها مع عِظَمِ أجزائِها وعلوِّ مكانها، وهو قولُه:

﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ ﴾ لهم ﴿ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ عقابَ مَن هذه كلُّها ملكُه ومقدورُه بإنكارِ شيءٍ حقيرٍ، وهو إعادةُ الموتى أحياءً.

* * *

(٨٨ - ٨٩) - ﴿ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾.

﴿ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾؛ أي: سَلْهم عن أحوالِها فقد أَقرُّوا ذواتَها للهِ.

والملكوتُ: الملكُ بأبلغِ لفظٍ كالرَّحَموتِ والرَّهَبوتِ[١].

وقيل: الملكوتُ: الخزائنُ.

﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾: فمِن أينَ تُصرَفون عن رُشدِكم؟

---

(١) والتاء والواو زيدت للمبالغة؛ لما تقرر من أن زيادة المبني تدل على زيادة المعنى، وقد قيل: إن الملك عالم الشهادة، والملكوت عالم الغيب. انظر: «شرح الكتاب» للسيرافي (٥/ ١٥٩)، و«معجم الفروق اللغوية» (ص: ٥١١).

وقيل: تُخدَعون.

وقيل: كيف تَعْمَونَ(١)؟ من قولِه: ﴿سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الأعراف: ١١٦].

وقيل: من أينَ يلحقُكم التَّمويهُ والسِّحرُ؟

وقيل: من أيِّ جهةٍ يُخيَّلُ إليكم الباطلُ حقًّا والكذبُ صدقًا؟

ومعنى ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ﴾: يمنعُ المكروهَ من أوليائِه ولا يمنعُ أحدٌ السُّوءَ ممَّن أرادَه اللهُ به.

﴿إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾: إنْ كان لكم عقلٌ فقد قامَتِ الحجَّةُ عليكم بإقرارِكم.

والأوَّلُ ﴿لِلَّهِ﴾ بإجماعٍ؛ لقولِه في السُّؤالِ: ﴿لِّمَنِ﴾، والثَّاني والثالثُ مُختلَفٌ فيهما؛ فمَن قرأَ باللَّامِ حملَ على المعنى، ومَن قرأَ بحذفِه(٢) فعلى ظاهرِ اللَّفظِ.

* * *

(٩٠) ـ ﴿بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾.

﴿بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾؛ أي: بيَّنَّا لهم الحقَّ فظهرَ كذبُهم، وإنَّهم لمُصِرُّون عليه.

وقيل: لكاذِبون بقولِهم: ﴿ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗا﴾ [البقرة: ١١٦].

* * *

(١) هذا قول أبي عبيدة في «مجاز القرآن» (٢/ ٦١).

(٢) هي قراءة أبي عمرو، قرأ: ﴿سيقولون اللهُ﴾ بالألف ورفع الهاء، والباقون باللام وكسر الهاء. انظر: «السبعة» (ص: ٤٤٧)، و«التيسير» (ص: ١٦٠).

(٩١) ـ ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾.

﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ﴾ لأنَّه مُنزَّهٌ عن النَّوعِ والجنسِ، وولدُ الرَّجلِ من جنسِه.

﴿وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ﴾: شريكٍ في الإلهيَّةِ ﴿إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ﴾؛ أي: لَـمَيَّزَ كلُّ واحدٍ مخلوقَه كي لا يَلتبِسَ بمخلوقِ غيرِه، ولا تميُّزَ بين المخلوقاتِ بعلامةٍ يُعلمُ أنَّ هذا للهِ وهذا لشريكِه، فصحَّ أنَّه لا شريكَ له ومعه.

﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾: غلَبَه وقهَرَه ومنعَه عن مُرادِه، وليس بإلهٍ مَن يُغلَبُ ويُمنَعُ، واللهُ سبحانه يفعلُ ما يريدُ من غيرِ مُغالبٍ ومُدافعٍ.

﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ من اتِّخاذِ الولدِ والشَّريكِ.

* * *

(٩٢) ـ ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ﴾: ما كانَ وما يكونُ ﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾: ما هو حاضرٌ، وقيل: السِّرُّ والعلانيةُ، وليس فيهما[1] لله ولدٌ ولا شريكٌ ﴿فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ هو أعلى من أن يتَّخذَ ولدًا أو شريكًا.

* * *

(٩٣ ـ ٩٤) ـ ﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِى فِى ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ﴾: إنْ أريتَني عذابَهم ﴿رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِى فِى ٱلْقَوْمِ

(١) أي: في الغيب والشهادة.

﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ أي: أخرِجْني منهم ولا تُعذِّبْني معهم، والفاءُ جوابُ الشَّرطِ، وقولُه: ﴿رَّبِّ﴾ اعتراضٌ بينهما للتَّأكيدِ.

والجمهورُ على أنَّ هذا العذابَ في الدُّنيا، وقيل: في الآخرةِ.

الحسنُ: أخبرَ اللهُ نبيَّه أنَّ له في أمَّتِه نقمةً ولـم يُطلِعْه على وقتِها، فأمرَه بهذا الدُّعاءِ[1].

* * *

(٩٥) ـ ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ﴾.

﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ﴾: إخبارٌ بقُدرتِه على إنزالِ العذابِ، قيل: هو يومُ بدرٍ.

وقيل: هو فتحُ مكَّةَ.

وقيل: إنَّ اللهَ أخَّرَه لعلَّهم يؤمنون.

* * *

(٩٦) ـ ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾.

﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ التي هي أحسنُ: كلمةُ لا إلهَ إلّا اللهُ، والسَّيِّئةُ: الشِّركُ.

وقيل: ادفَعْ بحِلْمِك جهلَهم.

وقيل: ادفَعْ أذاهُم إيَّاك بالسَّلامِ عليهم.

وقيل: بالإغضاءِ والصَّفحِ عن إساءةِ المُشركين.

وقيل: ادفَعِ المنكرَ بالأمرِ بالمعروفِ.

﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾؛ أي: نحنُ أعلمُ بما يستحقُّون منَ الجزاءِ وبوقتِ العذابِ. وهذا قبلَ أن أُمِرَ بالقتالِ.

---

(١) ذكره ابن أبي زمنين في «تفسيره» (٢/ ٣٥٩)، والزمخشري في «الكشاف» (٣/ ٢٠١).

(٩٧) ـ ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾.

﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾: شرِّ الشَّياطين.

وقيل: وساوِسه الدَّاعيةِ إلى الضَّلالِ والمعاصي.

وقيل: نزغاتِه.

وقيل: إغوائِه.

ورُوِيَ مرفوعًا: أنَّ همْزَه المُوتةُ التي تأخذُ ابنَ آدمَ[1]. وقيل: الجنونُ.

* * *

(٩٨) ـ ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾.

﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ في الصَّلاةِ، وعندَ القراءةِ.

وقيل: عندَ الموتِ.

---

(١) قطعة من حديث رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٦٧٣٩) عن جبير بن مطعم مرفوعاً، وفيه: «... اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم، من همزه ونفثه ونفخه» قلت: يا رسول الله، ما همزه ونفثه ونفخه؟ قال: «أما همزه فالموتة التي تأخذ ابن آدم، وأما نفخه الكِبْر، ونفثه الشِّعْر». وإسناده ضعيف، وقد روي الشرح المذكور من قول ابن مسعود، رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٢٥٨١)، ومن طريقه الطبراني في «الكبير» (٩٣٠٣)، عن ابن مسعود قال: «همزه الموتة؛ يعني: الجنون، ونفخه: الكبر، ونفثه: الشعر».

ورواه عبد الله بن الإمام أحمد في زوائده على «المسند» (١٦٧٦٠) من طريق حُصَينٍ، عن عمرِو بن مُرَّة، عن عَبَّاد بن عاصم، عن نافع بن جبير بن مُطْعِمٍ، عن أبيه، وفيه: «قال حصين (هو ابن عبد الرحمن السلمي): همزه الموتة التي تأخذ صاحب المس، ونفثه الشعر، ونفخه الكبر».

ورواه أبو داود (٧٦٤)، وابن ماجه (٨٠٧)، وفي رواية ابن ماجه التصريح بأن القائل هو عمرو بن مرة.

وقيـل: أن يُصيبوني بسـوءٍ منهم، من قـولِ العربِ: اللَّبنُ محضُـورٌ؛ أي: يُصابُ منه(١).

***

(٩٩) ـ ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴾.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴾ أي: إذا حضرَه ملَكُ الموتِ، قال: يا ربِّ ارجِعوني: رُدُّوني إلى الدُّنيا، وذُكِرَ بلفظِ الجمعِ تعظيمًا للمُخاطَبِ.

وقيل: خاطبَ ملكَ الموتِ وأعوانَه به(٢).

وقيل: تقديرُه: يا ربِّ مُرْهُم ليُرجِعُوني(٣).

وقيل: عدَلَ عن خطابِ اللهِ إلى خطابِ الملائكةِ(٤).

***

(١٠٠) ـ ﴿ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾.

﴿ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾ خالصًا في الدُّنيا؛ لأنَّه تركَ الدُّنيا(٥) وصارَ إلى العُقبى.

وقيل: ﴿أَعْمَلُ صَٰلِحًا﴾ أقولُ: لا إلهَ إلّا اللهُ.

---

(١) ذكر هذا القول ابن فارس في «الصاحبي» (ص: ١٩١)، «مقاييس اللغة» مادة: (ح ض ر) (٢/ ٧٦) ولكنه ذكر بأن معنى قول العرب: لبن محضور؛ أي: كثير الآفة، وتصيبه الآفات، ولكن ذكره الواحدي في «البسيط» (١٦/ ٥٩٠) بلفظ المصنف، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٨٣)، واستغربه.

(٢) «به»: ليس في (ف).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٨٣)، واستغربه.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٨٣)، وعدَّه من العجائب.

(٥) وذلك لأنهم كانوا يعملون أعمالاً، ولكن كانوا يشركون بها

﴿كَلَّآ﴾؛ أي: لا يكونُ ما سألتَ منَ الرُّجوعِ.

وقيل: معناه: حقًّا.

﴿إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾ يعني بالكلمةِ قولَه: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾.

وقيل: معناه ﴿كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾: لا أصلَ لها؛ لأنَّه لو رجعَ إلى الدُّنيا لم يَفِ بها[1].

الزَّجَّاجُ: الضَّميرُ في ﴿إِنَّهَا﴾ يعودُ إلى قولِه: ﴿إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ﴾ الآيةَ [يونس: ٤٩]؛ أي: اللهُ قائلُ هذه الكلمةِ، فلا يدخلُه خُلْفٌ[2].

﴿وَمِن وَرَآئِهِم﴾؛ أي: بينَ أيديهم، وقيل: قُدَّامَهم[3].

﴿بَرْزَخٌ﴾ حاجزٌ حائلٌ، وهو ما بين الموتِ والبعثِ.

وقيل: حاجزٌ بين الدُّنيا والآخرةِ.

وقيل: حاجزٌ بين الميِّتِ والرُّجوعِ إلى الدُّنيا.

وقيل: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ﴾: إمهالٌ ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ إلى يومِ القيامةِ.

وقيل: البرزخُ: القبرُ.

وقيل: ما بين النَّفختَين، وهو أربعون سنةً.

وقيل: بقيَّةُ الدُّنيا.

***

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٨٣)، واستغربه.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٢١)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٨٣)، وعدَّه من العجائب.

(٣) فلفظ (وراء) من الأضداد كما تقدم في تفسير قوله تعالى: ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ﴾. وانظر: «الأضداد» للأنباري (ص: ٦٨).

(١٠١) ـ ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾.

﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ ﴾ ينفخُ فيه إسرافيلُ لقيامِ السَّاعةِ.

الحسَنُ: الصُّورُ: جمعُ صُورةٍ[١].

﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ﴾ أي: لا أنسابَ بينَهم تنفعُهم، ولا يعطِفُ ذو رَحِمٍ على ذي[٢] رَحِمِه؛ لاشتغالِه بنفسِه.

وقيل: لا يتناسبون للمُفاخرةِ كما كانوا يفعلون في الدُّنيا.

وقيل: لا يتواصَلون بالأنسابِ.

﴿وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾: لا يسألُ بعضُهم بعضًا تقويةً[٣]؛ لعلمِه بأنَّه مشغولٌ بنفسِه.

وقيل: لا يسألُ بعضُهم بعضًا عن حالِه.

وليس بينَ هذا وبينَ قولِه: ﴿وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [الصافات: ٢٧] تناقضٌ؛ لأنَّ هذا في بعضِ المواقفِ، وفي القيامةِ[٤] مواقفُ، قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: لا يُسألونَ عندَ النَّفخةِ الأولى[٥].

---

(١) ذكره المصنف في «تفسيره» قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعۡنَٰهُمۡ جَمۡعٗا﴾ [الكهف: ٩٩]، وقد نسبه هنالك للحسن وقتادة وأبي عبيدة، وقد ذكره الحسن ابن فورك في تصبح الجملة في «تفسيره» انظر: «تفسيره» (١/ ١٠١)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٨٣)، واستغربه. وفي «الكشاف» (٢/ ٣٠٩) عن الحسن أنه قرأ: (الصُّوَر) بفتح الواو.

(٢) «ذي»: ليس في (ف).

(٣) سيذكر المصنف مثل هذه العبارة في تفسير قوله تعالى: ﴿فَعَمِيَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَنۢبَآءُ يَوۡمَئِذٖ فَهُمۡ لَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [القصص: ٦٦]، ولفظه ثمة: «لا يسأل بعضهم بعضاً استعانة» وهو المراد هنا، وقد نسب نحوه الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٦٧) ليحيى بن سلام.

(٤) في (ف): «وللقيامة».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ١١١)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٧١٦).

وقيل: ما داموا في المُحاسبةِ لا يتساءلون؛ لأنَّهم لا يتفرَّغون، فإذا فرَغُوا فدخَلُوا الجنَّةَ أو النَّارَ تساءَلُوا[١].

***

(١٠٢ ـ ١٠٣) ـ ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ١٠٢ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾.

﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ بالعملِ الصَّالحِ ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ يعني: المؤمنين ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ يعني: الكفَّارَ ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ غبَنُوا أنفسَهم ﴿فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ لا يخرُجونَ ولا يموتونَ.

والجمهورُ على أنَّه يُنصَبُ في عَرْصةِ القيامةِ ميزانٌ له كِفَّتان ولسانٌ يُوزَنُ به الحسناتُ والسَّيِّئاتُ.

وقيل: هو مَثَلٌ للحسناتِ والسَّيِّئاتِ، فمَن كثُرتْ حسناتُه فهو مُفلحٌ، ومَن كثُرتْ سيِّئاته فهو خاسرٌ[٢].

وقيل: الموازينُ: الأعمالُ، وثِقَلُها أن تكونَ حسنةً ويكونَ لها خطرٌ ومقدارٌ ووزنٌ، والسَّيِّئةُ لا خطرَ لها ولا وزنَ[٣].

والأوَّلُ هو المُعتقَدُ، وإنَّما جُمِع لاختلافِ الموزوناتِ، كالأهلَّةِ لاختلافِ الأوقاتِ، ويحتمِلُ أنَّها جمعُ موزونٍ[٤].

---

(١) انظر: «الانتصار للقرآن» للباقلاني (٢/ ٥٩٦ ـ ٥٩٨ و٧٢٠ و٧٥٢).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٨٤)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٨٤)، وعدَّه من العجائب.

(٤) انظر ما تقدم من كلام المصنف والتعليق عليه في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾ الآيتين [الأعراف: ٨ ـ ٩].

(١٠٤) ـ ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ﴾.

﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ أي: تحرِقُ فلا يَبْقَى عليه لحمٌ ﴿وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ﴾ الكُلوحُ: بُسُورُ الوجهِ. وقيل: تقلُّصُ الشَّفتَينِ عن الأسنانِ حتَّى تبدوَ الأسنانُ.

* * *

(١٠٥) ـ ﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾.

﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ أي: فيقالُ لهم: ﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى﴾ يعني: القرآنَ ﴿تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ في الدُّنيا، وفيه الأمرُ والنَّهيُ، ﴿فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾؟

* * *

(١٠٦) ـ ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ﴾.

﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ التي كتَبْتَ علينا في اللَّوحِ المحفوظِ.

وقيل: الشِّقوةُ: الهوى.

وقيل: غلَبَتْ علينا سيِّئاتُنا التي أوجَبَتْ لنا الشَّقاوةَ[١].

وقيل الشِّقوةُ: حُسْنُ الظَّنِّ بالنَّفسِ وسوءُ الظَّنِّ بالغيرِ[٢].

وقُرِئ: ﴿شِقْوَتُنَا﴾ بالكسرِ، و﴿شَقَاوَتُنَا﴾ بالفتحِ والألفِ[٣]، وكلاهما مصدرانِ.

﴿وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ﴾ عن الهدى والحقِّ.

* * *

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٨٤)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٨٤)، وعدَّه من العجائب.

(٣) قرأ بالثانية حمزة والكسائي، والباقون بالأولى. انظر: «السبعة» (ص: ٤٤٨)، و«التيسير» (ص: ١٦٠).

(١٠٧) ـ ﴿ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴾.

﴿ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا ﴾: منَ النَّارِ ﴿فَإِنۡ عُدۡنَا ﴾ إلى الكفرِ والتَّكذيبِ ﴿فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴾ لأنفُسِنا.

الحسنُ: هذا آخرُ كلامٍ يتكلَّمُ به أهلُ النّارِ[١].

***

(١٠٨) ـ ﴿ قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾.

﴿ قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا ﴾ اسكُتُوا سكوتَ ذلَّةٍ وهَوانٍ ﴿وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ في دفعِ العذابِ؛ فإنِّي لا أدفعُه عنكم.

وقيل: هذا على جهةِ الغضبِ اللّازمِ لهم تقولُ: خسَأْتُ الكلبَ؛ إذا زجرتَه، فخَسَأَ[٢].

***

(١٠٩) ـ ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾.

﴿ إِنَّهُۥ ﴾: إنَّ الأمرَ والشَّأنَ ﴿كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ يعني: المُؤمنين.

***

(١١٠) ـ ﴿ فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ ﴾.

﴿ فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا ﴾ أي: سخِرْتُم منهم وهزِئتُم بهم.

وقيل: اتَّخذتُموهم سُخْرةً وعُبودةً[٣].

---

(١) ذكره ابن فورك في «تفسيره» (١/ ١٠٦)، والثعلبي في «تفسيره» (١٨/ ٥٦٧).

(٢) انظر: «العين» مادة: (خ س أ) (٤/ ٢٨٨)، و«أدب الكاتب» لابن قتيبة (ص: ٤٥٥).

(٣) العبودة: مصدر (عَبُدَ)، كالعبودية. انظر: «المحكم» مادة: (ع ب د) (٢/ ٢٥) والسخرةُ: استخدام =

﴿حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ﴾؛ أي: أنساكُم الهُزءُ بهم ﴿ذِكۡرِي﴾: طاعَتي ﴿وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ﴾ استهزاءً بهم.

***

(١١١) ـ ﴿إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾.

﴿إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾ يجوزُ أن يكون التَّقديرُ: جزيتُهم الجنَّةَ بصبرِهم لأنَّهم هم الفائزون.

ويجوزُ أن يكونَ ﴿أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾ المفعولَ الثّاني؛ أي: جزيتُهم اليومَ الفوزَ[١].

ومَن كسرَ[٢] فعلى الابتداءِ؛ أي: إنَّهم هم الفائزون لا أنتم، ومعنى فازَ: نالَ ما أرادَ.

***

(١١٢) ـ ﴿قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾.

﴿قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ قيل: في القبرِ. وقيل: في الدُّنيا.

﴿عَدَدَ سِنِينَ﴾ أي: كم عددَ سنينَ لبِثتُم؟ و﴿عَدَدَ﴾ نصبٌ بـ﴿كَمۡ﴾، و﴿كَمۡ﴾ نصبٌ بـ﴿لَبِثۡتُمۡ﴾، وإنَّما سُئِلوا عن هذا؛ لأنَّهم كانوا يقولون: نحنُ ندومُ ولا نفنى.

وقيل: لو عرفتُم مدَّةَ ما تلبَثون في القُبورِ لَمَا أنكرتُم البعثَ.

ومَن قرأ: ﴿قُلۡ﴾[٣] فتقديرُه: قولوا يا أهلَ النَّارِ.

= الخادم أو الدابة بلا أجر أو ثمن. انظر: «العين» مادة: (س خ ر) (٤/ ١٩٦).

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٨٥)، واستغربه.

(٢) قرأ حمزة والكسائي بالكسر، والباقون بالفتح. انظر: «السبعة» (ص: ٤٤٨ ـ ٤٤٩)، و«التيسير» (ص: ١٦٠).

(٣) هي قراءة ابن كثير وحمزة والكسائي، والباقون: ﴿قَٰلَ﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٤٤٩)، و«التيسير» (ص: ١٦٠).

(١١٣) ـ ﴿قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ الْعَادِّينَ﴾.

﴿قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ استقصروا مدَّةَ لُبثِهم لِمَا دُفِعوا إليه منَ الشَّدائِدِ.

وقيل: إنَّهم كانوا عالِمين أنَّهم مكَثُوا أكثرَ من يومٍ ويومَين، ولكنَّهم أرادُوا: لبثنا[1] قليلًا.

﴿فَسْـَٔلِ الْعَادِّينَ﴾ قيل: الملائكةَ.

وقيل: ملَكَ الموتِ وأعوانَه.

وقيل: الحفظةَ.

وقيل: الحُسَّابَ[2].

* * *

(١١٤) ـ ﴿قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: أنتم وإنْ أخطأتُم فيما أجَبْتُم به فما لبثتُم فيها إلَّا قليلًا بالإضافةِ[3].

وقيل: إلَّا قليلًا؛ لأنَّه انقَضى، وكلُّ مُنقَضٍ قليلٌ[4].

﴿لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ هذا ما اشتَغَلْتُم بالمعاصي.

* * *

---

(١) في (ن): «لبثًا».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٨٥)، واستغربه.

(٣) يعني هو قليل بالنسبة لما سيأتي عليهم من عذاب دائم في النار، وقد ذُكر نحو هذا في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾، وقوله: ﴿مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ انظر: «التصاريف» ليحيى بن سلام (ص: ٣٣٩).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٨٥)، واستغربه.

(١١٥) ـ ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾.

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا﴾ فيه قولان:

أحدُهما: للعبثِ؛ أي: لتعبثُوا وتغفُلوا وتلهُوا.

والثَّاني: بالعبثِ والباطلِ، لا نَحكُمُ للمطيعِ بالثَّوابِ وللعاصي بالعقابِ.

﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ بعد الموتِ.

***

(١١٦) ـ ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾.

﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ﴾؛ أي: جلَّ عن أن يخلقَ عبثًا.

وقيل: علَتْ صفتُه فوقَ كلِّ صفةٍ لغيرِه.

﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾: المُستحِقُّ للمملكةِ، وغيرُه منَ الملوكِ مملوكون.

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾ السَّريرِ الكبيرِ.

وقيل: العرشُ: السَّماواتُ.

وقيل: المُلْكُ الكريمُ حيثُ يُنالُ من جهتِه الكراماتُ[1].

***

(١١٧) ـ ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾: مَن أشركَ مع اللهِ إلهًا آخرَ من غيرِ برهانِ حجَّةٍ وبيانٍ ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ﴾ هذا جوابُ الشَّرطِ؛ أي: فجزاؤُه على اللهِ، وهو يُجازيه لا محالةَ.

---

(١) تقدمت الأقوال الثلاثة في تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾.

وقيل: معرفةُ مقدارِ ما يستحقُّه منَ الجزاءِ عندَ ربِّه فيُجازيه بمقدارِه.

﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ بدأ بالسُّورةِ بقولِه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ وختمَ بقولِه: ﴿لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[1].

* * *

(١١٨) ـ ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾.

﴿وَقُل﴾ يا محمَّدُ: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ﴾ لي ولأمَّتي.

وقيل: ادعُ ليقتديَ بكَ المؤمنون.

﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾؛ أي: أرحمُ الرَّاحمين.

* * *

---

(١) نبّه المصنف على هذا في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٦٩) أيضاً، وقال الزمخشري في «الكشاف» (٣/ ٢٠٧): «جعل فاتحة السورة ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ وأورد في خاتمتها ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة»؛ وقد عقد الزركشي في «البرهان» (١/ ١٨٥ ـ ١٨٦).

سُورَةُ النُّورِ

سُورَةُ النُّورِ

أربعةٌ وستُّونَ آيةً[1]، مدنيَّة.

وعن عائشةَ رضي الله عنها قالتْ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ في حقِّ البناتِ: «لا تُنزِلُوهُنَّ الغُرَفَ، ولا تُعلِّمُوهُنَّ الكتابةَ، وعلِّموهنَّ الغزلَ وسورةَ النُّورِ»[2].

بسم الله الرَّحمَنِ الرَّحيم

(١) ـ ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَهَا وَفَرَضْنَهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَهَا﴾ ابنُ عيسى: السُّورةُ: الجامعةُ لجملةِ آياتٍ بفاتحةٍ لها وخاتمةٍ[3].

واشتِقاقُها من سورِ المدينةِ، وقيل: من سُؤرِ الماءِ[4]، وقد سبقَ[5].

أي: هذه سورةٌ، فهي خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ، و﴿أَنزَلْنَهَا﴾ صفةٌ لها، ولا يَحسُنُ

---

(١) «أربعةٌ وستُّونَ آيةً»: ليس في (ف).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٥٧١٣)، والحاكم في «المستدرك» (٣٤٩٤)، وصححه، وخالفه الذهبي فقال: «بل موضوع». وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٩٣): «رواه الطبراني في «الأوسط»، وفيه محمد بن إبراهيم الشامي قال الدارقطني: كذاب».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٨٧) بلا نسبة.

(٤) انظر: «تفسير الطبري» (١/ ١٠٣).

(٥) لم يسبق الكلام في اشتقاق السورة وإنما سبق أنها كانت سورة على عهد رسول الله عليه السلام، ولها ـ بناء على ذلك ـ فاتحة وخاتمة، وذلك في تفسير قوله تعالى ﴿وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ﴾.

ارتفاعُها بالابتداءِ لكونِها نكرةً[١]، وقُرِئَ في الشَّواذِّ بالنَّصبِ[٢] على تقديرِ: أنزَلْنا سورةً أنزلناها، أو اتلُ سورةً.

ومعنى ﴿أَنزَلْنَـٰهَا﴾: أمَرْنا جبريلَ أنْ يَنزِلَ بها.

﴿وَفَرَضْنَـٰهَا﴾؛ أي: فرَضْنا فرائضَها، فحُذِفَ المُضافُ، ومَن شدَّدَ[٣] فلكثرةِ ما فيها منَ الفرائضِ، والتَّخفيفُ يصلُحُ للقليلِ والكثيرِ، وأصلُه من الفَرْضِ، وهو الحزُّ وفصلُ الشَّيءِ من الشَّيءِ. وقيل: معناه: وفرَضْناها عليكم وعلى مَن بعدكم[٤].

﴿وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ﴾؛ أي: دلائلَ واضحاتٍ، وقيل: فرائضَ وأحكامًا.

﴿لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾: لكي تذكَّروا وتعتَبِروا. ثمَّ فصَّلَ أحكامَها فقال:

(٢) - ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى﴾ أي: فيها حكمُ الزَّانيةِ والزَّاني، فهما رفعٌ بالابتداءِ، والخبرُ مُقدَّرٌ.

وقيل: الخبرُ ﴿فَٱجْلِدُوا۟﴾[٥]، وجازَ دخولُ الفاءِ لأنَّ التَّقديرَ: التي زنَتْ والذي زَنَى، وجازَ بلفظِ الأمرِ كما تقولُ: زيدٌ اضرِبْه؛ أي: زيدٌ أقولُ لكَ في حقِّه: اضرِبْه.

---

(١) وأجاز قوام السنة في «إعراب القرآن» (ص: ٢٦٨) أن تكون مبتدأة على إضمار الخبر، والتقدير: فيما يُتلى عليكم سورة أنزلناها، قال: «ولا يجوز أن نقدر هذا الخبر متأخراً؛ لأن خبر النكرة تقدم عليها».

(٢) نسبت لأم الدرداء وعيسى الثقفي وعيسى الهمداني وعمر بن عبد العزيز ومجاهد. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٠١)، و«المحتسب» (٢/ ٩٩).

(٣) قرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿وفرَّضْناها﴾ بتشديد الراء، والباقون بتخفيفها. انظر: «السبعة» (ص: ٤٥٢)، و«التيسير» (ص: ١٦١).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٨٧)، واستغربه.

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٨٧)، واستغربه.

وقدَّمَ الزَّانيةَ بخلافِ السَّارقِ؛ لأنَّ أثَرَ الزِّنى يبدو عليها منَ الحبَلِ وزوالِ البكارةِ[(١)].

والزِّنى: الوَطْءُ في الفرجِ من غيرِ عَقْدٍ، أو غالبِ ظنٍّ بعقدٍ يصحُّ به الوطءُ.

﴿فَٱجْلِدُواْ﴾ الخطابُ للأئمَّةِ ومَن يلي مِن قِبَلِ الإمامِ.

﴿كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ﴾ يريدُ: البِكرَين الحرَّين؛ لأنَّ الثَّيِّبين حكمُهما الرَّجمُ بالإجماعِ، ولِمَا رُوِيَ عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: خطَبَنا عمرُ بنُ الخطَّابِ رضي الله عنه فقال: كنَّا نقرأُ: (الشَّيخُ والشَّيخةُ إذا زَنَيا فارجُموهما ألبتَّةَ بما قَضَيا منَ اللَّذَّةِ نكالًا من اللهِ واللهُ عزيزٌ حكيمٌ)[(٢)].

ولم يُخالفْ هذا أحدٌ إلَّا الخوارجَ، فإنَّهم زعَمُوا أنَّ الرَّجمَ لم يصحَّ فيه النَّقلُ، وأنَّ الجلدَ عامٌّ في البِكرَين والثَّيِّبين، وعلى العبدِ نصفُ ما على المُحصناتِ منَ العذابِ؛ يعني: خمسينَ جلدةً[(٣)].

---

(١) ذكر السمرقندي في «بحر العلوم» (٢/ ٤٩٥): أن سبب تقديم الزانية على الزاني أن الزنى في النساء أكثر، أو أنها أحرص على الزنى من الرجال؛ لأن الفعل ينتهي إليها ولا يكون إلا برضاها.

(٢) رواه ابن ماجه (٢٥٥٣)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٧١١٨)، وأبو عوانة في «مستخرجه» (٦٢٥٧). قال النسائي: «لا أعلم أن أحداً ذكر في هذا الحديث: (الشيخ والشيخة فارجموهما ألبتة) غير سفيان، وينبغي أن يكون وهم والله أعلم».

وأصل الحديث رواه البخاري (٦٨٣٠)، ومسلم (١٦٩١) دون العبارة المذكورة، ولفظه: «إن الله بعث محمَّدًا ﷺ بالحق، وأنزل عليه الكتاب، فكان مما أنزل الله آية الرجم، فقرأناها وعقلناها ووعيناها، رجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: والله ما نجد آية الرجم في كتاب الله، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله، والرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء، إذا قامت البينة، أو كان الحبل أو الاعتراف».

(٣) انظر: «المحلى» لابن حزم (١٢/ ١٧٠)، و«الإقناع في مسائل الإجماع» لابن القطان (٢/ ٢٥٦)، و«الإعلام بفوائد عمدة الأحكام» لابن الملقن (٩/ ١٥٩). وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٨٨)، واستغربه.

والجَلـدُ: الضَّـربُ على الجِلـدِ، كما تقولُ: رأَسْـتُه وجبَهْتُه ورجَلْتُـه؛ إذا أصبتَ أحـدَ هذه[١].

﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ﴾ أي: رحمةٌ، والفتحُ لغةٌ[٢]، وكذلك المدُّ[٣].

وقيل: الرَّأفةُ في دفعِ المكروهِ، والرَّحمةُ في إيصالِ المحبوبِ[٤].

والنَّهيُ في الظَّاهرِ للرَّأفةِ، والمُرادُ بها: عمَّا[٥] تدعو إليه الرَّحمةُ، وهو تعطيلُ الحدودِ أو نُقصانُها.

الحسَنُ: رأفةٌ في تخفيفِ الضَّربِ[٦].

والوجهُ الأوَّلُ؛ لأنَّ عمرَ رضي الله عنه قال للجالدِ: لا ترفعْ إبطَك[٧]، وجاءَ عن النَّبيِّ ﷺ أيضًا[٨].

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» مادة: (ج ل د)، و«البسيط» للواحدي (١٦/ ٩٤).

(٢) قرأ ابن كثير: ﴿رأَفةٌ﴾ بفتح الهمزة، والباقون بتسكينها. انظر: «السبعة» (ص: ٤٥٢)، و«التيسير» (ص: ١٦١).

(٣) نسبت قراءة المد لابن جريج. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٠٢).

(٤) ذكره السمرقندي في «بحر العلوم» (٢/ ٤٩٥).

(٥) كذا في النسختين الخطيتين، ولو قال: «والمراد به ما تدعوا إليه الرحمة» لكان أظهر، والله أعلم.

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ١٤٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥١٩) بلفظ: «الجلد الشديد»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٨٨)، واستغربه.

(٧) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٣٥١٦)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٨٦٧٣) عن أبي عثمان النهدي بلفظ: «أتي عمر برجل في حد، فأمر بسوط فجيء بسوط فيه شدة، فقال: أريد ألين من هذا. فأتي بسوط فيه لين، فقال: أريد أشد من هذا. قال: فأتي بسوط بين السوطين فقال: اضرب به، ولا يرى إبطك، وأعط كل عضو حقه». ورواه ابن عبد البر في «التمهيد» (٥/ ٣٣٤) عن أبي وائل قال: «أدركت عمر جلد رجلًا فقال للجلاد: لا ترني إبطك».

(٨) روى الإمام مالك في «الموطأ» (٢/ ٨٢٥) عن زيد بن أسلم أن رجلاً اعترف على نفسه بالزنى على =

ولا خلافَ أنَّه يُفرَّقُ على جسمِه إلّا مواضعَ يشينُ فيها.

﴿فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾: طاعتِه.

﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ شرطٌ جوابُه مُضمَرٌ؛ أي: فاجلِدوا ولا تُعطِّلوا الحدَّ.

﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ﴾: وليحضُرْ موضعَ جلدِهما طائفةٌ ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما في جماعةٍ: أنَّ الطَّائفةَ رجلٌ واحدٌ[1].

عكرمةُ: اثنانِ فصاعدًا[2]؛ لأنَّ اسمَ الجمعِ قد يُطلَقُ على الاثنينِ.

الزُّهريُّ: ثلاثةٌ[3]؛ لأنَّه الجمعُ الصَّحيحُ.

ابنُ زيدٍ: أربعةٌ[4]؛ اعتبارًا بالشُّهودِ، ويحتمِلُ أنَّه أرادَ بهم الشُّهودَ.

وقيل: الطَّائفةُ عشَرةٌ.

وقيل: ليس بمحصورٍ.

* * *

= عهد رسول الله ﷺ فدعا له رسول الله ﷺ بسوط، فأتي بسوط مكسور فقال: «فوق هذا»، فأتي بسوط جديد لم تقطع ثمرته فقال: «دون هذا»، فأتي بسوط قد ركب به ولان فأمر به رسول الله ﷺ فجلد.

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٢٠).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ١٤٧) عنه وعن عطاء، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٢٠) عن سعيد بن جبير.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٨٦٢٥)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ١٤٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٢١).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ١٤٨) عن ابن زيد. وقال الإمام مالك في «الموطأ ـ رواية أبي مصعب الزهري» (٢/ ٢٦): «وإن الطائفة أربعة شهداء فصاعدًا؛ لأنه لا يكون في الزنى شهادة تقطع دون أربعة شهداء».

(٣) ـ ﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ في هذه الآيةِ أربعةُ أقوالٍ:

أحدها: وهو قولُ مجاهدٍ: أنَّها نزلَتْ بسببٍ، وذلك أنَّها كانت في المدينةِ بيوتٌ تُسمَّى: المواخيرَ، وكانت عليها راياتٌ كراياتِ البيطارِ تسكنُها بغايا يُكرِيْنَ أنفُسَهنَّ للفُجورِ، وكنَّ منَ اليهودِ ـ وقيل: منَ المُشركاتِ ـ فهمَّ ضعَفةُ المُهاجرين أن يتزوَّجوا منهنَّ لتُنفِقَ كلُّ واحدةٍ على زوجِها من كسبِها، فاستأذَنُوا رسولَ اللهِ ﷺ في ذلك، فأنزَلَ اللهُ هذه الآيةَ[١]. والصِّيغةُ صيغةُ الخبرِ والمُرادُ بها النَّهيُ.

وقيل: نزَلَتْ في مَرْثَدٍ الغَنَوِيِّ، أرادَ أن يتزوَّجَ عَناقَ، وكانت زانيةً مُشركةً[٢].

وقيل: نزلَتْ في امرأةٍ تُدعى أمَّ مِهْزَمٍ، وفي أُخرى: أمَّ مَهْزولٍ[٣]، وكانت بأجيادَ تُسافِحُ، فأرادَ رجلٌ منَ المسلمين أن يتزوَّجَها، فأنزلَ اللهُ هذه الآيةَ[٤].

والقولُ الثّاني: أنَّ الآيةَ منسوخةٌ، وهو قولُ سعيدِ بنِ المسيِّبِ[٥].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ١٥٢ ـ ١٥٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٢٢).

(٢) رواه أبو داود (٢٠٥١)، والترمذي (٣١٧٧)، والنسائي (٣٢٢٨) من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه».

(٣) ذكر ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٤/ ١٦٣) أن أم مهزم يقال لها: أم مهزول.

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦٤٨٠)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٢٩٥)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ١٥٠)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (١٧٩٨)، و«الكبير» (١٤١٨٨)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٣٨٥٩)، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٧٣): «رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط بنحوه، ورجال أحمد ثقات».

(٥) رواه الإمام مالك في «الموطأ ـ رواية محمد بن الحسن» (ص: ٣٤٤)، والشافعي في «مسنده» (ص: ٢٨٩)، ويحيى بن سلام في «تفسيره» (١/ ٤٢٧)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢٠٠٣)، وابن =

وعـن ابنِ عمرَ رضي الله عنهما: أنَّها نُسِخَتْ بالتي بعدَها: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ﴾ [النور: ٣٢]، فدخلَتِ الزَّانيةُ في أيامَى المسلمين، ومَن زَنى بامرأةٍ فله أن يتزوَّجَها ولغيرِه أن يتزوَّجَها[١].

وعن عائشةَ وابنِ مسعودٍ والبراءِ رضي الله عنهم أنَّه لا يجوزُ، وأنَّهما زانيانِ ما اصطحبا[٢] ما اجتمَعا ما عاشا[٣].

والثَّالثُ: أنَّ النِّكاحَ هاهنا الجماعُ، وهو قولُ ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما[٤]، وذهبَ إليه جماعةٌ منَ المُفسِّرين، واحتجُّوا بأنَّ الزَّانيةَ منَ المسلمين لا يجوزُ لها أن تتزوَّجَ مُشركًا بحالٍ، وكذلك الزَّاني منَ المشركين لا يجوزُ له أن يتزوَّجَ بمسلمةٍ ﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ﴾ أي: الزِّنى ﴿عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

= أبي شيبة في «مصنفه» (١٦٩٢٢)، وأبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» (١٧١)، وسعيد بن منصور في «السنن» (٨٦٢)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ١٥٩ ـ ١٦٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٢٤)، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٥٨٢).

(١) قال النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٥٨٢): «وهذا القول الذي عليه أكثر العلماء وأهل الفتيا يقولون: إن من زنى بامرأة فله أن يتزوجها ولغيره أن يتزوجها، وهو قول ابن عمر...». وقال ابن المنذر في «الإشراف» (٥/ ١٠٥): «واختلفوا في الرجل يزني بالمرأة، ثم يريد تزويجها، فرخص فيه أهل العلم، روينا الرخصة فيه عن أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وابن عباس، وابن عمر».

(٢) في (ن) و(و): «ما اضجعا».

(٣) رواه سعيد بن منصور في «سننه» (٨٩٧)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٦٧٩٩) عن عائشة رضي الله عنها. ورواه سعيد بن منصور في «سننه» (٨٩٦)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٦٧٩٨) عن ابن مسعود رضي الله عنه. ورواه سعيد بن منصور في «سننه» (٨٩٨)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٦٨٠١) عن البراء رضي الله عنه. وذكره عنهم ابن المنذر في «الإشراف» (٥/ ١٠٥)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٨٩)، واستغربه.

(٤) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٢٠٠٥)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٦٩٣١)، والحاكم في «المستدرك» (٢٧٨٦).

والرّابعُ: أنَّ الزَّانيَ هو المجلودُ في الزِّنى، لا ينكِحُ إلَّا زانيةً مجلودةً في الزِّنى، وهو قولُ الحسَنِ[١]، ورُوِيَ أنَّ عليًّا رضي الله عنه فرَّقَ بين مجلودٍ تزوَّجَ غيرَ مجلودةٍ[٢].

وقال صاحبُ «النَّظمِ»: المشركُ وصفُ الزَّاني، وتقديرُه: الزَّاني لا ينكِحُ إلَّا زانيةً مُشركةً، والزَّانيةُ لا ينكِحها إلَّا زانٍ مشركٌ[٣]، وفيه بُعدٌ، واللهُ أعلمُ.

وقيل: في قولِه: ﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: نكاحُ الزَّانيةِ.

* * *

(٤) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ الرَّمْيُ: الشَّتيمةُ والنِّسبةُ إلى القبيحِ، وأصلُه من رَمْيِ الأعيانِ؛ كالحجرِ والسِّهامِ.

والمُحْصَناتُ: المسلماتُ، الحرائرُ، العفائفُ، البالغاتُ، العاقلاتُ[٤].

والتَّقديرُ: يرمُونَ المُحصَناتِ بالزِّنى، فحُذفَ؛ لأنَّ الآيةَ الأولى تدلُّ عليه.

والرِّجالُ داخلون في حكمِ الآيةِ بالإجماعِ.

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٢٧٨٤)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٣٨٨١).
وروي مرفوعًا؛ رواه أبو داود (٢٠٥٢)، والحاكم في «المستدرك» (٢٧٠٠) وصححه، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ولفظه: «لا ينكح الزاني المجلود إلا مثله».

(٢) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٠٦٩٦) عن حنش بن المعتمر، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٣٨٨٢) وقال: «حنش غير قوي». ورواه البيهقي أيضاً من طريق آخر منقطعٍ كما قال.
وذكر المصنف هذا القول في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٨٩)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٨٩)، وعدَّه من العجائب.

(٤) في (ن): «الغافلات»، وقد بيّن الإمام الشافعي أن الإحصان اسم جامع لمعاني مختلفة. انظر: «الرسالة» (ص: ١٤٧).

سعيدُ بنُ جبيرٍ: الآيةُ نزلَتْ في إفكِ عائشةَ رضي الله عنها[١]، غيرُه: عامٌّ.

﴿ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾ أي: لـم يأتوا على تصديقِهم إلى الإمامِ بأربعةِ شهودٍ رجالٍ عدولٍ يشهَدون على زِنى المقذوفِ، ﴿فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾ يعني: الأحرارَ منهم؛ فإنَّ حدَّ المملوكِ على النِّصفِ أربعون، والخطابُ للإمامِ والحكَّامِ، و﴿ثَمَانِينَ﴾ نصبٌ على المصدرِ[٢]، و﴿جَلْدَةً﴾ نصبٌ على التَّمييزِ.

﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً﴾؛ أي: لا تقبلُوا شهادتَهم، ويحتمِلُ أنَّه إنَّما نكَّره لأنَّ المعنى: شهادتَهم هذه وكلَّ شهادةٍ يشهَدون بها؛ لأنَّ النَّكرةَ في النَّفيِ تعمُّ.

قولُه: ﴿أَبَدًا﴾ أي: إلى آخرِ عمرِه.

وقيل: أبدُ كلِّ شيءٍ بقَدْرِ قضيَّتِه[٣] وصفتِه، تقولُ: الكافرُ نجِسٌ أبدًا؛ أي: ما دامَ كافرًا.

﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾؛ أي: الخارجون مـن أمرِ اللهِ.

علَّقَ اللهُ وجوبَ الحدِّ والتَّفسيقَ وسقوطَ الشَّهادةِ بالقـذفِ؛ صيانةً لأعراضِ المسلمين وذبًّا عن حُرَمِهم، وشَرَطَ فـي الشُّهودِ أربعةً واكتفى في سائرِ الأحكامِ بالاثنَين والواحدِ.

* * *

(٥) ـ ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ أي: بعدَ القَذْفِ واستقاموا على التَّوبةِ.

---

(١) رواه ابن شبة في «تاريخ المدينة» (١/ ٣٣٨)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ١٦٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ١٥١)، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٥٦)، والحاكم في «المستدرك» (٦٧٣١) من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أي: نائب مصدر مفعول مطلق.

(٣) في (ف): «قصته».

﴿وَأَصۡلَحُواْ﴾ أعمالَهم وسرائرَهم ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ﴾ لِمَن تابَ ﴿رَّحِيمٞ﴾ رخَّصَ في التَّوبةِ، وفي التَّوبةِ قولان:

أحدُهما: توبتُه أن يُكذِّبَ نفسَه.

والثّاني: ندَمُه على قولِه، واستغفارُه من ذنبِه.

وفي الاستثناءِ ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: منَ الفاسقين.

وقيل: من قولِه: ﴿لَهُمۡ﴾ ومحلُّه نصبٌ. وقيل: محلُّه جرٌّ بدلًا من (هُمْ).

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ حالٌ لقولِه: ﴿لَهُمۡ﴾، وقيل: صفةٌ، وفيه بُعدٌ.

والثّالثُ: أنَّه استثناءٌ منقطعٌ بمعنى: لكِن، ولا تعلُّقَ له بالجملِ المتقدِّمةِ، وهو متَّصلٌ بما بعده، وهو قولُه: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾، وله نظائرُ في القرآنِ؛ منها: ﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ٢٣ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَكۡبَرَ﴾ [الغاشية: ٢٣ ـ ٢٤]، ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسۡنَۢا بَعۡدَ سُوٓءٖ فَإِنِّي﴾ [النمل: ١١]، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ﴾ [البقرة: ١٥٠].

ولم يذهَبْ أحدٌ إلى أنَّ الاستثناءَ من قولِه: ﴿فَٱجۡلِدُوهُمۡ﴾(١).

وفي قَبولِ الشَّهادةِ أربعةُ أقوالٍ:

أحدُها: لا تُقبَلُ شهادتُه بعد الحدِّ؛ ليَبْقَى لردِّ شهادتِه تأثيرٌ، وتوبتُه تُزيلُ اسمَ الفسقِ عنه فحَسبُ، وهو قولُ ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما والحسنِ في جماعةٍ(٢).

---

(١) ذكر النحاس في «معاني القرآن» (٤/ ٥٠٢) قولاً عن الشعبي: أن الاستثناء من الأحكام الثلاثة؛ فإذا تاب وظهرت توبته، لم يحدّ، وقبلت شهادته، وزال عنه التفسيق.

(٢) رواه عن ابن عباس رضي الله عنهما أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» (٢٦٩).

ورواه عن الحسن عبد الرزاق في «مصنفه» (٢٠٠٧)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ١٧٢)، ورواه الطبري أيضاً عن شريح وسعيد بن المسيب وإبراهيم، وذكره النحاس في «معاني القرآن» =

والثَّاني: أنَّه تُقبَلُ شهادتُه إذا تابَ بعد الحدِّ كما لو كان كافرًا فحُدَّ في القذفِ ثمَّ أسلمَ، وهو قولُ الزُّهريِّ وابنِ المسيِّبِ في جماعةٍ[١].

والثّالثُ: تُقبَلُ شهادتُه بعد الحدِّ إذا تابَ، ولا تُقبلُ قبل الحدِّ، وهو قولُ إبراهيمَ النَّخَعِيِّ[٢].

والرّابعُ: لا تُقبَلُ قبل الحدِّ ولا بعد الحدِّ، وهو قولُ شُرَيحٍ[٣].

***

= (٤/ ٥٠١) عن الحسن وشريح وإبراهيم والكوفيين.

أما ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما في هذا فهو من طريق عطاء الخراساني عنه، وإسناده منقطع؛ فإن عطاء لم يسمع من ابن عباس، وقد روي عن ابن عباس قبول الشهادة بعد التوبة، رواه أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» (٢٧٥)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ١٧٢)، من طريق علي بن أبي طلحة عنه قال في الآية: «فمن تاب وأصلح فشهادته في كتاب الله تقبل» وهو منقطع أيضاً؛ علي بن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس ولم يره، لكن الإمام أحمد بن حنبل أثنى على روايته عنه في التفسير كما ذكر النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٧٣)، وهذا مذهب الأوزاعي كما في «مختصر اختلاف العلماء» (٣/ ٣٢٩).

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ١٦٨) عن ابن المسيب والزهري، وذكره النحاس في «معاني القرآن» (٤/ ٥٠٢) عن مسروق وعطاء ومجاهد وطاوس وأهل المدينة.

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٧٥)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٩٠)، واستغربه. وهو مذهب الليث والشافعي. انظر: «مختصر اختلاف العلماء» (٣/ ٣٢٨).

ورُوي عن إبراهيم النخعي أنه لا تجوز شهادته أبدًا. رواه أبو يوسف في «الآثار» (٧٤٥)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ١٧١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٣٢).

(٣) ذكره الماوردي هكذا في «النكت والعيون» (٤/ ٧٥)، وتبعه المصنف هنا وفي «غرائب التفسير» (٢/ ٧٩٠)، لكنه استغربه، ورواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٢٠٠٧)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ١٧٠)، وليس فيه تعرض لما قبل الحد، فهو كالقول الأول، وقد أشرنا إليه فيه ثمة.

(٦) ـ ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ﴾ في سببِ النُّزولِ عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: لـمَّا نزلَتْ: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾ إلى قولِه: ﴿الْفَاسِقُونَ﴾ قال سعدُ بنُ عبادةَ وهو سيِّدُ الأنصارِ: أهكذا أُنزِلَتْ يا رسولَ اللهِ؟ فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «ألا تسمَعُونَ يا معشرَ الأنصارِ إلى ما يقولُ سيِّدُكم؟» قالوا: يا رسولَ اللهِ، إنَّه رجلٌ غيورٌ، واللهِ ما تزوَّجَ امرأةً إلّا بِكرًا، وما طلَّقَ امرأةً قطُّ فاجترأَ رجلٌ منَّا على أن يتزوَّجَها من شدَّةِ غيرتِه، فقال سعدٌ: واللهِ يا رسولَ اللهِ إنِّي لأعلَمُ أنَّها حقٌّ، وأنَّها من عندِ اللهِ، وإنِّي قد تعجَّبتُ أنْ لو وجَدْتُ لَكاعِ قد تفخَّذَها رجلٌ لـم يكُنْ لي أن أَهِيجَه ولا أحرِّكَه حتَّى آتيَ بأربعةِ شُهداءَ، فواللهِ إنِّي لا آتي بهم حتَّى يقضيَ حاجتَه، قال: فما لبثوا إلّا يسيرًا حتَّى جاءَ هلالُ بنُ أميَّةَ من أرضِه عشاءً، فوجدَ عند أهلِه رجلًا، فرأى بعينَيه وسمعَ بأذُنَيه، فلم يَهجُدْ حتَّى أصبحَ فغدا على رسولِ اللهِ ﷺ فقال: يا رسولَ اللهِ، إنِّي جئتُ أهلي عشاءً فوجدتُ عندَها رجلًا، فرأيتُ بعينَيَّ وسمعتُ بأذنيَّ، فكرِهَ رسولُ اللهِ ﷺ ما جاءَ به واشتدَّ عليه، فقال سعدٌ: الآنَ يضرِبُ رسولُ اللهِ ﷺ هلالَ بنَ أميَّةَ ويُبطِلُ شهادتَه في المسلمين، فقال هلالٌ: واللهِ إنِّي لأرجو أن يجعلَ اللهُ لي منها مخرجًا، فقال هلالٌ: يا رسولَ اللهِ؛ إنِّي قد أرى ممَّا قد اشتدَّ عليك ممَّا جئتُك به، واللهُ يعلمُ أنِّي لصادقٌ، فواللهِ إنَّ رسولَ اللهِ يريدُ أن يأمرَ بضربِه إذ نزلَ عليه الوحيُ، وكان إذا نزلَ عليه الوحيُ عرَفُوا ذلك في تربُّدِ جلدِه، فأمسكوا عنه حتَّى فرغَ من الوحي، فنزلَتْ ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ﴾ الآياتِ كلَّها، فسُرِّيَ عن رسولِ اللهِ ﷺ فقال: «أبشِرْ يا هلالُ، قد جعلَ اللهُ لك فرجًا ومخرجًا»، فقال هلالٌ: قد كنتُ أرجو ذلك من ربِّي، فأنزلَ: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ﴾[1] أي: بالزِّنى.

---

(١) رواه أبو داود الطيالسي في «مسنده» (٢٧٨٩)، والإمام أحمد في «المسند» (٢١٣١)، وأبو يعلى =

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ﴾ أي: لم يكُنْ لهم على صدقِ قولِهم مَن يشهدُ لهم به ﴿إِلَّآ أَنفُسُهُمْ﴾ أي: إلّا هم، و﴿أَنفُسُهُمْ﴾ يرتفعُ بالبدلِ من الشُّهداءِ.

﴿فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ أي: فشهادةُ أحدِهم أربعُ مرَّاتٍ أنَّه صادقٌ فيما قذفَها به، قُرِئَ ﴿أَرْبَعُ﴾ بالرَّفعِ والنَّصبِ[1]؛ فمَن رفعَ فهو الخبرُ، والمبتدأُ ﴿فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ﴾، ومَن نصبَه جعلَه مفعولًا، والعاملُ فيه المصدرُ، والخبرُ ﴿إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.

وقيل: فحكمُه شهادةُ أحدِهم، فهي خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ.

وقولُـه: ﴿بِٱللَّهِ﴾ متَّصلٌ بالشَّـهاداتِ فيمَن نصبَ، وجازَ أن يتَّصلَ بالشَّـهادةِ، ومَن رفـعَ فبالشَّـهاداتِ لا غيرُ، ولا يتعلَّقُ بالشَّـهادةِ؛ لأنَّه حيلَ بين المصـدرِ وصلتِه بالخبرِ، وذلـك ممتنـعٌ، وجـازَ تعليـقُ الشَّـهادةِ مـن (إنَّ) لمـكانِ الـلَّامِ؛ لأنَّ الشَّـهادةَ تجـري مَجـرى العلـمِ[2].

* * *

(٧) ـ ﴿وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾.

﴿وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ لا خـلافَ فـي رفـعِ ﴿الْخامِسَةُ﴾

= في «مسنده» (٢٧٤٠)، وقصة هلال بن أمية رواها البخاري (٤٧٤٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما دون كلام سعد بن عبادة.

(١) قـرأ بالرفـع حمـزة والكسـائي وعاصـم فـي روايـة حفـص، والباقـون بالنصـب. انظر: «السـبعة» (ص: ٤٥٢)، و«التيسـير» (ص: ١٦١).

(٢) تقدم التعريف بالتعليق وأحكامه، وقد ذكر سيبويه أن الشهادة تعلق، وذلك لأن هذه اللام في الآية لا تلحق إلا إذا كان الكلام مستأنفاً. انظر: «الكتاب» (٣/ ١٤٦)، و«شرح الرضي على الكافية» (٤/ ٣٦١).

على تقديرِ: والشَّهادةُ الخامسةُ أنَّ لعنةَ اللهِ عليه، فهي مبتدأٌ وخبرٌ، فإذا قال الزَّوجُ هذا؛ سقطَ عنه الحدُّ ووجبَ عليها.

* * *

(٨) ـ ﴿وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَـٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾.

﴿وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا﴾: يدفعُ عنها ويمنعُ ﴿ٱلْعَذَابَ﴾: الحدَّ ﴿أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَـٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ﴾: إنَّ الزَّوجَ ﴿لَمِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾ فيما قذفَني به.

* * *

(٩) ـ ﴿وَٱلْخَـٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾.

﴿والْخامِسَةُ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْها إِنْ كانَ﴾؛ أي: الزَّوجُ ﴿مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ و﴿الْخامِسَةُ﴾ رفعٌ بالابتداءِ، و﴿أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ﴾ خبرُه.

وقيل: عطفٌ على الفاعلِ، وهو ﴿أَن تَشْهَدَ﴾ لأنَّه الدَّارِئُ[1].

ونصبَ حفصٌ ﴿الخمسة﴾[2] عطفًا على ﴿أَرْبَعَ﴾ من قولِه: ﴿أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَـٰدَٰتٍۭ﴾.

وخفَّفَ نافعٌ: ﴿أَنْ لَعْنَةُ اللهِ﴾ ﴿أَنْ غَضِبَ اللهُ﴾[3]، وهما في حُكمِ المُثقَّلةِ، والاسمُ مُقدَّرٌ بعدهما، و﴿غَضِبَ اللهُ﴾ جارٍ مَجرى الدُّعاءِ[4].

* * *

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٩١)، واستغربه.

(٢) وقرأ الباقون برفعها. انظر: «السبعة» (ص: ٤٥٣)، و«التيسير» (ص: ١٦١).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٤٥٣)، و«التيسير» (ص: ١٦١). وقرأ يعقوب مثل نافع في الأول، وقرأ في الثاني: ﴿أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ﴾. انظر: «النشر» (٢/ ٣٣٠).

(٤) هذا على قراءة نافع. انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٥/ ٣١٥ ـ ٣١٦).

(١٠) ـ ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ جوابُه مُضمَرٌ؛ أي: لَفضَحَكم، وقيل: لَعاجلَكُم بالعقوبةِ، وهذا موضعٌ أنطَقُ ما يكونُ المتكلِّمُ إذا سكتَ.

* * *

(١١) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ﴾ رَوى الزُّهريُّ عن جماعةٍ من الصَّحابةِ[١]: أنَّ عائشةَ رضي الله عنها زوجَ النَّبيِّ ﷺ قالت: كانَ رسولُ اللهِ ﷺ إذا أرادَ سفرًا أقرعَ بين نسائِه، فأيَّتهنَّ خرجَ سهمُها خرجَ بها رسولُ اللهِ ﷺ معه، قالت عائشةُ: فأقرَعَ بيننا في غزوةٍ غزاها، فخرجَ فيها سهمي، فخرجتُ مع رسولِ اللهِ ﷺ، وذلك بعدَما نزلَتْ آيةُ الحجابِ، فأنا أُحْمَلُ في هَودَجي وأُنزَلُ فيه مسيرَنا، حتَّى فرغَ رسولُ اللهِ ﷺ من غزوِه وقفَلَ، ودَنَونا منَ المدينةِ أُذِّنَ ليلةً بالرَّحيلِ، فقُمْتُ حين آذَنوا بالرَّحيلِ، فمشيتُ حتَّى جاوزتُ الجيشَ، فلمَّا قَضيتُ شأني أقبلتُ إلى الرَّحلِ، فلمَسْتُ صدري فإذا عِقْدٌ من جَزْعِ ظَفَارِ[٢] قد انقطَعَ، فرجَعْتُ فالتمسْتُ عِقْدي، فحبَسَني ابتغاؤُه، وأقبلَ الرَّهطُ الذين كانوا يُرَحِّلونَني فحَمَلُوا هَوْدَجي، فرحَلُوه على بعيري الذي كنتُ أركَبُ وهم يحسَبُونَ أنِّي فيه، قالت: وكانتِ النِّساءُ إذ ذاك خِفافًا لم يُهَبِّلْهُنَّ ولم يغْشَهُنَّ اللَّحمُ، إنَّما يأكُلْنَ العُلْقةَ منَ الطَّعامِ، فلم يستنكرِ القومُ ثِقَلَ الهودجِ حينَ رحَلُوه ورفَعُوه، وكنتُ جاريةً حديثةَ السِّنِّ، فبعَثُوا الجملَ وساروا،

---

(١) كذا قال، والصواب: «من التابعين»؛ فإن الزهري روى هذا الحديث عن سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وعلقمة بن وقاص وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود كما في «البخاري» و«مسلم».

(٢) اسم مدينة نسب إليها، وهي مبنية على الكسر. انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١/ ١٥١) و(٨/ ٤٥٩).

ووجدْتُ عِقْدي بعدَما استمرَّ الجيشُ، فجئتُ منازِلَهم وليس بها داعٍ ولا مُجيبٌ، فتيمَّمْتُ منزلي الذي كنتُ فيه، وظننتُ أنَّ القومَ سيفقِدونَني ويرجِعُونَ إليَّ، فبينا أنا جالسةٌ في منزلي غلبَتْني عيناي فنِمْتُ.

وكانَ صفوانُ بنُ المُعَطَّلِ السُّلَميُّ ثمَّ الذَّكْوانيُّ قد عرَّسَ من وراءِ الجيشِ، فأدلَجَ فأصبحَ عندَ منزلي، فرأى سوادَ إنسانٍ نائم، فأتاني فعرفَني حين رآني وقد كانَ يراني قبل أن يُضرَبَ عليَّ الحجابُ، فاستيقَظْتُ باسترجاعِه حينَ عرَفَني، فخَمَّرتُ وجهي بجِلْبابي، وواللهِ ما كلَّمَني بكلمةٍ ولا سمِعْتُ منه كلمةً غيرَ استرجاعِه حتَّى أناخَ راحلتَه، فوَطِئَ على يدِها فركِبتُها، فانطلقَ يقودُ بي الرّاحلةَ حتَّى أتينا الجيشَ بعدَما نزلوا مُوغِرينَ في نحرِ الظَّهيرةِ، وقد هلَكَ مَن هلَكَ فيَّ، وكان الذي تولَّى كِبْرَه منهم عبدُ اللهِ بنُ أبيٍّ ابنُ سلولَ، فقدِمْنا المدينةَ، فاشتكَيْتُ حين قدِمْتُها شهرًا والنَّاسُ يُفيضُونَ في قولِ أهلِ الإفكِ ولا أشعرُ بشيءٍ من ذلك، وكان يزيدُ في وجَعي أنْ لا أرى مِن رسولِ اللهِ ﷺ اللُّطْفَ[1] الذي كنتُ أرى منه حينَ أشتكي، إنَّما يدخُلُ رسولُ اللهِ فيُسلِّمُ فيقولُ: «كيفَ تِيكُم؟» فذلك يُحزِنُني ولا أشعرُ بالشَّرِّ، حتَّى خرَجْتُ بعدما نَقَهْتُ وخرَجَتْ معي أمُّ مِسْطَحٍ قِبَلَ المناصِعِ، وهو مُتَبَرَّزُنا ولا نخرجُ إلَّا ليلًا إلى ليلٍ، وذلك قبلَ أن نتَّخِذَ[2] الكُنُفَ قريبًا من بُيوتِنا، وأمْرُنا أمرُ العربِ الأُوَلِ في التَّنزُّهِ، وكنَّا نتأذَّى بالكُنُفِ أن نتَّخِذَها عندَ بُيوتِنا، فانطلَقْتُ أنا وأمُّ مِسْطَحٍ وهي بنتُ أبي رُهْمِ بنِ عبدِ المطَّلبِ بنِ عبدِ منافٍ، وأمُّها بنتُ صخرِ بنِ عامرٍ، خالةُ أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه، وابنُها مِسْطَحُ بنُ أثاثةَ بنِ عبَّادِ بنِ المطَّلبِ[3]، فأقبلْتُ أنا

---

(١) «اللطف»: ليس في (ف).

(٢) في (ف): «يتخذ».

(٣) في النسختين: «عبد المطلب»، والمثبت من الصحيحين، وهو الصواب.

وابنةُ أبي رُهْمٍ قِبَلَ بيتي حينَ فرَغْنا من شأنِنا، فعَثَرَتْ أمُّ مِسْطَحٍ في مِرْطِها، فقالَتْ: تعِسَ مِسْطَحٌ، فقلتُ لها: بئسَ ما قلتِ، أتسُبِّين رجلًا قد شهِدَ بدرًا؟ فقالت: أي هَنْتاهُ، أوَلَـم تسمَعي ما قالَ؟ قلتُ: وماذا قالَ؟ فأخبرَتْني بقولِ أهلِ الإفكِ، فازدَدْتُ مرضًا إلى مرضٍ، فلمَّا رجعتُ إلى بيتي دخلَ عليَّ رسولُ اللهِ ﷺ، ثمَّ قال: «كيفَ تِيكُم؟» فقلتُ: تأذَنُ لي أن آتيَ أبوَيَّ؟ قالَتْ: وأنا أُريدُ حينَئذٍ أن أتيقَّنَ الخبرَ مِن قِبَلِهما، فأذِنَ لي رسولُ اللهِ ﷺ، فجِئْتُ أبويَّ فقلتُ: يا أمَّه، ما يتحدَّثُ النَّاسُ؟ قالت: يا بُنيّةُ، هوِّني عليكِ، فواللهِ لقلَّما كانت امرأةٌ قطُّ وضيئةٌ عند رجلٍ لها ضرائرُ إلّا أكثَرْنَ عليها حسَدًا، قالت: فقلتُ: سُبحانَ اللهِ، أوَقَد تحدَّثَ النّاسُ بهذا؟! قالت: فبكَيْتُ تلك اللَّيلةَ حتَّى أصبحتُ أبكي.

ودعا رسولُ اللهِ ﷺ عليَّ بنَ أبي طالبٍ رضي الله عنه وأسامةَ بنَ زيدٍ حينَ استلبَثَ الوحيُ يستشيرُهما في فراقِ أهلِه، فأمَّا أسامةُ بنُ زيدٍ فأشارَ على رسولِ اللهِ صلَّى عليه وسلَّمَ بالذي يعلَمُ من براءةِ أهلِه وبالذي في نفسِه لهم منَ الوُدِّ، فقال: يا رسولَ اللهِ هم أهلُك، وما نعلَمُ فيهم إلّا خيرًا، وأمَّا عليُّ بنُ أبي طالبٍ فقال: لـم يُضيِّقِ اللهُ عليك، والنِّساءُ سواها كثيرٌ، وإن تسألِ الجاريةَ تَصْدُقْكَ، قالَتْ: فدَعا رسولُ اللهِ ﷺ بريرةَ فقال: «يا بريرةُ، هل رأيتِ شيئًا يَريبُكِ من عائشةَ؟» قالت بريرةُ: والذي بعثَكَ بالحقِّ، إن رأيتُ عليها أمرًا قطُّ أَغْمِصُه عليها أكثرَ من أنَّها جاريةٌ حديثةُ السِّنِّ، تنامُ عن عجينِ أهلِها، ويأتي الدَّاجنُ فيأكلُه، قالت: فقامَ رسولُ اللهِ ﷺ فاستعذَرَ من عبدِ اللهِ بن أبيٍّ ابنِ سلولَ فقالَ وهو على المنبرِ: «يا معشرَ المسلمين، مَن يعذُرُني من رجلٍ قد بلَغَني أذاه في أهلِ بيتي، فواللهِ ما علمتُ على أهلي إلّا خيرًا، ولقد ذكروا رجلًا ما علمتُ عليه إلَّا خيرًا، وما كان يدخلُ على أهلي إلَّا معي»، فقامَ سعدُ بنُ معاذٍ الأنصاريُّ فقال: يا رسولَ الله، أنا أعذُرُكَ منه، إنْ كانَ منَ الأوسِ

ضربتُ عُنقَه، وإن كانَ من إخوانِنا منَ الخزرجِ أمرْتَنا ففعَلْنا أمرَك، فقامَ سعدُ بنُ عبادةَ وهو سيِّدُ الخزرجِ، وكان رجلًا صالحًا ولكن احتمَلَتْه الحمِيَّةُ فقال لسعدِ بنِ معاذٍ: كذبتَ لعَمْرُ اللهِ، واللهِ لا تقتُلُه ولا تقدرُ على قتلِه، فقامَ أُسيدُ بنُ حضيرٍ ـ وهو ابنُ عمِّ سعدِ بنِ معاذٍ ـ فقال لسعدِ بنِ عبادةَ: كذبتَ، لعَمْرُ اللهِ لنقتُلَنَّه، فإنَّك مُنافقٌ تُجادِلُ عن المُنافقين، فثارَ الحيَّانِ الأوسُ والخزرجُ حتَّى هَـمُّوا أن يقتَتِلُوا، ورسولُ اللهِ على المنبرِ، فلم يزَلْ رسولُ اللهِ ﷺ يُخفِّضُهم حتَّى سكَتُوا وسكَتَ، قالت: وبكَيْتُ يومي ذلك لا يرقَأُ لي دمعٌ ولا أكتَحِلُ بنومٍ، وأبوايَ يظُنَّانِ أنَّ البكاءَ فالقٌ كبدي، قالت: فبينَما هما جالسانِ عندي وأنا أبكي استأذَنَتْ عليَّ امرأةٌ منَ الأنصارِ فأذِنْتُ لها، فجلَسَتْ تبكي معي، قالت: فبينا نحنُ على ذلك دخلَ علينا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه فسلَّمَ ثمَّ جلَسَ، قالت: ولـم يجلِسْ عندي منذُ قيلَ فيَّ ما قيلَ[1]، وقد لبِثَ شهرًا لا يُوحَى إليه في شأني بشيءٍ، قالت: فتشهَّدَ رسولُ اللهِ ﷺ حتَّى جلسَ، ثمَّ قال: «أمَّا بعدُ، يا عائشةُ، فإنَّه بلَغَني عنكِ كذا وكذا، فإن كنتِ بريئةً فسيُبرِّئُكِ اللهُ، وإن كنتِ ألْمَمْتِ بذنبٍ فاستغفري اللهَ وتُوبي إليه، فإنَّ العبدَ إذا اعترفَ بذنبِه ثمَّ تابَ تابَ اللهُ عليه»، قالَتْ: فلمَّا قضى رسولُ اللهِ ﷺ مقالته قَلَصَ دمعي، حتَّى ما أُحِسُّ منه[2] قطرةً، فقلتُ لأبي: أجِبْ عنِّي رسولَ اللهِ فيما قالَ، قال: واللهِ ما أدري ما أقولُ لرسولِ اللهِ ﷺ، فقلتُ لأمِّي: أجيبي عنِّي رسولَ اللهِ فيما قال، قالت: واللهِ ما أدري ما أقولُ لرسولِ اللهِ ﷺ، فقلتُ وأنا جاريةٌ حديثةُ السِّنِّ لا أقرأُ كثيرًا منَ القرآنِ: واللهِ قد عرفتُ أنَّكم قد سمعتُم بهذا حتَّى استقرَّ في أنفُسِكم وصدَّقتُم به، ولَئِنْ قلتُ لكم: إنِّي بريئةٌ ـ واللهُ يعلمُ أنِّي بريئةٌ ـ لا تصدِّقونَني بذلك،

---

(١) في (ف): «منذ قيل لي».

(٢) في النسختين: «منها»، والتصويب من مصادر التخريج.

ولَئِنِ اعترفتُ لكم بذنبٍ ـ واللهُ يعلمُ أنِّي بريئةٌ ـ لَتُصدِّقُنِّي، واللهِ لا أجدُ لي ولكم مثلًا إلّا ما قال أبو يوسفَ: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨].

قالت: ثمَّ تحوَّلتُ واضطجَعْتُ على فراشي، قالت: وأنا واللهِ حينَئذٍ أعلمُ أنِّي بريئةٌ، وأنَّ اللهَ مبرِّئي ببَراءَتي، ولكنْ واللهِ ما كنتُ أظنُّ أن ينزلَ في شأني وَحْيٌ يُتلى، ولكنَّني كنتُ أرجو أن يرى رسولُ اللهِ ﷺ رُؤيا يُبرِّئُني اللهُ بها، قالت: فواللهِ ما رامَ رسولُ اللهِ ﷺ منزلَه ولا خرجَ من أهلِ البيتِ أحدٌ حتَّى أنزلَ اللهُ على نبيِّه وأخذَه ما كان يأخذُه منَ البُرَحاءِ عندَ الوحيِ حتَّى إنَّه ليتحَدَّرُ منه مثلُ الجُمانِ منَ العرَقِ في اليومِ الشَّاتي من ثِقَلِ القولِ الذي أُنزِل عليه، قالت: فلمَّا سُرِّيَ عن رسولِ اللهِ ﷺ سُرِّيَ عنه وهو يضحكُ، وكان أوَّلَ كلمةٍ تكلَّمَ بها أنْ قال: أبشِري يا عائشةُ، أما واللهِ فقد برَّأكِ اللهُ، فقالَتْ لي أمِّي: قومي إليه، فقلتُ: واللهِ لا أقومُ إليه ولا أحمدُ إلّا اللهَ هو الذي أنزلَ براءَتي، قالت: فأنزلَ اللهُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ الآياتِ العشرَ، فلمَّا أنزلَ اللهُ تعالى هذه الآياتِ في براءتي قال أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه ـ وكان يُنفِقُ على مِسْطَحٍ لقرابتِه وفقرِه ـ واللهِ لا أُنفِقُ عليه شيئًا أبدًا بعد الذي قال لعائشةَ ما قال، فأنزلَ اللهُ تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [النور: ٢٢] إلى قوله: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٢]، قال أبو بكرٍ رضي الله عنه: واللهِ إنِّي لأحبُّ أن يغفرَ اللهُ لي، فرجعَ إلى مِسْطَحٍ النَّفقةَ التي كان يُنفِقُ عليه، وقال: لا أنزِعُها منه أبدًا. رواه البخاريُّ ومسلمٌ كلاهما عن أبي الرَّبيعِ الزَّهرانيِّ[1].

قولُه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ﴾ الإفكُ: الكذِبُ؛ لأنَّه مصروفٌ عن جهتِه، والإفكُ: الصَّرفُ.

---

(١) رواه البخاري (٢٦٦١) و(٤١٤١) و(٤٧٥٠)، ومسلم (٢٧٧٠). وإحدى روايات البخاري (٢٦٦١) فقط عن شيخه أبي الربيع الزهراني سليمان بن داود.

﴿عُصْبَةٌ﴾ العُصْبةُ: الجماعةُ يتعصَّبون؛ أي: يتشدَّدون، والعُصْبةُ والرَّهْطُ والنَّفَرُ: العشَرةُ وما دونَها، قاله أبو عليٍّ[١].

﴿مِّنكُمْ﴾؛ أي: هم جماعةٌ منَ المسلمين، ﴿لَا تَحْسَبُوهُ﴾؛ أي: الإفكَ.

وقيل: القذفَ.

وقيل: المجيءَ بالإفكِ.

وقيل: ما نالَكُم منَ الغمِّ.

﴿شَرًّا لَّكُم﴾ عندَ اللهِ وعندَ المؤمنين ﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ لأنَّ اللهَ أثابَكم عليه وأنزلَ براءَتَكُم من ذلك في ثماني عشرةَ آيةً.

قيل: الخطابُ لعائشةَ رضي الله عنها وصفوانَ.

وقيل: للنَّبيِّ ﷺ وأبي بكرٍ وعائشةَ ومَن اغتمَّ لهذا الحديثِ.

الحسَنُ: الخطابُ للقاذِفين[٢]؛ أي: لا تحسَبُوا هذا التَّأديبَ شرًّا لكم، بل هو خيرٌ لكم، فإنَّه يدعوكُم إلى التَّوبةِ ويمنعُكم منَ المُعاودةِ إلى مثلِه.

وقيل: إنَّما قال: ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ لأنَّ اللهَ بيَّنَ بسببِها حكمَ القذفِ فهو خيرٌ.

﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ﴾ معنى ﴿لِكُلِّ﴾: على كلِّ امرئٍ جزاءُ إثمِه

---

(١) لم أقف على كلام أبي علي، وما ذكره المصنف عنه مشهور في الرهط والنفر، ولكن المشهور في العُصبة أنها فوق العشرة. انظر: «أدب الكاتب» لابن قتيبة (ص: ١٧٥)، وقال أبو هلال العسكري في «التلخيص في أسماء الأشياء» (ص: ١٠١): «والنفر والرهط ما دون العشرة من الرجال. والعصبة، قالوا: هم نحو العشرة إلى الأربعين، والله أعلم. وفي القرآن: ﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾، والصحيح أن العصبة: الجماعة التي أمرها واحد قلوا أو كثروا».

(٢) ذكره الرازي في «التفسير الكبير» (٢٣/ ٣٣٨) دون نسبة، وضعفه فقال: «واعلم أن هذا القول ضعيف؛ لأنه تعالى خاطبهم بالكاف، ولما وصف أهل الإفك جعل الخطاب بالهاء».

بقَدْرِ ما خاضَ فيه؛ لأنَّ بعضَهم ضحِكَ، وبعضَهم سكتَ، وبعضَهم تكلَّمَ فيه.

﴿وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ﴾: بدأ به.

الزَّجَّاجُ: تولَّى الإثمَ فيه.

و﴿كُبْرَه﴾ بالضَّمِّ[1]: مُعظَمَه[2]، وقيل: هما لغتان.

﴿وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ﴾ عبدُ اللهِ بنُ أُبيٍّ ابنُ سلولَ ﴿لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ جهنَّمُ في الآخرةِ.

وقيل: هو حسّانُ بنُ ثابتٍ؛ عُذِّبَ في الدُّنيا بأن ذهبَ بصرُه وشُلَّتْ يداه[3]، وذُكِرَ أنَّه دخلَ على عائشةَ رضي الله عنها بعدما كُفَّ بصرُه وأنشدَ:

حَصَانٌ رَزانٌ ما تُزَنُّ بِرِيبَةٍ ... وَتُصْبِحُ غَرْثَى مِنْ[4] لُحُومِ الغَوافِلِ

فقالت عائشةُ: لكنَّك لستَ كذلك[5].

وقيل: هو مِسْطَحٌ، والعذابُ العظيمُ: ذهابُ بصرِه في الدُّنيا.

---

(١) هي قراءة يعقوب من العشرة. انظر: «النشر» (٢/ ٣٣١).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٣٥).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٩٢)، واستغربه.

(٤) في (ف): «عن».

(٥) رواه البخاري (٤١٤٦)، ومسلم (٢٤٨٨)، وتتمته: «قال مسروق فقلت لها: لم تأذنين له يدخل عليك وقد قال الله: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١١]؟ فقالت: فأي عذاب أشد من العمى؟ إنه كان ينافح -أو يهاجي- عن رسول الله ﷺ».

قوله: «لا تزن بريبة»؛ أي: لا تتهم بريبة، وقوله: «غرثى» يعني: جائعة، يريد أنها لا تغتاب الناس فتكونَ بمنزلةِ مَن تأكل لحومهم وتشبع منها، لكنها غرثى جائعة منها. انظر: «إكمال المعلم» (٧/ ٥٢٦).

قال الضَّحّاكُ: جلَدَ النَّبيُّ ﷺ حسَّانَ بنَ ثابتٍ، ومِسْطَحَ بنَ أُثاثةَ، وامرأةً من قُريشٍ حين نزلَتْ براءتُها(١).

***

(١٢) ـ ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾.

﴿لَّوْلَآ﴾: هلَّا، وهي للتَّحريضِ ﴿إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾؛ أي: بأمثالِـهم منَ المُؤمنين، والمؤمنون كلُّهم كنفسٍ واحدةٍ.

وقيل: معناه: هلَّا ظنُّوا بهما ما يُظَنُّ بالرَّجلِ لو خلا بأمِّه، وبالمرأةِ لو خلَتْ بابنِها؛ لأنَّ أزواجَ النَّبيِّ عليه السَّلامُ أمَّهاتُ المؤمنين ﴿وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾.

***

(١٣) ـ ﴿لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾.

﴿لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾ متَّصلٌ بقولِه: ﴿هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ والكلُّ متَّصلٌ

---

(١) لم أقف عليه عن الضحاك. وروى الإمام أحمد في «المسند» (٢٤٠٦٦)، وأبو داود (٤٤٧٤)، والترمذي (٣١٨١)، وابن ماجه (٢٥٦٧) عن عائشة رضي الله عنها قالت: «لما نزل عذري قام رسول الله ﷺ على المنبر، فذكر ذلك وتلا القرآن، فلما نزل، أمر برجلين وامرأة فضربوا حدهم». قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث محمد بن إسحاق». وفي رواية عند أبي داود (٤٤٧٥) عن محمد بن إسحاق ـ لم يذكر عائشة ـ قال: «فأمر برجلين وامرأة ممن تكلم بالفاحشة: حسان بن ثابت، ومسطح بن أثاثة، قال النفيلي: ويقولون: المرأة: حمنة بنت جحش».
وروى ابن شبة في «تاريخ المدينة» (١/ ٣٣٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «جلد رسول الله ﷺ الذين قالوا لعائشة رضي الله عنها ما قالوا ثمانين ثمانين: حسان بن ثابت، ومسطح بن أثاثة، وحمنة بنت جحش». وهكذا رواه أبو يعلى في «مسنده» (٤٩٣٢) عن عروة بن الزبير مرسلاً، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ١٥٢) عن سعيد بن جبير، وهو مرسل أيضاً.

بـ﴿لَوْلَا﴾؛ أي: هلَّا قالوا، والمعنى: هلَّا جاؤوا لو كانوا صادقين بأربعةِ شهداءَ ﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ﴾؛ أي: الأربعةِ ﴿فَأُولَئِكَ عِندَ اللَّهِ﴾ أي: في حُكمِه ﴿هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾.

***

(١٤) ـ ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾؛ أي: في أمرِ الدُّنيا وفي أمرِ الآخرةِ بأنْ لم يُعاقِبْكم وأمهلكُم للتَّوبةِ ﴿لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ﴾: أسرَعْتُم إليه لقذفكُم ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

***

(١٥) ـ ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾.

﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾؛ أي: تتلقَّونه وتُسرِعون إلى الإفاضةِ فيه.

وقيل: يروي بعضُكم عن بعضٍ.

ورُوِيَ عن عائشةَ رضي الله عنها: (تَلِقُونَه)[1]، الزَّجَّاجُ: وَلَقَ يَلِقُ؛ إذا أسرعَ في الكذِبِ[2].

ابنُ الأنباريِّ: وَلَقَ الحديثَ؛ إذا أنشَأَه[3].

---

(١) رواه البخاري (٤١٤٤) عن ابن أبي مليكة عن عائشة رضي الله عنها، ولفظه: «كانت تقرأ: إذ تَلِقُونه بألسنتكم، وتقول: الوَلْق الكذب»، قال ابن أبي مليكة: «وكانت أعلم من غيرها بذلك لأنه نزل فيها». وهي قراءة شاذة. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٠٢)، و«المحتسب» (٢/ ١٠٤).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٣٨).

(٣) في «الزاهر» لابن الأنباري (١/ ٥٠٠): «وقرأت عائشة: (إذْ تَلِقُونَهُ بألسنتِكم) بفتح التاء وكسر =

﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ منَ الفِريةِ؛ أي: تتجرَّؤون على النُّطقِ به في أهلِ النَّبيِّ ﷺ ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا﴾ يعني: تظنُّون عقوبتَه هيِّنةً ﴿وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ في الوزرِ والعقوبة.

وقيل: تحسَبُونَ ذلك أمرًا خفيفًا يسيرًا، وذلك عندَ الله ذنبٌ عظيمٌ فيه أذى رسولِ اللهِ ﷺ ورَمْيُ البريءِ.

***

(١٦) ـ ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿وَلَوْلَآ﴾؛ أي: هلَّا ﴿إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا﴾؛ أي: لا يحلُّ لنا أن نخوضَ في هذا الحديثِ ﴿سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾ وهلَّا قُلتُم عند ذلك: ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾؛ أي: العجبُ ممَّن يقولُ ذلك، هذا كذبٌ عظيمٌ يَبْهَتُ مَن سمِعَه، والبُهتانُ: الكذبُ يُواجَه به المُؤمنُ فيتحيَّرُ منه.

وقيل: معنى ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ هاهنا: تعالَيْتَ عن أن يُقالَ في رسولِكَ هذا البُهتانُ العظيمُ.

***

(١٧) ـ ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟﴾: كي لا تعودُوا، وكراهةَ أن تعودُوا ﴿لِمِثْلِهِۦٓ﴾ إلى مثلِ هذا الحديثِ منَ القذفِ والخوضِ فيه والجلوسِ مع القاذفِ واستماعِ حديثِه ﴿أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ جزاؤُه مُضمَرٌ؛ أي: فاتَّعِظُوا ولا تَعُودوا.

***

= اللام، على معنى: إذ تستمر ألسنتكم بالخوض في ذلك، والكذب فيه».

(١٨) ـ ﴿وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ﴾ الدَّلالاتِ الواضِحاتِ. وقيل: الفرائضَ والأحكامَ.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بمصالحِكم ﴿حَكِيمٌ﴾ بتدبيرِكم.

* * *

(١٩) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ﴾ يُريدونَ ﴿أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ﴾ والفاحشةُ: ما قبُحَ جدًّا، والمرادُ بها هاهنا: الزِّنى، والشُّيوعُ: الانتشارُ والتَّفرُّقُ.

وقيل: الفاحشةُ مصدرٌ كالعافيةِ.

﴿فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ﴾ هم الذين بدَؤُوا بالإفكِ وأتوا به، والعذابُ الأليمُ في الدُّنيا: الجلدُ والقتلُ والقتالُ، من قوله: ﴿جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣]، وفي[1] الآخرةِ: جهنَّمُ والنَّارُ.

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾ إنَّهم لكاذِبون ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ لأنَّه غيبٌ.

* * *

(٢٠) ـ ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ لعجَّلَ لهم العذابَ، وقيل: جوابُه جوابُ الثَّاني.

* * *

(١) في (ف): «وعذاب».

(٢١) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ بإشاعةِ الفاحشةِ في الذين آمنُوا.

وقيل: خُطواتُه: وَساوِسُه.

وقيل: هي النُّذورُ بالمعاصي، وسلوكُ سبُلِ الشَّيطانِ واقتِفاءُ آثارِه.

﴿وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ﴾: بالمعصيةِ ﴿وَٱلۡمُنكَرِ﴾ الذي لا يعرِفُه الشَّرعُ ولا العقلُ ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا﴾ ما تطهَّرَ من دَنَسِ ذُنوبِه أبدًا.

وقيل: ما أسلَمَ.

وقيل: ما اهتَدَى.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾ يحمِلُه على ما يصيرُ به زاكيًا. وقيل: يُثْني عليه.

﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لمقالتِكُم ﴿عَلِيمٞ﴾ بنيَّاتِكُم وأعمالِكُم.

* * *

(٢٢) - ﴿وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾.

﴿وَلَا يَأۡتَلِ﴾: لا يحلِفْ ﴿أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ﴾ يعني: أبا بكرٍ الصِّدِّيقَ رضي الله عنه ﴿أَن يُؤۡتُوٓاْ﴾: أنْ لا يُؤتُوا ﴿أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يعني: مِسْطَحًا، وكانَ ابنَ خالتِه، حلَفَ ألَّا يُنفِقَ عليه، كما سبَقَ[1].

---

(١) هو جزء من حديث الطويل عند البخاري (٤٧٥٧)، ومسلم (٢٧٧٠)، وقد تقدم قريباً.

الحسَنُ ومجاهدٌ: نزلَتِ الآيةُ في يتيمٍ كان في حِجرِ أبي بكرٍ رضي الله عنه حلَفَ ألّا يُنفِقَ عليه(١).

وقوله: ﴿وَلَا يَأْتَلِ﴾ هو يفتعِلُ، من الأَلِيَّةِ، وهو القَسَمُ، وقرأ أبو جعفرٍ: ﴿ولا يَتَأَلَّ﴾(٢)، و(لا) مُضمَرٌ كما ذكرتُ(٣). وقيل: هو من قولِه: ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ [آل عمران: ١١٨] فلا يحتاجُ إلى إضمارِ (لا)(٤)، والوجهُ هو الأوَّلُ؛ لأنَّ أبا بكرٍ رضي الله عنه لمَّا سمعَ قولَه سُبحانَه: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ قال: بلى يا ربِّ، إنِّي لَأُحِبُّ أن يغفِرَ اللهُ لي، واللهِ لا أنزِعُها عنه أبدًا، وكفَّرَ عن يمينِه(٥).

وقولُه: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا﴾ العفوُ: السَّترُ، والصَّفحُ: الإعراضُ.

وقيل: العفوُ عنِ الأفعالِ، والصَّفحُ عن الأقوالِ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٢٦)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ١٤٨)، وهو في «تفسير مجاهد» (ص: ٤٩٠). ولا يعارض هذا رواية الصحيحين؛ فقد جاء في بعض رواياته أن اليتيم هو مسطح، رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ١٤٩) من طريق ابن جريج عن مجاهد قال: «أبو بكر حلف لا ينفع يتيماً كان في حجره»، قال عبد الملك (هو ابن جريج): هو مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب أشاع ذلك. ورجاله ثقات كما في «مجمع الزوائد» (٧/ ٧٩). وكونه كان يتيماً في حجره رواه البزار (٢٦٦٣ ـ كشف) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بإسناد حسن كما قال السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٤٦). ورواه ابن شبة في «تاريخ المدينة» (١/ ٣٣٦) عن سفيان، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٥٤) عن سعيد، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ١٠٦) عن عروة عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) بهمزة مفتوحة بين التاء واللام مع تشديد اللام مفتوحة. انظر: «النشر» (٢/ ٣٣١).

(٣) فمعنى ﴿أَن يُؤْتُوا﴾: أن لا يؤتوا.

(٤) «لا» من (ف).

(٥) هو جزء من حديث عائشة رضي الله عنها المتقدم، رواه البخاري (٤٧٥٧)، ومسلم (٢٧٧٠)، وليس عندهما: «وكفر عن يمينه»، ووردت في رواية ابن شبة في «تاريخ المدينة» (١/ ٣٢٢)، والحارث بن أبي أسامة في «مسنده» (٩٩٨ ـ زوائد).

﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾.

***

(٢٣) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ﴾ عمَّا قُذِفْنَ.

وقيل: ﴿ٱلْغَٰفِلَٰتِ﴾: القليلاتِ الفِطنةِ للفُجورِ.

﴿ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ فيه قولانِ:

أحدُهما: أنَّ هذا خاصٌّ في عائشةَ رضي الله عنها وفي سائرِ أزواجِ النَّبيِّ ﷺ.

وقيل: عامٌّ في المُحصَناتِ المُؤمناتِ، والحكمُ لعمومِ اللَّفظِ لا لخصوصِ السَّببِ.

وقولُه: ﴿لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِ﴾ يُريدُ: إنْ لم يتوبوا، ورُوِيَ عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما أنَّه قال: لا توبةَ لقاذفِ أزواجِ النَّبيِّ ﷺ(١).

وقيل: عنَى به: عبدَ اللهِ بنَ أُبيٍّ، وكان مُنافقًا(٢).

***

(٢٤) ـ ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾.

﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: يُعذَّبون يومَ تشهدُ عليهم ﴿أَلْسِنَتُهُمْ﴾ بالقَذْفِ بالزِّنى ﴿وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾؛ أي: وسائرُ الأعضاءِ بسائرِ المعاصي عمِلوها بها.

وقيل: يُنكرون، فتشهدُ عليهم جوارِحُهم.

وشهادةُ الأعضاءِ بأن يُصيِّرَها اللهُ كاللِّسانِ في إمكانِ النُّطقِ بها. وقيل: يبنيها

(١) رواه ابن شبة في «تاريخ المدينة» (١/ ٣٣٨)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٢٨).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٩٣)، واستغربه.

بِنْيَةً أُخرى مُحتمِلةً للكلامِ[١]. وقيل: تتكلَّمُ بكلامٍ يُحلُّه اللهُ فيها. وقيل: يكونُ هناك علامةٌ تقومُ مَقامَ النُّطقِ بالشَّهادةِ[٢]. والوجهُ هو الأوَّلُ.

***

(٢٥) - ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾.

﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾؛ أي: الجزاءَ المُستحَقَّ.

ويحتمِلُ أن يكونَ ﴿الْحَقَّ﴾ وصفًا للهِ نُصبَ على المدحِ؛ لأنَّه قُرِئَ بالرَّفعِ[٣]، ولأنَّه في مُصحفِ أُبيٍّ: (يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللهُ الحَقُّ دِينَهُمُ)[٤].

﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ لأنَّ في القيامةِ تزولُ الشُّكوكُ ويحصلُ العلمُ الضَّروريُّ.

***

(٢٦) - ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾.

﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾ ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما في جماعةٍ: الخبيثاتُ منَ القولِ للخبيثين منَ الرِّجالِ،

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٩٣)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٩٣)، وعدَّه من العجائب.

(٣) هي قراءة شاذة رويت عن ابن عباس ومجاهد وأبي روق انظر: «المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ١٠٣)، و«المحتسب» (٢/ ١٠٤).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٣٢) عن جرير بن حازم، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٩/ ١١٩)، وانظر: «المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ١٠٣).

والطَّيِّباتُ منَ القولِ للطَّيِّبين منَ الرِّجالِ[١]، وكلُّ إناءٍ يرشَحُ بما فيه.

ابنُ زيدٍ في جماعةٍ: الخبيثاتُ منَ النِّساءِ للخبيثينَ منَ الرِّجالِ، وكذلك الطَّيِّباتُ منَ النِّساءِ للطَّيِّبين منَ الرِّجالِ، ورسولُ اللهِ ﷺ طيِّبٌ وأزواجُه طيِّباتٌ طاهِراتٌ[٢].

وقيل: الكلمةُ الخبيثةُ تَلْصَقُ بالخبيثِ، والطَّيِّبةُ بالطَّيِّبِ.

وقيل: هذه الآيةُ كالتي قبلَها ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾ على ما سبق.

وقيل: معناه: مَن قذفَ عائشةَ رضي الله عنها فامرأتُه أَوْلَى بالقذفِ، فإنَّ عائشةَ رضي الله عنها كانت طيِّبةً ورسولُ اللهِ ﷺ طيِّبٌ طاهرٌ[٣].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ يعني: عائشةَ رضي الله عنها.

وقيل: عائشةُ وصفوانُ، وكانَ حَصُورًا لا يأتي النِّساءَ، فوقعَ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ موقعَ التَّثنيةِ، وله نظائرُ.

وقيل: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارةٌ إلى الطَّيِّبين، وتقديرُه: ممَّا يقولون فيهم.

﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ رُوِيَ أنَّ ابنَ عبَّاسٍ رضي الله عنهما دخلَ على عائشةَ رضي اللهُ عنها في مرضِها الذي ماتَتْ فيه، فبكَتْ وقالت: أخافُ ما أَقدَمُ عليه، فقال ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: لا تخافي، فوالذي أنزَلَ الكتابَ على محَّمدٍ ﷺ لا تَقْدَمينَ إلَّا على مغفرةٍ ورزقٍ كريمٍ، فقالت: رحمَكَ اللهُ، أهذا شيءٌ أنبأكَ

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٣٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٦٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ١٥٨ ـ ١٥٩).

(٢) رواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٣٧)، وذكره بلفظه دون قوله: «ورسولُ اللهِ ﷺ طيِّبٌ...» الثعلبي في «تفسيره» (١٩/ ١٢٠)، وجاء في (ف): «وأزواجه الطيبات الطاهرات».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٩٣)، واستغربه.

به رسولُ اللهِ ﷺ؟ فقال: لا، بل هو شيءٌ نبَّأنيه كتابُ اللهِ، قالت: فاتلُ عليَّ، فتلا: ﴿وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾، فخرجَ من عندِها فصِيحَ عليها، فقال: ما لها؟ قالوا: غُشِيَ عليها فرَحًا ممَّا تلَوْتَ[1].

***

(٢٧) - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾ أي: بيوتًا لستُمْ تملِكُونها ولا تسكُنونَها ﴿حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا﴾ في سببِ النُّزولِ عن عديِّ بنِ ثابتٍ قال: جاءتِ امرأةٌ منَ الأنصارِ فقالَتْ: يا رسولَ اللهِ، إنِّي أكونُ في بيتي على حالٍ لا أُحِبُّ أن يراني عليها أحدٌ؛ والدٌ ولا ولدٌ، فيأتي الأبُ فيدخلُ عليَّ، وإنَّه لا يزالُ يدخُلُ عليَّ رجلٌ من أهلي وأنا على تلك الحالةِ، فكيفَ أصنعُ؟ فنزلَتْ هذه الآيةُ: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾[2].

قالوا[3]: فلمَّا نزلَتْ هذه الآيةُ قال أبو بكرٍ رضي الله عنه: يا رسولَ اللهِ؛ أرأيتَ الخاناتِ والمساكنَ في طريقِ الشَّامِ ليس فيها ساكنٌ، فأنزلَ اللهُ: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾[4].

وفي قوله: ﴿حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا﴾ أقوالٌ:

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: معناه: حتَّى تستأذِنُوا، ورُوي عنه أنَّه كان يقرأُ:

---

(١) ذكره السمرقندي مختصرًا في «تفسيره» (٢/ ٥٠٦).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٤٢)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٢٤).

(٣) «قالوا» من (ف).

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٧٠) عن مقاتل بن حيان، وهو في «تفسير مقاتل بن سليمان» (٣/ ١٩٥).

(حتَّى تستأذِنُوا)، وما رُوِيَ عنه أو عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ أنَّه قال: أخطأَ الكاتبُ(٤) = فمحظورٌ، والقولُ به عظيمٌ.

والاستِئناسُ استفعالٌ بمعنى: العلمِ، من قوله: ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم﴾ [النساء: ٦] أي: علِمْتُم.

وقيل: بمعنى: الإبصارِ، من قولِه: ﴿ءَانَسْتُ نَارًا﴾ [النمل: ٧].

---

(١) رواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ٣٠٧)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٤١)، من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس: أنه كان يقرؤها: (حتى تُسَلِّموا على أهلها وتَسْتَأْذِنُوا)، وقال: (وتَسْتَأْنِسُوا) وهمٌ من الكُتَّاب.

ورواه الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٤/ ٢٤٩)، والحاكم في «المستدرك» (٣٤٩٦) من طريق مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أَخطأ الكاتبُ، إنَّما هو: (حتى تَسْتَأْذِنُوا). وهكذا ذكره ابن جني في «المحتسب» (٢/ ١٠٧). وكذا رواه يحيى بن سلام في «تفسيره» (١/ ٤٣٦ ـ ٤٣٧)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٤٠)، لكن من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس.

ورده النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٥٨٧) بقوله: فأما ما روي عن ابن عباس ـ وبعضُ الناس يقول: عن سعيد بن جبير ـ أنه قال: أخطأ الكاتب، وإنما هو: (حتى تستأذنوا)، فعظيم محظورٌ القول به؛ لأن الله عز وجل قال: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ [فصلت: ٤٢].

وقد رد الخبر بذلك أيضاً كثير من العلماء، منهم ابن العربي في «أحكام القرآن» (٣/ ٣٧٠) حيث قال: «وليس فيه خطأ من كاتب، ولا يجوز ان ينسب الخطأ إلى كتابٍ تولَّى الله حفظه وأجمعت الأمه على صحته، فلا يلتفت إلى راوي ذلك عن ابن عباس».

وقال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٤/ ١٧٦): «مصاحف الإسلام كلها قد ثبت فيها ﴿تَسْتَأْنِسُواْ﴾ وصح الإجماع فيها من لدنْ مدةِ عثمان رضي الله عنه، فهي التي لا يجوز خلافها، والقراءة بـ(تستأذنوا) ضعيفة، وإطلاق الخطأ والوهم على الكتاب في لفظٍ أجمع الصحابة عليه لا يصح عن ابن عباس، والأشبه أن يقرأ: (تستأذنوا) على التفسير».

ورده أيضاً القرطبي في «تفسيره» (١٥/ ١٨٩)، وأبو حيان في «البحر» (١٦/ ٥٩)، بل جعله أبو حيان رحمه الله من الطعن في الإسلام، قال: «وابن عباس بريء من هذا القول».

وذكر هذا القول المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٩٤)، وعدَّه من العجائب.

الزَّجَّاجُ: معناه في اللُّغةِ: تستأذِنُوا، والاستِئذانُ استِعلامٌ، ويُقوِّيه قولُه: ﴿حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٨][١].

مجاهدٌ: هو التَّنحنُحُ والتَّنخُّمُ[٢].

وقيل: حتَّى تجِدُوا الأُنسَ وتثِقُوا به ممَّن تدخُلونَ عليه[٣].

﴿وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ ورُوِيَ عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّ في الآيةِ تقديمًا وتأخيرًا تقديرُه: حتَّى تُسلِّموا وتستأذِنُوا[٤]؛ أي: حتَّى تقولوا: السَّلامُ عليكم أأدخُلُ؟ وقد جاء مرفوعًا أنَّه علَّمَ الرَّجُلَ الاستئذانَ فقال له: «قُلْ: السَّلامُ عليكم، أأدخُلُ عليكم؟»[٥].

والأكثرون على أنَّ السَّلامَ مسنونٌ بعد الإذنِ على ظاهرِ الآيةِ، ولأنَّ السَّلامَ تحيَّةُ اللِّقاءِ، واللِّقاءُ بعد الإذنِ، والسَّلامُ نَدْبٌ، والاستِئذانُ حَتْمٌ.

وقيل: إن وقعَتِ العينُ على العينِ قبل الإذنِ فالأَولى تقديمُ السَّلامِ على الاستِئذانِ، وإلَّا قُدِّمَ الاستِئذانُ على السَّلامِ، ولا يستأذِنُ الرَّجلُ في دُخولِه منزلَه

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٣٩).

(٢) رواه ابن وهب في «جامعه ـ التفسير» (١٨)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٤٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٦٦).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٩٤)، واستغربه.

(٤) رواه الفراء في «معاني القرآن» (٢/ ٢٤٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨٤٥٢) من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما. ورواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٤١) من طريق سعيد عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) رواه أبو داود في (٥١٧٧)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٠٧٥) عن ربعي بن حراش عن رجل من بني عامر. ورجال إسناده ثقات إلا أنَّ فيه انقطاعًا.

ورواه أبو داود (٥١٧٦)، والترمذي (٢٧١٠) عن كلدة بن حنبل، وقال الترمذي: «حديث حسن غريب».

لقولِه: ﴿غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾، والأفضلُ أن يُعلِمَ بدُخولِه[1] بتنحنُحٍ أو غيرِه.

﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من أن تدخُلوا بغيرِ إذنٍ ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ما يجبُ عليكم من طاعتِه.

***

(٢٨) - ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾.

﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا﴾ أي: في البيوتِ ﴿أَحَدًا﴾ يأذَنُ لكم ﴿فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا﴾: انصرِفوا ﴿فَارْجِعُوا﴾ ولا تُلِحُّوا، ولا يسُؤْكُم ذلك؛ فإنَّ للنَّاسِ حاجاتٍ.

﴿هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾؛ أي: الانصرافُ أنفعُ لدينِكُم ودُنياكم، وأقربُ إلى التَّزكيةِ ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾.

***

(٢٩) - ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾.

﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾ يعني: الخاناتِ والمنازلَ التي ينزِلُها السَّفْرُ[2] ﴿فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ﴾ استِمتاعٌ يقيكُمُ الحرَّ والبردَ.

وقيل: هي: الخَرِباتُ التي يُؤوَى إليها للغائطِ والبولِ.

---

(١) في (ف): «قبل دخوله».

(٢) أي: المسافرون، فهو جمع سافر. انظر: «تاج العروس» مادة (س ف ر) (١٢/ ٢٨).

ابنُ زيدٍ: بيوتُ التُّجَّارِ التي فيها أمتعةُ النَّاسِ[١].

ابنُ الحنفيَّةِ: بيوتُ مكَّةَ[٢].

﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ﴾ يريدُ: إذا دخلتُم بيوتَ غيرِكم فاتَّقوا اللهَ، فإنَّه يعلمُ خائنةَ الأعينِ وما تُخفي الصُّدورُ[٣].

***

(٣٠) - ﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ﴾.

﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ﴾؛ أي: يُنقِصُوا من نظرِهم، والغضُّ والإغضاضُ: أن يُدانيَ بين جفنَيه من غيرِ مُلاقاةٍ، و﴿مِنۡ﴾ للتَّبعيضِ، وهو تركُ النَّظرِ إلى ما لا يحِلُّ، وليس على أحدٍ أن يغُضَّ بصرَه كلَّه. وقيل: في بعضِ الأوقاتِ أُمِروا بالغضِّ.

﴿وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡ﴾ مِن أن يراها أحدٌ، وهو[٤] منَ العانةِ إلى أعلى الرُّكبةِ.

أبو العاليةِ: كلُّ موضعٍ في القرآنِ ذُكِرَ فيه الفرجُ فالمُرادُ به: الزِّنى، إلّا في هذا الموضعِ، فإنَّ المُرادَ به السَّترُ[٥].

وقيل: يحفَظُونها منَ الزِّنى، وسُمِّيت فروجًا لأنَّها منافذُ الأجوافِ ومسالكُ الخارحاتِ[٦].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٥١)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٩٥)، واستغربه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٥٠)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٩٥)، وعدَّه من العجائب.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٩٥)، واستغربه.

(٤) في (ف): «هي».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٥٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٧١).

(٦) في (ف): «الجارحات»، وهو تصحيف.

﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: الغضُّ والحفظُ ﴿أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾ أنفعُ لدِينِهم ودُنياهم ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ لا يخفَى عليه فِعلُهم.

***

(٣١) - ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾ فلا يحلُّ لهنَّ أن ينظُرْنَ منَ الرَّجلِ إلى ما ليس بعورةٍ إلَّا لغرضٍ دون طريقةِ الشَّهوةِ.

﴿وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ عن النَّظرِ إليها. وقيل: عن الزِّنى.

﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ يُريدُ بالزِّينةِ: مواضعَ الزِّينةِ ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: الثِّيابُ(١).

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: الكُحْلُ والخاتمُ(٢).

الحسنُ في جماعةٍ: الوجهُ والكفَّانِ(٣).

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٠٢٥)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٧٠٠٤)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٥٦).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٠٦٦)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٥٨).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٩١)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٦١) بلفظ: «الوجه والثياب».

ابنُ جريرٍ: الوجهُ، والكُحْلُ، والخاتمُ، والخِضابُ، والثِّيابُ، والسِّوارُ[١].

ابنُ بحرٍ: الزِّينةُ تقعُ على محاسنِ الخلقِ التي فعَلَها اللهُ، وعلى ما يَتزيَّنُ به الإنسانُ من فضلِ لباسٍ وحُليٍّ، فنهاهُنَّ[٢] عن إبداءِ ذلك لمَن ليسَ بمحرَمٍ، واستثنى ما لا يُمكِنُ إخفاؤُه في بعضِ الأوقاتِ كالوجهِ والأطرافِ إذا كان على غيرِ التَّلذُّذِ والشَّهوةِ، وأمَّا رِجلُها فالقَدَمانِ ليستا بعورةٍ، وفيها اختلافٌ.

﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾: جمعُ خِمارٍ، أُمِرْنَ بإلقاءِ الخُمُرِ على الجيوبِ لكي يستُرَ عنقَها وموضعَ العِقْدِ منها.

وقيل: كان قُمُصُهُنَّ مفروجةَ الجيبِ - كالدُّراعةِ[٣] - تبدو منها صُدُورُهنَّ، فأُمِرْنَ بسَتْرِها.

﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ أي: مواضِعَها؛ أي: موضِعَ الدُّمْلُجِ والخَلْخالِ ﴿إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾: جمعُ بَعْلٍ، فإنَّه المقصودُ بالزِّينةِ، ولَعَنَ النَّبيُّ ﷺ السَّلْتاءَ، وهي التي لا تخضِبُ، والمَرْهاءَ وهي التي لا تكتَحِلُ[٤].

﴿أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٧/ ٢٦١).

(٢) في (ف): «فنهاهن الله».

(٣) الدراعة والمدرع: جبة مشقوقة المقدم. انظر: «معجم متن اللغة» مادة: (د ر ع).

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «علل الحديث» (٤/ ٨٦) (١٢٦٢) بلفظ: «إني لأكره المرأة المرهاء السلتاء، فقالت عائشة: بأبي أنت وأمي! إني لأسمع منك الكلام! فقال: أنا أعرب العرب ولا فخر! أما المرأة المرهاء: فالتي لا كحل في عينيها، وأما المرأة السلتاء: التي لا خضاب في يديها»، وقال أبو حاتم: «يحيى بن أبي خالد مجهول، وابن أبي سعد مثله؛ وهو حديث ضعيف».

﴿أَوْ بَنِيٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ﴾ ولـم يذكُـرِ الأعمـامَ والأخـوالَ فـي الآيـة لمكانِ أبنائِهم[١].

﴿أَوْ نِسَآئِهِنَّ﴾؛ أي: المُؤمناتِ؛ فإنَّ اليهوديَّةَ والنَّصرانيَّةَ والمجوسيَّةَ في حكمِ الأجانبِ منَ الرِّجالِ.

وقيل: أرادَ بهنَّ الحرائرَ؛ كقولِه: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ﴾ [البقرة: ٢٢٦]، فيدخلُ فيها المُؤمنةُ والكافرةُ.

﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾ أي: الإماءُ. وقيل: الإماءُ والعبيدُ.

﴿أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ﴾ الإِرْبةُ والأَرَبُ: الحاجةُ، واختلفوا فيهم:

ابنُ زيدٍ: هو الصَّغيرُ؛ لأنَّه لا أرَبَ له في النِّساءِ لصِغَرِه[٢].

الشَّعبيُّ: العِنِّينُ[٣].

ابنُ جبيرٍ: الأبلَهُ المعتوهُ الذي لا أرَبَ له في النِّساءِ لجهالتِه[٤].

وقيل: الصِّغارُ منَ العبيدِ الذين لـم يبلُغوا مبلغَ الشَّهوةِ.

وقيل: الشَّيخُ الـهِمُّ[٥]؛ لذهابِ أرَبِه.

---

(١) أي: لئلا يَصِفَها العمُّ عند ابنِه، والخالُ كذلك. رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٧٢٩٣) عن الشعبي وعكرمة.

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٩٥).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٩٥) عن عكرمة والشعبي، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٦٩) عن الشعبي بلفظ: «الذي لا أرب له في النساء».

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٩٥)، ورواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٧١٨٨)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٦٩) بلفظ: «المعتوه».

(٥) هو المسنُّ جداً. انظر: «إصلاح المنطق» لابن السكيت (ص: ٢٩٨).

عكرمةُ: المُخنَّثُ الذي لا يقومُ زُبُّه(١).

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: الذي يتبعُك لينالَ من طعامِك، فهو مصروفُ الشَّهوةِ لذُلِّه ولا يُهِمُّه إلّا بطنُه(٢).

قتادةُ: الأحمقُ الذي لا يَغارُ عليه الرِّجالُ(٣).

وقيل: المجبوبُ.

وقيل: الخَصِيُّ الذي لا رغبةَ له في النِّساءِ.

﴿أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾ لعدَمِ تمييزِهم، ومعنى ﴿لَمْ يَظْهَرُوا۟﴾: لم يقوَوا على إتيانِ النِّساءِ.

وقيل: لم يعرِفُوا العورةَ من غيرِها.

ووقعَ الطِّفلُ موقعَ الجمعِ، وقيل: كان في الأصلِ مصدرًا، فلهذا لم يُجمَعْ، والطِّفلُ اسمٌ للمولودِ إلى أن يُراهِقَ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٧٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٧٩)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٩٥)، واستغربه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٦٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: «فهذا الرجل يتبع القوم، وهو مغفل في عقله، لا يكترث للنساء، ولا يشتهيهن».
وأقرب منه للفظ المصنف ما رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٦٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٧٨) عن مجاهد بلفظ: «الذين لا يهمهم إلا بطونهم، ولا يُخافون على النساء».
وروى هذا المعنى أيضاً الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٦٩) عن ابن زيد قال: «هو الذي يتبع القوم حتى كأنه كان منهم ونشأ فيهم، وليس يتبعهم لإربة نسائهم، وليس له في نسائهم إربة، وإنما يتبعهم لإرفاقهم إياه».

(٣) ذكره يحيى بن سلام في «تفسيره» (١/ ٤٤٢)، وابن أبي زمنين في «تفسيره» (٣/ ٢٣١)، والماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٩٥).

﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ قتادةُ: كانت المرأةُ تضرِبُ برجلِها إذا مشَتْ لِيُسمَعَ قعقعةُ خَلْخالِها، فنُهِينَ عن ذلك(١).

﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ مِنَ النَّظرِ إلى ما لا يحلُّ ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: لتفُوزوا بالخيراتِ.

* * *

(٣٢) - ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ﴾ الخطابُ للأولياءِ في تزويجِ الأيامى منَ النِّساءِ إذا طلَبْنَ، وذلك فرضٌ، وإذا لم يطلُبْنَ لم يجِبْ، وخطابُ الموالي في تزويجِ العبيدِ والإماءِ؛ أي: زوِّجوا مَن لا زوجَ لها منَ الأحرارِ والحرائرِ والعبيدِ والإماءِ.

تقولُ: رجلٌ أيِّمٌ وامرأةٌ أيِّمٌ وأيِّمةٌ؛ إذا كانت مُطلَّقةً، أو متوفًّى عنها الزَّوجُ، أو بكرًا لم تتزوَّجْ، والفعلُ: آمَتْ تَئِيمُ أَيْمةً وإيامًا وأُيوماً.

وجمعُه: الأيامَى، ووزنُه عند الكوفيِّين: فَعالى كيَتامَى، جُمِعَ على المعنى؛ لأنَّ الأيِّمَ كاليتيمِ(٢).

وعند البصريِّين: (أَيِّمٌ) فَيْعِلٌ، جُمِعَ على فَعَالَى تشبيهًا بأَسِيرٍ وأَسارى، وربَّما قالوا: جُمِعَ على أيائمٍ، ثمَّ قُدِّمَ وأُخِّرَ فصارَتْ أَيَامي، ثمَّ قُلِبَت فصارَت أيامَى(٣).

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٠٣٤)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٧٣)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٩٦) وعنه نقل المصنف.

(٢) هذا ظاهر كلام سيبويه. انظر: «الكتاب» (٣/ ٦٥٠).

(٣) القول بالقلب هو مذهب منسوب للأخفش، وقد ضُعِّف لأنه خلاف الأصل. انظر: «شرح الشافية» =

﴿إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ هذا وعدٌ منَ اللهِ بالإغناءِ، وكان رسولُ اللهِ ﷺ يقولُ: «اطلُبوا الغِنَى في هذه الآيةِ»[1]، وكان عمرُ رضي الله عنه يقولُ: «التَمِسُوا الغِنَى في الباءةِ»[2].

وقيل: يُغنِهم اللهُ بقناعةِ الصَّالحين.

وقيل: يُغنِهم اللهُ باجتماعِ الرِّزقَين.

وقيل معناه: لا تمتنِعُوا من تزويجِ العبيدِ والإماءِ لفقرِهم، فإنَّ اللهَ يُغنِيهم من فضلِه.

= للرضي (٢/ ١٤٦)، و«ارتشاف الضرب» لأبي حيان (١/ ٤٥٣).

(١) كذا ذكره يحيى بن سلام في «تفسيره» (١/ ٤٤٥) عن عبد العزيز بن أبي رواد، ورواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٢٨٢)، والثعلبي في «تفسيره» (١٩/ ٢٠٣) من طريق مسلم بن خالد، عن سعيد بن أبي صالح، عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ.
قال السخاوي في «المقاصد الحسنة» (ص: ١٤٩): «ومسلم فيه لين وشيخُه، ولكن له شاهد أخرجه البزار (١٤٠٢ ـ كشف)، والدارقطني في «العلل» (١٥/ ٦١)، والحاكم (٢٦٧٩)، وابن مردويه والديلمي، كلهم من رواية أبي السائب سلم بن جنادة، عن أبي أسامة، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة مرفوعًا: «تزوجوا النساء فإنهن يأتين بالمال». قال الحاكم: تفرد به سلم وهو ثقة.
وقال البزار والدارقطني: وغير سَلم يرويه عن هشام عن أبيه مرسلاً، والمرسل أصح».
قال السخاوي: «وهو كما قالا، فقد أخرجه أبو بكر بن أبي شيبة (١٥٩١٣) عن أبي أسامة فلم يذكر عائشة، وكذلك أخرجه أبو داود في «المراسيل» (٢٠٣) عن الربيع بن نافع عن أبي أسامة، ولا ينتقد عليهم بما أخرجه أبو القاسم حمزة بن يوسف السهمي في «تاريخ جرجان» (٣٩٣) من رواية الحسين بن علوان عن هشام موصولاً، فالحسين متهم بالكذب، لا اعتبار بمتابعته».

(٢) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (١٠٣٨٥) و(١٠٣٩٣) بلفظ: «اطلبوا الفضل في الباه» وفي رواية: «ما رأيت مثل رجل لم يلتمس الفضل في الباه» قال: وتلا عمر: ﴿إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النور: ٣٢].

وقيل: هو يرجعُ إلى الأيامى الأحرارِ؛ لأنَّ العبدَ لا يُوصَفُ بالفقرِ ولا بالغِنى، لأنَّ مالَه لمالكِه.

قال أبو عليٍّ: إن يكونوا فقراءَ منَ الجِماعِ يُغنِهم اللهُ من فضلِه[١].

وقيل: يُغنِهم من الحرامِ[٢].

﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ يُوسِّعُ على مَن يشاءُ ﴿عَلِيمٌ﴾ بمَن يستَحِقُّه.

***

(٣٣) - ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾؛ أي: أسبابَ النِّكاحِ منَ النَّفقةِ والمهرِ، فحُذِفَ المضاف، ومعنى ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ﴾: وليكُفَّ، والعِفَّةُ والاستِعفافُ والكفُّ: الامتِناعُ.

قولُه: ﴿نِكَاحًا﴾؛ أي: أسبابَه كما ذكرتُ.

وقيل: ﴿نِكَاحًا﴾ ما يُتزوَّجُ به منَ المهرِ والنَّفقةِ، وسُمِّيَ ذلك نكاحًا كما سُمِّيَ ما يُتلَحَّفُ به لِحافًا، وما يُرتَدَى به رِداءً.

﴿حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾؛ أي: يُوسِّعَ عليهم ويُعطيَهم مالًا يتزوَّجون به.

وقيل: يُغنيَهم بقلَّةِ الرَّغبةِ[٣].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٩٦) دون نسبة، وعده من العجائب.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٩٦)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٩٦)، واستغربه.

﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ في سببِ النُّزولِ: أنَّها نزلت في غلامٍ لحُويطبِ بنِ عبدِ العُزَّى يُقالُ له: صُبَيحٌ، سألَ مولاه أن يُكاتِبَه فأبى عليه، فأنزَلَ اللهُ هذه الآيَةَ، فكاتبَه حُوَيطبٌ على مئةِ دينارٍ، ووَهَبَ له منها عشرين دِينارًا فأدَّاها، وقُتِلَ يومَ حُنينٍ في الحربِ[1].

﴿الْكِتَابَ﴾: الكتابةَ، وهو: أن يقولَ الرَّجلُ لعبدِه أو أمَتِه: كاتَبْتُكَ على أن تُعطيَني كذا دينارًا في نجومٍ معلومةٍ على أنَّك إنْ أدَّيتَ ذلك حرٌّ، وكانوا يكتُبون ذلك بشرطِ التَّأجيلِ، فسُمِّيَ كتابًا.

قولُه: ﴿فَكَاتِبُوهُمْ﴾ أمرُ ندبٍ لا وجوبٍ.

﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: القُدرةُ على الاحترافِ والكسبِ لأداءِ ما كوتِبُوا عليه[2].

الحسَنُ: الصِّدقُ والأمانةُ والوفاءُ[3].

مجاهدٌ: المالُ[4].

---

(١) ذكره هكذا مقاتل في «تفسيره» (٣/ ١٩٧)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٢٥).

ورواه أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٣٨٨٢)، وابن منده كما في «أسد الغابة» (٣/ ٨)، عن محمد بن إسحاق، عن خاله عبد الله بن صبيح، عن أبيه ـ وكان جد محمد بن إسحاق أبا أمه ـ قال: كنت مملوكاً لحويطب فسألتُ الكتاب، وفيَّ نزلت: ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ﴾ الآية.

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٩٩)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٧٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٨٣) بلفظ: «إن علمتم لهم حيلة، ولا تلقوا مؤنتهم على المسلمين».

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٢٨٤٧) بلفظ: «دينًا وأمانة»، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٧٩) بلفظ: «صدقًا ووفاء وأداء وأمانة».

(٤) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٥٥٧١)، وابن الجعد في «مسنده» (٢٦١)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٨١).

وقيل: الصَّلاحُ وإقامةُ الصَّلاةِ.

﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾ ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما في جماعةٍ: أمرَ صاحبَ المملوكِ المكاتَبِ أن يضعَ له من مالِ الكتابةِ شيئًا: ربعَ المالِ أو دونَه[1].

مجاهدٌ في جماعةٍ: هذا خطابٌ للوُلاةِ بأن يُعطوا المكاتَبين حقوقَهم مِن بيتِ المالِ[2].

وقيل: خطابٌ لأهلِ الأموالِ أن يُعطوهم منَ الصَّدقاتِ المفروضةِ في أموالِهم سهمَهم، وهو قولُه: ﴿وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾ [التوبة: ٦٠].

﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ﴾ في سببِ النُّزولِ: أنَّها نزلت في عبدِ اللهِ بنِ أُبيٍّ ابنِ سَلُولَ، كانت له ستُّ جَوارٍ: مُعاذةُ، ومُسَيكةُ، وأُمَيمةُ، وعَمرةُ، وأَروى، وقُتيلةُ، فجاءَتْ إحداهُنَّ ذاتَ يومٍ بدينارٍ، وجاءَتْ أُخرى ببُرْدٍ، فقال لهما: ارجِعا فازنِيا، فقالتا: واللهِ لا نفعلُ، قد جاءَنا اللهُ بالإسلامِ وحرَّمَ الزِّنى، فأتَتا رسولَ اللهِ ﷺ وشكَتا، فأنزَلَ اللهُ هذه الآيةَ[3].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٨٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٨٧)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢١٦٧٥) بلفظ: «ضعوا عنهم من مكاتبتهم».
وتحديده بالربع روي عن علي رضي الله عنه، رواه عبد الرزاق في «المصنف» (١٥٥٩٠)، والنسائي في «الكبرى» (٥٠١٩)، عنه موقوفاً. ورواه عبد الرزاق في «المصنف» (١٥٥٨٩)، والنسائي في «الكبرى» (٥٠١٧)، عن علي مرفوعاً، ورفعه منكر كما ذكر ابن كثير عند هذه الآية، قال: «والأشبه أنه موقوف على علي رضي الله عنه».

(٢) روى نحوه ابن وهب في «جامعه ـ التفسير» (١١٥)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٨٨) عن زيد بن أسلم.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٩/ ٢٣٣) عن مقاتل، ورواه مسلم (٣٠٢٩)، من حديث جابر رضي الله عنه بلفظ: «أن جارية لعبد الله بن أبي ابن سلول يقال لها: مسيكة، وأخرى يقال لها: أميمة، فكان يكرههما على الزنى، فشكتا ذلك إلى النبي ﷺ، فأنزل الله: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ﴾».

والْبِغاءِ: الزِّنى للنِّساءِ خاصَّةً.

﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ تعفُّفًا، وهذا شرطٌ في الظَّاهرِ وليس بمُشترَطٍ، وكذلك ﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ لأنَّه إنْ لـم يَعْلَم خيرًا صحَّتِ الكتابةُ.

وقال ابنُ عيسى: جاءَتْ[1] بصيغةِ الشَّرطِ لتفحيشِ الإكراهِ على ذلك[2].

وقيل: لأنَّها نزلَتْ على سببٍ، فوقعَ النَّهيُ على تلك الصِّفةِ.

وقيل: ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ متَّصلٌ بقولِه: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ﴾ [النور: ٣٢][3]؛ أي: مَن أرادَ أن يلزمَ الحصانةَ فليتزوَّجْ.

وقيل: إنَّما جاء النَّهيُ في الآيةِ عن الإكراهِ لا عن البِغاءِ؛ لأنَّ حدَّ الزِّنى نزلَ بعدَ هذا.

﴿لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: لتبتَغوا بإكراهِهنَّ على الزِّنى أجورَهنَّ على الزِّنى.

﴿وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾؛ أي: لهنَّ، وكذلك هو في مُصحفِ ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه: (مِنْ بَعْدِ إِكْراهِهِنَّ لهن غَفُورٌ رَحِيمٌ)[4].

وقيل: لمَن تابَ عن ذلك بعد نزولِ الآيةِ.

* * *

(١) في (ف): «جاء».

(٢) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٨/ ٤١).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٩٦)، واستغربه.

(٤) رواها عن ابن مسعود عبد بن حميد في «تفسيره» كما في «الدر المنثور» (٥/ ٤٧). ورواها مسلم (٣٠٢٩)، وأبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ٣٠٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٩١) عن جابر رضي الله عنه. وذكرها ابن جني في: «المحتسب» (٢/ ١٠٨) عن ابن عباس وسعيد بن جبير.

(٣٤) - ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ﴾ يعني: القرآنَ ﴿مُّبَيِّنَٰتٍ﴾ بالدَّليلِ(١) والبرهانِ، وبالفرائضِ والأحكامِ ﴿وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ﴾؛ أي: وأنزَلْنا بإنزالِ القرآنِ قصصَ مَن تقدَّمَكم وذِكْرَ أحوالِهم لتتجَنَّبوا(٢) ما سخطَ به عليهم، وتُقبِلُوا على ما رضيَ به منهم، ﴿وَمَوْعِظَةً﴾: وزَجْرًا عن المعاصي ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ فإنَّهم ينتفِعون بها.

* * *

(٣٥) - ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: ذو نورِ السَّماواتِ والأرضِ، فحُذِفَ المُضافُ، كما تقولُ: رجلٌ عدلٌ؛ أي: ذو عدلٍ.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: معناه: هادي مَن فيهما(٣)، فهم بنورِه يهتَدون.

الحسنُ: مصدرٌ وقعَ موقعَ الفعلِ؛ أي: نوَّرَ السَّماواتِ والأرضَ(٤)، وقد قُرِئَ

---

(١) في (ف): «بالدلائل».

(٢) في (ف): «لتجتنبوا».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٩٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٩٣).

(٤) ذكره ابن فورك في «تفسيره» (١/ ١٤٤)، والماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ١٠٢)، والواحدي في «البسيط» (١٦/ ٢٥٧).

به[1]؛ أي: نوَّرَهما بالشَّمسِ والقمرِ والنُّجومِ. وقيل: نوَّرَ السَّماواتِ بالملائكةِ، ونوَّرَ الأرضَ بالأنبياءِ.

أُبيُّ بنُ كعبٍ رضي الله عنه: معناه: ضياءُ السَّماواتِ والأرضِ[2].

مجاهدٌ: مُدبِّرُ السَّماواتِ والأرضِ[3].

وقيل: معناه: الأنوارُ كلُّها منه.

وقيل: معناه: المُنزَّهُ من كلِّ عيبٍ، مصدرٌ من قولهم: امرأةٌ نَوارٌ ونسوةٌ نُورٌ، حكاه الثَّعلبيُّ[4]، والمعنى صحيحٌ، واللَّفظُ في حقِّ اللهِ بشعٌ.

ويحتمِلُ واللهُ أعلمُ معنًى آخر، وهو أنَّ النُّورَ: ما يُرى ويُرى به، فجاز وصفُ اللهِ تعالى به؛ لأنَّه يُرى ويُرى بسببِه مخلوقاتُه؛ لأنَّه خلقَها وأوجدَها[5].

وقيل: معناه: اللهُ مدلولُ السَّماواتِ والأرضِ؛ لأنَّها كلَّها تدلُّ على وجودِه وعلى وَحدانيَّتِه وقُدرتِه.

---

(١) ذكرها ابن خالويه في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٠٣) عن أبي جعفر المدني وعبد العزيز المكي، وذكرها شمس القراء الكرماني في «شواذ القراءات» (ص: ٣٤٢) عن زيد بن علي.

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ١٠٢)، وقال الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٩٦): «وقالوا: معنى ذلك: ضياء السماوات والأرض، ذكر من قال ذلك» ثم روى من طريق أبي العالية عن أبي بن كعب، في قول الله: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ قال: «فبدأ بنور نفسه فذكره، ثم ذكر نور المؤمن».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٩٦) عن مجاهد وابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: «يدبر الأمر فيهما: نجومهما وشمسهما وقمرهما»، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ١٠٢).

(٤) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٩/ ٢٣٩)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١٩/ ٢٣٩)، وعدَّه من العجائب.

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١٩/ ٢٣٩)، واستغربه.

﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ اختلَفَ المُفسِّرون في هذا الضَّميرِ؛ فقيل: يعودُ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ.

وقيل: إلى القرآنِ.

وقيل: إلى محمَّدٍ ﷺ.

وقيل: إلى المُؤمنِ.

ويحتمِلُ أنَّهم اختلفوا في النُّورِ؛ فقال بعضُهم: المُرادُ به: القرآنُ، وقال بعضُهم: المُرادُ به: النَّبيُّ ﷺ، وقال بعضُهم: المرادُ به: الإيمانُ به؛ لأنَّ الهاءَ يعودُ إلى ﴿ٱللَّهُ﴾ لا غيرُ، وأضافَ كلَّ واحدٍ من هذه إليه رفعةً لذلك الشَّيءِ وتعظيمًا، واللهُ أعلمُ.

قولُه: ﴿كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ﴾ في المشكاةِ أقوالٌ:

أحدُها: أنَّها الكُوَّةُ لا منفذَ لها، فيكونُ أجمعَ لضوءِ السِّراجِ منَ البَرازِ، ويكونُ المصباحُ القِنديلَ.

والثّاني: أنَّها الأُنبوبةُ في وسطِ القِنديلِ، فيكونُ المصباحُ الفتيلةَ المُشعَلةَ.

والثّالثُ: أنَّها الحديدةُ التي عُلِّقَ عنها القِنديلُ، فيكونُ المصباحُ القِنديلَ(١).

والرابع: أنَّها القنديل(٢)، والمصباحُ السِّراجُ، وهو الضَّوءُ.

والزُّجاجةُ معروفةٌ، ويجوزُ فيها الفتحُ والكسرُ(٣).

﴿ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ﴾ قيل: المُرادُ به: الزُّهرةُ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٩٧)، وعدَّه من العجائب.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٩٧)، واستغربه، وفيه: «الغريب: المشكاة: القنديل. والمصباح: الضوء في وسطه».

(٣) قال ابن خالويه: «فيها ثلاث لغات: زُجاجة، وزَجاجة، وزِجاجة، وروى ابن مجاهد عن نصر بن عاصم: (زَجاجة) بالفتح». انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٠٣).

وقيل: أحدُ الخمسةِ السَّيَّارةِ.

وقيل: أيُّ كوكبٍ كانَ بعد أن يكونَ موصوفًا بالدُّرِّيِّ.

قُرِئَ بالكسرِ والهمزِ، فِعِّيلٌ من دَرَأَ، إذا دفعَ؛ أي: ضوؤُه يتجاوزُه ويتعدَّاهُ. وقيل: من قولِـهم: «ملحٌ درَّانيٌّ» فيمَن رواه بالدَّالِ غيرِ معجمةٍ؛ أي: أبيض. وقُرِئَ بالضَّمِّ مهموزاً وغيرَ مهموزٍ[1]، وهو غريبٌ في العربيَّةِ ليس له نظيرٌ إلَّا (مُرِّيقٌ)، وهو العُصْفُرُ، و(العُلِّيَةُ) لأنَّها مِن علا يعلو، وكذلك (السُّرِّيَّةُ) عند بعضِهم، حكاها أبو عليٍّ[2]، ومَن تركَ الهمزةَ جازَ أن يكونَ كالأوَّلِ، وجازَ أن يكونَ منسوبًا إلى (الدُّرِّ) لتلألُؤِ الدُّرِّ من بين الحبوبِ.

﴿يُوقَدُ﴾: يُشعَلُ؛ أي: المصباحُ، وكذلك فيمَن قرأ: ﴿تَوَقَّدَ﴾ بالفتحِ، ومَن قرأَ: ﴿تُوقدُ﴾ بالتَّأنيثِ[3]؛ أي: الزُّجاجةُ، والتَّقديرُ: مصباحُ الزُّجاجةِ، فحُذِفَ المُضافُ وأُقيمَ المضافُ إليه مكانَه، ثمَّ أُنِّثَ حملًا على المضافِ إليه.

﴿مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ﴾؛ أي: من زيتِ زيتونةٍ شجرةٍ مباركةٍ، فـ﴿زَيْتُونَةٍ﴾ بدلٌ مِن ﴿شَجَرَةٍ﴾، ووَصَفَها بالمباركةِ لكثرتِها بالشَّامِ.

وقيل: لكثرةِ أوراقِها وأغصانِها كالرُّمانِ.

---

(١) قرأ أبو عمرو والكسائي بكسر الدال مع المد والهمز، وقرأ حمزة وأبو بكر بضم الدال والمد والهمز، وقرأ الباقون بضم الدال من غير مد ولا همز. انظر: «السبعة» (ص: ٤٥٥)، و«التيسير» (ص: ١٦٢). والقراءة بالضم والهمز ذكرها المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٩٧)، واستغربها.

(٢) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٥/ ٣٢٣).

(٣) قرأ ابن كثير والبصريان وأبو جعفر: ﴿تَوَقَّدَ﴾ بتاء مفتوحة وفتح الواو والدال وتشديد القاف، وقرأ نافع وابن عامر وحفص: ﴿يوقد﴾ بياء مضمومة وإسكان الواو وتخفيف القاف ورفع الدال على التذكير، وقرأ الباقون كذلك إلا أنهم بالتاء على التأنيث. انظر: «السبعة» (ص: ٤٥٦)، و«التيسير» (ص: ١٦٢)، و«النشر» (٢/ ٣٣٢).

وقيل: لكثرةِ ما فيها من المنفعةِ.

﴿لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ﴾ ليست منَ المشرقِ ولا منَ المغربِ، بل في الوسطِ منهما، وهو الشَّامُ.

وقيل: ليست بشرقيَّةٍ لا تقعُ الشَّمسُ عليها إلَّا غُدوةً، ولا غربيَّةٍ لا تقعُ الشَّمسُ عليها إلَّا عَشيَّةً، بل بينهما تقعُ الشَّمسُ عليها طولَ النَّهارِ، فزَيْتُها أجودُ ما يكونُ.

وقيل: يُصيبُها الشَّمسُ والظِّلُّ.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: شجرةٌ وسطَ الأشجارِ، ليست من جانبِ الشَّرقِ ولا من جانبِ الغربِ[(١)].

الحسنُ: ليست هي من أشجارِ الأرضِ؛ لأنَّها لو كانت منها لكانت شرقيَّةً أو غربيَّةً، لكنَّها من شجرِ الجنَّةِ[(٢)].

ورُوِيَ عنه أيضًا: أنها مَثَلٌ ضربَه الله[(٣)].

وقولُه: ﴿يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞ﴾؛ أي: ضوءُ زيتِها كضوءِ النَّارِ وإن لـم تمسَسْه نارٌ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٣١٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦٠٠).

(٢) ذكره بهذا اللفظ الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ١٠٥). ورواه دون التصريح بأنها من شجر الجنة عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٠٤٩)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٣١٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦٠١)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٩٨)، واستغربه. وانظر التعليق الآتي.

(٣) هذا تتمة قول الحسن السابق عند الطبري وابن أبي حاتم. ولفظه: «لو كانت في الأرض هذه الزيتونة كانت شرقية أو غربية، ولكن والله ما هي في الأرض، وإنما هو مثل ضربه الله لنوره». وفي رواية: «هذا مثل ضربه الله، ولو كانت هذه الشجرة في الدنيا لكانت إما شرقية وإما غربية».

قلت: وهذا يدل على أن من زاد: «من شجر الجنة» لعله وهم.

وقيل: معناه: يكادُ قلبُ المؤمنِ يَعرِفُ الحقَّ قبل أن يُبيَّنَ له.

وقيل: يكادُ العلمُ يَفيضُ من لسانِ العالِـمِ قبل أن يتكلَّمَ به.

وقيل: تكادُ أعلامُ النُّبوَّةِ تشهدُ لرسولِ اللهِ ﷺ قبل أن يدعوَ إليها.

﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ عن ابنِ عمرَ رضي الله عنهما قال: المشكاةُ: جوفُ محمَّدٍ ﷺ، والزُّجاجةُ: قلبُه، والمصباحُ: النُّورُ الذي فيه، ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾: لا نصرانيّةٍ ولا يهوديّةٍ؛ لأنَّ النَّصارى يُصلُّون إلى المشرقِ، واليهودَ يُصلُّونَ إلى المغربِ ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ إبراهيمَ عليه السَّلامُ؛ لأنَّ أكثرَ الأنبياءِ منه ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ الذي جُعِلَ في قلبِ إبراهيمَ كما جُعِلَ في قلبِ محمَّدٍ ﷺ(١).

محمَّدُ بنُ كعبٍ القُرَظيُّ: المشكاةُ: إبراهيمُ، والزُّجاجةُ: إسماعيلُ، والمصباحُ: محمَّدٌ ﷺ، ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ إبراهيمَ، ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ لم يكن إبراهيمُ نصرانيًّا ولا يهوديًّا، ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ﴾ تكادُ محاسنُ محمَّدٍ ﷺ تظهرُ للنَّاسِ قبل أن يُوحَى إليه(٢).

وقيل: هذا مَثَلٌ للمؤمنِ؛ المِشكاةُ: نفسُه، والزُّجاجةُ: صدرُه، والمصباحُ: ما جعلَ اللهُ منَ الإيمانِ والقرآنِ في قلبِه.

﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ ضوءُ النّارِ على ضوءِ الزَّيتِ على ضوءِ الزُّجاجةِ.

وقيل: نبيٌّ من نَسلِ نبيٍّ.

وقيل: المُؤمنُ كلامُه نورٌ، وعملُه نورٌ، ومدخلُه نورٌ، ومخرجُه نورٌ، ومصيرُه إلى النُّورِ يومَ القيامةِ.

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٣٢٢٦)، والثعلبي في «تفسيره» (١٩/ ٢٦٤). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٨٣): فيه الوازع بن نافع وهو متروك».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٩/ ٢٦٥)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٢٩٧).

﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾: يهدي إلى الإيمانِ وإلى محمَّدٍ ﷺ والقرآنِ.

وقيل: يهدي اللهُ إلى نبوَّتِه مَن يشاءُ.

وقيل: إلى الاستدلالِ بالآياتِ.

﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ﴾؛ أي: الأمثالَ التي فيها مصلحةُ النّاسِ ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ فيُبيِّنُ كلَّ شيءٍ بما يُمكنُ أن يُعلَمَ به.

* * *

(٣٦) - ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ﴾.

﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾ قيل: هي متَّصلةٌ بما قبلَها، والتَّقديرُ: كمشكاةٍ في بيوتٍ.

وقيل: مصباحٌ في بيوتٍ.

وقيل: زجاجةٌ في بيوتٍ.

وقيل: تُوقَدُ في بيوتٍ.

وقيل: هي استئنافٌ، والعاملُ فيها ﴿يُسَبِّحُ﴾[1].

وقيل: خبرُ المبتدأِ، والمبتدأُ قولُه: ﴿رِجَالٌ﴾، أو يرتفعُ بالظَّرفِ[2].

---

(١) أي: يُسبِّح له رجالٌ في بيُوتٍ، و﴿فِيهَا﴾ تكريرٌ كقولك: زيد في الدار جالسٌ فيهَا. انظر: «الكشاف» (٣/ ٢٤٢).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٩٩)، واستغربه، ولفظه: ﴿رِجَالٌ﴾ مبتدأ، ﴿فِي بيوت﴾ خبره، أو يرتفع ﴿رِجَالٌ﴾ بـ﴿في﴾ عند مِن يرفع بالظرف، أو يجعل ﴿فِي بُيُوتٍ﴾ صفة لشيء مما تقدم، فيرتفع ﴿رِجَالٌ﴾ به بالإجماع.

قلت: وهذا كله إنما يستقيم على قراءة ﴿يُسبَّح﴾ مبنيا للمجهول، وهي قراءة سبعية كما سيأتي، أما على القراءة بالمبني للمعلوم فلا؛ لأن ﴿رجال﴾ يكون فاعلاً لـ﴿يُسبِّح﴾، كما سيأتي.

وقيل: متَّصلٌ بقوله: ﴿أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ فيكونُ قولُه: ﴿فِيهَا﴾ تكرارًا للتأكيدِ.

والبيوتُ: المساجدُ عند بعضِهم، وعند بعضِهم عامٌّ في جميعِ البيوتِ.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: المساجدُ بيوتُ اللهِ في الأرضِ، وهي تُضيءُ لأهلِ السَّماءِ كما تُضيءُ النُّجومُ لأهلِ الأرضِ(١).

وقيل: هي الكعبةُ، وبيتُ المقدسِ، ومسجدُ رسولِ اللهِ ﷺ، ومسجدُ قُباءَ.

السُّدِّيُّ: بيوتُ المدينةِ(٢).

وقوله: ﴿أَذِنَ ٱللَّهُ﴾: أمرَ اللهُ ﴿أَن تُرْفَعَ﴾: أن تُبنَى، من قوله: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾ [البقرة: ١٢٧].

وقيل: يُرفعَ قَدْرُها ويُصانَ.

وقيل: تُطهَّرَ منَ الأنجاسِ والمعاصي.

وقيل: تُرفعَ فيها الحوائجُ إلى اللهِ سبحانه(٣).

ويحتمِلُ: تُرفعَ فيها الأصواتُ بذِكرِ اللهِ وتلاوةِ القرآنِ، ويُقوِّيه ما بعدَه، وهو قوله:

﴿وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾: ويُتلَى فيها كتابُه.

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٦٠٨)، والثعلبي في «تفسيره» (١٩/ ٢٧١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٦٨٧). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٧): «رواه الطبراني في الكبير ورجاله موثقون».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٩/ ٢٧٥)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١٩/ ٢٧٥)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٩٩).

وقيل: هو توحيدُه لا إلهَ إلّا اللهُ.

وقيل: يُذكرَ فيها أسماؤُه الحسنى.

﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾ قيل: هو تنزيهُ اللهِ.

وقيل: هو الصَّلاةُ بالغداةِ والعشيِّ.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: كلُّ تسبيحٍ في القرآنِ فإنَّه الصَّلاةُ[1].

وفي ﴿يُسَبِّحُ﴾ قراءتانِ[2]؛ فمَن كسرَ الباءَ ارتفعَ به ﴿رِجَالٌ﴾ لا غيرُ، ومَن فتحَ الباءَ فارتفاعُ ﴿رِجَالٌ﴾ من أربعةِ أوجهٍ:

أحدها: أنَّه يرتفعُ بفعلٍ مضمرٍ دلَّ عليه ﴿يُسَبَّحُ﴾؛ أي: يسبِّحُه رجالٌ، قاله أبو عليٍّ، وأنشدَ:

لِيُبْكَ يَزِيدُ ضَارِعٌ لِخُصُومَةٍ ... وَمُخْتَبِطٌ مِمَّا تُطِيحُ الطَّوَائِحُ[3]

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٣٢٠)، والضياء المقدسي في «المختارة» (١٠/ ٣١٤).

(٢) قرأ ابن عامر وشعبة بالبناء للمجهول، والباقون بالمبني للمعلوم. انظر: «السبعة» (ص: ٤٥٦)، و«التيسير» (ص: ١٦٢).

(٣) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٥/ ٣٢٦).

والبيت لنهشل بن حري يرثي أخاه، كما في «مجاز القرآن» (١/ ٣٤٨)، و«تفسير الطبري» (١٤/ ٤٣)، و«البسيط» للواحدي (١٢/ ٥٧٨)، أو للحارث بين نهيك، كما في «كتاب سيبويه» (١/ ٢٨٨). وقال الشهاب الخفاجي في «الحاشية على البيضاوي» (٥/ ٢٨٩): «هو من شعر في رثاء يزيد النهشلي، واختلف في قائله؛ فقيل: لبيد، وقيل: نهشل بن حري، وقيل: الحارث بن نهيك النهشلي، وقيل: الحارث بن ضرار النهشلي، وقيل: مزرد».

قال: «والمختبط طالب العرف المحتاج، وأصله من خبط ورق الأشجار لتأكلها الدواب، وإنما يُفعل ذلك في الجدب وشدّة الاحتياج، وتطيح بمعنى: ترمي، والطوائح... بمعنى: السنين أو الجوائح الرامية له»

والثَّاني: بالمبتدأِ، وخبرُه ﴿فِي بُيُوتٍ﴾[1].

الثَّالثُ: بالظَّرفِ.

والرَّابعُ: خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ؛ أي: هم رجالٌ.

* * *

(٣٧) - ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَوٰةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾.

﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ﴾: لا تَشْغلُهم ﴿تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾.

قيل: التِّجارةُ في السَّفرِ، والبيعُ في الحضَرِ.

وقيل: التِّجارةُ: الشِّراءُ، من قولِه: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً﴾ [الجمعة: ١١]؛ أي: شراءً، فيكونُ المعنى: لا يُلهيهم شراءٌ ولا بيعٌ[2]؛ أي: رفَضُوا الدُّنيا واشتغلوا بذِكرِ اللهِ.

وقيل: يبيعون ويشتَرون، وإذا حضرتِ الصَّلاةُ قاموا إليها غيرَ مُتثاقِلين.

وقيل: يبيعون ويشترون ويذكُرون اللهَ في خلالِ ذلك.

و(ذكرُ اللهِ) هاهنا: الصَّلاةُ. وقيل: ذكرُ أسمائِه. وقيل: الأذانُ.

﴿وَإِقَامِ الصَّلَوٰةِ﴾؛ أي: عن إقامةِ الصَّلاةِ، فحُذِفَ الهاءُ؛ لأنَّ الإضافةَ تنوبُ عنه، ومثله: ليتَ شِعْري؛ أي: شِعرَتي، و: المرأةُ لا تنسى أبا عُذرِها؛ أي: عُذرَتِها[3].

﴿وَإِيتَاءِ الزَّكَوٰةِ﴾؛ أي: وعن إيتاءِ الزَّكاةِ الواجبةِ.

﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾؛ أي: تتقلَّبُ على جمرِ جهنَّمَ من حالٍ إلى حالٍ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٩٩).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٩٩)، واستغربه.

(٣) انظر: «غرائب التفسير» (٢/ ٧٩٩).

وقيل: تقلُّبُ القلوبِ: البلوغُ إلى الحناجرِ، وتقلُّبُ الأبصارِ: نظرُها إلى حيثُ يُؤتَى كتابُها، وإلى حيثُ يُساقُ إليه.

وقيل: تقلُّبُ القلوبِ: البلوغُ إلى الحناجرِ، وتقلُّبُ الأبصارِ: انقلابُها إلى الزُّرقةِ.

وقيل: تقلُّبُ القلوبِ: الإيمانُ بعد الكفرِ، وتقلُّبُ الأبصارِ: مُعاينةُ ما كان يَزعمُ أنَّه لا يراه؛ كقولِه: ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢].

* * *

(٣٨) - ﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾؛ أي: يخافونَ ليجزيَهم اللهُ.

وقيل: لامُ القسمِ؛ أي: ليَجْزيَ اللهُ المؤمنين.

﴿أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾؛ أي: يجزيَهم[1] على قَدْرِ أعمالِهم، ثمَّ يزيدَهم من فضلِه على الأعمالِ أضعافًا مضاعفةً.

﴿وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾؛ أي: غيرَ مُقدَّرٍ بالكفايةِ بل فوقَها.

وقيل: ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ معناه: تفضُّلًا؛ لأنَّ الجزاءَ يكونُ بالحسابِ، ويكونُ التَّفضُّلُ بغيرِ حسابٍ.

وقيل: ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾؛ أي: لا يُحاسِبُه على ما يُعطيه في الدُّنيا.

وقيل: يُعطيه ما لا يأتي عليه الحسابُ.

وقيل: من غيرِ حسابٍ؛ أي: من حيثُ لا يحتسبُ[2].

---

(١) في (ف): «يجازيهم».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٠٠)، واستغربه.

(٣٩) ـ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ﴾ ابنُ عيسى: السَّرابُ: شعاعٌ يُتخيَّلُ كالماءِ على الأرضِ نصفَ النَّهارِ حين يشتدُّ الحرُّ، قال[1]: وسُمِّيَ سرابًا لأنَّه ينسرِبُ.

وقيل: السَّرابُ: بخارٌ يرتفعُ من قُعورِ القِيعانِ فيتكثَّفُ، فإذا اتَّصلَ بها ضوءُ الشَّمسِ أشبهَ الماءَ من بعيدٍ، فإذا دَنا منه الإنسانُ لـم يرَه كما كان يراهُ وهو منه بعيدٌ.

والقِيعةُ: القاعُ، وهو ما انبسطَ منَ الأرضِ.

وقيل: جمعُ قاعٍ كجارٍ وجِيرةٍ.

﴿يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ﴾: العطشانُ ﴿مَاءً﴾ والظَّمأُ: العطشُ، وخُصَّ الظَّمآن بالذِّكرِ لشدَّةِ حاجتِه إلى الماءِ.

﴿حَتَّى إِذَا جَاءَهُ﴾ أي: جاءَ إلى ما توهَّمَه أنَّه ماءٌ ﴿لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾؛ أي: لـم يجـدْه كمـا ظنَّه.

وقيل: جاءَ إلى الموضعِ الذي ظنَّ أنَّ فيه الماءَ.

وقيل: لـم يجِدْ موضعَ السَّرابِ.

وقيل: ﴿شَيْئًا﴾ مصدرٌ؛ أي: لـم يجِدْه وجودًا.

﴿وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ﴾ يُريدُ: كذلك الكافرُ إذا جاءَ عملَه الذي ظنَّ أنَّه ينفعُه لـم يجِدْه نافعًا كما ظنَّ ﴿وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ﴾؛ أي: عند الكافرِ؛ أي: جزاءَ اللهِ. وقيل: وجدَ اللهَ مُحاسِبًا إياه. وقيل: ﴿وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ﴾ يريدُ: الموتَ، ووحَّد بعد تقدُّمِ الجمعِ حملًا على كلِّ واحدٍ من الكفَّارِ.

---

(١) في (ف): «قيل».

﴿فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ﴾: أعطاه جزاءَه وافيًا كَمَلًا.

﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾: إذا حاسبَ فحسابُه سريعٌ.

وقيل: هو تقريبُ زمانِ الحسابِ، وهو القيامةُ(١).

نزلت في شيبةَ بنِ ربيعةَ، وكان يترهَّبُ في الجاهليَّةِ، ويلبسُ الصُّوفَ، ويطلبُ الدِّينَ، فكفرَ في الإسلامِ(٢).

***

(٤٠) ـ ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾.

﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ﴾ (أو) للتَّخييرِ على تقديرِ: شبِّهْ أعمالَ الكفَّارِ بأيِّهما شئتَ، وتقديرُ الآيةِ: أو كصاحبِ ظُلماتٍ ﴿فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ﴾ عظيمِ اللُّجَّةِ، وقيل: عميقٍ.

ولُـجَّةُ البحرِ: المكانُ الذي يكثرُ فيه الماءُ ويستديرُ.

ابنُ عيسى: البحرُ الواسعُ الذي لا يُرى ساحلُه.

الكلبيُّ: البحرُ الكثيرُ الموجِ(٣).

﴿يَغْشَىٰهُ﴾: يَغْشَى البحرَ، وقيل: صاحبَ الظُّلماتِ؛ أي: مَن فيها؛ يريدُ: يعلوه فيُغطِّيه ﴿مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ﴾؛ أي: من فوقِ الموجِ موجٌ آخرُ.

وقيل: الموجُ الثَّاني: الرِّيحُ.

وقيل: تقديرُه: موجٌ من بعدِه موجٌ؛ أي: موجٌ يَتبعُ بعضُه بعضًا.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٠٠)، واستغربه.

(٢) ذكره مقاتل في «تفسيره» (٣/ ٢٠٢)، والماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ١١٠).

(٣) ذكر الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ١١٠) قول ابن عيسى والكلبي.

﴿مِّن فَوۡقِهِۦ سَحَابٌ﴾؛ أي: من فوقِ الموجِ الثَّاني سحابٌ قد غطَّى النُّجومَ التي يُهتَدَى بها.

﴿ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ﴾؛ أي: هذه ظلماتٌ بعضُها فوقَ بعضٍ، ومَن جرَّها فعلى البدلِ، ومَن أضافَ[١] فكما تقولُ: سحابُ رحمةٍ، وسحابُ عذابٍ.

وقيل: ﴿ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ﴾؛ أي: شدائدُ قد اجتمعَت.

﴿إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ﴾؛ أي: صاحبُ الظُّلماتِ، وهو الذي فيها، إذا أخرجَ يدَه، وهي أقربُ الأشياءِ إليه ﴿لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَا﴾: لا يراها ولا يقرُبُ من رؤيتِها.

الفرَّاءُ: يراها بعدَ أنْ كادَ لا يراها[٢].

وقيل: إذا قالَ مع الماضي فقد فعلَ، وهو إثباتٌ، وإذا قال مع المستقبلِ فلم يفعل فهو نفيٌ[٣].

﴿وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ أي: مَن لم يهدِه اللهُ فلا هاديَ له.

وقيل: مَن لم يجعلِ اللهُ له هدايةً فما له ما يُفلِحُ به على وجهٍ منَ الوجوهِ.

وقيل: مَن لم يجعلِ اللهُ له في الآخرةِ سبيلًا ودلالةً إلى النَّجاةِ فلا سبيلَ ولا نجاةَ له.

---

(١) قرأ ابن كثير (سحابٌ ظلماتٍ)، وقرأ البزي (سحابُ ظلماتٍ)، وقرأ الباقون بالرفع والتنوين فيهما. انظر: «السبعة» (ص: ٤٥٧)، و«التيسير» (ص: ١٦٢).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٧٢).

(٣) أي: إذا كان الفعل (كاد) بصيغة الماضي، وجاء منفياً، دلَّ على وقوع الفعل الذي بعده، نحو: ما كاد ينتصر؛ أي: هو انتصر بصوبة، أما إذا جاء بصيغة المضارع منفياً فيدل على عدم مقاربة الفعل، نحو: ما يكاد يرجع؛ أي: لا يرجع ولا يقارب الرجوع، وقد ذكر المصنف هذ القول وقول الفراء في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٠٠)، واستغربهما.

وقيل: مَن لم يرزُقْه اللهُ هدًى منَ الضَّلالةِ ومعرفةً بكتابِه فما له إيمانٌ ومعرفةٌ.

والمعنى عند الزَّجَّاجِ: أنَّ أعمالَ الكفَّارِ؛ إنْ شُبِّهت بما لا يُوجدُ فهي كالسَّرابِ، وإن مُثِّلتْ بما يُرَى فهي كهذه الظُّلماتِ(١).

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: الظُّلماتُ: أعمالُ الكافرِ، والبحرُ اللُّجِّيُّ: قلبُه، يغشاهُ موجٌ: غِشاوةٌ على القلبِ والسَّمعِ والبصرِ(٢).

قتادةُ: الكافرُ يتقلَّبُ في خمسٍ مِن الظُّلَمِ: كلامُه ظلمةٌ، وعملُه ظلمةٌ، ومَدخلُه ظلمةٌ، ومَخرجُه ظلمةٌ، ومصيرُه إلى الظُّلماتِ(٣).

وقيل: معناه: هو في حَيرةٍ من كُفرِه كصاحبِ هذه الظُّلماتِ.

* * *

(٤١) ـ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ﴾ ألـم تعلَمْ علمًا يقومُ مقامَ الرُّؤيةِ. وقيل: هذا تنبيهٌ؛ أي: تنبَّه.

﴿يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾؛ أي: أهلُها.

والتَّسبيحُ: التَّمجيدُ والتَّنزيهُ. وقيل: الصَّلاةُ.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٤٨).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٣٣٠) بلفظ قريب، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦١٣) بلفظ: «﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ﴾ يعني: بالظلام الأعمال، وفي قوله: ﴿فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ﴾ قال: البحر اللجي قلب الإنسان».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٣٣١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦١٤)، والحاكم في «المستدرك» (٣٥١٠)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٢٥٤)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

﴿وَٱلطَّيۡرُ صَٰٓفَّٰتٖ﴾: باسطاتٍ أجنحتَها؛ يُريدُ: في تلك الحالةِ، فإنَّ الأُعجوبةَ فيها أكثرُ.

﴿كُلّٞ﴾؛ أي: كلُّ واحدٍ منهم ﴿قَدۡ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسۡبِيحَهُۥ﴾ فيه قولان:

أحدهما: لكلِّ واحدٍ منَ الطَّيرِ وغيرِها منَ البهائمِ والحشراتِ تسبيحٌ وصلاةٌ تليقُ به، يُسبِّحون اللهَ ويُصلُّون له، لا نقِفُ نحن على ذلك.

والثّاني: تسبيحُه وصلاتُه: دلالتُه على وحدانيَّة اللهِ، وحملُ غيرِه على التَّسبيح.

والمطيعون لهم تسبيحانِ: تسبيحُ عملٍ، وتسبيحُ دلالةٍ.

وقيل: صوتُ كلِّ شيءٍ تسبيحُه، وحركتُه صلاتُه[1].

وفي فاعلِ ﴿عَلِمَ﴾ وجهان:

أحدُهما: ضميرُ ﴿كُلّٞ﴾، والهاءُ[2] يعودُ إليه أيضًا؛ أي: ما يليقُ به، وقيل: الهاءُ يعودُ إلى اللهِ سبحانه وتعالى.

والثّاني: أنَّ فاعلَ ﴿عَلِمَ﴾ هو اللهُ، والضَّميرُ يعودُ إلى ﴿كُلّٞ﴾.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ﴾: لا يَخفى عليه شيءٌ.

***

(٤٢) ـ ﴿وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾.

﴿وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾؛ أي: خالقُهما ومُكوِّنُهما، ومَن ملكَ أمرًا في الدُّنيا فبتمليكِه إيَّاه ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ مرجعُ كلِّ مُملَّكٍ ومخلوقٍ.

***

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٠١)، واستغربه.

(٢) في كلمة ﴿صَلَاتَهُۥ﴾.

(٤٣) - ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي﴾: يُنشِئُ، وقيل: يَسُوقُ. وقيل: يُخرجُه شيئًا فشيئًا. و(بضاعةٌ مُزجاةٌ) يُمكِنُ تخريجُه على الأوجهِ الثَّلاثةِ[1].

﴿سَحَابًا﴾: جمعُ سحابةٍ.

﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ﴾؛ أي: يجمعُه، والتَّأليفُ: جمعُ الشَّيءِ إلى الشَّيءِ على استواءٍ ﴿بَيْنَهُ﴾ بين قِطَعِ السَّحابِ ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا﴾ يُرَكِّبُ بعضَه بعضًا، ويَجعلُ بعضَه فوقَ بعضٍ. وقيل: يجعلُه قِطعًا قِطعًا.

وقيل: فيه تقديمٌ وتأخيرٌ تقديرُه: يُزجي سحابًا ثمَّ يجعلُه رُكامًا ثمَّ يُؤلِّفُ بينه، تقولُ: رَكَمْتُ المتاعَ وغيرَه: إذا وضعتَ بعضَه فوقَ بعضٍ.

﴿فَتَرَى الْوَدْقَ﴾: المطرَ، و(الوَدْقُ) المصدرُ أيضًا، تقولُ: وَدَقَ السَّحابُ يَدِقُ وَدْقًا.

وقيل: الوَدْقُ: الماءُ، ومنه: استَوْدَقتِ الفرسُ[2].

وقيل: الوَدْقُ: البرقُ[3].

﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾: من أثنائِه، قيل: هو واحدٌ، وقيل: هو جمعٌ، وخَلَلٌ وخِلالٌ كجَمَلٍ وجِمالٍ.

---

(١) وقد خرّجه المصنف في سورة (يوسف) على معنى: يسوق؛ قال: «وأصله من الدفع».

(٢) أي: اشتهت الفحل، يقال لذوات الحافر إذا أرادت الفحل: وَدَقَتْ تَدِقُ وَدْقاً، وأَوْدَقَتْ، واسْتَوْدَقَتْ.

انظر: «الصحاح» مادة: (و د ق)، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٠١)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٠١)، وعدَّه من العجائب.

﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَآءِ﴾ ﴿مِنَ﴾ لابتداءِ الغايةِ، ومحلُّه نصبٌ على الظَّرفِ ﴿مِن جِبَالٍ فِيهَا﴾ ﴿مِن﴾[1] هو لابتداءِ الغايةِ أيضًا، والجبالُ بدلٌ منَ ﴿السَّمَآءِ﴾ بدلُ البعضِ منَ الكلِّ، والضَّميرُ في ﴿فِيهَا﴾ يعودُ إلى ﴿السَّمَآءِ﴾، ﴿مِن بَرَدٍ﴾ ﴿مِن﴾ لتبيينِ أنَّ الجبالَ منَ البرَدِ، والمعنى: من السَّماءِ جبالٌ[2] من برَدٍ ينحدِرُ عنها البرَدُ على السَّحابِ ثمَّ على الأرضِ، فيكونُ المفعولُ محذوفًا؛ أي: يُنزِّلُ من جبالِ السَّماء برَدًا.

وقيل: الثّانيةُ للتَّبعيضِ في موضعِ المفعولِ به، والثّالثةُ للتَّبيينِ، كأنَّه بيَّنَ من أيِّ شيءٍ تلك الجبالُ، ومحلُّه رفعٌ، كأنَّه قال: ويُنزِّلُ من السَّماءِ جبالًا فيها برَدٌ.

وذهب جماعةٌ منَ المُفسِّرين إلى أنَّ المُرادَ بالجبالِ: التَّكثيرُ والتَّعظيمُ، لا التي هي خلافُ السَّهلِ، وأنشَدُوا لابنِ مُقبلٍ:

إِذا متُّ عَنْ ذِكْرِ الْقَوافِي فَلَنْ تَرَى ... لَها شاعِرًا مِثْلِي أَطَبَّ وَأَشْعَرا

وَأَكْثَرَ بَيْتًا شاعِراً ضُرِبَتْ بِهِ ... بطونُ جِبالِ الشِّعْرِ حَتَّى تيسَّرا[3]

وقيل: السَّماءُ: السَّحابُ، والجبالُ: العِظامُ منَ السَّحابِ.

ابنُ عيسى: ﴿مِنَ﴾ الأولى لابتداءِ الغايةِ، والثّانيةُ للتَّبعيضِ، والثّالثةُ لتبيينِ الجنسِ[4].

---

(١) في (ف): «قيل: ﴿مِّن﴾».

(٢) في (ن): «والمعنى في السماء من جبال».

(٣) انظر: «ديوان ابن مقبل» (ص: ١١١)، و«الشعر والشعراء» (١/ ٤٨٨)، و«الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري» (٣/ ٧٠٢)، و«الحجة» للفارسي (٥/ ٣٣)، و«دلائل الإعجاز» (ص: ٥١٢).
والرواية في بعض المصادر: «وأكثر بيتا مارداً» وفي بعضها: «سائراً»، وفي بعض المصادر: «حزون جبال الشعر».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٠٢) قال: «يشكل على هذا العائد من ﴿فِيهَا﴾».

ابنُ بحرٍ: الجبالُ: ما جبَلَه اللهُ منَ البرَدِ؛ أي: خلقَه، وكلُّ جسمٍ شديدٍ جبَلٌ، ومنه الجِبلّةُ[١].

والبَرَدُ: ماءٌ جامدٌ خلقَه اللهُ في السَّحابِ ثمَّ ينزلُ.

وقيل: يصيرُ في الهواءِ بَرَدًا.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: البَرَدُ: الثَّلجُ[٢].

﴿فَيُصِيبُ بِهِۦ﴾؛ أي: بالبرَدِ ﴿مَن يَشَآءُ﴾؛ أي: يُصيبُ الإنسانَ وزَرْعَه ﴿وَيَصۡرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ﴾ فلا يُصيبُه.

ويقالُ: ﴿يُصيبُ به مَن يشاءُ﴾، يُعذِّبُ به مَن يشاءُ، ﴿ويصرِفُه عمَّن يشاءُ﴾ فلا يعذِّبُه به.

﴿يَكَادُ سَنَا بَرۡقِهِۦ﴾: ضوءُه. قتادةُ: لمعانُ برقِه[٣].

وسنا كلِّ شيءٍ: ضوءُه، والسَّناءُ الممدودُ[٤]: المجدُ، وأصلُها منَ الرِّفعةِ، تقولُ: أسنَيْتُ النَّارَ إسناءً، وسَنا البرقُ يسنُو سَنًا، وسَنا الرَّجلُ سناءً.

وقيل: ﴿سَنَا بَرۡقِهِۦ﴾ صوتُ برقِه، فتكونُ قوَّةُ البرقِ دليلًا على تكاثُفِ السَّحابِ، ونذيرًا بقوَّةِ المطرِ، ومُحذِّرًا من نزولِ الصَّواعقِ.

﴿يَذۡهَبُ بِٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾: يذهبُ بعيونِ النّاظرين إليه، والنَّظرُ إلى عينِ الشَّمسِ وإلى البرقِ مُضِرٌّ بالبصرِ. وقراءةُ أبي جعفرٍ شاذَّةٌ[٥]، والباءُ زيادةٌ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٠٢)، وعدَّه من العجائب.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٠٢) عن ابن عيسى، وعده من العجائب.

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٠٥٣)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٣٣٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦١٩).

(٤) قرأ طلحة بن مصرف: (سناء برقه) وهي قراءة شاذة. انظر: «المحتسب» لابن جني (٢/ ١١٤)، و«شواذ القراءات» لشمس القراء الكرماني (٢/ ١١٤).

(٥) قرأ أبو جعفر: (يُذْهِبُ) بضم الياء وكسر الهاء. انظر: «النشر» (٢/ ٣٣٢).

(٤٤) - ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾.

﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: ما يزيدُ في أحدِهما ينقصُ مِنَ الآخرِ.

والثّاني: هو أن يأتيَ باللَّيلِ بعد النَّهارِ، وبالنَّهارِ بعد اللَّيلِ.

والثّالثُ: تغييرُ النَّهارِ بظُلمةِ السَّحابِ تارةً وبضوءِ الشَّمسِ تارةً[١] أُخرى، وتغييرُ اللَّيلِ بظُلمةِ السَّحابِ مرَّةً وبضوءِ القمرِ مرَّةً أخرى[٢].

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾: فيما تقدَّمَ منَ السَّحابِ وما يظهرُ منه ﴿لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ لعِظَةً لذوي العقولِ.

* * *

(٤٥) - ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ مِّن مَّآءٖۖ فَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ بَطۡنِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ رِجۡلَيۡنِ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰٓ أَرۡبَعٖۚ يَخۡلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾.

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ﴾؛ أي: كلَّ حيوانٍ يَدِبُّ من عاقلٍ وبهيمةٍ ﴿مِّن مَّآءٖ﴾ يعني: النُّطفةَ، وهي: الماءُ الذي يخرجُ من بينِ الصُّلبِ والتَّرائبِ.

وقيل: يريدُ به: جميعَ المخلوقاتِ؛ لأنَّ اللهَ سبحانه خلقَ الماءَ أوَّلًا، ثمَّ قلبَ الماءَ نارًا وخلقَ منها الجنَّ، وقلبَه ريحًا وخلقَ الملائكةَ منها، ثمَّ أحالَه طينًا وخلقَ منه آدمَ[٣].

---

(١) «تارة»: ليس في (ف).

(٢) «أخرى»: ليس في (ف).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٠٢)، واستغربه.

وسألَ أبو هريرةَ رضي الله عنه رسولَ اللهِ ﷺ: ممَّ خَلَقَ اللهُ الخلقَ؟ فقال عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «مِنَ الماءِ»(١).

﴿فَمِنْهُم﴾ لمَّا اجتمعَ العاقلُ مع غيرِ العاقلِ جعلَ الغلبةَ للعاقلِ فقالَ: ﴿فَمِنْهُم﴾ بلفظِ جمعِ العقلاءِ، ثمَّ فصَّلَ تفصيلَ العقلاءِ فقال: ﴿مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ﴾ وإنْ لم يكُنْ ذلك في العقلاءِ؛ ليُوافقَ التَّفصيلُ الجملةَ.

والمرادُ بالماشي على بطنِه: الحيَّةُ. وقيل: الحوتُ.

قال أبو عبيدةَ: لا يكونُ المشيُ بالبطنِ(٢).

الزَّجَّاجُ: يُقالُ لكلِّ مُستمرٍّ: ماشٍ، حتَّى يُقالَ: قد مشى هذا الأمرُ(٣).

﴿وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ﴾ كالإنسانِ والطَّيرِ وغيرِ ذلك.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ﴾ كالأنعامِ والوحوشِ والسِّباعِ.

وفي مصحفِ أُبيٍّ: (ومنهم مَن يمشي على أكثرَ من ذلك)(٤)، وقال الجمهورُ في قولِه عقيبَه: ﴿يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾: ذكرَ ما يمشي على أكثرَ مِن أربعٍ.

وقيل: ما زادَ رجلُه على أكثرَ من أربعٍ فاعتمادُه في مشيِه على أربعٍ في الجهاتِ الأربعِ(٥).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ ممَّا ذُكِرَ وبُيِّنَ ﴿قَدِيرٌ﴾ قادرٌ على الكمالِ.

---

(١) رواه الترمذي (٢٥٢٦)، وقال: «هذا حديث ليس إسناده بذاك القوي، وليس هو عندي بمتصل».

(٢) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٦٨).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٥٠).

(٤) ذكره السمعاني في «تفسيره» (٣/ ٥٤٠)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ١٩١)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٠٣)، واستغربه.

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٠٣)، وعدَّه من العجائب.

(٤٦) ـ ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍۚ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾.

﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ ﴾ أي: أحكامًا وفرائضَ.

وقيل: علاماتٍ ودلائلَ.

﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى﴾: يُرشِدُ ﴿مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾: إلى دينِ الإسلامِ.

وقيل: إلى[1] طريقِ الجنَّةِ.

وقيل: هذه متَّصلةٌ بالأولى؛ أي: واللهُ يهدي مَن يشاءُ منَ المخلوقِ منَ الماءِ إلى الإسلامِ[2].

* * *

(٤٧) ـ ﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ ﴾ نزلت في بِشرٍ المُنافقِ، كان بينَه وبين يهوديٍّ خُصومةٌ، واليهوديُّ يدعوه إلى النَّبيِّ ﷺ وبِشرٌ يدعوه إلى كعبِ بنِ الأشرفِ، ويقولُ: محمَّدٌ يحيفُ علينا[3].

---

(١) «إلى»: ليس في (ف).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٠٣)، واستغربه.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٢٠٥)، وعن مقاتل ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٥١٩)، والواحدي في «البسيط» (١٦/ ٣٣٢)، وهو دون عزو في «تفسير الثعلبي» (١٩/ ٣٠٠)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٣٢٧).

ورواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ١٩٣ ـ ١٩٤) عن مجاهد في سبب نزول قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [النساء: ٦٠]، وكذا رواه الواحديُّ في «أسباب النزول» (ص: ١٦١)، عن قتادة والشعبي، وعن ابن عباس من رواية الكلبي عن أبي صالح عنه.

ورَوى الكلبيُّ: أنَّها نزلت في عثمانَ وعليٍّ رضي الله عنهما، تنازَعا في أرضٍ، وطعَنَ في هذا القولِ جماعةٌ منَ المفسِّرين(١).

وقيل: نزلت في المُغيرةِ بنِ وائلٍ مِن بني أميَّةَ، كانت بينَه وبين عليٍّ رضي الله عنه خُصومةٌ في ماءٍ وأرضٍ، فامتنعَ المغيرةُ أن يُحاكِمَ عليًّا رضي الله عنه إلى رسولِ الله ﷺ فقال: إنَّه يُبغِضُني، فنزلت: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعۡنَا﴾(٢)؛ أي: وأطَعْنا اللهَ والرَّسولَ، ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ﴾: يُعرِضُ عنِ الإيمانِ ﴿فَرِيقٞ مِّنۡهُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: بعدَ قولِهم: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ﴾.

﴿وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ قيل: المُخلِصين. وقيل: المُصدِّقين.

---

(١) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٥١٩)، وقال: «قال بعضهم: هذا التفسير الذي ذكره الكلبي غير صحيح؛ لأن قوم عثمان كانوا مؤمنين من الذين هاجروا معه إلى المدينة، وقد ذكر أنهم ليسوا بمؤمنين».

وذكره الماتريدي في «تفسيره» (٧/ ٥٨٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما، ولعله من رواية الكلبي عنه، وقد ورد في «تنوير المقباس من تفسير ابن عباس» للفيروزابادي (ص: ٢٩٨)، وعلى كل فالكلبي متروك، ورواياته ساقطة.

(٢) ذكره دون عزو الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ١١٥)، والقرطبي في «تفسيره» (١٥/ ٣١٥)، وعزاه الجرجاني في «درج الدرر» (٢/ ٣٧٢) والرازي في «تفسيره» (٢٤/ ٤١٠) للضحاك.

وأورد الخبر أيضاً بعض المتأخرين من المفسرين كابن عادل والنيسابوري والخطيب الشربيني وأبي السعود والآلوسي وابن عاشور وغيرهم، لكني لم أقف للمغيرة بن وائل هذا على ذكر في شيء من كتب السيرة والتاريخ والتراجم، ولم يعرَّف به أحد ممن أورد الخبر من المفسرين، سوى قول ابن عاشور عند ذكره لهذا الخبر: «وقيل: إن أحد المنافقين اسمُه المغيرةُ بنُ وائلٍ من الأوسِ من بني أُميَّةَ بن زيدٍ الأوسيِّ تَخاصَم مع عليِّ بن أبي طالبٍ في أرضٍ...». الخبر لم يرد من طريق يحتج بها.

والضَّميرُ يعودُ إلى المنافقين، وقد تقدَّمَ في السُّورةِ ذِكرُهم، وقيل: هو كنايةٌ عن غيرِ مذكورٍ.

***

(٤٨) ـ ﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ﴾.

﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ﴾؛ أي: ليحكُمَ النَّبيُّ، وحُكمُ النَّبيِّ حكمُ اللهِ، ﴿إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ﴾ أي: فاجأَ من فريقٍ منهم الإعراضُ.

***

(٤٩) ـ ﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ﴾.

﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ﴾؛ أي: القضاءُ، لا عليهم ﴿يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ﴾: طائعين مُنقادين، والإذعانُ: الطَّاعةُ والانقيادُ.

***

(٥٠) ـ ﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ أَمۡ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ شكٌّ ونفاقٌ. وقيل: بغضٌ وعداوةٌ للهِ ورسولِه.

﴿أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ﴾: أم كانوا مُخلِصين ثمَّ رأوا منك أمرًا رابَهم وأورَثَهم تُهمةً.

﴿أَمۡ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥ﴾: أم جوَّزوا في أنفُسِهم أن يميلَ رسولُ ﷺ في بعضِ حُكْمِه فخافوكَ وعدَلوا من حُكمِكَ لواحدٍ من هذه الثَّلاثِ؟

وجاءَ بلفظِ الاستفهامِ؛ لأنَّه أشدُّ في الذَّمِّ والتَّوبيخِ.

﴿بَلۡ﴾ أضربَ بـ﴿بَلۡ﴾ عن الحيفِ.

وقيل: أضربَ بـ﴿بَلۡ﴾ عن أن يكونَ رسولُ اللهِ ﷺ يَحيفُ على أحدٍ في حُكمِه.

﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾: المُنافقون الكافرون.

وقيل: معناه: ليس من جهةِ رسولِ اللهِ ﷺ ما يُرتابُ به، ولكنَّهم كافرون ظالمون لأنفُسِهم حين امتَنَعُوا منَ الإذعانِ لحكمِ اللهِ ورسولِه.

* * *

(٥١) ـ ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾؛ أي: يحكمَ النَّبيُّ بينَهم بحُكمِ اللهِ الذي أمرَ به في القرآنِ؛ أن يقولوا: ﴿سَمِعْنَا﴾ قولَ النَّبيِّ ﴿وَأَطَعْنَا﴾ أمرَه.

﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾: الفائزون الباقون في النَّعيمِ المقيمِ.

* * *

(٥٢) ـ ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾.

﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾؛ أي: يُطعِ اللهَ في الفرائضِ ورسولَه في السُّننِ ﴿وَيَخْشَ اللَّهَ﴾؛ أي: عقابَه ﴿وَيَتَّقْهِ﴾ فيحترزْ أن يعصيَه.

وقيل: ﴿وَيَخْشَ اللَّهَ﴾ في الحالِ، ﴿وَيَتَّقْهِ﴾ في الاستقبالِ.

وقيل: الخشيةُ: خوفٌ مع اعتقادِ عِظَمِ المَخشيِّ، والاتِّقاءُ: الاحترازُ منَ العصيانِ والتَّقصيرِ في المأمورِ.

﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ بالثَّوابِ، النَّاجونَ منَ العقابِ.

* * *

(٥٣) ـ ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُل لَّا تُقْسِمُواْ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ﴾؛ أي: حلَفَ المُنافقون باللهِ ـ وهو جَهْدُ اليمينِ؛ لأنَّهم بذَلوا فيها مجهودَهم ـ: لَئِنْ أَمَرَنا محمَّدٌ (ﷺ) بالخروجِ إلى الغزوِ لغزَوْنا.

وقيل: بالخروجِ منَ الدِّيارِ لخرَجْنا.

وقال الكلبيُّ: أقسمَ عثمانُ لَئِنْ أمرْتَني لأخرُجَنَّ منَ الأرضِ المُتنازَعِ فيها، ولأدفعَنَّها إلى عليٍّ رضي الله عنه، وقد سبقَ(١).

﴿قُل لَّا تُقْسِمُواْ﴾ لأنَّكم تكذِبونَ في القَسَمِ، وذلك معصيةٌ.

﴿طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ﴾ فيها قولان:

أحدهما: طاعةٌ معروفةٌ أفضلُ وأولى من هذا القَسَمِ.

والثَّاني: طاعةٌ معروفةٌ منكم؛ أي: أنَّها بالقولِ دونَ الاعتقادِ(٢).

وفي ارتفاعِه قولانِ:

أحدهما: بالخبرِ، والمُبتدأُ مقدَّرٌ؛ أي: هذه طاعةٌ.

والثَّاني: بالابتداءِ، والخبرُ مُقدَّرٌ؛ أي: أفضلُ.

وقيل: لِيكُنْ منكم طاعةٌ وقولٌ معروفٌ.

ابنُ بحرٍ: معناه: لا تحلِفوا على الطَّاعةِ؛ فإنَّها إذا وقعَت عُرِفَت.

---

(١) سبق قريبًا، وهو خبر ساقط.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٠٣)، واستغربه.

وقيل: إنَّما وصفَها بالمعروفِ لأنَّه ﷺ كان يأمرُهم بالمعروفِ لا بالمُنكرِ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾: عالمٌ بما تُظهِرون وما تُضمِرون لا يخفَى عليه شيءٌ من أعمالِكم.

***

(٥٤) ـ ﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيۡكُم مَّا حُمِّلۡتُمۡۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾.

﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾: تُعرِضُوا عن طاعتِه ﴿فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ مَا حُمِّلَ﴾؛ أي: على محمَّدٍ ﷺ تبليغُ الرِّسالةِ، وقد بلَّغها ﴿وَعَلَيۡكُم مَّا حُمِّلۡتُمۡ﴾؛ أي: عليكم امتِثالُ ما يأمرُكم ومُتابعتُه وطاعتُه.

﴿وَإِن تُطِيعُوهُ﴾ فيما يأمـرُكم وينهاكُم ﴿تَهۡتَدُواْ﴾ إلى الحقِّ والرُّشدِ والجنَّةِ.

﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾؛ أي: الإبـلاغُ. وقيـل: البلـوغُ. وليـس عليـه مضـرَّةٌ مـن معصيتِكُم.

***

(٥٥) ـ ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ قيل: المُرادُ به: المُهاجرون، ولهذا قال: ﴿مِنكُمۡ﴾[1]. وقيل: هو عامٌّ، و﴿مِنكُمۡ﴾ للتَّبيينِ.

﴿لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ الاستِخلافُ: طلَبُ قيامِ اللَّاحقِ مَقامَ السَّابقِ، واللَّامُ لامُ جوابِ القسَمِ، واليمينُ مُضمَرٌ، والقولُ مُقدَّرٌ، وفي ﴿ٱلۡأَرۡضِ﴾ قولان:

---

(١) و(من) على هذا القول على أصلها؛ تدل على التبعيض.

أحدُهما: أرضُ مكَّة، وكان المُهاجرون يسألونَ اللهَ ذلك.

وقيل: جميعُ الأرضِ، رَوَى مقدادٌ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «لا يبقَى على الأرضِ بيتُ مَدَرٍ ولا وَبَرٍ إلَّا أدخلَه اللهُ كلمةَ الإسلامِ بعزِّ عزيزٍ وذلِّ ذليلٍ، إمَّا أن يُعِزَّهم اللهُ فيجعلَهم من أهلِها، وإمَّا أن يُذِلَّهم فيَدِينون لها»[1].

وعن النَّبيِّ ﷺ: «الخلافةُ بعدي ثلاثون سنةً ثمَّ تكونُ ملكًا»[2].

﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ فيه قولان:

أحدُهما: هم بنو إسرائيلَ، استخلَفَهم اللهُ أرضَ الشَّامِ بعد إهلاكِ الجبابرةِ.

والثَّاني: هو ما كان في زمنِ داودَ وسليمانَ عليهما السَّلامُ، وكان الغالبَ على الأرضِ المؤمنون.

﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ﴾ يعني: الإسلامَ، وتمكينُه: إظهارُه على الدِّينِ كلِّه.

وقيل: إعزازُ أهلِه وإذلالُ الشِّركِ وأهلِه.

وقيل: تمكينُه: إظهارُ الإيمانِ بعد الإخفاءِ.

﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ قيل: خوفُهم في الدُّنيا منَ الأعداءِ أمنًا فيها.

وقيل: بعد خوفِهم من عقابِ اللهِ في الدُّنيا أمنًا في الآخرةِ.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٣٨١٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٦٩٩)، والحاكم في «المستدرك» (٨٣٢٤) وصححه. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ١٤): «ورجال أحمد رجال الصحيح».

(٢) رواه أبو داود (٤٦٤٦)، والترمذي (٢٢٢٦)، عن سفينة رضي الله عنه. وقال الترمذي: «حديث حسن».

والتَّبديلُ: تغييرُ الحالِ مع بقاءِ الأصلِ، والإبدالُ: جعْلُ الشَّيءِ[1] مكانَ الشَّيءِ، وقد يُوضعُ كلٌّ واحدٍ مكانَ الآخرِ.

﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا﴾ حالٌ؛ أي: عابدين للهِ غيرَ مشركِين به.

وقيل: ذلك استئنافٌ؛ أي: هم يَعبدونني.

﴿وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: بعد الوعدِ وارتدَّ، وقيل: مَن كفرَ بهذه النِّعمةِ ﴿فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾: الكافرون.

وقيل: المُذنبون.

وقيل: معنى قولِه: ﴿لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا﴾: لا يخافون غيري.

* * *

(٥٦) - ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ المفروضةَ ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ الواجبةَ ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ بإجابتِه إلى ما دعاكُم إليه ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ فإنَّها من مُوجباتِ الرَّحمةِ.

﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: فائتين، وقيل: سابقين، تقولُ: أعجزَه: جعلَه عاجزًا، أو وجدَه عاجزًا، أو نسبَه إلى العجزِ.

* * *

(٥٧) - ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾.

مَن قرأ بالتَّاءِ جعلَ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ المفعولَ الأوَّلَ، و﴿مُعْجِزِينَ﴾ المفعولَ الثَّانيَ، والتَّاءُ خطابٌ للنَّبيِّ ﷺ، وهو الفاعلُ.

---

(١) ذكره ابن فورك في «تفسيره» (١/ ١٦٠)، وفيه إشارة إلى اختلاف القراء في ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم﴾؛ فقد قرأها نافع وأبو عمرو وحمزة والكسائي وابن عامر وحفص عن عاصم مشددة من التبديل، وقرأها ابن كثير وعاصم في رواية أبي بكر مخففة من الإبدال. انظر: «السبعة» (ص: ٤٥٨)، و«التيسير» (ص: ١٦٣).

ومَن قرأ بالياءِ[١] فـ﴿ٱلَّذِينَ﴾ في محلِّ رفعٍ بالفعلِ، والمفعولُ الأوَّلُ محذوفٌ على تقديرِ: أنفُسَهم، و﴿مُعۡجِزِينَ﴾ المفعولُ الثَّاني، وهذا قولُ البصريِّين، وفيه ضعفٌ.

وقال الكوفيُّون: ﴿مُعۡجِزِينَ﴾ المفعولُ الأوَّلُ، و﴿فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ الثَّاني، وهو خطأٌ[٢].

ويحتمِلُ أنَّ الياءَ لمن له التَّاءُ عدلَ من الخطابِ إلى الغيبةِ[٣].

﴿وَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ﴾: مرجعُهم ومنقلَبُهم، وهو استئنافُ كلامٍ ﴿وَلَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾؛ أي: المرجعُ؛ يعني: النَّارَ.

* * *

(٥٨) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾ في سببِ النُّزولِ: قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: وجَّهَ رسولُ اللهِ ﷺ غلامًا منَ الأنصارِ يقالُ له: مُدلجُ بنُ عمرٍو وقتَ الظَّهيرةِ إلى عمرَ بنِ الخطّابِ رضي الله عنه ليدعُوَه، فدخلَ فرأى عمرَ بحالةٍ كرِهَ عمرُ رُؤيتَه ذلك، فقال: يا رسولَ اللهِ؛ ودِدْتُ لو أنَّ اللهَ أمرَنا ونهانا في حالِ الاستئذانِ، فأنزلَ اللهُ هذه الآيةَ[٤].

---

(١) قرأ ابن عامر وحمزة بالياء، والباقون بالتاء. انظر: «السبعة» (ص: ٣٠٧)، و«التيسير» (ص: ١٦٣).

(٢) ذكره الفراء في «معاني القرآن»، (٢/ ٢٥٩) وضعَّفه، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٠٤)، وعدَّه من العجائب.

(٣) فالفاعل ضمير يعود إلى النبي ﷺ، وتكون قراءة الياء على هذا بمعنى قراءة التاء. انظر: «الحجة» لأبي علي (٢/ ٣٣٢).

(٤) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٥٢٢)، والثعلبي في «تفسيره» (١٩/ ٣١٤)، والواحدي =

وعن مُقاتلٍ قال: نزلَتْ في أسماءَ بنتِ مُرشدٍ، كان لها غلامٌ كبيرٌ، فدخلَ عليها في وقتٍ كرِهَتْه، فأتَتْ رسولَ اللهِ ﷺ فقالت: إنَّ خدَمَنا وغلمانَنا يدخُلون علينا في حالٍ نكرَهُها، فأنزلَ اللهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ يعني: العبيدَ والإماءَ[1].

ابنُ عمرَ رضي الله عنه: هو على الذُّكورِ دونَ الإناثِ[2].

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: الإماءُ؛ لأنَّ على العبيدِ أن يستأذِنُوا في هذه الأوقاتِ وغيرِها[3].

= في «أسباب النزول» (ص: ٣٢٩)، والبغوي في «تفسيره» (٦/ ٦٠)، والرازي في «تفسيره» (٢٤/ ٤١٦)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٣٠٥)، عن ابن عباس رضي الله عنهما دون سند. وذكره الواحدي في «البسيط» (١٦/ ٣٥٢) عن الكلبي.

وهو من رواية السديّ الصغير، عن الكلبيّ، عن أبي صالح، عن ابن عباس؛ رواه كذلك ابن منده كما في «الإصابة» (٦/ ٥٠). والسدي الصغير هو محمد بن مروان: كذاب، والكلبي متروك، وأبو صالح لم يسمع من ابن عباس رضي الله عنهما.

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١١٦)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٢٩)، والبغوي في «تفسيره» (٦/ ٦٠)، وأبو حفص النسفي في «التيسير في التفسير» عند هذه الآية، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٣٠٥)، جميعهم عن مقاتل، وصرح النسفي بأنه مقاتل بن حيان، وكذا رواه بنحوه عن مقاتل بن حيان ابنُ أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦٣٣)، لكنه ورد أيضًا في «تفسير مقاتل بن سليمان» (٣/ ٢٠٧)، ولعله مروي عن كليهما، فقد جاء في «البسيط» للواحدي (١٦/ ٣٥٢): وقال المقاتلان... فذكره.

ووقع في اسم صاحبة القصة اختلاف كثير في المصادر، ولا طائل من الخوض فيه.

(٢) سيأتي قريباً تخريجه والكلام عليه.

(٣) روى أبو داود (٥١٩١)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٧٦١١)، والجصاص في «أحكام القرآن» (٣/ ٤٢٦)، والنحاس في «معاني القرآن» (٤/ ٥٥٣)، والبيهقي في «الكبرى» (٧/ ٩٧)، عن ابنَ عباس قال: آية لم يُؤْمِنْ بها أكثرُ الناسِ آيةُ الإذنِ، وإني لآمُرُ جاريتي هذه تستأذِنُ عليَّ. وفي بعض =

والاستِئذانُ: طلبُ الإذنِ، والإذنُ: إعلامٌ بجوازِ فعلٍ.

﴿وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ﴾؛ أي: الصِّبيانُ.

﴿ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖ﴾؛ أي: ثلاثَ أوقاتٍ، ثمَّ فسَّرَها فقال: ﴿مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ﴾: وقتَ مُفارقةِ الفراشِ والقيامِ من النَّومِ، ﴿وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ﴾: وقتَ القيلولةِ، ﴿وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِ﴾: وقتَ النَّومِ والأُوِيِّ إلى الفراشِ.

﴿ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡ﴾؛ أي: هي ثلاثُ عوراتٍ، ومَن نصبَ فعلى البدلِ.

الزَّجَّاجُ: سُمِّيت عوراتٍ لأنَّها أوقاتُ العوراتِ[1].

صاحبُ «النَّظمِ»: لأنَّهم يضَعُونَ ثيابَهم فتبدو عوراتُهم.

وقيل: هذه الأوقاتُ أوقاتُ التَّجرُّدِ وظهورِ العورةِ، فصارت من عوراتِ الزَّمانِ، فجرَى مَجرَى عوراتِ الأبدانِ.

﴿لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ﴾؛ أي: على الذين ملَكَتْ أيمانُكم والذين لم يبلُغُوا الحلُمَ ﴿جُنَاحُۢ﴾: إثمٌ ﴿بَعۡدَهُنَّۚ﴾: بعد الأوقاتِ الثَّلاثةِ، ومعنى ﴿بَعۡدَهُنَّۚ﴾: سِواهُنَّ، وليس (بعدَ) هاهنا لظرفِ الزَّمانِ ولا المكانِ، ﴿طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾ وقيل: هو بمعنى «من»؛ أي: بعضُكم مِن بعضٍ.

﴿كَذَٰلِكَ﴾؛ أي: كبيانِ الأحكامِ في هذه الآيةِ ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ الأمرَ والنَّهيَ ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ فيما يأمُركم ﴿حَكِيمٞ﴾ فيما يُدبِّرُ.

* * *

= الروايات: «لم يؤمر بها» بالراء.

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٥٢).

(٥٩) ـ ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ﴾؛ أي: الأحرارُ، و﴿ٱلْحُلُمَ﴾: الاحتلامَ، والمعنى: إذا بلغُوا وأرادوا الدُّخولَ عليكم ﴿فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟﴾ في جميعِ الأوقاتِ ﴿كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾؛ أي: كما استأذنَ الذين بلغُوا ودخلوا من قبلِهم.

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ كرَّرَ الكلامَ الأوَّلَ تأكيدًا، وأضافَ إليه سُبحانه تخصيصًا. في هذه الآيةِ ستَّة أقوالٍ:

سعيدُ بنُ المسيِّب: منسوخةٌ[1].

أبو قِلَابةَ: نَدْبٌ[2].

سفيانُ: ﴿ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾: النِّساءُ[3].

ابنُ عمرَ رضي الله عنهما: في الرِّجالِ[4].

---

(١) رواه النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٥٩١).

(٢) رواه النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٥٩٢) بلفظ: «إنما أمر بهذا نظراً لهم».

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٧٦١٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦٣٣)، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٥٩٢)، من طريق سفيان عن أبي حصين عن أبي عبد الرحمن السلمي.
قال النحاس: هذا القولُ بيِّنُ الخطأ؛ لِأنَّ (الَّذين) لا يكونُ للنساء في كلام العرب إنَّما يكونُ للنساء: اللَّاتي واللَّائي.

(٤) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (١٠٥٧)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٣٥١)، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٥٩٣)، جميعهم من طريق ليث عن نافع عن ابن عمر.
قال النحاس: وهذا القولُ الرابعُ يَستحسنُه أهلُ النَّظر؛ لأنَّ (الذين) في كلام العرب للرجال، وإن كان يجوزُ أنْ يدخلَ معهم النساءُ، فإنَّما يقعُ ذلك بدليلٍ، والكلامُ على ظاهره غيرَ أنَّ في إسناده ليثُ بن أبي سُليم.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: كان العملُ بها واجبًا لأنَّ القومَ لـم يكُنْ لهم أغلاقٌ ولا ستورٌ، فإنْ عادَ الأمرُ إلى ذلك كان العملُ بها واجبًا[١].

وأكثرُ أهلِ العلمِ على أنَّها مُحكمَةٌ واجبةٌ غيرُ منسوخةٍ[٢].

***

(٦٠) ـ ﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾: العجائزُ اللاتي قد قعَدْنَ عن الحيضِ والحبَلِ، وقيل: عن النِّكاحِ، جمعُ قاعدٍ[٣].

﴿ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾: لا يطمَعْنَ في أن يتزوَّجْنَ لكِبَرِهنَّ، ﴿ٱلَّٰتِى﴾ في محلِّ رفعٍ صفةٌ لـ﴿ٱلْقَوَاعِدُ﴾، ويجوزُ الجرُّ، والوجهُ الرَّفعُ لمكانِ الفاءِ.

﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ﴾: إثمٌ ﴿أَن يَضَعْنَ﴾: في أن يضَعْنَ ﴿ثِيَابَهُنَّ﴾: جلابيبَهنَّ. وقيل: الخُمُرَ والأرديةَ.

﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ﴾: غيرَ مُبدياتٍ ﴿بِزِينَةٍ﴾ والتَّبرُّجُ منها: إظهارُ محاسنِها التي ينبَغي أن تستُرَها كالشَّعرِ، والذِّراعِ، والنَّحْرِ، والسَّاقِ؛ أي: لا يقصِدْنَ بوضعِها أن يُظهِرنَ زينتَهُنَّ.

---

(١) رواه أبو داود (٥١٩٢)، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٥٩٣). قال النحاس: وهذا القولُ الخامس: مَتْنُه حسنٌ، وليس فيه دليلٌ على نسخ الآيةِ، ولكنْ على أنَّها كانت على حال ثم زالت، فإنْ كان مثلُ تلك الحال فحُكمُها قائمٌ كما كان.

(٢) انظر: «الناسخ والمنسوخ» للنحاس (ص: ٥٩٣)، وعنه نقل المؤلف هذا البحث. وفيه: والقولُ السادسُ: أنَّها محكمةٌ واجبةٌ ثابتةٌ على الرجال والنساء قولُ أكثر أهل العلمِ.

(٣) انظر: «العين» مادة: (ق ع د) (١/ ١٤٣)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ١٠٢)، وقيل: إن حذف التاء المربوطة من آخر الكلمة للتفريق عن (القاعدة) بمعنى الجالسة.

﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾؛ أي: التَّلَبُّسُ خيرٌ لها منَ التَّكشُّفِ.

﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لِمَا يُقالُ ﴿عَلِيمٌ﴾ بما يُقصَدُ ويُنوى.

* * *

(٦١) - ﴿لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

﴿لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾ في سببِ نُزولِه أقوالٌ:

قال ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: لـمَّا نزلَ قولُه: ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾ [النساء: ٢٩] تحرَّجَ المسلمون عن مُؤاكَلةِ المرضى والزَّمْنَى والعُمْيِ والعُرْجِ، وقالوا: الطَّعامُ أفضَلُ الأموالِ، وقد نهانا اللهُ عن أكلِ الأموالِ بالباطلِ، والأعمى لا يُبصِرُ موضعَ الطَّعامِ الطَّيِّبِ ﴿وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ والأعرجُ: لا يستطيعُ المُزاحمةَ على الطَّعامِ، والمريضُ لا يستطيعُ استيفاءَ الطَّعامِ، فأنزلَ اللهُ هذه الآيةَ(١)، وعلى هذا القولِ الآيةُ ناسخةٌ.

قال سعيدُ بنُ جبيرٍ والضَّحَّاكُ: كان النّاسُ يتقذَّرونَ العُرْجانَ والعُمْيانَ والمرضَى، ويكرَهون مُؤاكلتَهم، وكان أهلُ المدينةِ لا يُخالِطُهم في طعامِهم

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٣٦٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٢٧)، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٥٩٨)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٩/ ٣٢٤) واللفظ له.

أعمـى ولا أعـرجُ ولا مريـضٌ تقـذُّرًا، فأنـزلَ اللهُ هـذه الآيـةَ[١].

استبعدَ هذا القولَ جماعةٌ، وقالوا: لو كان كذلك لقالَ: ليس عليكم حرَجٌ أن تأكُلوا معَهم، ولـم يقُلْ: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾.

وأجابَ عن هذا الاستبعادِ بعضُ النُّحاةِ بأنَّ ﴿عَلَى﴾ هاهنا بمعنى: في؛ أي: ليس في الأعمى حرَجٌ ولا في الأعرجِ حرَجٌ، والمعنى: في مُؤاكلةِ الأعمى والأعرجِ.

قال مجاهدٌ: كان قومٌ من أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ إذا لـم يكُنْ عندَهم ما يُطعِمون الأعمى والأعرَجَ والمريضَ ذهبُوا بهم إلى بيوتِ آبائِهم وأمَّهاتِهم أو بعضِ مَن سمَّى اللهُ في هذه الآيةِ، وكان أهلُ الزَّمانةِ يتحرَّجون مِن أن يَطعَمُوا ذلك الطَّعامَ؛ لأنَّه أطعمَهم غيرُ مالكيه، ويقولون: إنَّما يذهبُون بنا إلى بيوتِ غيرِهم، فأنزلَ اللهُ هذه الآيةَ ترخيصًا للمرضى والزَّمْنَى في الأكلِ معهم من بيوتِ مَن سمَّى في الآيةِ[٢]، اختلفوا؛ فمنهم مَن قال: أُبيحَ ذلك بإذنٍ، ومنهم مَن قال: بغيرِ إذنٍ.

سعيدُ بنُ المُسيِّبِ: نزلَتْ في أُناسٍ كانوا إذا خرجوا مع رسولِ اللهِ ﷺ وضعوا

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٣٦٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦٤٣) عن الضحاك، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦٤٤) عن سعيد بن جبير، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٩/ ٣٢٦) عنهما.

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٠٦٦)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٣٦٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦٤٥).

وضعفه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٣٧١) فقال: «لا معنى لقول من قال: إنما أنزلت هذه الآية من أجل كراهة المستتبَع أكل طعام غير المستتبع؛ لأن ذلك لو كان كما قال مَن قال ذلك لقيل: ليس عليكم حرج أن تأكلوا من طعام غيرِ من أضافكم، أو: من طعام آباء من دعاكم، ولم يقل: ﴿أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ﴾».

مفاتيحَ بيوتِهم عندَ الأعمى والمريضِ والأعرَجِ وعندَ أقاربِهم، وكانوا يأمُرونَهم أن يأكُلوا منها إذا احتاجُوا إلى ذلك، فكانوا يتَّقون أن يأكُلوا منها، ويقولون: نخشى أن لا تكونَ أنفسُهم بذلك طيِّبةً، فأنزلَ اللهُ هذه الآيةَ(١)، وهذا القولُ هو المرضيُّ عند أهلِ التَّأويلِ.

وقال الحسنُ وعبدُ الرَّحمنِ بنُ زيدٍ: انتهى الكلامُ على قوله: ﴿حَرَجٌ﴾، والمُرادُ: لا حرَجَ عليهم في القُعودِ عنِ الجهادِ وغيرِه ممَّا رُخِّصَ لهم فيه؛ كقولِه في الأُخرى: ﴿لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾ الآيةَ [الفتح: ١٧](٢).

ثمَّ قال: ﴿وَلَا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾؛ أي: حرجٌ ﴿أَن تَأْكُلُوا﴾؛ أي: في أن تأكلوا ﴿مِنۢ بُيُوتِكُمْ﴾ الآيةَ.

وقال بعضُهم: ﴿وَلَا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾ إلى آخرِ الآيةِ منسوخةٌ.

وقال ابنُ زيدٍ: هذا شيءٌ قد انقطعَ، كانوا في أوَّلِ الأمرِ ليسَتْ على أبوابِهم أغلاقٌ، وكانتِ(٣) السُّتورُ مُرخاةً، فربَّما جاءَ الرَّجلُ فدخلَ البيتَ وهو جائعٌ وليس فيه أحدٌ، فسوَّغَه اللهُ أن يأكلَه، ثمَّ صارَتِ الأغلاقُ على البيوتِ، فلا يحِلُّ لأحدٍ أن

---

(١) رواه النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٦٠٠)، الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٣٠). ورواه البزار (٢٢٤١ ـ كشف)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦٤٦)، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٦٠١)، من حديث عائشة رضي الله عنها، ورجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٨٤).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٣٦٩) عن ابن زيد، ورواه النحاس في «معاني القرآن» (٦/ ٥٠٥) عن الحسن. وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٩/ ٣٢٨، ٣٢٩) عنهما، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٠٥)، واستغربه.

(٣) في (ف): «فكانت».

يفتَحَها، فذهبَ هذا وانقطعَ[(١)]، وصارتِ الآيةُ منسوخةً بقولِه سبحانَه: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، وبقولِه: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا﴾ [النور: ٢٧].

وقيل: ليس عليهم حرَجٌ إذا دُعوا إلى وليمةٍ أن يأخُذوا معهم القائدَ.

فهذا هو الكلامُ في سببِ النُّزولِ، والقولُ في النَّاسخِ والمنسوخِ.

قولُه: ﴿لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾ الأعمى: هو الذي فقدَ حِسَّ البصرِ لفسادِ العينِ.

﴿حَرَجٌ﴾: إثمٌ، وحقيقتُه: الضِّيقُ، مُشتقَّةٌ من الحَرَجةِ، وهو موضعُ الشَّجرِ المُلتفِّ، وجمعُها: حَرَجٌ وحَرَجاتٌ وحِراجٌ، وحَرِجَ فلانٌ: أثِمَ، كأنَّه سلكَ طريقًا ضيِّقَ المَخرجِ، وتحرَّجَ: اجتنَبَ الإثمَ.

﴿وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ﴾: هو الذي لا يقدرُ على القيامِ، وهو المُقعَدُ أيضًا.

﴿وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾: هو الذي خرَجَتْ نفسُه عنِ الاعتدالِ.

﴿وَلَا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾؛ أي: حرَجٌ ﴿أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ﴾ بيوتِ أنفسِكم.

وقيل: بيوتِ أولادِكم، نزَّلَ بيوتَ الأولادِ منزلةَ بيوتِ الآباءِ؛ لقولِه ﷺ: «أنتَ ومالُكَ لأبيكَ»[(٢)]، ولهذا لـم يذكرِ الأولادَ في الآيةِ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٣٦٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦٤٦).

(٢) رواه ابن ماجه (٢٢٩١) من حديث جابر رضي الله عنه، وإسناده صحيح على شرط البخاري كما قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٣/ ٣٧)، وصححه البزار فيما نقله عنه ابن التركماني في «الجوهر النقي» (٧/ ٤٨١)، وصححه أيضًا ابن التركماني، وابن القطان في «بيان الوهم والإيهام» (٥/ ١٠٢_١٠٣).

ورواه ابن حبان في «صحيحه» (٤١٠) من حديث عائشة رضي الله عنها، وإسناده صحيح كذلك.

ورواه أبو داود (٣٥٣٠) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، وإسناده حسن.

وقيل: بيوتِ أزواجِكم؛ لاجتماعِ الكلِّ فيها.

وقيل: بيوتِكم التي تسكُنونها خدمةً واتِّصالًا بأربابِها.

ويحتملُ أنَّ المعنى: لا حرجَ عليكم في الأكلِ من بيوتِ المذكورين كما لا حرَجَ عليكم في أكلِكم من بيوتِكم، مثلُ ما تقولُ: أكلُكَ من دارِكَ ومن[1] دارِ صديقِكَ واحدٌ، واللهُ أعلمُ.

﴿أَوۡ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ إِخۡوَٰنِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَعۡمَٰمِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَخۡوَٰلِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمۡ أَوۡ مَا مَلَكۡتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ﴾: جمعُ مِفْتَحٍ، وهو: ما يُفتَحُ به المُغلَقُ، وكذلك المِفتاحُ.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: هو وكيلُ الرَّجلِ، له أن يتناوَلَ منَ التَّمرِ ويشرَبَ منَ اللَّبنِ[2].

قتادةُ: يعني: العبدَ؛ لأنَّ مالَه لك[3].

مجاهدٌ: خزائنِ بيوتِكم إذا ملكتُم مفاتيحَها[4].

ابنُ جريرٍ: الزَّمْنَى ملكُوا التَّصرُّفَ في البيوتِ التي سُلِّمَت إليهم مفاتيحُها[5].

وقيل: هو وليُّ اليتيمِ، له أن يتناولَ من مالِه بقَدْرِ ما قالَ اللهُ: ﴿وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ [النساء: ٦]، ومفاتيحُه بيدِه.

---

(١) في (ف): «أو من».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٣٧٠)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٤٨).

(٣) انظر: «تفسير ابن أبي زمنين» (٣/ ٢٤٧)، وقد ذكر نحو هذا القول عن بعضهم بعد ذكر كلام لقتادة في تفسير الآية، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ١٢٤) عن ابن عيسى.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٣٧١) بلفظ: «خزائن لأنفسهم ليست لغيرهم».

(٥) انظر: «تفسير الطبري» (١٧/ ٣٧١).

﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ يريدُ: الأصدقاءَ، قال:

دَعْها فَما النَّحْويُّ مِنْ صَدِيقِها[(١)]

والصَّديقُ: هو الذي صدَقَكَ في[(٢)] مودَّتِه.

وقيل: هو الذي يُوافِقُك في ظاهِرِه وباطنِه.

وعن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: الصَّديقُ أكبرُ منَ الوالدَين، ألا ترى أنَّ أهلَ النَّارِ لم يستغيثوا بالآباءِ والأمَّهاتِ، بل قالوا: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٠٠ ـ ١٠١][(٣)]؟

---

(١) الرجز لرؤبة. وقبله:

تنحَّ للعجوز عن طريقها
قد أقبلت رائحة من سوقها

انظر: «ملحق ديوانه» (ص: ١٨١)، و«جمهرة اللغة» (٢/ ٦٥٦)، و«الحجة» للفارسي (٢/ ١٣١)، و«المحكم» (٣/ ٢٩٣)، و«البسيط» (١٣/ ٤٨١).

قال ابن دريد: أخبرنا أبو عثمان عن التوزي قال: كان رؤبة يقعد بعد صلاة الجمعة في رَحْبَة بني تميم فينشد ويجتمع النَّاس إليه فازدحموا يومًا فضيَّقوا الطريق فأَقبلت عجوز معها شيء تحمله فقال رؤبة: تنَحَّ للعجوز...الأبيات.

وقيل: البيت لامرأة من العرب مرت بأبي زيد النحوي وأصحابه وقد ضيقوا الطريق، فلم يمكنها أن تجوز، فقالت لأبي زيد. كما في «الزاهر» (١/ ٢١٥)، و«الإبانة في اللغة» للعوتبي (٣/ ٣٤٢).

والشاهد فيه كما قال الرضي في «شرح الشافية» (٤/ ١٣٨): أن صديقاً فيه جمع؛ لأن «مِن» للتبعيض، ولا يصح أن يكون النحوي بعض صديق، بل يكون بعض الأصدقاء، كأنه قال: دعها فما النحوي من أصدقائها.

(٢) «في»: من (ف).

(٣) ذكره عن ابن عباس الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ١٢٤)، ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٤/ ١٩٦) وفيه: «الصديق أوكد من القرابة»، وكذلك في «تفسير القرطبي» (١٢/ ٣١٦)، و«البحر المحيط» (٨/ ٧٢)، فلعل لفظ (أكبر) أو (أكثر) الذي ذكره الماوردي وتناقله عنه المفسرون محرّف =

وقال ﷺ: «قد جَعَلَ اللهُ في الصَّديقِ البارِّ عِوَضًا عن الرَّحمِ المذمومةِ»(١).

فرخَّصَ أن يأكلَ من بيتِه بغيرِ إذنِه. وقيل: هو إذا دعاكَ إلى وليمةٍ فحَسْبُ.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾ في سببِ النُّزولِ: قتادةُ والضَّحَّاكُ: نزلَتْ في حيٍّ من بني كنانةَ يُقالُ لهم: بنو ليثِ بنِ عمرٍو، كانوا يتحرَّجون أن يأكُلَ الرَّجلُ وحدَه، فربَّما قعدَ الرَّجلُ والطَّعامُ بين يدَيه مِن الصَّباحِ إلى الرَّواحِ، والأحوالُ مُنتظِمةٌ؛ تحرُّجًا من أن يأكلَ وحدَه، فإذا أمسى ولم يجِدْ أحدًا أكلَ، فأنزلَ اللهُ هذه الآيةَ(٢).

عكرمةُ: نزلَتْ في قومٍ منَ الأنصارِ كانوا لا يأكلون إذا نزلَ بهم ضيفٌ إلّا مع ضيفِهم، فرخَّصَ لهم أن يأكلوا كيف شاؤوا؛ مُجتمِعِينَ أو أشتاتًا مُتفرِّقين(٣).

النَّقَّاشُ: نزلَتْ في قومٍ كانوا يتحرَّجون أن يأكلوا جميعًا مخافةَ أن يأكلَ أكثرَ من صاحبِه، فنزلَت فيهم(٤).

وقيل: نزلَتْ في قومٍ سَفْرٍ اشتركوا في زادِهم، وكان إذا تأخَّرَ أحدُهم أمسَكَ الباقون عنِ الأكلِ حتَّى يحضُرَ، فنزلت فيهم ترخيصًا.

= عن (آكدُ) أو (أبرُّ)، والله أعلم.

(١) ذكره هكذا الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ١٢٤) مرفوعًا بلا سند، ورواه أبو عبد الرحمن السلمي في «آداب الصحبة» (٦٩)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٩/ ١٨٦) عن القاسم بن محمد من قوله بلفظ: «قد جعل الله تعالى في الصديق البار عوضاً عن الرحم المدبر».

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٠٧٠)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٣٧٦) عن قتادة، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٣٧٦) عن الضحاك. وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٩/ ٣٣٢) عن قتادة والضحاك وابن جريج.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٣٧٧).

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ١٢٥).

و﴿أَشْتَاتًا﴾: جمعُ شَتٍّ؛ أي: مُتفرِّقين، وشتَّى جمعُ شتيتٍ، وشَتَّ الشَّيءُ يَشِتُّ شَتًّا وشَتاتًا، وتَشَتَّتَ بمعناه، وأَشَتَّه غيرُه، وشَتَّانَ: اسمٌ للفعلِ بُنِيَ على الفتحِ، وقيل: نُصِبَ على المصدرِ، وحُكِيَ فيه الكسرُ أيضًا(٥).

﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ يعني: على مَن فيها منَ المؤمنين، والمؤمنون كلُّهم كنفسٍ واحدةٍ.

وقيل: على إخوانِكم وأقربائِكم؛ لأنَّهم بمنزلةِ نفسٍ واحدةٍ.

وقيل: إذا دخلتُم بيوتًا خاليةً فقولوا: السَّلامُ علينا من ربِّنا وعلى عبادِ اللهِ الصّالحين.

وقيل: إذا دخلتُم بيوتَ الكفَّارِ فسلِّموا على أنفُسِكم.

ابنُ عبَّاسٍ رضي اللهُ عنهما: إذا دخلتُم المساجدَ فسلِّموا على مَن فيها(٦).

وقيل: إذا دخلتُم بيوتَكم فسلِّموا على أولادِكم وعيالِكم.

ومعنى (السَّلامُ عليكم): حفِظَكُم اللهُ وسلَّمَكُم منَ الآفاتِ.

وقيل: معناه: لكم السَّلامةُ منِّي.

وقيل: السَّلامُ: اسمٌ من أسماءِ اللهِ عزَّ وجلَّ، والمعنى: اللهُ حفيظٌ عليكم.

---

(٥) انظر: «الأصول» لابن السراج (٢/ ١٣٣)، و«شرح الكتاب» للسيرافي (١/ ١٠٢)، والكسر حكاه الفراء، كما في «إسفار الفصيح» للهروي (٢/ ٨٢١).

(٦) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٠٧٤)، والفاكهي في «أخبار مكة» (١٢٩٠)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٣٨١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦٥٠) بألفاظ متقاربة، ولفظ عبد الرزاق: «هو المسجد إذا دخلته فقل: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين»، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ١٢٦) واللفظ له.

﴿تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ تُحيُّون أنفسَكم تحيَّةً، ويجوزُ أن يكونَ نصبًا على المصدرِ من قولِه: ﴿فَسَلِّمُوا۟﴾ وإنْ لـم يكُنْ من لفظِه؛ كما تقولُ: قعَدَ القُرْفُصاءَ.

ومعنى ﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾: من أمرِ اللهِ؛ لأنَّه أمرَ به.

وقيل: لأنَ الملائكةَ يُحيُّونَ بالسَّلامِ.

وقيل: هذا إذا قالوا: السَّلامُ علينا من ربِّنا.

﴿مُبَٰرَكَةً﴾؛ أي: فليتبرَّكوا بها، فإنَّ اللهَ يستجيبُ دعاءَ بعضِهم لبعضٍ بالسَّلامةِ من الآفاتِ.

وقيل: جعلَها مباركةً لِـمَا فيها منَ الثَّوابِ العظيمِ.

وقيل: إذا لزِمْتُموها كثُرَ خيرُكم.

﴿طَيِّبَةً﴾ تطيبُ بها نفسُ المُستمِعِ؛ لِـمَا فيها مِن حُسنِ الثَّناءِ.

وقيل: لِـمَا فيها منَ التَّواصلِ.

وقيل: ﴿مُبَٰرَكَةً﴾: ناميةً بالأجرِ، ﴿طَيِّبَةً﴾: هنيئةً بالمغفرةِ.

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ﴾؛ أي: كما بيَّنَّاها هاهنا نُبيِّنُها في غيرِه.

وقيل: كما دلَّكم.

وقيل: كما فصَّلَ لكم.

ابنُ بحرٍ: إذا أرادَ فرْضَ شيءٍ عليكم بيَّنَه هذا البيانَ.

﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: لكي تعقِلوا وتفهَموا.

وقيل: لتكونوا عُقلاءَ صالحين.

* * *

(٦٢) ـ ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾؛ أي: المؤمنُ: مَن آمنَ باللهِ ورسوله، وأطاعَ رسولَه في جليلِ الأمرِ ودقيقِه.

﴿وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ﴾ كالجمعةِ والعيدينِ وكلِّ اجتماعٍ فيه خطبةٌ.

وقيل: هو الجهادُ.

وقيل: في مجلسِ تشاوُرٍ وتدبيرِ حربٍ.

وقيل: في أمرٍ يجمعُهم نفعُه وضرُّه.

﴿لَّمْ يَذْهَبُوا۟﴾: لـم يخرُجوا عنه ﴿حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ﴾؛ أي: يستأذِنوا رسولَ اللهِ ﷺ تعظيمًا له.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾؛ أي: هم الذين جمعُوا شرائطَ الإيمانِ ﴿فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾: أمرِهم ﴿فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ﴾؛ أي: لِمن علمْتَ أنَّ له عذرًا، نزلت في عمرَ بنِ الخطَّابِ رضي الله عنه، كان مع رسولِ اللهِ ﷺ في غزاةِ تبوكَ، فاستأذنَه في الرُّجوعِ إلى أهلِه، فقالَ له رسولُ اللهِ ﷺ: «انطلقْ؛ فواللهِ ما أنتَ بمُنافقٍ ولا مُرتابٍ»، حكاه جماعةٌ منَ المفسِّرين[1].

﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾؛ أي: لِمن أذِنتَ له؛ ليزولَ عنهم بالاستغفارِ ملامةُ الانصرافِ.

---

(١) ذكره مقاتل في «تفسيره» (٣/ ٢١٠)، والماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٢٧)، والواحدي في «البسيط» (١٦/ ٣٨٦).

قتادةُ: هذه ناسخةٌ لقولِه: ﴿لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٣][(١)].

***

(٦٣) - ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: لا تتعرَّضوا لسُخْطِه، فإنَّ دُعاءَه عليكم مُوجِبٌ ليس كدعاءِ غيرِه[(٢)].

مجاهدٌ في جماعةٍ: لا تنادوه: «يا محمَّدُ» كما يُنادي بعضُكم بعضًا، ولكنْ عظِّموه، مثلُه: ﴿وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ [الحجرات: ٢]؛ أي: قولوا: يا رسولَ اللهِ، يا نبيَّ اللهِ[(٣)].

وقيل: معناه: إذا دعاكم لأمرٍ فعجِّلوا الإجابةَ وبادِروا إليه[(٤)]؛ كقولِه: ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤].

﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا﴾ التَّسلُّلُ: الخروجُ منَ الشَّيءِ، وكذلك الانسِلالُ، واللِّواذُ مصدرُ لاوَذَ يُلاوِذُ مُلاوَذةً، وهو الاعتصامُ بالشَّيءِ

---

(١) رواه يحيى بن سلام في «تفسيره» (١/ ٤٦٦)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ٤٧٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٠٥).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٩/ ٣٤٧)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٣٨٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦٥٥) بلفظ: «دعوة الرسول عليكم موجبة، فاحذروها».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٣٨٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦٥٥)، ورواه المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٧٢٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٠٥)، واستغربه.

بالدَّورِ معه حيثُ دارَ؛ أي: يلوذُ بعضُكم ببعضٍ، فينضَمُّ إليه استتارًا من رسولِ اللهِ ﷺ بالرِّجالِ والسَّارية؛ يُريدُ: الذين كانوا يُفارِقُونَ رسولَ اللهِ ﷺ إذا سمِعُوا ما يكرهون في الجمعةِ.

الحسنُ: ﴿لِوَاذًا﴾: فِرارًا منَ الجهادِ[١].

وقيل: هذا في حفرِ الخندقِ، وكان المُنافقون ينصرِفونَ بغيرِ إذنِ رسولِ اللهِ ﷺ، ﴿لِوَاذًا﴾ مُختَفين، حكاه الثَّعلبيُّ وغيرُه[٢].

﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾؛ أي: يُخالفون أمرَه، و﴿عَنْ﴾ زيادةٌ[٣].

وقيل: معناه: يُعرِضُونَ عن أمرِه.

وقيل: بعد أمرِه[٤]؛ كقولِه: ﴿أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ﴾ [قريش: ٤]؛ أي: بعدَ جوعٍ.

والهاءُ يعودُ إلى اللهِ، وقيل: إلى النَّبيِّ ﷺ.

والأمرُ: هو من أمورِ الدُّنيا، وقيل: من أمورِ الآخرةِ.

﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾: مكروهٌ من عدوِّهم.

وقيل: قتلٌ.

وقيل: عقوبةٌ شديدةٌ في الآخرةِ.

---

(١) ذكره ابن فورك في «تفسيره» (١/ ١٦٩)، والماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ١٢٨).

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٩/ ٣٤٩). ورواه البيهقي في «الدلائل» (٣/ ٤٠٨ ـ ٤٠٩) من طريق ابن إسحاق عن يزيد بن رومان، وعن يزيد بن زياد عن محمد بن كعب، وهو في «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٢١٦).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٠٦)، واستغربه.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٠٦)، واستغربه.

ابنُ جريرٍ: كفرٌ[١].

ابنُ عيسى: فتنةٌ تُخرجُ ما في الضَّميرِ[٢].

﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ منَ اللهِ عزَّ وجلَّ في الآخرةِ.

وقيل: قتلٌ في الدُّنيا.

* * *

(٦٤) - ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ﴾.

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ مِن الخيرِ والشَّرِّ فاحذروا مخالفته ﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ﴾: إلى موضعِ الجزاءِ ﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟﴾؛ أي: يَجْزيهِم على أعمالِهم في القيامةِ ويُعاقبُهم عليها.

﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ﴾: لا تخفى عليه خافيةٌ فيهما.

ورُوِيَ عن الأعمشِ عن شقيقِ بنِ سلمةَ قال: شهدتُ ابنَ عبَّاسٍ رضي الله عنهما وليَ الموسمَ فقرأَ سورةَ النُّورِ على المنبرِ وفسَّرَها، فلو سمعَتِ الرُّومُ لأسلَمَتْ[٣].

* * *

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٧/ ٣٩١).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ١٢٩).

(٣) رواه عبد الله بن الإمام أحمد في زوائده على «فضائل الصحابة» لأبيه (١٩٣٤)، ويعقوب بن سفيان في «المعرفة والتاريخ» (١/ ٢٦٧)، والطبري في «تفسيره» (١/ ٧٥)، والحاكم في «المستدرك» (٦٢٩٠)، وصحح إسناده الحافظ في «الفتح» (٧/ ١٠٠).

سُورَةُ الفُرْقَانِ

سُورَةُ الفُرقَانِ

سبعٌ وسبعونَ آيةً[1].

مكِّيَّةٌ؛ قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما وقتادةُ: إلا ثلاثَ آياتٍ من قولِه: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الفرقان: ٦٨ ـ ٧٠][2].

بسم الله الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾.

﴿تَبَارَكَ﴾: تعالى وارْتفَعَ.

الحسنُ: هو الذي تجيءُ البركةُ من قِبَلِه[3].

وقيل: تبارَكَ على الشَّيءِ: واظَبَ عليه.

وهذه لفظةٌ لا تُستعملُ إلا لله وحدَه، ولا يُستَعملُ منه إلا الماضي فحسبُ، وأصلُه من دَوامِ الشَّيءِ وثباتِه، ومنه: البِرْكةُ؛ لدوامِ الماءِ فيها وبقائِه. وقيل: أصلُه الزِّيادةُ.

---

(١) «سبع وسبعون آية»: ليس في (ف). وقد نقل أبو عمرو الداني الإجماع عليه. انظر: «البيان في عد آي القرآن» (ص: ١٩٤).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ١٣٠)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٣١١).

(٣) ذكره ابن فورك في «تفسيره» (١/ ١٧٠)، والثعلبي في «تفسيره» (١٩/ ٣٥٥)، والماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ١٣٠).

﴿ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾: القرآنَ الفارِقَ بين الحقِّ والباطلِ والحلالِ والحرامِ.

﴿عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ محمَّدٍ ﷺ.

وقيل: ﴿ٱلْفُرْقَانَ﴾ هاهنا اسمٌ لجميعِ كتُبِ الله، ولا تحتمِلُ الآيةُ هذا القولَ إلا أن يُجعَلَ ﴿عَبْدِهِۦ﴾ للجنسِ، كقوله ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، أو يُجعَلَ القرآنُ مُشتمِلًا على جميع ما في سائرِ كتبِ الله.

﴿لِيَكُونَ﴾ العبدُ ﴿لِلْعَٰلَمِينَ﴾: الجنِّ والإنسِ ﴿نَذِيرًا﴾: مُنذِرًا يُعْلِمُ النَّاسَ خبرَ البَعثِ والنُّشورِ، والمُنذِرُ: المُخبِرُ بوقوعِ مكروهٍ.

وقيل: ليكونَ الفرقانُ نذيرًا لأهلِ كلِّ زمانٍ.

وقيل: ليكونَ الذي نزَّلَ الفرقانَ ـ وهو اللهُ سبحانَه ـ للخلائقِ كلِّها مُنذِرًا، وقد جاء في وصف الله: المُنذرُ[1]، نحوَ قولِه: ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ [الدخان: ٣]، فيَحسُنُ على هذا التَّأويلِ أن يكونَ ﴿ٱلْفُرْقَانَ﴾ جميعَ كتُبه و﴿عَبْدِهِۦ﴾ جميعَ رسلِه[2].

* * *

(٢) ـ ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾.

﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ كما زعَمَ النَّصارى.

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾ كما قال المُشرِكونَ والثَّنَويَّةُ.

وقيل: معنى ﴿لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾: لم يُنزِّلْ أحدًا منزلةَ الولدِ؛ لأنَّ ما لا يجوزُ على الله على الحقيقةِ لا يجوزُ عليه على التَّشبيهِ.

---

(١) في (ف): «بالمنذر».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٠٧)، واستغربه.

﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾؛ أي: كلَّ شيءٍ يجوزُ وصفُه بالخَلْقِ.

وقيل: اللَّفظُ عامٌّ والمعنى ليس بعامٍّ؛ كقوله ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٢٣].

﴿فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ على مُقتَضى الحكمةِ وتناسُبِ بعضِه إلى بعضٍ على اعتدالٍ.

وقيل: خلقَ ما خلقَ على مقدارٍ يعرفُه، ولم يخلُقْ شيئًا على سبيلِ سهوٍ وغفلةٍ.

وقيل: بيَّن مُدَّةَ بقائِه.

وقيل: كتبَه في اللَّوحِ المحفوظِ.

* * *

(٣) ـ ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾.

﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ﴾ الواوُ ضميرُ الكفَّارِ، وهم مُندَرِجون في قولِه ﴿لِلْعَٰلَمِينَ﴾.

وقيل: لفظُ ﴿نَذِيرًا﴾ يُنبِئُ عنهم؛ لأنَّهم المُنذَرون(١).

﴿ءَالِهَةً﴾؛ أي: الأصنامَ، وقيل: عيسى والملائكةَ والأصنامَ.

﴿لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا﴾: لا يقدِرُونَ أن يخلُقوا ذبابًا فضلًا عن غيرِه ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ يعني: الأصنامَ. وقيل: عيسى والملائكةَ والأصنامَ. ويحتمِلُ: الكفَّارَ(٢).

﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ﴾؛ أي: المعبودون ﴿ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا﴾: إماتةً ﴿وَلَا حَيَوٰةً﴾: ولا إحياءً ﴿وَلَا نُشُورًا﴾: إحياءً بعد الموتِ، تقولُ: أنشَرَ اللهُ الموتى فنَشَرُوا.

* * *

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٠٨)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٠٨)، واستغربه.

(٤) ـ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا﴾.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ﴾: ما هذا القرآنُ ﴿إِلَّآ إِفْكٌ﴾: كذبٌ مصروفٌ عن وجهِه، والإفكُ: أسوأُ الكذبِ.

﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾: اختلَقَه، وأصلُه: الفَرْيُ، وهو: القطعُ للإصلاح[1].

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: هذا كلامُ النَّضرِ بنِ الحارثِ وأتباعِه[2].

﴿وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾ عَنَوا بهم اليهودَ؛ أي: هم يُلْقُون أخبارَ الأممِ إليه، وهو يكسوها عبارتَه.

وقيل: عَنَوا بهم جَبرًا ويسارًا، وقد سبقَ في قوله ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ [النحل: ١٠٣].

المُبرِّدُ: عَنَوا بقولِهم: ﴿قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾: المؤمنين؛ لأنَّ (آخَر) لا يكونُ إلا من جنسِ الأوَّلِ[3]، فأجابَهم الله وقالَ:

﴿فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا﴾؛ أي: بظُلمٍ وزورٍ، وظلَمُوا فيما قالوا وزوَّروا، والتَّزويرُ: الكذبُ في الشَّهادةِ والحديثِ.

وقيل: المُزوَّرُ منَ الكتابِ ما زِيدَ فيه ونُقِصَ.

وقيل: هذا من كلامِ الكفَّارِ[4]، والضَّميرُ يعودُ إلى قولِه: ﴿قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾.

---

(١) انظر: «غريب الحديث» للقاسم بن سلام (٥/ ٢٤٠)، و«النهاية» لابن الأثير (٣/ ٤٤٢).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٣٩٩) مطولًا، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ١٣٢).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٠٨)، واستغربه.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٠٨)، واستغربه.

(٥) ـ ﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾.

﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾؛ أي: هذه أحاديثُهم التي سطروها ﴿ٱكْتَتَبَهَا﴾: أمرَ بكَتْبِها.

وقيلَ: جمعَها، من قولهم: كتبتُ الشَّيءَ؛ أي: جمعتُه.

وقيل: كتبَها بيدِه، فيكونُ من جملةِ كذبِهم عليه[1]؛ لأنَّه عليه السَّلامُ لـم يكُنْ يكتبُ، وسيأتي بيانُه في قولِه: ﴿وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ﴾ [العنكبوت: ٤٨].

﴿فَهِيَ﴾؛ أي: الأساطيرُ ﴿تُمْلَىٰ عَلَيْهِ﴾: تُمَلُّ عليه ﴿بُكْرَةً﴾: أوَّلَ النَّهارِ ﴿وَأَصِيلًا﴾: آخرَه.

وقيل: عبارتان عن النَّهارِ واللَّيلِ.

***

(٦) ـ ﴿ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾.

﴿ قُلْ ﴾ يا محمَّدُ: ﴿أَنزَلَهُ﴾؛ أي: القرآنَ ﴿ٱلَّذِي يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ السِّرُّ: إخفاءُ المعنى في القلبِ؛ أي: يُنزِلُه على ما يقتَضيه علمُه بباطنِ الأمورِ ﴿إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا﴾ عن جهلِ العبادِ فلا يَعْجلُ ﴿رَّحِيمًا﴾ لمَن آمنَ.

***

(٧) ـ ﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴾.

﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ﴾؛ أي: لِـمَ يأكلُ كما نأكلُ؟ ولِـمَ يمشي في الأسواقِ كما نمشي؟ فهلَّا امتازَ عنَّا بتركِ الأكلِ والمشيِ في

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٠٨)، واستغربه.

الأسواقِ، وهذا خطأٌ منهم؛ لأنَّ الامتيازَ والتَّفاضُلَ يُوجَدانِ مع بقاءِ صفةِ الجنسيَّةِ، وذلك إذا فُضِّلَ بالرِّسالةِ.

﴿لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا﴾؛ أي: هلَّا، ولهذا نُصِبَ الجوابُ، والمعنى: هلَّا كانَ معه مَلَكٌ يدلُّ على صدقِه ويكونُ مُعينًا له في الإنذارِ، وهذا أيضًا خطأٌ؛ لأنَّ ذلك يُؤدِّي إلى استصغارِ كلٍّ واحدٍ منهما حيثُ لم يقُمْ بنفسِه في أداءِ الرِّسالةِ، ولأنَّ الجنسَ إلى الجنسِ أميَلُ وبه آنَسُ.

وقيل: ﴿مَعَهُۥ نَذِيرًا﴾ يرجعُ إلى رأيِه.

***

(٨) ـ ﴿أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّـٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾.

﴿أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ﴾ مالٌ.

قال الحسَنُ: والله ما زَواها عن نبيِّه إلا اختيارًا، ولا بسَطَها لغيرِه إلا اغترارًا[1].

وحسَّنَ عطفَ ﴿يُلْقَىٰٓ﴾ و﴿تَكُونُ﴾ وهما مُضارِعانِ على ﴿أُنزِلَ﴾ وهو ماضٍ دخولُ المضارعِ بينهما ﴿فَيَكُونَ مَعَهُۥ﴾.

﴿أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ﴾: بستانٌ ﴿يَأْكُلُ مِنْهَا﴾: من ثمرِها.

وقيل: يختصُّ بأكلِها حتى يتبيَّنَ في مأكلِه أيضًا، وهذا أيضًا خطأٌ حيثُ لا مُنافاةَ بين الفقرِ والرِّسالةِ.

وقُرِئَ: ﴿نَأْكُلُ﴾ بالنُّونِ[2]؛ أي: يأكل هو ويُؤكِلُنا، ويحتمِلُ أنَّهم قالوا: ﴿نأكلُ﴾ بالنُّونِ استهزاءً.

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ١٣٣).

(٢) هي قراءة حمزة والكسائي، والباقون بالياء. انظر «السبعة» (ص: ٤٦٢)، و«التيسير» (ص: ١٦٣).

﴿وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ يعني: كفارَ قُريشٍ، وقيل: عبدُ الله بنُ الزِّبَعْرَى.

﴿إِن تَتَّبِعُونَ﴾: ما تُطيعونَ ﴿إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ سُحِرَ فجُنَّ.

وقيل: ﴿مَّسْحُورًا﴾: له سَحْرٌ(١).

وقيل: يُسْحَرُ بالطَّعامِ والشَّرابِ؛ أي: يُغْذَى.

وقيل: مخدوعٌ.

ويحتمِلُ: أُصيبَ سَحْرُه بعلَّةٍ، كما تقولُ: رأَسْتُه ورَجَلْتُه؛ أي: ضربتُ رأسَه ورِجْلَه(٢).

وحكى الماوَرْدِيُّ: ﴿مَّسْحُورًا﴾: يسحرُكم فيما يقولُه(٣)، وهذا يقتضي: ساحرًا، لا ﴿مَّسْحُورًا﴾.

* * *

(٩) ـ ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾.

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ﴾؛ أي: وصَفُوكَ بغيرِ وصفِكَ ﴿فَضَلُّوا۟﴾ الهدى ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ إلى الرَّشادِ.

وقيل: ﴿فَضَلُّوا۟﴾؛ أي: أخطَؤوا في التَّشبيهِ حيثُ ناقَضُوا؛ فمرَّةً يقولون: هو بليغٌ فصيحٌ يتقوَّلُ القرآنَ من نفسِه ويفتَريهِ، ومرَّةً يقولون: مجنونٌ، ومرَّةً: ساحرٌ، ومرَّةً: مسحورٌ، ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ إلى حُجَّةٍ وبُرهانٍ على ما يقولون.

---

(١) أي: هو ذا سَحْرٍ وهُو الرِّئة، عَنَوا أنَّه بَشرٌ لا مَلَكٌ. انظر: «الكشاف» (٣/ ٢٦٦)، وقد ذكر المصنف هذا القول والذين بعده في تفسير قوله تعالى: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ [الإسراء: ٤٧].

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٠٩)، واستغربه.

(٣) انظر: «النكت والعيون» للماوردي (٤/ ١٣٤)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٠٩)، وعدَّه من العجائب.

(١٠) ـ ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا﴾.

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى قولِهم: ﴿أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ﴾ [الفرقان: ٨].

وقيل: إلى الكنزِ والجنَّةِ، ووحَّدَ كقولِه: ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ [البقرة: ٦٨].

وعن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: خيرًا من أن تمشيَ في الأسواقِ لطلَبِ المعاشِ[١].

﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ يعني: في الدُّنيا ﴿وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا﴾ مَن جزمَ جعلَه عطفًا على محلِّ جزاءِ الشَّرطِ، فتكونُ القصورُ في الدُّنيا، ومَن رفعَ[٢] فهو وعدٌ منَ الله لنبيِّه في الآخرةِ، وهي قُصورُ الجِنانِ.

وقيل: ﴿إِن شَآءَ﴾ بمعنى: قد شاءَ، وهو فاعلُه، فتكونُ الجنَّاتُ والقصورُ في الجنَّةِ.

والقَصْرُ: كلُّ بيتٍ رفيعٍ.

وقيل: القَصْرُ: المسكَنُ العالي ذو المجالسِ الرَّفيعةِ والشُّرُفاتِ المَشيدةِ.

وفي سببِ النُّزولِ عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّ هذه الآيةَ أنزلَها رضوانُ لمَّا قالوا: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ﴾ [الفرقان: ٧] الآيات، وكان معه سفَطٌ من نورٍ يتلألأُ، فقالَ: يقولُ لك ربُّك: هذه مفاتيحُ خزائنِ الدُّنيا مع ما

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٠٦).

(٢) هم ابن كثير وأبو بكر وابن عامر، وقرأ الباقون بالجزم. انظر «السبعة» (ص: ٤٦٢)، و«التيسير» (ص: ١٦٣).

لَـكَ عنـدي من غيـرِ نُقصـانٍ مثلَ جناحِ بعوضـةٍ، فقـال عليه السَّـلامُ: «يـا رضوانُ، لا حاجـةَ لـي فيها، الفقـرُ أحبُّ إلـيَّ، وأن أكونَ عبدًا شـكورًا صابرًا» فقـال رضوانُ: أصبـتَ أصـابَ اللهُ بك(١).

***

(١١) ـ ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾.

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ﴾؛ أي: منَعَهم عن الإيمانِ بك تكذيبُهم بالقيامةِ لا فقرُكَ ومشيُكَ في السُّوقِ، ثمَّ قالَ: ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾: هيَّأنا، والعتيدُ: الشَّيءُ الحاضرُ.

وقيل: أصلُه: أعدَدْنا، قُلِبَ الدَّالُ تاءً(٢). وهذا بعيدٌ لاطِّرادِ كلِّ واحدٍ منهما في المصدرِ وغيرِه.

﴿لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ﴾: بالبعثِ والنُّشورِ والثَّوابِ والعقابِ ﴿سَعِيرًا﴾: نارًا مُوقَدةً، فعيلٌ بمعنى مفعولٍ، تقولُ: سَعَرْتُ النَّارَ وأسْعَرْتُها، فتسَعَّرَتْ واستعَرَتْ.

وقيل: ﴿سَعِيرًا﴾ اسمٌ لجهنَّمَ، وانصرافُه يدفعُ هذا القولَ.

***

---

(١) قطعة من حديث طويل رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٩/ ٣٦٣)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٣٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما، من طريق إسحاق بن بشر عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما. وإسحاق بن بشر كذاب، وجويبر متروك، والضحاك لم يسمع من ابن عباس. وروى ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣١٨٠٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦٦٦) من طريق حبيب بن أبي ثابت، عن خيثمة قال: قيل للنبي ﷺ: إن شئت أعطيناك مفاتح الأرض وخزائنها لا ينقصك ذلك عندنا شيئاً في الآخرة، وإن شئتَ جمعتها لك في الآخرة، قال: «لا بل اجمعها لي في الآخرة» فنزلت: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّاتٍ﴾ الآية.

(٢) هذا قول بعض الكوفيين، وأجازه ابن عيسى، وقد تقدم الكلام عليه في تفسير سورة (النساء).

(١٢) ـ ﴿إِذَا رَأَتۡهُم مِّن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظٗا وَزَفِيرٗا﴾.

﴿إِذَا رَأَتۡهُم﴾ يعني: النارَ أو جهنَّمَ، ووصَفَ النّارَ بالرُّؤيةِ كما وصفَها بالكلامِ في قولِه: ﴿يَوۡمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمۡتَلَأۡتِ وَتَقُولُ هَلۡ مِن مَّزِيدٖ﴾ [ق: ٣٠]، وكما وصَفَ السَّماواتِ والأرضَ بالكلامِ حيثُ قال: ﴿أۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١].

وقال بعضُهم: النَّارُ اسمٌ لحيوانٍ ناريٍّ يتكلَّمُ ويَرَى ويَسمعُ ويَتغيَّظُ ويَزْفِرُ.

وقال بعضُهم: هذه عبارةٌ عن المُقابلةِ والمُحاذاةِ، كما تقولُ: داري تَرَى دارَك، وداري تنظُرُ إلى دارِك.

وقيل: هذا مقلوبٌ؛ أي: إذا رأوها[1].

وقيل: المُضافُ محذوفٌ، وتقديرُه: إذا رأتهم خُزَّانُ جهنَّمَ وزبانيَتُها.

وقيل: هذا على المُبالغةِ؛ أي: كأنَّها تراهُم رُؤيةَ الغضبانِ يَزْفِرُ غيظًا.

وقيل: إذا ظهرَتْ لهم.

﴿مِّن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ﴾ قيل: مسيرةُ خمسِ مئةِ عامٍ. وقيل: مسيرةُ عامٍ.

﴿سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظٗا وَزَفِيرٗا﴾؛ أي: صوتَ تغيُّظٍ وهو الهمْهَمةُ؛ فإنَّ التَّغيُّظَ لا يُسمَعُ.

وقيل: سمعوا لها زفيرًا ورَأوا لها تغيُّظًا، كقولِه:

يا ليتَ زوجَكِ قد غدا ... مُتقلِّدًا سيفًا ورُمحًا[2]

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٠٩)، واستغربه.

(٢) لعبد الله بن الزِّبَعْرى، وهو في ديوانه (ص: ٣٢)، و«مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ٦٨)، و«معاني القرآن» للفراء (١/ ١٢١)، و«معاني القرآن» للأخفش (١/ ٢٧٧)، و«الكامل» للمبرد (١/ ٢٩١) و(٢/ ٢٠٤)، و«الخصائص» لابن جني (٢/ ٤٣١) و«تفسير الطبري» (١/ ١٣٧). وتقدم عند تفسير الآية (٤٠) من سورة الحج.

وقيل: سمعوا غلَيانَ الغيظِ.

وقيل: سمعوا صوتَ لهبِها واشتعالِـها، وجاء في الحديثِ: «إنَّ جهنَّمَ لتزفِرُ زفرةً لا يبقى ملَكٌ ولا نبيٌّ إلا خرَّ تُرْعَدُ فرائصُه، حتَّى إنَّ إبراهيمَ عليه السَّلامُ ليجثُو على رُكبتِه ويقولُ: يا ربِّ لا أسألُكَ اليومَ إلا نفسي»(١).

والغَيظُ: حالةٌ للنَّفسِ عند شدَّةِ الغضبِ، تقولُ: غاظَه واغتاظَه وغيَّظَه فتغَيَّظَ.

والزَّفيرُ: صوتٌ يُسمَعُ من جوفِ المُتغيِّظِ كصوتِ الحمارِ إذا همَّ بالنَّهيقِ.

* * *

(١٣) - ﴿وَإِذَآ أُلۡقُواْ مِنۡهَا مَكَانٗا ضَيِّقٗا مُّقَرَّنِينَ دَعَوۡاْ هُنَالِكَ ثُبُورٗا﴾.

﴿وَإِذَآ أُلۡقُواْ مِنۡهَا﴾: منَ النَّارِ ﴿مَكَانٗا ضَيِّقٗا﴾: في مكانٍ ضِيِّقٍ كضِيقِ الزُجِّ في الرُّمحِ ﴿مُّقَرَّنِينَ﴾: مشدودِينَ بالسَّلاسلِ والأغلالِ مع الشَّياطينِ في النَّارِ.

وقيل: قُرِنَتْ أيديهم وأعناقُهم بالأغلالِ وأرجلُهم بالسَّلاسلِ.

والتَّقرينُ: جمعُ شيءٍ إلى شيءٍ في قَرَنٍ، وهو الحَبْلُ.

﴿دَعَوۡاْ هُنَالِكَ﴾؛ أي: حينَئذٍ، وقيل: في ذلك المكانِ.

﴿ثُبُورٗا﴾؛ أي: يقولون: ثَبَرْنا ثُبُورًا.

وقيل: هو دُعاؤُهم بالنَّدمِ: يا ثُبوراهُ يا وَيلَتاه، والثَّبْرُ: الإهلاكُ، والثُّبورُ: الهلاكُ، كأنَّهم قالوا: يا هَلاكاهُ.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٠٧٩)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٠٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦٦٨) من قول عبيد بن عمير.

وروى نحوه ابن المبارك في «الزهد» (٢٢٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٠٥)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٣٦٨) من قول كعب.

وقيل: يا انصِرافاهُ عن طاعةِ الله، تقولُ: ما ثبرَكَ عن هذا الأمرِ؛ أي: ما صرفَكَ، حكاهُ عليُّ بنُ عيسى(١).

* * *

(١٤) ـ ﴿لَّا تَدْعُواْ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُواْ ثُبُورًا كَثِيرًا﴾.

﴿لَّا تَدْعُواْ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُواْ ثُبُورًا كَثِيرًا﴾؛ أي: تُجيبُهم الملائكةُ: لا تقولوا ذلك مرَّةً واحدةً، بل مِرارًا كثيرةً لا يأتي عليها الإحصاءُ ولا ينتهي خلودُكم فيها.

* * *

(١٥) ـ ﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا﴾.

﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ في ﴿ذلك﴾ قولانِ:

أحدُهما: أنَّه إشارةٌ إلى قولِه: ﴿أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ [الفرقان: ٨]، كما قُلنا في قولِه: ﴿جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ﴾ [الفرقان: ١٠].

والثّاني: إشارةٌ إلى ما فيه الكفَّارُ منَ الشَّدائدِ التي تقدَّمَتْ، وإنَّما قال: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ ـ ولا خيرَ فيما تقدَّمَ للكفَّارِ ـ توبيخًا، ومثلُه: ﴿أَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٤] وسيأتي ذكرُه إن شاءَ الله(٢)، وهذا كما تقولُ لمَن تركَ فسادًا وأقبلَ على صلاحٍ: أليسَ هذا خيرًا ممَّا أنتَ فيه؟! ولا تقولُ مُبتدئًا: الفسادُ خيرٌ أم الصَّلاحُ؟

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ١٣٥)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨١٠)، واستغربه.

(٢) «إن شاء الله»: ليس في (ف).

وقولُه: ﴿وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾؛ أي: دُخولَـها.

وقيل: وُعِدَها المُتقونَ، فحُذِفَ الضَّميرُ، وهو المفعولُ الثَّاني.

﴿كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً﴾: ثوابًا ﴿وَمَصِيرًا﴾: مرجِعًا.

* * *

(١٦) ـ ﴿لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا﴾.

﴿لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ﴾ من النَّعيمِ ﴿خَٰلِدِينَ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا﴾ سأله المؤمنون في الدُّنيا بقولِـهم: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ [آل عمران: ١٩٤].

وقيل: سألَ لهم الملائكةُ بقولِـهم: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ [غافر: ٨].

وقيل: ﴿مَّسْـُٔولًا﴾: مطلوبًا.

وقيل: ﴿مَّسْـُٔولًا﴾: واجبًا؛ لأنَّ الكريمَ إذا سُئِلَ يَرى الإجابةَ واجبةً.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: وعَدَهم بالجزاءِ فسألوه الوفاءَ، وكلُّ واجبٍ مسؤولٌ وإن لـم يُسألْ[1].

ابنُ عيسـى: متى سـألوه[2] شـيئًا فهو لهم بوعدِ الله إياهُـم؛ لقولِه لهم: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف: ٧١]، وأمَّـا المعاصـي فتُصـرَفُ عـن شـهواتِهم.

* * *

(١) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤١٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦٧١)، ولفظ الطبري: «فسألوا الذي وعدهم وتنجَّزوه»، ولفظ ابن أبي حاتم: «سلوا الذي واعدتكم أو قال: واعدناكم تُنْجَزوه»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨١١)، واستغربه.

(٢) في (ف): «سألوا».

(١٧) - ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴾.

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ ﴾: هو حشرُ البعثِ عند الجمهورِ، وقال مجاهدٌ: هو حشرُ الموتِ[1]، ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: الأصنامَ. وقيل: عُزيرًا والمسيحَ والملائكةَ.

﴿فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعني: مَن عبدُوهم، ﴿أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ﴾: أخطَؤُوا الطَّريقَ، وهذا استفهامُ توبيخٍ للعابدين، كقولِه لعيسى: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾ [المائدة: ١١٦].

* * *

(١٨) - ﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴾.

﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ ﴾: تنزيهًا لك عن أن يُعبدَ معك غيرُك، وفيه قولان:

أحدُهما: أنَّ هذا كلامُ الأصنامِ يُنطِقُهم الله كما يُنطِقُ الأعضاءَ فيقولون: ﴿مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾؛ أي: ما كانَ لنا كلامٌ، فكيف أمَرْناهُم بطاعتِنا؟

والثَّاني: أنَّه كلامُ عُزَيرٍ والمسيحِ والملائكةِ.

﴿مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ﴾: ما كان يجبُ لنا إذ عبدَنا هؤلاءِ أن نتولَّاهُم على ذلك.

وقيل: ﴿مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ﴾ أن نتولَّى غيرَك ليعبُدَنا.

وقيل: ما كان لنا أن نتولَّى المُشركين ولو عبدُونا.

وقيل: ما كان لنا أن نتَّخِذَ مَن يعبُدُنا من دونِك؛ أي: ندعَ عبادتَكَ إلى عبادتِنا.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٨٧)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ١٣٦).

وقيل: هذا كلامُ العابدين والمعبودين: ما كان ينبَغي لنا أن نعبُدَ غيرَك، فكيف ندعو إلى عبادتِنا؟

أبو عُبيدةَ: ﴿مَا كَانَ يَنۢبَغِي لَنَآ﴾؛ أي: ما يكونُ لنا[1].

وقيل: ما كان يصلحُ.

وقرأ أبو جعفرٍ في جماعةٍ ﴿أن نُتَّخَذَ﴾ بضمِّ النُّونِ[2]، وهذه القراءةُ رائقةٌ في الظَّاهرِ، وهو عند أكثرِ النُّحاةِ خطأ؛ لأنَّ (مِن) تدخُلُ المفعولَ الأوَّلَ نحو: «ما أعطَيتُ من أحدٍ درهمًا»، ولا يجوزُ: «ما أعطَيتُ أحدًا من درهمٍ»، وإذا أُقيمَ الضَّميرُ في ﴿نُتَّخَذَ﴾ مُقامَ المفعولِ الأوَّلِ ورفعتَه صارَ (مِن) داخلًا على المفعولِ الثَّاني، وهذا غيرُ جائزٍ، وأجازَه الفرَّاءُ على القلبِ[3].

﴿وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ﴾ بالأولادِ والأموالِ وطولِ العُمرِ والسَّلامةِ منَ العذابِ.

﴿حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ﴾: تركوا التذكُّرَ.

وقيل: تركوا كتابَ الله وتركوا التدبُّرَ فيه، وتركوا ما دَعاهُم إليه الرَّسولُ.

وقيل: أبطَرَتْهم نعمتُكَ فنَسُوا بها ذكرَكَ.

والتمتُّعُ: دوامُ اللَّذَّةِ بالشَّيءِ.

﴿وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا﴾: هالكين.

وقيل: فاسدين، من قولِهم: أمرٌ بائرٌ؛ فاسدٌ، وبارَتِ البضاعةُ: كسَدَتْ، ومنه قولُه عليه السَّلامُ: «نعوذُ بالله من بَوَارِ الأيِّمِ»[4].

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٧١).

(٢) وهذه القراءة مروية عن أبي الدرداء وزيد بن ثابت وأبو رجاء ونصر بن علقمة وزيد بن عامر والباقر ومكحول والحسن وحفص بن عبيد وغيرهم انظر: «النشر» (٢/ ٣٣٣)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٨/ ٩٢).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٦٤).

(٤) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٩١٥١) عن مجاهد مرسلاً. =

وقيل: لا خيرَ فيهم، من قولِـهم: أرضٌ بورٌ، وهي المُتعطِّلَةُ التي لا نباتَ فيها ولا خيرَ، وهو مصدرٌ لا يُثنَّى ولا يُجمَعُ.

وقيل: بورٌ: جمعُ بائرٍ، كحائلٍ وحُولٍ(١).

***

(١٩) ـ ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾.

﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ﴾ الجمهورُ على أنَّه خطابٌ للعابدين، والمعنى: كذَّبوكم فيما تدَّعون من قولِكم: ﴿رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا﴾ [الأعراف: ٣٨] بقولِـهم: ﴿مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾.

وقيل: ﴿كَذَّبُوكُم﴾: نسبُوكُم إلى الكذبِ بسببِ ما تقولون أنَّهم دعوكُم إلى عبادتِهم.

= ورواه الطبراني في «الدعاء» (١٣٥٤) من طريق الحارث عن علي رضي الله عنه، والحارث (وهو ابن عبد الله الأعور) كذبه الشعبي، وفي حديثه ضعف، كما في «التقريب».

ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١٨٨٢)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (١٤/ ٤٦١) عن ابن عباس رضي الله عنه، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٤٣): «رواه الطبراني في «الصغير» و«الأوسط» و«الكبير»، وفيه عباد بن زكريا الصريمي ولم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح».

وروى سعيد بن منصور في «سننه» (٦٩١) عن حكيم بن عمير وضمرة بن حبيب: أن رسول الله ﷺ كان يتعوذ من كساد الأيامى ويدعو لهن بالنَّفاق. وهو مرسل ضعيف، فيه أبو بكر بن عبد الله بن أبي مريم.

وروى الديلمي في «مسند الفردوس» (٢٧٢) عن عمر رضي الله عنه: «استعيذوا بالله من ثلاث: من فزع المنزل، وكساد الأيم، ومعاداة العاقل».

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨١٢)، واستغربه.

وذهبَ بعضُهم إلى أنَّ هذا خطابٌ للنَّبيِّ والمُؤمنين؛ أي: الكفَّارُ كذَّبوكم بما تقولون منَ التَّوحيدِ ونبوَّةِ محمَّدٍ عليه السَّلامُ، وسائرِ الأنبياءِ عليهم السَّلامُ.

﴿فَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾؛ أي: المعبودونَ ﴿صَرْفًا﴾: دَفعًا للعذابِ عنكم ﴿وَلَا نَصْرًا﴾: ينصُرونَكم، ومَن قرأ بالتاء[1] فهو خطابٌ للعابدين؛ أي: فلا تستطيعون أنتم انصِرافًا إلى غيرِ ما ادَّعَوا، ولا نصرًا من آلهتِكم حين كذَّبوكم.

وقيل: ﴿صَرْفًا﴾: حيلةً.

وقيل: دِيَةً.

وعلى القولِ الثاني: فما يستطيعُ هؤلاءِ الكفَّارُ لك يا محمَّدُ صَرْفًا عن الحقِّ الذي أنتَ عليه ولا نصرًا لأنفُسِهم منَ البلاءِ الذي استوجَبُوه بتكذيبِهم إيّاكَ.

﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ﴾ بالكفرِ. وقيلَ: أيَّ ظُلمٍ كانَ، والخطابُ عامٌّ.

﴿نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ وهو الخلودُ في النَّارِ.

* * *

(٢٠) ـ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾؛ أي: وما أرسلنا أحدًا.

﴿إِلَّا إِنَّهُمْ﴾ فيها أقوالٌ:

أحدها: إلَّا هم، و(إنَّ) زيادةٌ.

وقيل: (إلَّا) قيلَ: (إنّهم).

---

(١) قرأ بها حفص، وباقي السبعة بالياء. انظر: «التيسير» (ص: ١٦٣).

وقيل: إلا مَن إنَّهم، وهذا غيرُ جائزٍ عند البَصْريين؛ لأنَّه لا يجوزُ حذفُ الموصولِ وإقامةُ الصِّلةِ مُقامَه(١).

ويحتمِلُ: إلا رسلًا إنَّهم ليأكلون الطَّعامَ، فحُذِفَ الموصوفُ وأُقيمَ الصِّفةُ مُقامَه(٢).

﴿لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾؛ أي: لِطَلَبِ المعاشِ، هذا تسليةٌ للنَّبيِّ عليه السَّلامُ على قولِهم: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٧]؛ أي: كلُّ الرُّسلِ هذه حالتُهم.

﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ كلُّ النَّاسِ مُبتلًى بعضُهم ببعضٍ، الفقيرُ بالغنيِّ، والمريضُ بالصَّحيحِ، والفتنةُ: البليَّةُ، والفتنةُ: الاختبارُ.

ابنُ عيسى: الفتنةُ: شدَّةٌ في التَّعبُّدِ يَظهرُ بها ما في العبدِ من خيرٍ أو شرٍّ(٣).

وقيل: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ﴾؛ أي: الأنبياءَ ﴿لِبَعْضٍ﴾: الأممِ ﴿فِتْنَةً﴾: مِحنةً.

﴿أَتَصْبِرُونَ﴾ قيل: تقديرُه: أتصبرونَ أم لا تصبرونَ؟

وقيل: استفهامٌ بمعنى الأمرِ؛ أي: اصْبِروا.

وقيل: أتصبرونَ على هذا فتكونَ لكم الجنَّةُ.

﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾: عالِمًا بما يكونُ منكم.

وقيل: نزلَتْ في أصحابِ رسولِ الله ﷺ حين قالت قُريشٌ: انظُروا إلى أصحابِ محمَّدٍ هم مَوالِينا وعبيدُنا(٤).

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨١٢)، وعدَّه من العجائب.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨١٢)، واستغربه.

(٣) ذكره نحوه ابن فورك في «تفسيره» (١/ ١٦٨) بلا نسبة.

(٤) ذكر نحوه مقاتل في «تفسيره» (٣/ ٢٣٠).

(٢١) ـ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾: لا يطمَعون في الثَّوابِ على الأعمالِ، والرَّجاءُ: ترقُّبُ الخيرِ، ورَجا ورَجَّى وارتَجى: بمعنًى، ورجَّيْتُ غيري في كذا.

وقيل: ﴿لَا يَرْجُونَ﴾: لا يخافونَ لقاءَ الله[1]؛ لأنَّهم لا يُؤمنون بالبعثِ، يعني: أهلَ مكّةَ.

﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ فيُخبِرونا بصدقِ ما يقولُه محمَّدٌ.

﴿أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾: أو يَظْهرُ لنا ربُّنا ويقولُ: إنَّه رسولي فاتَّبِعوه.

وقيل: سألوا الملائكةَ رسلًا بدلًا من محمَّدٍ.

﴿لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾: تعظَّموا عن الإيمانِ؛ حيثُ أرادوا لأنفُسِهم الرُّسلَ من الملائكةِ ورُؤيةَ الرَّبِّ.

وقيل: معناه: اجترَؤوا على الله اجتراءً كثيرًا في طلَبِ الرُّؤيةِ.

﴿وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾: أفرَطُوا في الفسادِ.

وقيل: العتُوُّ الخروجُ إلى أفحشِ الظُّلمِ، وفيه لغتانِ: العُتُوُّ والعُتِيُّ.

* * *

(٢٢) ـ ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾.

﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ وهو يومُ الموتِ، وقيل: يومُ البعثِ؛ أي: لا يرَونَهم بشيءٍ يَسرُّهم بل ينعُونَ إليهم أنفسَهم ويُخبِرونهم بعذابٍ أليمٍ.

﴿يَوْمَ﴾ منصوبٌ بفعلٍ مُقدَّرٍ؛ أي: اذكُر، أو بفعلٍ مُضمَرٍ دلَّ عليه ﴿لَا بُشْرَىٰ﴾ وهو: يحزَنون، ولا ينتصبُ بـ﴿يَرَوْنَ﴾؛ لأنَّ المُضافَ إليه لا يعملُ في المُضافِ، ولا

(١) فالرجاء يدل على الخوف، لا سيما إن كان في سياق النفي. انظر: «الأضداد» للأنباري (ص: ٩).

يعملُ فيه ﴿لَا بُشْرَىٰ﴾؛ لأنَّ ما بُنِيَ مع (لا) لا يعملُ فيما قبلَه، ولأنَّ المصدرَ لا يعملُ فيما قبلَه.

﴿وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ ويقولُ الملائكةُ لهم: جعلَ البُشرى عليكم حرامًا مُحرَّمًا، والمحجورُ تأكيدٌ.

وقيل: كان في أوَّلِ الدَّهرِ إذا أرادَ الرَّجلُ حرمانَ غيرِه شيئًا يسألُه أو يطمعُ فيه يقولُ: حِجْرًا مَحْجُورًا، فيعلمُ السّائلُ أنَّه لا يُريدُ أن يُعطيَه.

وذهبَ جماعةٌ منَ القُرَّاءِ إلى أنَّ الوقفَ يحسُنُ على قولِه: ﴿حِجْرًا﴾؛ أي: ثمَّ قال الله: ﴿مَّحْجُورًا﴾ عليهم أن يُعاذُوا أو أن يُجازُوا[1].

وقيل: هذا من قولِ الكفَّارِ إذا سمعوا: ﴿لَا بُشْرَىٰ﴾ قالوا: ﴿حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾[2].

وأصلُه الضِّيقُ عند بعضِهم، ومنه: الحجرةُ؛ لضيقِها، وكلُّ حرامٍ ضيِّقٌ.

وقيل: أصلُه المنعُ، وكلُّ حرامٍ ممنوعٌ، والحِجْرُ: العقلُ يمنعُ صاحبَه منَ الجهلِ.

* * *

(٢٣) ـ ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾.

﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ﴾: قصَدْنا وعمَدْنا، وأصلُ قَدِمَ: رجعَ من سفرِه، وقدِمَ إلى هذا الأمرِ: عَجِلَ إليه عجلةَ الوُرَّادِ منَ السَّفرِ.

---

(١) ذكره أبو بكر الأنباري في «إيضاح الوقف والابتداء» (٢/ ٨٠٤)، والداني في «المكتفى في الوقف والابتدا» (ص: ١٤٧) عن الحسن، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨١٢)، وعدَّه من العجائب.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨١٢)، واستغربه.

وقال النُّحاةُ: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ﴾ كقولهم: قامَ يشتِمُني، وليس ثَمَّ قيامٌ، وإنَّما المعنى: قصَدَ(١).

وقيل: هو قدومُ الملائكةِ.

وقيل: قدِمَ أمرُنا(٢).

وقيل: هو كقولِه: ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم﴾ [النحل: ٢٦].

وقولُه ﴿إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ﴾ يعني: الكفَّارَ ﴿مِنْ عَمَلٍ﴾ أي: خيرٍ تقرَّبُوا به إلى الله.

﴿فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً﴾؛ أي: أحبَطْناه لكُفرِهم، وفي الهباءِ أقوالٌ:

عليٌّ رضي الله عنه: أنَّه رَهْجُ الغبارِ(٣).

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنه: الماءُ المُهراقُ(٤).

قتادةُ: ما ذرَّتْه الرِّيحُ من يابسِ الوَرَقِ(٥).

وقيل: الرَّمادُ.

وقيل: هو ما يُرى في شعاعِ الشَّمسِ إذا طلَعَتْ في الكُوَّةِ.

---

(١) انظر: «معني القرآن» للزجاج (٤/ ٦٤).

(٢) ذكر المصنف هذين القولين في «غرائب التفسير» (٢/ ٨١٢)، واستغربهما.

(٣) ذكره بهذا اللفظ الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٤٧). ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٨٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦٧٩)، وهو في «تفسير مجاهد» (ص: ٦٤٠)، جميعهم من طريق الحارث عن علي بلفظ: «رَهْج الدواب». والرَّهْج ـ ويحرك ـ: الغبار. انظر: «القاموس» مادة: (ر هـ ج).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٣٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦٧٩)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨١٣)، واستغربه.

(٥) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٠٨٤)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٣٣) بلفظ: «هو ما تذرو الرياح من حطام هذا الشجر». ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦٧٩) بلفظ: «أما رأيت يبس الشجر إذا ذرته الريح فهو ذلك، يعني الورق».

والفعلُ منه: هَبا التُّرابُ يهبُو، وأهبَيْتُه إهباءً.

﴿مَنثُورًا﴾ المنثورُ: المُنبَثُّ.

***

(٢٤) ـ ﴿أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾.

﴿أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ المُستقَرُّ: المصدرُ والمكانُ.

والمَقِيلُ: القيلولةُ ومكانُ القيلولةِ أيضًا، والآيةُ تحتمِلُهما، والمقيلُ: المنزلُ أيضًا، والعربُ تقولُ: قِلْنا بمكانِ كذا؛ أي: نزَلْنا.

وجاء في التَّفاسيرِ: يقعُ الفراغُ منَ الحسابِ قبلَ نصفِ النَّهارِ، فيَقيلُ أهلُ الجنَّةِ في الجنَّةِ وأهلُ النَّارِ في النَّارِ(١).

وهو الاستِكنانُ نصفَ النَّهارِ، ولا نومَ في الجنَّةِ ولا في النَّارِ، ولكنْ خُوطبوا بما هم يَعْرِفونه.

وإنَّما قال: ﴿خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ ولا خيرَ ولا حُسْنَ في مقيلِ الكفَّارِ ومنزلِهم؛ لأنَّ الجنَّةَ والنَّارَ قد دخلا في بابِ المنازلِ في صنفٍ واحدٍ.

وقيل: معناه: أنَّهم في غايةِ الخيرِ، وجاء بلفظِ (أَفْعَل) للمُبالغةِ فحَسْبُ، وليس المُرادُ به المشاركةَ؛ كما جاء: الله أكبرُ، ولهذا أمثالٌ(٢).

وقيل: ﴿خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ من مُستقرِّهم ومقيلِهم في الدُّنيا.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦٨١) من قول سعيد بن جبير.

ورواه بنحوه سفيان الثوري في «تفسيره» (ص: ٢٢٦)، والطبري في «تفسيره» (١٩/ ٥٥٦) عن ابن مسعود رضي الله عنه موقوفاً.

(٢) أي: مجيء صيغة التفضيل للمبالغة، وإلا فلفظ (خير) و(شرّ) ليسا على وزن أفعل، كما هو معلوم. وقد تقدم الكلام عليه في تفسير ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ [يوسف: ٧٧].

وقيل: من مُستقرِّ الكفَّارِ ومنازِلِهم في الدُّنيا.

ويحتمِلُ: ﴿خَيۡرٞ مُّسۡتَقَرّٗا وَأَحۡسَنُ مَقِيلٗا﴾ ممَّن في مُستقرِّه ومَقيلِه خيرٌ(١).

وقيل: كلاهما خيرٌ وحَسَنٌ؛ لأنَّ حكمةَ الله اقتَضَتْ ذلك(٢)، فعلى هذا يكونُ للتَّفضيلِ.

وقيل: ﴿أحسَنُ﴾ بمعنى: أنفَعُ.

وقيل: المُستَقَرُّ في الجنَّةِ، والمَقيلُ دونَها.

* * *

(٢٥) ـ ﴿وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾.

﴿وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ﴾؛ أي: تتشقَّقُ، فحُذِفَ التَّاءُ عند بعضِهم تخفيفًا، وأُدغِمَ عند بعضِهم، والسَّماءُ تتشقَّقُ يوم القيامةِ؛ لقولِه: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾ [الانشقاق: ١]، وهي تتشقَّقُ سماءً سماءً.

قوله: ﴿بِٱلۡغَمَٰمِ﴾ قيل: هو الغمامُ الذي نراهُ في السَّماءِ(٣)؛ يعني: السَّحاب، فتكونُ الباءُ للحالِ؛ أي: مُتغيِّمةً.

وقيل: مع الغمامِ.

وقيل: على الغمامِ.

وقال بعضُهم: الغمامُ هاهنا هو الذي ذُكِرَ في سورةِ البقرةِ ﴿يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [البقرة: ٢١٠]، فهذا فوقَ السَّماءِ السَّابعةِ، فتكونُ الباءُ بمعنى (عن)؛ أي: تتشقَّقُ السَّماءُ عن الغمامِ لنُزولِ الرَّبِّ سُبحانَه والملائكةِ(٤).

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨١٣)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨١٣)، وعدَّه من العجائب.

(٣) في (ف): «الهواء».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨١٣)، واستغربه.

وعن ابنِ عمرٍو رضي الله عنهما: يهبطُ الله حينَ يهبطُ بينَه وبينَ خلقِه سبعون ألفَ حجابٍ، منها النُّورُ، والظُّلمةُ، والماءُ، فيُصوِّتُ اللهُ في تلك الظُّلمةِ صوتًا تنخلعُ له القلوبُ(١).

ابنُ جُرَيجٍ: الغمامُ الذي يأتي الله فيه غمامٌ زعموا في الجنَّةِ(٢).

الحسَنُ: الغمامُ سترةٌ بين السَّماءِ والأرضِ، تعرُجُ الملائكةُ في ذلك الغمامِ بنسخِ أعمالِ بني آدمَ ليُحاسبوا في الأرضِ، واللهُ أعلَمُ، وهو المُسائِلُ لهم لا يسألُهم غيرُه(٣).

وقيل: هو غمامٌ أبيضُ مثلُ غمامِ بني إسرائيلَ.

﴿وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾ إذا انشقَّتِ السَّماءُ نزَلَ منها الملائكةُ أكثرَ منَ الجنِّ والإنسِ، وهو يومُ التَّلاقِ يلتقي أهلُ السَّماءِ وأهلُ الأرضِ؛ لأنَّها إذا انشقَّت فنِيَتْ، ولا بدَّ للملائكةِ من مكانٍ يتمكَّنون عليه ويُقيمون فيه، ولهذا يُنزلُهم الله إلى مكانٍ سواها.

وقرأ ابنُ كثيرٍ: ﴿وَنُنْزِلُ﴾ بنونَين ﴿الملائِكَةَ﴾ نصبٌ، وقرأ غيرُه ﴿وَنُزِّلَ﴾(٤) لقولِه: ﴿تَنزِيلًا﴾، وفي المُصحفِ بنونٍ واحدةٍ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٣٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٣٧٢)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٦٧٦) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وفيها: «فيصوت الماء» بدل «فيصوت الله».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٣٧).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٣٣٦) مختصرًا. وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨١٤)، وعدَّه من العجائب.

(٤) وهذه قراءة باقي السبعة. انظر: «السبعة» (ص: ٤٦٤)، «والتيسير» (ص: ١٦٤).

(٢٦) ـ ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا﴾.

﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ يعني: الثّابتُ الخالصُ.

وقيل: معنى ﴿ٱلْحَقُّ﴾: المُستَحَقُّ، ولا مَلِكَ في ذلك اليومِ غيرُه.

﴿وَكَانَ يَوْمًا﴾؛ أي: كان ذلك اليومُ يومًا ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا﴾: شديدًا، تقولُ: عَسُرَ عليه ـ بالضَّمِّ ـ فهو عسيرٌ، وعَسِرَ ـ بالكسرِ ـ فهو عَسِرٌ.

* * *

(٢٧ ـ ٢٩) ـ ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾.

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ في سببِ النُّزولِ: أنّها نزلَتْ في عُقبةَ بنِ أبي مُعَيطٍ وأُبيِّ بنِ خلَفٍ وكانا مُتحابَّينِ، وكان عُقبةُ لا يقدمُ من سفرٍ إلا صنعَ طعامًا ودعا إليه أشرافَ قومِه، وكان يُكثِرُ مُجالسةَ النَّبيِّ عليه السَّلامُ، فقدمَ من سفرِه ذاتَ يومٍ فصنعَ طعامًا ودعا النّاسَ، ودعا رسولَ الله ﷺ إلى طعامِه، فلمّا قرَّبوا الطَّعامَ قال عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «ما أنا بآكلٍ طعامَكَ حتَّى تشهدَ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وأنّي رسولُ الله»، فقال عُقبةُ: أشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وأنَّ محمَّدًا رسولُ الله، فأكلَ رسولُ الله ﷺ من طعامِه وكان أُبيٌّ غائبًا، فلما أُخبرَ بقِصَّتِه قال: صَبأْتَ يا عُقبةُ؟ قال: لا، ولكنْ دخلَ عليَّ رجلٌ فأبى أن يأكلَ من طعامي إلا أن أشهدَ له، واستحيَيْتُ أن يخرُجَ من بيتي ولـم يأكُلْ فشهِدْتُ له فطَعِمَ، فقال أُبيٌّ: ما أنا بالذي أرضى منك أبدًا إلا أن تأتيَه فتبزُقَ في وجهِه وتطأَ عُنقَه، ففعلَ عُقبةُ ذلك، وأخذَ رحِمَ دابَّةٍ فألقاها بينَ كتفَيه، فقالَ ﷺ: «لا ألقاكَ خارِجًا من مكَّةَ إلا علَوْتُ رأسَكَ بالسَّيفِ»، فقُتِلَ عُقبةُ يومَ بدرٍ

صَبْرًا، وأمَّا أُبيٌّ فقتَلَه النَّبيُّ ﷺ يومَ أُحدٍ في المُبارزةِ، فأنزلَ الله فيهما هذه الآيةَ(١).

قال الضَّحّاكُ: لـمَّا بزَقَ عُقبةُ في وجهِ النَّبيِّ عليه السَّلامُ عادَ بُزاقُه في وجهِه وانشعَبَ شُعبتَين فأحرَقَ خدَّيه، وكانَ أثرُ ذلك في وجهِه حتَّى ماتَ(٢).

ورَوَى الشَّعبيُّ: أميَّةُ بنُ خلَفٍ مكانَ أُبيِّ بنِ خلَفٍ(٣).

فالظَّالِـمُ عُقبةُ، و(فُلانٌ) أُبيُّ بنُ خلَفٍ، والمعنى: يعضُّ يدَيه ـ وقيل: على أناملِه ـ يومَ القيامةِ ندَمًا على ما كانَ منه ﴿يَـٰقُولُ يَـٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ﴾ محمَّدٍ ﷺ ﴿سَبِيلًا﴾: طريقًا إلى النَّجاةِ.

وقيل: إلى طاعةِ الله ورسولِه.

وقيل: ﴿سَبِيلًا﴾: وسيلةً عند الرَّسولِ فتكونَ وُصْلَةً إليه، والمعنى: ليتَني أجَبتُه إلى ما دعاني إليه.

﴿يَـٰلَيْتَنِي﴾: يا حَسْرَتا ويا أسَفا ﴿لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ يتمنَّى ألّا يكونَ بينَه وبينَ أُبيٍّ خُلَّةٌ.

---

(١) رواه أبو نعيم في «دلائل النبوة» (ص: ٤٠١) من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٤٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦٨٣) عن مجاهد.

وفي قوله: إن عقبة فعل ما طلبه منه أبيٌّ نظر، فقد رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٠٨٥و ٢٠٨٦)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٤٠ ـ ٤٤١)، عن مقسم مولى ابن عباس، وفيه بدل قوله: «ففعل ذلك»: «فلم يسلطه الله عليه»، ويؤيده ما سيأتي عن الضحاك.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٩/ ٣٩٧)، والواحدي في «تفسيره» (ص: ٣٣٤).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٤٠)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٩/ ٣٩٨)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٣٣) عن الشعبي، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦٨٦) عن سعيد بن المسيب.

﴿لَقَدْ أَضَلَّنِى﴾: ردَّني وأبعَدَني ﴿عَنِ الذِّكْرِ﴾: عن الإيمانِ، وقيل: عن النَّبيِّ ﷺ، وقيل: عن القرآنِ ﴿بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى﴾.

وقال بعضُ المُفسِّرين: الظَّالِـمُ عامٌّ، و(فلانٌ) كنايةٌ عن الشَّيطانِ؛ لقولِه بعدَه: ﴿وَكَانَ الشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾.

وقيل: الظَّالِـمُ عامٌّ، و(فلانٌ) كنايةٌ عن كلِّ مَن أضلَّ غيرَه عن الإسلامِ(١).

وذهبتِ الرَّافضةُ إلى أنَّ هذا تغييرٌ منَ الكاتبِ، ولـم يكُنْ في القرآنِ الظَّالِـمُ وفلانٌ بالكنايةِ، بل كانا اسمَينِ صريحَين منَ الصَّحابةِ؛ يَعْنُون: الصِّدِّيقَ والفاروقَ رضي الله عنهما ولعَنَ مُبغِضَيهما وخذَلَهم(٢).

وإنَّما كنَى عن عُقبةَ وأُبيٍّ فيمَن ذهبَ إلى ذلك ـ واللهُ لا يستَحيي منَ الحقِّ ـ ليصيرَ اللَّفظُ عامًّا لكلِّ ظالـمٍ اتَّخذَ خليلًا مُضِلًّا.

و﴿خَذُولًا﴾ مبالغةٌ منَ الخذلانِ؛ أي: من عادتِه تركُ مَن يُواليه.

***

(٣٠) ـ ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾.

﴿وَقَالَ الرَّسُولُ﴾ محمَّدٌ عليه السَّلامُ يومئذٍ، وقيل: في الدُّنيا.

﴿يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾: هجَرُوه وأعرَضُوا عنه.

وقيل: منَ الهُجْرِ؛ أي: قالوا فيه القبيحَ.

وقيل: نسَبُوه إلى الهُجرِ، وأنَّ محمَّدًا يَهْذي.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨١٤)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨١٣) عن الرافضة فيما حكاه عنهم القتبي والجاحظ، وعده من العجائب.

وقيل: فُرِّقَ لأنَّ في القرآنِ ناسِخًا ومنسوخًا، وذانِكَ لا يجتمعانِ؛ لأنَّ أحدَهما يُوجِبُ العملَ بشيءٍ، والآخرَ يُوجِبُ تركَ العملِ به، ولأنَّ في القرآنِ أجوبةً لهم، والجوابُ لا يتقدَّمُ السُّؤالَ.

ومعنى ﴿وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا﴾: جعَلْنا بينَ إنزالِه فُرَجًا شيئًا بعد شيءٍ زمانًا ليس بالكثيرِ، من قولِهم: ثَغرٌ مُرَتَّلٌ؛ أي: مُفَلَّجُ الأسنانِ، و﴿رَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤] على هذا القولِ: لا تعجَلْ في قراءتِه، بل تثبَّتْ به فيها، ويأتي في موضعِه إن شاءَ الله.

وقيل: ﴿وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا﴾: فصَّلْناه تفصيلًا.

وقيل: بيَّنَّاه تبيينًا.

وقيل: فسَّرْناه تفسيرًا.

﴿وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا﴾؛ أي: لا يضرِبُونَ لك مَثَلًا إلّا جئناكَ بما تردُّ به الذي جاؤوا به منَ الأمثالِ، وأحسنَ ممَّا جاؤوا به منَ الأمثالِ بيانًا وتفصيلًا.

وقيل: لا يأتُونَك بمثَلٍ مِثْلَما قالوا في عيسى: كيف خُلِقَ من غيرِ أبٍ؟ فقالَ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾ [آل عمران: ٥٩].

وقيل: لا يأتُونَكَ بشُبهةٍ في إبطالِ أمرِكَ إلا جئناكَ بالحقِّ الذي يدحَضُ شُبهةَ أهلِ الجهلِ ويُبطِلُ كلامَ أهلِ الزَّيغِ وأحسَنَ تفسيرًا من مَثَلِهم، وحُذِفَ «من مثلِهم» لدلالةِ الحالِ عليه، وأرادَ بالمَثَلِ ما قالوا: ﴿لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ [الفرقان: ٣٢] وقد ذكَرْنا الحكمةَ.

= نفسه المذكور هنا ـ وعده من العجائب، وقد ذكر المصنف هذا في تفسير قوله تعالى: ﴿لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢] من غير نسبة، وذكره منسوباً لأبي حاتم والمبرد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ مِّنَّا﴾ [مريم: ٢١].

قال الحسَنُ: تقديرُه: ورتلناه ترتيلا؛ لكيلا يأتُوكَ بمَثَلٍ إلَّا أجَبْنا عنكَ، وجئناكَ بالحقِّ وأحسَنَ تفسيرًا(١).

***

(٣٤) - ﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾.

﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ هذه مُتَّصلةٌ بقولِه: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾.

ورُوِيَ في حديثٍ مرفوعٍ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «يُحشَرُ النّاسُ يوم القيامةِ على ثلاثِ طبقاتٍ؛ فبعضُهم يكونون رُكبانًا على الدَّوابِّ، وبعضُهم يمشون على أقدامِهم، وبعضُهم يمشون على وجوهِهم»، فقيل له: يا رسولَ الله، فكيفَ يمشون على وجوهِهم؟ فقالَ عليه السَّلامُ: «إنَّ الذي أمشاهُم على أقدامِهم قادرٌ على أن يُمشِّيهم على وجوهِهم»(٢).

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٠٨٧)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٤٦) بلفظ: «كان ينزل آية أو آيتين أو آيات، كان ينزل جواباً لهم، فإذا سألوا عن شيء أنزل الله جوابًا لهم وردًّا عن النبي ﷺ فيما يكلمونه، وكان بين أوله وآخره نحو من عشرين سنة»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨١٥)، وعدَّه من العجائب.

(٢) رواه بنحوه الترمذي (٣١٤٢) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ، ولفظه: «يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف: صنفًا مشاة، وصنفا ركبانًا، وصنفًا على وجوههم»، قيل: يا رسول الله، وكيف يمشون على وجوههم؟ قال: «إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم، أما إنهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك»، قال الترمذي: «حديث حسن».

ويشهد لآخره ما في البخاري (٤٧٦٠) ومسلم (٢٨٠٦) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رجلًا قال: يا رسول الله، كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال: «أليس الذي أمشاه على =

وقيل: يُجَرُّونَ ويُسحَبون.

وقيل: هو من قولِ العربِ: مَرَّ فلانٌ على وجهِه، إذا لـم يَدْرِ أين ذهبَ، فيكونُ كقولِه: ﴿كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾ [القارعة: ٤] لا يتَّجِهُ لجهةٍ واحدةٍ.

وقولُه: ﴿شَرٌّ مَّكَانًا﴾؛ أي: منَ المؤمنين في الدُّنيا، ويحتمِلُ: ﴿شَرٌّ مَّكَانًا﴾ ممَّن في مكانِه شرٌّ؛ إذ ليس في مكانِ المؤمنين شرٌّ.

﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ عنِ الصَّوابِ في الدُّنيا.

* * *

(٣٥) ـ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا﴾.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾؛ أي: كما آتينا محمَّدًا عليه السَّلامُ القرآنَ آتينا موسى التَّوراةَ، ﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ﴾؛ أي: وأرسَلْنا معه ﴿أَخَاهُ هَٰرُونَ﴾ عطفُ بيانٍ أو بدلٌ ﴿وَزِيرًا﴾ فَعيلٌ بمعنى مُفاعلٍ، كنَديمٍ وأكيلٍ، وقد سبقَ، قال:

وكانَ أخـي رُكنـي وكانَ مُـؤازِري ... ففارَقَني رُكنـي ومـاتَ وزيـري[1]

أي: مُؤازِري ومُعيني.

* * *

(٣٦) ـ ﴿فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا﴾.

﴿فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ يعني: قِبْطًا قومَ فرعونَ ﴿فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا﴾؛ أي: فذهَبا إلى القومِ فلم يُؤمِنُوا بهما ﴿فَدَمَّرْنَٰهُمْ﴾: فأهلَكْناهُم أشدَّ

= رجليه في الدنيا قادرًا على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة؟».

(١) لم أجده.

الإهلاكِ، وأصلُه: كسرُ الشَّيءِ على وجهٍ لا يَقبَلُ بعدَه إصلاحًا، والدَّمارُ: الاستِئصالُ بالهلاكِ، والدُّمورُ: الدُّخولُ بالمكروهِ.

ابنُ عيسى: التَّدميرُ: الإهلاكُ بأمرٍ عجيبٍ(١).

* * *

(٣٧) ـ ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾؛ أي: أهلَكْنا قومَ نوحٍ.

وقيل: هو عطفٌ على ﴿دَمَّرْنَاهُمْ﴾.

وقيل: نصبٌ بـ﴿أَغْرَقْنَاهُمْ﴾، كما تقولُ: زيدًا ضربتُه.

﴿لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ﴾ يعني: نوحًا وإدريسَ وآدمَ عليهم السَّلامُ.

وقيل: جُمِعَ لأنَّ مَن كذَّبَ رسولًا فقد كذَّبَ الرُّسلَ.

وقيل: الرُّسلُ: نوحٌ والملائكةُ الذين كانوا يأتونَه بالوحيِ.

وقيل: أخبرَهُم نوحٌ بمجيءِ الرُّسلِ، فأنكَروا بعثَ الرُّسلِ أصلًا.

﴿أَغْرَقْنَاهُمْ﴾: أهلَكْناهُم بالماءِ ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً﴾: عبرةً ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾: هيَّأنا ﴿لِلظَّالِمِينَ﴾: للكافرينَ ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ هو النَّارُ.

* * *

(٣٨) ـ ﴿وَعَادًا وَثَمُودَا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾.

﴿وَعَادًا﴾: وأهلَكْنا عادًا، وهم قومُ هودٍ ﴿وَثَمُودَ﴾: أصحابَ صالحٍ، ﴿وَأَصْحَابَ الرَّسِّ﴾ اختلَفُوا في أصحابِ الرَّسِّ، والرَّسُّ: البئرُ أوَّلَ ما تُحفَرُ قبلَ أن تُطوى، ورَسَّ

(١) ذكره ابن فورك في «تفسيره» (١/ ١٩٢)، والنسفي في «تفسيره» (٢/ ٥٣٧) بلا نسبة.

المكانَ: حفَرَه، وكلُّ محفورٍ رَسٌّ، وجاء في القصصِ أنَّهم قومُ شُعَيبٍ أهلُ مَدينَ.

وَهبُ بنُ مُنبِّهٍ: كانوا أهلَ بئرٍ قُعودًا عليها، وأصحابَ مواشٍ يعبُدون الأصنامَ، فبعثَ الله إليهم شُعَيبًا يدعوهم إلى الإسلامِ فكفَروا به، فبينا هم حولَ البئرِ في منازلِهم انهارَتِ البئرُ فانخَسَفَت بهم فهلَكُوا(١).

قتادةُ: الرَّسُّ: بئرٌ بفَلْجِ اليمامةِ قتَلوا نبيَّهم فأُهلِكُوا(٢).

وقيل: هم بقيَّةُ ثمودَ، والرَّسُّ هي التي في قولِه: ﴿وَبِئۡرٖ مُّعَطَّلَةٖ﴾ [الحج: ٤٥].

سعيدُ بنُ جُبيرٍ: كان لأهلِ الرَّسِّ نبيٌّ يُقالُ له: حنظلةُ بنُ صفوانَ، وكان بأرضِهم جبلٌ يقالُ له: دَمْخٌ(٣)، مَصْعَدُه في السَّماءِ ميلٌ، وكان عليه منَ الطَّيرِ ما شاء اللهُ، ثمَّ ظهرَتْ طيرٌ كأعظمِ ما يكونُ منَ الطَّيرِ، وفيها من كلِّ طيرٍ لونٌ، وسَمَّوْها عَنْقاءَ لطولِ عُنُقِها، وكانت تَنْقَضُّ على الطَّيرِ تأكلُها، فجاعَتْ يومًا فأعوَزَتْه الطَّيرُ فانقَضَّتْ على صبيٍّ فذهبَتْ به، فسُمِّيَتْ عَنقاءَ مُغْرِبٍ؛ لأنَّها أغربَتْ بما أخذَتْه فذهبَتْ به، ثمَّ إنَّها انقَضَّتْ على جاريةٍ ترَعْرَعَتْ فأخذَتْها فضَمَّتْها إلى جناحَينِ لها صغيرَين سوى الجناحَينِ الكبيرَين فطارَتْ بها، فشكَوا إلى نبيِّهم فقالَ: «اللَّهمَّ خُذْها واقطَعْ نسلَها»، فأصابَتْها صاعقةٌ فاحترقَتْ ولـم يُرَ لها أثرٌ، فضربَتْها العربُ مثلًا في أشعارِها، ثمَّ إنَّهم قتلُوا نبيَّهم، فأهلَكَهم اللهُ(٤).

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٩/ ٤١٢)، والواحدي في «البسيط» (١٦/ ٥٠٦).

(٢) ذكره بهذا اللفظ الثعلبي في «تفسيره» (١٩/ ٤١٣)، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٩٥١) بلفظ: «كانوا بحجر بناحية اليمامة على آبار»، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٥٢) بلفظ: «الرس قرية من اليمامة يقال لها: الفلج».

(٣) في (ف): «دمح»، وفي «معجم البلدان» (٢/ ٤٦٢): «دَمْخٌ ـ بفتح أولـه، وسكون ثانيه، وآخره خاء معجمة ـ: اسم جبل كان لأهل الرّسّ مصعده في السماء ميل، وقيل: جبل لبني نفيل بن عمرو بن كلاب».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٩/ ٤١٣) عن سعيد بن جبير والكلبي والخليل، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨١٦)، واستغربه.

قال أبو عبيدةَ: الرَّسُّ: المعدِنُ[١].

وقيل: الرَّسُّ ما بين نَجْرانَ إلى اليمنِ إلى حضرمَوْتَ.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: بئرٌ بأذْرَبيجانَ[٢].

وقيل: بئرٌ قُتِلَ فيها صاحبُ ﴿يسٓ﴾ بأنطاكِيَةَ، وصاحبُ ﴿يسٓ﴾ حبيبُ النَّجَّارُ[٣].

وقيل: قومٌ بعثَ الله إليهم أنبياءَ فقتلوهم ورسُّوا عظامَهم في بئرٍ لهم، فسمَّاهم الله أصحابَ الرَّسِّ.

وقيل: هم قومٌ كذَّبوا نبيًّا أتاهُم فحبَسوه في بئرٍ ووضَعُوا على رأسِ البئرِ صخرةً عظيمةً لا يقدرُ على حملِها إلا جماعةٌ منَ النّاسِ، وقد كانَ آمنَ به من بين الجميعِ عبدٌ أسودُ، وكان العبدُ يأتي الجبلَ ويحتطبُ على ظهرِه، ويبيعُ الحزمةَ ويشتَري بثمنِها طعامًا، ثم يأتي به البئرَ فيُلقي إليه الطَّعامَ من خُروقِ الصَّخرةِ، فكان على ذلك سنين، ثمَّ إنَّ الله أهلَكَ القومَ وأرسلَ ملَكًا فرفعَ الحجرَ وأخرَجَ النَّبيَّ منَ البئرِ.

وقيل: بل الأَسْودُ عالَجَ الصَّخرةَ، فقَوَّاه الله لرفعِها فرفعَها وألقى حبلًا إليه واستخرَجَه منَ البئرِ، فأوحى الله إلى ذلك النَّبيِّ أنَّه يكونُ رفيقَه في الجنَّةِ. وعن النَّبيِّ عليه السَّلامُ أنَّه قال: «إنَّ أوَّلَ النَّاسِ دُخولًا في الجنَّةِ لعبدٌ أسودُ» يُريدُ هذا العبدَ[٤].

وقيل: قومٌ ألقَوا نبيَّهم في البئرِ وأرسلوا عليه التُّرابَ، فرسُّوه بالتُّرابِ؛ أي: دَسُّوه.

وقيل: قومٌ أُرسِلَ إليهم نبيٌّ فأكلوه.

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٧٥).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦٩٥)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ١٤٥).

(٣) وهو الذي قال: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾، وستأتي قصته

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٩/ ٤١٥) من رواية ابن إسحاق عن محمد بن كعب القرظي.

محمَّدُ بنُ مروانَ: كان قومٌ نساؤُهم ساحقاتٌ.

وقيل: الرَّسُّ ماءٌ ونخلٌ لبني أسدٍ، حكاهُ القفَّالُ[١].

وقيل: هو اسمٌ أعجميٌّ، وقد أطنَبَ الثَّعلبيُّ في قصَّةِ أصحابِ الرَّسِّ[٢]، وهـذا كافٍ، والله أعلَمُ بهم.

﴿وَقُرُونَا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾: وأهلكنا أُممًا بينَ هذه الأممِ كثيرًا لا يعلَمُها إلّا اللهُ، أُرسِلَ إليهم الرُّسلُ فكذَّبوهم فأُهلِكُوا.

والقرونُ: أهلُ كلِّ عصرٍ. وقيل: أهلُ القرونِ، والقرونُ: الأزمِنةُ، والأوَّلُ أولى.

***

(٣٩) ـ ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾.

﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ﴾؛ أي: لـم نُهلِـكْ أمَّةً إلَّا بعد إبـلاغٍ واحتجاجٍ وضربِ أمثـالٍ بوصـفِ الأشـباهِ مـنَ الأمـمِ التـي كانَـتْ قبلَهـم فأُهلِكُـوا بتكذيـبِ الأنبيـاءِ.

﴿وَكُلًّا﴾ منصوبٌ بفعلٍ مُقدَّرٍ؛ أي: أنذَرْنا كلًّا.

وقيل: تقديرُه: وضرَبْنا كلَّ الأمثالِ ﴿لَهُ﴾ لمُحمَّدٍ عليه السَّلامُ[٣].

﴿وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾ بعد أن ضرَبْنا الأمثالَ وأعذَرْنا إليهم، والتَّتبيرُ: التَّقطيعُ، ومنه: التِّبْرُ، لدُقاقِ الذَّهَبِ.

***

---

(١) ذكره مع الذي قبله المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨١٦)، وذكره أبو حيان بلا نسبة في «البحر المحيط» (٨/ ١٠٧).

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٩/ ٤١٢ ـ ٤٣٠).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨١٧)، واستغربه.

(٤٠) ـ ﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴾.

﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ ﴾؛ أي: مرُّوا بها، وهي قريَّاتُ قومِ لوطٍ، وسَدُومُ اسمُ أعظَمِها، جعلَها الله أعاليَها أسافلَها، وأمطَرَهم حجارةً عند الجمهورِ.

مجاهدٌ: أُمطِرَتْ كبريتًا ونارًا(١).

و﴿مَطَرَ السَّوْءِ﴾: البلاءُ، و(مُطِرَ) يُستَعملُ في الخيرِ، و(أُمطِرَ) في الشَّرِّ(٢).

قال الأخفشُ: هما لغتانِ(٣).

والضَّميرُ في ﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا ﴾ لأهلِ مكَّةَ، ﴿أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا﴾: أمَا شاهَدُوا ذلك بأبصارِهم، فكيف لم يتَّعِظُوا ولم ينزَجِروا عن كُفرِهم بك؟

﴿بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾؛ أي: حمَلَهم على الكفرِ والمعاصي إنكارُهم البعثَ، ومعنى ﴿لَا يَرْجُونَ﴾: لا يأملونَ الثَّوابَ.

وقيل: لا يخافون العقابَ.

وقيل: لا يظُنُّون.

***

(٤١) ـ ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴾.

﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا ﴾؛ أي: إذا أبصرَكَ مُشرِكو قُريشٍ ما يتَّخذونَك

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٠/ ١٠٨) عن وهب بن منبه، وقد ذكره المصنف عن وهب في تفسير قوله تعالى: ﴿ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ﴾ [هود: ٨٣].

(٢) هذا التفصيل عن أبي عبيدة. انظر: «بحر العلوم» للسمرقندي (٢/ ١٩)، و«البسيط» للواحدي (١٠/ ١٢١).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٤٥٨).

إلا هُزْوًا، وهو الذي يُهزَأُ منه، كالسُّخْرةِ لِـمَا يُسخَرُ منه، والضُّحْكةِ لِمَا يُضحَكُ منه.

﴿أَهَـٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾؛ أي: هذا الذي يزعمُ أنَّه بعثَه الله إلينا رسولًا، قالوه إنكارًا واستصغارًا لقَدْرِه.

وقيل: نزلَتْ في أبي جهلٍ[1].

***

(٤٢) - ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾.

﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا﴾: يصرِفُنا بسحرِه وطَلاوةِ كلامِه عن الآلهةِ و﴿إِنْ﴾ هي المُخفَّفةُ منَ المُثقَّلةِ، واللامُ لامُ الفرقِ، والمعنى: قارَبَ إضلالَنا بصرفِه إيانا عن دينِ معبودِينا ﴿لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ لتَمَّ له كيدُه، وجوابُ ﴿لَوْلَآ﴾ محذوفٌ دلَّ عليه أوَّلُ الكلامِ.

وقيل: (كادَ) منَ الكيدِ[2]، وهو عملٌ في خُفيةٍ.

﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ﴾ أجابَهم الله وقال: إنَّما يظهرُ المُحِقُّ منَ المُبطِلِ عند رُؤيةِ العذابِ يومَ القيامةِ.

﴿مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ أنتَ أم هم؟ ووصفَ السَّبيلَ بالضَّلالِ مجازًا، والمُرادُ سالِكوها.

***

(٤٣) - ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾.

﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ استفهامُ تعجيبٍ، وذلك أنَّ المُشركَ إذا رأى شيئًا أعجبَه من حجرٍ أو شجرٍ اتَّخذَه معبودًا، فكأنَّه يتَّخِذُه إلهًا بهواه.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٢٣٥).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨١٧)، واستغربه.

نزلَتْ في الحارثِ بنِ قيسٍ كان إذا هَوِيَ شيئًا عبدَه[١].

وقيل: اتَّخذَ هواه إلهه[٢]، فلا يهوَى شيئًا إلا ركبَه، ولا يشتَهي شيئًا إلا أتاه، والمعنى: يتَّخِذُ ما يَهواه آلهةً، والهوى: ميلُ القلبِ إلى الشَّيءِ.

﴿أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾: حفيظًا يمنعُه عن ذلك.

وقيل: كفيلًا بهُداه مع اتِّباعِه الهوى.

وقيل: نصيرًا.

وقيل: مُسَيطرًا.

وليس هذا نهيًا عن دُعائِه إياهم، بل إعلامٌ بأنَّه قد قضى ما عليه منَ الإنذارِ والإعذارِ.

* * *

(٤٤) - ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾.

﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ﴾؛ أي: أم تتوهَّمُ أنَّ أكثرَ هؤلاءِ يعملون عملَ مَن يسمعُ، أو يعملون عملَ مَن يعقِلُ شيئًا، فأنتَ بهذا مشغولُ القلبِ لإصرارِهم على كُفرِهم، فلا تهتمَّ بشأنِهم، وإنَّما قال: ﴿أَكْثَرَهُمْ﴾ لأنَّ فيهم مَن آمنَ.

﴿إِنْ هُمْ﴾: ما هم ﴿إِلَّا كَالْأَنْعَامِ﴾ في رُكوبِها رُؤوسَها غيرَ مُفكرٍ[٣] في عاقبةٍ ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾؛ لأنَّها إن لم تعتقِدْ صحَّةَ التَّوحيدِ فلا تعتقِدُ بُطلانَه.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٢٣٥)، وعنه «البسيط» (١٦/ ٥١٢)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ١٤٦) عن النقاش.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨١٧)، واستغربه.

(٣) كذا في النسختين الخطيتين، ولعل صوابه: «مفكرة».

وقيل: البهائمُ تهتَدي لمراعيها وتنقادُ لأربابِها، وهؤلاءِ لا يهتَدون لمنافعِهم ولا يُطيعون ربَّهم.

وقيل: البهيمةُ تعرفُ ربَّها وتذكرُه، والكافرُ لا يعرفُ ربَّه[1] ولا يذكرُه.

***

(٤٥) ـ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ قيلَ: ألـم تعلَمْ، ومفعولاه مُـقـدَّرانِ؛ أي: أما علِمْتَ ربَّكَ مادًّا الظِّلَّ؟

وقيل: تقديرُه: ألـم تعلَمْ أنَّ الله هو مدَّ الظِّلَّ؟

وقيل: ألـم تنظُرْ إلى صُنعِ ربِّكَ؟

وقيل: ألـم ترَ إلى الظِّلِّ كيفَ مدَّه الله؟

وقيل: ألـم ترَ إلى مدِّ اللهِ الظِّلَّ؟

ومعنى ﴿مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾: بسَطَه، وفي ﴿ٱلظِّلَّ﴾ هاهنا ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: أنَّه ما بين طُلوعِ الفجرِ وطلوعِ الشَّمسِ مثلَ ظِلِّ الجنَّةِ، ظِلٌّ ممدودٌ لا شمسَ فيه ولا ظُلمةَ، وهذا قولُ الجمهورِ.

والثاني: هو اللَّيلُ؛ لأنَّه ظلُّ الأرضِ، ويعُمُّ الدُّنيا كلَّها.

والثالث: ظلالُ الأشياءِ كلِّها، من قولِه: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ﴾ الآية [النحل: ٤٨].

---

(١) في (ف): «والكافر لا يعرفه».

﴿وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا﴾: ثابتًا دائمًا منَ السُّكنَى، لا منَ السُّكونِ[1]؛ فإنَّ الظِّلَّ ساكنٌ غيرُ مُتحرِّكٍ.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ﴾: على الظِّلِّ ﴿دَلِيلًا﴾، ولولا الشَّمسُ ما عُرِفَ الظِّلُّ.

وقيل: دليلًا تَتْبعُه حتَّى تأتيَ عليه.

ابنُ عيسى: الظِّلُّ يتبعُ الشَّمسَ في طولِه وقصرِه إذا ارتفعَتْ أو انحطَّتْ[2]، ولو شاء لجعلَه ساكنًا لوقوفِ الشَّمسِ.

وقيل: جعَلْنا الشَّمسَ مع الظِّلِّ دليلًا على وحدانيَّةِ الله تعالى سبحانه.

وقيل: دليلًا على أوقاتِ الصَّلواتِ.

* * *

(٤٦) ـ ﴿ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾.

﴿ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ﴾؛ أي: الظِّلَّ ﴿إِلَيْنَا﴾؛ أي: ضَمَمْناه بطلوعِ الشَّمسِ.

وقيل: بغُروبِها.

﴿قَبْضًا يَسِيرًا﴾ قيل: سهلًا هيِّنًا.

وقيل: قليلًا قليلًا.

وقيل: خَفِيًّا.

وقيل: سريعًا.

---

(١) «لا من السكون» ليس في (ف). وقال الزمخشري: «سَمَّى انبسَاطَ الظلِّ وامتدادَه تَحرُّكاً مِنه، وعَدمَ ذلك سُكوناً». انظر: «الكشاف» (٣/ ٢٨٣).

وقال البيضاوي في «تفسيره» (٤/ ١٢٦): «﴿وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا﴾: ثابتاً من السكنى، أو غير متقلص من السكون بأن يجعل الشمس مقيمة على وضع واحد».

(٢) ذكر نحوه ابن فورك في «تفسيره» (١/ ١٩٦) بلا نسبة.

وكلُّها قريبٌ؛ لأنَّه يزولُ الظِّلُّ بطلوعِ الشَّمسِ أو بغروبِها على القولين جزءًا فجُزءًا.

ويحتمِلُ والله أعلَمُ: ﴿ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ﴾؛ أي: الدَّليلَ ـ وهو الشَّمسُ ـ ﴿قَبْضًا يَسِيرًا﴾ بالأُفولِ، ويكونُ المعنى: ألم ترَ إلى ربِّكَ كيف أتى باللَّيلِ ثمَّ لم يجعلْه دائمًا سرمَدًا، ثمَّ أتى بالشَّمسِ ـ وهو النَّهارُ ـ فجعلَه دليلًا على اللَّيلِ؛ إذ بضِدِّها تتبيَّنُ الأشياءُ، ولم يجعلِ النَّهارَ سرمَدًا، بل قبضَه وأتى باللَّيلِ ثانيًا، ومثلُه ما في القصصِ منَ الآياتِ.

وذكَّرَ الدَّليلَ لأنَّه مصدرٌ.

وقيل: لأنَّه اسمٌ مَحْضٌ.

وقيل: لأنَّه بمعنى: مفعول، ذكرَه صاحبُ «النَّظمِ»، وقال: المعنى: دلَلْنا الشَّمسَ على الظِّلِّ حتى ذهبَتْ به؛ أي: أَتبَعْناها إيَّاه.

وقيل: ذهبَ به إلى معنى النُّورِ.

وقال: هذا شاذٌّ عن القياسِ كالرَّميمِ والقريبِ والبعيدِ والكثيرِ، وكلُّها في القرآنِ، والمُرادُ بها التَّأنيثُ[1].

* * *

(٤٧) ـ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾ يعني: غطاءً يسترُ الأشياءَ كما يسترُ اللِّباسُ.

﴿وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا﴾: قَطْعًا لأعمالِكم وراحةً لأبدانِكم.

والسَّبْتُ: القطعُ.

والسَّبتُ: الاستراحةُ.

---

(١) ذكر المصنف من ذلك قوله تعالى: ﴿وَهِىَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨]، و﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦]، و﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [ق: ٣١]؛ عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾.

وقيل: ﴿سُبَاتًا﴾: مسبوتًا، تقول: سُبِتَ المريضُ فهو مسبوتٌ؛ إذا غُشِيَ عليه(١).

﴿وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا﴾ لمَّا سمَّى النومَ وفاةً في قولِه: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢] سمَّى اليقظةَ نُشورًا، مصدرُ: نَشَرَ الميِّتُ(٢).

وقيل: لانتشارِ النَّاسِ للمعاشِ سمَّاه نُشورًا؛ أي: ذا نُشورٍ.

***

(٤٨) ـ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ﴾: أثارَها سهلةً، مَن جمعَ فلأنَّها أربعٌ، ومَن وحَّدَ فإنَّ الألفَ واللامَ فيها للجنسِ(٣).

﴿بُشْرًۢا﴾ منَ البشارةِ، كقولِه: ﴿ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ﴾ [الروم: ٤٦]؛ و: ﴿نَشْراً﴾(٤)؛ أي: تهبُّ من كلِّ صَوبٍ، من قولِه: ﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا﴾ [المرسلات: ٣].

وقيل: لها نَشْرٌ؛ أي: رائحةٌ طيِّبةٌ.

وقيل: من «نَشَرْتُ» ضدَّ الطَّيِّ؛ أي: ينشرُ السَّحابَ. ﴿بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾: أمامَ المطرِ وقُدَّامَه؛ لأنَّه ريحٌ ثمَّ سحابٌ ثمَّ مطرٌ.

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: من جانبِ السَّماءِ.

وقيل: منَ السَّحابِ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨١٨)، واستغربه.

(٢) أي: عاد حيّاً، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨١٨)، واستغربه.

(٣) قرأ ابن كثير بالإفراد، والباقون بالجمع. انظر: «التيسير» (ص: ١٢٥).

(٤) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو: ﴿نُشُراً﴾ بضم النون والشين، وابن عامر: ﴿نُشْراً﴾ بضم فسكون، وعاصم: ﴿بُشْراً﴾ بالباء، وقرأ الباقون: ﴿نَشْراً﴾ بفتح فسكون. انظر: «السبعة» (ص: ٤٦٥)، و«التيسير» (ص: ١١٠).

وقيل: من عينِ السَّماءِ.

﴿مَآءً﴾: مطرًا ﴿طَهُورًا﴾: طاهرًا، وبناء (فَعول) للمُبالغةِ؛ فإنْ كان اسمُ الفاعلِ مُتعدِّيًا فالمفعولُ مُتعَدٍّ، وإن كانَ لازمًا فلازمٌ؛ قياسًا مُطَّردًا لا ينكسرُ.

وقيل: الطَّهورُ اسمٌ لِـمَا يُتَطَهَّرُ به، كالفَطورِ لِـمَا يُفطَرُ عليه، والسَّحورِ لِـمَا يُتسَحَّرُ به، وكلُّ شيءٍ نجسٍ يُطهِّرُه الماءُ، ولا يُطَهِّرُ الماءُ إذا نجِسَ بشيءٍ.

وقيل: يُطهِّرُ الأرضَ منَ الجَدْبِ؛ لأنَّ الجدبَ ميتةٌ، فكأنَّها في التَّمثيلِ نجسةٌ، حكاه القفَّال[1].

***

(٤٩) ـ ﴿لِّنُحْـِۧيَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾.

﴿لِّنُحْـِۧيَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾؛ أي: أنزَلْناه لنُنْبِتَ به أرضًا لا نباتَ فيها، فذاك حياتُها وموتُها.

وقيل: لمَّا نبتَ فيها ما فيه حياةُ الحيوانِ جعلَ ذلك حياةً لها.

﴿وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾؛ أي: ونُسقي الماءَ البهائمَ والنَّاسَ.

وقيل: مَكَّنَّاهم من أنْ يشرَبوه ويسقُوا منه أنعامَهم.

وأدخلَ (مِن) لأنَّ منَ الحيوانِ ما يعيشُ بغيرِ الماءِ، وقد سبقَ في قولِه: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠]، وقال: ﴿وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾ ولم يقُلْ: مُطلقًا؛ لأنَّه ليس كلُّ النَّاسِ يعيشُ على[2] المطرِ.

﴿وَأَنَاسِيَّ﴾: جمعُ إنسيٍّ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨١٨) دون نسبة، واستغربه.

(٢) في (ف): «بماء».

وقيل: جمعُ إنسانٍ، فقُلِبَ النُّونُ ياءً وأُدغِمَ في الياءِ.

وماءٌ أصلُه: ماه، فقُلِبَ الهاءُ همزةً بدليلِ الجمعِ: مياه.

* * *

(٥٠) ـ ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ﴾ التَّصريفُ: تصييرُ الشَّيءِ دائرًا في الجهاتِ، وأكثرُ المُفسِّرين على أنَّ الهاءَ تعودُ إلى المطرِ؛ أي: قسَمْنا ماءَ السَّماءِ بين العبادِ فمَطَرْنا قومًا أكثرَ وقومًا أقلَّ.

وعن ابنِ عبَّاسٍ ـ وقيل: عن ابنِ مسعودٍ ـ رضي الله عنهما: ما عامٌ بأكثرَ مطرًا من عامٍ، ولكنَّ الله يُصرِّفُه بين خلقِه، وقرأ: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفرقان: ٥٠][(١)].

وقيل: صرَّفْناه في جهاتِ الأرضِ.

وقيل: صرَّفْناه بأنواعِه وابلًا، وطَلًّا، وجَلَلًا، وطَشًّا، ورَذاذًا.

وقيل: الهاءُ تعودُ إلى القرآنِ.

وقيل: تعودُ إلى جميعِ ما تقدَّمَ.

﴿لِيَذَّكَّرُوا﴾: ليتفكَّروا فلا يكونوا غافلين.

﴿فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾؛ أي: فأَصَرَّ ودامَ على الكفرِ والعصيانِ.

وقيل: نسَبُوا المطرَ إلى الأنواءِ فقالوا: مُطِرْنا بنَوءِ كذا وكذا.

* * *

---

(١) رواه يحيى بن سلام في «تفسيره» (١/ ٣٩٦)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٦٨)، والحاكم في «المستدرك» (٣٥٢٠) وصححه، عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٦٩)، والداني في «الفتن» (٢١١) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٥١) ـ ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا﴾.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا﴾؛ أي: في كلِّ مِصْرٍ ومدينةٍ نبيًّا يُنذِرُهم، لكنَّا لم نفعَلْ، بل جعلناك النَّذيرَ للجميعِ، فاشكُرْ وجاهِدْهُم.

وقيل: ولو شئنا لبعَثْنا في كلِّ قريةٍ نذيرًا فيُخفِّفَ عنك أعباءَ النُّبوَّةِ، ولكنْ لم نفعَلْ؛ ليعظُمَ شأنُكَ ويَكبرَ أجرُكَ.

* * *

(٥٢) ـ ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾.

﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ﴾ في هواهم ﴿وَجَاهِدْهُم بِهِ﴾ بالقرآنِ.

وقيل: بالإسلامِ.

وقيل: بالسَّيفِ.

﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾ لا يُخالطُه فتورٌ.

الحسنُ: اقتُلْهم أو يُسلِموا(١).

* * *

(٥٣) ـ ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾.

﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾: خلَطَ، وأمرٌ مَريجٌ: مختلِطٌ.

وقيل: مَرَجَ: ترَكَ وأرسلَ، ومَرَجْتَ دابَّتَكَ: خلَّيْتَها، ومنه المَرْجُ.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: خلَعَ أحدَهما على الآخرِ(٢).

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٧٢).

مجاهدٌ: أفاضَ أحدَهما في الآخرِ[١].

والبحرانِ: هو[٢] الماءُ العَذْبُ الفُراتُ الذي بلغَ الغايةَ في العُذوبةِ والاستلذاذِ، والمصدرُ: الفُرُوتَةُ، والماءُ الأُجاجُ: المِلحُ بلغَ النِّهايةَ، ويُقالُ: المُرُّ، ويُقالُ: الحارُّ؛ من أَجيجِ النَّارِ، يجتمعانِ في موضعٍ واحدٍ، فلا يبغي أحدُهما على الآخرِ، ولا يُفسِدُ أحدُهما طعمَ الآخرِ، وهو قولُه: ﴿هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾ من قُدرتِه يلتَقيانِ فلا يختلِطانِ.

وقال بعضُهم: البحرُ: كلُّ نهرٍ عظيمٍ، والعَذْبُ: جَيْحانُ وسَيْحانُ ودِجْلةُ والفُراتُ والنِّيلُ، والملحُ: سائرُ البحارِ، والبرزخُ بينهما: البلادُ والقِفارُ فلا يختلطانِ، فإذا كان يومُ القيامةِ اختلَطا بزوالِ الحاجزِ كقولِه: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ [الانفطار: ٣].

وقيل: البرزَخُ: مُدَّةُ ما بينَ الدُّنيا والآخرةِ، فإذا انقضَتِ الدُّنيا اختلَطا.

قوله: ﴿وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾؛ أي: حدًّا محدودًا.

الفرَّاءُ: حرامًا مُحرَّمًا أن يغلبَ أحدُهما على صاحبِه[٣].

وقيل: البحرانِ: بحرُ السَّماءِ والأرضِ.

وقيل: بحرُ فارسَ وبحرُ الرُّومِ. والوجهُ الأوَّلُ.

وقيل: ﴿ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ اسمُ الملحِ دونَ العذبِ، وثُنِّي كالعُمَرَين والقَمَرَين[٤].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٧٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٧٠٧).

(٢) كذا في النسختين الخطيتين، ولعل الصواب: «هما».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٧٠).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨١٩)، واستغربه.

(٥٤) - ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا﴾: خلقَ منَ النُّطفةِ إنسانًا، والبشرُ واحدٌ.

وقيل: المُرادُ بنو آدمَ، والبشرُ جمعٌ خُلِقوا من نُطفةِ آدمَ.

وقيل: المُراد آدمُ، وآدمُ خُلِقَ من الطِّينِ، والطِّينُ ماءٌ وترابٌ.

وقيل: أصلُ كلِّ شيءٍ الماء، والتُّرابُ خُلِقَ من الماءِ، وقد سبق.

وقيل: خُلِقَ الحيوانُ من الماءِ والتُّرابِ والهواءِ والنَّارِ، وليس إذا قالَ: خُلِقَ منَ الماءِ، امتنعَ أن يكونَ معه شيءٌ آخرُ.

﴿فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ الهاءُ تعودُ إلى الماءِ، وقيل: إلى البشرِ.

قال بعضُ المُفسِّرين: النَّسبُ: ما لا يحلُّ نكاحُه، والصِّهرُ: ما يحلُّ من القرابةِ وغيرِ ذلك.

وقيل: النَّسبُ: البنونَ، والصِّهرُ: البناتُ؛ لأنَّ مِن قِبَلِهنَّ تكونُ الأصهارُ، والصِّهرُ: المُتزوِّجُ بابنةِ الرَّجلِ.

وقيل: النَّسبُ سبعٌ، وهي من قولِه: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ﴾ [النساء: ٢٣] إلى قولِه: ﴿وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ﴾ [النساء: ٢٣]، والصِّهرُ خمسٌ من قولِه: ﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ﴾ [النساء: ٢٣] إلى قولِه: ﴿مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ﴾ [النساء: ٢٣][1].

وقيل: النَّسبُ آدمُ، والصِّهرُ: حوَّاءُ[2].

﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾: قادرًا على الكمالِ.

* * *

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨١٩)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨١٩)، وعدَّه من العجائب.

(٥٥) ـ ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا﴾.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾ يعني: الأصنامَ ﴿وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا﴾ نزلَتْ في أبي جهلٍ[1]، فصارَتْ عامًّا في الكفَّارِ، وفي معناه أقوالٌ:

أحدُها: مُعينًا لأعداءِ الله وللشَّيطانِ على معصيةِ الله، فيكونُ الرَّبُّ في الآيةِ اللهَ سبحانَه وتعالى.

وقيل: أولياءِ ربِّه؛ أي: يُعينُ على مُعاداتِهم.

وقيل: على معصيةِ ربِّه.

وقيل: ﴿عَلَىٰ رَبِّهِۦ﴾؛ أي: الصَّنمِ يعملُ به ما يشاءُ من كَسْرٍ وحَرْقٍ، وصَوْغٍ على شكلٍ ثمَّ على شكلٍ غيرِ الأوَّلِ، من قولِـهم: بعيرٌ ظهيرٌ وناقةٌ ظهيرةٌ؛ أي: قويٌّ.

وقيل: بربِّه ظهيرًا؛ أي: يتقوَّى به بزَعمِه، فتكونُ ﴿عَلَىٰ﴾ بمعنى الباءِ[2].

وقيل: على الله ظهيرًا باطلًا، من قولِه: ﴿وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا﴾ [هود: ٩٢]، وظهَرَ بحاجتِه؛ إذا تركَها ونبَذَها وراءَ ظهرِه[3].

***

(٥٦) ـ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ﴾ يا محمَّدُ ﴿إِلَّا مُبَشِّرًا﴾ للمؤمنين ﴿وَنَذِيرًا﴾: مُنذِرًا للكافرين.

***

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٧٨) من طريق عطية العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما، وإسناده ضعيف جدًّا، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦١١) عن عطية العوفي ومجاهد والشعبي.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٢٠)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٢٠)، وعدَّه من العجائب.

(٥٧) ـ ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴾.

﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على تبليغِ الرِّسالةِ، وقيل: على التَّبشيرِ.

﴿مِنْ أَجْرٍ﴾: رزقٍ وجُعلٍ.

﴿إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴾ الاستثناءُ مُنقطِعٌ عند الجمهورِ؛ أي: لكنْ مَن شاءَ أن يتَّخِذَ إلى ربِّه سبيلًا فليفعَلْ.

وقيل: لكنْ مَن أنفقَ في سبيلِ الله ومُجاهدةِ أعداءِ الله نَفَعَه.

وقيل: الاستثناءُ مُتَّصلٌ، وتقديرُه: لا أسألُكم على ما أدعوكُم إليه أجرًا إلا اتِّخاذَ المدعوِّ سبيلًا إلى ربِّه بطاعتِه فذلك أجري؛ لأنَّ الله يأجُرُني عليه[1].

***

(٥٨) ـ ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴾.

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾: فَوِّضْ أمرَكَ إليه وثِقْ به؛ فإنَّه حيٌّ لا يموتُ، وسينتقِمُ منهم ولو بعد حينٍ.

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ﴾: نَزِّهْه عمّا لا يليقُ به وبأوصافِه.

وقيل: سبِّحْ بأنْ تحمدَه.

وقيل: الباءُ للحالِ، أي: سبِّحْه حامِدًا.

وقيل: احمَدْه مُنزِّهًا.

وقيل: صَلِّ له حامِدًا.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٢٠)، واستغربه.

﴿وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا﴾: كفى بالله خبيرًا بذنوبِ عبادِه؛ أي: عالِـمًا بها، ولا يخفَى عليه شيءٌ منها.

* * *

(٥٩) ـ ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾؛ أي: هو الرَّحمنُ.

ويجوزُ أن يكونَ ﴿ٱلَّذِى﴾ مُبتدأً، و﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ خبرُه، ويجوزُ أن يكونَ وصفًا له، و﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ خبرُه.

ويجوزُ أن يقفَ على ﴿أَيَّامٍ﴾، ويرتفعَ ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ بقولِه: ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾.

ويجوزُ أن يرتفعَ بالابتداءِ ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ﴾ خبرُه، على مذهبِ الأخفشِ، فتكونُ الفاءُ زيادةً(١).

وقولُه: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ قيل: الهاءُ عائدٌ إلى الخلقِ، وذلك أنَّ اليهودَ وَصَفوا خلقَ السَّماواتِ والأرضِ على خلافِ ما خلَقَ الله، والتَّقديرُ: فاسألِ الرَّحمنَ خبيرًا به؛ فإنَّه خالقُه ومُكوِّنُه(٢).

وقيل: ﴿خَبِيرًا﴾ مفعولٌ، والتَّقديرُ: فاسأَلْ خبيرًا به، فيجوزُ أن يكونَ هو الرَّحمن كالوجهِ الأوَّلِ، ويجوزُ أن يكونَ غيرُه كقولِه: ﴿فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [يونس: ٩٤]، فيكونُ الخطابُ للنَّبيِّ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ والمُرادُ به غيرُه.

---

(١) ذكره العكبري في «التبيان» (٢/ ٩٨٩)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٢٠) دون نسبة، واستغربه.

(٢) و﴿خَبِيرًا﴾ على هذا التقدير حال، و﴿بِهِۦ﴾ متلقان بحال مقدمة من ﴿خَبِيرًا﴾.

وقيل: الباءُ من صلةِ السُّؤالِ بمعنى (عن) كقولِه: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ﴾ [المعارج: ١]، وقال الشَّاعرُ:

فإن تسألوني بالنِّساءِ فإنَّني بصيرٌ بأدواءِ النِّساءِ طبيبُ[١]

و﴿خَبِيرٗا﴾ جاز أن يكونَ لله سبحانَه، وجازَ لغيرِه على ما سبقَ[٢].

وقيل: ﴿بِهِۦ﴾ يعودُ إلى الله.

وقيل: إلى الاستواءِ فيمَن جعلَ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ رفعًا به[٣].

وقيل: السُّؤالُ بمعنى الطَّلبِ كقولِه: ﴿تَسَآءَلُونَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١]، والهاءُ تعودُ إلى الله، و﴿خَبِيرٗا﴾ حالٌ منَ الهاءِ؛ أي: اطلُبْ ما تطلبُ بالله الخبيرِ[٤].

***

(٦٠) ـ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْۤ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا وَزَادَهُمۡ نُفُورٗا﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾: إذا قالَ محمَّدٌ عليه السَّلامُ للمُشركين: ﴿ٱسۡجُدُواْۤ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ:

أحدُها وهو قولُ كثيرٍ منَ المُفسِّرين: أنَّهم قالوا: لا نعرفُ الرَّحمنَ إلا رحمانَ اليمامةِ؛ يعنُونَ مُسيلمةَ الكذابَ، ﴿أَنَسۡجُدُ﴾ لمُسيلمةَ؟!

والثَّاني: لا نعرفُ الرَّحمنَ فنسجُدَ له، ﴿أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا﴾ يا محمَّدُ من غيرِ علمٍ منَّا به؟!

---

(١) البيت لعلقمة بن عبدة. انظر: «المفضليات» (ص: ٣٩٢)، و«البيان والتبيين» (٣/ ٢١٦)، و«الشعر والشعراء» (١/ ٢١٣).

(٢) والمعنى: فاسأل عن الخلق خبيراً، وهو الله، أو أهل العلم من خلقه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨١٢)، واستغربه.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٢٠)، واستغربه.

والثّالثُ: أَنَّهم كانوا يعرفون هذا الاسمَ، وأنَّه للمُبالغةِ في الرَّحمةِ، ووجهُه: أن يُجعَلَ هذا حكايةً عن المجوسِ والصَّابئين.

والرّابعُ: أنَّ هذا الاسمَ لم يكنْ معروفًا عندَ العربِ، وأنَّه عِبْرانيٌّ في الأصلِ، فلمَّا دُعوا إلى سجدتِه(١) سألوا عنه مسألةَ الجاهلِ بالشَّيءِ.

ويحتمِلُ تأويلَين آخرَين:

أحدُهما: أنَّهم أنكروا الأوصافَ إنكارَ الفلاسفةِ لها.

والثاني: أنكروا الجمعَ بين اسمَين علمَين لمُسمًّى واحدٍ، والله أعلمُ.

ومَن قرأ بالتَّاءِ(٢) فمعناه: أنسجدُ لِما تأمرُنا أنتَ يا محمَّدُ؟

وفي ﴿ما﴾ وجهانِ:

أحدُهما: للمصدرِ؛ أي: لأمرِه ولأمرِك.

والثّاني: بمعنى: الذي، فيكونُ تقديرُه: للَّذي تأمرُنا به.

﴿وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾؛ أي: زادَهم قولُ: ﴿ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ نفورًا عن الإيمانِ؛ إذ كانوا لا يعرفونَ الرَّحمنَ.

* * *

(٦١) ـ ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾.

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا﴾ قيل: قُصورًا. وقيل: نُجومًا كبارًا.

وقيل: هي البروجُ المعروفةُ، وهي اثنا عشرَ برجًا: الحَمَلُ، والثَّوْرُ، والجَوْزاءُ، والسَّرَطانُ، والأسدُ، والسُّنْبُلةُ، والميزانُ، والعقربُ، والقَوسُ، والجَديُ، والدَّلْوُ،

---

(١) كذا في النسختين، والمراد: «إلى السجود له».

(٢) قرأ حمزة والكسائي: (يأمرنا) بالياء، والباقون بالتاء. انظر: «السبعة» (ص: ٤٦٦)، و«التيسير» (ص: ١٦٤).

والحوتُ، وفيها تسيرُ الشَّمسُ والقمرُ والنُّجومُ الخمسةُ السيَّاراتُ، وهي كواكبُ سُمِّيت كلُّ عِدَّةٍ منها باسمٍ من هذه الأسماءِ لضَربٍ منَ التَّشبيهِ بينها وبين ذلك الحيوانِ وغيرِه.

﴿وَجَعَلَ فِيهَا﴾ قيل: في السَّماءِ.

وقيل: في هذه البروجِ فيمَن جعلَ البروجَ النُّجومَ؛ أي: في جملتِها.

﴿سِرَاجًا﴾؛ أي: الشَّمسَ، كقولِه: ﴿وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ [نوح: ١٦]، ومَن قرأ بالجمعِ[1] أرادَ بها النُّجومَ، أو عبَّرَ عن الشَّمسِ بلفظِ الجمعِ.

﴿وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾: مُضيئًا باللَّيلِ، والهلالُ بعد ثلاثٍ قَمَرٌ لابيِضاضِ الأرضِ به، والأَقْمَرُ: الأبيضُ.

***

(٦٢) ـ ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾.

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ الخِلْفةُ: مصدرٌ بمعنى الاختلافِ؛ أي: مُختلِفين[2] إلى الخلقِ، يجيءُ هذا حينًا وهذا حينًا.

وقيل: ﴿خِلْفَةً﴾: مُختلفين في اللَّونِ.

---

(١) أي: ﴿سُرُجاً﴾، قرأ بها حمزة والكسائي، والباقون: ﴿سِرَاجًا﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٤٦٦)، و«التيسير» (ص: ١٦٤).

(٢) في (ن): «الإخلاف أي مخلفين»، والمثبت من (ف)، وهو الصواب، قال الزمخشري: «يقال: الليلُ والنهار يَختلفان، كما يقال: يعتقبان، ومنه قولُه: ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [البقرة: ١٦٤]، ويقالُ: بفلانٍ خِلْفَةٌ واختِلافٌ، إذا اختلفَ كثيراً إلى مُتبَرَّزِه». قال: «والمعنَى: جَعلهما ذَوَيْ خِلْفةٍ؛ أي: ذَوَيْ عُقْبةٍ يَعقُبُ هذا ذاكَ وذاكَ هذا». انظر: «الكشاف» (٣/ ٢٩٠).

وقيل: ﴿خِلْفَةً﴾: يخلفُ كلُّ واحدٍ منهما صاحبَه، وفيه توسعةٌ على العبادِ في نوافلِ العباداتِ والطَّاعاتِ.

وقيل: ﴿خِلْفَةً﴾ النَّهارُ يخلفُ عن نهارٍ، واللَّيلُ يخلُفُ عن ليلٍ(١).

وقيل: ﴿خِلْفَةً﴾ في الزِّيادةِ والنُّقصانِ، يتعاقَبانِ حثيثَينِ إلى أجلٍ مُسمًّى(٢)، حكاهما القفَّالُ.

﴿لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ﴾: يتَّعِظَ ويذكرَ الله.

﴿أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾: شُكرَ نعمِ الله المذكورةِ في الآيةِ.

***

(٦٣) ـ ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾.

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ هذه إضافةُ تفضيلٍ وإنْ كان الكفَّارُ عبادَه.

وقيل: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ﴾ الذين يستحقُّونَ هذه التَّسميةَ، كما تقولُ: هذا البارُّ ابني لا هذا العاقُّ.

وقيل: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ﴾ الذين يرضاهُم ويحمدُهم.

ابنُ بحرٍ: (عباد) هاهنا جمعُ عابدٍ، كصاحبٍ وصِحابٍ، وتاجرٍ وتِجارٍ، وراجلٍ ورجالٍ(٣)؛ أي: الذي يعبُدونه حقَّ عبادتِه.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٢١)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٢١)، وعدَّه من العجائب.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٢١)، واستغربه.

﴿ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ﴾؛ أي: هم الذين يمشُونَ فيمَن جعلَه خبرَ المُبتدأ، ومَن جعلَ خبرَ المُبتدأ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ﴾ [الفرقان: ٧٥] جعَلَ ﴿ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ﴾ وما بعدَه وصفًا لـ(عبادِ الرَّحمنِ)[١].

ومعنى ﴿يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا﴾ عند ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: حُلَماءَ عُلَماءَ[٢].

وقيل: أتقياءَ أعِفَّاءَ.

وقيل: مُتَواضِعين غيرَ مُتكبِّرين.

وقيل: في لينٍ وسكينةٍ ووقارٍ غيرَ مُختالٍ فخورٍ.

والهَوْنُ مصدرُ الهيِّنِ الحقيرِ، وهو نصبٌ على الحالِ؛ أي: هيِّنين ليِّنين.

﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ﴾ قيل: هم الكفَّارُ. وقيل: السُّفهاءُ.

أي: كلَّموهم بما يكرَهون منَ القولِ ﴿قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾ أجابُوهم بالحسنى، وصانوا أنفُسَهم عن مُسافهَتِهم ومُشاتَمتِهم.

ومعنى ﴿سَلَٰمٗا﴾: سدادًا، وتقديرُه: قالوا قولًا سلامًا؛ أي: يسلَمُون من عُقباه.

وقيل: سلِّمُوا سلامًا.

وقيل: ﴿قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾؛ أي: براءةً منكم، برِئْنا من خيرِكم وشرِّكم، لا خيرَ بينَنا ولا شرَّ، وهذا قولُ سيبويهِ، والآيةُ عندَه منسوخةٌ، وليس في «كتابِ سيبويهِ» ذكرُ النَّاسخِ والمنسوخِ إلّا هذا، قال: لأنَّ الآيةَ مكِّيَّةٌ، ولم يُؤمَرِ المسلمون يومَئذٍ أن يُسلِّموا على المُشركين، ولكنَّه على قولِه: لا خيرَ بينَنا ولا شرَّ[٣].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٢١)، واستغربه.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٧٢٠).

(٣) انظر: «الكتاب» (١/ ٣٢٤ـ٣٢٥)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٢٢)، واستغربه.

قال المُبرِّدُ: أخطأ سيبويهِ في هذا وأساءَ العبارةَ؛ لأنَّه لا معنى لقولِه: ولـم يُؤمَرِ المسلمون يومَئذٍ أن يُسلِّموا على المُشركين، وإنَّما كان ينبَغي أن يقولَ: ولـم يُؤمَرِ المسلمون يومَئذٍ أن يُحارِبوا المشركين، ثمَّ أُمِروا بحربِهم(١).

وهذا تجنٍّ منَ المُبرِّدِ كعادتِه معه في مواضعَ منَ «الكتابِ»، وإنَّما معنى كلامِ سيبويهِ: لـم يُؤمَرِ المُسلمون يومَئذٍ أن يُسلِّموا على المُشركين، بل أُمِروا أن يتسلَّموا ويتبرَّؤوا، ثمَّ نُسِخَ ذلك بالأمرِ بالحربِ، والله أعلمُ.

وسلَّمَ المُبرِّدُ أنَّ الآيةَ منسوخةٌ.

* * *

(٦٤) ـ ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾.

﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ تلك حالُهم مع النَّاسِ، وهذه حالُهم في الخلوةِ؛ أي: يأتي عليهم اللَّيلُ وهم في الصَّلاةِ ساجِدون قائِمون.

﴿سُجَّدًا﴾: جمعُ ساجدٍ، ﴿وَقِيَامًا﴾: جمعُ قائمٍ، ويجوزُ أن يكونَ مصدرًا.

وقدَّمَ السُّجودَ وأخَّرَ القيامَ لرويِّ الآيةِ، وليُعلَمَ أنَّ القيامَ في الصَّلاةِ.

والمعنى: يترُكونَ النَّومَ لعبادةِ الله.

---

(١) كلام المبرد في «المقتضب» (٤/ ٧٩)، موافق لكلام سيبويه، ولفظه: «انتصب ﴿سَلَامًا﴾ لأنه مصدر عمل فيه فعله لا القول، والمعنى والله أعلم: وقالوا: سلمنا سلاماً، وتفسيره: تسلَّمنا منكم تسلُّما وبرئنا براءة؛ لأنهم لم يؤمروا أن يسلمُوا على المشركين إذْ ذاك، والآية مكية».
وقال فيه أيضاً (٣/ ٢١٩): «قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ تأويلُه: المتاركة؛ أي: لا خير بيننا وبينكم ولا شرّ».
فلعل ما نقله المؤلف عنه قاله في كتاب آخر، وقد ذكره النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٦٠٤)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٢٢)، وذكر بعضه القرطبي في «تفسيره» (١٣/ ٧٠).

عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: مَن صلَّى في ليلةٍ ركعتَين بعد صلاةِ العشاءِ فقد باتَ لربِّه ساجدًا(١).

***

(٦٥) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾؛ أي: يستَعيذون الله منَ النَّارِ، ومعنى ﴿غَرَامًا﴾: لازِمًا مُلِحًّا، ومنه الغريمُ؛ لمُلازَمَتِه وإلحاحِه.

وعن الحسنِ: كلُّ غريمٍ يُفارِقُ غريمَه إلّا جهنَّمَ(٢).

وقيل: ﴿غَرَامًا﴾: بلاءً، من قولِه: ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾ [الواقعة: ٦٦].

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿غَرَامًا﴾: مُولعًا(٣).

وقيل: ثِقْلًا عظيمًا.

---

(١) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٥٤٤)، والثعلبي في «تفسيره» (١٩/ ٤٦٧)، والواحدي في «البسيط» (١٦/ ٥٧٨).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٤١٨٨)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٩٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٧٢٣).

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٦/ ٥٧٩) عن الكلبي، وانظر: «تنوير المقباس» (ص: ٣٠٥).

وهو على هذا بمعنى الإلحاح والدوام كما شرحه العلماء، قال الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٩٥): ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ يقول: إن عذاب جهنم كان غراماً ملحًّا دائماً لازماً غيرَ مفارق مَن عُذِّب به من الكفار، ومُهلكاً له، ومنه قولهم: رجل مُغرم، من الغُرْم والدَّين. ومنه قيل للغريم: غَريم؛ لطلبه حقه وإلحاحه على صاحبه فيه، ومنه قيل للرجل المولع بالنساء: إنه لمغرَم بالنساء، وفلان مغرَم بفلان؛ إذا لم يصبر عنه. وقد أخذه الطبري من الفراء في «معاني القرآن» (٢/ ٢٧٢) مع بعض الزيادة في الشرح.

وقيل: الغرامُ: أشدُّ العذابِ، وهو مصدرُ غرِمَ غُرْمًا وغَرامًا.

محمَّدُ بنُ كعبٍ: سألَ اللهُ الكفَّارَ ثمنَ نِعَمِه فلم يُؤدُّوه إليه، فأغرَمَهم فأدخَلَهم النّارَ[1].

***

(٦٦) ـ ﴿ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾.

﴿ إِنَّهَا ﴾: إنَّ جهنَّمَ ﴿سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا﴾: موضعَ قرارٍ ﴿وَمُقَامًا ﴾: موضِعَ إقامةٍ. والمُستقَرُّ دونَ المقامِ؛ لأنَّه يقعُ على سكونِ الشَّيءِ عن الحركةِ، والإقامةُ بمعنى الثَّباتِ الدّائمِ.

***

(٦٧) ـ ﴿ وَالَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾.

﴿ وَالَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ ﴾ الإسرافُ: مُجاوزةُ الحدِّ في التَّوسُّعِ في الدُّنيا.

وقيل: أسرَفَ: أخطأَ موضعَ النَّفقةِ، من قولِ العربِ: مررتُ بكم فسَرِفْتُكُمْ؛ أي: أخطَأْتُ موضِعَكُم.

والإقتارُ: التَّضييقُ على النَّفسِ والعيالِ والوجوهِ المندوبِ إليها.

﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ القَوامُ: الاعتدالُ بين الحالَينِ.

وقيل: الإسرافُ: مُجاوزةُ الحدِّ الذي أباحَه الله لعبادِه إلى ما فوقَه، والإقتارُ: القصورُ عمَّا أمرَ الله به، والقَوامُ بينَ الأمرَين، والمُسرِفُ مذمومٌ، وكذلك المُقتِّرُ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٩٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٧٢٤)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٢٢)، واستغربه.

ورَوَى معاذٌ رضي الله عنه: أنَّه لـمَّا نزلَتْ هذه الآيةُ سألتُ رسولَ الله ﷺ عنِ النَّفقةِ في السَّرَفِ والإقتارِ ما هو؟ فقال عليه السَّلامُ: «مَن منعَ مِن حقٍّ فقد قتَّرَ، ومَن أعطى في غيرِ حقٍّ فقد أسرفَ»(١).

وقيل: الإسرافُ: الإنفاقُ في معصيةِ الله، والإقتارُ: منعُ حقِّ الله.

والقَوامُ: الاقتصادُ، وهو مصدرٌ. وقيل: القَوامُ: العدلُ، وهما واحدٌ، والكسرُ فيه لغةٌ(٢).

ونصبُه بخبرِ (كان)؛ أي: وكان الإنفاقُ قَوامًا، وأجازَ الكوفيُّون أن يكونَ اسمُ (كان): ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: وسطَ ذلك(٣).

وأقتَرَ وقتَرَ لُغتانِ، وفي مُستقبلِه وجهانِ(٤).

* * *

(٦٨) ـ ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾.

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ﴾: لا يعبُدونَ الصَّنمَ ولا يجعلون لله شريكًا.

﴿وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾؛ أي: حرَّمَ الله قتلَها، وهو نفسُ المُؤمنِ والمُعاهَدِ إلَّا بحقٍّ يُبيحُ قتلَها، وهو الشِّركُ، والزِّنى، وقتلُ النَّفسِ بغيرِ حقٍّ، والسَّعيُ في الأرضِ بالفسادِ.

وفي سببِ النُّزولِ: عن ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه قالَ: سألتُ رسولَ الله ﷺ:

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ١٥٦) بلا سند.

(٢) وقد قرأ بالكسر حسان بن عبد الرحمن، كما ذكر ابن جني في «المحتسب» (٢/ ١٢٥).

(٣) ذكر الوجهين الفراء في «معاني القرآن» (٢/ ٢٧٣).

(٤) فيقال: يَقتِروا، وبها قرأ ابن كثير وأبي عمرو، ويقال: يَقتُروا، وبها قرأ عاصم وحمزة والكسائي، وقرأ نافع وابن عامر: يُقتروا. انظر: «السبعة» (ص: ٤٦٦).

أيُّ الذَّنبِ أعظَمُ؟ قال: «أن تجعَلَ لله نِدًّا وهو خلقَكَ»، قال: قلتُ: ثمَّ أيٌّ؟ قال: «أن تقتُلَ ولدَكَ مخافةَ أن يَطْعَمَ معَكَ»، قال: قلتُ: ثمَّ أيٌّ؟ قال: «أن تَزْنيَ بحليلةِ جارِكَ»، فأنزَلَ الله تصديقَها: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ الآية[1].

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾: عقوبةً، تقولُ: أَثِمَ الرَّجلُ ـ بالكسرِ ـ: أذنَبَ، وأثَمَه: جازاه، قال الشَّاعرُ:

وهـل يأثِمَنِّـي اللهُ فـي أنْ ذَكَـرْتُـهـا ... وعلَّلْتُ أصحابـي بهـا ليلـةَ النَّفْـرِ[2]

وقيل: جزاءَ الآثامِ، وهو القولُ الأوَّلُ.

وقيل: ﴿أَثَامًا﴾: إثمًا.

وعن النَّبيِّ عليه السَّلامُ: «الأَثَامُ والغيُّ بئرانِ في النَّارِ»[3].

قتادةُ: اسمُ وادٍ في جهنَّمَ[4].

وقيل: الأَثَامُ وادٍ فيه الزُّناةُ.

* * *

---

(١) رواه البخاري (٤٧٦١)، ومسلم (٨٦).

(٢) البيت لنصيب بن رباح الأسود، وهو في «أمالي القالي» (٢/ ٢٠٦)، و«غريب الحديث» للخطابي (١/ ٦٥٨)، و«الصحاح» مادة: (أ ث م)، و«المحكم» (١٠/ ١٨٦). و«لسان العرب» مادة: (أ ث م)، وفيه: «يعني: هل يجزيني الله جزاء إثمي بأن ذكرت هذه المرأة في غنائي؟ ويروى بكسر الثاء وضمها».

(٣) رواه المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (ص: ٣٦)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥٧١)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٧٧٣١) عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، ولفظه: «بئران في أسفل جهنم يسيل فيهما صديد أهل جهنم، فهذا الذي ذكر الله في كتابه ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩] و﴿أَثَامًا﴾ [الفرقان: ٦٨]». قال ابن كثير في «تفسيره» (٥/ ٢٤٦): «هذا حديث غريب، ورفعه منكر».

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٠٩٨)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٥١٤) بلفظ: «﴿أَثَامًا﴾ نكالًا، ويقال: إنه واد في جهنم».

(٦٩) - ﴿يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا﴾.

﴿يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾؛ أي: لا يفتُرون فيها منَ العذابِ طرفةَ عينٍ.

وقيل: ﴿يُضَٰعَفۡ﴾: يُجمعُ بينَ العقوباتِ.

وقيل: يُجمعُ بينَ عذابِ الدُّنيا وعذابِ الآخرةِ.

﴿وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا﴾: ذليلًا.

مَن جزَمَ جعلَه بدلًا من قولِه: ﴿يَلۡقَ أَثَامًا﴾[1]؛ لأنَّ مُضاعفةَ العذابِ والخلودَ فيه لُقِيُّ الآثامِ، ومَن رفعَها فعلى الاستئنافِ[2].

***

(٧٠) - ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾ منَ الزِّنى والمعاصي، وقيل: منَ الشِّركِ.

﴿وَءَامَنَ﴾ بمحمَّدٍ ﷺ ﴿وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ بعد السيِّئاتِ.

وقيل: بعد الإيمانِ والتَّوبةِ.

نزلَتْ في الوحشيِّ قاتلِ حمزةَ رضي الله عنه، وفي سببِ النُّزولِ: عطاءٌ عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: أتى وحشيٌّ النَّبيَّ عليه السَّلامُ فقال: أتيتُكَ مُستَجيرًا فأجِرْني حتَّى أسمعَ كلامَ الله، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «قد كنتُ أحبُّ أن أراكَ على غيرِ جوارٍ، فأمَّا إذا أتيتَني مُستَجيرًا فأنتَ في جواري حتَّى تسمعَ كلامَ الله»، قال:

---

(١) في النسختين الخطيتين: «يضاعف»، وهو خطأ، والتصويب من «الحجة» لأبي علي (٥/ ٣٥٠)، وسياق الكلام يدل على أنه مراد المصنف، والله أعلم.

(٢) قرأ ابن عامر وأبو بكر برفع الفعلين والباقون بجزمهما، وابن كثير وابن عامر على أصلهما في الفعل الأول يحذفان الألف ويشددان العين. انظر: «السبعة» (ص: ٤٦٧)، و«التيسير» (ص: ١٦٤).

فإنِّي أشركتُ وقتلتُ النَّفسَ التي حرَّمَ الله وزنَيتُ فهل، يقبلُ الله منِّي توبةً؟ فصَمَتَ رسولُ الله ﷺ حتَّى أُنزِلَتْ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ إلى آخرِ الآيةِ، فتلاها عليه، فقال: أرى شرطًا، فلعلِّي لا أعملُ صالحًا في جوارِكَ حتَّى أسمعَ كلامَ الله، فنزلَتْ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، فدَعاه فتَلاها عليه، فقال: فلعلِّي ممَّن لا يشاءُ، فأنا في جوارِكَ حتَّى أسمعَ كلامَ الله، فنزلَتْ: ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣]، فقال: نعم، الآنَ لا أرى شرطًا فأسلَمَ(١).

وهذه الآيةُ نزلَتْ بالمدينةِ، وهي ناسخةٌ لِـمَا في النِّساءِ من قولِه: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ [النساء: ٩٣].

وقيل: هذه منسوخةٌ بها.

وقيل: هذه في المُشركِ(٢).

والصَّحيحُ أنَّ هذه هي النَّاسخةُ بدليلِ قولِه سبحانَه: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾ [طه: ٨٢]، وهذا مُحكَمٌ بالإجماعِ(٣).

﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾؛ أي: يُبدِّلُ الله بقبائحِ أعمالِـهم في الدُّنيا محاسنَ أعمالِـهم: بالشِّركِ إيمانًا، وبالزِّنى إحصانًا، وبالعصيانِ طاعةً.

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١٤٨٠). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢١٥): «فيه أبين بن سليمان وهو ضعيف».

(٢) روى مسلم (١٢٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنَّ ناسًا من أهلِ الشِّرك قتَلوا فأكثَروا، وزنَوا فأكثَروا، ثُم أتَوا محمدًا ﷺ، فقالوا: إنَّ الذي تقولُ وتَدْعو لحسَنٌ، ولو تُخبرُنا أنَّ لِمَا عَمِلْنا كفَّارةً، فنزَل: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾، ونزَل ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣].

(٣) قال ابن كثير في «تفسيره» (٢/ ٣٨٠) عن آية الفرقان: «هذا خبر لا يجوز نسخه، وحمله على المشركين... خلاف الظاهر، ويحتاج حمله إلى دليل، والله أعلم».

وقيل: هي في الآخرةِ إذا غلَبَتْ حسناتُه على سيِّئاتِه، فيُبدِّلُ الله السَّيِّئاتِ الحسناتِ، وهو أن يمحُوَ السَّيِّئاتِ ويكتُبَ مكانَها حسناتٍ.

وقيل: يُبدِّلُ عقابَ سيِّئاتِه إذا تابَ منها بثوابِ حسناتِه إذا انتقَلَ إليها.

وقيل: السَّيِّئاتُ عينُ العقابِ، والحسناتُ عينُ الثَّوابِ[1].

﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ لِمَا تقدَّمَ قبلَ التَّوبةِ ﴿رَحِيمًا﴾ لِمَا بعدَها.

* * *

(٧١) ـ ﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾.

﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾؛ أي: مَن تابَ وحقَّقَ التَّوبةَ بالعملِ الصَّالحِ بعدَ التَّوبةِ فهو التَّائبُ إلى الله حقَّ التَّوبةِ.

وقيل: معناه: مَن نزَعَ عن ذُنوبِه ورجعَ إلى الحقِّ، فإنَّما رجعَ إلى الله وإلى ثوابِه وإحسانِه، وهذا إجمالُ الوعدِ منَ الله للتَّائبِ.

وقيل: مَن عزمَ على التَّوبةِ، فإنَّه يتوبُ إلى الله، فليُبادِرْ إليها وليُوجِّه بها إلى الله.

وقيل: معناه: مَن تابَ فليتُبْ لله لا لغيرِه، كما قال الشَّاعرُ:

فما لله تابَ أبو كبيرٍ ... ولكِنْ تابَ خوفَ سعيدِ زيرِ[2]

ويحتمِلُ أنَّ المعنى: مَن تابَ من ذُنوبِه، فإنَّه يتوبُ إلى مَن يَقبلُ التَّوبةَ عن عبادِه ويعفو عن السَّيِّئاتِ[3]، فلا تهتمَّ بذنوبِكَ إذا تُبتَ عنها إلى الله، ثمَّ قيَّدَه بالمصدرِ فقالَ: ﴿مَتَابًا﴾ تأكيدًا؛ أي: يتوبُ إلى الله حقًّا.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٢٣)، واستغربه.

(٢) ذكر المصنف هذا القول في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٢٣)، واستغربه، وذكر البيت ولم أجده عند غيره.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٢٣)، واستغربه.

(٧٢) ـ ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾.

﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ ﴾: الشِّركَ والصَّنمَ.

وقيل: الكذبَ.

وقيل: الغناءَ.

الزَّجَّاجُ: أعيادَ النَّصارى(١).

وقيل: لعبةً كانت في الجاهليَّةِ.

وقيل: لا يشهدونَ بالزُّورِ؛ أي: بالكذبِ، فحُذِفَ الجارُّ.

ابنُ عيسى: مَن لا يشهدُ الزُّورَ هو الذي لا يشهدُ به؛ لأنَّه لو شهدَ به لكانَ قد حضرَه، فهو أتمُّ في الفائدةِ.

وقيل: النَّوْحَ.

وقيل: مجالسَ يُعابُ فيها النَّبيُّ ﷺ.

وأصلُه تمويهُ الباطلِ حتَّى يُوهِمَ أنَّه حقٌّ.

وقيل: أصلُه تحسينُ الشَّيءِ ووصفُه بخلافِ صفتِه.

﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ﴾ اللَّغْوُ: الفُحشُ وما لا خيرَ فيه منَ الكلامِ.

﴿مَرُّوا كِرَامًا﴾: يُعْرِضون عنه، من قولِ العربِ: شاةٌ كريمةٌ، إذا كانَتْ عندَ حلبِها تُعرِضُ عن الحالبِ بوجهِها، وهو علامةٌ لغزارتِها، فاستُعيرَ للصَّفحِ عن الذَّنبِ.

وقيل: إذا ذَكَروا الفُروجَ كَنَوا عنها، وإذا ذَكَروا النِّكاحَ كَنَوا عنه(٢).

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٧٧)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٢٣)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٢٤)، واستغربه.

وقيل: اللَّغوُ: ما كانَ يفعلُه المُشركون من أذِيَّةِ المُسلمين.

وقيل: مجالسُ المعاصي كلُّها.

السُّدِّيُّ: الآيةُ منسوخةٌ بآيةِ القتالِ(١).

***

(٧٣) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾؛ أي: قُرِئَ عليهم القرآنُ.

وقيل: إذا وُعِظُوا.

﴿لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾: لم يُقيموا عليها تارِكين لها تركَ مَن لا يسمعُ ولا يُبصِرُ، بل خرُّوا سُجَّدًا وبُكيًّا.

وقيل: لم يتغافَلوا عنها.

وقيل: لم يَخرُّوا على المعاصي خرورَ مَن لا يُبصِرُ ولا يسمعُ.

***

(٧٤) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ فيه قولانِ:

أحدهما: اجعَلْ لنا أزواجَ خيرٍ وأولادَ خيرٍ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٥٢٦) بلفظ: «هي مكية» ثم قال الطبري: «وإنما عنى السدي بقوله هذا إن شاء الله: أن الله نسخ ذلك بأمره المؤمنين بقتال المشركين بقوله: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥]، وأمرهم إذا مروا باللغو الذي هو شرك أن يقاتلوا أمراءه، وإذا مروا باللغو الذي هو معصية لله أن يغيروه، ولم يكونوا أمروا بذلك بمكة».

والثاني: هَبْ لنا منَ الأزواجِ أولادًا؛ يعني: أولادَ الصُّلبِ، ومن ذُرِّيتِنا أولادًا؛ يعني: أولادَ الأولادِ والأعقابِ.

والمعنى: لتَقَرَّ أعيُنُنا برُؤيتِنا إيَّاهُم على طاعةِ الله وطاعةِ رسولِه.

والذُّرِّيةُ: اسمٌ للجمعِ كقومٍ ورهطٍ، ومَن جمعَ فكما يُجمعُ القومُ أقوامًا، واشتقاقُه من الذَّرِّ، أو منَ الذَّرْوِ، أو منَ الذَّرْءِ.

و﴿قُـرَّةَ﴾ مصدرٌ، فلهذا لـم يُجمَعْ.

وفي الشَّواذِّ: (قُرَّاتِ أَعْيُنٍ)[1].

و﴿قُـرَّةَ﴾ عند أكثرِهم منَ القُرِّ، وهو البردُ؛ لأنَّ دمعةَ السُّرورِ باردةٌ، وضدُّه سُخنةُ العينِ.

وقيل: منَ القرارِ؛ أي: يَقِرُّ البصرُ به فلا يَنظُرُ إلى غيرِه.

وقال أبو عمرٍو: قُرَّةُ العينِ: النَّومُ؛ أي: أنامَها؛ لأنَّ النَّومَ لا يأتي مع الخوفِ، حكاه القفَّالُ[2].

﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ يُقتَدَى بنا في أمرِ الدِّينِ، ووحَّدَ لأنَّه مصدرُ أمَّه أمًّا وإمامًا.

وقيل: هاهنا جمعُ آمٍّ كرِعَاءٍ وتِجَارٍ.

وقيل: اجعَلْ كلَّ واحدٍ منَّا إمامًا.

---

(١) نسبت لأبي هريرة وأبي الدرداء وابن مسعود كما في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٠٧).

(٢) انظر: «الفاخر» (ص: ٦)، وفيه: «وقال أبو عمرو: أقر الله عينه، والمعنى: صادف سروراً أذهب سهره فنام. قال عمرو بن كلثوم:

بيوم كريهة ضرباً وطعناً ... أقر به مواليك العيونا

أي: نامت عيونهم لما ظفروا بما أرادوا فيه». وانظر: «تهذيب اللغة» (٨/ ٢٢٥).

وقال بعضُهم: معناه: واجعَلْنا نؤمُّ المُتَّقين فنقتدي بهم[١]؛ أي: اجعلِ المُتَّقين إمامَنا، وزَيَّفه القفَّالُ.

وقيل: اجعَلْنا نقتَدي بالمُتَّقين ليقتديَ بنا غيرُنا.

وقيل: ﴿إِمَامًا﴾: مثالًا.

وقيل: رِضًا، حكاه أقضى القُضاةِ[٢].

وقال القفَّالُ وجماعةٌ منَ المُفسِّرين: في الآيةِ دليلٌ على أنَّ طلبَ الرِّئاسةِ في الدِّينِ واجبٌ[٣].

***

(٧٥) ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا﴾.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ﴾؛ أي: الجنَّةَ، والغُرفةُ من أسماءِ الجنَّةِ.

وقيل: الغرفةُ العُلِّيَّةُ، من قولِه سبحانَه: ﴿لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ﴾ [الزمر: ٢٠] وهي قُصورُها، ويُقالُ للسَّماءِ السَّابعةِ: غرفةٌ.

وقيل: المُرادُ هو العلوُّ في الدَّرجاتِ.

وقولُه: ﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾؛ أي: بصبرِهم، والباءُ للسَّببِ؛ أي: بسببِ صبرِهم.

وقيل: بدلَ صبرِهم.

﴿وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا﴾: وتتلقَّاهُم الملائكةُ في الجنَّةِ بالتَّحيَّةِ والسَّلامِ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٢٤)، واستغربه.

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ١٦١) عن جعفر الصادق، وذكر المصنف القولين الأخيرين في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٢٤)، وعدَّهما من العجائب.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٢٤).

قيل: كرَّرَ اللَّفظَين والمعنى واحدٌ تحسينًا للنَّظمِ وتأكيدًا؛ كقولِه: ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ [إبراهيم: ٢٣].

وقيل: التَّحيَّةُ: البشارةُ لهم بالخلودِ في الجنانِ، والسَّلامُ: السَّلامةُ فيها منَ الآفاتِ.

وقيل: يَلْقَى بعضُهم بعضًا بالتَّحيَّةِ والسَّلامِ.

وقيل: تُحيِّيهم الملائكةُ من عندِ أنفُسِهم ويتلقَّونهم بالسَّلامِ من ربِّهم.

وقيل: يُحيَّونَ بالتُّحَفِ سوى السَّلامِ، ومع ذلك بالسَّلامِ(٤).

وقيل: ﴿تَحِيَّةً﴾: مُلكًا ﴿وَسَلَٰمًا﴾: سلامةً.

ومعنى ﴿يَلْقَوْنَ﴾ بالفتحِ؛ أي: يجدونَ فيها ويرَونَ، ومعنى ﴿يُلَقَّوْنَ﴾(٥): يُعطَونَ، تقولُ: لقَّيْتُه كذا؛ أي: أعطَيتُه إياه، وليس كما زعمَ بعضُهم(٦) أنَّ الباء مُقدَّرٌ.

* * *

(٧٦) ـ ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾: في الجنَّةِ لا يموتون ولا يُخرَجون منها ﴿حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ هذه في مقابلةِ ﴿سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان: ٦٦].

* * *

(٤) أي: يجمع لهم بين المنافع والتعظيم. انظر: «البحر» (٨/ ١٣٤). ولعل هذا مبني على ما رُوي: إنَّ الملائكة تأتيهم بالتُّحف، فتستأذن عليهم حاجباً بعد حاجب، حتى يأذن لهم الآخِر، فيدخلون عليهم من كل بابٍ بالتُّحف والتحية والتهنئة. انظر: «البحر المديد» لابن عجيبة (٧/ ٢٠٠).

(٥) بفتح الياء وتخفيف القاف قراءة حمزة والكسائي، وعاصم في رواية أبي بكر، وقرأ الباقون: ﴿وَيُلَقَّوْنَ﴾ بضم الياء وتشديد القاف. انظر: «السبعة» (ص: ٤٦٨)، و«التيسير» (ص: ١٦٥).

(٦) هو الفراء، وقوله في «معاني القرآن» (٢/ ٢٧٥)، لكنه صوّب حذف الباء أيضاً.

(٧٧) ـ ﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًۢا ﴾.

﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ﴾ قيل: ﴿مَا﴾ للاستفهامِ؛ أي: ما يصنعُ بكم؟ من (عَبأْتُ الجيشَ) بالتَّخفيفِ والتَّثقيلِ: هيَّأْتُه للقتالِ.

وقيل: ﴿مَا﴾ للنَّفيِ؛ أي: لا وزنَ لكم عندَه ولا قَدْرَ، مِنَ (العِبْءِ)[1]، وهو الحِمْلُ الثَّقيلُ.

﴿لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾ قيل: لولا عبادتُكم له، من قولِه: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وقيل: لولا دُعاؤُكم وتضرُّعُكم.

وقيل: لولا دُعاؤُه إيّاكم إلى طاعتِه، فيكونُ مُضافًا إلى المفعولِ[2].

وقيل: لولا دُعاؤُكم الأصنامَ، فيكونُ تقديرُه: ما يعبأُ بمغفرتِه لكم لولا عبادتُكم الأصنامَ.

﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ الرَّسولَ.

وقيل: قصَّرتُم في العبادةِ، من قولِهم: كذَّبَ القتالَ؛ إذا لم يُبالِغْ فيه[3].

﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًۢا﴾؛ أي: يكونُ جزاءُ التَّكذيبِ ـ وقيل: العذابُ ـ لزامًا.

وقيل: هو القتلُ يومَ بدرٍ، والأخذُ باليدِ أسرًا.

---

(١) في (ف): «العبوء».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٢٣)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٢٥)، واستغربه.

قـال ابنُ مسـعودٍ رضي الله عنه: خمـسٌ مضَيْنَ؛ الدُّخـانُ، واللِّزامُ، والبطشـةُ، وانشـقاقُ القمرِ، والرُّومُ(١).

وقيل: هو القتالُ.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: الموتُ(٢).

وقيل: جزاءُ كلِّ عاملٍ مُلازمٌ له من خيرٍ وشرٍّ.

وقيل: هو العذابُ يومَ القيامةِ.

وقيل: تأويلُه: حتمًا مقضِيًّا مُقدَّرًا لا بدَّ منه.

وقيل: قطعًا وفيصَلًا لِمَا ينزلُ بهم.

* * *

(١) رواه البخاري (٤٧٦٧)، ومسلم (٢٧٩٨).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٥٤٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤٤١).

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

مئتانِ وسبعٌ وعشرونَ آيةً(١)، مكيَّةٌ.

وتُسمَّى: الخاضِعةَ أيضًا.

ورَوَى القفَّالُ: الباخِعةَ.

الكلبيُّ: مكيَّةٌ إلا أربعَ آياتٍ، من قولِه: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ [الشعراء: ٢٢٤ ـ ٢٢٧]؛ فإنَّها نزلَتْ بالمدينةِ(٢).

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) ـ ﴿طسٓمٓ﴾.

﴿طسٓمٓ﴾ الكلامُ فيه كما سبقَ من أمثالِه.

* * *

---

(١) «مئتان وسبع وعشرون آية»: ليس في (ف). وانظر: «البيان في عد آي القرآن» للداني (ص: ١٩٦)، وفيه: «مئتان وست وعشرون آية في المدني الأخير والمكي والبصري، وسبع وعشرونَ في المدني الأول والكوفي والشامي».

(٢) ذكره مقاتل في «تفسيره» (٣/ ٢٥٧) عن بعض أهل التفسير، وهو قول ابن عباس وعطاء كما في «البيان في عد آي القرآن» (ص: ١٩٦)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ١٦٣) عن ابن عباس وقتادة.

(٢) ـ ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾.

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ ﴿تِلْكَ﴾ إشارةٌ إلى ما في الكتبِ المُتقدِّمةِ من ذكرِ القرآنِ.

وقيل: إلى ما في اللَّوحِ المحفوظِ؛ أي: هذه تلك، فيكونُ «تلك» خبرَ مُبتدأ محذوفٍ.

ويجوزُ أن يكونَ إشارةً إلى ما تقدَّمَ نزولُه منَ القرآنِ.

وقيل: ﴿تِلْكَ﴾ بمعنى: هذه، وجازتِ الإشارةُ إلى ما ليس بحاضرٍ بعدُ على التَّوقُّعِ، وأنَّ المعنى في النَّفسِ.

وقيل: يجوزُ أن يُعبَّرَ عن المعاني بلفظِ الغيبةِ والحضورِ.

وقيل: إشارةٌ إلى ﴿طسٓمٓ﴾، والمُرادُ به جميعُ حروفِ التَّهجِّي؛ أي: تلك حروفُ آياتِ الكتابِ لا يخرُجُ عنها.

و﴿ٱلْمُبِينِ﴾: الواضح.

وقيل: (المُبينُ): يُبيِّنُ للنَّاسِ أمورَ دينِهم، و(أبانَ) لازمٌ ومُتعدٍّ.

* * *

(٣) ـ ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ (لعلَّ): كلمةُ إشفاقٍ وطمعٍ.

﴿بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾: قاتلٌ نفسَكَ منَ الحزنِ والغيظِ.

وقيل: مُهلِكٌ، ومثلُه: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ في الكهفِ [٦]، ومثلُه في المعنى: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾ [فاطر: ٨].

﴿أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾: لتركِهم الإيمانَ، فهو مفعولٌ له.

* * *

(٤) ـ ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾.

﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً﴾ قيل: بَلِيَّةً قاهرةً.

وقيل: دلالةً واضحةً.

وقيل: آيةً منَ الآياتِ التي تكونُ في القيامةِ.

﴿فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾: مُنقادين مُلجَئينَ إلى الإيمانِ.

وقيل: لو شاء لأنزلَ[1] آيةً ما لَوَى أحدٌ عنُقَه بمعصيةٍ.

و(ظلَّتْ) بمعنى: تظَلُّ، وزيَّفَ أبو عليٍّ في «إصلاحِ الإغفالِ» قولَ مَن قالَ: إنَّه عطفٌ على الجزاءِ، وأنَّ محلَّه جزمٌ لمكانِ الفاءِ[2].

وفي ﴿خَاضِعِينَ﴾ سبعُ تأويلاتٍ:

أحدُها: أنَّ الأعناقَ إذا خضعَتْ فأربابُها خاضِعون، فحُمِلَ على المعنى.

والثّاني: أنَّ التَّقديرَ: فظلَّتْ أصحابُ الأعناقِ، فحُذِفَ المُضافُ.

والثّالثُ: رُؤَساؤُهم، تقولُ: فلانٌ عُنُقُ القومِ ووجهُ القومِ.

والرّابعُ: أعناقُهم: جماعاتُهم، والعنُقُ: الجماعةُ منَ النَّاسِ، قال:

أنَّ العِراقَ وأهلَها ... عُنُقٌ إليكَ فهَيْتَ هَيْتا[3]

والخامسُ: العُنُقُ زيادةٌ، والتَّقديرُ: فظَلُّوا.

والسّادسُ: أنَّ الخضوعَ من أوصافِ العُقلاءِ، فلمَّا وُصِفَ غيرُهم بفعلِهم أُجرِيَ مُجراهُم.

---

(١) في (ف): «لإنزال».

(٢) انظر: «الإغفال» لأبي علي (٢/ ٥١٠ ـ ٥١٣).

(٣) الرجز بلا نسبة في «العين» (٤/ ٨١)، و«معاني القرآن» للفراء (٢/ ٤٠)، و«مجاز القرآن» (١/ ٣٠٥)، و«تفسير الطبري» (١٣/ ٧٠)، وفي بعض المصادر: أن رجلاً قاله لابن الزبير رضي الله عنه، وفي بعضها لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه.

والسّابعُ: المُضافُ يكتَسي منَ المُضافِ إليه كسوتَه منَ التَّعريفِ والتَّنكيرِ، والتّأنيثِ والتَّذكيرِ، والشَّرطِ والاستفهامِ، والإعرابِ والبناءِ، كذلك العقلُ والتَّمييزُ(١).

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: نزلَتْ فينا وفي بني أميَّةَ، فسيكونُ لنا عليهم الدَّولةُ، فتذلُّ أعناقُهم بعد صُعوبتِها(٢).

قال بعضُ المُفسِّرين: ولقد كانَ كما ذكرَ، فإنَّ الدَّولةَ صارَتْ لبني العبَّاسِ.

* * *

(٥) ـ ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾.

﴿وَمَا يَأْتِيهِم﴾ يعني: أهلَ مكّةَ ﴿مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾: آياتٌ منَ القرآنِ.

﴿مُحْدَثٍ﴾: يُجدَّدُ عندَهم بما(٣) لم يكُنْ قبلَ ذلك.

﴿إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ جدَّدوا إعراضًا، وأصرُّوا على الكفرِ.

وأفادَ دخولُ ﴿كَانَ﴾ أنَّهم كانوا في علمِ الله السَّابقِ مُعرِضين.

وقيل: معناها: ظهرَ منهم ما كانَ معلومًا منهم منَ الإعراضِ.

* * *

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٢٨)، واستغربه.

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٠/ ٢٠)، وذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٨/ ٥٠)، وهو من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. والكلبي متروك متهم بالكذب مرميٌّ بالرفض كما في «التقريب»، وأبو صالح لم يسمع من ابن عباس. وروى البخاري ـ كما في «الميزان» ترجمة محمد بن السائب الكلبي ـ عن علي عن يحيى عن سفيان: قال لي الكلبي: «كل ما حدثتك عن أبي صالح فهو كذب».

(٣) في (ف): «مما».

(٦) ـ ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾.

﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ ﴾؛ أي: النَّبيَّ ﷺ فيما أتاهُم به ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ ﴾ أفادَ الفاءُ أنَّ هذا جزاءُ تكذيبِهم ﴿أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ هذا تهديدٌ كما تقولُ: سيبلُغُكَ خبرُ ما فعلتَ.

وخُصَّ المُكذِّبُ بإتيانِ الخبرِ لجهلِه به دونَ المُصدِّقِ فإنَّه يعلمُ ما أخبرَ به.

قال بعضُهم: يأتيهم في القيامةِ.

وقيل: في الدُّنيا بالقتلِ والهزيمةِ.

***

(٧) ـ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ تعجيبٌ؛ أي: لـم ينظُروا إلـى عجائبِـها، ولهذا عُدِّيَ بـ(إلى)، ﴿كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ﴾ نوعٍ وصنفٍ.

وقيل: الزَّوجُ: الشَّيءُ وشَكْلُه.

وقيل: أبيضُ وأسودُ، وأحمرُ وأصفرُ، وحُلوٌ وحامِضٌ، ومُرٌّ ومَزٌّ.

﴿كَرِيمٍ ﴾: كثيرِ المنفعةِ.

وقيل: ﴿كَرِيمٍ ﴾: ذي قَدْرٍ عند مُتناوِلِه.

وقيل: ﴿كَرِيمٍ ﴾: يأكلُه النَّاسُ والأنعامُ.

وقيل: نافعٍ محمودٍ، وكذلك الكريمُ منَ النَّاسِ.

وقيل: حسنٍ.

الشَّـعبيُّ: أرادَ بالنَّبـاتِ الإنسـانَ، كقولـه: ﴿أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [نـوح: ١٧]، والكريـمُ: الـذي يدخـلُ الجنَّـةَ، واللَّئيـمُ: الـذي يدخلُ النَّارَ(١).

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٧٥٠)، وذكره النحاس في «معاني القرآن» (٥/ ٦٥)، وذكره =

(٨) ـ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾: في الإنباتِ ﴿لَآيَةً﴾: لدلالةً وعلامةً وعبرةً.

وقيل: لَدلالةً على البَعثِ والنُّشورِ.

﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ في عِلْمِي مع عِظَمِ الآياتِ.

* * *

(٩) ـ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ بالنِّقمةِ لمن كفرَ ﴿الرَّحِيمُ﴾ بمَن آمنَ.

* * *

(١٠) ـ ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ﴾؛ أي: اذكُرْ إذ نادى، فيكونُ (إذ) مفعولًا به.

وقيل: ظرفٌ لقولِه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ﴾.

ومعنى ﴿نَادَىٰ﴾: دَعا، والنِّداءُ: الدُّعاءُ برفعِ الصَّوتِ.

وقيل: أَمَرَ ربُّكَ موسى.

قولُه: ﴿أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ﴾ قيل: تقديرُه: قالَ: ائتِ.

وقيل: ﴿أَنِ﴾ هي المُفسِّرةُ.

وقيل: ﴿نَادَىٰ رَبُّكَ﴾ أمرَ ﴿أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ أنفُسَهم بالكفرِ، وظلَموا بني إسرائيلَ بالاستعبادِ وذبحِ الأولادِ.

* * *

= المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٢٨)، واستغربه.

(١١) ـ ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ﴾.

﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ بدلٌ مـنَ الأوَّلِ ﴿أَلَا يَتَّقُونَ﴾؛ أي: ائتِهم زاجِرًا؛ فقد آنَ لهم أن يتَّقوا، وهذه لفظةُ استبطاءٍ وحثٍّ وإغراءٍ.

وقيل: هو على الحكايةِ؛ أي: قل لهم: ألا تتَّقون، وقُرِئَ في الشَّواذِّ بالتّاءِ[1]، فلما حُذِفَ (قل) عادَ إلى لفظِ الغيبةِ[2].

* * *

(١٢) ـ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾ ولا يُصدِّقوني[3].

* * *

(١٣) ـ ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ﴾.

﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي﴾ عطفٌ على ﴿أَخَافُ﴾؛ أي: يضيقُ صدري من تكذيبِهم.

وقيل: من عَجْزي عن إبانةِ حُجَّتي.

﴿وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي﴾ للعقدةِ التي به، وقيل: هيبةً منـه.

﴿فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ﴾؛ أي: أرسلْ جبريلَ إليه.

وقيل: أرسِلْني إلى هارونَ لآمُرَه عنك أن يذهبَ معي.

وقيل: ﴿أَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ﴾ معناه: ادعُه.

وليس هذا استعفاءً، بل طلبٌ منَ الله وبإذنِه، وكان هارونُ بمصرَ حين بُعِثَ موسى نبيًّا بالشَّامِ.

---

(١) نسبت لعبد الله بن مسلم بن يسار وحماد بن سلمة. انظر: «المحتسب» (٢/ ١٢٧).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٢٨)، واستغربه.

(٣) في (ن): «يصدقون».

النَّقَّاشُ: أرسِلْ معي هارونَ(١)، قال: ومثلُه: ﴿أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ [النساء: ٢]؛ أي: مع، وهذا منَ النقَّاشِ سهوٌ؛ لأنَّه يقتَضي (إليَّ) بتشديدِ الياءِ؛ فإنْ لم يكُنْ بدٌّ: فأرسِلْني مع هارونَ، فيكونُ المفعولُ محذوفًا(٢)، لكنَّ النقَّاشَ نظرَ إلى الآيةِ الأخرى وهي: ﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا﴾ [القصص: ٣٤]، فجعلَ ﴿هَٰرُونَ﴾ في الآيةِ مفعولًا، والآيةُ لا تحتمِلُه إلّا على الوجهِ الذي ذكرتُ.

***

(١٤) ـ ﴿وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾.

﴿وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ﴾ قيل: عندي ذنبٌ بقتلِ القِبْطيِّ.

وقيل: عليَّ دَعوى ذنبٍ.

وقيل: عليَّ عقوبةُ ذنبٍ.

﴿فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾ قِصاصًا، وقيل: عُدوانًا، والمعنى: فاكفِني ما أخافُه.

***

(١٥) ـ ﴿قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾.

﴿قَالَ كَلَّا﴾ لا يقتلونَكَ، فأمَّنه مما كان يخافُ، وأجابَ إلى مطلوبِه، فقال: ﴿فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ مع آيتِنا؛ اليدِ والعصا، فجمَعَ.

وقيل: بدلالتِنا.

وقيل: أُمِدُّكما بآياتِنا، فتكونُ الآياتُ التِّسعُ.

---

(١) وكذا فسره مقاتل في «تفسيره» (١/ ٢٧٨).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٢٩)، وعدَّه من العجائب، وفيه: «ولكن إذا جعلت (إلى) بمعنى: مع، فتقديره: أرسلني مع هارون، فحذف المفعول الأول».

﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾ يعني: موسى وهارونَ وفرعونَ وقومَه، ومعنى ﴿مُّسْتَمِعُونَ﴾: سامعون، والاستماعُ: الإصغاءُ إلى المسموعِ، فيكونُ مجازًا في حقِّ الله سبحانه.

***

(١٦) - ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ﴾ فذهبَ موسى إلى مصرَ، وهارونُ بمصرَ، فأخبرَه موسى بذلك، فانطلَقا إلى فرعونَ، فلم يأذَنْ لهما في الدُّخولِ عليه سنةً.

﴿فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ المُرادُ به التَّثنيةُ لقولِه: ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ [طه: ٤٧].

قيل: الرَّسولُ هاهنا بمعنى الرِّسالةِ؛ أي: صاحِبا رسالةِ ربِّك، والمصدرُ لا يُثنَّى ولا يُجمَعُ.

وقيل: كلُّ واحدٍ منَّا رسولُ ربِّك[٣]، كقولِه: ﴿نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ [الحج: ٥].

وقيل: كانت الرِّسالةُ واحدةً، فجازَ توحيدُ الرَّسولِ[٤].

***

(١٧) - ﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾.

﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: خَلِّ عنهم وأطلِقْهم ودَعْ أذاهُم، من قولِهم: أرسلتُ الكلبَ على الصَّيدِ.

***

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٢٩)، وعدَّه من العجائب.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٢٩)، واستغربه.

(١٨) ـ ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾.

﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾ فعرفَ فرعونُ موسى فقال: ألَم تكُنْ صغيرًا فربَّيناكَ؟ أليس قد التَقَطْناكَ منَ اليمِّ وكَفَّلْناكَ مَن أرضَعَكَ وغذَوناكَ إلى أنْ صِرْتَ رجُلًا؟

امتنَّ إليه بإحسانِه إليه، ومعنى ﴿فِينَا﴾: في جُملتِنا ومنازِلِنا.

﴿وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ أجمعَ المُفسِّرون على أنَّه لبثَ ثلاثينَ سنةً، ثمَّ خرجَ من عندِه عشرَ سنينَ، ثمَّ عادَ إليه يدعوه إلى الله ثلاثينَ سنةً، ثمَّ بقيَ بعد الغرقِ خمسينَ سنةً[1]، فماتَ موسى صلواتُ الله عليه وكانَ ابنَ مئةٍ وعشرينَ سنةً.

***

(١٩) ـ ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ﴾ يعني: قتلَ القِبْطيِّ.

﴿وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: منَ الكافرينَ النِّعمةَ.

والثَّاني: منَ القومِ الذين تزعمُ الآنَ أنَّهم كافرون[2].

والثَّالثُ: منَ الكافرين حيثُ تدَّعي أنَّ لك إلـهًا غيري.

---

(١) قوله: «أجمع المفسرون» كذا قال، ولا أدري من أين جاء بهذا الإجماع، فهذه أمور طريقها السمع، ولم يرد في السنة ما يحصل به هذا الإجماع، بل ذكر بعض المفسرين فيه خلافاً، فقال الواحدي في «البسيط» (١٧/ ٣٣): «﴿وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ قال ابن عباس: يريد ثمان عشرة سنة. وقال مقاتل: ثلاثين سنة. وقال الكلبي: أربعين سنة».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٢٩)، واستغربه.

وقيل: منَ الكافرين بالله حين قتلتَ نفسًا بغيرِ حِلِّها، وهذا ضعيفٌ؛ لأنَّ فرعونَ لـم يكُنْ مُقِرًّا بالله[١].

***

(٢٠) ـ ﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾.

﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ فيه أقوالٌ:

أحدُها: منَ الجاهلين أنَّها تأتي على النَّفسِ.

والثّاني: أردتَ أمرًا فضلَلْتَ عنه.

والثّالثُ: منَ السَّاهين.

والرّابعُ: منَ الضّالِّينَ عن النُّبوَّةِ وأحكامِ الشَّريعةِ، والمعنى: فعلتُها خطأً لا عمدًا.

و﴿إِذًا﴾ يحتملُ معنًى دقيقًا؛ أي: إنْ كان كما قُلتَ فقد فعلتُ إذًا وأنا منَ الضَّالِّين؛ لأنَّ (إذًا) تقعُ في الجوابِ دون الابتداءِ[٢].

***

(٢١) ـ ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾: هربتُ منكم لـمَّا خِفتُ أن تقتُلوني.

﴿فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا﴾: نبوةً وحكمةً وعقلًا، وزالَ عنِّي الجهلُ والضَّلالةُ.

﴿وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾: من جملةِ أنبيائِه ورُسلِه.

***

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٢٩)، وعدَّه من العجائب.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٣٠)، واستغربه.

(٢٢) ـ ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾.

﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ حملَها بعضُهم على الإنكارِ، وبعضُهم على الإقرارِ.

الفرَّاءُ: هي لَعمري نعمةٌ؛ إذ ربَّيتَني ولـم تستعبِدْني كاستِعبادِك بني إسرائيلَ، هذا لفظُه[١].

النقَّـاشُ: تمُـنُّ علـيَّ بإحسـانِك إليَّ خاصَّـةً وتنسـى إسـاءتَكَ أنْ عَبَّـدْتَ بني إسرائيلَ؟

الحسنُ: أخذتَ من بني إسرائيلَ أموالَهم فغذَوتَني بمالِ قومي، فما مِنَّتُكَ عليَّ في ذلك[٢]؟

وقيل: إنَّ اتِّخاذَكَ بني إسرائيلَ عبيدًا قد أحبطَ نعمتَكَ التي تـمُنُّ بها عليَّ.

وقيل: أوَتلكَ نعمةٌ تمنُّها عليَّ؟ استفهامُ إنكارٍ.

ابنُ بحرٍ: (تلك) إشارةٌ إلى تخليةِ بني إسرائيلَ في قولِه: ﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء: ١٧]؛ أي: تخليتُكَ إيَّاهم وإرسالُهم معي كما أمرَ الله نعمةٌ لك عندي؛ لأنَّهم أقربائي وقد اتَّخذتَهم عبيدًا[٣].

أو يحتمِلُ: أوَ تلكَ نعمةٌ تمنُّها عليَّ أن عبَّدتَني؟ فوضعَ (بني إسرائيلَ) موضعَ الضَّميرِ لأنَّه واحدٌ منهم، وتعبيدُه إيَّاهم تسبَّبه إلى قذفِه في اليمِّ، وفراقِه من أبوَيه وأهلِ بيتِه، ثمَّ اتخاذِ أمِّه ظِئرًا، يُنسَبُ إلى فرعونَ بذلك.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٧٩).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ١٦٨)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٣٣٧).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٣٠)، واستغربه، وفيه: «الغريب: ابن بحر: أضرب موسى عن كلام فرعون، وعاد إلى كلامه...».

ويحتمِلُ أيضًا: وتلك نعمةٌ تمنُّها عليَّ لولا أن عبَّدتَ بني إسرائيلَ.

وفي إعرابِ ﴿أَنْ عَبَّدتَّ﴾ قولانِ:

أحدُهما: رفعٌ بالبدلِ منَ المبتدأ، وقيل: منَ الخبرِ.

والثّاني: نصبٌ، وتقديرُه: بأن عَبَّدتَ.

وعَبَّدتَ، وأَعْبَدْتَ، واسْتَعْبَدْتَ: اتَّخذتَ عبدًا.

***

(٢٣) ـ ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: ما حقيقةُ ذاتِه؟ من أيِّ جنسٍ وأيِّ نوعٍ هو؟ فأعرَضَ موسى عن الجوابِ من هذا الوجهِ، وصارَ إلى الدلالةِ على الله بأفعالِه وصنائعِه.

***

(٢٤) ـ ﴿قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾.

﴿قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾؛ أي: إنْ كنتُم تعرِفون الأشياءَ بالدَّليلِ فكفى السَّماواتُ والأرضُ وما بينَهما دليلًا بأنَّ الله سبحانَه خالقُها ومالكُها ومُدبِّرُها.

وقيل: إنْ كنتُم مُوقِنين بأنَّ السَّماواتِ لا بدَّ لها من ربٍّ فالذي أدعوكم إليه ذلك الربُّ.

وقيل: إنْ أيقَنتُم أنَّ ما تُعاينونَه هو كما تُعاينونَه فأيقِنُوا أنَّ ربَّنا ربُّ السَّماواتِ.

***

(٢٥) ـ ﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾.

﴿قَالَ﴾ يعني: فرعونُ ﴿لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ﴾ من أشرافِ قومِه يُعَجِّبُهم: ﴿أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾ إلى سُؤالي وجوابِه؟ لم يزدْ على الأوَّلِ؛ لأنَّ ربَّ العالمين وربَّ السَّماواتِ والأرضِ وما بينَهما واحدٌ.

قال ابنُ عبّاسٍ، رضي الله عنهما: كانَ من حولِه خمسُ مئةِ رجلٍ على كراسيَّ[1].

* * *

(٢٦) ـ ﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

﴿قَالَ﴾ يعني موسى: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾، فأوضحَ كلامَه بزيادةِ بيانٍ؛ أي: خالقُكم وخالقُ آبائِكم، فضَلَلْتُم وضلَّتْ أباؤُكم.

وقيل: إنَّما قال موسى: ربُّ آبائِكم؛ لأنَّ فرعونَ كان يدَّعي الرُّبوبيَّةَ على أهلِ عصرِه دونَ مَن تقدَّمَهم.

* * *

(٢٧) ـ ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾.

﴿قَالَ﴾ يعني فرعونُ: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ حيثُ أسألُه عن شيءٍ ويُجيبُني عن شيءٍ.

وقيل: ﴿لَمَجْنُونٌ﴾ حيثُ يزعُمُ أنَّ في الوجودِ إلـهًا غيري؛ لأنَّ الجوابَ كان مُطابقًا؛ لأنَّ قولَه: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣] بمعنى (مَنْ) كقولِه: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ [النساء: ٣].

وقيل: كان مُطابقًا؛ لأنَّ موسى لـمَّا قال: إنَّ ربَّ العالمين أرسلَه إليهم، سألَه

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٠/ ٤٢) بلفظ: «كانوا خمسمائة رجل عليهم الأسورة».

فرعونُ عن مُلكِه وانبساطِ قُدرتِه كما يسألُ الملوكُ عن الرُّسلِ: ما صاحبُك هذا؟ أي: مقدارُ ملكِه وسُلطانِه، فأجابَه موسى عما اقتَضاه هذا السُّؤالُ.

* * *

(٢٨) ـ ﴿قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

﴿قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾؛ أي: إنْ كانَ لكم عقلٌ فتدبَّروا في مصنوعاتِ ربِّي حقَّ التَّدبُّرِ تعرِفوا الصّانعَ بعد التَّدبُّرِ ضرورةً.

* * *

(٢٩) ـ ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾.

﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى﴾؛ أي: إن اتَّخذتَ شيئًا سوايَ إلـهًا.

ويحتملُ: اتَّخذتَ غيري إلهًا؛ لأنَّ (اتَّخذَ) هاهنا يتعدَّى إلى مفعولَين.

﴿لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾ لأحبِسَنَّك في السِّجنِ، وكان سجنُه أشدَّ منَ القتلِ، لا يرَى المسجونُ في سجنِه شيئًا ولا يُدرِكُ مسموعًا، بل يكونُ فيه وحدَه يهوي في الأرضِ.

* * *

(٣٠) ـ ﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ﴾.

﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ﴾ يُبيِّنُ لك صِدْقي، تسجنُني؟! الألفُ للاستفهامِ، والواوُ لعطفِ جملةٍ على جملةٍ.

ويحتمِلُ: ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ﴾ تُصدِّقُني وتُؤمنُ بالله؟ ولـم يُجِبْه عن قولِه: ﴿لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء: ٢٩].

* * *

(٣١) ـ ﴿ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾.

﴿ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ ﴾: بالـذي يُبيِّـنُ صدقَـكَ ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ إنْ كانَ لك بيِّنةٌ.

وقيل: إنْ كنتَ منَ الصَّادقين أنَّ لك ربًّا بعثَكَ إليَّ رسولًا.

وجوابُ الشَّرطِ مُقدَّرٌ؛ أي: فأحضِرْه.

* * *

(٣٢) ـ ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾.

﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ ﴾: نبذَها من يدِه ﴿فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ ﴾: حيَّةٌ صفراءُ كأعظمِ ما يكونُ منَ الحيَّاتِ ﴿مُّبِينٌ﴾ أنَّها ثعبانٌ.

وقيل: أنَّها حُجَّةٌ وبرهانٌ.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: غرَزَتْ ذنبَها في الأرضِ ونصَبَتْ رأسَها نحوَ الميلِ إلى السَّماءِ، ثمَّ انحطَّتْ فجعلَتْ رأسَ فرعونَ بين نابَيها، وجعلَتْ تقولُ: مُرني بما شئتَ، فناداه فرعونُ: أسألُك بالذي أرسلَكَ لَـما أخذْتَها(١).

وقيل: التَجأ إلى موسى.

وقيل: قامَ هاربًا.

وقيل: لـم يلقَ بعد ذلك موسى إلا بالَ في ثيابِه كما تبولُ الدَّوابُّ إذا رأتِ الأسدَ(٢).

فأخذَها موسى فعادَتْ عصًا كما كانت، ولا مُنافاةَ بينَ الثُّعبانِ وبين الجانِّ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٥٦٦) عن المنهال وزاد: «قال: فأخذه بطنه».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٢٩)، وعدَّه من العجائب.

قال الزَّجَّاجُ: خَلْقُها خلقُ الثُّعبانِ، وحركتُها واهتِزازُها اهتِزازُ الجانِّ(١).

وقيل: ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ [النمل: ١٠] تشبيهًا بالشَّيطانِ، وسُمِّيت الثُّعبانَ لانثِعابِه في الجَرْيِ، تقولُ: ثعَبْتُ الماءَ؛ إذا فَجَّرْتَه فانثَعَبَ كانثِعابِ الدَّمِ منَ الأنفِ.

ويحتمِلُ: أنَّ الله سُبحانَه جعلَ العصا حيَّةً وجانًّا إذا رآها موسى وحدَه، وإذا رآها فرعونُ وقومُه جعلَها ثُعبانًا، ولفظُ القرآنِ يدلُّ على هذا(٢).

و(إذا) في الآيتَين للمُفاجأةِ، وهو ظرفُ مكانٍ(٣).

***

(٣٣) ـ ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ﴾.

﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ﴾؛ أي: أدخلَها في جيبِه ثمَّ أخرجَها منه.

وقيل: حَسَرَ عن ذراعِه، والنَّزْعُ: إخراجُ الشَّيءِ مـمَّا اتَّصلَ به.

﴿فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ﴾ تغلبُ ضوءَ الشَّمسِ، وقيل: أضاءَ لها الوادي.

﴿لِلنَّـٰظِرِينَ﴾؛ أي: مَن نظرَ إليها رآها بيضاءَ.

***

(٣٤) ـ ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ﴾ قال فرعونُ لهم: ﴿إِنَّ هَـٰذَا﴾ يعني: موسى ﴿لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾، وما في سورةِ (الأعرافِ) فكلامُ الملأ حكايةً عن فرعونَ.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٨٨).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٣١)، واستغربه.

(٣) هذا مذهب المبرد، وهو قول الكوفيين. انظر: «شرح الكافية» للرضي (٣/ ١٩٤ و١٩٨)، و«التذييل والتكميل» لأبي حيان (٧/ ٣٢٥).

(٣٥) ـ ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾.

﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ﴾ ويَغْلِبَ على ديارِكم.

وقيل: يُخرِجَ خدَمَكم وعبيدَكم، يعني: بني إسرائيلَ؛ لأنَّه جاء يطلبُهم بقولِه: ﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء: ١٧].

وقيل: يُوقِعَ العداوةَ بينكم بأن يستميلَ بعضَكم، فيقعَ الخِصامُ والمُحاربةُ، فيصيرَ سببًا لخروجِكم من ديارِكم.

﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾: تُشيرونَ في قتلِه أو حبسِه، وعَبَّرَ عن المشورةِ بالأمرِ لأنَّها تقعُ بلفظِه، ولا يَحْسُنُ إجراؤُه على الظَّاهرِ؛ لأنَّ التَّابعَ لا يأمرُ المتبوعَ.

وفي هذه المشورةِ قولان:

أحدُهما: إنَّما شاوَرَهم ليستعطِفَهم لضَعفِه في تلك الحالةِ.

والثَّاني: لأنَّه أذهلَه ما شاهدَ فحارَ عقلُه، فلجأ إلى رأيِهم ولم يعرِفْ أنَّه قد تناقَضَ كلامُه حيثُ قالَ مرَّةً: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]، ومرَّةً: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾.

***

(٣٦ ـ ٣٧) ـ ﴿قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾.

﴿قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾: أَخِّرْ أمرَهما في حبسٍ أو قتلٍ.

وقيل: معنى ﴿أَرْجِهْ﴾: احبِسْه وأخاه، ولا تقتُلْهما قبلَ أن يظهرَ كذبُهما فيَفْتَتِنَ النَّاسُ به.

وقيل: منَعوه عن قتلِهما مخافةَ عذابٍ يقعُ بهم لـمَّا شاهَدُوا ذلك الأمرَ العظيمَ.

وقيل: صرفَهم الله عن قتلِهما.

والهمزُ وتركُه في ﴿أَرْجِهْ﴾ لغتانِ[1].

﴿وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾: مَن يجمعُ السَّحرةَ من مدائنِ مملكتِكَ وأمصارِها ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾.

* * *

(٣٨) ـ ﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾.

﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ﴾؛ أي: فعلَ ما أشارَ به عليه القومُ.

ويحتملُ أنَّ في الآياتِ تقديمًا وتأخيرًا، وأنَّ تقديرَ النَّظمِ: أرجِهْ وأخاه وابعَثْ في المدائنِ حاشرينَ، يأتوكَ بكلِّ سحَّارٍ عليم، فأرسلَ فرعونُ في المدائنِ حاشرينَ، فَجُمِعَ السَّحَرَةُ[2].

﴿لِمِيقَٰتِ﴾؛ أي: لميعادِ ﴿يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾: يومِ زينةٍ لهم.

وقيل: كان يومَ النَّيروزِ.

وقيل: معنى ﴿لِمِيقَٰتِ﴾: لأَجْلِ التَّوقيتِ الذي وقعَ الاتِّفاقُ عليه، ومعنى ﴿يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾؛ أي: يُعلمُ حضورُ النَّاسِ أجمعينَ فيه.

* * *

(١) القراءتان سبعيتان، ولهم في ذلك وجوه. انظر: «السبعة» (ص: ٢٨٧ ـ ٢٨٩)، و«التيسير» (ص: ١١١). واختصر الداني ما فيها من قراءات سبعية بقوله: «ابن كثير وهشام: ﴿أرجئه﴾ بالهمز وضم الهاء ووصلها بواو، وأبو عمرو بالهمز والضَّم من غير صلة، وابن ذكوان بالهمز وبكسر الهاء ولا يصلها بياء، وقالون بغير همز ويختلس الكسرة، وورش والكسائيّ بغير همز ويصلان الهاء بياء، وعاصم وحمزة بغير همز ويسكِّنان الهاء».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٣١)، واستغربه.

(٣٩) ـ ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ﴾.

﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ﴾ قال بعضُ أصحابِ فرعونَ لبعضٍ: اجتمِعُوا نشهَدْ ما يجري بين موسى وهارونَ وبينَ السَّحرةِ.

* * *

(٤٠) ـ ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾.

﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ﴾: كي نتَّبعَ السَّحرةَ ﴿إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾ ولا نشكُّ أنَّ الغلبةَ لهم، فنكونُ على دينِهم.

وقيل: نتَّبعُ السَّحرةَ فنقتلُ موسى وهارونَ.

وقيل: نتَّبعُ السَّحرةَ؛ أي: موسى وهارونَ وأشياعَهما ﴿إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾ على وجهِ الاستهزاءِ، حكاه القفَّالُ[1].

* * *

(٤١) ـ ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾.

﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾: لثوابًا، والأجرُ: الجزاءُ بالخيرِ، والجزاءُ بالشَّرِّ عقابٌ وليس بأجرٍ.

﴿إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾ لموسى وهارونَ.

* * *

(٤٢) ـ ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾.

﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ قال فرعونُ: نعم لكم أجرٌ عندي وتكونون مع ذلك منَ المُقرَّبين في المرتبةِ والجاهِ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٣٢)، واستغربه.

وقيل: أوَّلُ مَن يدخلُ عليَّ وآخرُ مَن يخرُجُ.

***

(٤٣) ـ ﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴾.

﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴾ منَ السِّحرِ، ذكرَ هذا على وجهِ التَّهديدِ لا على إباحةِ السِّحرِ؛ أي: سوفَ ترونَ عاقبةَ ذلك.

***

(٤٤) ـ ﴿ فَأَلْقَوْاْ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾.

﴿ فَأَلْقَوْاْ حِبَالَهُمْ ﴾: جمعُ حَبْلٍ، وأصلُه من قولِـهم: ما حَبَلَكَ عنِّي؟ أي: حبَسَكَ. ﴿وَعِصِيَّهُمْ ﴾: جمعُ عصًا، وكانوا سبعينَ ألفَ ساحرٍ مع كلِّ واحدٍ حبلٌ وعصًا.

وقيل: كانت الحبالُ اثنَين وسبعينَ، وكذلك العِصيُّ.

﴿ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ ﴾؛ أي: نُقسِمُ بعزَّتِه ومنعتِه وقوَّتِه ﴿إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾؛ لأنَّا قد أتَينا بغايةِ ما يُؤتَى به من جهةِ السِّحرِ، وكان ذلك قَسَمًا منهم غيرَ مبرورٍ[1].

***

(٤٥) ـ ﴿ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾.

﴿فَأَلْقَى مُوسَى عَصاهُ فَإِذا هِيَ تَلَقَّفُ﴾: تَبْتلِعُ وتأخذُ بسرعةٍ، ومثلُه: ﴿تَلْقَفُ ﴾ خفيفٌ[2].

﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾: معمولَـهم الذي أَفَكوه؛ أي: قلَبُوه عن وجهِه.

***

---

(١) في (ف): «مبرورة».

(٢) قرأ بهذه حفص، والباقون بالتشديد. انظر: «السبعة» (ص: ٢٩٠)، و«التيسير» (ص: ١١٢).

(٤٦) ـ ﴿فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ﴾.

﴿فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ﴾ لمَّا تبيَّنَ لهم الحقُّ سجَدُوا لله، وسُمُّوا سحرةً بالاسمِ المُتقدِّمِ للتَّعريفِ، وإنْ زالَ عنهم اسمُ السَّاحرِ بالإيمانِ، وعبَّر عن سرعةِ سجودِهم بـ(أُلقِيَ).

وقيل: فاعلُ ﴿أُلْقِيَ﴾ الحقُّ الذي عرَفُوه.

* * *

(٤٧) ـ ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ بدلٌ من (أُلْقِيَ).

وقيل: تقديرُه: وقد قالوا، فيكونُ حالًا، والمعنى: آمنَّا بالذي قالا: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦].

* * *

(٤٨) ـ ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾.

﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ ذكرَ المُفسِّرون أنَّ فرعونَ لـمَّا سمعَ منهم: ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قال: إيَّايَ عنيتُم؟ قالوا: ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾.

* * *

(٤٩) ـ ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ﴾: صدَّقتُموه ﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ في التَّصديقِ ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾ له معنيانِ:

أحدُهما: أنَّه علَّمَكم شيئًا وكتَمَكُم شيئًا؛ ليغلبَ به مَن يُغالبُه.

والثَّاني: لَكبيرُكم وقد تواطَأتُم على أمرٍ ومكرٍ.

ثمَّ توعَّدَهم بقولِه: ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾؛ أي: عن قريبٍ تعلمون ما يَنزلُ بكم منَ العقابِ على إيمانِكم بموسى قبل إذني، ثمَّ صرَّحَ فقال:

﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ﴾ اليدُ اليُمنى والرِّجلُ اليُسرى؛ ليكونَ زَمانةً من جانبَي البدنِ.

ويحتملُ: من أجلِ خلافٍ ظهرَ منكم.

﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾: أُعلِّقَنَّكم من جذوعِ[1] النَّخلِ حتَّى تموتوا عليها.

قيل: أصلُ التَّصليبِ منَ الصَّلبِ، وهو إخراجُ الدَّسمِ، والصَّليبُ: الدَّسمُ، كأنَّه يُعلَّقُ ويُترَكُ حتَّى يصيرَ صَليبًا.

* * *

(٥٠) ـ ﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾.

﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ﴾؛ أي: لا ضررَ علينا، إنَّما هي ساعةٌ نصبرُ لعذابِكَ ثمَّ نصيرُ إلى ثوابِ الله، وهو قولُه: ﴿إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾.

وقيل: معناه: إنَّ الجميعَ منَّا ومنك ينقلبُ إلى الله، فهو لك بالمرصادِ يُجازيك جزاءَ مثلِكَ.

* * *

(٥١) ـ ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا﴾ المُتقدِّمةَ ﴿أَن كُنَّا﴾ لأَجْلِ أنْ كنَّا ﴿أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ منَ السَّحرةِ.

وقيل: ﴿أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ في ذلك المشهدِ.

وقيل: ﴿أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ من آلِ فرعونَ وفي ذلك الزَّمانِ.

---

(١) كذا في النسختين الخطيتين، ولعل الصواب: «على جذوع» أو «جذوع».

ووحَّدَ ﴿أَوَّلَ﴾ لأنَّ التَّقديرَ: أوَّلَ فريقٍ.

وقيل: لأنَّ (مِن) مُقَدَّرةٌ معه؛ أي: أوَّلَ من غيرِه، و(أفعَلُ) إذا كانَ (مِنْ) معه ملفوظًا أو مُقدَّرًا لا يُثنَّى ولا يُجمَعُ.

***

(٥٢) ـ ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِيٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِيٓ﴾ هذا بعدَ سنين من أمرِ السَّحرةِ وإيمانِهم، والمعنى: سِرْ بهم ليلًا، وأضافَهم إلى نفسِه لإيمانِهم.

﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾: يتَّبعونكم لِيردُّوكم ويُحارِبُوكم إنْ لم تنصرِفُوا، وفي ضِمْنِه بشارةٌ؛ أي: فلا يضرُّكم اتِّباعُهم إياكُم.

وذكرَ ابنُ جُرَيجٍ في الآيةِ قالَ: أوحَى اللهُ تعالى إلى موسى أن اجمَعْ بني إسرائيلَ كلَّ أربعةِ أهلِ أبياتٍ في بيتٍ، ثمَّ اذبَحوا أولادَ الضَّأنِ فاضرِبوا بدمائِها على أبوابِكم، فإنِّي سآمُرُ الملائكةَ فلا يدخُلون بيتًا على بابِه دمٌ، وسآمُرُهم بقتلِ الأبكارِ من آلِ فرعونَ، ثمَّ اخبزوا خُبزًا فَطِيرًا فإنَّه أسرعُ لكم، ثمَّ أسرِ بعبادي حتَّى تنتهيَ إلى البحرِ فيأتيك أمري، ففعلَ ذلك.

فلما أصبَحوا قال فرعونُ: هذا عملُ موسى وقومِه، قتَلُوا أبكارَنا، وتمكَّنُوا من أنفُسِنا وأموالِنا، فأرسلَ في إثرِه ألفَ ألفٍ وخمسَ مئةِ ألفٍ، [وخمسَ مئةِ] مَلِكٍ مُسَوَّرٍ، ومع كلِّ مَلِكٍ ألفٌ، وخرجَ فرعونُ في الكرسيِّ العظيمِ[1].

***

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٥٧٥)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٠/ ٤٧). وما بين معكوفتين من الطبري، ولا يستقيم الكلام بدونه، فإن العدد عند الحساب يصبح أكثر من عدد سكان الصين الآن! وهي مبالغة لا تقبل.

(٥٣) ـ ﴿ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴾.

﴿ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴾؛ أي: حينَ أُخْبِرَ بسُراهُم بعثَ شُرَطًا يحشرونَ النّاسَ منَ المدائنِ لاتِّباعِهم مع فرعونَ، والوجهُ ما ذكرتُ.

قيلَ: إنَّ في الآياتِ تقديمًا وتأخيرًا، وإنَّ هذه الآيةَ مُتَّصلةٌ بقولِه: ﴿وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ [الشعراء: ٣٦]، والآيةُ التي تتَّصِلُ بهذه نظمًا قولُه: ﴿ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴾ [الشعراء: ٦٠]، كأنَّه لمَّا قال: ﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴾ بيَّنَ فقال: ﴿ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴾.

* * *

(٥٤) ـ ﴿ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴾.

﴿ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴾ الشِّرذِمةُ: الجماعةُ.

وقيل: البقيَّةُ منَ الشَّيءِ، والقليلُ منَ النّاسِ.

الضَّحّاكُ: الشِّرذِمةُ: السَّفلةُ منَ النّاسِ[1].

قولُه: ﴿قَلِيلُونَ﴾ حُمِلَ على الأسباطِ؛ أي: كلُّ سبطٍ قليلٌ.

وقيل: هو كقولِهم:

كحيٍّ واحِدِينا[2]

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ١٧٠).

(٢) قطعة من بيت للكميت كما في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٨٠)، و«تفسير الطبري» (١٧/ ٥٧٣)، و«معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٩١)، و«تهذيب اللغة» (٥/ ١٢٧)، و«الصحاح» مادة: (و ح د).
والمعنى: أن كل جماعة منهم كان يلزمها معنى القلة؛ فلما جَمَع جَمْع جماعاتهم قيل: ﴿قَلِيلُونَ﴾، كما قال الكُمَيت: كحيٍّ واحِدِين. قاله الطبري، وتمام البيت:

فرِدّ قواصِي الأحياء منهم فقد رَجَعوا كحيٍّ واحدينا

وقيل: جُمِعَ لمُوافقةِ الآياتِ.

وكانوا ستَّ مئةٍ وسبعين ألفًا، وإنَّما استقلَّهم لكثرةِ مَن معه، وقيل: لكثرةِ مَن قُتِلَ منهم.

* * *

(٥٥) ـ ﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ﴾.

﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ﴾ لقتلِهم أبكارَنا ولهربِهم وخروجِهم من الخدمةِ.

وقيل: لأنَّهم استعاروا حُلِيًّا وذهبُوا به.

والغيظُ: المُبالغةُ في الأذى والإخبارِ ممَّا[1] يُغْضِبُ.

* * *

(٥٦) ـ ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَذِرُونَ﴾.

﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ﴾: لمُجتمِعٌ، كقولِه: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ [الحشر: ١٤]، ﴿حَذِرُونَ﴾ و﴿حَـٰذِرُونَ﴾[2]؛ قيل: لُغتانِ.

«الحجّةُ»: ﴿حَـٰذِرُونَ﴾ في الحالِ، و﴿حَذِرُونَ﴾ في المآلِ[3].

الزَّجَّاجُ في جماعةٍ: ﴿حَذِرُونَ﴾: مُـؤدُّونَ؛ أي: ذَوو أدواتٍ وسلاحٍ، و﴿حَـٰذِرُونَ﴾: عالِمون بالحربِ[4].

---

(١) كذا في النسختين، ولعل الصواب: «بما»، وهذا التعريف مناسب للإغاظة، وليس للغيظ، والله أعلم.

(٢) بالألف قراءة حمزة والكسائي وعاصم وابن ذكوان، والباقون بغير ألف. انظر: «السبعة» (ص: ٤٧١)، و«التيسير» (ص: ١٦٥)، وذكر في «النشر» (٢/ ٣٣٥) خلافاً عن هشام.

(٣) انظر: «الحجة» (٥/ ٣٥٩).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٩٢)، وفيه: «وجاء في التفسير أن معنى ﴿حَذِرُونَ﴾: مؤدون؛ أي: ذوو أداة؛ أي: ذوو سلاح، والسلاح أداة الحرب، فالحاذر: المستعدُّ، والحذر: المتيقظ».

(٥٧) ـ ﴿ فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾.

﴿ فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾؛ أي: البساتينِ والأنهارِ.

* * *

(٥٨) ـ ﴿ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾.

﴿ وَكُنُوزٍ ﴾ وأموالٍ كثيرٍ.

وقيل: دَفائنَ.

الضَّحَّاكُ: ﴿ وَكُنُوزٍ ﴾: أنهارٍ(١).

﴿ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾: مجالسَ حِسانٍ.

وقيل: المنابرُ التي يخطُبُ عليها الخُطَباء، عن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما(٢).

وقيل: مجالسُ الأمراءِ يحفُّ بها الأتباعُ.

وقيل: مرابطُ الخيلِ، حكاه الماورديُّ(٣).

* * *

(٥٩) ـ ﴿ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾.

﴿ كَذَٰلِكَ ﴾؛ أي: حالُهم كما ذكرتُ.

وقيل: تَرَكُوا ذلك كما أخبرَ الله عنهم.

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ١٧٢)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٣٢)، واستغربه.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٨٨)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٣٢)، واستغربه.

(٣) انظر: «النكت والعيون» (٤/ ١٧٢)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٣٢)، واستغربه.

وقيل: هكذا أخرَجْناهُم.

﴿وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ الإرثُ: انتقالُ مِلْكٍ بوفاةٍ.

الحسنُ: لـمَّا عبَروا النَّهرَ رجَعُوا وأخذوا ديارَهم وأموالَـهم[١].

غيرُه: ذهبُوا إلى الشَّامِ وملكوا مِصرَ زمنَ سُليمانَ بنِ داودَ عليهما السَّلامُ.

***

(٦٠) - ﴿فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ﴾.

﴿فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ﴾: داخِلين في وقتِ الشُّروقِ، كقولِـهم: أصبحَ: دخلَ في وقتِ الصَّباحِ، وأمسى: دخلَ في وقتِ المساءِ.

وقيل: ﴿مُّشْرِقِينَ﴾: قاصِدين نحوَ المشرقِ، كقولِـهم: أَغَارَ وأَنْجَدَ[٢].

وقيل: ﴿مُّشْرِقِينَ﴾: في ضوءٍ؛ لأنَّ بني إسرائيلَ كانوا في نورٍ وضياءٍ، وأصابَ فرعونَ وآلَه ضبابٌ وظُلمةٌ تحيَّروا فيها حتَّى جاوزَ بنو إسرائيلَ البحرَ، فيكونُ قولُه: ﴿مُّشْرِقِينَ﴾ حالًا منَ المفعولِينَ، وعلى الوجهينِ الأوَّلين حالٌ منَ الفاعلِينَ، وإنَّما تأخَّروا إلى حينِ الإشراقِ لاشتِغالِـهم بدفنِ أبكارِهم.

وقيل: أخذَتْهم ظلمةٌ، كما سبقَ.

***

---

(١) ذكره يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٥٠٥) بلفظ: «رجعوا إلى مصر بعدما أهلك الله فرعون وقومه». وذكره ابن أبي زمنين في «تفسيره» (٣/ ٢٧٦)، والواحدي في «البسيط» (١٧/ ٥٧).

(٢) أغار: أتى الغور، وأنجد: أتى نجدًا، ومثله: أعمن الرجل: أتى عمان، وأعرق: أتى العراق. انظر: «المحتسب» (١/ ١٣٩).

(٦١) ـ ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾.

﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ﴾: تقابَلَا وصارَ أحدُهما بمَرأًى منَ الآخَرِ؛ يعني: بني إسرائيلَ وآلَ فرعونَ.

﴿قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾: مَلْحوقون قد قرُبَ منَّا عدوُّنا، وقُدَّامَنا البحرُ.

* * *

(٦٢) ـ ﴿قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾.

﴿قَالَ﴾ يعني: موسى عليه السَّلامُ: ﴿كَلَّآ﴾ لن يُدرِكوكم؛ لأنَّ الله وعدَكُم النَّصرَ عليهم والخلاصَ منهم، ولا خُلْفَ لوعدِه.

﴿إِنَّ مَعِىَ رَبِّى﴾ ناصِري ومُعيني ﴿سَيَهْدِينِ﴾: يهديني عن قريبٍ.

وقيل: سَيُعَرِّفُني طريقَ النَّجاةِ.

وقيل: سيكفيني.

* * *

(٦٣) ـ ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾.

﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ﴾ يعني: بحرَ القُلْزُمِ.

وقيل: نهرَ النِّيلِ.

﴿فَٱنفَلَقَ﴾؛ أي: فضَرَبَ فانفلَقَ؛ فانشَقَّ، فصارَ اثني عشرَ فِرْقًا على عددِ الأسباطِ، ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ﴾؛ أي: مفروقٍ منَ[1] الماءِ، والفِرْقُ: الاسمُ، والفَرْق ـ بالفتحِ ـ: المصدرُ، كالطِّحْنِ والطَّحْنِ، والقِطْفِ والقَطْفِ.

﴿كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾: كالجبلِ المُنيفِ؛ لأنَّ الماء اجتمعَ لمَّا انفرَقَ فاستطالَ

---

(١) في (ف): «بين».

وارتفعَ في السَّماءِ كالجبلِ، وصارَ بين كلِّ فِرقَين مسلَكٌ لسِبْطٍ منهم، وظهرَ فيها كُوًى ينظرُ منها بعضُهم إلى بعضٍ، فغرِقَ فرعونُ وقومُه ونجا موسى وقومُه، وهو قولُه:

(٦٤) ـ ﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ﴾.

﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ﴾؛ أي: جـمَعْنا.

وقيل: قرَّبْنا. والزُّلفةُ: القُربةُ؛ أي: قرَّبنا آلَ فرعونَ منَ الغرقِ.

وقيل: قرَّبْناهم من آجالِـهم.

الحسنُ: ﴿أَزْلَفْنا﴾: عجَّلْنا فرعونَ وآلَه؛ ليقرُبوا من البحرِ، فيرَوا موسى وقومَه قد عبَروا فيطمَعُوا في مثلِ حالِـهم، فيدخُلوا البحرَ ويغرَقوا[1]. وكان جبريلُ عليه السَّلامُ على فرسٍ فريشٍ ـ أي: وديقٍ ـ يقدُمهُم، فتبعها أفراس القوم[2].

وقيل: ﴿أَزْلَفْنا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ﴾ من قومِ موسى: قرَّبْناهم منهم.

***

(٦٥ ـ ٦٦) ـ ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ۝٦٥ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ﴾.

﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ۝٦٥ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ﴾ أهلَكْناهم في الماءِ.

***

(٦٧) ـ ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾: فيما فعَلْنا بموسى وفرعونَ ﴿لَـَٔايَةً﴾: لدلالةً قاطعةً لمَن تأمَّلَ

---

(١) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٨/ ٦١)، والنحاس في «معاني القرآن» (٥/ ٨٥)، والسمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٥٥٦)، والواحدي في «البسيط» (١٧/ ٦١) كلهم بلفظ: «أهلكنا».

(٢) تقدم في تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ﴾ [يونس: ٩٠] أن خيول قوم فرعون ما كان فيها فرس أنثى، وذكرنا أن الفرس الوديق هي التي تريد الفحل، والفريش: الفرس بعد نتاجها بسبعة أيام. انظر: «تاج العروس» مادة: (ف ر ش) (١٧/ ٣٠٦).

﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ لم يُؤمِنْ من أهلِ مصرَ غيرُ آسيةَ، وخِرْبيلَ؛ وهو المُؤمنُ من آلِ فرعونَ، ومريمَ؛ وهي التي دلَّتْ على عظامِ يوسفَ.

وذلك أنَّ بني إسرائيلَ لـمَّا خرجُوا من مصرَ أظلَمَ عليهم القمرُ فقال لقومِه: ما هذا؟ فقال علماؤُهم: إنَّ يوسفَ لمَّا حضرَه الموتُ أخذَ علينا موثِقًا منَ الله ألّا نخرُجَ من مصرَ حتَّى ننقُلَ عظامَه معنا. فقال لهم موسى: فأيُّكم يدري أينَ قبرُه؟ قالوا: ما يعلمُه إلا عجوزٌ، فأرسلَ إليها، فقال: دُلِّيني على قبرِ يوسفَ، قالت: لا والله حتَّى تُعطيَني حُكمي، قال: وما حُكمُكِ؟ قالت: حُكمي أن أكونَ معك في الجنَّةِ، فثقُلَ عليه، فقيلَ له: أعطِها حكمَها، فدلَّتهم عليه فاحتَفَروه واستخرَجُوا عظامَه، فلمَّا أقلُّوها[1] أضاءَ لهم[2].

* * *

(٦٨) ـ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾: لا يمتنعُ عليه ما أرادَه ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بمَن[3] تابَ.

* * *

(٦٩) ـ ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ﴾.

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ﴾: اقرأ على مُشرِكي العربِ ﴿نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ﴾: قصَّتَه، والنَّبأُ: الخبرُ العظيمُ.

---

(١) في (ن): «نقلوها»، والمثبت من (ف)، وهو الموافق لما في المصادر.

(٢) رواه أبو يعلى في «مسنده» (٧٢٥٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٢٣)، والحاكم في «المستدرك» (٣٥٢٣) وصححه، من حديث أبي موسى رضي الله عنه. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٧١): «رجال أبي يعلى رجال الصحيح».

(٣) في (ن): «لمن».

(٧٠) ـ ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ﴾.

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ﴾: وقومِ إبراهيمَ، ويحتمِلُ: وقومِ الأبِ[١]: ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾: أيَّ شيءٍ تعبدون؟

* * *

(٧١) ـ ﴿قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ﴾.

﴿قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا﴾: تماثيلَ ﴿فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ﴾: فندومُ على عبادتِها، كما تقولُ: أصبحَ زيدٌ أميرًا، وأمسى عبدُ الله فقيرًا[٢]، تريدُ به الدَّوامَ.

وقيل: كانوا يعبدون تلك الأصنامَ بالنَّهارِ دونَ اللَّيلِ، فلذلك قالوا: ﴿فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ﴾.

* * *

(٧٢ ـ ٧٣) ـ ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾.

﴿قَالَ﴾ يعني: إبراهيمَ عليه السَّلامُ ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ﴾ فيه وجهانِ:

أحدُهما: يسمعونكم تدعونَ، فحُذِفَ (تدعون) لأنَّ ما بعدَه يدلُّ عليه.

والثَّاني: يسمعونَ دُعاءَكم، فحُذِفَ المُضافُ.

وقيل: ﴿يَسْمَعُونَكُمْ﴾ بمعنى: يُجيبونكم.

﴿إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ﴾ بتقرُّبِكم إليها ﴿أَوْ يَضُرُّونَ﴾ مَن عصاهُم منكم.

* * *

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٣٣)، واستغربه.

(٢) في (ف): «فقيهًا».

(٧٤) ـ ﴿قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَا ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾.

﴿قَالُواْ بَلْ﴾ إضرابٌ عن أن يسمَعَ أو ينفَعَ أو يضُرَّ ﴿وَجَدْنَا ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ اقتَدَينا بآبائِنا في عبادتِهم إيّاها، لا أنَّها تنفعُ أو تضرُّ.

***

(٧٥ ـ ٧٧) ـ ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۝٧٥ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ۝٧٦ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۝٧٥ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ﴾: الأسبقون زمانًا ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ﴾ قيل: الأصنامُ وعابِدُوها؛ لتصِحَّ العداوةُ.

وقيل: يضُرُّونَني يومَ القيامةِ فعلَ الأعداءِ.

وقيل: فإنِّي عدوٌّ لهم.

ووحَّدَ (عدوًّا) لأنَّ (فَعولًا) صيغَتْ للمُبالغةِ والكثرةِ، فقامَ مَقامَ الجمعِ.

وقيل: كلُّ واحدٍ عدوٌّ.

وقيل: هو في الأصلِ مصدرٌ.

وقيل: لأنَّ تقديرَه: فإنِّي عدوٌّ لهم.

قولُه: ﴿إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قال بعضُ النُّحاةِ: الاستثناءُ مُنقطعٌ، والتَّقديرُ: لكنْ ربُّ العالمين ليس بعدوِّي.

وقال بعضُهم: الاستثناءُ صحيحٌ؛ لأنَّه قد كانَ في آبائِهم الأقدمين مَن قد عبَدَ اللهَ؛ لأنَّ هذه نسبةٌ ترتفِعُ[1] إلى آدمَ عليه السَّلامُ.

(١) في (ف): «ترفع».

وقال بعضُهم: إنَّ ما تعبُدون عدوٌّ لي إلا اللهَ الذي تعبُدون معه غيرَه؛ فإنَّه ليس بعدوِّي.

وقيل: لأنَّهم وإن أنكروا العبادةَ المعروفةَ لم يُنكِروا أنَّه خالقُهم ورازِقُهم، فكانوا بهذا عابدين، فصحَّ الاستثناءُ[١].

وقيل: مَن كان جاحدًا لله عابدٌ له من حيثُ إنَّ أثرَ العبوديّةِ فيه ظاهرٌ، فالاستثناءُ صحيحٌ.

وقيل: ﴿إِلَّا﴾ بمعنى (دونَ)، كقولِه: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الدخان: ٥٦].

* * *

(٧٨) ـ ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ﴾.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ أي: الذي خلقَني ولم أكُ شيئًا فهو يهديني إلى الرَّشادِ إذا عبدتُه ولم أُشرِكْ به شيئًا، ودخلَ الفاءُ لأنَّ المبتدأ موصولٌ بالفعلِ[٢]، وإن جعلتَ ﴿ٱلَّذِى﴾ في محلِّ نصبٍ على الصِّفةِ فالفاءُ لعطفِ جملةٍ على جملةٍ.

* * *

(٧٩) ـ ﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ﴾.

﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ﴾ ـ واللَّذان بعدَه[٣] ـ رفعٌ بالعطفِ على المُبتدأ، والخبرُ محذوفٌ لأنَّ الأوَّلَ يدلُّ عليه، وهو قولُه: ﴿فَهُوَ يَهْدِينِ﴾، فصارَ كقولِك: «زيدٌ قائمٌ وعَمرٌو وبكرٌ وخالدٌ».

وإنْ جعلتَ الكلَّ في محلِّ نصبٍ على صفةِ ﴿رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ لم يحتجْ إلى

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٣٤)، واستغربه.

(٢) وهذا على تقدير أن ﴿ٱلَّذِى﴾ في محل رفع مبتدأ، وأن خبره الجملة الإسمية ﴿فَهُوَ يَهْدِينِ﴾.

(٣) أي: قوله: ﴿وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى﴾، و﴿وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ﴾.

خبرٍ، وجازَ تكـرارُ (الذي) و(هو) كشـيءٍ واحـدٍ، كما جاء:

إلـى المَلِـكِ القَرْمِ وابـنِ الهُمامِ وليـثِ الكتيبةِ فـي المُزْدَحَمِ(١)

ودخلَ (هو) فـي هذه الكلماتِ للتَّخصيصِ، كما تقولُ: «زيدٌ هو الضَّاربُ عَمرًا» إذا كان هناك مَن يدَّعي أنَّ غيرَ زيدٍ ضربَه.

* * *

(٨٠) ـ ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾.

﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ أسندَ المرضَ إلى نفسِه لِمَا فيه منَ الكراهةِ.

* * *

(٨١) ـ ﴿وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾.

﴿وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾؛ أي: في الآخرةِ، وأدخلَ ﴿ثُمَّ﴾ لأنَّ بينَهما تراخيًا.

* * *

(٨٢) ـ ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾.

﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ يُريدُ بـ﴿خَطِيئَتِي﴾: ذنبي، وهـو ثلاثُ كلماتٍ: **أحدُها**: قولُه: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩] **والثَّاني**: قولُه: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ﴾ [الأنبياء: ٦٣] **والثَّالثُ**: قولُه: سارةُ أُختي(٢).

قيل: **والرَّابعُ**: قولُه: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ [الأنعام: ٧٦].

وذهبَ بعضُ المُفسِّرين إلى أنَّ هذه ليست بخطيئةٍ ولا ذنبٍ، بل لكلٍّ واحدةٍ

---

(١) البيت بلا نسبة في «معاني القرآن» للفراء (١/ ١٠٥)، و«تفسير الطبري» (٣/ ٨٧)، و«تفسير الثعلبي» (٣/ ٣٠٥).

(٢) رواه البخاري (٣٣٥٨)، ومسلم (٢٣٧١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

منها وجهٌ يصيرُ إبراهيمُ عليه السَّلامُ مُثابًا بها مأجورًا، فيكونُ: ﴿أَطْمَعُ﴾ بمعنى اليقينِ؛ أي: أتيقَّنُ، ولا يجري على الظّاهرِ؛ لأنَّه شكٌّ.

وقيل: ﴿خَطِيٓـَٔتِى﴾: خطيئةَ أمَّتي؛ كما قيلَ في قولِه: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢]، فيكونُ الطَّمعُ على أصلِه للشَّكِّ[1].

وقيل: تُعُبِّدَ إبراهيمُ بأن يدعوَ بهذا الدُّعاءِ كما تُعُبِّدَ بقولِه: ﴿وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾، ومعلومٌ قطعًا أنَّه لا يُخزَى، ولكنَّه دَعا الله بهذه الأدعيةِ إظهارًا للعبوديّةِ؛ ليقتديَ به غيرُه.

* * *

(٨٣) - ﴿رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

﴿رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا﴾: نُبوَّةً.

وقيل: زِدني علمًا إلى علمٍ، وحكمةً إلى حكمةٍ، والحُكمُ: الحِكمةُ.

وقيل: قُرآنًا، وهو عن مجاهدٍ[2]، وفيه ضَعفٌ.

﴿وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾: بالأنبياءِ، وسُمُّوا صالحين لأنَّ صلاحَهم لا يشوبُه شيءٌ منَ الفسادِ.

وقيل: هَبْ لي حكمًا في الدُّنيا وألحقني بالصَّالحينَ في الأُخرى.

* * *

(٨٤) - ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ﴾.

﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ﴾ أكثرُ المُفسِّرين على أنَّه الثَّناءُ الحسَنُ، وسُمِّي لسانًا لأنَّه به يكونُ.

---

(١) في (ف): «الشك».

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٧٨١).

وقيل: هو أن يُؤمنَ به أهلُ كلِّ ملّةٍ ويُصدِّقَه.

وقيل: أرادَ ألّا تنقطعَ النُّبوَّةُ من نسلِه.

وقيل: أرادَ أن يجعلَ مِن ولدِه مَن يقومُ بالحقِّ في آخرِ الزَّمانِ، فاستجابَ الله دُعاءَه وجعلَه شجرةَ الأنبياءِ، وبعثَ محمَّدًا ﷺ في آخرِ الزَّمانِ من ذُرِّيَّته.

***

(٨٥) ـ ﴿وَٱجۡعَلۡنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ﴾.

﴿وَٱجۡعَلۡنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ﴾؛ أي: ممَّن يدخُلُها، وجاء بلفظِ الوراثةِ في القرآنِ في غيرِ موضعٍ لأنَّ المُؤمنينَ يرِثونَ منازلَ الكفَّارِ.

وقيل: لأنَّ الوراثةَ أقوى سببٍ يقعُ به الملكُ.

وقيل: لأنَّها تقعُ من غيرِ كَسْبٍ.

***

(٨٦) ـ ﴿وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾.

﴿وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾؛ أي: الكافرين كُفرَ جَهالةٍ وذهابٍ عنِ الصَّوابِ لا كفرَ عِنادٍ، وكان هذا الدُّعاءُ منه في حياةِ أبيه يتوقَّعُ منه الإيمانَ، فلما ماتَ على الكفرِ تبرَّأ منه.

وجاز هذا الدُّعاءُ قبل أن يَعلمَ استحالةَ ذلك بموتِه على كفرِه، وقد ذكرَ الله عُذرَه في القرآنِ في قولِه: ﴿وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ﴾ الآية [التوبة: ١١٤].

ومعنى: ﴿كَانَ﴾ في الآيةِ: قيل: صارَ. وقيل: معناه: كان قديمَ الضَّلالِ. وقيل: هو كقولِه: ﴿مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا﴾ [مريم: ٢٩].

(٨٧) - ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾.

﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾: لا تفضَحْني.

قيل: بسببِ والدي.

وقيل: هو التَّعييرُ بالذَّنبِ.

وقيل: لا تُهلِكْني.

* * *

(٨٨) - ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾.

﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾؛ أي: لا ينفعُ مالٌ ولا بنونَ كما ينفعُ في الدُّنيا، يفدي مالُه ويذُبُّ عنه بنوه.

وقيل: المُرادُ بالبنينَ جميعُ الأعوانِ.

* * *

(٨٩) - ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾.

﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾؛ أي: لا ينفعُ إلا مُوافاةُ ذلك الموقفِ بقلبٍ سليمٍ، فيكونُ الاستثناءُ مُنقطِعًا.

وقيل: لا ينفعُ مالٌ ولا بنونَ أحدًا إلا مَن أتى الله بقلبٍ سليمٍ؛ فإنَّه ينفعُه مالُه الذي أنفقَه في طاعةِ الله، وينفعُه بنوه لأنَّهم يشفعون فيه.

وقيل: ينفعونَه بسرورِه بهم.

ومعنى ﴿بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾؛ أي: سَلِمَ[1] من الشَّكِّ.

---

(١) في (ن): «سليم».

وقيل: سلِمَ منَ الشِّركِ.

وقيل: سلِمَ منَ المعاصي؛ لأنَّ القلبَ إذا سَلِمَ سَلِمَتِ الجوارحُ.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: سلامةُ القلبِ شهادةُ أنْ لا إلهَ إلا الله(١).

وقيل: ﴿سَلِيمٍ﴾: مُخلِصٍ ناصحٍ.

وقيل: ﴿سَلِيمٍ﴾: مُسلمٍ مُؤمنٍ.

وقيل: ﴿سَلِيمٍ﴾ سلِمَ من حُبِّ الدُّنيا.

وقيل: ﴿سَلِيمٍ﴾: لَديغٍ من خيفةِ الله.

وقيل: ﴿سَلِيمٍ﴾: صحيحٍ، ضدِّ مريضٍ(٢).

* * *

(٩٠ ـ ٩١) ـ ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾.

﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ أُدنِيَتْ لهم ليدخُلوها.

﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾: أُظهِرَتْ لهم، يجوزُ أن يكونَ هذا على وجهِ الوعيدِ، ويجوزُ أن يُقادَ بها بالسَّلاسلِ كما جاء في الأخبارِ.

* * *

(٩٢ ـ ٩٣) ـ ﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ﴾.

﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ﴾ استفهامُ توبيخٍ؛ أي: يُقالُ لهم: أين الأصنامُ التي كنتم تزعُمون أنَّها تشفعُ لكم وتُقرِّبُكم إلى الله زُلفى؟

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٧٨٣)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٣٢٣).

(٢) ذكر المصنف القولين الأخيرين في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٣٥)، واستغربهما.

﴿هَلْ يَنصُرُونَكُمْ﴾ فتدفعَ عنكم ﴿أَوْ يَنتَصِرُونَ﴾ لأنفسِهم، فهي في النَّارِ معكم.

* * *

(٩٤ ـ ٩٥) ـ ﴿فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾.

﴿فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ﴾: فقُذِفُوا فيها.

وقيل: جُمِعُوا فيها.

وقيل: دُهْوِرُوا.

وأصلُه من كَبَّ، فيكونُ للمُبالغةِ.

وقيل: طُرِحَ بعضُهم على بعضٍ منكوسينَ على رُؤوسِهم.

وقيل: ﴿هُمْ﴾ كنايةٌ عن الأصنامِ، ﴿وَٱلْغَاوُۥنَ﴾: الكفارُ. وقيل: ﴿وَٱلْغَاوُۥنَ﴾: الشّياطينُ. وقيل: كفرةُ الجنِّ.

﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾ منَ الجنِّ والإنسِ.

* * *

(٩٦) ـ ﴿قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾.

﴿قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾؛ أي: قالت الكفرةُ وهم في النّارِ، تخاصَمَ التّابعون والمتبوعونَ؛ يقولُ التّابعون للمتبوعين: غَرَرْتُمُونا كذَبتُمُونا، ويقولُ المتبُوعون: بل ضلَلْتُم باختيارِكُم.

* * *

(٩٧ ـ ٩٨) ـ ﴿تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ۝٩٧ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

﴿تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ۝٩٧ إِذۡ نُسَوِّيكُم﴾: نَعدِلُكم ﴿بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ فنعبُدُكم. هذا من كلامِ التّابعينَ، وأكَّدوا قولَهم بالقَسَمِ.

***

(٩٩) ـ ﴿وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾.

﴿وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾؛ أي: كُبَراؤُنا الذين دَعَونا إلى الضَّلالِ وأمرونا به.

وقيل: ﴿ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ الشَّياطينُ.

وقيل: إبليسُ وابنُ آدمَ القاتلُ.

***

(١٠٠ ـ ١٠١) ـ ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ۝١٠٠ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٖ﴾.

﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ﴾: شافعٌ مِنَ الأباعدِ ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٖ﴾ مِنَ الأقاربِ ينفعُنا ويشفعُ لنا.

والحميمُ: القريبُ، من قولِهم: حَمَّ الشَّيءُ؛ إذا قرُبَ.

وقيل: الحميمُ: الشَّفيقُ.

وقيل: حميمُ الرَّجلِ: مَن يختصُّه، من قولِهم: دُعِيَ فلانٌ في الحامَّةِ لا في العامَّةِ؛ أي: في الخاصَّةِ.

ابنُ عيسى: الحميمُ: مَن يغضبُ لحميمِه، ومنه: الحُمَّى، والماءُ الحميمُ[1].

وعن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قالَ: «إنَّ الرَّجلَ ليقولُ في الجنَّةِ: ربِّ، ما فعَلَ صديقي

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٣٥)، واستغربه.

فلانٌ؟ وصديقُه في الجحيمِ، فيقولُ الله: أخرِجُوا له صديقَه إلى الجنَّةِ، فيقولُ مَن بقيَ: فما لنا من شافعينَ ولا صديقٍ حميمٍ»[١].

وعنه صلَواتُ الله وسلامُه عليه: «ما اجتمعَ ملأٌ على ذكرِ الله فيهم عبدٌ من أهلِ الجنَّةِ إلا شفَّعَه الله فيهم، وإنَّ أهلَ الإيمانِ شُفَعاءُ بعضُهم لبعضٍ، وهم عندَ الله شافِعون مُشفَّعون»[٢].

***

(١٠٢) ـ ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾: رجعةً إلى الدُّنيا ﴿فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ تمنَّوا حينَ لا ينفعُهم ذلك.

***

(١٠٣ ـ ١٠٤) ـ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٠٣) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾؛ أي: الذي ذكرتُ ﴿لَآيَةً﴾: لعِظةً ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٠٣) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

***

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٠/ ٨١)، والواحدي في «الوسيط» (٣/ ٣٥٧) من طريق الوليد بن مسلم: حدثنا من سمع أبا الزبير عن جابر رضي الله عنه. وإسناده ضعيف لإبهام الراوي عن أبي الزبير، والوليد بن مسلم مدلس.

وفي الباب من طريق عطية عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال: «إن من أمتي من يشفع للفئام من الناس، ومنهم من يشفع للقبيلة، ومنهم من يشفع للعصبة، ومنهم من يشفع للرجل، حتى يدخلوا الجنة» رواه الترمذي (٢٤٤٠) وقال: حديث حسن. قلت: وعطية العوفي ضعيف.

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٠/ ٨٣) عن الحسن من قوله.

(١٠٥) ـ ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ القومُ: اسمُ الرِّجالِ دونَ النِّساءِ، ثمَّ تدخُلُ النِّساءُ معهم تبعًا.

﴿الْمُرْسَلِينَ﴾؛ أي: كذَّبوا نوحًا ولـم يُصدِّقوه في أنَّه رسولٌ، وكذَّبوا المُرسَلين قبلَه لمَّا ذكرَ لهم أخبارَهم.

الحسنُ: مَن كذَّبَ واحدًا منهم فقد كذَّبَ كلَّهم[1].

ويحتمِلُ: أنَّهم أنكَرُوا بعثَ الرُّسلِ أصلًا، فقد كذَّبوا كلَّ الرُّسلِ، فلذلك جمعَ، وكذلك الكلامُ في جميع ما في هذه السُّورةِ.

***

(١٠٦ ـ ١٠٧) ـ ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٠٦) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾.

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ﴾ في النَّسبِ ﴿نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ اللهَ فتترُكوا عبادةَ الأصنامِ.

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ عليكم غيرُ خائنٍ لكم.

وقيل: أمينٌ لله ائتَمَنني لرسالتِه.

وقيل: صادقٌ فيما بلَّغتُكم.

وقيل: أمينٌ عندَكم عرَفتُموني بالأمانةِ[2] والصِّدقِ قبل اليومِ، فلم أكُنْ لأصدُقَ فيما بيني وبينكم منَ الأمرِ وأكذِبَ على الله.

***

(١٠٨) ـ ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ فيما آمرُكم به؛ فإنِّي لا أخونُكم ولا أريدُ بكم سوءًا.

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٠/ ٨٤)، وذكره ابن فورك في «تفسيره» (١/ ٢٤٤).

(٢) في (ن): «في الأمانة».

(١٠٩) ـ ﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾: على ما أدعوكُم إليه ﴿مِنۡ أَجۡرٍ﴾: أجرًا مالًا وثوابًا.

﴿إِنۡ أَجۡرِيَ﴾: ثوابي ﴿إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ فذلك[1] أريدُه.

* * *

(١١٠) ـ ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾.

﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ كـرَّرَ لأنَّ الأوَّلَ مُتَّصـلٌ بقولِـه: ﴿أَمِينٌ﴾، والثّانـيَ بقولِه: ﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ﴾، فهما سببانِ.

* * *

(١١١) ـ ﴿قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ﴾.

﴿قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ﴾: الأقلُّون مالًا وجاهًا.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: الحاكَةُ[2].

عكرمةُ: الحاكَةُ والأساكِفَةُ[3].

وقيل: الحجَّامونَ.

وقيل: أهلُ الضَّعةِ والخساسةِ.

وقيل: المُتكبِّرون[4].

---

(١) في (ف): «فلذلك».

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٠/ ٨٧).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٠/ ٨٧)، والواحدي في «البسيط» (١٧/ ٨٥).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٣٥)، واستغربه.

وقيل: يَسألون ولا يَقْنَعون، حكاها الماورديُّ[1].

***

(١١٢ ـ ١١٣) ـ ﴿قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝١١٢ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ﴾.

﴿قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾؛ أي: لا أطلُبُ عِلْمَ ما عملوه، إنَّما عليَّ أن أدعوَهُم.

وقيل: قالوا: إنَّ الذينَ آمنوا بك ليس في قلوبِهم ما يُظهِرونَه، فقالَ: ﴿وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝١١٢ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ﴾؛ أي: إليَّ ظاهِرُهم، والله يُحاسِبُهم على ما في قلوبِهم.

وقيل: (كان) زيادةٌ، وتقديرُه: ما عِلْمي بعلمِهم مُؤتَنِفًا؛ أي: ليس عليَّ من ذلك ضررٌ.

وقيل: معناه: لعلَّ لهم عندَ الله منزلةً بحُسنِ أعمالِهم، وإن لم يكونُوا من أشرافِكُم.

وقيل: معناه: لم أكُنْ أعلَمُ أنَّ الله يهديهم إلى الإيمانِ من بينِكم.

***

(١١٤ ـ ١١٥) ـ ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ۝١١٤ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾.

﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: بمُبعِدِهم من عندي ﴿إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾.

***

---

(١) انظر: «النكت والعيون» (٤/ ١٧٩)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٣٤)، وعدَّه من العجائب.

(١١٦) ـ ﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾.

﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ﴾ عمَّا تقولُ ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾: المشتومين.

وقيل: المقتولينَ.

وقيل: منَ المضروبينَ بالحجارةِ.

* * *

(١١٧ ـ ١١٨) ـ ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا﴾؛ أي: احكُمْ بيننا ﴿وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ من عذابِ عملِهم.

وقيل: من عملِهم؛ لأنَّه سببُ العذابِ.

* * *

(١١٩) ـ ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾.

﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾: المملوءِ، تقولُ: شحَنَها عليهم خيلًا ورجالًا؛ أي: ملأَها، والجندُ شِحنةُ البلدِ؛ أي: الذي يملؤُه كفايةً(١).

* * *

(١٢٠ ـ ١٢٢) ـ ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ﴾: بعدَ إنجاءِ نوحٍ ومَن آمنَ معه ﴿الْبَاقِينَ﴾ من قومِه، فأهلَكْناهُم بالماءِ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

---

(١) انظر: «تفسير النسفي» (٢/ ٥٧٤)، و«تاج العروس» مادة: (ش ح ن) (٣٥/ ٢٦٦).

(١٢٣) ـ ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ﴾.

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ﴾ عادٌ قبيلةٌ، ولهذا أنَّث، وهو في الأصلِ اسمُ رجلٍ هو أبو القبيلةِ.

***

(١٢٤ ـ ١٢٧) ـ ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ سبقَ.

***

(١٢٨) ـ ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ﴾.

﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ﴾ بكلِّ مرتفعٍ منَ المكانِ.

وقيل: الرِّيعُ: السَّبيلُ سُلِكَ أم لـم يُسلَكْ، وأصلُه في اللُّغةِ الزِّيادةُ[1].

مُجاهدٌ: الرِّيعُ: فجٌّ بينَ جبلَينِ[2].

﴿آيَةً تَعْبَثُونَ﴾ مُجاهدٌ: بُنيانًا[3].

غيرُه: علامةً تجتمعون إليها للعبَثِ بمَن يمرُّ في الطَّريقِ.

وقيل: هو برجُ الحَمامِ[4].

وقيل: جعلَ تفاخُرَهم بالأبنيةِ عَبثًا لا محصولَ له.

(١) انظر: «تهذيب اللغة» مادة: (ر ي ع) (٣/ ١١٥).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦٠٨) بإسنادين؛ الأول بلفظ: «فج»، والثاني بلفظ: «بين جبلين».

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٧٩٤).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٣٥)، واستغربه.

وقيل: المفعولُ محذوفٌ، وتقديرُه: أتبنُونَ بكلِّ رِيعٍ أبنيةً عظيمةً، و﴿ءَايَةً ﴾ نصبٌ على المفعولِ له(١).

***

(١٢٩) ـ ﴿ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴾.

﴿ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ ﴾: جمعُ مَصْنَعة، وهي البناءُ على الماءِ.

وقيل: ﴿ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ ﴾: أبنيةً، وكلُّ بناءٍ مصنعةٌ.

وقيل: قُصورًا مشيَّدةً وأبنيةً مُحكمةً.

وقيل: ﴿مَصَانِعَ ﴾: حُصونًا.

﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴾؛ أي: كأنَّ هذه الأبنيةَ تُخلِّدُكم في الدُّنيا.

***

(١٣٠) ـ ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴾.

﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴾: إذا انتقَمْتُم انتقَمْتُم انتقامَ الجبّارينَ بلا رأفةٍ ولا إبقاءٍ. والبطشُ: العَسْفُ قتلًا بالسَّيفِ وضَرْبًا بالسَّوْطِ.

وقيل: ﴿جَبَّارِينَ ﴾: قتَّالين.

وأصلُ الجبَّارِ: المُمتنعُ، مُشتقٌّ من جبَّارِ النَّخلِ، وهو الذي قد ارتفعَ من أن تنالَه يدٌ.

الحسنُ: إذا بطَشْتُم بالمؤمنين بطشتُم على غيرِ الثَّباتِ واليقينِ(٢).

وقيل: البطشُ: القتلُ على الغضبِ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٣٥)، وعدَّه من العجائب.

(٢) لم أجده.

(١٣١) ـ ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ بتركِ هذه الأشياءِ ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ فيما أدعوكُم إليه.

* * *

(١٣٢ ـ ١٣٥) ـ ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ﴾: أعطاكُم ما تعلمون، والإمدادُ: إتباعُ الثَّاني بما قبلَه شيئًا بعد شيءٍ على انتظامٍ، ثمَّ فسَّرَ فقالَ:

﴿أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾

﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ في الدُّنيا. وقيل: في الأُخرى.

* * *

(١٣٦) ـ ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ﴾.

﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ﴾؛ أي: لا نقبلُ كلامَك ودعوتَك؛ وعَظْتَ أم سكَتَّ.

* * *

(١٣٧) ـ ﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾.

﴿إِنْ هَذا إِلّا خَلْقُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: ما هذا الذي جئتَنا به إلا كذبُ الأوَّلين الذين ادَّعَوا النُّبوةَ ولـم يكونوا أنبياءَ.

وقُرِئَ: ﴿خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾ بضمَّتَين[1]؛ أي: ما هذا إلا عادةُ الأوَّلين، نحيا ثمَّ نموتُ، ولا بعثَ ولا نُشورَ.

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي: ﴿خَلْقُ﴾ بفتح الخاء وسكون اللام، والباقون بضم الخاء واللام. انظر: «السبعة» (ص: ٤٧٢)، و«التيسير» (ص: ١٦٦).

وقيل: إنْ هذا الذي نحنُ فيه من اتِّخاذِ الأبنيةِ في الرِّيعِ والمصانعِ إلا عادةُ الأوَّلين.

* * *

(١٣٨) ـ ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾.

﴿ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ على ما نحنُ عليه منَ الأقوالِ والأفعالِ.

* * *

(١٣٩ ـ ١٤٠) ـ ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴾.

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ ﴾ بريحٍ صَرْصرٍ عاتيةٍ ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾.

* * *

(١٤١ ـ ١٤٦) ـ ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ ﴾.

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ ﴾ أي: في الدُّنيا آمنين لا تخافونَ عذابًا ولا موتًا، بل تخلُدون ﴿ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ ﴾، وكانوا يسكُنونَ الحِجْرَ، وهي ذاتُ نخلٍ وزرعٍ ومياهٍ.

﴿طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾ اختلفوا فيه؛ فقيل: الهضيمُ: اللّاصقُ بعضُه ببعضٍ، والطَّلْعُ ما دام في كُفُرّاهُ[١] فهو هضيمٌ، وإذا خرجَ فليس بهضيمٍ.

وقيل: الهضيمُ: الرَّطْبُ اللَّيِّنُ.

وقيل: المُذَنَّبُ منَ الرَّطْبِ.

وقيل: ﴿هَضِيمٌ﴾؛ أي: نضيجٌ مُدْرِكٌ.

وقيل: ﴿هَضِيمٌ﴾: ما ليس فيه نواةٌ.

وقيل: الهضيمُ: المُتهشِّمُ المُتفتِّتُ.

وقيل: هو الذي يركبُ بعضُه بعضًا.

وقيل: الهضيمُ: انخماصُ[٢] الطَّلعِ وتقارُبُ قشرته[٣] من الجانبَين.

وقيل: لطيفٌ في جسمِه، ومنه هَضْمَ الطَّعامِ؛ إذا لطُفَ واستحالَ إلى مُشاكلةِ البدنِ.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾: أينَعَ وبلَغَ[٤].

وقيل: العِذقُ المُتدلِّيةُ، حكاه القفَّالُ.

وقيل: ﴿هَضِيمٌ﴾: هاضِمٌ.

---

(١) كُفُرّى الطَّلع: وتاؤه، وهو الكافر أيضاً. انظر: «المحكم» مادة: (ك ف ر) (٧/ ٥).

(٢) في (ف): «انحماص»، وفي (ن): «انحماض»، ولعل الصواب المثبت. ولم أجد من ذكره بهذا اللفظ، وفي عباراتهم ما يشير إليه، قال الزمخشري في «الكشاف»: الهضيم: اللطيف الضامر، من قولهم: كشح هضيم. وقال المبرد كما في «البسيط» (١٧/ ١٠٣): الهضيم: اللاصق بعضه ببعض، وهو من قولك: هضمني حقي؛ أي: نقصني. وفي «مقاييس اللغة» (٥/ ٦٦): والطَّلعُ الهضيمُ: الدَّاخلُ بعضُه في بعضٍ.

(٣) في (ن): «قشرتيه».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦١٩).

(١٤٩) - ﴿وَتَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا فَٰرِهِينَ﴾.

﴿وَتَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا فَٰرِهِينَ﴾ ﴿فٰرِهينَ﴾ و﴿فَرِهِينَ﴾[١]؛ فالفارِهُ: الحاذِقُ؛ لأنَّهم كانوا ينقُرونَ الجبالَ ويتَّخِذون فيها بيوتًا يسكُنونها، ووصَفَهم بالحِذْقِ في تلك الصَّنعةِ. ومعنى فَرِهٍ: أَشِرٌ.

وقيل: فرِحٌ.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: بَطِرٌ[٢].

الضَّحَّاكُ: كَيِّسٌ[٣].

ابنُ زيد: قويٌّ[٤].

أبو عمرٍو: فَرِهَ يَفْرَه فراهةً؛ إذا نَعِمَ بالُه، فهو فارِهٌ وفرِهٌ[٥].

الخليلُ: فرِهٌ: أَشِرٌ، وفارِهٌ: حاذِقٌ[٦].

وقيل: ﴿فرِهين﴾: مُتحيِّرين.

وقيل: مُعجَبين.

وقيل: آمنين.

---

(١) قرأ بالأولى نافع وابن كثير وأبو عمرو، والباقون بالثانية. انظر: «السبعة» (ص: ٤٧٢)، و«التيسير» (ص: ١٦٦).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ١٨٣)، والواحدي في «البسيط» (١٧/ ١٠٦) بلفظ: «بطرين أشرين»، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦٢٢) بلفظ: «أشرين».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦٢٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٨٠٣).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦٢٣).

(٥) في «تهذيب اللغة» (٦/ ١٥٠): «روى أبو عبيد، عن أبي عمرو، يقال: هم في رفاهة ورفاهية ورفهنية؛ أي: في خصب وعيش واسع».

(٦) انظر: «العين» (٤/ ٤٦).

(١٥٠ ـ ١٥١) ـ ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝١٥٠ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴾.

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝١٥٠ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴾: الكافرين.

***

(١٥٢) ـ ﴿ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾.

﴿ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾ وكانوا تسعةَ رهطٍ يُفسِدون في الأرضِ ولا يُصلِحون.

***

(١٥٣) ـ ﴿ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴾.

﴿ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴾ أنتَ مثلُنا، وكلُّ دابَّةٍ تأكلُ فهي مُسَحَّرةٌ، والسَّحرُ: الغَذْوُ، والمُسَحَّرُ: المغذُوُّ.

وقيل: لك سَحْرٌ، وهو الرِّئةُ؛ أي: أنتَ مثلُنا.

وقيل: المُسحَّرُ: المخدوعُ.

الزَّجَّاجُ: أي: سُحِرَ مرَّةً بعد أُخرى حتَّى اختلَّ عقلُه(١).

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: منَ المخلوقين(٢).

المُبرِّدُ: المُسَحَّرُ: السُّوقَةُ الذي ليس بملِكٍ(٣).

قتادةُ: منَ السَّاحرين(٤)، وفيه نظرٌ.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٩٧).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦٢٦)، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٥٦٤)، والماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ١٨٤).

(٣) رواه عبد بن حميد كما في «الدر المنثور» (٦/ ٣١٦) من قول عاصم القارئ.

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٨١٣).

(١٥٤) ـ ﴿مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا فَأۡتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.

﴿مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا فَأۡتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في دَعواكَ.

***

(١٥٥) ـ ﴿قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٞ لَّهَا شِرۡبٞ وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ﴾.

﴿قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٞ﴾ والآيةُ[١] فيها: أنَّها خرجَتْ من صخرةٍ وهي حاملٌ، فلم يُؤمِنوا، فشدَّدَ عليهم فقال: ﴿لَّهَا شِرۡبٞ﴾ حظٌّ ونصيبٌ منَ الماءِ، ﴿وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ﴾ لا تُزاحموها في الشُّربِ ولا تُزاحمُكم فيه.

***

(١٥٦) ـ ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾.

﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ﴾: بعقرٍ وإهلاكٍ ﴿فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾.

***

(١٥٧) ـ ﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصۡبَحُواْ نَٰدِمِينَ﴾.

﴿فَعَقَرُوهَا﴾ عقرَها قُدارُ بنُ سالفٍ ﴿فَأَصۡبَحُواْ نَٰدِمِينَ﴾ على عقرِها حين رأوا العذابَ.

والعَقْرُ: ضربُ السّاقِ بالسَّيفِ وما يجري مَجراه.

وقيل: العَقْرُ: الجَرْحُ.

وقيل: أتاهُم صالحٌ بالمُعجزاتِ فآمنوا به، فلما ماتَ ارتدُّوا، ثمَّ أحياه الله فبعثَه ثانيًا إليهم فكذَّبوه، فأتاهم بالنَّاقةِ[٢].

---

(١) في (ف): «الآية».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٣٦)، واستغربه، وهو من أعجب العجيب.

(١٥٨ ـ ١٦٥) ـ ﴿ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

﴿ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾؛ أي: أتواقِعونَ الذُّكورةَ[1] منَ النَّاسِ؟!

وقيل: ﴿مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: منَ الغُرباءِ.

***

(١٦٦) ـ ﴿ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴾.

﴿ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ﴾ له وجهانِ:

أحدُهما: وتذَرون النِّساءَ اللَّواتي جعلَهُنَّ الله لكم أزواجًا.

الثّاني: وتذَرون فُروجَ أزواجِكم، وكانوا يأتون أدبارَ النِّساءِ أيضًا[2].

قال الزَّجَّاجُ: ويُسمَّى هذا الفعلُ: التَّحميضَ[3].

﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾: ظالمون غايةَ الظُّلمِ.

---

(١) جمع ذَكَرٍ، قال ابن السكيت في «الألفاظ» (ص: ٤٧): «يقال للإبل إذا لم تكن فيها أنثى، وكانت ذكورة: هذه جمالة بني فلان».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٣٦)، واستغربه.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٩٩).

(١٦٧) ـ ﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ﴾.

﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ﴾ عن دَعواك النُّبوَّة والإنكارِ علينا ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ﴾: منَ المنفيِّين من بلدِنا.

* * *

(١٦٨) ـ ﴿قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾.

﴿قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم﴾؛ أي: اللِّواطةِ[1] ﴿مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾: المُبغِضين، والقالي: التَّارِكُ للشَّيءِ بُغضًا له.

* * *

(١٦٩) ـ ﴿رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾؛ أي: من عذابِ عملِهم.

وقيل: أخرِجْني من بينِهم حتَّى لا أراهم.

وقيل: نجِّني من مُقاساةِ مخالطتِهم.

* * *

(١٧٠) ـ ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ﴾.

﴿فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ﴾ بناتِه ومَن آمنَ معه.

* * *

(١٧١) ـ ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ﴾.

﴿إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ هي امرأةُ لوطٍ، غَبَرَتْ فلم تخرُجْ مع لوطٍ.

---

(١) في (ف): «﴿قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم﴾ اللواط».

وقيل: غَبَرَتْ فلم تهلِكْ مع قومِها، ثمَّ أصابَها الحجرُ بعد ما خرَجَتْ منَ القريةِ.

ابنُ عيسى: الغابرُ: الباقي في قلَّةٍ كالتُّرابِ يبقى غُبارُه[1].

***

(١٧٢ ـ ١٧٥) ـ ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ (١٧٢) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ (١٧٣) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (١٧٤) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ﴾: أهلَكْناهم ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾ وهبٌ: كبريتًا ونارًا[2] ﴿فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ﴾: الكافرين ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (١٧٤) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

***

(١٧٦) ـ ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ لْئَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ﴾.

﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ لْئَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ﴾ الخليلُ: الأيكةُ: غَيْضةٌ تُنبِتُ ناعمَ الشَّجرِ كالسِّدرِ والأراكِ[3].

الزَّجَّاجُ: الأيكةُ: الشَّجرُ المُلتفُّ، وكان أصحابُ الأيكةِ أصحابَ شجرٍ مُلتفَّةٍ، وشجرُهم الدَّوْمُ، وهو المُقلُ[4].

وقُرِئَ: ﴿لَيكةَ﴾[5]، وهي اسمُ علَمٍ لتلك المدينةِ أو البقعةِ.

***

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٣٦)، واستغربه.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٨١٠).

(٣) انظر: «العين» (٥/ ٤٢٣).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٩٧).

(٥) قرأ نافع وابن كثير وابن عامر بلام مفتوحة من غير همزة بعدها ولا ألف قبلها وفتحِ التاء، والباقون بالألف واللام مع الهمزة وخفضِ التاء. انظر: «السبعة» (ص: ٤٧٣)، و«التيسير» (ص: ١٦٦).

(١٧٧ ـ ١٨١) ـ ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾.

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾ ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أصحابُ الأيكةِ أصحابُ مدينَ[١].

غيرُه: أصحابُ الأيكةِ غيرُ أهلِ مدينَ، فأرسلَ الله شُعَيبًا إلى أُمَّتَين؛ ولهذا لم يقُلْ: أخوهم؛ لأنَّه لم يكُنْ من نسبِهم، وكان من نسبِ أهلِ مدينَ، فقال لهم: أخوهم شُعَيبٌ[٢].

وقيل: أصحابُ الأيكةِ كالباديةِ، وأصحابُ مدينَ كالحاضرةِ[٣].

﴿أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞ أَوْفُوا الْكَيْلَ﴾ أتِمُّوه ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ حقوقَ النَّاسِ، تقولُ: خسَرَ حقَّه وأخسَرَه.

* * *

(١٨٢ ـ ١٨٣) ـ ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾.

﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾؛ أي: العدلِ والوفاءِ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦٣٣).

(٢) وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [الأعراف: ٨٥ وهود: ١٨٤، والعنكبوت: ٣٦].

(٣) ذكر المصنف هذا القول والذي قبله في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٣٦)، واستغربهما.

والقِسْطاسُ: إقوامُ[1] الموازينِ، وهو الشَّاهينُ[2].

وقيل: المعيارُ.

وقيل: القبَّانُ.

وقيل: الميزانُ.

وقيل: هو روميٌّ.

وقيل: هو عربيٌّ، وأصلُه منَ القسطِ[3].

﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾: حقوقَهم، وذُكِرَ بأعمِّ الألفاظِ.

﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ العَثْيُ: إسراعُ الفسادِ.

* * *

(١٨٤) - ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾؛ أي: وخلقَ الجبِلَّةَ، والجِبِلَّةُ: الخَلْقُ، من جَبَلَه الله؛ أي: خلقَه.

وقيل: الجِبِلَّةُ: الخَلْقُ المُتجسِّدُ الغليظُ، مأخوذٌ منَ الجَبَلِ.

وقيل: معنى ذكرِ الجِبِلَّةِ: إنذارُهم ما أوقعَ الله بهم منَ العقوباتِ؛ أي: خلقَكُم وخلقَ الأوَّلين، وقد رأيتُم وقائعَه بهم.

الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما: الجِبِلَّةُ عشرةُ آلافٍ، حكاه النَّقَّاشُ[4].

---

(١) كذا ذكره المصنف هنا، وقد ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ﴾ [الإسراء: ٣٥] بلفظ: «إقامة لسان الميزان»، ولعله الصواب.

(٢) الشاهين: عمود الميزان، والصنجة. انظر: «التاج» مادة: (ش هـ ن).

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» مادة: (ق س ط) (٨/ ٢٩٩)، و«حاشية ابن بري» (ص: ١٣٤).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٣٦)، واستغربه.

(١٨٥ ـ ١٨٧) ـ ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾.

﴿ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾؛ أي: قطعةً من السَّماءِ.

وقيل: جانبًا منها.

وقيل: الكِسْفةُ: القِطعةُ منَ السَّحابِ.

وقيل: عذابًا من جانبِ السَّماءِ.

﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في دَعواكَ.

* * *

(١٨٨) ـ ﴿ قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾.

﴿ قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ أي: إنْ كنتُم تستحِقُّونَ عذابَ الاستئصالِ فسيأتيكم، وإلّا فلا.

* * *

(١٨٩ ـ ١٩١) ـ ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾.

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ﴾ سلَّطَ الله عليهم الحَرَّ سبعةَ أيّامٍ وليالِيَها حتَّى غلَتْ أنهارُهم، ثمَّ رُفِعَ لهم جبلٌ تحتَه ماءٌ باردٌ، فاستظَلُّوا به فسقَطَ عليهم.

الزَّجَّاجُ: الظُّلَّةُ: السَّحابُ، أظلَّتهم واجتمَعوا تحتَها يستجيرون بها من شدَّةِ الحرِّ، فأطبقَتْ عليهم، فكان من أعظمِ يومٍ في الدُّنيا[1].

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٩٨).

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: مَن حدَّثَكَ ما عذابُ يومِ الظُّلَّةِ فكذِّبْه[1]، لعلَّه أرادَ: لـم ينجُ منهم أحدٌ فيُخبرَ به.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

* * *

(١٩٢) ـ ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الهـاءُ يعـودُ إلـى القرآنِ، كنايـةٌ عن غيرِ مذكـورٍ؛ لأنَّ القـرآنَ كلَّه كسـورةٍ واحدةٍ.

وقيل: يعودُ إلى قولِه: ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ﴾ [الشعراء: ٥] وهو القرآنُ.

* * *

(١٩٣) ـ ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾.

﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ يعني: جبريلَ، وهو الأمينُ على الوحيِ، وسُمِّي رُوحًا لأنَّ الملائكةَ رُوحانِيُّون؛ خُلِقوا منَ الرِّيحِ.

وقيل: لأنَّ فيما يأتي به رُوحًا وحياةً للدِّينِ.

وقيل: لأنَّه خلقَه من رُوحِه التي نفَخَ في آدمَ عليه السَّلامُ.

وقيل: لأنَّ الحياةَ أغلَبُ عليه.

وقيل: رُوحٌ[2]: اسمُ علمٍ له لا صِفةٌ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦٣٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٨١٥)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٣٧)، واستغربه.

(٢) كذا ذكر المصنف، ولعل الصواب أن يقال: «الروح اسم...»؛ فلو كان الاسم بلا ألف ولام ما جاز إدخالها عليه في الآية، كما أن المروي عن مجاهد أنه قال: «الروح اسم ملك». انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٦/ ٥٠٤).

(١٩٤) ـ ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾.

﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾؛ أي: عليك، وخُصَّ القلبُ بالذِّكرِ لأنَّه محلُّ الوحيِ والتَّثبُّتِ.

﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾: تُعلِمَ الخلقَ موضعَ المخافةِ.

***

(١٩٥) ـ ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾.

﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ﴾: بلغةِ قُريشٍ وجُرْهُمَ ﴿مُّبِينٍ﴾ واضحِ المعنى.

***

(١٩٦) ـ ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: في كتبِ المُتقدِّمين؛ كقولِه: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأعلى: ١٨]؛ أي: ذكرُ القرآنِ لفي الكتبِ المُتقدِّمةِ.

وقيل: معاني القرآنِ.

وقيل: ذِكرُ محمَّدٍ ﷺ ونعتُه مكتوبٌ عندَهم في التَّوراةِ والإنجيلِ.

***

(١٩٧) ـ ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾؛ أي: أوَلم يكُنْ عِلْمُ علماءِ بني إسرائيلَ بوجودِ نعتِ محمَّدٍ ﷺ وذِكرِ القرآنِ في التَّوراةِ علامةً للعربِ في صدقِ محمَّدٍ ﷺ ونُبوَّته.

وعلماءُ بني إسرائيلَ: عبدُ الله بنُ سلامٍ وأصحابُه الذين آمنوا بمحمَّدٍ ﷺ.

***

(١٩٨) ـ ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ﴾.

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ﴾: جمعُ (أعجميٍّ) بالتَّخفيفِ[١]، ولولا هذا التَّقديرُ لم يجُزْ أن يُجمَعَ جمعَ السَّلامةِ[٢].

***

(١٩٩) ـ ﴿فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾ فيه أربعةُ أوجهٍ:

أحدُها: ولو نزَّلْنا القرآنَ بلغةِ العجمِ على رجلٍ أعجميٍّ، فقرأه على العربِ، لم يُؤمنوا حيثُ لم يفهموا واستنكَفُوا من اتِّباعِه.

والثَّاني: لو نزَّلنا القرآنَ كما هو الآنَ على رجلٍ أعجميٍّ، فقرأه على العربِ، لم يُؤمِنُوا استنكافًا من اتِّباعِ مَن لم يكُنْ منهم.

والثَّالثُ: ولو نزَّلنا القرآنَ على بعضِ العجمِ منَ الدَّوابِّ، فقرأه عليهم، لم يُؤمِنُوا لعِنادِهم كقولِه: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ الآية [الأنعام: ١١١]، وجُمعَ (أعجم) جمعَ السَّلامةِ على هذا لمَّا وصفَه بالقراءةِ، وهو فعلُ العُقَلاءِ[٣].

والرَّابعُ: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ﴾؛ أي: القرآنَ ﴿عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ﴾؛ أي: البهائمِ، فقرأ عليهم محمَّدٌ ﷺ لم تُؤمنِ البهائمُ، كذلك هؤلاءِ؛ لأنَّهم كالأنعامِ، بل هم أضلُّ سبيلًا[٤].

---

(١) في (ف): «على التخفيف».

(٢) في هذا ردٌّ على الفراء أجاز أن يكون جمع (أعجم)، والمصنف يرى أن أصله: الأعجميين، ويشهد لذلك أنها الحسن قرأها كذلك، وقد سبقه إلى ذلك أبو علي الفارسي. انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٨٣)، و«الحجة» لأبي علي (٦/ ١٢١)، و«الدر المصون» (٨/ ٥٥٤ ـ ٥٥٦).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٣٨)، واستغربه.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٣٨)، وعدَّه من العجائب.

(٢٠٠) ـ ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِي قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾.

﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِي قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ في هاءِ الضَّميرِ أقوالٌ:

قيل: يعودُ إلى تركِ الإيمانِ في قولِه: ﴿مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٩].

وقيل: إلى الشِّركِ والكفرِ.

وقيل: يعودُ إلى القرآنِ؛ أي: كما أنزَلْناه على قلبِكَ سلَكْناه في قلوبِ المُجرمين؛ أي: أدخَلْناه فيها؛ فعرَفُوا معانيَه وعرَفُوا عجزَهُم عن إتيانِ مثلِه، فلم يُؤمِنوا به.

***

(٢٠١) ـ ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾.

قولُه: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ في الدُّنيا كما رأتِ الأممُ المُتقدِّمةُ، وقيل: في القيامةِ.

***

(٢٠٢ ـ ٢٠٣) ـ ﴿فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا۟ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ﴾.

﴿فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا۟ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ﴾؛ أي: يطلُبون الرَّجعةَ حين يبغتُهم عذابُ السَّاعةِ فلا يُجابُونَ إليها.

***

(٢٠٤) ـ ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾.

﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ فيقولون مرَّةً: أمطِرْ علينا حجارةً، ومرَّةً يقولون[1]: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ...﴾ [الإسراء: ٩٠ ـ ٩٣] الآياتِ في (بني إسرائيلَ).

***

(١) «يقولون»: ليس في (ف).

(٢٠٥ ـ ٢٠٧) ـ ﴿ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ ﴾.

﴿ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴾ قيل: سنِيْ عمرِ الدُّنيا ﴿ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴾؛ أي: العذابُ ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم﴾: لـم يَدفَعْ عنهم ﴿مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ ﴾: تمتُّعُهم؛ أي: لا معنى لاستعجالِـهم العذابَ؛ فإنَّه إذا أتاهم ولو بعدَ العمرِ الكثيرِ لـم يُغْنِ عنهم تمتُّعُهم بالدُّنيا قبل ذلك، ولأنَّ العذابَ يأتيهم ولو بعد حينٍ.

* * *

(٢٠٨ ـ ٢٠٩) ـ ﴿ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾.

﴿ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ ﴾؛ أي: لـم نُهلِكْ أهلَ قريةٍ منَ القُرى التي تقدَّمَتْ في السُّورةِ وغيرِها إلّا لأهلِها مُنذرٌ يُنذِرُهم ويُذكِّرُهم ورسولٌ يُرشِدُهم ويعِظُهم.

﴿وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾ فنُعذِّبَهم قبلَ الإعذارِ والإنذارِ.

وجمعَ (مُنذرين) لأنَّ المقصودَ من القريةِ العمومُ، والدَّليلُ عليه دخولُ ﴿مِن﴾.

وقيل: المُرادُ بهم النَّبيُّ وأتباعُه المُظاهرون له.

و﴿ ذِكْرَىٰ ﴾في محلِّ نصبٍ بالمصدرِ؛ أي: يُذكِّرونَهم ذِكرى، وإنْ شئتَ نصبتَ بقولِه: ﴿مُنذِرُونَ ﴾ كقولهم: قعدَ القُرفُصاءَ، ورجعَ القَهْقَرى.

ويجوزُ أن يكونَ في محلِّ رفعٍ؛ أي: إنذارُنا ذكرى.

وقيل: ما قصَصْناه ذِكرى.

* * *

(٢١٠) ـ ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴾.

﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴾؛ أي: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ .. وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴾، كما يقولُه المُشركون: إنَّ القرآنَ كَهانةٌ، وإنَّك كاهِنٌ.

***

(٢١١) ـ ﴿ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾.

﴿ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ ﴾: ولا يصلُحُ لهم أن ينزِلوا به ﴿وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ أن ينزِلوا بالقرآنِ على أحدٍ.

***

(٢١٢ ـ ٢١٣) ـ ﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴾.

﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ ﴾؛ أي: لأنَّهم عن الاستماعِ إلى كلامِ الملائكةِ ﴿لَمَعْزُولُونَ ﴾ وبالشُّهبِ مرجومون.

وقيل: عن استراقِ السَّمعِ.

﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴾ في النَّارِ بسببِ ذلك، الخطابُ للنَّبيِّ ﷺ والمُرادُ به غيرُه.

ويحتمِلُ أنَّ قولَه: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴾ يريدُ به الكفَّارَ؛ أي: لا يسمعون القرآنَ سماعَ مَن ينتفعُ به.

***

(٢١٤) - ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾.

﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ لمَّا نزلَتْ هذه الآيةُ صعِدَ رسولُ الله ﷺ الصَّفا ونادى بأعلى صوتِه: «يا صباحاهُ»، فاجتمعَ النّاسُ إليه، فقال ﷺ: «يا بني عبدِ المُطَّلبِ، يا بني فهرٍ، يا بني عبدِ شمسٍ، يا بني فلانٍ، يا بني فلانٍ، لو أخبرتُكم أنَّ خيلًا بسفحِ هذا الجبلِ تُريدُ أن تُغيرَ عليكم صدَّقتُموني؟» قالوا: نعم، قال: «فإنِّي نذيرٌ لكم بينَ يدَي عذابٍ شديدٍ»، فقال أبو لهبٍ: ما دعوتَنا إلّا لهذا؟ تبًّا لك، فأنزلَ الله ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾[1].

***

(٢١٥) - ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾: ليِّنْ جانبَكَ لهم، وجناحا العسكرِ: جانباهُ.

***

(٢١٦) - ﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾.

﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ ﴾ يعني: عشيرتَك ﴿فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ من عبادةِ الأصنامِ.

وقيل: بريءٌ من أعمالِكم؛ لا أُؤاخَذُ بها ولا أُحاسَبُ عليها.

وقيل: لا أملكُ لكم فيها شفاعةً عند الله، ولا دَفعًا لعقوبةٍ لو جازاكُم بها.

***

(٢١٧) - ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴾.

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴾: فوِّضْ أمورَكَ إليه واعتمِدْ عليه، ومَن قرأ (فتَوَكَّلْ) بالفاءِ[2] فهو أشدُّ اتِّصالًا.

---

(١) رواه البخاري (٤٧٧٠)، ومسلم (٢٠٨)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) قرأ نافع وابن عامر بالفاء، وقرأ الباقون بالواو. انظر: «السبعة» (ص: ٤٧٣)، و«التيسير» (ص: ١٦٧).

(٢١٨ ـ ٢٢٠) ـ ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ۝٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٢١٩ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴾؛ أي: إلى الصَّلاةِ مُفْردًا ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾؛ أي: مع المُصلِّين جماعةً.

وقيل: يراكَ حين تقومُ وتقعدُ مع أهلِ الصَّلاةِ لا مع الكَهَنةِ والسَّحرةِ.

وقيل: معنى ﴿تَقُومُ﴾؛ أي: تخلُو.

وقيل: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾: [مِن] نبيٍّ إلى نبيٍّ حتَّى أخرَجَكَ نبيًّا[1]، يريدُ من صُلبٍ إلى صُلبٍ[2].

وقال مُجاهدٌ: ترى بقَلْبِكَ في صلاتِك مَن خلفَكَ كما ترى بعينَيكَ مَن قُدَّامكَ[3].

وهذا فيه ضَعفٌ؛ إذ ليس في اللَّفظِ ما يدلُّ على هذا المعنى.

***

(٢٢١ ـ ٢٢٣) ـ ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝٢٢١ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٢٢٢ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ﴾.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٢٢٠ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ فإنَّهم لا ينزلونَ على الأنبياءِ. ثمَّ نبَّأ فقالَ:

﴿تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ﴾: كذَّابٍ كاهنٍ ساحرٍ.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٨٢٨) عن ابن عباس، وما بين معكوفتين منه، ومن «غرائب التفسير» (٢/ ٨٣٨).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٣٨)، واستغربه.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦٦٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٨٢٩)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٣٩)، وعدَّه من العجائب.

﴿أَثِيمٍ﴾: كثيرِ الإثمِ كمُسيلمةَ، وطليحةَ، وسَجاحِ.

الزَّجَّاجُ: يأتي الشَّياطينُ الكهنةَ فيُلقون إليهم شيئًا فيزيدون فيه الكذبَ[1]، وهو قولُه:

﴿يُلْقُونَ السَّمْعَ﴾ قيل: الكفارُ يسمعونَ منَ الجنِّ ما يُوسوِسونَ به ويَقْبَلونَه؛ لأنَّ معنى ألقَى السَّمعَ: قَبِلَ ما سمِعَ وما قيلَ له.

﴿وَأَكْثَرُهُمْ﴾: أكثرُ الشَّياطينِ.

وقيل: أكثرُ الكَهَنةِ.

وقيل: أكثرُ الكهنةِ والشَّياطينِ.

﴿كَاذِبُونَ﴾ الحسنُ: أكثرُهم؛ أي: كلُّهم[2].

* * *

(٢٢٤) - ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾.

﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾؛ أي: ليس القرآنُ بشعرٍ، ولا محمَّدٌ ﷺ بشاعرٍ كما زعَموا؛ لأنَّ الشُّعراءَ يتَّبِعُهم الغاوون.

مُجاهدٌ: الشَّياطينُ[3].

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: الرُّواةُ[4].

الضَّحّاكُ: السُّفَهاءُ[5].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ١٠٤).

(٢) ذكره يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٥٣٠) بلفظ: «وجماعتهم كاذبون».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦٧٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٨٣٢).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦٧٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٨٣١).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦٧٥)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٠/ ١٤٠).

والذين اتَّبعوا محمَّدًا ﷺ راكعون ساجدون رُحماءُ بينهم، وأرادَ بالشُّعراءِ: الذين كانوا كافرين.

* * *

(٢٢٥ ـ ٢٢٦) ـ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ في كلِّ فنٍّ منَ الكلامِ يأخُذون، كما تقولُ: أنا في وادٍ وأنت في وادٍ.

﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ وصفَهم بالكذبِ في القولِ والخُلفِ في الوعدِ.

وقيل: في كلِّ لغوٍ يخوضونَ، لا يُبالون من صدقٍ ومن كذبٍ.

ورُوِيَ أنَّ عمرَ بنَ الخطّابِ رضي الله عنه مرَّ بأَمَجٍ ـ موضعٍ بينَ مكّةَ والمدينةِ ـ فإذا هو برجلٍ، فقالَ له: مَن أنتَ؟ فقال:

حُميْدُ الذي أَمَجٌ دارُه ... أخو الخمرِ ذو الشَّيبةِ الأصلَعُ
عَلاهُ المشيبُ على حُبِّها ... وكان كريمًا فلم يُقلِعُ

قال عمرُ بنُ الخطّابُ رضي الله عنه: أتُقِرُّ عندي بشُربِ الخمرِ؟ لأَحُدَّنَّكَ، فقال: لقد حالَ الله بينَكَ وبينَ ذاكَ بقولِه: ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٦] فلم يرَ عمرُ إقرارًا[١].

---

(١) ذكره هكذا ابن عبد البر في «بهجة المجالس» (ص: ١٨)، والبكري في «معجم ما استعجم» (١/ ١٩١)، لكن عن عمر بن عبد العزيز، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٣٩)، واستغربه.
وذكره البلاذري في «أنساب الأشراف» (٨/ ١٨٣)، من رواية المدائني عن شيخ من قريش قال: كان حميد الأمجي يشرب الخمر وكان منزله أمج، فقيل فيه: «حميد الذي أمج داره...» البيتين، =

والصَّحيحُ أنَّه نزلَ في عبدِ الله بنِ الزِّبَعْرَى، وأبي سفيانَ، وأميَّةَ بنِ أبي الصَّلتِ، وهُبَيرةَ بنِ أبي وَهْبٍ، ومُسافعٍ، كانوا يهجونَ رسولَ الله ﷺ والمؤمنينَ.

ثمَّ استثنَى المؤمنينَ فقالَ:

(٢٢٧) ـ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: مدَحُوا رسولَ الله ﷺ كحسّانَ بنِ ثابتٍ، وعبدِ الله بنِ رَواحةَ، وكعبِ بنِ زُهيرٍ، وكعبِ بنِ مالكٍ رضي الله عنهم. ﴿وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ قيل: في شعرِهم، وقيل: في كلامِهم ودُعائِهم.

﴿وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟﴾: ردُّوا على المُشركين ما كانوا يهجونَ به المؤمنين.

أبو هريرةَ رضي الله عنه: أنَّ عمرَ بنَ الخطّابِ رضي الله عنه مرَّ بحسانَ وهو يُنشِدُ الشِّعرَ في المسجدِ فلحَظَ إليه، فقالَ: قد كنتُ أنشدُ فيه وفيه خيرٌ منك، ثمَّ التفتَ إلى أبي هريرةَ فقالَ: أَنْشُدُكَ اللهَ أسمِعْتَ رسولَ الله ﷺ يقولُ لي: «أَجِبْ عنِّي، اللَّهمَّ أَيِّدْه بروحِ القُدُسِ»؟ فقال: اللَّهمَّ نعم[١].

وعن البراءِ بنِ عازبٍ رضي الله عنه قال: قالَ رسولُ الله ﷺ لحسانَ: «اُهْجُ المُشركينَ؛ فإنَّ جبريلَ معك»[٢].

= فقدم على عمر، فلما رآه قال: «حميد الذي أمج داره...»، قال: يا أمير المؤمنين كذب علي. قال: فاستغفر الله.

(١) رواه البخاري (٣٢١٢)، ومسلم (٢٤٨٥).

(٢) رواه البخاري (٣٢١٣)، ومسلم (٢٤٨٦).

﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ قيل: يُريدُ بهم مَن هجا رسولَ الله عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ.

وقيل: عامٌّ، وهو الأظهرُ.

﴿أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾: أيَّ مَرْجِعٍ يرجعونَ بعد موتِهم؛ أي: مصيرُهم إلى النّارِ، وهو شرُّ مصيرٍ.

﴿ويعلم﴾ مُعلَّقٌ بالاستفهامِ، و﴿أَىَّ مُنقَلَبٍ﴾ نصبٌ على المصدرِ؛ أي: ينقلِبونَ أيَّ انقلابٍ[1].

***

(١) نبّه على هذا ابن جني في «الخصائص» (١/ ٢٩٩)، والزجاج في «معاني القرآن» (٤/ ١٠٥) وغيرهما.

سُورَةُ النَّمۡلِ

سُورَةُ النَّمْلِ

ثلاثٌ وتسعونَ آيةً[1]، مكيّةٌ.

ولها ثلاثةُ أسماءٍ: سورةُ النَّملِ، وطَس الهدهُدِ، وسورةُ سليمانَ عليه السَّلامُ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) ـ ﴿طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ﴾.

﴿طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ﴾ سبقَ الكلامُ[2] في الحروفِ، وفي ﴿تِلۡكَ﴾، و﴿ذَٰلِكَ﴾.

وقال في هذه السُّورةِ: ﴿ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ﴾، وقال في الحِجْرِ: ﴿ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ﴾ [الحجر: ١]؛ لأنَّ القرآنَ والكتابَ اسمانِ عَلَمان للمُنزَّلِ على محمَّدٍ ﷺ، ووَصْفانِ لأنَّه يُقرَأُ ويُكتَبُ، فحيثُ جاء بلفظِ التَّعريفِ فهو العلَمُ، وحيثُ جاءَ بلفظِ النَّكرةِ فهو الوصفُ.

---

(١) «ثلاث وتسعون آية»: ليس في (ف). وانظر: «البيان في عد آي القرآن» (ص: ١٩٩)، وفيه: «وهي تسعون وثلاث آيات في الكوفي، وأربع بَصْرِي وشامي، وخمس في المدنيين والمكي، اختلافها آيتان: ﴿وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ﴾ [النمل: ٣٣] عدَّها المدنيان والمكي ولم يَعُدَّها الباقون، ﴿مِّن قَوَارِيرَ﴾ [النمل: ٤٤] لم يعدَّها الكوفي وعدَّها الباقون، وكلهم لم يعدَّ ﴿طسٓ﴾».

(٢) في (ف): «القول».

وإنْ شئتَ قلتَ: هما يجريان مَجرى العبَّاسِ وابنِ عبَّاسٍ، فهو في الحالين اسمُ العلَمِ.

والتَّقديرُ: تلكَ آياتُ القرآنِ، وآياتُ كتابٍ مُبينٍ يُبيِّنُ الحلالَ والحرامَ والأمرَ والنَّهيَ.

***

(٢) ـ ﴿هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

﴿هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾؛ أي: القرآنُ هُدًى منَ الضَّلالةِ، وبُشرى بالجنَّةِ.

وقيل: هُدًى لجميعِ الخلقِ، وبُشرى للمُؤمنين خاصَّةً.

وقيل: هُدًى للمُذنبين، وبُشرى للمُؤمنين، وخصَّهم بالذِّكرِ لانتفاعِهم به.

ومحلُّ ﴿هُدٗى وَبُشۡرَىٰ﴾ رفعٌ بالخبرِ، أو بالخبرِ بعد الخبرِ، ويجوزُ النَّصبُ على الحالِ كقولِه: ﴿وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًا﴾ [هود: ٧٢].

***

(٣) ـ ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ المفروضةَ ﴿وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ قيل: الزَّكاةُ(١) زكاةُ مالِهم.

وقيل: تطهيرُ أبدانِهم.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: الإخلاصُ وطاعةُ اللهِ(٢).

وقيل: صدقةُ الفِطرِ.

﴿وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾: يعلمونَها علمًا بالاستدلالِ.

والمعنى: يعملون ما يعملون عالِمين بما لهم وعليهم.

---

(١) «الزكاة»: ليس في (ف).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٨٤٠).

وقيل: معناه: إذا علِمُوا جزاءَهم كانوا أنشطَ له وأحرصَ عليه[١].

* * *

(٤) - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾: زيَّنا قبيحَ أعمالِهم وسهَّلْنا ذلك عليهم ﴿فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾: يتردَّدون في ضلالتِهم مُتحيِّرين.

وقيل: زيَّنا لهم أعمالَ الخيرِ فخالَفُوها.

وقيل: زيَّنا الأعمالَ التي أمَرْناهم بها، فهم يتردَّدون.

وقيل: يتمادَون.

وقيل: يلعبون.

وقيل: يتجبَّرون.

* * *

(٥) - ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾ يعني: النَّار ﴿وَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾ بفَوْتِ المثوبةِ والمصيرِ إلى العقوبةِ، و(أفعلُ) هاهنا للمُبالغةِ لا للشَّركةِ.

* * *

(٦) - ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾.

﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ﴾: تُعطى، وقيل: تأخذُ.

وقيل: تُلقَّى؛ أي: تُلقَّنُ، تقولُ: لقَّيتُه كذا فتلقَّاه، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ﴾ [فصلت: ٣٥].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٤١)، واستغربه.

وقيل: تُلقَّى؛ أي: يُلْقَى عليك القُرآنُ، وحقيقتُه من قولك: لقِيْتُ الشَّيءَ ولقَّيْته غيري.

﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾: من عندِ الله.

***

(٧) ـ ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾.

﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ﴾: لمَن معه.

وقيل: لامرأتِه بنتِ شُعَيبٍ في سفرِه؛ إذ خرجَ من مدينَ يؤُمُّ الشَّامَ ومعه أهلُه.

﴿إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾؛ أي: توقَّفوا؛ لقولِه في الأخرى: ﴿امْكُثُوٓا۟ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾ [القصص: ٢٩]: أبصَرْت نارًا(١).

وقيل: صادَفْتُ ووجَدْتُ، من قولِه: ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا﴾ [النساء: ٦].

وكان شاتيًا فوجدَ أهلُه البردَ، وكان معه زَنْدُه فأصْلَدَ(٢)، فأبصرَ النَّارَ من بُعدٍ، فقال: ﴿إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾.

﴿سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾؛ أي: بدلالةٍ على الطَّريقِ، وكان قد ضلَّ الطَّريقَ.

وقيل: سأُخبِرُكم عنها بعلمٍ.

---

(١) في (ف): «﴿امْكُثُوٓا۟ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾ أبصرت ﴿نَارًا﴾».

(٢) أَصْلَدَ الرَجُلُ؛ أي: صَلَدَ زَنْدُهُ، وصَلَدَ الزَنْدُ: إذا صَوَّتَ ولم يُخْرِجْ ناراً. انظر: «الصحاح» مادة: (ص ل د).

وجاء في الخبر عن وهب: «فأخرج زنده ليقتدح ناراً لأهله ليبيتوا عليها حتى يصبح، ويعلم وجه سبيله، فأصلد زنده فلا يوري له ناراً، فقدح حتى أعياه، لاحت النار فرآها فـ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوٓا۟ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا...﴾». رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٨).

﴿أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ﴾: شُعلةِ نارٍ ساطعٍ، ﴿قَبَسٍ﴾ أقبِسُها من مُعظَمِ النّارِ، والقَبْسُ بالسُّكونِ المصدرُ، وبالفتحِ الاسمُ، ومَن نوَّنَ جعَلَ القَبَسَ صفةً للشِّهابِ أو بدلًا، ومَن أضافَ(١) جعلَ الشِّهابَ الشُّعلةَ، والقَبَسَ النّارَ؛ أي: بشهابِ نارٍ.

وقيل: هو كقولِـهم: مسجدُ الجامعِ، وصلاةُ الأولى.

﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾: لتَصْطَلـوا؛ أي: تستَـدْفِئُوا مـنَ البـردِ، والصَّـلا: النّـارُ العظيمـةُ.

***

(٨) ـ ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿فَلَمَّا جَآءَهَا﴾؛ أي: النّارَ التي أبصرَها، ﴿نُودِيَ﴾: جاءه النِّداءُ، وهو الكلامُ المسموعُ، وقيل: أُوحِيَ إليه.

أي: نُودِيَ موسى ﴿أَنۢ بُورِكَ﴾، فضميرُ موسى مُقدَّرٌ في الفعلِ.

وقيل: نُودِيَ أنْ بُورِكَ، ومحلُّه(٢) رفعٌ، والوجهُ الأوَّلُ.

ومعنى ﴿بُورِكَ﴾: قيل: قُدِّسَ.

وقيل: جُعِلَ فيه البركةُ والخيرُ، بمعنى: تبارَكَ.

وهذا كلامٌ يجري مَجرى الدُّعاءِ، وحقيقتُه ترجعُ إلى الخبرِ، وفيه أربعُ لغاتٍ: بارَكَكَ اللهُ، وبارَكَ فيك، وبارَكَ عليك، وبارَكَ لك.

وفي النارِ قولان:

---

(١) قرأ عاصم وحمزة والكسائي بالتنوين، والباقون بالإضافة. انظر: «السبعة» (ص: ٤٧٨)، و«التيسير» (ص: ١٦٧).

(٢) الهاء تعود على المصدر المؤول من (أن) والفعل (بورك).

أحدُهما: كانت نارًا مُضيئةً مُحرِقةً كسائرِ النِّيرانِ.

والثّاني: كانت نورًا مُضيئًا من غيرِ إحراقٍ؛ لأنَّها كانت مُتضرِّمةً[1] في شجرةٍ خضراءَ.

وجاء في التَّفسيرِ: أنَّها كلَّما ازدادَتْ عِظَمًا وتضرُّمًا ازدادَتِ الشَّجرةُ خُضرةً، وكانت سَمُرةً.

﴿مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ ﴿مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ قيل: هم الملائكةُ.

وقيل: هو موسى عليه السَّلامُ؛ أي: مَن في طلَبِ النَّارِ. وقيل: مَن في شُعاعِها، كما تقولُ: فلانٌ في الشَّمسِ.

وقيل: ﴿مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ هو الله سُبحانَه، وهذه جُرأةٌ، إلّا أن يُجعَلَ التَّقديرُ: مَن في النَّارِ نورُه وأثرُ صُنعِه[2].

وقيل: ﴿مَن﴾ صلةٌ، تقديرُه: (بُورِكَتِ النّارُ ومَن حولَها)[3]، وقُرِئَ به في الشَّواذِّ[4].

وقيل: ﴿مَن﴾ بمعنى: ما؛ أي: بُورِكَ ما في النَّارِ من أمرِ الله الذي جعلَه لموسى؛ فإنَّه داعٍ إلى الأمرِ العظيمِ منَ النُّبوّةِ والرِّسالةِ والشَّرفِ والكرامةِ.

---

(١) في (ن): «منضرمة».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٤٢)، وعدَّه من العجائب.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٤٣)، وعدَّه من العجائب.

(٤) ذكرها يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٥٣٤)، والفراء في «معاني القرآن» (٢/ ٢٨٦)، عن أبي رضي الله عنه. وكذا رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٨٤٦) عن قتادة. قال النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ١٣٦): «وحكى أبو حاتم أن في قراءة أبيٍّ وابن عباس ومجاهد: (أن بوركت النار ومن حولها)، ومثل هذا لا يوجد بإسناد صحيح، ولو صحّ لكان على التفسير».

قولُه: ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ قيل: الملائكةُ.

وقيل: موسى، على ما يُوافقُ القولَ في ﴿مَن فِي ٱلنَّارِ﴾.

﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فيه قولانِ:

أحدُهما: أنَّه من جملةِ ما نُودِيَ، وأنَّه سُبحانَه نَزَّه نفسَه عما لا يليقُ به مِنَ الأوصافِ.

والثَّاني: أنَّه كلامُ موسى عليه السَّلامُ لـمَّا دَهاه الأمرُ العظيمُ[1].

* * *

(٩) - ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ في ﴿إِنَّهُۥٓ﴾ وجهانِ:

أحدُهما: الأمرُ والشَّأنُ.

والثَّاني: يعودُ إلى المُنادي؛ أي: الذي ناداكَ أنا[2].

* * *

(١٠) - ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾.

﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾ هذا من جملةِ النِّداءِ، فألقاها ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ﴾ تتحرَّكُ باضطِرابٍ ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾: حيَّةٌ خفيفةٌ سريعةٌ.

وقيل: شبَّهَها بالجنِّ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٤٣)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٤٣)، واستغربه.

﴿وَلَّىٰ﴾ يعني: موسى ﴿مُدْبِرًا﴾: أدبرَ عنها وجعلَها تلي ظهرَه، ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾: لم يرجِعْ ولم يلتفِتْ، تقولُ: عَقَّبَ الرَّجلُ؛ إذا رجعَ يُقاتلُ بعدَ أن ولَّى.

وقيل: عَقَّبَ: رجعَ على عقِبَيه.

وقيل: معناه: لم ينتظِرْ.

﴿يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ﴾؛ أي: نُودِيَ بها ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ المعنى: لا يخافُ المُرسلون في الموضعِ الذي يُوحَى فيه إليهم؛ لأنَّ المُرسلين أخوفُ منَ الله من غيرِهم.

***

(١١) ـ ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾ في الاستثناءِ ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: مُتَّصِلٌ، وظُلمُهم ذنبُهم قبل النُّبوَّةِ، وقيل: هو الصَّغيرةُ سُمِّيت ظُلمًا، وتقديرُه: لا يخافُ لديَّ المُرسَلون إلّا رسولٌ ظَلَمَ.

الحسنُ: قال الله تعالى لموسى: إنَّما أخفتُكَ لقتلِكَ القِبطيَّ[1].

قولُه: ﴿ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ﴾ على هذا القولِ مُستأنفٌ؛ أي: ومَن أذنبَ ثمَّ تابَ ﴿فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. وقيل: ﴿ثُمَّ بَدَّلَ﴾ متَّصلٌ بالأوَّلِ على هذا القولِ، والتَّقديرُ: وإنْ[2] بدَّلَ حُسنًا بعد سوءٍ.

والثَّاني: الاستثناءُ منقطعٌ، والتَّقديرُ: لا يخافُ لديَّ المُرسَلون إنَّما يخافُ الظَّالمون، ثمَّ استثنَى من الظالمين فقال: ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ﴾.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ١٦).

(٢) في (ن): «إن».

والثّالثُ: هذا اعتراضٌ بين العطفِ والمعطوفِ، والتَّقديرُ: لا يخافُ لديَّ المرسلون وأدخل يدك في جيبك[1].

وقيل: ﴿إِلَّا﴾ بمعنى: ولا، وهو بعيدٌ.

* * *

(١٢) ـ ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾.

﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ وكان مِدْرَعةَ صُوفٍ لا كُمَّ لها.

وقيل: ﴿فِي جَيْبِكَ﴾؛ أي: قميصِكَ؛ لأنَّه يُجابُ؛ أي: يُقْطَعُ.

﴿تَخْرُجْ بَيْضَاءَ﴾ لها شعاعٌ كشُعاعِ الشَّمسِ ﴿مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾: برَصٍ وآفةٍ.

قيل: كانت إحدَى يدَيه بيضاءَ.

وقيل: كِلتا يدَيه بيضاوانِ[2].

﴿فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ﴾: في جملةِ تسعِ آياتٍ.

وقيل: من تسعِ آياتٍ تُعطَى تـمامَها.

وقيل: مع تسعِ آياتٍ، وهذا ضعيفٌ؛ لأنَّ الآياتِ تصيرُ عشرًا، وقد جاءَ في الأُخرَى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍ﴾ [الإسراء: ١٠١]، وقيل: اليدُ والعصا غيرُ التِّسعِ؛ فإنَّها كانت بمصرَ وهذه بالشّامِ.

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ﴾؛ أي: مبعوثًا إلى فرعونَ، أو: مُرسلًا، فحُذِفَ لأنَّ أوّلَ الكلامِ دلَّ عليه.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٤٣)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٤٤)، واستغربه.

﴿إِنَّهُمْ﴾: فرعونَ وقومَه ﴿كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾: خارِجين عن أمرِ الله كافرين.

* * *

(١٣ - ١٤) - ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾.

﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا﴾؛ أي: جاءَهُم موسى باليدِ والعصا ﴿مُبْصِرَةً﴾: مُنيرةً، تقولُ: أبصرَ النَّهارُ: أضاءَ.

وقيل: ﴿مُبْصِرَةً﴾: تجعلُهم بُصراءَ.

وقيل: جاعلةً لهم بصائرَ.

وقيل: تُبصِّرُ الحقَّ منَ الباطلِ.

وقيل: تُبصِّرُ مَن ينظُرُ إليها.

وقيل: مُبصَرًا بها، فاعلٌ بمعنى مفعولٍ، كماءٍ دافقٍ، وعيشةٍ راضيةٍ[1].

﴿قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا بِهَا﴾ ولـم يُقِرُّوا، ولا يكونُ الجحودُ إلّا من علمٍ منَ الجاحدِ، وأصلُ الجحدِ: قلّةُ الخيرِ. وفي الباءِ قولانِ:

أحدُهما: زيادةٌ، كقولِ الشّاعرِ:

نضرِبُ بالسَّيفِ ونرجو بالفَرَجْ[2]

والثّاني: باء السَّببِ؛ أي: أزالوا الخيرَ عنهم بسببِ ردِّهم آياتِ الله وتكذيبِهم حاملَها[3].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٤٤)، واستغربه.

(٢) الرجز للنابغة الجعدي. انظر: «ديوانه» (ص: ٢١٦)، وفيه: نضرب بالبيض، وقبله:

نحـن بنـو جعـدة أصحـاب الفلج

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٤٤)، واستغربه.

﴿وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾: عرَفَتْها وتحقَّقَتْ أنَّها من عندِ الله، وتيقَّنَتْ واستيقَنَتْ بمعنًى واحدٍ.

﴿ظُلْمًا﴾ لأنفُسِهم ﴿وَعُلُوًّا﴾: ترفُّعًا وأنَفةً من اتِّباعِ موسى.

والتَّقديرُ: وجحَدُوا بها ظُلمًا وعُلُوًّا واستيقَنَتْها. والواوُ في: ﴿وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ﴾ واوُ الحالِ، و﴿ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ مفعولٌ له، والعاملُ فيها ﴿وَجَحَدُوا۟﴾.

﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾؛ أي: كان الإغراقَ في الدُّنيا والإحراقَ في الأُخرى.

***

(١٥) ـ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا﴾: أعطَيْنا ﴿دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ عِلْمًا﴾؛ أي: علمًا بالدِّينِ والحكمِ.

وقيل: فهمًا.

وقيل: هو بسمِ الله الرَّحمنِ الرَّحيمِ[١].

وقيل: علمَ منطقِ الطَّيرِ.

وقيل: علمَ الكيمياءِ، وهو ضعيفٌ، حكاه الماورديُّ[٢].

﴿وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: وأُلْهِما[٣] الشُّكرَ وعُرِّفا

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٤٤)، واستغربه.

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ١٩٨) وقال: «وهو شاذ»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٤٤)، وعدَّه من العجائب.

(٣) في (ف): «فألهما».

إنعامَ الله عليهما فحمِداه على ذلك، وأرادَ بالمُؤمنين: مُؤمني زمانِهم، ومَن لم يُؤتَ مثلَ ذلك منَ الأنبياءِ.

***

(١٦) - ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾.

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ قيل: النُّبوةَ، وزيَّفه قومٌ، وقالوا: النُّبوّةُ لا تُورَثُ.

وقيل: المالَ، وزيَّفه قومٌ، وقالوا: قالَ النَّبيُّ ﷺ: «إنَّا معاشرَ الأنبياءِ لا نُورَثُ، ما تركناه صدَقةٌ»(١).

وقيل: الملكَ والعلمَ، وكان له سبعةَ عشرَ ولدًا لم يَرِثْ(٢) أحدٌ ملكَه إلا سلَّيمانُ عليه السَّلامُ.

وقيل: استَخْلَفَه في حياتِه على بني إسرائيلَ، وكانت في ولايتِه الوراثةُ.

﴿وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾ النُّطقُ استعارةٌ في غيرِ بني آدمَ، وحَسُنَ هاهنا لأنَّ سليمانَ عليه السَّلامُ فهِمَ معنى صوتِ الطَّيرِ فجرى في حقِّه مَجرى النُّطقِ.

---

(١) رواه البخاري (٤٠٣٥)، ومسلم (١٧٥٨) عن عائشة رضي الله عنها بلفظ: «لا نورث ما تركنا صدقة».

ورواه النسائي في «السنن الكبرى» (٦٢٧٥) عن عمر رضي الله عنه بلفظ: «إنا معشر الأنبياء لا نورث، ما تركنا فهو صدقة». قال ابن حجر في «التلخيص الحبير» (٣/ ٢١٥): «وإسناده على شرط مسلم».

(٢) في (ف): «يؤت».

وقيل: كانتِ الطَّيرُ تُكلِّمُه مُعجزةً له، كقصَّةِ الهدهدِ.

وقيل: يجوزُ أن يُسمَّى صوتُ الطَّيرِ منطقًا؛ لأنَّ لبعضِها كلامًا مفهومًا كالببَّغاءِ والطُّوطيِّ(١).

وقيل: لـمَّا فهِمَ مُرادَها بأصواتِها سُمِّيَ منطقًا.

﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: عِلْمَ كلِّ شيءٍ احتَجْنا إليه.

وقيل: من كلِّ شيءٍ يُؤتَى الأنبياءُ.

وقيل: من كلِّ شيءٍ يطلبُه طالبُ حاجةٍ.

وقيل: من كلِّ شيءٍ منَ الخيراتِ.

وقيل: فهِمَ ما يُسبِّحُ به الطَّيرُ فحسبُ.

وقيل: من كلِّ شيءٍ يُؤتَى البشرُ.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ لا يخفى على أحدٍ.

* * *

(١٧) ـ ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾.

﴿وَحُشِرَ﴾: جُـمِعَ ﴿لِسُلَيْمَٰنَ﴾ في مسيرِه ﴿جُنُودُهُۥ﴾: جَمْعُ جُندٍ.

المُبرِّدُ: الجندُ لا يُجمَعُ، وإنَّما قال: الجنود؛ لاختلافِ أجناسِ عساكرِه(٢).

﴿مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾؛ أي: وعليهم وَزَعةٌ تحبسُ أوَّلَـهم على

---

(١) قوله: «الطوطي» نقل الدميري في «حياة الحيوان» (٢/ ١٣٣) عن الغزالي: أنه الببغاء، فلعله نوع من الببغاوات؛ فإنها ليست جميعاً على شكل واحد.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٤٥)، واستغربه.

آخرِهم؛ أي: يُدفَعُ أُخراهم ويُوقَفُ أُولاهُم ليتَلاحَقُوا، وكان سليمانُ عليه السَّلامُ يسيرُ فيهم ليكونَ أهيَبَ له.

عن محمَّدِ بنِ كعبٍ قالَ: كانَ مُعسكرُه مئةَ فرسخٍ، رُبعٌ للإنسِ، ورُبعٌ للجنِّ، ورُبعٌ للطَّيرِ، ورُبعٌ للوحشِ[1].

والوَزْعُ: المنعُ، ومنه: لا بدَّ للنَّاسِ من وَزَعةٍ.

وقيل: منَ التَّفريقِ، ومنه التَّوزيعُ، والنَّاسُ أوزاعٌ؛ أي: مُتفرِّقون.

***

(١٨) ـ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ﴾؛ أي: سارُوا حتَّى إذا بلَغُوا وادِيَ النَّملِ، وهو وادٍ بالشَّامِ عند الجمهورِ.

ورَوَى الثَّعلبيُّ: أنَّ سليمانَ مرَّ بوادي السَّديرِ؛ وادٍ منَ الطَّائفِ، فأتى على وادِ النَّملِ[2].

ومعنى وادِ النَّملِ: يكثرُ فيه النَّملُ، كما تقولُ: بلادُ التَّمرِ، وبلادُ الثَّلجِ؛ إذا كثُرَ فيها ذلك، وذكر الزَّجَّاجُ أنَّ تلك النَّملَ كانت كالذُّبابِ[3].

الشَّعبيُّ: كانت النَّملةُ التي فهمَ سليمانُ كلامَها ذاتَ جناحَين، وكانت منَ الطَّيرِ، فلذلك علِمَ منطِقَها[4].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢١)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٠/ ١٩٧).

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢٠/ ٢٠٢) ورواه عن كعب رضي الله عنه.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ١١٢).

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٨٥٧)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٠/ ٢٠٣).

مُقاتلٌ: سمعَ كلامَها من ثلاثةِ أميالٍ[(١)]؛ حملتـ[ـه][(٢)] الرِّيحُ إليه.

﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ﴾ لمَّا وصفَ النَّملَ بالمُخاطبةِ، وهي من أفعالِ العقلاءِ، وصفَها كما يُوصَفُ العقلاءُ.

﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ﴾ في الظَّاهرِ نهيٌ لسليمانَ عن الحَطْمِ، وفي الحقيقةِ نهيٌ لهنَّ عن البُروزِ والوقوفِ، فصار كقولِ القائلِ: لا أَرَيَنَّك هاهنا؛ أي: لا تحضُرْ هذا الموضعَ.

الفرَّاءُ: فيه معنى الجزاءِ، وهذا القولُ يدفعُه نونُ التَّأكيدِ؛ لأنَّه من ضروراتِ الشِّعرِ[(٣)].

قال بعضُ المُفسِّرين: يجوزُ أن يكونَ الله ألهمَها الحذرَ والتَّحذيرَ ممَّا يضرُّها، فلما رأتِ العساكرَ حذَّرَتْ صواحِبَها، فسمَّى الله ذلك قولًا؛ لأنَّ كلَّ إبانةٍ عمَّا في الضَّميرِ قولٌ، فأوحى الله إلى سليمانَ بما كان منها، قال[(٤)]: وكذلك نقيقُ الدِّيكِ بالدَّجاجةِ يُحذِّرُها منَ الشَّيءِ يَقصِدُها، فتعلَمُ أنَّه دعاهُنَّ؛ أي: تَعالَيْن.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٢٩٩).

(٢) في النسختين الخطيتين: «حملت»، ولعل الصواب المثبت، فقد ذكر أبو حيان في «البحر المحيط» (٨/ ٢١٩) عن الضحاك: «بلَّغته الريح كلامها».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ١٦٢)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٤٥)، وعدَّه من العجائب. وقد اختصره المصنف، ولفظه: «وقد يكون جزم الثاني إذا كانت فِيهِ (لا) على نية النهي وفيه معنى من الجزاء كما كان في قوله: ﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾ [العنكبوت: ١٢] طرف من الجزاء وهو أمر، فمن ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ﴾ المعنى والله أعلم: إن لا تدخلن حطمتن، وهو نهي محض؛ لأنه لو كان جزاء لم تدخله النون الشديدة ولا الخفيفة، ألا ترى أنك لا تقول: إن تضربني أضربنك إلا فِي ضرورة شعر».

(٤) «قال»: ليس في (ف).

وقيل: بل فهمَ كلامَ النَّملِ كما فهمَ كلامَ الهدهدِ، وكان يفهمُ كلامَ جميعِ الطُّيورِ.

عن كعبٍ قال: صاحَ وَرَشانٌ[١] عند سليمانَ عليه السَّلامُ، فقال سليمانُ: تدرونَ ما يقولُ؟ قالوا: لا، قال إنَّه يقولُ: لِدُوا للموتِ وابنُوا للخَرابِ.

وصاحَ طاووسٌ عند سليمانَ فقال: إنَّه يقولُ: كما تَدينُ تُدانُ.

قال: والهدهدُ يقولُ: مَن لا يَرحَمُ لا يُرحَمُ.

وصاحَ خُطَّافٌ فقال: إنَّه يقولُ: قدِّموا خيرًا تجِدوه.

وهدرَ حمامةٌ فقالَ: يقولُ: سبحانَ ربِّي الأعلى مِلءَ سمائِه وأرضِه.

قال: والقَطا يقولُ: مَن سكَتَ سلِمَ.

والبَبغاءُ يقولُ: وَيلٌ لمَن الدُّنيا همُّه.

والضِّفدعُ يقولُ: سبحانَ ربِّي القُدُّوس.

والضِّفدعةُ تقولُ: سبحانَ المذكورِ بكلِّ مكانٍ.

قال: والحِدَأُ يقولُ: كلُّ شيءٍ هالكٌ إلا وجهَه[٢].

وعن فَرْقدٍ السَّبَخيِّ قال: مرَّ سليمانُ ببلبلٍ يُحرِّكُ رأسَه ويُميلُ ذنَبَه فقال: إنَّه يقولُ: أكلتُ نصفَ تمرةٍ فعلى الدُّنيا العَفاءُ[٣].

وعن الحسنِ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «الدِّيكُ إذا صاحَ يقولُ: اذكروا الله يا غافِلون»[٤].

---

(١) طائر شبه الحمام. انظر: «معجم متن اللغة» مادة: (و ر ش).

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٠/ ١٨٦) من طريق الكلبي عن رجل عن كعب الأحبار، وذكره عن كعب أيضاً البغوي في «تفسيره» (٦/ ١٤٨) وهو من أقاصيص أهل الكتاب.

(٣) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٥/ ١٧٣٩)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٠/ ١٨٥).

(٤) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٠/ ١٩٢)، والواحدي في «الوسيط» (٣/ ٣٧١).

وصاحَ صُرَدٌ فقال: يقولُ: استغفِرُوا الله يا مُذنِبُون، فنهى رسولُ الله عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ عن قتلِه(١).

وعن جعفرٍ الصَّادقِ عن أبيه عن جدِّه قال: يقولُ النَّسرُ: يا ابنَ آدمَ عِشْ ما شئتَ فإنَّ آخرَه الموتُ.

قال: وإذا صاحَ العُقابُ يقولُ: في البُعدِ منَ النّاسِ أُنسٌ.

قال: وإذا صاحَ الخُطَّافُ يقرأُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، فإذا بلغَ ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ مدَّه كما يمدُّ القارِئُ(٢).

وهذه كلماتٌ ذكرَها الثَّعلبيُّ وغيرُه منَ المُفسِّرين فروَيتُها، وكلُّها حِكَمٌ، والله أعلمُ بحقيقةِ ذلك.

قولُه: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ فيه قولانِ:

أحدُهما: أنَّه من تمامِ كلامِ النَّملةِ؛ أي: وهم لا يشعرون أنَّهم يحطِمُونكم.

والثّاني: أنَّه استئنافٌ؛ أي: فهِمَ سليمانُ، والقومُ لا يشعُرون.

* * *

(١٩) - ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾ مُتعجِّبًا من حذَرِها واهتِدائِها لمصالِحِها.

وقيل: ضحِكَ فرَحًا بظُهورِ عدلِه.

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٠/ ١٨٦)، وهو تتمة الخبر السابق عن كعب.

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٠/ ١٩٤).

و(تبسَّمَ) بمعنى: بَسَمَ؛ إذا حرَّكَ شفتَه لابتداءِ الضَّحكِ، وضحِكَ؛ إذا ظهرَتْ سِنُّهُ مُبالغةً، فيكونُ ﴿ضَاحِكًا﴾ حالًا مُقدَّرةً.

قال المازنيُّ: ﴿ضَاحِكًا﴾ حال ليُعلَمَ أنَّه تبسُّمُ ضحِكٍ لا تبسُّمُ غضبٍ.

﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ﴾: حرِّضْني، وفلانٌ مُوْزَعٌ بكذا؛ أي: مُولَعٌ، منَ الوَزوعِ(١)، وهو الوُلُوعُ.

وقيل: علِّمْني، والإيزاعُ: إدخالُ الشَّيءِ إلى باطنِ الموزَعِ.

ابنُ عيسى: الإيزاعُ منَ الوَزْعِ؛ أي: ألهِمْني ما يمنعُ من ذهابِ الشُّكرِ عنِّي(٢).

﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾: النُّبوَّةَ والملكَ الذي لا ينبغي لأحدٍ من بعدي ﴿وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ﴾ يُريدُ: داودَ بالنُّبوَّةِ، وتسبيحِ الجبالِ والطَّيرِ معَه، وصنعةِ اللَّبوسِ، وإلانةِ الحديدِ، وغيرِها، وعلى والدتي بأنْ جعلْتَها زاكيةً طاهرةً، وجعلْتَها زوجةً لنبيِّك، وأخرَجْتَني من بطنِها وأنا نبيُّك.

وذكرَ محمَّدُ بنُ إسحاقَ أنَّ أهلَ الكتابِ يزعُمونَ أنَّ أمَّ سليمانَ هي امرأةُ أوريا التي امتُحِنَ بها داودُ بما امتُحِنَ، وأنَّه بعد موتِ زوجِها تزوَّجَها، حكاه القفَّالُ(٣).

﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾ فيما استرعَيتَني، وقيل: ثبِّتْني على الشُّكرِ.

﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾؛ أي: في الجنَّةِ مع الأنبياءِ، ولا يدخلُ الجنَّةَ أحدٌ إلا برحمتِكَ.

---

(١) في (ف): «الوزع». والوَزوع بالفتح هو الاسم والمصدر من وَزَعه وَزْعاً. انظر: «الصحاح» مادة: (و ز ع).

(٢) ذكره ابن فورك في «تفسيره» (١/ ٢٨٦) بلا نسبة.

(٣) ذكره نحوه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٦٩) عن قتادة.

(٢٠) - ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴾.

﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ﴾ قال[1]: والتَّفقُّدُ: طلبُ ما غابَ عنك؛ يعني: تعرَّفَ الطَّيرَ فلم يجِدْ فيها الهدهدَ.

﴿فَقَالَ مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾ قيل: كان الهدهدُ مُهندسَه يدُلُّه على موضعِ الماءِ، وعلى مقدارِ عُمقِ الموضعِ، وكانت الأرضُ له مثلَ الزُّجاجةِ يرى ما تحتَها، وكان يضعُ منقارَه في الأرضِ فيُخبِرُهم بُعْدَ الماءِ وقُربَه، فاحتاجَ إلى معرفةِ ذلك في بعضِ منازِله فلم يجدْه، فقال هذا القولَ.

وذكرَ المُفسِّرون أنَّ نافعَ بنَ الأزرقِ قال لابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: كيف علِمَ هدهدٌ قربَ الماءِ في الأرضِ وهو لا يعلمُ الفخَّ حتَّى يأخذَ بعُنقِه؟ فقال ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: ويحكَ، ألـم تعلَمْ أنَّه إذا جاءَ القدَرُ ذهبَ البصرُ[2]؟

هذا السُّؤالُ غيرُ لازمٍ من وجهَين:

أحدُهما: أنَّه كان يعلمُ مواضعَ الماءِ، وليس الفخُّ منَ الماءِ فيَعلمَ مكانَه.

والثّاني: أنَّ هذا كان للهداهدِ في زمانِ سليمانَ مُعجزةً له، فلمَّا ماتَ زالَ.

وقيل: تفقَّدَ الغائبَ والحاضرَ من جُنودِه منَ الطَّيرِ وغيرِها في العَرْضِ، وكان يأتيه من كلِّ صنفٍ واحدٌ نَوبًا[3]، فلم يرَ الهدهدَ.

---

(١) قوله: «قال» كذا في النسختين، ولم يبين القائل من هو، ولعله المؤلف نفسه، أو أن اسم القائل سقط منهما، وقد قال به الخليل في «العين» (٥/ ١٢١)، والصاحب بن عباد في «المحيط في اللغة» (١/ ٤٦٣).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٨٥٩)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٠/ ٢١٤)، والماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٢٠١).

(٣) أي: نيابة عن الباقين، والنَّوب والمناب والنِّيابة مصادر للفعل (ناب). انظر: «تاج العروس» مادة: (ن و ب) (٤/ ٣١٥).

وقيل: كانت الطُّيورُ تُظِلُّ فوقَ رأسِه حتَّى تستُرَه عن الشَّمسِ، فسقطتِ الشَّمسُ عليه من مكانِ الهدهدِ لمَّا غابَ، وكان الهدهدُ يسترُ منكبَه الأيمنَ منَ الشَّمسِ، فنظرَ إلى الطَّيرِ فوقَه فلم يجِدْه، فقال: ما لي لا أرى الهدهدَ أحاضرٌ ﴿أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾؟

وقيل: معناه: أزاغَ بصري عنه أم كانَ منَ الغائبين؟

وقيل: ﴿أَمْ﴾ بمعنى الألفِ، وتقديرُه: أكانَ منَ الغائبين؟

الكسائيُّ: ﴿أَمْ﴾ بمعنى (بل)، فيكونُ الكلامانِ تامَّين.

وقيل: ﴿كَانَ﴾ هاهنا بمعنى: صارَ.

وقيل: ﴿أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾ قبل هذا ولـم أشعُرْ به.

ويحتمِلُ أنَّه من المقلوبِ، وتقديرُه: ما للهُدهدِ لا أَراه[1].

* * *

(٢١) - ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾.

﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ وكان عذابُه أن ينتِفَ ريشَه فيدعَه في الشَّمسِ.

وقيل: ينتِفُ ريشَه ويُلقيه إلى النَّملِ.

وقيل: يجعلُه في القفَصِ.

وقيل: يجمعُه مع مَن ليس من جنسِه[2].

وقيل: أُبعِدُه من خدمَتي.

---

(١) ذكر المصنف القولين الأخيرين في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٤٦)، واستغربهما.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٤٧)، وعدَّه من العجائب.

﴿أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ﴾ ثمَّ استثنَى سليمانُ[١] فقال: ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾: بحجَّةٍ يكونُ له فيها عذرٌ.

***

(٢٢) ـ ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾.

﴿فَمَكَثَ﴾؛ أي: الهدهدُ بعد تفقُّدِ سليمانَ إيَّاه ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾: زمانًا غيرَ طويلٍ ثمَّ عادَ.

الزَّجَّاجُ: إلى غيرِ وقتٍ بعيدٍ[٢].

وقيل: مكَثَ سليمانُ بعد تفقُّدِه وتوعُّدِه غيرَ طويلٍ حتَّى رجعَ الهدهدُ[٣].

وقيل: وعاد الهدهدُ ﴿فَمَكَثَ﴾؛ أي: وقفَ مكانًا ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ من سليمانَ[٤].

﴿فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾: علمْتُ من حالِ سبأ ما لم تعلَمْه، والإحاطةُ: العلمُ بالشَّيءِ من جميعِ جهاتِه.

﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾: بخبرٍ صدقٍ مُحقَّقٍ، وسبأٌ: اسمُ مدينةٍ تُعرَفُ بمأرِبَ من اليمنِ، وبينَها وبين صنعاءَ مسيرةُ ثلاثةِ أيامٍ.

وقيل: حيٌّ منَ اليمنِ.

وعن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قالَ: «سبأٌ اسمُ رجلٍ له عشرةُ بنينَ؛ ستَّةٌ منهم بسبأٍ وأربعةٌ بالشَّامِ؛ فالسِّتَّةُ: حِميرُ، وكندةُ، والأزْدُ، والأشعريُّونَ، وخَثْعَمُ، وبَجِيلةُ.

---

(١) «سليمان» من (ف).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ١١٣).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٤٧)، واستغربه.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٤٧)، وعدَّه من العجائب.

والأربعُ: لَخْمٌ، وجُذامٌ، وعاملةُ، وغسَّانُ»(١)، وكانَ رجُلًا من قحطانَ.

وقيل: كان اسمُه عبدَ شمسٍ لحسنِه.

وقيل: عامرٌ، وسمِّي سبأً لأنَّه أوَّلُ مَن سَبَا.

وذكر المُفسِّرون أنَّ سببَ غيبتِه: أنَّه لقيَ هُدهدًا من سبأ، فقالَ له: أين يبلغُ ملكُ صاحبِكَ من ملكِ صاحبِنا؟ قال: فكأنَّها أعظمُ ملكًا من صاحبِنا؟ فقال: نعم، اخرُجْ معي حتَّى ترى. فقال: لعلَّ سليمانَ يطلبُني. قال: إنَّك ترجعُ إليه قبل أن يطلُبَك، فخرجَ معه إلى سبأ(٢).

* * *

(٢٣) - ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ﴾.

﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ﴾: تملكُ التَّصرُّفَ فيهم وتَلِي عليهم، هي بلقيسُ بنتُ شُراحِيلَ، وقيل: بنتُ شَراحِيلَ بنِ مالكِ بنِ الرَّيَّانِ، وأمُّها يزعُم بعضُهم أنَّها(٣) فارِعةُ الجنِّيةُ.

﴿وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ﴾ من أنواعِ الدُّنيا.

---

(١) رواه الترمذي (٣٢٢٢) من حديث فروة بن مسيك رضي الله عنه بلفظ: «ليس بأرض ولا امرأة، ولكنه رجل ولد عشرة من العرب، فتيامن منهم ستة، وتشاءم منهم أربعة. فأما الذين تشاءموا: فلخم، وجذام، وغسان، وعاملة، وأما الذين تيامنوا: فالأزد، والأشعريون، وحمير، ومذحج، وأنمار، وكندة». وقال الترمذي: «حسن غريب».

ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٨٩٨)، والحاكم في «المستدرك» (٣٥٨٥) وصححه، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) ذكر نحوه الجرجاني في «درج الدرر» (٣/ ١٣٣٥).

(٣) «أنها»: ليس في (ف).

وقيل: من كلِّ شيءٍ بأرضِها.

وقيل: من كلِّ شيءٍ احتاجَتْ إليه في ملكِها.

﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾: سريرٌ كبيرٌ.

وقيل: حسنُ الصَّنعةِ، وكان معمولًا من ذَهَبٍ، وقوائمُه من لؤلؤٍ وجواهرَ.

وقيل: كانَ طولُه ثمانين ذراعًا، وكان عليه منَ الفُرُشِ ما يليقُ به.

وقيل: كانت تخدُمُها ستُّ مئةِ امرأةٍ أحرارٍ.

وقيل: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ﴾؛ أي: مُلْكٌ[1]، وهذا ضعيفٌ؛ لقولِه: ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا﴾ [النمل: ٣٨]، وهو الكرسيُّ.

* * *

(٢٤) ـ ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾.

﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الحسنُ: كانُوا مجوسًا[2].

﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ التي كانوا عليها ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: عن سبيلِ التَّوحيدِ والحقِّ الذي يجبُ أن يسلُكوه؛ إذ لا سبيلَ غيرُه، ﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ إلى الحقِّ.

* * *

(٢٥) ـ ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾.

﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ﴾ أي: فصدَّهم ألّا يسجُدوا لله.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٤٧)، وعدَّه من العجائب.

(٢) ذكره يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٥٤٠)، وابن أبي زمنين في «تفسيره» (٣/ ٢٩٩).

وقيل: وزَيَّنَ لهم ألّا يسجُدوا، فيكونُ بدلًا من ﴿أَعْمَٰلَهُمْ﴾[(١)].

وقيل: فهم لا يهتَدون ألّا يسجُدوا لله، فيكونُ ﴿لا﴾ زيادةً، وكذلك إذا جعلتَه مُتعلِّقًا بالصَّدِّ[(٢)].

وقيل: فصدَّهُم لأنْ لا يسجُدوا، فحينَئذٍ واقعٌ موقعَه غيرُ زائدٍ.

وقرأ الكسائيُّ ﴿أَلَا يَسْجُدُوا﴾ بالتَّخفيفِ[(٣)]، والتَّقديرُ: ألَا يا قومِ اسجُدوا، فحُذِفَ المُنادى، كما أنشدَه سيبويهِ:

يا لـعنـةُ اللهِ والأقـوامِ كـلِّـهـمُ والصَّالحينَ على سِمعانَ من جاري[(٤)]

أرادَ: يا قومِ، فحُذِفَ ألفُ الوصلِ وألفُ (يا) لالتقاءِ السَّاكنَين، فلمَّا حُذِفا منَ اللَّفظِ حُذِفا منَ الخطِّ، ولا يجوزُ تعمُّدُ الوقفِ عليه؛ لأنَّه يُؤدِّي إلى مُخالفةِ المُصحفِ، وذلك غيرُ جائزٍ بوجهٍ.

ومَن قرأ بلفظِ الأمرِ فهو استئنافُ كلامٍ منَ الله.

وقيل: مُتَّصلٌ بكلامِ الهدهدِ.

وقيل: هو من كلامِ سليمانَ عليه السَّلامُ[(٥)].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٤٧)، واستغربه.

(٢) على معنى: فصدّهم ألا يسجدوا، أو عن ألا يسجدوا.

(٣) يعني: خفف (ألا) على أنها للتنبيه، ووقف على (يا)، وكان يبتدئ: (اسجدوا) على الأمر. انظر: «السبعة» (ص: ٤٨٠)، و«التيسير» (ص: ١٦٧).

(٤) انظر: «الكتاب» (٢/ ٢١٩)، والبيت بلا نسبة في: «الكامل» (٣/ ١٩٨)، و«الأصول في النحو» (١/ ٣٥٤)، و«الوقف والابتداء» لأبي بكر الأنباري (١/ ١٧٢)، والمعنى: كأنه قال: لعنةُ الله على سمعان، فدخول (يا) كدخول (ألا) للتنبيه في هذا الموضع. انظر: «شرح الكتاب» للسيرافي (٥/ ١٠١). ولم تُنصب اللعنة، لأنه لم يناد اللعنة إنما نادى غير اللعنة. انظر: «الإبانة» للعوتبي (٤/ ١٧٨).

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٤٨)، واستغربه.

وقوله ﴿ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: القطرَ منَ السَّماءِ، والنَّباتَ منَ الأرضِ، فيكونُ ﴿فِى﴾ بمعنى (مِنْ).

وقيل: الخبْءَ الذي في السَّماواتِ، فحُذِفَ (الذي)، فصارَ حالًا[1].

والخبْءُ: ما خبَأْتَه.

وقيل: ﴿يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ﴾ أي: يعلمُ غيبَ السَّماواتِ والأرضِ[2].

﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾: يعلمُ ضمائرَكم وما تُظهِرونَه.

* * *

(٢٦) ـ ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ أعظمُ شيءٍ خلقَه الله.

وقيل: العظيمُ: عظيمُ الشَّأنِ.

وقيل: العرشُ: المملكةُ.

ومَن قرأ «ألّا» بالإدغامِ حَسُنَ وقْفُه على ﴿تُعْلِنُونَ﴾، ثمَّ يستأنفُ ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾، فيكونُ حكمُه حكمَ مَن قرأ «ألَا» بالتَّخفيفِ[3].

* * *

(٢٧) ـ ﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾.

﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾؛ أي: قال سليمانُ عليه السَّلامُ: سنعرِفُ[4] أصدَقْتَ فيما أخبَرْتَ به فتكونَ معذورًا في غَيبتِكَ، أم كنتَ منَ الكاذِبين

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٤٨)، وعدَّه من العجائب.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٤٨)، وعدَّه من العجائب.

(٣) انظر: «القطع والائتناف» للنحاس (ص: ٤٩٩).

(٤) في (ف): «ستتعرف».

فيما أخبرْتَ به فيحلَّ بك ما توعَّدْتُك؟ ثمَّ ذكرَ ما يَتعرَّفُ به صدقَ الهدهدِ فقالَ:

(٢٨) ـ ﴿ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾.

﴿ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ﴾: اطرَحْه إليهم؛ لأنَّه لا يتهيَّأُ لـه إيصالُه بيدِه، ﴿ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ﴾: تنحَّ عن ذلك الموضعِ فكُنْ قريبًا منهم بحيثُ تسمعُ ما يُجيبون عنه.

وقيل: فيه تقديمٌ وتأخيرٌ؛ أي: فألقِه إليهم، ﴿فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾، ثمَّ تولَّ عنهم[1].

وقيل: معنى ﴿ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ﴾: أسرعِ الانصرافَ.

وقيل: معنى ﴿فَٱنظُرْ﴾: فانتظِرْ.

قولُه: ﴿مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾ قيل: يَردُّون.

وقيل: يُجيبون.

وقيل: يرجِعونَ بينَهم في الكلامِ.

فأخذَ الكتابَ بمِنقارِه ـ وقيل: علَّقَه في عُنقِه ـ فجاءَها حتَّى وقفَ على رأسِها وحولَها جنودُها، فرَفْرَفَ ساعةً ـ والنَّاسُ ينظُرون إليه ـ حتَّى رفعَتْ رأسَها، فألقى الكتابَ في حجرِها.

وقيل: جاءَها فوافاها في قصرِها وقد غلَّقتِ الأبوابَ ونامَتْ على فراشِها مُستلقيةً، فألقى الكتابَ على نحرِها.

وقيل: كانت في البيتِ كُوَّةٌ تقعُ الشَّمسُ فيها كلَّ يومٍ، فإذا نظرَتْ إليها سجَدَتْ، فجاءَ الهدهد فَسَدَّ تلك الكُوَّةَ وستَرَها بجناحَيه، فلمَّا رأت ذلك قامَتْ إليه، فألقى الكتابَ إليها، فأخذتِ الكتابَ وكانت قارئةً عربيَّةً من قومِ تُبَّعٍ.

* * *

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٤٨)، واستغربه.

(٢٩) ـ ﴿ قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ ﴾.

﴿ قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ ﴾ قيل: مختومٌ؛ لقولِه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «كَرَمُ الكتابِ خَتْمُه»(١).

وقيل: كتابُ مَلِكٍ؛ لأنَّ الملوكَ كانوا يختمونَ كتبَهم.

وقيل: ﴿كَرِيمٌ﴾ مضمونُه.

وقيل: ﴿كَرِيمٌ﴾ حيثُ أتى به طيرٌ.

وقيل: ﴿كَرِيمٌ﴾: حقيقٌ بأن يُؤمَّلَ الخيرُ من جهتِه، تفرَّسَتْ في سليمانَ بطاعةِ الطَّيرِ له.

***

(٣٠ ـ ٣١) ـ ﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴾.

﴿إِنَّهُۥ﴾ إنَّ الكتابَ، هذا كلامُ بلقيسَ ﴿مِن سُلَيۡمَٰنَ﴾ عنوانُ الكتابِ ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ المكتوبَ ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ﴾ (أنْ) هي المُفسِّرةُ بمعنى: أي.

لا تعلوا عليَّ: لا تمتنِعُوا عليَّ.

وقيل: لا تَخالفوا عليَّ.

وقيل: لا تتكبَّروا وأطيعُوني.

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٣٨٧٢)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٣٩)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: «كرامة الكتاب..». قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٩٩): «فيه محمد بن مروان السدي الصغير، وهو متروك».

﴿وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ﴾ مُنقادين.

وقيل: مُستسلِمِين.

وقيل: مُسلمين مُؤمنين داخلينَ في الإسلامِ.

الزَّجَّاجُ: قد رُوِيَ أنَّ عنوانَ الكتابِ: من عبدِ الله سليمانَ إلى بلقيسَ بنتِ شَراحيلَ، قال: وإنَّما كتبَ النَّاسُ: (مِن عبدِ الله)، أخذًا بكتابِ سليمانَ.

قال: ومعنى (لا تَعْلُوا عَلَيَّ): لا ترفَّعُوا عليَّ وإنْ كنتُم مُلوكًا[1].

ويجوزُ في ﴿أَلَّا تَعۡلُواْ﴾ الرَّفعُ على: [تقدير]: أُلقي إليَّ ألّا تَعلُوا[2]، ويجوزُ النَّصبُ: كتابٌ بألا تعلوا، والأحسنُ أن تكونَ مُفسِّرةً.

* * *

(٣٢) ـ ﴿قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ﴾.

﴿قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ﴾ فجمعَتْ أهلَ مشورتِها.

قال قتادةُ: كانوا ثلاثَ مئةٍ وثلاثةَ عشرَ رجلًا[3]، فقالت: يا أيُّها الملأُ، وهم الذين يملَؤون العينَ مهابةً والقلوبَ جلالةً.

وقيل: هم المَليئون بما يُرادُ منهم.

﴿أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي﴾: أشيروا عليَّ في الأمرِ الذي نزلَ بي.

والفتوى: الحكمُ بما هو صوابٌ، فجَعَلَتِ المشورةَ فتوى.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ١١٨).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٤٩)، واستغربه.

(٣) ذكره ابن أبي زمنين في «تفسيره» (٣/ ٣٠٠)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٠/ ٢٣٨).

﴿مَا كُنتُ قَاطِعَةً﴾: مُمضِيةً ﴿أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾: تحضُرونِ.

وقيل: حتَّى تُشيروا عليَّ بما تستَصْوِبُونَه.

***

(٣٣) ـ ﴿قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾.

﴿قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ﴾ لم يُشيروا بشيءٍ، بل قالوا: نحنُ أصحابُ الحروبِ والعَددِ والعُدَّةِ ﴿وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾: شجاعةٍ ونجدةٍ، ﴿وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ﴾: والرَّأيُ رأيُكِ، ﴿فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾؛ فإنْ أمرتِنا بالحربِ والقتالِ قاتَلْنا، وإنْ أمرتِنا بالصُّلح صالَحْنا.

***

(٣٤) ـ ﴿قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾.

﴿قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾؛ أي: إذا دخلُوا قريةً عَنوةً خَرَّبوها.

وقيل: استَولَوا على ساكنيها وأجلَوا عنها أهلَها.

﴿وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً﴾: أخذُوا أموالَهم، وحَطُّوا أقدارَهم؛ ليستقيمَ أمرُهم.

وقيل: ﴿أَذِلَّةً﴾ بالقتلِ والأسرِ وأخذِ المالِ والقهرِ.

﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ فيه قولان:

أحدُهما: أنَّ هذا من كلامِ الله؛ أي: صَدَّقَها الله فقال: وكذلك يا محمَّدُ يفعلون، ويكونُ الضَّميرُ منَ (الملوكِ).

والثّاني: أنَّه من تمامِ كلامِها؛ أي: وكذلك يفعلُ سليمانُ، فيكونُ الضَّميرُ يعودُ إلى سليمانَ ومَن معه.

ابنُ بحرٍ: وكذلك يفعلُ جُنْدِي إن قصَدْتُ سليمانَ[١].

القفَّالُ: إنَّ الملوك قبلُ[٢]: كانوا يفعلون كذا وكذلك اليوم.

***

(٣٥) - ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾.

﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾؛ أي: رأيي أن أُرسِلَ إليهم بهديَّةٍ فأنظُرَ بمَ يرجعُ المُرسَلون؟ بقَبولِها أم ردِّها؟ وإنَّما فَعَلَت ذلك لأنَّها عرفَتْ عادةَ الملوكِ وحُسنَ موقعِ الهدايا منهم؛ فإن كانَ ملكًا قبِلَها، وإنْ كانَ نبيًّا ردَّها.

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: كانت الهديَّةُ لبِنةً من ذهبٍ[٣].

سعيدُ بنُ جُبيرٍ: جواهرَ[٤].

وقيل: صحائفَ الذَّهبِ في أوعيةِ الدِّيباجِ.

عكرمةُ في جماعةٍ: أهدَتْ ثمانين غلامًا وثمانين جاريةً على زيٍّ واحدٍ[٥].

وقيل: بدَّلت لباسَ الغلمانِ بلباسِ الجواري، وسألَتْ سليمانَ أن يُمَيِّزَ بين الغلمانِ والجواري، وبعثَتْ حُقَّةً فيها جواهرُ مثقوبةٌ وغيرُ مثقوبةٍ[٦].

وقد أكثرُوا القولَ في هداياها، ولا فائدةَ في ذِكرِها، فتركتُها.

---

(١) في (ف): «قيل»، وهو تحريف.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٤٩)، واستغربه.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣١٨٦١)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٢٠٩).

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٨٧٨)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٢٠٩).

(٥) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٨٧٧) عن زهير بن محمد، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٢٠٩).

(٦) ذكر الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٢٠٩) عن مجاهد وعكرمة وابن جبير والسدي وزهير: «أنها أهدت غلماناً لباسهم لباس الجواري، وجواري لباسهم لباس الغلمان».

وبعثَتْ رُسلًا وأمَّرَتْ عليهم رجلًا يقالُ له: المُنذِرُ، ولهذا قال: ﴿بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾.

الفرَّاءُ: كانَ الرسولُ امرأةً(١).

***

(٣٦) - ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾.

﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ﴾ يعني: الرَّسولُ، وقيل: ما أهدَتْ وأرسلَتْ.

﴿قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ﴾: أتزيدُونَني مالًا، خطابٌ للرُّسلِ فيمَن جعلَهم جماعةً.

ومَن جعلَ الرَّسولَ رجلًا واحدًا أو امرأةً قال: هذا خطابٌ للرَّسولِ والمُرسِلِ وأتباعِه، فجمَعَ، وغلَّبَ الخطابَ على الغيبةِ، وهو القياسُ.

أنْكَر عليهم إرسالَهم بالمالِ إليه وهو يدعوهم إلى الله وإلى الإسلامِ.

﴿فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ﴾ منَ المُلكِ والنُّبوَّةِ والنِّعمةِ ﴿خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم﴾: أفضلُ وأكثرُ، ﴿بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ﴾؛ أي: بما يُهدَى إليكم، وقيل: بهديَّتِكم هذه.

﴿تَفْرَحُونَ﴾ إعظامًا منكم لها(٢).

***

(٣٧) - ﴿ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾.

﴿ٱرْجِعْ﴾ أيُّها الرَّسولُ ﴿إِلَيْهِمْ﴾: إلى بلقيسَ وقومِها بما صحِبَكَ من الهديَّةِ.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٩٣)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٤٩)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٤٩)، واستغربه.

ويحتمِلُ أنَّ التَّقديرَ: ارجِعْها، منَ الرَّجعِ، فحُذِفَ المفعولُ.

وقولُه: ﴿ ٱرْجِعْ ﴾ دليلٌ على أنَّ الرسولَ كان واحدًا، وكان[1] المُتكلِّمُ منهم واحدًا.

وذكرَ أقضى القُضاةِ أنَّ المُخاطبَ هاهنا الهدهدُ؛ أي: ارجعْ إليهم قائلًا لهم: ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ﴾[2]، وعلى هذا يحتمِلُ أن يكونَ الفاعلُ في قولِه: ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ﴾ الهدهدَ أيضاً، قال: قل لهم: ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ﴾، والوجهُ ما سبقَ.

﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا﴾: لا طاقةَ لهم، ولا يُمكِنُهم دَفعُها عنهم وعن قريتِهم، ﴿وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً﴾ قيل: من القريةِ. وقيل: منَ المملكةِ.

وكنَّى عن القريةِ لتقدُّمِ ذِكرِها في قولِه: ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً﴾ [النمل: ٣٤].

﴿وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾: مُهانون مُستَخَفٌّ بهم، من قولِهم: افعَلْ هذا غيرَ صاغرٍ؛ أي: غيرَ مُستَخَفٍّ بك.

***

(٣٨) ـ ﴿ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴾.

﴿ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴾ فيه قولان:

أحدُهما: أنَّ هذا قبلَ الكتابِ، وإنَّما جرَّبَ صدقَ الهدهدِ بمجيءِ العرش إليه، ولولا ذلك كانَ مُحالًا أن يكتُبَ كتابًا إلى مَن لا يدري: هل هو في الدُّنيا أم لا؟ حكاه القفَّالُ وطوَّلَ[3].

والثّاني: أنَّ إحضارَ عرشِها بعد الكتابِ، وبعدَما خرجتِ الرُّسلُ وقد رُدَّتْ

---

(١) كذا في النسختين، ولعل الصواب: «أو كان»، والله أعلم.

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٢١١) عن زهير، وكذا رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٨٨١)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٥٠)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٥٠)، واستغربه.

هديَّتُهم، فعلِمَت أنَّه نبيٌّ لا يُصانَعُ عن الدِّينِ بالأموالِ، ولا يُغلَبُ إنْ قُوتِلَ.

ومعنى ﴿مُسْلِمِينَ﴾: مُؤمنين مُوحِّدين، أخبرَه جبريلُ بمجيئِها مُؤمنةً.

وقيل: أخبرَ به الهدهدُ.

وقيل: مُستسلِمين مُنقادين.

وقيل: معنى ﴿مُسْلِمِينَ﴾: ليُسلِموا.

وفي استحضارِ العرشِ أقوالٌ:

أحدُها: أنَّه أرادَ أن يكونَ ذلك مُعجزةً دالَّةً لها على صدقِ نُبوَّته إذا أُتيَ به مُخرَجًا من البيوتِ والأحرازِ.

وقيل: قبلَ أن يسيرَ إليهم مُحارِبًا[1].

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: أرادَ أن يُجرِّبَ صدقَ الهدهدِ[2]، على ما سبق.

وقيل: أعجبَه وَصْفُه، فأرادَ أخذَه قبل أن يُحرِّمَ عليه بإسلامِها.

***

(٣٩) - ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾.

﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ وهو النَّافذُ في الأمرِ المُبالِغُ فيه مع خُبثٍ ودَهاءٍ.

الحسَنُ: العِفريتُ لا يكونُ إلا كافرًا، ولكنْ كانَ مُسخَّرًا[3].

قيل: وكان يضعُ قدمَه حيثُ ينالُ بصرُه.

قيل: كان اسمُه صخرَ الجنِّ. وقيل: كودي.

﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾: مجلِسك، وكان مجلسَ قضاءٍ وحكمٍ.

---

(١) كأن هذه العبارة مقحمة هاهنا، ولعل موضعها المناسب قبل الكلام على استحضار العرش، والله أعلم.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٦٠).

(٣) ذكره يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٥٤٤).

وقيل: مجلسَ وعظٍ يمتدُّ الى نصفِ النَّهارِ.

﴿وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ﴾ على حملِه ﴿أَمِينٌ﴾ على جواهرِه.

وقيل: أمينٌ لا أُبدِّلُه بغيرِه.

وقيل: أمينٌ فيما أقولُ.

قال سليمانُ: أُريدُ أعجلَ من ذلك.

وقيل: بل ابتدأ

***

(٤٠) ـ ﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾.

﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ﴾ فيه أقوالٌ:

الزَّجَّاجُ في جماعةٍ: هو آصفُ بنُ برخيا(١).

وقيل: مَلَكٌ أَيَّدَ الله سليمانَ به.

وقيل: جبريلُ.

وقيل: سليمانُ نفسُه(٢).

المُبرِّدُ: الأكثرُ أنَّه ضَبَّةُ أبو القبيلةِ(٣).

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ١٢١)، وذكره أيضًا مقاتل في «تفسيره» (٣/ ٣٩٧)، ويحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٥٤٥)، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٨٨٧) عن ابن إسحاق.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٥٠)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٥٠)، وعدَّه من العجائب.

وقيل: كان رجلًا مُستجابَ الدَّعوةِ اسمُه مليخا.

وقيل: أسطوس.

وقيل: هو ذو النُّونِ.

ابنُ لهيعةَ: هو الخضِرُ عليه السَّلامُ(١).

والعلمُ منَ الكتابِ: اسمُ الله الأعظَمُ، وهو: يا حيُّ يا قيُّومُ.

وقيل: يا ذا الجلالِ والإكرامِ.

وقيل: بالعِبرانيَّةِ: آهيا شراهيا.

وقيل: يا إلهنا وإلهَ الخلقِ أجمعين إلهًا واحدًا لا إلهَ إلا أنتَ.

الحسنُ: اسمُ الله الأعظَمُ: الله ثمَّ الرَّحمنُ(٢).

واختلَفوا في قولِه: ﴿مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ قيل: كتُبِ الله المُنزلةِ.

وقيل: اللَّوحِ المحفوظِ؛ فيمَن أوَّلَه على المَلَكِ أو جبريل.

وقيل: الكتابُ: كتابُ سليمانَ إلى بلقيسَ؛ أي: علمُ ما صارَ إليه أمرُ الكتابِ المكتوبِ إليها، وهو جبريلُ، لـم يعلَمْ إقبالَ بلقيسَ إلى سليمانَ إلا هو(٣).

﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَ﴾: قبل أن يرجعَ إليك بصرُك، كأنَّك تفتحُ بصرَكَ لتنظُرَ إلى الشَّيءِ فتنظرَ إليه ثمَّ يرتدُّ بصرُكَ عن النَّظرِ.

وقيل: إدامةُ النَّظرِ حتَّى يرتدَّ الطَّرفُ خاسِئًا، من قولِه: ﴿يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا﴾ [المُلْك: ٤].

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٨٨٥)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٢١٣)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٥٠)، وعدَّه من العجائب.

(٢) ذكره الزمخشري في «تفسيره» (٣/ ٣٦٧).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٥٠)، واستغربه.

وقيل: مِثْلَ تَبَصُّرِ الإنسانِ الهلالَ ثمَّ ينصرفُ بصرُه عنه.

وقيل: قبل أن يرجعَ إليك مطروفُك؛ أي: مَن تنظرُ إليه مِن مُنتَهى بصرِكَ.

وقيل: قبل الوقت الذي يُنتظرُ فيه ورودُه، من قولِـهم: أنا ممتدُّ الطَّرْفِ إليك؛ أي: مُنتظِرُكَ[1].

الماورديُّ: قبل أن ينقبضَ طرفُك بالموتِ، يُخبِرُه أنَّه سيأتيه قبل موتِه[2]، وهذا تأويلٌ قبيحٌ.

بل المعنى في هذا: آتيكَ به سريعًا، فقد جرَتِ العادةُ بأن يقولَ القائلُ: أفعلُ هذا في لحظةٍ[3]، وفي طرفةِ عينٍ، يريدُ السُّرعةَ.

و﴿ءَاتِيكَ﴾ في كلا الموضعَين يجوزُ أن يكونَ المُستقبلَ، ويجوزُ أن يكونَ اسمَ الفاعلِ، ولهذا جازَ إمالتُه[4].

﴿فَلَمَّا رَءَاهُ﴾؛ أي: رأى العرشَ ﴿مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ﴾: حاصِلًا بين يدَيه[5].

قيل: نبعَ منَ الأرضِ.

وقيل: أُتِيَ به من فوقُ في الهواءِ.

﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي﴾ إشارةٌ إلى إحضارِ العرشِ فـي مدَّةِ ارتدادِ الطَّرفِ من مسيرةِ شهرَين.

﴿مِن فَضْلِ رَبِّي﴾ ابتدأني بالمنَّةِ به من غيرِ استحقاقٍ له.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٥١)، واستغربه.

(٢) انظر: «النكت والعيون» (٤/ ٢١٤)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٥١)، وعدَّه من العجائب.

(٣) في (ف): «لحظ».

(٤) وقد أماله وحده من السبعة. انظر: «السبعة» (ص: ٤٨٢).

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٥١)، واستغربه.

﴿لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾: ليَمتحِنَني؛ فيَظْهرَ منِّي الشُّكرُ أو خلافُه.

﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ فإنَّه يستجلبُ به المزيدَ في الدُّنيا والثَّوابَ في العُقبى، ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ فضلَ الله فلم يشكُرْه بالزِّيادةِ في الطّاعةِ ﴿فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ﴾ عن شُكرِه[1] ﴿كَرِيمٌ﴾: لا يُعجِّلُ عقوبةَ مَن كفرَه.

وقال بعضُ المُفسِّرين: إنَّ سليمانَ تداخلَه شيءٌ مما جرى على يدي هذا الذي أوتيَ علمًا منَ الكتابِ؛ إذ صارَ غيرُه من أمَّتِه أعلَمَ منه وأقدَرَ على بعضِ الأمورِ، فقال رياضةً لنفسِه: إنَّ هذا من فضلِ ربِّي عليَّ إذ صيَّرَ في أمَّتي مَن يُجري على يدِه مثلَ هذا الأمرِ، ففضلُ ذلك لي، وهو إنعامٌ عليَّ.

وقيل: لمَّا خطرَ ببالِه هذا ووسوسَ إليه الشَّيطانُ ﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي﴾؛ أي: مما يملكُه يجعلُه[2] لمَن يشاءُ من عبادِه، فقد جعلَ هذا الفضلَ لهذا الذي أُوتيَ علمًا منَ الكتابِ ليبلُوَني أأشكرُه أم أكفرُه؟

***

(٤١) - ﴿قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِيٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾.

﴿قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرْشَهَا﴾: اجعلوا أعلاه أسفلَه ومُقدَّمه مُؤخَّرَه.

وقيل: نُزِعَ ما كان عليه من فُصوصِه وجواهرِه.

وقيل: زِيدَ فيه ونُقِصَ.

وقيل: غُيِّر ألوانُه.

وقيل: غُيِّر بأن جُعِلَ فيه أشكالُ السَّمكِ، حكاه الماورديُّ[3].

---

(١) في (ف): «عن غيره».

(٢) في (ف): «بجعله».

(٣) انظر: «النكت والعيون» (٤/ ٢١٥).

وقيل: ﴿نَكِّرُواْ لَهَا عَرۡشَهَا﴾: أظهِروه؛ لتُنكِرَ موضعَه عندَه.

﴿نَنظُرۡ أَتَهۡتَدِيٓ أَمۡ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهۡتَدُونَ﴾ قيل: أتهتَدي إلى عرشِها فتعرفَ بِفطنتِها بَعْدَ التَّغييرِ، أم تكونُ منَ الجاهلينَ به؟

وقيل: تهتَدي إلى التَّوحيدِ وتستدلُّ بعرشِها على قدرةِ الله ونبوَّتي، أم لا؟

قال المُفسِّرون: إنَّ الشَّياطينَ خافَتْ أن يتزوَّجَها سليمانُ فتُفشيَ إليه أسرارَ الجنِّ فلا ينفكُّونَ في تسخيرِ سليمانَ وذُرِّيتِه من بعدِه، فأساؤوا القولَ فيها وقالوا: إنَّ في عقلِها شيئًا، وإنَّ رجلَها كحافرِ الحمارِ، فأراد سليمانُ عليه السَّلامُ أن يَخبُرَ عقلَها بتنكيرِ عرشِها، وينظُرَ إلى قدمَيها ببناءِ الصَّرحِ[1].

وقيل: قابلَها بتنكيرِ العرشِ وبناءِ الصَّرحِ في مُقابلةِ تبديلِ ثيابِ الغلمانِ والجواري، وبعثِ الحقَّةِ التي فيها جواهرُ تمتَحِنُه يعلمُ ذلك أم لا[2].

***

(٤٢) ـ ﴿فَلَمَّا جَآءَتۡ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرۡشُكِۖ قَالَتۡ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ وَأُوتِينَا ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهَا وَكُنَّا مُسۡلِمِينَ﴾.

﴿فَلَمَّا جَآءَتۡ﴾؛ أي: بلقيسُ ﴿قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرۡشُكِۖ قَالَتۡ كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾ فأجابَتْ أحسنَ جوابٍ، لم تُثبِتْ ولم تُنكِرْ؛ لاحتمالِ الأمرَين، شبَّهوا عليها بقولِهم: ﴿أَهَٰكَذَا عَرۡشُكِ﴾ فشبَّهت عليهم بقولِها: ﴿كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾.

﴿وَأُوتِينَا ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهَا وَكُنَّا مُسۡلِمِينَ﴾ قيل: هذا من كلامِ بلقيسَ؛ أي: أُوتينا العلمَ بصحَّةِ نُبوَّتك بالآياتِ المُتقدِّمةِ من أمرِ الهدهدِ والرُّسلِ من قبلِ هذه المُعجزةِ، تعني: إحضارَ العرشِ.

﴿وَكُنَّا مُسۡلِمِينَ﴾: مُطيعين لأمرِكَ مُنقادينَ لك.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٩٤)، و«تفسير الطبري» (١٨/ ٧٦).

(٢) في (ف): «التي فيها الجواهر وتمتحنه بعلم ذلك».

وقيل: هذا من كلامِ سليمانَ؛ أي: وأوتينا العلمَ بإسلامِها ومجيئِها طائعةً من قبلِ مجيئِها، ﴿وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ مُوحِّدين خاضِعين.

وقيل: من كلامِ قومِ سليمانَ[1].

* * *

(٤٣) ـ ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾.

﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ في فاعلِ ﴿صَدَّ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: ﴿مَا كَانَت تَّعْبُدُ﴾؛ أي: عبادتُها الشَّمسَ صدَّتْها عن عبادةِ الله.

والثّاني: فاعلُه سليمانُ، والمعنى: صدَّها عمَّا كانت تعبُدُ، فحُذِفَ الجارُّ، ومحلُّ (ما) نصبٌ.

والثّالثُ: فاعلُه اللهُ عزَّ وجلَّ؛ أي: وصدَّها اللهُ عمَّا كانت تعبُدُ.

وقيل: وصدَّها ما رأتْ من أمرِ النُّبوَّةِ.

﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ استئنافٌ.

وقيل: ﴿وَصَدَّهَا﴾ مُتَّصلٌ بقولِه: ﴿أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ﴾ فيكونُ الواوُ للحالِ، و(قد) مُضمَرةٌ[2].

* * *

(٤٤) ـ ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ﴾ الصَّرحُ: القصرُ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٥٢)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٥٢)، واستغربه.

وقيل: الصَّرحُ: عَرْصةُ الدَّارِ.

وقيل: كلُّ بلاطٍ[١] اتُّخِذَ من قواريرَ فهو صَرحٌ.

وقيل: هو البناءُ العريضُ الرَّفيعُ، وكان عُمِلَ لسليمانَ صحنٌ من قواريرَ وتحتَه الماءُ والسَّمكُ وسائرُ دوابِّ الماءِ، وكان يُرى من ظاهرِه، ثمَّ جلسَ سليمانُ في وسطِه على كرسيٍّ، وكان طريقُ بلقيسَ في الوُصولِ إليه على الصَّرحِ[٢].

﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ﴾ نظرَتْ إلى سليمانَ ورأتِ الصَّرحَ ﴿حَسِبَتْهُ لُجَّةً﴾ قال المُفسِّرون: ماءً غَمْرًا، وذلك يَبْعُدُ في الآيةِ لأنَّ كشفَ السَّاقِ لا يُغني مع اللُّجَّةِ؛ لأنَّها كشفَتْ عن ساقِها لتخوضَ الماءَ إلى سليمانَ.

والأحسنُ أن يُحمَلَ اللُّجَّةُ على الضَّحْضاحِ[٣]، أو يُقالُ كما جاء في بعضِ التَّفاسيرِ: إنَّها لمَّا رأتِ الصَّرحَ قالت: ما وجَدَ ابنُ داودَ عذابًا يقتُلُني به إلا الغرقَ[٤]؟! ﴿وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا﴾ على عادةِ مَن يُريدُ الخوضَ في الماءِ، فإذا هي أحسنُ ساقٍ، لكنَّها كانت شَعْراءَ.

﴿قَالَ﴾ يعني سليمانُ لها: ﴿إِنَّهُۥ﴾: إنَّ الذي تزعُمين أنَّه ماءٌ ﴿صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ﴾.

ابنُ عيسى: الصَّرحُ: البسيطُ المُنكشِفُ من غيرِ سَقْفٍ، ومنه: صَرَّحَ بالأمرِ[٥]، والمُمَرَّدُ: المُمَلَّسُ.

﴿مِّن قَوَارِيرَ﴾: منَ الزُّجاجِ.

---

(١) في (ف): «ملاط»، والمثبت من (ن)، وهو الموافق لما في «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٣٢٥)، و«البسيط» للواحدي (١٧/ ٢٥١)، و«زاد المسير» (٣/ ٣٦٥)، و«البحر» (٨/ ٢٠٦).

(٢) «على الصرح»: ليس في (ف).

(٣) هو الضحل الذي ليس له عمق. انظر: «كتاب الألفاظ» لابن السكيت (ص: ٤١٥).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٥٣)، واستغربه.

(٥) ذكره ابن فورك في «تفسيره» (١/ ٣٠٤) بلا نسبة.

﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ في عبادتي الشَّمسَ.

وقيل: ﴿ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ في ظنِّي أنه قصدَ إغراقي[١].

﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ﴾ طائعةً ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، ثمَّ اختلفَ المُفسِّرون؛ فمنهم مَن قال: تزوَّجَها سليمانُ واتُّخِذَ له حَمَّامٌ ونُورةٌ، وهو أوَّلُ مَن اتُّخِذَ له، فلمَّا تزوَّجَها أحبَّها حبًّا شديدًا، وأقرَّها على ملكِها، وأمرَ الجنَّ فابتنَوا لها بأرضِ اليمنِ ثلاثةَ حصونٍ: سَلْحِينَ وبَيْنونَ وغُمْدانَ[٢]، وكان سليمانُ يزورُها في كلِّ شهرٍ مرّةً ويُقيمُ عندَها ثلاثةَ أيامٍ.

ومنهم مَن قال: زَوَّجَها من ذي تُبَّعٍ ملكِ هَمْدانَ، ثمَّ ردَّها إلى اليمنِ، فسلَّطَ زوجَها ذا تُبَّعٍ على اليمنِ.

ومنهم مَن قالَ: آخرُ عهدي بهما قولُه سبحانَه: ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾؛ أي: لا أخوضُ فيما لم يذكرِ الله ولم يُبيِّنْه.

***

(٤٥) ـ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ﴾ هم عادٌ الأُخرى ﴿أَخَاهُمْ﴾ في النَّسبِ، يعرِفون منشأه ومولِدَه، ﴿صَالِحًا﴾ بدلٌ من ﴿أَخَاهُمْ﴾.

﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾: بأن ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾: وحِّدوه وأطيعوه.

﴿فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾؛ أي: فاجَؤُوه بالاختصامِ؛ فآمنَ فريقٌ وكفرَ فريقٌ ـ و﴿يَخْتَصِمُونَ﴾ محمولٌ على المعنى كقولِه: ﴿خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا﴾ [الحج: ١٩]،

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٥٣)، واستغربه.

(٢) في (ف): «سلجين ويفنون وعمدان».

وطائفتانِ اقتتَلُوا[1] ـ وقال الفريقُ الكافرُ: ﴿يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٧٧].

* * *

(٤٦) ـ ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾: بالعذابِ والبلاءِ ﴿قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ﴾: الرَّاحةِ والدَّعةِ، ولِمَ تُقدِّموها[2] عليها؟ وقد سبقَ في (الرَّعدِ).

﴿لَوْلَا﴾: هلَّا ﴿تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ﴾ بالتَّوبةِ والإيمانِ ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾: لتكونُوا مُستعجِلين الرَّحمةَ.

* * *

(٤٧) ـ ﴿قَالُوا ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾.

﴿قَالُوا ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ﴾: تتابعَتْ علينا الشَّدائدُ واتَّصلَتْ بنا المكارهُ مذ جئتَنا تدَّعي الرِّسالةَ.

وقيل: تطيَّرْنا بك لافتراقِ كلمتِنا بسببِك.

﴿قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: الذي تزعُمونَ أنَّه منِّي فليس كذلك، بل منَ الله يختَبِرُكم به، وهو قولُه: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾: تُختبَرون.

وقيل: ﴿طَٰٓئِرُكُمْ﴾: عملُكُم[3].

وقيل: ﴿طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ معناه: تشاؤُمكم محفوظٌ عندَ الله فيُجازيكُم عليه.

---

(١) في قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا﴾ [آل عمران: ٩].

(٢) كذا، ولعل الصواب: «تقدمونها».

(٣) في (ن): «علمكم».

وقيل: معنى ﴿تُفْتَنُونَ﴾: تَضِلُّون فتجهَلون أنَّ الخيرَ والشَّرَّ من عندِ الله.

وحقيقةُ هذه منَ العربِ في اعتقادِها البارحِ والسَّانحِ في بعضِ الطَّيرِ والوحوشِ، وأنَّها تدُلُّ بصياحِها على حدوثِ آفاتٍ وبلاءٍ وعارِضاتٍ، ويُسمَّى ذلك: الطِّيَرةَ، ونهى النَّبيُّ ﷺ عنها[١]؛ لأنَّها خيالاتٌ لا تأثيرَ لها، وأوهامٌ لا حقيقةَ معها.

***

(٤٨) ـ ﴿وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾.

﴿وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾ الرَّهْطُ: اسمٌ لجماعةٍ منَ الثَّلاثةِ إلى العشرةِ، فإذا جاوزتَ قلتَ: أحدَ عشرَ رهطًا[٢]؛ أي: في كلِّ ناحيةٍ رهطٌ، وأصلُه من التَّرهيطِ، وهو تعظيمُ اللُّقَمِ وشدةُ الأكلِ.

﴿يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ بالكفرِ ﴿وَلَا يُصْلِحُونَ﴾: لا يكونُ منهم إلا الفسادُ في جميعِ أمورِهم.

وعن سعيدِ بنِ المُسيِّبِ وعطاءٍ في معنى ﴿يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: يُقطِّعون الدَّراهمَ والدَّنانيرَ[٣].

وهم عتاةُ قومِ صالحٍ، تحالَفوا ليقتُلُنَّ صالحًا غِيلةً، فأهلَكَهم اللهُ.

---

(١) رواه الترمذي (١٦١٤) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه بلفظ: «الطِّيَرَةُ مِن الشِّرْكِ، وما مِنَّا إلاَّ، ولكِنَّ اللهَ يُذْهِبُهُ بالتَّوكُّلِ» وقال: «حسن صحيح».

(٢) لأنه مفرد في اللفظ، وإن كان يدلُّ على جماعة في المعنى. انظر: «غرائب التفسير» (٢/ ٨٥٤).

(٣) رواه عن عطاء عبد الرزاق في «تفسيره» (٢١٧١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٠١). ورواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٤٥٩٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ١٩٣٦)، والثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٢٩٥) عن سعيد بن المسيب.

(٤٩) ـ ﴿قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾.

﴿قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِاللَّهِ﴾ ﴿تَقَاسَمُواْ﴾ يَحتمِلُ أن يكونَ ماضيًا[١]، ويَحتمِلُ أن يكونَ أمرًا؛ فإنْ جعلتَه أمرًا جازَ ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ﴾ بالنُّونِ والتّاءِ[٢]؛ لأنَّ هذه من جملةِ الألفاظِ التي يُتلقَّى بها القسَمُ، وإنْ جعَلْتَه ماضيًا قرأتَ بالنُّونِ لا غيرُ، ويكونُ حالًا و«قد» مُقدَّرةٌ.

وذلك أنَّهم تواطَؤُوا على أن يُظهِروا لقومِهم أنَّهم مُسافرون، فيستَتِرونَ أيامًا ثمَّ يُبايتون صالحًا فيقتلونَه ومَن معه ليلًا سرًّا، فلا يترُكون أحدًا ممَّن يجمعُهم منزلُه كيلَا يَنِمَّ عليهم، ثمَّ يُنكِرون فيقولون: ما كنَّا في البلدِ، فيُصدِّقُهم قومُهم لِـمَا يكونُ عندَهم من سفرِهم، وهو قولُه: ﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ﴾: لوليِّ دمِه وطالبِ ثأرِه: ﴿ما شهِدْنا مُهْلَكَ أهلِه﴾؛ أي: لم نتعرَّضْ لأهلِه، فكيف كنَّا نتعرَّضُ له؟ وما حضَرْنا موضعَ هلاكِه فضلًا عن أن تولَّيناه.

و(المُهلَكُ) بالضَّمِّ: الإهلاكُ ومكانُ الإهلاكِ، و(المَهلِكُ) بالكسرِ: موضعُ الهلاكِ، وبالفتحِ المصدرُ[٣].

﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ فيما ذكَرْنا.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٥٢)، واستغربه.

(٢) قرأ حمزة والكسائي: ﴿لتُبيِّتُنَّه وأهلَه ثم لتَقولُنَّ﴾ بتاء الخطاب على الجمع، والباقون: ﴿لنُبيِّتَنه وأهلَه ثم لنَقولَن﴾ بالنون. انظر: «السبعة» (ص: ٤٨٣)، و«التيسير» (ص: ١٦٨).

وعن مجاهد: (ليُبيِّتُنَّه وأهلَه ثم ليَقولُنَّ). انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١١١)

(٣) قرأ حفص: ﴿مَهْلِكَ﴾ بفتح الميم وكسر اللام، وأبو بكر بفتحهما، والباقون بضم الميم وفتح اللام. انظر: «السبعة» (ص: ٤٨٣)، و«التيسير» (ص: ١٤٤).

وقيل: ونحلفُ إنَّا لصادِقون في قولِنا: ﴿مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ﴾.

* * *

(٥٠) ـ ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا﴾ ثمَّ إنَّ ليلةَ موعودِهم دخلوا كهفًا، فأرسلَ الله صخرةً عليهم فدمَغَتْهم، ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بمكرِنا.

وقيل: دخلُوا عليه ليقتُلوه، فأرسلَ الله عليهم ملائكةً رمَوا لكلِّ واحدٍ منهم بحجرٍ حتَّى قُتِلوا، وسلِمَ صالحٌ من مكرِهم، ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بالملائكةِ.

* * *

(٥١) ـ ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَـٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ﴾ إنْ جُعِلَتْ ﴿كَانَ﴾ التّامةَ فـ﴿كَيْفَ﴾ حالٌ، وإنْ جُعِلَتِ النّاقصةَ فـ﴿كَيْفَ﴾ خبرٌ[1]؛ هذا إذا قرأتَ: ﴿إِنَّا دَمَّرْنَاهُمْ﴾ بالكسرِ، فإنْ فتحتَ ﴿أَنَّا دَمَّرْنَـٰهُمْ﴾ فمحلُّه رفعٌ على البدلِ منَ (العاقبةِ)، أو خبرُ مبتدأ محذوفٍ تقديرُه: هو أنَّا دمَّرْناهُم، ويجوزُ أن يكونَ نصبًا خبرًا لـ﴿كَانَ﴾، و﴿كَيْفَ﴾ لَغْوٌ.

والمعنى: أهلَكْنا التِّسعةَ ومَن بقيَ من قومِ صالحٍ ﴿وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ لمَّا عقرُوا النّاقةَ.

* * *

(٥٢) ـ ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ﴾: ساقطةً مُنهدمةً، من قولِهم: خوَى النَّجمُ وأخوَى؛ إذا سقطَ.

---

(١) في النسختين: «خبره»، والصواب المثبت، والله أعلم.

وقيل: ﴿خَاوِيَةً﴾: خاليةً، منَ الخوَى، وهو خلوُّ البطنِ وخلاءُ الدّارِ.

﴿بِمَا ظَلَمُوٓاْ﴾؛ أي: بكُفرِهم.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾: فيما فُعِلَ بثمودَ ﴿لَأٓيَةً لِّقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ﴾ فيتَّعِظُونَ.

* * *

(٥٣) ـ ﴿وَأَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾.

﴿وَأَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بصالحٍ ﴿وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ أوامرَ الله أن يترُكوها.

وكانوا أربعةَ آلافٍ خرَجَ بهم صالحٌ إلى حضْرَموتَ، وسُمِّي حضَرمَوتَ لأنَّ صالحًا لمَّا دخلَها ماتَ، فتلك البيوتُ الخاويةُ بوادي القرى بين المدينةِ والشَّامِ.

* * *

(٥٤) ـ ﴿وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ﴾.

﴿وَلُوطًا﴾ عطفٌ على قولِه: ﴿أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحًا﴾ وأرسلنا لوطًا.

وقيل: واذكُرْ لُوطًا.

وقيل: وأنجَيْنا لوطًا، فلمَّا طالَ الكلامُ أعادَه[1].

﴿إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ﴾ مُواقعةَ الرِّجالِ، استفهامُ إنكارٍ عليهم.

﴿وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ﴾: تعلَمون[2] أنَّ ذلك فاحشةٌ لم يسبِقْكُم به أحدٌ منَ الخلقِ، ثمَّ صرَّحَ فقال:

(٥٥) ـ ﴿أَئِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهۡوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ﴾.

---

(١) في (ف): «أعاد».

(٢) «تعلمون»: ليس في (ف).

﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً﴾ للشَّهوةِ ﴿مِّن دُونِ النِّسَاءِ﴾ اللَّاتي جعَلَهُنَّ الله موضعَ التلذُّذِ.

وقيل: من دونِ فُروجِهنَّ.

﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾؛ أي: ليس ذلك لمعنًى سوى الجهلِ بما يجبُ؛ فإنَّ الطِّباعَ الصَّحيحةَ لا تتوجَّهُ في ذلك إلا إلى النِّساءِ، وإنَّما يُعدَلُ عنهنَّ لسوءِ العادةِ.

ومعنى ﴿تَجْهَلُونَ﴾: تفعلون فعلَ الجهَّالِ.

***

(٥٦) ـ ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾.

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ﴾؛ أي: لوطًا ومَن على دينِه ﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ عن مُواقعةِ الرِّجالِ.

وقيل: يتحيَّنون أطهارَ نسائِهم.

وقيل: هذا استهزاءٌ.

***

(٥٧) ـ ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ﴾.

﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ﴾: فخلَّصناه منَ العذابِ الواقعِ بالقومِ[1] ﴿إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ﴾: الباقينَ في عذابِ الله.

***

---

(١) في (ف): «بهم».

(٥٨ ـ ٥٩) ـ ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۗ آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾ الحجارةَ، وقيل: النَّارَ والكبريتَ.

وقيل[1]: إنَّ قُرى سَدُومَ قُلِبَت عليهم، ومُطِرَ مَن شَذَّ عنها حجارةً.

وقيل: بل مُطِرَ مَن في القُرى ومَن شذَّ عنها.

﴿فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ قيل: قُل يا لوطُ: الحمدُ لله على هلاكِ كفّارِ قومِكَ[2].

والجمهورُ على أنّه خطابٌ للنَّبيِّ ﷺ؛ أي: قل يا محمَّدُ: الحمدُ لله على هلاكِ الأممِ الخاليةِ.

وقيل: قل: الحمدُ لله على ما علَّمَكَ.

وقيل: الحمدُ لله على جميعِ نِعَمِه.

﴿وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ﴾؛ أي: الأنبياءِ والرُّسلِ.

وقيل: هم الصَّحابةُ؛ فإنَّهم المُصطَفَونَ من أمَّةِ محمَّدٍ ﷺ.

وقيل: هم أمَّةُ محمَّدٍ ﷺ.

﴿آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ استفهامُ إنكارٍ؛ أي: آلله خيرٌ أم الصَّنمُ؟ وهذا على مَن زعمَ أنَّ في الصَّنمِ خيرًا.

وقيل: عبادتُه خيرٌ أم الشِّركُ؟

* * *

---

(١) في (ف): «وذلك».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٥٦)، واستغربه.

(٦٠) ـ ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾.

﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ لمصالحِ عبادِه ومعاشِهم ﴿وَأَنزَلَ لَكُم﴾: لأَجْلِكُم ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾: مطرًا، وقيل: ماءَ العيونِ؛ لأنَّها منَ السَّماءِ أيضًا.

﴿فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ﴾: بالمطرِ ﴿حَدَآئِقَ﴾: بساتينَ مَحوطًا عليها ﴿ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾: جمالٍ ومنظرٍ حسنٍ.

﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ﴾ قيل: بغيرِ الماءِ.

وقيل: أنتم عجزةٌ عن مثلِه لا تقدرونَ عليه.

وتقديرُ الآيةِ: أمَّا تُشركونَ خيرٌ أمَّن خلقَ السَّماواتِ؟

وقيل: أمَّن الذي خلقَ السَّماواتِ والأرضَ؟

ويَحتمِلُ: أمَّن خلَقَ السَّماواتِ والأرضَ خيرٌ أم ما تُشرِكون؟

وكذلك ما بعدَه ذُكِرَ أوَّلًا بلفظِ الاسمِ ثمَّ بالوصفِ.

﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ أيجوزُ أن يكونَ مع اللهِ الموصوفِ بما تقدَّمَ إلهٌ آخرُ لا يقدرُ على شيءٍ منه: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ عن سَنَنِ الصَّوابِ.

***

(٦١) ـ ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا﴾ يستقِرُّ عليها الخلقُ ﴿وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ﴾: وسطَها ومسالكَها ونواحيَها ﴿أَنْهَٰرًا﴾ جاريةً ﴿وَجَعَلَ لَهَا﴾ للأرضِ، وقيل: فيها ﴿رَوَٰسِىَ﴾: جبالًا تمنعُها عن الحركةِ.

﴿وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ العذبِ والأُجاجِ.

وقيل: بحرُ السَّماءِ وبحرُ الأرضِ.

وقيل: بحرُ فارسَ وبحرُ الرُّومِ، وقد سبقَ.

﴿حَاجِزًا﴾: مانعًا أن يختلِطا.

﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ على ما سبقَ.

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾؛ أي: هم جُهَّالٌ فلجهلِهم يُشرِكون.

* * *

(٦٢) ـ ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾.

﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ والكلُّ على اختلافِ مُعتَقَدِهم إذا ضاقَ بهم أمرٌ فزِعُوا إلى ربِّ السَّماءِ.

﴿وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ النَّازلَ بالإنسانِ؛ أي: يدفعُ الشِّدَّةَ.

وقيل: السُّوءُ: الجَوْرُ.

وقيل: مَن تولَّاه فلا ينزلُ به السُّوءُ.

﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾ بدلًا عن الكفَّارِ.

وقيل: جعَلَ أولادَكم خلفاءَ منكم.

﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ بل هو المُنفرِدُ به.

﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ عظمتَه ونِعَمَه، فلذلك لا تشكُرون.

* * *

(٦٣) - ﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ﴾: يُرشِدُكم ﴿فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ للطُّرقِ التي تسلُكونَها لتجاراتِكُم وجهادِ أعدائِكم.

والبَـرُّ: اليَبَسُ، والبحرُ: الماء.

وقيل: البَـرُّ: باديةُ الأعرابِ، والبحرُ: القُرى والأمصارُ.

وقيل: يهديكم: يُخلِّصُكم.

﴿وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ﴾ قُدَّامَ المطرِ، وقد سبق.

﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ تعالى عن إشراكِكُم به ما هو مخلوقُه.

* * *

(٦٤) - ﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.

﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ﴾: يُـنـشِـئُ الخـلـقَ ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ المـطرَ ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ النَّباتَ والحبَّ ثُمَّ يُعيدُهُ، هكذا تقديرُ الآيةِ؛ أي: مَن قدرَ على الابتداءِ قدرَ على الإعادةِ، والمعنى: بدأ الخلقَ بإقرارِكم، ثمَّ إقرارُكم بذلك حجَّةٌ عليكم.

﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ على إشراكِكُم بعد إقرارِكُم بتفرُّدِه بخلقِ هذه الأشياءِ ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في دَعواكُم.

* * *

(٦٥) - ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾.

﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ الغيبُ: ما يكونُ في المستقبلِ.

وقيل: الغيبُ: السَّاعةُ.

وقيل: هو ما استأثرَ الله بعلمِه مما هو غائبٌ.

﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾: متى يُنْشَرون ويُحْيَون، وذلك عائدٌ إلى ﴿مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾. وقيل: عائدٌ الى الكفَّارِ.

و﴿مَن﴾ في الآيةِ موصولٌ، وما بعدَه صِلتُه. وقيل: نكرةٌ وما بعدَه صفتُه؛ أي: لا يعلمُ أحدٌ الغيبَ إلا اللهُ.

و﴿أَيَّانَ﴾ بمعنى: متى، وقيل: أصلُه: أيُّ آنٍ.

***

(٦٦) ـ ﴿بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ﴾.

﴿بَل أَدْرَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ قيل: ﴿فِي﴾ بمعنى الباءِ؛ أي: بحدوثِ الآخرةِ، ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا﴾: من حدوثِها.

وقيل: بل إدراكُ علمِهم في الآخرةِ.

(بَلْ) كلمةٌ وُضِعَتْ للإعراضِ عن الأوَّلِ والإثباتِ للثَّاني، ويأتي حرفَ ابتداءٍ يدُلُّ على تركِ ما قبلَه والأخذِ في غيرِه كما في الآيةِ، وكذلك قولُه: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا﴾؛ أي: لم يحصُلوا بالخوضِ إلّا على الشَّكِّ فيها.

﴿بَلْ هُم مِّنْهَا﴾؛ أي: عن علمِها ﴿عَمُونَ﴾: ذاهبون عن الرُّشدِ فيها.

وقيل: عَمُونَ عنِ العقابِ والثَّوابِ.

وقُرِئَ: ﴿بَلِ ادَّارَكَ﴾[1]، وأصلُه: تدارَكَ، والعلمُ هاهنا بمعنى: الحكمِ والقولِ؛

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿أَدْرَكَ﴾، والباقون: ﴿ادَّارَكَ﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٤٨٥)، و«التيسير» (ص: ١٦٨).

أي: تتابعَ منهم القولُ والحكمُ في الآخرةِ، وكثُرَ منهم الخوضُ فيها؛ فنفاها بعضُهم، وشكَّ فيها بعضُهم، وأنكرَها بعضُهم استبعادًا.

وقيل: هي متَّصلةٌ بالآيةِ الأولى، والمعنى: وما يشعُرونَ متى ما يُبعَثون إلّا بتتابعِ الظُّنونِ في علمِ الآخرةِ؛ فهم تارةً يقولون: إنَّها تكون، وتارةً: إنَّها لا تكونُ.

وقيل: ﴿بَلِ﴾ في الآيةِ بمعنى: أم، فيكونُ استفهامًا بمعنى النَّفيِ؛ أي: لم يتتابعْ علمُهم ولم يعلَمُوه.

وقيل: الماضي هاهنا في تقديرِ المُستقبلِ كقولِه: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٤٤]؛ أي: يتداركُ علمُهم في الآخرةِ بل هم في شكٍّ منها في الدُّنيا[1].

ومَن قرأ: ﴿أَدْرَكَ﴾ فهو بمعنى المُستقبلِ؛ أي: يُدرِكُ علمُهم في الآخرةِ إذا عايَنُوها فلا ينفَعُهم.

وقيل: ﴿بَلِ﴾ بمعنى: أم، كالوجهِ الأوَّلِ؛ أي: لم يُدرِكْ.

وقيل: تقديرُه: بل أدركَ، والاستفهامُ مُقدَّرٌ من غيرِ أن يحملَ ﴿بَلِ﴾ على معنى: أم.

قال الفرَّاءُ: هذا على وجهِ الاستهزاءِ به، كما تقولُ لمَن يدَّعي علمَ شيءٍ وهو جاهلٌ به: «نعم قد عرفتَه حقَّ المعرفةِ» استهزاءً به[2].

ومعنى أدرَكَ الشَّيءُ: تمَّ بلوغُه، ومعنى تدارَكَ: حصلَ شيئًا بعد شيءٍ.

والعَمِي: هو الذي أُصيبَ بصيرتُه.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٥٦)، واستغربه.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٩٩)، وفيه: وبلغني عن ابن عباس أنه قرأ: (بَلَى أَدَّارَكَ) يستفهم ويشدد الدال ويجعل في (بلى) ياء. وهو وجه جيد؛ لأنه أشبه بالاستهزاء بأهل الجحد؛ كقولك للرجل تكذبه: «بلى لعمري لقد أدركتَ السلف فأنت تروي ما لا نروي» وأنت تكذبه.

(٦٧) ـ ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴾.

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴾؛ أي: إذا صِرْنا تراباً وصارَ آباؤُنا كذلك نخرجُ من قُبورِنا أحياءً؟ هذا لا يكونُ.

والعاملُ في (إذا) فعلٌ مُضمَرٌ دلَّ عليه ﴿لَمُخْرَجُونَ ﴾؛ أي: أنُبعَثُ إذا كنَّا تُراباً؟ لأنَّ ما بعدَ (إنَّ) لا يعملُ فيما قبلَه.

و﴿آباؤُنا﴾ عطفٌ على المُضمَرِ في ﴿كُنَّا﴾ وقام المفعولُ مَقامَ الضَّميرِ المُنفصلِ.

وقيل: رفعٌ بالابتداءِ؛ أي: وآباؤُنا كذلك.

* * *

(٦٨) ـ ﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾.

﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ ﴾: في الأزمنةِ المُتقدِّمةِ ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾: مكتوبٌ كُتِبَ وأتى عليه السِّنونَ والدُّهورُ، فلم يُرَ شيءٌ خرجَ إلى الوجودِ، ولا حقيقةَ لمعناه.

* * *

(٦٩) ـ ﴿قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾.

﴿قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: جُولُوا في بلادِ مَن تقدَّمَكم منَ الأممِ، وتعرَّفوا أحوالَ مَن كذَّبوا الرُّسلَ وكذَّبوا بالبعثِ، تجدوا ديارَهم خاويةً، وأبدانَهم بائدةً، فاحذَروا ولا تُكذِّبوا فيحِلَّ بكم مثلُ ما حلَّ بهم.

وقيل: معناه عَيَّنَ الرُّسلُ لهم وقتَ العذابِ[1] فكان كما عيَّنوا، فَصِدْقُهم فيما عيَّنوا وقتَه دليلٌ على الصِّدقِ فيما لم يُعيِّنُوا.

---

(١) في (ف): «عذاب».

وقيل: معنى ﴿سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الآية: اقرَؤُوا القرآنَ؛ فإنَّ أحوالَـهم مذكورةٌ فيه، يُغنِكُم عن التَّطوافِ في الأرضِ والبلادِ[1].

***

(٧٠) - ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾.

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: على تكذيبِهم إيّاكَ وإعراضِهم عنك ﴿وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾: لا يضِقْ صدرُك بمكرِهم؛ فإنِّي أكفيكَهُم: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧].

وقيل: ولا تحزَنْ على مَن ماتَ منهم على الكفرِ.

***

(٧١) - ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾؛ أي: وَعدُ العذابِ ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أنَّ العذابَ نازلٌ، وخرجَ الكلامُ مَخرجَ الجمعِ؛ لرجوعِ ذلك إلى النَّبيِّ ﷺ وأتباعِه الذين كانوا يُحَذِّرُون الكفَّارَ كتحذيرِه.

***

(٧٢) - ﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ﴾.

﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ﴾؛ أي: عسى أن يكونَ بعضُ العذابِ قد دَنا منكم.

وقيل: جاء بعدَكم.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٥٦)، واستغربه.

وقيل: قَرُبَ منكم.

وقيل: دَنا لكم، وكلُّ ما دخلَه العددُ فهو سريعُ النَّفَدِ(١).

وقيل: تبِعَكُم؛ منَ القتلِ. والأسرِ، والسَّبْيِ، والسِّنينَ، والجَدْبِ، والبعضُ مُدَّخرٌ ليوم البعثِ والنُّشورِ.

وفي لامِ ﴿رَدِفَ لَكُم﴾ أقوالٌ:

أحدُها: أنَّ (ردِفَه) (وردِفَ له) لُغتانِ.

والثَّاني: أنَّ اللَّامَ زيادةٌ كقولِه: ﴿لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [يوسف: ٤٣].

وقيل: محمولٌ على المعنى؛ أي: دَنا لكم.

وعند النُّحاةِ له وجهانِ ـ وقد سبقَتْ أمثالُه ـ:

أحدُهما: أنَّ الفعلَ محمولٌ على المصدرِ؛ أي: الرِّدافةُ لكم، فيكونُ تقديرُه: رِدافةُ بعضِ ما تستَعجِلونَ لكم.

والثّاني: أنَّ اللَّامَ مفعولٌ له، والمفعولُ به محذوفٌ، والتَّقديرُ: ردِفَ الخلقَ لكم ـ أي: لأجلِكم ـ بعضُ الذي تستعجِلون.

ورأيتُ في بعضِ التَّفاسيرِ: أنَّ في قولِه ﴿رَدِفَ﴾ ضميرًا يعودُ إلى الوعدِ، ثمَّ قال: ﴿لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ﴾، وهذه لطيفةٌ، فيحسنُ الوقفُ على ﴿رَدِفَ﴾ وتقديرُه: ردِفَكُم الوعدُ(٢).

* * *

(١) في (ن): «التقدير». والمثبت من (ق) وهامش (ن).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٥٧)، واستغربه.

(٧٣) ـ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ بتركِ المُعاجلةِ بالعذابِ على المعاصي، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ له فيستعجِلون.

* * *

(٧٤) ـ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾: تُضمِرُه وتسترُه، ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾: وما يُظهِرونَ منَ القولِ، فليس تأخيرُ العذابِ عنهم لخفاءِ حالِـهم، ولكنْ له وقتٌ مُقدَّرٌ.

* * *

(٧٥) ـ ﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾.

﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ هو ما أخفاه عن خلقِه وغيَّبَه عنهم.

وقيل: ما غابَ عنهم من عذابِ السَّماءِ والأرضِ.

الحسنُ: الغائبةُ: القيامةُ(١).

﴿إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾: في اللَّوحِ المحفوظِ.

وقيل: في القضاءِ المحتومِ.

وقيل: الغائبةُ: أعمالُ العبادِ، وهي مُثْبتةٌ ليُجازِيَ عليها.

* * *

(٧٦) ـ ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾؛ أي: في الدِّينِ،

---

(١) ذكره يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٥٦٢).

وذهبَ بعضُ المُفسِّرين إلى أنَّ المُرادَ به ذكرُ عيسى وأمِّه وعزيرٍ، وذكرُ محمَّدٍ ﷺ؛ فإنَّهم اختلفوا فيهم، واللهُ بيَّنَ أمرَهم ودينَهم في القرآنِ بيانًا شافيًا[1].

❋ ❋ ❋

(٧٧) ـ ﴿وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَإِنَّهُۥ﴾: وإنَّ القرآنَ ﴿لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾: لمَن آمنَ به.

❋ ❋ ❋

(٧٨) ـ ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم﴾: بين بني إسرائيلَ في الدُّنيا ﴿بِحُكْمِهِۦ﴾ فيما حَرَّفوه منَ الكتابِ وبدَّلوه.

وقيل: يحكمُ في القيامةِ؛ فيُجازي المُحِقَّ بحقِّه، والمُبطِلَ بباطلِه.

وقيل: يقضي بالقتالِ، وقد أَمَرَ به.

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ فلا يُغالَبُ ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ فيما أمَر ونَهى.

❋ ❋ ❋

(٧٩) ـ ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ﴾.

﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ يا محمَّدُ وقاتِلْهم ﴿إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ﴾؛ فثِقْ بالظَّفرِ منَ اللهِ والغلبةِ على الأعداء.

وقيل: معناه: أدَّيتَ ما أُمِرتَ، فلا عليك أنْ لا يقبَلُوا.

❋ ❋ ❋

---

(١) بعدها في (ن): «فيهم».

(٨٠) ـ ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴾.

﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾؛ أي: هم لا ينتَفعونَ بما يسمعون ولا يعملون به، فهم كالموتى لا حسَّ لهم ولا عقولَ، وكما لا يكونُ في وُسعِكَ وطاقتِكَ إسماعُ الموتى فكذلك إسماعُ هؤلاءِ.

﴿ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴾؛ أي: هم لإعراضِهم عنِ الإصغاءِ إلى القرآنِ كالصُّمِّ، والأصمُّ إذا ولَّى لا يَفهمُ بالسَّماعِ[1] ولا بالرَّمزِ والإشارةِ.

***

(٨١) ـ ﴿ وَمَآ أَنتَ بِهَـٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَـٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴾.

﴿ وَمَآ أَنتَ بِهَـٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَـٰلَتِهِمْ ﴾؛ أي: هم كالعُمي، وما في وُسْعِكَ إدخالُ الهدى في قلوبِ مَن عَمِيَ عن الحقِّ ولـم ينظُرْ إليه بعينِ قلبِه.

﴿ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴾ لا يقبلُه إلَّا مَن آمنَ بآياتنا وتركَ العِنادَ.

وقيل: لا تُسمِعُ إلَّا مَن يَطلبُ الحقَّ بالنَّظرِ في آياتِنا.

***

(٨٢) ـ ﴿ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾.

﴿ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ ﴾: وجَبَ السُّخطُ والغَضبُ.

وقيل: إذا تركُوا الأمرَ بالمعروفِ والنَّهيَ عن المُنكرِ.

---

(١) في (ف): «بالسمع».

وقيل: إذا حقَّ القولُ عليهم أنَّهم لا يُؤمنون.

وقيل: إذا قرُبَ كونُ السّاعةِ.

وقيل: القولُ الواقعُ قولُه: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ الآية [الأنعام: ١٥٨].

وقيل: هو قولُه: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ [السجدة: ١٣].

﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾: عَلَمًا من أعلامِ السّاعةِ وشرطًا من أشراطِها.

﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ منَ الكلامِ، وقيل: تُفَعِّلُ منَ الكَلْمِ، يُقوِّيه قراءةُ مَن قرأ: (تَكْلِمُهُم)[1].

﴿أَنَّ ٱلنَّاسَ﴾: لأنَّ النَّاسَ ﴿كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: بمحمَّدٍ ﷺ والقرآنِ.

وقيل: بكتُبِنا.

وقيل: بأدِلَّتِنا.

﴿لَا يُوقِنُونَ﴾: لا يُؤمنون إيمانَ عالمٍ مُستدلٍّ.

ومَن جعلَه منَ الكلامِ جازَ أن يكون ﴿أَنَّ ٱلنَّاسَ﴾ مفعولَ الكلامِ؛ أي: تُخاطبُهم بهذا.

وقيل: تُخاطبُهم فتقولُ للمؤمنِ: هذا مؤمنٌ، وللكافرِ: هذا كافرٌ.

ومَن كسرَ ﴿إنَّ﴾[2] فعلى الاستئنافِ، أو على إضمارِ القولِ، أو يُنزِّلُ الكلامُ منزلةَ القولِ؛ لأنَّ كلَّ كلامٍ قولٌ، وليس كلُّ قولٍ كلامًا.

واختلفَ المُفسِّرون في شكلِ دابَّةِ الأرضِ، وفي موضعِ خروجِها؛ فرُوِيَ عن

(١) نسبت لابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وسعيد بن جبير وغيرهم. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ١٥١ ـ ١٥٢)، و«المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١١١)، و«المحتسب» (٢/ ١٤٤).

(٢) قرأ حمزة وعاصم والكسائي بفتح الهمزة، والباقون بكسرها. انظر: «السبعة» (ص: ٤٨٦ ـ ٤٨٧)، و«التيسير» (ص: ١٦٩).

حُذيفةَ أنَّه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «دابَّةُ الأرضِ طولُـها ستُّونَ ذراعًا لا يُدرِكُها طالبٌ، ولا يفوتُها هاربٌ، تَسِمُ المؤمنَ بين عينَيه، وتكتبُ بين عينَيه: مؤمنٌ، وتَسِمُ الكافرَ بين عينَيه، وتكتبُ بين عينَيه: كافرٌ، ومعها عصا موسى، وخاتمُ سليمان، فتجلُو وجهَ المؤمنِ بالعصا، وتخطِمُ أنفَ الكافرِ بالخاتمِ، حتَّى إنَ أهلَ الخِوانِ ليجتَمعونَ فيقولُ هذا: يا مؤمنُ، ويقولُ هذا: يا كافرُ»[1].

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: تخرُجُ من بين أوديةِ تهامةَ[2].

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٠/ ٣٢٨)، وفي إسناده من لم أقف لهم على ترجمة.

وقوله: «لا يُدرِكُها طالبٌ، ولا يفوتُها هاربٌ، تَسِمُ المؤمنَ بين عينَيه، وتكتبُ بين عينَيه مؤمنٌ، وتَسِمُ الكافرَ بين عينَيه، وتكتبُ بين عينَيه كافرٌ» رواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ١٢٤)، ومن طريقه الثعلبي في «تفسيره» (٢٠/ ٣٣٨)، من حديث حذيفة مرفوعاً أيضاً، وقال ابن كثير عند تفسير هذه الآية: «إسناده لا يصح».

ورواه بنحوه أيضاً الطيالسي في «مسنده» (١٠٦٩)، ومن طريقه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٢٣)، عن أبي سريحة حذيفة بن أسيد رضي الله عنه مرفوعاً. وللحديث عندهما إسنادان: الأول فيه إبهام الراوي عن حذيفة، والثاني فيه طلحة بن عمرو وهو متروك. ورواه بالإسناد الثاني الطبراني في «الكبير» (٣٠٣٥)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٠/ ٣٢٥ ـ ٣٢٦)، والحاكم في «المستدرك» (٨٤٩٠) وقال: «صحيح الإسناد»! وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٧): «فيه طلحة بن عمرو وهو متروك».

ورواه عبد الرزاق في «التفسير» (٢١٧٥)، ونعيم في «الفتن» (١٨٦٨)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٥/ ٣٩١)، والفاكهي في «أخبار مكة» (٢٣٤٤)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ١٢٢ ـ ١٢٣)، والحاكم في «المستدرك» (٨٤٩١) وصححه، من طريق أبي الطفيل عن حذيفة رضي الله عنه موقوفاً. ووقع عند عبد الرزاق: حذيفة بن اليمان، وعند الفاكهي والطبري: حذيفة بن أسيد، وفي باقي المصادر: حذيفة، دون تعيين. وأبو الطفيل هو عامر بن واثلة يروي عن حذيفة بن اليمان وعن حذيفة بن أسيد، كما في «تهذيب الكمال» (١٤/ ٧٩ ـ ٨٠).

(٢) رواه يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٥٦٥)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢١٧٦)، ونعيم بن حماد =

ابنُ مسعودٍ رضي الله عنهما: تخرجُ من[1] بين الصَّفا والمروةِ[2].

وسُئِلَ عليُّ بنُ طالبٍ رضي الله عنه عن الدَّابَّةِ فقال: والله ما لها ذَنَبٌ، وإن لها لَلِحْيةً[3]، كأنَّه أشارَ إلى أنَّها منَ الإنسِ.

غيرُه: هي دابَّةٌ من دوابِّ الأرضِ.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: لها زغبٌ وريشٌ وأربعُ قوائمَ[4].

ورُوِيَ عن أبي الزُّبيرِ[5]: إنَّها دابَّةٌ رأسُها رأسُ ثورٍ، وعينُها عينُ خنزيرٍ، وأذُنُها أذُنُ فيلٍ، وقَرنُها قَرنُ أيَّلٍ، وعنقُها عنُقُ نعامةٍ، وصدرُها صدرُ أسدٍ، ولونُها لونُ نمرٍ، وخاصِرتُها خاصِرةُ هرَّةٍ، وذنَبُها ذَنَبُ كبشٍ، وقوائمُها قوائمُ بعيرٍ، بين كلِّ مَفصِلَين اثنا عشر ذراعًا، تخرُجُ ومعها عصا موسى، وخاتمُ سليمان، فتنكتُ في مسجدِ المؤمنِ بعصا موسى نُكتةً بيضاءَ فيبيضُّ وجهُه، وتنكتُ في وجهِ الكافرِ بخاتمِ سليمانَ نُكتةً سوداءَ فيسودُّ وجهُه، وهذا حينَ يُغلَقُ بابُ التَّوبةِ، ثمَّ لا ينفعُ نفسًا إيمانُها لـم تكُنْ آمنَتْ من قبلُ[6].

= في «الفتن» (١٨٦٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٢٥).

(١) «من»: ليس في (ف).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٢٢٧). ورواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ١٢٤)، ومن طريقه الثعلبي في «تفسيره» (٢٠/ ٣٣٨)، من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه مرفوعاً، وإسناده لا يصح كما تقدم قريباً.

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٢٤)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٢٢٦).

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢١٧٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٢٤)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٥٨)، واستغربه.

(٥) في النسختين: «عن ابن الزبير رضي الله عنهما»، والتصويب من مصادر التخريج.

(٦) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٢٤)، والسمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٥٩٣)، والثعلبي في =

وَهْبٌ: وجهُها وجهُ رجُلٍ، وسائرُ خلقِها خلقُ الطَّيرِ، فتُخبِرُ مَن رآها أنَّ أهلَ مكّةَ كانوا بمحمَّدٍ والقرآنِ لا يُؤمنون(١).

وقيل: على صورةِ فرسٍ.

وقيل: تخرجُ من أجيادَ، موضعٌ منَ الصَّفا.

وقيل: من بحرِ سَدُومَ، حكاه الماورديُّ(٢).

* * *

(٨٣) ـ ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾؛ أي: نجمعُ من كلِّ أمَّةٍ منَ الأممِ زُمرةً ﴿مِّمَّن يُكَذِّبُ﴾ (مِن) للتَّبيينِ ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾: بالعذابِ وبالدَّلائلِ(٣).

﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ يُحبَسُ أوَّلُهم على آخرِهم ليتَلاحقُوا، وقد سبقَ، وهذا كقولِه: ﴿لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا﴾ [مريم: ٦٩].

وقيل: نحشرُ(٤) الكلَّ، وخُصَّ المُكذِّبون بالذِّكرِ لأنَّه سبحانَه أرادَ وصفَ حالِهم.

= «تفسيره» (٢٠/ ٣٣٠)، جميعهم من رواية ابن جريج عن أبي الزبير، ورواه عن أبي الزبير أيضاً ابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٦/ ٣٨٣)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٥٨)، وعدَّه من العجائب.

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٠/ ٣٤١)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٥٨)، واستغربه.

(٢) انظر: «النكت والعيون» (٤/ ٢٢٧) عن ابن منبه، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٢٥) عن وهب بن منبه، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٥٨)، وعدَّه من العجائب.

(٣) في (ف): «والدلائل».

(٤) في (ف): «يحشر».

والحشرُ: جمعٌ على عُنفٍ.

وقيل: ﴿كُلِّ أُمَّةٍ﴾ أهلِ دينٍ.

وقيل: أهلِ كلِّ زمانٍ.

* * *

(٨٤) ـ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِي وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو﴾؛ أي: جاؤوا إلى المحشرِ ﴿قَالَ﴾ الله لهم: ﴿أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِي وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ في معناه قولان:

أحدُهما: أنَّه نفيٌ للعلمِ، وتقديرُه: أكذَّبتُم بآياتي ولـم تعرِفُوها حقَّ معرفتِها أم ماذا كنتم تعملون حينَ لـم تتفكروا فيها؟ فهو تبكيتٌ وتقريعٌ.

والثّاني: إثباتٌ للعلمِ، وألِفُ الاستفهامِ مُؤخَّرٌ في التَّقديرِ؛ أي: كذَّبتُم بآياتي أوَلـم تُحيطوا بها علمًا؟ فيكونُ كقولِه: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، فالاستفهامُ واقعٌ على الانقلابِ لا على الموتِ، ويُقوِّيه ما بعدَه: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ [النمل: ٨٦]، حكاه القفَّالُ[١].

وقيل: الآياتُ هاهنا: آياتُ السّاعةِ.

وقيل: القرآنُ والأدلّةُ، على ما سبق.

* * *

(٨٥) ـ ﴿وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ﴾.

﴿وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم﴾: حلَّ العذابُ بهم ﴿بِمَا ظَلَمُوا۟﴾: بسببِ كُفرِهم.

﴿فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ﴾ باحتجاجٍ ولا اعتذارٍ ولا استنصارٍ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٥٨)، واستغربه.

وقيل: لا ينطِقون بحُجَّةٍ.

ابنُ بحرٍ: ﴿وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم﴾: لزِمَتْهم حجَّةُ الله ﴿فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ﴾ فلم يجدوا جوابًا[1].

***

(٨٦) ـ ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ﴾ بالنَّومِ والقَرارِ والإمساكِ عن كدِّ الاكتسابِ، ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾: مُضيئًا للتَّصرُّفِ والمعاشِ.

وقيل: يُبصِّرهُم إلى معاشِهم.

وقيل: يُبصَرُ فيه؛ كقولِـهم: ليلٌ نائمٌ، ويومٌ صائمٌ، وسرٌّ كاتم.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

***

(٨٧) ـ ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾.

﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ ينفخُ فيه إسرافيلُ عليه السَّلامُ، وهو قَرْنٌ.

وقيل: جمعُ صورةٍ، كصُوفةٍ وصُوفٍ؛ أي: تُنفَخُ الأرواحُ في الأجسادِ[2].

وقيل: هو مثَلٌ ضربَه الله لإحياءِ الموتَى في وقتٍ واحدٍ؛ لخروجِهم فيه كخروجِ الجيشِ إذا أُنذِروا بنفخِ البوقِ فاجتمَعُوا لوقتٍ واحدٍ[3].

والجمهورُ على الأوَّلِ، وهو المُعتَقَدُ.

---

(١) في (ف): «جوابه».

(٢) في (ف): «الأجسام». ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٥٩)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٥٩)، وعدَّه من العجائب.

﴿فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ قيل: هي النَّفخةُ الأولى، فيكونُ معنى (فَزِعَ): ماتَ، ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ هم الشُّهداءُ.

وقيل: هي النَّفخةُ الثَّانيةُ، فيكون (فَزِعَ) بمعنى: خافَ، ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾: الملائكةُ، والأنبياءُ، والشُّهداءُ.

وقيل: هم المؤمنون لقولِه: ﴿وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾ [النمل: ٨٩].

وقيل: ﴿فَزِعَ﴾ بمعنى: أجابَ وأسرعَ إلى النِّداءِ[1].

وإنَّما عُطِفَ الماضي على المُستقبلِ لأنَّ اليومَ محمولٌ على معنى (إذا)[2]، تقولُ: إذا زُرتَني زُرتُكَ، وإذا زُرتَني أزورُكَ.

والعامل في اليوم (اذكُرْ) عندَ المُبرِّدِ، فيكونُ مفعولًا به، ويكونُ ﴿فَزِعَ﴾ بمعنى المُستقبلِ، كقولِه: ﴿نادَى أَصْحابُ الْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٤٤][3].

وقيل: تقديرُه: يومَ يُنفَخُ في الصُّورِ ففزعَ مَن في السَّماواتِ قامتِ القيامةُ.

وقيل: ذلك يومَ يُنفَخُ[4]، فيكونُ إشارةً إلى ما تقدَّمَ من خروجِ الدَّابَّةِ.

وقيل: العاملُ ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾ [القصص: ٨٩][5].

﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾: صاغِرين. وقيل: راغِمين.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٥٩)، واستغربه.

(٢) يعني: لأن «يَوْمَ يُنْفَخُ» محمول على معنى: إذا نفخ. قاله المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٥٩)، وزاد: وكذلك ما قبله: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ﴾، ولهذا دخل الفاء في قوله: ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾.

(٣) ذكره بلا نسبة النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ١٥٢).

(٤) هذا قول الفراء في «معاني القرآن» (٢/ ٣٠١).

(٥) والتقدير: ومن جاء بالحسنة يومَ ينفخ في الصور... فله خير منها... فالكلام فيه تقديم وتأخير على هذا، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٥٩)، واستغربه.

(٨٨) ـ ﴿وَتَرَى ٱلۡجِبَالَ تَحۡسَبُهَا جَامِدَةٗ وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرُۢ بِمَا تَفۡعَلُونَ﴾.

﴿وَتَرَى ٱلۡجِبَالَ﴾ بحاسَّةِ بصرِكَ ﴿تَحۡسَبُهَا جَامِدَةٗ﴾: واقفةً مُمسِكةً عن الحركةِ جمودَ الماءِ، ﴿تَحۡسَبُهَا﴾ حالٌ منَ المُخاطَبِ، أو منَ الجبالِ.

﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ في السُّرعةِ.

وقيل: تسيرُ سيرًا وسطًا، من قولِ الأعشى:

كأنَّ مِشْيَتَها مِن بيتِ جارتِها ... مَرُّ السَّحابةِ لا رَيْثٌ ولا عَجَلُ[1]

وقيل: تجتمِعُ وتسيرُ بكثرتِها، فهي جامدةٌ في رأيِ العينِ، وتسيرُ سيرَ السَّحابِ؛ كالجيشِ إذا بعُدَ ما بينَ طرفَيه.

وقيل: يحسبُها الرَّائي لحيرتِه من هولِ ذلك اليومِ واقفةً، وهي سائرةٌ.

وقيل: تحسبُها جامدةً في الدُّنيا، وهي تمرُّ في الآخرةِ مرَّ السَّحابِ.

﴿صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍ﴾؛ أي: صَنَعَ اللهُ ذلك صُنعَه، فهو نصبٌ على المصدرِ، ودلَّ على (صنَعَ) ما قبلَه.

ومعنى ﴿أَتۡقَنَ﴾: أحكَمَ خلقَه، وهو مُشتقٌّ من قولِ العربِ: تقَّنُوا أرضَهم؛ إذا أرسلُوا فيها الماءَ الخاثرَ لتجودَ[2]، والتِّقْنُ: رسابةُ الماءِ في الغَديرِ، وهو الذي يَجيءُ به الماءُ منَ الخُثُورةِ.

﴿إِنَّهُۥ خَبِيرُۢ بِمَا تَفۡعَلُونَ﴾.

* * *

(١) البيت من معلقة الأعشى. انظر: «ديوان الأعشى» (ص: ٥٥).

(٢) في (ف): «فتجود».

(٨٩) ـ ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾.

﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾: بالطَّاعةِ ﴿فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ بالواحدِ عشرٌ، وبالواحدِ سبعُ مئةٍ، من قولِه: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ﴾ الآية [البقرة: ٢٦١].

وقيل: خيرٌ منها: الجنَّةُ.

والجمهورُ على أنَّ الحسنةَ هاهنا: لا إلهَ إلا اللهُ، ويكونُ تقديرُ قولِه: ﴿مِّنْهَا﴾: من جهتِها وسببِها.

ورُوِيَ عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما أنَّه قال: فله منها خيرٌ[1].

وقيل: على هذا الوجهِ يُمكِنُ حملُه على التَّفضيلِ أيضًا؛ أي: فله خيرٌ منَ القولِ والذِّكرِ لا منَ المذكورِ والمقولِ.

﴿وَهُم مِّن فزعٍ يومئذٍ ءَامِنُونَ﴾؛ أي: من فزَعِ يومِ القيامةِ، ومَن نوَّنَ[2] جعلَ الفزَعَ للجنسِ، وجاز لأنَّ المصدرَ للعمومِ.

***

(٩٠) ـ ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾: بالشِّركِ ﴿فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ﴾؛ أي: يدخلُ النَّارَ فيُكبُّ فيها على وجهِه، ويُقالُ لهم: ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

وقيل: هو خطابٌ منَ الله للكفَّارِ في الدُّنيا؛ أي: إذا فُعِلَ بكم ما ذُكِرَ من إدخالِ النَّارِ والكبِّ على الوجوهِ فيها هل أكونُ ظالمًا لكم؟

---

(١) رواه بهذا اللفظ ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٣٥)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ١٤٣) بلفظ: « ﴿فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾: فمنها وصل إليه الخير؛ يعني ابن عباس بذلك: من الحسنة وصل إلى الذي جاء بها الخير»، ورواه الطبراني في «الدعاء» (١٥٠٥) بلفظ: «من جاء بلا إله إلا الله فمنها يصل إليه الخير».

(٢) قرأ عاصم وحمزة والكسائي بالتنوين، والباقون بغير تنوين. انظر: «السبعة» (ص: ٤٨٧)، و«التيسير» (ص: ١٧٠).

(٩١) ـ ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾.

﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ﴾ قُل للعربِ يا محمَّدُ: إنَّما أمرَني الله أن أعبُدَ ربَّ هذه البلدةِ؛ أي: مالكَها، وهي مكّةُ التي تفتخرُ بها العربُ، ويُسمَّون بسببها[1]: سُكَّانَ حرمِ الله.

﴿ٱلَّذِى حَرَّمَهَا﴾: جعلَه حرَمًا آمنًا يأمنُ فيها السِّباعُ والوحوشُ، فلا يَعْدُو الكلبُ فيها على الغزالِ، ولا ينفرُ منه الغزالُ، ويكفُّ النَّاسُ عن أهلِها وعمَّن لاذَ بها.

وقيل: ﴿حَرَّمَهَا﴾: عظَّمَ حُرمتَها من أن يُسفَكَ بها دمٌ، أو يُظلَمَ بها أحدٌ، أو يُصطادَ صيدُها، أو يُختَلى خَلاها، فاعبُدوه أنتم؛ ففيه عِزُّكُم وشرفُكُم.

﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ﴾: ولربِّ هذه البلدةِ كلُّ شيءٍ مع هذه البلدةِ؛ فإنَّه مالكُ الدُّنيا والآخرةِ وربُّ العالمين كلِّهم.

﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾: وأمَرَني ربِّي بأنْ[2] أكونَ مُسلمًا على دينِ إبراهيمَ مُنقادًا لأمرِه.

* * *

(٩٢) ـ ﴿وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾.

﴿وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ﴾: وأمرَني أن أتلُوَ القرآنَ لأعرفَ الحلالَ منَ الحرامِ، وما ينبَغي لي أن أعبُدَ غيرَ الله به.

---

(١) في (ن): «لسكانها»، والمثبت من (ف) وهامش (ن).

(٢) في (ف): «أن».

﴿فَمَنِ اهْتَدَىٰ﴾: فمَن سلَكَ طريقي فأصابَ الحقَّ والهدى ﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾ لأنَّه إياها ينفعُ وإياها يُورِدُ الجنانَ ﴿وَمَن ضَلَّ﴾ عن طريقي ﴿فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾؛ أي: فليس عليَّ إلّا الإنذارُ، وليس عليَّ إكراهُه، ولا إليَّ إنزالُ العذابِ به.

***

(٩٣) ـ ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ الذي وفَّقَنا لمرضاتِه ﴿سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ يومَ بدرٍ، وانشقاقَ القمرِ.

وقيل: خروجَ الدَّابَّةِ ولو بعد حينٍ.

وقيل: ﴿آيَاتِهِ﴾ في القيامةِ.

﴿فَتَعْرِفُونَهَا﴾: فيتحقَّقُ عندَكم ما كنتُم كذَّبتُم به.

﴿وما رَبُّكَ بِغافِلٍ عَمّا يَعْمَلُونَ﴾؛ يعني: الكفَّار، فيكونَ تأخيرُ العذابِ عنهم لغفلتِه عن أعمالِهم، ومَن قرأ بالتَّاءِ[1] فلمُوافقةِ ما قبلَه منَ الخطابِ.

***

(١) هي قراءة نافع وابن عامر وحفص، والباقون بالياء. انظر: «السبعة» (ص: ٤٨٨)، و«التيسير» (ص: ١٢٦).

سُورَةُ القَصَصِ

سُورَةُ القَصَصِ

ثمانٍ وثمانونَ آيةً[1]، مكيّةٌ.

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: مكيّةٌ إلا آيةً نزلت بالجُحْفةِ قبل الهجرةِ، وهي ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ الآية [القصص: ٨٥][2].

مُقاتلٌ: مكيّةٌ إلا قولَه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾ إلى قولِه: ﴿ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٢ ـ ٥٥] فإنّها نزلت بالمدينةِ[3].

---

(١) «ثمان وثمانون آية»: ليس في (ف).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢٦٧) من طريق مقاتل قال: قال الضحاك: قال ابن عباس: «إنّما نزلت بالجحفة ليس بمكة ولا المدينة»، وهذا منقطع، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٢٣٣)، والواحدي في «البسيط» (١٧/ ٤٧٤).

ووردت فيه أخبار أخرى وهي منقطعة أيضاً، منها ما رواه يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٦١٣) قال: «بَلَغني أنَّ النّبيَّ ﷺ وهو مُوَجِّهٌ من مكة إلى المدينة حين هاجَرَ نَزَل عليه جبريلُ وهو بالجحْفَةِ فقال: أتشتاقُ يا محمدُ إلى بلادك التي وُلِدْتَ بها؟ فقال: نَعم، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥] إلى مولدِكَ الذي خرجْتَ منه ظاهِرًا على أهلِه». وهكذا رواه الداني في «البيان في عد آي القرآن» (ص: ٢٠١) عن يحيى، وكذا ذكره مقاتل في «تفسيره» (٣/ ٣٥٩) دون سند أيضاً. وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٢٦) من طريق مقاتل عن الضحاك قال: «لَمَّا خَرَج النَّبيُّ ﷺ مِن مكة فبلغ الجُحْفَةَ اشتاق إلى مكة، فأَنزَل اللهُ تباركَ وتعالى عليه القرآنَ: ﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾: إلى مكةَ».

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٣٣٤).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١ - ٣) - ﴿طسٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرۡعَوۡنَ بِٱلۡحَقِّ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾.

﴿طسٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ﴾: نقرأُ عليك؛ أي: يقرؤُه جبريلُ بأمرِنا. وقيل: نقُصُّ عليك.

﴿مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرۡعَوۡنَ﴾: بعضَ أخبارِهما ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾: بالصِّدقِ الذي لا يجوزُ فيه الكذبُ، وقيل: بأخبارٍ صحيحةٍ.

﴿لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ لينتفعوا به.

وقيل: يجوزُ أن يكونَ ﴿لِقَوۡمٖ﴾ من صلةِ الحقِّ؛ أي: بالحقِّ لهؤلاءِ؛ أي: ليكونَ لهم حقًّا وصِدْقًا يُؤمنونَ به.

* * *

(٤) - ﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾.

﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: علا في زمانِه في أرضِ مصرَ.

وقيل: العربُ تُسمِّي مصرَ الأرضَ، وبعضَ نواحيها الصَّعيدَ[١]؛ أي: صار فيها عاليًا رفيعَ القدرِ غالبًا لمن تحتَ يدِه.

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: معنى ﴿عَلَا﴾: استكبرَ[٢].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٦١)، واستغربه.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٠/ ٣٧٤).

السُّدِّيُّ: تجبَّرَ[1].

قتادةُ: بغَى[2].

مُقاتلٌ: تعظَّمَ[3].

الزَّجَّاجُ: طغى وغلَبَ[4].

وقيل: عظُمَ أمرُه بكثرةِ مَن أطاعَه.

﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا﴾: وصَيَّرَ أهلَ مصرَ ﴿شِيَعًا﴾: فِرَقًا؛ يُكرِمُ طائفةً ويُذِلُّ أخرى، ويستحيي طائفةً ويذبحُ أخرى، فيكونُ القِبْطُ إحدى الشِّيعةِ، وهم شيعةُ الكرامةِ.

ويجوزُ أن يكونَ ذلك على بني إسرائيلَ: قد كان يُكرِمُ قومًا منهم ويُذِلُّ الآخَرين[5].

ويجوزُ أن يكون قولُه: ﴿يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ﴾ هم بنو إسرائيلَ ﴿يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ﴾ فيكونُ ﴿يَسْتَضْعِفُ﴾ و﴿يُذَبِّحُ﴾ و﴿يَسْتَحْيِي﴾ حالًا، و﴿يُذَبِّحُ﴾ و﴿يَسْتَحْيِي﴾ تفسيرٌ لقولِه: ﴿يَسْتَضْعِفُ﴾.

ومعنى ﴿يَسْتَحْيِي﴾: يتركُ البناتِ أحياءً للخدمةِ.

وقيل: كان يقتُلُ سنةً ويستَحيِي سنةً، فوُلِدَ هارونُ في سنةِ الاستحياءِ وموسى في سنةِ الذَّبحِ.

وقيل: معنى ﴿يَسْتَحْيِي﴾: يُفتِّشُ حياءَ المرأةِ باستخراجِ الولدِ الذَّكرِ منها، وهو بعيدٌ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ١٥٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٣٨).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ١٥٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٣٩).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٣٣٥).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ١٣١)، وليس فيه: «وغلب».

(٥) في (ف): «الأخرى».

﴿إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ في الأرضِ بالكفرِ والقتلِ واستعبادِ الأحرارِ.

***

(٥) - ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾.

﴿وَنُرِيدُ﴾ إنَّما ذُكِرَ بلفظِ المُستقبلِ عطفًا على ﴿يَسْتَضْعِفُ﴾ وما بعدَه، وهي حالٌ؛ أي: حالُ فرعونَ كذا وحالُنا كذا.

﴿أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: نتفضَّلَ على مَن استضعفَهم فرعونُ، وهم بنو إسرائيلَ.

الماورديُّ: هم يوسفُ وولدُه، قال: وهو قولُ عليٍّ بن أبي طالب كرَّمَ اللهُ وجهَه[1].

﴿وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً﴾: أنبياءَ، وكان بين موسى وعيسى ألفُ نبيٍّ من بَني إسرائيلَ.

وقيل: قادةً في الخيرِ، ودُعاةً في الدِّينِ.

وقيل: وُلاةَ الأمرِ.

﴿وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ لمصرَ وأموالِها بعد فرعونَ وأهلِه؛ كما قال في الأُخرى: ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ﴾ الآيات [الدخان: ٢٥-٢٨].

***

(٦) - ﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ﴾.

﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: نجعلَهم مُقتدرين في مصرَ والشَّامِ وما ملكتْه بنو إسرائيلَ منَ البلادِ.

---

(١) انظر: «النكت والعيون» للماوردي (٤/ ٢٣٤)، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٤١)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٦١)، واستغربه.

﴿وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم﴾: من بني إسرائيلَ ﴿مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ﴾ من سلبِهم ملكَهم، واستيلائِهم على بلادِهم، على ما كانت كَهَنتُهم ومُنجِّمُوهُم يُخبِرونَهم به، حتَّى دَعاهم ذلك إلى قتلِ أبنائِهم.

الزَّجَّاجُ: عجبًا من حمقِ فرعونَ في قتلِه بني إسرائيلَ؛ إنْ كان الكاهنُ صادقًا فما ينفعُه القتلُ، وإنْ كان كاذبًا فما معنى القتلِ[1]؟

قُرِئَ ﴿وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ﴾ عطفًا على ﴿نَّمُنَّ﴾.

وقُرِئَ ﴿ويَرى﴾ بالياءِ، و﴿فرعونُ﴾ بالرَّفعِ[2]، فهو نصبٌ أيضًا بالعطفِ، ويحتمِلُ الاستئنافَ.

وإنَّما رأوا ذلك حين ادَّارَكَهم أماراتُ الغرقِ وأسبابُه، وتحقَّقوا أنَّهم قد غُلِبوا، وأنَّ بني إسرائيلَ قد ملكوا مُلكَهم، وليس يحتاجُ إلى تطاولِ المدّةِ في هذه الرُّؤيةِ.

***

(٧) - ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾ النقَّاشُ: اسمُها يُوخايذ من ولدِ لاوي بنِ يعقوبَ[3].

قيل: وحيَ إلهامٍ، وقيل: وحيَ رُؤيا، وقيل: أتاها ملَكٌ كما أتى مريمَ حيثُ قال: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ﴾ [آل عمران: ٤٢].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ١٣٢).

(٢) قرأ بها حمزة والكسائي، والباقون بالنُّون مضمومة وكسر الراء وفتح الياء بعدها ونصب الأسماء الثلاثة. انظر: «السبعة» (ص: ٤٩٢)، و«التيسير» (ص: ١٧٠).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٠/ ٣٧٩)، والجرجاني في «درج الدرر» (٢/ ٤١٨)، وجاء في «تفسير مقاتل» (٣/ ٣٣٦): «يوكابد».

قيل: كان الوحيُ قبل الولادةِ، وقيل: بعدَها، وهو الأظهرُ.

﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾: اسقيه اللَّبنَ ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ﴾ أن يُفطَنَ به[1] ويسمعَ الجيرانُ صوتَه، وقيل: ﴿خِفْتِ عَلَيْهِ﴾ القتلَ من جهةِ فرعونَ.

وقيل: أوحى الله إليها أن أرضِعيه كلَّ يومٍ مرَّةً وكلَّ ليلةٍ مرَّةً، فإذا بلغَ أشهُرًا وخِفْتِ عليه أن يطلُبَ أكثرَ ويبكيَ فيُفْطَنَ به لبُكائِه ﴿فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾: النِّيلِ، فلمَّا ولدَتْه جعلَتْه في بستانٍ، وكانت تأتيه مرَّةً بالنَّهارِ ومرَّةً باللَّيلِ فتُرضِعُه ويكفيه ذلك، فأرضعَتْه ثمانيةَ أشهرٍ. وقيل: أربعةَ أشهرٍ. وقيل: ثلاثةَ أشهرٍ. فألقَتْه في النِّيلِ.

﴿وَلَا تَخَافِي﴾ عليه الضَّيعةَ والهلاكَ ﴿وَلَا تَحْزَنِي﴾ لفِراقِه ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ﴾ بوجهٍ لطيفٍ، ﴿وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾؛ أي: يبلُغُ مبلغَ النُّبوَّةِ فيكونُ منَ المُرسلين.

وفي هذه الآيةِ أمرانِ ونهيانِ وخبرانِ وبشارتانِ.

***

(٨) ـ ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾.

﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ﴾؛ أي: فأرضعَتْه وألقَتْه في اليمِّ بعد ما خافَتْ عليه على الصِّفةِ التي أُمِرَتْ بها في قولِه: ﴿أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ [طه: ٣٩]، فجاءَتْ إلى النَّجَّارِ وأمرَتْ أن يَجعلَ لها تابوتًا طولُه خمسةُ أشبارٍ في عرضِ خمسةٍ، فعلمَ النَّجَّارُ بذلك، فجاء إلى المُوكلِ بذبحِ البنينَ، فاعتُقِلَ لسانُه فرجعَ، ثمَّ عادَ مرَّاتٍ، فعلمَ أنَّه منَ الله فأقبلَ على النَّجْرِ.

وقيل: لمَّا فرغَ من صنعةِ التَّابوتِ نمَّ إلى فرعونَ ليُخبِرَه، فبعثَ معه مَن يأخذُه،

(١) في (ف): «له».

فطمَسَ الله على عينَيه وقلبِه فلم يعرفِ الطَّريقَ، وأيقنَ أنَّه المولودُ الذي يخافُه فرعونُ، فآمنَ في الوقتِ، وهو مؤمنُ آلِ فرعونَ، واسمُه خربيلُ.

ومعنى (الْتَقَطه): وجدَه من غيرِ طلبٍ، تقولُ: لقيتُ فُلانًا الْتِقاطًا؛ إذا وردتَ عليه من غيرِ قصدٍ إليه، وقال الشَّاعرُ:

ومَنْهَلٍ وَرَدْتُه التِقاطا
لم ألقَ إذ وَرَدتُه فُرَّاطا
إلّا الحمامَ الوُرْقَ والغَطاطا[1]

﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا﴾ لمُخالفةِ دينِهم ﴿وَحَزَنًا﴾ لزوالِ مُلكِهم، والحُزْنُ والحَزَنُ لغتانِ[2] كالبُخْلِ والبَخَلِ.

وقيل: بالضَّمِّ اسمٌ، وبالفتحِ مصدرٌ.

أجمعَ المُفسِّرون على أنَّ اللامَ هاهنا لامُ العاقبةِ والصَّيرورةِ لا لامُ العِلَّةِ، وأنشدوا:

لهُ مَلَكٌ يُنادي كلَّ يومٍ لِدُوا للموتِ وابنوا للخرابِ[3]

---

(١) ورد هذا الرجز بلا نسبة في: «العين» (٥/ ١٠١)، و«الكتاب» لسيبويه (١/ ٣٧١)، و«نوادر أبي مسحل» (ص/ ١٨)، و«إصلاح المنطق» (ص: ٥٧)، ونسب للعجاج في «الجليس الصالح» (ص: ٦٣١)، ونسب لرؤبة في «الإبانة» (٤/ ٢٠٩)، ونسب لنقادة الأسدي في «العباب» (١/ ٢٩٤)، و«لسان العرب» (٧/ ٣٦٧).

(٢) قرأ حمزة والكسائي: ﴿وحُزْنًا﴾ بضم الحاء وسكون الزاي، والباقون بفتح الحاء والزاي. انظر: «السبعة» (ص: ٤٩٢)، و«التيسير» (ص: ١٧١).

(٣) هو في الديوان المنسوب لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه. انظر: «الخزانة» للبغدادي (٩/ ٥٣١).

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ﴾: آثِمين بكُفرِهم؛ أي: فجعلَ الله لهم موسى ﴿عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ لذلك.

المُبرِّدُ: أي: مُخطِئين على أنفُسِهم بالتقاطِه[1].

وذُكِرَ في التَّفسيرِ أنَّه الْتقطَه جواري فرعونَ.

وقيل: التقَطَه بنتٌ لفرعونِ برصاءُ فبرِئَتْ في الحالِ.

وقيل: البَرْصاءُ كانت امرأةَ فرعونَ فبرِئَتْ.

وقيل: كانوا خاطئين بقتلِ أولادِ بني إسرائيلَ.

وهبٌ: ذبحَ فرعونُ في طلبِ موسى سبعين ألفَ وليدٍ، حكاه الثَّعلبيُّ وغيرُه[2].

النقَّاشُ: جميعُ ما قتلَ فرعونُ من بني إسرائيلَ ستةَ عشرَ طفلًا[3]، والله أعلمُ بذلك.

* * *

(٩) ـ ﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ﴾؛ أي: قالت لفرعونَ: هذا الصَّبيُّ ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ﴾.

---

(١) وأجازه ابن الأنباري، وهو اختيار الزجاج، كما قال الواحدي في «البسيط» (١٢/ ٢٣٦)، وقد أشار إليه الزجاج في «معاني القرآن» (٣/ ١٢٨) عند قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا﴾ [يوسف: ٩٧]. وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٦٢) عن المبرد، وعده من العجائب.

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢٠/ ٣٨١)، وفيه: «تسعين ألف وليد».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٦٣)، واستغربه.

﴿لَا تَقْتُلُوهُ﴾ خاطبته بلفظِ الجمعِ. وقيل: تقديرُه: قل للشُّرَطِ: لا تقتُلوه ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾ في بعضِ أمورِنا وخدمتِنا ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ إنْ كان نجيبًا عاقلًا.

ورُوِيَ عن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما الوقفُ على قولِه: ﴿وَلَكَۖ لَا﴾[1]، وهو من حيثُ المعنى صحيحٌ؛ لأنَّ مآلَها كان إلى الإيمانِ والجنَّةِ، ومآلَ أمرِه إلى الغرقِ والنّارِ، ومن حيثُ الإعرابِ فاسدٌ غيرُ صحيحٍ؛ لأنَّه لا يُمكِنُ الابتداءُ بما بعدَه، ولم تكن امرأتُه تتجاسَرُ على مُواجهتِه بهذا الكلامِ، كيف وهي تستميلُ قلبَه على استبقائِه بقولِها: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾؟!

ورُوِيَ عن نافعٍ الوقفُ على قولِه: ﴿لِّي﴾ والابتداءُ بقولِه: ﴿وَلَكَۖ لَا تَقْتُلُوهُ﴾؛ أي: ولك أنْ لا تقتُلوه، أو: ولك أن تقولَ: لا تقتُلوه[2]، والوجهُ الوصلُ.

ورُوِيَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قالَ: «إنَّ فرعونَ قال: أمَّا أنا فلا حاجةَ لي فيه، ولو قال يومئذٍ: هو قرّةُ عينٍ لي كما هو لكِ؛ لَهداهُ الله كما هداها»[3].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٠٢)، وفيه: «وإنما ذكرت هذا لأني سمعت الذي يقال له ابن مروان السدي يذكر عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أنه قال: إنها قالت: ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَۖ لَا﴾ وهو لحن».

قلت: وهذا موضوع على الحبر، فمحمد بن مروان الملقب بالسدي الصغير كذاب، والكلبي متروك، وأبو صالح لم يسمع ابن عباس.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٦٣)، وضعّفه.

(٣) قطعة من حديث الفتون، وهو خبر طويل جدًّا رواه النسائي في «الكبرى» (١١٢٦٣)، وأبو يعلى في «مسنده» (٢٦١٨)، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وأورده بتمامه ابن كثير في «تفسيره» عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾ [طه: ٤٠] ثم قال: «وهو موقوف من كلام ابن عباس، وليس فيه مرفوع إلا قليل منه».

قلت: وهذه القطعة منه هي مما صرح ابن عباس برفعه في هذا الخبر، وكذا رواه مقتصراً على =

قولُه: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ قيل: هو من كلامِ امرأةِ فرعونَ؛ أي: نتَّخِذُه ولدًا وبنو إسرائيلَ لا يشعرون.

وقيل: والنَّاسُ لا يشعرون أنَّه لغيرِنا.

والجمهورُ على أنَّه استئنافُ كلامٍ منَ الله سبحانَه؛ أي: لا يشعرُ فرعونُ وقومُه أنَّ هلاكَهم على يدَيه.

وقيل: لا يشعرون أنَّه المطلوبُ للذَّبحِ.

***

(١٠) - ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا﴾ أَصْبَحَ؛ أي: صارَ وحصلَ.

وقيل: رمَتْه ليلًا، فأصبحَ فؤادُها فارغًا(١)، والوجهُ هو الأوَّلُ.

وفي قولِه: ﴿فَٰرِغًا﴾ أقوالٌ:

أحدُها: ﴿فَٰرِغًا﴾ من كلِّ شيءٍ إلا من ذكرِ موسى، وهو قولُ ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما(٢).

الأخفشُ: ﴿فَٰرِغًا﴾ لا حزنَ فيه ثقةً بوعدِ الله: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ﴾(٣).

= هذا الجزء مرفوعاً الطبري في «تفسيره» (١٨/ ١٦٤)، وكلهم رووه من طريق يزيد بن هارون، عن الأصبغ بن زيد، عن القاسم بن أبي أيوب، عن سعيد بن جُبَيْر، عن ابن عباس رضي الله عنهما. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٦٦): «رجاله رجال الصحيح غير الأصبغ بن زيد والقاسم بن أبي أيوب، وهما ثقتان».

(١) فالفعل على هذا تام، وعلى الأول ناقص، وهو الوجه الأظهر، كما قال المصنف.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ١٦٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٤٧).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٢٣٨)، وهو خلاف ما في «معاني القرآن» للأخفش =

ابنُ بحرٍ: فَراغُ القلبِ خوفُه، من قولِه: ﴿وَأَفۡـِٔدَتُهُمۡ هَوَآءٞ﴾ [إبراهيم: ٤٣]، ويُسمَّى الجبانُ يَراعةً؛ أي: لا قلبَ له[(١)].

وقيل: نافرًا.

وقيل: والِـهًا.

وقيل: ﴿فَٰرِغًا﴾ للحزنِ على موسى والاغتمامِ له.

الحسنُ: ﴿فَٰرِغًا﴾ من ذكرِ الوحيِ والعهدِ؛ أي: أنساها عظيمُ البلاءِ ذلك[(٢)].

﴿إِن كَادَتۡ لَتُبۡدِي بِهِۦ لَوۡلَآ أَن رَّبَطۡنَا عَلَىٰ قَلۡبِهَا﴾ وذلك أنَّها سمعَتْ أنَّ فرعونَ قد أخذَ التَّابوتَ فلم تشُكَّ أنَّه يقتُلُه، فكادَتْ تقولُ: وا إبناهُ شفقةً عليه.

وقيل: لمَّا سمعَتْ أنَّ فرعونَ اتَّخذَه ولدًا كرهَتْ وكادَتْ تقولُ: هو ابني.

وقيل: لمَّا حُمِلَتْ لإرضاعِه وحضانتِه كادَتْ تقولُ: هو ابني.

وقيل: تُبدي بالوَحْيِ. وقيل: بالبكاءِ.

وفي الباءِ قولان:

أحدُهما: زيادةٌ، والتَّقديرُ: تُبديه.

والثَّاني: أنَّ المفعولَ مُقدَّرٌ؛ أي: تُبدي القولَ به؛ بسببِ موسى.

﴿لَوۡلَآ أَن رَّبَطۡنَا عَلَىٰ قَلۡبِهَا﴾: قوَّيناها[(٣)] بالصبرِ واليقينِ.

= (٢/ ٤٦٩)، ففيه مثل ما سيأتي عن الحسن.

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٦٣)، واستغربه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ١٦٩) بلفظ: «أصبح فارغًا من العهد الذي عهدنا إليها، والوعد الذي وعدناها أن نرد عليها ابنها، فنسيت ذلك كله، حتى كادت أن تبدي به لولا أن ربطنا على قلبها»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٦٣)، واستغربه.

(٣) في (ف): «قويناه».

وقيل: بالإيمانِ والعصمةِ.

وقيل: ربطْنا على قلبِها بأن نُذكِّرها: ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ﴾.

وجوابُ ﴿لَوْلَآ﴾ محذوفٌ؛ أي: لأبدَتْه.

﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: فعلنا لتكونَ منَ المُؤمنينَ غيرَ شاكَّةٍ في وعدِ الله؛ فإنَّ ذلك كفرٌ. وقيل: منَ المُصدِّقين.

***

(١١) ـ ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ﴾: اتَّبعي أثرَه واستعلِمي خبرَه ﴿فَبَصُرَتْ بِهِۦ﴾ أي: قصَّتْه ﴿فَبَصُرَتْ بِهِۦ﴾: أبصرَتْه.

وقيل: صارت بصيرةً بموضعِه؛ لأنَّ (بصُرَ) لا يتعدَّى.

﴿عَن جُنُبٍ﴾: عن مكانٍ جُنُبٍ، صفةُ موصوفٍ محذوفٍ.

وقيل: عن جانبٍ؛ لأنَّها كانت تمشي على الشَّطِّ.

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أنَّها تقُصُّه[1].

وقيل: لا يشعرون أنَّها أختُه.

***

(١٢) ـ ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ﴾.

﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ﴾ معناه: مِن أن يرضَعَ إلَّا من أمِّه.

---

(١) في (ف): «تقص».

و﴿ٱلْمَرَاضِعَ﴾: جمعُ مَرضَعٍ بالفتح؛ أي: الرَّضاعَ.

وقيل: مُرضِعٍ بالكسرِ.

وقيل: مُرضِعةٍ، فيكونُ المضافُ محذوفًا؛ أي: لبنَ المراضعِ.

﴿مِن قَبْلُ﴾: من قبلِ إتيانِ الأختِ.

وقيل: مِن قَبْلِ أن تأتيَه أمُّه.

وقيل: ﴿مِن قَبْلُ﴾: في القضاءِ السَّابقِ.

وقيل: حرَّمْنا على المراضعِ أن يُرضِعْنَه، وذلك بأنْ لا يقبلَ إرضاعَهُنَّ، حكاه القفَّالُ[1].

﴿فَقَالَتْ﴾؛ أي: أختُ موسى: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ﴾: هل لكم حاجةٌ أن أدلَّكُم: أُرشِدَكم ﴿عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ﴾: يكفُلونَ موسى ﴿لَكُمْ﴾ من أجلِكم وسبَبِكم.

﴿وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ﴾ لا يُقصِّرون في تربيتِه وإرضاعِه في وقتِ حاجتِه إلى اللَّبنِ.

وذُكِرَ في بعضِ التَّفاسيرِ: أنَّ هامانَ لـمَّا سمعَها تقولُ: ﴿وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ﴾ قال: خُذوها حتَّى تُخبِرَ بقِصَّةِ هذا الغلامِ، فألهمَها الله فقالت: إنَّما ذكرتُ النَّصيحةَ لفرعونَ لا لغيرِه، فقال: صَدَقت[2].

فسألَها فرعونُ أن تأتيَ بمَن يكفُلُ موسى، فأتَتْ بأمِّ موسى، فلمَّا أرضعَتْه أمسكَ عن البكاءِ وارتَضَعَ منها.

وذُكِرَ في بعضِ التَّفاسيرِ: أنَّ فرعونَ قال لها: ما بالُه لم يقبَلْ لبنَ غيرِك وقبِلَ

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٦٤)، وعدَّه من العجائب.

(٢) ذكره إلى هنا المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٦٤)، واستغربه.

لبنَكِ؟ قالت: لأنِّي امرأةٌ طيِّبةُ الرِّيحِ طيِّبةُ اللَّبنِ لا أُوتَى بصبيٍّ إلا ارتضعَ منِّي، فسكتَ فرعونُ.

ثمَّ قالت لامرأةِ فرعونَ: إنْ طابَتْ نفسُكِ أن تُعطينيه فأذهبَ به إلى بيتي لا آلُوه خيرًا فعلتِ، وإلا فإنِّي غيرُ تاركةٍ منزلي وأولادي، فرضيَتِ امرأةُ فرعونَ، فرجعَتْ بابنِها إلى بيتِها من يومِها، وهو قولُه:

(١٣) ـ ﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ بولدِها ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ على فراقِه، ﴿وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾: لتتيقَّنَ أنَّ وعدَ الله كائنٌ، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾: أكثرَ الكفّارِ ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنَّ وعدَه حقٌّ.

وقيل: ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ما يُرادُ بهم.

***

(١٤) ـ ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾؛ أي: بلغَ موسى قوَّةَ الشَّبابِ، وتمامَ العقلِ والتَّمييزِ.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: بلغَ ثلاثًا وثلاثين سنةً(١).

الحسنُ: أربعينَ سنةً(٢).

السُّدِّيُّ: ثلاثينَ سنةً(٣).

---

(١) رواه بهذا اللفظ ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١١١) عند قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ [الأحقاف: ١٥]، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ١٨١) هنا لكن بلفظ: «بضعًا وثلاثين».

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١١٨).

(٣) رواه عنه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٦٦٤) عند قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

عكرمةُ: خمسًا وعشرينَ سنةً[1].

ابنُ جُبيرٍ: ثماني عشرةَ سنةً[2].

وقيل: عشرينَ سنةً.

وقيل: خمسَ عشرةَ سنةً.

وقيل: الحُلُمَ.

﴿وَٱسۡتَوَىٰٓ﴾ ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: أربعينَ سنةً[3].

وقيل: بلغَ قامتُه مبلغًا لا يزيدُ عليه واستوى قَدُّه.

وقيل: ﴿اسْتَوَى﴾: كَمُلَ عقلُه.

وقيل: خرجَتْ لحيتُه.

و﴿أَشُدَّهُۥ﴾ قيل: جمعُ (شِدَّةٍ) كنِعمةٍ وأنعُمٍ.

وقيل: جمعُ (شِدٍّ) كوِدٍّ وأَوُدٍّ.

وقيل: واحدٌ كـ(آنُكٍ)، وقد سبقَ.

﴿ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا﴾: نُبوَّةً وفقهًا، وقيل: عقلًا.

﴿وَعِلۡمٗا﴾: فِقهًا وفهمًا.

مجاهدٌ: قرآنًا[4]، وهذا بعيدٌ.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١١٩).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٢٤٠).

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٠/ ٤٠٣)، وذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٨/ ١٥٤)، والنحاس في «معاني القرآن» (٥/ ١٦٤)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٣٩٧) إلى عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ والمحاملي في «أماليه».

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٥٢) في تفسير: ﴿حُكۡمٗا﴾.

وقيل: علمًا بشرائعِ دينِه.

﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ﴾؛ أي: كما فعَلْنا بموسى وأمِّه نفعلُ بالمُؤمنين.

***

(١٥) ـ ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾.

﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ﴾: دخلَ موسى مصرَ.

وقيل: قرية على فرسخَينِ من مصرَ يقالُ لها: جائين.

وقيل: اسمُها عينُ الشَّمسِ.

النقَّاشُ: الإسكندريّةُ.

وقيل: خرجَ من قصرِ فرعونَ ودخلَ مصرَ.

وقيل: بل كان فرعونُ أخرجَه لـمَّا أخذَ بلحيتِه فلم يدخُلْ عليه حتَّى كَبُرَ.

وقيل: كان فرعونُ ركبَ وموسى غائبٌ، فلما عادَ ركبَ خلفَه ودخلَ المدينةَ.

فاتَّفقَ له ذلك ﴿عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ قيل: مُتنكِّرًا راجِلًا.

وقيل: في غيرِ الوقت الذي كان يدخلُ المدينةَ مُعتادًا، ولهذا قال: ﴿عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ﴾ ولـم يقُلْ: على غفلةٍ؛ أي: دخلَ في غيرِ الوقتِ الذي كانوا يتوقَّعونَه.

وقيل: وقتَ القيلولةِ.

وقيل: بين المغربِ والعشاءِ.

﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾؛ أي: أحدُهما من بني إسرائيلَ والآخرُ منَ القِبْطِ.

وقيل: أحدُهما مؤمنٌ والآخرُ كافرٌ.

وقوله: ﴿هَٰذَا﴾ على الحكايةِ.

المُبرِّدُ: العربُ تُشيرُ بـ(هذا) إلى الغائبِ[١]، قال جريرٌ:

هـذا ابـنُ عمِّـي فـي دمشـقَ خليفةً لـو شئـتُ سـاقَكمُ إلـيَّ قَطينـا[٢]

﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾؛ أي: سألَه أن يُغيثَه، وكان القِبْطيُّ خبَّازَ فرعونَ يحملُ الحطبَ على الإسرائيليِّ.

وقيل: يحملُ الخبزَ على ظهرِه.

وقيل: كانا يقتَتلانِ في الدِّينِ.

﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ﴾؛ أي: غضِبَ موسى على القِبْطيِّ لكُفرِه وعُتُوِّه[٣] ﴿فَوَكَزَهُۥ﴾: ضربَه بجميعِ كفِّه.

وقيل: دفعَ صدرَه بيدِه.

وقيل: عقدَ بيمينِه عقدَ ثلاثٍ وتسعينَ فضربَه.

وقيل: ضربَه بعصاه[٤].

والوَكْزُ واللَّهْزُ والنَّهْزُ والرَّهْزُ بمعنًى.

﴿فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾؛ أي: قتلَه، وقيل: أماتَه، والقاضيةُ: الموتُ.

وقيل: كلُّ شيءٍ فرغتَ منه فقد قضَيْتَه.

---

(١) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٨/ ٢٩٢)، و«الدر المصون» للسمين الحلبي (٨/ ٦٥٧).

(٢) البيت لجرير. انظر: «ديوانه» بشرح ابن حبيب (١/ ٣٨٨)، و«الشعر والشعراء» لابن قتيبة (١/ ٤٦١).
قال شارح الديوان: «القطين: الرقيق، والقطين: الحشم، والقطين: أهل الدار، والقطين: السكان».

(٣) في (ف): «وغلوه».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٦٥)، واستغربه.

وفاعلُ (قَضَى) موسى، ويحتمِلُ أن يكونَ هو اللهَ؛ أي: قضى الله عليه الموتَ، ويحتمِلُ: فقضى الوكزُ عليه.

﴿قَالَ﴾ يعني: موسى: ﴿هَٰذَا﴾ إشارةً إلى ما حصلَ من غيرِ قصدِه ﴿مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ لأنَّه حملَه على ذلك حينَ أغراه.

وقيل: معنى قولِه: ﴿مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ كقولِك: هذا من فعلِ الفاسقين لا الصّالحين[1]، وكان لم يُؤمَرْ بالقتلِ والقتالِ.

وقيل معناه: زَيَّنَ الشَّيطانُ لي طاعةَ الغضبِ وتركَ الرِّفقِ.

﴿إِنَّهُۥ﴾: إنَّ الشَّيطانَ ﴿عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾: ظاهرُ العداوةِ.

***

(١٦) ـ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

﴿قَالَ رَبِّ﴾: يا ربِّ ﴿إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ بقتلِه من غيرِ أمرٍ منك ﴿فَٱغْفِرْ لِي﴾ ذنبي ﴿فَغَفَرَ لَهُۥٓ﴾ أجابَ الله دُعاءَه، ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ﴾ لذنوبِ العبادِ ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بهم.

***

(١٧) ـ ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾.

﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾: بما غفرْتَ ذَنْبي، وقيل: بما خلَّصْتني.

وقيل: ﴿بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾؛ أي: النُّبوة والحكمة.

﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا﴾: مُعينًا وقُوَّةً وظهرًا ﴿لِّلْمُجْرِمِينَ﴾: للكافرين.

قيل: هذا يدلُّ على أنَّ الذي من شيعتِه كان كافرًا.

وقوله: ﴿بِٱلَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا﴾ يدلُّ على أنَّه كان مسلمًا، والله أعلم بذلك.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٦٥)، واستغربه.

وقولُه: ﴿بِمَآ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ﴾ ابنُ جريرٍ: قَسَمٌ؛ أي: بإنعامِكَ عليَّ لا أكونُ ظهيرًا، قال: ولـم يستَثْنِ فابتُليَ بما نمَّ عليه الإسرائيليُّ في اليومِ الثَّاني[1].

وقيل: هو خبرٌ بمعنى[2] الدُّعاءِ؛ أي: فلا تجعَلْني ظهيرًا للمُجرمين.

وقيل: (لن) بمعنى: لا، وهو دعاءٌ.

والظَّاهرُ أنَّه خبرٌ؛ أي: بسببِ إنعامِكَ عليَّ لا أكونُ بعد اليومِ مُعينًا لكافرٍ.

الكسائيُّ في جماعةٍ من أهلِ اللُّغةِ: قالوا: معناه: لا أكونُ بالمغفرةِ والرَّحمةِ مُعينًا للمُجرمين فأقولُ لهم: رحمَكَ الله، أو غفرَ اللهُ لك، حكاه القفَّالُ[3].

***

(١٨) ـ ﴿فَأَصۡبَحَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِي ٱسۡتَنصَرَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَسۡتَصۡرِخُهُۥۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِيّٞ مُّبِينٞ﴾.

﴿فَأَصۡبَحَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ خَآئِفٗا﴾ على نفسِه من قتلِ القِبْطيِّ أن يُؤخَذَ به.

﴿يَتَرَقَّبُ﴾ يتوقَّعُ وقوعَ مكروهٍ به.

وقيل: يترقَّبُ الأخبارَ؛ هل وقفُوا على ما كان منه؟

وقيل: خائفًا منَ الله يترقَّبُ المغفرةَ.

وقيل: خائفًا من قومِه ينتظرُ أن يُسلِمَه قومُه، حكاه الماورديُّ[4].

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٨/ ١٩١).

(٢) في (ف): «في معنى».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٦٥)، وعدَّه من العجائب، ونقل النحاس في «معاني القرآن» (٥/ ١٦٧) عن الكسائي في الآية قال: «﴿فَلَنۡ أَكُونَ ظَهِيرٗا لِّلۡمُجۡرِمِينَ﴾ فيه معنى الدعاء».

(٤) انظر: «النكت والعيون» (٤/ ٢٤٣).

﴿فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسۡتَنصَرَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَسۡتَصۡرِخُهُۥ﴾ (إذا) هذه للمُفاجأةِ؛ أي: فاجأه المُستغيثُ الأمسِيُّ يسألُه أن يُصرِخَه، والاستِصراخُ: الاستغاثةُ، مُشتقٌّ منَ الصُّراخِ، تقولُ: أتى الصَّارخُ الأميرَ، فأصرَخَه؛ أي: أغاثَه.

والمعنى: يسألُه النُّصرةَ على قِبْطيٍّ آخرَ يُقاتلُه.

﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ﴾؛ أي: للإسرائيليِّ: ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾؛ أي: غويٌّ في تدبيرِك غيرُ رشيدٍ في أمرِكَ، تُقاتلُ مع عجزِكَ وقلَّةِ أنصارِكَ.

وقيل: الغَويُّ: الخائبُ مما[1] يطلبُه.

وقيل: خاطبَ موسى بهذا القِبْطيَّ فلم يَفْهَمِ الإسرائيليُّ.

***

(١٩) ـ ﴿فَلَمَّآ أَنۡ أَرَادَ أَن يَبۡطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقۡتُلَنِى كَمَا قَتَلۡتَ نَفۡسَۢا بِٱلۡأَمۡسِۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلۡأَرۡضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ﴾.

﴿فَلَمَّآ أَنۡ أَرَادَ أَن يَبۡطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا﴾؛ أي: لموسى والإسرائيليِّ؛ أي: أرادَ أن يثِبَ على القِبْطيِّ ليمنعَه عن قتالِ الإسرائيليِّ، توهَّمَ الإسرائيليُّ أنَّ موسى قَصَدَه، وكان قد سبقَ منه إليه: ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾.

﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقۡتُلَنِى كَمَا قَتَلۡتَ نَفۡسَۢا بِٱلۡأَمۡسِ﴾ يعني: القِبطيَّ المقتولَ، ﴿إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا﴾: قتَّالًا يقتلُ النَّاسَ على الغضبِ.

عكرمةُ: الجَبَّارُ: الذي قَتَلَ مرَّتَين[2]، وهذا ضعيفٌ.

﴿فِى ٱلۡأَرۡضِ﴾: أرضِ مصرَ.

---

(١) في (ف): «بما».

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٥٨).

﴿وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ في كظمِ الغيظِ وتركِ القتلِ، وكان حديثُ القتلِ فشا في المدينةِ وخفيَ القاتلُ، ففَطِنَ القِبْطيُّ بذلك، فذهبَ إلى فرعونَ فأخبرَه أنَّ قاتلَه موسى.

الحسنُ: هو من قولِ القِبطيِّ؛ لأنَّه كان اشتُهِرَ أنَّ إسرائيليًّا قتلَ قِبْطيًا[1].

والجمهورُ على القولِ الأوَّلِ.

وقيل: خافَ الإسرائيليُّ أن يقتُلَ موسى القِبطيَّ فيُؤخَذَ الإسرائيليُّ به.

وقيل: الإسرائيليُّ كان السَّامريَّ.

* * *

(٢٠) ـ ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾.

﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ﴾؛ أي: فتآمرَ فرعونُ وقومُه حينَئذٍ في أمرِ موسى، وقصَدوا طلبَه وقتلَه، فجاء رجلٌ وهو خربيلُ مؤمنُ آلِ فرعونَ، وهو النجَّارُ.

وقيل: شمعون.

﴿يَسْعَىٰ﴾: على رجلَيه سريعًا.

وقيل: يعدُو، وكان ابنَ عمِّ فرعونَ.

﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾ يتشاوَرُونَ في قتلِكَ، افْتَعَلَ منَ الأمرِ، وقيل: يَهُمُّونَ بقتلِكَ.

الزَّجَّاجُ: يأمرُ بعضُهم بعضًا بقتلِكَ[2].

---

(١) ذكره ابن فورك في «تفسيره» (١/ ٣٣٧).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ١٣٨).

وقيل: يُدبِّرونَ الأمرَ في قتلِكَ.

﴿فَٱخْرُجْ﴾ منَ المدينةِ، ﴿إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ﴾؛ أي: ناصحٌ لك منَ النَّاصحينَ؛ لأنَّه لا يتقدَّمُ الصِّلةُ على الموصولِ(١).

* * *

(٢١) ـ ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾.

﴿فَخَرَجَ﴾؛ أي: فخرجَ موسى ﴿مِنْهَا﴾: من المدينةِ بعد إنذارِ الرَّجلِ إيَّاه ﴿خَآئِفًا﴾ على نفسِه من آلِ فرعونَ ﴿يَتَرَقَّبُ﴾: ينتظرُ: هل يلحقُه طلبٌ فيؤخَذَ؟

وقيل: معنى ﴿يَتَرَقَّبُ﴾: يَلتفِتُ.

وقيل: يترقَّبُ أن يضِلَّ السَّبيلَ.

﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾: خلِّصْني واجعَلْني بحيثُ أفوتُهم ولا يلحقونَني، مُشتقٌّ منَ النَّجوةِ، وهو: المكانُ الذي لا ينالُه كلُّ أحدٍ.

* * *

(٢٢) ـ ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾.

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ﴾: قَصدَ بوجهِه، والتَّوجُّهُ: الإقبالُ على الشَّيءِ.

﴿تِلْقَآءَ﴾: مُقابلةَ، وهو مصدرٌ من (لقيتُ) جُعِلَ ظرفًا كـ(بينَ)؛ فإنَّه مصدرٌ جُعِلَ ظرفًا.

---

(١) أي: لا يجوز أن يكون ﴿لَكَ﴾ معمولًا لـ﴿ٱلنَّـٰصِحِينَ﴾ لأن (ال) فيه هي الموصولية، و(ناصحين) صلتها، والصلة لا تعمل فيما قبل الموصول، فيكون عامله محذوفاً، وهو كما قدره المؤلف.
ويجوز على قول أن يكون ﴿لَكَ﴾ صلة لـ﴿ٱلنَّـٰصِحِينَ﴾ على أن اللام فيه للتعريف لا بمعنى: الذي، أو بمعناه على رأيِ مَن يجوِّز تقديم ما في حيز الصلة على الموصول؛ إما مطلقاً، أو إذا كان المقدم شبه جملة، وتقديمه إما للفاصلة أو لغير ذلك من الأسباب. انظر: «روح المعاني» (٢٠/ ١٨٥).

﴿مَدۡيَنَ﴾: نحوَ ماءِ مدينَ، ومدينُ هو ابنُ إبراهيمَ عليه السَّلامُ سُمِّيَ الماءُ به.

﴿قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ اشتبَهَتْ عليه الطُّرقُ فلم يَدْرِ أيُّها يُؤدِّيه إلى المقصِدِ، ففوَّضَ أمرَه إلى الله عزَّ وجلَّ وقال: ﴿عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾.

قصدَ طريقَ مدينَ، وكانت هناك ثلاثُ طرقٍ أخذَ موسى في أوسطِها، وأخذَ مَن كان في طلبِه الآخرَين، وقالوا: إنَّ المريبَ لا يأخذُ في أعظمِ الطُّرقِ، ولا يسلُكُ إلا بيِّناتِ الطُّرقِ، وبقي في الطَّريقِ ثماني ليالٍ حافيًا ما له طعامٌ إلا ورقُ الأشجارِ.

وقيل: لـم يقصدْ مدينَ ولكنَّه أخذَ طريقًا إلى حيثُ يأمَنُ فيه، فاتَّفقَ ذهابُه إلى مدينَ لأمرٍ قدَّرَه الله(١).

وقيل: أتاه جبريلُ بالعصا، وأمرَه بالمسيرِ إلى مدينَ(٢)، وقوله: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلۡقَآءَ مَدۡيَنَ﴾ وقولُه: ﴿وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ﴾ من إخبارِ الله لا من قَصْدِه.

* * *

(٢٣) ـ ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ﴾.

﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ﴾ وماءُ مدينَ آبارٌ كان يشربُ منها أهلُها ويَسْقُون أنعامَهم ومواشيَهم.

﴿وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةً﴾: جمعًا.

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: الأمَّةُ: أربعونَ(٣).

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٦٦)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٦٦)، واستغربه.

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٢٤٥).

﴿مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ﴾ مواشيَهم.

﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ﴾: دونَ الجماعةِ؛ أي: أسفلَ منهم، أشار بذلك إلى تنحِّيهما عن الجماعةِ.

﴿تَذُودَانِ﴾: تمنَعان مواشيَهما عن الماءِ وهي تُنازِعُ إليه.

وقيل: تحبِسانَ غنمَهما عن الشَّذِّ.

وقيل: تذودانِ غنَمَ النّاسِ عن غنَمِهما؛ كي لا يختلِطا.

﴿قَالَ مَا خَطۡبُكُمَا﴾: ما شأنُكما لا تسقِيانِ غنَمَكما؟

وقيل: ما شأنُكما واقفتَين؟ استنكارًا لخروجِهما من غيرِ محرمٍ.

﴿قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُ﴾: يَنْصرفَ، والصَّدَرُ: الانصِرافُ عن الماءِ، ومَن قرأ: ﴿يَصۡدِرَ﴾ بالضَّمِّ[1] فالمفعولُ مُقدَّرٌ؛ أي: يُصدِرَ الرِّعاءُ مواشيَهم.

والرِّعاءُ: جمع راعٍ، والرِّعاءُ: للمواشي، والرُّعاةُ: الوُلاةُ.

قيل: لا نسقي تصوُّنًا عن الاختلاطِ بالرِّجالِ.

وقيل: لضَعْفِنا عن المُزاحمةِ.

﴿وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ﴾؛ أي: ضعيفٌ لا يُمكِنُه الخروجُ، قالتا ذلك عذرًا لخروجِهما من غيرِ محرمٍ، وقيل: تعريضًا لموسى أن يُعينَهما على السَّقيِ.

* * *

(٢٤) ـ ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ﴾.

﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾؛ أي: سقى موسى مواشيَهما لأجلِهما، وذلك أنَّه أتى بئرًا عليها صخرةٌ لا يحملُها إلا عشرةٌ، فحملَها ورماها، وسألَهم أن يُعطوه دلوًا، فناوَلوه دلوًا

---

(١) ضم الياء وكسر الدال قراءة أكثر السبعة، وقرأ ابن عامر وأبو عمرو بفتح الياء وضمِّ الدال. انظر: «السبعة» (ص: ٤٩٢)، و«التيسير» (ص: ١٧١).

لا ينزحُها إلا عشرةٌ ـ وقيل: إلا أربعون رجلًا ـ فنزحَها وحدَه وسقى أغنامَهما.

وعن عمرَ رضي الله عنه قال: لـم يستقِ إلا ذَنوبًا واحدةً حتَّى رويَت الغنمُ[١].

وقيل: زاحمَ القومَ على الماءِ حتَّى أخرجَهم عنه، ثمَّ سقى لهما[٢].

﴿ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ﴾: جعلَ ظهرَه يلي ما كانَ يليه وجهُه ﴿إِلَى ٱلظِّلِّ﴾ عن الشَّمسِ.

قيل: ظلُّ شجرةٍ، وكانت هناك سَمُرةٌ.

وقيل: صار إلى القبلةِ.

وقيل: إلى ظلِّ جدارٍ لا سقفَ عليه.

﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ﴾؛ أي: تُنزِلُ، ويحتمِلُ: إلى ما أنزلتَ إليَّ قبلُ؛ أي: إلى مثلِه ﴿فَقِيرٌ﴾ محتاجٌ[٣].

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿مِنْ خَيْرٍ﴾ شُبْعةٍ من طعامٍ[٤].

ابنُ جُبيرٍ: شُبْعَةُ يومَين[٥].

تقولُ: افتقرَ إليه وافتقرَ له كالوحي[٦].

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٦/ ٣٣٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٦٤)، وابن كثير في «مسند الفاروق» (٨٦٠)، وقال: «هذا إسناد صحيح».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٦٦)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٦٦)، واستغربه.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢١٦). قوله: «شُبْعةٌ من طعامٍ» بضم الشين؛ أي: قَدْر ما يُشبَعُ به مرةً. انظر: «القاموس» (مادة: شبع).

(٥) ذكره بهذا اللفظ الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٢٤٦)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢١٦) بلفظ: «شبعة يومئذ»، ولعله الصواب، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٦٦)، وعدَّه من العجائب.

(٦) أي: كما يقال: أوحى إليه، وأوحى له. انظر: «التذييل والتكميل» لأبي حيان (١١/ ١٨٢).

قال الحسنُ: سألَ الله الزِّيادةَ في العلمِ والحكمةِ(١).

والجمهورُ على القولِ الأوَّلِ.

***

(٢٥) ـ ﴿فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ قَالَتۡ إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ﴾؛ أي: رجعَتا وأخبرَتا أباهما بما رأتا من موسى.

وقيل: لـمَّا أسرعَتا في الإيابِ ذلك اليومَ بخلافِ سائرِ الأيَّامِ سألَـهما أبوهما عن السَّببِ، فأخبرَتاه بما كان من موسى عليه السَّلامُ، فأرسلَ إحدى ابنتَيه، فجاءَتْه ماشيةً مُستحيِيَةً مستَتِرةً بكُمِّ درعِها.

وعن عمرَ رضي الله عنه: ستَرَتْ وجهَها بيدَيها(٢).

الحسنُ: فوالله ما كانت ولَّاجةً ولا خرَّاجةً، ولكنَّها كانت منَ الـخَفِراتِ اللَّاتي لا يُحسِنَّ المشيَ بين أيدي الرِّجالِ والكلامَ معهم(٣).

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٦٦)، وعدَّه من العجائب.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٦/ ٣٣٤) بلفظ: «واضعة ثوبها على وجهها»، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢١٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٦٤) بلفظ: «مستترة بكم درعها، أو بكم قميصها»، ورواه الحاكم في «المستدرك» (٣٥٣٠) بلفظ: «واضعة يدها على وجهها».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢٢٠) بلفظ: «بعيدة من البذاء». وما رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣١٨٤٢)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢١٩)، من قول عمر رضي الله عنه أقرب للفظ المؤلف، ولفظ الطبري: «لَيْسَتْ بِسَلْفَعٍ من النساءِ خَرَّاجَةً ولَّاجَةً، واضعةً ثوبَها على وجهها». ولفظ ابن أبي شيبة مثله لكن فيه: «لا خراجة ولا ولاجة».

وجاء في التَّفسيرِ: أنَّها الصُّغرى، واسمُها صفوراءُ، وهي التي تزوَّجها موسى.

ورُوِيَ عن بعضِ القُرَّاءِ الوقفُ على ﴿تَمْشِي﴾ والابتداءُ بقولِه: ﴿عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ﴾ لأنَّ الحياءَ في الكلامِ أكثرُ منه في المشيِ[1].

﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ﴾ الجمهورُ على أنَّه شُعيبٌ.

وذهبَ بعضُ المُفسِّرين إلى أنَّه ابنُ أخي شُعَيبٍ، واسمُه يثرون[2].

وقيل: يثرين، وكان شعيبٌ ماتَ قبل ذلك بعدما كُفَّ بصرُه.

وجاء في التَّفسيرِ: ودُفِنَ بين المقامِ والزَّمزمِ.

﴿لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾؛ أي: ليُكافِئَك على سقيِكَ إيَّانا، والأجرُ: جزاءُ العملِ، فأجابَها موسى.

قتادةُ عن مُطرِّفٍ قال: أمَا والله لو كانَ عند نبيِّ الله موسى شيءٌ ما اتَّبعَ مَذْقَيهما[3]، ولكنَّه حملَه على ذلك الجهدُ[4].

فتبعَها موسى، فهبَّتِ الرِّيحُ وألزقَتْ ثوبَها بجسدِها، فكرِهَ موسى أن يرى ذلك منها، فقال لها: امشي وَرائي ودُلِّيني على الطَّريقِ إنْ أخطأتُ؛ فإنَّا بني يعقوبَ لا ننظرُ إلى أعجازِ النِّساءِ.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُۥ﴾؛ أي: جاء موسى صاحبَ مدينَ ﴿وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ﴾ ذكر أحوالَه مع فرعونَ ﴿قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يُريدُ: فرعونَ وآلَه، فإنَّه لا يدَ له على مدينَ.

---

(١) ذكره الداني في «المكتفى في الوقف والابتدا» (ص: ١٥٦).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٦٧)، واستغربه، وفيه: «نيرون».

(٣) أي: ما عندهما من لين مخلوط بماء، فما كانتا من أهل الغنى، ولكن كان موسى أحوج منهما.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢٢١).

(٢٦) ـ ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾.

﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا﴾ صفوراءُ: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ﴾ لرعيِ الغنمِ، تقولُ: استأجَرَه: أخذَه بالأجرةِ.

ابنُ عيسى: الاستئجارُ: العقدُ على أمرٍ بالمُعاوضةِ[١].

﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ فقد جرَّبنا قوَّتَه برفعِه الحجرَ ونزحِه الدَّلوَ، وجرَّبتُ أمانتَه حيثُ منعني عن المشيِ قُدَّامَه.

وقيل: القويُّ في بدنِه، الأمينُ في عفافِه.

ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما: القويُّ فيما يلي، الأمينُ فيما استُودِعَ[٢].

* * *

(٢٧) ـ ﴿قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

﴿قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ﴾؛ أي: تأجُرَني نفسَك مدَّةَ ثماني حججٍ، والمعنى: تكونَ أجيرًا لي، تقول: أَجَرْتُ الغلامَ فهو مأجورٌ، وآجرتُه[٣] فهو مُؤْجَرٌ، وآجَرْتُه فهو مُؤاجَرٌ[٤]؛ على (فاعلتُه)، كلُّه بمعنًى واحدٍ.

وقيل: معناه: أن تُثيبَني من تزويجي إيَّاك رعيَ ماشيَتي ثمانيَ حججٍ، من قولك: آجَرَكَ اللهُ؛ أي: أثابَك.

---

(١) ذكره ابن فورك في «تفسيره» (١/ ٣٤٢) بلا نسبة.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢٢٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٦٧ـ ٢٩٦٨).

(٣) هذه على وزن (أفعلته)، لكن اجتمعت همزتان، فقلبتا مدّة، والثانية على وزن (فاعلته)، لكن اجتمعت همزة وألف، فقُلبتا مدة أيضاً. انظر: «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٤٦٩).

(٤) في (ن): «وواجرته فهو مواجر».

وقيل: ﴿أَن تَأۡجُرَنِي﴾: أن تكونَ أجيرًا لي[1]، من غيرِ إضمارٍ.

والحِجَّةُ: السَّنةُ، والحِجَجُ جمعُها.

﴿فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا﴾؛ أي: أتممتَ العقدَ عشرًا ﴿فَمِنۡ عِندِكَۖ﴾ تفضُّلًا منك، ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ﴾ في هذه المدَّةِ، فأُكلِّفَك ما يَصعبُ عليك.

وقيل: ﴿أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ﴾ بأن آخذَك بإتمامِ عشرِ سنين.

﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ في حُسنِ العشرةِ والوفاءِ بالعهدِ، وهذا شرطٌ للأبِ وليس بصَداقٍ، وقيل: صَداقٌ، والأوَّلُ أظهرُ؛ لقولِه: ﴿تَأۡجُرَنِي﴾، ولم يقُل: تأجُرها.

* * *

(٢٨) ـ ﴿قَالَ ذَٰلِكَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَۖ أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ قَضَيۡتُ فَلَا عُدۡوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ﴾.

﴿قَالَ ذَٰلِكَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَۖ﴾؛ أي: ذلك الشَّرطُ وعلينا الوفاءُ به.

﴿أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ﴾: الثَّماني أو العشرِ ﴿قَضَيۡتُ﴾: وفيتُك إيَّاه وفرغتُ منَ العملِ فيه ﴿فَلَا عُدۡوَٰنَ عَلَيَّۖ﴾: لا يُعتَدى عليَّ فأُطالبَ بأكثرَ.

المُبرِّدُ: قد علمَ أنَّه لا عدوانَ عليه في إتمامِهما، ولكنْ جمعَهما ليجعلَ الأقلَّ كالأتمِّ في الوفاءِ[2].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٦٧)، واستغربه.

(٢) ذكره النسفي في «مدارك التنزيل» (٢/ ٦٣٩). وبسطه الزمخشري في «الكشاف» (٣/ ٤٠٥) فقال: فإن قلت: تصوّر العدوان إنما هو في أحد الأجلين الذي هو الأقصر وهو المطالبة بتتمة العشر، فما معنى تعليق العدوان بهما جميعا؟ قلت: معناه كما أني إن طولبت بالزيادة على العشر كان عدواناً =

وقيل في قولِه: ﴿ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾؛ أي: ما ذكرتَه منَ الأجلَين فهو أمرٌ بيني وبينك أفعلُ منه ما أحببتُ لا شرطَ فيه، قاله القفَّالُ.

قال الأبُ: نعم. قال موسى: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ﴾ من النِّكاحِ والأجرِ والأجلِ ﴿وَكِيلٌ﴾: حفيظٌ وشاهدٌ.

وعن النَّبيِّ ﷺ: أنَّ موسى عليه السَّلامُ قضى أتمَّ الأجلَين وأوفاهما[1]، يعني: العشرةَ.

* * *

(٢٩) ـ ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾.

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ﴾: قطعَه وانتهى إلى آخرِه، والأجلُ: غايةُ الوقتِ، قال له أبو زوجتِه: لك منَ الشَّاءِ ما جاءَ به قالبَ لونٍ[2]؛ أي: ما جاء على خلافِ شِيَةِ أمِّها.

= لا شك فيه، فكذلك إن طولبت بالزيادة على الثمان. أراد بذلك تقرير أمر الخيار، وأنه ثابت مستقرّ، وأن الأجلين على السواء؛ إما هذا وإما هذا، من غير تفاوت بينهما في القضاء. وأما التتمة فموكولة إلى رأيي؛ إن شئت أتيت بها، وإلا لم أجبر عليها.

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٥٣١)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٠/ ٤٣٩)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: «أبعدهما وأطيبهما»، وعن الحاكم رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٦/ ١١٧).

وفي رواية أخرى عند الحاكم في «المستدرك» (٣٥٣٢)، وعنه البيهقي في «السنن الكبرى» (٦/ ١١٧) بلفظ: «أتمهما وأكملهما».

ورواه البخاري (٢٦٨٤) عن ابن عباس موقوفًا بلفظ: «أكثرهما وأطيبهما»، قال ابن حجر في «فتح الباري» (٥/ ٢٩١): وهو في حكم المرفوع؛ لأن ابن عباس كان لا يعتمد على أهل الكتاب.

(٢) رواه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١٣٧٨)، والبزار (٢٢٤٦ ـ كشف)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٧٠ ـ ٢٩٧١)، والطبراني في «الكبير» ١٧/ (٣٣٢)، من حديث عتبة السلمي =

وقيل: جعلَ له كلَّ بلقاءَ تولدُ في تلك السَّنةِ، فأُوحيَ إلى موسى: أنْ ألقِ عصاك في الماءِ، فما شربَ ولَدْنَ كلُّهن على ما شُرِطَ لموسى.

﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ﴾: بامرأتِه وأولادِ الغنمِ وكانت قطيعةً إلى مصرَ.

﴿ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ﴾: اصبروا ﴿إِنِّيٓ ءَانَسْتُ﴾: أبصرتُ ﴿نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾؛ أي: بخبرِ الطَّريقِ، وكان قد ضلَّ الطريقَ.

وقيل: بخبرِ النَّارِ؛ هل هي بخيرٍ نأنسُ به أم بشرٍّ نحذرُه؟

﴿أَوْ جَذْوَةٍ﴾: قطعةِ حطبٍ كبيرٍ في طرفِه[1] نارٌ، وفي الجيمِ منَ (الجذوةِ) ثلاثُ لغاتٍ.

= رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «إن موسى لما أراد فراق شعيب عليه السلام قال لامرأته أن تسأل أباها أن يعطيها من غنمه ما يعيشون به، فأعطاها ما نتجت غنمه في ذلك العام من قالب لون واحد، فلما وردت الغنم الحوض وقف موسى عليه السلام بإزاء الحوض فلم يصدر منها شاة إلا ضرب جنبها بعصاه، فحملت فنتجت كلهن قالب لون واحد ليس فيهن فَشوش ولا ضَبوب ولا ثَعول ولا كَمْشة تفوت الكف» قال: «فإن فتحتم الشام وجدتم بقايا منها، فاتخذوها، وهي السامرية»، قال يحيى بن بكير: الفشوش التي ينفشُّ لبنها عن الحلب، والضبوب التي يضب ضرعها على اللبن عند الحلب، والكمشة التي تعتاص عند الحلب.

قال ابن كثير في «تفسيره» عند هذه الآية: مدار هذا الحديث على عبد الله بن لَهيعة المصري وفي حفظه سوء، وأخشى أن يكون رفعه خطأ، والله أعلم.

قال: وقد روى ابن جرير من كلام أنس بن مالك موقوفاً عليه ما يقارب بعضه بإسناد جيد، قال: لما دعا نبيُّ الله موسى عليه السلام صاحبه إلى الأجل الذي كان بينهما، قال له صاحبه: كل شاة ولدت على غير لونها فلك ولدها، فعمد فرفع خيالاً على الماء، فلما رأت الخيال فزعت فجالت جولة، فولدن كلهن بلقًا إلا شاة واحدة، فذهب بأولادهن ذلك العام. رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢٣٧ ـ ٢٣٨).

(١) كذا في النسختين، ولو كانت «كبيرة في طرفها» لكان أظهر.

وقيل: بأصلِ شجرةٍ فيها نارٌ، وكانَ أَصْلَدَ زَنْدُه(١).

﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾: تستدفِئونَ بها.

***

(٣٠ - ٣١) - ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٣٠ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ﴾.

﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ﴾؛ أي: نُودِيَ موسى(٢) ﴿مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ﴾: أيمنِ موسى، وهو صفةٌ للشّاطئِ.

﴿فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ﴾ ﴿فِي﴾ متَّصلٌ بـ﴿نُودِيَ﴾، وقيل: مِن صلةِ ﴿شَٰطِيِٕ﴾.

﴿مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾: من عندِ الشَّجرةِ، وكانت شجرةَ عُنَّابٍ، وقيل: سَمُرةٍ. وقيل: عُلَّيقٍ، وهي شجرةُ العوسجِ.

﴿أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٣٠ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ ونُودِيَ: أن ألقِ عصاك، فألقاها فقلبَها الله ثعبانًا، ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ﴾: تتحرَّكُ ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾: حيَّةٌ.

وقيل: شبَّهها بالجنِّ، وقد سبقَ الكلامُ في هذه الآياتِ.

﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا﴾ يُريدُ: موسى ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ﴾؛ أي: نادَيناه: يا موسى ﴿أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ﴾ الذين لا يخافون.

ابنُ بحرٍ: أي: إنَّك منَ المُرسَلين(٣)؛ لقولِه: ﴿لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: ١٠].

---

(١) أي: لم يقدم كما تقدّم.

(٢) في (ف): «أي: نودي يا موسى».

(٣) ذكره الخطيب الإسكافي في «درة التنزيل» (٢/ ٩٧٦) بلا نسبة، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٢٥٢)، عن ابن بحر.

(٣٢) - ﴿ اَسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَاَضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾.

﴿ اَسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ ﴾: أدخِلْ يدكَ في جيبِكَ من جانبِ الصَّدرِ.

وقيل: ﴿جَيْبِكَ﴾: قميصِكَ.

﴿تَخْرُجْ بَيْضَاءَ﴾ لها شعاعٌ كشعاعِ الشَّمسِ ﴿مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾: عيبٍ أو بَرَصٍ.

﴿وَاَضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ﴾ فيه أقوالٌ:

أحدُها: ضُمَّ يدَكَ إلى صدرِكَ يسكُنْ ما بك منَ الفزعِ منَ الثُّعبانِ ومن فرعونَ.

وقيل: لمَّا ألقى عصاه خافَ فبسطَ جناحَه؛ يعني: يدَه كالمُتَّقي بها، وهو موجودٌ في عاداتِ النَّاسِ، فقيلَ له: ضُمَّ ما بسَطْتَه من يدَيك خوفًا على نفسِكَ[١]، واليدُ إذا بُسِطَتْ صارت كالجناحِ المبسوطِ، ويدَا الإنسانِ جناحاه، وجناحا الطير يداه.

الزَّجَّاجُ: الجناحُ هاهنا: العضُدُ[٢].

المُبرِّدُ: ضُمَّ إليك جناحَكَ؛ أي: يدَيك، فإذا فعلتَ ذلك زالَ رَهْبُك[٣].

وقيل: معناه: اسكُنْ ولا تخَفْ، كأنَّه طَيَّره الفزَعُ، وآلةُ الطَّيرانِ الجناحُ، وقيلَ له: لا تخَفْ وضُمَّ منشورَ جناحِكَ منَ الخوفِ إليك.

الفرَّاءُ: الجناحُ هاهنا: العَصا، وفي الأُخرَى: ما بين أسفلِ العضُدِ إلى الرُّسُغِ[٤].

وقيل: الجناحُ: جيبُ مِدْرَعتِه[٥].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٦٨)، واستغربه.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ١٤٣).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٦٨)، واستغربه.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٠٦).

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٦٨)، وعدَّه من العجائب.

وقيل: إذا هالَكَ أمرُ يدِكَ لِـمَا يغلبُك من شُعاعِها فاضمُمْها إليك تسكُنْ.

وقيل: معناه: يدَكَ إلى عصاكَ[١].

قولُـه: ﴿مِنَ ٱلرَّهْبِ﴾ فيه ثلاثُ لغـاتٍ[٢]، والرَّهْبُ: الخـوفُ. وقيل: الرَّهْبُ: الكُمُّ[٣].

وقيل: فيه تقديمٌ وتأخيرٌ تقديرُه: إنَّك منَ الآمنين منَ الرَّهْبِ[٤].

﴿فَذَٰنِكَ بُرْهَـٰنَانِ﴾: اليدُ والعصا حجَّتانِ ومُعجِزتانِ ﴿مِن رَّبِّكَ﴾: منَ الله ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ مُرسَلًا بهما إلى فرعونَ ﴿وَمَلَإِيْهِۦٓ﴾.

وقيل: اذهب بهما إلى فرعونَ وملئِه ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ﴾: كافرين.

* * *

(٣٣) - ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا﴾ يعني: القِبْطيَّ ﴿فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾؛ أي: به، أرادَ أن يعرفَ مآلَ أمرِه مع فرعونَ.

* * *

(٣٤) - ﴿وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾.

﴿وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا﴾ وكان موسى عليه السَّلامُ به رُتَّةٌ، وقد سبق.

---

(١) في (ف): «يدك وعصاك». ولعل المعنى: اجعل مع المعجزة الأولى وهي العصا معجزة ثانية هي اليد.

(٢) قرأ حفص بفتح الرَّاء وإسكان الهاء، ونافع وابن كثير وأبو عمرو بفتحهما، والباقون بضم الرَّاء وإسكان الهاء. انظر: «السبعة» (ص: ٤٩٣)، و«التيسير» (ص: ١٧١).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٦٨)، وعدَّه من العجائب.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٦٨)، وعدَّه من العجائب.

﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا﴾: مُعيناً؛ أي: اجعَلْه معي رسولًا ليكونَ عونًا على تبليغِ الرِّسالةِ ﴿يُصَدِّقُنِيٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾ فلا يكونُ أحدٌ يُصدِّقُني.

وقيلَ: ليس المقصودُ يُصدِّقني فيما أدَّعيه منَ الرِّسالةِ، لكنْ يُصدِّقُني فيما أدَّعي أنَّه حُجَّتي، فإذا أقامَ هارونُ البيِّنةَ على ما أدَّعيه فقد أثبتَ صِدْقي.

***

(٣٥) ـ ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَاۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ﴾.

﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ فأجابَه الله إلى مُلتمَسِه فقال: سأُقوِّيك وأُؤيِّدُك باجتماعِه معك على إبلاغِ الرِّسالةِ.

﴿وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا﴾: حُجَّةً وبرهانًا بالمُعجِزات الواضِحات التي تصحبُكما، ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾ بمكروهٍ ولا يكونُ لفرعونَ وملئِه عليكم قدرةٌ.

﴿بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ اختلفوا في هذه الباء؛ فقال بعضُ النَّحويِّين: هي مُتَّصلةٌ بالوصولِ؛ أي: فلا يصلون إليكما بسببِ آياتِنا، وتمَّ الكلامُ.

وقال بعضُهم: مُتَّصلٌ بالغلبةِ، فيكونُ الكلامُ تامًا على ﴿إِلَيْكُمَا﴾، وهذا لا يرضاه المُحقِّقون؛ لأنَّ الصِّلةَ لا تتقدَّمُ على الموصولِ(١).

وقيل: هي مُتَّصلةٌ بقولِه: ﴿نَجْعَلُ﴾، وهو الأظهرُ.

ويحتملُ أنَّه للحالِ، كما تقولُ: خرجَ فلانٌ بسلاحِه؛ أي: مُتسلِّحًا، فيكونُ تقديرُه: مُحتجِّين بآياتِنا ومُستَصحِبين بآياتِنا(٢).

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٦٨)، واستغربه، وانظر ما ذُكِر عند قوله تعالى في هذه السورة: ﴿إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [القصص: ٢٠].

(٢) في (ف): «أو مستصحبين بآياتنا». ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٦٨)، واستغربه.

(٣٦) ـ ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ﴾: واضحاتٍ ﴿قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى﴾: مُختلَقٌ عجيبٌ، من قولِـهم: يَفرِي الفَرِيَّ.

﴿وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾ فيه وجوهٌ:

أحدُها: ما سمِعْنا أحدًا ادَّعى النُّبوَّةَ فصُدِّقَ.

والثّاني: لطولِ الفترةِ قالوا هذا القولَ.

وقيل: ما سمعنا دُعي آباؤُنا إلى ما تدعونا[1] إليه.

والرّابعُ: ما سمعنا بمثلِ هذا السِّحرِ.

والخامسُ: جحَدوا بها واستيقنَتْها أنفسُهم.

* * *

(٣٧) ـ ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ﴾؛ أي: يعلمُ أنِّي مُحِقٌّ فيما أدعوكُم إليه وأنتم مُبطِلون.

وقيل: معناه: ربِّي أعلَمُ بالأنبياءِ قبلَنا، جوابًا لهم، من قولِـهم: ﴿مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

﴿وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ﴾: ويعلمُ مَن تكونُ له العاقبةُ المحمودةُ في الدُّنيا والآخرةِ، ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: لا يفوزون بالنَّعيمِ.

---

(١) في (ن): «تدعوننا».

(٣٨) ـ ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ﴾ يجبُ أن تُعظِّموه وتعبُدوه ﴿غَيْرِى﴾ فلا تلتفتُوا إلى إلهِ موسى.

وجاء في التَّفسيرِ: أنَّ بين قولِه: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤] وبينَ قولِه: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ أربعينَ سنةً.

﴿فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ﴾ وكان وزيرًا له؛ أي: اطبُخ الطِّينَ بنارٍ توقدُها على الطِّينِ ليصلُبَ ويصيرَ آجُرًّا، وكان أوَّلَ مَن اتَّخذَ ذلك.

﴿فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا﴾: ابنِ لي[1] بناءً عاليًا، واجعَلْ له درجًا أصعدُ إليه بها ﴿لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾؛ أي: أرتَقي إليه، توهَّمَ ـ لعنَه الله ـ أنَّ إلهَ موسى جسمٌ في السَّماءِ يُرتَقى إليه فيُنالَ.

﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ يعني: موسى كاذبًا، ناقضَ بينَ قولِه: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ ﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ﴾؛ لأنَّ الظَّنَّ شكٌّ.

ابنُ بحرٍ: أرادَ ببناء الصَّرحِ أن يُوهمَ ضعفةَ قومِه أنَّ الذي يدعو إليه موسى موصولٌ إليه، ومقدورٌ عليه، وهو في مكانٍ[2].

وأكثرُ المُفسِّرين على أنَّه بنى هامانُ له الصَّرحَ، وعلاه فرعونُ ورمى بنُشَّابةٍ نحوَ السَّماءِ فسقطَتْ عليه مُتلطِّخةً بالدَّمِ.

وبعضُهم قال: لم يصحَّ أنَّ الصَّرحَ بُنيَ له.

وقيل: كان فرعونُ يتعاطى مذهبَ الصَّابئين، وأنَّهم يعبدون النُّجومَ ويزعُمونَ

---

(١) في (ف) زيادة: «به».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٦٩)، وعدَّه من العجائب.

أنَّ إلى استجابةِ الكواكبِ لمَن أرادَ ذلك طُرقًا منَ العباداتِ، وأنَّ مَن ظفرَ باستجابةِ الشَّمسِ له ملَّكته وصيَّرته من أعظمِ مَن في عصرِه وأكبرِهم، وأرادَ ببناءِ الصَّرحِ رَصَدًا يصعدُ إليه ويعلمُ كيفيَّةَ أحوالِـها، وهل تجدَّدَ حكمٌ من أحكامِها[1]. والله أعلمُ.

* * *

(٣٩) ـ ﴿وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾.

﴿وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ﴾: تعظَّمَ ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: أرضِ مصرَ وما يليها بدَعوى الإلهيَّةِ والامتناعِ من اتِّباعِ الرُّسلِ والإيمانِ بهم ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾: بغيرِ حقٍّ أوجبَ ذلك، بل بالباطلِ.

وقيل: الباءُ للحالِ؛ أي: غيرَ مُحقِّين.

﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾ للبعثِ والنُّشورِ.

* * *

(٤٠) ـ ﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾ قيل: بحرِ قُلْزُمٍ.

وقيل: إسافٍ، وهو من وراءِ مصرَ.

وقيل: النِّيلِ.

﴿فَٱنظُرْ﴾ يا محمَّدُ ﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ انظر بعينِ قلبِك وتدبَّرْه بعقلِك تعلَمْ أنَّ مَن كفرَ بالله وكذَّبَ رسلَه فمصيرُه إلى الهلاكِ والنَّارِ، وحَذِّرْ قومَك بأنَّك منصورٌ عليهم.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٦٩)، واستغربه.

(٤١) ـ ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾.

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً﴾؛ أي: وجعلنا قومَ فرعونَ أئمَّةً في الشرِّ والضَّلالِ يُقتَدى بهم فيهما، فيكونُ عليهم وزرُهم ووزرُ مَن اتَّبعَهم.

﴿يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾: إلى أعمالٍ تُوجِبُ دخولَ النَّارِ.

وقيل: حُذِفَ المُضافُ مرَّةً بعد أُخرى؛ أي: إلى أعمالِ أهلِ النَّارِ، وجاز أن يكونَ الدُّعاءُ منهم، وجاز أن يكونَ قد سنُّوا سنَّةً سيِّئةً.

وقيل: ﴿جَعَلْنَا﴾ بمعنى: سمَّينا، كقولِه: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا﴾ [الزخرف: ١٩].

وقيل: ﴿جَعَلْنا﴾ بمعنى: حكَمْنا؛ أي: حكَمْنا بكُفرِهم.

وقيل: معناه: أعلَمْناكم أنَّهم أئمَّةٌ يدعون إلى النَّارِ.

وقيل: أئمَّةً يأتَمُّ بهم أهلُ البصائرِ، ويتَّعِظُ بهم أهلُ العِبَرِ.

﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾: لا يدفعُهم أحدٌ من عذابِ الله.

وقيل: لا يَنصرُ بعضُهم بعضًا.

* * *

(٤٢) ـ ﴿وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾.

﴿وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾؛ أي: كلُّ مَن ذكرَهم لعنَهم.

وقيل: ﴿لَعْنَةً﴾: عذابًا.

وقيل: هو أمرُ الله إيَّانا بأن نلعنَهم، وهذا هو القولُ الأوَّلُ.

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ قيل: تقديرُه: ولعنةُ يومِ القيامةِ، فحُذِفَ المضافُ وانتصبَ اليوم على المفعولِ به[1].

وقيل: هو عطفٌ على محلِّ ﴿فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا﴾[2]، كقولِه:

إذا ما تلاقَينا منَ اليومِ أو غدا[3]

وقيل: ظرفٌ للمقبوحين[4]. ومعنى ﴿هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ﴾: من المُهلَكين.

وقيل: قبَحَه يقبَحُه؛ إذا جعلَه قبيحًا، وهو سوادُ الوجوهِ وزُرقةُ العيونِ.

وقيل: منَ المغلوبين.

وقيل: منَ المُعذَّبين.

* * *

(٤٣) ـ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾: التَّوراةَ، وجاء في التَّفسيرِ: أنَّه أوَّلُ كتابٍ نزلت فيه الفرائضُ والأحكامُ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٦٩)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٠٨)، واستغربه.

(٣) عجز بيت لكعب بن جعيل، كما في «الجمل» للخليل (ص: ١٠١)، و«الكتاب» (١/ ٦٨)، وهو بلا نسبة في «المقتضب» (٤/ ١١٢)، و«المحتسب» (٢/ ٣٦٢). وصدره:

أَلاَ حَيَّ نَدْمَاني عُمَيْرَ بْنَ عامِرٍ

قال أبو سعيد السيرافي في «شرح أبيات سيبويه» (١/ ٢٣٣): الشاهد فيه أنه نصب «أو غدا» وعطفه على موضع (من اليوم) كأنه قال: تلاقينا اليوم أو غداً.

(٤) أي: وهم من المقبوحين يومَ القيامة، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٧٠)، وعدَّه من العجائب.

﴿مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ ٱلۡأُولَىٰ﴾: قومَ نوحٍ، وهودٍ، وصالحٍ، ولوطٍ.

وعن أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه: ما أهلَكَ اللهُ أمَّةً منَ الأممِ بعد إنزالِ التَّوراةِ غيرَ القريةِ التي مسخَ الله أهلَها قِردةً، ألم ترَ إلى قولِه: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ ٱلۡأُولَىٰ﴾[1].

﴿بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ﴾: جمعُ بصيرةٍ، وهي التي تُوصِلُ برُؤيتِها إلى الرُّشدِ والسَّعادةِ.

﴿وَهُدًى﴾: قائدًا إلى الرُّشدِ ﴿وَرَحۡمَةً﴾: نعمةً ﴿لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ﴾: يتَّعِظون ويعتَبِرون.

* * *

(٤٤) - ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلۡغَرۡبِيِّ إِذۡ قَضَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلۡأَمۡرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾.

﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلۡغَرۡبِيِّ﴾ قيل: هناك جبلٌ غربيٌّ، وهو الذي كلَّمَ الله عليه موسى.

قَتادةُ: بجانبِ غربيِّ الجبلِ[2].

أبو عبيدة: ﴿بِجَانِبِ ٱلۡغَرۡبِيِّ﴾ حيثُ تغرُبُ الشَّمسُ والقمرُ والنُّجومُ[3].

الحسنُ: بعثَ الله موسى بالغربِ[4].

وقيل: في الجانبِ الغربي منَ الوادي.

وقيل: بجانبِ المكانِ الغربيِّ منَ البحرِ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢٥٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٨١)، ورواه مرفوعًا الحاكم في «المستدرك» (٣٥٣٤) وصححه.

(٢) رواه بهذا اللفظ الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢٦٠) من طريق سعيد عن قتادة، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٢١٨) عن معمر عن قتادة قال: «يعني جبلًا غربيًّا كان».

(٣) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ١٠٦).

(٤) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٨/ ٣٠٩).

﴿إِذۡ قَضَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلۡأَمۡرَ﴾: كلَّمْنا موسى وفرَغْنا إليه مـمَّا أرَدْنا تعريفَه وإيصاءَه.

وقيل: قضَينا هلاكَ فرعونَ في الماءِ، فيُحمَلُ (جانبُ الغربيِّ) على اليمِّ.

﴿وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾: منَ الحاضرين في ذلك المكانِ.

وقيل: منَ الشَّاهدين في ذلك الزَّمانِ.

***

(٤٥) - ﴿وَلَٰكِنَّآ أَنشَأۡنَا قُرُونٗا فَتَطَاوَلَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡعُمُرُۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيٗا فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ تَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ﴾.

﴿وَلَٰكِنَّآ أَنشَأۡنَا قُرُونٗا﴾؛ أي: بعدَ موسى ﴿فَتَطَاوَلَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡعُمُرُ﴾ وفترتِ النُّبوَّةُ، وكادَ يلحقُ تلك الأخبارَ وَهْنٌ، وبلغَ الشَّرائعَ دُروسٌ، ولحقَ كثيرًا منها التَّحريفُ، وتمامُ الكلامِ مُضمَرٌ تقديرُه: فأرسلناكَ مُجدِّدًا لتلك الأخبارِ، مُـميِّزًا للحقِّ مـمَّا اختُلفَ فيه منها رحمةً منَّا لقومِك.

ويحتمِلُ أن يُجعَلَ المعنى: وما كنتَ منَ الشَّاهدين في ذلك الزَّمانِ، وكان بينَك وبينَ موسى قرونٌ تطاوَلَتْ أعمارُهم، وأنت تُخبِرُ الآنَ عن تلك الأحوالِ إخبارَ مُشاهدةٍ وعِيانٍ بإيحائِنا إليك مُعجزةً لك.

﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيٗا فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ﴾؛ أي: مُقيمًا فيهم ﴿تَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَا﴾.

﴿وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ﴾ أرسلناكَ في آخرِ الزَّمانِ إلى الخلقِ أجمعين.

الفرَّاءُ: ما كنتَ ثاويًا مع موسى في مدينَ فتراه وتسمعَ كلامَه وأحوالَه، وها أنت تتلو عليهم آياتِنا[١]؛ أي: على أمَّتِك، فهو مُنقطِعٌ[٢].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣١٣).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٧٠)، واستغربه.

(٤٦) ـ ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ موسى ثانيًا حين اختارَ قومَه سبعين رجلًا ﴿وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾؛ أي: أنزلنا هذه الأخبارَ إليك رحمةً من ربِّك ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ﴾: مُنذِرٍ ﴿مِّن قَبْلِكَ﴾؛ أي: في الفترةِ ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

وقيل: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ موسى بقولِنا: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦] إلى قولِه: ﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

* * *

(٤٧) ـ ﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ﴾: عقوبةٌ وعذابٌ ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ منَ الكفرِ والظُّلمِ والمعاصي التي استحَقُّوا بها العذابَ، وأضافَها إلى اليدِ وإن لم يكُ بعضُها باليدِ كالمَثَل: يداكَ أَوْكَتا وفوكَ نفَخَ(١).

(١) انظر: «أمثال العرب» للمفضل الضبي (ص: ١١٧)، و«الأمثال» لأبي عبيد (ص: ٣٣١)، و«المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري (٢/ ٤١٠)، هو مثل يُطرب لمن يجني على نفسه وفي أصل المثل قولان:

الأول ذكره المفضل ونقله عنه أبو عبيد: أن رجلاً نفخ في زق ليعبر به نهراً ولم يوثِقْ وكاءه، فركبه فلمَّا توسط الماء انحل الوكاء وخرجت الرّيح فغرق، وحين غشيه الموت استغاث برجل، فقال له ذلك.

والثاني ذكره الزمخشري فقال عقب السابق: وقيل: أصله أن شابًّا انتهى إلى جَوَارٍ يستَقِيْنَ بالقِرَب، فكان يلاعبهن وينفخ في بعض القرب ثمَّ يوكيه، فَقتله بعض إخوتهن غيرَةً، وأُخْبر أخو المقتول بملاعبهن فقال ذلك.

﴿فَيَقُولُواْ﴾ عند العذابِ: ﴿رَبَّنَا لَوْلَآ﴾: هلَّا ﴿أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ﴾ فكنَّا نُؤمنُ به ونتَّبعُ الكتابَ الذي تُنزِّله عليه، ﴿وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بك وبرسولِك، وجوابُ ﴿لَوْلَآ﴾ محذوفٌ، وفيه وجوهٌ:

أحدُها: لأَصَبْناهم بالعقوبةِ، ولأحلَلْنا بهم المُصيبةَ.

والثَّاني: لَمَا أرسَلْنا رسولًا يقُصُّ أنباءُ المُرسلين ويُحذِّرُ ويُنذِرُ[1].

والثَّالثُ: لَمَا أرسَلْنا الرُّسلَ، ولكن أرسَلْناهم لئلَّا يكونَ للنَّاسِ على الله حجَّةٌ بعد الرُّسلِ.

* * *

(٤٨) ـ ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ أَوَلَمْ يَكْفُرُواْ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ قَالُواْ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ﴾.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ محمَّدٌ ﷺ، وقيل: القرآنُ.

﴿مِنْ عِندِنَا﴾: بأمرِنا ووَحينا.

﴿قَالُواْ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ﴾ يعني: اليدَ، والعصا، وسائرَ مُعجزاتِه، وهذا كلامُ اليهودِ.

وقيل: كلامُ العربِ بتعليمِ اليهودِ.

﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُواْ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ قَالُواْ ساحِرانِ تَظَٰهَرَا﴾ يعنون: محمَّدًا وموسى.

وقيل: الضَّميرُ في ﴿قَالُواْ﴾ لليهودِ، و﴿ساحِرانِ﴾ عَنَوا بهما: موسى وهارونَ؛ قالوا أوَّلَ ما أتاهم موسى.

وقيل: عَنَوا بهما عيسى ومحمَّدًا عليهما السَّلامُ، وهذه المقالةُ لليهودِ اليومَ.

---

(١) في (ف): «نقص... ونحذر وننذر».

وقيل: الضَّميرُ في ﴿يَكْفُرُوا﴾ يعودُ إلى فرعونَ وملَئِه، و﴿قالُوا ساحِرانِ﴾ موسى وهارونَ عليهما السَّلامُ.

ومَن قرأ: ﴿سِحْرَانِ﴾[1] عَنَوا بهما التَّوراةَ والإنجيلَ[2].

وقيل: الإنجيلَ والقرآنَ[3].

وقيل: سألتِ العربُ اليهودَ عن صفةِ محمَّدٍ ﷺ ونعتِه: هل تجدون ذلك في التَّوراةِ؟ قالوا: نعم، فقالوا: سِحْرانِ وساحِرانِ تظاهَرا وتعاوَنا.

﴿وَقَالُوٓاْ﴾ كفَّارُ قُريشٍ: ﴿إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ﴾؛ أي: بكلِّ الأنبياءِ وبكتُبِهم.

وفي تكرارِ ﴿قَالُوٓاْ﴾ وجهانِ:

أحدُهما: ﴿قَالُواْ سِحْرَانِ﴾[4] مرَّةً، وقالوا: ﴿إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ﴾ مرَّةً.

والثَّاني: أنَّ ﴿وَقَالُوٓاْ﴾ عطفٌ على ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُواْ﴾.

ويجوزُ أن يكونَ كلُّ واحدٍ لقومٍ على ما سبقَ، وتقديرُ الآيةِ: أوَلَم يكفُروا بما أُوتيَ موسى من قبلُ وقالوا، فحُذِفَ الواوُ، وهو مُقدَّرٌ.

***

(٤٩) ـ ﴿قُلْ فَأْتُواْ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.

﴿قُلْ فَأْتُواْ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾؛ أي: إنْ صدَقتُم في أنِّي اختلَقْتُ القرآنَ وأنَّ موسى اختلَقَ التَّوراةَ وادَّعَينا أنَّهما من عندِ الله

---

(١) هي قراءة عاصم وحمزة والكسائي، والباقون: ﴿ساحران﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٤٩٥)، و«التيسير» (ص: ١٧٢).

(٢) في (ف): «والقرآن».

(٣) المقالة على هذا لليهود، وعلى الذي قبله للمشركين، والله أعلم.

(٤) في (ف): «قالوا ساحران».

فاختلِقُوا أنتم كتابًا مثلَهما، أو أدَلَّ على الرُّشدِ بزعمِكم، وقولوا: «من عندِ الله» أتَّبعه.

وقيل: ﴿فَأۡتُواْ بِكِتَٰبٖ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمَآ﴾: منَ التَّوراةِ والقرآنِ نأمنُ معه من تكذيبِ طائفةٍ منَ النَّاسِ أتَّبعه.

***

(٥٠) ـ ﴿فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ﴾ إلى إتيانِ كتابٍ، وقيل: إلى الإيمانِ بك والقرآنِ.

﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾: ما[1] لا حجّةَ فيه ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِ﴾: حجَّةٍ وبرهانٍ؛ أي: لا أحدَ أضلُّ ممَّن اتَّبعَ في الدِّينِ هواه.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: لا يُرشِدُهم ولا يُوفِّقُهم.

***

(٥١) ـ ﴿وَلَقَدۡ وَصَّلۡنَا لَهُمُ ٱلۡقَوۡلَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

﴿وَلَقَدۡ وَصَّلۡنَا لَهُمُ ٱلۡقَوۡلَ﴾ أتبعْنا بعضَه بعضًا.

وقيل: بيَّنَّا.

وقيل: أنزلناه شيئًا فشيئًا؛ ليكونُوا أوعى له.

و﴿وَصَّلۡنَا﴾ مبالغةُ الوصلِ، وحقيقةُ الوصلِ: رفعُ الحائلِ بين الشَّيئين.

﴿لَهُمُ﴾ قيل: للمُشركين.

وقيل: لأهلِ الكتابِ.

---

(١) في (ف): «وما».

﴿ٱلْقَوْلَ﴾ قيل: ذكرَ الأنبياءِ وما حلَّ بقومِهم.

وقيل: القرآنَ.

وقيل: تكرارَ الوعظِ ومُتابعةَ الاحتجاجِ.

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: يتَّعِظون ويُؤمنون.

* * *

(٥٢) ـ ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ عبدُ الله بنُ سلامٍ وأصحابُه، وسلمانُ، وغيرُهم.

وقيل: هم أهلُ الإنجيلِ، قدِمُوا على رسولِ الله ﷺ ثلاثةً وثلاثين منَ الحبشةِ، وسبعةً منَ الشّامِ.

﴿مِن قَبْلِهِۦ﴾: من قبلِ القرآنِ.

وقيل: قبلِ محمَّدٍ ﷺ.

﴿هُم بِهِۦ﴾: بمحمَّدٍ.

وقيل: بالقرآنِ.

﴿يُؤْمِنُونَ﴾: يُصدِّقون.

* * *

(٥٣) ـ ﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ﴾.

﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: القرآنُ ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ﴾: دائنينَ بدينِ الإسلامِ، عالِمين بصِحَّتِه، مُؤمنينَ به؛ لوجودِهم ذلك في كتابِهم.

* * *

(٥٤) ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾: مرَّةً لإيمانهم بكتابهم، ومرَّةً لإيمانهم بالقرآنِ.

﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾ على الإيمانِ والطَّاعةِ، وعن الكفرِ والمعصيةِ، ﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾.

* * *

(٥٥) ـ ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي ٱلْجَٰهِلِينَ﴾.

﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ سبقَ آخرَ (الفرقانِ).

* * *

(٥٦) ـ ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾.

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ أجمعَ المُفسِّرون على أنَّها نزلت في أبي طالبٍ.

وفي الصَّحيحَين: أنَّ سببَ نزولِ الآيةِ: أنَّ أبا طالبٍ لَمَّا حضرَتْه الوفاةُ جاءَه رسولُ الله ﷺ فوجدَ عندَه أبا جهلٍ وعبدَ الله بنَ أبي أميَّةَ، فقال رسولُ الله ﷺ: «يا عمّ، قل: لا إلهَ إلا الله كلمةً أُحاجُّ لك بها عندَ الله»، قال أبو جهلٍ وعبدُ الله بنُ أبي أميَّةَ: أترغَبُ عن ملّةِ عبدِ المطَّلبِ؟ فلم يزَلْ رسولُ الله ﷺ يعرِضُها له ويُعاوِدانِه بتلك المقالةِ حتَّى قال أبو طالبٍ آخرَ ما كلَّمَهم به: أنا على ملَّةِ عبدِ المُطَّلبِ، وأبى أن يقولَ: لا إلهَ إلا الله، فقال رسولُ الله ﷺ: «لأستغفِرَنَّ لك ما لم أُنْهَ عنك»، فأنزَلَ الله: ﴿مَا

كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ الآية [التوبة: ١١٣]، وأنزل في أبي طالبٍ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾[١].

وروى أبو هريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ لعمِّه: «قُلْ: لا إلهَ إلا اللهُ، أشهدُ لك بها يومَ القيامةِ»، قال: لولا أن تُعيِّرني نساءُ قريشٍ ويقُلْنَ: حملَه على ذلك الجزَعُ لأقررْتُ بها عينَكَ، فأنزَلَ الله سبحانَه وتعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾[٢]، يعني: أبا طالبٍ، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ يعني: حمزةَ والعبَّاسَ، ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾.

***

(٥٧) ـ ﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ﴾ في سببِ النُّزولِ: أنَّها نزلَتْ في الحارثِ بنِ عثمانَ بنِ نوفلِ بنِ عبدِ منافٍ، أتى النَّبيَّ ﷺ فقال: إنَّا لنعلَمُ أنَّ الذي تقولُه حقٌّ، ولكنْ منعَنا من اتِّباعِك أنَّ العربَ تَخْطَفُنا من أرضِنا لإجماعِهم على خلافِنا، ولا طاقةَ لنا بهم، فأنزَلَ اللهُ هذه الآيةَ[٣].

---

(١) رواه البخاري (٤٧٧٢)، ومسلم (٢٤)، عن المسيب بن حزن رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم (٢٥)، والبزار في «مسنده» (٩٧٥٢)، وعند مسلم: «تعيرني قريش» بدل «تعيرني نساء قريش».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢٨٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه مختصراً النسائي في «الكبرى» (١١٣٢١) بلفظ: «الحارث بن عامر بن نوفل الذي قال: ﴿إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ﴾».

والمعنى: إنْ نتَّبعِ الهدى معك كما اتَّبعتَه أنت، كما تقولُ: قد صِرتُ إلى فلانٍ معَك؛ أي: كما صرتَ إليه.

وقيل: ﴿مَعَكَ﴾ حالٌ منَ ﴿الْهُدَىٰ﴾.

وقيل: بالإيمانِ بك.

﴿نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا﴾: تجتمعِ العربُ على مُخالفتِنا فيُخرِجونا من أرضِنا، فأجابَهم الله وقال: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا﴾؛ أي: أوَلَم نجعَلْ مكانَهم في حرمٍ ممنوعٍ عن الأعداءِ يأمَنُ فيه الظَّبيُ منَ الفهدِ، والحمامُ منَ الباشقِ، فاعلٌ بمعنى مفعولٍ.

وقيل: ذا أمنٍ بحُرمةِ الكعبةِ.

﴿يُجْبَىٰ إِلَيْهِ﴾: يُحمَلُ إليه ويُجمَعُ فيه ﴿ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾؛ أي: أنواعُ ما يُثمِرُ من البلادِ؛ لأنَّه في وادٍ غيرِ ذي زرعٍ.

﴿رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا﴾: رزقناهُم ذلك من عندِنا.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: لا يتدبَّرون أنَّ الذي فعلَ ذلك بهم وهم كافرون قادرٌ على أن يفعلَ بهم وهم مُؤمنون.

* * *

(٥٨) ـ ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ﴾: أهلِ قريةٍ، والتَّقديرُ: وكم من قريةٍ أهلكْنا ﴿بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ البطَرُ: سوءُ احتمالِ الغِنى، والمعنى: كفرَتْها، والوجهُ: في معيشَتِها، فحُذِفَ (في).

وقيل: معناه: أبطَرَتْها معيشتُها.

وقيل: نصبٌ على التَّمييزِ، وهو بعيدٌ؛ لكونِها معرفةً[1].

﴿فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ﴾ خرابٌ ترونَها في مجيئِكم وذهابِكم.

﴿لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ﴾: من بعدِ إهلاكِ[2] أهلِها.

﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ لـم تُخربْ.

وقيل: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ منها سُكِنَتْ.

وقيل: لـم تَعُدْ إلى العمارةِ إلا قليلٌ.

وقيل: لـم يسكُنْها إلا المُسافرون، ينزلونَها ساعةً ثمَّ يرتحِلون.

﴿وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ ما ملَكَ التَّصرُّفَ فيها غيرُنا، وهذا وعيدٌ للمُخاطَبين.

***

(٥٩) ـ ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا﴾ يعني: مكَّةَ، وهي أمُّ القُرى؛ لأنَّ الأرضَ دُحِيَتْ من تحتِها، ﴿رَسُولًا﴾ يعني: محمَّدًا ﷺ ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾: القرآنَ.

وقيل: في مُعظمِها، ﴿رَسُولًا﴾: نبيًّا، ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾: وحيَنا.

وقيل: ﴿فِىٓ أُمِّهَا﴾: أوائلِها.

﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾ كافرون عاتون في الكفرِ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٧٠)، وعدَّه من العجائب.

(٢) في (ف): «هلاك».

(٦٠) - ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتُهَاۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾.

﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتُهَا﴾ تتمتَّعون بها قليلًا، والمتاعُ: المتعةُ، مصدرٌ، والمتاعُ: أثاثُ البيتِ وغيرِه مـمَّا يُتمَتَّعُ[١] به، والمعنى: متاعُ الدُّنيا والتَّمتُّعُ بها فانٍ[٢] سريعُ الانقضاءِ.

﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ﴾: أدْوَمُ ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ أنَّ الباقيَ أبدًا خيرٌ من الفاني سريعًا.

***

(٦١) - ﴿أَفَمَن وَعَدۡنَٰهُ وَعۡدًا حَسَنٗا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعۡنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ثُمَّ هُوَ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ﴾.

﴿أَفَمَن وَعَدۡنَٰهُ وَعۡدًا حَسَنٗا﴾ فـي سببِ النُّزولِ عن مجاهدٍ: أنَّها نزلَتْ في عليٍّ وحمزةَ رضي الله عنهما وأبي جهلٍ لعنَه الله[٣].

السُّدِّيُّ: نزلَتْ في عمَّارٍ والوليدِ بنِ المُغيرةِ[٤].

وقيل: نزلَتْ في النَّبيِّ ﷺ وأبي جهلٍ لعنَه الله[٥].

أي: أفمَنْ وعَدْناه الجنَّةَ ونعيمَها ﴿فَهُوَ لَٰقِيهِ﴾: مُدرِكُه ومُصيبُه لا محالةَ؛ إذ لا خُلْفَ لوعدِنا ﴿كَمَن مَّتَّعۡنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ الذي هو مَشوبٌ بالتَّنغيصِ والتَّكديرِ زائلٌ عن قريبٍ ﴿ثُمَّ هُوَ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ﴾ للعرضِ والحسابِ، مُعاقَبٌ بالنَّارِ؟!

---

(١) في (ف): «ينتفع».

(٢) في (ف): «فإنه».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢٩٥).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٠/ ٤٨٠)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٣٩).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢٩٤) عن مجاهد.

وقيل: ﴿مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ منَ المُشهَّرين[1]؛ لأنَّ[2] الإحضارَ كالإشخاصِ يوجِبُ السُّخطَ والغضبَ.

* * *

(٦٢) - ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾: يُنادي الله الكفَّارَ نداءَ تقريعٍ وتوبيخٍ.

قيل: هو عطفٌ على قولِه: ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ [القصص: ٦١].

وقيل: منصوبٌ بـ(اذكُرْ).

وقيل: منصوبٌ بقولِه: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾ [القصص: ٦٣].

﴿فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾؛ أي: زعمتُم في الدُّنيا أنَّها شُركائي في الإلهيَّةِ وكنتم تعبُدونَها وتدَّعون أنَّها تنفعُكم، فأينَ هم؟

* * *

(٦٣) - ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَـٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾ قيل: وجَبَ عليهم الوعيدُ والعقابُ.

وقيل: صدَقَ خبرُ الله في الدُّنيا بأنَّهم لا يؤمنون.

وقيل: معنى ﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾: وجَبَ عليهم هذا الخطابُ[3]، وهو قولُه: ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِيَ﴾، وفيه ثلاثةُ أقوالٍ:

---

(١) في (ن): «المشتهرين».

(٢) في (ق): «فإن».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٧٠)، واستغربه.

أحدُها: أنَّ ﴿ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ﴾ هم الشُّركاءُ المعبودون، كأنَّه لـمَّا قيلَ للعابدين: أين شُركائي؟ قال المعبودون وهم الشَّياطينُ: ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغۡوَيۡنَآ﴾؛ أي: هؤلاءِ هم الذين أغوَينا ﴿أَغۡوَيۡنَٰهُمۡ كَمَا غَوَيۡنَا﴾: أضلَلْناهم كما ضلَلْنا، أقرُّوا بالإضلالِ والدُّعاءِ إلى الشِّركِ والكفرِ، وأنكروا أمرَهم العابدين بعبادتِهم إيَّاهم بقولِـهم: ﴿تَبَرَّأۡنَآ إِلَيۡكَۖ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعۡبُدُونَ﴾؛ أي: بأمرِنا، بل كانوا يتَّبعون أهواءَهم.

وقيل: ﴿مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعۡبُدُونَ﴾ بسلطانٍ وحجَّةٍ، من قولِه تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ﴾ الآية [إبراهيم: ٢٢].

وقيل: كذَبوا[١]، وزيَّفَه بعضُهم وقال: ليس في القيامةِ كذبٌ، وأجازَ بعضُهم ذلك.

و(ما) على هذه الوجوه نفيٌ.

وقيل: ﴿مَا﴾ للمصدرِ، والتَّقديرُ: تبرَّأنا إليك مـمَّا كانوا إيّانا يعبُدون، فحُذِفَ (مِن)[٢].

وقيل: على ما كانوا إيّانا يعبُدون، فحُذِفَ (على)[٣].

والثّاني: أن يكونَ ﴿ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ﴾ الدُّعاةَ لهم إلى الشِّركِ، ويكونَ الشُّركاءُ غيرَهم، فيقولون عند هذا خوفًا على أنفُسِهم وإشفاقًا من أن يُزادَ في عذابِهم بسببِ إغوائِهم إياهم: ربَّنا إنا أغوَيناهُم، لا أنَّا أمَرْناهُم بعبادتِنا.

والثّالثُ: أنَّ المُرادَ بالشُّركاءِ الملائكةُ وعيسى، وحُمِلَ قولُه: ﴿أَغۡوَيۡنَآ﴾ على

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٧١)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٧١)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٧١)، وعدَّه من العجائب.

إضمارِ شرطٍ؛ أي: إنْ أغوَيناهُم أغوَيناهُم كما غَوَيْنا، ولكنْ لـم يكُنْ منّا إغواءٌ، قال: ومثلُه: ﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ﴾ [المائدة: ١١٦]، وهذا وجهٌ فيه تعسُّفٌ(١).

وليـس في الآيةِ ذكـرُ جوابِ المُخاطَبيـن، فيحتمِلُ أنَّه حُـذِفَ؛ لأنَّ قولَه بعدَه: ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ﴾ يـدُلُّ عليـه، أو يـدُلُّ عليـه قولُـه: ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ﴾ [القصص: ٦٦].

* * *

(٦٤) ـ ﴿وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ﴾.

﴿وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ﴾ أضافَ إليهم في هذه الآيةِ لادِّعائِهم أنَّها شركاءُ الله؛ أي: ادعُوهُم ليُخلِّصوكُم، ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ﴾؛ أي: لـم يقدِروا على ما دُعوا إليه.

الزَّجّاجُ: لم يُجيبوهم بحُجَّةٍ(٢).

﴿وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ﴾ وجوابُه: لَـمَا رأوا العذابَ.

وقيل: لَمَا اتَّبعوهُم.

وقيل: هذا تمنٍّ؛ أي: ودُّوا لو أنَّهم كانوا يهتَدون(٣).

* * *

(٦٥) ـ ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ عطفٌ على الأوَّلِ.

* * *

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٧١)، وعدَّه من العجائب.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ١٥١).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٧١)، واستغربه.

(٦٦) - ﴿ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾.

﴿ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ ﴾ خفِيَتْ عليهم الحججُ، وقيل: الْتبسَتْ.

﴿فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾: لا يَسألُ بعضُهم بعضًا عن العُذرِ والحجَّةِ رجاءَ أن يكونَ عنده عذرٌ أو حجَّةٌ[١]؛ لأنَّ الله أَدْحَضَ حجَّتَهم.

وقيل: لا يَسألُ بعضُهم بعضًا استعانةً في دفعِ المكروهِ[٢] أو حملِ بعضٍ ذنوبِه.

وقيل: لا يَسألُ بعضُهم بعضًا عن حالِه لاشتغالِه بنفسِه.

وقيل: لا يَسألُ بالأنسابِ.

* * *

(٦٧) - ﴿ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴾.

﴿ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴾ و(عسى) منَ الله واجبٌ[٣]، وإنَّما قال: ﴿فَعَسَىٰٓ ﴾؛ أي: إنْ دامَ على التَّوبةِ والعملِ الصّالحِ.

* * *

(٦٨) - ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾.

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ في سببِ النُّزولِ: أنَّها نزلَتْ جوابًا للوليدِ بنِ المُغيرةِ حين قال: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ

(١) في (ف): «وحجة».

(٢) في (ف): «مكروه».

(٣) كرر المصنف ذلك، وذكر في «غرائب التفسير» (٢/ ١٤٢٦) قولاً باستثناء قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ﴾.

عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١] يعني: نفسَه، وعُروةَ بنَ مسعودٍ الثَّقفيَّ منَ الطّائفِ[1]؛ أي: يخلقُ مَن يشاءُ منَ الخلقِ ويختارُ مَن يشاءُ للنُّبوَّةِ.

﴿مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾؛ أي: ليس لهم أن يختارُوا على الله أن يفعلَ، فـ﴿مَا﴾ نفيٌ.

وقيل: هو بمعنى: الذي، وجوَّزَه الزَّجَّاجُ[2]؛ أي: ويختارُ ما يتعبَّدُهم به.

وقيل: هذا ردٌّ لأشرافِ قريشٍ حين قالوا: إنَّما يصحبُ محمدًا الفُقراءُ وأراذلُ النّاسِ، ولولا ذلك لآمنَّا، فيكونُ المعنى: يخلقُ ما يشاءُ ويختارُ لصحبةِ رسولِه ونُصرةِ دينِه مَن يشاءُ، وهم الصَّحابةُ رضوانُ الله عليهم.

وقيل: يخلقُ مَن يشاءُ من عبادِه، ويختارُ مَن يشاءُ لطاعتِه، فيكونُ ﴿مَا﴾ بمعنى: الذي. والأوَّلُ هو الوجهُ؛ لأنَّ ﴿مَا﴾ إذا جُعِلَ اسمًا يقتضي نصبَ (الخيرة)، أو إضمارَ جارٍّ ومجرورٍ، وهو ضعيفٌ بعيدٌ.

و(الخِيَرَةُ): اسمٌ بمعنى: المُختارِ، تقولُ: محمَّدٌ خِيَرةُ الله من خلقِه، وهو في الأصلِ مصدرٌ كالطِّيَرةِ، والخِيْرةُ المصدرُ من (اختارَ)، كالرِّيْبةِ من (ارتابَ).

﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾: تنزيهًا له عن أن يكونَ لأحدٍ عليه اختيارٌ.

﴿وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: عن إشراكِهم، و(ما) للمصدرِ.

وقيل: عن الشَّريكِ، فتكونُ بمعنى: الذي.

---

(١) ذكره المفسرون دون عزو لقائل ولا سند. انظر: «تفسير السمرقندي» (٢/ ٦١٦)، و«تفسير الثعلبي» (٢٠/ ٤٨٣)، و«النكت والعيون» (٤/ ٢٦٣)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٣٣٩).
وقول الوليد بن المغيرة مروي في سبب نزول قوله تعالى: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١]، وسيأتي في موضعه.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ١٥٢)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٧٢)، واستغربه.

وقيل: معنى الآيةِ: ﴿وَيَخْتَارُ﴾ للشَّفاعةِ مَن يشاءُ فيأذَنُ له فيها، ﴿مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ فيختاروا الأصنامَ لتكونَ لهم شُفعاءَ.

* * *

(٥٩) ـ ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾.

﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾: تُضمِرُه من خيرٍ وشرٍّ، ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾: يُظهِرون؛ لا تَخْفَى عليه خافيةٌ.

* * *

(٧٠) ـ ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ تفرَّدَ بالإلهيَّةِ ﴿لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ﴾: يحمدُه الأنبياءُ والمرسلون والمؤمنون في الدُّنيا والآخرةِ.

وقيل: هو المُنعِمُ فيهما، فله الحمدُ فيهما.

وقيل: ﴿فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ﴾: في السَّماءِ والأرضِ من قولِه: ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الروم: ١٨]؛ لأنَّ إحداهما خُلِقَت قبل الأخرى، حكاه القفَّالُ.

﴿وَلَهُ ٱلْحُكْمُ﴾: القضاءُ والقدرُ، وقيل: ﴿وَلَهُ ٱلْحُكْمُ﴾ فيما يختارُ.

﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ بالموتِ، والبعثِ، والنُّشورِ.

* * *

(٧١) ـ ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا﴾: دائمًا لا نهارَ بعدَه ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾، والعربُ تقولُ: سرمدًا سمَدًا؛ أي: دائمًا، ولا يكونُ السَّرمدُ إذا وقعَ فيه فصلٌ.

﴿مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ﴾: هل إلهٌ غيرُ الله يأتيكم بنهارٍ؟
﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ سماعَ مَن ينتفعُ بسَمْعِه.

* * *

(٧٢) - ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ﴾ من تعبِ اشتغالِكم بالنَّهارِ.

﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ اللَّيلَ والنَّهارَ وما فيهما من أسبابِ البقاءِ والمعاشِ؟

* * *

(٧٣) - ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾؛ أي: لتسكُنوا في اللَّيلِ، ولتبتَغوا من فضلِه بالنَّهارِ[١]؛ كقولِ امرئِ القيسِ:

كأنَّ قلوبَ الطيـرِ رطبـاً ويـابسـاً ... لدَى وَكْرِها العُنَّابُ والحَشَفُ البالي[٢]

وأجازَ الفرَّاءُ أن يكونَ الهاء في ﴿فِيهِ﴾ يعودُ إلى اللَّيلِ والنَّهارِ[٣].

الزَّجَّاجُ: ﴿فِيهِ﴾ يعودُ إلى الزَّمانِ، والمعنى: ليكونَ اللَّيلُ سكَنًا والنَّهارُ

---

(١) فهذا من اللفِّ والنشر كما يسميه أهل البلاغة، قال المبرد: «والعرب تلف الخبر من المختلفين، ثم ترمي بتفسيرها جملة؛ ثقةً بأن السامع يردّ إلى كلٍّ خبره» ثم ذكر الآية. انظر: «الكامل» للمبرد (١/ ١٠٧)، و«مفتاح العلوم» للسكاكي (ص: ٤٢٥).

(٢) انظر: «ديوانه» (ص: ١٣٩). العناب: ثمر، والحشف: اليابس الفاسد من التمر.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٠٩).

معاشًا؛ إذ لا بقاءَ إلا بهما[1]. ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ اللهَ على نعمه.

***

(٧٤) ـ ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ كرَّرَ لأنَّ الآيةَ الأولى لتقريرِ الإقرارِ على النَّفسِ بالعجزِ، والثَّانيةَ للتَّعجيزِ عن إقامةِ البرهانِ لـمَّا طُولبوا به بمَحْضَرٍ منَ الأشهادِ مع أنَّه تقريعٌ بعد تقريعٍ.

***

(٧٥) ـ ﴿وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾.

﴿وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾: أخرَجْنا من كلِّ أمَّةٍ شاهدًا يَشهدُ عليها بما أجابَتْ به؛ فيما دُعِيت إليه منَ التَّوحيدِ، وأنَّه قد بلَّغَهم رسالةَ ربِّه.

وقيل: يشهدُ عليهم بجميعِ أعمالِـهم.

وقيل: ونزَعْنا من كلِّ أمَّةٍ عُدولًا يشهدون على رسولِـهم؛ لأنَّ الله لا يُخلي زمانًا عن جماعةٍ يكونون حجَّةَ الله على النَّاسِ يدعونَهم إلى الدِّينِ.

﴿فَقُلْنَا﴾ للأممِ: ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾: قرِّبوا حجَّتكم وتِبْيانكم على صحَّةِ ما كنتُم تَدينون به؛ ليكونَ لكم مَخْلَصٌ عمَّا شهدوا عليكم.

﴿فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ﴾؛ أي: فبُهِتوا وتحيَّروا، فعلِموا يقينًا ﴿أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ﴾: أنَّ الإلهيَّةَ له.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ١٥٣) وفيه: «المعنى: جعل لكم الزمان ليلاً ونهارًا؛ لتسكنوا بالليل، وتبتغوا من فضل الله بالنهار، وجائز أن تسكنوا فيهما، وأن تبتغوا من فضل الله فيهما، فيكون المعنى: جعل لكم الزمان ليلًا ونهارًا؛ لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله».

وقيل: ﴿أَنَّ ٱلۡحَقَّ﴾ ما أتاهم[1] الرُّسلُ به.

وقيل: أنَّ العدلَ لله.

﴿وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾: ذهَبَ عنهم ما كانوا يرجُونَه من معبودِهم ذهابًا لا يبقى له أثرٌ.

***

(٧٦) - ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ﴾.

﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ﴾: كانَ ابنَ عمِّه لَحًّا[2].

وفي بعضِ التَّفاسيرِ: وكان منَ الذين اختارَهم موسى، من قولِه: ﴿وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَا﴾ [الأعراف: ١٥٥]، ومن الذين جاوَزُوا البحرَ، وكان منَ القُرّاءِ وعلماءِ التوراةِ.

﴿فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡ﴾: طلبَ الفضلَ عليهم وأن يكونوا تحتَ يدِه.

وقيل: بغيُه: حسَدُه هارونَ على الحبورةِ، وقولُه لموسى: لك النُّبوَّةُ ولهارونَ الحبورةُ، وأنا في غيرِ شيءٍ؟!

وقيل: بغى بكُفرِه وتمرُّدِه على موسى عليه السَّلامُ.

وقيل: زادَ في ثوبِه شبرًا.

وقيل: بغيُه: استِخفافُه بالفقراءِ، وازدِراؤُه بسائِرهم، ومنعُ ذَوي الحقوقِ حُقوقَهم في مالِه.

وقيل: بغى بكثرةِ مالِه.

---

(١) في النسختين: «أتاه»، والصواب المثبت.

(٢) «ابنُ عَمِّه لَحًّا»؛ أي: لاصقُ النَّسب. انظر: «معجم ديوان الأدب» (٣/ ٣).

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: بغى على موسى وقصدَ الإفسادَ عليه، وكان من إفسادِه أنَّ امرأةً بغيًّا كانت مشهورةً في بني إسرائيلَ، فوجَّه إليها قارونُ يأمرُها أن تصيرَ إليه وهو في ملأٍ منَ النّاسِ فتكذِبَ على موسى وتقولَ: إنَّ موسى طلبَني للفسادِ والرِّيبةِ، وضمِنَ لها أن يُعطيَها على ذلك عطاءً كثيرًا ويخلطَها بنسائِه، فجاءَتْه المرأةُ وقارونُ جالسٌ مع أصحابِه فرزقَها الله التَّوبةَ، وقالت في نفسِها: ما لي مقامٌ للتَّوبةِ مثلُ هذا، فأقبلَتْ على أهلِ المجلسِ وقالت وقارونُ حاضرٌ: إنَّ قارونَ وجَّهَ إليَّ يأمرُني ويسألُني أن أَكْذِبَ على موسى وأقولَ: إنَّه أرادَني للفسادِ، وإنَّ قارونَ كاذبٌ في ذلك. فلما سمعَ قارونُ كلامَها تحيَّرَ وأيِسَ، واتَّصلَ الخبرُ بموسى، فجعلَ اللهُ أمرَ قارونَ إلى موسى، وأمرَ الأرضَ أن تُطيعَه فيه.

ورَوى بعضُ المُفسِّرين: أنَّ قارونَ ادَّعى[1] على موسى: إنَّك زنَيْتَ، وحضرتِ البغيُّ وادَّعَتْ ذلك على موسى، فعظُمَ ذلك عليه، فأحلَفَها بالله الذي فلَقَ البحرَ لبني إسرائيلَ وأنزلَ التَّوراةَ على موسى إلّا صدقتِ، فقالَتْ: أشهدُ إنَّك بريءٌ، فخرَّ موسى ساجدًا يبكي ويقولُ: اللَّهمَّ إنْ كنتُ نبيَّك فاغضَبْ لي، فأوحى الله إليه: مُرِ الأرضَ بما شئتَ فإنَّها مُطيعةٌ لك[2].

---

(١) في (ف): «وروى بعض المفسرين فادعى قارون».

(٢) روى نحو هذه القصة عن ابن عباس ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣١٤٣)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٣٣٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠١٨)، والحاكم في «المستدرك» (٣٥٣٦) وصححه، وزاد السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٤٣٦) عزوه لابن المنذر وابن مردويه، وفيه: فدعا موسى عليهم فأمر الله الأرض أن تطيعه، فقال موسى للأرض: خذيهم، فأخذتهم إلى أعقابهم، فجعلوا يقولون: يا موسى يا موسى، ثم قال للأرض: خذيهم، فأخذتهم إلى ركبهم، فجعلوا يقولون: يا موسى يا موسى، ثم قال للأرض: خذيهم، فأخذتهم إلى أعناقهم، فجعلوا يقولون: يا موسى يا موسى، فقال للأرض: خذيهم، فأخذتهم فغيَّبتهم، فأوحى الله إلى موسى: يا موسى، سألك عبادي =

وقيل: بغيُه نَسْبُه ما آتاهُ الله منَ المالِ إلى نفسِه وعلمِه وحيلتِه.

ويحتمِلُ أنَّه جمعَ هذه كلَّها؛ إذ لا مُنافاةَ بين الأقاويلِ.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ﴾: المالِ المُدَّخرِ ﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ﴾ ﴿مَآ﴾ بمعنى: الذي، واسمُ ﴿إِنَّ﴾ وخبرُه صِلتُه.

و﴿مَفَاتِحَهُۥ﴾: جمعُ مِفتَحٍ بالكسرِ، وهو المفتاحُ.

وقيل: مَفتَح بالفتحِ، وهو الخزانةُ[1].

﴿لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ﴾؛ أي: تُثقِلُهم، والباءُ للتَّعدِّي.

وقيل: هذا من بابِ القلبِ؛ أي: تنوءُ العُصبةُ بها[2].

وقيل: تَنُوءُ بالعُصبةِ؛ أي: تجعلُ العُصبةَ تنوءُ بها، وهذا هو القولُ الأوَّلُ.

والعُصبةُ قيل: سبعونَ رجلًا.

وقيل: أربعونَ رجلًا.

وفي بعضِ التَّفاسيرِ: أنَّ مفاتيحَ قارونَ كانت حِمْلَ ستِّين بغلًا، ما يزيدُ مفتاحٌ على إصبعٍ، لكلِّ مفتاحٍ كنزٌ.

وقيل: كانت من جُلودٍ يحملُها أربعونَ رجلًا.

وقيل: ﴿مَفَاتِحَهُۥ﴾ أوعيتُه.

= وتضرعوا إليك فلم تجبهم، وعزتي لو أنهم دعوني لأجبتهم، قال ابن عباس: وذلك قول الله عز وجل ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ خسف به إلى الأرض السفلى.

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٧٣)، واستغربه، وقد استظهره فيما سيأتي قريباً، وما يستغرب المصنف ليس ضعيفاً عنده بالضرورة وإنما خلاف المشتهر.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٧٣)، واستغربه.

ابنُ بحرٍ: ﴿مَفَاتِحَهُۥ﴾: علمَه وإحاطتَه به، من قولِه تعالى: ﴿مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩][1].

والمُحقِّقون على أنَّ ﴿مَفَاتِحَهُۥ﴾: خزائنُه.

وطعنَ بعضُ المُلحدينَ في هذه الآيةِ وقالوا: لا يبلغُ مالُ أحدٍ هذا المبلغَ.

فأُجيبَ بأنَّ الاعتبارَ بما في القرآنِ، وفيه: ﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ﴾؛ فإنْ حملتَ المفاتِحَ على الخزانةِ، وهو الأظهرُ؛ لأنَّ (المفتاحَ) جمعُه (مفاتيح) بالياء، ولا كلامَ فيها، وكذلك إنْ حملتَ المفاتحَ على الظُّروفِ.

وإنْ حملتَه على المفتاحِ فليس فيه كلُّ البعدِ؛ لأنَّ العصبةَ تقعُ على ما بين الثَّلاثةِ إلى التِّسعةِ، وقيل: منَ الخمسةِ إلى العشرةِ، وقيل: هي ستَّةٌ.

والحكَمُ العدلُ قولُه سبحانَه حكايةً عن إخوةِ يوسفَ عليه السَّلامُ: ﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ [يوسف: ٨]، وكانوا ساعتَئذٍ عشرةً.

وإذا جُعِلت الأموالُ في الصَّناديقِ على مقدارِ ما هو المُعتادُ، وجُعِلَ لكلِّ صندوقٍ مفتاحٌ من حديدٍ جريًا على العادةِ في الأقفالِ، ثمَّ جُمِعت تلك المفاتيحُ فحملَها ثلاثةٌ أو عشرةٌ، فليس فيه كلُّ الاستكثارِ[2]؛ لأنَّ الملوكَ في زمانِنا قد يُرى مالُ بعضِهم على هذا، والله أعلمُ.

﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ﴾ قيل: قال له موسى وحدَه. وقيل: قالَه المؤمنون.

﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ أي: لا تأشَرْ ولا تبطَرْ.

وقيل: لا تبخَلْ.

---

(١) ذكر المصنف هذا القول والذي قبله في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٧٣)، وعدَّهما من العجائب.

(٢) في (ف): «استكثار».

وقيل: لا تبْغِ.

وكلُّ ما جاء في القرآنِ من لفظِ الفرحِ مُطلقًا من غيرِ تقييدٍ فهو ذمٌّ.

وقيل: لا تفرحْ بالمالِ.

وقيل: لا تفرحْ بالشِّركِ الذي أنتَ عليه.

***

(٧٧) ـ ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾.

﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾؛ أي: اطلُبْ في حالِ تمكُّنِك وقُدرتِك بالمالِ والبدنِ الجنَّةَ ونعيمَها بأن تُواسيَ بها الفقراءَ، وتصِلَ بها الرَّحِمَ، وتصرِفَها إلى أبوابِ الخيرِ.

﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾: ولا تترُكْ حظَّك من لذَّاتِ الدُّنيا المُحلَّلةِ؛ فإنَّ ذلك ليس بمحظورٍ عليك.

وقيل: ﴿لا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيا﴾؛ أي: اطلُبْ بدُنياك آخرتَكَ؛ فإنَّ ذلك حظُّ المؤمنِ منها.

وقيل: ﴿لا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيا﴾: هو الكفَنُ[1].

﴿وَأَحْسِن﴾ إلى النّاسِ ﴿كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾.

وقيل: ﴿وَأَحْسِن﴾: اشكُرْ.

وقيل: أحسِنْ فيما افترَضَ عليكَ كما أحسَنَ فيما أنعَمَ عليك.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٧٣)، واستغربه.

﴿وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ بالبغيِ على قومِكَ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾؛ أي: أعمالَ المُفسِدين.

***

(٧٨) - ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةً وَأَكۡثَرُ جَمۡعًاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾.

﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓ﴾ أي: آتاني الله لعلمي بالتَّوراةِ وفضلي.

وقيل: أرادَ علمَ الكيمياءِ[1]، وهو: صنعةُ الذَّهبِ، وهذا القولُ غيرُ مرضيٍّ عندَ المُحقِّقين؛ لأنَّ الكيمياءَ اسمٌ لا مُسمَّى له.

وقيل: معناه: آتاني الله على علمِه بأنِّي أهلٌ لذلك[2].

و﴿عِندِيٓ﴾؛ أي: في مُعتقَدي، كما تقولُ: هذا جائزٌ عندي؛ أي: في مَذهَبي ومُعتقَدي.

وقيل: على علمي بوجوهِ المكاسبِ.

وقيل: وجَدَ كنزًا من كنوزِ يوسفَ عليه السَّلامُ.

﴿أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ قارونُ ﴿أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةً﴾: بطشًا وشِدَّةً ﴿وَأَكۡثَرُ جَمۡعًا﴾ للأموالِ؛ أي: كثرةُ مالِه وعبيدِه لا تدفعُ عنه عذابَ الله وإهلاكَه كما لـم تدفَعْ عمَّن تقدَّمَه.

﴿وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ لأنَّ الملائكةَ يعرفونَهم بسيماهُم.

وقيل: يُعذَّبون من غيرِ حسابٍ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٧٤)، وعدَّه من العجائب.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٧٣)، واستغربه.

وقيل: لا يُسألونَ ليقعَ العلمُ بها، بل يُسألون سؤالَ تقريعٍ وتوبيخٍ.

وقيل: لا يُسألونَ سؤالَ استعتابٍ، من قولِه: ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [النحل: ٨٤].

وقيل: لا يُسألُ المُجرمون عن ذنوبِ مَن أُهلِكوا منَ القرونِ.

* * *

(٧٩) - ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾.

﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ﴾: مُتزيِّنًا بثيابِ الأُرْجُوانِ في حشمِه وتَبَعِه.

وقيل: خرجَ في ثلاث مئةِ غلامٍ عن يمينِه، وثلاث مئةِ جاريةٍ عن يسارِه.

وقيل: خرجَ في جَوارٍ بيضٍ على بغالٍ بيضٍ بسُروجٍ من ذهبٍ على قُطُفِ أُرْجُوانٍ.

وقيل: خرجَ في سبعين ألفًا.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾؛ أي: الذين همَّتُهم الدُّنيا: ﴿يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ﴾ تمنَّوا مثلَ ما له.

ويجوزُ أن يكونَ المنادى بقولِه: ﴿يا﴾ محمَّدٌ[1].

وقيل: تقديرُه: يا قوم ليتَ لنا.

ويجوزُ أن يكونَ المعنى: يا مُتَمنَّانا تعالَ فهذا أوانُكَ[2].

﴿إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾: نصيبٍ كبيرٍ، وقيل: ذو جَدٍّ منَ الدُّنيا عظيمٍ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٧٤)، وعدَّه من العجيب، ولفظه: «العجيب: قالوا يا محمد: ليت لنا، و(يا محمد) اعتراض من كلام الله تعالى».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٧٤)، واستغربه.

(٨٠) ـ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ﴾.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ بمعرفةِ الثَّوابِ والعقابِ وفناءِ الدُّنيا وبقاءِ العُقبى: ﴿وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾؛ أي: هلكتُم إنْ آثرتُم الدُّنيا على الآخرةِ، فثوابُ الله خيرٌ ﴿لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ للمُؤمنين.

﴿وَلَا يُلَقَّىٰهَآ﴾ فيه قولانِ:

أحدُهما: لا يُلقَّى هذه الكلمةَ، وهي ﴿ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾.

والثّاني: الجنَّةَ ونعيمَها.

﴿إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ على طاعةِ الله وعن معصيته.

***

(٨١) ـ ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾.

﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ لـمَّا شكا موسى قارونَ إلى الله أمرَ الله الأرضَ أن تُطيعَ موسى على ما سبقَ، قال موسى: يا أرضُ خُذيه، فأخذَتْه إلى عقِبِه، ثمَّ قال: خُذيه، فأخَذَتْه إلى وسطِه، ثمَّ قال: خُذيه، فأخَذَتْه إلى عنُقِه، ثمَّ قال: خُذيه فخسَفَتْ به، وكان قارونُ يتضرَّعُ إلى موسى في هذه الأحوالِ ويقولُ: ارحَمْني، ولا يتوبُ إلى الله، فقال الله: يا موسى ما أشدَّ قلبَكَ! دعاكَ عبدي واسترحَمَك فلم ترحَمْه، وعزَّتي لو دعاني لأجبتُه[1].

(١) تقدم قريباً.

وجاء في التَّفاسيرِ: أنَّه يُخسَفُ به في كلِّ يومٍ قَدْرَ قامتِه[١]، فلا يبلغُ الأرضَ السُّفلى إلى يومِ القيامةِ[٢].

فلمَّـا ابتلعـتِ الأرضُ قـارونَ، قـال بنـو إسـرائيلَ: فعَـل ذلـك موسـى ليـرِثَ مالَـه؛ لأنَّـه كانَ ابـنَ عمِّـه، فخُسِـفَ بـدارِه وبجميـعِ أموالِـه بعـده بثلاثةِ أيـامٍ، فلم يُقـدَرْ علـى مالِـه أبدًا.

﴿فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: أعـوانٍ، وقيـل: جماعـةٍ. مُشـتقٌّ من (فَأَوْتُ رأسَـه).

﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾ لم يمتنِعْ ولم يمنَعْه كنزُه ومالُه وعددُه.

***

(٨٢) ـ ﴿وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

﴿وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟﴾؛ أي: صارَ الذين كـانوا يتـمنَّونَ ﴿مَكَانَهُۥ﴾: منـزلتَه ﴿بِٱلْأَمْسِ﴾؛ أي: منذُ زمانٍ قريبٍ، وليس (أمس) هاهنا بمُعيَّنٍ[٣]، وكذا[٤] (أصبحَ) المُرادُ به: صارَ.

﴿يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ﴾؛ أي: لا يَبْسُطُ الرِّزقَ على مَن يَبْسُطُ لكرامتِه عندَه، ولا يَقْدِرُ على مَن يَقْدِرُ لهوانِه عليه.

---

(١) في (ف): «قامة».

(٢) ذكره يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٦١١) عن قتادة، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٢٠) عن سمرة بن جندب.

(٣) لأنه معرف بـ(أل)، و(أمس) إن دخلته (أل) دلّ على الماضي من غير تحديد، وإن لم تدخله دلَّ على اليوم الذي يسبق يوم الخطاب دون غيره. انظر: «الكتاب» (٣/ ٤٧٩)، و«حاشية الصبان» (١/ ٩٥).

(٤) في (ف): «وكذلك».

قال سيبويهِ: (وَيْ) كلمةٌ يستعملُها النّادمُ بإظهارِ ندامتِه، وهي مفصولةٌ من (كأنَّ)[1]، قال:

وَيْ كَأَنْ مَنْ يَكُن لهُ نَشَبٌ يُحَبْـ ـبَبْ ومَنْ يَفتَقِرْ يَعِشْ عَيْشَ ضُرِّ[2]

ورُوِيَ عن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما أنَّ (وَيْ) صلةٌ في الكلامِ[3]، وهو عينُ قولِ سيبويهِ، وحجَّةٌ له.

قال الأخفشُ: أصلُه: (ويكَ)، و(أنَّ) بعدَه مفتوحٌ بتقديرِ العلمِ؛ أي: أعلَمُ أنَّ الله[4]، قال الشّاعرُ:

---

(١) انظر: «الكتاب» (٢/ ١٥٤).

(٢) البيت لزيد بن عمرو بن نفيل كما في «الكتاب» (٢/ ١٥٥)، و«عيون الأخبار» لابن قتيبة (١/ ٣٤٨)، و«الأصول في النحو» لابن السراج (٣/ ٤٧٠)، و«أخبار أبي القاسم الزجاجي» (ص: ٣٤)، ولنبيه بن الحجاج السهمي كما في «شرح أبيات سيبويه» لأبي محمد السيرافي (٢/ ٢٩ ـ ٣٠)، ونسبه الجاحظ في «البيان والتبيين» (١/ ١٩٨)، و«البخلاء» (ص: ٢٤٠) لسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وهو دون نسبة في «معاني القرآن» للأخفش (١/ ٣٧٠)، و«معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣١٢)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ١٤٢).

(٣) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٦٢١).

(٤) ذكره عن الأخفش المؤلف في «البرهان في توجيه متشابه القرآن» (ص: ١٩٧)، وفي «غرائب التفسير» (٢/ ٨٧٥)، وأبو حيان في «البحر» (٨/ ٣٢٩)، والسمين في «الدر المصون» (٨/ ٦٩٨)، قال أبو حيان: «وينبغي (أي: على هذا القول) أنْ تكونَ الكافُ حَرْفَ خطابٍ، ولا موضعَ له من الإعراب».
وذكر الفراء في «معاني القرآن» (٢/ ٣١٢) نحو هذا القول لكنه جعل أصل (ويك): ويلك، فقال: «وقد يذهب بعض النحويين إلى أنهما كلمتان: يريد: ويك أنه، أراد: ويلك، فحذف اللام، وجعل (أنَّ) مفتوحة بفعل مضمر، كأنه قال: ويلك أعلم أنه... فأضمر (أعلم)».
قال ابن الشجري في «الأمالي» (٢/ ١٨٤): «فالكاف على هذا القول ضمير، فلها موضع من الإعراب». =

ألا وَيْـكَ الـمـسرَّةُ لا تـدومُ ولا يبقَى على البُـؤسِ النَّعيمُ[1]

المُؤرِّجُ: (ويكَ أنَّ اللهَ) معناه: ألـم ترَ أنَّ اللهَ[2].

وقال بعضُهم: أصلُه: ويلَكَ، قال:

وَيْـكَ عنـترَ أقـدِمِ[3]

وهذا مُزيَّفٌ عندَ النُّحاةِ[4].

الضَّحَّاكُ: الياءُ والكافُ صلةٌ، وتقديرُه: وأنَّ اللهَ، وهذا قولٌ كما ترى[5].

محمدُ بنُ جريرٍ: ﴿وَيْكَأَنَّ﴾ بمجموعِها كلمةٌ بمعنى: ألَـمْ تعلَمْ ألَـمْ ترَ[6].

= قلت: فهو مخالف لما ذكره أبو حيان في الكافَ، كما أن المصنف في «البرهان» ضعف كون أصل «ويك»: ويلك.

(١) البيت لامرأة من بني عبد ود من بني عذرة قالته في ابنها بعدما قتل. انظر: «بلاغات النساء» (ص: ١٧٦)، و«تعليق من أمالي ابن دريد» (ص: ١٢٧)، وذكر ابن عبد ربه في «العقد» (٣/ ٢١٧) قصة أخرى له، وفيه: «تلك» بدل «ويك».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٣٣٩) عن قتادة ورجحه على جميع الأقوال، وذكر الثعلبي في «تفسيره» (٢٠/ ٥١٣) عن مؤرج قوله: «هي تعجيب».

(٣) انظر: «ديوان عنترة» (ص: ٨٣)، و«شرح المعلقات السبع» للزوزني (ص: ١٥٢)، و«شرح القصائد العشر» للتبريزي (ص: ٢٤٩)، وتمامه:

ولقد شَفَى نَفْسِي وأبرأ سُقْمَها قِيلُ الفَوَارِسِ وَيْكَ عَنْترَ أقدمِ

(٤) ذكره الفراء احتمالاً، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٧٥)، واستغربه، وفي «البرهان» وضعفه كما ذكرنا قريباً.

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٧٥)، وعدَّه من العجائب، وقال: «وهذا كلام جد عجيب».

وفي «النكت والعيون» للماوردي (٤/ ٢٧٠) عن الضحاك أن المعنى: «ولكن الله» بلغة حمير.

(٦) انظر: «تفسير الطبري» (١٨/ ٣٤١).

ولعلَّه أرادَ: كلمةٌ واحدةٌ في الخطِّ، وأمَّا في المعنى فهو قولُ الأخفشِ.

﴿لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾ فلم يُعطِنا ما تمنَّينا[1] منَ المالِ ﴿لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

* * *

(٨٣) ـ ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ﴾ يريدُ: نعيمَ دارِ الآخرةِ، وهي الجنَّةُ والبقاءُ فيها سرمدًا.

﴿نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ جُعِلَ الدَّارُ لمن أُثيبَ، ولم تُجعَلْ لمَن عُوقِبَ فيها؛ لأنَّ مَن كان في النَّعيمِ فالدَّارُ له، ومَن كان في الجحيمِ فالدَّارُ عليه.

ومعنى ﴿عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: على النّاسِ ﴿وَلَا فَسَادًا﴾: ظُلمًا.

﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ﴾؛ أي: المحمودةُ الجميلةُ ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾، وما ليس بمحمودةٍ جميلةٍ فليس بعاقبةٍ.

* * *

(٨٤) ـ ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ سبق في (النَّملِ).

وقيل: ليس المُرادُ به أنَّه يُفعَلُ به مثلُ فعلِه، بل إنْ كان مُحسِنًا جُوزِيَ بالإحسانِ، وإنْ كان مُسيئًا فبالإساةِ؛ يعني: مثلَه من جنسِه منَ الإحسانِ والإساءةِ.

---

(١) في (ف): «تمنيناه».

(٨٥) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ قال مُقاتلٌ: خرجَ النَّبيُّ ﷺ من الغارِ ليلًا مُهاجرًا من وجهِه ذلك إلى المدينةِ، فسار في غير الطَّريقِ مخافةَ الطَّلبِ، فلمَّا أمِنَ ورجعَ إلى الطَّريقِ نزلَ الجُحْفةَ بين مكَّةَ والمدينةِ، وعرفَ الطَّريقَ إلى مكّةَ فاشتاقَ إليها، وذكرَ مولدَه ومولدَ آبائِه، فأتاه جبريلُ فقال: اشتقتَ إلى بلدِك ومولدِك؟ قال: نعم، قال: فإنَّ الله يقولُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾؛ أي: إلى مكّةَ ظاهرًا عليها، فنزلتِ الآيةُ بالجُحْفةِ لا بمكّةَ ولا بالمدينةِ[1].

ومعنى ﴿فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾: أنزلَه عليك وألزمَكَ العملَ به.

وقيل: بيَّنَه، من فروضِ القِداحِ، ومعنى ﴿عَلَيْكَ﴾ على هذا القولِ: على لسانِك.

وقيل: أعطاكَه.

وقيل: حمَّلَك إبلاغَه.

ويحتمِلُ: أنزلَه نجمًا نجمًا.

﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾: مكّةَ، فأنجزَ وعدَه، وفتحَ له مكّةَ، فصار إحدى مُعجِزاتِه ﷺ، فـ (المعادُ) منَ العادةِ؛ أي: إلى حيثُ اعتدتَه، وليس منَ العودِ.

وقيل: بلدُ الإنسانِ مَعادُه؛ لأنَّه يتصرَّفُ في البلادِ ثمَّ يعودُ إليه.

وقيل: (معادُ) اسمُ مكّةَ.

وقيل: المَعادُ: الجنَّةُ، وكان فيها ليلةَ المعراجِ.

وقيل: كان فيها مع آدمَ في صلبِه.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٣٥٩).

وقيل: (عاد) قد يُستعمَلُ للشَّيءِ ابتداءً، كما تقولُ: يُعادُ إلى الحاكمِ في مثلِ هذا، وقد سبق.

وقيل: ﴿إِلَىٰ مَعَادٍ﴾: القيامةِ، وهي معادُ كلِّ خلقٍ.

وقيل: الموتِ، وهو أيضًا مَعادُ الخلقِ ومصيرُهم.

وقيل: بيتِ المقدسِ، ولا أعرفُ له وجهًا.

وقيل: ﴿لَرَآدُّكَ﴾: لمُصيِّرُكَ إلى أن تعودَ إلى مكَّةَ مفتوحةً لك.

﴿قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ فقد جئتَهم بالهدى.

﴿وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ هو مَن كذَّبك من قومِك.

و﴿مَن﴾ يجوزُ أن يكونَ محلُّه نصبًا بفعلٍ مُضمرٍ؛ أي: يعلَمُ مَن، ويجوزُ أن يكونَ رفعًا بالابتداءِ، والفعلُ مُعلَّقٌ.

***

(٨٦) - ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ﴾.

﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾؛ أي: سيُفتَحُ لك كما أُلقيَ إليك الكتابُ، يُريدُ قولَه: ﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾.

وقيل: ما كنتَ ترجو أن يُلقَى إليك القرآنُ.

وقيل: مُتَّصلٌ بقولِه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ ... وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ لكنْ أنزلَه رحمةً ونعمةً عليك.

﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ لِمَا ترى من ضَعفِك في الحالِ وقوَّتِهم.

وقيل: لا تكُنْ بينَ ظهرانيهم، وهذا أمرٌ بالهجرةِ[١].

* * *

(٨٧) ـ ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ عن العملِ بآياتِ الله ﴿بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾: إلى عبادةِ ربِّك ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

* * *

(٨٨) ـ ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ الخطابُ للنَّبيِّ والمُرادُ به غيرُه.

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾: إلا إيّاه، والوجهُ صلةٌ.

وقيل: إلا مُلكَه.

وقيل: إلّا ما أُريدَ به وجهُه منَ الأعمالِ، قال:

أستغفرُ اللهَ ذنبًا لستُ مُحصِيَه ... ربَّ العبادِ إليه الوجهُ والعملُ[٢]

مُجاهدٌ والسُّدِّيُّ: كلُّ شيءٍ هالكٌ بالموتِ إلَّا العلماءَ؛ فإنَّ علمَهم باقٍ[٣].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٧٦)، واستغربه.

(٢) البيت بلا نسبة في «الكتاب» (١/ ٣٧)، و«معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣١٤)، و«أدب الكاتب» لابن قتيبة (ص: ٥٢٤)، و«المقتضب» للمبرد (٢/ ٣٢١).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٢٧٣) عن مجاهد، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٧٦) عن مجاهد والسدي، واستغربه.

الضَّحَّاكُ: كلُّ شيءٍ هالكٌ إلَّا اللهَ والعرشَ والجنَّةَ والنَّارَ[١].

﴿لَهُ ٱلْحُكْمُ﴾: القضاءُ في خلقِه.

وقيل: ﴿لَهُ ٱلْحُكْمُ﴾ يومَ القيامةِ لا يَحكمُ فيه غيرُه.

﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: إلى ثوابِه أو عقابِه، فيُجازيكم جزاءً وِفاقًا. واللهُ أعلمُ.

***

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٠/ ٥٢٤)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٧٦)، واستغربه.

لُبَابُ التَّفَاسِيرِ

تأليف الإمام المُفسِّر

تاج القُرّاءِ الكرمانيّ

بُرهان الدِّين أبي القاسم محمود بن حمزة بن نصر الكرمانيّ

المُتوفى بعد سنة ٥٠٠هـ

يُطبع أول مرة محققاً على ثلاث نسخ خطية

تحقيق وتعليق

محمد عبد الحليم بعّاج

المجلد السابع

دار اللباب

لُبَابُ التَّفَاسِيرِ

(٧)

حُقوقُ الطّبعِ محفُوظَة

الطبعَة الأولىٰ

١٤٤٣هـ - ٢٠٢١م

يُمنع طباعةُ هذا الكتاب أو ترجمته أو تصويرُه ورقياً أو إلكترونياً

إلا بإذن خطي من الدار الناشرة

تحت المُساءلة الدُّنيوية والأُخروية

9 789933 930271

دار اللُّباب

للدِّراسات وتحقيق التُّراث

DAR-ALLOBAB

Lubab Yazma Eserleri İhya ve İlmi Araştırma Yayınları

اسطنبول - تركيا

00902125255551

00905454729850

دمشق - سوريا

00963993151546

info@allobab.com

Www.allobab.com

بيروت - لبنان

009615813966

0096170112990

İskenderpaşa mh. Kıztaşı cd. No:7 D:5 Fatih (Özel Fatih Hastanesi Karşısı)

بسم الله الرحمن الرحيم

سُورَةُ العَنكَبُوتِ

سُورَةُ العَنكَبُوتِ

تسعٌ وستُّون آيةً[1]، مكِّيَّةٌ عند الجمهورِ.

وعن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما قولانِ[2]: مكِّيَّةٌ، ومدَنيَّةٌ[3].

وعن عليٍّ رضي الله عنه: نزلَتْ بين مكّةَ والمدينةِ[4].

وعن يحيى بنِ سلامٍ: مكِّيَّةٌ إلّا عشرَ آياتٍ من أوَّلِها فإنَّها مدنيةٌ[5].

وقيل: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ﴾ [العنكبوت: ٨] وقولُه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ [العنكبوت: ١٠] نزلَتا بالمدينةِ فحسبُ.

---

(١) «تسع وستون آية»: ليس في (ف).

(٢) في (ن): «فيها قولان».

(٣) ذكرهما عنه ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٣٩٨)، وقال الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٢٧٤): «مدنية كلها في أحد قولي ابن عباس وقتادة، وفي القول الثاني لهما ـ وهو قول يحيى بن سلام ـ: مكية كلها إلا عشر آيات من أولها مدنية إلى قوله: ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾». وسيأتي هذا عن يحيى بن سلام قريباً.

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٢٧٤)، والسمعاني في «تفسيره» (٤/ ١٦٥) وقال: «هذه رواية غريبة».

(٥) انظر: «تفسير يحيى بن سلام» (٢/ ٦١٥).

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) ـ ﴿الٓمٓ﴾.

﴿الٓمٓ﴾ سبقَ الكلامُ فيه، ووقوعُ الاستفهامِ بعدَه يدلُّ على استقلالِـها وانقطاعِها عمَّا بعدَها في هذه السُّورةِ وغيرِها منَ السُّورِ.

* * *

(٢) ـ ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾.

﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ في سببِ النُّزولِ عن الشَّعبيِّ: أنَّ هاتَين الآيتَين نزلَتا في أُناسٍ كانوا بمكَّةَ قد أقرُّوا بالإسلامِ، فكتبَ إليهم أصحابُ النَّبيِّ ﷺ منَ المدينةِ: إنَّه لا يُقْبَلُ منكم إقرارٌ ولا إسلامٌ حتَّى تُهاجِروا، فخرجُوا عامدين إلى المدينةِ فاتَّبعهم المُشركون فقاتلوهم، فمنهم مَن قُتِلَ، ومنهم مَن نَجا، فنزلَتْ فيهم: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُواْ﴾ [النحل: ١١٠][١].

وأكثرُهم على أنَّها نزلت في مِهْجَعٍ مولى عمرَ بنِ الخطَّابِ رضي الله عنه، قُتِلَ يومَ بدرٍ، رماه عامرُ بنُ الحضرميِّ بسهمٍ فقتلَه، فقال ﷺ يومَئذٍ: «سيِّدُ الشُّهداءِ مِهْجَعٌ، وهو أوَّلُ مَن يُدعَى إلى بابِ الجنَّةِ من هذه الأمَّةِ»، فجزِعَ عليه أبواه وامرأتُه، فأنزَلَ الله فيهم[٢].

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٢٣٩)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٣٥٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٣١).

(٢) ذكره بهذا اللفظ الثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ١١) عن مقاتل، وهو بنحوه في «تفسير مقاتل» (٣/ ٣٧٢).

وروى ابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٣٩١)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥٧٧١)، عن القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود قال: «أول من استشهد يوم بدر مهجع مولى عمر»، =

وعن مجاهدٍ: نزلَتْ في عمّارِ بنِ ياسرٍ رضي الله عنه حين كان يُعذَّبُ في الله[1].

وقيل: نزلَتْ في عَيَّاشٍ أخي أبي جهلٍ[2].

قولُه: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ﴾ استفهامُ إنكارٍ على مَن جَزِعَ، والمعنى: أَحَسِبُوا أن يُقنَعَ منهم بمُجرَّدِ قولِـهم: ﴿ءَامَنَّا﴾ ثمَّ لا يُمتَحَنون بما به[3] يظهرُ حقيقةُ إيمانِهم.

وقيل: معناه: أظَنَّ المُؤمنون أن لا يُؤذَوا ولا يُقتَلوا؟

وقيل: أظَنُّوا أن لا يُؤمَروا ولا يُنهَوا؟

***

(٣) ـ ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: ابتلَيناهُم، من قولِه: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم﴾ [البقرة: ٢١٤].

﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟﴾ في إيمانِهم ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾ في الدِّينِ.

وقيل: هو من صِدْقِ القتالِ وكذِبِ القتالِ.

= ورواه ابن سعد أيضًا عن الزهري.

(١) لم أقف عليه عن مجاهد، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٣٥٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٣٢)، عن ابن جُرَيج، قال: سمعت عبد الله بن عبيد بن عمير يقول... فذكره.

(٢) ذكره يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٦١٨) عن السدي، وعياش هو ابن أبي ربيعة، أخو أبي جهل لأمِّه. كما في «الاستيعاب» لابن عبد البر (٣/ ١٢٣٠). وذكر بعض المفسرين أن الذي نزل في عياش هو الآية العاشرة من هذه السورة: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ٢٢) عن الكلبي ومقاتل، وهو في «تفسير مقاتل» (٣/ ٣٧٥). وذكره دون نسبة السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٦٢٦)

(٣) «به»: ليس في (ف).

وقيل: صدَقوا فيما وَعَدوا النَّبيَّ عليه السَّلامُ منَ النُّصرةِ.

أي: يعلمُهم موجودين كما علمَهم معدومين.

وقيل: يعملُ معهم مُعاملةَ المُختبِرِ.

وقيل: يعلمُ علمَ مُشاهدةٍ بصحَّةِ الجزاءِ.

وقيل: معنى (لَيعْلَمَنَّ): ليُجازِيَنَّ.

قولُه: ﴿أَن يُتْرَكُوٓاْ﴾ واقعٌ موقعَ مفعولَي (حسِبَ)، و﴿أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ نصبٌ، وتقديرُه: بأن يقولوا، و: لأَنْ يقولوا، فحُذِفَ الجارُّ، فوصلَ إليه الفعلُ فنصبَه.

الزَّجَّاجُ: نصبٌ على البدلِ من ﴿أَن يُتْرَكُوٓاْ﴾، وأنكرَ عليه أبو عليٍّ في «إصلاحِ الإغفالِ»، وقسَّمَ عليه الكلامَ، وليس في «معاني الزَّجَّاجِ» صريحُ ما يدَّعي عليه أبو عليٍّ منَ البدلِ، بل عنده: أحسِبُوا أن يقولوا آمنَّا وهم لا يُفتَنون، فحُذِفَ (حسِبَ) لأنَّ الأوَّلَ يدلُّ عليه[1]، وله نظائرُ.

وقيل: تقديرُ الكلامِ: أحسِبَ النّاسُ أنفُسَهم متروكةً قائلينَ آمنَّا.

المُبرِّدُ: ﴿أَن يُتْرَكُوٓاْ﴾ نصبٌ بـ(حسِبَ)، و﴿أَن يَقُولُوٓاْ﴾ نصبٌ بـ﴿يُتْرَكُوٓاْ﴾، والخبرُ محذوفٌ[2].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ١٥٨ ـ ١٥٩)، وليس فيه: «فحُذِفَ (حسِبَ) لأنَّ الأوَّلَ يدلُّ عليه»، ولكن المصنف ذكر وجهاً يحتمله كلام الزجاج، وهو أن يكون (أن يقولوا) منصوب بفعل مقدر (حسب) دلّ عليه المذكور، وبهذا يخرج من القول بالبدلية الذي ألزمه أبز علي للزجاج في «الإغفال» (٢/ ٥١٨) مع ثلاثة احتمالات أخرى، وهي: المفعول الأول والثاني والصفة، ولم يرتض أبو عليّ منها شيئاً. وذكر المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٧٧) القول بالبدلية واستغربه، ونبه لما نبه إليه هنا من كون الزجاج لم يصرح به، ونحن ننبه هنا إلى أن أبا علي لم ينسبه للزجاج، وإنما أورده كاحتمال لكلامه بعد أن أورده بحروفه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٧٧)، واستغربه، وفيه: «والمفعول الثاني محذوف» بدل «والخبر محذوف» والمعنى واحد؛ لأن المفعول الثاني أصله الخبر في باب حسب.

والحُسْبانُ: قوَّةُ أحدِ النَّقيضَين على الآخرِ، ومثلُه الظَّنُّ والتَّوهُّمُ، وأما العلمُ: فالقطعُ بأحدِهما، والشَّكُّ: توقُّفٌ بينَهما.

* * *

(٤) ـ ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾.

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: الشِّركَ والمعاصيَ ﴿أَن يَسْبِقُونَا﴾: أن يفوتُونا فلا نَقدِرُ عليهم ﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ على الله بالعجزِ.

وقيل: ساءَ ما يظنُّون؛ أي: كِلا الظَّنَّين باطلٌ.

* * *

(٥) ـ ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٍۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ﴾ في القيامةِ ويطمعُ في ثوابِه ﴿فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ﴾ الذي أجَّلَه للجزاءِ ﴿لَأٓتٍ﴾؛ أي: قريبٌ.

وقيل: معناه: مَن كان يخافُ الموتَ والمصيرَ إلى دارِ الجزاءِ فليعمَلْ خيرًا ولا يتوانَ فيه ﴿فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ﴾ يعني: الموتَ ﴿لَأٓتٍ﴾ لا محالةَ[1].

وقيل: معنى ﴿يَرْجُواْ﴾: يأمُلُ ثوابَ لقاءِ الله.

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

* * *

(٦) ـ ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿وَمَن جَٰهَدَ﴾ نفسَه بالصَّبرِ على طاعةِ الله.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٧٨)، واستغربه.

وقيل: جاهدَ الكفَّارَ.

وقيل: جاهدَ الشَّيطانَ بدفعِ وساوسِه.

﴿فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ﴾ له ثوابُ ذلك ومنفعتُه.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾؛ أي: عن طاعتِهم ومُجاهدَتِهم.

***

(٧) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَحۡسَنَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ﴾: الشِّركَ والمعاصيَ بالإيمانِ والتَّوبةِ.

﴿وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَحۡسَنَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾؛ أي: بأحسنِ أعمالِهم وهو طاعةُ الله.

وقيل: هو أداءُ الفرائضِ.

ويحتمِلُ: ولنجزينَّهم أحسنَ منَ الذي كانوا يعملون[1]؛ أي: بالواحدِ عشرًا، وبالواحدِ سبعين.

***

(٨) ـ ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗاۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَآۚ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾.

﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗا﴾ في سببِ النُّزولِ: أنَّها نزلت في سعدِ بنِ أبي وقّاصٍ وأمِّه حَمْنَةَ، قالت له: يا سعدُ، بلَغَني أنَّك صبَوْتَ، فوالله لا يُظِلُّني سقفُ بيتٍ منَ الضِّحِّ والرِّيحِ، ولا آكلُ ولا أشربُ حتَّى تكفُرَ بمحمَّدٍ وترجعَ إلى ما كنتَ

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٧٨)، واستغربه.

عليه، وكان أحبَّ ولدِها إليها، فأتى سعدٌ النَّبيَّ ﷺ وشكا ذلك إليه، فأنزلَ الله هذه الآيَةَ، والتي في (لقمانَ) و(الأحقافِ)(١).

والمعنى: أوصَيْناه فيما أنزلناه منَ الكتبِ على رسلِنا أن يفعلَ الإنسانُ بأبوَيه ما يحسُنُ ولا يقبُحُ.

وقيل: معنى ﴿وَوَصَّيْنَا﴾: ألزَمْنا.

ونُصِبَ ﴿حُسْنًا﴾ على المصدرِ، وتقديرُه: بأن يُحسِنَ حُسنًا.

وقيل: الإيصاءُ يتعدَّى إلى مفعولَين.

﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ﴾ في سببِ النُّزولِ: أنَّها نزلَتْ في سعدِ بنِ مالكٍ، ابتُليَ بمثلِ ما ابتُليَ به سعدُ بنُ أبي وقَّاصٍ(٢)، والمعنى: وصَّيناه ﴿إنْ جاهَداكَ﴾: إنْ جَهِدا بك وغالَباك واستَفْرَغا مجهودَهما وحملاك على الإشراكِ ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ أنَّه لي شريكٌ، وهذا علمٌ لا يكونُ؛ إذ لا شريكَ له.

أبو مسلمٍ: لا تُطِعهما مدَّة لا تعلَمُ له شريكًا(٣)، جعلَ (ما) للمصدرِ، والمُرادُ به: المدّةُ.

---

(١) ذكره بهذا اللفظ الثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ١٦) دون عزو، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٤٠) وعزاه للمفسرين. ورواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٣٦٣) عن قتادة، وأصله عند مسلم (١٧٤٨) كتاب فضائل الصحابة، عقب الحديث (٢٤١٢)، والترمذي (٣١٨٩)، من حديث سعد رضي الله عنه. والتي في لقمان الآيتان (١٤ ـ ١٥)، والتي في الأحقاف الآية (١٥).

(٢) كذا قال، وهو سهو منه، فإن سعد بن أبي وقاص هو نفسه سعد بن مالك.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٧٨)، وعده من العجائب. وفيه: «... مدة ما لم تعلم له...».

وقيل: ما ليس لك به حجَّةٌ؛ لأنَّ الحجَّةَ طريقُ العلمِ.

﴿فَلَا تُطِعْهُمَآ﴾؛ أي: أطِعْهما في الواجبِ والمُباحِ، ولا تُطِعهما في المُحرَّمِ والمحظورِ.

﴿إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ﴾؛ أي: مصيرُ الوالدِ والولدِ إليَّ في القيامةِ.

﴿فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾؛ أي: أُوقِفُكم على أعمالِكم؛ فإنَّها مُثبتةٌ عندي، ثمَّ أُجازيكُم بها.

* * *

(٩) ـ ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾: في الجنّةِ مع المؤمنين.

وقيل: ﴿ءَامَنُوا﴾ بعد كُفرِهم ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ بعدَ إفسادِهم ﴿لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾ بقَبولِ توبتِهم وجعلِهم أسوةَ سائرِ المؤمنين وفي جُملتِهم.

* * *

(١٠) ـ ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ﴾ في سببِ النُّزولِ: عن مجاهدٍ والضَّحَّاكِ: أنَّها نزلَتْ في المنافقين[1].

عكرمة: نزلَتْ في المؤمنين الذين أخرجَهم المشركون إلى بدرٍ فارتدُّوا، قال:

---

(١) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٣٦٥)، ورواه عن مجاهد ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٣٧).

وهم الذين نزلَتْ فيهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [النساء: ٩٧][1].

﴿فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ﴾؛ أي: إذا أُصيبَ بمكروهٍ في سببِ إظهارِ دينِ الله ﴿جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: تركَ الإيمانَ خوفًا من عذابِ النّاسِ كما ينبَغي أن يترُكَ الكفرَ خوفًا من عذابِ الله، فعَدَلَ عذابَ الدُّنيا الذي هو ساعةٌ بعذابِ الله الذي هو باقٍ لا ينقطعُ.

الزَّجّاجُ: جزِعَ من ذلك كما يجزَعُ من عذابِ الله[2].

﴿وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ﴾: فتحٌ وغنيمةٌ ﴿لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾؛ أي: مؤمنين فأشرِكونا فيما غنِمتُم، ويقولون ذلك استِكفافًا لِمَا يخافونَه من إيقاعِ المُؤمنين بهم.

﴿أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ﴾ يُريدُ: مِن خلقِه ﴿بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ منَ الإخلاصِ والنِّفاقِ.

* * *

(١١) ـ ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾.

﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾؛ أي: حالُهما ظاهرةٌ عندَ مَن يملكُ الجزاءَ عليهما.

* * *

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٢٤٠)، والطبري في «تفسيره» (٧/ ٣٨٥).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ١٦١).

(١٢) ـ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا﴾: طريقَنا الذي نسلكُه في الدِّين ﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾ يُريدُ: عنكم، اللَّفظُ أمرٌ والمعنى جزاءٌ[١].

وفي بعضِ التَّفاسيرِ: أنَّ هذا القائلَ أبو سفيانَ بنُ حربٍ وأميَّةُ بنُ خلَفٍ، قالا لعمرَ بنِ الخطّابِ رضي الله عنه: إنْ كان في الإقامةِ على دينِ الآباءِ إثمٌ فنحنُ نحملُه عنك[٢]، فقال الله: ﴿وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ﴾ يُخفِّفُ عن المحمولِ عنه العذابَ، ﴿إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ في قولِهم.

***

(١٣) ـ ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾.

﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ﴾: آثامَهم ﴿وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ يُضاعَفُ لهم العذابُ بذنوبِهم وذنوبِ مَن أضلُّوهم، من قولِه عليه السَّلامُ: «مَن سنَّ سنَّةً سيِّئةً فعليه وزرُها ووزرُ مَن عملَ بها إلى يومِ القيامةِ»[٣].

﴿وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾: يكذِبون في خداعِهم هذا.

وقيل: ﴿يَفْتَرُونَ﴾: يُشرِكون.

***

---

(١) أي: إن اتبعتم سبيلنا حملنا خطاياكم. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ١٦٢).

(٢) ذكره مقاتل في «تفسيره» (٣/ ٣٧٦)، وفي ذكر أبي سفيان نظر؛ فقد أسلم وحسن إسلامه، فلا يوصف بالكفر من كان هذا حاله.

(٣) رواه مسلم (١٠١٧) من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه.

(١٤) ـ ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ﴾.

﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا﴾ يدعوهم إلى الله، وكان أوَّلَ نبيٍّ فيما رواه أنسٌ رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ[1]؛ أي: مكث فيهم تسعَ مئةٍ وخمسين حولًا، وكان هذا مدَّةَ عمرِه.

وقيل: كان له قبل هذا ثلاثُ مئةٍ وخمسونَ سنةً؛ أي: قبل النُّبوَّةِ، وعاشَ بعد الطُّوفانِ ثلاثَ مئةٍ وخمسينَ سنةً.

وقيل: كان له قبلَ النُّبوَّةِ ثلاثُ مئةِ سنةٍ، ودعاهم إلى الإيمانِ ثلاثَ مئةِ سنةٍ، وعاش بعد الطُّوفانِ ثلاثَ مئةٍ وخمسينَ سنةً.

وقيل: كان عمرُه ألفَ سنةٍ، فوهَبَ منها خمسين لابنٍ له، فلمَّا كان في آخرِ عمرِه راجعَ في ذكرِ الخمسين، فذكرَ الله ذلك تنبيهًا على أنَّ النَّقيصةَ كانت من جهتِه، حكاه الماورديُّ[2]، وهذا منَ التُّرَّهاتِ.

وإنَّما قال: ﴿أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ﴾ ولـم يقُلْ: فلبثَ[3] فيهم تسعَ مئةٍ وخمسين؛ لأنَّك إذا قلتَ: «له تسعةٌ» احتملَ التَّمامَ والنُّقصانَ، فإذا قلتَ: «عشرةٌ إلا واحدةً» فقد أكَّدتَ التِّسعةَ.

وقيل: ذكرَ الألْفَ لفخامةِ اللَّفظِ، فإنَّ الألْفَ من كلِّ شيءٍ كثيرٌ.

---

(١) رواه البخاري (٧٤٤٠)، وهو قطعة من حديث الشفاعة، ولفظه: «ولكن ائتوا نوحًا أول نبي بعثه الله إلى أهل الأرض»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٧٨) واستغربه.

(٢) انظر: «النكت والعيون» (٤/ ٢٧٩)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٧٨)، وعده من العجائب.

(٣) في (ف): «مكث».

﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ﴾: الماءُ المُحيطُ حتى غرِقُوا، وكلُّ ما عمَّ الكلَّ منَ المكارهِ فهو طوفانٌ، ﴿وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ أنفسَهم بالكفرِ.

***

(١٥) ـ ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ﴾؛ أي: نوحًا ﴿وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ﴾: أولادَه وأصحابَه، وكانوا ثمانين نسَمةً.

وقيل: مَن كان فيها، وما كان فيها من كلٍّ زوجَين اثنين.

﴿وَجَعَلْنَٰهَآ﴾؛ أي: السَّفينةَ حين استوَتْ على الجوديِّ، وناحيةُ الجوديِّ موضعٌ يُعرَفُ بسوقِ الثَّمانين.

وقيل: ﴿وَجَعَلْنَٰهَآ﴾؛ أي: العقوبةَ ﴿ءَايَةً﴾، وقيل: القِصَّةَ.

﴿ءَايَةً﴾: عبرةً وعِظةً ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ يتَّعِظون بها.

***

(١٦) ـ ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَإِبْرَٰهِيمَ﴾: وأرسَلْنا إبراهيمَ، وقيل: واذكر إبراهيمَ.

﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أخلِصُوا له العبوديَّةَ والطَّاعةَ ﴿واتَّقُوهُ﴾ خافوا عقابَه.

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ الإخلاصُ والاتِّقاءُ ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من عبادةِ الأصنامِ ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: تدبَّرون وتفكَّرون.

***

(١٧) ـ ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَـٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَـٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾: تكذِبون كذبًا.

وقيل: (تَخْلُقُونَ): تصنعون، والخلقُ: الفعلُ المُقدَّرُ.

﴿إِفْكًا﴾: ذا إفكٍ؛ أي: كذبٍ حينَ سمَّيتُموها آلهةً.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾؛ أي: الأوثانُ لا تملكُ أن ترزُقكم، وهو مصدرٌ.

وقيل: لا يملكون شيئًا ممَّا هو رزقٌ لكم.

﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ﴾: سَلُوا اللهَ حوائجَكم ﴿وَٱعْبُدُوهُ﴾: وحِّدوه ﴿وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ﴾ على ما ابتدأكم به منَ النِّعمِ ﴿إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ للثَّوابِ والعقابِ.

* * *

(١٨) ـ ﴿وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾.

﴿وَإِن تُكَذِّبُوا۟﴾ محمَّدًا ﷺ ﴿فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾ يعني: قومَ نوحٍ، وقومَ إبراهيمَ، وهذا اعتراضٌ بين خطابِ إبراهيمَ قومَه وجوابِهم إيَّاه.

وقيل: كلُّه من كلامِ إبراهيمَ(١)، والأوَّلُ هو الوجهُ.

﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾: ليس عليك يا محمَّدُ من كفرِهم غضاضةٌ إذا بلَّغْتَ، فليس عليك غيرُ ﴿ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ يبينُ لمَن سمعَه.

* * *

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٧٩)، واستغربه.

(١٩) ـ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ﴾ فيستدِلُّوا بالمُتَّفَقِ عليه على المشكوكِ فيه.

ويحتمِلُ أنَّ الوقفَ على قولِه: ﴿يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ﴾ تامٌّ، ثمَّ استأنفَ فقال: ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ﴾؛ لأنَّ ذلك فيما لم يَرَوْا بعدُ، وكذلك قولُه: ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ﴾ [العنكبوت: ٢٠]، والوقفُ عليه في الثَّاني مرويٌّ(١).

ويحتملُ أنَّ المُرادَ بالإبداءِ والإعادةِ والإنشاءِ ما نُشاهدُه مما يتجدَّدُ كلَّ حينٍ وكلَّ سنةٍ منَ النَّباتِ والأشجارِ والثِّمارِ، فيكونُ داخلًا تحتَ الرُّؤيةِ والنَّظرِ، والله أعلمُ.

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾: الإعادةَ ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾: سهلٌ هيِّنٌ.

* * *

(٢٠) ـ ﴿قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْآخِرَةَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿قُلْ﴾ يا محمَّدُ.

ومَن جعلَه من كلامِ إبراهيمَ فتقديرُه: فأوحينا إليه أنْ قُل: ﴿سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ﴾ على كثرتِهم واختلافِ أحوالِهم؛ لتعرفوا عجائبَ فطرةِ الله بالمُشاهدةِ ولقاءِ مَن هو أعلمُ منكم، وبدأَ وأبْدَأَ بمعنًى(٢)، والآيةُ تجمعُهما.

﴿ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْآخِرَةَ﴾ وقُرِئَ ﴿النَّشاءَةَ﴾ بالمدِّ(٣)، ....

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٧٩).

(٢) انظر: «كتاب الأفعال» لابن القوطية (ص: ١٢٧)، وقوله: «الآية تجمعهما» عنى به: هذه الآية والتي قبلها؛ في هذه (بدأ)، وفي التي قبلها ﴿يُبْدِئُ﴾ وماضيه (أبدأ).

(٣) قرأ بها ابن كثير وأبو عمرو، والباقون بالأولى. انظر: «السبعة» (ص: ٤٩٨)، و«التيسير» (ص: ١٧٣).

وهما لغتانِ كالرَّأفةِ والرَّآفةِ، والإنشاءُ: ابتداءُ الشَّيءِ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ منَ الإبداءِ والإنشاء[١] والإعادةِ ﴿قَدِيرٌ﴾: قادرٌ بذاتِه[٢]، لا بقدرةٍ محدَثةٍ كقدرةِ بني آدمَ.

***

(٢١) - ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾.

﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ﴾؛ أي: إعادتُهم بعد الموتِ للجزاءِ على الأعمالِ.

﴿وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾: وإلى حكمِه في دارِ الجزاءِ تُردُّون.

***

(٢٢ - ٢٣) - ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: بفائتين هرَبًا من عقابه؛ أي: فاحذَروا عقابه ﴿وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾؛ أي: ولا مَن في السَّماءِ بمُعجِزين في السَّماءِ، قالَه الفرَّاءُ، قال: وهذا من غوامضِ العربيّةِ، وأنشدَ قولَ حسّانَ:

فمَن يهجو رسولَ الله منكم ... ويمدَحُه وينصُرُه سواءُ

أي: ومَن ينصرُه[٣].

وقيل: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ لو كنتُم فيها.

وقيل: لا تُعجِزوننا بأن تهرُبوا إلى الأرضِ أم إلى السَّماءِ[٤].

---

(١) في (ن): «والنشأة».

(٢) في (ف) زيادة: «بقدر قديم».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣١٥)، والبيت في «ديوان حسان» (ص: ٦٤).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٧٩)، واستغربه.

وقيل: هذا قولُ إبراهيمَ عليه السَّلامُ لقومِه وفيهم نُمرودُ، وكان نُمرودُ رامَ الصُّعودَ إلى الجوِّ يُوهِمُ أنَّه يُحاوِلُ السَّماءَ.

وقيل: معناه: لا تفوتون مَن في الأرضِ منَ الإنسِ والجنِّ ولا مَن في السَّماءِ منَ الملائكةِ، فكيفَ تفوتونَ الله سبحانَه[1]؟ وهذا ضعيفٌ؛ لأنَّ الصِّلةَ لا تقومُ مَقامَ الموصولِ.

﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: بالقرآنِ، وقيل: بدلائلِ توحيدِه.

﴿وَلِقَآئِهِۦٓ﴾: البعثِ بعد الموتِ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِي وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾؛ أي: هم أهلُ اليأسِ والعذابِ، وذُكِرَ بلفظِ الماضي لأنَّ أكثرَ ألفاظِ القيامةِ جاءت بلفظِ الماضي تحقيقًا.

وقيل: يئِسوا في الدُّنيا؛ لأنَّ اليأسَ رفعُ الطَّمعِ، وقد رفعوا طمعَهم بإنكارِهم البعثَ.

وقيل: يجبُ أن ييأسوا من رحمَتي.

***

(٢٤) ـ ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾ عاد بعد الاعتراضِ إلى كلامِ إبراهيمَ عليه السَّلامُ وجوابِ قومِه فقال: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾ إياه: ﴿إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾ فاتَّفقوا على تحريقِه.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٧٩)، وعده من العجائب.

﴿فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ﴾؛ أي: منَ النّارِ ومكروهِها حين قذفوه فيها، وجعلَها بردًا وسلامًا.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾: فيما فعلوه[1] به وفعَلْنا ﴿لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾: علاماتٍ لهم على أنَّ العاقبةَ للمؤمنين.

* * *

(٢٥) ـ ﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا مَّوَدَّةَ بَيۡنِكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٖ وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾.

﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا مَّوَدَّةَ بَيۡنِكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٖ وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ معنى الآيةِ: اتَّخذتُم هذه الأوثانَ لتتوادُّوا بها، وتتحابُّوا على عبادتِها، وتتواصَلوا، كما يتَوالى ويتحابُّ المؤمنونَ على عبادةِ الله.

وقيل: اتَّخذتموه مودةَ بينِكم لتُتْرَكوا وما هَوَيْتم ولا تكونوا مأمورين ولا منهيِّين، وإنَّما ذلك بينكم في الدُّنيا، فإذا صِرتُم إلى الآخرةِ تبرَّأ بعضُكم من بعضٍ، من قولِه: ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧]، ويلعنُ بعضُكم بعضًا من قولِه: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَا﴾ [الأعراف: ٣٨]، ومأوى المُتحابِّين النارُ وجهنَّمُ من غيرِ أن يمنَعهم عنها مَنَعةٌ.

وفي إعرابِ الآيةِ كلامٌ:

---

(١) في (ف): «فعلوا».

قُرِئَ ﴿مَّوَدَّةَ﴾ بالرَّفعِ والنَّصبِ، ﴿بَيۡنِكُمۡ﴾ بالنَّصبِ والجرِّ(١).

الرَّفعُ من ثلاثةِ أوجُهٍ:

أحدُها: أن يكونَ خبرًا لـ﴿إنَّ﴾، و﴿ما﴾ بمعنى: الذي.

والثّاني: هي مودَّةُ بينِكم، خبرٌ مبتدأ محذوفٍ.

والثّالثُ: بالابتداءِ، والخبرُ ﴿فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾، وهذا قولُ الفرّاءِ(٢).

والوجهُ الأوَّلُ أحسنُها.

والنَّصبُ من خمسةِ أوجُهٍ:

أحدُها: أن يكونَ المفعولَ الثّانيَ، كما تقولُ: «أخذتُ زيدًا خليلًا»، و(ما) تكونُ كافَّةً لـ(إنَّ).

والثّاني: أن يكونَ مفعولًا له؛ أي: للمودَّةِ.

والثّالثُ: أن يكونَ حالًا؛ أي: مُتوادِّين.

والرّابعُ: أن يكونَ تـمييزًا.

والخامسُ: أن يكونَ بدلًا من الأوثانِ، كأنَّه جعلَ الأوثانَ المودَّةَ على السَّعةِ.

والوجهُ الأوَّلُ أحسنُها.

ومَن أضافَ (المودَّةَ) جعلَ ﴿بَيۡنِكُمۡ﴾ اسمًا لا ظرفًا؛ كقولِه: ﴿شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ﴾ [المائدة: ١٠٦]، ومَن نوَّنَ ﴿مَوَدَّةً﴾ ونصبَ ﴿بَيۡنَكُمۡ﴾ فعلى الظَّرفِ.

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي: ﴿مَودَّةُ﴾ بالرفع من غير تنوين ﴿بينِكم﴾ بالخفض، وحفص وحمزة: ﴿مَودَّةَ﴾ بالنصب من غير تنوين ﴿بينِكم﴾ بالخفض، والباقون: ﴿مَودَّةً﴾ بالنصب والتنوين و﴿بينكم﴾ بالفتح. انظر: «السبعة» (ص: ٤٩٨ ـ ٤٩٩)، و«التيسير» (ص: ١٧٣).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣١٦)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٨٨٠)، واستغربه.

(٢٦) ـ ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾.

﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ﴾؛ أي: آمنَ به، وقيل: صدَّقه.

وجاء في التَّفسيرِ: لـم يُؤمِنْ به من جملةِ قومِه إلا لوطٌ وكانَ ابنَ أخيه، وسارةُ وكانت ابنةَ عمِّه.

﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ﴾: مُفـارِقٌ قومـي خـارجٌ منهم ﴿إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾: إلـى حيثُ أمرَني ربِّي.

وقيل: إلى حيثُ لا أُمنعُ من عبادةِ الله.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ غلبَهم ونجَّاني.

وقيل: هذا كلامُ لوطٍ، والمعنى: مُهاجرٌ مَن خالفَني من قومي مُقرِّبًا إلى ربي، حكاه القفَّالُ(١).

فخرجَ هو ولوطٌ عليهما السَّلامُ من كُوْثَى، سوادِ الكوفةِ إلى الشَّامِ، وهو أوَّلُ مَن هاجرَ في الله.

الفرَّاءُ: هاجرَ من حرَّانَ إلى فلسطينَ(٢).

***

(٢٧) ـ ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَجۡرَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ﴾؛ أي: إسحاقَ ولدًا، ويعقوبَ ولدَ ولدٍ، ولـم يذكُرْ هاهنا إسماعيلَ عليهم السَّلامُ لشُهرتِه.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٨١) دون نسبة، واستغربه.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣١٦).

وجاء في التَّفسيرِ: وخرجَ إبراهيمُ مُهاجرًا وخرجَ معه لوطٌ مُهاجرًا، وتزوَّجَ إبراهيمُ عليه السَّلامُ سارةَ ابنةَ عمِّه، فخرجَ بها معه يلتمسُ الفرارَ بدينِه حتَّى نزلَ حرَّانَ، فمكثَ بها ما شاء الله، ثمَّ خرجَ منها حتَّى قدمَ مصرَ، ثمَّ خرجَ من مصرَ إلى الشّامِ، فنزلَ قريةً من أرضِ فلسطينَ، ونزلَ لوطٌ سَدُومَ - وهي المُؤتفكةُ - على مسيرةِ يومٍ وليلةٍ من قريةِ إبراهيمَ عليه السَّلامُ.

﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ﴾؛ أي: ذُرِّيَّةِ إبراهيمَ عليه السَّلامُ؛ فإنَّه شجرةُ الأنبياءِ.

﴿وَٱلْكِتَٰبَ﴾ يعني: التَّوراةَ والإنجيلَ والزَّبورَ والقرآنَ، والألفُ واللَّامُ للجنسِ.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا﴾: الثَّناءَ الحسنَ ولسانَ الصِّدقِ.

وقيل: الولدَ الصّالحَ.

وقيل: رِضا جميعِ الأديانِ به.

الماورديُّ: بقاءَ ضيافتِه عند قبرِه، قال: وليس ذلك لغيرِه منَ الأنبياءِ[1].

وقال بعضُ المُفسِّرين في قولِه: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا﴾ هذا دليلٌ على أنَّ الله قد يُعطي الأجرَ والثَّوابَ في الدُّنيا[2].

﴿وَإِنَّهُۥ فِي ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: من الأنبياءِ.

---

(١) انظر: «النكت والعيون» للماوردي (٤/ ٤٨١)، وفيه: «بقاء الصلاة عند قبره، وليس ذلك لغيره من الأنبياء»، وورد قوله: «بقاء ضيافته وزيارة الأمم لقبره» في «النكت والعيون» (٣/ ٢١٩) عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ [النحل: ١٢٢]، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٨١)، وعده من العجائب.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٨١)، واستغربه، وانظر كلام صاحب «النظم» الذي نقله الواحدي في «البسيط» (١٧/ ٥١٧).

الحسن: من أهلِ الجنَّةِ، قال: ولا صفةَ للعبدِ أشرفُ منَ الصَّلاحِ، وكفى بالصَّلاحِ شرفًا؛ أي: جعلَ الله إبراهيمَ عليه السَّلامُ منسوبًا إلى المُتَّصفينَ به[1].

* * *

(٢٨ ـ ٢٩) ـ ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.

﴿وَلُوطًا﴾: واذكُرْ لوطًا، أو: وأرسَلْنا لوطًا.

﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾: اللِّواطَ ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ﴾ مُواقعةَ الرِّجالِ ﴿وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ﴾: الطُّرقَ بالقتلِ وأخذِ المالِ.

وقيل: سبيلَ الولدِ بإتيانِ الأدبارِ وتعطيلِ الفروجِ.

وقيل: باللِّواطِ بالغُرباءِ حتى انقطعَتِ السُّبُلُ[2] خوفًا منهم[3].

﴿وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ﴾: مجلسِكم، تقولُ: نادَيتُه؛ أي: جالَستُه.

﴿ٱلْمُنكَرَ﴾ قيل: المُضارَطةَ، روَتْه عائشةُ رضي الله عنها[4].

---

(١) قال أبو حيان في «البحر المحيط» (١/ ٦٣٠): «من الذين يستوجبون صالح الجزاء. قال معناه الحسن».

(٢) في (ف): «الطرق».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٨١)، واستغربه.

(٤) رواه البخاري في «التاريخ الكبير» (٦/ ١٩٦)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٣٨٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٥٤).

وقيل: كانوا يُجامعون في المحافلِ فعلَ الحميرِ.

مجاهدٌ: لعبُ الحمامِ، والصَّفيرُ، والجُلاهِقُ، والخَذْفُ، والسِّواكُ في المجلسِ، ومَضْغُ العلكِ، وحلُّ أزرارِ القَباءِ(١).

وعن النَّبيِّ ﷺ: «إنَّ قومَ لوطٍ كانوا يجلسون في مجالسِهم وعند كلِّ رجلٍ منهم قصعةٌ فيها حصًى، فإذا مرَّ بهم عابرُ سبيلٍ خذَفُوه، فأيُّهم أصابَ كانَ أولى به، فذلك قولُه: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ﴾»(٢).

وعنه ﷺ: «إياكُم والخذْفَ؛ فإنَّه لا ينكَأُ عدوًا، ولا يقتُلُ صيدًا، ولكنْ يفقَأُ العينَ، ويكسرُ السِّنَّ»(٣).

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في الرِّسالةِ والإيعادِ.

* * *

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٥٥) بلفظ: «الصفير ولعب الحمام والجلاهق وحل أزرار القباء»، وذكره الفراء في «معاني القرآن» (٢/ ٣١٧) بلا نسبة. والجلاهق كعُلابِطٍ: هو البُنْدقُ الذي يرْمَى به، ومنه قوسُ الجُلاهِق، وأصلُه بالفارسية: جُلَهْ، وهي: كبَّة غَزْلٍ. انظر: «الصحاح» و«التاج» مادة: (ج ل هـ ق).

(٢) رواه بهذا اللفظ الثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ٣٩) من حديث معاوية رضي الله عنه، وفيه المسيب بن شريك وهو متروك. وروى الترمذي (٣١٩٠) من حديث أم هانئ عن النَّبيِّ ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾ قال: «كانوا يخذفون أهل الأرض ويسخرون منهم». قال: «هذا حديث حسن إنما نعرفه من حديث حاتم بن أبي صغيرة عن سماك».

(٣) رواه البخاري (٦٢٢٠)، ومسلم (١٩٥٤)، عن عبد الله بن مغفلٍ المزنيِّ رضي الله عنه.

(٣٠) ـ ﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾.

﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ بإنزالِ العذابِ عليهم.

وقيل: بأن تمنعَ أذاهم عنِّي.

* * *

(٣١) ـ ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴾.

﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ ﴾؛ أي: جاؤوه ببشارةِ إسحاقَ، ومن وراءِ إسحاقَ يعقوبُ.

﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ﴾ يعنون: سَدُومَ، ولقُربها قالوا: ﴿أَهْلِ هذه الْقَرْيَةِ﴾، ﴿إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴾ كافرين عاتين في الكفرِ.

* * *

(٣٢) ـ ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾.

﴿قَالَ ﴾ إبراهيمُ: ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا ﴾: أتُهلِكونَهم وفيهم لوطٌ؟

﴿قَالُوا﴾ يعني: الملائكةَ: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ﴾؛ أي: أكثرُ علمًا، فليس يخفى علينا.

﴿لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ ﴾؛ أي: لنأمُرَنَّ لوطًا بمُفارقةِ أهلِ القريةِ بقِطْعٍ منَ اللَّيلِ، أمرَنا الله بذلك، فيكونُ نزولُ الهلاكِ بهم بعد خروجِه من بين أظهُرِهم.

﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾: الباقين في العذابِ.

ثمَّ أخبرَ عن مصيرِ الملائكةِ إلى لوطٍ بعد مُفارقتِهم إبراهيمَ فقال:

(٣٣) - ﴿ وَلَمَّآ أَن جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗاۖ وَقَالُواْ لَا تَخَفۡ وَلَا تَحۡزَنۡ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهۡلَكَ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴾.

﴿ وَلَمَّآ أَن جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ ﴾: ساءَه مجيئُهم وخافَ عليهم قومَه أن يتناوَلوهم بالفجورِ حَسَبَ عادتِهم ﴿وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا﴾؛ أي: ضاقَ ذرعُه عن قومِه بأنَ لا يحفظَ أضيافَه.

قتادةُ: معنى ﴿سِيٓءَ بِهِمۡ﴾: ساء ظنُّه بقومِه، ﴿وَضَاقَ﴾ بضيفِه ﴿ذَرۡعٗا﴾[1]؛ أي: نفسًا.

﴿وَقَالُواْ لَا تَخَفۡ وَلَا تَحۡزَنۡ﴾ من تمكُّنِهم منَّا، وقيل: لا تخَفْ ولا تحزَنْ لهلاكِهم.

﴿إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهۡلَكَ﴾ نُصِبَ حملًا على المعنى؛ لأنَّه مفعولٌ.

وقيل: التَّنوينُ مُقدَّرٌ فيه؛ لأنَّه فعلٌ لـم يكُنْ وقعَ.

﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾ في العذابِ.

***

(٣٤) - ﴿ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴾.

﴿ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ رِجۡزٗا ﴾: عذابًا ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾: بفسقِهم وخروجِهم عن طاعةِ الله ورسولِه، فانتسفَ[2] جبريلُ المدينةَ وما فيها بأحدِ جناحَيه، فجعلَ عاليَها سافلَها، وتبعتِ الحجارةُ مَن كان غائبًا.

***

(١) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٢٢٤٧)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٣٩٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٥٨).

(٢) يقال: انتسف ما في أيديهم؛ أي: اختطفه. انظر: «العين» مادة: (ن س ف) (٧/ ٢٧٠).

(٣٥) ـ ﴿وَلَقَد تَّرَكۡنَا مِنۡهَآ ءَايَةَۢ بَيِّنَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾.

﴿وَلَقَد تَّرَكۡنَا مِنۡهَآ ءَايَةَۢ بَيِّنَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ قيل: هي الحجارةُ التي أُمطِرَتْ عليهم، فمَن ذهبَ إلى الشَّامِ وأتى على قريةِ لوطٍ رأى من تلك الحجارةِ.

وقيل: إنَّها بقيّةُ الأنهارِ التي كانت بأرضِهم، وصارَ ماؤُها أسودَ.

وقيل: ﴿ءَايَةَۢ بَيِّنَةٗ﴾: عقوبةَ الله إيّاهم، والأمرُ في ذلك مشهورٌ عند العربِ.

* * *

(٣٦) ـ ﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗا فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرۡجُواْ ٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾.

﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ﴾: وأرسلنا إلى مدينَ أخاهُم ﴿شُعَيۡبٗا فَقَالَ﴾ قيل: الفاءُ هاهنا لمُوافقةِ قولِه: ﴿أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ﴾ [العنكبوت: ١٤].

﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرۡجُواْ ٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ﴾: اعملوا بطاعتِه لإدراكِ الثَّوابِ في الآخرةِ، وقيل: خافوه، ﴿وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾.

* * *

(٣٧) ـ ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ﴾.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ﴾ عاقبَهم الله بالزَّلزلةِ ﴿فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ﴾ بعضُهم على بعضٍ ميِّتين.

وقيل: جاثِمين على الرُّكبِ.

وقيل: هي ما أصابَهم يومَ الظُّلَّةِ، رجفَت بهم الأرضُ مع أخذِ الحرِّ.

* * *

(٣٨) ـ ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ ﴾.

﴿ وَعَادًا وَثَمُودَاْ ﴾ واذكُرْ عادًا وثمودَ. وقيل: أهلَكْنا.

وقيل: فتنَّا؛ حملًا على أوَّلِ السُّورةِ.

﴿وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ﴾: ظهرَ لكم بعضُ مساكنِهم كيفَ خَرِبَ وخلا عن أهلِه بإهلاكِ الله إيّاهُم.

﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ منَ الكفرِ والمعاصي، ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ الذي وجبَ عليهم سلوكُه، وهو الإيمانُ بالله ورُسلِه، ﴿وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ ﴾: ذَوي بصائرَ يُمكِنُهم تمييزُ الحقِّ منَ الباطلِ.

وقيل: مُستبصِرين عندَ أنفُسِهم بزعمِهم.

* * *

(٣٩) ـ ﴿وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ﴾.

﴿وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ﴾: فائتين، بل أدركَهم العذابُ، يُقالُ لمَن فاتَ طالبَه: سبقَ.

* * *

(٤٠) ـ ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾.

﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ﴾؛ أي: أخذْنا كلَّهم فعاقَبْناهم بذنوبِهم؛ ﴿فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾: حجارةً من سجِّيلٍ كقومِ لوطٍ.

وقيل: الحاصبُ: الرِّيحُ تأتي بالحصباءِ، وهي الحجارةُ الصَّغيرةُ، وتذكيرُه كالطَّالقِ والحائضِ.

وقيل: حاصِبٌ: مَلَكٌ رماهُم بالحصباءِ(١).

﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ﴾ كقومِ صالحٍ وغيرِه.

﴿وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ يعني: قارونَ.

﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا﴾ يعني: فرعونَ وقومَه، وقَوْمَ نُوحٍ مِن قَبْلُ.

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾: ليُعاقِبَهم بغيرِ استحقاقٍ وجُرمٍ.

﴿وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بالكفرِ والعُدوانِ فيه.

* * *

(٤١) - ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ﴾؛ أي: مثَلُ مَن أشركَ باللهِ الأوثانَ في الضَّعفِ وسوءِ الاختيارِ ﴿كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ أي: كمثَلِ العنكبوتِ فيما تتَّخِذُه لنفسِها من بيتٍ، فإنَّ ذلك البيتَ لا يدفعُ عنها الحرَّ ولا البردَ، ولا يقي ما يُتَّقى بالبيوتِ، كذلك أوثانُ هؤلاءِ لا تنفعُهم ولا تُغني عنهم في الدُّنيا والآخرةِ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٨٣)، واستغربه.

﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ﴾: لا بيتَ أوهى ولا أقلَّ وقايةً للحرِّ والبردِ من بيتِ العنكبوتِ.

﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾: يرجعون إلى علمٍ، لعلِموا أنَّ وَثنًا من حجارةٍ وجِصٍّ لا يُغني عنهم شيئًا.

الزَّجَّاجُ في جماعةٍ: تقديرُ الآية: مثَلُ الذين اتَّخذوا من دونِ الله أولياءَ لو كانوا يعلمون كمثَلِ العنكبوتِ، ليس أنَّهم لا يعلمون أنَّ بيتَ العنكبوتِ ضعيفٌ(١).

والعنكبوتُ يقعُ على الواحدِ وعلى الجمعِ، ويُذكَّرُ ويُؤنَّثُ، وليس التَّاءُ فيه للتَّأنيثِ، وجمعُها: عَناكِبُ، وتصغيرُها: عُنَيكِبٌ.

وفي التَّفسيرِ عن يزيدِ بنِ ميسرةَ: أنَّ العنكبوتَ شيطانٌ مسخَه الله(٢).

وعن عطاءٍ: نسجَتِ العنكبوتُ مرَّتَين: مرَّةً على النَّبيِّ ﷺ، ومرَّةً على داودَ عليه السَّلامُ(٣).

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ١٦٩).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٢٨٣)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٨٣)، واستغربه. وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٦٣) عن يزيد بن ميسرة عن ابن عائذ قال: «العنكبوت شيطان».

وروى أبو داود في «المراسيل» (٥٠٤) عن يزيد بن مرثد قال: قال رسول الله ﷺ: «العنكبوت شيطان فاقتلوه». فهذه كلها مرسلات، وروي مرفوعاً لكن بإسناد ضعيف:

رواه ابن عدي في «الكامل» (٨/ ١٧) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «العنكبوت شيطان مسخه الله فاقتلوه»، وأعله ابن عدي بمسلمة بن علي الخشني، وقال عنه الذهبي في «الميزان»: «شامي واه تركوه، وقال البخاري: منكر الحديث».

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٦٣)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ١٩٧).

وعن عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه: طهِّروا بيوتَكم من نسجِ العنكبوتِ؛ فإنَّ تركَه في البيتِ يُورِثُ الفقرَ(١).

* * *

(٤٢) ـ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ﴾: وثَنٍ أو صنمٍ أو مَلَكٍ أو جِنٍّ، ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾: المنيعُ لا شريكَ له ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ في تأخيرِ العذابِ(٢).

و﴿مَا﴾ نصبٌ بـ﴿يَدۡعُونَ﴾، و﴿يَعۡلَمُ﴾ مُعلَّقٌ.

وقيل: ﴿مَا﴾ بمعنى: الذي، وهو مفعولُ ﴿يَعۡلَمُ﴾، ومفعولُ ﴿يَدۡعُونَ﴾ مُضمَرٌ؛ أي: يدعونَه.

* * *

(٤٣) ـ ﴿ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ ﴾.

﴿ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾؛ أي: مثَلُ العنكبوتِ وبيتِها وسائرُ الأمثالِ نُبيِّنُها للنَّاسِ كافَّةً للاستدلالِ والتَّفكُّرِ فيها.

﴿وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ﴾: لا يَفطنُ لحقائقِها ولا ينتفِعُ بضربِها إلا أولو العلمِ الذين يضعونَ الأشياءَ موضعَها.

* * *

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ٥١) وفيه عبد الله بن ميمون القداح وهو متروك، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٨٣)، واستغربه.

(٢) في (ف): «العقاب».

(٤٤) - ﴿ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: مُحِقًّا، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾: في خلقِه إيَّاها ﴿لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ خصَّهُم بالذِّكرِ لانتفاعِهم بها.

* * *

(٤٥) - ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾.

﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: اقرأ القرآنَ، ولا يمنعَنَّكَ عن ذلك ما يُعاملُ معك الكفَّارُ.

وقيل: اتلُ عليهم وأنذِرْهم.

وقيل: اتَّبِعْ ما فيه.

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: ودُمْ على إقامةِ الصَّلاةِ المفروضةِ.

ابنُ عمرَ رضي الله عنهما: الصَّلاةُ: القرآنُ(١).

ابنُ بحرٍ: الصَّلاةُ: الدُّعاءُ؛ أي: قُمْ بالدُّعاءِ إلى أمرِ الله(٢).

﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ﴾: الزِّنى ﴿وَٱلْمُنكَرِ﴾: الشِّركِ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٤٠٨) بلفظ: «القرآن الذي يقرأ في المساجد»، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ٥٣)، والماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٢٨٤)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٨٣)، واستغربه.

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٢٨٤)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٨٣)، وعده من العجائب.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: تنهَى ما دامَ فيها[١].

قال ﷺ: «مَن لـم تنهَهُ صلاتُه عنِ الفحشاءِ والمُنكرِ لم يزدَدْ منَ الله إلا بُعدًا»[٢].

وقيل: ﴿تَنْهَىٰ﴾ لأنَّ فيها تلاوةَ القرآنِ، وهو مُشتملٌ على كلِّ وعظٍ.

ووصفُ الصَّلاةِ بالنَّهيِ توسُّعٌ، كما تقولُ: العلمُ ينفعُ، والجهلُ يضرُّ، والعقلُ يأمرُ بكذا، و﴿كِتَٰبُنَا يَنطِقُ﴾ [الجاثية: ٢٩]، وعلى تأويلِ ابنِ عمرَ رضي الله عنهما: أنَّ القرآنَ ينهى؛ أي: فيه النَّهيُ عن المُنكرِ، وعلى تأويلِ ابنِ بحرٍ: إنَّك بدعائِك تأمرُهم بالمعروفِ وتنهاهُم عن المُنكرِ.

---

(١) ذكره يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٦٣٢)، والماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٢٨٤) عن الكلبي.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٦٦)، والطبراني في «الكبير» (١١٠٢٥)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً. وفي إسناده ليث بن أبي سليم وهو ضعيف.

ورواه الدَّارَقُطني في «غرائب مَالك» ـ كما في «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٣/ ٤٤) ـ وابن حبان في «المجروحين» (٢/ ٢٩٧)، من طريق محمد بن الحسن الأَزْديّ عن مالك عن نافع عن ابن عمر مرفوعاً، قال الدّارقطني: «هذا باطل لا أصل له، ومحمد بن الحسن مجهول». وقال ابن حبان: «محمد هذا يروي عن مالك ما لا أصل له، لا يجوز الاحتجاج به».

ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٢٥٣)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٤٠٩)، وابن الأعرابي في «معجمه» (١٩٥٤) من طريق الحسن عن النبي ﷺ مرسلاً.

ورواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٤٠٩)، والطبراني في «الكبير» (٨٥٤٣)، عن ابن مسعود رضي الله عنه موقوفاً.

قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ١٠٤): أخرجه علي بن معبد في كتاب «الطَّاعة والمعصية» من حديث الحسن مرسلاً بإسناد صحيح، ورواه الطبراني، وأسنده ابن مردويه في «تفسيره» من حديث ابن عَبَّاس بإسناد لين، والطَّبرانيّ من قول ابن مسعود: «من لم تأمره صلاته بالمعروف وتَنْهَه عن المُنكر لم يَزْدَدْ من الله إِلَّا بعداً». وإسناده صحيح.

﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ فيه وجوهٌ:

أحدُها: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ﴾ إيَّاكم ﴿أَكْبَرُ﴾ من ذكرِكم إيَّاه، هذا قولُ ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما[١].

وقيل: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ منَ الصَّلاةِ.

وقيل: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ﴾ في الصَّلاةِ ﴿أَكْبَرُ﴾ منه خارجَ الصَّلاةِ؛ أي: أكثرُ ثوابًا.

وقيل: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ من سائرِ أركانِ الصَّلاةِ.

وقيل: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ﴾؛ أي: القرآنُ ﴿أَكْبَرُ﴾ في النَّهيِ عن الفاحشةِ منَ الصَّلاةِ[٢].

وقيل: المُرادُ بالذِّكرِ هاهنا النَّهيُ؛ أي: الصَّلاةُ تنهى ونهيُ الله أكبرُ.

وقيل: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ من كلِّ العباداتِ.

وقيل: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ من أن يُبقِيَ على صاحبِه عقوبةَ الفحشاءِ والمنكرِ.

وقيل: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ منَ الفاحشةِ والمُنكرِ[٣]، وهذا ضعيفٌ.

ويحتملُ أنَّ تأويلَ (ذكرِ الله): الصَّلاةُ، كأنَّه قال: والصَّلاةُ أكبرُ من سائرِ العباداتِ.

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ في الصَّلاةِ وتلاوةِ القرآنِ فيُجازيكم عليه.

* * *

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٢٥٦)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٤١١)، والحاكم في «المستدرك» (٣٥٣٨) وصححه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٨٤)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٨٤)، وعده من العجائب.

(٤٦) ـ ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾.

﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

قتادةُ: منسوخةٌ، نسخَتْها ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٢٩][(١)].

والثّاني: ابنُ زيدٍ: هي مُحكَمةٌ، والمُرادُ مُؤمنوهُم ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾ بالإقامةِ على الكفرِ؛ فإنَّه يُجادَلُ ويُقالُ له الشَّرُّ[(٢)].

والثّالثُ: مجاهدٌ: مُحكَمٌ، والمُرادُ به ذَوو العهدِ، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾ فقاتلَ ولـم يُعطِ الجزيةَ[(٣)]، فيكونُ تقديرُه: ظلَموكم بمنعِ الجزيةِ.

والمُجادَلةُ: قَتْلُ الخصمِ بطريقِ الحِجاجِ، وأصلُه: الفَتْلُ.

وقيل: ﴿هِيَ أَحۡسَنُ﴾: لا إله إلا الله.

﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ﴾ أبو سلمةَ عن أبي هُريرةَ رضي الله عنه قالَ: كانَ أهلُ الكتابِ يقرؤونَ التَّوراةَ وهو بالعِبرانيّةِ ويُفسِّرونه بالعربيّةِ لأهلِ الإسلامِ، فقال ﷺ: «لا تُصدِّقُوا أهلَ الكتابِ ولا تُكذِّبوهم، ﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ

---

(١) انظر: «الناسخ والمنسوخ» لقتادة (ص: ٤٥)، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٢٥٩)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٤٢٠).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٤١٩) بلفظ: «ليست بمنسوخة، لا ينبغي أن تجادل من آمن منهم، لعلهم يحسنون شيئاً في كتاب الله لا تعلمه أنت، فلا تجادله، ولا ينبغي أن تجادل إلا الذين ظلموا، المقيم منهم على دينه. فقال: هو الذي يجادَل ويقال له بالسيف».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٤١٨) بلفظ: «﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾ قال: من قاتل ولـم يعط الجزية».

﴿إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾»[1]؛ أي: القرآنُ، والتَّوراةُ، والإنجيلُ، والزَّبورُ.

﴿وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ﴾: معبودُنا واحدٌ، وهو الله سُبحانَه وتعالى، ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾: خاضِعون مُتذلِّلون لأمرِه ونهيِه.

* * *

(٤٧) - ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ ۚ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَمِنْ هَٰؤُلَاءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾؛ أي: كما أنزَلْنا الكتُبَ على مَن تقدَّمَكَ مِنَ الأنبياءِ أنزَلْنا إليك القرآنَ.

وقيل: الكافُ مُتَّصلةٌ بقولِه: ﴿وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ﴾ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَا﴾[2].

وقيل: مُتَّصلةٌ بما أَمر به في الآيةِ الأولى منَ المُجادَلةِ بالأحسنِ.

﴿فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ يُريدُ: مَن آمَنَ من أهلِ الكتابِ.

﴿وَمِنْ هَٰؤُلَاءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِ﴾ يعني: العرَبَ.

وقيل: ﴿الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ﴾ يعني: مَن تقدَّمَ منهم ﴿وَمِنْ هَٰؤُلَاءِ﴾ يعني: الذين كانوا في زمانِ النَّبيِّ عليه السَّلامُ.

---

(١) رواه البخاري (٤٤٨٥)، لكن فيه: «وقولوا: ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ الآية [البقرة: ١٣٦]».
ورواه بلفظ المصنف الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٤٢٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٧٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
ورواه أبو داود (٣٦٤٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٢٥٧) من حديث أبي نملة الأنصاري رضي الله عنه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٨٤)، واستغربه.

وقيل: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾: هم المُؤمنونَ ﴿وَمِنْ هَٰؤُلَاءِ﴾ يعني: أهلَ الكتابِ.

قولُه: ﴿يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾ قيل: بالقرآنِ.

وقيل: بمُحمَّدٍ ﷺ.

﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

* * *

(٤٨) - ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾.

﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ﴾: من قبلِ القرآنِ ﴿مِن كِتَٰبٍ﴾ كتابًا منَ الكتبِ ﴿وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ﴾: ولا تخطُّ كتابًا بيدِك؛ لأنَّك أُمِّيٌّ لا تكتُبُ ولا تقرأُ.

وعن الشَّعبيِّ: ما ماتَ النَّبيُّ ﷺ حتَّى كتبَ[1].

وقُرِئَ في الشَّاذِّ: (ولا تَخُطَّهُ) بالفتحِ على النَّهيِ[2]، والصَّحيحُ أنَّه لم يكتُبْ.

﴿إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ لقالتِ اليهودُ: كتبَه من تلقاءِ نفسِه.

وقيل: ﴿لَّٱرْتَابَ﴾ أهلُ الكتابِ؛ لأنَّ نعتَكَ في الكتبِ المُتقدِّمةِ: النَّبيُّ الأُمِّيُّ الذي لا يكتبُ ولا يقرأُ منَ الكتابِ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٨٤)، واستغربه، وعزاه القرطبي في «تفسيره» (١٣/ ٣٥٢) للنقاش. وروى البيهقي نحوه في «السنن الكبرى» (٧/ ٤٢) عن عون بن عبد الله عن أبيه. قال البيهقي: «هذا حديث منقطع، وفي رواته جماعة من الضعفاء والمجهولين».
قلت: وقد نقل عن بعض العلماء القول بذلك، انظر تفصيل الكلام في ذلك في «روح المعاني» (٢٠/ ٣٧٧)، وقد تقدم عن تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٨٤).

وقيل: ﴿ٱلۡمُبۡطِلُونَ﴾ عامٌّ في جميعِ الكفَّارِ.

***

(٤٩) ـ ﴿بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

﴿بَلۡ هُوَ﴾: بل القرآنُ ﴿ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ﴾.

قتادةُ: هو القرآنُ، وأعطَى هذه الأمَّةَ حفظَ القرآنِ، ومَن كان قبلَهم لا يقرؤون الكتابَ إلّا نظرًا، فإذا أطبقوه لـم يحفَظوا ما فيه إلا النَّبيُّون[1].

وقيل: بل النَّبيُّ وأمورُه آياتٌ بيِّناتٌ[2].

وقيل: كونُه لا يقرأُ ولا يكتبُ آياتٌ بيِّناتٌ[3].

قولُه: ﴿أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ﴾ قيل: العلمَ بكتبِ الله وأحوالِك وصفاتِك.

وقيل: هم أصحابُ النَّبيِّ[4] ﷺ يحفَظونَه، ويعتقِدون أحكامَه، ويُفرِّقون بينَ كلامِ الله وكلامِ البشرِ.

﴿وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: وما يُنكِرُ أدلَّتَنا، والجحودُ الأوَّلُ مُتعلِّقٌ بالوحدانيَّةِ، والثَّاني بالنُّبوَّةِ، تقولُ: جَحَدَه وجَحَدَ به، وكَفَرَه وكَفَرَ به.

وقيل: تقديرُه: وما يجحَدُ محمدًا بِرَدِّ آياتِنا.

***

(١) ذكره يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٦٣٥).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٨٥)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٨٥)، وعده من العجائب.

(٤) في (ف): «محمد».

(٥٠) ـ ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾.

﴿ وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ كما أُوتيَ موسى وعيسى.

وقيل: هو ما سألوه في قولِه: ﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا ﴾ [الإسراء: ٩٠] الآيات.

﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ فهو يأتي بها، لستُ أملِكُ منها شيئًا فآتيَكُم بما تقترِحُونَه عليَّ.

﴿وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ﴾: أُنذِرُكم عذابَ الله على إقامتِكُم على شركِكُم ﴿مُّبِينٌ﴾: أُبيِّنُ لكم الإنذارَ.

***

(٥١) ـ ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾.

﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ بلسانِهم، وهم أفصحُ النّاسِ وأعلَمُهم بأصنافِ البلاغةِ، وقد تحدَّيتُهم لأَنْ يأتوا بمثلِه، أو عشرِ سُورٍ مثلِه، أو سورةٍ مثلِه، فعجَزوا فبذَلوا الأموالَ والمُهَجَ دونَه، وذلك أبلغُ من سائرِ المُعجزاتِ، وأبعدُ من أسبابِ التَّشكيكِ.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ ﴾: في القرآنِ ﴿لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾: لمَن همُّه الإيمانُ دونَ التَّعنُّتِ.

***

(٥٢) - ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾.

﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ﴾ يشهدُ لي بالصِّدقِ بأنِّي رسولُه، يعني: شهادتَه في قولِه: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٧٩] ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩].

وقيل: معناه: في القرآنِ الذي بَيَّنَ الله بإعجازِه صِدْقي كفايةٌ وشهادةُ صدقٍ بيني وبينكم لمَن طلبَ الدَّليلَ.

﴿يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ لا يخفَى عليه فيهما شيءٌ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ الذي لا يجوزُ الإيمانُ به، وهو إبليسُ.

وقيل: الصَّنَم.

وقيل: صدَّقوا الباطلَ.

﴿وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ الذي يجبُ الإيمانُ به والشُّكرُ على نعمِه.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾: الهالكون.

* * *

(٥٣) - ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ۚ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾ بقولِهم: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ الآية [الأنفال: ٣٢].

قيل: نزلت في أبي جهلٍ[1].

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٣/ ٣٥٦) من غير تصريح بسبب النزول، وقد صرح بمثله في قوله تعالى: ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ [الحج: ٤٧].

﴿وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾؛ أي: لكلِّ عذابٍ أنزلَه الله على أمَّةٍ أجلٌ معلومٌ لا يُقدِّمُه قبلَه ولا يُؤخِّرُه، وهو إذا تَناهى الإعذارُ ووقعَ اليأسُ من إيمانِهم.

﴿لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾؛ أي: ليس تأخُّرُه لعجزٍ عن الإنزالِ، ولا لرِضًا بكُفرِهم، بل لأنَّ الأجلَ لـم يحضُرْ بعدُ.

﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً﴾: فجأةً؛ لا يحسَبونَه إذا حضرَ الأجلَ المعلومَ عندَه.

وقيـل: ﴿وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ سـمَّاه الله لأعمارِهـم ﴿لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم﴾ أجلُهـم ﴿بَغْتَةً﴾، فيُعذَّبون عندَ نُزولِ الموتِ بهـم، ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بوقتِ مجيئِه.

وقيل: الأجلُ المُسمَّى القيامةُ.

* * *

(٥٤) ـ ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ عجَّبَ من جهلِهم في استعجالِ العذابِ وقد أعدَّ الله لهم جهنَّمَ، وأنَّها قد أحاطَتْ بهم وهم على شفيرِ جهنَّمَ لم يبقَ إلا أن يدخُلوها.

وقيل: لمُحيطةٌ بهم في الآخرةِ؛ أي: ستُحيطُ بهم عن قريبٍ؛ لأنَّ ما هو آتٍ قريبٌ.

وقيل: كأنَّها مُحيطةٌ بهم لِمَا لزِمَهم بكُفرِهم.

* * *

(٥٥) ـ ﴿يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾؛ أي: مـن كلِّ الجهـاتِ؛ لأنَّه مُحيـطٌ بهـم، ﴿وَيَقُولُ﴾ الله، وقيـل: الخزنـةُ، و﴿نقـولُ﴾[1] نحـنُ: ﴿ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ

(١) قرأ نافع وعاصم وحمزة والكسائي بالياء، والباقون بالنون. انظر: «السبعة» (ص: ٥٠١)، و«التيسير» (ص: ١٧٤).

تَعۡمَلُونَ﴾؛ أي: جزاءَ أعمالِكم، وذلك زيادةٌ في العقوبةِ والإيجاعِ.

* * *

(٥٦) ـ ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ﴾.

﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ﴾ أكثرُ المُفسِّرين ذهبوا إلى أنَّ هذا نزلَ فيمَن كان مُقيمًا بمكّةَ، أُمِروا بالهجرةِ عنها إلى المدينةِ؛ أي: جانِبوا أهلَ الشِّركِ واطلُبوا المؤمنين.

وقيل: ﴿أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ﴾ فجاهِدوا فيها أعداءَ الله.

وقيل: ﴿أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ﴾ فاطلُبوا الرِّزقَ.

وقيل: أرادَ: أرضُ الجنَّةِ واسعةٌ.

﴿فَٱعۡبُدُونِ﴾ أَطِعكُم[1]، وقيل: ﴿فَٱعۡبُدُونِ﴾ بالهجرةِ إلى المدينةِ.

* * *

(٥٧) ـ ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ﴾.

﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِ﴾؛ أي: كلُّ نفسٍ تَنالُ كربَ الموتِ وشدائدَه أينما كانت، فلا تُقيموا بدارِ الشِّركِ.

وقيل: أرادَ: كلُّ حيٍّ يموتُ.

﴿ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ﴾ للثَّوابِ والعقابِ.

* * *

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٨٥)، واستغربه.

(٥٨ ـ ٥٩) ـ ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّلِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ۝ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾.

﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّلِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا ﴾: لنُنزِلَنَّهم قُصورًا ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾.

ابنُ عيسى: بوَّأتُه منزلًا: اتَّخذتُ له منزلًا[(١)].

ومَن قرأ بالثّاءِ[(٢)]؛ أي: لنَجعلَنَّهم ثاوينَ مُقيمينَ.

﴿ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾

* * *

(٦٠) ـ ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾.

﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ ﴾: وكم من دابَّةٍ ﴿لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ﴾ في سببِ النُّزولِ: عن ابنِ عمرَ رضي الله عنهما: خرَجْنا مع رسولِ الله ﷺ حتَّى دخلَ بعضَ حيطانِ الأنصارِ، فجعلَ يلتقطُ التَّمرَ ويأكلُ، فقال: يا ابنَ عمرَ، مالَكَ لا تأكلُ؟ فقلتُ: لا أشتهيه يا رسولَ الله. قال: «لكنِّي أشتهيه وهذه صُبيحةُ[(٣)] رابعةٍ مذ لـم أذُقْ طعامًا، ولو شئتُ لدعَوتُ ربِّي فأعطاني مثلَ مُلكِ كسرى وقيصرَ، وكيف بك يا ابنَ عمرَ إذا بقيتَ في قومٍ يَخْبَؤونَ رزقَ سنتِهم ويضعُفُ اليقينُ»، قال: فوالله ما برِحْنا حتَّى نزلَتْ: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾[(٤)].

---

(١) ذكر الأزهري هذا المعنى في «تهذيب اللغة» مادة: (ب و أ) (١٥/ ٤٢٦).

(٢) أي: ﴿لنُثْوِيَنَّهم﴾ مِن الثَّواء، وهي قراءة حمزة والكسائي. انظر: «السبعة» (ص: ٥٠٢)، و«التيسير» (ص: ١٧٤).

(٣) في (ف): «وهذا صبح».

(٤) رواه عبد بن حميد كما في «المنتخب من مسنده» للكشي (٨١٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» =

الدَّابَّةُ: اسمٌ عامٌّ لِـمَا دَبَّ.

قـوله: ﴿لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا﴾ قيل: للادِّخارِ، وعن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما: لا يَدَّخِرُ شيءٌ مما خَلَقَ الله إلا الآدميُّ، والنَّملُ، والفأرةُ، والعَقْعَقُ، وأجناسُ العَقْعَقِ(١).

وقيل: ﴿لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا﴾ لعجزِها عن ذلك، بل تأكلُ حاجتَها.

﴿ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا﴾ يومًا فيومًا، وقيل: يأتيها من غيرِ طلبٍ.

﴿وَإِيَّاكُمۡ﴾ يا بني آدمَ؛ أي: رازقُ الجميعِ هو الله.

ابنُ جُرَيجٍ: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٖ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا﴾ يُريدُ محمَّدًا ﷺ، وحكاه النَّقَّاشُ أيضًا(٢)، وهو ضعيفٌ؛ لأنَّ اسمَ (الدَّابَّةِ) مُطلقةٌ لا يقعُ على الآدميِّ إلا شتمًا، وكذلك (الحيوانُ).

= (٩/ ٣٠٧٨)، والثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ٨٦)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٤٣)، قال ابن كثير: «وهذا حديث غريب، وأبو العطوف الجزري ضعيف»، قلت: الجراح بن منهال أبو العطوف الجزري قال البخاري ومسلم: مُنكر الحديث، وقال ابن حبَان: كذَّاب، وذكره ابن البرقي في باب من اتهم بالكذب، وقال ابن المَدِيني: لا يكتب حديثه، وقال النَّسائي والدَّارَقُطني: متروك، وقال ابن معِين: ليس بشيء، وقال أبو حاتم: متروك ذاهب الحديث لا يكتب حديثه. انظر: «تعجيل المنفعة» (١/ ٣٨١).

وقال القرطبي في «تفسيره» (١٣/ ٣٦٠): «وهذا ضعيف، يضعفه أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ كان يدخر لأهله قوت سنتهم، وكانت الصحابة يفعلون ذلك، وهم القدوة وأهل اليقين والأئمة لمن بعدهم من المتقين المتوكلين».

(١) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٨/ ٣٦٥)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٢٩٣) مقتصرًا على ذكر ابن آدم والنمل والفأر، وهكذا ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ٨٨) عن سفيان.

(٢) ذكره السمعاني في «تفسيره» (٤/ ١٩١) عن النقاش، وذكره المصنف في «تفسيره» (٢/ ٨٨٦) عن ابن بحر والنقاش، واستغربه، وشنع على قائله العز بن عبد السلام في «تفسيره» (٢/ ٥١٧) فقال: «وذكر النقاش شيئاً لا يحل ذكره ولبئس ما قال».

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لأقوالِكم: مـن أيـن معاشُنا في المدينة؟ ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بما في صُدورِكم من ذلك؛ لأنَّهم لمَّا نُدِبُوا إلى الهجرةِ قالوا: بأيِّ شيءٍ نعيشُ؟ ومن أيِّ شيءٍ نأكلُ إذا فارَقْنا ديارَنا؟

* * *

(٦١ ـ ٦٢) ـ ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ(١) ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ﴾: يُوسِّعُ على مَن يشاءُ ﴿مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾: ويُضيِّقُ على مَن يشاءُ، فيُعطيه بقدرِ الكفايةِ على ما يرى سبحانه فيه المصلحةَ، والهاء يعودُ إلى غير مذكورٍ(٢)، لكنَّ التَّقسيمَ يدلُّ عليه.

ويحتمِلُ أنَّ الهاء يعودُ إلى المبسوطِ له الرِّزقُ بمعنى التَّقدير؛ أي: ويُقدِّرُ له البسطَ في الرِّزقِ، ثمَّ اكتفى بذكرِ أحدِ الضِّدَّين(٣).

* * *

(١) من قوله: «﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾... إلى قوله:... ﴿فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾»: ليس في (ف).

(٢) أي: ويقدر الرزق لمن يشاء.

(٣) أي: يبسط لمن يشاء ويقدِّر له ذلك، ويضيِّق على من يشاء، ويقدِّر له ذلك، فاكتفى بذكر أحد الضدين. ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٨٧) واستغربه.
وذكر في «البرهان» (ص: ٢٠٠) وجهاً آخر على عود الضمير إلى المبسوطِ له الرِّزقُ، وهو أن يبقى ﴿وَيَقْدِرُ﴾ على معنى: التضييق، ويكون تقدير الآية: يبسط الرزق لمن يَشاء من عباده أحيانًا ويقدر له أحيانًا.
وهو ما عبر عنه الزمخشري في «الكشاف» (٣/ ٤٦٢) بقوله: «يُريد تَعاقُبَ الأَمْرَينِ على واحدٍ على حَسبِ المصلحة».

(٦٣) ـ ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾؛ أي: هم مُقِرُّون بذلك، ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على قيامِ حُجَّتي وصدقِ لهجَتي.

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ما يَلْزَمُهم بإقرارِهم.

* * *

(٦٤) ـ ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾ سريعُ الانقضاءِ قريبُ الانفصالِ[١].

﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾ التي جعلَها الله للجزاءِ ﴿لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾: الحياةُ الدَّائمةُ التي لا موتَ فيها ولا زوالَ ولا انتقالَ، و﴿الْحَيَوَانُ﴾: الحياةُ.

الزَّجَّاجُ: تقديرُه: هي[٢] دارُ الحيوانِ؛ أي: الحياةِ[٣].

وقيل: ﴿الْحَيَوَانُ﴾: الحيُّ، وجعلَ الدّارَ الآخرةَ حيًّا على المُبالغةِ بالوصفِ بالحياةِ[٤].

ابنُ عيسى: ﴿الْحَيَوَانُ﴾ ضدُّ المَوَتان[٥]، والتقديرُ: لهي ذاتُ الحيوانِ الدَّائمِ البقاءِ، فحُذِفَ المُضافُ.

﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ طِيبَ حياةِ الآخرةِ لرغبوا فيها.

---

(١) في (ن): «الانتقال».

(٢) في (ف): «لهي».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ١٧٣)، وفيه: «معناه: هي دار الحياة الدائمة».

(٤) أورده أبو علي الفارسي في «الحجة» (٤/ ١٣٣) احتمالاً، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٨٧)، واستغربه.

(٥) ذكره الفارابي في «معجم ديوان الأدب» (٣/ ٣٨٧).

(٦٥) ـ ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾.

﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ ﴾؛ أي: ركبوا البحرَ فأصابَتْهم شدَّةٌ خافوا منها الهلاكَ ﴿دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ لا يدعون لكشفِ الضُّرِّ عنهم إلَّا اللهَ.

﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ ﴾: خلَّصَهم منَ البحرِ إلى البرِّ فأمِنُوا، ﴿إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾: عادوا إلى الشِّركِ باللهِ.

* * *

(٦٦) ـ ﴿ لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾.

﴿ لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ﴾ قيل: اللامُ لامُ (كي)[1].

وقيل: لامُ الأمرِ على وجهِ التَّهديدِ.

وقيل: لامُ العاقبةِ، وهو الأظهرُ.

﴿وَلِيَتَمَتَّعُواْ﴾ باجتماعِهم على عبادةِ الأوثانِ وليتوادُّوا عليه.

﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ وعيدٌ لهم.

* * *

(٦٧) ـ ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴾.

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ ﴾ يعني: أهلَ مكَّةَ ﴿أَنَّا جَعَلْنَا ﴾ بلدَهم ﴿حَرَمًا ﴾: ممنوعًا مَصُونًا من أن يُدخَلَ لغارةٍ أو قتلٍ أو ظُلمٍ، ﴿ءَامِنًا ﴾ يأمَنُ ساكنوه، ﴿وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾: يُخْتَلَسون قتلًا وسبيًا.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٨٧)، واستغربه.

﴿أَفَبِٱلْبَـٰطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾ وهو الصَّنمُ والشَّيطانُ ﴿وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ يُشرِكونَ بها غيرَه؟ استفهامُ تعجيبٍ.

* * *

(٦٨) ـ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَـٰفِرِينَ﴾.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾: يجعلُ له شريكًا ﴿أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ﴾: محمَّدٍ ﷺ ﴿لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَـٰفِرِينَ﴾: أليس جهنَّمُ مأواهم ومنزلَهم؟ استفهامُ تقريرٍ في مُقابلةِ: لنُثوينَّهم[1] منَ الجنَّةِ، فالثَّاءُ أحسَنُ الوجهَين[2].

* * *

(٦٩) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ فِينَا﴾؛ أي: جاهدوا أعداءَ الله منَ المشركين.

وقيل: هو عامٌّ في الأمرِ والنَّهيِ، والرَّدِّ على المُلحدين، وجهادِ الشَّيطانِ ووساوِسِه، وجهادُ النَّفسِ أكبرُه.

﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ سبلَ الرَّشادِ.

وقيل: لنعصِمَنَّهم.

وقيل: لنُوفِّقنَّهم.

---

(١) في (ف) جعل تحتها نقطة وفوقها ثلاث نقط في كلمة واحدة يعني: «لنبوئنهم» «لنثوينهم».

(٢) لتشابه اللفظ، وإلا فمعنى القراءتين متقارب، انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣١٨)، و«الحجة» لأبي علي (٥/ ٤٣٩ ـ ٤٤٠).

وقيل: فيه تقديمٌ وتأخيرٌ تقديرُه: الذين هدَيناهُم سبُلَنا جاهَدوا فينا[١].

وقيل: ﴿سُبُلَنَا﴾: طرقَ الجنّةِ[٢].

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: ناصرُهم ومُعينُهم.

وقيل: مع المُحسنين المؤمنين.

وقيل: مع النَّبيِّين والمُؤمنين.

وقيل: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا﴾؛ أي: يعمَلون بما يعلَمون ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ إلى ما لا يعلَمون[٣].

وقيل: نُخلِصُ نيَّاتِهم في طاعاتِهم[٤].

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

* * *

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٨٧)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٨٧)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٨٧)، وعده من العجائب.

(٤) في (ف): «طاعتهم».

سُورَةُ الرُّومِ

سُورَةُ الرُّومِ

ستُّون آيةً[1]، مكِّيَّةٌ.

قال الحسنُ: مكِّيَّةٌ إلَّا قولَه: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ﴾ إلى قولِه: ﴿تُظْهِرُونَ﴾ [الروم: ١٧ ـ ١٨] فإنَّها مدنيَّةٌ[2].

بسْمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيمِ

(١ ـ ٣) ـ ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾.

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ﴾ في سببِ النُّزولِ: أنَّه بعثَ كِسرى جيشًا إلى الرُّومِ، واستعمَلَ عليهم رجلًا يُسمَّى شَهْرَبرَاز، فسارَ إلى الرُّومِ بأهلِ فارسَ فظهرَ عليهم، وقتلَهم وخرَّبَ مدائنَهم، وقطعَ زيتونَهم، وكان قيصرُ بعث

---

(١) «ستون آية»: ليست في (ف)، وانظر: «البيان في عد آي القرآن» (ص: ٢٠٥)، وفيه: «وهي خمسون وتسع آيات في المدني الأخير والمكي، وستون آية في عدد الباقين، اختلافها أربع آيات...».

(٢) لم أجده عن الحسن صريحاً، لكن روى عنه البيهقي في «السنن الكبرى» (١٦٨٤) في قوله تعالى: «﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ﴾ قال: صلاة المغرب والعشاء ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ صلاة الغداة ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا﴾ قال: العصر ﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ قال: الظهر». قال الزمخشري في «الكشاف» (٣/ ٤٧٢): «فإن قلت: لم ذهب الحسن رحمه الله إلى أنّ هذه الآية مدنية؟ قلت: لأنه كان يقول: فرضت الصلوات الخمس بالمدينة وكان الواجب بمكة ركعتين في غير وقت معلوم».

رجلًا يُدعى بخنس، فالتقى مع شَهْرَبراز بأذرعاتٍ وبُصْرَى، وهو أدنى الشّام إلى أرضِ العربِ، فغلَبَتْ فارسُ الرُّومَ.

وبلغَ ذلك النَّبيَّ ﷺ وأصحابَه وهم بمكّةَ، فشقَّ ذلك عليهم، وكان النَّبيُّ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ يكرهُ أن يظهرَ الأُمِّيونَ منَ المجوسِ على أهلِ الكتابِ من الرُّومِ، وخرجَ كفَّارُ مكَّةَ وشمِتُوا، فلقُوا أصحابَ النَّبيِّ ﷺ وقالوا: إنَّكم أهلُ كتابٍ والنَّصارى أهلُ كتابٍ، ونحنُ أُمِّيون وقد ظهرَ إخوانُنا من أهلِ فارسَ على إخوانِكم منَ الرُّومِ، وإنَّكم إنْ قاتلتُمونا لنظهرَنَّ عليكم، فأنزلَ الله هذه الآياتِ.

فخرجَ أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه إلى الكفَّارِ فقال: فرِحتُم بظُهورِ إخوانِكم على إخوانِنا فلا تفرَحوا، ولا يُقِرُّ الله أعيُنَكم، فوالله ليظهرَنَّ الرُّومُ، أخبرَنا بذلك نبيُّنا، فقامَ إليه أُبيُّ بنُ خلَفٍ الجُمَحيُّ فقال: كذبْتَ، فقال له أبو بكرٍ رضي الله عنه: أنتَ أكذبُ خلقِ الله يا عدوَّ الله. فقال: اجعَلْ بيننا أجلًا أُناحِبْكَ عليه ـ أي: أُراهِنْك ـ على عشرِ قلائصَ منِّي وعشرِ قلائصَ منك؛ فإنْ ظهرتِ الرُّومُ على فارسَ غرِمْتُ، وإن ظهرتِ فارسُ غرِمْتَ، ففعلوا ذلك وجعلوا الأجلَ ثلاثَ سنين.

فجاء أبو بكرٍ رضي الله عنه إلى النَّبيِّ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ وأخبرَه بذلك، وكان ذلك قبلَ تحريمِ القمارِ، فقال ﷺ: «ما هكذا ذكرتُ، إنَّما البِضْعُ ما بين الثلاثِ إلى التِّسعِ، فزايِدْه في الخطرِ ومادَّه في الأجلِ»، فخرجَ أبو بكرٍ فلقيَ أُبيًّا فقال: لعلَّكَ ندِمْتَ. قال: لا. فقال أبو بكر رضي الله عنه: تعالَ أُزايدْك في الخطرِ وأُمادَّك في الأجلِ، فاجعَلْها مئةَ قلوصٍ ومئةَ قلوصٍ إلى سبعِ[1] سنينَ. قال: قد فعلتُ[2].

---

(١) في (ف): «تسع».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٤٥٠ ـ ٤٥١) عن عكرمة. وهو مرسل، وقد روي نحوه في حديث صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما، رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٤٩٥)، والبخاري في =

فلما خشيَ أُبيُّ بنُ خلفٍ أن يخرجُ أبو بكرٍ من مكّةَ أتاه فلزِمَه وقال: إنِّي أخافُ أن تخرجَ من مكّةَ، فأقِمْ لي كفيلًا، فكفلَ له ابنُه عبدُ الله بنُ أبي بكرٍ، فلما أرادَ ابنُ خلفٍ[1] أن يخرُجَ إلى أُحُدٍ أتاه عبدُ الله بن أبي بكرٍ فلزمَه وقال: لا والله لا أدَعُكَ حتَّى تُعطيَني كفيلًا، فأعطاه كفيلًا ثمَّ خرجَ إلى أُحُدٍ، ثمَّ رجعَ ابنُ خلَفٍ فماتَ بمكّةَ من جراحتِه التي جرحَه رسولُ الله ﷺ حين بارزَه، وظهرتِ الرُّومُ على فارسَ يومَ الحديبيةِ، وذلك عند رأسِ سبعِ سنينَ من مُناحبتِهم[2].

وقيل: ظهرتِ الرُّومُ يومَ بدرٍ، فقَمَرَ أبو بكرٍ رضي الله عنه وأخذَ مالَ الخطَرِ من ورثةِ أُبيٍّ، وجاء به إلى النَّبيِّ ﷺ، فقالَ النَّبيُّ ﷺ: «تصَدَّقْ به»[3].

= «خلق أفعال العباد» (١١٥)، والترمذي (٣١٩٣)، والنسائي في «الكبرى» (١١٣٢٥)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٤٤٧ ـ ٤٤٨)، والحاكم في «المستدرك» (٣٥٤٠)، والبيهقي في «الدلائل» (٢/ ٣٣٠ ـ ٣٣١). قال الترمذي: «حسن غريب»، وصححه الحاكم على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

وقد روي في هذه القصة أحاديث وآثار كثيرة يطول ذكرها، جمعها السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٤٧٩ ـ ٤٨٣).

(١) في (ف): «أراد أبي».

(٢) من أول خبر عكرمة إلى هنا ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ١٠٢ ـ ١٠٦) مع زيادات عليه وعزاه للمفسرين، ولعله جمعه مما روي في القصة من أخبار.

وكون ظهور الروم على فارس كان يوم الحديبية رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٨٩٤) عن الشعبي، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٤٥٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٨٧) عن قتادة.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ١٠٦ ـ ١٠٧)، والبغوي في «تفسيره» (٦/ ٢٦٠)، عن الشعبي.

ورواه بنحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» كما ذكر ابن كثير (٦/ ٢٩٨) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه، وفيه: فلم تمض تلك السنون حتى غلبت الروم فارسَ، وربطوا خيولهم =

قولُه ﴿فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: في أقربِ مكانٍ لهم من فارسَ.

وقيل: أقربِها من مكَّةَ. وتقديرُه: في أدنى أرضِهم.

فالتقى الجيشانِ ببيتِ المقدسِ.

وقيل: بأذرعاتٍ وبُصرى، كما سبقَ.

وقيل: بأُرْدُنَّ وفلسطينَ.

وقيل: بالجزيرةِ.

وقيل: بطرفِ الشّامِ.

﴿وَهُم﴾ أي: الرُّومُ ﴿مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ﴾ مصدرٌ مُضافٌ إلى المفعولِ؛ أي: بعد أن غُلِبوا.

الفرَّاءُ: يُريدُ: بعد غَلَبتِهم، فحُذِفَ التاءُ كـ(إقامِ الصَّلاةِ)[(١)].

الزَّجَّاجُ وغيرُه: (الغَلَبَةُ) و(الغَلَبُ) مصدرانِ، وكذلك (الغَلْبُ) بالسُّكونِ[(٢)].

﴿سَيَغۡلِبُونَ﴾: يَقْهَرون، وقُرِئَ في الشَّواذِّ: (غَلَبَتِ الرُّوم) بالفتحِ، (سيُغْلَبون) بالضَّمِّ[(٣)]، وجاء إنكارُه عن أبي الدَّرداءِ[(٤)].

= بالمدائن، وبنوا الرومية، فجاء به أبو بكر إلى النبي ﷺ، فقال: «هذا السحت تصدَّقْ به». وفيه مؤمل بن إسماعيل وهو صدوق سيئ الحفظ، كما في «التقريب».

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣١٩)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٩٠)، واستغربه.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ١٧٧).

(٣) نسبت لعليّ وابن عمر وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهم ومعاوية بن قرة وغيرهم. انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣١٩)، و«المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١١٧)، و«البحر» (١٧/ ١٥٤).

(٤) روى ابن وهب في «جامعه ـ التفسير» (ص: ١٠٦)، والحاكم في «المستدرك» (٣٥٣٩) وصححه =

(٤ ـ ٥) ـ ﴿فِي بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

﴿فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ البِضْعُ: ما بين الثَّلاثةِ إلى العشرةِ.

وقيل: منَ الاثنَين إلى التِّسعةِ.

﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾؛ أي: من قبلِ أنْ غُلِبت ومن بعدِ أن تَغلِبَ، والتَّقديرُ: قبلَ الغلَبةِ وبعدَ الغلَبةِ.

وقيل: قبلَ كلِّ شيءٍ وبعدَ كلِّ شيءٍ.

فحُذِفَ المُضافُ وبُنِيَ على الضَّمِّ؛ لأنَّ الإضافةَ منويَّةٌ، والظَّرفيّةَ مُقدَّرةٌ، والمعنى: لله الأمرُ في الحالتَين، ولو شاءَ ألّا يكونَ غلبةٌ فعلَ.

﴿وَيَوْمَئِذٍ﴾: يومَ تغلبُ الرُّومُ فارسَ ﴿يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ لأنَّ ذلك وقعَ يومَ بدرٍ.

وقيل: يومَ الحديبيةِ، وكان المؤمنون في الغنيمةِ والظَّفرِ بالأعداءِ، والأسرِ والفداءِ.

وقيل: بقَمْرِهم وغلَبَتِهم في رِهانِهم.

وقيل: بغلبةِ أهلِ الكتابِ المُشركينَ وخُروجِهم من بيتِ المقدسِ، وكان إحدى آياتِ نُبوَّتِه ﷺ.

وقيل: فَرَحُ طِباعٍ لا فَرَحُ اختيارٍ.

وقيل: تمَّ الكلامُ على قولِه: ﴿يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾، ثمَّ استأنفَ فقال:

= عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: «سيأتي قوم يقرؤون هذه الآية: (الم، غَلَبَتْ الروم)، وإنما هي: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾».

﴿بِنَصْرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ﴾؛ أي: أولياءَه، فيكونُ الباءُ مُتَّصلًا بـ﴿يَنصُرُ﴾[1]، وعلى الأوَّلِ مُتَّصلٌ بـ﴿يَفْرَحُ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في الانتقامِ منَ الكفّارِ ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ في التَّمكينِ والنَّصرِ للمُؤمنين.

* * *

(٦) - ﴿وَعْدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَعْدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾؛ أي: وَعَدَ وَعْدَه فلا يُخلِفُه، وهو نصبٌ على المصدرِ، وفي الوعدِ قولانِ:

أحدُهما: ﴿سَيَغْلِبُونَ﴾ هو الوعدُ.

والثّاني: ﴿يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ هو الوعدُ.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ صحَّةَ وعدِه.

* * *

(٧) - ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾.

﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾؛ أي: يعلمون ما يُشاهدونَه فعلَ الحيواناتِ.

﴿وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾؛ أي: لا يستدلُّونَ بما يُشاهدونَه على ما غابَ عنهم فعلَ العاقلِ المُميِّزِ.

الفرَّاءُ: يعرفون التِّجاراتِ والتَّصرُّفَ فيها ولا يعرفونَ الله[2].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٩٠)، واستغربه.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٢٢).

وقيل: يعلمون أمرَ معاشِهم وزراعاتِهم وبنائِهم وأنهارِهم.

وقيل: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾؛ أي: باطلًا، وكلُّ أمورِ الدُّنيا باطلٌ سوى ما أُريدَ به وجهُ الله. حكاه القفَّالُ.

* * *

(٨) - ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴾.

﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم ﴾ قيل: هذا مُتَّصلٌ بما قبلَه على تقديرِ: أوَلـم يتفكَّروا في خلقِ أنفُسِهم ليخرُجوا عن الغفلةِ.

وقيل: أولـم يتفكَّروا فيعلموا أنَّهم يعلمون ظاهرًا منَ الحياةِ، ثمَّ استأنفَ فقال: ﴿مَّا خَلَقَ﴾.

وقيل: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا ﴾ مُتَّصلٌ بما بعدَه، ومثلُه ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ﴾ [سبأ: ٤٦]، ومثلُه ﴿وَظَنُّوا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴾ [فصلت: ٤٨]، فيكونُ ﴿فِي﴾ بمعنى: الباء كأنَّه قال: أوَلـم يتفكَّروا بقلوبِهم فيعلموا ﴿مَّا خَلَقَ اللَّهُ﴾، أو: فيقولوا: ﴿مَّا خَلَقَ اللَّهُ﴾[١].

وقيل: أوَلـم يتفكَّروا بقلوبِهم أنَّ ما خلقَ الله.

و﴿مَّا﴾ نفيٌ بالإجماعِ؛ أي: لـم يخلقِ الله ﴿السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾؛ أي: لـم يخلُقْهما عبثًا، ولكن ليعتبِرَ بهما عبادُه ويستدلُّوا على وحدانيَّته وقُدرتِه.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٩١)، واستغربه.

وقولُه ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ أي: للحقِّ.

وقيل: بالحكمةِ والغرضِ الصَّحيحِ.

﴿وَأَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ إذا بلغَ ذلك الأجلُ أفناهما.

وقيل: ﴿وَأَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ في الابتداءِ، وهو: الوقتُ الذي عيَّنَه لخلقِهما؛ أي: خلقَهما على مقدارٍ معلومٍ في وقتٍ معلومٍ(١).

﴿وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ﴾: بالبعثِ والجزاءِ ﴿لَكَٰفِرُونَ﴾: جاحِدون.

***

(٩) ـ ﴿أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَأَثَارُواْ ٱلۡأَرۡضَ وَعَمَرُوهَآ أَكۡثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾.

﴿أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾؛ أي: ألَا ينظُرون حالَ مسيرِهم في ذهابِهم ومجيئِهم إلى مصارعِ مَن كان قبلَهم منَ الأممِ الخاليةِ وآثارِهم نَظَرَ تفكُّرٍ واعتبارٍ؟ ثمَّ ابتدأ فقال: ﴿كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ﴾؛ أي: الأممُ الماضيةُ كانوا أشدَّ قوّةً من قُريشٍ.

﴿وَأَثَارُواْ ٱلۡأَرۡضَ﴾: قلَبوا وجهَ الأرضِ لاستنباطِ المياه، واستخراجِ المعادنِ، وإلقاءِ البذورِ فيها للزِّراعةِ.

وقيل: ﴿وَأَثَارُواْ ٱلۡأَرۡضَ﴾: حرَثُوها، والإثارةُ: تحريكُ الشَّيءِ حتَّى يرتفعَ ترابُه.

﴿وَعَمَرُوهَآ أَكۡثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾ فيه ثلاثةُ أوجهٍ:

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٩١)، واستغربه.

أحدُها: مِنَ العُمُرِ؛ أي: بَقُوا هم فيها أكثرَ من بقاءِ هؤلاءِ، والتَّقديرُ: مِمَّا عُمِّروا فيها[1].

والثَّاني: من العُمْرَى؛ أي: سكنُوا فيها[2].

والثَّالثُ: من العِمارةِ[3].

﴿وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾: بالمُعجزاتِ ﴿فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ﴾؛ أي: فكفروا فأهلَكَهم الله عدلًا منه لا ظُلمًا.

﴿وَلَٰكِن﴾: بل ﴿كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ الظلمُ يأتي على ثلاثةِ أوجُهٍ: وضعُ الشَّيءِ غيرَ موضِعِه، والنُّقصانُ، وأخذُ الشَّيءِ قبل وقتِه. والآيةُ تحتملُ[4] المعانيَ الثَّلاثةَ.

* * *

(١٠) ـ ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾.

﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ﴾: كفروا ﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾: العذابُ، وقيل: جهنَّمُ. و﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾: فُعْلَى تأنيثُ الأفعَلِ، كالحُسنى والفُضْلى.

وقيل: ﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ مصدرٌ كالرُّجعى.

ومحلُّها رفعٌ فيمَن نصبَ ﴿عَٰقِبَةَ﴾، ونصبٌ فيمَن رفعَ[5].

---

(١) في (ف): «والتقدير وعمروا فيها». ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٩١)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٩١)، وعده من العجائب.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٩١)، واستغربه.

(٤) في (ف): «محتملة».

(٥) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو برفع العاقبة، والباقون بنصبها. انظر: «السبعة» (ص: ٥٠٦)، و«التيسير» (ص: ١٧٤).

والإساءةُ: فعلُ السَّيِّئةِ والسُّوءِ والسُّوأى، والسَّيِّئةُ: كلُّ قبيحٍ من فعلٍ أو قولٍ.

﴿أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾؛ أي: بأنْ، وقيل: لأَنْ، فحُذِفَ الجارُّ.

وقيل: ﴿أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ بدلٌ منَ ﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾[1]؛ أي: عاقبتُه أنْ طبعَ الله على قلوبِهم وسمعِهم فكذَّبوا بآياتِ الله.

ويحتمِلُ أن يكونَ بيانًا لقولِه: ﴿أَسَٰٓـُٔوا۟﴾ أي: هو أن كذَّبوا بآياتِ الله.

***

(١١) ـ ﴿ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

﴿ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ﴾: يُنشِئُهم ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾: يُحييهم بعد الموتِ ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ للجزاءِ.

***

(١٢) ـ ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾؛ أي: يتحيَّرون وييأسونَ من الرَّحمةِ ومن شفاعةِ مَن كانوا يرجُونَ شفاعتَه.

والإبلاسُ: اليأسُ، والإبلاسُ: الحيرةُ وانقطاعُ الحجَّةِ، والإبلاسُ: التَّندُّمُ.

***

(١٣) ـ ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُا۟ وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾.

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُا۟ وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ قيل: الضَّميرُ للكفَّارِ في ﴿كانُوا﴾؛ أي: يكفُرون بآلهتِهم ويُنكرونَهم.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٩٢)، واستغربه.

وقيل: الضَّميرُ للأصنامِ، من قولِه: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ [البقرة: ١٦٦].

و(كان)[1] في الآيةِ زيادةٌ. وقيل: هو بمعنى: صار. وقيل: معناه: ويكونون، وجاء بلفظِ الماضي كأكثرِ ألفاظِ القيامةِ.

***

(١٤ ـ ١٥) ـ ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ﴾: حينئذٍ ﴿يَتَفَرَّقُونَ﴾ قيل: الضَّميرُ للأصنامِ والكفَّارِ.

وقيل: للخلقِ جميعًا؛ أي: يتفرَّقون؛ فآخِذٌ ذاتَ اليمينِ وآخِذٌ ذاتَ الشِّمالِ، ثمَّ فصَّلَ فقال:

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ﴾: في رياضٍ وأنواعٍ منَ الزَّهرِ والأشجارِ ﴿يُحْبَرُونَ﴾: يُسَرُّون فيتنعَّمون ويتلذَّذون بسماعِ الغِناءِ.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: يُكرَمون[2]، تقولُ: حَبَرَه: أكرَمَه، وخصَّ الرَّوضةَ بالذِّكرِ لأنَّ العربَ يُعجِبُها[3] ذلك، وكثُرَ ذكرُها في الشِّعرِ.

***

---

(١) في (ف): «وكانوا».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٤٧١)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ١٢١).

(٣) في النسختين: «تعجبها»، والوجه المثبت.

(١٦) ـ ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلْأٓخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: بالقرآنِ ﴿وَلِقَآيِٕ ٱلْأٓخِرَةِ﴾: البعثِ ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾: مُعذَّبون، والإحضارُ يُستعملُ في المكروهِ؛ أي: أحضرَهم الله في النّارِ.

وقيل: مُدْخَلون.

وقيل: نازِلون.

وقيل: مُقِيمون.

* * *

(١٧) ـ ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾.

﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: نزِّهوه عمَّا لا يليقُ به، وقيل: صَلُّوا له.

﴿حِينَ تُمْسُونَ﴾: المغربُ والعشاءُ، وقيل: المغربُ وحدَه.

﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾: صلاةُ الفجرِ.

وقدَّمَ المغربَ لأنَّه أقربُ إلى اللَّيلِ، واللَّيلُ مُقدَّمٌ على النَّهارِ.

* * *

(١٨) ـ ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾.

﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا﴾ يعني: العصرَ ﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ يعني: الظُّهرَ، تقولُ: أَظهرَ إذا دخلَ في وقتِ الظُّهرِ.

واتَّفقَ المُفسِّرون على أنَّ الصَّلواتِ كلَّها داخلةٌ في هذه الآيةِ، وعن ابنِ عبَّاسٍ

رضي الله عنهما: ما ذكرَ الله الصَّلواتِ الخمسَ جملةً إلّا في هذه الآيةِ[1].

وقيـل: كلُّهـا داخلةٌ إلا العشـاءَ الآخرةَ؛ فإنَّهـا مذكورةٌ في (النُّـورِ): ﴿وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ﴾ [النور: ٥٨][2].

ومعنى ﴿وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾؛ أي: هو محمودٌ عند سُكَّانِ أرضِه وسمائِه كقولِه: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الحديد: ١].

وقيل: الملائكةُ تُسبِّحُه في السَّماءِ، وبنو آدمَ تُسبِّحُه في الأرضِ.

و﴿سُبْحانَ﴾ نصبٌ على المصدرِ.

وقيل: على الإغراءِ.

وقيل: على النِّداءِ.

والمساءُ: بَدءُ الظَّلامِ بعد مغيبِ الشَّمسِ.

والعَشِيُّ: آخرُ النَّهارِ عند ميلِ الشَّمسِ للمغيبِ، من عَشَى العينِ، وهو نُقصانُ نورِها.

ابنُ عيسى: إنَّما خصَّ العشيَّ والإظهارَ بالحمدِ لأنَّها أحوالٌ تُذكِّرُ بإحسانِ الله،

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٤٧٤)، بلفظ: «جمعت هاتان الآيتان مواقيت الصلاة ﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ﴾ قال: المغرب والعشاء ﴿وَحِينَ تُصۡبِحُونَ﴾ الفجر ﴿وَعَشِيّٗا﴾ العصر ﴿وَحِينَ تُظۡهِرُونَ﴾ الظهر».

(٢) وهذا أيضاً مروي عن ابن عباس، رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٢٨٠)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٤٧٤)، عن أبي رزين قال: سأل نافع بن الأزرق ابن عباس: هل تجد ميقات الصلوات الخمس في كتاب الله؟ قال: نعم، ﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ﴾ المغرب، ﴿وَحِينَ تُصۡبِحُونَ﴾ الفجر، ﴿وَعَشِيّٗا﴾ العصر، ﴿وَحِينَ تُظۡهِرُونَ﴾ الظهر، قال: ﴿وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡ﴾.

وذلك أنَّ انقضاءَ إحسانٍ أوَّلٍ[١] إلى إحسانٍ ثانٍ يقتَضي الحمدَ عند تمامِ الأوَّلِ، من قولِه: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: ١٠][٢].

وقيل: لأنَّ الإنسانَ يتقلَّبُ في النَّهارِ في أحوالٍ تُوجبُ حمدَ اللهِ عليها، وفي اللَّيلِ على خلوةٍ تُوجِبُ تنزيهَ الله منَ الأسواءِ [فيها]، حكاه الماورديُّ[٣].

ويحتمِلُ معنًى آخَرَ وهو: أنَّ التَّسبيحَ يدلُّ على رفعِ الصَّوتِ، كقولِ الشَّاعرِ:

قَبَحَ الإلهُ وجوهَ تَغْلِبَ كلَّما ... شَبَحَ الحجيجُ وكبَّروا إهلالا[٤]

فكان اتِّصالُه بالصَّلواتِ التي يُجهَرُ فيها بالقراءةِ أحسنَ، وليس في لفظِ الحمدِ ما يدلُّ على رفعِ الصَّوتِ، فكان بالظُّهرِ والعصرِ أولى[٥]، والله أعلمُ.

وعن أنسٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن سرَّه أن يُكالَ له بالقفيزِ الأوفى فليقُلْ: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ إلى قولِه: ﴿وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾، ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ﴾ إلى آخرِ السُّورةِ [الصافات: ١٨٠ ـ ١٨٢]»[٦].

---

(١) ضبطت في (ف) بتنوين الجر، ووجه ذلك أنَّ كلمة (أول) أُريد بها الوصف من غير تقدير (من كذا)، فهي بمعنى: سابق. انظر: «شرح المفصل» لابن يعيش (٤/ ١٣٢).

(٢) ذكره ابن فورك في «تفسيره» (١/ ٤٢١) دون نسبة.

(٣) انظر: «النكت والعيون» (٤/ ٣٠٣)، وما بين معكوفتين منه، والظاهر أن (الأسواء) هنا جمع (السوء) فقد ذكر المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١١٢) أنه يجمع على ذلك، وانظر: «الفائق» للزمخشري (١/ ٤٤٣).

(٤) البيت لجرير. انظر: «ديوانه» (١/ ٥٣)، و«الحماسة البصرية» (٢/ ٣٠٥). قال ابن حبيب شارح الديوان: «الشَّبْح: رفع الأيدي بالدعاء، والإهلال: رفع الصوت».

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٩٢)، واستغربه.

(٦) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ١٣٦ ـ ١٣٧) من حديث أنس. وقال ابن حجر في «الكافي الشاف» (ص: ١٢٩): «في إسناده بشر بن الحسين وهو ساقط».

(١٩) - ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَيُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾.

﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ ﴾: الإنسانَ منَ النُّطفة، والدَّجاجَ منَ البيضةِ، والنَّخلةَ منَ النَّواةِ، والمُؤمنَ منَ الكافرِ ﴿وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ ﴾ على الضِّدِّ من ذلك كلِّه، ﴿وَيُحْيِ ٱلْأَرْضَ﴾ بالنَّباتِ ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾: يبَسِها.

وقيل: ﴿وَيُحْيِ ٱلْأَرْضَ﴾: يُكثِرُ أهلَها فيعمُرونَها.

﴿وَكَذَٰلِكَ ﴾؛ أي: كإخراجِ الحيِّ منَ الميِّتِ وإحياءِ الأرضِ ﴿تُخْرَجُونَ﴾ من قُبورِكم بإخراجِ الله، وقد سبقَ بيانُ هذه الآيةِ[1].

* * *

(٢٠) - ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴾.

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ﴾؛ أي: خلقَكم في أصلِ الإنشاءِ من ترابٍ؛ لأنَّهم بنو آدمَ، وآدمُ خُلِقَ من ترابٍ، وإذا كان الأصلُ ترابًا فالفرعُ كذلك.

وقيل: تقديرُه: خلَقَ أباكم من ترابٍ، فحُذِفَ المُضافُ.

﴿ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ﴾ آدميُّون عُقلاءُ ناطقون ﴿تَنتَشِرُونَ ﴾: تتصرَّفون فيما فيه قَوامُ معاشِكُم.

وقيل: هذا تقريبٌ بينَ كونِه ترابًا وكونِهم بشرًا ينتَشِرون، وليس ﴿ثُمَّ﴾ لتراخي الزَّمانِ[2].

* * *

(١) في سورة (آل عمران) الآية [٢٧].

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٩٢)، واستغربه.

(٢١) ـ ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾.

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا ﴾ قيل: المُرادُ به آدمُ وحوَّاءُ؛ لأنَّها خُلِقَتْ من ضِلَعِه.

وقيل: أي: النِّساءُ خُلِقْنَ من نُطَفِ الرِّجالِ.

وقيل: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [النحل: ٧٢] و[الشورى: ١١]؛ أي: من بعضِكم، كقولِه: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ [الحجرات: ١١]؛ أي: بعضَكم بعضًا.

وقيل: من جنسِكم.

وقيل: من أمثالِكم.

﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً﴾: يودُّ الرجلُ زوجَه[1] والمرأةُ زوجَها.

﴿وَرَحْمَةً﴾: يَعطِفُ كلُّ واحدٍ منهما على صاحبِه.

وفي التَّفسيرِ: أنَّ المودَّةَ والرَّحمةَ بين الزَّوجَين منَ الله، وأنَّ الفِرْكَ منَ الشَّيطانِ، حكاه الزَّجَّاجُ[2].

وقيل: هي المُصاهَرةُ والمُخاتَنةُ.

وقيل: مودَّةً للكبيرِ ورحمةً على الصَّغيرِ[3].

الحسَنُ: المودَّةُ: الجِماعُ، والرَّحمةُ: الولدُ[4].

---

(١) في (ف): «زوجته».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ١٨٢). الفِرْك: بُغْض أحدِ الزَّوجين للآخَر.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٩٣)، واستغربه.

(٤) رواه ابن وهب في «جامعه ـ التفسير» (٩٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٩٠)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٩٣)، وعده من العجائب.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيعلَمون أنَّ قَوامَ الدُّنيا بوقوعِ التَّناسلِ فيها.

***

(٢٢) - ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ﴾.

﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡ﴾ ليقعَ التَّعارُفُ والتَّفاهُمُ، ويتميَّزَ الأشخاصُ بعضُها عن[1] بعضٍ، وفيه قولانِ:

أحدُهما: اختلافُ الألسُنِ، وهي اللُّغاتُ.

وعن وَهْبٍ: إنَّ جميعَ الألسنةِ[2] اثنان وسبعون لسانًا؛ منها في ولدِ سامٍ تسعةَ عشرَ لسانًا، وفي ولدِ حامٍ سبعةَ عشرَ لسانًا، وفي ولدِ يافثَ ستَّةٌ وثلاثون لسانًا[3].

والثَّاني: اختلافُ النَّغمةِ والصَّوتِ[4].

وفي ﴿أَلْوانِكُمْ﴾ قولانِ:

أحدُهما: البياضُ، والسَّوادُ، والأُدمةُ، والشُّقْرةُ، وغيرُها.

والثَّاني: خلقَهم جميعًا على صورةٍ واحدةٍ، وفرَّقَ بينَهم بأمورٍ لطيفةٍ من صُنعِه، حتَّى لا يلتبسَ أحدٌ على النَّاسِ من غيرِه مع كثرتِهم، بل يُعرَفُ كلُّ واحدٍ بما خصَّه الله به، ولو جهدَ النَّاسُ أن يقِفُوا على ما به بانَ كلُّ واحدٍ منَ الآخرِ لم يقِفُوا على كُنْهِ ذلك، وهم كلُّهم بنو أبٍ واحدٍ وأمٍّ واحدةٍ.

---

(١) في (ف): «من».

(٢) في (ف): «الألسن».

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٣٠٦).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٩٣)، واستغربه.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعالَمِينَ﴾: للإنسِ والجنِّ، ومَن كسرَ فلأنَّهم المخصوصونَ بمعرفةِ الدَّقائقِ[1].

* * *

(٢٣) ـ ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾؛ أي: خلقَ اللَّيلَ والنَّهارَ للنَّومِ وطلبِ المعاشِ؛ فإنَّ النَّومَ قد يكونُ بالنَّهارِ، وطلبَ العيشِ قد يكونُ باللَّيلِ؛ أي: خلقَ كلَّ واحدٍ منهما للنَّومِ وطلَبِ المعاشِ جميعًا، هذا ظاهرُ الآيةِ.

وجمهورُ المُفسِّرين على أنَّ في الآيةِ تقديمًا وتأخيرًا وتقديرُه: منامُكم باللَّيلِ وابتغاؤُكم من فضلِه بالنَّهارِ اعتبارًا بسائرِ الآياتِ في هذا المعنى، قالوا: وإنْ وقعَ النَّومُ بالنَّهارِ وابتغاءُ الرِّزقِ باللَّيلِ فنادرٌ، والحكمُ للأغلبِ.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾؛ أي: ينتفِعون بسمعِهم.

* * *

(٢٤) ـ ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: أنَّ التَّقديرَ: أن يُريكم البرقَ، فحُذِفَ (أنْ)، كما حذَفَه الشَّاعرُ في قولِه:

ألا أيُّهذا الزّاجريُّ أحضُرُ الوَغى ... وأنْ أشهدَ اللّذّاتِ هل أنتَ مُخلدي[2]

---

(١) قرأ حفصٌ بكسر اللام، على أنها جمع (عالِم)، والباقون بالفتح. انظر: «السبعة» (ص: ٥٠٦ ـ ٥٠٧)، و«التيسير» (ص: ١٧٥).

(٢) لطرفة بن العبد، وهو في «ديوانه» (ص: ٣٢)، و«الكتاب» (٣/ ٩٩). و(أحضر) يروى بالرفع =

وكذلك هو في حرفِ ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه[١].

والثّاني: أنَّ التَّقديرَ: ومن آياتِه آيةٌ يُريكم بها البرقَ، كما قالَ الشّاعرُ:

فما الدَّهرُ إلا تارتانِ فمنهما أموتُ وأُخرى أبتَغي العيشَ أكدَحُ[٢]

أي: فمنهما تارةً أموتُ.

والثّالثُ: فيه تقديمٌ وتأخيرٌ، تقديرُه: ويُريكم البرقَ من آياتِه[٣].

ويحتمِلُ أنَّ الكلامَ تامٌّ على قولِه: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ﴾، ثمَّ استأنفَ فقال: ﴿يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ﴾ كما تقولُ: فلانٌ يعلَمُ أشياءَ؛ منها الفقهُ، ومنها الكلامُ، ومنها اللُّغةُ، ومنها..، وتسكتُ، تُريدُ: ومنها الشِّعرُ أو غيرُه، وسكوتُك يدلُّ على كثرةِ ذلك عندَه؛ أي: فيها كثرةٌ يطولُ تفصيلُها[٤]، والله أعلمُ.

والمعنى: يُريكم البرقَ ﴿خَوْفًا﴾ للمُسافرِ ﴿وَطَمَعًا﴾ للمُقيمِ في المطرِ.

وقيل: طمعًا أن يكونَ ماطرًا، وخوفًا أن يكونَ خُلَّبًا، قال الشّاعرُ[٥]:

لا يكُنْ بَرْقُكَ بَرْقًا خُلَّبا إنَّ خيرَ البرقِ ما الغيثُ معَه[٦]

= والنصب كما قال السمين في «الدر المصون» (١/ ٤٦٠).

(١) أي قرأ: (أن يريَكم)، ذكرها عنه الواحدي في «البسيط» (١٨/ ٣٧).

(٢) البيت لابن مقبل في «ديوانه» (ص: ٣٨)، و«الكتاب» (٢/ ٣٤٦)، و«الحيوان» (٣/ ٢١).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٩٣)، واستغربه.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٩٣، ٨٩٤)، واستغربه.

(٥) «الشاعر»: ليس في (ف).

(٦) البيت لأبي الأسود الدؤلي في «الشعر والشعراء» (٢/ ٧١٩)، و«الجليس الصالح» (ص: ٥٨٧). ولأنس بن زنيم الليثي في «تهذيب اللغة» (٣/ ٨٧)، و«التذكرة الحمدونية» (٨/ ١٦٣).

والعربُ تقولُ: إذا توالَتْ أربعون بَرْقةً مَطَرَتْ[١]، قال المُتنبِّي:

وقد أرِدُ المـياهَ بغيرِ هادٍ ... سوى عَدِّي لها بَرْقَ الغمامِ[٢]

وقيل: ﴿خَوۡفٗا﴾ منَ الصَّواعقِ، ﴿وَطَمَعٗا﴾ في المطرِ.

وقيل: ﴿خَوۡفٗا﴾ منَ البَرَدِ، ﴿وَطَمَعٗا﴾ في المطرِ.

ويحتمِلُ ﴿خَوۡفٗا﴾ منَ السَّيلِ والطُّوفانِ والغرقِ، ﴿وَطَمَعٗا﴾ في المطرِ النَّافعِ.

وذهبَ الزَّجَّاجُ وغيرُه منَ المُحقِّقين إلى أنَّ نصبَهما على المفعولِ له[٣]، وفيه نظرٌ؛ لأنَّ من شرطِ المفعولِ له أن يكونَ فاعلُ المصدرِ فاعلَ الفعلِ النَّاصبِ له، كما تقولُ: ضربتُه تأديبًا له، ففاعلُ التَّأديبِ هو فاعلُ الضَّربِ، ولا تحتمِلُ الآيةُ ذلك؛ لأنَّ الإراءةَ منَ الله، والخوفَ والطَّمعَ منَ المُخاطَبين، ووجهُ ذلك أن يُقالَ: تقديرُه: إخافةً وإطماعًا؛ كما جاء: فعلتُه رغمًا للشَّيطانِ؛ أي: إرغامًا له.

ولو جُعِلَ (خَوفًا) و(طمعًا) مصدرَين واقعَين موقعَ الحالِ كقولِه: ﴿يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗا﴾ [البقرة: ٢٦٠] لم يَمتنِعْ، والله أعلمُ.

﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ﴾: مطرًا ﴿فَيُحۡيِۦ بِهِ﴾: بالمطرِ ﴿ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾.

***

(١) انظر: «النكت والعيون» للماوردي (٢/ ٨٩٤)، و«تفسير السمعاني» (٤/ ٢٠٥)، وفي «شرح ديوان المتنبي» للمعري (ص: ١٣٢٠): «ذكر ابن الأعرابي في «النوادر»: أن العرب كانوا إذا لاح البرق عدوا سبعين برقةً، فإذا كملت السبعون وثقوا بأنه برق ماطر، فرحلوا يطلبون موقع الغيث».

(٢) انظر: «ديوان المتنبي» (٤/ ٢٧٣). وعده برق الغمام: إشارة إلى ما كانت العرب تفعله. انظر التعليق السابق.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ١٨٢).

(٢٥) ـ ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾ ثـمَّ عـادَ إلـى عدِّ الآيـاتِ؛ أي: من آيـاتِ قُدرتِـه ثباتُهمـا قائمَين بلا عَمَـدٍ بأمرِه لهمـا بالقيامِ.

وقيل: بفعلِه، وذُكِرَ بلفظِ الأمرِ للمُبالغةِ.

﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً﴾ قيل: هي النَّفخةُ الأخيرةُ، والدَّاعي إسرافيلُ.

وقيل: ﴿دَعَاكُمْ﴾ توسُّعٌ؛ إذ ليس خروجُهم بفعلِهم فيُدعَوا إليه، وإنَّما ذلك فعلُ الله سبحانَه، ذكرَه بلفظِ الدُّعاءِ توسُّعًا، ويحتمِلُ أنَّه يُحييهم بهذا الدُّعاءِ أيضًا، والله أعلمُ.

﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: حالٌ منَ المُخاطَبين؛ أي: دعاكُم وأنتم في الأرضِ.

وقيل: دعوةً منَ الأرضِ، فيكونُ صفةً للدَّعوةِ؛ لأنَّهم يسمعونَها منَ الأرضِ.

قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: من قُبورِكم[١].

والأكثرُ على أنَّه مُتَّصلٌ بالخروجِ، تقديرُه: إذا أنتم تخرجون منَ الأرضِ، وزيَّفَه المُبرِّدُ وقال: ما بعدَ (إذا) لا يعملُ فيما قبلَه[٢].

***

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ١٤٥).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٩٤)، واستغربه، قال: «الغريب: ذهب جماعة من المفسرين إلى أنه متصل بقوله: ﴿تَخْرُجُونَ﴾؛ أي: إذا أنتم تخرجون من الأرضِ، وهذا ممتنع؛ لأن ما بعد (إذا) لا يتقدم عليه».

(٢٦) ـ ﴿ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴾.

﴿ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴾؛ أي: ومن آياتِه أنَّ كلَّ مَن في السَّماواتِ والأرضِ له ﴿قَٰنِتُونَ﴾ مُنقادون، وعن النَّبيِّ ﷺ: «مُطيعون»[1]، فتكونُ طاعةَ إرادةٍ لا طاعةَ عبادةٍ؛ أي: خلقَهم على ما أرادَ.

وقيل: قائمون في القيامةِ.

وقيل: مُقِرُّون بالعبوديَّةِ.

وقيل: مُصَلُّون، فيكونُ المرادُ به: المُؤمنون.

* * *

(٢٧) ـ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾؛ أي: يُنشِئُهم ثمَّ يُعيدُهم للبعثِ ﴿وَهُوَ﴾؛ أي: الإعادةُ ﴿أَهْوَنُ﴾ أسهَلُ، وقيل: أيسَرُ. وقيل: أسرعُ.

﴿عَلَيْهِ﴾ فيه أقوالٌ:

أحدُها: أنَّ الهاءَ يعودُ إلى الخلقِ؛ لأنَّه بمعنى المخلوقِ؛ أي: لا يَحتاجُ إلى تربيةٍ ورضاعٍ وتغيُّرٍ من حالٍ إلى حالٍ.

وقيل: إلى الميِّتِ، وهو القولُ الأوَّلُ.

وقيل: يعودُ إلى الله و﴿أَهْوَنُ﴾ بمعنى: هَيِّنٌ، كقولِه: ﴿أَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٤]، و: اللهُ أكبرُ.

وقيل: ﴿أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ عندَكم؛ لأنَّ الإعادةَ عندَكُم أسهلُ منَ الإنشاءِ.

---

(١) لم أقف عليه مرفوعاً، وقد ذكر المصنف هذا المعنى في تفسير قوله تعالى: ﴿بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ [البقرة: ١١٦]، ولم يذكره عن النبي ﷺ.

وقيل: ﴿أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ مما تتوهَّمون.

وقيل: ﴿أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ مَثَلًا.

﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: مُتَّصلٌ بما قبلَه على ما ذكرتُ.

والثّاني: مُتَّصلٌ بما بعدَه من قولِه: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾.

والثّالثُ: المثَلُ: الوصفُ؛ أي: وله الوصفُ الأرفعُ؛ ليس كمِثْلِه شيءٌ[1].

وقيل: هو شهادةُ أنْ لا إلهَ إلا الله.

وقيل: الإحياءُ والإماتةُ وسائرُ أوصافِه التي لا يُشارِكُه فيها أحدٌ.

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

* * *

(٢٨) - ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ عن حمزةَ بنِ حبيبِ الزَّيَّاتِ: أنَّ العربَ كانت تقولُ: لبَّيكَ اللَّهمَّ لبَّيكَ، لبَّيكَ لا شريكَ لكَ، إلَّا شريكٌ هو لك، تملِكُه وما ملَكَ، فأنزَلَ الله: ﴿ضَرَبَ لَكُم﴾[2]؛ أي: ضرَبَ الله لكم معاشرَ المُشركين ﴿مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ لذاتِه ولِمَا جعلتُم شريكًا له، سبحانَه يُقرِّبُ الأمرَ في فهمِ ذلك عليكم

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٤٨٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٧٩١٠)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ٢٣٣): «رواه الطبراني في الأوسط، وفيه حماد بن شعيب، وهو ضعيف».

وذكره مقاتل في «تفسيره» (٣/ ٤١٢)، والسمرقندي في «تفسيره» (٣/ ١٠) دون نسبة.

﴿هَل لَّكُم﴾ معاشرَ الأحرارِ ﴿مِّمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم﴾: عبيدِكم ﴿مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ منَ الأموالِ ﴿فَأَنتُمْ﴾ معاشرَ الأحرارِ والعبيدِ ﴿فِيهِ﴾: في ذلك الرِّزقِ ﴿سَوَآءٌ﴾: شَرَعٌ[1] يحكُمُ مماليكُكُم في أموالِكُم كحُكمِكُم، ويتصرَّفُونَ فيها تصرُّفَكُم ﴿تَخَافُونَهُمْ﴾: تخافونَ معاشرَ السَّادةِ عبيدَكم فيها، فلا تُمضونَ فيها حكمًا دونَ إذنِهم خوفًا من لائمةٍ تلحقُكم من جهتِهم ﴿كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾: كما يخافُ بعضُ الأحرارِ بعضًا فيما هو مشتركٌ بينَهم.

وقيل: ﴿تَخَافُونَهُمْ﴾ أن يرِثُوكُم بعدَ موتِكم.

أي: فلا ترضَوا لي ما لا ترضَونَ به لأنفُسِكم.

وقيل: معناه: هل يرضى أحدُكم أن يكونَ عبدُه شريكَه في مالِه وولدِه حتَّى يكونَ هو ومملوكُه في ذلك سواءً يخافُه كما يخافُ غيرَه من شريكٍ لو كان[2]؟

﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ﴾: نُبيِّنُ كما بَيَّنْتُ هذا المثَلَ ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: يتدبَّرون في ضربِ الأمثالِ.

* * *

(٢٩) ـ ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾.

﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾: كفَروا ﴿أَهْوَآءَهُم﴾: ما تميلُ إليه أنفسُهم ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أتاهُم منَ الله، ولا معرفةٍ منهم بصوابِ ما هم عليه، بل تقليدٌ وإِلْفٌ.

---

(١) قوله: «شَرَعٌ»؛ أي: سواءٌ، وهو بفتح أوَّله وثانيه، وقيل: يحرك ثانية ويسكن والفتح أعلى، ويستوي فيه الواحد والتثنية والجمع لكونه مصدراً. انظر: «إصلاح المنطق» لابن السكيت (ص: ١٣٠)، و«أدب الكاتب» لابن قتيبة (ص: ٣٢١)، و«حاشية الجاربردي على الكشاف» (ج١/ و٣١٣أ).

(٢) وظاهر هذا القول أنه كالأول وتلخيصٌ له.

﴿فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ﴾: فلا يقدرُ أحدٌ على أن يهديَهم؛ لإضلالِ الله إيَّاهُم، ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾: ناصرٌ يمنعُهم؛ لا منَ الأصنامِ التي عبدوها، ولا من غيرِها.

* * *

(٣٠) - ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ﴾؛ أي: أَقبِلْ.

وقيل: ﴿أَقِمْ وَجْهَكَ﴾: أَقِمْ قصدَكَ. وقيل: دينَكَ. وقيل: عمَلَكَ.

الخطابُ للنبيِّ ﷺ والمُرادُ به هو وأمَّتُه؛ كقولِه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [الطلاق: ١]، بدليلِ قولِه: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾.

﴿لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ حالٌ لـ(الدِّين)؛ أي: للدِّينِ الحنيفيِّ.

وقيل: حالٌ منَ المُخاطبِ، والمعنى: مائلًا عنِ الأديانِ.

وقيل: مُستقيمًا، وقد سبقَ.

﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾: دينَ الله الذي فطرَ عليه الخلقَ؛ لأنَّ الله خلقَ المُكلَّفين العقلاءَ خِلْقةً متى خُلُّوا وإيَّاها أدَّتهم إلى الإقرارِ بصانعٍ واحدٍ قديرٍ حكيمٍ عليمٍ.

وقيل: هي من قولِه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

والفِطرةُ: المِلَّةُ، والفِطرةُ: العهدُ الذي أُخِذَ على آدمَ، ومنه: «كلُّ مولودٍ يُولَدُ على الفطرةِ حتَّى يكونَ أبواه هما اللَّذانِ[١] يُهوِّدانِه ويُنصِّرانِه ويُمَجِّسانِه»[٢].

(١) في (ف): «اللذين».

(٢) رواه البخاري (١٣٥٨)، ومسلم (٢٦٥٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَا﴾: خلقَهم على ذلك في الابتداءِ.

وقيل: ﴿عَلَيۡهَا﴾ بمعنى: لـها، واللَّامُ و(على) يتقارَبانِ في مواضعَ[1]: بعثَكَ لهذا وعلى هذا.

و﴿فِطۡرَتَ﴾ نصبٌ على المصدرِ، ويدلُّ على فعلِه ما قبلَه وما بعدَه.

وقيل: نصبٌ على الإغراءِ؛ أي: الزَموا واتَّبِعوا فطرةَ الله.

﴿لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: لا تُبدِّلوا دينَ الله، فهو نهيٌ.

وقيل: لا يقدرُ أحدٌ أن يُغيِّرَ هذه الخِلْقَةَ.

وقيل: لا تبديلَ لخلقِ الله النَّاسَ للدِّينِ المستقيمِ.

وقيل: ﴿لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: لا يقدرُ أحدٌ أن يخلقَ كخلقِ الله.

وقيل: هو نهيٌ عن الخِصاءِ، والوِجاءِ، وبَتْكِ الآذانِ.

أبو بكرٍ الورَّاقُ: ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ﴾: الفقرَ والفاقةَ، ولا تبديلَ لذلك[2].

﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ﴾ ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى الإسلامِ، و﴿ٱلۡقَيِّمُ﴾: المُستقيمُ.

وقيل: القضاءُ المُستقيمُ.

وقيل: ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ﴾: الحسابُ، حكاه الماورديُّ[3]، وهو بعيدٌ في هذه الآيةِ.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾: لا يتفكَّرون، فيعلمون[4] أنَّ لهم خالقًا مُدبِّرًا.

* * *

---

(١) في (ن): «المواضع». وانظر: «الجنى الداني» للمرادي (ص: ٤٨٠).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ١٥٦).

(٣) انظر: «النكت والعيون» (٢/ ٨٩٤)، وفيه: ذلك الحساب البيِّن، ونسبه لمقاتل بن حيان والذي قبله لابن عباس.

(٤) في (ن): «فيعلموا».

(٣١) ـ ﴿مُنِيبِينَ إِلَيۡهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾.

﴿مُنِيبِينَ إِلَيۡهِ﴾: راجِعينَ إليه، مُشتقٌّ من نابَ ينوبُ؛ إذا رجعَ مرَّةً بعد أُخرَى، ومنه: النَّوبةُ[1].

ابنُ عيسى: مُنقَطِعِين إلى الله، من النَّابِ؛ لأنَّه قاطعٌ.

وهو نصبٌ على الحالِ من قولِه: ﴿فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ﴾ كما سبقَ، أو منَ المُقدَّرِ في: ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ﴾، وهو: الزَمُوا واتَّبِعُوا، أو ممَّا بعدَه، وهو ﴿وَٱتَّقُوهُ﴾.

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: أدُّوها في أوقاتِها على شرائطِها، ﴿وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾.

* * *

(٣٢) ـ ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ﴾.

﴿مِنَ ٱلَّذِينَ﴾ بدلٌ ﴿مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾.

وقيل: متَّصلٌ بما بعدَه؛ أي: كلُّ حزبٍ مِن الذينَ فرَّقُوا[2].

وقيل: تقديرُه: منَ المُشركين ومن الذين فرَّقوا، والواوُ مُقدَّرٌ[3].

ومعنى ﴿فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ﴾: أوقَعوا فيه الاختلافَ؛ فصار بعضُهم يعبدُ صنمًا، وبعضُهم يعبدُ الشَّمسَ، وبعضُهم يعبدُ غيرَهما[4].

وقيل: هم اليهودُ والنَّصارى.

(١) في (ن): «التوبة».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٩٥)، وعده من العجائب.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٩٥)، واستغربه.

(٤) في (ف): «وبعضهم غيرها».

وجاء مرفوعًا: أنَّهم الخوارجُ(١).

وقيل: هم أهلُ البدعِ.

ومعنى ﴿فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ﴾: تركوا دينَهم الذي وجبَ عليهم العملُ به.

﴿وَكَانُواْ شِيَعٗا﴾: جماعاتٍ مُختلفين.

وأصلُ الشِّيعةِ: المُعاونةُ، تقولُ: شَيِّعْ نارَكَ؛ أي: ضَعْ عليها حطبًا دِقاقًا تحتَ الحطبَ الغِلاظَ.

﴿كُلُّ حِزۡبِۢ﴾: جماعةٍ ﴿بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ﴾: مُعْجَبون مسرورونَ يظنُّونَ أنَّهم على الحقِّ.

وقيل: ﴿كُلُّ حِزۡبِۢ﴾ منَ الذين فرَّقوا دينَهم ﴿بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ﴾ كما ذكرتُ.

* * *

(٣٣) ـ ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرّٞ دَعَوۡاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيۡهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنۡهُ رَحۡمَةً إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ﴾.

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ﴾: المُشركين ﴿ضُرّٞ﴾: سوءٌ، ﴿دَعَوۡاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيۡهِ﴾: تائبين مُقبِلين بالدُّعاءِ إليه، وتركوا الأصنامَ لعلمِهم أنَّه لا فَرَجَ عندها.

﴿ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنۡهُ رَحۡمَةً﴾: عافيةً منَ الضُّرِّ النّازلِ بهم، ﴿إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم﴾؛ أي: وجدتَ فريقًا منهم ﴿بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ﴾ في العبادةِ.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٢٩)، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٤٤٣)، من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه مرفوعاً، وذكره ابن كثير عند تفسير الآية (١٥٩) من سورة الأنعام عن أبي أمامة موقوفاً ثم قال: «وروي عنه مرفوعاً ولا يصح».

قلت: الموقوف رواه عن أبي أُمامةَ عبدُ بن حميد وأبو الشيخ وابن مردويه لكن بلفظ: «هم الحرورية». انظر: «الدر المنثور» (٣/ ٤٠٢). والحرورية من ألقاب الخوارج، كما في «مقالات الإسلاميين» (١/ ١١١)، سموا بذلك لانحيازهم إلى حروراء، وهي قرية قريبة من الكوفة.

وقيل: ﴿ٱلنَّاسَ﴾ عامٌّ في المُؤمنين والمشركينَ، ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾ هم المشركون.

***

(٣٤) - ﴿لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡۚ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾.

﴿لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ﴾؛ أي: يفعلون ذلك ليكونوا كفَّارًا؛ أي: أدَّى الأوَّلُ إلى الثّاني.

وقيل: اللَّامُ لامُ التَّهديدِ في صيغةِ الأمرِ.

وقيل: لامُ العاقبةِ.

ثمَّ خاطبَهم فقالَ: ﴿فَتَمَتَّعُواْ﴾؛ أي: بكُفرِكم قليلًا، أمرُ وعيدٍ.

﴿فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ عاقبةَ أمرِكم.

وقيل: ﴿فَتَمَتَّعُواْ﴾ ماضٍ، وهذا فيمَن قرأ: (يعلَمُونَ) بالياءِ[1] أحسنُ[2]، وهو شاذٌّ[3].

***

(٣٥) - ﴿أَمۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٗا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُواْ بِهِۦ يُشۡرِكُونَ﴾.

﴿أَمۡ أَنزَلۡنَا﴾؛ أي: أنزَلْنا ﴿عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٗا﴾: رسولًا، وقيل: برهانًا، وقيل: كتابًا.

﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُواْ بِهِۦ يُشۡرِكُونَ﴾؛ أي: يُوضِّحُ عُذرَهم؛ فمَن حمَلَه على (رسول) فالتَّكلُّمُ ظاهرٌ لا كلامَ فيه، ومَن حمَلَه على (الكتابِ) فهو كقولِنا: ﴿كِتَٰبُنَا يَنطِقُ﴾ [الجاثية: ٢٩]، ومَن حمَلَه على البُرهانِ فكأنَّه قال: سُلطانًا يتسلَّطون به على تصويبِ ما ذهبُوا إليه، فيكونُ التَّكلُّمُ مجازًا كقولِ الشّاعرِ:

---

(١) نسبت هذه القراءة لأبي العالية. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ١١٧).

(٢) في (ن): «وذلك أحسن».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٩٥)، واستغربه.

وَعَظَتْـكَ أَجْـداثٌ صُمُتْ ... ونَعَـتْكَ أزمنـةٌ خُفُـتْ
وأرَتْـكَ قبـرَكَ فـي القُبـور ... وأنـتَ حـيٌّ لـم تـمُتْ[1]

***

(٣٦) ـ ﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾.

﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ ﴾؛ أي: المُشركين ﴿رَحْمَةً ﴾: نعمةً ﴿فَرِحُواْ بِهَا ﴾: بطِرُوا بسببِها، ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ ﴾: شِدَّةٌ ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾: بشُؤمِ عملِهم ﴿إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾: ييأسونَ؛ أي: يبطَرُ عندَ النِّعمةِ وييأسُ عند الشِّدَّةِ، ولا يَشكرُ في الأولى، ولا يحتسِبُ في الثَّانيةِ؛ فعلَ المُؤمنين.

وقيل: النَّاسُ: أهلُ مكَّةَ، والرَّحمةُ: المطرُ والخِصْبُ، والسَّيِّئةُ: الجَدْبُ والقَحْطُ، وهذا منَ الفرحِ المذمومِ، من قولِه: ﴿لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴾ [القصص: ٧٦]. و﴿إِذَا ﴾ جوابُ الشَّرطِ كالفاءِ[2].

***

(٣٧) ـ ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾.

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ﴾؛ أي: كلاهما منَ الله، فلا يجبُ أن يُستبعَدَ منه أحدُهما عقيبَ الآخرِ، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾.

***

(١) انظر: «ديوان أبي العتاهية» (ص: ٩٢)، و«الشعر والشعراء» (٢/ ٧٨٢).

(٢) انظر: «الكتاب» (٣/ ٦٣)، و«الإيضاح العضدي» لأبي علي (ص: ٣٢٠).

(٣٨) ـ ﴿ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾.

﴿ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ خاطَبَ مَن بسطَ عليه الرِّزقَ بأداءِ حقِّ الله منَ المالِ وصَرْفِه إلى مَن يَقربُ منه في رَحِمٍ، وهو الذي لا يجبُ عليك نفقتُه.

وقيل: هو الذي يجبُ عليك نفقتُه إذا كان فقيرًا، ولهذا قالَ: ﴿حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ بالمُواساةِ، والحقوقِ الواجبةِ.

وقيل: الخطابُ للنَّبيِّ ﷺ، وذو القُربى: بنو هاشمٍ وبنو المُطَّلبِ؛ يُعطَونَ حُقوقَهم منَ الغنيمةِ والفيءِ.

﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: إيتاءُ حقوقِهم ﴿خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ﴾ منَ البخلِ.

وقيل: خيرٌ لهم في القيامةِ؛ يُضاعَفُ لهم أضعافًا.

وقيل: خيرٌ لهم في الدُّنيا؛ لأنَّ إخراجَ الزَّكاةِ يزيدُ في المالِ.

﴿وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾: الباقون في النَّعيمِ المُقيمِ.

* * *

(٣٩) ـ ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴾.

﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ ﴾؛ أي: إذا أعطيتُم طلبًا للمُكافأةِ والاستكثارِ ﴿فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ﴾: لا يزدادُ ولا يُضاعَفُ لكم ثوابُه وأجرُه.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: هما رِبوانِ: حلالٌ وحرامٌ، فما تعاطَيتُم بينكم

حلالٌ(١)، وهو ما نُهِيَ عنه النَّبيُّ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ في قولِه: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ [المدثر: ٦]؛ لأنَّه كان مأمورًا بمكارمِ الأخلاقِ.

وقيل: هو أن تُعطِيَ مَن خَدَمَكَ شيئًا من ربحِ مالِكَ(٢) جزاءً من خدمتِه.

وقيل: هو الرِّبا الحرامُ.

وقوله: ﴿فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: في حكمِه، بل يمحقُه ويُذهِبُ بركتَه.

﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ﴾ قيل: هي المفروضةُ.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: الصَّدقةُ(٣).

﴿تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ﴾: ثوابَه، وقيل: طاعتَه.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾: الذين يُضاعَفُ لهم الثَّوابُ، من قولِهم: رجلٌ مُوسِرٌ: صاحبُ يَسارٍ، ورجلٌ مُقْوٍ: صاحبُ قوَّةٍ.

الفرَّاءُ: هم أصحابُ المُضاعَفةِ، كما تقولُ: هو مُسْمِنٌ؛ أي: صاحبُ إبلٍ سِمانٍ، ومُعْطِشٌ: صاحبُ إبلٍ عَطْشى(٤).

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٣١٦)، وروى معناه عن ابن عباس رضي الله عنهما الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٥٠٧ ـ ٥٠٨) قال: «﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِيٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ﴾: هي الهبة، يهب الشيء يريد أن يثاب عليه أفضل منه، فذلك الذي لا يربو عند الله؛ لا يؤجر فيه صاحبه، ولا إثم عليه، ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ﴾ قال: هي الصدقة ﴿تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾».

(٢) في (ن): «ربح لك».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٥٠٧ ـ ٥٠٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٩٢)، وقد تقدم.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٢٥).

وقيل: ﴿ٱلْمُضْعِفُونَ﴾ يعني: المُضَعِّفونَ؛ أي: ضَعَّفوا ثوابَهم وجعلوه أضعافًا مُضعَّفةً بإخراجِ الزَّكاةِ والصَّدقةِ، وهذا أظهرُ؛ لأنَّ (أضعفَ) يأتي على وجهَين:

أحدُهما: (أضْعَفَ): صارَ أصحابُه ضُعفاءَ، وهذا لا وجهَ له في الآيةِ.

والثّاني: (أضْعَفَ) بمعنى: ضَعَّفَ وضاعَفَ؛ أي: جعَلَ الشَّيءَ مثلَيه أو أمثالَه.

و﴿ما﴾ فيهما يصلحُ أن تكونَ شرطًا، ويصلحُ أن تكونَ موصولةً؛ فإنْ جعلتَه للشَّرطِ فمحلُّه نصبٌ، وإنْ جعلتَه للموصولِ فمحلُّه رفعٌ، والضَّميرُ العائدُ محذوفٌ.

وعدَلَ عن الخطابِ فقال: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾، ولم يقُلْ: فأنتم؛ ليكونَ أعمَّ؛ أي: مَن فعلَ هذا فسبيلُه سبيلُ المُخاطَبين.

* * *

(٤٠) ـ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾؛ أي: هو الخالقُ وحدَه، والرّازقُ وحدَه، والمُميتُ وحدَه، والمُحيي وحدَه.

﴿هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم﴾؛ أي: أصنامِكم التي زعمتُم أنَّهم شركاءُ لله.

﴿مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم﴾ الخلقِ والرِّزقِ، والإماتةِ والإحياءِ ﴿مِّن شَىْءٍ﴾؛ أي: شيئًا، و﴿مِّن﴾ صِلةٌ.

﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ﴾: تبرَّأ وارتفع ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: عن أن يكونَ له شريكٌ.

وقيل: نزِّهوه عن ذلك.

* * *

(٤١) - ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ﴾: القتلُ، وقطعُ الطَّريقِ، والجَدْبُ، والقَحطُ ﴿فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾؛ أي: في جميعِ الأرضِ، كما تقولُ: هو معروفٌ في البرِّ والبحرِ؛ أي: في الدُّنيا.

﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ من الشِّركِ والكفر والعصيانِ.

المُؤرِّجُ: البرُّ: الفَيافي، والبحرُ: الأمصارُ[1].

الزَّجَّاجُ: كلُّ بلدٍ ذي ماءٍ جارٍ فهو بحرٌ[2].

وقيل: البرُّ: الباديةُ، والبحرُ: القُرى.

وقيل: البرُّ: ظهرُ الأرضِ، والبحرُ: هو المعروفُ.

وقيل: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ﴾: هو قتلُ قابيلَ أخاه هابيلَ ﴿وَٱلْبَحْرِ﴾: غصبُ السَّفينةِ، من قولِه: ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: ٧٩].

وقيل: ظهرَ القحطُ في البرِّ والبحرِ؛ لأنَّ المطرَ إذا قلَّ في الأرضِ قلَّ النَّباتُ، وإذا قلَّ في البحرِ قلَّ اللُّؤلؤُ والجوهرُ.

وقيل: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ﴾؛ أي: جزاءُ الفسادِ، وهو العذابُ ﴿فِى ٱلْبَرِّ﴾: أهلِ العُمُدِ كعادٍ، ﴿وَٱلْبَحْرِ﴾: أهلِ القُرى المُهلَكةِ.

وقيل: البرُّ: القُرى، والبحرُ: الجزائرُ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٩٦)، وقد ذُكر نحوه عن عكرمة وقتادة. انظر: «النكت والعيون» (٤/ ٣١٧)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (٤/ ٣٤٠).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ١٨٨)، وفيه: « أي: في مدن البحر؛ أي: فى المدن التي على الأنهار، وكل ذي ماء فهو بحر».

وقيل: البرُّ: النَّفْسُ، والبحرُ: القلبُ.

وقيل: البرُّ: اللِّسانُ، والبحرُ: القلبُ، حكاهما الماورديُّ واستبعَدَهما[1].

﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾؛ أي: ليذوقُوا العقوبةَ على ذلك فينزَجِروا ويتَّعِظُوا فيرْجِعوا[2] ويتوبوا، وإنَّما قال: ﴿بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟﴾ لأنَّه كان في الدُّنيا، وتمامُه مُعَدٌّ لهم في الأُخرَى.

* * *

(٤٢) ـ ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ﴾.

﴿قُلْ﴾ يا محمَّدُ لمُشركي قريشٍ: ﴿سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ﴾ فإنَّكم سترَونَ تلك الآثارَ، وتعرَّفُوا أحوالَـهم، واحذَرُوا أن يحلَّ بكم مثلُ ما حلَّ بهم ﴿كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ﴾.

* * *

(٤٣) ـ ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾.

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ﴾: أقِمْ قصدَكَ واجعَلْه جهتَكَ.

وقيل: استَقِمْ عليه واعمَلْ به.

وقيل: وجِّهْ وجهَكَ نحوَه.

﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ﴾ يعني: القيامةَ ﴿لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: لا يردُّه الله.

---

(١) انظر: «النكت والعيون» (٤/ ٣١٨)، وعدَّهما المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٩٦) من العجائب.

(٢) «فيرجعوا» من (ف).

وقيل: فيه تقديمٌ وتأخيرٌ تقديرُه: يومٌ منَ الله لا مردَّ له.

﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾: يتفرَّقون، وأصلُه منَ الصَّدْعِ وهو الشَّقُّ؛ أي: فريقٌ في الجنَّةِ وفريقٌ في السَّعيرِ، ويحتمِلُ: يتفرَّقون كالفَراشِ المبثوثِ.

* * *

(٤٤) ـ ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾.

﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ﴾ أي: جزاءُ كفره ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾: يُوطِّئونَ لأنفُسِهم في الآخرةِ قرارًا في الجنَّةِ ومسكنًا.

وقيل: فلأنفُسِهم يُسَوُّونَ المضاجعَ في القبورِ على ما يأمَنون به من عذابِ الله فيها، وأصلُ المهدِ: إصلاحُ المضجعِ، ثمَّ صُيِّرَ لإصلاحِ الأمورِ.

* * *

(٤٥) ـ ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ قيل: اللَّامُ مُتَّصلٌ بقولِه: ﴿يَصَّدَّعُونَ﴾.

﴿مِن فَضْلِهِۦٓ﴾؛ أي: فضلًا من فضلِه، وقيل: ﴿مِن﴾ بمعنى الباءِ؛ أي: بفضلِه.

﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ فيَشُوبَهم بالمُؤمنين، بل يُفرِّقُ بينَهم.

* * *

(٤٦) ـ ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾؛ أي: من آياتِ قُدرتِه ﴿أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ﴾ بالمطرِ تتقدَّمُه وتُطْمِعُ فيه.

وقيل: تُبشِّرُ بصحَّةِ الأبدانِ وخِصْبِ الزَّمانِ.

وكلُّ ما في القرآنِ منَ الرِّيحِ بلفظِ الجمعِ فهو الرَّحمةُ، وأجمعوا على الجمعِ في هذه الواحدةِ؛ لقولِه: ﴿مُبَشِّرَٰتٍ﴾ إلا شاذًّا[1].

﴿وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ﴾: ليرزُقَكم خِصْبًا وسعةً.

وقيل: ﴿مِّن رَّحۡمَتِهِۦ﴾: من البَرْدِ والطِّيبِ.

وتقديرُه: ليُبشِّرَكم وليُذيقَكم، وقيل: وليُذيقَكم مُرسِلُها[2]. وقيل: الواوُ زيادةٌ.

﴿وَلِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ﴾ في البحارِ ﴿بِأَمۡرِهِۦ﴾: بالرِّياحِ التي تسيرُ بها السُّفنُ، والرِّياحُ بأمرِ الله، فهي جاريةٌ بأمرِه.

﴿وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ﴾: لتطلُبوا الرِّبحَ في التِّجارةِ[3] في البحرِ.

وقيل: بالذَّهابِ إلى الجهادِ في البحرِ.

﴿وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾؛ أي: واصَلَ لكم نِعمَه لتشكُروه.

والرِّيحُ: جسمٌ رقيقٌ يجري في الجوِّ.

وقيل: هواءٌ مُتحرِّكٌ.

وقيل: تموُّجُ الهواءِ بتأثيرِ الكواكبِ، وهذا من كلامِ الأوائلِ.

* * *

(٤٧) - ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ فَجَآءُوهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمۡنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ فَجَآءُوهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمۡنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ﴾؛ أي:

---

(١) فالواو استثناء فيه على هذا.

(٢) حُكِيَ عن طلحة أنه مفرد. انظر: «الكامل» لليشكري (ص: ٤٩٤).

(٣) في (ف): «الربح والتجارة».

فكفرَ بهم قومٌ وآمنَ بهم قومٌ، فأهلَكْنا الكفَّارَ ونصَرْنا المؤمنين، وهو قولُه: ﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ﴾.

﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ قيل: تقديرُه: وكانَ الانتقامُ حقًّا.

وقيل: وكان نصرُ المؤمنين حقًّا.

وفي الآيةِ تسليةٌ للنَّبيِّ ﷺ، وبشارةٌ للمؤمنينَ؛ فإنَّ اللَّفظَ عامٌّ.

* * *

(٤٨) ـ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَيَبۡسُطُهُۥ فِي ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ يَشَآءُ وَيَجۡعَلُهُۥ كِسَفٗا فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا﴾: فتُهيِّجُ الرِّيحُ السَّحابَ من حيثُ أرادَ الله، ﴿فَيَبۡسُطُهُۥ﴾: فيبسطُ الله السَّحابَ ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾: في الهواءِ ﴿كَيۡفَ يَشَآءُ﴾ مسيرةَ يومٍ أو أيامٍ، من ناحيةِ الجنوبِ، أو ناحيةِ الشِّمالِ، أو ناحيةِ الدَّبورِ، أو ناحيةِ الصَّبا.

﴿وَيَجۡعَلُهُۥ كِسَفٗا﴾: قِطَعًا يركبُ بعضُه بعضًا.

والكِسْفةُ: القِطعةُ منَ السَّحابِ تُغطِّي ما فوقَها، من (كسَفَتِ الشَّمسُ).

وقيل: فيه تقديمٌ وتأخيرٌ، تقديرُه: فتُثيرُ سحابًا ويجعلُه كِسَفًا فيبسُطُه في السَّماءِ.

الضَّحَّاكُ: يجعلُه كِسَفًا في سماءٍ دون سماءٍ[١].

﴿فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ﴾: المطرَ.

وقيل: البرقَ، وهو غريبٌ[٢].

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٣٢١)، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٨١٤) بلفظ: «كسفاً من السماء: جانبًا من السماء».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٠١)، وعدَّه من العجائب، وقد تقدم في سورة (النور).

﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾: وسطِه.

﴿فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ﴾: بالمطرِ ﴿مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ لمجيءِ الخِصْبِ وزوالِ القَحْطِ.

***

(٤٩) - ﴿وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ﴾.

﴿وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم﴾ المطرُ ﴿مِّن قَبْلِهِۦ﴾.

الأخفشُ: ﴿مِّن قَبْلِهِۦ﴾ تأكيدٌ؛ كقولِه: ﴿كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ [الحجر: ٣٠][(١)].

قُطرُبٌ: من قبلِ الإنزالِ من قبلِ المطرِ. وحكاهما الزَّجَّاجُ أيضًا[(٢)].

المُبرِّدُ: الثَّاني للسَّحابِ؛ لأنَّهم لمَّا رأوا السَّحابَ كانوا راجينَ المطرَ[(٣)].

ابنُ عيسى: من قَبْلِ الإرسالِ[(٤)].

صاحبُ «النَّظمِ»: من قَبْلِ النَّباتِ، قال: ولم يتقدَّمْ ذِكرُه، وكذلك: ﴿فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا﴾ [الروم: ٥١]؛ أي: النَّباتَ؛ لأنَّ المطرَ يدُلُّ عليه[(٥)]، وهذا قولُ جميعِ المُفسِّرين.

وكنتُ سُئِلْتُ عن هذه الآيةِ فاستخرجْتُ لها عشرةَ أوجُهٍ سوى ما حكيتُ عن الأئمَّةِ، منها: أنَّ الهاءَ يعودُ إلى الاستبشارِ، وتقديرُه: من قبلِ الإنزالِ من قبلِ

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٤٧٦).

(٢) أي: قول الأخفش وقطرب منسوبين إليهما. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ١٨٩).

(٣) في (ف): «للمطر».

(٤) هذا القول وقول المبرد الذي قبله ذكرهما المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٩٦)، وأبو حيان في «البحر المحيط» (٨/ ٤٠٠).

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٩٦)، واستغربه.

الاستبشارِ؛ لأنَّه قرنَه بالإبلاسِ، ولأنَّه مَنَّ عليهم بالمطرِ وبالاستبشارِ[١]، والله أعلمُ.

وأضربتُ عن إيرادِ التِّسعةِ الباقيةِ لأنَّ في الاستبشارِ مَقْنعًا ومَغْنًى[٢].

﴿لَمُبْلِسِينَ﴾: آيسين، وقيل: ساكِتين مُنقَطِعين.

***

(٥٠) - ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ﴾ بالنَّباتِ والأشجارِ وأنواعِ الثِّمارِ ﴿بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾: بعد أن صارَتْ ترابًا لا نباتَ بها ولا ثمارَ.

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾؛ أي: إنَّ ذلك الذي قَدِرَ على إحياءِ الأرضِ بعد موتِها قادرٌ على إحياءِ الموتى بعد موتِهم.

﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ منَ الإماتةِ والإحياءِ ﴿قَدِيرٌ﴾: قادرٌ بذاتِه.

***

(٥١) - ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ﴾.

﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا﴾؛ أي: الزَّرعَ بعد اخضِرارِه فخافوا هلاكَه، والمطرُ وإحياءُ الأرضِ دليلانِ على النَّباتِ والزَّرعِ، فصارَ كتقدُّمِ الذِّكرِ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٩٦)، واستغربه، وقال: «وهذا الوجه أحسن ما قيل في الآية»، ونقله أبو حيان في «البحر المحيط» (٨/ ٤٠٠) عن المصنف.

(٢) قال المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٩٦، ٨٩٧): «العجيب: يحتمل أن يحمل على الإرسال وعلى الرياح وعلى الإثابة وعلى السحاب وعلى البسط وعلى الكشف، وكذلك ما بعده».

وقيل: يعودُ إلى ﴿ءَاثَرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ﴾؛ لأنَّه النَّباتُ[١].

وقيل: يعودُ إلى السَّحابِ؛ لأنَّ السَّحابَ الأصفرَ لا يُمطِرُ[٢].

﴿لَّظَلُّواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾: بعدَ الاستبشارِ ﴿يَكْفُرُونَ﴾، اللَّفظُ للماضي والمعنى الاستقبالُ؛ لأنَّه جوابُ الشَّرطِ، واللّامُ جوابُ القسَمِ، ودلَّ على القسَمِ لامُ توطئةِ القَسَمِ في ﴿لَئِنْ﴾، والمعنى: إنَّهم كانوا إذا استبطَؤوا الرِّزقَ جحَدوا نِعَمَ الله.

وقيل: إذا استبطَؤوا الرِّزقَ سألوا الله المطرَ، فإنْ حُبِسَ عنهم كفروا.

* * *

(٥٢) ـ ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ﴾.

﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾؛ أي: هؤلاءِ في حُكمِ الموتى، فلا تطمَعْ في قَبولِهم منك.

﴿وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ﴾؛ أي: هم لا ينتَفِعون بما يسمعونَ، فهم صُمٌّ، وإنَّما قالَ: ﴿إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ﴾ والأصمُّ لا يَسمعُ مُقبلًا ولا مُدبِرًا؛ لأنَّه حالةَ الإقبالِ يَفهمُ بالرَّمزِ وبالإشارةِ، فإذا ولَّى فلا يَسمعُ ولا يَفهمُ بالإشارةِ[٣].

وقيل: إذا ولَّى هؤلاءِ مُدبِرين.

* * *

(٥٣) ـ ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾.

﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ﴾؛ أي: هم في حكمِ العُمْيِ في قلّةِ الانتفاعِ بالمرئيّاتِ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٩٧)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٩٧)، وعده من العجائب.

(٣) في (ف): «الإشارة».

وقيل: أرادَ بالعُمْي: عُمْيَ القلوبِ؛ أي: لا يُمكِنُك أن تهديَ الأعمى إلى طريقٍ قد ضلَّ عنه ليسلُكَ بإشارةٍ منك له إليه مع ذهابِ بصرِه.

﴿إِن تُسْمِعُ﴾؛ أي: ما تسمِعُ مواعظَ القرآنِ ﴿إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾؛ أي: المُؤمنين ﴿فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾: خاضِعون لله بالطَّاعةِ.

* * *

(٥٤) ـ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾: خلقَكُم من النُّطَفِ؛ أي: حالَ ضعفٍ.

قتادةُ: ﴿مِّن ضَعْفٍ﴾: من نُطفةٍ(١).

وقيل: خلقَكُم وأنتُم ضُعَفاءُ في أوَّلِ خلقِه إيَّاكم.

﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾ حالَ الشَّبابِ وبلوغِ الأشُدِّ.

وقيل: حينَ ركَّبَ فيه الرُّوحَ لتمامِ خلقِه؛ فإنَّ ذلك بالإضافةِ إلى كونِه نُطفةً حالُ قوَّةٍ.

﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ وهي حالُ الهَرَمِ يصيرُ الإنسانُ فيه إلى مثلِ ما كانَ عليه في حالِ طفولته(٢).

﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾: من صِغَرٍ وكِبَرٍ، وضَعْفٍ وقوَّةٍ، وشبابٍ وشَيبٍ، ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ﴾ بأحوالِـهم ﴿ٱلْقَدِيرُ﴾ على تغييرِها.

* * *

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٥٢٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٩٤).

(٢) في (ن): «الطفولية».

(٥٥) ـ ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍۚ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ﴾.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ استقلُّوا مدَّةَ الدُّنيا لـمَّا عايَنُوا الآخرةَ؛ أي: يحلفُ المُشركون المُنكرون للبعثِ إذا بُعِثوا يومَ القيامةِ: إنَّهم ما لبِثُوا في الدُّنيا إلا ساعةً.

وقيل: ما لبِثُوا في قُبورِهم، وذلك ما بين النَّفختَين.

﴿كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ﴾: يُصرَفون عن الصِّدقِ إلى الكذبِ، فكانوا يحلفون وهم يعلمون.

وقيل: كانوا يُكَذِّبون بالقيامةِ.

وقيل: إنَّما أقسموا لأنَّه كان عندَهم كذلك، ولا يجري في القيامةِ كذبٌ عندَ أكثرِهم(١).

***

(٥٦) ـ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ﴾ هم المؤمنون، وقيل: الملائكةُ.

﴿لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾: حكمِ الله.

وقيل: علمِه.

وقيل: اللَّوحِ المحفوظِ.

---

(١) قال النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ١٩٠): «وقد زعم جماعة من أهل النظر أن القيامة لا يجوز أن فيها كذب لما هم فيه، والقرآن يدلّ على غير ذلك».

وقيل: فيما كَتَبَ الله لكم في سابقِ علمِه.

وقيل: في القرآنِ، وهو قولُه: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠](١).

قتادةُ: فيه تقديمٌ وتأخيرٌ، تقديرُه: أوتوا العلمَ في كتابِ الله والإيمانَ: لقد لبثتُم(٢).

﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ قالوا لهم توبيخًا.

وقيل: ولكنَّكم كنتُم لا تعلمون هذه، فحلفتُم على جهلٍ.

وقيل: ولكنَّكم كنتُم لا تعلمون أنَّه يكونُ وأنَّكم مبعوثونَ، فكنتُم به تُكذِّبون.

* * *

(٥٧) ـ ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾.

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ﴾ ثمَّ اعتَذَروا وسألوا الرَّجعةَ إلى الدُّنيا لاستدراكِ الفائتِ فلا يُجابون، وهو قولُه: ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾؛ أي: لا يُدعَون إلى التَّوبةِ.

النَّقَّاشُ: لا يُعاتَبون على سيِّئاتِهم(٣).

وقيل: لا يُستَتابون.

وقيل: لا يُطلَبُ منهم العُتبَى.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٩٧)، واستغربه.

(٢) رواه يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٦٦٧)، وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٦/ ٥٠٢)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ١٧٩)، والماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٣٢٣)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٩٧)، وعده من العجائب.

ورواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٥٢٧) بلفظ مغاير، ولعله وهم أو خطأ من الناسخ.

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٣٢٤).

(٥٨) ـ ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴾.

﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴾ يُنبِّهُهم على التَّوحيدِ، وعلى صدقِ الرَّسولِ.

﴿وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ﴾: إنْ جئتَ هؤلاءِ المُعاندين بمُعجزةٍ أو آيةٍ منَ القرآنِ فيه مَثَلٌ، ﴿لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ بمُحمَّدٍ والمُسلمين[1]: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾: ما أنتم على حقٍّ، بل أنتم على باطلٍ.

* * *

(٥٩) ـ ﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.

﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾؛ أي: كما طبعَ على قلوبِ هؤلاءِ وختَمَ عليها جزاءً لكذبِهم يطبعُ الله على قلوبِ مَن لا علمَ عندَه ولا تمييزَ.

وقيل: هذا فيمَن أخبرَ أنَّهم لا يُؤمنون.

* * *

(٦٠) ـ ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾.

﴿ فَٱصْبِرْ ﴾ على أذاهُم ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ إيّاكَ بالنَّصرِ ﴿حَقٌّ ﴾: كائنٌ لا محالةَ.

﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾؛ أي: ولا يحمِلَنَّك عنادُهم على أن يدخُلَك خِفَّةٌ وعجَلةٌ لشدَّةِ غضبٍ يعتريك، فيمنَعُكَ عن تبليغِ رسالةِ الله.

وقيل: معناه: ولا تأخُذْ بك العجلةُ في أمرِهم؛ فإنَّ الله سيُعاقبُهم.

وقيل: لا يَستنْزِلَنَّكَ.

وقيل: لا يَستَخِفَّنَّ حِلمَكَ ورأيَكَ الذين لا يُؤمِنون بالمَعادِ.

---

(١) كذا في النسختين، ولو كانت «للمسلمين» فكانت أظهر.

سُورَةُ لُقْمَانَ

سُورَةُ لُقمَان

أربعٌ وثلاثونَ آيةً[1]، مكيَّةٌ إلّا ثلاثَ آياتٍ نزَلْنَ بالمدينةِ، وهُنَّ: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ ﴾ [لقمان: ٢٧ ـ ٢٩]، وسيأتي ذكرُها.

الحسنُ: مكيَّةٌ إلّا آيةً، وهي: ﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [لقمان: ٤]، فإنَّ الصَّلاةَ والزَّكاةَ مدنيَّتانِ[2].

بسمِ اللّه الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٢) ـ ﴿الٓمٓ ١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴾.

﴿الٓمٓ ١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ سبقَ نظائرُه.

وقيل: تلك الحروفُ علاماتُ كتابِ الحكمةِ نُوحيها إليك.

و﴿ٱلْحَكِيمِ ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: المُتضمِّنُ للحكمةِ.

وقيل: (فعيلٌ) بمعنى: مُفعَلٌ؛ أي: الممنوعُ منَ البُطلانِ[3].

---

(١) «أربع وثلاثون آية»: ليس في (ف).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٣٢٦)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٤٢٩).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٩٩)، وعده من العجائب.

ابنُ عيسى: جاز أن يُقالَ للكتابِ: حكيمٌ، وإنَّما هو حكمةٌ؛ لأنَّه يُظهِرُ الحقَّ منَ الباطلِ كما يُظهِرُ[ه] الحكيمُ بقولِه[1].

***

(٣) ـ ﴿ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴾.

﴿ هُدًى وَرَحْمَةً ﴾ قُرِئَ بالرَّفعِ والنَّصبِ[2]؛ فالنَّصبُ على الحالِ، والرَّفعُ على أنَّ ﴿ تِلْكَ ﴾ مبتدأٌ، و﴿ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ خبرُه، و﴿ هُدًى ﴾ خبرٌ بعد خبرٍ، وإن شئتَ قلتَ: هو هُدًى ورحمةٌ، فيكونُ خبرَ مبتدأٍ محذوفٍ.

﴿لِّلْمُحْسِنِينَ ﴾؛ أي: للمُؤمنين[3]، والإحسانُ: النَّفعُ الذي يُستحَقُّ عليه الحمدُ.

***

(٤) ـ ﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾.

﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ المفروضةَ ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ الواجبةَ ﴿وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ ﴾: بالدّارِ الآخرةِ ﴿هُمْ يُوقِنُونَ ﴾، كرَّرَ ﴿هُمْ ﴾ لمَّا حِيلَ بين المبتدأ والخبرِ بأجنبيٍّ.

***

(٥) ـ ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ ﴿هُمُ﴾ يجوزُ أن يكونَ ابتداءً، ويجوزُ أن يكونَ عِمادًا.

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٣٢٦)، وما بين معكوفتين منه. واقتصر منه المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٩٩) على قوله: «الغريب: جازَ أن يُقال للكتاب: حكيم».

(٢) قرأ حمزة بالرفع، والباقون بالنصب. انظر: «السبعة» (ص: ٥١٢)، و«التيسير» (ص: ١٧٦).

(٣) في (ف): «المؤمنين».

(٦) ـ ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾.

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى ﴾: يختارُ.

وقيل: يشتري بمالِه كتبًا فيها ﴿لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ ﴾.

وفي سببِ النُّزولِ: أنَّها نزلَتْ في النَّضرِ بنِ الحارثِ، كان يخرُجُ إلى فارسَ ويشتري أخبارَ الأعاجمِ فيرويها ويُحدِّثُ بها قُريشًا، ويقولُ لهم: إنَّ محمَّدًا يُحدِّثُكم بحديثِ عادٍ وثمودَ، وأنا أُحدِّثُكم بحديثِ رُستمَ وأسفنديار وأخبارِ الأكاسرةِ، ويستَمْلِحونَ حديثَه ويترُكون استماعَ القرآنِ، فنزلَتْ فيه هذه الآيةُ(١).

وقيل: نزلَتْ في أُبيِّ بنِ خلَفٍ، حكاه القفَّالُ.

مجاهدٌ: نزلَتْ في شراءِ القِيَانِ والمُغنِّياتِ(٢).

وعن أبي أُمامةَ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا يحلُّ تعليمُ المُغنِّياتِ، ولا بيعُهُنَّ، وأثمانُهنَّ حرامٌ، وفي مثلِ هذا نزلَتْ هذه الآيةُ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ ﴾، وما من رجلٍ يرفعُ صوتَه بالغناءِ إلا بعثَ الله عليه شيطانَين؛ أحدُهما

---

(١) ذكره بهذا اللفظ الثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ١٨٦) عن الكلبي ومقاتل، وهو في «تفسير مقاتل» (٣/ ٤٣٢)، ورواه بنحوه البيهقي في «الشعب» (٥٩١٤) من طريق محمد بن مروان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما. وهذا إسناد ساقط.

ورواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٣٩٩) من طريق آخر عن ابن عباس دون ذكر الآية، وفيه شيخ لم يسم.

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٢٨٧)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢١١٣٨).

على هذا المنكبِ، والآخرُ على هذا المنكبِ، ولا يزالانِ يضرِبانِ(١) بأرجُلِهما حتَّى يكونَ هو الذي يسكُتُ»(٢).

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنه: نزلَتْ في رجلٍ اشترى جاريةً تُغنِّيه ليلًا ونهارًا(٣).

= وتقديرُه: يشتَري ذاتَ لهوٍ.

الحسنُ: هو كلُّ ما يُلْهِي عن الله وعن دينِه(٤).

ابنُ جُرَيجٍ: هو الطَّبلُ(٥).

---

(١) في (ف): «ولا يزالون يضربانه».

(٢) رواه الترمذي (١٢٨٢) و(٣١٩٥)، والحارث بن أبي أسامة (٨٩٢ ـ بغية الباحث)، والثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ٣٨٤)، من حديث أبي أمامة رضي الله عنه. وضعفه الترمذي، وفي إسناده عبيد الله بن زحر الإفريقي وهو ضعيف، وعلي بن يزيد الألهاني ضعيف جدًّا. وليس في رواية الترمذي: «وما من رجلٍ يرفعُ صوتَه بالغناءِ...».
ورواه الطبراني في «الكبير» (٧٧٤٩) من طريق الوليد بن الوليد ـ وهو العنسي الدمشقي ـ عن عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان، عن يحيى بن الحارث الذماري، عن القاسم بن عبد الرحمن، عن أبي أمامة به. والوليد بن الوليد قال عنه الدارقطني: «منكر الحديث».
ورواه ابن عدي في «الكامل» (٦/ ٣١٥) من طريق مسلمة بن علي عن يحيى بن الحارث به، ونقل عن يحيى بن معين قوله: مسلمة بن علي ليس بشيء. وعن النسائي: متروك الحديث.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ١٩٠)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٤٦)، وذكره النحاس في «معاني القرآن» (٥/ ٢٧٨) من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما، لكنه ذكره كتفسير للآية لا أنه سبب نزول، ولفظه: «الرجل يشتري الجارية المغنية تغنيه ليلًا أو نهارًا». ورواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤٧٥٠) عن ابن مسعود رضي الله عنه بنحو ما ذكره النحاس.

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٣٢٨).

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ١٨٩)، وروى الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٥٣٩) من طريق =

قتادةُ: كلُّ لهوٍ ولعبٍ(١).

عطاءٌ: هو التُّرَّهاتُ البَسابِسُ(٢).

قال أبو القاسمِ الكعبيُّ(٣) في «تفسيرِه»: رخَّصَ جماعةٌ من فُقَهاءِ المدينةِ في السَّماعِ إذا لـم يكُنْ فُحْشًا ولا كذبًا، قال: ورَخَّصَ قومٌ في ضربِ العودِ(٤)، وكرِهَ ذلك أهلُ العراقِ وأكثرُ علماءِ الأمصارِ.

وقيل: اللَّهوُ: الشِّركُ، والحديثُ: الخبرُ عن حوادثِ الزَّمنِ.

وأصلُ اللَّهوِ: الأخذُ فيما يَصرفُ الهَمَّ من غيرِ الحقِّ.

﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فاعل (يُضِلَّ) هو المُشتَري، ويجوزُ أن يكونَ اللَّهوَ، ومَن فتحَ الياءَ(٥) فهو المُشتري لا غيرُ.

﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: دينِ الله. وقيل: قراءةِ القرآنِ واستماعِه.

= ابن جريج عن مجاهد قال: «اللهو: الطبل»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٩٩)، واستغربه، وذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٨/ ٤٠٩) عن مجاهد وابن جريج.

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ١٩١)، وروى عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٢٨٥)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٥٣٣) عن قتادة قال: «أما والله لعله أن لا يكون أنفق فيه مالًا، وبحسب المرء من الضلالة أن يختار حديث الباطل على حديث الحق».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ١٩١)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٣٢٨)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٤٣٠) بلفظ: «الباطل».

(٣) عبد الله بن أحمد بن محمود البلخيّ الحنفي، ويعرف بالكعبي، من متكلمي المعتزلة البغداديين، رئيس أهل زمانه، توفي (٣٢٩هـ)، من كتبه: «المقالات وعيون المسائل والجوابات» وكتاب «الغرر والنوادر» وكتاب «كيفية الاستدلال بالشاهد على الغائب» وله: «التفسير الكبير» للقرآن العظيم. انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٤/ ٣١٣) و(١٥/ ٢٥٥) و«طبقات المفسرين» للداودي (١/ ٢٣٠).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٩٩ ـ ٩٠٠)، وعده من العجائب.

(٥) هما ابن كثير وأبو عمرو. انظر: «السبعة» (ص: ٢٦٧).

﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾؛ أي: جَهْلًا منه.

وقيل: لـم يعلَمْ عاقبةَ ذلك.

وقيل: أي: مثلُ هذا لا يُسمَّى عالمًا.

وقيل: ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ صفةٌ للمُضَلِّ لا للمُضِلِّ؛ أي: ليَضِلَّ تقليدًا وتوهُّمًا أنَّه على علمٍ، حكاه القفَّالُ(١).

﴿وَيَتَّخِذَهَا﴾؛ أي: السَّبيلَ ﴿هُزُوًا﴾: سُخريةً يسخَرُ منها وممَّن اعتقدَها؛ النَّصبُ بالعطفِ على ﴿لِيُضِلَّ﴾، والرَّفعُ بالعطفِ على ﴿يَشْتَرِى﴾(٢).

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾؛ أي: الموصوفون بهذه الصِّفةِ ﴿لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ يُخزيهم على رؤوسِ الأشهادِ.

***

(٧) ـ ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا﴾: القرآنُ ﴿وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا﴾: أعرَضَ عن تدبُّرِها مُتكبِّرًا رافعًا نفسَه عن طاعةِ الرَّسولِ ﷺ والإصغاءِ إلى القرآنِ.

﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾ حالانِ منَ الضَّميرِ في ﴿وَلَّىٰ﴾؛ أي: أعرَضَ إعراضَ مَن لـم يسمَعْها كإعراضِ مَن في أُذنَيه وقرٌ: صمَمٌ، لا يقرعُ مسامعَه صوتٌ.

﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ في الدُّنيا والآخرةِ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٠٠)، وعدَّه من العجائب.

(٢) قرأ حفص وحمزة والكسائي ﴿وَيَتَّخِذَهَا﴾ بالنصب، وقرأ الباقون بالرفع. انظر: «السبعة» (ص: ٥١٢)، و«التيسير» (١٧٦).

(٨ ـ ٩) ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ (٨) خَالِدِينَ فِيهَا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ ولم يشتَرُوا لهوَ الحديثِ ﴿لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ (٨) خَالِدِينَ فِيهَا وَعْدَ اللَّهِ﴾؛ أي: وعَدَ ذلك وَعْدَ اللهِ[1]، ﴿حَقًّا﴾ حالٌ للوعدِ، ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

* * *

(١٠) ـ ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾.

﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾ الباءُ للحالِ، والعَمَدُ[2]: جمعُ عمادٍ[3].

﴿تَرَوْنَهَا﴾ الهاءُ يعودُ إلى السَّماءِ؛ أي: أنتم ترونَها كذلك بغيرِ عَمَدٍ.

وقيل: الضَّميرُ يعودُ إلى العَمَدِ؛ أي: بغيرِ عَمَدٍ مرئيَّةٍ، وتلك العَمَدُ قدرةُ الله، وقد سبقَ.

ثمَّ رجعَ منَ الغَيبةِ إلى الخطابِ: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾: جبالًا ﴿أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾: كراهةَ أن تميدَ، وقيل: لئلَّا تميدَ بكم، ومعنى مادَ: مالَ، ومادَهم: مالَ عليهم بالعطاءِ، ومنه: المائدةُ.

﴿وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾: ونشرَ في الأرضِ من كلِّ دابَّةٍ من أنواعِ الدَّوابِّ بالنَّاسِ الحاجةُ إليها في مطاعمِهم ومراكبِهم ومنافعِهم؛ إذ لا تخلو دابَّةٌ من منفعةٍ[4] وخاصِّيَّةٍ.

---

(١) أي: يعرب (وعد) مفعولاً مطلقاً، وهو مصدر مبيِّن للنوع.

(٢) في (ف): «وعمد».

(٣) قال ابن الجزري في «النشر» (٢/ ٤٠٣): «اتفقوا على قوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾ أنه بفتح العين والميم؛ لأنه جمع عماد».

(٤) في (ن): «صفة».

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ﴾: صنفٍ ﴿كَرِيمٍ﴾: حسَنِ البِنْيَةِ، مُونِقِ[١] المنظرِ.

وقيل: ﴿كَرِيمٍ﴾: مُكرَمٍ[٢] على العبادِ؛ لحاجتِهم إليه.

* * *

(١١) ـ ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ﴾؛ أي: مخلوقُه ﴿فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾؛ أي: أرُوني ما[٣] خلقَه الأوثانُ.

و﴿مَاذَا﴾ منصوبٌ بـ﴿خَلَقَ﴾، والجملةُ الفعليَّةُ قامَتْ مَقامَ المفعولَين.

وإنْ شئتَ قُلتَ: (ما) رفعٌ بالابتداءِ و(ذا) خبرُه، والفِعْلُ صلتُه، والتَّقديرُ: خلقَه، والجملةُ الإسميَّةُ قامَتْ مَقامَ المفعولَين.

﴿بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾: خطأٍ وجهلٍ.

* * *

(١٢) ـ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ﴾ هو لقمانُ بنُ باعُورَ، وكان حكيمًا ولم يكُنْ نبيًّا.

عِكرمةُ والشَّعبيُّ قالا: كان نبيًّا[٤].

---

(١) أي: أنيق. انظر: «التلخيص في معرفة أسماء الأشياء» للعسكري (ص: ٨٥).

(٢) في (ف): «يَكرُم».

(٣) في (ن): «ماذا».

(٤) رواه عن عكرمة الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٥٤٩)، والثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ١٩٨)، وذكره =

وقيل: كان عبدًا صالحًا.

وعن سعيدِ بنِ المُسيِّبِ قال: كان خيَّاطًا[١].

وعن خالدٍ الرَّبَعيِّ قال: كان عبدًا حَبشيًّا نجَّارًا[٢].

وفي «معاني الزَّجَّاجِ»: نجَّادًا؛ بالدَّالِ[٣].

وقيل: كانَ راعيًا.

مُجاهد: كان لقمانُ عبدًا أسودَ، عظيمَ الشَّفتَين، مُتشقِّقَ القدَمَين[٤].

الفرَّاءُ: كان حَبَشيًّا، مَجدوعَ الأنفِ، ذا مِشْفَرٍ[٥].

وقيل: كان نُوبِيًّا.

وقيل: كانَ تَلْمَذَ لألفِ نبيٍّ، وتَلْمَذَ له ألفُ نَبيٍّ[٦].

= الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٣٣١) عن عكرمة والشعبي، وذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٤٤٢) عن عكرمة والشعبي والسدي، وقال ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٤٣٠): «هكذا حكاه عنهم الواحدي، ولا يعرف إلا أن هذا مما انفرد به عكرمة». وقال الثعلبي: «واتفق العلماء أنه كان حكيمًا ولم يكن نبيًّا، إلا عكرمة فإنه قال: كان لقمان نبيًّا، تفرد بهذا القول».

(١) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (٢٦٨)، والثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ٢٠٢)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٣٣١)، والواحدي في «البسيط» (١٨/ ٩٩).

(٢) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (٢٧١)، ويحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٦٧٢)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٥٤٨).

(٣) في المطبوع من «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ١٩٥): «نجارًا» بالراء، وقد ذكر أبو حيان في «البحر المحيط» (٨/ ٤١٢) مثل ما ذكر المصنف والنجّاد: مَن ينجّد البيوت والفرش والبسط، كما في «تاج العروس» (٩/ ٢٠٣).

(٤) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٢٩١)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٥٤٧)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٠٠)، واستغربه.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٢٧).

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٠١)، وعده من العجائب.

﴿ٱلْحِكْمَةَ﴾: العقلَ، والعِلمَ، والعَملَ به، والإصابةَ في الأمورِ، وكانت الحكمةُ تجري على لسانِه.

وفي التَّفسيرِ: فأُخْبِرَ بذلك مولاه، فأرادَ أن يُجرِّبَه، فدعاه فقال: اذبَحْ شاةً وائتِني بأطيبِ مُضغتَينِ منها، فذبحَ شاةً وأتاه بالقلبِ واللِّسانِ، ثمَّ قال له: اذبَحْ شاةً وائتِني بأخبثِ مُضغتَين منها، فذبَحَ شاةً وأتاه بالقلبِ واللِّسانِ، فسألَه عن ذلك فقال: إنَّهما أطيبُ شيءٍ إذا طابا، وأخبثُ شيءٍ إذا خَبُثا[١].

وذكرَ الزَّجَّاجُ: أنَّ إنسانًا وقفَ عليه وهو في مجلِسِه فقال: ألستَ الذي كنتَ ترعى معي في مكانِ كذا وكذا؟ قال: بلى، فقال: ما بلغَ بك ما أرى؟ فقال: صِدْقُ الحديثِ، والصَّمتُ عمَّا لا يَعنيني[٢].

وفي بعضِ التَّفاسيرِ: قالَ له داودُ يومًا: كيفَ أصبَحتَ؟ فقال: أصبحتُ في يدَي غيري، فتفكَّرَ داودُ فيه، فصَعِقَ صَعقةً[٣].

وفي الحِكَمِ المرويَّةِ عنه كثرةٌ، وأبلغُها ما حكَى الله عنه في القرآنِ:

﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾ الزَّجَّاجُ: لِأَنْ يَشكُرَ لله، قال: ويجوزُ أن تكونَ ﴿أَنِ﴾ المُفسِّرةَ، فيكونُ المعنى: أي اشكُرْ لله، وتقديرُه: قلنا له: اشكُرْ لله[٤].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (٢٧١)، ويحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٦٧٢)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٥٤٨)، عن خالد الربعي.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ١٩٥)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٥٤٨) عن عمرو بن قيس.

(٣) ذكره البيضاوي في «تفسيره» (٤/ ٢١٣)، وأبو حيان في «البحر المحيط» (٨/ ٤١٢).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ١٩٥)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٠١)، واستغربه.

وقيل: بدلٌ منَ ﴿ٱلْحِكْمَةَ﴾.

﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ لأنَّ الشَّاكرَ يستحقُّ المزيدَ، من قولِه: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]؛ أي: تعودُ منفعةُ شُكرِه إليه.

﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ﴾؛ أي: ومَن كفرَ لـم يضُرَّ اللهَ؛ فإنَّه غنيٌّ عن العبادِ وشكرِهم ﴿حَمِيدٌ﴾: محمودٌ في صُنعِه.

وقيل: مُستحمِدٌ إلى خلقِه بالإنعامِ عليهم.

***

(١٣) ـ ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ﴾ قال الزَّجَّاجُ: موضعُ ﴿إِذْ﴾ نصبٌ بقولِه: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾؛ لأنَّ هذه الموعظةَ حكمةٌ(١).

وقيل: واذكُرْ إذ قال ﴿لِٱبْنِهِۦ﴾، واسمُه: أَنعَمُ. وقيل: مِشْكَمُ. وقيل: ماثانُ.

﴿وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ﴾ تصغيرُ تقريبٍ ﴿لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ﴾؛ أي: معَ الله ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾؛ أي: وضعُ العبادةِ غيرَ موضعِها، ولا ذنبَ أعظمُ مِنه.

قيل: كان ابنُه كافرًا فأسلَمَ.

وعن بعضِ القُرَّاءِ الوَقفُ على قولِه: ﴿لَا تُشْرِكْ﴾ والابتداءُ باليمينِ، وليس بالبعيدِ(٢).

***

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ١٩٦).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٠١)، واستغربه.

(١٤) ـ ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾.

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ ﴾ في سببِ النُّزولِ: أنَّها نزلَتْ في سعدِ بنِ أبي وقّاصٍ رضي الله عنه، وقد سبقَ في (العنكبُوتِ)[1].

وفصَلَ اللهُ به بينَ حكايةِ وصيَّةِ لُقمانَ لابنِه؛ لأنَّ كلامَ لُقمانَ في هذا المَعنى.

وقيل: تقديرُه: إنَّ الشِّركَ لظُلْمٌ عظيمٌ، ونحنُ قد وصَّيْنا الإنسانَ بوالدَيه حُسْنًا، وأمَرْناه ألّا يُطيعَهما في الشِّركِ[2].

وجاء في كلامِ لُقمانَ أنَّه قال لابنِه: إنَّ الله رضيَني لك فلم يُوصِني بِكَ، ولم يرضَكَ لي فوصَّاكَ بي[3].

﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾: ضَعْفًا على ضَعْفٍ.

وقيل: شدَّةً على شدَّةٍ.

وقيل: جُهْدًا على جُهْدٍ.

وقيل: ﴿وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ على حسبِ زيادتِه في بطنِها، وثِقَلِه عليها.

وفي الوهنِ ثلاثُ لغاتٍ: وَهَنَ يَهِنُ مثل: وَعَدَ يَعِدُ، ووَهِنَ يَوْهَنُ مثل: وَجِلَ يَوْجَلُ، ووَهِنَ يَهِنُ مثل: وَرِثَ يَرِثُ.

---

(١) عند تفسير الآية (٨) منها.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٠١)، واستغربه.

(٣) رواه الشجري في «الأمالي الخميسية» (٢/ ١٦٨) عن عبد الله بن وهب السهمي.
ورواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (١٠٩٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨٣٠٤) عن الحماني من قول زيد بن علي بن الحسين لابنه يحيى.

وقيل: ﴿وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ﴾ صفةٌ للولدِ؛ أي: نُطفةً ثمَّ علقةً.. إلى آخرِ الخِلْقةِ.

وقيل: ضَعفُ الوالدةِ على ضَعفِ الولدِ.

وقيل: ضَعفُ نُطفةِ الأبِ على ضَعفِ نُطفةِ الأمِّ.

﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ﴾؛ أي: فِطامُه بعد الولادةِ في انقضاءِ حولَين، وذلك ممَّا يَزيدُها ضَعفًا.

﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ﴾ ليشكُرْ لي ويشكُرِ الوالدَين، وتقديرُه: وصَّيناه بأن اشكُرْ، فحُذِفَ الجارُّ.

المُبرِّدُ: محلُّه جرٌّ بالبدلِ من (والدَيه) بدلَ الاشتمالِ[1].

وقيل: وقُلنا له: ﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ﴾.

﴿إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ﴾: مصيرُكَ إليَّ، وحِسابُكَ عليَّ.

* * *

(١٥) ـ ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾.

﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَا﴾؛ أي: أطِعْهما فيما يأمُرانِكَ به كلِّه، وإنْ حمَلاكَ على أن تجعَلَ لي شريكًا لم يحصُلْ لك العلمُ بأنَّه لي شريكٌ ـ لأنَّ ذلك مستحيلٌ لا يكونُ ـ فلا تُطِعْهما على ذلك، ﴿وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗا﴾؛ أي: أحسِنْ مُصاحبتَهما.

و﴿مَعۡرُوفٗا﴾ صفةُ مصدرٍ محذوفٍ؛ أي: مُصاحبةً أو صحابًا معروفًا يُستحسَنُ.

---

(١) ذكره البيضاوي بلا نسبة في «تفسيره» (٤/ ٢١٤).

وقيل: وصاحِبْهما في أمورِ الدُّنيا بالمعروفِ لمثلِهما، وقال ﷺ: «رِضا الله في رِضا الوالدَين، وسُخْطُ الله في سُخْطِ الوالدَين»[١].

﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ في سببِ النُّزولِ: أنَّها نزلَتْ في أبي بكرٍ رضي الله عنه، وذلك أنَّه حين أسلَمَ أتاه عبدُ الرَّحمنِ بنُ عوفٍ، وسعدُ بنُ أبي وقَّاصٍ، وسعيدٌ، وعثمانُ، وطلحةُ، والزُّبيرُ، فقالوا لأبي بكرٍ: آمنتَ وصدَّقتَ محمَّدًا؟ فقال: نعم، فأتَوا رسولَ الله ﷺ فآمَنُوا وصدَّقُوا، فأنزَلَ الله يقولُ لسعدٍ: ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ يعني: أبا بكرٍ رضي الله عنه[٢].

وقيل: اتَّبِعْ محمَّدًا ﷺ.

﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ بعد الموتِ.

ويحتمِلُ أنَّ الكلامَ تمَّ على قولِه: ﴿مَنْ أَنَابَ﴾، كقولِه: ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص: ٢٤]، ثمَّ ابتدأ فقالَ على وجهِ التَّهديدِ: ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ بالموتِ، ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ بالبعثِ، ﴿فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: أُجازيكُم عليه[٣].

وقيل: أُنبِّئُكم ذلك في كتابِ الحفَظَةِ.

ثمَّ عادَ إلى عِظَةِ لُقمانَ ابنَه فقال:

(١٦) ـ ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾.

---

(١) رواه الترمذي (١٨٩٩) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، بلفظ: «رضا الرب في رضا الوالد، وسخط الرب في سخط الوالد».

(٢) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٤٦) من طريق عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٠١) واستغربه.

﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ ﴾: إنَّ القِصَّةَ والأمرَ والشَّأنَ، وذلك فيمَن رفعَ ﴿مِثْقالُ حَبَّةٍ﴾، ومَن نصَبَ(١) جعلَها كنايةً عن الخصلةِ أو الفعلةِ.

وقيل: عن السَّيِّئةِ.

ومِثقالُ الشَّيءِ: ما يُساويه في الوزنِ، وكثُرَ في الكلامِ فصارَ عبارةً عن مقدارِ الدِّينارِ، وأنَّثَه مَن رفعَه لإضافتِه إلى مُؤنَّثٍ، وقد سبقَ.

﴿مِّنْ خَرْدَلٍ﴾ هو: الحَبُّ المعروفُ؛ يُضرَبُ به المثَلُ في الصِّغرِ.

﴿فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ﴾: في أخفَى موضعٍ وأشدِّه.

﴿أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: في أجوافِ السَّماواتِ.

﴿أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: أجوافِها.

﴿يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ﴾: يُحْضِرْها الله فيُجازي عليها.

وأكثرُ المُفسِّرين على أنَّها الصَّخرةُ التي عليها الأرضُ، وهي التي تُسمَّى: السِّجِّينَ، وليست منَ الأرضِ(٢).

وقيل: المُرادُ بها الجبلُ، والمُرادُ بالأرضِ: المِهادُ منها، كقولِه: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ [النبأ: ٦ ـ ٧].

وذُكِرَ أنَّ آخرَ ما قال لابنِه: ﴿إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ﴾، ثمَّ تفطَّرَ من هيبةِ هذه الموعظةِ فماتَ، وكانَ آخرَ كلامِه.

---

(١) قرأ بالرفع نافع، والباقون بالنصب. انظر: «السبعة» (ص: ٥١٣)، و«التيسير» (ص: ١٥٥).

(٢) قاله الفراء في «معاني القرآن» (٢/ ٣٢٨)، وذكره الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٣٢٢) عن الكلبي، ولا أدري من هم أكثر المفسرين الذين قصدهم، وهذه خرافة أثبت العلم خطأها.

وقيل: المُرادُ بها الرِّزقُ(١)؛ أي: إن كان للإنسانِ رزقٌ مثقالَ حبَّةٍ من خردلٍ في هذه المواضعِ جاءَ بها الله حتَّى يُخرِجَها ويسوقَها إلى مَن هي رزقٌ له.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ﴾ باستخراجِ ذلك ﴿خَبِيرٌ﴾: عالِـمٌ بمكانِه.

* * *

(١٧) - ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾.

﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: حافِظْ عليها لمواقيتِها وما شُرِعَ فيها.

﴿وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ ما رأيتَه من معروفٍ حسَنٍ في العقولِ قد تُرِكَ، فأْمُرْ به.

﴿وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ وما رأيتَه من شيءٍ تُنكِرُه(٢) يُؤتَى، فَانْهَ عنه وامْنَعْ منه.

﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾ في ذاتِ الله إذا أمرتَ بالمعروفِ ونهَيتَ عن المُنكرِ.

وقيل: ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾ من شدائدِ الدُّنيا من الأمراضِ والفقرِ والهمِّ والغمِّ.

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: الصَّبرَ، وقيل: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ الذي أوصيتُك به.

﴿مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾: ممَّا عزَمَ الله على عبادِه؛ أي: أمرَهُم به أمرًا حتمًا.

والعَزْمُ: تَوطِينُ النَّفسِ على الفعلِ.

وقيل: ﴿عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾: ضبطُ الأمورِ وإصلاحُها.

المُؤرِّجُ: العَزْمُ: الحزْمُ بلغةِ هُذَيلٍ(٣).

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٠٢)، واستغربه.

(٢) بعدها في (ن): «أن».

(٣) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٨/ ٤١٦).

المُبرِّدُ: الحزْمُ: العَزْمُ، قُلِبَ العينُ حاءً[١]، وهذا بعيدٌ؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ منهما أصلٌ برأسِه مُطَّرِدٌ في جميعِ أحوالِه، والحزمُ: الحذَرُ، والعَزْمُ، الثَّباتُ، وقد سبقَ ذِكرُه.

* * *

(١٨) ـ ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾.

﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾: لا تُعرِضْ بوجهِك عمَّن يُقبِلُ عليك استخفافًا به، والصَّعَرُ: الميلُ في العُنُقِ، وصَعَّرَ وصاعَرَ لُغتانِ، كضَعَّفَ وضاعَفَ.

﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ﴾: خُيَلاءَ وكِبْرًا، مصدرٌ وقعَ موقعَ الحالِ.

وقيل: ﴿مَرَحًا ﴾؛ أي: في معصيةٍ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ ﴾: مُتكبِّرٍ، وقيل: مَنَّانٍ.

والاختِيالُ: أن يرى لنفسِه طَولًا على غيرِه فيشمَخَ بأنفِه.

﴿فَخُورٍ ﴾: يُعدِّدُ مناقبَه تطاوُلًا.

* * *

(١٩) ـ ﴿ وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴾.

﴿ وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ ﴾ القَصْدُ: التَّوسُّطُ بين الغُلوِّ والتَّقصيرِ، قال الشّاعرُ:

كلا طَرَفَــيْ قَصْــدِ الأمــورِ ذَميــمُ[٢]

---

(١) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٨/ ٤١٦).

(٢) عجز بيت لم ينسب لقائل، وقبله:

تَسامَحْ وَلَا تَسْتَوْفِ حَقَّكَ كُلَّهُ … وأَبْقِ فَلَمْ يَسْتَوْفِ قَطُّ كَرِيمُ

ولا تَغْلُ في شيءٍ مِن الأمرِ واقْتَصِدْ … كِلا طَرَفَيْ قَصْدِ الأُمُورِ ذَمِيمُ

انظر: «العزلة» للخطابي (ص: ٩٧)، و«يتيمة الدهر» للثعالبي (٤/ ٣٨٥)، و«معجم الأدباء» لياقوت (٢/ ٤٩٠).

المُؤرِّجُ: معنى ﴿اقْصِدْ﴾: أسرِعْ بلُغةِ هُذَيلٍ(١).

وعن ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه قال: كانوا يُنهَونَ عن خَبَبَ اليهودِ ودَبيبِ النَّصارى، ولكنْ مشيًا بينَ ذلك(٢).

وعن النَّبيِّ ﷺ: «سُرعةُ المشيِ تُذهِبُ بهاءَ المُؤمنِ»(٣).

وقيل: ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ﴾: انظُرْ في مشيِكَ موضعَ قدمِكَ.

﴿وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾: أنقِصْ منه، والغَضُّ: النُّقصانُ، وقد سبق.

﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ﴾: أقبحَها.

وقيل: أثقلَها على السَّمعِ عند النّاسِ.

عكرمةُ: ﴿أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ﴾: شرَّ الأصواتِ(٤).

الحسنُ: أشدَّ الأصواتِ(٥).

---

(١) انظر: «الإتقان في علوم القرآن» للسيوطي (٢/ ١١١).

(٢) ذكره النسفي في «مدارك التنزيل» (٢/ ٧١٧)، وأبو حيان في «البحر» (٨/ ٤١٦).

(٣) رواه ابن معين في «تاريخه» (٣/ ٢٥٦)، وابن حبان في «المجروحين» (٢/ ٨٢)، والثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ٢١٧)، عن ابن عمر رضي الله عنهما، وفيه عمرو بن صهبان، قال ابن معين: أحاديث عمرو بن صهبان لا تساوي فلسًا.
ورواه المالِيني في «الأربعين في شيوخ الصوفية» (ص: ١٠١)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٢٩٠)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال الذهبي في «ميزان الاعتدال» (٣/ ٦٣٢): حديث منكر جدًّا.
ورواه ابن بشران في «أماليه» (ص: ١٥٨) عن أنس رضي الله عنه. وروي عن غيرهم وأسانيدها جميعا ضعيفة جدًّا. وانظر: «الكافي الشاف» (ص: ١٣٠).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٥٦٥)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ٢١٩)، والماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٣٤١).

(٥) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٣٤١)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٥٦٥) لكن =

وقيل: أبعدَ الأصواتِ؛ لأنَّ أوَّلَه زفيرٌ وآخرَه شهيقٌ.

وعن سُفيانَ: صياحُ كلِّ شيءٍ تسبيحُه، إلّا الحمارَ؛ فإنَّه يصيحُ لرُؤيةِ الشَّيطانِ[1].

﴿لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ قيل: الصَّوتُ في معنى الجمعِ؛ لأنَّه مصدرٌ.

وقيل: بل الحميرُ في معنى الواحدِ؛ لأنَّه اسمٌ للجمعِ.

وقيل: أرادَ بذكرِ الحميرِ التَّزهيدَ في رفعِ الصَّوتِ على النَّاسِ، كما تقولُ: الشَّرَهُ من فعلِ الكلابِ.

وقيل: لا يمتنِعُ أن يكونَ في الأصواتِ ما هو أنكرُ من صوتِ الحمارِ، فيصيرُ تقديرُ الآيةِ: إنَّ من أنكرِ الأصواتِ لَصوتُ الحميرِ، فحُذِفَ (من) فارتفَعَ الصَّوتُ.

ورُوِيَ عن النَّبيِّ ﷺ: «إنَّ اللهَ يُبغِضُ ثلاثةَ أصواتٍ: نهقةَ الحميرِ، ونُباحَ الكلبِ، والدَّاعيةَ بالحَرَبِ»[2]؛ يعني: النَّائحةَ.

وقيل: ﴿لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ هي: العطسةُ المُنكرةُ، حكاه أقضى القُضاةِ الماورديُّ[3].

ولا أرى له وجهًا، ولعل هذا القائلَ جعلَ الحميرَ فعيلًا من قولِهم: طَعنةٌ حمراءُ؛ أي: شديدةٌ، ومن قولِهم: حَمارَّةُ القَيظِ: شِدَّتُه، والحمارُ سُمِّيَ حِمارًا لشِدَّتِه، ثمَّ لا تخصيصَ له بالعطسةِ دونَ غيرِها منَ الأصواتِ.

= عن الحسن بن مسلم لا ابن أبي الحسن البصري الذي يُقصد عند الإطلاق عادة.

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣١٠٠)، والثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ٢١٩).

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ٢٢١) من طريق عنبسة بن عبد الرحمن عن محمد بن زاذان عن أم سعد عن النبي ﷺ. وهذا إسناد موضوع، عنبسة بن عبد الرحمن متهم بالوضع، ومحمد بن زاذان متروك.

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٣٤١) عن جعفر الصادق، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٠٢)، وعده من العجائب.

(٢٠) - ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: مكَّنكُم من الانتفاعِ بما في السَّماءِ منَ الشَّمسِ والقمرِ والنُّجومِ، وما في الأرضِ منَ الجبالِ، والبحارِ، والنَّباتِ، والأشجارِ، والدَّوابِّ، والرِّيحِ، والسَّحابِ.

وقيل: معنى ﴿سَخَّرَها﴾: ذلَّلَها.

وقيل: سهَّلَها، والوجهُ هو الأوَّلُ.

﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ﴾: تمَّمَ حتى فَضَلَ.

قُرِئَ: ﴿نِعْمَةً ظاهِرَةً وَباطِنَةً﴾[١] والمُرادُ بها الإسلامُ.

عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنه[٢]؛ أي: ظاهرةً على اللِّسانِ وباطِنةً على الجوارحِ بالطَّاعةِ.

وقيل: في القلوبِ بالاعتقادِ والنِّيَّةِ.

ويجوزُ أن يكونَ واحدةً في اللَّفظِ جمعًا في المعنى، كقولِه: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤].

وقُرِئَ ﴿نِعَمَهُ﴾ بالجمعِ[٣]؛ لأنَّ نِعَمَ الله لا تُحصى كثرةً.

ومعنى ﴿ظَاهِرَةً﴾: يراها النَّاسُ منَ الجاهِ والمالِ والخدَمِ والأولادِ، ﴿وَبَاطِنَةً﴾: الخلُقُ والعلمُ، والقوَّةُ، وسائرُ ما يعلمُه العبدُ من نفسِه.

---

(١) قرأ بها ابن كثير وحمزة والكسائي ونافع وعاصم في رواية أبي بكر، والباقون: ﴿نعمه﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٥١٣)، و«التيسير» (ص: ١٧٧).

(٢) رواه عنه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٥٦٧) هكذا قراءة وتفسيراً.

(٣) قرأ بها أبو عمرو وعاصم في رواية حفص، وقد تقدمت قريباً.

وقيل: ﴿ظَاهِرَةً﴾: ما يعلَمُ العبدُ من نفسِه ﴿وَبَاطِنَةً﴾: ما يعلَمُه الله ولا يعلَمُ العبدُ.

والهاء في ﴿نِعَمَهُۥ﴾ تعودُ إلى الله.

وقيل: إلى ما في السَّماواتِ.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ نزلَتْ في النَّضرِ بنِ الحارثِ(١).

وقيل: في يهوديٍّ خاصمَ النَّبيَّ ﷺ فأخذَتْه صاعقةٌ فأهلكَتْه(٢).

أي: ومع هذه النِّعمِ منهم مَن يُجادِلُ في توحيدِ الله ويميلُ إلى الشِّركِ والتَّعطيلِ بغيرِ علمٍ وعقلٍ ﴿وَلَا هُدًى﴾: سنَّةِ نبيٍّ ﴿وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ أنزلَه الله، بل تقليدًا وإِلفًا، وهو قولُه:

(٢١) ـ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ﴾ بوَسْوَسَتِه وتخييلِه وجوبَ اتِّباعِ الآباءِ ﴿إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾: إلى ما يؤولُ إليه = يتَّبِعُونه(٣)؟ استفهامُ إنكارٍ وتعجيبٍ.

* * *

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٤٥٩) عن ابن جريج، وذكره يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٦٧٨) عن الكلبي، وذكره مقاتل في «تفسيره» (٣/ ١١٥).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٣٤٣).

(٣) قوله: «يتبعونه» جواب الشرط؛ أي: ﴿أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ يتَّبِعُونَه.

(٢٢) ـ ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾.

﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾: يُخلِصْ عملَه لله، و﴿إلى﴾ بمعنى: اللّامِ، كقولِه: ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ٢٠].

وقيل: انقادَ لأمرِه واستسلَمَ.

وقيل: يقصدُ بطاعتِه إلى الله.

﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ في عملِه مُخلِصٌ في نيَّتِه.

﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ﴾: تمسَّكَ وتعلَّقَ ﴿بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾: كلمةِ التَّوحيدِ: «لا إلهَ إلا الله». وقيل: القرآنِ والإسلامِ.

و(العُرْوَةُ): ما يُعلَّقُ به الشَّيءُ. و﴿ٱلْوُثْقَىٰ﴾: تأنيثُ الأوثَقِ. والشَّيءُ الوثيقُ: ما يأمَنُ صاحبُه منَ السُّقوطِ.

﴿وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾: مصيرُ الأمورِ في أواخرِها إلى الله، وهو المُجازي عليها.

* * *

(٢٣) ـ ﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾.

﴿وَمَن كَفَرَ﴾ ولـم يُسلِمْ وجهَه، ﴿فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ﴾ فليس عليك منه تَبِعةٌ.

﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ يومَ الحسابِ ﴿فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟﴾: نُجازيهم على أعمالِـهم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: بضمائرِ القلوبِ.

وقيل: بما في ضميرِكَ منَ الحزنِ على كُفرِهم.

* * *

(٢٤) ـ ﴿ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾.

﴿ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ﴾: نُبقيهم في الدُّنيا يتمتَّعون فيها مدَّةَ أعمارِهم إلى حلولِ آجالِـهم، ﴿ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾: شديدِ الآلامِ، كثيرِ الأجزاءِ لا يتناهى.

* * *

(٢٥ ـ ٢٦) ـ ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾؛ أي: مع كُفرِهم مُقِرُّونَ بأنَّ خالقَ السَّماواتِ والأرضِ هو الله[1].

﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ على انقطاعِ حجَّتِهم.

وقيل: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾: لمَن خلقَ هذه الأشياءَ، لا لمَن لا يخلُقُ وهم يُخلَقون.

وقيل: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ على العلمِ والهدايةِ.

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ما في تركِ عبادةِ الله منَ العقابِ والعذابِ الأليمِ.

وقيل: لا يعملونَ بما يعلَمون.

وقيل: هو مُتَّصلٌ بما بعدَه تقديرُه: لا يعلَمون ﴿ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، كما تقولُ: لا تعلَمُ لزيدٍ ما في الدَّارِ.

﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عن إيمانِهم وطاعتِهم ﴿الْحَمِيدُ ﴾: المحمودُ لا ينقطعُ حمدُه بكفرِهم.

* * *

---

(١) في (ن): «بأن الله خالق السماوات والأرض».

(٢٧) ـ ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾.

﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ ﴾ في سببِ النُّزولِ: سألتِ اليهودُ رسولَ الله ﷺ عن الرُّوحِ، فأنزلَ الله بمكّةَ: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٨٥]، فلمَّا هاجرَ رسولُ الله ﷺ إلى المدينةِ أتاه أحبارُ اليهودِ وقالوا: يا محمَّدُ، بلغَنا عنك أنَّكَ تقولُ: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٨٥] أفعنَيتَنا أم قومَكَ؟ فقال: كُلًّا قد عنَيْتُ، فقالوا: ألستَ تتلُو فيما جاءَكَ أنَّا قد أُوتينا التَّوراةَ وفيها علمُ كلِّ شيءٍ؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «وهو في علمِ الله قليلٌ، وقد آتاكُم الله ما إنْ عملتُم به انتفَعْتُم». قالوا: يا محمَّدُ، كيفَ تزعُمُ هذا وأنتَ تقولُ: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [البقرة: ٢٦٩]؟ فكيفَ يجتمعُ هذا؟ علمٌ قليلٌ وخيرٌ كثيرٌ، فأنزلَ الله ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ ﴾(١)؛ أي: لو بُرِيَتْ أشجارُ الأرضِ أقلامًا ﴿وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ ﴾: يزيدُ فيه ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾: من بعد نفادِ ما فيه ﴿سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ﴾ سوى بحارِ الدُّنيا؛ لأنَّ قولَه: ﴿وَٱلْبَحْرُ ﴾ للعمومِ، وفيه الألفُ واللَّامُ للجنسِ؛ أي: فيصيرُ الكلُّ مِدادًا، كقولِه: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا ﴾ [الكهف: ١٠٩].

وقيل: ﴿يَمُدُّهُۥ ﴾: يجعلُه مِدادًا أسودَ يُكتَبُ به(٢).

قال أبو عبيدةَ: البحرُ هاهنا: الماءُ العذبُ؛ لأنَّ المِلْحَ لا يُنبِتُ الأقلامَ(٣).

---

(١) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٤٦) عن المفسرين، ولعله مجموع من عدة أخبار، فقد روى نحوه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٥٧٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما وعكرمة وعطاء بن يسار.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٠٢)، واستغربه.

(٣) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ١٢٨)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٠٢)، وعده من العجائب.

قال القفَّالُ: قولُ أبي عبيدةَ: البحرُ المِلْحُ لا يُنبِتُ الأقلامَ، يُوجِبُ أنَّه جعلَ المعنى: والبحرُ يمدُّه من بعدِه سبعةُ أبحرٍ فأنبتَتْ أقلامًا، قولُ أبي عبيدةَ ضعيفٌ لأنَّ الله سبحانَه أرادَ التَّكثيرَ والمُبالغةَ، وليس فيما ذكرَ أبو عبيدةَ كثيرُ مُبالغةٍ.

وعُذرُ القفَّالِ عنه حسَنٌ، كأنَّه جعلَ هذه الآيةَ مُشتمِلةً على ذكرِ الأقلامِ فحسبُ، كما أنَّ ما في الكهفِ للمِدادِ فحسب؛ اكتفاءً بذكرِ أحدِهما عنِ الآخرِ، كما اكتفَى بذكرِ الأقلامِ والمِدادِ عن القِرْطاسِ أو ما يُكتَبُ عليه، أو عنِ الكَتَبةِ؛ لأنَّ تقديرَ الآيةِ: لو جُعِلتِ الأشجارُ أقلامًا، والبحرُ بعدَ المَدَدِ[1] مِدادًا، والسَّماواتُ والأرضُ قِرْطاسًا، والملائكةُ والجنُّ والإنسُ كُتَّابًا، ثمَّ كتَبُوا به منه عليه، لنفِدَتْ هذه الأشياءُ وأعيَتِ الكتَبةُ قبلَ أن تنفَدَ كلماتُ ربِّي، والله أعلَمُ.

﴿مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ واختلفُوا في معنى ﴿كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾؛ فقيل: المُرادُ بها: العلمُ، وسُمِّيَ علمُه كلماتٍ لأنَّه لا يُمكِنُ كتابتُه إلَّا إذا كانت كلماتٍ.

وقيل: معنى ﴿كَلِمَٰتُ﴾: أسماءُ ما خلقَه الله، وما[2] يخلقُه في الآخرةِ؛ لأنَّها غيرُ مُتَناهيةٍ، والأقلامُ والبحارُ مُتَناهيةٌ.

وقيل: نِعَمُ الله على خلقِه.

وقيل: ما قضاه الله في اللَّوحِ المحفوظِ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾: منيعٌ في مُلكِه ﴿حَكِيمٌ﴾ في خَلْقِه.

قُرِئَ ﴿وَٱلْبَحْرُ﴾ بالرَّفعِ على الابتداءِ، وبالنَّصبِ[3] على العطفِ، أو بفعلٍ يدُلُّ عليه ما بعدَه.

---

(١) في (ن): «المداد».

(٢) في (ف): «ولما».

(٣) قرأ أبو عمرو بالنصب، والباقون بالرفع. انظر: «السبعة» (ص: ٥١٣)، و«التيسير» (ص: ١٧٧).

(٢٨) - ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾.

﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾: إلا كخَلقِ نفسٍ واحدةٍ، وبَعثِ نفسٍ واحدةٍ، يقولُ لها: كُنْ فيكونُ، لا حاجةَ إلى آلةٍ ولا إلى استعانةٍ.

﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لكلامِ مَن أنكرَ البعثَ ﴿بَصِيرٌ﴾ بأحوالِ الأحياءِ والأمواتِ.

***

(٢٩) - ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾؛ أي: كلُّ ذلك يجري إلى وقتِه المُسمَّى له ﴿وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

***

(٣٠) - ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: ذلك الذي خَلقَ وصَنعَ ﴿بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾: بسببِ أنَّه هو الله حقًّا.

وقيل: فَعَلَ ذلك لتعلَمُوا أنَّ الله هو الحقُّ.

﴿وَأَنَّ ما تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْباطِلُ﴾[1]؛ أي: ما تَدْعونَ منَ الأصنامِ وتُسمُّونَه[2] آلهةً، وقيل: تجعلونَهم آلهةً. وقيل: تعبُدونَهم.

---

(١) قوله: ﴿تدعون﴾ هكذا جاءت في النسختين بالتاء، وهي قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر وأبي بكر، والباقون بالياء. انظر: «السبعة» (ص: ٤٤٠)، و«التيسير» (ص: ١٥٨).

(٢) في (ف): «وتسمونهم».

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ﴾ على كلِّ شيءٍ ﴿ٱلْكَبِيرُ﴾: كلُّ شيءٍ دونَه.

* * *

(٣١) - ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ﴾ الباءُ للحالِ؛ أي: مُنْعِمًا بها عليكم.

وقيل: ﴿تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: بالرِّيحِ؛ لأنَّ الرِّيحَ من نِعَمِ الله[1].

﴿لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ﴾: عجائبِ قُدرتِه في البحرِ إذا ركبتُموها.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾؛ أي: للمُؤمنين؛ فإنَّ الإيمانَ نصفانِ: نصفٌ صبرٌ، ونصفٌ شكرٌ.

وقيل: ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ مادامَ فيها، ﴿شَكُورٍ﴾ إذا خرجَ منها.

* * *

(٣٢) - ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾.

﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ﴾؛ أي: علاهُم فغطَّاهُم كالجبالِ.

وقيل: كالسَّحابِ.

﴿دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ يُخلِصون له الدُّعاءَ والطَّاعةَ، ولا يَدْعُون أحدًا سواه.

﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ﴾: خلَّصهم ﴿فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ فيه قولانِ:

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٠٣)، واستغربه.

أحدُهما: ﴿فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾: مُقيمٌ على طاعةِ[1] الله، ومنهم جاحدٌ، فحُذِفَ لقولِه: ﴿وَمَا يَجْحَدُ﴾ بعدَه.

والثّاني: ﴿فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾: جاحدٌ.

فيكونُ الاقتصادُ على القولِ الأوَّلِ مدحًا، وعلى القولِ الثَّاني ذمًّا.

﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ﴾: غدَّارٍ بدينِه أسوأَ غدرٍ، وقيل: جاحدٍ، ﴿كَفُورٍ﴾ لربِّه.

***

(٣٣) - ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ﴾: خافُوه واستَتِروا عن عقابِكم بطاعتِكُم له ﴿وَٱخْشَوْا۟﴾: وخافُوا ﴿يَوْمًا﴾ يعني: يومَ القيامة ﴿لَّا يَجْزِى﴾؛ أي: فيه، فحُذِفَ الجارُّ ثمَّ حُذِفَ الهاءُ، والمعنى: لا يقضي، ولا يُغني، ولا يحمِلُ، وقد سبقَ.

﴿وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ﴾ خُصَّ الوالدُ بالذِّكرِ لأنَّه أحرَصُ الأشياءِ على دفعِ المضرَّةِ عن الولدِ.

﴿وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا﴾ قولُه: ﴿مَوْلُودٌ﴾ عطفٌ على الوالدِ، و(هو) مبتدأٌ، و﴿جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ﴾ خبرُه، والجملةُ صفةٌ لـ﴿مَوْلُودٌ﴾.

ويجوزُ أن يُجعَلَ ﴿عَن﴾ من صلةِ ﴿يَجْزِى﴾، و﴿هُوَ جَازٍ﴾ صِفتُه؛ أي: في الدنيا[2].

---

(١) في (ف): «عبادة».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٠٤)، واستغربه.

﴿إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ﴾؛ أي: السَّاعةَ.

وقيل: ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِ﴾[(١)] منَ الثَّوابِ والعقابِ.

﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا﴾؛ أي: زينتُها وغَضارَتُها[(٢)]، وقيل: آمالُـها.

وقيل: لا تشغلَنَّكم عن طاعةِ الله.

﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾: الشَّيطانُ الذي يدعوكُم إلى معصيةِ الله بأن يُرجِّيكم التَّوبةَ والمغفرةَ، والمعنى: لا يُغفلنَّكم عن طاعةِ الله، تقولُ: (ما غرَّكَ به؟) و(ما أغفَلَك عنه؟) بمعنًى.

***

(٣٤) ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ في سببِ النُّزولِ: أنَّها نزلَتْ في الوارثِ بنِ عمرِو بنِ حارثةَ بنِ مُحاربٍ، من أهلِ الباديةِ، أتى النَّبيَّ ﷺ فسألَه عن السَّاعةِ ووقتِها، وقال: إنَّ أرضَنا قد أجدبَتْ فمتى ينزلُ الغيثُ؟ وتركتُ امرأتي حُبلى فماذا تلدُ؟ وقد علِمتُ أينَ وُلِدْتُ فبأيِّ أرضٍ أموتُ؟ وقد علِمتُ ما عمِلتُ اليومَ فما أعملُ غدًا؟ فأنزَلَ الله هذه الآيةَ[(٣)].

---

(١) في (ف): «وقيل ما وعد».

(٢) الغضارة: سعة العيش ولينه وخصبه وبهجته. انظر: «تاج العروس» مادة: (غ ض ر) (١٣/ ٢٤٠).

(٣) رواه ابن المنذر في «تفسيره» عن عكرمة كما في «الدر المنثور» (٦/ ٥٣٠)، وسمى الرجل: الوارث من بني مازن.

وذكره مقاتل بن سليمان في «تفسيره» (٣/ ٤٤٠)، والثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ٢٥٢ ـ ٢٥٣) دون عزو، واسم صاحب القصة عندهما كما هنا: الوارث بن عمرو بن حارثة بن محارب. =

وعن ابنِ عمرَ رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مفاتيحُ الغيبِ خمسٌ لا يعلَمُهنَّ إلا الله: لا يعلمُ متى تقومُ السّاعةُ إلّا الله، ولا يعلمُ ما تغيضُ الأرحامُ إلّا الله، ولا يعلمُ ما في غدٍ إلّا الله، ولا تعلمُ نفسٌ بأيِّ أرضٍ تموتُ إلّا الله، ولا يعلمُ متى ينزلُ الغيثُ إلّا الله»(١).

قولُه: ﴿عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾؛ أي: علمُ قيامِ السّاعةِ.

﴿وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾؛ أي: ويعلمُ متى ينزلُ الغيثُ، وظاهرُ القرآنِ يدلُّ على أنَّ الله يُنزِّلُ الغيثَ، وليس فيه تعرُّضٌ لعلمِ وقتِ نزولِ الغيثِ، إلّا أن يُضمَرَ (أنْ)، فيصيرَ التَّقديرُ: علمُ السّاعةِ وإنزالِ الغيثِ(٢).

وكذلك قولُه: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾ يُضمَرُ (أنْ)، فيصيرُ التَّقديرُ: وعِلمُ ما في الأرحامِ منَ الذُّكورةِ والأُنوثةِ.

﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾: ما تعملُ في المُستقبلِ من خيرٍ أو شرٍّ.

= وذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٤٧)، واسم الرجل فيه: الحارث بن عمرو بن حارثة بن محارب.

وذكره الواحدي أيضاً في «البسيط» (١٨/ ١٢٨) وعزاه لمجاهد ومقاتل، واسم الرجل في مطبوعه: الوارث بن عمرو المجازي. ولعله محرف عن: المحاربي.

ورواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٥٨٥) عن مجاهد ولم يسمه.

فهذا الخبر مع الاختلاف في اسم صاحب القصة لم يرو بسند متصل إلى النبي ﷺ، وإنما هي مراسيل عن عكرمة ومجاهد ومقاتل.

(١) رواه البخاري (٧٣٧٩).

(٢) قال المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٠٤): «قوله: ﴿وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ عطف على خبر ﴿إِنَّ﴾، الغريب: عطف على الساعة بإضمار (أنْ)، أي: علمُ الساعة وإنزالُ الغيث».

إنْ جعَلْتَ ﴿مَّاذَا﴾ في حكمِ كلمةٍ واحدةٍ فمحلُّه نصبٌ بـ﴿تَكْسِبُ﴾، وإنْ جعلتَه كلمتَين فـ(ما) رفعٌ بالابتداءِ، و(ذا) خبرُه، والفعلُ صلتُه، والضَّميرُ مُقدَّرٌ.

﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ في حضَرٍ أو سفرٍ، برٍّ أو بحرٍ.

وقيل: ﴿بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ من قَدَمٍ إلى قَدَمٍ؛ لأنَّ كلَّ قَدَمٍ تقعُ على أرضٍ غيرِ الأولى في المشيِ.

وقيل: ﴿بِأَيِّ أَرْضٍ﴾: بأيِّ قَدَمٍ، والأرضُ: القدَمُ.

وقيل: في أيِّ خطوةٍ.

وقيل: بأيِّ قدمٍ منَ الشَّقاوةِ أو السَّعادةِ، حكاه النَّقَّاشُ[1].

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بهذه الأشياءِ ﴿خَبِيرٌ﴾ بها، فمَن ادَّعى علمَ شيءٍ من هذه الخمسةِ فهو كافرٌ بالله سبحانَه.

* * *

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٠٤) دون نسبة، واستغربه.

سُورَةُ السَّجۡدَةِ

سورةُ الم السَّجدة

ثلاثونَ آيةً[1]، مكِّيَّةٌ.

ويُقالُ لـها: تنزيلُ السَّجدة.

ويُقالُ لها: سورةُ الجُرُزِ[2].

مكِّيَّةٌ إلّا خمسَ آياتٍ، من قولِه: ﴿نَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ﴾.

الكلبيُّ ومُقاتلٌ: إلّا ثلاثَ آياتٍ، من قولِه: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا﴾[3].

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٢) ـ ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿الٓمٓ﴾ سبقَ ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ تقديرُه: تنزيلُ

---

(١) «ثلاثون آية»: ليس في (ف). وانظر: «البيان في عد آي القرآن» (ص: ٢٠٧)، وفيه: «وهي عشرون وتسع آيات في البَصْري، وثلاثون آية في عدد الباقِينَ، اختلافها آيتان...».

(٢) لم أقف على تسميتها بسورة الجرز عند غير المصنف، وذكر كثير من المفسرين أن من أسمائها: سورة المضاجع؛ لوقوع لفظ المضاجع في قوله تعالى: ﴿نَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ [السجدة: ١٦].

(٣) ذكره عنهما الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٣٥٢)، وذكره الداني في «البيان في عد آي القرآن» (ص: ٢٠٧) عن ابن عباس وعطاء، وفي «تفسير مقاتل» (٣/ ٤٤٧) أنها مكية إلا قوله تعالى: ﴿نَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ﴾ الآية، وفيه: «وقال غير مقاتل: فيها ثلاث آيات مدنيات...».

الكتابِ من ربِّ العالمين، لا كما يزعمُ الكفَّارُ أنَّه من تقوُّلِ محمَّدٍ ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: لا شكَّ فيه أنَّ الأمرَ كذلك.

وقيل: نفيٌ في معنى النَّهيِ؛ أي: لا ترتابوا فيه.

وقيل: معنى ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: لا كهانةَ ولا سحرَ ولا شعرَ فيه.

***

(٣) - ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾.

﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾: بل أيقولون ﴿افْتَرَاهُ﴾: اختلَقَه محمَّدٌ، فتكونُ ﴿أَمْ﴾ هي المُنقطعةُ.

وقيل: هي المُتَّصلةُ، وتقديرُه: أيُصدِّقون أنَّه تنزيلٌ منَ الله أم يقولون افتراه؟

وقيل: ﴿أَمْ﴾ بمعنى الواوِ[1].

﴿بَلْ هُوَ الْحَقُّ﴾ ﴿بَلْ﴾ ردٌّ لقولِهم: ﴿افْتَرَاهُ﴾؛ أي: ليس كما زعمُوا، و﴿هُوَ﴾ ضميرُ القرآنِ، وقيل: ضميرُ الكتابِ؛ أي: هو الحقُّ ﴿مِن رَّبِّكَ﴾ لم يفترِه محمَّدٌ.

﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾؛ أي: أهلَ الفترةِ منَ العربِ، و﴿مَّا﴾ للنَّفيِ؛ أي: لم يأتِهم مُنذِرٌ قبْلَكَ؛ كقولِه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ﴾ [سبأ: ٤٤]، والمعنى: لتُنذِرَ قومَكَ منَ العذابِ.

وقيل: ﴿مَّا﴾ بمعنى: الذي، وهو بدَلٌ منَ القومِ، فيكونُ المعنى: أُنذِرَ آباؤُهم ولم يُنذَرْ هؤلاءِ، فهم غافلون، والوجهُ هو الأوَّلُ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٠٥)، واستغربه، وقال: «وجميع حروف العطف قد تقوم مقام الواو».

﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ إلى الرَّشادِ بإنذارِكَ، ويرتدِعون عن كُفرِهم.

* * *

(٤) ـ ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ سبقَ.

﴿مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ﴾: سوى اللهِ ﴿مِنْ وَلِيٍّ﴾ يتولَّى أمرَكم ويقومُ بمصالحِكم ﴿وَلَا شَفِيعٍ﴾ إنْ وافيتُموه كافرين.

وقيل: ﴿وَلَا شَفِيعٍ﴾ ممَّا زعمتُم أنَّها لكم شفعاءُ.

﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾: أفلا تتَّعِظونَ بمواعظِ اللهِ.

* * *

(٥) ـ ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾.

﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾؛ أي: أقامَ لذلك مُدبِّراتٍ كقولِه: ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ [النازعات: ٥]، وهم: الملائكةُ في الأصحِّ.

وقيل: معنى ﴿يُدَبِّرُ﴾: يُوحي.

وقيل: يقضي؛ أي: يقضي ما يُريدُ أن يقضيَه[١] في السَّماءِ، فيكونُ ﴿مِنَ﴾ بمعنى: في، فينزلُ به المَلَكُ إلى الأرضِ، فيفعلُ ما أُمِرَ، ثمَّ يصعدُ إلى مكانِه مسيرةَ

---

(١) في (ف): «أن يقضيه».

خمسِ مئةِ سنةٍ نُزولًا، وخمسِ مئةِ سنةٍ صعودًا، وهو قولُه: ﴿ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾؛ أي: من أيَّامِ الدُّنيا.

وقيل: مقدارُه ألفُ سنةٍ لو صعدَ فيها غيرُ المَلَكِ.

قيل[1]: الهاءُ في ﴿إِلَيۡهِ﴾ يرجعُ إلى الله سُبحانَه؛ أي: إلى حيثُ أمرَ الله، كقولِ إبراهيمَ: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ [الصافات: ٩٩]؛ أي: إلى حيثُ أمرَ ربِّي.

وقيل: يرجعُ إلى السَّماءِ، وجاز لأنَّ تأنيثَها غيرُ حقيقيٍّ.

وقيل: يُدبِّرُ الله الأمرَ فيَظهرُ في اللَّوحِ المحفوظِ، فيَنزلُ به المَلَكُ، ثمَّ يعرُجُ إليه في ذلك اليومِ.

وقيل: يقضي قضاءَ ألفِ سنةٍ، فينزلُ به المَلَكُ، ثمَّ يعرُجُ لألفٍ آخرَ إذا مضى الألفُ.

وقيل: ﴿كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾ يعودُ إلى قولِه: ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ﴾؛ أي: مقدارُ كلِّ يومٍ ألفُ سنةٍ.

وقيل: ﴿فِي يَوۡمٖ﴾ ظرفٌ لقولِه: ﴿يُدَبِّرُ﴾[2].

وقيل: ﴿كَانَ﴾ هاهنا زيادةٌ. ويحتملُ أن يكون بمعنى المستقبلِ كأكثرِ ألفاظِ القيامةِ.

وقيل: كان مقدارُ العروجِ.

وقيل: ﴿يَعۡرُجُ﴾ بمعنى: ينزِلُ.

---

(١) في (ن): «وقيل».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٠٥)، واستغربه.

وقيل: ﴿يَعْرُجُ﴾ بمعنى: يَرْجِعُ، وتقديرُه: يُدبِّرُ أمرَ الدُّنيا من أوَّلِـها إلى آخرِها، ثم يموتونَ ثمَّ يُبعثون، ثمَّ يرجِعُ الأمرُ إليه.

وقيل: قولُه: ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ كقولِ القائلِ: فلانٌ يملكُ منَ المشرقِ إلى المغربِ.

وقال صاحبُ «النَّظمِ»: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ يعني: الشَّمسَ ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ طُلوعًا ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ غُروبًا، ثمَّ ترجعُ إلى موضعِها من حيثُ طلعَتْ.

قال: ومعنى ﴿أَلْفَ سَنَةٍ﴾ للسائرِ المُجِدِّ؛ لأنَّ مسيرَها منَ المشرقِ إلى المغربِ خمسُ مئةِ سنةٍ، ومثلُه: منَ المغربِ إلى المشرقِ[1].

وقولُه في الأخرى: ﴿مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤] يأتي في موضعِه إنْ شاء الله.

وذهبَ بعضُ المُفسِّرين إلى أنَّ هذا يجوزُ أن يكونَ كعادةِ العربِ في وصفِ اليومِ المكروهِ بالطُّولِ، واليومِ المحبوبِ بالقِصَرِ.

* * *

(٦) ـ ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾: السِّرِّ ﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾: العَلَانِيَةِ.

وقيل: الغيبُ: الآخرةُ، والشَّهادةُ: الدُّنيا.

وقيل: الغيبُ: ما غابَ عن الخلقِ، والشَّهادةُ: ما ظهرَ لهم.

وقيل: الغيبُ: ما سيُوجَدُ، والشَّهادةُ: الموجودةُ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٠٦)، وعده من العجائب.

والغيبُ: خَفاءُ الشَّيءِ عن الإدراكِ، والشَّهادةُ: ظهورُه للإدراكِ.

﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾ على أعدائِه ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ على أوليائِه.

* * *

(٧) ـ ﴿ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ﴾.

﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ مَن سكَّنَه[1] فله وجوهٌ:

أحدُها: أنَّه بدلٌ من «كلَّ شيءٍ»، فيكونُ المعنى: الذي أحسَنَ خَلْقَ كلِّ شيءٍ.

وقيل: معناه: أتقَنَ.

وقيل: عَلِمَ، من قولِ العربِ: هو يُحسِنُ هذا؛ أي: يعلَمُ[2].

وقيل: ﴿أَحۡسَنَ﴾ بمعنى: أعطى، فيصير تقديرُه: أعطَى كلَّ شيءٍ حاجتَه ثمَّ هدى[3]، وقد سبقَ في (طه).

وقيل: ﴿خَلۡقَهُۥ﴾ نصبٌ على المصدرِ؛ أي: خلَقَ كلَّ شيءٍ خَلْقًا.

ومَن قرأ: ﴿خَلَقَهُۥ﴾ بالفتحِ، فالتَّقديرُ: جميعُ مخلوقِ الله حَسَنٌ مُتقَنٌ.

﴿وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ﴾: آدمَ عليه السَّلامُ ﴿مِن طِينٖ﴾: من ترابٍ مُبْتَلٍّ بالماءِ.

* * *

---

(١) هي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، والباقون: ﴿خلَقَه﴾ بالفتح وستأتي. انظر: «السبعة» (ص: ٥١٦)، و«التيسير» (ص: ١٧٧).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٠٦)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٠٦)، وعده من العجائب.

(٨) ـ ﴿ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴾.

﴿ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ ﴾: أولادَ آدمَ ﴿مِن سُلَٰلَةٍ ﴾: من نُطفةٍ مُنتزعةٍ كالفُضالةِ[١] ﴿مِّن مَّآءٍ ﴾ هو المَنِيُّ، وهو بدلٌ منَ (السُّلالةِ).

وقيل: معناه: سُلالةٍ سُلَّتْ من جملةِ ماءٍ[٢].

﴿مَّهِينٍ ﴾: مُمْتَهَنٍ مُحتقَرٍ، (فعيلٌ) بمعنى: مفعولٍ.

* * *

(٩) ـ ﴿ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾.

﴿ ثُمَّ سَوَّىٰهُ ﴾ يعني: الإنسانَ، وقيل: النَّسلَ؛ أي: خلقَه مُعتَدلًا في الشَّكلِ.

وقيل: مُعتَدلًا في الطَّبعِ.

﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ﴾ الرُّوحُ: ما يمتازُ به الحيُّ منَ الميِّتِ، والإضافةُ للتَّشريفِ؛ كبيتِ الله، وناقةِ الله.

وقيل: ﴿مِن رُّوحِهِۦ ﴾؛ أي: ريحِه التي يحيا بها الإنسانُ.

﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ﴾ لتسمعوا وتُبصِروا وتعقِلوا وتعلموا[٣].

﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾؛ أي: تشكرون قليلًا، وقد سبقَ[٤].

---

(١) «الفضالة» كالفضلة: البقية. انظر: «القاموس» مادة: (ف ض ل).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٠٦)، واستغربه.

(٣) «وتعلموا» من (ف).

(٤) في تفسير الآية (١٠) من سورة (الأعراف)، وتقدم بتفصيل أوسع في تفسير قوله تعالى: ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [البقرة: ٨٨].

(١٠) ـ ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۭۚ بَلۡ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ كَٰفِرُونَ﴾.

﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: بَلِينا وهلَكَتْ أجسادُنا فيها، وصارَتْ ترابًا، وذهَبْنا عن أعيُنِ النَّاسِ كما يَضلُّ الماءُ في اللَّبنِ.

﴿أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۭ﴾: نُحْيَى كما كنَّا قبلَ موتِنا؛ أي: هذا عَجَبٌ مُنكَرٌ.

وقيل: ﴿ضَلَلۡنَا﴾: خَـمَدْنا فلم يُوجَدْ لنا لحمٌ ولا عظمٌ، قاله أبو عبيدةَ(١).

وقرئ بالصَّادِ(٢)، والمعنى: أَنْتَنَّا.

﴿بَلۡ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ﴾: بالبعثِ والنُّشورِ ﴿كَٰفِرُونَ﴾: جاحِدون.

وقيل: بسببِ إنكارِهم البعثَ كافرون.

* * *

(١١) ـ ﴿قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ﴾.

﴿قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ﴾: يُحصِي آجالَكم، ويقبِضُ أرواحَكم، وهو من تَوْفِيَةِ العددِ؛ أي: يقبضُ أرواحَ الكلِّ فلا يُنقِصُ أحدًا منكم.

وقيل: منَ الوفاءِ، ولا مُنافاةَ بين قوله: ﴿تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [النحل: ٢٨]، و﴿تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا﴾ [الأنعام: ٦١]، و﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ﴾ [الزمر: ٤٢]، و﴿يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ﴾ [السجدة: ١١]؛ لأنَّ الملائكةَ رسلُ الله، وهم هاهنا أعوانُ ملَكِ الموتِ، وملَكُ

---

(١) انظر: «معجاز القرآن» (٢/ ١٣١).

(٢) قيدها بعضهم بفتح اللام وآخرون بكسرها، ونسبت لعلي وابن عباس والحسن وأبان بن سعيد بن العاص وغيرهم. انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٣١)، و«المحتسب» (٢/ ١٧٣)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٢٠٠)، و«الكامل في القراءات» للهذلي (ص: ٦١٨)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ٣٦٠)، و«زاد المسير» (٣/ ٤٣٩)، و«البحر» (١٧/ ٢٥٣ ـ ٢٥٤).

الموتِ يقبضُ بأمرِ الله، والدُّنيا بين يدَي ملكِ الموتِ كالطَّبَقِ يختارُ منها ما علِمَ أنَّه قد استوفى أجلَه.

﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ للثَّوابِ والعقابِ.

* * *

(١٢) ـ ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ يا محمَّدُ ﴿إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ حياءً وذُلًّا؛ أي: ينكُسونَ رؤوسَهم منَ الخزيِ.

﴿رَبَّنَآ﴾؛ أي: يقولون: ربَّنا ﴿أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾؛ أي: زالتِ الآنَ الشُّكوكُ في البعثِ والنُّشورِ فتيقَّنَّا.

وقيل: ﴿أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾ ما كنَّا لا نُصدِّقُ به.

وقيل: ﴿رَبَّنَآ﴾ لك الحجَّةُ علينا فقد ﴿أَبْصَرْنَا﴾ رسلَكَ ﴿وَسَمِعْنَا﴾ كلامَهم.

﴿فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ لكنَّا نسألُ الرَّجعةَ، فارْجِعْنا إلى الدُّنيا ﴿نَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾؛ أي: نعمَلْ على طاعتِكَ ﴿إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ الآنَ.

وجوابُ ﴿لَوْ﴾ محذوفٌ تقديرُه: لرأيتَ أمرًا عظيمًا.

* * *

(١٣) ـ ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ﴾ في الدُّنيا ﴿هُدَىٰهَا﴾: ما يهتَدون به إلى النَّجاةِ.

وقيل: لأكرَهْناهم على الإيمانِ.

وقيل: ﴿هُدَىٰهَا﴾: الرَّجعةُ التي سألوها.

وقيل: ﴿هُدَىٰهَا﴾: طريقُ الجنَّةِ.

﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى﴾: سبقَ وعيدي ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾؛ أي: من كفَّارِ الجنِّ والإنسِ، ويجوزُ أن يكونَ ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ تفسيرَ القولِ.

قال الحسنُ: لو آمنَ إلَّا واحدٌ لملأَها الله من ذلك الواحدِ(١).

* * *

(١٤) ـ ﴿فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ ۖ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿فَذُوقُوا۟﴾؛ أي: العذابَ ﴿بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ﴾؛ أي: تركتُم الإيمانَ به ﴿إِنَّا نَسِينَٰكُمْ﴾: تركناكُم فيها فلم ننظرْ إليكم.

وقيل: جازَيناكُم على نسيانِكُم.

﴿وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ﴾ الدّائمِ ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ منَ الكفرِ وتكذيبِ الرُّسلِ.

* * *

(١٥) ـ ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩﴾.

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا﴾: وُعِظُوا بها ﴿خَرُّوا۟ سُجَّدًا﴾ خوفًا من عذابِ الله ولقائِه.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٠٦)، ولم أقف عليه عند غيره، وفي العبارة شيء، والله أعلم.

وقيل: ﴿إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا﴾: إذا دُعوا إلى الصَّلواتِ الخمسِ بالأذانِ أجابُوا.

﴿وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾: نزَّهُوا الله ويُثنون عليه بما يحمدونَه، فالباءُ للسَّببِ.

وقيل: حامدين، والباءُ للحالِ.

وقيل: إذا سجَدوا قالوا: سبحانَ الله وبحمدِه.

﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن الإيمانِ به والسُّجودِ له، ولا يأنفون.

***

(١٦) - ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾.

﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ﴾ في سببِ النُّزولِ: قال مالكُ بنُ دينارٍ: سألتُ أنسَ بنَ مالكٍ رضي الله عنه عن هذه الآيةِ: فيمَن نزلَتْ؟ فقال: كان أناسٌ من أصحابِ رسولِ الله ﷺ يُصَلُّون من صلاةِ المغربِ إلى صلاةِ العشاءِ الآخرةِ، فأنزلَ الله فيهم هذه الآيةَ(١).

الحسنُ ومجاهدٌ: نزلَتْ في المُتهجِّدين(٢).

وقيل: فيمَن صلَّى العشاءَ الآخرةَ وصلاةَ الصُّبحِ في الجماعةِ(٣).

---

(١) رواه بإسناد صحيح أبو داود (١٣٢١) و(١٣٢٢)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٦١٠).

(٢) رواه أبو داود عن الحسن عقب الحديث (١٣٢١) بلفظ: «قيام الليل». ورواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٦١٢) عن مجاهد، وقد صح مرفوعًا عن النبيِّ عليه السلام تفسيرها بقيام العبد من الليل. رواه الترمذي (٢٦١٦) وصححه، والنسائي في «الكبرى» (١١٣٣٠)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٦١٤)، من حديث معاذ رضي الله عنه.

(٣) روى مسلم (٦٥٦) من حديث عثمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل، ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله».

ومعنى ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ﴾: ترتفعُ أضلاعُهم ﴿عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ الفُرُشِ، ومواضعِ النَّومِ.

والمَضْجَعُ: موضعُ النَّومِ.

وقيل: عن النَّومِ، والمَضجَعُ: النَّومُ أيضًا، تقولُ إذا وضَعَ جنبَه: ضجعَ ضَجْعًا وضُجوعًا.

والتَّجافي: التَّنحِّي إلى جهةِ الارتفاعِ.

وقيل: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ﴾ لذكرِ الله بالدُّعاءِ، وهو قولُه:

﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾: للخوفِ وللطَّمعِ، فهو مفعولٌ له.

وقيل: حالٌ؛ أي: خائفينَ طامعينَ، كقولِه: ﴿يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ [البقرة: ٢٦٠].

وقيل: مصدرٌ؛ أي: يخافون خَوفًا ويطمَعون طمعًا[١].

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾: يتصدَّقونَ، وقيل: يُزكُّونَ.

وقيل: يُنفِقون على عيالِهم.

* * *

(١٧) ـ ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ﴾ يُريدُ: منَ الذين تتجافى جنوبُهم، وقيل: منَ المجاهدين[٢].

﴿مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾؛ أي: لا يعلمُ أحدٌ ما يُعطي الله عبادَه المؤمنين ممَّا تقرُّ به عيونُهم منَ السُّرورِ والنِّعمِ؛ لأنَّه لا نهايةَ له ولا انقطاعَ، ومثلُه قولُه ﷺ حكايةً عن الله سبحانَه: «أعدَدْتُ لعباديَ الصَّالحين ما لا عينٌ رأت، ولا أذُنٌ سمعَتْ، ولا

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٠٧)، واستغربه.

(٢) كذا في النسختين، ولم أقف عليه.

خطرَ على قلبِ بشرٍ، بَلْهَ ما أَطْلَعْتُهم عليه»، ثمَّ قال: «اقرَؤوا إنْ شئتُم: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾»[(١)].

وفي بعضِ التَّفاسيرِ ذكرُ بيانِ شيءٍ مما أعدَّ لهم، وذلك بعيدٌ؛ لأنَّ الله تعالى يقولُ: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ ﴾، والنَّبيُّ ﷺ يقولُ: «ولا خطرَ على قلبِ بشرٍ».

﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾؛ أي: للجزاءِ على أعمالِـهم في الدُّنيا.

قولُه: ﴿مَّآ أُخْفِىَ﴾ ﴿مَّآ﴾ بمعنى: أيّ شيءٍ، ومحلُّه رفعٌ بالابتداءِ فيمَن قرأ: ﴿أُخْفِىَ﴾ بفتحِ الياء، ونصبٌ فيمَن قرأ: ﴿أُخْفِيْ﴾ بسكونِ الياءِ[(٢)]، و﴿تَعْلَمُ﴾ مُعلَّقٌ.

وقيل: ﴿مَّآ﴾ بمعنى: الذي، فيكونُ العلمُ بمعنى المعرفةِ[(٣)]، أو يكونُ المفعولُ الثّاني مُقدَّرًا[(٤)]، والوجهُ هو الأوَّلُ.

***

(١٨) ـ ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًاۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴾.

﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا﴾ في سببِ النُّزولِ: عن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما قال: قال الوليدُ بنُ عُقبةَ بنِ أبي مُعيطٍ لعليِّ بنِ أبي طالبٍ رضي الله عنه: أنا أحَدُّ منك سِنانًا، وأبسطُ منك لِسانًا، وأملأُ منك للكتيبةِ[(٥)]، فقال له عليٌّ

---

(١) رواه البخاري (٤٧٧٩)، ومسلم (٢٨٢٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) قرأ حمزة: (أخفيْ) بسكون الياء، والباقون بفتحها. انظر: «السبعة» (ص: ٥١٦)، و«التيسير» (ص: ١٧٧).

(٣) فينصب ﴿مَّآ﴾ على أنها مفعول به، ولا يحتاج على هذا القول إلى مفعول ثانٍ.

(٤) وتكون ﴿تَعْلَمُ﴾ على أصل معناها، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٠٧)، واستغربه.

(٥) في (ف): «وأملأ للكتيبة منك».

رضي الله عنه: اسكُتْ؛ فإنَّما أنتَ فاسقٌ، فنزلَتْ: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا﴾[(١)] يعني: عليًّا ﴿كَمَن كَانَ فَاسِقًا﴾ يعني: الوليدَ بنَ عُقبةَ.

ثمَّ قال: ﴿لَّا يَسْتَوُۥنَ﴾؛ لا في الدُّنيا ولا في الآخرةِ[(٢)].

وجُمِعَ لاطِّرادِ الحكمِ فيه، ولأنَّه غيرُ مصمودٍ بهما[(٣)]، ودخلَ ﴿كَانَ﴾ لأنَّه يَحْكي حالَ القيامةِ؛ أي: أفمَن كان بهذه الصِّفةِ في الدُّنيا.

***

(١٩ ـ ٢٠) ـ ﴿أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَىٰهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾.

﴿أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ الْمَأْوَىٰ﴾ يأوون إليها في الآخرةِ، ولا ينتقِلون عنها ﴿نُزُلًا﴾: منزلًا.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (١٠٤٣)، والآجري في «الشريعة» (١٥٩٢)، وابن عدي في «الكامل» (٦/ ١١٨)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (١٣/ ٣٢١)، من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، والكلبي متروك، وأبو صالح لم يسمع من ابن عباس، وهذا إسناد ساقط.
ورواه الأصفهاني في «الأغاني» (٥/ ١٥٣)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٤٩)، من طريق آخر عن ابن عباس رضي الله عنهما، وفيه محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى القاضي، وهو ضعيف.
وأورده عن ابن عباس أيضاً السمرقندي والثعلبي والواحدي والبغوي وابن عطية وابن الجوزي في تفاسيرهم، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٦٢٥)، وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٦/ ٥٥٣)، عن عطاء بن يسار مرسلاً.

(٢) في (ف): «العقبى».

(٣) أي: لم يُنصب هذا الحكم لعلي رضي الله عنه وعقبة دون غيرهما، والظاهر أنه يجب أن يقال: غير مصمود لهما؛ فقد قال الفراء في «معاني القرآن» (٢/ ٣٣٢): «وإذا كان الاثنان غير مصمود لهما ذهبا مذهب الجمع، تقول في الكلام: ما جعل الله المسلم كالكافر فلا تسوينَّ بينهم أو بينهما، وكلٌّ صواب»

الحسنُ وعطاءٌ: هو ما يُعَدُّ للنّازلِ(١).

﴿بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٩ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا﴾ قال الحسنُ: يرفعُهم لهبُ جهنَّم حتَّى يصيروا في أعلاها وكادَ يقذِفُهم، فيضربُهم الزَّبانيةُ فيرجِعوا في أسفلِها(٢).

قال القفَّالُ: ليس أنَّهم يقصِدون ولا يطمَعون، ولكنْ هو كما تقولُ: كلَّما أرادَ الحائطُ أن يقعَ دعَمْتُه.

﴿وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ وتقولون: لا جنَّةَ ولا نارَ.

***

(٢١) ـ ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾؛ أي: قبلَ العذابِ الأكبرِ.

والعذابُ الأدنى؛ قيل: القتلُ والسَّبْيُ.

وقيل: الجَدْبُ والقَحْطُ.

وقيل: المصائبُ والأمراضُ.

وقيل: الحدودُ.

---

(١) ذكره بهذا اللفظ دون نسبة الراغب في «المفردات» مادة: (ن ز ل) (ص: ٨٠٠)، والبغوي في «تفسيره» (٥/ ٢١٢)، وذكره ابن فورك في «تفسيره» (١/ ٤٧١) عن الحسن بلفظ: «عطاء نزوله».

(٢) رواه نعيم في زوائده على «الزهد» لابن المبارك (٣٣٩) من طريق رجل عن الحسن، وذكره يحيى بن سلام في «تفسيره» (١/ ٣٦٠)، وابن أبي زمنين في «تفسيره» (٢/ ٢٧).

وقيل: عذابُ القبرِ[1]، وهو ضعيفٌ في هذه الآيةِ؛ لقولِه: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾؛ فإنَّ الرُّجوعَ بعد الموتِ إلى الإيمانِ غيرُ مقبولٍ.

وقيل: يومُ بدرٍ.

والعذابُ الأكبرُ: النَّارُ.

وقيل: العذابُ الأدنى: غلاءُ الأسعارِ، والعذابُ الأكبرِ: خروجُ المهديِّ بالسَّيفِ، حكاه النَّقَّاشُ وغيرُه[2].

الحسنُ: ﴿مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ﴾: الشَّدائدِ ﴿دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾: الاستِئصالِ؛ فإنَّه لا يكونُ في هذه الأمَّةِ[3].

﴿لَعَلَّهُمْ﴾: لعلَّ مَن بقيَ ولم يُقتَلْ ﴿يَرْجِعُونَ﴾.

وقيل: لعلَّ المُعذَّبين بالعذابِ الأدنى سوى القتلِ يرجعون فيتوبونَ.

* * *

(٢٢) ـ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ﴾؛ أي: بالقرآنِ ﴿ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ﴾ فلم يتدبَّرْ فيها ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾؛ أي: لا ندعُ الانتقامَ ممَّن أشركَ باللهِ تمييزًا بين المُطيعِ والعاصي.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٠٨)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٠٧)، وعده من العجائب.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٠٧)، واستغربه. ولم أقف على تفسير ﴿ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾ بالاستئصال عن الحسن ولا عن غيره، وروى الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٦٢٩ و٦٣٣) من طريق قتادة عن الحسن: «﴿ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ﴾: مصيبات الدنيا ﴿دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾ يوم القيامة».
ورواه عنه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ ٢٨) بلفظ: «﴿ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ﴾: عقوبات الدنيا».

(٢٣) ـ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ يعني: التَّوراةَ ﴿فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ﴾: شكٍّ ﴿مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾؛ اختلفَ المُفسِّرون فيه:

فقيل: من لقاءِ موسى عليه السَّلامُ الكتابَ، وهذا ظاهرٌ.

وقيل: من لقائِكَ موسى ليلةَ الإسراءِ؛ فإنَّ ابنَ عبّاسٍ رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ «رأيتُ ليلةَ أُسرِيَ بي موسى بنَ عمرانَ رجلًا آدمَ طُوالًا جَعْدًا، كأنَّه من رجالِ شنوءةَ، ورأيتُ عيسى بنَ مريمَ رجلًا مربوعَ الخلقِ إلى الحمرةِ والبياضِ، سَبْطَ الرَّأسِ»[1].

وقيل: من لقاءِ موسى إيَّاك.

وقيل: تقديرُه: آتينا موسى الكتابَ فلقِيَ من قومِه شدائدَ، فلا تكُنْ في شكٍّ من لقاءِ مثلِه من قومِكَ[2].

وقيل: من لقاءِ موسى ربَّه، حكاه النَّقَّاشُ في «تفسيرِه»، وهذا مع قولِه: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف: ١٤٣] بعيدٌ؛ لإجماعِ المُفسِّرين على أنَّ المعنى: لن تراني في الدُّنيا، ولعلَّ النَّقَّاشَ أرادَ: فلا تكُنْ في مريةٍ من لقاءِ موسى ربَّه في الآخرةِ؛ أي: سيلقاه.

وقال صاحبُ «النَّظمِ»: هذا اعتراضٌ، وهو يرجعُ إلى أوائلِ السُّورةِ، وتقديرُه: ولقد آتينا موسى الكتابَ وجعلناه هدًى، وقولُه: ﴿فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾ مُتَّصلٌ

---

(١) رواه البخاري (٣٢٣٩)، ومسلم (١٦٥).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٠٨)، واستغربه.

بقولِه: ﴿بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ﴾ [السجدة: ١٠]؛ أي: فلا تكُنْ أنتَ في مريةٍ من لقائه[١].

﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ يعني: الكتابَ، وقيل: موسى.

* * *

(٢٤) - ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾.

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً﴾: هم علماؤُهم، وقيل: أنبياؤُهم.

﴿يَهْدُونَ﴾: يدلُّونَهم على الطَّريقِ المستقيمِ.

﴿بِأَمْرِنَا﴾؛ أي: بأمرِنا إيّاهم بذلك.

وقيل: ﴿بِأَمْرِنَا﴾: بدينِنا.

﴿لَمَّا صَبَرُوا۟﴾: حين صبَروا على الطَّاعةِ وعن المعصيةِ.

وقُرِئَ: ﴿لِمَا صَبَرُوا﴾[٢]؛ أي: لصبرِهم.

﴿وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: التَّوراةِ، وقيل: بالآياتِ التِّسعِ.

﴿يُوقِنُونَ﴾: يَعْلَمُونَها علمًا لا يُخالجُه شكٌّ.

* * *

(٢٥) - ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾؛ أي: يحكمُ بين الأنبياءِ وأُممِهم فيما اختلَفُوا.

وقيل: يفصلُ بين المؤمنين والمُشركين، فيُظهِرُ المُحِقَّ منَ المُبطِلِ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٠٨)، وعده من العجائب.

(٢) قرأ بها حمزة والكسائي، والباقون بالأولى. انظر: «السبعة» (ص: ٥١٦)، و«التيسير» (ص: ١٧٧).

وقيل: ﴿يَفْصِلُ﴾: يُفرِّقُ بين الكافرين والمؤمنين بالمنازلِ؛ فالمؤمنون في الجنَّةِ، والكافرون في النَّارِ.

***

(٢٦) - ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ﴾ فاعلُ ﴿يَهْدِ﴾ مُقدَّرٌ؛ أي: أوَلَـم يهدِ إهلاكُنا القرونَ الماضيةَ الذين يمشون هؤلاءِ[1] في مساكنِهم، والمعنى: لِـمَ لايعتبروا بإهلاكِهم، وهم يمشون في ديارِهم، ويرَون ما حلَّ بهم بسببِ كفرِهم؟ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ﴾: لدلالاتٍ ومواعظَ وزواجرَ ﴿أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ ما يُوعَظون فيرتدِعوا؟

و﴿كَمْ﴾ في الآيةِ لا يجوزُ أن يكونَ فاعلَ ﴿يَهْدِ﴾ ولا مفعولَه؛ لأنَّ ﴿كَمْ﴾ للاستفهامِ، والاستفهامُ لا يعملُ فيه ما قبلَه، بل يعملُ فيه ما بعدَه، ومحلُّه في الآيةِ نصبٌ بـ﴿أَهْلَكْنَا﴾. ويحتمِلُ أن يكونَ ﴿يَهْدِ﴾ بمعنى: يُعلِمُ، ويُدري، ويُري، فيكونُ الفاعلُ مُضمَرًا يعودُ إلى الله، كقراءةِ مَن قرأ (نَهْدِ) بالنُّونِ[2]، ثمَّ يكونُ مُعلَّقًا.

واللامُ في ﴿لَهُمْ﴾ زيادةٌ.

---

(١) كذا في النسختين، والمراد: يمشي هؤلاء.

(٢) نسبت لعلي وابن عباس والسلمي. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١١٩). وهي رواية أبي عبد الرحمن السلمي وقتادة وأبي زيد عن يعقوب كما في «تفسير القرطبي» (١٤/ ١١٠).

وذكر المصنف هذا القول في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٠٨)، واستغربه، وفيه: «الغريب: فاعله (الله) بدليل قراءة يعقوب: (نَهدِ) بالنون، و(كم) نصب بـ(أهلكنا) ولا ترتفع بالفعل ألبتة؛ لأن الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله». وقال قبله: «فاعل ﴿يَهْدِ﴾: أهلكنا، ودل عليه فعله». كذا وقع، ولعله: (إهلاكُنا).

(٢٧) - ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَـٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾.

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ ﴾ الماءُ: ماءُ المطرِ.

وقيل: ماءُ الأنهارِ.

والأرضُ الجرُزُ: اليابسةُ التي لا نباتَ بها، من قولِهم: رجلٌ جَروزٌ: يأكلُ كلَّ شيءٍ، وسيفٌ جُرازٌ: يقطعُ كلَّ شيءٍ.

﴿فَنُخْرِجُ بِهِۦ﴾: بالماءِ، ويحتمِلُ: بالمكانِ[1].

﴿زَرْعًا﴾: نباتًا، وقيل: نباتًا وأشجارًا.

﴿تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَـٰمُهُمْ﴾ التِّبْنَ، والورقَ، والحشيشَ.

﴿وَأَنفُسُهُمْ﴾ الحبَّ والتَّمرَ، وحُرَّ البقلِ.

﴿أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ بأعيُنِهم، فيستدلُّوا به على قُدرتِه على إحياءِ الموتى.

وقيل: الأرضُ الجرُزُ: اسمُ موضعٍ بعينِه.

وقيل: هي اليمنُ.

وقيل: هي ما لا يصلُ إليه ماءُ النَّهرِ، فيسوقُ الله إليه المطرَ.

وقيل: لا يكفيه المطرُ، فيسوقُ الله إليه السَّيلَ.

ويحتمِلُ: أنَّها التي انقطعَ نباتُها في الشِّتاءِ، فإذا أصابَها مطرُ الرَّبيعِ نبتَ.

* * *

---

(١) في (ف): «المكان».

(٢٨ ـ ٢٩) ـ ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ۝٢٨ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَـٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ الفرَّاءُ: فتحُ مكّةَ[1]؛ وذلك أنَّ المؤمنين كانوا يَعِدُونَ المُشركين ذلك، فقالوا استهزاءً: ﴿مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْفَتْحُ﴾ فأنزلَ الله:

﴿قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَـٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ في أكثرِ التَّفاسيرِ: أنَّها نزلَتْ في قومٍ قتلَهم خالدُ بنُ الوليدِ يومَ فتحِ مكّةَ[2]، فيكون خاصًّا في ذلك القومِ؛ لأنَّ أكثرَ أهلِ مكّةَ آمنوا فنفعَهم إيمانُهم.

وقيل: المرادُ بالفتحِ: الفَصْلُ والقضاءُ يومَ القيامةِ؛ لأنَّهم كانوا يستهزِئونَ بذكرِه، ويُنكِرونَه فأنزَلَ الله: ﴿قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَـٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ لأنَّهم مُضطرُّون فلا يستحِقُّونَ به ثوابًا.

الزَّجَّاجُ: أنَّ أصحابَ رسول الله ﷺ قالوا: يوشكُ أن يكونَ لنا يومٌ نستريحُ فيه،

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٣٣).

(٢) ذكر المفسرون قصة مفادها: أن رسول الله ﷺ لما فتح مكة تحصَّن بنو جَذِيمة على أعلى جبل، فأرسل إليهم خالد بن الوليد يستنزلهم، فقالوا: قد أسلمنا، قال: فانزلوا إن أسلمتم، فنزلوا فوضع فيهم السيف فقتلهم؛ لأنهم كانوا قتلوا عوفًا أبا عبد الرحمن بن عوف وجدًّا لِخالد قبل ذَلِكَ. وليس في هذا شيء يصح، وخالد رضي الله عنه منزه عن أن يقتل قوماً بعد أن أعلنوا إسلامهم، أو يتعامل بإحن الجاهلية بعد إذ أكرمه الله بالإسلام، ويرده أيضاً ما رواه البخاري (٤٣٣٩) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «بَعَثَ النَّبيُّ ﷺ خالدَ بنَ الوليد إلى بني جَذِيمةَ، فدعاهم إلى الإسلام، فلم يُحْسِنوا أنْ يَقولوا: أسلَمْنا، فجعلوا يقولون: صَبَأْنا صَبَأْنا، فجَعَل خالدٌ يَقتلُ منهم ويأسِرُ...» الحديث. فهم قالوا: صبأنا، ولم يقولوا: أسلمنا، فقتلوا؛ لأن ما أشهروه هو الكفر في الظاهر، لا الإسلام كما في ذاك الخبر.

فقال المُشركون: متى هذا الفتحُ؟ فأعلَمَ الله أنَّ الراحةَ في الجنَّةِ في الآخرةِ[١].

* * *

(٣٠) ـ ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴾.

﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾: عن مُشركي قريشٍ بمكّةَ.

والآيةُ منسوخةٌ بآيةِ السَّيفِ في (براءة)[٢].

وقيل: معناه: تَغافَلْ عن قولِـهم: متى هذا الفتحُ؟

وقيل: أعرِضْ عنهم بالهجرةِ.

﴿وَٱنتَظِرْ﴾ أمرَنا بالجهادِ.

وقيل: ﴿انتظر﴾ نصرَنا.

وقيل: ﴿انتظر﴾ هلاكَهم.

وقيل: ﴿انتظر﴾ الفرصةَ فيهم.

﴿إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴾ الفرصةَ فيك.

وقيل: ﴿مُّنتَظِرُونَ ﴾ الموتَ.

وقيل: ﴿مُّنتَظِرُونَ ﴾ موتَكَ.

وقيل: ﴿إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴾ لأنَّ الفتحَ مُتيقَّنٌ، فيقعُ بهم وقوعَ المُنتظِرِ. والله أعلَمُ.

* * *

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٢١٢).

(٢) رواه يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٦٩٦) عن قتادة، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٦٢٢) عن ابن عباس.

سُورَةُ الأَحْزَابِ

سُورَةُ الأَحْزَابِ

ثلاثٌ وسبعونَ آيةً[1]، مدنيَّةٌ بالإجماعِ.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ في سببِ النُّزولِ: أنَّها نزلَتْ في أبي سفيانَ، وعِكرمةَ بنِ أبي جهلٍ، وأبي الأعورِ السُّلَميِّ، قدِموا المدينةَ بعد قتالِ أُحُدٍ فنزلوا على عبدِ الله بنِ أُبيٍّ، وقد أعطاهم النَّبيُّ ﷺ الأمانَ على أن يُكلِّموه، فقامَ معهم عبدُ الله بنُ سعدِ بنِ أبي سَرْحٍ، وطُعمةُ بنُ أُبيرِقٍ، فقالوا للنَّبيِّ ﷺ وعنده عمرُ ابنُ الخطَّابِ: ارفُضْ ذكرَ آلهتِنا اللَّاتِ والعُزَّى ومناةَ، وقُل: إنَّ لها شفاعةً وشُفعَةً لمَن عبدَها، ونَدَعُكَ وربَّك.

وشقَّ على النَّبيِّ ﷺ قولُهم، فقال عمرُ رضي الله عنه: ائذَنْ لنا يا رسولَ الله في قتلِهم، فقال: «إنِّي أعطيتُهم الأمانَ»، فقال عمرُ رضي الله عنه: اخرُجوا في لعنةِ الله وغضبِه. وأُمرَ رسولُ الله ﷺ أن يُخرِجَهم منَ المدينةِ، وأنزلَ الله هذه الآيةَ[2].

---

(١) «ثلاث وسبعون آية»: ليس في (ف).

(٢) ذكره دون سند مقاتل في «تفسيره» (٣/ ٥٠٠)، والفراء في «معاني القرآن» (٢/ ٣٣٤)، والماتريدي =

والمعنى: اتَّقِ الله في نَقضِ العهدِ.

الزَّجَّاجُ: اثبُتْ على تقوى الله ودُمْ عليها(١).

وقيل: معناه: اتَّقِ الله وحدَه.

وقيل: الخطابُ للنَّبيِّ والمُرادُ به أمَّتُه، ولهذا قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ بالجمعِ.

﴿وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ من أهلِ مكّةَ ﴿وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾ من أهلِ المدينةِ، فيما يسألونَك منَ الرِّفقِ بهم، ولا في غيرِه.

وقيل: ولا تُطِعهم في إبعادِ الفقراءِ عنك ليُجالسوك.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بما يكونُ قبل كونِه ﴿حَكِيمًا﴾ بخَلْقِه قبل خَلْقِه.

* * *

(٢) ـ ﴿وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا﴾.

﴿وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾ يعني: أمْرَه؛ ﴿ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾، ونهيَه؛ ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾.

وقيل: واتَّبِعْ أحكامَ الله التي يُوحيها إليك دون أحكامِ الجاهليَّةِ منَ الظِّهارِ والتَّبنِّي.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا﴾: لم يزَلْ عالمًا بأعمالِهم وأعمالِكم.

= في «تأويلات أهل السنة» (٨/ ٣٤٧)، والثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ٣١٤)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٥١). وقال الحافظ في «الكافي الشاف» (ص: ١٣٢): «هكذا ذكره الثعلبي والواحدي بغير سند».

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٢١٣).

(٣) ـ ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾.

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾: فوِّضْ أمورَكَ إليه، ولا تخفِ الكفَّارَ ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾: حسبُكَ بالله قائمًا بأمورِكَ.

***

(٤) ـ ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴾.

﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ﴾ في سببِ النُّزولِ: أنَّها نزلَتْ في جميلِ ابنِ مَعْمَرٍ الفِهريِّ، وكان رجلًا لبيبًا، حافظًا لِـمَا يَسمعُ، فقالت قُريشٌ: ما حفِظَ هذه الأشياءَ إلَّا وله قلبانِ، وكان يقولُ: إنَّ لي قلبَين؛ أعقِلُ بكلِّ واحدٍ منهما أفضلَ من عقلِ محمَّدٍ.

فلمَّا كان يومُ بدرٍ وهُزِمَ المُشركون وفيهم جميلُ بنُ مَعْمَرٍ تلقَّاه أبو سفيانَ وهو مُعلِّقٌ إحدَى نعلَيه بيدِه والأخرى في رجلِه، فقال: يا مَعْمَرُ ما حالُ النّاسِ؟ قال: انهزَمُوا. قال: فما بالُكَ إحدَى نعلَيكَ في يدِكَ والأُخرَى في رِجلِك؟ فقال: ما شعرتُ إلا أنَّهما في رِجلي، فعرفوا يومئذٍ أنَّه لو كان له قلبانِ لَـمَا نسيَ نعلَه في يدِه(١).

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٤٧١ ـ ٤٧٢)، و«تأويلات أهل السنة» (٨/ ٣٤٩)، و«تفسير الثعلبي» (٨/ ٦)، و«النكت والعيون» (٤/ ٣٧٠ ـ ٣٧١)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٣٥١)، و«التيسير في التفسير» لأبي حفص النسفي عند هذه الآية، وهو جميل بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح القرشي، وهو من مسلمة الفتح. انظر: «الاستيعاب» (١/ ٢٤٧)، و«أسد الغابة» (١/ ٤٣٣)، و«الإصابة» (١/ ٥٠٠).

قال الزَّجَّاجُ: قال ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: إنَّ رسولَ الله ﷺ صلَّى فسَها كما يسهو الرَّجلُ في صلاتِه، وخطرَتْ على بالِه كلمةٌ، فقال المُنافقون: إنَّ له قلبَين؛ قلبًا معكم، وقلبًا مع أصحابِه(١).

قال الزَّجّاجُ: وجاء في التَّفسيرِ أيضًا: أنَّ عبدَ الله بنَ خَطَلٍ كانت تُسمِّيه قُريشٌ ذا القلبَين، ثمَّ ذَكَرَ عنه ما ذُكِرَ عن جميلِ بنِ مَعْمَرٍ(٢).

وقيل: جميلُ بنُ أسدٍ(٣).

وقيل: الحارثُ بنُ فِهْرٍ.

وقيل: مَعْمَرُ بنُ أسدٍ.

وقيل: هذا تكذيبٌ للمُنافقين في قولِهم للمُؤمنين: آمنّا بالله ونحنُ معكم، ثمَّ إذا خلَوا إلى شياطينِهم قالوا: إنّا معكم؛ أي: لا يجتمعُ قلبانِ؛ قلبٌ مؤمنٌ وقلبٌ كافرٌ.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٢١٣)، والحديث رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٤١٠)، والترمذي (٣١٩٩) وحسنه، وابن خزيمة في «صحيحه» (٨٦٥)، والطبري في «تفسيره» (١٩/ ٧)، والحاكم في «المستدرك» (٣٥٥٥)، والضياء في «المختارة» (٩/ ٥٣٩ـ٥٤٢)، عن قابوس بن أبي ظبيان أن أباه حدثه قال: قلنا لابن عباس: أرأيت قول الله: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ﴾ ما عنى بذلك؟ قال: قام رسول الله ﷺ يوماً يصلي، فخطر خطرة، فقال المنافقون الذين يصلون معه: إن له قلبين: قلباً معكم، وقلباً معهم ـ وعند ابن خزيمة: وقلباً مع أصحابه ـ فأنزل الله: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ﴾، قال الحاكم: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه» فتعقبه الذهبي بقوله: «قابوس ضعيف».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٢١٣).

(٣) رواه ابن بشكوال في «غوامض الأسماء المبهمة» (٢/ ٧٠٥) من طريق محمد بن مروان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما. ومحمد بن مروان هو السدي الصغير كذاب، والكلبي متروك، وأبو صالح لم يسمع من ابن عباس.

الحسنُ: كان رجلٌ يقولُ: لي نفسٌ تأمُرُني، ونفسٌ تنهاني، فنزلَتْ هذه الآيةُ[١].

وذهب جماعةٌ منَ المُفسِّرين إلى أنَّ هذا نهيٌ عن التَّبنِّي، وتسميةِ زيدٍ ابنَ رسولِ الله ﷺ؛ فإنَّ المولودَ إذا استقرَّتِ النُّطفةُ في الرَّحمِ صارَ له قلبٌ، فلا يجوزُ أن يصيرَ له قلبٌ آخرُ بالنُّطفةِ الدّاخلةِ عليه بالوطءِ الثَّاني، فإذا لم يجُزْ ذلك فهو كصاحبِ[٢] القلبِ، فلا يكونُ لرجلٍ واحدٍ قلبانِ ولا أبوانِ ولا أُمَّانِ، فانتظَمَتِ الآيةُ على هذه الثَّلاثةِ، وهو قولُه: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ﴾، ﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ﴾ حكاه القفَّالُ، وقال: حكى الشَّافعيُّ رحمه الله هذا التَّأويلَ عن بعضِ المُفسِّرين، وهو قولُ الزُّهريِّ ومُقاتلِ بنِ حيَّانَ[٣].

وقيل: مُتَّصلٌ بقولِه: ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾؛ فإنَّ طاعتَهما لا تجتمِعُ مع الإيمانِ في قلبٍ واحدٍ، كما تقولُ: سيفانِ لا يجتمعانِ في غِمْدٍ واحدٍ.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٣١٢)، والطبري في «تفسيره» (١٩/ ٧).

(٢) في (ف): «لصاحب».

(٣) انظر: «تفسير الشافعي» (٣/ ١١٨٢)، و«أحكام القرآن للشافعي» جمع البيهقي (٢/ ١٥٦)، وفيه: «عن الشافعي أنه قال: زعم بعض أهل التفسير: أن قول الله جل ثناؤه: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ﴾: ما جعل لرجل من أبوين في الإسلام. قال الشافعي: واستدل بسياق الآية: قوله تعالى: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ قال الشيخ (يعني: البيهقي): قد روينا هذا عن مقاتل بن حيان وروي عن الزهري».

ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٣١٠)، والطبري في «تفسيره» (١٩/ ٩) عن الزهري بلفظ: «بلغنا أنه كان في شأن زيد بن حارثة، ضرب له مثلًا، يقول: ليس ابنُ رجل آخر ابنَك»، لكن قال النحاس في «معاني القرآن» (٥/ ٣١٩): «قول ضعيف لا يصح في اللغة، وهو من منقطعات الزهري»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩١٠)، وعده من العجائب.

وقيل: أعلَمَ اللهُ بذلك أنَّ النّاسَ سواءٌ فيما تُعلَمُ به الأشياءُ، وأنَّ الله لـم يجعَلْ لأحدٍ قلبًا يَعلَمُ به البواطنَ والغُيوبَ وحرَمَه آخرَ، بل جعلَ لكلٍّ واحدٍ قلبًا واحدًا، فهم في الاستدلالِ والمعرفةِ سواءٌ؛ ليُكذِّبوا مَن ادَّعى الغُيوبَ وعِلمَ الغيبِ منَ السَّحرةِ والكَهَنةِ وغيرِهم.

وقيل: هذا ردٌّ على مَن قال: إنَّ لمُحمَّدٍ قلبَين، فلهذا علِمَ ما لـم يعلَمْه غيرُه؛ يقصِدون بهذا الكلامِ تشكيكَ الضَّعفةِ في نُبوَّتِه، ويُوهِمُونَهم أنَّه إنَّما أتى بما عجزَ عنه غيرُه لأنَّ له قلبَين، فكذَّبَهم الله وقال: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ﴾، وهو داخلُه الذي يكونُ فيه القلبُ ونحوُه منَ الأحشاءِ[1].

ودخلَ ﴿مِّن﴾ لعمومِ النَّفي.

﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ نزلَتْ في أوسِ بنِ الصَّامتِ وامرأتِه خولةَ بنتِ ثعلبةَ، وسيأتي في سورةِ (المُجادلةِ) إن شاءَ الله.

وكان من طلاقِ الجاهليَّةِ أن يقولَ الرَّجلُ لامرأتِه: أنتِ عليَّ كظهرِ أمِّي، فرَدَّ الله ذلك، وأوجبَ الكفَّارةَ على مَن قال ذلك، والمرأةُ زوجتُه كما كانت.

و﴿اللَّائِي﴾ فيها ثلاثُ لغاتٍ؛ بياءٍ بعد الهمزةِ، وبالهمزةِ وحدَها، وبتليينِ الهمزةِ[2]، قال الشّاعرُ[3]:

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٠٩)، واستغربه.

(٢) قرأ قالون وقنبل بالهمز من غير ياء، وورش بياء مختلسة بدلًا من الهمزة وإذا وقف صيرها ياء ساكنة، والبزي وأبو عمرو بياء ساكنة بدلاً من الهمزة في الحالين، والباقون بالهمز وياء بعدها في الحالين. انظر: «السبعة» (ص: ٥١٨)، و«التيسير» (ص: ١٧٧ ـ ١٧٨).

(٣) «الشاعر»: ليس في (ف).

مـنَ اللّاءِ لـم يحْجُجْنَ يبغيـنَ حِسْبَةً ولـكــنْ ليَـقْــتُلْنَ البـريءَ المُغَفَّلا[١]

وفـي الظِّهـارِ لغاتٌ: ظاهَـرَ، وتظاهَـرَ، وتظَهَّـرَ[٢]، واشـتِقاقُه مـنَ (الظَّهْرِ) في قولِـهم: أنـتِ عليَّ كظَهْـرِ أمِّي.

﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ﴾ جمعُ دَعِيٍّ، فعيلٌ بمعنى مفعولٍ، وكانت العربُ في الجاهليّةِ إذا رأى واحدٌ منهم فتًى أديبًا شُجاعًا ذا كفايةٍ ادَّعاه ابنًا فنُسِبَ إليه، وإذا ماتَ ورِثَه أسوةً بسائرِ أولادِه، فنهى الله عن ذلك.

وفي سببِ النُّزولِ: أنَّها نزلَتْ في زيدِ بنِ الحارثةِ، وكان من بطنٍ من كنانةَ، سُبِيَ في صِغَرِه فصارَ عبدًا لخديجةَ رضي الله عنها، فوهبَتْه لرسولِ الله ﷺ فصارَ عبدًا لرسولِ الله ﷺ، فأعتقَه وتبنَّاه قبل الوحيِ، فلمَّا تزوَّجَ النَّبيُّ ﷺ زينبَ بنتَ جحشٍ وكانت تحتَ زيدٍ، قال المنافقون: تزوَّجَ محمَّدٌ امرأةَ ابنِه وهو ينهَى النّاسَ عنها، فأنزَلَ اللهُ هذه الآياتِ[٣].

---

(١) البيت لعمر بن أبي ربيعة كما في «مجاز القرآن» (١/ ١٢٠).

ولهذيل الأشجعي كما في «الممتع في صناعة الشعر» (ص: ٣٣٥).

وللحارث بن ربيعة كما في «ربيع الأبرار» (٢/ ٢٩٨).

وللعرجي - وهو عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان - كما في «التمهيد» لابن عبد البر (٢٠/ ٢٢٧)، وهو في «ديوان العرجي» (ص: ٧٤).

وتمثلت به عائشة بنت طلحة كما في «العقد الفريد» (٧/ ١١٨).

(٢) قرأ عاصم: ﴿تظاهرون﴾ بضم التاء وتخفيف الظاء وألف بعدها وكسر الهاء، وابن عامر بفتح التاء والهاء وتشديد الظاء وألف بعدها، وحمزة والكسائي كذلك إلا أنهما يخففان الظاء، والباقون بفتح التاء وتشديد الظاء والهاء من غير ألف. انظر: «السبعة» (ص: ٥١٩)، و«التيسير» (ص: ١٧٨).

(٣) ذكره مقاتل في «تفسيره» (٣/ ٤٧٢)، والثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ٣١٩)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٥٢).

﴿ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ﴾: لا حقيقةَ له كما يقولُ النَّائمُ والهاذي، يوجدُ على الفمِ ولا حقيقةَ له؛ لأنَّ الابنَ يكونُ بالولادةِ، وكذلك الأمُّ لا تكونُ إلّا بالولادةِ.

﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ﴾؛ أي: اللهُ يقولُ ما يجبُ أن يُقالَ.

وقيل: معناه: ما يقولُه الله في هذا وغيرِه هو الحقُّ الواجبُ الذي مَن عدَلَ عنه كان مُبطِلًا.

﴿وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾: الطَّريقَ المُؤدِّي إلى الفلاحِ.

***

(٥) ـ ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

﴿ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ﴾: انسُبوهم إلى آبائِهم.

في سببِ النُّزولِ: عن ابنِ عمرَ رضي الله عنهما: أنَّه كان يقولُ: ما كنَّا ندعو زيدَ بنَ حارثةَ إلا زيدَ بنَ محمَّدٍ، حتَّى نزلَ في القرآنِ: ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ﴾[1].

﴿هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: أصدَقُ في القولِ وأعدَلُ، منَ (القِسْطِ) ـ وهو العدلُ ـ مصدرُ فِعلٍ لا يُستعملُ إلَّا بزيادةِ الألفِ، ولفظُ التَّفضيلِ فيه كقولِه: ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٤][2].

وصار هذا ناسخًا لِمَا كانوا عليه منَ التَّبنِّي.

---

(١) رواه البخاري (٤٧٨٢)، ومسلم (٢٤٢٥).

(٢) فيقال: أحسن إقساطاً، من الفعل (أقسط) بمعنى: عدل، أما الفعل (قسط) بمعنى: عدل، فهو غير مستعمل في رأي المصنف، وقد تقدم كلام للمصنف على هذا والتعليق عليه في تفسير قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

﴿فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾؛ أي: فهم إخوانُكم في الدِّينِ.

﴿وَمَوَٰلِيكُمْ﴾؛ أي: وبنو الأعمامِ؛ فإنَّ للدِّينِ لُحْمةً كلُحْمةِ النَّسبِ.

وقيل: ﴿مواليكم﴾ إذا كانوا مُعْتَقِين.

وقيل: ﴿فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ﴾ في الدِّينِ، فسمُّوهم بأسماءِ العربِ؛ عبدِ الله، وعبدِ الرَّحمنِ؛ أي: مَن كان له أبٌ نُسِبَ إلى أبيه، ومَن لم يكُنْ له أبٌ نُسِبَ إلى مواليه، ومَن فقدَهما نُسِبَ إلى عُبودةِ الله وأديانِهم وصناعاتِهم.

﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ﴾؛ أي: سهَوْتُم فنسبْتُم إلى غيرِ أبيه.

الزَّجَّاجُ: يجوزُ أن يكونَ المُرادُ: لاجُناحَ عليك أن تقولَ له: يا بُنيَّ[1].

﴿وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾؛ أي: ولكنَّ الجُناحَ عليكم فيما تعمَّدَتْ قلوبُكم، فقصدتُم النِّسبةَ إلى غيرِ الأبِ وخالَفْتُم أمرَ الله.

وقيل: ﴿فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ﴾ قبل النَّهيِ، و﴿مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ بعد النَّهيِ.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ للمُخطِئِ ﴿رَّحِيمًا﴾ في رُخصتِه.

* * *

(٦) ـ ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا﴾.

﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ معنى ﴿أَوْلَىٰ﴾: أحقُّ؛ أي: حُكمُه أنفذُ عليهم من حُكمِهم على أنفُسِهم.

وقيل: أحقُّ بتدبير المؤمنين في أمور دِيْنِهم.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٢١٥).

وقيل: أولى بهم من بعضِهم لبعضٍ، كقولِه: ﴿فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ [النور: ٦١]؛ أي: بعضِكم على بعضٍ.

وذكر النَّقَّاشُ في «تفسيرِه»: أنَّ سببَ نزولِ هذه الآية أنَّ النَّبيَّ ﷺ لـمَّا أرادَ غزوةَ تبوكَ وأمرَ النَّاسَ بالخروجِ قال قومٌ: نستأذنُ آباءَنا وأمَّهاتِنا، فأنزلَ الله فيهم هذه الآيةَ(١).

قال القفَّالُ رحمه الله: للآيةِ وجهٌ آخرُ، وهو: ما روى مَعمرٌ عن الزُّهريِّ عن أبي هريرةَ رضي الله عنه في قولِه: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾: أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يقولُ: «أنا أولى بكلِّ مؤمنٍ من نفسِه، فأيُّما رجلٍ ماتَ وتركَ دَينًا فإليَّ، وإنْ تركَ مالًا فهو لورثتِه»(٢).

﴿وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡ﴾؛ أي: مُنزَّلاتٌ منزلةَ الأمَّهاتِ في التَّحريمِ والحُرْمَةِ، وليس يريد في الإرثِ ولزومِ النَّفقةِ.

واختلفوا فيمَن طلَّقَها النَّبيُّ ﷺ في حياتِه.

وفي بعضِ المصاحفِ: (وهو لهم أبٌ)(٣).

ورُوِيَ أنَّ عمرَ رضي الله عنه مرَّ بغلامٍ وهو يقرأُ: (وهو لهم أبٌ) فقال للغلام: حُكَّه منَ المُصحفِ، قال: هذا مصحفُ أُبيٍّ، فقال: ما هذا يا أُبيُّ؟ قال: كنتُ أشدَّ اشتغالًا منك بالقرآنِ(٤).

وكذلك قرأ ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما(٥).

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٣٧٣).

(٢) رواه البخاري (٢٣٩٩)، ومسلم (١٦١٩)، وليس عند مسلم ذكر الآية.

(٣) رويت عن أبي وابن عباس رضي الله عنهم كما سيأتي، وعن ابن مسعود رضي الله عنه كما في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٣٥).

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٣١٧)، وابن شبة في «تاريخ المدينة» (٢/ ٧٠٨).

(٥) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٥٥٦)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٣٤٢٠)، وصححه الحاكم، فتعقبه الذهبي بقوله «بل طلحة ساقط».

وذكرتِ الأئمّةُ أنَّ سورةَ (الأحزابِ) كانت تُعادِلُ سورةَ (البقرةِ)، وفيها آيةُ الرَّجمِ(١).

﴿وَأُوْلُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ﴾: وذوو القراباتِ ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾؛ أي: في التَّوارُثِ، وكانوا يتوارَثون بالهجرةِ والإسلامِ والحِلْفِ والمُؤاخاةِ، من قولِه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَـٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟﴾ [الأنفال: ٧٢]، فنُسِخَ ذلك بهذه الآيةِ، وقد سبق(٢).

وقولُه: ﴿فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ﴾ يريدُ(٣) آيةَ المواريثِ.

وقيل: في حكمِ الله.

﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ﴾ المُؤمنون في هذه الآيةِ الأنصارُ؛ وكانت المُؤاخاةُ بين المُهاجرين والأنصارِ، فتكونُ ﴿مِنَ﴾ للتَّفضيلِ(٤).

وقيل: فيه تقديمٌ وتأخيرٌ، تقديرُه: وأولو الأرحامِ منَ المُؤمنين والمُهاجرين بعضُهم أولى ببعضٍ ممَّن لم يُؤمِنْ ولم يُهاجِرْ، فتكونُ ﴿مِنَ﴾ للتَّبيينِ(٥). وقيل: صلةٌ(٦).

﴿إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا﴾ في حياتِكم، أو وصيَّةً بالثُّلُثِ.

وذهبَ الحسنُ إلى أنَّ هذا في النَّسبِ وإنْ كان من أهلِ الشِّركِ جوَّزَ أن يوصيَ لهم(٧)، وزيَّفَه أكثرُ المُفسِّرين.

---

(١) رواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ٣٢٠)، وعبد الله بن أحمد في زوائده على «المسند» (٢١٢٠٧)، والنسائي في «الكبرى» (٧١١٢) عن أبي بن كعب رضي الله عنه قوله.

(٢) في تفسير قوله تعالى: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٢]. وانظر: «الناسخ والمنسوخ» لابن سلام (ص: ٢٢٤)، وللنحاس (ص: ٣٣٣ و٤٧٤).

(٣) في (ف): «يعني».

(٤) يعني أنها متصلة باسم التفضيل ﴿أَوْلَىٰ﴾.

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩١٠)، واستغربه.

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩١٠)، وعده من العجائب.

(٧) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٣١٨) بلفظ: «إلا أن يكون لك ذو قرابة ليس على دينك فتوصي =

﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾: في القرآنِ.

وقيل: في اللَّوحِ المحفوظِ.

وقيل: في التَّوراةِ.

﴿مَسۡطُورٗا﴾: مكتوبًا؛ لأنَّ في التوراةِ: إذا نزلَ رجلٌ بقومٍ من أهلِ دينِه فعليهم أن يُكرِموه ويُواسوه، وميراثُه لذَوي قرابتِه.

* * *

(٧) - ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا﴾.

﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ﴾ القفَّالُ: مسطورًا حينَ أخذْنا[١].

الزَّجَّاجُ: واذكُرْ إذ أخَذْنا منَ النَّبيِّين[٢].

﴿مِيثَٰقَهُمۡ﴾: عُهودَهم على تبليغِ الرِّسالةِ، والوفاءِ بها، وتصديقِ بعضِهم بعضًا، وتبشيرِ بعضِهم ببعضٍ.

﴿وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ﴾ قَدَّمَ نبيَّنا تعظيمًا وتبجيلًا.

وقيل: لأنَّ الواوَ لا يوجبُ ترتيبًا، ولأنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «كنتُ أوَّلَهم في الخَلْقِ وآخِرَهم في البعثِ»[٣].

= له بالشيء من مالك، فهو وليك في النسب، وليس وليك في الدين».

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩١٠)، واستغربه.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٢١٦).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٢٣) عن قتادة مرسلاً، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣١١٦)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٢٦٦٢)، وتمام في «فوائده» (١٠٠٣)، والثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ٣٣٢) من طريق سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة رضي الله =

وقيل: خصَّهُما بالذِّكرِ لأنَّ نوحًا أوَّلُهم بعد الغرَقِ، ومحمدًا ﷺ آخرُهُم.

﴿وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ خَصَّهم بالذِّكرِ لأنَّهم كانوا أصحابَ الشَّرائعِ من بينِهم، وغيرُهم منَ الأنبياء فيها تبعٌ لهم.

﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾: مُؤكَّدًا باليمينِ، وأعاد ذكرَ الميثاقِ لانضمامِ الوصفِ إليه.

* * *

(٨) ـ ﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾: الأنبياءَ ﴿عَن صِدْقِهِمْ﴾؛ أي: عمَّا قالوه لقومِهم.

ويحتمِلُ أنَّ الصِّدقَ بمعنى: التَّصديقِ؛ أي: عن تصديقِ قومِهم إيَّاهم، كما جاء في الأُخرى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٩]، والسُّؤالُ توبيخٌ لمَن كذَّبَهم(١).

وقيل: ليس هناك سؤالٌ، إنَّما المُرادُ: أن يُحاسَبَ الصَّادقُ والكاذبُ، فيُجازَى كلٌّ بما كسبَ(٢).

﴿وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ في القبرِ والقيامةِ.

ولامُ ﴿لِّيَسْـَٔلَ﴾ مُتَّصلٌ بالأخذِ.

* * *

= عنه. قال ابن كثير في «تفسيره» (٦/ ٣٤٢): «سعيد بن بشير فيه ضعف، وقد رواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة مرسلًا، وهو أشبه، ورواه بعضهم عن قتادة موقوفًا».

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩١١)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩١١)، وعده من العجائب.

(٩) ـ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾: ما منَّ به عليكم.

﴿إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ ﴾ منَ المشركين؛ يعني: الأحزابَ، وهم قريشٌ وغَطَفانُ، وظاهَرَهم أهلُ الكتابِ من بني قُريظةَ والنَّضيرِ، فحاصروا المسلمين أيَّامَ الخندقِ.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ الصَّبا؛ قلَعَتْ خيامَهم، وأكفأَتْ قُدورَهم، فلم يُمكِنْهم القَرارُ في مواضِعِهم، وكانت تلك الرِّيحُ مُعجزةً لرسولِ الله ﷺ؛ لأنَّه لم يكُنْ بينَ العسكرَين إلّا مقدارٌ يسيرٌ يرى فيه بعضُهم بعضًا، فأنزلَ اللهُ على الكافرين ريحًا باردةً شغلَتْهم بأنفُسِهم، وقلعَتْ أخبيتَهم وأبنيتَهم، وكان رسولُ الله ﷺ وأهلُ عسكرِه من ذلك في عافيةٍ.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من حفرِ الخندقِ؛ إنْ قُرِئَتْ بالتّاءِ، وبما يعملُ المشركون وجنودُهم منَ المُحاربةِ؛ إنْ قُرِئَتْ بالياءِ[1].

﴿بَصِيرًا ﴾: عالِـمًا.

* * *

(١٠) ـ ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴾.

﴿ إِذْ جَآءُوكُم ﴾ بدلٌ من: ﴿إِذْ جَآءَتْكُمْ﴾.

﴿مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ ﴾؛ أي: من جوانبِ مكَّةَ والمدينةِ، وصفَهم بالكثرةِ والانثيالِ عليهم.

---

(١) قرأ أبو عمرو بالياء والباقون بالتاء. انظر: «السبعة» (ص: ٥١٩)، و«التيسير» (ص: ١٧٧).

﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾: عدَلَتْ عن مَقرِّها، وقيل: شخَصَتْ طامحةً منَ الفزعِ.

الفرَّاءُ: مالَتْ عن كلِّ شيءٍ إلا إلى عدوِّها[1]، تنظرُ إليها مُتحيِّرةً لشدَّةِ الأمرِ وصُعوبتِه عليكم.

﴿وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾؛ فإنَّ الرِّئةَ تنتفخُ عند الخوفِ، فيرتفعُ القلبُ حتَّى يكادَ يبلُغُ الحَنْجَرةَ.

وقيل: اضطربَ الفؤادُ فلم يَستقِرَّ مكانَه، بل بلغَ بحركتِه إلى الحلقِ والحَنْجَرةِ.

وقيل: ﴿بَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ مجازٌ أبلَغُ منَ الحقيقةِ.

﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾؛ أي: ظُنونًا مختلفةً؛ فالمُخْلِصُ يظُنُّ أنَّ الله مُنجِزٌ وعدَه في إعلاءِ محمَّدٍ ﷺ على عدوِّه، والضَّعيفُ يظنُّ غيرَ ذلك لِـمَا يرى من كثرةِ العدوِّ، والمنافقُ يقولُ: ﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾.

***

(١١) ـ ﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾.

﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: اختُبِروا فظهرَ المُخلِصُ منَ المُنافقِ.

﴿وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾: حُرِّكوا تحريكًا بليغًا بالفتنةِ والتَّمحيصِ، فثبَتوا على إيمانِهم.

والزَّلزلةُ: شِدَّةُ الحركةِ.

***

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٣٦).

(١٢) ـ ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾.

﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ عطفٌ على الأولى.

﴿وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: شكٌّ وضعفٌ في المُعتَقَدِ.

قيل: هو وصفٌ للمنافقين بالواوِ، كما قال الشّاعرُ[1]:

إلـى الملِـكِ القَـرْمِ وابـنِ الهُمامِ ... وليـثِ الكتيبـةِ فـي المُزْدَحَـمِ[2]

وقيل: هم قومٌ كان المنافقون يستَميلونهم بإدخالِ الشُّبهةِ عليهم.

﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾ قال المُفسِّرون: نزلَتْ في مُعتِّبِ بنِ قُشَيرٍ؛ وذلك أنَّ النَّبيَّ ﷺ حين أمرَ بحفرِ الخندقِ عرضَتْ صخرةٌ شَقَّتْ على مَن كانَ يليها، فلمَّا رأى رسولُ الله ﷺ ذلك نزَلَ في الخندقِ، وأخذَ مِعْوَلًا من سلمانَ رضي الله عنه، فضرَبَ تلك الصَّخرةَ ثلاثَ ضرباتٍ، فخرجَ مع كلِّ ضربةٍ كهيئةِ البرقِ، فقال سلمانُ رضي الله عنه: لقد رأيتُ أمرًا عظيمًا، فقال ﷺ: «كذا وقد رأيتَ ذلك؟» قال: نعم، والذي أنزلَ عليك القرآنَ، فقال عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «لقد رأيتُ في الضَّربةِ الأولى أبيضَ المدائنِ، وفي الثّانيةِ قُصورَ اليمنِ، وفي الثّالثةِ مدائنَ الرُّومِ، وليفتحَنَّ الله هذه على أمَّتي».

فلما حصرَهم الأحزابُ واشتدَّ عليهم المجالُ قال مُعتِّبُ بنُ قُشَيرٍ: يعِدُنا أن يُفتحَ علينا قصورُ الرُّومِ والفُرسِ واليمنِ، ولا يستطيعُ أحدُنا أن يذهبَ إلى الخلاءِ، ﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾[3]؛ أي: باطلًا.

---

(١) «الشاعر»: ليس في (ف).

(٢) تقدم عند تفسير الآية (٢٤) من سورة هود.

(٣) ذكره ابن إسحاق كما في «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٢٢٢)، و«دلائل النبوة» للبيهقي =

(١٣) ـ ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾.

﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ ﴾ يثربُ: هو[1] المدينةُ.

وقيل: أرضٌ، والمدينةُ في ناحيةٍ منها.

ورُوِيَ عن البراءِ رضيَ الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «مَن قال للمدينةِ: يثرب؛ فليستغفِرِ الله، هي طابةُ» ثلاثَ مرَّاتٍ[2].

﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾: لا مكانَ لكم تقومون فيه؛ فإنَّ الأحزابَ قد ضيَّقوا عليكم بالحَصْرِ.

وقيل: لا موضعَ تُقيمون فيه؛ أي: ليس هذا موضعَ قرارٍ.

﴿فَٱرْجِعُوا۟﴾ إلى منازلِكم بالمدينةِ، أمروهم بتركِ رسولِ الله ﷺ، وذلك أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان قد خرجَ إلى سَلْعٍ لقتالِ القومِ.

= (٣/ ٤٣٥). ورواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٣٩ ـ ٤٢)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٤١٨ ـ ٤٢٠)، من طريق كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني عن أبيه عن جده، وكثير متروك. وليس فيه تسمية القائل. ورواه الطبري دون تسمية القائل أيضًا عن قتادة وابن زيد.

وقصة تبشير النبي ﷺ بمدائن كسرى وقيصر وقعت عند كسر الصخرة التي عرضت لهم أثناء حفر الخندق أخرجها النسائي في «المجتبى» (٣١٧٦) من طريق أبي سكينة ـ رجل من المحررين ـ عن رجل من أصحاب النبي ﷺ. ورواها الإمام أحمد في «المسند» (١٨٦٩٤)، والنسائي في «الكبرى» (٨٨٠٧)، من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

(١) كذا في النسختين، والأظهر: يثرب هي المدينة، وما ذكره المصنف تبع فيه السمعاني في «تفسيره» (٤/ ٢٦٥).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٨٥١٩)، وأبو يعلى في «مسنده» (١٦٨٨)، وضعف إسناده ابن كثير في «تفسيره» (٦/ ٣٤٨). وروى البخاري (١٨٧١)، ومسلم (١٣٨٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أمرت بقرية تأكل القرى يقولون: يثرب، وهي المدينة، تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد».

وقيل: ﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ على دينِ محمَّدٍ ﷺ، ﴿فَارْجِعُواْ﴾ إلى الشِّركِ تسلَمُوا من هذه الشَّدائدِ.

وقيل: ﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ على القتالِ، ﴿فَارْجِعُواْ﴾ إلى الأمانِ.

﴿وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ﴾ يجوزُ أن يعودَ الضَّميرُ إلى الطّائفةِ، ويجوزُ أن يعودَ إلى المُنافقين.

السُّدِّيُّ: هو أَوْسُ بنُ قَيْظِيٍّ، وأبو عَرابةَ بنُ أوسٍ[١].

الضَّحَّاكُ: رجعَ ثمانون رجلًا بغير إذنٍ[٢].

﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾: غيرُ حصينةٍ نخافُ عليها من العدوِّ والسَّرَقِ، تقولُ: عَوِرَ المكانُ يَعْوَرُ عَوَرًا: صارَ عَوْرَةً، والعَوْرَةُ: كلُّ ما خِيفَ عليه أو كُرِهَ انكِشافُه، وكذلك العورةُ منَ الإنسانِ، فكَذَّبهم اللهُ وقال: ﴿وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ﴾ أي: هي حصينةٌ.

وقيل: ما هي بعورةٍ؛ لأنَّ الله يحفظُها[٣].

وقيل: زعموا أنَّ بها عدوًّا من جملةِ العسكرِ، فبعثَ رسولُ الله ﷺ، فلم يجِدْ بها عدوًّا، حكاهُما القفَّالُ[٤].

﴿إِن يُرِيدُونَ﴾: ما يُريدون بهذا القولِ ﴿إِلَّا فِرَارًا﴾ منَ القتالِ.

***

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» كما في «الدر المنثور» (٦/ ٥٧٩).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٣٨٢).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩١٢) عن القفال، واستغربه.

(٤) ورواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٤٤) عن قتادة بلفظ: «﴿وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ﴾ وإنها مما يلي العدو، وإنا نخاف عليها السراق، فبعث النبي ﷺ، فلا يجد بها عدوًّا».

(١٤) ـ ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا﴾.

﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم﴾ أي: دُخِلتِ المدينةُ، وقيل: البيوتُ.

﴿مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾: جوانبِها؛ أي: من أيِّ جانبٍ دُخِلَتْ.

﴿ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَأَتَوْهَا﴾؛ أي: ثمَّ سألوهم أن يُشرِكوا ويرتَدُّوا لأشرَكوا، ومَن قرأ بالمدِّ[1]: لأعطَوها في مُقابلةِ السُّؤالِ.

﴿وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا﴾؛ أي: بالإجابةِ ﴿إِلَّا يَسِيرًا﴾: قليلًا؛ أي: أسرَعوا الإجابةَ[2].

وقيل: ما تلبَّثوا بالمدينةِ أو البيوتِ بعد ذلك ﴿إِلَّا يَسِيرًا﴾ حتَّى يأتيَهم اللهُ بالعذابِ.

***

(١٥) ـ ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾.

﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ﴾ يعني: بني حارثةَ يومَ أُحُدٍ، حين فَشِلوا ثمَّ تابُوا وعاهَدُوا أنْ لا يعودوا لمثلِه.

وقيل: عاهَدُوا قبل مجيءِ الأحزابِ وحلَفوا لا ينهزِمون.

﴿وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾؛ أي: مسؤولًا عنه مُجازًى عليه.

وقيل: ﴿مَسْئُولًا﴾: مُطالبًا، تقولُ: سألتُ فلانًا حقِّي؛ إذا طالبتَه به.

***

(١) ابن كثير ونافع وابن عامر بالقصر، والباقون بالمد. انظر: «السبعة» (ص: ٥٢٠)، و«التيسير» (ص: ١٧٨).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩١٢)، واستغربه.

(١٦) ـ ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ﴾ لأنَّ الحذرَ لا يُغني عن الأجلِ، والموتُ ضدُّ الحياةِ، والقتلُ نقض[1] البنيةِ التي تصحُّ معها الحياةُ.

وقيل: يجوزُ أن يعيشَ بعد الفِرارِ؛ لقولِه: ﴿وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾؛ أي: حياةً يسيرةً في أيَّامٍ قلائلَ.

* * *

(١٧) ـ ﴿قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾.

﴿قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: من عذابِ الله ﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا﴾ في الدُّنيا.

وقيل: من عذابِ الآخرةِ.

﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾: ظُهورًا على عدوِّكم.

وقيل: خيرًا في الدُّنيا والآخرةِ.

ويحتملُ أن تقفَ على قولِه: ﴿سُوٓءًا﴾، ثمَّ تبتدئَ ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾؛ لأنَّه لا يَحسُنُ عطفُ الرَّحمةِ على العِصمةِ؛ لأنَّها تُستعملُ في دفعِ المكروهِ، ويكونُ التَّقديرُ: أو أرادَ بكم رحمةً فمَن يَحرِمُكم ثوابَه؟

﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا﴾: حافظًا ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾: ناصرًا.

* * *

(١٨) ـ ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ﴾؛ أي: منكم مَن يُعوِّقُ عن نُصرةِ رسولِ الله ﷺ؛ أي:

---

(١) في (ف): «ضد»، وانظر: «الفروق اللغوية» للعسكري (ص: ١٠٦).

يمنعُ ويُعَسِّرُ الأمرَ في الخروجِ معه، تقولُ: عاقَ يَعُوقُ؛ إذا منعَ، وعَوَّقَ؛ أي: عَسَّرَ وبالغَ في المنعِ.

﴿وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ﴾ في الكفرِ ﴿هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾: أقبِلوا إلينا، ودَعوا عسكرَ محمَّدٍ، واترُكوا شهودَ القتالِ معه؛ فإنَّ محمَّدًا وأصحابَه أكلةُ رأسٍ.

و﴿هَلُمَّ﴾ معناه: تعالَ، لا يُثنَّى ولا يُجمَعُ عند أهلِ الحجازِ، وأهلُ نجدٍ يُؤنِّثون ويُثنُّون ويجمعون.

الخليلُ: أصلُه: ها لُـمَّ[1]، الفَرَّاءُ: هَلْ أَمَّ[2].

﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ فيه قولانِ:

أحدُهما: أنَّ هذا من جملةِ كلامِهم، والمعنى: لا يأتي أصحابُ محمَّدٍ إلّا قليلًا، لا يُقاوِمون الأحزابَ.

والثّاني: أنَّه استئنافٌ منَ اللهِ؛ أي: يُعوِّقُونَ النَّاسَ ويتخلَّفون بأنفُسِهم في أكثرِ الأحوالِ[3].

﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾: إلا رياءً وسُمعةً.

وقيل: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾: كارِهين.

وقيل: معناه: لا يُغْنُون إلَّا غَناءً قليلًا.

وقيل: صفةُ مصدرٍ محذوفٍ؛ إلَّا إتيانًا قليلًا.

---

(١) ذكره النحاس في «معاني القرآن» (٢/ ٥١٤)، وابن جني في «الخصائص» (٣/ ٣٧).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٠٣).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩١٣)، واستغربه.

وقيل: إنَّه منصوبٌ على أصلِ الاستثناءِ، وكان مرفوعًا على البدلِ(١)، كقراءةِ ابنِ عامرٍ: ﴿مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٦٦](٢).

* * *

(١٩) ـ ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾.

قولُه: ﴿أَشِحَّةً﴾: جمعُ شحيحٍ، وهو: البخيلُ؛ أي: يبخلونَ ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بالظَّفرِ والغنيمةِ، وبالنَّفقةِ في سبيلِ الله؛ أي: هم جُبناءُ عند اللِّقاءِ، أَشِحَّاءُ عند العطاءِ.

وهي حالٌ عن ﴿الْمُعَوِّقِينَ﴾، وقيل: منَ ﴿الْقَائِلِينَ﴾، وقيل: منَ الضَّميرِ في: ﴿وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ﴾.

وقيل: صفةٌ لقولِه: ﴿قَلِيلًا﴾ فيمَن جعلَه في محلِّ رفعٍ.

وقيل: ﴿أَشِحَّةً﴾ نصبٌ على الذَّمِّ.

﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ﴾؛ أي: خوفُ القتالِ، وقيل: خوفُهم منكم.

﴿رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ قيل: نَظَرَ رجاءٍ، وقيل: كأنَّهم ينظرون إليك.

﴿تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ﴾ في أحداقِهم يمينًا وشمالًا.

﴿كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾؛ أي: دَورانًا كدَورانِ عينِ الذي يُغْشَى عليه، وفي مُصحفِ أُبيٍّ: (كدَورانِ الذي يُغشَى عليه)(٣).

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩١٣)، واستغربه.

(٢) انظر: «السبعة» (٢٣٥)، و«التيسير» (ص: ٩٦).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩١٣)، واستغربه، ولم أقف على القراءة عن غير المؤلف.

﴿فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ﴾: زالَ ذلك[1] الخوفُ وأمِنُوا ﴿سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾: أكثَروا معكم الكلامَ بألسنةٍ ذَرِبةٍ يطلُبون الغنيمةَ: أعطُونا أعطُونا؛ إلحاحًا منهم.

وقيل: معنى ﴿سَلَقُوكُم﴾: يَطعنون فيكم بالمعائبِ كذِبًا وزُورًا، من قولِ العربِ: صَلَقَتِ المرأةُ وسَلَقَتْ: صَخِبَتْ.

وقيل: جادَلوكُم.

وقيل: ﴿إذا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم﴾: مدَحُوكم وأحسَنُوا القولَ فيكم خلافَ الحالةِ الأولى، من قولِـهم: خطيبٌ مِسْلَقٌ وسلّاقٌ.

﴿أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ﴾ كرَّرَ لأنَّ الأوَّلَ مُطلقٌ، والثّانيَ مُقيَّدٌ بالخيرِ.

والخيرُ: ثوابُ الله.

وقيل: الغنيمةُ. وقيل: الدِّينُ. وقيل: المالُ. وقيل: الكلامُ الحسَنُ الجميلُ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُواْ﴾؛ أي: مَنْ كان هذه صفتُه فليس بمُؤمنٍ.

﴿فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾: أبطَلَ ما أظهروا لفسادِ ما أضمَروا.

﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: إحباطُ أعمالِـهم ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾: هيِّنًا.

* * *

(٢٠) ـ ﴿يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُواْۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّواْ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْۖ وَلَوْ كَانُواْ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓاْ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

﴿يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُواْ﴾؛ أي: لجُبنِهم يظنُّـونَ قُريشًـا وغطفـانَ ومَـن كان

---

(١) «ذلك»: ليس في (ف).

معهـم لـم ينصرِفُـوا بعـد أن كانوا قـد انصرَفُوا، غيـرَ أنَّهم كانوا لـم يتباعَـدوا بعدُ في المسيرِ.

﴿وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ﴾: ولو رجعَ الأحزابُ بعد انصرافِهم ﴿يَوَدُّواْ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي ٱلْأَعْرَابِ﴾: يتمنَّى المُنافقون لجُبنِهم لو كانوا في البوادي منَ العربِ؛ ليأمَنُوا على أنفُسِهم، ويعتزِلُوا ممّا فيه المؤمنون منَ القتالِ.

﴿يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ﴾: عن أخبارِكم مَن تلقَّاهم منَ القادِمين من جانبِ المدينةِ، وعلى هذا ﴿يَسْـَٔلُونَ﴾ مُتَّصلٌ بقولِه: ﴿يَوَدُّواْ﴾.

وقيل: ﴿يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ﴾ استئنافٌ؛ أي: منهم مَن كان في أطرافِ المدينةِ لـم يحضُروا الخندقَ، يسألون النَّاسَ عن أنباءِ العسكرِ مُتوقِّعين غلبةَ المُشركين محمَّدًا ﷺ[1].

﴿وَلَوْ كَانُواْ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓاْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ من غيرِ نيَّةٍ ولا بَصيرةٍ.

* * *

(٢١) ـ ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾.

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ ثمَّ عاتبَ هؤلاءِ فقال: لقد كان لكم قُدوةٌ برسولِ الله ﷺ حين خرجَ للحربِ مع ما قاساه منَ البردِ والجوعِ، وحفرِ الخندقِ وغيرِها، فهلَّا اقتدَيتُم به.

﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ﴾؛ أي: ثوابَ الله ﴿وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾: نعيمَ اليومِ الآخرِ.

وقيل: لمَن يخافُ الله ويخافُ اليومَ الآخِرَ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩١٤)، واستغربه.

﴿وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ في الخوفِ والرَّجاءِ، والشِّدَّةِ والرَّخاءِ.

أي: هؤلاء هم الذين يقتَدون به دونَ مَن لا يرجو ولا يذكرُ.

وذهبَ جماعةٌ إلى أنَّ ﴿لِّمَن﴾ بدلٌ من قولِه: ﴿لَكُمْ﴾، وفيه ضَعفٌ؛ لأنَّه لا يجوزُ البدلُ من ضميرِ المُخاطَبِ.

وقيل: صفةٌ لـ﴿أُسْوَةٌ﴾، وهو الأظهرُ.

وقيل: هذا أمرٌ للمُؤمنينَ بالائتِساءِ، وقيل: مدحٌ لهم.

***

(٢٢) - ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾.

﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾؛ أي: وعدَنا الله بقولِه: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟﴾ الآية [البقرة: ٢١٤]، ووعَدَ رسولَه ﷺ بقولِه عليه السَّلامُ لهم: «سيشتَدُّ بكم الأمرُ باجتماعِ الأحزابِ عليكم، والعاقبةُ لكم عليهم»(١).

وقيل: كانَ رسولُ الله ﷺ قالَ لهم: «إنَّهم قد خرجُوا عليكم، وهم يصيرون إليكم بعد تسعٍ أو عشرٍ»، فلمَّا رأوهم ﴿قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾.

﴿وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾(٢)؛ أي: ظهرَ صِدقُ خبرِ الله ورسولِه(٣)، وهذا في مُقابلةِ قولِ المُنافقين: ﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾.

---

(١) ذكره البيضاوي في «تفسيره» (٤/ ٢٢٩) بلا سند ولا عزو.

(٢) ذكره يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٧١٠)، والواحدي في «البسيط» (١٨/ ٢١٦)، عن الكلبي.

(٣) في (ف): «أي ظهر صدق خبرهما».

﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا﴾ بالله ﴿وَتَسْلِيمًا﴾ لأمرِه؛ لعلمِهم أنَّه كما صدَقَ في البَلاءِ صدَقَ في النُّصرةِ والثَّوابِ.

واختُلِفَ في فاعلِ ﴿زَادَهُمْ﴾ فقيل: ما رأوا.

وقيل: نظرُهم.

وقيل: مجيئُهم.

وقيل: ما نزَلَ بهم منَ الشَّدائدِ.

وقيل: اجتماعُ الأحزابِ عليهم.

وقيل: ﴿تَسْلِيمًا﴾ بمعنى: إسلامٍ؛ أي: إلَّا إيمانًا وإسلامًا.

وقيل: إلّا إيمانًا بالله وتسليمًا لرسولِه.

* * *

(٢٣) ـ ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾.

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ في سببِ النُّزولِ: رواه البخاريُّ رحمَه الله في «الصَّحيحِ» عن أنسٍ رضي الله عنه أنَّه قال: نزلَتْ في عمِّي أنسِ بنِ النَّضرِ، قال: وبه سُمِّيتُ أنسًا، غابَ عن قتالِ بدرٍ، فشقَّ عليه لمَّا قدِمَ، وقال: غِبْتُ عن أوَّلِ مشهدٍ شهدَه رسولُ الله ﷺ، والله لَئِنْ أشهدَني قتالًا لَيرَينَّ الله ما أصنعُ، فلمَّا كان يومُ أُحدٍ انكشَفَ المسلمون فقالَ: اللَّهمَّ إنِّي أبرأُ إليك ممَّا جاءَ به المُشركون، وأعتذِرُ إليك ممّا صنعَ هؤلاءِ؛ يعني: المسلمين، ثمَّ مشى بسيفِه فلقيَه سعدُ بنُ مُعاذٍ فقال: أيْ سعدُ، والذي نفسي بيدِه إنِّي لأجِدُ ريحَ الجنّةِ دونَ أُحدٍ! فقاتلَهم حتى قُتِلَ.

قال أنسٌ رضي الله عنه: فوجَدْناه بين القتلى به سبعٌ وثمانونَ جِراحةً من بين

طعنٍ وضربٍ ورَمْيٍ، وقد مَثَلوا[(١)] به، فما عرَفْناه حتَّى عرَفَته أختُه ببَنانِه، ونزلَتْ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْـهِ﴾[(٢)].

﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾ في سببِ النُّزولِ: أنَّها نزلَتْ في طلحةَ بنِ عُبيدِ الله، ثبَتَ مع رسولِ الله ﷺ حتَّى أُصيبَتْ يدُه، فقال رسولُ الله ﷺ: «أَوْجَبَ طلحةُ الجنَّةَ»[(٣)].

ومرَّ طلحةُ على النَّبيِّ ﷺ فقال: «هذا ممَّن قضى نحْبَه»[(٤)].

وقيل: ﴿صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْـهِ﴾ نزلَتْ في مُبايعتِهم ليلةَ العقبةِ.

وقيل: ﴿مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْـهِ﴾ بنَذرٍ نذَروه بأنْ قاتَلَ حتَّى قُتِلَ، أو قاتلَ حتَّى يُقتلَ أو يُنصَرَ.

الفرَّاءُ: ﴿مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾ نزلَتْ في حمزةَ وأصحابِه رضي الله عنهم[(٥)].

﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ بل هو[(٦)] عازمٌ على أن يفعلَه إذا اتَّفقَ له المشهدُ.

---

(١) مثل ومثل بالقتيل: جدع أنفه وقطع أطرافه وشوَّهه. انظر: «تاج العروس» مادة: (م ث ل) (٣٠/ ٣٨٥).

(٢) رواه البخاري (٢٨٠٥)، ومسلم (١٩٠٣).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ٣٧٦)، وقول النبي ﷺ: «أوجب طلحة» دون سبب النزول: رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٤١٧)، والترمذي (٣٧٣٨)، عن الزبير رضي الله عنه، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح غريب»، ورواه الدورقي في «مسند سعد» (٩٠) عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٤) رواه الترمذي (٣٧٤٠)، وابن ماجه (١٢٦)، عن معاوية رضي الله عنه، وقال الترمذي: «هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث معاوية إلا من هذا الوجه».

(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٤٠)، وذكره مقاتل بن سليمان في «تفسيره» (٣/ ٤٨٤) دون سند، وذكره الواحدي في «البسيط» (١٨/ ٢١٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٦) في (ف): «﴿تَبْدِيلًا﴾ وهو».

وقيل: ﴿قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ﴾ ماتَ؛ أي: ماتَ حَتْفَ أنفِه ثابتًا على عهدِه، ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ الموتَ ناوِيًا الصِّدقَ.

وقيل: ﴿نَحۡبَهُۥ﴾ أجلَه.

وقيل: ﴿نَحۡبَهُۥ﴾ عهدَه.

وذكرَ القفَّالُ أنَّ النَّحْبَ يأتي على وجوهٍ:

أحدُها: النَّذْرُ؛ أي، قضى نذرَه.

ومنها: الخطرُ؛ أي: فرغَ من خطرِ الحياةِ؛ لأنَّ الحيَّ على خطرٍ ما عاشَ.

ومنها: السَّيْرُ السَّريعُ؛ أي: سارَ بسرعةٍ إلى أجلِه.

ومنها: النَّوبةُ؛ أي: قضى نوبتَه.

ومنها: النَّفَسُ؛ أي: فرغَ من أنفاسِه.

ومنها: النَّصَبُ؛ أي: فرغَ من نَصَبِ العيشِ وجُهدِه.

قال: وهذا كلُّه يعودُ إلى معاني الموتِ وانقضاءِ الحياةِ.

* * *

(٢٤) ـ ﴿لِّيَجۡزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدۡقِهِمۡ وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾.

﴿لِّيَجۡزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدۡقِهِمۡ﴾ قيل: اللَّامُ مُتَّصلٌ بقولِه: ﴿عَٰهَدُواْ﴾ ليجزيَ.

وقيل: ﴿ما بَدَّلُواْ﴾ ليجزيَ.

وقيل: ﴿وَعَدَنَا ٱللَّهُ﴾ [الأحزاب: ٢٢] ليجزيَ اللهُ.

وقيل: ﴿ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [الأحزاب: ١١] ليجزِيَ[1].

وقيل: أمرَ بالوفاءِ ﴿لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾: على صدقِهم.

﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾؛ أي: الكاذِبين ﴿إِن شَآءَ﴾، في الاستثناءِ قولانِ:

أحدُهما: أنَّ منَ المُنافقين مَن تابَ من نفاقِه فاستحقَّ أن يتوبَ عليه.

والثّاني: يُعذِّبُ المُنافقين بأنْ لا يُوفِّقَهم للتَّوبةِ من نفاقِهم إنْ شاءَ، فالاستثناءُ منَ التَّوفيقِ لا منَ العذابِ.

﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ إنْ تابوا، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا﴾ لمَن تابَ ﴿رَّحِيمًا﴾ بعبادِه.

* * *

(٢٥) - ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾.

﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا﴾: مالًا.

وقيل: ظفرًا، وسمَّاه ﴿خَيْرًا﴾ بزعمِهم[2].

ورُوِيَ عن عائشةَ رضي الله عنها أنَّها قالت: خرجْتُ يوم الأحزابِ أَسْتروِحُ الأخبارَ، فإذا أنا برجلٍ يقولُ:

لبِّثْ رُوَيدًا يلحَقِ الهيجا جَمَلْ[3]

فإذا أُسيدُ بنُ حُضَيرٍ، وإذا امرأةٌ تسوقُ بعيرًا، فقلتُ: ما الخبرُ؟ فقالت: ردَّ الله الذين

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩١٤)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩١٥)، واستغربه.

(٣) الرجز لحمل بن سعدان بن حارثة الكلبي، وفد على النبي ﷺ، وعقد له لواء، وتمثل بقوله سعد بن معاذ يوم الخندق. انظر: «الاستيعاب» (١/ ٣٧٦).

كفروا بغيظِهم لم ينالُوا خيرًا، ورسولُ الله لـم يمُتْ، فأنزلَ الله على لسانِها الآيةَ(١).

﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾ بريحِ الصَّبَا والملائكةِ، وكبَّرَ الملائكةُ في عسكرِهم، فلمَّا سمعوا التَّكبيرَ قالوا: قد بدأ محمَّدٌ بالسِّحرِ، فانصرَفُوا لا يلوُونَ على شيءٍ ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾.

***

(٢٦) - ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾.

﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ وهم: بنو قُريظةَ، ظاهَروا أبا سفيانَ والمُشركينَ على رسولِ الله ﷺ والمسلمين، وكانت بنو قُريظةَ قد عاهَدوا رسولَ الله ﷺ على التَّكافِّ(٢)، فنقَضُوا العهدَ لـمَّا رأوا كثرةَ الأحزابِ، ولـم يشُكُّوا أنَّهم يَغلبونَ المؤمنين، فلمَّا انهزمَ الأحزابُ جاء جبريلُ عليه السَّلامُ وقال: يا محمَّدُ أَتنْزِعُ لَأْمتَكَ والملائكةُ لـم يضَعُوا سلاحَهم منذ أربعينَ ليلةً؟ ثمَّ قال له: إنَّ الله يأمرُكَ أن

---

(١) ذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ٤١) بإسناد الأموي عن أبيه عن الحسن بن عمارة عن حبيب بن أبي ثابت، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩١٥)، واستغربه، وذكر نحوه الواقدي في «مغازيه» (٢/ ٥٨٣) وفيه: «وكانت عائشة زوج النبي ﷺ خرجت في نسوة تستروح الخبر ـ ولم يضرب الحجاب يومئذ ـ حتى إذا كانت بمنقطع الحرة وهي هابطة من بني حارثة إلى الوادي، لقيت هند بنت عمرو بن حرام أخت عبد الله بن عمرو بن حرام تسوق بعيراً لها، عليه زوجها عمرو بن الجموح، وابنها خلاد ابن عمرو، وأخوها عبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر. فقالت عائشة: عندك الخبر، فما وراءك؟ فقالت هند: خيراً، أما رسول الله فصالح، وكل مصيبة بعده جلل، واتخذ الله من المؤمنين شهداء، ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً، وكفى الله المؤمنين القتال...».

(٢) تكافَّ القوم عن بعضهم؛ أي: امتنع بعضهم عن بعض. انظر: «معجم اللغة العربية المعاصرة» مادة: (ك ف ف) (٣/ ١٩٤٤).

تسيرَ إلى بني قُريظةَ؛ فإنِّي قد قطعْتُ أوتادَهم، وفتحتُ أبوابَهم، وتركتُهم في زلزالٍ وبَلْبالٍ، واستلأمَ رسولُ الله ﷺ، ودعا عليًّا رضي الله عنه فأعطاه لواءَه، وأمرَ بلالًا فنادى: أَنْ لا تُصلُّوا العصرَ إلا ببني قُريظةَ، فحاصرَهم إحدى وعشرين ليلةً، ثمَّ نزلوا على حكمِ سعدِ بنِ معاذٍ رضي الله عنه فيهم، فحكَمَ سعدٌ أن يُقتَلَ مُقاتلتُهم، ويُسبى ذراريهم، ويُقسَمَ أموالُهم، ويكونَ عقارُهم للمُهاجرين، وقال للأنصارِ: إنَّكم ذَوو عقارٍ وليس للمُهاجرين عَقارٌ، فكبَّرَ رسولُ الله ﷺ وقال: قضَى فيهم بحكمِ الله فوقَ سبعةِ أرقعةٍ، فقُتِلَ منهم أربعُ مئةٍ وخمسون، وسُبِيَ سبعُ مئةٍ وخمسون(١).

والمعنى: أنزَلَ الله الذين أعانُوا الأحزابَ منَ اليهودِ ﴿مِن صَيَاصِيهِمْ﴾: حُصونِهم.

والصِّيصِيَةُ: القَرْنُ، وشوكةُ الدِّيكةِ، وشوكةُ الحائكِ، والصِّيصيةُ: الأصلُ أيضًا.

---

(١) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٧٢) عن قتادة. وروى البخاري قطعًا منه مفرقة:

فقد روى البخاري (٤١١٧) عن عائشة رضي الله عنها قالت: «لما رجع النبي ﷺ من الخندق، ووضع السلاح واغتسل، أتاه جبريل عليه السلام فقال: قد وضعت السلاح؟ والله ما وضعناه، فاخرج إليهم، قال: «فإلى أين؟» قال: ها هنا، وأشار إلى بني قريظة، فخرج النبي ﷺ إليهم».

وروى البخاري (٤١٢١) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: نزل أهل قريظة على حكم سعد بن معاذ، فأرسل النبي ﷺ إلى سعد، فأتى على حمار، فلما دنا من المسجد قال للأنصار: «قوموا إلى سيدكم، أو خيركم». فقال: «هؤلاء نزلوا على حكمك». فقال: تقتل مقاتلتهم، وتسبي ذراريهم، قال: «قضيت بحكم الله» وربما قال: «بحكم الملك».

وروى البخاري (٤١١٩) عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال النبي ﷺ يوم الأحزاب: «لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة» فأدرك بعضهم العصر في الطريق، فقال بعضهم: لا نصلي حتى نأتيها، وقال بعضهم: بل نصلي، لم يُرد منا ذلك، فذُكر ذلك للنبي ﷺ فلم يعنف واحدًا منهم.

ويحتمِلُ أن يكونَ المعنى: ﴿مِن صَيَاصِيهِمْ﴾؛ أي: من أُصولِـهم؛ أي: فجَذَّ الله أصولَـهم.

﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾: الخوفَ.

﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾: الرِّجالَ ﴿وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾: النِّساءَ والذَّراري.

***

(٢٧) ـ ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾.

﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ﴾: مزارِعَهم ﴿وَدِيَارَهُمْ﴾: بلادَهم وحُصونَهم ﴿وَأَمْوَالَهُمْ﴾: المواشيَ والذَّهبَ والفِضَّةَ والأثاثَ ﴿وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا﴾: لـم تُقاتلوا عليها:

قيل: هي خيبرُ.

وقيل: مكَّةُ.

وقيل: فارسُ والرُّومُ.

وقيل: جميعُ ما يَظهر عليه المسلمون إلى يومِ القيامةِ.

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾: قادرًا بذاتِه.

***

(٢٨) ـ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾: السَّعةَ في الدُّنيا، وكثرةَ المالِ ﴿وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾.

كان أزواجُ النَّبيِّ ﷺ سألْنَه من عرَضِ الدُّنيا، وآذَينَه بزيادةِ النَّفقةِ وبالغَيرةِ، فهجرَهُنَّ وآلَى ألَّا يقربَهنَّ شهرًا، فأنزلَ اللهُ هذه الآياتِ، فأمرَه الله بتخييرِ نسائِه حسمًا لمادَّةِ أذاهُنَّ، فقرأها عليهنَّ فاخترنَه.

قولُه: ﴿فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ﴾ أُعطِكُنَّ ما عندي، فيه أقوالٌ:

قال بعضُهم: إنَّما قال: ﴿أُمَتِّعْكُنَّ﴾ لأنَّ قولَـهن لو قُلْنَ: نُريدُ الحياةَ الدُّنيا وزينتَها = كان طلاقًا، فيكونُ بعدَه المتعةُ ثمَّ التَّسريحُ؛ لأنَّ هذا منه ﷺ كقولِ الرَّجلِ لامرأتِه: اختاري، فقالت: اخترتُ نفسي، وقعَ الطَّلاقُ.

وقال بعضُهم: هذا تخييرٌ بين الدُّنيا وزينتِها وبين الآخرةِ ونعيمِها، فإن اخترْنَ الدُّنيا طلَّقهُنَّ حينئذٍ، وتقديرُ الآيةِ على هذا: فتعالَين أُطلِّقْكُنَّ، وأُمتِّعْكُنَّ، وأُسرِّحْكُنَّ.

وقال بعضُهم: ﴿أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ﴾ بالطَّلاقِ، وجاز تقديمُ المتعةِ لأنَّها من بابِ الأموالِ، وتقديمُ حقوقِ الأموالِ جائزٌ.

ومَن قال: يقعُ الطَّلاقُ بمُجرَّدِ قولِه: اختاري[1]؛ فليس له منَ الآية دليلٌ.

قولُه: ﴿سَرَاحًا جَمِيلًا﴾؛ أي: لا ضرارَ فيه ولا مُشاجرةَ.

* * *

(٢٩) ـ ﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَـٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَـٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾؛ أي: تنَلْنَ من صُحبتي ما تُرِدْنَ من رِضا الله، وقيل: جنَّته.

(١) ذكر ذلك عن الحسن، ورُوي عن عليّ وزيد. انظر: «الإشراف» لابن المنذر (٥/ ٢٠٩).

(٣٠) ـ ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا﴾.

﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ﴾: معصيةٍ ظاهرةٍ.

وقيل: نشوزٍ وسوءِ خلُقٍ.

وقيل: زنًى بيِّنٍ.

﴿يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِ﴾؛ أي: ضعفَي عذابِ غيرِهنَّ منَ النِّساءِ تعظيمًا لهنَّ، كما جُعلَ حدُّ الحرِّ ضِعفَي حدِّ المملوكِ.

قيل: هو في الدُّنيا.

وقيل: هو في الآخرةِ.

وقيل: عذابُ الدُّنيا وعذابُ الآخرةِ.

وقيل: جعلَ العذابَ ضعفَين كما جعل الأجرَ مرَّتَين.

قال أبو عبيدةَ: ﴿ضِعۡفَيۡنِ﴾: ثلاثةُ أعذبةٍ[1]، وأنكرَه الزَّجّاجُ[2] وقُطربٌ، وغيرُهما من المُفسِّرين، وقالوا: ضِعفُ الشَّيءِ مثلُه، ولا يكونُ أن يُعطيَ على الطَّاعةِ أجرَين وعلى المعصيةِ ثلاثةَ أعذبةٍ[3].

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ١٣٦ ـ ١٣٧)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩١٥)، وعده من العجائب.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٢٢٦).

(٣) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٣٥٠)، وذكر الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٩١) عن أبي عمرو البصري: أنه قد جعل (يُضعَّف) بمنزلة المثلين، و(يضاعَف) ثلاثة أمثال، ولذلك اختار في القراءة: (يُضعَّف).

ويحتمِلُ أنَّ أبا عُبيدةَ لـم يقُلْ: (ثلاثةَ أعذبةٍ) من حيثُ ردَّ عليه المُفسِّرون؛ لأنَّ ذلك في غايةِ البُعدِ، فإنَّ الضِّعْفَ الواحدَ يُنبِئُ حينئذٍ عن واحدٍ ونصفٍ ضرورةً، وهذا لا يقولُه أحدٌ، بل من وجهٍ آخرَ، وهو أنَّ الدِّرهمَ إذا ضاعَفْتَه مرَّةً صار درهمَين، وإذا ضاعفتَه مرَّتين صار ثلاثةَ دراهمَ، فصارَ معنى قولِه: ﴿يُضَعَّفْ لَهَا الْعَذَابُ﴾[1] يُجعلُ لها العذابُ ومِثْليه.

وما ذهبَ إليه بعضُ الفقهاءِ أنَّ الرَّجلَ إذا قال: (أوصَيتُ لزيدٍ بضعفِ نصيبِ عمرٍو)، ونصيبُ عمرٍو درهمٌ، يلزمُه درهمانِ، ثمَّ إن قال: (بضعفَي نصيبِ عمرٍو) قال: يلزمُه ثلاثةُ دراهمَ؛ استدلالًا بقولِ أبي عبيدةَ= فشيءٌ لا وجهَ له في العربيَّةِ؛ لأنَّ أبا عبيدةَ ذهبَ إلى ذلك لوجودِ لفظِ التَّضعيفِ أو المُضاعفةِ، وليس كذلك الوصيَّةُ. واللهُ أعلمُ[2].

﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾؛ أي: تضعيفُ العذابِ على الله سهلٌ.

وقيل: ﴿يَسِيرًا﴾؛ أي: لا اعتراضَ عليه.

* * *

(٣١) ـ ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾.

﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾: ومَن يَدُمْ منكنَّ على طاعةِ الله وطاعةِ رسولِه.

---

(١) هكذا جاءت هنا في النسختين: ﴿يُضَعَّف﴾ بالياء وفتح العين على ما لم يسمَّ فاعله وهي قراءة أبي عمرو، وقرأ ابن عامر وابن كثير: ﴿نُضعِّف﴾ بضم النون وتشديد العين ﴿العذابَ﴾ بالنصب، وباقي السبعة: ﴿يُضاعَفْ﴾ بالياء وألف بعد الضاد وفتح العين على ما لم يسمَّ فاعله. انظر: «السبعة» (ص: ٥٢١)، و«التيسير» (ص: ١٧٩).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩١٦)، واستغربه.

وقيل: ومَن يُطِعْ.

وقيل: ومَن يخضَعْ.

﴿وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾: طاعةً ﴿نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾ مِثْلَ ثوابِ غيرِها ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾: جليلَ القَدْرِ، وهو الجنَّةُ.

وقيل: ومَن يقنُتْ منكنَّ لطاعةِ[1] النَّبيِّ عليه السَّلامُ فيما بينَهنَّ وبينَه من أمورِ الزَّوجيَّةِ، ويكونُ ذكرُ الله على وجهِ التَّعظيمِ كما سبقَ في قولِه: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ [الأنفال: ٤١].

* * *

(٣٢) ـ ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾.

﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ﴾؛ أي: الله فضَّلكُنَّ على سائرِ النِّساءِ بأنْ جعلكُنَّ أزواجًا لنبيِّه الذي هو أكرمُ خلقِه عليه، وذلك التَّقوى فالزَمْنَها.

وقيل: إنَّ التَّكليفَ عليكُنَّ أشدُّ، كما أنَّ ثوابَكُنَّ أكثرُ.

وقيل: تمَّ الكلامُ على ﴿كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾، ثمَّ استأنفَ فقال: ﴿إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ﴾.

وإنَّما قال: ﴿كَأَحَدٍ﴾ ولم يُؤنِّثْ؛ لأنَّ لفظَه للعمومِ، يقعُ للواحدِ والجمعِ والمُذكَّرِ والمُؤنَّثِ.

وقيل: يقعُ على مَن يَعقلُ وعلى مَن لا يَعقلُ أيضًا.

---

(١) في (ن): «بطاعة».

قولُه: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾؛ أي: في مخاطبةِ الأجانبِ ﴿فَيَطْمَعَ الَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾: نفاقٌ.

وقيل: فُجورٌ.

وقيل: مَيلٌ إلى المعصيةِ.

وقيل: شهوةٌ.

وقيل: حبُّ الزِّنى.

﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾: سديدًا مستقيمًا.

* * *

(٣٣) ـ ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ الزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ﴾ مَن فتحَ فمِن (قَرِرتُ) بالكسرِ (أَقَرُّ) بالفتحِ، وكان الأصلُ: اِقْـرَرْنَ، فنُقِلت الفتحةُ إلى القافِ، فحُذِفَ الرّاءُ لالتقاء الساكنين والألفُ للاستغناء عنه.

ومَن كسرَ[1] جعلَه من (قَرَرتُ) بالفتحِ (أقِرُّ) بالكسرِ على ما ذكرتُ.

وقيل: هو أمرٌ من (وَقَرَ يَقِرُ)، والمعنى: لا تخرُجْنَ من بُيوتكُنَّ وكنَّ فيها ذواتِ وقارٍ وسكونٍ.

---

(١) قرأ نافع وعاصم: ﴿وَقَرْنَ﴾ بالفتح، والباقون بالكسر. انظر: «السبعة» (ص: ٥٢١)، و«التيسير» (ص: ١٧٩).

﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ قيل: التَّبرُّجُ: التَّبخترُ في المشيِ والانكسارُ، وأصلُ البروجِ: الظُّهورُ.

قال المُؤرِّجُ: لا تخرُجْنَ، بلغةِ كنانةَ.

وقيل: التَّبرُّجُ: التَّزيُّنُ، يُستعملُ في النِّساءِ(١) خاصَّةً.

وقيل: التَّبرُّجُ: إظهارُ الزِّينةِ.

والتَّقديرُ: لا تبرَّجْنَ تبرُّجًا مثلَ تبرُّجِ النِّساءِ في الجاهلية الأولى.

والجاهليَّةُ: ما كانوا يتعاطَونَه مما لم يأتِ به شرعٌ.

والأوَّلُ والأُولى: اسمٌ للسَّابقِ المُنفرِدِ تأخَّرَ عنه غيرُه(٢) أو لم يتأخَّرْ.

واختلفوا في زمانِ الجاهليَّةِ؛ فقيل: هو ما بين آدمَ ونوحٍ عليهما السَّلامُ، ثماني مئةِ عامٍ.

وقيل: ما بين نوحٍ وإدريسَ عليهما السَّلامُ.

وقيل: ما بين عيسى ومحمَّدٍ عليهما السلام.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: كانت الجاهليَّةُ الأولى ألفَ سنةٍ(٣).

وقيل: هو زمنُ داودَ عليه السَّلامُ، كانت المرأةُ تلبسُ درعًا منَ اللُّؤلؤِ مُفرَّجَ الجانبَين لا ثوبَ عليها غيرُها تمشي في الطُّرقِ.

وقيل: كانت في الجاهليّة الأولى أمورٌ قبيحةٌ، منها: أنَّ المرأةَ كانت تجمعُ زوجًا وخِلْمًا؛ أي: خِدْنًا، فتجعلُ للزَّوجِ النِّصفَ الأسفلَ، وذلك ممنوعٌ عنِ الخِلْمِ،

---

(١) في (ف): «يستعمل للنساء».

(٢) في (ف): «غيره عنه».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٩٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣١٣٠).

وللخِلْمِ النِّصفَ الأعلى لا تـمنعُ من تقبيلِها وترشُّفِها، فعند ذلك يقولُ أحدُ الخلومِ لزوجِ صاحبتِه:

فهـل لـك فـي البـدالِ أبـا حروبٍ فـأرضـى بـالأكارعِ والعُجـوبِ(١)

وقيل: الجاهليةُ الأولى: قبلَ الإسلامِ، والثَّانيةُ: حالُ مَن عملَ بعملِ أولئك في الإسلامِ.

وقيل: الجاهليةُ الأولى: هي التي تقولُ لها: الجاهليَّةُ الجهلاءُ.

ومعنى الأولى: القديمةُ.

﴿وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ المفروضةَ، ﴿وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ الواجبةَ، ﴿وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ فيما يأمرُ وينهى.

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ في سببِ النُّزولِ: عن أبي سعيدٍ رضي الله عنه قال: نزلَتْ في خمسةٍ؛ في النَّبيِّ ﷺ، وعليٍّ، وفاطمةَ، والحسنِ، والحسَينِ، رضي الله عنهم(٢).

وعـن أمِّ سلـمةَ رضي الله عنها: أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان في بيتِها، فأتته فاطمةُ رضي الله عنها ببُرمةٍ فيها خَزيرةٌ، فدخلَتْ بها عليه فقال لها: «ادْعِي لي زوجَكِ وابنَيكِ». قالت: فجاءَ عليٌّ والحسنُ والحسينُ رضي الله عنهم، فدخَلُوا وجلَسُوا يأكلونَ من تلك الخزيرةِ، وهو عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ على منامةٍ له، وكان تحتَه(٣)

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٤٠٠)، والواحدي في «البسيط» (١٨/ ٢٣٩) وفيهما: «أبا خبيب»، بدل «أبا حروب»، و«والعجوز» بدل: «والعجوب»، وذكره ابن الجوزي في «أخبار النساء» (ص: ٤٧) عن الأصمعي، وفيه: «أبا زنيم».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ١٠٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣١٣١)، والثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٤٢).

(٣) في (ف): «لحفه».

كساءٌ خيبريٌّ، قالت: وأنا في الحجرةِ أُصلِّي، فأنزلَ الله هذه الآيةَ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

قالت: فأخذَ فضلَ الكساءِ فغشَّاهُم به، ثمَّ أخرجَ يدَيه فألوى بهما إلى السَّماءِ ثمَّ قال: «اللَّهمَّ هؤلاءِ أهلُ بيتي فأذهِبْ عنهم رجسَ الشَّيطانِ وطهِّرْهم تطهيرًا». قالت: فأدخلتُ رأسي البيتَ فقلتُ[١]: وأنا معكُم يا رسولَ الله؟ قال: «إنَّكِ إلى خيرٍ، إنَّكِ إلى خيرٍ»[٢].

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: نزلَتْ هذه الآيةُ في نساءِ النَّبيِّ ﷺ[٣].

عِكرمةُ: ليس الذي تذهبون إليه في الآيةِ، إنَّما هي في أزواجِ النَّبيِّ ﷺ، وكان عِكرمةُ يُنادي بهذا في السُّوقِ[٤].

والمُحقِّقون على أنَّها نزلَتْ فيهم خمستِهم وفي جميعِ نساءِ النَّبيِّ ﷺ بدليلِ ما تقدَّمَ وما تأخَّرَ منَ الآياتِ، ولأنَّ امرأةَ الرجلِ من أهلِ بيتِه بدليلِ قولِ الله في قصَّةِ إبراهيمَ عليه السَّلامُ: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ [هود: ٧٣].

---

(١) في (ف): «وقلت».

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٦٥٠٨)، والطبري في «تفسيره» (١٩/ ١٠٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣١٣١)، ورواه الترمذي (٣٨٧١) مختصراً وقال «هذا حديث حسن صحيح: وهو أحسن شيء روي في هذا الباب، وفي الباب عن عمر بن أبي سلمة، وأنس بن مالك، وأبي الحمراء»، قلت: وفي الباب من حديث عائشة رضي الله عنها عند مسلم (٢٤٢٤).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣١٣٢)، والثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ٤٢٤)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٥٥).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ١٠٧)، والثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ٤٢٥)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٥٥).

ومَن ذهبَ إلى الأوَّلِ جعل هذا اعتراضًا، وتقديرُه: وأَطِعْنَ الله ورسولَه واذكُرْنَ ما يُتلى.

و﴿أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ منصوبٌ على النِّداءِ، وأجازَ الزَّجَّاجُ نصبَه على المدحِ[1].

***

(٣٤) ـ ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾.

﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾ في ﴿وَٱذْكُرْنَ﴾ قولانِ:

أحدُهما: اذكُرْنَ نعمَتي عليكُنَّ إذ جعلتُكُنَّ أهلَ بيتِ النُّبوَّةِ، ومعدنَ نزولِ الوحيِ، وأزواجَ رسولِ الله ﷺ.

والثّاني: أمَرَهُنَّ أن يتَّعِظْنَ به، ويعمَلْنَ بموجَبِه.

وفي ﴿الْحِكْمَةِ﴾ قولانِ:

أحدُهما: أنَّها الكتابُ.

والثّاني ـ وهو قولُ الجمهورِ ـ: أنَّها السُّنَنُ، فيكونُ من بابِ قولِه:

مُتقلِّــدًا ســيفًا ورُمحًــا[2]

فإنَّه لا يُقالُ: تلوتُ السُّنَّةَ.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٢٢٦).

(٢) أي: وحاملًا رمحاً، وهذا عجز بيت لعبد الله بن الزِّبَعْرى، وهو في ديوانه (ص: ٣٢)، و«مجاز القرآن» (٢/ ٦٨)، و«معاني القرآن» للفراء (١/ ١٢١)، و«معاني القرآن» للأخفش (١/ ٢٧٧)، وتقدم عند تفسير الآية (٤٠) من الحج.

وقال أبو عليٍّ: التِّلاوةُ لا تُستعملُ إلّا في قراءةِ كتابِ الله[١].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾؛ أي: ﴿لَطِيفًا﴾ باختيارِكُنَّ له ﴿خَبِيرًا﴾ بأحوالِكُنَّ.

***

(٣٥) ـ ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾.

﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ في سببِ النُّزولِ: قال قتادةُ: لـمَّا ذكرَ اللهُ أزواجَ النَّبيِّ ﷺ دخلَتْ نساءٌ منَ المسلماتِ عليهنَّ وقُلنَ: ذُكِرْتُنَّ ولـم نُذْكَرْ، ولو كان فينا خيرٌ ذُكِرْنا، فأنزلَ اللهُ هذه الآيةَ[٢].

قال مقاتلُ بنُ حيَّان: بلَغَني أنَّ أسماءَ بنتَ عُمَيسٍ لـمَّا رجعَتْ منَ الحبشةِ مع زوجِها جعفرِ بنِ أبي طالبٍ دخلَتْ على نساءِ النَّبيِّ ﷺ فقالَتْ: هل نزلَ فينا شيءٌ منَ القرآنِ؟ قُلنَ: لا.

فأَتَتْ رسولَ الله ﷺ فقالَتْ: إنَّ النِّساءَ لفي خَيبةٍ وخسارٍ يا رسول الله، قال: «ومِمَّ ذاك؟» قالَتْ: لأنَّهن لا يُذكَرْنَ بخيرٍ كما يُذكَرُ الرِّجالُ، فأنزلَ الله: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾[٣]، وهم الذين على دينِ الإسلامِ في قولِه: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقيل: المُتذلِّلين.

---

(١) قال أبو علي الفارسي في «الحجة» (٦/ ٤٩): «التالي: القارئ».

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٣٤٣)، والطبري في «تفسيره» (١٩/ ١٠٩).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ٤٤٣)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٥٦).

﴿وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾: هم الذين كُتِبَ في قلوبِهم الإيمانُ.

وقيل: المُصَدِّقون اللهَ فيما وعدَهم وأوعدَهم.

﴿وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ﴾: المُطيعينَ لله في أمرِه ونهيِه. وقيل: الدَّاعين.

﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ﴾؛ أي: في أيمانِهم وعُهودِهم. وقيل: في أخبارِهم وأفعالِهم.

﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ﴾ على أمرِ الله وعن نهيِه. وقيل: الصّابرين في البأساءِ والضَّرّاءِ.

﴿وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ﴾: المُتواضِعين الخائفين. وقيل: المُصلِّين.

﴿وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ﴾: الذين يُخرِجون زكاةَ أموالِهم. وقيل: المُتطوِّعين بإعطاءِ النَّوافلِ.

﴿وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ﴾ يُريدُ صومَ شهرِ رمضانَ.

﴿وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ﴾؛ أي: عمّا لا يحلُّ، وأرادَ: والحافِظاتِها، فحُذِفَ منَ الثّاني؛ لأنَّ الأوَّلَ يدلُّ عليه.

﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ بالتَّسبيحِ والتَّحميدِ والتَّهليلِ والتَّكبيرِ، والذَّاكِراتِه.

وقيل: التَّالينَ القرآنَ.

وقيل: المُصلِّين.

﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً﴾ لذنوبِهم ﴿وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ لطاعاتِهم.

* * *

(٣٦) - ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ في التَّفسيرِ: أنَّها نزلَتْ في زينبَ بنتِ جحشٍ وأخيها، وذلك أنَّ النَّبيَّ ﷺ خطَبها لزيدٍ فكرِهَتْ ذلك وكرِهَه أخوها، فأنزَلَ الله هذه الآيةَ فرضِيا به[1].

وقال بعضُهم: كانت هذه أمَّ كلثومٍ بنتَ عقبةَ بنِ أبي مُعَيطٍ، وهَبَتْ نفسَها للنَّبيِّ ﷺ فزوَّجَها زيدَ بنَ حارثةَ، فكرِهَتْ ذلك فنزلَتْ[2].

والمعنى: ما كانَ لأحدٍ من أهلِ الإيمانِ حين حكمَ الكتابُ أو السُّنَّةُ بأمرٍ أن يختارَ غيرَه، ولا يجوزُ له أن يفعلَ إلَّا ما حكمَ اللهُ به في القرآنِ أو حكمَ به رسولُه في السُّنَّةِ.

﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ﴾ فخالفَ الكتابَ ﴿وَرَسُولَهُۥ﴾ فخالفَ السُّنّةَ، ﴿فَقَدْ ضَلَّ﴾ عن الصَّوابِ والرَّشادِ ﴿ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾: غيرَ خافٍ.

والخِيرَةُ: التخيير، قالَه الزَّجَّاجُ[3].

---

(١) روى نحوه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٤/ ٣٩)، والدارقطني في «سننه» (٣٧٩٦)، من حديث زينب بنت جحش رضي الله عنها. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٢٤٧): رواه الطبراني وفيه حفص بن سليمان وهو متروك وفيه توثيق لين. ورواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ١١٢ و١١٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما بإسنادين ضعيفين. ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٣٤٥) عن قتادة مرسلًا، ورواه أبو عوانة في «المستخرج» (١١/ ٣١٨) عن أنس رضي الله عنه، وليس فيه ذكر أخيها.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ١١٤) عن ابن زيد، وهو معضل.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٢٢٨).

الأخفشُ: إرادةُ اختيارِ الشَّيءِ على غيرِه من أمرِهم[1].

ومعنى ﴿قَضَى﴾: حكَمَ، وقيل: أحكَمَ.

* * *

(٣٧) ـ ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾.

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ يعني: بالإسلامِ ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ بالإعتاقِ والتَّبنِّي؛ يعني: زيدًا.

وقيل: ﴿أَنْعَمَ ٱللَّهُ﴾ ذُكِرَ تعظيمًا وإجلالًا؛ كما يقولُ الرَّجلُ لعبدِه: أعتقَكَ الله وأعتقْتُكَ، ومثلُه: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ٤١]، وكذلك ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة: ٦٢] في أحدِ وجوهِهما.

وأجمعَ المُفسِّرون على أنَّها نزلَتْ في زينبَ بنتِ جحشٍ، وكانت ابنةَ عمَّةِ النَّبيِّ ﷺ، زوَّجَها منه بعد أن كانت تكرَهُ ذلك، فرضِيَتْ لنزولِ الآيةِ على ما سبقَ في الآيةِ الأولى، وكانا لا يتَّفقانِ لِـمَا فيها منَ الكِبْرِ والحِدَّةِ، فلمَّا رآهما لا يتَّفقانِ وكثُرَتْ شكايةُ زيدٍ منها ومن تكبُّرِها عليه، خطرَ ببالِه ﷺ لأجلِ القرابةِ التي بينَهما أنْ لو طلَّقَها لتزوَّجَها النَّبيُّ ﷺ، ويُؤويها إلى نفسِه كما يضُمُّ القريبُ قريبَه إلى نفسِه، وكلَّما شكا زيدٌ إليه قال له: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ يعني: زينبَ، ﴿وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ في

---

(١) «من أمرهم»: ليس في (ف).

أمرِها، ﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾(١) أي: وتُخفي في نفسِكَ نكاحَها أنْ لو طلَّقَها زيدٌ، وهو الذي أبداه الله، فالمُخْفَى المُبْدَى هو النِّكاحُ.

وقال بعضُ المُفسِّرين: إنَّ زينبَ شاوَرَتْ رسولَ الله ﷺ في رجلَينِ أن يتزوَّجَها أحدُهما، معاويةُ، والثَّاني: أبو الجهمِ. فقال ﷺ: «أمَّا معاويةُ فصُعلوكٌ لا مالَ له، وأمَّا أبو الجهمِ فلا يرفعُ عصاه عن أهلِه، ولكنِّي أُزوِّجُكِ من زيدٍ»، فقالَتْ: لا أرضاه وأنا أيِّمُ قُريشٍ وابنةُ عمَّتِكَ. فقال ﷺ: «لكنِّي أرضاه لكِ»، ونزلَتِ الآيةُ، فرضِيَتْ(٢).

ثمَّ بعد أن تزوَّجَها زيدٌ أتى النَّبيُّ ﷺ منزلَ زيدٍ لحاجةٍ فرأى زينبَ في درعٍ وخمارٍ، فقال: «سبحانَ الله مُقلِّبِ القلوبِ» وخرجَ، فلمَّا عادَ زيدٌ أعلَمَتْه زينبُ ما كان منَ النَّبيِّ ﷺ، فعلِمَ أنَّها وقعَتْ في قلبِه، وفي بعضِ الرِّواياتِ: فكُرِّهَتْ إليه في الوقتِ، فأرادَ أن يفارِقَها(٣).

---

(١) كذا ذكر المؤلف هذه القصة، ولم أقف عليها بهذا السياق، وما ذكره من أنه لمَّا رآهما لا يتَّفقانِ وكثُرَتْ شكايةُ زيدٍ منها، خطرَ ببالِه ﷺ لأجلِ القرابةِ أنْ لو طلَّقَها لتزوَّجَها ويُؤويها إلى نفسِه، فلا أدري أهو خبر أم تفسير، وفي كلا الحالين فهو غير صحيح، وسيأتي قريباً ذكر ما صح منها.

(٢) لعل المصنف وهم في هذا، فالمعروف أن هذا في فاطمة بنت قيس وزواجها من أسامة بن زيد، فقد روى مسلم (١٤٨٠) عن فاطمة بنت قيس قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «إذا حللت فآذنيني»، فآذنته، فخطبها معاوية، وأبو جهم، وأسامة بن زيد، فقال رسول الله ﷺ: «أما معاوية فرجل ترب لا مال له، وأما أبو جهم فرجل ضراب للنساء، ولكن أسامة بن زيد» فقالت بيدها هكذا: أسامة، أسامة، فقال لها رسول الله ﷺ: «طاعة الله وطاعة رسوله خير لك»، قالت: فتزوجته، فاغتبطت.

(٣) قال ابن حجر في «الكافي الشاف» (ص: ١٣٤): ذكره الثعلبي بغير سند، وأخرج الطبري معناه من رواية عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قوله.

قلت: هو في «تفسير الثعلبي» (٢١/ ٤٥٢)، ورواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ١١٦) عن ابن زيد.

=

ورُوِيَ عن زينبَ أنَّها قالت: لـمَّا وقعتُ في قلبِ النَّبيِّ ﷺ لـم يستطِعْني زيدٌ وما أمتنعُ منه غيرَ ما يمنعُه الله منِّي، فلا يقدرُ على ذلك، فأتى النَّبيَّ ﷺ وقال: إنَّ زينبَ فيها كِبرٌ، وأنا أُريدُ طلاقَها، فقال النَّبيُّ ﷺ: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾ وفي نفسِه حبُّ تزوُّجِها أنْ لو طلَّقَها، وهو قولُه: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾، يعني: تزوُّجَها ونكاحَها؛ لأنَّ الله قال: ﴿مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾، وهو سُبحانَه لـم يُبدِ إلا تزوُّجَها، ولو كان فيها غيرُه لأبداه[1].

﴿وَتَخْشَى النَّاسَ﴾؛ أي: وتخشى أن يعيبَ النَّاسُ ما فعلتَ.

وقيل: تستَحيي النَّاسَ.

وقيل: ﴿تَخْشَى﴾: تكرَهُ.

= وهذا الحديث لا يصح سنداً ولا متناً، أما السند فلانقطاعه مع ضعف ابن زيد نفسه، وأما المتن فلما فيه من أنه أبصَرهَا بعْدَما أنكحهَا إيَّاهُ فوقَعتْ في نفْسِه، وللقاضي عياض في الرد على هذا الخبر في كتابه «الشفا» كلام طويل، وقد نقل عن القشيري قوله: وكيف يقال: رآها فأعجبَتْه، وهي بنتُ عمَّتِه، ولم يزَلْ يرَاها منذُ وُلِدَت، ولا كان النساءُ يحتجِبْنَ منه عليه السلام؟ وهو زوَّجَها لزيدٍ، وإنَّما جعلَ اللهُ تعالى طلاقَ زيدٍ لها، وتزويجَ النبيِّ ﷺ إياها؛ لإزالةِ حرمةِ التبنِّي وإبطالِ سنَّتِه؛ كما قال الله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ الآية [الأحزاب: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ﴾ الآية [الأحزاب: ٣٧].

وقال أيضاً: وأصحُّ ما في هذا ما حكاه أهلُ التفسيرِ عن عليِّ بن الحسينِ رضي الله عنهما.

قلت: سيأتي خبر علي بن الحسين قريباً.

(١) وهذا أيضاً لا يصح، فإن هذه رواية نوح بن أبي مريم رفع الحديث إلى زينب أنها قالت ذلك، كما ذكر القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ١٨٩)، ونوح بن أبي مريم أبو عصمة قال عنه ابن حجر في «التقريب»: كذبوه في الحديث، وقال ابن المبارك: كان يضع.

وقيل: تخشى قالةَ النَّاسِ؛ أي[١]: يقولون: أمرَه بتطليقِها ثمَّ تزوَّجِها.

وقيل: يقولونُ نكحَ امرأةَ ابنِه.

﴿وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُ﴾ لو كانَ في ذلك ما تخشى.

وروى المُفسِّرون عن عليِّ بنِ الحسينِ رضي الله عنهما أنَّه قال: كان اللهُ سبحانَه أعلمَه أنَّها ستكونُ من أزواجِه وأنَّ زيدًا يُطلِّقُها[٢]، فيكونُ المعنى على هذا:

---

(١) في (ن): «أن».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ١١٦ ـ ١١٧)، وابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» عند هذه الآية، والثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ٤٥٨)، والبيهقي في «الدلائل» (٣/ ٤٦٦).

وفصَّل القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ١٩٠) هذا القول فقال: وروي عن علي بن الحسين: أن النبي ﷺ كان قد أوحى الله تعالى إليه أن زيداً يطلق زينب وأنه يتزوجها بتزويج الله إياها، فلما تشكى زيد للنبي ﷺ خُلق زينب وأنها لا تطيعه، وأعلمه أنه يريد طلاقها، قال له رسول الله ﷺ على جهة الأدب والوصية: «اتق الله في قولك وأمسك عليك زوجك» وهو يعلم أنه سيفارقها ويتزوجها، وهذا هو الذي أخفى في نفسه، ولم يُردْ أن يأمره بالطلاق لما علم أنه سيتزوجها، وخشي رسول الله ﷺ أن يلحقه قول من الناس في أن يتزوج زينب بعد زيد، وهو مولاه، وقد أمره بطلاقها، فعاتبه الله تعالى على هذا القدر من أن خشي الناس في شيء قد أباحه الله له بأن قال: ﴿أَمۡسِكۡ﴾ مع علمه بأنه يطلق، وأعلمه أن الله أحق بالخشية؛ أي: في كل حال.

ثم قال: قال علماؤنا رحمة الله عليهم: وهذا القول أحسن ما قيل في تأويل هذه الآية، وهو الذي عليه أهل التحقيق من المفسرين والعلماء الراسخين: كالزهري، والقاضي بكر بن العلاء القشيري، والقاضي أبي بكر بن العربي، وغيرهم، والمراد بقوله تعالى: ﴿وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ﴾ إنما هو إرجاف المنافقين بأنه نهى عن تزويج نساء الأبناء وتزوَّج بزوجة ابنه، فأما ما روي أن النبي ﷺ هوي زينب امرأة زيد، فهذا إنما يصدر عن جاهل بعصمة النبي ﷺ عن مثل هذا، أو مستخف بحرمته، قال الترمذي الحكيم في «نوادر الأصول» ـ وأسند إلى علي بن الحسين قوله ـ: فعلي بن الحسين جاء بهذا من خزانة العلم جوهراً من الجواهر ودرًّا من الدرر، أنه إنما عتب الله عليه في أنه قد أعلمه أن =

﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ﴾ في بيانِ ما أخبرَكَ الله به من تزوُّجِها، ﴿وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ فلا تكتُمْ ما أخبرَكَ به؛ أي: هَلَّا أظهرتَ ذلك، ولِـمَ قُلتَ له: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ بعد ما أخبرَكَ به، فأظهرتَ[1] خلافَ ما أضمرتَ، وكان أن تخشى اللهَ في إظهارِ غيرِ ما في القلبِ أولى من أن تخشى النّاسَ.

قالت عائشةُ: لو كتَمَ رسولُ الله ﷺ شيئًا مـمَّا أُنزِلَ عليه لكتَمَ هذه الآيةَ[2].

وقال الحسنُ: ما أَتَتْ عليه أشدُّ منها[3].

وقال القفَّالُ: ليس في هذه القصَّةِ عتابٌ لرسولِ الله ﷺ، ولا إضافةُ مكروهٍ إليه فيما كانَ منه، وذلك أنَّها إن وقعَتْ بقلبِه فلا لومَ عليه فيه؛ لأنَّه ليس من فعلِ العبدِ.

ومعنى الآيةِ: أنَّ الله أخبرَه بإكرامِه إيَّاه بإيصالِه إلى محبَّتِه فقال: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾؛ أي: تقولُ هذا عامِلًا بما يلزمُكَ أن تعمَلَه؛ لأنَّ مَن يقعُ في قلبِه استحسانُ امرأةِ غيرِه فلا لومَ عليه في ذلك ولا عيبَ، ولكنْ ينبَغي له أن لا يُظهِرَ لذلك أمرًا يَخرجُ معه إلى مساءةِ زوجِ المرأةِ، ولا أن يسعى في إفسادِ ما بينهما بإغراءٍ وتضريبٍ وسعايةٍ وإكراهٍ على الفراقِ، فإذا لـم تفعَلْ هذا فقد جاهَدْتَ نفسَك، وعلى الله ثوابُك، ﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ

= ستكون هذه من أزواجك فكيف قال بعد ذلك لزيد: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ وأخذته خشية الناس أن يقولوا: تزوج امرأة ابنه ﴿وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾.

(١) في (ف): «وأظهرت».

(٢) رواه عن عائشة رضي الله عنها مسلم (١٧٧)، ورواه البخاري (٧٤٢٠) عن أنس رضي الله عنه.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ١١٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣١٣٦)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٤/ ٤٢)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٩١): «رواه الطبراني من طريق رجال بعضها رجال الصحيح».

مُبۡدِيهِ﴾ وهو محبَّتُك لأنْ تَبِينَ من زوجِها فتتزوَّجَها، فتقضيَ وطرَكَ منها بالوجهِ الذي أباحَه الله لك، وهذا أيضًا مدحٌ له، ﴿وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ﴾؛ أي: قالةَ النّاسِ لو أظهرَ الله ما أخفيتَ فيُزوِّجُكَها[١]، بأن يقولوا: نكحَ امرأةَ ابنِه، أو يقولوا: هَوِيَها فعَلِمَ بذلك زيدٌ فطلَّقَها ﴿وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ﴾ أي: لو كانَ في ذلك ما تخشى بأن يكونَ فعلًا لك لكانَ اللهُ عندَك أحقَّ بأن تخشاهُ، فلم تكُنْ لتفعلَه أصلًا، فمَن لامَكَ فهو جاهلٌ، فلا تكترِثْ بلَومِه ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا زَوَّجۡنَٰكَهَا﴾؛ أي: فقد أكرمْتُكَ بأن كَرَّهْتُها إلى زيدٍ فطلَّقَها فزوَّجْتُكَها إيصالًا لك إلى محبَّتِكَ، وتوسعةً عليك في المَلاذِّ المُباحةِ لك[٢].

﴿لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ فِيٓ أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ﴾ في نكاحِ أزواجِ المُتبنَّين ﴿إِذَا قَضَوۡاْ مِنۡهُنَّ وَطَرٗاۚ﴾.

قولُه: ﴿قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا﴾ كنايةٌ عن الطَّلاقِ؛ كما يقولُ الرجلُ لامرأتِه: لا حاجةَ لي فيك؛ يريدُ به طلاقًا، فتطلقُ.

وقيل: قضى محبَّتَه منها بغَضْتُها إليه.

وقيل: فلمَّا نالَ منها مُرادَه وملَّها فطلَّقَها.

ومعنى قضاءِ الوَطَرِ: إدراكُ الحاجةِ وبلوغُ المُرادِ منه.

﴿وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولٗا﴾؛ أي: ما قضاه الله كائنٌ، وقيل: وكان تزويجُ[٣] زينبَ كائنًا لا محالةَ.

---

(١) كذا في النسختين، والظاهر أنها ينبغي أن تكون: «فزوَّجكها».

(٢) وهذا كله مبني على أخبار لا تصح كما بيَّنا، وقد ذكرنا الصحيح في القصة، فلا حاجة لمثل هذه التعليلات.

(٣) في (ن): «تزوج».

وقيل: وكان قضاءُ الله في تزويجِ الأدعياءِ كائنًا بخلافِ أبناءِ الولادةِ وأبناءِ الرَّضاعِ.

وجاء في الحديثِ: أنَّ زينبَ رضي الله عنها كانت تفتخرُ على سائرِ نساءِ النَّبيِّ ﷺ وتقولُ: إنَّ الله تولَّى إنكاحي[١] منَ النَّبيِّ ﷺ، وأنتُنَّ إنَّما زوَّجَكُنَّ أولياؤُكُنَّ[٢].

قال الشَّعبيُّ: كانت زينبُ تقولُ للنَّبيِّ ﷺ: إنِّي لأُدِلُّ عليك بثلاثٍ لا تُدِلُّ بها غيري؛ جدِّي وجدُّك واحدٌ، وأنِّي أنكَحَنيك الله في السَّماءِ، وأنَّ السَّفيرَ جبريلُ[٣].

وقال يحيى بنُ سلامٍ: دعا رسولُ الله ﷺ زيدًا فقال له: ائتِ زينبَ فأخبِرْها أنَّ الله سبحانَه قد زوَّجَنيها، فانطلَقَ زيدٌ واستفتحَ البابَ، فقالت: مَن هذا؟ فقال: زيدٌ، قالت: وما حاجةُ زيدٍ إليَّ وقد طلَّقَني؟ فقال: رسولُ الله أرسلَني، فقالت: مرحبًا برسولِ رسولِ الله، ففتحَتْ له فدخَلَ عليها وهي تبكي، فقال زيدٌ: لا أبكى الله عينَكِ، قد كنتِ نعمتِ المرأةُ، إن كنتِ لتبرِّينَ قَسَمي، وتُطيعينَ أمري، وتتَّبعينَ دَعوَتي[٤]، وقد أبدَلَكِ الله خيرًا منِّي، قالت: مَن لا أبا لكَ؟ قال: رسولُ الله ﷺ، فخرَّتْ ساجدةً[٥].

قال أنسٌ رضي الله عنه: وجاء رسولُ الله ﷺ حتَّى دخلَ عليها بغيرِ إذنٍ[٦].

---

(١) في (ف): «نكاحي».

(٢) رواه البخاري (٧٤٢٠) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ١١٨)، والثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ٤٦٤).

(٤) في «تفسير يحيى بن سلام»: «وتتبعين مسرتي».

(٥) ذكره بهذا السياق يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٧٢٢) عن الكلبي، ورواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٢٨٥٠) مختصرًا عن ابن عباس رضي الله عنهما من طريق الكلبي.

(٦) رواه مسلم (١٤٢٨).

وكانت زينبُ أوَّلَ امرأةٍ ماتَتْ بعد موتِ النَّبيِّ ﷺ من أزواجِه، وأوَّلَ امرأةٍ حُمِلَتْ على نعشٍ؛ لأنَّ عمرَ رضي الله عنه قال حينَ ماتَتْ: واسَوأتاه؛ تُحمَلُ أمُّ المؤمنين مكشوفةً كما يُحمَلُ الرِّجالُ، فقالت أسماءُ بنتُ عُمَيسٍ: يا أميرَ المُؤمنين، إنِّي كنتُ شاهَدْتُ في بلادِ الحبشةِ شيئًا فيه للمرأةِ صيانةٌ، فوصفَتْه له، فأمرَ بعملِه، فلمَّا رآه قال: نِعمَ خِباءُ الظَّعينةِ[1].

***

(٣٨) ـ ﴿ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾.

﴿ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ ﴾: إثمٍ وضيقٍ.

﴿فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ﴾: أحلَّ له وأمرَه به، وهو نكاحُ زينبَ امرأةِ زيدٍ.

وقيل: ﴿فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ﴾: وَقَّتَ له من عَدَدِ النِّساءِ.

وقيل: معناه: في التي وهبَتْ نفسَها للنَّبيِّ.

﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ﴾؛ أي: سنَّةَ الله في الأنبياءِ الذين مَضَوا من قبلِه في زوالِ الحرجِ منهم ومن أمَّتِهم فيما أباحَه وأحلَّه لهم منَ الملاذِّ والمناكحِ.

الكلبيُّ ومُقاتلٌ: أرادَ داودَ عليه السَّلامُ جمعَ الله بينَه وبينَ المرأةِ التي هوِيَها حتَّى ولدَتْ ولدًا مثلَ سليمانَ عليه السَّلامُ[2].

وقيل: الإشارةُ بالسُّنَّةِ إلى النِّكاحِ؛ فإنَّه من سنَّةِ الأنبياءِ.

وقيل: إلى كثرةِ الأزواجِ، مثل قصَّةِ داودَ وسليمانَ عليهما السَّلامُ.

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٤٠٨).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٤٩٦)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ٤٦٦) عن الكلبي ومقاتل، وسيأتي الكلام على مثل هذه الروايات في تفسير سورة (ص).

و﴿سُنَّةَ﴾ نصبٌ على المصدرِ من غيرِ لفظِ الفعلِ الأوَّلِ، وقال الكوفيُّونَ: نصبٌ على القطعِ(١).

﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾: ماضيًا كائنًا.

* * *

(٣٩) ـ ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾.

﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: الذين كانوا يُبلِّغونَ، فحُذِفَ (كان) لأنَّ قولَه: ﴿خَلَوْا۟﴾ يدُل عليه.

﴿وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾ هذه صفةُ ﴿ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ﴾، ومحلُّه جرٌّ، والمعنى: لا يخشونَ قالةَ النَّاسِ ولائِمَتَهم فيما أحلَّ اللهُ لهم وفرضَ عليهم.

القَفَّالُ: يجوزُ أن يكونَ وصفًا للنَّبيِّ عليه السَّلامُ في قولِه: ﴿عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾، ويكونَ المرادُ به العمومَ(٢).

قال: ويجوزُ أن يكونَ رفعًا بالخبرِ، ويجوزُ أن يكونَ نصبًا بـ(أعني).

وقيل: هذه الخشيةُ غيرُ تلك؛ لأنَّ تلك في الدِّينِ، وهذه استِحياءٌ، وكانت في حقِّ نفسِه عليه السَّلامُ.

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾: حافظًا لأعمالِ خلقِه ومُحاسِبَهم عليها.

* * *

(١) يستعمل الفراء مصطلح القطع ويريد به الحال، ويستعمله ويريد به النصب بفعل محذوف، ويستعمله ويريد به الاستئناف، ولعل هذا هو المراد هنا. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٧) و(٢/ ٤٢٥) و(٢/ ٣٤٤).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩١٧)، واستغربه.

(٤٠) ـ ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾.

﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾؛ أي: من رجالِكم البالغين، وليس المُرادُ بالرِّجالِ الذُّكورَ؛ فإنَّه ﷺ كان أبا القاسمِ، والطَّيِّبِ، والطَّاهرِ، وإبراهيمَ، والحسَنِ، والحُسَينِ، عليهما السَّلامُ، فإنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «كلُّ بني ابنةٍ منسوبون إلى أبيهم إلا الحسنَ والحسينَ»، ورُوِيَ: «إلا أولادَ فاطمةَ، فإنِّي أنا أبوهم وعصبتُهم»[1].

﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ قُرِئَ بالكسرِ والفتحِ[2]؛ فمَن كسرَه جعلَه اسمَ الفاعلِ من خَتَم؛ أي: ختمَ به النَّبيِّين[3]، فليس بعده نبيٌّ، ومَن فتحَ جعلَه اسمًا؛ أي: آخِرَ النَّبيِّين.

وقيل: الفتحُ والكسرُ لغتانِ في الاسمِ.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ فلعِلْمِه بمصلحةِ عبادِه جعلَ محمدًا ﷺ آخِرَ النَّبيِّين.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (١٠٧٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٦٣١)، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه بلفظ: «كل ولد أب فإن عصبتهم لأبيهم، ما خلا ولد فاطمة؛ فإني أنا أبوهم وعصبتهم»، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٢٢٤): «فيه بشر بن مهران، وهو متروك».

ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢/ ٤٢٣) بلفظ: «لكل بني أنثى عصبة ينتمون إليه إلا ولد فاطمة، فأنا وليهم، وأنا عصبتهم»، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٢٢٤): «فيه شيبة بن نعامة، وهو ضعيف».

(٢) قرأ عاصم: ﴿خاتَم﴾ بفتح التاء، والباقون بكسرها. انظر: «السبعة» (ص: ٥٢٢)، و«التيسير» (ص: ١٧٩).

(٣) في (ف): «ختم النبيين».

وأفادَ دخولُ ﴿لَكِن﴾ أنَّ محمَّدًا ﷺ ليس بأبي أحدٍ من رجالِكم، بل هو أبو الجميعِ كما في مصحفِ أُبيٍّ: (وهو لهم أبٌ)[1].

وقيل: الفائدةُ فيه نفيُ الابنِ؛ لأنَّ منصبَه يقتَضي أنَّ ابنَه لو عاشَ لكان نبيًّا، فلم يكُنِ النَّبيُّ ﷺ حينَئذٍ خاتمَ النَّبيِّين، فلمَّا كانَ خاتمَ النَّبيِّين عُلِمَ أنَّه ما كان محمَّدٌ أبا أحدٍ من رجالِكم.

***

(٤١) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾ بالتَّسبيحِ والتَّحميدِ والتَّهليلِ والتَّكبيرِ.

وقيل: اذكُروه؛ أي: أطيعُوه، والطَّائعُ للهِ ذاكرُ اللهِ وإنْ كانَ ساكتًا، ولا تكونوا كالمُنافقين الذين لا يذكرون الله إلّا قليلًا.

***

(٤٢) ـ ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾.

﴿وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ﴾: أوَّلَ النَّهارِ ﴿وَأَصِيلًا﴾: آخرَ النَّهارِ.

وقيل: التَّسبيحُ: الصَّلاةُ؛ أي: صلُّوا بالغداةِ والعشيِّ، وخُصَّتا بالذِّكرِ لأنَّ ملائكةَ اللَّيلِ وملائكةَ النَّهارِ مُجتمعون فيهما.

وقيل: ﴿بُكۡرَةٗ﴾: صلاةُ الفجرِ ﴿وَأَصِيلًا﴾: الظُّهرُ والعصرُ والمغربُ والعِشاءُ.

وقيل: ﴿بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾: دائمًا.

---

(١) رواها عن أبي بن كعب رضي الله عنه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٣١٦)، وعن ابن عباس رضي الله عنهما الحاكم في «المستدرك» (٣٥٥٦)، ونسبت لابن مسعود في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٣٥).

أبو عبيدة: الأصيلُ: العصرُ[١].

غيرُه: الأصيلُ: العشيُّ.

* * *

(٤٣) ـ ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ﴾.

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيۡكُمۡ ﴾؛ أي: هو الذي يرحمُكم معاشرَ المُؤمنين ﴿وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾؛ أي: يستغفِرون لكم بأمرِه، من قولِه تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ﴾ الآيات [غافر: ٧ـ٩].

وقيل: نزلَتْ هذه بعد نزولِ قولِه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ﴾ [الأحزاب: ٥٦]، وسيأتي ذِكرُه إنْ شاءَ الله.

﴿لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾؛ أي: منَ الضَّلالةِ إلى الهدى، ومنَ الشِّركِ إلى الإيمانِ.

وقيل: من ظُلماتِ جهنَّمَ إلى نورِ الجِنانِ.

وقيل: منَ الجهلِ إلى العلمِ.

والمعنى: ليستَديمُوا الخروجَ منَ الظُّلماتِ إلى النُّورِ، لا أنَّهم حين يُصلِّي الله عليهم وملائكتُه في الظُّلماتِ.

وقيل: ﴿يُصَلِّى عَلَيۡكُمۡ﴾: يُثني عليكم، من قولِه: ﴿اذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢].

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ١٣٨) وفيه: «ما بين العصر إلى الليل».

أبو عُبيدةَ: ﴿يُصَلِّي عَلَيْكُمْ﴾: يُبارِكُ عليكم(١).

الفَرَّاء: ﴿يُصَلِّي عَلَيْكُمْ﴾: يغفرُ لكم ﴿وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾ تستغفرُ لكم(٢).

وقيل: في الآيةِ تقديمٌ وتأخيرٌ تقديرُه: وسبِّحوه بكرةً وأصيلًا ليُخرِجَكم منَ الظُّلماتِ إلى النُّورِ هو الذي يُصلِّي عليكم وملائكتُه.

﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾.

***

(٤٤) - ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾.

﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ أي: تحيَّةُ المُؤمنين منَ الله يومَ دخولِ الجنَّةِ سلامٌ.

وقيل: تحيَّتُهم منَ الله السَّلامةُ لهم من جميعِ الآفاتِ، فيكونُ مُضافًا إلى المفعولِ.

وقيل: تحيَّةُ بعضِهم بعضًا السَّلامُ.

وقيل: تُحيِّيهم الملائكةُ على أبوابِ الجنَّةِ بالسَّلامِ، وإذا دخلوها حيَّا بعضُهم بعضًا بالسَّلامِ، ثمَّ يأتيهم تحيَّةُ ربِّهم إيَّاهم بالسَّلامِ.

وقيل: تحيَّتُهم يومَ يلقَونَ الموتَ سلامٌ؛ أي: يُحيِّيهم ملَكُ الموتِ ويقولُ: الله يُقرِئُك السَّلامَ.

﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾: ثوابًا عظيمَ القَدْرِ؛ يعني: الجنَّةَ ونعيمَها.

***

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ١٣٨).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٤٥).

(٤٥) ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴾.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا ﴾ لأمَّتِكَ وعليهم ﴿وَمُبَشِّرٗا ﴾ للمُؤمنين ﴿وَنَذِيرٗا ﴾ للكافرين.

***

(٤٦) ـ ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴾.

﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ ﴾: إلى توحيده ﴿بِإِذۡنِهِۦ﴾: بأمرِه لك بالدُّعاءِ.

وقيل: ﴿بِإِذۡنِهِۦ﴾: بتوفيقِه.

﴿وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴾ أكثرُ المُفسِّرين على أنَّ السِّراجَ القرآنُ، فيكونُ له تقديرانِ:

أحدُهما: وتاليًا سراجًا.

والثّاني: وذا سراجٍ مُنيرٍ، ذا كتابٍ بيِّنٍ.

وقيل: (السِّراجُ المنيرُ) صفةٌ للنَّبيِّ ﷺ؛ أي: ضياءً لمَن اهتدَى به.

وقيل: السِّراجُ المنيرُ: الدَّالُّ المُبيِّنُ للنَّاسِ أمورَ دينِهم حتَّى يتبيَّنوا ذلك كتبيُّنِهم بالسِّراجِ.

***

(٤٧) ـ ﴿ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ﴾.

﴿ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ﴾؛ أي: يُعطيهم الزِّيادةَ على ما يستحِقُّونَ.

***

(٤٨) ـ ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾.

﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ فيما يَدْعونَكَ إليه من مُهادنةٍ ﴿وَدَعْ أَذَىٰهُمْ﴾ الأذى بمعنى: الإيذاءِ، فيحتمِلُ أن يكونَ مُضافًا إلى الفاعلِ؛ أي: لا تُبالِ بهم، ولا تخَفْ من إيذائِهم إيّاكَ، وقيل: تحمَّلْ عنهم[١].

ويحتمِلُ أن يكونَ مُضافًا إلى المفعولِ؛ أي: دَعْ إيذاءَكَ إيَّاهُم، وإليه ذهبَ الحسنُ[٢]، وقال: هي مكّيةٌ، ومثلُها: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤]، فتكونُ منسوخةً، والأوَّلُ أظهرُ.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾: فوِّضْ أمورَكَ إليه؛ فإنَّه[٣] لك كافٍ، وهذا يُقوِّي الوجهَ الأوَّلَ.

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾: حافِظًا ومُعينًا.

* * *

(٤٩) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾؛ أي: إذا تزوَّجتُم النِّساءَ المُؤمناتِ.

﴿ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾: تُجامِعوهُنَّ.

﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ﴾: فليس عليهنَّ أيامُ التَّربُّصِ بأنفُسِهنَّ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩١٩)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩١٩)، وذكر نحوه النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٢١٩) بلا نسبة، وانظر: «الناسخ والمنسوخ» لابن حزم (ص: ٥١).

(٣) في (ف): «وإنه».

﴿تَعْتَدُّونَهَا﴾ (اعتدَّ) يأتي على وجهين:

أحدُهما: بمعنى: عَدَّ، تقولُ: عَدَّ الشَّيءَ واعتَدَّه: أحصاه، ومنه: اعتَدَّتِ المرأةُ، فيكونُ إسنادُه إلى الرِّجالِ في هذه الآيةِ لبيانِ أنَّ العِدَّةَ حقُّ الزَّوجِ استبراءً للرَّحمِ[١].

والثاني: بمعنى: استوفَى، كما تقولُ: زانَه وازدانَه، وكالَه واكتالَه، وعدَّه عليه واعتَدَّه، فيكونُ المعنى: فما لكم عليهنَّ من عدَّةٍ تستوفُونَها.

﴿فَمَتِّعُوهُنَّ﴾ هذا لغيرِ المدخولِ بها غيرِ المفروضِ لـها، إنَّ المفروضَ لـها نصفُ ما فُرِضَ[٢].

وذهبَ بعضُهم إلى أنَّ المتعةَ واجبةٌ لكلِّ مُطلَّقةٍ، وقد سبَق في (البقرةِ).

﴿وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾: طلِّقوهُنَّ للسُّنَّةِ.

وقيل: أخرِجُوهُنَّ من منازِلكم؛ إذ ليس لكم عليهنَّ عِدَّةٌ.

* * *

(٥٠) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ﴾: مُهورَهُنَّ، وسُمِّيَ أجرًا لأنَّه العِوَضُ عن الشَّيءِ؛ أي: تزوَّجْتَهُنَّ على مهرٍ مفروضٍ معلومٍ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩١٩)، واستغربه.

(٢) قوله: «أن المفروضَ لـها نصفُ ما فُرِضَ»، كذا وقعت العبارة في النسختين، ولعل الصواب: «أمّا المفروضُ لـها فلها نصفُ ما فُرِضَ»، أو: «فإن المفروضَ لها لها نصفُ ما فُرِضَ».

﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ﴾ في التَّفسيرِ: كانت عندَه صفيَّةُ بنتُ حُييٍّ، وجُوَيريَةُ بنتُ الحارثِ، وكانَ ﷺ أعتقَهما وتزوَّجهما، وماريةُ القِبْطيَّةُ أهداها ملكُ إسكَنْدَر[ية][1].

القفَّالُ: هي ما كان يصطَفيه منَ الغنائمِ مـمَّا يشاءُ من جاريةٍ وغيرِها.

﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ﴾: بناتِ العبَّاسِ وغيرِه من أولادِ عبد المُطَّلبِ.

﴿وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ﴾ من ولدِ بناتِ عبد المُطَّلبِ.

﴿وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ﴾ من ولدِ عبدِ منافِ بنِ زُهرةَ.

﴿ٱلَّٰتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ هاجَرْنَ دارَ الشِّركِ كما هاجَرْتَ، ووحَّدَ العمَّ والخالَ وجمَعَ العمَّاتِ والخالاتِ لأنَّ بني العمِّ وبني الخالِ كثُرَ دَوْرُها في الكلامِ فحَسُنَ الإيجازُ[2] وعُرِفَ، ولـم يكثُرْ دَورُها مع العمَّةِ والخالةِ فجاءت على الأصلِ.

المُبرِّدُ: الواحدُ الذي يقومُ مَقامَ الجمعِ لا يكونُ إلا مذكَّرًا، نحو: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ [العصر: ٢]، و﴿يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ [الحج: ٥]، ﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا﴾ [الأنبياء: ٨]، قال: ولـم يأتِ مثلُ ذلك في المُؤنَّثِ[3].

﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ﴾ تمَّ الكلامُ على قولِه: ﴿هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾، ثمَّ استأنفَ فقال: ﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ أحلَلْنا له، فيكونُ بمعنى المستقبلِ؛ لأنَّ الشَّرطَ لا يكونُ في الماضي البتَّةَ.

---

(١) ما بين معكوفتين من «غرائب التفسير» (٢/ ٩١٩)، وماريةُ القبطيةُ هي ماريةُ بنتُ شَمعونَ أهداها إلى رسول الله ﷺ المقوقسُ صاحبُ الإسكندريَّة، وأهدى معها أختها سيرينَ. رواه الحاكم في «المستدرك» (٦٨١٩) عن مصعب بن عبد الله الزبيري.

(٢) في (ف): «المجاز».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٢٠).

ويُقوِّي هذا قولُ ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما ومجاهدٍ، فإنَّهما قالا: لـم يكُنْ عندَه ﷺ امرأةٌ وهبَتْ نفسَها له[١].

قال القفَّالُ: معنى ﴿أَحۡلَلۡنَا لَكَ﴾: إدامةُ إحلالِ مَن كُنَّ عندَه ﷺ، واستئنافُ إحلالِ مَن لـم يكُنْ عندَه.

وقُرِئَ (أنْ وهَبَتْ) بالفتحِ[٢]، و: (وَهَبَتْ) من غيرِ ﴿إن﴾[٣]، فعلى هذَين الوجهَين محمولٌ على الأوَّلِ.

واختلَفُوا في الواهبةِ نفسَها منه ﷺ: قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما ومجاهدٌ: لـم يكُنْ عندَه امرأةٌ وهبَتْ نفسَها له، كما ذكَرْتُ[٤].

قالت عائشةُ رضي الله عنها: إنَّها خولةُ بنتُ حكيمٍ[٥].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ١٣٤)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٦٠٦٦)، عن ابن عباس رضي الله عنهما. ورواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٧١٧٢)، والطبري في «تفسيره» (١٩/ ١٣٥) عن مجاهد بلفظ: «﴿إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا﴾: إن تهب نفسها».

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢١) عن الحسن وعيسى وسلاَّم، و«المحتسب» (٢/ ١٨٢) عن أبي بن كعب والحسن وسلَّام.

(٣) نسبت لابن مسعود رضي الله عنه. انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٤٥)، و«المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢١).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩١٩)، واستغربه.

(٥) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٥٥) عن عائشة رضي الله عنها. وصح هذا عن عروة بن الزبير، رواه البخاري (٥١١٣) عنه قال: «كانت خولة بنت حكيم من اللاتي وهبن أنفسهن للنبي ﷺ، فقالت عائشة: أما تستحي المرأة أن تهب نفسها للرجل. قال الحافظ في «الفتح» (٩/ ١٦٤): «هذا مرسل؛ لأن عروة لم يدرك زمن القصة، لكن السياق يشعر بأنه حمله عن عائشة رضي الله عنها».

وقيل: ميمونةُ بنتُ الحارثِ(١).

وقيل: زينبُ بنتُ خُزَيمةَ أُمُّ المساكينِ، امرأةٌ منَ الأنصارِ(٢).

وقيل: هي أُمُّ شَرِيكٍ بنتُ جابرٍ(٣).

﴿إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا﴾ نَكَحَ واستنكَحَ بمعنًى.

وقيل: طلَبَ نكاحَها.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ١٣٥)، من طريق سعيد عن قتادة عن ابن عباس رضي الله عنهما. ورواه عبد الرزاق في «المصنف» (٢٢٦٦) و(٢٢٦٧) من قول عكرمة والزهري وقتادة.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٥٤)، والماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٤٥٠)، والقرطبي في «تفسيره» (١٧/ ١٨٢)، عن الشعبي. وقولهم فيه: «من الأنصار» تعقبه ابن كثير في «البداية والنهاية» (٨/ ٢٢٣) بقوله: «وأمَّا حكايةُ الماوَرديِّ عن الشَّعبي أنَّ زينبَ بنتَ خُزيمةَ أمَّ المساكينِ أنصاريةٌ، فليس بجيدٍ؛ فإنها هلاليةٌ بلا خلافٍ».

قلت: وقد ذكره البغوي في «تفسيره» (٦/ ٣٦٤) عن الشعبي فقال: «الهلالية» على الصواب.

وقد روى ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٧١٧٤)، والطبري في «تفسيره» (١٩/ ١٣٥)، عن الشعبي: «أنها امرأة من الأنصار وهبت نفسها للنبي، وهي ممن أرجأ».

(٣) رواه ابن سعد في «الطبقات» (٨/ ١٥٥)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٧١٧٣)، والطبري في «تفسيره» (١٩/ ١٣٦)، عن علي بن الحسين. وفي هذه المصادر: أنها من الأَزْد، وليس فيها: «بنت جابر». وكونها بنت جابر رواه ابن سعد في «الطبقات» (٨/ ١٥٥) عن منير بن عبد الله الدوسي في خبر طويل، وفيه أنه ﷺ قد قبلها. وروى النسائي في «الكبرى» (٨٨٧٩) عن هشام بن عروةَ، عن أبيه، عن أم شَرِيك: «أنها كانت فيمَن وهبت نفسها للنبي ﷺ» قال الحافظ في «الإصابة» (٨/ ٢٤٠): «ورجاله ثقات، ولم ينسبها».

وقد وقع في اسمها ونسبها، وهل قبلها النبي أم لم يقبلها؟ خلاف كثير. انظر: «الإصابة» (٨/ ٢٣٧و٢٣٨) ترجمة أم شريك الدوسية، وأم شريك العامرية القرشية، و«صفة الصفوة» لابن الجوزي (٢/ ٥٣).

﴿خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ابنُ زيدٍ في جماعةٍ: معناه: أنَّ الواهبةَ نفسَها لك خالصةٌ لا يحلُّ لأحدٍ من أمَّتِك أن يتزوَّجَها في حياتِك وبعد وفاتِك[1].

قتادةُ ومجاهدٌ: هو أن يتزوَّجَها بغيرِ مهرٍ، ولا يحلُّ لغيرِك[2].

وقيل: إنَّ النِّكاحَ بغيرِ وليٍّ ولا شهودٍ خالصةٌ للنَّبيِّ.

وقيل: تملكُ نكاحَها بلفظِ الهبةِ، وليس ذلك لغيرِك.

وقيل: خلوُّ الوطءِ عن البدلِ خالصةٌ لك.

وقيل: ﴿خَالِصَةً﴾ صفةٌ للمرأةِ؛ أي: خصَّكَ الله بها.

وقيل: ﴿خَالِصَةً﴾ ترجعُ[3] إلى جميعِ ما في الآيةِ؛ أي: هذا الإكثارُ منَ النِّكاحِ ﴿خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، وأنهم مقصورون على أربعِ نسوةٍ، وهذا القولُ عن أبيِّ بنِ كعبٍ[4].

و﴿خَالِصَةً﴾ و(خاصَّةً) مصدرانِ يستوي فيهما لفظُ المذكَّرِ والمُؤنَّثِ؛ كالخاطئةِ والكاذبةِ واللَّاغيةِ بمعنى: الخطيئةِ والكذبِ واللَّغوِ.

﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ﴾ يُريدُ: شرائطَ صِحَّةِ النِّكاحِ: من حُضورِ الوليِّ، والشُّهودِ، والصَّداقِ، وأن يكون على عددٍ معلومٍ.

---

(١) روى الطبري في «تفسيره» (١٩/ ١٣٣) عن ابن زيد قال: «كان كل امرأة آتاها مهرًا فقد أحلها الله له، إلى أن وهب هؤلاء أنفسهن له، فأحللن له دون المؤمنين بغير مهر ﴿خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ إلا امرأة لها زوج».

(٢) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (١٩/ ١٣٢).

(٣) في (ف): «يرجع».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ١٣٤).

﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ بالشِّرى وغيرِه من وجوهِ الإملاكِ.

وقيل: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ﴾ فقصَرْناهم على أربعٍ.

﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾: ضِيقٌ وحظرٌ، ولامُ ﴿لِكَيْلَا﴾ مُتَّصلٌ بما قبلَه؛ أي: قد خصَصْناكَ في بابِ النِّكاحِ بأشياءَ ﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾ في النِّكاحِ، فعلى هذا يكونُ قولُه: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ﴾ مُتَّصلًا بالمؤمنين، والوصلُ أحسنُ منَ الوقفِ.

ويحتمِلُ أن يكونَ المعنى: ﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾ إذا سألَكَ المؤمنون عن فرضِ النِّكاحِ.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ لمَن قامَ بهذه الأحكامِ ولم يتعدَّها ﴿رَّحِيمًا﴾ حيثُ وسَّعَ عليه الأمرَ.

* * *

(٥١) - ﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾.

﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ﴾ في سببِ النُّزولِ: أنَّها نزلَتْ حين غارَ بعضُ نساءِ النَّبيِّ ﷺ وآذينَه بالغيرةِ وطَلَبِ زيادةِ النَّفقةِ، فهجرَهُنَّ رسولُ الله ﷺ شهرًا حتَّى نزلَتْ آيةُ التَّخييرِ، وأمرَه الله أن يُخيِّرَهُنَّ بين الدُّنيا والآخرةِ، وأن يُخلِّيَ سبيلَ مَن اختارَتِ الدُّنيا، ويُمسِكَ مَن اختارتِ الله ورسولَه على أنَّهنَّ أمَّهاتُ المُؤمنين، ولا يُنكَحْنَ أبدًا، وعلى أنَّه يُؤوي مَن يشاءُ إليه، ويُرجي مَن يشاءُ منهنَّ ويرضينَ به؛

قسَمَ لهنَّ، أو لـم يَقسِمْ، أو فَضَّلَ بعضَهُنَّ على بعضٍ في النَّفقةِ والقِسمةِ، ويكونُ الأمرُ في ذلك إليه، يفعلُ ما يشاءُ، فرَضِينَ بذلك كلِّه، فكانَ رسولُ الله ﷺ مع هذا كلِّه يُسوِّي بينهُنَّ في القَسْمِ(١).

روَتْ مُعاذةُ عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: كانَ رسولُ الله ﷺ بعدما نزلَتْ هذه الآيةُ يستأذِنُنا إذا كان في يومِ المرأةِ منّا، قالت مُعاذةُ: فقلتُ: ما كنتِ تقولين؟ قالت: كنتُ أقولُ: إنْ كان ذلك إليَّ لـم أُوثِرْ أحدًا على نفسي(٢).

وعن هشامِ بنِ عُروةَ عن أبيه عن عائشةَ رضي الله عنها: أنَّها قالت لرسولِ الله ﷺ حين نزلَتْ هذه الآيةُ: أرى ربَّكَ يُسارِعُ لك في هواك(٣).

والإيواءُ: الضَّمُّ والتَّقريبُ.

والإرجاءُ: التَّأخيرُ، يُهمَزُ ولا يُهمَزُ(٤).

وكانت ممَّن آوى: عائشةُ، وحفصةُ، وزينبُ، وأمُّ سلمةَ.

وكانت ممَّن أرجى: أمُّ حبيبةَ، وميمونةُ، وصفيَّةُ، وسودةُ، وجُوَيريَةُ، رضي الله عنهنَّ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ١٤٢) عن ابن زيد، وهو مرسل، وأوله عند مسلم (١٤٧٨) من حديث جابر قال: «دخل أبو بكر على النبي ﷺ والناس على الباب جلوس...»، الحديث، وفيه قول النبي ﷺ: «هن حولي كما ترى يسألنني النفقة» فذكر الحديث، وفيه: «فأنزل الله آية التخيير».
وقوله: «وهجرهن شهراً» هو من حديث عائشة عند البخاري (٥١٩١)، ومسلم (١٠٨٣).

(٢) رواه البخاري (٤٧٨٩)، ومسلم (١٤٧٦).

(٣) رواه البخاري (٤٧٨٨)، ومسلم (١٤٦٤).

(٤) قرأ ابن كثير وأبو بكر وأبو عمرو وابن عامر: ﴿تُرْجِئُ﴾ بالهمز، وباقي السبعة بغير همز. انظر: «السبعة» (ص: ٥٢٣)، و«التيسير» (ص: ١١٩).

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ﴾؛ أي: تُطلِّقُ مَن تشاءُ، وتُمسِكُ مَن تشاءُ(١).

﴿وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ﴾: طلَبْتَ ﴿مِمَّنْ عَزَلْتَ﴾؛ أي: طَلَّقْتَ بالرَّجعةِ ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾.

الحسنُ: هذا في الابتداءِ؛ أي: تتركُ نكاحَ مَن شئتَ وتنكحُ مَن شئتَ، ومَن طلبتَ ممَّن تركتَ ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾(٢).

وقيل: هذا مُتَّصلٌ بقولِه: ﴿إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾؛ أي: تَرُدُّ نكاحَ مَن شئتَ، وتقبَلْ نكاحَ مَن شئتَ.

مجاهد: تعزِلُ مَن شئتَ منهنَّ فلا تأتيها، وتأتي مَن شئتَ فلا تعزلُها ﴿وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾(٣).

قتادةُ: تُؤخِّرُ عن الفراشِ، وتُؤوي إلى الفراشِ(٤).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ١٤٠).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ٤٩٨)، والماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٤١٥)، كلاهما دون قوله: «ومن طلبت...».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ١٣٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣١٤٦).

(٤) رواه ابن وهب في «جامعه ـ التفسير» (١٩/ ١٤٣) بلفظ: «كان هذا شيء جعله الله لنبيه وليس لأحد غيره، كان يدع المرأة من نسائه ما بدا له من غير طلاق، فإذا شاء راجعها ويتركها كذلك»، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٣٦٤) بلفظ: «كان النبي ﷺ موسعاً عليه في قسم أزواجه أن يقسم بينهن كيف شاء فذلك قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ﴾ [الأحزاب: ٥١] إذا علمن أن ذلك من الله»، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ١٤٣) بلفظ: «هذه في نسائه، إن شاء أتى من شاء منهن، ولا جناح عليه».

﴿وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ﴾ يجوزُ أن يكونَ رفعًا بالابتداءِ ﴿فَلَا جُنَاحَ﴾ خبرُه، ويجوزُ أن يكونَ نصبًا، ويكونُ شرطًا ﴿فَلَا جُنَاحَ﴾ جزاؤُه.

﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ﴾؛ أي: إنَّك إذا لـم تجعَلْ لواحدةٍ منهنَّ يومًا كُنَّ في ذلك سواءً؛ تُؤمِّلُ أن تُؤْوِيَها إلى فراشِكَ بدلًا عن صاحبَتِها.

وقيل: هذا يرجعُ إلى قولِه: ﴿وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ﴾؛ أي: إذا آويتَ المعزولةَ طابت سائرُ المعزولاتِ نفسًا، فلم ينقطِعْ طمعُهنَّ فيك.

وقيل: معناه: هذا الذي أبحتُه لك من تركِ القَسْمِ وغيرِه إذا علِمْنَ أنَّه من قِبَلي ومن أمري طابَتْ نفوسُهنَّ بذلك منك؛ لعلمِهنَّ بالثَّوابِ على طاعتِهنَّ، وإذا كان مِن قِبَلِك حزِنَّ وحمَلْنَ على مَيلِكَ إلى بعضِهنَّ دون بعضٍ.

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ﴾ فاجتَهِدوا في الإحسانِ إليهنَّ وطلَبِ رِضاهُنَّ.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بمَن عدلَ فيهنَّ ﴿حَلِيمًا﴾ عمَّنْ لا يعدلُ، فلا يُعجِّلُ بالجزاءِ.

و﴿كُلُّهُنَّ﴾ رفعٌ تأكيدٌ للضَّميرِ في ﴿يَرْضَيْنَ﴾.

* * *

(٥٢) - ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا﴾.

﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ﴾ في هذه الآيةِ أقوالٌ:

عليٌّ وابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما والضَّحَّاكُ: ذهبوا إلى أنَّها منسوخةٌ بالآيةِ

التي سبقَتْ وهي: ﴿تُرۡجِي مَن تَشَآءُ مِنۡهُنَّ وَتُـٔۡوِيٓ إِلَيۡكَ مَن تَشَآءُ﴾[١]، وإلى هذا ذهبَتْ عائشةُ رضي الله عنها، وقالت: ما ماتَ رسولُ الله ﷺ حتَّى أحلَّ الله له النِّساءَ[٢].

وعن أمِّ سلمةَ رضي الله عنها قالت: لم يمُتْ رسولُ الله ﷺ حتَّى أحلَّ الله له أن يتزوَّجَ منَ النِّساءِ مَن شاء إلّا ذاتَ مَحرَمٍ[٣].

ولا يمتنعُ صحةُ هذا التَّأويل لتقدُّمِ الآيةِ النَّاسخةِ على المنسوخةِ؛ لأنَّ ذلك في التِّلاوةِ لا في النُّزولِ، كما قلنا: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ﴾ [البقرة: ٢٣٤] في (البقرة).

والقولُ الثّاني: أنَّها مُحكَمةٌ، وأنَّ الله سبحانَه أحلَّ لنبيِّه نساءَه التِّسعَ وستَّةَ أصنافٍ أُخرى؛ بناتِ العمِّ، وبناتِ العمّةِ، وبناتِ الخالِ، وبناتِ الخالةِ، وامرأةً مؤمنةً تهبُ نفسَها للنَّبيِّ، وما شاء منَ الإماءِ، وحرَّمَ ما سوى ذلك منَ الكتابيَّاتِ، والعربيَّاتِ النَّسبِ كما تقدَّمَ في الآية الأولى، وهي: ﴿إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ﴾ الآية.

والقولُ الثّالثُ: قال الحسنُ: قصَرَه الله على التِّسعِ اللَّاتي اختَرْنَ الله ورسولَه، وحرَّمَ عليه أن يتزوَّجَ سواهُنَّ، وأباحَ له التَّسرِّيَ ما شاء[٤].

قوله ﴿مِنۢ بَعۡدُ﴾ قيل: من بعد هذه الصِّفةِ.

---

(١) ذكره النحاس في «ناسخه» (ص: ٦٢٨) عن علي وابن عباس رضي الله عنهم وعلي بن الحسين والضحاك، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٢١)، واستغربه.

(٢) رواه الترمذي (٣٢١٦)، والنسائي (٣٢٠٤)، وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح».

(٣) رواه الطحاوي في «مشكل الآثار» (١/ ٤٥٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣١٤٧)، والنحاس في «ناسخه» (ص: ٦٢٨).

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٣٦٥)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣/ ٥٣٩)، والطبري في «تفسيره» (١٩/ ٨٧).

وقيل: من بعدِ المسلماتِ.

وقيل: من بعدِ ما قصَّ عليك.

وقيل: من بعدِ اللَّواتي عندك.

﴿وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٍ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ﴾؛ أي: ليس لك أن تستبدلَ بهنَّ غيرَهن وإن وقعَ في قلبِك حبُّهنَّ.

قيل: إنَّ التي أعجبَه حسنُها أسماءُ بنتُ عُمَيسٍ بعد قتلِ جعفرِ بنِ أبي طالبٍ عنها[1].

وقيل: حرَّمَ عليه أن يُبدِّلَ بعضَ نسائِه بيهوديَّةٍ أو نصرانيَّةٍ، وفيه بُعْدٌ.

وأبعَدُ من هذا ما حُكِيَ عن ابنِ زيدٍ: أنَّ العربَ كانت تُبادِلُ بأزواجِها، يقولُ أحدُهم للآخرِ: خُذْ زوجتي وأعطِني زوجتَك[2]، فنفَى الله ذلك عنه ﷺ، وهذا يقتَضي: ولا أنْ تُبادِلَ بهنَّ.

قولُه: ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ﴾؛ أي: الإماءُ، و﴿مَا﴾ محلُّه رفعٌ، وإن شئتَ قلتَ: نصبٌ[3].

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا﴾: حافظًا غيرَ ساهٍ ولا غافلٍ.

* * *

---

(١) ذكره مقاتل في «تفسيره» (٣/ ٥٠٣). ونسبه الثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ٥٠٧)، والبغوي في «تفسيره» (٦/ ٣٦٨)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٤/ ٣٩٤) لابن عباس رضي الله عنهما. وضعفه ابن العربي في «أحكام القرآن» (٣/ ٦٠٧).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ١٥٢)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٤١٧).

(٣) النصب على الاستثناء، والرفع على البدل من ﴿ٱلنِّسَآءُ﴾؛ لأن الاستثناء تام منفي، فجاز فيه الوجهان.

(٥٣) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾ في سببِ النُّزولِ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ لـمَّا بنى بزينبَ بنتِ جحشٍ أَوْلـمَ عليها بتمرٍ وسَوِيقٍ، وذبَحَ شاةً، قال أنسٌ رضي الله عنه: وبعَثَتْ أمِّي أمُّ سُلَيمٍ بحَيْسٍ في تورٍ من حجارةٍ، فأمَرَني النَّبيُّ ﷺ أن أدعوَ أصحابَه إلى الطَّعامِ، فدعَوتُهم، فجعلَ القومُ يجيئون ويأكُلون ويخرُجون، ثمَّ يجيءُ القومُ فيأكُلون ويخرُجون، فقلتُ: يا نبيَّ الله، قد دعوتُ حتَّى ما أرى أحدًا أدعوه. فقال: «ارفَعُوا طعامَكم» فرفَعُوا، وخرجَ القومُ وبقِيَ ثلاثةُ نفرٍ(١) يتحدَّثون في البيتِ، فأطالُوا المكثَ، وتأذَّى بهم رسولُ الله ﷺ، وكان شديدَ الحياءِ، فنزلَت هذه الآيةُ(٢).

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: نزلَتْ في ناسٍ منَ المُؤمنين كانوا يتحيَّنون طعامَ رسولِ الله ﷺ فيدخُلون عليه قبل الطَّعامِ إلى أن يُدْرِكَ، ثمَّ يأكُلون ولا يخرُجون، وكان رسولُ الله ﷺ يتأذَّى بهم، فنزلَتْ هذه الآيةُ(٣).

---

(١) «نفر» من (ف).

(٢) رواه البخاري (٥١٦٣)، ومسلم (١٤٢٨). ولفظ المصنف من «تفسير الثعلبي» (٢١/ ٥١٣).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ٥١٩)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٤/ ٣٩٥)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٤٧٨).

والمعنى: لا تدخُلوا منازلَ النَّبيِّ ﴿إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ﴾؛ أي: إلا أن يدعوَكم إلى طعامٍ يُريدُ أن يُطعِمَكُموه، والتَّقديرُ: إلا بأنْ[1] يُؤذَنَ، ولِأَنْ يُؤذَنَ لكم.

﴿غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾: غيرَ مُنتظرين إدراكَه وما يُرادُ أن يبلغَه، وفيه ثلاثُ لغات: أَنى الشَّيءُ أَنًى، وإِنًى، وأَنْيًا.

و﴿غَيْرَ نَٰظِرِينَ﴾ حالٌ من ﴿لَكُمْ﴾، والمعنى: غيرَ مُنتظِرين إناه.

وقُرِئَ في الشَّواذِّ: (غيرِ) بالجرِّ[2]، وأجازَه الفرَّاءُ[3]، وهو ضعيفٌ عند البصريِّين غيرُ جائزٍ؛ لأنَّه جرى على غيرِ مَن له الفعلُ، فلا بدَّ من إبرازِ الضَّميرِ وهو «أنتم»[4].

﴿وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُواْ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ﴾: تفرَّقوا ولا تمكُثوا بعد الفراغِ من الطَّعامِ.

﴿وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾؛ أي: لا تشتَغِلوا بعد الفراغِ منَ الطَّعامِ بحديثٍ يحدِّثُ بعضُكم بعضًا ليُؤنسَه به.

و﴿مُسْتَـْٔنِسِينَ﴾ نصبٌ بالعطفِ على ﴿غَيْرَ نَٰظِرِينَ﴾.

الفرَّاءُ: جرٌّ بالعطفِ على ﴿نَٰظِرِينَ﴾؛ أي: غيرَ ناظرين وغيرَ مُستأنسين[5].

الزَّجَّاجُ: نصبٌ تقديرُه: لا تدخُلوا مستأنِسين[6].

---

(١) في (ن): «أن».

(٢) انظر: «الكامل» للهذلي (ص: ٦٢١) عن نصر بن علي.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٤٧).

(٤) قال الزجاج في «معاني القرآن» (٤/ ٢٣٤): «ولا يجوز الخفض في (غير)؛ لأنها إذا كانت نعتاً للطعام لم يكن بد من إظهار الفاعل، لا يجوز إلا: غير ناظرين إناه أنتم».

(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٤٧).

(٦) لم أجده عن الزجاج صريحاً، ولكن الزجاج قدّر فعلًا في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ﴾، ثم قال: «وهذا كما قال»، وذكر الآية، فلعل المصنف نقل عنه لأجل هذا. انظر «معاني =

﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ﴾؛ أي: إنَّ في لُبثِكم بعد الفراغِ أذًى للنَّبيِّ، يضيقُ المنزلُ عليه وعلى أهلِه ﴿فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ﴾ أن يأمُرَكم بالخروجِ من منزلِه.

﴿وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾: لا يتركُ إبانةَ الحقِّ، بل يأمُرُكم بما فيه تعظيمُ نبيِّه بتركِ دخولِ بيتِه بغيرِ إذنِه، وتركِ اللُّبثِ في منزلِه بعد الفراغِ ممَّا يدعوكُم له.

وقُرِئَ بينَ يدَي إسماعيلَ بنِ حكيمٍ(١) هذه الآيةُ فقال: هذا أدبٌ أدَّبَ اللهُ به الثُّقلاءَ(٢).

وعن الحسنِ والسُّدِّيِّ قالا: ذكرَ اللهُ الثُّقلاءَ في القرآنِ فقال: ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟﴾(٣).

= القرآن» (٥/ ١٣٩)، وهذا القول قاله السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٧٠)، وذكره دون عزو المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٢١).

(١) في «تفسير الثعلبي» (٢١/ ٥٢٤): «إسماعيل بن أبي حكيم». ووهَّم البخاري من قال: إسماعيل بن حكيم، وهو إسماعيل بن أبي حكيم مولى عثمان بن عفان، وقيل: مولى الزبير بن العوام، مدني قرشي، وثقه يحيى بن معين وغيره، وكان كاتب عمر بن عبد العزيز، وله به اختصاص، روى له مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه، توفي سنة (١٣٠هـ). انظر: «تهذيب الكمال» (٣/ ٦٣ ـ ٦٦)، و«تاريخ الإسلام» للذهبي (٣/ ٣٧٠).

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ٥٢٤)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٢٢)، واستغربه.

(٣) ذكره عنهما ابن عبد البر في «بهجة المجالس» (ص: ١٥٦)، وعن الحسن ابنُ قتيبة في «عيون الأخبار» (١/ ٤٢٧)، والسمعاني في «تفسيره» (٤/ ٣٠١)، ورواه الثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ٥٢٥) عن ابن عائشة، وهو عبيد الله بن محمد بن حفص القرشي التيمي، أبو عبد الرحمن البصري، من ولد عائشة بنت طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه، توفي سنة (٢٢٨هـ). وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣١٤٩) عن سليمان بن أرقم في قوله: ﴿وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾ قال: «نزلت في الثقلاء».

﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا﴾ أثاثًا. وقيل: صحُفَ القرآنِ. وقيل: شيئًا مـمَّا يُنتَفَعُ به من طعامٍ وآلةٍ وأداةٍ.

﴿فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ ذهبَ جلُّ المُفسِّرين إلى أنَّ سببَ نزولِ آيةِ الحجابِ قولُ عمرَ رضي الله عنه للنَّبيِّ ﷺ: لو حجَّبْتَ أمَّهاتِ المؤمنين؛ فإنَّه يدخلُ عليك البرُّ والفاجرُ(١).

وفي سببِ النُّزولِ: أنَّ رجلًا كان يأكلُ مع النَّبيِّ ﷺ وعائشةُ رضي الله عنها معهما، فأصابَتْ يدُ الأعرابيِّ يدَ عائشةَ، فكرِهَ النَّبيُّ ﷺ ذلك(٢).

وقيل: كان ذلك الرَّجلُ عمرَ رضي الله عنه، فأصابت أصبعُه أصبعَ عائشةَ رضي الله عنها فقال: حَسِّ ـ وهي كلمةٌ تستعملُ عندَ الوجعِ منَ(٣) الشَّيءِ مثلُ (أوه) ـ لو أُطاعُ ما رأتكُنَّ عينٌ، فنزلَتْ آيةُ الحجابِ(٤).

وقيل: نزلَتْ في عرسِ زينبَ رضي الله عنها كما سبقَ.

فضربَ عليهنَّ رسولُ الله ﷺ الحجابَ، وأُمِرْنَ أن يحتجِبْنَ من المؤمنين.

---

(١) رواه البخاري (٤٧٩٠) عن أنس رضي الله عنه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ١٦٧)، والثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ٥٣١)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٦٠) عن مجاهد.

(٣) في (ف): «عن».

(٤) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٦/ ٣٥٨) عن مجاهد مرسلًا، ووصله البخاري في «الأدب المفرد» (١٠٥٣)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٣٥٥)، والطبراني في «المعجم الصغير» (٢٢٧)، و«الأوسط» (٢٩٤٧)، من طريق مجاهد عن عائشة رضي الله عنها. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٩٣): «رواه الطبراني في «الأوسط»، ورجاله رجال الصحيح غير موسى بن أبي كثير، وهو ثقة».

قولُه: ﴿سَأَلْتُمُوهُنَّ﴾ يُريدُ: نساءَ النَّبيِّ ﷺ، ولم يتقدَّمْ في الآيةِ ذِكرُهنَّ، لكنَّ لفظَ البيوتِ دلَّتْ عليهنَّ، كأنَّه قال: لا تدخلوا بيوتَ النَّبيِّ وفيها النِّساءُ.

وقيل: النِّساءُ عامٌّ.

وذهبَ بعضُهم: إلى أنَّ البيوتَ هاهنا النِّساءُ[1]، كما قال الشَّاعرُ:

مالي إذا نَزَعْتُها صَأَيْتُ ... أَكِبَرٌ غَيَّرَني أم بَيْتُ[2]

وهذا بعيدٌ، لا يُقالُ: (دخلتُ البيتَ) إذا أرادوا به المرأةَ.

﴿ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ من خواطرِ الشَّيطانِ وعوارِضِ الفِتَنِ من مَيلِ الرِّجالِ إلى النِّساءِ والنِّساءِ إلى الرِّجالِ طبعًا.

﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾ فيه قولانِ:

أحدُهما: أنَّ هذا هو الأوَّلُ، وتقديرُه: إنَّ ذلكم كان يُؤذي النَّبيَّ وليس لكم أن تُؤذوا رسولَ الله، و﴿كَانَ﴾ زيادةٌ عند أبي عبيدةَ[3]، بل أفاد ﴿كَانَ﴾ أنَّ هذا هو حكمُ الله السَّابقُ.

والقولُ الثَّاني: ﴿أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾ بمُخالفةِ ما أمرَ الله في حقِّ نسائِه.

﴿وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا﴾؛ أي: بعد موتِه، وقيل: بعد فِراقِه وطلاقِه.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٢٢)، وعده من العجائب.

(٢) نسب الرجز لرؤبة. انظر: «ملحق ديوان رؤبة» (ص: ١٧١)، و«كتاب الأفعال» لابن الحداد (٣/ ٤٢٥).

وهو بلا نسبة في: «معجم ديوان الأدب» (٣/ ٢٩٨)، و«أمالي القالي» (١/ ٢٠)، و«تهذيب اللغة» (١٤/ ٢٣٨)، و«الصحاح» مادة: (ص أ ى)، وفيه: الصَّئِيُّ على فَعيل: صوت الفرخ ونحوه. يقال: صأى الفرخ؛ إذا صاح.

(٣) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ١٤٠).

وفي سببِ النُّزولِ: عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: قال رجلٌ من سادةِ قُريشٍ: لو تُوفِّيَ رسولُ الله لتزوَّجْتُ عائشة، فأنزلَ الله ما أنزلَ[1].

أي: ما كان لكم أن تُؤذوه في حياتِه ولا بعد مماتِه؛ لأنَّ مَن فارقَ الدُّنيا وعنده أنَّ امرأتَه لا تَنْكحُ زوجًا بعده كان ذلك أطيبَ لنفسِه في تلك الحالةِ، وإنَّما حُرِّمْنَ لأنَّهنَّ أمَّهاتُ المؤمنين، والرَّجلُ لا ينكحُ أمَّه، ولأنَّهنَّ أزواجُ النَّبيِّ ﷺ في الجنَّةِ، والمرأةُ في الجنّةِ لآخرِ أزواجِها كما جاء في الحديثِ[2]، ولهذا لـم تجِبْ عليهنَّ العِدَّةُ بوفاةِ رسولِ الله ﷺ، ولزِمَتْ نفقاتُهنَّ في بيتِ المالِ.

وقيل: وجبَتْ عليهنَّ العِدَّةُ؛ لأنَّها عبادةٌ.

﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ﴾؛ أي: إيذاءَ النَّبيِّ ﷺ.

وقيل: نكاحُ نسائِه من بعدِه، وإظهارُ هذه اللَّفظةِ في حالِ حياتِه.

﴿كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾ في الإثمِ يُستحَقُّ عليه الوعيدُ.

* * *

(٥٤) ـ ﴿إِن تُبْدُواْ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾.

﴿إِن تُبْدُواْ شَيْـًٔا﴾ فيه إيذاءُ النَّبيِّ ﷺ ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ في أنفسِكم ممَّا لو ظهرَ له لآذاه.

ويحتمِلُ أنَّ بعضَهم أضمرَ نكاحَ بعضِ نسائِه في قلبِه، وبعضَهم أظهرَ، فتُوعِّدَ بذلك الفريقانِ بقولِه: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾؛ أي: فاحذَروا مُخالفتَه.

---

(١) رواه ابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٦/ ٦٤٣)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٣٤١٨)، وذكره الواحدي في أسباب النزول» (ص: ٣٦١) واللفظ له، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٣٧٢) عن قتادة.

(٢) هو ما رواه الطبراني في «الأوسط» (٣١٣٠) عن أبي الدرداء: «أيما امرأة توفي عنها زوجها، فتزوجت بعده، فهي لآخر أزواجها» قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٢٧٠) «فيه أبو بكر بن أبي مريم، وقد اختلط»، قلت: له شاهد رواه أبو يعلى، وقال عنه البوصيري في «إتحاف الخيرة» (٤/ ١١٥): «رجاله ثقات».

(٥٥) - ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ ۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا﴾.

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ﴾ ثمَّ استثنى مَن يجوزُ لهنَّ ألَّا يحتجِبْنَ عنه فقالَ: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ﴾ جمهورُ المُفسِّرين على أنَّهنَّ النِّساءُ المؤمناتُ؛ أي: عليهنَّ الاحتِجابُ عن الكوافرِ والكتابيَّاتِ، والإضافةُ إشارةٌ إلى الاجتماعِ على الإيمانِ.

وقيل: عامٌّ.

﴿وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾ قيل: الإماءُ.

وقيل: عامٌّ في العبيدِ والإماءِ، وقد سبق في سورةِ (النُّورِ).

ولـم يذكرِ الأعمامَ والأخوالَ لِـمكانِ بَنِيهم، ولـم يذكرِ البُعولةَ لأنَّ الاحتجابَ لأجلِهم.

وأما بنو البُعولةِ فقال عمرُو بنُ دينارٍ: كان الحسنُ والحسينُ رضي الله عنهما لا يريانِ أمَّهاتِ المؤمنين. وقال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: إنَّ رؤيتَهنَّ لهما تحلُّ[1].

وقيل: لـم يُذكَرا لأنَّهما كانا يومَئذٍ صغيرَين.

﴿وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ﴾؛ أي: عقابَ الله من دخولِ الأجانبِ عليكنَّ.

---

(١) رواه سعيد بن منصور في «سننه» (٩٦٥)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٧٢٩١) بلفظ: «عن عمر بن دينار عن محمد بن علي، قال: كان الحسن والحسين لا يريان أمهات المؤمنين. قال ابن عباس: يرى أن رؤيتهن لهما حل».

وقيل: ﴿وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ﴾ في مجاوزةِ ما أُمرتُنَّ به.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ عالمًا.

وقيل: شاهدًا يشهدُ على كلِّ نفسٍ بما عملَتْ.

* * *

(٥٦) ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ في سببِ النُّزولِ: عن كعبِ بنِ عجرةَ رضي الله عنه قال: قيل للنَّبيِّ ﷺ: قد عرَفْنا السَّلامَ عليك، فكيف الصَّلاةُ عليك؟ فنزلَتْ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ فقال ﷺ: «قولوا: اللهمَّ صلِّ على محمَّدٍ وعلى آلِ محمَّدٍ، كما صلَّيتَ على إبراهيمَ وآلِ إبراهيمَ، إنَّك حميدٌ مجيدٌ، اللّهمَّ بارِكْ على محمَّدٍ وعلى آلِ محمَّدٍ كما بارَكْتَ على إبراهيمَ وآلِ إبراهيمَ، إنَّك حميدٌ مجيدٌ»[١].

وروى بعضُهم: «كما صلَّيتَ على آلِ إبراهيمَ»، وكذلك: «كما باركتَ على آلِ إبراهيمَ»[٢].

وفي روايةِ أبي[٣] مسعودٍ رضي الله عنه: «كما باركتَ على آلِ إبراهيمَ في العالمين»[٤].

---

(١) رواه البخاري (٣٣٧٠)، ومسلم (٤٠٦).

(٢) رواه البخاري (٤٧٩٧)، ومسلم (٤٠٦).

(٣) في النسختين: «ابن»، والمثبت من «صحيح مسلم».

(٤) رواه مسلم (٤٠٥).

وعن أبي هريرةَ رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «مَن صلَّى عليَّ واحدةً صلَّى الله عليه عشرًا»(١).

وقال مجاهدٌ: لـمَّا نزلت: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ قال أبو بكرٍ رضي الله عنه: ما أعطاكَ الله من خيرٍ إلّا أشركْتَنا فيه، فنزلت: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾(٢).

سعيدُ بنُ جُبيرٍ: صلاةُ الله المغفرةُ، وصلاةُ الملائكةِ الاستغفارُ، وصلاةُ المؤمنين الدُّعاءُ(٣).

وقيل: صلاةُ الله الثَّناءُ، وصلاةُ الملائكةِ الدُّعاءُ.

وقيل: صلاةُ الله على النَّبيِّ إشاعةُ الخيرِ عنه.

وقيل: معنى صلِّ على محمَّدٍ: زِدْ محمَّدًا بركةً ورحمةً.

ورُوِيَ أنَّهم قالوا: أرأيتَ يا رسولَ الله قولَ الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾؟ قال: «هذا منَ العلمِ المكنونِ، ولولا أنتم سألتُموني عنه لَـمَا أجبتُكم، إنَّ الله وكَّلَ بي ملكَين، فلا أُذكَرُ عند عبدٍ مسلمٍ فيُصلِّي عليَّ إلّا قال ذانِكَ الملَكان: غفرَ الله لك، وقال الله وملائكتُه لذينِك الملَكين: آمين، ولا أُذكَرُ عند عبدٍ

---

(١) رواه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ابن حبان في «صحيحه» (٩٠٦). ورواه مسلم (٣٨٤) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

(٢) رواه عن مجاهد عبد بن حميد وابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٦/ ٦٢٢)، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٦٢)، وأورده الثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ٤٧٦) عن أنس رضي الله عنه، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩١٨)، واستغربه.

(٣) لم أجده بهذا اللفظ، ورواه عنه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣١٣٩) بلفظ: «﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾ قال: يغفر لكم، وتستغفر لكم ملائكته».

مُسلمٍ فلا يُصلِّي عليَّ إلّا قال ذانِك الملكانِ: لا غفرَ الله لك، وقال الله وملائكتُه لذَينِك الملَكين: آمين»[١].

وذهبَ بعضُ المُفسِّرين إلى أنَّه إذا صلَّى عليه مرَّةً فقد امتثلَ وأدَّى الفرضَ[٢]، والجمهورُ على أنَّه يجبُ كلَّما ذكرَه أو ذُكِرَ بين يدَيه.

قال أبو عليٍّ: ليس في قولِه: ﴿يُصَلُّونَ﴾ ضميرُ الله سبحانَه؛ لأنَّ الله لا يُضمَرُ مع غيرِه كما قال: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة: ٦٢] وقد سبق، وتقديرُه: إنَّ الله وملائكتَه يُصلُّون هم وهو[٣].

المُبرِّدُ: لا يجوزُ (وملائكتُه) بالرَّفعِ، ولو كان التَّقديرُ: «إنَّ الله يُصلي وملائكتُه يُصَلُّون» لجازَ؛ لأنَّك لا تقولُ: إنَّ الله يُصلون[٤].

قوله: ﴿وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ قيل: معناه: وسلِّموا عليه سلامًا.

وقيل: أُمِروا بأن يقولوا: صَلِّ على محمَّدٍ وسلِّمْ.

وقيل: معناه: انقادوا لأمرِ الله، وابذُلوا الجهدَ فيه، وسلِّموا الأمرَ بالطّاعةِ له.

* * *

(٥٧) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ قيل: يُؤذون أولياءَ الله، فحُذِفَ المُضافُ.

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٧٥٣)، والثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ٥٥٠) من حديث الحسن رضي الله عنه، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٩٣): «فيه الحكم بن عبد الله بن خطاف وهو كذاب».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٢٣)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٢٢).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٢٣)، وللتنبيه على هذا الخطأ قصة ذكرها الزجاجي في «أماليه» (ص: ٢٢٦).

وقيل: ذِكرُ الله تعظيمٌ كما سبقَ في قولِه: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ [الأنفال: ٤١].

وقيل: معنى ﴿يُؤْذُونَ ٱللَّهَ﴾: يعصونَ الله.

وفي جميع التَّفاسيرِ[1]: هم أصحابُ التَّصاويرِ، كأنَّهم يُعارِضون الله ويرَون أنَّهم يخلُقون مثلَ خلقِه.

وأذى الرَّسولِ ما كان المنافقون يقولون في نكاحِ زينبَ وفي نكاحِ صفيَّةَ بنتِ حُييٍّ.

وقيل: الآيةُ عامَّةٌ لجميعِ المعاصي الكبيرةِ.

﴿لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ بالقتلِ والسَّبْيِ وعذابِ القبرِ ﴿وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ بالنّارِ والعذابِ الأليمِ ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ يُهينُهم مع الإيلامِ.

* * *

(٥٨) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟﴾ في سببِ النُّزولِ: عن ابنِ عبّاسٍ = أنَّ عمرَ رضي الله عنهما رأى جاريةً من الأنصارِ مُتبرِّجةً، فضربَها وكزةً لِمَا رأى من زينتِها، فذهبَتْ إلى أهلِها تشكو عمرَ، فخرَجُوا إليه فآذَوه، فأنزلَ الله هذه الآيةَ[2].

---

(١) كذا في النسختين، وفي «غرائب التفسير» (٢/ ٩٢٣): «ذهب جماعة إلى أنهم أصحاب التصاوير»، واستغربه؛ ففي نسبته هنا لجميع التفاسير إشكال، والله أعلم.

(٢) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٦٢)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٤٨٣) من طريق عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما. وهذا طريق روي عن ابن عباس بإسناد ساقط.

مُقاتِلٌ: نزلَتْ في عليٍّ رضي الله عنه، وذلك أنَّ ناسًا منَ المُنافقين كانوا يُؤذونه ويُسمِعونَه[١].

الضَّحَّاكُ والكلبيُّ والسُّدِّيُّ: نزلت في الزُّناةِ الذين كانوا يمشون في طرقِ المدينةِ يَتْبعون النِّساءَ إذا برَزْنَ باللَّيلِ لقضاءِ حوائجِهنَّ، فيرَونَ المرأةَ فيَدْنونَ منها فيغمِزونَها؛ فإنْ سكَتَتْ اتَّبعوها، وإن زجَرَتْهم انتهَوا عنها، ولم يكونوا يطلبون إلّا الإماءَ، ولكنْ لم يكُنْ يومَئذٍ تُعرفُ الحرَّةُ منَ الأمةِ، إنَّما يخرُجْنَ في درعٍ وخمارٍ، فشكَونَ ذلك إلى أزواجِهنَّ، فذكروا ذلك لرسولِ الله ﷺ، فنزلَتْ هذه الآيةُ[٢].

وقيل: نزلَتْ في قصَّةِ عائشةَ وصفوانَ رضي الله عنهما[٣].

﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا﴾: كذبًا عظيمًا ﴿وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾: ظاهرًا.

* * *

(٥٩) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ قيل: حرائرِ المؤمنين.

وقيل: أزواجِ المؤمنين.

﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾: يُغطِّين في بروزِهنَّ منَ البيوتِ أبدانَهنَّ بمَلاحفِهنَّ وأردِيَتِهنَّ، بخلافِ الأَمَةِ التي هي مكشوفةُ الرَّأسِ.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٥٠٧).

(٢) ذكره عنهم الثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ٥٦٠)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٦٢).

(٣) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٧٢) عن السدي، والماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٤٢٣) عن الضحاك.

المُبرِّدُ: الجلبابُ: ما يسترُ الكلَّ مثلُ المِلْحَفةِ، تقولُ العربُ: تَجَلْبَبْتُ اللَّيلَ؛ أي: تستَّرتُ به[1].

ابنُ عيسى: هي الخمارُ؛ أي: المِقنَعة.

وفي أكثرِ التَّفاسيرِ: الرِّداءُ، أمرَهُنَّ الله بسترِ مواضعِ العورةِ من أبدانهنَّ.

وقيل: تسترُ بالإزارِ وجهَها إلّا عينًا واحدةً.

﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ﴾ بزيِّهن أنَّهنَّ حرائرُ ﴿فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾: فلا يُؤذِيهنَّ أهلُ الرِّيبةِ.

وقيل: يُعرَفْنَ بالعفافِ.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ لِما سلَفَ من تركِ الجلبابِ ﴿رَّحِيمًا﴾ بعبادِه.

* * *

(٦٠) ـ ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ هم الذين أظهروا الإيمانَ وأسرُّوا الكفرَ ﴿وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: شكٌّ، وقيل: زنًى[2].

﴿وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ هم ثلاثةُ نفرٍ، ﴿وَٱلْمُرْجِفُونَ﴾: هم قومٌ منَ المسلمين يُرجِفونَ بالأخبارِ الكاذبةِ يسمعونها فيُذيعونها حبًّا منهم للفتنةِ.

وأصلُ الإرجافِ: تحريكُ القلوبِ، من قولِه سبحانه: ﴿تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ﴾

---

(١) ذكره مكي بن أبي طالب في «الهداية» (٩/ ٥٨٧٠)، وفيه: «وقال المبرد: الجلباب كل ملحفة تستر من ثوب أو ملحفة».

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٣٨٠) و(٢٣٨١) عن عكرمة بلفظ: ﴿وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ قال: «الزُّناةُ».

[النازعات: ٦]؛ أي: إنْ لـم ينتهِ هؤلاءِ مـن أذى المؤمنين، والتَّضريـبِ بينَهم، وإلقاءِ الشُّكوكِ في قلوبهـم، والإرجافِ بـأنْ فعلَ فـلانٌ كذا وفعلَـتْ فلانةُ كـذا، وتوليدِ الأخبـارِ التـي لا أصـلَ لها مـن عندِ أنفسِـهم.

وقيل: هم قومٌ واحدٌ، وهم المنافقون، وصِفُوا بهذه الأوصافِ.

﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾: لنُسلِّطَنَّك عليهم، ولنأمُرنَّك بقتالِـهم كما أمرناك بقتالِ الكفَّارِ منَ المُشركين.

والإغراءُ: الدُّعاءُ إلى تناوُلِ الشَّيءِ بالتَّحريضِ عليه.

﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ﴾: في المدينةِ ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ إذا أمرناك بقتلِهم وقتالِـهم لـم يطُلْ مقامُهم معك في المدينةِ، بل يُضْطَرُّون إلى الجلاءِ عنها إلى بلادٍ أُخَرَ.

﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾: زمانًا قليلًا، أو: جِوارًا قليلًا.

والقِلَّةُ: الذِّلَّةُ، والقِلَّةُ: ضدُّ الكثرةِ.

* * *

(٦١) ـ ﴿مَّلْعُونِينَۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقْتِيلًا﴾.

﴿مَّلْعُونِينَ﴾ الزَّجَّاجُ: منصوبٌ على الحالِ، والمعنى: لا يُجاورنَك إلّا وهم ملعونون(١). هذا لفظُه.

ابنُ عيسـى: يجوزُ: ﴿مَّلْعُونِينَ﴾ علـى الذَّمِّ، وعلى الصِّفـةِ لـ﴿قَلِيلًا﴾، كأنَّه قيـل: إلّا أذِلَّاءَ ملعُونيـن. قـال: ويجـوزُ أن يكـونَ حالًا مـنَ الضَّميرِ فـي قولِه: ﴿لَا يُجَاوِرُونَكَ﴾. هـذا لفظُه(٢).

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٢٣٦).

(٢) هذه الوجوه الثلاثة التي أجازها ابن عيسى أجازها الفراء من قبل، وسيذكرها المصنف عنه، وليس بينهما إلا اختلاف الاصطلاح، علماً أن الفراء استخدم مصطلح (الذم) في نصب ﴿مَّلْعُونِينَ﴾. =

الفـرَّاءُ: ﴿ مَّلْعُونِينَ ﴾ منصوبةٌ على الشَّـتمِ، وعلى الفعـلِ؛ أي: لا يُجاوِرونَك فيها إلا ملعونين(١).

قال: وقد يجوزُ أن تُجعلَ القِلَّةُ من صفتِهم، كأنَّك قلتَ: إلّا أقِلَّاءَ ملعونين(٢).

وإنَّما حَكَيْتُ ألفاظَهم لأنَّهم جميعًا أجازوا النَّصبَ على الحالِ منَ الضَّميرِ في ﴿يُجَاوِرُونَكَ ﴾، وفيه نظرٌ؛ لأنَّ ما قبلَ ﴿إِلَّا﴾ لا يعملُ فيما بعدَه، ولعلَّهم جعلوا في النِّيةِ مُقدَّمًا على مثلِ ما يأتي في القرآنِ منَ التَّقديمِ والتَّأخيرِ.

وفيه وجهٌ رابعٌ لـم يذكُروه، وهو: النَّصبُ على أصلِ الاستثناءِ، وتقديرُه: إلّا قليلٌ ملعونُونَ، كقولِه: ﴿مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ [النساء: ٦٦]، ثمَّ نُصِبَ فصارَ: إلّا قليلًا ملعُونين، كقراءةِ ابنِ عامرٍ ﴿إِلَّا قَلِيلًا ﴾(٣)، وليس هذا هو الذي ذكرَه ابنُ عيسى على الصِّفةِ لـ﴿قَلِيلًا ﴾؛ لأنَّه جعلَ نصبَه: إلا أذِلَّاءَ ملعُونين، على الحالِ لا على الاستثناءِ(٤).

وفي بعضِ التَّفسيرِ: أنَّه متَّصلٌ بما بعدَه، وهذا خطأٌ؛ لأنَّ الشَّرطَ لا يتقدَّمُ عليه ما بعده، ونصَّ الزَّجّاجُ على امتناعِه(٥).

= انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٣٨).

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٤٩). قوله: «على الشتم»؛ أي: مفعول به لفعل محذوف، وهو ما يعرف بالنصب على الذم كقوله تعالى: ﴿حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾. وقوله: «على الفعل»؛ أي: على الحالِ منَ الضَّميرِ في ﴿يُجَاوِرُونَكَ ﴾.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٥٠).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٢٣٥)، و«التيسير» (ص: ٩٦).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٢٣) واستغربه، وعبارته: «الغريب: الأصل في قوله: ﴿إِلَّا قَلِيلًا ﴾ الرفع لأنه استثناء من نفيٍ، لكنه نصب على أصل الاستثناء كقراءة ابن عامر: (إِلَّا قَلِيلًا)، و﴿ مَّلْعُونِينَ ﴾ صفة لهم».

(٥) في «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٢٣٦): « لا يجوز أن يكون (ملعونين) منصوباً بما بعد (أينما)، لا =

ومعنى ﴿ مَّلۡعُونِينَ ﴾: مُبعَدين منَ الرَّحمةِ.

وقيل: مُبعَدين منَ المدينةِ.

وقيل: ﴿ مَّلۡعُونِينَ ﴾ على ألسِنةِ المُؤمنين.

﴿أَيۡنَمَا ثُقِفُوٓاْ ﴾ ظُفِرَ بهم ﴿أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقۡتِيلٗا ﴾ فلم يبقَ منهم أحدٌ، والتَّشديدُ يدلُّ على التَّكثيرِ.

* * *

(٦٢) ـ ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ﴾.

﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ﴾؛ أي: سَنَّ الأخذَ والقتلَ في المُنافقين والشَّاكِّينَ والمُرجِفين، كما سَنَّ ﴿فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ ﴾: مضَوا ﴿مِن قَبۡلُ ﴾؛ أي: هذه سُنَّته في جميعِ مَن تقدَّمَ.

﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ﴾ يجوزُ أن يكونَ المعنى: لا يُبدِّلُ الله سُنَّتَه بل يُجريها مُجرًى واحدًا في الأممِ.

ويجوزُ أن يكون المعنى: لا يَقْدِرُ أحَدٌ على تغييرِ سنَّةِ الله وتبديلِها.

* * *

(٦٣) ـ ﴿يَسۡـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾.

﴿يَسۡـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ ﴾؛ أي: الكفَّارُ ﴿عَنِ ٱلسَّاعَةِ ﴾ سؤالَ تعنُّتٍ وإنكارٍ.

﴿قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾: استأثرَ اللهُ بعلمِه فلا اطِّلاعَ لأحدٍ عليها.

= يجوز أن تقول: ملعونًا أينما ثقف أخذ زيد يضرب؛ لأن ما بعد حروف الشرط لا يعمل فيما قبلها».

﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ قيل: خطابٌ للنَّبيِّ ﷺ على التَّعظيمِ لشأنِها؛ أي: فاعلَمْ أنَّها كذلك.

وقيل: تقديرُه: قُلْ لكلِّ مَن سألَك عنها: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾؛ أي: عن قريبٍ تكونُ.

و﴿قَرِيبًا﴾ نصبٌ على الظَّرفِ.

والمُرادُ بـ﴿ٱلسَّاعَةَ﴾: ما يقعُ فيها منَ الثَّوابِ والعقابِ.

ويجوزُ أن يكونَ نصبًا بخبرِ (كان)، وذُكِّرَ كما ذُكِّرَ في قولِه: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [الأعراف: ٥٦]، وقد سبقَ.

* * *

(٦٤ ـ ٦٥) ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾؛ أي: خلقَ لهم نارًا ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾: في النَّارِ ﴿أَبَدًا﴾: دائمًا ﴿لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا﴾ يحفظُهم ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾: ناصرًا يمنعُهم.

* * *

(٦٦) ـ ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾.

﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ﴾ وجوهُ مُنكِري البعثِ تُصرَفُ في جهاتِ النَّارِ زيادةً في العذابِ.

وقيل: ﴿تُقَلَّبُ﴾ لتنضَجَ بنارِ جهنَّمَ.

وقيل: ﴿تُقَلَّبُ﴾ فيها حالًا بعد حالٍ، ولونًا بعد لونٍ؛ فتَسْوَدُّ مرةً، وتخضَرُّ أُخرى.

﴿ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴾ فنتخلَّصَ من هذا العذابِ؛ أي: تمنَّوا الإيمانَ حين لا ينفعُ التَّمنِّي.

والألفُ في أواخرِ هذه الآياتِ لمُوافقةِ ما قبلَها وما بعدَها مُراعاةً للفواصلِ.

ومَن ظنَّ أنَّه للتَّذكُّرِ فقد أساءَ؛ لأنَّ التَّذكُّرَ والغلطَ غيرُ جائزَين على الله سبحانَه[1].

* * *

(٦٧) ـ ﴿ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴾.

﴿ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا ﴾: علماءَنا وشُيوخَنا ﴿فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴾؛ أي: قلَّدْناهُم من غيرِ حجَّةٍ وبيانٍ، فجارُوا بنا عن قَصْدِ الحقِّ.

و(سادة) جمعُ سيِّدٍ، و(ساداتٌ) جمعُ الجمعِ.

وقيل: نزلت في المُطعِمينَ يومَ بدرٍ، وكانوا اثني عشرَ رجلًا.

* * *

(٦٨) ـ ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾.

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ﴾؛ أي: عذِّبْهم مثلَي عذابِ غيرِهم بضلالِـهم وإضلالِـهم إيَّانا.

وقيل: عذابَ الدُّنيا وعذابَ الآخرةِ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٢٤) عن ابن عيسى، فقال: «وما ذهب إليه ابن عيسى أنها للتذكير، فقد أساء القول؛ لأنه عز اسمه غير موصوف بالغلط والتذكير».
وقال: «الغريب: من وصل وقف بغير ألف، قال: هذه الألفات بدل من الفتحة، وهكذا كان في خط حِمْير، الفتحة ألف والضمة واو والكسرة ياء، وعلى هذا وقع في القرآن في مواضع موقع الحركات».

﴿وَٱلْعَنْهُمْ﴾: وأبعِدْهم عن رحمتِكَ ﴿لَعْنًا كَبِيرًا﴾: دائمًا، مُتواترًا، كثيرًا لا ينقطعُ.

* * *

(٦٩) - ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴾.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ﴾؛ أي: احذَرُوا أن تكونوا مُؤذين للنَّبيِّ ﷺ كما آذى بنو إسرائيلَ موسى عليه السَّلامُ.

﴿فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ﴾: أظهرَ براءَتَه ﴿مِمَّا قَالُواْ﴾؛ أي: قالوه فيه ﴿وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: كان موسى عليه السَّلامُ عندَ الله ﴿وَجِيهًا﴾: ذا جاهٍ ومنزلةٍ، وكان مُحبَّبًا مقبولًا.

قيل: ﴿وَجِيهًا﴾: لم يُسأَلْ شيئًا إلا أعطاه.

واختلفَ المُفسِّرون في الذي آذَوا به موسى؛ فرَوَى جماعةٌ عن أبي هريرةَ رضي الله عنه عن رسولِ الله ﷺ أنه قال: «إنَّ موسى كان رجلًا حيِيًّا ستِّيرًا، لا يكادُ يُرى من جلدِه شيءٌ استِحياءً، فآذاه مَن آذاه من بني إسرائيلَ، فقالوا: لا يتستَّرُ هذا التَّستُّرَ إلّا من عيبٍ بجلدِه: إمَّا بَرَصٌ، وإمَّا أُدْرةٌ، وإمَّا آفةٌ، فأرادَ الله أن يُبرِّئَه، وإنَّ موسى خلا يومًا وحدَه فوضعَ ثيابَه على حجرٍ ثمَّ اغتسلَ، فلمَّا فرغَ أقبلَ إلى ثيابِه ليأخُذَها، عدا الحجرُ بثيابِه، فأخذَ موسى عصاه وتبعَ الحجرَ، فجعلَ يقولُ: ثَوبي حجَرُ، ثَوبي حجَرُ، حتَّى انتهى إلى ملأٍ من بني إسرائيلَ فرأوه عُرْيانًا أحسنَ النّاسِ خَلْقًا». قال: «فقامَ الحجرُ، فأخذَ ثوبَه فلبسَه، وطفِقَ يضربُ الحجرَ ضربًا بعصاه، فوالله إنَّ بالحجرِ لندَبًا من أثرِ ضربِه ثلاثًا أو أربعًا، وذلك قولُه: ﴿لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ﴾»[1].

---

(١) رواه البخاري (٣٤٠٤)، ومسلم (٣٣٩).

وقيل: ادَّعَوا عليه[١] قتلَ أخيه هارونَ.

ورُوِيَ عن ابنِ عبّاسٍ عن عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضي الله عنهم: أنَّ موسى وهارونَ صَعِدا الجبلَ فماتَ هارونُ، فقال بنو إسرائيلَ لموسى: أنتَ قتلتَه، فأمرَ الله الملائكةَ فحملَتْه حتَّى مرُّوا به على بني إسرائيلَ، وتكلَّمتِ الملائكةُ بموتِه حتَّى عرفَتْ بنو إسرائيلَ أنَّه ماتَ، فبرَّأه الله من ذلك، فانطلَقُوا به فدفَنُوه، فلم يُطلَعْ على قبرِه أحدٌ من خلقِ الله إلّا الرَّخَمُ، فجعلَه الله أصمَّ أبكمَ، ذكره الثَّعلبيُّ والنَّقَّاشُ وعليهما العُهدةُ[٢].

قال أبو العاليةِ: هو قارونُ، استأجرَ مومِسةً لتقذِفَ موسى بنفسِها على رأسِ الملأ، فعصَمَه الله، وبرَّأ موسى، وأهلَكَ قارونَ، كما سبقَ في سورةِ (القَصصِ)، حكاه الثَّعلبيُّ[٣].

* * *

(٧٠) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ قال أبو القاسمِ: رُوِيَ عن ابنِ المُبارَكِ أنَّ رجلًا أتى ابنَ مسعودٍ رضي الله عنه فقال: اعهَدْ إليَّ، فقال: إذا سمِعْتَ الله يقولُ: (يا أيها الذين آمَنُوا) فأَرْعِها سمعَكَ، فإنَّه خيرٌ يأمرُ به، أو شرٌّ ينهى عنه[٤].

---

(١) بعدها في (ن) كلمة: «غرامة».

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢١/ ٥٧٩)، ورواه أحمد بن منيع في «مسنده» كما في «فتح الباري» (٨/ ٥٣٥)، والطبري في «تفسيره» (١٩/ ١٩٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣١٥٧). وإسناده قوي كما قال ابن حجر لكنه أضاف: «وما في الصحيح أصح من هذا، لكن لا مانع أن يكون للشيء سببان فأكثر كما تقدم تقريره غير مرة».

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢١/ ٥٨٠).

(٤) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٣٦)، ومن طريقه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٠٢)، ورواه أيضاً الإمام أحمد في «الزهد» (٨٦٦)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ١٣٠).

﴿وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ لا ينقُضُ بعضُه بعضًا.

وقيل: قَصْدًا، سَدَّ يَسُدُّ سَدًّا، فهو سديدٌ.

وقيل: قولُوا في زينبَ وزيدٍ ﴿قَوْلًا سَدِيدًا﴾.

وعن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما: قولُوا: لا إلهَ إلا الله[1].

وقيل: ﴿سَدِيدًا﴾ صِدْقًا.

وقيل: عَدْلًا، صَوابًا، مُستقيمًا.

* * *

(٧١) - ﴿ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾.

﴿ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴾: يُوفِّقْكُم للأعمالِ الصّالحةِ.

وقيل: يُصلِحْها بالقَبولِ والإثابةِ عليها.

﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ باستقامتِكُم في القولِ والعملِ.

﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ﴾ في فرائضِه ﴿وَرَسُولَهُ﴾ في سنَّتِه ﴿فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾: ظفِرَ بالثَّوابِ ونجا منَ العقابِ.

* * *

(٧٢) - ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾.

---

(١) رواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٢٠٥) من طريق عكرمة عن ابن عباس، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ١٩٦) عن عكرمة قوله.

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ ﴾ للمُفسِّرين فيها أقوالٌ:

أحدُها: أنَّ الله لمَّا خلقَ السَّماواتِ والأرضَ والجبالَ خاطبَهُنَّ فأفهمَهُنَّ خِطابَه، وقال: إنِّي فرَضْتُ فريضةً وخلَقْتُ جنَّةً ونارًا، ثوابًا لمَن أطاعَني وعقابًا لمَن عصَاني. فقالتِ السَّماواتُ والأرضُ والجبالُ: نحنُ مُسَخَّراتٌ على ما خلقْتَنا، لا نحتمِلُ فريضةً ولا نبتَغي ثوابًا ولا عقابًا. فلمَّا خلقَ آدمَ عليه السَّلامُ عرَضَ ذلك عليه فتحمَّلَه.

ومثلُه في القرآنِ: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾ [فصلت: ١١]، ومثلُها: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٤]، ومثلُها: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ الآية [الحج: ١٨]، وكذلك قولُه سبحانَه: ﴿هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾ [ق: ٣٠][(١)].

تقديرُه: عرَضْنا قَبولَ الأمانةِ، فيكونُ العرضُ بالقولِ والخطابِ.

واختلفوا في الأمانةِ: ما هي؟

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: الفرائضُ التي أمرَ الله العبادَ بها[(٢)].

ورُوِيَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «الأمانةُ ثلاثٌ: الصَّومُ، والصَّلاةُ، والاغتسالُ منَ الجنابةِ»[(٣)].

وقيل: الأمانةُ: العقلُ، عرَضَ عليهنَّ أنْ يجعلَهُنَّ عُقلاءَ بشرطِ أنَّ مَن عملَ بمُقتَضى عقلِه أُثيبَ، ومَن عمِلَ بخلافِه عُوقِبَ.

---

(١) فخطاب الله سبحانه للنار في هذه الآية وخطابه للسماوات والأرض وغيرها يدلُّ على فهم هذه الأشياء لخطابه سبحانه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ١٩٧) عن سعيد بن جبير وابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٣٨٦) عن زيد بن أسلم عن النبي ﷺ مرسلاً، ورواه يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٧٤٢) من قول ابن عباس رضي الله عنهما.

وقيل: الأمانةُ: التَّقوى والقولُ السَّديدُ؛ لأنَّ نسقَ الآيةِ يقتضي ذلك.

ويحتمِلُ أنَّ الأمانةَ التَّكليفُ، ولا يَمتنِعُ أن يكونَ للجمادِ معرفةٌ بربِّها وإنْ كنَّا لا نعرفُ كيفيَّةَ ذلك، ولا يُنكِرُ العقلُ ذلك من قدرةِ الله، وليس إذا تعوَّدَ الإنسانُ وقوعَ شيءٍ على وجهٍ يُنكِرُ وقوعَه على غيرِ ذلك الوجهِ في مقدورِ الله.

ويجوزُ أن يكونَ اللهُ سبحانَه صيَّرَها عاقلةً في وقتٍ، وأعلَمَها حالَ الأمانة وما فيها وعليها، وخيَّرَها، فاستَعْفَت، فأعادَها الله جماداتٍ كما هي الآن.

والثّاني: ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ﴾: الفرائضَ على أهلِ السَّماواتِ وأهلِ الأرضِ وأهلِ الجبالِ، وهم الملائكةُ الذين فيها، فيكونُ كقولِه: ﴿وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]؛ أي: أهلَ القريةِ.

والثّالثُ: أنَّ هذا من مجازِ كلامِ العربِ وتوسُّعِهم في الإخبارِ عن الجماداتِ بأنَّها سُئِلَتْ فأجابَتْ، وأنَّها قالت ونطَقَتْ، وليس هناك سؤالٌ ولا جوابٌ، ولا قولٌ ولا نُطقٌ، ومثلُ هذا في الشِّعرِ كثيرٌ، وكذلك قولُه تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ﴾ الآية [مريم: ٩٠].

والرّابعُ: أنَّ التَّقديرَ: إنَّا لو عرَضْنا؛ كما قال: ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ﴾ الآية [الحشر: ٢١].

الخامسُ: عرَضْنا الأمانةَ على السَّماواتِ والأرضِ والجبالِ فقبِلْنَها.

﴿فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا﴾؛ أي: أبَيْنَ الخيانةَ فيها.

﴿وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا﴾: خِفْنَ منَ الخيانةِ فيها.

﴿وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُ﴾؛ أي: خانَ فيها؛ فتكونُ الأمانةُ على هذا الدَّلالةَ على وحدانيَّةِ الله وقُدرتِه، وخيانةُ الإنسانِ كفرُه وإشراكُه مع الله غيرَه.

السّادسُ: الأمانةُ وعرضُها هي ائتمانُ آدمَ ابنَه قابيلَ على أهلِه وولدِه حين خُروجِه إلى الحجِّ، قال آدمُ للسَّماءِ: احفَظي ولدي بالأمانةِ فأَبَتْ، وقال للأرضِ فأَبَتْ، وقال للجبالِ فأَبَتْ، وقال لقابيلَ فقالَ: نعم، فخانَ فيها بقتلِ ولدِه هابيلَ.

والعَرْضُ على وجهَينِ: عرضٌ بالقولِ والخطابِ، وهو الحقيقةُ، وعرضُ مجازٍ، تقولُ: عرضْتُ النَّاقةَ على الحوضِ، تُريدُ: عرضْتُ الحوضَ على النَّاقةِ.

والإباءُ أيضًا قد يكونُ حقيقةً نحو: دَعَوتُ زيدًا فأبى، ومجازًا نحو: سلَلْتُ سيفي فأبى.

والحَمْلُ يكونُ بمعنى: الرَّفعِ، ويكونُ بمعنى: الخيانةِ، ويكونُ بمعنى: الحِمالةِ، وهي الكفالةُ، وقد فُسِّرَ الآيةُ بها.

﴿إِنَّهُۥ﴾: إنَّ الإنسانَ، قيل: آدمُ.

وقيل: ابنُ آدمَ قابيلُ.

وقيل: عامٌّ في بني آدمَ.

﴿كَانَ ظَلُومًا﴾ لنفسِه ﴿جَهُولًا﴾ بعواقبِ الأمورِ.

* * *

(٧٣) ـ ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ اللَّامُ مُتَّصلةٌ بقولِه: ﴿عَرَضْنَا﴾.

وقيل: مُتَّصلةٌ بجميعِ ما في السُّورةِ.

وقيل: اللَّامُ لامُ العاقبةِ.

وقيل: كان قَبولُ الأمانةِ ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًۢا﴾ للمُؤمنين والمُؤمناتِ.

* * *

سُورَةُ سَبَإٍ

سُورَةُ سَبَإٍ

أربعٌ وخمسونَ آيةً(١)، مكِّيَّةٌ عند الجمهورِ.

مُجاهدٌ ومُقاتلٌ والكلبيُّ: مكِّيةٌ إلا آيةً، وهي: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [سبأ: ٦] الآيةَ؛ فإنَّها نزلَتْ بالمدينةِ(٢).

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: الثَّناءُ والشُّكرُ والمدحُ له ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ خَلْقًا ومُلْكًا، فلهذا استحَقَّ الحمدَ وحرَّضَ عليه.

﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ لاستدامةِ مُوجِبِ الحمدِ.

وقيل: يحمدونَه سرورًا به لا تعبُّدًا، ومثلُه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾

---

(١) «أربع وخمسون آية»: ليس في (ف). وانظر: «البيان في عد آي القرآن» (ص: ٢٠٩) وفيه: «وهي خمسون وخمس آيات في الشَّامي، وأربع في عدد الباقين، اختلافها آية ﴿عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾؛ عدها الشَّامي ولم يعدها الباقون».

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٤٣١) عن الضحاك والكلبي، وزاد ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٤٨٩) نسبته لمقاتل.

[الزمر: ٧٤]، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ [فاطر: ٣٤]، ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: ١٠]، وأمثالُـها.

وفي «تفسيرِ النَّقَّاشِ»: ﴿لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ﴾؛ أي: في السَّماواتِ والأرضِ؛ لأنَّ إحداهما خُلِقَتْ قبل الأُخرى، وهذا تأويلٌ بعيدٌ؛ لأنَّه ليس في القرآنِ الأولى(١).

﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ في صُنعِه ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ بعبادِه؛ أي: العالِـمُ بهم.

* * *

(٢) - ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ﴾.

﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ منَ الأمواتِ، والكنوزِ، والنَّامي، والحيوانِ ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾: منَ الأرضِ منَ النَّامي والحيوانِ.

ويحتمِلُ: ما يلِجُ في الأرضِ منَ الأمواتِ في الدُّنيا، وما يخرُجُ منَ الأرضِ منَ الأحياءِ في الأُخرى.

﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ من مَلَكٍ وكتابٍ وقضاءٍ، ومطرٍ ورحمةٍ وعذابٍ.

﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾: يصعدُ فيها من مَلَكٍ، وكلامٍ طيِّبٍ، وعملٍ صالحٍ، ودُعاءٍ بإخلاصٍ، وروحٍ طاهرةٍ، ونبيٍّ مُكرَّمٍ بالمعراجِ، وكذلك فيما ينزلُ منَ السَّماءِ من شيطانٍ ماردٍ، من قولِه: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾ الآيات [الجن: ٨، ٩].

﴿وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ﴾ لمَن أطاعَ ﴿ٱلْغَفُورُ﴾ لمَن تاب.

---

(١) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٨/ ١٩١) بلا نسبة في أربعة وجوه هو ثانيها، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٢٥)، واستغربه.

(٣) ـ ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾.

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ يُريدُ: المشركين، دونَ أهلِ الكتابِ.

وقيل: السَّامِرةُ منَ اليهودِ يُنكِرونَ البعثَ[1].

﴿لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ﴾؛ أي: لا نُبعَثُ، إنكارًا لها.

﴿قُلْ﴾ يا محمَّدُ: ﴿بَلَىٰ﴾ ردًّا لكلامِهم وإثباتًا لِمَا بعدَه.

﴿وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ وأكِّدْ يا محمَّدُ الخبرَ باليمينِ جَرْيًا على عادةِ المُخاطِبينَ منَ العربِ، ولأنَّ الكلامَ في نفسِه صدقٌ.

وقيل: حلَفَ أبو سفيانَ باللَّاتِ والعُزَّى لا بَعْثَ ولا نُشورَ، وأنْ لا تأتينا السّاعةُ، فقيلَ: قل يا محمَّدُ: ﴿وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾[2]، فقابِلِ اليمينَ باليمينِ.

﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ﴾ الجرُّ وصفٌ لقولِه: ﴿وَرَبِّي﴾ أو بدلٌ، وكذلك[3] مَن قرأ ﴿علَّامِ الغيبِ﴾، والرَّفعُ على الابتداءِ[4]، ﴿لَا يَعْزُبُ﴾ خبرُه، أو: هو عالمُ الغيبِ[5]. وقيل: بإضمارِ القولِ؛ أي: قال ذلك عالـمُ الغيبِ، وفيه بُعدٌ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٢٥)، واستغربه.

(٢) ذكره مقاتل في «تفسيره» (٣/ ٥٢٣).

(٣) في (ف): «وكذا».

(٤) قرأ حمزة والكسائي: ﴿علَّامِ﴾ بصيغة المبالغة والجر، وقرأ نافع وابن عامر: ﴿عالمُ﴾ بالرفع، وباقي السبعة: ﴿عالمِ﴾ بالكسر، وفيها جميعًا: ﴿الغيبِ﴾ بالإفراد. انظر: «السبعة» (ص: ٥٢٦)، و«التيسير» (ص: ١٨٠).

(٥) فهو خبر لمبتدأ محذوف.

ويحتمِلُ أن يرتفعَ باتِّصالِه بقوله: ﴿وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ﴾ عالِـمُ الغيبِ.

ويحتمِـلُ أيضًـا أنَّـه فاعـلُ قولِـه: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾، والمعنـى: لتأتينَّكم السّـاعةُ، ولا يَعلـمُ ذلـك إلَّا عالِــمُ الغيبِ[1].

﴿لَا يَعْزُبُ﴾: لا يبْعُدُ ﴿عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: وزنُ نملةٍ صغيرةٍ.

وقيل: مثقالُ ذرَّةٍ: رأسُ نملةٍ صغيرةٍ.

وقيل: هي ما تقعُ في الكوَّةِ مع الشَّمسِ.

ابنُ الهَيْصَمِ: سبعونَ ذرَّةً وزنُ جناحِ ذُبابٍ، وسبعونَ جناحِ ذبابٍ وزنُ حبَّةٍ[2].

﴿وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ﴾: من مثقالِ ذرَّةٍ ﴿وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾: إلّا في اللَّوحِ المحفوظِ، وإنَّما كُتِبَ جريًا على عادةِ المُخاطَبين لا مخافةَ نسيانٍ، وليُعْلَمَ أنَّه لـم يقَعْ خلَلٌ وإن أتى عليه الدَّهرُ.

قولُـه: ﴿وَلَآ أَصْغَرُ﴾ ﴿وَلَآ أَكْبَرُ﴾ رفـعٌ بالعطـفِ علـى: ﴿مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾، ويكـونُ ﴿إِلَّا﴾ بمعنـى: لكِـنْ، ويجـوزُ أن يكون رفعًـا بالابتـداءِ، و﴿فِى كِتَٰبٍ﴾ خبرُه.

***

(٤) - ﴿لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾.

﴿لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ مُتَّصلٌ بقولِه: ﴿لَا يَعْزُبُ﴾.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٢٦)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٢٦)، واستغربه.

وقيل: بقولِه: ﴿لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ﴾.

وقيل: بما في ﴿كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ من معنى الفعلِ؛ أي: أُثبِتَ ﴿لِّيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ﴾ لذنوبِهم ﴿وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾: حَسَنٌ.

وقيل: بلا مَنٍّ.

وقيل: يُتْبَعُ الكرامةَ.

وقيل: كريمٌ على مَن يُعطيه الله، وهو الجنَّةُ.

* * *

(٥) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوۡ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٞ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوۡ فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾: جاهَدوا وبالَغوا في ردِّ القرآنِ وتزهيدِ النَّاسِ في قَبولِه.

وقيل: سَعَوا في دينِنا بالتَّكذيبِ.

وقيل: جاهَدوا في إبطالِ الآياتِ.

﴿مُعَٰجِزِينَ﴾: مُسابِقين ظانِّين أن يفوتُونا، و﴿مُعجِّزين﴾[1]: مُثبِّطين عن الإيمانِ مَن أرادَه.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ﴾: من سيِّئِ العذابِ، والرِّجزُ: نفسُ العذابِ ﴿أَلِيمٞ﴾: مُؤلمٍ؛ أي: عذابٌ من عذابٍ أليمٍ، ومَن رفعَ[2]؛ أي: عذابٌ أليمٌ من سيِّئِ العذابِ.

---

(١) قراءة ابن كثير وأبي عمرو، والباقون: ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٤٣٩)، و«التيسير» (ص: ١٥٨).

(٢) قرأ بالرفع ابن كثير وحفص، وباقي السبعة بالجر. انظر: «السبعة» (ص: ٥٢٦)، و«التيسير» (ص: ١٨٠).

(٦) ـ ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾.

﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ﴾: ويعلَمُ الذين.

قيل: محلُّه نصبٌ بالعطفِ على ﴿لِيَجْزِىَ﴾. وقيل: رفعٌ بالاستئنافِ.

﴿أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾: هم أهلُ الكتابِ؛ عبدُ الله بنُ سلامٍ وأصحابُه[1] فيمَن قال: الآيةُ مدنيَّةٌ.

وقيل: هم أمَّةُ محمَّدٍ ﷺ[2] فيمَن قال: السُّورةُ كلُّها مكِّيةٌ.

﴿ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ يعني: القرآنَ ﴿مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ﴾: الصِّدقَ غيرَ الباطلِ، ﴿هُوَ﴾ عمادٌ، و﴿ٱلْحَقَّ﴾ المفعولُ الثَّاني، وفائدةُ دخولِ العمادِ: الإعلامُ بأنَّ ما بعدَه خبرٌ عمَّا قبلَه لا صفةٌ.

﴿وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾: دينِ الله الإسلامِ وطاعتِه.

* * *

(٧) ـ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يعني: مُنكِري البعثِ، يقولُ بعضُهم لبعضٍ على وجهِ التَّعجُّبِ والتَّعجيبِ: ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ﴾ يعنُونَ: محمدًا ﷺ.

﴿يُنَبِّئُكُمْ﴾: يُخبِرُكم بشيءٍ عجَبٍ ﴿إِذَا مُزِّقْتُمْ﴾: فُرِّقْتُم ﴿كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾: كلَّ تفريقٍ

---

(١) ذكره الفراء في «معاني القرآن» (٢/ ٣٥٢)، والطبري في «تفسيره» (١٩/ ٢١٣).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٢١٣) عن قتادة، ورجحه السمعاني في «تفسيره» (٤/ ٣١٧).

وصرتُم ترابًا، أو كلَتْكُم[١] دوابُّ الأرضِ أو طيورُ الهواءِ وصرتُم رُفاتًا ﴿إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾: يُجَدَّدُ خلقكم وتُبعَثون.

وقيل: إنَّكم في جملةِ مخلوقين يُجدِّدُهم الله.

﴿إِذَا﴾ نَصْبٌ بفعلٍ يدلُّ عليه: ﴿جَدِيدٍ﴾؛ أي: تُبعَثون إذا مُزِّقْتُم[٢].

* * *

(٨) ـ ﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَـٰلِ ٱلْبَعِيدِ﴾.

﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ﴾ قَسَّموا الكلامَ فقالوا: هو إمَّا عاقلٌ كاذِبٌ، وإمَّا مجنونٌ هاذٍ.

﴿بَلِ﴾ هذا ردٌّ منَ الله عليهم؛ أي: تركتُم القسمةَ الثَّالثةَ، وهي: إمَّا صحيحُ العقلِ صادقٌ.

﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَـٰلِ ٱلْبَعِيدِ﴾؛ أي: هم في ضلالٍ عاجلٍ في الدُّنيا، وعذابٍ آجلٍ في العُقبى.

وقيل: خاتمةُ أمرِهم العذابُ، وفاتحتُه الضَّلالُ.

وقيل: في عذابٍ في الآخرةِ وضلالٍ عن طريقِ الجنَّةِ.

---

(١) في (ن): «وأكلتكم».

(٢) ولا يجوز أن ينتصب ﴿إِذَا﴾ بقوله: ﴿يُنَبِّئُكُمْ﴾ لاختلاف الزمانين، ولا بـ﴿مُزِّقْتُمْ﴾ لأن المضاف إليه لا يعمل في المضاف، ولا بـ﴿جَدِيدٍ﴾ لأن ما بعد (إنَّ) لا يعمل فيما قبله. انظر: «غرائب التفسير» (٢/ ٩٢٦).

قال القفَّالُ: العذابُ والضَّلالُ في الدُّنيا، قال[١]: ومعنى العذابِ: العَناءُ[٢] والأذى، كما تقولُ: أنا في عذابٍ من هذا الأمرِ؛ أي: في مُقاساةٍ وشِدَّةٍ.

قال عَبيدُ بنُ الأبرصِ:

طُولُ الحياةِ لهُ تعذيبُ[٣]

***

(٩) ـ ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾.

﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ كيف هو مُحيطٌ بهم من كلِّ جهةٍ رمَوا بأبصارِهم إليها، فهم محصورونَ كالموكَّلِ بهم في موضعٍ قد حُبِسوا فيه.

﴿إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾؛ أي: هلَّا استدلُّوا بذلك على أنَّهم في سلطانِ الله يُجري عليهم قُدرتَه كيف شاءَ وبما شاءَ من خَسْفٍ وحَصْبٍ بالحجارةِ وغيرِهما.

وقيل: معناه: إن تمزَّقوا وتفرَّقُوا لم تخرُجِ الأجزاءُ عن الأرضِ والسَّماءِ فهي في قبضَتِنا نُحْييها متى نشاءُ.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾: في خلقِ السَّماواتِ والأرضِ والقُدرةِ على الخسفِ والإسقاطِ

---

(١) في (ف): «وقيل».

(٢) في (ن): «الفناء»، وهو تحريف.

(٣) صدر البيت:

والمرءُ ما عاش في تكذيبٍ

انظر: «جمهرة أشعار العرب» (ص: ٣٨٤)، و«الشعر والشعراء» (١/ ٢٦١).

﴿لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾: لدلالةً على الإحياءِ لكلِّ عبدٍ مُقِرٍّ بالعبوديَّةِ، مُنيبٍ إلى الله بالتَّفكُّرِ في آياتِه.

* * *

(١٠) ـ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا﴾: النُّبوَّةَ، والزَّبورَ، والصَّوتَ البديعَ، والمُلْكَ، والقوَّةَ، وتستخيرَ الجبالِ والطَّيرِ.

﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ﴾ وقُلنا: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: سِيْرِي معه، وكانت تسيرُ معه حيثُ شاء إذا أرادَ مُعْجِزةً له، والتَّأويبُ: سيرُ النَّهارِ.

وقيل: سبِّحي معه، من تأويبِ القارئِ، كما تقولُ: رَجَّعَ القارئُ، وكان إذا قرأ الزَّبورَ صوَّتت معه الجبالُ، وأصغَتْ له الطَّيرُ.

وَهْبٌ: ﴿أَوِّبِى﴾: نُوحي معه، ﴿وَٱلطَّيْرَ﴾ يُساعِدُكَ على ذلك.

قال: وكان إذا نادى بالنِّياحةِ أجابَتْه الجبالُ بصداها، وعطَفَتْ عليه الطَّيرُ من فوقِه، فصدى الجبالِ الذي يسمعُه النَّاسُ من ذلك اليومِ. حكاه الثَّعلبيُّ[1]، وفيه ضَعفٌ.

﴿وَٱلطَّيْرَ﴾ نصبٌ من ثلاثةِ أوجهٍ:

أحدُها: بالعطفِ على محلِّ الجبال لمَّا لم يُمكِنْ عطفُه على لفظِه؛ لمكانِ الألفِ واللَّامِ.

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢/ ٩٢٧)، وفيه: «.. الذي يسمعُه النَّاسُ اليومَ من ذلك». وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٢٧)، واستغربه.

والثَّاني: بمعنى: مع.

والثَّالثُ: وسخَّرْنا له الطَّيرَ.

وقرأ رَوْحٌ وزيدٌ عن يعقوبَ بالرَّفعِ[١] عطفًا على لفظِ ﴿يَٰجِبَالُ﴾.

وقيل: بالعطفِ على الضَّميرِ في ﴿أَوِّبِي﴾.

﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: جعلَ الحديدَ في يدِه كالشَّمعِ، يعملُ منه وبه ما يُريدُ.

والثَّاني: بقوَّتِه وحرارةِ[٢] كفِّه يُلينِّه كما تُلَيِّنُه النَّارُ.

والثَّالثُ: سهَّلْنا عليه العملَ به فليَّنَّاه في يدِه.

وكان يعملُ في كلِّ يومٍ دِرعًا، فيبيعُها بستَّةِ آلافِ درهمٍ، وكان يتصدَّقُ بأربعةِ آلافٍ ويُنفِقُ الباقي.

وقيل: لمَّا ماتَ بقيَ منها في خزائنِه ألفُ درعٍ.

* * *

(١١) - ﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ﴾ ﴿أَنِ﴾ هي المُفسِّرةُ: أي: اعمَلْ.

وقيل: هو بمعنى الخبرِ؛ أي: بأنْ تعمَلَ سابغاتٍ.

والسَّابغاتُ: الدُّروعُ التَّامَّةُ، مِنَ السُّبوغِ، كما تُسمَّى المُفاضةَ؛ أي: أُفيضَتْ

---

(١) هكذا ذكرها ابن مهران في «المبسوط في القراءات العشر» (ص: ٣٦١)، ونسبت للأعرج وعبد الوارث عن أبي عمرو كما في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٢)، وللأعرج وأبي عبد الرحمن في «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٢٢٩).

(٢) في (ن): «والثاني بحرارته وقوة».

على لابسِها، وجاء في التَّفسيرِ: أوَّلُ مَن اتَّخذَ الدِّرعَ داودُ عليه السَّلامُ، وكان قبل ذلك صفائحَ من حديدٍ[١].

﴿وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: السَّرْدُ: النَّسجُ، وهو مصدرٌ، والسَّرَّادُ: الزَّرَّادُ[٢]، والمسرودةُ: الدِّرعُ، واشتقاقُها منَ السَّرْدِ بمعنى: التَّتابُعِ.

وقيل: السَّرْدُ: الثَّقْبُ، ومنه سُمِّي المِثْقَبُ والإِشْفَى مِسْرَدًا، ويكونُ المعنى: اجعَلْ ثُقوبَ طرفَي الحِلَقِ على قَدْرِ المساميرِ.

وقيل: لا تُوسِّعِ الحِلَقَ فينفذَ السَّهمُ والطَّعنُ.

وقيل: السَّرْدُ: المسمارُ.

ابنُ الهيصَمِ: الدِّرعُ التي عمِلَها داودُ كانت بغيرِ مسمارٍ؛ لأنَّها كانت مُعجزةً له، فلو كانت مُسمَّرةً لَمَا كان بين داودَ وبين غيرِه فرقٌ، مع ما أنَّا قد رأينا ما بقيَ منَ الدِّرعِ التي عملَها داودُ فكانت بلا مساميرَ، وتزولُ أيضًا فائدةُ قولِه: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾[٣].

وقيل: السَّرْدُ: الدِّرعُ، وهو من أسمائِه.

﴿وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا﴾ خطابٌ لداودَ عليه السَّلامُ، وجُمِعَ لأنَّ المُرادَ به هو وآلُه.

والعملُ الصَّالحُ قيل: هو الشُّكرُ هاهنا.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٨٨٠)، والطبري في «تفسيره» (١٩/ ٢٢٣)، عن قتادة.

(٢) في (ن): «والزراد».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٢٨)، واستغربه.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: قولُ: سبحانَ الله، والحمدُ لله، ولا إلهَ إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ[١].

وحُكِيَ أنَّ داودَ عليه السَّلامُ جعلَ العبادةَ والصَّلاةَ بينَه وبينَ آلِه مُنقسمةً، فلم يزَلْ واحدٌ منهم كان في الصَّلاةِ ليلًا ونهارًا.

﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فأُجازيكم عليه أحسنَ جزاءٍ وأتــمَّه.

***

(١٢) ـ ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾.

﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ﴾؛ أي: وسخَّرْنا لسليمانَ الرِّيحَ.

وقيل: وألنَّا له الحديدَ، وألنَّا لسليمانَ الرِّيحَ.

وقُرِئَ بالرَّفعِ[٢] على تقديرِ: ولسليمانَ تسخيرُ الرِّيحِ.

الحسنُ: لـمَّا شغلتِ الخيلُ سليمانَ عليه السَّلامُ حتَّى فاتته صلاةُ العصرِ غضبَ لله، فعقرَ الخيلَ فأبدلَه الله خيرًا منه، فسخَّر له الرِّيحَ تجري بأمرِه رُخاءً[٣].

ولم يُسخِّرْ له الرِّياحَ جميعًا، إنَّما سخرَ له واحدةً، ولهذا أجمعَ القُرَّاءُ السَّبعةُ على توحيدِها[٤].

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٤٣٧).

(٢) قرأ أبو حيوة بالجمع والرفع، وقرأ الأعرج بالإفراد والرفع. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٥).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣١٦٢)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٧٣). وقضية عقر الخيل مختلف فيها وهي مردودة عند بعضهم.

(٤) ولم يجمع عليه العشرة، فقد قرأ أبو جعفر بالجمع والنصب. انظر: «النشر» (٢/ ٢٢٣).

﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ غُدُوُّها إلى انتصافِ النَّهارِ مسيرةُ شهرٍ؛ أي: سَيرُها من لدُنْ طُلوعِ الشَّمسِ إلى زوالِـها مسيرةُ دوابِّ النّاسِ في شهرٍ، ومسيرُها بالعشيِّ كذلك.

ورَوى الثَّعلبيُّ: أنَّ سليمانَ عليه السَّلامُ سارَ من أرضِ العراقِ غاديًا، فقالَ بمدينةِ مَرْوَ، وصلَّى العصرَ بمدينةِ بَلْخَ، ثمَّ سارَ منها إلى بلادِ التُّركِ، ثمَّ جازَهم إلى أرضِ الصِّينِ، يغدو على مسيرةِ شهرٍ ويروحُ على مثلِ ذلك، ثمَّ عطَفَ يمنةً عن مطلعِ الشَّمسِ على ساحلِ البحرِ حتَّى أتى أرضَ القَنْدَهارِ، وخرجَ منها إلى مُكْرانَ وكِرْمانَ، ثمَّ جازَها حتَّى أتى أرضَ فارسَ، فنزلَها أيَّامًا، وغدا منها فقالَ بكَسْكَرَ، ثمَّ راحَ إلى الشَّامِ، وكان مُستقرُّه بمدينةِ تدمرَ، وتدمرُ ممَّا بناها الجنُّ له[1].

﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾: وأذَبْنا له عينَ النُّحاسِ، أُسيلَت له ثلاثةَ أيَّامٍ كما يسيلُ الماءُ، وكانت بأرضِ اليمنِ، وإنَّما ينتفعُ النَّاسُ اليومَ بما أخرجَ الله لسُليمانَ عليه السَّلامُ، وكان ينبعُ من معدنِه فيسيلُ كالماء من غيرِ مُعالجةٍ، كما ألانَ لأبيه الحديدَ.

قال الزَّجَّاجُ: هو الصُّفرُ[2].

وقيل: عينُ الرَّصاصِ.

وقيل: الحديدُ.

﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾؛ أي: وسخَّرْنا له منَ الجنِّ مَن يعملُ.

ويجوزُ أن يكونَ رفعًا بالابتداءِ.

﴿وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ﴾: يمِلْ ويعْدِلْ ﴿عَنْ أَمْرِنَا﴾ الذي أمَرْناه من طاعةِ سليمان عليه

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢٢/ ٣٢ـ ٣٤)، ولم يذكر له راوياً ولا سنداً.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٢٤٥).

السَّلامُ ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾، وذلك أنَّ الله وكَّل بهم مَلَكًا بيدِه سوطٌ من نارٍ، فمَن زاغ عن أمرِ سليمانَ عليه السَّلامُ ضربَه ضربةً أحرقَتْه.

وقيلَ: ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ في الآخرةِ، وعليه أكثرُ المُفسِّرين.

* * *

(١٣) ـ ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾.

﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ﴾ قيل: المساجدُ. وقيل: القُصورُ والمساكنُ.

﴿وَتَمَاثِيلَ﴾: جمعُ تمثالٍ، وهو الصُّورةُ، وكانوا يُصوِّرن تماثيلَ العُبَّادِ والملائكةِ والأنبياءِ قائمين راكعينَ ساجدينَ؛ ليقتديَ بهم مَن وراءَهم، ولم تكُنْ يومئذٍ مُحرَّمةً محظورةً(١).

---

(١) ذكره بعض المفسرين في تفاسيرهم دون عزو، منهم الفراء في «معاني القرآن» (٢/ ٣٥٦)، والواحدي في «الوسيط» (٣/ ٤٨٩)، والبغوي في «تفسيره» (٦/ ٣٩١)، والزمخشري في «الكشاف» (٣/ ٥٧٢).

وهو قول مردود لا دليل عليه من الشرع، ولا خبر فيه يعتمد عليه، ثم كيف يرضى شرع نبي من أنبياء الله بصنع تماثيل للأنبياء والصالحين لأجل الاقتداء، مع أن هذا هو نفسه سبب ضلال كثير من الناس والأمم كما جاء في أصنام قوم نوح أن أصنامهم هي في الأصل لرجال صالحين صنعوها لهم بعد موتهم بوسوسة الشيطان ليذكروهم بها، فلما طال العهد بهم عبدوها من دون الله، وهو ما رواه البخاري (٤٩٢٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: صارت الأوثانُ التي كانت في قومِ نوحٍ في العرب بعدُ، أما وَدٌّ كانت لكَلْبٍ بدَوْمَةِ الجَنْدَلِ، وأما سُوَاعٌ كانت لهُذَيلٍ، وأما يغوثُ فكانت لمُرادٍ، ثُم لبني غُطَيْفٍ بالجَوف، عند سبإٍ، وأما يَعُوقُ فكانت لهَمْدانَ، وأمَّا نَسْرٌ فكانت لحِمْيَرَ لآلِ ذي الكَلاعِ، أسماءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ: أَنِ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا وَسَمُّوهَا بأسمائهم، ففعلوا، فلم تُعبدْ، حتى إذا هَلَكَ أولئك وتَنَسَّخ العلمُ عُبِدَت.

الحسنُ: يعني: النُّقوشَ وصورَ الأشجارِ، وذلك مُباحٌ[(١)].

وجاء في بعضِ التَّفاسيرِ: أنَّهم كانوا عملوا له أسَدَيْنِ أسفلَ كُرسيِّه ونسرَين فوقَ كرسيِّه، وكان كرسيُّه عظيمًا، فإذا أرادَ أن يصعدَ الكرسيَّ بسطَ الأسدُ ذراعَه، فكان يصعدُ عليه، وإذا قعدَ عليه أظلَّه النَّسرانِ بأجنحتِهما، فلما ماتَ سليمانُ عليه السَّلامُ جاء أَفريدونُ، وقيل: بُخْتَنصَّرُ ليصعدَ الكرسيَّ، ولـم يدرِ كيف يصعدُ، فلما دنا منه ضربَ الأسدُ على ساقِه فكُسِرَ ساقُه، فلم يجسُرْ أحدٌ بعدَه أن يدنوَ منَ ذلك الكرسيِّ[(٢)].

قيل: كانت التَّماثيلُ من نُحاسٍ.

وقيل: من رخامٍ وشَبَهٍ.

﴿وَجِفَانٍ﴾: جمعُ جَفْنةٍ؛ أي: صِحَافٍ ﴿كَٱلْجَوَابِ﴾: جمعُ جابيةٍ، وهي: الحوضُ، يأكلُ من كلِّ جفنةٍ منها ألفُ رجلٍ، وأصلُه: كالجوابي، فحُذِفَ الياءُ تخفيفًا كـ ﴿ٱلْمُهْتَدِ﴾ [الإسراء: ٩٧] و[الكهف: ١٧] و﴿ٱلْمُنَادِ﴾ [الذاريات: ٤١]، وهذا أولى بالحذفِ؛ فإنَّ الجمعَ ثقيلٌ.

وكان له اثنا عشرَ ألفَ خبَّازٍ، واثنا عشرَ ألفَ طبَّاخٍ، وكانوا يُصلِحونَ الطَّعامَ في تلك الجِفانِ لكثرةِ القومِ.

﴿وَقُدُورٍ رَّاسِيَـٰتٍ﴾ ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: أثافيُّها منها[(٣)]، وكانت من حجارةٍ.

---

(١) ذكره يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٧٤٩)، والماوردي في «تفسيره» (٤/ ٤٣٨) بلفظ: «الصور، قال: ولم تكن يومئذ محرمة»، وابن أبي زمنين في «تفسيره» (٤/ ١٠) بلفظ: «قال الحسن: ولم تكن الصور يومئذ محرمة»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٢٨)، واستغربه.

(٢) ذكره الزمخشري في «تفسيره» (٣/ ٥٧٢) مختصرًا.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٣١٦٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣١٦٣)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٤٣٩).

غيرُه: ﴿رَّاسِيَٰتٍ﴾: ثابتاتٍ لا ينزِلْنَ عن أماكنِهنَّ لعِظَمِهنَّ ولا يزُلْنَ.

وفي بعضِ التَّفاسيرِ: أنَّ تلك القُدورَ باقيةٌ في اليمنِ[1].

﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗا﴾؛ أي: وقُلْنا لهم وأمَرْناهم: اشكُروا يا آلَ داودَ شُكرًا، فهو نصبٌ على المصدرِ.

وقيل: اعملوا منَ الطَّاعاتِ شُكرًا، فهو مفعولٌ له، وهذا أحسنُ.

والمُرادُ به: تقوى الله والعملُ بطاعتِه.

وقيل: المُرادُ به: الحمدُ.

وقيل: الصَّومُ والصَّلاةُ.

والقولُ الأوَّلُ يعُمُّ الكلَّ.

﴿وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾؛ أي: لا يقومُ بشُكرِنا إلّا القليلُ من عبادِنا، وهم المُؤمنون المُوحِّدون.

* * *

(١٤) ـ ﴿فَلَمَّا قَضَيۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَوۡتَ مَا دَلَّهُمۡ عَلَىٰ مَوۡتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلۡأَرۡضِ تَأۡكُلُ مِنسَأَتَهُۥۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلۡجِنُّ أَن لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٱلۡغَيۡبَ مَا لَبِثُواْ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ﴾.

﴿فَلَمَّا قَضَيۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَوۡتَ﴾؛ أي: على سليمانَ عليه السَّلامُ ﴿مَا دَلَّهُمۡ﴾؛ أي: الجنَّ، وقيل: آلَ داودَ ﴿عَلَىٰ مَوۡتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلۡأَرۡضِ﴾ وهي الأرَضةُ.

ابنُ زيدٍ: دابَّةٌ تأكلُ العيدانَ يُقالُ لها: القادِحُ[2].

---

(١) في (ف): «باليمن».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٢٤٣)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٤٤١).

والأرضُ: هي مُستقرُّ الخلقِ، أُضيفَتْ إليها.

وقيل: الأرضُ: مصدرُ أُرِضَتِ الخشَبةُ فهي مأروضةٌ؛ أي: مأكولةٌ، والأَرَضةُ جمعُ آرِضةٍ، مثلَ: كَفَرةٍ وفَجَرة.

وقيل: دابَّةُ الأرضِ هي الأرضُ(١)، وفيه بُعدٌ.

﴿تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ﴾ حالٌ(٢)، والمِنْسَأةُ: العَصا، مُشتقَّةٌ من نَسَأْتُ البعيرَ؛ أي: زجَرْتُه وطَردتُه ليزيدَ في السَّيرِ، والهمزُ وتركُ الهمزِ لغتانِ(٣).

وفي «تفسيرِ النَّقَّاشِ»: المِنْسأةُ: عتَبةُ البابِ(٤).

وفي سببِ إخفاءِ موتِه أقوالٌ:

قال بعضُهم: كان سليمانُ عليه السَّلامُ كلَّما صلَّى ببيتِ المقدسِ نبتَ بين يدَيه نباتٌ، وكان يقولُ له: ما اسمُكَ؟ ولِـمَ أنتَ؟ فيقولُ: لكذا وكذا، فيُقْلَعُ ويُغْرَسُ في موضعٍ ويُكتَبُ اسمُه ومنفعتُه، فصلَّى يومًا فنبتَ نباتٌ، فقال له: ما اسمُكَ؟ فقال: خَرُّوبٌ، قال: ولِـمَ أنتَ؟ قال: لخرابِ هذا المسجدِ، فقال سليمانُ عليه السَّلامُ: ما كانَ الله ليُخرِّبه وأنا حيٌّ، وكان قبل ذلك يخلو السَّنةَ والشَّهرَ والشَّهرَين في بيتِ

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٢٩)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٢٩)، وعده من العجائب، ولم يذكر هنا ولا هناك قولًا غيره، وكذا أعربه أبو حيان في «البحر» (٨/ ٥٣٠) واقتصر عليه فقال: «و﴿تَأْكُلُ﴾ حالٌ؛ أي: أَكَلَتْ مِنسَأَتَه، وهي حالٌ مُصاحِبةٌ».

(٣) قرأ نافع وأبو عمرو بالألف بدلًا من الهمزة، وابن ذكوان بهمزة ساكنة، والباقون بهمزة مفتوحة، وحمزة إذا وقف جعلها بَينَ بَينَ على أصله. انظر: «التيسير» (ص: ١٨٠).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٢٩)، وعده من العجائب.

المقدسِ، يُدخِلُ فيه طعامَه وشرابَه، ثمَّ إنَّه دخلَ البيتَ وأدخلَ الطَّعامَ والشَّرابَ واتَّكأ على عصاه فماتَ(١).

وقيل: كان ذكرَ لملَكِ الموتِ: إذا أُمِرْتَ بي فأعلِمْني، فأتاه فقال: يا سليمانُ، قد أُمِرْتُ بك، فدعا الشَّياطينَ فبنَوا عليه صرحًا من قواريرَ ليس له بابٌ، فقام يُصلِّي واتَّكأ على عصاه، فقُبِضَتْ روحُه وهو مُتَّكِئٌ على عصاه(٢).

وقيل: كان لـمْ يُتِمَّ بناءَ بيتِ المقدسِ، فلمَّا حضرَه الموتُ قال لأهلِه: لا تُخبِروا الجنَّ بمَوتي ولا تبكُوا عليَّ سنةً حتَّى يفرُغوا من بنائِه(٣).

وفي «تفسيرِ النَّقَّاشِ» عن جُويبرٍ عن الضَّحَّاكِ عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما أنَّه قال: مَن زعَمَ أنَّه قُبِضَ وهو مُتَّكِئٌ على عصاه فقد كذبَ، بل قبضَه الله على فراشِه، فمكثُوا في العذابِ سنةً، فبعثَ الله الأرَضةَ على عتَبةِ البابِ فأكلَتْه فخرَّ البابُ، وهذا مُزيَّفٌ(٤).

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٤٠٤) عن عكرمة، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٢٤١) من طريق السدي عن أشياخه عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم، وفي إسناده إليهما مقال، وقد ارتاب به الطبري ولكنه لم يبيّن علّة ارتيابه، وللأستاذ محمود شاكر بحث مفيد في هذا الأمر، فانظر «تفسير الطبري» (طبعة دار المعارف) (١/ ١٥٦ ـ ١٦٠).

وقال ابن كثير عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤] عن الإسناد المذكور: فهذا الإسناد إلى هؤلاء الصحابة مشهور في تفسير السدي ويقع فيه إسرائيليات كثيرة، فلعل بعضها مدرج ليس من كلام الصحابة، أو أنهم أخذوه من بعض الكتب المتقدمة، والله أعلم.

قلت: وقد رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣١٦٤) عن السدي قوله.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٢٤٣) عن ابن زيد. ووقع في (ف): «على العصا».

(٣) ذكره مقاتل في «تفسيره» (٣/ ٥٢٨).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٢٩) وقال: «والمفسرون عن آخرهم على أن سليمان اتكأ على عصاه فمات، إلا النقاش» وساق عنه هذا الخبر.

مجاهدٌ: تحنَّطَ سليمانُ عليه السَّلامُ وتكفَّنَ، ثمَّ جلسَ على كرسيِّه، وجمعَ كفَّيه على طرفِ عصًا، ثمَّ وضعَها تحتَ ذقنِه، فماتَ وبقيَ كذلك سنةً إلى أن أكلتِ الأَرَضةُ أسفلَ عصاه، فخرَّ ساقِطًا[١].

وقيل: أرسلت الجنُّ الأَرَضةَ على العصا حتَّى أكلَتْها.

وقيل: قالت الشَّياطينُ للأَرَضةِ بعد أكلِها: لو كنتِ تأكلينَ الطَّعامَ وتشربينَ الشَّرابَ لأتيناكَ بأطيبِ طعامٍ وألذِّ شرابٍ، ولكنْ سننقلُ إليكِ الماءَ والطِّينَ حيثُ كنتِ[٢].

﴿فَلَمَّا خَرَّ﴾: سقطَ سليمانُ عليه السَّلامُ.

وقيل: البابُ، على ما سبقَ، وهو مُزيَّفٌ.

﴿تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا﴾ وفي قراءةِ ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما: (حولًا كاملًا)[٣] ﴿فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾.

تقول: تَبَيَّنْتُ الشَّيءَ: علِمْتُه، وتبيَّنَ لي الشَّيءُ: ظهرَ، وقد فُسِّرَ بهما:

فقيل[٤]: فلما خر ظهرَ أمرُ الجنِّ أن لو كانوا، فيكونُ ﴿أَن﴾ مع ما بعدَه في محلِّ رفعٍ على البدلِ منَ الجنِّ وأمرِه.

وقيل: فلما خر علمتِ الجنُّ أن لو كانوا، فيكونُ ﴿أَن لَّوْ كَانُوا﴾ في محلِّ نصبٍ،

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٢٩)، ورواه عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر عن عكرمة كما في «الدر المنثور» (٦/ ٦٨٥).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٣٠)، وعده من العجائب.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٣٠) وفي «الدر المنثور» (٦/ ٦٨٣): «سنة» وفي «شواذ القراءات» (ص: ٣٩٠) عن طلحة «هولاً»، وفي «تفسير الطبري» (١٩/ ٢٤١)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (١٠/ ٣١٦٤)، و«تفسير الثعلبي» (٢٢/ ٦٣) عن ابن مسعود رضي الله عنهما بلفظ: (فمكثوا يدأبون له من بعد موته حولاً كاملاً).

(٤) في (ن): «وقيل».

وذلك أنَّ الجنَّ كانوا يزعُمون أنَّ عندَهم شيئًا من علمِ الغيبِ، فعلموا يومَئذٍ أنَّ الأمرَ بخلافِ ذلك.

وقيل: كانوا يُظهِرون للنّاسِ تـمويهًا أنَّهم يعلمونَ الغيبَ، فلما بقُوا في العذابِ حولًا بعد موتِه علِموا أنَّ ذلك قد ظهرَ للنَّاسِ.

قرأ ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: (تَبيَّنَتِ الإنسُ أنْ لو كانوا)(١).

وقرأ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: (تَبيَّنَتِ الإنسُ أنَّ الجنَّ لو كانوا)(٢).

وقرأ يعقوبُ: ﴿تُبُيِّنَتِ الجِنُّ﴾ على ما لـم يُسمَّ فاعلُه(٣)، وهو غيرُ قراءةِ ابنِ عبَّاسٍ وابنِ مسعود رضي الله عنهما، فإنَّ ﴿أَن لَّوْ كَانُوا۟﴾ فيهما مفعولٌ.

قال القفَّالُ حاكيًا: قد دلَّتْ هذه الآيةُ على أنَّ الجنَّ لـم يُسخَّروا إلا لسليمانَ عليه السَّلامُ، وأنَّهم بعد موتِه تخلَّصوا من تلك الأعمالِ الشَّاقَّةِ، وإنَّما تهيَّأتْ لهم ذلك لأنَّ الله زاد في أجسامِهم وقِواهُم، وغيَّرَ خلقَهم عن خلقِ الجنِّ الذين لا يُرَون،

---

(١) ذكرها عن ابن عباس الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٤٤٢)، وهي في «المحتسب» (٢/ ١٨٨) عن أبي بن كعب رضي الله عنه، ورواها عبد الرزاق في «التفسير» (٢٤٠٥) عن معمر عن قتادة قال: وفي بعض الحروف: (تَبيَّنَتِ الإنسُ أنْ لو كانوا يعلمون الغيبَ).

ومعناها كما قال ابن جني: تبينت الإنس أن الجن لو علموا بذلك ما لبثوا في العذاب. واستدل عليه بما سيأتي من قراءة ابن مسعود.

وذكر الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٦٥) عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما: (تبينت الإنس والجن).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للنحاس (٥/ ٤٠٥)، و«المحتسب» (٢/ ١٨٦)، وفي «تفسير ابن أبي حاتم» (٩/ ٢٩١٣) عن ابن مسعود رضي الله عنه: (تبينت الإنس والجن لو كانوا يعلمون الغيب).

وذكر المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٣٠) القراءتين، واستغربهما.

(٣) هي رواية رويس عن يعقوب. انظر: «النشر» (٢/ ٣٥٠).

وكانوا بمنزلةِ الأسرى في يدَيه، ثمَّ ماتَ هؤلاءِ بعد سليمانَ عليه السَّلامُ، فجعلَ الله خلقَ الجنِّ على ما كانوا عليه قبل ذلك منَ الدِّقَّةِ والضَّعفِ والخفاءِ، فصاروا لا يُرونَ ولا يقدرونَ على شيءٍ من هذه الأعمالِ، ولا على نقلِ الأجسامِ الثِّقالِ؛ لأنَّ ذلك كان مُعجزةً لسليمانَ عليه السَّلامُ. واللهُ أعلمُ.

***

(١٥) ـ ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾.

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ﴾ مَن صرَفَه جعلَه اسمَ أبي القبيلةِ أو الحيِّ، ومَن لم يصرِفْه[1] جعلَه اسمَ القبيلةِ، وهم قبائلُ ينتَسبون إلى سبأِ بنِ يشجُبَ بنِ يعرُبَ بنِ قَحطانَ.

الحسنُ: سبأٌ اسمُ أرضٍ[2].

قَتادةُ: سبأٌ أرضٌ باليمنِ يُقالُ لها: مأرِبُ، بينَها وبين صنعاءَ مسيرةُ ثلاثِ ليالٍ[3].

وفي أكثرِ التَّفاسيرِ: أنَّ رجلًا سألَ النَّبيَّ ﷺ عن سبأٍ: أجبلٌ هو أم أرضٌ أم امرأةٌ؟ فقال ﷺ: «ليس بجبلٍ ولا أرضٍ ولا امرأةٍ، وإنَّما هو رجلٌ من العربِ ولدَ رجالًا عشرةً صارَ كلُّ واحدٍ أبًا لقبيلةٍ، تيامَنَ منهم ستَّةٌ، وتشاءَمَ أربعةٌ؛ فأمَّا الذين تيامَنُوا فكِنْدةُ، والأزْدُ، والأشعرِيُّونَ، ومَذْحِجٌ، وأنْمارٌ الذينَ هم بَجِيلةُ، وخَثْعَمُ، وأمَّا الذين تشاءَمُوا فعامِلةُ، وجُذامُ، ولَخْمٌ، وغسَّانُ»[4].

---

(١) قرأ البزي وأبو عمرو بفتح الهمزة من غير تنوين، وقنبل بإسكانها على نِيَّة الوقف، والباقون بخفضها مع التَّنوين. انظر: «السبعة» (ص: ٤٨٠)، و«التيسير» (ص: ١٦٧).

(٢) ذكره يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٥٣٩)، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٨٦٥).

(٣) ذكره يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٥٣٩)، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٨٦٤).

(٤) رواه الترمذي (٣٢٢٢) عن فروة بن مسيك رضي الله عنه، وقال: «حديث حسن غريب»، ورواه أبو =

﴿فِي مَسْكَنِهِمْ﴾[١] مَن جمعَ طلبَ المُوافقةَ؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ منهم كان له مسكنٌ، ومَن فتحَ جعلَه مصدرًا كالسُّكنى، ووحَّدَ كما تُوَحَّدُ المصادرُ، ومَن كسرَ[٢] جعلَه اسمَ المكانِ وهو ممَّا شذَّ كالمسجِدِ والمغرِبِ والمشرِقِ، ووحَّدَ لأنَّه ذهبَ به إلى البلدِ، أو اكتَفَى بجمعِ المُضافِ إليه عن جمعِ المُضافِ كقولِه:

في حلقِكُم[٣]

و:

في بعضِ بطنِكم[٤]

﴿ءَايَةٌ﴾: دلالةٌ ظاهرةٌ وحجَّةٌ واضِحةٌ تدلُّ على وحدانيَّةِ الله وقُدرتِه.

= داود (٣٩٨٨) مختصرًا.

(١) في (ف): «مساكنهم».

(٢) قرأ حفص وحمزة: ﴿فِي مَسْكَنِهِمْ﴾ بإسكان السين وفتح الكاف، والكسائيُّ كذلك غير أنه يكسر الكاف، والباقون بفتح السين وكسر الكاف وألف بَينهما على الجمع. انظر: «السبعة» (ص: ٤٨٠)، و«التيسير» (ص: ١٦٧).

(٣) قطعة من بيت رجز للمسيب بن زيد مناة الغنوي يخاطب حنظلة بن الأعرف الضبابيّ كما في «شرح كتاب سيبويه» لأبي سعيد السيرافي (٢/ ١٠٢)، ودون نسبة في «الكتاب» (١/ ٢٠٩)، و«مجاز القرآن» (١/ ٧٩) و(٢/ ٤٤ و١٩٥)، و«معاني القرآن» للأخفش (١/ ٢٤٩)، و«المقتضب» (٢/ ١٧٢)، و«الأصول» لابن السراج (١/ ٣١٤)، وتمامه:

لا تُنكِرُوا القَتْلَ وقد سُبينا   في حَلقِكُمْ عَظْمٌ وقد شَجِينَا

(٤) قطعة من بيت في «الكتاب» (١/ ٢١٠)، و«المقتضب» (٢/ ١٧٢)، و«الأصول» لابن السراج (١/ ٣١٣)، و«تفسير الثعلبي» (١/ ١٥١)، و«أساس البلاغة» مادة: (خ م ص)، وتمامه:

كُلُوا فِي بَعْضِ بَطْنِكُمْ تَعِفُّوا   فَإِنَّ زمانَكمْ زمنٌ خَمِيصُ

وقيل: في قصَّتِهم مـن حـالتَي النِّعمةِ والنِّقمةِ آيةٌ تدلُّ على قدرةِ الله وعلى وحدانيَّته[١]، ودعاءٌ إلى طاعتِه وزجرٌ عن معصيتِه[٢].

﴿جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ بدلٌ من ﴿ءَايَةٌ﴾؛ أي: عن يمينِ بلدِهم وشمالِه.

وقيل: يمينِ مَن أتاها وشمالِه، وثنَّى الجنَّتَين لتثنيةِ اليمينِ والشِّمالِ، والمعنى: الأشجارُ والمياهُ والبساتينُ مُحيطةٌ بها عن أيمانِهم وعن شمائلِهم.

وقيل: كانتا جنَّتَين اثنتَين ممتدَّتَين طُولًا وعرضًا.

وقيل: كانتا بين جبلَينِ.

وقيل: كان لكلِّ واحدٍ منهم في منزلِه جنَّتانِ عن يمينٍ وشمالٍ.

﴿كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ﴾؛ أي: منهما ﴿وَٱشْكُرُواْ لَهُۥ﴾ على نعمِه ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾: كثيرةُ الرِّيعِ والثَّمرِ ليست بسَبخةٍ، من قولِه: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ﴾ الآية [الأعراف: ٥٨].

وقيل: أرادَ: صِحَّةَ هوائِها، وعُذوبةَ مائِها، وسلامةَ تُربتِها.

وقيل: لم يكُنْ يُرَى في بلدِهم بعوضةٌ ولا ذُبابٌ ولا بُرغوثٌ ولا عقربٌ ولا حيَّةٌ، وإنْ كانَ الرَّكبُ ليأتونَ وفي ثيابِهم القملُ والدَّوابُّ، فإذا[٣] رأوا بيوتَهم تموتُ الدَّوابُّ، وإنْ كان الإنسانُ ليدخلُ البستانَ ويُمسِكُ القُفَّةَ ـ وقيل: المِكتَلَ ـ على رأسِه فيخرجُ حين يخرجُ وقد امتلأت القُفَّةُ من أنواعِ الفاكهةِ من غيرِ أن يتناوَلَ منها بيدِه شيئًا.

والتَّقديرُ: بلدتُكم بلدةٌ طيِّبةٌ وربُّكم رَبٌّ غفُورٌ يُضعِّفُ الحسناتِ ويعفو عن السَّيِّئاتِ.

---

(١) «وعلى وحدانيته»: ليس في (ف).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٣١).

(٣) في النسختين: «فكما»، والتصويب من «غرائب التفسير» (٢/ ٩٣١).

(١٦) ـ ﴿ فَأَعۡرَضُواْ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ وَبَدَّلۡنَٰهُم بِجَنَّتَيۡهِمۡ جَنَّتَيۡنِ ذَوَاتَيۡ أُكُلٍ خَمۡطٖ وَأَثۡلٖ وَشَيۡءٖ مِّن سِدۡرٖ قَلِيلٖ ﴾.

﴿ فَأَعۡرَضُواْ ﴾ قال وَهْبٌ: بعثَ الله إلى سبأ ثلاثةَ عشرَ نبيًّا، فدعَوهم إلى الله وذكَّروهم نعَمَ الله وأنذَروهم عقابَه، فكذَّبوهم ولـم يُؤمِنُوا بهم وجحَدُوا نعَمَ الله عليهم(١).

﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ ﴾ في العَرِمِ أربعةُ أقوالٍ:

أحدُها: أنَّه المُسَنَّاةُ والسِّكْرُ، وكانت لهم مُسَنَّاةٌ تحبسُ الماءَ، ولها ثلاثةُ أبوابٍ بعضُها فوقَ بعضٍ، يَجتمعُ الماءُ إليها منَ الشِّحْرِ، وهو وادٍ باليمنِ، فيَسقُونَ منَ البابِ الأعلى، ثمَّ من الثَّاني والثَّالثِ، فلا ينفَدُ حتَّى يثوبَ الماءُ منَ السَّنةِ القابلةِ، وأضافَ السَّيلَ إلى العَرِمِ لأنَّه بخرابِه جاءَ السَّيلُ، والمعنى: أزَلْنا ما كانوا يحبِسُونَ به ذلك الماءَ.

الثَّاني: العَرِمُ اسمٌ للوادي، وأضافَ السَّيلَ إليه لأنَّه جاء من قِبَلِه ماءٌ أحمرُ، وكانَ سببَ الخرابِ.

الثَّالثُ: العَرِمُ صفةُ السَّيلِ(٢)، منَ العُرامِ، وهو الشِّدَّةُ؛ أي: سيلًا لا يُمتَنَعُ منه، فيكونُ من بابِ: مسجدِ الجامعِ، وصلاةِ الأولى، فيكون العَرِمُ: المطرَ الشَّديدَ(٣).

الرَّابعُ: العَرِمُ الخُلْدُ، وهو: الجُرَذُ الأعمَى، فنَقَبَ السِّكْرَ من أسفلِه، فسالَ منه الماء، فخرَّبَ جنَّاتِهم، وملأها رملًا.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٧٠)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٢٤٩) بلفظ: «لقد بعث الله إلى سبأ ثلاثة عشر نبيًّا فكذبوهم».

(٢) من قوله: «إليه لأنه جاء... إلى قوله:... صفة السيل»: ليس في (ف).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٣٢)، واستغربه.

وقيل: غاضَ الماءُ في الأرضِ، فجفَّتْ جنَّاتُهم وخربَتْ، وذهبَتْ أنهارُها.

﴿وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ﴾ ذكرَ الجنَّتين ازدِواجًا للكلامِ؛ فإنَّ الثَّانيتَين موصوفتانِ بأشجارِ الباديةِ دونَ أشجارِ الجنانِ، فصار كقولِه: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟﴾ [البقرة: ١٩٤]، ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ﴾ [الشورى: ٤٠].

وقيل: التَّبديلُ: تغييرُ الصِّفاتِ[١] مع بقاءِ الذَّاتِ، وعلى هذا حمَلَ هذا القائلُ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ٤٨].

قال النَّقَّاشُ في «تفسيرِه»: وقد طعنَ بعضُ أهلِ الإلحادِ في هذه الآيةِ فقال: (وبدَّلْناهم بجنَّتَيهم خَبْتَيْنِ)؛ لأنَّ الجنَّتينِ لا يكونُ فيهما خَـمْطٌ ولا أثْـلٌ.

قـال النَّقَّـاشُ: وهذا جهـلٌ عجيبٌ وغلطٌ بيِّـنٌ لا يَخْفَى علـى صاحبِ نظرٍ ولا خبـرٍ ولا لغةٍ؛ أمَّـا الأخبارُ فمُتواترةٌ على خلافِ ما قال هـذا الطَّاعنُ، وأمَّا النَّظرُ فإنَّ لهـذه الآيـةِ نظائرَ كثيـرةً في القرآنِ، منهـا: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟﴾ [البقـرة: ١٩٤]، ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟﴾ [النحـل: ١٢٦]، كذلـك ﴿وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ﴾ [سـبأ: ١٦]. وأمَّـا فـي اللُّغـة فلـو كان (خبتَيـنِ) لقـال: ذوَي؛ لأنَّ الخبْتَ مذكَّـرٌ والجنَّـةَ مُؤنَّثٌ. انتهـى كلامُه[٢].

قولُـه: ﴿ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ﴾ الأُكُلُ: الثَّمرُ، يُخفَّفُ ويُثقَّـلُ، والخَمْطُ: البَرِيرُ[٣] عنـد بعضِهـم وهـو ثمـرُ الأراكِ، وعند بعضِهـم الخَمْـطُ: الأراكُ، فمَن جعلَـه الثَّمرَ

---

(١) في (ن): «التغيير للصفات».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٣٢)، وعده من العجائب.

(٣) البرير: ثمر الأراك، أو أول ما يظهر منه، أو إذا اسود وبلغ فأكله الناس والدواب، وفيه حرارة على اللسان. انظر: «معجم متن اللغة» مادة: (ب ر ر).

نـوَّنَ ﴿أُكُلٍ﴾ وجعَـلَ ﴿خَمْطٍ﴾ بـدلًا منـه، ومَـن جعلَه الشَّـجرَ أضـافَ ﴿أُكُلِ﴾ إليه(١).

وقيل: الخَمْطُ: كلُّ شجرةٍ ذاتِ شوكٍ، وأُكُلُها: جَناها.

وقيل: كلُّ نبتٍ أخذَ طعمَه منَ المرارةِ حتَّى لا يُمكِنُ أكلُه فهو(٢) خمطٌ.

﴿وَأَثْلٍ﴾ الأَثْلُ: الطَّرْفاءُ(٣).

وقيل: شبيهٌ بها إلا أنَّه أعظمُ.

وقيل: شجرةُ حطبٍ لا ثمرَ لـها.

﴿وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيـلٍ﴾ قيل: هو السَّمُرةُ، وفيه بُعدٌ؛ فإنَّ السِّدرِ شجرُ النَّبْقِ. و﴿قَلِيـلٍ﴾ وصفٌ لـ﴿شَيْءٍ﴾، وإنَّما وصفَه بالقِلَّةِ؛ لأنَّ السِّدْرَ ممَّا يكونُ في الجنانِ، فأرادَ: وفيها شيءٌ قليلٌ منَ السِّدْرِ يتذكَّرون به ما فاتَهم منَ الثِّمارِ.

وقيل: القليلُ وصفٌ لجميعِ ما فيهما منَ الخمْطِ والأَثْلِ والسِّدْرِ(٤).

وقيل: معنى ﴿قَلِيـلٍ﴾ هاهنا: حقيرٌ(٥).

* * *

(١) قرأ أبو عمرو: ﴿ذواتي أُكُلِ خَمْطٍ﴾ بالإضافة، والباقون بالتنوين، وخفف الكاف في ﴿أُكل﴾ نافع وابن كثير، وثقل الباقون. انظر: «السبعة» (ص: ٥٢٨)، و«التيسير» (ص: ١٨٠).

(٢) «فهو»: ليس في (ف).

(٣) الطرفاء بالمد: شجر لا ثمر له، وهو نوع من الأثل. انظر: «حاشية الشهاب على البيضاوي» (٧/ ١٩٨).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٣٢)، واستغربه.

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٣٣)، وعده من العجائب.

(١٧) ـ ﴿ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴾.

﴿ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ﴾؛ أي: جزيناهُم ذلك بكُفرِهم، فهو مفعولٌ متقدِّمٌ[1].

﴿وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾ استفهامُ جَحْدٍ؛ أي: وهل يُجازَى بمثلِ ما فعَلْنا بهم إلا مَن كفَرَ النِّعمةَ ولم يشكُرْها؟!

وقيل: كفَروا بالله.

وقال بعضُهم: المُؤمنُ يُجزَى والكافرُ يُجازَى؛ لأنَّ لفظَ المُفاعلةِ يقتَضي المكافأةَ، والمُماثلةُ تكونُ[2] في السَّيِّئةِ، وأمَّا الحسناتُ فإنَّها مُضاعَفةٌ أضعافًا.

وقيل: الجزاءُ لفظٌ عامٌّ في المُؤمنِ والكافرِ، والمُجازاةُ للكافرِ خاصٌّ[3].

وقيل: الكافرُ يُجازَى بالسَّيِّئاتِ، والمُؤمنُ يُبدِّلُ الله سيِّئاتِه حسناتٍ.

قال القفَّالُ: ذهبَ جماعةٌ من أهلِ العلمِ والنَّظرِ في هذه الآيةِ إلى أنَّ المُجازاةَ بمعنى: التَّجازي؛ أي: لا يرتجعُ ما أنعمَ به[4] عليه إلا ممَّن يكفرُ ولا يشكرُ، كقولِه: ﴿لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١] قال: والكفورُ من كُفرانِ النِّعمةِ[5].

* * *

(١٨) ـ ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ۖ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴾.

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ ﴾: بين سبأٍ ﴿وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ﴾؛ أي: بالتَّوسعةِ على

---

(١) في (ف): «مقدم».

(٢) في (ف): «فيكون».

(٣) قرأ حفص وحمزة والكسائي ﴿وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾، قرأ الباقون: (وهو يُجزَى إلا الكفورُ). انظر: «السبعة» (ص: ٥٢٨)، و«التيسير» (ص: ١٨١).

(٤) «به»: ليس في (ف).

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٣٣)، واستغربه.

أهلِها في النِّعمِ، وهي: الشَّامُ، والأُرْدُنُّ، وفلسطينُ، وبيتُ المقدسِ.

﴿قُرًى ظَٰهِرَةً﴾ يظهرُ بعضُها لبعضٍ لتقارُبِها.

وقيل: ﴿ظَٰهِرَةً﴾؛ أي: معروفةً يقصِدُها مَن أرادَ الشَّامَ، كما تقول: هذا شيءٌ ظاهرٌ؛ أي: معروفٌ.

وقيل: الظَّاهرةُ: كلُّ أرضٍ مُشرفةٍ غليظةٍ كأنَّها على جبلٍ.

﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ﴾؛ أي: جعَلْنا هذه القُرى على مقدارٍ معلومٍ يَقِيلُ المُسافرُ في قريةٍ ويروحُ في أُخرَى.

وقيل: جعَلْنا مسيرَهم بمقدارٍ حيثُ أرادوا أن يَحِلُّوا حَلُّوا بقريةٍ.

﴿سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾؛ أي: متى شِئتُم، أمرُ إباحةٍ.

وقيل: إنَّ اللَّفظَ للأمرِ، والمعنى للماضي؛ أي: ساروا فيها آمنينَ منَ العدوِّ والجوعِ والعطشِ والسِّباعِ[1].

* * *

(١٩) ـ ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾.

﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾: بطِروا النِّعمةَ، وجهِلُوا العاقبةَ، فسألوا الله تغييرَ ما بهم منَ النِّعمةِ، بأن يُباعِدَ بين أسفارِهم، فأجابَهم إلى ما سألوه لأنفسِهم.

وقيل: قالوا: مُرْنا بالأسفارِ البعيدةِ الشَّاقةِ.

وقيل: طلَبُوا ذلك ليتطاوَلوا على الفقراءِ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٣٣)، واستغربه.

وقيل: طلبوا ذلك للتِّجارةِ؛ فإنَّ السَّفرَ إذا طالَ كان الرِّبحُ فيه أكثرَ.

النَّقَّاشُ: معناه: زِدْ في عمارتِها حتَّى تَبْعدَ فيها أسفارُنا(١).

وقرأ يعقوبُ ﴿ربُّنا﴾ بالرَّفعِ ﴿بَاعَدَ﴾ بلفظِ الماضي(٢)، فهذا شكوَى منهم لبُعدِ سفرِهم وتمنِّي قِصَرِه.

﴿وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ حيثُ عَدُّوا النِّعمةَ نقمةً، والإحسانَ إساءةً.

﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ﴾؛ أي: جعَلْنا ما حلَّ بهم ﴿أَحَادِيثَ﴾ يُضرَبُ بهم المثَلُ، فيُقالُ: تفرَّقوا أيدي سبا، وصارُوا أيادي سبا(٣)، ويُذكرُ ما كانُوا فيه وصارُوا إليه.

﴿وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾: فرَّقْناهُم في البلادِ كلَّ تفريقٍ؛ أي: غايةَ ما يكونُ منَ التَّفريقِ وتبديدِ الشَّملِ، حتَّى وقعَ بعضُهم إلى الشَّامِ، وبعضُهم إلى عُمانَ، وبعضُهم إلى يثربَ.

وقال بعضُ المُفسِّرين: لـمَّا جرى عليهم سيلُ العَرِمِ بقيَتْ منهم بقيَّةٌ عاهَدُوا الأنبياءَ بأنْ لا يعودوا إلى الكفرِ والمعصيةِ، ثمَّ لـم يفُوا بالعهدِ، فحينَئذٍ عُوقِبُوا بالتَّمزيقِ في البلدانِ.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾؛ أي: فيما ذُكِرَ ﴿لَأَيَٰتٍ﴾ لمواعظَ وعِبَرًا ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾؛ أي: مُؤمنٍ يصبرُ على الطَّاعةِ، ويشكرُ على النِّعمةِ.

***

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٤٤٦).

(٢) انظر: «النشر» (٢/ ٣٥٠).

(٣) أي: مذاهب سبأ وطرقها؛ أي: تفرقوا تفرقاً لا اجتماع بعده. وقال الأزهريُّ: العربُ لا تهمز (سَبَا) في هذا الموضع؛ لأنه كَثُر في كلامهم، فاستَثقلوا فيه الهمزَ وإن كانت (سبأ) في الأصل مهموزة. انظر: «تهذيب اللغة» (١٣/ ٧٢)، و«معاني القرآن» للنحاس (٥/ ٤١٠)، و«مجمع الأمثال» (٢/ ٢٧٥).

(٢٠) ـ ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ ﴾ (في) و(على) يتعاقبانِ في مثلِ هذا الموضعِ، والضَّميرُ في ﴿عَلَيْهِمْ﴾ يجوزُ أن يعودَ إلى أهلِ سبأ، ويجوزُ أن يكونَ عامًّا فيمَن كفرَ.

﴿إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ظَنُّ إبليسَ: ما ذكرَه الله في القرآنِ في غيرِ موضعٍ، منه قولُه: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى ﴾ [الحِجر: ٣٩]، و﴿أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ ﴾ [الإسراء: ٦٢]، و﴿لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الأعراف: ١٧] الآيات.

فمن شدَّدَ ﴿صَدَّقَ ﴾ جعلَ ﴿ظَنَّهُۥ﴾ مفعولًا به، ومعناه: حقَّقَ ظنَّه فيهم، ومَن خفَّفَ[(١)] جازَ أن يكونَ مصدرًا؛ أي: صَدَقَ إبليسُ ظنَّ ظنَّه[(٢)]، هذا لفظُ الزَّجَّاجِ، وفيه خلَلٌ، ويجوزُ أن يكونَ ظرفًا؛ أي: في ظنِّه. كلاهما عنِ الزَّجَّاجِ[(٣)].

وفي «الحجَّةِ»: ويجوزُ أن يكونَ مفعولًا به[(٤)].

وقيل: فيه تقديمٌ وتأخيرٌ؛ أي: اتَّبعُوه فصَدَّقَ عليهم إبليسُ ظنَّه، والمعنى الذي أرادَ هذا القائلُ موجودٌ في ترتيبِ الآيةِ من غيرِ تقديمٍ، تقولُ: أكرمَ الأميرُ فلانًا فركِبَ إليه، وركبَ الأميرُ إلى فلانٍ فأكرَمَه؛ لأنَّ التَّصديقَ وقعَ بالاتِّباعِ، والاتِّباعُ وقعَ بالتَّصديقِ.

وقولُه: ﴿إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ هو كقولِه: ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾

---

(١) قرأ عاصم وحمزة والكسائي بالتشديد، والباقون بالتخفيف، وكلاهما برفع ﴿إِبْلِيسُ﴾ ونصب الظن.
انظر: «السبعة» (ص: ٥٢٩)، و«التيسير» (ص: ١٨١).

(٢) في «معاني القرآن» للزجاج: «ظنًّا ظنه».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٢٥١ ـ ٢٥٢).

(٤) انظر: «الحجة» (٦/ ٢٠).

[ص: ٨٣]، و﴿مِّنَ﴾ يجوزُ أن يكونَ للبيانِ، ويجوزُ أن يكونَ للتَّبعيضِ، فيكونُ بعضُ المؤمنين يتَّبِعون وساوِسَه فيُذنِبون ويتوبُون.

* * *

(٢١) - ﴿وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْأَخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ﴾.

﴿وَمَا كَانَ لَهُۥ﴾: لإبليسَ ﴿عَلَيْهِم﴾: على الذين صارَ ظنُّه فيهم صِدقًا ﴿مِّن سُلْطَٰنٍ﴾: جبرٍ وإكراهٍ، وقيل: حُجَّةٍ وبُرهانٍ، بل دعاهُم بوساوِسِه فاتَّبعوه، وغرَّهم بما زيَّنَ لهم فانخدَعُوا له.

﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ قيل: الاستثناءُ مُنقطِعٌ؛ أي: لكنِ ابتَلَينا المُكلَّفين بوساوِسِه لنعلمَ.

وقيل: مُتَّصلٌ، وتقديرُه: ما خلَّينا بينَهم وبينَ وساوِسِه إلَّا لنعلمَ.

﴿مَن يُؤْمِنُ بِٱلْأَخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ﴾؛ أي: ليَظهرَ المسلمُ منَ الكافرِ، والمُطيعُ منَ العاصي، فيقعَ الثَّوابُ والعقابُ بعد ظُهورِ الأفعالِ منهم، وإنْ كان الله عالِمًا بذلك.

وقيل: ﴿لِنَعْلَمَ﴾ عندكُم، كما قُلنا: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ عندكُم.

وقيل: معنى ﴿لِنَعْلَمَ﴾: ليكونَ إيمانُ المُؤمنِ بها وشكُّ الشَّاكِ فيها، كما تقول: ما عَلِمَ الله هذا منِّي؛ أي: لم يكُنْ منِّي.

وقيل: ليعلَمَ أولياؤُنا.

وقيل: معنى ﴿لِنَعْلَمَ﴾: لنُميِّزَ.

وقيل: ﴿لِنَعْلَمَ﴾ إيمانَ المُؤمنِ وشكَّ الشَّاكِّ موجودَين كما علِمناه غَيبًا. وهذا هو القولُ الأوَّلُ، وهذه الوجوهُ كلُّها ذكرَها القفَّالُ.

﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾: حافظٌ؛ أي: عالـمٌ رقيبٌ مُجازٍ.

***

(٢٢) ـ ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾.

﴿قُلِ﴾ يا محمَّدُ لمُشركي قومِك: ﴿ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم﴾: ادَّعيْتُم أنَّهم آلهةٌ ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾، وهذا أمرُ تهديدٍ.

وهي: الأصنامُ. وقيل: هم الملائكةُ، وذلك أنَّ بني مُلَيحٍ قالوا: الأصنامُ على صورةِ الملائكةِ، والملائكةُ بناتُ الله، فنحنُ نعبدُها ليكُنَّ لنا شفعاءَ عندَ الله[1].

﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾ الشِّرْكُ: الشِّركةُ، والظَّهيرُ: المُعينُ، واحدٌ وقع موقعَ الجمعِ.

والمعنى: لو كان لهم في السَّماواتِ والأرضِ مُلْكٌ، أو كانَ لهم فيهما شركةٌ، أو كان منهم مُظاهرةٌ في خلقِها؛ لاستحَقُّوا بوجهٍ من هذه الوجوهِ أن يُعْبَدوا، وإذا لم يكُنْ[2] كذلك بطَلَ زعمُهم، ثمَّ قال:

(٢٣) ـ ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُواْ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾.

﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ﴾؛ أي: ليس لهم شفاعةٌ أيضًا كما زعمُوا ﴿إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ قيل: أذِنَ أن يُشْفعَ له.

وقيل: ﴿لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ أن يَشفعَ.

---

(١) انظر: «البسيط» للواحدي (٢٠/ ٢٦).

(٢) في (ف): «يك».

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾؛ أي: كُشِفَ وأُزِيلَ وجُلِّيَ عنها الفزعُ. والمُفَزَّعُ[١]: الشُّجاعُ، والفعلُ لله سبحانَه بدليلِ مَن قرأ: ﴿فَزَّعَ﴾ بثلاثِ فتحاتٍ[٢].

وفي الضَّميرِ ﴿عَن قُلُوبِهِمْ﴾ قولانِ:

أحدُهما: أنَّه يعودُ إلى الملائكةِ، وقد تقدَّمَ ذكرُهم ضمنًا وإنْ لم يكُنْ صريحًا؛ فإنَّ بني مُلَيحٍ كانوا يعبُدون الملائكةَ. وفي معناه أقوالٌ:

قال القفَّالُ: أُذِنَ لهم في الشَّفاعةِ ففزِعُوا حين وردَ على أسماعِهم كلامُ الله بالإذنِ فيها[٣]؛ فإنَّ ابنَ عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: إذا تكلَّمَ الله بالوحيِ سمعَ أهلُ السَّماواتِ صَلْصَلةً كصَلْصَلةِ السلسلةِ على الصَّفْوانِ فيرَونَ أنَّه أمرُ السَّاعةِ[٤].

وقيل: يفزَعونَ أن يلحقَ في تنفيذِ ما أُذِنَ لهم فيه تقصيرٌ في وضعِ الشَّفاعةِ غيرَ موضِعها، فإذا فُزِّعَ عن قلوبِهم الغشيةُ التي لحقَتْهم منَ الخشيةِ ﴿قَالُوا۟﴾ للملائكةِ

---

(١) كمعظَّم: الشجاع والجبان، ضد. انظر: «القاموس» مادة: (ف ز ع).

(٢) هي قراءة ابن عامر. انظر: «السبعة» (ص: ٥٣٠)، و«التيسير» (ص: ١٨١).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٣٥).

(٤) رواه المروزي في «الصلاة» (٢١٩)، والطبري في «تفسيره» (١٩/ ٢٧٩) بلفظ: «إن الله إذا تكلم بالوحي سمع له أهل السماوات صوتاً كصوت الحديدة إذا وقعت على الصفا، فيخرون سجدا، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾...».

وروى البخاري (٤٨٠٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن نبي الله ﷺ قال: «إذا قضى الله الأمر في السماء، ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله، كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال: الحق، وهو العلي الكبير».

وذكر البخاري قبل حديث (٧٤٨١) عن ابن مسعود رضي الله عنه معلقًا: «إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السموات شيئاً، فإذا فزع عن قلوبهم وسكن الصوت، عرفوا أنه الحق ونادوا: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ﴾».

فوقَهم: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾؛ أي: ما[١] أمرَ اللهُ به؟ فيقولون لهم: ﴿قَالُواْ ٱلْحَقَّ﴾ وهو أنْ أذِنَ لكم في الشَّفاعةِ للمؤمنين ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾.

وجُلُّ المُفسِّرين على أنَّ الله إذا أرادَ إحداثَ أمرٍ بوحيٍ أحدثَ في السَّماءِ صوتًا يُشبِهُ جرسَ السَّلاسلِ على الصَّفوانِ، فيفزعُ الملائكةُ لذلك، ويُغْشَى عليهم مخافةَ أن تكونَ القيامةُ، فإذا أزالَ الله الفزعَ عن قلوبِهم سألوا جبريلَ ومَن معه منَ الملائكةِ: ماذا قال ربُّكم؟ فيقولون: قالَ الحقَّ؛ أي: لا يُخبِرونَهم، بل يقولون: قال ما وجَبَ عندَه أن يقولَ، وهو العليُّ الكبيرُ.

ورُوِيَ أنَّ الحارثَ بنَ هشامٍ قال لرسولِ الله ﷺ: كيف يأتيك الوحيُ؟ قال: «يأتيني في صَلْصَلةٍ كصَلْصَلةِ الجرسِ، فيَفْصِمُ عنِّي حين يَفْصِمُ وقد وعَيتُه، ويأتيني أحيانًا في مثلِ صورةِ الرَّجلِ فيُكلِّمُني به كلامًا، وهو أهونُ عليَّ»[٢].

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: انقطَعَ الوحيُ بعد عيسى، فلمَّا تكلَّمَ اللهُ بالوحيِ إلى محمَّدٍ ﷺ سمعتِ الملائكةُ صوتًا كصوتِ الحديدِ على الصَّفا فغُشِيَ عليهم، فلمَّا جُلِّيَ عنهم قالوا: ماذا قالَ ربُّكم؟ فقالوا: أُوحِيَ إلى محمَّدٍ ﷺ[٣].

وقيل: إذا مرَّ المُعقِّباتُ بسائرِ الملائكةِ فزِعوا أن يكونَ حدثَ أمرُ السَّاعةِ.

---

(١) في (ف): «ماذا».

(٢) رواه البخاري (٢) و(٣٢١٥)، ومسلم (٢٣٣٣)، والطبري في «تفسيره» (١٩/ ٢٧٧ ـ ٢٧٨)، واللفظ له.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٢٧٩) بلفظ: «إن الله لما أراد أن يوحي إلى محمد دعا جبريل، فلما تكلم ربنا بالوحي، كان صوته كصوت الحديد على الصفا؛ فلما سمع أهل السماوات صوت الحديد خروا سجداً؛ فلما أتى عليهم جبرائيل بالرسالة رفعوا رؤوسهم، فقالوا: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُواْ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾».

والقولُ الثّاني: أنَّ الضَّميرَ يعودُ إلى النَّاسِ[١]، وفيه قولانِ:

أحدُهما: عندَ النَّزعِ؛ أي: ﴿إِذَا فُزِّعَ﴾ عنهم الشِّركُ والشَّكُّ ﴿قَالُوا۟﴾ ـ أي: الملائكةُ ـ للمُشركين: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾؟ ﴿قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ﴾، فيُقِرُّونَ حين لا ينفعُهم ذلك.

وقيل: هذا في القيامةِ حين كُشِفَ الغطاءُ، فيُقالُ لهم: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ في الدُّنيا؟ ﴿قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾، فلا ينفعُهم إيمانُهم.

***

(٢٤) ـ ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ الأمطارَ ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ النَّباتَ والأشجارَ؟ ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾؛ أي: إنْ[٢] سكتُوا هم، أو ردُّوا الجوابَ إليك، فقُلْ أنتَ: ﴿ٱللَّهُ﴾؛ إذ ليس لهذا الكلام جوابٌ غيرُ هذا.

﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ هذا تعريضٌ في الكلامِ توصُّلًا إلى المقصودِ بلفظٍ غيرِ شَنِعٍ، كما تقولُ لصاحبِكَ: أحدُنا كاذبٌ، فيكونُ ألطفَ من أن تقولَ: إنَّكَ كاذبٌ.

وقيل: تقديرُه: إنَّا لعلى[٣] هُدًى وإيَّاكُم في ضلالٍ مُبينٍ، كقوله: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ [القصص: ٧٣] وقد سبقَ، فيكونُ ﴿أَوْ﴾ بمعنى: الواوِ، وهذا ضعيفٌ[٤].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٣٥)، واستغربه.

(٢) في (ف): «إذا».

(٣) في (ن): «على».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٣٦)، واستغربه.

وقيل: تقديرُه: إنَّا لعلى هُدًى أو إيَّاكُم على هُدًى، وإنَّا في ضلالٍ أو إيَّاكُم في ضلالٍ.

النَّقَّاشُ: قل: اللهُ يرزُقُنا وإيَّاكم على هُدًى كُنَّا أو في ضلالٍ، وهذا القولُ من حيثُ المعنى حسنٌ، لكنْ يدفعُه (إنَّ) واللَّامُ(١).

***

(٢٥) ـ ﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾؛ أي: لا تُحاسَبون على أعمالِنا ولا نُحاسَبُ على أعمالِكم؛ خيرِها وشرِّها.

قال القفَّالُ: ويجوزُ أيضًا أن يكونَ هذا إلطافًا للخصمِ إلى الإصغاءِ، فأضافَ إلى أنفُسِهم الجُرمَ، وأضافَ إليهم العملَ جملةً.

***

(٢٦) ـ ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا﴾ يومَ القيامةِ ﴿ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ﴾: يحكُمُ بينَنا ويقضي من غيرِ ميلٍ ولا جورٍ، فيظهرُ المُحِقُّ منَ المُبطلِ، ﴿وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ﴾: القاضي ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بالقضاءِ.

***

(٢٧) ـ ﴿قُلْ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ۖ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

﴿قُلْ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ﴾؛ أي: أعلِموني بأيِّ صفةٍ ألحقتُموهم بالله وجعلتُموهم شركاءَه؟!

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٣٦)، وعده من العجائب.

وقيل: هذا كقولِ القائلِ لغيرِه إذا أفسدَ شيئًا: أَرِني ما أفسدْتَه.

﴿كَلَّا﴾ نهيٌ ونفيٌ ﴿بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ﴾: الغالبُ فلا يُشارِكُه أحدٌ[1] ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ فلا يُشرِكُ معه أحدًا.

* * *

(٢٨) ـ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾؛ أي: وما أرسلناك على ساقةِ الأنبياءِ خاتمًا لهم إلا لتكونَ رسولًا إلى بني آدمَ كافَّةً جميعًا منَ اليومِ إلى قيامِ السَّاعةِ، و﴿كَآفَّةً﴾ حالٌ مُقدَّمٌ، والتَّقديرُ: للنَّاسِ كافَّةً؛ أي: جميعًا، فيكونُ حالًا منَ (النَّاسِ)[2].

وقيل: إلا كافًّا للناسِ تكفُّهم عن الكفرِ، والهاءُ للمُبالغةُ.

وقيل: كافًّا جامعًا، من قولِـهم: كففْتُ الثَّوبَ؛ لأنَّ ذلك جمعٌ لِـمَا تفرَّقَ منه.

﴿بَشِيرًا﴾ للمُؤمنين ﴿وَنَذِيرًا﴾ للكافرين.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فيحملُهم جهلُهم على مُخالفتِك.

* * *

(٢٩ ـ ٣٠) ـ ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ يُريدونَ قولَه: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا﴾ [سبأ: ٢٦].

---

(١) في (ف) زيادة: «وهو».

(٢) «أي: جميعاً، فيكون حالًا من الناس» من (ن).

﴿قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾؛ أي: هذا مُؤقَّتٌ بيومٍ، لا يغُرَّنَّكم تأخُّرُه؛ فإنَّه كائنٌ لا محالةَ.

***

(٣١) ـ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤْمِنَ بِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يعني: كفَّارَ قريشٍ، وقيل: قالَه أبو جهلٍ.

﴿لَن نُّؤْمِنَ بِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ يعني: التَّوراةَ.

وقيل: جميعَ كتُبِ الله.

وذلك أنَّ مُؤمني أهلِ الكتابِ قالوا للكفَّارِ: إنَّ محمَّدًا حقٌّ، ونحنُ نجدُ صفتَه في كتابِنا، فقالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ بِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾.

وقيل: نزلَتْ في اليهودِ، والكتابُ الذي بين يدَيه: الإنجيلُ[(١)].

وقيل: الذي بينَ يدَيه: البعثُ والنُّشورُ والجنَّةُ والنّارُ[(٢)].

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾؛ أي: في موضعِ المُحاسبةِ ﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ﴾؛ أي: يُراجِعون الكلامَ فيما بينَهم بالعتابِ واللَّوْمِ واللَّعْنِ، وتبرُّؤِ بعضِهم عن بعضٍ بعدَما كانوا في الدُّنيا أخِلَّاءَ.

ويَحتمِلُ أنَّ الرَّجْعَ هو ما حكَى الله عنهم فقالَ: ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ﴾

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٣٧)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٣٧)، وزاد: «أي: بين يديه بزعمه»، وعده من العجائب.

وهم الأتباعُ ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ وهم القادةُ: ﴿لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾: لولا دُعاؤُكم إيّانا إلى الكفرِ لاتَّبعنا محمَّدًا وصدَّقناه.

* * *

(٣٢) - ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ﴾.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم﴾ استفهامُ إنكارٍ؛ أي: لم نصُدَّكم عن قبولِ الهدى حين جاءَكُم، ﴿بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ﴾: بل أنتم بأنفُسِكم كفرتُم؛ إذ لم يكُنْ لنا عليكم من سلطانٍ.

* * *

(٣٣) - ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا﴾؛ أي: يقولُ الأتباعُ للمتبوعينَ: بل مكرُكُم بنا في اللَّيلِ والنَّهارِ، ومُواصلَتُكم خديعَتَنا والاحتيالَ علينا في المنعِ عن الإيمانِ، حمَلَنا على أن نكفُرَ بالله ونجعلَ له شُركاءَ، وكان ذلك مكرًا منكم وخديعةً لا أصلَ له ولا حقيقةَ، وأضافَ المكرَ إلى اللَّيلِ والنَّهارِ كما تقولُ: نهارُ فلانٍ صائمٌ وليلُه قائمٌ.

وقيل: بل اللَّيلُ والنَّهارُ مكرَا بطولِ السَّلامةِ فيهما حتَّى ظننَّا أنَّكم على حقٍّ،

ويُقوِّيه قراءةُ مَن قرأ (مَكَرُّ اللَّيلِ والنَّهارِ)[١] منَ الكُرورِ، كقولِه: ﴿فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ﴾ [الحديد: ١٦][٢].

وقيل: التَّابعُ والمتبوعُ صادِقان؛ فإنَّ قولَ التَّابعِ: «هلَكْنا باتِّباعِكُم» صدقٌ، والجوابَ: «لـم نُكرِهْكُم» صِدقٌ، وقولَـهم: «خدَعتُمونا» صِدقٌ.

﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: أخْفَوْها؛ لأنَّ النَّدامةَ في القلبِ.

والثَّاني: أظهَرُوها، وهو منَ الأضدادِ؛ أي: ظهرَتْ آثارُ النَّدامةِ على أسرَّةِ وُجوهِهم[٣].

والثَّالثُ: تعاتَبوا سرًّا، من قولِه: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَى﴾ [الأنبياء: ٣].

وقولُه: ﴿لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ﴾؛ أي: الجحيمَ.

﴿وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَغۡلَٰلَ فِيٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ فيه وجهانِ:

أحدُهما: أن يكونَ عطفًا على قولِه: ﴿رَأَوُاْ﴾؛ أي: لـمَّا رأوا العذابَ ولـمَّا جعَلْنا الأغلالَ في أعناقِ الذين كفرُوا، فيكونُ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ غيرَ هؤلاءِ.

والثَّاني: أنَّ التَّقديرَ: وجعَلْنا الأغلالَ في أعناقِ التَّابعينَ والمتبوعينَ وسائرِ الكفَّارِ، فيكونُ عطفًا على ﴿أَسَرُّواْ﴾.

---

(١) وردت برفع (مكرٌّ) وبنصبه، فبالرفع نسبت لسعيد بن جبير وأبي رزين وجعفر بن محمد، وبنصبه لابن جبير أيضاً وطلحة وراشد الذي نظر في مصاحف الحجاج. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٢)، و«المحتسب» (٢/ ١٩٣)، و«البحر» (١٧/ ٤٥٣). قال أبو حيان: «وراشد هذا من التابعين ممن صحح المصاحف بأمر الحجاج».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٣٧)، واستغربه.

(٣) ذكره الأنباري في «الأضداد» (ص: ٤٥)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٣٧)، واستغربه.

﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾؛ أي: هل يُجزَى المُسيءُ إلا عملَه؛ أي: هل يُقضى إلّا عملَه، كأنَّ الجزاءَ دَينٌ قُضِيَ.

ويجوزُ أن يكونَ تقديرُه: هل يُجزَون إلَّا بما كانوا يعملون، فحُذِفَ الجارُّ.

وجوابُ ﴿لَمَّا﴾ محذوفٌ.

* * *

(٣٤) ـ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ﴾: بلدٍ مِنَ البلدانِ ﴿مِّن نَّذِيرٍ﴾: نبيٍّ ﴿إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ﴾: مُتنعِّمُوها: ﴿إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ﴾ بزعمِكُم ﴿كَٰفِرُونَ﴾: جاحِدون.

* * *

(٣٥) ـ ﴿وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾.

﴿وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾؛ أي: أكرَمَنا الله بالمالِ والولدِ ثمَّ لا يُعذِّبُنا؛ لأنَّ مَن يُعذَّبُ لا يُكرَمُ.

* * *

(٣٦ ـ ٣٧) ـ ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾.

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ امتحانًا وابتلاءً لا كرامةً لمَن يُعطيه ولا هوانًا ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ﴾؛ أي: لا تُقرِّبُكم عندَنا منزلةً ولا درجةً، والزُّلْفى: الدَّرجةُ والمنزلةُ مثلُ القُربى، فيكون اسمًا.

ويجوزُ أن يكونَ مصدرًا من غيرِ لفظ الفعلِ الأوّلِ؛ أي: تُقرِّبُكم عندَنا ازدِلافًا.

﴿إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ يجوزُ أن يكونَ الاستثناءُ مُنقطِعًا؛ أي: لكنْ مَن آمنَ وعملَ صالحًا ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُواْ﴾ قيل: الضِّعْفُ: المِثْلُ، فيكونُ مثلَ قولِه: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠]، وجُلُّ المُفسِّرين على أنَّ التَّقديرَ: لَنجزينَّهم على طاعتِهم بالواحدةِ عشرةً إلى سبعِ مئةٍ فما فوقَها.

ويجوزُ أن يكونَ الاستثناءُ مُتَّصلًا على تقديرِ: إلّا مَن تابَ فإنَّ مالَه وولدَه يُقرِّبانِه إلينا بأنْ يُنفِقَ مالَه في سبيلِ الله، واستَظْهرَ بأولادِه في نُصرةِ دينِ الله، فيكونُ الاستثناءُ من ضميرِ المُخاطَبين.

قال الفَرَّاء: وإنْ شئتَ جعلتَه رفعًا؛ أي: ما هو إلا مَن آمنَ[1]، وهذا الكلامُ غيرُ مفهومٍ، إلَّا أن تجعلَ التَّقديرَ: وما أموالُكم ولا أولادُكم بالتي تُقرِّبُكم إلا أموالُ مَن آمنَ وأولادُه، فحُذِفَ المُضافُ وأُقيمَ المُضافُ إليه مُقامَه.

﴿وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ﴾؛ أي: في الجنَّاتِ ﴿ءَامِنُونَ﴾، وهذه جمعُ الكثرةِ كالمُسلماتِ والمُؤمناتِ والقانتاتِ. ويجوزُ أن يكونَ لكلِّ واحدٍ غُرُفاتٌ.

و(الغُرْفةُ) فيمَن قرأ مُوحَّدةً[2] جاز أن يكونَ اسمًا للجنّةِ، وجاز أن يكونَ اللّامُ للجنسِ.

***

(٣٨) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾: في ردِّ آياتِنا وإبطالِ دينِنا ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾؛ أي: سابقين لأنبيائِنا وأوليائِنا ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٦٣).

(٢) هو حمزة، وقرأ الباقون بالجمع. انظر: «السبعة» (ص: ٥٣٠)، و«المبسوط» (ص: ٣٦٤).

(٣٩) - ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ ۚ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾.

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ يُريدُ المؤمنين، ﴿وَيَقْدِرُ لَهُۥ﴾ وليس هذا تكرارًا؛ فإنَّ الآيةَ الأولى للكفَّارِ، وهذه للمُؤمنينَ.

وقيل: الأولى معناها: يُوسِّعُ على واحدٍ ويُضَيِّقُ على آخرَ. والثانيةُ معناها: يُوَسِّعُ على مَن يشاءُ من عبادِه، وإنْ يَشَأْ يُضيِّقْ[1] عليه من بعدِ التَّوسعةِ، فالأولى في شخصَينِ، وهذه في شخصٍ واحدٍ، ألا ترى إلى قولِه: ﴿وَيَقْدِرُ لَهُۥ﴾[2]؟

وقيل: ﴿يقدر﴾ في الأولى من قولِه: ﴿قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ﴾ [الطلاق: ٧]؛ أي: ضُيِّقَ، وهذه منَ القُدْرةِ التي هي الاستطاعةُ.

وقيل: ويَقْدرُ على أن يُخلِفَ عليه إذا أنفقَه في سبيلِ الله.

﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ قيل: يُخلِفُه في الآخرةِ أجرًا.

وقيل: يُخلِفُه في الدُّنيا.

وقيل: فيهما جميعًا.

وقيل: معناه: وما أنفقتُم من شيءٍ فالله أخلَفَكُم ذلك؛ أي: أعطاكُم ورزَقكُم؛ أي: فأنتم تُنفِقُونَ مِن رزقِه، كقولِه: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد: ٧][3].

﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾؛ أي: المُعطِين، وجاز جمعُه؛ فإنَّ الرِّزقَ قد يُستعملُ لغيرِ الله كقولِه: ﴿فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ﴾ [النساء: ٨] و: رَزَقَ الجندَ.

---

(١) في (ن): «وإن شاء يضيقُ».

(٢) انظر: «درة التنزيل» للخطيب الإسكافي (٣/ ١٠١٨ ـ ١٠٢٣)، و«البرهان» للمصنف (ص: ٢٠٠).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٣٩)، واستغربه.

(٤٠) ـ ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ﴾.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ التَّابعينَ والمتبوعينَ ﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعني: بني مُلَيْحٍ؛ لأنَّهم زعَموا أنَّهم يعبدون الملائكةَ، وأنَّهم بناتُ الله.

وقيل: يعني: المشركين.

﴿إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ﴾ وهذا توبيخٌ للعابدين كما سبقَ في قولِه: ﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦]؟

* * *

(٤١) ـ ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾.

﴿قَالُوا۟﴾؛ أي: الملائكةُ: ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ تنزيهًا لك أن يُعْبَدَ غيرُك معكَ ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم﴾؛ أي: أنتَ معبودُنا، ونحنُ العابدون، والعابدُ لا يستحقُّ أن يُعبَدَ.

وقيل: معناه: اتَّخذناكَ وليًّا، واتخذتَنا أولياءَ، فأنتَ وليُّنا ونحنُ أولياؤُك، ونحنُ لم نتَّخِذْ هؤلاءِ أولياءَ، فليس بينَنا ولايةٌ وإنْ زعَمُوا أنَّهم اتَّخذونا أولياءَ؛ لأنَّ الولايةَ تكونُ منَ الجانبَين.

﴿بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ﴾ فيه قولانِ:

أحدُهما: أنَّ إبليسَ والجنَّ كانوا يتراءَونَ لهم ويُصوِّرون لهم أنَّا ملائكةُ الله، وكانوا يعبُدونَ الجنَّ على زَعمِ أنَّهم الملائكةُ.

والثَّاني: أنَّهم عبدوا الملائكةَ بأمرِ الجنِّ، فلمَّا عبَدوهم بأمرِهم فكأنَّهم عبَدوا مَن أمَرَهم بذلك.

﴿أَكْثَرُهُم﴾: أكثرُ الإنسِ ﴿بِهِم﴾: بالجنِّ ﴿مُّؤْمِنُونَ﴾: مُصدِّقونَ.

وقيل: كلُّهم بالجنِّ مُؤمنونَ.

* * *

(٤٢) - ﴿فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾.

﴿فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ ممَّا كنتم ترجُونَ من شفاعتِهم لكم ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: كفروا ﴿ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ في الدُّنيا.

وقيل: القولُ صلةٌ، وتقديرُه: ونُذيقُكم عذابَ النَّارِ، فهو أمرٌ في معنى الخبرِ، كما قُلنا في قولِه: ﴿سِيرُوا فِيهَا﴾ [سبأ: ١٨].

وقيل: تقولُ لهم الملائكةُ: ﴿ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ﴾.

* * *

(٤٣) - ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾؛ أي: إذا قُرِئَ عليهم القرآنُ مع ظهورِ إعجازِه ﴿قَالُوا﴾؛ أي: المشركونَ: ﴿مَا هَٰذَا﴾ يعنونَ: محمَّدًا ﷺ ﴿إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ﴾ ويصيرَ لذلك سيِّدَكم.

﴿وَقَالُوا مَا هَٰذَا﴾ يعنونَ: القرآنَ ﴿إِلَّا إِفْكٌ مُّفْتَرًى﴾ كذبٌ مُضافٌ إلى الله، وليس من عندِه.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ﴾؛ أي: للقرآنِ ﴿لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ وعجَزوا عن الإتيانِ بمثلِه: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾: ظاهرٌ لا يخفَى، فمرَّةً جعلوه سحرًا، ومرَّةً جعلوه افتراءً على الله.

قال القفَّالُ: يجوزُ أن يكونَ الرَّميُ بالسِّحرِ من قولِ الأتباعِ، والرَّميُ بالإفكِ من قولِ الرُّؤساءِ؛ لافتراقِ اللَّفظَين، ويحتمِلُ أنَّهم كانوا يقولون: القرآنُ في نفسِه سحرٌ عجيبٌ، لكنَّه من محمَّدٍ أضافَه إلى الله سبحانَه.

* * *

(٤٤) ـ ﴿وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ﴾.

﴿وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ﴾؛ أي: من أين يقولونَ ما يقولونَ ولم يأتِهم كتابٌ ولا رسولٌ، وإنَّما يحصلُ العلمُ من هذَين الوجهَين؟ فظهرَ كذبُهم وافتراؤُهم.

* * *

(٤٥) ـ ﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُواْ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُواْ رُسُلِى فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾.

﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾؛ أي: من قبلِ قومِك ﴿وَمَا بَلَغُواْ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾: ﴿مِعْشَارَ﴾ على وزنِ مِرْبَاع، وهو العُشْرُ.

وقيل: العُشْرُ جزءٌ منَ العَشَرةِ، والعشيرُ جزءٌ منَ العُشرِ، والمِعشارُ جزءٌ منَ العشيرِ، فيكونُ الواحدَ منَ الألْفِ[1].

والقولُ هو الأوَّلُ؛ لأنَّ العُشْرَ والعشيرَ والمِعشارَ في اللُّغةِ واحدٌ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٣٩)، واستغربه.

ثمَّ اختلَفُوا في الضَّميرِ:

فقيـل: مـا بلـغَ قومُـكَ مِعشـارَ مـا آتينا مَـنْ قَبْلَهـم مـنَ المـالِ والقـوَّةِ والعُدَّةِ والكثرةِ.

وقيل: ما بلغَ أولئك شُكرَ مِعشارِ ما آتيناهُم منَ النِّعمةِ.

وقيل: ﴿ما بلغوا﴾؛ أي: ما عمِلُوا مِعشارَ ما أُمِروا به.

وقيل: ما بلغَ أولئك مِعشارَ ما آتينا قومَكَ منَ العلمِ والبيانِ والحجَّةِ والبُرهانِ؛ فإنَّ ابنَ عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: ليس أمَّةٌ أعلمَ من أمَّةِ محمَّدٍ ﷺ، ولا كتابٌ أبينَ من كتابِه[1].

﴿فَكَذَّبُواْ رُسُلِيۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ قيل: إنَّما كرَّرَ ﴿فَكَذَّبُواْ﴾ لأنَّ الأوَّلَ لتكثيرِ الكذبِ لا لتكذيبِ الغيرِ، والكفَّارُ كانوا كذَّابينَ قبل مجيءِ الرُّسلِ في إيجابِ الشِّركِ وإنكارِ البعثِ، فلمَّا جاءَهُم الرُّسلُ كذَّبوهم؛ أي: نسَبُوهم إلى الكذبِ.

﴿فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ﴾؛ أي: عقابي وتغييري حالَـهم.

وقيل: إنكارِي عليهم.

وقيل: النَّكيرُ جزاءُ المُنكَرِ منَ الفعلِ.

الخليلُ: النَّكيرُ الاسمُ منَ الإنكارِ[2]، والمعنى: فما آمنَ هؤلاءِ من مثلِ ذلك.

* * *

(١) ذكره ابن فورك في «تفسيره» (٢/ ١٥٣)، والماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٤٥٥)، وروى عنه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٣٠٢) قوله: «ما جاوزوا معشار ما أنعمنا عليهم».

(٢) انظر: «العين» (٥/ ٣٥٥).

(٤٦) - ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ﴾: أُذكِّرُكُم وأُحذِّرُكم سوءَ عاقبةِ ما أنتم فيه بموعظةٍ واحدةٍ.

وقيل: بكلمةٍ واحدةٍ، كقولِه تعالى: ﴿تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ﴾ [آل عمران: ٦٤].

وقيل: هي كلمةُ التَّوحيدِ.

وقيل: طاعةُ الله.

وقيل: النَّصيحةُ.

وقيل: هو ما فسَّرَها فقالَ: ﴿أَن تَقُومُواْ﴾: تقصِدُوا، وليس منَ القيامِ على الرِّجْلِ، وقيل: بأنْ تقومُوا، ولأنْ تقومُوا ﴿لِلَّهِ﴾: لوجهِ الله، والتماسِ القُرْبِ[1] إليه، لا لعصبيَّةٍ، ولا تقليدٍ لسَلَفٍ، ولا لإلْفٍ جرَيتُم عليه.

﴿مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ﴾: مُجتَمِعين ووحدانًا، وأن يأخذَ الرَّجُلُ يدَ صاحبِه فيَخْلُوا ويتفكَّرَا[2] فيما أتى به محمَّدٌ ﷺ؛ لأنَّ النَّاظرَ تنجلي له الشُّبهةُ؛ أحيانًا مُنفرِداً، وأحيانًا يستعينُ بغيرِه فيما يحتمِلُ أن يكونَ ذاهبًا عن دركِ الصَّوابِ فيه.

﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ﴾: تستعملوا[3] فكرَكُم بالتَّدبُّرِ بعقولِكم، هل فيما يدعوكُم إليه محمَّدٌ ﷺ فسادٌ؟ وهل في حالِه ضعفُ عقلٍ، واختلافُ قولٍ، وفعلٌ مما يُرى في المجانينِ؟

---

(١) في (ف): «التقرب».

(٢) في (ن): «ويتفكروا».

(٣) في (ف): «فتستعملوا».

فإذا تفكَّرتُم ونظرتُم فما وجدتُم به أثرَ جنونٍ فاعلَموا أنَّه صادقٌ نبيٌّ مُرسَلٌ.

ثمَّ نفى اللهُ عنه الجنونَ فقال: ﴿مَا بِصَاحِبِكُم﴾ يعني: محمدًا ﷺ ﴿مِّن جِنَّةٍ﴾: جُنونٍ.

وقيل: ﴿مَا﴾ للاستفهامِ؛ أي: تتفكَّروا أيُّ شيءٍ بصاحبِكُم من آثارِ الجنونِ وأماراتِه حتَّى يجوزَ أن يُدعَى مجنونًا؟

﴿إِنْ هُوَ﴾: ما هو ﴿إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾: قُدَّامَ عذابٍ شديدٍ؛ إمَّا في الدُّنيا، وإمَّا في الآخرةِ.

* * *

(٤٧) - ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾.

﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾ فيه أقوالٌ:

أحدُها: أنَّ ﴿مَا﴾ نفيٌ؛ أي: لا أسألُكم على الرِّسالةِ مالًا وجُعْلًا، ﴿فَهُوَ لَكُمْ﴾؛ أي: مالُكُم لَكُم من غيرِ تعرُّضٍ.

الثَّاني: هو كالرَّجُل يقولُ لمَن لا يَقبلُ نُصحه: ما أعطيتَني من أجرٍ فخُذه؛ أي: النُّصحُ مَجَّانٌ.

الثَّالثُ: الذي سألتُكم أن تُعطونِيْهِ نفعُه راجعٌ إليكم، وهو أن تقبلوا منِّي ما تنجُونَ به، لا أسألُكم أجرًا سوى هذا.

الرَّابعُ: قال الكلبيُّ: هذه الآيةُ ناسخةٌ لقولِه: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى: ٢٣][1]؛ أي: الذي سألتُكم من مودَّةِ القُربى فهو لكم؛ لأنَّهم قالوا:

---

(١) ذكره النحاس في «معاني القرآن» (٦/ ٣٠٩) عن الضحاك، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٤٠) عن الكلبي، واستغربه.

يحثُّنا محمَّدٌ على حبِّ قرابتِه ويشتِمُ آلهتَنا، وزيَّف بعضُهم هذا القولَ.

﴿إِنۡ أَجۡرِيَ﴾: ثوابي ﴿إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٞ﴾ هذا تأكيدٌ لقولِه: ﴿لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا﴾(١).

* * *

(٤٨) ـ ﴿قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾.

﴿قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ﴾؛ أي: يأتي به.

وقيل: ﴿يَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ﴾: يرمي بالإسلامِ في الآفاقِ.

ابنُ عيسى: القَذْفُ: إلقاءُ الشَّيءِ عن عِظَمِ شأنٍ(٢).

وقيل: يقذفُ بالحقِّ على الباطلِ، فحُذِفَ(٣).

وقيل: ﴿يَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ﴾: يوحي بالقرآنِ.

وقيل: ﴿يَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ﴾ في قلبِ مَن شاءَ وعلى لسانِ مَن شاءَ.

﴿عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾؛ أي: هو علَّامُ الغيوبِ فلا يخفَى عليه شيءٌ.

* * *

(٤٩) ـ ﴿قُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَمَا يُبۡدِئُ ٱلۡبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾.

﴿قُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ﴾: الإسلامُ.

وقيل: الجهادُ.

---

(١) قوله: ﴿لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا﴾ من آيات أخر [الأنعام: ٩٠] و[هود: ٥١] و[الشورى: ٢٣]، والذي هنا: ﴿قُلۡ مَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٖ فَهُوَ لَكُمۡ﴾.

(٢) ذكره ابن فورك في «تفسيره» (٢/ ١٥٥)، بلا نسبة.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٤٠)، واستغربه.

وقيل: السَّيفُ.

وقيل: القرآنُ.

وقيل: بعثةُ النَّبيِّ ﷺ.

﴿وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ﴾؛ أي: ما يخلقُ إبليسُ شيئًا ﴿وَمَا يُعِيدُ﴾ ولا يَبعثُ.

وقيل: الباطلُ: الأصنامُ.

وقيل: معناه: وزالَ الباطلُ؛ أي: الشِّركُ، كقولِه: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الإسراء: ٨١]، ومثلُه: ﴿نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ﴾ [الأنبياء: ١٨].

وقيل: هذا مَثَلٌ يُضرَبُ لكلِّ مَن انقطعَ عن الاحتجاجِ، ما يُبدِئُ وما يُعيدُ، وما يُحْلِي وما يُمِرُّ.

وجمهورُ المُفسِّرين على أنَّ ﴿مَا﴾ نفيٌ.

وقيل: هي استفهامٌ بمعنى النَّفيِ، ومحلُّه نصبٌ؛ أي: أيُّ شيءٍ يُبدِئُ الباطلُ؟ وأيُّ شيءٍ يُعيدُ؟

* * *

(٥٠) - ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾.

﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ﴾: إن أخطأتُ عن الحقِّ والرَّشادِ كما تزعُمونَ ﴿فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى﴾؛ أي: وَبالُ ضلالي على نفسي، ﴿وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ﴾: فبوَحْيِ الله وتوفيقِه.

﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾: سمعَ دُعائي فاستجابَ بفضلِه.

* * *

(٥١) ـ ﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ فَزِعُواْ فَلَا فَوۡتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ﴾.

﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ فَزِعُواْ ﴾ قيل: عندَ الموتِ.

وقيل: في القبرِ.

وقيل: عندَ البعثِ.

وقيل: يومَ بدرٍ.

﴿فَلَا فَوۡتَ ﴾: لا مناصَ ولا مهربَ.

﴿وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ﴾: من تحتِ أقدامِهم.

وقيل: من ظهرِ الأرضِ إلى بطنِها.

وقيل: أُخرِجُوا منَ الأرضِ.

وقيل: ببدرٍ[1] ﴿مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ﴾ بعذابِ الدُّنيا. وقُرْبُ المكانِ مَثَلٌ لسهولةِ أخذِهم وتعذيبِهم. وجوابُ ﴿لَوْ﴾ محذوفٌ؛ أي: لرأيتَ أمرًا عظيمًا.

الكلبيُّ والثَّعلبيُّ وغيرُهما: نزلَتْ في السُّفيانيَّةِ[2].

روى حُذيفةُ بنُ اليمانِ عن النَّبيِّ ﷺ: أنَّه ذكرَ فتنةً تكونُ بين أهلِ المغربِ والمشرقِ، فبينا هم كذلك إذ خرجَ عليهم السُّفيانيُّ منَ الوادي اليابسِ في فورِه ذلك حتَّى ينزلَ دمشقَ، فيبعثُ جيشَين: جيشًا إلى المشرقِ وجيشًا إلى المدينةِ، حتى ينزلوا بأرضِ بابلَ في المدينةِ الملعونةِ والبقعةِ الخبيثة، فيقتُلون أكثرَ مِن ثلاثةِ

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٤١) واستغربه.

(٢) ذكره عن الكلبي السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٩٦)، أما الثعلبي فقد روى في «تفسيره» (٢٢/ ١٣٦) خبر حذيفة الآتي، وذكر المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٤١) عن الكلبي والثعلبي خبر حذيفة الآتي، وعده من العجائب.

آلافٍ، ويبقُرون بها أكثرَ من مئةِ امرأةٍ، ويقتُلون بها ثلاثَ مئةِ كبشٍ من بني العبَّاسِ، ثمَّ ينحدِرونَ إلى الكوفةِ فيُخرِّبون ما حولَـها، ثمَّ يخرُجون مُتوجِّهين إلى الشَّامِ، فتخرجُ رايةُ هدًى منَ الكوفةِ، فتلحقُ ذلك الجيشَ منها على ليلتَين، فيقتُلونَهم لا يُفلتُ منهم مُخبِرٌ، ويستنقِذُون ما في أيديهم منَ السَّبيِ والغنائمِ، ويحلُّ جيشُه الثَّاني بالمدينةِ فينتهِبُونها ثلاثةَ أيَّامٍ ولياليها، ثمَّ يخرُجون متوجِّهين إلى مكّةَ، حتَّى إذا كانوا بالبيداءِ بعثَ الله عزَّ وجلَّ جبريلَ، فيقولُ: يا جبريلُ، اذهَبْ فأبِدْهُم. فيضربُها برجلِه ضربةً يخسفُ الله بهم، فذلكَ قولُه في سورةِ سبأ: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ فلا ينفلتُ[1] منهم إلا رجلانِ؛ أحدُهما بشيرٌ، والآخرُ نذيرٌ، وهما من جُهينةَ، فلذلك جاء القولُ: وعند جُهينةَ الخبرُ اليقينُ[2].

* * *

(٥٢) ـ ﴿ وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴾.

﴿ وَقَالُوٓاْ ﴾ عندَ البأسِ[3] والأهوالِ: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾: بالله، وقيل: بمحمَّدٍ.

﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾؛ أي: كيفَ يتناولون الإيمانَ وقد ذهبَ مكانُ التَّكليفِ وزمانُه؟

وقيل: يَسألونَ الرَّدَّ وليس حينَ ردٍّ.

والتَّناوُشُ: التَّناوُلُ، من نُشْتَ تَنُوشُ، قال الشَّاعرُ:

---

(١) في (ن): «فلا ينقلب».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٣١٠)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ١٣٦)، والداني في «الفتن» (٥/ ١٠٨٩)، وانظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» ليوسف بن يحيى المقدسي الشافعي (ص: ١٤٧ ـ ١٤٩)، وعزاه للنقاش في «تفسيره».

(٣) في (ف): «اليأس».

باتَتْ تَنُوشُ الحَوْضَ نَوْشًا من عَلَا ... نَوْشًا بِهِ تَقْطَعُ أَجْوازَ الفلا[١]

ومَن همزَ[٢] فعند سيبويهِ قلبَ الواوَ المضمومةَ همزةً[٣].

وقيل: هو من نَأَشَ وانْتَأَشَ: إذا بطُؤَ[٤]، والنَّئيشُ: الحركةُ في إبطاءٍ، قال الشّاعرُ:

تَمَنَّى نَئِيشًا أَن يكُونَ أطَاعَنِي ... وقد حدثَتْ بعدَ الأمورِ أمورُ[٥]

ثعلبٌ: التَّناوُشُ بغيرِ همزٍ: التَّناوُلُ من قُربٍ، والتَّناؤُشُ بالهمزِ: من بُعْدٍ[٦].

والمكانُ البعيدُ: قيل: هو الذي هم فيه.

وقيل: هو الذي ليسوا فيه، وهو: الدُّنيا.

---

(١) الرجز لغيلان بن حريث كما في «مجاز القرآن» (٢/ ١٥٠)، و«شرح أبيات سيبويه» للسيرافي (٢/ ٢٤٧)، و«اللسان» مادة: (ن و ش). ولأبي النجم العجلي في «معجم ديوان الأدب» (٤/ ٢٢)، و«الصحاح» مادة: (ع ل ا)، و«شرح ديوان المتنبي» للعكبري (٣/ ٣١٩). ودون نسبة في «الكتاب» (٣/ ٤٥٣)، و«معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٦٥)، و«إصلاح المنطق» (ص: ٣٠٧). قال في «اللسان»: الضمير في قوله: (فهي) للإبل أي: تتناول ماء الحوض من فوق وتشرب شرباً كثيراً، وتقطع بذلك الشرب فلوات، فلا تحتاج إلى ماء آخر.

(٢) وهي قراءة حمزة والكسائي وأبي عمرو وأبي بكر، والباقون بغير همز. انظر: «السبعة» (ص: ٥٣٠)، و«التيسير» (ص: ١٨١).

(٣) انظر: «الكتاب» (٣/ ٤٦٥)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٨/ ٥٦٦).

(٤) انظر: «كتاب الأفعال» لابن الحداد (٣/ ٢٣٢).

(٥) صدر بيت لنهشل بن حريٍّ، كما في «الألفاظ» لابن السكيت (ص: ٢٠٣)، و«جمهرة الأمثال» للعسكري (١/ ٢٣٥ ـ ٢٣٦).

(٦) ذكره ابن سيده في «المحكم» (٨/ ٩٣)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٤٢)، واستغربه.

(٥٣) ـ ﴿ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴾.

﴿ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ﴾ كالأوَّلِ ﴿مِن قَبْلُ ﴾؛ أي: في الدُّنيا، وقيل: قبلَ العذابِ.

﴿وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴾: يرجمونَ بالظَّنِّ، يقولون: لا بعثَ ولا حسابَ، ولا جنّةَ ولا نارَ.

وقيل: هو قولُهم في النَّبيِّ ﷺ: إنَّه ساحرٌ، وكاهنٌ، وشاعرٌ.

وقيل: ﴿وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾: بالآخرةِ ﴿مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴾ يُنكرونَها ويقولونَ: ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴾ [المؤمنون: ٣٦].

وقيل: هو طَعنُهم في القرآنِ.

وقيل: يُؤخِّرونَ التَّوبةَ.

ويحتمِلُ أنَّ المعنى: يستبعِدون جميعَ ما غابَ عنهم فلا يُؤمنونَ به.

* * *

(٥٤) ـ ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍۭ ﴾.

﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ منَ الرُّجوعِ إلى الدُّنيا وقَبولِ إيمانِهم وتوبتِهم.

﴿ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم ﴾: بأمثالِهم ﴿مِّن قَبْلُ ﴾ حينَ آمنُوا إيمانَ اليأسِ، يعني: الأممَ المُهلَكةَ. وقيل: أصحابَ الفيلِ.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍۭ ﴾: مُشكِّكٍ مُبالِغٍ في الشَّكِّ، كما تقولُ: عجَبٌ عجيبٌ.

وقيل: في شكٍّ مُوجِبٍ لصاحبِه ما يَريبُه من مكروهٍ، وهذا ردٌّ على مَن زعمَ أنَّ الله لا يُعذِّبُ على الشَّكِّ. والله أعلمُ.

* * *

سُورَةُ فَاطِرٍ

سُورَةُ فَاطِرٍ

خمسٌ وأربعون آيةً(١)، مكِّيَّةٌ.

الحسنُ: مكِّيَّةٌ إلا آيتين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٣٠-٢٩](٢).

بسم الله الرَّحمنِ الرَّحيم

(١) - ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾.

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ حمِدَ نفسَه تعظيمًا له وتَعليمًا لعبادِه.

﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾: خالقِهما ابتداءً.

قال الزَّجَّاجُ: رُوِيَ أنَّ ابنَ عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: ما كنتُ أدري ما ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ حتَّى اختصَمَ إليَّ أعرابيَّانِ في بئرٍ؛ فقال أحدُهما: أنا فطرتُها؛ أي: ابتدأتُها(٣)،

---

(١) «خمس وأربعون آية»: من (ن). وفي «البيان في عدّ آي القرآن» (ص: ٢١٠): «وهي أربعون وست آيات في المدني الأخير والشامي، وخمس في عدد الباقين».

(٢) ذكر الطبرسي في «مجمع البيان» (٢٢/ ٢٢٤)، وعنه الآلوسي في «روح المعاني» (١١/ ٣٣٤): أن الحسن استثنى آيتين: آية ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ الآية [٢٩]، وآية ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَا﴾ الآية [٣٢]، وقال ابن عاشور في «التحرير والتنوير» (٢٢/ ٢٤٧): وهي مكية بالاتفاق، وحكى الآلوسي عن الطبرسي: أن الحسن استثنى آيتين... ولم أر هذا لغيره.

(٣) رواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ٣٤٥)، ومن طريقه ابن الأنباري في «إيضاح الوقف والابتداء» (١/ ٧٢)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ١٧٥).

ومثلُ ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: خالقُ السَّماواتِ والأرضِ. انتهى كلامُه[١].

ابنُ عيسى: الفَطْرُ: الشَّقُّ عن الشَّيءِ بإظهارِه للحِسِّ[٢].

﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾؛ أي: إلى عبادِه؛ يعني: جبريلَ وميكائيلَ وعزرائيلَ عليهم السَّلامُ.

وقيل: هذا وصفٌ لعامَّتِهم؛ أي: جميعُ ملائكةِ الله رسلُ الله[٣] إلى الجنِّ والإنسِ، أو بعضُهم إلى بعضٍ.

﴿أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٍ﴾: ذَوي أجنحةٍ، جمعُ جَناحٍ، مشتقٌّ من (جَنَحَ)؛ إذا مالَ.

﴿مَّثْنَىٰ﴾: اثنَين اثنين ﴿وَثُلَٰثَ﴾: ثلاثًا ثلاثًا ﴿وَرُبَٰعَ﴾: أربعًا أربعًا، فعدلَ ووصفَ ما قبلَه به، فلم ينصرِفْ للعدلِ والوصفِ، والمعنى: اثنَين منَ الجانبَين.

وقيل: اثنَين من كلِّ جانبٍ، وكذلك ثلاثًا من كلِّ جانبٍ؛ لينقسمَ باعتدالٍ.

وقيل: الثَّالثُ على الظَّهرِ كما يُرى لبعضِ الحيتانِ.

وقيل: الطَّيرانُ بجناحَين، وما زادَ فللزِّينةِ.

ورَوى المُفسِّرون عن ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه أنَّه قال: إنَّ النَّبيَّ ﷺ رأى جبريلَ وله ستُّ مئةِ جناحٍ[٤].

وقيل: هما جناحانِ، ثمَّ ينقسمُ كلُّ جناحٍ إلى جناحَينِ وزيادةٍ.

﴿يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ﴾؛ أي: في خلقِ الملائكةِ، وقيل: عامٌّ.

وعن النَّبيِّ ﷺ: أنَّه فسَّرَه بالوجهِ الحسنِ، والصَّوتِ الحسنِ، والشَّعرِ الحسنِ[٥].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٢٦١).

(٢) ذكره ابن فورك في «تفسيره» (٢/ ١٦٠) بلا نسبة، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٤٣).

(٣) اسم الجلالة: «الله»: ليس في (ف).

(٤) رواه البخاري (٤٨٥٧)، ومسلم (١٧٤).

(٥) ذكره أبو حفص النسفي في «التيسير في التفسير» عند هذه الآية، والزمخشري في «الكشاف» =

وقيل: الخطُّ الحسنُ، وعنه ﷺ: «الخطُّ الحسَنُ يزيدُ الحقَّ وُضوحًا»[١].

وقرأ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: (يزيدُ في الحَلْقِ) بالحاءِ[٢]، وفُسِّرَ بالصَّوتِ.

وقيل: ﴿يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُ﴾ هو السَّلامُ على الأعمى[٣].

وقيل: العقلُ والتَّمييزُ والعلومُ والصَّنائعُ.

وقيل: المحبَّةُ في قلوبِ المؤمنين[٤].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ من ذلك وغيرِه ﴿قَدِيرٞ﴾: قادرٌ بذاتِه.

* * *

(٢) ـ ﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾.

﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ﴾ قيل: وحيٍ ورسول، ومطرٍ وعافية، ونعمةٍ وتوسعةِ رزقٍ.

﴿فَلَا مُمۡسِكَ لَهَا﴾: لا دافعَ ولا مانعَ ولا حابسَ.

= (٣/ ٥٩٦)، والقرطبي في «تفسيره» (١٤/ ٣٢٠)، وعزاه القرطبي للقشيري، وأورده الحافظ في «الكافي الشاف» (ص: ١٣٨) ولم يذكر له تخريجاً.

وروى الفاكهي في «أخبار مكة» (١٧٣٣)، وأبو عوانة في «المستخرج» (٣٩٢٧)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢١٠٥٦) عن ابن شهاب في قوله: ﴿يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُ﴾ قال: «حسن الصوت».

وروى البيهقي في «شعب الإيمان» (١١٥) عن قتادة قال: «الملاحة في العينين».

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ١٥٣) عن مهاجر الكلاعي مرسلاً.

(٢) ذكرها محمد بن أبي نصر الكرماني في «شواذ القراءات» (ص: ٣٩٤)، وذكرها ابن كثير في «تفسيره» (٦/ ٤٧١) دون نسبة.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٤٤)، وعده من العجائب.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٤٤)، واستغربه.

﴿وَمَا يُمْسِكْ﴾: يَمنعْ ويَدفعْ ويَحبِسْ ﴿فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في سُلطانِه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في تدبيرِه.

* * *

(٣) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾: اشكُروها.

وقيل: اذكُروها بلسانِكُم، واحفَظُوها بقلوبِكم، ولا[1] تنسَوها.

﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ استفهامٌ بمعنى النَّفي.

﴿يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ المطرَ ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ النَّباتَ[2].

وقيل: يرزقُكم الهدايةَ.

مَن جَرَّه[3] جعلَه وصفًا لـ﴿خَٰلِقٍ﴾ على اللَّفظِ، ومَن رفعَه[4] فعلى المحلِّ، أو على الاستثناءِ، فإنَّه نفيٌ في المعنى[5]، أو على الخبرِ.

---

(١) في (ف): «بقلبكم فلا».

(٢) في (ن): «بالنبات».

(٣) أي: لفظ ﴿غَيْرُ﴾.

(٤) قرأ حمزة والكسائي بالجر، وباقي السبعة بالرفع. انظر: «السبعة» (ص: ٥٣٤)، و«التيسير» (ص: ١٨٢).

(٥) قوله: «فإنه نفي...» يعني به: الاستفهام، والقول بأنه رفع بالاستثناء ذكره أبو علي في «الحجة» (٦/ ٢٧)، والواحدي في «البسيط» (١٨/ ٤٠٢)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٤٥)، واستغربه، وجعل الزمخشري في «الكشاف» (٣/ ٥٩٧) الاستثناء على قراءة شاذة بنصب الراء من (غير) نسبت للفضل بن إبراهيم النحوي. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٤).

قولُه: ﴿يَرْزُقُكُم﴾ يجوزُ أن يكونَ خبرًا، ويجوزُ أن يكونَ في محلِّ جرٍّ وصفًا لـ﴿خَٰلِقٍ﴾، ولا يَمتنِعُ أن يكونَ حالًا من اسمِ الله.

ومعنى ﴿يَرْزُقُكُم﴾: يُعطيكمُ. والرِّزقُ: العطاءُ.

وقيل: الرِّزقُ ما جعلَه الله صالحًا للغذاءِ أيضًا.

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾: تُصْرَفونَ عن الحقِّ إلى الباطلِ، وعن عبادةِ الله إلى عبادةِ الأوثانِ؟ والإفْكُ: الصَّرْفُ.

وقيل: ﴿تُؤْفَكُونَ﴾ تُكذَبونَ، ويُقالُ لكم: إنَّ آلهتكم ترزُقُكم؟ والإفكُ: الكذبُ.

* * *

(٤) - ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾.

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾؛ أي: تأسَّ بهم واصبرْ ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ فلن تعدمَ لصبرِك جزاءً.

* * *

(٥) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بالبعثِ والجزاءِ ﴿حَقٌّ﴾: صدقٌ وكائنٌ لا خُلْفَ فيه.

﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾: لا يخدعنَّكم البقاءُ فيها فترْكَنُوا إليها؛ فإنَّها عن قريبٍ زائلةٌ.

﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾: الشَّيطانُ، يُريدُ: يُمَنِّيكم المغفرةَ مع الإصرارِ على المعصيةِ، و﴿ٱلْغَرُورُ﴾ بالفتحِ: الشَّيطانُ، وبالضَّمِّ جمعُ غَارٍّ، كسُجودٍ جمعُ ساجدٍ،

وجُلوسٍ جمعُ جالسٍ، أو يكونُ مصدرًا وإن كانَ فعلُه مُتعدِّيًا كالعقوقِ، واللُّزومِ، والنُّهوكِ؛ مصدرُ: نهكَه المرضُ.

* * *

(٦) ـ ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾.

﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ ﴾ يسعى طاقتَه في فسادِكم، ولا يسرُّه صلاحُكم.

﴿فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾: عامِلُوا معه مُعاملةَ الأعداءِ، ولا تقبلوا قولَه فتصيروا من حزبِه.

﴿إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ ﴾: أتباعَه ﴿لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾؛ أي: غرضُه من دُعائِه إيَّاهم أن يُورِدَهم النَّارَ.

* * *

(٧) ـ ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾.

﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾؛ أي: فمَن أجابَه حين دعاه فله عذابٌ شديدٌ؛ لأنَّه صارَ من حزبِه، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ فلم يُجيبوه ولـم يصيروا من حزبِه ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ ﴾ لذنوبِهم ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ في الجنَّةِ.

* * *

(٨) ـ ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾.

﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ ﴾: زيَّنَ له الشَّيطانُ، وقيل: زيَّنَه نفسُه ﴿سُوٓءُ عَمَلِهِۦ ﴾: قبيحُ أعمالِه وذنوبِه.

﴿فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾: فاعتَقَدَه صوابًا، وقيل: صِدْقًا جميلًا.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ الجوابُ محذوفٌ؛ أي: كمَنْ هو بضدِّه.

وقيل: المحذوفُ: تحسَّرْتَ عليه، ودلَّ عليه قولُه: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾.

وقيل: تقديرُ جوابِه: كمَن عرفَ الحسَنَ منَ الأعمالِ حسَنًا والقبيحَ قبيحًا.

وتفسيرُ ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾: لا تَمُتْ حسرةً أنْ لا يُؤمِنُوا، ومعناه: لا تحزَنْ عليهم حُزْنًا شديدًا يكادُ يقتُلُكَ، والحَسْرَةُ: الاغتمامُ على ما فاتَ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾: يعلمُ أعمالَهم فيُجازيهم عليها.

قيل: هم اليهودُ عانَدوا رسولَ الله ﷺ.

وقيل: هو إبليسُ، وسوءُ عملِه: إغواؤه.

وقيل: نزلَتْ في العاصِ بنِ وائلٍ والأسودِ بنِ المُطَّلبِ(١).

وقيل: في أبي جهلٍ(٢)، عليهم اللَّعنةُ.

* * *

(٩) ـ ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾.

﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾: تُهيِّجُه ﴿فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ أسندَ الإرسالَ

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٤٦٣).

(٢) ذكره مقاتل في «تفسيره» (٣/ ٥٥٢)، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٣٠٠) عن مقاتل والكلبي.

والسَّوْقَ إليه سُبحانَه، والإثارةَ إلى الرِّيحِ؛ أي: أحدَثَها بصفةِ الإثارةِ، وذكَرَ الإرسالَ والسَّوْقَ بلفظِ الماضي والإثارةَ بلفظِ الحالِ لهذا.

وقيل: المُستقبلُ والماضي في هذه سواءٌ؛ لأنَّ هذه أمورٌ تبقى إلى يومِ القيامةِ.

ويحتمِلُ أنَّ التَّقديرَ: أرسلَ الرِّياحَ فأثارَتْ سحابًا فسُقناه، فنُرسِلُ الرِّياحَ فتُثيرُ سحابًا فنسوقُه(١)، فاكتفَى بذكرِ البعضِ عنِ البعضِ(٢).

وقيل: إسنادُ الإثارةِ إلى الرِّيحِ مجازٌ؛ لأنَّ الرِّيحَ لا فعلَ لها، وحركاتُها وسكناتُها من فعلِ الله.

﴿فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾؛ أي: خصَصْنا بالمطرِ ما شِئْنا منَ البقاعِ(٣).

﴿فَأَحْيَيْنَا﴾: أنبَتْنا ﴿بِهِ﴾: بالمطرِ، وقد تقدَّمَ ذكرُه ضمنًا لا صريحًا.

﴿ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: يَبَسِها.

﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ فيه قولانِ:

أحدُهما: كما أحيَيْنا الأرضَ بالنَّباتِ نُحيي الموتى.

وقيل: كما أنزَلْنا منَ السَّماءِ ماءً فصارَ سببًا لحياةِ الأرضِ نُنزِّلُ منَ السَّماءِ ماءً يكونُ به حياةُ الموتى، فقد ذكرَ المُفسِّرون: أنَّ الله يُرسِلُ بعد النَّفخةِ الأولى سحابًا من تحتِ العرشِ يُمْطِرُ مثل منيِّ الرِّجالِ أربعينَ يومًا، ثمَّ يُنشِرُهم الله به بعد النَّفخةِ الثَّالثةِ(٤).

---

(١) في (ف): «فيُرسِلُ الرِّياحَ فتُثيرُ سحابًا فيسوقُه». والمثبت من (ن) ومثله في «غرائب التفسير».

(٢) في (ف): «فاكتفى عن البعض بذكر البعض». والمثبت من (ن) ومثله في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٤٦)، واستغربه.

(٣) في (ن): «خصَصْنا منَ البقاعِ ما شِئْنا بالمطرِ».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٤٦ ـ ٩٤٧)، واستغربه.

وكانَ القياسُ: كذلك الإنشـارُ، فاكتفَى بالنُّشـورِ لأنَّه يتضمَّنُ الإنشـارَ(١)، مثل: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا﴾ [نوح: ١٧].

***

(١٠) ـ ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ﴾ العِزُّ والعِزَّةُ واحدٌ، وهي: المَنَعَة.

﴿فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ﴾؛ أي: مَن كانَ يُريدُ أن يعلمَ لمَن العِزَّةُ فليعلَمْ أنَّ العِزَّةَ لله جميعًا.

وقيل: مَن كان يطلُبُ عِزَّةً فليطلُبْ من طاعةِ الله؛ فإنَّ العِزَّةَ لله.

وقيل: مَن كان يعبدُ الأصنامَ ليكونُوا لهم عزًّا، فاعلَمْ أنَّ ذلك ذُلٌّ؛ فإنَّ العِزَّةَ لله ﴿جَمِيعًا﴾؛ أي: مُجتمِعةً في الدُّنيا والآخرةِ.

﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾؛ أي: إلى محلِّ القَبولِ.

وقيل: إلى الموضعِ الذي لا يجري فيه حُكمٌ إلا لله.

وقيل: الصُّعودُ كنايةٌ عن القَبولِ؛ أي: يقعُ أجلَّ موقعٍ؛ لأنَّ الكلمَ لا يُوصَفُ بالصُّعودِ والنُّزولِ.

واختارَ لفظَ الصُّعودِ لأنَّ العُلوَّ في مراتبِ النَّاسِ أشرفُ من السِّفالِ، كما تقولُ: ارتفعَ إلى القاضي، وتراقَى الخبرُ إلى السُّلطانِ، وإن كانَ في سَرَبٍ.

وقيل: يصعدُ به الملَكُ، فقد جاء في الحديثِ: «إنَّ المؤمنَ إذا قال: سبحانَ الله والحمدُ لله ولا إلهَ إلا اللهُ واللهُ أكبرُ، أخذهُنَّ ملَكٌ فجعلَهُنَّ تحتَ جناحِه ثمَّ صعِدَ

---

(١) الظاهر أن الإنشار يتضمن النشور، لا العكس، هذا إذا نظرنا إلى أن المتعدي يتضمّن اللازم، لكن الفعل (نشر) متعدّ، وبمعناه و(أنشر)، وعليه يصبح النشور والإنشاء يتضمّن كلٌّ منهما الآخر، والله أعلم.

بهنَّ إلى السَّماءِ، فلا يمُرُّ على جمعٍ منَ الملائكةِ إلا استغفَروا لقائِلِهنَّ»[١].

و﴿ٱلْكَلِمُ﴾: جمع كَلِمةٍ، وهي: كلمةُ التَّوحيدِ.

وقيل: سبحانَ الله، كما سبق.

وقيل: ﴿ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾: القرآنُ.

وقيل: ﴿ٱلطَّيِّبُ﴾: الحَسَنُ.

وقيل: ﴿ٱلطَّيِّبُ﴾: ما ارتَضاهُ الله.

وقيل: ما كان طاعةَ الله فهو طيِّبٌ.

وقيل: هو الطَّيِّبُ؛ لأنَّه ذكرُ الله، وكان القياسُ: الطَّيِّبَةَ، لكنْ كلُّ جمعٍ ليس بينَه وبينَ واحِدِه إلا الهاءُ جاز تذكيرُه وتأنيثُه.

﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ العملُ الصَّالحُ: أداءُ الفرائضِ والاشتغالُ بالنَّوافلِ.

وفي فاعلِ ﴿يَرْفَعُهُۥ﴾[٢] ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: مُضمَرٌ يعودُ إلى (العملِ)، والهاءُ في ﴿يَرْفَعُهُۥ﴾ يعودُ إلى ﴿ٱلْكَلِمُ﴾؛ أي: لا يُقْبَلُ قولٌ إذا لـم يكُنْ معه عملٌ.

والثَّاني: مُضمَرٌ يعودُ إلى ﴿ٱلْكَلِمُ﴾، والهاءُ يعودُ إلى (العَمَل)؛ أي: التَّوحيدُ

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٣٣٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٩١٤٤)، والحاكم في «المستدرك» (٣٥٨٩) وصححه، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه من قوله بلفظ: «إذا حدثتكم بحديث أتيتكم بتصديق ذلك من كتاب الله، إن العبد المسلم إذا قال: الحمد لله، وسبحان الله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، وتبارك الله، قبض عليهن ملك، فجعلهن تحت جناحه، ثم صعد بهن، فلا يمر على جمع من الملائكة إلا استغفروا لقائلهن حتى يجيء بهن وجه الرحمن تعالى، ثم قرأ عبد الله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾».

(٢) في (ف): «يرفع».

يرفعُ العملَ، وكذلك مَن فسَّرَه بالقرآنِ؛ أي: القرآنُ يرفعُ العملَ.

والثّالثُ: مُضمَرٌ يعودُ إلى الله سُبحانَه، والهاءُ يعودُ إلى (العملِ)، وعلى هذَين الوجهَين قُرِئَ: (والعملَ الصالحَ) بالنَّصبِ[1].

﴿وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: يسعَوْنَ في إبطالِ دينِ الله.

وقيل: هم الذين يُشرِكونَ بالله.

وقيل: هو ما ذُكِرَ في قولِه: ﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الآية [الأنفال: ٣٠].

وقيل: هي: الرِّياءُ.

﴿لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ﴾: دائمٌ في الآخرةِ ﴿وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ﴾ أي: الذين يمكُرونَ السَّيِّئاتِ ﴿هُوَ يَبُورُ﴾؛ أي: يهلكُ، والبَوارُ: الهلاكُ.

وقيل: يبطُلُ.

وقيل: يضيعُ ويفسُدُ ولا ينفَدُ.

وقيل: يفسُدُ عندَ الله.

***

(١١) - ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ جَعَلَكُمۡ أَزۡوَٰجٗاۚ وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٖ وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾.

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ﴾ يعني: آدمَ عليه السَّلامُ أباكُم وأصلكُم، ﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ يعني: بني آدمَ، ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمۡ أَزۡوَٰجٗاۚ﴾ ذكرًا وأُنثى، وقيل: أصنافًا. وقيل: أمرَكُم بالتَّزوُّجِ.

وفي ﴿ثُمَّ﴾ أقوالٌ:

أحدُها: لترتيبِ الأخبارِ.

---

(١) نسبت لعيسى وابن أبي عبلة. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٣).

وقيل: ثمَّ قَدَّرَ خَلْقَكُم منَ النُّطَفِ، ثمَّ لم يكُنْ ذلك إلّا بالتَّزوُّجِ، فجعلَكُم أزواجًا.

وقيل: ﴿ثُمَّ﴾ مع الجملةِ قد يدُلُّ على التَّقديمِ.

﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ﴾؛ أي: ولدَها في بطنِها ﴿وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾: بعلمِ الله.

وقيل: بأمرِه، والباءُ للحالِ.

﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ﴾: يُمَدُّ في عُمُرِ مُعَمَّرٍ فيبلغُ الهَرَمَ والكِبَرَ.

﴿وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ﴾ فيُميتُه قبلَ الهَرَمِ والكِبَرِ، قيل: ستُّونَ سنةً.

وقيل: أربعونَ سنةً.

وقيل: ثماني عشرةَ سنةً.

وفي الهاءِ من ﴿عُمُرِهِۦٓ﴾ قولانِ:

أحدُهما: أنَّه يعودُ إلى المُعمَّرِ(١) المذكورِ، وله معنيان:

أحدُهما: ﴿يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ﴾: ينقَضي ما ينقَضي منه؛ فإنَّ لكلِّ أحدٍ كتابًا مكتوبًا في أوَّلِه تسميةُ عمرِه، ثمَّ يُكتَبُ في أسفلِ ذلك: ذهبَ يومٌ، ذهبَ يومانِ، حتَّى يأتيَ على آخرِه، فذلك نُقصانُ عمرِه.

والثّاني: يُنْقَصُ من مدَّةِ عمرِه، وهذا فيمَن أجازَ الزِّيادةَ والنُّقصانَ في العمرِ(٢)؛ فإنَّ كعبًا قال لـمَّا طُعِنَ عمرُ رضي الله عنه: لو دعا الله عمرُ لأُخِّرَ في أجلِه، فقيل له: أليسَ الله يقولُ: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤]؟ قال كعبٌ: أما تقرؤونَ: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ﴾(٣)؟

---

(١) في (ف): «﴿مُّعَمَّرٍ﴾».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٤٧)، وعده من العجائب.

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٤٥٤)، والفريابي في «القدر» (٤٤٢)، من طريق الزهري عن ابن =

والثَّاني: أنَّ الهاء يعودُ إلى آخَرَ، كأنَّه قال: ولا يُنقَصُ من عمرِ آخرَ، وإليه ذهبَ الفرَّاءُ وابنُ عيسى والنَّقَّاشُ وجماعةٌ منَ المُفسِّرين، وقالوا: هذا كقولِ القائلِ: له عليَّ درهمٌ ونصفُه، فإنَّ الضَّميرَ إلى درهمٍ آخرَ، كذلك هاهنا(١).

وإذا دقَّقْتَ النَّظرَ وجدتَ الهاءَ في هذا القولِ الثَّاني أيضًا تعودُ إلى المُعمَّرِ؛ لأنَّ التَّقديرَ: ولا يُنقصُ آخرُ من عمرِ هذا المُعمَّرِ؛ أي: من مقدارِ عمرِه؛ لأنَّ الأعمارَ مُتفاوتةٌ خُصوصًا عند مَن لا يجوِّزُ القولَ في زيادةِ العمرِ ونُقصانِه، وهو مذهبُ الجميعِ، والله أعلمُ.

﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: حفظُ ذلك ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾: سهلٌ.

وقيل: إنَّ زيادةَ عمرِ إنسانٍ ونقصانَ عمرِ آخرَ على الله يسيرٌ.

* * *

(١٢) - ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٞ فُرَاتٞ سَآئِغٞ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٞۖ وَمِن كُلّٖ تَأْكُلُونَ لَحْمٗا طَرِيّٗا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةٗ تَلْبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٞ فُرَاتٞ﴾ العَذْبُ: الطَّيِّبُ، والفُراتُ: أعذَبُ العَذْبِ.

وقيل: الفراتُ: الخالصُ لا يشوبُه شيءٌ.

= المسيب، عن كعب، وقال الزهري: «فنرى أن ذلك يؤخر ما لم يحضر الأجل؛ فإذا حضر لم يؤخر، وليس أحد إلا وله أجل مكتوب».

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٦٨)، وفيه: «قوله: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٖ﴾ يقول: ما يُطَوَّل من عمرٍ ﴿وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ﴾، يريدُ آخرَ غيرَ الأول، ثُمَّ كُني عنه بالهاء كأنه الأول، ومثله في الكلام: عندي درهم ونصفه؛ يعني: ونصف آخر. فجازَ أن يكنى عنه بالهاء؛ لأن لفظ الثاني قد يظهر كلفظ الأول، فكني عنه ككناية الأوّل».

﴿سَآئِغٌ﴾: سهلُ المرورِ في الحلقِ ﴿شَرَابُهُۥ﴾: ماؤه ﴿وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٌ﴾ والأُجاجُ: أملَحُ المُلوحةِ.

ابنُ عيسى: الأُجاجُ: من أَجَّتِ النَّارِ، كأنَّه يُحرقُ من شدَّةِ المرارةِ(١).

أي: ليسا بمُستويَين في الانتفاع.

﴿وَمِن كُلّٖ تَأۡكُلُونَ لَحۡمٗا طَرِيّٗا﴾؛ أي: منَ العَذْبِ والملحِ؛ لأنَّ الحوتَ يُصادُ منهما جميعًا.

﴿وَتَسۡتَخۡرِجُونَ حِلۡيَةٗ﴾: اللُّؤلؤَ والمرجانَ، ولـم يذكُرْ من أيِّ البحرَين يُستخرَجُ في هذه السُّورةِ؛ فذهبَ بعضُهم إلى أنَّه يُستخرَجُ منَ المِلْحِ، وعليه أكثرُهم.

وقيل: يُخرجانِ منهما؛ لأنَّ في الملحِ عيونًا عذبةً يخرجُ اللُّؤلؤُ عند التَّمازجِ وينعقدُ.

وقيل: ينعقدُ من ماءِ السَّماءِ.

وقيل: لا بدَّ من عيونِ(٢) العذبِ والملحِ حتَّى يُمكن إخراجُهما.

وقيل: إنَّهما يُخرجانِ منَ العذبِ. واللهُ أعلمُ.

﴿تَلۡبَسُونَهَا﴾: تتَّخِذُ نساؤُكم منها ملابسَ.

﴿وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ﴾: جمعُ فُلْكٍ، وهو السَّفينةُ ﴿فِيهِ﴾ في الكلِّ، وقيل: في الملحِ.

﴿مَوَاخِرَ﴾: جمعُ ماخِرةٍ، جائيةً ذاهبةً والريحُ(٣) واحدةٌ؛ أي: ترى سفينتَين تجرِيانِ بريحٍ واحدةٍ، إحداهُما مُقبلةٌ والأخرى مُدبرةٌ.

وقيل: هي مواقِرُ بالحِمْلِ.

---

(١) ذكر معناه الزجاج في «معاني القرآن» (٣/ ٤٠٥)، وذكره ابن فورك في «تفسيره» (٢/ ١٦٦) بلا نسبة.

(٢) في (ف): «عبور».

(٣) في (ف): «بريح».

وقيل: هي التي تَشقُّ الماءَ بصدرِها.

ويحتمِلُ أنَّه من قولِه ﷺ: «استَمْخِروا الرِّيحَ وأعدُّوا النُّبَلَ»[1]؛ يعني: عندَ الاستِنجاءِ؛ أي: اجعَلُوا ظُهورَكم مما يلي الرِّيحَ، وهذه حالةُ السُّفُنِ.

﴿لِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ﴾ بما تستخرِجون منَ اللُّؤلؤِ والمرجانِ، وتصيدون منَ الحوتِ، وتربحُونَ بالتِّجارةِ، وتغنَمون بالجهادِ.

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ على فضلِه إذ أنجاكُم من هَوْلِه.

***

(١٣) - ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾.

﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾؛ أي: يومَ القيامةِ، ثمَّ ينقطعُ جريُهما.

وقيل: يجريانِ إلى أقصى منازِلِهما لا يُجاوِزانِ ذلك، ثمَّ يرجِعانِ إلى أدنى منازِلِهما.

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ أي: الذي فعلَ هذه الأشياءَ هو خالقُكم ﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ﴾ فهو المُستحقُّ للعبادةِ ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾؛ أي: الأصنامُ، وقيل: الملائكةُ ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾: من خلقِ قِطْميرٍ، وهو: القِشرةُ البيضاءُ بين التَّمرِ والنَّواةِ.

وقيل: شِقُّ النَّواةِ.

وقيل: ما بينَ القِمْعِ والنَّواةِ.

---

(١) تقدم عند تفسير الآية (١٤) من سورة (النحل).

(١٤) ـ ﴿إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ﴾.

﴿إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ﴾؛ أي: الأصنام ﴿وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ﴾ فإنَّه لا لسانَ لها.

وقيل: معناه: ما أجابوكم إلى مُلْتَمَسِكُم.

﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ﴾ حين يجعلُ الله لها بيانًا ولسانًا.

وقيل: يعني: الملائكةُ يتبرَّؤون منكم ويقولون: ﴿بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّ﴾ [سبأ: ٤١].

وقيل: ما يظهرُ منَ الأصنامِ ممَّا يدلُّ على بُطلانِ كلامِ الكفَّارِ بمنزلةِ النُّطقِ منها بالبراءةِ، كما قيلَ: دلالتُها على التَّوحيدِ تسبيحُها.

﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ﴾ كلامُ جميعِ المُفسِّرين وأصحابِ المعاني مقصورٌ في هذه الآيةِ على قولَين:

أحدُهما: أن ﴿مِثۡلُ خَبِيرٖ﴾ هو اللهُ عزَّ وجلَّ.

والثَّاني: أنَّ ﴿مِثۡلُ خَبِيرٖ﴾ صفةٌ لمصدرٍ محذوفٍ دلَّ ﴿يُنَبِّئُكَ﴾ عليه؛ أي: لا يُنبِّئُكَ تنبيئًا مثلَ تنبيءِ الخبيرِ.

وكلا القولين فيه نظرٌ:

أمّا الأوَّلُ: فإضافةُ ﴿مِثۡلُ﴾ إلى الله عزَّ وجلَّ غيرُ جائز[ةٍ]، ولا يجوزُ أن يُقالَ: هو زيادةٌ، كما قلنا في: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ [الشورى: ١١] لفسادِ معنى الكلامِ بحذفِه.

وأمَّا الثاني: فلا يجوزُ؛ لأنَّه يقتضي أن يكونَ ﴿مِثۡلُ﴾ منصوبًا.

فالتَّأويلُ الصَّحيحُ: أن يُجعلَ هذا مثَلًا، وله نظائرُ، ويكونُ المُنبىءُ الخبيرُ المضروبُ له المثَلُ هو الله سبحانَه، والله أعلم.

* * *

(١٥) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ في الدُّنيا إلى رزقِه، وفي الآخرةِ إلى مغفرتِه.

﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾ عن خلقِه ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ في مُلكِه.

* * *

(١٦) ـ ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾.

﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ فيه قولانِ:

أحدُهما: إنْ يشأْ يُفْنِكُم ويأتِ بقومٍ أُخَرَ أطوعَ للهِ منكم.

والثَّاني: يُفْنِ عالَمَكُم وأنواعَكم ويأتِ بعالَمٍ آخرَ سوى ما تعرِفون.

* * *

(١٧) ـ ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾.

﴿وَمَا ذَٰلِكَ﴾ الإذهابُ والإتيانُ ﴿عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾: منيعٍ صعبٍ.

* * *

(١٨) ـ ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾.

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾؛ أي: لا تحمِلُ نفسٌ آثمةٌ إثمَ نفسٍ أخرى.

﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ﴾: نفسٌ مُثقَلةٌ بالذُّنوبِ أحدًا ﴿إِلَىٰ حِمْلِهَا﴾: ثقلِها، ليَتحمَّلَ عنها بعضَ ذلك، ﴿لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ﴾: لا يحمِلِ المدعوُّ منه شيئًا منَ الثِّقلِ ﴿وَلَوْ كَانَ﴾؛ أي: المدعوُّ ﴿ذَا قُرْبَىٰٓ﴾: ذا قرابةٍ قريبةٍ كالأبِ والأخِ.

﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾: يخافونَ ربَّهم، ويؤمنون[1] بالغيبِ، وهو: ما غابَ عنهم منَ الجنَّةِ والنَّارِ.

وقيل: معنى ﴿يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾: يخافون الله سرًّا، فلا يأتون المعاصيَ التي لا يطَّلعُ عليها غيرُ الله.

وقيل: ﴿يَخْشَوْنَ رَبَّهُم﴾؛ أي: عذابَ ربِّهم ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾: لـم يَروه.

﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: أدامُوها في مواقيتِها الخمسةِ، وغايرَ بينَ اللَّفظَين لأنَّ أوقاتَ الخشيةِ دائمةٌ، وأوقاتَ الصَّلاةِ مُعيَّنةٌ مُنقَضيةٌ.

ويحتمِلُ أنَّ المعنى: يخشَون ربَّهم مع توفُّرِهم على الطّاعاتِ.

﴿وَمَن تَزَكَّىٰ﴾: تطَهَّرَ عن دنَسِ المعاصي بالأعمالِ الصّالحةِ ﴿فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ﴾؛ أي: فلنفسِه ثوابُ ذلك ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾: المرجعُ.

***

(١٩) - ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾.

﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾: الجاهلُ والعالِـمُ.

وقيل: الكافرُ والمُؤمنُ.

***

(١) في (ف): «فيؤمنون».

(٢٠) ـ ﴿ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴾.

﴿ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴾ يعني: الكفرُ والإيمانُ.

وقيل: الجهلُ والعلمُ.

وقيل: المعصيةُ والطّاعةُ.

* * *

(٢١) ـ ﴿ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴾.

﴿ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴾ يعني: الجنّةَ والنّارَ.

وقيل: الحَرُورُ: الرِّيحُ الحارَّةُ تأتي باللَّيلِ، والسَّمومُ بالنَّهارِ خاصَّةً[١].

وقيل: الحرُورُ: باللَّيلِ والنَّهارِ، والسَّمومُ بالنَّهارِ خاصَّةً.

والحرُورُ: فَعولٌ منَ الحرارةِ، وهو: اشتدادُ الحرِّ ولَفْحُه.

وقيل: الظِّلُّ: الحقُّ. والحرورُ: الباطلُ[٢].

* * *

(٢٢) ـ ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴾.

﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ﴾: المؤمنون والكافرون.

وقيل: العُقَلاءُ والجهّلاءُ.

و﴿لا﴾ فيها كلِّها زيادةٌ أفادَتْ نفيَ[٣] المُساواةِ من الجانبَين.

---

(١) «خاصة»: ليس في (ف).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٤٩)، واستغربه.

(٣) في (ف): «ففي».

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسۡمِعُ مَن يَشَآءُ﴾ حتَّى يتَّعِظَ ويُجيبَ ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ يعني: الكفَّارَ، شبَّههم بالموتى حيثُ لا ينتفعون بمسموعِهم.

وقيل: ﴿يُسۡمِعُ﴾ تحمِلُهم على القَبُولِ، من قولِنا: سمعَ الله لمَن حمِدَه؛ أي: قَبِلَ.

***

(٢٣) ـ ﴿إِنۡ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾.

﴿إِنۡ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾: ما أنت إلا مُنذرٌ، وليس إليك غيرُه.

***

(٢٤) ـ ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ﴾.

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ﴾ يعني: بالقرآنِ ﴿بَشِيرٗا﴾ للمؤمنين ﴿وَنَذِيرٗا﴾ للكافرين، ﴿وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ﴾ قيل: نذيرٌ منهم بلُغتِهم.

وقيل: إذا بَلَغَتْهُم نِذارةُ نذيرٍ منهم أو من غيرِهم فقد خلا فيهم النَّذيرُ؛ فإنَّ محمدًا ﷺ مبعوثٌ إلى جميعِ بني آدمَ وهو من العربِ.

***

(٢٥) ـ ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ﴾.

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾؛ أي: رُسُلَهم ﴿جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾: بالمُعجزاتِ ﴿وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ﴾ جاز التَّكرارُ لاختلافِ اللَّفظينِ، ولأنَّ الزَّبْرَ: الكتابةُ الثَّابتةُ[1].

---

(١) انظر: «الفروق اللغوية» للعسكري (ص: ٢٩٠)، وقد ذكر فيه أن الزبر في الكتابة في الحَجَر، وانظر: «تفسير ابن فورك» (٢/ ١٦٨).

(٢٦) ـ ﴿ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾.

﴿ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ۖ ﴾ بأنواعِ العذابِ ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾؛ أي: إنكاري بالعقوبةِ والتَّعييرِ.

* * *

(٢٧) ـ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَاۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ﴾: بالماءِ، ذُكِرَ بلفظِ التَّعظيمِ لتلوينِ الخطابِ.

وما ذكَره أبو مسلمٍ: أنَّ التَّقديرَ: فأخرَجْنا نحنُ بنو آدم بالحرثِ والغَرْسِ ﴿ثَمَرَٰتٍ﴾ بإضمارِ القولِ= فركيكٌ[1]، وقد سبقَ في (الأنعامِ).

﴿مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَاۚ﴾ يجوزُ أن يكونَ المُرادُ به الألوانَ[2] حقيقةً؛ حُمرًا، وصُفرًا، وبِيضًا، وسُودًا، ويجوزُ أن يكونَ المُرادُ به الصِّنفَ.

﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا﴾ جُدَدٌ: جمعُ جُدَّةٍ، كغُدَّةٍ وغُدَدٍ؛ أي: طرائقُ؛ جُدَّةٌ بيضاءُ، وجُدَّةٌ حمراءُ، والهاءُ في ﴿أَلْوَٰنُهَاۚ﴾ يعودُ إلى (الجبالِ).

وقيل: إلى (حُمْرٌ)؛ أي: بعضُها أشدُّ حُمْرةً، وبعضُها أخفُّ، وبعضُها وسطٌ في الحُمْرةِ[3].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٤٩)، وعده من العجائب.

(٢) في (ن): «باللون» بدل: «به الألوان».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٤٩)، واستغربه.

﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾: جمعُ غِرْبِيبٍ، وجُلُّ المُفسِّرين على أنَّ التَّقديرَ: وسُودٌ غَرابيبُ؛ لأنَّه يُقالُ: أسْوَدُ غِرْبِيبٌ، ولا يقالُ: غِرْبِيبٌ أسودُ.

ابنُ عيسى: الغِرْبِيبُ: الذي لونُه لونُ الغُرابِ، فصارَ كأنَّه قال: وكَلَونِ الغُرابِ أسْوَد[1].

وقيل: ﴿سُودٌ﴾ بدلٌ من ﴿غَرَابِيبُ﴾ وليس بوصفٍ.

* * *

(٢٨) ـ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ﴾؛ أي: كاختلافِ الثَّمراتِ والجبالِ، وذُكِّر الضَّميرُ لأنَّ التَّقديرَ: جنسٌ مختلفٌ ألوانُه.

وقيل: [ما] مختلف ألوانه، وقيل[2]: مَن مُختلفٌ ألوانُه؛ لتقدُّمِ ذكرِ النَّاسِ، فحُذِفَ (مَا) و(مَن) لأنَّ (من) يدلُّ عليه.

فإن قيل: قد ذُكِرَ مع الجبالِ ﴿مِن﴾؟

قلنا: قد بيَّنَ البعضَ بقولِه: ﴿جُدَدٌۢ بِيضٌ﴾، ولـم يُبيِّنْ في قولِه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ﴾، فبقيَ ﴿مختلفٌ ألوانُه﴾ صفةً للمُقدَّرِ.

وأجاز الكوفيون أن يكونَ وصلًا لـ(مَا)، أو لـ(مَن)، وهو ممتنعٌ عند البصريِّين.

﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ أي: العُلماء باللهِ.

ومـا رُوِي عـن أبـي حنيفـةَ وعمـرَ بنِ عبـدِ العزيـز وابـنِ سيرينَ رحمهم الله:

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٤٩)، واستغربه.

(٢) «وقيل: مختلف ألوانه» من (ن)، وما بين معكوفتين من «غرائب التفسير» (٢/ ٩٥٠).

(إِنَّمَا يَخْشَى اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءَ)[١] فمعناه: يعلَمُ، كقولِه: ﴿فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا﴾ [الكهف: ٨٠].

وقيل: هو بمعنى: يمتحِنُ.

وقيل: يختارُ.

وعن عطاءٍ قال: نزلَتْ الآيةُ في أبي بكرٍ رضي الله عنه، وذلك أنَّه ظهرَ من أبي بكرٍ خوفٌ حتى عُرِفَ فيه، فكلَّمه النَّبيُّ ﷺ في ذلك، فنزلَ فيه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[٢].

وعن النَّبيِّ ﷺ: «كفى بخشيةِ الله علمًا، وبالاغترارِ به جهلًا»[٣].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لمَن أذنَبَ ﴿غَفُورٌ﴾ لمَن تاب.

***

(٢٩) - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: يقرؤونَ[٤] القرآنَ ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ المفروضةَ.

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (٨/ ١٠٥)، و«الكامل» للهذلي (ص: ٦٢٤)، و«الكشاف» (٣/ ٦١١). قال الثعلبي: «والقراءة الصحيحة ما عليه العامة».

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ١٨٣) عن عطاء الخرساني مرسلاً، وفيه سيف بن عمر، وهو متروك.

(٣) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (٨٦٤)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٤٥٣٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٨٩٢٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٣٢) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه من قوله.

(٤) في (ف): «يعني» بدل: «أي: يقرؤون».

﴿وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا﴾: الصَّدقةَ ﴿وَعَلَانِيَةً﴾: الزَّكاةَ، وغايرَ بين المُستقبلِ والماضي لأنَّ أوقاتَ التِّلاوةِ أعمُّ من أوقاتِ الصَّلاةِ والزَّكاةِ، ويجوزُ أن تكونَ التِّلاوةُ في الصَّلاةِ، ويجوزُ أن تكونَ الصَّلاةُ سابقةً على التِّلاوةِ.

﴿يَرْجُونَ تِجَٰرَةً﴾ خبرُ ﴿إِنَّ﴾.

﴿لَّن تَبُورَ﴾: لن تَكْسُدَ. وقيل: لن تَهْلِكَ. وقيل: لن تَفْسُدَ.

والتِّجارةُ هي الجنّةُ، وقيل: قَبولُ أعمالِـهم.

***

(٣٠) ـ ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾.

﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ﴾ متَّصلٌ بـ﴿يَتْلُونَ﴾ وما بعدَه، و﴿أُجُورَهُمْ﴾: ثوابَ أعمالِـهم.

﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾: يُضاعِفَ لهم الحسناتِ.

وقيل: يشفَعون فيمَن وجبَ لهم[1] النّارُ.

وقيل: يُفسَحُ لهم في قُبورِهم.

﴿إِنَّهُۥ غَفُورٌ﴾ لذُنوبِهم ﴿شَكُورٌ﴾: مُجازٍ على أعمالِـهم.

وقيل: يُعطي الجزيلَ على العملِ القليلِ[2]، من قولِـهم: أشْكَرُ من بَرْوَقةٍ[3]، وهي: شجرةٌ إذا تغيَّمتِ السَّماءُ اخضَرَّتْ وأورَقَتْ من غيرِ مطرٍ.

***

(١) في (ف): «له».

(٢) في (ن) زيادة: «مشتق».

(٣) من أمثال العرب، ذكره ابن دريد في «جمهرة اللغة» مادة: (ب ر ق) (١/ ٣٢٢)، والعسكري في «جمهرة الأمثال» (١/ ٥٦٣).

(٣١) ـ ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾.

﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يعني: القرآن ﴿هُوَ ٱلْحَقُّ﴾: الصِّدقُ لا يشوبُه كذبٌ ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: مُوافقًا لِـما في الكُتُبِ المُتقدِّمةِ.

وقيل: يَجعلُ ما تقدَّمه منَ الكتبِ صادقةً؛ لأنَّ فيها الوعدَ به.

وقيل: مُصدِّقًا بإعجازِه دعوى النَّبيِّ ﷺ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾: عالـمٌ بهم.

* * *

(٣٢) ـ ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾.

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ﴾ ﴿ثُمَّ﴾ لتَراخي الإيراثِ، وقيل: لتراخي الإخبارِ.

واستُعمِلَ لفظُ الميراثِ لأنَّه صار لهم كما يصيرُ الميراثُ للورثةِ.

وقيل: لأنَّه أعطاهُم من غيرِ مسألةٍ ولا اكتسابٍ.

وقيل: معناه: أخَّرْناه إلى الذين اصطفينا مِن عبادنا، وأُنشدَ لعنترةَ:

وأورَثْـتُ سـيفي عن حُصَينِ بنِ معقلٍ إلـى جـدِّه إنِّـي لـثأري لطالبُ[1]

أي: أخَّرْتُ سيفي.

﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ قيل: هو القرآنُ.

وقيل: ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ اسمُ الجنسِ، والمُرادُ به: الكتبُ.

---

(١) البيت في «تفسير الثعلبي» (٢٢/ ١٨٩)، ولم أجده في المطبوع من «ديوان عنترة».

وقيل: المُرادُ به: أحكامُ الكتابِ.

﴿ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا﴾ قيل هم: أمَّةُ محمَّدٍ ﷺ، وقيل: هم الأنبياءُ عليهم السَّلامُ، والاصطِفاءُ على هذَين الوجهَين للثَّوابِ.

وقيل: الذين اصطفَيناهُم للتَّكليفِ والامتحانِ.

﴿فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ قد أكثرَ العلماءُ في تفصيلِ هذه الثَّلاثة، وأحسنُ ما قيلَ ما وافقَ القرآنَ والخبرَ وكلامَ الصَّحابةِ والتَّابعين؛ أمَّا القرآنُ فقولُه سبحانَه وتعالى: ﴿أَزۡوَٰجٗا ثَلَٰثَةٗ ۝٧ فَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ﴾ ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ﴾ ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ﴾ [الواقعة: ٧ـ ١٠]، فيكونُ الظَّالـمُ: أصحابَ المشأمةِ، والمُقتصِدُ: أصحابَ الميمَنةِ، والسَّابقُ: السّابقين.

ومثلُه: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ﴾ [الواقعة: ٨٨]: فالسَّابقُ منهم، ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ﴾ [الواقعة: ٩٠]: فالمُقتَصِدُ منهم، ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الواقعة: ٩٢]: فالظّالـمُ منهم؛ فالضَّميرُ في قولِه: ﴿فَمِنۡهُمۡ﴾ على هذا يعودُ إلى العبادِ، وإلى(١) الذين اصطَفاهم على القولِ الآخرِ(٢).

وأمَّا الخبرُ فما رواه أبو الدَّرداءِ رضي الله عنه، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ قرأ هذه الآيةَ ثمَّ قالَ: «أمَّا الذين سبَقُوا فأولئك يدخُلونَ الجنّةَ بغيرِ حسابٍ، وأمَّا الذين اقتَصَدوا فأولئك يُحاسَبونَ حسابًا يسيرًا، وأمَّا الذين ظلَمُوا أنفُسَهم فأولئك يُحبَسون في طولِ المحشرِ، ثمَّ هم الذين يتلقَّاهم الله برحمتِه، فهم الذين يقولونَ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَ﴾»(٣).

---

(١) في (ف): «أو إلى».

(٢) في (ف): «الأخير».

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٤٤٩)، والإمام أحمد في «المسند» (٢١٦٩٧) و(٢٧٥٠٥)، =

ورَوَى أسامةُ رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ: أنَّه قال عند قراءةِ هذه الآيةِ: «كلُّهم في الجنّةِ»(١).

وعن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما: السّابقُ: المؤمنُ المُخلِصُ، والمُقتَصِدُ: المُرائي، والظّالـمُ: الكافرُ بالنِّعمةِ غيرُ الجاحدِ لـها؛ لأنَّه حكمَ للثّلاثةِ بدخولِ الجنّةِ(٢).

وعن عمرَ رضي الله عنه أنَّه قال على المنبرِ بعد قراءةِ هذه الآيةِ: قال رسولُ الله ﷺ: «سابِقُنا سابقٌ، ومُقتصِدُنا ناجٍ، وظالِـمُنا مغفورٌ له»(٣).

= والطبري في «تفسيره» (١٩/ ٣٧٥)، والحاكم في «المستدرك» (٣٥٩٣)، وعنه البيهقي في «البعث والنشور» (٥٨). قال الحاكم وعنه البيهقي: «وقد اختلفت الروايات في إسناد هذا الحديث... وإذا كثرت الروايات في حديث ظهر أن للحديث أصلاً». وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٩٥): «رواه أحمد بأسانيد رجال أحدها رجال الصحيح ـ وهي هذه ـ إن كان علي بن عبد الله الأزدي سمع من أبي الدرداء فإنه تابعي». وقال محققو «المسند»: بينهما فيه أبو خالد البكري كما في «تاريخ البخاري» (٩/ ١٨)، ولم نتبينه.

(١) رواه الطبراني في «الكبير» (٤١٠)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٩٦): «فيه محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى وهو سيئ الحفظ».
وروي من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: رواه الإمام أحمد في «المسند» (١١٧٤٥)، والترمذي (٣٢٢٥)، والطبري في «تفسيره» (١٩/ ٣٧٦). قال الترمذي: «غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه». وقال ابن كثير عند تفسير هذه الآية: «في إسناده من لم يُسمَّ».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ١٩٨).

(٣) رواه العقيلي في «الضعفاء» (٣/ ٤٤٣)، والثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٨٠)، والواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٠٥)، من طريق الفضل بن عميرة، عن ميمون بن سياه، عن أبي عثمان النهدي عن عمر رضي الله عنه. والفضل بن عميرة ضعيف، وقال العقيلي: لا يتابع عليه.
ورواه البيهقي في «البعث والنشور» (٦١) من طريق ميمون بن سياه عن عمر رضي الله عنه. وقال =

وعن عثمانَ رضي الله عنه قال: سابقُنا أهلُ جهادنا، ومُقتصِدُنا أهلُ حضَرِنا، وظالِـمُنا أهلُ بَدْوِنا[١].

وقال سهلُ بنُ عبدِ الله: السَّابقُ: العالـمُ، والمُقتصِدُ: المُتعلِّمُ، والظَّالـمُ: الجاهلُ[٢].

الحسينُ بنُ الفضلِ: الظَّالـمُ: القارىءُ للقرآنِ، والمُقتصِدُ: القارىءُ العالـمُ به، والسَّابقُ: القارىءُ له، العالـمُ به، العاملُ بما فيه[٣].

والهاءُ على هذه الوجوهِ يعودُ إلى المُصطفَين.

وقيل: الظّالـمُ لنفسِه: آدمُ عليه السَّلامُ، والمُقتصِدُ: إبراهيمُ عليه السَّلامُ، والسّابقُ: محمَّدٌ ﷺ[٤].

وقيل: إنَّما قدَّمَ الظّالـمَ كي لا يقنَطَ.

= البيهقي: «فيه إرسال بين ميمون بن سياه، وبين عمر رضي الله عنه. وروي من وجه آخر غير قوي، عن عمر موقوفًا عليه».

والموقوف رواه سعيد بن منصور في «سننه» (٢٣٠٨)، والبيهقي في «البعث والنشور» (٦٢). وإسناده غير قوي كما قال البيهقي، وانظر: «الكافي الشاف» (ص: ١٣٩).

(١) رواه سعيد بن منصور في «سننه» (٢٣٠٨)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ١٩٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٢)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٥٠)، واستغربه.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ١٠٩)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٥٠)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٥١)، واستغربه، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٢٠٢) بلا نسبة.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٥١)، وعده من العجائب.

وقيل: أخَّرَ السَّابقَ ليكونَ أقربَ إلى الجِنانِ والثَّوابِ.

﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: الاصطفاءُ، وقيل: السَّبْقُ ﴿هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾.

* * *

(٣٣) - ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾.

﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ رفعٌ بالابتداءِ ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ خبرُه.

والضَّميرُ يعودُ إلى الثَّلاثةِ على ما سبقَ.

وقيل: يعودُ إلى ﴿ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا﴾

وقيل: إلى المُقتصِدِ والسَّابقِ فيمَن جَعَلَ الظَّالـمَ الكافرَ.

وقيل: إلى السَّابقِ وحدَه؛ لأنَّ ذلك معلومٌ قطعًا.

﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ﴾: جمعُ أَسْوِرةٍ، وأَسْوِرةٌ: جمعُ سِوَارٍ.

﴿مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾؛ أي: من ذَهَبٍ مُرَصَّعٍ باللُّؤلؤِ.

الزَّجَّاجُ: من ذهبٍ في صفاءِ اللُّؤلؤِ[1]، كما قيل: من فضَّةٍ في صفاءِ قواريرَ.

ومَن نَصَبَ[2] عطفَه على محلِّ ﴿مِنْ أَسَاوِرَ﴾؛ أي: يُحلَّونَ أساورَ ﴿وَلُؤْلُؤًا﴾.

قيل: الحليُّ فيها للنِّساءِ دونَ الرِّجالِ.

وقيل: للرِّجالِ والنِّساءِ، يدُلُّك قولُه: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٢٧٠).

(٢) بالنصب قرأ نافع وعاصم، وباقي السبعة بالجر. انظر: «السبعة» (ص: ٥٣٤ ـ ٥٣٥)، و«التيسير» (ص: ١٥٦).

(٣٤) ـ ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾.

﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: حَزَنَ النَّارِ[(١)].

عكرمةُ: حَزَنَ الذُّنوبِ[(٢)].

وقيل: حَزَنَ الموتِ.

وقيل: حَزَنَ الخبزِ وطلَبِ المعاشِ، ويُقالُ: الجوع[(٣)].

ويُقالُ: حَزَنَ إبليسَ ووسوستِه.

﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾.

* * *

(٣٥) ـ ﴿ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾.

﴿ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ﴾؛ أي: الإقامةِ لا نَبْرَحُ منها ولا نُفارِقُها.

وقيل: المُقَامةُ: الموضعُ الذي يُؤكَلُ فيه ويُشرَبُ، والمَقامةُ ـ بالفتح ـ: كلُّ موضعٍ يُجتَمَعُ فيه لأمرٍ حتَّى يُقطَعَ[(٤)].

﴿مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾: وجَعٌ، وقيل: تعَبٌ.

﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾: كَلالٌ يلحقُ الجوارحَ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٣٧٧)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٢٠٨).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٢٠٩)، والواحدي في «البسيط» (١٨/ ٤٢٩).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٥١)، واستغربه.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٥١)، واستغربه.

وكرَّرَ ﴿وَلَا يَمَسُّنَا﴾ كيلا يُظَنَّ أنَّهما لا يَمَسَّانِ معًا، ويجوزُ أن يَـمَسَّا فُرادَى.

وقيل: النَّصَبُ على القلبِ، واللُّغوبُ على البدنِ.

* * *

(٣٦) - ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾؛ أي: لا يُقْضى عليهم بموتٍ ثانٍ فيستَريحوا؛ لأنَّهم ماتُوا موتةً.

﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ وقولُه: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ﴾ [الإسراء: ٩٧] لا يدلُّ على تخفيفٍ عنهم، بل على نُقصانٍ في النَّارِ ثمَّ تزدادُ.

﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾.

* * *

(٣٧) - ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾.

﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾: يستَغيثونَ فيها: ﴿رَبَّنَا﴾ يقولونَ: ربَّنا ﴿أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾؛ أي: أخرِجْنا منَ النَّارِ، ورُدَّنا إلى الدُّنيا نُؤمِنْ بدلَ الكفرِ ونُطيعُ بدلَ المعصيةِ، فيُجابون بقولِه:

﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾؛ أي: أطَلْنا أعمارَكم وجعَلْناها مُدَّةً يُمكِنُكم التَّذكُّرُ فيها والاعتبارُ، ورُوِيَ مرفوعًا: أنَّه ستونَ سنةً[1].

---

(١) رواه البخاري (٦٤١٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «أعذر الله إلى امرئ أخر أجله حتى بلَّغه ستين سنة».

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أربعونَ سنةً(١).

ورُوِيَ عنه أيضًا ستُّونَ سنةً(٢).

وَهْبٌ: ثماني عشرةَ سنةً(٣).

الحسنُ: البلوغُ؛ لأنَّه أوَّلُ زمانِ التَّذكُّرِ(٤).

وقيل: سبعونَ سنةً؛ لأنَّه(٥) نهايةُ التَّذكُّرِ، وما بعده هَرَمٌ.

وقيل: إنَّه المدَّةُ التي كان رسولُ الله ﷺ يدعو النَّاسَ إلى الله، وهي عشرونَ سنةً.

﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ قيل: محمَّدٌ ﷺ ومَن نابَ عنه.

وقيل: القرآنُ.

وقيل: الشَّيْبُ، وهو قولُ الأكثَرين.

وقيل: العقلُ.

وقيل: الحُمَّى.

وقيل: موتُ الأهلِ والأقاربِ(٦).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٣٨٤).

(٢) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٢٤٥٥)، والطبري في «تفسيره» (١٩/ ٣٨٤).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٥٢)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٥١٤) عن وهب وعطاء وقتادة وأبي العالية، وذكره الواحدي في «البسيط» (١٨/ ٤٣٢) عن ابن عباس من رواية عطاء.

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٤٧٦).

(٥) في (ف): «لأنها».

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٥٢)، واستغربه.

﴿فَذُوقُواْ﴾؛ أي: العذابَ ﴿فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾: ناصرٍ يُعينُهم.

* * *

(٣٨) - ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيۡبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيۡبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾: ما غابَ فيهما عنكم وإنْ شاهدَه غيرُكم.

﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ التي لا يُشاهدُها أحدٌ.

وقيل: ﴿عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ فلا تُضمِروا فيها ما يكرهُه سبحانَه.

وقيل: إنَّ الله ﴿عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ فلو أخرجَكم لعُدتُم إلى ما كنتم عليه؛ لقولِه سبحانه: ﴿وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ﴾ [الأنعام: ٢٨].

* * *

(٣٩) - ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ إِلَّا مَقۡتٗاۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ إِلَّا خَسَارٗا﴾.

﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾؛ أي: خلائفَ الأرضِ بعد الأممِ الخاليةِ.

وقيل: جعلَكُم خلفًا بعد خلَفٍ، وقَرْنًا بعدَ قرنٍ، فالخَلَفُ[1]: التّالي للمُتقدِّم؛ أي: أورَثَكم الكتابَ وجعلَكم خلائفَ في الأرضِ؛ لتشكُروه ولا تكفُروه، ثمَّ أوعدَ الكفّارَ فقال:

﴿فَمَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ﴾؛ أي: جزاءُ كفرِه.

﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ إِلَّا مَقۡتٗاۖ﴾: بُغضًا وغَضبًا.

---

(١) في (ف): «والخلف».

﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾: تبارًا وهلاكًا وخُسرانًا بالجنَّةِ.

***

(٤٠) ـ ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: آلهتكُم، وفي الإضافةِ قولانِ:

أحدُهما: أنَّهم كانوا جعلُوهم شركاءَ فيما كانوا يملكونَه.

وقيل: تأويلُه: شُركائي؛ فأضافَ إليهم لأنَّهم زعمُوا ذلك.

﴿أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ﴾ بل ألـهم ﴿شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ المعنى: قل لهم: إنْ خلَقُوا شيئًا منَ الأرضِ أو منَ السَّماءِ فأرُونيه.

﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ﴾: أم أُمِرْتُم بذلك في كتابٍ فأنتم على بيِّنةٍ.

وقيل: أم أنزَلْنا كتابًا فيه: إنَّ لله شُركاءَ.

وقيل: آتيناهُم كتابًا بأنَّ الله لا يُعذِّبُهم، فهم واثِقون به.

﴿بَلْ إِن يَعِدُ﴾: ما يعِدُ ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾؛ أي: كفرُهم عن تقليدٍ محضٍ، ووعدٍ كاذبٍ.

***

(٤١) ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾؛ أي: يُمسِكُ السَّماءَ بغيرِ عمدٍ ولا عِلاقةٍ، ويُمسِكُ الأرضَ مع ما عليها منَ الخلقِ ﴿أَن تَزُولَا﴾: كراهةَ أنْ تزولا، ولأَنْ لا تزُولا، وثنَّى الضَّميرَ والسَّماواتُ جمعٌ ازدِواجًا للأرضِ.

﴿وَلَئِن زَالَتَآ﴾؛ أي: لو خلَّاهُما لزالَتا، ولو زالَتا ﴿إِنْ أَمْسَكَهُمَا﴾: ما أمسَكَهُما ﴿مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾ بعد الزَّوالِ.

وقيل: بعد الإمساكِ.

وقيل: بعد الله؛ أي: غيرُه وسواه[1]؛ أي: ما يقدرُ أحدٌ على إعادتِهما إلى مكانِهما إلَّا الله.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا﴾ عند قولِـهم: ﴿ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ [البقرة: ١١٦]، فأمسكَ السَّماءَ والأرضَ ـ وكادا تزولانِ لعِظَمِ القولِ ـ فلم يُعجِّلْ عليهم بالعقوبةِ.

﴿غَفُورًا﴾ لمَن تابَ عن كُفرِه وذنبِه.

* * *

(٤٢) ـ ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾.

﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ﴾ وذلك أنَّ قُريشًا لـمَّا بلغَهم أنَّ أهلَ الكتابِ كذَّبوا رُسُلَهم قالوا: لعنَ الله اليهودَ والنَّصارى؛ أتتهُم الرُّسلُ فكذَّبوهم، فوالله لو أتانا نذيرٌ لنكونَنَّ أصوبَ دينًا منهم، ومثلُه: ﴿لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾ [الأنعام: ١٥٧].

﴿فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ محمَّدٌ ﷺ.

﴿مَّا زَادَهُمْ﴾ أي: ما زادَهم مجيءُ الرَّسولِ ﴿إِلَّا نُفُورًا﴾: تباعُدًا عن الحقِّ.

* * *

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٥٢)، وعده من العجائب.

(٤٣) - ﴿ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾.

﴿ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ﴾؛ أي: تكبَّروا عن الإيمانِ ومكَروا السَّيِّئَ في دفعِ أمرِه، وهو العملُ القبيحُ.

وقيل: هو إجماعُهم على الشِّركِ وقتلِ النَّبيِّ في دارِ النَّدوةِ.

وهما منصوبانِ على الغَرَضِ[1].

وقيل: إنَّهما بدلانِ من قولِه: ﴿نُفُورًا﴾.

وقيل: مصدرانِ، وأُضيفَ المكرُ إلى السَّيِّئِ، وهو صفتُه كمسجدِ الجامعِ.

وقيل: هو من بابِ: ثوبُ خزٍّ؛ لأنَّ المكرَ قد يكونُ سيِّئًا وغيرَ سيِّئٍ.

﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ﴾: لا يحِلُّ ولا ينزِلُ ﴿إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ إلّا بالماكرين.

﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ يعني: العذابَ.

﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ فقُتِلوا يومَ بدرٍ.

* * *

(٤٤) - ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾؛ أي: هلَّا سافَروا في الأرضِ فينظُروا عاقبةَ الذين من قبلِهم؛ فإنَّ مَن سافرَ فيها رأى آثارَ نزولِ العذابِ بمَن مكرَ السَّيِّئاتِ.

---

(١) أي: على المفعول من أجله؛ أي: لغرض الاستكبار والمكر، فهو كما في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٥٢) مفعول له متصل بقوله: ﴿نُفُورًا﴾؛ أي: نفروا للاستكبار. ذكره المصنف واستغربه.

وقيل: معناه: اقرَؤُوا القرآنَ فتعرَّفُوا ما حَلَّ بمَن قبلَكم.

﴿وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ﴾: من أهلِ مكّةَ ﴿قُوَّةٗۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ﴾: شيءٌ؛ أي: أحدٌ ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا﴾ بهم ﴿قَدِيرٗا﴾ عليهم.

* * *

(٤٥) - ﴿وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرَۢا﴾.

﴿وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ﴾ مِنَ المعاصي ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا﴾: ظَهْرِ الأرضِ.

ذهبَ بعضُ المُفسِّرين إلى أنَّ هذه كنايةٌ عن غيرِ مذكورٍ، وأنَّ العربَ تقولُ: ما على ظهرِها أحدٌ أحبُّ إليَّ من فلانٍ؛ يعنون: الأرضَ.

ولعلَّ هذا القائلَ أرادَ في موضعٍ آخرَ؛ فإنَّ في الآيةِ الأولى ذِكرَ الأرضِ مرَّتين.

﴿مِن دَآبَّةٖ﴾ الدّابَّةُ في هذه الآيةِ عندَ بعضِهم: الإنسُ والجنُّ.

وقيل: الإنسُ وحدَهُم.

وقيل: عامٌّ فيما دبَّ ودرجَ؛ فإنَّ ابنَ مسعودٍ رضي الله عنه قال: إنَّ الجُعَلَ يُهلَكُ بخطيئةِ ابنِ آدمَ[1].

وقال أنسٌ رضي الله عنه: إنَّ الضَّبَّ ليموتُ هُزْلًا في جُحرِه بذنبِ ابنِ آدمَ[2].

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٤٥٦٥)، وابن أبي الدنيا في «العقوبات» (٢٧٣)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ٢٦٠)، والحاكم في «المستدرك» (٣٦٠٢) وصححه.

(٢) رواه ابن قتيبة في «غريب الحديث» (٢/ ٣٩٥)، وابن أبي الدنيا في «العقوبات» (٢٦٨).

قال شيخُنا[١] أبو القاسمِ: ليس أنَّ البهيمةَ تُؤخَذُ بذنبِ ابنِ آدمَ، ولكنَّها خُلِقَتْ لابنِ آدمَ فلا معنى لإبقائِها بعد إفناءِ مَن خُلِقَتْ له.

وقيل: معنى ذلك: لو أُخِذَ الجاني في الوقتِ الثَّاني من معصيَتِه لكانَ قد فنِيَ الخلقُ وانقطعَ النَّسلُ؛ لأنَّه لا أحدَ إلا وقد عصَى هو أو أبوه أو جَدُّه، ولو أُهلِكَ أوَّلُ عاصٍ لانقطعَ النَّسلُ قديمًا.

وقيل: يَحْبِسُ عنهم المطرَ فيَهْلِكُ كلُّ شيءٍ.

وقيل: قد فعلَ بهم مرَّةً في زمانِ نوحٍ عليه السَّلامُ، فلم يبقَ منهم سوى مَن كانَ في السَّفينةِ.

﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: مُعَيَّنٍ ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ﴾؛ أي: ذلك المُعَيَّنُ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا﴾ بمكانِهم فيُؤاخِذُهم، وبأعمالِهم فيُجازِيهم.

***

(١) «شيخنا»: ليس في (ف).

سُورَةُ يسٓ

سُورَةُ يسٓ

ثلاثٌ وثمانونَ آيةً[1]، مكِّـيَّةٌ.

ورُوِيَ عـن أبـي بكـرٍ رضي الله عنـه أنَّه قال: قال رسـولُ الله ﷺ: «يـس تُدعَى المُعِمّـةَ»، قيـل: يـا رسـولَ الله، ومـا المُعِمَّـةُ؟ قـال: «تُعِـمُّ صاحبَهـا خيـرَ الدُّنيـا وخيـرَ الآخـرةِ، وتُدعـى الدَّافِعـةَ، والقاضِيـةَ، تدفـعُ عنه كلَّ سـوءٍ، وتقضـي له كلَّ حاجةٍ»[2].

بسمِ اللَّهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿يسٓ﴾.

﴿يسٓ﴾ القولُ فيه كالقولِ في سائرِ الحروفِ أوائلَ السُّورِ، وتختصُّ هذه السُّورةُ بأقوالٍ:

---

(١) «ثلاث وثمانون آية»: ليس في (ف). وانظر: «البيان في عد آي القرآن» للداني (ص: ٢١١)، وفيه: «وهي ثمانون وثلاث آيات في الكوفي، وآيتان في عدد الباقين، اختلافها آية ﴿يسٓ﴾ عدها الكوفي ولم يعدها الباقون».

(٢) رواه ابن الضريس في «فضائل القرآن» (٢١٦)، والحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٣/ ٢٥٨)، والعقيلي في «الضعفاء» (٢/ ١٤٣)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٢٣٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٢٣٧). وضعفه العقيلي بسليمان بن مرقاع الجندعي، وقال: «لا يتابع على حديثه والحديث منكر ولا يعرف إلا به». وقال البيهقي: «تفرد به محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الجدعاني، عن سليمان بن مرقاع، وهو منكر».

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: يا إنسانُ بلُغةِ طيِّءٍ[١].

سعيدُ بنُ جُبيرٍ وابنُ الحنفيّةِ: يا محمَّدُ[٢].

أبو العاليةِ: يا رجلُ[٣].

وقيل: يا سيِّدُ.

***

(٢) ـ ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾.

﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾ أقسمَ اللهُ بالقرآنِ، و﴿ٱلْحَكِيمِ﴾: الحاكمِ.

وقيل: ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾: أحكمَهُ اللهُ، كالسَّعيدِ أسعدَه اللهُ.

***

(٣ ـ ٤) ـ ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ جوابُ القسمِ، وهو ردٌّ على الكفَّارِ حين قالوا: ﴿لَسْتَ مُرْسَلًا﴾.

﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ مِن صلةِ ﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾؛ أي: الذين أُرسِلُوا ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، وهو الإسلامُ.

وقيل: هو خبرٌ بعد خبرٍ؛ أي: إنَّك لمنَ المُرسلينَ، إنَّك على صراطٍ مُستقيمٍ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٣٩٨) من طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ١١٥)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٥) عن محمد ابن الحنفية، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ١٢٠)، والواحدي في «البسيط» (١٨/ ٤٤٩) عن سعيد بن جبير.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ١٢٠)، والواحدي في «البسيط» (١٨/ ٤٤٩).

ولا يمتنِعُ أن يكـونَ حـالًا منَ النَّبـيِّ ﷺ[١]، كما تقولُ: إنَّ زيدًا فـي الدَّار على الفرشِ.

***

(٥) ـ ﴿تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

﴿تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾ مَن رفعَ جعلَه خبرَ مبتدأٍ محذوفٍ، تقديرُه: هو تنزيلُ، ومَن نصَبَ جعلَه مصدرًا[٢]؛ أي: نزَّلَه تنزيلًا.

وأجازَ الفرَّاءُ وغيرُه أن يكون خبرًا ثالثًا[٣] عنِ النَّبيِّ ﷺ: إنَّك لمِنَ المُرسَلينَ، إنَّك على صراطٍ مُستقيمٍ، إنَّك ذو تنزيلِ العزيزِ الرَّحيمِ[٤].

***

(٦) ـ ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾.

﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا﴾: لِتُخوِّفَ، فهو متَّصلٌ بالإرسالِ؛ أي: أُرسِلْتَ لتُنذِرَ قومًا ﴿مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾؛ أي: في الفترةِ.

والأكثرونَ على أنَّ ﴿مَّآ﴾ للنَّفيِ؛ لقولِه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ﴾ [سبأ: ٤٤] يعني: العربَ، والمُرادُ بهم: آباؤُهم الأدنَونَ، فإنَّ آباءَهُم الأقدَمينَ أتاهُم المُنذِرونَ لا محالةَ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٥٦)، واستغربه.

(٢) قرأ حفص وابن عامر وحمزة والكسائي: ﴿تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ﴾ بنصب اللام، والباقون برفعها. انظر: «السبعة» (ص: ٥٣٩)، و«التيسير» (ص: ١٨٣).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٧٢).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٥٥)، واستغربه. وفي هامش (ف): «فيه نظر».

وقيل: ﴿مَآ﴾ بمعنى: الَّذي، فيكونُ محلُّهُ نصبًا؛ أي: العذابَ الذي أُنذرَ آباؤهُم ذلك كقولِه: ﴿أَنذَرۡنَٰكُمۡ عَذَابٗا قَرِيبٗا﴾ [النبأ: ٤٠].

وقيل: لتُنذِرَ كما أُنذِرَ آباؤُهم، فيكونُ صفةَ مصدرٍ محذوفٍ.

وقيل: بما أُنذِرَ آباؤُهم، فحُذِفَ الجارُّ ونُصِبَ المجرور.

﴿فَهُمۡ غَٰفِلُونَ﴾ ﴿هُمۡ﴾ كنايةٌ عن القومِ، ومَن جعلَه نفيًا جاز أن يعودَ إلى الآباءِ.

والغَفْلةُ: ذَهابُ المعنى عن النَّفسِ، والنِّسيانُ: ذَهابُ المعنى عن النَّفسِ بعد حُضورِه.

* * *

(٧) ـ ﴿لَقَدۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَىٰٓ أَكۡثَرِهِمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾.

﴿لَقَدۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَىٰٓ أَكۡثَرِهِمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾؛ أي: وجَبَ السُّخْطُ لأنَّهم لا يُؤمنون، وجُلُّ المُفسِّرين على أنَّ القولَ: ﴿لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣].

وقيل: ﴿حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ﴾ كقولِه: ﴿كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ﴾ [الزمر: ٧١].

* * *

(٨) ـ ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا فَهِيَ إِلَى ٱلۡأَذۡقَانِ فَهُم مُّقۡمَحُونَ﴾.

﴿إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا﴾ الغُلُّ: قيدٌ يجمعُ اليمينَ والعُنُقَ[١].

﴿فَهِيَ﴾ قيل: يعودُ إلى الأيمانِ ﴿إِلَى ٱلۡأَذۡقَانِ﴾[٢]، والغُلُّ يدلُّ عليه.

وقيل: إلى الأغلالِ.

---

(١) في هامش (ف): «ولذلك سمي جامعة».

(٢) في (ن): «قيل: ﴿إِلَى ٱلۡأَذۡقَانِ﴾»، والمثبت من (ف)، وانظر: «غرائب التفسير» (٢/ ٩٥٦).

﴿فَهُم مُّقْمَحُونَ﴾ غاضُّوا الأبصارِ رافِعُو الرُّؤوسِ.

وقيل: رفَعُوا رُؤوسَهم وشخَصُوا بأبصارِهم[1]؛ لأنَّ مَن غُلَّتْ يدُه إلى ذقنِه ارتفعَ رأسُه، والذَّقَنُ: مجمَعُ اللَّحيَينِ.

وقيل: مُقنِعُو رُؤوسِهم.

والمعنى: مُنِعُوا عن الإيمانِ وفعلِ الخيراتِ كالمغلولِ.

* * *

(٩) ـ ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾.

﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ﴾: أعمَيناهُم ﴿فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ الحقَّ والرَّشادَ، والسَّدُّ بالفتحِ والضَّمِّ لُغتانِ.

وقيل: بالفتحِ من فِعْلِ بني آدمَ، وبالضَّمِّ من فعلِ الله.

وقيل: بالفتحِ المصدرُ، وبالضَّمِّ الاسمُ[2].

ورَوَى[3] المُفسِّرون: أنَّها نزلَتْ في أبي جهلٍ، حلَفَ أن يرضَخَ رأسَ محمَّدٍ ﷺ بحَجَرٍ، فأتاه ـ وهو يُصلِّي ـ ومعه حجرٌ ليِدْمَغَه[4]، فلمَّا رفعَه أمسكَ الله يدَه إلى عنُقِه ولَزِقَ الحجرُ بيدِه، فرجعَ إلى أصحابِه، وسقطَ الحجرُ من يدِه، فأخبرَهم بالذي رآه، فقام رجلٌ من بني مخزومٍ وقال: لأقتُلَنَّه بهذا الحجرِ، فأتاه وهو يُصلِّي فأعمى الله بصرَه، فجعلَ يسمعُ صوتَه ولا يراه، فرجعَ إلى أصحابِه فلم يرَهُم حتَّى نادَوه وقالوا له: ما صنَعْتَ؟ فقال: ما رأيتُه، ولقد سمعتُ صوتَه، وحالَ بيني وبينَه

---

(١) في (ن): «أبصارهم».

(٢) تقدم الكلام عليه في تفسير سورة (الكهف).

(٣) في (ف): «وذكر».

(٤) في (ف) تحت الكلمة: «أي ليهلكه».

كهيئةِ الفحلِ يخطرُ بذنبِه، ولو دَنَوتُ منه لأكلَني، فأنزلَ الله هذه الآيةَ[(١)].

عِكرمةُ: الأغلالُ: ضَلالاتٌ وظُلماتٌ كانوا فيها[(٢)].

ولا يمتنِعُ أن تكونَ هذه حكايةَ حالِـهم في الآخرةِ.

* * *

(١٠ ـ ١١) ـ ﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٠ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾.

﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ سبقَ في (البقرةِ).

﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ﴾؛ أي: ينفعُ إنذارُك مَن اتَّبعَ القرآنَ وعملَ بما فيه ﴿وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾: خافَ عقابَ الله ولـم يرَه.

وقيل: ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾: في سريرتِه.

﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾؛ أي: بالجنَّةِ.

* * *

(١٢) ـ ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾.

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ بالبعْثِ، وقيـل: بالهدايـةِ ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟

---

(١) ذكره مقاتل في «تفسيره» (٣/ ٥٧٣)، وذكره الواحدي في «البسيط» (١٨/ ٤٥٤) عن الكلبي ومقاتل. وروى القصة الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٤٠٦) عن عكرمة مختصرة بلفظ: «قال أبو جهل: لئن رأيت محمداً لأفعلن ولأفعلن، فأنزلت: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا﴾ إلى قوله: ﴿فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ قال: « فكانوا يقولون: هذا محمد، فيقول: أين هو؟ أين هو؟ لا يبصره».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٢٥٠).

﴿وَءَاثَٰرَهُمْ﴾ في سببِ النُّزولِ: عن أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه قال: شَكَتْ بنو سَلِمةَ إلى رسولِ الله ﷺ بُعْدَ منازِلِهم منَ المسجدِ، فأنزلَ الله: ﴿وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ﴾، فقال النَّبيُّ ﷺ: «منازِلَكُم فإنَّما تُكتَبُ آثارُكُم».

وفي روايةٍ أُخرى: فأرادُوا أن ينتَقِلوا إلى قُربِ المسجدِ، فنزلَتْ هذه الآيةُ[1].

فيكون معنى ﴿آثَارَهُمْ﴾: خُطاهم.

وقيل: ﴿آثَارَهُمْ﴾: ما سَنُّوا من سُنَّةٍ حسنةٍ أو سنَّةٍ سيِّئةٍ فاقتُدِيَ بهم فيها.

وقيل: ما أَثَرُوه من خيرٍ أو شرٍّ.

﴿وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ﴾: في اللَّوحِ المحفوظِ.

* * *

(١٣) ـ ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾.

﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا﴾ الزَّجَّاجُ: مَثِّلْ لهم مثلًا، من قولِهم: هذه الأشياءُ على ضربٍ واحدٍ؛ أي: مثالٍ واحدٍ، وعندي من هذا الضَّربِ كثيرٌ؛ أي: من هذا المثالِ[2].

غيرُه: بيِّنْ لهم شَبَهًا.

وضَرْبُ المثَلِ يتعدَّى إلى مفعولَين، وهما في الآيةِ: ﴿مَّثَلًا﴾ ﴿أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ﴾.

وقيل: ﴿أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ﴾ بدلٌ من ﴿مَّثَلًا﴾، كأنَّه قال: اذكُرْ لهم أصحابَ القريةِ؛

---

(١) رواه الترمذي (٣٢٢٦)، وقال: «حديث حسن غريب»، وروى نحوه مسلم (٦٦٥)، لكن ليس فيه أن ذلك سبب النزول، وله شاهد ـ دون التصريح بسبب النزول أيضاً ـ من حديث أنس رضي الله عنه عند البخاري (٦٥٥) و(٦٥٦) و(١٨٨٧).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٢٨١) ولفظه: «اذكر لهم مثلًا».

أي: خبرَ أصحابِ القريةِ، وهي: أنطاكيَّةُ بإجماعِ المُفسِّرين ﴿إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ﴾: رُسُلُ عيسى عليه السَّلامُ(١).

***

(١٤) ـ ﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾.

﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ﴾ أُسنِدَ الفعلُ إليه سبحانَه لأنَّ عيسى عليه السَّلامُ أرسلَهم بأمرِه.

﴿إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ﴾ وَهْبٌ: اسمُهما يحيى ويونسُ(٢).

ابنُ إسحاقَ: تارُوصُ ومارُوصُ(٣).

كعبٌ: صادقٌ وصَدوقٌ(٤).

مُقاتلٌ: تُومانُ ومانوصُ(٥).

﴿فَكَذَّبُوهُمَا﴾: فكذَّبت أصحابُ القريةِ الرَّسولَين.

﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾: فقوَّينا، والتَّشديدُ والتَّخفيفُ واحدٌ(٦).

---

(١) القول بأن القرية هي أنطاكية وأن الرسل من عيسى عليه السلام ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٢٦١) عن وهب بن منبه، وهو متداول في أكثر كتب التفسير، لكن لم يرتضِ أيًّا منهما ابن كثير، وذكر وجوهاً تدفع هذا القول، فانظرها في «تفسيره» (٦/ ٥٧٣).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٢٦٤) وفيه: «يحيى وبولس».

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٢٦٤)، وفيه: «قاروص وماروص».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٤١٣) عن ابن إسحاق فيما بلغه ابن عباس، وعن كعب الأحبار، وعن وهب بن منبه.

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٢٦٤) وفيه: «تومان وماروص». وفي «تفسير مقاتل» (٣/ ٥٧٥): «تومان ويونس».

(٦) قرأ (فعَزَزْنا) بالتخفيف شعبة عن عاصم، والباقون بالتشديد. انظر: «السبعة» (ص: ٥٣٩)، و«التيسير» (ص: ١٨٣).

وقيل: ﴿عزَزْنا﴾ بالتَّخفيفِ: غَلَبْنَا.

واسمُ الثَّالثِ: شَمْعونُ.

وقيل: سَمْعانُ.

وقيل: سلُّوم.

قال الفَرَّاءُ: الثَّالثُ كان قد أُرْسِلَ قبل الاثنَينِ، وإنَّما المعنى: شَدَدْنا أمرَهُما وقوَّينا بما علَّمَهُما الرَّسولُ الأوَّلُ(١).

وفي القَصَصِ عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما وغيرِه: أنَّ عيسى عليه السَّلامُ وجَّه رسولَين، فلما قَرُبا منَ المدينةِ رأيا شيخًا يرعَى غُنَيمًا له، فسلَّما عليه، فقال الشَّيخُ لهما: مَن أنتُما؟ قالا: رسولا عيسى عليه السَّلامُ ندعوكُم من عبادةِ الأصنامِ إلى عبادةِ الله، قال: أمَعُكما آيةٌ؟ قالا: نعم، نحنُ نشفي المريضَ، ونُبرِئُ الأكمَهَ والأبرَصَ.

فقال الشَّيخُ: إنَّ لي عليلًا، قالا: ومَن هو منك؟ قال: هو ولَدي، قالا: انطلِقْ بنا إلى منزلِكَ نتطَلَّعْ حالَه، فأتى بهما إلى منزلِه، فمَسحا ابنَه فقامَ في الوقتِ بإذنِ الله، ففَشا الخبرُ في البلدةِ، وشفى الله على يدَيهما خلقًا كثيرًا.

وكان لهم ملكٌ يُقالُ له: شلاحِنُ، فأُنهِيَ الخبرُ إليه، فقال لهما: مَن أنتما؟ قالا: رسولا عيسى عليه السَّلامُ، قال: وما آيتُكما؟ قالا: نُبْرِئُ الأكمَهَ والأبرَصَ ونشفي المرضى، قال: وفيم جئتُما؟ قالا: جئنا ندعُوكَ من عبادةِ ما لا يسمعُ ولا يُبصِرُ إلى عبادةِ مَن يسمعُ ويُبصِرُ، فقال شلاحِنُ: ولكُم إلهٌ غيرُ(٢) آلهتِنا؟ قالا: نعَم، مَن خلقَكَ وخلقَ آلهتَكَ؟

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٧٣).

(٢) في (ف): «ولنا إله سوى».

قال: قُوما حتَّى أنظُرَ في أمرِكما. فتبِعَهما النَّاسُ وضربُوهُما، فبعثَ عيسى عليه السَّلامُ رسولًا ثالثًا، وهو شَمْعونُ الصَّفا، واسمُ الشَّيخِ الذي ذهبَ بهما إلى منزلِه حبيبُ بن إسرائيلَ النَّجَّارُ[١].

قال وَهْبٌ: بعَثَ عيسى عليه السَّلامُ يحيى ويونسَ إلى أنطاكِيَّةَ، فأتَيَاها فلم يصِلا إلى ملِكِها، وطالَتْ مُدَّةُ مُقامِهما، فخرَجَ الملكُ ذاتَ يومٍ فكبَّرا وذكَرا الله، فغضِبَ الملكُ وأمرَ بهما؛ فحُبِسا بعد أن جلَدَ كلَّ واحدٍ منهما مئةَ جلدةٍ، فبعثَ عيسى عليه السَّلامُ شَمْعُونَ على أثَرِهما، فدخلَ البلدَ مُتنكِّرًا، فجعل يُعاشِرُ حاشيةَ الملِكِ حتَّى أنِسُوا به وأنِسَ بهم، فرفعُوا خبرَه إلى الملِكِ، فدَعاه ورضيَ عِشْرَتَه وأنِسَ به وأكرَمَه، ثمَّ قال له ذاتَ يومٍ: بلغَني أنَّك حَبَسْتَ رجُلَين وضربْتَهما حين دَعواك إلى غيرِ دينِك، فهل كلَّمتَهما أو سمعتَ قولَـهما؟ فقال الملكُ: حالَ الغضَبُ بيني وبين ذلك.

قال: فإنْ رأى الملكُ دَعاهُما حتَّى نتطَلَّعَ ما عندَهما، فدَعاهُما، فقال لهما شَمْعونُ: مَن أرسلَكُما؟ قالا: اللهُ الذي خلقَ كلَّ شيءٍ وليس له شريكٌ، ثمَّ قال شَمْعونُ: صِفاه، قالا: إنَّه يفعلُ ما يشاءُ، ويحكمُ ما يُريدُ.

قال شَمْعونُ: وما آيتُكما؟ قالا: ما تتمنَّاه، فأمرَ الملِكُ حتَّى جاؤُوا بغلامٍ مطموسِ العينَين، فما زالا يدعُوانِ ربَّهما حتَّى انشقَّ موضعُ البصرِ، فأخذا بُنْدُقَتَيْنِ منَ الطِّينِ فوضَعا في حدَقَتَيه فصارَتا مُقْلتَين يُبصِرُ بهما.

فتعجَّبَ الملكُ، فقال شَمْعُونُ للملكِ: أرأيتَ أن تسأَلَ إلهكَ حتَّى يصنعَ مثلَ هذا، فيكونَ لك الشَّرفُ[٢] ولإلهِكَ؟

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٢٦٠ ـ ٢٦١)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ١١)، ونسباه للعلماء بأخبار الأنبياء.

(٢) في (ف): «الشاهد».

فقالَ له الملكُ: ليس لي عنك سرٌّ؛ إنَّ إلـهَنا الذي نعبدُ[١] لا يُبصِرُ ولا يسمعُ، ولا يضرُّ ولا ينفعُ. فقال الملكُ: إن قدرَ إلهكُما الذي تعبُدانِه على إحياءِ ميِّتٍ آمنَّا به وصدَّقناكُما، قالا: إلـهُنا قادرٌ على كلِّ شيءٍ.

فقال الملكُ: إنَّ هذا ميِّتٌ ماتَ منذ سبعةِ أيَّامٍ وأبوه غائبٌ، ولم ندفِنْه حتَّى يرجعَ أبوه وكان غائبًا، فجاؤوا بالميِّتِ وقد تغيَّرَ واصفرَّ وأرْوَحَ، فجَعَلا يدعُوانِ ربَّهما في العلانيةِ وشَمْعونُ معهما في السِّرِّ، فقامَ الميِّتُ وقال: إنِّي متُّ منذ سبعةِ أيَّامٍ، وَوُجِدْتُ مُشرِكًا فأُدْخِلتُ في سبعةِ أوديةٍ من نارٍ، وأنا أُحذِّرُكم ما أنتم فيه، فآمِنُوا بالله.

ثمَّ قال: فُتِحَتْ أبوابُ السَّماءِ فنظرتُ فرأيتُ شابًّا حسَنًا يشفعُ لهؤلاءِ الثَّلاثةِ، قال الملكُ: ومَن الثَّلاثةُ، قال: شَمْعُونُ وهذانِ، وأشارَ إلى صاحبَيه.

فتعجَّبَ الملكُ، فلمَّا علِمَ شَمْعونُ أنَّ قولَه قد أثَّرَ في الملكِ أخبرَ الملكَ بالحالِ ودَعاه فآمَنَ قومٌ، وكان الملكُ فيمَن آمنَ، وكفرَ آخَرون[٢].

وقيل: كان الملكُ فيمَن كفرَ، وهو قولُه: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾[٣].

* * *

(١) في (ف): «نعبده».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٢٦١ـ ٢٦٣)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ١١ ـ ١٢)، وأبو حفص النسفي في «التيسير في التفسير» عند هذه الآية، وهو مما أخذه وهب من أهل الكتاب.

(٣) ذكره الثعلبيُّ والبغوي عن ابن إسحاق عن كعب ووهب قالا: بل كفر الملك، وأجمع هو وقومه على قتل الرسل، فبلغ ذلك حبيباً وهو على باب المدينة الأقصى، فجاء يسعى إليهم ويذكِّرهم ويدعوهم إلى طاعة المرسلين، فذلك قوله سبحانه: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ﴾.

(١٥) ـ ﴿قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾.

﴿قَالُوا۟﴾؛ أي: أصحابُ القريةِ ﴿مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾؛ أي: لا يَصْلُحُ أن تكونوا رُسلًا كما لا نصلحُ.

﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ﴾: من كتابٍ.

﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾: ما أنتم إلا كَذَبةٌ.

* * *

(١٦ ـ ١٧) ـ ﴿قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ۝١٦ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾.

﴿قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ۝١٦ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ وذكرَ ابنُ مِهْرَبْزُدَ[١] أنَّ الوقفَ على قولِه: ﴿رَبُّنَا يَعْلَمُ﴾ تامٌّ؛ لأنَّهم قالوا: ﴿مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾، وما نرى لكم شيئًا باينتُمُونا به فاستحققْتُم كرامةَ الله بالرِّسالةِ، ألَا نستحقُّه نحنُ أيضًا؟ فقالوا: ربُّنا يعلَمُ ما لأجلِه خصَّنا بالرِّسالةِ دونكم.

قال: وليس قولُه: ﴿إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ في موضعِ مفعولي ﴿يَعْلَمُ﴾، بل مفعولاه محذوفانِ، والتَّقديرُ: ربُّنا يعلمُ ما سألتُمونا عنه[٢].

* * *

(١٨) ـ ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: تشاءَمْنا بكم[٣] حيثُ خالفتُم آباءَكُم وتركتُم معبودَكم، فلا نأمنُ سوءَ عاقبةِ ذلك.

والتَّطيُّرُ: التَّشاؤُمُ بطيرِ الشُّؤْمِ.

---

(١) محمد بن علي بن محمد بن الحسين بن مهربزد أبو مسلم الأصبهاني المعتزلي، تقدمت ترجمته.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٥٧).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٢٥٧).

وقيل: حُبِسَ عنهم المطرُ عامَ أتاهُم الرُّسلُ فنَسبُوا ذلك إليهم.

﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهُواْ﴾؛ أي: عن مقالتِكم هذه ﴿لَنَرْجُمَنَّكُمْ﴾: لنقتُلَنَّكم، وقيل: لنشتُمَنَّكم، ﴿وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

* * *

(١٩) ـ ﴿قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْۚ أَئِن ذُكِّرْتُمۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾.

﴿قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْۚ﴾؛ أي: الشُّؤْمُ كلُّه في عبادةِ الصَّنمِ، وهو معكم.

وقيل: ﴿طَٰٓئِرُكُم﴾: حظُّكم منَ الخيرِ والشرِّ معكم.

وقيل: الطَّائرُ: الأعمالُ والرِّزقُ، والطَّائرُ ما يُتيَمَّنُ به ويُتشاءمُ، والوجهُ الأوَّلُ.

﴿أَئِن ذُكِّرْتُمۚ﴾: وُعِظْتُم ودُعِيتُم إلى الإسلامِ، وجوابُ الشَّرطِ مُضمَرٌ؛ الزَّجَّاجُ: تطيَّرتُم جوابُه(١).

وقيل: ﴿أَئِن ذُكِّرْتُمۚ﴾ قلتُم هذا القولَ.

وقيل: ﴿أَئِن ذُكِّرْتُمۚ﴾ تَوعَّدتُم بالرَّجمِ والعذابِ.

﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾: ظالِمونَ.

* * *

(٢٠) ـ ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ﴾ هو حبيبٌ النَّجَّارُ، وكان يعبدُ الله في جبلٍ، فلمَّا سمعَ خبرَ الرُّسلِ سعى مُستعجِلًا إليهم، فقال: أتسألون على ما جِئتُم به أجرًا؟ قالوا: لا، فأقبلَ على القومِ ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٢٨٢) وفيه: «أي: أئن ذكرتم تطيرتم».

(٢١) ـ ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾.

﴿ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا ﴾ على أداءِ النُّصحِ وتبليغِ الرِّسالةِ ﴿وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾ يعني: الرُّسل.

فقيل له: وأنتَ مُخالفٌ لدينِنا ومُتابعٌ دينَ هؤلاءِ ومُؤمنٌ بإلهِهِم؟ فقال:

***

(٢٢) ـ ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾.

﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي ﴾: خلقَني ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ ومصيرُ الكلِّ إليه.

***

(٢٣ ـ ٢٤) ـ ﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ ۝٢٣ إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴾.

﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ﴾ سواهُ ﴿ءَالِهَةً ﴾ يعني: الأصنامَ ﴿إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا ﴾؛ أي: لا تنفعُني شفاعتُهم ﴿وَلَا يُنقِذُونِ ۝٢٣ إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴾.

***

(٢٥) ـ ﴿ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ﴾.

﴿ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ﴾: اشهَدوا عليَّ، خاطبَ بذلك الرُّسلَ.

وقيل: خاطبَ به القومَ، فلمَّا سمِعُوا منه هذا الكلامَ وَثَبوا عليه فقتَلوه.

وقيل: رجَمُوه، وكان يقولُ: اللَّهمَّ اهدِ قومي.

وقيل: عَلَّقوه في سوقِ المدينةِ، وقبرُه في سوقِ أنطاكِيَّةَ.

وقيل: وَطِئوه بأقدامِهم حتَّى قتلوه، فأوجَبَ الله له الجنّةَ وأدخلَه فيها، وهو قولُه:

* * *

(٢٦ ـ ٢٧) ـ ﴿قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾.

﴿قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ﴾ قال الحسنُ: لمَّا أرادَ القومُ أن يقتُلوه رفعَه الله إليه، فهو في الجنّةِ، ولا يموتُ إلا بفَناءِ السَّماواتِ(١).

فلمَّا دخلَ الجنَّةَ ورأى نعيمَها ذكرَ قومَه ﴿قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ فيرغَبُوا في الإسلامِ وإجابةِ الرُّسلِ.

وقولُه: ﴿بِمَا غَفَرَ لِي﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: أنَّ (ما) للمصدرِ؛ أي: بمغفرةِ ربِّي(٢).

والثّاني: بمعنى: الذي؛ أي: بالذي غفَرَ لي ربِّي بسببِه وجعلَني منَ المُكرَمين.

---

(١) ذكره عن الحسن القشيري كما قال القرطبي في «تفسيره» (١٥/ ١٩)، وتعقبه الآلوسي في «روح المعاني» (٢٢/ ٢٢٨) بقوله: «والجمهور على أنه قتل».

وفي هامش (ف) تعقُّبٌ من وجه آخر حيث جاء فيه: «قوله: إلا بفناء السماوات، ليس كما ينبغي؛ لأنه إذا دخل الجنة كيف يموت؟ إذ ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ وإن أراد بدخول الجنة أنه حي عند ربه كما قال: ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ فما فائدة التخصيص بحبيب النجار؟ بل كل من مات في سبيل الله تعالى فهو حيٌّ كما قال: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٩] اللهم إلا أن يعني: أن الحبيب ما مات في الدنيا ينبغي أن يموت في الجنة؛ لأن الموتة الأولى هو الموت في الدنيا، وقد قال الله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾».

(٢) ضعَّف المصنف هذا القول في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٥٧).

وقيل: بأيِّ شيءٍ غفرَ لي؟ وكان القياسُ على هذا القولِ: بِمَ[١].

الحسنُ: هو بمعنى: أيّ شيءٍ، ولا استفهامَ فيه[٢].

***

(٢٨) ـ ﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾.

﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ﴾: قومِ حبيبٍ ﴿مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾: بعد قتلِه.

الحسنُ: بعد رفعِه[٣].

﴿مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ لنُصرةِ الرُّسلِ؛ أي: لم نحْتَجْ في إهلاكِهم إلى إرسالِ جندٍ.

﴿وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾ قيل: تكرارٌ، وقيل: ﴿مَا﴾ بمعنى: الذي، والتَّقديرُ: من جندٍ، ومما كُنَّا مُنزِلين على مَن قبلَهم من حجارةٍ وريحٍ وأمطارٍ شديدةٍ.

***

(٢٩) ـ ﴿إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ﴾.

﴿إِن كَانَتۡ﴾ ما كانَتْ عقوبتُهم ﴿إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ صاحَ بهم جبريلُ صيحةً واحدةً فماتوا عن آخرِهم ﴿فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ﴾ ميِّتون.

***

---

(١) يعني: لأن (ما) على هذا القول استفهام ـ كما صرح المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٥٨) ـ فيحذف الألف كقوله: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾، وعدَّ المصنف هذا القول من العجائب.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٥٨)، وعده من العجائب.

(٣) تقدم قريباً.

(٣٠) - ﴿يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾.

﴿يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: أنَّه من كلامِ حبيبٍ.

والثّاني: من كلامِ القومِ، تحسَّروا على قتلِهم الأنبياءَ حين عايَنُوا العذابَ، وآمنوا، وقالوا: ﴿يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِ﴾؛ يعنونَ: الرُّسلَ، فلم ينفَعْهم إيمانُهم.

الثّالثُ: من كلامِ الله[1]؛ يعني: يا لـها حسرةً؛ أي: يتحسَّرُ بعضُهم على بعضٍ، أو يتحسَّرُ عليهم، أو حَلُّوا محلَّ مَن يُتحسَّرُ عليهم.

والحَسْرةُ: النَّدامةُ[2] على فائتٍ لا يُمكِنُ تلافيهِ.

الزَّجَّاجُ: الحسرةُ: أن يركبَ الإنسانَ من شدَّةِ النَّدمِ ما لا نهايةَ بعدَه، حتَّى يبقى قلبُه حسيرًا[3].

وقيل: استِهزاؤُهم بالرُّسلِ حسرةٌ لهم.

وقيل: تمَّ الكلامُ على ﴿ٱلۡعِبَادِ﴾، ثمَّ استأنفَ فقال: ﴿مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾.

***

(٣١) - ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ أَنَّهُمۡ إِلَيۡهِمۡ لَا يَرۡجِعُونَ﴾.

﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ﴾ يعني: أهلَ مكَّةَ ﴿كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ أَنَّهُمۡ إِلَيۡهِمۡ لَا يَرۡجِعُونَ﴾؛ أي: لم يعتَبِروا بمَن هلَكَ قبلَهم فيُؤمِنُوا مخافةَ أن ينزلَ بهم مثلُ ما نزلَ بمَن قبلَهم.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٥٨)، واستغربه.

(٢) في (ف): «الندم».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٢٨٥).

و﴿كَمْ﴾ نصبٌ بـ﴿أَهْلَكْنَا﴾، والجملةُ في تقديرِ النَّصبِ بـ﴿يَرَوْا﴾، و﴿يَرَوْا﴾ مُعلَّقٌ، و﴿أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ بدلٌ منَ الجملةِ، ولهذا فُتِحَ.

وأجازَ الفرَّاءُ أن يُنصَبَ ﴿كَمْ﴾ بـ﴿يَرَوْا﴾[1].

وأجازَ المُبرِّدُ: بأنَّهم لا يرجِعون، فحُذِفَ الجارُّ[2].

* * *

(٣٢) ـ ﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾.

﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾؛ أي: نجمعُهم للحسابِ والجزاءِ على الأعمالِ.

مَن خَفَّفَ جعلَ (إنْ) هي المُخفَّفةَ منَ المُثقَّلةِ، واللَّامُ هي التي تلزمُه، و﴿ما﴾ صلةٌ. ومَن شدَّدَ[3] جعلَ (إنْ) هي النَّافيةَ، و﴿لَّمَّا﴾ بمعنى: إلَّا. وأجازَ الفرَّاءُ (لَمِنْ ما) ثمَّ أُدغِمَت النُّونُ في الميمِ، وحُذِفَتْ إحدى الميماتِ[4].

* * *

(٣٣) ـ ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾.

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ﴾: اليابسةُ ﴿أَحْيَيْنَاهَا﴾ بالمطرِ ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا﴾: جنسَ الحبوبِ، ﴿فَمِنْهُ﴾: منَ الحبِّ ﴿يَأْكُلُونَ﴾.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٧٦)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٥٩)، وعده من العجائب.

(٢) ذكره مكي بن أبي طالب في «الهداية» (٩/ ٦٠٢٨)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٥٩)، واستغربه.

(٣) هم عاصم وابن عامر وحمزة، شدَّدوا الميم من (لمَّا)، وقرأ الباقون بتخفيفها. انظر: «التيسير» (ص: ١٢٦)، و«الكامل» للهذلي (ص: ٥٧٤)، وجاء في (ف) زيادة: «إن».

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٧٧).

و﴿ وَءَايَةٌ ﴾ رفعٌ بالابتداءِ، ﴿لَّهُمُ﴾ خبرُه.

ويجوزُ أن ترتفعَ بالابتداءِ، ﴿لَّهُمُ﴾ صفتُها، ﴿ٱلْأَرْضُ﴾ خبرُها.

ويجوزُ أن ترتفعَ ﴿ٱلْأَرْضُ﴾ بالابتداءِ، و﴿آيَةٌ لَّهُم﴾ الخبرُ تقدَّمَ لتعدادِ الآياتِ.

* * *

(٣٤) - ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴾.

﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا ﴾: في الأرضِ ﴿جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ﴾ اسمٌ للجمعِ، كعَبيدٍ وكَليبٍ ﴿وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا﴾: أجرَيْنا ﴿فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ﴾.

* * *

(٣٥) - ﴿ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾.

﴿ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ ﴾ قيل: ثمرِ الماءِ؛ لأنَّ الماء أصلُ الجميعِ.

وقيل: ثمرِ ما ذكَرْنا.

وقيل: ثمرِ ذلك.

ويحتمِلُ: ثمرِ كلِّ واحدةٍ منها(١).

﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾؛ أي: لـم تعمَلْه أيديهم بل أبدَعْناه، ومَن حذفَ الهاء(٢) جعلَ ﴿ما﴾ موصولةً، وله وجهانِ:

أحدُهما: أن يكونَ عطفًا على الثَّمرِ؛ أي: ومـمَّا عمِلَتْ أيديهم منَ الغرسِ والحرثِ والطَّبيخِ والحلاوى، وما يُصنعُ بالأيدي منَ المطاعمِ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٥٩)، واستغربه.

(٢) قرأ بها حمزة والكسائي وشعبة. انظر: «السبعة» (ص: ٥٤٠)، و«التيسير» (ص: ١٨٤).

والثّاني: عطفٌ على ﴿ٱلْأَرْضُ﴾؛ أي: وآيةٌ لهم ما عمِلَتْ أيديهم.

وقيل: ﴿ما﴾ للمصدرِ، وفيه ضَعفٌ.

﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ استفهامٌ بمعنى الأمرِ؛ أي: اشكُروا نعَمِي.

* * *

(٣٦) ـ ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا﴾: الأجناسَ والأنواعَ.

﴿مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ﴾: الحبوبُ والثِّمارُ والحشيشُ والأشجارُ.

﴿وَمِنْ أَنفُسِهِمْ﴾: الذَّكرُ والأُنثى.

﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ فإنَّ في البرِّ والبحرِ أشياءَ لا يعلمُها النّاسُ.

* * *

(٣٧) ـ ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾.

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ﴾ السَّلْخُ يُستعملُ على وجهَينِ:

أحدُهما: بمعنى: الإخراجِ، تقولُ: سَلَخْتُ الشَّاةَ منَ الإهابِ، والشَّاةُ مسلوخةٌ، وتقديرُ الآيةِ على هذا: أخرَجْنا النَّهارَ منَ اللَّيلِ إخراجًا لـم يبقَ معه شيءٌ منه.

وقيل: أخرَجْنا الشَّمسَ منه(١).

والثّاني: سَلَخْتُ الإهابَ عنَ(٢) الشّاةِ؛ أي: نزعتُه عنها، وسَلَخَتِ المرأةُ جِلبابَها:

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٦٠)، واستغربه.

(٢) في (ن): «من».

نزَعَتْه، فيكونُ تقديرُ الآيةِ على هذا: سَلَخْنَا الضَّوءَ الذي هو شعاعُ الشَّمسِ ـ وكانَ كاللِّباسِ للهواءِ ـ منَ الهواءِ فصارَ ليلًا كما يُنزَعُ اللِّباسُ منَ الشَّيءِ.

﴿فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾: داخِلون في الظَّلامِ.

* * *

(٣٨) ـ ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾.

﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾؛ أي: وآيةٌ لهم الشَّمسُ؛ ﴿تَجْرِي﴾ حالٌ منها، وفي المُستقرِّ ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: لانتهاءِ أمرِها عندَ انقضاءِ الدُّنيا.

والثّاني: مُستقرُّها تحتَ العرشِ، وقد جاء مرفوعًا(١)، وهي إذا بلغَتْ كبدَ السَّماءِ ووسطَ الفلَكِ نصفَ النَّهارِ صارَتْ كأنَّ لها استقرارًا، والعربُ تقولُ: إنَّ لها هناك وقفةً مّا وإبطاءً عن الزَّوالِ، قال الشّاعرُ:

والشَّمسُ حيرى لها بالجوِّ تدويمُ(٢)

والثّالثُ: ما قالَه ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّ الشَّمسَ تطلُعُ في كلِّ سنةٍ من ثلاثِ مئةٍ وستِّينَ كُوَّةً، كلَّ يومٍ من كُوَّةٍ لا تعودُ إلى تلك الكُوَّةِ إلى ذلك

---

(١) رواه البخاري (٤٨٠٣)، ومسلم (١٥٩)، من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٢) عجز بيت لذي الرمة يصف جندباً، وهو في «ديوانه» (١/ ٤١٨)، و«العين» (٨/ ٨٧)، و«الشعر والشعراء» (٢/ ٧٨٩). وصدره:

مُعْرَوْرِياً رَمَضَ الرَّضْراضِ يَرْكُضُهُ

والمعنى: الجندبُ باشر الرمضاء لا شيء بينه وبينها يستره، وهو يضرب برجله الحصى الصغار الذي سخنته الرمضاء، والشمس كأنها متحيرة، وهي تدور فوق رأسه، لا تكاد تزول.

اليـومِ من العـامِ المُقبلِ، فـلا تطلعُ إلَّا كارهـةً لمعاصي بنـي آدمَ(١).

وزاد الحسنُ البصريُّ لهذا بيانًا فقال: إنَّ للشَّمسِ ثلاثَ مئةٍ وستينَ مطلعًا، تنزلُ كلَّ يومٍ في مطلعٍ منها، ثمَّ لا تنزلُه إلى الحولِ(٢).

فالاستقرارُ على هذا: ثباتُها في منازلِـها غيرَ مُتحوِّلةٍ عنها فهي مُستقرُّها(٣)، وإنْ كانت جاريةً فيها غيرَ ساكنةٍ، وعن ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه: (لا مُستَقَرَّ لها)(٤).

* * *

(٣٩) ـ ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَـٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴾.

﴿والقمر﴾(٥)؛ أي: وآيةٌ لهم القمرُ، ويرتـفعُ بالابتداءِ أيضًـا و﴿قَدَّرْنَـٰهُ﴾ خبرُه، ومَن نَصَبَ فبفعلٍ مُضمَرٍ تقديرُه: وقدَّرْنا القمرَ.

﴿قَدَّرْنَـٰهُ مَنَازِلَ﴾ فيها ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: جعَلْنا نفسَ القمرِ منازلَ؛ يزيدُ وينقصُ بخلافِ الشَّمسِ(٦).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٨٣).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٨٣) عن ابن عباس أيضاً، ولم أجده عن الحسن.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٦٠)، واستغربه.

(٤) ذكرها الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٢٧٦)، ونسبت أيضًا لابن عباس وعكرمة وعطاء بن أبي رباح وأبي جعفر محمد بن علي وأبي عبد الله جعفر بن محمد وعلي بن الحسين. انظر: «تفسير يحيى بن سلام» (٢/ ٨٠٨)، و«فضائل القرآن» لأبي عبيد (ص: ٣١٠)، و«معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٢٨٧)، و«معاني القرآن» للنحاس (٥/ ٤٩٣)، و«المحتسب» (٢/ ٢١٢).

(٥) ضبط في (ن) و(ف) بفتح الراء، وقد قرأ بها عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي، ولكن السياق يقتضي قراءة الرفع، وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو. انظر: «السبعة» (ص: ٥٤٠)، و«التيسير» (ص: ١٨٤).

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٦٠)، واستغربه.

والثّاني: قدَّرْنا سيرَه منازلَ، فيكونُ ظرفًا[١].

والثّالث: قدَّرْنا له منازلَ، فحُذِفَ الجارُّ.

ومنازلُ القمرِ ثمانيةٌ وعشرون منزلًا: الشَّرَطَان، البُطَيْنُ، الثُّرَيَّا، الدَّبَرانُ، الهَقْعةُ، الهَنْعةُ، الذِّرَاعُ، النَّثْرةُ، الطَّرْفُ، الجَبْهةُ، الزُّبْرةُ بضمِّ الزّاي، الصَّرفةُ، العَوَّى بفتحِ العينِ مقصورةً، وقد جاء ممدودةً في ضرورةِ الشِّعرِ، السِّماكُ، الغَفْرُ، الزُّبَانَى، وقد يُثنَّى فيُقالُ: الزُّبَانيَانِ، الإكْليلُ، القَلْبُ، الشَّوْلةُ، النَّعَائمُ، البَلْدةُ، سعدُ الذَّابِحِ، سعدُ السُّعودِ، سعدُ بُلَعَ، سعدُ الأَخْبِيةِ، فَرْغُ الدَّلْوِ المُقدَّمُ، فَرْغُ الدَّلْوِ المُؤخَّرُ، بطنُ الحوتِ، وهو الرِّشاءُ[٢].

﴿حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ﴾: هـو عُودُ الشِّمْرَاخِ إذا يبِسَ واعْوَجَّ يُشبهُ الهلالَ، ووزنُه (فُعْلُون) منَ الانعِراجِ، قاله الزَّجَّاجُ[٣].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٦٠)، وعده من العجائب.

(٢) انظر في تفسير هذه المنازل: «الأزمنة وتلبية الجاهلية» لقطرب (ص: ٢٣)، والرِّشاءُ: كواكبُ كثيرةٌ صِغار على صورة السمكة، يقال لها: بطن الحوت، وفي سُرَّتِها كوكبٌ نيِّرٌ يَنزله القمر. انظر: «الصحاح» مادة: (ر ش ا).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٢٨٨). ووقع في مطبوعه: «فعلول»، وكذا نقله عنه المرزوقي في «الأزمنة والأمكنة» (ص: ٢٢)، والواحدي في «البسيط» (١٨/ ٤٨٥).

وكون وزنه «فعلون» بالنون من الانعراج نقله عن الزجاج الزمخشري في «الكشاف» (٤/ ١٧)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٥٢٤)، والقرطبي في «تفسيره» (١٥/ ٣٠)، وأبو حيان في «البحر» (٩/ ٤٧)، والسمين الحلبي في «الدر المصون» (٩/ ٢٧١)، والنيسابوري في «تفسيره» (٥/ ٥٣٣)، والآلوسي في «روح المعاني» (٢٢/ ٣٤٦)، وهو الصواب على أنه من «عرج» والنون زائدة، كما ذكر الآلوسي حيث قال: «ونونه ـ على ما حكي عن الزجاج ـ زائدة، فوزنه (فعلون) من الانعراج وهو الاعوجاج والانعطاف».

وليس له في الكلامِ نظيرٌ، ويجوزُ أن يكونَ فُعلولًا من قولِ رُؤبةَ:

فِي خِـــدْرِ مَيَّـــاسِ الدُّمـــى مُعَرْجَـــنِ[١]

المُعَرْجَنُ: المُصوَّرُ بصورِ العُرجونِ.

الأزهريُّ: العُرْجونُ نبتٌ مثلُ الذُّؤنونِ[٢].

وأوَّلُ القصيدةِ:

يـــا أيُّهـــا الـــكاسِرُ عَـــيْنَ الأغْضُـــنِ[٣]

و﴿ٱلۡقَدِيمِ﴾: العتيقُ.

وقيل: هو الذي أتى عليه الحولُ.

* * *

(٤٠) ـ ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلࣱّ فِي فَلَكࣲ يَسۡبَحُونَ﴾.

﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ﴾ ابـــنُ عيســـى: ﴿لَا

---

(١) الرجـز لرؤبـة، وهـو فـي «ديوانـه» (ص: ١٦١)، و«تهذيـب اللغـة» (٣/ ٢٠٥)، و«الخصائـص» (١/ ٣٦٠). وقبلـه:

أو ذكـــرُ ذاتِ الرَّبَـــذِ المُعَهَّـــنِ

(٢) لم أجده عن الأزهري بهذا اللفظ، ولكن أثبت الأزهري أن العرجون من الكمأة، والذنون كذلك. انظر: «تهذيب اللغة» (٣/ ٢٠٥)، و«المخصص» (٣/ ٢٨٣)، و«اللسان» (٧/ ٢٣٥)، وفي «مجالس ثعلب» (ص: ٩٨): «والعرجون أبيض مثل الذؤنون والذآنين، تأكله الإبل وتنشط بألبانها الرجال». وفي «اللسان» مادة: (ذ أ ن): «الذُّؤْنُونُ والعُرْجُون والطُّرْثُوث مِن جنسٍ: وهو ممَّا يَنْبُتُ في الشتاء، فإذا سَخنَ النهارُ فَسَد وذَهب».

(٣) انظر: «ديوان رؤبة» (ص: ١٦٠).

﴿ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ﴾ فـي سـرعةِ سـيرِه[١].

وقال أيضًا: و﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ﴾ حتَّى يكونَ نُقصانُ ضوئِها كنُقصانِه، ﴿وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ﴾، وكلٌّ على مقاديرَ قدَّرَها الله.

الزَّجَّاجُ: لا يذهبُ أحدُهما بمعنى الآخرِ[٢]، ورضيَه المُحقِّقون.

وقيل: لا يُدْرِكُ أحدُهما ضوءَ الآخرِ.

﴿وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ﴾؛ أي: مـمّا يتعاقبانِ، ولا يسبقُ أحدُهما الآخرَ فيفوتَه.

ويحتمِلُ: ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ﴾ لاختلافِ مكانَيهما؛ لأنَّ[٣] القمرَ في السَّماءِ الدُّنيا والشَّمسَ في السَّماءِ الرّابعةِ، ﴿وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ﴾ لاختلافِ زمانَيهما[٤]؛ فإنَّ زمانَ النَّهارِ وقتُ طُلوعِ الشَّمسِ وزمانَ اللَّيلِ وقتُ[٥] غيبتِها، والله أعلمُ.

ويحتمِلُ أيضًا: أنَّ المعنى: لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر، ولا القمرُ ينبغي له أن يُدرِكَ الشَّمسَ، فكنَّى عن القمرِ باللَّيلِ وعن الشَّمسِ بالنَّهارِ، والله أعلمُ[٦].

﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ﴾؛ أي: الشَّمسُ والقمرُ والكواكبُ ﴿يَسۡبَحُونَ﴾: يسيرون فيه بانبساطٍ، وكلُّ شيءٍ[٧] انبسطَ في شيءٍ فقد سبحَ فيه.

---

(١) ذكره ابن فورك في «تفسيره» (٢/ ١٩٢) بلا نسبة

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٢٨٨).

(٣) في (ف): «فإن».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٦١)، واستغربه.

(٥) في (ف): «زمان».

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٦١)، واستغربه.

(٧) في (ف): «من».

(٤١) ـ ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾.

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا﴾: رَفعْنا، والحَمْلُ: مَنْعُ الشَّيءِ أن يصيرَ إلى جهةِ السُّفْلِ.

وقيل: قوَّيناهُم على اتِّخاذِ ذلك وهدَيناهم إليه.

﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ قُرِئَ بالتَّوحيدِ والجمعِ[1]، وفيها هاهنا ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: الأبناءُ؛ لأنَّهم كانوا يترفَّهون ويَبعثون بأبنائِهم إلى التِّجاراتِ برًّا وبحرًا.

الثَّاني: آباؤُهم؛ يعني: النَّاجينَ من قومِ نوحٍ، و(الذُّرِّيةُ) على هذا منَ الأضدادِ.

الثَّالثُ: هم أنفسُهم، والتَّقديرُ: حملنا ذُرِّيَّتَهم بحَمْلِنا آباءَهم؛ لأنَّ الذُّرِّيَّةَ في ظُهورِهم.

﴿فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ الفُلْكُ هو سفينةُ نوحٍ عليه السَّلامُ فيمَن جعلَ الذُّرِّيةَ الآباءَ، ومَن جعلَ الذُّرِّيةَ الأبناءَ فالفُلْكُ عامٌّ، ومَن جعلَ ذُرِّيَّتَهم أنفُسَهم فالفُلْكُ محمولٌ على الوجهَين معًا[2].

و(المشحونُ): المملوءُ، وقد سبقَ.

* * *

(٤٢ ـ ٤٣) ـ ﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ﴾.

﴿وَخَلَقْنَا لَهُم﴾: لأهلِ مكَّةَ وغيرِهم ﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾: مِثْلِ الفُلْكِ ﴿مَا يَرْكَبُونَ﴾ يعني: ما اتَّخذوه على مثالِ سفينةِ نوحٍ عليه السَّلامُ.

---

(١) قرأ نافع وابن عامر بالجمع وكسر التاء، والباقون بالتوحيد وفتح التاء. انظر: «السبعة» (ص: ٥٤٠)، و«التيسير» (ص: ١٨٤).

(٢) في (ف): «ومن جعل الذرية هم أنفسهم فمحتمل الفلك الوجهين معًا».

قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أرادَ به الإبلَ، وأنَّ الإبلَ سُفُنُ البرِّ[1].

وقيل: الفَرَسُ والبَغْلُ، وسائرُ ما يُركَبُ منَ الدَّوابِّ. وفيه أدنى ضعفٍ؛ لقولِه: ﴿وَإِن نَّشَأۡ نُغۡرِقۡهُمۡ﴾؛ أي: في البحرِ.

﴿فَلَا صَرِيخَ لَهُمۡ﴾ هناك؛ أي: لا مُغيثَ، وقيل: لا مُستَغيثَ.

والصَّريخ والصَّارِخُ: المُغيثُ. والصَّرِيخُ والصَّارِخُ: المُستغيثُ.

ثمَّ استأنفَ فقال: ﴿وَلَا هُمۡ يُنقَذُونَ﴾؛ أي: لا يُنْقِذُهم ولا يُنْجِيهم أحدٌ سِوَانا.

***

(٤٤) ـ ﴿إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ﴾.

﴿إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ﴾؛ أي: إلّا أن نرحمَهم ونُمتِّعَهم إلى انقضاءِ آجالِهم، فهما منصوبانِ على المفعولِ له.

***

(٤٥ ـ ٤٦) ـ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُواْ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيكُمۡ وَمَا خَلۡفَكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ۝٤٥ وَمَا تَأۡتِيهِم مِّنۡ ءَايَةٖ مِّنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِمۡ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُواْ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيكُمۡ﴾؛ أي: مثلَ ما نزلَ بمَن قبلَكم منَ العذابِ ﴿وَمَا خَلۡفَكُمۡ﴾: عذابَ الآخرةِ.

وقيل: ﴿مَا بَيۡنَ أَيۡدِيكُمۡ﴾: أمرَ الدُّنيا ﴿وَمَا خَلۡفَكُمۡ﴾: أمرَ الآخرةِ.

وقيل: ﴿مَا بَيۡنَ أَيۡدِيكُمۡ﴾: الآخرةَ ﴿وَمَا خَلۡفَكُمۡ﴾: الدُّنيا.

﴿لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾: وأحسِنُوا العملَ لعلَّكم تُرحَمون.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٤٤٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣١٩٧)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٦٢)، واستغربه.

وقيل: تحرَّزوا عن ذُنوبِكم التي بينَ أيديكم بالتَّوبةِ، وما خلفَكُم بالاجتنابِ عنه.

وجوابُ ﴿إِذَا﴾ مُضمَرٌ؛ أي: أعرَضُوا، وجاز حذفُه لأنَّ قولَه:

﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ يدلُّ عليه و﴿مِّنْ﴾ الأولى لتحقيقِ النَّفي، والثّانيةُ للتَّبعيضِ.

* * *

(٤٧) ـ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾: لمُشركي مكّةَ: ﴿أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾: تَصدَّقوا على الفقراءِ.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ﴾ قالوها استهزاءً؛ أي: لا نُطعِمُهم ولا نُعطيهم، ولم يعرِفُوا أنَّ الله أمرَهم بذلك تعبُّدًا وامتحانًا للعبادِ.

﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: من تمامِ كلامِهم لمَن أمرَهم بالإنفاقِ.

وقيل: جوابٌ منَ الله لهم.

وقيل: أمْرٌ للمؤمنين؛ أي: قولوا لهم: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

* * *

(٤٨) ـ ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ يعنُونَ: وَعْدَ البعثِ.

وقيل: إنَّما ذُكِرَ بلفظِ الوعدِ دون الوعيدِ لأنَّهم زعَموا أنَّ لهم الحسنى عند الله إنْ كانَ الوعدُ حقًّا.

* * *

(٤٩) ـ ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾.

﴿مَا يَنظُرُونَ﴾؛ أي: ما ينتَظِرون ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾: هي النَّفخةُ الأولى، والنَّفخاتُ ثلاثٌ: نفخةُ الفزَعِ، ونفخةُ الصَّعْقِ، ونفخةُ البعثِ.

﴿تَأْخُذُهُمْ﴾: تلحقُهم لحوقَ المُنتظِرِ، وإن لم يكونوا ينتظِرونَه.

﴿وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾: يختَصِمون؛ يُخاصِمُ بعضُهم بعضًا، قيل: في تلك السَّاعةِ.

وقيل: يختَصِمون الآنَ في دَفعِ البعثِ والنشور ويُنكِرون.

وقيل: يعتَقِدون أنَّ لهم الغلبةَ في الخصامِ.

* * *

(٥٠) ـ ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾.

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾؛ أي: لا يقدِرون على أن يُوصيَ بعضُهم بعضًا، ولا إلى منازِلهم يرجِعون، بل يموتون حيثُ يسمعون.

* * *

(٥١) ـ ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾.

﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾ هي النَّفخةُ الثَّالثةُ، والصُّورُ: صُورُ إسرافيلَ ينفُخُ فيه، وهو قَرنٌ فيه أرواحُ الموتى.

وذهب أبو عبيدةَ إلى أنَّه جمعُ صورةٍ[١]، كصُوْفةٍ وصُوفٍ؛ أي: يُنفَخُ في الأجسامِ فيحيَونَ.

﴿فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾: جمعُ جَدَثٍ وجَدَفٍ، وهو: القبرُ، وأجمعوا على الثّاءِ في الجمعِ.

﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾: يُسرِعُون، ونَسَلَ: خرجَ من مَضيقٍ.

***

(٥٢) ـ ﴿قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾.

﴿قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾؛ أي: قُبورِنا، وفي تسميتِه مَرْقدًا ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: أنَّ العذابَ يُخفَّفُ عنهم أربعينَ سنةً بينَ النَّفختَين.

والثّاني: من عِظَمِ ما صاروا إليه عَدُّوا ما كانوا فيه منَ العذابِ رُقودًا.

والثّالثُ: كانوا في الدُّنيا مختلِطةً عقولُهم، فبُعِثوا كذلك، فظَنُّوا أنَّهم كانوا نيامًا.

وقولُه: ﴿هَٰذَا﴾ يجوزُ أن يكونَ من صفةِ ﴿مَّرْقَدِنَا﴾.

﴿مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ مبتدأٌ، وخبرُه مُضمَرٌ؛ أي: حقٌّ.

وقيل: تقديرُه: بَعثُكم ما وعدَ الرَّحمنُ، فيكونُ جوابًا منَ الملائكةِ[٢].

ويجوزُ أن يكونَ ﴿هَٰذَا﴾ مبتدأٌ، وما بعده خبرُه، وهو الأحسنُ، واختُلِفَ في قائليه:

فقال بعضُهم: هذا أيضًا من كلامِ الكفَّارِ؛ أي: يُؤمِنون يومَئذٍ فلا ينفَعُهم إيمانُهم.

وقال بعضُهم: يقولُ لهم الملائكةُ كما سبق.

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ١٩٦)، و«معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٢٩٠).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٦٣)، واستغربه.

وقال بعضُهم: يقولُ لهم المؤمنون؛ يُجيبون به الكفَّارَ.

* * *

(٥٣) ـ ﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾.

﴿ إِن كَانَتْ ﴾: ما كانَتْ؛ أي: الفِعْلَةُ ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ وهي: النَّفخةُ الأخيرةُ ﴿فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾.

* * *

(٥٤) ـ ﴿ فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾.

﴿ فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ يجوزُ أن يكونَ ﴿مَا﴾ مفعولًا، ويجوز أن يكونَ التَّقديرُ: بما، فحُذِفَ الجارُّ.

* * *

(٥٥) ـ ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ﴾.

﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ﴾: في التَّلذُّذِ بنعيمِ الجنَّةِ.

وعن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما في جماعةٍ: هو افتِضاضُ الأبكارِ(١).

وعن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «إنَّ أهلَ الجنَّةِ كلَّما جامَعوا نساءَهُم عُدْنَ أبكارًا»(٢).

وقيل: في شُغُلٍ عمَّا فيه أهلُ النّارِ.

---

(١) رواه ابن وهب في «جامعه ـ التفسير» (٢/ ٢٢)، والطبري في «تفسيره» (١٩/ ٤٦٠).

(٢) رواه البزار كما في «كشف الأستار» (٤/ ١٩٩)، والطبراني في «المعجم الصغير» (٢٤٩)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٥٨٣)، والثعلبي في «تفسيره» (٨/ ١٣١)، وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٣٦٥)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٤١٧): «رواه البزار والطبراني في الصغير، وفيه معلى بن عبد الرحمن الواسطي، وهو كذاب».

وقيل: في السَّماعِ.

وقيل: في ضيافةِ الله.

وقيل: في زيارةِ بعضِهم بعضًا.

﴿فَٰكِهُونَ﴾ و﴿فكِهون﴾[1] لغتانِ.

وقيل[2]: الفاكِهُ: كثيرُ الفاكهةِ، كاللَّابنِ والتَّامرِ. والفَكِهُ: الذي يتناوَلُ الفاكهةَ أو الطَّعامَ وغيرَه.

وقيل: ﴿فكِهون﴾: فَرِحُون، و﴿فَٰكِهُونَ﴾: مُعْجَبون.

***

(٥٦) ـ ﴿هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ﴾.

﴿هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ﴾: حلائلُهم ﴿فِى ظِلَٰلٍ﴾: جمعُ ظُلَّةٍ، وهي[3]: ما سترَكَ عن الشَّمسِ.

و﴿ظِلَٰلٍ﴾ يجوزُ أن يكون جمعَ ظُلَلٍ كحُلَّةٍ وحُلَلٍ وحِلالٍ، ويجوزُ أن يكونَ جمعَ ظِلٍّ، وهو: الموضعُ الذي لا تقعُ عليه الشَّمسُ.

﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ﴾: جمعُ أريكةٍ، وهي: السُّرُرُ في الحِجالِ.

ابنُ عيسى: هي الوسائدُ[4].

وقيل: الفُرُشُ.

---

(١) قرأ بكسر الكاف أبو جعفر، و﴿فَٰكِهُونَ﴾ قراءة باقي العشرة. انظر: «النشر» (٢/ ٣٥٣).

(٢) في (ف): «ويقال».

(٣) في (ف): «هو».

(٤) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٨/ ٥٣٠) عن أبي عوسجة.

(٥٧) ـ ﴿ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴾.

﴿ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴾: يفتعِلونَ منَ الدُّعاءِ؛ أي: لهم فيها ما يَدْعُونَ الله بـه.

وقيل: ﴿مَّا يَدَّعُونَ ﴾: ما يتمَنَّونَ.

وقيل: مَن ادَّعى في الجنَّةِ شيئًا فهو له؛ لأنَّهم لا يدَّعُونَ إلا ما يَحسُنُ، وليس ثَمَّ خُصومةٌ ولا مُنازَعةٌ(١).

ويحتمِلُ: وللمؤمنين في الجنَّةِ ما يدَّعون في الدُّنيا منَ الثَّوابِ والدَّرجاتِ فيها ويُنكِرُه الكافرونَ.

* * *

(٥٨) ـ ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾.

﴿ سَلَٰمٌ ﴾؛ أي: لهم ما يدَّعونَ سلامٌ خالصٌ لهم، وتمَّ الكلامُ، ثمَّ قال: ﴿قَوْلًا ﴾؛ أي: أقولُ قولًا.

وقيل: تقديرُه: لهم ما يدَّعون، ولهم مع ذلك سلامٌ.

وقيل: ﴿ سَلَٰمٌ ﴾ بدلٌ من ﴿مَّا يَدَّعُونَ ﴾، ونُصِبَ ﴿قَوْلًا ﴾ على المصدرِ؛ أي: لهم سلامٌ يقولُه الله قولًا.

وقيل: لهم سلامةٌ منَ النَّارِ.

وقيل: تُحيِّيهم الملائكةُ بالسَّلامِ.

وقيل: ﴿قَوْلًا ﴾ نصبٌ على تقديرِ: ولهم ما يدَّعونَ قولًا ﴿مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾؛ أي: عِدَةً منَ الله.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٦٣)، واستغربه.

(٥٩) ـ ﴿وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾.

﴿وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ السُّدِّيُّ: كونوا على حِدَةٍ[1].

قتادةُ: اعتَزِلوا عن كلِّ خيرٍ[2].

وقيل: تميَّزوا عن المُؤمنين.

وقيل: معناه: ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾.

الضَّحَّاكُ: لكلِّ كافرٍ في النَّارِ بيتٌ يدخلُ فيه، ويُردَمُ بابُه بالنَّارِ ـ أي: يُسكَنُ ـ فيكونُ فيه أبدَ الآبِدين، لا يَرى ولا يُرى[3]، نعوذُ بالله منَ النَّارِ.

***

(٦٠ ـ ٦١) ـ ﴿أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ۝٦٠ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ﴾.

﴿أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ۝٦٠ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِي﴾ يقولُ لهم يومَ القيامةِ.

والمُرادُ بالعهدِ: ما عُهِدَ إليهم في قولِه: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

وقيل: ألـم أعهَدْ إليكم بإرسالِ الرُّسلِ وإنزالِ الكتُبِ، والمعنى: ألـم آمُرْكُم؟ ألـم أُوصِكُم؟

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٢٩٤)، والواحدي في «البسيط» (١٨/ ٥٠٩).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٤٦٩).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٢٩٤)، والواحدي في «البسيط» (١٨/ ٥١٠).

وقولُه: ﴿لَا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾؛ أي: الأصنامَ؛ لأنَّهم عبَدوها بأمرِه فكأنَّهم عبدوه.

وقيل: لا تُطيعوه.

﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾: دينٌ قيِّمٌ.

ويحتمِلُ أن يكونَ هذا من خطابِ الله عبادَه في الدُّنيا.

* * *

(٦٢) - ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُواْ تَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا﴾؛ أي: خَلقًا ﴿كَثِيرًا﴾ وفيه لغاتٌ، واشتقاقُه من جَبَلَه؛ أي: خَلَقَه وطَبَعَه.

﴿أَفَلَمْ تَكُونُواْ تَعْقِلُونَ﴾ استفهامُ تقريعٍ على تركِهم الانتفاعَ بالعقلِ.

* * *

(٦٣ - ٦٤) - ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾:

﴿ٱصْلَوْهَا﴾: ذُوقوا حرَّها.

وقيل: ادخُلوها.

وقيل: الْزَمُوها.

* * *

(٦٥) - ﴿ ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾.

﴿ ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ ﴾: نمنعُها عن الكلامِ، وذلك إذا كذَّبوا الرُّسلَ وقالوا: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ ﴾ [الأنعام: ٢٣].

﴿وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾ رُوِيَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «يَجيءُ ناسٌ يومَ القيامةِ مُفَدَّمةً أفواهُهم، وإنَّ أوَّلَ ما يتكلَّمُ عنه لَفَخِذُه ويَدُه»[١].

فيه أربعةُ أقوالٍ:

أحدُها: أنَّ الله يُمكِّنُها منَ الكلامِ، ويجعلُ لها خِلْقةً تصلحُ للنُّطقِ.

وقيل: المُتكلِّمُ هو الله سبحانَه، إلَّا أنَّه يُسمَعُ من جهتِها فنُسِبَ إليها.

وقيل: كلامُها دلالتُها على أفعالِها، ومثلُه قولُ الشّاعرِ:

إذا نَظَرَتْ نحوي تَكَلَّمَ طَرْفُها وجاوَبَها طَرْفي ونحنُ سكوتُ[٢]

وقيل: إنَّ الملائكةَ المُوكَّلينَ بأعضاءِ بني آدمَ تشهدُ عليهم.

***

(٦٦) - ﴿ وَلَوۡ نَشَآءُ لَطَمَسۡنَا عَلَىٰٓ أَعۡيُنِهِمۡ فَٱسۡتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبۡصِرُونَ ﴾.

﴿ وَلَوۡ نَشَآءُ لَطَمَسۡنَا عَلَىٰٓ أَعۡيُنِهِمۡ ﴾؛ أي: أعمَيناهُم في الدُّنيا ﴿فَٱسۡتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ ﴾: طريقَ منازِلِهم، ﴿فَأَنَّىٰ يُبۡصِرُونَ ﴾ الطَّريقَ وقد أعمَيناهُم؟

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٠٠٤٣)، والطحاوي في «شرح المشكل» (٤١٦٠)، والطبراني في «الكبير» (١٩/ ٩٧٣)، من طريق بهز بن حكيم عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٥١): «رواه أحمد في حديث طويل، ورجاله ثقات».

(٢) البيت للقحيف العجلي كما في «الدر الفريد» (٣/ ٢٥٠).

وقيل: أعمَيْناهُم عن الهدى، فأنَّى يُبصِرونَ طريقَ الرَّشادِ؟

وقيل: ولو نشاءُ لفقَأْنا أعيُنَ ضلالتِهم فأبصروا الرُّشدَ وبادَرُوا إلى الإيمانِ والطَّاعةِ، فأنَّى يُبصِرونَ ولمْ نفعلْ ذلك(١)؟

والطَّمْسُ: مَحْوُ الشَّيءِ حتَّى لا يبقى له أثرٌ.

* * *

(٦٧) ـ ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾.

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ﴾: صيَّرْناهم قردةً وخنازيرَ ﴿عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ﴾: في منازلِـهم.

وقيل: على المكانِ؛ أي: ساعتَئذٍ، والمكانُ والمكانةُ واحدٌ(٢).

وقيل: معنى ﴿لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ﴾: لأقعَدْناهُم عن أرجلِهم.

﴿فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾: مجيئًا وذهابًا.

وقيل: ما قَدَروا أن يُجاوِزوا تكذيبَهم، ﴿وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ ولا يتوبون.

وقيل: ﴿لَمَسَخْنَٰهُمْ﴾: جعلْناهُم حجارةً ﴿عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ﴾: حيثُ كانوا.

والمَسْخُ: نهايةُ النَّكالِ والتَّنكيلِ.

* * *

(٦٨) ـ ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ﴾؛ أي: مَن أطَلْنا عُمُرَه ردَدْناه إلى أرذلِ العمرِ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٦٤)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٦٤)، واستغربه.

وقيل: نُصيِّرْه إلى الضَّعفِ بعد القُوَّةِ، وإلى النُّقصانِ بعد الزِّيادةِ.

وعن سُفيانَ: إذا بلغَ الرَّجلُ ثمانينَ سنةً تغيَّرَ جسمُه(١).

﴿أَفَلَا يَعۡقِلُونَ﴾.

* * *

(٦٩) ـ ﴿وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ وَقُرۡءَانٞ مُّبِينٞ﴾.

﴿وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ﴾ قال عُقبةُ بنُ أبي مُعَيطٍ: ما يقولُ محمَّدٌ شعرٌ، فأنزلَ الله: ﴿وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ﴾(٢).

﴿وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ﴾ أن يقولَ شعرًا(٣)؛ لأنَّه يُورِثُ شُبهةً.

﴿إِنۡ هُوَ﴾ ما هو ﴿إِلَّا ذِكۡرٞ﴾: عِظَةٌ للخلقِ ﴿وَقُرۡءَانٞ مُّبِينٞ﴾ ظاهرُ الشِّعرِ كلامٌ موزونٌ مُقفًّى، والبيتُ الواحدُ لا يكونُ شعرًا؛ لأنَّ القافيةَ تظهرُ بالبيتِ الثاني، ولم يكُنْ للنَّبيِّ ﷺ طبعُ(٤) شعرٍ؛ لا صنعةٌ ولا روايةٌ؛ فإنَّ عائشةَ رضي الله عنها قالت: أرادَ النَّبيُّ ﷺ أن يتمثَّلَ بيتَ أخي قيسٍ فقالَ: «ستُبدي لكَ الأيَّامُ ما كنتَ جاهِلًا ويأتيكَ مَن لم تُزَوِّدْ بالأخبارِ»، فقال أبو بكرٍ رضيَ الله عنه إنَّما هو: ويأتيكَ بالأخبارِ مَن لم تُزوِّدِ، فقال عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «ماعُلِّمْتُ الشِّعْرَ، وما ينبغي لي»(٥).

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٣٠١)، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٠٠) مقتصرًا على قوله: «ثمانين سنة».

(٢) ذكره مقاتل في «تفسيره» (٣/ ٥٨٤).

(٣) في (ف): «الشعر».

(٤) «طبع»: ليس في (ف).

(٥) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٤٩٦)، والطبري في «تفسيره» (١٩/ ٤٨٠)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٣٠٤)، من طريق قتادة عن عائشة رضي الله عنها، وفيه انقطاع؛ لأن قتادة لم يسمع من عائشة.

وما رُوِيَ عن النَّبيِّ ﷺ من مثلِ قولِه:

هــل أنــتِ إلّا إصبعٌ دَمِيـتِ   وفـــي ســبيلِ الله مــا لقِيــت(١)

وقولِه:

أنـــا النَّــــبيُّ لا كَـــذِب   أنا ابـــنُ عبـــدِ المُطَّلـــب(٢)

ففيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: أنَّه ﷺ قال: «دَميتِ» من غيرِ إشباعٍ، و«لقيتْ» بالسُّكونِ للوقفِ، فلا يكونُ موزونًا، وكذلك «لا كَذِبَ» بالفتحِ، و«المطلبِ» بالكسرِ.

والثّاني: أنَّ هذا رَجَزٌ، والرَّجَزُ غيرُ الشِّعْرِ، والرّاجزُ غيرُ الشَّاعرِ، وديوانُ رُؤبةَ والعجَّاجِ كلُّه رَجَزٌ، وليس فيه بيتُ شعرٍ، والرَّجزُ يأتي تامًّا مُسدَّسًا ومجزوءًا ومشطورًا(٣) ومَنهوكًا، حتَّى إنَّ عبدَ الصَّمدِ بنَ المُعَذَّلِ(٤) صنعَ قصيدةً على جزءٍ واحدٍ، منها:

هـــذا الرَّجُـــلْ

لـــمَّا احتَفَـــلْ

أهـــدَى بصَـــلْ

---

(١) رواه البخاري (٢٨٠٢)، ومسلم (١٧٩٦)، من حديث جندب بن سفيان رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٢٨٦٤)، ومسلم (١٧٧٦)، من حديث البراء رضي الله عنه.

(٣) في (ف): «أو مشطورًا».

(٤) عبد الصَّمَد بن المُعَذَّل بن غيلان البصري من فحول الشعراء، له أشعار كثيرة منها قصيدة على حروف المعجم في أوائلها وآخرها. توفي سنة (٢٤٠هـ). انظر: «المؤتلف والمختلف» (٤/ ٢١٣٤)، و«تاريخ الإسلام» (٥/ ٨٧١).

فجعلَ كلَّ «مُستفعِلن» بيتًا(١).

وأنكرَ بعضُهم هذا القولَ، وقال: إنَّ الرَّجزَ والهزجَ والرَّملَ من دائرةٍ واحدةٍ، والهزجُ والرَّمَلُ شعرٌ، فكذلك الرَّجزُ، وأمَّا مجيئُه مشطورًا ومنهوكًا فلا يُخرِجُه عن الشِّعرِ، فقد جاء:

هــل بالدِّيــارِ إنــسُ

وليس برجزٍ، وهو دون المنهوكِ في عددِ(٢) الحروفِ والحركاتِ.

والثّالثُ: أنَّ الله نفى الشِّعرَ عن القرآنِ فقال: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ﴾، إنَّما علَّمْناه القرآنَ، وما ينبَغي له أن يقولَ: القرآنُ شِعرٌ(٣).

وقيل: وما ينبَغي للقرآنِ أن يكون شعرًا.

والقولُ هو الأوَّلُ، فقد ذُكِرَ أنَّ النَّبيَّ ﷺ لمَّا جرى على لفظِه:

هــل أنــتِ إلا أصبــعٌ دَميــتِ وفــي سـبيلِ الله مــا لقيــت

انقطعَ الوحيُ مُدَّةً مديدةٌ حتَّى قالتِ الكفَّارُ: إنَّ محمَّدًا قد ودَّعَه ربُّه وقلاه، فأنزلَ الله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى: ٣](٤).

---

(١) ذكر المصنف القول الثاني في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٦٦)، واستغربه.

(٢) في (ف): «عدة».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٦٦) وعده من العجائب.

(٤) رواه بتمامه الترمذي (٣٣٤٥) من حديث جندب البجلي رضي الله عنه، وقال: «حديث حسن صحيح».

ورواه البخاري ومسلم فجعلاه حديثين: الأول: رواه البخاري (٦١٤٦)، ومسلم (١٧٩٦)، عن جندب قال: بينما النبي ﷺ يمشي إذ أصابه حجر، فعثر، فدميت إصبعه، فقال: «هل أنت إلا إصبع...». =

وهذا أحدُ ما قيلَ في سببِ انقطاعِ الوحيِ تلكَ الأيّام، والله أعلمُ.

***

(٧٠) ـ ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾ أي: ليُنذِرَ محمَّدٌ.

وقيل: ليُنذِرَ القرآنُ.

ومَن قرأ بالتّاءِ: ﴿لتُنذِرَ﴾[1] يا محمَّدُ.

﴿مَن كَانَ حَيًّا﴾ يعني: المؤمنين، وخصَّهم بالذِّكرِ لانتفاعِهم به.

وقيل: مَن كان حيًّا في القلبِ.

﴿وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ﴾: ويَجِبَ العذابُ ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

وهذا مُطابقٌ معنًى؛ أي: ويحقَّ القولُ على مَن كان ميتًا؛ لأنَّهم في عدادِ الموتَى.

وقيل: ليحقَّ القولُ فلا يكونَ للنّاسِ على الله حجَّةٌ بعد الرُّسلِ.

***

(٧١) ـ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا﴾؛ أي: خلَقْناها لانتِفاعِهم واعتِبارِهم، وذِكْرُ الأيدي يُفيدُ أنَّ الله خلقَها بذاتِه سبحانه من غيرِ واسطةٍ.

﴿فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ﴾ فيه قولانِ:

= والثاني: رواه البخاري (٤٩٨٣)، ومسلم (١٧٩٧): قال جندب: «اشتكى النبي ﷺ، فلم يقم ليلة أو ليلتين، فأتته امرأة، فقالت: يا محمد، ما أرى شيطانك إلا قد تركك، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾».

(١) قرأ بها نافع وابن عامر، والباقون بالياء. انظر: «السبعة» (ص: ٥٤٤)، و«التيسير» (ص: ١٨٥).

أحدُهما: ضابِطون قابِضون، من قولِ الشّاعرِ:

أَصْبَحْتُ لا أَحْمِلُ السِّلاحَ ولا أَمْلِكُ رأسَ البَعِيْرِ إنْ نَفَرا[1]

والثّاني: مالِكون ملكَ اليمينِ؛ أي: خلَقْناها وجعَلْناها ملكًا لهم.

* * *

(٧٢) ـ ﴿وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾.

﴿وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ﴾: صَيَّرْناها مُنقادةً لهم ﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾ الرَّكُوبُ: ما يُرْكَبُ، وهو جمعٌ، وكذلك الحَلُوبُ ما يُحْلَبُ، والرَّكوبةُ: تكونُ واحدًا وجمعًا.

﴿وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾؛ أي: سخَّرْناها لهم؛ ليركبُوا ظهرَها ويأكلوا لحمَها.

* * *

(٧٣) ـ ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾.

﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾: في نسلِها، ودَرِّها، وصُوفِها، وشَعَرِها، والحَمْلِ عليها ﴿وَمَشَارِبُ﴾؛ أي: ألبانُها، ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ نِعَمَ الله؟ استفهامٌ بمعنى الأمرِ.

* * *

(٧٤) ـ ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ﴾.

﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ﴾؛ أي: لعلَّ أصنامَهم تنصرُهم إذا حزَبَهم أمرٌ.

* * *

---

(١) للربيع بن ضبع الفزاري كما في «الكتاب» (١/ ٨٩)، و«النوادر» لأبي زيد (ص: ٤٤٩)، و«الحماسة» للبحتري (ص: ٣٩٩)، و«جمهرة الأمثال» للعسكري (١/ ٢٣٧).

(٧٥) ـ ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ﴾.

﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ﴾؛ أي: خابَ أملُهم، ﴿وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ﴾ بل الكفارُ ينصُرونَ الأصنامَ ويذُبُّونَ عنها.

وقيل: ﴿وَهُمْ﴾؛ أي: الأصنامُ، ﴿لَهُمْ﴾: للكفّارِ ﴿جُندٌ﴾: تبعٌ ﴿مُّحْضَرُونَ﴾ في النّارِ.

* * *

(٧٦) ـ ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾.

﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ فيه قولانِ:

أحدُهما: قولُهم في الله: إنَّ له شريكًا وولدًا، ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ فنُجازيهم على أقوالِـهم وأفعالِـهم.

والثّاني: قولُهم فيك: إنَّكَ شاعرٌ ومجنونٌ.

وقيل: ﴿قَوْلُهُمْ﴾: تهديدُهم إيّاكَ بالقتلِ ووعيدُهم، ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ فنَحُولُ بينكَ وبينَهم.

* * *

(٧٧) ـ ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾: مِنْطِيقٌ، جَدِلٌ، بارعٌ، لَسِنٌ.

وقيل: هذه صفةُ ذمٍّ؛ أي: خلَقْناه أحسنَ ما يكونُ، ثمَّ هو يُجادِلُنا ويُخاصِمُ نبيَّنا ويُنكِرُ قُدرتَنا.

واختلَفُوا في نزولِه؛ فقال ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: في عبدِ الله بنِ أُبَيٍّ[1].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٤٨٧).

سعيدُ بنُ جُبَيرٍ: في العاصِ بنِ وائلٍ(١).

الحسنُ: في أميّةَ بنِ خلَفٍ(٢).

قتادةُ: في أُبيِّ بنِ خلَفٍ، وعليه الأكثَرون، وذلك أنَّه أتى النَّبيَّ ﷺ بعظمٍ حَائِلٍ قد بَلِيَ، ففتَّه بيدِه وقال: يا محمَّد، أترى أنَّ الله يُحيي هذا بعدما رمَّ؟! فقال ﷺ: «نعَمْ ويبعَثُكَ ويُدخِلُكَ النّارَ»، فأنزلَ الله هذه الآيةَ(٣).

***

(٧٨) - ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾.

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ﴾؛ أي: خَلْقَنا إيَّاه، مصدرٌ مُضافٌ إلى المفعولِ.

﴿قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ تقولُ: رَمَّ الشَّيءُ ورَمَـمْتُه، وهي كـ: كفٍّ خَضيبٍ، وعينٍ كحيلٍ(٤).

***

(٧٩) - ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ﴾: خلَقَها ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ ابتداءً حين أَوْجَدَ.

﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ لا يخفى عليه أجزاؤه وإنْ تفرَّقَتْ في البرِّ والبحرِ، فيجمعُه ويُعيدُه خلقًا كما كانَ.

***

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٤٨٧)، والحاكم في «المستدرك» (٣٦٠٦) من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ١٣٧)، والواحدي في «البسيط» (١٨/ ٥٢٥).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ١٤٦)، والطبري في «تفسيره» (١٩/ ٤٨٦)، عن قتادة.

(٤) أي: تدلُّ على المؤنث بلا تاء؛ لأنها جاءت على (فعيل) بمعنى: مفعول، وقد سبق ذكره مراراً.

(٨٠) ـ ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴾.

﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴾ يُريدُ شجرة المَرْخِ والعَفَارِ، فمَن أرادَ منهم النَّارَ قطعَ غُصنَين مثلَ السِّواكَين، وهما خَضراوانِ يقطُرُ منهما الماءُ، فيُسحَقُ المَرْخُ وهو ذَكرٌ، على العفارِ وهي أُنثى، فتخرجُ منهما النارُ، وتقولُ العربُ: في كلِّ شجرٍ نارٌ، واستَمْجَدَ المَرْخُ والعَفارُ(١).

وفي التَّفاسيرِ: كلُّ شجرٍ فيه نارٌ إلا العُنَّابَ(٢).

***

(٨١) ـ ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾.

﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ﴾ لأنَّهم مُقِرُّون بذلك، ثمَّ قال: ﴿بَلَىٰ﴾ فيه قولانِ:

أحدُهما: أنَّهم يقولون: بلى.

والثَّاني: فإنْ أجابوكَ وإلَّا فقُلْ: بلى؛ إذ ليس له جوابٌ غيرُ ذلك.

﴿وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾.

***

(١) يُضرب مثلاً في تفضيل الرجال بعضهم على بعض أي لكل واحد من هؤلاء فضل إلا أن فلانًا أفضل. انظر: «جمهرة الأمثال» (٢/ ٩٢).

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٨/ ٥٢٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٣١٢)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٢٩) عن الحكماء.

(٨٢) ـ ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾.

﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ﴾: لذلك الشَّيءِ، وقيل: لأجلِه.

﴿كُن﴾ سبقَ في أوَّلِ (البقرةِ).

﴿فَيَكُونُ﴾؛ أي: فهو يكونُ على ما قدَّرَ وأرادَ.

* * *

(٨٣) ـ ﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾.

﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾؛ أي: نزِّهوه عن الوصفِ بالعجزِ عمَّا أرادَ.

والملَكوتُ: المُلْكُ بأبلغِ الألفاظِ، ولا يكونُ إلا لله وحدَه.

﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ إمَّا إلى جنَّةٍ، وإمَّا إلى نارٍ.

* * *

سُورَةُ الصَّافَّاتِ

سُورَةُ الصَّافَّاتِ

مئةٌ واثنتان وثمانونَ آية[1]، مكِّيةٌ.

بسمِ اللَّه الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٣) ـ ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا (١) فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا (٢) فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا﴾.

﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا (١) فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا (٢) فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا﴾ ذهبَ ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما إلى أنَّ المُرادَ بالثَّلاثةِ الملائكةُ[2]؛ لأنَّهم صفوفٌ في السَّماءِ كصفوفِ المُصلِّين في الأرضِ، ولأنَّها تزجُرُ عن معاصي الله، وقيل: تزجُرُ السَّحابَ؛ تسوقُه إلى حيثُ أمرَ الله، ولأنَّها تتلو كتابَ الله على الأنبياءِ عليهم السَّلامُ.

وذهبَ ابنُ بحرٍ إلى أنَّ المُرادَ بالثَّلاثةِ: المُصلُّونَ منَ النّاسِ، قال: والزَّجْرُ والصَّيْحةُ واحدٌ؛ أي: يرفعون أصواتَهم بتلاوةِ القرآنِ في الصَّلاةِ فهم الزَّاجراتُ التَّالياتُ.

وقيل: الصَّافَّاتُ: الطُّيورُ في الهواءِ[3].

---

(١) في (ن): «مائة وثمانون واثنان آية»، وليست في (ف)، والصواب المثبت. وانظر: «البيان في عد آي القرآن» (ص: ٢) وفيه: «وهي مئة وثمانون آية في البصري وأبي جعفر القارئ، وآيتان في عدد الباقين»، و«الكشاف» (٤/ ٣٣) وفيه: و«هي مئة وإحدى وثمانون، وقيل: واثنتان وثمانون آيةً».

(٢) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٥١١)، وذكره النحاس في «معاني القرآن» (٦/ ٧).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٦٩)، وعده من العجائب.

وقيل: الزَّاجراتُ: آياتُ القرآنِ(١).

وقيل: التَّالِيَاتُ ذِكْرًا: آياتُ القرآنِ أيضًا.

وقيل: التَّالِيَاتِ ذِكْرًا: قُرَّاءُ القرآنِ(٢).

ويحتمِلُ أنَّ المُرادَ بالثَّلاثةِ: الغُزاةُ(٣)، كقوله: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾ [العاديات: ١]؛ فهم الصَّافَّاتُ في الحربِ، الزَّاجِراتُ للكفَّارِ(٤)، التَّالياتُ ذكرَ الله بالتَّكبيرِ والتَّهليلِ والتَّسبيحِ.

والصَّفُّ: ترتيبُ الشَّيءِ على نَسَقٍ، كالصَّفِّ في الصَّلاةِ، والصَّافُّ واحدٌ، والصَّافَّةُ جمعٌ، والصَّافَّاتُ: جمعُ الصَّافَّةِ.

والزَّجْرُ: الصَّرْفُ عن الشَّيءِ بخوفٍ وتخويفٍ.

والتِّلاوةُ: القراءةُ، والتُّلُوُّ: الاتِّباعُ.

أقسمَ الله بهذه الأشياءِ تعظيمًا لها وتشريفًا.

وقيل: وربِّ الصَّافَّاتِ، وكذلك ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ﴾ ﴿وَٱلطُّورِ﴾ ﴿وَٱلنَّجْمِ﴾ وغيرُها.

* * *

(٤) ـ ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ﴾.

﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ﴾ جوابُ القسمِ ردًّا على مَن قال: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ [ص: ٥].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٦٩)، وعده من العجائب.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٦٩)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٦٩)، واستغربه.

(٤) في (ن): «والزاجرات الكفار».

(٥) ـ ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ﴾.

﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ﴾؛ أي: مطالعِ الشَّمسِ، ولها ثلاثُ مئة وستُّونَ مطلعًا، وكذلك المغاربُ.

وقيل: لها مئةٌ وثمانون مَشْرقًا، فإذا انتهى إلى آخرِها رجعَتْ.

وقيل: كلُّ ما طلعَ عليه الشَّمسُ منَ الأرضِ فهو مشرقٌ، وكلُّ ما غربَ عنه الشَّمسُ فهو مغربٌ.

***

(٦) ـ ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴾.

﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا ﴾ تأنيثُ الأدنى، وهي التي تدنو منَ الأرضِ.

﴿بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾ مَن جرَّها غيرَ مُنوَّنةٍ فللإضافةِ، ومَن جرَّها مُنوَّنةً فبالبدلِ، ومَن نصبَها فعلى محلِّ الجارِّ والمجرورِ(٥).

وقيل: بدلٌ منَ ﴿ٱلسَّمَآءَ﴾.

وقيل: زيَّنَّا السَّماءَ الدُّنيا بتزيينِنا الكواكبَ.

***

(٧) ـ ﴿ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴾.

﴿وَحِفْظًا﴾؛ أي: وحفِظْناه حفظًا ﴿مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ﴾ خالٍ عن الخيرِ خبيثٍ.

***

---

(٥) قرأ عاصم في رواية أبي بكر: ﴿بزينةٍ﴾ منوَّنةً ﴿الكواكبَ﴾ نصباً، وقرأ عاصمٌ في روايةِ حفصٍ وحمزةُ: ﴿بزينةٍ﴾ منوَّنةً ﴿الكواكبِ﴾ خفضاً على البدل، والباقون: ﴿بِزِينَةِ الكَوَاكِبِ﴾ مُضافةً. انظر: «السبعة» (ص: ٥٤٦ ـ ٥٤٧)، و«التيسير» (ص: ١٨٦)

(٨) ـ ﴿لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ﴾.

﴿لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى﴾؛ أي: إلى كلامِ الملأ الأعلى، وهم الملائكةُ، وتقديرُه: أنْ لا يَسْمَعُوا؛ أي: لئَلَّا يَسْمَعُوا، فلمَّا حُذِفَ (أنْ) رُفِعَ الفعلُ، وعدَّاه بـ﴿إِلَى﴾ لأنَّه في معنى الإصغاءِ.

وقيل: (سَمِعْتُ إليه) بمعنى: صَرَفْتُ إلى جهتِه سمعي.

قُرِئَ: ﴿يَسَّمَّعُونَ﴾ بالتَّشديدِ والتَّخفيفِ[١]؛ فمَن شدَّدَ فأصلُه: يتَسَمَّعون، فأُدغِمَ، ومَن خفَّفَ جعلَه من: سمِعَ يسمَعُ.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: يتَسمَّعون ولا يسْمَعون[٢].

الحسن: لا يسْمَعون الوحيَ، ويخْتَطِفون الخَطْفَةَ مـمَّا سوى ذلك فيُلقونَ إلى الكَهَنةِ[٣].

﴿وَيُقْذَفُونَ﴾ تقولُ: قَذَفْتُ الشَّيءَ: طَرَحْته، وقَذَفْتُه بالحجرِ[٤]: رميتُ إليه حجرًا، ومنه: قذَفَه بالفُجورِ، والآيةُ تحتمِلُ الوجهَين.

﴿مِن كُلِّ جَانِبٍ﴾؛ أي: مرَّةً من هذا الجانبِ، ومرَّةً من هذا الجانبِ.

وقيل: يُقْذَفُون من كلِّ الجوانبِ.

---

(١) قرأ حفص وحمزة والكسائي بتشديد السين والميم، والباقون بإسكان السين وتخفيف الميم. انظر: «السبعة» (ص: ٥٤٧)، و«التيسير» (ص: ١٨٦).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٠٥)، وعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٧/ ٧٩). وذكره الفراء في «معاني القرآن» (٢/ ٣٨٢). قال الزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٣٥): «وبهذا يُنْصَرُ التخفيْفُ على التَّشدِيْد».

(٣) لم أجده.

(٤) في (ف): «بحجر».

(٩) - ﴿ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴾.

﴿ دُحُورًا ﴾ مصدرٌ من غير لفظِ الفعلِ الأوَّلِ؛ أي: يُقْذَفون قَذْفًا.

وقيل: فعلُه مُضمَرٌ تقديرُه: ويُدحَرونَ دُحورًا.

وقيل: ﴿ دُحُورًا ﴾: جمعُ: دَحرٍ، وهو ما يُرْمى به، فيكونُ تقديرُه: بدُحورٍ، فحُذِفَ الجارُّ ونُصِبَ[1]، يُقوِّيه قراءةُ مَن فتحَ (دَحُورًا)[2].

ولا يمتنِعُ أن يكون حالًا؛ أي: مدحورين مطرودين[3]، من قولِه: ﴿مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴾ [الإسراء: ١٨].

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ ﴾؛ أي: للشَّياطينِ عذابٌ ﴿وَاصِبٌ﴾ قيل: دائمٌ، منَ الوُصوبِ.

وقيل: مُوجِعٌ، منَ الوَصَبِ.

وقيل: شديدٌ.

وقيل: خالصٌ.

***

(١٠) - ﴿ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾.

﴿ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ ﴾ قيل: الاستثناءُ من قولِه: ﴿لا يَسْمَعون﴾، ومحلُّ ﴿مَنْ﴾ رفعٌ[4].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٧١)، واستغربه.

(٢) نسبت لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وأبي عبد الرحمن السلمي. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٧)، و«المحتسب» (٢/ ٢١٩).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٧١)، وعده من العجائب.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٧١)، واستغربه، وقال: «وفيه نظر».

وقيل: الاستثناءُ مُنقطعٌ، وخبرُه: ﴿فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ﴾.

ومعنى ﴿خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ﴾: اختَلَسَ الكلمةَ مُسارقةً.

وقيل: استمعَ استماعةً.

وقيل: مُسارعةً.

وقيل: وثَبَ وَثبةً.

﴿فَأَتْبَعَهُۥ﴾؛ أي: تبِعَه، رُمِيَ في أثرِه ﴿شِهَابٌ﴾: كوكبٌ ﴿ثَاقِبٌ﴾: مضيءٌ.

وقيل: ماضٍ.

وقيل: عالٍ.

وقيل: يَثقُبُ بضوئِه، منَ الثَّقْبِ.

فإذا قُذِفُوا احترَقُوا.

وقيل: تُصيبُهم آفَةٌ فلا يعودون.

وقيل: لا يُقتَلون بالشُّهُبِ، بل يُحِسُّ بذلك فلا يرجعُ، ولهذا لا يَمتنِعُ غيرُه عن ذلك.

وقيل: يُصيبُهم مرَّةً ويسلَمُون مرَّةً، فصاروا في ذلك كراكبي السَّفينةِ للتِّجارةِ وغيرِها.

* * *

(١١) ـ ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍۭ﴾.

﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ﴾: سَلْ قومَك.

نزَلَتْ في أبي الأشدِّ بنِ كَلَدةَ بنِ أَسِيْدٍ، حكاهُ الثَّعلبيُّ(١).

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢٢/ ٣٢٧)، وذكره مقاتل بن سليمان في «تفسيره» (٣/ ٦٠٣). وقد اختلف في اسمه ولقبه، فقيل: أبو الأشدين أسيد بن كلدة، وقيل: كلدة بن أسيد، وقيل: أبو الأشد بن أسيد بن كلاب الجمحي، وقيل غير ذلك. انظر: «النكت والعيون» (٥/ ٤١)، و«زاد المسير» (٤/ ٣٦٤).

وقيل: فحاجِّهم.

﴿أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ﴾ يُريدُ: عادًا وثمودَ ومَن قبلَهم من الأممِ الخاليةِ، والتَّقديرُ: أمَّنْ خلَقْنا قبلَهم وسِواهُم؟ فإنَّ الكلَّ من خلقِ الله.

وقيل: فاستَفْتِ بني آدمَ أهم أشدُّ خلقًا أم مَن خلقنا؟ يعني: الملائكةَ.

الحسن في جماعةٍ: ﴿أم مَّنْ خَلَقْنَآ﴾ يُريدُ: السَّماواتِ والأرضَ والجبالَ، كقولِه[1] تعالى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧][2]، فيكونُ ﴿مَنْ﴾ حينَئذٍ لازدِواجِ الكلامِ.

ثـمَّ بيَّنَ من أيِّ شـيءٍ خلـقَ بني آدمَ فقـال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم﴾ يعني: أصـلَ بني آدمَ ﴿مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾ الطِّيـنُ: التُّـرابُ خالطَـه الماءُ. والـلَّازِبُ: اللازِمُ، والبـاءُ بدلٌ منَ الميمِ عنـد أكثرِهم.

وقيل: هو منَ اللُّزوبِ بمعنى: اللُّزومِ، ومعناه: لازِقٌ.

وقيل: من طينٍ عَلِكٍ[3].

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: هو المُلتصِقُ منَ الطِّينِ الحُرِّ الجيِّدِ[4].

مجاهدٌ والضَّحَّاكُ: مُنْتِنٍ[5].

---

(١) في (ف): «لقوله».

(٢) ذكره يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٨٢٥)، وجعل المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٧٢) من الغريب تفسير (مَن خَلَقْنا) بالسماء.

(٣) ذكره ابن فورك في «تفسيره» (٢/ ٢١٣)، ومكي في «الهداية» (٩/ ٦٠٨٦). وطِينَةٌ عَلِكَةٌ: خضراءُ لَيِّنةٌ حرَّة. انظر: «التاج» مادة: (ع ل ك).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٥١١)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٥/ ١٥٤٥).

(٥) ذكره عنهما الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٣٢٨).

(١٢) ـ ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴾.

﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴾؛ أي: عَجِبْتَ من تكذيبِهم وهم يسخَرون من تعجُّبِك.

وقيل: بل عجِبْتَ يا محمَّدُ منَ القرآنِ حين أُعْطِيتَه ويسخرُ أهلُ الكفرِ منه.

ومَن قرأ بالضَّمِّ[1] فلذلك وجهانِ:

أحدُهما: أنَّ المعنى: حَلُّوا محلَّ مَن يُتَعَجَّبُ منهم، والعجَبُ على الله غيرُ جائزٍ، ومنهم مَن أجازَ لفظَ التَّعجُّبِ[2] وحملَه على مثلِ ﴿وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٥٤]، و﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٥]، ومثلُه: ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾ [الرعد: ٥]، وقال ﷺ: «يعجَبُ ربُّكَ منَ الشَّابِّ ليست له صبوةٌ»[3].

وقيل: العجَبُ أن يرى الإنسانُ ما يُنكِرُه، فيجوزُ على هذا القولِ أنَّ الله أنكرَ ما عليه الكفَّارُ.

* * *

(١٣ ـ ١٤) ـ ﴿ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ (١٣) وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴾.

﴿ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴾: وإذا وعِظُوا لا يتَّعِظُون ﴿ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً ﴾: انشِقاقَ القمرِ وغيرَه منَ المُعجِزاتِ ﴿يَسْتَسْخِرُونَ ﴾: يسخَرون.

---

(١) أي: بضم التاء، قرأ بها حمزة والكسائي. انظر: «السبعة» (ص: ٥٤٧)، و«التيسير» (ص: ١٨٦).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٧٢)، واستغربه.

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٧٣٧١)، وأبو يعلى في «مسنده» (١٧٤٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٧/ ٣٠٩) عن عقبة بن عامر رضي الله عنه، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٧٠): «رواه أحمد، وأبو يعلى، والطبراني، وإسناده حسن».

وقيل: يستدعي بعضُهم بعضًا إلى أنْ يَسخرَ.

ويحتمِلُ: أنَّهم يَسألون غيرَهم أن يسخَروا منه عليه السَّلامُ.

* * *

(١٥ ـ ١٦) ـ ﴿وَقَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾.

﴿وَقَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ﴾؛ أي: الذي نراه ﴿إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾: ظاهرٌ.

﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾؛ أي: أَنُبعَثُ إذا مِتْنا؟ وقد سبقَ.

* * *

(١٧) ـ ﴿أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾.

﴿أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ قُرِئَ بفتحِ الواوِ على تقديرِ: أَوَآباؤُنا الأوَّلون مبعوثون؟ وبسكونِ الواوِ(١)، وتقديرُه: أَيُبعَثُ واحدٌ منَّا؟ مُبالغةً في الإنكارِ.

* * *

(١٨) ـ ﴿قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ﴾.

﴿قُلْ نَعَمْ﴾ تُبعَثون وآباؤُكم ﴿وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ﴾ صاغِرون أذِلاءُ على رَغْمٍ منكم.

* * *

(١٩) ـ ﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ﴾.

﴿فَإِنَّمَا هِىَ﴾؛ أي: القيامةُ، أو نفخةُ القيامةِ ﴿زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾: صيحةٌ واحدةٌ ﴿فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ﴾؛ أي: أحياءٌ ينظُرون.

---

(١) هي قراءة قالون وابن عامر، والباقون بفتحها. انظر: «السبعة» (ص: ٢٨٧)، و«التيسير» (ص: ١٨٦).

وقيل: ينتَظِرون أمرَ الله فيهم.

* * *

(٢٠ ـ ٢١) ـ ﴿وَقَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾.

﴿وَقَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا﴾ معناه: وجَبَ لنا الويلُ والحزنُ.

وقيل: حلَّ بنا أشدُّ شيءٍ نكرهُه.

﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ قيل: هو من تمامِ كلامِهم؛ أي: هذا يومُ الجزاءِ الذي كنَّا نُنكِرُه.

وقيل: تمَّ الكلامُ على قولِه: ﴿يَٰوَيْلَنَا﴾، ثمَّ قال الله: ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ﴾ بين المُحسِنِ والمُسيءِ ﴿ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾.

* * *

(٢٢ ـ ٢٣) ـ ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ﴾.

﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾: كفروا ﴿وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾ الحسنُ: نساءَهُم اللاتي على دينِهم[1].

وقيل: أتباعَهم.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنه: أمثالَهم وأضرابَهم ونُظَراءَهم[2]؛ الزَّاني مع الزَّاني، وصاحبُ الخمرِ مع صاحبِ الخمرِ، من قولِه: ﴿أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً﴾ [الواقعة: ٧]؛ أي: أشباهًا.

﴿وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: الأصنامَ؛ ليُعذَّبَ بها الكفَّارُ.

---

(١) ذكره ابن فورك في «تفسيره» (٢/ ٢١٧)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٣٣٤) عن الحسن بلفظ: «المشركات»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٧٣)، واستغربه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٥١٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٠٨).

﴿فَٱهْدُوهُمْ﴾: ادعوهُم.

وقيل: قدِّموهُم، والسَّابقُ يُسمَّى: الهادي.

وقيل: دُلُّوهم.

﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ﴾: وسطِها، وقيل: طريقِها.

***

(٢٤) ـ ﴿وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾.

﴿وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾؛ أي: احبِسُوهم، تقولُ: وقَفْتُه وقفًا.

وفي السؤالِ قولانِ:

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: عن (لا إلهَ إلا الله)[١].

وقيل: عن خطاياهُم.

وقيل: عن جميعِ أقوالِـهم وأفعالِـهم.

والثّاني: ﴿إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾ ثمَّ بيَّنَ عمَّ يُسألونَ فقال:

***

(٢٥) ـ ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾.

﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾ كما كنتُم تنصُرون أوثانَكم على مَن قصدَها، وها هي تُحشَرُ إلى النّارِ، ما لكم تركتُم نُصرتَها؟ وهذا توبيخٌ لهم وتقريعٌ.

وقيل: هذا جوابٌ لأبي جهلٍ حيثُ قال يومَ بدرٍ: ﴿نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾ [القمر: ٤٤]، حكاه الثَّعلبيُّ[٢].

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٣٣٥).

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢٢/ ٣٣٩)، وذكره الواحدي في «البسيط» (١٩/ ٣٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وقيل: ﴿وَقِفُوهُمْ﴾ مُقدَّمٌ مُتَّصِلٌ بقولِه: (احشُروهم)، و(احشُروهُم) متَّصلٌ بقولِه: ﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾.

***

(٢٦) ـ ﴿بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾.

﴿بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾: خاضِعون، وقيل: مُنقادُون.

الأخفشُ: هم مُلقُونَ بأيديهم(١).

***

(٢٧ ـ ٢٨) ـ ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ﴾.

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ يعني: الأتباعَ والرُّؤساءَ ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾: يتخاصمون ﴿قَالُوٓا۟﴾ يعني: الأتباعُ للرُّؤساءِ: ﴿إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ﴾؛ أي: من قِبَلِ الدِّينِ فتُضِلُّوننا عنه؛ أي: تأتونَنا عن أقوى الوجوهِ وأيمَنِه، كأنَّكم تنفعونَنا نفعَ السَّانحِ، فجنَحْنا إليكم فهلَكْنا.

وقيل: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ﴾: عن الخيرِ تُرونَنا أنَّكم تُريدونَ بنا خيرًا.

وقيل: ﴿تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ﴾؛ أي: تُكرِهونَنا على الدِّينِ(٢).

***

(٢٩ ـ ٣٠) ـ ﴿قَالُوا۟ بَل لَّمْ تَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ ۖ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ﴾.

﴿قَالُوا۟﴾؛ أي: الرُّؤساءُ: ﴿بَل لَّمْ تَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: ما كنتُم مُؤمنين فردَدْناكم عن الإيمانِ ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ﴾: بُرهانٍ وحُجَّةٍ، ولا قَهَرْناكم عليه.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٣٣٩).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٧٣)، واستغربه، وأضاف: «واليمين: القوة».

﴿بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ﴾: بل كفرتُم بطُغيانِكُم.

* * *

(٣١) ـ ﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ إِنَّا لَذَآئِقُونَ﴾.

﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ﴾؛ أي: وجَبَ علينا جميعًا كلمةُ العذابِ ﴿إِنَّا لَذَآئِقُونَ﴾ يعني: الرُّؤساءَ والأتباعَ.

وقيل: معناه: استحقَقْنا العذابَ الذي أوعَدَناه ربُّنا.

وقيل: حقَّ علينا قولُ الله وإخبارُه أنَّا جميعًا نكفرُ فنصيرُ إلى النَّارِ ونذوقُ العذابَ.

وقيل: ﴿قَوْلُ رَبِّنَآ﴾: قضاءُ ربِّنا.

وقيل: ﴿قَوْلُ رَبِّنَآ﴾ أنَّه يُعذِّبُنا إنْ كفَرْنا.

* * *

(٣٢) ـ ﴿فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ﴾.

﴿فَأَغْوَيْنَٰكُمْ﴾: أضلَلْناكُم ﴿إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ﴾: ضالِّين.

وقيل: معناه: خيَّبْناكُم كما خِبْنا؛ والغِوايةُ: الخيبةُ.

والإغواءُ: الدُّعاء إلى الغيِّ.

* * *

(٣٣ ـ ٣٤) ـ ﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ﴾.

﴿فَإِنَّهُمْ﴾؛ أي: جميعًا ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: يومَ القيامةِ ﴿فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾.

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ﴾؛ أي: بالمُشركين.

(٣٥) ـ ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾؛ أي: يتكبَّرون على مَن يدعوهُم إلى قولِ: لا إلهَ إلا الله.

وقيل: ﴿يَسْتَكْبِرُونَ﴾: يأنفون من قولِه، ويسْتَخِفُّونَ بمَن دعاهُم إليه.

﴿يَسْتَكْبِرُونَ﴾ خبرُ (كان)، فإنْ أُلْغِيَتْ (كانَ) فهو خبرُ (إنَّ)، والعاملُ في ﴿إِذَا﴾: ﴿يَسْتَكْبِرُونَ﴾.

* * *

(٣٦) ـ ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ﴾.

﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ﴾ يعنُونَ محمَّدًا ﷺ، فَرَدَّ الله عليهم وقال:

* * *

(٣٧) ـ ﴿بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

﴿بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ أي: جاء بالصِّدقِ، ووافقَ ما كان معهم.

وقيل: لأنَّ مجيءَ المُخبِرِ يُصدِّقُ المخْبَرَ به، وقد سبق.

* * *

(٣٨ ـ ٤٠) ـ ﴿إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾.

﴿إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من غير زيادةٍ ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ قيل: الاستثناءُ مُتَّصلٌ بالجزاءِ؛ أي: إلا عبادَ الله المُخلَصين فإنَّ جزاءَهم أضعافٌ مُضاعفةٌ تفضُّلًا منه سبحانَه عليهم.

وقيل: مُتَّصلٌ بالذَّوقِ؛ أي: يذوقون إلَّا عبادَ الله.

﴿ٱلْمُخْلَصِينَ﴾: المُصْطَفَيْن، وبالكسرِ[١]: المُصحِّحُونَ عزمَهم.

وقيل: الاستثناءُ مُنقطعٌ؛ أي: لكنْ عبادُ الله المُخلَصين[٢].

***

(٤١ ـ ٤٢) ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ﴾.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ﴾؛ أي: معلومٌ دوامُه، وقيل: معلومٌ وقتُه، بكرةً وعشيًّا.

﴿فَوَٰكِهُ﴾ بدلٌ منَ ﴿رِزْقٌ﴾، والفاكهةُ: ما يُؤكَلُ تلذُّذًا، لا لحفظِ الصِّحَّةِ والقوتِ.

﴿وَهُم مُّكْرَمُونَ﴾: مُعظَّمُون.

***

(٤٣ ـ ٤٤) ـ ﴿فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾.

﴿فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾؛ أي: لا شيءَ فيها إلا النَّعيمُ.

﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾: يُقابِلُ بعضُهم بعضًا.

وقيل: لا عداوةَ بينَهم.

وقيل: يَستمتعُ بعضُهم بالنَّظرِ إلى وجوهِ البعضِ.

***

(٤٥) ـ ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾.

﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ﴾: إناءٍ فيه خمرٌ ﴿مِّن مَّعِينٍ﴾: خمرٍ جاريةٍ ظاهرةٍ تراها العيونُ.

---

(١) قرأ عاصم وحمزة والكسائي ونافع: ﴿ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ بفتح اللام، والباقون بكسرها. انظر: «السبعة» (ص: ٣٤٨)، و«التيسير» (ص: ١٢٨).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٧٤)، واستغربه.

وقيل: ﴿مَّعِينٍ﴾ فعِيل منَ المَعْنِ، وهو: المنفعةُ.

وقيل: منَ الإمعانِ في السَّيرِ؛ أي: جارٍ.

وقيل: من مَعَنَ الماءُ: إذا جرَى على وجهِ الأرضِ.

وقيل: هو مفعولٌ من: عَيْنِ الماءِ[١].

* * *

(٤٦) ـ ﴿بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ﴾.

﴿بَيْضَآءَ﴾ من صفةِ الكأسِ، وقيل: من صفةِ الخمرِ[٢]، والبياضُ أحسنُ الألوانِ.

﴿لَذَّةٍ﴾: ذاتِ لذَّةٍ؛ أي: لذيذٍ ﴿لِّلشَّـٰرِبِينَ﴾.

* * *

(٤٧) ـ ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾.

﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾: صُداعٌ، وقيل: داءٌ.

وقيل: لا تذهبُ بعقولِهم فتغتالَها، والغَوْلُ: فسادٌ يَلحقُ في خفاءٍ.

﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ مَن كسرَ الزّايَ فله معنيانِ:

أحدُهما: لا يسْكَرون، من قولِهم: أَنْزَفَ الرَّجلُ؛ إذا سكِرَ، والنَّزِيفُ: المخمورُ.

والثّاني: لا ينفَدُ شرابُهم.

ومَن قرأ بفتحِ الزّايِ[٣] فالمعنى: لا يسْكَرُون فيزولَ عقلُهم، تقولُ: نُزِفَ الرَّجلُ؛ إذا زالَ عقلُه سُكْرًا.

---

(١) العَيْنُ والعَيَنَانُ: جريان الماء. انظر: «القاموس» مادة: (ع ي ن).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٧٥)، واستغربه.

(٣) قرأ حمزة والكسائي بكسر الزاي، والباقون بفتحها، ولا خلاف في ضم الياء. انظر: «السبعة» (ص: ٥٤٧)، و«التيسير» (ص: ١٨٦).

(٤٨ ـ ٤٩) ـ ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ۝٤٨ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾.

﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾؛ أي: قَصَرْنَ عيونَهنَّ عن النَّظرِ إلى غيرِهم ﴿عِينٌ﴾: جمعُ عَيْناء؛ أي: نَجْلاءُ واسعةُ العَينِ ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾: مَصُونٌ، شبَّهُهنَّ ببَيضِ النَّعامةِ[1]؛ فإنَّها تُكِنُّها عن الرِّيحِ والشَّمسِ والغبارِ بريشِها.

وقيل: شبَّهُهُنَّ[2] ببياضِ البَيضِ المسلوقِ تحتَ القِشْرِ[3].

وقيل: شبَّهَ لونَهنَّ ومُلاستَهنَّ بالبيضِ.

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: البيضُ المكنونُ: الدُّرُّ في صدَفِه[4].

***

(٥٠) ـ ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾.

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ يعني: أهلَ الجنَّةِ يتذاكَرونَ أحوالَ الدُّنيا وأحوالَ أصدقائِهم.

***

(٥١) ـ ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ﴾.

﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ﴾: جليسٌ في الدُّنيا؛ قيل: كانا أخوَين.

وقيل: كانا شريكَين.

---

(١) في (ف): «النعام».

(٢) في (ف): «شبهن».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٧٥)، واستغربه.

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٨)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٥٤١) بلفظ: «اللؤلؤ المكنون»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٧٥)، وعده من العجائب.

وقيل: كان القرينُ شيطانًا.

وقيل: هما قَطْروسُ الكافرُ ويَهُوذا المسلمُ، وقصَّتُهما في (الكهفِ): ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ﴾ [الكهف: ٣٢][١].

***

(٥٢ ـ ٥٣) ـ ﴿يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾.

﴿يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ﴾ بالبعثِ ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾: مجزِيُّونَ، وقيل: مُحاسَبون. وقيل: مـملوكون.

***

(٥٤) ـ ﴿قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾.

﴿قَالَ هَلْ أَنتُم﴾ يقولُ الله لأهلِ الجنَّةِ: ﴿هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾ إلى النَّارِ؛ أي: هل تحبُّونَ أن تطَّلِعوا فتعلَمُوا أينَ منزلتُكم من منزلةِ أهلِ النّارِ؟

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: في الجنَّةِ كُوًى ينظرُ أهلُها منها إلى النَّارِ، وأهلُها يُناظِرونَهم[٢]؛ لأنَّ لهم في توبيخِ أهلِ النَّارِ لذَّةً وسرورًا.

***

(٥٥) ـ ﴿فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾.

﴿فَٱطَّلَعَ﴾ على أهلِ النّارِ ﴿فَرَءَاهُ﴾؛ أي: قرينَه ﴿فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾: وسطِه.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٣٤٧)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٧٥)، واستغربه.

(٢) في (ف): «إلى النار وأهلها ويناظرون أهلها». رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٣٤٩)، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢١٦) عن كعب بلفظ: «في الجنة كوى، فإذا أراد أحد من أهلها أن ينظر إلى عدوه في النار اطلع فازداد شكرًا». قوله: «يناظرونهم» يعني: ينظرون إليهم نظر المترقِّب، وليس من المناظرة والمجادلة، والله أعلم.

(٥٦) ـ ﴿قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ﴾.

﴿قَالَ﴾؛ أي: يقولُ له: ﴿تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ﴾: تُهلِكُني، منَ الرَّدَى، وهو الهلاكُ.

* * *

(٥٧) ـ ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾.

﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي﴾: عِصمتُه ورحمتُه ﴿لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ معكَ فيها، ولم يقُلْ: في العذابِ؛ لأنَّ الإحضارَ لا يُستعمَلُ إلا في الشَّرِّ.

* * *

(٥٨ ـ ٦٠) ـ ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ (٥٨) إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (٥٩) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾؛ أي: أفما نحنُ بمَن شأنُه أن يموتَ، كقولِه: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠].

﴿إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ قيل: هذا استفهامُ تعجُّبٍ، يقولونَها فيما بينَهم فرحًا بذلك.

وقيل: يَسألُ أهلُ الجنَّةِ من الملائكةِ[1]، فيقولون: لا، ويقولونَ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

وقيل: هذا من تمامِ كلامِه لقرينِه تقريعًا له وتوبيخًا[2].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٧٥)، واستغربه.

(٢) كذا في النسختين، ولو كانت العبارة: «يسأل أهلُ الجنة الملائكة» لكان أظهر؛ فعبارة المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٧٥): «هم يسألون الملائكة عنه، فيقولون: لا، فيقرل أهل الجنة: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾».

و﴿مَوۡتَتَنَا﴾ نصبٌ على المصدرِ.

والاستثناءُ يجوزُ أن يكونَ مُتَّصلًا، وتقديرُه: لا نموتُ إلا مرّةً.

وقيل: يجوزُ أن يكونَ مُنقَطِعًا، وتقديرُه: لكنِ الموتةُ الأولى قد كانت في الدُّنيا[١].

وقيل: ﴿إِلَّا﴾ هاهنا بمعنى: بعدَ[٢].

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ تمَّ كلامُه لقرينِه، ثمَّ قال الله:

* * *

(٦١) ـ ﴿لِمِثۡلِ هَٰذَا فَلۡيَعۡمَلِ ٱلۡعَٰمِلُونَ﴾.

﴿لِمِثۡلِ هَٰذَا فَلۡيَعۡمَلِ ٱلۡعَٰمِلُونَ﴾ وقيل: هذا أيضًا من كلامِه، ثمَّ قال الله:

* * *

(٦٢) ـ ﴿أَذَٰلِكَ خَيۡرٞ نُّزُلًا أَمۡ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ﴾.

﴿أَذَٰلِكَ خَيۡرٞ نُّزُلًا﴾؛ أي: أذلك الذي ذكرتُ من نعيمِ أهلِ الجنَّةِ خيرٌ نزلًا ﴿أَمۡ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ﴾؟ يُريدُ: أسبابُ ذلك خيرٌ أم أسبابُ هذا[٣]؟

والنُّزُلُ: ما يُقدَّمُ للضَّيفِ عند نُزولِه[٤].

والزَّقُّومُ: طعامٌ يبتلِعُه الإنسانُ على مشقَّةٍ وجهدٍ؛ جَهيدٍ لمرارتِه ونَتْنِه وخُشونتِه.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٧٥)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٧٥)، وعده من العجائب، وذكر المرادي في «الجنى الداني» (ص: ٥٢١) أن هذا من أغرب ما قيل في (إلا).

(٣) في (ف): «أسباب هذا خير أو أسباب ذلك».

(٤) في (ف): «ما يقام للضيف»، «عند نزوله»: ليس في (ف).

وذكرَ قُطْرُبٌ أنَّ الزَّقُّومَ شجرةٌ مُرَّةٌ تكونُ بتِهامةَ(١).

وذكر المُفسِّرونَ: أنَّ ابنَ الزِّبَعْرَى قال لصناديدِ قُريشٍ: إنَّ محمَّدًا يُخوِّفُنا بالزَّقُّومِ، وإنَّ الزَّقُّومَ بلسانِ بربرَ وإفريقيَّةَ الزُّبدُ والتَّمرُ.

وذكروا أيضًا: أنَّ أبا جهلٍ لـمَّا سمعَ ذكرَ الزَّقُّومِ أدخلَهم بيتَه وقال: يا جاريةُ زقِّمينا، فأتَتْهم بالزُّبدِ والتَّمرِ، فقال: تَزَقَّمُوا؛ فإنَّ هذا ما يُوعِدُكم محمَّدٌ، فأنزلَ الله صفةَ الزَّقُّومِ(٢)، فقال:

(٦٣ ـ ٦٥) ـ ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾.

﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً﴾: امتحانًا وبلاءً ﴿لِّلظَّالِمِينَ﴾.

﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾؛ أي: مَنْبِتُها فيها.

﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ قيل: إنَّ الشَّياطينَ هاهنا نوعٌ منَ الحَيَّاتِ تعرفُها العربُ، خِفافٌ لها أعرافٌ ورؤوسٌ قِباحٌ.

وقيل: إنَّ الشَّيطانَ شجرٌ معروفٌ عند العربِ قبيحُ الأعالي، يُسمى: الأَسْتَنَ، شُبِّهَ طلعُ الزَّقُّومِ به في قُبحِ المنظرِ.

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٥١).

(٢) هذا والذي قبله خبر واحد ذكره مقاتل في «تفسيره» (٣/ ٦٠٩)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٣٥٠)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٥١). وروى الإمام أحمد في «المسند» (٣٥٤٦)، والنسائي في «الكبرى» (١١٤٢٠)، بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما: «وقال أبو جهلٍ: أَيُخَوِّفُنا محمد بشجرة الزَّقُّوم، هاتوا تَمْرًا وزُبْدًا فتزَقَّموا». وروى الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٦٤٨) عنه نحوه، وروى نحوه (١٤/ ٦٥٠) عن قتادة.

وقيل: هذا مَثَلٌ، وذلك أنَّ الشَّيءَ إذا استُقْبِحَ شُبِّهَ بالشَّيطانِ فقيل: كأنَّه وجهُ شيطانٍ، كأنَّه رأسُ شيطانٍ؛ لأنَّ كلَّ أحدٍ يزعمُ أنَّه أقبحُ الأشياءِ وإنْ لم يكُنْ رآه.

وقيل: يُشوِّهُ الله الشَّياطينَ في النّارِ، فشُبِّه طَلعُها برؤوسِهم.

مُقاتلٌ: رؤوسُ الشَّياطينِ حجارةٌ سُودٌ تكونُ حولَ مكّةَ[1].

* * *

(٦٦ ـ ٦٧) ـ ﴿فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾.

﴿فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا﴾: منَ الشَّجرةِ ﴿فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ﴾ والمَلْءُ: حشوُ الوعاءِ بما لا يحتمِلُ زيادةً عليه.

﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا﴾؛ أي: على أكلِ الشَّجرةِ ﴿لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾ فيشربون[2] مزاجًا منَ الماءِ الحارِّ المُفرِطِ الحرارةِ، ومنَ الصَّديدِ والغسَّاقِ.

والحميمُ: هو الدَّاني منَ الإحراقِ.

وقيل: يشربون على الزَّقُّومِ منَ الحميمِ فيخلِطونَه به.

* * *

(٦٨) ـ ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ﴾.

﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ﴾ فيه قولانِ:

---

(١) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٨/ ٥٦٧) دون نسبة، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٧٦)، واستغربه.

(٢) في (ف): «يشربون».

أحدُهما: أنَّهم في وقتِ أكلِهم وشُربِهم ذلك لا يُعذَّبون بالنّارِ، ثمَّ يُرَدُّونَ إلى الجحيمِ.

وقيل: هذا كقولِهم: فلانٌ يرجعُ إلى مالٍ ونعمةٍ؛ أي: هو فيها.

ويحتمِل أنَّ ﴿ثُمَّ﴾ لتراخي الإخبارِ؛ أي: فقد صحَّ أنَّ مرجعَ الكفَّارِ إلى النَّارِ(١).

وقيل: ﴿ثُمَّ﴾ مع الجملةِ قد يدلُّ على التَّقديمِ؛ أي: وقبلَ ذلك كان مرجعُهم إلى الجحيمِ(٢).

* * *

(٦٩ ـ ٧٠) ـ ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾.

﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا﴾؛ أي: وجدوا ﴿ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾: يُزْعَجُون ويُسْتَحَثُّون.

وقيل: كأنَّ بعضَهم يسوقُ بعضًا، لكنَّه ذُكِرَ بلفظِ المجهولِ.

والإهْرَاعُ: الإسراعُ في المشيِ.

* * *

(٧١ ـ ٧٤) ـ ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾.

﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ﴾: قبلَ أهلِ مكّةَ ﴿أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ يعني: الأممَ الخاليةَ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ﴾: رُسلًا وأنبياءَ ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾؛ أي: الكافرين ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾: الذين أخلَصُوا الطّاعةَ لله.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٧٦)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٧٦)، وعده من العجائب.

(٧٥) ـ ﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ﴾؛ أي: دَعانا لنُنَجِّيَه، وقيل: دَعانا لنُغرِقَ مَن كفرَ به ﴿فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ﴾؛ أي: نحن.

***

(٧٦) ـ ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾.

﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ وهو الغرقُ والطُّوفانُ وأهوالُ السَّفينةِ.

وقيل: تكذيبُ قومِه إيَّاه واستذلالُه.

***

(٧٧) ـ ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾.

﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾ فالخلقُ كلُّهم من أولادِ نوحٍ عليه السَّلامُ؛ لأنَّ مَن كان معه في السَّفينةِ ماتوا إلَّا أولادَه ونساءَهم، حامٌ وسامٌ ويَافِثُ؛ فسامٌ أبو العربِ وفارسَ والرُّومِ، وحامٌ أبو السُّودانِ، ويافِثُ أبو التُّركِ والخزَرِ ويأجوجَ ومأجوجَ وما هُنالك.

***

(٧٨ ـ ٨٢) ـ ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ۝٧٨ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٩ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٨٠ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٨١ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ﴾.

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ۝٧٨ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؛ أي: تركْنا عليه أن يقولَ الآخرونَ: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فارتفعَ بالحكايةِ؛ كما قال: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ﴾ [النمل: ٥٩].

وقيل: وتركْنا عليه ثناءً حسنًا، وتمَّ الكلامُ، ثمَّ قال الله: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ﴾؛ أي: سائرَ المُحسنين نُنَجِّيهم ونُثْني عليهم كما نجَّينا نوحًا وأثنينا عليه.

﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ خُصَّ الإيمانُ بالذِّكرِ - والنُّبوَّةُ أشرفُ منه - بيانًا لشَرَفِ المُؤمنين لا لشَرَفِ نوحٍ عليه السَّلامُ، كما تقولُ: إنَّ محمَّدًا ﷺ من بني هاشمٍ.

وقيل: فيه بيانٌ أنَّه إنَّما استحقَّ ذلك بإيمانِه؛ فضيلةً للإيمانِ وترغيبًا فيه.

﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ﴾ يعني: قومَه الكافرينَ.

***

(٨٣) - ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ﴾.

﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ﴾ الشِّيعةُ: الجماعةُ تتَّبعُ سيِّدَهم، واشتقاقُها من شاعَه يَشِيعُه شَيْعًا: إذا تبعَه، قال الشّاعرُ:

قالَ الخليطُ غدًا ترَحُّلُنا ... أو شَيْعَهُ فمتَى تُودِّعُنا[1]

أي: بعدَ غدٍ.

وقيل: الشِّيعَةُ: الأعوانُ، وأصلُه منَ الشِّياعِ، وهو الحطبُ الصِّغارُ تُوضَعُ مع الكبارِ على النّارِ.

وفي الهاء قولانِ:

الجمهورُ: يعودُ إلى نوحٍ عليه السَّلامُ.

---

(١) البيت لعمر بن أبي ربيعة. انظر: «شرح أبيات سيبويه» لأبي سعيد السيرافي (١/ ١٢٤)، و«شرح ديوان المتنبي» للمعري (ص: ٤٧١).

الفَرَّاءُ: يعودُ إلى محمَّدٍ ﷺ؛ أي: هو على منهاجِه ودينِه وإنْ كانَ إبراهيمُ عليه السَّلامُ سابقًا له[١].

***

(٨٤) ـ ﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾.

﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ﴾: حين أجابَ داعيةَ الإيمانِ بالتَّوحيدِ والطّاعةِ.

وقيل: حينَ أُلقِيَ في النّارِ.

والعاملُ في ﴿إِذْ﴾ معنى التَّبعِ، و﴿إِذْ﴾ الثَّانيةُ بدلٌ منَ الأولى.

﴿بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ قيل: سليمٍ من الشِّركِ والشَّكِّ.

وقيل: مُخلِصٍ.

وقيل: خالصٍ من كلِّ دنَسٍ.

وقيل: معنى ﴿سَلِيمٍ﴾: حزينٍ، من قولِهم: فلانٌ سَلِيمٌ؛ أي: لَدِيغٌ.

وقيل: سليمٌ من كلِّ علاقةٍ دونَ الله.

وقيل: معنى ﴿سَلِيمٍ﴾: لا يكونُ لعَّانًا.

***

(٨٥) ـ ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾.

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ يريدُ: لأيِّ شيءٍ؟ فإنَّ السُّؤالَ وقعَ عن الغرضِ لا عن الجنسِ، و﴿مَاذَا﴾ إنْ جعلْتَه كلمةً واحدةً فهو نصبٌ، وإنْ جعلتَه كلمتَين فهو مبتدأٌ وخبرٌ، وقد سبقَ.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٨٨)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٧٨)، واستغربه.

(٨٦) ـ ﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ﴾.

﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ الإفكُ: الكذبُ. والآلهةُ: بدلٌ منه، وهو منصوبٌ بـ﴿تُرِيدُونَ﴾.

وقيل: ﴿أَئِفْكًا﴾ نصبٌ على الحالِ؛ أي: كاذِبين(١).

* * *

(٨٧) ـ ﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

٨٧ ـ ﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: أيُّ شيءٍ ظنُّكم بربِّ العالمين وأنتم تعبُدونَ غيرَ الله؟!

وقيل: وما ظنُّكم بربِّ العالمين أنَّه من أيِّ جنسٍ من أجناسِ الأشياءِ حتَّى شبَّهتُم به هذه الأصنامَ؟! أي: لا يُشبِهُه شيءٌ.

* * *

(٨٨ ـ ٩٠) ـ ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾.

﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ﴾ وذلك حين طلَبُوا منه أن يخرجَ معهم إلى عيدٍ لهم، فأرادَ أن يتأخَّرَ للأمرِ الذي هَمَّ به ﴿فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ﴾.

قد أكثَرَ المُفسِّرون في هذه الآيةِ؛ فقال بعضُهم: كانوا يتعاطَونَ علمَ النُّجومِ، وكان علمًا نبويًّا إلى أن نُسِخَ، فنظرَ إبراهيمُ عليه السَّلامُ في النُّجومِ؛ أي: في علمِ النُّجومِ، وكتبِ النُّجومِ، فرأى في طالعِه ما يدلُّ على سقَمٍ، فقال: إنِّي سقيمٌ؛ أي: في الحالِ، والسَّقَمُ والمرضُ: خروجُ المزاجِ منَ الاعتدالِ، وقَلَّ مَن يخلو منه.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٧٨)، واستغربه.

وقيل: معناه: سأَسْقَمُ.

وقيل: إنَّ المُرادَ به الموتُ، وهو يلحقُه لا محالةَ.

وقيل: أرادَ بالسَّقَمِ الطَّاعونَ، وكانوا يخافون العَدْوَى، ﴿ فَتَوَلَّوْاْ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴾.

وقيل: أرادَ نجومَ السَّماءِ في اللَّيلِ، وكانت الحمَّى تأخذُه بعِدَادٍ[١]، فرأى أماراتِ ذلك في ذلك الوقتِ، ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾؛ أي: محمومٌ.

وقيل: هذا كما يُقالُ: فلانٌ ينظرُ في الطِّبِّ والأدبِ؛ أي: يعرفُهما، فيكونُ ﴿فِي﴾ بمعنى: إلى.

وقيل: ﴿نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ﴾: ما حكى اللهُ عنه في قولِه: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا﴾ الآيات [الأنعام: ٧٦ - ٧٩]، وقولُه: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ إذ لستُ على يقينٍ منَ الأمرِ ولا شفاءٍ؛ لأنَّ العلمَ شفاءٌ، والجهلَ سُقْمٌ وداءٌ، فعلى هذا قولُه: ﴿ فَتَوَلَّوْاْ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴾ عطفٌ على قولِه: ﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

وقيل: المُرادُ بالنُّجومِ: النَّباتُ؛ أي: فنظرَ فيها مُتخيِّرًا منها ما فيه شفاءٌ لسُقْمٍ أَوْهَمَهُم أنَّ به ذلك[٢].

قال الأزهريُّ عن أبي العبَّاسِ أحمدَ بنِ يحيى قال: ﴿فِي ٱلنُّجُومِ﴾ النُّجومُ: جمعُ نجمٍ، وهو ما نجمَ من كلامِهم لـمَّا سألوه أن يخرُجَ معهم إلى عيدِهم، ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً﴾ أي: تفكَّرَ ليُدبِّرَ حُجَّةً، ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾؛ أي: سقيمٌ من كُفرِكُم بخالقِكم[٣]، كما تقولُ: أنا مريضُ القلبِ من كذا.

---

(١) في (ف): «لعداد».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٧٨)، واستغربه.

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (١١/ ٨٨)، وذكره الواحدي في «البسيط» (١٩/ ٧١).

وقيل: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾؛ أي: إلى جانبِ السَّماءِ ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ وهو في ذلك كاذبٌ للمكيدةِ التي همَّ بها، فقد رُوِيَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «لقد كذَبَ إبراهيمُ عليه السَّلامُ ثلاثَ كذباتٍ، ما منها واحدةٌ إلا وهو يمُاحِلُ ويُناضِلُ بها عن دينِه، وهي: قولُه: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩]، وقولُه: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ﴾ [الأنبياء: ٦٣]، وقولُه لسارةَ: هذه أُختي»[1].

وقيل: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾؛ أي: فكَّرَ في الحِيَلِ[2]، ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ فأقنعَهم ذلك ﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾. والله أعلَمُ.

* * *

(٩١ - ٩٢) - ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (٩١) مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ﴾.

﴿فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ﴾: ذهبَ إليها في خُفْيةٍ حتَّى لا يُرى.

وقيل: مالَ.

وقيل: أقبلَ عليها.

وقيل: راغَ بقولِه: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ حتَّى خلا بها.

وقيل: رجعَ إليها مُراوِغًا قومَه، وسمَّاها آلهةً على زعمِهم.

﴿فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (٩١) مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ﴾ وكان عندَها طعامٌ زعَمُوا أنَّها تأكلُ منه.

وقيل: وُضِعَ الطَّعامُ ليُبارَكَ فيه ﴿فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ استهزاءً بها وبعابدِيها.

ويحتمِلُ: أنَّما قال ذلك لأنَّ سدَنَتَها كانوا يأكلون ما يُوضَعُ عندَها من

---

(١) رواه البخاري (٢٢١٧)، ومسلم (٢٣٧١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٧٨)، وعده من العجائب.

الطَّعـامِ، وينطقـونَ عنـد الضَّعَفـةِ عـن لسـانِها؛ يُوهِمُـونَ أنَّها تـأكُلُ وتنطـقُ(١).

* * *

(٩٣) ـ ﴿ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبَۢا بِٱلْيَمِينِ ﴾.

﴿ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبَۢا بِٱلْيَمِينِ ﴾ عَدَّاه بـ(على) لأنَّ (راغَ) بمنزلةِ: مالَ، فكما تقولُ في المحبوبِ: مالَ إليه، وفي المكروهِ: مالَ عليه، كذلك: راغَ إليه وعليه.

قولُه: ﴿ضَرْبَۢا﴾؛ أي: يضربُ ضَرْبًا، فيكونُ مصدرًا لفعلٍ محذوفٍ، وجاز أن يكونَ حالًا.

وقولُه: ﴿بِٱلْيَمِينِ﴾؛ أي: باليدِ اليُمنَى؛ لأنَّها أقوى على الأعمالِ منَ الشِّمالِ.

وقيل: بالقوَّةِ، كقولِه:

إذا مـا رايـةٌ رُفِعَـتْ لمجـدٍ تلقَّاهـا عَرَابـةُ باليَميـنِ(٢)

وقيـل: باليميـنِ التـي سبقَتْ منـه، وهـو قولُـه: ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم ﴾ [الأنبياء: ٥٧](٣).

* * *

(٩٤) ـ ﴿ فَأَقْبَلُوٓاْ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴾.

﴿ فَأَقْبَلُوٓاْ إِلَيْهِ ﴾: إلى إبراهيمَ عليه السَّلامُ ﴿يَزِفُّونَ﴾ بالفتح: يُسْرِعون.

وقيل: يمشون على مَهَلٍ، وأصلُه من زَفِيفِ النَّعامةِ، وهو ابتداءُ عَدْوِها.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٧٩)، واستغربه.

(٢) انظر: «ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني» (ص: ٣١٩)، و«الشعر والشعراء» (١/ ٣٠٧)، و«الكامل» (١/ ١٠٨)، وهو من قصيدة في مدح عَرابة بن أوس رضي الله عنه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٧٩)، واستغربه.

وقيل: مشيةٌ فيها اختيالٌ، من قولِـهم: زُفَّتِ العروسُ إلى زوجِها.

وقُرِئَ: ﴿يُزِفُّون﴾ بالضَّمِّ(١)، وله وجهانِ:

أحدُهما: يُزِفُّونَ دوابَّهم، فحُذِفَ المفعولُ؛ أي: يحملُونها على الزَّفيفِ، قاله أبو عليٍّ في «الحجّةِ»(٢).

والثّاني: أَزَفَّ الرَّجلُ: إذا صارَ إلى حالِ الزَّفيفِ.

* * *

(٩٥ ـ ٩٦) ـ ﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾.

﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴾ بأيديكم ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾؛ أي: خلقَكُم وخلقَ أعمالَكم.

وقيل: ﴿وَمَا تَعْمَلُونَ﴾؛ أي: أصنامَكم.

وقيل: وما تعمَلون منه الأصنامَ(٣)؛ كالخشبِ والفِضّةِ والذَّهبِ.

* * *

(٩٧) ـ ﴿ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴾.

﴿ قَالُوا ابْنُوا لَهُ ﴾؛ أي: لأجلِه ﴿بُنْيَانًا﴾.

مُقاتلٌ: بنَوا له حائطًا منَ الحجرِ، طولُه ثلاثونَ ذراعًا، وعرضُه عشرونَ ذراعًا، ومَلَؤوه منَ الحطبِ، وأوقَدوا فيه النَّارَ، ثمَّ رمَوا به إليها(٤).

---

(١) قرأ بها حمزة، والباقون بالفتح. انظر: «السبعة» (ص: ٥٤٨)، و«التيسير» (ص: ١٨٦).

(٢) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٦/ ٥٧).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٨٠)، واستغربه.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٦١٣).

وقيل: بنَوا له أَتُونًا.

وقيل: بنَوا له مثلَ بناءِ التَّنُّورِ.

﴿فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ﴾ هي: النَّارِ يُجمَعُ بعضُها إلى بعضٍ.

وقيل: كلُّ نارٍ على نارٍ جحيمٌ.

وتقديرُ الآية: ابنُوا له بُنيانًا، واملَؤُوه نارًا، فألقُوا إبراهيمَ فيها.

وعن عائشةَ رضي الله عنها: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إنَّ إبراهيمَ لمَّا أُلقِيَ في النّارِ كانت الدَّوابُّ كلُّها تُطفِئُ عنه النّارَ إلا الوَزَغةَ، فإنَّها كانت تنفخُ عليه، فأُمِرَ عليه السَّلامُ بقتلِها»(١).

***

(٩٨) ـ ﴿فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾.

﴿فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا﴾: مكرًا وحيلةً لـمَّا غلبَهم بالحِجاجِ ﴿فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾ قيل: المقهورينَ.

وقيل: المغلوبين في الحجَّةِ.

وقيل: الأسفَلينَ في النَّارِ.

وقيل: أسفلَ من سافِلينَ غيرِهم، وليس التَّقديرُ: أسفَلَ من إبراهيمَ؛ إذ لـم يكُنْ في أمرِ إبراهيمَ سَفالٌ.

وقيل: ليس أفعلُ هذا للتَّفضيلِ، بل للمُبالغةِ؛ كما قُلنا في: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ

---

(١) رواه النسائي (٢٨٣١)، وابن ماجه (٣٢٣١)، وروى البخاري (٣٣٥٩) عن أُمِّ شَرِيكٍ رضي الله عنها: أن رسولَ الله ﷺ أَمَر بقتلِ الوَزَغ، وقال: «كان يَنفُخُ على إبراهيم عليه السَّلامُ»، ورواه مسلم (٢٢٣٧) مختصرًا.

عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]، ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٤]، والمعنى: علا أمرُ إبراهيمَ لأنَّ النَّارَ لم تُحرِقْ منه إلا الوَثاقَ، وسَفَلَ أمرُهم لأنَّ الله منعَ النَّارَ التَّحرُّكَ في جهتِه فلم تُداخِلْه، والنَّارُ تحرقُ الأجسامَ بالمُداخلةِ فيها.

***

(٩٩) ـ ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾.

﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ قالَه حين نجَّاه الله منَ النَّارِ، وقولُه: ﴿إِلَىٰ رَبِّي﴾: إلى أمرِ ربِّي، وإلى مرضاةِ ربِّي.

وقيل: إلى الشّامِ، كما في قولِه: ﴿مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾ [العنكبوت: ٢٦].

وقيل: إلى الأرضِ المُقدَّسةِ.

وقيل: إلى حَرَّانَ.

وقيل: مُهاجِرٌ بعمَلي ونيَّتي، مُتجرِّدٌ لعبادةِ ربي، سيهديني إلى مَقصِدي.

وقيل: إنَّما قال ذلك حينَ طُرِحَ في النّارِ؛ أي: ذاهبٌ إلى ما قضى عليَّ ربِّي.

وقيل: معناه: إنِّي ميِّتٌ، كما يُقالُ لمَن ماتَ: ذهَبَ إلى الله(١).

﴿سَيَهْدِينِ﴾ إلى الخلاصِ منَ النَّارِ، وقيل: إلى الجنَّةِ.

وقيل: إلى قولِ: حسبيَ الله ونعمَ الوكيلُ، حكاه الماورديُّ(٢).

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٨٠)، وعده من العجائب.

(٢) انظر: «النكت والعيون» (٥/ ٥٩) وعزاه لسليمان، ولعله أخذه من خبر رواه عبد بن حميد كما في «الدر المنثور» (٥/ ٦٤١) عَن سُلَيمَان بن صرد ـ وكان قد أدرك النبيَّ ﷺ ـ: «أن إبراهيم لما أرادوا أن يلقوه فِي النَّار جعلُوا يجمعون له الحطب... فلمَّا ذُهب به ليطْرَح في النَّار قال: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ فلمَّا طرح في النَّار قال: حسبي الله ونعم الوكيل...». وروى البخاري (٤٥٦٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما: «كان آخر قول إبراهيم حين ألقي في النار: حسبي الله ونعم الوكيل».

وقيل: سيُثبِّتُني على الهدى(١).

***

(١٠٠) ـ ﴿ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾.

﴿ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ الموصوفُ محذوفٌ تقديرُه: أولادًا منَ الصّالحين؛ أي: منَ المُطيعين لك، ويحتمِلُ: من الأنبياءِ.

***

(١٠١) ـ ﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴾.

﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴾؛ أي: بغلامٍ يبلغُ درجةَ الحُلَماءِ؛ فإنَّ الصَّبيَّ لا يُوصَفُ بالحِلمِ، والحليمُ: الذي لا يُعجِّلُ بالعقوبةِ مع القُدرةِ.

وقيل: بغلامٍ عليمٍ في صِغَرِه حليمٍ في كِبَرِه.

***

(١٠٢) ـ ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾.

﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ ﴾ قَوِيَ على أن يسعَى معه في منافعِه.

وقيل: يمشي مع أبيه.

وقيل: بلغَ أن يسعى في عبادةِ الله وطاعتِه.

وقيل: بلغَ مبلغَ الرِّجالِ.

وقيل: كانَ له مع يومئذٍ(٢) ثلاثَ عشرةَ سنةً.

---

(١) ثمة نقص ورقتين في (ن) تبدأ من هنا.

(٢) كذا في (ف)، وحذف (مع) يجعل السياق ظاهراً.

﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ﴾ اختلَفُوا في الذَّبيحِ؛ فذهبَ أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ، وابنُ عبَّاسٍ، وابنُ عمرَ، ومحمَّدُ بنُ كعبٍ القُرَظيُّ، وسعيدُ بنُ المسيِّبِ، وعكرمةُ، ومجاهدٌ، والضَّحَّاكُ، إلى أنَّه إسماعيلُ عليه السَّلامُ[1].

واستَدَلَّ المُحتجُّ لهذا بقولِه ﷺ: «أنا ابنُ الذَّبيحَين»[2]؛ فأحدُهما: جدُّه إسماعيلُ، والآخرُ: أبوه عبدُ الله؛ وذلك أنَّ عبدَ المُطَّلبِ نذرَ إن بلغَ بنوه عشرةً أن يذبحَ واحدًا منهم تقرُّبًا، فلما كمَلوا عشرةً أتى بهم البيتَ وضربَ عليهم بالقِداحِ على أن يذبحَ مَن خرَجَ قِدْحُه، وقد كتبَ اسمَ كلِّ واحدٍ على قِدْحٍ، فخرَجَ قِدْحُ عبدِ الله ففداه بعشرةٍ منَ الإبلِ، ثمَّ ضربَ عليه وعلى الإبلِ فخرجَ قِدْحُه ففَداه بعشرةٍ أخرى، إلى أن تمَّتْ مئةً، فخرجَ القِدْحُ على الجُزُرِ فنحَرَها وسنَّ الدِّيةَ مئةً[3].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٥٩٢ ـ ٥٩٨) عن ابن عمر، وابن عباس، والشعبي، ويوسف بن مهران، ومجاهد، والحسن، ومحمد بن كعب القرظي، وعمر بن عبد العزيز، ومعاوية.
وزاد الثعلبيُّ في «تفسيره» (٢٢/ ٣٧٤) أبا الطفيل عامر بن واثلة رضي الله عنه، وسعيد بن المسيب، والربيع بن أنس، والكلبي، قال: وهي رواية عطاء بن أبي رباح وأبي الجوزاء ونصر بن عمران الضُّبَعي ويوسف بن ماهك عن ابن عباس، وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٥٤٧) عن عبد الله بن سلام، ورواه الحاكم في «مستدركه» (٤٠٤٠) عن خوات بن جبير.

(٢) لا أصل له بهذا اللفظ، كما ذكر ابن حجر والزيلعي فيما نقله العجلوني في «كشف الخفاء» (١/ ٢٢٦). وانظر الحديث الآتي.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٥٩٧)، والحاكم في «المستدرك» (٤٠٣٦)، عن الصنابحي قال: كنا عند معاوية بن أبي سفيان، فذكروا الذبيح إسماعيل أو إسحاق، فقال: على الخبير سقطتم، كنا عند رسول الله ﷺ، فجاءه رجل فقال: يا رسول الله! عد علي مما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين، فضحك عليه الصلاة والسلام، فقلنا له: يا أمير المؤمنين، وما الذبيحان؟ فقال: إن عبد المطلب لما أُمِر بحفْر زمزم...، الخبر. قال ابن كثير في «تفسيره» (٧/ ٣٥): «هذا حديث غريب جدًّا». وضعفه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ١٠٦).

واستَدلَّ أيضًا بقولِه عند تمامِ قصَّةِ الذَّبحِ: ﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [الصافات: ١١٢] بعدَ قولِه: ﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴾ فالبشارةُ بالغلامِ غيرُ البشارةِ بإسحاقَ.

واستَدلَّ أيضًا بقولِه: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١] فيمَن قرأه بالنَّصبِ(١)؛ لأنَّه إذا بُشِّرَ بالولدِ من صُلْبِه عُلِمَ أنَّه لـم يُؤمَرْ بذبحِه.

وذهبَ عليٌّ وابنُ مسعودٍ وكعبُ الأحبارِ إلى أنَّ الذَّبيحَ إسحاقُ(٢)، وإليه ذهبَ أهلُ الكتابِ، واستدلُّوا بما رُوِيَ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ سُئِلَ: أيُّ النَّسبِ أشرفُ؟ فقال: «يوسفُ صِدِّيقُ الله، ابنُ يعقوبَ إسرائيلِ الله، ابنِ إسحاقَ ذبيحِ الله، ابنِ إبراهيمَ

---

(١) قرأ بها ابن عامر وحمزة وحفص، والباقون بالرفع. انظر: «السبعة» (٣٣٨)، و«التيسير» (ص: ١٢٥).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٥٨٨ ـ ٥٩٢) عن العباس، وابن عباس، وابن مسعود، وكعب، ومسروق، وعبيد بن عمير، وعبد الله بن أبي الهذيل، وعبد الرحمن بن سابط، وأبي ميسرة.
وزاد الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٣٦٧) عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما، ومن التابعين وأتباعهم: سعيد بن جبير وقتادة ومسروق وعكرمة، والقاسم بن أبي بزة وعطاء ومقاتل والزهري والسدي، قال: وهي رواية عكرمة وابن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما.
وهو القول الذي رجحه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٥٩٨).
ورد ذلك ابن كثير فقال: «وهذه الأقوال ـ والله أعلم ـ كلها مأخوذة عن كعب الأحبار، فإنه لما أسلم في الدولة العمرية جعل يحدث عمر عن كتبه، فربما استمع له عمر، فترخص الناس في استماع ما عنده، ونقلوا عنه غثها وسمينها، وليس لهذه الأمة ـ والله أعلم ـ حاجة إلى حرف واحد مما عنده، وقد ورد في ذلك حديث لو ثبت لقلنا به على الرأس والعين، ولكن لم يصح سنده».
وقال الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٦٠٩): «وقد كنت أرى مشايخ الحديث قبلنا وفي سائر المدن التي طلبنا الحديث فيه وهم لا يختلفون أن الذبيح إسماعيل».

خليلِ الله»[١]، فأجابُوا عن قولِه: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ﴾ أنه بُشِّرَ بالغلامِ أوَّلًا، ثمَّ بنبوَّتِه ثانيًا، وزادوا فقالوا: صرَّحَ بالمبَشَّرِ به في قولِه: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ﴾ [هود: ٧١]، وفي قولِه: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ﴾ [الصافات: ١١٢]، فيُحمَلُ عليه قولُه: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾؛ لأنَّ هذا مُبْهَمٌ، وذاك مُفسَّرٌ.

وأجابوا عن قولِه: ﴿وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ أنَّه لم تكُنِ البشارةُ بيعقوبَ مُتَّصلًا ببشارةِ إسحاقَ اعتبارًا بقراءةِ مَن قرأ ﴿يعقوبُ﴾ بالرَّفعِ.

والأظهرُ أنَّه إسماعيلُ، وأمَّا قولُه في أشرفِ الأنسابِ، فالصَّحيحُ أنَّه قال: «يوسفُ بنُ يعقوبَ بنِ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ»، والزَّوائدُ منَ الرَّواي.

واحتَجُّوا أيضًا بأنَّ قَرنَي الكبشِ كان ميراثًا لولدِ إسماعيلَ عن أبيهم، وكان مَنُوطينِ بالكعبةِ إلى أن احترقَ البيتُ واحترقَ القرنُ في أيامِ ابنِ الزُّبيرِ والحَجَّاجِ[٢].

---

(١) بهذا اللفظ ذكره الماتريدي في «تفسيره» (٨/ ٥٨٢)، والسمرقندي في «تفسيره» (٣/ ١٤٧)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٥٨٠) إلى أبي الشيخ عن ابن عباس رضي الله عنهما. وسيأتي قول المصنف أن هذا من زوائد الراوي، وأن المذكور في الصحيح هو الأسماء دون الأوصاف، كما رواه البخاري (٣٣٩٠) عن ابن عمر رضي الله عنهما بلفظ: «الكريم، ابن الكريم، ابن الكريم، ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام».

(٢) روى الإمام أحمد في «المسند» (١٦٦٣٧)، وأبو داود (٢٠٣٠)، والأزرقي في «أخبار مكة» (١/ ٢٢٣) واللفظ له، من طريق سفيان، عن منصورٍ الحَجَبيِّ، حدثني خالي مسافع بن شيبة، عن أُمي صفية بنت شيبة: أن امرأةً من بني سُلَيمٍ وَلَدَت عامَّتهم قالت لعثمانَ بن طلحة: لِمَ دعاكَ النبيُّ ﷺ بَعْد خروجه من البيت؟ قال: قال لي: «إنِّي رأيتُ قَرْنَي الكبش في البيت، فَنَسِيتُ أَنْ آمُرَكَ أنْ تخمِّرها، فإنه لا ينبغي أنْ يكون في البيت شيءٌ يَشْغَلُ مُصلِّيًا». زاد الأزرقي: قال عثمانُ: وهو الكبشُ الذي فُدِي به إسماعيلُ بن إبراهيم عليهما السلام. وفي رواية أحمد: قال سفيانُ: لمْ تَزَلْ قرنا الكبش في البيت حتى احترق البيتُ فاحترَقَا. ورجاله ثقات.

وكانَ أبو عمرِو بنُ العلاءِ يقولُ: متى كان إسحاقُ بمكَّةَ؟ وإنَّما كان إسماعيلُ، وهو الذي بنى البيتَ مع أبيه كما قالَ الله: ﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ﴾ [البقرة: ١٢٧]، والمنحرُ بمكّةَ[1]. والله أعلَمُ.

قولُه: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ﴾ إنَّما قال بلفظِ المُستقبلِ لأنَّه كان يرى ذلك ثلاثَ ليالٍ، والمعنى: رأيتُ رُؤيا أُمِرْتُ فيها بذَبْحِك، ورُؤيا الأنبياءِ في المنامِ وحيٌ.

﴿فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰ﴾ قُرِئَ بفتحتَين، وقُرِئَ بضمِّ التَّاءِ وكسرِ الرَّاءِ[2]؛ فمَن فتحَ فالمعنى: ما عندَكَ منَ الرَّأيِ؟

ومَن ضمَّ التَّاءَ فالمعنى: ما تُشيرُ؟ وقيل: ماذا تُرينيهِ من صبرِك أو جزَعِك؟

و(رأيتُ) هذا منَ الرَّأيِ، كما تقولُ: فلانٌ يَرى رأيَ أبي حنيفةَ، وهو مُتعدٍّ إلى مفعولٍ واحدٍ، فنُقِلَ بالألفِ فتعدَّى إلى المفعولين، وليس من رُؤيةِ العينِ، ولا من رُؤيةِ القلبِ التي بمعنى: العلمِ.

﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُ﴾؛ أي: منَ الذَّبحِ.

وقيل: كان نذَرَ ذبحَه فنسيَ، ثمَّ رأى في المنامِ فتذكَّرَ.

وقيل: افعَلْ ما تُؤمَرُ بعد هذا، ولهذا جاء بلفظِ المُستقبلِ: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾؛ أي: على الذَّبحِ، وقيل: على قضاءِ الله.

***

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٣٨٤ ـ ٣٨٥).

(٢) قرأ بهذه حمزة والكسائي، والباقون بفتحهما. انظر: «السبعة» (ص: ٥٤٨)، و«التيسير» (ص: ١٨٦).

(١٠٣) ـ ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾.

﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا﴾: سلَّمَ الذَّبيحُ نفسَه، وسلَّمَ إبراهيمُ ابنَه.

وقيل: ﴿أَسْلَمَا﴾: اتَّفقا على أمرٍ واحدٍ.

وقيل: استَسْلَما لأمرِ الله.

﴿وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾: صرَعَه على جبينِه، والجبينُ: أحدُ جانبَي الجبهةِ.

وقيل: كبَّهُ على وجهِه[1]؛ لأنَّ الذَّبيحَ قال له: اذبَحْني وأنا ساجدٌ، ولا تنظُرْ إلى وجهي، فعسى أن ترحَمَني فلا تذبحَني[2].

* * *

(١٠٤ ـ ١٠٥) ـ ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ﴾؛ أي: عَمِلْتَ بما رأيتَ في المنامِ؛ أي: صَدَّقْتَ الأمرَ في رُؤياكَ، وهذا دليلٌ على أنَّه لـم يكُنْ مأمورًا بأكثرَ مـمَّا وُجِدَ منه، وهو الإضجاعُ على الجنبِ والتَّلُّ على الجبينِ.

---

(١) في (ف): «كبه لوجهه».

(٢) قوله: «فعسى أن ترحَمَني فلا تذبحَني» كذا ذكر المصنف، وفيه نظر؛ فهذه العبارة تحتمل أن تكون مستأنفة، فيقال: كان الذبيح يعلم أن هذا من أمر الله، وأن تنفيذه على الخليل واجب، فكيف يرتجي أن يترك تنفيذ أمر الله وهو نبي وأبوه نبي؟ ولكن العبارة تحتمل أن تكون متصلة بالنهي، فيكون المعنى: لا تنظر، فإن النظر قد يكون سبباً في رجاء ما لا ينبغي، وهذا هو المعنى المراد قطعاً؛ فقد روى عنه أنه قال: «كُبَّنِي عَلى وَجْهِي فإنَّكَ إذا نَظَرْتَ في وَجْهي رَحِمْتَني، وأدْرَكَتْكَ رِقَّةٌ تحُولُ بَينك وبيْنَ أَمْرِ الله» رواه الفاكهي في «أخبار مكة» (٦)، والطبري في «التاريخ» (١/ ٢٧٥)، عن محمد بن إسحاق بن يسار، وذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٣٨٦ـ٣٨٨)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٤٩).

وقيل: كانَ مأمورًا بذبحِ الولدِ بشرطِ التَّخليةِ والتَّمكينِ فلم يُمكَّنْ؛ لأنَّه أمَرَّ السِّكِّينَ على حلقِه فانقلَبَ، وأرادَ أن يطعنَه به فانثنَى.

وقيل: جعلَ الله على حلقِه صفحةً من نُحاسٍ.

وقيل: كان يقطعُ فيلتئِمُ، وهذا ضعيفٌ؛ لأنَّ الفِداءَ وقع لعدمِ الذَّبحِ.

وقيل: رُؤيا الأنبياءِ تنقسمُ قسمَين:

رُؤيا تقعُ على ما رأى كما رأى النَّبيُّ محمَّدٌ ﷺ أنَّه يدخلُ المسجدَ الحرامَ، فكانَ كما رأى؛ لقولِه: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾ [الفتح: ٢٧].

والثّاني: أن تقعَ بخلافِ ذلك، كما رأى يوسفُ عليه السَّلامُ أحدَ عشرَ كوكبًا، فكانَ إخوتَه[١].

ورُؤيا إبراهيمَ عليه السَّلامُ من قَبيلِ الثَّاني، ولـم يأمَنْ أن يكونَ منَ القَبيلِ الأوَّلِ، فأخذَ بظاهرِه، فأخبرَه الله أنَّه بما قد فعلَ قد صدَّقَ الرُّؤيا، ثمَّ نُودِيَ: ﴿قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ﴾ دُونَك هذا الذِّبحَ فهو فِداءٌ له، فالتَفَتَ إبراهيمُ فإذا هو بكبشٍ أملَحَ ينحطُّ منَ الجبلِ، فخلَّى ابنَه، وأخذَ الكبشَ فذبحَه.

وقيل: هو قُربانُ ابنِ آدمَ الذي تُقُبِّلَ منه.

الحسنُ: وعِلٌ نزلَ منَ الجبلِ[٢].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٨٢)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٨٣)، وعده من العجائب. وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٢١) عن ابن عباس، قال: «الصخرة التي بمنى بأصل ثبير هي الصخرة التي ذبح عليها إبراهيم فداء ابنه، هبط عليه من ثبير كبش أعين أقرن له ثغاء، فذبحه، وهو الكبش الذي قربه ابن آدم فتقبل منه، فكان مخزونًا حتى فدى به إسحاق».

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.

* * *

(١٠٦) ـ ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُاْ ٱلْمُبِينُ﴾.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُاْ ٱلْمُبِينُ﴾: النِّعمةُ الظَّاهرةُ.

وقيل: الاختبارُ الظَّاهرُ، والامتحانُ الشَّديدُ، ولو تـمَّتْ تلك الذَّبيحةُ لصارَتْ سُنَّةً وذبحَ النَّاسُ أولادَهم.

* * *

(١٠٧) ـ ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾.

﴿وَفَدَيْنَٰهُ﴾ الفِداءُ: جَعْلُ الشَّيءِ مكانَ غيرِه لدفعِ الضَّررِ عنه.

﴿بِذِبْحٍ﴾ الذِّبْحُ: اسمٌ لِـمَا يُذْبَحُ، كالطِّحْنِ لِـمَا يُطْحَنُ.

﴿عَظِيمٍ﴾ صَغُرَ جِرْمُ أشكالِه بالإضافةِ إلى جِرْمِه.

وقيل: ﴿عَظِيمٍ﴾ لأنَّه رَعى في الجنَّةِ أربعينَ خريفًا.

وقيل: ﴿عَظِيمٍ﴾؛ أي: مُتَقبَّلٍ.

وقيل: لأنَّه فُدِيَ به نبيٌّ.

وقيل: هو شيءٌ أحدَثَه الله ذلك الوقتَ.

ويحتمِلُ: أنَّه إنَّما وصفَه بالعِظَمِ لبقاءِ أثرِه إلى يومِ القيامةِ؛ لأنَّه ما من سَنةٍ إلّا ويُذْبَحُ بسببِ ذلك منَ الأنعامِ ما لا يُحصيه إلّا اللهُ.

* * *

(١٠٨ ـ ١١٣) ـ ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴾.

﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ ﴾: على إبراهيمَ ﴿فِي الْآخِرِينَ[1] ﴿١٠٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ سبق في قصَّةِ نوحٍ عليه السَّلامُ.

﴿ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ ولم يقُلْ: (إنا) كما في غيرِه؛ لِـمَا تقدَّم ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [الصافات: ١٠٥]، ولأنَّه بقيَ منَ القِصّةِ شيءٌ، وسائرُ ذلك وقعَ بعد تمامِ القِصّةِ.

﴿ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾ سبق ﴿ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾: مَن جعلَ الذَّبيحَ إسماعيلَ قال: وبشَّرناه بإسحاقَ بعد إسماعيلَ، ومَن جعلَ الذَّبيحَ إسحاقَ قال: بُشِّرَ بنبوَّتِه، وقد كان بُشِّرَ بمولدِه.

﴿ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ ﴾: على إبراهيمَ ﴿وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ ﴾.

وقيل: على الغلامِ المُبشَّرِ به وعلى إسحاقَ، وهو ما رُزِقَا من الذُّرِّيةِ الصّالحةِ التي تُوجَدُ قرنًا بعد قرنٍ إلى قيامِ السّاعةِ.

وقيل: خرجَ من صُلبِ إسحاقَ ألفُ نبيٍّ؛ أوَّلُـهم يعقوبُ، وآخرُهم عيسى عليهم السَّلامُ.

وقيل: جعَلْنا فيهما وفي نسلِهما البركةَ والزِّيادةَ، تقولُ: بارَكَ الله فيك وعليك.

وقيل: معنى ﴿باركنا﴾: بقَّينا عليهم نعِمَنا، والبركةُ: البقاءُ.

﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴾؛ أي: في أولادِهما المؤمنون والظّالمونَ، وهم الكافرونَ والفاسقونَ.

---

(١) هنا ينتهي النقص في (ن).

وللعلماءِ في الذَّبحِ ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: أُمِرَ بالذَّبحِ ثمَّ نُسِخَ.

والثّاني: أنَّه أمرٌ غيرُ ممتدٍّ، فلا يحتمِلُ النَّسخَ.

والثّالثُ: أنَّه أتى بما أُمِرَ به على ما سبقَ بيانُه.

* * *

(١١٤ ـ ١١٦) ـ ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَـٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَـٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَـٰلِبِينَ ﴾.

﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴾ بالنُّبوَّةِ، المَنُّ: قطعُ الأذى بالمِنَّةِ[1]، ومنه: المَنُونُ.

﴿ وَنَجَّيْنَـٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا ﴾ يعني: بني إسرائيلَ ﴿مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ قيل: من الغرقِ. وقيل: من تعذيبِ فرعونَ.

﴿ وَنَصَرْنَـٰهُمْ ﴾ يعودُ إلى موسى وهارونَ وقومِهما، وقد تقدَّمَ ذكرُ القومِ.

﴿فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَـٰلِبِينَ﴾ على فرعونَ وقومِه.

* * *

(١١٧ ـ ١٢٢) ـ ﴿ وَءَاتَيْنَـٰهُمَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَـٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَـٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

﴿ وَءَاتَيْنَـٰهُمَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴾: التَّوراةَ يستبينُ فيه الحقُّ ويظهرُ، وبانَ وأبانَ واستبانَ بمعنًى.

---

(١) في (ف): «بالنعمة».

﴿ وَهَدَيْنَاهُمَا ٱلصِّرَاطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾: دينَ الله الإسلام؛ أي: أثبَتْناهما عليه.

﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْآخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

***

(١٢٣) - ﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾.

﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ اختلفَ المُفسِّرون في إلياسَ:

فذهبَ الجمهورُ إلى أنَّه نبيٌّ من بني إسرائيلَ بُعِثَ بعد موسى عليه السَّلامُ.

وقيل: كانَ من ولدِ هارون عليه السَّلامُ.

قتادةُ: إلياسُ اسمٌ لإدريسَ[1].

وفي حرفِ ابنِ مسعودٍ رضيَ الله عنه: (وإنَّ إدريسَ لَـمِنَ المُرسَلين)، (سلامٌ على إِدْراسين)[2].

وفي حرفِ أُبيٍّ رضي الله عنه: (وإنَّ إيليسَ لَـمِنَ المُرسَلين) (سلامٌ على إيليسين)[3].

وقيل: كانَ له اسمانِ كيعقوبَ وإسرائيلَ.

---

(١) لم أجده عن قتادة، ورواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٣٨٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٣٦)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٤٠٠) ثم قال: وإلى هذا ذهب عكرمة، قال: وتفرد عبد الله وعكرمة بهذا القول.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٩٢)، و«المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٨)، و«المحتسب» (٢/ ١٢٤).

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٨)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ٤٨٤).

وحكى الثَّعلبيُّ وغيرُه: أنَّ إلياسَ نبيٌّ من سبطِ هارونَ، بعثَه الله إلى بني إسرائيلَ، وكان فيهم ملكٌ يقالُ له: أجبٌ، وله امرأةٌ يقالُ لها: إزبيل، وكانت تبرزُ للنَّاسِ كما يبرزُ زوجُها وتجلسُ للحكمِ كما يجلسُ، فأتاهما إلياسُ ودَعاهما إلى الله فأبَيا عليه، وهَـمَّا بقتلِه، فاختفَى منهما سبعَ سنينَ، وكان اليسَعُ خليفتَه، وآلَ أمرُه إلى أن أُوحِيَ إليه: اخرُجْ إلى موضعِ كذا فما جاءكَ فاركَبْه ولا تهَبْه، فجاءَه فرسٌ من نارٍ فوثَبَ عليه وناداه خليفتُه اليسعُ بنُ أخطوبَ: يا إلياسُ ما تأمُرُني؟ فرمى إلياسُ إليه بكسائِه منَ الجوِّ، وكان ذلك علامةَ استخلافِه إيّاه على بني إسرائيلَ، ورفعَ الله إلياسَ من بين أظهُرِهم، وقطعَ عنه لذّةَ المطعمِ والمشربِ وكساه الرِّيشَ، فكانَ إنسيًّا ملكيًّا، أرضيًّا سماويًّا(١).

وقيل: بُعِثَ إلياسُ بعد حِزْقيلَ لمَّا عظُمَتِ الحوادثُ في بني إسرائيلَ.

وقيل: إلياسُ مُوكَّلٌ بالفَيافي، كما وُكِّلَ الخضِرُ بالبحارِ، وهما آخرُ مَن يموتُ من بني آدمَ(٢).

والحسنُ يقولُ: قد هلَكَ إلياسُ والخضرُ، ولا يقولُ ما يقولُ النّاسُ: إنَّهما حيَّانِ، والله أعلَمُ(٣).

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢٢/ ٤٠٢ ـ ٤١٦) في خبر طويل جدًّا عن ابن إسحاق والعلماء من أصحاب الأخبار، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٦١٦) عن ابن إسحاق. وهو بلا شك من خرافات الإسرائيليات.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٨٤)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٨٤)، وعده من العجائب. قال ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٩٧): «واختلف العلماء هل هو باق إلى يومنا هذا، على قولين حكاهما الماوردي، وكان الحسن يذهب إلى أنه مات، وكذلك كان ابن المنادي من أصحابنا يقول، ويقبِّح قول من يرى بقاءه، ويقول: لا يثبت حديث في بقائه. وروى أبو بكر النقاش أن محمد بن إسماعيل البخاري سئل =

(١٢٤) ـ ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ﴾.

﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ عذابَ الله بالإيمانِ به، وقيل: معناه: اتَّقُوا اللهَ.

* * *

(١٢٥) ـ ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾.

﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾ قيل: منَ الدُّعاءِ الذي هو الطَّلَبُ؛ أي: تطلُبونَ الخيرَ منَ الصَّنَمِ ﴿وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾.

وقيل: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾ إلـهًا، وتُعْرِضُونَ عن أحسنِ الخالقين.

وقيل: معنى ﴿أَتَدْعُونَ﴾: أتُسَمُّونَ الصَّنمَ إلـهًا؟

وفي «بعل» أقوالٌ:

أحدُها: أنَّه اسمُ صنمٍ لقومٍ كانوا يسكُنونَ موضِعًا يُقالُ له: بك، فرُكِّبا فصارَ: بَعْلَبَكَّ، فبعثَ الله إليهم إلياسَ.

وقيل: اسمُ امرأةٍ عبدَها قومٌ[1].

وقيل: البعلُ: الرَّبُّ.

وقيل: البعلُ: الرَّبُّ المُمَلَّكُ، كالزَّوجِ ربُّ البُضعِ، وهو مُملَّكٌ.

وقيل: بعل: تنِّينٌ عبدَه أهلُ ذلك الزَّمانِ.

وقولُه: ﴿أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾: المُصوِّرين، وقيل: المُقدِّرين، وقد سبقَ.

* * *

= عن الخضر وإلياس: هل هما في الأحياء؟ فقال: كيف يكون ذلك وقد قال النبي ﷺ: «لا يبقى على رأس مائة سنة ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد»؟» رواه البخاري (١١٦)، ومسلم (٢٥٣٧).

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٨٤)، وعده من العجائب.

(١٢٦) ـ ﴿ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

﴿ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ النَّصبُ على البدلِ من ﴿أَحْسَنَ﴾، ولا يجوزُ الوصفُ كما ذهبَ إليه كثيرٌ منَ المُفسِّرين، والرَّفعُ[1] على الاستئنافِ، والمعنى: اللهَ مُربِّيكم ورازِقكم ومُربِّيَ آبائِكم وأجدادِكم إلى حيثُ ينتهي ورازِقهم.

***

(١٢٧) ـ ﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾.

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾؛ أي: كذَّبه قومُه ﴿فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ في العذابِ، والإحضارُ عند الإطلاقِ لا يكونُ إلا في[2] الشَّرِّ.

قال صاحبُ «النَّظمِ»: عُرِفَ بالقرينةِ أنَّه للشَّرِّ[3].

***

(١٢٨) ـ ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾.

﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ الاستثناءُ من قولِه: ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾، وقيل: منَ المُحضَرين.

***

(١٢٩ ـ ١٣٠) ـ ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْآخِرِينَ ۝١٢٩ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ﴾.

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْآخِرِينَ ۝١٢٩ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ﴾ فيه قولانِ:

أحدُهما: أنَّه لغةٌ في إلياس، كسينا وسينينَ، ومِيكالَ وميكائيلَ.

والثّاني: أصلُه: إلياسيِّين، بياءَي النَّسبِ، ثمَّ حُذِفَ كـ﴿ٱلْأَعْجَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٨][4].

---

(١) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وأبو بكر عن عاصم (اللهُ ربُّكم وربُّ آبائكم)، وقرأ الباقون بالنصب. انظر: «السبعة» (ص: ٥٤٩)، و«التيسير» (ص: ١٨٧).

(٢) في (ف): «عند».

(٣) في (ف): «الشر».

(٤) واعترضه الزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٦٠) بقوله: «لو كان جمعاً لَعُرِّفَ بالألفِ واللاَّم»، لكنه =

وقُرِئَ: ﴿آلِ ياسينَ﴾[1]؛ فذهبَ بعضُهم إلى أنَّ ﴿يس﴾ اسمُ محمَّدٍ صلَّى الله عليه، وآلُه: عِترتُه والمؤمنون.

وقيل: على آلِ دينِ ياسين؛ يعني: المُؤمنين.

وقيل: ﴿إل﴾ زيادةٌ؛ أي: سلامٌ على يس، وهو محمَّدٌ ﷺ.

وقيل: يس: اسمُ كتابٍ من كتُبِ الله، فصارَ كقولِك: سلامٌ على آلِ القُرآنِ، حكاه أبو عليٍّ الـجُبَّائيُّ[2].

* * *

(١٣١ ـ ١٣٢) ـ ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

* * *

(١٣٣ ـ ١٣٦) ـ ﴿وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ﴾.

﴿وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ﴾ سبق.

= ذهب إليه في قراءة: (على الْياسين) بالوَصْل، فقال: «على أنه جمعٌ يُراد به إلياسُ وقومُه؛ كقَوْلِهم: الخُبيبُونَ والمُهَلَّبُونَ».

والقراءة بالوصل هي قراءة الحسن كما في «تفسير يحيى بن سلام» (٢/ ٨٤١)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٢٩٤)، وزاد ابن جني في «المحتسب» (٢/ ٢٢٣) نسبتها لابن محيصن، وعكرمة بخلاف، وأبي رجاء.

(١) قرأ بها نافع وابن عامر. انظر: «السبعة» (ص: ٥٤٩)، و«التيسير» (ص: ١٨٧).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٨٤)، وعده من العجائب.

(١٣٧ ـ ١٣٨) ـ ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِالَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَإِنَّكُمْ﴾ يا أهلَ مكّةَ ﴿لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِالَّيْلِ﴾؛ أي: تَمُرُّونَ في أسفارِكُم على ديارِهم ليلًا ونهارًا.

وقيل: بكرةً وعشيًا؛ لأنَّ سدومَ في طريقِ الشّامِ.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أنَّ مَن فعلَ ذلك بهم قادرٌ على أن يفعلَ بكم مثلَ ما فعلَ بهم.

إنْ قيلَ: لِمَ لَمْ يختِمْ قصَّةَ لوطٍ ويونسَ بالسَّلامِ أُسوةً بمَن تقدَّمَ منَ الأنبياءِ في السُّورةِ؟

قُلنا: لأنَّه لمَّا قال: ﴿وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ فكأنَّه قد قالَ: سلامٌ عليهما؛ لأنَّ الله قد سلَّمَ على جميعِ المُرسلين آخرَ السُّورةِ فقال: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ١٨١]، فاكتَفَى بذلك عن ذكرِ كلِّ واحدٍ مُنفردًا بالسَّلامِ، وأمَّا إلياسُ؛ فمنَ القبيلِ الأوَّلِ فيمَن جعلَ ﴿إِلْ يَاسِينَ﴾ لغةً في ﴿إِلْيَاسَ﴾، ومَن جعلَه غيرَه أو قرأ ﴿آلِ ياسينَ﴾ فمنَ القَبيلِ الثّاني. والله أعلَمُ.

* * *

(١٣٩ ـ ١٤٠) ـ ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾.

﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ﴾: هرَبَ.

ابنُ عيسى: الآبِق: الفارُّ إلى حيثُ لا يهتَدي إليه الطَّالبُ، فشُبِّهَ يونسُ بالفارِّ من مولاهُ(١).

وقيل: أبَقَ: خرَجَ. وقيل: فَزِعَ. وقيل: تباعَدَ.

﴿إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾: المملوءِ، وقيل: المُجهَّزِ.

---

(١) ذكره ابن فورك في «تفسيره» (٢/ ٢٥٠) بلا نسبة.

وكان يونسُ عليه السَّلامُ وعدَ قومَه العذابَ، فلمَّا تأخَّرَ العذابُ عنهم خرَجَ كالمُتَشَوِّرِ[1] منهم، فقصدَ البحرَ وركبَ السَّفينةَ.

وقيل: لـمَّا وعدَهُم بالعذابِ خرجَ من بينِ أظهُرِهم كعادةِ الأنبياءِ إذا نزلَ بقومِهم العذابُ، وكان ذلك بغيرِ إذنٍ منَ الله، وقد سبق.

***

(١٤١) ـ ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ﴾.

﴿فَسَاهَمَ﴾: قارَعَهم مرَّةً، وقيل: ثلاثَ مرَّاتٍ. وقيل: سبعينَ مرَّةً.

والمُساهمةُ: إلقاءُ السِّهامِ على جهةِ القُرعةِ.

﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ﴾؛ أي: فوقعَ السَّهْمُ عليه، فكانَ منَ المقروعين المغلوبين بالحجّةِ، تقولُ: دَحَضَتْ حُجَّتُه فهي داحِضةٌ، وأدحَضْتُ زيدًا؛ إذا أدحَضْتَ حجَّتَه وغلبتَه.

ابنُ عيسى: المُدْحَضُ: المُلقَى في البحرِ، والدَّحْضُ: الزَّلَقُ[2].

***

(١٤٢) ـ ﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾.

﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ﴾: ابتلَعَه، وقيل: أخذَه بفيه كاللُّقمةِ.

﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾: أتى بما يُلامُ عليه.

وقيل: يلُومُ نفسَه.

وقيل: يُلامُ. والوجهُ الأوَّلُ.

***

---

(١) المتشوِّرُ: الخجلان. انظر: «تاج العروس» مادة: (ش و ر)، (١٢/ ٢٥٧).

(٢) ذكر نحوه ابن فورك في «تفسيره» (٢/ ٢٥٠) بلا نسبة.

(١٤٣) ـ ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ﴾.

﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ﴾: المُصلِّين قبلَ ذلك.

وقيل: هو من قولِه: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

وقيل: منَ التَّائبين.

وقيل: منَ العابدين.

وقيل: منَ المُصلِّين في بطنِ الحوتِ.

* * *

(١٤٤) ـ ﴿لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾.

﴿لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ فيه ثلاثةُ أوجهٍ:

أحدُها: بقيَ هو والحوتُ إلى يومِ البعثِ.

والثّاني: يموتُ الحوتُ ويبقى هو في بطنِه.

والثّالثُ: يموتانِ ثمَّ يُحشَرُ يونسُ من بطنِه.

فلم يلبَثْ لكونِه منَ المُسبِّحينَ في بطنِ الحوتِ إلّا ساعةً منَ الزَّمانِ عند الحسنِ(١).

وقيل: التَقَمَه ضُحًى ولفَظَه عشيَّةً.

قتادةُ: ثلاثةَ أيامٍ(٢).

---

(١) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» (٤/ ٣١٣) بلفظ: «لم يلبث إلا قليلًا وأخرج من بطنه بعيد الوقت الذي التقم فيه».

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٣٠)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٦٨).

وقيل: سبعةَ أيامٍ.

وقيل: أربعينَ يومًا، وعليه الأكثَرون.

قال أبو عليٍّ: ستَّةَ أشهرٍ(١).

* * *

(١٤٥) ـ ﴿فَنَبَذْنَهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴾.

﴿فَنَبَذْنَهُ بِٱلْعَرَآءِ ﴾: رَمَيناه بالمكانِ الخالي الذي لا شجرَ فيه ولا بناءَ.

وقيل: العَراءُ: الفضاءُ.

وقيل: العَراءُ: الأرضُ.

وقيل: السّاحلُ.

﴿وَهُوَ سَقِيمٌ ﴾: مريضٌ مـمَّا نالَه من الْتِقامِ الحوتِ.

وقيل: صارَ كبدنِ الأطفالِ في الرِّقَّةِ والضَّعْفِ.

وقيل: كالفرخِ المُمَعَّطِ(٢).

* * *

(١٤٦) ـ ﴿ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴾.

﴿ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴾ أكثرُهم على أنَّها القَرْعُ، واليَقْطِينُ من الشَّجرِ: ما له ورقٌ عريضٌ مُنبسطٌ على وجهِ الأرضِ.

ويحتمِلُ أنَّه خُصَّ بالقَرْعِ؛ لأنَّه لـمَّا نُبِذَ بالعَراءِ كان في غايةِ الرِّقَّةِ واللَّطافةِ،

---

(١) لعلّه الجبائي، فالمصنف ينقل عنه وعن الفارسي، ولم أقف على قوله، وليس عليه وعلى ما قبله دليل، وليس لنا بها حاجة. قال أبو حيان في «البحر المحيط» (٩/ ١٢٤): «ذكر في مدة لبثه في بطن الحوت أقوال متكاذبة، ضربنا عن ذكرها صفحاً».

(٢) أي: لا يغطي جلده شيء. انظر: «لسان العرب» مادة: (م ع ط)، (٧/ ٤٠٥).

فكان يُؤذيه وقوعُ الذُّبابِ عليه، وورقُ القرعِ لا يحومُ حولَه الذُّبابُ ولا يقعُ عليه[١]. والله أعلَمُ.

وفي بعضِ التَّفاسيرِ: وكانت تختلفُ إليه وَعلةٌ يشربُ من لبنِها حتَّى قوِيَ[٢].

ثمَّ يبِسَتِ الشَّجرةُ فبكى حُزنًا عليها، فأُوحِيَ إليه: أتبكي على هلاكِ شجرةٍ ولا تبكي على هلاكِ مئةِ ألفٍ أو يزيدون[٣]؟

***

(١٤٧) ـ ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾.

﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ فيه قولانِ:

أحدُهما: هم القومُ الذين بُعِثَ إليهم قبلَ الالتقامِ، فيكونُ (قد) مُضمَرًا.

والثَّاني: أُرْسِلَ بعد الخروجِ من بطنِ الحوتِ إلى قومٍ غيرِ الأُوَلِ.

وقيل: يجوزُ أن يكونَ أُرسِلَ إلى الأوَّلينَ بشريعةٍ أُخرَى فآمَنُوا به[٤].

قولُه: ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾ ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: ثلاثينَ ألفًا[٥].

وقيل: بضعةً وثلاثينَ ألفًا[٦]. وقيل: بضعةً وأربعينَ. وقيل: سبعينَ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٨٥)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٨٥)، وعده من العجائب.

(٣) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٦٣٦) عن سعيد بن جبير، وذكره البغويُّ في «تفسيره» (٤/ ٤٨) عن مقاتل.

(٤) في (ف): «بها».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٦٣٧) بلفظ: «بل يزيدون، كانوا مائة ألف وثلاثين ألفًا»، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٣١) بلفظ: «يزيدون ثلاثين ألفًا».

(٦) «ألفًا»: ليس في (ف).

وجاء مرفوعًا: عشرينَ ألفًا[1].

ويحتمِلُ: ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾ في مرورِ الزَّمانِ؛ لأنَّه بقيَ فيهم مدَّةً؛ لقولِه: ﴿فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾.

وفي ﴿أَوْ﴾ أقوالٌ:

أحدُها: بمعنى الواوِ.

والثّاني: بمعنى: بل.

والثّالثُ: هو للإبهامِ على أصلِه في حقِّ المُخاطَبين؛ أي: لو رآهُم واحدٌ منكم لقالَ: مئةُ ألفٍ أو يزيدون، وكذلك ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم: ٩]، وهذا مذهبُ النُّحاةِ.

وقيل: كان الفرضُ عليه أن يدعُوَ مئةَ ألفٍ، ثمَّ خيَّرَه فيما بعدُ؛ أي: أو يزيدون إنْ شاءَ.

قُلْتُ: يمتنعُ أن يكونَ ﴿يَزِيدُونَ﴾ عطفًا على ﴿مِائَةِ أَلْفٍ﴾ من وجهَينِ:

أحدُهما: أنَّ قولَه: ﴿يَزِيدُونَ﴾ فعلٌ، والفعلُ لا يُعْطَفُ على الاسمِ.

والثّاني: أنَّ ﴿مئةِ﴾ مجرورٌ بـ﴿إِلَىٰ﴾، والفعلُ لا يليه حرفُ الجرِّ، بل التَّقديرُ: إلى مئةِ ألفٍ أو ذَوي عددٍ يزيدونَ على مئةِ ألفٍ.

ويحتمِلُ أيضًا أنَّ التَّقديرَ: أرسَلْناه إلى مئةِ ألفٍ، أو أرسَلْناه إلى قومٍ يزيدونَ على مئةِ ألفٍ، و﴿أَوْ﴾ للإبهامِ في حقِّ المُخاطَبين كما سبقَ. والله أعلَمُ.

* * *

(١٤٨) ـ ﴿فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾.

﴿فَآمَنُوا﴾ به وبما أُرسِلَ به، وعلى القولِ الأوَّلِ: جدَّدُوا إيمانَهم.

---

(١) روى الترمذي (٣٢٢٩) عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن قول الله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ قال: «عشرون ألفًا»، وقال الترمذي: «هذا حديث غريب». وفي سنده ضعيف ومجهول.

﴿فَمَتَّعْنَاهُمْ﴾: بقَّيْناهُم في لذَّةٍ وراحةٍ ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾: إلى مُنتهى آجالِهم.

* * *

(١٤٩) ـ ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ﴾.

﴿فَاسْتَفْتِهِمْ﴾: سَلْ يا محمّدُ أهلَ مكّةَ، والاستفتاءُ: طلبُ الفتوى، وهي: جوابُ المسألةِ؛ أي: سَلْهُم سؤالَ توبيخٍ وتجهيلٍ؛ يعني: بني خُزاعةَ؛ لأنَّهم زعموا أنَّ الملائكةَ بناتُ الله.

﴿أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ﴾؛ أي: أيُّ قياسٍ يقتضي أن يختارَ سُبحانَه لنفسِه الأنقصَ ويجعلَ لكم الأفضلَ؟!

* * *

(١٥٠) ـ ﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾.

﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾: حاضِرون خَلْقَنا إيّاهُم، فهم يشهَدُونَ عن مُشاهدةٍ وعِيَانٍ.

* * *

(١٥١ ـ ١٥٢) ـ ﴿أَلَا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ (١٥١) وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾.

﴿أَلَا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ (١٥١) وَلَدَ اللَّهُ﴾؛ أي: لم يقولوا عن قياسٍ ولا مُشاهدةٍ، بل عن كذبٍ محضٍ يقولون: ولدَهم الله، ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ في هذا وفي سائرِ ما يتديَّنونَ به.

* * *

(١٥٣) ـ ﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾.

﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾ مَن وصلَ الألفَ جعلَه بدلًا من قولِه: ﴿وَلَدَ

﴿ٱللَّهُ﴾، أو بإضمارِ القولِ على تقديرِ: (يقولون: اصْطفَى البناتِ على البنينَ). ومَن قطعَ الألفَ جعلَه استفهامًا ووصلَه بقولِه: ﴿أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ﴾[1].

﴿أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ﴾ والاصطِفاءُ: أخذُ صفوةِ الشَّيءِ؛ أي: فكيفَ أخذَ الشَّائبَ الكَدِرَ وتركَ الصَّفْوَ الخالِصَ؟

* * *

(١٥٤ ـ ١٥٥) ـ ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾.

﴿مَا لَكُمْ﴾: أيُّ شيءٍ لكم في هذه الدَّعوى ﴿كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ لربِّكم ما لا ترضَونَه لأنفُسِكم؟ ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أنَّه واحدٌ لا ولدَ له؛ لا ذكرًا ولا أُنثَى؟

* * *

(١٥٦ ـ ١٥٧) ـ ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ﴾ كتابٌ من عندِ الله فيه أنَّ الملائكةَ بناتُ الله.

﴿فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ﴾؛ أي: فأتُوا بذلك ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في دَعواكُم؛ أي: بقيَ في القسمةِ وجهٌ ثالثٌ لـمَّا بطلَ القياسُ والمُشاهدةُ، وهو: إخبارُ صدقٍ؛ أي: في كتابٍ من عندِ الله، وليس عندَكم ذلك أيضًا، فقد بطلَ حجَّتُكم وظهرَ عِنادُكم.

* * *

---

(١) قرأ أبو جعفر بوصل الهمزة على لفظ الخبر، فيبتدئ بهمزة مكسورة، واختلف عن ورش؛ فروى الأصبهاني عنه كذلك، وهي رواية إسماعيل بن جعفر عن نافع، وروى عنه الأزرق بقطع الهمزة على لفظ الاستفهام، وكذلك قرأ الباقون. انظر: «السبعة» (ص: ٥٤٩)، و«النشر» (٢/ ٣٦٠).

(١٥٨) ـ ﴿وَجَعَلُواْ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًاۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾.

﴿وَجَعَلُواْ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ﴾: الملائكةِ ﴿نَسَبًا﴾ حينَ قالوا: إنَّهم بناتُ الله، وسمَّوا الملائكةَ جِنَّةً لاستِتارِهم عن العيونِ.

وقيل: إنَّ أهلَ الجاهليّةِ كانوا يُسمُّونَ الملائكةَ جِنّةً.

وقيل: هم بطنٌ منَ الملائكةِ.

وقيل: سُمُّوا جِنَّةً لأنَّهم في الجنانِ.

وجماعةٌ منَ المُفسِّرين على أنَّ الجِنَّةَ هاهنا: الجِنُّ المعروفُ.

وقال الكلبيُّ: قالوا: الباري سبحانَه تزوَّجَ إلى الجنِّ فخرجَ منها الملائكةُ[١].

عِكرمةُ: قالوا: سَرَواتُ الجِنِّ بناتُ الرَّحمنِ[٢].

وقال بعضُ الكفّارِ: إبليسُ والباري أخوانِ، والنُّورُ والخيرُ منَ الله، والظُّلمةُ والشَّرُّ من إبليسَ[٣]، تعالى الله عمَّا يقولُ الظّالمونَ علُوًّا كبيرًا.

وقال الحسنُ: أشرَكُوا الشَّيطانَ في عبادةِ الله، فهو النَّسبُ الذي جعلوا بين الله وبين الجِنّةِ[٤].

---

(١) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (١/ ٤٧٢)، والواحدي في «البسيط» (١٩/ ١٢١) عن الكلبي من قول الزنادقة، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٨٦)، واستغربه.

(٢) رواه عبد بن حميد كما في «الدر المنثور» (٧/ ١٣٣)، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ١٥٤).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٨٦)، وعده من العجائب.

(٤) ذكره ابن فورك في «تفسيره» (٢/ ٢٥٥)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٤٣٥)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٧٠)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٨٦)، واستغربه.

﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ السُّدِّيُ والزَّجَّاجُ والفرَّاءُ: علِمَتِ الملائكةُ إنَّ الذين قالوا هذا القولَ لمُحضَرون في النّارِ[1].

مجاهدٌ: أي: عَلِمَتِ الملائكةُ إنَّهم لمُحضَرون للحسابِ[2]، والقولُ هو الأوَّلُ.

ومَن قال: إنَّ الجِنَّةَ هم الجِنُّ المعروفُ قال: ولقد علِمَ الجِنُّ الذين نسبُوهم إلى الله أنَّهم مُعذَّبون، وهذا فيه كلامٌ، أو يُحمَلُ على المُستقبلِ.

* * *

(١٥٩) ـ ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾.

﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ نزَّهَ نفسَه عن الولدِ والوالدِ والأخِ والصّاحبةِ.

* * *

(١٦٠) ـ ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾.

﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ تقدَّمَ، تقديرُه: لمُحضَرونَ إلّا عبادَ الله المُخلَصين، فإنَّهم لا يُحضَرون.

* * *

(١٦١ ـ ١٦٣) ـ ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ﴾.

﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾؛ أي: مِنَ الآلهةِ، وهذا خطابٌ لأهلِ مكّةَ مُتَّصلٌ بقولِه: ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ﴾.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٩٤)، و«معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٣١٥)، وذكره النحاس في «معاني القرآن» (٦/ ٦٦)، وقال: «كذا قال السدي، وهو صحيح، وكذا كل ما في السورة من محضرين».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٦٤٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٣١).

﴿مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ بِفَٰتِنِينَ﴾؛ أي: مُهلِكين، وقيل: الفاتنُ: الدّاعي إلى الضَّلالِ بتزيينِه.

﴿إِلَّا مَنۡ هُوَ صَالِ ٱلۡجَحِيمِ﴾: داخلُ النَّارَ، والمعنى: إلَّا مَن أضلَّه الله.

وقيل: إلَّا مَن تولَّيتُم.

وقيل: إلَّا مَن قَدَّرَ اللهُ له أن يصلَى الجحيمَ.

وقيل: إلّا مَن في علمِ الله أنَّه يصلَى الجحيمَ.

الحسنُ: معناه: يا بني إبليسَ ليس لكم سلطانٌ إلّا على مَن هو صالِ الجحيمِ[1]؛ أي: يُعذَّبُ بنيرانِها.

***

(١٦٤ ـ ١٦٦) ـ ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٞ مَّعۡلُومٞ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡمُسَبِّحُونَ﴾.

﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٞ مَّعۡلُومٞ﴾ أي: وما منَّا أحدٌ إلّا له مقامٌ معلومٌ، فيه أقوالٌ:

الجمهورُ: على أنَّه كلامُ الملائكةِ؛ أي: وما منَّا مَلَكٌ إلّا له في السَّماءِ مَقامٌ معلومٌ يعبدُ الله هناك.

﴿وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ﴾؛ أي: نقِفُ صُفوفًا فيها، وقيل: حولَ العرشِ. وقيل: في الهواءِ.

وقيل: الصّافُّونَ في الصَّلاةِ.

﴿وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡمُسَبِّحُونَ﴾: المُنزِّهون المُمَجِّدُون، فمن أينَ استحقَقْنا العبادةَ عند الكفَّارِ؟

---

(١) ذكره يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٨٤٧)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٦٤٨).

وعن عائشةَ رضي الله عنها عن رسولِ الله ﷺ أنَّه قالَ: «ما في السَّماءِ الدُّنيا موضعُ قدمٍ إلّا عليه مَلَكٌ ساجدٌ أو قائمٌ»(١).

قتادةُ: كان يُصلِّي الرِّجالُ والنِّساءُ معًا حتَّى نزلَتْ: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعۡلُومٌ﴾، فتقدَّمَ الرِّجالُ وتأخَّرَ النِّساءُ، قال: وكانوا يُصلُّونَ فُرادَى حتَّى نزلَتْ: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾(٢).

وقيل: المُضْمَرون في هذا هو النَّبيُّ ﷺ والمؤمنون، ومَن خاطبَهم منَ الكفَّارِ، يقولُ: ليس منَّا ومنكم إلَّا مَن له في الآخرةِ مَقامٌ معلومٌ كقولِه: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾ الآياتِ الأربعَ [النازعات: ٣٧ ـ ٤١]، وكذلك قولُه: ﴿وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ﴾؛ أي: النَّبيُّ ﷺ والمؤمنون؛ أي: نحنُ الصّافُّون لله في الصَّلاةِ، ونحنُ المُسبِّحونَ المُنزِّهونَ اللهَ عن السُّوءِ.

وقيل: ما مِنَّا يومَ القيامةِ إلّا مَن له مقامٌ معلومٌ بينَ يدَي الله(٣).

* * *

(١) رواه المروزي في «الصلاة» (٢٥٣)، والدولابي في «الكنى والأسماء» (١٨٢٤)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٥٠٨). وروى الترمذي (٢٣١٢) وابن ماجه (٤١٩٠) من حديث أبي ذر رضي الله عنه مرفوعاً: «إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، أطت السماء وحق لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجداً لله...»، قال الترمذي: «حديث حسن غريب... ويروى عن أبي ذر موقوفًا».

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٧٢)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٨٦)، واستغربه.

(٣) عزاه المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٨٦) للكوفيون ثم قال: «وهذا لا يجوز عند البصريين».

(١٦٧ ـ ١٧٠) ـ ﴿وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ﴾ الضَّميرُ يعودُ إلى كفَّارِ مكّةَ، كانوا يقولون: لو جاءنا كتابٌ كما جاء غيرَنا منَ الأوَّلين لأخلَصْنا عبادةَ الله.

وقيل: لو أنَّ عندَنا علمًا كما للأوَّلين من كتابٍ ورسولٍ.

وقيل: المُرادُ بالأوَّلين النَّبيُّون والصَّالحون، وهو قولُه: ﴿لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾.

﴿فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾؛ أي: فلمَّا جاءَهُم محمَّدٌ ﷺ ومعه القرآنُ، وفيه ذِكرٌ منَ الأوَّلينَ وذِكرٌ منَ الآخِرين ﴿كفَروا به﴾، الهاءُ يعودُ إلى محمَّدٍ ﷺ.

وقيل: إلى الذِّكرِ.

وقيل: للآيةِ وجهٌ آخرُ؛ وهو: أنَّهم قالوا: لو علِمْنا حالَ آبائِنا وما آلَ إليه أمرُهم وكانَ ذلك كما يقولُه محمَّدٌ ﷺ لآمنَّا به وأخلَصْنا، لكِنَّا على شكٍّ ممَّا يقولُه فلا نُصدِّقُه، وهو قولُه: ﴿فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾.

ثمَّ أوعدَهُم فقال: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عاقبةَ أمرِهم[1].

* * *

(١٧١) ـ ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ﴾؛ أي: سبقَ وعدُنا إيّاهُم بالنُّصرةِ، وهو قولُه: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ الآية [غافر: ٥١].

وقيل: ﴿كَلِمَتُنَا﴾ ما ذُكِرَ من قولِه:

---

(١) في (ف): «كفرهم».

(١٧٢ ـ ١٧٣) ـ ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ۝١٧٢ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾.

﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ﴾ بالحجَّةِ ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾، ولم يُقْتَلْ نبيٌّ في معركةٍ وقتالٍ، وإنَّما قُتِلَ منهم مَن لم يُؤمَرْ بالقتالِ.

وقيل: هم المنصورون بالحجَّةِ والغالبون بالسُّلطانِ.

الكلبيُّ: إنْ لم يُنصَروا في الدُّنيا نُصِروا في الآخرةِ(١).

* * *

(١٧٤) ـ ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾: أعرِضْ عن قولِهم ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾: إلى يومِ بدرٍ.

وقيل: إلى فتحِ مكَّةَ.

وقيل: إلى الموتِ.

وقيل: إلى يومِ القيامةِ.

وقيل: إلى أن تُؤمَرَ بالقتالِ.

والآيةُ منسوخةٌ. وقيل: ثابتةٌ.

* * *

(١٧٥) ـ ﴿وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾.

﴿وَأَبْصِرْهُمْ﴾؛ أي: وأبصِرْ ما ينالُهم يومَئذٍ ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ ذلك.

وقيل: وأنظِرْهُم إلى ذلك الوقتِ(٢).

---

(١) ذكره الزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٦٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) هذه العبارة في تفسير الآية السابقة، ومقتضاها أن يكون الهين الذي وُقِّت لإنظارهم وقت معاينتهم العذاب في الدنيا.

وقيل: أبصِرْ حالَـهم بقلبكَ، فسوف يُبصِرونَ مُعايَنةً.

وقيل: أعلِمْهم فسوفَ يعلَمون.

وقيل: أبصِرْ ما ضيَّعوا من أمرِنا، فسوفَ يُبصِرون ما يحلُّ بهم من عذابِنا.

* * *

(١٧٦) - ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾.

﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ لمَّا نزلَ: ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ قالوا: متى هذا الذي تُوعِّدْنا به؟ فنزلَتْ: ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾.

* * *

(١٧٧) - ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ﴾.

﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ﴾: بدارِهم؛ أي: العذابُ.

وقيل: محمَّدٌ ﷺ.

﴿فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ﴾: فبئسَ صباحُ الكافرينَ يومُ نزولِ العذابِ، وذُكِرَ الصَّباحُ والمُرادُ به اليومُ.

وقيل: نزلَ وقتَ الصُّبحِ، كما نزلَ بقومِ لوطٍ من قولِه: ﴿أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ [هود: ٨١].

* * *

(١٧٨ - ١٧٩) - ﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ (١٧٨) وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾.

﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ (١٧٨) وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ قيل: هذا التَّكرارُ[1] للتَّأكيدِ.

وقيل: الأوَّلُ في الدُّنيا، والثَّاني في الآخرةِ.

---

(١) في (ف): «تكرار».

وقيل: ترى اليومَ عزَّهم إلى ذلٍّ، وترى بعدَ اليومِ ما تحتقِرُ معه ما شاهدتَهم فيه من عذابِ الدُّنيا، وحُذِفَ الضَّميرُ اكتفاءً بالأوَّلِ.

***

(١٨٠ ـ ١٨١) ـ ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ نزَّهَ نفسَه، وأمرَ المؤمنين بالتَّنزيهِ.

ومعنى ﴿رَبِّ الْعِزَّةِ﴾: ذو العِزّةِ؛ لأنَّ العِزّةَ صِفتُه لا مربوبُه، وفي الحديثِ أنَّ ابنَ عبّاسٍ رضي الله عنهما سمعَ رجلًا يقولُ: اللَّهمَّ ربَّ القرآنِ، فأنكرَ عليه وقال: القرآنُ ليس بمربوبٍ، ولكنَّه كلامُ الله[1].

﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ عمَّمَ الرُّسلَ بالسَّلامِ بعدما خصَّ البعضَ في السُّورةِ؛ لأنَّ تخصيصَ كلِّ واحدٍ بالذِّكرِ يطولُ.

وعن أنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إذا سلَّمْتُم عليَّ فسلِّموا على المُرسَلين؛ فإنَّما أنا رسولٌ منَ المُرسَلين»[2].

---

(١) رواه ابن بطة في «الإبانة» (٤٠)، واللالكائي في «الاعتقاد» (٣٧٦)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٥١٩).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٦٦١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٣٤) عن قتادة مرسلًا.

ورواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٤٤٣) عن قتادة عن أنس رضي الله عنه.

ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٣٤) عن قتادة عن أنس عن أبي طلحة رضي الله عنهما.

وروى البزار في «مسنده» (٩٤١٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٣٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «صلوا على أنبياء الله فإن الله تبارك وتعالى بعثهم كما بعثني». وانظر: «جلاء الأفهام» (ص: ٤٦٢).

وقيل: المُرادُ بهم مَن تقدَّمَ ذِكرُهم في السُّورةِ.

والقولُ هو الأوَّلُ، والمعنى: يُسلِّمُهم ويُؤمِّنُهم من كلِّ مكروهٍ.

و﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ مُتعلِّقٌ بالعِزَّةِ؛ أي: امتنعَ عمَّا يصِفُونَ.

***

(١٨٢) ـ ﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ على هلاكِ الكافرينَ.

وقيل: علَّمَ عبادَه كيف يحمَدونَه في الفواتحِ والخواتمِ.

وعن عليِّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه أنَّه قال: مَن أحبَّ أن يكتالَ بالمكيالِ الأوفى منَ الأجرِ يومَ القيامةِ فليكُنْ آخرُ كلامِه من مجلسِه: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ إلى آخرِ السُّورةِ(١)(٢).

***

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٤٤٥ ـ ٤٤٦)، والواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٣٦). وفي إسناده الأصبغ بن نباتة رمي بالكذب. انظر: «تهذيب الكمال» للمزي (٣/ ٣٠٨). ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٣٤) عن الشعبي.

(٢) بعدها في (ف): «تمَّ الرُّبعُ الثّالثُ من كتابِ لُبابِ تفسيرِ القرآنِ، ويتلوه في الرُّبعِ الرّابعِ أوّلُ سورةِ ص. والحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلّى الله على سيِّدِنا محمَّدٍ المُصطَفى وآلِه الطّاهرين. اتَّفَقَ الفَراغُ من كَتْبِه يومَ الخميسِ العاشر من شهرِ صفَرٍ سنةَ أربعٍ وخمسينَ وستِّ مئةٍ هجريّة، كاتبُه العبدُ الضَّعيفُ المُحتاجُ إلى رحمةِ الله تعالى عليُّ بنُ عبدِ الله بنِ محمودٍ المُؤذِّنُ بجامعِ عربي عسكر مكرم، غفرَ الله له ولوالدَيه ولجميعِ المؤمنين. آمين يا ربَّ العالَـمين».

سُورَةُ صٓ

سُورَةُ صٓ

ثمانٍ وثمانونَ آيةً[1]، مكِّيَّةٌ.

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٢) ـ ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ۝١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ﴾.

﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ﴾ سبقَ الكلامُ[2] في الحروفِ، وتختصُّ ﴿صٓ﴾ بأقوالٍ:

قال ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: اسمُ بحرٍ عليه عرشُ الرَّحمنِ[3].

سعيدُ بنُ جُبَيرٍ: ﴿صٓ﴾ بحرٌ يحيي اللهُ به الموتى بين النَّفختَينِ[4].

وقيل: اسمٌ من أسماءِ الله.

وقيل: اسمٌ للقرآنِ.

وقيل: اسمُ السُّورةِ.

---

(١) «ثمان وثمانون آية»: ليست في (ف). وانظر: «البيان في عد آي القرآن» (ص: ٢١٤)، وفيه: «خمس وثمانون في البَصْري، وهو عدد عَاصِم الجحدري، وست في عدد المدنيين والمكي والشامي، وثمان في الكوفي، اختلافُها ثلاث آيات...».

(٢) في (ف): «القول».

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٤٥٢)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٨٩)، واستغربه.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٤٥٢)، والواحدي في «البسيط» (١٩/ ١٣٥).

الفَرَّاءُ: هو كقولك: وجَبَ واللهِ، نزلَ واللهِ[١].

وقيل: صدَقَ اللهُ والقرآنِ.

وقُرِئَ بالفتحِ[٢]، كأنَّه حُرِّكَ بالفتحِ لالتقاءِ السّاكنَينِ.

وقيل: اسمٌ للسُّورةِ لا ينصرفُ؛ أي: اقرأ صادَ.

وقيل: فعلٌ ماضٍ؛ أي: صادَ محمَّدٌ قلوبَ العبادِ[٣].

وقُرِئَ بالكسرِ[٤] لالتقاءِ السّاكنَينِ.

وقيل: أمرٌ من صادَى[٥] يُصادي؛ أي: صادِ بالقرآنِ عملَكَ[٦].

قال أبو عليٍّ: الواوُ بدلٌ منَ الباءِ في غيرِ القسَمِ[٧].

﴿ذِي ٱلذِّكۡرِ﴾: ذي البيانِ.

وقيل: ذي الشَّرفِ.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٩٦).

(٢) أي: صادَ، ونسبت لعيسى الثقفي ومحبوب عن أبي عمرو. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٩)، و«المحتسب» (٢/ ٢٣٠).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٨٩)، وعده من العجائب.

(٤) أي: صادِ، ونسبت لأبي بن كعب والحسن وابن أبي إسحاق وأبي السمال وابن أبي عبلة ونصر بن عاصم. انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٩٦)، و«المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٩)، و«المحتسب» (٢/ ٢٣٠)، و«البحر» (١٨/ ٢٢٨).

(٥) في هامش (ف): «وقيل: صادى من المقابلة ومنه الصدى في الجبل».

(٦) ذكره أبو علي في «الحجة» (٤/ ١٤٩)، وزاد: «ومن ذلك الصدى، وهو انعكاس الصوت إذا فعل في موضع صقيل كثيف».
وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٨٩)، واستغربه.

(٧) انظر: «الإيضاح العضدي» لأبي علي الفارسي (ص: ٢٥٥).

وقيل: فيه ذِكرُ الأوَّلين ونبأُ الآخِرينَ.

المُبرِّدُ: ذي الذِّكرِ؛ أي: ذي المنعِ منَ[1] القبيحِ كما تمتنعُ الذُّكرةُ وهي الصَّخرةُ الشَّديدةُ الصَّلابةِ.

والجمهورُ على أنَّ ﴿وَٱلْقُرْءَانِ﴾ قسَمٌ، واختلفُوا في الجوابِ:

فقال بعضُهم: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ﴾.

وقال بعضُهم: ﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ﴾.

وقيل: مُضمَرٌ؛ أي: ليُبعَثُنَّ.

وقيل: مُقدَّمٌ على أن يكونَ ﴿صٓ﴾ اسمًا للقرآنِ، فيكونُ التَّقديرُ: اذكُرْ صاد والقرآنِ، كما تقولُ: قُم واللهِ، وكذلك[2]: صدَقَ اللهُ والقرآنِ.

وقيل: جوابُه ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ والتَّقديرُ: لَكَمْ أهلَكْنا، كما في قولِه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ في سورةِ (الشَّمسِ)؛ أي: لقد أفلَحَ، لكنْ لمَّا حيلَ بين القسمِ والمُقسَمِ عليه حُذِفَ اللَّامُ فصارَ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾، وكذلك[3] هاهنا، وهذا قولُ الفرّاءِ[4]، وهو غيرُ مرضيٍّ عند البصريِّين؛ لأنَّ (كم) لتضمُّنِه معنى الاستفهامِ لا يعملُ فيه ما قبلَه، فله صدرُ الكلامِ لا حاجةَ به إلى اللّامِ.

وقيل: جوابُه مُضمَرٌ دلَّ عليه:

---

(١) في (ف): «عن».

(٢) في (ن): «فكذلك».

(٣) في (ف): «فكذلك».

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٩٧)، وذكره المصنف فِي ئب التفسير» (٢/ ٩٩٠) وعده من العجائب.

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾، وتقديرُه: ما آمنَ بك قومُك، بل هم ﴿فِى عِزَّةٍ﴾.

و(بل) لتركِ كلامٍ وأخذِ كلامٍ آخرَ.

قولُه: ﴿فِى عِزَّةٍ﴾؛ أي: أَنَفةٍ منَ الانقيادِ للحقِّ.

وقيل: معنى ﴿فِى عِزَّةٍ﴾: عازُّوا الرُّسلَ وطلبوا بتكذيبِهم أن يكونوا أعزَّ منهم.

وقيل: ﴿فِى عِزَّةٍ﴾: في امتناعٍ من أتباعِهم.

وقيل: في منَعةٍ بتمكينِ الله إيّاهم، قد تقوَّوا به على دفعِ الحقِّ.

وقيل: في تمنُّعٍ على مَن يدعُوهم إلى رشدٍ.

وقيل: في تكبُّرٍ عن قَبولِ الحقِّ.

﴿وَشِقَاقٍ﴾: خلافٍ وعداوةٍ، وقيل: فراقٍ.

* * *

(٣) ـ ﴿كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٍ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾.

﴿كَمۡ أَهۡلَكۡنَا﴾؛ أي: كم قرناً، وقيل: كم مرَّةً أهلكْنا[١].

﴿مِن قَبۡلِهِم﴾: قبلِ قومِك ﴿مِّن قَرۡنٍ﴾: أمَّةٍ منَ الأممِ.

وقيل: القرنُ: الزَّمانُ، والتَّقديرُ: من أهلِ زمانٍ، وهو ثلاثون سنةً.

وقيل: أربعون سنة.

وقيل: ستُّونَ سنةً.

وقيل: ثمانونَ.

وقيل: مئةٌ.

---

(١) في (ف): «أهلكت».

وقيل: مئةٌ وعشرونَ سنةً.

﴿فَنَادَواْ﴾: رفَعوا أصواتَهم بالويلِ، وأظهروا النَّدمَ في البكاءِ على أنفسِهم، والنِّداءُ: رفعُ الصَّوتِ، من قولِ العربِ: هو أندى صوتًا من غيرِه.

﴿وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: أصلُه (لا) زِيدَ عليه التَّاءُ كما زيد في (ثُمَّتَ) و(رُبَّتَ)، فيكونُ ﴿حِينَ﴾ منصوبًا به، والخبرُ محذوفٌ؛ أي: لا حينَ مناصٍ لهم، ويختصُّ بالدُّخولِ على الأزمنةِ فحسب.

والثّاني: أنَّ أصلَه (ليس) ثمَّ قُلِبَ[1] الياءُ ألفًا، وقُلِبَ السِّينُ تاءً، كما قال الشّاعرُ:

يا قبَّحَ[2] اللهُ بني السِّعْلاتِ ... عَمرَو بنَ يَربُوعٍ شِرارَ النَّاتِ[3]

يُرِيدُ: النّاس، فيكونُ الاسمُ مُقدَّرًا، وتقديرُه: وليس الحينُ حينَ مناصٍ.

والثّالثُ: أنَّ التَّاءَ مُلحَقٌ بـ(حين) كما قال:

العاطِفونَ تَحِينَ مَا مِن عاطِفٍ ... والمُطعِمونَ زمانَ مَا مِن مُطعِمٍ[4]

وكذلك تلحقُ (الآنَ) فيُقالُ: تَلانَ، قال الشّاعرُ:

---

(١) في (ف): «فقلب».

(٢) في (ف): «قاتل»، وهي رواية.

(٣) الرجز لعلباء بن أرقم. انظر: «النوادر» لأبي زيد (ص: ٣٤٥)، و«الكنز اللغوي» لابن السكيت (ص: ٤٢)، وذكر هذا القول المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٩٠)، واستغربه.

(٤) البيت لأبي وجزة السعدي كما في «العين» (٨/ ٣٦٩)، و«غريب الحديث» لأبي عبيد (٥/ ٢٧٨)، و«الوقف والابتداء» لأبي بكر الأنباري (١/ ٢٩٣).

نوِّلـــي قبـــلَ نـــأيِ دارِي جُـــمانا وَصِلِينـــا كَمـــا زَعَمْـــتِ تَلانـــا[١]

وإلى هذا ذهبَ أبو عُبَيدٍ[٢] وقال: نظرتُ في الإمامِ مُصحفِ عثمانَ رضي الله عنه، وكان التّاءُ مُتَّصلًا بـ﴿حِينَ﴾[٣].

والقرّاءُ على القولِ الأوّلِ[٤].

واختلفوا في الوقفِ؛ فالكوفيَّةُ تقفُ بالهاء قياسًا على الاسمِ نحو: قائمة، والبصريَّةُ تقفُ بالتّاءِ[٥] قياسًا على الفعلِ نحو: ضَربَتْ، وهذا المرضيُّ عندَ النُّحاةِ[٦].

والمناصُ: مصدرُ ناصَ ينوصُ نَوْصًا ومَناصًا، وهو الفِرارُ والمهرَبُ.

---

(١) البيت لجميل بثينة كما في «ديوانه» (ص: ٢١٨)، و«لسان العرب» مادة: (ت ل ن)، ودون نسبة في «تأويل مشكل القرآن» (ص: ٢٨٤)، و«تفسير الطبري» (٢٠/ ١٦)، و«الصحاح» مادة: (ت ل ن).

(٢) في هامش: «قال الشيخ: إن أبا عبيد قال: كان مصحف أمير المؤمنين ملطخًا بالدم وأكثر الدم كان في سورة النجم».

(٣) انظر: «غريب الحديث» لأبي عبيد (٥/ ٢٧٨)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٩١).

(٤) قال ابن الجزري في «النشر» (٢/ ١٥٠ ـ ١٥١) معقبًا على كلام أبي عبيد: «ثم ذكر غير ذلك من حجج ظاهرة، وهو مع ذلك إمام كبير وحجة في الدين وأحد الأئمة المجتهدين مع أني أنا رأيتها مكتوبة في المصحف الذي يقال له: الإمام، مصحفِ عثمان رضي الله عنه (لا) مقطوعةً والتاء موصولة بـ﴿حِينَ﴾، ورأيت به أثر الدم، وتبعت فيه ما ذكره أبو عبيد فرأيته كذلك، وهذا المصحف هو اليوم بالمدرسة الفاضلية من القاهرة المحروسة».

(٥) ﴿وَلَاتَ﴾ وقف الكسائي عليها بالهاء، والباقون بالتاء. انظر: «التيسير» (ص: ٦٠).

(٦) قال في «النشر» (٢/ ١٥٠): «وأما ﴿وَلَاتَ حِينَ﴾ فإن تاءها مفصولة من (حين) في مصاحف الأمصار السبعة فهي موصولة بـ(لا) زيدت عليها لتأنيث اللفظ كما زيدت في (ربت وثمت)، وهذا هو مذهب الخليل وسيبويه والكسائي، وأئمة النحو والعربية والقراءة، فعلى هذا يوقف على التاء، أو على الهاء بدلاً منها كما تقدم. وقال: أبو عبيد القاسم بن سلام إن التاء مفصولة من (لا) موصولة بـ﴿حِينَ﴾ قال: فالوقف عندي على (لا) والابتداء: (تحين)».

وقيل: المطلبُ.

وقيل: التأخُّرُ، والمعنى: لا مَنجى ولا فوتَ.

وقيل: ولاتَ حينَ نداءٍ يُنجِي.

قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: كان كفَّارُ مكَّةَ إذا قاتلوا فاضطروا في الحربِ قال بعضُهم لبعضٍ: مناصٌ؛ أي: اهرُبوا وخُذوا حِذْرَكم، فلمَّا نزلَ بهم العذابُ ببدرٍ قالوا: مناصٌ، فأنزلَ اللهُ: ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾[٧].

***

(٤) ـ ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ﴾.

﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم﴾؛ أي: مِن أن جاءَهم ﴿مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ﴾ يعني: محمَّدًا ﷺ، استبعَدوا أن يكونَ النَّبيُّ منَ البشرِ.

﴿وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ﴾ يسحَرُ أعيُننا في إظهارِ المُعجِزاتِ ﴿كَذَّابٌ﴾ يكذبُ على الله أنَّه رسولُه.

***

(٥) ـ ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ﴾.

﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًا﴾ معنى (جعَلَ) هاهنا: سمَّى وحكَمَ.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ﴾ عجيبٌ في النِّهايةِ، وكيفَ يسعُ الخلقَ إلهٌ واحدٌ؟!

وفي سببِ النُّزولِ: أنَّه لـمَّا أسلَمَ عمرُ بنُ الخطَّابِ رضي الله عنه شقَّ ذلك على قُريشٍ وفرِحَ المؤمنون، فقال الوليدُ بنُ المغيرةِ للملأ من قُريشٍ وهم الصَّناديدُ والأشرافُ: امشُوا إلى أبي طالبٍ، فأتَوه فقالوا له: أنتَ شيخُنا وكبيرُنا، وقد علمتَ

---

(٧) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٤٦٠) عن ابن كيسان.

ما فعلَ هؤلاءِ السُّفهاءُ، وإنَّا أتيناكَ لتقضيَ بيننا وبين ابنِ أخيك، فأرسلَ أبو طالبٍ إلى النَّبيِّ ﷺ فدعاه فقال له: يا ابنَ أخي، هؤلاءِ قومُك يسألونكَ السَّواءَ، فلا تَـمِل كلَّ الميلِ على قومِكَ، فقال: «وماذا يسألونَني؟» قالوا: ارفُضْنا وارفُضْ ذكرَ آلهتِنا وندَعَكَ وإلهكَ، فقال عليه السَّلامُ: «أتُعطونَني كلمةً واحدةً تملِكون بها العربَ وتدينُ لكم بها العجمُ؟» فقال أبو جهلٍ: لله أبوكَ لنُعطِيَنَّكَها وعشرَ أمثالِـها، فقال عليه السَّلامُ: «قولوا: لا إلهَ إلا الله»، فنفَروا من ذلك، وقاموا وقالوا: أجَعَلَ الآلهةَ إلـهًا؟ كيف يسعُ الخلقَ كلَّهم إلهٌ واحدٌ؟ فأنزلَ الله فيهم هذه الآياتِ[1]، يريدُ: من أوَّلِ السُّورةِ إلى قولِه: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾.

***

(٦) ـ ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ﴾.

﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ﴾ أي: نهضُوا من ذلك المجلسِ ﴿أَنِ ٱمْشُوا۟﴾ (أنْ) هذه هي المُفسِّرةُ، ومعناه: (أي: امشُوا) من غيرِ أن تلَفَّظُوا به.

وقيل: وانطلقَ الملأُ منهم وقالوا لغيرِهم: امشوا.

وقيل: انطلقُوا بأن امشُوا؛ أي: بهذا القولِ، وليس المُرادُ بالمشيِ السَّيرَ، إنَّما المُرادُ المُضيُّ على الأمرِ.

وقيل: امشُوا واترُكوا محمَّدًا واصبروا على آلهتِكم.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٢٣) عن السدي، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٤٦٠ ـ ٤٦١)، والواحدي في «أسباب النزول» (١٩/ ١٥٤).

وروى أصله الإمام أحمد في «مسنده» (٢٠٠٨)، والترمذي (٣٢٣٢)، والنسائيُّ في «الكبرى» (٨٧١٦)، عن ابن عباس رضي الله عنهما. وقال الترمذي: «حسن صحيح».

وقال بعضُهم: هي من مشَتِ الماشيةُ ـ إذا كثُرَ نسلُها ـ مَشَاءً، قال:

والعنـزُ لا تَـمْشي عـلى الهَمَلَّـعِ[1]

وزَيَّفَه عليُّ بنُ عيسى، وقال: إنَّما يُقالُ: أَمْشَى الرَّجلُ؛ إذا كثُرَتْ ماشيتُه[2]، وهذا يُوجِبُ: (أن أَمْشُوا) بالقطعِ والفتحِ.

وفي «تهذيبِ اللُّغةِ» عن الأزهريِّ: مَشَى الرَّجلُ ـ إذا استَغْنى ـ مَشاءً[3]، فيحتملُ أن يكونَ القائلُ ذهبَ إلى هذا، كأنَّه دعاءٌ لهم. والله أعلمُ.

﴿وَاصْبِرُوا عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ﴾؛ أي: على عبادتِها.

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ يعني: التَّوحيدَ ﴿لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ ذُكِرَ بلفظِ المجهولِ والمُرادُ به محمَّدٌ ﷺ؛ أي: هذا أمرٌ يُريدُه محمَّدٌ.

وقيل: ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾؛ أي: الاستعلاءَ والتَّرفُّعَ والرِّياسةَ ﴿لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾؛ أي: يُريدُه كلُّ أحدٍ وكلُّ ذي همَّةٍ[4].

---

(١) في (ف): «مع الهملع»، وكذا في نسخة بهامش (ن)، وكلمة «الهملع» كتب تحتها في (ن): «الذئب». والرجز بلا نسبة في «جمهرة اللغة» (١/ ١٥٥)، و«الإتباع» لأبي علي القالي (ص: ٨٧)، و«غريب الحديث» للخطابي (٣/ ٢٠٦)، و«الصحاح» (٦/ ٢٤٩٣)، وفيها كلها: «والشاة» بدل «والعنز»، وذكره الأزهري في «تهذيب اللغة» (٣/ ١٧٤) بلفظ «فالعنز»، وذكر في «كتاب الأفعال» لابن الحداد (٤/ ٦١) باللفظين.

وذكر هذا القول المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٩٣)، وعده من العجائب.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٩٣).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٩٣) دون نسبة، وجاء في «تهذيب اللغة» (١١/ ٣٠١) يمش: يكثر، يقال: مشت إبل بني فلان تمشي مشاء، إذا كثرت»، وهو معنى ما قاله المصنف، وقد قال الخطابي في «غريب الحديث» (٣/ ٢٠٦): «يقال: أمش الرجل؛ إذا كثرت ماشيته، ومثله مش بغير ألف».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٩٣) واستغربه.

وقيل: إنَّ هذا لشيءٌ يُرادُ بنا، ومكرٌ يُمكَرُ علينا.

وقيل: إنَّ هذا لكيدٌ يُكادُ.

وقيل: ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ يعني: عبادةَ الأصنامِ ﴿لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ نُريدُه ونحتاجُ إليه.

***

(٧) ـ ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾.

﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا﴾؛ أي: بالذي يقولُه محمَّدٌ ﴿فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ﴾ قيل: فيما أدركْنا عليه آباءَنا.

وقيل: الملَّةُ الآخرةُ: ملَّةُ عيسى عليه السَّلامُ؛ أي: دينُه.

وقيل: اليهوديَّةُ والنَّصرانيَّةُ.

وقيل: في دينِنا وزمانِنا.

وقيل: ما سمِعْنا بأنَّ هذا يكونُ في آخرِ الزَّمانِ.

قال المُؤرِّجُ: الملَّةُ الأولى بلغةِ القِبْطِ(١).

وقيل: لـم نعرِفْه في هذا الزَّمانِ، إنَّما هو شيءٌ كان يبلُغنا عمَّنْ تقدَّمَ فيما مضى منَ الزَّمانِ.

﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾: كذِبٌ اختلَقَه من تلقاءِ نفسِه.

***

(٨) ـ ﴿أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ﴾.

﴿أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾: الوحيُ. وقيل: القرآنُ. وقيل: النُّبوَّةُ.

---

(١) ذكره السمعاني في «تفسيره» (٤/ ٤٢٦)، وفيه: «وعن مؤرج بن عمرو قال: في الملة الآخرة؛ أي: في الملة الأولى، وهو لغة لبعض العرب».

﴿مِنۢ بَيۡنِنَا﴾؛ أي: كيـف خُـصَّ من بينِنا بذلـك؟ قالوه حَسَـدًا، فأجابَهم الله تعالى فقـال: ﴿بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِي﴾: وَحْيِـي ووحدانيَّتـي؛ أي: إنَّهـم لا يُكذِّبونَـك ولكـن جحَـدوا آياتي.

وقيل: ﴿مِّن ذِكۡرِي﴾؛ أي: ذِكرِك لي.

﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ﴾؛ أي: لـم يذوقُوه بعدُ وسيذوقُونَه.

قتادةُ: هو يومُ بدرٍ(١).

وأخبرَهم الله به قبلَ أن يكونَ، ولو ذاقوه لآمَنُوا ولـم يجحَدُوا.

* * *

(٩ ـ ١٠) ـ ﴿أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡوَهَّابِ ۝٩ أَمۡ لَهُم مُّلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ فَلۡيَرۡتَقُواْ فِي ٱلۡأَسۡبَٰبِ﴾.

﴿أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡوَهَّابِ﴾ يعني: خزائنَ النُّبوّةِ فيُعطُوا مَن يشاءُ، كقولِه: ﴿أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَ﴾ [الزخرف: ٣٢].

وقيـل: ﴿خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ﴾؛ أي: علـمُ ذلكَ، فهـم يعلمُون على مَـن ينزلُ وحيُ ربِّك.

﴿ٱلۡعَزِيزِ﴾ من أن يُغالبَ ﴿ٱلۡوَهَّابِ﴾ لمَن يشاءُ ما يشاءُ.

﴿أَمۡ لَهُم مُّلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ﴾: أم الإلهيّةُ لهم فيتخيَّروا الرُّسلَ؟

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٢٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٣٦)، لكن في قوله تعالى: ﴿جُندٞ مَّا هُنَالِكَ مَهۡزُومٞ مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ﴾.

وقيـل: معنـى الآيتَيـن: كيفَ يتجاسَـرون على عداوَتـي ولي ملكُ السَّـماواتِ والأرضِ؟

ابنُ عيسى: وجهُ اتِّصالِ ﴿أَمۡ عِندَهُمۡ﴾ بما قالوا اتِّصالُ الإنكارِ لِـمَا قالوا قبلَه؛ أي: ذلك ليس إليهم، وإنَّما هو إلى مَن يملكُ هذه الأمورِ.

﴿فَلۡيَرۡتَقُواْ فِي ٱلۡأَسۡبَٰبِ﴾؛ أي: إن يملكوا السَّماءَ فليَصعَدوا إليها، والأسبابُ: الأبوابُ، والارتقاءُ يُستعملُ في الجبلِ، وهو الأصلُ، وفي الطَّريقِ والوسيلةِ وغيرِ ذلك، ويُقالُ للعالِـمِ المُتبحِّرِ: قد ارتَقَى في الأسبابِ.

وقيل: الأسبابُ: هي التي تُؤدِّي الملائكةَ إلى السَّماءِ التي يعتمدونَ بأجنحتِهم في طيرانِهم وصُعودِهم إليها، والمعنى: إن ادَّعَوا ملكَ السَّماواتِ وأنَّهم يعلَمون ما يجري فيها فليرتَقُوا إليها.

***

(١١) ـ ﴿جُندٞ مَّا هُنَالِكَ مَهۡزُومٞ مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ﴾.

﴿جُندٞ مَّا هُنَالِكَ مَهۡزُومٞ مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ﴾؛ أي: هم جندٌ، و﴿مَّا﴾ زيادةٌ، ﴿هُنَالِكَ﴾ إشارةٌ إلى ما تقدَّمَ منَ الارتقاءِ إلى السَّماءِ، ﴿مَهۡزُومٞ﴾: مكسورٌ، ﴿مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ﴾: منَ الكفّارِ الماضيةِ، و﴿مِّنَ﴾ صلةُ ﴿جُندٞ﴾.

وقيل: الأحزابُ: إبليسُ وأتباعُه.

وقيل: إنَّه وعدٌ بما كان يومَ بدرٍ[1]، مُتَّصلٌ بقولِه: ﴿لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ﴾؛ لأنَّه وعدٌ بالعذابِ، والمعنى: يتحزَّبون عليك ويُهزَمون هناك.

وقيل: معنى الأحزابِ: أتباعٌ مُقلِّدون ليس فيهم مُرشِدٌ.

---

(١) روي عن قتادة كما تقدم قريباً.

(١٢) ـ ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ﴾.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾: قبلَ أهلِ مكّةَ ﴿قَوْمُ نُوحٍ﴾ نوحًا ﴿وَعَادٌ﴾ هودًا ﴿وَفِرْعَوْنُ﴾ موسى.

﴿ذُو ٱلْأَوْتَادِ﴾ قيل: ذو الجموعِ الكثيرةِ.

وقيل: هي أوتادٌ أربعةٌ كان يُعذِّبُ النّاسَ بها.

وقيل: هي أوتادٌ وحبالٌ يُلعبُ بها[١] بينَ يدَيه.

وقيل: ذو الملكِ الثّابتِ في الأرضِ.

وقيل: بنَى أبنيةً طويلةً مُحكمةً صارت كالأوتادِ لطولِ بقائِها وثباتِها. حكاه المُبرِّدُ.

وقيل: أرادَ أوتادَ الخِيامِ، وكانت فيها كثرةٌ.

***

(١٣) ـ ﴿وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ﴾.

﴿وَثَمُودُ﴾ وهم قومُ صالحٍ، وعن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّ قومَ صالحٍ آمنوا به، فلما ماتَ صالحٌ رجعُوا بعدَه عن الإيمانِ، فأحيا اللهُ صالحًا وبعثَه إليهم، فأعلَمَهم[٢] أنّه صالحٌ فكذَّبوه، فأتاهم بالنّاقةِ فكذَّبوه، فعقَروها، فأهلَكَهم الله[٣].

﴿وَقَوْمُ لُوطٍ﴾ قال مجاهدٌ: كانوا أربَعَ مئةِ ألفِ بيتٍ، في كلِّ بيتٍ عشرةٌ[٤].

---

(١) في (ف): «عليها».

(٢) في (ن): «وأعلمهم».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦٢٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥١١).

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥١٧)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٤٤).

وقال عطاءٌ: ما من أحدٍ منَ الأنبياءِ إلّا يقومُ معه(١) يومَ القيامةِ قومٌ من أمَّتِه إلَّا لوطٌ؛ فإنَّه يقومُ وحدَه(٢).

﴿وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ﴾ كذَّبوا شُعَيبًا، والأيكةُ: الغَيضةُ(٣).

وقيل: النَّبعُ والسِّدْرُ، وهم أصحابُ الرَّسِّ أيضًا، وكانوا يأتون في الصَّيفِ الرَّسَّ ويعودونَ في الشِّتاءِ إلى الأيكةِ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ﴾ هذا مبالغةٌ في الذَّمِّ كما تقولُ في المدح: هو عينُ الجوادِ.

وقيل: معناه: هم الذين تحزَّبوا على الأنبياءِ بالعداوةِ.

وقيل: هم أحزابُ الشَّيطانِ بالمُوالاةِ.

***

(١٤) - ﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ﴾.

﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ﴾ أي: ما كلٌّ منهم إلّا كذَّبوا الرُّسلَ(٤).

وقيل: كلُّهم كذَّبوا الرُّسلَ.

﴿فَحَقَّ عِقَابِ﴾: فاستحَقُّوا عقابي، وقيل: فوَجَبَ عليهم عقابي.

---

(١) في (ن): «ومعه».

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٤٥).

(٣) في هامش (ن): «قال: الغيضة الأجمة، والنبع: شجر تكون في البوادي».

(٤) في هامش (ن) بخط مختلف: «وفي «القاموس»: وقراءة عبد الله: (إن كلهم لما كذب الرسل) لكنا ما وجدنا في الكتب المشهورة من ذكرها غيره».

قلت: كذا جاء، والقراءة في «القاموس» مادة: (ل م م) بلفظ: «إن كلّ لما كذب الرسل»، ووجدت اللفظ نفسه في «التاج» مادة: (إ ل ا)، وقوله: «ما وجدنا...» فيه نظر؛ فقد ذكرها الفراء في «معاني القرآن» (٢/ ٤٠٠)، والأزهري في «تهذيب اللغة» (١٥/ ٣٠٧).

(١٥) ـ ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ﴾.

﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ﴾؛ أي: ما ينتظرُ قومُكَ؟ والمعنى: يلحقُهم لحوقَ المُنتظَرِ وإنْ كانوا لا يتوقَّعونَ.

﴿إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ يعني: النَّفخةَ الأولى، وهي الفزعُ الأكبرُ.

﴿مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ﴾ و﴿فُواقٍ﴾[١] وهما لغتان؛ أي: من رجوعٍ وترْدادٍ ونَظِرةٍ ومثنَويَّةٍ[٢]؛ أي: صيحةً واحدةً[٣] تُهلِكُ الكلَّ فلا يَتخلَّصُ منها أحدٌ فيحتاجَ إلى صيحةٍ ثانيةٍ.

وقيل: المُرادُ بها نفخةُ القيامةِ، والمعنى: لا يُمهَلون بعدَها.

و[٤]الفُواقُ: ما بينَ الحلْبتَينِ. وقال عليه السَّلامُ: «العيادةُ قَدْرُ فُواقِ النّاقةِ»[٥]، والفَواقُ بالفتحِ: الإفاقةُ، والمعنى: إفاقةً بالرُّجوعِ إلى الدُّنيا.

وقيل: فواقٌ: فترةٌ.

وقيل: يُريدُ بالصَّيحةِ عذابَ الدُّنيا.

* * *

(١) بالضم قراءة حمزة والكسائي، والباقون بفتح الفاء. انظر: «السبعة» (ص: ٥٥٢)، و«التيسير» (ص: ١٨٧).

(٢) في (ن): «مثنوية» دون الواو.

(٣) في (ف): «الصيحة الواحدة».

(٤) في (ف) زيادة: «قيل».

(٥) رواه ابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (١٧٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١١/ ٤٣٢)، قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (ص: ٦٧٢): «أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب المرض من حديث أنس بإسناد فيه جهالة».

(١٦) ـ ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾.

﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ القِطُّ: كتابُ الجائزةِ. والقِطُّ: النَّصيبُ، وأصلُه[1] من قَطَطْتُ؛ أي: قَطَعْتُ. والقِطُّ: الصَّكُّ، وهو الخطُّ[2].

والمعنى: عجِّلْ لنا نصيبَنا منَ الجنَّةِ التي تَعِدُنا.

وقيل: منَ العذابِ.

وقيل: منَ الرِّزقِ.

وقيل: قالوها عند نُزولِ قولِه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الحاقة: ١٩]، كلُّ ذلك استهزاءٌ منهم.

وقيل: ﴿قِطَّنَا﴾: حسابَنا.

السُّدِّيُّ: أرادوا آيةً على صدقِ النَّبيِّ عليه السَّلامُ يؤمنون بها[3].

عطاءٌ: قالَه النَّضرُ بنُ الحارثِ[4].

* * *

(١٧) ـ ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾.

﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ﴾؛ أي: اصبِرْ على أذى قومِكَ؛ فإنَّك مُبتَلًى بذلك كما صبرَ سائرُ الأنبياءِ على ما ابتلاهُم به، ثمَّ عدَّهم وبدأ بداودَ عليه السَّلامُ، فقالَ:

﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ﴾: النِّعمةِ، وأنَّ الله أنعمَ على داودَ نعمًا كثيرةً لم يُنعِمْ

---

(١) في (ن): «والأصل».

(٢) ذكره الفراء في «معاني القرآن» (٢/ ٤٠٠)، وانظر: «تهذيب اللغة» مادة: (ق ط ط)، (٨/ ٢١٧).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٣٨) بلفظ: «أرنا منازلنا في الجنة حتى نتابعك».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٤٥).

بها على غيرِه. والأكثرونَ على أنَّ ﴿ٱلۡأَيۡدِ﴾: القوَّةُ، وكانَ أُعطِيَ قوَّةً شديدةً على طاعةِ الله؛ يصومُ يومًا ويُفطِرُ يومًا، وذلك أشدُّ الصَّومِ، ويُصلِّي نصفَ النَّهارِ ويقومُ اللَّيلَ كلَّه؛ وقيل: ﴿ذَا ٱلۡأَيۡدِ﴾: القوَّةِ في الحربِ.

﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾: مُطيعٌ.

وقيل: رجَّاعٌ إلى الله.

وقيل: مُسبِّحٌ بلغةِ الحبشةِ، وفيه بُعدٌ[1].

وقيل: يذكرُ ذنوبَه ويستغفرُ[2] منها.

* * *

(١٨) ـ ﴿إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ﴾.

﴿إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ﴾: ذلَّلْنا ﴿مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ﴾ وكان يَسمعُ تسبيحَها.

وقيل: تسخيرُها: أنَّها كانت تسيرُ معه إذا أرادَ سيرَها إلى حيثُ يريدُ.

أبو القاسمِ الكعبيُّ[3]: إنَّا سخَّرْنا أهلَ الجبالِ[4]. قال: ويجوزُ أن يكونَ أوتيَ

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٩٤)، واستغربه، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٥٧) عن سعيد بن جبير.

(٢) في (ف): «فيستغفر».

(٣) العلاَّمةُ، شيخُ المعتزلة، أبو القاسم عبد الله بن أحمدَ بن محمود البَلخيُّ، المعروف: بالكعبيِّ، مِن نُظَراء أبي علِيٍّ الجُبَّائيِّ، وله من التَّصانيف: «التَّفسير الكبير»، وكتاب «الاستدلال بالشاهد على الغائب»، وكتاب «الجَدَل»، وكتاب «السُّنَّة والجماعة»، وأشياء سوى ذلك. توفي (٣١٧هـ). انظر: «وفيات الأعيان» (٣/ ٤٥)، و«سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٣١٣).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٩٤) عن أبي القاسم الكعبي في «تفسيره»، واستغربه. وتعقبه بقوله: «والضمير في ﴿يُسَبِّحۡنَ﴾ يشهد بفساد قوله».

من شدَّةِ الصَّوتِ وحُسنِه ما يكونُ له في الجبالِ دويٌّ حسنٌ، وما تُصغي إليه الطَّيرُ لحُسنِه فتُصوِّتُ معَه[1]. والقولُ هما الأوَّلانِ.

وقال الزَّجَّاجُ: كانت الجبالُ تُرجِّعُ التَّسبيحَ، وكذلك الطَّيرُ[2].

﴿بِٱلۡعَشِيِّ﴾: آخرِ النَّهارِ ﴿وَٱلۡإِشۡرَاقِ﴾: صلاةِ الضُّحى، تقولُ: شَرَقَت الشَّمسُ؛ إذا طلعَتْ، وأشرَقَتْ؛ إذا أضاءَتْ.

وعن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما قال: كنتُ أمرُّ بهذه الآيةِ لا أدري ما العشيُّ والإشراقُ، حتَّى حدَّثَتْني أمُّ هانئٍ بنتُ أبي طالبٍ: أنَّ رسولَ الله ﷺ دخلَ عليها فدَعا بوَضوءٍ، فتوضَّأ ثمَّ صلَّى الضُّحى وقالَ: «يا أمَّ هانئٍ هذه صلاةُ الإشراقِ»[3].

وقيل: الإشراقُ: وقتُ طُلوعِ الشَّمسِ. والقولُ هو الأوَّلُ.

---

(١) ذكره الرازي في «التفسير الكبير» (٢٦/ ٣٧٤) من قول القفال في «تفسيره».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٣٢٤).

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٤٧٦ ـ ٤٧٧)، والواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٤٤)، والطبراني في «الكبير» (٢٤/ ٤٠٦)، كلهم من رواية حجاج بن نصير، عن أبي بكر الهذلي، عن عطاء، عن ابن عباس: حدثتني أم هانئ. وإسناده ضعيف جدًا، أبو بكر الهذلي متروك، وحجاج بن نصير ضعيف.
ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٤٤)، والحاكم في «المستدرك» (٦٨٧٣) من وجه آخر عن عبد الله بن الحارث عن ابن عباس: «كان لا يصلي الضحى حتى أدخلناه على أم هانئ فقلت لها: أخبري ابن عباس، قالت: دخل رسول الله ﷺ في بيتي فصلى صلاة الضحى ثمان ركعات. قال: فخرج ابن عباس وهو يقول: هذه صلاة الإشراق». قال ابن حجر في «الكافي الشاف» (ص: ١٤٢): «هذا موقوف، وهو أصح».
ورواه بنحو هذا موقوفاً أيضاً الحميدي في «مسنده» (٣٣٣)، وإسحاق بن راهويه في «مسنده» (٢١١٦).
وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٩٤)، واستغربه.

(١٩) - ﴿وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗۖ كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾.

﴿وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗۖ﴾: وسخَّرْنا الطَّيرَ مجموعةً من كلِّ ناحيةٍ.

قيل: سَلَّطَ عليها منَ الطَّيرِ ما يَقْوى على حشرِها إليه(١).

وقيل: الملائكةُ كانت تحشرُ إليه ما امتنعَ عليه منها.

وقيل: زادَ اللهُ فيها ما فهمَتِ الأمرَ والنَّهيَ والزَّجرَ به.

﴿كُلّٞ﴾: الجبالُ والطَّيرُ ﴿لَّهُۥٓ﴾: لله ﴿أَوَّابٞ﴾: مُطيعٌ.

وقيل: ﴿لَّهُۥٓ﴾: لداودَ ﴿أَوَّابٞ﴾: رجاعٌ(٢) إلى التَّسبيحِ معه مُطيعٌ لِـمَا يأمرُه.

* * *

(٢٠) - ﴿وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ﴾.

﴿وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ﴾ بالجنودِ والنُّصرةِ.

وقيل: كان يحرُسُ محرابَه كلَّ ليلةٍ ثلاثةٌ وثلاثونَ ألفَ حرسٍ.

وقيل: شدَدْنا مُلكَه بالهيبةِ، وذلك أنَّ غُلامًا استعدَى على رجلٍ وادَّعى عليه بقرةً، وأنكرَ(٣) المُدَّعى عليه، ولطَمَ الغلامَ لطمةً، فسأَلَ داودُ منَ الغلامِ البيِّنَةَ فلم يُقِمْها، فرأى داودُ عليه السَّلامُ في المنامِ أنَّ اللهَ يأمرُه أن يقتُلَ المُدَّعى عليه، ويُسلِّمَ البقرةَ إلى الغلامِ، فقال داودُ: هو منامٌ، ثمَّ أتاه الوحيُ بذلك، فأخبرَ بذلك بني إسرائيلَ فجَزِعَتْ بنو إسرائيلَ، وقالوا: رجلٌ لطَمَ غلامًا لطمةً أفتقتلُه(٤) بذلك؟ فقال داودُ:

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٩٥)، واستغربه.

(٢) في (ن): «راجع».

(٣) في (ف): «فأنكر».

(٤) في (ن): «فتقتله».

هذا أمرٌ أمرَ الله بذلك، فسكَتُوا، ثمَّ أُحضِرَ الرَّجلُ وأُخبِرَ أنَّ الله أمرَ[١] بقتلِه، فقال الرَّجلُ: صدَقْتَ يا نبيَّ الله، إنِّي قتلتُ أباه غِيلةً وأخذتُ البقرةَ، فقتلَه داودُ فعظُمَتْ هيبتُه واشتدَّ ملكُه، وقالوا: يقضي بوحيِ السَّماءِ[٢].

﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ﴾ يعني: النُّبوَّةَ.

وقيل: الفَهمَ والعلمَ.

﴿وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾: القضاءَ بالبيِّنةِ واليمينِ، وذلك أنَّ الله علَّقَ سلسلةً منَ السَّماءِ، وأمرَه أن يقضيَ بها بين النَّاسِ، فمَن كانَ على الحقِّ يأخذُ السِّلسلةَ، ومَن كان على الباطلِ لا يقدرُ على أخذِها، ثمَّ إنَّ رجلًا غصبَ من آخرَ لؤلؤًا فجعلَ اللُّؤلؤَ في جوفِ عصًا له، ثمَّ خاصَمَه المُدَّعي إلى داودَ، فقال المُدَّعي: إنَّ هذا أخذَ منِّي لُؤلؤًا ولـم يرُدَّه عليَّ، وإنِّي صادقٌ في مقالتي، فجاءَ وأخذَ السِّلسلةَ، ثمَّ قال المُدَّعى عليه: خُذْ منِّي العصا، فأخذَ عصاه فقالَ: إنِّي ردَدْتُ عليه اللُّؤلؤَ، وإنِّي صادقٌ في مقالَتي، فجاء وأخذَ السِّلسلةَ، فتحيَّرَ داودُ في ذلك، فرُفِعَت السِّلسلةُ، وأمرَه بأن يقضيَ بالبيِّنةِ واليمينِ[٣]، وذلك فصلُ الخطابِ.

وقيـل: فصـلُ الخطـابِ: قولُـه: البيِّنـةُ علـى المُدَّعـي واليمينُ علـى المدَّعى عليه[٤].

---

(١) في (ف): «أمره».

(٢) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ١٦١)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٩٥)، واستغربه.

(٣) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ١٦١)، والسمعاني في «تفسيره» (٤/ ٤٣٧).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٤٨٢)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٧٧)، عن علي رضي الله عنه، ورواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٥٠ ـ ٥١) عن قتادة وشريح والشعبي، وقال الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٤٥): «وهذا قول أكثر المفسرين».

وقيل: هو قولُه: أمَّا بعدُ[١]، وهو أوَّلُ مَن تكلَّمَ به[٢].

وقيل: إذا تكلَّمَ في الحكمِ فصَلَ.

وقيل: هو الفصلُ يُذكَرُ ويُكتَبُ[٣] بين كلامٍ وكلامٍ[٤].

وقيل: لا يُتَعْتِعُ في كلامِه.

وقيل: الخطابُ: المُخاطَبةُ، وفصلُه: الخروجُ من مُخاطبةٍ إلى مُخاطبةٍ أُخرى، وقطعُ قصّةٍ بعد قصّةٍ.

وقيل: الفصلُ: القطعُ، والخطابُ: المُحاورةُ.

* * *

(٢١) ـ ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ﴾.

﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ﴾ افتتاحُ كلامٍ، وهو يعلَمُ تعالى أنَّه لـم يأتِه.

وقيل: معناه: ما أتاكَ وقد أتاكَ الآنَ.

﴿نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ﴾ النَّبأُ: الخبرُ العظيمُ، والخَصْمُ في الأصلِ: مصدرُ: خصَمَه خَصْمًا، ولا يُثنَّى ولا يُجمَعُ.

﴿إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ﴾ أتَوه منَ السُّورِ، والمحرابُ: الغُرفةُ، وقد سبقَ؛ أي: أتَوا غُرفتَه؛ يعني: الملكَين اللَّذين أتَياه في صورةِ رجُلَينِ من بني آدمَ، هذا قولُ الجمهورِ.

وقيل: كانا آدميَّينِ[٥].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٥١) عن الشعبي.

(٢) انظر: «تفسير التستري» (ص: ١٣٢)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (١٠/ ٣٢٣٧)، و«الأوائل» للعسكري (ص: ٦٨).

(٣) في (ن): «أو يكتب»، والمثبت من (ف)، ومثله في «غرائب التفسير».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٩٥)، واستغربه.

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٩٦)، واستغربه، وعد القول بأنهما كانا ملكين على =

(٢٢) ـ ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾.

﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ﴾ (إذ) الثَّانيةُ تكرارٌ للأولى، وقيل: هي بمعنى: لمَّا[1]، والعاملُ في ﴿إِذْ﴾ الأولى: النَّبأ، وفي الثَّانيةِ: ﴿تَسَوَّرُوا﴾.

﴿فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾ لأنَّهم دخَلُوا بغيرِ إذنِه في غيرِ وقتِ الخصومِ.

﴿قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ﴾ جمعَ حَملًا على اللَّفظِ، وثنَّى حَملًا على المعنى.

وقيل: أرادَ بالخصمَينِ: فريقَينِ، كلُّ فريقٍ خَصْمٌ[2].

﴿خَصْمَانِ﴾ يرتفعُ بالخبرِ عند الجمهورِ، وتقديرُه: نحنُ خصمانِ، وإنَّما يَحسنُ هذا على قولِ مَن جعلَ الخصمَين آدميَّين، وأمَّا مَن جعلَهما ملَكَين وهو الأظهرُ فمنهم مَن أجازَ إضمارَ (نحنُ).

ومنهم مَن يقولُ: لو قالَ الملَكانِ: «نحنُ خَصْمان بغَى بعضُنا على بعضٍ» لكذَبا[3]، والملائكةُ لا تكذِبُ، ولا يأمرُهم الله بالكذبِ، بل التَّقديرُ: ما تقولُ: خصمان قالا: بغى بعضنا على بعض... الآيات[4]؟

وقال بعضهم: إنما عرَّضا وأراد: أرأيت إنْ كنا خصمين بغَى بعضُنا على بعضٍ؛

= صورة آدميين من العجائب.

(١) وجوابه: ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ﴾، هكذا ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٩٦)، واستغربه.

(٢) في (ف): «جمع».

(٣) يعني: أن قولهما: «نحنُ خَصْمان بغَى بعضُنا على بعضٍ»، وكذلك قولهما: ﴿إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾ ينافي كونهما ملكين؛ لأن الملائكة لا تكذب، ولا يبغي بعضهم على بعض، ولا يكونان خصمين، ولا يملكان النعجة ولا غيرها، ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٩٦).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٩٦).

أي: بغَى أحدُنا على الآخرِ، ألستَ تحكمُ بينَنا؟ فاحكُم؛ لأنَّ الملكَين لم يكونا خَصْمَين، ولا بغَى أحدُهما على الآخرِ، وإنَّما هو مثلٌ.

قولِه: ﴿بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٍ﴾؛ أي: بغَى أحدُنا على الآخرِ، وجاء مثلُه في الشِّعرِ، قال الكُميتُ:

وساقت الشِّعْرَيَانِ الفجرَ بعضُهما ... فيه وبعضُهما باللَّيل مُحتجِبُ(١)

وحكى النَّحّاسُ في قولِه: ﴿بَغَىٰ بَعۡضُنَا﴾ يجوزُ أن يُرادَ به داودُ عليه السَّلامُ(٢).

﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ﴾: لا تَجُرْ عن الحقِّ في الحكومةِ، وقُرِئَ في الشَّواذِّ: (ولا تَشْطُطْ)(٣)، وشَطَّ وأشَطَّ لُغتانِ، وأصلُهما البعدُ.

﴿وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾: قصدِ الطَّريقِ، والمعنى: إلى الحقِّ، فعبَّرَ عنه بوسطِ الطَّريقِ؛ لأنَّه يُؤدِّي إلى المقصودِ.

* * *

(٢٣) ـ ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ﴾.

﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِي﴾؛ أي: على ديني، وقيل: صاحبي ﴿لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ﴾ فيه ثلاثةُ أوجهٍ:

أحدُها: الأُنثى منَ الضَّأنِ، والمرادُ بها الشَّاةُ، هذا على قولِ مَن جعلَ الخصمَين من بني آدمَ.

والثاني: إنَّها كنايةٌ عن المرأةِ، والعربُ تكْنِي عن المرأةِ بالنَّعجةِ والشَّاةِ والقَلوصِ.

---

(١) انظر: «ديوان الكميت بن زيد» (ص: ٥٨)، و«الأزمنة والأمكنة» للمرزوقي (ص: ١٣٤).

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٣٠٩).

(٣) نسبت لأبي رجاء وأبي حيوة وقتادة. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣٠)، و«المحتسب» (٢/ ٢٣١).

والثّالثُ: النَّعْجةُ: المرأةُ الحسناءُ اللَّيِّنةُ الجميلةُ، منَ النَّعجِ، وهو البياضُ واللِّينُ(١).

وقيل: النَّعَجُ: الفُتورُ في العينِ.

وفي مصحفِ ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه: (نعجةٌ أُنثى)(٢)؛ لتأكيدِ التَّأنيثِ، حيثُ لا يجوزُ: جبهةٌ أُنثَى، ولا: عَينٌ أُنثَى.

وعن جماعةٍ: أنَّ معنى (أُنثى) هاهنا من قولِهم: امرأةٌ مُؤنَّثةٌ؛ إذا كانت مُطيعةً لزَوجِها، والزَّوجُ يأنَسُ بها، وعلى الضِّدِّ: امرأةٌ مُذكَّرةٌ؛ لا تلينُ لزَوجها ولا يأنَسُ بها.

﴿فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا﴾: اجعَلْها في كِفلي، وهو النَّصيبُ.

وقيل: انزِلْ لي عنها، وضُمَّها إليَّ لأكفُلَها.

وقيل: معناه: أعطِنيها.

وقيل: أعطِني بها كفيلًا إلى أن أُخاصمَكَ فيظهرَ أنَّها لي أو لك.

﴿وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ صار أعزَّ منِّي في مُخاطبتِه إيَّاي؛ فإنْ تكلَّمَ كان أبينَ منِّي، وإنْ بطَشَ كان أشدَّ منِّي، فغلبَني.

وقيل: غلبَني في الخصومةِ.

وقيل: قهرَني وظلَمَني(٣).

والخطابُ: المُخاطبةُ.

وقيل: هو من خِطبةِ المرأةِ؛ أي: دافَعَني عن خِطبةِ هذه المرأةِ، وسيأتي بيانُه.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٩٦)، واستغربه.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ١٧٥)، و«تفسير الطبري» (٢٠/ ٨٥).

(٣) في (ن): «فظلمني».

(٢٤) - ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾.

﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ﴾ ذهبَ بعضُ المُفسِّرين إلى أنَّ التَّقديرَ: إنْ كانَ الأمرُ على ما قُلتَ فقد ظلَمَكَ[1].

وذهبَ بعضُهم إلى أنَّ الآخرَ أقرَّ بما ادَّعى عليه الأوَّلُ[2].

وقال بعضُهم: قال ذلك قبلَ أن ينظُرَ في صدقِ ما ادَّعى[3].

ومعنى: (سؤال نعجتك)؛ أي: سؤالِه إيَّاك نعجتَك، مصدرٌ مُضافٌ إلى المفعولِ، والسُّؤالُ هاهنا سؤالُ مُطالبةٍ ومُغالبةٍ لا سؤالُ خضوعٍ وتفضُّلٍ؛ إذ لو كان كذلك لم يكُنْ مُعازَّة.

و﴿إِلَىٰ﴾ مُتعلِّقةٌ بفعلٍ دلَّ عليه السُّؤالُ تقديرُه: بسؤالِ نعجَتِكَ ليضُمَّها إلى نعاجِه.

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ﴾؛ أي: الشُّركاء، جمعُ خليطٍ، كظريفٍ وظُرفاء.

﴿لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ يتعدَّى الحقَّ والإنصافَ، مشتقٌّ منَ الخلطةِ والشَّركةِ.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ المُستثنَى منصوبٌ؛ والتَّقديرُ: أكثرُ الخلطاءِ بهذه الصِّفةِ إلَّا الخلطاءَ المؤمنين فإنَّهم بخلافِ ذلك.

﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ ﴿مَّا﴾ زيادةٌ، والتَّقديرُ: هم قليلٌ.

ابنُ عيسى: ﴿مَّا﴾ بمعنى: الذي[4]؛ أي: وقليلٌ الذي[5] كذلك.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٩٧)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٩٧)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٩٧)، وعده من العجائب.

(٤) في (ف): «الذين».

(٥) ذكر المصنف نحوه عن ابن عيسى في تفسير قوله تعالى: ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٨٨].

﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ﴾؛ أي: علِمَ، والظَّنُّ إذا دخلَ على خبرٍ جازَ أن يكون بمعنى العلمِ، وأمَّا العِيانُ فلا يُقالُ فيه إلا: علِمَ.

﴿أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾: ابتَلَيناه وعامَلْناه مُعاملةَ المُبتَلَى.

وقيل: معنى فتنَّاه: شدَدْنا عليه التَّعبُّدَ.

وقُرِئَ في الشَّاذِّ: (فَتَنَاه)[١]؛ أي: الخصمانِ؛ لأنَّهما قالا: حكَمَ على نفسِه.

وقيل: ضَحِكا وذَهَبا، فعلِمَ أنَّ الله ابتلاه بذنبِه.

واختلَفُوا في ذنبِه؛ فذهبَ جماعةٌ منَ المُفسِّرين إلى أنَّ داودَ عليه السَّلامُ دخلَ محرابَه، وأغلقَ بابَه، وقامَ يُصلِّي، فجاء طائرٌ في أحسنِ صورةٍ، مُزَيَّنٌ كأحسنِ ما يكونُ، فوقعَ قريبًا منه، فنظرَ إليه فأعجبَه، فوقعَ في نفسِه منه شيءٌ، فدَنا منه ليأخذَه، فوقعَ قريبًا، وأطمعَه أن يأخُذَه، وفعلَ[٢] ذلك ثلاثَ مرّاتٍ، حتَّى إذا كان في الرّابعةِ ضرَبَ يدَه عليه فأخطأه فوقعَ على سُورِ المحرابِ، وكان خلفَ المحرابِ حوضٌ يغتسلُ فيه النِّساءُ، فضرَبَ يدَه عليه وهو على سور المحراب فأخطأه، وهبَطَ الطائرُ، وأشرفَ[٣] داودُ فإذا بامرأةٍ تغتسلُ، فلما رأتْه نقضَتْ شعرَها، فغطَّى جسَدَها، فوقعَ في نفسِه منها ما شغلَه عن الصَّلاةِ، فنزلَ من محرابِه، ولبست المرأةُ ثيابَها، وخرجَت إلى بيتِها، فخرجَ داودُ حتَّى عرفَ بيتَها، وسألَـها: مَن أنتِ؟ فأخبرَتْه، فقال: هل لكِ زوجٌ؟ فقالت: نعم، قال: أين هو؟ قالت: في جندِ كذا، فرجعَ وكتبَ إلى عاملِه إذا

---

(١) نسبت لأبي عمرو في رواية عبد الوهاب. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣٠)، و«المحتسب» (٢/ ٢٣٢).

(٢) في (ف): «ففعل».

(٣) في (ف): «فأشرف».

جاءكَ كتابي هذا فاجعَلْ فلانًا في أوّلِ الخيلِ، ففعَلَ وقُتِلَ[(١)][(٢)].

وفي بعضِ القصصِ كتبَ ذلك ثلاثَ مرّاتٍ، ثمَّ انتظرَ حتَّى انقضَتْ عدَّتُها، ثمَّ خطَبَها وتزوَّجَها، فلما أتاه الخصمانِ وظنَّ أنَّ الله فتنَهُ سجَدَ أربعينَ ليلةً لا يرفعُ رأسَه إلا للصَّلاةِ المكتوبةِ، ولـم يذُقْ طعامًا ولا شرابًا حتَّى أوحى الله إليه: أن ارفَعْ رأسكَ؛ فإنِّي قد غفرتُ لك[(٣)].

وفي بعضِ التَّفاسيرِ: إنَّ جبريلَ عليه السَّلامُ قال له: اذهَبْ إلى أُوريا، وهو زوجُ المرأةِ واستحلَّ منه، فإنَّك تسمعُ صوتَه في موضعِ كذا، فأتاه واستحلَّ منه، فقال: أنتَ في حلٍّ، فلمَّا رجعَ قال له جبريلُ: هل أخبرتَه بجُرمِكَ؟ قال: لا، قال: فإنَّك لـم تعمَلْ شيئًا[(٤)]، فارجِعْ وأخبِرْه بالذي صنَعْتَ، فرجعَ داودُ فأخبرَه بذلك، فقال: أنا خَصمُكَ يومَ القيامةِ، فرجعَ مُغتمًّا وبكى أربعينَ يومًا، فأتاه جبريلُ وقال: إنَّ الله يقولُ: أنا أستوهِبُكَ من عبدي فيَهَبُكَ لي، وأجزيه على ذلك أفضلَ الجزاءِ، فسُرِّي ذلك عنه، وكان حَزينًا في عمرِه باكيًا على خطيئتِه[(٥)].

وذهبَ المُحقِّقون إلى إنكارِ ذلك أصلًا[(٦)].

---

(١) في (ف): «فقتل».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٦٤ ـ ٦٧) عن ابن عباس بإسناد ضعيف جداً، وعن السدي، وليس في هذا ما يصح، وهو من الإسرائيليات، قال الزمخشري: «هذا ونحوُهُ مما يقبُح أن يُحَدَّثَ به عن بعض المتَّسِمِيْنَ بالصَّلاح من أفناء المُسلمين فضلاً عن بعض أَعلام الأَنبياء».

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٥٨٥) عن الحسن، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٦/ ٣٤٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وسيأتي إنكار المصنف لهذه الأخبار.

(٤) «شيئًا»: ليست في (ف).

(٥) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ١٦٣). وكل هذا من الإسرائيليات.

(٦) من العلماء المحققين الذين أنكروا هذه القصة: النحاس في «معاني القرآن» (٦/ ٩٨)، والقاضي =

ورُوِيَ أنَّ عليًّا رضي الله عنه أنكرَ هذا، وقال: مَن حدَّثَ بحديثِ داودَ عليه السَّلامُ على ما يرويه القُصَّاصُ مُعتَقدًا صحّتَه جلدتُه مئةً وستِّين ـ أي: حدَّينِ ـ لعظيمِ ما ارتكبَ منَ الإثمِ، وكبيرِ ما احتقَبَ منَ الوِزْرِ(١).

وجاء عن ابنِ عبّاسٍ وابنِ مسعودٍ رضي الله عنهم إنكارُه أيضًا(٢).

= عياض في «الشفا» (٢/ ٣٧١) وابن حزم في «الفصل في الملل والنحل» (٤/ ١٤)، وابن الملقن في «التوضيح» (١٩/ ٥٠٥)، والنسفي في «مدارك التنزيل» (٣/ ١٥٠)، والخازن في «تفسيره» (٤/ ٣٦)، والرازي في «مفاتيح الغيب» (٢٦/ ٣٨٠)، وابن كثير في «تفسيره» عند هذه الآيات، والعليمي المقدسي في «فتح الرحمن» (٦/ ٢٠) وغيرهم.

أما ابن حزم فقد ذكر أن ما جاء في الآية لا يدل على شيء مما قاله المستهزئون الكاذبون المتعلقون بخرافات ولَّدها اليهود، ثم قال: «وإنما كان ذلك الخصم قوماً من بني آدم بلا شك، مختصمين في نعاج من الغنم على الحقيقة بينهم، بغى أحدهما على الآخر على نص الآية، ومن قال: إنهم كانوا ملائكة معرِّضين بأمر النساء، فقد كذب على الله عز وجل وقوَّله ما لم يقل، وزاد في القرآن ما ليس فيه، وكذَّب الله عز وَجل، وَأقر على نَفسه الخبيثة أَنه كذَّب الملائكة؛ لأن الله تعالى يقول ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ﴾ فقال هو: لم يكونوا قطّ خصمين، ولا بغى بعضهم على بعض، ولا كان قطّ لأحدهما تسع وتسْعُونَ نعجة، ولا كان للآخر نعجةٌ واحِدَةٌ، ولا قال له: ﴿أَكْفِلْنِيهَا﴾... ثم كل ذلك بلا دليل، بل الدعوى المجردةُ، وتالله إن كل امرئ منا ليصون نفسه وجاره المستور عن أن يتعشق امرأة جاره ثم يعرِّض زوجها للقتل عمداً ليتزوجها، وعن أن يترك صلاته لطائر يراه، هذه أفعال السفهاء المتهوكين الفساق المتمردين لا أفعال أهل البر والتقوى، فكيف برسول الله داود الذي أوحى إليه كتابه وأجرى على لسانه كلامه؟! لقد نزهه الله عز وجل عن أن يمر مثل هذا الفحش بباله، فكيف أن يستضيف إلى أفعاله...» إلى آخر ما قال.

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٤٩٨) من رواية الحارث الأعور، وأبو حفص النسفي في «التيسير في التفسير» عند هذه الآية من رواية ابن المسيب وسعيد بن جبير، جميعهم عن علي رضي الله عنه. وقال ابن العربي في «أحكام القرآن» (٤/ ٥٧): «وهذا مما لا يصح عنه».

(٢) ذكره عنهما المصنف في «غرائب التفسير» (٣/ ٩٨٨).

وذهبَ بعضُهم إلى أنَّ أُوريَا خطبَ امرأةً فأرادَ قومُها تزويجَها منه، فوُصِفَتْ لداودَ فخطَبها فزُوِّجَتْ من داودَ، فصار ذلك منه معصِيةً، وحُمِلَ قولُه: ﴿وَعَزَّنِي فِي ٱلْخِطَابِ﴾ على أنَّه[1] الفِعالَ منَ (الخِطبةِ) بالكسرِ.

وقال بعضُهم: كان ذنبُه أنَّه أحبَّ أن يُستشهَدَ أُوريا ليتزوَّجَ امرأتَه.

وذهبَ بعضُهم إلى أنَّ ذنبَه هو قولُه: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾، فنسبَه إلى الظُّلمِ بقولِ المُدَّعي، وكانَ ذلك منه زلّةً، وظنَّ داودُ بعد فراغِه منَ الحكمِ: أنَّ الله بعثَ الخصمَينِ ليعرِفا مذهبَه في الحكمِ، فاستغفرَ ربَّه.

ودلَّ قولُه: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ﴾ على أنَّ المُستغفَرَ منه مذكورٌ في القِصَّةِ المتلوَّةِ؛ لأنَّ ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى معلومٍ، ولقولِه: ﴿فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾.

وذهبَ بعضُهم إلى أنَّ ذنبَ داودَ: أنَّه لمَّا وقعَتْ عينُه على امرأةِ أُوريا سألَه أن ينزلَ عنها له، وكان ذلك جائزاً في شرعِهم، وكانت الأنصارُ حين نزلَ عليهم المُهاجرونَ ينزلُ مَن عندَه امرأتانِ عن إحداهما؛ ليتزوَّجَها المُهاجِرُ، كما كان يُقاسمُه مالَه ومنزلَه[2].

وعن الحسنِ: لـم يكُنْ لداودَ تسعٌ وتسعونَ امرأةً، وإنَّما هذا مثَلٌ[3]، وكان يقرأُ: (تَسع وتَسعون) بالفتح[4]، وهو لغةٌ فيه كسبعٍ وخمسٍ[5].

---

(١) في (ن): «أن».

(٢) وليس في هذا حجة لمن ذهب هذا المذهب، فإن من فعل ذلك من الأنصار إنما فعله من تلقاء نفسه لا أن المهاجري نظر إلى امرأة فأعجبته فطلبها من زوجها، حاشا موقع الصحابة من هذا، فكيف بالأنبياء؟

(٣) ذكره ابن فورك في «تفسيره» (٢/ ٢٧٩).

(٤) يقصد بفتح التاء فيهما. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣٠)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ٥٠٠).

(٥) في (ف) زيادة: «﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: غفرنا له ذنبه ذلك، وعن بعض القراء الوقف على ﴿فَغَفَرْنَا =

﴿فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّۤ رَاكِعٗاۤ وَأَنَابَ﴾: سقطَ ساجدًا، والرُّكوعُ هاهنا: السُّجودُ على الوجهِ.

وقيل: معنى ﴿خَرَّۤ رَاكِعٗاۤ﴾: رمى بنفسِه.

وقيل: معنى ﴿خَرَّۤ رَاكِعٗاۤ﴾: صارَ إلى خُضوعٍ وخشوعٍ وتضرُّعٍ.

وقيل: أرادَ الرُّكوعَ والسُّجودَ، فاكتفى بذكرِ الرُّكوعِ؛ لأنَّه لا ركوعَ إلا وبعدَه سجودٌ.

* * *

(٢٥) ـ ﴿فَغَفَرۡنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ﴾.

﴿فَغَفَرۡنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ﴾؛ أي: غفَرْنا له ذنبَه ذلك، ووقفَ بعضِ القرَّاءِ على ﴿فَغَفَرۡنَا لَهُۥ﴾؛ ليكونَ مُطلقًا[1].

﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ﴾: القُربةَ بعد المغفرة ﴿وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ﴾: مرجعٍ في الجنَّةِ.

* * *

(٢٦) ـ ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ﴾.

وقولُه: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾؛ أي: خليفةً ممَّن كان قبلَكَ من الرُّسلِ، والخليفةُ: المُدبِّرُ للأمرِ من قِبَلِ غيرِه على جهةِ البدلِ من تدبيرِه.

وقيل: جعَلْناك خليفةَ الله في الأرضِ.

وقيل: جعلناك مَلِكًا.

= لَهُۥ﴾ ليكون مطلقًا ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ﴾ القربة بعد المغفرة ﴿وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ﴾ مرجع في الجنة قوله» وستأتي قريبًا.

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٥/ ١٨٤) عن القشيري.

﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ﴾: بالعدلِ ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ﴾: لا تمِلْ إلى هوى نفسِك فتقضيَ بغيرِ عدلٍ.

وقيل: لا تجُرْ في القضاءِ.

وقيل: لا تتَّبعِ الهوى كما فعلْتَ بامرأةِ أُوريا.

﴿فَيُضِلَّكَ﴾؛ أي: الهوى ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: عن طاعتِه.

وقيل: فيستزِلَّكَ عن دينِ الله.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: دينِ الإسلامِ ﴿لَهُمۡ عَذَابٌ شَدِيدُۢ﴾؛ أي: النّارُ ﴿بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ﴾: أعرَضُوا عنه وتركوا العملَ بما ينفعُهم فيه.

وقيل: لـم يُؤمِنُوا به.

و﴿يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ﴾ مفعولُ ﴿نَسُواْ﴾.

وقيل: عذابٌ شديدٌ يومَ الحسابِ بما تركوا العملَ به[1].

وقيل: ﴿بِمَا نَسُواْ﴾: بما تركُوا منَ القضاءِ بالعدلِ.

* * *

(٢٧) ـ ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ﴾.

﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗا﴾ منَ الخلقِ عبثًا لغيرِ شيءٍ فنترُكَ الخلقَ سدًى، بل نُتبعُ هذه الدَّارَ دارًا أُخرى يُفصَلُ فيها بين المُحسِنِ والمُسيءِ، ويُنتصَفُ للمظلومُ[2] منَ الظَّالـمِ.

---

(١) فهو على هذا مفعول فيه ظرف زمان متعلق بصفة محذوفة من (عذاب).

(٢) في (ن): «المظلوم».

وقيل: بل خلَقْناهما للدَّلالةِ على خالقِهما.

﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾؛ أي: ظَنُّهم أنْ لا بعثَ ولا حسابَ ولا جنَّةَ ولا نارَ ﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ﴾.

* * *

(٢٨) ـ ﴿أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ﴾.

﴿أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ يعني: الكفَّار؛ أي: لو سوَّينا بينهما لكنَّا خلَقْناهما باطلًا.

وفي التَّفاسيرِ: أنَّها نزلَتْ في ثلاثةِ رهطٍ: عليٍّ وحمزةَ وعُبيدةَ بنَ الحارثِ[1]، ﴿كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: عُتبةَ وشَيبةَ ابنَي ربيعةَ، والوليدِ بنِ عتبةَ، وهم الذين تبارَزُوا يومَ بدرٍ، فقتلَ عليٌّ رضي الله عنه الوليدَ، وقتلَ حمزةُ عتبةَ، وقتلَ عُبيدةُ شيبةَ[2].

وقيل: عامٌّ.

﴿أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ الذين يتَّقون الشِّركَ والمعاصيَ ﴿كَٱلۡفُجَّارِ﴾: كالكفّارِ؛ أي: في الثَّوابِ.

* * *

(٢٩) ـ ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾.

﴿كِتَٰبٌ﴾؛ أي: هذا كتابٌ ﴿أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ﴾ يعني: القرآن ﴿مُبَٰرَكٞ﴾ فيه مغفرةٌ للذُّنوبِ لمَن آمنَ به ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾: ليقِفُوا على ما فيه ويعمَلوا به.

---

(١) في (ف): «الحرث».

(٢) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٨/ ٢٦١) من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ١٦٥) من رواية الكلبي عن ابن عباس.

﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: وليتَّعِظَ بالقرآنِ ذَوُو العقولِ.

* * *

(٣٠) - ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾.

﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ﴾؛ أي: أعطَيناهُ.

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: أولادُنا من مواهبِ الله لنا[1]، ومثلُه: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا﴾ الآية [الشورى: ٤٩].

﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾ سليمانُ ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾: رجّاعٌ إلى الله بالعبادةِ. وقيل: ﴿إِذْ عُرِضَ﴾ ظرفٌ لقولِه: ﴿أَوَّابٌ﴾.

وقيل: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾ داودُ ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾، كما قالَ: ﴿دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ١٧].

* * *

(٣١) - ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ﴾.

﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ﴾: على سليمانَ بإجماعٍ، إلّا ابنَ بحرٍ فإنَّه قال: عُرِضَ على داودَ[2].

﴿بِٱلْعَشِىِّ﴾: بعد الظُّهرِ ﴿ٱلصَّٰفِنَٰتُ﴾ الخيولُ، والصّافنُ منَ الخيلِ: القائمُ بأيِّ وصفٍ كانَ، والأكثرُ على أنَّ الصّافنَ: الذي يثني إحدى يدَيه أو إحدى رجلَيه ويقِفُ على سُنْبُكِه[3].

﴿ٱلْجِيَادُ﴾: جمعُ جوادٍ، وهو الفرسُ الذي يجودُ بالركضِ.

---

(١) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ١٦٦).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٩٩)، وعده من العجائب.

(٣) السُّنبك: طرف مقدم الحافر، والجمع: سنابك. انظر: «الصحاح» مادة: (س ب ك) (٤/ ١٥٨٩).

ابنُ عيسى: جمعُ (جَوْدٍ) كسَوْطٍ وسياطٍ، تقولُ: مطرٌ جَوْدٌ؛ أي: كثيرٌ(١).

وقيل: الجيادُ: الطِّوالُ الأعناقِ، مُشتقٌّ منَ الجِيدِ، حكاه أقضى القُضاةِ وغيرُه(٢).

* * *

(٣٢) ـ ﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾.

﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ﴾؛ أي: الخيلِ، وفي مُصحفِ ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه: (حبَّ الخيلِ)(٣).

وقيل: الخيرُ: المالُ.

﴿عَن ذِكْرِ رَبِّي﴾ قال بعضُهم: ﴿عَن﴾ هاهنا بمعنى: على، و﴿أَحْبَبْتُ﴾ بمعنى: آثرتُ.

ابنُ جريرٍ: أحببتُ الخيرَ حُبًّا، فقُدِّمَ وأُضيفَ إلى المفعولِ(٤).

قال: ومعنى ﴿عَن ذِكْرِ رَبِّي﴾: سَهَوْتُ عن ذكرِ ربِّي(٥).

وحكى صاحبُ «النَّظمِ»: ﴿أَحْبَبْتُ﴾ بمعنى: آثَرْتُ، ثمَّ قال: وله وجهٌ آخرُ، وهو: أنَّ ﴿أَحْبَبْتُ﴾ بمعنى: قَعَدْتُ وتأخَّرْتُ، مأخوذٌ من إحبابِ البعيرِ؛

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٩٩)، واستغربه.

(٢) انظر: «النكت والعيون» (٥/ ٩٢)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٩٩) وعده من العجائب.

(٣) ذكرها ابن أبي زمنين في «تفسيره» (٤/ ٨٩)، والمصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٩٩)، واستغربها.

(٤) انظر: «تفسير الطبري» (٢٠/ ٨٣)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٩٩)، واستغربه.

(٥) انظر: «تفسير الطبري» (٢٠/ ٨٤).

إذا بـرَكَ؛ أي: تقاعَـدْتُ عـن ذكـرِ ربِّـي بحـبِّ الخيرِ[١]، وأنشـدَ:

دعَتْـكَ إليها مُقلــتَاها وَجِــيـدُهــا فمِلـتَ كما مالَ المُحِبُّ علـى عَمْدِ[٢]

المُحبُّ: الجملُ الذي به عَمدٌ، وهو علَّةٌ في السَّنامِ.

﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ﴾: تستَّرَتْ الشَّمسُ ﴿بِٱلْحِجَابِ﴾ باللَّيلِ؛ لأنَّ اللَّيلَ يستُرُ كلَّ شيءٍ.

وقيل: الحجابُ جبلُ قاف.

وقيل: معنى ﴿أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى﴾: آثَرْتُ حُبَّ الخيرِ عن أمرِ ربِّي، لا مِن تلقاءِ نفسي ولا حرصًا على المالِ[٣].

وقيل: أحبَبْتُ حبَّ الخيرِ عن ذكرِ ربِّي[٤] لها بالخيرِ؛ أي: أحبَبْتُ الخيلَ لحبِّ الخيرِ عن جهةِ ذكرِ ربِّي بما فيها منَ الخيرِ، فيكونُ المفعولُ محذوفًا، و﴿حُبَّ ٱلْخَيْرِ﴾ مفعولٌ له.

وقيل: ﴿عَن ذِكْرِ رَبِّى﴾: عن صلاةِ العصرِ، وكانت فرضًا عليه.

وقيل: وظيفةٌ وظَّفَها على نفسِه، وذلك أنَّه صلَّى الظُّهرَ ثمَّ جلسَ على الكرسيِّ ليُعرَضَ عليه الخيلُ.

وكانت الخيلُ وردت عليه من الغنيمةِ[٥].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٩٩)، واستغربه.

(٢) البيت لأبي ذؤيب. انظر: «ديوان الهذليين» (١/ ١٥٩)، و«إيضاح شواهد الإيضاح» (١/ ١٥٩).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٩٩)، وعده من العجائب.

(٤) في (ف): «الله».

(٥) في (ف): «غنيمة».

وقيل: ورِثَها من أبيه داودَ.

وقيل: كانت ألفَ فرسٍ أخرجَها الشَّياطينُ منَ البحرِ.

وقيل: أخرجَها الشَّياطينُ من مرجٍ من المُروجِ.

وقيل: كانت عشرينَ فرسًا ذواتِ أجنحةٍ.

﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ﴾ الشمسُ ﴿بِٱلْحِجَابِ﴾؛ أي: غربَتْ، وجازَ الكنايةُ عن الشَّمسِ وإنْ لـم يتقدَّمْ ذِكرُها لأنَّ العشيَّ دلَّ[1] على ذكرِها.

ابنُ عيسى: الضَّميرُ في ﴿تَوَارَتْ﴾ للخيلِ[2]؛ أي: إلى أن غُيِّبَت عنِّي وسُتِرَت عن بصري بحجابِها، وهو مرابطُها.

***

(٣٣) - ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ﴾.

﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾؛ أي: الخيلَ ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ﴾ (طفِقَ) مثلُ ظلَّ بالنَّهارِ؛ أي: ما زالَ يَفعلُ، ﴿مَسْحًا﴾[3]: يمسحُ مَسحًا، ﴿بِٱلسُّوقِ﴾: جمعُ ساقٍ، كدارٍ ودُورٍ، ولابةٍ ولوبٍ، ﴿وَٱلْأَعْنَاقِ﴾: جمعُ عُنُقٍ، والمعنى: قطَعَ أعناقَها وعرْقَبَ أرجُلَها؛ لأنَّها منعَتْه عن الصَّلاةِ.

الزَّجَّاجُ: لـم يفعَلْ ذلك إلَّا وقد أباحَ الله له ذلكَ، وما أباحَ الله فليس بمُنكرٍ[4].

---

(١) في (ن): «دلت».

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٩٣)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٠٠)، واستغربه.

(٣) «يفعل مسحًا» من (ف).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٣٣١).

وقيل: ذبحَه للفُقراءِ والمساكينِ إلا مئةً منها، فما في أيدي النَّاسِ منَ الخيلِ العِرَاب[1] فهي منها.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: ما ضرَبَ أعناقَها وما عَرْقَبها، بل مسح أعناقَها وسُوقَها بيدِه حبًّا لها[2]، قال: ومعنى مسَحَ: غسَلَ[3].

وقيل: مسَحَ الغبارَ عن أعناقِها[4] وسُوقِها بيدِه.

وقيل: وسَمَ أعناقَهُنَّ وسُوقَهنَّ وجعلَهُنَّ في سبيلِ الله[5].

وقيل: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾؛ يعني: الشَّمسَ، والخطابُ للملائكةِ، يتضرَّعُ[6] إلى الله، فردَّ الله له الشَّمسَ فصلَّى العصرَ.

***

(٣٤) ـ ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴾.

﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ ﴾: ابتلَيناه.

وقيل: عاقَبْناه.

وقيل: شدَدْنا عليه في التَّكليفِ.

﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴾ اختلفَ المُفسِّرون في سببِ ذلك وفي الجسد،

---

(١) «العراب» من (ف).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٨٧) ورجحه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٠٠)، واستغربه.

(٤) في (ف): «أعرافها».

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٠٠)، وعده من العجائب.

(٦) في (ف): «تضرع».

وأَوْلَى ما ذُكِرَ فيه: ما رُوِيَ عن النَّبيِّ ﷺ، وهو أنَّه قال: «قال سليمانُ بنُ داودَ عليهما السَّلامُ: لأطوفَنَّ اللَّيلةَ على سبعينَ امرأةً ـ ويُروى: «على مئةٍ»، ويُروَى: «على ألفِ امرأةٍ» ـ تأتي كلُّ واحدةٍ بفارسٍ يجاهد في سبيلِ الله، فقال له صاحبُه: قل: إن شاءَ الله، ولـم يقُلْ، فطافَ عليهنَّ ولم تحمِلْ منهنَّ إلّا[1] واحدةٌ جاءَتْ بشقِّ ولدٍ، فوالذي نفسُ محمَّدٍ بيدِه لو قال: إنْ شاءَ الله، لجاهَدُوا في سبيلِ الله فُرسانًا»[2]، فلم يستَثْنِ، فلم يرضَ الله ذلك منه، وهو الجسدُ الذي أُلقِيَ على كرسيِّه؛ أي: سريرِ مُلكِه.

وقيل: كرسيِّ ملكِه.

الشَّعبيُّ: سببُ ذلك: أنَّه وُلِدَ لسليمانَ عليه السَّلامُ ابنٌ، فاجتمَعَتِ الشَّياطينُ وقال بعضُهم لبعضٍ: إنْ عاشَ له ولدٌ لـم ننفَكَّ مما نحنُ فيه من البلاءِ والسُّخْرةِ، فسبيلُنا أن نقتُلَ ولدَه، فعلمَ بذلك سليمانُ، فأمرَ السَّحابَ حتى حملته الرِّيحُ إليه، فغذا ابنَه[3] في السَّحابِ خوفًا من معرَّةِ الشَّياطينِ، فعاقبَه لخوفِه منَ الشَّياطينِ، فماتَ الولدُ وأُلقِيَ ميتًا على كرسيِّه، وهو الجسدُ الذي قال اللهُ تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا﴾[4].

---

(١) في (ف) زيادة: «امرأة».

(٢) رواه البخاري (٢٨١٩) بلفظ: «مئة امرأة، أو تسع وتسعين»، و(٣٤٢٤) بلفظ: «سبعين» وفيه: «قال شعيب وابن أبي الزناد: «تسعين» وهو أصح» ورواه (٦٧٢٠) بلفظ: «تسعين»، وكذا رواه مسلم (١٦٥٤/ ٢٥)، وفي رواية: «سبعين» وفي أخرى: «ستين»، كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وبلفظ: «ألف امرأة» رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٢/ ٢٥٨) بإسناد فيه إسحاق بن بشر وهو كذاب.

(٣) في (ف): «فغذا ابنهُ».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٥٤٣). وهو من خرافات الإسرائيليات بلا شك.

ابنُ بحرٍ: مرِضَ سليمانُ مرضًا شديدًا امتحنَه الله به حتَّى صارَ جسدًا على كرسيِّه مطروحًا، وجاء في المثلِ: جسدٌ بلا روحٍ؛ لأنَّ الجسدَ هو الذي لا رُوحَ فيه، وتقديرُه: ألقَيناه على كُرسيِّه جسدًا، وقد يُوصَفُ المريضُ بمثل هذا فيُقالُ: جسدٌ بلا روحٍ. ﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾: عاد إلى الصِّحَّةِ.

وقال جمهورُ المُفسِّرين: الجسدُ المُلقَى على كرسيِّ سليمانَ عليه السَّلامُ كان شيطانًا جلسَ على كرسيِّ ملكِه أربعينَ يومًا، وذلك أنَّ ملكَه كان في خاتـمِه، فأخذَ الشَّيطانُ الخاتمَ، فزالَ ملكُه وصار المُلكُ للشَّيطانِ.

ثمَّ اختلفوا في ذلك؛ فقال سعيدُ بنُ المُسيِّبِ: كان سليمانُ وضعَه تحتَ رأسِه فأخذَه الشَّيطانُ من تحتِ رأسِه(١).

وقال مُجاهدٌ: قال سليمانُ عليه السَّلامُ لشيطانٍ يُقالُ له آصَفُ: كيف تفتِنُونَ النَّاسَ؟ قال: أرِني خاتمَك أُخبِرْك، فلمَّا أعطاه إيَّاه نبذَه آصَفُ في البحرِ، فذهبَ ملكُه، وقعد آصفُ على كرسيِّه(٢).

وعن عليٍّ رضي الله عنه أنَّه قال: بينما سليمانُ جالسٌ على شاطئِ البحرِ وهو يعبَثُ بخاتمِه إذ سقطَ منه في البحرِ، وكان ملكُه في خاتمِه(٣).

وقيل: إنَّه وطِئَ امرأةً في الحيضِ، فذلك ذنبُه. حكاه ابنُ عبَّاسٍ(٤).

وقيل: إنَّ امرأةً يُقالُ لها: جَرادةُ قالت له: إنَّ أخي بينَه وبين رجلٍ حكومةٌ، فإذا

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٩٧) وفيه: «تحت فراشه» بدل «تحت رأسه».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٨٨).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٤٢)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٥٤٦)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٠١)، واستغربه.

(٤) في هامش (ن): «في نسخة عيسى»، وقد ذكر نحوه الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٩٤) عن الحسن.

أتيا غدًا فاقضِ له، فقال: نعم، ولـم يفعَلْ، فابتلاهُ الله بسببِ ذلك[١] الذَّنبِ، وأزالَ ملكَه أربعينَ يومًا.

وقال جماعةٌ منَ المُفسِّرين: كان سليمانُ عليه السَّلامُ إذا أرادَ دخولَ الخلاءِ دفعَ خاتـمَه إلى جاريةٍ[٢] ـ قال ابنُ عباس[٣]: اسمُها جَرادةُ، وقيل: الأمينةُ[٤] ـ وكان شيطانٌ يُقالُ له: صَخرٌ ـ وقيل: آصَفُ، وقيل: غيرُه ـ تصوَّرَ بصورةِ سليمانَ وخرجَ إلى المرأةِ، وقال: هاتي الخاتمَ، فأعطَتْه إيّاه ظنًّا منها أنَّه سليمانُ، فلمَّا خرجَ سليمانُ ولـم يجِد الخاتمَ علمَ أنَّه ابتُليَ، فخرجَ يطوفُ أربعينَ يومًا إلى أن قبِلَ الله توبتَه.

وكان ذلك الشَّيطانُ يقضي بينَ النّاسِ، ويتمكَّنُ من جميعِ ملكِه إلا نساءَه.

وقيل: من جميعِ ملكِه ومن نسائِه، وكان يأتي النِّساءَ الحُيَّضَ منهنَّ.

فلمَّا أرادَ الله رَدَّ الملكِ على سليمانَ، أنكرَ قُرّاءُ بني إسرائيلَ قضيةً قضاها الشَّيطانُ، فأحضَروهُ التَّوراةَ، فلما قرؤُوها عليه فرَّ الشَّيطانُ، وألقى الخاتمَ في البحرِ فابتَلعَته سمكةٌ، فصادَها صائدٌ، فوهبَها لسُليمانَ.

وقيل: أعطاها على أُجرةِ عملِه يومًا.

فأخرجَ من بطنِها الخاتمَ، وردَّ الله عليه ملكَه[٥]، فذلك[٦] قولُه: ﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾؛ أي: رجعَ إلى ملكِه.

---

(١) في (ف): «هذا».

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٦٤٥).

(٣) في (ن): «ابن عيسى»، وفي هامشها: «ابن عباس نسخة».

(٤) اسم «جرادة» ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٩٧) عن ابن عباس وابن جبير، وذكر اسم «الأمينة» عن شهر بن حوشب.

(٥) رواه من أوله في خبر واحد طويل الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٩١) عن السدي، وكذا ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٥٣٨)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٩١). وهو من أباطيل الإسرائيليات.

(٦) في (ن): «وهو».

وقيل: إنَّ ذنبَه أنَّه تزوَّجَ امرأةً من غيرِ بني إسرائيلَ، وكانت ممَّن تعبدُ الأصنامَ، فأُعجِبَ بها، فقالَتْ: إنَّ أبي كان بارًّا بي، فلو أذِنْتَ لي أن أتَّخِذَ صورةً على صورةِ أبي وأجعلَها في بيتٍ لي، فكنتُ أتسلَّى بها إذا رأيتُها، فأذِنَ لها فاتَّخذت صورةً، فكانَتْ تُعبَدُ في بيتِهِ أربعينَ يومًا، فعاقبَه الله على ذلك، وسلبَه ملكَه أربعينَ يومًا[١].

وحكى الثَّعلبيُّ أنَّ في بعضِ الرِّواياتِ: أنَّ سليمانَ عليه السَّلامُ لـمّا افتُتِنَ سقطَ الخاتمُ من يدِه، فأخذَه سليمانُ فأعادَه إلى يدِه فسقطَ من يدِه، فلمَّا رآه سليمانُ عليه السَّلامُ لا يثبتُ في يدِه أيقنَ بالفتنةِ، وأنَّ آصَفَ وزيرَه قال لسُليمانَ: إنَّك مفتونٌ بذنبِكَ، والخاتمُ لا يثبُتُ في يدِكَ أربعةَ عشرَ يومًا، ففِرَّ إلى الله تائبًا من ذنبِكَ، وأنا أقومُ مقامَكَ وأسيرُ في عيالِكَ[٢] وأهلِ بيوتِكَ بسيرتِكَ إلى أن يتوبَ الله عليك ويرُدَّكَ إلى ملكِكَ، ففرَّ سليمانُ هارِبًا إلى الله، وأخذَ آصَفُ الخاتمَ ووضعَه في يدِه وثبتَ، والجسدُ الذي أُلقِيَ على كرسيِّه آصَفُ وزيرُ سليمانَ، وكان عندَه علمٌ منَ الكتابِ، وقامَ آصَفُ في ملكِه أربعةَ عشرَ يومًا إلى أن ردَّ اللهُ ملكَه عليه، فقامَ آصَفُ وجلسَ سليمانُ على كرسيِّه، واتَّخذَ الخاتمَ بيدِه فثبتَ فيها[٣].

وعن سعيدِ بنِ المُسيِّبِ: أنَّ سليمانَ احتجَبَ عن النّاسِ ثلاثةَ أيّامٍ، فأوحَى اللهُ إليه: يا سليمانُ، احتجَبْتَ عن النّاسِ ولـم تنظُرْ في أمورِ عبادي، ولـم تُنصِفْ مظلومًا من ظالـمٍ، ثمَّ ذكرَ الخاتمَ، وأخْذَ الشَّيطانِ منه، ورُجوعَه إلى سليمانَ[٤].

---

(١) ذكره الثعلبي بنحوه مطولًا في «تفسيره» (٢٢/ ٥٣٢)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٩١)، عن وهب بن منبه، ولا شك أنه من خرافات بني إسرائيل التي أكثر منها وهب.

(٢) في (ف): «عالمك».

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢٢/ ٥٤٠).

(٤) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٥٤١)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٩٥).

قال مُقاتلٌ: ملَكَ سليمانُ قبلَ الفتنةِ عشرينَ سنةً، وبعد الفِتنةِ عشرينَ سنةً[١].

ثمَّ إنَّ سليمانَ ظَفِرَ بالشَّيطانِ فجعلَه في تابوتٍ وسدَّه[٢] بالنُّحاسِ وألقاه في البحرِ[٣]. والله أعلَمُ.

* * *

(٣٥) ـ ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾.

﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ﴾ أبو عُبيدةَ في كتابِ «المجاز»: معنى ﴿لَّا يَنۢبَغِي﴾: لا يكونُ[٤].

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٦٤٤).

(٢) في (ن): «وشده».

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٩٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وكل هذه القصص لا تصح في حق نبي الله، قال أبو حفص النسفي في «التيسير في التفسير» عند هذه الآية: وذكروا أشياء لا تقبلُها العقول السليمة، وتردُّها العقائد المستقيمة، ولا يجوز على نبي الله سليمان ولا على سائر الأنبياء الرضا بعبادة الأصنام، ولا التَّرْكُ بعد العلم، فإنْ فعلَتْ ذلك امرأته بغير علمه، فما معنى عِتاب سليمان به وهو لا يَعْلَم به؟! وكيف يجوز تسليط الشيطان أن يحكُمَ بين الناس بالباطل، ويأتيَ النساء، ويُصَوِّرَ أنه نبي، وأنَّ أحكامَه أحكامُ الله تعالى، وهذا تلبيس على المسلمين طريقَ الدين؟! فكيف تصوَّرَ بصورة سليمان وعلى الناس الإيمانُ بسليمان، والشيطانُ تَصَوَّر بصورة سليمان وهم يعتقدونه نبيَّ الله، ولا يَصِلون إلى حقيقة ذلك ألبَتَّة؟! هذا مُحالٌ مِن القول. وكيف يسلُبُ الله سليمان مُلْكه في حياته وقد بقَّاه عليه سنة كاملة بعد وفاته؟! وكيف ينزعه منه وهو يقول: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا﴾، واستجاب الله له في قوله: ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ﴾.

قلت: وأصح ما قيل في الآية ما تقدم من حديث أبي هريرة في الصحيحين، وإن لم يقع فيه التصريح بكونه تفسيراً للآية.

(٤) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ١٨٣).

وحقيقةُ ﴿لَّا يَنۢبَغِى﴾: لا ينفعِلُ؛ من بغَيتُ الشَّيءَ: طلبتُه؛ أي: لا يصيرُ مطلوبًا؛ لأنَّه سماويٌّ، وليس ذلك في طَوقِ البشرِ، ولا ممَّا يخطرُ على قلبِ أحدٍ.

وإنَّما سألَ بهذه الصِّفةَ؛ ليكونَ[1] مُعجزةً له، لا مُنافسةً ولا حسدًا، وكانَ قبلَ ذلك لـم يُسخَّرْ له الرِّيحُ والشَّياطينُ، فلمَّا دعا بذلك تسخَّرَتْ له الرِّيحُ والشَّياطينُ، والمُعجزةُ هي التي لا تنبَغي لغيرِ مَن أُيِّدَ بها.

وقيل: سألَ ذلك كذلك بإذنِ الله إيَّاه في السُّؤالِ.

وقيل: لا ينبَغي لأحدٍ أن يسلُبَه منِّي بعدَ هذه السَّلبةِ[2].

وقيل: لأقوَى به على مَن عصاني منَ الجنِّ والإنسِ.

وقيل: ﴿لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعۡدِىٓ﴾؛ أي: غيري ممَّن بُعِثْتُ إليهم، ولـم يُرِدْ من بعدِه إلى يومِ القيامةِ.

﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ﴾: المُعطي.

* * *

(٣٦) ـ ﴿فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجۡرِى بِأَمۡرِهِۦ رُخَآءً حَيۡثُ أَصَابَ﴾.

﴿فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ﴾: ذلَّلناها لطاعتِه ﴿تَجۡرِى بِأَمۡرِهِۦ﴾: بأمرِ سليمانَ عليه السَّلامُ.

وقيل: بأمرِ الله إلى حيثُ يأمرُها.

وقيل: تحملُ ما يأمرُها.

﴿رُخَآءً﴾: ليِّنةً، من الرَّخاوةِ.

---

(١) في (ن): «سأل هذه الصفة أن تكون»، والمثبت من (ف) و«غرائب التفسير» (٢/ ١٠٠٢).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٠٢)، واستغربه.

وقيل: طيِّبةً.

وقيل: سريعةً.

وقيل: مُطيعةً، لا عاصِفةً ولا ضعيفةً.

﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾: أرادَ، والعربُ تقولُ: أصابَ الصَّوابَ فأخطأَ الجوابَ(١).

وقيل: ﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾: حيثُ ما قصدَ من إصابةِ السَّهمِ.

وقيل: حيثُ شاءَ حملَتْه الرِّيحُ.

***

(٣٧) ـ ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ﴾.

﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ﴾؛ أي: وسخَّرْنا له الشَّياطينَ كلَّ بناءٍ يبنُونَ له الأبنيةَ العجيبةَ، من قولِه: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ﴾ الآية [سبأ: ١٣].

﴿وَغَوَّاصٍ﴾ يغُوصُونَ في البحرِ لإخراجِ اللُّؤلؤِ، وهو أوَّلُ مَن استخرجَ اللُّؤلؤَ منَ البحرِ.

***

(٣٨) ـ ﴿وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ﴾.

﴿وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ﴾ يعني: مردةَ الشَّياطينِ مُوثَّقينَ في الحديدِ ما لم يُؤمِنوا، فإذا آمَنُوا خلَّى سبيلَهم.

والأصفادُ: السَّلاسلُ منَ الحديدِ. وقيل: الأصفادُ: الأغلالُ. والصَّفَدُ: القَيدُ والعَطاءُ(٢)، وحقيقتُه: التَّعويضُ على الخيرِ والشَّرِّ.

---

(١) ذكره ابن قتيبة في «غريب القرآن» (ص: ٣٨٠)، وانظر: «الزاهر» لأبي بكر الأنباري (٢/ ١٩٤).

(٢) انظر: «العين» مادة: (ص ف ر) (٧/ ١٠٢)، قال أبو حيان في «البحر المحيط» (٦/ ٤٤٤): «وسمي العطاء صفداً؛ لأنه يقيده».

(٣٩) ـ ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾.

﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا﴾؛ أي: قلنا لسليمانَ: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا﴾، وفي المُشارِ إليه بـ﴿هَٰذَا﴾ أقوالٌ:

أحدُها: أنَّه إشارةٌ إلى المُلْكِ، ﴿فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾: أعطِ مَن شئتَ وامنَعْ مَن شئتَ، ليس عليك في ذلك حرجٌ، لا تُحاسَبُ على ما تُعطي وتمنعُ يومَ القيامةِ.

وذهبَ جماعةٌ: إلى أنَّ ﴿هَٰذَا﴾ إشارةٌ إلى تسخيرِ الشَّياطينِ؛ أي: امنُنْ على مَن شئتَ فأطلِقْه[1]، واجعَلْ ذلك مِنَّةً عندَه، وأمسِكْ مَن شئتَ واحبِسْه؛ فأنتَ في سعةٍ من ذلك، لا تُحاسَبُ في حَبسِ مَن حبَسْتَ وإطلاقِ مَن أطلَقْتَ.

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: أُوتيَ على الجماعِ قوَّةَ مئةِ رجلٍ، وكان عندَه ثلاثُ مئةِ امرأةٍ وسبعُ مئةِ سُرِّيّةٍ، فقيل: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا﴾ فجامِعْ مَن شئتَ واترُكْ مَن شئتَ، لا حسابَ عليك في ذلك[2].

وقيل: ﴿بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾: بغيرِ جزاءٍ.

وقيل: ﴿بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ صفةٌ للعطاءِ؛ أي: عطاؤُنا بغيرِ حسابٍ؛ يعني: كثيرًا.

* * *

(٤٠) ـ ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ﴾.

﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ﴾: القربـةَ فـي الآخـرةِ ﴿وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ﴾: مرجـعٍ، وهـو الجنّـةُ ونعيمُهـا.

---

(١) في (ف): «وأطلقه».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ١٠٠)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٠٣)، وعده من العجائب.

الحسنُ: إنَّ الله لـم يُعطِ أحدًا عطيَّةً إلا جعلَ عليه فيها حسابًا، إلّا سليمانَ عليه السَّلامُ فإنَّه أعطاه عطاءً هنيًّا فقال: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، فإنْ أعطَى أُجِرَ، وإن لـم يُعطِ لـم يكُنْ عليه تبعةٌ(١).

* * *

(٤١) ـ ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾.

﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ﴾ كان أيوبُ في زمانِ يعقوبَ بنِ إسحاقَ، وامرأتُه لَيَّا بنتُ يعقوبَ، ويُروى: إلياء.

و﴿عَبْدَنَآ﴾ مفعولُ ﴿اذْكُرْ﴾، و﴿أَيُّوبَ﴾ بدلٌ منه أو عطفُ بيانٍ.

﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾: دعاه، و﴿إِذْ﴾ نصبٌ بفعلٍ مُضمرٍ، يجوزُ أن يكونَ (اذكُرْ) فيكونَ مفعولًا به، ويجوزُ أن يكونَ بدلًا منه(٢) بدلَ الاشتمالِ؛ أي: زمانَ بلائِه.

﴿أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ فيه أقوالٌ:

أحدُها: قال بعضُهم: مسَّهُ بالوسوسةِ، وذكَّره ما سُلِبَ منه منَ النِّعمةِ وسُلِّطَ عليه منَ المحنةِ.

وقيل: وسوسَ إليه بالقُنوطِ من رحمةِ ربِّه وتزيينِ الجزعِ المُحبِطِ لأجرِه.

وقيل: وسوسَ إلى الذين آمنُوا به بأنَّ أيوبَ لو كان نبيًّا لَمَا سلَّطَ عليه الأمراضَ المُستقذَرةَ حتى أخرجَه منَ العمرانِ، ثمَّ أبقاه فيه سبعَ سنينَ ـ وقيل: ثماني عشرةَ سنةً(٣) ـ فشكُّوا في دينِهم حتَّى رجعَ عن دينِه بعضُ مَن كانَ آمنَ به.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٩٩) ورجحه، ولفظه: «الملكُ الذي أعطيناك، فأعط ما شئت وامنع ما شئت».

(٢) قوله: «منه»؛ أي: من ﴿أَيُّوبَ﴾.

(٣) رواه البزار (٢٣٥٧ ـ كشف)، وأبو يعلى في «مسنده» (٣٦١٦)، والطبري في «تفسيره» (٢٠/ ١٠٩)، =

وقيل: مسَّه بأن استأذَنَ الله وسألَه أن يُسلِّطَه على مالِه، ثمَّ على أهلِه وولدِه، ثمَّ على بدنِه، حتَّى سعى الدُّودُ في بدنِه، وقال: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾.

وقولُه: ﴿بنصب﴾ قُرِئَ بفتحتَينِ، وضمَّتَين، وضمّةٍ وسكونٍ[1]، وهي لغاتٌ، والمعنى: بضُرٍّ في بدَني ﴿وَعَذَابٍ﴾ أي: في أهلي ومالي.

وقيل: كلاهما في البدنِ.

وقيل: هما واحدٌ، كُرِّرَ لاختلافِ اللَّفظَين.

وكان سببُ ابتلائِه: أنَّ رجلًا استعانَه على دفعِ ظُلمٍ فلم يُعِنْه.

وقيل: كان مَواشيه في ناحيةِ ملكٍ كافر فداهَنَه ولـم يغزُه.

وقيل: كان كثيرَ المالِ فأُعجِبَ به.

وقيل: ذبحَ شاةً فأكلَها وجارُه جائعٌ لـم يُطعِمْه[2].

وقيل: رأى مُنكرًا فسكتَ عنه.

وقيل: ابتَلاه الله لرفعِ الدَّرجاتِ، ولـم يكُنْ منه ذنبٌ فيُعاقبَ عليه[3].

***

= وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٤٦٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٨٩٨)، والضياء في «المختارة» (٢٦١٧)، عن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ نبيَّ الله أيوبَ لَبِثَ به بلاؤهُ ثماني عشرة سنة، فرَفَضه القريبُ والبعيدُ إلا رجلانِ مِن إخوانه...» الحديث. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٢٠٨): «رواه البزار وأبو يعلى ورجال البزار رجال الصحيح».

ورواه الحاكم في «المستدرك» (٤١١٥)، ووقع فيه: «خمس عشرة سنة».

(١) بضمهما أبو جعفر، وبفتحهما يعقوب، والباقون بضم فسكون. انظر: «النشر» (٢/ ٣٦١).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٣/ ١٠٠٤)، واستغربه.

(٣) وهذا هو الصواب، وما قبله كله شقشقة وإكثار من القيل مما لا يليق بحال الأنبياء عليهم السلام.

(٤٢) ـ ﴿ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ﴾.

﴿ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَ﴾؛ أي: أرسَلْنا إليه جبرائيلَ عليه السَّلامُ فقال له: اركُض برجلِك على الأرضِ، فركَض فنبعَت عينٌ حارّةٌ من تحتِ قدَمَيه، فأمرَه أن يغتسلَ منها فاغتسَلَ، ثمَّ ركَض برجلِه الأُخرَى فنبعَتْ عينٌ أخرى، ماءٌ عَذبٌ باردٌ، فشربَ منها، فزالَ ما في باطنِه وظاهرِه منَ القُروحِ والجراحاتِ.

﴿هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ﴾: ماءٌ تغتسِلُ به ﴿بَارِدٞ وَشَرَابٞ﴾ قيل: تقديرُه: هذا مُغتَسَلٌ، وهذا شرابٌ باردٌ.

* * *

(٤٣) ـ ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾.

﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ﴾ فيه أقوالٌ:

أحدُها: أحياهُم الله بأعيانِهم وزادَه مثلَهم؛ لأنَّهم ماتوا من غيرِ آجالِـهم، فأحياهُم حتَّى يستَوفُوا[1] بقيَّةَ آجالِـهم.

وقيل: أحياهُم ومثلَهم معَهم؛ يعني: من نَسلِهم، فيكونُ ﴿مِثۡلَهُمۡ﴾ أولادَ الأولادِ، وعلى القولِ الأوَّلِ أولادُ الصُّلبِ.

وقيل: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ﴾: نُؤتيه في الآخرةِ ﴿وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ﴾: في الدُّنيا[2].

وقال ابنُ بحرٍ: كانوا قد غابوا عنه وتفرَّقوا فجمَعهم الله عليه[3].

---

(١) في (ف): «فأحياهم ليستوفوا».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٣/ ١٠٠٤)، واستغربه، وفيه: «الغريب»: «يهبهم له في الجنة ومثلهم معهم في الدنيا».

(٣) ذكر هذا القول والذي بعده الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٠٢)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٣/ ١٠٠٤)، وعده من العجائب.

وقال أيضًا: أو كانوا مرضى فشفاهُم الله.

وقولُ الجمهورِ أولى بالاتِّباعِ.

﴿رَحۡمَةٗ مِّنَّا﴾؛ أي: رحمناه رحمةً، ويجوزُ أن يكونَ مفعولًا له.

﴿وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾؛ أي: إذا ابتُلِيَ اللَّبيبُ ذكرَ بلاءَ أيوبَ.

* * *

(٤٤) ـ ﴿وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾.

﴿وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا﴾ وذلك أنَّه حلفَ في مرضِه: ليضربنَّ زوجتَه مئةَ ضربةٍ، واختلفوا في ذلك؛ فقيل: ذهبَتْ في حاجةٍ فأبطأَتْ في الرُّجوعِ، فضاقَ صدرُ المريضِ، فحلفَ: إنْ شفاه الله ضربَها مئةَ ضربةٍ.

وقيل: إنَّ الشَّيطانَ أمرَها أن تحملَ أيوبَ على أن يذبحَ عَناقًا باسمِ الشَّيطانِ، فأدَّت إليه رسالةَ إبليسَ، فقال: ولا كفًّا من ترابٍ، فحلفَ: ليجلِدَنَّها مئةً.

وقيل: إنَّ إبليسَ لقيَها في صورةِ طبيبٍ، فدعَتْه لمُداواةِ أيوبَ، فقال: أُداويه على أنَّه إذا برِئَ قالَ: أنتَ شفَيتَني، لا أُريدُ جزاءً سواهُ، قالت: نعم، فأشارَتْ على أيوبَ بذلك، فحلفَ: ليضرِبَنَّها.

وقيل: جاءته بزيادةٍ على ما كانت تأتيه به منَ الخبزِ، فخافَ خِيانتَها، فحلَفَ.

وفي بعضِ القصصِ: باعَتْ ذُوائِبَها بطعامٍ فحملَتْه إليه، فساءَ ظنُّه، فحلفَ[1].

---

(١) وكل هذا من خرافات الإسرائيليات وأباطيلها، والقرآن يبطلها حيث أظهر كرامتها وشكر لها ـ كما سيأتي ـ بأن أمر رسوله بالإبرار بيمينه بهذه الطريقة المذكورة ليمنع عنها المشقة وعن أيوب الحنث، والأولى السكوت عما سكت عنه القرآن ولم يبينه لعدم الحاجة إليه، والرجل قد يحدث له مع زوجته الكثير من الأمور التي تضطره إلى مثل ما وقع لأيوب عليه السلام، ولا يحط هذا من فضل أي منهما.

فلمَّا عُوفيَ شكرَ اللهُ حُسنَ خدمَتِها لأيوبَ أيامَ بلائِه، فأمرَه اللهُ أن يجمعَ قضبانَ ريحانٍ عدَدُها مئةٌ فيضربَها بها ضربةً ليبرَّ يمينَه.

وقيل: الضِّغْثُ غصنٌ ذاتُ أغصانٍ كثيرةٍ.

وقيل: هو الشِّمْراخُ.

وقيل: الحزمةُ منَ الحشيشِ والرَّيحانِ.

وقيل: قبضةٌ من سُنبلٍ(١) فيها مئةُ سنبلةٍ.

مجاهد: هو لأيوبَ خاصَّةً، وهو منسوخٌ في شريعتِنا.

قتادةُ: عامٌّ في هذه الأمّةِ(٢).

وقيل: هذا جائزٌ في المريضِ والمعذورِ، ولا يجوزُ في غيرِهم.

وقيل: إذا اتَّصلَ به ألـمٌ جازَ، وإنْ خلا منَ الألـمِ لا يجوزُ.

وقيل: إذا أصابَه جازَ، وإنْ لـم يُصِبْه لـم يجُزْ.

﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا﴾؛ أي: على البلاءِ ﴿نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾ يُريدُ: أيُّوبَ ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾: مُقبِلٌ على طاعةِ ربِّه.

---

(١) في النسختين: «سنبلة»، والتصحيح من «تفسير السمرقندي» (٣/ ١٦٩)، و«تنوير المقباس» (ص: ٣٨٣).

(٢) ذكر الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٠٤) قولي مجاهد وقتادة. وفي «الناسخ والمنسوخ» للنحاس (ص: ٦٤٤، ٦٤٨): «من العلماء من قال: هذا منسوخ في شريعتنا، وإذا حلف رجل أن يضرب إنساناً عشر ضربات ثم لم يضربه عشر مرات حنث، وقال قوم: بل لا يحنث إذا ضربه بما فيه عشرة بعد أن تصيبه العشرة، وهذا قول الشافعي ومِن قبله عطاء، قال: «هي عامة» وقال مجاهد «هي خاصة» وأهل المدينة يميلون إلى هذا القول».

(٤٥) ـ ﴿ وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾.

﴿ وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ ﴾ قُرِئَ بالواحدِ والجمعِ[١].

فمَن جمعَ فـ﴿إِبۡرَٰهِيمَ﴾ ومَن بعدَه بدلٌ منه، وكلُّهم داخلون في العبوديّةِ والذِّكرِ. ومَن وحَّدَ فـ﴿إِبۡرَٰهِيمَ﴾ وحدَه بدلٌ منه وداخلٌ في العبوديّةِ والذِّكرِ، وغيرُه[٢] عطفٌ على العبدِ، داخلٌ في الذِّكرِ فحسب.

﴿أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ قيل: أولي القوّةِ في العبادةِ، والبصيرةِ في الدِّينِ، فعبَّرَ عن القوَّةِ باليدِ لأن بها يكونُ البطشُ، وعبَّرَ عن المعرفةِ بالأبصارِ لأن بالبصيرةِ تحصُلُ المعارفُ.

وقيل: ﴿ٱلۡأَيۡدِي﴾: النِّعمةُ؛ لأنَّ الله قد أنعمَ عليهم.

ابنُ بحرٍ: ﴿أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ كقولك: أولي العملِ والعلمِ، والمُرادُ بالأيدي: العملُ، وبالأبصارِ: العلمُ[٣].

ابنُ جريرٍ: لهم عند الله أيدٍ[٤]؛ أي: الأعمالُ الصَّالحةُ التي قدَّموها، كما تقولُ: له قِبَلَك يدٌ[٥].

* * *

(٤٦) ـ ﴿ إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ﴾.

﴿ إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ﴾ (خالصة): مصدرٌ، والمعنى: جعلْناهم يُذكِّرونَ النّاسَ بدارِ الآخرةِ ويُزهِّدونَهم في الدُّنيا.

---

(١) قرأ ابن كثير: (عبدنا) بالواحد، والباقون بالجمع. انظر: «السبعة» (ص: ٥٥٤)، و«التيسير» (ص: ١٨٨).

(٢) في النسختين: «وغيرهم»، والصواب المثبت.

(٣) ذكر نحوه المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٠٤) بلا نسبة.

(٤) في النسختين: «أيدي»، والصواب المثبت.

(٥) انظر: «تفسير الطبري» (٢٠/ ١١٦)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٠٤)، واستغربه.

وقيل: يُكثِرون ذِكرَ الآخرةِ والرُّجوعَ إلى الله تعالى.

وقيل: معنى ﴿ذِكۡرَى ٱلدَّارِ﴾: العملُ لها.

وقيل: ﴿ذِكۡرَى ٱلدَّارِ﴾: النُّبوةُ.

وقيل: الكتبُ التي فيها ذكرُ الآخرةِ.

وقيل: ﴿بِخَالِصَةٖ﴾: بنعمةٍ خالصةٍ لهم دونَ غيرِهم، والدَّارُ: الجنَّةُ؛ أي: لهم فيها ذكرٌ رفيعٌ جليلُ القَدْرِ؛ لقيامِهم بحقِّ(1) النُّبوَّةِ وأداءِ الرِّسالةِ.

وقُرِئَ بالإضافةِ(2)؛ أي: أخلَصْناهم بأفضلِ ما في الجنَّةِ، كما تقولُ: أخلَصْناهم بخيرِ الآخرةِ.

وقيل: الدَّارُ في الآيةِ: الدُّنيا، والذِّكرى: الثَّناءُ الحسَنُ والوصفُ بالتَّعظيمِ، وهذا شيءٌ قد أخلَصَهم به، فليس ذكرُ غيرِهم في الدُّنيا بمثلِ ما يذكرون به، يُقوِّيه قولُه: ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤]، وقولُه: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [الصافات: ١٨١]، وقولُه: ﴿وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ١٠٨ سَلَٰمٌ﴾ [الصافات: ١٠٨ - ١٠٩].

و﴿ذِكۡرَى﴾ يجوزُ أن يكونَ رفعًا ونصبًا في الوجهَين(3)، و﴿ٱلدَّارِ﴾: يجوزُ أن يكونَ ظرفًا، ويجوزُ أن يكونَ مفعولًا به(4).

***

(٤٧) - ﴿وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ﴾.

﴿وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ﴾؛ أي: المُجتبَينَ ﴿ٱلۡأَخۡيَارِ﴾: جمعُ (خيِّرٍ)، كميِّتٍ وأمواتٍ، وقيل: كشرٍّ وأشرارٍ.

---

(١) في (ن): «بأمر».

(٢) قرأ بها نافع. انظر: «السبعة» (ص: ٥٥٤)، و«التيسير» (ص: ١٨٨).

(٣) انظر وجوه إعرابها في «التبيان» للعكبري (٢/ ١١٠٢)، و«الدر المصون» (٩/ ٣٨٣).

(٤) أي: أصل المضاف إليه يجوز أن يكون ظرفاً، والتقدير: بخالصة ذكرى تقع في الدار، ويجوز أن يكون مفعولاً به، والتقدير: بخالصة ذكرهم الدارَ.

(٤٨) ـ ﴿ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴾.

﴿ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ ﴾ وهو خليفةُ إلياسَ كما سبقَ، وقيل: هو ابنُ إسحاقَ.

﴿وَذَا ٱلْكِفْلِ﴾ الحسنُ: كانَ نبيًّا(١).

قتادةُ: كان رجلًا صالحًا، كفلَ بعملِ رجلٍ صالحٍ كان يُصلِّي كلَّ يومٍ مئةَ صلاةٍ(٢).

وقيل: بمئةِ نبيٍّ انفلَتُوا منَ القتلِ، فآواهُم وكفلَهم.

والكِفْلُ: الـجَدُّ والحظُّ، والكِفْلُ: النَّصيبُ.

وقيل: هو يوشَعُ بنُ نونٍ، وقيل: هو اليسَعُ، وقيل: زكريَّا، عليهم السَّلامُ.

﴿وكلٌّ﴾؛ أي: وكلُّهم ﴿مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾.

* * *

(٤٩) ـ ﴿ هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴾.

﴿ هَٰذَا ذِكْرٌ﴾؛ أي: شرَفٌ لهم.

وقيل: ما تقدَّمَ من أوَّلِ السُّورةِ من أمورِ الأنبياء ذِكرٌ.

وقيل: هذا ـ أي: القرآنُ ـ ذِكرٌ لك ولقومِكَ.

﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾: مرجعٍ ومصيرٍ، ثمَّ فسَّرَ فقال:

* * *

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٤٦٤)، والواحدي في «البسيط» (١٥/ ١٥٣).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٨٨٢)، والطبري في «تفسيره» (١٦/ ٣٧١ ـ ٣٧٣) من طريق معمر عن قتادة عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٥٠) ـ ﴿ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ﴾.

﴿ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ﴾: دارَ إقامةٍ ﴿مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ﴾؛ أي: إذا وصلوا إليها وجدوها مفتوحةَ الأبوابِ.

وقيل: لا يحتاجون إلى مفاتيحَ وفتحٍ ومُعاناةٍ.

وقيل: هذا مثَلٌ؛ كما تقولُ: متى جئتَني وجدتَ بابي مفتوحًا؛ أي: لا يَمنَعُ منَ الدُّخولِ.

ابنُ بحرٍ: هذا وصفٌ بالسَّعةِ حتَّى يسافرَ الطَّرْفُ في كلِّ جانبٍ.

و﴿ٱلۡأَبۡوَٰبُ﴾ بدلٌ منَ الضَّميرِ في ﴿مُّفَتَّحَةً﴾.

وقيل: تقديرُه: الأبوابُ منها.

وقيل: الألفُ واللّامُ قائمٌ مَقامَ الضَّميرِ؛ أي: أبوابُها. والقولُ هو الأوَّلُ.

* * *

(٥١) ـ ﴿ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ ﴾.

﴿ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا ﴾ حالٌ منَ المُضمرين في ﴿لَهُمُ﴾؛ أي: جالسين فيها جلسةَ المُتنعِّمين للرّاحةِ ﴿يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ﴾ الفاكهةُ: ما يُؤكَلُ للَّذّةِ لا للغذاءِ، ﴿وَشَرَابٖ ﴾؛ أي: وشرابٍ كثيرٍ، فحُذِفَ اكتفاءً بالأوَّلِ؛ أي: يتحكَّمُونَ في ثمارِها وشرابِها، فإنْ[1] قالوا لشيءٍ منها: أقبِلْ، حصلَ عندَهم.

وقيل: يَتمنَّونَ ويسألونَ.

* * *

---

(١) في (ف): «فإذا».

(٥٢) - ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ﴾.

﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾؛ أي: أزواجٌ غاضَّاتُ البصرِ لا ينظُرْنَ إلى غيرِ أزواجِهنَّ.

﴿أَتْرَابٌ﴾: لِدَاتٌ، واشتقاقُها منَ اللَّعبِ بالتُّرابِ.

وقيل: على خَلْقِ أزواجِهنَّ، لا أصغرُ ولا أكبرُ.

وقيل: هنَّ مُستوياتٌ في السِّنِّ، لا عجوزٌ فيهنَّ ولا صبيَّةٌ.

وقيل: أقرانٌ.

وقيل: أمثالٌ.

وقيل: بناتُ ثلاثٍ وثلاثينَ على ميلادٍ[1] واحدٍ.

* * *

(٥٣) - ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾.

﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾؛ أي: لأجلِ يومِ الحسابِ؛ لأنَّ الحسابَ علَّةُ الوصولِ إلى جزاءِ العملِ.

وقيل: ما وُعِدتُم أُعطيتُم[2] في يومِ الحسابِ.

* * *

(٥٤) - ﴿هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾: من نهايةٍ، بل هو دائمٌ لا ينقطعُ.

* * *

---

(١) في هامش (ن): «في نسخة مثال».

(٢) في (ف): «أعطاه».

(٥٥) ـ ﴿ هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٖ ﴾.

﴿ هَٰذَا ﴾ الزَّجَّاجُ: خبرٌ، والمبتدأُ محذوفٌ؛ أي: الأمرُ هذا[١].

وقيل: مُبتدأٌ، والخبرُ محذوفٌ؛ أي: هذا مآلُ أهلِ الجنَّةِ.

﴿وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٖ ﴾: مَرجعٍ.

***

(٥٦) ـ ﴿ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَا فَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴾.

﴿ جَهَنَّمَ ﴾ بدلٌ منه ﴿يَصۡلَوۡنَهَا﴾: يدخلُونَها ويُقاسونَ حرَّها ﴿فَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴾: ما مُهِدَ لهم؛ أي: جهنَّمُ.

وقيل: بئسَ ما مهَدُوا لأنفُسِهم.

***

(٥٧) ـ ﴿ هَٰذَا فَلۡيَذُوقُوهُ حَمِيمٞ وَغَسَّاقٞ ﴾.

﴿ هَٰذَا فَلۡيَذُوقُوهُ حَمِيمٞ وَغَسَّاقٞ ﴾ الحميمُ: الماءُ الحارُّ يبلغُ في الحرارةِ أن يُحرقَ.

والغسَّاقُ: الباردُ الذي يبلغُ[٢] بردُه أن يُحرقَ.

وقيل: هو ما يسيلُ منَ القيحِ والصَّديدِ، وهو منَ النَّتْنِ بحيثُ لو قطَرَتْ منه قطرةٌ في الشَّرقِ لأنتنَ منها أهلُ الغربِ[٣].

وقيل: هو ما يأخذُ بالحَلْقِ[٤] إذا أرادَ الإنسانُ شربَه وابتلاعَه.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٣٣٨).

(٢) بعدها في (ف): «من».

(٣) في (ف): «المشرق... المغرب».

(٤) في (ن): «الحلق».

وقيل: الغسَّاقُ: الزَّمهريرُ.

وقيل: وادٍ في جهنَّمَ تسيلُ إليه حُمَةُ كلِّ ذي حُمَةٍ[(١)].

وقيل: هو مشتقٌّ من قولِـهم: غَسَقَتْ عينُه؛ إذا سالَتْ.

ابـنُ بحـرٍ: مأخوذٌ مـنَ (الغَسَـقِ)، وهـو الظُّلمةُ والسَّـوادُ، وهـذا ضدُّ مـا يُرادُ في الشَّـرابِ مـنَ الصَّفـاءِ والرِّقةِ والحُسـنِ.

و﴿غسَاق﴾ ـ بالتَّخفيفِ ـ أقربُ منَ التَّشديدِ[(٢)]؛ لأنَّ فَعَّالاً ـ نحو الجبَّار والفيَّاد[(٣)] ـ في الأسماءِ قليلٌ، ولو جعلتَه وصفًا استَدعَى موصوفًا، وليس في الآيةِ موصوفٌ.

ومحلُّ ﴿هَٰذَا﴾ رفعٌ من ثلاثةِ أوجهٍ:

أحدُهـا: أن يكـونَ مُبتـدأً، و﴿حَمِيمٌ﴾ خبـرُه، و﴿غسَّـاقٌ﴾ عطفٌ علـى الخبرِ، وقولُـه: ﴿فَلْيَذُوقُوهُ﴾ اعتراضٌ.

والثَّاني: أن يكونَ مُبتدأً، و﴿فَلْيَذُوقُوهُ﴾ خبرُه، و﴿حَمِيمٌ﴾ خبرُ مبتدأ آخر؛ أي: هو حميمٌ وغسَّاقٌ.

الفرَّاءُ: منه حميمٌ ومنه غسَّاقٌ، ويجوزُ أن يكونَ في محلِّ النَّصبِ[(٤)].

والثَّالثُ: أن يكونَ مُتَّصلًا بالأوَّلِ؛ أي: فبئسَ المِهادُ هذا.

* * *

(٥٨) ـ ﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ﴾.

﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ﴾: وعذابٌ آخرُ وأنواعٌ أُخَرُ من مثلِ العذابِ المذكورِ.

---

(١) الحمة: السمُّ. انظر: «إصلاح المنطق» لابن السكيت (ص: ١٣٧).

(٢) قـرأ حمـزة والكسـائي وحفـص بالتشـديد، والباقـون بالتخفيـف. انظـر: «السـبعة» (ص: ٥٥٥)، و«التيسـير» (ص: ١٨٨).

(٣) هو المتبختر. انظر: «الغريب المصنف» لأبي عبيد (١/ ٣٧٣).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٤١٠).

وقيل: من مثلِ عذابِ الدُّنيا.

وقيل: يعودُ إلى الحميمِ.

وقيل: إلى الآخرِ.

﴿أَزْوَٰجٌ﴾: أصنافٌ وألوانٌ، وقيل: مُقترناتٌ.

* * *

(٥٩) ـ ﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ﴾.

﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ﴾؛ أي: إذا دخلَتْ جماعةٌ النّارَ ثمَّ دخلَ آخرون.

والفوجُ الأوَّلُ: قيل: إبليسُ وبنوه، والثّاني: بنو آدمَ.

وقيل: الفوجُ الأوَّلُ الرُّؤساءُ المُضِلُّون، والثّاني: الأتباعُ.

وقيل: الفوجُ الأوَّلُ: قادةُ المُشركين ومُطعِمُوهم يومَ بدرٍ، والفوجُ الثّاني: أتباعُهم ببدرٍ.

يقولُ الملائكةُ الذين هم خزنةُ النّارِ، وقيل: يقولُ الله لهم: ﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ﴾؛ أي: داخلٌ معكم النّارَ، والاقتِحامُ: الدُّخولُ في الشَّيءِ بشِدّةٍ.

ويقولُ الفوجُ الأوَّلُ: ﴿لَا مَرْحَبًا بِهِمْ﴾؛ أي: لا وسَّعَ الله لهم ﴿إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ﴾ كما صَلِينا.

وقيل: إنَّما قالوا ذلك ولم يصدُرْ منَ الأتباعِ ذنبٌ في حقِّ مَن قبلَهم؛ لأنَّ النارَ تكونُ مملوءةً منهم.

وقيل: إنَّما قال ذلك الخزنةُ.

وقيل: إنَّما قالوا إخبارًا لا دُعاءً؛ أي: قد ورَدُوا مَوْرِدًا لا رُحْبَ فيه ولا سَعةَ.

ويحتمِلُ: أنَّهم إنَّما قالوا ذلك لأنَّ عذابَهم يُضاعَفُ بسببِهم.

(٦٠) ـ ﴿قَالُواْ بَلۡ أَنتُمۡ لَا مَرۡحَبَۢا بِكُمۡۖ أَنتُمۡ قَدَّمۡتُمُوهُ لَنَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ ﴾.

﴿قَالُواْ بَلۡ أَنتُمۡ لَا مَرۡحَبَۢا بِكُمۡۖ﴾ ولا أهلًا ولا سهلًا ﴿أَنتُمۡ قَدَّمۡتُمُوهُ لَنَاۖ﴾ جعلتُمُوه لنا قَدَمًا؛ يعني: العذابَ، والقَدَمُ: كلُّ عملٍ يُوجِبُ شيئًا.

وقيل: ﴿أَنتُمۡ قَدَّمۡتُمُوهُ لَنَاۖ﴾؛ أي: العذابَ؛ لأنَّكم سنَنْتُم الكفرَ ودعَوتُـمونا إليه، فضلَلْنا باتِّباعِكم.

﴿فَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ ﴾؛ أي: النَّارُ.

* * *

(٦١) ـ ﴿قَالُواْ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدۡهُ عَذَابٗا ضِعۡفٗا فِي ٱلنَّارِ ﴾.

﴿قَالُواْ﴾؛ أي: الفـوجُ الثَّانـي: ﴿رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدۡهُ عَذَابٗا ضِعۡفٗا فِي ٱلنَّارِ ﴾ الضِّعـفُ: المِثـلُ المضمـومُ إلـى مثلِه، ضـدُّ النِّصـفِ، والتضعيفُ ضـدُّ التَّنصيف.

وقيل: هذا من كلامِ الجميعِ، كأنَّ كلَّ واحدٍ أحالَ الذَّنبَ إلى آخرَ.

* * *

(٦٢) ـ ﴿وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالٗا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلۡأَشۡرَارِ ﴾.

﴿وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالٗا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلۡأَشۡرَارِ ﴾ يريدُ: يقولُ أبو جهلٍ وصناديدُ قريشٍ في النّارِ: ﴿مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالٗا﴾؛ يعني: فُقراءَ المُؤمنينَ صُهَيبًا وبلالًا وعمّارًا وخَبَّابًا ﴿كُنَّا نَعُدُّهُم﴾؛ أي: في الدُّنيا ﴿مِّنَ ٱلۡأَشۡرَارِ﴾؛ أي: الأراذلِ.

* * *

(٦٣) ـ ﴿ أَتَّخَذۡنَٰهُمۡ سِخۡرِيًّا أَمۡ زَاغَتۡ عَنۡهُمُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴾.

﴿أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا﴾: كنَّا نسخرُ بهم في الدُّنيا، و﴿سُخْرِيًّا﴾ بالضَّمِّ[١]: نتَسَخَّرُهم[٢]. وقيل: هم لُغتانِ.

﴿أَمْ زَاغَتْ﴾: مالَتْ ﴿عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ فلا نراهُم، والمعنى: أَهُم[٣] في النّارِ معَنا فزاغَتْ عنهم الأبصارُ فلا نراهُم، أم ليسوا معنا؟

وقيل: ﴿أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ في الدُّنيا؛ تحقيرًا لهم.

قال الحسنُ: كلُّ ذلك فعلوا، اتَّخذُوهم سِخريًّا وسُخْرِيًّا[٤]، وزاغَتْ عنهم الأبصارُ تحقيرًا لهم[٥].

قُرِئَ: ﴿اتَّخَذْناهُم﴾ على الخبرِ، فتكونُ صفةً لقولِه: ﴿رِجَالًا﴾.

وقُرِئَ بالاستفهامِ[٦]، وحُمِلَ على معنى التَّسويةِ كقولِه: ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ [البقرة: ٦].

***

(٦٤) - ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ﴾.

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى ما تقدَّمَ من كلامِ أهلِ النّارِ ﴿لَحَقٌّ﴾: لَصِدقٌ كائنٌ لا

---

(١) قرأ بها نافع وحمزة والكسائي، والباقون بكسر السين. انظر: «السبعة» (ص: ٤٤٨)، و«التيسير» (ص: ١٦٠).

(٢) في (ن): «يتسخر بهم».

(٣) في (ف): «أنهم».

(٤) في مصدري التخريج: «سخريًا» بلا تكرار.

(٥) ذكره ابن فورك في «تفسيره» (٢/ ٣٠٠)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٠٩).

(٦) قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي بالإخبار، والباقون بالاستفهام. انظر: «السبعة» (ص: ٥٥٦)، و«التيسير» (ص: ١٨٨).

محالةَ، ثمَّ صرَّحَ فقال: ﴿تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ﴾ فارتفاعُه بالبدلِ، أو بالخبرِ[1]؛ وهو تخاصمُ، أو بالخبرِ بعد الخبرِ[2]، وهو جوابُ القسمِ على ما سبقَ.

***

(٦٥) ـ ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾.

﴿قُلْ﴾ يا محمَّدُ: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌۖ﴾: رسولٌ أُخوِّفُكم عذابَ الله ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ يعني: قاهرَ الخلقِ.

***

(٦٦) ـ ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ﴾.

﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ﴾ ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ بالنِّقمةِ، ﴿ٱلْغَفَّٰرُ﴾ للمُؤمنينَ بالرَّحمةِ[3].

***

(٦٧) ـ ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ﴾.

﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: القرآنُ، وسمَّاه عظيمًا؛ لأنَّه كلامُ ربِّ العالمين.

وقيل: يومُ القيامةِ.

وقيل: النَّبأُ الذي يأتيكُمْ به عنِ الله نبأٌ عظيمٌ.

---

(١) في (ن): «وهو».

(٢) «بالرحمة»: ليست في (ف).

(٣) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٣١٦).

(٦٨) ـ ﴿أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾.

﴿أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾: غافِلون، والإِعراضُ عنِ الشَّيءِ: الذَّهابُ عنه في عُرْضٍ؛ أي: في جانبٍ.

***

(٦٩) ـ ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾.

﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾؛ أي: لو لـم أكُنْ نبيًّا يُوحَى إليَّ لَمَا كانَ لي من علمٍ بالملأ الأعلى، وهم الملائكةُ واختِصامُهم، وفي إخباري إيّاكم ذلك دليلٌ على أنِّي أُعلِمْتُ ذلك بالوحيِ.

***

(٧٠) ـ ﴿إِن يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾.

﴿إِن يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾؛ أي: ما يُوحَى إليَّ إلا أنِّي نذيرٌ مُبينٌ.

وقيل: ما يُوحَى إليَّ الإنذارُ.

وقيل: تقديرُه: ما يُوحَى إليَّ إلّا أنَّما أنتَ نذيرٌ مبينٌ، فعبَّرَ عنه بالمعنى(١).

وأمَّا اختِصامُهم فهو ما ذكَروا في شأنِ آدمَ عليه السَّلامُ حينَ أخبرَهم بخلقِه فقالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا﴾ الآية [البقرة: ٣٠].

وقيل: اختِصامُهم: مُخالفتُهم لإبليسَ ومُخاصمَتُهم له.

وقيل: تخاصُمُهم: مُناظَرتُهم بينَهم في استنباطِ العلمِ؛ لأنَّ بعضَهم أعلَمُ من بعضٍ، كما تجري المُناظرةُ بين أهلِ العلمِ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٣/ ١٠٠٦)، واستغربه.

(٧١) ـ ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾.

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا﴾ يعني: آدمَ ﴿مِّن طِينٍ﴾: ترابٍ مبلولٍ.

* * *

(٧٢) ـ ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾.

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ يُريدُ: التي هي مخلوقَتي ومملوكَتي، والرُّوحُ جسمٌ رقيقٌ هوائيٌّ في كلِّ جزءٍ منه حياةٌ، وهذا عندَ مَن يَزعُمُ أنَّ الرُّوحَ معلومةٌ، وأنَّ المُرادَ بقولِه: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥] اليهودُ.

وأمَّا عندَ الجمهورِ فالرُّوحُ من أمرِ الله لا تُعرَفُ كيفيَّتُه.

وقيل: الرُّوحُ: ما يمتازُ به الحيُّ منَ الميِّتِ.

وقيل: ﴿مِن رُّوحِي﴾ الذي خلقتُه له، وأضافَه إليه تخصيصًا، كبيتِ الله وناقةِ الله.

﴿فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ وكانَ انحناءً يدلُّ على التَّواضعِ.

وقيل: كانَ سجدةً لله.

وقيل: صلَّى آدمُ بهم، فصلَّوا في جماعةٍ وسجَدُوا في الصَّلاةِ.

* * *

(٧٣ ـ ٧٤) ـ ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ استثناءٌ متَّصلٌ عند بعضِهم، مُنقطعٌ عند بعضٍ، وقد سبقَ.

﴿ٱسْتَكْبَرَ﴾: تعظَّمَ، وأوَّلُ مَن استكبرَ إبليسُ(١).

(١) ذكره ابن فورك في «مشكل الحديث وبيانه» (ص: ١٢٨).

﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ قيل: صارَ.

وقيل: كانَ منهم في سابقِ علمِ الله.

وقيل: لـم يزَلْ كافرًا.

وقيل: كان مُؤمنًا ثمَّ كفرَ، وهذا هو القولُ الأوَّلُ.

***

(٧٥) ـ ﴿ قَالَ يَـٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴾.

﴿ قَالَ يَـٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ ﴾ أي: ما منعَكَ السُّجودَ، ومنَ السُّجودِ.

﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾: تولَّيتُ خَلْقَه من غيرِ أن أُمِرْتُ به، ولا سببٍ أدَّى إليه.

وقيل: بقُدرَتي ونِعمَتي.

والتَّثنيةُ هاهنا كالجمعِ في قولِه: ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ ﴾ [يس: ٧١][(١)].

﴿أَسْتَكْبَرْتَ ﴾ استفهامُ إنكارٍ ﴿أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾ من قولِه: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [القصص: ٤].

***

(٧٦) ـ ﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾.

﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ وهذا قياسٌ فاسدٌ، ولهذا استحَقَّ اللَّعنَ، وقد سبقَ.

***

(٧٧) ـ ﴿ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴾.

﴿ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا﴾: منَ الجنَّةِ.

---

(١) استدل المصنف بتوحيد اليد المضافة إلى الله سبحانه وتعالى مرة، وتثنيتها مرة، وجمعها مرة أخرى؛ على أنها ليست بالجارحة، وقد تقدم في تفسير قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ [المائدة: ٦٤].

وقيل: منَ السَّماءِ.

وقيل: من صورةِ الملَكِ.

وقيل: منَ الأرضِ إلى جزائرِ البحورِ.

﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾: ملعونٌ مشتومٌ.

وقيل: إنْ رجَعْتَ إليها رُجِمْتَ بالشِّهابِ الثّاقبِ؛ أي: رُحِمَ[1] آدمُ ورُجِمَ إبليسُ.

***

(٧٨) ـ ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾.

﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ﴾: طَرْدي منَ الجنّةِ وإبعادي من كلِّ خيرٍ ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾: يومِ الجزاءِ والحسابِ.

***

(٧٩) ـ ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾.

﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ وفي التَّفسيرِ: إنَّما قال: ﴿يُبْعَثُونَ﴾ لكيلا[2] يذوقَ الموتَ، فأبَى الله سُبحانَه أن يُعطيَه سُؤلَه، فقال:

(٨٠ ـ ٨١) ـ ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ۝٨٠ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾.

﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ۝٨٠ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾ يعني: نفخةَ الموتِ، وهذا إخبارٌ منه سُبحانه لا استجابةٌ لدُعائِه.

وقال بعضُهم: لم يُعلِمْه الوقتَ الذي أنظرَه إليه.

---

(١) في النسختين: «رجم»، وهو تصحيف.

(٢) في (ف): «لئلا».

(٨٢) ـ ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾.

﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾: لأُضِلَّنهم.

وقيل: لأحـمِلَنَّهم على الغَيِّ، وهو ضدُّ الرُّشدِ.

* * *

(٨٣) ـ ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾.

﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ وهم الذين عصَمَهم الله من إضلالي؛ إنْ فُتِحَتْ، وإنْ كُسِرَتْ[1] فهم الذين أخلَصُوا طاعتَهم لله.

* * *

(٨٤ ـ ٨٥) ـ ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾.

﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ﴾ الأوَّل رفعٌ من وجوهٍ:

أحدُها: بالخبرِ؛ أي: أنا الحقُّ.

وقيل: بالابتداءِ؛ أي: الحقُّ منِّي.

وقيل: الحقُّ ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾؛ أي: أنْ أملأَ جهنَّمَ، و﴿الحقَّ أَقُولُ﴾ اعتراضٌ.

ويحتمِلُ: فالحقُّ يميني لأملأَنَّ جهنَّم، كما قال: ﴿لَعَمْرُكَ﴾ [الحجر: ٧٢]؛ أي: لَعَمرُكَ قسَمي ويميني.

ومَن نصبَ[2] فعلى إضمارِ القولِ؛ أي: أقولُ الحقَّ لأملأنَّ.

---

(١) قرأ الكوفيون ونافع: ﴿الْمُخْلَصِينَ﴾ إذا كان في أوله ألف ولام بفتح اللام حيث وقع، والباقون بكسرها. انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢٨).

(٢) قرأ عاصم وحمزة: ﴿فَالْحَقُّ﴾ بالرفع ﴿وَالْحَقَّ أَقُولُ﴾ بالنصب، وقرأ الباقون كليهما بالنصب. انظر: «السبعة» (ص: ٥٥٧)، و«التيسير» (ص: ١٨٨).

وقيل: قسَمٌ؛ كقولِك: حقًّا لأملأنَّ.

وقيل: بالحقِّ، فحُذِفَ الجارُّ ونُصِبَ، كقولِك: اللهَ ما فعلتُ، و﴿الحقَّ أَقُولُ﴾ اعتراضٌ.

وقيل: نصبٌ بفعلٍ مُضمَرٍ كقولِه: ﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ﴾ [يونس: ٨٢].

وقيل: نصبٌ على الإغراءِ؛ أي: اتَّبِعُوا الحقَّ.

وقيل: تقديرُه: فسأفعلُ الحقَّ في أمرِكَ.

وأمَّا الثَّاني فمنصوبٌ بقولِه: ﴿أَقُولُ﴾.

وقيل: هما قَسَمانِ[1].

﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ﴾ يا إبليسُ ﴿وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾؛ أي: من الجِنَّةِ والنّاسِ.

* * *

(٨٦) ـ ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾.

﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾: على تبليغِ الرِّسالةِ.

وقيل: على النَّبأ العظيمِ.

وقيل: على القرآنِ.

﴿مِنْ أَجْرٍ﴾: جُعْلٍ ورزقٍ ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ لهذا القرآنِ من تلقائي.

وقيل: ﴿مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ بأنْ آمرَكُم ما لـم[2] أُؤْمَرْ به.

والتَّكلُّفُ[3] تعسُّفٌ في طلبِ الأمرِ الذي لا يقتضيه العقلُ.

---

(١) في (ف) زيادة: «لأملأن جهنم».

(٢) في (ف): «لا».

(٣) في (ف) زيادة: «لأملأن جهنم».

(٨٧) ـ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾.

﴿إِنْ هُوَ﴾: ما القرآنُ ﴿إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾: شرفٌ وعِظةٌ.

* * *

(٨٨) ـ ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾.

﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ﴾: نبأ القرآنِ وما فيه منَ الوعدِ والوعيدِ وذكرِ البعثِ والنُّشورِ.

﴿بَعْدَ حِينٍ﴾: بعد الموتِ.

وقيل: بعد أن يأمرَ الله محمَّدًا بالقتلِ والسَّبيِ.

وقيل: يومَ بدرٍ.

وقيل: يومَ القيامةِ.

فَتحَ السُّورةَ بالذِّكرِ وخَتمَ بالذِّكرِ.

* * *

لُبابُ التفاسير

تأليف الإمام المفسِّر

تاج القُرّاء الكرماني

بُرهان الدين أبي القاسم محمود بن حمزة بن نصر الكرماني

المتوفى بعد سنة ٥٠٠هـ

يُطبع أول مرة محققاً على ثلاث نسخ خطية

تحقيق وتعليق

محمد عبد الحليم بعّاج

المجلد الثامن

دار اللباب

لُبَابُ التَّفَاسِيرِ

(٨)

حُقوق الطّبع محفُوظَة

الطبعة الأولى

١٤٤٣هـ - ٢٠٢١م

يُمنع طباعةُ هذا الكتاب أو ترجمته أو تصويرُه ورقياً أو إلكترونياً

إلا بإذن خطي من الدار الناشرة

تحت المُساءلة الدُّنيوية والأُخروية

9 789933 930271

دار اللُّباب

للدِّراساتِ وتحقِيقِ التُّراثِ

DAR-ALLOBAB

Lubab Yazma Eserleri İhya ve İlmi Araştırma Yayınları

بيروت - لبنان
009615813966
0096170112990

دمشق - سوريا
00963993151546
info@allobab.com
Www.allobab.com

اسطنبول - تركيا
00902125255551
00905454729850

İskenderpaşa mh. Kıztaşı cd. No:7 D:5 Fatih (Özel Fatih Hastanesi Karşısı)

بسم الله الرحمن الرحيم

سُورَةُ الزُّمَرِ

سُورَةُ الزُّمَرِ

خمسٌ وسبعونَ آيةً، مكِّيَّةٌ(١).

ويُقالُ لها: سورةُ الغُرَفِ(٢).

مكِّيّةٌ إلّا ثلاثَ آياتٍ من قولِه: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟﴾ فإنَّها نزلَتْ بالمدينةِ إلى تمامِ ثلاثِ آياتٍ(٣)، وقيل: إلى تمامِ سبعِ آياتٍ(٤).

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾.

﴿تَنزِيلُ﴾؛ أي: هذا تنزيلُ ﴿ٱلْكِتَـٰبِ﴾، والكتابُ: القرآنُ.

---

(١) «خمس وسبعون آية مكية»: ليست في (ف). وانظر «البيان في عد آي القرآن» (ص: ٢١٦)، وفيه: «وهي سبعون وخمس آيات في الكوفي، وثلاث في الشَّامي، واثنتان في عدد الباقين... ».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ١٤٩)، و«معاني القراءات» للأزهري (٢/ ٣٣٥)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٠٩)، واستغربه.

(٣) انظر: «البيان في عد آي القرآن» (ص: ٢١٦)، وفيه: «مَكِّيَّة، قال ابن عبَّاس وعطاء: إلاَّ ثلاث آيات منها فإنها نزلت بالمدينة في وحشي قاتل حمزة، وهن قوله تعالى: ﴿قل يَا عبَادي الَّذين أَسْرفُوا على أنفسهم﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُم لَا تشعرون﴾».

(٤) انظر: «النكت والعيون» للماوردي (٥/ ١١٣).

وقيل: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾: مبتدأٌ، خبرُه: ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾[1].

والمعنى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ﴾، لا كما يقولُه المشركونَ: إنَّ محمَّدًا يقولُه من تلقاءِ نفسِه.

وقيل: معناه: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ﴾، فاستَمِعُوا له واعمَلُوا به.

﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ في سلطانِه ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾ في تدبيرِه.

* * *

(٢) ـ ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾.

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾: لإثباتِ الحقِّ، وهو الإيمانُ باللهِ وصفاتِه.

وقيل: بالصِّدقِ في الإخبارِ عمَّا كان وعمَّا يكونُ.

وليس قولُه: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ﴾ تكرارًا؛ لأنَّ الأوَّلَ كالعنوانِ للكتابِ، والثَّانيَ لبيانِ ما في الكتابِ.

﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ الخطابُ للنَّبيِّ ﷺ، والمُرادُ به هو وأمَّتُه؛ أي: اعبُدوه مُخلِصين له الطَّاعةَ من غيرِ شائبةِ شكٍّ ونفاقٍ.

* * *

(٣) ـ ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾.

﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ﴾: الطَّاعةُ الخالصةُ؛ أي: هي التي تقعُ موقعَ القَبولِ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٠٩)، واستغربه.

وقيل: الطّاعةُ الخالصةُ لا يستحِقُّها إلا اللهُ.

وقيل: الواجبُ عليهم أن يُخلِصُوا الطّاعةَ.

وقيل: الدِّينُ هاهنا كلمةُ لا إلهَ إلا الله.

وقيل: هو الإسلامُ.

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ يعني: آلهةً يعبُدونها ويُوالونَها، ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ﴾؛ أي: يقولونَ: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ﴾.

وقيل: ﴿الذين اتَّخذوا﴾ رفعٌ بإضمارِ القولِ[1]؛ أي: يقولُ الذين اتَّخذوا من دونِه أولياءَ: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾؛ أي: إلّا ليشفَعُوا لنا، قيل: هم الملائكةُ وعيسى وعُزَيرٌ.

والزُّلفى: الشَّفاعةُ. وقيل: القُربى والمنزلةُ.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾: يحكمُ بين المسلمينَ والمُشرِكين فيَظهرُ المُحِقُّ من المُبطِلِ، وهذا ردٌّ لقولِهم ووعيدٌ.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى﴾: لا يُرشِدِ إلى دينِه.

وقيل: لا يهدي إلى الحقِّ.

وقيل: إلى الجنّةِ.

﴿مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ﴾ في قولِه: الملائكةُ[2] بناتُ الله، وعيسى وعُزَيرٌ أبناءُ الله.

﴿كَفَّارٌ﴾ في عبادةِ غيرِ الله.

* * *

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٠٩)، واستغربه.

(٢) في (ن): «إن الملائكة».

(٤) ـ ﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾.

﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ كما زعموا ﴿لَّٱصْطَفَىٰ﴾: لاختارَ ﴿مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾؛ أي: الأفضلَ، لا الأنقصَ وهنَّ البناتُ.

وقيل: لو اتَّخذَ من خلقِه ولدًا لـم يتَّخِذْه باختيارِهم وقولِـهم، بل كان يختصُّ من خلقِه مَن يشاءُ. وذِكرَ لفظَ ﴿مَا﴾ دونَ (مَن) ليكونَ أعمَّ.

﴿سُبْحَـٰنَهُۥ﴾ نزَّه نفسَه عن الولدِ ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾.

* * *

(٥) ـ ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّـٰرُ﴾.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾: للحقِّ، لا للعبثِ والباطلِ.

﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ﴾؛ أي: يُنقِصُ من أحدِهما، ويزيدُ في الآخرِ.

وقيل: معنى ﴿يُكَوِّرُ﴾: يُغشي.

وقيل: معنى قولِه: ﴿يُكَوِّرُ﴾: يزيدُ، من قولِـهم: نعوذُ باللهِ منَ الحَورِ بعدَ الكَوْرِ؛ أي: منَ النَّقصِ بعدَ الزِّيادةِ.

وقيل: ﴿يُكَوِّرُ﴾: يلفُّ، من تكويرِ العمامةِ، ومنه: كارةُ القَصَّارِ.

﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ سبقَ.

﴿كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ قيل: القيامةُ.

وقيل: لكلٍّ منها منازلُ لا يعدُوها ولا يَقصرُ دونَها.

﴿أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾[1] فلا يُغالَبُ ﴿ٱلْغَفَّٰرُ﴾ لمَن تابَ.

❋ ❋ ❋

(٦) ـ ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾.

﴿خَلَقَكُم﴾ يا بني آدمَ ﴿مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ يعني: آدمَ عليه السَّلامُ.

﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ يعني: حوَّاءَ، خُلِقَتْ من قُصيْرَى آدمَ، وهو آخرُ أضلاعِه.

وقيل: خُلِقَتْ من بقيَّةِ طينِ آدمَ.

وقولُه: ﴿ثُمَّ جَعَلَ﴾ فيه أقوالٌ:

أحدُها: أنَّ الله خلقَ آدمَ وأخرجَ ذُرِّيتَه من ظهرِه، ثمَّ ردَّهم إلى مكانِهم، ثمَّ خلقَ منها حوَّاءَ.

والثَّاني: أنَّ التَّراخيَ في الإخبارِ، لا في الجَعْلِ.

والثَّالثُ: أنَّ (ثمَّ) قد يأتي مع الجملةِ دالًّا على التَّقدُّمِ كقولِه: ﴿ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢]، وكذلكَ[2] قولُه: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البلد: ١٧]، وكذلك قولُه: «فليُكفِّرْ عن يمينِه ثمَّ ليفعَلِ الذي هو خيرٌ»[3].

والرَّابعُ: أنَّ التَّقديرَ: خلقَكُم من نفسٍ واحدةٍ، خلقَها ثمَّ جعلَ منها زوجَها[4].

---

(١) في (ن) زيادة: «الغفار العزيز».

(٢) في (ن): «فكذلك».

(٣) رواه مسلم (١٦٥٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وهو مروي في «الصحيحين» من حديث أبي موسى وعائشة وعبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنهم بألفاظ أخرى ليس فيها موضع الشاهد.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠١٠)، واستغربه، وقال: «وهو أحسن الوجوه».

قولُه: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ قيل: ﴿أنزلَ﴾ بمعنَى: جعلَ.

وقيل: أنزلَـها منَ الجنَّةِ.

وقيل: ﴿أنزلَ﴾ بمعنى: خلقَ.

وقيل: عبَّرَ عن الخلقِ بالإنزالِ لِمَا فيه من معنى الرِّفعةِ والاعتلاءِ؛ كما يُقالُ: رُفعتِ القِصَّةُ إلى الأميرِ، وإنْ كانَ الأميرُ في سَرَبٍ.

وقيل: لأنَّها لا تقومُ إلّا بالنَّباتِ، والنَّباتُ منَ المطرِ، والمطرُ ينزلُ منَ السَّماءِ، فكأنَّ الأنعامَ مُنزَّلٌ[1].

والأنعامُ عند الانفرادِ يقعُ على الإبلِ خاصّةً، والمُرادُ بها هاهنا ما بيَّنَ في سورةِ (الأنعام): ﴿مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ﴾ [الأنعام: ١٤٣]، ﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ﴾ [الأنعام: ١٤٤]، وخُصَّتْ هذه بالذِّكرِ لكثرةِ الانتفاعِ بها منَ اللَّبنِ واللَّحمِ والجلدِ والشَّعرِ والوَبَرِ.

والأزواجُ: جمعُ زوجٍ، والزَّوجُ: الفردُ له مثلٌ، وقد يُقالُ لهما: زوجٌ، تقولُ: زوجُ حمامةٍ، وزوجُ خُفٍّ.

﴿يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ نُطفةً ثمَّ علقةً ثمَّ مُضغةً إلى تمامِ الخلقِ.

وقيل: ﴿خَلْقًا﴾ في بطنِ الأمِّ ﴿مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ في صُلبِ آدمَ عليه السَّلامُ.

وقيل: ﴿خَلْقًا﴾ في بطنِ الأمِّ ﴿مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ في صُلبِ الأبِ.

ويحتمِلُ أنَّ ذكرَ الأنعامِ في الآيةِ اعتراضٌ، حسَّنَ الاعتراضَ ذِكرُ الأزواجِ بعد قولِه: ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾؛ أي: كلَّ حيوانٍ ذي[2] زوجٍ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠١٠)، واستغربه.

(٢) في (ن): «ذو».

قولُه: ﴿فِي ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ﴾: ظُلمةُ البطنِ، وظُلمةِ الرَّحِمِ، وظُلمةُ المَشِيمةِ.

وقيل: ظُلمةُ الصُّلبِ، وظُلمةُ البطنِ، وظُلمةُ الرَّحِمِ.

وقيل: الظُّلماتُ الثَّلاثُ: الحوايا والأحشاءُ والرَّحِمُ.

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ﴾؛ أي: الذي خلقَ هذه الأشياءَ خالقُكم ورازِقُكم ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ عن الرَّشادِ.

* * *

(٧) ـ ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾.

﴿إِن تَكْفُرُوا﴾ يا أهلَ مكّةَ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ﴾؛ أي: عن عبادتِكم اللهَ وإيمانِكم.

﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾؛ أي: لعبادِه المُؤمنين، كقولِه: ﴿يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان: ٦].

وقيل: هو عامٌّ، والكفرُ ليس برضا اللهِ وإنْ كانَ بإرادتِه.

وقيل: لا يرضَى منهم الكفرَ.

﴿وَإِن تَشْكُرُوا﴾؛ أي: ما أنعمَ عليكم بالإيمانِ والطَّاعةِ ﴿يَرْضَهُ لَكُمْ﴾: يَرْضَ ذلك الشُّكرَ لكم، فيُثيبُكم عليه الجنّةَ.

والمعنى: هو يرضى الشُّكرَ ولا يرضى الكفرَ.

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾؛ أي: لا يُؤخَذُ أحدٌ بذنبِ آخرَ، والوِزرُ: الذَّنبُ وعقابُه.

﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ فيُحاسبُكم عليها ويُجازيكُم.

* * *

(٨) - ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾.

﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ﴾ مُقاتلٌ: نزلت في أبي حُذَيفةَ بنِ المُغيرةِ(١).

﴿ضُرٌّ﴾: بلاءٌ وشدّةٌ. واستعمالُ المسِّ في الأعراضِ مجازٌ.

﴿دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾: راجعًا إلى الله بالدُّعاءِ لا يدعو سواه.

﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ﴾؛ أي: أعطاه، والخَوَلُ: العطاءُ، والتَّخويلُ: الإعطاءُ، وأصلُه: الإرعاءُ.

﴿نِعْمَةً مِّنْهُ﴾: منَ الله.

﴿نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ﴾: قبلَ النِّعمةِ؛ أي: نسيَ البلاءَ.

وقيل: نسيَ الله، و﴿مَا﴾ بمعنى (مَن) كقولِه: ﴿وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾(٢).

وقيل: نسيَ الدُّعاءَ(٣).

﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا﴾: أمثالًا؛ ﴿لِيَضِلَّ عن سبيلِه﴾: الإسلامِ، واللّامُ لامُ العاقبةِ، وقُرِئَ بالضَّمِّ(٤)؛ أي: ليُضِلَّ النّاسَ، فيكونُ اللّامُ لامَ العلّةِ.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٦٧١).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠١٠)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠١٠)، وعده من العجائب.

(٤) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء، والباقون بضمها. انظر: «السبعة» (ص: ٢٦٧)، و«التيسير» (ص: ١٣٤).

﴿قُلْ﴾ يا محمَّدُ: ﴿تَمَتَّعْ﴾؛ أي: عِشْ ﴿بِكُفْرِكَ قَلِيلًا﴾ في الدُّنيا، لفظُه أمرٌ ومعناه التَّهديدُ.

﴿إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾؛ أي: أهلِ النَّارِ في الآخرةِ.

* * *

(٩) ـ ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾.

﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ﴾ في سببِ النُّزولِ: عن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما: نزلَتْ في أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه[1].

قال ابنُ عمرَ رضي الله عنهما: نزلَتْ في عثمانَ بنِ عفّانَ رضي الله عنه[2].

قال مُقاتلٌ: نزلَتْ في عمّارِ بنِ ياسرٍ رضي الله عنه[3].

قُرِئَ بالتَّخفيفِ والتَّشديدِ[4]. وللتَّخفيفِ وجهانِ:

أحدُهما: أنَّه ألفُ الاستفهامِ؛ أي: أمَنْ هو قانتٌ كمَن جعلَ لله أندادًا؟ وفيه ضَعفٌ؛ لأنَّ ألفَ الاستفهامِ لا تدخلُ في (مَن) إلا مع الواوِ والفاءِ.

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١١٧)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص/ ٣٦٨)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ١٠).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٤٨)، وابن المنذر وابن مردويه وغيرهم كما في «الدر المنثور» (٧/ ٢١٤).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٦٧١ ـ ٦٧٢). ورواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣/ ٢٥٠) من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) قرأ ابن كثير ونافع وحمزة: (أَمَنْ) بالتخفيف، والباقون بالتشديد. انظر: «السبعة» (ص: ٥٦١)، و«التيسير» (ص: ١٨٩).

والثّاني: أن يكونَ للنِّداءِ، فهو كما تقولُ: فلانٌ لا يُصلِّي ولا يصومُ، فيا مَن تصومُ وتُصلِّي أبشِرْ.

وقيل: المُنادى هو رسولُ الله ﷺ، يُقوِّيه قولُه: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ﴾.

وللتَّشديدِ وجهانِ:

أحدُهما: أن تكونَ (أم) هي المُعادِلةُ، والتَّقديرُ: الجاحدُ الكافرُ خيرٌ أم الذي هو قانتٌ؟ ودلَّ على المحذوفِ قولُه: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

والثّاني: أن تكونَ المُنقطعةَ، وتقديرُه: بل أمَّنْ هو قانتٌ كمَن بضدِّه؟

والقانتُ: القائمُ المُطيعُ لله.

آناءُ اللَّيلِ: أوقاتُه وساعاتُه. وقيل: جوفُ اللَّيلِ. وقيل: بين المغربِ والعشاءِ.

﴿سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾؛ أي: مُصلِّيًا. وقيل: مرَّةً ساجدًا ومرَّةً قائمًا.

﴿يَحْذَرُ الْآخِرَةَ﴾: عذابَ الآخرةِ ﴿وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾: نعيمَ الجنَّةِ.

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الزَّجَّاجُ: أي: كما لا يستوي العالِمُ والجاهلُ لا يستوي المُطيعُ والعاصي(١).

وقيل: ﴿الَّذِينَ يَعْلَمُونَ﴾: هم المُؤمنونَ المُوقِنون، ﴿وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾: الكافرونَ المُرتابونَ.

وقيل: الذين يعلَمون ما لهم وعليهم، والذينَ لا يعلمونَ ذلك.

﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ أنَّهما ليسا سواءً؛ فإنَّ قيمةَ كلِّ امرئٍ ما يُحسِنُه.

* * *

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٣٤٧).

(١٠) - ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾.

﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ ﴾ بامتثالِ أوامرِه واجتنابِ نواهيه.

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا﴾؛ أي: أطاعوا الله في الدُّنيا.

وقيل: قالوا: لا إلهَ إلا الله.

وقيل: ثبَتُوا على إيمانِهم.

﴿حَسَنَةٌ﴾ في الآخرةِ، وهي الجنَّةُ والكرامةُ.

وقيل: فيها تقديمٌ وتأخيرٌ؛ أي: للَّذين أحسَنُوا حسنةٌ في هذه الدُّنيا، وفسَّروا الحسنةَ بالصِّحَّةِ والعافيةِ.

وقيل: نورُ القلبِ، وبهاءُ الوجهِ، واليقينُ.

وقيل: الظَّفرُ والغنيمةُ.

وقيل: الثَّناءُ الجميلُ.

ومحلُّها(١) نصبٌ على الحالِ؛ لأنَّ نعتَ النَّكرةِ إذا تقدَّمَ عليها انتصَبَ على الحالِ، كقولِه:

لخولــةَ مُوحِشًــا طلَــلُ(٢)

---

(١) أي: محل الجار والمجرور، وهو قوله تعالى: ﴿فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا﴾، وهذا على تقدير التقديم والتأخير.

(٢) انظر: «الجمل» للخليل (ص: ١٠٣)، و«الكتاب» (٢/ ١٢٣)، و«معاني القرآن» للفراء (١/ ١٦٧)، و«إعراب ثلاثين سورة» لابن خالويه (ص: ٢٣١)، و«تهذيب اللغة» (٥/ ٩٤)، و«الصحاح» مادة: (وح ش)، و«شرح ديوان الحماسة» للمرزوقي (ص: ١١٦٥)، و«تفسير الثعلبي» (١٨/ ٩٨)، وعزاه العيني في «المقاصد النحوية» (٣/ ١١٣٠) لكثير عزة. وعجزه: =

﴿وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ﴾؛ أي: فهاجِروا فيها، فيكونُ خطابًا لمَن خُوطِبَ بقولِه: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً﴾ [النساء: ٩٧].

وقيل: ﴿أرضُ اللهِ واسعةٌ﴾؛ أي: رزقُ الله واسعٌ؛ لأنَّه[1] من الأرضِ يكونُ.

﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ على أداءِ فرائضِ الله واجتنابِ مَحارِمِه.

وقيل: الصّابرونَ على المصائبِ والمكارِهِ.

﴿أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ قتادةُ: بغيرِ مكيالٍ ولا ميزانٍ[2].

وقيل: ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ يعرفُه الخلقُ، إنَّما يعرفُه الخالقُ.

وقيل: يُعطَونَ أُجورَهم بالواحدِ عشرًا، وبالواحدِ سبعَ مئةٍ، كقولِه: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]، وكقولِه: ﴿سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ﴾ [البقرة: ٢٦١]، ويُعطَونَ بغيرِ حسابٍ كقولِه: ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٦١].

وقيل: ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾: بغيرِ تضييقٍ.

وقيل: ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾: بلا نهايةٍ.

وقيل: بلا مِنَّةٍ.

***

(١١) ـ ﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾.

﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ﴾ في بعضِ التَّفاسيرِ: أنَّ كفَّارَ قُريشٍ قالوا للنَّبيِّ ﷺ: ألا تنظُرُ إلى أبيك عبدِ الله، وملَّةِ جدِّك عبدِ المُطَّلبِ، وساداتِ قومِك، يعبُدونَ اللّاتَ

= يلـوحُ كأنـه خِلَـلُ

وفي أكثر المصادر: «لمية»، وفي بعضها: «لسلمى»، وفي بعضها: «لعزة».

(١) في (ن): «لأن».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ١٧٩)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٣/ ٢١).

والعُزَّى؟ فأنزَلَ الله: ﴿قُلْ﴾ يا محمد: ﴿إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ﴾؛ أي: بأنْ أعبدَ الله[١].

﴿مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾: مُوحِّدًا له، وقيل: خالصًا لا يَشوبُه معصيةٌ.

* * *

(١٢) ـ ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾.

﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ﴾ قيل: بأنْ أكونَ، واللّامُ بدلٌ من الباءِ.

وقيل: المفعولُ محذوفٌ، واللّامُ للعلَّةِ؛ أي: وأُمرتُ بالإخلاصِ لأنْ أكونَ.

ويحتمِلُ أنَّ اللَّامَ علَّةٌ للأولى، و﴿أُمِرْتُ﴾ مُكرَّرٌ[٢].

قولُه: ﴿أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ قيل: من أمَّتي. وقيل: في بلدي.

وقيل: لأنْ أكونَ نبيًّا، وهو أوَّلُ المسلمينَ.

وقيل: قبلَ أن يعبُدَه معي غيري.

صاحبُ «النَّظمِ»: أوَّلَ المسلمينَ في الجزاءِ والثَّوابِ عنه.

* * *

(١٣) ـ ﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ قيل: أخافُ خوفَ اليقينِ لا خوفَ الشَّكِّ.

وقيل: الخوفُ هاهنا لزومُ الطَّاعةِ فقط.

وقيل: المعنى: إنِّي لا أعصي الله؛ لأنِّي أخافُ إنْ عصَيتُه عذابَ يومٍ عظيمٍ.

وقيل: المُرادُ به أمَّتُه.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٦٧٢)، و«تفسير السمرقندي» (٣/ ١٨٠).

(٢) أي: أعبد الله مخلصاً لأن أكون... ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١٠١١)، واستغربه.

وقيل: منسوخٌ.

وقيل: نزلَتْ قبلَ أن غفرَ الله له.

* * *

(١٤ ـ ١٥) ـ ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ١٤ فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ﴾.

﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي﴾؛ أي: امتثَلْتُ ما أُمِرْتُ به ﴿فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ﴾ هذا تهديدٌ ووعيدٌ كقولِه: ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ﴾ [الكهف: ٢٩].

وقيل: كقولِه: ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾.

﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ قال الفقيه أبو اللَّيثِ رحمَه الله: قيلَ له: خسِرْتَ إنْ خالَفْتَ دينَ آبائِكَ، فأنزَلَ الله: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾[1]، أهلَكُوها بالمصيرِ إلى النّارِ.

وقيل: لم يغنَمُوها؛ إذ لم يستعمِلُوها في طاعةِ الله.

﴿وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾؛ أي: الحورَ العينَ في الجنّةِ.

وقيل: لأنَّه لا يكونُ في النّارِ أهلٌ.

وقيل: خسِرُوا أهليهم؛ لأنَّهم أضلُّوها فصاروا إلى النّارِ.

﴿أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ﴾: الظّاهرُ، حيثُ استبدَلوا بالجنَّةِ نارًا وبالدَّرجاتِ دركاتٍ.

* * *

---

(١) انظر: «تفسير السمرقندي» (٣/ ١٨١).

(١٦) ـ ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾.

﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾؛ أي: النَّارُ محيطةٌ بهم، وسَمَّى النَّارَ ظُلّةً لغِلَظِها وكثافَتِها، وأنَّها تمنعُ منَ النَّظرِ إلى ما فوقَهم.

وقيل: أي: تحتَهم منَ النَّارِ ما يعلوهُم حتَّى يصيرَ ظُلَلًا.

وقيل: ﴿مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ لآخرينَ منهم، والنّارُ دَرَكاتٌ، وهم بينَ أطباقِها.

وقيل: سمَّى ما تحتَهم ظُلَلًا ازدِواجًا للكلامِ.

ويحتمِلُ أنَّها تدورُ عليهم، فهو كما يقولُ: فوقَنا سماءٌ وتحتَنا سماءٌ.

﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: ذلك الذي تقدَّمَ منَ العذابِ، وقيل: ذلك الظُّلَلُ.

﴿يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ﴾ في القرآنِ ليُؤمِنُوا.

﴿يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾: وحِّدوني وأطيعُوني.

* * *

(١٧ ـ ١٨) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ في سببِ النُّزولِ:

ابنُ زيدٍ: نزلَتْ في ثلاثةِ نفرٍ كانوا في الجاهليَّةِ يقولونَ: «لا إلهَ إلا الله»؛ زيدِ بنِ عمرٍو، وأبي ذرٍّ الغِفاريِّ، وسلمانَ الفارسيِّ[١].

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ١٨٥).

والطَّاغوتُ: الأوثانُ. وقيل: الشَّيطانُ. وقيل: الكَهنةُ.

وكلُّ ما عُبِدَ من دونِ الله طاغوتٌ.

﴿أَن يَعْبُدُوهَا﴾ بدل؛ أي: عبادتَها، وقيل: طاعتَها.

والطّاغوتُ مُؤنَّثٌ يقعُ على الواحدِ والجمعِ، واشتقاقُها منَ الطُّغيانِ، ووزنُها: فَلْعُوت.

وقيل: اسمٌ عجميٌّ. والوجهُ هو الأوَّلُ.

﴿وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾: رجَعُوا إلى عبادةِ الله بعد الصَّنمِ، وقيل: أقبَلُوا إلى طاعةِ الله.

﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾ بالجنّةِ؛ أي: الملائكةُ يُبشِّرونَهم، وقيل: يُبشِّرُهم الله.

وقيل: ﴿ٱلْبُشْرَىٰ﴾: الجنّةُ.

وقيل: سرورٌ عندَ الموتِ.

﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّ أبا بكرٍ رضي الله عنه آمنَ بالنَّبيِّ ﷺ وصدَّقَه، فجاء عثمانُ وعبدُ الرَّحمنِ وطلحةُ والزُّبيرُ وسعدٌ وسعيدٌ فسألوه، فأخبرَهم بإيمانِه فآمنُوا، فأنزلَ الله تعالى[1]: ﴿فبشر عبادي الذين يستمعون القول﴾ يُريدُ: من أبي بكرٍ ﴿فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾[2].

وقيل: القولُ عامٌّ، و﴿يتَّبِعُونَ أحسَنَه﴾؛ أي: في العقلِ، فآمَنُوا.

وقيل: القولُ: أقاويلُ أهلِ المِلَلِ، وأحسَنُه: الإسلامُ.

وقيل: القولُ: القرآنُ، وأحسَنُه: العفوُ والتَّجافي، دونَ القِصاصِ والدِّيةِ، وكذلك يتَّبعونَ المُحكَمَ دونَ المُتشابهِ.

---

(١) في (ف): «فنزلت».

(٢) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٦٩).

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: هو الرَّجلُ يجلسُ مع القومِ، فيسمعُ الحديثَ فيه محاسنُ ومساوئُ، فيُحدِّثُ بأحسنِ ما يسمعُ[١].

الزَّجَّاجُ: يسمعونَ القرآنَ وغيرَه، فيتَّبِعُونَ القرآنَ[٢].

وقيل: يتَّبِعونَ العزائمَ دونَ الرُّخصِ.

وقيل: أحسنُه: لا إلهَ إلا الله.

وقيل: أحسنُه: الطّاعةُ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ لدينِه، وقيل: لنيلِ جنَّتِه.

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: ذَوو العقولِ.

* * *

(١٩) ـ ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ﴾.

﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ﴾؛ أي: كفَرَ واستحَقَّ الوعيدَ، وقيل: أفمَنْ وجَبَ عليه كلمةُ العذابِ في سابقِ علمِ الله؟ ودخلَ ألفُ الاستفهامِ للتَّقريرِ.

﴿أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ﴾: تُخلِّصُه؛ أي: ليس إليكَ ذلك، والألفُ الثّاني زيادةٌ، ولا يدخلُ ألفُ المُبتدأ ثمَّ يدخلُ الخبرَ، و﴿مَن﴾ وقعَ موقعَ الضَّميرِ؛ أي: تُنقِذُه، وجاز لأنَّه هو.

وقيل: تقديرُه: من في النار منهم، فحُذِفَ.

---

(١) ذكره عن ابن عباس رضي الله عنهما الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٢١)، والزمخشري في «الكشاف» (٤/ ١٢١)، وذكره الجرجاني في «درج الدرر» (٤/ ١٤٩٦) عن الكلبي.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٣٤٩).

وقيل: كلُّ واحدٍ منهما جملةٌ مُستقلّةٌ، وخبرُ المبتدأ الأوَّلِ مُضمَرٌ تقديرُه: أفمن حق عليه كلمة العذاب ينجُو منه؟

وقيل: أفمن حق عليه كلمة العذاب كمَن يهديه الله؟ وحُذِفَ لأنَّ الآيةَ الأولى تدلُّ عليه.

الفرّاءُ: تقديرُ الآيةِ: أفأنتَ تُنقِذُ مَن حقَّتْ عليه كلمةُ العذابِ؟ فلمَّا وقعَ الاستفهامُ غيرَ موقعِه أُعيدَ[1].

***

(٢٠) ـ ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴾.

﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ﴾؛ أي: لهم علاليُّ فوقَها علاليُّ، درجاتٌ بعضُها أرفعُ من بعضٍ؛ ليتخيَّروا منها ما أحبُّوا، ويكونُوا منها حيثُ شاؤُوا.

وقيل: لهؤلاءِ ظُلَلٌ منَ النّارِ ولهؤلاءِ غُرَفٌ في الجنّةِ.

﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾؛ أي: تحتَ منازلِها.

ويحتمِلُ: منابعُها من تحتِها، وقيل: من جهتِها.

﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ نصبٌ على المصدرِ، و﴿لَهُمْ﴾ يدلُّ على (وَعَدَ).

﴿لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴾.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٤١٨)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠١٢)، واستغربه.

(٢١) - ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ يُريدُ: المطرَ، وكلُّ ماءٍ في الأرضِ فأصلُه منَ السَّماءِ.

وقيل: ماءٌ يُنزِلُه الله منَ السَّماءِ إلى الغيمِ، ثمَّ يُنزِلُه منَ الغيمِ إلى الأرضِ.

﴿فَسَلَكَهُۥ﴾: أدخلَه ﴿يَنَٰبِيعَ﴾: جمعُ ينبوعٍ، وهو الماءُ الذي يخرجُ منَ الأرضِ، و﴿يَنَٰبِيعَ﴾ نصبٌ على الحالِ[1].

وقيل: الينبوعُ: الموضعُ الذي يخرجُ منه الماءُ كالعيونِ والآبارِ، فيكونُ نصبًا على الظَّرفِ؛ أي: في ينابيعَ، فيكونُ ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ صفةً لـ﴿يَنَٰبِيعَ﴾.

﴿ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ﴾: بالماءِ ﴿زَرْعًا﴾ الزَّرعُ: النَّبتُ من غيرِ ساقٍ.

﴿مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ﴾: أصنافُه، كالبُرِّ والشَّعيرِ وسائرِ الحبوبِ.

وقيل: ألوانُه منَ الصُّفرةِ والحمرةِ والخضرةِ وغيرِها.

﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾؛ أي: يتمُّ جفافُه، عن الزَّجَّاجِ[2].

قال أبو عبيدةَ: هاجَ الرُّطبُ: إذا ذَوى[3].

﴿فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا﴾؛ أي: يابسًا، ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا﴾: رُفاتًا مُتكسِّرًا، وقيل: هالكًا.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١٠١٢)، واستغربه.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ١٢٧).

(٣) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ١٨٩).

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾: في إنزالِ الماءِ وإخراجِ الزَّرعِ ﴿لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾: لذَوي العقولِ.

***

(٢٢) ـ ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾.

﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ في سببِ النُّزولِ: أنَّها نزلَتْ في حمزةَ وعليٍّ وأبي لهبٍ وولدِه، فعليٌّ وحمزةُ رضي الله عنهما ممَّن شرحَ الله صدرَه، وأبو لهبٍ وولدُه هم الذين قسَتْ قلوبُهم عن ذكرِ الله(١).

الكلبيُّ: نزلَتْ في رسولِ الله ﷺ(٢).

مُقاتلٌ: نزلَتْ في عمَّارٍ(٣).

النَّقَّاشُ: نزلَتْ في عثمانَ رضي الله عنه(٤).

وفي شرحِ الصَّدرِ قولانِ:

أحدُهما: أنَّ الله يبتدِئُ قومًا بأن يشرحَ صدورَهم، وكذلك يُضيِّقُ صدورَ قومٍ ابتداءً، فعلى هذا شرحُ الصَّدرِ قبلَ الإسلامِ.

---

(١) ذكره مكي بن أبي طالب في «الهداية» (١٠/ ٦٣٢٥)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٦٩).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٢٢)، وهو قول مقاتل في «تفسيره» (٣/ ٦٧٥).

(٣) ذكره عن مقاتل الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٢٢)، وهو في «تفسير الثعلبي» (٢٣/ ٣٦) عن الثمالي.

(٤) وذكر الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٢٢) عن النقاش: أنها نزلت في عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وأنكرَ بعضُهم وقالوا: الشَّرحُ بعد الإسلامِ، ومعنى شرَحَ صدرَه: وسَّعَ صدرَه للإسلام، فاهتَدَى وملأَ قلبَه بالنُّورِ.

﴿فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾: بيانٍ وبصيرةٍ.

وقيل: النُّورُ: القرآنُ، وهو نورٌ لِـمَن تمسَّكَ به.

وقيل: على معرفةٍ.

والألفُ في أوَّلِ الآيةِ للاستفهامِ، والفاءُ[1] لعطفِ جملةٍ على جملةٍ بينَهما نوعُ اتِّصالٍ، والتَّقديرُ: أفمَن شرحَ الله صدرَه كمَن قسا قلبُه؟ فحُذِفَ لأنَّ قولَه: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَـٰسِيَةِ قُلُوبُهُم﴾ يدلُّ عليه.

والقلبُ القاسي: اليابسُ الذي لا ينجَعُ فيه الإيمانُ ولا الوعظُ.

قولُـه: ﴿مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ قيـل: ﴿مِّن﴾ بمعنـى: عن؛ أي: القاسـي المُعـرِضُ عن ذكرِ الله.

وقيل: القاسي: الخالي من ذكرِ الله، وذكرُ الله: القرآنُ.

﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾: في خطأ ظاهرٍ.

* * *

(٢٣) ـ ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَـٰبًا مُّتَشَـٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾.

﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾ فـي سـببِ النُّـزولِ: عن سـعدٍ رضي الله عنـه قالوا:

---

(١) قوله: «والفاء» يعني: التي في قوله: ﴿فويل﴾، لا التي في ﴿أفمن﴾.

يا رسولَ الله، لو حدَّثتنا، فأنزَلَ الله: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ﴾[١].

والحديثُ: كلامٌ يتضمَّنُ الخبرَ عن حالٍ مُتقدِّمةٍ.

وقيل: سُمِّيَ حديثًا لأنَّه حديثٌ بالنُّزولِ بعدَما تقدَّمَه منَ الكتبِ.

والقرآنُ أحسَنُ الحديثِ لكونِه صدقًا كلُّه.

وقيل: أحسنُ الحديثِ لفصاحتِه وإعجازِه.

وقيل: لأنَّه أكملُ الكتبِ وأكثرُ إحكامًا.

﴿كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا﴾: يُشبِهُ بعضُه بعضًا في الحججِ والأحكامِ والصِّدقِ والبيانِ.

وقيل: ﴿مُّتَشَٰبِهٗا﴾ في الفصلِ وفي الوعظِ.

وقيل: ﴿مُّتَشَٰبِهٗا﴾: يُشبِهُ كتبَ الله المُتقدِّمةَ.

وقيل: ﴿مُّتَشَٰبِهٗا﴾: خيارًا لا حشوَ فيه.

وقيل: هو من قولِه: ﴿مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ ... وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞ﴾ [آل عمران: ٧] فيكونُ صلةً[٢] للقرآنِ.

وقيل: القرآنُ مُتشابهٌ تفسيرُه، وتأويلُه إلى الله، وهذا القولُ ضعيفٌ.

وقيل: ﴿مُّتَشَٰبِهٗا﴾ يُشبِهُ اللَّفظُ اللَّفظَ والمعنى مختلفٌ.

﴿مَّثَانِيَ﴾ ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: سُمِّيَ مثانيَ لأنَّه يُثنى في التِّلاوةِ، فلا يُمَلُّ لحسنِ مسموعِه[٣].

---

(١) رواه البزار في «مسنده» (١١٥٣)، وأبو يعلى في «مسنده» (٧٤٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٢٠٩)، والحاكم في «المستدرك» (٣٣١٩)، والضياء في «المختارة» (١٠٦٩).

(٢) في (ف): «صفة».

(٣) ذكره بهذا اللفظ الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٢٣) عن ابن عيسى، ولعله الصواب.

وقيل: ثُنِّيَتْ فيه القصصُ والأخبارُ وذكرُ الجنَّةِ والنَّارِ.

وقيل: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ﴾ و﴿تَلِينُ﴾ تفسيرٌ لقولِه: ﴿مَّثَانِيَ﴾[١].

وقيل: سُمِّيَ مثانيَ لأنَّ فيه السَّبعَ المثاني، وهي الفاتحةُ.

الكلبيُّ: لأنَّ الآيةَ تُثنى بعدَ الآيةِ، والسُّورةَ تُثنى بعد السُّورةِ[٢].

وقيل: لأنَّها نزلَتْ مرَّتَين؛ فإنَّ معانيَ القرآن كلَّها مُنزلةٌ على الأنبياءِ المُتقدِّمةِ؛ كقولِه[٣] تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ [الأعلى: ١٩][٤].

وعن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما: القرآنُ يُفسِّرُ بعضُه بعضًا، ويُردُّ بعضُه على بعضٍ[٥].

والمثاني عند القُرَّاءِ[٦]: اسمٌ لكلِّ سورةٍ عددُ آيِها أقلُّ من مئةِ آيةٍ؛ لأنَّها تُثنى أكثرَ ممَّا تُثنى الطِّوالُ والمئونَ.

والمثاني جمعُ مَثْنًى، ومَثْنًى مَفْعَلٌ من ثَنيتُ، وثَنيتُ مخفَّفٌ ومُثقَّلٌ بمعنى[٧]، وهو أن يُضيفَ إلى الشَّيءِ مثلَه.

قال ابنُ بحرٍ: لـمّا كانَ القرآنُ مُخالفًا لنظمِ البشرِ ونثرِهم جعل اسمَه بخلافِ ما سمَّوا به كلامَهم على الجملةِ والتَّفصيلِ، فسمَّى جملتَه قرآنًا كما سمَّوا ديوانًا، وكما قالوا: قصيدةٌ وخُطبةٌ ورسالةٌ؛ قالَ: سورةٌ، وكما قالوا: بيتٌ؛ قال: آيةٌ، وكما سُمِّيتِ

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١٠١٢)، واستغربه.

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٢٣).

(٣) في (ف): «لقوله».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١٠١٢)، واستغربه.

(٥) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٢٣).

(٦) في (ف): «الفراء»، ولم أجده عند الفراء.

(٧) «بمعنى» من (ف).

الأبياتُ لاتِّفاقِ أواخرِها القوافي، سمَّى الله القرآنَ لاتِّفاقِ خواتمِ الآيِ فيها مثانيَ[١].

﴿تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ﴾: تشمئِزُّ[٢].

وقيل: تضطرِبُ؛ أي: تقشعِرُّ منَ الوعيدِ والخوفِ، وتلينُ منَ الوعدِ والرَّجاءِ.

وقيل: تقشعرُّ لإعظامِه، وتلينُ عند تلاوتِه.

قتادةُ: هـذا نعتُ أولياءِ الله، نعتَهم بأنْ تقشعرَّ جلودُهم وتطمئِنَّ قلوبُهم إلى ذكرِ الله، ولـم ينعَتْهم بذهابِ عقولِـهم والغشيانِ عليهم، إنَّما ذلك في أهلِ البدعِ، وهو منَ الشَّيطانِ[٣].

ابنُ جريرٍ: تقشعِرُّ الجلودُ خوفًا ﴿ثُمَّ تَلِينُ﴾ وتمَّ الكلامُ، ثمَّ قالَ: ﴿جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾؛ أي: ﴿جُلُودُهُمۡ﴾ إلى العملِ بما فيه، ﴿وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: التَّصديقِ به[٤].

وقيل: هذا في أصحابِ رسولِ الله ﷺ، يقولُ: إذا سمِعُوا بنُزولِ سورةٍ منَ القرآنِ اقشعَرَّتْ جلودُهم إشفاقًا من أن نُقِمَ[٥] عليهم ذنبٌ أو أُنكَرَ عليهم فِعلٌ، ثمَّ إذا تُلِيَتْ عليهم لانَتْ جلودُهم وقلوبُهم؛ أي: استسلَموا لِـمَا أمرَ الله فيها[٦].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١٠١٢)، وعده من العجائب.

(٢) تشمئز: تنقبض أو تُذْعَر، في «القاموس» (مادة: شمز): اشمأز: انقبض واقشعرَّ، أو ذُعِر.

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ ١٣٠)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٢٢١) لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠١٣)، واستغربه.

(٤) انظر: «تفسير الطبري» (٢٠/ ١٩٢)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١٠١٣)، واستغربه.

(٥) في (ن): «يُقم».

(٦) روى سعيد بن منصور في «سننه» (٩٥) عن عبد الله بن عروة بن الزبير قال: «قلت لجدتي أسماء: كيف كان يصنع أصحاب رسول الله ﷺ إذا قرؤوا القرآن؟ قالت: «كانوا كما نعتهم الله عز وجل: =

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى الكتابِ ﴿هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ﴾ إلى الإيمانِ والثَّوابِ.

وقيل: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى الاقشِعرارِ واللِّينِ، والمُرادُ باللِّينِ: الاسترسالُ والإسراعُ إلى الطَّاعةِ، فقُوبِلَ الاقشِعرارُ بضدِّه.

***

(٢٤) ـ ﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجۡهِهِۦ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ﴾.

﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجۡهِهِۦ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ﴾ وذلك أنَّ الكافرَ يُلقَى في النَّارِ مغلولًا، فلا يُمكِنُه أن يقيَ[1] النَّارَ إلا بوجهِه.

وقيل: يُسحَبُ على وجهِه في النَّارِ.

وقيل: النَّارُ تبدأُ بوجهِه إذا دخلَها.

وقيل: يُرمَى فيها مكبوبًا.

وقيل: معناه: لا يُترَكُ أن يَصرفَ وجهَه عن النّارِ.

وقيل: هذا مَثَلٌ للمُقيمِ على كفرِه وقد وُضِّحَتْ له الدَّلائلُ، فيكونُ قولُه: ﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ من صلةِ ﴿سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ﴾ لا من صلةِ الاتِّقاءِ.

ومعنى الآية: أفمَن يتَّقي بوجهِه سوءَ العذابِ كمَن هو في الرّاحةِ والنَّعيمِ؟

﴿وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ﴾؛ أي: جزاءَ فِعلِكم، قيل: تقديرُه: إذا كانَ يومُ القيامةِ وقيلَ للذين ظلَمُوا: ﴿ذُوقُواْ﴾.

= تدمع أعينهم، وتقشعر جلودهم، قلت: فإن ناسًا هاهنا إذا سمعوا ذلك تأخذهم عليه غشية، فقالت: أعوذ بالله من الشيطان».

(١) كذا في النسختين، والظاهر: «أن يتقي»، والله أعلم.

وقيل: الواوُ للحالِ، و(قد) مُقدَّرٌ.

* * *

(٢٥) - ﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ﴾.

﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ قيل: قريشٌ ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ﴾؛ أي: لا يعرِفُونَ له مدفعًا ولا مَردًّا.

وقيل: بغتةً، لا يحسُّ بما أتاهُ.

* * *

(٢٦) - ﴿فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلۡخِزۡيَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾.

﴿فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلۡخِزۡيَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾: الهوانَ؛ أي: أحسُّوا به إحساسَ الذّائقِ بالمطعومِ ﴿وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ المُعَدُّ لهم ﴿أَكۡبَرُ﴾ من عذابِ الدُّنيا.

﴿لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ جوابُ ﴿لَوۡ﴾: لآمَنُوا وأطاعُوا.

* * *

(٢٧) - ﴿وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

﴿وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ﴾؛ أي: من كلِّ مثلٍ رأينا المصلحةَ في ضربِه، يُريدُ هاهنا تخويفَهم بذكرِ ما أصابَ مَن قبلَهم ممَّن سلكُوا سبيلَهم في الكفرِ ﴿لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

* * *

(٢٨) - ﴿قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ﴾.

﴿قُرۡءَانًا﴾ حالٌ منَ ﴿ٱلۡقُرۡءَانِ﴾؛ لأنَّه نكرةٌ، والأوَّلُ معرفةٌ.

﴿عَرَبِيًّا﴾ صفةُ القرآنِ، أو حالٌ لـ﴿الْقُرْءَانِ﴾.

﴿غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾: اختلافٍ، وقيل: غيرَ ذي لَبْسٍ ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾.

* * *

(٢٩) - ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا﴾ بدلٌ، وإن شئتَ قلتَ: تقديرُه: مثلَ رجلٍ، وكذلك الثّاني.

وقيل: ضربُ المثلِ يتعدَّى إلى مفعولين.

﴿فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ﴾؛ أي: كلُّهم يسيءُ خُلقَه في استخدامِه، فهذا يأمرُه بشيءٍ وهذا ينهاه عن ذلك الشَّيءِ.

وقيل: مُتشاكِسُونَ: مُتنازِعُونَ فيه.

وقيل: يتضايَقُونَ، من قولِـهم: رجلٌ شَكِسٌ.

وقيل: مُتظالِـمونَ، من قولِـهم: شَكَسَني مالي؛ أي: ظلَمَني فيه.

﴿ورَجُلاً سَالِمًا لِرَجُلٍ﴾: خالِصًا له[1] من غيرِ شركةٍ، وكذلك ﴿سَلَمًا﴾[2]؛ أي: ذا سَلَمٍ، وهو الخلوصُ أيضًا.

والمعنى: مَن عبدَ آلهةً شتَّى فهو مدفوعٌ إلـى طـلبِ رِضَا جماعةٍ، ومَن عبدَ الله سُبحانَه وحدَه فهو كعبدٍ لواحدٍ، وليس طلَبُ رِضَا واحدٍ كطلبِ رِضا جماعةٍ

---

(١) «له»: ليست في (ف).

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿سالِماً﴾ بألف بعد السِّين وَكسر اللاَّم، وقرأ الباقون: ﴿سَلَماً﴾ بِفَتْح السين واللاَّم من غير ألف. انظر: «السبعة» (ص: ٥٦٢)، و«التيسير» (ص: ١٨٩).

مُختلفين، ولو كانَ الحقُّ هذا وعدَلُوا إلى واحدٍ لكانوا أعذَرَ منهم، وقد عدَلُوا عن الواحدِ إلى جماعةٍ.

وقيل: هذا مثَلٌ للكفّارِ؛ أي: لا ينتَفِعونَ بعبادةِ الله حيثُ أشرَكُوا، وليسوا كمَن أخلَصَ.

قتادةُ: هو المُشركُ تنازَعَتْه الشَّياطينُ[1].

﴿هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ وحَّد والقياسُ التثنيةُ؛ لأنَّهما معًا ضُرِبا مثلًا.

وقيل: ﴿مَثَلًا﴾ صفةُ استفهامٍ معناه الإنكارُ؛ أي: لا يستويانِ.

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾؛ أي: له الحمدُ كلُّه دونَ غيرِه منَ المعبودينَ.

وقيل: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ على أنْ لا يأمرُهم بعبادةِ غيرِه، فكان يصيرُ حالُهم كحالِ العبدِ المشترَكِ الذي يحتاجُ[2] أن يخدمَ جماعةً، ويطلُبَ رِضا قومٍ مختلفين.

وقيل: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ على احتجاجِه بالمثَلِ الذي خَصَمَ المُشركينَ به.

وقيل: تقديرُه: قولوا: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ شكرًا على ذلك.

﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ موقعَ هذه النِّعمةِ.

وقيل: لا يعلَمون بالمثلِ المضروبِ، وبأنَّ الله سبحانَه هو الإلهُ المعبودُ.

* * *

(٣٠) ـ ﴿إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾.

﴿إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ قيل: المراد التحذيرُ، فإن هذا أمر معلوم عندَ المُقِرِّ والجاحدِ.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ ١٣٠)، والطبري في «تفسيره» (٢٠/ ١٩٨).

(٢) بعدها في (ف): «إلى».

وقيل: ذُكِرَ حثًّا على الطّاعةِ والاستعدادِ للموتِ.

وقيل: إعلامًا أنَّ الخَلْقَ فيه سواءٌ.

وقيل: لئلّا يختلِفُوا في موتِ النَّبيِّ ﷺ كما اختلَفُوا في غيرِه منَ الأنبياءِ.

وقيل: المُرادُ به ذكرُ الاختصامِ.

وقيل: لمَّا قال الكفّارُ: ﴿نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ [الطور: ٣٠] أنزَلَ الله: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ والمعنى: إنَّكَ ستموتُ وإنَّهم سيموتُونَ، وسمَّاه ميتًا بما يؤُولُ إليه.

وقُرِئَ في الشَّواذِّ: (مائِتٌ)(1).

* * *

(٣١) - ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾: تتكلَّمونَ بحُجَّتِكُم: الكافرُ مع المؤمنِ، والظَّالـمُ مع المظلومِ، والصَّادقُ مع الكاذبِ.

وقال ابنُ عمرَ وأبو العاليةِ: الاختصامُ بينَ أهلِ الملَّةِ، وذلك في الدِّماءِ والمظالـمِ التي بينَهم(2).

ورَوَى الرَّقاشيُّ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قيلَ له: فيمَ الخصومةُ؟ فقال: «في الدِّماءِ»(3).

---

(١) نسبت لابن الزبير وابن محيصن وعيسى وابن أبي إسحاق. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣١).

(٢) رواه عن ابن عمر رضي الله عنهما النسائي في «السنن الكبرى» (١١٣٨٣)، والطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٢٠٢)، والطبراني في «الكبير» (١٣/ ١٧٨) (١٣٨٨١)، والحاكم في «المستدرك» (٨٧٠٩) وصححه، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٢٣): «رواه الطبراني ورجاله ثقات». وسيأتي الخبر عن أبي العالية بهذا قريباً.

(٣) رواه عبد بن حميد عن الفضل بن عيسى الرقاشي كما في «الدر المنثور» (٧/ ٢٢٦) وهو مرسل. ووقع لفظه في (ن): «في الدماء في الدنيا»، و«في الدنيا» ليست في (ف) ولا في المصدر.

وقال أبو العاليةِ: قلتُ له[١]: قالَ الله: ﴿لَا تَخْتَصِمُواْ لَدَىَّ﴾، ثمَّ قالَ: ﴿إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾، كيف هـذا؟ قال: قولُه: ﴿لَا تَخْتَصِمُواْ لَدَىَّ﴾ لأهلِ الشِّركِ، وقولُه: ﴿عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ لأهلِ الملّةِ في المظالـمِ التي بينَهم.

وعن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما: في القيامةِ مواطنُ، فهم يختَصِمونَ في بعضِها ويسكتونَ[٢] في بعضِها[٣].

ورُوِيَ أنَّه قال: لمَّا نزلَ: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾: قالتِ الصَّحابةُ: ما خُصومَتُنا[٤] ونحن إخوانٌ؟ فلمَّا قُتِلَ عثمانُ رضي الله عنه قالوا: هذه خُصومَتُنا بينَنا[٥].

ويحتمِلُ أنَّ قولَه: ﴿لَا تَخْتَصِمُواْ لَدَىَّ﴾ إثباتٌ وتقويةٌ لقولِه: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾؛ إذ لو لم يكُنِ اختصامٌ لَـمَا قالَ: ﴿لَا تَخْتَصِمُواْ﴾. والله أعلَمُ[٦].

* * *

(١) قوله: «وقال أبو العاليةِ: قلتُ له» كذا في النسختين، وهو وهم من المؤلف رحمه الله، والصواب: «عن الربيع بن أنس قال: قلت لأبي العالية»، كذا رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٤٢)، وعبد بن حميد وابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٧/ ٦٠١).

(٢) في (ف): «ويسكنون».

(٣) رواه عبد بن حميد كما في «تغليق التعليق» لابن حجر (٤/ ٣٥٧)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٨/ ٣٨٧)، والحاكم في «المستدرك» (٨٧١٠). وذكر معناه البخاري تعليقًا مجزوماً به قبل حديث (٤٩٣٠).

(٤) في (ف) زيادة: «بيننا».

(٥) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٦٢٩)، والطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٢٠٢).

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١٠١٢)، واستغربه، وقال: «وجه حسن».

(٣٢) ـ ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ﴾ استفهامُ توبيخٍ؛ أي: أظلَمُ على نفسِه.

وقيل: أضرُّ بنفسِه.

وقيل: لا أحدَ ﴿أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ ﴾؛ أي: وصفَه بغيرِ صفاتِه، ﴿وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ﴾: بالقرآنِ، أو كذَّبَ النَّبيَّ ﷺ بسببِ ما جاءَ منَ القرآنِ.

وقيل: ﴿بِٱلصِّدْقِ﴾؛ أي: بالصَّادقِ؛ يعني: محمدًا ﷺ(١).

﴿أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ استفهامُ تقريرٍ؛ أي: أليسَ هذا الكافرُ يستحقُّ الخلودَ في النّارِ؟

* * *

(٣٣ ـ ٣٤) ـ ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾.

﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ ﴾ قيل: هو جبريلُ عليه السَّلامُ، والصِّدقُ: القرآنُ، ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ﴾ محمَّدٌ ﷺ.

وقيل: حفظةُ القرآنِ إلى يومِ القيامةِ.

وقيل: ﴿الَّذي جاءَ بالصِّدْقِ﴾ محمَّدٌ ﷺ، والصِّدقُ: لا إلهَ إلَّا اللهُ، ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ﴾: هو محمَّدٌ ﷺ أيضًا.

وعن عليٍّ رضي الله عنه أنَّه قال: ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ﴾: يعني: أبا بكرٍ رضي الله عنه(٢).

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١٠١٤)، واستغربه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٢٠٤)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٠/ ٣٣٦)، وذكره =

وقيل: جميعُ المؤمنينَ.

وقيل: ﴿جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ عامٌّ في جميعِ المُؤمنين.

والوجهُ في العربيَّةِ: أن يكونَ ﴿جَآءَ﴾ و﴿صَدَّقَ﴾ لفاعلٍ واحدٍ؛ لأنَّ التَّغايُرَ يستَدعي إضمارَ (الذي)، وذلك غيرُ جائزٍ، أو إضمارَ الفاعلِ من غيرِ تقدُّمِ الذِّكرِ، وذلك بعيدٌ[1].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ ذُكِرَ بلفظِ الجمعِ لأنَّ ﴿الذي﴾ يجري مَجرى (مَن)، فحُمِلَ على المعنى.

وقيل: أرادَ: (الذين) فحُذِفَ، وقد سبقَ.

﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾؛ أي: ما يتمنَّونَ في الجنَّةِ ﴿ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: ثوابُ المُوحِّدين.

* * *

(٣٥) ـ ﴿لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

﴿لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾: ليغفرَ الله لهم ﴿أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟﴾؛ أي: الكفرَ بالتَّوحيدِ، والمعاصيَ بطاعتِهم.

﴿وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم﴾: ويُعطيَهم ثوابَهم ﴿بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾؛ أي: بسببِ إيمانِهم.

وقيل: يجزيهم بالمحاسنِ ولا يجزيهم بالمساوئِ.

وقيل: أسوأَ الذي عملُوا: قبلَ الإيمانِ، وأحسنَ الذي عملُوا: في الإيمانِ.

= الثَّعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٣٦).

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١٠١٤)، واستغربه.

واللَّامُ في قولِه: ﴿لِيُكَفِّرَ﴾ قيل: متَّصلٌ بالمُحسنينَ.

وقيل: بالجزاءِ؛ أي: جزاهُم كي يُكفِّرَ.

* * *

(٣٦) - ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِۦ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾.

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ محمَّدًا ﷺ، ومَن قرأ بالجمعِ[1] فالمُرادُ به محمَّدٌ وجميعُ[2] الأنبياءِ عليهم السَّلامُ.

﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ كانوا يُخوِّفونَ النَّبيَّ ﷺ بأنْ ينالَه من آلهتِهم مكروهٌ.

وقيل: نزلَ في شأنِ خالدِ بنِ الوليدِ وقد أنفذَه رسولُ الله ﷺ لكسرِ العُزَّى، فقال له سادنُها: أُحذِّرُكها يا خالدُ؛ فإنَّ بأسَها شديدٌ[3]. ونُزِّلَ تخويفُ خالدٍ تنزيلَ تخويفِ النَّبيِّ ﷺ.

﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾؛ أي: من أضلَّه عن طريقِ الرَّشادِ فلا يهديه غيرُه.

وقيل: مَن أضلَّه عن طريقِ الجنَّةِ.

وقيل: الإضلالُ: الخذلانُ.

* * *

---

(١) قرأ بها حمزة والكسائي، والباقون بالأولى. انظر: «السبعة» (ص: ٥٦٢)، و«التيسير» (ص: ١٨٩).

(٢) في (ف): «وسائر».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٢١٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٥١)، عن قتادة.

(٣٧) ـ ﴿ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴾.

﴿ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ﴾ لا يخذُلُه أحدٌ ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ﴾ في ملكِه ﴿ذِى ٱنتِقَامٍ ﴾ من عدوِّه؟

* * *

(٣٨) ـ ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾.

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ فسألَهم النَّبيُّ ﷺ عن ذلك، فقالوا: الله خلقَها، فقالَ الله لمُحمَّدٍ ﷺ: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾ أصابَني الله ببلاءٍ ومرضٍ وضيقِ معيشةٍ ﴿هَلْ هُنَّ﴾ يعودُ إلى معنى ﴿ما﴾ ﴿كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾: دافِعاتُ شِدَّتِه عنِّي.

﴿أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ ﴾: نعمةٍ وصحّةٍ ﴿ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ﴾: هل الأصنامُ تدفعُ عنِّي ذلك؟

فسألَهم النبيُّ ﷺ فسكَتُوا، فقالَ الله تعالى: ﴿قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ﴾ فهو يقيني من شرِّها.

التَّنوينُ والإضافةُ[1] بمعنًى لأنَّها للاستقبالِ، و﴿هَلْ هُنَّ﴾ في موضعِ المفعولِ الثّاني لـ﴿أرأيتُم﴾.

﴿عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾: به يثِقُ الواثقونَ.

* * *

---

(١) قرأ أبو عمرو (كاشفاتٌ ضرَّه) و(ممسكاتٌ رحمتَه)، وقرأ الباقون بالإضافة. انظر: «السبعة» (٥٦٢)، و«التيسير» (ص: ١٩٠).

(٣٩ ـ ٤٠) ـ ﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾.

﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾: على ناحيَتِكم.

وقيل: على قُدرَتِكُم وما يُمكِنُكم، مصدرُ مَكُنَ مَكانةً.

وقيل: على شِركِكُم.

﴿إِنِّى عَٰمِلٌ﴾ على مَكانَتي ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾: يُهينُه؛ أي: في القيامةِ ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾: دائمٌ لا يُفارِقُه[1].

قيل: هذا تهديدٌ.

وقيل: منسوخٌ بآيةِ السَّيفِ.

***

(٤١) ـ ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾.

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾: القرآنَ ﴿لِلنَّاسِ﴾: لجميعِ النّاسِ ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: بسببِ الحقِّ ليعملَ به، وقيل: بالخبرِ عمّا هو حقٌّ وكائنٌ.

﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ إلى الحقِّ ولزِمَه ﴿فَلِنَفْسِهِۦ﴾ نفعُ ذلك.

﴿وَمَن ضَلَّ﴾: فارَقَ الحقَّ ﴿فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾؛ أي: فوبالُ ذلك عليه[2].

﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾: بمُسلَّطٍ تحمِلُهم على الإيمانِ، إنَّما عليك البلاغُ.

---

(١) في (ف): «يفارق».

(٢) في (ف): «على نفسه».

(٤٢) ـ ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾؛ أي: الله يتوفَّى الأنفُسَ مرَّتين؛ مرَّةً حين موتِها، ومرَّةً حينَ نومِها، فيكونُ متعلقًا بـ﴿يَتَوَفَّى﴾.

قال الفرَّاءُ: ﴿فِى﴾ مُتعلِّقةٌ بالموتِ على تقديرِ: ويتوفَّى التي لم تمُتْ في منامِها عند انقضاءِ حياتِها[1]. والأوَّلُ أظهرُ.

والتي تُفارِقُ حينَ[2] الموتِ هي ما يمتازُ الميِّتُ عن الحيِّ به، وهي نفسُ الحياةِ، فيُمسِكُها عن الجسدِ.

والتي تُفارِقُ عندَ[3] النَّومِ هي ما يمتازُ به النّائمُ منَ اليقظانِ، وهي نفس التَّمييزِ والعقلِ، فيُرسِلُها ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾.

وقيل: يقبضُ أنفسَ الأحياءِ والأمواتِ، فيُمسِكُ أنفسَ الأمواتِ، ويُرسِلُ أنفُسَ الأحياءِ من غيرِ غلطٍ.

ويحتمِلُ: أنَّ التَّوفِّيَ الأوَّلَ إماتةٌ؛ كقولِه: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ﴾ [السجدة: ١١]، وأنَّ الثَّانيَ إنامةٌ كقولِه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾ [الأنعام: ٦٠].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٤٢٠)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠١٥)، واستغربه.

(٢) في (ف): «عند».

(٣) في (ف): «حين».

ورُوِيَ أنَّ في التوراةِ: يا ابنَ آدمَ، كما تنامُ تموتُ، وكما تستيقظُ تُبعَثُ[1].

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾: فيما تقدَّمَ ﴿لَأٓيَٰتٖ﴾: لدلالاتٍ على البعثِ ﴿لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

* * *

(٤٣) - ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ﴾.

﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ﴾ في ﴿أم﴾ أقوالٌ:

قال بعضُهم: هي المُعادِلةُ لهمزةِ الاستفهامِ، وتقديرُه: أَعَبَدُوا الأوثانَ لأنَّها خلقَتِ الكائناتِ، أم لأنَّها تدفعُ المكروهَ، أم لأنَّها تشفعُ لهم.

وقيل: هي عديلةُ الألفِ في قولِه: ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥ﴾ [الزمر: ٣٦].

وقيل: هو جوابُ لِمَا في قولِه: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا﴾؛ أي: هل يتفكَّرونَ في ذلك فيُقِرُّونَ بالبعثِ أم يزعُمونَ أنَّ مع الله غيرَه له شفاعةٌ؟

والشَّفيعُ: هو الذي يَصيرُ الطَّالبُ به شفعًا، مأخوذٌ منَ الشَّفعِ.

وقيل: الشَّفيعُ: هو الأَولى بالشَّيءِ، كشفيعِ الدَّارِ والعَقارِ[2].

﴿قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ﴾ ﴿أَوَلَوۡ﴾ تقرير؛ أي: كيفَ تُرجَى الشَّفاعةُ ممَّن لا يملكُ شيئًا ولا يعقلُ؟

وقيل: هؤلاءِ قومٌ عبَدوا ما يَعقلُ، فقيل لهم: الأمرُ فيما يَعقلُ والجمادِ سواءٌ.

---

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٨٤)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠١٦)، وعده من العجائب.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠١٦)، واستغربه.

(٤٤) ـ ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾.

﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ فلا يَشفعُ ولا يملكُ أحدٌ الشَّفاعةَ إلّا بإذنِه، وانتصبَ ﴿جَمِيعًا﴾ على الحالِ، وليس بتأكيدٍ؛ لأنَّه لو كان تأكيدًا لقالَ: جمعًا.

﴿لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾.

***

(٤٥) ـ ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴾.

﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ﴾ إذا قيلَ: لا إلهَ إلا الله، وقيل: إذا قُرِئَ: بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ.

﴿ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ﴾: انقبَضتْ، وقيل: استكبَرتْ، وقيل: نفَرتْ، وقيل: أنِفتْ.

وانقبَضتْ أحسنُ؛ ليقعَ في مقابلةِ ﴿يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾؛ لأنَّ الاستبشارَ: انبساطُ الوجهِ، والاشمِئزازَ: التَّقبُّضُ.

﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ﴾؛ أي: الأوثانُ ﴿إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾ وفي بعضِ التَّفاسيرِ: أنَّ هذا كانَ يومَ قرأ عليه السَّلامُ سورةَ ﴿وَٱلنَّجۡمِ﴾ وذكرَ آلهتَهم فاستبشَروا.

ويُقالُ: إنَّه سُمعَ في تلكَ[1] المحفلِ: «تلكَ الغرانيقُ العُلا، وإنَّ شفاعتَهنَّ لتُرتَجَى» فاستبشَرُوا[2].

---

(١) كذا في النسختين، والظاهر أنه يجب أن يكون «ذلك».

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٦٨٠)، و«تفسير الطبري» (٢٠/ ٢١٨)، وتقدم الكلام على قصة الغرانيق في تفسير سورة (الحج).

(٤٦) ـ ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾: السِّرِّ والعلانيةِ، وما غابَ عن العبادِ وما لـم يغِبْ، وما مضَى وما هو كائنٌ.

﴿أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ﴾؛ أي: تقضي بينَهم في الآخرةِ.

وقيل: خبرٌ معناه الدُّعاءُ.

وقيل: هذه مُحاكمةٌ منَ النَّبيِّ ﷺ للمُشركينَ إلى الله.

و﴿فَاطِرَ﴾ نصبٌ على النِّداءِ؛ أي: يا فاطرَ السَّماواتِ، وليس بوصفٍ لقولِه: ﴿ٱللَّهُمَّ﴾.

وذهبَ المُبرِّدُ والفرَّاءُ إلى أنَّه وصفٌ لله(١).

﴿فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾؛ أي: في الدِّينِ.

* * *

(٤٧) ـ ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾.

﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ﴾ والهاء تعودُ إلى ﴿مَا﴾ ﴿لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ﴾: شدَّةِ العذابِ ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ لو كان يُخلِّصُهم ذلك.

وقيل: لا يُقبَلُ منهم ذلك.

﴿وَبَدَا لَهُم﴾: ظهرَ لهم ﴿مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾ في الدُّنيا أنَّه نازلٌ بهم؛ أي: ظنُّوا أنَّ لهم ثوابًا على حسناتِهم، فلم تنفَعْهم حسناتُهم مع الشِّركِ باللهِ.

---

(١) انظر: «المقتضب» (٤/ ٢٣٩). ولم أجده في «معاني القرآن» للفراء.

وقيل: لأنَّهم كانوا يُنكِرونَ البعثَ.

والاحتِسابُ: الاعتِدادُ بالشَّيءِ من جهةِ دُخولِه فيما يَحْسُبُه.

* * *

(٤٨) ـ ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾؛ أي: عقابُ ذلك ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾: أحاطَ بهم جزاءُ استهزائِهم.

* * *

(٤٩) ـ ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿فَإِذَا مَسَّ﴾: أصابَ ﴿الْإِنسَانَ﴾ الكافرَ عامٌّ. وقيل: أبا جهلٍ[(١)]. وقيل: أبا حُذَيفةَ بنَ المُغيرةِ[(٢)].

﴿ضُرٌّ﴾: بلاءٌ وشِدّةٌ ومرضٌ.

﴿دَعَانَا﴾: أَخلَصَ في الدُّعاءِ.

﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ﴾: أعطَيناه ﴿نِعْمَةً مِّنَّا﴾: صحّةً؛ أي: بدَّلنا ذلك.

والتَّخويلُ: الإعطاءُ على غيرِ جزاءٍ.

﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾؛ أي: بفضلِ علمٍ عندي كسبتُه.

وقيل: بعِلمي وحيلَتي وكِياسَتي توصَّلتُ إليه.

وقيل: على علمٍ منِّي بالدَّواءِ.

---

(١) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ١٩٠)، والجرجاني في «درج الدرر» (٤/ ١٤٩٦).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٣٠)، والجرجاني في «درج الدرر» (٤/ ١٤٩٦).

وقيل: على علمٍ منَ الله أنِّي أستحِقُّه.

وقيل: على علمٍ يرضاهُ منِّي.

﴿بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ﴾؛ أي: التي خوَّلناها إيَّاه فتنةُ بلاءٍ واختبارٍ لننظُرَ أيشكُرُ أم يكفُرُ.

وقيل: بل هي الشِّدَّةُ والضُّرُّ.

وقيل: مقالتُه؛ لأنَّه يُعذَّبُ عليها.

ابنُ بحرٍ: ﴿فِتْنَةٌ﴾ عذابٌ؛ لأنَّه أضافَه[1] إلى غيرِ مُوْلِيه.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنَّها فتنةٌ، وقيل: لا يعلمُونَ أنَّها منَ الله.

***

(٥٠) ـ ﴿قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

﴿قَدْ قَالَهَا﴾؛ أي: هذه المقالةَ ﴿الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ يعني: قارونَ، حيثُ قال: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي﴾ [القصص: ٧٨].

﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾: لم ينفعْهُم مالُهم، وقيل: عبادتُهم الأوثانَ.

***

(٥١) ـ ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَٰؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾.

﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾ جزاؤه.

وقيل: سُمِّي (سيِّئةً) للازدِواجِ، كقولِه: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠].

---

(١) في (ن): «أضاف».

﴿وَالَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: كفروا ﴿مِنْ هَٰؤُلَاءِ﴾: من كُفَّارِ أمَّتِكَ ﴿سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾ مثلَ ما أصابَهم.

﴿وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾: فائِتين من عذابِ الله.

***

(٥٢) ـ ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾: يُوسِّعُ ﴿لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾: يُضيِّقُ.

وقيل: يجعلُه على قَدْرِ القُوتِ.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾(١) بأنَّ الرِّزقَ منَ الله، لا كمَن قالَ: ﴿أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [القصص: ٧٨].

***

(٥٣) ـ ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾(٢) في سببِ النُّزولِ:

قال ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: نزلَتْ في أهلِ مكّةَ، قالوا: يزعُمُ محمَّدٌ أنَّ مَن عبدَ الأوثانَ وقتلَ النَّفسَ التي حرَّمَ الله لن يُغفَرَ له، ونحنُ قد عبَدْنا الأوثانَ وقتَلْنا الأنفُسَ، فأنزَلَ الله هذه الآيةَ(٣).

---

(١) في هامش (ن) عند ﴿لَآيَاتٍ﴾: «العلامات لوحدانيتي» وعند ﴿يُؤْمِنُونَ﴾: «أي: يصدقون بتوحيدي».

(٢) في هامش (ن): «قال ابن مسعود رضي الله عنه: أرجى آية في كتاب الله هذه الآية».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٢٢٤).

ابنُ عمرَ رضي الله عنهما: نزلَتْ في عيَّاشِ بن أبي ربيعةَ، والوليدِ بنِ الوليدِ، ونفرٍ من المسلمين أسلَمُوا، ثمَّ عُذِّبوا فارتَدُّوا، فنزلَتْ فيهم، قالَ: وكانَ عمرُ رضي الله عنه كاتبًا، فكتبَها إلى عيَّاشٍ والوليدِ وإلى أولئك النَّفرِ، فأسلَمُوا وهاجَرُوا[١].

وقيل: نزلَتْ هذه الآياتُ بالمدينةِ في الوحشيِّ[٢]، وقد سبقَ.

والمعنى: يا عباديَ الذينَ أسرَفُوا على أنفُسِهم بالذُّنوبِ[٣] ﴿لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾[٤]: لا تيأَسُوا من مغفرةِ الله ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[٥] قيل: يغفِرُها بالعفوِ عنها جميعًا[٦] إلا الشِّركَ.

وقيل: يغفِرُها بالتَّوبةِ منها.

وقيل: يغفِرُ الصَّغائرَ باجتنابِ الكبائرِ[٧].

وعن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قالَ: «ما أُحِبُّ أنَّ لي الدُّنيا وما فيها بهذه الآيةِ»[٨].

---

(١) رواه البزار في «مسنده» (١٥٥)، والطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٢٢٧)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٧٧٥٦)، والضياء المقدسي في «المختارة» (١/ ٣١٩)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٦١): «رواه البزار، ورجاله ثقات».

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١٤٨٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٧٣٨).

(٣) في هامش (ن): «أي: أفرطوا في الجناية عليها بالإسراف في المعاصي. أبو السعود».

(٤) في هامش (ن): «أي: من مغفرته وقبول التوبة إذا تبتم».

(٥) في هامش (ن): «قال رجل: يا رسول الله، ومَن أشرك؟ فسكت ساعة ثم قال: إلا من أشرك، ثلاث مرات. قاضي».

(٦) في (ف): «جميعها».

(٧) في هامش (ن): «أي: الكبائر وغيرها».

(٨) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٢٣٦٢)، والطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٢٢٨)، من حديث ثوبان رضي الله عنه. وقال ابن حجر في «الكافي الشاف» (ص: ١٤٤): «فيه ابن لهيعة عن أبي قبيل وهما ضعيفان».

(٥٤) ـ ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾.

﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ ﴾: تُوبوا إليه والتَمِسُوا رحمتَه ﴿وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ﴾: وانقادُوا له بالطّاعةِ فيما يأمرُكم به، وقيل: أخلِصُوا له ﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾.

قيل: هذه الآيةُ مُتَّصلةٌ بما قبلَها.

وقيل: الكلامُ قد تمَّ على الآيةِ الأولى، ثمَّ خاطبَ الكفّارَ بهذه الآيةِ فقال: ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ ﴾.

* * *

(٥٥) ـ ﴿ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾.

﴿ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم ﴾: المأمورُ دونَ المنهيِّ عنه.

وقيل: النّاسخُ دون المنسوخِ. وزيَّفَه بعضُهم.

وقيل: العزائمُ دونَ الرُّخصِ.

وقيل: العفوُ دونَ القِصاصِ.

وقيل: أحسنُ ما أُنزِلَ إليكم القُرآنُ، فيه ذِكرُ القبيحِ ليُجتَنَبَ منه، وذِكرُ الأدوَنِ ليُرغَبَ عنه، وذِكرُ الأحسنِ ليختارَه، وقد سبقَ.

﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً ﴾: فجأةً، وقيل: الموتُ فتقَعُوا[1] في العذابِ ﴿وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾.

(١) في (ف): «فيقعون».

(٥٦) ـ ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾.

﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ﴾: كراهةَ أن تقولَ نفسٌ.

وقيل: لأَنْ لا تقولَ نفسٌ.

وقيل: قبلَ أن تقولَ نفسٌ.

وقيل: احذَرُوا أن تقولَ نفسٌ.

﴿يَٰحَسْرَتَىٰ﴾ الألفُ بدلٌ من ياءِ المُتكلِّمِ.

﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ﴾: قصَّرْتُ، والتَّفريطُ: إهمالُ ما ينبَغي أن يُقدَّمَ.

﴿فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾: في أمرِ الله، قال:

أمــا تتَّقــينَ اللهَ في جنــبِ عاشــقٍ له كبــدٌ حــرَّى عليــكِ تقَطَّــعُ[١]

الحسنُ: في ذاتِ الله[٢].

وقيل: في ذكرِ الله.

وقيل: في قُربِ الله منَ الجنَّةِ، من قولِه: ﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾ [النساء: ٣٦].

ابنُ عيسى: في طاعةِ الله[٣].

الزَّجَّاجُ: في طريقِ الله الذي دعاني إليه[٤].

ابنُ بحرٍ: الأمرُ كلُّه يتشعَّبُ طريقَين: هدًى وضلالٌ، فكلُّ واحدٍ منهما جانبٌ وجَنْبٌ؛ أي: في جانبِ هُدى الله[٥].

---

(١) البيت لكثير. انظر: «ديوان كثير» (ص: ١٧٧)، و«الحماسة البصرية» (٢/ ١٢٢).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٣٢).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٣/ ٩٧) عن الحسن، وكذا السمعاني في «تفسيره» (٤/ ٤٧٧).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٣٥٩).

(٥) ذكر نحوه الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٣٣) بلا نسبة.

﴿وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾: المُستهزِئين بالقرآنِ والنَّبيِّ والمؤمنين.

قتادة: لـم يكفِهم ما ضيَّعوا من أمرِ الله وطاعتِه حتَّى سخِرُوا مـمَّن أطاعَ الله(١).

* * *

(٥٧) ـ ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾؛ أي: مرَّةً تقولُ هذا، ومرَّةً تقولُ ذلك.

وقيل: إنَّ قوماً يقولُ ذلك، وقومًا يقولُ هذا.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أخبر الله عمَّا سيقوله الكفار ويفعلونه(٢).

والمعنى: لو أرشدَني إلى دينِه لكنتُ منَ المتَّقين الذين يتَّقونَ الشِّركَ.

وذهبَ بعضُ المُفسِّرين إلى أنَّ هذا كذبٌ منهم؛ لقولِه: ﴿ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا﴾.

وذهبَ بعضُهم إلى أنَّ المعنى: لو أنَّ الله هداني وردَّني إلى دارِ التَّكليفِ مرَّةً أُخرى لكنتُ منَ المُتَّقين؛ لقولِه:

(٥٨ ـ ٥٩) ـ ﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾؛ أي: المُوحِّدين.

﴿ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ﴾؛ أي: يُقالُ لهذا القائلِ: قد جاءَتْكَ ﴿ءَايَٰتِى﴾ يعني: القرآنَ ﴿فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٢٣٥)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٤٧).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٢٣٦) بلفظ: «أخبر الله ما العباد قائلوه قبل أن يقولوه، وعملهم قبل أن يعملوه، قال: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤] ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى﴾ إلى قوله: ﴿فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ يقول: من المهتدين».

ورَوَتْ أمُّ سلمةَ عن النَّبيِّ ﷺ: (بلى قد جاءَتْكِ.. فكذَّبْتِ.. واستكبَرْتِ وكُنْتِ)[١]؛ بالتَّأنيثِ خطابًا للنَّفسِ.

❊ ❊ ❊

(٦٠) ـ ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾.

﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ بأنَّ له ولدًا وصاحبةً وشريكًا ﴿وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ﴾ بما ينالُهم من لفحِ النَّارِ.

وقيل: هو من قولِه: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ [آل عمران: ١٠٦].

و﴿وُجُوهُهُم ﴾ رفعٌ بالابتداءِ، و﴿مُّسْوَدَّةٌ ﴾ الخبرُ، والجملةُ في محلِّ نصبٍ على الحالِ، وحُذِفَ واوُ الحالِ اكتفاءً بالضَّميرِ العائدِ منها؛ أي: ذي الحالِ.

﴿أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى ﴾: منزلًا ومقامًا ﴿لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ عن الإيمان.

❊ ❊ ❊

(٦١) ـ ﴿ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾.

﴿ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ ﴾ المَفازُ والمَفازةُ كالمكانِ والمكانةِ، وهي المَفعلةُ منَ (الفوزِ) مصدرًا، ومَن جمعَ[٢] فلاختلافِ أجناسِهما.

والمعنى: بما استحقُّوا منَ الفوزِ.

وقيل: بإيمانِهم.

---

(١) رواه أبو داود (٣٩٩٠)، وقال: «هذا مرسل، الربيع لم يدرك أم سلمة»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠١٨)، واستغربه.

(٢) أي: قرأ (مفازاتهم) بالجمع، وهي قراءة حمزة والكسائي وأبي بكر عن عاصم. انظر: «السبعة» (ص: ٥٦٣)، و«المبسوط» (ص: ٣٨٥).

وقيل: بأعمالِهم.

وقيل: باجتنابِهم منَ الذُّنوبِ والمعاصي.

والباءُ للسَّببِ، وقيل: هي التي تجري مَجرى الآلةِ ـ تعالى الله ـ؛ أي: بالذي يليقُ بهم.

﴿لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ﴾: النّارُ، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾؛ لأنّهم نالُوا ما أرادوا.

والمعنى: لا يمسُّ أبدانَهم أذًى، ولا قلوبَهم حُزنٌ.

وقال الماورديُّ: بما سلكوا مفاوزَ الطّاعاتِ الشّاقّةِ من مفازةِ السَّفرِ[1]، وهو ركيكٌ.

* * *

(٦٢) ـ ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾.

﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ ردٌّ على الثَّنَويّةِ.

ابنُ الهيصمِ: أي: كلُّ شيءٍ بائنٌ منه.

﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾: حافظٌ، وقيل: كفيلٌ بأرزاقِهم.

* * *

(٦٣) ـ ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾.

﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: مفاتيحُها، واحدُها: مِقْليدٌ ومِقْلَدٌ.

وقيل: إقليدٌ.

وقيل: لا واحدَ لها من لفظِها.

---

(١) انظر: «النكت والعيون» للماوردي (٥/ ١٣٣)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠١٩)، واستغربه.

وقيل: المِقليدُ: المِفتاحُ، والقُفْلُ أيضًا، تقولُ: أقلَدَ بابَه؛ إذا أغلَقَه وإذا فتحَه.

وقيل: (إقليدٌ) مُعرَّبٌ من قولِهم: (إكليد) بالفارسيّةِ[1].

وقيل[2]: ﴿مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: خزائِنُها؛ فمقاليدُ السَّماواتِ: الأمطارُ، ومقاليدُ الأرضِ: النَّباتُ.

وعن النَّبيِّ ﷺ: «مقاليدُ السَّمواتِ والأرضِ: لا إلهَ إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ، وسبحانَ اللهِ وبحمدِه، وأستغفِرُ اللهَ، ولا حولَ ولا[3] قوّةَ إلا باللهِ، الأولِ والآخرِ والظّاهرِ والباطنِ، يُحيي ويُميتُ وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ»[4].

والمعنى: لا ينزلُ منَ السَّماءِ ملَكٌ ولا قطرةٌ ولا ينبُتُ منَ الأرضِ نباتٌ إلّا بإذنِه.

---

(١) ذكره ابن قتيبة في «غريب القرآن» (ص: ٣٨٤)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠١٩)، واستغربه.

(٢) «قيل»: ليست في (ف).

(٣) «حول ولا»: ليست في (ف).

(٤) رواه العقيلي في «الضعفاء» (١/ ١١٧)، عن عثمان رضي الله عنه. وضعفه العقيلي بأغلب بن تميم المسعودي.

ورواه مطولًا بزيادة فيه يوسف القاضي في «سننه» وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٧/ ٢٤٤)، والعقيلي في «الضعفاء» (٤/ ٢٣١)، والدينوري في «المجالسة» (٢٩٢٣)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٧٣)، والطبراني في «الدعاء» (١٧٠٠)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١٩)، والثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٥٤) وغيرهم.

قال ابن كثير في «تفسيره» (٧/ ١١٢): «غريب جدًّا، وفي صحته نظر».

وقال المنذري كما نقل البوصيري في «إتحاف الخيرة المهرة» (٦٠٨٨): «فيه نكارة، وقد قيل فيه: موضوع، وليس ببعيد».

ونقل ابن عراق في «تنزيه الشريعة» (١/ ١٩٢) عن ابن حجر قوله: «عندي أنه منكر من جميع طرقه، وأما الجزم بكونه موضوعاً فأتوقف عنه؛ إذ لم أر في رواته من وصف بالكذب».

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: جحدوا قُدرتَه على ذلك ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾.

* * *

(٦٤) ـ ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ﴾.

﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ﴾ أي: قل لهم بعد هذا البيانِ: أفغيرَ الله ﴿تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ﴾ بتوحيدِ الله؟! وذلك أنَّ قُريشًا دعَتْه إلى دينِ آبائِه.

* * *

(٦٥) ـ ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾.

﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: هذا أدبٌ منَ الله لنبيِّه وتهديدٌ لغيرِه؛ لأنَّ الله عصمَه منَ الشِّركِ ومُداهنةِ الكفّارِ[1].

وقيل: معناه: هذا حالُكَ فكيفَ حالُ غيرِكَ؟

وقيل: خِطابٌ للنَّبيِّ ﷺ والمُرادُ به غيرُه، وتقديرُه: ولقد أُوحِيَ إليك وأُوحِيَ إلى الذين من قبلِكَ بمثلِ ذلك، فأخبرَ عن الأوَّلِ وكفَّ عن الثّاني.

ومعنى ﴿لَيَحْبَطَنَّ﴾: ليَفْسُدَنَّ، من قولِهم: حبِطَ بطنُه؛ إذا فسدَ من داءٍ معروفٍ، وقد سبق.

﴿وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ بالمصيرِ إلى العقوبةِ.

---

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٩٢)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٢٥).

قُـرِئَ: ﴿تأمرونَنـي﴾ علـى الأصـلِ، و﴿تَأْمُرُوٓنِّيٓ﴾ بالإدغـامِ، و﴿تأمرونـي﴾ بالحـذفِ تخفيفًـا(١)، وقد سـبقَ لـه نظائرُ.

و(غيرَ) منصوبٌ من وجهَين:

أحدُهما: بـ﴿أَعۡبُدُ﴾ على تقديرِ: أأَعْبدُ غيرَ الله فيما تأمرونَني.

والثّاني: بـ﴿تَأۡمُرُوٓنِّيٓ﴾ وتقديرُه: أتأمرونَني بغيرِ الله؛ أي: بعبادةِ غيرِ الله، و(أنْ) مُقدَّرٌ مع ﴿أَعۡبُدُ﴾، وهما بدلٌ من (غيرَ)، و(غيرَ) المفعولُ الثّاني، والياءُ المفعولُ الأوَّلُ، ولا يجوزُ أن ينتصبَ بـ﴿أَعۡبُدُ﴾ على هذا التَّقديرِ؛ لأنَّ (أنْ) المُقدَّرةَ مع الفعلِ في تأويل المصدرِ، ولا يتقدَّمُ عليه ما في صلتِه، وأجازَ ذلك قومٌ فقالوا: لـمَّا حُذِفَ (أن) بطلَ حكمُه، وهذا فاسدٌ عندَ الحذَّاقِ.

***

(٦٦) ـ ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾.

﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ﴾ وَحِّدْه وأَطِعْه ﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ إنعامَه عليك.

***

(٦٧) ـ ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾.

﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ﴾؛ أي: ما وصَفُوه بوصفِه الذي يجبُ له، وما عظَّموه حقَّ عظمتِه، والقَدْرُ والقَدَرُ في اللُّغةِ: ما عليه الشَّيءُ من مُساواةٍ أو زيادةٍ أو نُقصانٍ،

(١) قرأ ابن عامر بنونين الأولى مفتوحة، ونافع بواحدة مخفَّفة، والباقون بواحدة مشدَّدة. انظر: «السبعة» (ص: ٥٦٣)، و«التيسير» (ص: ١٩٠).

فكأنَّه قال: ما أعطَوه في الوصفِ ما استحَقَّه، وما قدَّرُوا فيه التَّقديرَ الذي هو حقُّ التَّقديرِ فيه.

في سببِ النُّزولِ: عن الأعمشِ عن علقمةَ عن عبدِ الله بنِ مسعودٍ رضي الله عنه قال: أتى النَّبيَّ ﷺ رجلٌ من أهلِ الكتابِ وقال: يا أبا القاسمِ، بلغَكَ أنَّ الله يحملُ الخلائقَ على إصبعٍ، والأرضَ[1] على إصبعٍ، والسَّماءَ على إصبعٍ، والبحورَ على إصبعٍ، والثَّرى على إصبعٍ؟ فضحِكَ رسولُ الله ﷺ حتَّى بدَتْ نواجِذُه، فأنزَلَ الله هذه الآيةَ[2].

﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ القَبضةُ: تُذْكَرُ والمُرادُ بها: ما قبضْتَه عليه[3] بجَمْعِ كفِّكَ، وتُذْكَرُ والمُرادُ بها: ما في تصرُّفِكَ، كما يُكتَبُ في الشُّروطِ: وصارتِ الدّارُ في ملكِه وقبضَتِه، والتي في الآيةِ منها؛ لأنَّ المُرادَ بها شدَّةُ التَّمكُّنِ من ملكِ الشَّيءِ، والمُبالغةِ في القدرةِ على التَّصرُّفِ فيه تصرُّفَكَ في الشَّيءِ الحاصلِ في الكفِّ.

وقيل: المُرادُ به قولُه: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨].

قولُه: ﴿وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ قيل: بقُدرتِه وقُوَّتِه، من قولِ الشّاعرِ:

تلقَّاهـا عَرابـةُ باليمـينِ[4]

وقيل: بقَسَمِه؛ لأنَّه حلفَ أنَّه يطويها ويُفنيها[5].

---

(١) في (ف): «والأرضين».

(٢) رواه البخاري (٧٤١٥)، ومسلم (٢٧٨٦).

(٣) كذا في النسختين، ولو كان «ما قبضته بجمع كفك» أو «ما قبضت عليه بجمع كفك» لكان أظهر، والله أعلم.

(٤) عجز بيت للشماخ، وتقدم عند تفسير الآية (٩٣) من سورة (الصافات)، وصدره:

إذا مـا رايـةٌ رُفِعَـتْ لِمَجْـدٍ

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٢٠)، واستغربه.

وقيل: ﴿بِيَمِينِهِۦ﴾: بيدِه، ولله يدانِ كلتاهُما يمينانِ، وهذا جوابُ اليهودِ حين قالوا: يدُ الله مغلولةٌ.

وقيل: مِلكُه، من قولِـهم: ملكُ اليمينِ.

ومعنى ﴿مَطْوِيَّٰتُۢ﴾: مُستَولًى عليها استيلاءَكَ على الشَّيءِ المطويِّ عندَك وبيدِك.

وقيل: ﴿مَطْوِيَّٰتُۢ﴾ يومَ القيامةِ، من قولِه: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

وقيل: فيه تقديمٌ وتأخيرٌ تقديرُه: والأرضُ جميعًا قبضتُه، والسَّماواتُ مطويّاتٌ بيمينِه يومَ القيامةِ.

والمذهبُ والمُعتقَدُ في هذا وأمثالِه: التَّنزيهُ عن التَّشبيهِ والوصفِ بالجسمِ والعَرَضِ والكيفِ والكمِّ والزَّمانِ والمكانِ.

وما رواه المُفسِّرونَ في هذه الآيةِ فكلُّها مُؤوَّلٌ:

من ذلك ما رُوِيَ عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّه قالَ: ما السَّماواتُ السَّبعُ والأرَضونَ السَّبعُ في يدِ الله إلا كخردلةٍ في يدِ أحدِكُم[1].

﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ نزَّهَ نفسَه عمَّا لا يليقُ به منَ الصِّفاتِ.

ونصبُ ﴿جَمِيعًا﴾ على الحالِ، كما تقولُ: هذا بُسْرًا أطيبُ منه رُطَبًا.

* * *

(٦٨) ـ ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾.

﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾ الأكثرونَ على أنَّه قرنٌ ينفخُ فيه إسرافيلُ.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٢٤٦)، وابن بطة في «الإبانة» (٢٣٧).

وقال بعضُهم: الصُّورُ والنَّاقورُ واحدٌ.

وقال بعضُهم: الصُّورُ جمعُ صورةٍ. وقد سبقَ.

وقيل: هذا مثَلٌ للنُّزولِ والرَّحيلِ.

وقيل: إنَّه علامةٌ ليَتصوَّرَ العقلُ آخرَ الأمرِ، ثمَّ تجديدَ الخلقِ.

قال الكلبيُّ: لا أدري ما هو.

والنَّفخةُ اثنتانِ؛ الأولى للموتِ، والثّانيةُ للبَعثِ، وبينَهما أربعونَ سنةً.

الحسنُ: بينهما أربعونَ، ولـم يُفسَّر(١).

والأكثَرون على أنَّه ثلاثُ نفخاتٍ؛ الأولى للفَزَعِ، والثّانيةُ للموتِ، والثّالثةُ للإعادةِ.

﴿فَصَعِقَ﴾ الحسنُ: ماتَ(٢). وقيل: ماتَ بحالٍ هائلةٍ شديدةٍ.

﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ﴾ جاء في الخبرِ: أنَّهم جبريلُ وميكائيلُ وإسرافيلُ وملَكُ الموتِ(٣).

وقيل: هم حملةُ العرشِ.

وقيل: موسى عليه السَّلامُ منَ المُستثنَينَ؛ لأنَّه صعقَ مرَّةً(٤).

---

(١) رواه يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٥٧١) عن الحسن يرفعه، ورواه البخاري (٤٨١٤)، ومسلم (٢٩٥٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «بين النفختين أربعون» قالوا: يا أبا هريرة أربعون يوماً؟ قال: أَبَيْتُ، قال: أربعون سنة؟ قال: أَبَيْتُ، قال: أربعون شهراً، قال: أبيتُ... الحديث.

(٢) انظر: «تفسير الرازي» (٣/ ٥٢١).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٢٥٤) عن السدي، ثم رواه عقبه مرفوعاً مطولًا من حديث أنس رضي الله عنه. وفيه يزيد الرقاشي وهو ضعيف.

(٤) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٣/ ١٣٠) عن جابر رضي الله عنه، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٢١)، واستغربه.

وقيل: هم الشُّهداءُ، وهم مُتقلِّدونَ السُّيوفَ حولَ العرشِ[١].

﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ﴾ من قبورِهم ﴿يَنظُرُونَ﴾ إلى البعثِ.

وقيل: ينتَظِرونَ أمرَ الله فيهم.

***

(٦٩) ـ ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ أضاءَتْ إضاءةً دائمةً عامّةً لجميعِها، لا ظُلمة عليها؛ لأنَّه نهارٌ لا ليلَ بعدَه.

الزَّجَّاجُ: لـمَّا أرادَ الله الحسابَ والمُجازاةَ أشرقتِ الأرضُ بنورِ الله[٢].

وقيل: أشرقتْ بعَدْلِه؛ لأنَّها كانت مُظلِمةً بالجَوْر[٣].

وقيل: يخلق نورًا للأرض.

وقيل: أرضُ الجنّة.

وقيل: أُلبست الأرضُ الإشراقَ بنورِ الله[٤].

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٦٤٤)، والطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٢٥٥) عن سعيد بن جبير، بلفظ: «هم الشهداء ثنيَّة الله حول العرش، متقلدين السيوف». و(ثنية الله)؛ أي: الذين استثناهم الله من الصعق.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٣٦٢).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٢١)، واستغربه.

(٤) «وقيل أشرقت بعد له لأنها كانت مظلمة بالجور وقيل يخلق نورًا للأرض وقيل أرض الجنة وقيل ألبست الأرض الإشراق بنور الله» من (ف).

ابنُ جَريرٍ: ذلك حينَ يبرزُ الرَّحمنُ تعالى لفصلِ القَضاءِ بين عبادِه[١].

﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ يعني: كتبَ الأعمالِ للمُحاسبةِ والجزاءِ[٢].

وقيل: وُضِعَ في أيدي أصحابِه حتَّى يقرؤوا منها أعمالَـهم[٣].

وقيل: الكتابُ: هو اللَّوحُ المحفوظُ، تُقابلُ صُحُفُ الأعمالِ[٤] بما في اللَّوحِ المحفوظِ.

﴿وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ ليسألَـهم ربُّهم عن تبليغِ الرِّسالةِ وما أجابَهم قومُهم.

﴿وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ من قولِه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ الآية [البقرة: ١٤٣].

وقيل: الشُّهداءُ: هم الأبرارُ في كلِّ زمانٍ يشهَدُونَ على أهلِ ذلك الزَّمانِ.

وقيل: الشُّهداءُ: هم الذين قُتِلوا في سبيلِ الله.

وقيل: هم الملائكةُ.

وقيل: الجوارحُ والمكانُ والزَّمانُ.

﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم﴾: بينَ العبادِ ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: بالعدلِ ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: لا يُنقَصُ أحدٌ شيئًا مـمَّا استحَقَّه.

* * *

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢٠/ ٢٦١).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٢١)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٢١)، واستغربه.

(٤) في (ف): «أعمالهم».

(٧٠) ـ ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾.

﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾؛ أي: جزاءه ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ فلا يخفَى عليه شيءٌ.

* * *

(٧١) ـ ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ﴾ سَوْقًا عنيفًا يُسحَبُونَ على وجوهِهم إلى جهنَّمَ ﴿زُمَرًا﴾: جماعةً جماعةً[1].

وقيل: جماعاتٍ في تفرقةٍ.

وقيل: أفواجًا وأُمَمًا.

ابنُ عيسى: الزُّمرةُ: الجماعةُ لها صوتٌ كصوتِ المزمارِ[2].

وأنشدَ:

لـه زَجَـلٌ كأنَّـه صَـوْتُ حـادٍ إذا طلَـبَ الوَسِـيقةَ أو زَمِـيرُ[3]

وإنَّما يُساقونَ زُمرةً زُمرةً لأنَّه يُحشَرُ أمَّةٌ بعد أمَّةٍ مع إمامِها إلى الجنَّةِ أو النَّارِ.

وقيل: بعضُهم قبلَ الحسابِ، وبعضُهم بعدَ الحسابِ.

---

(١) «جماعة» الثانية من (ف).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٢١)، واستغربه.

(٣) البيت للشماخ. انظر: «ديوانه» (ص: ٣٦) بشرح أحمد بن الأمين الشنقيطي، و«الكتاب» (١/ ٣٠)، و«الخصائص» (١/ ٣٧٢).

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ وهي سبعةٌ؛ لقولِه: ﴿لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٍ﴾ [الحجر: ٤٤]، وكانت قبلَ ذلك مُغلقةً ففُتِحَتْ للكفّارِ.

﴿وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ﴾: من بني آدمَ ﴿يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَا﴾؟ يأخُذونَ إقرارَهم بأنَّهم استحَقُّوا العذابَ.

﴿قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾.

﴿كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ﴾: قولُه سبحانَه: ﴿لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾ [هود: ١١٩].

وقيل: ظهرَ حقُّها بمجيءِ مصداقِها.

وقيل: ﴿كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ﴾: علمُ الله السّابقُ.

وكان القياسُ: ولكن حقَّتْ كلمةُ العذابِ علينا، وإنَّما عدَلَ إلى الغيبةِ لأنَّ التَّقديرَ: قالوا: بلى، ولكنْ كفَرْنا، فحقَّتْ كلمةُ العذابِ على الكافرين.

ويحتمِلُ أن قولَه: ﴿وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ من كلامِ الله سُبحانَه[1].

***

(٧٢) - ﴿قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾.

﴿قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ﴾ حالٌ مُقدَّرٌ.

وقيل: عالِمين أنَّكم تخلُدونَ.

﴿فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾ المذمومُ محذوفٌ، وهو النَّارُ.

***

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٢١)، واستغربه.

(٧٣) ـ ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾.

﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًاۖ ﴾ ذُكِرَ بلفظِ (سيقَ) لازدِواجِ الكلامِ.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا ﴾ قيل: الواوُ زيادةٌ، وقد تُزادُ الواوُ في جوابِ (حتَّى إذا)، وفي جوابِ (فلمَّا)[1].

وقيل: الواوُ للحالِ، والجوابُ محذوفٌ، فقال بعضُهم: سَعِدُوا بدخولِـها.

وقيل: الجوابُ مُقدَّرٌ، تقديرُه: إذا جاؤوها جاؤوها وفُتِحَتْ أبوابُها[2].

وقيل: مُقدَّرٌ في قولِه: ﴿فَٱدْخُلُوهَا﴾؛ أي: إذا جاؤوها دخَلُوها.

وقيل: الواوُ في قولِه: ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾ زيادةٌ، والجوابُ: قالَ.

وقيل: الواوُ واوُ الثَّمانيةِ، وهي الدَّالَّةُ على أنَّ الأبوابَ ثمانيةٌ، وفيه ضَعفٌ عند النَّحويِّين[3]، وقد سبقَ شرحُ ذلك في قولِه: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ﴾ [التوبة: ١١٢] في سورةِ (التَّوبةِ).

﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾: جمعُ (خازنٍ) مثلُ: كَتَبة.

﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ﴾ يُسلِّمون عليهم إكرامًا لهم بإذنِ الله.

وقيل: سلِمتُم من أحزانِ الدُّنيا وأهوالِ القيامةِ.

﴿ طِبْتُمْ ﴾ جاء في التَّفسيرِ: أنَّ أهلَ الجنَّةِ إذا انتهَوا إلى بابِها وجَدُوا عندَه عينَينِ تجريانِ من ساقِ شجرةٍ، فيتطهَّرون من إحداهُما فتجري عليهم نضرةُ النَّعيمِ، فلم

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٢٢)، واستغربه.

(٢) أي: حتى إذا جاؤوها وقع مجيئهم مع فتح أبوابها. انظر: «الكشاف» مع حاشية الطيبي (١٣/ ٤٤٤).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٢٢)، وعده من العجائب.

تُغيِّرْ أبشارُهم بعدَها أبدًا، ويشرَبُونَ منَ الأُخرَى، فيذهبُ ما في بطونِهم من أذًى وقذًى، فيقولُ لهم الخزنةُ: طِبتُم، ﴿فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾.

وقيل: كنتم طيِّبينَ في الدُّنيا.

وقيل: طِبتُم نفسًا بما نِلتُم منَ الجنّةِ ونعيمِها.

وقيل: كنتُم طيِّبينَ بأفعالِكم الصّالحةِ.

الفرّاءُ: ﴿طِبۡتُمۡ﴾: زكوتُم، ﴿فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾[1].

* * *

(٧٤) ـ ﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴾.

﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ﴾؛ أي: أنجزَ ما وعدَنا في الدُّنيا من نعيمِ العُقبَى.

وقيل: ما وعدَنا في الدُّنيا منَ النُّصرةِ والفتحِ.

﴿وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ﴾ يُريدُ: أرضَ الجنّةِ عند الجمهور ﴿نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُ﴾: نتَّخِذُ فيها لأنفُسِنا منازلَ ﴿فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴾ في الدُّنيا الجنّةُ.

وقيل: ﴿ٱلۡأَرۡضَ﴾: أرضَ الدُّنيا بجِهادِنا.

* * *

(٧٥) ـ ﴿وَتَرَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡۖ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ وَقِيلَ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٤٢٥).

﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ﴾ مُحدِقِيـنَ بحَفَافَيـه؛ أي: جانِبَيـه، وذلـك بعـدَ أن أحياهُـم الله.

و﴿حَآفِّينَ﴾ نصبٌ على الحالِ؛ لأنَّ (ترى) من رُؤيةِ العينِ.

الفرَّاءُ: لا واحدَ له[1]؛ لأنَّ هذا الاسمَ لا يقعُ لهم إلّا مُجتمِعِين[2].

وقيل: الحافُّ بالشَّيءِ: المُلازِمُ له.

﴿مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ ﴿مِنْ﴾ زيادةٌ، وقيل: لابتداءِ الغايةِ؛ أي: ابتدأ حفوفُهم[3] من حولِ العرشِ إلى حيثُ شاءَ الله.

وقيل: مُتَّصِلٌ بالرُّؤيةِ[4].

﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ تلذُّذًا لا تعبُّدًا، والباءُ للحالِ؛ أي: حامِدين.

﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ﴾: بينَ الخلقِ.

وقيل: بينَ الأنبياءِ وأُممِهم.

وقيل: تكرارٌ لقولِه: ﴿وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ﴾.

وقيل: هو حالٌ، و(قد) مُقدَّرٌ معَه؛ أي: يُسبِّحونَ بحمدِ ربِّهم وقد قُضِيَ بينَهم بالحقِّ ﴿وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

وقيل: استئنافٌ؛ أي: ويقضي بينهم بالحقِّ ويُقالُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؛ أي: الحمدُ لله على ما قضى بينَنا ونجَّانا من القومِ الظَّالمين.

---

(١) في (ف): «لها».

(٢) ذكره مكي بن أبي طالب في «الهداية» (١٠/ ٦٣٩٣)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٢٢)، واستغربه.

(٣) في (ف): «حقوقهم»، وهو تصحيف.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٢٢)، واستغربه.

الزَّجَّـاجُ: إنَّ الله ابتـدأ خلـقَ الأشـياءِ بالحمـدِ، فقـالَ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ [الأنعـام: ١]، ولذلـك ختـمَ بالحمـدِ لله، فقـالَ لمَّـا اسـتقرَّ أهـلُ النّـارِ فـي النّـارِ وأهـلُ الجنّـةِ فـي الجنّـةِ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[١].

وقيل: هذا كقولِه: ﴿وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: ١٠]؛ أي: على ما جازانا من نِعَمِه وإحسانِه.

وقيل: هذا من كلامِ الملائكةِ؛ أي: الحمدُ له دائمٌ وإن انقطَعَ التَّكليفُ[٢].

❊ ❊ ❊

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٣٦٤).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٢٢)، واستغربه.

سُورَةُ غَافِرٍ

سورةُ المُؤمنِ

خمسٌ وثمانونَ آيةً، مكّيَّةٌ(١).

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: الحواميمُ كلُّها مكِّيةٌ(٢).

مجاهدٌ وقتادة: حم المُؤمن مكِّيةٌ إلّا آيتَين منها نزلَتْ بالمدينةِ، قولُه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [غافر: ٥٦] والتي بعدَها(٣).

الحسنُ: مكِّيَّةٌ إلّا قولَه: ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ﴾؛ لأنَّ الصَّلواتِ فُرِضَتْ بالمدينةِ(٤).

---

(١) «خمس وثمانون آية مكية»: ليست في (ف). وانظر: «البيان في عد آي القرآن» (ص: ٢١٨)، وفيه: «وهي ثمانون وثنتان في البَصريّ، وأربع في المدنيين والمكي، وخمس في الكوفي، وست في الشَّامي، اختلافها تسع آيات... ».

(٢) رواه ابن الضريس في «فضائل القرآن» (١٧)، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٦٤٩)، والبيهقي في «الدلائل» (٧/ ١٤٤).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٤١)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٢٩)، عن ابن عباس وقتادة. وانظر التعليق الآتي.

(٤) لم أجده عن الحسن، بل ذكر عنه الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٤١)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٢٩)، القول بمكيتها دون استثناء، وقال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٤/ ٥٤٥): «هذه السورة مكية بإجماع، وقد روي في بعض آياتها أنها مدنية، وهذا ضعيف، والأول أصح»، والتعليل الذي ذكره المصنف هنا يخالف ما سيذكره في تفسير الآية المستثناه عن الحسن من قوله: «صلاته قبل فرض الصلاة بمكةَ؛ ركعتان بكرة وركعتان بالعشي».

ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: إذا وقعتُ في (آل حم) وقعتُ في روضاتٍ دَمِثَاتٍ أتأنَّقُ فيها[١].

وزادَ بعضُهم: فإنَّها ديباجُ القرآنِ[٢].

وعن النَّبيِّ ﷺ: «مَن أرادَ أن يرتعَ في رياض[٣] الجنَّةِ فليقرَأْ الحواميمَ»[٤].

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) - ﴿حمٓ﴾.

﴿حمٓ﴾ سبق القولُ في الحروفِ.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٠٢٨٥)، وأبو عبيد ومحمد بن نصر وابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٧/ ٢٦٨).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٠٢٨٣)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤٧٤)، ورواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٣/ ١٥١) مرفوعًا عن أنس رضي الله عنه، وفيه عبد القدوس بن حبيب وهو متروك.

(٣) في (ن): «روضات».

(٤) قطعة من حديث رواه ابن الضريس في «فضائل القرآن» (٢٢٣) و(٢٩٦) من طريق إسماعيل بن عياش أخبرنا إسماعيل بن رافع، عن إسحاقَ بن عبد الله بن أبي فَرْوةَ، قال: بَلَغَنا أنَّ رسولَ الله ﷺ. فذكره.

ووصله المستغفري في «فضائل القرآن» (٨٨٩) من طريق محمد بن مروان السدي حدثني إسماعيل بن رافع، عن أبي إسحاق، عن أبي برزة الأسلمي قال: قال رسول الله ﷺ. ومحمد بن مروان كذاب.

وذكره دون سند ولا راو السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ١٩٧)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٣/ ١٥٥).

وروى الديلمي في «الفردوس» (٢٨١٦)، وابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٧/ ٢٦٩)، عن سمرة بن جندب رضي الله عنه مرفوعًا: «الحواميم روضة من رياض الجنة». وفيه أبان ابن أبي عياش، وهو متروك.

وقيل: حم اسمُ الله الأعظَمُ.

وقيل: اسمُ القرآنِ.

وقيل: اسمُ السُّورةِ.

وقيل: قسَمٌ.

وقيل: محمَّدٌ عليه السَّلامُ.

وقيل: حُمَّ ما هو كائنٌ.

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: (الر) (حم) (ن) مجموعُ الرَّحمن[1].

ورُوِيَ أنَّ أعرابيًّا قال للنَّبيِّ ﷺ: ما حم؟ فقال: «بدءُ أسماءٍ، وفواتحُ السُّوَرِ»[2].

***

(٢) - ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾.

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ خُصَّ العزيزُ لأنَّ المعنى: التَّنزيلُ منَ الله وليسَ مِن تقوُّلِ محمَّدٍ عليه السَّلامُ كما زعمَه الكفَّارُ: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ۝٤٤ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ﴾ [الحاقة: ٤٥]؛ فإنَّه العزيزُ: لا يُغالَبُ ولا يمتنعُ عليه شيءٌ.

العليمُ: الواسعُ المعلومِ.

***

(٣) - ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾.

﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ﴾ يسترُه ولا يفضحُ صاحبَه يومَ القيامةِ.

﴿وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾ التَّوبُ والتَّوبةُ مصدرانِ، وقيل: التَّوبُ جمعُ توبةٍ، على أنَّها اسمٌ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ١٠٣).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٣/ ١٦٠) عن أنس رضي الله عنه دون إسناد، ولم أقف عليه مسندًا.

أي: ما ذنبٌ تابَ منه العبدُ إلا قبلَ توبتِه.

وقيل: هذا تكرارٌ؛ فإنَّهما بمعنًى واحدٍ.

وقيل: غافرُ الذَّنبِ الصَّغيرِ، وقابلُ التَّوبِ عن الذَّنبِ الكبيرِ.

وقيل: غافرُ الذَّنبِ بإسقاطِ العقابِ، وقابلُ التَّوبِ بإيجابِ الثَّوابِ.

ويحتملُ أنَّ فيها تقديمًا وتأخيرًا؛ أي: قابلُ التَّوبِ وغافرُ الذَّنبِ.

﴿شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾: إذا عاقَبَ فعقابُه شديدٌ.

﴿ذِى ٱلطَّوْلِ﴾: ذي النِّعمِ والقدرةِ والغِنى والخيرِ والمنِّ والفضلِ، وكلُّها أقوالٌ.

وخَفضُ ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾ من وجهَينِ:

أحدُهما: البدلُ؛ لأنَّهما نكرتانِ في معنى المُستقبلِ.

والثَّاني: الصِّفةُ على أنَّه وقعَ لفظُ الماضي موقعَ المُستقبلِ كأكثرِ ألفاظِ القيامةِ، وقد سبق في ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾، فتكونُ معرفةً.

وقيل: معناه: من شأنِه غفرانُ الذُّنوبِ فيما مضى وفيما يُستقبلُ.

﴿شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾؛ أي: على الشِّركِ، وهذا بدلٌ لا غير.

﴿ذِى ٱلطَّوْلِ﴾: معرفةٌ يجوزُ فيه البدلُ والوصفُ.

ثمَّ وحَّدَ نفسَه فقال: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾: المرجعُ في الآخرةِ.

* * *

(٤) ـ ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾.

﴿مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: ما يُخاصِمُ فيها بالتَّكذيبِ بها والإنكارِ لها ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾، وأصلُ المجادلةِ من جدَلْتُه؛ أي: قتلتُه.

وقيل: منَ الجَدالةِ: وهي وجهُ الأرضِ؛ أي: يُحاولُ كلُّ واحدٍ صَرْعَ صاحبِه عليها.

والمُجادلةُ تُستعمَلُ بين مُبطلَين، أو مُبطِلٍ ومُحِقٍّ، والمُناظرةُ تُستعملُ بينَ مُحِقَّين، أو مُحِقٍ ومُبطِلٍ.

﴿فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي ٱلْبِلَـٰدِ﴾ بالتِّجاراتِ والغِنى.

وقيل: يُريدُ رحلةَ الشِّتاءِ والصَّيفِ.

وقيل: سالمينَ، فإنَّ عاقبتَهم النّارُ، ثمَّ صرَّحَ فقال:

***

(٥) - ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَـٰدَلُوا۟ بِٱلْبَـٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ في بعضِ التَّفاسيرِ: نزلَتْ في الحارثِ بنِ قيسٍ السَّهميِّ أحدِ المُستهزئينَ[1].

قولُه: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾: قبلَ قومِكَ، ﴿قَوْمُ نُوحٍ﴾ نوحًا ﴿وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ وهم الذين تحزَّبوا على الأنبياءِ بالتَّكذيبِ.

﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾: ليقتُلوه ويُهلِكوه؛ لقولِه: ﴿فَأَخَذْتُهُمْ﴾.

وقيل: ليأسِروهُ، والأخذُ: الأسرُ، والأخيذُ: الأسير[2].

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٦٤) عن أبي مالك، وذكره مقاتل في «تفسيره» (٣/ ٧٠٥).

(٢) «والأسير الأخيذ»: من (ف)، «والأخذ الأسر»: من (ن).

وقيل: ليبطِشُوا به، من قولِه: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ﴾ [هود: ١٠٢]، وأخذُ النّاسِ لا يُستعملُ إلّا في مكروهٍ.

﴿وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ﴾: بما لا حقيقةَ له.

قتادة: بإبليسَ[(١)].

﴿ليدحضوا به﴾: ليُزيلوا به ﴿ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ﴾: فأهلكتُهم بالعقوبةِ ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ قيل: هذا سؤالٌ عن صدقِ العذابِ.

وقيل: عن صفةِ العذابِ.

قال قتادةُ: شديدٌ واللهِ[(٢)].

***

(٦) ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: ومثلُ ذلك ﴿حَقَّتْ﴾ وجبَتْ ﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾: ما أوجبَ الله بوعيدِه ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾؛ أي: لأنَّهم وبأنَّهم. وقيل: بدلٌ من (الكلمةِ)، ومحلُّه رفعٌ[(٣)].

ثمَّ أخبرَ بفضلِ المؤمنين فقال:

(٧) ـ ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾.

---

(١) ذكره يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٧٧٠)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٣٠٧) في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ [سبأ: ٤٩] بلفظ: «الباطل إبليس الباطل إبليس».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٢٨٢).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٢٦)، واستغربه.

﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ﴾ يُريدُ: حاملي العرشِ والحافِّين حولَه، وهم الكَرُوبيُّونَ سادةُ الملائكةِ.

﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ﴾؛ أي: يُسبِّحونَ الله ويحمَدونَه.

وقيل: الباءُ يدلُّ على أنَّ تسبيحَهم بالحمدِ له، كما تقولُ: يُعظِّمونَه بالحمدِ له ﴿وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ﴾؛ أي: يُسبِّحونَ تسبيحَ تلفُّظٍ لا تسبيحَ دلالةٍ، ويحتمِلُ أنَّه مُقدَّمٌ ومُؤَخَّرٌ.

﴿وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: للمُؤمنين ﴿رَبَّنَا﴾؛ أي: يقولون: ربَّنا ﴿وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا﴾؛ أي: نالَتْ رحمتُكَ في الدُّنيا كلَّ شيءٍ.

و﴿رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا﴾ نصبٌ على التَّمييزِ، وصُرِف الفعلُ عنه.

﴿فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ﴾: رجَعُوا عن المعاصي ﴿وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ﴾: دينَك الإسلامَ ﴿وَقِهِمۡ﴾: وادفَعْ عنهم ﴿عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ﴾.

* * *

(٨ ـ ٩) ـ ﴿رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٨ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾.

﴿رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡ﴾ ﴿وَمَن﴾ عطفَ على المُضمرِ في ﴿وَأَدۡخِلۡهُمۡ﴾؛ أي: ليتِمَّ أُنسُهم بالاجتماعِ.

وقيل: عطفٌ على ﴿وَعَدتَّهُمۡ﴾.

﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ﴾: لا يمتنعُ عليك شيءٌ ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾: يضعُ الشَّيءَ موضِعَه.

﴿ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ يعني: عذابَ النّارِ.

وقيل: الكفرَ.

وقيل: اصرِفْ عنهم سوءَ عاقبةِ سيِّئاتِهم.

وقيل: الضَّميرُ(١) يعودُ إلى الآباءِ والأزواجِ والذُّرِّياتِ؛ فإنَّه قد دعا لهم أوَّلًا(٢).

﴿وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ وَذَٰلِكَ ﴾؛ أي: دفعُ العذابِ ﴿هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾.

* * *

(١٠) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ ﴾ لمَّا عاينَ الكفَّارُ النّارَ ودُخولَها مقَتُوا أنفُسَهم، يُريدُ: لاموها وغضِبوا عليها، فنادَتْهم خزنةُ النّارِ؛ أي: يقولونَ لهم بصوتٍ رفيعٍ: ﴿لَمَقْتُ ٱللَّهِ ﴾؛ أي: مَقتُ الله إيّاكم، يُريدُ: غضبَه وسخطَه ﴿أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ﴾: بُغضِكم ﴿أَنفُسَكُمْ ﴾ في القيامةِ ﴿إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ﴾ في الدُّنيا ﴿فَتَكْفُرُونَ ﴾.

وقيل: تثبُتونَ على الكفرِ.

و﴿إِذْ تُدْعَوْنَ ﴾ منصوبٌ بفعلٍ مُضمَرٍ دلَّ عليه المقتُ، ولا يُنصَبُ بالمقتِ الأوَّلِ للاعتراضِ بالخبرِ، ولا بالثَّاني لاختلافِ الزَّمانَين.

ويحتمِلُ أن ينتصبَ بالمقتِ الثّاني، فيكونَ من بابِ: «الصَّيفَ ضيَّعْتِ اللَّبنَ»(٣).

---

(١) أي: الضمير في قوله: ﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ﴾ كما في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٢٧).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٢٧)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٢٧)، واستغربه.

(١١) ـ ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾.

﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ الموتةُ الأولى: النُّطفةُ، والموتةُ الثّانيةُ: عند انقِضاءِ الأجلِ. والحياةُ الأولى: في الدُّنيا، والثّانيةُ: في العُقبَى.

وقيل: الموتةُ الأولى: في الدُّنيا، والثّانيةُ: في القبرِ بعد الإحياءِ لسؤالِ الملكِ. والحياةُ الأولى: في الدُّنيا، والثّانيةُ: في القبرِ.

وقيل: الحياةُ الأولى: إحياءُ الله إيّاهم حينَ أخرجَهم من ظُهورِ بني آدمَ، والموتةُ الأولى: بعدَ ذلك الإحياءِ، والحياةُ الثّانيةُ: في الدُّنيا، والموتةُ الثّانيةُ: في الدُّنيا.

= وهذا مثل يضرب لمن فرَّط في طلب ما يحتاج إليه حتى فاته، ثم يطلبه في غير وقته، وأصله: أن امرأة شابة كانت عند رجل شيخ مكثر، فسألته طلاقها، فأشار عليها أن تصبر معه ولا تسله ذلك فأبت فطلقها، وكان ذلك في الصيف، فتزوجت شابًّا مقتراً، فلما حضر الشتاء وقلَّت الألبان سألت الشيخ لبناً، فقال لها: «الصيف ضيعت اللبن»؛ أي: في الصيف، ولكن حذف (في) ونصب (الصيف) على الظرف بـ(ضيعت)، ونصب (اللبنَ) بـ(ضيعت) على المفعول، يريد: أنك سألتني الطلاق في الصيف، فضيعت ما كان لك من اللبن. انظر: «تصحيح الفصيح» لابن درستويه (ص: ٤٤٥)، والمثل مشهور في كتب الأمثال والأدب، وقد ذكر الشراح قصته مفصلة، وذكروا أسماء المرأة وزوجيها، كما ذكروا أن «ضيَّعْتِ» تبقى مكسورة التاء، سواء خوطب بها المذكر أو المؤنث أو الاثنان والجميع؛ لأن أصل المثل خوطبت به امرأةٌ، فإذا قلته لرجل ـ مثلاً ـ فإنما معناه: أنتَ عندي بمنزلة التي قيل لها هذا. انظر: «أمثال العرب» للمفضل الضبي (ص: ٥١)، و«الأمثال» لأبي عبيد (ص: ٢٤٨)، و«إصلاح المنطق» (ص: ٢٠٦)، و«المقتضب» (٢/ ١٤٥)، و«الفاخر» للمفضل بن سلمة (ص: ١١١)، و«جمهرة الأمثال» (١/ ٥٧٥)، و«التمثيل والمحاضرة» (ص: ٣٨)، و«مجمع الأمثال» (٢/ ٦٨)، و«المستقصى في الأمثال» (١/ ٣٢٩).

القُرَظيُّ: موتُ الكافرِ: موتُ قلبِه وحياتُه بالأنفاسِ، ثمَّ موتُه الذي لا يأكلُ فيه، ثمَّ حياتُه للبعثِ[١].

﴿فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا﴾: أقرَرْنا بكُفرِنا وظهرَ لنا أنَّ البعثَ حقٌّ.

﴿فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ﴾ قيل: الخروجِ منَ النّارِ.

وقيل: خروجٍ إلى الدُّنيا.

الحسنُ: فيه إضمارٌ تقديرُه: لا سبيلَ إلى الخروجِ[٢].

***

(١٢) - ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْۚ فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ﴾.

﴿ذَٰلِكُم﴾؛ أي: المقتُ، وقيل: إشارةٌ إلى الخلودِ، وقيل: إشارةٌ إلى منعِ الخروجِ.

﴿بِأَنَّهُۥٓ﴾: بسببِ أنَّه ﴿إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ﴾؛ أي: إذا دُعيتُم إلى الله كفرتُم.

وقيل: إذا سمِعتُم: «لا إله إلا الله» كفرتُم.

﴿وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْۚ﴾: تُصدِّقوا.

وقيل: تؤمِنُوا بالأوثانِ.

وقيل: إذا دُعيتُم إلى الشِّركِ أجَبْتُم.

---

(١) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٤٩) بلفظ: «أرادوا أن الكافر في الدنيا هو حي الجسد ميت القلب فكأن حالهم في الدنيا جمعت إحياء وإماتة، ثم أماتهم حقيقة ثم أحياهم بالبعث».

(٢) ذكره ابن أبي زمنين في «تفسيره» (٤/ ١٢٧).

وقيل: هذا استئنافٌ خاطبَ اللهُ الكفّارَ به في الدُّنيا.

﴿فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ﴾ يعني: القَضاءُ فيكم لله ﴿ٱلْعَلِيِّ﴾: الرَّفيعِ القاهرِ ﴿ٱلْكَبِيرِ﴾ بالقُدرةِ والمنزلةِ.

* * *

(١٣) ـ ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ الدّالّةَ على التَّوحيدِ ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا﴾: مطرًا هو سببُ الرِّزقِ، ويُقالُ: الملائكةَ بتدبير الرِّزقِ، حكاه الفقيهُ أبو اللَّيثِ[1].

﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾: ولا يتَّعِظُ بالقرآنِ إلا مَن أقبلَ على طاعتِه وأقلعَ عن معصيتِه.

* * *

(١٤) ـ ﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾: اعبُدوه بالإخلاصِ ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾: وإنْ شقَّ عليهم ذلك.

* * *

(١٥) ـ ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾.

﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾: رافعُ السَّماواتِ بعضِها فوقَ بعضٍ.

---

(١) انظر: «تفسير السمرقندي» (٣/ ٢٠٠)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٢٧)، واستغربه.

وقيل: رافعُ الدَّرجاتِ في الدُّنيا بالمنزلةِ، وفي الآخرةِ بالجنّةِ.

وقيل: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾؛ أي: عالي الصِّفاتِ[١]؛ كما تقولُ: فلانٌ في العلمِ في الدَّرجةِ العُليا.

وقيل: مرفوعُ الدَّرجاتِ، وفيه بُعدٌ[٢].

﴿ذُو ٱلۡعَرۡشِ﴾: مالكُه وخالقُه.

وقيل: العرشُ هاهنا المُلكُ.

﴿يُلۡقِي ٱلرُّوحَ﴾ قيل: هو جبريلُ.

وقيل: القرآنُ.

وقيل: الوحيُ.

وقيل: النُّبوّةُ.

وقيل: الرَّحمةُ.

وقيل: رُوحُ العبدِ[٣].

﴿مِنۡ أَمۡرِهِۦ﴾ حالٌ للرُّوحِ.

﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ﴾: يومَ القيامةِ، وهو مفعولٌ به، ومعنى التَّلاقِ: يلتَقي فيه أهلُ السَّماءِ وأهلُ الأرضِ.

وقيل: يلتَقي فيه الأوَّلونَ والآخِرونَ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٢٧)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٢٧)، وعده من العجائب.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٢٨)، واستغربه.

وقيل: يَلْقَى فيه المرءُ عملَه.

وقيل: تتلقَّاهُم الملائكةُ.

❊ ❊ ❊

(١٦) ـ ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾.

﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ﴾ من قبورِهم.

وقيل: يُكشَفُ ما كانَ مستورًا من أمرِهم.

وقيل: ظاهِرون لعيونِ النّاظرينَ.

﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ﴾؛ لأنَّهم برَزُوا له.

وقيل: لا يخفَى شيءٌ من أعمالِهم التي عمِلُوها.

وقيل: لا يبقَى أحدٌ إلّا حضرَ ذلك الموقفَ.

﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾؛ أي: يقولُ الله ذلك حينَ لا أحدَ يُجيبُه، فيُجيبُ الله نفسَه بقولِه: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾، وزيَّفَ هذا القولَ جماعةٌ منَ المُفسِّرين، وقالوا: إذا لم يكُنْ مَن يُجيبُ فلا معنَى للاستفهامِ، ولا للجوابِ إذا لم يكُنْ مَن يَسمعُ، بل يقولُ الله ذلك للخلائقِ تقريرًا لهم على أنَّ المُلْكَ له؛ لأنَّ الكفَّارَ كانوا يُنازِعُونَه في الملكِ لعبادتِهم غيرَه، فيُجيبُ الجميعُ: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾؛ يقولُه المؤمنُ تلذُّذًا، ويقولُه الكافرُ صَغارًا وهوانًا على سبيل التَّحسُّرِ والنَّدامةِ.

وقال[1] ابنُ بحرٍ: خرجَ الكلامُ مخرجَ السُّؤالِ والجوابِ، والمعنى معنى الإخبارِ؛ أي: يرِثُ عبادَه ما ملَّكهم في الدُّنيا، فلا يملكُ أحدٌ شيئًا إلا اللهُ الواحدُ القهّارُ[2].

---

(١) في (ن): «فقال».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٢٨)، واستغربه.

وقيل: هذا تخصيصٌ، كـ﴿مَلِكِ يومِ الدِّينِ﴾.

* * *

(١٧) ـ ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾.

﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۚ﴾: عمِلَتْ في الدُّنيا من خيرٍ وشرٍّ ﴿لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ لا يشغلُه واحدٌ عن واحدٍ، وقد سبقَ.

* * *

(١٨) ـ ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَـٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾.

﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ﴾ الآزِفةُ: صفةُ القيامةِ، أو المُجازاةُ، وأزِفَ الشَّيءُ: دَنا.

وقيل: ﴿يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ﴾: يومَ الموتِ وقتَ خُروجِ الرُّوحِ.

﴿إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ﴾؛ أي: التَّراقي، يُريدُ فارَقَتْ قلوبُهم أماكنَها خوفًا، فصارَتْ في حُلوقِهم؛ فلا هي تعودُ إلى أماكنِها، ولا هي تخرُجُ فتستريحَ.

﴿كَـٰظِمِينَ﴾ سُكوتًا لا معذرةَ لهم، والكاظِمُ: المُمْسِكُ للشَّيءِ على ما فيه.

وقيل: حابسينَ الكلامَ والرَّبوَ[1] وكلَّ ما يخرُجُ منَ الجوفِ.

وقيل: مُردِّدينَ حُزنَهم في أجوافِهم كجِرَّةِ البعيرِ.

وقيل: باكين، وقيل[2]: مغمومينَ.

وهو نصبٌ على الحالِ من ﴿أنذِرْهُم﴾.

---

(١) في (ف): «والزبور»، والرَّبو: ريح يخرج من الجوف، وهو النَّفس. انظر: «غريب الحديث» لابن قتيبة (٣/ ٧٤٤).

(٢) «وقيل» من (ف).

وقيل: حالٌ عن ﴿ٱلْقُلُوبُ﴾ محمولٌ على أصحابِها[١].

﴿مَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ﴾: قريبٍ ينفعُ ﴿وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ يُجابُ إلى شفاعتِه، والمعنى: ليس لهم شفيعٌ فيُجابَ[٢].

***

(١٩) ـ ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾.

﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ﴾ يُريدُ: النَّظرةَ الثّانيةَ إلى المُحرَّمِ؛ فإنَّ النَّظرةَ الأولى إذا لم تكُنْ من عمدٍ معفوٌّ عنها.

وقيل: هي إيماءُ الرَّجلِ بعينِه إلى بعضِ مَن بحضرتِه يستُرُه عن غيرِه.

وقيل: لحظُ العَينِ إلى ما نُهِيَ عنه.

وقيل: مُسارقةُ النَّظرِ.

وقيل: الرَّمزُ بالعينِ على وجه العيبِ.

وقيل: هو قولُ الإنسانِ: «رأيتُ» ولم يرَ، و: «ما رأيتُ» ورأى[٣].

والخائنةُ والخيانةُ مصدرانِ، كالكاذِبةِ والخاطِئةِ.

وقيل: عيونًا خائنةً، ونسبةُ الخيانةِ إلى العينِ توسُّعٌ.

﴿وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾: ما يُسِرُّ الإنسانُ من أمانةٍ أو خيانةٍ.

وقيل: الوسوسةُ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٢٨)، واستغربه.

(٢) في (ف): «ليجاب».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٢٩)، واستغربه.

ابنُ عبّاسٍ: ما تُخفي الصُّدورُ بعد النَّظرِ إليها: أيزني بها أم لا[١]؟ والمُرادُ القلوبُ، وسُمِّيت الصُّدورَ لأنَّها فيها.

* * *

(٢٠) ـ ﴿وَٱللَّهُ يَقْضِي بِٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

﴿وَٱللَّهُ يَقْضِي بِٱلْحَقِّ﴾: بالعدلِ، ويجزي المُحسِنَ والمُسيءَ.

﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ﴾؛ أي: ليسوا بأهلِ القضاءِ أصلًا.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ متَّصلٌ بقولِه: ﴿خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي ٱلصُّدُورُ﴾.

* * *

(٢١) ـ ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ﴾؛ أي: آخرُ أمرِ الذين كذَّبوا الرُّسلَ قبلَهم.

﴿كَانُوا۟ هُمْ﴾ ﴿هُمْ﴾ عمادٌ وفصلٌ، ويجوزُ أن يكونَ تأكيدًا للضَّميرِ الذي هو اسمُ ﴿كَانَ﴾.

﴿أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾: بطشًا وقُدرةً، وقُرِئَ: ﴿منكم﴾[٢] على تلوينِ الخطابِ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٣٠٣)، وروى عنه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٧٢٢٨) قال: «الرجل يكون في القوم فتمر بهم المرأة، فيريهم أنه يغض بصره عنها، فإن رأى منهم غفلة نظر إليها، فإن خاف أن يفطنوا به غض بصره عنها، وقد اطلع الله من قلبه أنه ود أنه نظر إلى عورتها».

(٢) قرأ بها ابن عامر الشامي والباقون: ﴿منهم﴾ بالهاء. انظر: «السبعة» (ص: ٥٦٩)، و«التيسير» (ص: ١٩١).

﴿وَءَاثَارًا فِي ٱلْأَرْضِ﴾: أكثرَ أعمالاً ومدائنَ وأبنيةً.

وقيل: أشدَّ لها طلبًا وأبعدَ غايةً.

وقيل: المشيُ فيها بالأرجُلِ.

ابنُ عيسى: الأثرُ حديثٌ يظهرُ به أمرٌ.

﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾: عاقبَهم بسببِ ذنوبِهم ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ﴾ مانعٍ يمنعُهم منَ العذابِ.

* * *

(٢٢) ـ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُواْ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ قَوِيٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾ الأخذُ ﴿بِأَنَّهُمْ﴾: بسببِ أنَّهم ﴿كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: بالدَّلالاتِ الواضِحاتِ، وقيل: بالأمرِ والنَّهيِ.

﴿فَكَفَرُواْ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ﴾ كرَّرَ ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ﴾ لبيانِ علّةِ الأخذِ.

﴿إِنَّهُۥ قَوِيٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾.

* * *

(٢٣ ـ ٢٤) ـ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُواْ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ التِّسعِ ﴿وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ حجَّةٍ قاهرةٍ للباطلِ مُتسلِّطةٍ عليه ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُواْ سَٰحِرٌ﴾؛ أي: موسى ساحرٌ ﴿كَذَّابٌ﴾.

* * *

(٢٥) - ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾.

﴿ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ﴾ أعادَ القتلَ عليهم كالذي كانَ أوَّلًا، وكانَ أمسَكَ عن قتلِهم.

وقيل: أعادَ القتلَ لأنَّه قيلَ له: إنَّ ملكَكَ يزولُ بسببِ غلامٍ سيولَدُ بعدُ، وليس ذلك موسى، ولا منَ الذينَ معه منَ الرِّجالِ.

قال أبو القاسمِ: الآيةُ تدلُّ على أنَّه أمرَ بذبحِ الأبناءِ بعد مجيءِ موسى عليه السَّلامُ.

﴿وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ ﴾ للخدمةِ وغيرِها، وكان يُزوِّجُ بناتِهم منَ القِبْطِ.

﴿وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ عمَّمَ الإخبارَ فتضمَّنَ إبطالَ كيدِ فرعونَ وجنودِه.

❋ ❋ ❋

(٢٦) - ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴾.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ ﴾ قال هذا بعدَ قولهم له: ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ ﴾ [الأعراف: ١١١].

وقيل: كانوا يزعُمونَ أنَّ موسى ساحرٌ؛ فإنْ قتلَه فرعونُ هلكَ، فمنعوه عن قتلِه.

وقيل: خوَّفوه من قتلِه وقالوا: لا تأمَنْ أن نعجزَ أو ينالَنا من إلهه وعصاه مكروهٌ.

وقيل: معنى ﴿ذَرُونِي أَقْتُلْ ﴾: أشيرُوا عليَّ بقتلِه.

﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ﴾ فإنَّه لا يُجابُ، وليستَعِنْ ربَّه فإنَّه لا يُعانُ.

وقيل: ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ﴾ فإنَّه لا يجيءُ من دُعائِه شيءٌ؛ لأنَّه يدعو ما لا حقيقةَ له.

﴿إِنِّىٓ أَخَافُ﴾ إنْ لم أقتُلْه ﴿أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾: عبادتَكم.

وقيل: يُغيِّرَ أمرَكم الذي أنتم عليه.

وقيل: دينكم الحقَّ بدينِه الباطلِ.

﴿أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾: المُحاربةَ والقتالَ.

وقيل: الفسادُ: عبادةُ غيرِ فرعونَ بزعمِ فرعونَ.

وقيل: الفسادُ: أن يقتُلَ أبناءَكم ويستحيِيَ نساءَكم كما استحيَيْتُم نساءَهم.

قُرِئَ بالواوِ؛ أي: أخافُ هذَين الأمرَين، وقُرِئَ بـ(أو)[1]؛ أي: أحدَ هذَين غيرَ معيَّنٍ.

* * *

(٢٧) ـ ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ قال موسى: اعتَصَمْتُ بالله من شرِّكِ وشرِّ أمثالِكَ.

ومعنى ﴿لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾: لا يعتقِدُ البعثَ والجزاءَ على الأعمالِ.

* * *

---

(١) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر بالواو، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي: ﴿أَو أَن﴾ بألف قبل الواو. انظر: «السبعة» (ص: ٥٦٩)، و«التيسير» (ص: ١٩١).

(٢٨) - ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾.

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ﴾ في ﴿مِّنْ﴾ قولانِ:

أحدُهما: أنَّه متَّصلٌ بالكِتمانِ، قيل: وكان يكتُمُ إيمانَه منهم مئةَ سنةٍ، ولم يكُنْ من آلِ فرعونَ مُؤمنٌ أصلًا.

والثّاني: أنَّه صفةٌ للرَّجلِ، قيل: وكانَ ابنَ عمِّ فرعونَ.

وقيل: كان زوجَ ماشطةِ ابنةِ فرعونَ. وليس بين هذَين القَولَين مُنافاةٌ.

وقيل: كان أمُّه من بني إسرائيلَ.

السُّدِّيُّ: هو الذي قال لموسى: ﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾ [القصص: ٢٠][(١)].

وإنَّ اسمَه حبيبٌ. وقيل: سمعانُ. وقيل: خِرْبِيْلُ.

﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا﴾: أتقصِدُونَ قتلَ رجلٍ؟ استفهامُ إنكارٍ.

﴿أَن يَقُولَ﴾: لأجلِ أن يقولَ: ﴿رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾؛ أي: المُعجزاتِ.

﴿وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ﴾: فعلَيه وَبالُ كذبِه ﴿وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾؛ أي: يُصِبْكُم ما يتوعَّدُكم منَ العذابِ، و﴿بَعْضُ﴾ صلةٌ[(٢)].

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٥٢)، وذكره يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٥٨٥) عن قتادة.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٢٩)، واستغربه.

وقيل: ﴿بَعْضُ﴾ في معنى: كلٍّ[١]، قال:

أو يَرْتَبِطْ بعضَ النُّفوسِ حِمامُها[٢]

وقيل: ﴿بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾ وفي البعضِ: هلاكُكُم[٣].

وقيل: قال لهم: إنْ آمنتُم أثابَكم الله، وإن كفرتُم عاقبَكُم، فالعقوبةُ بعضُ ما وعدَ.

وقيل: وعدَهُم عذابَ الدُّنيا والآخرةِ، والبعضُ: عذابُ الدُّنيا.

وقيل: ﴿بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾ ابتداءً، ثمَّ يتواترُ.

وقيل: توعَّدَهم أشياءَ منَ العذابِ على أشياءَ منَ المعاصي، فالبعضُ في مُقابلةِ البعضِ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ قال بعضُهم: هذا من تمامِ كلامِ المؤمنِ، وعنى به فرعونَ.

وقيل: أوهَمَ أنَّه يعني بالمُسرِفِ موسى، وهو يعني به فرعونَ.

وقال بعضُهم: هذا استئنافُ كلامٍ منَ الله.

والمُسرِفُ: المُتجاوِزُ الحدِّ في المعصيةِ، وقيل: السّافكُ للدِّماءِ.

---

(١) ذكره أبو بكر الأنباري في «الأضداد» (ص: ١٨١)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٢٩)، واستغربه.

(٢) عجز بيت للبيد من معلقته، وصدره:

تـرَّاكُ أمْكنَـةٍ إذا لم أَرْضَها

انظر: «ديوان لبيد» (ص: ١١٣)، و«مجاز القرآن» (٢/ ٢٠٥).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٢٩)، وعده من العجائب.

(٢٩) ـ ﴿يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾.

﴿يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ﴾: مُستَعْلين غالبينَ ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: أرضِ مصرَ، وهذا من كلامِ المُؤمنِ لفرعونَ وملئِه.

﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ﴾: عذابِه ﴿إِن جَآءَنَا﴾: حلَّ بنا؟ أضافَهم إلى نفسِه ليكونَ أدعى للقَبولِ.

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ﴾ منَ الهدى ﴿إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾.

وقيل: ما آمرُكُم إلّا ما رأيتُ لنفسي أنَّه حقٌّ وصوابٌ.

﴿وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ إلّا طريقَ الهدى والرُّشدِ.

وقيل: الرَّشادُ: اسمٌ من أسماءِ أصنامِه، حكاه الفقيهُ أبو اللَّيثِ رحمَه الله[1].

* * *

(٣٠ ـ ٣١) ـ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ۝٣٠ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ﴾ هذا من كلامِ المؤمنِ، وعليه الجمهورُ.

قال أبو عليٍّ: هو من كلامِ موسى، وهو المعنيُّ بقولِه: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ﴾.

﴿يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم﴾ في تكذيبِه ﴿مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ﴾: مثلَ عذابِ الأممِ الخاليةِ ﴿مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ﴾: عذابِ قومِ نوحٍ، وقيل: عادةِ قومِ نوحٍ.

---

(١) انظر: «تفسير السمرقندي» (٣/ ٢٠٤)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٢٩)، وعده من العجائب.

﴿وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ﴾: لا يُعاقِبُ بغيرِ ذنبٍ، وهذا تخويفٌ من عذابِ الدُّنيا، ثمَّ خوَّفَهم عذابَ الآخرةِ فقال:

* * *

(٣٢) - ﴿وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ﴾.

﴿وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ﴾؛ أي: عذابَ يومِ التَّنادِ، وهو يومُ القيامةِ؛ أي: يُنادي بعضُهم بعضًا.

وقيل: هو من قولِه: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ [الأعراف: ٥٠]، ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٤٤]، ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ﴾ [الأعراف: ٤٨].

وقيل: هو دُعاؤُهم إلى المحشرِ.

وقيل: يُنادي المنادي بالسَّعادةِ والشَّقاوةِ: ألَا إنَّ فلانًا قد سعِدَ سعادةً لا يشقى بعدها أبدًا، ألَا إنَّ فلانًا قد شقِيَ شقاوةً لا يسعَدُ بعدَها أبدًا.

* * *

(٣٣) - ﴿يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ﴾.

﴿يَوۡمَ تُوَلُّونَ﴾؛ أي: عن الموقفِ ﴿مُدۡبِرِينَ﴾ إلى النّارِ.

وقيل: يومَ النَّفخِ.

وقُرِئَ في الشَّواذِّ: (التَّنادِّ) من ندَّ البعيرُ[1].

﴿مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾: من عذابِ الله ﴿مِنۡ عَاصِمٖ﴾: مانعٍ ودافعٍ.

---

(١) نسبت لابن عباس والضحاك. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ١٣٣)، و«المحتسب» (٢/ ٢٤٣).

﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾: مُرشدٍ ولا عاصمٍ[(١)].

* * *

(٣٤) - ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾.

﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: أنَّه يوسفُ بنُ يعقوبَ، وفرعونُ موسى هو فرعونُ يوسفَ[(٢)].

وفي بعضِ التَّفاسيرِ: ماتَ لفرعونَ فرسٌ قيمتُه ألوفٌ، فدعا يوسفُ، فأحياه الله، وفيه أيضًا: كسفَتِ الشَّمسُ فدَعا يوسفُ، فكشفَها الله، فآمنَ به فرعونُ، ثمَّ عادَ إلى الكفرِ بعد موتِ يوسفَ.

والثَّاني: هو يوسفُ بنُ إبراهيمَ بنِ يوسفَ بنِ يعقوبَ، أقامَ فيهم عشرينَ سنةً، قالَه ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما[(٣)].

الثَّالث: قال النَّقَّاشُ في «تفسيرِه»: إنَّ الله تعالى بعثَ إليهم رسولًا منَ الجنِّ اسمُه يوسفُ، وأورَدَه أقضى القُضاةِ أيضًا[(٤)].

---

(١) «ولا عاصم»: ليست في (ف).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٣٠)، واستغربه.

(٣) لم أجده عن ابن عباس، وذكره دون نسبة مكي في «الهداية» (١٠/ ٦٤٣١)، والزمخشري في «الكشاف» (٤/ ١٦٦)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٤/ ٥٥٩).

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٥٥) نقلًا عن النقاش منسوباً للضحاك. وقال السمعاني في «تفسيره» (٥/ ١٩): «وهذا قول ضعيف، والصحيح هو الأول؛ لأنه أطلق ذكر يوسف، فينصرف إلى يوسف المعروف»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٣٠)، واستغربه.

﴿مِن قَبْلُ﴾: من قبلِ موسى، وقيل: من قبلِ المُؤمنِ.

﴿بِالْبَيِّنَٰتِ﴾ مَن حملَه على يوسفَ بنِ يعقوبَ قالَ: البيِّناتُ تعبيرُه الرُّؤيا، ومَن حملَه على غيرِه فالمُرادُ المُعجِزاتُ.

﴿فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ﴾؛ أي: ماتَ ﴿قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا﴾؛ أي: أحدًا يدَّعي الرِّسالةَ.

وقيل: معناه: انقطَعَ عنكم الرُّسلُ بعد يوسفَ زمانًا طويلًا.

﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾: مشركٌ ﴿مُّرْتَابٌ﴾: شاكٌّ.

وقيل: مُسرفٌ لقولِه: ﴿لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا﴾.

* * *

(٣٥) - ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ﴾: عظُمَ بُغْضًا عندَ الله ﴿وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ قُرِئَ بالتَّنوينِ وبالإضافةِ[1]؛ فمَن نوَّنَ جعلَ التَّقديرَ: كلُّ قلبٍ مُتكبِّرٍ جبَّارٍ صاحبُه.

ومَن أضافَ جعلَ التَّقديرَ: على قلبِ كلِّ مُتكبرٍ جبّارٍ، كما جاءَ: فلانٌ يصومُ كلَّ يومِ جمعةٍ؛ أي: يومَ كلِّ جمعةٍ.

وقيل: تقديرُه: على كلِّ قلبِ كلِّ مُتكبِّرٍ جبّارٍ[2].

---

(١) قرأ أبو عمرو وابن ذكوان: ﴿قلبٍ﴾ بالتنوين، والباقون بترك التنوين. انظر: «السبعة» (ص: ٥٧٠)، و«التيسير» (ص: ١٩١).

(٢) أي: يطبع على جملة قلب جميع المتكبرين. انظر: «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٣٠).

(٣٦) ـ ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴾.

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ﴾ وكانَ وزيرًا له[١].

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: لـم يكُنْ مِنَ القِبْطِ ولا من بني إسرائيلَ[٢].

﴿ٱبْنِ لِى صَرْحًا ﴾: بناءً عاليًا، منَ التَّصريحِ، وهو الإظهارُ.

وقيل: مجلسًا.

وقيل: بناءً بالآجرِّ، فبَناه بالآجرِّ[٣]؛ لقولِه: ﴿فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا ﴾.

وقيل: شُغِلَ بالآياتِ التِّسعِ من بناءِ الصَّرحِ.

﴿لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴾.

* * *

(٣٧) ـ ﴿أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴾.

﴿أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: منزِلَ السَّماءِ[٤].

وقيل: أبوابَ السَّماواتِ.

وقيل: طُرُقَها.

---

(١) في (ف): «وزيره».

(٢) لم أقف عليه، وفي «تفسير ابن عطية» (٤/ ٣١٧): «وهو من القبط»، وفيه (٤/ ٥٦٠): «وروي أن هامان لم يكن من القبط، وقيل: كان منهم»، وقال الجرجاني في «درج الدرر» (٣/ ١٣٥٣): «ولم يبلغنا من نسبته ما نعتمد عليه».

(٣) «فبناه بالآجر»: ليست في (ف).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٣٢٦)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٢٥٠).

وقيل: لعلِّي أتسبَّبُ إلى مُرادي.

﴿فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾: فأصِلَ إليه.

الحسنُ: أرادَ التَّلبيسَ على الضَّعفةِ مع علمِه باستحالةِ ذلك[1].

والجمهورُ على أنَّه قصدَ ببنائِه الصُّعودَ إلى السَّماءِ ورُؤيةَ إلهِ موسى سُبحانَه، وجَهْلُه حَمَلَه على ذلك.

وقال بعضُهم: أرادَ بناءَ رَصَدٍ في موضعٍ عالٍ يرصُدُ منه الكواكبَ، وكانَ فرعونُ يعبُدُ الشَّمسَ ويعتقدُ أنَّ الشَّمسَ قد استجابَتْه فملَّكَتْه[2]، وقد سبقَ.

قُرِئَ: ﴿فأطَّلعُ﴾ بالرَّفعِ عطفًا على ﴿أَبْلُغُ﴾، وبالنَّصبِ على جوابِ (لعلَّ)[3].

﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ﴾ يعني: موسى ﴿كَٰذِبًا﴾ في قولِه: له[4] إلهٌ غيري.

وقيل: معنى (أظنُّ): أتيقَّنُ.

﴿وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾؛ أي: زيَّنَ الشَّيطانُ ذلك له وصدَّه.

وقُرِئَ بالفتحِ[5]، فيجوزُ أن يكونَ لازمًا، ويجوزُ أن يكونَ مُتعدِّيًا، والفعلُ

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٥٦)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٣٠)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٣٠)، وعده من العجائب.

(٣) قرأ حفص: ﴿فأطلع﴾ بالنصب، والباقون بالرفع. انظر: «السبعة» (ص: ٥٧٠)، و«التيسير» (ص: ١٧٢).

(٤) «له» من (ف).

(٥) ذكره الزمخشري في «الكشاف» (٤/ ١٦٧)، وأبو حيان في «البحر المحيط» (١٨/ ٤٢٨).

لفرعونَ؛ أي: صدَّ النّاسَ عن الإيمانِ، ويجوزُ أن يكونَ الفاعلُ هو الله؛ أي: صدَّه الله عن إبطالِ أمرِ موسى، وقيل: في بناءِ الصَّرحِ.

﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴾: خَسارٍ وهلاكٍ، من قولِه: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾.

***

(٣٨) ـ ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾.

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ ﴾ ذهبَ أبو عليٍّ إلى أنَّه موسى عليه السَّلامُ.

غيرُه: مؤمن آلِ فرعونَ.

﴿ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾: طريقَ السَّعادةِ وصلاحِ الأمرِ، والرَّشادُ والرُّشدُ واحدٌ.

***

(٣٩) ـ ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴾.

﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ﴾ انتفاعٌ يسيرٌ ﴿وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴾: المحلُّ الذي يُستقَرُّ فيه.

***

(٤٠) ـ ﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾.

﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ لا مكيالَ فيها ولا ميزانَ.

***

(٤١) ـ ﴿وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ﴾.

﴿وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ﴾ أي: إلى الجنّةِ ﴿وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ﴾.

ويحتملُ أنَّ التَّقديرَ: أدعوكُم إلى النَّجاةِ والجنّةِ وتدعونَني إلى الهلاكِ والنّارِ، فاكتَفى بذكرِ أحدِهما من كلِّ طرفٍ.

وهو استفهامُ إنكارٍ، ثمَّ أوضحَ كيفيّةَ دُعائِهم إيّاه إلى النارِ فقال:

***

(٤٢) ـ ﴿تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ﴾.

﴿تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ﴾؛ أي: ما لا يصحُّ أن يُعلَمَ.

وقيل: ما ليس لي به علمٌ أنّه إلهٌ، ثم بيَّن ما يدعو هو إليه فقالَ:

﴿وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ﴾ وهو الله عزَّ اسمُه.

***

(٤٣) ـ ﴿لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَا فِي ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾.

﴿لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ﴾ ﴿لَا﴾ ردٌّ لكلامِهم، و﴿جَرَمَ﴾ بمعنى: وجَبَ.

وقيل: معنى ﴿لَا جَرَمَ﴾: حقًّا.

وقيل: معناه: لا بدَّ، وقد سبقَ في (هودٍ).

﴿لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِي ٱلدُّنْيَا﴾؛ أي: ليس له استجابةُ دعوةٍ.

وقيل: ليس له دعوةٌ تجبُ بالإلهيّةِ في الدُّنيا ﴿وَلَا فِي ٱلْءَاخِرَةِ﴾.

وقيل: لا يعودُ على مَن عبدَه خيرٌ؛ لا في الدُّنيا، ولا في الآخرةِ.

وقيل: ليس له شفاعةٌ في الدُّنيا ولا في الآخرةِ.

وقيل: معناه: ليس هو شيءٌ.

﴿وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾: مرجِعَنا بعد الموتِ إليه ﴿وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾: المشركينَ.

وقيل: الذين يقتُلونَ بغيرِ حقٍّ.

﴿هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾: مُلازِمُوها.

***

(٤٤) ـ ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾.

﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ﴾ منَ النَّصيحةِ عند نزولِ العذابِ، وقيل: في الآخرةِ.

﴿وَأُفَوِّضُ﴾: أُسلِّمُ ﴿أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ لا أشتغِلُ بمُحاربتِكُم.

وقيل: أتوكَّلُ على الله.

وقيل: أُشهِدُ عليكم اللهَ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾؛ أي: بأعمالِهم ومصيرِهم.

***

(٤٥) ـ ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾.

﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟﴾ الضَّميرُ يعودُ على موسى عليه السَّلامُ، ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ﴾ يُريدُ: فرعونَ وجنودَه، وقيل: شخصَه ﴿سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾: الغرقُ.

وقيل: الضَّميرُ في ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ يعودُ إلى المؤمنِ، خرجَ من عندِهم هاربًا

إلى جبلٍ، فأرسلَ في طلبِه، فوجدُوه قائمًا يصلِّي والوحوشُ صفوفٌ عندَه، فرُعِبَ الطَّلَبُ منه رُعبًا شديدًا، فرجعوا فقتلَهم فرعونُ[1]، وهو قولُه: ﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ﴾، أي: قَتْلُ فرعونَ إيّاهم، وقيل: الغرَقُ أيضًا.

***

(٤٦) ـ ﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴾.

﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا ﴾ ﴿ ٱلنَّارُ ﴾ بدلٌ من ﴿سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ﴾. وقيل: هو النّارُ[2].

وقيل: ﴿ ٱلنَّارُ﴾ مبتدأٌ، خبرُه: ﴿يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا﴾.

﴿غُدُوّٗا﴾ مصدرُ (غدَا)، وجعلَه هاهنا ظرفًا، ﴿وَعَشِيّٗا﴾؛ أي: يُعذَّبون دائمًا، كقولِه: ﴿وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا﴾.

وقيل: هو ما رَوَى ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: أنَّ أرواحَهُم في أجوافِ طيرٍ سودٍ تُعرَضُ على النّارِ بُكرةً وعشيًّا إلى يومِ القيامةِ[3].

وفي هذه الآيةِ أدلُّ دليلٍ على عذابِ القبرِ؛ لقولِه: ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾؛ لأنَّ المعطوفَ غيرُ المعطوفِ عليه.

وقيل: يُعرَضُون في الآخرةِ، والقولُ ما ذكرتُ.

وقيل: هذا منَ المقلوبِ؛ أي: النّارُ تُعرَضُ عليهم[4].

---

(١) قطعة من حديث طويل رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ٣٣٦ ـ ٣٤٠)، ومن طريقه البغوي في «تفسيره» (٨/ ٤١٩). وفيه أن الطلب كان اثنين، وأن فرعون قتل أحدهما وكان كافراً، ونجا الآخر وهو الذي آمن تأثراً بحال المؤمن. وفي إسناده إسحاق بن بشر، وهو كذاب متروك.

(٢) فـ(النار) خبر لمبتدأ محذوف على هذا.

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٦٨٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٦٧).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٣١)، وعده من العجائب.

﴿أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾ مَن قرأ بالوصلِ نصبَ ﴿ءَالَ فِرۡعَوۡنَ﴾ على النِّداءِ، ومَن قطعَ نصبَه على المفعولِ به[1]، و(يُقالُ) مُضمَرٌ في القراءتَين.

و﴿أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾ قيل: أسفلَ العذابِ، وقيل: أشدَّ منَ العذابِ الذي كانُوا فيه.

* * *

(٤٧) - ﴿وَإِذۡ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا نَصِيبٗا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾.

﴿وَإِذۡ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ﴾: يتخاصَمُ الضُّعفاءُ والرُّؤساءُ ﴿فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ﴾ يعني: الرؤُساء: ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا﴾ في دينِكم في الدُّنيا.

﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ﴾: دافِعون، وقيل: حامِلون.

﴿عَنَّا نَصِيبٗا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾؛ أي: بعضَ الذي علينا.

و(التَّبعُ) مصدرٌ، ويجوزُ أن يكونَ جمعَ تابعٍ.

* * *

(٤٨) - ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُلّٞ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ حَكَمَ بَيۡنَ ٱلۡعِبَادِ﴾.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ﴾؛ أي: الرُّؤساءُ للضُّعفاءِ: ﴿إِنَّا كُلّٞ فِيهَآ﴾: نحنُ وأنتم، فلا يُغني واحدٌ عن واحدٍ.

ابنُ بحرٍ: معناه: لو قدَرْنا أن نُغنيَ عنكم لأغنَينا عن أنفُسِنا.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ حَكَمَ﴾: قضى ﴿بَيۡنَ ٱلۡعِبَادِ﴾: بين التّابعِ والمتبوعِ.

---

(١) قرأ بها نافع وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وشعبة عن عاصم بوصل الهمزة وضم الخاء. انظر: «السبعة» (ص: ٥٧٢)، و«التيسير» (ص: ١٩٢).

وقيل: حكمَ فأنزَلَنا منازِلَنا وأنزَلَكم منازِلَكم.

و﴿كُلٌّ﴾ رفعٌ بالابتداءِ، ولا يجوزُ أن يكونَ تأكيدًا؛ لأنَّه إذا اختُزِلَتْ عنه الإضافةُ لا يُؤكَّدُ به، ولا يُوصَفُ به.

* * *

(٤٩) ـ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ﴾ إذا اشتدَّ الحالُ عليهم ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ﴾: سَلُوه بدُعائِكم ﴿يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا﴾ من أيّامِ الدُّنيا ﴿مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾: منَ النّارِ ونكالِها، فنستريحَ، فيُجيبُهم الخزنةُ:

* * *

(٥٠) ـ ﴿قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾.

﴿قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: بالبراهينِ والمُعجزاتِ؟

وقيل: ألم يُخبِرْكم الرسلُ أنَّ عذابَ جهنَّمَ مخلَّدٌ لا تخفيفَ فيه ولا انقطاعَ؟

﴿قَالُوٓا۟﴾؛ أي: الكفّارُ ﴿بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟﴾؛ أي: الخزنةُ ﴿فَٱدْعُوا۟﴾ أنتم ما شئتُم فلا استجابةَ لدُعائِكم، وقيل: هذا استهزاءٌ بهم.

﴿وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾: لا يُسمَعُ ولا يُجابُ.

يجوزُ أن يكونَ من كلامِ الخزنةِ، ويجوزُ أن يكونَ استئنافًا منَ الله.

* * *

(٥١) ـ ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾.

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا﴾ بالغلبةِ والحجَّةِ والانتقامِ منَ الكفرةِ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: وننصرُ المُؤمنينَ على سائرِ الأديانِ.

﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ بالغلبةِ والحجّةِ ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾؛ أي: ولهم الغلبَةُ في القيامةِ أيضًا حين يَحضرُ الشُّهودُ، فشهدَتْ للأنبياءِ بالتَّبليغِ، وللمُؤمنينَ بالتَّصديقِ، وللكافرينَ بالتَّكذيبِ.

والأشهادُ: جمعُ شاهدٍ وشهيدٍ.

الحسنُ: ﴿ٱلْأَشْهَٰدُ﴾: الرُّسلُ[1].

وقيل: هم الحفَظةُ.

***

(٥٢) ـ ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾.

﴿يَوْمَ﴾ بدلٌ منَ الأوَّلِ ﴿لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ﴾؛ أي: لا يُقبَلُ عُذرُهم.

﴿وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ﴾: السُّخطةُ ﴿وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ يعني: عذابَ جهنَّمَ.

***

(٥٣) ـ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ﴾؛ أي: التَّوراةَ ﴿وَأَوْرَثْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: أعطيناهم على لسانِ الرُّسلِ ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾؛ أي: التَّوراةَ والإنجيلَ والزَّبورَ.

***

---

(١) ورواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٣٦٨) عن الضحاك.

(٥٤) ـ ﴿هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾.

﴿هُدًى﴾ من الضَّلالةِ ﴿وَذِكْرَىٰ﴾: وموعظةً ﴿لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾: لذوي العقولِ.

* * *

(٥٥) ـ ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾.

﴿فَاصْبِرْ﴾ يا محمَّدُ على أذى المشركينَ ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بالنُّصرةِ ﴿حَقٌّ﴾ كائنٌ في الدُّنيا، وقيل: في الآخرةِ.

﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ هذه الآيةُ نزلَتْ قبلَ قولِه: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ﴾ الآية [إبراهيم: ١٠].

وقيل: واستغفِرْ من ذنبٍ إنْ كانَ منك.

وقيل: لذنبِ أمَّتِك.

وقيل: تُعُبِّدَ بالاستغفارِ ليصيرَ سنَّةً.

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾؛ أي: دائمًا.

وقيل: قبل صلاةِ اللَّيلِ وصلاةِ النَّهارِ.

الحسنُ: صلاتُه قبلَ فرضِ الصلاة[1] بمكَّةَ؛ ركعتانِ بكرةً وركعتانِ بالعشيِّ[2].

والباءُ للحالِ؛ أي: سبِّحْه حامِدًا.

---

(١) «صلاة الفرض»: ليست في (ف).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٦١).

وقيل: سبِّحْه بقولك: الحمدُ لله.

***

(٥٦) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ﴾ فيه قولانِ:

أحدُهما: أنَّها نزلَتْ في مُشركي مكّةَ، وأرادَ بالصُّدورِ القلوبَ، وبالكبرِ الحسدَ والأمرَ العظيمَ، كقولِه: ﴿وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ﴾ [النور: ١١] والمعنى: ما في صدورِهم إلّا عَظَمةٌ[١].

﴿مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ﴾؛ أي: ببالغي تلك العظمةِ؛ فإنَّ الله يخذُلهم.

وقيل: عظمَ كبرُهم حتَّى كأنَّه ما في صدورِهم إلّا كبرٌ.

والثّاني[٢]: أنَّها نزلَتْ في اليهودِ حين قالوا للنَّبيِّ ﷺ: إنَّ صاحبَنا المسيحُ بنُ داودَ = يعنُونَ: الدَّجّالَ.

الشَّعبيُّ: كنيتُه أبو يوسفَ.

ومَن رَوَى «المسِّيح» بالكسرِ والتَّشديدِ فغيرُ مرضيٍّ عندَ المُحدِّثين

= وإنَّه يخرجُ في آخرِ الزَّمانِ، فيبلغُ سلطانُه البرَّ والبحرَ، ويرُدُّ المُلكَ إلينا، وتسيرُ معه الأنهارُ، وهو آيةٌ من آياتِ الله، فأنزَلَ الله تعالى هذه الآيةَ، ثمَّ قالَ: ﴿فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ﴾؛ أي: من فتنةِ الدَّجّالِ ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[٣].

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٦١).

(٢) في (ف): «والأكثر».

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٣/ ٢١٥)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٣٢)، واستغربه.

(٥٧) - ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ فما لكم تُنكِرونَ البعثَ؟

وقيل: ﴿مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾؛ يعني: الدَّجّال، ردٌّ على اليهودِ حين عظَّموا أمرَه.

وعن أسماءَ بنتِ يزيدَ قالَتْ: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ قبلَ خروجِ الدَّجّالِ ثلاثَ سنين، أوَّلُ سنةٍ تُمسِكُ السَّماءُ ثُلثَ قَطْرِها، وتُمسكُ الأرضُ ثُلثَ نباتِها، والسَّنةُ الثّانيةُ تُمسِكُ السَّماءُ ثُلثَي قطرِها، وتُمسِكُ الأرضُ ثُلثَي نباتِها، والسَّنةُ الثّالثةُ تُمسِكُ السَّماءُ ما فيها، والأرضُ ما فيها، ويَهلِكُ كلُّ ذاتِ ضِرْسٍ وظِلْفٍ»[١].

وعن أبي أُمامةَ الباهليِّ رضي الله عنه قالَ: «خطَبَنا رسولُ الله ﷺ ذاتَ يومٍ، فكان أكثرَ خُطبتِه أن يُحدِّثَنا عن فتنةِ الدَّجّالِ، وأنَّ الله تعالى لـم يبعَثْ نبيًّا إلّا حذَّرَه أمَّتَه، وأنا آخر الأنبياء وأنتم آخرُ الأممِ، وهو خارجٌ فيكم لا محالةَ، فإنْ يخرُجْ وأنا فيكم فأنا حجيجُ كلِّ مسلمٍ، وإنْ يخرُجْ بعدي فكلُّ امرئٍ حجيجُ نفسِه، والله خليفَتي عن كلِّ مسلمٍ، إنَّه يخرجُ بين العراقِ والشّامِ فيعيثُ يمينًا وشمالًا، فيا عبادَ الله اثبُتوا؛ فإنَّه يبدأ فيقولُ: أنا نبيٌّ، ولا نبيَّ بعدي، ثمَّ يقولُ بعد ذلك: أنا ربُّكم، ولن ترَوا ربَّكم حتَّى تموتوا، وإنَّه أعورُ، وإنَّ ربَّكم ليس بأعورَ، وإنَّه مكتوبٌ بينَ عينَيه[٢]: كافرٌ، يقرؤه كلُّ مؤمنٍ، فمَن لقيَه منكم فليتفُلْ في وجهِه.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٢٧٥٦٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٤/ ١٥٨)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٣٤٥): «رواه أحمد والطبراني من طرق... وفيه شهر بن حوشب وفيه ضعف وقد وثق».

(٢) بعدها في (ن): «ك ف ر أي».

وإنَّ مـن فتنتِـه: أنَّ معـه جنةً ونارًا، فنـارُه جنَّةٌ وجنَّتُه نـارٌ، فمَن ابتُلـيَ بنارِه فيقرأ فواتـحَ سـورةِ الكهـفِ ويسـتغيثُ بـالله، فتكـونُ عليه بـردًا وسـلامًا كمـا كانت على إبراهيمَ عليه السَّـلامُ.

وإنَّ من فتنتِه: أنَّ معه الشَّياطينَ تتمثَّلُ على صورةِ النّاسِ، فيأتي الأعرابيُّ، فيقولُ: إنْ بعثْتُ لك أباكَ وأمَّكَ أتشهدُ أنِّي ربُّك؟ فيقولُ: نعم، فيتمثَّلُ له شياطينُه على صورةِ أبيه وأمِّه، فيقولانِ له: يا بنيَّ اتَّبِعْه؛ فإنَّه ربُّك.

وإنَّ من فتنتِه: أن يُسلَّطَ على نفسٍ فيقتُلَها ثمَّ يحييَها، ولن يعودَ لها بعد ذلك، ولا يصنعُ ذلك بنفسٍ غيرِها، فيقولُ: انظُروا إلى عبدي هذا فإنِّي بعثتُه الآنَ، ويزعمُ أنَّ له ربًّا غيري» =

مُقاتلُ بنُ سُليمانَ: الرَّجلُ الذي يُسلَّطُ عليه الدَّجَّالُ رجلٌ من خَثْعَمَ، فيبعثُه فيقولُ: مَن ربُّك؟ فيقولُ: ربِّي الله، وأنتَ الدَّجَّالُ عدوُّ الله(١).

وقيل: إنَّ النَّفسَ التي يُسلَّطُ عليه الدَّجَّالُ إلياسُ عليه السَّلامُ.

= «وإنَّ من فتنتِه: أن يقولَ للأعرابيِّ: أرأيتَ إنْ بَعَثْتُ لك إبلَكَ، أتشهدُ أنِّي ربُّك؟ فيقولُ: نعم، فيتمثَّلُ له الشَّياطينُ على صورةِ إبلِه.

وإنَّ من فتنتِه أن يمرَّ بالحيِّ فيُكذِّبوه فلا تبقَى لهم سائمةٌ إلا هلَكَتْ، ويمرَّ بالحيِّ فيُصدِّقونَه، فيأمرُ السَّماءَ أن تُمطرَ فتُمطرُ، ويأمرُ الأرضَ أن تُنبتَ فتُنبِتُ، فتروحُ لهم مواشيهم من يومِهم ذلك أعظمَ ما كانت وأسمنَه وأَدَرَّه ضُروعًا.

وإنَّ أيامَه أربعونَ يومًا؛ فيومٌ كالسَّنةِ، ويومٌ دونَ ذلك، ويومٌ كالشَّهرِ، ويومٌ دونَ ذلك، ويومٌ كالأسبوعِ، ويومٌ دونَ ذلك، ويومٌ كاليومِ، ويومٌ دونَ ذلك، ويومٌ يُصبحُ

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٣/ ٢٢٠) عن مقاتل بن حيان.

الرَّجلُ ببابِ المدينةِ فلا يبلُغُ بابَها الآخرَ حتَّى تغرُبَ الشَّمسُ»، قالوا: يا رسولَ الله، فكيفَ نُصلِّي في تلك الأيّامِ القِصارِ؟ قال: «تُقدِّرون فيها كما تُقدِّرونَ في هذه الأيام الطِّوالِ، ثمَّ تُصلُّونَ.

وإنَّه لا يبقى شيءٌ منَ الأرضِ إلا وطِئَه وغلبَ عليه، إلّا مكةُ والمدينةُ؛ فإنَّه لا يأتيهما من نَقْبٍ من أنقابِهما إلّا لقِيَه ملَكٌ مُصْلِتٌ بالسَّيفِ، حتَّى ينزلَ الكثيبَ الأحمرَ عندَ مُجتمعِ السُّيولِ عند مُنقطعِ السَّبخةِ، ثمَّ ترجُفُ المدينةُ بأهلِها ثلاثَ رجفاتٍ فلا يبقى منافقٌ ولا منافقةٌ إلا خرَجَ إليه، تنفي المدينةُ يومَئذٍ الخبثَ كما ينفي الكيرُ خبثَ الحديدِ، يُدعى ذلك اليومُ يومَ الخلاصِ».

فقيل: أين النّاسُ يومئذٍ؟ قال: «ببيتِ المقدسِ، يخرجُ حتَّى يُحاصرَهم، وأمامَ النّاسِ يومئذٍ رجلٌ صالحٌ، فيُصبحُ يومًا ويدخلُ صلاةَ الصُّبحِ، فينزلُ عيسى ابنُ مريمَ، فإذا رآه ذلك الرَّجلُ عرَفَه، فرجعَ يمشي القَهقَرى، فيتقدَّمُ عيسى عليه السَّلامُ، فيضعُ يدَه بين كتفَيه فيقولُ له: صلِّ فإنَّما أُقيمَتْ لك الصَّلاةُ، فيُصلِّي عيسى عليه السَّلامُ وراءَه، ثمَّ يقولُ: افتَحُوا البابَ، فيفتَحونَ البابَ ومع الدَّجّالِ يومَئذٍ سبعونَ ألفَ يهوديٍّ، كلُّهم ذو سلاحٍ وسيفٍ مُحلًّى، فإذا نظرَ إلى عيسى عليه السَّلامُ ذابَ كما يذوبُ الرَّصاصُ في النّارِ، والملحُ في الماءِ.

ثمَّ يخرُجُ فيقولُ له عيسى عليه السَّلامُ: إنَّ لي فيك ضربةً لن تفوتَني بها، فيُدرِكُه عند بابِ الشَّرقيِّ فيقتلُه، فلا يبقَى شيءٌ مما خلقَ الله تعالى يتوارَى به يهوديٌّ إلا أنطقَ الله ذلك الشَّيءَ، لا شجرٌ ولا حجرٌ ولا دابّةٌ إلا قال: يا عبدَ الله المسلمَ، هذا كافرٌ فاقتُلْه، إلّا الغرقدَ؛ فإنَّها من شجرِهم فلا ينطقُ.

ويكونُ عيسى عليه السَّلامُ حكَمًا عَدْلًا، وإمامًا مُقسِطًا، فيدُقُّ الصَّليبَ، ويقتلُ

الخنزيرَ، ويضعُ الجزيةَ، ويتركُ الصَّدقةَ فلا يسعى على شاةٍ ولا بقرةٍ، وتُرفعُ الشَّحناءُ والتَّباغُضُ، وتُنزعُ حُمَةُ كلِّ دابَّةٍ حتَّى يُدخِلَ الوليدُ يدَه في في الحنَشِ فلا يضرُّه، ويُلقَى الوليدُ الأسدَ فلا يضرُّه، ويكونُ في الإبلِ كأنَّه كلبُها، ويكونُ الذِّئبُ في الغنَم كأنَّه كلبُها، ويملأُ الأرضَ منَ الإسلامِ، ويسلُبُ الكفَّارَ مُلكَهم، ولا يكونُ الملكُ إلّا الإسلامَ، وتكونُ الأرضُ كفاثُورِ[١] الفضَّةِ ينبُتُ[٢] نباتُها كما كانَتْ على عهدِ آدمَ عليه السَّلامُ، ويجتمعُ النَّفرُ على الرُّمَّانةِ، ويكونُ الفرسُ بالدُّرَيهماتِ، ويكونُ الثَّورُ بالدَّراهمِ الكثيرة»[٣].

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنَّ الدَّجّالَ خلقٌ من خلقِ الله.

وقيل: لا يعلمون أنَّ الآخرةَ حقٌّ كائنٌ.

* * *

(٥٨) ـ ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾.

﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ﴾ (لا) زائدةٌ ﴿قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾: تتَّعِظونَ.

* * *

(١) الفاثور: الخوان. انظر: «النوادر» لأبي زيد (ص: ٣٥٦).

(٢) في (ف): «تنبت».

(٣) قطعة من حديث طويل رواه نعيم بن حماد في «الفتن» (١٥١٦)، وابن ماجه (٤٠٧٧)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٣/ ٢١٨ ـ ٢٢٢) واللفظ له، وروى بعضه الحاكم في «المستدرك» (٨٦٢٠) وصححه. وقال ابن كثير في «تفسيره» (٢/ ٤٠٩): « هذا حديث غريب جدًّا من هذا الوجه، ولبعضه شواهد من أحاديث أخر».

(٥٩) ـ ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ﴾: قيامَ السّاعةِ ﴿لَآتِيَةٌ﴾: كائنةٌ، ﴿لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾: لا شكَّ فيها عندَ المؤمنين، وقيل: لا تشُكُّوا فيها.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: لا يُصدِّقونَ.

***

(٦٠) ـ ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾.

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾: وحِّدوني أغفِرْ لكم، وقيل: ادعُوني فيما ينوبُكم منَ النَّوائبِ ويعرِضُ لكم منَ الحوائجِ أستجِبْ دُعاءَكم، وقد سبقَ في قولِه: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ﴾: يتكبَّرونَ ﴿عَنْ عِبَادَتِى﴾: توحيدي وطاعتي ﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾: صاغِرينَ.

***

(٦١) ـ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ﴾: خلقَ ﴿لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ﴾: لتستَريحوا من تعبِ النَّهارِ.

وقيل: تخلُوا بنفسِكُم فتُحاسِبُوها.

﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ قيل: مُضيئًا.

وقيل: يُبصِّرُكم المرئيَّاتِ.

وقيل: مُبصَرًا فيه، وقد سبق.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ بخلقِ اللَّيلِ والنَّهارِ، وقيل: لَذُو فضلٍ على الكافرينَ بتأخيرِ العذابِ.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ﴾ ابنُ هيضمٍ: جعلَ اللَّيلَ مُناسبًا للسُّكونِ منَ الحركةِ؛ لأنَّ الحركةَ على وجهَين: حركةُ طبعٍ وحركةُ اختيارٍ، وحركةُ الطَّبعِ منَ الحرارةِ، وحركةُ الاختيارِ منَ الخَطَراتِ المُتتابعةِ بسببِ الحواسِّ، فخلقَ اللَّيلَ باردًا ليُسكِّنَ الحركةَ مُظلمًا ليسدَّ الحواسَّ[1].

* * *

(٦٢) ـ ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾.

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ قيل: كلُّ شيءٍ يُباينُه.

وقيل: ﴿كُلِّ﴾ بمعنى: البعضِ.

وقيل: عامٌّ خُصَّ منه ما لا يدخلُ في الخلقِ.

﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾: تُصرفونَ عن الحقِّ، وقيل: تكذِّبون.

* * *

(٦٣) ـ ﴿كَذَٰلِكَ يُؤۡفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ﴾.

﴿كَذَٰلِكَ يُؤۡفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ﴾؛ أي: يُصرَفُ، وقيل: يُكذِّبُ.

* * *

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٣٣) واستغربه، وفيه: «... فخلق الليل بارداً لتسكن فيه الحركة...».

(٦٤) ـ ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ ﴾: خلقَ ﴿لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا ﴾: موضعَ استقرارٍ عليها وفيها ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً ﴾: سقفًا فوقكم.

﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ﴾ صورةُ الإنسانِ أحسنُ الصُّورِ.

﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾: اللَّذيذاتِ، وقيل: الحلالاتِ.

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

* * *

(٦٥) ـ ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ ﴾؛ أي: الحيُّ الذي لا يموتُ ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ ﴾: فاعبُدوه ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾؛ أي: مُوحِّدين ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾؛ أي هو الذي يجبُ أن يحمَدَه عبادُه.

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: إذا قُلتُم: «لا إلهَ إلا الله» فصِلُوه بـ«الحمدُ لله ربِّ العالمين»[1].

* * *

(٦٦) ـ ﴿قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

﴿قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾؛ أي: الأصنامَ ﴿لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى ﴾: هو القرآنُ، وقيل: العقلُ والوحيُ.

---

(١) لم أقف عليه، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٣٣).

﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: أستقيمَ وأنقادَ.

* * *

(٦٧) ـ ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾؛ أي: أطفالًا.

وقيل: واحدًا بعد واحدٍ.

وقيل: كلَّ واحدٍ منكم طفلًا.

﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟﴾؛ أي: ثمَّ يُبقيكم لتبلُغوا ﴿أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ﴾: يموتُ ﴿مِن قَبْلُ﴾ قبلَ بلوغِ الأشُدِّ.

وقيل: قبلَ كونِه شيخًا.

﴿وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى﴾: انقضاءَ الأجلِ، وقيل: أرادَ به القيامةَ.

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ وحدانيّةَ الله وقُدرتَه.

* * *

(٦٨) ـ ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾: أرادَ كونَ شيءٍ ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ سبق في (البقرة).

* * *

(٦٩) ـ ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴾.

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴾ ذكرُ الجدالِ مُكرَّرٌ في السُّورةِ في ثلاثِ[1] مواضعَ، فجازَ أن يكونَ في ثلاثةِ أقوامٍ أو ثلاثةِ أصنافٍ، وجاز أن يكونَ التَّكرارُ للتَّأكيدِ.

***

(٧٠ ـ ٧٢) ـ ﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾.

﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ ﴾ جمعَ بينَ (سوفَ) و(إذ) وبينَهما تضادٌّ؛ لأنَّ المتوقَّعَ في حكمِ الموجودِ، ولأنَّ أكثرَ ألفاظِ القيامةِ جاءَتْ بلفظِ الماضي تحقيقًا.

المُبرِّدُ: (إذ) صارَتْ زمانًا قبل (سوفَ)؛ لأنَّ العلمَ وقعَ منهم بعد ثُبوتِ الأغلالِ، والمعنى: علِموا مسَّ الأغلالِ الذي كانُوا وُعِدوه بعدَ أن حقَّ بالوجودِ، واستدلَّ بقولِ أبي ذُؤَيب:

فسوفَ تقولُ إذ هي لم تجِدْني ... أَخانَ العَهْدَ أم أَثِمَ الحليفُ[2]

لأنَّ القولَ كانَ بعدَ فقدِها[3].

﴿وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ﴾: يُجرُّونَ في الماءِ الحارِّ ﴿ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾؛ أي: يُعذَّبونَ مرّةً بهذا ومرّةً بهذا.

---

(١) كذا في النسختين، والجادة: «ثلاثة».

(٢) انظر: «ديوان الهذليين» (١/ ٩٩)، و«المحكم» (٣/ ٣٤٥)، و«لسان العرب» مادة: (ح ل ف)، ورواية الديوان: «إن هي» بدل «إذ هي».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٢٣)، واستغربه.

وقيل: يُعذَّبونَ بالماءِ الحارِّ ثمَّ يُحرَقُونَ بالنّارِ.

مُقاتلٌ: ﴿فِي ٱلْحَمِيمِ﴾ يعني: في حرِّ النّارِ.

و﴿السلاسلُ﴾ عطفٌ على ﴿ٱلْأَغْلَٰلُ﴾.

وقيل: رفعٌ بالابتداءِ، وما بعدَها خبرُه، والتَّقديرُ: يُسحَبُونَ بها في الحميمِ.

* * *

(٧٣ ـ ٧٤) ـ ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ﴾؛ أي: تقولُ لهم الخزنةُ: ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: الأصنامُ التي تعبُدونَها.

﴿قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا﴾: اشتغَلُوا بأنفُسِهم.

وقيل: ضاعُوا عنا ولم يصِلْ إلينا ما كنّا نرجوه منَ النَّفعِ والشَّفاعةِ.

﴿بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا﴾؛ أي: ندعو شيئًا يستحقُّ العبادةَ. هذا على قولِ مَن لم يُجوِّزْ أن يكونَ في القيامةِ كذبٌ. ومَن جوَّزَ قال: أنكَروا عبادتَهم الأصنامَ. والأوَّلُ أظهَرُ؛ لقولِهم: ﴿ضَلُّوا۟ عَنَّا﴾.

وقيل: لمَّا ذُمُّوا على إقرارِهم أنكَرُوا.

﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ قيل: عن الحجّةِ.

وقيل: عن الإيمانِ.

وقيل: عن طريقِ الجنّةِ.

* * *

(٧٥) ـ ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾.

﴿ذَٰلِكُم﴾؛ أي العذابُ ﴿بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ﴾: تبطَرونَ وتتكبَّرونَ ﴿فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾؛ أي: بالباطلِ ﴿وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾؛ أي: هذا جزاءُ فرحِكُم بتكذيبِ الأنبياءِ وأشَرِكم[1] وكفرِكُم لنِعَمِ الله واستهزائِكُم بالمؤمنين.

الفرحُ: السُّرورُ. والمرَحُ: البطرُ.

وقيل: الفرحُ: الشِّرك. والمرَحُ: العُدوانُ.

وقيل: الفرحُ: الإفراطُ في إظهارِ السُّرورِ. والمرَحُ: الخيَلاءُ والإعجابُ.

***

(٧٦) ـ ﴿ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾.

﴿ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾؛ أي: يُقالُ لهم: ﴿ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ﴾.

﴿فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾: بئس منزلُ مَن تكبَّرَ عن الإيمانِ جهنَّمُ.

***

(٧٧) ـ ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾.

﴿فَٱصْبِرْ﴾ يا محمَّدُ ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بهلاكِ الكفّارِ ﴿حَقٌّ﴾: كائنٌ.

﴿فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾ منَ العذابِ، وهو القتلُ والأسرُ، ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبلَ أن نُريَكَ عذابَهم في الدُّنيا، ﴿فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ في الآخرةِ، فنجزيهم بأعمالِهم.

***

---

(١) في (ن): «وشرككم».

(٧٨) ـ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ﴾؛ أي: أرسَلْنا إلى أُممِهم ﴿مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾ يعني: سمَّيناهُم لك فأنتَ تعرِفُهم، ﴿وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾؛ أي: لم نُسمِّهم لك، فصبَروا على أذى القومِ، فتأسَّ بهم واصبِرْ.

ذهبَ بعضُ المُفسِّرين إلى أنَّ الأنبياءَ معدودونَ، وأنَّ عددَهم مئةُ ألفٍ(١) وعشرونَ ألفًا.

وبعضُهم ذهبَ إلى أنَّ عددَهم ثمانيةُ آلافٍ.

وذهبَ بعضُهم إلى أنَّ عددَهم غيرُ معلومٍ، ولا يجوزُ حصرُهم، بل يجبُ الإيمانُ بجُملتِهم.

وعن عليٍّ رضي الله عنه أنَّه قال: بعَثَ الله نبيًّا أسودَ لم يقُصَّ علينا قصَّتَه. وفي روايةٍ: بعَثَ حبشيًّا عبدًا أسودَ(٢).

﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾؛ أي: بإذنِه له في الإتيانِ بالآيةِ، وإذنُه إيّاه: إعطاؤُه إيّاها وأمرُه بعرضِها، وذلك أنَّ كفَّارَ مكّةَ سألوا رسولَ الله ﷺ أن يأتيَهم بآيةٍ.

﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾؛ أي: بالعذابِ لهم ﴿قُضِيَ بِالْحَقِّ﴾؛ أي: أُهلِكوا.

---

(١) في (ف) زيادة: «وأربع».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٣٦٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١١٩)، والطبراني في «الأوسط» (٩٣١٩)، بلفظ: «بعث الله عبداً حبشيًّا نبيًّا، فهو الذي لم نقصص عليك»، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٠٢): «فيه جابر الجعفي وهو ضعيف».

وقيل: ﴿أَمْرُ اللَّهِ﴾: الساعةُ ﴿قُضِيَ بِالْحَقِّ﴾؛ أي: لـم يُظلَمُوا إذا عُذِّبوا.

ابنُ بحرٍ: ﴿أَمْرُ اللَّهِ﴾: الآيةُ التي اقترحُوها، ويقعُ الاضطرارُ عندَها.

﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾؛ أي: الكافرون. والمُبطِلُ: صاحبُ الباطلِ.

* * *

(٧٩) - ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾.

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ﴾: خلقَ لكم ﴿الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾؛ أي: لتركَبُوا بعضَها وتأكُلُوا بعضَها.

* * *

(٨٠) - ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾.

﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾؛ أي: الألبانُ والأوبارُ والأشعارُ.

﴿وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ﴾؛ أي: لتُسافِرُوا عليها.

وقيل: لتبلُغوا عليها ما تحتاجُونَ إليه منَ الأمورِ.

وقيل: هو من قولِه تعالى: ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ﴾ الآية [النحل: ٧].

﴿وَعَلَيْهَا﴾؛ أي: على الأنعامِ ﴿وَعَلَى الْفُلْكِ﴾: السُّفُنِ ﴿تُحْمَلُونَ﴾ قيل: من قولِ العربِ: حملتُ فلانًا على الفرسِ؛ إذا وهَبْتَ له فرَسًا.

* * *

(٨١) - ﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ﴾.

﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ وهي أكثرُ من أن تُحصَى، ﴿فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ﴾ أنَّها

ليس من عندِ الله. و(أيَّ) منصوبٌ بـ﴿تُنكِرُونَ﴾، ولو أثبتَّ الهاء رفعتَ، بخلافِ «أزيدًا ضربتَه؟»، فرَّق سيبويهِ بينهما[١].

***

(٨٢) ـ ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ﴾ فيما سلكُوه مـن سبُـلِهم ﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِنْهُمْ﴾ عددًا ﴿وَأَشَدَّ قُوَّةً﴾ فـي الأبدانِ والعددِ ﴿وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾: لـم يُغْنِ عنهم جميعُ ذلك شيئًا.

وقيل: ما أغنى عنهم؟ استفهامٌ، ومحلُّ (ما) نصبٌ.

***

(٨٣) ـ ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾؛ أي: أُعجِبُـوا بجهلِهـم، وظنُّـوه علمًـا، ولـم يلتفِتُـوا إلـى مـا آتاهـم الرُّسـلُ مـنَ العلمِ.

وقيل: علمُهم قولُـهم: لن نُبعَثَ ولن نُعذَّبَ.

وقيل: من قلَّةِ علمِهم رضُوا بما عندَهم.

وقيل: منَ العلمِ علمُ التِّجارةِ والصِّناعاتِ.

وقيل: فيه[٢] تقديمٌ وتأخيرٌ تقديرُه: فلما جاءَتهم رسلُهم بالبيِّناتِ منَ العلمِ فرِحُوا بما عندَهم وحاقَ[٣].

---

(١) انظر: «الكتاب» (١/ ١٠٥).

(٢) «فيه» من (ف).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٣٤)، واستغربه.

وقيل: فرِحُوا؛ أي: الرُّسلُ بما عندَهم منَ العلمِ بنَجاتِهم وهلاكِ الكفّارِ(١).

﴿وَحَاقَ بِهِم﴾: أحاطَ بهم ولزِمَهم ﴿مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾؛ أي: جزاءُ فعلِهم وقولِـهم.

* * *

(٨٤) - ﴿فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ﴾.

﴿فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا﴾: عاينُوا العذابَ ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ﴾ أي: تبرَّأنا منَ الأصنامِ.

* * *

(٨٥) - ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا﴾ لأنَّه إيمانُ إلجاءٍ واضطرارٍ.

﴿سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ﴾؛ أي: سنَّ الله سنَّةً بينَهم، وهي عذابُ الكفّارِ، وعدمُ الانتفاعِ بالإيمانِ وقتَ البأسِ.

﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾: هلَكَ عند ذلك المُكذِّبون.

وقيل: تبيَّنَ لهم خُسرانُهم إذا رأوا العذابَ.

* * *

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٣٤)، وعده من العجائب.

سُورَةُ فُصِّلَت

سورةُ حم السَّجدة

أربعٌ وخمسونَ آيةً[1]، مكِّيَّةٌ.

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿حمٓ﴾.

﴿حمٓ﴾ اسمُ السُّورةِ، وسُمِّيت هذه السُّوَرُ السَّبعُ «حم» على الاشتراكِ في الاسمِ، لِمَا بينهنَّ منَ التَّشاكُلِ الذي اختَصَّتْ به، وهو أنَّ كلَّ واحدةٍ منها استُفتِحَتْ بالكتابِ، أو صفةِ الكتابِ، مع تقارُبِ المقاديرِ في الطُّولِ والقِصَرِ، وتشاكُلِ الكلامِ في النِّظامِ.

(٢) ـ ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾؛ أي: نزلَ به جبريلُ عليه السَّلامُ من عندِ الله.

و﴿تَنزِيلٌ﴾ رفعٌ بالابتداءِ ﴿مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ صفتُه ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ خبرُه.

وإن شئتَ رفعتَ ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ﴾ بالابتداءِ، و﴿تَنزِيلٌ﴾[2] بالخبرِ، وهذا أولى؛ لأنَّهم أنكَروا أنَّه من الله.

---

(١) «أربع وخمسين آية»: ليست في (ف). وانظر: «البيان في عد آي القرآن» (ص: ٢٢٠)، وفيه: «وهي خمسون وآيتان بصري وشامي، وثلاث مدنيان ومكي، وأربع كوفي، اختلافها آيتان...».

(٢) في النسختين: «و﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾»، وهو سهو فهذه الآية من سور أخر لا من هذه السورة.

الفرَّاءُ: هذا تنزيلٌ[1].

وقيل: ﴿حمٓ﴾ مُبتدأ، ﴿تَنزِيلٌ﴾ خبرُه.

* * *

(٣) - ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ بالأمرِ والنَّهيِ، والحلالِ والحرامِ، والوعدِ والوعيدِ.

وقيل: ﴿فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ بفواصلِ فصاحةٍ وبلاغةٍ وإعجازٍ.

وقيل: ﴿فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾: أُظهِرَتْ دلالاتُه وحجَجُه.

﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾: بلسانِ العربِ. و﴿قُرْءَانًا﴾ نصبٌ على الحالِ منَ الهاءِ.

وقيل: نصبٌ على المدح[2].

وقيل: على التَّمييز[3].

وقيل: فصَّلناه قرآنًا.

والقولُ هو الأوَّلُ، والكوفيُّون يُسمُّونَه قطعًا.

﴿لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ العربيَّةَ، وقيل: ﴿لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ فيُصدِّقون.

* * *

(٤) - ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾.

﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ صفتانِ للقرآنِ، وقيل: حالانِ[4].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٤١٤).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٣٧)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٣٧)، وعده من العجائب.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٣٨)، واستغربه.

أي: يُبشِّرُ المؤمنين ويُنذِرُ[1] الكافرينَ بما فيه منَ البِشارةِ والنِّذارةِ.

﴿فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ﴾ يعني: أهلَ مكَّةَ عن قبولِه واتِّباعِه.

﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾: لا يقبَلُون، وقيل: لا ينتَفِعون بسماعِه.

وقيل: إذا تلاهُ النَّبيُّ ﷺ لا يسمَعُونَ.

* * *

(٥) ـ ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ﴾.

﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ﴾: أغطِيَةٍ، جمعُ (كِنانٍ)، ﴿مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ﴾ منَ التَّوحيدِ، فلا نفهمُه ولا نَعيْه ﴿وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ﴾: صَمَمٌ فلا نسمَعُه، ﴿وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾: سِتْرٌ وغِطاءٌ، وقيل: خلافٌ في الدِّين.

ويحتمِلُ أنَّ هذا استهزاءٌ منَ الكفَّارِ وجوابٌ لقولِه: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ [الأنعام: ٢٥]، وقولِه: ﴿جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ [الإسراء: ٤٥].

وقيل: إنَّ هذا يجري مَجرى المثَلِ؛ أي: حالُنا معك حالُ مَن يكونُ بهذه الصِّفةِ.

﴿فَاعْمَلْ﴾ في دينِك ولربِّك ﴿إِنَّنَا عَامِلُونَ﴾ في دينِنا ولربِّنا.

وقيل: اعمَلْ لهلاكِنا وإبطالِ دينِنا ﴿إِنَّا عَامِلُونَ﴾ لهلاكِكَ وإبطالِ دينِكَ.

وقيل: ﴿فَاعْمَلْ﴾ لآخرتِك ﴿إِنَّنَا عَامِلُونَ﴾ لدُنيانا.

* * *

---

(١) في (ف): «بشيرًا المؤمنين ومنذرًا».

(٦) ـ ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴾.

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ في الطَّبعِ والجنسِ ﴿يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾؛ أي: لستُ بملَكٍ ولا ملِكٍ، ولا أطلُبُ بمقالَتي رئاسةً، إنَّما أُعلِّمُكم ما يُوحَى إليَّ من أنَّ المعبودَ واحدٌ.

الحسنُ: علَّمَه التَّواضُعَ بقولِه: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾[(١)].

﴿فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ ﴾: وجِّهوا وجوهَكم إليه.

وقيل: معناه: واستَقيمُوا له.

ابنُ بحرٍ: معنى الآيةِ: لو كان كفرُكم بي كانَ سهلًا عليكم؛ لأنِّي بشرٌ مثلُكم، ولكنَّه كفرٌ بالله فهو يُدخِلُكم به النّارَ[(٢)].

﴿وَٱسْتَغْفِرُوهُ ﴾؛ أي: منَ الشِّركِ ﴿وَوَيْلٌ﴾: فشِدَّةُ عذابٍ ﴿لِّلْمُشْرِكِينَ ﴾.

***

(٧) ـ ﴿ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَـٰفِرُونَ ﴾.

﴿ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾: لا يعتقِدون وُجوبَها.

الحسنُ: لا يُطيعونَ الله في الطَّاعةِ التي يصيرون بها أزكياءَ[(٣)].

وقيل: ﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾ هاهنا: الإيمانُ.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٣/ ٢٥١).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٣٨)، واستغربه.

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٦٩).

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: لا يشهَدونَ أنْ لا إلهَ إلا الله[1]، وهي زكاةُ الأنفُسِ.

وقيل: لا يُطهِّرون أنفُسَهم؛ فإنَّما المشركونَ نجَسٌ، والزَّكاةُ بمعنى: التَّطهيرِ.

﴿وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ يعني: بالبعثِ بعد الموتِ، والثَّوابِ والعقابِ.

* * *

(٨) - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾: غيرُ منقوصٍ ولا مقطوعٍ عنهم، ولا ممنونٍ به عليهم.

* * *

(٩) - ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾؛ أي: في وقتٍ على مقدارِ يومَينِ من أيَّامِ الدُّنيا.

وقيل: من أيَّامِ الآخرة.

ويحتمِلُ: أنَّه خلقَ في كلِّ يومٍ ما خلَقَ في أسرعِ ما يكونُ من غيرِ استغراقِ اليومِ به، ثمَّ في اليومِ الثَّاني وما بعدَه كذلك.

وقيل: إنَّما أحدَثَ شيئًا بعد شيءٍ مع قُدرته على خلقِ جميعِها في أيسرِ وقتٍ ليُرشِدَ خلقَه إلى الأناةِ في أمورِهم، وليكونَ بصيرةً لمَن رأى ذلك، وحُجَّةً لمَن سمعَ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٣٧٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٧٠)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢٠٥)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٣/ ٢٥١).

وقيل: إنَّما فرَّقَ بينهما لأنَّ فيها الشَّيءَ وضدَّه، ومُحالٌ الجمعُ بين الضِّدَّين، كاللَّيلِ والنَّهارِ، وكذلك بين المُختلِفينَ والمُختلفاتِ، كالطَّلعِ والبُسرِ، والرُّطَبِ والتَّمرِ.

﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا﴾: شُركاءَ وأشباهًا.

﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: الذي خلَقَ ما سبقَ ﴿رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: خالقُ جميعِ الموجوداتِ وسيِّدُها ومُربِّيها.

* * *

(١٠) - ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾.

﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا﴾؛ أي: في الأرضِ جبالًا، والرَّواسي: جمعُ راسيةٍ، من: رَسا أصلُه[1].

وقيل: لأنَّ الأرضَ رسَتْ بها[2].

الماورديُّ: سُمِّيت رواسيَ لعلوِّ رؤوسِها[3]، ذهبَ إلى أنَّها مشتقٌّ منَ الرأسِ، وهو سهوٌ، وذكرَ غيرَه أيضًا.

﴿وَبَٰرَكَ فِيهَا﴾: في الأرضِ، أنبتَ شجرَها من غيرِ غرسٍ، وأخرجَ زرعَها من غيرِ بَذْرٍ، وأودَعَها منافعَ أهلِها.

وقيل: ﴿فِيهَا﴾ يعودُ إلى الرَّواسي؛ أي: جعلَ فيها معادنَ الذَّهبِ والفِضّةِ وسائرَ الفِلزَّاتِ.

---

(١) جزء من بيت للسموءل بن عادياء ذكره القالي في «أماليه» (١/ ٢٦٩)، وتمامه:

رسا أصله تحت الثرى وسما به ... إلى النجم فرع لا يُرام طويلُ

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٣٨)، واستغربه.

(٣) انظر: «النكت والعيون» (٥/ ١٧٠)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٣٨)، وعده من العجائب.

قال الشَّيخُ: قولُنا: «فِلِزَّات» أرَدْنا بها: كلَّ ما يُذابُ منَ الذَّهبِ والفِضّةِ والنُّحاسِ وما أشبهَها، وهو ثمانيةُ أشياءَ[١].

﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ﴾: في الأرضِ ﴿أَقْوَٰتَهَا﴾ قيل: هي المطرُ.

وقيل: قدَّرَ في كلِّ قريةٍ عملًا لا يصلُحُ في الأخرى[٢].

وقيل: أرزاقَ أهلِها.

﴿فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾: في تتمَّةِ أربعةِ أيامٍ، وهذا التَّقديرُ سائغٌ في الكلامِ شائعٌ، تقولُ: سرتُ منَ البصرةِ إلى بغدادَ في عشرةٍ، وإلى الكوفةِ في خمسةَ عشرَ؛ أي: في تتمَّةِ خمسةَ عشرَ، فلا يكونُ بينَ قولِه تعالى: ﴿فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ وبينَ هذه الآياتِ مُناقَضةٌ كما زعمَتِ الملاحدةُ.

﴿سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾ فيه أقوالٌ:

أحدُها: للسَّائلينَ الرِّزقَ والقُوتَ؛ أي: لطالِبِيْه.

والثَّاني: سواءً لمَن يسألُ ولمَن لم يسألْ.

وعن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما قالَ: سمعتُ رسولَ الله ﷺ وأنا رديفُه يقولُ: «خلَقَ اللهُ الأرواحَ قبلَ الأجسادِ[٣] بأربعةِ آلافِ سنةٍ، وخَلَقَ الأرزاقَ قبل الأرواحِ بأربعةِ آلافِ سنةٍ، سواءً لمَن سألَ ولمَن لم يسألْ، وأنا منَ الذين لم يسألُوا الله الرِّزقَ، ومَن سألَ فهو جهلٌ منه»[٤].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٣٩)، واستغربه.

(٢) في (ف): «لا يُصْلح الأخرى».

(٣) في (ف): «الأجسام».

(٤) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٢١٩)، وذكر بعضه الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ١٥٨) عن =

ونصبُ ﴿سَوَآءً﴾ على المصدرِ، ومَن جرَّه جعلَه وصفًا للأيّامِ؛ أي: لا زائدٍ ولا ناقصٍ، ومَن رفَعَ فعلى الخبرِ[1]؛ أي: هو سواءٌ.

والثّالثُ: ﴿سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾ في: كم مدَّةُ خلقِ السَّماواتِ والأرضِ وما بينهما؟ لأنَّ اليهودَ سألوا رسولَ الله ﷺ عن ذلك.

* * *

(١١) ـ ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾.

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾: قَصَدَ نحوَها.

وقيل: صَعِدَ أمرُه إلى السَّماءِ.

وقيل: معنى ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾: لم يخلُقْ بعدَ الأرضِ وما عليها شيئًا إلّا السَّماءَ، وقد سبقَ.

وليس بينَ هذه الآيةِ وبين قولِه: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ [النازعات: ٣٠] مُناقضةٌ كما زعمَتِ الملاحدةُ[2] من وجهَين:

أحدُهما، وهو قولُ الجمهورِ: أنَّ الأرضَ خُلِقَتْ قبلَ السَّماءِ غيرَ مَدْحوَّةٍ، ثمَّ دُحِيَتْ بعدَ خلقِ السَّماءِ.

والثّاني: أنَّ السَّماءَ خُلِقَتْ قبل الأرضِ، و﴿ثُمَّ﴾ في قولِه: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾

= ابن عباس رضي الله عنه موقوفًا عليه دون سند، قال ابن حجر الهيتمي في «الفتاوى الحديثية» (ص: ١١٦): «باطل لا أصل له».

(١) بالرفع أبو جعفر، وبالجر يعقوب، والباقون بالنصب. انظر: «النشر» (٢/ ٣٦٦).

(٢) في (ف): «الملحدة».

لتَراخي الإخبارِ لا لتَراخي الخلقِ، ولأنَّ (ثمَّ) يأتي مع الجملة في مواضعَ ومعناها التَّقدُّمُ؛ كقولِه: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البلد: ١٧]، وقولِه: ﴿ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢]، وقد سبقَ كذلك في الآيةِ.

﴿وَهِىَ دُخَانٌ﴾ ابنُ عيسى: الدُّخانُ: جسمٌ لطيفٌ مُظلِمٌ مُتَنَفِّشٌ.

وقيل: هو بخارُ الماءِ.

وجاء في الخبرِ: أنَّ أوَّلَ ما خلقَه الله جوهرٌ، ونظرَ إليه بالهيبةِ فصارَ ماءً، وسلَّطَ عليه نارًا فارتفعَ البخارُ فخلقَ منه السَّماواتِ، ثمَّ أرسلَ ريحًا على الماءِ فارتفعَ زَبَدٌ فخلَقَ منه الأرضَ فكانتا رتقًا[(١)].

﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ فانفتقَ البعضُ عن البعضِ وانتظَمَ الكلُّ، فذلك قولُه: ﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾.

وفي الإتيانِ والقولِ قولانِ:

أحدُهما: أنَّه عبارةٌ عنِ الإيجادِ والوجودِ، وليس ثَمَّ أمرٌ ولا قولٌ[(٢)].

والثّاني: أنَّ الله تعالى خاطَبَهما وقدَّرَهما على الإجابةِ، فنطَقَ من سائرِ[(٣)] الأرضِ موضعُ الكعبةِ، ومنَ السَّماءِ ما يُحاذيها، فجعَلَ الله لها حُرمةً على سائرِ الأرضِ.

وقيل: هذا خطابٌ بعد الوجودِ، ومعناه: جِيئا بما خلقْتُ فيكما، أمَّا أنتِ يا

---

(١) من الإسرائيليات، فقد ذكر نحوه الرازي في «التفسير الكبير» (٢٧/ ٥٤٦) ثم قال: «واعلم أن هذه القصة غير موجودة في القرآن، فإن دل عليه دليل صحيح قُبل وإلا فلا، وهذه القصة مذكورة في أول الكتاب الذي يزعم اليهود أنه التوراة».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٤٠) واستغربه.

(٣) «سائر»: ليست في (ف).

سماءُ فأطلِعي الشَّمسَ والقمرَ والنُّجومَ، وأمَّا أنتِ يا أرضُ فأخرِجي ما خلقتُ فيكِ منَ النَّباتِ، فقالتا: جِئْنا بما أحدَثْتَ فينا مُستجيبَينِ لأمرِك.

وجُمِعَ لأنَّ كلَّ واحدٍ منهما سبعٌ جمعَ السَّلامةِ؛ لأنَّه وصفَهم بصفةِ العقلاءِ وهو المُخاطبةُ والمُحاورةُ فأُجرِيَ مُجراهم.

وقيل: أتينا بمَن فينا طائعين(١).

وقولُه: ﴿طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا﴾؛ أي: إذا لـم تأتِيا طَوْعًا أتيتُما كَرهًا.

وقيل: معنى ﴿طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا﴾: اشتَدَّ عليكما أو لـم يشتَدَّ.

وقيل: كُونا كما أردتُ مِن شدَّةٍ ولينٍ.

والطَّوعُ: اللِّينُ والسُّهولةُ من قولِه: ﴿فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ﴾ [المائدة: ٣٠].

والكرهُ: الشِّدَّةُ، من قولِه: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡ﴾ [البقرة: ٢١٦]؛ أي: شِدَّةٌ.

* * *

(١٢) - ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾.

﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ﴾: خلقَهنَّ وأتقنَ صُنعَهُنَّ، وجُمِعَ الضَّميرُ لأنَّ السَّماءَ للجنسِ، وقيل: لأنَّها جمعُ سماوةٍ.

﴿فِي يَوۡمَيۡنِ﴾ رُوِيَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «إنَّ الله تعالى خلقَ الأرضَ يومَ الأحدِ والإثنَين، وخلقَ الجبالَ يومَ الثُّلاثاءِ، وخلقَ يومَ الأربعاءِ الشَّجرَ والماءَ والعمرانَ والخرابَ، فتلكَ أربعةُ أيَّامٍ، وخلَقَ يومَ الخميسِ السَّماءَ، وخلقَ يومَ الجمعةِ النُّجومَ

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٤٠)، واستغربه.

والشَّمسَ والقمرَ والملائكةَ وآدمَ صلَواتُ الله عليه». الحديثُ مرفوعٌ، وفي ذكرِ آدمَ معَهم إشكالٌ(١).

﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾ قيل: أَمَرَ أهلَ كلِّ سماءٍ أمرَهم منَ العبادةِ.

وقيل: معناه: خلَقَ فيما خلَقَها.

وقيل: جعَلَ في كلِّ سماءٍ ملائكةً، فذلك أمرُها.

وقيل: أمرَ في كلِّ سماءٍ ما يُصلِحُها.

وقيل: الوحيُ هاهنا: الإرادةُ والتَّكوينُ، والأمرُ: الحالُ والهيبةُ.

﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا﴾؛ أي: منَ الأرضِ ﴿بِمَصَٰبِيحَ﴾: بكواكبَ ﴿وَحِفْظًا﴾: وحفِظْناها منَ الشَّياطينِ حفظًا.

وقيل: مفعولٌ له.

وقيل: حالٌ؛ أي: زيَّنَّاها حافِظين.

وقيل: خُلِقَتِ الكواكبُ للزِّينةِ والحفظِ جميعًا.

﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ﴾: الغالبِ غيرِ المغلوبِ ﴿ٱلْعَلِيمِ﴾: العالِمِ بمواقعِ الأمورِ.

* * *

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٧١) مصرِّحاً برفعه لكن دون راو ولا سند، ولم أجده هكذا مسنداً، والذي رواه مسلم (٢٧٨٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «خلق الله عز وجل التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الإثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم عليه السلام بعد العصر من يوم الجمعة، في آخر الخلق، في آخر ساعة من ساعات الجمعة، فيما بين العصر إلى الليل».

(١٣) ـ ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَـٰعِقَةً مِّثْلَ صَـٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾.

﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ ﴾ عن الإيمانِ بعد هذا البيانِ ﴿فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ﴾: خوَّفتكم ﴿صَـٰعِقَةً مِّثْلَ صَـٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾: عذابًا شديدًا، وأصلُها: رَعدٌ معه نارٌ.

وقيل: وَقعةً مثلَ وقعةِ عادٍ وثمودَ؛ أي: ينزلُ بكم مثلُ ما نزلَ بهم.

* * *

(١٤) ـ ﴿ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَـٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَـٰفِرُونَ ﴾.

﴿ إِذْ جَآءَتْهُمُ ﴾ يعني: عادًا وثمودَ ﴿ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ ﴾ يُريدُ: آباءَهم ومَن كانَ قبلَهم ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ ﴾ اختلَفُوا في هذا الضميرِ:

فقيل: هو عائدٌ إلى الرُّسلِ؛ أي: جاءَهم رسلٌ بعدَ الرُّسلِ.

وقيل: يعودُ إلى القومِ أيضًا، والمعنى: بينَ أيديهم ومعَهم.

وقيل: ﴿مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ ﴾؛ أي: مَن كانَ قبلَهم، ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ ﴾: مَن كانَ بعدَهم.

وقيل: جاءَتْهم الرُّسلُ فحذَّروهم من بينِ أيديهم الآخرةَ، ومن خلفِهم الدُّنيا.

وقيل: هذه عبارةٌ عن الكثرةِ، يُقالُ للشَّيءِ إذا كثُرَ: أتاهُ من بينِ يدَيه ومن خلفِه.

ويحتمِلُ ﴿مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ ﴾؛ أي: هم الذين عاينُوهم، ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ ﴾: هم الذين وصلَ إليهم خبرُهم وكتبُهم.

وحقيقةُ بينَ يدَيه: أن يُستعملَ للشَّيءِ الحاضرِ، ومجازُه: أن يُستعمَلَ للشَّيءِ الماضي بزمانٍ قريبٍ.

﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ ﴾: بأنْ لا تعبُدوا ﴿إِلَّا ٱللَّهَ ﴾.

وقيل: ﴿أَنْ﴾ هي المُفسِّرةُ والقولُ مُقدَّرٌ؛ أي: وقالوا: لا تعبُدوا إلا الله.

﴿قَالُوا﴾؛ أي: القومُ ﴿لَوْ شَاءَ رَبُّنَا﴾ إرسالَ رسولٍ ﴿لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً﴾ فلَمْ يتخالَجْنا شكٌّ في أمرِهم ﴿فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ﴾؛ أي: بزعمِكُم ﴿كَافِرُونَ﴾: جاحِدونَ.

* * *

(١٥) ـ ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾.

﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ﴾: تعظَّموا عن الإيمانِ ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾.

وقيل: تجبَّروا في الأرضِ كِبْرًا بغيرِ ما أذِنَ الله لهم فيه.

وقيل: بالظُّلمِ.

﴿وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾: لا أحدَ أشدُّ منَّا؛ أي: اغترُّوا بقُوَّتِهم وشوكتِهم.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾: أوسعُ قُدرةً.

﴿وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ هذه معطوفةٌ على قولِه: ﴿فَاسْتَكْبَرُوا﴾.

* * *

(١٦) ـ ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾: باردةً.

وقيل: شديدةَ السَّمومِ.

وقيل: شديدةَ الصَّوتِ، واشتقاقُه منَ الصَّريرِ.

وقيل: باردةً ذاتَ صوتٍ.

وجاء في التَّفسيرِ: أنَّها الدَّبورُ.

﴿فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾: مشؤُوماتٍ عليهم، تقولُ: نُحِسَ نَحْسًا فهو منحوسٌ، كقولِـهم: سُعِدَ فهو مسعودٌ.

وقيل: بارداتٍ، والنَّحسُ: البردُ.

وقيل: ذاتِ غُبارٍ(١).

وقيل: مُتتابعاتٍ(٢).

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: كُنَّ آخرَ شوَّال منَ الأربعاءِ إلى الأربعاءِ، وما عُذِّبَ قومٌ إلا في يومِ الأربعاءِ(٣).

والنَّحْسُ: مصدرٌ؛ لقولِه: ﴿يَوۡمِ نَحۡسٖ﴾ [القمر: ١٩] فأضافَ إليه، والكسرُ اسمُ الفاعلِ، والتَّسكينُ تخفيفُه(٤)، وإن شئتَ قلتَ: وُصِفَ بالمصدرِ.

﴿لِّنُذِيقَهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾: عذابَ الهُونِ الذي يُستَحْيَى من مثلِه لفضيحةِ أهلِه.

﴿وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَخۡزَىٰ﴾: أشدُّ إهانةً لهم من عذابِ الدُّنيا.

﴿وَهُمۡ لَا يُنصَرُونَ﴾: لا يُمنَعُ العذابُ عنهم.

* * *

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٤٠)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٤٠)، واستغربه.

(٣) ذكر الماوردي في «النكت العيون» (٥/ ١٧٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما شطره الثاني، وهو: «ما عذب قوم إلا في يوم الأربعاء»، والباقي ذكره دون نسبة، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٤١)، وعده من العجائب.

(٤) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو بتسكين الحاء، والباقون بكسرها. انظر: «السبعة» (ص: ٥٧٦)، و«التيسير» (ص: ١٩٣).

(١٧) ـ ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾؛ أي: بيَّنَّا سبيلَ الخيرِ والشرِّ لهم.

وقيل: علَّمناهم الهدى منَ الضَّلالةِ.

وقيل: دلَلْناهم إلى طريقِ الرُّشدِ فعدَلوا عنه إلى طريقِ الغيِّ.

وقيل: دَعَوناهُم.

﴿فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾: فاختاروا الكفرَ على الإيمانِ.

﴿فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ﴾: وهي النّارُ.

وقيل: هو صيحةٌ كانت منَ السَّماءِ.

وقيل: الموتُ[1].

قولُه: ﴿الْهُونِ﴾؛ أي: ذي الهُونِ، وهو الهوانُ.

وقيل: العطش، حكاه النَّقَّاش[2].

﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾: باختيارهم الكفر.

* * *

(١٨) ـ ﴿وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾.

﴿وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بصالحٍ ﴿وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ الشِّركَ؛ أي: نجَّيناهُم من تلكَ الصّاعقةِ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٤١)، واستغربه.

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٧٥)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٤١)، وعده من العجائب.

(١٩) ـ ﴿ وَيَوۡمَ يُحۡشَرُ أَعۡدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ﴾.

﴿ وَيَوۡمَ يُحۡشَرُ أَعۡدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ﴾: يُمنَعون منَ التَّفرُّقِ.

وقيل: يُحبَسُ أوَّلُـهم على آخرِهم.

وقيل: يُطرَدُونَ إلى النّارِ.

* * *

(٢٠) ـ ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾.

﴿حَتَّىٰٓ﴾ هاهنـا بمنزلـةِ الـواوِ؛ أي: وَ﴿إِذَا مَا جَآءُوهَا﴾ و﴿مَا﴾ صلـةٌ، والمعنـى: صـاروا بحضرتِها.

﴿شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ واحدُهـا: الجلـدُ، وهـو غشـاءُ البدنِ.

وقيل: هي هاهنا كنايةٌ عن الفُروجِ، وشهادتُها أن يُنطِقَها الله تعالى فتشهدَ.

وقيل: الشَّهادةُ مُضافةٌ إليها مجازًا، والشّاهدُ هو الله.

وقيل: هي دِلالةٌ تَظهرُ على الأعضاءِ.

وفي «تفسيرِ ابنِ جريرٍ»: أنَّ النَّبيَّ ﷺ ضحِكَ، فسُئِلَ عن مُوجِبه فقالَ: «ضحِكْتُ عجَبًا من مُجادلةِ العبدِ ربَّه يومَ القيامةِ، يقولُ: يا ربِّ، أليسَ وعدْتَني ألّا تظلِمَني؟ قالَ: لكَ ذلك، قالَ: فإنّي لا أقبلُ عليَّ شاهدًا إلّا مِن نفسي، قالَ: أليسَ كفى بي شهيدًا وبالملائكةِ الكرامِ الكاتبين؟ قالَ: فيُختَمُ على فيه ويتكلَّمُ أعضاؤُه بما كانَ يعملُ، قالَ: فيقولُ لهنَّ: بُعدًا لكنَّ وسُحقًا، عنكنَّ كنتُ أجادِلُ»[1].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٤٠٧) من حديث أنس رضي الله عنه، ورواه مسلم (٧٩٧٩) بنحوه.

(٢١) ـ ﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾؛ أي: كلَّ شيءٍ ناطقٍ، والنُّطقُ: إدارةُ اللِّسانِ في الفمِ بالكلامِ.

﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ غيرَ ناطقٍ، ثمَّ أنطقَكم.

ويحتمِلُ أنَّ الكلامَ تمَّ عندَ قولِه: ﴿أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾، ثمَّ استأنفَ فقال: ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ في الدُّنيا ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ في الأُخرى.

* * *

(٢٢) ـ ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ﴾ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه قال: كنتُ مستتِرًا بأستارِ الكعبةِ إذ جاء نفرٌ: ثقفيٌّ واسمُه عبدُ ياليل، وختَناه قُرشيَّانِ ربيعةُ وصفوانُ ابنُ أميَّةَ، فتحدَّثوا بينهم الحديثَ، فقال أحدُهم: أترَى اللهَ يسمعُ ما نقولُ؟ فقال الآخرُ: إذا رفَعْنا أصواتَنا يسمعُ، وإذا لم نرفَعْ لا يسمعُ، وقال الآخرُ: إنْ كان يسمعُ إذا رفَعْنا فهو يسمعُ إذا خفَضْنا، فأتيتُ النَّبيَّ ﷺ فذكرتُ ذلك له، فأنزلَ الله: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ﴾ الآيةَ(١).

---

(١) رواه البخاري (٤٨١٦)، ومسلم (٢٧٧٥) عن ابن مسعود رضي الله عنه دون تسمية القائلين، ووردت تسميتهم في «تفسير الثعلبي» (٢٣/ ٢٧٦)، قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ١١): «ويشبه أن يكون هذا بعد فتح مكة فالآية مدنية، ويشبه أن رسول الله ﷺ قرأ الآية متمثلاً بها عند إخبار عبد الله إياه، والله أعلم»، وذُكر عن النقاش أن الثلاثة: صفوان بن أمية وفرقد بن ثمامة وأبو =

واختُلِفَ في ﴿تَسْتَتِرُونَ﴾؛ فقال بعضُهم: معناه: تستَخْفُون، والمعنى: لم يكُنْ يُمكِنُكم أن تستُروا أعمالَكم عن أعضائِكم؛ لأنَّها أعوانُكم فجعلَها الله شهودًا عليكم.

وقيل: معناه: وما كنتُم تترُكونَ المعاصيَ حذَرًا أن تشهدَ عليكم جوارِحُكم، واستِخفاؤُها منَ الجوارحِ: تركُها فحسبُ(١).

وقيل: لم تكونوا تخافونَ أن تشهدَ عليكم فتستَتِرُوا منها، وأصلُه: ما كنتُم تستَتِرونَ(٢) أن تشهدَ؛ لأنَّ (استَتَرَ) لازمٌ، والتَّقديرُ: أن لا تشهدَ، فحُذِفَ (لا) لأنَّ ﴿لا﴾ في قولِه: ﴿وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ يدلُّ عليه.

وقيل: وما كان قصدُكم باستِتارِكُم وقتَ المعاصي أن تستُروها منَ الجوارحِ؛ فإنَّ ذلك غيرُ ممكنٍ، لكنْ ظننتُم أنَّكم تستُرونَها عن الله، وهو قولُه: ﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

* * *

(٢٣) ـ ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾.

﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ﴾؛ أي: أهلكَكُم، والرَّدى: الهلاكُ.

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: رماكُم في النّارِ(٣).

= فاطمة. وقال ابن بشكوال في «الأسماء المبهمة» (٢/ ٧١٣): «القرشي هو الأسود عبد يغوث، والثقفي الواحد الأخنس بن شريق»، وقيل غير ذلك. انظر: «عمدة القاري» (١٩/ ١٥٥).

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٤١)، واستغربه.

(٢) بعدها في (ف): «من».

(٣) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٣٠)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ١٣١) بلفظ: «طرحكم في النار».

﴿فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾: الهالكينَ.

﴿ذلكم﴾ مبتدأٌ ﴿ظَنُّكُمُ﴾ بدلٌ منه ﴿ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ﴾ صفتُه ﴿أَرْدَىٰكُمْ﴾ خبرُه.

ويجوزُ أن يكونَ ﴿ظَنُّكُمُ﴾ خبرَ المبتدأ، ﴿أَرْدَىٰكُمْ﴾ خبرٌ بعدَ الخبرِ[1].

ويجوزُ أن يُضمَرَ (قد) مع ﴿أَرْدَىٰكُمْ﴾ فيكونَ حالًا؛ أي: مُردِيًا.

* * *

(٢٤) ـ ﴿فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ﴾.

﴿فَإِن يَصْبِرُوا۟﴾؛ أي: في النّارِ ﴿فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾: مسكنٌ ومنزلٌ.

وقيل: إنْ تصبِروا عن الشَّكوى والاستغاثةِ.

وقيل: إن تصبِروا على آلهتِكم[2] لقولِه: ﴿أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ﴾ [ص: ٦].

﴿وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ﴾؛ أي: إن يطلُبوا الرِّضا فما هم بمَرْضيٍّ عنهم.

وقيل: إنْ يجزَعُوا فما هم منَ الآمنينَ.

وقيل: معناه: إن يتساءَلوا أن يُرجَعَ بهم إلى ما يُحبُّونَ لم يُرجَعْ بهم.

وأصلُ العتابِ عندَ العربِ: استصلاحُ الجلدِ بإعادتِه في الدِّباغِ، ومن أمثالِهم: «إنَّما يُعاتَبُ الأديمُ ذو البشرةِ»[3]، ثمَّ استُعيرَ لِمَا يُنكَرُ فيُقالُ: عتَبَ عليه؛ إذا أنكرَ

---

(١) في (ف): «خبر».

(٢) قوله: «تصبروا» في هذا القيل وفي الذي قبله، وقوله: «آلهتكم»، كذا وقعت في النسختين جميعاً بالخطاب، والأوفق بلفظ الآية المغايبة كما هو واضح.

(٣) انظر: «الكنز اللغوي» (ص: ١٦٦)، و«غريب الحديث» للحربي (٣/ ١١٤٤)، و«جمهرة الأمثال» =

عليه شيئًا، وعاتبَه: أظهرَ له ما أنكرَه منه على وجهِ الاستصلاحِ، و«لك العُتبى» (١)؛ أي: الرُّجوعُ إلى ما تحبُّ، واستعتَبَ: طلبَ منه الرُّجوعَ إلى الرِّضا، وأعتبَه: أزالَ المكروهَ منه، وعادَ إلى المحبوبِ.

وقيل: ﴿وَإِن يَسْتَعْتِبُوا﴾: يسترجِعُوا منَ الآخرةِ إلى الدُّنيا، فما هم منَ المرجوعين.

وقيل: وإن يعتَذِروا فما هم ممَّن يُقبَلُ عُذرُهم.

* * *

(٢٥) ـ ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾.

﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ﴾: سبَّبْنا لهم من حيثُ لا يحتَسِبونَ.

وقيل: هيَّأنا.

وقيل: خلَّينا بينَهم وبينَ الشَّياطينِ.

وقيل: سلَّطنا عليهم.

= (١/ ٦٩) للعسكري، وفيه: «معناه: إنما يراجع من تصلح مراجعته، ويعاتب من الإخوان من لا يحمله العتاب على اللجاج فيما كُره منه وعوتب من أجله، وأصله: أن الجلد اذا لم تصلحه الدبغة الأولى أعيد في الدباغ إن كان ذا قوة ومسكة، وترك إن كان ضعيفاً؛ لئلا يزيد ضعفًا، وأصل البشرة ظاهر الجلد، والأدمة باطنه».

(١) قطعة من حديث رواه الطبراني في «الكبير» (١٤٧٦٤)، ومن طريقه الضياء في «المختارة» (٩/ ١٨١)، من حديث عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٣٥): «رواه الطبراني، وفيه ابن إسحاق وهو مدلس ثقة، وبقية رجاله ثقات».

ابنُ بحرٍ: بدَّلنا لهم شياطينَ بدلَ هُدَى الله وألطافِه، قال: والقيضُ: البدلُ، ومنه قولُـهم: قايَضْتُ فلانًا بكذا؛ إذا بادَلْتَه.

وقيل: قدَّرْنا.

وقيل: هذا التَّقييضُ هو إحواجُه بعضَهم إلى بعضٍ، كالمرأةِ إلى الرَّجلِ، والرَّجلِ إلى المرأةِ، والغنيِّ إلى الفقيرِ، والفقيرِ إلى الغنيِّ، يستعينُ بعضُهم ببعضٍ.

﴿قُرَنَآءَ﴾: قيل: هم الشَّياطينُ.

وقيل: هم قُرَناءُ السُّوءِ.

﴿فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ الدُّنيا والآخرةَ؛ أي: لا جنَّةَ ولا نارَ ولا بعثَ ولا حسابَ.

وقيل: ﴿مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: أعمالُهم التي عمِلُوها ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ما عزمُوا على فعلِه.

وقيل: ﴿مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: زيَّنُوا لهم فعلَ مُفسِدي زمانِهم ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: فعلَ مُفسِدي مَن تقدَّمَ زمانُهم[1].

﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾: وجبَ عليهم العذابُ.

وقيل: ﴿حَقَّ عَلَيْهِم القَوْلُ﴾: هو قولُه تعالى: إنَّهم يكفُرونَ فيُعذَّبونَ.

﴿فِيٓ أُمَمٍ﴾: في جملةِ أممٍ، وقيل: معَهم.

المُبرِّدُ: إذا كانَ العددُ لا يُحصَى فـ﴿فِيٓ﴾ بمعنى: مع، كما تقولُ: جاءَني زيدٌ في جيشٍ؛ أي: مع جيشٍ، وإذا عُلِمَ عددُهم افترَقا، تقولُ: خرجَ في عشرةٍ؛ أي: هو عاشِرُهم، وخرجَ مع عشرةٍ؛ أي: هو الحادي عشرَ[2].

---

(١) في (ف): «تقدمهم من زمانهم».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٤٢)، واستغربه.

﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم﴾: قبلَ أهلِ مكّـةَ ﴿مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾؛ أي: كانوا في الدُّنيا عمِلُوا بمثلِ معاصيهم ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾ مِثْلَهم.

وقيل: خاسرين بالعقوبةِ.

* * *

(٢٦) ـ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ﴾ نزلَتْ في أبي جهلٍ وأصحابِه، كانوا يقولون: إذا سمعتُم القرآنَ من محمَّدٍ فارفَعُوا أصواتَكم بالشِّعرِ والكلامِ في وجهِه حتَّى تُلبِّسُوا عليه[1].

ومعنى ﴿الْغَوْا فِيْهِ﴾: عارِضُوه بكلامٍ غيرِ مفهومٍ.

وقيل: اجحَدُوه.

وقيل: أنكِرُوه.

وقيل: غادِرُوه.

واللَّغوُ منَ الكلامِ: ما ليس له معنًى.

وقيل: هو المُكاءُ والتَّصديةُ والتَّخليطُ في المنطقِ.

وقيل: الْغَطُوا فيه، واللَّغطُ: الشَّغَبُ والجَلَبُ.

﴿لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾؛ أي: تغلبونَه، فيسكُتَ أو ينسى.

* * *

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٧٤١)، وذكره ابن أبي زمنين في «تفسيره» (٤/ ١٥١) عن السدي.

(٢٧) ـ ﴿فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

﴿فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾: أشدَّه، من غيرِ تخفيفِ شيءٍ منه، وأسوأُ الذي كانوا يعمَلونَ هو الكفرُ.

* * *

(٢٨) ـ ﴿ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: العذابُ ﴿جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ﴾ ﴿ذَٰلِكَ﴾ مبتدأ، و(الجزاءُ) خبرُه، ﴿ٱلنَّارُ﴾ بدلٌ منَ العذابِ، ويحتمِلُ وجوهًا أُخرَ.

وقد وقفَ بعضُ القرَّاءِ على قولِه: ﴿أَعْدَآءِ ٱللَّهِ﴾، و﴿ٱلنَّارُ﴾ مبتدأ، ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ خبرُه.

ومعنى ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ﴾؛ أي: موضعُ[1] المقامِ أبدًا، والنّارُ أعمُّ منَ الدّارِ.

الزَّجّاجُ: هو كما تقولُ: لك في هذه الدَّارِ دارُ السُّرورِ، وأنتَ تعني الدّارَ بعينِها[2].

* * *

(٢٩) ـ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يقولونَ يومَ[3] القيامةِ: ﴿رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ أكثرُ المُفسِّرين على أنَّ المُرادَ منَ الجنِّ إبليسُ، ومنَ الإنسِ قابيلُ.

---

(١) «موضع» من (ف).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٣٨٥).

(٣) في (ف): «في».

وقيل: أرادَ دُعاةَ النَّوعين.

﴿نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا﴾: ندُسْهُما ونطَأْهُما انتِقامًا منهما وإذلالًا لهما.

وقيل: نجعَلْهما في الدَّرْكِ الأسفلِ.

﴿لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾ أسفلَ منَّا.

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: ليكونا أشدَّ عذابًا منَّا[1].

***

(٣٠) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟﴾ في سببِ النُّزولِ: عن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّها نزلَتْ في أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه؛ فإنَّ المشركينَ قالوا: ربُّنا الله، والملائكةُ بناتُ الله، واليهودَ قالوا: ربُّنا الله، وعُزَيرٌ ابنُ الله، ومحمَّدٌ ليس بنبيٍّ، وأبو بكرٍ رضي الله عنه قال: ربُّنا الله وحدَه لا شريكَ له، ومحمَّدٌ عبدُه ورسولُه، فاستقامَ[2].

ومعنى الآيةِ: إنَّ الذين أقرُّوا بوحدانيَّةِ الله تعالى ونفَوا عنه الأندادَ والصّاحبةَ والأولادَ، ثمَّ أقاموا على طاعتِه وأداءِ فرائضِه مُخلِصين له الدِّينَ إلى حينِ موتِهم ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ عند الموتِ، وقيل: عند الخروجِ منَ القبرِ.

﴿أَلَّا تَخَافُوا۟﴾: بأنْ لا تخافُوا، وقيل: قائلينَ: لا تخافوا الموتَ وما بعدَه.

---

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٣٢)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ١٣٢).

(٢) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٧٣)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٥١) من رواية عطاء عن ابن عباس رضي الله عنه.

﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ على ما خلَّفتُم في الدُّنيا.

﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ في الدُّنيا على لسانِ الرُّسلِ، بُشرَى للمُؤمنينَ[1] في ثلاثةِ مواطنَ: عندَ الموتِ، وفي القبرِ، وعندَ البَعثِ.

* * *

(٣١) ـ ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾.

﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ﴾: أَوِدَّاؤُكم ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بالاستغفارِ ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ بالشَّفاعةِ.

قيل: هم الحفَظةُ.

وقيل: هم ملائكةٌ وكَّلَهم الله بالمؤمنين يُثبِّتونَهم على الإيمانِ.

وقيل: نحفَظُكم في الحياةِ الدُّنيا، ولا نُفارِقُكم في الآخرةِ حتَّى تدخُلوا الجنّةَ.

وقيل: أولياؤُكم في الدُّنيا بالهدايةِ، وفي الآخرةِ بالكرامةِ.

﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ﴾ منَ النَّعيمِ.

وقيل: البقاءُ السَّرمدُ؛ لأنَّ النّاسَ يشتَهون ذلك.

والشَّهوةُ: مُنازعةُ النَّفسِ إلى ما فيه اللّذّةُ.

﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾: تفتَعِلُون منَ الدُّعاءِ.

وقيل: ما تتمنَّونَ.

وقيل: تُجابون إلى كلِّ ما تستَدْعُونَ.

---

(١) في (ف): «المؤمن».

وقيل: تَطلُبونَ.

وقيل: تدَّعُونَ في الدُّنيا أنَّها لكم في الآخرةِ[١].

وقيل: مَن ادَّعى شيئًا في الجنّةِ فهو له؛ لأنَّ الإنسانَ في الجنّةِ لا يدَّعي ما لا يستحِقُّه[٢].

***

(٣٢) - ﴿ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾.

﴿ نُزُلًا ﴾: هو ما يُهيَّأُ للضَّيفِ إذا نزلَ.

«الحجَّةُ»: جمعُ نازلٍ[٣]، وأنشد:

فإنَّـــا معـــشرٌ نُـــزُلُ[٤]

فيكونُ حالًا منَ[٥] الضَّميرِ في ﴿تَدَّعُونَ﴾، وعلى الوجهِ الأوَّلِ حالٌ عن ﴿مَا﴾.

وقيل: نصبٌ على المصدرِ.

﴿مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾.

***

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٤٢)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٤٢)، وعده من العجائب.

(٣) انظر: «الحجة» لأبي علي (٦/ ٢٦٤)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٤٣)، واستغربه.

(٤) البيت للأعشى من معلقته، انظر: «ديوان الأعشى» (ص: ١٤٩)، و«الكتاب» (٣/ ٥٠)، و«أمالي ابن الشجري» (٢/ ٢١٩). وتمامه:

قالـوا الركـوبُ فقلنـا تلـك عادتُنـا ... أو تَـنْـزلـونَ فـإنّـا مَـعْشَرٌ نُـزُل

(٥) في (ن): «عن».

(٣٣) ـ ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾: إلى طاعةِ الله وتوحيده ﴿وَعَمِلَ صَـٰلِحًا﴾: أدَّى الفرائضَ.

﴿وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ تفاخُرًا بالإسلامِ وتمدُّحًا، وفيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: أنَّه النَّبيُّ ﷺ.

والثَّاني: أنَّ المُرادَ به المُؤذِّنونَ، وأنَّ العملَ الصَّالحَ هاهنا الصَّلاةُ بينَ الأذانِ والإقامةِ[1]، وقيل: نزلَتْ في بلالٍ[2].

مُقاتلٌ: هو جميعُ الأئمَّةِ والدُّعاةِ إلى الله تعالى[3].

***

(٣٤) ـ ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾.

﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ﴾ ﴿لَا﴾ زيادةٌ؛ أي: لا يستَوي الإيمانُ والشِّركُ، والحلمُ والضَّجرُ، والطَّاعةُ والمعصيةُ، والرِّفقُ والعُنفُ.

وقيل: الحالةُ الحسنةُ والحالةُ السَّيِّئةُ.

﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أمرَ الله في هذه الآيةِ بالصَّبرِ عند الغضبِ، والحِلْمِ عند الجهلِ، والعفوِ عند الإساءةِ، فإذا فعلوا

---

(١) قال المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٤٣): «الغريب: هو الركعتان بين الأذان والإقامة».

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٨١).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٣/ ٢٩٧).

ذلك عصَمَهم الله منَ الشَّيطانِ، وجعَلَ لهم عدوَّهم كأنَّه وليٌّ حميمٌ[١].

وقيل: ادفَعْ بحقِّكَ باطِلَهم، وبحلمِكَ جهلَهم.

مُقاتلٌ: نزلَتْ في أبي سفيانَ، كان مُؤذِيًا للنَّبيِّ ﷺ فصارَ وليًّا[٢].

وقيل: نزلَتْ في أبي جهلٍ، كان يُؤذي النَّبيَّ ﷺ فأمرَه بالصَّفحِ عنه إلى وقتِه[٣].

وقيل: معنى ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾: أن تقولَ لمَن جهلَ عليكَ: السَّلامُ عليك.

﴿فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ﴾؛ أي: إذا دفعْتَ بالأحسنِ لانَ جانبُهم لك، ومالوا إليك، وصارَ عدوُّكَ كأنَّه قريبٌ شفيقٌ.

* * *

(٣٥) ـ ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ﴾.

﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ﴾؛ أي: هذه الخَصلةَ.

وقيل: هذه المُجازاةَ، وهي الدَّفعُ بالأحسنِ.

وقيل: الجنَّةَ.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ على الظُّلمِ.

﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ﴾ من العقلِ والرَّأيِ والصَّبرِ.

وقيل: الحظُّ العظيمُ: الجنَّةُ[٤].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٤٣٢)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٣٢٩٩)، وعلقه البخاري قبل حديث رقم (٤٨١٦).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٣/ ٣٠٠)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ١٣٤) عن مقاتل بن حيان.

(٣) ذكره مقاتل في «تفسيره» (٣/ ٧٤٣).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٤٤)، واستغربه.

(٣٦) ـ ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾.

﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ ﴾: وسوسةٌ وغضبٌ، ودعاك إلى مُقابَلةِ القبيحِ بالقبيحِ ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ﴾.

والنَّزغُ: القولُ الفاسدُ.

وقيل: تحريكٌ إلى الشَّرِّ.

ابنُ عيسى: الفحشُ؛ لِمَا يدعو إلى الفسادِ.

﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ﴾: اعتصِمْ بالله ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ﴾ لاستعاذتِكَ ﴿ٱلْعَلِيمُ ﴾ بنزغِ الشَّيطانِ.

وقيل: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ ﴾ في إمهالي إيَّاهم وتركِ استئصالي شأفتَهم ﴿فَٱسْتَعِذْ ﴾.

***

(٣٧) ـ ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾.

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ﴾: آياتِ قُدرتِه ودِلالاتِ وحدانيَّتِه ﴿ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ ﴾ وإنْ كثُرتْ منافِعُهما ﴿وَٱسْجُدُوا لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ ﴾ لأنَّ عبادةَ الخالقِ أولى من عبادةِ المخلوقِ.

يجوزُ أن تعودَ الكنايةُ إلى الآياتِ، ويجوزُ أن تعودَ إلى اللَّيلِ والنَّهارِ والشَّمسِ والقمرِ، ولم يُغلِّبِ المُذكَّرَ على القياسِ لأنَّ ذلك مع العقلاءِ.

﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ فاعبدُوه وحدَه، فإنَّ مَن عبدَ مع الله غيرَه لا يكونُ عابدًا له.

(٣٨) ـ ﴿ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ﴾.

﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُواْ﴾ عن عبادةِ الله ﴿فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾؛ أي: الملائكةُ، ومعنى (عندَه): له، كما تقولُ: عندَ فلانٍ ألفُ غلامٍ وألفُ فرسٍ.

وقيل: ذُكِرَ ﴿عِندَ﴾ للمرتبةِ والمنزلةِ.

﴿يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾؛ أي: يُسبِّحون ويُمَجِّدون ويكبِّرون ويُهلِّلون دائمًا، وكلُّها تسبيحٌ، وقيل: يُصلُّون.

﴿وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ﴾: لا يَملُّونَ.

قيل: التَّسبيحُ منهم كالتَّنفُّسِ منَ النَّاسِ.

موضعُ السَّجدةِ آخرَ هذه الآيةِ إجماعٌ، إلّا ما رُوِيَ عن ابنِ مسعودٍ والحسنِ رضي الله عنهما: أنَّهما ذهَبا إلى أنَّ موضِعَه ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[1].

***

(٣٩) ـ ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً﴾: يابسةً غبراءَ دارسةً.

وقيل: ذليلةً بالقحطِ.

﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ﴾: المطرَ ﴿ٱهْتَزَّتْ﴾ للنَّباتِ ﴿وَرَبَتْ﴾: ارتفعَتْ.

وقيل: ﴿ٱهْتَزَّتْ﴾: تشقَّقَتْ ﴿وَرَبَتْ﴾: انتفخَتْ.

---

(١) رواه عن الحسن عبد الرزاق في «مصنفه» (٥٨٧٨)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٨٣) عن ابن مسعود والحسن، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٤٤)، واستغربه.

وقيل: انفَطَرَتْ للنَّباتِ وربَّتْ نباتَها وزادَت.

وقيل: فيه تأخيرٌ؛ أي: ربَتْ واهتَزَّتْ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا﴾ بعد موتِها بإنزالِ المطرِ عليها ﴿لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ﴾ في الآخرةِ.

﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ منَ الإحياءِ والإماتةِ ﴿قَدِيرٌ﴾: قادِرٌ بالكمالِ.

* * *

(٤٠) ـ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾: يميلونَ ﴿فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾: القرآنِ، حين قالوا: ﴿لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ﴾ [فصلت: ٢٦] يكذِبونَ، وقيل: يكفُرونَ.

وقيل: يُعانِدون رسُلَنا.

وقيل: هو المُكاءُ والتَّصديةُ[١] والصَّفيرُ عند تلاوتِه.

﴿لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ﴾ فنُلقيهم في النّارِ.

ثمَّ قال: ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ﴾ يعني: أبا جهلٍ عليه اللَّعنةُ ﴿أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ قيل: هو عثمانُ[٢].

وقيل: عمرُ[٣].

وقيل: عمَّارُ بنُ ياسرٍ رضي الله عنهم[٤].

---

(١) «والتصدية»: ليست في (ف).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٣/ ٣٠٣).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٨٥).

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٧١٧) عن بِشْرِ بنِ تَيْمٍ قال: نزلت هذه الآيةُ في أبي جهلٍ وعمَّارٍ =

مُقاتلٌ: هو رسولُ الله ﷺ[١].

﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ﴾ هـذه نهايـةٌ فـي التَّهديـدِ والوعيـدِ ﴿إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيُجازِيَكـم عليـه.

* * *

(٤١) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ﴾: بالقرآنِ ﴿لَمَّا جَآءَهُمۡ﴾: حينَ جاءَهُم ﴿وَإِنَّهُۥ﴾: وإنَّ القرآنَ ﴿لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ﴾ لا يقدرُ أحدٌ أن يأتيَ بمثلِه.

وقيل: ﴿عَزِيزٞ﴾: مَن تمسَّكَ به أعزَّه الله في الدُّنيا والآخرةِ.

وقيل: ﴿عَزِيزٞ﴾: ممتنعٌ[٢] منَ الباطلِ بما فيه من حُسنِ البيانِ ووُضوحِ البُرهانِ.

وقيل: ﴿عَزِيزٞ﴾: محفوظٌ من أن يُغيَّرَ أو يُبدَّلَ.

* * *

(٤٢ ـ ٤٣) ـ ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدۡ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبۡلِكَۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٖ﴾.

﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ﴾: الشَّيطانُ.

وقيل: التَّبديلُ.

وقيل: التَّناقضُ.

= ابن ياسرٍ، ﴿أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ﴾ أبو جهلٍ ﴿خَيۡرٌ أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ عمَّار بن ياسرٍ.

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٧٤٤).

(٢) في (ف): «منيع».

وقيل: الكذِبُ.

وقيل: ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦ﴾؛ أي: في إخبارِه عمَّا تقدَّمَ ولا عمَّا تأخَّرَ.

وقيل: لا يأتيه الباطلُ بوجهٍ منَ الوُجوهِ.

وقيل: ﴿مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ﴾: لفظُه ﴿وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦ﴾: تأويلُه.

﴿تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾ اختلَفُوا في خبرِ ﴿إِنَّ﴾، والجمهورُ على أنَّه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ﴾ [فصلت: ٤٤]، والذي بينَهما اعتراضٌ، فيه (ذِكرُ) المبتدأ[١].

وقيل: خبرُه مُقدَّرٌ، تقديرُه: إنَّ الذين كفروا بالذِّكرِ كفروا به لـمَّا جاءَهُم.

وقيل: هلَكُوا.

وقيل: خبرُه: ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ﴾؛ لأنَّ تقديرَه: ما يقولونَ لك ﴿إِلَّا مَا قَدۡ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبۡلِكَ﴾؛ أي: ما يقولُ قومُك لكَ إلّا ما قالتِ الأممُ الماضيةُ لرسلِهم من قبلِكَ: إنَّه كاذبٌ، إنَّه ساحرٌ، إنَّه مُفترٍ[٢].

وفيه قولٌ آخرُ: أي: ما يقولُ الله لكَ في الوحيِ والتَّنزيلِ إلّا ما قال للرُّسلِ[٣] من قبلِكَ فيما أُوحيَ إليهم، فعلى هذا لا يصحُّ للخبرِ[٤].

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ﴾ للمؤمنينَ ﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٖ﴾ للكافرين.

وقيل: ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ مفعولٌ لقولِه: ﴿يُقَالُ﴾.

---

(١) كأن المراد أن الضمير في ﴿وإنه﴾ العائد إلى الذكر في الأصل، والله أعلم.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٤٥)، واستغربه.

(٣) في (ن): «إلا ما قد قيل للرسل».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٤٥)، وعده من العجائب.

وقيل: على الحكايةِ. ثمَّ عاد إلى وصفِ الذِّكرِ فقال:

***

(٤٤) ـ ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾.

﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ﴾؛ أي: الذِّكرَ ﴿قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا﴾ على لغةِ العجَمِ[1]، لنفرَتْ منه العربُ[2].

﴿لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ﴾ بلسانِ العربِ.

﴿ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ﴾ من تمامِ كلامِهم؛ أي: المُنزَّلُ أعجميٌّ، والمُنزَّلُ عليه عربيٌّ، كيف يتوافقان؟

وقيل: المُنزَّلُ أعجميٌّ، والمُنزَّلُ إليهم عربيُّون، والاستفهامُ للإنكارِ.

وقال بعضُهم: يُعنَى بالأعجميِّ غيرُ المُبيَّنِ؛ أي: لو أنزَلْناه غيرَ مُبيَّنٍ لقالوا: لولا أُنزِلَ مُبيَّنًا.

وقيل: تقديرُ الآيةِ: إنَّ الذين كفَروا بالذِّكرِ لـمَّا جاءَهم وقالوا: هلّا أُنزِلَ بلسانِ العجمِ ليكونَ أقربَ إلى المُعجزةِ؛ لعجزِك عن نظمِ الكتابِ على لغةِ العجَمِ، وإنَّه لكتابٌ عزيزُ الآياتِ.

ثـمَّ قـال مُجيبًا لهؤلاءِ: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا﴾ كما اقترَحُوا ﴿لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ﴾: بُيِّنَتْ[3] ﴿ءَايَٰتُهُۥٓ﴾ بلسانِ العربِ؛ لنفهمَه نحنُ من غيرِ ترجُمانٍ.

---

(١) في (ف): «على غير لغة العرب».

(٢) في (ف) زيادة: «وقالوا».

(٣) «بينت»: ليست في (ف).

ثمَّ قالَ: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى﴾ منَ الضَّلالةِ ﴿وَشِفَآءٌ﴾ منَ الشَّكِّ؛ فإنَّ الشَّكَّ مرضٌ، ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ﴾؛ أي: هم لتَرْكِهم قَبولَه بمنزلةِ مَن في أُذُنِه صمَمٌ.

﴿وَهُوَ﴾؛ أي: القرآنُ ﴿عَلَيْهِمْ عَمًى﴾: لا يُبصرونَ به مراشدَهم.

وقيل: عَمَى القلبِ.

ويحتمِلُ أن يكونَ (الذين) في محلِّ جرٍّ عطفًا على (الذينَ آمَنُوا)، وتقديرُه: والذين لا يُؤمنون وَقرٌ في آذانِهم(١).

﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾: يسمَعُونَ الصَّوتَ بالقرآنِ ولا يفهمُونَ المعنى.

وقيل: بعيدٍ من قلوبِهم.

وقيل: بعيدٍ منَ الإجابةِ.

وقيل: هو مثَلٌ لمَن لا يفهمُ، وعلى الضِّدِّ: أنَّه يَأخذُ من قريبٍ.

وقيل: يُنادَونَ في القيامةِ بأشنعِ الأسماءِ.

* * *

(٤٥) - ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ﴾: التَّوراةَ ﴿فَٱخْتُلِفَ فِيهِ﴾: فاختلَفَ أمَّتُه فيها؛ فمِن مُصدِّقٍ ومُكذِّبٍ، ومُحرِّفٍ ومُبدِّلٍ.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ قيل: هو الأجلُ المُسمَّى.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٤٥)، واستغربه.

وقيل: هي قولُه: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤].

وقيل: هي قولُه: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ [القمر: ٤٦].

وقيل: هي قولُه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

والمعنى: سبقَتْ بتأخيرِ العذابِ ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾: أهلكَهم إهلاكَ استئصالٍ ﴿وَإِنَّهُمْ﴾: وإنَّ اليهودَ ﴿لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾؛ أي: معه تُهمةٌ.

وقيل: تمَّ الكلامُ على قولِه: ﴿فَٱخْتُلِفَ فِيهِ﴾؛ أي: اختلفَ اليهودُ في كتابِهم كما اختلفَ قومُك في القرآنِ، ثمَّ رجعَ إلى القولِ في العربِ فقال: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ﴾ الآية.

***

(٤٦) ـ ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾.

﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ﴾ ثوابُه ﴿وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾ عقابُه.

﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ ذُكِرَ بلفظِ المُبالغةِ لمكانِ (العبيدِ)؛ فإنَّه جمعٌ.

وقيل: كأنَّه جوابُ قائلٍ: إنَّه ظلَّامٌ.

وقيل: مَن ظلَمَ وعلِمَ أنَّه يظلِمُ فهو ظلَّامٌ.

***

(٤٧) ـ ﴿۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ﴾.

﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾؛ أي: علمُها عندَ الله فحسبُ.

وقيل: مَن يُسأَلُ عنها[1] قالَ: اللهُ يعلَمُ.

---

(١) في (ن): «من سئل».

وقيل: يجبُ على المسؤولِ أن يقولَ: الله يعلمُ ذلك.

﴿وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا﴾: من أوْعِيَتِها ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ﴾ حملَها ﴿إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾؛ أي: والله عالـمٌ به، فالباءُ للحالِ.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ فيقول: ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِى﴾ بزَعمِهم.

﴿قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ﴾: أعلَمْناكَ، وقيل: أخبَرْناكَ.

وقيل: أسمَعْناكَ، من قولِه: ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾ [الانشقاق: ٢][1].

﴿مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ﴾؛ أي: لهم.

وقيل: ﴿مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ﴾ أنَّ لك شريكًا؛ لأنَّهم لـمَّا عايَنُوا القيامةَ تبرَّؤوا من معبودِيهم.

وقيل: يقولُ المعبودونَ: ﴿مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ﴾ يشهدُ لهم بأنَّهم كانوا مُحِقِّين.

وقيل: كلامُ العابدينَ والمعبودينَ.

***

(٤٨) ـ ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾.

﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَدْعُونَ﴾: يعبُدونَ ﴿مِن قَبْلُ﴾: قبلَ يومِ القيامةِ؛ أي: لـم ينتَفِعُوا بهم.

﴿وَظَنُّواْ﴾: أيقَنُوا، والظَّنُّ هاهنا مُعلَّقٌ عمِلَ في المعنى دونَ اللَّفظِ، كما يُعلَّقُ مع لامِ الابتداءِ وألفِ الاستفهامِ.

﴿مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾: مهرَبٍ ومخلَصٍ من عذابِ الله.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٤٥)، واستغربه.

وعن بعضِ القُرَّاءِ الوقفُ على ﴿وَظَنُّواْ﴾؛ أي: وظنُّوهم آلهةً، ثمَّ استأنفَ فقالَ: ﴿مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾[1]، فلا يكونُ الظَّنُّ مُعلَّقًا.

* * *

(٤٩) ـ ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ﴾.

﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ الكافرُ، وقيل: عامٌّ للجنسِ.

﴿مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ﴾؛ أي: من دُعائِه الخيرَ.

والخيرُ هاهنا: المالُ.

وقيل: الصِّحَّةُ والعافيةُ.

والمعنى: لا يمَلُّ من جمعِ المالِ وطلبِه له.

﴿وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾: الفقرُ ﴿فَيَـُٔوسٌ﴾ منَ الخيرِ ﴿قَنُوطٌ﴾ منَ الرَّحمةِ.

وقيل: يؤوسٌ منَ الإجابةِ قَنوطٌ بسوءِ الظَّنِّ.

وقيل: ﴿يؤوسٌ قَنوطٌ﴾ من عَودِ النِّعمةِ وزَوالِ المكروهِ.

* * *

(٥٠) ـ ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾.

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا﴾ يعني: أصبْناه عافيةً وغِنًى[2] ﴿مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ﴾

---

(١) انظر: «المكتفى في الوقف والابتدا» لأبي عمرو الداني (ص: ١٨٧)، وقال الأشموني في «الوقف والابتداء» (٢/ ٢٣٩): «﴿وَظَنُّواْ﴾ تام، قاله أبو حاتم السجستاني، والأجود الوقف على ﴿مِن قَبْلُ﴾، والابتداء بقوله: ﴿وَظَنُّواْ﴾».

(٢) كذا في النسختين، والظاهر أنه يجب أن يكون «أصبناه بعافية وغنى».

يعنـي: من بعـدِ شـدَّةٍ أصابَتْـه ﴿لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى﴾ يعني: أنـا أهلٌ لهذا ومُسـتحِقُّه.

وقيل: ﴿هَٰذَا لِى﴾؛ أي: من خيرٍ عندي.

وقيل: هذا لعِلمي.

وقيل: هذا لي وأنا حقيقٌ به.

والمعنى: لا يرى ذلك تفَضُّلًا منَ الله وجبَ عليه شكرُه له، وشكَّ في الآخرةِ أيضًا فقالَ: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾: ما أُراها تكونُ ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ﴾ كما يقولُ المسلمونَ ﴿إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾ يُفضِّلُني في الآخرةِ كما فضَّلَني في الدُّنيا؛ لأنَّ تفضيلَه إيّايَ يدلُّ على رِضاه عنِّي.

وقيل: هذا استهزاءٌ وتكذيبٌ.

والحسنى: ما يحسُنُ ذِكرُه، ضدُّ السُّوءِ، وقيل: الحسنى: الجنّةُ.

﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟﴾: لنَجزِينَّهم بأعمالِـهم ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۝٥٠﴾: شديدٍ لا يُفتَّرُ عنهم.

***

(٥١) ـ ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾.

﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ﴾ عن الشُّكرِ والطّاعةِ مُتكبِّرًا مُتجبِّرًا ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾: تباعَدَ بكُلِّيتِه؛ لأنَّه إذا أَبعَدَ الجانبَ الذي هو فيه فقد بَعُدَ وأَبعَدَ كلَّ متعلِّقٍ به، وقراءةُ مَن قرأ: ﴿وناءَ بجانبه﴾[1] مقلوبُ (نَأَى) وبمعناهُ.

---

(١) هي قراءة ابن ذكوان. انظر: «السبعة» (ص: ٥٧٧)، و«التيسير» (ص: ١٤١).

وقيل: معناه: أُعجِبَ[١] بنفسِه وتكبَّرَ.

﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾: كثيرٍ، وقيل: طويلٍ.

والوصفُ بالعرضِ أبلَغُ منَ الوصفِ بالطُّولِ؛ لأنَّ الشَّيءَ إذا كان عريضًا فهو طويلٌ لا بدَّ، وقد يكونُ الشَّيءُ طويلًا في قليلٍ منَ العرضِ كالحبلِ والخيطِ، وقد يكونُ طويلًا لا عرضَ له البتَّةَ كالخطِّ؛ فإنَّه طولٌ لا عرضَ له[٢].

ولا مُنافاةَ بينَ قولِه: ﴿يَؤُوسٌ قَنُوطٌ﴾، وبينَ قولِه: ﴿ذُو دُعاءٍ عَرِيضٍ﴾؛ لأنَّ الأوَّلَ في قومٍ، والثَّانيَ في قومٍ.

وقيل: قَنوطٌ في البحرِ، وذو دعاءٍ في البرِّ.

وقيل: يؤوسٌ قَنوطٌ بالقلبِ، دَعَّاءٌ باللِّسانِ.

وقيل: يؤوسٌ قَنوطٌ منَ الصَّنمِ، دَعَّاءٌ لله.

* * *

(٥٢) - ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ﴾؛ أي: القرآنُ ﴿مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ﴾؛ أي: جحَدْتُم وأنكرتُم أنَّه من عندِ الله، وأفادَ ﴿ثُمَّ﴾ أنَّكم[٣] كفرتُم به الآنَ.

﴿مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾: خلافٍ بعيدٍ عنِ الوِفاقِ؛ أي: لا أحدَ أضلُّ منه.

---

(١) في (ن): «فأعجب».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٤٦)، واستغربه.

(٣) «أنكم»: ليست في (ف)، وتكررت فيها: «كفرتم».

(٥٣) ـ ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾.

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ ﴾ هو ما أخبرَهم النَّبيُّ ﷺ بوُقوعِه من الفِتَنِ وظُهورِ الآياتِ في آفاقِ الأرضِ بعدَه، ولـم يُصدِّقوه، ثمَّ كانَ كما أَخبر.

وقيل: ﴿ءَايَٰتِنَا﴾: الأعلامُ التي تدلُّ على التَّوحيدِ.

وقيل: آثارُ مَن كذَّبَ الرُّسلَ، وآثارُ خلقِ الله في كلِّ البلادِ.

وقيل: ﴿ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ﴾ هي الشَّمسُ والقمرُ والنُّجومُ وأحوالُـها.

وقيل: هي انشِقاقُ القمرِ.

﴿وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ بأنْ خلقَهم ﴿مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ الآيةَ [الحج: ٥].

وقيل: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ بالأمراضِ والبلايا.

وقيل: ﴿فِى ٱلْءَافَاقِ﴾: بما يفتحُ عليه من نواحي مكّةَ وأقطارِ الأرضِ، ﴿وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾: فتحُ مكّةَ.

وجاء في بعضِ التَّفاسيرِ: أنَّ أبا جهلٍ قال للنَّبيِّ ﷺ: ائتِنا بعلامةٍ، فانشَقَّ القمرُ بنصفَين، فقال أبو جهلٍ: يا معشرَ قُريشٍ! قد سحَرَكم محمَّدٌ، فوجِّهوا رُسلَكُم في الآفاقِ هل عاينوا القمرَ كذلك؟ فإنْ عاينوا شيئًا فهو آيةٌ، وإلّا فذلك سِحرٌ. فوجَّهوا رسُلَهم في الأرضِ، فإذا النّاسُ كلُّهم يتحدَّثون في انشقاقِ القمرِ، فقال أبو جهلٍ عليه اللَّعنةُ: هذا سِحرٌ مُستمِرٌّ، فنزلَ: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾[1].

﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ﴾: أنَّ القرآنَ.

وقيل: أنَّ محمدًا ﷺ.

---

(١) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٢٣٣).

وقيل: أنَّ الله تعالى.

وقيل: أنَّ الدِّينَ.

﴿ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾؛ أي: أوَلَـم يكفِ الإنسانَ منَ الزَّاجرِ والرَّادعِ عن المعاصي كونُ الله شهيدًا عليه[1]؟

وقيل: أوَلَـم يكفِ بربِّكَ شهيدًا لا يُخلِفُ ما وَعَدَ؟

* * *

(٥٤) ـ ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ فِي مِرۡيَةٖ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمۡۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ﴾.

﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ فِي مِرۡيَةٖ﴾: شكٍّ ﴿مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمۡ﴾: البعثِ والحسابِ.

وقيل: المُخاطبةِ والمُحاسبةِ.

﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ﴾؛ أي: عالِـمٌ حافظٌ له، فقد أحاطَ به علمُه وقدرتُه.

والحمدُ لله حقَّ حمدِه.

* * *

---

(١) قال المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٤٦): «﴿بِرَبِّكَ﴾ الباء زائدة دخلت على الفاعل، وهذا نادر، وقيل: تقديره: اكتف بربك، ﴿أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ بدل من قوله: ﴿بِرَبِّكَ﴾، وإن شئت جعلتَه في محل جر، وإن شئت في محل رفع، وإن شئت في محل نصب».

سُورَةُ الشُّورَىٰ

سورةُ حم عسق

ثلاثٌ وخمسونَ آيةً. وقيل(1): هي سورةُ الشُّورَى.

مكِّيَّةٌ، ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: إلَّا أربعَ آياتٍ من قولِه: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا﴾ فإنَّها نزلَتْ بالمدينةِ(2).

مقاتلٌ: مكِّيَّةٌ إلَّا قولَه: ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِي يُبَشِّرُ ٱللَّهُ﴾ إلى قولِه: ﴿ٱلصُّدُورِ﴾، وقولَه: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ﴾ إلى ﴿مِّن سَبِيلٍ﴾(3).

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(1) ـ ﴿حمٓ (1) عٓسٓقٓ﴾.

﴿حمٓ (1) عٓسٓقٓ﴾ الكلامُ في ﴿حمٓ﴾ سبقَ، واختُلِفَ في ﴿عٓسٓقٓ﴾:

فقيل: اسمٌ للسُّورةِ.

وقيل: اسمٌ من أسماءِ الله تعالى.

وقيل: اسمُ جبلٍ.

---

(1) «قيل»: ليست في (ف).

(2) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (5/ 191)، والجرجاني في «درج الدرر» (4/ 1513).

(3) أشار في حواشي «تفسير مقاتل» (3/ 763) إلى وجود ذلك في نسختين، ولم يثبته المحقق في النص.

وعن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّها نزلَتْ في رجلٍ يُقالُ له: أبو عبدِ الله، ينزلُ على نهرٍ من أنهارِ المشرقِ، يبني عليه مدينتَين. حكاه الثَّعلبيُّ وأطالَ[١]، ورواه أيضًا مرفوعًا[٢].

وقيل: هي رموزٌ إلى فتنٍ كانَ عليٌّ رضي الله عنه يعرِفُ بها الفتنَ.

وذهبَ بعضُهم إلى أنَّ الحاءَ حُكْمُ الله، والميمَ مُلْكُه، والعَينَ عِلْمُه، والسِّينَ سَناؤُه، والقافَ قُدرتُه.

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢٣/ ٣٢٥)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٤٦٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٧٤) بلفظ: «عن أرطاة بن المنذر قال: جاء رجل إلى ابن عباس، فقال له وعنده حذيفة بن اليمان: أخبرني عن تفسير، قول الله: ﴿حمٓ ١ عٓسٓقٓ﴾ قال: فأطرق ثم أعرض عنه، ثم كرر، مقالته فأعرض، فلم يجبه بشيء وكره مقالته، ثم كررها الثالثة فلم يجبه شيئاً، فقال له حذيفة: «أنا أنبئك بها، قد عرفتُ بم كرهها، نزلت في رجل من أهل بيته يقال له عبد الإله أو عبد الله ينزل على نهر من أنهار المشرق، تبنى عليه مدينتان يَشق النهر بينهما شقاً، فإذا أذن الله في زوال ملكهم، وانقطاع دولتهم ومدتهم، بعث الله على إحداهما نارًا ليلًا، فتصبح سوداء مظلمة قد احترقت، كأنها لم تكن مكانها، وتصبح صاحبتها متعجبة، كيف أفلتت، فما هو إلا بياض يومها ذلك حتى يجتمع فيها كل جبار عنيد منهم، ثم يخسف الله بها وبهم جميعاً، فذلك قوله: ﴿حمٓ ١ عٓسٓقٓ﴾ يعني: عزيمة من الله وفتنة وقضاء حُمَّ، (عين): يعني عدلاً منه، (سين): يعني سيكون، و(قاف): يعني واقع بهاتين المدينتين».

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٣/ ٣٢٧) عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه، ولفظه: «تبنى مدينة بين دجلة ودجيل وقُطرَبل والصّراة يجتمع فيها جبابرة أهل الأرض، تجبى إليها الخزائن، يخسف بها ـ وقال مرة: يخسف بأهلها ـ فلهي أسرع ذهابًا في الأرض من الوتد الحديد في الأرض الرخوة». ورواه أيضًا الداني في «الفتن» (٤٦٩)، وقال يحيى بن معين: «هذا موضوع، أو قال: كذب». انظر: «العلل» للإمام أحمد (٢/ ٣٧٠)، ورواه العقيلي في «الضعفاء» (٢/ ١٧٢) وذكر عن الإمام أحمد أنه قال فيه: «ليس لهذا الحديث أصل».

وقيل: الحاءُ حربُ عليٍّ ومعاويةَ، والميمُ ولاية المروانيَّةِ، والعينُ ولايةُ العبَّاسيَّةِ، والسِّينُ ولايةُ السُّفيانيَّةِ، والقافُ قدرةُ مهديٍّ[1].

وأطالوا بمثلِ هذه الأقاويلِ حتَّى قال أبو مسلمٍ بعدما حكى بعضَها: أردْتُ بذكرِ ذلك أن يُعلمَ أنَّ في مَن يدَّعي العلمَ أيضًا حمقَى، والسَّلام.

وفي بعضِ مصاحفِ ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه: (حم سق)، وكذلك قراءةُ ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما[2].

وفُصِلُ ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾ خلافَ ﴿كٓهيعٓصٓ﴾؛ لتقدُّمِ ﴿حمٓ﴾ قبلَه، واستقلالِ هذه بنفسِها، ولهذا عُدَّا آيتَين.

ابنُ عيسى: إنَّما فُصِلَتْ هذه من سائرِها بذكرِ ﴿عٓسٓقٓ﴾ لأنَّ جميعَها ذُكِرَ الكتابُ بعدَه على التَّصريحِ، إلّا هذه فإنَّه دلَّ عليه دَلالةَ التَّضمينِ بذكرِ الوحيِ الذي يرجعُ إلى الكتابِ.

***

(٣) - ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾.

﴿كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيۡكَ﴾ ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: ليس من نبيٍّ صاحبِ كتابٍ إلّا يُوحِي الله إليه: ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾، ولذلك قال: ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيۡكَ﴾[3].

وقيل: أُوحِيَ معانِيْها على سائرِ الأنبياءِ.

وقيل: إشارةٌ إلى ما سيُذكَرُ في السُّورةِ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٤٧)، وعده من العجائب.

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣٤).

(٣) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٢٣٦)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٣/ ٣٣٠).

وقيل: إشارةٌ إلى شأنِ النَّبيِّ ﷺ وما كان عليه؛ أي: حالُ كلِّ مَن أُوحِيَ إليه كانت كحالِكَ، جوابًا لمَن أنكرَ الوحيَ.

ومَن قرأ ﴿يوحَى﴾ على المجهولِ[1]، فـ﴿ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ رفعٌ بفعلٍ دلَّ عليه ﴿يوحَى﴾، ومثلُه: ﴿يُسبَّح له فيها﴾ [النور: ٣٦] فيمَن فتحَ الباءَ[2]، قال الشّاعرُ:

لِيُبكَ يزيدُ ضارعٌ لخُصومةٍ ومُخْتَبِطٌ ممَّا تُطيحُ الطَّوائحُ[3]

وقيلَ: رفعٌ بالابتداءِ، وما بعدَه خبرٌ له.

﴿وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾؛ أي: الأنبياءِ ﴿ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ في سلطانِه، ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في أمورِ عبادِه.

* * *

(٤) ـ ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾.

﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ خلقًا وملكًا ﴿وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ كذلك ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ﴾ شأنُه ﴿ٱلْعَظِيمُ﴾ برهانُه.

---

(١) وهي قراءة ابن كثير. انظر: «السبعة» (ص: ٥٨٠)، و«التيسير» (ص: ١٩٤).

(٢) هي قراءة ابن عامر وشعبة، والباقون بالمبني للمعلوم. انظر: «السبعة» (ص: ٤٥٦)، و«التيسير» (ص: ١٦٢).

(٣) البيت لنهشل بن حري يرثي أخاه، كما في «مجاز القرآن» (١/ ٣٤٨)، و«تفسير الطبري» (١٤/ ٤٣)، و«البسيط» للواحدي (١٢/ ٥٧٨). أو للحارث بين نهيك، كما في «كتاب سيبويه» (١/ ٢٨٨).
قال الشهاب الخفاجي في «الحاشية على البيضاوي» (٥/ ٢٨٩): هو من شعر في رثاء يزيد النهشلي، واختلف في قائله؛ فقيل: لبيد، وقيل: نهشل بن حري، وقيل: الحارث بن نهيك النهشلي، وقيل: الحارث بن ضرار النهشلي، وقيل: مزرد، كما في «شرح أبيات الكتاب». وقد تقدم عند تفسير الآية المذكورة من سورة (النور).

(٥) - ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾.

﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾: تقرُبُ، وقيل: من قولِه: ﴿كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ [يوسف: ٧٦].

﴿يَتَفَطَّرْنَ﴾: يتشقَّقْنَ، و: ﴿ينفطِرْنَ﴾[١]: ينشَقِقْنَ، التَّشديدُ للمُبالغةِ.

﴿مِن فَوْقِهِنَّ﴾ الضَّميرُ يعودُ إلى السَّماواتِ؛ أي: تكادُ كلُّ واحدةٍ منها تنفطرُ فوقَ التي تليها.

وقيل: ينفطِرْنَ من أعلاهُنَّ عظمةً لله، فيكونُ مُتَّصلًا بقولِه: ﴿ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾.

وقيل: ﴿مِن﴾ لابتداءِ الغايةِ؛ أي: تفطُّرُها مِن فوقِها.

وقيل: خشيةً مِن فوقِها، فجِهةُ فوقِها سببُ تفطُّرِها.

وقيل: انفطارُه لِأَنْ دَعَوا للرَّحمنِ ولدًا، كما في الآيةِ الأُخرَى.

وقيل: ﴿تَكَادُ﴾ بمعنى: تقرُبُ، والمعنى: قرُبَتِ السّاعةُ وانفطارُ السَّماواتِ.

وما رُوِيَ عن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما: ينفَطِرْنَ من ثقَلِ الرَّحمنِ[٢]؛ فإنْ صحَّ عنه فهو كما جاء في صفةِ القرآنِ: ﴿قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ٥]، وليسَ المُرادُ به اعتمادًا يُوجِبُ التَّحدُّرَ والتَّسفُّلَ، تعالى الله عن ذلك[٣].

---

(١) قرأ بهذه أبو بكر وأبو عمرو، والباقون بالأولى. انظر: «السبعة» (ص: ٥٨٠)، و«التيسير» (ص: ١٩٤).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٤٦٦) بلفظ: «يعني: من ثقل الرحمن وعظمته تبارك وتعالى». وإسناده ضعيف جداً.

(٣) قال النيسابوري في «غرائب القرآن» (٦/ ٦٧): «ولأهل السنة أن يتأولوا الثقل بالهيبة والجلال أو يقدروا مضافاً محذوفاً؛ أي: من ثقل ملائكة الرحمن».

وقيل: الضَّميرُ يعودُ إلى الأرضِ، فهو متَّصلٌ بقولِه: ﴿ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[١].

﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ قيل: هو عامٌّ.

وقيل: هم حملةُ العرشِ.

﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ قيل: يُصلُّون.

وقيل: يُسبِّحون بالحمدِ لله[٢].

وقيل: يُسبِّحون حامِدين.

وقيل: ﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾: بإذنِه.

وقيل: بشُكرِه.

﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ﴾؛ أي: المُؤمنين منهم، كقولِه: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ [غافر: ٧]، واستغفارُهم: شفاعتُهم لهم.

وقيل: يسألونَ لهم الرِّزقَ[٣].

وما رواه الماورديُّ عن عليٍّ رضي الله عنه: ﴿لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ﴾: الحسينُ[٤]؛ فلعلَّه أرادَ: منهم الحسينُ رضي الله عنه. والله أعلم.

﴿أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٤٨)، واستغربه.

(٢) «لله» من (ف).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٤٨)، واستغربه.

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٩٣) عن الأصبغ بن نباتة عن علي رضي الله عنه، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٤٨)، وعده من العجائب.

(٦) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيۡهِمۡ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ﴾؛ أي: أعوانًا وأنصارًا أشركوهُم معه في العبادةِ.

﴿ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيۡهِمۡ﴾: حافظٌ لأعمالِهم فيُجازيهم عليها.

﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ﴾: لم تُوكَّلْ على منعِهم منَ الكفرِ وحملِهم على الإيمانِ.

❊ ❊ ❊

(٧) ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا﴾ بلسانِ قومِك؛ أي[1]: كما أوحَينا إلى رُسلِنا من قبلِك أوحَينا إليك.

وقال صاحبُ «النَّظم»: تقديرُ هذه الآياتِ: إنَّا أوحَينا إلى الذين من قبلِك بمثلِ هذه الحروفِ، كذلك أوحَينا إليك بهذه الحروفِ قرآنًا.

ابنُ بحرٍ: هذا الكلامُ الأوَّلُ أُعيدَ لمَّا اعترَضَ بين الكلامَين ما يُخرجُ عن معناهما[2].

﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ﴾ يعني: مكَّةَ؛ لأنَّ سائرَ الأرضِ دُحيَتْ من تحتِها.

وقيل: لأنَّها أشرفُ البقاعِ، وفيها بيتُ الله العتيقُ.

والمعنى: لتُنذِرَ أهلَها ﴿وَمَنۡ حَوۡلَهَا﴾: حولَ مكَّةَ؛ يعني: العربَ، وهم المبدأُ بهم في الإنذارِ، ثمَّ الأقربَ فالأقربَ.

---

(١) «أي»: ليست في (ف).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٤٩)، واستغربه.

وقيل: ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾: أهلُ الأرضِ جميعًا[١].

﴿وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ﴾؛ أي: تُنذِرَ النَّاسَ يومَ[٢] القيامةِ، فهو مفعولٌ به لا ظرفٌ.

﴿لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ﴾ مُتنعِّمون ﴿وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ مُعذَّبونَ.

* * *

(٨) ـ ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ مُسلمين، كلُّهم يدخلونَ الجنّةَ.

وقيل: لألجأهم إلى الإيمانِ فيُطبِقُوا عليه، لكنْ لم يستحِقُّوا به الثَّوابَ.

وقيل: لجعَلَهم أهلَ ضلالةٍ.

﴿وَلَكِن يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾: الإسلامِ؛ أي: يُكرِمُ بالإسلامِ مَن كان أهلًا لذلك.

﴿وَالظَّالِمُونَ﴾: الكافرون ﴿مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ﴾: والٍ يمنعُهم منَ العذابِ ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ ينصرُهم.

* * *

(٩) ـ ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿أَمِ اتَّخَذُوا﴾: بل اتَّخذوا ﴿مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾: الأصنامَ ﴿فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ﴾ الذي تنفعُ ولايتُه لا الصَّنَمُ ﴿وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى﴾: يُحييهم بعدَ موتِهم.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٤٩)، واستغربه.

(٢) في (ف): «بيوم».

وقيل: هو يُحيي ويُميتُ لا الصَّنمُ.

﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: قادرٌ بذاتِه.

***

(١٠) ـ ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾.

﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ﴾ من أمورِ الدِّينِ والدُّنيا ﴿فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾: فعلمُه عندَ الله.

وقيل: كِلُوا علمَه إلى كتابِ الله وسنَّةِ الرَّسولِ، كقولِه: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩].

وقيل: ﴿فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ وقد بيَّنَ ذلك في القرآنِ؛ إمَّا ظاهرًا منصوصًا، وإمَّا مُتضمَّنًا فيه تضمينًا قريبَ المأخذِ، أو تضمينًا بعيدَ المأخذِ.

قال مُقاتلٌ: إنَّ أهلَ مكَّةَ كفَرَ بعضُهم بالقرآنِ وآمنَ بعضُهم به، فأخبرَ أنَّ حكمَهم إلى الله يَحكمُ يومَ القيامةِ للمُحِقِّ على المُبطلِ، فيصيرُ المُحِقُّ إلى النَّعيمِ، والمُبطِلُ إلى الجحيمِ(١).

وقيل: يحكُمُ في الدُّنيا بإظهارِ المؤمنين عليهم وقتلِهم وأَسرِهم.

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ في جميعِ أموري ﴿وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾: أَرجعُ بالأعمالِ والأقوالِ.

***

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٧٦٥).

(١١) - ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًاۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ مبتدأٌ ﴿جَعَلَ﴾ خبرُه.

وقيل: هو فاطرُ السَّماواتِ والأرضِ.

﴿جَعَلَ لَكُم﴾: خلقَ لكم ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾: من جنسِكم نساءً.

وقيل: من أنفسِكم ذُكورًا أو إناثًا.

﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا﴾ ذكورًا وإناثًا؛ ليُكثِّرَ منافِعَكم بها.

﴿يَذْرَؤُكُمْ﴾: يخلقُكم بكثرةٍ.

وقيل: يُكثِّرُ نسلَكُم.

وقيل: يجعلُكُم ذُرِّيةً.

ابنُ عيسى: الذَّرْءُ: إظهارُ الخلقِ بإيجادِه.

﴿فِيهِ﴾؛ أي: (به) فيمَن جعلَ الهاء كنايةً عن مصدرِ ﴿جَعَلَ﴾.

وقيل: (له) فيمَن جعلَ الهاء كنايةً عن الاختلافِ، كما في قولِه: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨-١١٩][1].

وقيل: الهاءُ تعودُ إلى الذَّرْءِ.

وقيل: معنى ﴿يَذْرَؤُكُمْ﴾: يُعيِّشُكم ويرزُقُكم، والهاءُ تعودُ إلى ﴿ٱلْأَنْعَٰمِ﴾، ووحَّدَ كقولِه: ﴿فِى بُطُونِهِۦ﴾ [النحل: ٦٦]، وقد سبق.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٤٩)، واستغربه.

وقيل: ﴿فِيهِ﴾: في الوقتِ[١].

وقيل: ﴿فِيهِ﴾: فيما ذكَرْناه[٢].

وقيل: في الرَّحِمِ.

وقيل: في البطنِ خَلْقًا من بعدِ خَلْقٍ.

وقيل: في التَّزاوُجِ، وذكرُ الأزواجِ يدلُّ عليه.

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ قيل: الكافُ زيادةٌ زيدَتْ لتأكيدِ نفيِ التَّماثُلِ، ومثلُه قولُ الشّاعرِ:

وقتلَى كمِثْلِ جُذوعِ النَّخيـــ ـــلِ تَغَشَّاهُمُ سَبَلٌ مُنهَمِرْ[٣]

وتقديرُه: ليسَ مثلَه شيءٌ.

وقيل: (مثل) زيادةٌ، والتَّقديرُ: ليس كهو شيءٌ.

وقيل: (مثل) عبارةٌ عن الذّاتِ، كأنَّه قال: ليس كذاتِه شيءٌ.

وقولُ النّاسِ: «مِثْلي لا يفعلُ هذا» يخرَّجُ على القولَينِ.

وقيل: (مِثْل) و(مَثَل) يأتيانِ بمعنى الصِّفةِ؛ أي: ليس كصفتِه صفةٌ.

وقيل: مِثْلُ الشَّيءِ: صاحبُ صفاتٍ كصفاتِه، والله تعالى واحدٌ، ومُحالٌ أن يقعَ الواحدُ على اثنينِ، فإذًا معناه: ليس كصاحبِ صفاتِه شيءٌ، وصاحبُ

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٤٩)، وعده من العجائب. وذكر أيضًا من العجائب: في الرحم، وفي البطن.

(٢) في (ف): «ذكرنا».

(٣) البيت لأوس بن حجر. انظر: «ديوانه» (ص: ٣٠)، و«تفسير الطبري» (٢٠/ ٤٧٧).

صفاتِـه إنَّمـا هـو هـو؛ لأنَّ مِـن صفاتِه مـا لا يجـوزُ أن يشـتركَ فيه اثنـانِ[١].

وقيل: الكافُ لتشبيهِ الصِّفةِ، و(مثل) لتشبيهِ الذَّاتِ، فنفَى بـ﴿لَيۡسَ﴾ الشَّبَهَ عن الذَّاتِ والصِّفاتِ، وهذا ضعيفٌ لا وجهَ له في الإعرابِ[٢].

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ بجميعِ[٣] المسموعاتِ بغيرِ أذُنٍ ﴿ٱلۡبَصِيرُ﴾ لجميعِ المرئيّاتِ بغير حَدَقةٍ، وختمَ الآيةَ بقولِه: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ لئلَّا يُتوهَّمَ أنَّه لا صفاتَ له كما لا مثلَ له.

* * *

(١٢) - ﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾.

﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾: جمعُ إقليدٍ جاءَ على غيرِ بناءِ الواحدِ.

وقيل: جمعُ مقليدٍ ومِقلادٍ.

وقيل: هو مُعرَّبٌ.

و﴿مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾: خزائنُهما؛ في السَّماءِ خزانةُ المطرِ، وفي الأرضِ خزانةُ النَّباتِ.

وقيل: خزانةُ السَّماء الغُيوبُ، وخزانةُ الأرضِ الآياتُ.

وقيـل: ﴿مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾: مفاتيحُهمـا، ومَـن ملَـكَ المفتـاحَ ملَـكَ

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٤٩)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٥٠)، وعده من العجائب.

(٣) في (ف): «لجميع».

الخزانـةَ، وروى ابـنُ عمرَ رضـي الله عنهما: أنَّ عثمـانَ رضي الله عنه سـأَلَ النَّبيَّ ﷺ عـن مقاليـدِ السَّـماواتِ والأرضِ، فقـال عليـه السَّـلامُ: «مـا سـأَلَني أحدٌ عنهـا، إنَّها قـولُ: لا إلهَ إلا الله، والله أكبرُ، سـبحانَ الله، وأسـتغفرُ الله، ولا حـولَ ولا قوّةَ إلا بالله، هـو الأوَّلُ والآخـرُ والظَّاهـرُ والباطـنُ، بيـدِه الخيـرُ، يُحيـي ويُميتُ، وهـو على كلِّ شـيءٍ قديرٌ»[1].

﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾؛ أي: يُوسِّعُ الرِّزقَ لمَن يشاءُ، ويقدرُ على مَن يشاءُ: يُضيِّقُ.

وقيل: ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾؛ أي: يَقدِرُ له البسطَ، فاكتَفَى بذكرِ أحدِ الضِّدَّين عن الآخرِ.

﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ﴾ من مصالحِ العبادِ ﴿عَلِيمٌ﴾ فيُعطيهم بقَدْرِ مصالحِهم.

***

---

(١) رواه العقيلي في «الضعفاء» (١/ ١١٧)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١٩) عن عثمان رضي الله عنه. وضعفه العقيلي بأغلب بن تميم المسعودي، وقال: «وليس يُتابع أغلبَ عليه إلا من هو دونه».

قال ابن كثير في «تفسيره» (٧/ ١١٢): «غريب جدًّا، وفي صحته نظر».

وقال البوصيري في «إتحاف الخيرة المهرة» (٦٠٨٨): «رواه ابن أبي عاصم وابن السني ـ وهو أصلحهم إسناداً ـ وغيرهم، قال الحافظ المنذري: فيه نكارة، وقد قيل فيه: موضوع، وليس ببعيد».

ونقل ابن عراق عن ابن حجر في «تنزيه الشريعة» (١/ ١٩٢) قوله: «عندي أنه منكر من جميع طرقه، وأما الجزم بكونه موضوعاً فأتوقف عنه؛ إذ لم أر في رواته من وصف بالكذب». وقد تقدم الحديث في تفسير سورة (الزمر).

(١٣) - ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَالَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾.

﴿شَرَعَ﴾ بيَّنَ.

وقيل: أوجَبَ.

وقيل: شرَعَ شريعةً في الخيرِ والشَّرِّ.

وقيل: فتحَ عليكم.

﴿لَكُم﴾: لأجلِكُم، وقيل: عليكُم.

﴿مِّنَ الدِّينِ﴾ قيل: ﴿مِّنَ﴾ زيادةٌ.

وقيل: اختارَ لكم منَ الأديانِ دينًا.

﴿مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾؛ أي: الذي أمرَ به نوحًا، وقدَّمَ ﴿نُوحًا﴾ لأنَّه أوَّلُ مَن أُوحِيَ إليه الحلالُ والحرامُ.

وقيل: أوَّلُ مَن أُوحِيَ إليه تحريمُ الأمَّهاتِ والأخواتِ والبناتِ.

﴿وَالَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ﴾؛ أي: شرعَ ذلك كلَّه.

وقيل: ﴿وَالَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ﴾ مُبتدأٌ، ﴿وَمَا وَصَّيْنَا﴾ عطفٌ، و﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ﴾ خبرُه.

الزَّجَّاجُ: يجوزُ في موضعِ ﴿أَنْ﴾ النَّصبُ على البدلِ من ﴿مَا﴾[١]، والرَّفعُ على: «هو أَنْ أَقِيمُوا»، والجرُّ على البدَلِ من الهاءِ في ﴿بِهِۦ﴾، ويجوزُ أن يكونَ مُتَّصلًا بـ﴿وَصَّيْنَا﴾؛ أي: وصَّينا بأَنْ أقيمُوا[٢].

---

(١) على معنى: شرع لكم أن أقيموا الدين. كما صرح به الزجاج.

(٢) أي: يكون ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ﴾ تفسيرًا لما وصى به نوحًا. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٣٩٦).

ومعنى ﴿أَقِيمُواْ﴾: اعبُدوا[١] وأخلِصُوا في الدِّينِ.

وقيل: إقامةُ الدِّينِ: التَّمسُّكُ به، والعملُ بمُوجَبِه.

وقيل: معنى ﴿أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ﴾: ادعُوا إليه. وقيل: اعمَلُوا به.

﴿وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾؛ أي: لا تختلِفُوا في الدِّينِ؛ فإنَّ الحقَّ واحدٌ.

وعن عليٍّ رضيَ الله عنه: لا تتفرَّقُوا؛ فالجماعةُ رحمةٌ والفرقةُ عذابٌ[٢].

﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾: التَّوحيدُ، وقولُ: لا إلهَ إلا الله، والإخلاصُ.

وقيل: ما خُصِصْتَ به منَ النُّبوَّةِ والرِّسالةِ.

ويحتمِلُ أنَّه يعودُ إلى قولِه: ﴿أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾.

﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ﴾؛ أي: يختارُ للنُّبوَّةِ والرِّسالةِ، والهاءُ تعودُ إلى ما تعودُ إليه في قولِه: ﴿مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾.

وقيل: تعودُ إلى الله تعالى؛ أي: يصطَفي ويضُمُّ مَن يراه أهلًا لذلك، وعدَّاه بـ(إلى) لأنَّ الاجتباءَ بمعنى الجمعِ، من: جبَيتُ الماءَ في الحوضِ، والجمعُ يُعدَّى بـ(إلى) تقولُ: جمعتُ إليه، كما تقولُ: ضمَمْتُ إليه.

وقيل: (إلى) مُتعلِّقٌ بمُضمَرٍ تقديرُه: يجتَبي يدعو إليه.

﴿وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ﴾: يُرشِدُ ويُوفِّقُ ﴿مَن يُنِيبُ﴾: يُقبِلُ إليه.

* * *

---

(١) في (ن): «اعبدوه».

(٢) ذكره النسفي في «مدارك التنزيل» (٣/ ٢٤٨).

(١٤) ـ ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ﴾.

﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ﴾ يعني: الأممَ الذين تقدَّمَ ذِكرُهم، وقيل: أهلُ الكتابِ.

﴿إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ﴾؛ أي: العلمُ بصحَّةِ ما أُمروا به.

وقيل: ﴿ٱلۡعِلۡمُ﴾: القرآنُ.

وقيل: ﴿ٱلۡعِلۡمُ﴾: محمَّدٌ ﷺ.

وقيل: العلمُ بإقامةِ الدِّينِ وتركِ التَّفرُّقِ فيه.

وقيل: جاءهم أسبابُ العلمِ فلم ينظُروا فيها؛ لأنَّه ختمَ الآيةَ بقولِه: ﴿وَإِنَّهُمۡ لَفِي شَكّٖ﴾ والشَّكُّ والعلمُ لا يجتمِعانِ.

﴿بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡ﴾: حسَدًا وعداوةً، فهو مفعولٌ له.

وعن أبيِّ بنِ كعبٍ رضي الله عنه: لابتغاءِ الدُّنيا وطلبِ ملكِها[1].

﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ﴾ بالإمهالِ ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ قيل: هو قولُه: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ﴾ [القمر: ٤٦].

وقيل: تأخيرُهم إلى وقتٍ معلومٍ.

وقيل: إنظارُهم إلى آخرِ أعمارِهم.

﴿لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡ﴾: لعُجِّلت لهم العقوبةُ في الدُّنيا.

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾؛ أي: التَّوراةَ والإنجيلَ ﴿لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ﴾: منَ القرآنِ.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٣٧٧)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٩٧).

وقيل: منَ الإخلاصِ لله.

وقيل: من[١] صدقِ الرَّسولِ.

﴿مُرِيبٍ﴾: مُدخِلٍ في الرِّيبةِ.

وقيل: هم العربُ أورِثُوا الكتابَ بعدَهم فشكُّوا فيه.

***

(١٥) ـ ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾.

﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ﴾ قيل: إشارةٌ إلى الدِّينِ والتَّوحيدِ.

وقيل: إشارةٌ إلى القرآنِ، واللّامُ بمعنى: إلى؛ أي: ادعُ إلى ذلك.

وقيل: هما يتعاقَبان، كما تقولُ: أُوحيَ إليه، و: له.

وقيل: لِـمَا أوتيتَ منَ العلمِ فادعُ، فتكونُ اللَّامُ لتعليلِ وجوبِ الدُّعاءِ[٢].

﴿وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾: اثبُتْ على الدِّينِ.

وقيل: على أمرِ الله.

وقيل: على تبليغِ الرِّسالةِ.

وقيل: على طاعةِ الله ﴿كَمَآ أُمِرْتَ﴾ في القرآنِ.

﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾: لا تعمَلْ بأهوائِهم، وذلك حينَ دعَوه إلى ملَّةِ آبائِه.

---

(١) في (ن): «في».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٥٠)، واستغربه.

وقيل: نزلَتْ في الوليدِ بنِ المُغيرةِ وشيبةَ بنِ ربيعةَ، حين وعدَه الوليدُ بأن يُعطيَه نصفَ مالِه، ووعدَه شيبةُ بأن يُزوِّجَه ابنتَه، إنْ رجعَ عن دعوتِه ودينِه إلى دينِ قريشٍ[١].

﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ﴾؛ أي: جميعِ كتبِ الله تعالى.

﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾: أُسوِّيَ بينكم في التَّبليغِ.

وقيل: أُسوِّيَ بينكم في الحُكمِ.

وقيل: لأُسوِّيَ بيني وبينكم، وأعملَ بما آمرُكم وأنتهيَ عمَّا أنهاكم عنه.

﴿ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾: خالقُنا جميعًا.

﴿لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾: نُجازَى بها، فلا يُؤخَذُ[٢] أحدٌ بذنبِ غيرِه.

﴿لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾: لا خُصومةَ بينَنا في الدِّينِ، والحجَّةُ بمعنى الحِجاجِ، كالخصومةِ بمعنى الخِصامِ.

ابنُ عبّاسٍ: هو خطابٌ لأهلِ الكتابِ، ثمَّ نُسِخَ بقولِه: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٢٩][٣]، فيكونُ المعنى: لم نُؤمَرْ أن نحتجَّ عليكم ونُقاتلَكم، ثمَّ نُسِخَ.

وقيل: هي مُحكمةٌ، والمعنى: قد ظهرتِ البراهينُ وقامتِ الحججُ، فلا نحتاجُ إلى حجّةٍ نُقيمُها.

ابنُ عيسى: معناه: عدَلتُم عن الحُجَّةِ بإظهارِ العداوةِ والحسدِ[٤].

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٩٩).

(٢) في (ف): «يجازي جميعًا ولا يؤخذ».

(٣) رواه النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٦٥٢).

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٩٩).

ويحتمِلُ: لا حجَّةَ بينَنا وبينكم، بل السَّيفُ بيننا وبينكم.

﴿ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَا﴾ في القيامةِ ﴿وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾: المَعادُ لفصلِ القضاءِ.

***

(١٦) - ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٌ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ﴾: يُخاصِمونَ النَّبيَّ والمُؤمنين في توحيدِ الله.

قيل: هم المشرِكون.

وقيل: أهلُ الكتابِ، قالوا: كتابُنا قبلَ كتابِكم، ونبيُّنا قبلَ نبيِّكم، ودينُنا قبلَ دينِكم، فنحنُ خيرٌ منكم(١).

﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ﴾ قيل: من بعدِ ما استجابَ الله محمّدًا(٢) بإظهارِ المُعجزةِ الدَّالَّةِ على نُبوَّتِه.

وقيل: من بعدِ ما استجابَ أهلُ الكتابِ وأقرُّوا بنُبوَّتِه؛ لوجودِهم نعتَه في كتُبِهم، واستفتَحُوا به.

وقيل: من بعدِ ما استجابَ المؤمنونَ لربِّهم وآمنوا بكتابِهم.

وقيل: أُجيبَ له يومَ الميثاقِ.

وقيل: من بعدِ ما أُجيبوا إلى ما طلَبُوا منَ البيانِ والحجَّةِ.

وقيل: الاستجابةُ هاهنا: خلقُ السَّماواتِ ونصبُ الأَدِلَّاتِ(٣).

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٧٣٣)، والطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٤٨٩).

(٢) كذا في النسختين، وكان الأظهر: «واستجاب الله لمحمد».

(٣) في (ف): «الأدلات».

﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ﴾ لا تُؤدِّي إلى الحقِّ.

وقيل: ﴿دَاحِضَةٌ﴾: باطلةٌ زائلةٌ لتمسُّكِهم بالباطلِ، وسُمِّيت حُجَّةً بزعمِهم.

﴿عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ﴾ بكفرِهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ في النّارِ.

* * *

(١٧) ـ ﴿ اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾.

﴿ اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ ﴾ ـ اسمٌ للجنسِ ـ ﴿بِالْحَقِّ﴾: بالصِّدقِ، ﴿وَالْمِيزَانَ﴾: العَدْلَ، وقيل: الأحكامَ.

وقيل: هو عينُ الميزانِ في زمنِ نوحٍ عليه السَّلامُ[١].

وقيل: أَلْهَمَ اتِّخاذَ الميزانِ.

وقيل: الميزانُ محمَّدٌ ﷺ يقضي بينَهم بالكتابِ[٢].

﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ يا محمَّدُ ﴿لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾؛ أي: قريبٌ إتيانُها.

سيبويهِ: ذاتُ قربٍ، على النَّسبِ[٣].

الزَّجَّاجُ: لأنَّ تأنيثَها غيرُ حقيقيٍّ[٤].

أبو عبيدةَ: القريبُ والبعيدُ إذا كانا ظرفَين أو بمعنى الظَّرفِ يستَوي فيهما المُذكَّرُ والمُؤنَّثُ، والواحدُ والجمعُ[٥].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٥٠)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٥٠)، وعده من العجائب.

(٣) قوله: «على النسب» يعني: كحائض وطامث؛ بمعنى: ذات حيض، وذات طمث. انظر: «الكتاب» (٣/ ٣٨٣) (باب ما يكون مذكرًا يوصف المؤنَّث)، و«غرائب التفسير» (٢/ ١٠٥١).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٣٩٦).

(٥) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ١٩٩، ٢٠٠)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٥١)، واستغربه.

(١٨) ـ ﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَـٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴾.

﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ﴾ استهزاءً.

وقيل: طمعًا في أن يذكرَ النبيُّ ﷺ لها وقتًا مُعيَّنًا، ثمَّ يمضيَ الوقتُ فلا تقعَ، فيصيرَ حجَّةً لهم عليه.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا﴾: خائفونَ منها وجلون لهولها.

وقيل: ﴿مُشْفِقُونَ مِنْهَا﴾ أن تقومَ فتحولَ بينَهم وبينَ التَّوبةِ ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ﴾ الكائنُ لا محالةَ.

﴿أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ﴾: يُجادِلونَ في وُجودِها.

وقيل: يشكُّونَ في وُقوعِها.

وقيل: تَدخلُهم المِريةُ فينفونَها.

﴿لَفِى ضَلَـٰلٍۭ﴾: خطأ ﴿بَعِيدٍ﴾ عنِ الصَّوابِ.

* * *

(١٩) ـ ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ﴾.

﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ﴾؛ أي: بارٌّ بهم ﴿يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ﴾: البَرَّ والفاجرَ.

وقيل: معنى ﴿لَطِيفٌۢ﴾: يرزقُهم من حيثُ لا يعلمون.

وقيل: معناه: يعلمُ خفيَّاتِ أمورِهم، واللُّطفُ في الأصلِ: الرِّقَّةُ.

وقيل: يَلطُفُ بهم فلا يُعاجِلُهم بالعقوبةِ كي يتوبوا.

﴿وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ﴾: الغالبُ غيرُ المغلوبِ.

* * *

(٢٠) - ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ﴾؛ أي: ثوابَ الآخرةِ بعملِه.

وقيل: تقديرُه: مَن كانَ يُريدُ بحَرْثِه الآخرةَ؛ أي: بعملِه.

وقيل: تقديرُه: حرثَ خيرِ الآخرةِ، وسُمِّيَ حَرْثًا؛ أي: كالزّارعِ الحرّاثِ يطلبُ بحرثِه مزروعًا.

﴿نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ﴾ فنُعطيَه بالواحدِ عشرًا ومئةً وأضعافًا.

وقيل: ﴿نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ﴾: نجمَعْ له الدُّنيا والآخرةَ.

﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾ ما قسَمْناه، و(مِن) للتَّبعيضِ.

﴿وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ﴾؛ أي: في خيرِ الآخرةِ ﴿مِن نَّصِيبٍ﴾ لأنَّه كذَّبَ بها.

قتادةُ: إنَّ الله يُعطي الدُّنيا على نيّةِ الآخرةِ، ولا يُعطي الآخرةَ على نيّةِ الدُّنيا[1].

وقيل: نزلَتْ في الذين حارَبُوا مع رسولِ الله ﷺ؛ فمنهم مَن كانَ غرضُه وجهَ الله، فاللهُ وعدَه ذلك وزادَه في الدُّنيا الغنيمةَ، ومنهم مَن كانَ غرضُه الغنيمةَ، وهم المُنافقون فآتاهم ذلك؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ قسمَ الغنيمةَ بين الكلِّ.

وفي كتابِ «النّاسخِ والمنسوخِ»: إنَّ في هذه الآيةِ قولَينِ:

أحدُهما: أنَّها منسوخةٌ بقولِه: ﴿عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ [الإسراء: ١٨]، وهو روايةُ جُوَيبرٍ عن الضَّحّاكِ عن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما.

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٠١)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٤٩١) بلفظ: «من آثر دنياه على آخرته لم نجعل له نصيبًا في الآخرة إلا النار، ولم نزده بذلك من الدنيا شيئًا إلا رزقاً قد فرغ منه وقسم له».

والقولُ الثّاني: أنّها ثابتةٌ، وهو القولُ الذي لا يجوزُ غيرُه؛ لأنّه خبرٌ، والخبرُ لا يدخلُه النَّسخُ[1].

***

(٢١) - ﴿أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَـٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةُ ٱلۡفَصۡلِ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾.

﴿أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَـٰٓؤُاْ﴾ ﴿أَمۡ﴾ هي المُنقطعةُ عندَ بعضِهم، تقديرُه: بل ألهم شركاءُ.

وقال بعضُهم: هي المُعادِلةُ لألفِ الاستفهامِ، وفي الكلامِ مُضمَرٌ تقديرُه: أفتقبَلونَ[2] ما شرعَ الله منَ الدِّينِ الذي وصَّى به نوحًا أم لهم آلهةٌ؟

﴿شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ﴾: وضَعُوا[3] لهم ﴿مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾؛ أي: لم يأمُرْهم الله به.

وقيل: لم يعلَمْ به، كقولِه: ﴿بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الرعد: ٣٣].

والأَذَنُ: العلمُ بالمسموعاتِ؛ أي: شرَعُوا ما ليسَ بشريعةٍ؛ إذ لو كان شريعةً لعلِمَها الله.

وقيل: ما لم يُطلِقِ الله لهم التَّديُّنَ به، كما قالَ: ﴿ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمۡۖ أَمۡ عَلَى ٱللَّهِ تَفۡتَرُونَ﴾ [يونس: ٥٩].

﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةُ ٱلۡفَصۡلِ﴾ وهي نَظِرتُهم إلى وقتِ آجالِهم ﴿لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡ﴾: لعُجِّلت لهم العقوبةُ ﴿وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾.

---

(١) انظر: «الناسخ والمنسوخ» للنحاس (ص: ٥٣١). وخبر ابن عباس واه، جويبر متروك، والضحاك لم يسمع من ابن عباس.

(٢) كذا في النسختين، والأظهر: «أفيقبلون...».

(٣) في (ف): «وصفوا».

(٢٢) ـ ﴿تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعُۢ بِهِمۡۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ﴾.

﴿تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ في القيامةِ ﴿مُشۡفِقِينَ﴾: خائفين ﴿مِمَّا كَسَبُواْ﴾: من جزاءِ كفرِهم ﴿وَهُوَ﴾؛ أي: الجزاءُ ﴿وَاقِعُۢ﴾ لا محيصَ لهم عنه.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِ﴾: في رياضِ الجنانِ، والرَّوضةُ: المكانُ الكثيرُ الخضرةِ والماءِ.

﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾؛ أي: يتمنَّونَ ويشتهونَ في القيامةِ(١).

﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: إعطاءُ هذه الأشياءِ ﴿هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ﴾: النَّعيمُ الدّائمُ على القليلِ منَ العملِ.

***

(٢٣) ـ ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِي يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةٗ نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ شَكُورٌ﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: الفضلُ الكبيرُ، هو ﴿ٱلَّذِي يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾؛ أي: هو لهم خاصَّةً.

﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا﴾ في سببِ النُّزولِ: عن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّ النَّبيَّ ﷺ لمَّا قدِمَ المدينةَ أتاه الأنصارُ وقالوا: إنَّك ابنُ أُختِنا، وقد هدانا الله على يدَيك، وتنوبُك نوائبُ وحقوقٌ، وليس لك عندَها سعةٌ، فرأينا أن نجمعَ لك من

---

(١) في (ف): «الجنة».

أموالِنا شطرًا فنأتيكَ به وتستعينَ على ما ينوبُك، فنزلَتْ هذه الآيةُ(١).

وقال قتادةُ: اجتمعَ المُشركون في مَجْمَعٍ لهم، فقال بعضُهم لبعضٍ: أترَونَ محمَّدًا يَسألُ على ما يتعاطاه أجرًا؟ فأنزَلَ الله هذه الآيةَ(٢).

وفي «النّاسخِ والمنسوخِ»: أنَّها منسوخةٌ بقولِه تعالى: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾ [سبأ: ٤٧](٣).

وفي معناه أربعةُ أقوالٍ:

أحدُها: أنَّ معنى قولِه: ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾: إلّا أنْ تَوَدُّوني في نفسي لقَرابَتي منكم، وهذا لقُريشٍ خاصّةً، وهو قولُ ابنِ عبّاسٍ وعكرمةَ ومُجاهدٍ(٤).

الثّاني: عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ: أنَّه لـمَّا نزلَتْ هذه الآيةُ قالوا: يا رسولَ الله، مَن هؤلاءِ الذين نَوَدُّهم؟ قالَ: «عليٌّ وفاطمةُ وولدُها»(٥).

---

(١) ذكره عن ابن عباس الثعلبي في «تفسيره» (٢٣/ ٣٤٥)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٧٤)، وذكر نحوه الزجاج في «معاني القرآن» (٤/ ٣٩٨) دون نسبة.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٣/ ٣٤٥)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٧٤).

(٣) رواه النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٦٥٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٤٩٥ ـ ٤٩٧). ورواه عن ابن عباس رضي الله عنهما أيضاً البخاري (٤٨١٨): أنه سئل عن قوله: ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣] فقال سعيد بن جبير: قربى آل محمد ﷺ، فقال ابن عباس: عجِلْتَ، إن النبي ﷺ لم يكن بطن من قريش، إلا كان له فيهم قرابة، فقال: «إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة».

(٥) رواه الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (١١٤١)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٦٤١) عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٠٣): «رواه الطبراني من رواية حرب بن الحسن الطحان عن حسين الأشقر عن قيس بن الربيع وقد وثقوا كلهم وضعفهم جماعة، وبقية رجاله ثقات».

والثَّالثُ: عن الحسنِ رضي الله عنه: إلَّا أن تودُّوا إلى الله وتتقرَّبُوا إليه بالطَّاعةِ والعملِ الصّالحِ(١).

الرَّابعُ: إلّا أن تودُّوا أقرباءَكم وتصِلُوا أرحامَكُم(٢).

وفي الاستثناءِ قولانِ:

أحدُهما: أنَّه مُتَّصلٌ، وهو فيمَن جعلَه منسوخًا.

وقيل: مُنقطِعٌ؛ أي: لا أسألُكم أجرًا البتّةَ، لكن أُذكِّرُكم المودَّةَ في القُربى.

﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً﴾: يكتسِبْ طاعةً.

وقيل: حبُّ آلِ محمَّدٍ عليه السَّلامُ، وقَرَفَ واقترَفَ بمعنًى.

وقيل: الاقتِرافُ لا يُستعمَلُ إلّا في الشَّرِّ، لكنْ لـمَّا كان معناه معنى الفعلِ استعملَه مكانَ الفعلِ.

ابنُ عيسى: الاقترافُ: عملُ شيءٍ يُؤخَذُ منه، مثل: قَرَفَ التمرة(٣) في القُلَّةِ.

﴿نَزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا﴾: نُضاعِفْها له، والضَّميرُ يعودُ إلى الحسنةِ، وقيل: إلى الجنّةِ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لمَن أذنَبَ ﴿شَكُورٌ﴾ لمَن أطاعَ.

السُّدِّيُّ: ﴿غَفُورٌ﴾ لذنوبِ آلِ الرَّسولِ عليه السَّلامُ، ﴿شَكُورٌ﴾ لحسناتِهم(٤).

* * *

---

(١) رواه سعيد بن منصور في «سننه ـ التفسير» (١٩١٠)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٢٩)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٥٣٩٦).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٥١)، واستغربه.

(٣) في (ن): «التبر».

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٠٢)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٥٢)، وعده من العجائب.

(٢٤) ـ ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِن يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.

﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾: إنَّ محمَّدًا ﴿افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بدعوى النُّبوَّةِ وتقوُّلِ القرآنِ.

﴿فَإِن يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ لأَنساكَ ما آتاكَ منَ القرآنِ، ولكنَّه لـم يشأْ، فأثبتَه فيه.

ابنُ عيسى: لو حدَّثْتَ نفسَك أن تفتريَ على الله كذِبًا لطبعَ على قلبِكَ(١).

وقيل: لجعلَ قلبَكَ كالمختومِ عليه، لا يصِلُ إليه شيءٌ ولا يخرُجُ منه شيءٌ.

وقيل: لأماتَك؛ فإنَّ قلبَ الميتِ كالمختومِ عليه، ومثلُه: ﴿لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ [الحاقة: ٤٦](٢).

مُقاتلٌ: فإنْ يشأ الله يربِطْ على قلبِكَ بالصَّبرِ على أذاهُم، فلا يدخُلْ قلبَك حزنٌ ولا ضِيقٌ(٣).

ثمَّ استأنفَ فقالَ: ﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ﴾: يرفعُه ويُزيلُه.

وقيل: يُهلِكُ الشِّركَ، وحُذِفَ الواوُ منَ الخطِّ لا للجزمِ، ومثلُه: ﴿وَيَدْعُ الْإِنسَانُ﴾ [الإسراء: ١١]، و: ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ [العلق: ١٨].

وذهبَ أبو عليٍّ الجُبَّائيُّ: أنَّ الواوَ حُذِفَ للجزمِ، وجعلَ معنى الآيةِ: إن افتريتَ ختَمَ على قلبِكَ ومحا الباطلَ المُفترى(٤).

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٠٣).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٥٢)، وعده من العجائب.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٧٦٩)، وفيه: «يربط على قلبك فلا يَدخُل في قلبك المشقةَ من قولهم بأن محمداً كذاب مفترٍ»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٥٢) واستغربه.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٥٢)، وعده من العجائب.

فعلى قولِه ﴿وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ﴾ استئنافٌ، ومعناه: يُظهِرُ الحقَّ ويُثْبتُه.

﴿بِكَلِمَٰتِهِۦٓ﴾: بالقرآنِ.

وقيل: يُصدِّقُ رسولَه بوحيِه.

وقيل: ينصُرُ دينَه بوعدِه.

﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: بضمائرِ القلوبِ، فلو علمَ من قلبِه أنَّه همَّ بالافتراءِ لعاجلَه بالعقوبةِ، فكيفَ إذا نطَقَ به وصرَّحَ.

* * *

(٢٥) - ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ إذا تابوا؛ لأنَّه إنْ لم يقبَلْ كانَ إغراءً بالمعاصي.

﴿وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ بعدَ التَّوبةِ ﴿وَيَعْلَمُ ما يفعلون﴾[1] فيُجازيهِم عليه.

وقيل: يعلَمُ اعتقادَهم فلا يقبلُ إلّا التوبةَ النَّصوحَ.

* * *

(٢٦) - ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾.

﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾؛ أي: يُجيبُهم إلى ما يدعونَه، وقيل: يَقبلُ طاعاتِهم، وقيل: هو دعاءُ بعضِهم لبعضٍ. واستجابَ وأجابَ بمعنًى، زيدَ السِّينُ للتَّوكيدِ؛ كقولِه: تعظَّمَ واستعظَمَ، وتثبَّتَ واستثبَتَ.

وقيل: ويستجيبُ للَّذين، فحُذِفَ اللّامُ، كما قالَ: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٩٥][2]، مَنَّ عليهم بأن أمهلَهُم للتَّوبةِ، ثمَّ إذا تابُوا قبِلَها منهم وعفا

---

(١) قرأ حفص وحمزة والكسائي ﴿مَا تَفْعَلُونَ﴾، والباقون بالياء، وعلى قراءة الياء شرح المصنف. انظر: «السبعة» (ص: ٥٨١).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٥٢)، واستغربه.

بعدَ التَّوبةِ عن سيِّئاتِهم، واستجابَ لهم ربُّهم، وزادَهم من فضلِه.

و﴿ٱلَّذِينَ﴾ على هذَين القولَين نصبٌ[1].

وقيل: محلُّه رفعٌ؛ أي: يُجيبُ المؤمنونَ ربَّهم فيما دعاهُم إليه[2].

﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦ﴾: يُعطيهم في الجنّةِ أكثرَ ممَّا سألوا.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: يُشفِّعُهم في إخوانِهم ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦ﴾: يُشفِّعُهم في إخوانِ إخوانِهم[3].

الضَّحَّاكُ: ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦ﴾: يجعلُ لهم محبَّةً في صدورِهم، ويُسبِغُ عليهم النِّعمةَ في الدُّنيا والآخرةِ[4].

وعن عبدِ الله رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦ﴾: الشَّفاعةُ لمَن وجبَتْ له النّارُ»[5].

﴿وَٱلۡكَٰفِرُونَ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞ﴾ في الآخرةِ.

* * *

---

(١) والفاعل ضمير مستتر تقديره: هو، يعود على الخالق سبحانه وتعالى.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٥٣)، وعده من العجائب.

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٣/ ٣٧١).

(٤) لم أقف عليه.

(٥) رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٨٤٦)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٤٦٢)، و«الأوسط» (٥٧٧٠)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ١٠٨)، وعزاه ابن كثير في «تفسيره» (٢/ ٤٢٨) إلى ابن مردويه، وقال: «وهذا إسناد لا يثبت، وإذا روي عن ابن مسعود موقوفًا فهو جيد». وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٣): «رواه الطبراني في «الأوسط» و«الكبير»، وفيه إسماعيل بن عبد الله الكندي، ضعفه الذهبي من عند نفسه فقال: أتى بخبر منكر، وبقية رجاله وثقوا». وضعف إسناده السيوطي في «الدر المنثور» (٢/ ٧٥٢).

(٢٧) ـ ﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴾.

﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ ﴾: لو أغناهُم جميعًا ﴿لَبَغَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾؛ أي: بغَى بعضُهم على بعضٍ.

وقيل: لظَلَمُوا في الأرضِ.

وقيل: لبَغَوا بارتكابِ المعاصي.

وقيل: لتَرامَوا إلى إفسادِ الأرضِ بأنْ لا يحتاجَ بعضُهم إلى بعضٍ فلا يتعاوَنُوا.

﴿وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ﴾؛ أي: بقَدْرِ ما علمَ أنَّ فيه صلاحَهم.

محمَّد بنُ جريرٍ: إنَّها نزلَتْ في أصحابِ الصُّفَّةِ تـمَنَّوا الغِنَى(١).

وقيل: هذا في العربِ، كانوا إذا أخصَبُوا تحارَبُوا وأغارَ بعضُهم على بعضٍ، وإذا أجدَبُوا انتجَعُوا في طلبِ الرِّزقِ، وفيه يقولُ الشّاعرُ:

وفي البقلِ إنْ لم يَدْفعِ اللهُ شرَّه ... شياطينُ ينزُو بعضُهنَّ على بعضِ(٢)

ومثلُه:

قومٌ إذا نبَتَ الرَّبيعُ لهم(٣) ... نبتَتْ عداوتُهم معَ البقلِ(٤)

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢٠/ ٥٠٩)، ورواه عن عمرو بن حريث.

(٢) البيت بلا نسبة في «المعاني الكبير» لابن قتيبة (٢/ ٨٩٦)، و«الكامل» للمبرد (٣/ ٧٢)، و«غريب الحديث» للخطابي (١/ ٥٢٧).

(٣) في (ن): «بأرضهم» والمثبت من (ف) والمصادر.

(٤) البيت للحارث بن دوس الإيادي يخاطب المنذر بن ماء السماء. انظر: «المعاني الكبير» (٢/ ٩٦٢)، و«لسان العرب» مادة: (ب ق ل). وهو دون نسبة في «الصحاح» مادة: (ب ق ل)، و«مجمل اللغة» (١/ ١٣٠) مادة: (ب ق ل)، و«الاقتضاب» للبطليوسي (٣/ ٣١١).

﴿إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٌ﴾ علمَ صلاحَهم وصلاحَ كلِّ أحدٍ منهم فأعطى كلَّ أحدٍ منهم ما كُتِبَ له منَ الرِّزقِ.

وقيل: لو رزَقَهم من غيرِ كسبٍ لتفرَّغوا للفسادِ، ولكنْ شغلَهم بالكسبِ؛ لئلّا يتفرَّغُوا للفسادِ.

* * *

(٢٨) - ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ وهو منَ المطرِ ما كانَ نافعًا وفي وقتِه، والمطرُ قد يكونُ نافعًا ومُضِرًّا، وفي وقتِه وغيرِ وقتِه.

﴿مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟﴾ أيسُوا منه لتأخُّرِ نزولِه.

﴿وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ﴾: نعمتَه وخِصْبَه، فيعمُّ(١) السَّهلَ والجبلَ والعامرَ والغامرَ.

وقيل: رحمتُه: مطرُه.

وقيل: نَشْرُها: عمومُها لجميعِ الخليقةِ.

﴿وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾: الرَّبُّ المحمودُ، يُعيدُ المطرَ عامًا بعد عامٍ، مرَّةً بعد أُخرى(٢).

وذهبَ بعضُ المُفسِّرين إلى أنَّ ﴿ٱلْوَلِىُّ﴾ في الآيةِ: المطرُ الذي يقعُ بعد الوسميِّ(٣) ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾: المحمودُ أثرُه(٤).

---

(١) في (ف): «فتعم».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٥٣)، وعده من العجائب.

(٣) في هامش (ن): «الوسمي: المطر الأول»، فالوسمي أول مطر السنة في الخريف، والولي آخر مطر الشتاء قبل الربيع. انظر: «العين» (٧/ ٣٢٢)، و«المخصص» ....

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٥٣)، وعده من العجائب.

(٢٩) - ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ﴾.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ﴾: من علاماتِ قُدرتِه ﴿خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ مع عِظَمِهما وكثرةِ أجزائِهما ﴿وَمَا بَثَّ﴾: خلَقَ وفرَّقَ ﴿فِيهِمَا﴾: في السَّماواتِ وفي الأرضِ ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾: من خلقٍ.

وقيل: ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾: الإنسُ والجنُّ والملائكةُ وسائرُ الحيوانِ.

الفرَّاءُ: ﴿فِيهِمَا﴾ يعودُ إلى الأرضِ وحدَها؛ كقولِه: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٢٢][1].

﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ﴾: إحيائِهم بعدَ الموتِ ﴿إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ﴾: قادرٌ على ذلك.

***

(٣٠) - ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ﴾.

﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ﴾: غمٍّ وألمٍ ومكروهٍ ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾: فهو عقوبةُ المعاصي[2] التي اكتَسبْتُموها.

﴿وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ﴾ منَ الذُّنوبِ فلا يُعاقِبُ عليه.

وقيل: عن كثيرٍ منَ النَّاسِ فلا يُعاجِلُهم بالعقوبةِ؛ إمَّا عطفًا ورحمةً، وإمَّا زيادةً في العذابِ واستدراجًا.

الحسنُ: أرادَ به إقامةَ الحدودِ على المعاصي، ويعفُو عن كثيرٍ فلم يجعَلْ له حدًّا[3].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٤)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٥٣)، واستغربه.

(٢) في (ف): «للمعاصي».

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٠٤) وقال: «وهو مقتضى قول الحسن»، وقول =

مَن قرأ بالفاءِ فهو لجوابِ الشَّرطِ، أو بمعنَى الشَّرطِ[١]، ومَن حذفَ الفاءَ[٢] جعلَ ﴿ما﴾ مُبتدأً، وإن شئتَ قلتَ: لمَّا لم يَعملْ جزمًا لـم يحتَجْ إلى الفاءِ[٣].

وفي «تفسيرِ الكعبيِّ»: تعلَّقَ بهذه الآيةِ مَن يقولُ بالتَّناسخِ، وقالوا: لولا أنَّ الأطفالَ والبهائمَ كانت لهم حالةٌ كانوا عليها قبلَ هذه الحالةِ ما كانوا ليتألَّـموا.

قالَ: وقالَ الآخرون: لـمَّا بطَلَ قولُ أصحابِ التَّناسخِ، وصحَّ أنَّ الأطفالَ لا ذنوبَ لهم صحَّ أنَّ الأطفالَ لا يألَـمونَ.

قالَ: قيل لهم: هذا خطابٌ للبالغينَ المُكلَّفين، وليس فيهم طفلٌ ولا شيءٌ منَ البهائمِ والحيوانِ غيرِ البالغِ المُكلَّفِ العاقلِ[٤].

وقال غيرُه: إنَّها في البالغينَ عقوبةٌ، وفي الأطفالِ مثوبةٌ.

وقيل: فيما يُصيبُ الطِّفلَ مثوبةُ الوالدَين.

***

(٣١) - ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ﴾.

﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾؛ أي: فائتينَ فلا يُغرَّنَّكم إمهالُه ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ﴾ يحفظُكم ﴿وَلَا نَصِيرٖ﴾: ناصرٍ يدفعُ عنكم العذابَ إذا حلَّ بكم.

= الحسن رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٧٤٠)، والطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٥١٤) بلفظ: «﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ﴾: هذا في الحدود»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٥٣)، واستغربه.

(١) «أو بمعنى الشرط»: ليست في (ف).

(٢) قرأ نافع وابن عامر: ﴿بما كسبت﴾ بغير فاء. انظر: «السبعة» (ص: ٥٨١)، و«التيسير» (ص: ١٩٥).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٥٣)، واستغربه.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٥٤)، وعده من العجائب.

(٣٢) ـ ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ﴾.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ﴾: جمعُ جاريةٍ، وهي السَّفينةُ من قولِه: ﴿حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾ [الحاقة: ١١] ﴿كَٱلْأَعْلَٰمِ﴾: كالجبالِ في العِظَمِ.

* * *

(٣٣) ـ ﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾.

﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ﴾؛ أي: فيبقَينَ واقفةً على ظهرِ الماءِ، تقولُ: ركَدَ؛ إذا وقَفَ وثبَتَ، ومنه «الماءُ الرَّاكدُ»: الواقفُ.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾؛ أي: لكلِّ مؤمنٍ؛ فإنَّ الإيمانَ نصفانِ: نصفٌ صبرٌ، ونصفٌ شكرٌ.

وقيل: ﴿صَبَّارٍ﴾ في السَّفينةِ، ﴿شَكُورٍ﴾ إذا خرَجَ منها.

* * *

(٣٤ ـ ٣٥) ـ ﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾.

﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟﴾: يُهلِكْ كثيرًا منَ السُّفنِ ومَن فيها بذنوبِهم ﴿وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ﴾ فيُنجيَهم.

وقيل: يعفُو عن كثيرٍ منَ الذُّنوبِ، فلا يُجازي عليها في الدُّنيا.

وقيل: لا يُجازي عليها في الدُّنيا والآخرةِ.

﴿وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾؛ أي: يجعلون الأوثانَ لله شُركاءَ ﴿مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ منَ العذابِ.

قولُه: ﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ﴾ جزمٌ بالعطفِ، وكذلك ﴿يَعْفُ﴾، و﴿يَعْلَم﴾ قُرِئَ بالرَّفعِ

والنَّصبِ(١)، النَّصبُ بإضمارِ «أنْ»، والكوفيُّون يُسمُّونَه صرفًا(٢)؛ أي: صُرِفَ عن إعرابِ الأوَّلِ، والرَّفعُ على الاستئنافِ.

* * *

(٣٦) ـ ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾؛ أي: أموالُكم تنفعُكم مدَّةَ حياتِكم في الدُّنيا، وهو نفعٌ يسيرٌ.

﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ يريدُ: منافعُ الآخرةِ المُعدَّةَ للمؤمنين المتوكِّلين خيرٌ؛ لأنَّه أمتعُ وألذُّ وأبقى؛ لأنَّه دائمٌ لا ينقطعُ.

* * *

(٣٧) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ﴾ عطفٌ على ﴿الذين آمنوا﴾ ومحلُّه جرٌّ.

﴿كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ﴾ أضافَ إلى الإثمِ، فإنَّ في الإثمِ الصَّغيرةَ والكبيرةَ، والصَّغيرةُ مغفورةٌ إذا اجتُنِبَ الكبيرةُ؛ كقولِه: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ [النساء: ٣١].

وقيل: مُضافٌ إلى نفسِه، كقولك: عجائبُ خلقِ الله.

ومَن وحَّدَ(٣) فالمرادُ به الجمعُ أيضًا؛ لإجماعِهم على الجمعِ في قوله: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ﴾ قال ابنُ عبَّاسٍ: مَن وحَّد أرادَ الشِّركَ(٤).

---

(١) قرأ نافع وابن عامر: (ويعلمُ الذين) بالرفع، والباقون بالنصب. انظر: «السبعة» (ص: ٥٨١)، و«التيسير» (ص: ١٩٥).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٤)، وقد تقدم الكلام على الصرف عند الكوفيين.

(٣) قرأ حمزة والكسائي (كبير الإثم) واحداً، وقرأ الباقون بالجمع. انظر: «السبعة» (ص: ٥٨١).

(٤) ذكره النحاس في «معاني القرآن» (٦/ ٣١٩)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٣/ ٣٨٦). قال الفراء في =

﴿وَٱلْفَوَٰحِشَ﴾ عطفٌ على الكبائرِ.

وقيل: هي الزِّنى.

وقيل: ما عظُمَ قُبحُه فهو فاحشةٌ.

﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾؛ أي: غضِبُوا من أمورِ دُنياهم عَفَوا، وإذا[1] غضِبَ بعضُهم على بعضٍ تجاوَزُوا.

* * *

(٣٨) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ﴾: أجابوه إلى ما دَعاهم إليه منَ الطّاعةِ.

﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾؛ أي: الصَّلواتِ الخمسَ في مواقيتِها بشرائطِها.

﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾؛ أي: إذا حزَبَهم أمرٌ استشاروا ذَوي الرَّأيِ منهم.

والمُشاورةُ: المُفاوضةُ في الكلامِ ليظهرَ الصَّوابُ، واشتِقاقُها من: شُرْتُ الدَّابَّةَ شورًا؛ إذا استخرَجْتَ ما عندَها منَ الجرْيِ، وكذلك: شُرْتُ العسَلَ.

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾: يتصدَّقونَ.

وقيل: يُنفِقُونَ منَ الحلالِ.

ويحتمِلُ: يُنفِقُونَ مُقرِّينَ بأنَّه من رزقِ الله؛ فإنَّ الكافرَ أيضًا يُنفِقُ ممَّا رزقَه الله لكنَّه جاحدٌ.

* * *

= «معاني القرآن» (٣/ ٢٥): «قرأه يحيى بن وثاب: (كبير)، وفسر عن ابن عباس: أن كبير الإثم هو الشرك، فهذا موافق لمن قرأ: (كبير الإثم) بالتوحيد».

(١) في (ف) زيادة: «وقيل إذا».

(٣٩) ـ ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴾.

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْيُ ﴾: الظُّلمُ ﴿هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾: ينتَقِمونَ ويقتصُّونَ، وليس بينَ هذه الآيةِ وبين قولِه: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ مُنافاةٌ؛ لأنَّ البغيَ هو الذي يُؤدِّي إلى الفسادِ.

وقيل: [إذا] أصابَهم بغيُ المشركينَ انتَصَروا بالسَّيفِ منهم.

ابنُ زيدٍ: منسوخةٌ بالجهادِ(١).

غيرُه: محكمةٌ؛ لأنَّ الانتصارَ منَ الظَّالمِ تقويمٌ له ممدوحٌ ومحمودٌ.

* * *

(٤٠) ـ ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾ قيل: ذلك في القِصاصِ.

مجاهدٌ: إذا قالَ: أخزاهُ الله، فله أن يقولَ له مثلَ ذلك(٢).

وأفادَ ﴿مِّثْلُهَا﴾ قَدْرَ الجنايةِ من غيرِ زيادةٍ، وسُمِّيَ الثّاني ﴿سيِّئة﴾ ازدِواجًا للكلامِ، وليست هي سيئةً.

ويحتمِلُ أنَّ المُرادَ بالسَّيِّئةِ هاهنا: ما يكرهُه النَّاسُ طبعًا، كالقِصاصِ والقطعِ والحدِّ وغيرِ ذلك(٣).

﴿فَمَنْ عَفَا﴾: تركَ الانتقامَ ﴿وَأَصْلَحَ﴾ ما بينَه وبينَ أخيه، وقيل: أصلَحَ العملَ.

---

(١) ذكره النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٦٥٩).

(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٥٨)، والسمعاني في «تفسيره» (٥/ ٨٢)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ١٥١).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٥٥)، واستغربه.

﴿فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾؛ أي: فهو المُتولِّي لذلك.

ورُوِيَ مرفوعًا أنَّه يُنادي يومَ القيامةِ مُنادٍ: «مَن له أجرٌ على الله فليقُمْ، فيقومُ مَن عفا وأصلَحَ»(١).

﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: المُبتدئينَ بالسَّيِّئةِ.

وقيل: المُجازي بأكثرَ منَ السَّيِّئةِ.

وقيل: الذين يمنعونَ الواجبَ.

* * *

(٤١) ـ ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾.

﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ﴾؛ أي: أخذَ حقَّه بعد أن ظُلِمَ ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾ إلى لومِهِ.

وقيل: ما عليهم من إثمٍ.

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «الأهوال» (١٧٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٨٠)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (١٩٩٨)، وفي «مكارم الأخلاق» (٥٥) من طريق الحسن عن أنس رضي الله عنه يرفعه. قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (ص: ١٠٨٠): «أخرجه الطبراني في مكارم الأخلاق وفيه الفضل بن يسار ولا يتابع على حديثه».

وروي موقوفًا على الحسن؛ رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٩)، والخرائطي في «مكارم الأخلاق» (٣٧٩).

ورواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٣/ ٣٩١) عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا.

وروى نحوه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧٠٥٠) من طريق الحسن عن عمران بن حصين رضي الله عنه مرفوعًا.

وروى نحوه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤٧٧٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه موقوفًا و(٤٧٧٧) مرفوعًا، ورجَّح الموقوف. وانظر: «الدر المنثور» (٧/ ٣٥٩).

(٤٢) ـ ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ﴾ باللَّومِ والإثمِ ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾: يستطيلونَ على النّاسِ ويُفسِدونَ عليهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: وجيعٌ.

* * *

(٤٣) ـ ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾.

﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ﴾؛ أي: ﴿صَبَرَ﴾ على مَظْلِمةٍ ولم يقتصَّ، ﴿وَغَفَرَ﴾: تجاوَزَ عنه ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: الصَّبرَ والمغفرةَ ﴿لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾؛ أي: منَ الأمورِ الذي نُدِبَ إليها.

وقيل: منَ الثَّابتِ الذي لا يُنسَخُ.

والعَزْمُ: الإقدامُ على الأمرِ بعد الرَّوِيَّةِ والفكرةِ.

وقيل: عزمُ الأمورِ: حقيقتُها.

والعائدُ إلى المبتدأ مُقدَّرٌ؛ أي: منه، و: له.

نزلَتْ في أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ رضيَ الله عنه(١).

* * *

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٠٩) عن الكلبي والفراء: أنها نزلت فيه مع ثلاثِ آياتٍ قبلها، وقد شتمه بعض الأنصار فرد عليه ثم أمسك. ولعله ما رواه أبو داود (٤٨٩٦) عن سعيد بن المسيب مرسلًا قال: «بينما رسول الله ﷺ جالس ومعه أصحابه وقع رجل بأبي بكر، فآذاه، فصمت عنه أبو بكر ثم آذاه الثانية، فصمت عنه أبو بكر، ثم آذاه الثالثة، فانتصر منه أبو بكر، فقام رسول الله حين انتصر أبو بكر، فقال أبو بكر: أوجدت علي يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «نزل ملك من السماء يكذبه بما قال لك، فلما انتصرت وقع الشيطان، فلم أكن لأجلس إذ وقع الشيطان».

(٤٤) ـ ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّـٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ﴾.

﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ﴾ بالخذلانِ ﴿فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ﴾؛ أي: ما له أحدٌ يَهْدِيه بعدَ خذلانِ الله إيّاه.

﴿وَتَرَى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ في القيامةِ ﴿لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ يعني: حينَ يرونَ، فجاء بلفظِ الماضي تحقيقًا.

﴿يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ﴾: هل إلى رجعةٍ إلى الدُّنيا من حيلةٍ فنُؤمنَ بك؟

* * *

(٤٥) ـ ﴿وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَـٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾.

﴿وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾: يُساقُونَ إليها، وأنَّثَ العذابَ حملًا على المعنى، وهو النَّارُ، وقيل: على جهنَّمَ.

﴿خَـٰشِعِينَ﴾: ساكتينَ مُتواضِعين ﴿مِنَ ٱلذُّلِّ﴾: الذِّلةِ والخزيِ والحزنِ.

﴿يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾؛ أي: ينظُرونَ إلى النّارِ بعينٍ ضعيفةٍ وطَرْفٍ ساقطٍ.

والطَّرفُ: العينُ، وأصلُه مصدرٌ فلم يُجمَعْ.

وقيل: يُسارِقُونَ النَّظرَ إلى النّارِ حذرًا.

وقيل: الطَّرفُ الخفيُّ: عينُ القلبِ؛ لأنَّهم يُحشَرونَ عُمْيًا فينظرون إليها بقُلوبِهم.

وقيل: ﴿مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾: ذليلٍ.

وقيل: ينظرونَ إلى النّارِ ببعضِ أبصارِهم؛ لأنَّهم يجزَعونَ منَ النَّظرِ إليها بجميعِ أبصارِهم.

وقيل: غَضُّوا من أبصارِهم استكانةً وذُلًّا.

وقيل: ينظُرونَ من تحتِ أشفارِهم.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾؛ أي: يقولون في القيامةِ إذا رأوا الظّالمينَ.

وقيل: يقولون في الدُّنيا.

وقيل: هذا تعليمٌ للمؤمنينَ.

﴿إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾: لا ينتفِعون بأنفسِهم ﴿وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾ قيل: هذا من تمامِ كلامِهم.

وقيل: هذا تصديقٌ منَ الله لهم.

* * *

(٤٦) - ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ﴾.

﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: يَحُولونَ بينَهم وبينَ عذابِ الله ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ﴾: يخذُلْه ﴿فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ﴾: حُجَّةٍ.

وقيل: سبيلٍ إلى النَّجاةِ.

* * *

(٤٧) - ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾.

﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم﴾: أجيبوه إلى ما دعاكُم إليه ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ﴾ وهو يومُ القيامةِ، وقيل: هو يومُ الموتِ.

﴿لَا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾ قيل: ﴿مِنَ﴾ مُتَّصلٌ بـ﴿يَأۡتِيَ﴾؛ أي: يأتيَ يومٌ منَ الله لا مردَّ له.

وقيل: متَّصلٌ بـ﴿مَرَدَّ﴾؛ أي: لا يرُدُّه الله.

وقيل: لا يُرجِعُ فيه بعدَ ما حِكمَ به.

﴿مَا لَكُم مِّن مَّلۡجَإٖ﴾: مَفرٍّ[1] وحِرْزٍ ﴿يَوۡمَئِذٖ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٖ﴾: مُغيِّرٍ يدفعُ عذابَ الله عنكم.

* * *

(٤٨) ـ ﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظًاۖ إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ فَرِحَ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ فَإِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ كَفُورٞ﴾.

﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ﴾ عنِ الإيمانِ ﴿فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظًا﴾: مُسلَّطًا يحفظُهم على الإيمانِ ويمنعُهم منَ الكفرِ.

وقيل: حسيبًا.

وقيل: كفيلًا بإيمانِهم.

وقيل: هذا قبلَ أن أُمِرَ بالقتالِ.

﴿إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ﴾؛ أي: ليس عليك إلا تبليغُ الرِّسالةِ وقد فعلتَ.

﴿وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ﴾: نعمةً وخِصْبًا وسَعةً ﴿فَرِحَ بِهَا﴾: بطِرَ لأجلِها وزَها إعجابًا بها فلم يشكُرْ مَن أزَلَّها وأسداها[2].

---

(١) في (ف): «مقر».

(٢) في هامش (ن): «أزل وأسدى؛ أي: أعطى».

﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ﴾: مِحنةٌ وقَحْطٌ وضِيقٌ ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾: بسببِ معاصيهم عقوبةً لها، وجمعَ حملًا على الجنسِ، كما استثنَى[1] في (العصرِ).

﴿فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ﴾ يَعُدُّ المصائبَ ويَجْحَدُ النِّعمَ.

وقيل: يسخطُ من قضاءِ الله ولـم يَرَه عقوبةً، وهو من كُفرانِ النِّعمةِ.

وقيل: هذا خاصٌّ، والمرادُ به الكفرُ بالله سُبحانَه وتعالى، ولهذا ذُكِرَ بلفظِ المُبالغةِ.

***

(٤٩) ـ ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾.

﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ﴾ من غيرِ اعتراضٍ عليه.

﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا﴾: بناتٍ دونَ البنينَ، وقدَّمَ ذكرَ البناتِ تطييبًا لقلبِ آبائِهنَّ.

﴿وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾: البنينَ دونَ البناتِ، وأدخَلَ الألفَ واللَّامَ فضيلةً للمُذكَّرِ وتعريفًا، ومُراعاةً لرَويِّ الآياتِ.

***

(٥٠) ـ ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾.

﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا﴾؛ أي: ويهَبُ لمَن يشاءُ البنينَ والبناتِ، ومعنى ﴿يُزَوِّجُهُمْ﴾: يجمعُهم.

وقيل: يَقرِنُهم، من قولِ العربِ: زوَّجْتُ إبلي؛ إذا قُرِنَ الضَّعيفُ بالقويِّ.

مجاهدٌ: هو أن تلدَ المرأةُ غلامًا ثمَّ جاريةً ثمَّ غلامًا ثمَّ جاريةً[2].

---

(١) أي: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ من لفظ ﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾ [العصر: ٢]، مع أن لفظه واحد، وذلك لأن معناه الجنس.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٥٣٨)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢١١).

ابنُ الحنفيَّةِ: تلدُ توأمًا غلامًا وجاريةً[١].

﴿وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا﴾ لا بنينَ له ولا بناتٍ، والعقيمُ: الذي لم يلِدْ منَ الرَّجلِ والمرأةِ. والعقيمُ منَ الرِّيحِ: التي لا خيرَ معها.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: الآيةُ خاصَّةٌ في الأنبياءِ عليهم السَّلامُ؛ وهَبَ الله للوطٍ عليه السَّلامُ بناتٍ، ولإبراهيمَ عليه السَّلامُ بنينَ، ولمُحمَّدٍ ﷺ البنينَ والبناتِ، وجعلَ عيسى ويحيى عليهما السَّلامُ عقيمًا[٢].

وقيل: معناه: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا﴾: الدُّنيا ﴿وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾: الآخرةَ ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا﴾: الدُّنيا والآخرةَ ﴿وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا﴾: لا دُنيا ولا عُقبى[٣].

﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌ﴾ بمصالحِ العبادِ ﴿قَدِيرٌ﴾: قادرٌ على الكمالِ.

***

(٥١) ـ ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾.

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾: رُؤيا منامٍ.

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٣/ ٣٩٤) بلفظ: «﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا﴾: التوائم». وذكر معناه الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢١١) بلفظ: «أن تلد توأمين غلاماً وجارية»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٥٥) بلفظ: «تلد توأماً عاماً وجارية عاماً»، واستغربه.

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٣/ ٣٩٦) عن إسحاق بن بشر، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢١١) عن النقاش، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٥٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٥٦)، وعده من العجائب.

وقيل: نَفثًا في الرُّوعِ[١].

وقيل: إلـهامًا، كما كانَ لداوُدَ عليه السَّلامُ؛ فإنَّه أُلهِمَ الزَّبورَ فكَتَبَ حفظًا.

﴿أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ قيل: حجابٍ عن إدراكِ ذلك الكلامِ إلّا المُكلَّمَ.

وقيل: حجابٍ لموضعِ الكلامِ.

وقيل: ﴿مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾؛ أي: بمنزلةِ ما يُسمعُ من وراءِ حجابٍ؛ لأنَّه على خلافِ المُخاطَبةِ كما كلَّمَ الله موسى عليه السَّلامُ.

﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾: جبريلَ عليه السَّلامُ ﴿فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾ كما جاءَ إلى محمَّدٍ ﷺ، وجعلَ إرسالَ الرَّسولِ أحدَ أقسامِ الكلامِ.

قولُه: ﴿أَوْ يُرْسِلَ﴾: لا يجوزُ أن يكونَ محمولًا على ﴿أَن﴾ المُتقدِّمةِ؛ لأنَّ الحملَ عليه إنكارٌ لإرسالِ الرُّسلِ، وذلك غيرُ جائزٍ، بل يكونُ محمولاً[٢] على (أنْ) آخَرَ، تقديرُه: إلّا وحيًا أو أن يُرسِلَ رسولًا.

وقيل: ﴿أَوْ﴾ هاهنا بمعنى: إلا أن؛ كما تقولُ: لا أُفارِقُكَ أو تعطيَني حقِّي، كأنَّه قالَ: إلا أن يُرسِلَ رسولًا فيوحيَ بإذنِه.

ومَن رفعَ ﴿يرسلُ﴾... ﴿فيوحيْ﴾[٣] جعلَه حالًا أو استئنافًا.

﴿إِنَّهُۥ عَلِيٌّ﴾: مُتعالٍ عمَّا لا يليقُ به منَ الأوصافِ ﴿حَكِيمٌ﴾: يُدبِّرُ ما يريدُ.

* * *

---

(١) في هامش (ن): «الرُّوع: القلب، والرَّوْع: الخوف».

(٢) في (ن): «حملاً».

(٣) هي قراءة نافع. انظر: «السبعة» (ص: ٥٨٢)، و«التيسير» (ص: ١٩٥). وذكر في «السبعة» خلافاً عن ابن عامر.

(٥٢) ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾؛ أي: كما أوحينا إلى سائرِ الأنبياءِ أوحينا إليكَ بأنْ أرسلنا إليك جبريلَ عليه السَّلامُ.

ويحتمِلُ أنَّه إشارةٌ إلى الخِلَالِ[1] الثَّلاثِ؛ لأنَّه عليه السَّلامُ كانَ في بَدءِ الأمرِ[2] يرى الرُّؤيا، وسمِعَ من وراءِ الحجابِ الكلامَ ليلةَ المعراجِ، وأتاه جبريلُ عليه السَّلامُ على الدَّوامِ[3].

قوله ﴿رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾؛ أي: القرآنَ، وسمَّاه رُوحًا؛ لأنَّ حياةَ الأديانِ به.

وقيل: ﴿رُوحًا﴾: وَحيًا.

وقيل: رحمةً.

وقيل: جبريلَ عليه السَّلامُ؛ أي: أوحَيْناه بالقرآنِ إليك.

﴿مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ﴾؛ أي: قبلَ الوحيِ ﴿وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾؛ أي: قبلَ البُلوغِ.

وقيل: ﴿وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ لولا إنعامُنا عليك.

وقيل: ولا أهلُ الإيمانِ.

وقيل: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ لولا الوحيُ، وهذا أشدُّ اتِّصالًا بما قبلَه[4].

---

(١) في (ف): «الحال».

(٢) في (ف): «الإسلام».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٥٧)، واستغربه.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٥٧)، واستغربه.

﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ﴾؛ أي: الكتابَ، وقيل: الإيمانَ. وقيل: يعودُ إليهما.

﴿نُورًا﴾: ضياءً ﴿نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾: نُوفِّقُ مَن كانَ أهلًا لذلك.

﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ﴾: تُرشِدُ وتدعو ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: الإسلامِ.

وعن عليٍّ رضي الله عنه: كتابٍ مُستقيمٍ[1].

* * *

(٥٣) - ﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾.

﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ خلقًا وملكًا.

﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ هذا وعيدٌ بالجحيمِ ووعدٌ بالجنّةِ والنعيمِ.

والله أعلَمُ بالصَّوابِ[2].

* * *

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢١٣).

(٢) «والله أعلم بالصواب»: ليست في (ف).

سُورَةُ الزُّخْرُفِ

سُورَةُ الزُّخْرُفِ

تسعٌ وثمانون آيةً[1]، مكيَّةٌ.

قال مقاتلٌ: إلا آيةً من قوله: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا﴾ [الزخرف: ٤٥][2].

بسم الله الرحمن الرحيم.

(١ ـ ٢) ـ ﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾.

﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ﴾: القرآنِ، أَقسمَ اللهُ به أنه جَعَله بلسانِ العرب ليَعْقِلوه.

وقيل: أَقْسَمَ به أن اللهَ جَعَله قرآناً عربيًّا وليس مفترًى[3] كما زعَمَه بعضُهم، وهذا أولى بالجواب؛ لأن كونه عربيًّا غيرُ مشكوكٍ فيه.

قال القفَّالُ: يجوز أن يكون (الكتاب) عامًّا، و﴿جَعَلْنَٰهُ﴾ كنايةً عن غيرِ مذكورٍ؛ كقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: ١].

ويحتمِلُ على قولِ القفَّالِ أنَّ (الكتاب) لمَّا كان للجنسِ اشتَمَل على القرآنِ، فصار كالمتقدِّم ذِكرُه، فجاز الكنايةُ عنه.

---

(١) «تسع وثمانون آية»: ليست في (ف). وانظر: «البيان في عد آي القرآن» للداني (ص: ٢٢٣)، وفيه: «ثمانون وثمان في الشَّامي، وتسع في عدد الباقينَ، اختلافها آيتان: ﴿حمٓ﴾ عدَّها الكوفي ولم يعدَّها الباقون، ﴿هُوَ مَهِينٌ﴾ لم يعدها الكوفي والشامي وعدها الباقون».

(٢) ذكره الزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٢٣٥)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٧٢).

(٣) في (ف): «بمفترى».

وقيل: تقديرُه: وربِّ الكتاب.

وقيل: الكتابُ: اللوحُ المحفوظ.

ابن بحر: الكتابُ: الخطُّ، وأَقْسَم به تعظيماً لنِعْمتِه فيه، وفي القَسَم بالشيء تعظيمٌ لذلك الشيءِ وتوكيدٌ لِمَا يُقْسَمُ عليه[1].

﴿ٱلْمُبِينِ﴾: أبانَ الأحكامَ والحلالَ والحرام.

وقيل: بيَّن الهدى والرَّشاد.

وقيل: ﴿ٱلْمُبِينِ﴾: البيِّن؛ لأنه من حروفٍ يَعْرِفونها.

قال ابنُ عيسى: البيانُ: ما يَظْهَرُ به المعنى للنَّفس عند الإدراكِ بالبَصَر أو السَّمْع، وذلك على خمسةِ أوجهٍ: لفظٍ، وخطٍّ، وإشارةٍ، وعقدٍ، وهيئةٍ كالإعراضِ وتكليحِ الوجه.

* * *

(٣) ـ ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾؛ أي: بيَّنَّاه بلغةِ العرب.

وقيل: وصَفْناه.

وقيل: قُلْناه.

الثعلبي: معنى ﴿جَعَلْنَٰهُ﴾: سمَّيْناه؛ كقوله: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾ [الزخرف: ١٩][2]، وهذا مزيَّفٌ؛ لأنَّ القرآنَ عربيٌّ في جميعِ الأحوال.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٥٩)، وعده من العجائب.

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢٣/ ٤٠٥)، وفيه: «أي: أنزلناه، وسميناه، وبيناه، ووصفناه، كقوله سبحانه: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾، وقوله تعالى: =

﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: لكي تَفْهَموا معانيَه وما شَرَعَ لكم فيه، فيكونُ عامًّا.

وقيل: لعلَّكم تتفكَّرون؛ يعني: العربَ.

وقيل: (لعلَّ) للطَّمَع؛ أي: ليَرْجُوَ محمدٌ ﷺ أنْ يَسمعوا فيَعْقِلوا فيُؤْمِنوا.

* * *

(٤) - ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾.

﴿وَإِنَّهُۥ﴾ عطفٌ على القَسَم؛ أي: القرآنَ.

وقيل: علمَ الساعة.

وقيل: عَمَلَ بني آدم.

﴿فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ﴾: في اللَّوح المحفوظ، وسمَّاه أمَّ الكتابِ لأنَّه أصلُ كلِّ كتاب.

ابنُ بحرٍ: ﴿أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ﴾: الحكمةِ؛ أي: كلُّ كتبِ الله منزَّلٌ بالحكمة[1].

وقيل: هو الكتابُ الذي فيه أعمالُ العبادِ عند الحَفَظة.

﴿لَدَيْنَا﴾: عندنا في محلِّ الشَّرفِ والكرامةِ لا يَتطرَّق إليه التغييرُ والتبديل.

﴿لَعَلِىٌّ﴾: عَلِيُّ الشأن، وقيل: عليٌّ في البلاغة؛ لظهورِ ما بالعبادِ إليه الحاجةُ فيه.

﴿حَكِيمٌ﴾: مُحْكَمٌ، وقد سبَق.

واللامُ لخبرِ (إنَّ)، والتقدير: وإنَّه لعليٌّ حكيمٌ في أمِّ الكتابِ لدَيْنا.

= ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾، وقوله تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ﴾ كلها بمعنى الوصف والتسمية، ويستحيل أن تكون بمعنى الخلق ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾».

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢١٥)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٦٠)، وعده من العجائب.

(٥) ـ ﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴾.

﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا ﴾: أفنُمْسِكُ عن الذِّكر، تقول: ضَرَب عنه الذِّكرَ وأَضْرَبَ؛ إذا أَمْسَكَ عنه.

قال القفَّال: هذا مِن: ضَرَب في الأرضِ؛ إذا أَبْعَدَ، وأَنْشَدَ:

اضْرِبَ عنكَ الهمُومَ طارِقَها ضَرْبَكَ بالسَّيْفِ قَوْنَسَ الفَرَسِ[1]

والصَّفْحُ: الإعراضُ، مصدرٌ من غيرِ لفظِ الفعلِ السَّابق، والأصلُ فيه: أنْ تُوْلِيَ الشيءَ صَفْحةَ عُنُقك.

وقيل: نصبٌ على الحال؛ أي: صافحِينَ، ولا يمتنِعُ أن يكون مفعولاً له.

وتأويل ﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا ﴾؛ أي: نَكُفُّ ونُمْسِكُ عنكم إنزالَ القرآن والتذكيرَ بالوعدِ والوَعيدِ ﴿ صَفْحًا ﴾: إعراضاً عن تنبيهِكم؟

وقيل: المرادُ بالذكر هو أنْ يُذَكَّروا بالعقوبةَ؛ أي: يعاقبوا.

وقيل: ضربُ الذِّكر: رفعُ القرآن عن الأرضِ؛ أي: أفنَرْفعُ القرآنَ من بينِ أظهُرِكم لإشراكِكُم مع عِلْمِنا بأنَّه سيأتي مَن يَقْبلُه ويَعملُ به؟

السُّدِّيُّ: أفنترُكُكُم سُدًى لا نأمُرُكم ولا نَنْهاكُم[2]؟

---

(١) نسب لطرفة في «التقفية في اللغة» للبندنيجي (ص: ٤٦٢)، و«الصحاح» مادة: (ق ن س)، و«الكشاف» للزمخشري (٤/ ٢٣٧).

وجاء في «النوادر» لأبي زيد (ص: ١٦٥) عن أبي حاتم: «أنشدني الأخفش بيتًا مصنوعًا لطرفة»، فذكره.

وذكره ابن جني في «سر صناعة الإعراب» (١/ ٩٧) وقال: «مدفوع مصنوع عند عامة أصحابنا، ولا رواية تثبت به».

(٢) ذكره عن السدي القرطبي في «تفسيره» (١٦/ ٦٢)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٣/ ٤٠٨)، =

النَّقَّاش: نُهْمِلُكم فلا نُعرِّفُكم ما يجبُ عليكم[١]؟

والأَلْيَقُ بالآيةِ ذكرُ العذاب؛ لقوله: ﴿فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا﴾.

﴿أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾: مشركينَ، قرئَ بالفتح؛ أي: لِأَنْ كنتُم، وبالكسر[٢]، وله وجهان:

أحدهما: إنْ يكونوا قوماً مسرِفين نَضْرِبُ.

والثاني: إنْ يَقَعْ مثلُ هذا نَضربْ عنكم، وقد مضَى في قوله: ﴿إِنْ صَدُّوكم﴾[٣].

وقولُ مَن قال: (إن) بمعنى (إذ) مزيَّفٌ[٤].

***

(٦) ـ ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ﴾؛ أي: ما أكثرَ ما أرسَلْنا من الأنبياء في الأُمم الماضِينَ!

***

= والواحدي في «البسيط» (٤/ ٦٤) عن الكلبي، وذكر الثعلبي في «تفسيره» (٢٣/ ٤٠٧) عنه وعن مجاهد قالا: «أفنضرب عنكم العذاب ونمسك ونعرض عنكم ونترككم فلا نعاقبكم على كفركم؟».
وروى أوله الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٥٤٨) عن السدي قال: «أفنضرب عنكم العذاب؟».

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢١٦).

(٢) قرأ نافع وحمزة والكسائيّ: (إن كنتم) بكسر الهمزة، والباقون بفتحها. انظر: «السبعة» (ص: ٥٨٤)، و«التيسير» (ص: ١٩٥).

(٣) الآية (٢) من سورة (المائدة)، قرأ ابن كثير وأبو عمرو بكسر الهمزة، وباقي السبعة بفتحها. انظر: «السبعة» (ص: ٢٤٢)، و«التيسير» (ص: ٩٨).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٦٠)، وعده من العجائب.

(٧) ـ ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾.

﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾؛ أي: لم يكن يأتيهم نبيٌّ إلا استَهْزَؤوا به كما استَهْزَأ قومُكَ بك.

***

(٨) ـ ﴿ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾.

﴿ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم ﴾؛ أي: أشدَّهم ﴿بَطْشًا﴾ كعادٍ وثمودَ، و(مِن) زيادةٌ.

وقيل: أشدَّ من قومِكَ بطشاً.

ويحتمِلُ أن التقدير: أشدَّ منكم، فجاء بالهاء كما في قوله: ﴿كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم ﴾ [يونس: ٢٢].

﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾: سُنَّتُهم وعقوبتُهم.

وقيل: صفتُهم وذكرُهم في القرآن.

وقيل: حديثُهم والإخبارُ عنهم ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ [إبراهيم: ٤٥].

***

(٩) ـ ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴾.

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم ﴾؛ أي: القومَ المشركين، وقيل: الرسلَ: ﴿مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ﴾: المنيعُ فلا يغالَبُ ﴿ٱلْعَلِيمُ ﴾ فلا يخفَى عليه شيءٌ.

وتمَّ كلامُهم، ثم وصَفَ اللهُ تعالى نفسَه بناءً على كلامِهم فقال:

(١٠) ـ ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾.

﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا ﴾ فيكونُ رفعاً بالوصف.

ويجوز أن يكون استئنافاً؛ أي: هو ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا ﴾: موضعَ قرارٍ وطمأنينةٍ.

وقُرِئ: ﴿مِهَادًا﴾ وقد سَبَق[1].

﴿وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا ﴾: طُرقاً لتَسْلُكوا فيها[2] لأمورِ الدِّين والدُّنيا ﴿لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾: لكي تَهْتَدوا في أسفاركم، وقيل: تَهْتَدوا إلى الإيمان.

* * *

(١١) ـ ﴿وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾.

﴿وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ﴾ على قَدْرِ حاجةِ العباد ﴿فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾: مُقْفِرةً من النباتِ، وذكَّر حملاً على المكان.

﴿ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾؛ أي: كما أحيَيْنا الأرضَ بعد موتها نُحْيِيْكم بعد موتِكُم فتُخْرَجون وتَخْرُجون من قُبوركم.

* * *

(١٢) ـ ﴿ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴾.

﴿ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا ﴾؛ أي: النباتَ من كلِّ زوجٍ بهيجٍ.

---

(١) قرأ عاصم وحمزة والكسائي: ﴿مَهْدًا﴾ بغير ألفٍ، والباقون: ﴿مهاداً﴾، انظر: «السبعة» (ص: ٤١٨)، و«التيسير» (ص: ١٥١).

(٢) «لتسلكوا فيها»: ليست في (ف).

وقيل: جميعَ الأصنافِ مِن كلِّ الأشياءِ: كالذَّكَر والأُنثى، والسَّماءِ والأرض، والشَّمسِ والقمر، واللَّيلِ والنَّهار، والصَّيفِ والشِّتاء، والجَنَّةِ والنار.

﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ﴾: السُّفُنِ ﴿وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ﴾ قيل: الإبلُ خاصةً.

وقيل: جميعُ ما يُرْكَبُ.

* * *

(١٣) ـ ﴿لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ﴾.

﴿لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾: جمَعَ الظَّهْرَ حملاً على اللَّفظ والمعنى، ووحَّد الهاءَ حملاً على لفظِ ﴿ٱلْفُلْكِ﴾.

وقيل: على ﴿وَٱلْأَنْعَٰمِ﴾ كقوله: ﴿فِى بُطُونِهِۦ﴾ [النحل: ٦٦] في (النحل).

وقيل: حملاً على لفظِ ﴿ما﴾، وهو الوجهُ.

والمعنى: لتَنتفِعوا بركوبها برًّا وبحراً ﴿ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾؛ أي: تذْكُروها بقلوبِكم ﴿وَتَقُولُوا﴾ بألسنَتِكم: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا﴾: تنزيهاً لله الذي ذلَّلَ هذا المركوبَ لنا ﴿وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ﴾: لمْ نُطِقْ ركوبَها مع صعوبتِها.

والمُقْرِنُ: المطيقُ.

أبو عبيدة: المقرِنُ: الضَّابطُ.

وقيل: المماثِلُ، تقولُ: أَقْرَنْتُ فلاناً؛ إذا صِرْتَ قِرْناً له.

وقيل: من المقارنة؛ كأنَّ المعنى: نطيقُ حملَه في تصرُّفه.

وقيل: نطيقُ أن نَقْرنَ بعضَها ببعضٍ حتى نسيِّرَها إلى حيث نريدُ.

(١٤) ـ ﴿وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾.

﴿وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾؛ أي: راجعون إلى الله في آخِرِ عُمرِنا.

طاوُسٌ: حقٌّ على كلِّ مسلمٍ إذا ركبَ دابَّةً أو سفينةً أن يقول: اللهُمَّ لك الحمدُ، هذا من فضلِكَ ونِعَمِكَ علينا، فلك الحمدُ ربَّنا، ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾[1].

وقيل: معنَى قولِه: ﴿وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾؛ أي: راجعون في آخِرِ عُمرِنا على مركبٍ آخَرَ وهو الجنازةُ، أُمِر بهذا لتذكُّرِ[2] عند ركوبِه مركبَ الدنيا آخِرَ مَرْكبه منها.

* * *

(١٥) ـ ﴿وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ﴾.

﴿وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ﴾: اعتقَدوا، وقيل: أَثْبَتوا ﴿مِنْ عِبَادِهِۦ﴾؛ أي: الملائكةِ ﴿جُزْءًا﴾: مِثْلاً، وقيل: ولداً؛ لأنَّ الولدَ بعضُ أبيه وجزءٌ منه.

وقيل: بنتاً؛ قال:

إنْ أَجْزأَتْ حُرَّةٌ يوماً فلا عَجَبٌ ... قد تُجْزِئُ الحُرَّةُ المِذْكارُ أحيانا[3]

الزَّجّاج: لا أدري أمُوَلَّدٌ هذا البيتُ أم عربيٌّ[4]؟

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٧٩٩)، والطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٥٥٩) ولفظه: «عن ابن طاوس، عن أبيه: أنه كان إذا ركب قال: «اللهم هذا من منك وفضلك، ثم يقول: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾».

(٢) في (ن): «التذكير»، وفي (ف): «التذكّر»، والوجه المثبت.

(٣) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» (٤/ ٤٠٧)، والنحاس في «إعراب القرآن» (٤/ ٦٨)، والأزهري في «تهذيب اللغة» (١١/ ١٠٠). وذكر المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٦١) هذا القول، وعده من العجائب.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٤٠٧)، ومعنى أجزأت؛ أي: وضعت أنثى، واستشهد بالبيت =

وقيل: معنى هذه الآية معنى قوله: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا﴾ الآية [الأنعام: ١٣٦].

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ﴾.

* * *

(١٦) ـ ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ﴾.

﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ﴾: اختارَ لكم البنينَ وهم أفضلُ، ولنفْسِه البناتِ وهنَّ أَدْوَنُ؟

* * *

(١٧) ـ ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾.

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا﴾ وهو البنتُ ﴿ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا﴾ لِمَا يعتريهِ من الكآبةِ والغمِّ ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾: مملوءٌ حزناً.

وقيل: يَنْطَوي على حزنٍ[1] خفيٍّ.

* * *

(١٨) ـ ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾.

﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِى ٱلْحِلْيَةِ﴾؛ أي: البنات، وقيل: الجواري، وقيل: الأصنام.

﴿وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ﴾: في المجادلة والذبِّ عن الحريم ﴿غَيْرُ مُبِينٍ﴾: لا يَنْطِقُ بحجَّةٍ في الخصومة ولا بلاغةَ عنده.

= على أن كلمة (جزء) معنى: انثى.

(١) في (ف): «خزي».

وقيل: ما تحاكَمَتِ امرأةٌ[١] إلا نَطَقَتْ بما هو عليها[٢].

ومَن حَمَل على الصَّنَم فالمعنى: هو عاجزٌ عن الجواب.

وقيل: ﴿ٱلْخِصَامِ﴾: جمعُ خصم.

و﴿مَن﴾ في محلِّ نصبٍ؛ أي: أجعَلوا مَن يُنشَّأُ.

وقيل: رفعٌ بالابتداء وخبرُه مضمَرٌ؛ أي: كضدِّه.

وقيل: محلُّه جرٌّ حملاً على قوله: ﴿بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا﴾[٣].

***

(١٩) ـ ﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴾.

﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾؛ أي: قالوا.

وقيل: حكموا.

وقيل: سمَّوا.

و﴿عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾: جمعُ عبدٍ، وقيل: جمعُ عابد.

وقُرِئ: ﴿عندَ الرحمن﴾[٤]؛ أي: مقرَّبون منه كرامةً، لا مسافةً تعالى اللهُ عن ذلك.

---

(١) في (ف): «المرأة».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٦٢) عن قتادة، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٦٢)، واستغربه، وقال: «فيه بعد».

(٤) قرأ بها ابن كثير ونافع وابن عامر. انظر: «السبعة» (ص: ٥٨٤)، و«التيسير» (ص: ١٩٦).

﴿إِنَٰثًا﴾؛ أي: وصفوهم بالتأنيثِ خطأً كما وَصَفُوه بالولدِ خطأً، ثم بالأَدْوَنِ خطأً وجهلاً.

﴿أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْ﴾: أَحَضَروا وقتَ خلقِ اللهِ إيَّاهم فشاهَدُوهم إناثاً؟

وقيل: أشاهَدُوا خَلْقَهم ورأَوْا صُوَرَهم؟

والمعنى: لم يَحْضُروا خَلْقي إياهم، ولم يَصِحَّ عندَهم ذلك بالسَّمع، فقد كَذَبوا.

وقرئ: ﴿أَأُشهِدُوا﴾ على المجهول[1].

﴿سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ﴾ على الملائكة؛ أي: تُحفَظُ ﴿وَيُسْـَٔلُونَ﴾؛ أي: عن الشهادة، وهذا وعيدٌ لهم.

* * *

(٢٠) - ﴿وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾.

﴿وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم﴾؛ أي: الأصنامَ، وقيل: الملائكةَ.

وقيل: لو شاءَ الرحمنُ ما أمرَنا بعبادتهم؛ كقولهم: ﴿وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ [الأعراف: ٢٨].

وقيل: قالوا استهزاءً.

وقيل: معناه: لو لم يَشأْ لعذَّبَنا عليها.

﴿مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ﴾: بكونِ الملائكةِ بناتاً ﴿مِنْ عِلْمٍ﴾ دلالةٍ عقليَّةٍ ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾: ما هم إلا كاذبون.

---

(١) قرأ نافع بهمزتين الثانية مضمومة مسهلة بين الهمزة والواو، وقالون بخلاف عنه يُدْخل قبلها ألفاً، والشين ساكنة، والباقون: ﴿أَشَهِدُواْ﴾ بهمزة واحدة مفتوحة وفتح الشين. انظر: «التيسير» (ص: ١٩٦).

وقيل: ﴿مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾؛ أي: لم أُعْلِمْهم ما عندي من المشيئةِ في ذلك.

***

(٢١) ـ ﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ﴾.

﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ﴾: من قبلِ القرآنِ، وقيل: من قبلِ هذا القولِ منهم.

أي: كتاباً فيه جوازُ عبادةِ الأصنام ﴿فَهُم بِهِۦ﴾: بذلك الكتابِ ﴿مُسْتَمْسِكُونَ﴾: آخِذون عامِلون، استفهامُ إنكارٍ.

وقيل: فيه تقديمٌ وتأخيرٌ تقديرُه: أَشَهِدوا خلقَهم أم آتيناهم كتاباً فيه أنَّ الملائكة إناثٌ.

***

(٢٢) ـ ﴿بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾.

﴿بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾: دِينٍ وملَّةٍ وطريقةٍ ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾: مُتَّبِعون؛ أي: قلَّدوا آباءَهم من غيرِ حُجَّةٍ.

وفي بعض التفاسير: أنها نزلت في الوليدِ بنِ المغيرة، وأبي سفيانَ بنِ حربٍ، وأبي جهلِ بن هشامٍ، وعُتبةَ وشيبةَ ابني رَبيعةَ من قريشٍ[1].

***

(٢٣) ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ﴾: بلدةٍ ﴿مِّن نَّذِيرٍ﴾: نبيٍّ ﴿إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ﴾: متنعِّموها: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ هذه تسليةٌ للنبيِّ

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٧٩٢).

ﷺ؛ أي: هـذا دأبُ كلِّ قـومٍ، وإنَّ تقليـدَ الآبـاءِ والكُبـراءِ داءٌ قديـمٌ.

* * *

(٢٤) ـ ﴿قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾.

﴿قَٰلَ﴾؛ أي: النذير، ومَن قرأ: ﴿قُلْ﴾[1]؛ أي: أوحَيْنا إلى النذير.

وقيل: قلْ يا محمدُ، والأولُ أظهر.

﴿أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ﴾ وجـوابُ (لـو) مقـدَّرٌ، تقديـره: أتُقيمـونَ على دِيـنِ آبائكم، والمعنـى: جميعُ الأنبيـاءِ دعَوا أممَهم إلى تـركِ التقليد ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾؛ أي: قال المترَفون.

* * *

(٢٥) ـ ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾.

﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾: أهلَكْناهم هلاكَ استئصالٍ ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾؛ أي: عاقبةُ تكذيبِهم الرسلَ.

قال القفَّال: ليس هذا لمحمدٍ ﷺ ولأمَّته.

* * *

(٢٦) ـ ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾؛ أي: اذكُرْ إذ قال.

وقيل: تقديره: وإذْ قالَ إبراهيمُ لأبيهِ ـ الآيةَ ـ قالوا: إنَّا وجَدْنا آباءَنا على أمَّةٍ.

وقوله: ﴿بَرَآءٌ﴾ مصدرٌ؛ أي: بريءٌ، وقيل: وصفٌ، نحو: كَهيمٍ وكَهَامٍ.

(١) ابن عامر وحفص: ﴿قَٰلَ﴾ والباقون: ﴿قُلْ﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٥٨٥)، و«التيسير» (ص: ١٩٦).

(٢٧) ـ ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾.

﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ قيل: الاستثناءُ متَّصلٌ، وكان فيهم مَن يَعبدُ الله.

وقيل: منقطعٌ.

وقيل: محلُّه جرٌّ بالبدل من (ما) في قوله: ﴿مِّمَّا﴾؛ أي: إلَّا مِن الذي فطَرني[1].

﴿فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾: يُثبِّتني على الهدايةِ، وقيل: يُثِيبُني.

* * *

(٢٨) ـ ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

﴿وَجَعَلَهَا﴾؛ أي: جَعَل إبراهيمُ، وقيل: جَعَل اللهُ.

والكنايةُ تعودُ إلى قوله: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ﴾ الآيتين، والمعنى: أوصَى ولدَه بعبادةِ اللهِ والبراءةِ من كلِّ معبودٍ سوى الله.

وقيل: كنايةٌ عن شهادةِ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ.

وقيل: عن كلمةِ التوحيد.

وقيل: عن كلمةِ الإسلام. والكلُّ واحدٌ.

﴿كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾: مَن خَلْفَه.

وقيل: في ذرِّيَّته؛ ولَدِه وولَدِ ولدِه.

وقيل: هذا حُكمٌ باقٍ إلى آخرِ الأبد؛ أي: لم يَزَلْ في ولدِ إبراهيمَ مَن يوحِّدُ ولا يُشرِكُ.

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ التَّرجِّي لإبراهيمَ؛ أي: قالَ ما قالَ لقومه رجاءَ قَبولِهم ذلك منه.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٦٢)، واستغربه.

وقيل: قلْ يا محمدُ مِثْلَه لقومِكَ فإنَّهم ولدُه؛ ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ إلى الله وإلى مِلَّته.

* * *

(٢٩) ـ ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾.

﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ﴾ في الدنيا بالإمهالِ والسَّلامةِ من العذاب لعِلْمي بمَن يُولدُ منهم فيُؤمنون.

﴿حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾: التوحيدُ والإيمانُ والقرآنُ ﴿وَرَسُولٌ﴾: محمدٌ ﷺ ﴿مُّبِينٌ﴾: ظاهرٌ بالمعجزاتِ، وقيل: يُبيِّنُ لهم الهدى والرَّشاد.

* * *

(٣٠) ـ ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾.

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾: القرآنُ والمعجزةُ ﴿قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ﴾: شيءٌ لا ثباتَ له، وقيل: معنى ﴿سِحْرٌ﴾: حيلةٌ خَفِيَّةٌ تُوْهِمُ المعجزةَ ﴿وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾.

* * *

(٣١) ـ ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾.

﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ﴾؛ أي: أحدِ القريتينِ: مكَّةَ والطائفِ ﴿عَظِيمٍ﴾ له أعوانٌ وأموالٌ.

وعَنَوْا بعظيمِ مكَّةَ: الوليدَ بنَ المغيرة، وقيل: الأَخْنسُ بنُ شَرِيقٍ، وقيل: عتبةُ بنُ ربيعةَ، وقيل: أبو جهل.

وبعظيمِ الطائف: حبيبَ بنَ عمرو الثقفيَّ، وقيل: ابنُ عبدِ ياليل، وقيل: عروةُ ابنُ مسعودٍ، وقيل: أبو(١) مسعودٍ الثقفيَّ.

---

(١) «أبو» ليست في (ن).

(٣٢) ـ ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾.

﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾ يريدُ: النُّبوَّةَ، فيضعُوها حيثُ شاؤوا.

﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ ﴾: أرزاقَهم ﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ ﴾ يريد: في الرِّزقِ والمعيشةِ حتى صار واحدٌ مالكاً والآخرُ(١) مملوكاً ﴿لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ﴾: خَدَماً ومِلْكاً وأجيراً، ويَستعمِلُ هذا ذاك، ويَنتفِعُ كلُّ طبقةٍ بالأخرى، واللامُ لامُ العاقبة، وقيل: لامُ الغَرَض.

﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾؛ أي: النُّبوَّةُ خيرٌ من المال، يريد: لم يُفوِّضْ إليهم قِسْمةَ مَعِيشتِهم ورزقِهم وهو حقيرٌ تافِهٌ ـ التَّافِهُ: الحقيرُ اليسيرُ ـ فكيف يفوِّضُ(٢) إليهم قِسْمةَ النُّبوَّةِ وهي أَعْلَى مراتِبِ العِبادِ في الدنيا وفي المَعَاد؟

وقيل: معناه: ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾ ـ يعني: الرزقَ ـ فيقتسِموا النُّبوةَ أيضاً؛ أي: لم يفوِّضْ إليهم صَلاحَ دنياهُمْ فكيف يفوِّضُ إليهم صلاحَ دِينهم؟

وقيل: رحمةُ ربِّك عبادَه بالإيمانِ والإسلام خيرٌ من الأموال.

وقيل: رحمةُ ربِّك: الجنة.

* * *

(٣٣) ـ ﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴾.

﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾؛ أي: مجتمِعين على اختيارِ الدنيا على

---

(١) في (ف): «وآخر».

(٢) في (ف): «نفوض».

الآخرة، وقيل: مجتمِعِين على الكَذِب ﴿لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ﴾ (بيوتِهم) بدل مِن (مَن) بدلَ الاشتمال دخَلَه اللامُ؛ كما دخل قولَه: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾ [الأعراف: ٧٥]؛ لأنَّ العاملَ في البدلِ غيرُ العاملِ في المُبْدَلِ.

وقيل: اللَّامُ بمعنى: على، وفيه ضعفٌ[١].

وقيل: اللامُ للتَّبْيين؛ نحوَ قولِه: سَقْياً لك.

وقيل: اللامُ للعلَّةِ؛ كما تقول: وهَبْتُ لك لأخيك درهماً[٢]، وهذا أظهرُ الوجوه.

﴿سَقْفاً من فضّةٍ﴾: أعالي[٣] البيوت، وإذا كان السقفُ من فضةٍ فالجدارُ كذلك.

وقيل: ﴿سَقْفاً﴾: أبواباً، والسُّقُفُ ـ بضمَّتين[٤] ـ: جمعُ سَقْفٍ؛ كرَهْنٍ ورُهُنٍ، وقيل: جمعُ سقوفٍ جَمْعَ الجَمْعِ.

ويحتمِلُ أن المراد: السُّقوفَ، فحُذف الواو، كما قرئ: (وبالنُّجُمِ هم يهتدون)[٥]؛ أي: النجومِ[٦].

مجاهدٌ: ما كان من السماء فهو السَّقْف بالفتح، وما كان من البيوت فهو السُّقُف بضمتين[٧].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٦٣)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٦٣)، وعده من العجائب.

(٣) في (ف): «أعلى».

(٤) قرأ ابن كثير وأبو عمرو: (سَقْفًا) بفتح السين وسكون القاف، والباقون بضمهما. انظر: «السبعة» (ص: ٥٨٥)، و«التيسير» (ص: ١٩٦).

(٥) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ٧٦)، وفيه: «قال ابن دريد: النُّجُم تكون واحدًا وجمعًا».

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٦٣)، واستغربه.

(٧) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٠/ ٣٨).

﴿وَمَعَارِجَ﴾: مصاعدَ ومراقيَ؛ أي: الدَّرجُ من فضةٍ ﴿عَلَيْهَا﴾: على المعارج ﴿يَظْهَرُونَ﴾ السُّقُفَ والغُرَفَ، وقيل: على السُّقُف.

* * *

(٣٤ ـ ٣٥) ـ ﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا﴾ يريد: من فضةٍ ﴿وَسُرُرًا﴾ من فضةٍ ﴿عَلَيْهَا﴾ على السُّرُر ﴿يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا﴾: ذهباً، وقيل: متاعَ البيت، وقيل: زينةً.

وقيل: هو عطفٌ على محل ﴿مِّن فِضَّةٍ﴾؛ أي: سقفاً من فضةٍ وزخرفٍ.

وقيل: فُرُشاً.

والمعنى: لو فُعِل ذلك بالكفَّار لافْتُتِنَ بهم غيرُهم وتوهَّموا أنَّ ذلك لفضيلةٍ في الكفَّار، فيكْفُرون ويكونونَ في الكفرِ أمَّةً واحدةً.

وقيل: معناه: لو[1] ما أَرَدْنا أنْ يكونَ الناسُ أمَّةً واحدةً بأنْ يكونوا مؤمنين، وفي المؤمنين غنيٌّ وفقيرٌ، وفي الكافرين غنيٌّ وفقيرٌ، لجعَلْنا للكافرين ما ذكَرْنا؛ لهوانِ الدنيا وحقارةِ قَدْرِ متاعِها.

﴿وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ مَن شدَّدَ ﴿لَمَّا﴾ جعَل ﴿إِنْ﴾ بمعنى: (ما) النفيِ، و﴿لَمَّا﴾ بمعنى: إلاَّ؛ أي: ما كلُّ ذلك إلا متاعُ الحياة.

ومَن خفَّفَ ﴿لَمَا﴾ جعَل ﴿إِنْ﴾ المخفَّفةَ من المثقَّلة، وجعَل اللَّامَ هي التي تَصْحبُه إذا خُفِّف، وجعَل (ما) صلةً[2].

---

(١) في (ف): «لولا».

(٢) قرأ عاصم وحمزة وهشام بخلاف عنه بفتح اللام وتشديد الميم، والباقون بفتح اللام وتخفيف =

﴿وَٱلْأَخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ﴾؛ أي: وثوابُ الآخرةِ خيرٌ ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾.

وقيل: والجنةُ عند ربِّك للمتقين.

* * *

(٣٦) - ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾.

﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾؛ أي: يُعْرِضْ عنه.

وقيل: معناه: مَن لم يَنظُرْ في حُجَجِ اللهِ تعالى بالإعراض منه عنها إلا نَظراً ضعيفاً.

وقيل: يَعْشُ عنه لإظلامِهِ عليه بجَهْله به(١).

وقيل: يَعْشُ عنه عمًى عنه.

ومعنى: عَشَوْتُ إلى الشيء: نظرتُ إليه ببصرٍ ضعيفٍ، وكان القياسُ: إلى ذكرِ الرحمن؛ فقيل: لأن المعنى: حَدَث له العَشْوُ عن ذكرِ الرَّحمنِ. وفيه ضعفٌ، إلا أنْ يُحمَلَ على تركِ ذكرِ الرَّحمن.

وقيل: معنى ﴿عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾: عن معرفةِ اللهِ وطاعتِه؛ لأنه لا يَذْكُرُه إلا مَن عَرَفه وأطاعه.

وقيل: عن القرآن.

ويَحتمِلُ أن المراد به مَن نَزَل فيهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [الفرقان: ٦٠].

﴿نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا﴾؛ أي: نُسبِّبْ له.

= الميم. انظر: «السبعة» (ص: ٥٨٦)، و«التيسير» (ص: ١٩٦).

(١) في (ف): «لجهله»، وليس فيها «به».

وقيل: نُتِيحُ ونُيَسِّرُ.

وقيل: نسلِّطْ عليه.

وقيل: يخذُلْه اللهُ ويُبْدِلْه شيطاناً يُقارِنُه.

وقيل: نُخَلِّيهِ وإياه ونَكِلُه(١) إلى نَفْسه.

وقيل: ذلك في القيامةِ؛ يُقْرَنُ كلُّ إنْسيٍّ بالشيطانِ الذي كان يَدْعوْه.

﴿فَهُوَ﴾؛ أي: الشيطانُ ﴿لَهُۥ﴾؛ أي: لبني آدمَ ﴿قَرِينٌ﴾: لازمٌ في الدنيا، أو في النار؛ على القولين.

***

(٣٧) ـ ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾.

﴿وَإِنَّهُمْ﴾؛ أي: الشياطينُ، وجُمع لأنَّ مع كلِّ مَن يَعْشُو شيطاناً.

وقيل: حُمل على معنى ﴿مَن﴾.

﴿لَيَصُدُّونَهُمْ﴾؛ أي: الكفَّارَ ﴿عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: عن الإسلامِ ﴿وَيَحْسَبُونَ﴾؛ أي: الكفَّارُ ﴿أَنَّهُم﴾: أنَّ الشياطين، وقيل: أنَّ الكافرين ﴿مُّهْتَدُونَ﴾ مستَبْصِرون في دِينهم.

وقيل: في الدنيا.

***

(١) في (ف): «يخليه وإياه ويكله».

(٣٨) ـ ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيۡتَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرِينُ ﴾.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا ﴾ يعني: الكافرَ، ومَن ثنَّى الضميرَ[1] فهو الكافرُ وقرينُه ﴿قَالَ﴾؛ أي: الكافرُ ﴿يَٰلَيۡتَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ﴾؛ أي: ليتني لم أعرِفْكَ وليت بيني وبينكَ ﴿بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ﴾؛ أي: المشرقِ والمغربِ؛ كالعُمَرَين[2].

وقيل: مَشْرِقِ الصَّيفِ ومَشْرِقِ الشتاء.

﴿فَبِئۡسَ ٱلۡقَرِينُ﴾ كنتَ في الدُّنيا، وقيل: ﴿فَبِئۡسَ ٱلۡقَرِينُ﴾ أنتَ في النَّار.

وهذا مِن تمامِ كلامِ[3] مَن في النار، وقيل: هذا استئنافٌ وكلامٌ من الله.

* * *

(٣٩) ـ ﴿ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ إِذ ظَّلَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ ﴾.

﴿ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ إِذ ظَّلَمۡتُمۡ ﴾: كفَرْتُم في الدنيا ﴿أَنَّكُمۡ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ﴾: اشتراكُكُم في العذاب؛ كما كان يتسلَّى البعضُ بالبعضِ في الدنيا ويستأنسُ؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ مُشتغِلٌ بنَفْسه.

و(أنَّ) مع ما بَعْدَه الفاعلُ.

وقيل: الفاعلُ مضمَرٌ تقديره: لن ينفعَكم الاعتذارُ لأنَّكم في العذابِ مشتركون.

* * *

---

(١) قراءة نافع وابن كثير وابن عامر وأبي بكر، والباقون: ﴿جَآءَنَا﴾ على التوحيد. انظر: «السبعة» (ص: ٥٨٦)، و«التيسير» (ص: ١٩٦).

(٢) في (ف): «كالقمرين». وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٦٣)، واستغربه، وفيه: «كالعمرين والقمرين».

(٣) في (ف): «الكلام».

(٤٠) ـ ﴿ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾.

﴿ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ هذا خطابٌ للنبيِّ ﷺ؛ أي: لا يَضِقْ صدرُكَ فإنَّ مَن سَبَق عِلْمُ اللهِ بكفرِه لا يَستمِعُ ولا يَهْتدي.

***

(٤١) ـ ﴿ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴾.

﴿ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ ﴾: قَبَضْناكَ إِلَيْنا فنتوَفَّيَنَّك قبلَ أنْ نُرِيَك ما نَعِدُهم من العذابِ ﴿ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴾ بعد موتِكَ.

الحسن رحمه الله: اللهُ أَكْرَمَه بأنْ لمْ يُرِه تلكَ النِّقْمة[1].

وقيل: ﴿ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ ﴾ من مكَّةَ ﴿ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴾ يومَ بدرٍ[2]. فعلَى هذا رأى الانتقامَ.

***

(٤٢) ـ ﴿ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴾.

﴿ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ ﴾ حالَ حياتِكَ، يعني: العذابَ في الدنيا ﴿ فَإِنَّا عَلَيْهِم ﴾: على عذابهم ﴿ مُّقْتَدِرُونَ ﴾: قادِرُون.

وعن جابرٍ رضي الله عنه أنه قال: لمَّا نزلت ﴿ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴾ قال النبيُّ ﷺ: «بعَلِيِّ بنِ أبي طالبٍ» رضي الله عنه[3].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٦٠٠).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٧٩٦)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٣/ ٤٤٤) عن أكثر المفسرين.

(٣) رواه ابن مردويه من طريق محمد بن مروان عن الكلبي عن أبي صالح عن جابر، كما في «الدر المنثور» (٧/ ٣٨٠)، بلفظ: «نزلت في علي بن أبي طالب أنه ينتقم من الناكثين والقاسطين بعدي». محمد بن مروان السدي الصغير متروك متهم بالوضع، والكلبي متروك، والإسناد ساقط.

(٤٣) ـ ﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾.

﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ﴾؛ أي: تَمسَّكْ بالقرآنِ واتْلُه حقَّ تلاوتِهِ وامْتثِلْ أوامِرَه واجتَنِبْ نواهِيَه ﴿ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾: على الدِّين الذي[1] لا عِوَجَ له.

* * *

(٤٤) ـ ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴾.

﴿ وَإِنَّهُۥ ﴾: إنَّ القرآن ﴿لَذِكْرٌ﴾: عِظَةٌ وتَبْصِرةٌ ﴿لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾: أمَّتِكَ.

والجمهورُ على أنه شرفٌ لك ولأُمتك.

وقيل: ﴿لِقَوْمِكَ﴾: قريش.

﴿وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾ عن هذه الموعظةِ أو عن هذا الشَّرفِ: هل أَدَّيْتُم شكرَه أم لا؟

وقيل: عن كُفْرِكم بمحمدٍ ﷺ.

* * *

(٤٥) ـ ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾.

﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا ﴾: سَمَّينا وحَكَمْنا ﴿مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾: سوَى الرحمنِ ﴿ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ مع الله.

قيل: الخطابُ للنبيِّ عليه السلامُ، وهو لمْ يَسألْهم لأنه أَعلمُ به منهم.

وقيل: الخطابُ للنبيِّ ﷺ والمرادُ به غيرُه؛ كقوله: ﴿ فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ﴾ الآية [يونس: ٩٤].

واختَلَفوا في الآيةِ؛ فقيل: تقديرُه: وسَلْ أُمَمَ مَن أَرْسَلْنا، فحُذِفَ المضاف، والمرادُ: أهلُ الكتابين؛ لأنهم كانوا يَرْجِعون إليه في كثيرٍ من أمورهم.

---

(١) «الذي» من (ف).

القفَّال: تقديرُه: فاسأَلْ مَن أَرْسَلْنا إليهم مِن قبلِكَ رسولاً مِن رُسُلنا، فحَذَف الصِّلةَ كما حَذَف من قوله: ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ﴾ [الشورى: ٢٣]؛ أي: به.

وهذا والأولُ في المعنى سواءٌ ويختلفانِ في التقدير.

وقيل: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا﴾ ليلةَ المعراج، وقد رأى منهم جماعةً؛ منهم: موسى وعيسى عليهما السلام، وهو قولُ ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما[١].

وقيل: واسألْ جبريلَ مَن[٢] أرسَلْنا، ومثلُه: ﴿سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم﴾ [البقرة: ٢١١]، وتقديرُه: سَلْ جبريلَ عليه السلامُ عمَّن أرسَلْنا، فحَذَف حرفَ الصِّلة، وكذلك: سل بني إسرائيل عن كمِّيَّة ذلك، وعلى هذا تمَّ الكلام على قوله: ﴿مَنْ أَرْسَلْنَا﴾[٣].

ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «أتاني مَلَكٌ فقال: يا محمدُ، سَلْ مَن أَرْسَلْنا مِن قَبْلِكَ مِن رُسُلِنا علامَ بُعِثوا؟ قال: قلتُ: علامَ[٤] بُعِثوا؟ قال: على ولايتِكَ وولايةِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ» رضي الله عنه، رواه الثعلبي[٥].

ثم قال: ﴿أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾.

ويَجوزُ أنْ يكونَ ﴿مَنْ﴾ رفعاً بالابتداءِ خبرُه: ﴿أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾، والعائدُ مضمَرٌ؛ أي: على ألسنتِهم[٦].

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٢٨).

(٢) في (ف): «عمن».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٦٥)، واستغربه.

(٤) في (ف): «على من» في الموضعين، والمثبت من (ن) والمصدر.

(٥) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٣/ ٤٥٥)، وهو حديث موضوع. انظر: «السلسلة الضعيفة» (٤٨٨٤).

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٦٥)، وعده من العجائب.

(٤٦) ـ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ في هذه الآياتِ تَسَلٍّ للنبيِّ ﷺ.

* * *

(٤٧) ـ ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَـٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ﴾.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَـٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ﴾ استهزَؤُوا بها وقالوا: إنَّها سحرٌ وتخييل.

* * *

(٤٨) ـ ﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَـٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾: شَبيهتِها التي تقدَّمتْ؛ أي: إنَّها كلَّها كبارٌ متكافئةٌ في الكِبَر.

ويحتمِلُ أن يُقال: إنَّ الآيةَ الأولى كبيرةٌ، والتي تليها أكبرُ من الأولى، والثالثةُ أكبرُ من الثانية، وكذلك ما بَعْدَها.

﴿وَأَخَذْنَـٰهُم بِٱلْعَذَابِ﴾: السِّنينَ ونَقْصٍ من الثَّمرات، إلى سائرِ ما ابتُلُوا به ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عن كفرهم.

* * *

(٤٩) ـ ﴿وَقَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ﴾.

﴿وَقَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ﴾؛ أي: العالِمُ، ولمِ يَكنِ السِّحرُ عندَهم ذمًّا.

وقيل: يقالُ للعالِمِ البالغِ في العِلْم: إنه لساحرٌ؛ أي: يَعلمُ ما لا يَعلمُه غيرُه.

وقيل: الساحرُ: الغالِبُ للسِّحر، من بابِ فاعَلْتُه ففعَلْتُه؛ أي: ساحَرْتُه فسَحَرْتُه[١].

وقيل: كانوا بعدُ على كفرِهم فقالوا: ﴿يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ﴾[٢].

﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾؛ أي: مَن آمَنَ بك كشفتُ العذابَ عنه.

وقيل: ادْعُه بما عوَّدك الإجابةَ به.

﴿إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ﴾: مؤمنون.

* * *

(٥٠) ـ ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾.

﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾: يَنقضون العهدَ ولا يُوْفُون به.

* * *

(٥١) ـ ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾.

﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ﴾ قيل: نادى بنفسه، وقيل: أمر منادياً فنادى.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ﴾ وهي المعروفة.

مجاهد: إسكندريةُ[٣].

وذلك أن موسى عليه السلام لمَّا دعا اللهَ فكشَفَ اللهُ العذابَ عن القِبْطِ خافَ فرعونُ أنْ يُؤمِنَ به بعضُهم، فجمَعهم ونادَى فيهم فقال: يا قوم، أليسَ لي ملكُ مصرَ ﴿وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ يريدُ: أنهارَ النِّيل.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٦٥)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٦٥)، وعده من العجائب.

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٢٩).

وفي التفاسير: كانت ثلاثَ مئةٍ وسِتِّين نهراً، وقيل: كان معظمُه أربعةً.

﴿تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ﴾؛ أي: تحتَ قَصْرِي.

وقيل: بين يديه لارتفاع سريره.

وقيل: في مُلكه.

وقيل: في أمري.

وقال عبدُ الله بنُ المبارَكِ الدِّيْنَوَرِيُّ[1] في «تفسيره الواضح»: ﴿وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾؛ أي: الجيادُ من الخيل، وسمَّاه نهراً[2].

ولم يَبْعُد ابنُ المبارك؛ فقد قال عليه السلام في الفرس الذي ركِبَه: «وجَدْتُه بحرًا»[3].

---

(١) ذكره الداودي في «طبقات المفسرين» (١/ ٢٥٠) ولم يزد على قوله: له التفسير المعروف بـ«الواضح».

وقد روى هذا التفسير عنه الثعلبي كما ذكر في مقدمة «الكشف والبيان» (٢/ ١٣٩) عن أبي حنيفة القزويني، قال: أنا أبو بكر محمد بن يعقوب الأستوائي، عن أبي محمد عبد الله بن المبارك الدِّينوري.

وقال الرافعي في «التدوين في أخبار قزوين» (٣/ ٢٧١): عبد الملك بن علي أبو حنيفة القزويني شيخ روى بنيسابور التفسير المعروف بـ«الواضح» لأبي محمد عبد اللهِ بن المبارك الدينوري عن أبي بكر محمد بن يعقوب الأستوائي عن المصنف، وسمعه منه أبو عبد اللهِ الحسين بن محمد بن إبراهيم الدامغاني، وروى الكتاب عنه الإمام أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، وحكى روايته عنه في أول كتابه في جملةِ ما عَدَّ من كتب التفسير وأسانيدها.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٦٥)، واستغربه، قال أبو حيان في «البحر المحيط» (٤/ ٤٤٠): «وقد أغرب من فسر الأنهار هنا بالخيل كما قيل في قوله: ﴿وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ﴾، وإذا كان الفرس سريع العدو واسع الخطو وصف بالبحر وبالنهر».

(٣) رواه البخاري (٦٠٣٣)، ومسلم (٢٣٠٧) عن أنس رضي الله عنه.

الضَّحَّاك: ﴿وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾؛ أي: هو القُوَّادُ والجبابِرةُ تحتَ لوائي(١). وهذا يَقْرُبُ من قولِ ابن المبارك.

﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ مُلْكي وقوَّتي؟ أفلا تبصِرون قُدْرَتي(٢) وعَجْزَ موسى؟ عليه السلام.

* * *

(٥٢) ـ ﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾.

﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ﴾ فيه أقوال:

قال بعضُهم: معناه: بل أنا خيرٌ.

وقال بعضُهم: تقديرُه: أفَلَا تُبصِرون أم تُبصِرون؟ فحَذَف أحدَ الجملتين.

سيبويه: تقديرُه: أفَلَا تُبْصِرون أم تُبْصِرون؟ لأنهم إذا قالوا: أنت خيرٌ، صاروا عندهم بُصَراءَ(٣).

وقيل: تقديرُه: أفَلَا تُبْصِرون أنِّي خيرٌ أم أبصرتُم؟ ثم استأنَفَ فقال: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ﴾.

ويحتمِلُ أنَّ التقديرَ: أهو خيرٌ مِن هذا الذي له ملكُ مصرَ والأنهارُ تجري من تحته(٤)؟

﴿مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ﴾ ومعنى ﴿مَهِينٌ﴾: ضعيفٌ.

وقيل: قليلٌ، من المَهانة، وهي القلَّةُ.

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٣٠).

(٢) في (ف): «قوتي».

(٣) انظر: «الكتاب» (٣/ ١٧٣).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٦٦)، واستغربه.

وقيل: ﴿مَهِينٌ﴾: يَمْتهِنُ نفسَه في جميعِ حاجاتِه، وليس له مَن يكفيهِ ذلك.

وقيل: ﴿مَهِينٌ﴾: فقيرٌ.

﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾: وفي لسانه ثِقْلٌ، قيل: أراد ما كانَ في لسانه من العُقْدة وإنْ كان اللهُ قد أزالَ ذلك من لسانه.

وقيل: معنى ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾: لا يكادُ يُبِينُ ما يدَّعيه بحجَّةٍ واضحةٍ.

* * *

(٥٣) ـ ﴿فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾.

﴿فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ﴾؛ أي: هلَّا كان في حِلْيَةٍ وزِيٍّ حسنٍ كما أن الملوكَ يَشْهرون رُسُلَهم بخِلَعٍ وكرامات.

﴿أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾: يَمْشُونَ معه يَقْتَرِنُ بعضُهم ببعضٍ، وقيل: اثنين اثنين.

وقيل: أعوانٌ يُعِيْنونه.

السِّوارُ والإسْوارُ: هو الذي يُلْبَسُ مكانَ القُلْبَينِ[1]، و﴿أَسْوِرَةٌ﴾: جمعُ سوارٍ؛ كجِرابٍ وأَجْرِبةٍ، و﴿أساورةٌ﴾[2]: جمعُ إسوارٍ، حُذفَ الواوُ وعُوِّض الهاءُ؛ كفرازنة وزنادقة[3].

وقيل: ﴿أساورةٌ﴾: جمعُ أسورةٍ جمعَ الجمع.

* * *

(١) القُلب: سوار المرأة. انظر: «تاج العروس» مادة: (ق ل ب) (٤/ ٧١).

(٢) هذه قراءة السبعة عدا حفص فقرأ: ﴿أَسْوِرَةٌ﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٥٨٧)، و«التيسير» (ص: ١٩٧).

(٣) «وزنادقة»: ليست في (ف). وانظر: «الكتاب» (١/ ٢٥).

(٥٤) ـ ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ﴾.

﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ﴾؛ أي: طلبَ منهم الخفَّةَ في الطاعةِ، وهي الإسراعُ إليها ﴿فَأَطَاعُوهُ﴾.

وقيل: استَخَفَّ عقولَهم.

القفَّال: ﴿استَخَفَّ قَوْمَهُۥ﴾: عَمِل فيهم كلامُه فخَفُّوا في طاعته.

وقيل: استَجْهَلَهم فأطاعوه.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ﴾: خارجينَ عن دِين الله.

* * *

(٥٥ ـ ٥٦) ـ ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٥٥ فَجَعَلْنَـٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْـَٔاخِرِينَ﴾.

﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا﴾: أغضبُونا، والأسفُ: الغضبُ، ويقال: أشدُّ الغضب.

وقيل: الأسفُ: الغَمُّ والتحسُّرُ على الغائب، فيكونُ التقديرُ: آسَفُوا رُسُلَنا[1].

﴿ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾: جازَيْناهم على فِعْلِهم ﴿فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ أَجْمَعِينَ﴾: أهلكناهم بالماء ﴿فَجَعَلْنَـٰهُمْ سَلَفًا﴾: مقدِّمةً لمَنْ بعدَهم من الكفَّار.

(السَّلَف) بفتحتين: مصدرُ سَلَفَ؛ إذا تقدَّم، فهو سالفٌ وسَلِيفٌ، ويجوزُ أن يكونَ جمعَ سالفٍ، كحارسٍ وحَرَسٍ.

و: ﴿سُلُفاً﴾ بضمَّتين[2]: جمعُ سَلِيفٍ، ويجوزُ أن يكون[3] جمعَ سَلَفٍ.

---

(١) في (ف): «أسفونا أي رسلنا».

(٢) قرأ بها حمزة والكسائي، والباقون بالأولى. انظر: «السبعة» (ص: ٥٨٧)، و«التيسير» (ص: ١٩٧).

(٣) في (ف): «وقيل» بدل: «ويجوز أن يكون».

وقيل: جعَلهم اللهُ مقدِّمةَ كفَّارِ أمةِ محمدٍ ﷺ إلى النار.

﴿وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ﴾ يُضْرَبُ بهم الأمثالُ فيما بَيْنَهم.

وقيل: جعَلْناهم حديثاً لِمَن بعدَهم.

* * *

(٥٧) ـ ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾.

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾ وذلك أنَّ قريشاً قالوا: إذا جازَ أن يكونَ عيسى ابنُ اللهِ جاز أنْ تكونَ الملائكةُ بناتُ الله؛ فيكونُ الضاربُ للمَثَلِ كافراً، ﴿إِذَا قَوْمُكَ﴾؛ أي: المؤمنون.

وقيل: إنَّ ابنَ الزِّبَعْرَى قال: إذا جازَ أن يكون عيسى ابنُ الله[1] في النار جاز أن يكون آلهتُنا فيها[2]، وقد سبق في سورة (الأنبياء)[3]؛ فيكونُ الضارب للمَثَل أيضاً كافراً، ﴿إِذَا قَوْمُكَ﴾ على هذا القولِ يَحتمِلُ أن يكونوا مؤمنينَ، ويحتمِلُ أن يكونوا كافرين.

وقيل: لمَّا نَزَل قولُه: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾ [آل عمران: ٥٩] قالوا: إنَّ محمداً يريدُ أنْ نتَّخِذَه ربًّا كما اتَّخَذَ النصارى عيسى. فيكونُ الضاربُ للمَثَل هو اللهُ تعالى، ﴿إِذَا قَوْمُكَ﴾: المشركون.

﴿مِنْهُ﴾: من المَثَل، وقيل: مِن ضَرْبِ المثل، وقيل: مِن الله، وقيل: من عيسى عليه السلام.

---

(١) «ابن الله»: ليست في (ف).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٧٩٨)، و«تفسير السمرقندي» (٢/ ٢٦١)، و«أسباب النزول» للواحدي (١/ ٣٧٦).

(٣) انظر تفسير الآيات (٩٨ ـ ١٠١) منها.

﴿يَصِدُّونَ﴾: يَعُجُّون، وقيل: يَضْحَكون، وقيل: يَجْزَعون، وقيل: يَضِجُّون(١)، وقيل: يَعجُّون ويصفِّقونَ بأيدِيْهِم سروراً بأنْ جَعَلوا يحتجُّون على محمد ﷺ.

والضمُّ(٢) في هذه كلِّها لغةٌ، وقيل: الضمُّ بمعنى: يَنْفِرون صدودًا، ويمنعونَ غيرَهم صدًّا.

* * *

(٥٨) ـ ﴿وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ﴾.

﴿وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَ﴾ يَعْنُونَ: الملائكةُ خيرٌ من عيسى.

وقيل: معناه: عيسى خيرٌ من الأصنام، وهو في النار؛ لعمومِ قولك: ﴿وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]، كذلك آلهتُنا.

وقيل: ﴿أَمۡ هُوَ﴾ يعودُ إلى محمدٍ ﷺ، والمعنى: أَنُطِيعُ محمداً ونَدَعُ آلهتَنا؟ عَنَوا أنَّ الآلهةَ خيرٌ منه.

﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ﴾: ما ضَرَبوا هذا المثَلَ، وقيل: ما قالوا هذا القول ﴿إِلَّا جَدَلَۢا﴾: باطلاً لا برهانَ عليه، ﴿بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ﴾: حاذِقون في الخصومة.

* * *

(٥٩) ـ ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾.

﴿إِنۡ هُوَ﴾: ما هو ﴿إِلَّا عَبۡدٌ﴾ يعني: عيسى عليه السلام ﴿أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ﴾ بالنُّبُوَّة ﴿وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلٗا﴾: دلالةً ﴿لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ على صدقِه.

---

(١) «يعجون... يضجون» من (ن).

(٢) قراءة ابنِ عامر ونافع والكسائيِّ (يصُدُّن)، والباقون بكسر الصاد. انظر: «السبعة» (ص: ٥٨٧)، و«التيسير» (ص: ١٩٧).

وقيل: جعَلْنا قولَنا(١): ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ﴾ [آل عمران: ٥٩] مَثَلاً لبني إسرائيل.

***

(٦٠) ـ ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴾.

﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴾ قيل: لجعَلْنا من الإنسِ ملائكةً وإنْ لم تَجْرِ العادةُ كما خَلَقْنا عيسى مِن غيرِ أبٍ.

وقيل: ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا ﴾ بعضَكم ملائكةً أو جميعاً، فجعَلْناهم سكَّانَ الأرضِ كما جعَلْنا الملائكةَ سكَّانَ السماوات؛ إذ ليس في كونِهم في السماوات ما يُوْجِبُ لهم الإلهيَّةَ ولا نَسَباً من الله(٢).

والأكثرُ على أنَّ (مِن) بمعنى البَدَل؛ أي: ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا ﴾ بَدَلَكم ومكانَكم ﴿ مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴾: يكونون بدلاً عنكم، وقيل: يَخْلُفُ بعضُهم بعضاً.

***

(٦١) ـ ﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾.

﴿ وَإِنَّهُۥ ﴾: وإنَّ عيسى ﴿ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ ﴾؛ أي: نزولُه من أشراط الساعةِ؛ يُعْلَمُ بنزوله قربُها وثبوتُها.

وقيل: إنَّ عيسى عليه السلام كان يُحيِي الموتى فعُلِمَ به الساعةُ والبعثُ(٣).

وقرئ في الشواذ: (لَعَلَمٌ للسَّاعة)(٤)، وهو كما تقولُ: من أشراطِ الساعة.

---

(١) في (ف): «قرآناً».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٦٦)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٦٦)، واستغربه.

(٤) نسبت لابن عباس وأبي هريرة رضي الله عنهم وقتادة ومالك بن دينار والضحاك، كما في «المختصر =

وقال رسولُ الله ﷺ: «أنا أَوْلَى الناسِ بعيسَى، ليس بيني وبينَه نبيٌّ، وإنَّه أولُ نازلٍ، يَكْسِرُ الصَّليبَ، ويَقتُلُ الخنزيرَ، ويقاتلُ الناسَ على الإسلام»[1].

مقاتل: ينزلُ عيسى عليه السلامُ بجبلٍ بأرضِ الشام يقالُ له: أَفِيقُ[2].

وقيل: إذا نَزَل عيسى عليه السلام رُفِعَ التكليفُ، وفيه بُعْدٌ.

الحسن: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾؛ أي: القرآنُ عِلْمٌ للساعة[3]؛ أي: يُعْلَم منه، وفيه ثبوتُ ذلك.

﴿فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾: لا تَشُكُّنَّ فيها، ولا تكذِّبوني[4] ﴿وَٱتَّبِعُونِ﴾ فيما آمُرُكم به ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾: دِينٌ قيِّم.

الحسن: القرآنُ صراطٌ إلى الجنة مستقيمٌ[5].

* * *

= في شواذ القراءات» (ص: ١٣٦)، و«تفسير الثعلبي» (٢٣/ ٤٧٢).

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٩٦٣٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٨١٤) و(٦٨٢١) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وروى البخاري (٣٤٤٣)، ومسلم (٢٣٦٥) منه: «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة».

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٨٠٠)، وفيه: «ينزل على ثنية أفيق: وهو جبل بيت المقدس يقال له: أفيق».

ونزوله على أفيق ورد في حديث عثمان بن أبي العاص رواه الحاكم في «المستدرك» (٨٤٧٣)، وحديث حذيفة رواه الحاكم أيضاً (٨٥٠٧).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٦٣٤)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٣/ ٤٧٤)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٦٦)، وعده من العجائب.

(٤) في (ن): «تكذبن».

(٥) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٣٦).

(٦٢) ـ ﴿ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾.

﴿ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾؛ أي: عن الإيمانِ بالساعةِ والقرآن ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾: ظاهرُ العداوة.

***

(٦٣ ـ ٦٤) ـ ﴿ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾.

﴿ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾: بالمعجزاتِ، وقيل: بالإنجيل ﴿قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ ﴾: بما يَفْصِلُ بينَ الحقِّ والباطل، وقيل: بالنبوَّة ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ وهو أمرُ الدِّينِ لا أمرُ الدنيا، وهو بعض ما اختلفوا فيه.

وقيل: ﴿بَعْضَ﴾ بمعنى: كلّ، وقد سبق.

وقيل: ﴿بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ﴾ نصًّا، فاجتهدوا في طلبِ الباقي[1].

﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ﴾: خالِقي وخالقُكم، ورازِقي وأنا عبدٌ مخلوقٌ محتاجٌ إلى الرزق.

﴿فَٱعْبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ يجوزُ أن يكونَ من تمامِ كلامِ عيسى عليه السلام، ويجوزُ أن يكونَ استئنافاً من اللهِ تعالى.

***

(٦٥) ـ ﴿ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾.

﴿ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ ﴾؛ أي: الذين تحزّبوا بعد عيسى عليه السلام، وهم اليَعْقوبيَّةُ والنَّسْطُورِيَّةُ والمَلْكانِيَّةُ[2] والمرقُوسيَّة.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٦٦)، واستغربه.

(٢) في (ف): «الملكائية».

وقال مقاتل: والسَّمْعونيَّة(١).

﴿مِنۢ بَيۡنِهِمۡ﴾: من بين النصارى، وقيل: فيما بينهم، وقيل: من بينِ اليهودِ والنصارَى، وقيل: ﴿مِنۢ﴾ زيادةٌ، وقيل: ﴿مِنۢ بَيۡنِهِمۡ﴾: من عند أنفسِهم لم يُؤْمَروا به.

وقيل: ﴿ٱلۡأَحۡزَابُ﴾: هم الذين آمَنوا به؛ أي: اختلَف الأحزابُ مِن بينِ الناس.

﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ قالوا في عيسى عليه السلام ما كفَروا به ﴿مِنۡ عَذَابِ يَوۡمٍ أَلِيمٍ﴾ وهو القيامةُ.

* * *

(٦٦) ـ ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾.

﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ﴾ قيل: الضميرُ لقومِ عيسى عليه السلام، وقيل: للكفَّار ﴿أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗ﴾ بدلٌ من ﴿ٱلسَّاعَةَ﴾، ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾.

* * *

(٦٧) ـ ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ﴾.

﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ﴾: جمعُ خليلٍ ﴿يَوۡمَئِذِۭ﴾ مجاهدٌ: في الدنيا(٢)، والجمهور على أنه يومَ القيامة ﴿بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ﴾ يريد: الكفَّارَ والأحزاب.

وقيل: الأخِلَّاءُ على معصية الله.

﴿إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ﴾؛ أي: المؤمنين، وقيل: الذين يتَّقون المعاصيَ.

* * *

(١) في «تفسير مقاتل» (٣/ ٨٠٠): «والأحزاب هم: النسطورية والماريعقوبية والملكانية»، وقد تقدم التعريف بهذه الطوائف في تفسير (المائدة).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٦٣٩) بلفظ: «فكل خلة على معصية الله في الدنيا متعادون».

(٦٨) ـ ﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴾.

﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴾؛ أي: لا تخافوا ولا تَحْزَنوا.

قيل: هو متَّصِلٌ بالأول؛ أي: إلا المتَّقِين فإنَّه يُقال لهم: يا عبادي.

***

(٦٩ ـ ٧٠) ـ ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسۡلِمِينَ ٦٩ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ ﴾.

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴾ على دِينِ إبراهيمَ عليه السلام.

وقيل: داخلِينَ في الإسلامِ والدِّين.

قيل: هذا مبتدأٌ، وخبرُه: ﴿ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ ﴾؛ أي: يقالُ لهم: ﴿ ٱدۡخُلُواْ ﴾.

وقيل: صفةٌ لـ﴿ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾[1].

وقيل: بدلٌ من ﴿عباد﴾.

وقيل: مبتدأٌ، وخبرُه: ﴿ يُطَافُ عَلَيۡهِم ﴾، وقولـه: ﴿ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ ﴾ متَّصلٌ بقوله: ﴿ يَٰعِبَادِ ﴾، وهو اعتراضٌ بين المبتدأ وخبرِه، والمبتدأُ اعتراضٌ بين المنادَى والمنادَى به.

﴿أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ ﴾ قيل: الحورُ، وقيل: النساءُ المسلِمات.

﴿تُحۡبَرُونَ ﴾: تزيَّنون، والحِبْر: حُسْنُ الهيئة.

وقيل: ﴿تُحۡبَرُونَ ﴾: تُسَرُّون، والحُبُورُ: السُّرُور.

وقيل: تُكْرَمون. وقيل: تُنعَّمون. وقيل: تُعْجَبون. وقيل: إنَّه التَّلَذُّذُ بالسَّماع.

***

(١) في (ن): «للمؤمنين».

(٧١) - ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ﴾: جمعُ صَحْفةٍ؛ أي: فيها طعامٌ.

﴿وَأَكْوَابٍ﴾؛ أي: من ذهبٍ أيضاً: جمعُ كوبٍ، وهو الإبريقُ لا عروةَ له، وقد سبَق.

﴿وَفِيهَا﴾؛ أي: الجنَّةِ ﴿مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ﴾: تُنازِعُ النُّفوسُ إلى الظَّفَر به ﴿وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾: تَجِدُ بالنَّظرِ[1] إليه لذَّةً لإفراطِ حُسْنِه في مَرْآها، وما الْتَذَّ به العينُ قَبِلَتْه النفسُ؛ لأنها رائدُ النفس.

قال القفَّال: جُمعَ بهاتين اللفظتينِ ما لو اجْتَمَع الخَلْقُ كلُّهم على وصفِ ما فيهما على التفصيلِ لم يَخرُجوا عنه[2].

وقرئ: ﴿ما تشتهي﴾[3] فحُذف الضميرُ، وحَذْفُ الضميرِ من الموصولِ أحسنُ من الإثبات.

﴿وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾؛ لأن نعيمَها لا ينقطعُ ولا يَزُولُ.

* * *

(٧٢ - ٧٣) - ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ﴾.

﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾؛ أي: يقالُ لهم ذلك.

---

(١) في (ف): «النظر».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٦٧).

(٣) قرأ بها ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي وشعبة. انظر: «السبعة» (ص: ٥٨٩)، و«التيسير» (ص: ١٩٧).

﴿لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ﴾ تتعلَّلُون فيها بعدَ الطعامِ والشراب ﴿مِّنْهَا تَأْكُلُونَ﴾؛ أي: ما اشتَهَيْتُم منها، وهذا ردٌّ على مَن زَعَم أنْ لا أَكْلَ في الجنة.

ثم ذكر(1) جزاءَ الكفارِ للتَّقابُل فقال:

(٧٤) - ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ رُفع ﴿خَٰلِدُونَ﴾ بالخبر لأنه المقصودُ بالذِّكر، ويجوزُ أن يكونَ خبراً بعدَ خبرٍ.

* * *

(٧٥) - ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾.

﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ﴾: لا يخفَّفُ عنهم زماناً ولا نقصاناً ﴿وَهُمْ فِيهِ﴾: في العذاب ﴿مُبْلِسُونَ﴾: آيِسونَ من النَّجاة متحيِّرون.

* * *

(٧٦) - ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ﴾ بالعذاب ﴿وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ أي: هم ظلَموا أنفسَهم بكفرهم، و﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ نصبٌ بـ(كان)، و﴿هُمُ﴾ عمادٌ.

* * *

(٧٧) - ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾.

﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ﴾ لمَّا يَئسوا من فُتورِ العذابِ نادَوا: ﴿يَٰمَٰلِكُ﴾، وهو خازنُ النار ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾: ليُمِتْنا ربُّك.

---

(١) «ذكر» ليس في (ف).

﴿قَالَ﴾ مالك بعد أربعين عاماً، وقيل: بعد مئة عامٍ، وقيل: بعد ألفِ عامٍ: ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾: لابِثُون في العذاب أبداً لا تتخلَّصون عنه لا بموتٍ ولا فتورٍ(١).

وقيل: هذا تمنٍّ منهم لا طَمَعٌ؛ لأنهم يعلمون أنه لا مَخْلَصَ لهم.

* * *

(٧٨) ـ ﴿لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾.

﴿لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِالْحَقِّ﴾ هذا استئنافُ كلامٍ؛ أي: جاءكم رسلُنا بالحقِّ الذي لا باطلَ معه ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾؛ أي: كرهتُم ما جاءكمُ الرسولُ به وخِفْتُم زوالَ رِيَاسَتِكم.

وقيل: هذا متَّصلٌ بكلامِ مالكٍ؛ أي: ﴿جِئْنَٰكُم﴾ يعني: الملائكةَ، وهم رسلُ الله، وهو منهم(٢).

* * *

(٧٩) ـ ﴿أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾.

﴿أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا﴾ عَدَل من الخطابِ إلى الغيبة، والمعنى: أَحْكَموا أَمْراً في المكرِ بمحمدٍ ﷺ، ﴿فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾: مُحْكِمون أمراً في مجازاتهم.

قيل: نزلتْ في كفارِ قريشٍ حين اجتمَعوا في دارِ الندوة وأَجْمَعوا على الاغتيالِ بمحمدٍ(٣) ﷺ(٤).

---

(١) في (ف): «قبور».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٦٨)، واستغربه.

(٣) كذا في النسختين، ولو قال: «اغتيال محمد» أو «الاغتيال بمحمد» لكان أظهر، ولعله ضمَّن الاغتيال معنى الغدر، والله أعلم.

(٤) انظر: «تفسير السمرقندي» (٣/ ٢٦٥) عن مقاتل، وهو في «تفسير مقاتل» (٣/ ٨٠٣) مطولاً.

الفرَّاء: أَحْكَموا أمراً يُنْجِيهم من العذاب بزَعْمِهم، ﴿فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ معذِّبوهم(١).

قتادةُ: أَجْمَعوا على التَّكْذيبِ، وأَجْمَعْنا على التَّعْذيب(٢).

وقيل: أَعَلِموا دِينَهم؟ بل هم في جهلٍ، ﴿فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ ما دَعَوْناهم إليه مِن الدِّين.

ابنُ بحرٍ: هو عطفٌ على قوله: ﴿أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ... أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا﴾(٣): رأَوْا رأيًا عزَموا عليه، ﴿فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾: فاعِلُون ما يَليقُ بفِعْلِهم.

***

(٨٠) ـ ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾.

﴿أَمْ يَحْسَبُونَ﴾: يتوهَّمون ﴿أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ﴾: حديثَ أنفُسِهم ﴿وَنَجْوَاهُم﴾: ما يتحدَّثون فيما بَيْنَهم ويُخْفُونها عن غيرِهم، ﴿بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ﴾؛ أي: الحفَظَةُ ﴿يَكْتُبُونَ﴾ ما يكونُ منهم، ثم يُعْرَضون عليهم في القيامةِ؛ ليَعْلَموا أنه لا يخفى على ملائكَتِنا، فكيف علينا؟

***

(٨١) ـ ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾.

﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ فيه أقوالٌ:

أحدها: ﴿إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ﴾ بزَعْمكم ﴿فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ بأنه أحدٌ(٤) لا وَلَدَ له.

وقيل: ﴿إِن﴾ بمعنَى النَّفْي، والفاءُ لعطفِ جملةٍ على جملةٍ؛ أي: ما كان

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٣٨). وفي (ف): «معذبون».

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٧٩٣)، والطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٦٥٢).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٦٨)، واستغربه.

(٤) في (ف): «واحد».

للرَّحمـن ولـدٌ، وأنـا أوَّلُ العابديـن بأنـه لا ولـدَ لـه من هـذه الأمَّة.

وقيل: من الآنفين.

وقيل: ﴿إِن﴾ للشرط، و﴿ٱلْعَـٰبِدِينَ﴾ بمعنى: الآنفين.

وقيل: ﴿إِن كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ﴾ مَن يعبدُ ذلك الولدَ، ولكنْ ليس له ولد.

وقيل: ﴿إِن كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠﴾ أعبدُ اللهَ بهذه الصِّفة، لكنْ ليس له ولدٌ، ولم يَثْبُتْ، فليس إلى اعتقادِه سبيلٌ.

حكاهما القفَّال، وقال: هذا على تعريضِ الكلام؛ كما قال: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤](١).

سفيانُ بن عُيَيْنَةَ: إنْ كان للرحمنِ ولدٌ فأنا أولُ [العابدِين]، ولستُ بأولِ العابدين، فليس للهِ ولدٌ.

قال: وهذا كما تقولُ: إنْ كان ما تقولُ حقًّا فأنا جمادٌ؛ أي: ليس ذلك بحقٍّ كما لستُ بجمادٍ(٢).

***

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٦٨)، واستغربه.

(٢) ذكره بهذا اللفظ المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٦٩)، وعده من العجائب، وما بين معكوفتين منه. وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٤١) بلفظ: «قل: إن قلتم: إن للرحمن ولداً، فأنا أول الجاحدين أن يكون له ولد».

وذكره السمعاني في «تفسيره» (٥/ ١١٩) عن سفيان بن عيينة والسدي بلفظ: «إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين، وليس له ولد ولا أنا أول عابد، وهذا كالرجل يقول لغيره: إن كنت كاتباً فأنا حاسب؛ يعني: لستَ بكاتب ولا أنا حاسب».

وذكر الواحدي في «البسيط» (٢٠/ ٨٢) عن ابن عيينة: أنه سئل عن هذه الآية فقال: «يقول: فكما أني لست أول من عبد الله، فكذلك ليس لله ولد».

(٨٢ ـ ٨٣) ـ ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾.

ثم نزَّه نفسَه عن الولدِ فقال: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟﴾ في باطِلِهم ﴿وَيَلْعَبُوا۟﴾ في دُنْياهم ﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾؛ أي: القيامةَ.

* * *

(٨٤) ـ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ﴾؛ أي: معبودٌ في السَّماء يعبدُه الملائكةُ ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾: معبودٌ في الأرضِ يعبدُه الإنسُ والجنُّ؛ أي: ليس له فيهما ولدٌ ولا شريكٌ.

وقُرئ: (وهو الذي في السَّماءِ اللهُ وفي الأرضِ اللهُ)(١).

وقُرئ في الغَريبِ: (وهو الذي في السَّماءِ لاهٌ وفي الأرض لاهٌ)(٢).

﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾: خلَقَهما بحِكْمته ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: عَلِمَ ما يكونُ فيهما.

* * *

(٨٥) ـ ﴿وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

﴿وَتَبَارَكَ﴾: تعالى ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ وهو الهواءُ، وقيل:

---

(١) نسبت لعمر وعلي وابن مسعود وأبيٍّ رضي الله عنهم وغيرهم. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ٨١)، و«معاني القرآن» له (٦/ ٣٨٩)، و«المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣٧).

(٢) ذكر هذه القراءة المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٩٤)، واستغربها، ونقله عنه السيوطي في «حاشيته على تفسير البيضاوي» (١/ ١٤١)، وكذا الخفاجي في «حاشية الشهاب على البيضاوي» (١/ ٥٦).

هو المخلوقاتُ فيهما ﴿وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾؛ أي: القيامةِ، وقيل: علمُ ساعةِ قيامِ القيامة، ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ للثَّواب والعِقاب.

* * *

(٨٦) - ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾؛ أي: الذين يَدْعُونهم، فهو عامٌّ في المدْعُوِّين من الملائكة والإنسِ والجنِّ والصَّنم، ثم استثنَى فقال: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ﴾ فإنَّهم يملِكون الشفاعة؛ يعني: الملائكةَ وعيسى وعُزيراً عليهم السلام.

و﴿مَن﴾ في محلِّ رفع.

وله وجهٌ ثانٍ تقديرُه: ولا يملكُ الذي يَدْعُون من دونه الشفاعةَ لأحدٍ، فحَذَف اقتصاراً؛ لأنَّ الشفاعةَ تقتضي مَشفوعاً له ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: لِمَن شَهِد بالحقِّ وهم المؤمنون، فحَذَف اللامَ، و﴿مَن﴾ في محلِّ نصبٍ.

وله وجهٌ ثالثٌ: وهو أنْ يُحمَلَ ﴿ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ على الدَّاعين؛ أي: لا يملكُ أحدٌ منهُم شفاعةً ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ﴾؛ أي: لكنْ مَن شَهِدَ بالحقِّ فإنه يملكُ الشفاعةَ، والاستثناءُ منقطِعٌ، و﴿مَن﴾ في محلِّ نصبٍ، ومعنى ﴿يَمْلِكُ﴾: ينالُ.

ووجهٌ رابعٌ: وهو أن يُجعلَ ﴿مَن﴾ بمعنَى (ما) المصدرِ، فيكونَ التقديرُ: لا يملِكُ المدعوُّونَ إلا الشهادةَ، حكاها القفَّال[1].

ومِثْلُ حَمْلِ ﴿مَن﴾ على (ما) المصدرِ حملُهم ﴿ٱلَّذِى﴾ عليه في قوله: ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: ٢٣]، وقد سَبَق.

---

(١) «المصدر فيكون التقدير لا يملك المدعوون إلا الشهادة حكاها القفال» من (ف). ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٧٠)، وعده من العجائب.

ومعنـى ﴿شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ إذا حمَلْتَـه علـى الملائكـة والنبييـن؛ أي: الذيـن يُخْلِصـون الوحدانيَّـةَ على علـمٍ منهـم ويقينٍ.

وقيل: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ﴾ من الملائكةِ له بأنه كان على دِين الحقِّ مع عِلْمِهم بذلك منهم.

ومَن حمَله على المؤمنين فمعناه: إلَّا مَن قال: «لا إلهَ إلَّا اللهُ» على علمٍ وعقيدةٍ خلافَ ما يقولُه المنافقُ.

ابنُ بحرٍ: الشفاعةُ هاهنا: الشركةُ، و﴿مَن شَهِدَ﴾ بمعنى الشهادةِ[1].

* * *

(٨٧) ـ ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾؛ أي: المعبُودِين ﴿مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾.

وقيل: ولئن سألتَ العابدين.

وقوله: ﴿فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ محمولٌ في الوجهين على العابدين، والمعنى: يُصْرَفون عن الحقِّ إلى الباطل.

وقيل: فأنَّى يُكذِّبون؟

* * *

(٨٨) ـ ﴿وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ﴾ الهاءُ يعودُ إلى النبيِّ ﷺ، وقد تقدَّم ذكرُه بالكنايةِ في قولِه: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ﴾.

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٤١).

أبو عليٍّ: يعودُ إلى عيسى لأنه المذكورُ في آخِرِ هذه السورةِ ﴿يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ قاله حينَ يئسَ مِن صلاحِ قومِه، قال: وأرادَ به تَصبيرَ محمدٍ عليه السلام.

ابن بحرٍ: يعودُ الضمير إلى ﴿مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ﴾[1]؛ أي: لا يُقْبَلُ منه إلا الشهادةُ بالحقِّ، وقولُه: ﴿يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾.

والوجهُ هو الأولُ، والمعنى: إنَّ هؤلاء قومٌ ليس مِن همِّهم الإيمانُ والتصديقُ بالحقِّ؛ لتركِهِم النَّظَرَ وركونِهم إلى الباطل.

قرئ بالنصب والجر[2] الجرُّ: بالعطفِ على ﴿ٱلسَّاعَةِ﴾؛ أي: عنده عِلْمُ الساعةِ وعلمُ قيلِهِ، والنصبُ بالعطفِ على محلِّ العلم.

وقيل: بالعطف على قوله: ﴿سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم وقيله﴾.

وقيل: نصبٌ على المصدر؛ أي: قال قيلَه: يا رب.

* * *

(٨٩) ـ ﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ﴾: أَعْرِضْ عنهم ﴿وَقُلْ سَلَٰمٌ﴾؛ أي: معروفاً، ثم نُسِخ بالقتال.

قال القفَّال: وقد يكونُ ذلك مع الأمرِ بالقتال على حَسَبِ اختلافِ الأحوال.

وقيل: قُلْ ما تَسْلَمُ من شرِّهم، واحْلُمْ عنهم، وقلْ خيراً بدلَ شرِّهم.

النقَّاش: ودِّعْهم[3].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٧٠)، واستغربه.

(٢) قرأ حمزة وعاصم بالخفض، والباقون بالنصب. انظر: «السبعة» (ص: ٥٨٩)، و«التيسير» (ص: ١٩٧).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٤٣) بلفظ: «أمره بتوديعهم بالسلام، ولم يجعله تحية لهم»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٧١)، واستغربه.

وقيل: ما نَدَب إليه في مَوَاضعَ كقوله: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٣] ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٥].

ابن بحرٍ: من شأنِ العربِ خَتْمُ كلِّ أمرٍ وقولٍ يبلُغون آخِرَه بالسلام؛ كأنهم يقولون: أَتَيْنا على ما أَرَدْنا وتخلَّصْنا منه، والسلام[١].

ابنُ عيسى: أصلُ ﴿فَٱصْفَحْ﴾ من قولك: صَفَحْتُ الورقةَ وتَصفَّحْتُها؛ إذا تجاوَزْتَها إلى غيرِها، سواءٌ قرأتها أم لم تقرأْ[٢].

غيرُه: هو من الإعراض؛ أي: أعرضْتُ حتى أبدَيْتُ له صَفْحةَ عُنُقي.

﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ بالياء والتاء[٣]، تهديدٌ ووعيدٌ، الياءُ للغيبةِ، والتاءُ على تقدير: قُلْ لهم يا محمَّدُ ذلك.

وصلَّى اللهُ عليه وعلى آلهِ وسلَّم.

* * *

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٧١)، وعده من العجائب.

(٢) ذكر نحوه العسكري في «الفروق» (ص: ٢٣٦)، وأبو حيان في «البحر المحيط» (١/ ٥٤٠) بلا نسبة.

(٣) بالتاء قراءة نافع وابن عامر، والباقون بالياء. انظر: «السبعة» (ص: ٥٨٩)، و«التيسير» (ص: ١٩٧).

سُورَةُ الدُّخَانِ

سُورَةُ الدُّخَانِ

تسعٌ وخمسونَ آية[1]. مكيةٌ.

النقَّاش: مكيَّةٌ إلا آيةً مِن قوله: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ﴾[2].

بسم الله الرحمن الرحيم

(١ ـ ٣) ـ ﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾.

﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ سَبَق في (الزخرف)، واختُلف في الجواب:

فقيل: جوابُه: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ﴾.

صاحبُ «النَّظْم»: جوابُه: ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ وقال: ليس من عادَتهم أن يُقْسِموا بنفسِ الشيءِ إذا أَخْبَروا عنه، وقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ﴾ اعتراضٌ[3].

---

(١) «تسع وخمسون آية»: ليس في (ف). وانظر: «البيان في عد آي القرآن» للداني (ص: ٢٢٥) وفيه: «وهي خمسون وتسع آيات في الكوفي، وسبع في البَصريّ، وست في عدد الباقين، اختلافها أربع آيات...»

(٢) ذكره دون نسبة الزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٢٦٩)، والرازي في «التفسير الكبير» (٢٧/ ٦٥١)، والقرطبي في «تفسيره» (١٦/ ١٢٥). لكن قال ابن عطية في «تفسيره» (٥/ ٦٨): «هذه السورة مكية لا أحفظ خلافًا في شيء منها».

(٣) أي: اعتراض بين القسم وجوابه، وهذا القول ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٧٣)، واستغربه.

وقيل: جوابُ القَسَمِ مقدَّمٌ؛ أي: والكتابِ المبينِ حُمَّ ما هو كائنٌ[(١)].

والجمهورُ على أنَّ الجوابَ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ على أنَّ المعنى: إنَّا أنزَلْنا القرآنَ على محمدٍ ولم يَتقوَّلْه كما زَعَم البعضُ.

ويحتمِلُ أن القَسَم وَقَع على إنزاله ﴿فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ لا على الفاعلِ والمفعول.

قوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾، قيل: القرآنَ، وقيل: جبريلَ.

﴿فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ الجمهورُ على أنها ليلةُ القَدْرِ؛ لقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: ١]، وليلةُ القَدْر في شهرِ رمضانَ؛ لقوله: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وقيل: أنزلَه جملةً من اللوحِ المحفوظِ إلى السماءِ الدنيا، ثم نَزَل به جبريلُ عليه السلام في وقتِ وقوعِ الحاجةِ إليه.

وقيل: كان ينزلُ ما يُحتاجُ إليه في طول السَّنةِ في ليلةِ القَدْر إلى قابلٍ.

وقيل: كان بَدْءُ إنزاله في ليلةِ القَدْر.

ويحتمِلُ: إنَّا أنزلناه في شأنِ ليلةٍ مباركةٍ ومَنْزِلتِها.

عكرمةُ: ليلةُ النصفِ من شعبان[(٢)].

---

(١) قوله: «حُمَّ ما هو كائنٌ»؛ أي: قضي ما هو كائن؛ كما قيل في ﴿قٓ﴾: أي: قضي الأمر. انظر: «تفسير السمعاني» (٥/ ٥)، و«غرائب التفسير» (٢/ ١٠٧٣).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٨٧) بلفظ: «﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾: في ليلة النصف من شعبان، يبرم فيه أمر السنة، وتنسخ الأحياء من الأموات، ويكتب الحاج فلا يزاد فيهم أحد، ولا ينقص منهم أحد».

وقد رد العلماء هذا القول وأثبتوا أنها ليلة القدر، فقال ابن العربيِّ: «وجمهورُ العلماءِ على أنها ليلةُ القدر، ومنهم مَن قال: إنها ليلةُ النصف من شعبان؛ وهو باطل؛ لأن الله تعالى قال في كتابه الصَّادق =

قوله: ﴿مُّبَـٰرَكَةٍ﴾؛ أي: كثيرةِ البركةِ؛ لِمَا يَنزِلُ فيها من الرحمةِ، ويجابُ فيها من الدَّعوة.

وقيل: سمَّاها مباركةً؛ لأنه سبحانه وتعالى يَقْسِمُ فيها نِعَمَه على الخلق، ويَبُثُّ[1] ذلك فيهم طولَ سَنَتِهم.

﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾؛ أي: أَنْذِرْ قومَكَ به جَرْياً على عادتي في إنذارِ سائرِ الأمم.

***

(٤) ـ ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾.

﴿فِيهَا﴾: في تلك الليلةِ ﴿يُفْرَقُ﴾: يُفْصَلُ فيظْهَر، وقيل: يُكتَبُ، وقيل: يُقْضَى، وقيل: ينزل، وقيل: يُخْرَجُ.

﴿كُلُّ أَمْرٍ﴾ قيل: هو عامٌّ في الرِّزقِ والأَجَلِ والشَّقاوةِ والسعادة.

ابنُ عمرَ رضي الله عنهما: إلا السعادةَ والشَّقاوةَ؛ فإنهما في أمِّ الكتاب لا يغيَّر ولا يبدَّل[2].

= القاطع: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ فنَصَّ على أن ميقات نزوله رمضانُ، ثُم عبَّر عن زمانيَّة الليل هاهنا بقوله: ﴿فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ﴾، فمَن زعم أنه في غيره فقد أَعظم الفِرْيَةَ على الله». انظر: «أحكام القرآن» لابن العربي (٤/ ١١٧).

وقال الملا علي القاري: «قال جماعةٌ من السَّلف: إنَّ المراد في الآية هي ليلةُ النصف من شعبان، إلَّا أن ظاهر القرآن ـ بل صريحُه ـ يَرُدُّه؛ لإفادته في آيةٍ أنه نَزَل في رمضانَ، وفي أخرى أنه نَزَل ليلةَ القدر، ولا تَخَالُفَ بينهما؛ لأن ليلةَ القدر من جملة رمضان... وإذا ثَبَت أن هذا النزولَ ليلةَ القدر ثَبَت أن الليلة التي يُفْرَقُ فيها كلُّ أمرٍ حكيم في الآية هي ليلةُ القدر، لا ليلةُ النصف من شعبان...». انظر: «مرقاة المفاتيح» (٣/ ٩٧٤).

(١) في (ف): «ويكتب».

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٨٧).

مجاهد: إلا الحياةَ والموت[١].

وقيل: فيها[٢] ينزل الكتابُ على الأنبياءِ عليهم السلام.

﴿حَكِيمٍ﴾؛ أي: مُحْكَم.

وقيل: الحكيمُ: الأمرُ الصواب[٣].

ويحتمِلُ ﴿حَكِيمٍ﴾: محكومٍ به، وهو ما حَكَم اللهُ به.

***

(٥) ـ ﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾.

﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ﴾؛ أي: أمراً منَّا لذلك، بأنْ[٤] نقولَ له: كنْ، فيكون.

و﴿أَمْرًا﴾ نصبٌ من وجوهٍ:

أحدها: أن يكونَ حالاً من ﴿أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ وإن كان نكرةً؛ لأنه قَرُبَ من المعرفةِ بالوَصْف.

وقيل: حالٌ عن الهاءِ في ﴿أَنزَلْنَـٰهُ﴾.

وقيل: حالٌ عن الفاعل؛ أي: أنزلناه آمِرين.

وقيل: على المصدر؛ أي: أَمَرْنا أمراً.

وقيل: مصدرٌ من غيرِ لفظِ الفعلِ الأوَّل؛ أي: يُفْرَقُ أمراً.

وقيل: نصبٌ على المدح؛ لقوله: ﴿مِّنْ عِندِنَآ﴾؛ أي: أمراً أَرَدْناه.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٨).

(٢) «فيها»: ليس في (ف).

(٣) في (ن): «بالصواب».

(٤) في (ف): «لمن».

وقيل: تمييزٌ.

وقيل: مفعولٌ؛ أي: أَحْكَمْنا أمراً، ودلَّ ﴿حَكِيمٍ﴾ عليه.

﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾؛ أي: أرسَلْنا إليك جبريلَ عليه السلامُ بالقرآن على عادتنا بإرسالِ الرسلِ إلى الأنبياءِ عليهم السلامُ قَبْلَكَ.

* * *

(٦) ـ ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾: رحمةً منَّا للخلق وإنعاماً عليهم.

و﴿رَحْمَةً﴾ نصبٌ على الحال؛ أي: راحمين.

وقيل: مفعولٌ له؛ أي: للرَّحمة.

وقيل: مفعولٌ به، وهو محمدٌ ﷺ؛ لقوله[1]: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وقيل: مصدرٌ.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لِمَا يقولُ الرسولُ ويُجابُ، ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ قبلَ الإرسالِ والإجابة.

* * *

(٧ ـ ٨) ـ ﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ۝٧ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾ الرفعُ محمولٌ على ما قَبْلَه أو على الاستئناف؛ أي: هو ربٌّ، والجرُّ[2] على البدل.

---

(١) في (ن): «كقوله».

(٢) هي قراءةُ عاصمٍ وحمزةَ والكسائيِّ، والباقون بالرفع. انظر: «السبعة» (ص: ٥٩٢)، و«التيسير» (ص: ١٩٨).

﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ في إقرارِكم إذا سُئِلْتُم: مَن خَلَقَها؟ فقُلْتُم: اللهُ، فأَيْقِنوا أنه لا يُهْمِلُكم.

وقيل: إن كنتُم موقنينَ بشيءٍ، فأَيْقِنوا بما أَخْبرتُكم.

وقيل: معناه: ربّ السماواتِ والأرضِ وما بينهما، فاعْلَموا ذلك وكونُوا موقِنين به.

وقيل: المُوْقِنُ: الذي يريدُ اليقينَ ويطلبُه كالمُنْجِدِ والمُتْهِم؛ أي: [إن] كنتُم تريدون اليقينَ، فاعْلَموا أنَّ الإلهَ هو اللهُ عزَّ وجلَّ.

وقيل: ﴿إِن﴾ بمعنى النَّفْي؛ أي: ما كنتُم موقِنين(١).

واليقينُ: العلمُ بلا ريبٍ.

وقيل: اليقينُ: ثَلَجُ الصدرِ بالعلم.

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ ظاهر.

* * *

(٩) ـ ﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾.

﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ﴾؛ أي: ليسوا بموقِنينَ، بل قلَّدوا آباءهم.

﴿يَلْعَبُونَ﴾ في كلامِهم، فإن كلامَهم يَنقُضُ بعضُه بعضاً.

وقيل: يَلْعبون في الدنيا؛ لا يتفكَّرون ولا يتذكَّرون ولا يتدبَّرون.

* * *

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٧٤)، وعده من العجائب.

(١٠ ـ ١١) ـ ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى النَّاسَ﴾؛ أي: انتظِرْ لهم هذا اليومَ وتوقَّعْه، واليومُ عبارةٌ عن ذلك الوقتِ.

وقيل: هو يومُ القيامةِ ﴿تَأْتِي السَّمَاءُ﴾ يُحدَثُ في الهواءِ دخان.

واختلَفوا في الدُّخان:

فقيل: هو عبارةٌ عن الجوع؛ لأن الجائعَ يَرَى بينه وبينَ السماءِ كهيئةِ الدُّخان من ضَعْف بَصره، وذلك أنَّ النبيَّ ﷺ دعا عليهم بعدَ قَتْلَى بئرِ معونةَ فقال: «اللهُمَّ اشْدُدْ وطأتَكَ على مُضَرَ، واجْعَلْها سنينَ كسِنِيْ يوسفَ»[١] عليه السلام.

فقُحِطوا سبعَ سنينَ حتى أكلوا العِلْهِزَ ـ أي: الدَّمَ ـ والجِيَفَ[٢].

فيكونُ ﴿النَّاسَ﴾ في قوله: ﴿يَغْشَى النَّاسَ﴾: العربَ.

وقيل: الدخانُ عبارةٌ عن الجَدْب ويُبُوسةِ الأرضِ، فإنه يَثورُ منه في الأرضِ وفي آفاقِ السماءِ كالدُّخانِ من الغُبارِ المنكدِرِ الذي يَشُوبُه الظُّلمةُ.

والعربُ تقولُ: جوعٌ أغبَرُ وسَنَةٌ غَبْراءُ[٣]، وسمِّي عامَ الرَّمَادةِ في زمانِ عمرَ رضي الله عنه لهذا.

وقيل: الدخانُ عبارةٌ عمَّا عَلاهم يومَ فتحِ مكَّةَ، والعربُ تضعُ الدُّخانَ موضعَ الشرِّ.

---

(١) رواه البخاري (١٠٠٦)، ومسلم (١٢٤٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه النَّسائي في «الكبرى» (١١٢٨٩) في تفسير سورة المؤمنين من حديث ابن عباس قال: جاء أبو سفيان إلى النَّبي ﷺ فقال: يا محمد، أَنْشدك الله والرحم فقد أكلنا العلهز ـ يعني: الوبر والدَّم ـ فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٦].

(٣) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٤٠٢).

فعلى هذه الأقوالِ قد مضَى الدخان.

وقيل: هو دخانٌ يَجيءُ قبلَ قيامِ الساعةِ، وإنَّ الدُّنيا تَصيرُ كبيتٍ لا خَصاصَ له مملوءٍ دخاناً يَدْخُلُ أنوفَ الكفَّار وآذانَهم فيَصِيرون كالسُّكارى، ويصيبُ المؤمنَ منه كالزُّكام، فيبقَى ذلك أربعينَ يوماً.

وجاءَ عن ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه إنكارُ هذا[1]، وذهب إلى أنه الجَدْبُ والجوعُ على ما سَبَق.

وروَى بعضهم عن حذيفةَ رضي الله عنه أنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أولُ الآياتِ الدُّخانُ، ونزولُ عيسى ابنِ مريمَ عليه السلام، ونارٌ تخرجُ من قَعْرِ عَدَنِ أَبْيَنَ تَسُوقُ الناسَ إلى المحشَرِ»[2].

---

(١) رواه البخاري (٤٧٧٤)، ومسلم (٢٧٩٨).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٩) عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه مرفوعاً بلفظ: «أول الآيات الدجال، ونزول عيسى ابن مريم، ونار تخرج من قعر عدن أبين تسوق الناس إلى المحشر، تقيل معهم إذا قالوا، والدخان» قال حذيفة: يا رسول الله! وما الدخان؟ فتلا رسول الله ﷺ الآية: ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝١٠ يَغْشَى النَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ «يملأ ما بين المشرق والمغرب، يمكث أربعين يوماً وليلة، أما المؤمن فيصيبه منه كهيئة الزكام، وأما الكافر فيكون بمنزلة السكران يخرج من منخريه وأذنيه ودبره». ونبه الطبري إلى ضعفه. وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٧٤)، واستغربه.

ويشهد له حديث حذيفةَ بنِ أَسِيدٍ الغِفاريِّ عند مسلم (٢٩٠١)، قال: «اطَّلَعَ النَّبيُّ ﷺ علينا ونحن نتذاكرُ، فقال: «ما تَذَاكَرُون؟» قالوا: نَذْكرُ السَّاعةَ، قال: «إنها لن تقومَ حتى ترون قَبْلَها عشرَ آياتٍ» فذَكَر الدُّخانَ، والدَّجَّالَ، والدابَّةَ، وطلوعَ الشمس من مغربها، ونزولَ عيسى ابنِ مريمَ ﷺ، ويأجوجَ ومأجوجَ، وثلاثة خسوفٍ: خَسْفٌ بالمشرق، وخسفٌ بالمغرب، وخَسْفٌ بجزيرة العرب، وآخِرُ ذلك نارٌ تخرجُ من اليمن، تطردُ الناسَ إلى مَحشَرهم».

وقيل: الدُّخانُ يكونُ في القيامة إذا خرجوا من قبورهم، تأتي السماءُ بدخانٍ مُبينٍ محيطٍ بالخلائق.

﴿هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يجوزُ أن يكونَ تقديرُه: هو عذابٌ أليمٌ فارْتَقِبْه، ويجوزُ أن يكونَ حكايةً لكلامِهِم متَّصلاً بما بعدَه؛ أي: يقولونَ: ﴿هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

* * *

(١٢) ـ ﴿رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾.

﴿رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ﴾؛ أي: هذا العذابَ ﴿إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: آمنَّا فاكْشِفِ العذابَ عنَّا.

* * *

(١٣) ـ ﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ﴾.

﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾: من أين لهم أن يتذكَّروا، وكيف يتذكَّرون بذلك ﴿وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ﴾؛ يعني: محمداً ﷺ، فلم يتذكَّروا بالرَّسول.

* * *

(١٤) ـ ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ﴾.

﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ﴾: أَعْرَضوا عنه ﴿وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ﴾؛ أي: ما أَتَى به من البيانِ والقرآن يعلِّمُه الشيطانُ كما يعلِّمُه الكَهَنةُ.

وقيل: هو من قولِهم: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ [النحل: ١٠٣].

* * *

(١٥) ـ ﴿إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ﴾.

﴿إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ﴾ بدعاءِ النبيِّ ﷺ، وهو الجوعُ والقَحْطُ.

وقيل: الثَّلْج، حكاه الماورديُّ وأنكَره[1].

﴿قَلِيلًا﴾؛ أي: يُكْشفُ عنهم بعضُ العَذاب ـ وقيل: كلُّ العذابِ ـ زماناً قليلاً، وهذا دليلٌ على أنه وَقَع في الدنيا.

وقيل: تقديرُه: إنَّا لو كشَفْنا العذابَ لعدتُم إلى الكفر.

وقيل: هو بينَ النفختينِ.

﴿إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ﴾ إلى الكفر الذي كنتُم فيه، وقيل: إلى العذاب.

***

(١٦) ـ ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾.

﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾: العقوبةَ الكبرى ﴿إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾؛ أي: ننتقِمُ يومَ نبطشُ، وهو يومُ بدرٍ عند جماعةٍ، وعند جماعةٍ يومُ القيامة.

وقيل: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ﴾ عطفٌ على ﴿يَوْمَ تَأْتِي﴾، ومنتصِبٌ بقوله: ﴿فَٱرْتَقِبْ﴾، فحُذفَ واوُ العطف.

وقيل: منصوبٌ بقوله: ﴿عَآئِدُونَ﴾.

وقيل: منصوبٌ بـ﴿تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ﴾[2].

***

---

(١) انظر: «النكت والعيون» (٥/ ٢٤٧)، وفيه: «وهذا لا وجه له؛ لأن هذا إما أن يكون في الآخرة أو في أهل مكة، ولم تكن مكة من بلاد الثلج، غير أنه مقول فحكيناه»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٧٥)، وعده من العجائب.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٧٥)، واستغربه.

(١٧) ـ ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ﴾: امتحَنَّا قبلَ هؤلاء المشركين ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ بالإيمان وطاعةِ اللهِ ورسولِه ﴿وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ على اللهِ اصطَفاهُ لنبوَّته.

وقيل: ﴿كَرِيمٌ﴾: حسيبٌ نسيبٌ في قومه.

وقيل: كريمُ الأخلاق.

* * *

(١٨) ـ ﴿أَنْ أَدُّوٓاْ إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾.

﴿أَنْ أَدُّوٓاْ﴾: بأنْ أدُّوا ﴿إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِ﴾: أرسِلوا بني إسرائيلَ معي وأَطلِقُوهم عن الاستِعْبادِ، من قولِ العربِ: أدِّ إليَّ حقِّي؛ أي: لا تَحْبِسْه.

و﴿عِبَادَ﴾: جمعُ عبدٍ.

وقيل: جمعُ عابدٍ؛ أي: هم عبادُ اللهِ ليسوا بعبيدِكم.

وقيل: أدُّوا إليَّ حقَّ اللهِ وما وَجَب عليكم من الإيمان به والاعترافِ بنِعَمِه يا عبادَ الله، فحُذف حرفُ النداء(١).

﴿إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ ﴿أَمِينٌ﴾: غيرُ متَّهَمٍ في إرادةِ الخيرِ لكم.

وقيل: ﴿أَمِينٌ﴾ على وَحْيِه.

* * *

(١٩) ـ ﴿وَأَن لَّا تَعْلُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾.

﴿وَأَن لَّا تَعْلُواْ عَلَى ٱللَّهِ﴾: لا تتكبَّروا عليه، ولا تَرْفَعوا أنفسَكم عن طاعتِه وطاعةِ رسولِه، وقيل: لا تَفْتَروا على الله.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٧٥)، واستغربه.

﴿إِنِّيٓ ءَاتِيكُم بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ﴾: بحُجَّةٍ ظاهرةٍ، وهي معجزاتُه وبراهينُه.

قتادةُ: بعُذرٍ مُبينٍ[1].

***

(٢٠) ـ ﴿وَإِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمۡ أَن تَرۡجُمُونِ﴾.

﴿وَإِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمۡ﴾: لُذْتُ والْتَجأْتُ إليه وتوكَّلْتُ عليه ﴿أَن تَرۡجُمُونِ﴾: من أن تعذِّبوني رجماً بالحجارة.

وقيل: من أنْ تَشْتِموني وتَنْسُبوني إلى السِّحر.

وقيل: عُذْتُ بالله من أنْ ترجموني فلا تقدرون على قتلي، من قوله: ﴿قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ﴾ [طه: ٤٦].

وقيل: مجازُ قوله: ﴿عُذۡتُ بِرَبِّي﴾: نَشَدْتُكَ اللهَ، وأَقسَمْتُ عليه أنْ تَفْعَلَ كذا.

***

(٢١) ـ ﴿وَإِن لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ لِي فَٱعۡتَزِلُونِ﴾.

﴿وَإِن لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ لِي فَٱعۡتَزِلُونِ﴾: إنْ لم تصدِّقوني فيما أُخْبِرُكم به عن الله ففارِقوني وكونوا بمعزلٍ منِّي، لا عليَّ ولا لي[2].

***

(٢٢) ـ ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ مُّجۡرِمُونَ﴾.

﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ﴾ شاكياً قومَه: ﴿أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ مُّجۡرِمُونَ﴾: مُصِرُّون على الكفرِ فاعْمَلْ بهم ما تَعْملُ بالمجرمين.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٨١١)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٣١).

(٢) في (ف): «ليا».

ثم أَخبرَ جلَّ ثناؤُه عمَّا آلَ إليه أمرُ فرعونَ مع موسى عليه السلام:

(٢٣) ـ ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾.

﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِى﴾؛ أي: أَجَبْنا دعاءَه وقلنا له: أسر بعبادي بني إسرائيل ومَن آمَنَ بموسى عليه السلام مِن غيرهم ﴿لَيْلًا﴾: قبْلَ الصُّبْح ﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ يتَّبِعُكم فرعونُ وقومُه إذا عَلِموا بخروجِكُم من مصر.

* * *

(٢٤) ـ ﴿وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ﴾.

﴿وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ﴾؛ أي: لا تَضْرِبْه ثانياً واترُكْه ﴿رَهْوًا﴾: ساكنَ الجَرْيِ، فيكونُ حالاً عن ﴿ٱلْبَحْرَ﴾.

وقيل: صفةٌ لسَيْرِ موسى عليه السلام؛ لأنه عَجِلَ حين دخلَ البحرَ، فقيل له: سِرْ ساكناً؛ كما تقولُ: افعَلْ كذا سَهْواً رَهْواً؛ أي: ساكناً بغيرِ تشدُّدٍ.

وقيل: واتركِ البحرَ منفرِجاً منكشِفاً كما[١] كشَفْتُه، من قولِ العرب: امرأةٌ رَهْوٌ ورَهْوَى؛ أي: واسعةُ الهَنِ.

وقيل: ﴿رَهْوًا﴾؛ أي: على حاله يَتْبعُ بعضُ الناس بعضاً متقاطِرينَ أرسالاً، والرَّهْو: القطار.

الزجَّاج: يَبَساً، من قوله: ﴿فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا﴾ [طه: ٧٧][٢].

وقيل: ﴿رَهْوًا﴾؛ أي: سهلاً، وقيل: واسعاً، وقيل: غَرِقاً.

---

(١) بعدها في (ف): «قد».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٤٢٦)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٧٥)، واستغربه.

﴿إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ﴾: مُهْلَكون بالماء بعدَ خروجِك من البحر.

* * *

(٢٥) ـ ﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾.

﴿كَمْ تَرَكُوا﴾ ﴿كَمْ﴾ عبارةٌ عن الكثرة.

﴿مِن جَنَّٰتٍ﴾: بساتينَ كثيرةِ الأشجارِ ﴿وَعُيُونٍ﴾ نابعةٍ بالماء.

سعيدُ بنُ جبير: عيونُ الذهب(١).

* * *

(٢٦) ـ ﴿وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾.

﴿وَزُرُوعٍ﴾: فنونِ الأقواتِ وألوانِ الأطعمة؛ أي: كانوا أهلَ ريفٍ وخِصْبٍ خلافَ حالِ العرب.

﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾: محافِلِ الاجتماعاتِ للتَّدبير والتشاوُرِ فيها.

وقيل: المنابر(٢).

وقيل: المنازل.

* * *

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٥١)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٧٦)، واستغربه.

(٢) رواه ابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٦/ ٢٩٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٧٦)، واستغربه.

(٢٧) ـ ﴿ وَنَعْمَةٍ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴾.

﴿ وَنَعْمَةٍ ﴾[١]: وتَنعُّمٍ في عيشٍ ﴿ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴾: لاعِبينَ لاهِينَ.

وقيل: متنعِّمين بأنواعِ اللَّذَّات.

* * *

(٢٨) ـ ﴿ كَذَٰلِكَۖ وَأَوۡرَثۡنَٰهَا قَوۡمًا ءَاخَرِينَ ﴾.

﴿ كَذَٰلِكَ ﴾: هكذا كان فلا تَشُكَّنَّ فيه، وقيل: كذلك أهلَكْناهم ﴿ وَأَوۡرَثۡنَٰهَا قَوۡمًا ءَاخَرِينَ ﴾؛ أي: نقلناها إلى بني إسرائيل ومَن آمَنَ[٢] معهم.

وقيل: إلى غيرِ بني إسرائيلَ؛ لأنهم لم يَعودوا إلى مصر[٣].

* * *

(٢٩) ـ ﴿ فَمَا بَكَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ ﴾.

﴿ فَمَا بَكَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ ﴾ كانت العربُ تزعُمُ أنَّ الرئيسَ الجليلَ إذا مات بكَتْ له السماءُ والأرضُ؛ يَعْنُونَ: أنَّ المصيبةَ به عمَّتْ المخلوقِين[٤].

وقيل: كانوا يَعتقِدون ذلك، ويجعلونَ الخسوفَ والكسوفَ والحُمرةَ تحدُثُ في السماء بكاءً على الميت، ولهذا قالَ ﷺ عند موتِ ابنهِ إبراهيمَ يومَ كَسَفَتِ

---

(١) في هامش (ن): «بالفتح التنعم، وبالكسر الإنعام، وبالضم المسرة. عزيزي».

(٢) في (ف): «أمنوا».

(٣) وتقدم عند تفسير الآية (٥٩) من (الشعراء) عن الحسن: أنهم رجعوا، كما ذكره يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٥٠٥) بلفظ: «رجعوا إلى مصر بعدما أهلك الله فرعون وقومه». وذكره ابن أبي زمنين في «تفسيره» (٣/ ٢٧٦)، والواحدي في «البسيط» (١٧/ ٥٧).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٧٦)، واستغربه.

الشمسُ وقال الناسُ: كَسَفَتْ لموتِ إبراهيمَ، فخطَبَهم فقال: «إنَّ الشمسَ والقمرَ آيتانِ من آياتِ الله تعالى، لا ينكسِفانِ لموتِ أحدٍ ولا لحياتِه، فإذا رأيتُم ذلك فافْزَعوا إلى الصَّلاة»[١].

وقيل: ما بكَتْ عليهم أهلُ السماءِ وأهلُ الأرضِ، فحُذِف المضاف.

وقيل: هو ما جاء في الخبر: أنَّ المؤمنَ ليَبْكي عليه مِن الأرضِ مُصلَّاهُ وموضِعُ عبادته، ومن السماء مَصعَدُ عمله، والمعنى: ما بكَتْ عليهم حيثُ لم يكنْ لهم أثرٌ في طاعةٍ وعبادةٍ[٢].

وقيل: معناه: لم يَنتصِرْ لهم ولم يَطْلُبْ بثأرهم أحدٌ.

ومَن أَثْبَتَ لهما بكاءً قال: بكاؤها حُمرةُ أطرافها[٣].

وقيل: تبكي كبكاء الناس[٤].

وقيل: أمارةٌ تظهَرُ منها تدلُّ على حزنٍ وأسف.

---

(١) رواه البخاري (١٠٤٦)، ومسلم (٩٠١) عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٢) من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفاً.

ورواه ابن المبارك في «الزهد» (٣٣٦)، وابن الجعد في «مسنده» (٢٣٠٥)، وأبو داود في «الزهد» (١٠٧) من كلام علي رضي الله عنه.

ورواه الفراء في «معاني القرآن» (٣/ ٤١) عن سعيد بن جبير، وقال: «وكذلك ذكره حبان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس».

(٣) في (ن): «بكاؤهما حُمرةُ أطرافها». والقول ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٧٦)، واستغربه.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٧٦)، وعده من العجائب.

﴿وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ﴾: مؤخَّرين عن العذاب ولا طَرْفةَ عينٍ.

مقاتل: لم يُنْظَروا بعدَ الآياتِ التِّسع[1].

❊ ❊ ❊

(٣٠) ـ ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾.

﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾؛ أي: استعبادِه إيَّاهم واستخدامِه لهم وقتلِه أولادَهم.

❊ ❊ ❊

(٣١) ـ ﴿مِن فِرْعَوْنَۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾.

﴿مِن فِرْعَوْنَ﴾؛ أي: عذابِه ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا﴾: قاهِرَ العِبادِ غيرَ منقادٍ لأوامِرِنا ﴿مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾: المجاوزِينَ الحدَّ المفرِطَ في معاصِيْه.

❊ ❊ ❊

(٣٢) ـ ﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ﴾؛ أي: بني إسرائيلَ ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ منَّا باستحقاقِهم ذلك وقيامِهم بالشكرِ عليه ﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: عالَمِي زمانِهم، فجعَلْنا فيهم الكتابَ والنبوَّةَ والمُلك.

وقيل: اختَرْناهم على جميعِ العالَمين بما جَعَلْنا فيهم من كثرةِ الأنبياءِ عليهم السلام، وهذه خاصةٌ لهم ليستْ لغيرِهم.

❊ ❊ ❊

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٨٢٢).

(٣٣) ـ ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ﴾.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ﴾؛ أي: آتيناهم معجزاتِ موسى وسائرِ أنبياءِ بني إسرائيلَ ﴿مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟﴾: نعمةٌ، وقيل: محنةٌ، وقيل: اختبارٌ ﴿مُّبِينٌ﴾: ظاهرٌ لا يَخْفَى على مَن تأمَّله.

* * *

(٣٤ ـ ٣٦) ـ ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعني: كفارَ قريشٍ ﴿لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِىَ﴾: ما الموتةُ ﴿إِلَّا مَوْتَتُنَا﴾. ويحتمِلُ: ما النهايةُ، ويحتمِلُ: الحالةُ والعاقبةُ إلا موتتُنا الأولى.

قوله: ﴿ٱلْأُولَىٰ﴾ ليس بإثباتٍ لثانيةٍ، وإنما هو بمنزلةِ قولِ القائل: حَجَّ فلانٌ الحَجَّةَ الأُولى ومات.

وقيل: لمَّا سمعوا وصفَ مَن في[1] النار بقوله: ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾ [إبراهيم: ١٧] قالوا: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ﴾.

وزيَّف القفَّالُ هذا القولَ وقال: إنَّ الله قال: ﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾، ويحتمِلُ أنَّ هذا إنكارٌ لِمَا أثبته غيرُه في قوله: ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ [غافر: ١١].

﴿وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾: بمبعوثِينَ ﴿فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أنَّا نُبعَثُ.

فلم يُجِبْهم اللهُ بل أَوْعَدهم، وإنما لم يُجِبْهم لأنَّ البعثَ الموعودَ إنما هو في دارِ الجزاء يومَ القيامةِ، والذي كانوا يطلبونه بعثٌ في الدنيا وحالةَ التكليف، وبينهما تغايُرٌ.

---

(١) «من في»: ليس في (ف).

وقوله: ﴿فَأْتُوا۟﴾ بمنزلةِ قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ﴾ [الطلاق: ١].

* * *

(٣٧) ـ ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَٰهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾.

﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾؛ أي: ليسوا بخيرٍ منهم في العُدَّةِ والعَدَد والعِزَّة والـمَنَعة.

ابن عباس رضي الله عنهما: تُبَّعٌ نبيٌّ[1].

أبو هريرةَ رضي الله عنه: قال: قال رسول الله ﷺ: «لا أَدْري تُبَّعٌ نبيًّا كان أم غيرَ نبيٍّ» رواه الثعلبي[2].

عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: إنَّ تُبَّعاً كان رجلاً صالحاً[3].

سعيدُ بن جُبيرٍ: إنَّ تُبَّعاً كسا البيتَ[4]؛ يعني: الكعبة.

قتادةُ: كان رجلاً من حِمْيَرَ سار حتى حيَّر حِيرةَ، ثم أتى سمرقندَ فهدَمها، وقيل: فبناها[5].

---

(١) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٧٥). وقال الآلوسي في «روح المعاني» (٢٤/ ٤٨٣): «وحكاية نبوته عن ابن عباس لا تصح».

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٣/ ٥٣٥ ـ ٥٣٦)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٧٧)، وعده من العجائب. قال الحافظ في «الكافي الشاف» (ص: ١٤٩): والمعروف بهذا الإسناد: «ما أدري أتبعٌ لعينٌ هو أم لا، وما أدري أعزير نبي أم لا» أخرجه أبو داود (٤٦٧٤)، وكذا الحاكم في «المستدرك» (٣٦٨٢)، لكن قال: «ذو القرنين» بدل «عزير»، قال الدارقطني: «تفرد به عبد الرزاق وغيره أرسله».

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٨١٩)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٠).

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٨٢٠)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٠).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٩) برواية الهدم، وكذا ذكره الماوردي في «النكت والعيون» =

وقيل: كان اسمُه: أَسْعَدُ بنُ مَلْكِي كَرِبَ(١).

أبو عبيدةَ: هم ملوكُ اليمنِ يُسمَّى كلُّ واحدٍ منهم تُبَّعاً؛ لأنه يَتْبَعُ صاحبَه، وهو بمنزلةِ الخليفةِ للمسلمين، وكسرى للفُرس، وقيصرَ للروم(٢)، وجمعُه: تَبابعة.

وقيل: سمِّي تُبَّعاً لكثرةِ تَبَعِه، وكان يَكتبُ إذا كَتَب: بسم الذي مَلَكَ برًّا وبحراً وضِحًّا(٣) وريحاً.

كعبٌ: هو رجلٌ صالحٌ ذمَّ اللهُ قومَه ولمْ يَذُمَّه(٤).

وقيل: خصَّهم بالذِّكر لقُرْبهم من العربِ مكاناً وزماناً.

﴿وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: قبلَ قومِ تُبَّعٍ.

ويجوزُ أن يكون الضميرُ عن كفارِ قريشٍ فيَحسُنَ(٥) الوقفُ على ﴿تُبَّعٍ﴾(٦).

= (٥/ ٢٥٥)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٣/ ٥٣٢) عن قتادة أيضاً، لكن برواية البناء.
وقوله: «حير حيرة»؛ أي: بناها ونظم أمرها. انظر: «روح المعاني» (٢٤/ ٤٧٧).

(١) ذكره السمعاني في «تفسيره» (٥/ ٢٣٨)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٧٧)، واستغربه.

(٢) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٢٠٩).

(٣) في (ن): «والشمس ضحا»، والمثبت من (ف)، وهو الموافق لما رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٩)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٣/ ٥٣٢)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٥٥)، عن قتادة، وكذا ذكره المؤلف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٧٧). والضِّح بالكسر: الشمس وضوؤها. انظر: «القاموس» مادة: (ض ح ح).

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٨١٩)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٠).

(٥) في (ن): «فيجيء».

(٦) قال أبو بكر الأنباري في «الوقف والابتداء» (٢/ ٨٨٨): «﴿أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ حسن»، وقال الداني في «الوقف والابتدا» (ص: ١٩٣): «﴿أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ كاف».

﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾ يجوزُ أنْ يكونَ خبراً عن ﴿وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾، ويجوزُ أنْ يكونَ استئنافاً يعودُ إلى ﴿قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾، فيكونَ التقديرُ: أَهُمْ خيرٌ أَمْ قومُ تُبَّعٍ والذين مِن قبلِهم خيرٌ؟ ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ كافرينَ يُنكِرون البعثَ.

* * *

(٣٨) ـ ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾.

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾: عابثينَ لاهينَ؛ فإنَّ اللَّعِبَ يقتضي الإهمال.

* * *

(٣٩) ـ ﴿مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾: بسببِ الحقِّ.

وقيل: لِلْحقِّ(١)، وهو الجزاءُ والحسابُ، وذلك يقتضِي البعثَ والنشورَ.

وقيل: الباءُ للحال، أي: مُحِقِّينَ.

وقيل: ﴿بِالْحَقِّ﴾: بالجِدِّ ضدِّ اللَّعب.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنه خُلِق لذلك.

* * *

(٤٠) ـ ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ﴾ يعني: يومَ القيامة يُفصَلُ بين المحقِّ والمبطِلِ.

وقيل: يُفْصَلُ بين الوالدِ والولد، والرجلِ والزوجة(٢)، والمرءِ وخليله.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٧٨)، واستغربه.

(٢) في (ف): «وولده والرجل وزوجته».

﴿مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾: وقتُ موعودِهم كلِّهم.

* * *

(٤١) ـ ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾.

﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي﴾: لا يَدْفعُ ولا يَمنعُ ﴿مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا﴾؛ أي: وليٌّ عن وليٍّ، ووالدٌ عن ولدِه، ولا مولودٌ عن والدِه.

أبو عبيدَةَ: ابنُ العمِّ عن ابنِ العمِّ[1]، كما يَمنعُ في الدُّنيا.

﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾: ليس لهم مَن ينصرُهم من عذابِ اللهِ بالشَّفاعةِ، فإنَّ النُّصرةَ في القيامةِ بالشفاعة.

وقيل: لا يَنْصرُهم الذين كانوا يَعبدونهم[2] من دونِ الله.

* * *

(٤٢) ـ ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ﴾ يجوزُ أنْ يكونَ الاستثناءُ متَّصلاً؛ أي: إلا المؤمنون، فإنه يَشفعُ بعضُهم لبعضٍ، وقيل: الاستثناءُ منقطِعٌ؛ أي: لكنْ مَن رَحِمَه اللهُ فإنه مغفورٌ له.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ على أعدائِه ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ لأوليائِه.

* * *

(٤٣ ـ ٤٦) ـ ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ﴾.

﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾ شجرةُ الزقُّوم على صورةِ شجرِ

(١) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٢٠٩).

(٢) في (ف): «يعبدون».

الدُّنيا، لكنَّها من النارِ والزقُّومُ ثمرُها، وهو ما أُكِل بتكرُّهٍ شديدٍ.

ثعلبٌ: كلُّ طعامٍ ثقيلٍ فهو زقُّومٌ.

وفي التفسيرِ: أنَّ ابن الزِّبَعْرَى قال: إنَّ أهلَ اليمن يسمُّون أكلَ التَّمْرِ مع الزُّبْدِ التَّزَقُّمَ، فدعا أبو جهلٍ بتمرٍ وزُبدٍ، فقال: تزقَّموا؛ فإنَّ هذا هو الذي يخوِّفُكم به محمد، فنزل: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝٤٣ طَعَامُ ٱلۡأَثِيمِ﴾[1]؛ يعني بالأثيمِ: أبا جهلٍ.

النقَّاشُ: ﴿شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ﴾: أبو جهلٍ[2]، وفيه ضعفٌ.

و﴿ٱلۡأَثِيمِ﴾: الكافرِ، وقيل: ﴿ٱلۡأَثِيمِ﴾: كثيرِ الإثم.

﴿كَٱلۡمُهۡلِ يَغۡلِي فِي ٱلۡبُطُونِ﴾ المهلُ: ما يُمْهَلُ في النَّارِ حتى يَذوبَ؛ كالذَّهبِ والفِضَّة وسائرِ الفِلزَّات.

وقيل: المهلُ: عَكَرُ الزَّيتِ؛ أي: دُرْدِيُّه.

مجاهد: المهلُ: القيحُ والدَّمُ[3].

﴿يَغۡلِي﴾ قرئ[4] بالياء والتاء[5]؛ التاءُ على الشجرةِ، والياءُ على الزَّقُّوم أو لإضافةِ الشجر إلى مذكَّرٍ.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣٥٤٦)، والنسائي في «الكبرى» (١١٤٢٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: «وقال أبو جهلٍ: أيُخَوِّفُنا محمد بشجرة الزَّقُّوم، هاتوا تَمْرًا وزُبْدًا فتزَقَّموا». وروى الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٦٤٨) عنه نحوه، ورواه (١٤/ ٦٥٠) عن قتادة.

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٥٧)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٧٨)، وعده من العجائب، ثم قال: «بل جاء في الأثيم: أبو جهل».

(٣) ذكره يحيى بن سلام في «تفسيره» (١/ ١٨٣)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٤٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٥٩).

(٤) «قرئ»: ليس في (ف).

(٥) قرأ ابن كثير وحفص بالياء، والباقون بالتاء. انظر: «السبعة» (ص: ٥٩٢)، و«التيسير» (ص: ١٩٨).

ومَن ذهَبَ إلى أن التَّذكير للمُهْل فقد أخطأ؛ لأنَّ الغلَيَانَ للمأكولِ ـ وهو شجرةُ الزَّقُّوم ـ لا للمُهلُ[١].

﴿كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ﴾؛ أي: غَلْياً كغَلْيِ الحَمِيم.

* * *

(٤٧) ـ ﴿خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾.

﴿خُذُوهُ﴾؛ أي: ثم يقولُ الله للزَّبانيَةِ: ﴿خُذُوهُ﴾؛ أي: الأثيمَ ﴿فَٱعْتِلُوهُ﴾: سوقُوه بدَفْعٍ وجَذْبٍ، والعُتُلّ: الجافي الغليظُ. الكسرُ والضمُّ لغتان[٢].

﴿إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾: وَسَطِها الذي تستوِي المسافةُ إليه من جميعِ أطرافِه.

* * *

(٤٨) ـ ﴿ثُمَّ صُبُّواْ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ﴾.

﴿ثُمَّ صُبُّواْ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ﴾: الماءِ الحارِّ، فالحميمُ مصبوبٌ فوقَ رأسِه يأخُذُ جميعَ بدنِه من خارجٍ والزقومُ في جَوْفِه من داخلٍ.

ويحتمِلُ أنَّ المعنى: ثم اسقُوهم الماءَ الحميمَ، فيكونُ العائدُ في ﴿فَوْقَ رَأْسِهِۦ﴾ يعودُ إلى ﴿ٱلزَّقُّومِ﴾.

* * *

(٤٩) ـ ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾.

﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ الحسن: أي: عند نَفْسِك[٣].

---

(١) في (ف): «المهل». وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٧٨)، وعده من العجائب.

(٢) قرأ ابنُ كثيرٍ ونافعٌ وابنُ عامرٍ بضم التاء، والباقون: ﴿فَٱعْتِلُوهُ﴾ بكسرها. انظر: «السبعة» (ص: ٥٩٢)، و«التيسير» (ص: ١٩٨).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٥٨)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٩٤) عن قتادة.

وقيل: إنَّك الذي تَطلبُ العزَّةَ والكَرَمَ بمعصيةِ اللهِ في قومِكَ.

سعيد بن جبير: هذا استهزاءٌ به[١].

وقيل: هو على الضِّدِّ؛ أي: الذليلُ المَهينُ.

الكسرُ على الاستئنافِ والفتحُ[٢] على: لأنك.

وقيل: ذُقْ بهذا القولِ، وذلك أنَّ النبيَّ ﷺ لقيَ أبا جهلٍ فهزَّه[٣] فقال: أَوْلَى لك يا أبا جهلٍ فأَوْلَى، فأَنْزلَ اللهُ تعالى ما قالَها له[٤]، فردَّ عليه أبو جهلٍ وقال: ما تَقْدِرُ أنت ولا ربُّكَ عليَّ، إنِّي لأكرمُ أهلِ الوادي وأعزُّهم، فنزلَتْ[٥].

ومعناها: التوبيخُ؛ أي: ذُقْ بهذا القولِ الذي قُلْتَه؛ أي: بسببِه.

***

(٥٠) - ﴿إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ﴾.

﴿إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ﴾؛ أي: يقالُ لجماعتِهم: ﴿إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ﴾: تشكُّون وتجادِلون في دَفْعِه[٦] إذا أُنذِرْتُموه.

***

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٥٨)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٩٤).

(٢) قرأ الكسائي بالفتح، والباقون بالكسر. انظر: «السبعة» (ص: ٥٩٣)، و«التيسير» (ص: ١٩٨).

(٣) في (ف): «فهدده».

(٤) أي: فأنزل الله فيه ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ۝٣٤ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ﴾ [القيامة: ٣٤ - ٣٥]. كما صرح المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٧٩)، وكما جاء في مصادر التخريج.

(٥) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٨٢٤) و(٣٤١٦)، والمروزي في «الصلاة» (٥٦)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٦١) و(٢٣/ ٥٢٤)، عن قتادة.

(٦) في (ف): «وتجادلون لدفعه».

(٥١ ـ ٥٣) ـ ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ۝٥١ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝٥٢ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ﴾: موضعِ إقامةٍ لا زوالَ عنها، وبالفتح(١): في مجلسٍ.

﴿أَمِينٍ﴾: يأمَنُ فيه صاحبُه.

وقيل: ﴿أَمِينٍ﴾ بمعنى: مأمونٍ؛ أي: مأمونِ الغوائلِ والآفات.

﴿فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ بدلٌ من ﴿مَقَامٍ أَمِينٍ﴾، ﴿يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ﴾ وهو ما رقَّ من الحريرِ يجري مَجرى الشِّعار(٢) لهم، وهو ألينُ من الدِّثار في المعتاد.

﴿وَإِسْتَبْرَقٍ﴾: وهو ما غَلُظَ وصَفُقَ نَسْجُه.

وقيل: هو فارسيٌّ معرَّبٌ.

وقيل: سمِّي به لبريقِه.

يجرِي مَجْرَى الدِّثار، وهو أرقَى(٣) نوعٍ من أنواعِ الحرير.

والحريرُ نوعان: نوعٌ كلَّما كان أَدقَّ كان أَنْفَسَ، ونوعٌ كلَّما كان أَرْزَنَ(٤) بكثرةِ الإبريسَمِ كان أَنْفَسَ.

﴿مُّتَقَٰبِلِينَ﴾: يتقابلون في مجالسهم.

وقيل: يتقابَلون(٥) أزواجَهم من الحورِ العِين(٦).

---

(١) قرأ نافعٌ وابنُ عامرٍ بضم الميم، والباقون بالفتح. انظر: «السبعة» (ص: ٥٩٣)، و«التيسير» (ص: ١٩٨).

(٢) «الشعار»: ما يلي الجسد من الثياب، و«الدثار»: ما يُلبس فوقه.

(٣) في (ف): «أرفع».

(٤) في هامش الأصل: «الأوزن الأثقل».

(٥) كذا في النسختين، والأظهر: «يقابلون».

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٧٩)، واستغربه.

وقيل: من القَبول؛ أي: يَقْبَلُ بعضُهم بعضاً ويَتوادُّون من غيرِ عداوةٍ ولا منافَسةٍ(١).

* * *

(٥٤) ـ ﴿كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾.

﴿كَذَٰلِكَ﴾؛ أي: كما أكرَمْناهم بما تقدَّم ذكرُه أكرَمْناهم بأنْ زوَّجْناهم بالحور العين.

وقيل: كذلك يَدُومُون على تلك الحالِ فلا تتبدَّلُ أحوالُهم.

وقيل: كذلك هم في حُكمِ الله.

ومحلُّه رفعٌ؛ أي: الأمرُ كذلك، وقيل: نصبٌ؛ أي: فَعَلْنا(٢) كذلك.

﴿وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾؛ أي: قَرَنَّاهم، ولهذا عدِّي بالباء، وقيل: زوَّجْتُه امرأةً، و: زوَّجْتُه بامرأةٍ، لغتان(٣)، وأنكره الأخفشُ قال: معناه: وجعَلْناهم أزواجاً بالحُور العين(٤).

* * *

(٥٥) ـ ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ﴾.

﴿يَدْعُونَ فِيهَا﴾؛ أي: يَحْكُمون ويأمُرون بإحضارِ ما يشتَهُون ﴿بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ﴾؛ أي: فاكهةِ كلِّ زمانٍ وكلِّ مكانٍ، وذلك لا يجتمِعُ في الدنيا ﴿ءَامِنِينَ﴾ من الزَّوال والانقطاعِ وتولُّدِ ضررٍ من الإكثار.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٧٩)، وعده من العجائب.

(٢) في (ن): «وجعلنا».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٧٩)، واستغربه.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٥١٦).

(٥٦) ـ ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾.

﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ﴾؛ أي: لا يذوقون في الجنة موتاً ﴿إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾، قيل: ﴿إِلَّا﴾ هاهنا بمعنى: بَعْدَ، وهذا يدفعُه ﴿فِيهَا﴾.

وقيل: بمعنى: سِوَى، وهذا يدفعُه المعنى؛ لأن ﴿إِلَّا﴾ تكونُ ناقصةً أبداً، وإذا جعَلْتها بمعنى (سوى) تكونُ زائدةً، نحوَ قولك: «لك[1] عندي ألْفٌ إلا الألْفَ الذي مِن قِبَلِ زيدٍ»؛ أي: سواه، يلزمُه ألفان[2]، وهذا يؤدِّي في الآيةِ إلى أنهم يذوقون من جنسِ الموتةِ الأولى.

وقيل: الاستثناءُ منقطِعٌ؛ أي: لكنِ الموتةُ الأولى قد ذاقوها، وهذا لولا الإضمارُ حسنٌ.

وقيل: إنما قال هذا لأنه أخبرَهم بذلك وهم أحياءٌ في الدنيا، فلمَّا كان الخبرُ متقدِّماً لموتهم في الدُّنيا جاز أن يقالَ: لا ينالُهم فيها موتٌ إلا الموتُ في الدنيا، وهذا أيضاً يدفعُه قولُه: ﴿فِيهَا﴾.

وقيل: لأنهم في وقتِ المعايَنةِ ينظرون إلى الجنةِ فكأنهم[3] فيها.

وهذا جملةُ ما قيل في الآية.

ويحتمِلُ أن الهاءَ في قوله: ﴿فِيهَا﴾ تعودُ إلى الآخرةِ لا إلى الجنَّة؛ لأنَّ هذا وصفٌ عامٌّ لأهلِ الجنَّةِ وأهلِ النَّار، وجاز استثناءُ الموتِ لأنَّ الموتَ أولُ أحكامِ

---

(١) «لك» من (ن) كتبت فوق السطر وعليها علامة التصحيح. وانظر التعليق الآتي.

(٢) ومثله: إذا قال: له عليَّ درهم سوى الدرهم الأول، يلزمه درهمان، فإذا قال: ليس له عليَّ درهم إلا الدرهم الأول، يلزمه درهم. انظر: «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٨٠).

(٣) في (ن): «كأنهم».

الآخرة، والقبرُ أوَّلُ منزلٍ من منازلِ الآخرة، ولهذا لا تُقبَلُ التوبةُ عند النَّزْعِ كما لا تُقْبَلُ يومَ القيامة، واللهُ أعلم(١).

ويحتمِلُ أيضاً: أن يُجعل ﴿فِيهَا﴾ حالاً دائماً من الضميرِ في ﴿يَذُوقُونَ﴾ لا صلةً للذوق(٢)، وفي هذا نوعُ غموضٍ في الإعراب.

﴿وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾.

***

(٥٧) - ﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ﴾؛ أي: تفضُّلاً منه؛ أي: لأَجْلِ تفضُّله عليهم.

وقيل: نصبٌ على المصدر، ودلَّ ما قبلَه على فِعْله، ويجوزُ أن يكونَ مصدَراً من غيرِ لفظِ الفعلِ الأوَّلِ لكنْ مِن نوعِه.

ورُوي عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «لا يَدْخُلُ الجنَّةَ أحدٌ إلَّا بفَضْلِ الله» فقيل: ولا أنت يا رسول الله؟ فقال: «ولا أنا، إلَّا أنْ يَتَغَمَّدَني اللهُ برحمتِه وفَضْلِه»(٣).

﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: صرفُ العذابِ ودخولُ الجنةِ ﴿هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾: النجاةُ العظيم.

***

(٥٨) - ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ﴾؛ أي: الكتابَ في قوله: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ﴾.

فَتَح السورةَ بذكرِ الكتابِ وختمها به.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٨٠)، وفيه بدل «وجاز استثناءُ الموتِ»: «وإذا عاينوا الموت فقد صاروا في الآخرة».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٨٠)، واستغربه. وفي (ف): «الذوق».

(٣) رواه بنحوه البخاري (٥٦٧٣)، ومسلم (٢٨١٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿بِلِسَانِكَ﴾: بلُغَتِكَ؛ ليَسْهُلَ عليهم[١] تفهُّمُه.

وقيل: أطلَقْنا لسانَكَ به تيسيراً، ولولا تيسيرُنا ذلك لم يمكِنْكَ قراءتُه؛ لأنه كلامُ الله تعالى ولا يُمْكِنُ حفظُه وقراءتُه إلا بتيسيرِ الله[٢].

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: يتَّعِظُون.

* * *

(٥٩) ـ ﴿فَارْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ﴾.

﴿فَارْتَقِبْ﴾ هلاكَهم وإظفارَكَ عليهم ﴿إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ﴾: منتظِرونَ الدوائرَ وريبَ المَنون.

وقيل: يَحِلُّ بهم الوعيدُ حلولَ الشيءِ المنتظَر.

وقيل: معناه: فارْتَقِبْ فعن قريبٍ يتحقَّقُ أملُكَ وتُخَيَّبُ آمالُهم، والله أعلم.

* * *

---

(١) في (ف): «عليك».

(٢) في (ف): «بتيسيره».

سُورَةُ الجَاثِيَةِ

سُورَةُ الجَاثِيَةِ

سبعٌ وثلاثون آيةً[1]. وتسمَّى: سورةَ الدهر[2]، وسورةَ الشريعة[3]، مكيةٌ.

ابنُ عباسٍ وقتادةُ: مكيةٌ إلا آيةَ: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟﴾، فإنها مدنيةٌ نزلت في عمر بن الخطاب رضي الله عنه[4].

بسم الله الرحمن الرحيم

(١ ـ ٢) ـ ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾.

﴿حمٓ﴾ محلُّه رفعٌ بالابتداءِ فيمَن جَعَله اسمَ السورة ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ خبرُه، أو رفعٌ بالخبر، والتقدير: هذه حم.

ومَن جَعَله قسَماً فالمقسَمُ عليه ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾، ولم يأتِ بحرفِ الجواب؛ لأنه لمَّا عُدِلَ القَسَمُ عن وَجْهِه خُفِّفَ حُكْمُ جوابِه.

---

(١) «سبع وثلاثون آية»: ليس في (ف). وانظر: «البيان في عد آي القرآن» (ص: ٢٢٦)، وفيه: «وهي ثلاثون وسبع آيات في الكوفي وست في عدد الباقين، اختلافها آية ﴿حمٓ﴾ عدَّها الكوفي ولم يَعُدَّها الباقون».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٨٣)، واستغربه.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٢١)، و«زاد المسير» لابن الجوزي (٤/ ٩٦).

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٦٠)، وقصة نزول الآية في عمر رضي الله عنها ذكرها مقاتل في «تفسيره» (٣/ ٨٣٧)، وذكرها السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٢٧٧) عن مقاتل والكلبي، وذكرها الثعلبي في «تفسيره» (٢٤/ ١٤) عن ابن عباس ومقاتل، وذكرها الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٧٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما من رواية عطاء، بسياق مختلف.

وقيل: ﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ خبرُه.

ومَن جعَل ﴿حمٓ﴾ لافتتاحِ الكلام كـ(ألَا) فـ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ رفعٌ بالابتداء[1]، ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ خبرُه.

والمعنى: القرآنُ كلامُ الله ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ في انتقامِه ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾ في تدبيره، وليس كما زَعَم المُبْطِلون أنه شعرٌ أو كَهانةٌ أو تَقَوُّلُ محمَّدٍ.

* * *

(٣) ـ ﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ يجوزُ أنْ يكونَ المرادُ: في السماواتِ والأرضِ دلائلُ على الوحدانيَّة، ويجوزُ أنْ يكونَ المرادُ بالآيات: ما في السماوات من الشمسِ والقمرِ والنجومِ وغيرِها، وما في الأرضِ من الجبالِ والأشجارِ والأنهارِ وغيرِها، فإنَّ كلَّ واحدةٍ منها آيةٌ دالَّةٌ على توحيدِ الله تعالى، وخصَّ المؤمنين بالذِّكر لانتفاعِهم بها.

وقيل: معناه: مَن كان يؤمِنُ بآياته ففيها مَقْنَعٌ ومُكتَفًى.

* * *

(٤) ـ ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾؛ أي: مَن تأمَّلَ في خَلْقِ نَفْسِه وخَلْقِ الحيوان جميعاً واختلافِ طبائعِها وعجائبِ صُنْعِها تيقَّن أنَّ لها صانعاً حكيماً، وخَصَّ الموقِنين بالذِّكر لأنَّ اليقين يقعُ بالاستدلال.

* * *

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٨٣)، واستغربه.

(٥) - ﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ بالظُّلمةِ والضِّياء، وقيل: بتعاقُبِهما ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: من السَّحاب، وقيل: من جهةِ السماء، وقيل: من سماءِ الملائكة ﴿مِن رِّزْقٍ﴾: مطرٍ؛ لأنه سببُ رزقِ الحيوان ﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: أنبتَتْ بالمطرِ نباتَها وأشجارَها وتلك حياتُها بعد يَبْسِها بانقطاعِ الماءِ عنها ﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾ جنوباً وشَمالاً ودَبُوراً وصباً ونكباءَ.

وقيل: وتصريفِها رحمةً وعذاباً.

﴿ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ خصَّ العُقلاءَ بالذِّكر لأن بالعقلِ يمكنُ الوقوفُ على الدلائلِ المذكورةِ في هذه الآياتِ الثلاثِ، وهي أكثرُ الأدلَّة[(١)].

قرئ: ﴿آيات﴾ بالرَّفعِ والنَّصبِ[(٢)] في المحلِّ، فالنصبُ بالعطفِ على اسمِ ﴿إِنَّ﴾، والرفعُ بالابتداءِ على مذهبِ سيبويهِ وأصحابِه، أو بالعطفِ على اسمِ ﴿إِنَّ﴾ وخبرِه، أو بالظرف على مذهب الأخفش[(٣)].

وفي الآيةِ الثالثةِ عطفٌ على عامِلَين[(٤)] سواءٌ رفَعْتَ أو نَصَبْتَ، وذلك غيرُ جائزٍ عند سيبويه وأصحابه، وله وجهان:

أحدهما: أن (الآيات) هي الأُولى ذُكِرتْ تأكيداً من غيرِ حاجةٍ إلى ذِكْرِها؛ كما

---

(١) قال المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٨٣): «الغريب: أكثر أدلة التوحيد في هذه الآيات الثلاث».

(٢) قرأ حمزة والكسائي بالنصب، والباقون بالرفع، وكذا الاختلاف في الآية التي بعدها. انظر: «السبعة» (ص: ٥٩٤)، و«التيسير» (ص: ١٩٨).

(٣) انظر: «الأصول» لابن السراج (٢/ ٧٣).

(٤) في هامش (ن): «أحدهما ﴿إِنَّ﴾ والآخر الجارُّ».

تقولُ: إنَّ في الدار زيداً وفي الحجرةِ زيداً وفي المسجد زيداً، وأنت تريدُ: إنَّ في الدَّار زيداً وفي الحجرةِ والمسجدِ.

والثاني: أن قوله: ﴿وَٱخۡتِلَٰفِ﴾ مجرورٌ بمحذوفٍ دلَّ عليه الجارُّ الأولُ كما قال الشاعر:

أَكُلَّ امـــرئٍ تَحْسَـــبينَ امْـــرَأً ونارٍ تَوَقَّـــدُ باللَّيْـــلِ نـــارا[1]

أي: وكلَّ نارٍ.

ومثلُه قولُهم: بمَنْ تَمْرُرْ أَمْرُرْ، فتَحذِفُ الباءَ من الثاني لأن الأول يدل عليه، ولا يجوزُ: مَن تَضْرِبْ أَمْرُرْ.

وأجاز الأخفشُ العطفَ على عامِلينِ واستَدَلَّ بالآية[2]، وليس له فيه استدلالٌ كما سبق.

* * *

(٦) ـ ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤۡمِنُونَ﴾.

﴿تِلۡكَ﴾؛ أي: الدلائلُ المتقدِّمةُ ﴿ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا﴾ نقرأُ ذكرَها ﴿عَلَيۡكَ﴾[3]؛ أي: بقراءةِ جبريلَ عليه السلام.

قال أبو عليٍّ: لا تُستعمَلُ التلاوةُ إلا في كتبِ الله، والأصلُ فيها: إتيانُ الثاني إثْرَ الأول.

وقيل: هذه آياتُ القرآنِ نتلُوها عليك.

---

(١) البيت لأبي دؤاد حارثة بن الحجاج الإيادي. انظر: «الكتاب» (١/ ٦٦)، و«الأصمعيات» (ص: ١٩١)، و«الشعر والشعراء» (١/ ٢٣٣)، ونسب لعدي بن زيد في «الكامل» (١/ ٢٢٩).

(٢) انظر: «المقتضب» للمبرد (٤/ ١٩٥).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٨٥)، واستغربه.

﴿بِٱلْحَقِّ﴾: مُحِقِّين.

وقيل: نخبرُ عنها بالحقِّ لا بالباطل[١].

وقيل: لأَجْلِ الحقِّ الذي قَصَدْناه[٢].

﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ ٱللَّهِ﴾: بعد حديثِ اللهِ ﴿وَءَايَٰتِهِۦ﴾ كقوله: ﴿أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا﴾ [الزمر: ٢٣].

وقيل: هو ما يَتحدَّثُ به عن وحدانيَّته ونبوَّةِ رسوله.

وقيل: فبأيِّ آيةٍ بعدَ آياتِ اللهِ وهي القرآن.

﴿يُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: مَن لم يؤمِنْ بآيات الله[٣] فلن يؤمنَ بحديثٍ سواه.

وقيل: معناه: القرآنُ آخِرُ كتبِ اللهِ ومحمدٌ آخِرُ رسُلِه، فإنْ لم يُؤْمِنوا به فبأيِّ كتابٍ يؤمنون؟ فلا كتابَ بعده ولا نبيَّ[٤].

قُرِئ بالياء حملاً على القوم، وبالتاء[٥] على تقدير: قل يا محمد.

وقيل: ﴿بَعْدَ ٱللَّهِ﴾: بعدَ إعراضِكُم عن الله.

* * *

(٧) ـ ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾.

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ﴾: كثيرِ الكذبِ ﴿أَثِيمٍ﴾: كثيرِ الإثم.

---

(١) في (ف): «الباطل».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٨٥) واستغربه.

(٣) في هامش الأصل: «في نسخة: بكلام الله» وهي نسخة (ف).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٨٥) واستغربه.

(٥) قرأ ابن عامر وأبو بكر وحمزة والكسائي بالتاء والباقون بالياء، انظر: «السبعة» (ص: ٥٩٤)، و«التيسير» (ص: ١٩٨).

وقيل: ﴿أَفَّاكٍ﴾ يكذِّبُ ربَّه.

قتادةُ: كاهنٍ(١).

***

(٨) ـ ﴿يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

﴿يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: القرآنَ ﴿تُتْلَىٰ عَلَيْهِ﴾(٢)؛ أي: يسمعُ النبيَّ يقرأ(٣) آياتِ الله، فحُذف المفعولُ الأولُ، و﴿تُتْلَىٰ﴾(٤) حالٌ من ﴿ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾.

﴿ثُمَّ يُصِرُّ﴾: يَبْقَى بعدَ سماعِ القرآنِ كافراً، والإصرارُ: العزمُ على الأمورِ، وأكثرُ ما يُستعمَلُ في الإقامةِ على الذنب.

﴿مُسْتَكْبِرًا﴾ عن الإيمانِ ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾ في عدمِ الانتفاعِ بها والقبولِ لها ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ قيل: هذا استهزاءٌ، وقيل: أخبرَه خبراً يظهرُ أثرُه على بَشَرته من التَّرَح.

وقيل: نزلت في النَّضْر بنِ الحارثِ، وكذلك التي بعدَها(٥)، وهي:

***

(٩) ـ ﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُولَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.

﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا﴾؛ أي: سَمِعَها وفَهِمَها وحَفِظَها، وقيل: عَلِم وعانَدَ.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢١٤٠)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦٧١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٨٣٠).

(٢) في (ف): «يتلى عليه».

(٣) في (ف): «بعد».

(٤) في (ف): «ويتلى».

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٨٣٦)، وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٩٧) من رواية أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما.

﴿ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا﴾: استهْزأَ بها وعارَضها بحديثِ الفُرْس، يُري العَوامَّ أنه لا حقيقةَ لذلك ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾: مُذِلٌّ مُخْزٍ، وجُمِع حملاً على معنى (كلّ)[1].

* * *

(١٠) ـ ﴿مِّن وَرَآئِهِمۡ جَهَنَّمُۖ وَلَا يُغۡنِي عَنۡهُم مَّا كَسَبُواْ شَيۡـٔٗا وَلَا مَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿مِّن وَرَآئِهِمۡ جَهَنَّمُ﴾؛ أي: قُدَّامهم؛ لأنه لم يأتِ بعدُ.

وقيل: مِن خَلْفِهم؛ لأنه يكونُ بعد انقضاءِ آجالِهم وقيامِهم من قبورِهم، وكلُّ ما تَوارَى عنك فهو وراءٌ تَقدَّمَ أو تأخَّر.

﴿وَلَا يُغۡنِي عَنۡهُم﴾: لا يَدْفَعُ عنهم ﴿مَّا كَسَبُواْ﴾؛ أي: كَسْبُهم المالَ والأولادَ ﴿شَيۡـٔٗا﴾ من عذابِ الله ﴿وَلَا مَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ﴾؛ أي: الأصنامَ وما عبدُوه ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: دائمٌ لا ينقطِعُ.

* * *

(١١) ـ ﴿هَٰذَا هُدٗىۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٌ﴾.

﴿هَٰذَا هُدٗى﴾؛ أي: القرآنُ سببُ الهدايةِ والرَّشادِ لمَن تَدبَّره وتَفكَّرَ فيه.

وقيل: هذا العذابُ الذي ذُكر حقٌّ. حكاه الفقيهُ أبو الليثِ رحمه الله[2].

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٌ﴾ قيل: الرجزُ أشدُّ العذاب؛ لقوله: ﴿فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ ٱلرِّجۡزَ﴾ [الأعراف: ١٣٥]، فيكونُ التقديرُ: لهم عذابٌ من أشدِّ العذاب، فأفادَ الصِّفة.

(١) في (ف): «الكل».

(٢) انظر: «تفسير السمرقندي» (٣/ ٢٧٦).

وقيل: الرِّجْز: النَّتْنُ[١]، وأصلُه: الارتِعادُ والسرعة.

﴿أَلِيمٌ﴾: مُؤْلِمٌ؛ بالرفعِ صفةً للعذاب، والجرِّ صفةً للرِّجز[٢].

***

(١٢) ـ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾: سهَّل[٣] لكم ركوبَ البحر ﴿لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ﴾: السُّفُن ﴿فِيهِ بِأَمْرِهِۦ﴾ لتسخيرِه ذلك لكم دونَ غيرِه ﴿وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾: لتَطْلُبوا المالَ بالتجارةِ في البحرِ، واستخراجِ الجواهرِ منه، وصيدِ ما فيه.

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: ولتَشْكُروني على هذه النعم.

***

(١٣) ـ ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾: صيَّره بحيث تَتصرَّفون فيه وتَنْتفِعون به في دُنياكم ودِينِكم بالاستدلالِ به على التوحيد.

ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: المطرُ والثلجُ والبَرَدُ، ﴿وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: النباتُ والأشجارُ والثِّمار[٤].

﴿جَمِيعًا﴾ نصبٌ على الحال.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٨٥)، واستغربه.

(٢) قرأ ابنُ كثيرٍ وحفص بالرفع؛ والباقون بالجر. انظر: «السبعة» (ص: ٥٩٤)، و«التيسير» (ص: ١٨٠).

(٣) في (ن): «سخر»، والمثبت من (ف)، ونسخة في هامش (ن).

(٤) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٠/ ١٣٧).

﴿مِّنۡهُ﴾؛ أي: هذه النِّعَمُ كلُّها منه خَلْقاً، فيكونُ خبرَ مبتدأ محذوفٍ.

وقيل: تسخيرُ الجميعِ منه.

وقيل: تقديرُه: مِن خَلْقه، فحُذِف المضافُ.

وقيل: ابتداءُ كونِه منه.

ويجوزُ أن يكونَ صفةً للمصدر؛ أي: تسخيراً منه، ويجوز أن يكون ﴿مِّنۡهُ﴾ حالاً.

وقرأ ابن عباس: (مِنَّةً)(٥)؛ أي: منَّ بها عليكم مِنَّةً.

ويحتمِلُ أنْ يكونَ العائدُ في ﴿مِّنۡهُ﴾ للأمر؛ أي: من أمره؛ كما قال في الآية الأولى: ﴿بِأَمۡرِهِۦ﴾(٦).

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾؛ أي: في تسخيرِ القويِّ للضعيفِ دلالةٌ على صانعٍ قديرٍ حكيمٍ.

* * *

(١٤) - ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجۡزِيَ قَوۡمَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾.

﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ﴾ في سبب النزول:

ابنُ عباسٍ بروايةِ عطاءٍ: أنها نزلتْ في عمرَ بنِ الخطابِ رضي الله عنه، وذلك أنَّهم نزلوا في غَزاةِ بني المصطَلِقِ على بئرٍ يقالُ لها: المُرَيْسيعُ، فأرسَلَ عبدُ اللهِ بنُ

---

(٥) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ١٣٩)، و«المحتسب» لابن جني (٢/ ٢٦٢).

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٨٦)، واستغربه.

أبيٍّ غلامَه ليستقيَ الماءَ فأبطأ عليه، فلمَّا أتاه قال له: ما حَبَسكَ؟ قال: غلامُ عمرَ ـ رضي الله عنه ـ قَعَد على رأسِ البئرِ فما تَرَكَ أحداً يَستقِيْ حتى ملأَ قِرَبَ النبيِّ ﷺ وقِرَبَ أبي بكر، وملأ لمولاهُ ـ رضي الله عنهما ـ، فقال عبد الله: ما مَثَلُنا ومَثَلُ هؤلاء إلا كما قيل: سمِّن كلبَكَ يأكُلْكَ، فبَلَغَ قولُه عمرَ رضي الله عنه، فاشتَمَل بسيفِه يريدُ التوجُّهَ إليه، فأنزل اللهُ هذه الآية[1].

وعن مَيْمُون بنِ مِهْرانَ عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما قال: لمَّا نزلتْ: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: ٢٤٥] قال يهوديٌّ بالمدينة يقالُ له: فنحاصُ بن عازُوراءَ: احتاجَ ربُّ محمد، فبلَغَ ذلك عمرَ، فاشتَمَل على سيفِه وخرج في طلبه، فجاء جبريلُ عليه السلام وأنزل: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغْفِرُواْ﴾ يعني: عمرَ رضي الله عنه[2].

﴿لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾: لا يخافون مِثْلَ عقوباتِ الأيامِ الخالية، والعربُ تعبِّرُ عن الوقائعِ بالأيام كيومِ أُحُدٍ ويومِ حُنَينٍ.

وقيل: ﴿لَا يَرْجُونَ﴾: لا يَطمَعون في أيامِ الله نصرةً لأولياءِ الله.

وقيل: لا يَطمَعون في أيامِ الله التي وعَدَها اللهُ المؤمنين في الجنة[3]، وأضافَ إلى الله كـ: بيت الله.

ومعنى ﴿يَغْفِرُواْ﴾ هاهنا: يَعْفُوا ويَصْفَحوا، وجَزَمُه على جوابِ قوله: ﴿قُل﴾ على اللَّفظ.

---

(١) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٧٨).

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٤/ ١٤)، ومن طريقه الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٧٨).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٨٦)، واستغربه.

وقيل: على إضمارِ أمرٍ؛ أي: وهو: اغْفِروا يَغْفِروا[١].

وقيل: بإضمارِ اللامِ؛ أي: ليَغْفِروا. والقولُ الأولُ فيه ضعفٌ.

﴿لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾؛ أي: ليجزيَهُم الله على فِعْلِهم.

وقرئ: ﴿لِيُجْزَى قَوْماً﴾[٢]؛ أي: ليُجزَى الخيرُ والشرُّ قوماً.

ومَن قال: ليُجْزَى الجزاءُ قوماً، ففي قوله ضعفٌ.

والقومُ: هم المؤمنون، وقيل: الكافرون، وكلاهما جائزان لقوله بعده:

* * *

(١٥) ـ ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾.

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾؛ أي: لها الثوابُ وعليها العقابُ ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾.

أكثرُ المفسِّرين على أنها منسوخةٌ بآيةِ السيف[٣].

* * *

(١٦) ـ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٨٦) واستغربه.

(٢) قراءة أبي جعفر. انظر: «النشر» (٢/ ٣٧٢). وقرأ ابن كثير ونافعٍ وعاصم وأبو عمرو: ﴿لِيَجْزِيَ﴾ بالياء، والباقون بالنون. انظر: «السبعة» (ص: ٥٩٤ ـ ٥٩٥)، و«التيسير» (ص: ١٩٨).

(٣) انظر: «الناسخ والمنسوخ» لقتادة (ص: ٤٥)، ورواه أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» (١/ ١٩٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٨١ ـ ٨٣) عن ابن عباس وقتادة والضحاك وأبي صالح وابن زيد.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾: التوراةَ ﴿وَٱلْحُكْمَ﴾؛ أي: الحكمةَ، وقيل: الفقهَ، وقيل: السُّنَّةَ، وقيل: القضاءَ بين الناس.

﴿وَٱلنُّبُوَّةَ﴾ فإن إبراهيمَ عليه السلام كان شجرةَ الأنبياء.

﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ الحلالُ، وقيل: اللَّذيذُ، وقيل: المنُّ والسَّلْوى.

﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ﴾: أعطيناهم الزيادةَ ﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: عالَمِي زمانهم.

وقيل: خَصَصْنا[1] بكثرةِ الأنبياء من بين سائرِ الأمم.

* * *

(١٧) ـ ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾ يريد: أمرَ محمَّدٍ ﷺ ﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟﴾ في كونه نبيًّا ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾ محمدٌ عليه السلام والقرآنُ ﴿بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

وقيل: أراد بالاختلاف اختلافَهم في أوامرِ اللهِ ونواهيهِ في التوراةِ ﴿بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾: حسداً، لا عن جهلٍ يكونُ به الإنسانُ معذوراً.

* * *

(١٨) ـ ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾؛ أي: بعدَ اختلافِ أهلِ الكتابِ ﴿جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ﴾ طريقةٍ ومنهجٍ ﴿مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾: من الدِّين.

وقيل: على ملَّةٍ مشروعةٍ لك من أمرِنا الذي أَمَرْناه مَن قَبْلَكَ مِن رُسُلنا.

---

(١) كذا في النسختين، والأظهر: «خصصناهم».

وقيل: من الأمرِ الذي أنت بصدَدِه.

قتادةُ: الشريعةُ: الفرائضُ والحدودُ والأمرُ والنهي[1].

وقيل: على بيِّنةٍ.

وقيل: على سُنَّةٍ.

ابن عيسى: أصلُ الشريعةِ: علامةٌ تُنصَبُ على الطريقِ دلالةً على الماء.

﴿فَٱتَّبِعۡهَا﴾: فاتَّبعْ هذه الشريعةَ واعْمَلْ بها واتَّخِذْها إماماً.

﴿وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾: لا تَتَّبعِ الكافرينَ والمنافقينَ ولا تَعْمَلْ بهواهُم.

***

(١٨) ـ ﴿إِنَّهُمۡ لَن يُغۡنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۖ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾.

﴿إِنَّهُمۡ لَن يُغۡنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا﴾: إنَّ هؤلاء الكفارَ والمنافقينَ غيرُ نافِعِيك ممَّا يريدُه اللهُ بك من العَذابِ، ولا كافِيْكَ ما يشاؤُه فيك من العقاب.

﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖ﴾؛ أي: الظالمُ ـ وهو الكافرُ ـ يوالي ظالماً مثلَه وينصرُه ويُعِينُه، وقيل: هم متَّفقون على عداوتك.

﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾؛ أي: يُوالي ﴿ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ وهم المؤمنون.

***

(٢٠) ـ ﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾.

﴿هَٰذَا﴾؛ أي: القرآنُ، وقيل: ما تقدَّمَ من اتِّباعِ الشريعةِ وتركِ طاعةِ الظالمِ

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٨٥).

﴿بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ﴾: بيِّناتٌ ودلائلُ في أمرِ دِينهم ﴿وَهُدًى﴾: رَشَدٌ ﴿وَرَحْمَةٌ﴾: نعمةٌ من اللهِ ﴿لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾: لا يَشُوبُ إيمانُهم شكٌّ وارتياب.

* * *

(٢١) ـ ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾.

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: اكْتَسَبوا معاصيَ اللهِ وارتكبوا مآثمَ[١] ﴿أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾.

نزلت فيمَن قالوا: نُعْطَى في الآخرةِ خيراً مما يُعْطَى المؤمنون[٢].

وقيل: أم حَسِبَ عتبةُ وشيبةُ والوليدُ وأتباعُهم أن نجعلَهم كعليٍّ وحمزةَ وعبيدةَ ابنِ الحارث رضي الله عنهم سواءً[٣]؛ أي: أَحَسِبوا أنْ نسوِّيَ بين الفريقين في المحيا والممات؛ أي: في الدُّنيا والعُقْبى.

﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾: بئسَ هذا الحكمُ، بل نفرِّقُ بينهم فنُعْلِي المؤمنين وننصرُهم في الدنيا والآخرةِ، ونُخْزِي الكافرين فيهما.

وقيل: المرادُ بالمحيا: الحياةُ بعدَ الموت، وبالمماتِ: القبرُ، من قوله: «القبرُ روضةٌ من رياضِ الجنةِ أو حفرةٌ من حُفَرِ النِّيران»[٤].

---

(١) في (ن) زيادة: «المأثم».

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٨٣٩).

(٣) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٢٧٩)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٦٤)، والواحدي في «البسيط» (٢٠/ ١٤٣) عن الكلبي.

(٤) رواه الترمذي (٢٤٦٠) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وقال: «هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه».

وقيل: أَحَسِبَ الكفَّارُ أنْ يشاركوا المؤمنينَ فيما يُعطِيْهِم اللهُ في الآخرة كما شارَكوهم فيما أعطاهم في الدنيا، من قوله: ﴿قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [الأعراف: ٣٢].

قُرِئ ﴿سَوَاء﴾ بالرَّفعِ والنَّصب[١]؛ فمَن رَفَع: ﴿مَّحْيَاهُمْ﴾ المبتدأُ، و﴿مماتُهم﴾ عطفٌ على المبتدأ، و﴿سواءٌ﴾ خبرُ المبتدأ، وتقدَّم عليه، ولم يثنَّ لأنه مصدرٌ. ويجوزُ في الجملةِ أنْ تكونَ واقعةً موقعَ المفعولِ الثاني لـ(جَعَل)، ويجوزُ أن تكون استئنافاً وما قبلَه وقفٌ؛ أي: محياهُم محيا سواءٍ ومماتُهم كذلك، وهذا أولى؛ لأنه قُطِعَ فلا يَدخُلُ في الحسبان.

ومَن نَصَب: جاز أن يكونَ المفعولَ الثانيَ لـ(جَعَل)، وجاز أن يكونَ حالاً والمفعولُ الثاني: ﴿كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، ويرتفعُ ﴿مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ بالمصدر، وفيه ضعفٌ؛ لأنه ليس باسمِ الفاعلِ ولا بالصفةِ المشبَّهةِ باسم الفاعل.

وفي الضميرِ قولان: أحدُهما: أنه يعودُ إلى الكفارِ فحَسْبُ، وقيل: إلى القَبيلين[٢]، ويحتمِلُ أن يعودَ إلى المؤمنين فحسبُ كما[٣] قُرِئ في الشواذِّ بالجر[٤]، فيكونُ التقدير: أنْ نجعَلَ محيا الكفارِ ومماتَهم كمحيا المؤمنين ومماتِهم، فحذف الأول.

وقرئ بالنَّصبِ[٥]، فيكونُ للكفار[٦] على البدلِ وحُذف الثاني، ويجوزُ في النصبِ أن يكون ظرفًا، والله أعلم.

---

(١) قرأ حمزة والكسائي وحفص بالنصب، والباقون بالرَّفع. انظر: «السبعة» (ص: ٥٩٥)، و«التيسير» (ص: ١٩٨).

(٢) في (ن): «القبيلتين».

(٣) في (ف): «لما».

(٤) ذكرها المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٨٧).

(٥) أي: (محياهم ومماتَهم). انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣٩) عن الأعمش.

(٦) في (ن): «الكفار».

(٢٢) ـ ﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾: بالعَدْلِ، فلا يقتضِي التساويَ بين الفريقين.

وقيل: لم يخلُقْه عبثاً لكنْ للجزاء، ثم بيَّنه فقال: ﴿وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

وقيل: خَلَقَ للعَدْلِ ولتُجْزَى.

* * *

(٢٣) ـ ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾.

﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾؛ أي: بهواهُ وإيثارِه لا بالأدلَّةِ والبراهين.

قال ابن عباس: كان أحدُهم يَعبدُ حجراً، فإذا رأى ما هو أحسنُ منه رمَى به وعبَد ما هو أحسنُ[1].

وقيل: فيه تقديمٌ وتأخيرٌ، والتقديرُ: اتَّخذ هواهُ إلهَهُ فركِبَ ما اشتهاه من غيرِ زاجرٍ[2].

﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ﴾: خَذَله اللهُ.

وقيل: أضلَّه من[3] الثواب.

---

(١) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١١٤٢١)، والحاكم في «المستدرك» (٣٦٨٩) وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٨٨)، واستغربه.

(٣) كذا في النسختين، والأظهر: «عن».

وقيل: (أَضَلَّه): وَجَده ضالًّا.

﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾؛ أي: على علمٍ من اللهِ بضلالِه في سابقِ عِلْمه.

وقيل: ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ حالٌ للمفعول، فيكونُ علمَ التجارةِ وسائرِ الصناعةِ، وفيه ضعف.

ويجوزُ أن يكونَ المرادُ به المعاندَ؛ لأنَّ ضلالَه على علمٍ.

﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ﴾ فلا ينتفعُ بما يَسمعُ ﴿وَقَلْبِهِۦ﴾ فلا يتفكَّرُ في آياتِ الله ﴿وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً﴾ فلا يُبْصِرُ الحقَّ.

﴿فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: غيرِ الله[1]، وقيل: بعدِ هدايةِ الله، وقيل: بعد خذلانِ اللهِ إياه ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾.

وجوابُ ﴿مَنِ ٱتَّخَذَ﴾: ﴿فَمَن يَهْدِيهِ﴾.

* * *

(٢٤) - ﴿وَقَالُواْ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾.

﴿وَقَالُواْ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا﴾ ﴿هِىَ﴾ كنايةٌ عن الحياة؛ لأنهم وُعِدوا حياةً ثانيةً فقالوا: ما الحياةُ إلا حياتُنا ﴿ٱلدُّنْيَا﴾ التي نحن فيها.

وقولهم: ﴿ٱلدُّنْيَا﴾ ليس بتسليمٍ للثانية[2]، وإنما هو كقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ [المائدة: ٤١]؛ أي: بزعمك.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٨٨)، واستغربه.

(٢) في (ف): «لثانية».

﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ قيل: فيه تقديمٌ وتأخير؛ أي: نحيَى ونموتُ، ولأن الواوَ لا تُوْجِبُ الترتيب.

وقيل: يموتُ الآباءُ ويحيَى الأبناءُ، وحياةُ الأبناءِ حياةُ الآباء؛ لأنَّ الأبناءَ بحياةِ الآباءِ صاروا أحياءً.

وقيل: يموتُ بعضٌ ويحيَى بعضٌ.

وقيل: كنَّا مَوَاتاً فحَيِيْنا.

ويحتمِلُ أنَّ هذا كلامُ مَن يقولُ بالتناسُخِ؛ أي: يموتُ الرجلُ ثم تُجْعلُ روحُه في مَوَاتٍ فتحيا به[1].

﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ مُضيُّ الأيامِ والليالي، وقيل: طولُ الدَّهر بالهَرَم.

قتادةُ: إلا العمرُ[2].

عكرمةُ: إلا الله[3]، وهذا موافقٌ لقولِ النبيِّ ﷺ إخباراً عن الله تعالى: «لا تسبُّوا الدهرَ فأنا الدهرُ»[4]، وفيه نظرٌ.

﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾: ما هم في اعتقادِ هذا القول إلا على شكٍّ.

* * *

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٨٨)، واستغربه.

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٨٣٢)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٩٦)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٨٨)، واستغربه.

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٦٦)، والمصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٨٩)، وعده من العجائب.

(٤) رواه البخاري (٦١٨١)، ومسلم (٢٢٤٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢٥) ـ ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا﴾؛ أي: القرآنُ ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾: واضحاتِ الدلائلِ، ويريد بالآياتِ هاهنا: ما فيه ذكرُ البعثِ والنُّشور.

﴿مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ﴾؛ أي: جوابَهم وما احتجُّوا به، وسمِّي حجةً على زعمِهم.

﴿إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ﴾: أحيُوهم ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في دعوى البعثِ.

* * *

(٢٦) ـ ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ﴾ في الدنيا ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ فيها ﴿ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ﴾ في القبور[1] ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ وقيل: ثم يُحييكم ويجمعُكم في يومِ القيامة ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: في اليوم، وقيل: في الجَمْعِ؛ أي: لا تَرْتابوا فيه.

وقيل: قد قامتِ الدلالةُ على صحةِ البعثِ فلمْ يَبْقَ فيه ارتيابٌ.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ قدرةَ اللهِ على البَعْثِ؛ لإعراضِهم عن التدبُّر والتفكُّرِ في الدَّلائل.

* * *

(٢٧) ـ ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾ يجوزُ أن يكونَ عطفاً على محلِّ

---

(١) «في القبور» من (ف).

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فيكـونَ مفعـولاً به[١]، ويجوزُ أن يكـونَ ظرفاً، وقولُه: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بـدلٌ منه، ومعنـى ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: حينئـذ ﴿يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ مَـن لا حُجَّةَ له.

* * *

(٢٨) ـ ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ﴾: أمةَ كلِّ نبيٍّ يومَ القيامة ﴿جَاثِيَةً﴾ ابنُ عباس رضي الله عنهما: مجتمِعةً للحساب[٢].

وقيل: باركةً جِلْسةَ المدَّعِي عند الحاكم.

وقيل: مستوفزاً لا يصيبُ الأرضَ إلا رُكْبتَاه وأطرافُ أناملِه.

وقيل: متميِّزة، وقيل: خاضعةً.

والجُثُوُّ للكفار خاصةً، وقيل: عامٌّ.

تقول: جثا يجثو؛ إذ جلَس على ركبتيه، وحَذَا يَحْذو بمعناه.

﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾ يريد: كتابَ الحفظة؛ ليقرؤوه ويستوفُوا الجزاءَ، وهو قولُه: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ في الدنيا.

الجاحظُ: إلى كتابِ نبيِّها فيَنظرُ هل عملوا به أم لا[٣]؟

وقيل: إلى حسابها.

وقيل: يُدْعَى: يُسأَلُ؛ كما تقولُ: سألتُ اللهَ كذا، ودعوتُه بكذا.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٨٩) واستغربه.

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٦٧)، والواحدي في «البسيط» (١٤/ ٢٨٧).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٦٨).

ويحتمِلُ: يُدْعَوْن بكتاب نبيِّها فيقال: يا أهلَ التوراة، يا أهلَ القرآنِ؛ كما سبق في قوله: ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسِۭ بِإِمَـٰمِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١]؛ أي: بكتابهم.

* * *

(٢٩) ـ ﴿هَـٰذَا كِتَـٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿هَـٰذَا كِتَـٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم﴾؛ أي: يبيِّنُ لكم، وضعَ النُّطقِ موضعَ البيانِ.

﴿بِٱلْحَقِّ﴾: بالعدلِ ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: نُثْبِتُ.

وقيل: نحفظُ أعمالَكم، وليس ذلك بنقلٍ من كتابٍ.

تقول: نَسَخْتُ واستنسَخْتُ بمعنًى؛ نحوَ: عَجِبْتُ واستَعْجَبْتُ.

وقيل: نأمرُ بإثباتها، والاستنساخُ: الأمرُ بالنسخِ، وعليه بابُ الاستفعال.

وقيل: نستنسِخُ أعمالَكم من اللَّوح المحفوظ كُتب قبلَ أن تُخلَقوا وقبلَ أن تعملوا، فيكونُ النسخُ نقلاً من كتابٍ إلى كتاب.

وقيل: ﴿كِتَـٰبُنَا﴾: القرآنُ يدلُّكم على ما فيه، فهو شاهدٌ عليكم.

* * *

(٣٠ ـ ٣١) ـ ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ۝٣٠ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَـٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ۝٣٠ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ فيقالُ لهم: ﴿أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَـٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ يعني: الكتبَ المنزلةَ ﴿فَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾: تعظَّمْتُم عن الانقيادِ والإيمانِ بها ﴿وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾: كافرينَ مُذْنبين، والفاءُ في ﴿أَفَلَمْ﴾ قامَ مقامَ المحذوف.

* * *

(٣٢) ـ ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾؛ أي: قيل لكم: إنَّ الجزاءَ والبعثَ حقٌّ(١) كائنٌ ﴿وَٱلسَّاعَةُ﴾: القيامةُ ﴿لَا رَيْبَ فِيهَا﴾؛ أي: قائمةٌ لا محالةَ، ﴿قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ﴾؛ أي: لَسْنا نَعْلَمُ ما تريدون بقولكم: ﴿السَّاعة﴾ وكيفيَّةَ قيامِها.

﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ أبو عليٍّ: لا يَجْرِي هذا الكلامُ على ظاهرِه؛ لأنَّ كلَّ مَن يَظنُّ فإنه لا يَظنُّ غيرَ الظنِّ.

قال: ويصحُّ الكلامُ بأنْ يقدَّر بـ﴿إِلَّا﴾ التقديمُ(٢)، وهو قولُ الأخفش؛ أي: ما نحن إلا نظنُّ ظنًّا(٣)، والتوكيدُ غيرُ مستنكَرٍ.

المازنيُّ: تقديرُه: إنْ نظنُّ نحن إلا أنَّكم ظنَنْتُم ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ أنكم لا تظنُّون(٤)؛ أي: هذا الذي تَدْعوننا إليه ظنٌّ منكم وأنتم شاكُّون فيه.

وقيل: ﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾ لا يؤدِّينا إلى العلم(٥) ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾؛ أي: نَشُكُّ في جوازِ وقوعِه ولا نَستيْقِنُ ذلك.

* * *

---

(١) «حق»: ليس في (ف).

(٢) انظر: «المسائل الحلبيات» (ص: ٢٢٩).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٥١٨)، وفيه: «﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾ ما نظن إلا ظنًا».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٨٩)، واستغربه.

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٨٩)، وعده من العجائب.

(٣٣) - ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

﴿وَبَدَا لَهُمْ﴾: ظَهَر[1] لهؤلاء المشركين حين شاهَدوا القيامةَ وأُخرج لهم ما كَتَبتِ الحفَظةُ من أعمالهم ﴿سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾: قبائحُ أفعالِهم ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾: أحاطَ بهم ولَزِمَهم ﴿مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾: جزاءُ استهزائِهم بقائلِ ذلك والمخبِرِ به.

***

(٣٤) - ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾.

﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾؛ أي: تقولُ لهم الملائكةُ: اليومَ نترككُم في النارِ تركَ الشيءِ المنسيِّ الذي لا يُذْكَرُ كما أَعْرَضْتُم عن تدبُّرِ الوعيدِ والإنذارِ إعراضَ مَن نسيَ الشيءَ.

﴿وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ﴾: منزلُكم ومَثْواكُم ﴿وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾: مَن ينصرُكم ويدفعُ عنكم ممن كنتُم تتعزَّزون بهم في الدنيا.

***

(٣٥) - ﴿ذَلِكُم بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾.

﴿ذَلِكُم﴾؛ أي: ذلكم العذابُ ﴿بِأَنَّكُمُ﴾: بسببِ أنكم ﴿اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ﴾؛ أي: ما كان يُتْلَى عليكم ﴿هُزُوًا﴾: تُنْزِلونها مَنزلةَ الهُـزْءِ الذي لا يُقبَلُ عليه ولا يُتدبَّرُ فيه ﴿وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾: اغترَرْتُم بما مُدَّ لكم فيها من الحياةِ السريعةِ الانقضاءِ وما وُسِّع عليكم من أسبابِ دنياكم.

---

(١) في (ن): «خلص».

﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا﴾ لأنَّهم فيها خالدونَ ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾: لا يُطْلَبُ رضاهُم.

وقيل: لا يُطالَبون بالتَّوبة.

وقيل: لا يُرَدُّون إلى الدُّنيا.

وقيل: لا يُراجَعون الكلامَ بعدَ دخولِ النَّار.

وقيل: لا يُقبَلُ منهم العُتْبى، وهو إعطاءُ الرِّضا.

❊ ❊ ❊

(٣٦) ـ ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(١) ختَم السورةَ بكلمةِ الإخلاص.

وقيل: قولوا: (للهِ الحمدُ)؛ عرَّفهم كيف يحمَدون ربَّهم.

❊ ❊ ❊

(٣٧) ـ ﴿وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

﴿وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: العظمةُ والجلالُ.

وقيل: استحقاقُ التعظيمِ في أعلى المراتبِ له وحدَه.

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ بسلطانه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ فيما أَمَرَ ونَهى وخَلَق وقَضى.

❊ ❊ ❊

---

(١) في هامش (ن): «قال الشيخ: قوله: ﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ صفة لـ﴿الله﴾، ﴿وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ﴾ عطفٌ عليه، ولم يأت بالواو في ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ لأنه لو دخل عليه الواو لأظهر تغايراً في الكلام، وذلك لأن الأرض والسماوات من جملة العالَمين، وإنا بالتذكير لما فيها من [...] وهذا نكتة لطيفة».

سُورَةُ الأَحۡقَافِ

سُورَةُ الأَحْقَافِ

خمسٌ وثلاثونَ آيةً[1]، مكِّيةٌ.

ابنُ عباسٍ وقتادةُ: إلَّا آيةً فإنَّها مدنيَّةٌ، وهي قولُه: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾[2]، وقيل هي: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾[3].

بسم الله الرحمن الرحيم

(١ ـ ٢) ـ ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾.

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ سَبَق، وإنَّما كرَّر ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ لأنَّه بمنزلةِ عُنوانِ الكتبِ، ثم ذَكَر ما أُنزلَ فقال:

(٣) ـ ﴿مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعْرِضُونَ﴾.

---

(١) «خمس وثلاثون آية»: ليس في (ف). وقد ذكر الداني الخلاف في عدد آيات السورة وهو بين كونها خمساً وثلاثين آية أو أربعاً وثلاثين. انظر: «البيان في عد آي القرآن» للداني (ص: ٢٢٧).

(٢) ذكره عنهما الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٧٠)، والجرجاني في «درج الدرر» (٤/ ١٥٣٥)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ١٠٢)، وصرح الماوردي بأن هذه الرواية عن ابن عباس وقتادة شاذة.

(٣) ذكر ابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ١٠٢) عن مقاتل: أنها مكية غير آيتين: هذه الآية، والآية التي في الخبر السابق. وانظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ١٧ و٣٣).

﴿مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾: للحَقِّ ولإقامةِ الحق[1].

وقيل: بالعدلِ في الخَلْق.

وقيل: ليَدُلَّ على وحدانيَّة الله تعالى.

وقيل: بالصِّدْق.

وقيل: إلا للبَعْثِ.

﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾؛ أي: خَلَقه مقروناً بأجلٍ مسمًّى إلى وقتٍ معلومٍ قد سمَّاه، وإنْ كان قد طَوَى عِلْمه عن عِبَادِه.

وقيل: هو الأجَلُ المخلوقُ لكلِّ مقدورٍ[2].

المبرِّدُ: ما خلقناهما إلا بأجَلٍ مسمًّى، والأجَلُ المسمَّى قولُه: ﴿فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الأعراف: ٥٤][3].

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بالآخرة ﴿عَمَّآ أُنذِرُوا۟﴾ به وهو الجزاءُ يومَ المَعَادِ ﴿مُعْرِضُونَ﴾ لا يتفكَّرون، وقيل: أَعْرَضوا بعدما قامَتْ عليهم الحُجَّةُ.

***

(٤) - ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: تَدْعُونه إلهاً، وقيل: تَعْبُدونه من الأصنام، وقيل: الملائكةِ والجنِّ وعيسى.

---

(١) في هامش (ن) في الموضعين: «في نسخة الصدق».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٩١)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٩١)، وعده من العجائب.

﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ هل خَلَق واحدٌ منهم شيئاً من الأرض، ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾؛ أي: في خَلْقِها ومُلْكِها؟ ﴿ٱئْتُونِي بِكِتَٰبٍ﴾ أنزلَه اللهُ وفيه برهانُ ما تَدَّعُون؛ أي: التوراةِ والإنجيلِ والزَّبورِ وسائرِ كتُبه ﴿مِّن قَبْلِ هَٰذَآ﴾: قبلِ القرآن.

﴿أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾: روايةٍ، تقول: أَثَرهُ يَأْثُرُه، وخبرٌ مأثورٌ، وجاء في الأثر، يريدُ[1]: ما كانتِ العربُ تَعْلَمُ بعضَ الأشياءِ به: منَ القِيافةَ والزَّجْرَ والطَّرْقَ[2] ممَّا كانوا يأْثُرونه عن أسلافِهِم ويَعُدُّونه علماً، وإنْ لم يكنْ فيه ما يُوجِبُ الوثيقةَ.

وقيل: الأثارةُ: البقيَّةُ، تقولُ العربُ: سَمِنتِ الإبلُ على أثَارةٍ؛ أي: بَقيَّةٍ من الشَّحْم.

وقيل: ﴿أَثَٰرَةٍ﴾؛ أي: ميراثٍ[3] من عِلْمٍ.

وقيل: خاصَّةٍ من عِلْم.

وقيل: بيِّنةٍ.

وقيل: مُناظرةٍ من عِلْمٍ؛ لأنَّ المناظرةَ في العِلْم مُثيرةٌ لِمَعانيهِ[4]، ولعلَّ هذا على مَن قرأ: (إثارةٍ) بالكسر[5].

وقيل: اجتهادٍ بعلمٍ.

وقيل: هو إسنادُ الحديث.

---

(١) «يريد» ليست في (ف).

(٢) في هامش (ن): «قال: الزجر التطير، والطرق: حصيات كانت العرب تستصنم بها وتخبر بما يكون بعلامة تظهر من الحصيات، وقرئ: (إثْرة) بكسر الألف و(أُثْرة) بضمه».

(٣) في (ن): «ما راث»، وفي هامشها: «ميراث. نسخة».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٩٢)، وعده من العجائب.

(٥) هي قراءة الحسن. انظر: «شواذ القراءات» لمحمد بن أبي نصر الكرماني (ص: ٤٣٥).

وقُرئ في الشواذ على وجوهٍ[1]، ومعانِيْها قريبٌ بعضُها من بعضٍ.

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾؛ أي: إنْ صَدَقْتُم في دَعْوَاكم فأتوني به.

ورُوي مرفوعاً في قوله: ﴿أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾: أنه الخطُّ[2]، وقال: «كان نبيٌّ من الأنبياءِ يَخُطُّ، فمَن صادَفَ مِثْلَ خَطِّه؟!»[3][4].

وروى القفَّال: «أنَّ نبيًّا كان يخطُّ، فمَن صادَفَ مِثْلَ خطِّه عَلِم»[5].

---

(١) انظر هذه الوجوه في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٤٠)، و«المحتسب» (٢/ ٢٦٤).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٩٩٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٧٢٥)، و«الأوسط» (٢٦٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٩٢): «رجال أحمد رجال الصحيح»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٩١)، واستغربه.

(٣) في هامش الأصل: «في نسخة علم».

(٤) في هامش الأصل: «قال الشيخ رحمه الله: يجوز أن يكون قوله عليه السلام: «فمن صادف مثل خطه» للاستفهام والتعجب».

(٥) قطعة من حديث رواه مسلم (٥٣٧/ ٣٣)، وعقب الحديث (٢٢٢٧) (٤/ ١٧٤٩)، وأبو داود (٣٩١٤)، والنسائي في «الكبرى» (١١٤٢)، والإمام أحمد في «المسند» (٢٣٧٦٢)، من حديث معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه، وفيه: «كان نبي من الأنبياء يخط، فمن وافق خطه فذاك»، ورواه البزار في «مسنده» (٨٦٥٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «قد كان نبيًّا من الأنبياء يخط فمن وافق خطه ذلك ـ أو: من وافق ذلك الخط ـ علم».

قال النووي في «شرح مسلم» (٥/ ٢٢): اختلف العلماءُ في معناه، فالصحيح أن معناه: من وافق خطَّه فهو مباحٌ له، ولكن لا طريق لنا إلى العلم اليقيني بالموافقة، فلا يباح، والمقصود أنه حرام؛ لأنه لا يباح إلا بيقينِ الموافقة، وليس لنا يقينٌ بها، وإنما قال النبي ﷺ: «فمن وافَقَ خطَّه فذاك» ولم يقل: «هو حرام» بغير تعليق على الموافقة، لئلا يتوهَّم متوهِّمٌ أن هذا النهي يدخل فيه ذاك النبيُّ الذي كان يَخُطُّ، فحافظ النبي ﷺ على حُرْمة ذاك النبي مع بيان الحكم في حقنا، فالمعنى: أن ذلك النبي لا مَنْعَ في حقِّه، وكذا لو عَلِمتُم موافقته، ولكن لا عِلْمَ لكم بها. =

قال أبو سليمانَ في «غريبه» عن ابنِ الأعرابيِّ قال: يأتي صاحبُ الحاجةِ إلى الحازي فيعطيهِ حُلْواناً وهو جُعْلُه، فيقولُ له: اقعُدْ حتى أخطَّ لك، قال: وبينَ يَدَي الحازي غلامٌ معه ميلٌ، ثم يأتي إلى أرضٍ رخوةٍ فيَخُطُّ خطوطاً كثيرةً بالعَجَلة لئلَّا يَلْحَقَها العَدَدُ، قال: ثُم يرجِعُ فيَمْحو على مَهَلٍ خَطَّينِ خَطَّين، فإنْ بقيَ منها خطَّان فهما علامةُ النَّجاح، وكانتِ العربُ تسمِّي ذَيْنِكَ الخطَّينِ: ابني عِيَانٍ، فيقول الحازي: ابْنَيْ عِيَان أسرِعَا البَيَان، وإنْ بقيَ خطٌّ واحدٌ فهو علامةُ الخَيبة[1].

ابن عباس رضي الله عنهما قال: الخطُّ الذي يخطُّه الحازي عِلْمٌ قديمٌ تَرَكه الناسُ[2].

***

(٥) ـ ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴾.

﴿ وَمَنْ أَضَلُّ ﴾؛ أي: أيُّ أحدٍ أَبينُ ضلالاً، والمعنى: لا أحدَ أشدُّ ضلالاً ﴿مِمَّن يَدْعُوا۟ ﴾: يعبدُ، وقيل: يَطلُبُ ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾؛ أي: يسألُ

= وقال عبد الغافر الفارسي في «مجمع الغرائب» مادة: (خ ط ط): لَمْ يُبيِّنِ النبيُّ ﷺ الخطَّ الذي كان النبيُّ يَخُطُّه حتَّى تكونَ مُوافقتُه جائزةً، فالوجهُ طَيُّ هذا البساطِ أصلاً؛ جملةً وتفصيلاً، والتعويلُ على ما وَرَدَ به الشرعُ من التوكُّلِ على الله تعالى، وتفويضِ الأمور إليه.

(١) انظر: «غريب الحديث» للخطابي (١/ ٦٤٨).

(٢) ذكره الخطابي في «غريب الحديث» (١/ ٦٤٨)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ١١٣) بلفظ: «﴿أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾: خط كان يخطه العرب في الأرض».

شيئاً لو دعاه إلى يومِ القيامة لم يَستجِبْ له دعاءَه ولا كان عنده معونةٌ[1]؛ والمعنى: لا يستجيبُ أبداً.

﴿وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ﴾ قيل: هي الأصنامُ التي هي جمادٌ، فأَجْراها مُجرى العقلاءِ في الإخبارِ على زعمهم.

وقيل: هم الملائكةُ والجنُّ، وهم مشتَغِلون عنهم غيرُ عالِمِينَ بعبادتِهم.

وقيل: قوله: ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ استبعادٌ كما ذكرتُ، وقيل: غايةٌ؛ لأن المعبودَ يجيبُ العابدَ يومَ القيامةِ كما جاء في القرآنِ في مواضعَ، نحوُ: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟﴾ [البقرة: ١٦٦]، ونحوُ قولِه: ﴿رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ﴾ [ق: ٢٧] ونحوُ قولِه: ﴿يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ﴾ [العنكبوت: ٢٥]، ويُقوِّيه قولُه عَقِيبه:

***

(٦) - ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾.

﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً﴾؛ أي: المعبودون للعابِدِينَ أعداءً.

وقيل: العابدونَ للمعبودِينَ أعداءً.

﴿وَكَانُوا۟﴾؛ أي: العابدون ﴿بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾؛ كقوله: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣].

وقيل: كان المعبودون كافرينَ؛ لم يَشْكُروهم عليها، بل ذَمُّوهم.

***

---

(١) في هامش (ن): «قال الشيخ: قوله: ﴿لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ ليس أنه يستجيب يوم القيامة، وإنما ذلك مِثلُ قولهم: فلان لا يفعل ذلك إلى يوم القيامة؛ أي: لا يفعله أبداً».

(٧) ـ ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾.

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ ﴾: واضحاتِ الدَّلائلِ، وهي القرآنُ، ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾؛ أي: لا حقيقةَ له، يُوْهِمُ إذا قَرَع السَّمْعَ أنه شيءٌ ثم لا أصلَ له.

وقيل: ﴿هَٰذَا سِحْرٌ﴾؛ أي: كلامٌ منظومٌ نَظْماً دقيقاً يأخُذُ القلوبَ؛ كما يُقال: هو السِّحرُ الحلال.

***

(٨) ـ ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾.

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ﴾: اختَلَقه محمدٌ ـ ﷺ ـ وأضافه إلى اللهِ كذباً ﴿قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ﴾؛ أي: إنْ كذَبْتُ على اللهِ كما زَعَمْتُم فلا تملِكونَ دَفْعَ عذابه عنِّي ولا نَفْعَ لي مِن قِبَلِكم، ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾: اللهُ أعلمُ بما تقولون فيما بينكم وبما تَرْمونني به وتخوضون فيه.

﴿كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ﴾؛ أي: هو شاهدي على صدقِ ما أدعُوْكم إليه؛ إذ هو المرسِلُ إليكم، ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ﴾ لِمَن تابَ مِن شِرْكه وأَسْلَم، ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾: لم يُعَجِّلْ بالعقوبة.

وقيل: معنى الآيةِ: إنِ افترَيْتُه فقد أسأْتُ إذاً الاختيارَ لنفسي.

وقيل: معناه: إن افتريتُه فغايةُ ذلك أنْ أَخْدَعَكم فتتَّبِعوني، وما انتفاعي باتِّباعكم وأنتم لا تملكون دفعَ عذابِ اللهِ عنِّي.

***

(٩) ـ ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾.

﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ البِدْعُ: ما لا سابقَ له؛ أي: لستُ بأوَّلِ رسولٍ أَرسلَهُ الله، ولا جئتُكم بأمرٍ بديعٍ لم يكنْ لي إلى مثلِه سابقٌ.

﴿وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى﴾؛ أي: في الدُّنيا؛ لأنَّ للهِ في الأنبياءِ أحكاماً يمتحِنُهم بها من جهةِ قومِهم: من إخراجٍ من البلدِ، أو قتلٍ، أو تعذيبٍ، أو إنجاءٍ من هذه المحنِ، أو أمرٍ بالهجرة، أو بالمقاتلة مع القوم، ﴿وَلَا بِكُمْ﴾ من خَسْفٍ أو مَسْخٍ أو رَجْفةٍ أو تغريقٍ، أو إهلاكٍ بريحٍ، أو قتلٍ، أو أخذِ جزيةٍ، أو كفرٍ، أو إيمان.

﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ ولم يُوْحَ إليَّ في هذا البابِ شيءٌ ﴿وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ أَقْتصِرُ على ما قَصَرني اللهُ عليه من الإنذارِ لكم.

وقيل: لا أدري ما أُؤمَرُ به ولا ما تُؤْمَرون به[1].

وقيل: كان هذا قبلَ نزولِ ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ﴾ [الفتح: ٢] ثم نُسِخَ به، فعَلِمَ بعد ذلك ما يُفْعَلُ به.

وقيل: لا يجوزُ أن يقولَ الرسولُ: ﴿وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ﴾[2]، بل سببُ ذلك: أنه رأى في المنامِ أنْ يتحوَّلَ إلى أرضٍ ذاتِ نخلٍ وشجرٍ وماءٍ، فأَخْبرَ أصحابه بها، فلمَّا بَطُؤَ حصولُ ذلك راجَعوه في ذلك، فنزلتِ الآية[3].

---

(١) «به» من (ف).

(٢) ذكره المصنف مع سبب النزول الآتي في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٩٣)، واستغربه.

(٣) ذكره دون عزو الفراء في «معاني القرآن» (٣/ ٥٠، ٥١)، والزجاج في «معاني القرآن» (٤/ ٤٣٩)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٨) عن ابن عباس، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٧٢) عن الكلبي، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٨٠) من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وقال ابن بحرٍ: معنى قولِه: ﴿وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ﴾؛ أي: لا أدَّعي عِلْمَ غيبٍ، ولا معرفةَ ما يفعلُه بي ولا بكم من الإحياءِ والإماتةِ والنعمةِ والجَدْبِ وسائرِ ما يَنفعُ ويَضُرُّ، إلا أنْ يُوحَى إليَّ في ذلك شيءٌ فأَتَّبِعَه. وهذا أحسنُ الأقوال[1]، ومثلُه: ﴿وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

* * *

(١٠) ـ ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرۡتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثۡلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ﴾؛ أي: أَخبِروني ﴿إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: القرآنُ، وقيل: محمدٌ ﷺ ﴿وَكَفَرۡتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ الجمهورُ على أنه عبدُ الله بن سَلامٍ رضي الله عنه والآيةُ مدنية[2]، وذلك أنه جاء إلى النبيِّ ﷺ وقال: اجعَلْني يا رسولَ الله حَكَماً بينك وبين اليهود، فسَألهم عنه: «أيُّ رجلٍ هو فيكم؟» فقالوا: سيِّدُنا وابنُ سيِّدِنا، وعالِمُنا وابنُ عالِمِنا[3]، قال: «فإنه قد آمَنَ بي»[4].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٩٣)، وعده من العجائب.

(٢) روى البخاري (٣٨١٢) عن سعد بن أبي وقاص قال: ما سمعت النبي ﷺ يقول لأحد يمشي على الأرض: «إنه من أهل الجنة»، إلا لعبد الله بن سلام، قال: وفيه نزلت هذه الآية: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثۡلِهِۦ﴾. ورواه مسلم (٢٤٨٣) دون ذكر الآية.

(٣) في (ف): «قالوا سيدنا وعالمنا عبد الله بن سلام».

(٤) روى هذه القصة مع سبب النزول: الإمام أحمد في «المسند» (٢٣٩٨٤) عن عوف بن مالك، ورواها الطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٢٧ ـ ١٣١) عن عوف بن مالك وعن ابن عباس رضي الله عنهما والضحاك والحسن.

الشعبيُّ في جماعةٍ: ليس بعبدِ الله[1]؛ لأنَّ السورةَ مكيةٌ، وإنما أَسْلَمَ ابنُ سَلَامٍ بالمدينة[2].

وقالوا: الشاهدُ من بني إسرائيلَ هو موسى عليه السلام، وشهادتُه: هو ما في التوراةِ من نعتِ محمدٍ ﷺ وبِعْثَته.

قوله: ﴿عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾: على ما شَهِد عليه القرآنُ ومحمدٌ ﷺ.

﴿فَـَٔامَنَ﴾؛ أي: الشَّاهدُ ﴿وَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ عن الإيمان.

وقيل: وشَهِدَ موسى عليه السلامُ على[3] مِثْلِ القرآن، فآمَن به بنو إسرائيلَ وكفرتُم يا معشرَ العربِ بمحمدٍ ﷺ والقرآنِ.

الفرَّاءُ: أي: شَهِد رجلٌ من اليهودِ على مثلِ ما شَهِد به عبدُ الله بنُ سَلَام، فآمَن ذلك الرجلُ واستكْبَرْتم[4].

وفي بعضِ التفاسير: الرجلُ يامينُ بنُ يامينَ، وكان أسلمَ قبلَ عبدِ اللهِ بنِ سلامٍ ثم أسلمَ ابنُ سلامٍ، فشَهِد على مِثْلِ ما شَهِدَ عليه يامينُ[5].

وقيل: على مثلِ شهادةِ الله.

وقيل: شهادةِ محمدٍ ﷺ.

وقيل: شهادةِ القرآن.

---

(١) في (ف): «عبد الله».

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٠١٤٨)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٢٥).

(٣) «على» ليست في (ن).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٥١).

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ١٨)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٧٣) عن السدي.

وقيل: في الآيةِ تقديمٌ وتأخيرٌ تقديرُه: ﴿إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ ﴿وَكَفَرْتُم بِهِۦ﴾[1].

وجوابُ: ﴿إِن كَانَ﴾ مقدَّرٌ تقديره: أليس قد ظلَمْتُم؟ فحُذفَ لأن قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يدلُّ عليه.

وقيل: جوابُه: مَن أضلُّ منكم؟

وقيل: جوابُه: أتؤمنون؟

وقيل: أتأمنون عقوبةَ الله؟

* * *

(١١) ـ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ اللامُ لامُ العلَّة؛ أي: لأَجْلِهم.

وقيل: هو كقولك: قلتُ له[2]. والوجهُ هو الأولُ.

قيل: المرادُ بـ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ اليهودُ؛ قالوا: ﴿لَوْ كَانَ﴾ ما أتى به محمدٌ ﴿خَيْرًا﴾ أي: صِدقاً وحَقًّا ﴿مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾، ولكُنَّا أسرعَ إلى قَبوله من الذين آمَنوا؛ لأنَّا أربابُ العلمِ والكتاب.

وقيل: المرادُ بهم مشركو العرب، وذلك أنَّه لـمَّا أسلمَتْ جُهَيْنةُ ومُزَيْنةُ وأَسْلَمُ وغِفَارٌ قالتْ بنو عامرٍ وغَطَفانُ وأسدٌ وأَشْجَعُ: ﴿لَوْ كَانَ﴾ ما دخلَ فيه هؤلاء من الدِّين ﴿خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾، ونحن أرفعُ منهم حالاً وأكثرُ مالاً، وهؤلاء رعاةُ الغنم.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٩٣)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٩٣)، وعده من العجائب.

﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾: كَذِبٌ مِثْلُ كَذِبِ عيسى عليه السلام.

وقيل: هو كقولهم: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الأنعام: ٢٥]، وهذا كقوله: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِۦ﴾ [يونس: ٣٩].

وأفاد دخولُ السِّين أنهم في المستقبلِ يقولون هذا القولَ أيضاً.

وقيل[1]: الواوُ في ﴿وَإِذْ﴾ زيادةٌ، وهو ظرفٌ لقوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾، ثم استأنفَ فقال: ﴿فَسَيَقُولُونَ﴾.

* * *

(١٢) ـ ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿وَمِن قَبْلِهِۦ﴾؛ أي: من قبلِ القرآنِ ﴿كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾؛ أي: التوراةُ ﴿إِمَامًا﴾: مَقْصداً بالاتِّباع ﴿وَرَحْمَةً﴾: نعمةً ونجاةً ﴿وَهَٰذَا﴾؛ أي: القرآنُ ﴿كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ﴾؛ أي: التوراةَ، وفي صُحُف ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه: (مصدِّقٌ لِمَا بين يديه)[2].

﴿لِّسَانًا﴾ حالٌ من ﴿هذا﴾، وقيل: من الضميرِ في ﴿مُّصَدِّقٌ﴾.

وقيل: مفعولٌ به، والتقديرُ: مصدِّق ذا لسانٍ عربيٍّ.

وقيل: مصدِّقُ التوراةِ والإنجيلِ لساناً[3] ﴿عَرَبِيًّا﴾؛ أي: يصدِّقُهما في هذه الحال.

---

(١) في (ف): «قيل».

(٢) ذكرها الفراء في «معاني القرآن» (٣/ ٥١)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٣٤).

(٣) «لساناً»: ليس في (ف).

﴿لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ ليُنْذِرَ الكتابُ، وقيل: اللهُ، وقيل: محمدٌ ﷺ.

﴿وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾؛ أي: هو بُشرى، وقيل: وليُبشِّرَ بُشرى[1].

❊ ❊ ❊

(١٣ - ١٤) - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝١٣ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ جاء مرفوعًا: «أقامُوا عليه ولم يَرْجِعوا عنه»[2].

وقيل: استقاموا على كلمةِ[3] الإخلاصِ وأداءِ الفرائضِ.

﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ في القيامةِ ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ عند الموت.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

❊ ❊ ❊

---

(١) قوله: «هو بشرى»؛ يعني: ﴿بشرى﴾ مرفوع على أنه خبر لمبتدأ محذوف. وقوله: «وليبشر بشرى» يعني: أنه منصوب على المصدر. ويجوز الجر عطفًا على المحل؛ أي: لإنذار وبشرى. انظر: «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٩٣)، واستغرب المصنف الوجهين الأخيرين.

(٢) روى الترمذي (٣٢٥٠) عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قرأ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ قال: «قد قال الناس ثم كفر أكثرهم، فمن مات عليها فهو ممن استقام». وقال الترمذي: «هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه». ورواه الطبراني في «الدعاء» (١٥٩١) بلفظ: «استقاموا على لا إله إلا الله».

(٣) في (ف): «حكم».

(١٥) - ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾.

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا﴾: أمَرْناه أن يُحسِنَ إليهما إحساناً.

﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا﴾؛ أي: بالمشقَّةِ والصُّعوبة، يريدُ: حالةَ ثقلِ الحِمْلِ في بطنها لا في ابتداء الحمل.

﴿وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾؛ أي: بالمشقَّة والصعوبة، الضمُّ والفتحُ لغتان[1].

وقيل: الفتحُ المصدرُ، والضمُّ الاسمُ. وقيل: الفتحُ: المشقَّةُ، والضمُّ: الإجبارُ.

﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ﴾ أراد: مدَّةُ حملِه وفصالِه وهو الفطامُ ﴿ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ ذكَر أقلَّ الحملِ وهو ستةُ أشهرٍ، ونهايةَ الرَّضاعِ وهي حولان؛ لقوله: ﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾ [لقمان: ١٤] وما يُزاد في إحداهما يَنْقُصُ من الآخر، وليس هذا حَتْماً واجباً، وللفقهاءِ فيه خلافٌ.

وقال صاحب «النظم»: هذه الآيةُ خاصةٌ لرسولِ الله ﷺ، وكان حملُه ستةَ أشهرٍ[2].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ﴾ قيل: نزلت في سعد بن أبي وقاص[3]، وقد سبق.

---

(١) قرأ عاصم وحمزة والكسائي وابن ذكوان بضم الكاف، وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو بنصب الكاف. انظر: «السبعة» (ص: ٥٩٦)، و«التيسير» (ص: ١٩٩).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٩٤)، واستغربه.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٤/ ٨١)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ١٠٧) عن السدي والضحاك. وقد سبقت في سورة (العنكبوت).

وفي سببِ النزول: عن ابن عباس رضي الله عنهما في روايةِ عطاءٍ[١]: أنها نزلتْ في أبي بكرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه، وذلك أنه صَحِبَ رسولَ الله ﷺ وهو ابنُ ثماني عَشْرَةَ سنةً ورسولُ الله ﷺ ابنُ عشرين سنةً وهم يريدون الشام، فنزلوا منزلاً فيه سِدْرةٌ، فقعَد رسولُ الله ﷺ في ظلِّ السِّدْرة[٢]، ومضَى أبو بكرٍ إلى راهبٍ هناك يسألُه مِن الدِّين، فقال له: مَن الرجلُ الذي في ظلِّ السِّدرةِ؟ فقال: ذاك محمدُ بنُ عبدِ الله بنِ عبدِ المطَّلب، فقال: هذا واللهِ نبيٌّ، فما استظلَّ تحتها أحدٌ بعد عيسى ابنِ مريمَ إلا محمدٌ نبيُّ الله[٣] صلى الله عليهما، فوقع في قلبِ أبي بكرٍ اليقينُ والصِّدقُ والتصديقُ، فكان لا يكادُ يفارقُ رسولَ اللهِ ﷺ في أسفاره وحضورِه، فلمَّا نُبِّئَ رسولُ الله ﷺ وهو ابنُ أربعينَ سنةً وأبو بكرٍ رضي الله عنه ابنُ ثمانٍ وثلاثين سنةً أسلَمَ وصَدَّق رسولَ الله ﷺ، فلمَّا بلَغ أربعينَ سنةً قال: ﴿رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ﴾ الآية[٤].

قوله: ﴿أَشُدَّهُۥ﴾ قيل: حدَّ الإسلامِ وبلوغِ التكليف وهو ثماني عَشْرةَ سنةً

---

(١) في هامش (ن): «في مرافقة أبي بكر مع النبي ﷺ ورضي عنه إلى الشام قبل النبوة وإخبار الراهب عن نبوة النبي عليه السلام لأبي بكر رضي الله عنه».

(٢) في (ف): «في ظلها».

(٣) «نبي الله» من (ف).

(٤) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٨٠ ـ ٣٨١)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ١٠٧)، من رواية عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما. وإسناده ساقط، وأكثرُ ما تقع هذه الروايات عندَ الواحديِّ في كتابيه «البسيط» و«الوسيط»، وهذه الأخبارُ ضعيفةٌ واهيةٌ لا يُحتجُّ بها كما بيَّن الحافظ في «العجاب في بيان الأسباب» (١/ ٢٢٠) فقال: ومِن التفاسيرِ الواهيةِ لوَهَاءِ رواتها التفسيرُ الذي جمَعه موسى بنُ عبدِ الرحمن الثَّقَفيُّ الصنعانيُّ، وهو قَدْرُ مجلَّدين يُسنده إلى ابن جُريجٍ عن عطاءٍ عن ابنِ عباس، وقد نَسب ابنُ حبَّان موسى هذا إلى وضعِ الحديثِ، ورواه عن موسى عبدُ الغنيِّ بنُ سعيدٍ الثقفيُّ وهو ضعيف.

﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ وهو عند كمالِ حُجَّةِ الله عليه، ولهذا خصَّ هذين الوقتين بالذِّكر.

والقولُ في ﴿أَشُدَّهُۥ﴾ قد سبق.

﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ﴾: أَلْهِمني، تقول: هو مُوْزَعٌ بكذا ومولَعٌ به[1]، وقيل: أصلُه: من المنعِ من الانصراف.

﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ﴾ ولم يكنْ في الصحابةِ مَن أَسْلَمَ وأَسْلَمَ والداه وأولادُه إلَّا أبو بكرٍ رضي الله عنه[2].

﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ﴾؛ أي: في جماعةِ أولادي وتَبَعِهم ﴿إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾.

* * *

(١٦) ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ﴾؛ أي: الطاعةَ، والمباحُ لا يثابُ عليه[3]، ﴿وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾؛ أي: كبائرِهم بالتَّوبةِ وصغائرِهم بالاستغفار.

﴿فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ﴾؛ أي: وَعَدَ وَعْدَ الصِّدْق ﴿ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾؛ أي: في الدنيا، ومعنى ﴿ٱلصِّدْقِ﴾: لا خُلْفَ فيه.

---

(١) في (ف): «أي: مولع به».

(٢) ذكره النحاس في «معاني القرآن» (٦/ ٤٤٩) من رواية أحمد بن عبد الله بن يونس عن أبي بكر بن عياش، ورواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٤/ ٨٣) عن علي رضي الله عنه.

(٣) في هامش الأصل: «قال الشيخ: من أكل الخبز فإنه لا يثاب على أكله، ومن صارع فإنه لا يعاقب ولا يثاب، وعلى ذلك جميع الحلالات والمباحات، وإنما يثاب على فعل أوامر الله، ويعاقب على إتيان نواهيه».

(١٧ ـ ١٨) ـ ﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴾.

﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ ﴾ مبتدأٌ خبرُه ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ﴾، وهو واقعٌ مَوْقعَ الواحدِ، أو ﴿الذي﴾ واقعٌ موقعَ الجمع.

وقيل: تقديرُه: واذكُرِ الذي قال.

ذهبَ السُّدِّيُّ إلى أنَّ الآية نزلت في عبدِ الرحمن بنِ أبي بكرٍ رضي الله عنهما قبل الإسلام، وأنه كان يقولُ لوالديهِ أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ وأمِّ رومان: ﴿أُفٍّ لَّكُمَآ﴾ قَذَراً ونَتْناً[١]، وهي لفظةُ استقذارٍ وطردٍ، وقيل: كلمةُ تبرُّمٍ يُقصَدُ بها إظهارُ السُّخط وقبحِ الردِّ، وقد سبق.

﴿أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ﴾: أُبْعَثَ ﴿وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى﴾: وقد تفانَتِ الأممُ فلم يَرجِعْ أحدٌ منهم إلى الدنيا ولا خَرَج من قبره[٢].

﴿وَهُمَا﴾: أبواه ﴿يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ﴾ ويسألانِه أن يوفِّقه للإيمان، ويقولان له: ﴿وَيْلَكَ ءَامِنْ﴾ باللهِ والبَعْثِ ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بالبعثِ وثوابِ المؤمنِ وعقابِ الكافرِ ﴿حَقٌّ﴾: صِدْقٌ ﴿فَيَقُولُ﴾ لهما: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: إلا أباطيلُ الأوَّلين؛ أي: قد كتبَها الأوَّلونَ لا حقيقةَ لها.

قال السدِّيُّ: فاستجابَ اللهُ فيه دعوةَ أبي بكرٍ رضي الله عنه، فأسلَمَ وحسُنَ

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٩٥).

(٢) في (ف): «غيره».

إسلامُه، ولقد رأيتُه وما بالمدينةِ أعبدُ منه، قال: ولمَّا أسلَم نزلتْ فيه: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ﴾ [الأنعام: ١٣٢][1].

وأنكَرَ أكثرُ المفسِّرين هذا؛ لِمَا رُوِيَ عن عائشةَ أنها قالت لمروانَ بنِ الحكم حين خطَب زيادٌ بالمدينة، فأَثْنَى على معاويةَ وردَّ عليه عبدُ الرحمن، فقال مروانُ: هذا الذي قال لوالديه: ﴿أُفٍّ لَّكُمَآ﴾ = كذبْتَ، فإنها نزلَتْ في أبيكَ وأخيك.

وفي روايةٍ قالت: والله ما هو به، ولو شئتُ لسمَّيْتُه، ولكنَّ اللهَ لَعَنَ أباكَ وأنت في صُلْبه، فأنت ممَّن لعَنَه الله[2].

قال الزجَّاج: يدلُّ على أنها ليستْ في عبدِ الرحمنِ: أنَّ اللهَ تعالى أَخْبرَ بأنه من أهلِ النارِ في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ﴾[3].

---

(١) تتمة أثر السدي السابق. وهذا القول مردود، فإن عبد الرحمن بن أبي بكر قد أسلم وكان من أجلاء الصحابة، وإنما ينزل مثل هذا فيمن مات على كفره كأبي لهب والوليد بن المغيرة، وقد أنكرت عائشة رضي الله عنها هذا القول كما سيأتي، وقال الحافظ ابن كثير في «تفسيره» عند هذه الآية: «ومن زعم أنها نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما فقوله ضعيف؛ لأن عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه وكان من خيار أهل زمانه»، وسيشير المؤلف لضعف هذا القول لاحقاً.

(٢) رواه البخاري (٤٨٢٧) عن يوسف بن ماهك، قال: كان مروان على الحجاز استعمله معاوية، فخطب فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يبايع له بعد أبيه، فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر شيئًا، فقال: خذوه، فدخل بيت عائشة فلم يقدروا، فقال مروان: إن هذا الذي أنزل الله فيه: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ﴾، فقالت عائشة من وراء الحجاب: «ما أنزل الله فينا شيئًا من القرآن إلا أن الله أنزل عذري».
وفي رواية النسائي (١١٤٢٧)، والحاكم (٨٤٨٣) بلفظ: «كذب والله، ما هو به، وإن شئت أن أسمي الذي أنزلت فيه لسميته، ولكن رسول الله ﷺ لعن أبا مروانَ ومروانُ في صُلبه، فمروانُ فضضٌ من لعنة الله».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٤٤٣ ـ ٤٤٤).

قال مجاهدٌ: نزلت في عبد الله بنِ أبي بكر رضي الله عنه... إلى آخرِ القصَّة[1].

الحسن: لم يُرِدْ واحداً بعَيْنه، وإنما هو عامٌّ[2].

قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ﴾؛ يعني: ﴿لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ [الأعراف: ١٨].

وقيل: حقَّ خبرُ اللهِ أنه لا يُؤْمنُ.

قوله: ﴿فِيٓ أُمَمٖ﴾: في جملةِ أممٍ ﴿قَدۡ خَلَتۡ﴾: مَضَتْ ﴿مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ﴾: خَسِروا أنفُسَهم.

***

(١٩) ـ ﴿وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۖ وَلِيُوَفِّيَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾.

﴿وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ﴾: مراتبُ ﴿مِّمَّا عَمِلُواْ﴾.

وقيل: على قَدْرِ أعمالهم.

وقيل: أراد: درجاتٌ ودركاتٌ، فاقتصر على أحدِ الضِّدَّين.

﴿وَلِيُوَفِّيَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾؛ أي: جزاءَها ﴿وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾.

***

(٢٠) ـ ﴿وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنۡيَا وَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهَا فَٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ تَفۡسُقُونَ﴾.

﴿وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ قيل: بعدَ الدُّخولِ، وقيل: قبلَ الدخولِ عند إظهارِ العذابِ لهم.

﴿أَذۡهَبۡتُمۡ﴾؛ أي: يقالُ لهم: ﴿أَذۡهَبۡتُمۡ﴾.

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٨٠)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ١٠٩).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٤٥) بلفظ: «هو الكافر الفاجر العاق لوالديه، المكذب بالبعث».

قُرئ بالاستفهام والخبر[١]؛ الاستفهامُ بمعنَى التوبيخِ، والخبرُ هو الوجهُ.

﴿طَيِّبَٰتِكُمۡ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنۡيَا﴾: نِلْتُـمْ لَذَّاتِكـم وأَصَبْتُـم شَـهَواتِكُم فـي الدنيـا غيـرَ متفكِّريـن فـي حَرامِهـا وحَلالِهـا ﴿وَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهَا﴾: بمَلاذِّهـا، والهـاءُ تعـودُ إلـى الدنيـا، وقيـل: إلـى الطيِّبـات.

﴿فَٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ﴾: الذُّلَّ والهَوَان ﴿بِمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ﴾: تتكبَّرون ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ تَفۡسُقُونَ﴾؛ أي: باستكبارِكم وفِسقِكُم.

وقيل: الطيِّباتُ من الرِّزق: الحلالاتُ التي أنفقْتُموها في شهواتِكم ولذَّاتِكم ولم تُنْفِقوها في مرضاتِ الله تعالَى وتَقَدَّس.

وقيل: ﴿أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ﴾ في الآخرةِ بمعاصِيْكم في الحياةِ الدنيا.

وقيل: ﴿أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ﴾؛ أي: لذَّاتِ[٢] الدنيا التي نِلْتُموها بما استوجَبْتُم من عذابِ العُقْبى.

وقيل: ﴿طَيِّبَٰتِكُمۡ﴾: شبابَكم وقوَّتَكم، من قولِ العرب: ذَهَب أَطْيَباهُ.

المفضَّل: ﴿طَيِّبَٰتِكُمۡ﴾: حسناتِ أعمالِكُم بإنكارِكُم بهذه النار.

وعن عمرَ رضي الله عنه أنَّه قال: أنَا أعلمُ بالعَيش، فلو شئتُ لجعلتُ أكباداً وأسنِمةً وصِلاءً وصِنَاباً وصَلَائِقَ، ولكنْ أَسْتَبْقي حَسَناتي؛ لأنَّ الله وصفَ قوماً فقال: ﴿أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنۡيَا وَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهَا﴾؛ الصِّلاء: الشِّواء، والصِّنَابُ: الأصبِغةُ، والصَّلائِقُ: الرُّقاقُ العريض [من الخبز][٣].

---

(١) قرأ ابن كثير وابن عامر بهمزتين، وسهل ابن كثير الهمزة الثانية، وأدخل هشام عن ابن عامر بينهما ألفاً، وقرأ الباقون على الخبر. انظر: «السبعة» (ص: ٥٩٨)، و«التيسير» (ص: ١٩٩).

(٢) في (ن): «بدار».

(٣) رواه أبو عبيد في «غريب الحديث» (٤/ ١٦٢)، وابن المبارك في «الزهد» (٥٧٩)، وابن سعد =

وعن عمرَ رضي الله عنه أيضاً: أنَّ رجلاً دعاهُ إلى طعامٍ فأكل، ثم قدَّم شيئاً حُلواً، فامتنعَ وقال: رأيتُ اللهَ نَعى على قومٍ شهواتِهم فقال: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا﴾، فقال الرجلُ: اقرأْ يا أميرَ المؤمنين[1] ما قبْلَها: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ﴾ فلَسْتَ منهم، فأكَلَ وسَرَّه ما سَمِع[2].

***

(٢١) ـ ﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ﴾ يعني: هـوداً عليه السلام ﴿إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ﴾ وكان منهم فسمَّاه أخاهم، وعادٌ قومٌ من العربِ لهم قوَّةٌ وأَيْدٍ ومَنَعةٍ، وكانوا يَنْزِلون الأحقافَ، وهي مَنزِلٌ بين عُمَانَ وحَضْرَموتَ.

ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: وادٍ بينَ عُمَان ومَهَرةَ[3].

= في «الطبقات» (٣/ ٢٧٩)، وابن شبة في «تاريخ المدينة» (١١٤٦)، من طريق الحسن عن عمر رضي الله عنه، والحسن لم يسمع من عمر رضي الله عنه، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٩٦)، وعده من العجائب، وما بين معكوفتين منه، وفسّر القرطبي في «تفسيره» (٧/ ١٩٨) الصناب بأنه الخردل بالزبيب، والصلائق ما يلصق من اللحوم والبقول.

(١) في (ف): «يا عمر».

(٢) ذكره النيسابوري في «تفسيره» (٦/ ١٢٢).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٥١)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٦)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٨٢). ومَهَرة ـ بالتحريك ـ قيل: بلاد تنسب إليها الإبل، والصواب كما قال ياقوت في «معجم البلدان» (٥/ ٢٣٤): أنها قبيلة، وهي مهرة بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة تنسب إليهم الإبل المهرية، وباليمن لهم مخلافٌ بينه وبين عمان نحو شهر، وكذلك بينه وبين حضرموت.

الضَّحَّاكُ: جبلٌ بالشام(١).

قتادةُ: رمالٌ مُشْرِفةٌ على البحرِ بالشِّحْر من اليمن(٢).

الحسنُ: أرضٌ خلالَها رملٌ(٣).

والأحقافُ: جمعُ حِقْفٍ، وهو ما استطالَ واعْوَجَّ من الرَّملِ العظيم.

ورُوِيَ عن أميرِ المؤمنين(٤) عليٍّ رضي الله عنه: خيرُ واديَيْنِ في الناسِ وادٍ بمكةَ ووادٍ نَزَل به آدمُ عليه السلامُ بأرضِ هندٍ، وشرُّ واديَيْنِ في الناسِ: وادي الأحقافِ ووادٍ بحَضْرموتَ يُدْعَى: بَرَهُوتَ، يُلْقَى فيها أرواحُ الكفَّار، وخيرُ بئرٍ في النَّاسِ بئرُ زَمْزَمَ، وشرُّ بئرٍ في الناسِ بئرُ بلهوت في ذلك الوادِي الذي بحَضْرمَوْتَ(٥).

﴿وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ﴾: مَضَتِ الرُّسلُ ﴿مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ﴾ قبلَ هودٍ وبعدَه، وهذا اعتراضٌ. ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾: أي لا تَعْبُدوا(٦).

وقيل: قال لهم: ﴿لا تَعبُدوا إلّا اللهَ﴾.

وقيل: هو متصلٌ بـ﴿ٱلنُّذُرُ﴾. وفيه ضعف.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٤/ ١٠٦)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٥١) بلفظ: «جبل يسمى الأحقاف».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٥٢). والشِّحْر: منطقة على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن ما بين عدن وعمان. انظر: «معجم البلدان» (٣/ ٣٢٧).

(٣) لم أجده بهذا اللفظ، وروى الطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٥٢) عن الحسن أنه قال: «حشاف من حسمى».

(٤) «أمير المؤمنين» من (ف).

(٥) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٩١١٨)، والأزرقي في «أخبار مكة» (٢/ ٥٠)، والفاكهي في «أخبار مكة» (١١١٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٩٦)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٩٦) واستغربه.

(٦) أن على هذا القول تفسيرية.

﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ﴾ إنْ لم تؤمنوا ﴿عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾: هائلٍ، يريدُ يومَ القيامة. وقيل: يومَ عذابهم في الدنيا.

* * *

(٢٢) - ﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.

﴿قَالُوٓاْ﴾؛ أي: قومُ هودٍ: ﴿أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا﴾: لتَصْرِفنا ﴿عَنۡ ءَالِهَتِنَا﴾ إلى دِينك، وهذا ما لا يكون ﴿فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ من العذابِ الذي تُوْعِدُنا به ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ فيما تقولُ.

* * *

(٢٣) - ﴿قَالَ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ﴾.

﴿قَالَ﴾ هودٌ: ﴿إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ﴾ بوقتِ مجيءِ العذابِ ﴿عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ﴾ أي: الذي أُمِرْتُ بتبليغِه إليكم، وليس فيه تعيينُ وقتِ العذابِ، ﴿وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ﴾ لاستعجالِكم العذابَ، وقيل[1]: تجهَلون ما يجبُ من الاستماعِ منِّي. وقيل: تَجْهلون مَراشِدَكم.

* * *

(٢٤ - ٢٥) - ﴿فَلَمَّا رَأَوۡهُ عَارِضٗا مُّسۡتَقۡبِلَ أَوۡدِيَتِهِمۡ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٞ مُّمۡطِرُنَاۚ بَلۡ هُوَ مَا ٱسۡتَعۡجَلۡتُم بِهِۦۖ رِيحٞ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ بِأَمۡرِ رَبِّهَا فَأَصۡبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾.

﴿فَلَمَّا رَأَوۡهُ﴾؛ أي: ما وُعِدوا به واستعجَلوه، وهو العذابُ.

---

(١) «وقيل» من (ف).

وقيل: يعودُ إلى غيرِ مذكورٍ[١].

﴿عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ﴾ عَرَضَ في نَوَاحِي السَّماء ﴿قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ ذُكر أنَّ المطرَ كان قد احتبَسَ عنهم فاشتَدَّتْ حاجتُهم، فرأَوْا سحابةً استَقْبلَتْ أودِيَتهم فقالوا: هذا سحابٌ يأتينا بالمطرِ، فأظهَروا ذلك فرحاً.

ابن عيسى: العارِضُ: المارُّ سريعاً لا يَلْبَثُ[٢].

المفضَّل: العارِضُ: سحابٌ يعلو الأُفُقَ.

وقوله: ﴿مُّمْطِرُنَا﴾؛ أي: يُمطرُ السحابَ لنا، يقالُ: مَطَرتِ السَّحابُ، وأَمْطَرتِ الريحُ السحابَ.

وقيل: العربُ تسمِّي السحابَ الذي يُرَى في بعضِ أقطارِ السماء عشيًّا[٣]، ثم يصبحُ من الغدِ قد استوى وحبا بعضُه إلى بعضٍ عارضاً[٤].

﴿بَلْ هُوَ﴾؛ أي: قال هودٌ: بل هو ﴿مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ﴾ من العذابِ، ثم فسَّره فقال: ﴿رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ﴾: تُهْلِكُ ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ أُمِرَتْ بتدميرِه، والتدميرُ إهلاكُ استئصالٍ، وأصلُه من (دَمَرَ)؛ إذا دَخَل مِن غيرِ إذْنٍ.

وقيل: التدميرُ: أن يُرْمَى بعضُ الشيءِ على بعضٍ حتى يَهْلِكَ.

قوله: ﴿بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ يعودُ إلى الرِّيح **﴿فأصبحوا لا تَرَى إلَّا مساكنَهم﴾**؛ أي: فصاروا بحيثُ لو حضَرْتَ بلادَهم لا تَرَى إلا مساكنَهم.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٩٧)، واستغربه.

(٢) ذكر نحوه العز بن عبد السلام في «تفسيره» (٣/ ١٨٧) بلا نسبة.

(٣) في (ن): «غيثًا»، والمثبت من (ف) وهو الموافق لما «تفسير الطبري» (٢١/ ١٥٥) والكلام منه.

(٤) وذلك لعرضه في بعض أرجاء السماء حين نشأ. انظر: «تفسير الطبري» (٢١/ ١٥٥).

وقرئ: ﴿لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ﴾ بلفظ المجهول[١].

يقول: فجاءتْهُم الرِّيحُ فدمَّرَتْهم، فلمْ يَبْقَ منهم أحدٌ، وبقيَتْ مساكنُهم خاليةً لا ساكنَ فيها.

وعن النبيِّ ﷺ: «نُصِرْتَ بالصَّبَا، وأُهْلِكَتْ عادٌ بالدَّبُور»[٢].

﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾؛ أي: مَن أَجْرم مِثْلَ جُرْمِهم، وهذا تحذيرٌ لمشركي العرب.

وفي التفسير: فخرجَ هودٌ من بَيْنِ أظهُرِهم، ونزَلتِ الرِّيحُ في شِعْبِ مَوَاشِيْهم فهلَكَ الرُّعاةُ والأنعامُ، وحلَّقت بهم في السَّماءِ فقذفَتْهم في البحر، ثم تَتبَّعتْ أهلَ البيوتِ فجَعَلتْهم كالرَّميم.

***

(٢٦) ـ ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ﴾؛ أي: مكَّنَّا عاداً في البلادِ والمالِ والأولادِ ما لم نمكِّنْكُم فيه.

وقيل: ﴿إِن﴾ صلةٌ، والتقدير: مكَّنَّاهم فيما مكَّنَّاكم فيه[٣].

---

(١) قرأ عاصم وحمزة: ﴿لَا يُرَىٰٓ﴾ بالياء مضمومة ﴿إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ﴾ بالرفع، والباقون بالتاء مفتوحة وبالنصب. انظر: «السبعة» (ص: ٥٩٨)، و«التيسير» (ص: ٢٠٠).

(٢) رواه البخاري (١٠٣٥)، ومسلم (٩٠٠)، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٩٧)، واستغربه.

وقيل: ﴿إن﴾ للشرط، وجزاؤه مضمرٌ تقديرُه: في الذي إنْ مكَّنَّاكم فيه كان بغيُكم أكثرَ. حكاهُ أَقْضى القُضاة[1].

﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً﴾؛ أي: آلاتِ المداركِ والفهْم ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَارُهُمْ وَلَآ أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ﴾ فلم يُغنِ عنهم شيءٌ ممَّا كنتُ جعلْتُه لهم ﴿إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: لإقامتِهم على الجحودِ بأعلامه الدالَّةِ على التوحيد وصِدْقِ الرسول؛ أي: كانت لهم آلةُ الدَّفْعِ ولم يَقْدِروا على دَفْعِها.

﴿وَحَاقَ بِهِم﴾: نزلَ بهم وأحاطَ بهم ﴿مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ جزاءُ استهزائِهم. وقولُ مَن قال: ﴿وَحَاقَ﴾ بمعنى: حَقَّ، والألفُ بدلٌ من القاف = بعيدٌ ضعيفٌ.

* * *

(٢٧) ـ ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم﴾ يخاطبُ العربَ ﴿مِّنَ ٱلْقُرَىٰ﴾ كحِجْرِ ثمودَ، وقرى قومِ لوطٍ، ونحوِها ممَّا كان يجاورُ بلادَ الحجاز، ﴿وَصَرَّفْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ﴾ بتكريرِ ذكرِها وإعادةِ أَقاصيصِ الأُممِ الخاليَةِ بتكذيبِها وشِرْكِها ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عن شِرْكِهم.

وقيل: تصريفُ الآياتِ للعرب المخاطَبين دون الماضِين.

وقيل: للماضِينَ. وهو أظهرُ؛ لقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

* * *

(٢٨) ـ ﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ ۖ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾.

---

(١) انظر: «النكت والعيون» للماوردي (٥/ ٢٨٥)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٩٧)، وعده من العجائب.

﴿فَلَوْلَا﴾: فهلَّا ﴿نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةَۢ﴾؛ أي: اتَّخذوهم آلهةً، فـ﴿ءَالِهَةَۢ﴾ المفعولُ الثاني، و﴿قُرْبَانًا﴾ مفعولٌ له[1]؛ أي: للقُرْبةِ بزَعْمِهم.

﴿بَلْ ضَلُّواْ عَنْهُمْ﴾: هَلَكوا عنهم فلم يجدُوهم عند حاجتِهم إليه لدَفْعِ عذابِ الله عنهم، ﴿وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾؛ أي: وهذا محصولُ إفكِهم وتوقُّعِهم لشفاعةِ النصرةِ مِن عندهم، وقيل: ذلك عاقبةُ إفكِهم وافترائهم.

***

(٢٩) - ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾.

﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ عطفٌ على قولِه: ﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ﴾ ومعنى: ﴿صَرَفْنَآ﴾: صيَّرْناهم إليك، وقيل: سبَّبْنا ذلك، وقيل: ألجَأْناهم.

وقيل: وفَّقناهم بصَرْفنا إياهم عن بلادِهم إليك.

والجمهورُ على أنَّ سببَ ذلك: ما حَدَث من طَرْدِهم عن السَّماء برَجْمِهم بالشُّهُب، وكانوا قبلَ ذلك يقعُدون منها مَقاعِدَ للسَّمْعِ، وقالوا: لم يَحدُثْ هذا في السَّماء إلا بحادثٍ في الأرض، فتَتَبَّعوا[2] ذلك فوافَقُوا النبيَّ ﷺ بنَخْلةَ يُصلِّي بأصحابه؛ فمنهم مَن قال: كان يصلِّي صلاةَ العشاءِ الآخرةِ، ومنهم مَن قال: كان يصلِّي صلاةَ الصبحِ، فقرأ فيها سورةَ ﴿ٱقْرَأْ﴾[3].

---

(١) قال المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٩٨): «الغريب: فيه تقديم وتأخير، أي: اتخذوا آلهة قربانًا. العجيب: مصدر، وقيل: مفعول له».

(٢) في (ف): «فتتبعون».

(٣) روى معنى ما تقدم البخاري (٤٩٢١)، ومسلم (٤٤٩)، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وفيه: «انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين =

وقيل: كان يصلِّي وحده.

ثم من المفسِّرين مَن قال: لم يكن ذلك بعِلْمٍ منه عليه السلامُ، حتى أوحَى اللهُ تعالى إليه فأَخبرَه بما كان منهم(١).

ومنهم مَن قال: بل أُمِرَ ﷺ بذلك، فقال لأصحابه: «إنِّي أُمِرْتُ أن أقرأَ القرآنَ على الجنِّ فأيُّكم يَتْبَعني؟» فأطرَقوا، قالها ثلاثاً، فاتَّبَعه ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه، فدخَل رسولُ الله ﷺ شِعْبَ الحَجُون، وخطَّ على ابنِ مسعودٍ وقال له: «لا تَبْرَحْ حتَّى آتِيَكَ»(٢).

= خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا: ما لكم؟ قالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب. قالوا: ما ذاك إلا من شيء حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا ما هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء، فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها، فمر النفر الذين أخذوا نحو تهامة ـ وهو بنخل ـ عامدين إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له وقالوا: هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء، فرجعوا إلى قومهم فقالوا: يا قومنا ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ① يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ [الجن: ١ ـ ٢] فأنزل الله عز وجل على نبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾».

(١) رواه مسلم (٤٤٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن وما رآهم... وانظر باقي الحديث في التعليق السابق.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤٣٨١)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٩٩٦٢). وإسناده ضعيف لجهالة أبي زيد مولى عمرو بن حريث المخزومي. وانظر: «الدراية في تخريج الهداية» لابن حجر (١/ ٦٦).

ورواه الإمام أحمد أيضاً من طريق آخر (٣٧٨٨)، وله روايات أخر تنظر في حواشي «المسند» ولا يخلو كل منها من مقال، وهي تخالف ما صح عند مسلم (٤٥٠) من حديث ابن مسعود: أنه لم يكن مع النبي ﷺ ليلة الجن، وأنه قال: لم أكن ليلة الجن مع رسول الله ﷺ، وودت أني كنت معه. وفي رواية: قال علقمةُ: أنا سألتُ ابنَ مسعودٍ فقلتُ: هل شَهِدَ أحدٌ منكم مع رسولِ الله ﷺ ليلةَ الجنِّ؟ =

ورُوِي عن ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه: أنه قال للنبيِّ ﷺ: لمَّا خَشِيْتُهم كدتُ أذهبُ، فتذكَّرْتُ قولَكَ لي: لا تَبْرَحْ، فقال له عليه السلام: «لو ذهبتَ ما الْتَقَيْنا إلى يومِ القيامة»(١).

ورُوي عن ابنِ مسعود رضي الله عنه: أنه رأى رجالاً من الزُّطِّ طِوالاً شُمْطاناً سوداً، فقال: هم أشبهُ شيءٍ بالجنِّ الذين(٢) قرأ عليهم النبيُّ عليه السلام القرآنَ(٣).

ورُوِيَ عنه رضي الله عنه: أنه قال: فسمعْتُ لغَطًا شديداً حتى خِفْتُ على رسولِ اللهِ ﷺ، ثم علا القرآنُ أصواتَهم، فلمَّا رجَعَ رسولُ الله ﷺ سألْتُه عن اللَّغط فقال: «اختَصَموا إليَّ في قتيلٍ كان بينَهم فقضَيْتُ بينَهم»(٤).

وعن ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه: أنه قال: قال لي رسولُ اللهِ ﷺ: «أَمَعَكَ ماءٌ؟» قلتُ: يا رسولَ الله، معي إداوةٌ فيها شيءٌ من نبيذ التَّمْر، فاستدعاه فصَبَبْتُ على يدِه فتوضَّأ وقال: «تمرةٌ طيِّبةٌ وماءٌ طهور»(٥).

= قال: لا... الحديث.

قال القاضي عياض في «إكمال المعلم» (٢/ ٣٦٢): وقول ابن مسعود: «إنه لم يكن منهم أحد مع النبي ﷺ ليلة الجن» يردُّ الحديث الآخر المذكور فيه حضوره معه، وهذا الحديث أثبت.

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٩٦) عن عكرمة.

(٢) في (ف): «الذي».

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤٣٥٣) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٦٧) عن قتادة مرسلًا.

(٥) رواه أبو داود (٨٤)، والترمذي (٨٨)، وابن ماجه (٣٨٤) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

وقال الترمذي: «وإنما روي هذا الحديث عن أبي زيد، عن عبد الله، عن النبي ﷺ، وأبو زيد رجل مجهول عند أهل الحديث لا تعرف له رواية غير هذا الحديث، وقد رأى بعض أهل العلم الوضوء بالنبيذ؛ منهم سفيان وغيره، وقال بعض أهل العلم: لا يتوضأ بالنبيذ، وهو قول الشافعي، وأحمد، =

واختلفوا في عَدَدِهم:

ابن عباس رضي الله عنهما: كانوا تسعةً من جنِّ نَصِيبِين[1].

وقيل: من أهلِ نِيْنَوَى.

عكرمةُ: كانوا عشرةً من جزيرةِ المَوْصِل[2].

زرُّ بنُ حُبَيْشٍ: كانوا تسعةً، وفيهم زوبعةُ[3].

مجاهدٌ: كانوا سبعةً؛ ثلاثةً من نجرانَ، وأربعةً من نَصِيْبِينَ، وعدَّ أسماءهم[4].

وقيل: كانوا سبعينَ من بني إقليتَى[5]، وفيهم زوبعةُ.

وإسحاق، وقال إسحاق: «إن ابتلي رجل بهذا فتوضأ بالنبيذ وتيمم أحب إلي»، وقول من يقول: لا يتوضأ بالنبيذ، أقرب إلى الكتاب وأشبه؛ لأن الله تعالى قال: ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [النساء: ٤٣]». قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١/ ٣٥٤): «وهذا الحديث أطبق علماء السلف على تضعيفه وقيل على تقدير صحته: إنه منسوخ؛ لأن ذلك كان بمكة ونزول قوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ﴾ إنما كان بالمدينة بلا خلاف، أو هو محمول على ماء ألقيت فيه تمرات يابسة لم تغير له وصفًا...».

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٦٥) بلفظ: «كانوا سبعة نفر من أهل نصيبين، فجعلهم رسول الله ﷺ رسلًا إلى قومهم».

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٩٦) بلفظ: «هم اثنا عشر ألفاً جاؤوا من جزيرة الموصل». وهكذا ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٨٦).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٦٥)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٨٦). وجاء في هامش (ن): «زوبعة ابن إبليس».

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٨٦)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٩٨)، واستغربه.

(٥) في (ف): «إقليثى»، وفي «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٩٨): «أقليش».

قال القفَّالُ: والذي في ظاهرِ الكتابِ: أنَّ الله تعالى صرفَ نَفَراً من الجنِّ يستمعون القرآن، وليس في شيءٍ من ذلك أنهم خاطَبُوه ولا خاطَبَهم هو، وإنما فيه أنهم استَمَعوا القرآنَ فآمَنوا، ورَجَعوا إلى قومِهم فأَعْلَموهم وأَنْذَروهم.

ورُوِي: أنَّهم خاطَبوا النبيَّ ﷺ فسألوه أشياءَ، منها أنهم قالوا: يا رسولَ الله، إنَّ الأرضَ التي بيننا وبينكَ مَحْلٌ لا تُنْبِتُ عوداً[١]، فأعطاهم رَوْثةً وعَظْماً وقال: «لكمْ بالرَّوثةِ كلَّ تربةٍ تمرُّون بها خراباً مِثْلُها يومَ كانتْ مُخْصِبةً، ولكم بكلِّ عظمٍ مرَرْتُم به مِثْلُه يومَ كان عليه اللحمُ»، فمِن ثَمَّ نَهَى أنْ يُستنجَى بروثٍ أو عظمٍ[٢].

ثم بَعَثَهم رسولُ اللهِ ﷺ إلى سائرِ الجنِّ منذِرين، فكانوا رُسُلَ رسولِ الله.

---

(١) في (ف): «لا ينبت»، «عوداً»: ليس في (ف).

(٢) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وروى البخاري (٣٨٦٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان يحمل مع النبي ﷺ إداوة لوضوئه وحاجته، فبينما هو يتبعه بها، فقال: «من هذا؟» فقال: أنا أبو هريرة، فقال: «ابغني أحجارًا أستنفض بها، ولا تأتني بعظم ولا بروثة». فأتيته بأحجار أحملها في طرف ثوبي، حتى وضعتها إلى جنبه، ثم انصرفت حتى إذا فرغ مشيت، فقلت: ما بال العظم والروثة؟ قال: «هما من طعام الجن، وإنه أتاني وفد جن نصيبين، ونعم الجن، فسألوني الزاد، فدعوت الله لهم أن لا يمروا بعظم ولا بروثة إلا وجدوا عليها طعامًا».

وروى الترمذي (٣٢٥٨) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وفيه: «أتاني داعي الجن، فأتيتهم فقرأت عليهم» قال: فانطلق فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم ـ قال الشعبي ـ وسألوه الزاد وكانوا من جن الجزيرة، فقال: «كل عظم يذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما كان لحماً، وكل بعرة أو روثة علف لدوابكم» فقال رسول الله ﷺ: «فلا تستنجوا بهما؛ فإنهما زاد إخوانكم من الجن». وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

ورواه أبو داود (٣٩) عن عبد الله بن مسعود، قال: قدم وفد الجن على رسول الله ﷺ، فقالوا: يا محمد، انه أمتك أن يستنجوا بعظم أو روثة أو حممة؛ فإن الله تعالى جعل لنا فيها رزقًا، قال: «فنهى رسول الله ﷺ عن ذلك».

وقيل: لم يكونوا رسلاً، بل كانوا منذِرين، ولم يَبْعثِ الله رسولاً إلى الثَّقَلين إلا محمداً ﷺ.

قوله: ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ﴾؛ أي: محمداً، وقيل: القرآنَ، وقيل: استماعَ القرآن ﴿قَالُوٓاْ﴾: قال بعضُهم لبعضٍ: ﴿أَنصِتُواْ﴾ لسماعِ القرآن ﴿فَلَمَّا قُضِىَ﴾: فَرَغ النبيُّ ﷺ من القراءة ﴿وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ قيل: مُعلِّمين[1].

وقيل: منذِرين إيَّاهم برسولِ الله ﷺ.

* * *

(٣٠) ـ ﴿قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

﴿قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا﴾: قرآناً ﴿أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ ذهبَ بعضُهم إلى أنَّهم كانوا هوداً ولهذا قالوا: ﴿مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾.

ابن عباس: كانت الجنُّ لم تسمعْ أمرَ عيسَى عليه السلام، ولذلك قالوا: ﴿مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾[2].

﴿مُصَدِّقًا﴾: مُوافقاً ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكُتُب ﴿يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾؛ أي: إلى دينِ الحقِّ، وقيل: إلى[3] اللهِ ﴿وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

* * *

---

(١) في (ف): «مسلمين».

(٢) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ١٠٦) نقلًا عن كتاب الثعلبي، ولم يرد في «تفسير الثعلبي».

(٣) في (ف) زيادة: «دين».

(٣١) - ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: محمداً ﴿وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

* * *

(٣٢) - ﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: كَفَر بمحمدٍ ﷺ ﴿فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ بأنْ لا يَلْحقَه عذابٌ ﴿وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ﴾ يمنعُونه منه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

* * *

(٣٣) - ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧيَ ٱلْمَوْتَىٰۚ بَلَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ﴾ قيل: لم يتعبْ، وقيل: لم يَعْجزْ، وقيل: لم يَذْهَبْ عليه وجهُ الحكمةِ في خَلْقه، من قولك: عَيِيْتُ بهذا الأمر؛ إذا لم تعرفْ وجهَه وتحيَّرْتَ فيه.

﴿بِقَٰدِرٍ﴾ قيل: الباءُ دخلَ خبرَ ﴿أَنَّ﴾ زيادةً، ومثلُه: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ﴾ [النساء: ٦](١).

وقيل: دخلَ للتعجُّبِ؛ كقوله: ﴿أَبْصِرْ بِهِۦ﴾ [الكهف: ٢٦]، وهذا مزيَّف(٢)، والباءُ دخلَ لمكانِ النَّفْي في أول الكلام، ولأنَّ المعنى: أليس اللهُ بقادر؟

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٠٠)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٠٠)، وعده من العجائب.

﴿عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰۚ بَلَىٰٓ﴾ جوابٌ للنَّفْي ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ من الإحياءِ والإماتةِ ﴿قَدِيرٞ﴾: قادرٌ بذاتِه.

* * *

(٣٤) - ﴿وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ﴾.

﴿وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ فيقالُ لهم: ﴿أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّ﴾؛ أي: هذا الجزاءُ حقٌّ لا باطلٌ.

وقيل: معناه: أليس هذا بمستحَقٍّ لكم؟

﴿قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾ اعترَفوا به وحلَفوا عليه.

﴿قَالَ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ﴾: بكُفْرِكم في الدُّنيا.

* * *

(٣٥) - ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭۚ بَلَٰغٞۚ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾.

﴿فَٱصۡبِرۡ﴾ يا محمدُ على أذى قومِكَ[1] وعلى إقامتِهم على تكذيبِكَ ﴿كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾؛ أي: من رسلِ اللهِ الذي أنت من جملتِهم.

والعزمُ: توطينُ النفسِ على الفعلِ مع البصيرةِ.

وقيل: العزمُ: القوَّةُ والثَّبات.

والمحقِّقون على أنَّ جميع رسلِ الله أُولو العَزْم[2].

---

(١) في (ف) زيادة: «لك».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٧٧) عن ابن زيد.

و﴿مِنَ﴾ في الآيةِ للتبيينِ لا للتَّبعيضِ؛ كقوله: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ [الحج: ٣٠].

وذهب بعضُهم إلى أن أولي العَزْم: نوحٌ وإبراهيمُ وموسَى وعيسى ومحمدٌ عليهم السلام[1].

السُّدِّي: الذين أُمروا بالقتالِ من الرسل[2].

أبو العاليةِ: كانوا ثلاثةً رابعُهم[3] محمدٌ: نوحٌ وإبراهيمُ وهودٌ ومحمدٌ عليهم السلام[4].

وقيل: هم الذين أُوْذُوا في سبيل الله.

وقيل: هم أصحابُ الشرائعِ.

ابن جُريجٍ: ليس منهم يونسُ؛ لقوله: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ [القلم: ٤٨]، ولا سليمانُ، ولا آدمُ عليهم السلام؛ لقوله: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥][5]، وقد سَبَق في موضِعِه.

﴿وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾: لا تسألِ اللهَ أنْ يُعجِّلَ عذابَهم وإهلاكَهم.

﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ﴾؛ أي: يَرَون العذابَ في القيامة، وقيل: في الدنيا.

﴿لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾: أقلَّ ما يكونُ من الزَّمان، استقصَروا تلك المدَّةَ لِمَا دُفِعوا إليه من العذابِ في الدنيا. وقيل: في القبر.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٧٧) عن عطاء الخراساني.

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٨٨).

(٣) في (ف): «ربعهم».

(٤) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٤/ ١٥٤)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٨٨).

(٥) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٨٩).

وقيل: في القيامة.

وقيل[١]: يُنسيْهم هولُ ما ينزلُ بهم مدةَ اللَّبْث.

﴿بَلَٰغٌ﴾ قيل: هذه السورةُ بلاغٌ تَبْلُغُ[٢] الكفايةَ في الحاجةِ لِمَن تَدبَّرَ.

الحسن: القرآنُ بلاغٌ[٣].

وقيل: ذلك اللَّبْثُ بلاغٌ.

وقيل: ﴿سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾ بلاغٌ؛ أي: يسيرةٌ.

وقيل: هو بلاغٌ؛ أي: الإتيانُ بالرسالة بلاغٌ؛ أي: إذا بلَّغْتَ فقد فعلْتَ ما وَجَب عليك.

ووقَفَ أبو حاتمٍ على قوله: ﴿وَلَا تَسْتَعْجِل﴾ على تقديرِ: لهم بلاغٌ؛ أي: وقتٌ يبلغون إليه[٤].

و﴿بَلَٰغٌ﴾ مبتدأٌ و﴿لَّهُمْ﴾ خبرُه، وما بينهما اعتراضٌ قائمٌ بنفسِه متَّصلٌ به في المعنى.

وقيل: ﴿بَلَٰغٌ﴾ واقعٌ موقعَ: بَلِّغْ.

قيل: إنها منسوخةٌ بآيةِ السيف.

وقيل: مُحْكَمةٌ[٥].

---

(١) «وقيل» من (ن).

(٢) في (ف): «يبلغ».

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٨٩).

(٤) ذكره أبو بكر الأنباري في «الوقف والابتداء» (٢/ ٨٩٥) عن قوم لم يسمهم، ثم تعقبه بقوله: «وهذا خطأ؛ لأنك قد فصلت بين «البلاغ» وبين اللام ـ وهي رافِعَتُه ـ بشيءٍ ليس منهما».

وذكر نحوه الداني في «الوقف والابتدا» (ص: ١٩٧).

(٥) «وقيل محكمة» ليس في (ن).

﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾: المشركون؛ أي: فلن يُهْلَكَ بعدَ هذا البلاغِ بعذابِ اللهِ إلا مَن خَرَجَ عن[1] طاعةِ الله.

قيل: هي أرجَى آيةٍ في الرَّحمة.

وعن مقاتلٍ: أنها نزلتْ يومَ أحدٍ[2].

وصلَّى الله على محمدٍ وآلِهِ وصَحْبِه أجمعين[3].

* * *

---

(١) في (ف): «من».

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٨٩).

(٣) «وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين»: ليس في (ف).

سُورَةُ مُحَمَّدٍ

سورة محمد ﷺ

ويقالُ لها: سورةَ القتال.

ثمانٍ وثلاثون آيةً(١)، مدنيَّةٌ.

ابن عباس وقتادة: إلا آيةً نزلَتْ حين خرجَ رسولُ الله ﷺ من مكةَ فنظر إليها حزناً عليها، وهي قولُه: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَتْكَ﴾ الآية [محمد ١٣](٢).

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: مَنعوا النـاسَ عـن الإيمـانِ، صـدُّوا وامتَنعـوا

---

(١) «ثمان وثلاثون آية»: ليس في (ف). وانظر: «البيان في عد آي القرآن» (ص: ٢٢٨)، وفيه: «وهي ثلاثون وثماني آيات في الكوفي، وتسع في المدنيين والمكي والشامي، وأربعون آية في البَصريّ، اختلافها آيتان ﴿أَوْزَارَهَا﴾ لم يَعُدَّها الكوفي وعدَّها الباقون، ﴿لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ عدَّها البَصري ولم يعدها الباقون». ولم يذكر الداني سوى القول بمدنيتها، وهو ما صححه أبو حفص النسفي في «التيسير في التفسير». وقال هبة الله في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ١٦٥): «وهي من السُّور المُختَلَف في تنزيلها، فقالت طائفة: نزلت بمكة، وهو مَرويّ عن السّدي والضحاك، وقال آخرون: نزلت بالمدينة، وهو مرويّ عن مجاهد، وهي إلى تنزيل المدينة أشبه، والله أعلم».

(٢) ذكره عنهما الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٩٠)، ورواه أبو يعلى كما في «المطالب العالية» (١٥/ ٢٢١)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٩٨)، وابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» عند هذه الآية، من طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما.

عن الإيمان صدوداً، ﴿أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾: جَعَلها ضَلالاً على غيرِ هُدًى.

وقيل: أبطَلَ كيدَهم بالمؤمنين.

وقيل: أبطَلَ ثوابَها وصيَّرَها عقاباً.

وقيل: أبطَلَ صِلتَهُمُ الأرحامَ، وإطعامَهُمُ الطعامَ، وعِمارتَهُمُ المسجدَ الحرام.

وعن ابن عباسٍ رضي الله عنهما: أنها نزلَتْ في المطعِمِينَ يومَ بدرٍ[1].

مقاتلٌ: كانوا اثني عشرَ رجلاً[2].

النقَّاش: هم أبو جهلٍ، وعتبةُ، وشيبةُ، والوليدُ بنُ عتبةَ، وعقبةُ بن أبي مُعَيطٍ، وأميَّةُ بنُ خَلَفٍ، ومُنبِّهٌ، ونبيهٌ، وحَكيمُ بنُ حزامٍ، وزَمعَةُ بنُ الأسودِ، والحارثُ بنُ عامرِ بنِ نوفلٍ، وأبو البَخْتَرِيِّ، كانوا يصدُّون الناسَ عن الإيمانِ ويأمُرونهم بالكفر.

وسبيلُ الله: كلُّ ما أُريدَ به وجهُ الله.

* * *

(٢) ـ ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّٰلِحَٰتِ﴾ بالمُواساةِ؛ يعني: الأنصارَ.

وقيل: بالهجرة، يعني: المهاجرين.

وقيل: هم المهاجرون والأنصارُ.

وقيل: هو عامٌّ.

---

(١) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٢٩٦)، والواحدي في «البسيط» (٢٠/ ٢١١) عن الكلبي.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٤٣)، وقد سماهم، وهم الذين عدهم النقاش فيما سيأتي.

﴿وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ﴾ يعني: القرآنَ ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ لأنَّه ناسخٌ لسائرِ الكتبِ، والناسخُ حقٌّ.

وقيل: ﴿هو﴾ يعودُ إلى محمدٍ ﷺ.

وقيل: يعودُ إلى إيمانهم.

﴿كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾: غَفرَها لهم وسَترَها عليهم.

﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾: شأنَهم في دِينهم ودُنياهم، والبالُ لا يثنَّى ولا يُجمَعُ[1].

النقَّاش: ﴿بَالَهُمْ﴾: قلوبَهم؛ أي: أَمْرَ دِينهم، وأنشدَ:

لو كنتُ من بالِكَ لم تَنْسَني ... لكنَّني لم أكُ مِن بالكا[2]

* * *

(٣) ـ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى الإضلالِ والإصلاحِ ﴿بِأَنَّ﴾: بسببِ أنَّ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَٰطِلَ﴾: الشيطانَ ووساوِسَه، ﴿وَأَنَّ﴾: وبأنَّ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ محمداً والقرآنَ ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ﴾: يبيِّنُ اللهُ ﴿لِلنَّاسِ﴾: محمدٍ ﷺ، وقيل: عامٌّ ﴿أَمْثَٰلَهُمْ﴾: أمثالَ حَسَناتِ المؤمنينَ وسيِّئاتِ الكافرين.

وقيل: ﴿أَمْثَٰلَهُمْ﴾: صفاتِ أفعالِهم.

وقيل: إخبارُه عن الفريقينِ بغيرِ تصريحٍ مثلٌ مضروبٌ لهما؛ لأنه مَثَلٌ لحالهما، وهذا حقيقةُ ضَرْبِ المَثَل.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٠١)، واستغربه. في هامش (ن): «قال الشيخ: إذا أردت بالبال القلبَ فتدخل عليه التثنية والجمع».

(٢) لم أقف عليه.

(٤ ـ ٥) ـ ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾.

﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ في دارِ الحرب، وقيل: في القتالِ ﴿فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾: فاضْربوا أعناقَهُم، وخَصَّ الرِّقابَ لأنَّه لا يعيشُ بعدَه.

وقيل: هذا تعليمٌ للقتلِ(١).

وقيل: كنايةٌ عن القتلِ بالسِّلاح(٢).

و﴿ضَرْبَ الرِّقابِ﴾ مصدرٌ مضافٌ إلى المفعول.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ﴾: ظَفِرْتُم بهم وأكثَرْتُم فيهم القتلَ وثَقُلَ أَمْرُكم عليهِم، وأصلُ الثخنِ: الثِّقَلُ.

﴿فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ﴾: ائسِرُوهم وشُدُّوهم بالحبالِ والسُّيُور المحكَمةِ الوَثيقة.

﴿فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾؛ أي: إمَّا أنْ تَمنُّوا عليهم بعفوٍ من غيرِ عِوَضٍ، وإمَّا أنْ تُفَادُوهم فداءً بمالٍ.

وقيل: ﴿مَنًّا﴾ بالعِتق ﴿وَإِمَّا فِدَآءً﴾ بالبيعِ.

و(الفِداءُ) هاهنا: مصدرُ (فادَى) فهو ممدودٌ ومكسورٌ، وإذا كان من (فَدَيْتُ) جازَ فيه المدُّ مفتوحاً ومكسوراً ومضموماً، وجازَ القصرُ مفتوحاً لا غير(٣).

﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ ﴿حَتَّىٰ﴾ متَّصلٌ بالقتلِ والأسر.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٠٢)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٠٢)، وعده من العجائب.

(٣) انظر: «المقصور والمحدود» للقالي (ص: ١١٢).

الحسن: فيه تقديمٌ وتأخيرٌ، تقديره: فضَرْبَ الرِّقابِ حتى تَضَع الحربُ أوزارَها[١].

والمعنى عند الفرَّاءِ: حتى تضعَ حربُكم أوزارَ كفرِهم بالإسلام؛ أي: آثامَهم، فلا يبقَى إلا مسلمٌ أو مسالمٌ[٢].

قتادةُ: حتى لا يكونَ شركٌ[٣].

مجاهدٌ وسعيدٌ: حتى يَخرجَ عيسى ابنُ مريمَ عليه السلام[٤].

وروَى أبو هريرةَ رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «يوشِكُ مَن عاش منكم أن يَلْقَى عيسَى إماماً هادياً وحَكَماً عَدْلاً يَكْسِرُ الصَّليبَ ويَقتُلُ الخنزيرَ، وتضعُ الحربُ أوزارَها حتى تدخُلَ كلمةُ الإخلاصِ كلَّ بيتٍ مِن وَبَرٍ أو مَدَرٍ بعزِّ عزيزٍ أو ذلِّ ذليلٍ، ويَبْتَزُّ قريشاً الإمارةَ»[٥]؛ أي: يَنْزِعُها عنهم.

---

(١) ذكره عن الحسن القرطبي في «تفسيره» (١٦/ ٢٢٧). وذكره ابن أبي زمنين في «تفسيره» (٤/ ٢٣٦) من قول يحيى، وليس في المطبوع من «تفسير يحيى بن سلام» فإنه ينتهي بسورة (الصافات).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٥٧ ـ ٥٨).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٨٧٢)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٨٨).

(٤) ذكره عنهما النحاس في «معاني القرآن» (٦/ ٤٦٣)، والسمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٢٩٨). ورواه عن مجاهد الطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٨٨)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٠٣)، واستغربه.

(٥) رواه نعيم بن حماد في «الفتن» (١٦٠٩)، وأبو بكر الشافعي في «الغيلانيات» (٨٢٤) موقوفًا على أبي هريرة رضي الله عنه، ورواه نعيم بن حماد في «الفتن» (١٥٩٥) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما موقوفًا عليه. وفي جميع هذه الروايات: «وتبتز قريشٌ الإمارة» بالتاء في «تبتز»، والرفع في كلمة «قريش»، فلعل «تُبْتَزُّ» مبني للمفعول فيوافق ما شرح المؤلف.

وأصل الحديث رواه البخاري (٢٤٧٦)، ومسلم (١٥٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا بلفظ: «لا تقوم الساعة حتى ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطًا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال، حتى لا يقبله أحد».

وقيل: حتى يَضَعَ أهلُ الحربِ أوزارَ الحربِ، وهي السلاحُ، وفسَّره الأعشى رماحاً وخيلاً ودروعاً(١).

وقيل: حتى تَضَعَ الحربُ ثِقلَها عنكم وتَخِفَّ عليكم.

وقيل: الحربُ جمعُ حارِبٍ، فلا يُحتاجُ إلى إضمارِ الأهل(٢).

وفي النسخِ أقوالٌ:

قال بعضُهم: الآيةُ منسوخةٌ، وهي في أهل الأوثانِ؛ لا يجوزُ أن يفادَوا ولا يمنَّ عليهم، والناسخُ لها ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ٥].

وقال بعضُهم: هي ناسخةٌ، ولا يجوزُ أن يُقتَلَ الأسير، ولكنْ يُمنُّ عليه أو يُفادَى.

وقال بعضُهم: لا يجوزُ الأسرُ إلا بعدَ الإثخانِ والقتل، فإذا أُسرَ العدوُّ بعدَ ذلك فللإمامِ أن يَحْكُمَ فيه بما يَرَى من قتلٍ أو منٍّ أو مُفاداةٍ.

﴿ذَلِكَ﴾؛ أي: الحكمُ فيهم ذلك، فهو مبتدأٌ وخبرٌ.

وقيل: افعَلْ بهم ذلك، فهو نصبٌ.

﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ﴾ بغيرِ قتالٍ، أو بغيرِكم، أو بالملائكة، أو يسلِّطُ عليهم أضعفَ خَلْقِه.

---

(١) وهو قوله:

وأَعـدَدْتَ للحرب أوزارَهـا ... رِمَاحاً طِوالاً وخَيْلاً ذُكُورَا

انظر: «ديوان الأعشى» (ص: ١٤٩)، و«العين» (٧/ ٣٨١)، و«السلاح» لأبي عبيد (ص: ٣٠)، و«المعاني الكبير» لابن قتيبة (٢/ ٩٢١)، و«غريب القرآن» له (ص: ٤٠٩)، و«الصحاح» مادة: (و ز ر).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٠٣)، وعده من العجائب.

﴿وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾: يمتَحِنكم بمقاتلةِ الكفارِ ليَظْهرَ المُحِقُّ من المُبْطِلِ، فيجازِيَكم على ما يَظْهرُ.

﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: الشهداءُ، وقُرئ: ﴿قاتلوا﴾[1] أي: المجاهدون، ﴿فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ خلافَ الكفار.

﴿سَيَهْدِيهِمْ﴾ إلى الثوابِ؛ يعني: الشهداءَ.

وقيل: يثبِّتُهم على الهداية؛ يعني: المجاهدين.

وقيل: سيَهْدِيهِم إلى جوابِ المنكَرِ والنَّكيرِ في القبر.

﴿وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾: أمرَ معاشِهِم في الدُّنيا، وقيل: حالَهم في النَّعيم، وكرَّر لأنَّ الأولَ سببُ النعيم، والثاني نفسُ النعيم.

ويحتمِل على قياسِ قولِ النَّقَّاش: قلوبَهم بإخراجِ الغِلِّ منها[2].

* * *

(٦) - ﴿وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾.

﴿وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ جعَل كلَّ واحدٍ يَعرِفُ منزِلَه من الجنَّة.

وقيل: يعرِّفُها لهم الحَفَظةُ.

ابن عيسى: عرَّفها بوَصْفِها على ما يشوِّقُ إليها؛ ليَعْمَلوا بما يَستَوْجِبونها[3].

وقيل: عرَّفهم حالَ الجنةِ ومآلَهم فيها بما وصَفَها به في القرآن.

---

(١) قرأ أبو عمرو وحفص: ﴿قُتِلوا﴾ بضم القاف وتخفيف التاء، والباقون: (قاتَلوا). انظر: «السبعة» (ص: ٦٠٠)، و«التيسير» (ص: ٢٠٠).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٠٣)، وعده من العجائب.

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٩٤).

وقيل: طيَّبها لهم، من (العَرْفِ)، وهو: الرِّيحُ الطيِّبةُ التي تَقْبلُها النَّفْسُ.

وقيل: عرَّف أهلَ السماءِ أنها لهم، حكاهُ الماورديُّ(١).

وقيل: عرَّف أن طريقَ الوصولِ إليها بالحسَنات(٢).

* * *

(٧) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ﴾؛ أي: نبيَّ اللهِ بالجهادِ معه لإظهارِ دينِ اللهِ ﴿يَنصُرۡكُمۡ﴾ على عدوِّكم ﴿وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ يشجِّعْكم ويقوِّ قلوبكُم(٣) فتَثْبُتُوا وتُنْصَروا.

وقيل: يُثبِّتْ أقدامَكم على الصِّراط.

قتادةُ: حقٌّ على اللهِ أنْ يَنصُرَ مَن نَصَره؛ لقوله: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ﴾، وأن يزيد مَن شَكَره؛ لقوله: ﴿لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡ﴾ [إبراهيم: ٧]، وأن يذكُرَ مَن ذكَره؛ لقوله: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [البقرة: ١٥٢]، وأنْ يُوْفيَ بعهده؛ لقوله: ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ﴾(٤).

* * *

(٨) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ وَأَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ﴾ في الدُّنيا بالقتلِ، وفي العُقبَى بالتردِّي في النار؛ أي: عِثَاراً لهم، ضدَّ الانتعاشِ(٥) وتثبيتِ الأقدام.

---

(١) انظر: «النكت والعيون» (٥/ ٢٩٥)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٠٤)، واستغربه.

(٢) في (ف): «الحسنات».

(٣) في (ن): «ويقويكم».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفاسير» (٢/ ١١٠٤).

(٥) كذا في النسختين، ولعله «الانتصار» فتصحف، والله أعلم.

وقيل: ﴿تَعْساً﴾: هلاكاً، وكَسْراً، وحُزناً، وبُعْداً، وشقاءً، وشتمًا، وخَيبةً، وقُبحاً، ورغماً، هذا كلُّه كلامُ المفسِّرين، والوجهُ هو الأولُ، والمعنى: أَتْعَسَهم اللهُ فتَعِسوا تَعْساً(١)، ولهذا عَطَف عليه بالفعل فقال: ﴿وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾؛ أي: التي لولا كفرُهم لكانتْ حسَناتٍ.

* * *

(٩) ـ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: التَّعْسُ والضَّلالُ ﴿بِأَنَّهُمْ﴾: بسببِ أنَّهم ﴿كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾: استثْقَلوا القرآنَ ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ فلم ينالوا بها خيراً.

ابنُ عيسى: إنَّما كرَّر ليكونَ كلَّما ذُكِروا وُصِلَ ذكرُهم بالذَّمِّ والتحقيرِ والإخبارِ بسوءِ الحال.

* * *

(١٠) ـ ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ يعني: كفَّار أمَّتِكَ ﴿فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ استفهامٌ بمعنى الأمرِ؛ أي: سِيروا، وقيل: بمعنى الخبَرِ؛ أي: ساروا في الأرضِ، فهلَّا اعتبَروا بما رأَوا من سوءِ عاقبةِ مَن تقدَّمَهم ممَّن فَعَلوا فِعْلَهم؟

وقيل: هلَّا قرَؤوا القرآنَ؛ ليَعْرِفوا حالَ مَن تَقَدَّمَهم فيعتبروا(٢)؟

---

(١) قال المصنف في «غرائب التفسير» (١١٠٤): «الغريب: تعسوا تعسًا؛ لأن العرب تقول: تعسه الله ـ بالفتح ـ فتعس ـ بالكسر ـ، ومثله: سعده الله فسعد».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٠٥)، واستغربه.

قولُه: ﴿فَيَنظُرُوا۟﴾ يجوزُ أنْ يكونَ جزماً على العطفِ[1]، ويجوزُ أنْ يكونَ نصباً على الجواب.

﴿دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾: أهلكَهُم هلاكَ استِئْصالٍ ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ﴾: ولمشْركي قريشٍ ﴿أَمْثَٰلُهَا﴾: أمثالُ تلك العقوباتِ وتلك العاقبةِ.

* * *

(١١) ـ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى النصرِ والتَّعْسِ ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾؛ أي: وليُّهم وناصِرُهم ﴿وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾؛ لا مِن الله سبحانه، ولا مِن غيرِه.

وسأل عليٌّ رضي الله عنه ابنَ الكوَّاء: مَن ربُّ السماوات؟ فقال: اللهُ، فقال: مَن مولَى الناسِ؟ فقال: اللهُ، فقال: كذَبْتَ؛ اللهُ ﴿مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾[2].

المبرِّد: اللهُ مولَى العبدِ من ثلاثةِ أوجُهٍ: الاختراعُ، ومِلْكُ التصرُّفِ فيه ـ وهو غيرُ الاختراعِ ـ، والنُّصرةُ والولايةُ، فهو وليُّ المؤمنين والكافرين من جهةِ الاختراعِ والتصرُّفِ فيهم، ومولَى المؤمنينَ خاصةً من جهةِ النُّصرةِ والولايةِ.

* * *

(١٢) ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ كلُّ ماءٍ اغترفْتَ

---

(١) في (ن): «اللفظ».

(٢) رواه الواحدي في «الوسيط» (٤/ ١٢٢)، والضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (٢/ ٢٩٨).

منه فهو تَحْتَكَ ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ﴾ بنعيمِ الدنيا ﴿وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ﴾ شبَّههم بالأنعام لأَكْلهم بالشَّرَه والنَّهَم، ولجَهْلِهم عاقبةَ أمرِهم وما يجبُ عليهم معرفتُه، ولتركِهم الاستدلالَ بالآيات، ولأنَّ الأكلَ على وجهَين؛ أكلَ الشهوةِ والمصلحةِ وهو أكلُ العاقلِ، وأكلَ الشهوةِ فقط وهو أكلُ الأنعامِ والبهائم.

﴿وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ يجوزُ أن يكونَ ﴿مَثْوًى﴾[1] في محلِّ رفعٍ بالخبر، ويجوزُ أن يكونَ في محلِّ نصبٍ بالحال و﴿لَّهُمْ﴾ الخبر[2].

***

(١٣) ـ ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾.

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾؛ أي: وكم من قريةٍ، فهي للتكثير، والمعنى: أهلِ قريةٍ ﴿هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَتْكَ﴾؛ أي: أخرجَكَ أهلُها ﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾ بأنواعِ العذابِ ﴿فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾: لم يكنْ لهم مَن ينصرُهم ويدفعُ العذابَ عنهم.

وقيل: لا ناصرَ لهم الآنَ فيَنْتقِمَ لهم.

***

(١٤) ـ ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم﴾.

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾: على حُجَّةٍ وبرهانٍ وعقلٍ وتبْيانٍ.

قيل: هو محمدٌ ﷺ، والبيِّنةُ القرآنُ.

وقيل: هم المؤمنون، والبيِّنةُ معجزةٌ للنبيِّ[3].

---

(١) في (ف): «المثوى».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٠٥)، واستغربه.

(٣) «من قوله: على حجة وبرهان...» إلى هنا ليس في (ف).

﴿كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾: زَيَّنَ له الشيطانُ وسوَّلَتْ له نَفْسُه ﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم﴾ جُمِعَ على معنَى (مَن).

وقيل: هم جميعُ الكفَّار.

وقيل: الاثنا عَشَرَ الذين تقدَّم ذكرُهم.

وقيل: هم المنافقون.

* * *

(١٥) - ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾.

﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ﴾ المَثَلُ والمِثْلُ واحدٌ.

﴿ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ وُعِدُوها في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ﴾ [الحج: ١٤]، و﴿ٱلْمُتَّقُونَ﴾: أمَّةُ محمدٍ ﷺ.

﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ﴾؛ أي: جنةٌ فيها أنهارٌ، فحُذف الموصوفُ وأُقيمَتِ الصفةُ مُقامَه، وفيه ضعفٌ عند سيبويه(١).

وأكثرُهم على أن معنى ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ﴾ كقوله: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ [الفتح: ٢٩] فيكونُ أيضاً مبتدأً خبرُه محذوفٌ، والتقدير: صفةُ الجنةِ فيما نَقُصُّ عليكم، ثم شَرَع في قصَّتها.

وقيل: المَثَلُ زيادةٌ كما يُزادُ المِثْلُ، والتقدير: الجنةُ التي وُعِدَ المتَّقون فيها أنهارٌ(٢)، فـ(الجنةُ) مبتدأٌ و﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ﴾ خبرُه.

---

(١) مذهب سيبويه في هذه الآية أنها مبتدأ خبره محذوف، وهو ما نقله المصنف عن الأكثر. انظر: «الكتاب» (١/ ١٤٢).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٠٦)، واستغربه.

الكسائيُّ: مَثَلُ أصحابِ الجنَّة كمَن هو خالدٌ في النار[١].

﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ﴾: جمعُ نَهر.

ابن بحرٍ: يجوزُ أن يكونَ المرادُ بها الأنهارَ[٢] المعروفةَ، ويجوزُ أن يكونَ عبارةً عن كثرةِ هذه الأشياءِ وسَعَتِها فيها[٣].

﴿مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾؛ أي: غيرِ متغيِّرِ الرِّيحِ والطَّعْمِ واللَّون، من قولهم: أَسِنَ الرجلُ؛ إذا أُغْشِي عليه من ريحِ خبيثةٍ، و﴿أَسِنٍ﴾ بالقَصْرِ[٤] في الحال، و﴿ءَاسِنٍ﴾ بالمدِّ في المآل، كما تقولُ: عَوِرٌ وحَوِلٌ اليومَ، وعاوِرٌ وحاوِلٌ غداً.

﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ﴾ إلى حموضةٍ وغيرِها ممَّا يعترِي الألبانَ في الدُّنيا؛ لأنه لم يَخرُجْ من ضَرْعٍ، ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾: لذيذٍ طعمُها.

المبرِّد: شرابٌ لَذٌّ ولذيذٌ كطَبٍّ وطَبيبٍ، فتكونُ التاءُ لتأنيثِ الخمر.

وقيل: مصدرٌ، وتقديرُه: خمرٍ ذاتِ لذَّةٍ تُطْرِبُ ولا تُسْكِرُ ولا تصدِّعُ، وليس بحامضٍ ولا مرٍّ ولا مُنْتِنٍ؛ لأنها لم تُعْصَرْ بالأيدي والأرجُل.

﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ من الشَّمع والرُّغوةِ والعَكَر والكَدَر؛ لأنه لم يخرجْ من بطنٍ، ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ ممَّا يُعرَفُ وما لا يُعْرَف، ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾: وسترُ الذنوب وتركُ العتابِ والتذكير، وفيه كمالُ لذَّاتِهم، جَعَلَنا اللهُ من أهلِ الجنةِ بسَعَةِ طَوْلِه إنه جوادٌ كريم.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٠٦)، وعده من العجائب.

(٢) في (ف): «المراد بالأنهار» والمعنى واحد.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٠٦)، وعده من العجائب.

(٤) قرأ بها ابن كثير. انظر: «السبعة» (ص: ٦٠٠)، و«التيسير» (ص: ٢٠٠).

﴿كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا﴾: حارًّا في النِّهاية ﴿فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾: مجارِيَ شرابِهم إذا دخلَ أجوافَهم.

قوله: ﴿كَمَنْ هُوَ﴾ تقديرُه: أفمَن هو خالدٌ في الجنَّةِ كمَن هو خالدٌ في النارِ، فحذَفَ إحدَى الجملتين لأنَّ ما قبْلَها يدلُّ عليها، كما حُذِفتِ الجملةُ الثانيةُ في كثيرٍ من المواضع في القرآن وغيره.

الكسائيُّ: مَثَلُ أصحابِ الجنةِ كمَن هو خالدٌ في النارِ(١)، وقد سَبَق.

وقيل: هو عطفٌ على ﴿كَمَن زُيِّنَ﴾ فحُذف الواوُ.

ويَحتمِلُ أنه بدلٌ منه فلا يُحتاجُ إلى الواو.

***

(١٦) ـ ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾.

﴿وَمِنْهُم﴾: من الكافرين، وقيل: من المنافقين ﴿مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾؛ أي: إلى خُطبتِكَ يومَ الجمعة، وقد يكونُ فيها عيبُ المنافقين.

وقيل: كان عبدُ اللهِ بنُ أُبيٍّ ابنُ سَلُولَ، ورِفاعةُ بنُ زيدٍ، ومالكُ بن جُعْشُمٍ، وأصحابُهم يَحْضُرون مجالسَ النبيِّ ﷺ والجُمُعاتِ، ويسمعون كلامَه ولا يَعُوْنه كما يَعِيْه المسلِمُ(٢).

﴿حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا﴾: انْصَرفوا وخَرَج المسلِمون ﴿مِنْ عِندِكَ﴾ يا محمدُ ﴿قَالُوا﴾؛ أي: هؤلاء المنافقون ﴿لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٠٦)، واستغربه.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٤٧)، و«النكت والعيون» للماوردي (٥/ ٢٩٧).

عكرمةُ: هو ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما[1].

ورُوِي عنه أنه قال: أنَا ممَّن أُوتوا العلمَ بالقرآن[2].

قال عبدُ الله بنُ بُرَيْدَةَ: هو ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه[3].

وقيل: هو أبو الدَّرْداء[4].

وقيل: هم الصَّحابةُ.

﴿مَاذَا قَالَ ءَانِفًا﴾: أيَّ شيءٍ قال محمدٌ الآنَ؟ وسؤالُهم هذا استهزاءٌ وإعلامٌ أنهم لم يَلتفِتُوا إلى ما قاله، وقيل: سؤالُ بحثٍ عمَّا لم يَفْهَموه.

﴿ءَانِفًا﴾؛ أي: في ساعتِنا هذه، من قولِهم: استأنفتُ الأمرَ؛ إذا ابتدَأْتَه، وأَنْفُ كلِّ شيءٍ: ما تقدَّمَ منه، و﴿ءَانِفًا﴾ وزنُه: فاعلٌ، وليس من لفظِه فعلٌ ثلاثيٌّ، إنَّما يُقالُ: ائْتَنَفَ الكلامَ ائْتِنافاً؛ إذا ابتدَأ به، واستأنفتُ الأمرَ؛ كما تقولُ من فقيرٍ ورفيعٍ: افْتَقَر وارْتَفَع.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ عقوبةً لهم ﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ﴾: ركِبوا رؤوسَهم.

ابنُ عيسى: الهوَى: رِقَّةُ مَيْلِ القلبِ كرِقَّةِ هواءِ الجوِّ.

* * *

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٩٨)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٩٧).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٢٠٤)، والحاكم في «المستدرك» (٣٧٠٥) بلفظ: «كنت فيمن يُسأل»، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٢٢٣٩).

(٤) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٢٣٢٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦١٧) عن القاسم بن عبد الرحمن.

(١٧) ـ ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾.

﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا﴾ بالإيمانِ والاستماعِ إلى القرآن ﴿زَادَهُمْ﴾ اللهُ.

وقيل: استماعُ كلامِ النبيِّ ﷺ.

وقيل: استهزاءُ المنافقِين وإعراضُهم.

﴿هُدًى﴾: عِلْماً وبَصيرةً.

وقيل: شَرْحَ صدرٍ ويقيناً.

وقيل: تصديقاً.

﴿وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾: بيَّنَ لهم ما يَتَّقون.

وقيل: آتاهُم جزاءَ تَقْواهم.

وقيل: العملَ بالناسخِ دون المنسوخ.

* * *

(١٨) ـ ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾.

﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ﴾؛ أي: إتيانَها، فهو بدلٌ من ﴿السَّاعَةَ﴾.

﴿بَغْتَةً﴾: فجأةً ﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾: آياتُها وأعلامُها مِن انْشِقاقِ القمرِ وغيرِه.

وقيل: هو النبيُّ ﷺ[1]؛ فإنه قال: «بُعِثْتُ والساعةَ كَهَاتَيْنِ»، وأشارَ بالسبَّابةِ والوُسْطَى[2]، ولأنَّ النبيَّ عليه السلامُ آخِرُ الأنبياءِ وأمَّتُه آخِرُ الأُمَم.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٠٦)، واستغربه.

(٢) رواه البخاري (٥٣٠١)، ومسلم (٢٩٥٠) عن سهل بن سعد رضي الله عنه.

﴿فَأَنَّىٰ لَهُمْ﴾: مِن أين لهم، وكيف لهم ﴿إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾؛ أي: لا ينفعُهم إيمانُهم وتذكُّرُهم حينئذٍ، وتقديرُ الآيةِ: أنَّى لهم الذِّكرى؛ كقوله: ﴿وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ﴾ [الفجر: ٢٣]، فـ(الذِّكرى) مبتدأٌ، و﴿أَنَّىٰ لَهُمْ﴾ خبرُه، وفاعلُ ﴿جَاءَتْهُمْ﴾ مضمَرٌ يعودُ إلى الذِّكرى.

ويجوزُ أنْ ترتفعَ (الذِّكرى) بالفعلِ والمبتدأُ مقدَّرٌ دلَّ عليه الفاعلُ.

وقيل: أنَّى لهم الذِّكْرَى إذا جاءتهم الساعةُ.

وقيل: الذِّكرى: دعاؤُهم بأسمائهم في القيامةِ تبشيراً وتخويفاً.

وعن أنسٍ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «أَحْسِنوا أسماءَكم فإنَّكم تُدْعَوْن يومَ القيامةِ: يا فلانُ قُمْ إلى نُورِكَ، يا فلانُ قُمْ فلا نُورَ لك»[(١)]، نعوذ بالله[(٢)].

* * *

(١٩) ـ ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾.

﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾؛ أي: اعْلَمْ خبراً يقيناً ما علمْتَه نَظَراً واستدلالاً.

وقيل: معناه: فاذْكُرْ ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾.

وقيل: اثْبُتْ على العلم.

---

(١) بهذا اللفظ ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٩٩، ٣٠٠) عن أبان عن أنس رضي الله عنه، ورواه أبو داود (٤٩٤٨) من طريق عبد الله بن أبي زكريا عن أبي الدَّرداء رضي الله عنه مرفوعاً بلفظ: «إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم، وأسماء آبائكم، فأحسنوا أسماءكم»، ورجاله ثقات إلا أن فيه انقطاعاً نبه إليه أبو داود، حيث عقبه بقوله: «ابن أبي زكريا لم يدرك أبا الدرداء».

(٢) «نعوذ بالله»: ليس في (ف).

وقيل: هذا خطابٌ للنبيِّ ﷺ والمرادُ به أمَّتُه واحداً بعد واحدٍ.

والهاءُ في ﴿أَنَّهُۥ﴾ يعودُ إلى الأمرِ والشأن، ويحتمِلُ أنه يعودُ إلى اللهِ تعالى فلمَّا كنِّي في الأوَّلِ صُرِّح في الثاني.

والفاءاتُ في هذه الآياتِ لعطفِ جملةٍ على جملةٍ بينهُما اتِّصالٌ.

﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾: استغْفِرِ اللهَ لصغائرِ ذنوبك.

وقيل: اسألِ اللهَ العصمةَ من الذُّنوب.

﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾؛ أي: استغفِرْ لذنوبهم.

وقيل: هو أن يَشْفَعَ لهم.

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ﴾؛ أي: تَصَرُّفَكم في الدنيا ومَنزِلَكم فيها.

وقيل: ﴿مُتَقَلَّبَكُمْ﴾: منزِلَكم في الدنيا، ﴿وَمَثْوَىٰكُمْ﴾: في الآخرة.

وقيل: ﴿مُتَقَلَّبَكُمْ﴾ في الأسفار، ﴿وَمَثْوَىٰكُمْ﴾ في الحَضَر.

وقيل: ﴿مُتَقَلَّبَكُمْ﴾: مُنْتَشَرَكم في النَّهار، ﴿وَمَثْوَىٰكُمْ﴾: مستقرَّكم في الليلِ.

وقيل: ﴿مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ﴾: انقلابَكم من أصلابِ الآباءِ إلى الأرحامِ، ثم منها إلى الدنيا، ثم منها إلى القبور، ثم منها إلى الجنةِ أو إلى النارِ، نعوذُ باللهِ من النَّار.

* * *

(٢٠) - ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ﴾.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾ ابنُ عيسى: تمنَّوا نزولَ السورة لأنهم كانوا يأنَسونَ بنزولِ الوحيِ ويَستوحِشُون لإبطائه.

وقيل: اشتَهَوْا نزولَ سورةٍ تَدُلُّ على لُزومِ الحربِ والقتال؛ ليَتحمَّلوا المشقَّةَ ويَعودوا بالمثوبة.

وقيل: تمنَّوا نزولَ سورةٍ فيها القتالُ؛ لأنَّ في القتالِ إحدى الحُسْنيَيْن؛ الشهادةِ والجنَّةِ، أو الظَّفَرِ والغَنيمة.

الفرَّاء: كان المؤمنون يكرهونَ القتالَ، فإذا نزلت سورةٌ فيها القتالُ تَوَقَّعوا نَسْخَها، فقال الله: ﴿فَأَوْلَىٰ﴾ لِمَن كرهها[١]. واستَضْعَفَ هذا القولَ مِنه المفسرون[٢].

﴿فَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ مُّحۡكَمَةٞ﴾: مُثْبتةٌ[٣] ما فيها، كقوله: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ [هود: ١]، وذِكْرُ المحكَمِ والمتشابِهِ قد سَبَق.

وقيل: ﴿مُّحۡكَمَةٞ﴾: فيها أحكامُ الغزو.

قتادةُ: كلُّ سورةٍ ذُكرَ فيها القتالُ محكَمةٌ، وهي أشدُّها على المنافقين[٤].

وقيل: ﴿مُّحۡكَمَةٞ﴾: فيها الحلالُ والحرام.

وقيل: ﴿مُّحۡكَمَةٞ﴾ أي: مُحْدَثةٌ، وهكذا هو في مصحف ابن مسعود رضي الله عنه[٥].

﴿وَذُكِرَ فِيهَا ٱلۡقِتَالُ﴾: أُمِرَ فيها بالجِهاد ﴿رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ﴾: شكٌّ ونِفاقٌ ﴿يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ نَظَرَ ٱلۡمَغۡشِيِّ عَلَيۡهِ﴾ يَشْخَصونَ نحوَكَ بأبصارِهم فينظرونَ

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٦٢).

(٢) في (ف): «المفسرين».

(٣) في (ف): «مبينة».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٢١٠).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٦٢)، و«تفسير الطبري» (٢١/ ٢٠٩)، و«معاني القرآن» للنحاس (٦/ ٤٧٨).

نَظَراً حديداً كما يَنظُرُ الشاخصُ بصرُه عند الموتِ لكراهَتِهم القتالَ.

وقيل: يُبْهَتون كراهةَ القتال كأنهم مغشيٌّ عليهم غشيةً وغمًّا[1] وجَزَعاً.

وقيل: شبَّههم به للدَّهشِ وزوالِ العقل.

قوله: ﴿مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ قيل: متصلٌ بالنظر؛ أي: ينظرون خوفاً من الموت.

وقيل: متصل بالغشية كما ذكرتُ.

﴿فَأَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ كلمةُ تحذيرٍ؛ أي: وَلِيَكَ شرٌّ فاحْذَرْه، هذه عبارةُ كثيرٍ من المفسِّرين.

وقيل: العقابُ أولَى لهم؛ أي: أَوْلَى الأشياءِ لهم أنْ يُعاقَبُوا.

وقيل: ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ أَوْلَى لهم من الجَزَع عند الجهادِ، فلا يكونُ حينئذٍ للوَعِيد.

ويحتمِلُ أنَّ (أَوْلَى) اسمٌ على وزنِ (أَفْعَل) جُعِلَ عَلَماً للتهديدِ والوعيدِ فلم يَنْصَرِفْ.

ويجوزُ أن يكونَ (أفعلَ) للتفضيل؛ أي: أولَى الأشياءِ بكَ كذا، كما ذكرتُ.

ويجوزُ أن يكونَ فعلاً متعدِّياً مِن وَلِيَ؛ أي: أولاهُ اللهُ المكروهَ، كَثُرَ استعمالُها فحُذِفَ بعضُها للعِلْم به.

ويجوزُ أن يكونَ (فَعْلَى) مِن آلَ يَؤُولُ؛ أي: يَؤُولُ أمرُكَ إلى شرٍّ فاحْذَرْه[2].

وذُكر عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما أنه قال: (أَوْلَى) وعيدٌ، والكلام به تامٌّ، ثم قال: ﴿لَهُمْ﴾؛ أي: للمؤمنينَ ﴿طَاعَةٌ﴾ للهِ ولرسوله ﴿وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾، حكاهُ

---

(١) في (ف): «غماً».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٠٧)، واستغربه.

الفرَّاء(١)، ثم قال: وكلامُ العربِ عندَنا أنْ يكونَ ﴿لَهُمْ﴾ متَّصِلاً بـ(أَوْلَى).

المبرِّد: يقالُ للإنسان إذا كادَ يَعْطَبُ ثم أَفْلَتَ: أولَى لك؛ أي: قارَبْتَ العَطَبَ ثم نَجَوْتَ، قال: وهو في القرآنِ على معنى التحذير، وقولُ الشاعرِ يَتلهَّفُ على الصَّيد:

فَلَوْ كانَ أَوْلَى يُطْعِمُ القَوْمَ صِدْتُهُمْ ... ولَكِنَّ أَوْلَى يَتْرُكُ القَوْمَ جُوَّعَا(٢)

أَنشده بعضُهم حجَّةً لِمَا قاله ابنُ عباس رضي الله عنهما، واللهُ أعلم.

* * *

(٢١) - ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾.

﴿طَاعَةٌ﴾: طاعةُ اللهِ ﴿وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾؛ أي: حَسَنٌ.

وقيل: ما عُرِفَ صحَّتُه خيرٌ من الجَزَعِ عند فَرْضِ الجهاد، فهو مبتدأٌ محذوفُ الخبرِ.

وقيل: أَمْرُنا طاعةٌ وقولٌ معروفٌ، فيكونُ خبرَ مبتدأ محذوفٍ، وهذا أحسنُ(٣).

وقيل: هذا أمرٌ للمنافِقِين؛ أي: قولوا: ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾.

وقيل: هذا كان منهم قبلَ الأمرِ بالجهاد، فلمَّا أُمِروا به امْتَنَعوا عنه.

---

(١) رواه الفراء في «معاني القرآن» (٣/ ٦٢) من طريق حبان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما، وذكره الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٢١١) فقال: «وروي عن ابن عباس بإسناد غير مرتضى» ثم ساقه، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٠٧)، واستغربه.

(٢) ذكره النحاس في «معاني القرآن» (٦/ ٤٨٠) عن أعرابي، وفيه: «روي أن أعرابيًّا كان يوالي رمي الصيد فيفلت منه فيقول: أولى لك. ثم رمى صيداً فقاربه ثم أفلت منه فقال..» وذكر البيت.

(٣) ذكر المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٠٧) قال: «العجيب: (طاعة) صفة للسورة؛ أي: أنزلت سورة ذات طاعة وقول معروف، فحذف المضاف. حكاه الزجاج».

﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ﴾: جَدَّ الأمرُ ولَزِمَ فَرْضٌ من القتال؛ أي: صار الأمرُ مَعزوماً عليه، كَذَبوا ونَكَلوا، وهذا جوابُ (إذا).

﴿فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ في الإيمانِ والجهادِ ﴿لَكَانَ﴾ الصدقُ ﴿خَيْرًا لَّهُمْ﴾ من الكفرِ وكراهةِ الجهاد.

***

(٢٢ ـ ٢٣) ـ ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ﴾.

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾ من الكفرِ وكراهةِ الجهادِ ﴿إِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ فلعلَّكم إنْ أعرَضْتُم عن الإسلامِ والطاعةِ وما جاءَ به محمدٌ ﷺ ﴿أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ﴾: تَعُودوا إلى ما كُنْتُم عليه في الجاهليَّة من قَطيعةِ الرَّحِمِ وقَتْلِ بعضِكم بعضاً.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾: أَبْعَدَهم من رحمتِه ﴿فَأَصَمَّهُمْ﴾ فلا يَسمعون الحقَّ ﴿وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ فلا يهتدُونَ سبيلاً.

وقيل: معناه: أتظنُّون إنْ تركتُم النبيَّ وأعرَضْتُم عن الإسلام تُتْرَكون أنْ تعاوِدُوا ما كنتُم عليه من قَبْلُ من الغارات وتخريبِ البلاد وقتلِ بعضِكم بعضاً من ذوي الرَّحِم، كلَّا فإنَّ اللهَ يَحُولُ بينكم وبينَ ذلك؛ فيكونُ ﴿تَوَلَّيْتُمْ﴾ من الإعراض.

وقيل: لعلَّكم إنْ تولَّيْتُم أمورَ الناسِ أن تُفسِدوا في الأرضِ بالظلم.

وقيل: تولَّيْتُم الحُكْمَ فجعَلكم حكَّاماً أن تُفسِدوا في الأرض بأخذِ الرِّشا؛ فيكونُ من التَّولِيَة.

والمخاطَبون هم المنافقون، وقيل: قريشٌ.

ورُوِي عن المزنيِّ: أنهم الخَوارجُ. حكاه الماورديُّ(١).

وجزاءُ ﴿إِن﴾ محذوفٌ دلَّ عليه ما قَبْلَه، و﴿أَن تُفۡسِدُوا۟﴾ في محلِّ نصبٍ بـ(عسى).

***

(٢٤) ـ ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ﴾.

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ فيعْرِفوا ما لهم وعليهم ﴿أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ﴾؟ وأضافَ الأقفالَ إلى القلوبِ لأنها ليستْ من حديدٍ، وإنَّما هو طبعٌ وخَتْمٌ ورَيْنٌ، أو غشاءٌ وغلافٌ ممَّا وُصفَ قلوبُ الكفَّارِ به، فذلك أقفالُ القلوب.

وقيل: هذا جوابٌ لهم حينَ قالوا: ﴿قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٍ﴾ [فصلت: ٥] و: ﴿قُلُوبُنَا غُلۡفٌۢ﴾ [البقرة: ٨٨].

***

(٢٥) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرۡتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَى ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرۡتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم﴾: كَفَروا بمحمدٍ ﷺ، يريدُ: اليهودَ ﴿مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَى﴾ يريدُ: في التَّوراةِ، فإنَّ فيها صفةَ محمدٍ عليه السلامُ ونَعْتَه، وقيل: هم المنافقونَ ارتدُّوا بعدَما سَمِعوا القرآنَ.

﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ﴾: زَيَّنَ لهم خطَاياهُم.

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٠٢)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ١٢٠). ورواه عبد بن حميد كما في «الدر المنثور» (٧/ ٤٩٧) عن بكر بن عبد الله المزنيِّ بلفظ: «ما أراها نزلت إلا في الحرورية».

المفضَّلُ: مَنَّاهم، والسُّوالُ: الأُمْنيَّة.

ابن بحرٍ: لفظُ ﴿سَوَّلَ﴾ من السُّول(١)، وهو ما يتمنَّاه الإنسانُ في نفسِه، وكأنه دعاهم إلى ما كانُوا يريدونَ، فوَافَقَ لهم سُولَهم وأُمْنِيَتهم، وتمَّ الكلام، ثم قال: ﴿وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾: وأَمْهَلهم في العمرِ وأَخَّرَ عنهم العذاب، والمعنى: أَمَدَّ لهم في الآجال ملاوَةً من الدَّهر(٢).

وقرئ: ﴿وأُمْلِيَ لهم﴾ على المجهول(٣)، وقرئ: ﴿وأُمْلِيْ لهم﴾ مرسلةَ الياء(٤).

وقيل: الشيطانُ أملَى لهم؛ أي: طوَّل أمَلَهم فاغترُّوا به(٥).

***

(٢٦) ـ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: ذلك الإملاءُ، وقيل: الإضلالُ ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ﴾ قيل: هم الذينَ يَنظرونَ إليكَ نَظَرَ الـمَغْشيِّ عليه.

وقيل: كَرِهوا أن يؤمنوا بما نزَّل الله.

﴿سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ﴾ قالت اليهودُ للمنافقِينَ: ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ﴾ يَعْنُون: كَتْمَ نعتِ محمدٍ ﷺ وتكذيْبَه.

---

(١) في (ن): «السوال».

(٢) أي: مدة طويلة. انظر: «معاني القراءات» للأزهري (٢/ ٣٨٧).

(٣) قرأ بها أبو عمرو. انظر: «السبعة» (ص: ٦٠٠)، و«التيسير» (ص: ٢٠١).

(٤) أي: ساكنة الياء، وهي قراءة يعقوب. انظر: «النشر» (٢/ ٣٧٤)

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٠٨)، وعده من العجائب.

وقيل: قال المنافقون لليهود: ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾: عداوةِ محمدٍ ﷺ، والقعودِ عن نصرته، والميلِ إليكم، والتظاهُرِ عليه، والارتدادِ بعد الإيمان.

﴿واللهُ يَعْلَمُ أَسْرَارَهُمْ﴾ فيما بينَهم بهذا الكلام، وقُرِئ: ﴿إِسْرَارَهُمْ﴾ على المصدر(١)، وقيل: يعلمُ اعتقادَهم هذا وما أسرُّوه في أنفُسِهم.

* * *

(٢٧) - ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾.

﴿فَكَيْفَ﴾؛ أي: فكيف حالُهم ﴿إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ يصفُ عظيمَ ما حلَّ بهم.

وقيل: فكيفَ لا يَعْلَمُ ما يَحِلُّ بهم عندَ الموت.

وقيل: كيفَ ينافِقون إذا توفَّتْهم الملائكةُ وعَرَفْنا أسرارَهم.

ثم ذَكَر حالَهم فقال: ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾؛ أي: وجوهَهم عندَ الموت وأدبارَهم حالةَ السَّوقِ إلى النار.

وقيل: يريد: حالةَ القتالِ؛ يَضربونَ وجوهَهم عند الطَّلَب وأدبارَهم عند الهَرَب.

* * *

(٢٨) - ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ﴾؛ أي: ذلك الضربُ بسببِ أنهم ﴿اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ﴾ يعني: المعاصيَ ومعاونةَ المشركين، وقيل: كتمانَ صفةِ محمدٍ ﷺ ونعْتِه، ﴿وَكَرِهُوا

(١) قرأ بها حمزةُ والكسائيُّ وعاصمٌ في رواية حفصٍ، والباقون بالأولى. انظر: «السبعة» (ص: ٦٠١)، و«التيسير» (ص: ٢٠١).

رِضۡوَٰنَهُۥ﴾: ما يَرضاه من الطاعةِ ونُصرةِ المؤمنين ﴿فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾.

* * *

(٢٩) ـ ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخۡرِجَ ٱللَّهُ أَضۡغَٰنَهُمۡ﴾.

﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخۡرِجَ ٱللَّهُ أَضۡغَٰنَهُمۡ﴾: حقدَهم وغِشَّهم وحَسَدَهم وعداوتَهم، والضِّغنُ: إضمارُ سوءٍ يُتربَّصُ به إمكانُ الفُرصة.

* * *

(٣٠) ـ ﴿وَلَوۡ نَشَآءُ لَأَرَيۡنَٰكَهُمۡ فَلَعَرَفۡتَهُم بِسِيمَٰهُمۡۚ وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾.

﴿وَلَوۡ نَشَآءُ لَأَرَيۡنَٰكَهُمۡ فَلَعَرَفۡتَهُم بِسِيمَٰهُمۡ﴾؛ أي: لو نشاءُ لعرَّفْناكَهم بأعيانهم بأنْ نَجعَلَ على وجوهِهم علامةً تَعْرِفُهم بها.

واللامُ الأولى جوابُ (لو)، والثانيةُ تكرارٌ لها وزيادةٌ.

﴿وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِ﴾؛ أي: في فَحْوَى كلامِهم ومُتضمَّنِه، فإنهم لا يقدِرون على كتمانِ ما في أنفُسهم، واللَّحْنُ: ذهابُ الكلامِ إلى خلافِ جِهَتِه.

الكلبيُّ: لحنُ القولِ: كَذِبُه، قال: ولم يتكلَّمْ بعد نزولِها منافقٌ عندَ رسولِ الله ﷺ إلا عرَفه[1].

﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾ ويراها ظاهِرَها وباطِنَها، ويَمِيزُ خيرَها مِن شرِّها.

* * *

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٠٤، ٣٠٥)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٠٨)، واستغربه.

(٣١) ـ ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾.

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾: نُعامِلُكم معاملةَ المبتلِي ﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾؛ أي: نعلمَهم عِياناً كما علِمْناهم غَيْباً، فإنَّ المجازاةَ تقعُ على ما يَظهرُ منهم.

والمجاهدون: هم الغزاةُ.

وقيل: الزَّاهِدون في الدُّنيا والصَّابِرون على الجهاد، وقيل: عن الدنيا.

﴿وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾: أسرارَكم، وقيل: ما ستفْعَلونه.

* * *

(٣٢) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يعني: المطعِمين يومَ بدرٍ، وقد سَبَق.

﴿وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾: عادَوْه ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ﴾؛ أي: بعدَ ما ظَهر لهم أنه الحقُّ وعَرَفوا الرسولَ.

وقيل: نزلتْ في قومٍ آمَنوا ثم ارتدُّوا.

﴿لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾ بارتدادِهم ﴿وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ يعني: ثوابَ أعمالهم بسبب معاداتهم.

وقيل: ﴿سيُحْبِطُ أعمالَهم﴾: كيدَهم على النبيِّ ﷺ والمؤمنين، ولهذا أُدخل عليه السينُ.

* * *

(٣٣) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ وقيل[1]: أطيعوا اللهَ بتوحيده والرسولَ

---

(١) قوله: «وقيل» كذا وقع في النسختين، ولعلها مقحمة.

بتصديقِه ﴿وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ﴾؛ أي: احذَرُوا مخالفةَ اللهِ ورسولِه؛ فإنها مُبْطِلةٌ للحسنات.

وقيل: لا تبطِلوها بالمعاصي والرِّياء.

وعن أبي العاليةِ قال: كان أصحابُ رسولِ الله ﷺ يَرَوْنَ أنه لا يَضُرُّ مع (لا إلهَ إلَّا إلا اللهُ) ذنبٌ، كما لا ينفعُ مع الشِّركِ عملٌ، حتى نزلت: ﴿وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ﴾[1]؛ فإنَّ الشرَّ يُبْطِلُ الخيرَ، والخيرَ يُبطِلُ الشرَّ، ومِلَاكُ العمل خَواتِـمُه.

وقيل: لا تَرْجِعوا بعد الإيمانِ كفاراً، ولا بعدَ الطاعةِ عُصاةً.

مقاتل: نزلتْ في الذين يَمنُّونَ إذا أَسْلَموا[2].

***

(٣٤) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ مقاتلٌ: نزلتْ في رجلٍ سأَلَ النبيَّ عليه السلامُ عن والده، وقال: إنه كان مُحسِناً في كُفْره، فقال: «هو في النَّار»، فولَّى الرجلُ وهو يبكي، فدعاهُ فقال: «والداكَ ووالدَيَّ ووالدُ إبراهيم ـ عليه السلام ـ في النار»، فنزلت هذه الآية[3].

الكلبي: نزلتْ في رؤساءِ أهلِ بدرٍ[4].

***

---

(١) رواه المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٦٩٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٩٩).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٥١).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٥١ ـ ٥٢)، وروى مسلم (٢٠٣) عن أنس رضي الله عنه: أن رجلاً قال: يا رسول الله، أين أبي؟ قال: «في النار»، فلما قَفَّى دعاه فقال: «إن أبي وأباك في النار».

(٤) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٣٠٦).

(٣٥) ـ ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾.

﴿فَلَا تَهِنُوا﴾: لا تَضْعُفوا ﴿و﴾ لا ﴿تَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ﴾؛ أي: ولا تَدْعُوا الكفارَ إلى الصُّلْح، ويجوزُ أنْ يكونَ نصباً بالجوابِ بالواوِ، و﴿السَّلْمِ﴾ و﴿السِّلْم﴾ لغتان[1].

وقيل: السَّلْمُ من الإسلام؛ كالنباتِ من الإنباتِ، والعطاءِ[2] من الإعطاءِ.

﴿وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾ عليهم، قيل: حالٌ، وقيل: استئنافٌ ووعدٌ.

﴿وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾ بالنُّصرة ﴿وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾: لن يَنْقُصَكُم أجرَ أعمالِكم.

وقيل: لن يَسْلُبَكم أعمالكم.

وقيل: لن يَطلبَكم[3].

وقيل: في أعمالكم، فحُذفَ الجارُّ، والأولُ أظهرُ.

* * *

(٣٦) ـ ﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ﴾.

﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ ينقطعان في أسرعِ مُدَّةٍ.

ابن بحر: يَنْقضِيَان عن غيرِ عُقْبَى.

وقيل: ذاتُ لعبٍ ولهوٍ؛ لأن غالبَ أمرِ الناسِ فيها اللَّعبُ واللهو.

﴿وَإِن تُؤْمِنُوا﴾ بالله ورسوله ﴿وَتَتَّقُوا﴾ الشركَ والمعاصيَ ﴿يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ﴾: لا يأمُرْكم أنْ تُخرِجوا من جميعِ أموالِكم.

---

(١) قرأ حمزة وشعبة: (السِّلْم) بكسر السين، والباقون بفتحها. انظر: «السبعة» (ص: ٦٠١)، و«التيسير» (ص: ٢٠١).

(٢) كذا في النسختين، ولعل صوابه: «كالنبت من الإنبات، والعطا»، والله أعلم.

(٣) كذا في النسختين، ولعله محرف = وصوابه: «يظلمكم».

وقيل: لا يَسألُكُم أموالَكُم لنفسِه سبحانه وتعالى.

وقيل: لا يسألُكُم أموالَكم، إنما ذلك مالُه وهو المنعِمُ بإعطائه.

* * *

(٣٧) ـ ﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ﴾.

﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟﴾ الإحفاءُ: الإلحافُ في المسألةِ والمبالغةُ فيها.

ابنُ بحرٍ: أَحْفَيْتُ المسألةَ؛ إذا ألطَفْتَها وأنعَمْتَها فبَرَزْتَ فيها، من قوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾ [مريم: ٤٧].

وقيل: الإحفاءُ: أن تأخذَ كلَّ شيءٍ بيدكَ، كأنه جعَلَه حافياً من المال عارياً منه كالحافي الذي لا حذاءَ له.

وقيل: ألحَّ عليكم وشدَّدَ.

وقيل: لا يسألُكُم رسولي أموالَكم لنَفْسِه(١).

﴿وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ﴾: يَبْعَثْ ذلك منكم حقداً يَظهَرُ ولا يَخْفَى.

وقيل: يَصيرُ سبباً للأضغان؛ لأنَّ المؤمنين لم يكنْ في قلوبهم أضغانٌ.

وفاعلُ ﴿يُخرِجْ﴾ هو اللهُ على طريقِ التَّسبُّبِ؛ أي: يُخْرِجْ بامتناعِكُم أضغانَكم.

وقيل: البخلُ هو الفاعلُ.

وقيل: هذا خاصٌّ في المنافقين.

* * *

(١) جاءت هذه العبارة ها هنا في النسختين، وإنما موضعها المناسب قبل ﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟﴾، والله أعلم.

(٣٨) ـ ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم﴾.

﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ﴾؛ أي: كيف يأمرُكم بإخراجِ جميعِ أموالِكُم وقد دعاكُم إلى إنفاقِ البعضِ في سبيلِ الله ﴿فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ﴾ فلا ينفقُ؟

و﴿ها﴾ للتنبيه، وكرِّر مع ﴿أولاء﴾ للتوكيد.

وقيل: جاز دخولُه على الضميرِ لمشاكَلته المبهَمَ في أنه معرفةٌ يَصْلُحُ لكلِّ مكنيٍّ عنه.

الفرَّاء: دخلتْ للتقريب، والعربُ إذا أرادتِ التقريبَ جعلتِ المكنيَّ بين (ها) و(ذا)، فقالت: ها أنت ذا قائماً، وربما أعادَتْ فقالت: ها أنتَ هذا قائماً[1].

وقال بعضُهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ هاهنا موصولٌ ﴿تُدْعَوْنَ﴾ صلتُه.

وقيل: يا هؤلاء. وفيه بعدٌ.

وقيل: ﴿هَٰٓأَنتُمْ﴾ إنما هو: آأنتم، فقُلبتِ الهمزةُ هاءً. وفيه بُعْدٌ، والكلامُ ما سبق.

﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ﴾؛ أي: يَضُرُّ بذلك نفسَه.

وقيل: تقديرُه: فإنما يبخلُ عن بُخْلِ نفسِه، ولو كانت جواداً لم تبخَلْ بالنَّفقةِ في سبيلِ الله.

وقيل: يَبْخَلْ[2] عن داعِي نفسِه لا عن داعِي ربِّه.

وقيل: ﴿عَن﴾ بمعنى: على؛ أي: يبخلُ على نفسِه بالجزاءِ والثواب[3].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٣٢).

(٢) «عن بخل نفسه... يبخل» ليست في (ف).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٠٩)، واستغربه.

والبخلُ: منعُ الواجبِ وما يَقْبُحُ مَنْعُه.

﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ﴾؛ أي: الغنيُّ عن إنفاقِكُم لا حاجةَ به إلى مالِكُم ﴿وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ لا تَسْتَغنون عنه في دنياكُم وأُخراكُم ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ﴾؛ أي: إنْ تُعْرِضوا يا أهلَ مكةَ عن دينِه وطاعتِه واتِّباعِ رسولِه والإنفاقِ في سبيله ﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ أقامَ مقامَكم قوماً آخرينَ أَطْوعَ منكم.

﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم﴾؛ أي: في حالِ تَوَلِّيكم إنْ تولَّيْتُم، وليس يريدُ به[1] الحالةَ الأولى؛ لأنهم كانوا على أحسنِ حالٍ.

وقيل: في جميعِ الأحوال.

قيل: إنَّهم العربُ، والقومُ المستبدَلُ بهم الملائكةُ[2]. وزيَّفَه الزجَّاج، وقال: القومُ لا يقعُ على الملائكة[3].

وقيل: قوماً بعدَ الذي خُوطِبوا.

وقيل: أهلَ اليمن.

ورُوي: أنَّ النبيَّ ﷺ سُئل عن الذي يستبدلُهم اللهُ بهم، وكان سلمانُ رضي الله عنه إلى جَنْبِه، فضَرَب فَخِذَه فقال: «هذا وقومُه»[4]؛ يعني: العَجَم.

---

(١) في (ن): «فيه».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٠٩)، واستغربه.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ١٧).

(٤) رواه الترمذي (٣٢٦٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٧١٢٣)، والحاكم في «المستدرك» (٣٧٠٩)، والجوزقاني في «الأباطيل والمناكير» (٦٦١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. قال الترمذي: «هذا حديث غريب في إسناده مقال»، وقال الحاكم: «صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه»، وقال الجوزقاني: «حديث صحيح، ورجاله ثقات».

وفي خبرٍ آخَرَ أنه قال: «والذي نَفْسي بيدِه لو كان الدِّين مَنُوطاً بالثريَّا لتناوَلَه رجالٌ من فارسَ»(١).

وكان أبو الدَّرداءِ من الذين أُوتُوا العلمَ(٢)؛ فقال: أَبْشِروا يا بني فَرُّوخَ(٣).

الكلبيُّ: شَرَطَ الاستبدالَ بهم بشَرْطِ تَوَلِّيْهم، ثم لم يتولَّوا فلم يَستَبْدِلْ بهم(٤).

والله أعلم.

* * *

---

(١) رواه البخاري (٤٨٩٧)، ومسلم (٢٥٤٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، لكن في قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ [الجمعة: ٣].

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٢٣٢٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦١٧) عن القاسم بن عبد الرحمن.

(٣) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (١٠١٤)، وابن أبي خيثمة في «تاريخه» (٢/ ٧٦٦)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٣٨٤) من كلام أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «أبشروا يا بني فروخ، والذي نفسي بيده لو أن الدين معلق بالثريا لناله منكم أقوام». فروخ: قيل: هو أبو العجم ابن لإبراهيم وأخ لإسماعيل. انظر: «مشارق الأنوار» (٢/ ١٦٨). وهو فارسي ممنوع من الصرف للعُجمة والعلمية.

(٤) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٠/ ٢٧٤).

سُورَةُ الفَتۡحِ

سُورَةُ الفَتْح

تسعٌ وعشرونَ آيةً[1]. مدنيَّة.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾.

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ في سببِ النزولِ: عن الزُّهريِّ عن عروةَ عن المِسْوَرِ بنِ مَخْرَمةَ ومروانَ بنِ الحَكَم رضي الله عنهما قالا: نزلت[2] سورةُ الفتحِ بين مكَّةَ والمدينةِ في شأنِ الحديبيةِ من أوَّلها إلى آخِرِها[3].

وعن أنسِ بن مالكٍ رضي الله عنه: لمَّا رجَعْنا من غزوةِ الحُدَيبيةِ وقد حِيلَ بيننا وبينَ نُسُكِنا، فنحنُ بين الحزنِ والكآبة، أنزل الله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا﴾ فقال ﷺ: «لقد أُنزلت عَلَيَّ آيةٌ هي أحبُّ إليَّ من الدُّنيا كلِّها»[4].

وعن عطاءٍ عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما: أنَّ اليهودَ شَمِتُوا بالنبيِّ والمسلمين

---

(١) «تسع وعشرون آية»: ليس في (ف).

(٢) في (ف): «أنزلت».

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٨٩١٠) في آخر حديث صلح الحديبية الطويل، والحديث رواه البخاري (٢٧٣١) إلا أنه قال: «فأنزل الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ٢٤] حتى بلغ ﴿الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ [الفتح: ٢٦]».

(٤) رواه مسلم (١٧٨٦)، والحاكم في «المستدرك» (٣٧١٣).

لمَّا نزلت: ﴿وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ﴾ [الأحقاف: ٩]، فاشتدَّ ذلك على[1] النبيِّ ﷺ، فأَنزل الله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا﴾ فسُرَّ[2].

والفتحُ هو فتحُ خيبرَ.

مجاهدٌ: فتحُ مكَّةَ[3].

والجمهورُ على أنه يومُ الحُدَيْبِيَة[4].

والحُديبيَةُ بئرٌ، وسمِّي المكانُ بها، وكان قد غاضَ ماؤُها فتمَضْمَضَ فيها رسولُ الله ﷺ فجاء[5] بالماءِ حتى عَمَّهم[6].

وقيل: غَرَزَ فيها سهماً من كِنَانته فجاشَ بالرَّواءِ حتى ضربَ الناسُ عليه بعَطَنٍ[7].

---

(١) في (ف): «عند».

(٢) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٨٢ ـ ٣٨٣)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ١٢٥). وهذه الروايات من طريق عطاء عن ابن عباس مروية بإسناد تالف، وقد أكثر منها الواحدي رحمه الله.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١١١)، واستغربه. ورواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٤/ ٢٢٣) عن أنس رضي الله عنه.

(٤) رواه البخاري (٤٨٣٤) عن أنس رضي الله عنه قال: ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا﴾ قال: «الحديبية». ورواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٢٤٢) عن جابر قال: «ما كنا نعد فتح مكة إلا يوم الحديبية».

(٥) كذا في النسختين، ولو كان «جاد» لكان أظهر.

(٦) رواه البخاري (٣٥٧٧) من حديث البراء رضي الله عنه قال: «كنا يوم الحديبية أربع عشرة مائة والحديبية بئر، فنزحناها، حتى لم نترك فيها قطرة، فجلس النبي ﷺ على شفير البئر، فدعا بماء فمضمض ومج في البئر، فمكثنا غير بعيد ثم استقينا حتى روينا، وروت، أو صدرت ركائبنا».

(٧) رواه البخاري (٣٧٣١) عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم بلفظ: «فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء، يتبرضه الناس تبرضاً، فلم يلبثه الناس حتى نزحوه وشكي إلى =

وسمِّي يومُ الحديبيَةِ فتحاً؛ لأنه كان سببَ فتحِ مكةَ، والمعنى: دنا فَتْحُه.

وعن ابن شهابٍ قال: لم يكنْ في الإسلام فتحٌ أعظمُ من فتحِ الحديبيَة، وُضِعتِ الحربُ وأَمِنَ الناسُ فتلاقَوْا، ولم يُكلَّمْ أحدٌ بعقدِ الإسلامِ إلا دخلَ فيه، وقد دخَل في تلك السنينَ مِثْلُ مَن كان قبلَ ذلك أو أكثرُ[1].

قال الشعبيُّ: أصاب النبيُّ ﷺ في تلك الغزوةِ ما لم يُصِبْ في غيرها، بُويعَ فيها بيعةَ الرِّضوان، وغُفِر له ما تَقدَّم من ذَنبه وما تَأخَّر، وظَفِرَ الرومُ على فارسَ، وكان وَعَد به فصحَّ صِدْقُه، وأُطْعِمَ نخيلَ خيبرَ[2]، وقيل: نَفْلَ خيبرَ.

وذلك أنَّ رسولَ الله ﷺ بعد هجرتِه إلى المدينة أَحبَّ أن يَزورَ بيتَ اللهِ الحرامَ بمكةَ، فخرج قاصداً نحوَه في سنةِ ستٍّ من الهجرة، وأَمَر مَن حَوالَي المدينةِ من المسلمين أن يَخرجوا معه، فخَرج أُولُو البصيرةِ، وتخلَّفَ مَن كان في قلبه مرضٌ من المنافقين ظنًّا أنْ لن يَنْقلِبَ الرسولُ والمؤمنون إلى أهليهم أبداً، واستَصْحَبَ سبعينَ بَدَنةً ليَنْحَرَها بمكة، ولمَّا كان بذي الحُليفةِ قلَّدَ الهَدْيَ وأَشْعَرَه وأَحْرَم بالعُمْرةِ؛ ليَعْلَمَ قريشٌ أنه لم يأتِ لقتالٍ، وأرسَلَ عثمانَ بنَ عفَّانٍ إلى قريشٍ يسألُهم أنْ يمكِّنوه وأصحابَه من الزيارةِ والطَّواف، فأَبْطَأَ عليه رجوعُ عثمانَ وأُرْجِفَ بقتلِه، فقال: «لا نَبْرَحُ حتى نناجِزَ القومَ، ودعا أصحابَه إلى مبايَعَتِه على أنْ يُقاتلوا قريشاً ولا يَفِرُّوا عنهم ولا يولُّوهم أدبارَهم، وكانوا ألفاً وثلاثَ مئة، وقيل: ألفاً وأربعَ مئةٍ،

= رسول الله ﷺ العطش، فانتزع سهمًا من كنانته، ثم أمرهم أن يجعلوه فيه، فوالله ما زال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه».

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٣١٨)، وذكره الشافعي كما في «السنن الكبرى» للبيهقي (٩/ ٣٧٢)، وابن هشام في «السيرة النبوية» (٢/ ٣٢٢).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٨٩٤)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٢٤٤).

وقيل: ألفاً وخمسَ مئةٍ[(١)]، فبايَعُوه إلا جَدَّ بنَ قيسٍ فإنه اختبأَ تحت إبطِ ناقتِه، وهذه البيعةُ هي التي تسمَّى: بيعةَ الرضوان، وكانتْ تحتَ الشجرةِ وهي سَمُرةٌ، وقيل: سِدْرةٌ، والأولُ أكثرُ في التفاسير، فرجَعَ عثمانُ ولم يُجِبْه قريشٌ إلى ما سَأَل، وجاء عروةُ بنُ مسعودٍ لإيقاعِ صلحٍ، فلمَّا رأى أصحابَ النبيِّ ﷺ قال: أيْ محمدُ، أرأيتَ إنِ استأْصَلْتَ قومَكَ، هل سمِعْتَ بأحدٍ من العربِ اجتاحَ أصلَه؟! على أنِّي أرى وجوهاً وأشواباً خُلَقاءَ بأنْ يَفِرُّوا ويَدَعوك. فشَتَمه أبو بكرٍ رضي الله عنه، فلمَّا عاد إلى قريشٍ قال: لقد وفَدْتُ على كِسرى وقَيصَرَ والنَّجَاشيِّ وغيرِهم من الملوك، وما رأيتُ مَلِكاً يعظِّمُه أصحابُه ما يُعظِّمُ أصحابُ محمدٍ محمداً، واللهِ إنْ يتنخَّمْ نُخامةً إلا وقعَتْ في كفِّ رجلٍ منهم، فدَلَكَ بها وجهَه وجِلْدَه، وإذا أَمَرَهم بأمرٍ ابتَدَروا أَمْرَه، وإذا توضَّأَ كادوا يقتَتِلون على وَضوئه، وإذا تكلَّموا عنده خَفَضوا أصواتَهم، وما يُحِدُّون النَّظَرَ إليه تفخيماً، وإنه قد عَرَض عليكم خُطَّةَ رَشَدٍ فاقْبَلوها منه، فلمَّا اتَّفَقوا على الصُّلح جاء سهيلُ بنُ عمرٍو المخزوميُّ وتصالَحوا على أنْ لا يدخلَ النبيُّ ﷺ مكةَ سَنتَه، بل يعودُ في القابِلِ ويُقيمُ بمكةَ ثلاثةَ أيامٍ ثم ينصرفُ، فلمَّا كَتَب

---

(١) كونهم يومئذ ألفاً وخمس مئة رواه البخاري (٤١٥٣) ومسلم (١٨٥٦/ ٧٢ و٧٣) عن جابر.
وكونهم ألفاً وأربع مئة، رواه البخاري (٤١٥٤) ومسلم (١٨٥٦/ ٦٧) عن جابر أيضاً.
وروى مسلم (١٨٥٧) والبخاري تعليقاً (٤١٥٥) من حديث عبد الله بن أبي أوفى: أنهم كانوا ألفاً وثلاث مئة.
قال الآلوسي في «روح المعاني» (١٣/ ٢٦٠) بعد أن ذكر ما تقدم من روايات: وعند أبي شيبة من حديث سلمة بن الأكوع أنهم كانوا ألفاً وسبع مئة، وجزم موسى بن عقبة بأنهم كانوا ألفاً وستَّ مئة، وحكى ابن سعد أنهم ألفٌ وخمسُ مئة وخمسة وعشرون.
قال: وجمع بين الروايات بأنها بناء على عد الجميع، أو ترك الأصاغر والأتباع والأوساط أو نحو ذلك.

عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه وكرَّم اللهُ وجهَه: «بسم الله الرحمن الرحيم» قال سهيلٌ: ما نَعْرِفُ الرَّحمنَ الرحيمَ، اكتُبْ في قضيَّتِنا ما نَعرفُ: «باسمِكَ اللَّهُمَّ» ولمَّا كتب: «محمدٌ رسولُ الله» قال: لو عَلِمْنا أنك رسولُ اللهِ ما قاتَلْناك، اكتب: «محمدُ بنُ عبدِ الله»، فأجابه إلى الأمرَين، وكتب: «هذا ما صالَحَ محمدُ بنُ عبدِ الله قريشاً، صالَحَهم على أنه لا إغلالَ ولا إسلالَ، وعلى أنه مَن قَدِمَ مكةَ من أصحابِ محمدٍ حاجًّا أو معتمِراً أو يبتغِي من فضلِ اللهِ فهو آمنٌ على دمِه ومالِه، ومَن قَدِم المدينةَ من قريشٍ مجتازاً إلى مصرَ والشام يبتغي من فضلِ الله فهو آمنٌ على دمِه ومالِه، وعلى أنه مَن جاء محمداً عليه السلام من قريشٍ فهو إليهم رَدٌّ، ومَن جاءهم من أصحابِ محمدٍ فهو لهم».

فاشتدَّ ذلك على المسلمين، فقال النبيُّ ﷺ: «مَن جاءهم منَّا فأَبْعَدَه الله، ومَن جاءَنا منهم ردَدْناه إليهم، فإنْ عَلِم اللهُ منه الإسلامَ جَعَل له مخرجاً».

فلمَّا فَرَغوا من الهدنةِ نَحَر النبيُّ ﷺ وحَلَق، وفَعَل أصحابُه ذلك، فنزَل عليه في طريقِه في هذا الشأنِ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾[1] يريد: ما كان من أمرِ الحديبيَةِ، والفتحُ قد يكونُ بالصُّلح.

وقيل: كان هذا الفتحُ عن ترامٍ بالحجارةِ ولم يكنْ قتالٌ شديدٌ، والفتح: هو الظَّفَرُ بالمكانِ بصلحٍ أو حربٍ؛ لأن الموضعَ يكون مُغلَقاً فيفتحُ إمَّا بحربٍ أو هُدنةٍ وصُلحٍ.

وقيل: المرادُ به فتحُ مكةَ، وعَدَه اللهُ ذلك.

ابنُ بحرٍ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا﴾ معناه: أَعْلَمْناكَ فيما أنزَلْناه عليك من القرآنِ

(١) رواه البخاري (٢٧٣١) عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم.

وأَمَرْنـاكَ بـه مِـن الدِّين أمـراً مُبينـاً، وقد يُعبَّـرُ عن العلـمِ بالفتـحِ؛ كقوله: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾ [الأنعام: ٥٩]؛ أي: علـمُ الغيـب[1].

ابنُ عيسى: الفتحُ: الفَرَحُ المزيلُ لِلْهَمِّ[2]، ومنه: فتحُ المسألةِ؛ إذا انفرَجَتْ عن بيانٍ يؤدِّي إلى الثِّقة.

وقيل: الفتحُ: القضاءُ والحكمُ، والفتَّاحُ: القاضي؛ أي: حكَمْنا لك بهذه المهادَنةِ.

وقيل: أرشَدْناكَ إلى الإسلام.

* * *

(٢) - ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾.

﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ﴾ قيل: الفتحُ ليس بسببٍ للمغفرة، وإنما التقديرُ: إنَّا فتَحْنا لك فاستغفِرْ ليَغْفِرَ لك اللهُ، ومثلُه: ﴿إذا جاءَ نصرُ اللهِ والفتحُ... فسَبِّحْ... واستَغْفِرْ﴾.

وإذا جُعلَ الفتحُ بمعنى الحُكْمِ فهو متَّصلٌ به من غيرِ إضمارٍ، وكذلك فيمَن جَعَله بمعنى العلمِ والإرشاد.

وقيل: ليَغفِرَ لكَ بصبرِكَ على ما امتُحِنْتَ به.

ابنُ الأنباريِّ: يجتمِعُ لك المغفرةُ مع الفتحِ فتَتِمُّ النعمةُ عليك[3].

وذهب سَهْلٌ[4] إلى أنَّ اللامَ لامُ القَسَم؛ أي: لَيَغْفِرنَّ الله، فلمَّا حُذفتِ النونُ

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١١١) واستغربه.

(٢) في (ف): «الهم».

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٠/ ٢٨٢) عن ابن الأنباري أنه سأل أبا العباس (ثعلب) عنها فأجابه.

(٤) هو أبو حاتم سهل بن محمد السّجستاني، وذكره عنه الواحدي في «البسيط» (٢٠/ ٢٨١)، ونقل

كُسرتِ اللام، وأَنشد:

إذا قالَ قَطْنِي قلتُ آلَيْتُ حَلْفَةً لِتُغْنِيَ عَنِّي ذَا إِنائِكَ أَجْمَعَا[(١)]

وقد سَبَق.

وقيل: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾ مجاهَدَتَك ومقاتَلَتَك أهلَ مكةَ ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ﴾، فاللامُ متعلِّقٌ بالقتال والجهاد[(٢)].

وقيل: المغفرةُ سببٌ للفتح؛ أي: لِمَغْفِرتنا لكَ ﴿فَتَحْنَا لَكَ﴾، كما تقولُ: أكرمتُكَ لفَضْلِك[(٣)].

﴿مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ﴾؛ أي: تَقَدَّمَ النبوَّةَ ﴿وَمَا تَأَخَّرَ﴾ بعدَها.

وقيل: قبلَ الفتحِ وبعدَه.

وقيل: ﴿مَا تَقَدَّمَ﴾ من ذنبِ آدمَ وحوَّاءَ عليهما السلام ﴿وَمَا تَأَخَّرَ﴾ ذنوب أمَّتِك.

وقيل: ما وَقَع وما يَقَعُ على طريقِ الوعدِ مغفورٌ.

وقيل: أولَ ذنوبِكَ وآخِرَها، ووحَّد[(٤)] لأنه إشارةٌ إلى الجنس.

عن ابن الأنباري رده بقوله: «هذا الذي قاله أبو حاتم غلط؛ لأن لام القسم لا تكسر ولا ينصب بها، ولو جاز أن يكون معنى (ليغفر): ليغفرن، لقلنا: ليقوم زيد، بتأويل: والله ليقومن، وهذا معدوم في كلام العرب، وليس هذا بمنزلة: أظرف بزيد؛ لأن التعجب عدل به إلى لفظ الأمر، ولام القسم لم توجد مكسورة قط».

(١) البيت لأبي عناب الطائي كما في «مجالس ثعلب» (ص: ١٠٣)، و«المسائل البصريات» للفارسي (ص: ٤٠٥)، وتقدم عند تفسير الآية (١٢١) من سورة (التوبة).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١١٢)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١١٢)، واستغربه.

(٤) في (ف): «فوحد».

وقيل: هذا على وجهِ المبالغةِ؛ كما تقولُ: أعطي مَن رَأى ومَن لم يَرَ.

﴿وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ﴾ بإعلاءِ دِينكَ وفتحِ البلادِ على يَدِك ﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾: ويُثبّتَكَ[1] عليه.

* * *

(٣) - ﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾.

﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾: ذا عزٍّ لا ذلَّ بعدَه أبداً.

وقيل: مُعِزًّا.

وقيل: ممتنِعاً على غيرِكَ مِثْلُه.

وقيل: عزيزاً لا يُزيلُه ولا يَعْلُوه عددٌ[2]، من قولهم: تمرَّدَ ماردٌ وعزَّ الأبلقُ[3].

* * *

---

(١) في (ف): «أي يثبتك».

(٢) في (ف): «أحد».

(٣) انظر: «أمثال العرب» للمفضل الضبي (ص: ١٤٤)، و«الأمثال» لأبي عبيد (ص: ٩٤)، و«جمهرة الأمثال» (١/ ٢٥٧)، و«ومجمع الأمثال» (١/ ١٢٦). قال المفضل ونقله عنه أبو عبيد: هذا المثل للزباء الملكة، وكانت سارت إلى «مارد» حصنِ دومة الجندل، وإلى «الأبلق» حصن تيماء، فامتنعا عليها، فعندها قالت ذلك.
قال الميداني: الأبلق: حصن للسموءل بن عَادِياء، قيل: وصف بالأبلَق لأنه بني من حجارة مختلفة الألوان بأرض تَيْماء.
وقال العسكري: يُضْرب مثلاً للرجل العزيز المنيع الذي لا يُقدر على اهتضامه.

(٤) ـ ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾.

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ابنُ عيسى: السَّكِينةُ: البَصِيرةُ التي تَسْكُنُ إليها النَّفْسُ(١).

وقيل: السَّكينةُ اسمٌ لِمَا يُسكَّنُ به الشيءُ؛ أي: يدومُ على ما هو عليه ولا يَزولُ.

وقيل: السكينةُ: الصبرُ على أمرِ الله، والثقةُ بوعدِ الله، والتعظيمُ لأمر الله.

﴿لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ﴾؛ أي: يقيناً مع يقينِهم.

وقيل: إيماناً بالشرائعِ مع إيمانِهم بالله.

وقيل: صبراً مع اجتهادهم.

﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: كلُّهم عَبيدُه.

وقيل: كلُّ ما في السماوات والأرضِ بمنزلةِ الجندِ له، لو شاء لانتصَرَ به كما يُنتصَرُ بالجند.

وقيل: جنودُ السماوات: الملائكةُ، وجنودُ الأرض: الإنسُ والجنُّ.

وقيل: كلُّها جنودٌ من حيث إنها تَدُلُّ على الوحدانيَّة.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بما فيهما ﴿حَكِيمًا﴾ بخَلْقِهما.

* * *

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٠/ ٢٨٤)، ونسبه لأهل المعاني، وذكر الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٣٤٩) عن ابن عيسى في تفسير السكينة أنها الرحمة.

(٥) ـ ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾.

﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ في سبب النزول: أنها متَّصلةٌ بالأولى على ما حكَيْنا، قيل: إنها نزلت عند نزول قوله: ﴿وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ﴾ [الأحقاف: ٩]، فلمَّا نزلت: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ قال رجلٌ من القوم: هنيئاً مريئاً لك يا نبيَّ الله، قد بيَّنَ اللهُ لنا ما يُفْعَلُ بك، فماذا يُفعَلُ بنا؟ فأنزلَ اللهُ تعالى: ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾[1].

﴿وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾: يُغطِّيها، فهو بمعنَى المغفرةِ؛ أي: يكفِّرُ عنهم سيئاتِهم قبلَ أنْ يُدْخِلَهم الجنةَ؛ ليَدْخُلوها معرَّيْنَ من الآثام، ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾.

وقوله: ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: في الدارِ الآخرة، وقيل: في حُكمِ الله، كما تقولُ: هذا عندَ الشافعيِّ[2] جائزٌ؛ أي: في حُكْمِه.

وهذه اللَّامُ متعلِّقةٌ بـ﴿فَتَحْنَا﴾، ولم تَدْخلِ الواوُ لأن التقدير: إنَّا فتَحْنا ليَغْفِرَ، إنَّا فتَحْنا[3] ليُدْخِلَ المؤمنين.

وقيل: متَّصلٌ بـ﴿أَنزَلَ﴾، وتقديرُه: ليزدادوا إيماناً ليُدْخِلَ المؤمنين، فيكونُ بدلاً من قوله: ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ﴾ بدلَ الاشتمال.

وقيل: متَّصلٌ بقوله: ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ﴾؛ أي: يزدادوا ليُدْخِلَ.

---

(١) رواه الترمذي (٣٢٦٣) من حديث أنس رضي الله عنه وقال: «حسن صحيح».

(٢) في (ف): «أبي حنيفة».

(٣) «ليغفر إنا فتحنا» من (ف).

وقيل: متَّصلٌ بالمعنى، وتقديرُه: ولله جنودُ السماواتِ والأرضِ ولم يَنتصِرْ بهم وانْتَصر بالمؤمنين ليُدخِلَ المؤمنين.

***

(٦) ـ ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾.

﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾ هو عطفٌ على ﴿لِّيُدْخِلَ﴾ على الوجوه كلِّها ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ﴾ هو ظنُّهم أنْ لن يَنقلِبَ الرسولُ والمؤمنون إلى أهليهم أبداً.

وقيل: ظنُّهم أنَّ اللهَ يَنصرُهم على رسولِه والمؤمنين.

وقيل: ظنُّهم أنَّ للهِ شريكاً.

وقيل: ظنُّهم أنْ لن يَبْعَثَ اللهُ أحداً.

﴿**عَلَيْهِمْ دائِرَةُ السُّوءِ**﴾؛ أي: تَدورُ عليهم ويَعودُ عليهم ضررُ ما دبَّروا، ويقعُ الفسادُ والهلاكُ بهم.

﴿السُّوء﴾ بالضمِّ: المصدرُ، ويَصْلُحُ للاسم فقد جاء مجموعاً نحو: الأسواء.

و﴿ٱلسَّوْءِ﴾ بالفتحِ(١): النعتُ، و﴿ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾؛ أي: ظنَّ الأمرِ السَّوءِ، فيكونُ من بابِ: مسجِدِ الجامعِ، وصلاةِ الأُوْلى.

﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾: انْتَقم منهم ﴿وَلَعَنَهُمْ﴾: وأَبْعدَهم من رحمتِه ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ﴾: هيَّأَها لهم، وكلُّ لفظةٍ من هذهِ الثلاثِ يُنْبِئُ عن الأُخْرَيَينِ لكنَّ الإطنابَ في الإبعادِ أبلغُ، ﴿وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾؛ أي: جهنَّمُ.

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بضم السين، والباقون بفتحها. انظر: «السبعة» (ص: ٦٠٣)، و«التيسير» (١١٩).

(٧) ـ ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.

﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فيَدفعُ كيدَ مَن عادَى نَبيَّه عليه السلام والمؤمنين بما شاءَ منها، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا﴾ في أمرِه ﴿حَكِيمًا﴾ في فِعْلِه.

* * *

(٨) ـ ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾.

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا﴾ على أمَّتِكَ يومَ القيامة.

وقيل: شاهداً لهم بعَمَلهم.

وقيل: شاهداً للأنبياء عليهم السلامُ بالتبليغ.

وقيل: مبيِّناً لهم، وقد سَبَق.

﴿وَمُبَشِّرًا﴾ للمؤمنين، ﴿وَنَذِيرًا﴾ للكافرين.

وقيل: مبشِّراً لمن أطاعَ، ونذيراً لمن عَصَى.

* * *

(٩) ـ ﴿لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾.

﴿لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ نزَّل خطابُ النبيِّ عليه السلام منزلةَ خطابِ المؤمنين، ومَن قرأ بالياء[1] فتقديرُه: أرسلناكَ إليهم ليُؤْمِنوا، وكذلك ما بعدَه.

﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾: تُطِيعُوه، وقيل: تُبجِّلوه.

وقيل: تنصُروه بالسيف، العَزْرُ والتَّعْزيرُ: النصرُ مرةً بعد أخرى.

وقيل: تعظِّموه.

---

(١) قرأ بها ابن كثير وأبو عمرو، والباقون بالتاء. انظر: «السبعة» (ص: ٦٠٣)، و«التيسير» (ص: ٢٠١).

والهاءُ يعودُ إلى اللهِ سبحانه؛ كقوله: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ﴾ [محمد: ٧]، وكذلك قوله: ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾ يعودُ إلى الله سبحانه؛ أي: تعظِّموه؛ كقوله: ﴿لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا﴾ [نوح: ١٣]؛ أي: عظمةً.

وقيل: الضميرُ فيها يعودُ إلى النبيِّ ﷺ؛ أي: تعظِّموا النبيَّ ﷺ وتَدْعوه باسمِ الرسولِ وباسمِ النبيِّ عليه السلام.

﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾؛ أي: تسبِّحوا اللهَ وتنزِّهوه، وقيل: تصلُّوا له. وهذا للهِ خاصةً، واستَحْسَنوا الوقفَ على ﴿تُوَقِّرُوهُ﴾ لهذا[1].

ويحتمِلُ: وتُسبِّحوه معه[2]، فيكونُ للنبيِّ ﷺ أيضاً، وفيه بُعْدٌ[3].

﴿بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾: بالغَدَاةِ والعَشِيِّ، وقيل: دائماً.

***

(١٠) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾: هي بيعةُ الرِّضوانِ تحتَ الشجرةِ على ما سَبَق.

وقيل: ليلةَ العقبةِ، وفيه بعدٌ.

وسمَّاها مبايعةً تشبيهاً بعَقْدِ البيع، وقيل: هو بيعٌ وشِرًى؛ لقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ﴾ الآية [التوبة: ١١١].

---

(١) انظر: «المكتفى في الوقف والابتدا» لأبي عمرو الداني (ص: ٢٠٠)، و«منار الهدى» للأشموني (٢/ ٢٨٠).

(٢) في (ف): «وتسبحوا له معه».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١١٢)، وعده من العجائب.

﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ﴾: قوَّةُ اللهِ في نصرةِ الرسولِ فوقَ قوَّتهم.

القفَّال: المعنى راجعٌ إلى ما جَرَتْ به العادةُ من التَّصافُقِ بالأيدي في المبايَعات.

وقال أيضاً: هو من قولِهِ عليه السلام: «اليدُ العُلْيَا خيرٌ من اليدِ السُّفْلَى، العُلْيَا المعطيَةُ»[1]؛ أي: اللهُ يعطيهم ما يكونُ له به الفضلُ عليهم.

ابنُ عيسى: عَقْدُ اللهِ في هذه البيعةِ فوقَ عَقْدِهم[2].

وقيل: مُلكُ اللهِ فوقَ مُلْكهم.

وقيل: يدُ اللهِ بالوَفاء[3] فوقَ أيديهم.

وقيل: نِعَمُ اللهِ بما هداهُم له فوقَ إجابتِهم إلى ما أجابوا إليه من البَيْعة.

﴿فَمَن نَّكَثَ﴾: نَقَضَ العهدَ ولم يَفِ به، وقيل: كَفَر، والنَّكْثُ: نَقْضُ الفَتْلِ، والنِّكْثُ بالكسر: المنكوثُ.

﴿فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۖ﴾؛ أي: عليها وبالُ ذلك.

﴿وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ﴾؛ أي: أتى به وافياً غيرَ مُنْتَقِضٍ.

وقيل: عاهَدَ عليه اللهَ في إيمانه.

﴿فَسَيُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾: جزيلاً، وهو الجنةُ ونعيمُها.

* * *

---

(١) رواه البخاري (١٤٢٩)، ومسلم (١٠٣٣) عن ابن عمر رضي الله عنهما بلفظ: «اليد العليا خير من اليد السفلى، فاليد العليا: هي المنفقة، والسفلى: هي السائلة»، وذكر المصنف هذا القول في «غرائب التفسير» (٢/ ١١١٣)، وعده من العجائب.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١١٣)، واستغربه.

(٣) في (ن): «بالوفاق».

(١١) ـ ﴿ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾.

﴿ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ ﴾ هم أَسْلَمُ وجُهَيْنَةُ ومُزَينةُ وغِفَارٌ، سُمُّوا مخلَّفين لأنَّ اللهَ سَلَبهم التوفيقَ لمَّا لم يُخْلِصوا فخلَّفهم.

وقيل: المخلَّفُ: الذي لا يُؤْبَهُ به، قال الشاعرُ:

مُخَلَّفونَ وَيَقْضِي النَّاس أمْرَهُمُ غُشُّو الأمانَةِ صُنبورٌ[1] فصُنْبورِ[2]

﴿شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا﴾؛ أي: لم يكنْ لنا مَن يَخْلُفُنا في أموالِنا وأَهْلِينا، فخِفْنا الضَّياعَ علينا وعليهم، ﴿فَاسْتَغْفِرْ لَنَا﴾: سَلِ اللهَ أنْ يَغْفِرَ لنا تخلُّفَنا عنك وإنْ كان عن عذرٍ.

﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ يعني: قولَهم: ﴿اسْتَغْفِرْ لَنَا﴾.

---

(١) في (ن): «غُشُّوا الأمانَةَ صنبوراً فصنبوراً».

(٢) البيت لأوس بن حجر. انظر: «ديوانه» (ص: ٤٥)، و«غريب الحديث» لأبي عبيد (١/ ١١)، و«جمهرة اللغة» (١/ ١٣٥)، و«تهذيب اللغة» (١٢/ ١٩٠)، و«الصحاح» مادة: (غ س س)، و«مقاييس اللغة» (٤/ ٣٨٢) مادة: (غ س س)، و«المحكم» لابن سيده (٥/ ٣٤٩)، و«درة الغواص» للحريري (ص: ١٥٩). ورواية الديوان وأكثر المصادر: «غسُّ الأمانة»، قال ابن فارس: الغين والسين ليس فيه إلا قولهم: رجل غس؛ إذا كان ضعيفاً. ومنه قول أوس، وذكر البيت.

وقال الحريري: من رواه بالسِّين المهملة عَنى أنهم ضعفاء الأمانة، ومن رواه بالشين المُعْجَمَة، فاشتقاقه من الغِش.

وقال ابن سيده: رجل غُشٌّ: غاشٌّ، والجمع: غُشُّون، ثم ذكر البيت.

وقال الجوهري: رواه المفضل: «غُشُّ» بالشين معجمة كأنه جمع غاشٍّ، مثل بازل وبُزل. ويروى «غش» نصباً على الذم بإضمار (أعني).

وقيل: هو قولُهم: ﴿شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا﴾؛ لأنهم عَلِموا أنَّ المانعَ خُبْثُ نيَّتِهم.

﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾: مَن يمنعُكم من عذابِ الله ﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا﴾ وأنتم في أموالِكُم وأهليكُم.

وقيل: ﴿أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا﴾: هزيمةً ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا﴾: ظهوراً على عدوِّكم وغنيمةً.

وقيل: معناه: استغفاري لكم مع خُبْثِ نيَّتِكم لا يَدْفعُ عنكم عذابَ الله.

﴿بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا﴾ ردَّ بـ﴿بَلْ﴾ قولَهم: ﴿شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا﴾.

***

(١٢ ـ ١٤) ـ ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا﴾؛ أي: إنما خلَّفكم ظنُّكم أنَّ المشركينَ يَستأصِلونَ الرسولَ والمؤمنين، فلا يَرْجعُ أحدٌ منهم إلى أهله؛ إمَّا أنْ يُقْتلوا، أو يُهْزَموا فيَتبدَّدوا في البلاد.

﴿وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ﴾: زيَّنَه الشيطان، وقيل: قُوِّيَ في قُلوبكم[1].

﴿وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾ مِن عُلُوِّ الكفَّارِ وانتشارِ الفَساد.

﴿وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا﴾: هالِكِين، وقيل: فاسِدِين، وقيل: شِراراً.

يقالُ للواحدِ والجمعِ: بُورٌ، وبارَ الشيءُ: هَلَكَ وفَسَد، وبارَتِ الأرضُ: لم تُثْمِرْ ولم تُنْبِتْ.

(١) في (ن): «قوى قلوبكم».

﴿ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴾: ناراً مسعورةً مُلْهبةً.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾.

* * *

(١٥) ـ ﴿ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾.

﴿ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ ﴾ جمهورُ المفسِّرين على أن هؤلاء هم المخلَّفون من الأعرابِ المذكورون فيما تقدم:

﴿إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ ﴾: ذَهبْتُم ﴿إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا﴾: هي مغانمُ خيبرَ، وُعِدَ أهلُ الحديبيَة ذلك: أنَّ غنائمَ خيبرَ لهم خصوصاً؛ مَن غاب منهم ومَن حَضَر، قالوا: ولمْ يَغِبْ منهم عنها أحدٌ إلا جابرُ بنُ عبد الله، فقسَم له رسولُ اللهِ ﷺ كسَهْم مَن حَضَر.

وذكر الزهريُّ: أنَّ غنائمَ خيبرَ كانت بينَ أهل الحديبيَةِ مَن حَضَر منهم خيبرَ، ولمن غاب، ولمن حضَرها من غيرِهم من الناس(١).

وكان انصرافُ رسولِ الله ﷺ من الحديبيَة في ذي الحجَّة، فأقام بالمدينةِ بقيَّةَ ذي الحجَّة وبعضَ المحرَّم من سنةِ ستٍّ، ثم خرج في بقيَّةِ المحرَّم إلى خيبرَ، وخرج معه مَن شَهِد الحديبيَةَ، ففتَحَها وغَنِمَ أموالاً كثيرة وجعَلَها لهم خاصَّة.

ورُوي أنه عليه السلامُ لمَّا بَدَا حِصْنُها قال: «خَرِبَتْ خيبرُ، إنَّا إذا نَزَلْنا بساحةِ قومٍ فساءَ صباحُ المنذَرين»(٢).

---

(١) رواه أبو داود (٣٠١٩) كذا مرسلاً.

(٢) رواه البخاري (٩٤٧)، ومسلم (١٣٦٥)، عن أنس رضي الله عنه.

فلمَّا سمعَ هؤلاء المنافقون بوَعْدِ رسولِ اللهِ ﷺ أصحابَه غنائمَ خيبرَ قالوا: ﴿ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ﴾ فمنعَهم النبيُّ ﷺ[1]؛ لأنَّ الله أمرَه أنْ لا يُخرجَ إلى خيبرَ إلا أهلَ الحديبيَةِ؛ لتكونَ الغنيمةُ لهم عِوَضاً من غنائمِ مكة إذا انصرَفوا عنهم على صُلْحٍ.

﴿يريدون أن يبدّلوا كَلِمَ اللهِ﴾ هو مصدرٌ، وقُرِئ: ﴿كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾[2]: جمعُ كلمةٍ، هو قوله: لا يَخْرجْ إلى خيبرَ إلا أهلُ الحديبيَةِ.

وقيل: هو قولُه: ﴿لَّن تَتَّبِعُونَا﴾ ولم يكونوا مؤمنينَ بوعدِ اللهِ المسلمِينَ ما وعَدَهم، ولكنَّ استئذانَهم إلى خيبرَ كان فِعْلَ مَن يريدُ تبديلَ كلامِ الله، فقال اللهُ لنبيِّه: ﴿قُل لَّن تَتَّبِعُونَا﴾ هو نفيٌ وليس بنهيٍ؛ لأنَّ اللهَ قال ذلك ولا يُبدَّلُ القولُ لديه.

وقيل: إلى خيبرَ فقط.

وقيل: عامٌّ في غزواته.

﴿كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ﴾: قبلَ انصرافهم إلى المدينة وقبلَ[3] تهيُّئِهم للخروجِ إلى خيبر.

وذهَبَ جماعةٌ من المفسِّرين فيهم الزجَّاجُ إلى أن ﴿كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ هاهنا قولُه في سورة (براءة): ﴿فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّا﴾ [التوبة: ٨٣][4].

وذهب بعضُهم إلى أنَّ هذا في قصَّةِ تبوكَ كما سبق، وهي بعدَ الحديبيَةِ بسنَتَينِ بإجماعٍ من أهلِ المغازي في هذا، حتى ذهَب بعضُهم إلى أنَّ هذه الآيةَ ـ

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٧٢)، و«تفسير الطبري» (٢١/ ٢٦١).

(٢) قرأ حمزة والكسائي: ﴿كَلِمَ الله﴾، والباقون: ﴿كلام الله﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٦٠٤)، و«التيسير» (ص: ٢٠١).

(٣) في (ف): «وقيل»، وهي غير منقوطة في (ن)، والصواب المثبت.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٤).

أعني: ﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ﴾ ـ نزلت في غزوةِ تبوكَ، والذي عليه المحقِّقون ما ذكَرْتُ أوَّلاً.

وقيل: لا ينكَرُ أنْ يكونَ اللهُ قد نَهَى نبيَّه عليه السلامُ عن الغزوِ بهؤلاء بوحيٍ غيرِ القرآن(١).

﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾؛ أي: لم يأمُرْكم به اللهُ ﴿بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾ أنْ نشارِكَكم في الغنيمة، ﴿بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾؛ أي: لا يَفْقَهون من كلامِ الله إلا شيئاً قليلاً.

وقيل: لا يعلمونَ أنْ لا تبديلَ لكلامِ الله.

وقيل: الاستثناءُ من واوِ الضَّمير، ونُصِب على أصلِ الاستثناء، وهم الذين أسلَموا منهم.

* * *

(١٦) ـ ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

﴿قُل﴾ يا محمدُ ﴿لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ هم المخلَّفون عن الحديبيةِ: ﴿سَتُدْعَوْنَ﴾: يَدْعُوكم النبيُّ ﷺ ﴿إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ هم هَوازِنُ وغَطَفانُ.

وقيل: هم الرُّومُ غَزاهم رسولُ اللهِ ﷺ في تبوكَ.

وقيل: يَدْعوهُم(٢) أبو بكرٍ رضي الله عنه إلى بني حَنيفةَ مع مُسَيْلمةَ الكذَّاب.

وقيل: عمرُ رضي الله عنه إلى فارسَ.

---

(١) في (ن): «حتى عبر القرآن أي قراء نسخه»، ولعله تحريف صوابه: «بوحي غير القرآن فرأى نسخه»، والله أعلم.

(٢) في (و): «يدعوكم».

وقيل: المخلَّفون عن تبوكَ، وكانوا ثلاثةَ أصناف:

صنفٌ كفَروا، ونزلَتْ فيهم: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة: ١٠١].

وصنفٌ أَسْلَموا وهم الذين ﴿ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٢].

وصنفٌ هم: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١٠٦]، وهم المعنيُّون بهذه الآية.

والدَّاعي يجوزُ أنْ يكونَ النبيَّ ﷺ، ويجوزُ أن يكونَ أبا بكرٍ وعمرَ رضي الله عنهما؛ لأنهم بَقُوا إلى هذه المدَّة.

وقيل: الخلفاءُ جميعاً داخِلُون في الآيةِ، وكذلك الكفَّارُ جميعاً.

﴿تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾؛ أي: أو هم يُسْلِمون.

وقيل: إلى أنْ يُسْلِموا، فلمَّا حُذِف (أنْ) رُفِعَ الفعلُ[1].

﴿فَإِن تُطِيعُواْ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا﴾: في الدنيا الغنيمةَ، وفي الآخرةِ الجنةَ.

وقيل: الغنيمةَ فحَسْبُ فيمَن حمَله[2] على المنافقين وجَعَلَ الداعيَ غيرَ النبيِّ ﷺ؛ لأنَّهم إذا أَظْهَروا الإيمانَ لَزِم الخلفاءَ والمؤمنين إجراؤُهم مُجرى المخلِصين.

﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ﴾؛ أي: عن الحُديبيَةِ ﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ في الآخرة.

***

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١١٣)، واستغربه.

(٢) في (ف): «حملهم».

(١٧) ـ ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾.

﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ ﴾ قال ابنُ عباس رضي الله عنهما: قال أهلُ الزَّمانةِ: وكيفَ بنا يا رسولَ الله؟ فأنزلَ اللهُ: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ ﴾[1]: إثمٌ في التخلُّف؛ لأنَّه كالطائرِ المقصوصِ الجَناحِ لا يَمتنِعُ على مَن قَصَده.

﴿ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ ﴾ من العلَّة اللَّازمةِ إحدى الرِّجْلَين أو كلتَيْهما.

﴿ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ ﴾: الذي لا قوَّةَ بـه ﴿ حَرَجٌ ﴾، وتـمَّ الكلامُ، ثُم قال:

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ فيما يأمرُه وينهاهُ ﴿ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ ﴾: يُعْرِض عن الطاعةِ ﴿ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾.

* * *

(١٨ ـ ١٩) ـ ﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾.

﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾: هم الذين تَقَدَّم ذكرُهم.

وقيل: ذلك عامٌّ في كلِّ مَن بايَعَ رسولَ اللهِ ﷺ، وهذا خاصٌّ في أصحابِ بيعةِ الرِّضوان.

وسـمِّي بيعـةَ الرِّضـوانِ لقولـه: ﴿ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾، والشـجرةُ كانت سَمُرةً.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٤/ ٢٥٠)، والواحدي في «أسباب النزول» (٢٠/ ٣٠٢)، ولعله من رواية الكلبي كما أورده السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٣١٦).

وقيل: سِدْرَةٌ[١].

قال القفَّال: ورُوي أنها عُمِّيتْ عليهم مِن قابلٍ فلم يَدْرُوا أين ذهبَتْ.

﴿فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾ من صحَّةِ العقائدِ ونُصرةِ الرسولِ عليه السلام.

﴿فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾: الصبرَ، وسكونَ النفسِ إلى صِدْقِ الوعدِ، وقوةَ القلب، حتى اطمأنَّتْ إلى طاعةِ الرسولِ ﷺ.

﴿وَأَثَٰبَهُمْ﴾: جازاهم ﴿فَتْحًا قَرِيبًا﴾: فتحَ خيبرَ، وقيل: فتحَ مكةَ، وقيل: فتحَ مكةَ وعدًا.

﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً﴾: هي مغانمُ خيبرَ ﴿يَأْخُذُونَهَا﴾: يَغْنَمونها، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.

* * *

(٢٠) - ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾.

﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾ هي ما أصابوهُ مع النبيِّ ﷺ وبعدَه إلى يومِ القيامة، ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ﴾ يعني: غنيمةَ خيبرَ، ﴿وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ﴾؛ أي: أيديَ قريشٍ.

وقيل: أيديَ اليهودِ عنكم حين خرجتُم وخلَّفْتُم عيالَكم بالمدينة، وهمَّتِ اليهودُ بهم فمنعَهم ذلك.

﴿وَلِتَكُونَ ءَايَةً﴾ قيل: هذه الغنيمةُ المعجَّلةُ دليلاً على ما وَعَدهم من الغنائم.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١١٤)، واستغربه.

وقيل: ولتكونَ هذه الغنيمةُ دلالةَ النبوَّة؛ لأنه وعدَهم فتحَ خيبرَ في طريقِ الحُديبيَةِ.

وقيل: كفَّ اليهودِ عن عيالِكُم ﴿ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾.

واللامُ في ﴿وَلِتَكُونَ ءَايَةً﴾ عطفٌ على المعنى؛ لأنَّ تقدير الآيةِ: وعَدَكم اللهُ مغانمَ ليجازِيَكم على ما كان منكُم ولتكونَ آيةً للمؤمنين، ﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾.

***

(٢١) ـ ﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا﴾.

﴿وَأُخْرَىٰ﴾؛ أي: وعَدَكم الله مغانمَ أُخرى ﴿لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا﴾: على فتحِها فيما مَضى ﴿قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا﴾: قَدَر على تمكينِكُم منها وفَتْحِها لكم.

ابن عباسٍ: هي فارسُ[1].

وقيل: قُرى عُيَيْنَةَ.

وقيل: فتحُ مكة.

وقيل: وعَدَكُم مغانمَ أخرى بنصرِه إيَّاكم على الكفَّار لم تقدِروا بَعْدُ عليها و﴿قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ علماً: أنها ستَصيرُ إليكم، وهي غنائمُ فارسَ والرومِ.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا﴾: قادراً بذاته[2].

***

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٢٨٤) بلفظ: «فارس والروم».

(٢) «قادراً بذاته»: ليس في (ن).

(٢٢) ـ ﴿ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾.

﴿ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾؛ أي: لو قاتَلكم قريشٌ يومَ الحُديبيَة ﴿لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ﴾: لانْهَزَموا؛ أي: لم يكنْ قتالٌ، ولو كان لكانَ بهذه الصِّفة.

﴿ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا﴾ يَلِي أمرَهم ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ يَنصُرُهم.

* * *

(٢٣) ـ ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾.

﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ﴾؛ أي: سَنَّ سُنَّةً قديمةً فيمَن مَضَى من الأمم أنَّ مَن قاتَلَ نبيًّا غُلب.

وقيل: سُنَّةَ اللهِ في نَصْرِه مَن أَمَره من الأنبياءِ بالقتال.

وقيل: سنَّتَه أنَّ كلَّ قومٍ قاتَلوا أنبياءَهم انْهَزموا.

﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ﴾ في نصرةِ رُسُله ﴿تَبْدِيلًا﴾: تغييراً.

* * *

(٢٤) ـ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم﴾ في سببِ النزولِ عن أنس رضي الله عنه: أنَّ ثمانين رجلاً من أهلِ مكةَ هَبَطُوا على رسولِ الله ﷺ من جبلِ التنعيم متسلِّحينَ يريدونَ غِرَّةَ النبيِّ وأصحابِه، فأَخَذهم فاستَحْياهم، فأَنْزلَ اللهُ هذه الآية[1].

وعن عبدِ اللهِ بنِ مُغفَّلٍ المُزنيِّ قال: كنَّا مع رسولِ اللهِ ﷺ بالحُديبيَةِ في أصلِ

---

(١) رواه مسلم (١٨٠٨).

الشَّجرةِ التي ذكَرَها الله تعالى في القرآن، فبَيْنَا نحن كذلك إذ خَرَج علينا ثلاثون شابًّا عليهم السلاحُ، فثارُوا في وجوهِنا، فدَعَا عليهم رسولُ الله ﷺ، فأخذ اللهُ بأبصارهم، فقُمْنا إليهم فأخَذْناهم، فقال لهم رسول الله ﷺ: «هل كنتُم في عهدِ أحدٍ؟ وهل جَعَل لكُم أحدٌ أمانًا؟» فقالوا: اللهمَّ لا، فخَلَّى سبيلَهم، فأنزَلَ اللهُ هذه الآيةَ[1].

وقيل: كفَّ أيديَكُم بأنْ أَمَرَكم أنْ لا تحاربوا المشركين، وكفَّ أيديَهم عنكم بإلقاءِ الرُّعب في قلوبِهم.

وقيل: بالصُّلحِ من الجانبينِ.

وقيل: إنَّ عكرمةَ بنَ أبي جهلٍ خرجَ في خمسِ مئة رجلٍ، فقال رسول الله ﷺ لخالدِ بنِ الوليد: «هذا ابنُ عمِّك قد أتاكَ في الخيل»[2]، فقال خالدٌ: أنا سيفُ اللهِ وسيفُ رسولِه، ارْمِ بي حيث شئتَ، فبَعَثَه على خيل[3] فلقِيَ عكرمةَ في الشِّعب، فهزمَه حتى أدخَلَه حيطانَ مكَّة، ثم عادَ فهزَمه حتى أدخَلَه جوفَ مكَّةَ، فأنْزَل الله هذه الآيَةَ، وسُمِّي خالدٌ يومئذٍ سيفَ الله[4].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٦٨٠٠)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٤٤٧)، والحاكم في «المستدرك» (٣٧١٦).

(٢) في (ف): «الجبل».

(٣) في (ف): «جند».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٢٩١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٠٠)، عن ابن أبزى مرسلًا، وقال ابن كثير في «تفسيره» (٧/ ٣١٨) بعد أن ساقه: «وهذا السياق فيه نظر، فإنه لا يجوز أن يكون عام الحديبية؛ لأن خالدًا رضي الله عنه لم يكن أسلم، بل قد كان طليعة المشركين يومئذ كما ثبت في الصحيح، ولا يجوز أن يكون في عمرة القضاء لأنهم قاضوه على أن يأتي في العام المقبل فيعتمر ويقيم بمكة ثلاثة أيام، ولما قدم ﷺ لم يمانعوه ولا حاربوه ولا قاتلوه. فإذا قيل: فيكون يوم الفتح؟ فالجواب: ولا يجوز أن يكون يوم الفتح؛ لأنه لم يسق عام الفتح هدياً، وإنما جاء محاربًا =

ويحتَمِلُ: ﴿كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾ بالرُّعب؛ لقوله عليه السلام: «نُصِرْتُ بالرُّعب»[(١)]، ﴿وَأَيْدِيَكُمْ﴾ بقوله: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ﴾ الآيةَ.

ورُوِي أنَّ كفَّارَ مكةَ خرجوا يومَ الحديبيَةِ يرمُونَ المسلمين، فرماهُم المسلمون بالحجارةِ حتى أدخلوهم بيوتَ مكَّةَ[(٢)].

القفَّال: ويجوزُ أن يكونَ جميعَ ما رُوي.

﴿بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: كَفَّ أيديَكم عن القتالِ ببطن مكة، فهو ظرفٌ للقتالِ. وبطنُ مكةَ هو الحديبيةُ؛ لأنها من أرضِ الحرم.

وقيل: ببطنِ أرضِ مكةَ، والحرمُ كلُّه مكةُ.

وقيل: إظفارُه: دخولُه بلادَهم بغيرِ إذْنهم.

وقيل: ﴿أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ بفتحِ مكة.

وقيل: بقضاء العمرة.

وقيل: هذه الآيةُ نزلتْ بعدَ فتحِ مكةَ. حكاهُ أقضى القُضاة[(٣)].

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾.

* * *

= مقاتلًا في جيش عرمرم، فهذا السياق فيه خلل، وقد وقع فيه شيء فليتأمل، والله أعلم».

(١) رواه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١) عن جابر رضي الله عنه بلفظ: «نصرت بالرعب مسيرة شهر».

(٢) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٣١٨) دون نسبة.

(٣) انظر: «النكت والعيون» للماوردي (٥/ ٣١٨).

(٢٥) ـ ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةُۢ بِغَيْرِ عِلْمٍۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ لَوْ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يعني: قريشاً ﴿وَصَدُّوكُمْ﴾ عامَ الحُديبيةِ ﴿عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ أنْ تَطوفُوا به للعُمْرة.

﴿وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا﴾: وصدُّوا الهديَ معكوفاً، وقيل: صدُّوكم مع الهديِ.

و﴿مَعْكُوفًا﴾ حالٌ؛ أي: وهو معكوفٌ ممنوعٌ، وقيل: مجموعٌ، وقيل: موقوفٌ.

﴿أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ﴾: مَنْحَرَه؛ أي: أنْ لا يَبْلُغَ، وقيل: معكوفاً عن أنْ يبلُغَ؛ أي: يُنْحَرَ وينتهي[1] الأمرُ به إلى ما سِيق له.

والمَحِلُّ: اسمُ الزمانِ والمكانِ، من حلَّ يَحِلُّ؛ إذا وَجَب.

قيل: مَحِلُّ هديِ العُمرةِ مكةُ، ومَحِلُّ هديِ الحجِّ مِنًى.

و﴿وَٱلْهَدْىَ﴾: جمعُ هَدْيَةٍ[2]، ولم يؤنَّثْ لأنَّ الجمعَ إذا لم يكُنْ بينَ واحدِه وجَمْعِه إلا الهاءُ جاز تذكيرُه وتأنيثُه.

﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾؛ أي: لم تَعْرِفوهم بأعيانهم أنَّهم مؤمنونَ ﴿أَن تَطَـُٔوهُمْ﴾: تُوْقِعوا بهم، تقولُ: وَطِئْتُ القومَ؛ إذا أَوْقَعْتَ بهم، قال الشاعر:

---

(١) في (ن): «أن ينحر فينتهي».

(٢) انظر: «الغريبين» مادة: (هـ د ى)، وفيه: الهَدْيُ والهَدِيُّ: لغتان، وهو ما يُهْدَى إلى بيت الله من نَعَمٍ أو غيرها، والواحدُ: هَدْيَةٌ وهَدِيَّةٌ. ونحوه في «الصحاح» مادة: (هـ د ى).
قلت: التخفيف قراءة الجمهور، والتشديد رواية عصمة عن عاصم كما في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٤٣)، ورواية اللؤلؤي وخارجة عن أبي عمرو كما في «البحر» (١٩/ ٢٩٩).

وَوَطِئْتَنا وَطْأً على حَنَقٍ   وَطءَ المُقيَّدِ نابِتَ الهَرْمِ[(١)]

ومنه قولُه عليه السلام: «اشْدُدْ وَطْأَتَكَ على مُضَرَ»[(٢)].

ويقالُ: إنَّ قوله عليه السلامُ: «وإنَّ آخِرَ وَطْأَةٍ وَطِئَهَا اللهُ بوَجٍّ»[(٣)]= من هذا؛ لأن (وجّ) وادٍ بالطائفِ، وكان آخرُ وقعةِ النبيِّ ﷺ بها.

وقيل: ﴿أَن تَطَـُٔوهُمْ﴾ بخيلِكم ورَجِلِكم فتَقْتُلوهم بسيوفكم[(٤)].

ومحلُّ ﴿أَن تَطَـُٔوهُمْ﴾ رفعٌ بالبدلِ من قوله: ﴿رِجَالٌ﴾ بدلَ الاشتمالِ.

وقيل: محلُّه نصبٌ بدلٌ من الضميرِ في ﴿تَعْلَمُوهُمْ﴾[(٥)].

وقيل: كراهةَ أنْ تَطَؤُوهم. والوجهُ هو الأوَّلُ.

﴿فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم﴾: من جهتهم ﴿مَّعَرَّةُۢ﴾: عَيْبٌ بأنْ قَتلْتُم مَن على دِينِكم. وقيل: ديةٌ، وقيل: إثمٌ، وقيل: كفَّارةُ عتقِ رقبةٍ أو صيامِ شهرينِ، وقد سبق.

---

(١) البيت للحارث بن وعلة كما في «شرح القصائد السبع الطوال» للأنباري (ص: ٥٤٩) و«أمالي القالي» (١/ ٢٦٣)، والمعنى: أخذتنا بغضبك فأثرت فينا كما يؤثر البعير المقيد بالشجرة الضعيفة إذا وطئها.

(٢) رواه البخاري (١٠٠٦)، ومسلم (٦٧٥)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٧٥٦٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢/ ٢٧٥) من حديث يعلى بن مرة رضي الله عنه. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٥٤): «رواه أحمد والطبراني، ورجالهما ثقات».

ورواه الإمام أحمد أيضاً (٢٧٣١٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٤/ ٢٣٩) و(٢٤/ ٢٤١) من حديث خولة بنت حكيم رضي الله عنها. قال ابن حجر في «إتحاف المهرة» (١٦/ ٩٢٩): «فيه انقطاع».

قال البيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ٣٨٩): «معناه عند أهل النظر: أن آخر ما أوقع الله سبحانه وتعالى بالمشركين بالطائف.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١١٥)، واستغربه.

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١١٥)، واستغربه.

والمَعَرَّةُ: العيبُ، والعَرُّ: الجَرَبُ، والعُرَّة: العَذِرة[1]، قريبٌ بعضُها من بعضٍ.

وجوابُ ﴿لولا﴾ محذوفٌ تقديرُه: لفَتَح عليكم مكةَ في الحال.

وقيل: جوابُ ﴿لَوْ﴾ و﴿لولا﴾ معاً قولُه: ﴿لَعَذَّبْنَا﴾.

﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ اللامُ متعلِّقٌ بما دلَّ عليه ﴿كَفَّ﴾.

وقيل: متَّصل بـ(المؤمنين والمؤمنات)؛ أي: آمَنوا ﴿لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ﴾، حكاه القفَّال، وقال: قوله: ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ متقدِّمٌ في النيَّة، تقديرُه: لم تعلَموهم أن تَطَؤوهم بغيرِ علم.

قال: ويجوزُ أن يكونَ ﴿فَتُصِيبَكُم﴾ جواباً للنفي[2]، ويجوزُ أن يكونَ عطفاً على ﴿أَن تَطَـُٔوهُمْ﴾.

﴿لَوْ تَزَيَّلُوا۟﴾: تميَّزوا، وقيل: تفرَّقوا، من قوله: ﴿فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ [يونس: ٢٨].

﴿لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ﴾ كنايةٌ عن أهلِ مكةَ، فيكونُ (مِن) للتبعيض.

وقيل: هم الصَّادُّون، فيكون (مِن) زيادةً.

﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ بالقتل والسَّيف.

* * *

(٢٦) ـ ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾.

﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ العاملُ في ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ﴾: (عذَّبنا).

وقيل: واذْكُرْ ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ قريشاً.

---

(١) في النسختين: «القذرة»، والصواب المثبت؛ ففي «وفقة اللغة» للثعالبي (ص: ٨٤): «العرّة البعر المختلط بالتراب»، وانظر: «غريب الحديث» لابن قتيبة (٢/ ٣١٠).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١١٥) عن القفال، واستغربه.

﴿فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ الحميَّةُ: الأَنَفةُ.

والحَمِيَّةُ: حالةٌ تُمنعُ النَّفسُ عندَها ممَّا تُعابُ به، تقول: حَمَيْتُ أنفي حَمِيَّةً، وحَمَيْتُ المريضَ حِمْيَةً، وحَمَيْتُ القومَ حِمَايةً.

وحميّةُ الجاهليةِ: أَنَفتُهم من الإقرارِ لمحمدٍ عليه السلامُ بالرسالةِ والاستفتاحِ بـ(بسم الله الرحمن الرحيم)، و(محمدٌ رسولُ الله)، ومنعِهم إياهُ دخولَ مكةَ.

وسمَّاها: ﴿حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ لأنَّ اللهَ لم يأمُرْ بها.

وقيل: هي العصبيَّةُ للأصنامِ، والأَنَفةُ من عبادةِ الله تعالى.

وقيل: هي تقليدُ الآباء.

﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: وَقاراً وصبراً.

﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾؛ أي: ما يتَّقون بها غَضَبَ اللهِ، وهي توحيدُ اللهِ والإيمانُ برسوله.

والجمهورُ على أنها: لا إلهَ إلا اللهُ.

وقيل: بسم اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيم.

وقيل: هي الإخلاصُ.

وقيل: سَمِعْنا وأَطَعْنا.

ومعنى ﴿وَأَلْزَمَهُمْ﴾: أَوْجَبَ عليهم.

وقيل: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ﴾ الثباتَ عليها.

﴿وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ من غيرهم؛ لأنَّ الله تعالى اختارَ لنبيِّه مَن هم خِيارُ أُمَّته.

وقيل: وكان المؤمنون أحقَّ بكلمةِ التقوَى من المشرِكين.

وقيل: أحقَّ بمكةَ أنْ يَدخُلوها لإسلامِهم.

وقيل: ﴿وَكَانُوٓا﴾ يعني: أهلَ مكة ﴿أَحَقَّ بِهَا﴾؛ أي: بكلمةِ التَّقوى؛ لتقدُّم إنذارِهم لولا ما سُلِبوه[1] من التوفيق.

وقُرئ: (وكانوا أهلَها وأَحَقَّ بها)[2].

المبرِّد: إنَّ الذين كانوا قَبْلَنا لا يكونُ لأحدٍ أنْ يقولَ: «لا إلهَ إلا اللهُ» في اليومِ والليلةِ إلا مرَّةً واحدةً لا يستطيعُ أنْ يقولَها أكثرَ من ذلك، وكان قائلُها يَمُدُّ بها صوتَه حتى يَنقطِعَ النَّفَسُ الْتِماسَ بَرَكتِها وفَضِيلتِها، وجَعَلَ اللهُ تعالى لهذه الأمَّة أنْ يقولوها متى شاؤوا[3]، وهو قولُه: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا﴾ من الأممِ السالفة.

مجاهدٌ: ثلاثٌ لا يُحْجَبْنَ عن الربِّ: «لا إلهَ إلا اللهُ» من قلبِ مؤمنٍ، ودعوةُ الوالدَينِ، ودعوةُ المظلوم[4].

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ فيُجْرِي الأمورَ على مصالِحها.

وقيل: هو انتقامُ اللهِ لهم.

* * *

---

(١) في النسختين «سَلَبوهم» رسماً وضبطاً، والتصويب من «النكت والعيون» للماوردي (٥/ ٣٢١).

(٢) نسبت لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه. انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٨٦)، و«تفسير الطبري» (٢١/ ٣١٤).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١١٦)، واستغربه.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١١٦). وحديث دعوة المظلوم في الصحيحين، رواه البخاري (٢٤٤٨)، ومسلم (١٩)، عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما: أنَّ النبيَّ ﷺ بَعَثَ معاذًا إلى اليمن، فقال: «اتَّقِ دعوةَ المظلوم؛ فإنَّها ليس بينها وبين الله حجابٌ».

وروى الترمذي (١٩٠٥) عن أبي هريرةَ رضي الله عنه مرفوعاً: «ثلاثُ دعواتٍ مستجاباتٌ لا شكَّ فيهنَّ: دعوةُ المظلومِ، ودعوةُ المسافر، ودعوةُ الوالدِ على ولدِه». وقال: «هذا حديثٌ حسنٌ».

(٢٧) ـ ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾.

﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ﴾ كان رسولُ اللهِ ﷺ رأى في المنامِ رؤيَا، ولها ثلاثةُ أوجهٍ:

أحدُها: أنه رأى رؤيَا تعبيرُها دخولُ مكةَ على الصِّفةِ المذكورةِ في القرآن.

والثاني: أنه رأى [أنه] يَدْخُلُ المسجدَ الحرامَ مع أصحابه محلِّقِينَ رؤوسَ البعضِ ومقصِّرينَ رؤوسَ البعضِ غيرَ خائِفين.

والثالثُ: رأى في المنامِ أنَّ ملكاً قال له: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾.

ثم إنَّ رسولَ الله ﷺ أَخْبرَ بها أصحابَه، فلمَّا صُدُّوا عن البيتِ وأَظْهرَ رسولُ اللهِ ﷺ الرغبةَ في الانصرافِ على الصُّلح قال بعضُهم لبعضٍ: أليس كان يَعِدُنا رسولُ الله ﷺ أن نأتيَ البيتَ فنطوفَ به؟! فأجابه بعضٌ: هل أَخْبَرَكم أنكم تأتونَه العامَ؟ قال: لا، قال: فإنكم تأتونَه وتَطوفُون بالبيت، فأنزل الله: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ﴾[1]؛ أي: بتحقيقِه ما أَراهُ وهو أنْ يكونَ ما أَراهُ كما أَراهُ.

ويحتمِلُ أن يكون ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ قَسَماً ﴿لَتَدْخُلُنَّ﴾ جوابَه[2]، فيَحْسُنُ الوقفُ على ﴿ٱلرُّءْيَا﴾.

---

(١) روى نحوه البخاري (٢٧٣١) عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم في حديث صلح الحديبية الطويل.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١١٦)، واستغربه.

ومعنى: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾؛ أي: مُحْرِمين بالعُمرة.

﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ في الاستثناء أقوالٌ:

أحدها: أنه حكايةٌ لقولِ الملَكِ الذي قال له في المنام، فأَخْبرَ اللهُ أنَّ ذلك كان منه وبأمرِه، وأنه مُحقِّقٌ هذه البِشارةَ، فأُخرِجَ بهذا القولِ الاستثناءُ مِن أنْ يكونَ على سبيلِ التعليقِ لإنجازِ الوعد.

والثاني: أنَّ ذلك خارجٌ على ما جاء في القرآنِ في مواضعَ كثيرةٍ من ذِكْرِ المشيئةِ؛ كقوله: ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٤٠]، والمعنى: أنه يَفعلُ بالعبادِ ما هو الصَّلاحُ، فيكونُ استثناءَ تحقيقٍ لا تعليقٍ.

والثالث: أنَّ اللهَ عَلِمَ أنه يُميتُ بعضَ هؤلاء ويُغيِّبُ البعضَ، فوقعَ الاستثناء لهذا[1].

والرابع: أنَّه لمَّا أدَّبَ اللهُ نبيَّه عليه السلامُ باستعمالِ الاستثناءِ في كلِّ ما يريدُ أنْ يفعلَه غداً أَجْرَى هذا على ما أدَّبه به، ومثلُه: ما رُوي عن النبيِّ ﷺ: أنه دخَلَ البَقيعَ فقال: «وإنَّا بكم لاحقونَ إنْ شاءَ الله»[2]، وليس في الموتِ استثناء.

وقيل: الاستثناءُ من الخوفِ والأمنِ.

وقيل: معنى ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾: بإذنه.

وقيل: الصيغةُ صيغةُ استثناءٍ والمعنى تسبيحٌ[3]، كما يَرِدُ صِيغةُ الأمرِ وليس بأمرٍ، ويُعْرَفُ ذلك بالقَرينةِ[4].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١١٦)، واستغربه.

(٢) رواه مسلم (٢٤٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) كلمة: «تسبيح» ليست في (ن).

(٤) تقدم كلام للمصنف على هذا في تفسير سورة (يوسف) الآية: ٩٩.

وقيل: ﴿إن﴾ بمعنى: إذ. وهو مزيَّفٌ[1].

﴿ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ﴾ من تأخيرِ ذلك ﴿مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾، وهو ما ذُكِرَ من قولِه: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ﴾ الآية.

وقيل: عَلِمَ اللهُ أنه سيكونُ ذلك في السَّنةِ الثانية ولم تَعْلَموا أنتم، فلذلك وَقع في نفوسِكم ما وَقَع.

وقيل: عَلِمَ مِن صلاحِ الصُّلْحِ ما لم تَعْلَموه.

وقيل: عَلِمَ أنَّه يَفْتَحُ خيبرَ ولم تَعْلَموه.

﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: دونَ دخولِكُم المسجدَ ﴿فَتْحًا قَرِيبًا﴾ يعني: فتحَ خيبر، وقيل: صلحَ الحديبيَةِ، وسُمِّي ﴿فَتْحًا قَرِيبًا﴾؛ أي: يَصِلُون بَعْدَه قريباً إلى دخولِ مكَّةَ.

وعن المبرِّد: أنَّ الآيةَ نزلتْ بعدَ فتحِ مكةَ، وقولُه: ﴿لَتَدْخُلُنَّ﴾ حكايةُ حالٍ.

***

(٢٨) ـ ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾.

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ﴾: بالبيانِ الواضحِ، وقيل: بالقرآنِ، وقيل: بشهادةِ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ.

﴿وَدِينِ الْحَقِّ﴾: هو الإسلامُ ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾: ليُظْهِرَ الدِّينَ ويُبْطِلَ سائرَ المِلَلِ، وذلك كائنٌ عندَ نزولِ عيسى عليه السلامُ.

وقيل: قد فَعَل ذلك؛ لأنه ليس من أهلِ دِينٍ إلا وقد قَهرهم المسلمون وظَهَروا

---

(١) انظر: «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (ص: ٢٩٤)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١١٦)، وعده من العجائب.

عليهم وعلى بُلدانهم، أو على بعضِها، وظهورُهم على بعضِ بلدانِهم ظهورٌ عليهم.

وقيل: لِيُظْهِرَ محمَّداً، والمعنى: لِيُطْلِعَه على كلِّ الفرائضِ فيكونَ ظاهراً له كاملاً.

وقيل: لِيُظْهِرَه بالحُجَّةِ والبرهان، ومعنى الظهورِ: الغَلَبةُ والعُلو.

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ لنبيِّه، وشهادتُه له: ما آتاهُ من المعجزات.

وقيل: وكفَى به شهيداً: به[1] يُظْهِرَه.

* * *

(٢٩) - ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾.

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ يجوزُ أنْ يكونَ بياناً للشهادة[2]، ويجوزُ أنْ يكونَ استئنافاً.

﴿مُّحَمَّدٌ﴾ رفعٌ بالابتداء ﴿رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ خبرُه، ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ ابتداءٌ ﴿أَشِدَّآءُ﴾ خبرُه.

ويجوزُ أن يكونَ ﴿مُّحَمَّدٌ﴾ مبتدأً، ﴿رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ صفتُه أو عطفُ بيان، ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ عطفٌ على المبتدأ، ﴿أَشِدَّآءُ﴾ خبرٌ عن الجميع.

ويجوزُ أن يكونَ ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ في محلِّ جرٍّ عطفاً على قوله: ﴿بِٱللَّهِ﴾[3]،

---

(١) في (ن): «وقيل: كفى به شهيداً أن».

(٢) تقديره: شهيداً بأن محمداً رسول الله، فلما حذف الجار و(أنَّ) ارتفع بالابتداء والخبر. هكذا ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١١٦)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١١٧)، واستغربه.

فيكونُ كقوله: ﴿حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٤].

ويَحتمِلُ الرفعَ أيضاً من هذا الوجه، فإن الباءَ زيادةٌ، والتقديرُ: وكفَى اللهُ.

ويجوزُ أن يكونَ ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ في محلِّ نصبٍ لقوله: ﴿تَرَىٰهُمْ﴾؛ كما تقولُ: زيداً رأيتُه، فيَنتصِبُ بفعلٍ مضمَرٍ.

والجمهورُ على أن قولَه: ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾: الصحابةُ.

وقيل: هم الأنبياءُ أجمعون[1]، فيكونُ التقديرُ: محمدٌ رسولُ الله والذين معه رسلُ الله، فيَحْسُنُ الوقفُ على ﴿مَعَهُۥٓ﴾.

ومعنى ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾: يُغْلِظون على مَن خالَفَ دِينَهم وإنْ كانوا آباءهم أو أبناءهم.

﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾: يحنُّ ويَعْطِفُ بعضُهم على بعضٍ.

﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا﴾: راكِعِينَ ﴿سُجَّدًا﴾: ساجِدِينَ؛ أي: يُكْثِرون الصلاة.

﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ بالصَّفْحِ عن تقصيرِهم ﴿وَرِضْوَٰنًا﴾: أنْ يتقبَّلَ أعمالَهم التي أتَوا بها على قَدْرِ إمكانهم.

﴿سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ قيل: ثَرَى الأرضِ وندَى الطَّهور.

وقيل: أَمَارةُ التهجُّدِ في وجوههم من السَّهَر.

وقيل: هو الخشوعُ والسَّمْتُ الحَسَن[2].

وقيل: تحسَبُهم مرضَى وما هم بمرضَى.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١١٧)، وعده من العجائب.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١١٨)، واستغربه.

وقيل: هو في القيامةِ من ابيضاضِ[١] الوجوهِ، ومن قولِهِ عليه السلام: «أمَّتي الغُرُّ المحجَّلون من آثارِ الوضوء»[٢].

وقيل: يَسْهَرُ بالليلِ فيُصبحُ مصفرًّا.

ابن عباسٍ رضي الله عنهما: أثرُ صلاتهم يَبْدو في وجوهِهم، من قولِه عليه السلام: «مَن كَثُرَ صَلاتُه باللَّيل حَسُنَ وَجْهُه بالنَّهار»[٣].

وقيل: هو ما يَبِينُ مِن جِباهِ المؤمنينَ[٤].

﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ﴾: صِفتُهم ﴿فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ عُرِّفوا إلى بني إسرائيلَ بهذا الوصفِ ليَعْرِفوهم إذا أَبْصَروهم، ثم ابتَدَأ فقال: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ﴾.

وقيل: الأولُ والثاني مَثَلان لهم في التوراةِ والإنجيلِ معاً؛ أي: ذُكِروا في كلِّ واحدٍ من الكتابَيْن بهذه الأوصافِ. والأولُ أظهرُ.

---

(١) في (ف): «بياض».

(٢) رواه البخاري (١٣٦)، ومسلم (٢٤٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه ابن ماجه (١٣٣٣)، والمروزي في «مختصر قيام الليل» (ص: ٨٥)، والعقيلي في «الضعفاء» (١/ ١٧٦)، وابن أبي حاتم في «العلل» (٢/ ٣٦)، وغيرهم، من طريق ثابت بن موسى، عن شريك، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر رضي الله عنه يرفعه.

وقد اتفق العلماء على أن هذا ليس بحديث، وأن الراوي قد غلط في رفعه، قال السخاوي: واتفق أئمة الحديث ابن عدي والدارقطني والعقيلي وابن حبان والحاكم على أنه من قول شريك قاله لثابت لما دخل عليه. انظر: «المقاصد الحسنة» للسخاوي (ص: ٦٦٦).

وقد مثَّل به ابن الصلاح في «مقدمته» (ص: ١٠٠) للوضع من غير تعمد، فقال: «وربما غلط غالط، فوقع في شبه الوضع من غير تعمد، كما وقع لثابت بن موسى الزاهد في حديث: «من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار»».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١١٨)، واستغربه.

﴿كـ﴾ـمَثَلِ ﴿زَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾: نباتَه. وقيل: فراخَه، وأَشطَأَ الزرعُ: أخرجَ فراخَه، والشَّطْءُ: فراخُ الزرعِ التي تَنْبُتُ إلى جانبِ الأصلِ، ومنه: شاطئُ النَّهر.

وقُرئ بالفتحِ[1]؛ وهما لُغتان.

﴿فَآزَرَهُۥ﴾: أعانَ الزرعُ الشَّطْءَ وقوَّاه، والأَزْرُ: القوَّة، وآزَرَ: أَفْعَلَ.

«الحجَّة»: آزَرَ الشَّطْءُ[2] الزَّرْعَ فصار في طُوله[3]. كأنه جَعَل وَزْنَه فاعَلَ.

وقرئ: ﴿فأَزَرَه﴾ بالقصر[4]، وهو بمعنَى المدِّ.

﴿فَٱسْتَغْلَظَ﴾ الشَّطْء[5]: غَلُظ.

﴿فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾: تَناهَى وصار كالأصلِ[6]، و(سُوقُه): جمعُ ساقِ الزَّرع؛ أي: قَصَبُه.

وقيل: الساقُ: حاملةُ الشجرِ، فيكونُ هاهنا مستعاراً.

﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾: يَسُرُّ الأَكَرةَ ويَتعجَّبون من قوَّته.

﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ متَّصلٌ بقوله: ﴿مَثَلُهُمْ﴾؛ أي: ضَرَب ذلك المَثَلَ ليَغِيظَ اللهُ بمحمدٍ ﷺ وأصحابِه الكفَّارَ.

---

(١) قرأ ابن كثير وابن ذكوان بفتح الطاء، والباقون بسكونها. انظر: «السبعة» (ص: ٦٠٤)، و«التيسير» (ص: ٢٠٢).

(٢) في (ف): «الشطأ».

(٣) انظر: «الحجة» لأبي علي (٦/ ٢٠٤)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١١٨)، واستغربه.

(٤) قرأ بها ابن ذكوان. انظر: «السبعة» (ص: ٦٠٠)، و«التيسير» (ص: ٢٠٢). وقال المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١١٨): و(أَزَرَ): فَعَلَ، و(آزَرَ): أفْعَلَ، وهما بمعنى واحد.

(٥) في (ف): «الشطأ».

(٦) في (ف): «تناهى فصار هو الأصل».

وقيل: هذا الزرعُ يَغِيظُ بأَكَرتِه الكفَّارَ؛ أي: سائرَ الزُّرَّاعِ الذين ليس لهم مثلُ زَرْعِهم، والكافرُ: الزَّارعُ، وهذا قولٌ ضعيفٌ[١]، واللهُ أعلمُ.

أي: أنَّ النبيَّ ﷺ خَرَج وحدَه ثم اتَّبَعه مِن هاهنا قليلٌ ومِن هاهنا حتى كَثُروا واستَفْحَلَ أَمْرُهم فغاظَ[٢] بهم أهلَ مكَّةَ وكفَّارَ العَرَب والعَجَم.

وفي بعضِ التفاسير: ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾: أبو بكرٍ ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾: عمرُ ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾: عثمانُ ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾: عليٌّ رضي الله عنهم ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾: طلحةُ والزبيرُ ﴿سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم﴾: سعدٌ وسعيدٌ وعبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ وأبو عبيدةَ بنُ الجرَّاحِ، وهؤلاء العشرةُ رضي الله عنهم مَثَلُهم في التوراةِ والإنجيل[٣]، واللهُ أعلم.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: الطاعاتِ.

وقيل: العملُ الصالحُ في الآيةِ حبُّ الصحابة.

﴿مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ قيل: ﴿مِنْهُم﴾ لبيانِ الجنس.

وقيل: معناه: أقاموا على الإيمان والعملِ الصالحِ منهم.

وقيل: هذا الوعدُ لهؤلاء الذين ذُكروا في الآيةِ وهم أصحابُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم، وإن كان سائرُ المؤمنين قد وَعَدهم اللهُ المغفرةَ.

---

(١) وعدَّه المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١١٨) من العجائب.

(٢) في (ف): «فغاض» وفي الهامش: «فغاظ».

(٣) رواه الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (٦٩٠) عن علي رضي الله عنه، ورواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٤/ ٣٢٢) عن الحسن، ورواه الخطيب البغدادي في «تلخيص المتشابه» (١/ ١٢٠) عن ابن عباس رضي الله عنه، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١١٨)، وعده من العجائب.

وقيل: إن الكنايةَ في قوله: ﴿مِنۡهُم﴾ راجعةٌ إلى معنى الشَّطْء؛ لأنَّ الشَّطْء[١]: ما يتفرَّخُ عن أصلِ الزَّرع، والمرادُ به: مَن يدخلُ في الدِّين من[٢] بعدِ الصحابةِ إلى يومِ القيامةِ، وفي أولئك مَن يُوصَفُ بالعمل الصالحِ، ومنهم مَن لا يُوصفُ به، حكاه القفَّالُ وقال: هذا محتملٌ. والله أعلم.

* * *

(١) في (ف): «معنى الشطأ لأن الشطأ».

(٢) «من»: ليس في (ف).

سُورَةُ الحُجُرَاتِ

سُورَةُ الحُجُرَاتِ

ثماني عشرةَ آيةً(١)، مدنيَّةٌ.

ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: مدنيَّةٌ إلَّا قولَه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ [١٣] إلى آخرِ الآية(٢).

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ في سببِ النزول: عن ابنِ أبي

---

(١) «ثماني عشرة آية»: ليس في (ف).

(٢) انظر: «تنوير المقباس» (ص: ٤٣٧). وروى الأزرقي في «أخبار مكة» (١/ ٢٧٤)، وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٧/ ٥٧٨)، وابن بشكوال في «غوامض الأسماء المبهمة» (٢/ ٧٤٧)، عن ابنِ أبي مُلَيْكَةَ قال: لمَّا كان يومُ الفتح رَقِي بلالٌ فأَذَّن على الكعبة، فقال بعضُ الناس: هذا العبدُ الأسودُ يؤذِّنُ على ظهر الكعبة؟! وقال بعضهم: إنْ يَسخطِ اللهُ هذا يُغيِّره، فنزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ الآية.

ثم رواه ابن بشكوال في «غوامض الأسماء المبهمة» (٢/ ٧٤٧ ـ ٧٤٨) من طريق ابن جريج عن ابن أبي حسين فسمى أولئك القائلين، وكذا ذكره مقاتل في «تفسيره» وسماهم كما سيأتي عند تفسير هذه الآية.

وهذا يعده العلماء مما نزل بمكة وحكمه مدني كما قال مجد الدين الفيروزابادي في «بصائر ذوي التمييز» (١/ ١٠٠): «أمَّا التي نزلت بمكَّة وحكمها مدني ففي سورة الحجرات ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ نزلت يوم فتح مكَّة، لكن حكمها مدني؛ لأنَّها في سورة مَدَنيَّة».

مُلَيْكَةَ: أنَّ عبدَ الله بنَ الزبيرِ أخبرَه أنه قَدِم ركبٌ من بني تميمٍ على رسولِ الله ﷺ فقال أبو بكر رضي الله عنه لرسول الله ﷺ: أمِّر القعقاعَ بنَ مَعْبدٍ، وقال عمرُ رضي الله عنه: بل أمِّرِ الأقرعَ بنَ حابسٍ، فقال أبو بكرٍ: ما أردْتَ إلا خلافي، وقال عمرُ: ما أردتُ خلافَكَ، فتَمَارَيَا حتى ارتفَعَتْ أصواتُهما، فنزلتْ في ذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟﴾[1].

والقراءةُ المعروفةُ: ﴿لَا تُقَدِّمُوا۟﴾ بضمِّ التَّاء، وقرأ يعقوبُ: ﴿لا تَقَدَّمُوا﴾ بفتح التاء[2].

والظاهرُ في (قَدَّم) أنه مُتعدٍّ، فيكونُ المفعولُ محذوفاً؛ أي: لا تقدِّمُوا القولَ والفعلَ، وقيل: الأمرَ والكلامَ بين يدي رسول الله، فإنَّ ابن عباس رضي الله عنهما قال: نُهوا أن يتكلَّموا بين يديْ كلامِه، بل عليهم أن يُصْغوا ولا يتكلَّموا[3].

مجاهدٌ: لا تَفْتاتُوا[4] على رسولِ الله بشيءٍ حتى يَقْضِيَه اللهُ على لسانه[5].

ابنُ زيدٍ: لا تَقْطَعوا الأمرَ دونَ اللهِ ورسولِه[6].

وقيل: لا تقولوا ما لم يَأْمُرْكم اللهُ ولا رسولُه.

---

(١) رواه البخاري (٤٣٦٧).

(٢) انظر: «النشر» (٢/ ٣٧٥).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٣٣٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٠٢).

(٤) في هامش (ن): «قال: لا تفتاتُوا، بمعنى: لا تُفوِّتوا، وقد جاء من الفوت: افتات، كما جاء من القول: اقتال، ومن الكيل: اكتال، وتكون افتعل لازم ومتعد». ولعل صواب العبارة الأخيرة: «ويكون افتعل لازماً ومتعدياً».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٣٣٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٥١٦)، وعلقه البخاري قبل الحديث (٤٨٤٥).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٣٣٧).

الحسنُ والزجَّاج: نزلتْ في رجلٍ ذَبَح الأُضْحيَّةَ قبلَ الصلاة.

وقيل: ذَبَحَ، فأمره النبيُّ ﷺ بإعادتها[١].

ورُوي: أن رجلاً صام يومَ الشكِّ، فقالتْ عائشةُ رضي الله عنها: لا تَفْعَلْ، فإنَّ هذه الآيةَ نزلتْ فيه[٢].

ورُوي: أنَّ ذلك في القتال؛ أي: لا تَحمِلوا على الكفارِ في الحرب قَبْلَ أنْ يَأمُرَ النبيُّ عليه السلام.

ورُوي أن ناسًا كانوا يقولون: لو أُنزِلَ في كذا وكذا لكان كذا وكذا، فكرِه اللهُ ذلك[٣].

وقيل: (قدَّم) بمعنى: تقدَّم، نحو: عَلِقْتُ الشيءَ وتَعَلَّقْتُه، وبَيَّنْتُه وتَبَيَّنْتُه[٤]، ومعناه: لا تَقَدَّموا بالقولِ ولا بالفعلِ بين يدي اللهِ ورسولِه، ولا تَمشُوا أمامَه، ولا تمكِّنوا أحداً يمشي أمامَه؛ ليكونوا تابعينَ له في التقديم والتقدُّم.

وقوله: ﴿بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ ذُكِرَ ﴿اللَّهِ﴾ للتعظيم، وقيل: لأنَّ التقديمَ بين يديْ رسولِ اللهِ ﷺ كالتقديمِ بين يديِ الله.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٩٢٣)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٣٣٦) عن الحسن بلفظ: «هم قوم ذبحوا قبل أن يصلي النبي ﷺ فأمرهم النبي فأعادوا الذبح». وانظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣١).

(٢) رواه الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٣٣٩)، والطبراني في «الأوسط» (٢٧١٣)، والدارقطني في «المؤتلف والمختلف» (٢/ ٥٩٧)، وذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٩/ ٣٢٢)، والسمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٣٢٢)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٤/ ٣٣٨).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٩٢٢)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٣٣٦)، عن قتادة.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٢١)، واستغربه.

وقيل: معناه: لا تُخالِفوا كتابَ الله وسنَّةَ رسولِه.

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ في التَّقديمِ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لأقوالِكُم ﴿عَلِيمٌ﴾ بأفعالِكُم.

* * *

(٢) ـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ﴾ في سببِ النزول: أنَّها نزلتْ في ثابتِ بنِ قيسِ بنِ شماسٍ، كان في أذنَيْه وَقْرٌ، وكان جَهْوَريَّ الصوت، فكان يتأذَّى[1] رسولُ اللهِ بصَوْتِه، فلمَّا نزلتْ هذه الآيةُ قال ثابتٌ: أنا الذي أَرْفعُ صوتي فوقَ صوتِ النبيِّ ﷺ، وأنا مِن أهلِ النَّار، فذُكِر ذلك لرسولِ الله ﷺ فقال: «بل هو من أهلِ الجنة»[2].

هذا تأديبٌ من الله سبحانه؛ أي: إذا كلَّمْتُموه فلْيكُنْ كلامُكم أخفضَ من كلامِه لكم.

﴿وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ قيل: هو تكرارٌ؛ لأنَّ الجهرَ بالقولِ هو إعلاءُ الصوتِ ورفعُه به.

وقيل: معناه ـ وهو قولُ الجمهور ـ: لا تخاطِبُوه باسْمِه وكنيتِه كما يخاطِبُ بعضُكم بعضاً، بل خاطِبوه بالنبوَّةِ والرسالة، وقولوا: يا نبيَّ الله، يا رسولَ الله.

وقيل: لا تَجْهَروا عليه.

---

(١) في (ن): «ينادي».

(٢) رواه بنحوه مسلم (١١٩) من حديث أنس رضي الله عنه.

﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ﴾: كراهةَ أنْ تَحْبَطَ، ولِئَلَّا تَحْبَطَ؛ لأنَّ ذلك إذا كان عن قصدٍ بعد النهيِ كفرٌ؛ لأنَّ فيه استخفافَ النبيِّ ﷺ وذلك مُحبِطٌ.

﴿وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ أنَّه مُحْبِطٌ.

* * *

(٣) - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ في سببِ النزول: أنَّ أبا بكر رضي الله عنه قال: آليتُ على نفسي أنْ لا أكلِّمَ النبيَّ ﷺ إلا كأخِي السِّرار، فنزلت فيه هذه الآية[(١)].

وكان عمرُ رضي الله عنه بعد هذه الآيةِ لا يُسْمِعُ رسولَ اللهِ حتى يَسْتَفْهِمَه[(٢)].

ومعنى ﴿يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ﴾: يَخْفِضونها في مجلسِه تعظيماً له.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ﴾: أَخْلَصَ قلوبَهم.

وقيل: معنى ﴿ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾: عَلِمَ خُلُوصَ نيَّاتِهم.

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٧٢٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقال: «صحيح على شرط مسلم».

ورواه الحارث في «مسنده» (٩٥٧)، ومحمد بن نصر في «الصلاة» (٧٢٩)، والبزار في «مسنده» (٥٦)، والحاكم في «المستدرك» (٤٤٤٩)، من حديث أبي بكر رضي الله عنه. وصححه الحاكم، فتعقبه الذهبي بقوله: «حصين بن عمر واهٍ». وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٠٨): «فيه حصين بن عمر الأحمسي وهو متروك، وقد وثقه العجلي، وبقية رجاله رجال الصحيح».

(٢) رواه البخاري (٤٨٤٥) عن ابن الزبير. وجاء هنا في هامش (ن): «وروي يستأذنه»، وفي هامش (ف): «يستأذنه» وفوقها الحرف: «ن».

وقيل: اختصَّها للتقوى.

وقيل: عامَلَهم معاملةَ المختَبِر.

واشتقاقُه من مَحَنْتُ الناقةَ وامْتَحَنْتُها؛ إذا أخرجْتَ لَبَنها بمعالجةٍ تَشُقُّ عليها.

واللامُ في ﴿لِلتَّقْوَىٰ﴾ لامُ العاقبة؛ أي: أدَّى الامتحانُ إلى التقوى.

﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ لذُنوبِهم ﴿وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ لطاعاتِهم[١].

* * *

(٤) ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ﴾ قَدِمَ وفدٌ مِن تميمٍ على رسولِ الله ﷺ وهم سبعون رجلاً فيهم: الأقرعُ بنُ حابسٍ، وعُيَيْنةُ[٢] بنُ حِصْنٍ، والزِّبْرِقانُ بنُ بَدْرٍ، وقيسُ بنُ عاصمٍ، فدخلوا المسجدَ ونادَوا النبيَّ ﷺ من وراء حُجُراتِه ـ وجَمَع لأنَّ لكلِّ واحدةٍ من أمَّهاتِ المؤمنين حُجرةً، ولعلهم أَتوا كلَّ حجرةٍ فنادَوْه فيها ـ وقالوا: أنِ اخْرُجْ إلينا يا محمدُ؛ فإنَّ مَدْحَنا زَيْنٌ وذَمَّنا شَيْنٌ، فتأذَّى رسولُ الله ﷺ مِن ذلك، فخَرَج إليهم وهو يقولُ: «إنَّما ذلكمُ اللهُ الذي مَدْحُه زَينٌ وذَمُّه شَيْنٌ» فقال لهم: «فيمَ جِئْتُم؟» فقالوا: جِئْنا بخطيبِنا وشاعِرِنا نفاخِرُك ونشاعِرُك، فقال عليه السلام: «ما بالشِّعرِ بُعِثْتُ، ولا بالفَخَارِ أُمِرْتُ»، فقام خطيبُهم فخَطَب، وقام شاعرُهم فأَنْشَدَ[٣]،

---

(١) في (ف): «لطاعتهم».

(٢) في هامش (ن) و(ف): «في نسخة: وعنبسة».

(٣) في هامش (ن): «شاعر القوم زبرقان بن بدر، وأنشد:

نحن الكرامُ فلا حيٌّ يفاخِرُنا ... منا الملوكُ وفينا يُقْسَمُ الربعُ

وشاعر النبي ﷺ الحسان، وأنشد:

إن المكارمَ من فِهْرٍ وإخوتهم ... قد شرَّعوا سُنَّةً في الناسِ تُتَّبعُ».

فأمَرَ النبيُّ ﷺ ثابتَ بن قيسٍ فقام وخَطَبَ، وأَمَر حسَّاناً فقام وأنشدَ، فلمَّا فَرَغوا قام الأقرعُ وقال: إنَّ محمداً لمؤتًى له، واللهِ ما أدري ما هذا؟! تكلَّم خطيبُنا فكان خطيبُهم أحسنَ قولاً، وأنشد شاعرُنا فكان شاعرُهم أَشْعَرَ، ثم دنا من رسولِ الله ﷺ فقال: أشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وأنَّك رسولُه(١).

ورَوَى زيدُ بن أرقَمَ أنهم قالوا: نمتحنُه، فإنْ يكنْ ملِكاً عِشْنا في جَنابِه، وإن يكنْ نبيًّا كان الأَولَى أنْ نكونَ أسعدَ الناسِ به(٢).

وفي بعضِ التَّفاسير: أنهم وَفَدوا شافِعِين في أَسْرَى من(٣) بني العَنبر(٤).

قوله: ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾؛ أي: الذين يُنادونكَ من جملةِ قومٍ ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ فيه قولان:

أحدُهما: لا يَفْعَلون فعلَ العُقلاء لقِلَّة أَناتِهم وكثرةِ تَهَوُّرِهم، فإنَّ النبيَّ ﷺ لم يكنْ يحتجِبُ عن الناسِ إلَّا في وقتٍ يخلُو فيه بأمرِ نَفْسه، فمَن أَزْعَجَه عن ذلك كان منسوباً إلى قلَّةِ العقلِ وسوءِ الأدب.

والثاني: لا يَعلمون عِظَمَ حُرْمَتِك وأنَّ الصبرَ خيرٌ لهم.

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٤/ ٣٥١، ٣٥٧)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٨٨) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، ورواه ابن إسحاق وابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٧/ ٥٥٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٣٤٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٠٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٥١٢٣).

(٣) «من» من (ف).

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٩١)، و«تفسير الثعلبي» (٢٤/ ٣٥٨).

والحجرةُ: المكانُ الذي يَتحجَّرُه المرءُ لنَفْسه يمنعُ غيرَه من مشاركتِه فيه، مشتقَّةٌ من الحَجْر، وهو الحَبْسُ.

* * *

(٥) ـ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ﴾؛ أي: لو صَبَروا عمَّا فعلوا وانتظَروا خروجَك ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ في دِينهم بما ينالون من الثَّوابِ في تعظيم نبيِّ اللهِ، وفي دُنياهم بما يكونُ في ذلك من الدلالةِ على وُفورِ عقلِهم باستعمالِ السَّكينةِ والوَقار.

وقيل: ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ أبلغَ لهم في نيلِ ما كانوا يَشْفَعون فيه من الصَّفْح عن الأسرى، ولأَطْلَقَ لهم أسراهُم جميعاً؛ لأن النبيَّ ﷺ أعتَقَ النصفَ وفادى النصفَ.

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾؛ أي: مع هذا غفورٌ لِمَن تابَ منهم ﴿رَّحِيمٌ﴾ في قَبولِ التوبة.

* * *

(٦) ـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ﴾.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ﴾ أجمعَ المفسِّرون على أنها نزلتْ في الوليدِ بن عُقبةَ، بَعثَه رسولُ اللهِ ﷺ إلى بني المُصْطَلِق مُصَدِّقاً، وكان بينهم[١] إحْنَةٌ، فلمَّا سَمِعوا به ركبوا إليه، فلمَّا سَمِع بهم خافَهم فرجع وقال: إنَّ القومَ همُّوا بقَتْلي ومَنَعوا صَدَقاتِهم، فهَمَّ رسولُ اللهِ ﷺ بغزوِهم، فبَيْنا هم في ذلك قَدِم وفدُهم وقالوا:

(١) في (ف): «بينهما».

يا رسولَ الله، سَمِعْنا برسولِكَ، فخرَجْنا نُكْرِمه ونُؤدِّي إليه ما قِبَلَناه[١] من الصدقةِ، فاستَمَرَّ راجعاً[٢].

وفي بعضِ التفاسير: فأرسَلَ عليه الصلاةُ والسلامُ إليهم خالدَ بنَ الوليد، فأنزل اللهُ: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ﴾[٣]: كاذبٌ، وقيل: خارجٌ عن أمرِ اللهِ إلى كثيرٍ من الذنوبِ.

﴿بِنَبَإٍ﴾ بخبرٍ يَعْظُمُ وَقْعُه في القلوب.

﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾: تعرَّفوا صحَّتَه، و﴿تَثَبَّتوا﴾[٤]، اتَّئِدُوا ولا تَعْجَلوا ﴿أَن تُصِيبُواْ﴾: كراهةَ أنْ تُصيبوا، ولِئَلَّا تُصيبوا ﴿قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٍ﴾؛ أي: بجهالةٍ منكم بحالِهم في استحقاقِ ما تُصيبونه.

﴿فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾: فتُصبِحوا نادمينَ على عَجَلتِكم.

وذكَر بعضُ المفسِّرين في هذه الآيةِ: أنَّ خبرَ الواحدِ العَدْلِ يجبُ العملُ به؛ لأنَّ الله تعالى أمَر بالتثبُّتِ في خبرِ الفاسقِ، ولو تَثَبَّتْنا في خبرِ العَدْلِ لسَوَّيْنا بينهما.

وذهبَ بعضُهم إلى أنَّ الوليدَ كان ثقةً عندَ رسولِ اللهِ فصارَ فاسقاً بكَذِبه، فخبرُ الواحدِ متردِّدٌ حتى يُخْبِرَ آخَرُ بمِثْلِه.

---

(١) في النسختين: «قَبِلناه» رسماً وضبطاً، والتصويب من «تفسير الطبري» (٢١/ ٣٥٢) وغيره، ومعنى قِبَلنا: عندنا. انظر: «تاج العروس» مادة: (ق ب ل) (٣٠/ ٢١٤).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٨٤٥٩)، والطبراني في «المعجم الكبير») (٣٣٩٥) عن الحارث بن ضرار الخزاعي رضي الله عنه.

وروواه إسحاق بن راهويه في «مسنده» (٤/ ١١٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ٤٠١)، عن أم سلمة رضي الله عنها. ورواه ابن وهب في «جامعه ـ التفسير» (١٦٣) عن يزيد بن رومان.

(٣) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٢٩٢٩)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٣٥١) عن قتادة، وفيه: «فبعث النبي ﷺ إليهم خالد بن الوليد، فلما دنا خالد منهم بعث عيوناً ليلاً، فإذا هم يصلون وينادون فأتاهم خالد فلم ير منهم إلا طاعةً وخيراً، فرجع إلى النبي ﷺ فأخبره».

(٤) قرأ بها حمزة والكسائي، وقرأ الباقون بالأولى. انظر: «السبعة» (ص: ٢٣٦)، و«المبسوط» (ص: ١٨٠).

وقيل: إنَّ الوليدَ لم يقصِدِ الكذبَ؛ لأنه ظنَّ لَمَّا اجتمعوا لإكرامِه أنْ يكونوا همُّوا بقتله[١].

***

(٧) ـ ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾.

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ﴾؛ أي: فلا تَقُولوا الباطلَ فإنَّ الله يُخْبِرُه.

وقيل: معناه: وفيكم رسولُ اللهِ والرأيُ معه.

﴿لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ﴾: لنالَكُم المكروهُ؛ أي: لو عَمِل برأيكم لكان يخطئُ في أفعاله؛ كما لو قَبِلَ من الوليدِ فقتَل وقَتلْتُم وأَخذ المالَ وأخذْتُم ﴿لَعَنِتُّمۡ﴾: لأَثِـمْتُم.

وقيل: معناه: لو فَعَل جميعَ ما تختارونَ وتُريدون لنالكُم ضررٌ.

وقيل: لغوِيْتم، وقيل: لَهَلَكْتُم، وقيل: لنالَكُم شدَّةٌ.

وقولُه: ﴿لَوۡ يُطِيعُكُمۡ﴾ جاءَ على الأصلِ؛ لأنَّ الطاعةَ مُوافَقةُ الدَّاعي، غيرَ أنَّ المستعمَلَ في حقِّ الأكبرِ الإجابةُ، وفي حقِّ الأضعفِ[٢] الطاعةُ.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ﴾:

قيل[٣]: بنَصْبِ الأدلَّة.

وقيل: حسَّنه وزيَّنه بتوفيقِه له.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٢٢)، واستغربه.

(٢) في (ف): «الأدون».

(٣) «قيل» من (ف).

وقيل: بما وَعَد عليه من النصرِ والفتحِ في الدنيا، والجنةِ والنعيمِ في الأخرى.

والمعنى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾ فأطعتُموه، فوقاكُم اللهُ العَنَت، ﴿وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ﴾؛ أي: قبَّحه، وقيل: بما أَوْعَد عليه العذابَ في الدنيا والآخرةِ.

﴿وَٱلۡفُسُوقَ﴾ وهو الكذبُ، والخروجُ من أمرِ الله، وارتكابُ الكبائر.

وقيل: الفسوقُ: الكبائرُ.

﴿وَٱلۡعِصۡيَانَ﴾: الصغائرَ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾: الذين قد أصابوا طريقَ الحقِّ ولم يَضِلُّوا عن الهدى.

* * *

(٨) ـ ﴿فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾.

﴿فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗ﴾ مفعولٌ له؛ أي: حبَّبَ وكرَّه للفضلِ والنعمة.

وقيل: نصبٌ على المصدر.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بخَلْقِه ﴿حَكِيمٞ﴾ في تدبيرِه.

* * *

(٩) ـ ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾.

﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ﴾ في «الصحيحين» عن أنسٍ رضي الله عنه: أنه قال: قيل لرسولِ الله ﷺ: يا نبيَّ الله، لو أتَيْتَ عبدَ اللهِ بنَ أُبيٍّ، فانطلَق إليه رسولُ الله ﷺ على حمارٍ، وانطلَق المسلمون يمشُون، وهي أرضٌ سَبِخةٌ، فلمَّا أتاه النبيُّ عليه

السلام راثَ حمارُه، فقال عبدُ الله: إليك عنِّي، فوالله لقد آذاني نَتْنُ روثِ(١) حمارِكَ، فقال رجلٌ من الأنصار: واللهِ لروثُ حمارِ(٢) رسولِ الله أطيبُ ريحاً منك، فغَضِب لعبدِ الله رجلٌ من قومِه، وغضِبَ لكلِّ واحدٍ منهما أصحابُه، فكان بينهم(٣) حربٌ بالجريدِ والأيدي والنِّعال، فأُنْزِلت فيهم: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟﴾(٤).

وعن سعيدِ بن جبيرٍ: أنَّ الأوسَ والخزرجَ كان بينهُما حربٌ في عهدِ رسولِ الله ﷺ(٥) بالسَّعف والنِّعال، فنزلت فيهم هذه الآيةُ(٦).

قتادةُ: نزلَتْ في رجلينِ اختَصَما في مالٍ، فجرَّ قومُ المدَّعِي المدَّعَى عليه، فجاء قومُ المدَّعَى عليه فمَنَعوه، فوقعَ بينهم قتالٌ بالأيدِي والنِّعال(٧).

وقيل: ابتداؤُه من امرأةٍ من الأنصارِ يقالُ لها: أمُّ زيدٍ، أَبْغَضَتْ زوجَها فأرادتْ أن تَلحَقَ بأهلِها، فجعَلَها في غرفةٍ له وأَمَر أهلَه أن يحتَفِظوا بها، وخرجَ إلى حاجةٍ، فأَرْسلتْ إلى أهلِها، فجاء ناسٌ من أهلِها وأرادوا أنْ يَذهَبوا بها، فاقتَتَلوا بالنِّعال وتلاطَمُوا، فنزلت: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ﴾(٨).

---

(١) «روث» من (ف).

(٢) في (ن): «لحمار» بدل: «لروث حمار».

(٣) في (ف): «بينهما».

(٤) رواه البخاري (٢٦٩١)، ومسلم (١٧٩٩).

(٥) في (ف): «كان بينهما على عهد رسول الله ﷺ قتال».

(٦) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٠٤)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٣٠).

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٣٦١)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٣٠).

(٨) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٣٦٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٠٤) عن السدي، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٣٢٦)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٣٠).

والقتالُ قد يكونُ بالسلاح وبما دونه.

وعن ابن بحرٍ: القتالُ لا يكونُ بالنِّعال والأيدي، وإنما هذا في المنتظَرِ من الزمان(١).

والطائفةُ: الجماعةُ، وقيل: تقعُ على الواحد أيضاً، وقد سبق في (النور).

وارتفاعُه بمضمَرٍ دلَّ عليه ما بعدَه؛ أي: إنِ اقتتلَتْ طائفتان، وجُمع ﴿ٱقْتَتَلُوا۟﴾ حملاً على المعنى.

﴿فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾؛ أي: ادْعُوهُما إلى كتابِ اللهِ تعالى والرِّضَا بما فيه لهما وعليهما، ﴿فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا﴾: تعَدَّى إحدى الطائفتينِ ﴿عَلَى﴾ الطائفةِ ﴿ٱلْأُخْرَىٰ﴾ فطلَبَتْ ما ليس بمستحَقٍّ، ﴿فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى﴾: تتعدَّى في القتال، وقيل: بالعُدول عن الصُّلح.

﴿حَتَّىٰ تَفِىٓءَ﴾: ترْجِعَ ﴿إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾: كتابِ اللهِ وسنَّةِ رسولِه.

وقيل: ﴿إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾: ما أَمَر به.

﴿فَإِن فَآءَتْ﴾: رَجَعتْ عن البغيِ إلى أمرِ اللهِ ﴿فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ﴾ في تركِ الهوى والميلِ.

وقيل: ﴿بِٱلْعَدْلِ﴾: بكتاب الله.

﴿وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾؛ أي: أَقْسِطوا أيُّها الناسُ فلا تَقْتَتِلوا(٢) بتمانُعِ الحقِّ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾: العادِلين في القولِ والفعلِ.

القفَّال: ﴿وَأَقْسِطُوٓا۟﴾ خطابٌ للمُصْلِحين، والمعنى: خذُوا بالصَّفْحِ والعفْوِ والفضلِ بينكم، من قوله: ﴿أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ﴾ [الممتحنة: ٨].

---

(١) ذكره النيسابوري في «تفسيره» (٦/ ١٦٢).

(٢) في (ف): «تقتُلوا».

وفي الآيةِ جوازُ قتالِ الباغي بالسلاح، وأنَّ الباغيَ مؤمنٌ.

وعن عليٍّ رضي الله عنه: إخوانُنا بَغَوا علينا(١).

وقيل: الباغيَةُ في حالِ بَغْيِها ليستْ بمؤمِنةٍ، فسمَّاهم اللهُ ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ قبلَ بَغْيِها، كقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ﴾ [المائدة: ٥٤] فليس بمؤمِنٍ حالةَ الارتِداد.

* * *

(١٠) ـ ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾: مُتَواخُون على الإيمان، والإيمانُ أشرفُ أنسابهم، وقد قَطَع الله الولايةَ بينَهم وبينَ مَن خالَفَهم في الدِّين مِن أنسابهم.

﴿فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ فأنتُم أيضاً إخوةٌ لهما، فتكونوا قد قضَيْتُم حقَّ المظلوم بإيصالِ حقِّه إليه، وحقَّ الظالم بإزالةِ الإثمِ عنه، وثنَّى لأنَّ أقلَّ مَن يقعُ بينَهم القتالُ اثنان.

وقيل: التثنيةُ قد تَقَعُ مَوقِعَ الجمعِ؛ كقولهم: لبَّيْكَ وسَعْدَيْك، و: لا يَدَيْ لك.

وقيل: بين رئيسَي الفريقينِ؛ لأنهما إذا اصْطَلَحا اصْطَلَح الفريقان.

وقيل: بين كلِّ مسلمين.

وقُرِئ ﴿بيْن إِخوَتكم﴾(٢) و: (بين إِخْوَانِكُم)(٣)، والأكثرُ في النَّسب: الإخوةُ والإخاءُ، وفي الصَّداقة: الإخوانُ، ويَقعُ كلُّ واحدٍ منهما موقعَ الآخَرِ.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٧٧٦٣)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٦٧١٣).

(٢) هي قراءة يعقوب من العشرة. انظر: «النشر» (٢/ ٣٧٦).

(٣) نسبت لزيد بن ثابت وابن مسعود وابن سيرين والحسن وعاصم الجحدري. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٤٤)، و«المحتسب» (٢/ ٢٧٨).

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

* * *

(١١) - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ﴾ جمهورُ المفسِّرين على أنها نزلتْ في ثابتِ بنِ قيسِ بنِ شمَّاسٍ، وذلك أنه كان في أذنِه وَقْرٌ، وكان إذا أَتى رسولَ الله ﷺ أَوْسَعَ[1] له حتى يجلسَ إلى جَنْبه عليه السلام فيَسمعُ ما يقولُه، فجاء يوماً وقد أخذَ الناسُ مجالسَهم، فجعَل يَتخطَّى رقابَ الناس ويقولُ: تفسَّحوا تفسَّحوا، فقال له رجلٌ: أصَبْتَ مجلساً فاجْلِسْ، فجلَس ثابتٌ مغضَباً، ثم قال للرجلِ: يا فلانَ ابنَ فُلانةَ، وذكَر أمًّا له يُعيَّر بها في الجاهلية، فنكَس الرجلُ استحياءً، فأَنْزلَ اللهُ هذه الآيةَ[2].

وقيل: نزلَتْ في كعبِ بنِ مالكٍ قال لعبد الله: يا أعرابيّ، فقال له عبدُ الله: يا يهوديّ[3].

---

(١) في (ف): «أوسعوا».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٤/ ٣٧٤)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٤٢)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٩٣)، والنسفي في «التيسير في التفسير» عند هذه الآية، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ١٤٨)، عن ابن عباس. قال الحافظ في «الكافي الشاف» (ص: ١٥٧): «ذكره الثعلبي ومن تبعه عن ابن عباس بغير سند».

قلت: وزاد النسفي: «فقال ثابتٌ بعد نُزول هذه الآية: لا أَفخَر على أَحدٍ في النسب بَعْدَها أبداً».

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٩٣)، وذكره عنه الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٣٣).

وقيل: نزلتْ في الذين نادَوا رسولَ الله ﷺ من وراءِ الحُجُرات واستهزَؤُوا بالفقراء.

﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ﴾ نزلتْ في عائشةَ رضي الله عنها وقد عابَتْ أمَّ سَلَمةَ بالقِصَر[1].

وقيل: إنَّها ربطَتْ حَقْوَيها بثوبٍ أبيضَ وسَدَلتْ طَرَفَيْها خَلْفَها وكانت تجرُّه، فقالت عائشةُ لحفصةَ رضي الله عنها: انظُري ما تجرُّ خَلْفَها كأنه لسانُ كلبٍ[2].

قال أنسٌ رضي الله عنه: نزلتْ في نساءِ النبيِّ عليه السلام عَيَّرنَ أمَّ سلمةَ بالقِصَر[3].

ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: أنَّ صَفِيَّةَ بنتَ حُيَيِّ بنِ أَخْطَبَ أَتَتِ النبيَّ ﷺ فقالت: إنَّ النساءَ يُعيِّرْنَني فيقُلْنَ لي: يا يهوديةُ بنتُ يهودِيَّين، فقال لها رسولُ الله ﷺ: «هلَّا قلتِ: إن أبي هارونُ وعمِّي موسى وزَوْجِي محمدٌ» عليهم السلام، فأَنْزَل اللهُ هذه الآيةَ[4].

والمعنى: لا يَسْتَهْزِئْ قومٌ بقومٍ.

والسُّخْرةُ: الاستهزاءُ، وقيل: عيبٌ واحتقارٌ.

والسُّخرةُ تقعُ بما لا يمكِنُ للمسخورِ منه دفعُه كالقِصَر والدَّمامةِ والفَقْرِ، وقد

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٩٥)، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٣٢٧) دون نسبة.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٤/ ٣٧٦)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٩٣) دون نسبة، وذكره الزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٣٧٠)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ١٤٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٤/ ٣٧٦)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ١٤٩).

(٤) رواه الترمذي (٣٨٩٢)، وقال: «حديث غريب، وليس إسناده بذاك»، ورواه الحاكم في «المستدرك» (٦٧٩٠) من حديث صفية رضي الله عنها.

تكونُ بما يمكِنُه دفعُه كالرَّجُلِ يَتَزيَّا بغيرِ زِيِّه من لباسٍ وغيرِه، وقد يكونُ الاستهزاءُ من الدُّهاةِ بأهلِ السَّلامة.

وجملةُ ذلك: أنهم نُهوا عن الازدِراءِ بالضُّعفاءِ والفقراء.

والقومُ اسمٌ مختصٌّ بالرجالِ دونَ النساء؛ من القيامِ على الشيءِ وتعاوُنِ البعضِ للبعضِ، وأَنشدوا:

وما أَدْرِي وسَوْفَ إِخَالُ أَدْرِي ... أَقَوْمٌ آلُ حِصْنٍ أَمْ نِساءُ[1]

وقيل: القومُ جمعٌ واحدُه: رجلٌ؛ كالنساء جمعٌ واحدُه: امرأةٌ، وهذا مزيَّفٌ[2].

﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّ﴾؛ أي: عسَى أن يكونَ المسخورُ منه خيراً عند اللهِ من الساخر.

وقيل: عسى أن يزولَ فَقْرُه ويصيرَ أغنَى من الساخرِ، أو تزولَ دمامتُه وقبحُه منه إليه ممَّا اللهُ قادرٌ على إزالته.

﴿وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾: لا تَعِيبُوا ولا تَطْعنُوا أهلَ دِينكم.

وقيل: لا يَلْمِزْ بعضُكم بعضاً، واللَّمْزُ: العيبُ والإشارةُ.

﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِ﴾ النَّبْز: القَذْفُ باللَّقبِ المكروهِ، والنَّبَزُ بالفتح: الاسمُ، والتنابُزُ بين القوم، ولا يُستعمَلُ إلا في القَبيحِ، واللَّقَبُ يُستعْمَلُ في الحَسَنِ والقَبِيحِ، وهو: اسمٌ أو وصفٌ يَبْقَى على الإنسانِ فيَجري مَجْرى اسمِ العَلَم.

﴿بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِ﴾ فيه تأويلان:

أحدُهما: بئسَ الاسمُ اسمُ الفُسوقِ، وهو أنْ يقولَ له: يا فاسقُ، يا سارقُ، يا

---

(١) البيت لزهير بن أبي سلمى، كما في «ديوانه ـ رواية الشنتمري» (ص: ١٣٦) و«العين» (٥/ ٢٣١)، و«مجاز القرآن» (٢/ ١٥٨).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٢٣)، واستغربه.

زاني، يذكرُه باسمِ ذَنْبه بعدَ إيمانه وتوبتِه، وكذلك: يا يهوديُّ، يا نصرانيُّ، يا خنزيرُ، يا قردُ.

والثاني: أنَّ مَن أَقْدَم على ما نُهِيَ عنه من السُّخرةِ واللَّمْز والنَّبْز باللَّقبِ فهو فاسقٌ.

ومعنى ﴿بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ﴾: بدلاً عن الإيمان، وقيل: بعد دخولهِ في الإيمان، وقيل: ﴿بَعْدَ﴾ بمعنى: مع.

﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ﴾؛ أي: عمَّا نُهِيَ عنه ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

***

(١٢) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾ معنى ﴿ٱجْتَنِبُواْ﴾: كونُوا منه في جانبٍ؛ أي: ناحيةٍ.

والظنُّ على أربعةِ أوجُهٍ؛ مأمورٍ به، ومحظورٍ، ومندوبٍ إليه، ومباحٍ:

أمَّا المأمورُ به: فحُسْنُ الظنِّ بالله، قال رسولُ الله ﷺ: «لا يموتَنَّ أحدُكم إلَّا وهو يُحسِنُ الظنَّ بالله»(١)، وكذلك حُسْنُ الظَّنِّ بالمؤمنين مِن قولِه: «إنَّ حُسْنَ الظنِّ مِن الإيمانِ»(٢) وقولِه تعالى: ﴿ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: ١٢].

---

(١) رواه مسلم (٢٨٧٧) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٢) لم أجده بهذا اللفظ، ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٧٩٥٦)، وأبو داود (٤٩٩٣)، والترمذي (٣٩٢٧)، من طريق شُتَيْرِ بنِ نَهارٍ، عن أبي هريرةَ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «إنَّ حُسْنَ الظنِّ مِن =

والمحظورُ: ظَنُّ السُّوءِ باللهِ وبالمؤمنين، وهو قولُه: ﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾؛ أي: الظنِّ السُّوءِ.

مقاتلٌ: هو أنْ يتكلَّم بما ظَنَّه، فإنْ لم يتكلَّمْ به فلا يكون آثماً[1].

وأمَّا المندوبُ إليه: فالظنُّ بمَنْ ظاهرُه الفسقُ، عن أنسٍ رضي الله عنه عن النبيِّ عليه السلام أنه قال: «احْتَرِسوا من النَّاسِ بسوءِ الظَّنِّ»[2]، وقال عليه السلامُ: «الحزمُ سوءُ الظنِّ»[3]، والحزمُ مندوبٌ إليه.

وأمَّا المباحُ: فكالظَّنِّ في الصَّلاةِ والصَّومِ والقِبْلةِ، أُمِرَ صاحبُه بالتَّحَرِّي فيها والبناءِ على غَلَبةِ الظَّنِّ.

ولهذا الانقسامِ قال: ﴿كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾، ولم يقل: «اجتَنِبُوا الظنَّ» مُطْلَقاً، ثم قال: ﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾.

= حُسنِ العبادة». وإسناده ضعيف، شتير بن نهار ـ ويقال في اسمه: سُمير بن نهار ـ جهَّله الدارقطني في «سؤالات البرقاني» ترجمة رقم (٢١٢)، وقال الذهبي في ترجمته في «الميزان»: نكرة. وقال الترمذي: «هذا حديث غريب من هذا الوجه».

(١) في (ن): «فلا إثم عليه». وفي «تفسير مقاتل» (٤/ ٩٦): «لا تحققوا الظن، وذلك أن الرجل يسمع من أخيه كلاماً لا يريد به سوءاً، أو يدخل مدخلاً لا يريد به سوءاً، فيراه أخوه المسلم أو يسمعه فيظن به سوءاً، فلا بأس ما لم يتكلم به، فإن تكلم به أثم».

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٩٤٥٨)، من حديث أنس رضي الله عنه، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٨٩): «رواه الطبراني في «الأوسط»، وفيه بقية بن الوليد وهو مدلس، وبقية رجاله ثقات».

(٣) رواه القضاعي في «مسند الشهاب» (٢٤) عن عبد الرحمن بن عائذ مرسلاً، ورواه ابن شبة في «تاريخه» (٣/ ٨٠١) عن عمر رضي الله عنه موقوفًا.

ويحتمِلُ أن المعنى: احترِزُوا من الكثيرِ ليَقَعَ التحرُّزُ عن البعض(١).

﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾: ولا تتبَّعوا عَثَراتِ المؤمن.

وقيل: هو البحثُ عمَّا خَفِيَ حتى يَظْهرَ.

وقرئ بالحاءِ شاذًّا(٢)، وقيل: بالجيمِ: البحثُ لغيرِك، وبالحاءِ: البحثُ لنفسِكَ، وكلاهما منهيٌّ عنه.

﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ الغيبةُ: ذكرُ الغائبِ بظهرِ الغيبِ.

أبو هريرةَ رضي الله عنه قال: سُئِلَ رسولُ اللهِ ﷺ عن الغيبةِ فقال: «هو أنْ تقولَ لأخيكَ ما فيه؛ فإنْ كنتَ صادقاً فقد اغتَبْتَه، وإنْ كنتَ كاذباً فقد بَهتَّه»(٣)(٤).

وقيل: الغيبةُ: أنْ تقولَ فيه وهو غائبٌ ما لو قُلتَ في وجهِه لكَرِهَه.

﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ هذا مَثَلٌ، والمعنى: كما تكرهونَ أكلَ لحمِه مَيْتاً، فاجتَنِبوا ذِكْرَه بالسُّوء غائبًا(٥).

وقيل: كما تكرهونَ أكلَ لحمِه ميتاً، فاكرهُوا ذكرَه بالسوءِ حيًّا.

وقيل: كما تَتْرُكون أكلَ لحمِه ميتاً فإنه معصيةُ اللهِ، فاتْرُكوا غيبتَه فإنه معصيةُ الله.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٢٤)، واستغربه.

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٤٤) ونسبها للنبي ﷺ والحسن وابن سيرين.

(٣) رواه مسلم (٢٥٨٩)، وأبو داود (٤٨٧٤)، والترمذي (١٩٣٤).

(٤) في هامش (ن): «في الغيبة وما هي: عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قيل: يا رسول الله، ما الغيبة؟ قال: «ذكرك أخاك بما يكره». وقال رسول الله ﷺ يوماً: «أتدرون ما الغيبة؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «ذكر أحدكم أخاه بما يكره» قال رجل: أرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته»، أخرجه أبو داود والترمذي».

(٥) في (ن): «حيًّا».

وإنَّما مَثَّله بالأكلِ لأنَّ العربَ تقولُ لِمَن ذُكر بالسُّوء: إنَّ الناسَ يأكلون فلاناً ويمضَغُونه، فعبرِّ عن إدارةِ ذكرِه في الفمِ بالأكل.

وقيل: لأنَّ الميتَ لا يَشعرُ بما يُؤكَلُ منه ولا يُحِسُّ به، كذلك الغائبُ لا يَشعرُ به ولا يحسُّ.

قوله: ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾؛ أي: بل عافَتْه نُفوسُكم فكَرِهْتُموه.

وقيل: كرِهْتُم أكلَ لحمِه طَبْعاً، فاكْرَهوا اغتيابَه فإنه[1] مثلُ أكلِه.

ابنُ عيسى: كَرِهْتُم أكلَ لحمِه ميتاً، فاكْرَهوا غَيبتَه عقلاً؛ لأنَّ داعيَ العقلِ أَوْلَى بالاتِّباع من داعِي الطَّبْع؛ لأنَّ داعيَ الطبعِ أعمَى جاهلٌ وداعيَ العقلِ بصيرٌ عالمٌ، وكلاهما في صِفَةِ الناصح[2].

وقيل: كرِهْتُم أنْ تُغتابُوا، فلا تَغتابُوا غيرَكم.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فيما ينهاكُم عنه، وتُوبوا إليه عمَّا قد سلَف ﴿إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾.

* * *

(١٣) - ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ نزلتْ في ثابتِ بنِ قيسٍ حينَ قال: فلانُ ابنُ فلانةَ، فقال رسولُ الله ﷺ: «مَن الذَّاكِرُ فلانةَ؟» فقام ثابتٌ فقال: أنا يا رسولَ الله، فقال: «انظُرْ في وجوهِ القومِ» فنظرَ، فقال: «ما رأيتَ يا ثابتُ؟» قال: رأيتُ أبيضَ

(١) في (ف): «لأنه».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٢٤) دون نسبة، واستغربه.

وأسودَ وأحمرَ قال: «فإنَّكَ لا تَفْضُلُهم إلا بالتَّقوى والدِّين» فأَنْزَلَ اللهُ هذه الآيةَ(١).

مقاتلٌ: لمَّا كان يومُ فتحِ مكةَ أَمَر رسولُ اللهِ ﷺ بلالاً حتى أذَّن على ظهرِ الكعبة، فقال عتَّابُ بنُ أَسِيدٍ: الحمدُ للهِ الذي قَبَضَ أبي حتَّى لم يَرَ هذا اليومَ، وقال الحارثُ بنُ هشامٍ: أمَا وَجَد محمدٌ غيرَ هذا الغُرابِ الأسودِ مؤذِّناً؟! وقال سهيلُ بنُ عمرٍو: إنْ يُرِدِ اللهُ شيئاً يُغيِّرْه، وقال أبو سفيان: إنِّي لا أقولُ شيئاً، إني(٢) أخافُ أنْ يُخبرَ به ربُّ السماء، فأتى جبريلُ النبيَّ عليهما السلامُ وأخبرَه بما قالوا، فدَعاهم وسألَهم عمَّا قالوا فأَقرُّوا، فأَنزلَ اللهُ تعالى هذه الآيةَ(٣)، وزَجَرهم عن التَّفاخُرِ بالأنسابِ والتكاثُرِ بالأموال والازدِراءِ بالفقراء، فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ﴾: آدمَ ﴿وَأُنثَىٰ﴾: حواءَ، عليهما السلام؛ أي: كلُّكم بنو أبٍ واحدٍ وأمٍّ واحدةٍ.

﴿وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟﴾(٤): ليَعْرِفَ بعضُكم بعضاً أشدَّ ممَّا كان يعرفُه لو كان بنو آدمَ مع كثرتِهم نوعاً واحداً، ولم يَختلِفُوا بالسودانِ والبِيضانِ والعربِ والعَجَم.

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ فالتَمِسوا منها الشَّرَفَ والفضلَ.

والشُّعوبُ: جمعُ (شَعْبٍ) بالفتح، والقبائل: جمعُ (قَبيلة).

وذكَر القفَّالُ عن الزبيرِ بنِ بكَّار قال: العربُ على ستِّ طبقاتٍ:

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٤/ ٣٩٩)، والواحدي في «البسيط» (٢٠/ ٣٦٣)، وفي «أسباب النزول» (ص: ٣٩٤)، عن ابن عباس رضي الله عنهما، ولعله من رواية الكلبي عنه؛ فقد ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٣٢٩) عن الكلبي.

(٢) «إني» من (ف).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٩٧).

(٤) بعدها في (ن): «أي: لم تصدقوا بقلوبكم».

شَـعْبٌ، ثـم قَبيلـةٌ، ثـم عِمَـارةٌ، ثـم بَطْـنٌ، ثـم فَخْـذٌ، ثـم فَصِيلـةٌ(١).

وعن غيرِه: أنها خمسٌ، وكلُّها مأخوذٌ من بَدَنِ(٢) الإنسان.

وقيل: الشُّعوبُ: عَرَبُ اليمنِ وقحطانَ، والقبائلُ: ربيعةُ ومُضَرُ وسائرُ عدنانَ.

وقيل: الشعوبُ: بطونُ العَجَم، والقبائلُ: بطونُ العَرَب(٣).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بهم ﴿خَبِيرٌ﴾ بفِعْلِهم.

* * *

(١٤) ـ ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا﴾ في سببِ النزولِ: أنَّها نزلتْ في أعرابٍ من بني أسدِ بنِ خُزَيمةَ قَدِموا على رسولِ اللهِ ﷺ في سنةٍ جَدْبةٍ وأَظْهَروا الشهادتَينِ، ولم يكونوا مؤمنينَ في السرِّ، وأفسدوا طريقَ المدينةِ بالعَذِراتِ، وأَغْلَوا أسعارَها، وكانوا يقولون لرسولِ اللهِ: أتيناكَ بالأثقالِ والعِيالِ ولم نقاتِلْكَ كما قاتَلَك بنو فلانٍ، فأَعْطِنا من الصَّدقةِ، وجَعَلوا يَـمُنُّون عليه، فأنزل اللهُ: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا﴾(٤)؛ أي: إيماناً بشرائطِه، فأَطْلَعَ اللهُ نبيَّه على عَيْبِهم(٥) فقال:

﴿قُل﴾ لهم: ﴿لَّمْ تُؤْمِنُوا۟﴾؛ أي: لم تُصدِّقوا بقلوبِكم ﴿وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾؛

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٠/ ٣٦٥ ـ ٣٦٦) عن الزبير بن بكار.

(٢) في (ف): «أعضاء».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٢٥)، واستغربه.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٤/ ٤٠٨)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٩٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) في (ف): «غيبهم».

أي: خَضَعْنا وانْقَدْنا خوفاً من القتلِ، وإرادةً للدُّخولِ في جملةِ أهلِ الملَّةِ، وذلك استسلامٌ؛ لأن (أَسْلَمَ) يأتي على وجهَيْن:

أحدهما: شرعيٌّ، وهو بمعنَى الإيمانِ سواءً.

والثاني: لُغَويٌّ بمعنى: استَسْلَم وانقادَ ودَخَل في السَّلْم، وهو الذي أَثْبتَه لهؤلاء الأعرابِ مع نفيِ الإيمانِ عنهم.

﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾؛ أي: ولم يدخلِ الإيمانُ في قلوبِكم، فهو[1] بمعنى: لم، وقيل: ﴿لمَّا﴾ على أصلِه لأنَّ فيها عِدَةً.

﴿وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ بتَرْكِ النِّفاقِ وباعتقادِ الإيمانِ بالقلوب ﴿لَا يَلِتْكُم﴾: لا يَنْقُصْكم ﴿مِّنْ﴾ ثوابِ ﴿أَعْمَـٰلِكُمْ﴾ الحسَنةِ ﴿شَيْـًٔا﴾، بل يوفِّيْكُم ثوابَها مضاعَفاً.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ يسترُ الذنوبَ ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهدايتِهم للتوبة؛ أي: فلستُم أنتم إذاً بمؤمنين ولا مسلِمين، إنما أنتم مستَسْلِمون؛ لأنَّ الوصفَ بالإيمانِ عامٌّ لجميعِ أهلِ الكتب كاليهود والنصارى، والإسلامُ وصفٌ خاصٌّ لأمَّةِ محمدٍ ﷺ، فهو كالاسمِ العَلَمِ لهم.

ومعنَى ﴿لا يألتكم﴾[2] قيل: لا يَنْقُصْكم، أَلَتَ يَأْلِتُ أَلْتاً: إذا نَقَصَ.

وقيل: لا يُغلِّظْ عليكم.

ومعنى ﴿لَا يَلِتْكُم﴾ قيل: لا يَنْقُصْكم كالأوَّل، وقيل: لا يَصْرِفْكم، قال:

وليلـةٍ ذاتِ نَـدًى سَـرَيتُ

---

(١) في (ف): «ولما».

(٢) قرأ أبو عَمْرو: ﴿يألتكم﴾ بهمزة ساكنة بعد الياء، وإذا خفف أبدلها ألفًا، والباقون بغير همز ولا ألف. انظر: «السبعة» (ص: ٦٠٦)، و«التيسير» (ص: ٢٠٢).

ولم يَلِتْنـي عنْ سُـرَاها لَيْتُ[1]

أي: لم يَصْرِفني.

قطربٌ: وَلَته يَلِتُه بمعنى: صَرَفه عن وَجْهِه[2]، فيكونُ ﴿يَلِتۡكُم﴾ على وزن: يَعِدْكم، وعلى الوجهِ الأولِ على وزن: يَبِعْكم ويَكِلْكم.

ثم وَصَف المؤمنينَ المُحقِّين فقال:

(١٥) ـ ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾.

﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ﴾؛ أي: آمَنوا بإخلاصٍ من عقائدِهم ثم حقَّقوا بأفعالهم، وهو قوله: ﴿وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: طاعَتِه والجهاد.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ في إيمانهم؛ لاجْتماعِ الإقرارِ باللسانِ والتصديقِ بالقلب ثم بالعملِ الصالح.

* * *

(١٦) ـ ﴿قُلۡ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾.

﴿قُلۡ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمۡ﴾ في بعضِ التفاسير: أنه لمَّا نزلتِ الآيةُ الأولى

---

(١) الرجز لرؤبة بن العجاج، كما في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٢١)، و«إصلاح المنطق» (ص: ١٠٥)، و«تفسير الطبري» (٢١/ ٣٩٣). ولأبي محمد الفقعسي في «لسان العرب» (١٣/ ١٣١).
وذكره القالي في «أماليه» (٢/ ٢٤٤) عن ابن الأعرابي، في جملة أبيات.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٢٥)، واستغربه.

جاءتْ هؤلاءِ الأعرابُ وحلَفوا أنهم مؤمنون معتقِدون، فنزلت: ﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾(١) استفهامُ توبيخٍ؛ أي: كيف تعلِّمونه بدِينكم ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ لا تخفَى عليه خافيةٌ؟

و(عَلَّـمَ) يأتـي بمعنـى: أَعْلَم، وهو الـذي في الآيـةِ، و(عَلَّم) في الأصـلِ: إفادةُ العلمِ علـى التَّدريجِ والمعالجةِ الشَّـديدةِ.

وقيل: التعليمُ: تعريضُ مَن لا يَعْلَمُ بإفهامِ المعنى لأنْ يَعْلَم.

والباءُ في ﴿بِدِينِكُمْ﴾ للسبب.

* * *

(١٧) ـ ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَـٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَـٰنِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾.

﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟﴾ سببُ نزوله ما سبق.

الزجَّاجُ في جماعةٍ: نزلتْ في قومٍ من المؤمنين مَنُّوا بإيمانهم على رسولِ الله ﷺ(٢).

وتقديرُه: يَمُنُّون عليك بإسلامِهم ﴿قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَـٰمَكُم﴾؛ أي: بإسلامِكم.

﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: المنَّةُ للهِ عليكم ﴿أَنْ هَدَىٰكُمْ﴾: بأنْ هَدَاكُم، وقيل: لأنْ هَدَاكُم، وقيل: هو نصبٌ.

---

(١) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٣٣٠)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٤/ ٤١٣)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ١٦١) بلا نسبة.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣٩)، وذكر أيضًا أنها نزلت في المنافقين، ورجحه.

﴿لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في إيمانِكُم؛ أي: فلَسْتُم صادِقِينَ، ولو كنتُم مؤمنينَ صادقينَ لكانتِ المنَّةُ للهِ لا لكم.

قال بعضُ المفسِّرين: وهذا دليلٌ على أنَّ الإيمانَ والإسلامَ واحدٌ، ولو كانا غَيْرَيْنِ ما كان للكلام وجهٌ.

المنُّ يُذْكَر ويُرادُ به التحمُّدُ بالنعمةِ، وهو مذمومٌ من العِبَاد، ويُذْكرُ ويرادُ[1] به الإنعامُ، وعليه وُصِف اللهُ بأنه مَنَّانٌ.

وقوله: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: أَنْعَم عليكم.

وقيل: بل اللهُ أحقُّ بالتحمُّد بالنعمة.

***

(١٨) ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: ما غاب فيهما عنكم ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يعلمون﴾[2] هم و﴿تَعْمَلُونَ﴾ أنتم، وفي الآيةِ ذكرُ الغيبةِ والحضورِ فحَسُنَ الوجهانِ، واللهُ أعلم.

***

سُورَةُ قٓ

سُورَةُ قٓ

خمسٌ وأربعونَ آيةً[1]، مكِّيّةٌ.

ابنُ عبَّاسٍ وقتادةُ: مكِّيَّةٌ إلّا آيةً، وهي قولُه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾[2].

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٢) ـ ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ﴾.

﴿قٓ﴾ قيل: هو اسمٌ من أسماءِ الله تعالى.

وقيل: هو اسمُ القرآنِ.

وقيل: اسمُ السُّورةِ.

وقيل: اسمُ جبلٍ من زَبَرجدٍ أخضرَ مُحيطٍ بالأرضِ، وخُضرةُ السَّماءِ منه[3].

---

(١) «خمس وأربعون آية»: ليس في (ف).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٥٦) عن قتادة والكلبي: أن هذه الآية نزلت في يهود المدينة. ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٩٦٥) عن قتادة، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٣٨٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما. وسيأتي.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «العقوبات» (٢٢)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٤٨٤ و١٤٨٩). وهو من خرافات الإسرائيليات، ولعله لا يصح عن ابن عباس، وقد ذهب القرافي ـ كما ذكر الآلوسي =

وقيل: حرفٌ من اسمِه عزَّ وجلَّ: قادرٌ قاهرٌ قابضٌ قدُّوسٌ قويٌّ قيُّومٌ، اقتصَرَ عليه، كما قال:

قلتُ لها قِفي فقالَتْ قافْ   لا تحسَبي أنَّا نَسِيْنا الإيجافْ[(١)]

وقيل: معناه: قُضِيَ الأمرُ، كما قيلَ في ﴿حمٓ﴾: حُمَّ ما هو كائنٌ.

وقيل: قِفْ يا محمَّدُ على أداءِ الرِّسالةِ والعملِ بما أُمِرْتَ. حكاه الماورديُّ[(٢)].

والأحسنُ أن يُقالَ: هو من الحروفِ المُقطَّعةِ لسكونِ آخرِه على ما سبقَ أمثالُه.

﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾: الشَّريفِ العظيمِ الشَّأنِ، أقسمَ الله تعالى به لبيانِه أحكامَ الدُّنيا والآخرةِ.

واختُلِفَ في جوابِ القسمِ، فقيلَ: مُضمَرٌ تقديرُه: لتُبعَثُنَّ.

وقيل: ﴿قَدْ عَلِمْنَا﴾ [الآية: ٤]؛ أي: لقد.

= في «روح المعاني» (١٣/ ٣٢٢) ـ إلى أن جبل قاف لا وجود له، وبرهن عليه بما برهن ثم قال: ولا يجوز اعتقاد ما لا دليل عليه.

ثم قال الآلوسي: والذي أذهب إليه ما ذهب إليه القرافي من أنه لا وجود لهذا الجبل بشهادة الحس، فقد قطعوا هذه الأرض برها وبحرها على مدار السرطان مرات فلم يشاهدوا ذلك، والطعن في صحة هذه الأخبار أهون من تكذيب الحس... إلى آخر ما قال.

(١) ذكره دون نسبة الفراء في «معاني القرآن» (٣/ ٧٥)، وابن قتيبة في «تأويل مشكل القرآن» (ص: ١٨٩)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٠١)، والأزهري في «تهذيب اللغة» (١٥/ ٤٨٨)، وابن جني في «المحتسب» (٢/ ٢٠٤).

(٢) انظر: «النكت والعيون» (٥/ ٣٤٠)، وفيه: «ويحتمل ما أريد بوقفه عليه وجهين: أحدهما: قف على إبلاغ الرسالة لئلا تضجر بالتكذيب. الثاني: قف على العمل بما يوحى إليك لئلا تعجل على ما لم تؤمر به»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٢٧)، وعده من العجائب.

وقيل: ﴿بَلۡ عَجِبُوٓاْ﴾ [الآية: ٢] لتضمُّنِ ﴿بَلۡ﴾ معنى النَّفيِ.

وقيل: ﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ﴾ [الآية: ١٨].

وقيل: مُضمَرٌ تقديرُه: إنَّ محمَّدًا ﷺ رسولُ الله، ودلَّ عليه قولُه: ﴿جَآءَهُم مُّنذِرٞ﴾(١).

وقيل: مُقدَّمٌ فيمَن جعلَ معنى ﴿قٓ﴾: قضَى.

ويحتمِلُ أنَّ جوابَه ما يستَدعيه ﴿بَلۡ﴾، وهو: ما آمَنوا ﴿بَلۡ عَجِبُوٓاْ﴾، والضَّميرُ يعودُ إلى الكافرينَ من قولِه: ﴿فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ﴾ وإنْ كانَ مُتأخِّرًا؛ لأنَّه يجري مَجرى ما يُفسِّرُه ما بعدَه.

وقيل: هو بمنزلةِ قولِك: «جاءني زيدٌ وقالَ الفاسقُ كذا»؛ تعني به: زيدًا.

﴿أَن جَآءَهُم﴾: لِأَنْ جاءَهم ﴿مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ﴾ يعني: محمَّدًا ﷺ.

﴿فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ ذُكِرَ بالفاءِ لاتِّصالِ الثَّاني - وهو: ﴿شَيۡءٌ عَجِيبٌ﴾ - بالأوَّل وهو ﴿عَجِبُوٓاْ﴾، وليس في ﴿صٓ﴾ كذلك، فلذلك قالَ: ﴿وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [ص: ٤] بالواوِ.

وقولُه: ﴿هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ﴾ قيل: إشارةٌ إلى اختيارِ اللهِ تعالى محمَّدًا للرِّسالةِ والإنذارِ.

وقيل: إشارةٌ إلى البعثِ بعد الموتِ، ولفظُ ﴿مُّنذِرٞ﴾ دلَّ عليه.

وقيل: ما بعدَه يدلُّ عليه.

* * *

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٢٨)، واستغربه.

(٣) ـ ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾.

﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا﴾ استفهامُ إنكارٍ واستبعادٍ، والعاملُ فيه مُضمَرٌ تقديرُه: أَنُبْعَثُ أَنُرْجَعُ إذا مِتْنا وكنَّا تُرابًا؟!

﴿ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ منَ الصِّدقِ لا يكونُ، وليس المُرادُ بُعدَ الزَّمانِ.

وقيل: معنى ﴿بَعِيدٌ﴾: مُحالٌ.

***

(٤) ـ ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾.

﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾؛ أي: تأكلُ الأرضُ بعدَ موتِهم من أجسادِهم؛ لحمِها وعظمِها ودمِها وشعرِها، وتصيرُ جزءًا منَ الأرضِ.

﴿وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾؛ أي: ومع هذا في السَّماءِ كتابٌ كُتِبَ فيه ذلك وحُفِظَ، ومعنى حفظِه: أنَّه مُثْبَتٌ فيه، فعيلٌ بمعنى فاعلٍ.

وقيل: بمعنى مفعولٍ، وهو اللَّوحُ المحفوظُ.

وقيل: يحفظُ عددَهُم وأسماءَهُم.

وقيل: يُريدُ[1]: كتابَ الحفَظةِ؛ أي: يحفظُ أقوالَهم وأفعالَهم، ثمَّ يُجازي عليها.

وقيل: الكتابُ عبارةٌ عن العلمِ والإحصاءِ. حكاه القفَّالُ وأنشدَ بيتَ أبي تمَّامٍ:

إذا شِئْتَ أن تُحصِيَ فواضِلَ كفِّه ... فكُنْ كاتبًا أو فاتَّخِذْ لكَ كاتِبًا[2]

---

(١) في (ف) زيادة: «به».

(٢) انظر: «الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري» (٣/ ١٥٢). وهذا القول ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٢٨)، واستغربه.

وعن الحسنِ: هذا وعدٌ منَ الله لنبيِّه بنُصرتِه وإظهارِ دينِه على سائرِ الأديانِ، فقال: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ بأنْ يُقتَلُوا أو يموتُوا أو يَنتقِلُوا[1] عن دينِهم ﴿وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ﴾ فيه نصرُكَ عليهم فلا يضيقَنَّ صدرُكَ.

***

(٥) ـ ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾.

﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ﴾: محمَّدٍ ﷺ والقرآنِ ﴿لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾: مُختلِطٍ مُلْتبِسٍ؛ أي: في حقِّ محمَّدٍ ﷺ؛ فمرَّةً يقولون: هو شاعرٌ، ومرَّةً: كاهِنٌ، ومرَّةً: مجنونٌ.

وقيل: مُختلِطٍ في حقِّ البعثِ؛ فمرَّةً يقولون: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾ [الأنعام: ٢٩]، ومرَّةً: ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ﴾ [فصلت: ٥٠]، ومرَّةً: ﴿مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾ [الجاثية: ٣٢].

وقيل: ﴿مَّرِيجٍ﴾: مُتَناقضٍ، بإنكارِهم القدرةَ على الإعادةِ مع إقرارِهم بالقُدرةِ على الابتداءِ.

و(مَرِيجٌ): فعيلٌ بمعنى مفعولٍ، من (مرَجَ): إذا اضطرَبَ، وقال:

مرَجَ الدِّينُ فأعدَدْتُ له ... مُشرِفَ الحارِكِ محبوكَ الكَتَدْ[2]

وقيل: فعيلٌ بمعنى مفعولٍ، من قولِه: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾: أرسلَهما وخلَّاهُما[3].

---

(١) في (ف): «أو انتقَلُوا فتوَلَّوا» بدل: «أو ينتقلوا».

(٢) «مشرف الحارك محبوك الكتد»: ليس في (ف). نسب البيت لأبي دؤاد الإيادي. انظر: «إصلاح المنطق» (ص: ٦٥)، و«الصحاح» (١/ ٣٤١)، و«كتاب الأفعال» لابن الحداد (٤/ ١٥٩)، و«النكت والعيون» (٥/ ٣٤١). ونسب لزهير في «المنجد» (ص: ٣٣٠)، و«أساس البلاغة» (٢/ ٢٠٢)، وفيهما: «الثبج» بدل «الكتد».

(٣) في (ف): «وخلاهما».

(٦) ـ ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾.

﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ ثمَّ دلَّـهم على قُدرتِه على البعثِ فقالَ: أفلم ينظروا إلى السماء ﴿فَوْقَهُمْ﴾؛ أي: ثابتًا مُظِلًّا فوقَهم، فهو حالٌ للسَّماءِ.

﴿كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا﴾؛ أي: بالنُّجومِ والشَّمسِ والقمرِ ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ فيه أقوالٌ:

أحدُها: من خَلَلٍ وفُتوقٍ وصُدوعٍ وشُقوقٍ.

والثَّاني: من فروجٍ يُمكنُ السُّلوكُ فيه، وأمَّا الملائكةُ فينزلونَ منَ البابِ ويعرُجونَ إلى البابِ، ثمَّ يُطبَقُ البابُ.

وقيل: معناه: السَّماءُ خَلْقٌ واحدٌ ليست أقطاعًا ضُمَّ بعضُها إلى بعضٍ كأبنيةِ النّاسِ[١].

القفَّالُ: قالَ بعضُ النَّاسِ: إنَّ في هذا حُجَّةً على استدارةِ السَّماءِ وإحاطتِها بالأرضِ من جميعِ جهاتِها؛ لأنَّه أخبرَ أنَّه لا فروجَ فيها، وقال في موضعٍ آخرَ: ﴿هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ [الملك: ٣]؛ فلو كانت مبسوطةً غيرَ مُتَّصلةِ الأطرافِ[٢] لم يكُنْ كذلك[٣].

* * *

(٧) ـ ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾.

﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا﴾: بسَطْناها من تحتِهم إلى ما لا يعلمونَ من غايتِها.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٢٩)، واستغربه.

(٢) في (ف): «الأجزاء».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٢٩)، وعده من العجائب.

وقيل: إلى مسيرةِ كذا سنةً.

وقال[١] بعضُهم: هذا دليلٌ على أنَّ الأرضَ مبسوطةٌ، وليستِ على شكلِ الكرةِ.

وقال بعضهم: أرادَ بالمدِّ: التَّطويلَ، والمُدوَّرُ والكرةُ لها طولٌ وعرضٌ وعُمقٌ[٢].

﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا﴾: في الأرضِ على وجهِها ﴿رَوَاسِيَ﴾: جبالًا ثوابتَ.

﴿وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا﴾: في الأرضِ ﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ﴾؛ أي: صنفٍ ﴿بَهِيجٍ﴾ حَسَنٍ.

والبهيجُ: الحسنُ المنظرِ.

وقيل: حسَنٌ له رُواءٌ عندَ الرُّؤيةِ.

وقيل: ﴿بَهِيجٍ﴾: سارٌّ، منَ البهجةِ.

والمُرادُ بـ﴿زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾: النَّباتُ عندَ الجمهورِ.

وقيل: أنواعُ الحيوانِ، وبهجتُها: حُسْنُ صورتِها، ولفظُ (أنبتَ) كقولِه: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [نوح: ١٧][٣]، والنَّباتُ مذكورٌ بعدَ هذه الآيةِ[٤].

ويحتمِلُ أن يعودَ الضَّميرُ[٥] إلى ﴿رَوَاسِيَ﴾، والزَّوجُ البهيجُ: الذَّهبُ والفِضَّةُ وسائرُ الفِلزَّاتِ[٦].

---

(١) في (ف): «قال».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٢٩)، واستغربه.

(٣) في (ف) زيادة: «قال».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٢٩)، واستغربه.

(٥) أي: الضمير في ﴿فِيهَا﴾.

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٢٩)، واستغربه.

(٨) ـ ﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾.

﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾: ليُبصرَهم ويجعلَهم ذَوي بصائرَ وليتذكَّروا بذلك. والمُنيبُ: الرَّاجعُ إلى الله، والإنابةُ: الرُّجوعُ.

وقيل: المُقبلُ، والإنابةُ: الإقبالُ.

* * *

(٩) ـ ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾.

﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ﴾: من جانبِ السَّماءِ.

وقيل: منَ السَّحابِ.

وقيل: من سماءِ الملائكةِ.

﴿مَاءً﴾: مطرًا ﴿مُّبَارَكًا﴾: يَلبثُ في أجزاءِ الأرضِ، فيَنْبُعُ طولَ السَّنةِ.

وقيل: ﴿مُّبَارَكًا﴾: للخلقِ فيه بركاتٌ ومنافعُ.

﴿فَأَنبَتْنَا﴾: فأخرَجْنا منَ الأرضِ ﴿بِهِ﴾: بذلك الماءِ ﴿جَنَّاتٍ﴾: الأشجارَ والفواكهَ والثِّمارَ ﴿وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ أي: وحبًّا يُحصَدُ كالبُرِّ والشَّعيرِ وسائرِ الحبوبِ التي تُحصَدُ.

و﴿حبَّ الحصيدِ﴾ عندَ بعضِ النُّحاةِ من إضافةِ الشَّيءِ إلى صفتِه[1].

وعند بعضِهم: الحصيدُ: وَصفٌ للقُضُبِ أو للسُّنْبلةِ[2] التي فيها الحبُّ، وذلك يُحصَدُ لا الحَبُّ.

* * *

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٣٠) عن الكوفيين، واستغربه، وانظر: «اللباب في علل البناء والإعراب» للعكبري (١/ ٣٩١).

(٢) في (ن): «للقُصُب أو السنبلة».

(١٠) ـ ﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾.

﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ﴾ طوالًا عجيبةَ الخلقِ.

وقيل: ﴿بَاسِقَٰتٍ﴾؛ أي: حواملَ؛ من قولِهم: أبسَقَتِ الشّاةُ؛ إذا حملَتْ، فيكونُ من بابِ (أفعَلَ) فهو فاعلٌ[١]، وقد سبقَ في (الحِجْرِ).

﴿لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾: منضودٌ بعضُه إلى بعضٍ، وهو ما دامَ في كُفُرَّاهُ، فإذا خرجَ فليس بنضيدٍ.

وقيل: طَلْعُها: ثمرُها؛ كقولِه: ﴿كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [الصافات: ٦٥]، فيكون المعنى: ثمارُها في حلوقِها ورُؤوسِها لا كسائرِ الأشجارِ مُتفرِّقٌ ثمارُها.

أبو عُبيدةَ: نخلُ الجنَّةِ نضيدٌ ما بينَ أصلِه وفرعِه[٢]، كلما نُزِعَتْ رُطَبَةٌ عادَتْ ألينَ من الزُّبْدِ، وأحلى منَ العسلِ[٣].

* * *

---

(١) أي: ﴿بَاسِقَٰتٍ﴾ بمعنى: «مُبْسِقات»، كقوله: ﴿لَوَٰقِحَ﴾ [الحجر: ٢٢] بمعنى: ملاقح. ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٣٠)، واستغربه.

(٢) في (ف): «إلى فرعه».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٤٠٩) عن أبي عبيدة، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣١٠٩)، والطبري في «تفسيره» (١/ ٤٠٦) عن أبي عبيدة عن مسروق. وجاء في هذه الروايات: «كلما نزعت ثمرة عادت مكانها أخرى». وأبو عبيدة هو ابن عبد الله ابن مسعود لا معمر بن المثنى كما قد يتوهم من الإطلاق.

وروى عبد الرزاق في «تفسيره» (٣١٠٤)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٦١) من طريق رجل عن سعيد بن جُبير قال: «نخل الجنة جذوعها من ذهب، وعروقها من ذهب... ورطبها كالدلاء، أشدّ بياضاً من اللبن، وألين من الزبد، وأحلى من العسل، ليس له عَجَم».

(١١) ـ ﴿رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾.

﴿رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ﴾؛ أي: عطاءً دارًّا عليهم.

﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ﴾: بذلك الماءِ ﴿بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ قد جفَّ نباتُها وتهشَّمَ، فأنبتْنا فيها فاهتزَّتْ بالنَّباتِ وحَيِيَتْ.

﴿كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾ من قُبورِهم يومَ البعثِ بعد أن كنتُم أمواتًا.

وعن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: يُنزِلُ الله تعالى منَ السَّماءِ مطرًا كنُطَفِ الرِّجالِ، فيُنبِتُ عليه اللَّحمَ والعظامَ والأجسادَ، فيُرجِعُ كلَّ روحٍ إلى جسدِه[1].

* * *

(١٢ ـ ١٣) ـ ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ﴾.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ﴾ يُريدُ: وقومُ لوطٍ، وسمَّاهم إخوانه لأنَّ بينهم نسبًا قريبًا.

* * *

(١٤) ـ ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾.

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ﴾ سبقَ في (الدُّخان).

﴿كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ﴾؛ أي: كلُّ قومٍ كذَّبوا رسولَهم.

وقيل: كلُّ قومٍ كذَّبوا الرُّسلَ جميعًا؛ لأنَّ مَن كذَّبَ رسولًا واحدًا فقد كذَّبَ جميعَهم في الحُكمِ.

﴿فَحَقَّ وَعِيدِ﴾؛ أي: فوجَبَ ما كنتُ توعَّدتُهم به على ألسنةِ رُسُلي منَ العقابِ.

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٠/ ٣٨٧).

وقيل: فصارَ حقًّا عندَهم لمَّا عايَنُوه، وبعد أنْ كانوا يتوهَّمونَه غيرَ حقٍّ، لكنَّه لـم ينفَعْهم.

***

(١٥) ـ ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ﴾.

﴿أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِ﴾: أفعَجَزْنا عنِ الخلقِ الأوَّلِ وجَهِلْنا وجهَ الأمرِ فيه حين أنشأناهُ فنَعجِزَ عن الخلقِ الثَّاني؟ استفهامُ إنكارٍ.

والخَلقُ الأوَّلُ: الإبداءُ، وهم مُقِرُّونَ بقدرةِ الله تعالى عليه، والخَلقُ الثَّاني: الإعادةُ.

الحسنُ: الخَلقُ الأوَّلُ آدمُ عليه السَّلامُ[1].

وقيل: معناه: أفعَيينا عن إهلاكِ مَن قبلَهم فنَعْيا عن إهلاكِهم؟

﴿بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ﴾ لبَّسَ الشَّيطانُ عليهم بشُبَهِه.

***

(١٦) ـ ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ﴾.

﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥ﴾؛ أي: ما يخطرُ ببالِه ولـم يفعَلْه بعدُ. والوَسْوَسةُ: حديثُ النَّفسِ في خفاءٍ.

﴿وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ﴾ أي: نحنُ أعلَمُ بضميرِه ممَّن كان في القُربِ منه بمنزلةِ حبلِ الوريدِ، وهو العِرقُ الذي بينَ الحلقومِ والعِلْباوَينِ[2].

وقيل: هو حبلُ العاتقِ.

---

(١) ذكره ابن أبي زمنين في «تفسيره» (٤/ ٢٧١)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ١٥٩).

(٢) العلباء: عصب العنق، وهما علباوان. انظر: «العين» (٢/ ١٤٧).

وقيل: حَبْلُ الوَرِيد: نِياطُ القلبِ.

وقيل: معناه: نحنُ أعلَمُ بما تُوسوِسُ به نفسُه من حبلِ وريدِه بذلك، وهو عِرْقٌ متَّصِلٌ بالقلبِ، وهما وريدانِ عن اليمينِ وعن الشِّمالِ، وسُمِّي وريدًا لأنَّه يَنصَبُّ إليه ما يرِدُ منَ الرَّأسِ، والإضافةُ من بابِ: مسجدِ الجامعِ.

وقُربُ الله سبحانَه بالعلمِ.

وقيل: بالقدرةِ.

***

(١٧) ـ ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾.

﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ﴾؛ أي: يتلقَّى الملَكانِ الموكَّلانِ قولَه وعملَه.

والتَّلقِّي: الأخذُ والقَبولُ والتَّلقُّفُ والتَّلقُّنُ[1]؛ كقولِه: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ﴾ [البقرة: ٣٧].

وقيل: التَّلقِّي للشَّيءِ: أخذُه عن قائلِه.

﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ﴾؛ أي: أحدُهما عن يمينِه يكتُبُ حسناتِه، والآخرُ عن شمالِه يكتبُ سيِّئاتِه.

﴿قَعِيدٌ﴾: قاعدٌ وجالسٌ، وقيل: ﴿قَعِيدٌ﴾: رَصَدٌ.

ووحَّدَ لأنَّ التَّقديرَ: عن اليمينِ قعيدٌ، وعن الشِّمالُ قعيدٌ، فاستغنَى بذكرِ أحدِهما عن الآخرِ.

وقيل: (فعيلٌ) قد يقعُ موقعَ الجمعِ، فلذلك يقعُ موقعَ التَّثنيةِ[2]؛ كقولِه: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: ٤]، وقولِه: ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ [النور: ٦١].

---

(١) بعدها في (ن): «واحد». في (ف): «والتلفق» بدل: «والتلقن».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٣٠) عن الأخفش، واستغربه.

وقيل: ﴿قَعِيدٌ﴾ بمعنى: مُقاعِدٍ، كجليسٍ وشريبٍ، وهو يقتَضي اثنَين[١].

* * *

(١٨) ـ ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾.

﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ﴾: ما يتكلَّمُ به، وما يَرْمِي به مِن فيه.

﴿إِلَّا لَدَيْهِ﴾: عندَه. قيل: يعودُ إلى القولِ الملفوظِ.

وقيل: إلى الإنسانِ.

﴿رَقِيبٌ﴾: حافظٌ ﴿عَتِيدٌ﴾: ثابتٌ لازمٌ.

وقيل: العتيدُ: المُعدُّ للزومِ الأمرِ، واللهُ تعالى وكَّلَ بكلِّ مُكلَّفٍ أربعةَ أملاكٍ: ملكَين باللَّيلِ وملكَينِ بالنَّهارِ يُحصِيانِ عليه كلَّ شيءٍ.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: لا يكتبانِ إلّا الخيرَ والشَّرَّ[٢].

الحسنُ: عجِبتُ لابنِ آدمَ، ملكاه على نابَيه، لسانُه قلمٌ لهما، وريقُه مدادٌ لهما، كيف يتكلَّمُ ما يَعنيه وما لا يَعنيه[٣]؟

* * *

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٣٠) عن الفراء، واستغربه.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٠٨)، والحاكم في «المستدرك» (٣٧٣٠).

(٣) في (ف): «كيف يتكلم فيما لا يعنيه». رواه مختصرًا ابن أبي الدنيا في «الصمت» (٧٩) عن علي رضي الله عنه، ولفظه: «لسان الإنسان قلم الملك، وريقه مداده».

وروى أبو نعيم في «تاريخ أصبهان» (١/ ٤٢٥) من طريق إبراهيم بنِ حيَّانَ بن حكيم بنِ سُوَيدِ بنِ علقمةَ بنِ سعدِ بنِ معاذٍ، ثنا أبي، عن أبيه، عن جدِّه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أَنْقُوا أفواهكم بالخِلَالِ؛ فإنها مَسْكنُ المَلَكَيْنِ الحافِظَيْنِ الكاتِبَيْنِ، وإنَّ مدادَهما الرِّيقُ، وقلمَهما اللِّسانُ، وليس شيءٌ أشدَّ عليهم من فضلِ الطعام في الفم».

(١٩) ـ ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾.

﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ﴾: شِدَّتُه وغَلَبتُه على فهمِ الإنسانِ، كشدَّةِ النَّومِ والشَّرابِ.

﴿بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: ببيانِ ما يصيرُ إليه الإنسانُ بعد موتِه من جنَّةٍ أو نارٍ.

وقيل: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: بأمرِ الله وحُكمِه الذي عمَّ به جميعَ الأحياءِ.

وقيل: الحقُّ هاهنا هو الله تعالى، ولعلَّ هذا القائلَ أرادَ: بعلمِ الحقِّ واليقينِ الذي لا يبقَى معه شكٌّ ولا ارتيابٌ[١].

وقيل: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: بالموعودِ المحقوقِ.

وقيل: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ قسَمٌ، وفيه بُعدٌ.

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى الموتِ، وقيل: إلى الحقِّ.

﴿مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ تميلُ وتروغُ وتكرهُ، وهذا من قولِ الملَكِ.

وقيل: من قولِ الله.

و(كانَ) في الآيةِ زيادةٌ. والمعنى: فاستعِدَّ له.

***

(٢٠ ـ ٢٢) ـ ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾.

﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾ يعني: نفخةَ البعثِ ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ﴾؛ أي: يَتحقَّقُ فيه الوعيدُ.

﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ أي: تجيءُ كلُّ نفسٍ في هذا اليومِ ومعها سائقٌ يسوقُها إلى موقفِ الحسابِ، ولا مفرَّ له، وشاهدٌ يشهدُ عليه[٢]، فلا إنكارَ له.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٣١)، واستغربه.

(٢) في (ف): «له».

وقيل: السَّائقُ: كاتبُ سيِّئاتِه، والشَّهيدُ: كاتبُ حسناتِه.

وقيل: السَّائقُ: الملَكُ، والشَّهيدُ: جَوارِحُه.

وقيل: الشَّهيدُ عملُه.

وقيل: الشَّهيدُ نفسُه.

وقيل: السَّائقُ: قرينُه منَ الشَّياطينِ، والشَّهيدُ: الملَكُ.

﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ القولُ مُضمَرٌ، والخطابُ للكفَّارِ عندَ بعضِهم، والغفلةُ هو الإنكارُ.

وقيل: هو عامٌّ، والغفلةُ الاشتغالُ.

﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ﴾: فرفَعْنا وأزَلْنا عنك الحجابَ.

قال بعضُهم: يُريدُ: يومَ الولادةِ منَ الأمِّ.

وقيل: بالنَّشرِ من القبرِ.

وقيل: وقتَ العرضِ في القيامةِ.

﴿فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾: فعِلمُك اليومَ نافذٌ.

وقيل: بصرُه: عينُه[1].

وقيل: البصرُ الحديدُ: لسانُ الميزانِ[2].

قال ابنُ زيدٍ: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ خطابٌ للنَّبيِّ ﷺ[3]؛ أي: ﴿كُنتَ﴾ قبلَ

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٣١)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٣١)، وعده من العجائب.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٣٤)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٤٩)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٣١)، واستغربه.

الوحي ﴿فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ العلمِ ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ﴾ بما أَوْحينا إليكَ ﴿فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾: فعِلمُكَ اليومَ ثاقبٌ نافذٌ، وهذا كقولِه: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ [الشورى: ٥٢].

* * *

(٢٣) ـ ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ﴾.

﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ﴾ الجمهورُ على أنَّه الملَكُ.

وقيل: قرينُه منَ الشَّياطين(١).

وقيل: قرينُه منَ الإنسِ.

وحكَى محمَّدُ(٢) بنِ جريرٍ: أنَّ القرينَ واحدٌ والمُرادُ به اثنانِ، كالأسماءِ المُوحَّدةِ التي تقعُ على الواحدِ(٣) والاثنينِ والجمعِ، وقد سبقَ مثلُ هذا في ﴿قَعِيدٌ﴾، فيكونُ القرينُ: الملَكَين الحافظَين(٤).

﴿هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ﴾؛ أي: هذا ما كنتُ أكتبُه فهو(٥) حاضرٌ عندي؛ فإنْ كانَ العبدُ من أهلِ الإيمانِ والجنَّةِ أُحضِرَ كتابُ حسناتِه؛ لأنَّ سيِّئاتِه قد كُفِّرت، وإنْ كانَ من أهلِ الكفرِ والنَّارِ أُحضِرَ كتابَ سيِّئاتِه؛ لأنَّ حسناتِه حبِطَتْ لكفرِه.

وعلى التَّأويلِ الآخرِ: يقولُ قرينُه منَ الشَّيطانِ الإنسيِّ: ﴿هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ﴾؛ يعني: ما يحضُرُ به منَ العذابِ الذي أَعَدَّ الله لهما.

وعلى التَّأويلِ الثَّالثِ: يقولُ الإنسيُّ للشَّيطانِ: لم أجِدْ ممَّا وعَدْتَني به في الدُّنيا إلا هذا العذابَ الحاضرَ عندي.

---

(١) في (ن): «الشيطان».

(٢) في (ن): «وحكي عن محمد».

(٣) في (ن): «الواحدة».

(٤) انظر: «تفسير الطبري» (٢١/ ٤٣٧)، ونقل المصنف كلامه بالمعنى.

(٥) «فهو» من (ف).

والوجهُ هو الأوَّلُ، والعتيدُ: المعَدُّ الحاضرُ، وهو صفةٌ لـ﴿مَا﴾ إذا جعلته نكرةً، أو خبرٌ بعدَ خبرٍ، أو بدَلٌ منَ الخبرِ[١].

***

(٢٤) ـ ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾.

﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ﴾؛ أي: يُقالُ: ﴿أَلْقِيَا﴾.

وقيل: يقولُ الله: ﴿أَلْقِيَا﴾.

وفي المُخاطَبِ به أقوالٌ:

أحدُها: أنَّه[٢] السّائقُ والشَّهيدُ فيمَن جعلَهما الملَكَين[٣]؛ لأنَّهما معه إلى أن يدخلَ الجنّةَ أو النّارَ.

والثّاني: أنَّهما ملَكانِ من خزنةِ النَّارِ.

وقيل: خطابٌ لمالكٍ خازنِ النَّارِ، وثنَّى على عادةِ العربِ في خطابِ الواحدِ خطابَ الاثنَين[٤]، قال الشَّاعرُ:

---

(١) انظر: «غرائب التفسير» (٢/ ١١٣١) وفيه: «﴿هَذَا﴾ مبتدأ ﴿مَا﴾ خبره، فإن جعلت ﴿مَا﴾ نكرةً فـ﴿لَدَيَّ﴾ صفتُه و﴿عَتِيدٌ﴾ خبرٌ بعد خبرٍ، أو خبرُ مبتدأ محذوفٍ، فإن جعلتَ ﴿مَا﴾ موصولةً فـ﴿لَدَيَّ﴾ صلته».

وقال الزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٣٨٦): «إنْ جعَلْتَ ﴿مَا﴾ موصوفةً فـ﴿عَتِيدٌ﴾ صفةٌ لها، وإنْ جعلتَها موصولةً فهو بدلٌ، أو خبرٌ بعدَ خَبرٍ، أو خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ».

(٢) في (ف): «أنهما».

(٣) في (ن): «ملكين».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٣٢)، وعده من العجائب.

فَإِنْ تزجُرانـي يـا بـنَ عفَّـانَ أنزَجِـرْ وإنْ تدَعانـي أحْـمِ عِرْضًـا مُمَنَّعـا[1]

ومثلُه:

فقلـتُ لصاحبـي لا تَحْبِسـانا بنزعِ أصولِـه واجتَـزَّ شِـيْحا[2]

وله أمثالٌ، وقد سبقَ.

وقيل: الألفُ في ﴿أَلْقِيَا﴾ بدلٌ من نونِ التَّأكيدِ المُخفَّفةِ، أُجرِيَ في الوصلِ مُجرى الوقفِ[3].

وقيل: أرادَ: ألقِ ألقِ، فلم يُمكِنْ تثنيةُ الفعلِ، فثُنِّيَ الضَّميرُ.

وعلى هذه الأقوالِ الثَّلاثةِ حُمِلَ:

قِفَـا نَبْـكِ[4]

ويحتمِلُ أنَّه خطابٌ للقرينِ فيمَن جعلَه بمعنى التَّثنيةِ على ما سبقَ.

﴿كُلَّ كَفَّارٍ﴾: كلَّ كافرٍ مُبالغٍ في كفرِه.

﴿عَنِيدٍ﴾: عادلٍ عنِ الصَّوابِ، تقولُ: عَنَدَ عنه: مالَ، و﴿عَنِيدٍ﴾ بمعنى: عاندٍ؛ أي: مائلٌ.

---

(١) لسويد بن كراع. انظر: «شرح المعلقات السبع» للزوزني (ص ٣٥)، و«الأغاني» (١١/ ١٢٣)، و«سمط اللآلئ» (١/ ٩٤٣)، و«شرح ديوان المتنبي» للعكبري (٢/ ١٦٠).

(٢) نسبه الجوهري في «الصحاح» (٣/ ٨٦٨) ليزيد بن الطثرية، وقال ابن بري: «ليس هو ليزيد»، وزاد الصاغاني: «وإنما هو لمضرس بن ربعي الأسدي». انظر: «التكملة» للصاغاني، و«تاج العروس» للزبيدي مادة: (ج ز ز).

وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٤٥) عن الأعشى، برواية: «لا تعجلانا» بدل: «لا تحبسانا».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٣٢)، واستغربه.

(٤) مطلع معلقة امرئ القيس. انظر: «ديوانه» (ص: ١٤).

وقيل: ﴿عَنِيدٍ﴾ بمعنى: مُعانِدٍ. وله وجهانِ:

أحدُهما: يعرِفُ الحقَّ فيجحَدُه.

والثّاني: لا يعرِفُ خطأَ ما هو عليه.

* * *

(٢٥) - ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ﴾.

﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾: الزَّكاةِ المفروضةِ، وقيل: كلِّ حقٍّ أوجبَه الله تعالى، والخيرُ: المالُ.

وقيل: الخيرُ: الإسلامُ، والمُرادُ به الوليدُ بنُ المُغيرةِ، كان يمنعُ بَنيهِ ولُحْمتَه[1] منَ الإسلامِ[2].

﴿مُعْتَدٍ﴾: يظلمُ النَّاسَ بلسانِه ويدِه، وقيل: يأتي الأمورَ القبيحةَ.

﴿مُّرِيبٍ﴾: الدَّاخلُ في الرَّيبِ، وقيل: هو الذي يأتي الرِّيبةَ.

* * *

(٢٦) - ﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾.

﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾ الأوّلُ أمرٌ بالإلقاءِ في النَّارِ، والثَّاني بالإلقاءِ في العذابِ الشَّديدِ.

وقيل: التَّكرارُ للتَّأكيدِ.

* * *

---

(١) في هامش (ن): «قرابته»، وعليها علامة التصحيح، وهي شرح اللحمة.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ١١٣)، و«تفسير الثعلبي» (٢٤/ ٤٧١).

(٢٧) ـ ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ﴾.

﴿قَالَ قَرِينُهُۥ﴾ يعني: الشَّيطانُ المُقيَّضُ له.

وهذا حجَّةُ مَن ذهبَ في الآيةِ الأولى إلى أنَّه الشَّيطانُ، والمعنى: أنَّه إذا أُلقِيَ في النّارِ ادَّعى على قرينِه منَ الشَّياطينِ، فيقولُ قرينُه:

﴿رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ﴾ كما زعمَ ﴿وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ﴾ فصَحِبْتُه على طُغيانِه وضلالِه.

وقيل: ولكنْ كانَ طاغيًا باختيارِه الفرَّاءُ[1].

﴿فِى ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ﴾ منَ الرَّشادِ والحقِّ.

وقيل: في ضلالٍ مُتقادمٍ بَعيدِ المُدّةِ عن وقتِ صُحبَتي.

***

(٢٨) ـ ﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ﴾.

﴿قَالَ﴾ اللهُ تعالى: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ﴾ بإحالةِ بعضِكم الذَّنبَ على البعضِ، فكلٌّ منكم مُستحِقٌّ للعذابِ.

﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ﴾ بهذا العذابِ على ألسنةِ رُسلي، فلا عُذرَ لأحدٍ عندي.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: الوعيدُ: الرَّسولُ[2].

وقيل: القرآنُ.

وقيل: الأمرُ والنَّهيُ.

---

(١) هذا معنى قول الفراء؛ فإنه قال: «وقوله: ﴿مَآ أَطْغَيْتُهُۥ﴾ يقوله الملك الذي كان يكتب السيئات للكافر، وذلك أن الكافر قال: كان يعجلني عن التوبة، فقال: ما أطغيته يا رب، ولكن كان ضالاً». انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٧٩). وسيأتي.

(٢) الذي وقفت عليه عن ابن عباس رضي الله عنهما في الآية هو ما رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» كما في «الدر المنثور» (٧/ ٦٠١) عنه قوله: ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ﴾ قال: «على لسان الرسل أن من عصاني عذبته».

(٢٩) ـ ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾.

﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ﴾: هو إخلادُ الكفَّارِ في النَّارِ.

وقيل: لا يُحرَّفُ ولا يُزادُ ولا يُنقَصُ.

وقيل: هو قولُه: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: ١١٩].

وقيل: هو قولُه: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ الآية [الأنعام: ١٦٠].

وقيل: قولُه: ﴿مَآ أَطْغَيْتُهُۥ﴾ من كلام الملَكِ؛ لأنَّ الكافرَ يقولُ: كان يُعجِّلُني عن التَّوبةِ، فيقولُ: ما أطغَيْتُه ولكنْ كان ضالًّا.

وقال بعضُ المُفسِّرين: في قولِه: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ﴾: معناه: ما يُكذَّبُ عندي لعِلْمي بحقِّه من باطلِه[1].

وقيل: تبديلُه أن يفعلَ بخلافِ ما أَخبرتُه.

وقيل: هو كقولِه: ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الأنعام: ١١٥].

وقولُه: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ سبقَ.

* * *

(٣٠) ـ ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾.

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ ﴿يَوْمَ﴾ نصبٌ بقولِه: ﴿ظلام﴾ عند بعضِهم.

وقيل: نصبٌ بقولِه: ﴿يُبَدَّلُ﴾.

وقيل: أنذِرْهُم يومَ نقولُ، كقولِه: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾ [مريم: ٣٩].

---

(١) هذا والذي قبله كلام الفراء. انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٧٩).

وقيل: ظرفٌ لجميعِ ما تقدَّمَ؛ أي: ذلك يكونُ ﴿يَوْمَ نَقُولُ﴾ نحنُ.

وقُرِئَ بالياءِ[1]؛ أي: يقولُ الله لجهنَّمَ: ﴿هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾.

حملَ جُلُّ المُفسِّرين القولَ على الحقيقةِ كما سبقَ في قولِه: ﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١]، ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٤٤].

وقال بعضُهم: الخطابُ والجوابُ لأهلِ جهنَّمَ.

وقال بعضُهم: هذا مجازٌ، وتقديرُه: لو كانَ لها تمييزٌ لقالت: ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾؟ ومثلُه قولُه:

امتلأَ الحَوْضُ وقالَ: قَطْنِي مَهْلاً[2] رُوَيْداً قد ملأْتَ بَطْنِي[3]

وهذا كثيرٌ[4].

وقولُه: ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: أنَّها امتلأَتْ وصارَتْ بحيثُ لا يَنْجَعُ فيها إبرةٌ؛ تصديقًا لقولِه تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[5] [هود: ١١٩]، وهذا سؤالُ توبيخٍ لمَن في النَّارِ، وزيادةٍ في مكروهِهم، والمعنى: لم يبقَ فيَّ موضعُ زيادةٍ، ومثلُه قولُه عليه السَّلامُ: «وهل ترَكَ لنا عقيلٌ من دارٍ؟»[6]؛ أي: لم يترُكْ؛ لأنَّه باعَ

---

(١) هي قراءة نافع وشعبة. انظر: «السبعة» (ص: ٦٠٧)، و«التيسير» (ص: ٢٠٢).

(٢) في (ف): «سلا» وهي رواية بعض المصادر كـ«الزاهر».

(٣) نسب لأبي النجم العجلي الراجز في «الزاهر» لابن الأنباري (٢/ ٣٢٣)، و«الإبانة» للعوتبي (٤/ ٢٦)، وقد تقدم عند تفسير قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ [التوبة: ٣٠].

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٣٣)، وعده من العجائب.

(٥) «﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾»: ليس في (ف).

(٦) رواه البخاري (٤٢٨٢)، ومسلم (١٣٥١)، عن أسامة بن زيد رضي الله عنه.

دورَ المهاجرينَ بعد هجرتِهم إلى مكّةَ(١).

والثّاني: أنَّها تستزيدُ، وأنَّ هذا قبلَ دخولِ جميعِهم فيها.

والثّالثُ: أنَّ قولَها: ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ طلبٌ لأن يُزادَ في سعتِها ليزيدَهم انتفاخًا، وقد جاء في الأخبارِ: «غِلَظُ جلدِ الكافرِ في النّارِ سبعونَ ذراعًا بذراعِ الجبّارِ»(٢).

وأمّا ما ذكرَه المُفسِّرون وجاء في الخبرِ من قولِه ﷺ: «لن تمتلِئَ النّارُ حتّى يضعَ الجبّارُ قدمَه فيها فتقولُ: قَطْ قَطْ قد امتلأتُ»(٣)؛ فذهبَ بعضُهم إلى أنَّ الجبّارَ هو الكافرُ، مِن قولِه: ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٥].

ورَوَى بعضُهم: «حتّى يضعَ الرَّحمنُ قدمَه فيها»(٤)، فذهبَ بعضُ(٥) العلماءِ إلى أنَّ القدمَ هم الذين أعدَّهم للنّارِ وخلقَهم لها، ومثلُه قولُه: ﴿قَدَمَ صِدْقٍ﴾ [يونس: ٢].

ورَوَى بعضُهم: «حتّى يضعَ رجلَه فيها»(٦)، والرِّجلُ: الجماعةُ المُعدَّةُ لها أيضًا، قال الشّاعرُ:

---

(١) كذا في النسختين، والصواب: «إلى المدينة» أو «من مكة».

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٠٩٣١) عن أبي هريرة رضي الله عنه، بلفظ: «... وكثافة جلده اثنان وأربعون ذراعاً بذراع الجبار»، ورواه مسلم (٢٨٥١) بلفظ: «ضرس الكافر، أو ناب الكافر، مثل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاث».

(٣) رواه بلفظ: «الجبار» البزار في «مسنده» (٧١٦١)، وابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ٢٠٧).

ورواه البخاري (٤٨٤٩)، ومسلم (٢٨٤٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «لا تزال جهنم تقول: هل من مزيد؟ حتى يضع فيها رب العزة ـ تبارك وتعالى ـ قَدَمه فتقول: قط قط وعِزَّتِكَ، ويُزوى بعضُها إلى بعض».

(٤) انظر التعليق السابق.

(٥) «بعض» ليست في (ن).

(٦) رواه البخاري (٤٨٥٠).

فمرَّ بنا رجلٌ منَ النّاسِ وانزَوَى إليهم منَ الحيِّ اليماني أرجُلُ[١]

ورِجْلٌ منَ الجرادِ: معروفٌ.

وأنكرَ بعضُ المُفسِّرين الخبرَ أصلًا، وقال: إنَّ هذا كلامُ المُجسِّمةِ، ثمَّ قالَ: ولا أدري كيف قولُهم في قدمِه أيترُكُها في جهنَّمَ بحالِها أم يُخرِجُها؟ فإنْ تركَها وجبَ أن تكونَ مُخلَّدةً في النّارِ مع أهلِ النّارِ، وإنْ أخرجَها عادَتْ جهنَّمُ غيرَ مملوءةٍ. وهذا اعتراضٌ على المُجسِّمةِ مُسْكِتٌ.

ورَوَى الثَّعلبيُّ: «قِدْمَه» بكسرِ القافِ[٢]، وفسَّرَه بأنَّهم قومٌ خلقَهم الله تعالى قبل آدمَ عليه السَّلامُ، يُقالُ لهم: القِدْمُ، رُؤوسُهم كرُؤوسِ الكلابِ والذِّئابِ، وسائرُ أعضائِهم كأعضاءِ بني آدمَ عليه السَّلامُ، فعَصَوا ربَّهم فأهلكَهم، يملأُ الله بهم جهنَّمَ[٣]. وهذا ضعيفٌ في الرِّوايةِ ركيكٌ.

والاعتراضُ على هذا وعلى المُجسِّمةِ من وجهٍ أحسَنَ منَ الأوَّلِ، وهو أن يُقالَ: إنَّ الله سبحانَه عيَّنَ وبيَّنَ، فقالَ: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾، فإذا ملأَها ممَّا ذهبَ إليه الثَّعلبيُّ، أو ممَّا ذهبَ إليه المُجسِّمةُ لا يكونُ إنجازًا وبِرًّا، بل يكونُ خُلْفًا. والله أعلَمُ.

***

---

(١) البيت بلا نسبة في «تفسير الثعلبي» (٢٤/ ٤٨١)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ١٦٦)، و«تفسير القرطبي» (١٧/ ١٩).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٤/ ٤٨١)، والعيني في «عمدة القاري» (٢٣/ ١٨٦) عن حسان بن عطية، ووهب بن منبه.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٤/ ٤٨١)، وابن ملك في «شرح المصابيح» (٦/ ١٤٤)، والعيني في «عمدة القاري» (٢٣/ ١٨٦) عن وهب بن منبه، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٣٣)، وعده من العجائب.

(٣١) ـ ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾.

﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾؛ أي: قُرِّبَتْ وأُدنِيَتْ، والإزْلافُ[1]: التَّقريبُ في الخيرِ.

قيل: هذا قبلَ الدُّخولِ يرونها من قربٍ إلى أن يدخلوها بعدَ الحسابِ، ومثلُه: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ۝٩٠ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ [الشعراء: ٩٠].

وقيل: هذا بعدَ الدُّخولِ؛ أي: قُرِّبتْ لهم مواضِعُهم فيها فلا يطلُبونَ منها بُعدًا.

وقيل: قُرِّبَتْ للمتَّقين لتُقرِّبَهم قُربَ ظَفَرٍ ودخولٍ غيرِ بعيدٍ؛ أي: قَرُبَتْ ولم تَبْعُدْ[2].

وقيل: ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ في الزَّمانِ والمكانِ.

وذُكِّر (البعيدُ) حملًا على الزَّمانِ أو المكانِ.

* * *

(٣٢) ـ ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾.

﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ﴾؛ أي: يُقالُ للمُتَّقين وقد أُزلِفَتِ الجنَّةُ: هذا الذي تُوعَدون في الدُّنيا ﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾.

وقيل: خاطبَهم في الدُّنيا فقال: هذا الذي وُعِدتُم ﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾، وهذا أظهرُ.

و﴿هَٰذَا﴾ في الآيةِ مُبتدأٌ، ﴿مَا تُوعَدُونَ﴾ صِفَتُه، ﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾ خبرُه.

ومعنى ﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾: راجعٍ منَ المعصيةِ إلى الطّاعةِ.

وقيل: توّابٍ، كلَّما أذنبَ ذنبًا تاب.

---

(١) في (ن): «والازدلاف».

(٢) في (ف): «أي قريب فلم يبعد».

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿أَوَّابٍ﴾ مُسبِّحٍ[١].

﴿حَفِيظٍ﴾: يحفظُ ذنوبَه حتَّى يتوبَ منها.

وقيل: الحفيظُ لِـمَا يسمعُ من كلامِ الله وسنَّةِ رسولِه.

وقيل: يَحفظُ كلَّ ما قرَّبه إلى ربِّهِ.

وقيل: ﴿حَفِيظٍ﴾: يذكرُ ذنبَه إذا خلا، فيستغفرُ الله منه.

وقيل: الحفيظُ: المُطيعُ.

وقيل: يحفظُ نفسَه فلا يَشْرَعُ في معصيةٍ.

وقيل: ﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾ هو الرَّجلُ يكونُ في المجلسِ، فإذا أرادَ أن يقومَ قال: اللَّهمَّ اغفِرْ لي ما أصبتُ في مجلسي هذا.

ومعنى: ﴿حَفِيظٍ﴾ حافظٌ، وقيل: مُحافظٌ.

* * *

(٣٣) ـ ﴿مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾.

﴿مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾: مَن أخلَصَ لله في السِّرِّ والعَلَانيةِ.

وقيل: مَن آمنَ بالبعثِ والجزاءِ، وذلك غَيْبٌ.

وقيل: خشيَ عذابَ الله بالغيبِ من حيثُ لا يشعرُ به النَّاسُ.

﴿وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾: مُقبلٍ إلى الله بطاعتِه، راجعٍ إليه بعملِه.

﴿مَّنْ خَشِيَ﴾ يجوزُ أن يكونَ خفضًا على البَدَل، ويجوز أن يكونَ خبرًا؛ أي: هم مَن خشِيَ، ويجوزُ أن يكونَ مُبتدأً والخبرُ: يُقالُ لهم: ﴿ٱدْخُلُوهَا﴾.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٥٠ و٤٥٢).

وقيل: ضَمٌّ بالنِّداءِ، تقديرُه: يا مَن خشِيَ الرَّحمنَ ادخُلوها، فلا يُحتاجُ إلى إضمارِ القولِ.

والباءُ في ﴿بِٱلۡغَيۡبِ﴾ للحالِ، وقيل: بظهرِ الغيبِ.

و﴿وَجَآءَ بِقَلۡبٖ مُّنِيبٍ﴾: بسريرةٍ مَرْضيَّةٍ وعقيدةٍ صحيحةٍ.

* * *

(٣٤) ـ ﴿ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٖۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ﴾.

﴿ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ﴾؛ أي: سالمينَ ناجينَ من كلِّ مكروهٍ ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ﴾؛ إمَّا في الجنَّةِ وإمَّا في النّارِ، والتَّقديرُ: ادخُلوها خالدينَ ذلك يومُ الخلودِ.

* * *

(٣٥) ـ ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ﴾.

﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا﴾ هو كقولِه: ﴿مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُ﴾ [الزخرف: ٧١].

﴿وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ﴾ بالواحدِ عشرًا.

وقيل: المزيدُ: التزوُّجُ بالحورِ العينِ.

والجمهورُ على أنَّ المزيدَ رؤيةُ الله سُبحانَه.

الزَّجَّاجُ: إنَّ السَّحابَ يمرُّ بأهلِ الجنَّةِ فيُمطِرُهم الحورَ، فتقولُ الحورُ: نحنُ الذي قال الله تعالى: ﴿وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ﴾[1].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٤٧)، وورد نحوه مرفوعًا في أحاديث:

منها: ما رواه الإمام أحمد في «المسند» (١١٧١٥)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٥٩)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٣٩٧) من طريق دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً، وفيه: «... ثم تأتيه امرأته فتضرب على منكبه فينظر وجهه في خدها أصفى من المرآة وإن =

(٣٦) ـ ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُواْ فِى ٱلْبِلَـٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴾.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم﴾: قبلَ قومِكَ ﴿مِّن قَرْنٍ﴾ منَ القرونِ الذين كذَّبوا رسُلَهم ﴿هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم﴾: من قومِك ﴿بَطْشًا﴾: قوَّةً، وأقوى أبدانًا، وأشدُّ سطوةً على النَّاسِ.

﴿فَنَقَّبُواْ فِى ٱلْبِلَـٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾: طوَّفوا وفتَّشوا وساروا وسلَكوا، قالَ امرُؤُ القيسِ:

لقد نقَّبْتُ في الآفاقِ حتَّى ... رَضِيْتُ مِن الغَنيمةِ بالإيابِ[1]

فلم يجدوا منَ الموتِ محيصًا؛ أي: موضِعًا يهرُبونَ إليه.

وقيل: المُنقبونَ هم الذين كذَّبوا الرُّسلَ، تقولُ: نقَّبوا في البلادِ يطلُبون محيصًا من عذابِهم فلم يجِدوه.

وقيل: فنقَّبَ مُشرِكُو قُريشٍ وساروا في بلادِ أولئك القومِ، وشاهَدوا آثارَ ما

= أدنى لؤلؤة عليها تضيء ما بين المشرق والمغرب فتسلم عليه فيرد عليها السلام ويسألها من أنت فتقول: أنا من المزيد...». وإسناده ضعيف لضعف دراج ـ وهو ابن سمعان أبو السَّمْح ـ في روايته عن أبي الهيثم، وهو سليمان بن عمرو العُتْواري.

وورد نحو هذا فيما رواه الحارث بن أبي أسامة في «مسنده» (٦٣٢ ـ زوائد)، والطبراني في «الأوسط» (٨/ ٣٦٢)، من حديث أنس رضي الله عنه. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٤١٨): «وفيه سعيد بن زربي وهو ضعيف».

وروى نحوه أيضاً يحيى بن سلام في «تفسيره» (١/ ١٨٥)، ومن طريقه ابن أبي زمنين في «تفسيره» (٤/ ٢٩٦) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه. وفيه أبان ابن أبي عياش متروك، وشهر بن حوشب ضعيف.

(١) انظر: «ديوان امرئ القيس» (ص: ٩٥)، و«مجاز القرآن» (٢/ ٢٢٤)، و«البيان والتبيين» (٣/ ١٧٠)، و«الكامل» للمبرد (٢/ ١٠٦)، ورواية الديوان: «وقد طوفت في الآفاق...».

حلَّ بهم من حيثُ لم يجِدُوا منه مَحيصًا، والمعنى: سكنتُم في مساكنِ الذين ظلَمُوا أنفُسَهم.

وقيل: معناه: هل كان لهم من محيصٍ؟

والنَّقبُ: الخرقُ والدُّخولُ[1] في الشَّيءِ، والنَّقبُ: الطَّريقُ أيضًا، فيكون المعنى: ساروا في طرُقِها.

وقيل: ﴿نقَّبوا في البلادِ﴾: أكثَرُوا السَّيرَ فيها حتَّى نقِبَتْ دوابُّهم؛ أي: صارَتْ في خُفِّها نُقوبٌ.

* * *

(٣٧) - ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ فيما ذُكِرَ في هذه السُّورةِ ﴿لَذِكْرَىٰ﴾: تذكيرًا وعِظةً ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾؛ أي: عقلٌ، والقلبُ يُذكَرُ والمُرادُ به العقلُ.

وقيل: القلبُ: محلُّ التَّدبُّرِ؛ كما قال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤]، فيكونُ المعنى: لمَن استعملَ قلبَه في التدبُّرِ والنَّظرِ، قال الشَّاعرُ:

وأنَّكِ مهما تأمُري القلبَ يفعلِ[2]

وفي بعضِ التَّفاسيرِ: ما بُني الإنسانُ إلَّا على قلبٍ، ولكنْ لمَن كانَ له قلبٌ حيٌّ.

﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ﴾: أصغَى إلى مواعظِه وزواجرِه، وإلقاءُ السَّمعُ: هو السَّمعُ إلى الشَّيءِ، قال: ﴿يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٣].

---

(١) في (ن): «والنقب والخرق الدخول».

(٢) عجز بيت لامرئ القيس من معلقته، وصدره:

أغَـرّكِ منـي أنّ حبَّـكِ قاتِلـي

انظر: «ديوان امرئ القيس» (ص: ٣٣)، و«جمهرة أشعار العرب» (ص: ١٢٢).

﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ منَ الشَّهادةِ التي هي الحضورُ؛ أي: حاضرُ القلبِ والفكرِ غيرُ ساهٍ غافلٍ عمَّا يُقالُ ويُسمعُ.

وقيل: ﴿شَهِيدٌ﴾ منَ الشَّهادةِ التي تثبُتُ بها الحقوقُ. والمعنى: يتذكَّرُ بالقرآنِ أحدُ الرَّجلينِ؛ إمَّا رجلٌ له قلبٌ وعقلٌ يعرِفُ مُعجزتَه فيُؤمنُ به، وإمَّا رجلٌ مُستمِعٌ مُسترشِدٌ.

وقيل: ﴿مَن كانَ له قَلْبٌ﴾: هو المؤمنُ منَ العربِ ﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾: المؤمنُ من أهلِ الكتابِ؛ لأنَّه شاهدٌ بأنَّ في الكتابِ الأوَّلِ نعتَ محمَّدٍ ﷺ، وشاهدٌ أنَّ هذا الكتابَ مُصدِّقٌ للكتابِ الأوَّلِ.

***

(٣٨) ـ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ عن عكرمةَ عن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّ اليهودَ أَتتِ النَّبيَّ ﷺ فسألته عن خلقِ السَّماواتِ والأرضِ، فقال: «خلقَ الله الأرضَ يومَ الأحدِ والإثنين، وخلقَ الجبالَ وما فيها منَ المنافعِ يومَ الثُّلاثاءِ، وخلقَ الشَّجرَ والنَّباتَ والماءَ يومَ الأربعاءِ، وخلقَ السَّماواتِ يومَ الخميسِ، وخلقَ النُّجومَ والشَّمسَ والقمرَ يومَ الجمعةِ»، فقالتِ اليهودُ: ثمَّ ماذا يا محمَّدُ؟ قالَ: «ثمَّ استوى على العرشِ»، قالوا: قد أصبتَ لو تمَّمْتَ، ثمَّ استراحَ يومَ السَّبتِ، فغضبَ النَّبيُّ ﷺ غضبًا شديدًا فنزلَتْ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ۝٣٨ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾(١).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٣٨٢)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٣٦٢)، والحاكم في =

والمُرادُ بقولِه: ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ هي أيَّامٌ[1] كأيَّامِ الدُّنيا.

الضَّحَّاكُ: كلُّ يومٍ كألفِ سنةٍ مِـمَّا تَعُدُّونَ[2]، وقد سبقَ.

وفي بعضِ التَّفاسيرِ: وقوعُ العالَـمِ على هذا التَّرتيبِ والتَّأليفِ وأن يكونَ بعضُه سببًا لبعضٍ مُستحيلٌ في نفسِه أن يُوقَعَ في أقلَّ ممَّا أُوقعَ فيه، والله سُبحانَه لا يُوصَفُ بالقدرةِ على المُستحيلاتِ[3].

قوله: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾؛ أي: تعبٍ وإعياءٍ، خلافًا لليهودِ حيثُ قالوا: استراحَ يومَ السَّبتِ، فوضعَ إحدى رجلَيه على الأخرى في الجلوسِ.

قيل: لـمَّا سمَّى الله تعالى السَّبتَ يومَ الرَّاحةِ، ظنُّوه استراحَ فيه، وإنَّما أراحَهم؛ إذ جعلَه عيدًا لهم، وأنكرَ اليهودُ التَّربيعَ في الجلوسِ، وزعموا أنَّه جلسَ تلك الجلسةَ يومَ السَّبتِ.

❊ ❊ ❊

= «المستدرك» (٣٩٩٧)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٩٧). من طريق أبي سعد البقال عن عكرمة عن ابن عباس. وصححه الحاكم، فتعقبه الذهبي بقوله: «أبو سعد البقال قال ابن معين: لا يكتب حديثه». قلت: وأبو سعد البقال هو سعيد بن المرزبان العبسي مولاهم، الكوفي الأعور. قال عنه الحافظ في «التقريب»: «ضعيف مدلس».

(١) «أيام»: ليس في (ف).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٦٧) عن الضحاك، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٧١٤) عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٠٦)، وعده من العجائب.

(٣٩) - ﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ﴾.

﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾؛ أي: على ما قالتِ اليهودُ.

وقيل: فاصبِرْ على أذى الكفَّارِ، ولا تستعجِلْ عذابَهم.

وقيل: منسوخٌ بقولِه: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [التوبة: ٢٩][1].

﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾: نزِّهْهُ عن الرّاحةِ والإعياءِ والجلسةِ والتَّربيعِ.

والجمهورُ على أنَّ المُرادَ بالتَّسبيحِ هاهنا: الصَّلواتُ الخمسُ، وكانَ النَّبيَّ ﷺ إذا حزَبه أمرٌ فزعَ إلى الصَّلاةِ[2].

قولُه: ﴿قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ﴾: صلاةُ الفجرِ ﴿وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ﴾: صلاةُ الظُّهرِ والعصرِ.

* * *

(٤٠) - ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾.

﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ﴾ صلاةُ المغربِ وصلاةُ العشاءِ الآخرةُ.

قتادةُ: ﴿وَقَبۡلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: ١٣٠]: صلاةُ العصرِ[3].

---

(١) انظر: «الناسخ والمنسوخ» للنحاس (ص: ٦٨٠)، و«الناسخ والمنسوخ» للمقري (ص: ١٦٧)، و«تفسير الثعلبي» (٢٤/ ٤٩٣).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٣٢٩٩)، وأبو داود (١٣١٩) عن حذيفة رضي الله عنه بلفظ: «كان النبي ﷺ إذا حزبه أمر صلى».

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٨٤٧)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٦٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤٤١).

وقيل: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ﴾: صلاةُ العشاءِ الآخرةِ.

وقيل: فسبِّحِ[1] اللهَ بالليلِ.

﴿وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾ قُرِئَ بالكسرِ والفتحِ[2]، الكسرُ مصدرُ (أدبرَ)، والفتحُ جمعُ (دُبرٍ)، والمعنى واحدٌ؛ لأنَّ انقضاءَ الشَّيءِ إنَّما يكونُ بآخرِه، وآخرُه إنَّما يكونُ بانقضائِه، والتَّقديرُ: وقتَ إدبارِ[3] السُّجودِ.

فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: أنَّه التَّسبيحُ المعروفُ باللِّسانِ أعقابَ الصَّلواتِ.

وقيل: هو النَّوافلُ بعد المفروضاتِ، بعد كلِّ صلاةٍ مكتوبةٍ ركعتانِ، والظَّاهرُ يدُلُّ على هذا، والأولى اتِّباعُ الجمهورِ.

وقيل: هي الرَّكعتانِ بعد صلاةِ المغربِ، ورُوِيَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «أدبارُ السُّجودِ: ركعتانِ بعد صلاةِ المغربِ، وأدبارُ النُّجومِ: ركعتانِ قبلَ صلاةِ الفجرِ»[4].

---

(١) في (ن): «تسبيح».

(٢) قرأ نافع وابن كثير وحمزة بالكسر، والباقون: ﴿وَأَدۡبَٰرَ﴾ بالفتح. انظر: «السبعة» (ص: ٦٠٧)، و«التيسير» (ص: ٢٠٢).

(٣) في (ن): «أدبار».

(٤) رواه الترمذي (٣٢٧٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما. وقال: «هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعًا إلا من هذا الوجه»، قلت: فيه رشدين بن كريب، وهو ضعيف كما في «التقريب».

وورد موقوفًا من قول بعض الصحابة:

رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٢٩٦٨)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٨٧٥٣) عن علي رضي الله عنه. ورواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٨٧٥٤) عن عمر رضي الله عنه، و(٨٧٥٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤١) ـ ﴿وَٱسۡتَمِعۡ يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ﴾.

﴿وَٱسۡتَمِعۡ﴾ السَّمْعُ: إدراكُ المسموعِ، والاستماعُ: طلبُ إدراكِ المسموعِ بالإصغاءِ إليه.

﴿يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ﴾ أي: صِفَةَ يوم ينادي، فحُذِفَ المُضافُ، وهو مفعولٌ به وليس بظرفٍ، وعُدِّيَ إليه الاستماعُ من غيرِ (إلى) واللّامِ؛ كقولِه: ﴿يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ﴾ [الزمر: ١٨].

المُفضَّلُ: ﴿يَوۡمَ يُنَادِ﴾ ظرفٌ للاستماعِ، والمعنى: كأنَّك به من صدقِ الوعدِ وقُربِ الوقتِ[١][٢].

والمنادي: إسرافيلُ. والنِّداءُ: نفخُه.

وقيل: المُنادي هو الله تعالى، وسُمِّيَ نداءً من حيثُ إنَّه جعلَه علَمًا للخروجِ والحشرِ، وإنَّما يقعُ ذلك بالنِّداءِ؛ كأذانِ المُؤذِّنِ، وعلاماتِ الرَّحيلِ في العساكرِ.

وقيل: هو النِّداءُ حقيقةً.

﴿مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ﴾: هو صخرةُ بيتِ المقدسِ، وهو[٣] أقربُ الأرضِ منَ السَّماءِ بثمانيةَ عشرَ ميلًا، وموضعُها وسطَ الأرضِ، يقفُ عليها ملَكٌ ويضَعُ إصبعَيه في أذُنَيه ويُنادي: أيَّتُها العظامُ النَّخِرةُ، والأوصالُ الباليةُ، واللُّحومُ المُتمزِّقةُ، والشُّعورُ المُتفرِّقةُ، قومي إلى محاسبةِ ربِّ العِزَّةِ[٤].

---

(١) في (ف): «الوعد».

(٢) وقول المفضل ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٣٥)، واستغربه.

(٣) في (ف): «وهي».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٧٥) من طريق قتادة عن كعب. وقوله: «وموضعُها وسطَ الأرضِ» هو من كلام قتادة، والباقي من كلام كعب، وهو مما يرويه عن الإسرائيليات.

وسُمِّيَ قريبًا لأنَّه يُسمِعُهم جميعًا، ولا يَبعُدُ أحدٌ منه.

وقيل: كلُّ أحدٍ يسمعُه من تحتِ قدمَيه[١].

وقيل: المُنادي هو الله تعالى، والمكانُ القريبُ: الأذُنُ[٢].

* * *

(٤٢) ـ ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ﴾.

﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ﴾ بدلٌ منَ اليومِ الأوَّلِ.

﴿بِٱلْحَقِّ﴾: بما هو حقٌّ منَ الجزاءِ والثَّوابِ والعقابِ.

﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ﴾ منَ القبورِ، و﴿يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ﴾ عندَ أبي عبيدةَ من أسماءِ[٣] القيامةِ[٤].

وسُمِّيَ يومُ العيدِ: «يومَ الخروجِ» أيضًا تشبيهًا به.

* * *

(٤٣) ـ ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ﴾.

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ﴾؛ أي: نُحيي الخلقَ ونُميتُهم في الدُّنيا ﴿وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ﴾ بالبعثِ في الآخرةِ.

* * *

(١) في (ف): «قدمه».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٣٥)، واستغربه.

(٣) في (ف) زيادة: «يوم».

(٤) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٢٢٤)، وفيه: «يوم الخروج: يوم القيامة».

(٤٤) ـ ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾.

﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ﴾: تتصدَّعُ الأرضُ فيخرجُ[1] الموتى من صُدوعِها.

﴿سِرَاعًا﴾: مُسرعين.

﴿ذَٰلِكَ حَشْرٌ﴾: جمعُهم ﴿عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾: هيِّنٌ، نقولُ له: كُنْ، فيكونُ.

* * *

(٤٥) ـ ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾.

﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ هذا تصبيرٌ للنَّبيِّ ﷺ، يقولُ: نحنُ أعلَمُ بما يقولُ المشركونَ من تكذيبِكَ والافتراءِ على ربِّكَ، ونحنُ لهم بالمرصادِ.

﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾: بمُسلَّطٍ تسيرُ فيهم بالجَبريّةِ حتَّى لا يُرضيكَ إلَّا عقوبتُهم. وقيل: ﴿بِجَبَّارٍ﴾: تُجبِرُهم على الإسلامِ، إنَّما بُعِثْتَ مُذكِّرًا، فيكونُ (أجبرَ) فهو جبَّارٌ، كـ(أدركَ) فهو درَّاكٌ.

وجاء أيضًا: جَبَرْتُه[2] على كذا، فالجبَّارُ صحيحٌ[3].

﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ قال ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: قال المُؤمنونَ: لو ذكَّرتَنا يا رسولَ الله، فأنزَلَ الله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾[4]، فخَصَّ الخائفينَ لانتفاعِهم به.

والحمدُ للهِ حقَّ حمدِه[5].

---

(١) في (ف): «فتخرج».

(٢) في (ف): «جبروه».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٣٥)، واستغربه.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٧٨).

(٥) «والحمد لله حق حمده» من (ف).

سُورَةُ الذَّارِيَاتِ

سُورَةُ الذَّارِيَاتِ

ستُّونَ آيةً، مكِّيَّةٌ[1] بالإجماعِ.

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا﴾.

﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا﴾ أقسمَ الله تعالى بالذَّارياتِ لمنافعِها.

وقيل: تقديرُه: وربِّ الذَّارياتِ.

وجُلُّ المُفسِّرين على أنَّ المُرادَ بها الرِّياحُ، تقولُ: ذَرَتِ الرِّيحُ تَذْرُو وتَذْرِي، وأَذْرَتْ تُذْرِي، و﴿ذَرْوًا﴾ مصدرٌ أفادَ المُبالغةَ في الكثرةِ.

وقيل: ﴿ذَرْوًا﴾ مفعولٌ، والمُرادُ به المذرُوُّ[2].

الكلبيُّ: أقسمَ بالذَّارياتِ وما ذَرَتْ[3]، وهو سهوٌ منه.

وقيل: (الذَّارِياتُ) من ذَرَى الفرسُ وأَذْرَى؛ إذا أسرعَ في السَّيرِ[4].

---

(١) في (ف): «سورة والذاريات مكية».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٣٧)، واستغربه.

(٣) انظر: «النكت والعيون» (٥/ ٣٦٠)، وعدَّه المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٣٧) من العجائب.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٣٧)، واستغربه.

وذهبَ أقضى القُضاةِ إلى أنَّ (الذّارياتِ): النِّساءُ الوَلوداتُ؛ لأنَّ في ترائبِهنَّ ذَرْوَ الخلقِ، ولأنَّهنَّ يُذرِينَ الأولادَ، فصِرْنَ ذارِياتٍ[1].

* * *

(٢) ـ ﴿فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا﴾.

﴿فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا﴾ الجمهورُ على أنَّها السَّحابُ تحملُ الماءَ.

وقيل: هي الرِّياحُ تحملُ السَّحابَ.

وأقضى القُضاةِ حملَها على النِّساءِ الحواملِ[2].

* * *

(٣) ـ ﴿فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا﴾.

﴿فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا﴾ أكثرُهم على أنَّها السُّفنُ تجري في البحرِ سهلًا.

وقيل: الشَّمسُ والقمرُ والنُّجومُ[3].

وقيل: الرِّياحُ.

ابنُ عمرَ رضي الله عنهما: الرِّياحُ ثمانٍ: أربعٌ منها عذابٌ، وأربعٌ منها رحمةٌ؛ أمَّا الرحمةُ: فالنّاشِراتُ والمُبشِّراتُ والذّارِياتُ والمُرسَلاتُ، وأمَّا العذابُ: فالعاصِفُ والقاصِفُ والصَّرْصَرُ والعقيمُ[4].

---

(١) انظر: «النكت والعيون» (٥/ ٣٦١)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٣٧)، وعده من العجائب.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٣٧)، وعده من العجائب.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٣٧)، وعده من العجائب.

(٤) ذكره عن ابن عمر السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٣٤١)، والماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٣١٩). =

وأرادَ ابنُ عمرَ ما في القرآنِ من ألفاظِ الرِّياحِ.

وأجمعتِ العربُ على أنَّ الرِّياحَ أربعٌ: الشَّمالُ والدَّبورُ والجنوبُ والصَّبا، ويُقالُ لها: القَبولُ.

ومهَبُّ الشَّمالِ من بناتِ النَّعشِ إلى مغربِ الشَّمسِ، ومهَبُّ الدَّبورِ من مغربِ الشَّمسِ إلى مَطْلَعِ سُهَيلٍ، ومهَبُّ الجنوبِ من مَطْلَعِ سُهَيلٍ إلى مَطْلَعِ الشَّمسِ، ومهَبُّ الصَّبا من مَطْلَعِ الشَّمسِ إلى بناتِ النَّعشِ.

***

(٤) ـ ﴿فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا﴾.

﴿فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا﴾ كلُّ المُفسِّرين على أنَّهم الملائكةُ يُقسِّمُونَ الأرزاقَ بينَ العبادِ.

وقيل: بينَ الحيوانِ على ما يُنزِّلُه الله على أهلِ الأرضِ.

وقيل: تُقسِّمُ ما يُوحي الله إليهم.

وقيل: معنى تقسمُ الملائكةُ؛ أي: تأتي بأمورٍ مختلفةٍ: جبريلُ بالغلظةِ، وميكائيلُ بالرَّحمةِ، وعزرائيلُ بالموتِ، وإسرافيلُ بالنَّفخِ.

وقال ابنُ بحرٍ: ﴿فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا﴾ هي الرِّياحُ أيضًا؛ أي: تُصيبُ بمطرِها على ما قدَّرَه الله تعالى من زيادةٍ ونُقصانٍ وإصابةٍ وحرمانٍ[1].

= ورواه ابن أبي الدنيا في «المطر» (١٧٤)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٣٢٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» كما في «تفسير ابن كثير» (٦/ ٣٢٣)، لكن عن ابن عمرو رضي الله عنهما، فلعله تحرف عند من قال: «ابن عمر».

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٣٨)، واستغربه.

ويحتمِلُ أنَّ المُرادَ بالكلِّ الملائكةُ؛ لإجماعِهم على أنَّ المُقسِّماتِ أمرًا هم الملائكةُ، فيكونُ الكلُّ من جنسٍ واحدٍ؛ لأنَّه عطَفَ بعضَها على بعضٍ بالفاءِ، وذلك يقتَضي اتِّصالًا وتعقيبًا[1]، فيكونُ[2] التَّقديرُ: أقسمَ بالملائكةِ التي تذرو الرِّياحَ فتحملُ السَّحابَ فتجري بها وتُقسِّمُها في البلادِ بينَ[3] العبادِ، ولهذا المعنى حملَ ابنُ بحرٍ الجميعَ على الرِّياحِ.

وسأَلَ عبدُ الله ابنُ الكَوَّاءِ عليًّا رضي الله عنه عنِ (الذّارياتِ) فقال: الرِّياحُ، وعن (الحاملاتِ وِقرًا) فقال: السَّحابُ، وعن (الجارياتِ يُسرًا) فقال: السُّفُنُ، وعن (المُقسِّماتِ أمرًا) فقال: الملائكةُ[4]. وهذا أولَى الأقوالِ. والله أعلَمُ.

* * *

(٥) ـ ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾.

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾: لصِدْقٌ، وقعَ اسمُ الفاعلِ موقعَ المصدرِ.

وقيل: ﴿لَصَادِقٌ﴾؛ أي: ذو صِدْقٍ.

وقيل: تقديرُه: لوعدُ صادقٍ، فحُذِفَ المُضافُ وأُقيمَ المُضافُ إليه مُقامَه[5].

ويحتمِلُ أنَّ الوعدَ وُصِفَ بالصِّدقِ للمُبالغةِ، كما تقولُ: شِعْرٌ شاعرٌ، وسرٌّ كاتمٌ[6].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٣٨)، واستغربه.

(٢) في (ف): «فيصير».

(٣) في (ف): «وتقسمها بين البلاد وبين».

(٤) رواه ابن وهب في «جامعه ـ تفسير» (٢١٩)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢٩٧٠)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٨٣).

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٣٨)، واستغربه.

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٣٨)، وعده من العجائب.

(٦) ـ ﴿وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ﴾.

﴿وَإِنَّ ٱلدِّينَ﴾: الجزاءَ على الأعمالِ ﴿لَوَٰقِعٌ﴾: لكائنٌ.

مجاهدٌ: وإنَّ الحسابَ لواجبٌ[1].

* * *

(٧) ـ ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾.

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾ هذا قسَمٌ آخرُ.

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: حُبُكُها: حُسْنُها واستِواؤُها[2].

وقيل: الحُبُكُ: الطَّرائقُ الحسنةُ، مثلُ ما يظهرُ على الماءِ من هُبوبِ الرِّيحِ، وعلى الرَّملِ، ومثلُه في الشَّعرِ والزَّرعِ.

وقيل: ﴿ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾: ذاتِ الزِّينةِ.

وقيل: ﴿ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾: البُنيانِ المُتقَنُ.

وقيل: ذاتِ الشِّدَّةِ، تقولُ: حبَكْتُ الشَّيءَ: شدَدْتُه.

وقيل: حُبُكُ السَّماءِ: ارتفاعٌ وانخِفاضٌ في خَلْقِها، وليست بملساءَ.

وقيل: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾: السَّماءُ السّابعةُ.

وقيل: المُرادُ بالسَّماءِ: السَّحابُ، وبالحبُكِ: ما يَظهرُ في السَّحابِ أحيانًا منَ الطَّرائقِ، كما يَظهرُ على الرَّملِ والماءِ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٨٥)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٦٢).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٨٧).

والحبكُ: جمعُ حَبيكةٍ؛ كطريقةٍ وطرُقٍ[١].

وقيل: جمعُ حِباكٍ كجِرابٍ وجُرُبٍ، فيكونُ الحِباكُ الذي بمعنى الرِّباطِ، وهو الحبلُ.

* * *

(٨) ـ ﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾.

﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾؛ أي: مُصدِّقٍ بالقرآنِ ومُكذِّبٍ به.

وقيل: هو قولُهم: سِحرٌ وشِعرٌ وكَهانةٌ، و: إنْ هو إلَّا قولُ محمَّدٍ.

وقيل: معنى ﴿قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾: مُحِقٌّ ومُبطِلٌ.

وقيل: مُؤمنٌ وكافرٌ، ومُطيعٌ وعاصٍ.

وقيل: في قولٍ مختلفٍ في ثبوتِ القيامةِ، من قولِه سبحانَه: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ [النبأ: ١ ـ ٣].

وقيل: إنَّكم في الحقِّ ﴿لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾، ولا يصحُّ إلا واحدٌ، فاطلُبوا ذلك الواحدَ.

* * *

(٩) ـ ﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾.

﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾؛ أي: يُصرَفُ عن الإيمانِ بالقرآنِ مَن صُرِفَ عن جميعِ الخيراتِ.

وقيل: مَن خُدِعَ عنه فقد خُدِعَ[٢].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٣٨)، وعده من العجائب.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٣٩)، وعده من العجائب.

وقيل: مَن أُفِنَ عنه فقد أُفِنَ، والأَفَنُ: ذَهابُ العقلِ.

وقيل: يُكذَّبُ عنه مَن كُذِّبَ.

ويحتمِلُ أنَّ الأوَّلَ منَ الأفْكِ ـ بالفتحِ ـ وهو الصَّرفُ، والثَّاني منَ الإفكِ ـ بالكسرِ ـ وهو الكذِبُ، والمعنى: يُصرَفُ عن الحقِّ مَن كُذِبَ ودُعِي إلى الباطلِ[1].

* * *

(١٠) ـ ﴿قُتِلَ ٱلۡخَرَّٰصُونَ﴾.

﴿قُتِلَ ٱلۡخَرَّٰصُونَ﴾ الجمهورُ على أنَّ معنى ﴿قُتِلَ﴾: لُعِنَ؛ لأنَّ مَن لعنَه اللهُ فقد قتلَه.

ابنُ عيسى: أي: قُتِلوا باللَّعْنِ.

وقيل: هذا دعاءٌ عليهم.

ويحتمِلُ أنَّ هذا إخبارٌ بما يَؤُولُ إليه أمرُهم إذا أذِنَ الله لنبيِّه في القتالِ، وذُكِرَ بلفظِ الماضي تحقيقًا لذلك وقطعًا به.

و﴿ٱلۡخَرَّٰصُونَ﴾: الكذَّابُونَ الذينَ قالوا: محمَّدٌ شاعرٌ وكاهِنٌ ومجنونٌ.

وقيل: هم المُتكبِّرونَ، والخرَّاصُ الذي يقطعُ بالشَّيءِ تخمينًا وتقديرًا من دونِ علمٍ.

والخَرْصُ: الكذِبُ.

وقيل: الخَرْصُ: الظَّنُّ.

والخرصُ: الحَزْرُ في العددِ والكيلِ.

* * *

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٣٩)، واستغربه.

(١١) ـ ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي غَمۡرَةٖ سَاهُونَ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي غَمۡرَةٖ﴾: غفلةٍ مُتناهيَةٍ، والغمرةُ فوقَ الغفلةِ، والسَّهوُ دونَ الغفلةِ، والغمرُ في الأصلِ: الماءُ الذي يغمُرُ كلَّ شيءٍ؛ أي: يسترُه.

﴿سَاهُونَ﴾: لاهُونَ.

وقيل: في ضلالتِهم مُتمادُونَ.

وقيل: في عمًى وشُبهةٍ مُتردِّدونَ.

والمعنى: هم في غايةِ الجهلِ ساهونَ عن الحقِّ.

***

(١٢ ـ ١٣) ـ ﴿يَسۡـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٢ يَوۡمَ هُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ يُفۡتَنُونَ﴾.

﴿يَسۡـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلدِّينِ﴾؛ أي: يقولونَ باستهزاءٍ[1]: متى اليومُ الذي تُوعِّدْنا فيه بوقوعِ الجزاءِ؟

و﴿أَيَّانَ﴾ في معنى: متى، وجاءَ مكسورًا شاذًّا[2]، وأصلُه عند الكوفيِّينَ: «أيَّ آنٍ».

﴿يَوۡمَ هُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ يُفۡتَنُونَ﴾ هذا جوابٌ منَ الله لهم؛ أي: يقعُ الجزاءُ يومَ يُحرَّقونَ بالنّارِ.

وقيل: يُنْضَجونَ.

وقيل: يُعذَّبونَ.

وفَتَنْتُ الشَّيءَ: أحرقْتُ خَبثَه ليَظْهَرَ خلاصُه، والكافرُ كلُّه خبيثٌ فيُحرَقُ كلُّه.

---

(١) في (ف): «استهزاءً».

(٢) هي قراءة السلمي. انظر: «المحتسب» (١/ ٢٦٨) و(٢/ ١٤٢)، و«البحر المحيط» (٩/ ٥٥٠)، ووقع في المطبوع من «شواذ القراءات» للكرماني (ص: ٨): «إبان» بالباء، وهو خطأ.

و﴿أَيَّانَ﴾ ظرفٌ، وهو خبرُ المبتدأ، و﴿يَوْمُ الدِّينِ﴾ المبتدأُ، و﴿يَوْمَ هُمْ﴾ جوابٌ عن ﴿أَيَّانَ﴾؛ لأنَّ السُّؤالَ وقعَ عن وقتِ وقوعِ الجزاءِ، فهو ظرفٌ.

وقيل: ﴿أَيَّانَ﴾ في محلِّ رفعٍ؛ لأنَّ المعنى: أيُّ يومٍ يومُ الجزاء[1]؟ فيكونُ ﴿يَوْمَ هُمْ﴾ مبنيًا على الفتحِ لإضافتِه إلى الجملةِ ـ ومثلُه: «يومَئذٍ» ـ ومحلُّه رفعٌ؛ أي: ذلك اليومُ يومَ هم على النّارِ يُفتَنونَ.

***

(١٤) ـ ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾.

﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾؛ أي: تقولُ لهم خزنةُ النّارِ: ذُوقُوا عذابَكم وإحراقَكم بالنّارِ.

﴿هَذَا﴾؛ أي: هذا العذابُ، وقيل: هذا اليومُ.

﴿الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ بقولِكم: ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ [يونس: ٤٨]، وقولِكم: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ [الأعراف: ٧٠].

ثمَّ ذكرَ حالَ المؤمنينَ فقالَ:

(١٥ ـ ١٦) ـ ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٥) آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ﴾.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ﴾: بساتينَ ﴿وَعُيُونٍ﴾: وأنهارٍ جاريةٍ.

﴿آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾؛ أي: أخذوا ثوابَ أعمالِهم ووصلَ ذلك إليهم.

وقيل: معناه: قابِلينَ، وهو حالٌ مُقدَّرٌ.

وقيل: حالٌ ثابتٌ لهم في الدُّنيا؛ أي: عامِلينَ بما أمرَهم الله[2].

---

(١) في (ن): «الدين».

(٢) في (ف): «ربهم».

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ﴾: قبلَ دخولِ الجنّةِ؛ يعني: في الدُّنيا ﴿مُحْسِنِينَ﴾: مُؤمنين مُطيعين، فهذا جزاءُ أعمالِهم.

ثمَّ ذكرَ أحوالَهم في الدُّنيا فقال:

(١٧) ـ ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾.

﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾؛ أي: يُحيُونَ أكثرَ اللَّيلِ.

الحسنُ: يَمُدُّونَ الصَّلاةَ إلى السَّحرِ ثمَّ يستغفِرونَ[1].

قتادةُ: لا ينامونَ عن صلاةِ العشاءِ[2]؛ أي: هجوعُهم قليلٌ في جنبِ يقظتِهم لصلاةِ العشاءِ الآخرةِ.

وقيل: يُصلُّونَ بينَ المغربِ والعشاءِ[3].

وفي ﴿مَا﴾ ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: أنَّه صِلةٌ؛ أي: كانوا يهجَعون قليلًا منَ اللَّيلِ، فيكونُ ﴿يَهْجَعُونَ﴾ خبرَ (كان)، و﴿قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ ظرفٌ.

والثَّاني: أنَّه للمصدرِ؛ أي: كانوا قليلًا منَ اللَّيلِ هُجوعُهم، فيرتفعُ الهجوعُ بالبدلِ من واوِ الضَّميرِ[4].

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٦٢٩٩)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٠٤) بلفظ: «لا ينامون من الليل إلا أقله».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٠٤) عن قتادة عن محمد بن عليٍّ، في قوله: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ [الذاريات: ١٧] قال: «كانوا لا ينامون حتى يُصَلُّوا العَتَمَةَ».

(٣) رواه أبو داود (١٣٢٢) عن قتادة عن أنس رضي الله عنه.

(٤) أي: واو الضمير في ﴿كَانُوا۟﴾.

وقيل: يرتفعُ بـ(قليلٍ)، وهذا مع وصفِه بقولِه: ﴿مِّنَ ٱلَّيۡلِ﴾ ممتنعٌ[١].

والثَّالثُ: للنَّفيِ، وهذا القولُ لا يصحُّ في العربيَّةِ؛ لمكانِ قولِه: ﴿مِّنَ ٱلَّيۡلِ﴾؛ لأنَّك إنْ جعلتَه من صلةِ ﴿يَهۡجَعُونَ﴾ لا يجوزُ؛ لأنَّ ما بعدَ (ما) النَّفيِ لا يتقدَّمُ عليه، وإنْ جعلتَه من صلةِ ﴿قَلِيلًا﴾ امتنعَ؛ لأنَّه لا يَصْلحُ أن يكونَ خبرًا لـ(كان) لفسادِه في المعنى، وهو أنَّه ليس إيَّاهم، ولا أن يكونَ ظرفًا للمُضمَرين؛ لأنَّهم جُثَثٌ. واللهُ أعلَمُ.

* * *

(١٨) - ﴿وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾.

﴿وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾ قيل[٢]: يُصلُّونَ.

وقيل: يستغفِرونَ اللهَ.

ابنُ زيدٍ: السَّحرُ: السُّدسُ الآخرُ منَ اللَّيلِ[٣].

وسُمِّي سَحَرًا لاشتباهِه بينَ الضِّياءِ والظُّلمةِ.

* * *

(١٩) - ﴿وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾.

﴿وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾ فيه قولانِ:

أحدُهما: الزَّكاةُ.

والثَّاني: حقٌّ سوى الزَّكاةِ[٤]: تَصِلُ به رحمًا، أو تَقْرِي به ضيفًا، أو تَحمِلُ به كَلًّا.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٤٠)، وعده من العجائب.

(٢) «قيل»: ليس في (ف).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥١١).

(٤) في (ف): «سوى الله».

وذهبَ بعضُهم إلى أنَّه منسوخٌ بآيةِ الزَّكاةِ[١].

والسَّائلُ: هو الذي يَسألُ النَّاسَ لحاجتِه وفاقتِه.

وقيل: هو الذي يسألُ المعونةَ بإظهارِه حاجتَه إليها واستحقاقَه[٢] لها، ويجبُ أن يُعطَى من غيرِ تفتيشٍ عن حالِه؛ لقولِه ﷺ: «للسَّائلِ حقٌّ وإنْ جاءَ على فرَسٍ»[٣].

والمحرومُ: هو الذي حُرِمَ منَ الرِّزقِ ما يَكفيه، وفيه أقوالٌ:

أحدُها: أنَّه المُصابُ ثمرُه، من قولِه تعالى: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾[٤].

وقيل: هو المُحارِبُ الذي لا يكادُ يكتسِبُ ولا سهمَ له.

وقيل: هو المُتعفِّفُ الذي لا يُظهِرُ فاقتَه بالسُّؤالِ.

وقيل: هو الذي لا يَنْمِي له مالٌ.

وقيل: هو أبو البناتِ[٥].

وقيل: هو المملوكُ يُنفِقُ عليه سيِّدُه.

وقيل: الكلبُ، وهو مرويٌّ عن عمرَ بنِ عبد العزيزِ[٦].

---

(١) انظر: «الناسخ والمنسوخ» للنحاس (ص: ٦٨٠)، و«الناسخ والمنسوخ» للمقري (ص: ١٦٨).

(٢) في (ف): «بإظهار حاجته إليها واستخفافه»، وهو تحريف.

(٣) رواه أبو داود (١٦٦٥) عن الحسن بن علي رضي الله عنهما، وفي سنده يعلى بن أبي يحيى متكلم فيه، ورواه الإمام مالك في «الموطأ» (٢/ ٩٩٦) مرسلًا عن زيد بن أسلم.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٤٠)، وعده من العجائب.

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٤٠)، واستغربه.

(٦) ذكره السمعاني في «تفسيره» (٥/ ٢٥٤)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٦٧)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٤٠)، وعده من العجائب.

وقيل: مَن وجبَتْ عليك نفقتُه لفقرِه من ذَوي نسبِكَ، حكاه الماورديُّ[(١)].

قال الشَّعبيُّ: أعياني أن أعلَمَ ما المحرومُ[(٢)].

وقيل: بعثَ رسولُ الله ﷺ سريَّةً فأصابوا وغنِمُوا، فجاء قومٌ بعدَ أنْ فرَغُوا فنزلَتْ: ﴿وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾[(٣)].

***

(٢٠) ـ ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾.

﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ﴾: دلالاتٌ، يُريدُ: ما فيها منَ الجبالِ والبحارِ والأشجارِ والنَّباتِ وأنواعِ الطُّيورِ والحيوانِ.

وقيل: يُريدُ: ما وقعَ فيها منَ العذابِ بالأممِ الخاليةِ.

وقيل: وفي سكونِ الأرضِ على غيرِ عَمَدٍ دلالاتٌ.

﴿لِّلْمُوقِنِينَ﴾: لمَن طلبَ العلمَ بالدَّليلِ.

***

(٢١) ـ ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾.

﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾؛ أي: وفي أنفسِكم آياتٌ، وهي أقربُ الأشياءِ إليكم، وآياتُها تربُو[(٤)] على آياتِ السَّماواتِ، منها استواءُ الخِلْقةِ والمفاصلِ.

وقيل: يأكلُ ويشربُ من مَدخلٍ، ويخرُجانِ من مخرجَينِ.

---

(١) انظر: «النكت والعيون» (٥/ ٣٦٧).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥١٨).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٩٨٤)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٣٢٢٨)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥١٥) و(٢٣/ ٢٧٤) عن الحسن بن محمد بن الحنفية مرسلًا.

(٤) في (ف): «تُربي».

وقيل: تغيُّره من حالٍ إلى حالٍ.

﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾: تَنظُرون نظرَ مَن يعتبرُ.

وما رُوِيَ عن بعضِهم أنَّ التَّقديرَ: أفلا تُبصِرونَ في أنفسِكم، فقُدِّمَ؛ ضعيفٌ بعيدٌ؛ لأنَّ ما بعدَ ألفِ الاستفهامِ لا يتقدَّمُ عليه[1].

***

(٢٢ ـ ٢٣) ـ ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾.

﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ﴾ يريدُ به: المطرَ الذي هو سببُ الرِّزقِ.

وقيل: السَّماءُ: السَّحابُ.

وكان الحسنُ إذا نظرَ إلى السَّحابِ قال: فيه واللهِ رزقُكم، ولكنْ تُحرَمونَ بخطاياكم وأعمالِكم[2].

وقيل: السَّماءُ: المطرُ[3].

وقيل: وفي السَّماءِ تقديرُ رزقِكم من زيادةٍ ونُقصانٍ.

وقيل: ﴿في﴾ بمعنى: على، وتقديرُه: وعلى ربِّ السَّماءِ رزقُكم[4].

﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ تقديرُه: وفي السَّماءِ ما تُوعَدون؛ لأنَّه عطفٌ على ﴿رِزْقُكُمْ﴾.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٤٠)، وعده من العجائب.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٢١)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٢٥٦)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٤١)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٤١)، وعده من العجائب.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٤١)، وعده من العجائب.

وقيل: تمَّ الكلامُ على قولِه: ﴿رِزْقُكُمْ﴾، ثمَّ استأنفَ فقال: ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾، وخبرُه قولُه: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾.

واختُلِفَ في قولِه: ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾؛ فقيل: الجنَّةُ، وأنَّها في السَّماءِ السّابعةِ.

وقيل: ما تُوعَدونَ منَ الجزاءِ.

وقيل: ما تُوعَدونَ من أمرِ السَّاعةِ.

وقيل: ما تُوعَدونَ من نُزولِ الملائكةِ، من قولِه: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [الفرقان: ٢٥].

والهاءُ في قولِه: ﴿إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾ قيل: يعودُ إلى الرِّزقِ.

وقيل: إلى ﴿ما توعدون﴾.

وقيل: إلى جميعِ ما في السُّورةِ.

الحسنُ: بلغَني أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «قاتلَ الله أقوامًا أقسمَ لهم ربُّهم ثمَّ لم يُصدِّقوه»(١).

﴿مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: إنَّه حقٌّ كما أنَّ قولَ: (لا إلهَ إلا اللهُ) حقٌّ(٢).

وقيل: إنَّه حقٌّ كما أنَّ نُطقَكم حقٌّ.

وقيل: كما لا شكَّ أنَّكم ناطِقونَ كذلك لا شكَّ في وقوعِ ما تُوعَدون.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٢٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣١٢)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٤١)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٤١)، واستغربه.

الزَّجَّاجُ: شبَّهَ الله تحقُّقَ ما أخبرَ عنه بتحقُّقِ نُطقِ الآدميِّ ووجودِه(١).

وفي بعضِ التَّفاسيرِ: كما لا يَدري أحدُكم من أينَ نُطقُه، ومن أينَ يجتمِعُ الكلامُ حرفًا حرفًا، كذلك يأتيه رزقُه قوتًا قوتًا، ولا يدري من أينَ يأتيه(٢).

قُرِئَ: ﴿مثلُ﴾ بالرَّفعِ على أنَّه صفةٌ لقولِه: ﴿لَحَقٌّ﴾.

وقُرِئَ بالنَّصبِ(٣)، ومذهبُ سيبويهِ أنَّه مبنيٌّ على الفتحِ لإضافتِه إلى مبنيٍّ، وهو ﴿أَنَّكُمْ نَنطِقُونَ﴾ و﴿مَآ﴾ زيادةٌ وصلةٌ(٤).

ومذهبُ المازنيِّ أنَّ (ما) مع (مثل) كشيءٍ واحدٍ، وأنشدَ:

وتَداعَى مَنْخَراهُ بدَمٍ ... مِثْلَ ما أثمَرَ حُمَّاضُ الجبَلْ(٥)

الجَرْميُّ: نصبُه على الحالِ وإنْ كانَ ذو الحالِ نكرةً(٦).

وأبو عليٍّ جعلَه حالًا منَ الضَّميرِ في ﴿لَحَقٌّ﴾(٧).

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٥٤)، وفيه: «إن هذا لحق كما أنك متكلم».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٤١)، وعده من العجائب.

(٣) قرأ حمزة والكسائي وشعبة بالرفع، والباقون بالنَّصْب. انظر: «السبعة» (ص: ٦٠٩)، و«التيسير» (ص: ٢٠٣).

(٤) انظر: «الكتاب» لسيبويه (٣/ ١٤٠).

(٥) انظر كلام المازني في «الأصول في النحو» (١/ ٢٧٥)، و«التعليقة» (٢/ ٢٥٤)، و«البسيط» (٢٠/ ٤٤٦). والبيت بلا نسبة في المصادر السابقة، ونسب البيت للجعدي في «المعاني الكبير» (١/ ٥٩٤) برواية:

فجرى من منخريه زبد

(٦) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٦/ ٢٢١)، وذكره ابن يعيش في «شرح المفصل» (٥/ ٧٤)، وقال: «وما ذهب إليه الجرميُّ صحيحٌ، إلَّا أنَّه لا ينفكّ من ضعف؛ لأن الحال من النكرة ضعيفٌ».

(٧) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٦/ ٢٢١).

الفرَّاءُ: صفةُ مصدرٍ محذوفٍ؛ أي: لَحَقٌّ حقًّا[1].

* * *

(٢٤) ـ ﴿هَلْ أَتَنكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾.

﴿هَلْ أَتَنكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾؛ أي: ما كانَ من شأنِهم، والعربُ تقولُ للمُخاطبِ إذا أخبرَه[2] عن خبرٍ ماضٍ: هل أتاكَ خبرُ كذا؟ وإنْ علمَ أنَّه لـم يأتِه.

وقيل: ﴿هَلْ﴾ هاهنا بمعنى: قد؛ أي: قد أتاكَ[3].

وقيل: الخطابُ للنَّبيِّ عليه السَّلامُ، والمُرادُ به القومُ؛ أي: هل يُمكِنُهم أن يقولوا: ﴿أَتَنكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾ من جهةٍ[4] غيرِ وحيٍ به إليك.

قولُـه: ﴿الْمُكْرَمِينَ﴾؛ أي: عنـدَ الله، مـن قولِـه: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦].

وقيل: إكرامُهم[5] بأنْ خدمَهم بنفسِه.

وقيل: استحَقُّوا أن يُكرَمُوا؛ لأنَّهم جاؤوا من غيرِ أنْ دُعوا[6].

* * *

(٢٥) ـ ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾.

﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ﴾ ظرفٌ للحديثِ.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٨٥).

(٢) في (ف): «أخبر».

(٣) انظر: «الكتاب» (٣/ ١٨٩)، و«شرح المفصل» لابن يعيش (٥/ ١٠٣)، و«مغني اللبيب» (ص: ٤٦٠).

(٤) «جهة»: ليس في (ف).

(٥) في (ن): «أكرمهم».

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٤٢)، واستغربه.

ويجوزُ أن يكونَ ظرفًا للإكرامِ على القولِ الثَّاني والثَّالثِ.

والواوُ ضميرٌ للضَّيفِ، وجُمِعَ لأنَّهم كانوا أحدَ عشرَ معَهم جبريلُ عليه السَّلامُ.

وقيل: كانَ جبريلُ وميكائيلُ وإسرافيلُ عليهم السَّلامُ، وسمَّاهم أضيافًا لأنَّهم جاؤوا[1] مجيءَ الأضيافِ.

وقيل: لأنه عامَلَهم مُعاملةَ الأضيافِ.

﴿فَقَالُواْ سَلَٰمًا﴾؛ أي: سلَّموا عليه سلامًا للتَّحيَّةِ.

﴿قَالَ سَلَٰمٌ﴾؛ أي: ردَّ عليهم السَّلامَ بمثلِ ما سلَّموا[2].

وقيل: بل زادَ كما أُمرَ في قولِه: ﴿فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ﴾ [النساء: ٨٦]، وتلك الزِّيادةُ في الرَّفعيَّةِ؛ لأنَّ مرتبةَ الرَّفعِ قبل النَّصبِ، وليس الموضعُ موضعَ بيانِه[3].

وقيل: أرادوا: نحنُ سِلْمٌ لك غيرُ محارِبين؛ لتسكُنَ نفسُه، فأجابَهم بمثلِ ذلك فقالَ: ﴿سِلْمٌ﴾؛ أي: نحنُ سلمٌ أيضًا، و﴿سِلْمٌ﴾ و﴿سَلَٰمٌ﴾[4] لغتانِ.

﴿قَوۡمٌ مُّنكَرُونَ﴾: غرباءُ لا أعرفُكم.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: قال في نفسِه[5]؛ لأنَّه ظنَّ أنَّهم بنو آدمَ ولم يعرِفْهم.

---

(١) في (ف): «جاؤوه».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٤٢)، واستغربه.

(٣) قال المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٤٢): «وللرفع مزية على النصب من وجوه: أحدها: أن الكلام لا يستغني عن المرفوع ويستغني عن المنصوب. والثاني: هو إعراب الفاعل، والنصب إعراب المفعول، والفاعل أقوى. والثالث: أنه حركة المخبر عنه، والنصب حركة الفضلات. ولوجوه أخر».

(٤) قرأ حمزة والكسائي: ﴿قَالَ سِلْمٌ﴾، والباقون: ﴿قال سَلَامٌ﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٣٣٧)، و«التيسير» (ص: ١٢٥).

(٥) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٠/ ٤٥٠).

وقيل: لم يكُنِ السَّلامُ تحيَّتَهم، فلمَّا سلَّموا عليه نكِرَهم.

وقيل: لأنَّهم دخلوا عليه بغيرِ استئذانٍ.

* * *

(٢٦) ـ ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾.

﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾: أتاهُم في خُفْيةٍ من ضيفِه؛ لئلَّا يعلَمُوا بما يتكلَّفُ لهم.

وقيل: راغَ: أسرعَ في خَفاءٍ.

﴿فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾: مشويٍّ، وكانَ أكثرُ مالِه عليه السَّلامُ البقرَ، واختارَ السَّمينَ زيادةً في إكرامِهم.

* * *

(٢٧ ـ ٢٨) ـ ﴿فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾.

﴿فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ﴾ فوضعَه بينَ أيديهم فلم يأكلوا؛ لأنَّهم لا يأكلونَ ولا يشربونَ.

﴿قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ وقعَ في نفسِه الخوفُ منهم.

وقيل: معناه: فأضمرَ في نفسِه خيفةً منهم حيثُ لم يأكلوا طعامَه، وظنَّ أنَّهم جاؤوهُ بشرٍّ يُريدونَه به.

﴿قَالُوا۟ لَا تَخَفْ﴾ إنّا رسلُ الله.

وقيل: إنَّ جبريلَ مسحَ العجلَ بجناحِه فقامَ يَدْرُجُ حتَّى لحقَ بأمِّه، وكانت في الدّارِ، فصدَّقَهم وأَمِنَ منهم[1].

---

(١) «منهم»: ليس في (ف).

﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ﴾ يعني: إسحاقَ عليه السَّلامُ بإجماعِ[١] المُفسِّرين، إلّا مجاهدًا وحدَه فإنَّه قالَ: المُبشَّرُ به في الآيةِ إسماعيلُ عليه السَّلامُ[٢].

﴿عَلِيمٍ﴾ يعلمُ إذا بلَغَ، والعليمُ: المُبالغُ في العلمِ.

وقيل: الفرقُ بين العليمِ والعالـمِ كالسَّميعِ والسَّامعِ؛ فإنَّ السَّامعَ لا بدَّ له من مسموعٍ، والسَّميعُ هو الذي إنْ صحَّ مسموعٌ سمِعَه[٣].

***

(٢٩) ـ ﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾.

﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ﴾؛ أي: جعلَتْ، وليس إقبالَ نُقْلةٍ.

وقيل: كانت بالبُعدِ، فلمَّا سمعتِ الملائكةَ يُبشِّرونَ إبراهيمَ عليه السَّلامُ بالولدِ أقبلَتْ إلى إبراهيمَ ﴿فِى صَرَّةٍ﴾.

وقيل: في رنَّةٍ.

وقيل: في صياحٍ تقولُ: أوَّه.

وقيل: كانت تقولُ: أأَلِدُ وأنا عجوزٌ؟

وقيل: ﴿فِى صَرَّةٍ﴾: حياءٍ؛ لأنَّها رأت أثرَ الحيضِ.

وقيل: ﴿فِى صَرَّةٍ﴾: جماعةٍ منَ النِّساءِ، قالَ:

---

(١) بعدها في (ف): «من».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٢٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣١٢)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٤٣)، وعده من العجائب.

(٣) فهو على هذا صفة مشبهة من الفعل اللازم (عَلُمَ)، وعلى الأول مبالغة اسم فاعل من الفعل المتعدي (عَلِمَ)، والأليق أن يجعل مثل هذا مبالغة في حق البشر، وصفة مشبهة إن وصف به الربُّ سبحانه وتعالى، والله أعلم.

فـــي صَـــرَّةٍ لـــم تَزَيَّـــلِ(١)

وكانت في جماعةٍ منهنَّ.

﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾: ضرَبَتْ جبهتَها.

وقيل: لطَمَتْ وجهَها، والصَّكُّ: الضَّربُ باعتمادٍ شديدٍ؛ أي: جمعَتْ أصابعَها فضرَبَتْ جبهتَها أو وجهَها.

﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾؛ أي: أنا عجوزٌ.

وقيل: قالت: أتلِدُ عجوزٌ ولها تسعٌ وتسعونَ سنةً، وكانت في شبابِها عقيمًا؟

وقيل: صكَّتَ وجهَها حياءً من أثرِ الدَّمِ.

والعجوزُ سُمِّيت بذلك لعجزِها عمَّا تَقْوَى عليه الشَّوابُّ، والعقيمُ: التي لـم تلِدْ، وأصلُه: الامتِناعُ والشِّدَّةُ.

***

(٣٠) ـ ﴿قَالُوا كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾.

﴿قَالُوا كَذَلِكِ﴾؛ أي: قالتِ الملائكةُ: ﴿قَالَ رَبُّكِ﴾: كذلك.

وقيل: كذلك تلِدِينَ(٢).

﴿إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ﴾ في فعلِه ﴿الْعَلِيمُ﴾ بعبادِه وتدبيرِه(٣).

---

(١) قطعة من بيت من معلقة امرئ القيس، وتمامه:

فأَلحقَـــهُ بـالهـــادِيَاتِ ودُونَـــهُ   جَواحِرُها فـــي صَـــرَّةٍ لـــم تَزَيَّـــلِ

معناه: فألحق الفرسُ الغلامَ بالأوائل ودونه المتخلفات. وقوله: «في صرة» معناه: في جماعة. وقوله: «لم تزيل» معناه: لم تفرق؛ أي: لحق الأوائل الأواخر. انظر: «شرح القصائد السبع الجاهليات» لابن الأنباري (ص: ٩٥).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٤٣)، واستغربه.

(٣) «وتدبيره»: ليس في (ف).

(٣١ ـ ٣٤) ـ ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴾.

﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾؛ أي: أُرسلتُم لأمرٍ جليلٍ، وشأنٍ عظيمٍ، فما ذلك؟

﴿ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴾؛ أي: لإهلاكِهم، وهم قومُ لوطٍ عليه السَّلامُ ومدينتُهم سَدُومُ.

﴿ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴾ قيل: على الشُّذَّانِ[1] منهم.

وقيل: عليهم وعلى الشُّذَّانِ منهم؛ لقولِه: ﴿ جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴾ [هود: ٨٢]؛ أي: آجُرٍّ، فإنَّه طينٌ طُبِخَ فصارَ حجارةً.

وقيل: حجارةُ الأرضِ كلُّها كانت طينًا صارَتْ حجارةً بتأثيرِ الشَّمسِ على مرِّ الدُّهورِ[2].

﴿ مُّسَوَّمَةً ﴾ فيها قولانِ:

أحدُهما: مُعلَّمةً بنقطةٍ سوداءَ في الأبيضِ، وبيضاءَ في الأسودِ.

الزَّجَّاجُ: جُعلَ في كلِّ حجرٍ اسمُ مَن أُهلِكَ به[3].

وقيل: كانت حجارةً حمراءَ عليها الخواتيمُ.

والسُّومةُ والسِّيماءُ: العلامةُ.

والثَّاني: ﴿ مُّسَوَّمَةً ﴾: مُرسلةً غيرَ محظورةٍ، من قولِهم: سامتِ الماشيةُ.

﴿ عِندَ رَبِّكَ ﴾: في مُلكِه وسُلطانِه.

﴿ لِلْمُسْرِفِينَ ﴾: للكافرينَ المُجاوزينَ الحدَّ فيه.

---

(١) الشذّان: الشذّاذ. انظر: «العين» مادة: (ش ذ ذ) (٦/ ٢١٥).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٤٣)، واستغربه.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٥٦).

(٣٥ ـ ٣٦) ـ ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾.

﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا﴾: في قرى قومِ لوطٍ ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني: لوطًا ومَن آمنَ به.

﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾؛ أي: غيرَ أهلِ بيتٍ، وصفَهم بالإيمانِ والإسلامِ جميعًا وهما واحدٌ؛ لئلَّا يتكرَّرَ لفظُ المؤمنينَ.

* * *

(٣٧) ـ ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾.

﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا﴾؛ أي: في إهلاكِ قومِها وقَلْبِها ﴿ءَايَةً﴾ فإنَّه لا يَقدرُ عليه إلا اللهُ القادرُ على ما يشاءُ.

وقيل: هي تلكَ الأحجارُ وغيرُها ممَّا يدلُّ على سُخْطِ الله عليهم.

﴿لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾؛ أي: جعلْناها عبرةً لمَن بعدَهم.

* * *

(٣٨) ـ ﴿وَفِى مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾.

﴿وَفِى مُوسَىٰٓ﴾؛ أي: وفي إنجاءِ موسى وإغراقِ فرعونَ.

وقيل: هو عطفٌ على قولِه: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ... وَفِى مُوسَىٰٓ﴾.

وقيل: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَآ... وَفِى مُوسَىٰٓ﴾[1].

﴿إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾: بحُجَّةٍ ظاهرةٍ، وهي اليدُ والعصا إلى سائرِ مُعجزاتِه.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٤٤)، واستغربه.

(٣٩ ـ ٤٠) ـ ﴿فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ۝٣٩ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾.

﴿فَتَوَلَّىٰ﴾: أعرَضَ عن الإيمانِ ﴿بِرُكْنِهِۦ﴾: بجُموعِه وجُنودِه.

وقيل: بجانبِه وجميعِ بدنِه، وهي كنايةٌ عن المُبالغةِ في الإعراضِ.

وقيل: بقُوَّتِه.

وقيل: بمَيلِه عن الحقِّ.

والرُّكنُ: ما رَكَنَ إليه الإنسانُ من مالٍ وجندٍ وقوَّةٍ.

﴿وَقَالَ﴾ لموسى[1]: ﴿سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾.

﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾: فأغرَقْناهُم في البحرِ ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾؛ أي: بما يُلامُ عليه.

* * *

(٤١ ـ ٤٢) ـ ﴿وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ۝٤١ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ﴾.

﴿وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ﴾ هي التي لا رحمةَ فيها ولا منفعةَ، ولا تَلْقَحُ ولا تُنبِتُ، وهي الدَّبورُ، من قولِه عليه السَّلامُ: «نُصِرْتُ بالصَّبا، وأُهلِكَتْ عادٌ بالدَّبورِ»[2].

وقيل: هي الجَنوبُ.

﴿مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ﴾: كالشَّيءِ البالي الذي أتَتْ عليه الأيَّامُ واللَّيالي.

وقيل: الرَّميمُ: الرَّمادُ.

وقيل: التُّرابُ المدقوقُ.

---

(١) في (ن): «﴿وَقَالَ﴾ فرعون موسى».

(٢) رواه البخاري (١٠٣٥)، ومسلم (٩٠٠)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

وقيل: العظمُ البالي.

وقيل: الهشيمُ منَ النَّباتِ.

وقيل: ما رمَتْه الماشيةُ بـمَرَمَّتِها، وهي الشَّفةُ(١).

والمعنى: ما تترُكُ من شيءٍ هبَّتْ عليه من أنفُسِهم وأنعامِهم وأموالِـهم إلا أهلكَتْه.

* * *

(٤٣) ـ ﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ﴾.

﴿وَفِي ثَمُودَ﴾: قومِ صالحٍ ﴿إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ﴾: إلى آخرِ أعمارِكم إنْ آمنتُم.

وقيل: إذ قيل لهم حين عقَروا النّاقةَ: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ [هود: ٦٥].

* * *

(٤٤) ـ ﴿فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾.

﴿فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾: فجاوَزُوا الحدَّ بالخروجِ عن أمر ربِّهم.

وقيل: فطَغَوا بردِّهم أمرَ ربِّهم، فأتاهُم العُتوُّ عن هذه الجهةِ.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾: العذابُ بعدَ الثَّلاثةِ، وكلُّ عذابٍ مُهلِكٍ: صاعقةٌ.

وقيل: الموتُ.

وقُرِئَ: ﴿الصَّعْقَةُ﴾(٢)، وهي صوتُ الصَّاعقةِ.

﴿وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ إلى العذابِ.

* * *

(٤٥) ـ ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ﴾.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٤٤)، واستغربه.

(٢) قرأ بها الكسائي. انظر: «السبعة» (ص: ٦٠٩)، و«التيسير» (ص: ٢٠٣).

﴿ فَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ مِن قِيَامٍ ﴾؛ أي: ما قاموا لـها ولا طلَبُوا مَن ينصرُهم.

وقيل: ما استطاعوا مِن أنْ يُقيمُوا به فيدفعُوه عن أنفُسِهم.

﴿وَمَا كَانُواْ مُنتَصِرِينَ ﴾: مُمتَنِعِينَ منَ العذابِ.

وقيل: معناه: لم يُمكِنْهم مُقابَلَتُنا بالعذابِ؛ لأنَّ معنى الانتصارِ: المُقابلةُ.

* * *

(٤٦) ـ ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾.

﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ ﴾ مَن جرَّه عطفَه على ما قبلَه من عادٍ وثمودَ.

ومَن نصبَه[1] عطفَه على المحلِّ.

وقيل: عطفَه على ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ ﴾؛ أي: أهلَكْناهم وأهلَكْنا قومَ نوحٍ.

وقيل: واذكُرْ لهم قومَ نوحٍ.

وقيل: عطفٌ على قولِه: ﴿فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾ وقومَ نوحٍ؛ لأنَّ المعنى: أغرَقْناهم وأغرَقْنا قومَ نوحٍ.

﴿مِّن قَبْلُ﴾: قبلَ هؤلاءِ المذكورين ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾: كافِرِين عاصين.

* * *

(٤٧) ـ ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾.

﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ﴾: بقوَّةٍ، والأيْدُ والآدُ: القوَّةُ.

﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾؛ أي: أوسَعْنا السَّماءَ.

وقيل: جعَلْنا بينَها وبين الأرضِ سَعَةً.

الحسنُ: نُوسِّعُ بالمطرِ[2].

---

(١) قرأ بالجر أبو عمرو وحمزة والكسائي، والباقون بالنصب. انظر: «السبعة» (ص: ٦٠٩)، و«التيسير» (ص: ٢٠٣).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٧٣) بلفظ: «لموسعون في الرزق بالمطر».

وقيل: إنَّا لذو سَعةٍ لخَلْقِنا.

وقيل: نحنُ في سَعةٍ ممَّا نريدُ، ولا[1] يَضِيقُ عنَّا شيءٌ نُريدُه.

وقيل: قادِرونَ.

وقيل: أغنياءُ.

وقيل: علماءُ.

* * *

(٤٨) ـ ﴿وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ﴾.

﴿وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا﴾: بسَطْناها ومَهَدْناها ليستقِرُّوا عليها ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ﴾.

* * *

(٤٩) ـ ﴿وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

﴿وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ يُريدُ الحيوانَ ذكرًا وأُنثى.

وقيل: التَّلقيحُ للنَّخلِ، والتَّسميدُ للزَّرعِ، ولكلِّ ضربٍ منَ النَّباتِ تدبيرٌ يقومُ مَقامَ التَّزويجِ الذي بينَ الحيوانِ.

وقيل: أرادَ: نوعَين؛ كاللَّيلِ والنَّهارِ، والشَّمسِ والقمرِ، والإنسِ والجنِّ، والسَّماءِ والأرضِ، وكذلك أنواعُ الثِّمارِ والنَّباتِ.

والمعنى: استأثرَ الله بالوحدانيَّةِ، وجعلَ لكلِّ ما خلقَه مثلًا أو مُقابلًا.

﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ فتعلَموا[2] أنَّ الله وترٌ وليس بشَفْعٍ، ولا كمِثْلِه شيءٌ.

* * *

(٥٠) ـ ﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾.

---

(١) في (ف): «لا».

(٢) في (ن): «فتعلمون».

﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾؛ أي: بادِرُوا إلى الإيمانِ باللهِ والطّاعةِ له.

وقيل: فِرُّوا منَ الشَّيطانِ إلى الرَّحمنِ، ومنَ العذابِ إلى الثَّوابِ.

عثمانُ بنُ عفّانَ رضي الله عنه: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾: اخرُجُوا إلى مكّةَ[1].

﴿إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ﴾: منَ العذابِ ﴿نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾: مُنذِرٌ.

وقيل: ﴿نَذِيرٞ﴾: عالمٌ، من قولِهم: نَذِرَ؛ إذا عَلِمَ[2].

ويحتمِلُ أنَّ قولَه: ﴿مِّنۡهُ﴾ صفةٌ لـ﴿نَذِيرٞ﴾[3]، لا صلةٌ تقدَّمَ عليه، والمعنى: نذيرٌ من عندِ الله، وكذلك الذي بعدَه[4].

(٥١) ـ ﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾.

﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾؛ أي: منَ الإشراكِ، والتَّكرارُ للتَّأكيدِ، والإطالةُ في الوعيدِ أبلَغُ.

وقيل: الأوَّلُ متَّصلٌ بالمعصيةِ، والثّاني بالشِّركِ، وإذا اختَلَفا لا يكونُ تكرارًا[5].

* * *

(٥٢) ـ ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ﴾.

﴿كَذَٰلِكَ﴾؛ أي: كقولِ قومِك لك: ﴿سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ﴾.

﴿مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم﴾: قبلَ قومِك ﴿مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ﴾؛ أي: رَمَوا

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٤/ ٥٦٢).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٤٤)، واستغربه.

(٣) أي: صبغة في الأصل، لكن الصفة إذا تقدمت على الموصوف أعربت حالاً، وقد نبّه على ذلك المصنف سابقاً.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٤٤)، واستغربه.

(٥) انظر: «درة التنزيل» للخطيب الإسكافي (٣/ ١٢٠٩)، و«البرهان» للمصنف (ص: ٢٢٩).

الأنبياءَ من فَرْطِ جهلِهم بأمرين بينَهما تضادٌّ؛ لأنَّ السَّاحرَ لا يكونُ إلا فَطِنًا لبيبًا، والمجنونُ بالضِّدِّ من ذلك.

***

(٥٣) ـ ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾.

﴿أَتَوَاصَوْا بِهِۦ﴾؛ أي: كأنَّ بعضَهم أوصى بعضاً[1] بهذا المقالِ.

﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ﴾؛ أي: قومُكَ، ويجوزُ أن يعودَ إلى الكلِّ، ﴿طَاغُونَ﴾: مُتجاوِزو الحدِّ في العصيانِ؛ أي: لـم يتَواصَوا ولكن اتَّفقوا فيما أوجَبَ ذلك، وهو الطُّغيانُ والعصيان.

***

(٥٤) ـ ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ﴾.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ الضَّحَّاكُ: التَّولِّي عنهم منسوخٌ بالإقبالِ عليهم بالموعظةِ[2]، وهو قولُه: ﴿بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٦٧].

وقيل: تَوَلَّ عنهم حتَّى نأمرَكَ بالقتالِ.

وقيل: هذا وعيدٌ للكفَّارِ؛ كقولِه: ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ [القلم: ٤٤].

﴿فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ﴾: لا لومَ عليك منَ الله وقد بلَّغتَ الرِّسالةَ.

***

(٥٥) ـ ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بأنْ تزيدَ في علمِ المؤمنينَ وإنْ لـم يتذكَّرْ[3] بها الكافرون.

---

(١) في (ن): «﴿أَتَوَاصَوْا بِهِۦ﴾ أي: كأنهم أوصى بعضهم إلى بعض».

(٢) ذكره مكي في «الهداية» (١١/٧١٠٧).

(٣) في (ف): «يتذكره».

(٥٦) ـ ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾؛ أي: ليُوحِّدوني، يُريدُ المؤمنينَ منهم، ومَن سواهم فهم الذين قال فيهم: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

وقيل: إلّا لآمرَهم بالعبادةِ وأدعوَهُم إلى الطّاعةِ.

وقيل: ليعبُدوه طوعًا لا كرهًا، وليس كالنَّارِ تُحرِقُ طبعًا، والثَّلجِ يُبرِّدُ طبعًا.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: إلا ليُذعِنُوا لي بالعبوديّةِ[1].

ابنُ عيسى: إلّا ليعبُدوني هم وغيرُهم.

وقيل: إلَّا ليعرفُوني.

ويحتمِلُ: ما خلقتُ الجنَّ والإنسَ إلّا ليكونُوا عبادًا لي، ومثلُه: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣].

***

(٥٧) ـ ﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾.

﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾؛ أي: ما خلقتُهم ليَرزُقوا شيئًا من مخلوقاتي، ولا أنْ يرزُقوا أنفسَهم، ولا أنْ يرزُقوني ويُطعِموني، فإنَّ الله هو الرَّازِقُ، بل خلقتُهم لعبادتي.

وقيل: ﴿مِّن رِّزْقٍ﴾: جُعْلٍ وأجرٍ على الإيمانِ.

وقيل: ﴿أَن يُطْعِمُونِ﴾: أن يُطعِموا عبادي، فحُذِفَ المُضافُ.

***

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٥٤)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٢٠)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٧٣).

(٥٨) ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ﴾: المُبالِغُ فيه، غيرُ المرزوقِ، النفَّاعُ لغيرِه لا ينفعُه شيءٌ.

﴿ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾: ذو الاقتِدارِ الشَّديدِ؛ أي: غالبٌ لا يُغلَبُ، وقاهِرٌ لا يُقهَرُ، وقادِرٌ لا يَعجزُ. والقوَّةُ في أصلِ اللُّغةِ: الطّاقةُ منَ الحَبْلِ، فإذا انضافَ إليه طاقاتٌ فهو الحبلُ المتينُ، ثمَّ استُعيرَ لكلِّ أيدٍ وشدَّةٍ.

وقيل: معنى ﴿ذُو ٱلْقُوَّةِ﴾: التي يتقوَّى بها[١] جميعُ خَلْقِه له.

و﴿ٱلْمَتِينُ﴾ بالرَّفعِ إجماعٌ، وهو وصفٌ لـ﴿ذُو﴾، وقُرِئَ في الشَّواذِّ بالجرِّ[٢] حملًا على القوّةِ، وذلك يستَدعي: (المتينةِ).

***

(٥٩) ـ ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَـٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ﴾.

﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَـٰبِهِمْ﴾؛ أي: لكفّارِ قومِك حظًّا ونصيبًا منَ العذابِ مثلَ ما كانَ للأممِ[٣] قبلَهم.

مجاهدٌ: سَجْلًا[٤].

قتادةُ: عذابًا[٥].

الحسنُ: دولةً[٦].

---

(١) في (ن): «التي يتقوى به»، وفي (ف): «إن القوة التي يتقوى بها»، ولعل «إن» محرفة عن «أي».

(٢) نسبت ليحيى بن وثاب والأعمش. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ١٤٦)، و«المحتسب» لابن جني (٢/ ٢٨٩).

(٣) في (ف): «من الأمم».

(٤) في (ن): «سيلا»، ورواه باللفظ المثبت الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٥٨)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٤/ ٥٧١) بلفظ: «سبيلًا».

(٥) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٩٩٦)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٥٩).

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٤/ ٥٧٢) بلفظ المصنف، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٥٨) بلفظ: «دلواً مثل دلو أصحابهم».

الكسائيُّ: حظًّا(١).

وأصلُ الذَّنوبِ: الدَّلوُ العظيمُ، قال:

لكم ذَنوبٌ ولنا ذَنوبُ وإنْ أَبَيْتُم فلَنا القَليبُ(٢)

الزَّجَّاجُ: الذَّنوبُ: النَّصيبُ(٣).

والذَّنوبُ: الدَّلوُ، ولا تُسمَّى ذَنوبًا إلّا إذا كانت مَلْأى(٤).

وقيل: إذا انحدَرَ فهو دَلْوٌ، وإذا ارتفَعَ فهو ذَنوبٌ وسَجْلٌ؛ لأنَّها في الانحِدارِ فارغةٌ، وفي الارتفاعِ مَلْأَى.

وقيل: معناه: عذابًا بعد عذابٍ، كالدَّلْوِ يتبعُ الدَّلْوَ.

﴿فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ﴾ هذا جوابٌ للنَّضْرِ وأصحابِه حين استعجَلُوا العذابَ فلحِقَهم يومَ بدرٍ.

* * *

(٦٠) ـ ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾.

﴿فَوَيْلٌ﴾: شدَّةُ عذابٍ.

وقيل: وادٍ في جهنَّمَ، وقد سبقَ.

﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ يعني: من عذابِ يومِ القيامةِ.

وقيل: يومِ بدرٍ، واللهُ أعلَمُ بالصَّوابِ(٥).

---

(١) ذكره الفراء في «معاني القرآن» (٣/ ٩٠) دون نسبة، وانظر: «تفسير الطبري» (٢١/ ٥٥٧).

(٢) الرجز دون نسبة في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٩٠)، و«تفسير الطبري» (٢١/ ٥٥٧)، و«جمهرة اللغة» (١/ ٣٠٦).

(٣) انظر: «المخصص» (٢/ ٤٦٤)، و«شرح كفاية المتحفظ» لابن الطيب (ص: ٦٠٣)، وانظر: «فقه اللغة» للثعالبي (ص: ٣٥).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٥٩).

(٥) «بالصواب»: ليس في (ف).

لُبَابُ التَّفَاسِيرِ

تأليف الإمام المُفسِّر

تاج القُرّاء الكرمانيّ

بُرهان الدين أبي القاسم محمود بن حمزة بن نصر الكرمانيّ

المُتوفى بعد سنة ٥٠٠هـ

يُطبع أول مرة محققاً على ثلاث نُسخ خطيّة

تحقيق وتعليق

محمد عبد الحليم بعّاج

المجلد التاسع

دار اللُّباب

لباب التفاسير

(٩)

حُقوق الطّبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٤٣هـ - ٢٠٢١م

يُمنع طباعةُ هذا الكتاب أو ترجمته أو تصويرُه ورقياً أو إلكترونياً
إلا بإذن خطي من الدار الناشرة
تحت المُساءلة الدُّنيوية والأُخروية

9 789933 930271

دار اللُّبَاب
للدِّراسات وتحقيق التُّراث
DAR-ALLOBAB
Lubab Yazma Eserleri İhya ve İlmi Araştırma Yayınları

بيروت - لبنان
009615813966
0096170112990

دمشق - سوريا
00963993151546
info@allobab.com
Www.allobab.com

اسطنبول - تركيا
00902125255551
00905454729850

İskenderpaşa mh. Kıztaşı cd. No:7 D:5 Fatih (Özel Fatih Hastanesi Karşısı)

بسم الله الرحمن الرحيم

سُورَةُ الطُّورِ

سُورَةُ الطُّورِ

تسعٌ وأربعونَ آيةً، مكِّيّةٌ.

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿وَٱلطُّورِ﴾.

﴿وَٱلطُّورِ﴾ هو الجبلُ بالسُّرْيانيَّةِ.

وقيل: الطُّورُ: الجبلُ عليه الشَّجرُ، والمُرادُ بالطُّورِ هاهنا: طورُ سينينَ، وهو الجبلُ الذي بمَدْيَنَ، كلَّمَ اللهُ تعالى عليه موسى عليه السَّلامُ.

وقيل: عامٌّ في الجبالِ كلِّها[١].

وقيل: وربِّ الطُّورِ.

وحكَى الماورديُّ: الطُّورُ: ما طرأ على قلوبِ الخائفين[٢]. وهو ضعيفٌ ركيكٌ.

* * *

(٢) ـ ﴿وَكِتَٰبٍ مَّسۡطُورٍ﴾.

﴿وَكِتَٰبٍ مَّسۡطُورٍ﴾: مكتوبٍ، والسَّطرُ: ترتيبُ الحروفِ على جهةِ الطُّولِ.

قيل: هو اللَّوحُ المحفوظُ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٤٥)، وعده من العجائب.

(٢) انظر: «النكت والعيون» (٥/ ٣٧٧)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٤٥)، واستغربه.

وقيل: الكتابُ المسطورُ: هو آخرُ سطرٍ في اللَّوحِ المحفوظِ[1]، وهو: «سبقَتْ رحمَتي غضبي، مَن أتاني بشهادةِ لا إلهَ إلا الله أدخلتُه الجنّةَ»[2].

وقيل: القرآنُ.

وقيل: كتابُ الحفَظةِ.

وقيل: التَّوراةُ فيها نعتُ محمَّدٍ ﷺ، وذكرُ الإنجيلِ بعدَه.

***

(٣) ـ ﴿فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ﴾.

﴿فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ﴾ قيل: هو الرَّقُّ المعهودُ والكاغِدُ المعروفُ، يُكتَبُ فيه القرآنُ والتَّوراةُ والإنجيلُ.

وقيل: الرَّقُّ أحسَنُ ما يُكتَبُ فيه.

وقيل: هو ما كُتِبَ فيه وعليه اللَّوحُ المحفوظُ وكتابُ الحفظةِ، وسُمِّيَ رَقًّا لرقَّةِ حواشيهِ.

وعن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما: الرَّقُّ المنشورُ: ما بينَ المشرقِ إلى المغربِ[3].

---

(١) بعدها في (ن): «وقيل»، والمثبت من (ف)، وهو الموافق لما في «غرائب التفسير».

(٢) ذكره القشيري في «لطائف الإشارات» (٣/ ٤٧١)، والمصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٤٥)، واستغربه. وروى البخاري (٧٥٥٣)، ومسلم (٢٧٥١) عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «لما قضى الله الخلق، كتب كتاباً عنده: غلبت ـ أو قال: سبقت ـ رحمتي غضبي، فهو عنده فوق العرش».

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٧٧)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٤٦)، وعده من العجائب.

وقيل: ﴿وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ۝٢ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ﴾ قلبُ المؤمنِ، من قولِه عزَّ وجلَّ: ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾ [المجادلة: ٢٢][١].

***

(٤) ـ ﴿وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ﴾.

﴿وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ﴾ جاء مرفوعًا: «إنَّه بيتٌ في السَّماءِ حيالَ الكعبةِ لو خرَّ خرَّ عليها، يدخلُه كلَّ يومٍ سبعونَ ألفَ ملَكٍ، ثمَّ لا يعودون إليه إلى يومِ القيامةِ»[٢].

وقيل: اسمُه الضُّراحُ.

وقيل: كانَ في الدُّنيا فرُفِعَ يومَ الطُّوفانِ.

الحسنُ وابنُ بحرٍ: البيتُ المعمورُ: الكعبةُ[٣]، والمعمورُ: المأهولُ.

وقيل: منَ القَصْدِ.

وقيل: من العمارةِ.

سهلُ بنُ عبدِ الله: البيتُ المعمورُ هو قلبُ المؤمنِ، وعمارتُه الإخلاصُ[٤].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٤٦)، وعده من العجائب.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٦٥) عن قتادة عن النبي ﷺ مرسلًا، وروى نصفه الثاني البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤)، من حديث مالك بن صعصعة رضي الله عنه، ومسلم (١٦٢) من حديث أنس رضي الله عنه في حديث المعراج الطويل. ولفظه: «فرفع لي البيت المعمور، فسألت جبريل، فقال: هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم».

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٧٨)، والواحدي في «البسيط» (٢٠/ ٤٧٧) عن الحسن، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٤٦)، واستغربه.

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٧٨)، واستبعده، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٤٦)، وعده من العجائب.

(٥) ـ ﴿وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ﴾.

﴿وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ﴾ السَّماءِ، وقيل: العرشِ[١].

***

(٦) ـ ﴿وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ﴾.

﴿وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ﴾ قيل: هو بحرُ الدُّنيا.

وقيل: هو جهنَّمُ[٢].

وقيل: بحرٌ تحتَ العرشِ.

وقيل: المسجورُ: المملوءُ ماءً.

وقيل: الموقَدُ نارًا، من سَجَرْتُ التَّنُّورَ، وعنه ﷺ: «البحرُ المسجورُ نارٌ في نارٍ»[٣].

وقيل: المسجورُ: المُختلِطُ، منَ السَّجِيرِ، وهو الخليطُ.

وقيل: المُرسَلُ.

وقيل: المسجورُ: اليابسُ.

الأصمعيُّ عن أبي عمرٍو بنِ العلاءِ، عن ذي الرُّمَّةِ، عن ابنِ عبَّاسٍ: المسجورُ: الفارغُ. قال: وليس لذي الرُّمَّةِ حديثٌ غيرُ هذا[٤].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٤٦)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٤٦)، واستغربه.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ١٥)، والماوردي في «الحاوي الكبير» (١/ ٤٠)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ١٨٦)، وابن دقيق العيد في «شرح الإلمام» (١/ ١٢٤) دون نسبة ولا سند، بلفظ: «البحر نار في نار» دون ذكر: «المسجور».

(٤) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ١٧)، وذكره الواحدي في «البسيط» (٢٠/ ٤٨٠)، وذكره المصنف =

وقيل: المسجورُ: المحبوسُ.

* * *

(٧ ـ ٨) ـ ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ﴾.

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ﴾؛ أي: الذي أوعدَ به الكفَّارَ والعُصاةَ ﴿لَوَٰقِعٌ﴾ بهم يومَ القيامةِ ﴿مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ﴾: لا يدفعُه دافعٌ ولا يمنعُه مانعٌ.

* * *

(٩ ـ ١٠) ـ ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ۝٩ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا﴾.

﴿يَوْمَ تَمُورُ﴾ ﴿يَوْمَ﴾ ظرفٌ لـ﴿واقع﴾. ومعنى: ﴿تَمُورُ﴾ قيل: تنشَقُّ، وتموجُ، وتدورُ، وتجري، وتضطربُ، وتَكَفَّأُ، وتنقلبُ، هذا كلُّه من عباراتِ المُفسِّرين.

ابنُ عيسى: المَورُ: تردُّدُ الشَّيءِ في المجيءِ والذَّهابِ، كما يتردَّدُ الدُّخانُ ثمَّ يضمَحِلُّ، وذلك عندَ انقِطاعِها وتغيُّرِ نظامِها.

أبو زيد: لا نعلمُ ما المَورُ[1].

﴿ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ۝٩ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا﴾؛ أي: تسيرُ عن وجهِ الأرضِ، فتصيرُ هباءً منثورًا[2] مُنبثًّا.

= في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٤٦)، وعده من العجائب. وقوله: «وليس لذي الرُّمَّةِ حديثٌ غيرُ هذا» فيه نظر، فقد روى ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٨/ ١٤٣) عن ذي الرمة خبرين: هذا، وآخر مرفوع عن النبي ﷺ: «إن من الشعر لحكمة»، ثم نقل عن إسحاق بن سيار النصيبي قوله: ليس لذي الرمة غير هذين الحديثين.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٧٣) عن ابن زيد، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٤٦)، وعده من العجائب. ووقع فيه: «أبو زيد» أيضاً كما هنا، ولعله تحرف عليه عن «ابن زيد».

(٢) «منثورًا»: ليس في (ف).

(١١) ـ ﴿ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾.

﴿ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ هذا تأكيدٌ في الوعيدِ، والفاءُ لمعنى الجزاءِ؛ أي: إذا وقعَ الجزاءُ والعذابُ فويلٌ لهم.

الأخفشُ: لأنَّ ﴿ يَوْمَ تَمُورُ ﴾ محمولٌ على معنى (إذا)[1]، والكوفيُّونَ يُجيزونَ حملَ جميعِ الأوقاتِ المُستقبلةِ على معنى (إذا).

***

(١٢) ـ ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴾.

﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴾؛ أي: في إنكارِهم البعثَ وتكذيبِهم محمَّدًا ﷺ وسائرَ الأنبياءِ عليهم السَّلامُ يلعبونَ من غير بيانٍ وحجَّةٍ.

وقيل: في أسبابِ الدُّنيا يَلعبون من غيرِ فكرٍ في ثوابٍ وعقابٍ.

وقيل: معناه: يُسرِعُونَ إلى المعاصي.

والخوضُ: التَّخبُّطُ في الباطلِ، ويُقالُ: «خاضَ في الخيرِ» أيضًا.

وقيل: تشاغُلُهم بكفرِهم لعبٌ عاقبتُه العذابُ.

***

(١٣ ـ ١٤) ـ ﴿ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾.

﴿ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴾: يُدفَعون إليها بعُنفٍ وجَفاءٍ، فيُقالُ: ﴿ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾؛ أي: في الدنيا.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٥٢٥)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١١٤٧)، واستغربه.

(١٥) ـ ﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾.

﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ﴾؛ أي: أكانَ الوعيدُ بهذا العذابِ والإخبارُ سحرًا كما زعمتُم في الدُّنيا ﴿أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ أم كنتُم لا تُبصِرونَ؟

وقيل: عُنِّفوا بمثلِ ما كانوا يَنسُبونَ النَّبيَّ عليه السَّلامُ إليه منَ السِّحرِ وتسكيرِ البصرِ والأخذِ بالأعيُنِ، فقيلَ لهم: أتـمويهٌ هذا وحيلةٌ أم غُطِّيَ على أبصارِكم فلا تُبصِرون؟

* * *

(١٦) ـ ﴿ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: أنتم لازِمون لـها حالتَيكُم منَ الجزَعِ والاستغاثةِ، والتَّصبُّرِ وتركِ الجزَعِ، وهو خبرٌ في صيغةِ أمرٍ، تقديرُه: الجزَعُ وتركُ الجزَعِ سواءٌ، فهو خبرُ مبتدأ محذوفٍ.

﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾؛ أي: هذا جزاءُ أعمالِكم.

وقيل: ﴿إِنَّمَا﴾ بمعنَى: ما؛ أي: ما جُوزِيتُم إلّا جزاءَ أعمالِكم.

* * *

(١٧ ـ ١٨) ـ ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾: مُعجَبين ناعِمين فرِحين.

وقيل: مُتقابِلين بالحديثِ الذي يَسُرُّ ويُؤنِسُ، مأخوذٌ منَ الفُكاهةِ.

وقيل: ذوو فاكهةٍ[1]، كلابنٍ وتامرٍ.

---

(١) في (ن): «ذو فكاهة».

والفاكهةُ: كلُّ طعامٍ من ثمارٍ يتناولونَ للَّذَّةِ لا للغِذاءِ.

﴿وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾: دفعَ عنهم ربُّهم عذابَ النّارِ، ويُقالُ لهم:

(١٩) ـ ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا﴾: لا داءَ ولا غائلةَ فيه، ولا تنغيصَ للَذّاتِه، و﴿هَنِيٓـًٔا﴾ مصدرٌ؛ أي: هَنِئْتُم هنيئًا ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

***

(٢٠) ـ ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾.

﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ﴾: جمعُ سريرٍ ﴿مَّصْفُوفَةٍ﴾: موصولةٍ بعضُها ببعضٍ.

وقيل: موصولةٍ بالذَّهبِ والفِضَّةِ، والصَّفُّ: مدُّ الشَّيءِ على الولاءِ.

وقيل: تقديرُه: مُتَّكئين على نمارقَ مصفوفةٍ على سُررٍ، فحُذِفَ؛ لأنَّ الاتِّكاءَ يدلُّ على التُّكَأةِ[١].

﴿وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾: قرَنَّاهُم، والمعنى: جعلْنا ذُكرانَ أهلِ الجنَّةِ أزواجًا للحورِ العينِ، ومعنى الباءِ: أنَّهم صاروا بسببِهنَّ أزواجًا. وقيل: «زوَّجْتُ به» لغةٌ.

والحورُ: جمعُ حوراءَ، ولا يُقالُ للمُذكَّرِ: أحورُ[٢].

وذهبَ بعضُهم إلى أنَّ الحورَ: نِساءُ المؤمنين[٣] في الدُّنيا، وهذا خلافُ الآيةِ[٤]،

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٤٦)، واستغربه، وقال: «وهذا القول لا يستقيم على الظاهر، فإن جعل التقدير: على سرر مصفوفة عليها النمارق، صح»، والتكأة: ما يتكأ عليه.

(٢) كذا في (ف)، وفي (ن): «ولا يقال للمذكر: حور»، وقد ذكر مؤلفو المعاجم أنه يقال للمذكر: أحور، ويجمع على: حور. انظر: «المحكم» مادة: (ح و ر) (٣/ ٥٠٣)، و«لسان العرب» (٤/ ٢١٩).

(٣) في (ن): «النساء المؤمنات».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٤٧)، وعده من العجائب.

وإنْ قال: صِرْنَ في الحسنِ مثلَهُنَّ وفوقَهُنَّ؛ فهذا قريبٌ.

* * *

(٢١) - ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍۚ كُلُّ ٱمْرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ﴾ الذُّرِّيَّةُ يُستعملُ في الأولادِ والآباءِ(١)، والآيةُ تحتمِلُهما، وهي جمعٌ في المعنى، ومَن جمعَ(٢) فلأنَّها واحدةٌ في اللَّفظِ.

وقولُه: ﴿بِإِيمَٰنٍ﴾ حالٌ، فجازَ أن يكونَ حالًا منَ الفاعلِين، وجازَ أن يكونَ منَ المفعولِينَ، وجازَ أن يكونَ منهما جميعًا.

﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ والمعنى: إذا دخلَ الأبُ(٣) الجنَّةَ أُلحِقَتْ به ذُرِّيَّتُه حيثُ هو في الجنَّةِ وإنْ لـم يكُنْ للذُّرِّيةِ منَ العملِ ما يُسْتَحَقُّ [به] ذلك(٤)؛ تكرِمةً منَ الله للأبِ، وكذلك إذا دخلَ الابنُ الجنَّةَ أُلحِقَ به أبوه وأمُّه.

الضَّحَّاكُ: يُريدُ الضِّعافَ والأطفالَ الذين لـم يبلُغوا الإيمانَ يُلحَقُونَ بالآباءِ لإيمانِ الآباءِ(٥).

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٤٨)، واستغربه.

(٢) قرأ أبو عمرو: ﴿وأَتْبَعْناهم ذريَّاتِهم﴾ بقطع الألف وإسكان التَّاء والعين، ونونٍ وألف بعد النُّون، وكسرِ التاء من ﴿ذرياتِهم﴾ على الجمع، وابن عامر: ﴿واتَّبَعَتْهُم ذرِّياتُهم﴾ بالجمع أيضاً، والباقون: ﴿واتَّبَعَتْهُم ذرِّيتُهم﴾.

وقرأ نافع وابن عامر وأبو عمرو: ﴿بهم ذرِّياتِهم﴾ بالجمع وكسر التاء، والباقون بالتوحيد وفتح التاء. انظر: «التيسير» (ص: ٢٠٣).

(٣) في (ف): «الآباء».

(٤) في (ف): «يُستحق وذلك»، وفي (ن): «يستحق بذلك»، والصواب المثبت.

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ٢٩)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٨١) بلفظ: «من أدرك =

وقيل: أرادَ بالذُّرِّيةِ النِّساءَ؛ أي: يُرَدُّ إليهم نساءُ الدُّنيا مع الحورِ.

وذهبَ جماعةٌ منَ المُفسِّرين إلى أنَّ ثوابَ الذُّرِّيةِ على قَدْرِ عملِ الذُّرِّيةِ؛ لأنَّ الثَّوابَ على قَدْرِ الأعمالِ، لكنْ يجمعُ الله بينَهم في الجنَّةِ فتقرُّ عيونُ الآباءِ بالأبناءِ، والأبناءِ بالآباءِ.

والأوَّلُ قولُ الجمهورِ، وقد جاء مرفوعًا(1).

﴿وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖ﴾؛ أي: يلحقُ الثَّاني بالأوَّلِ من غيرِ أن ينقُصَ من عملِ الأوَّلِ شيءٌ، وعلى القولِ الثَّاني معناه: ما نقَصْنا أحدًا من أجرِ عملِه شيئًا.

= ذريتُه الإيمان، فعملوا بطاعتي، ألحقتهم بآبائهم في الجنة، وأولادهم الصغار أيضاً على ذلك».
وبهذا اللفظ رواه الطبري أيضاً من قول ابن عباس، لكن إسناده ضعيف جدًّا.

(1) روي عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً وموقوفاً:
فقد رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٠٠٩)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٧٩)، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٦٩٠)، والحاكم في «المستدرك» (٣٧٤٤)، والبيهقي في «الاعتقاد» (ص: ١٦٦)، وفي «السنن» (١٠/ ٢٦٨)، عن الثوري، عن عمرو بن مرة، عن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس قال: إن الله تبارك وتعالى لَيَرْفَعُ ذرِّيَّة المؤمن في درجته وإنْ كانوا دونَه في العمل ليُقِرَّ بهم عينَه. ثُم قرأ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖ﴾.
ورواه الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (١٠٧٥)، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٦٩٠)، من طريق محمد بن بِشْرٍ العَبْدِيِّ، عن سفيان الثوري، عن سَمَاعَةَ، عن عمرو بن مُرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ به.
قال النحاس: فصار الحديثُ مرفوعًا عن رسول الله ﷺ، وكذا يجب أن يكون؛ لأن ابن عباس لا يقولُ هذا إلا عن رسول الله ﷺ؛ لأنه إخبارٌ عن الله تعالى بما فعله وبمعنى آيةٍ أنزلها تعالى.
وقال الطحاوي: فنحن نحيطُ علمًا ـ لو لم نجد أحدًا من رواته رَفَعه إلى النبي ﷺ ـ أن ابن عباس لم يأخذه إلَّا عن النبي ﷺ إذ كان الذي فيه إخبارٌ عن الله عزَّ وجلَّ بمُراده في الآية المذكورة فيه، وذلك مما لا يؤخذ من غير النبي ﷺ.

وفيه خمسُ لغاتٍ: أَلَتَ يألِتُ، وعلى الضِّدِّ أَلِتَ يألَتُ، وألاتَ يُليتُ، ولاتَ يَلِيتُ، وحُكِيَ: وَلَتَ يَلِتُ، وقد سبقَ في (الحجرات).

فمَن قرأ ﴿أَلَتْنَـٰهُم﴾ فله ثلاثةُ أوجهٍ:

أحدُها: من ألَتَ.

والثّاني: من ألاتَ.

والثّالثُ: من وَلَتَ، قُلِبَتْ همزةً، وفيه ضعفٌ.

ومَن قرأ ﴿ألِتناهم﴾ بالكسرِ(١) فمن ألِتَ لا غيرُ.

وقُرِئَ في الشَّاذِّ: (لِتْناهُم) من لاتَ يَلِيتُ(٢).

وقرأ الأعمشُ: (ما لَتْناهُم) بفتحِ اللّامِ(٣)، وكلُّهم على أنَّ ذلك غيرُ جائزٍ، وله وجهانِ منَ القياسِ:

أحدُهما: أنَّه ليَّنَ الهمزةَ فقرُبَتْ منَ السّاكنِ، فحُذِفَ لالتقاءِ السّاكنَين.

والثّاني: أنَّه أُجرِيَ مُجرى (ليس)، تقولُ: لَسْتُ ولَسْنَ ولَسْنا.

﴿كُلُّ ٱمْرِيٍٕ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾؛ أي: لا يُظلَمُ أحدٌ فيما يُجزَى منَ الأعمالِ.

وقيل: هذا يعودُ إلى الكفّارِ.

والرَّهينُ: المرهونُ المأخوذُ المحبَّسِ على أمرٍ يُؤدَّى عنه.

وقيل: ﴿رَهِينٌ﴾ بمعنى: راهِنٌ، وهو المُقيمُ؛ أي: كلُّ إنسانٍ مُقيمٌ في جزاءِ ما قدَّمَ.

---

(١) هي قراءة ابن كثير. انظر: «السبعة» (ص: ٦١٢).

(٢) نسبت للحسن وابن كثير. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٤٦)، و«المحتسب» (٢/ ٢٩٠).

(٣) انظر: «الكامل في القراءات» (ص: ٤٠٢)، و«النشر» (٢/ ٣٧٧).

(٢٢) ـ ﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾.

﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ﴾؛ أي: ذلك دائمٌ لهم لا ينقطعُ ﴿مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾: يختارُونَ.

* * *

(٢٣) ـ ﴿يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾.

﴿يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا﴾: يتناولونَها ويأخذُ بعضُهم من بعضٍ بحرصٍ وشهوةٍ.

﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا﴾ اللَّغوُ: السَّاقطُ منَ الكلامِ، تقولُ: لَغا فلانٌ فهو لاغٍ، ولاغيةٌ للمُبالغةِ، ولا يُقالُ: لغَتِ الكلمةُ، ولا الكلمةُ لاغيةٌ، وقولُه: ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً﴾؛ أي: ناطقًا بسوءٍ، ويقالُ: لَغا الدِّيكُ؛ إذا صاحَ، قال:

قبلَ الصَّباحِ وقبلَ[1] لغوِ الدِّيكِ[2]

وقيل: ﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا﴾؛ أي: لا كذبٌ ولا باطلٌ.

﴿وَلَا تَأْثِيمٌ﴾: لا إثمَ في شُربِها كما في الدُّنيا.

وقيل: ﴿وَلَا تَأْثِيمٌ﴾: لا يُنسَبُ شاربُها إلى الإثمِ.

* * *

(٢٤) ـ ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾.

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾؛ أي: ﴿وَيَطُوفُ﴾ بالكأسِ والفاكهةِ

---

(١) في (ن): «إذا صاح قبل الصباح وقيل»، وفيه زيادة وتحريف. انظر التعليق الآتي.

(٢) نسب لثعلبة بني صُعير بن خُزاعيٍّ المازني كما في «المفضليات» (ص: ١٢٨)، و«الحيوان» (٢/ ٤٠٧)، و«المنجد» (ص: ٢٠٤) وفي هذه المصادر: «الطائر» بدل «الديك». وهو من قصيدة رائية ساقها بتمامها في «المفضليات»، وصدر البيت:

باكَرْتُهُمْ بِسِباءِ جَوْنٍ ذارعٍ

﴿غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ﴾ من بياضِهم وصفاءِ لونِهم ﴿لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾: مصونٌ مستورٌ عن الشَّمسِ والغُبارِ.

وقيل: هم أولادُهم الذين سبقُوهم أقرَّ الله بهم أعيُنَهم(١).

الحسنُ: أولادُ المشركين، ذُكورُهم غلمانُ أهلِ الجنَّةِ، وإناثُهم هن الحورُ(٢) العينِ، وأولادُ المؤمنينَ مع آبائِهم على هيئتِهم التي كانُوا عليها(٣).

* * *

(٢٥ ـ ٢٧) ـ ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٢٥) قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ (٢٦) فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾.

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾؛ أي: يسألُ بعضُهم بعضًا عن سببِ نَيلِهم الجنَّةَ.

﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾: مُوقنيـن بوعـدِه ووعيـدِه، خائفيـنَ مـن عصيانِـه.

وقالَ ابنُ جريرٍ: إنَّ هذا التَّساؤُلَ عند البعثِ منَ القبورِ(٤).

﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾: تفضَّلَ علينا بالمغفرةِ والرَّحمةِ، وقيل: بالهدايةِ في الدُّنيا والتَّوفيقِ.

﴿وَوَقَىٰنَا﴾: دفَعَ عنَّا ﴿عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ قيل: السَّمومُ: من أسماءِ جهنَّمَ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٤٨)، واستغربه.

(٢) في (ن): «وإناثهم حور».

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ٤٣٢)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٤٨)، وعده من العجائب.

(٤) انظر: «تفسير الطبري» (١٧/ ١١١).

وقيل: السَّمومُ: وَهْجُ النّارِ.

الضَّحَّاكُ: حرَّ السَّمومِ في الدُّنيا؛ أي: العذابَ فيها[١].

وقيل: السَّمومُ: شِدَّةُ البردِ أيضًا، قال:

اليومُ يومٌ باردٌ سمومُهُ   مَن جَزِعَ اليومَ فلا ألومُهُ[٢]

وفي البيتِ وجهٌ آخرُ: وهو أنَّ الباردَ بمعنى: الثَّابتِ[٣].

***

(٢٨) - ﴿ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴾.

﴿ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ﴾ أن يتفضَّلَ علينا بالمغفرةِ ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ﴾: البارُّ.

وقيل: ﴿ٱلْبَرُّ ﴾: الصّادقُ في وعدِه.

وقيل: اللَّطيفُ.

﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بالمؤمنينَ.

***

(٢٩) - ﴿ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴾.

﴿ فَذَكِّرْ ﴾؛ أي: بالقرآنِ ﴿فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ ﴾: برحمةِ ربِّك.

وقيل: برسالةِ ربِّك.

---

(١) لم أجده.

(٢) الرجز بلا نسبة في «الفاخر» (ص: ١٦)، و«جمهرة اللغة» (١/ ٢٩٤)، و«الأضداد» لابن الأنباري (ص: ٦٥)، و«الزاهر» له (١/ ١٩٧)، و«الصحاح» مادة: (ب ر د). والرواية في بعض المصادر: «مَن عَجزَ اليومَ...».

(٣) وبهذا المعنى ورد في المصادر السابقة.

﴿بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ كما زعَمُوا، والتَّقديرُ: ما أنت بكاهنٍ ولا مجنونٍ بنعمةِ ربِّك، وهو اعتراضٌ بين اسمِ (ما) وخبرِه.

وقيل: بين قولِـهم: (كاهنٍ) و (مجنونٍ) تضادٌّ كما سبقَ.

وقيل: سمَّوه مجنونًا على أنَّه يطلُبُ ما لا يليقُ به.

وقيل: سمَّوه مجنونًا لأنَّه كان عندَهم يقِفُ على أخبارِ السَّماءِ، وذلك عندهم بتعليمِ الجنِّ إيّاهم، وكذلك الشُّعراءُ عندَهم يقولونَ الشِّعرَ بمُعاونةِ الجنِّ إيَّاهم، وقالوا: لكلِّ شاعرٍ مُعينٌ منَ الجنِّ، فيكون معنى ﴿مَجْنُونٍ﴾: معه جنِّيٌّ، وعلى هـذا قولُه: ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ﴾[1] [الدخان: ١٤].

***

(٣٠) - ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾.

﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾: حوادِثَ الدَّهرِ.

والمَنونُ عندَ الأصمعيِّ: الدَّهرُ[2]، وعندَ غيرِه: الموتُ، وكلاهما يقطعُ العمرَ ويُنقِصُه.

ابنُ عيسى: ﴿رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾: عِلَلَ الموتِ.

وفي بعضِ التَّفاسيرِ: قال قائلونَ منَ المُجتمعينَ في دارِ النَّدوةِ: تربَّصُوا بمحمَّدٍ ـ ﷺ ـ الموتَ يكفِكُمُوه كما كفاكُم شاعرَ بني فلانٍ، وشاعرَ بني فلانٍ[3].

---

(١) في (ف): «وعلى هذا قالوا: ﴿مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ﴾».

(٢) ذكره ابن قتيبة في «غريب القرآن» (ص: ٤٢٦)، وابن الأنباري في «الأضداد» (ص: ١٥٧).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٩٣) عن قتادة.

الفرَّاءُ: تربَّصوا إلى ريبِ المَنونِ، فحُذِفَ الجارُّ[١].

وفي هذه الآياتِ إلزاماتٌ، وهي خمسةَ عشرَ، قبِلَتْه عقولُهم[٢] إنْ لـم يُكابِروا، و﴿أَمْ﴾ في هذه الآياتِ للاستفهامِ بمعنى: (بل) والألفِ، ومعنى أكثرِها الإنكارُ، ومعنى بعضِها الإثباتُ.

***

(٣١) ـ ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ﴾.

﴿قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ﴾ أمرُ تهديدٍ، والمعنى: ما يرجُونَه في محمَّدٍ لا يكونُ، وما ينتظرُه فيكم يقعُ عن قريبٍ.

الزَّجَّاجُ: كان أبو جهلٍ فيمَن قالوا: نتربَّصُ به، فأهلَكَهم الله جميعًا قبل رسولِ الله ﷺ[٣].

وقيل: الذي تهدَّدَهم به نالَهم يومَ بدرٍ.

وقيل: منسوخٌ بآيةِ القتالِ[٤].

***

(٣٢) ـ ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾.

﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَذَا﴾ الحِلْمُ: العقلُ.

---

(١) هذا قول الأخفش كما في «معاني القرآن» له (٢/ ٥٢٥)، و«البسيط» (٢٠/ ٥٠٢)، والذي في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٩٣): «﴿نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾: أوجاعَ الدَّهر، فيشغل عنكم ويتفرّقُ أصحابهُ، أو عُمْرَ آبائه، فإنَّا قد عرفنا أعمارَهم».

(٢) في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٤٩): «مقبولة في العقول»، وهو أوضح.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٦٥).

(٤) انظر: «الناسخ والمنسوخ» للمقري (ص: ١٦٩)، و«المصفى» لابن الجوزي (١/ ٥٤)، وقال: «ولا يصح».

وقيل: الحِلمُ أشرفُ منَ العقلِ، ويُوصَفُ الله تعالى بالحِلمِ، ولا يُوصَفُ بالعقلِ، وقد يُنفَى الحِلمُ عمَّن يُوصَفُ بالعقلِ.

وقيل: الحِلمُ: الإمهالُ الذي تدعو إليه الحكمةُ.

وفي بعضِ التَّفاسيرِ: كانت قُرَيشٌ تُدعَى في الجاهليّةِ: الحُلوم، ويصفُهم النّاسُ بالحلمِ؛ لأنَّ الله وصفَهم بالحلمِ وأثبتَه لهم.

﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾: مُجاوِزُونَ[1] الحدَّ في الكفرِ، والمعنى: لم تأمُرْهم عقولُهم لأنَّ في الطُّغيانِ مخالفةَ العقلِ.

* * *

(٣٣) ـ ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ﴾: يقولُه محمَّدٌ من تلقاءِ نفسِه.

﴿بَل﴾ ردٌّ عليهم؛ أي: ليس الأمرُ كما زعَمُوا ﴿لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ لعُتوِّهم وحسَدِهم.

* * *

(٣٤) ـ ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾.

﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾؛ أي: إنْ كنتُم صادِقين في أنَّ محمَّدًا يَقولُه[2] من تلقاءِ نفسِه[3] فليأتُوا بكلامٍ مثلِه، فإنَّه بلسانِهم، وهم فُصحاءُ زمانِهم.

* * *

(٣٥) ـ ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾.

﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾؛ أي: لغيرِ شيءٍ؛ عبَثًا لا يأمرُونَ ولا ينهَونَ.

---

(١) في (ف): «تجاوزوا».

(٢) في (ن): «تقوّله».

(٣) في (ن): «من نفسه».

﴿أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ للأشياءِ، فلهم الأمرُ والنَّهيُ؟

وقيل: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ﴾ أبٍ وأمٍّ، فهم جمادٌ[1] لا يعقلونَ الأمرَ والنَّهيَ، ﴿أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ فلا يأتمِرونَ؟

وقيل: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ﴾ خالقٍ ﴿أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ أنفُسَهم؟

***

(٣٦) ـ ﴿أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾.

﴿أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ هو عطفٌ على قولِه: ﴿أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾، والمعنى: أخلَقوا أنفسَهم أم خلَقوا السَّماواتِ والأرضَ؟ ﴿بَل﴾؛ أي: لم يخلُقوا شيئًا منها ﴿لَّا يُوقِنُونَ﴾؛ أي: لا يتدبَّرون في الآياتِ، فيعلَمُوا خالقَهم وخالقَ السَّماواتِ والأرضِ وسائرِ المخلوقاتِ.

وقيل: ﴿بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ وعدَ الله، فهانَتْ عليهم المعاصي.

***

(٣٧) ـ ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾.

﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ﴾ قيل: خزائنُ العلمِ، فيعلموا أنْ لا بعثَ ولا حسابَ.

وقيل: خزائنُ الرِّزقِ، فلا يحتاجونَ إلى مَن يرزُقهم.

﴿أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾ المُسيطرُ: الجبّارُ المُسلَّطُ، تقولُ: تَسَيْطرَ؛ إذا تغلَّبَ على الشَّيءِ.

ابنُ عيسى: هو مُجري السَّطرِ على غيرِه بما يلزمُه قهرًا[2].

---

(١) في (ف): «جهال».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٤٩) بلفظ «مجري السيطرة»، ولعله الصواب.

وقيل: هم الأربابُ.

ابنُ بحر: هم الملائكةُ؛ أي: يكتُبونَ لأنفُسِهم ما يُريدونَ[١].

***

(٣٨) ـ ﴿ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾.

﴿ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ ﴾: مُرتَقًى، وقيل: ما يُتوصَّلُ به إلى عوالي الأشياءِ.

﴿يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾؛ أي: عليه، وقيل: في السَّماءِ.

والمعنى: ليس لـهم كتابٌ، فهل لهم سُلَّمٌ هو سببٌ إلى بلوغِ السَّماءِ واستماعِ ما يدَّعونَ أنَّه حقٌّ؟

الزَّجَّاجُ: ألَـهُم كجبريلَ عليه السَّلامُ الذي يأتي النَّبيَّ عليه السَّلامُ بالوحيِ ويُنبِئُ عن الله ما كانَ وما يكونُ[٢]؟

وقيل: إنِ ادَّعَوا أنَّهم يستمِعُونَ منَ الملائكةِ ما يستَغنُونَ به عن الأنبياءِ عليهم السَّلامُ ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾: بحُجَّةٍ ظاهرةٍ على صدقِ دَعواهُم.

وقيل: معناه: أم يستَمِعُونَ الوحيَ منَ السَّماءِ فقد وثِقُوا بما هم عليه ورَدُّوا ما سواه؟

***

(٣٩) ـ ﴿ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴾.

﴿ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴾ فيه تسفيهٌ لأحلامِهم حيثُ اختارُوا لله ما يأنَفُونَ هم عنه.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٤٩)، واستغربه.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٦٧).

(٤٠) ـ ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾.

﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا﴾: جُعْلًا على تبليغِ الرِّسالةِ ﴿فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ﴾: من أداءِ ذلك ﴿مُّثْقَلُونَ﴾ المَغرمُ: إلزامُ الغُرْمِ، والغُرْمُ: المُطالبةُ بإلحاحٍ.

* * *

(٤١) ـ ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾.

﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: الغيبُ: اللَّوحُ المحفوظُ، فهم يكتُبونَ منه ويُخبِرونَ النَّاسَ(١).

وقيل: يعلمُونَ متى يموتُ محمَّدٌ عليه السَّلامُ(٢).

ويحتمِلُ: أم عندَهم الوحيُ فهم يكتُبون ما يُوحَى إليهم؟

* * *

(٤٢) ـ ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ﴾.

﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾: سوءًا بك ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ﴾ يُريدُ: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر: ٤٣] فكانوا هم المكيدين(٣) ببدرٍ.

وقيل: معناه: أم يظُنُّونَ أنَّهم يُخفونَ علينا سرائرَهم؟

* * *

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ٥٢)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٤٩)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٤٩)، وعده من العجائب.

(٣) في (ف): «هم المكيدون»، و«هم» ليست في (ن).

(٤٣) - ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ يمنعُهم من عذابِ الله ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

* * *

(٤٤) - ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾.

﴿وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾؛ أي: لو أُجيبَتْ دعوتُهم فيما اقترَحُوا بقولِـهم: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ لَمَا آمَنُوا، بل قالوا: هذا سحابٌ مُتَراكِمٌ[١] بعضُها[٢] على بعضٍ.

* * *

(٤٥) - ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾.

﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يَصعَقُون﴾ أي: لا ينفعُ إنذارُ هؤلاءِ، فذَرْهُم حتَّى يُلاقوا يومَ القيامةِ.

وقيل: يومَ الموتِ.

وقيل: عندَ النَّفخةِ الأولى.

وقُـرِئَ: ﴿يُصْعَقُونَ﴾[٣] صَعِـقَ وصُعِـقَ جائزانِ كسَـعِدَ وسُـعِدَ، وقيـل: هو مَن أصعقَـه الله؛ أي: أماتَه.

وقيل: ﴿يُصْعَقُونَ﴾: يُهلَكُونَ بصاعقةٍ.

* * *

---

(١) في (ف): «تراكم».

(٢) كذا في النسختين، والجادة: «بعضه».

(٣) قراءة عاصمٍ وابنِ عامرٍ، والباقون بالأولى. انظر: «السبعة» (ص: ٦١٣)، و«التيسير» (ص: ٢٠٤).

(٤٦) ـ ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾.

﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾؛ أي: لا يدفعُ مكرُهم عذابَ الله عنهم ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾: يُمنَعونَ من عذابِ الله.

* * *

(٤٧) ـ ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ يُريدُ: عذابَ القبرِ، وهذا قولُ جمهورِ المُفسِّرين(١).

وقيل: عذابَ الجوعِ الذي ابتُلوا به.

وقيل: مصائبَ الدُّنيا.

وقيل: ما أصابَهم يومَ بدرٍ.

وقيل: ﴿دُونَ ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى الصَّعقِ(٢).

وقيل: (الذين ظَلَموا) هم أصحابُ الصَّغائرِ، وقيل: أصحابُ الحدودِ؛ فإنَّ الحدودَ تُخفِّفُ عنهم العذابَ(٣).

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنَّه يأتيهم ذلك.

* * *

(٤٨) ـ ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾.

﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾: لبلائِه فيما ابتلاكَ به من قومِكَ.

---

(١) في (ف): «قول الجمهور».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٤٩)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٥٠)، وعده من العجائب.

وقيل: ﴿لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾: لقضائِه فيما حمَّلَكَ من رسالتِه.

وقيل: لِـمَا حكَمَ من تأخيرِ عذابِهم.

﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾: بمرأًى منَّا.

وقيل: بعِلْمِنا.

وقيل: بحِراستِنا وحفظِنا.

والكلُّ واحدٌ، والمعنى: إنَّك مُراعًى محفوظٌ محروسٌ لا يصِلُونَ إليك بمكروهٍ.

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾: صلِّ ﴿حِينَ تَقُومُ﴾ منَ النَّومِ؛ يعني: صلاةَ الصُّبحِ.

وقيل: ﴿حِينَ تَقُومُ﴾ منَ القيلولةِ، فتكونُ صلاةَ الظُّهرِ.

وقيل: ﴿حِينَ تَقُومُ﴾ إلى الصَّلاةِ، فيكونُ التَّسبيحُ: «سبحانَكَ اللَّهمَّ وبحمدِك...» إلى آخرِه.

وقيل: هو: «الله أكبرُ كبيرًا، والحمدُ لله كثيرًا، وسُبحانَ الله بُكرةً وأصيلًا».

وقيل: هو: «سُبحانَ ربِّي العظيم» في الرُّكوعِ، و«سُبحانَ ربِّيَ الأعلى» في السُّجودِ.

وقيل: فسبِّحْ حينَ تقومُ من مجلسِكَ، رَوى أبو هريرةَ رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قالَ: «مَن جلسَ في مجلسٍ كثُرَ فيه لغَطُه فقالَ حينَ قامَ: سُبحانَكَ اللَّهمَّ وبحمدِكَ، لا إلهَ إلا أنتَ، أستغفِرُكَ وأتوبُ إليك، غفرَ الله له ما كانَ في مجلسِه ذلك»[1].

***

(١) رواه الترمذي (٣٤٣٣)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه».

(٤٩) ـ ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾.

﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ﴾ يُريدُ: صلاةَ اللَّيلِ.

وقيل: صلاتَي المغربِ والعشاءِ الآخرةِ.

وقيل: هو التَّسبيحُ باللِّسانِ[١] إذا انتبَهَ من نَومِه.

﴿وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾: هو استِتارَتُها عنِ العيونِ.

والجمهورُ على أنَّه رَكعتا الفجرِ، وجاء مرفوعًا: «أنَّهما خيرٌ منَ الدُّنيا جميعًا»[٢].

وقيل: هما صلاةُ فرضِ الصُّبحِ.

واستدلَّ بعضُهم بهذا على أنَّ الإسفارَ بصلاةِ الصُّبحِ أفضلُ، وكذلك قراءةُ مَن قرأ ﴿وَأَدۡبَٰرَ﴾ بالفتحِ، وهو عن يعقوبَ[٣]؛ لأنَّ النُّجومَ لا أدبارَ لها ولا إدبارَ، وإنَّما ذلك بالاستتارةِ عن العيونِ[٤]. والله أعلَمُ.

* * *

---

(١) في (ف): «بالليل».

(٢) رواه مسلم (٧٢٥) عن عائشة رضي الله عنها بلفظ: «ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها».

(٣) اتفق العشرة في المشهور عنهم على ﴿وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ بالكسر، وقرأ زيد عن يعقوب بالفتح. انظر: «المبسوط» (ص: ٤١٧)، و«النشر» (٢/ ٣٧٦). ونسبت القراءة بالفتح إلى الأعمش. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ١٤٧).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٥٠)، واستغربه.

سُورَةُ النَّجۡمِ

سُورَةُ النَّجْمِ

اثنتانِ وستُّونَ آيةً، مكِّيَّةٌ[1].

ابنُ عبَّاسٍ وقتادةُ: مكِّيَّةٌ إلا آيةً، وهي: ﴿ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ﴾؛ فإنَّها مدنيَّةٌ[2].

وعن ابنِ مسعودٍ رضي الله عنهما: أنَّها أوَّلُ سورةٍ أعلنَها رسولُ الله ﷺ بمكَّةَ[3].

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) - ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ﴾.

﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ الظَّاهرُ في الآيةِ أنَّ الألفَ واللَّامَ للجنسِ، والمُرادُ به النُّجومُ كلُّها، وهُوِيُّها: سقوطُها وانتشارُها يومَ القيامةِ.

وقيل: هُوِيُّها: غروبُها.

وقيل: هُوِيُّها: أنَّها لا تَفْتُرُ طالعةً وغاربةً.

وقيل: هُوِيُّها: انقضاضُها رُجومًا للشَّياطين.

وقال بعضُهم: هُوِيُّها: طلوعها.

---

(١) في (ف): «سورة والنجم مكية».

(٢) ذكره الجرجاني في «درج الدرر» (٤/ ١٥٧٣)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٨٩)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ١٨٣).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ٦٥).

lbab tafaseer part 9.job

وحكى الأزهريُّ: هَوَى: إذا سقَطَ وغربَ هَوِيًّا بالفتحِ، وهَوَى: إذا علا وصعدَ هُوِيًّا بالضَّمِّ، وأنشدَ:

والدَّلْـوُ في إصْعادِهـا عَجْلَـى الهُوِيِّ[1]

وذهبَ بعضُهم[2] إلى أنَّه الثُّريَّا، والعربُ تُسمِّي الثُّريَّا: «النَّجمَ» مُطلَقًا، وهي سبعةٌ: ستَّةٌ منها ظاهرةٌ وواحدٌ خفيٌّ يُجرَّبُ بها البصرُ، قال ساجعُ العربِ:

إذا طلَـعَ النَّجْـمُ عِشَـاءً

ابتَغَـى الرّاعـي كسَـاءً

إذا طلَـعَ النَّجْـمُ غُدَيَّـةً

طلَـبَ الرّاعـي شُـكَيَّةً[3]

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري مادة: (هـ و ي) (٦/ ٢٥٩)، وورد الرجز أيضاً في «غريب الحديث» للخطابي (١/ ٤١٧)، و«البسيط» للواحدي (٢١/ ٨)، وذكر القول المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٥١)، واستغربه.

(٢) في (ف): «جماعة».

(٣) انظر: «الأزمنة والأمكنة» للمرزوقي (ص: ١٣٥)، و«تفسير الثعلبي» (٢٥/ ٦٨)، و«المخصص» لابن سيده (٢/ ٣٦٩)، و«الكشاف» (٤/ ٤١٦)، و«التذكرة الحمدونية» (٧/ ٣٥٨).

وهو من مجزوء الرمل كما ذكر الجاربردي في «الحاشية على الكشاف» (ج٢/ و١٨٠أ) ثم قال: «وزاد فيه الشاعر «إذا» بالخزم، والخزم زيادة في أول البيت لا يعتد به في التقطيع».

وقد ورد في كثير من المصادر دون «إذا». انظر: «المعاني الكبير» (١/ ٣٧٥)، و«نثر الدر في المحاضرات» للآبي (٦/ ٢٩ و١٨١)، و«الأزمنة والأمكنة» للمرزوقي (ص: ٣٩٦)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ١٩٦).

قال الآبي: «طلع النَّجْم عشَاء، ابْتغى الرَّاعِي كسَاء» يُرِيدُونَ طُلُوع الثريا بالعشيات وذلك عند اشتداد البرد، و«طلع النَّجْم غديَّة، ابْتغى الرَّاعِي شكية» يريدون: شكوة يحمل فيها الماء لشدَّة الحر.

تصغيرُ «شِكْوة»، وهي رِكْوةٌ[١].

﴿إِذَا هَوَىٰ﴾: غابَ مع الصُّبحِ.

وقيل: هَوى: ارتفَعَ وطلَعَ.

ورُوِيَ عن النَّبيِّ عليه السَّلامُ أنَّه قالَ: «إذا طلعَ النَّجمُ ارتفَعَتِ العاهاتُ»[٢].

السُّدِّيُّ: هو الزُّهَرةُ[٣].

وعن عليٍّ رضي الله عنه: أنَّه زُحَلُ[٤].

وعن جماعةٍ: أنَّه نجومُ القرآنِ؛ لأنَّ القرآنَ نزَلَ نَجْمًا نَجْمًا في عشرينَ سنةً، ومعنى ﴿هَوَىٰ﴾: نزلَ.

وقيل: النَّجمُّ: محمَّدٌ ﷺ، سمَّاه نَجْمًا كما سمَّاه سِراجًا، ﴿إِذَا هَوَىٰ﴾ نزَلَ منَ السَّماءِ ليلةَ المعراجِ، وعلى التَّأويلِ الآخرِ: عرَجَ إلى السَّماءِ وصعدَ[٥].

وقيل: النَّجمُ: النَّباتُ، ﴿إِذَا هَوَىٰ﴾: سقطَ على الأرضِ، فإنَّ النَّجمَ ليس له ساقٌ، وعلى التَّأويلِ الآخرِ: طالَ ونَما[٦].

---

(١) «تصغير شكوة وهي ركوة»: ليس في (ف)، وهي مستدركة في هامش (ن) مع علامة التصحيح.

(٢) رواه أبو يوسف في «الآثار» (٩١٧)، والإمام أحمد في «المسند» (٨٤٩٥)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (٢٢٨٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «إذا طلع النجم ذا صباح، رفعت العاهة».

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٨٩)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ١٨٣).

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٨٩)، والسمعاني في «تفسيره» (٦/ ٢٠٢)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٤٢٩).

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٥٢)، واستغربه.

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٥٢)، وعده من العجائب.

ويحتمِلُ منَ التَّأويلِ: المُصلِّي إذا سجدَ، والغازي إذا قُتِلَ[١]، والعالِـمُ إذا ماتَ؛ فإنَّ هؤلاءِ نجومُ الأرضِ، والأخبارُ ناطقةٌ بها[٢].

وقيل: تقديرُه: وربِّ النَّجمِ.

وهو قسمٌ بالإجماعِ، وما ذكرَه الماورديُّ: أنَّه رجومٌ للشَّياطينِ، وأنَّه على هذا التأويلِ خبرٌ وليس بقسَمٍ؛ فسهوٌ منه[٣].

وجاءَ في الأخبارِ: أنَّه لـمَّا نزَلَ: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ قال عُتبةُ بنُ أبي لهبٍ: كفَرْتُ بربِّ النَّجمِ إذا هوى، وطلَّقَ ابنةَ النَّبيِّ ﷺ، فدَعا عليه رسولُ الله فقالَ: «اللَّهمَّ سلِّطْ عليه كلبًا من كلابِكَ»، فخرجَ في تجارةٍ إلى الشَّامِ، فقال أبو لهبٍ: احفَظوه فإنِّي أخافُ عليه دعوةَ محمَّدٍ، فنزلوا منزلًا، فأشرفَ عليهم راهبٌ من ديرٍ، وقال: هذه الأرضُ مُسبِعةٌ، فقال أبو لهبٍ لأصحابِه: أعينُونا هذه اللَّيلةَ، فجَمَعوا أحمالَـهم وفرَشُوا لعُتبةَ في أعلاها، وناموا حولَه، فجاء أسدٌ، فضَرَبَ الله على أَصْمِخَتِهم[٤]، ثمَّ ثَنَى ذَنَبَه فوَثَبَ، وضرَبَ عُتبةَ بيدِه ضربةً كسَرَتْ صُلْبَه، ولـم يأكُلْ منه[٥].

---

(١) في (ف) زيادة: «شهيدًا».

(٢) وهذا الوجه للمصنف كما يظهر من كلامه في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٥٢)، وعده من العجائب.

(٣) انظر: «النكت والعيون» (٥/ ٣٩٠)، وعده المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٥٢) من العجائب. ولفظه: «العجيب: ذكر الماوردي أن النجم إذا حمل على رجوم الشياطين يكون خبراً لا قسماً، وهذا منه سهو».

(٤) جمع صِماخ الأذن، وهو المِسمع أيضاً. انظر: «الدلائل في غريب الحديث» للسرقسطي (٢/ ٦٣٢).

(٥) ذكره مقاتل في «تفسيره» (٤/ ٩١٥)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٦) عن قتادة، ورواه الحاكم في «المستدرك» (٣٩٨٤) وصححه، والبيهقي في «الدلائل» (٢/ ٢١١)، من طريق أبي نوفل بن أبي عقرب عن أبيه. وأبو عقرب اسمه: مسلم بن عمرو كما في «أسد الغابة» (٥/ ١٨١)، ووقع في حديثه: «لهب بن أبي لهب»، فتعقب ذلك ابن الأثير بقوله: «كذا قال، والقصة لعتيبة بن أبي لهب، ذكر ذلك ابن إسحاق وابن الكلبي والزبير وغيرهم».

(٢) ـ ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾.

﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ ﴾ جوابُ القسمِ، وهو محمَّدٌ رسول الله ﷺ أفضلُ صاحبٍ وأكرمُه وأجلُّه وأعظمُه، صلَّى الله عليه صلاةً لا ينقطعُ أمَدُها، ولا يُحصَى عدَدُها، وذلك أنَّ قُريشًا قالوا: ضلَّ محمَّدٌ عن دينِ آبائِه وغوَى، ثمَّ تقوَّلَ على الله وافترى، فأنزَلَ الله: ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾؛ أي: ما ضلَّ بل اهتَدَى، وما غوَى بل رشدَ.

وقيل: معنى ﴿ما غَوَى﴾: ما خابَ سعيُه.

* * *

(٣) ـ ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾.

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾؛ أي: لم يأتِكُم بالقرآنِ من تلقاءِ نفسِه وبهواه ومُرادِه، و﴿عَنِ﴾ بمعنى: الباءِ، وقد يتعاقَبانِ كقولِه: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾ [الفرقان: ٥٩]؛ أي: عنه.

والهوى: ميلُ القلبِ إلى خلافِ الصَّوابِ.

* * *

(٤) ـ ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾.

﴿إِنْ هُوَ ﴾: ما القرآنُ، وقيل: ما الذي ينطقُ به.

﴿إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾: يُوحيه الله إليه.

وقيل: يُوحيه جبريلُ.

* * *

(٥) ـ ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴾.

﴿ عَلَّمَهُۥ ﴾ علَّمَ محمَّدًا عليه السَّلامُ ﴿شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴾: هو جبريلُ عليه السَّلامُ عند الجمهورِ.

والقُوَى: جمعُ القُوَّةِ، وهي في الأصلِ: الطَّاقةُ منَ الحبلِ تُضَمُّ إلى أُخرى. وجبريلُ عليه السَّلامُ منِ بين الملائكةِ موصوفٌ بالقوّةِ.

* * *

(٦) ـ ﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ﴾.

﴿ذُو مِرَّةٍ﴾: قوَّةٍ، وأصلُها: إمرارُ الفتلِ حتَّى يستحكِمَ.

وقيل: المِرَّةُ: صِحَّةُ الجسمِ والسَّلامةُ منَ الآفاتِ.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: ذو منظرٍ حسَنٍ[1].

ابنُ الأنباري: ذو عقلٍ[2].

وقيل: ﴿شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ إخبارٌ عن قُوَّتِه في أمرِ الله سبحانَه ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ إخبارٌ عن قوَّةِ جسمِه.

وقيل: ﴿مِرَّةٍ﴾: فِعْلةٍ منَ المرورِ؛ أي: ذو مرورٍ في الجوِّ في صُعودِه وانحِدارِه[3].

﴿فَاسْتَوَىٰ﴾ قيل: معناه: استَوْلى بفَرْطِ قُوَّتِه على ما جُعِلَ إليه منَ الأمرِ[4].

وقيل: ﴿فَاسْتَوَىٰ﴾ على صورتِه التي خلقَه الله عليها.

وقيل: ﴿استَوَى﴾: اعتدَلَ واقفًا بعد أن كانَ مُسرِعًا.

* * *

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ١٠)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ٧٩).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٩٢).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٥٢)، واستغربه.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٥٢)، واستغربه.

(٧) ـ ﴿ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴾.

﴿ وَهُوَ ﴾ جبريلُ عليه السَّلامُ ﴿بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ قيل: قَبْلَ[1] مطلعِ الشَّمسِ.

وقيل: ناحيةً منَ السَّماءِ.

***

(٨) ـ ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴾.

﴿ ثُمَّ دَنَا ﴾ جبريلُ من محمَّدٍ عليهما السَّلامُ ﴿فَتَدَلَّىٰ﴾: زادَ في القُربِ.

وقيل: ثمَّ تدلَّى منَ الأُفقِ الأعلى فدَنا من محمَّدٍ عليه السَّلامُ، والتَّدلِّي: الامتدادُ إلى جهةِ السُّفلِ.

وقيل: هو التَّعلُّقُ فيما بينَ عُلوٍ وسُفلٍ.

وقيل: هو منَ الدَّلوِ؛ أي: نزلَ قليلًا قليلًا واسترسَلَ من عُلوٍ إلى سُفلٍ.

وقيل: ﴿ ثُمَّ دَنَا ﴾ جبريلُ من محمَّدٍ عليهما السَّلامُ ﴿فَتَدَلَّىٰ﴾: نكَسَ رأسَه إليه[2].

وقيل: دَنا جبريلُ عليه السَّلامُ من محلِّ القُربةِ.

وقيل: التَّدلِّي منَ الدَّلالِ، قُلِبت لامُه ياءً[3].

***

(٩) ـ ﴿فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ﴾.

﴿فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ ﴾ الضَّميرُ في (كانَ) يعودُ إلى جبريلَ عليه السَّلامُ.

و﴿قَابَ قَوۡسَيۡنِ ﴾ نصبٌ على الظَّرفِ؛ كما تقولُ: هو منِّي مَعقِدَ الإزارِ ومَناطَ الثُّريّا.

---

(١) «قبل» ليست في (ن).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٥٤)، وعده من العجائب.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٥٣)، واستغربه.

وقيل: الضَّميرُ في (كان) للمسافةِ؛ أي: كانت المسافةُ بينهما قابَ قوسينِ، فيكونُ نصبًا على الظَّرفِ أو بـ(كانَ)[١].

واختلَفُوا في (قابَ):

قال المُبرِّدُ: القابُ والقِيدُ والقِدَى والقَدْرُ واحـدٌ، والقَوسانِ: هما قَوسانِ عربيَّتانِ، وكانوا يذرَعونَ الأشياءِ ويُقدِّرون بقِسِيِّهم.

وقال مجاهدٌ: كان منه حيثُ الوَتَرُ من كبدِ القوسِ[٢].

وقيل: من مَقْبِضِها إلى طرَفِها.

وذهبَ قومٌ منَ المُفسِّرين إلى أنَّ القوسَينِ الذِّراعانِ، ويحتمِلُ على هذا التَّأويلِ أن يُجعَلَ ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ عبارةً عن المُعانَقةِ؛ لأنَّ المُعانقةَ تقعُ بعينِ الذِّراعَينِ، والمعنى: دَنا جبريلُ من مُحمَّدٍ عليهما السَّلامُ فتعانَقا، ويكونُ قولُه: ﴿أَوْ أَدْنَىٰ﴾ عبارةً عن مُجاوزةِ إحدى اليدَينِ الأُخرَى[٣].

وذُكر أيضًا أنَّ القوسَين عبارةٌ عن الشِّبرَينِ.

وقولُه: ﴿أَوْ أَدْنَىٰ﴾ قيل: بل أدنى. وقيل: وأدنى. وهو عند النُّحاةِ: الإبهامُ على المُخاطَبين؛ أي: لو رأى واحدٌ منكم ذلك لقالَ: قابَ قوسَينِ أو أدنى.

وأفادَ ﴿أَوْ﴾ تحقيقَ الخبرِ عن القُربِ.

***

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٥٤)، واستغربه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ١٥) بلفظ: «حيث الوتر من القوس»، وهكذا ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ٨٨)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٩٣).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٥٤)، واستغربه.

(١٠) ـ ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾.

﴿فَأَوْحَىٰٓ﴾ جبريلُ عليه السَّلامُ ﴿إِلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ محمَّدٍ عليه السَّلامُ، والهاءُ يعودُ إلى الله تعالى لا غيرُ، وإنْ لـم يتقدَّمْ ذكرُ الله تعالى صريحًا، فقد تقدَّمَ ضِمْنًا.

﴿مَآ أَوْحَىٰ﴾ جبريلُ عليه السَّلامُ. وقيل: ﴿مَآ أَوْحَىٰ﴾ اللهُ إلى جبريلَ.

وأبهمَ ﴿مَآ أَوْحَىٰ﴾ تعظيمًا لشأنِ ذلك.

وقيل: أوحى اللهُ إليه: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ﴾ [الضحى: ٦] إلى آخرِ السُّورةِ.

وقيل: أوحَى إليه: أنَّ الجنَّةَ مُحرَّمةٌ على الأنبياءِ حتَّى تدخُلَها أنتَ، وعلى الأممِ حتَّى تدخُلَها أمَّتُكَ.

وذهـبَ بعـضُ المُفسِّـرين فـي هـذه الآيـاتِ إلـى تأويلِ آخـرَ فقالُـوا: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ﴾ هـو الله عـزَّ وجـلَّ، وهـذا كقولـه: ﴿هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريـات: ٥٨].

وزادَ بعـضُـهـم فقـالَ: ﴿فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ مـن فِعْلِ الله، كقولِه: ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقال: والأفقُ الأعلى فوقَ السَّماواتِ السَّبعِ؛ يعني: العرشَ ﴿ثُمَّ دَنَا﴾ من محمَّدٍ عليه السَّلامُ، ﴿فَتَدَلَّىٰ﴾ و﴿كانَ قابَ قوسَين أو أدنى﴾ عبارةٌ عن قُربِ المنزلةِ والمكانةِ لا عن المنزلِ والمكانِ، وعلى الوجهِ الذي ذكرتُ عبارةٌ عن قربٍ ليس وراءَه قُربٌ، تعالى الله عن المنزلِ والمكانِ والاجتماعِ والافتراقِ، ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ محمَّدٍ عليه السَّلامُ ﴿مَآ أَوْحَىٰ﴾ وتكلَّمَ معه ما تكلَّمَ، وأمرَه ما أمرَ.

وذهبَ بعضُهم في الآيةِ إلى تأويلٍ آخرَ فقالَ: ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ محمَّدٌ عليه السَّلامُ ﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾: قامَ ما به جنونٌ، وكانَ صَعِقَ لـمَّا رأى جبريلَ في صورتِه ﴿وَهُوَ﴾ أي:

محمَّدٌ ﴿بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا﴾ محمَّدٌ ﴿فَتَدَلَّىٰ﴾ إلى[1] العرشِ ومحلِّ القربةِ ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ﴾ الله إلى محمَّدٍ ﷺ ﴿مَآ أَوْحَىٰ﴾.

وذهبَ الفرَّاءُ في قولِه: ﴿فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾؛ أي: فاستوَى جبريلُ ومحمَّدٌ عليهما السَّلامُ؛ أي: صارَ كلُّ واحدٍ مُساوِيًا للآخرِ، فعطفَ على ضميرِ المرفوعِ المُتَّصلِ من غيرِ حائلٍ[2]، وهذا غيرُ جائزٍ عند البصريِّين، وقد جاء في الشِّعرِ. والله أعلمُ.

***

(١١) ـ ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾.

﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾:

قيلَ: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ الفؤادُ.

وقيل: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ محمَّدٌ عليه السَّلامُ بعينِه.

وذكرَ الثَّعلبيُّ: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ القلبُ، قال: والفؤادُ: وعاءُ القلبِ[3]. وفي هذا القولِ بُعدٌ.

ثمَّ اختلفُوا في المرئيِّ؛ فذهبَ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه في جماعةٍ إلى أنَّه

---

(١) في (ف): «من».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٩٥)، وفيه: «استوى هو وجبريل بالأفق الأعلى لما أسري به، وهو مطلع الشمس الأعلى، فأضمر الاسم في استوى، ورد عليه هو، وأكثر كلام العرب أن يقولوا: استوى هو وأبوه، ولا يكادون يقولون: استوى وأبوه، وهو جائز؛ لأن في الفعل مضمرًا».

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢٥/ ٩٣).

جبريلُ عليه السَّلامُ، رآه على صورتِه التي خلقَه الله عليها(١)، وإلى هذا ذهبَتْ عائشةُ رضي الله عنها(٢).

وذهبَ ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما في جماعةٍ إلى أنَّه الرَّبُّ سُبحانَه، رآه بعينِ رأسِه(٣).

وذهبَ جماعةٌ إلى أنَّه رآه بقلبِه(٤).

وجاء مرفوعًا أنَّه سُئِلَ ﷺ: هل رأيتَ ربَّكَ؟ فقالَ: «رأيتُه بفُؤادي ولـم أرَه بعينيَّ»(٥).

ورَوَى أبو العاليةِ فقال: سُئِلَ عليه السَّلامُ: هل رأيتَ ربَّكَ؟ فقال: «رأيتُ نهرًا، ورأيتُ وراءَ النَّهرِ حجابًا، ورأيتُ وراءَ الحجابِ نورًا، لـم أرَ غيرَ ذلك»(٦).

---

(١) روى البخاري (٣٢٣٢)، ومسلم (١٧٤) عن أبي إسحاق الشيباني، قال: سألت زر بن حبيش عن قول الله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ١٠] قال: حدثنا ابن مسعود: «أنه رأى جبريل، له ستمائة جناح».

(٢) روى البخاري (٣٢٣٤)، ومسلم (١٧٧) عن عائشة رضي الله عنها قالت: «من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم، ولكن قد رأى جبريل في صورته، وخلقُه سادٌّ ما بين الأفق».

(٣) رواه الترمذي (٣٢٧٩)، وقال: «حسن غريب»، ولفظه: عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: «رأى محمد ربه»، قلت: أليس الله يقول: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الأنعام: ١٠٣]؟ قال: «ويحك، ذاك إذا تجلى بنوره الذي هو نوره، وقد رأى محمد ربه مرتين».

(٤) روى مسلم (١٧٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ [النجم: ١١] ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٣]، قال: «رآه بفؤاده مرتين».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ١٩)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ٩٨) عن محمد بن كعب القرظي، عن بعض أصحاب النبي ﷺ. وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦٤٨) إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٦) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣١٩) عن أبي العالية مرسلاً، قال ابن كثير في «تفسيره» =

وعن الحسنِ: أنَّه رآه في المنامِ، وأنَّه لـم يُعرجْ بجسمِه إلى السَّماءِ، وإنَّما عُرِجَ بروحِه وجسمُه نائمٌ بمكّةَ(١).

ويحتمِلُ أنَّ مـا رأى هـو الذي فسَّرَه الله عزَّ وجلَّ فقالَ: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٨]، ولهذا قالَ: ﴿مَا رَأَىٰٓ﴾، ولـم يقُلْ: مَن رأى. والله أعلمُ.

قُـرِئَ: ﴿كَذَبَ﴾ بالتَّخفيـفِ والتَّشـديدِ(٢)، فمَـن خفَّـفَ فتقديـرُه: مـا كـذَبَ الفـؤاد(٣) محمَّـداً ﷺ حديـثَ مـا رأى، فحُـذِفَ المُضـافُ؛ لأنَّ (كـذَبَ) يتعدَّى إلى مفعولَيـن، ومِن شـرطِ المفعولِ الثّاني أن يكونَ مسـموعًا، وفي الآيـةِ مرئيٌّ، والوجهُ إضمـارُ الحديثِ.

وقيل: ما كذَبَ الفؤادُ فيما رأى، فلا بدَّ من إضمارِ الحديثِ أيضًا.

ومَن شدَّدَ فالمعنى: حقَّقَ الرُّؤيةَ ولـم يجعَلْها شُبهةً وتخيُّلًا.

وقيل: ما كذَّبَ الفُؤادُ فيما ما(٤) أدَّاه إليه جبريلُ عليه السَّلامُ، بل رآه صِدْقًا غيرَ كذبٍ ولا ظنٍّ.

***

= (٧/ ٤٥٠): «غريب جدًّا».

(١) ذكره المصنف فـي «غرائـب التفسـير» (٢/ ١١٥٤)، وعده مـن العجائب، وذكـر الماتريدي في «تأويـلات أهـل السـنة» (١٠/ ٤٣٧) عـن الحسـن قـال: «﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ [التكوير: ٢٣]: رأى ربـه بقلبه».

(٢) قرأ هشام عن ابن عامر بالتشديد، والباقون بالتخفيف. انظر: «السبعة» (ص: ٦١٤)، و«التيسير» (ص: ٢٠٤).

(٣) «الفؤاد» ليست في (ن).

(٤) في (ن): «فيما».

(١٢) ـ ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾.

﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ وقُـرِئَ: ﴿أَفتَمْرُونَهُ عَلَى مَا يَرَى﴾[١]؛ أي: تجحَدُونَه وتدفَعُونَه، يُقالُ: مَراهُ حقَّه؛ إذا جحَدَه، وأصلُه: المرْيُ، من مرَيْتَ النَّاقةَ؛ إذا استخرَجْتَ لبنَها بعلاجٍ.

ووجهُ (تُمارونَه): تُجادِلُونَه، منَ المِراءِ، وهو الجدالُ بالباطلِ، ولفظُ ﴿عَلَىٰ﴾ يُقوِّي هذا الوجهَ.

***

(١٣) ـ ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾.

﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ الخلافُ فيه كالخلافِ في الأوَّلِ.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: رأى الرَّبَّ سُبحانَه مرَّتَين[٢].

ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: رأى جبريلَ عليه السَّلامُ على صورتِه مرَّتَين؛ مرَّةً عند سدرةِ المُنتَهى، ومرَّةً بأجيادَ وقد سدَّ الأفقَ له ستُّ مئةِ جناحٍ[٣].

ومعنى ﴿نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾: مرَّةً أخرى، وتقديرُه: رآه نازلًا نزلةً أخرى، وكان أحدُ النُّزولَينِ الدُّنُوَّ، والآخرُ التَّدلِّيَ.

***

(١) قرأ بها حمزة والكسائي. انظر: «السبعة» (ص: ٦١٤)، و«التيسير» (ص: ٢٠٤).

(٢) تقدم قريبًا.

(٣) رواه عن ابن مسعود رضي الله عنه الفاكهي في «أخبار مكة» (٢٣٠٦)، ورواه الترمذي (٣٢٧٨) عن عائشة رضي الله عنها. وقوله: «له ستُّ مئةِ جناحٍ» في «الصحيحين» عن ابن مسعود كما تقدم قريباً.

(١٤) ـ ﴿عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ﴾.

﴿عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ﴾ الجمهورُ على أنَّها شجرةُ النَّبْقِ.

ورَوَى أنسٌ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال في صفةِ ليلةِ المعراجِ: «ورُفِعَتْ لي سدرةٌ مُنتَهاها في السَّماءِ السَّابعةِ، نَبْقُها مثلُ قِلالِ هَجَرَ»(١).

وسُمِّيت سدرةَ المُنتَهى؛ لأنَّه ينتهِي إليها علمُ الخلائقِ وأعمالُهم، وإليها ينتَهي مَن فوقَها ويصعدُ إليها مَن تحتَها.

وعن ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه: لـمَّا أُسرِيَ برسولِ الله ﷺ إلى سدرةِ المُنتَهى وهي في السَّماءِ السّابعةِ، وإليها ينتَهي ما يعرجُ منَ الأرواحِ فيُقبضُ منها، وإليها ينتَهي ما أُهبِطَ مِن فوقِها فيُقبَضُ منها(٢).

وقال ابنُ بحرٍ في «تفسيرِه»: هي الشَّجرةُ التي يقولُ الله فيها: ﴿إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨] وأَوَّلَ قولَه: ﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ﴾؛ أي: نالوا الجنَّةَ منَ البيعةِ

---

(١) رواه البخاري (٣٢٠٧) عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة رضي الله عنهما.

(٢) رواه مسلم (١٧٣)، بلفظ: «لما أسري برسول الله ﷺ انتهي به إلى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة، وإليها ينتهي ما عرج به من تحتها وإليها ينتهي ما أهبط به من فوقها حتى يقبض منها...».
ورواه بنحو ما ذكره المصنف بذكر السماء السابعة: ابن منده في «الإيمان» (٧٤١).
قال النووي في «شرح مسلم» (٣/ ٢): «كذا هو في جميع الأصول (السادسة)، وقد تقدم في الروايات الأخر من حديث أنس أنها فوق السماء السابعة، قال القاضي (هو عياض): كونها في السابعة هو الأصح وقولُ الأكثرين، وهو الذي يقتضيه المعنى وتسميتُها بالمنتهى، قلت (القائل النووي): ويمكن أن يجمع بينهما، فيكون أصلها في السادسة ومعظمها في السابعة، فقد علم أنها في نهايةٍ من العِظَم، وقد قال الخليل رحمه الله: هي سدرة في السماء السابعة قد أظلت السماوات والجنة».

التي جرَتْ عندها، ولمَّا بلغَ إلى قولِه: ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ خلَطَ كلامَه[١]، وهذا تأويلٌ بعيدٌ غيرُ مرضيٍّ.

***

(١٥) ـ ﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾.

﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾ ﴿ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾: مصدرٌ، تقديرُه: جنَّةُ الرُّجوعِ.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: جنَّةُ المأوى عن يمينِ العرشِ فيها أرواحُ الشُّهداءِ[٢].

وقيل: هي التي كانَ فيها آدمُ صلواتُ الله عليه.

وقيل: هي الجنّةُ التي وُعِدَ المتَّقون.

***

(١٦) ـ ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾.

﴿إِذْ يَغْشَىٰ﴾؛ أي: رآه إذ يغشى ﴿ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ عن بعضِهم: يغشاها الملائكةُ. وعن بعضِهم: يغشاها فَرَاشٌ من ذَهَبٍ.

وقيل: جَرادٌ من ذهبٍ.

وقيل: ملائكةٌ مثلُ الغِرْبانِ حينَ يقَعْنَ على الشَّجرِ.

وقيل: يغشاها النُّورُ[٣].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٥٥)، وعده من العجائب.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٠)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ١١٣)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٩٦).

(٣) في «صحيح مسلم» (١٦٢) من حديث الإسراء الطويل عن أنس رضي الله عنه: «فلما غشيها من أمر الله ما غشي تغيرت، فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها، فأوحى الله إلي ما أوحى».

وعن ابنِ عبَّاسٍ: يغشاها الرَّبُّ[١]، وأرادَ ابنُ عبَّاسٍ بذلك: نورَ الرَّبِّ تعالى.

وعن عائشةَ رضي الله عنها: يغشاها لؤلؤٌ وياقوتٌ وزبرجَدٌ[٢].

وإبهامُه يدلُّ على عِظَمِ قَدْرِه.

***

(١٧) ـ ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾.

﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾: ما مالَ محمَّدٌ[٣] يمينًا وشمالًا، ولا جاوزَ الحدَّ قُدَّامًا.

وقيل: ﴿مَا زَاغَ﴾: ما قصَّرَ عن النَّظرِ إلى ما أُمِر به، ولا طغَى: ولا جاوَزَ ما لم يُؤمَرْ بالنَّظرِ إليه.

وقيل: ما زادَ وما نقصَ.

***

(١٨) ـ ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾.

﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ هي ما رأى ليلةَ المعراجِ، ويطولُ تعدادُها، ولا يدخلُ في هذه الآيةِ رُؤيةُ الله تعالى؛ لأنَّ آياتِ الله غيرُ الله.

و﴿ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ يجوزُ أن يكونَ المفعولَ؛ أي: لقد رأى الكُبرَى من آياتِ ربِّه، فتكونَ ﴿مِنْ﴾ للتَّبعيضِ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٢) بلفظ: «غشيها الله، فرأى محمد من آيات ربه الكبرى».

(٢) لم أقف عليه عن عائشة رضي الله عنها، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٢)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٩٢٧) عن مجاهد.

(٣) «محمد»: ليس في (ف).

ويجوزُ أن تكونَ صفةً للآياتِ، ومحلُّها جرٌّ، والمفعولُ محذوفٌ؛ أي: آياتٍ من آياتِ ربِّه الكُبرى.

ويجوزُ أن تكونَ ﴿مِنْ﴾ زيادةً، و﴿ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ مفعولٌ، وزيادةُ (مِنْ) في الإثباتِ قليلٌ.

* * *

(١٩ ـ ٢٠) ـ ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾.

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ ذهبَ بعضُ المُفسِّرين إلى أنَّها أسماءُ أصنامٍ كانت في الكعبةِ تعبدُها العربُ.

وقيل: اللَّاتُ: بيتٌ بنخلةَ كانت قريشٌ تعبدُه، والعُزَّى: بيتٌ بالطَّائفِ تعبُدُه ثَقيفٌ.

قتادةُ: اللَّاتُ: بيتٌ ببطنِ نخلةَ[1]، ومناةُ: بيتٌ يعبُدُه بنو كعبٍ[2].

قتادةُ: اللّاتُ: صنَمٌ بالطّائفِ[3].

وقيل: كان رجلًا يلُتُّ السَّويقَ للحاجِّ، فلمَّا ماتَ عبَدوه[4].

قال الكلبيُّ: اسمُه صِرْمةُ بنُ غَنْمٍ[5].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٧) عن ابن زيد، وسيأتي قول قتادة في موضع اللات قريباً، أما قول قتادة: ببطن نخلة، فهو في العزى كما رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥٠).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥٠) عن ابن زيد.

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٠٣٦)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٧).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٧ ـ ٤٨) عن مجاهد وابن عباس وأبي صالح.

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ١١٩)، والواحدي في «البسيط» (٢١/ ٣٩).

وقيل: اسمُه عامرُ بنُ الظَّرِبِ[1].

قال مجاهدٌ: العُزَّى: شجرةٌ لغَطَفانَ يعبُدونَها، فبعثَ النَّبيُّ ﷺ خالدَ بنَ الوليدِ، فقطعَها وجعلَ يضربُها بالفأسِ، ويقولُ:

يا عُزُّ كُفرانَكِ لا سُبحانَكِ
إنِّي رأيتُ الله قد أهانَكِ

فخرجَتْ منه شيطانةٌ ناشرةٌ شعرَها، داعيةٌ ويلَها، واضعةٌ يدَها على رأسِها، فقتلَها، ثمَّ رجعَ إلى النَّبيِّ عليه السَّلامُ وأخبرَه بذلك، فقال: «تلك العُزَّى لن تُعبَدَ أبدًا»[2].

الضَّحَّاكُ: هي صنَمٌ لغطفانَ، وضعَها لهم سعدُ بنُ ظالمٍ الغطَفانيُّ[3].

وقيل: حجَرٌ أبيضُ.

وأمّا مناةُ فكانت لخزاعةَ.

وفي اشتقاقِ (اللّاتِ) ثلاثةُ أقوالٍ:

---

(١) رواه ابن المنذر عن ابن جريج، كما في «الدر المنثور» (٧/ ٦٥٣).

(٢) ذكره هكذا عن مجاهد الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ١١٩)، والواحدي في «البسيط» (٢١/ ٤٢).
ورواه النسائي في «السنن الكبرى» (١١٤٨٣)، وأبو يعلى في «مسنده» (٩٠٢) من حديث أبي الطفيل رضي الله عنه بأخصر من هذا دون ذكر الرجز.
ورواه الواقدي في «المغازي» (٣/ ٨٧٣ ـ ٨٧٤)، ومن طريقه الأزرقي في «أخبار مكة» (١/ ١٢٧) عن سعيد بن عمرو الهذلي، ورواه بنحوه الفراء في «معاني القرآن» (٣/ ٩٨)، والأزرقي في «أخبار مكة» (١/ ١٢٥ ـ ١٢٦)، من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ١٢٠)، والواحدي في «البسيط» (٢١/ ٤٣).

أحدُها: أنَّها من: لتَّ السَّويقَ، فخُفِّفَ، بدليلِ مَن قرأ: ﴿اللَّاتَّ﴾ بالتَّشديد[١].

والثَّاني: مِن لوَيْتُ على الشَّيءِ؛ إذا عكفْتَ عليه وعطَفْتَ إليه[٢]، وكانوا يعكُفونَ على أصنامِهِم، والتَّاءُ[٣] فيه للتَّأنيثِ.

والثَّالثُ: أنَّهم أدخَلُوا الهاءَ على «الله»[٤]، وهذا لا يصحُّ أو يُقالُ، فصارَ في الوقفِ «اللهه»، فاجتمَعَ هاءانِ، فحُذِفَ الأوَّلِ.

ورُوِيَ عن الكسائيِّ: أنَّه كان يقفُ عليها بالهاءِ وترقيقِ اللامِ[٥].

وأما (العُزَّى) فمُشتقَّةٌ منَ العِزَّةِ في مُقابلةِ العزيزِ[٦].

و(مناةُ) قُرِئ بالمدِّ والقصرِ[٧]، واشتِقاقُها من مَناهُ يَمْنِيْه؛ إذا قطعَه، قيل: كانوا يذبحونَ عندَها القرابينَ، ومنه: مِنًى؛ لأن هناك تُذبَحُ المناسكُ.

وقولُه: ﴿ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ﴾ تأكيدٌ؛ كـ﴿طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ﴾ [الأنعام: ٣٨].

وقيل: تقديرُه: ومناةَ الأُخرَى الثَّالثةَ، فقدَّمَ وأخَّرَ لفواصلِ الآيِ.

وذهبَ بعضُهم إلى أنَّ التَّقديرَ: اللَّاتَ الأولى والعُزَّى الأُخرَى ومناةَ الثَّالثةَ، فحذفَ (الأولى) استغناءً عنها، وأخَّر ﴿ٱلۡأُخۡرَىٰٓ﴾ الآيةَ[٨].

---

(١) قرأ بها رويس عن يعقوب. انظر: «النشر» (٢/ ٣٧٩).

(٢) في (ن): «عليه».

(٣) في (ف): «والهاء».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٥٦)، وعده من العجائب.

(٥) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٦٠)، و«النشر» لابن الجزري (٢/ ١٣٢).

(٦) أي: أنها مؤنث (العزيز).

(٧) قرأ ابن كثير: (مَناءة) بالمد والهمز، والباقون بالقصر. انظر: «السبعة» (ص: ٦١٥)، و«التيسير» (ص: ٢٠٤).

(٨) كأن المراد: أخّر كلمة ﴿ٱلۡأُخۡرَىٰٓ﴾ إلى الآية الثانية، والله أعلم، وقد ذكره المصنف في «غرائب =

وما رُوِيَ أنَّ النَّبيَّ عليه السَّلامُ جرَى على لفظِه: تلك الغرانيقُ العُلى منها الشَّفاعةُ تُرتَجى، فقد أنكرَه بعضُ المُفسِّرين وقالَ: هذا من رواياتِ الملحدةِ.

وقال بعضُهم: كان ذلك من تلاوةِ الشَّيطانِ في أثناءِ قراءةِ النَّبيِّ عليه السَّلامُ، وقد سبقَ في سورةِ (الحجِّ)(١).

مُجاهدٌ: كانَ قرآنًا فنُسِخَ؛ على تقديرِ الاستفهامِ، والمعنى: تلك الغرانيقُ العُلى بزَعْمِكم أَمِنْها الشَّفاعةُ تُرتَجى؟ ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا﴾ [النجم: ٢٦](٢)، والله أعلم.

* * *

(٢١) - ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ﴾.

﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ﴾ وذلك أنَّهم قالوا: إنَّها بناتُ الله كما قالوا: الملائكةُ بناتُ الله(٣).

وقيل: كانوا يقولون: قد استوطَنَتْها جنِّيَّاتٌ هُنَّ بناتُ الله، من قولِه: ﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ [الصافات: ١٥٨].

وقيل: زعَمُوا أنَّهم اتَّخذوها على هياكلِ الملائكةِ، فلهذا قالَ الله سبحانَه: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ﴾.

والمفعولُ الثّاني لقولِه: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ﴾ قولُه: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ﴾.

* * *

= التفسير» (٢/ ١١٥٥)، واستغربه.

(١) تقدم الكلام عن حادثة الغرانيق وردها في سورة (الحج) مفصلاً.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٥٦)، واستغربه.

(٣) «كما قالوا الملائكة بنات الله» من (ف).

(٢٢) - ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ﴾.

﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ﴾: ناقِصةٌ منقوصةٌ، وقيل: عوجاءُ[١] مُخالفةٌ.

واشتقاقُها منَ الضَّيْزِ، وهو الجَورُ في القضيَّةِ، وزنُها عند النُّحاةِ: (فُعْلى) بالضَّمِّ؛ لأنَّ (فِعْلى) بالكسرِ لا يأتي وصفًا، ثمَّ كُسِرَ الفاءُ ليصحَّ الياءُ كما فُعِلَ في (بِيضٍ)[٢]، ومثلُه: رجلٌ كِيْصَى؛ يأكلُ وحدَه، ومشيةٌ حِيْكَى.

وقرأ ابنُ كثيرٍ: ﴿ضِئْزَى﴾ بالهمزِ[٣]، وهما لغتانِ.

قال أبو عليٍّ: وهي على قراءتِه مصدرٌ كالذِّكرى، والتَّقديرُ: قسمةٌ ذاتُ ضِيْزَى. ويحتمِلُ على هذا أن يكونَ ﴿ضِيزَىٰ﴾ أيضًا (فِعْلَى) بالكسرِ مصدرًا كالذِّكرَى[٤].

* * *

(٢٣) - ﴿إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾.

﴿إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾؛ أي: ما هذه التي تصِفون الأصنامَ والملائكةَ والجنَّ بها من أنَّها بناتُ الله، وأنَّها تستحقُّ العبادةَ، وأنَّها تَشفعُ لكم، إلا أسماءٌ وضَعْتُموها أنتم وآباؤُكم.

﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾؛ أي: ما أذِنَ لكم فيه، ولا أمرَكُم به، ولا أنزَلَ عليكم حجَّةً بوجوبِ[٥] ذلك.

---

(١) في النسختين: «عوجاً»، وهو تحريف.

(٢) بعدها في (ن): «جمع بيضاء». وقوله: «كما فُعل في بيض»، قال في «الصحاح» مادة: (ب ي ض): «جمع الأبيض: بيضٌ، وأصله: «بُيْضٌ» بضم الباء، وإنما أبدلوا من الضمة كسرةً لتصح الياء».

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٦١٥)، و«التيسير» (ص: ٢٠٤).

(٤) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٦/ ٢٣٤).

(٥) في (ف): «توجب».

﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾؛ أي: ظَنُّوا ظنًّا باطلًا فاتَّبعوه فسكَنَتْ إليه نفوسُهم.

﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾: الرَّسولُ والكتابُ، فتركوه ولـم يعمَلُوا به.

* * *

(٢٤ ـ ٢٦) ـ ﴿أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ ٱلْـَٔاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾.

﴿أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ﴾ ﴿أَمْ﴾ هـي المُنقطِعـةُ، والتَّقديـرُ: بل أللإنسـانِ(١) ـ يعني: الكافـرَ ـ مـا تمنَّـى مـنَ الشَّـفاعةِ؟ ﴿فَلِلَّهِ ٱلْـَٔاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ﴾ لا يملـكُ أحدٌ غيـرُه فيهما نفعًـا ولا ضرًّا.

﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا﴾؛ أي: لا تُرجَى شفاعةُ الملائكةِ المُقرَّبين، فكيفَ يُرجَى شفاعةُ الأوثانِ؟

ابنُ جريرٍ وابنُ زيدٍ: معنى: ﴿أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ﴾: اشتهَى محمَّدٌ النُّبوَّةَ والرِّسالةَ فأعطاه الله إيَّاها، ﴿فَلِلَّهِ ٱلْـَٔاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ﴾ يُعطي مَن يشاءُ(٢).

وقيل: معناه: ليس للكافرِ ما تمنَّى، ﴿فَلِلَّهِ ٱلْـَٔاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ﴾ يُعطي مَن أطاعَه.

وقيل: ﴿أَمْ﴾ هي المُتَّصلةُ، وتقديرُه: أَلَكُم الذَّكرُ وله الأُنثَى أم للإنسانِ ما تمنَّى منَ البنينِ؟ ﴿فَلِلَّهِ ٱلْـَٔاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ﴾؛ أي: هو أجلُّ وأعظمُ؛ فإنَّ له الآخرةَ والأولى.

---

(١) في (ف): «أللإنسان» دون «بل»، وفي (ن): «بل للإنسان» دون الهمزة، والمثبت هو الصواب؛ أي: باجتماعهما. انظر: «الدر المصون» (١٠/ ٩٨)، وفيه: «وهي ﴿أَمْ﴾ المنقطعةُ، فتتقدَّر بـ(بل) والهمزةِ على الصحيح».

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٢٢/ ٥٦)، ورواه أيضًا عن ابن زيد.

﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ﴾ (كم) للتَّكثيرِ، ولهذا جمعَ ﴿شَفَٰعَتُهُمۡ﴾، والمعنى: كثيرٌ منَ الملائكةِ في السَّماواتِ لا تُغني شفاعتُهم شيئًا.

﴿إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ﴾ وله وجهانِ:

أحدُهما: لمن يشاءُ منَ الشَّافعينَ.

والثَّاني: لمَن يشاءُ منَ المشفوعِ لهم[1].

وكذلك قولُه: ﴿وَيَرۡضَىٰٓ﴾؛ أي: عنِ الشّافعِ، والثّاني: يرضَى عنِ المشفوعِ له، وهذا أظهرُ؛ لقولِه: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، والمعنى: عَبَدوا الملائكةَ بزُعمِهم لتُقرِّبَهم[2] إلى الله، وهم لا يشفَعون إلّا لمَن ارتَضَى.

* * *

(٢٧ ـ ٢٨) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ تَسۡمِيَةَ ٱلۡأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـًٔا﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ تَسۡمِيَةَ ٱلۡأُنثَىٰ﴾ يعني قولَهم: الملائكةُ بناتُ الله.

﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ﴾؛ أي: بما يقولونَ من معرفةٍ ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ وهو تقليدُ الآباءِ ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـًٔا﴾: لا يقومُ مَقامَه. والحقُّ: العلمُ هاهنا.

وقيل: الحقُّ هو الله سبحانَه، والمعنى: لا يدفعُ[3] من عذابِ الله شيئًا.

* * *

---

(١) في (ف): «له».

(٢) في النسختين: «ليقربهم»، والصواب المثبت.

(٣) ضمير الفاعل يعود على الظن.

(٢٩) ـ ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴾.

﴿ فَأَعْرِضْ ﴾: فاصفَحْ ﴿عَن مَّن تَوَلَّىٰ﴾: أعرَضَ ﴿عَن ذِكْرِنَا﴾: القرآن، ﴿وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴾؛ أي: لم يَسْعَ إلّا لها.

* * *

(٣٠) ـ ﴿ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴾.

﴿ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم﴾؛ أي: اختيارُهم الدُّنيا والرِّضا بها ﴿مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ مُنتَهى علمهم، وهو قليلٌ حقيرٌ.

وقيل: هو إشارةٌ إلى تسميةِ الملائكةِ إناثًا.

وقيل: علموا ما يحتاجونَ إليه في معاشِهم، ونبَذوا الآخرةَ وراءَ ظُهورِهم.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾: دينِه ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴾: أصابَ، هذا مُتعلِّقٌ بقولِه: ﴿ فَأَعْرِضْ ﴾، والمعنى: كِلُهم إليَّ؛ فإنِّي مُجازٍ مُحسِنَهم ومُسيئَهم.

* * *

(٣١) ـ ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴾.

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ﴾ اللّامُ مُتّصلٌ بالمعنى؛ أي: مَلَكَهُم ليجزيَ، واللّامُ في (لله) دلَّ على: مَلَكَهم.

وقيل: خلقَها ليجزيَ.

وقيل: اللّامُ لامُ العاقبةِ، وهو مُتّصلٌ بقولِه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾ الآية[1]؛ أي: كانَ عاقبةُ ذلك أن يُجازِيَهم على أعمالِهم.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٥٧)، واستغربه.

﴿ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ﴾؛ أي: بمثلِ عملِهم ﴿وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَى﴾: بالأحسنِ منَ الأعمالِ، وقيلَ: بالجنَّةِ.

* * *

(٣٢) - ﴿ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ﴾ قيل: محلُّ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ نصبٌ على الصِّفةِ لـ﴿ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ﴾.

وقيل: هم ﴿ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ﴾.

﴿كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ﴾ قُرِئَ بالجمعِ؛ لأنَّ الكبائرَ كثيرٌ، وقُرِئَ بالواحدِ[1] لأنَّ (فَعِيلًا) قد يقعُ موقعَ الجمعِ، نحو: ﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ [النساء: ٦٩]، ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: ٤].

واختلَفوا في الكبائرِ:

فقيل: الكبائرُ: الشِّركُ، ﴿وَٱلۡفَوَٰحِشَ﴾: المعاصيَ.

وقيل: كبائرُ الإثمِ: ما له حدٌّ في الدُّنيا، والفواحشُ: الزِّنى خاصَّةً.

وهذه الآيةُ مثلُ ما في سورةِ (النِّساء): ﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ﴾ الآيةَ [النساء: ٣١]، وقولُه: ﴿إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ بمنزلةِ قولِه: ﴿نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ﴾ [النساء: ٣١]، وهما الصَّغائرُ، وذلك مغفورٌ[2] بشرطِ اجتنابِ الكبائرِ.

---

(١) قرأ حمزة والكسائي بالواحد، والباقون: ﴿كَبَٰٓئِرَ﴾ بالجمع. انظر: «السبعة» (ص: ٦١٥)، و«التيسير» (ص: ١٩٥).

(٢) في (ن): «معفوٌّ».

وقيل: اللَّمَمُ: ما كانَ منهم في الجاهليَّةِ، وغُفِرَ[1] لهم ذلك بالإسلامِ.

وقيل: إلا أن يُلمَّ بالذَّنبِ ثمَّ يتوبَ.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: كان رسولُ الله ﷺ يقولُ:

إنْ تغفـرِ اللهـمَّ تغفِـرْ جـمّا
وأيُّ عَبـدٍ لـكَ لا ألمَّـا[2]

وقيل: هي كالنَّظرةِ واللَّمسةِ وغيرِهما ما لـم يكُنْ وَطْئًا، فقد رُوِيَ عن النَّبيِّ عليه السَّلامُ: «العينانِ تزنيانِ، واليدانِ تزنيانِ، والرِّجلانِ تزنيانِ، والفرجُ يُصدِّقُ ذلك أو يُكذِّبُ»[3].

وقيل: هو أن يَقرُبَ منه فلا يقعَ فيه.

وقيل: النَّظرةُ الأولى، فإنْ عادَ فليس بلممٍ.

وقيل: هو ما ألمَّ[4] على القلبِ.

وقيل: هو ما لا حدَّ عليه في الدُّنيا، ولـم يوجبِ الله عليه العذابَ في الأُخرَى.

وقيل: اللَّممُ: النِّكاحُ[5].

---

(١) في (ن): «قد غفر».

(٢) رواه الترمذي (٣٢٨٤)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح غريب، لا نعرفه إلا من حديث زكريا بن إسحاق».

(٣) رواه البخاري (٦٢٤٣)، ومسلم (٢٦٥٧) عن ابن عباس، قال: ما رأيت شيئًا أشبه باللمم مما قال أبو هريرة عن النبي ﷺ: «إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنى، أدرك ذلك لا محالة، فزنى العين النظر، وزنى اللسان المنطق، والنفس تَمنَّى وتشتهي، والفرج يصدق ذلك كله ويكذبه».

(٤) «ألمَّ» ليس في (ن).

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٥٧)، واستغربه.

قيل: نزلَتْ في نبهانَ التَّمَّارِ[1]، وقد مضى في سورةِ (آلِ عمرانَ).

وقيل: ﴿إِلَّا﴾ بمعنى: الواوِ؛ أي: واللَّمَمَ[2]، وهذا ضعيفٌ.

وفي الاستثناءِ قولانِ:

أحدُهما: أنَّه مُتَّصِلٌ.

والآخرُ: أنَّه منفصِلٌ منقطعٌ.

والإلمامُ: الإتيانُ على الشَّيءِ من غيرِ إقامةٍ عليه.

﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾: يسَعُ جميعَ ذنوبِ العبادِ ولا يَضِيقُ عنها.

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: واسعُ المغفرةِ لمَن فعلَ ذلك ثمَّ تابَ[3].

﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾: ابتدأكُم منها، يُريدُ: آدمَ عليه السَّلامُ.

﴿وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ﴾: جمعُ جنينٍ، وهو الولدُ ما دامَ في البطنِ.

﴿فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾؛ أي: علِمَ ضعفكُم ومَيلكُم إلى اللَّمَمِ، وقيل: إلمامَكم بذلك، فلم يأخُذْكم به.

وقيل: هو متصلٌ بما بعدَه؛ أي: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم﴾.

ومعنى ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾؛ أي: بما ليسَ فيها.

وقيل: بما فيها؛ ليكونَ أقربَ إلى الإخلاصِ، وأبعدَ منَ الرِّياءِ.

وقيل: معناه: لا تعمَلُوا بالمعاصي فتقولُوا: نحنُ عاملونَ بالطَّاعةِ.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ١٦٤).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٥٧)، وعده من العجائب.

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢١/ ٦١ ـ ٦٢).

وقيل: لا يمدَحْ بعضُكم بعضًا.

﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾ وبمَن لـم يتَّقِ منكم.

وفي سببِ النُّزولِ: كانت اليهودُ تقولُ إذا هلَكَ لهم صبيٌّ: هو صدِّيقٌ، فبلغَ ذلك النَّبيَّ ﷺ فقال: «كذبتِ اليهودُ، ما من نسمةٍ يخلقُه الله في بطنِ أمِّه إلا وهو شقيٌّ أو سعيدٌ»، فأنزَلَ اللهُ: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ﴾ الآية[1].

***

(٣٣ ـ ٣٤) ـ ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّىٰ (٣٣) وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰ﴾.

﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّىٰ (٣٣) وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰ﴾ مجاهدٌ وابنُ زيدٍ وابنُ عبّاسٍ في روايةِ عطاءٍ ومُقاتلٌ: نزلَتْ في الوليدِ بنِ المُغيرةِ، وكان قد اتَّبعَ رسولَ الله ﷺ فعَيَّره بعضُ الكافرين وقالَ له: أتركْتَ دينَ الأشياخِ وضلَّلتَهم، وزعمْتَ أنَّهم في النّارِ؟ قال: إنِّي خشيتُ عذابَ الله، فضمِنَ له إنْ أعطاه شيئًا من مالِه ورجعَ إلى شركِه أن يتحمَّلَ عنه عذابَ الله، ففعلَ وأعطى الذي عاتبَه بعضَ ما كان ضمِنَ له، ثمَّ بخلَ ومنعَه، فأنزلَ الله هذه الآياتِ[2].

الضحاك: قدِمَ أعرابيٌّ على قَعودٍ له وهو يُنادي بأعلى صوتِه: مَن يشتَري

---

(١) رواه الطبراني في «الكبير» (١٣٦٨)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (١٣٦٢)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٩٨) من حديث ثابت بن الحارث الأنصاري.

(٢) ذكره بهذا السياق الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٧١)، ومكي بن أبي طالب في «الهداية» (١١/ ٧١٦٧)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٠٥) من غير نسبة، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ١٤٥ ـ ١٤٦)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٩٩) عن مجاهد وابن زيد، وذكره الجرجاني في «درج الدرر» (٤/ ١٥٧٨) عن مقاتل.

حسناتي بصاعٍ من تمرٍ؟ فقالَ أبو خيثمةَ ـ وكان رجلًا صالحًا راغبًا في الخيراتِ ـ: أنا أشتَري حسناتِك بوَسْقٍ من تـمرٍ، فنزلَتْ هذه الآيةُ(١).

وقيل: نزلَتْ في النَّضرِ بنِ الحارثِ(٢).

وقيل: نزلَتْ في المنافقين، كانوا يُخرِجونَ القليلَ من أموالِـهم رياءً.

وعن ابنِ عبَّاسٍ والكلبيِّ والسُّدِّيِّ وابنِ شَريكٍ: أنَّها نزلت في رجلٍ من أكابرِ الصَّحابةِ؛ يُريدُ: عثمانَ بنَ عفَّانَ رضي الله عنه، قال الشَّيخُ رحمَه الله: فتحاشَيتُ عن ذكرِ ذلك، وقد عيَّنَه الثَّعلبيُّ(٣)، ثمَّ فسَّرَ الآيةَ فقال: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ﴾: أعرضَ يومَ الأُحُدِ، وكم بينَ هذا وذلك؟! وما أقبحَ اتِّباعَ الهوى!!!

ومعنى ﴿وَأَكْدَىٰٓ﴾: قطعَ العطاءَ، وأصلُه من قولِ العربِ: أَكْدَى الحافِرُ؛ أي: بلَغَ الكُدْيةَ، وهي حجرٌ صُلْبٌ لا يعملُ فيه المِعوَلُ، فيَتركُ الحفرَ، وصارَ مثلًا لكلِّ من منعَ خيرَه.

* * *

(٣٥) ـ ﴿أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾.

﴿أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾ أنَّ صاحبَه يتحمَّلُ عنه، وقيل: يَراه شاهدًا.

---

(١) ذكره السمعاني في «تفسيره» (٥/ ٣٠٠) دون نسبة.

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٠٢)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ١٩١) عن الضحاك.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ١٤٥)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٩٨) عن ابن عباس، والسدي، والكلبي، والمسيب بن شريك من غير إسناد. قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٠٥): «ذلك عندي باطل، وعثمان رضي الله عنه منزه عن مثله».

(٣٦ ـ ٣٧) ـ ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴾.

﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ ﴾؛ أي: لـم يُخبَرْ ﴿بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴾ أي: التَّوراةِ ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ﴾: ما أُنزِلَ عليه ﴿ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴾؛ أي: وفَّى بما عاهدَ الله على القيامِ به، والتَّوفيةُ: بلوغُ آخرِ ما لزِمَه.

وقيل: وفَّى بالكلماتِ العشرِ.

وقيل: وفَّى في ذبحِ ولدِه، والصَّبرِ على نارِ نُمْرودَ، وعلى الاختتانِ.

وقيل: وفَّى بتبليغِ الرِّسالةِ.

وقيل: عهِدَ ألّا يسألَ أحدًا شيئًا، فوفَّى حينَ أتاه جبريلُ عليه السَّلامُ يومَ أُلقِيَ في النّارِ فقال له: ألكَ حاجةٌ؟ فقال: أمَّا إليك فلا، فأثنى الله عليه فقال: ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴾.

والقولُ الأوَّلُ مُشتمِلٌ على هذه كلِّها.

وعن النَّبيِّ ﷺ: أنَّه وفَّى عملَ يومِه بأربعِ ركعاتٍ أوَّلَ النَّهارِ[1]؛ يعني: صلاةَ الضُّحى.

ثمَّ بيَّن ما في صُحفِ موسى وإبراهيمَ فقال:

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٧٨)، والطبراني في «مسند الشاميين» (١٩٧١)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ١٥٣)، من حديث أبي أمامة رضي الله عنه، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦٦٠) لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن مردويه والشيرازي في «الألقاب»، وضعفه.

قال الطبري: «لو صح عن رسول الله ﷺ لم نَعْدُ القول به إلى غيره، ولكن في إسناده نظر يجب التثبت من أجله». وقال ابن كثير (٧/ ٤٦٣): «رواه ابن جرير من حديث جعفر بن الزبير وهو ضعيف».

(٣٨) ـ ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾.

﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ فهو بدلٌ من (ما) ومحلُّه جرٌّ.

وذُكِرَ في التَّفاسيرِ: أنَّه كانَ قبلَ إبراهيمَ عليه السَّلامُ يُقتَلُ الأبُ بالابنِ، والأخُ بالأخِ، والرَّجلُ بزوجِه، والعبدُ بسيِّدِه، حتَّى جاء إبراهيمُ عليه السَّلامُ فأُوحِيَ إليه: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾؛ أي: لا يُؤاخَذُ أحدٌ بذنبِ غيرِه.

* * *

(٣٩) ـ ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾.

﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾؛ أي: وكان في صُحفِ موسى وإبراهيمَ عليهما السَّلامُ: أنْ ليسَ للإنسانِ إلّا ثوابُ ما عمِلَ من خيرٍ أو شرٍّ، وما عمِلَ غيرُه فليس له ولا عليه.

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ منسوخٌ بقولِه: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور: ٢١][1]، وقد سبقَ، ومَن يُصَّدَّقُ عنه أو يُصامُ له أو يُحجُّ عنه فذلك لاحقٌ به وإن لـم يأمُرْ.

وذهبَ بعضُهم إلى أنَّه لا ينفعُه إلّا أن يكونَ له فيه سعيٌ، فلا تناقُضَ بين قولِه: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، وبين قولِه: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت: ١]؛ لأنَّ ذلك لسُنَّةٍ سنُّوها.

وقيل: لا تزرُ طَوْعًا، بل تُحمَلُ كَرْهًا.

و﴿أنْ﴾ في الآيتين مُخفَّفةٌ منَ المثقَّلةِ، واسمُها مُضمَرٌ معها.

* * *

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٨٠)، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٦٨٩).

(٤٠ ـ ٤١) ـ ﴿ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴾.

﴿ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴾؛ أي: يُريه الله جزاءَ سعيه، ﴿ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴾: الجنّةَ أو النّارَ، و(يُجزَى)[1]: الضّميرُ المرفوعُ، والهاءُ يعودُ إلى السَّعيِ، و(الجزاءَ) نصبٌ على المصدرِ[2].

***

(٤٢) ـ ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾.

﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾: المصيرَ والمَعادَ.

وقيل: بلوغَ النِّهايةِ.

وقيل: يصيرُ إلى حيثُ لا ينفذُ فيه حكمٌ إلّا حكمُ الله تعالى.

وقيل: معناه: إذا انتهى الكلامُ إلى الله فأمسِكُوا، ومَن تعاطَى ذلك هلَكَ[3].

***

(٤٣) ـ ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴾.

﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴾: أضحكَ أهلَ الجنّةِ، وأبكَى أهلَ النّارِ.

وقيل: سَرَّ وأحزَنَ.

وقيل: أنعمَ بما يُوجِبُ الضَّحكَ، وابتَلى بما يُوجِبُ البكاءَ.

ابنُ بحرٍ: وأنَّه خلقَ القوَّتَين اللَّتَين منهما ينبعثُ الضَّحكُ والبكاءُ، والإنسانُ

---

(١) في (ف): «في النار».

(٢) قال المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٥٨): «العجيب: الهاء عائد إلى المصدر والجزاء مفعول به».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٥٨)، واستغربه.

لا يعلمُ ما تلك القُوى[١]، والضَّحكُ والبكاءُ أمرانِ خَصَّ الله بهما الإنسانَ من بينِ الحيوانِ، وما نُسِبَ إلى القردِ منَ الضَّحكِ، وإلى الإبلِ من البكاءِ عند الحنينِ؛ فدَعوى لا حقيقةَ لها.

ابنُ عيسى: الضَّحِكُ تَفَتُّحُ أسرارَ الوجهِ عند سرورٍ وعجبٍ[٢] في القلبِ، والبكاءُ جرَيانُ الدَّمعِ على الخدِّ عن غمٍّ في القلبِ.

وما جاء في الخبرِ: أنَّ الله يضحكُ إلى عبدِه[٣]، فمعناه: يَرْضَى عنه.

وقيل: أضحَكَ الأرضَ بالنَّباتِ، وأبكى السَّماءَ بالمطرِ[٤]، وهذا استعارةٌ وتشبيهٌ لا حقيقةَ لها[٥].

* * *

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٥٨)، واستغربه.

(٢) في النسختين: «عجب» دون واو، والمثبت من «غرائب التفسير» (٢/ ١١٥٨).

(٣) ورد في ذلك عدة أحاديث، منها:

ما رواه البخاري (٨٠٦)، ومسلم (١٨٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه في خبرِ آخر أهل النار دخولًا الجنة، وفيه: «فيقول الله: ويحك يا ابن آدم، ما أغدرك، أليس قد أَعطيت العهود والميثاق أن لا تسأل غير الذي أُعطيت؟ فيقول: يا رب، لا تجعلني أشقى خلقك، فيضحك الله عز وجل منه، ثم يأذن له في دخول الجنة».

وما رواه البخاري (٢٨٢٦)، ومسلم (١٨٩٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يضحك الله إلى رجلين، يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة»، فقالوا: كيف يا رسول الله؟ قال: «يقاتل هذا في سبيل الله عز وجل فيستشهد، ثم يتوب الله على القاتل، فيسلم، فيقاتل في سبيل الله عز وجل فيستشهد».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٥٨)، وعده من العجائب.

(٥) كذا في النسختين، وحذف «لها» أجود من إثباتها، والله أعلم.

(٤٤) - ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحۡيَا﴾.

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحۡيَا﴾ الإحياءُ والإماتةُ بيدِ الله تعالى، لا يقدرُ عليهما غيرُ الله، والقتلُ نقضُ البِنيةِ التي تصِحُّ معها الحياةُ، ويفعلُه غيرُ الله، والتَّخنيقُ ضربٌ من القتلِ؛ لأنَّ من تمامِ البِنيةِ التَّنفُّسَ، فإذا حيلَ بينَه وبين الهواءِ فقد نُقضَت البِنيةُ، والمعنى: أماتَ في الدُّنيا وأحيا في الآخرةِ[1].

وقيل: أماتَ الآباءَ وأحيا الأبناءَ.

وقيل: خَلَقَ الموتَ والحياةَ.

وقيل: خلقَ أسبابَ الموتِ والحياةِ.

وقيل: أنامَ وأيقظَ.

وقيل: أماتَ بالجهلِ، وأحيا بالعلمِ.

وقيل: بالمعصيةِ والطّاعةِ.

وقيل: أجدَبَ وأخصَبَ.

* * *

(٤٥ - ٤٦) - ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ۝٤٥ مِن نُّطۡفَةٍ إِذَا تُمۡنَىٰ﴾.

﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ۝٤٥ مِن نُّطۡفَةٍ إِذَا تُمۡنَىٰ﴾؛ أي: كلُّ ذكرٍ وأنثى مخلوقٌ من نُطفةٍ تُمنَى سوى آدمَ وحوَّاءَ وعيسى عليهم السَّلامُ.

والنُّطفةُ: الماءُ القليلُ، وصار يُستَعملُ لماءِ الفحلِ.

والمنيُّ: الفعيلُ منَ (المَنْي)، وهو التَّقديرُ، والإمناءُ: صَبُّ المنيِّ في

---

(١) «في الآخرة»: ليس في (ف).

الرَّحمِ، فمعنى ﴿تُمْنَىٰ﴾: تُصَبُّ في الرَّحمِ، وقيل: يُقدَّرُ منها الولدَ؛ إذ ليسَ كلُّ منيٍّ يصيرُ ولدًا.

* * *

(٤٧) - ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَىٰ﴾.

﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَىٰ﴾: الإحياءَ بعدَ الموتِ، تقولُ: أنشأتُه نشأةً ونشاءةً، كقولِه: أَنْبَتَه نباتًا، وذُكِرَ بلفظِ (على) إيجابًا منه على نفسِه سُبحانَه إعادةَ الخلقِ للجزاءِ ثوابًا وعقابًا.

* * *

(٤٨) - ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾.

﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾؛ أي: ﴿أَغْنَىٰ﴾ بالذَّهبِ والفِضَّةِ وصُنوفِ الأموالِ، ﴿وَأَقْنَىٰ﴾ بالنِّعمِ خاصَّةً، وهي: القُنْيةُ.

وقيل: ﴿أَغْنَىٰ﴾ بما أعطى في الحالِ، ﴿وَأَقْنَىٰ﴾: جعلَ له أصلَ مالٍ في الاستقبالِ، من قولِهم: اقتَنَى مالًا: اتَّخذَه للإقامةِ.

وقيل: ﴿أقنى﴾: أَخْدَمَ؛ أي: جَعَلَ له خدَمًا.

وقيل: ﴿أقنى﴾: أَرْضى.

وقيل: أفقَرَ؛ كقولِه: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الرعد: ٢٦].

وقيل: أقنعَ.

* * *

(٤٩) ـ ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ﴾.

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ﴾: هي الشِّعْرَى العَبُورُ، تُسمَّى: مِرْزَمَ الجوزاءِ، وهما شِعْرَيانِ: الغُمَيصاءُ والعَبورُ[1]، والعَبُورُ أشدُّهما ضياءً، وخُصَّتْ بالذِّكرِ لأنَّ أبا كبشةَ أحدَ أجدادِ رسولِ الله من قِبَلِ أمِّه، قال: لا أرى شمسًا ولا قمرًا ولا نجمًا يقطعُ السَّماءَ عرضًا غيرَها، فليس شيءٌ مثلَها، فعبَدَها وعبدَتْها خُزاعةُ، فخالَفُوا[2] قُرَيشًا في عبادةِ الأوثانِ، وكانت قُريشٌ تُسمِّي محمَّدًا عليه السَّلامُ: ابنَ أبي كبشةَ[3]؛ أي: نزَعَ إليه في مخالفةِ دينِنا كما خالفَ أبو كبشةَ، والمعنى: أنَّ الشِّعرى مربُوبٌ فاعبُدوا ربَّه.

***

(٥٠) ـ ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ﴾.

﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ﴾ (أنَّ) في هذه الآياتِ كلِّها في محلِّ جرٍّ بدلًا من: ﴿ما في صُحُفِ مُوسَى﴾.

اختلَفُوا في ﴿عَادًا ٱلۡأُولَىٰ﴾:

فذهبَ بعضُهم إلى أنَّ ﴿ٱلۡأُولَىٰ﴾ بمنزلةِ: القُرونِ الأولى.

الحسنُ: ﴿ٱلۡأُولَىٰ﴾؛ أي: قبلَكم[4].

وقيل: ﴿عَادًا ٱلۡأُولَىٰ﴾: هو عادُ إِرَم، ولـمَّا أُهلِكوا بقيَتْ منهم بقيَّةٌ يُقالُ لهم: بنو لُقَيمٍ، وكانوا بمكَّةَ عند أخوالِـهم العمالقةِ، وهم أولادُ عِمْليقَ بنِ لاوَذَ بنِ سامٍ، فلم يُصِبْهم يومئذٍ العذابُ، وبقُوا بعدَهم زمانًا، فسُمُّوا: عادًا الأخرى.

---

(١) «والعبور» ليس في (ن).

(٢) في (ف): «فخالف».

(٣) انظر: «شرح مشكل الآثار» للطحاوي (٢/ ١٨٤)، و«تفسير الثعلبي» (٢٥/ ١٧٤).

(٤) ذكره يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٧١٦)، وابن أبي زمنين في «تفسيره» (٣/ ٣٩٨).

وقيل: ﴿عَادًا ٱلْأُولَىٰ﴾ قومُ هودٍ، والثَّانية[1]: ثمودُ؛ لأنَّهم مِن نَسْلِهم.

وقيل: ﴿عَادًا ٱلْأُولَىٰ﴾ أُهلِكُوا بالرِّيحِ، والثّانيةُ قومُ هودٍ.

* * *

(٥١) ـ ﴿وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ﴾.

﴿وَثَمُودَا۟﴾ عطفٌ على ﴿عَادًا﴾، ولا ينتصِبُ بقولِه: ﴿فَمَآ أَبْقَىٰ﴾ لأنَّ ما بعد النَّفيِ لا يعملُ فيما قبلَه، ومفعولُ (ما أبقى): عادٌ وثمودُ جميعًا.

* * *

(٥٢) ـ ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ﴾.

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ﴾؛ أي: أهلَكَ قومَ نوحٍ من قبلِ عادٍ وثمودَ.

﴿إِنَّهُمْ﴾: إنَّ قومَ نوحٍ ﴿كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ﴾ من عادٍ وثمودَ؛ لأنَّ نوحًا عليه السَّلامُ دعاهُم ألفَ سنةٍ إلا خمسينَ عامًا، فما آمنَ معه إلا قليلٌ.

* * *

(٥٣) ـ ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ﴾.

﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ﴾ يُريدُ: قريةَ قومِ لوطٍ، واسمُها سَدُومُ، ائتفكَتْ بأهلِها؛ أي: انقلَبَتْ.

والفقيهُ أبو اللَّيثِ رحمَه الله فسَّرَها بالمُكذِّبةِ، منَ الإفكِ[2]، وفيه بُعدٌ.

﴿أَهْوَىٰ﴾: أهوَاها لها جبريلُ؛ أي: رفعَها ثمَّ قلبَها.

وقيل: أهواها: جعلَها تهوي.

---

(١) في النسختين: «الثاني»، والتصويب من «غرائب التفسير» (٢/ ١١٥٩).

(٢) انظر: «تفسير السمرقندي» (٣/ ٣٦٧)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٥٩)، وعده من العجائب.

وقيل: قلبَها في موضعِها فهوَتْ خَسْفًا.

وقيل: ألِفُ ﴿أَهْوَىٰ﴾ للتَّفضيلِ؛ أي: أكثرَ ممَّن تقدَّمَ ذكرُهم عملًا بالهَوَى، حكاه الماورديُّ[١].

وهذا القائلُ حملَه على قولِه: ﴿أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ﴾، وذلك للتَّفضيلِ لا غيرُ، وتكونُ ﴿المؤتفكة﴾ نصبًا بـ﴿أَهْلَكَ﴾، و﴿أَهْوَىٰ﴾ في محلِّ نصبٍ بخبرِ (كان)؛ أي: والمؤتفكةَ كانوا أَهْوَى، والمُرادُ: أهلُ المُؤتفكةِ، ويجوزُ أن يكونَ ﴿أَهْوَىٰ﴾ حالًا.

* * *

(٥٤) ـ ﴿فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ﴾.

﴿فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ﴾: أصابَها، وقيل: ألبَسَها، وقيل: عمَّها.

وأَبْهمَ ليكونَ أوقعَ في القلوبِ.

وقيل: هو العذابُ.

وقيل: الحجارةُ.

* * *

(٥٥) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ﴾: تشُكُّ أيُّها المُخاطَبُ: بما أولاكَ منَ النِّعمِ، أو بما كفاكَ منَ النِّقمِ؟

وقيل: بأيِّ نِعَمِ ربِّك الدَّالَّةِ على وحدانيَّته تَشكُّ؟

وقيل: لـم يُعذِّبْ أمَّةَ محمَّدٍ ﷺ بواحدةٍ من هذه النِّقمِ، فهي نِعمةٌ عليهم.

---

(١) انظر: «النكت والعيون» (٥/ ٤٠٦)، وعده المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٥٩) من العجائب.

(٥٦) ـ ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾.

﴿هَٰذَا نَذِيرٌ﴾ يعني: محمَّدًا ﷺ ﴿مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾؛ أي: من جنسِ النُّذُرِ الأولى، والمعنى: يُنذِرُ بما أُنذَروا به.

وقيل: ﴿هَٰذَا﴾ الكتابُ ﴿نَذِيرٌ مِّنَ﴾ جنسِ الكتُبِ المُتقدِّمةِ.

وقيل: ما تقدَّمَ من ذكرِ العذابِ ﴿نَذِيرٌ مِّنَ﴾ جنسِ ﴿ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾.

والنَّذيرُ يأتي بمعنى: المُنذِرِ، وبمعنى: المُنذَرِ به.

وقيل: ﴿مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾ في اللَّوحِ المحفوظِ.

* * *

(٥٧ ـ ٥٨) ـ ﴿أَزِفَتِ ٱلْءَازِفَةُ ۝٥٧ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾.

﴿أَزِفَتِ ٱلْءَازِفَةُ﴾: دنَتِ القيامةُ ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾: لا يكشِفُ وقتَها ولا يُزيلَ غطاءَها أحدٌ دونَ الله، فإنَّه لـم يطَّلِعْ على وقتِها ملَكٌ مُقرَّبٌ ولا نبيٌّ مُرسَلٌ.

وقيل: إذا وقعَتْ شدائدُ القيامةِ وعذابُها لا يكشفُها أحدٌ دونَ الله؛ فإنَّه يكشِفُها من المؤمنين.

والهاءُ في ﴿كَاشِفَةٌ﴾ قيل: للمُبالغةِ.

وقيل: نفسٌ كاشفةٌ.

وقيل: مصدرٌ كالطَّاغيةِ والكاذبةِ.

* * *

(٥٩) ـ ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ﴾.

﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ يعني: القرآنَ ﴿تَعْجَبُونَ﴾؛ أي: تعجَبُونَ أنَّ محمَّدًا أتاكم نبيًّا يتلو عليكم كتابًا؛ كقولِه: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا﴾ الآيةَ [يونس: ٢].

(٦٠) ـ ﴿وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ﴾.

﴿وَتَضْحَكُونَ﴾ استهزاءً ﴿وَلَا تَبْكُونَ﴾ تحزُّنًا أن ينالَكُم مثلُ ما نالَ مَن تقدَّمَ ذِكرُهم.

***

(٦١) ـ ﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ﴾.

﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ﴾: غافِلونَ لاهونَ لاعِبونَ مُستكبِرونَ.

مجاهدٌ: كانوا يمُرُّونَ بالنَّبيِّ ﷺ غِضابًا مُبَرْطِمينَ[١]. والبَرْطَمةُ: الإعراضُ.

ابنُ عبَّاسٍ وعِكرمةُ: السُّمودُ: الغِناءُ، وكانوا إذا سمِعُوا القرآنَ عارَضوه بالغناءِ؛ ليَشغَلوا النَّاسَ عن استماعِه[٢].

الكلبيُّ: مُقيمون[٣].

ورُوِيَ أنَّ عليًّا كرَّمَ الله وجهَه ورضي عنه خرجَ إلى الصَّلاةِ فرأى النَّاسَ قيامًا فقال: مالي أراكُم سامِدين[٤]؟ وكانوا يكرهُونَ أن يقومُوا للصَّلاةِ[٥] قبل الإمامِ.

***

(٦٢) ـ ﴿فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟﴾.

﴿فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟﴾؛ أي: صلُّوا لله ووحِّدُوه.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٩٨).

(٢) رواه من طريق عكرمة عن ابن عباس: عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٠٥١)، وأبو عبيد في «غريب الحديث» (٤/ ٣٧٣)، و«فضائل القرآن» (ص: ٣٤٢)، والبزار في «مسنده» (٤٧٢٤)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٩٧)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ٢٢٣).

(٣) ذكر الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ١٨٠) عن الكلبي أن السامد الحزين بلسان طيء، وبلسان أهل اليمن الملاهي.

(٤) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٩٣٣)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٤٠٩٤)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ١٠٠)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (١٠/ ٣٩٥).

(٥) في (ف): «إلى الصلاة».

وقيل: هي سجدةُ التِّلاوةِ، ولـمَّا قرأ رسولُ الله سجَدَ، وسجَدَ معهُ المؤمنونَ والمُشرِكونَ والجِنُّ[١]. والله أعلَمُ.

* * *

(١) رواه البخاري (٤٨٦٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وجاء في هامش (ن): «قالَ: إنَّما سجَدَ المُشركونَ لأنَّهم سمِعُوا ذكرَ إلههِم، وذلك قولُه: تلك الغَرانيقُ العُلى، ولا تجوزُ سجدةُ التِّلاوةِ بغيرِ الوضوءِ بالمذهبَين، وعلى مذهبِ أبي حنيفةَ يجبُ قضاؤُه بعد فوتِه».

سُورَةُ القَمَرِ

سُورَةُ القَمَرِ

خمسٌ وخمسونَ آيةً[1]، مكّيّةٌ.

وعن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّها مدنيَّةٌ[2].

وعن مُقاتلٍ: أنَّها مكّيّةٌ إلّا ثلاثَ آياتٍ من قولِه: ﴿سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ [القمر: ٤٥][3].

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾.

﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾ في سببِ النُّزولِ عن ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه قالَ: انشقَّ القمرُ على عهدِ رسولِ الله ﷺ، فقالَتْ قريشٌ: هذا سحرُ ابنِ أبي كبْشةَ، فاسألوا السُّفَّارَ، فسألوهم فقالوا: نعم، قد رأيناه، فأنزَلَ الله هذه الآياتِ[4].

---

(١) «خمس وخمسون آية»: ليس في (ف).

(٢) ذكره الجرجاني في «درج الدرر» (٤/ ١٥٨١) عن الحسن.

(٣) ذكره عن مقاتل ابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ١٩٦)، لكنه قال: إلا ثلاث آيات أوّلها: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ نَحۡنُ جَمِيعٞ مُّنتَصِرٞ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَمَرُّ﴾ [الآيات: ٤٤ ـ ٤٦]. وذكر عنه قولاً آخر وهو: الاقتصار على الآية (٤٥).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ١٠٦)، ورواه أبو داود الطيالسي في «مسنده» (٢٩٣) دون ذكر نزول الآيات، ورواه البخاري (٣٦٣٦)، ومسلم (١٨٠٠) بلفظ: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ شقتين، فقال النبي ﷺ: «اشهدوا».

وفي التَّفسيرِ: سأَلَ أهلُ مكَّةَ النَّبيَّ عليه السَّلامُ آيةً فانشَقَّ القمرُ بمكَّةَ مرَّتَينِ(١).

ابنُ عبّاسٍ: انشَقَّ شقَّتَينِ حتّى رآه النّاسُ(٢).

وقالتِ اليهودُ: سُحِرَ القمرُ(٣)، وعلى هذا جُلُّ المُفسِّرين.

ورواه البخاريُّ والمسلمُ رحمَهما الله في «صحيحَيهما»(٤).

وذهبَ قومٌ إلى أنَّ هذا ممَّا يكونُ في القيامةِ؛ لقولِه: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾ [الانشقاق: ١].

منهم الحسنُ فقالَ: لو انشَقَّ ما بقي أحدٌ إلا رآه؛ لأنَّه آيةٌ، والنَّاسُ في الآياتِ سواءٌ(٥).

ومنهم عليُّ بنُ عطاءٍ قال: سينشقُّ القمرُ(٦).

وذهبَ ابنُ بحرٍ إلى أنَّ انشقاقَ القمرِ عبارةٌ عن وضوحِ أمرِ النَّبيِّ ﷺ وصحَّةِ

---

(١) رواه الترمذي في «تفسيره» (٣٢٨٦) عن أنس رضي الله عنه، وقال: «هذا حديث حسن صحيح».

(٢) رواه البخاري (٣٦٣٨)، ومسلم (٢٨٠٣).

(٣) لم أقف عليه من قول اليهود، وتقدمت الرواية فيه من قول قريش.

(٤) تقدم قريباً.

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٦١)، وعده من الغريب بل العجيب.

قلت: ويرده روايات «الصحيحين» التي صرحت بانشقاق القمر ورؤيته، ولا يستلزم ذلك أن يراه جميع الناس، وخصوصاً أنه وقع ليلاً في وقت يكون فيه أكثر الناس نياماً. ولعله لا يصح عن الحسن أو غيره من السلف.

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ١٩٤)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٢٠٧) عن عثمان بن عطاء عن أبيه. وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ١٩٧) وقال: «وهذا القول الشاذ لا يقاوم الإجماع، ولأن قوله: ﴿وَٱنشَقَّ﴾ لفظ ماض، وحملُ لفظ الماضي على المستقبل يفتقر إلى قرينة تنقله ودليل، وليس ذلك موجودًا، وفي قوله: ﴿وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةً يُعۡرِضُواْ﴾ دليل على أنه قد كان ذلك».

الإسلامِ، قال: وهذا كقولِهم للشَّيءِ المعروفِ المشهورِ: ابنُ جَلا، وهو القمرُ[١].

وهذانِ القولانِ خلافُ الإجماعِ، وخلافُ النَّصِّ أيضًا؛ فإنَّ قولَه سبحانَه: ﴿وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ لا يُمكِنُ حملُه على القيامةِ بإجماعٍ.

وقُرِئَ: (اقتربتِ السّاعةُ وقد انشَقَّ القمرُ)[٢].

وقيل: تقديرُه: انشَقَّ القمرُ فاقترَبَتِ السّاعةُ[٣].

ومعنى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ﴾: دَنَتْ دُنوًّا قريبًا؛ لأنَّ في (اقترَبَ) منَ المُبالغةِ ما ليس في (قَرُبَ)، وكذلك (اقتدَرَ)؛ لأنَّ أصلَ (افتعَلَ) طلبُ إعدادِ الشَّيءِ بالمُبالغةِ فيه.

و﴿ٱلسَّاعَةُ﴾: القيامةُ، ﴿وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾، وكان ليلةَ بدرٍ، قال أنسٌ رضي الله عنه: فصارَ فلقتَينِ حتَّى رأينا حراءَ بينَهما، وقال لنا رسولُ الله ﷺ: «اشهَدُوا»[٤].

* * *

(٢) - ﴿وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾.

﴿وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً﴾ تُوجِبُ العلمَ اليقينَ ﴿يُعْرِضُوا۟﴾ عن الإيمانِ بها كما أعرَضُوا

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٦١)، وعده من العجائب.

(٢) نسبت لحذيفة رضي الله عنه. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٤٨)، و«المحتسب» (٢/ ٢٩٧).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٦١)، واستغربه.

(٤) هذا السياق فيه خلل، فأنس لم يشهد هذه الحادثة، وقد روى البخاري (٣٨٦٨) عن أنس رضي الله عنه: «أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية، فأراهم القمر شقتين، حتى رأوا حراء بينهما».
ورواه البخاري (٤٨٦٨)، ومسلم (٢٨٠٢) عن أنس رضي الله عنه بلفظ: «انشق القمر فرقتين».
وقول النبي ﷺ فيه: «اشهدوا» ورد في حديث ابن مسعود رضي الله عنه كما رواه البخاري (٣٦٣٦)، ومسلم (٢٨٠٠).

عن انشقاقِ القمرِ، وقيل: إنَّه عامٌّ. ﴿وَيَقُولُواْ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾: مُحكَمٌ شديدٌ صاحبُه حاذِقٌ، منَ المِرَّةِ؛ تقولُ: أمرَرْتُه فاستَمَرَّ: أحكَمْتُه فاستَحْكَمَ.

وقيل: ﴿مُّسْتَمِرٌّ﴾: باطلٌ ذاهبٌ، منَ المُرورِ.

وقيل: ﴿مُّسْتَمِرٌّ﴾: يُشبِهُ بعضُه بعضًا، من قولِهم: مُطَّرِدٌ مُستمِرٌّ[1].

وقيل: ﴿مُّسْتَمِرٌّ﴾: دائمٌ استمرَّ منَ الأرضِ إلى السَّماءِ حتَّى سحرَ القمرَ.

* * *

(٣) - ﴿وَكَذَّبُواْ وَاتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾.

﴿وَكَذَّبُواْ وَاتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ﴾: ما مالَتْ إليه طباعُهم دونَ الحقِّ الواضحِ، وهما عطفٌ على ﴿يُعْرِضُواْ وَيَقُولُواْ﴾، ويجوزُ أن يكونَ استئنافًا.

﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾؛ أي: كلُّ مُنتهٍ إلى غايةٍ؛ لأنَّ الشَّيءَ إذا انتهى إلى غايتِه استقرَّ وثبتَ.

وقيل: مُستقرٌّ في الآخرةِ.

وقيل: مُستقرٌّ خيرُه وشرُّه لأهلِه.

وقيل: معناه: المقدورُ كائنٌ لا محالةَ.

* * *

(٤) - ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ الْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾.

﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم﴾: جاء أهلَ مكَّةَ في القرآنِ ﴿مِّنَ الْأَنۢبَآءِ﴾: أخبارِ الأممِ السّالفةِ ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾: ازدِجارٌ عن الكفرِ والمعاصي، تقولُ: زجَرْتُه وازدجَرْتُه إذا نهيتَه، وتاءُ الافتعالِ مع الزَّايِ والذَّالِ تصيرُ دالًا[2].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٦٢)، واستغربه.

(٢) وكذلك مع الدال. انظر: «شرح الكتاب» للسيرافي (٥/ ٤٤٣)، و«المفتاح» للجرجاني (ص: ٩٨).

(٥) ـ ﴿حِكۡمَةُۢ بَٰلِغَةٞۖ فَمَا تُغۡنِ ٱلنُّذُرُ﴾.

﴿حِكۡمَةُۢ بَٰلِغَةٞ﴾ بدلٌ من ﴿مَا فِيهِ﴾.

وقيل: هو حكمةٌ بالغةٌ؛ أي: القرآنُ حكمةٌ تامَّةٌ في الزَّجرِ.

وقيل: ﴿بَٰلِغَةٞ﴾: لا خللَ فيها ولا فسادَ.

وقيل: بالغةٌ منَ الله إليكم.

﴿فَمَا تُغۡنِ ٱلنُّذُرُ﴾ يجوزُ أن تكونَ (ما) نفيًا، ويجوزُ أن تكونَ استفهامًا ومحلُّه نصبٌ بـ﴿تُغۡنِ﴾.

و﴿ٱلنُّذُرُ﴾: جمعُ نذيرٍ، وهو الرُّسلُ(١).

وقيل: النَّذيرُ: المُنذَرُ منه.

وقيل: ﴿ٱلنُّذُرُ﴾: مصدرٌ بمعنى: الإنذارِ.

***

(٦) ـ ﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡۘ يَوۡمَ يَدۡعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيۡءٖ نُّكُرٍ﴾.

﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ﴾ فقد أدَّيتَ الرِّسالةَ، ودَعْني وإيَّاهم، وهذا تهديدٌ.

وقيل: تولَّ عنهم إلى أن تُؤمَرَ بالقتالِ، وتمَّ الكلامُ.

﴿يَوۡمَ يَدۡعُ ٱلدَّاعِ﴾ قيل: هو إسرافيلُ عليه السَّلامُ.

﴿إِلَىٰ شَيۡءٖ نُّكُرٍ﴾ قُرِئَ: بالضَّمِّ والسُّكونِ(٢)، والأصلُ الضَّمُّ، و(فُعُلٌ) في الوصفِ قليلٌ، حكَى سيبويهِ: «ناقةٌ أُجُدٌ»(٣).

---

(١) كذا في النسختين، والجادة: «وهو الرسول».

(٢) قرأ ابن كثير بسكون الكاف، والباقون بضمها. انظر: «السبعة» (ص: ٦١٧)، و«التيسير» (ص: ٢٠٥).

(٣) انظر: «الكتاب» (٤/ ٢٤٤)، وقال أبو سعيد السيرافي في «شرح الكتاب» (٥/ ١٤٠): «الأجد: =

والمعنى: فظيعٌ هائلٌ لـم يرَوا مثلَه، فيُنكِرونَه استعظامًا له.

واختلفُوا في عاملِ ﴿يَوْمَ يَدْعُ﴾ فقيلَ: (اذكُرْ) فيكونُ مفعولًا به لا ظرفًا.

وقيل: العاملُ فيه ﴿يَخْرُجُونَ﴾.

وقيل: تقديرُه: فتوَلَّ عنهم إلى يومِ يدعُ الدَّاعي، ولا تشفعْ لهم، كما تولَّوا عنكَ في الدُّنيا.

وقيل: انشَقَّ القمرُ يومَ يدعُ[1]، وهذا على قولِ مَن قالَ: سينشَقُّ.

* * *

(٧) - ﴿خُشَّعًا أَبْصَـٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾.

﴿خُشَّعًا أَبْصَـٰرُهُمْ﴾: ذليلةً خاضعةً عند رُؤيةِ العذابِ، وأضافَ إلى البصرِ لأنَّ ذِلَّةَ الذَّليلِ وعِزَّةَ العزيزِ تتبيَّنُ في نظرِه.

﴿يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾: منَ القبورِ، جمعُ (جَدَثٍ) و(جَدَفٍ) فإذا جمعْتَ قلتَ: (أجداثٌ) بالثَّاءِ لا غيرُ.

﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ في كثرتِهم وتفرُّقِهم في كلِّ جهةٍ.

* * *

(٨) - ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾.

﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ﴾: مُسرِعين قِبَلَه لانقيادِهم وذلِّـهم، ولأنْ لا يجدوا ملجأً.

= الشديد الخلق، يقال: ناقة أجد؛ إذا كانت كذلك». وفي «إصلاح المنطق» (ص: ٢١٨): «ناقةٌ أُجُدٌ: قوية مُوْثَقة الخَلْق». وفي «العين» (٦/ ١٦٧): «وهي التي فَقَارُ ظهرها متَّصل كأنّه عظمٌ واحد».

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٦٢)، وعده من العجائب، وقال: «وهو بعيد فاسد».

وقيل: ناظرينَ لا يُقلِعون أبصارَهم.

وقيل: يُسرِعون بنظرِهم قِبَلَ داعيهم.

وقيل: مادِّي أعناقِهم نحوَه.

وقيل: قابضينَ ما بين أعيُنِهم.

وقيل: مائلينَ(١) آذانهم إلى قولِ الدَّاعي. حكاهما الماورديُّ(٢).

﴿يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾: صعبٌ شديدٌ، مثلُه: ﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ [المدثر: ٩ ـ ١٠].

* * *

(٩) ـ ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ﴾.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾؛ أي: قبلَ قومِكَ ﴿فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا﴾ نوحًا، والمعنى: كذَّبَتْ قومُ نوحٍ بآياتِنا فكذَّبوا رسلَنا لأجلِ ذلك، فعطفَ بالفاءِ لأنَّ الثَّانيَ ظهرَ منَ الأوَّلِ.

﴿وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ﴾؛ أي: هو مجنونٌ ﴿وَٱزْدُجِرَ﴾: زُجِرَ عن أداءِ الرِّسالةِ بالشَّتمِ، وهُدِّدَ بالقتلِ.

مجاهدٌ: استُطِيرَ جُنونًا(٣).

* * *

(١) في «النكت والعيون»: «فاتحين».

(٢) انظر: «النكت والعيون» للماوردي (٥/ ٤١١).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ١٢٠)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ٢١٣).

(١٠) ـ ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴾.

﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى ﴾: بأني ﴿مَغْلُوبٌ ﴾: لا يُمكِنُني مُقاومتُهم إلّا بنصرِك ﴿فَٱنتَصِرْ ﴾: فانْتَقِمْ لي منهم.

* * *

(١١) ـ ﴿ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴾.

﴿ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ ﴾: فُتِحَت رِتاجُها.

ابنُ عيسى: فتحُ أبوابِها: إجراؤُه منَ السَّماءِ كجرَيانِه إذا فُتِحَ عنه بابٌ كانَ مانعًا له[١].

وعن عليٍّ رضي الله عنه: فُتِحَتِ السَّماءُ منَ المجرَّةِ، وهي شَرَجُ السَّماءِ[٢].

﴿بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾: مُنصَبٍّ انصبابًا شديدًا كما يسيلُ من أفواهِ القِرَبِ.

وقيل: مُتدفِّقٍ سريعِ الانصبابِ.

وقيل: بماءٍ سائلٍ خارجٍ عن طريقِ المُعتادِ لم ينقطعْ أربعينَ ليلةً، ولم يكن قطراتٍ.

* * *

(١٢) ـ ﴿ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾.

﴿ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا ﴾: فشقَقْنا الأرضَ عنِ الماء عيونًا تنبعُ منها، فصارت

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٦٣) دون نسبة، واستغربه.

(٢) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٧٦٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٢٠)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٢٩٧). وجاء في هامش (ن) عند كلمة «شرج»: «طريق».

الأرضُ كلُّها كالعيونِ، والعينُ: ما يفورُ منَ الأرضِ مُستديرًا كاستدارةِ عينِ الحيوانِ.

وهي نصبٌ على التَّمييزِ.

ويجوزُ: وفجَّرْنا في الأرضِ عيونًا؛ فيكونُ مفعولًا به، و﴿ٱلْأَرْضَ﴾ نصبٌ على الظَّرفِ بعد حذفِ الجارِّ.

وقيل: بعيونٍ، فحُذِفَ الجارُّ.

وقيل: ﴿عُيُونًا﴾ نصبٌ على الحالِ.

﴿فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ﴾ يعني: ماءَ الأرضِ وماءَ السَّماءِ، فسَدَّ اسمُ الجنسِ مسدَّ التَّثنيةِ؛ لأنَّه النِّهايةُ هاهنا، وقُرِئَ في الشَّواذِّ بالتَّثنيةِ[1]، وهو: (ماءانِ على أمرٍ)[2].

﴿قَدْ قُدِرَ﴾: قَدَرَه الله وقضاهُ لإهلاكِ الكفَّارِ.

وقيل: قُدِرَ في اللَّوحِ المحفوظِ.

وقيل: قُدِرَ ماءُ الأرضِ على مقدارِ ماءِ السَّماءِ.

وقيل: على ما قَدَرَه الله تعالى لا زيادةً ولا نُقصانًا.

وقيل: على أمرٍ قد عرفَ الله تعالى مقدارَه ومبلغَه.

* * *

(١٣) ـ ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ﴾.

﴿وَحَمَلْنَٰهُ﴾ يعني: نوحًا عليه السَّلامُ ومَن آمنَ معه ﴿عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ﴾: وهي

---

(١) أي: (فالتقى الماءان) نسبت للجحدري ومحمد بن كعب. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٤٨).

(٢) «وهو: ماءان على أمر»: ليس في (ف).

الخشباتُ العريضةُ، ﴿وَدُسُرٖ﴾: هي المساميرُ والشُّرُطُ التي تُشَدُّ[1] بها ألواحُ السفينةِ، واحدُها: دِسارٌ.

قال المُفسِّرون: هذه عبارةٌ وحكايةٌ عنِ السَّفينةِ.

ويحتمِلُ: على سفينةٍ ذاتِ ألواحٍ كثيرةٍ ودُسُرٍ كثيرةٍ؛ أي: عظيمةٍ.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: (دُسُرٌ): كَلْكَلُ السَّفينةِ وصَدْرُها[2].

مجاهد: عوارِضُها[3].

الضَّحَّاكُ: طرَفاها[4].

ويحتمِلُ أنَّه مصدرٌ ـ كالشُّغُلِ ـ بمعنَى: الدَّسْرِ، وهو الدَّفعُ؛ أي: ﴿عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ﴾؛ أي: تَدْسرُ الماءَ دَسْرًا[5]، من قولِه ﷺ في العنبرِ: «إنَّ ذلك شيءٌ دَسَرَه البحرُ»[6]؛ أي: دَفَعَه ورَماه.

* * *

(١) في (ف): «يسد».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ١٢٥)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ٢٢٠).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ١٢٥)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ٢٢٠).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ١٢٥)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ٢٢٠)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤١٢).

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٦٤) واستغربه.

(٦) لم أقف عليه مرفوعًا، وذكره البخاري قبل حديث (١٤٩٨) معلقًا عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: «ليس العنبر بركاز هو شيء دسره البحر»، ووصله الشافعي في «الأم» (٢/ ٤٥)، وعبد الرزاق في «مصنفه» (٦٩٧٧)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٠٠٥٨).

(١٤) ـ ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾.

﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾: بمرأى منَّا وحفظٍ، والباءُ للحالِ؛ أي: محفوظةً بنا[١].

وقيل: بأعيُنِ ملائكتِنا الحَفَظةِ، فحُذِفَ المُضافُ[٢].

وقيل: بأعينِ المياهِ التي فجَّرْنا الأرضَ عيونًا، فتكونُ الباءُ للظَّرفِ[٣].

مقاتل: بوحيِنا[٤].

وقيل: بإذنِنا.

﴿جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ (مَن) كنايةٌ عن نوحٍ عليه السَّلامُ، وتقديرُه: كُفِرَ به، قال الكسائيُّ: (كَفَرْتُه) و(كَفَرْتُ به) لغتانِ[٥].

مجاهدٌ: كنايةٌ عن الله[٦].

ابنُ عبَّاسٍ: انتصَرَ لنفسِه[٧].

الفرَّاءُ: جزاءً لكفرِهم، و﴿مَن﴾ بمعنى (ما) للمصدر[٨].

---

(١) في (ف): «منا».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٦٤)، وعده من العجائب.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٦٤)، وعده من العجائب.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٢٨١).

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٤/ ٣٨٩) بلا نسبة.

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ١٢٦).

(٧) هذا القول وقول مجاهدٍ واحد كما أفاد ابنُ عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٢١٥) حيث قال: «قال ابن عباس ومجاهد: (مَن) يراد بها الله تعالى؛ كأنه قال: غضباً وانتصاراً لله، أي: انتصر لنفسه، فأنجى المؤمنين وأغرق الكافرين».

(٨) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٠٧)، وفيه: «﴿جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ أي: جحد. يقول: فعلنا به وبهم ما فعلنا جزاء لما صنع بنوح وأصحابه، فقال: ﴿لِّمَن﴾ يريد: القوم، وفيه معنى: (ما)، ألا ترى =

وقُرِئَ في الشَّواذِّ: (جَزاءً لِمَنْ كَانَ كَفَرَ) بفتحتَينِ[١].

***

(١٥) ـ ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾.

﴿وَلَقَد تَّرَكْنَهَآ ءَايَةً﴾ يعني: سفينةَ نوحٍ، وكانت باقيةً حتَّى رآها أوائلُ هذه الأمّةِ[٢].

وقيل: تركْنا حديثَها.

وقيل: تركْنا أمثالَها منَ السُّفنِ.

وقيل: تركْنا تلك الفعلةَ وتلك العقوبةَ.

﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾: مُتَّعِظٍ يتَّعِظُ ويَعْتبرُ.

وقيل: معناها: هل من طالبِ خيرٍ فيُعَانَ عليه؟

وأصلُه: (اذْدكرَ): افتعَلَ منَ (الذِّكرِ) كما سبقَ، فأُدغِمَ الذَّالُ في الدَّالِ فصارَ دالًا.

***

(١٦) ـ ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾.

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ استفهامُ تعظيمٍ لِمَا مضَى، وتخويفٍ لمَن يُؤمِنُ

= أنك تقول: غرقوا لنوح ولما صُنع بنوح، والمعنى واحد»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٦٤)، واستغربه.

(١) انظر: «المحتسب» (٢/ ٢٩٨).

(٢) هو قول قتادةَ قال: أبقاهَا الله بأرضِ الجزيرةِ ـ وقيل: على الجُودِيِّ ـ دهراً طويلًا، حتَّى نظرَ إليها أوائلُ هذه الأمَّةِ. رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٠٦٢) بالرواية الثانية، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ١٢٨) بالروايتين.

بمحمَّـدٍ عليـه السَّـلامُ، والنُّذُرُ: اسـمٌ مـنَ الإنذارِ.

وقيل: جمعُ نذيرٍ؛ أي: وكيف كانَ حالُ نُذُرِي؟

وكُرِّرَ لأنَّ كلَّ واحدٍ وقعَ مع قصَّةٍ أخرى، فلم يكُنْ تكرارًا في المعنَى.

***

(١٧) ـ ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾: هوَّنَّاه وسهَّلْنا قراءتَه وتلاوتَه، ولولا ذلك ما أطاقَ العبادُ أن يتكلَّموا بكلامِ الله تعالى.

وقيل: يسَّرْناه للحفظِ حتَّى يحفظَه الصَّبيُّ والكبيرُ، والعربيُّ والعجميُّ، والأمِّيُّ والبليغُ، وسائرُ كتبِ الله تعالى يقرؤونَها نظرًا، ولا يحفظُها عن آخرِها أحدٌ حِفظًا.

وقيل: يسَّرْنا استنباطَ معانيه وسهَّلْنا علمَ ما فيه.

﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ يتذكَّرُ ما فيه؟ وهل من طالبِ علمٍ فيُعَانَ عليه؟ وهذا حثٌّ على الذِّكرِ؛ لأنَّه طريقُ العلمِ.

ثمَّ ختمَ قصَّةَ نوحٍ وعادٍ وثمودَ ولوطٍ به؛ لِـمَا في كلِّ واحدٍ منها منَ التَّخويفِ والتَّحذيرِ وبدائعِ ما حلَّ بهم، فيتَّعِظُ به تالي القرآنِ وحافظُه، ومَن يستنبطُ معانيَه، ويعِظُ غيرَه به. والله أعلم.

***

(١٨) ـ ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾.

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ﴾ سبقَ في سورةِ (النَّجمِ).

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾: ألـم يكُنْ مُبيرًا مُهلِكًا؟ ألـم يكُنْ حقًّا صِدْقًا؟!

***

(١٩) ـ ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِي يَوۡمِ نَحۡسٖ مُّسۡتَمِرّٖ﴾.

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا﴾: باردةً ذاتَ هُبوبٍ.

المُبرِّدُ: ﴿صَرۡصَرٗا﴾: شديدَ الصَّوتِ، قال الشّاعرُ:

كما صَرْصَـرَ العُصفُورُ في الرُّطَـبِ الثَّعْدِ[١]

﴿فِي يَوۡمِ نَحۡسٖ مُّسۡتَمِرّٖ﴾: مشؤومٍ دائمِ الشُّؤمِ.

وقيل: ﴿نَحۡسٖ﴾: باردٍ، قال الشّاعرُ:

وَلَيلَـةِ نحـسٍ يصطَلـي القَـوسَ رَبُّها وأقـطُـعَــه اللَّاتــي بـهــا يتَنَبَّـلُ[٢]

﴿مُّسۡتَمِرّٖ﴾: دائمٍ على مرورِ ساعاتِه.

وقيل: استمرَّ عليهم سبعَ ليالٍ وثمانيةَ أيّامٍ.

وقيل: استمرَّ بهم العذابُ إلى نارِ جهنَّمَ.

وقيل: ﴿مُّسۡتَمِرّٖ﴾: شديدٍ ماضٍ على الصَّغيرِ والكبيرِ، لـم يُبقِ منهم أحداً، وكان يومَ الأربعاءِ آخرَ الشَّهرِ[٣].

* * *

---

(١) عجز بيت ورد بلا نسبة في «الكامل» (١/ ١٧٩)، و«المحكم» (٢/ ٤)، و«لسان العرب» مادة: (ث ع د)، و«خزانة الأدب» (٦/ ٢٨١)، وصدره:

لَشَـتَّانَ مَـا بَينـي وَبَيـن رُعِاتهـا

الثَّعْدُ: ما لان من البُسْر. وقوله: «صرصر العصفور» قال المبرد: «أحسبه مستعاراً؛ لأن الأصل فيه أن يستعمل في الجوارح من الطير».

(٢) البيت للشنفرى. انظر: «ديوانه» (ص: ٦٩)، و«النكت والعيون» (٥/ ٤١٤).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٦٥)، واستغربه.

(٢٠) ـ ﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾.

﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ﴾: تَقْلَعُهم وترمِي بهم على رُؤوسِهم فتَدُقُّ رقابَهم.

وقيل: كانوا استَتَروا عن الرِّيحِ بحُفَرٍ حفَرُوها وتغطَّوا فيها، فنَزَعَتْهم الرِّيحُ من تلك الحفَرِ وصرعَتْهم مَوتى.

﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ هذا واقعٌ موقعَ الحالِ.

ابنُ عبَّاسٍ: أصولُ نخلٍ[1].

وقيل: أوراكُ نخلٍ، جمعُ عجُزٍ؛ لأنَّ الرِّيحَ كانت تُبينُ رؤوسَهم عن أجسادِهم فيبقى[2] بلا رأسٍ.

﴿مُّنقَعِرٍ﴾: مُنقلعٍ[3] من أصلِه؛ لأنَّ قَعْرَ الشَّيءِ أصلُه، تقولُ: قعَرْتُه فانقَعَرَ.

ولم يقُلْ: مُنقعِرةٍ؛ لأنَّ الجمعَ إذا لم يكُنْ بينَ واحدِه وجمعِه إلَّا هاءُ التَّأنيثِ جازَ تذكيرُه وتأنيثُه، كنخلةٍ ونخلٍ، وتمرةٍ وتمرٍ، ومثلِها.

قال مُقاتلٌ: كان طولُ الواحدِ منهم اثنَي عشرَ ذراعًا[4].

وقيل: أربعونَ. وقيل: ستُّونَ. وقيل: ثمانونَ.

وذُكِرَ في القِصَّةِ: أنَّ سبعةً منهم قاموا مُصطَفِّين على بابِ الشِّعبِ ليرُدُّوا الرِّيحَ عمَّن في الشِّعبِ منَ العيالِ، فجعلَتْ تجعَفُهم[5] رجلًا رجلًا حتَّى هلَكُوا.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ٢٣٠)، ورواه ابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٧/ ٦٧٨).

(٢) في (ف): «فبقي».

(٣) في (ف): «منقطع».

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ١٨١).

(٥) في هامش (ن): «قال: جعفه؛ إذا صرعه»، وفي «تهذيب اللغة» (١/ ٢٤٧): «جعفه وجعفه؛ إذا صرعه، وهذا مقلوب».

وذكرَ الثَّعلبيُّ أسماءَهم، وأنشدَ أبياتًا منها[١]:

والذي سدَّ مهبَّ الرِّيحِ أيَّامَ البَليَّاتِ[٢]

وعن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قالَ: «انتزَعتِ الرِّيحُ النَّاسَ من قُبورِهم»[٣].

وذُكِرَ أنَّ قولَه: ﴿أَعۡجَازُ نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ﴾ أرادَ تشبيهَ الحفَرِ التي حفَروها بأصولِ نخلٍ قد هلَكَ ما كانَ قائماً منها، وبقيَ موضعُها مُنقَعِرًا، وهذا بعيدٌ؛ لقولِه تعالى وتقدَّسَ: ﴿كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ﴾ ولم يقُلْ: كأنَّها.

***

(٢١ ـ ٢٢) ـ ﴿فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ٢١ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾.

﴿فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ٢١ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾ أعادَ في قصَّةِ عادٍ مرَّتينِ؛ فقيلَ: الأوَّلُ في الدُّنيا، والثَّاني في العُقبَى، كما قال في هذه القصَّةِ: ﴿لِّنُذِيقَهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَخۡزَىٰ﴾ [فصلت: ١٦].

وقيلَ: الأوَّلُ لتحذيرِهم قبلَ هلاكِهم، والثَّاني: لتحذيرِ غيرِهم بهم بعد هلاكِهم[٤].

***

(٢٣) ـ ﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ﴾.

﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ﴾ كذَّبوا صالِحًا، والنُّذُرُ[٥] جمعُ نذيرٍ.

---

(١) في (ف): «فيها».

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢٥/ ٢٢٨ ـ ٢٢٩).

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ٢٣٠) من طريق محمد بن قرظة بن كعب الأنصاري عن أبيه قرظة رضي الله عنه، ومحمد بن قرظة مجهول.

(٤) انظر: «درة التنزيل» للخطيب الإسكافي (٣/ ١٢٢٥ ـ ١٢٢٨).

(٥) «والنذر» من (ف).

وقيل: المواعظُ والكتبُ السّابقةُ.

وقيل: العذابُ.

***

(٢٤) ـ ﴿فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٗا مِّنَّا وَٰحِدٗا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٍ﴾.

﴿فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٗا مِّنَّا وَٰحِدٗا نَّتَّبِعُهُۥٓ﴾ أنتَّبعُ آدميًا مثلَنا ونُطيعُ واحدًا من جُـملتِنا ليس له فضلٌ علينا؟

﴿إِنَّآ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٍ﴾ ذهبَ بعضُهم إلى أنَّ السُّعُرَ الجنونُ، تقولُ العربُ: ناقةٌ مسعورةٌ؛ إذا كان بها جنونٌ.

وقيل: سُعُرٌ: عذابٌ، جمعُ سعيرٍ.

الفرَّاءُ: في عناءٍ عذابٍ(١).

وقيل: بُعْدٍ منَ الحقِّ.

وذكرَ ابنُ بحرٍ له وجهَين آخرَين:

أحدُهما: في احتراقٍ، كما يُقالُ: «هلكْنا واحترَقْنا» عندَ شدَّةِ الحالِ وعِظَمِ البليَّةِ.

والثَّاني: أنَّهم كانوا وُعِدُوا على الكفرِ بالنَّبيِّ الذي جاءَهم الضَّلالَ والنّارَ، فقالوا: إنِ اتَّبعْنا رجلًا مِنَّا صِرْنا إلى الضَّلالِ والنَّارِ.

***

---

(١) في (ن): «عناء وعذاب». وفي «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٠٨): «أراد بالسُّعُر: العَنَاء للعذاب». وهكذا نقله عنه الواحدي في «البسيط» (٢١/ ١٠٧).

(٢٥) ـ ﴿أَءُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾.

﴿أَءُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا﴾[١]؛ أي: الكتابُ والوحيُ[٢].

﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ﴾ فيما يدَّعيه ﴿أَشِرٌ﴾: عظيمُ الكذبِ.

وقيل: بطِرٌ فَرِحٌ يريدُ أن يَتعظَّمَ علينا.

وقيل: الأَشِرُ: الذي لا يُبالي ما يقولُ.

وقيل: مُتعدٍّ إلى منزلةٍ لا يَستحِقُّها.

* * *

(٢٦) ـ ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ﴾.

﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ﴾؛ أي: إذا لحقَ بهم[٣] العذابُ يومَ القيامةِ علمُوا أنَّهم الكاذِبونَ لا صالحٌ، وسمَّاه غدًا للتَّقريبِ وشدَّةِ الوعيدِ.

وقيل: ﴿غَدًا﴾ يُريدُ به: يومَ العذابِ في الدُّنيا.

* * *

(٢٧) ـ ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ﴾.

﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ﴾ ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: سألوا صالحًا عليه السَّلامُ أن يُخرِجَ لهم ناقةً حمراءَ عُشَراءَ من صخرةٍ ثمَّ تضعُ حملَها، ثمَّ تَرِدُ ماءَهم فتشربُه، ثمَّ تغدُو عليهم بمثلِه لبنًا، فأجابَ الله صالحًا عليه السَّلامُ إلى ذلك فقال:

---

(١) وقع بعد كلمة ﴿عَلَيْهِ﴾ في (ن): «أكد»، ولم يظهر لي وجهها.

(٢) في (ف): «الكتاب والذكر».

(٣) في (ف): «إذا لحقهم».

﴿إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ﴾[1]؛ أي: نُنشِئُها، فعبَّرَ عنه بالإرسالِ لأنَّ المعنى: نُوجِّهُها، وأصلُه من أرسلتَ الشَّيءَ: إذا أزلتَ عنه ما يحبِسُه عن الانبعاثِ. ﴿فِتْنَةً لَّهُمْ﴾: امتحانًا واختبارًا لهم؛ أيُؤمنونَ أم لا؟

﴿فَٱرْتَقِبْهُمْ﴾: فانتظِرْ ما هم صانِعونَ ﴿وَٱصْطَبِرْ﴾ على ما يُصيبُكَ من أذاهُم.

* * *

(٢٨) - ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾.

﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ﴾ يومٌ لـها ويومٌ لـهم، وجُمِعَ جمعَ السَّلامةِ تغليبًا للعقلاءِ.

﴿كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾: تَحضُرونَ شِربَكم: نصيبَكم منَ الماءِ، وتَحضرُ هي شربَها، لا يُزاحِمُ البعضُ البعضَ.

مجاهدٌ: إذا غابَتْ حضرتُم الماءَ، وإذا حضرَت الماءَ حضرتُم اللَّبنَ[2]. فالشِّربُ على هذا: الحظُّ منَ الماءِ واللَّبنِ.

* * *

(٢٩ - ٣١) - ﴿فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ﴾.

﴿فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ﴾ هو قُدارُ بنُ سالفٍ.

وقيل: كانا اثنين، قُدارٌ ومِصْدَعٌ، يُقالُ لقُدارٍ: أحمرُ ثمودَ، وأُحَيْمِرُ ثمودَ.

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢١/ ١١٠).

(٢) في (ن): «وإذا حضرتم الماء». رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ١٤٣).

قال الزَّجَّاجُ: وربَّما غلطَ بعضُ العربِ فيجعلُه أحمرَ عادٍ[١]. ويحتمِلُ أنَّ ذلك لِـمَا سبقَ أنَّ ثمودَ عندَ بعضِهم عادٌ الأخرَى.

﴿فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ﴾ جاء في القَصَصِ أنَّ عِدَّةً منهم ـ وفيهم قُدارٌ ـ تَواطَؤُوا على عقرِها، وكَمَنُوا لها بينَ جبلَين في مُرورِها، ثمَّ هابَ الآخَرون عن الإقدامِ، فتَعاطَى قُدارٌ هذا الفعلَ من قولِـهم: فلانٌ يتعاطَى هذا الأمرَ؛ إذا تكلَّفَ تناوُلَه.

وقيل: تعاطَى تناوُلَـها بيدِه فعقرَها.

وقيل: ارتفعَ على أطرافِ أصابعِه ثمَّ عقرَها كما تعطُو الشَّاةُ؛ إذا لـم تنَلِ الغُصنَ فرفعَتْ يدَيها.

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۝٣٠ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾: أسمَعَهم الله صيحةً فأهلَكَهُم بها في الحالِ.

وقيل: صاحَ بهم جبريلُ عليه السَّلامُ فماتُوا عن آخرِهم.

وقيل: كانَ صوتَ الفصيلِ[٢].

﴿فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ﴾؛ أي: صاروا بعدَ نضارتِهم وحُسنِهم كهشيمِ الشَّجرِ.

(هشيمٌ) بمعنى: مهشومٍ؛ أي: مكسورٍ، وهو ما يَبِسَ منَ الورقِ.

ابنُ عبَّاسٍ: العَظمُ المُحترِقُ[٣].

سعيدُ بنُ جُبَيرٍ: هو التُّرابُ يتَناثرُ منَ الحائطِ[٤].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٩٠).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٦٥)، واستغربه.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ١٤٥)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤١٦).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ١٤٦)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٦٨).

ابنُ زيدٍ: هو الشَّوكُ يُحظَرُ به حولَ المواشي[١].

مجاهدٌ: هو ما يُكسَّرُ من خشبِ الخيمةِ[٢].

والمُحتَظَرُ[٣]: المكانُ الذي يُحتظَرُ، والمُحتَظِرُ: المُبتني حظيرةً على غنَمِه أو بُستانِه، والمُحتَضِرُ: صاحبُ الحضيرةِ[٤].

وقيل: ﴿كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ﴾ الهشيمُ: ما يُعِدُّ المُحتَظِرُ منَ الحشيشِ لماشيتِه في الشِّتاءِ ووقتِ إعوازِ المرعى.

***

(٣٢ ـ ٣٤) ـ ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ﴾.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾: حجارةً.

وقيل: ﴿حَاصِبًا﴾: راميًا بالحصباءِ، وهو السَّحابُ، والحصباءُ: الحصا الصِّغارُ.

وقيل: ﴿حَاصِبًا﴾: ريحًا فيها حَصباءُ.

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤١٧) بلفظ: «الهشيم: اليابس من الشجر الذي فيه شوك، والمحتظر: الذي تَحْظُر به العرب حول ماشيتها من السباع».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ١٤٧).

(٣) بفتح الظاء قراءة الحسن. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٤٩)، و«المحتسب» (٢/ ٢٩٩).

(٤) في (ف): «والمحتظر: صاحب الحظيرة». والحضيرة: موضع التمر. انظر: «القاموس» مادة: (ح ض ر).

﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ﴾: ابنتَيه ومَن آمنَ معه ﴿نَّجَّيۡنَٰهُم بِسَحَرٖ﴾ منَ الأسحارِ، والباءُ للحالِ؛ أي: مُسْحِرِينَ، كما يقولُ: جاء بالغَداةِ؛ أي: غاديًا.

ويجوزُ أن يكونَ الباءُ الذي ينوبُ عن (في) ظرفِ المكانِ، تقولُ: شَرَبْتُ[1] ببغدادَ؛ أي: فيها.

* * *

(٣٥) ـ ﴿نِّعۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَن شَكَرَ﴾.

﴿نِّعۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا﴾؛ أي: للإنعامِ، فهي مفعولٌ له، والمعنى: فعَلْنا ذلك بهم لشُكرِهم ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَن شَكَرَ﴾؛ أي: مَن آمَنَ بالله لـم يُعذِّبْه مع المُشركينَ.

* * *

(٣٦) ـ ﴿وَلَقَدۡ أَنذَرَهُم بَطۡشَتَنَا فَتَمَارَوۡاْ بِٱلنُّذُرِ﴾.

﴿وَلَقَدۡ أَنذَرَهُم﴾ لوطٌ ﴿بَطۡشَتَنَا﴾: شدَّةَ أخذِنا وانتقامِنا ﴿فَتَمَارَوۡاْ بِٱلنُّذُرِ﴾: كذَّبوهُم بما قالوا.

وقيل: شكُّوا بالإنذارِ.

وقيل: جادَلوا لوطًا في الرُّسلِ الذين أتَوه في صورةِ الأضيافِ ليُمكِّنَهم منهم.

* * *

(٣٧) ـ ﴿وَلَقَدۡ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيۡفِهِۦ فَطَمَسۡنَآ أَعۡيُنَهُمۡ فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾.

﴿وَلَقَدۡ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيۡفِهِۦ﴾؛ أي: قصدُوا الفُجورَ بأضيافِ لوطٍ ﴿فَطَمَسۡنَآ أَعۡيُنَهُمۡ﴾ مسحَ جبريلُ عليه السَّلامُ بجناحِه أعيُنَهم فصاروا عُمْيًا لا يقدرونَ على الخروجِ[2].

---

(١) في (ن): «سَريتُ»، والمثبت من (ف)، وانظر: «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٨٧).

(٢) «على الخروج»: ليس في (ف).

الضَّحَّاكُ: أُخْفُوا عن أبصارِهم حتَّى لـم يرَوْهم مع بقاءِ أعيُنِهم[١].

﴿فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾؛ أي: وقُلْنا لهم.

وقيل: أمرٌ بمعنى الخبرِ؛ أي: فأذَقْناهُم.

* * *

(٣٨) ـ ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ﴾.

﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ﴾: نزلَ بهم فلم يُقلِعْ عنهم.

وقيل: ﴿مُّسْتَقِرٌّ﴾: حقٌّ.

وقيل: مُستَديمٌ إلى نارِ جهنَّمَ.

وقيل: العذابُ الأوَّلُ رَمْيُ الحجارةِ، وذلك لـم يستقِرَّ، والعذابُ الآخِرُ: الخسفُ، فبقيَ إلى يومِ القيامةِ.

ويحتمِلُ أنَّ العذابَ الأوَّلَ ذهابُ البصرِ، والثَّانيَ الخسْفُ.

* * *

(٣٩) ـ ﴿فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾.

﴿فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ كرَّر لأنَّ الثَّانيَ قامَ مقامَ قولِه: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾.

* * *

(٤٠ ـ ٤١) ـ ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ﴾.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ﴾: فرعونَ[٢] وخاصَّته وأتباعَه، و﴿النُّذُرُ﴾: موسى وهارونُ.

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤١٨).

(٢) في (ن): «آل فرعون».

وقيل: ما كانَ معه منَ الآياتِ.

***

(٤٢) ـ ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذۡنَٰهُمۡ أَخۡذَ عَزِيزٖ مُّقۡتَدِرٍ﴾.

﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا﴾ يجوزُ أن يكونَ الضَّميرُ لفرعونَ وآلِه، وعليه الجمهورُ.

ويجوزُ أن يكونَ الكلامُ تمَّ على قولِه: ﴿ٱلنُّذُرُ﴾، ثمَّ قالَ: ﴿كَذَّبُواْ﴾، فيكونُ إخبارًا عن جميعِ مَن تقدَّمَ ذِكرُهم، ولهذا لـم يأتِ بواوِ العطفِ.

﴿فَأَخَذۡنَٰهُمۡ أَخۡذَ عَزِيزٖ﴾: غالبٍ لا يُغلَبُ ﴿مُّقۡتَدِرٍ﴾: قادرٍ بالكمالِ.

وقيل: أهلكَهم بعِزَّتِه وقُدرتِه.

***

(٤٣) ـ ﴿أَكُفَّارُكُمۡ خَيۡرٞ مِّنۡ أُوْلَٰٓئِكُمۡ أَمۡ لَكُم بَرَآءَةٞ فِي ٱلزُّبُرِ﴾.

﴿أَكُفَّارُكُمۡ﴾ هؤلاءِ يا معشرَ العربِ ﴿خَيۡرٞ مِّنۡ أُوْلَٰٓئِكُمۡ﴾؛ أي: من أولئك الكفَّارِ فلا يلحقَهم ما لحقَ مَن تقدَّمَهم؟ استفهامُ إنكارٍ؛ أي: ليسوا بخيرٍ منهم.

﴿أَمۡ لَكُم بَرَآءَةٞ فِي ٱلزُّبُرِ﴾ أم لهم[1] براءةٌ منَ العذابِ في الكتبِ أنَّه لا يُصيبُهم ما أصابَ مَن قبلَهم؟

***

(٤٤) ـ ﴿أَمۡ يَقُولُونَ نَحۡنُ جَمِيعٞ مُّنتَصِرٞ﴾.

﴿أَمۡ يَقُولُونَ نَحۡنُ جَمِيعٞ مُّنتَصِرٞ﴾: ننتصرُ من أعدائِنا، فنحنُ يدٌ واحدةٌ على مَن خالفَنا وعادانا.

---

(١) في (ف): «ألهم» بدل: «أم لهم».

وقيـل: معناه: إنّـا مُجتمِعونَ مُتوافِقـون مُتَناصِرون ينصُرُ بعضُنـا بعضًا، ووحَّدَ ﴿مُّنتَصِرٌ﴾ حمـلًا على لفـظِ ﴿جَمِيعٌ﴾ كما يُحمَلُ علـى لفظِ (كلّ).

* * *

(٤٥) ـ ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾.

﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ في بعضِ التَّفاسيرِ: نزلَتْ في أبي جهلٍ، كان له فرسٌ كُميتٌ[1] يعلفُه كلَّ يومٍ فَرَقًا من ذُرةٍ، ويَحلِفُ باللّاتِ والعُزَّى ليقتُلَنَّ عليه محمَّدًا، فأنزلَ الله تعالى: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ﴾[2]؛ أي: جمعُ أهلِ مكّةَ في الحربِ، ﴿وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾: سيُصرَفُونَ مُنهزِمين؛ يعني: يومَ بدرٍ، وهذه علامةٌ من علاماتِ النُّبوّةِ.

وعن عمرَ رضي الله عنه أنّه قالَ: لـمَّا نزلَتْ هذه الآيةُ كنتُ لا أعلَمُ ما هي، فلمَّا كان يومُ بدرٍ رأيتُ رسولَ الله ﷺ يلبسُ الدِّرعَ ويقولُ: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾[3].

(الدُّبُرُ) اسمٌ للجنسِ، ولهذا لـم يُجمَعْ، وقيل: يُولِّي كلُّ واحدٍ الدُّبرَ.

* * *

(٤٦) ـ ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾.

﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾: موعـدُ عذابِهـم ﴿وَٱلسَّاعَةُ﴾؛ أي: عـذابُ يـومِ القيامـةِ ﴿أَدْهَىٰ﴾: أشدُّ من عذابِ السَّيفِ.

---

(١) الكميت: مشتق من الكمتة، وهو لون بين السواد والحمرة يكون في الخيل والإبل ونحوها. انظر: «المحكم» (٦/ ٧٨١).

(٢) ذكره أبو حفص النسفي في «التيسير في التفسير» عند هذه الآية بأتم من هذا.

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٠٦٩)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ١٥٧)، وقراءة النبي ﷺ للآية يوم بدر رواها البخاري (٤٨٧٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وقيل: من عذابِ الدُّنيا، والدَّاهيةُ: الأمرُ الشَّديدُ الذي لا يُهتَدى لدوائِه.

وقيل: أخبَثُ.

وقيل: أعظَمُ.

﴿وَأَمَرُّ﴾؛ أي: أمرُّ مَذاقًا من عذابِ الدُّنيا.

وقيل: ﴿أَمَرُّ﴾: أشدُّ، منَ (المِرَّةِ).

***

(٤٧) ـ ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَـٰلٍ وَسُعُرٍ﴾.

﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَـٰلٍ﴾ عن الحقِّ[1] في الدُّنيا ﴿وَسُعُرٍ﴾ في عذابِ النَّارِ في الآخرةِ.

وقيل: ﴿فِى ضَلَـٰلٍ وَسُعُرٍ﴾: جنونٍ، جوابٌ لقولِهم: ﴿إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَـٰلٍ وَسُعُرٍ﴾ [القمر: ٢٤].

***

(٤٨) ـ ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ﴾.

﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ﴾: يُجَرُّونَ في النّارِ ﴿عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ ويُقالُ لهم: ﴿ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ﴾: إصابةَ جهنَّمَ إيّاكم بالعذابِ، و(سَقَرُ) من أسماءِ جهنَّمَ.

***

(٤٩) ـ ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَـٰهُ بِقَدَرٍ﴾.

﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَـٰهُ بِقَدَرٍ﴾؛ أي: كلُّ ما خلَقْناه مقدورٌ مكتوبٌ في اللَّوحِ المحفوظِ قبل وُقوعِه.

---

(١) في (ف) زيادة: «يعني».

وقيل: كلُّ ما خلَقْناه جعَلْناه على مقدارٍ نعلمُه؛ كقولِه: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: ٨].

وقيل: هذا يعودُ إلى العذابِ، و﴿بِقَدَرٍ﴾؛ أي: بقَدَرِ أعمالِكم تُعذَّبونَ.

ابنُ بحرٍ: أي: كلُّ شيءٍ خلقناه فهو على قَدرٍ[1] ما أَرَدْناه لا زائدًا ولا ناقصًا.

وفي سببِ النُّزولِ عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: جاءَ قُريشٌ يختَصِمونَ في القَدَرِ، فأنزَلَ الله هذه الآيةَ[2].

وعن أبي أُمامةَ الباهليِّ مُسَلسَلًا يقولُ: أشهدُ بالله لسمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ في هذه الآيةِ: «إنَّها نزلَتْ في القَدْرِيّةِ»[3].

وعن النَّبيِّ ﷺ مرفوعًا: «إنَّ هذه الآيةَ نزلَتْ في أُناسٍ من آخرِ هذه الأمَّةِ يُكذِّبونَ بقَدَرِ الله»[4].

وتقديرُ الآيةِ: إنَّا خلَقْنا كلَّ شيءٍ بقَدَرٍ.

و﴿كلَّ﴾ منصوبٌ بمُضمرٍ دلَّ عليه ما بعدَه.

وقيل: بدلٌ من اسمِ (إنَّ) بدلَ الاشتمالِ.

---

(١) «قدر» ليست في (ن).

(٢) رواه مسلم (٢٦٥٦)، ولفظه: «جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله ﷺ في القدر، فنزلت».

(٣) رواه ابن عدي في «الكامل» (٧/ ٩٨)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٠١)، والسيوطي في «جياد المسلسلات» (ص: ١٧٠)، وضعفه ابن عدي بعفير بن معدان، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦٨٣) لابن عدي وابن مردويه والديلمي، وضعف إسناده.

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٢١)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٥٣١٦)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٣٠٨٦) عن زرارة رضي الله عنه، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١١٧): «رواه الطبراني، وفيه عبد الوهاب بن مجاهد وهو ضعيف».

ولم يُقرأ بالرَّفعِ؛ لأنَّ الرفعَ يحتمِلُ وجوهًا كلُّها مرغوبٌ عنها في حقِّ الله تعالى.

***

(٥٠) ـ ﴿وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۢ بِٱلۡبَصَرِ﴾.

﴿وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۢ بِٱلۡبَصَرِ﴾؛ أي: إذا أرَدْنا خلقَ شيءٍ قُلنا مرَّةً واحدةً: «كُنْ» فيكونُ، لا مُراجعةَ فيها.

وقيل: إذا أرَدْنا خلقَ شيءٍ خلَقْناه بمرَّةٍ واحدةٍ، وإرادةٍ واحدَةٍ، بلا مُعاناةٍ ولا معالجةٍ، ﴿كَلَمۡحِۢ بِٱلۡبَصَرِ﴾ على قَدرِ ما يلمَحُ أحدُكم ببصرِه.

وقيل: المُرادُ بـ﴿أَمۡرُنَآ﴾: القيامةُ؛ كقولِه: ﴿وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ﴾ [النحل: ٧٧].

***

(٥١) ـ ﴿وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَآ أَشۡيَاعَكُمۡ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾.

﴿وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَآ أَشۡيَاعَكُمۡ﴾: أمثالَكُم منَ الأممِ المُتقدِّمة.

وقيل: أتباعَكم في مُحاربةِ رسولِ الله ﷺ.

﴿فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾: مُتَّعظٍ.

***

(٥٢) ـ ﴿وَكُلُّ شَيۡءٖ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ﴾.

﴿وَكُلُّ شَيۡءٖ فَعَلُوهُ﴾؛ أي: أولئك الكفّارُ ﴿فِي ٱلزُّبُرِ﴾ قيل: في كتُبِ الحفظةِ.

وقيل: كان مكتوبًا في اللَّوحِ المحفوظِ قبل أن يفعلوه[1].

---

(١) في (ف) زيادة: «﴿فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾».

(٥٣) ـ ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾.

﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾ منَ الذُّنوبِ والطّاعاتِ ﴿مُّسْتَطَرٌ﴾: مكتوبٌ في اللَّوحِ المحفوظِ.

وقيل: في كتُبِ الحفظةِ، وأعادَ الذِّكرَ؛ لأنَّ الأوَّلَ خاصٌّ، وهذا عامٌّ.

وقيل: كلُّ صغيرٍ وكبيرٍ منَ الأرزاقِ والآجالِ والموتِ والحياةِ وغيرِ ذلك مكتوبٌ.

* * *

(٥٤) ـ ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾؛ أي: أنهارٍ، فوحَّدَ لرَويِّ الآيةِ.

وقيل: في نهرِ ضياءٍ ونورٍ.

وقيل: في سَعةٍ منَ العيشِ.

* * *

(٥٥) ـ ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾.

﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾: في غايةِ الرِّضا.

وقيل: حقٌّ لا لغوَ فيه ولا تأثيمَ.

وقيل: في مقعدٍ صدَقَ اللهُ وَعْدَه أولياءَه فيه، فاكتَفَى بالمصدرِ.

و(المقعدُ): موضعُ القُعودِ، وكذلك القُعودُ.

﴿عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾؛ أي: عندَ اللهِ المالكِ القادرِ الذي لا يُعجِزُه شيءٌ، والمعنى: في كنَفِه وضيافتِه.

وقيل: في علمِ اللهِ صائرونَ إلى ذلك، جعلَنا اللهُ منَ المُتَّقين الفائزينَ برحمتِه.

سُورَةُ الرَّحۡمَٰن

سورة الرحمن

ثمانٍ وسبعونَ آيةً[1]، مكِّيَّةٌ.

ابنُ عبَّاسٍ وقتادةُ: إلّا آيةً منها نزلَتْ بالمدينةِ، وهي: ﴿يَسْئَلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ الآيةَ [٢٩][2].

وعن ابنِ مسعودٍ ومُقاتلٍ: مدَنيَّةٌ[3].

وجاء عن بعضِهم التَّوقُّفُ فيها.

وعن النَّبيِّ ﷺ: «لكلِّ شيءٍ عروسٌ، وعروسُ القرآنِ سورةُ الرَّحمنِ»[4].

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾.

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ هو اللهُ عزَّ وجلَّ، اسمٌ لا يستطيعُ النَّاسُ أن ينتَحِلوه، نزلَتْ حينَ قالوا: ﴿وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [الفرقان: ٦٠][5].

---

(١) «ثمان وسبعون آية»: ليس في (ف). وانظر: «البيان في عد آي القرآن» (ص: ٢٣٧) وفيه: «وهي سبعون وستٌّ بَصْري، وسبعٌ مدنيان ومكي، وثمانٍ كُوفي وشامي».

(٢) ذكره عن ابن عباس رضي الله عنهما الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٢٢)، والجرجاني في «درج الدرر» (٤/ ١٥٨٥).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٢٢).

(٤) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ٢٨٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٢٦٥) عن علي رضي الله عنه.

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ١٩٥)، و«تفسير السمرقندي» (٣/ ٣٧٨)، و«تفسير الثعلبي» (٢٥/ ٢٨٨).

سعيدُ بنُ جُبَيرٍ: هو مجموعُ ثلاثِ سُوَرٍ: ﴿الٓر﴾ ﴿حمٓ﴾ ﴿نٓ﴾[1]، وهذا كأنَّه أخذَ قولَ ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما، حيثُ قال: ﴿الٓر﴾ ﴿حمٓ﴾ ﴿نٓ﴾: هو الرَّحمنُ[2]، ثمَّ عكَسَه، فقالَ: الرَّحمنُ مجموعُ ثلاثِ سورٍ، وبينَ القولَين بَوْنٌ.

* * *

(٢) - ﴿عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾.

﴿عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ هـذا ردٌّ على مَن قـالَ: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ [النحل: ١٠٣]، و: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾ [ص: ٧]؛ أي: الرَّحمنُ علَّم محمَّدًا القرآنَ ليُعلِّمَه أمَّتَه.

وقيل: مكَّنَهُم من تعلُّمِه بأن أنزَلَه عربيًّا[3].

وقيل: من رحمتِه تعليمُ القرآنِ.

والتَّعليمُ: تبيينُ ما يصيرُ به المرءُ عالـمًا، والإعلامُ: إيجادُ ما يصيرُ به عالِـمًا.

وقيل: معناه: جعَلَه آيةً يُعتبَرُ بها[4].

* * *

(٣ - ٤) - ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾.

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾:

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٢٣)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ١٠٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٠٩٨) بنحو خبر ابن عباس رضي الله عنهما الآتي، ولفظه: «الر وحم ون هو الرحمن مقطع».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ١٠٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٩٩٤).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٦٧)، واستغربه.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٦٧)، وعده من العجائب، وفيه: «العجيب: معناه: جعل القرآن علامةً لمن يَعتبر بها، ولهذا عدي إلى مفعول واحد».

قيل: الإنسانُ عامٌّ، والبيانُ: الكلامُ، وقيل: التَّمييزُ والنُّطقُ.

وقيل: الإنسانُ: آدمُ صلَواتُ الله عليه علَّمَه الأسماءَ، وقيل: جميعَ اللُّغاتِ.

وقيل: الإنسانُ: محمَّدٌ عليه السَّلامُ، والبيانُ: القرآنُ فيه بيانُ ما كانَ وما يكونُ.

وقيل: الإنسانُ: عامٌّ، والبيانُ: الكتابةُ والخطُّ بالقلمِ، وقيل: ما يقولُ ويُقالُ له، وقيل: الخيرُ والشَّرُّ وما يأتي ويذَرُ.

ولم يأتِ بحرفِ العطفِ لأنَّه يجوزُ[1] أن يكونَ خبرًا بعدَ خبرٍ، أو لأنَّ ما فيها منَ العائدِ قام مقامَ العاطفةِ، أو لأنَّ كلَّ واحدٍ منها مُستأنَفٌ.

***

(٥) ـ ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ﴾.

﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ﴾؛ أي: يجريانِ بحسابٍ ومنازلَ، فالشَّمسُ تقطعُ بروجَ السَّماءِ في ثلاثِ مئةٍ وخمسٍ وستِّينَ يومًا، والقمرُ يقطعُها في ثمانيةٍ وعشرينَ يومًا.

وقيل: ذاتُ كلِّ واحدٍ منهما بحسابٍ؛ فالشَّمسُ سعتُها ستَّةُ آلافٍ وأربعُ مئةِ فرسخٍ في مثلِها، وسعةُ القمرِ ألفُ فرسخٍ في ألفِ فرسخٍ[2]. والله أعلَمُ.

وقيل: لهما أجلٌ وحسابٌ، فإذا انتهَيا إليه هلَكا.

وقيل: يُعرَفُ من جَرْيِهما الحسابُ، كقولِه: ﴿لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَ﴾ [يونس: ٥][3].

---

(١) في (ف): «بحرف العطف لجواز».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٦٧)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٦٧)، وعده من العجائب.

والحُسبانُ: مصدرُ (حَسَبْتُ)، وقيل: جمعُ حسابٍ؛ كشهابٍ وشُهبانٍ.

وخبرُ المبتدأ مُضمَرٌ؛ أي: يجريانِ بحسابٍ، وقيل: الجارُّ خبرُه؛ كما تقولُ: فلانٌ بخيرٍ؛ أي: له خيرٌ[1].

***

(٦) ـ ﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾.

﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾:

قيل: النَّجمُ هاهنا: ما لا ساقَ له منَ النَّباتِ؛ لاقترانِه بالشَّجرِ.

وقيل: النَّجمُ: هو كوكبُ السَّماءِ.

واشتِقاقُ النَّجمين[2] من (نجَمَ)؛ إذا طلَعَ.

وسجودُهما: حملُ غيرِهما على السُّجودِ.

وقيل: سجودُهما: دلالتُهما على التَّوحيدِ.

وقيل: سجودُهما بظلالِـهما.

وقيل: هما يسجُدانِ ولا نَقِفُ على سجودِهما؛ كما قالَ: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤].

***

(٧) ـ ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ﴾.

﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا﴾؛ أي: رفعَها على الأرضِ. وقيل: معناه: خلقَها رفيعةً.

ونصبَ (السَّماءَ) وحقُّها منَ الإعرابِ الرَّفعُ؛ لأنَّ الجملةَ التي قبلَها جملةٌ

---

(١) في (ف): «فلان بخبر أي له خبر».

(٢) في (ن): «النجم».

اسـميَّةٌ، لكـنَّ خبرَ المبتـدأ الأوَّلِ جملـةٌ فعليَّةٌ، فجازَ النَّصـبُ لذلك(١).

﴿وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ﴾ يُريدُ: الميزانَ المعهودَ، له لسانٌ وعمودٌ وكِفَّتانِ.

وقيل: أنزَلَ الله تعالى الميزانَ زمنَ نوحٍ عليه السَّلامُ.

وقيل: ألهمَ النّاسَ كيفيَّةَ اتِّخاذِ الميزانِ؛ كما تقولُ: وضعَ لنا مثالًا نعملُ عليه.

وقيل: الميزانُ: عبارةٌ عن العدلِ(٢).

وقيل: الميزانُ: القرآنُ، حكاه الثَّعلبيُّ(٣).

* * *

(٨) ـ ﴿أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ﴾.

﴿أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ﴾: لأَنْ لا تطغَوا؛ أي: لأنْ لا تُجاوِزُوا الحدَّ والإنصافَ فيما لكم وعليكم.

وقيل: لئلَّا تتَّخِذُوا إحدى كِفَّتَيه أرجحَ منَ الأُخرى، فتستَوفُوا بالأخفِّ وتُوفُوا بالأرجحِ.

وقيل: (أنْ) هي المُفسِّرةُ، و(لا) للنَّهيِ.

---

(١) قوله: «لأنَّ الجملةَ التي قبلَها جملةٌ اسميَّةٌ»؛ أي: لأن الذي تقدمها جملةٌ اسمية وهي: ﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾، وقوله: «لكنَّ خبرَ المبتدأ الأوَّلِ جملةٌ فعليَّةٌ، فجازَ النَّصبُ لذلك»؛ أي: لكنها نصبت حملاً على الجملة الفعلية التي وقعت خبراً في الجملة الاسمية وهي ﴿يَسْجُدَانِ﴾، فجاءت في جملة فعلية منصوبة بفعل مضمر يفسره المذكور؛ أي: رفع السماء رفعها. مستفاد من «غرائب التفسير» (٢/ ١١٦٨).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٦٨)، واستغربه، وهذا القول خلاف قول الجمهور.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ٢٩٦) عن الحسين بن الفضل، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٦٨)، وعده من العجائب.

(٩) ـ ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ﴾.

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ﴾؛ أي: لسانَ الميزانِ ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾: بالعدلِ.

وقيل: الإقامةُ باليدِ، والقِسطُ بالقلبِ.

﴿وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ﴾: ولا تُنقِصُوه، و(خسَرَ) و(أخسَرَ) لُغتانِ[١].

وقيل: الميزانُ: ميزانُ القيامةِ، فلا تُخسِرُوا ميزانَ أعمالِكم.

وقيل: الميزانُ: العقلُ، فلا تُخسِرُوه بأن يكونَ مُعطَّلًا غيرَ مُتَّبعٍ.

وصرَّحَ [بذكرِ] الميزانِ ولم يُضمِرْ؛ ليكونَ قائمًا بنفسِه غيرَ مُحتاجٍ إلى الأوَّلِ[٢].

وقيل: لأنَّ كلَّ واحدٍ منهما غيرُ الآخرِ[٣].

وقيل: لأنَّها نزلَتْ مُتفرِّقةً في أزمنةٍ مختلفةٍ، فاقتضى الإظهارَ[٤].

* * *

(١٠) ـ ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾.

﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ بسطَها، وقيل: خلقَها، والأحسنُ: خلقَها موضوعةً.

والأنامُ: الإنسُ، وقيل: الإنسُ والجنُّ، وهما المُخاطَبانِ فيما بعدُ.

وقيل: الأنامُ كلُّ ذي روحٍ، وليس على التَّرتيبِ من هذا التَّركيبِ غيرُه، وجاء: الأنيمُ أيضًا بمعناه.

---

(١) انظر: «ما جاء على فعلت وأفعلت» للجواليقي (ص: ٣٨)، وقد ضبطت في (ن): «خَسِرَ»، وهو خطأ. وانظر: «تاج العروس» مادة: (خ س ر) (١١/ ١٦٤).

(٢) انظر: «درة التنزيل» للخطيب الإسكافي (٣/ ١٢٣١)، و«غرائب التفسير» (٢/ ١١٦٨)، وما بين معكوفتين منه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٦٨) وعده من العجائب.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٦٨) واستغربه.

وقيل: هو مقلوبُ (نأمَ) إذا صوَّتَ[١].

* * *

(١١) ـ ﴿فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ﴾.

﴿فِيهَا فَٰكِهَةٞ﴾ نُكِّرَ بكثرتِها وعمومِها[٢].

﴿وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ﴾: ذاتُ الأحمالِ، والكُمُّ: الكُفُرَّى[٣]، وقد سبقَ.

* * *

(١٢) ـ ﴿وَٱلۡحَبُّ ذُو ٱلۡعَصۡفِ وَٱلرَّيۡحَانُ﴾.

﴿وَٱلۡحَبُّ﴾: هو الحِنطةُ والشَّعيرُ والذُّرةُ وغيرُ ذلك.

﴿ذُو ٱلۡعَصۡفِ﴾ العَصْفُ: التِّبنُ.

وقيل: ورَقُ الزَّرعِ إذا كُسرَ[٤]، تقولُ: عصَفْتُه؛ إذا دقَقْتَه وفركتَه، ويُسمَّى: العصفَ والعصيفةَ.

وقيل: العَصفُ: أوَّلُ ما يبدو منَ الزَّرعِ.

وقيل: العَصفُ: بقلُ الزَّرعِ، والعربُ تقولُ: خرَجْنا نعتصِفُ الزَّرعَ؛ إذا قطَفُوا[٥] منه شيئًا قبل أن يُدرِكَ.

وقيل: العَصْفُ: النَّباتُ الأخضرُ الذي منه الرَّيحانُ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٦٨)، واستغربه.

(٢) في (ف): «تكثر وعمومها» بدل: «نُكِّرَ بكثرتِها وعمومِها»، ولو قال: «لكثرتها»، لكان أظهر.

(٣) الكُفرَّى: وعاء الطلع. انظر: «جمهرة اللغة» (٢/ ٧٨٦).

(٤) في (ن): «يبس».

(٥) في (ف): «قطعوا».

وقيل: العَصْفُ: ما يُؤكَلُ منَ الحبِّ والثَّمرِ وغيرِهما، قال:

إذا جُـمادَى منَعَـتْ قطرَهـا زانَ جَنـابِيْ عَطَـنٌ مُعْصِـفُ[1]

أي: يُعطي ما يُؤكَلُ.

﴿وَٱلرَّيۡحَانُ﴾: هو المشمومُ المشهورُ.

وقيل: الرَّيحانُ: الرِّزقُ، تقولُ العربُ: خرَجْتُ أطلبُ ريحانَ الله؛ أي: رزقَه.

وقيل: الذي في الآيةِ الرِّزقُ، وتقديرُ الآيةِ: والحبُّ ذو علَفِ الأنعامِ، وطعامِ الأنامِ.

ووزنُ (رَيحان) عندَ الحذّاقِ: فَيْعِلان؛ رَيْوِحَان، قُلِبَ وأُدغِمَ ثمَّ خُفِّفَ.

وقيل: فَعْلان، قُلِبَ واوُه ياءً من غيرِ مُوجِبٍ.

وهو اسمٌ، وقيل: مصدرٌ.

الرَّفعُ بالعطفِ على (الحبُّ)، والجرُّ على ﴿ٱلۡعَصۡفِ﴾، والنَّصبُ بالعطفِ على (الحبَّ) بعدَ أن نصبتَه عطفًا على (وضَعَ) لأنَّه بمعنى: خلَقَ[2].

---

(١) نسب لأبي قيس بن الأسلت الأنصاري. انظر: «المقصور والممدود» لأبي علي القالي (ص: ٢٥١)، و«الصحاح» مادة: (ع ص ف) (٤/ ١٤٠٤)، وفيه: «مكانٌ مُعْصِفٌ؛ أي: كثير الزرع».
ونسب لأحيحة بن الجلاح كما في «شرح القصائد السبع» لابن الأنباري (ص: ٥٤٤)، و«تهذيب اللغة» مادة: (غ ض ف) (٨/ ٥٥)، والرواية فيه: «عطن مُغضف»، وقال الأزهري: «أراد بالعطن هاهنا: نَخيلَةُ الرّاسخَةَ في الماء الكثيرةَ الحمل، وعَطنٌ مُغْضِفٌ: إذا كَثُر نَعَمُه. وعيشٌ أغْضَفُ: إذا كان رخيًّا خصيباً، ويقال: تغضَّفتْ عليه الدنيا؛ إذا كَثُر خيرها له، وأقبلت عليه. قال: ورواه ابن السّكيت: عَطَنٌ مُعْصِف، وقال: هو من العَصْفِ وهو ورقُ الزرع».

(٢) قرأ ابن عامر: ﴿والحبَّ ذا العَصْفِ والرَّيحانَ﴾ بالنَّصب في الثلاثة، وقرأ حمزة والكسائي: ﴿والريحَانِ﴾ بالخفض وما عداه بالرفع، والباقون برفع الثلاثة. انظر: «السبعة» (ص: ٦١٩)، =

(١٣) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ الآلاءُ: النَّعماءُ، وقيل: القدرةُ، وقد سبقَ.

والخطابُ للإنسِ والجنِّ، وقد تقدَّما في قولِه: ﴿لِلْأَنَامِ﴾ [الرحمن: ١٠].

وقيل: خطابٌ للثَّقلَين في قولِه: ﴿أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ [الرحمن: ٣١] وإن تأخَّرَ لفظًا.

وقيل: لـمَّا تقدَّمَ ذكرُ أحدِهما وقرُبَ ذكرُ الآخرِ جازَ أن يُذكرَ بلفظِ التَّثنيةِ[1]، قال:

ولا أدري إذا يَمَّمْتُ أرضًا أُريدُ الخيرَ أيُّهما يَليني
أَأَلخيرُ الذي أنا أَبتَغِيْه أم الشَّرُّ الَّذي لا يأتَليني[2]

أي: لا يُقصِّرُ عنِّي.

ويحتمِلُ أنَّ ذكرَهما في قولِه: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾.

= و«التيسير» (ص: ٢٠٦).

وقوله: «بعدَ أن نصبتَه عطفًا على (وضَعَ) لأنَّه بمعنى: خلَقَ»، لعله على أحد احتمالين:

الأول: أن يكون فيه تجوُّزٌ والمراد: عطفاً على معمول (وضع) على أن (وضع) بمعنى: خلق، والتقدير: وخلق الميزانَ والحبَّ والريحانَ.

والثاني: أن ينصب بتقدير: ووضَعَ الميزانَ وخَلَقَ الحبَّ والرَّيحانَ، كقوله:

علفتُها تبناً وماءً بارداً

أي: وسقيتها ماءً.

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٦٩)، واستغربه.

(٢) البيتان للمثقب العبدي. انظر: «المفضليات» (ص: ٢٩٢)، و«الشعر والشعراء» (١/ ٣٨٤)، وفيهما: «الشر الذي هو يبتغيني» بدل «الشر الذي لا يأتليني».

وقيل: خاطب الواحدَ بلفظِ التَّثنيةِ والمرادُ به الإنسُ[١]؛ كقولِه:

فـإنْ تزجُـراني يـا بـنَ عفَّـانَ أنْزَجِـرْ وإنْ تَـدَعـاني أَحـمِ أنفًـا مُـمَنَّعا[٢]

وفي تكرارِ هذه الآيةِ في سورةٍ واحدةٍ أقوالٌ:

أحدُها: أنَّه تكرارٌ للتَّأكيدِ، والعربُ كما تختارُ الإيجازَ في مواضعَ تختارُ الإطنابَ في مواضعَ، منها الخُطَبُ والمقاماتُ والمواعظُ، قال مُهلهِلُ بنُ ربيعةَ يرثي أخاه كُليبًا:

عَلَـى أَنْ ليـسَ عَـدْلًا مـن كليبٍ إذا طُـرِدَ اليـتـيـمُ عـنِ الجَزُورِ
عَلَـى أَنْ ليـسَ عَـدْلًا مـن كليبٍ إذا مـا ضِيـمَ جِيـرَانُ المُجيـرِ
عَلَـى أَنْ ليـسَ عَـدْلًا مـن كليبٍ إذا خرَجَـتْ مُخبَّـأةُ الخُـدُورِ[٣]

ومثلُه قولُـهم[٤]:

كـم نعمـةٍ كانَـتْ لكُـم كَمْ كَـمْ وكَـمْ[٥]

والثَّاني: أنَّ كلَّ واحدٍ منها غيرُ الأوَّلِ، فأعادَ لتقريرِ النِّعمةِ بعد النِّعمةِ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٦٩)، وعده من العجائب.

(٢) نسب البيت لسويد بن كراع العكلي. انظر: «شرح المعلقات السبع» للزوزني (ص: ٣٥)، وتقدم عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ﴾ [ق: ٢٤] برواية: «أحم عرضاً ممنعاً»، وهي الرواية في جميع المصادر التي وقفت عليها، والرواية التي ذكرها المصنف هاهنا لم أجدها سوى في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٦٩).

(٣) انظر: «أمالي اليزيدي» (ص: ١٢٠)، و«أمالي القالي» (٢/ ١٣٢)، و«النكت والعيون» (٥/ ٤٢٧).

(٤) «قولهم»: ليس في (ف).

(٥) الرجز بلا نسبة في: «معاني القرآن» للفراء (١/ ١٧٧)، و«الصاحبي في فقه اللغة» لابن فارس (ص: ١٥٨)، و«البسيط» (٢١/ ١٥١)، وروايته في «الصناعتين» (ص: ١٩٣):

كـم نعمـة كـانـت لكم كـم كـم وكـم كانـت وكـم

والثّالثُ: أنَّ كلَّ واحدٍ منها اقتضَتْ منَ التَّقريرِ بها مثلَ ما اقتضاه الأوَّلُ، فلم يكُنْ تكرارًا.

وجاء في الخبرِ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قرأ سورةَ الرَّحمنِ، ثمَّ قال: «ما لي أراكُم سكوتًا؟ لَلْجنُّ كانوا أحسنَ منكم ردًّا، ما قرأتُ عليهم هذه الآيةَ من مرّةٍ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ إلا قالوا: ولا بشيءٍ من نعَمِكَ يا[1] ربَّنا نكذِّبُ، فلكَ الحمدُ»[2].

وما في السُّورةِ من ذكرِ الشَّدائدِ والنّارِ والعذابِ فالنِّعمةُ فيها من وجهَينِ:

أحدُهما: في صَرفِها منَ المؤمنين إلى الكفّارِ، وتلك نعمةٌ عظيمةٌ تقتَضي شكرًا عظيمًا.

والثّاني: أنَّ في التَّخويفِ منها والتنبيهِ عليها نعمةً عظيمةً؛ لأنَّ اجتهادَ الإنسانِ رَهبةً ممَّا يُؤلِمُه أكثرُ من اجتهادِه رغبةً فيما يُنعِّمُه.

وكرَّرَ هذه الآيةَ في السُّورةِ إحدى وثلاثينَ مرةً، ثمانيةٌ منها ذكرَها عقيبَ آياتٍ فيها تعدادُ عجائبِ خلقِ الله وبدائعِ صُنعِه، ومَبدأ الخلقِ ومَعادِهم، ثمَّ سبعةٌ منها عقيبَ آياتٍ فيها ذكرُ النّارِ وشدائدِها على عددِ أبوابِ جهنَّمَ، وبعد هذه السَّبعةِ ثمانيةٌ في وصفِ الجنّاتِ وأهلِها على عددِ أبوابِ الجنّةِ، وثمانيةٌ أُخرى بعدَها للجنَّتين اللَّتين دُونَهما، فمَن اعتقَدَ الثَّمانيةَ الأُولى وعمِلَ بمُوجَبِها استحقَّ كلتا الثَّمانيتَينِ منَ الله، ووَقاهُ منَ السَّبعةِ السّابقةِ[3]. والله أعلَمُ.

***

---

(١) «يا»: ليس في (ف).

(٢) رواه الترمذي (٣٢٩١) عن جابر رضي الله عنه، وأشار إلى تضعيفه.

(٣) انظر: «الانتصار للقرآن» للباقلاني (٢/ ٨٠٧)، و«درة التنزيل» للخطيب الإسكافي (٣/ ١٢٣٧ ـ ١٢٤٦)، و«البرهان» للمصنف (ص: ٢٣١).

(١٤) ـ ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ كَٱلْفَخَّـارِ﴾.

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ كَٱلْفَخَّـارِ﴾ يعني: آدمَ عليه السَّلامُ، خلقَه من ترابٍ؛ لقولِه[1]: ﴿خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾ [آل عمران: ٥٩] ثمَّ صارَ طينًا؛ لقولِه: ﴿مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾ [الصافات: ١١]، ثمَّ صارَ حمـأً؛ لقولِه: ﴿مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٦]، ثمَّ صارَ صَلْصالًا؛ لقولِه: ﴿مِن صَلْصَـٰلٍ كَٱلْفَخَّـارِ﴾.

والصَّلْصالُ: الطِّينُ إذا يبسَ وصارَ كالخزَفِ، فإنَّ الفَخَّارَ هو الطِّينُ الذي قد طُبِخَ في النَّارِ، و(الصَّلْصالُ) مُشتقٌّ من (صَلَّ اللَّحمُ)؛ إذا أنتَنَ.

وقيل: له صوتٌ، من (صَلْصلةِ الحديدِ)[2].

***

(١٥) ـ ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾.

﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ﴾: أبا الجانِّ، وقيل: هو إبليسُ.

﴿مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾: المارِجُ: لهَبُ النَّارِ.

وقيل: خالصُ النَّارِ.

وقيل: شُعَبُ النَّارِ.

وقيل: اللَّهَبُ الذي له حُمرةٌ وصُفرةٌ وخُضرةٌ، مشتقٌّ من (مرَجَ)؛ إذا اضطرَبَ.

وقيل: من (مرَجَ)؛ إذا أرسَلَ.

والنَّارُ: هي التي بين الخلقِ.

---

(١) في (ن): «كقوله».

(٢) أي: خلق الله آدم من تراب أصابه ماء فصار طيناً وبقي الماء فصار حَمَأً، ثم زال عنه الماء فيبس فصار صَلْصَالاً له صوت مشتق من صلصلة الحديد، فشبه بالفخار وهو الخزف. انظر: «غرائب التفسير» (٢/ ١١٧٠).

وقيل: منَ النَّارِ التي يكونُ منها الصَّواعقُ.

الكلبيُّ: نارٌ دونَ السَّماءِ، كالكِلَّةِ الرَّقيقةِ[1].

وقيل: من نارِ الجحيمِ.

***

(١٦ ـ ١٨) ـ ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾.

﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ أحدُ المشرقَين هو الذي تطلُعُ منه الشَّمسُ في أطولِ يومٍ منَ السَّنةِ، والثَّاني هو الذي تطلعُ منه في أقصرِ يومٍ، وبينهما مئةٌ وثمانونَ مَشْرقًا، وكذلك الكلامُ في المغربينِ.

وقيل: أحدُ المشرقَينِ للشَّمسِ[2]، والثَّاني للقمرِ[3]، وكذلك المغربانِ.

وقيل: أحدُ المشرقَينِ للفجرِ، والثّاني للشَّمسِ، وأحدُ المغربَينِ للشَّمسِ[4]، والثَّاني للشَّفقِ[5]. حكاهُ الماورديُّ[6].

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٢٩). والكلة: هي التي يُتوقى بها من البعوض، وهي على صُورَة بَيت يخاط من ثوب رَقِيق يسْتَشِفُّ ما وراءه ولا يجد البعوضُ متخلَّلاً فيه. انظر: «ثمار القلوب» للثعالبي (ص: ٢٤٦).

(٢) في (ف): «الشمس».

(٣) في (ف): «القمر».

(٤) في (ف): «الشمس».

(٥) في (ف): «الشفق».

(٦) انظر: «النكت والعيون» (٥/ ٤٢٩)، وفيه: «الغسق» بدل: «الشفق».

(١٩ ـ ٢٠) ـ ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾.

﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾؛ أي: أرسَلَ، من (مَرَجْتَ الدّابةَ)؛ إذا أرسلتَها للرَّعيِ.

وقيل: خلَطَ، من قولِه: ﴿أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ [ق: ٥].

والبحرانِ عندَ بعضِهم بحرُ فارسَ والرُّومِ، يلتَقيانِ في مُعظمِ البحرِ.

وقيل: تحتَ الأرضِ.

﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾: حاجِزٌ، وهو جزيرةُ العربِ.

وقيل: عرضُ الأرضِ.

﴿لَّا يَبْغِيَانِ﴾: لا يبغي أحدُهما على الآخرِ فيُغرقَ الخلقَ، والبغيُ: الخروجُ إلى فسادٍ.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: بحرٌ في السَّماءِ وبحرٌ في الأرضِ يلتَقيانِ كلَّ سنةٍ، ومنه المطرُ، بينَهما حاجزٌ يمنعُ بحرَ السَّماءِ من النُّزولِ، وبحرَ الأرضِ منَ الصُّعودِ[١].

وذهبَ جماعةٌ إلى أنَّ البحرَين: الماءُ المالحُ والعذبُ، ﴿يَلْتَقِيَانِ﴾ في بعضِ البحارِ ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾ من لُطفِ الله تعالى، ﴿لَّا يَبْغِيَانِ﴾: لا يغلبُ أحدُهما الآخَرَ إلى جنسِه.

***

---

(١) ذكره مكي بن أبي طالب في «الهداية» (١١/ ٧٢٢١)، والمصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٧٠) واستغربه. ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٠٠) بلفظ: «بحر في السماء والأرض يلتقيان كل عام».

(٢١ ـ ٢٣) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: من ماءِ بحرِ السَّماءِ وبحرِ الأرضِ؛ لأنَّ ماءَ السَّماءِ إذا وقعَ في صدَفِ البحورِ(١) انعقدَ اللُّؤلؤُ فكان خارِجًا منهما(٢).

وقيل: يخرجُ منَ الأُجاجِ والعَذْبِ جميعًا.

وقيل: من اجتماعِ الملحِ معَ الأُجاجِ(٣).

وذهبَ أكثرُهم إلى أنَّهما يخرُجانِ من الأُجاجِ، ولا يخرُجانِ منَ الفُراتِ، وحـمَلُوا قولَه: ﴿مِنْهُمَا﴾ على وجهَينِ:

أحدُهما: أنَّ الشَّيءَ قد يُنسَبُ إلى اثنين وهو لواحدٍ، كقولِه: ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ [الكهف: ٦١]، وقد سبقَ.

والثّاني: من أحدِهما، فحُذِفَ المُضافُ.

قولُه: ﴿ٱللُّؤْلُؤُ﴾ قيلَ: الكبيرُ منه، ﴿وَٱلْمَرْجَانُ﴾: الصَّغيرُ.

وقيل: المَرجانُ: الكبيرُ، واللُّؤلؤُ: عامٌّ للجنسِ.

قال ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: هو الجوهرُ الخرزُ(٤) ....

---

(١) في (ف): «البحر».

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٢٤)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٧١)، واستغربه.

(٣) كذا في النسختين، ولعل الصواب: «من اجتماع العذب مع الأجاج»، وانظر مـا تقدم في تفسير قوله تعالى: ﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ [فاطر: ١٢].

(٤) في (ن): «الجوهر»، ولكن كتب في الهامش «الخرز» مع إشارة التصحيح.

الأحمرُ كالقُضبانِ[١]، يُقالُ له: البُسَّذُ. وقيل: المَرجانُ: الجوهرُ المُختلطُ، وفيه بُعدٌ.

وما حكاهُ الثَّعلبيُّ عن بعضِ المُفسِّرين: أنَّ اللُّؤلؤَ والمرجانَ الحسنُ والحُسَينُ رضي الله عنهما، فقد حمَلَ هذا القائلُ قولَه سُبحانَه: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ [الفرقان: ٥٣] على عليٍّ وفاطمةَ عليهما الرِّضوانُ والسَّلامُ، والبرزَخَ على محمَّدٍ ﷺ؛ فتأويلٌ مُزيَّفٌ عندَ المُحقِّقِينَ[٢].

* * *

(٢٤) ـ ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ﴾.

﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ﴾: لله إجراءُ السُّفُنِ، جمعُ جاريةٍ.

﴿ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ﴾ بالفتحِ: المُحدَثاتُ.

وقيل: المخلوقاتُ.

وقيل: المرفوعاتُ الشُّرُع.

وقيل: أُنشِئنَ: أُجرِينَ[٣].

و﴿المُنشِئاتُ﴾ بالكسرِ[٤]؛ أي: أَنشأنَ السَّيرَ[٥]؛ فحُذِفَ المفعولُ[٦].

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٠٨٦) بلفظ: «المرجان: الخرز الأحمر»، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٠٧) بلفظ: «المرجان حجر».

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ٣١٧) عن سفيان الثوري ولا يصح سنده، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٧١)، وعده من العجائب.

(٣) في (ن): «وأجرين».

(٤) قرأ بها حمزة وشعبة، والباقون بفتح الشين. انظر: «السبعة» (ص: ٦١٩)، و«التيسير» (ص: ٢٠٦).

(٥) «أنشأن» ليس في (ف)، و«السير» ليس في (ن)، والصواب المثبت.

(٦) أي: المنشئات السيرَ، فحذف المفعول للعلم به ونسب الفعل إليها على الاتساع؛ كما يُقال: مات زيد، ومرض عَمْرو، ونحو ذلك ممَّا يُضاف الفعل إليه إذا وجد فيه وهو في الحقيقة لغيره؛ فإن =

وقيل: ﴿كَالْأَعْلَامِ﴾ مفعولُها على تقديرِ: أمواجًا كالأعلامِ، وعلى الوجهِ الأوَّلِ ﴿كَالْأَعْلَامِ﴾ صفةٌ لـ﴿الْجَوَارِ﴾.

و(الأعلامُ): الجبالُ، وقيل: القصورُ.

المُبرِّدُ: ﴿الْمُنشَآتُ﴾ بالفتحِ: ما رُفِعَ شِراعُها، وبالكسرِ: الباديات.

وقيل: بالكسرِ مجازٌ، كما تقولُ: مرِضَ زيدٌ، وانكسَرَ الكوزُ، والفعلُ في الحقيقةِ لغيرِهما.

***

(٢٥ ـ ٢٦) ـ ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٥) كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾.

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٥) كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ أجمعَ المُفسِّرون على أنَّ الهاءَ تعودُ إلى الأرضِ، قالوا: وهو كقولِهم: ليس عليها أكرمُ من فلانٍ؛ يعنُونَ: على الأرضِ، وإنْ لم يتقدَّمْ لها ذكرٌ، ولعلَّهم يَعْنون: لم يَتقدَّم لها ذكرٌ في الآيةِ، أمَّا في السُّورةِ فقد تقدَّمَ في قولِه: ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا﴾ [الرحمن: ١٠].

والمعنى: يُفني الله جميعَ الحيوانِ الذي على وجهِ الأرضِ.

وقيل: يُريدُ الجنَّ والإنسَ خاصَّةً؛ لقولِه: ﴿مَنْ عَلَيْهَا﴾.

والقولُ هو الأوَّلُ؛ لأنَّ غيرَ العاقلِ تَبَعٌ لهم في الجموعِ.

= سيرها إنما يكون في الحقيقة لهبوب الرِّيح وَرفع الصواري. انظر: «الحجة» للفارسي (٦/ ٢٤٨).
وقدره الطبري على كسر الشين بمعنى: الظاهرات السير اللاتي يقبلن ويدبرن.
وقال السمرقندي: «يعني: المبتدئات في السير». وقال البغوي: «الْمُنْشِئَاتُ لِلسَّير؛ يعني: اللاتي ابتَدَأْن وأنشأْن السَّيرَ». انظر: «تفسير الطبري» (٢٢/ ٢١٠)، و«بحر العلوم» (٣/ ٣٨٢)، و«معالم التنزيل» (٧/ ٤٤٥).

ويحتمِلُ الضَّميرُ في الآيةِ ـ والله أعلَمُ ـ أنَّه يعودُ إلى الأرضِ والسَّماواتِ؛ كقولِه: ﴿لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ﴾ [الزخرف: ٩]، فيكونُ المعنى: يُفني الله كلَّ شيءٍ ويبقى وجهُه وحدَه؛ لقولِه(١): ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]، ولِمَا ذهبَ إليه المُحقِّقون: وهو أنَّ الموتَ ليس بإفناءٍ؛ لأنَّ جسمَ الميتِ باقٍ، وإنَّما الإفناءُ أن يُعدِمَه حتَّى يصيرَ بالفناءِ في حُكمِ ما لم يُوجَدْ، ثمَّ يُعيدُه(٢) ويَرجعُه ثانيًا على الصِّفةِ التي كان عليها في الوجودِ الأوَّلِ، وفَناءُ بعضِ الأجسامِ فَناءٌ لسائرِها(٣).

قالوا: والنِّعمةُ في الفَناءِ: للتَّسويةِ بينَهم حتَّى لا يكونَ لأحدٍ منهم فضلٌ في الحياةِ.

ويحتمِلُ: أنَّ النِّعمةَ في الفَناءِ(٤) هو ما يَبْتَني عليه منَ الإعادةِ ليصلَ المؤمنونَ إلى ما وُعِدُوا به من النَّعيمِ الدّائمِ السرمد(٥).

***

(٢٧) ـ ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾.

﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ الوجهُ هاهنا صلةٌ، كما تقولُ: هذا وجهُ الأمرِ، وعينُ الشَّيءِ.

وقيل: ﴿وَجْهُ رَبِّكَ﴾: ما يُبتَغى به اللهُ تعالى.

﴿ذُو الْجَلَالِ﴾: ذو العظَمةِ ﴿وَالْإِكْرَامِ﴾: الإعظامِ بالإحسانِ.

وقيل: الجلالُ: التَّنزيهُ، من قولِهم: هو أجَلُّ عن هذا(٦).

---

(١) في (ن): «كقوله»، والمثبت من (ف)، وهو الأنسب.

(٢) «يعيدُه» هكذا ضبط الفعل في النسختين بالضم على الاستئناف.

(٣) في (ن): «كسائرها».

(٤) في (ف): «الإفناء».

(٥) «السرمد». من (ف)

(٦) كذا في النسختين، والجادة: «أجلُّ من هذا».

(٢٨ ـ ٢٩) ـ ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴾.

﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴾: يسألُه أهلُ الأرضِ الرِّزقَ والمغفرةَ، وأهلُ السَّماءِ القُوَّةَ والمغفرةَ.

وقيل: يسألون الرِّزقَ والمغفرةَ للمؤمنين كما سبقَ.

﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ ظرفٌ للسُّؤالِ(١).

وقيل: ظرفٌ لـ﴿شَأْنٍ﴾؛ أي: شأنٍ يقعُ كلَّ يومٍ، واليومُ هاهنا عبارةٌ عن الوقتِ.

وقد أكثَرُوا في تفسيرِ الشَّأنِ، والأَولى ما جاء مرفوعًا عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «شأنُه أن يغفرَ ذنبًا، ويدفعَ كربًا، ويرفعَ قومًا ويضعَ آخَرين»(٢).

وقيل: شأنُه سبحانَه: سَوقُ المقاديرِ إلى المواقيتِ.

وقيل: بَعثُ الرُّسلِ، وشَرْعُ الشَّرائعِ.

وذهبَ بعضُ المُفسِّرين إلى أنَّ ﴿كُلَّ يَوْمٍ﴾ ظرفٌ للسُّؤالِ وهو صلةٌ، و﴿فِى شَأْنٍ﴾ مُتعلِّقٌ بالسَّائلين؛ أي: شأنٍ يحدُثُ لهم ويتجدَّدُ، وعلى هذا التأويلِ يجوزُ أن يكونَ ﴿هُوَ﴾ كنايةً عن السُّؤالِ، و﴿فِى شَأْنٍ﴾ خبرَه؛ أي: سؤالُهم كلَّ يومٍ في شأنٍ يبدو لهم فيظهرُ. والله أعلَمُ.

ابنُ بحرٍ: الدَّهرُ كلُّه عندَ الله يومانِ؛ مدَّةُ الدُّنيا يومٌ، وهو في الدُّنيا في الأمرِ

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٧١)، واستغربه، ثم قال: «فيحسن الوقف عليه». وقدم ثمة في تفسير الآية قوله: «﴿كُلَّ يَوْمٍ﴾ متصل بمضمر؛ أي: هو في شأن يقع كل يوم». وهو ما سيأتي لاحقاً هنا.

(٢) ذكره البخاري معلقًا عن أبي الدرداء رضي الله عنه موقوفًا عليه قبل حديث (٤٨٧٨)، ورواه ابن ماجه (٢٠٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٨٩) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعًا.

والنَّهي وتدبيرِ العالَـمِ، والآخَرُ يومُ القيامةِ، وهو في الآخرةِ في الجزاءِ والحسابِ والثَّوابِ والعقابِ(١).

***

(٣٠ ـ ٣٢) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ هذا تهديدٌ ووَعيدٌ بالجزاءِ والحسابِ بالإجماعِ؛ إذ ليس له سُبحانَه شغلٌ يكونُ له فراغٌ، وهذا كما تقولُ لمَن تُهدِّدُه: سأفرُغُ لك؛ قال جريرٌ:

الآنَ وقـد فَرَغْـتُ إلـى نُـمَـيرٍ وهــذا حـينَ كنتُ لهـم عذابًا(٢)

وقيل: معناه: سينتَهي الأمرُ ويصِلُ إليكم الوعدُ والمُتوعَّدُ.

وقيل: معناه: سنقصِدُكم بعدَ تركٍ وإمهالٍ.

وقيل: الفراغُ للفعلِ: التَّوفُّرُ عليه دونَ غيرِه(٣).

﴿أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ هما الإنسُ والجِنُّ، وسُمِّيا الثَّقلَينِ لثِقَلِهما على الأرضِ.

وقيل: لعقلِهم ورزانَتِهم وقَدْرِهم.

وقيل: لأنَّهما مُثْقَلانِ بالذُّنوبِ.

وقيل: مُثْقَلانِ بالتَّكليفِ.

---

(١) ذكر النبوي نحوه في «تفسيره» (٤/ ٣٣٥) عن سفيان بن عيينة.

(٢) انظر: «الحجة» لابن خالويه (ص: ٣٣٩)، و«الحجة» لأبي علي الفارسي (٦/ ٢٤٩)، و«النكت والعيون» (٥/ ٤٣٤)، و«البسيط» (٢١/ ١٦٥)، ولم أقف عليه في «ديوانه» دار المعارف، ط٣، ت: نعمان طه.

(٣) ذكر الثعلبي نحوه في «تفسيره» (٢٥/ ٣٣٤) عن ابن كيسان، لكن يلفظ: «الفراغ للفعل الوقوف عليه دون غيره».

(٣٣) ـ ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴾.

﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾؛ أي: إنْ قَدرْتُم أن تخرُجُوا من جوانبِ السَّماواتِ والأرضِ سابقينَ الله ومُعجِزينَ له ﴿فَٱنفُذُوا۟﴾: فاخرُجوا، وهذا كقولِه: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [العنكبوت: ٢٢]، خاطبَهم به في الدُّنيا، ثمَّ قالَ: ﴿لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾: لا تخرُجونَ من سُلطاني إلا بحُجةٍ[1]، والمعنى: حيثُ خرَجْتُم إليه فثَمَّ سُلطاني، فيكونُ الباءُ للظَّرفِ كما تقولُ: اجتَزْتُ بقريةِ كذا.

وقيل: لن تجتازُوا أرضًا إلّا لقِيَكُم سلطانُ الموتِ، فيكونُ كما تقولُ: اجتَزْتُ به.

وقيل: الباءُ بمعنى: إلى؛ أي: إلى سُلطاني.

وقيل: لا تجتازُونَ مَوضِعًا إلّا شاهَدْتُم سلطانَ الله وحجَّتَه الدّالَّةَ على الوحدانيّةِ.

وقيل: يُخاطبُهم به في القيامةِ إذا نزلَتِ الملائكةُ، وصَفُّوا حولَ الإنسِ والجنِّ، والمعنى: يُقالُ لكم عندَ الفراغِ: ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ﴾ الآية، ومعنى: ﴿لَا تَنفُذُونَ﴾: لا تَجُوزُونَ ﴿إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾: بإيمانٍ وطاعةٍ.

وقيل: إذا أتوا بالحُجَّةِ ـ وهي الإيمانُ والطَّاعةُ ـ أمرُوا بهم إلى الجنَّةِ، فيخرُجونَ من أقطارِهما؛ لأنَّ الجنةَ خارجةٌ من أقطارهما.

وقيل: ﴿فَٱنفُذُوا۟﴾ أمرُ تعجيزٍ.

---

(١) «إلا بحجة» من (ف).

وعن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: إنِ استطعتُم أن تعلَمُوا ما في السَّماواتِ والأرضِ فاعلَمُوا، لا تعلمونَ ﴿إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾: إلَّا بالبيِّنةِ منَ الله تعالى(١).

* * *

(٣٤ ـ ٣٥) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ﴾ الشُّواظُ والشِّواظُ(٢): اللَّهبُ الذي لا دُخانَ معه.

وقيل: الشُّواظُ: نارٌ تتأجَّجُ.

وقيل: اللَّهبُ الأخضرُ.

وقيل: خلطٌ منَ النَّارِ والدُّخانِ.

﴿وَنُحَاسٌ﴾: هو الدُّخانُ(٣).

ابنُ عبَّاسٍ: الصُّفْرُ المُذابُ يُصَبُّ على رأسِ أهلِ النَّارِ(٤).

الرَّفعُ بالعطفِ على (الشُّواظ)، والجرُّ(٥) بالعطفِ على (نارٍ)، وقيل: عطفٌ على ﴿شُوَاظٌ﴾، وجُرَّ بالمُتابعةِ والجوارِ.

الحسنُ وابنُ زيدٍ: لا نَدري ما النُّحاسُ في الآيةِ(٦).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢١٩).

(٢) قرأ ابن كثير بكسر الشين، والباقون بضمِّها. انظر: «السبعة» (ص: ٦٢١) و«التيسير» (ص: ٢٠٦).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٢٤) عن ابن عباس، واختاره.

(٤) رواه هكذا الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٢٥) عن مجاهد، ورواه عن ابن عباس بلفظ: «النحاسُ: الصُّفْرُ يُعذَّبون به». وإسناده ضعيف جدًّا.

(٥) قرأ ابنُ كثيرٍ وأبو عمرو بالجر، والباقون بالرفع. انظر: «السبعة» (ص: ٦٢١)، و«التيسير» (ص: ٢٠٦).

(٦) لم أجده. وفي «الهداية» لمكي (١١/ ٧٢٢٨) عن الحسن: أنه الصفر يعذبون به. وهو مروي عن =

وقيل: الشُّواظُ: طائفةٌ منَ العذابِ، والنُّحاسُ: نَحسٌ لأعمالِـهم.

﴿فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾: لا تقدرانِ على الامتناعِ ممَّا يُعمَلُ بكما وتكرهانِه.

* * *

(٣٦ - ٣٧) - ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٣٦ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٣٦ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ﴾: انفكَّ بعضٌ[1] من بعضٍ لقيامِ السّاعةِ، ﴿فَكَانَتْ﴾: فصارَتْ ﴿وَرْدَةً﴾ قيل: كلونِ الوردِ المشمومِ.

ابنُ عبَّاسٍ: تصيرُ كلونِ الفرسِ الوَرْد[2].

وقيل: كلونِ الفرسِ الوَردَةِ[3]؛ لأنَّه يَتلوَّنُ في الفُصولِ الأربعةِ، فشُبِّهَ تلوُّنُها بتلوُّنِ الوَردِ منَ الخيلِ[4].

قولُه: ﴿كَٱلدِّهَانِ﴾ قيل: جمعُ دُهنٍ.

= ابن عباس كما ذُكر آنفاً.

(١) كذا في النسختين، والجادة: «انفكّ بعضها» كما في «تفسير النسفي» (٣/ ٤١٥).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٩)، والفريابيُّ وسعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتِم كما في «الدر المنثور» (٧/ ٧٠٢)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ٣٤٢). وانظر شرحه في التعليق الذي بعده.

(٣) «وقيل كلون الفرس الوردة» من (ف).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١١٧)، وفيه: «أراد بالوردة الفَرس، الوردةُ تكون في الربيع وردةً إلى الصفرة، فإذا اشتد البرد كانت وردة حمراء، فإذا كانَ بعد ذلك كانت وردةً إلى الغُبْرة، فشُبِّه تلوُّن السماء بتلون الوردة من الخيل». والورد والوردة صفتان للذكر والأنثى، فقد قيل للفرس: وَرْدٌ، وهو ما بين الكُميت والأشقر، والأنثى وَرْدَةٌ، وقد وَرُدَ الفرس يَوْرُدُ وُرُودةً؛ أي: صار وَرْداً، واللون: وُرْدةٌ، مثل: شُقْرَةٍ. تقول: اِيرادَّ الفرسُ، كما تقول: ادْهامَّ الفرسُ واكْماتَّ، وأصله: اِوْرادَّ، صارت الواو ياءً لكسرةِ ما قبلها. انظر: «الصحاح» و«اللسان» مادة: (و ر د).

أي: تحمَرُّ احمرارَ الوردِ، ثمَّ تذوبُ ذَوَبانَ الدُّهنِ.

وقيل: كالدِّهانِ المُختلفةِ يُصَبُّ بعضُها على بعضٍ، وحَمَلَ هذا القائل (المُهْلَ) على الدُّردِريِّ.

وقيل: الدِّهانُ: الأديمُ الأحمرُ؛ أي: تحمَرُّ السَّماءُ فتصيرُ كالنِّطْعِ المُتَّخذِ منَ الأديمِ الأحمرِ، وحملَ قولَه: ﴿كَٱلْمُهْلِ﴾ [المعارج: ٨] على الفِلِزِّ المُذابِ.

وقيل: السَّماءُ الدُّنيا منَ الحديدِ، ولهذا تذوبُ، ولو كانَ غيرَ الجوهرِ[١] لاحترَقَ.

وقيل: أصلُ لونِ السَّماءِ الحمرةُ، لكنَّها من بُعدِها وكثرةِ الحوائلِ تُرى زرقاءَ.

وفي بعضِ التَّفاسيرِ: كانت كشُعاعِ دُهْنٍ في شمسٍ، والوردةُ: قُرصُ الشَّمسِ.

وقيل: الدِّهانُ: الشَّيءُ الزَّلِقُ.

***

(٣٨ ـ ٣٩) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ﴾؛ أي: فيومَ تنشَقُّ السَّماءُ ﴿لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾ وقال في سورةٍ أُخرى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٩٢]، ولا تناقُضَ؛ لأنَّ التَّقديرَ: لا يُسألُ سؤالَ استعلامٍ؛ لأنَّهم يُعرفونَ بسيمَاهُم، لكن يُسألونَ سؤالَ توبيخٍ وتقريعٍ.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: في القيامةِ مواقفُ يُسألونَ في بعضِها، ويُختَمُ على أفواهِهم في بعضِها[٢].

---

(١) كذا في النسختين، والأظهر لو كان: «غير هذا الجوهر».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ٥٢٥) عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما، وروى الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٣٠) عن قتادة قال: «قد كانت مسألة، ثم ختم على ألسنة القوم، فتتكلم أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون».

والأوَّلُ أظهرُ(١)؛ لقولِه: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ [آل عمران: ١٠٦]، ولقولِه: ﴿وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾ [طه: ١٠٢].

والضَّميرُ مُقدَّمٌ في اللَّفظِ(٢)، والتَّقديرُ: لا يُسألُ إنسٌ ولا جانٌّ عن ذنبِه.

وقيل: إضمارٌ عن غيرِ مذكورٍ، والذَّنبُ يدلُّ عليه؛ أي: لا يسألُ عن ذنبِ المُذنبِ إنسٌ ولا جانٌّ، والمعنى: لا يُؤخَذُ أحدٌ بذنبِ غيرِه(٣).

***

(٤٠ ـ ٤١) ـ ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٤٠ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴾.

﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٤٠ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ ﴾: هو ما تقدَّمَ من سوادِ الوجهِ وزُرقةِ العيونِ، وما يَعْلوهُم منَ الكآبةِ والحزنِ.

﴿فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى ﴾ مرَّةً لقولِه: ﴿لَنَسْفَعًا بِٱلنَّاصِيَةِ﴾ [العلق: ١٥] ﴿وَٱلْأَقْدَامِ﴾ مرَّةً لقولِه: ﴿يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ﴾ [القمر: ٤٨].

وقيل: يُجمَعُ بينَ النَّواصي والأقدامِ، نعوذُ باللهِ منَ النارِ وعقابِها.

والسِّيماءُ: العلامةُ.

والنَّاصيةُ: شعرُ مُقدِّمةِ الرَّأسِ، سُمِّيت ناصيةً لاتِّصالِها به، وأصلُ الكلمةِ: الاتِّصالُ.

***

(٤٢ ـ ٤٣) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٤٢ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٤٢ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾؛ أي: يُقالُ لهم وهم

---

(١) في (ف): «ظاهر».

(٢) لكنه يعود على متقدِّم في الرتبة، فلا إشكال.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٧٢)، واستغربه.

فيها: هذه جهنَّمُ التي كانَ المشركونَ يُنكِرونَها ويُكذِّبونَ بها، توبيخًا لهم وزيادةً في تعذيبِهم.

وقيل: هو استئنافُ كلامٍ؛ أي: هذه يا محمَّدُ صفةُ جهنَّمَ التي يُكذِّبُ بها ﴿ٱلْمُجْرِمُونَ﴾؛ أي: المُشركون.

***

(٤٤) ـ ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾.

﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا﴾ بينَ النّارِ ﴿وَبَيْنَ حَمِيمٍ﴾: ماءٍ حارٍّ بلغَ النِّهايةَ في الحرارةِ، يُصَبُّ عليهم مرّةً، ويُسقَونَ منه أُخرى؛ لقولِه: ﴿يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ [غافر: ٧١ ـ ٧٢].

ومعنى ﴿ءَانٍ﴾: بلغَ النِّهايةَ في الحرارةِ.

وقيل: معنى ﴿ءَانٍ﴾: آنَ شُربُه.

وقيل: ﴿ءَانٍ﴾: حاضرٍ، والمعنى: لا مخلصَ لهم منَ النّارِ.

***

(٤٥ ـ ٤٦) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾؛ أي: خافَ فأدَّى الفرائضَ، وقيل: خافَ فتركَ المعاصيَ.

والمقامُ: المصدرُ أو المكانُ؛ فإن جعلتَه المصدرَ فالفعلُ للخائفِ، وأضافَ إلى الله تعالى لأنَّ التَّقديرَ: قيامَه بينَ يدَي ربِّه.

وإنْ جعلتَه للمكانِ فإضافتُه إلى الله تعالى إضافةُ مِلْكٍ، كما تقولُ: مسجدُ الله.

ويحتمِلُ: (مقامَ حسابِ رَبِّه) مصدرًا ومكانًا.

ذهبَ جماعةٌ إلى أنَّها نزلَتْ في أبي بكرٍ رضي الله عنه؛ شرِبَ لبنًا، فقيلَ له: إنَّه من غيرِ حلٍّ، فاستقاءَ(١).

قولُه: ﴿جَنَّتَانِ﴾ قيل: جنَّةٌ للإنسِ، وجنَّةٌ للجِنِّ.

وقيل: جنّةُ عدنٍ، وجنّةُ نعيمٍ.

وقيل: جنّةٌ هو فيها، وجنّةٌ فيها أزواجُه وخدَمُه.

وقيل: جنّةٌ في قصرِه، وجنّةٌ خارجَ قصرِه يذهبُ إليها تنزُّهًا.

الفرَّاءُ: إنَّما هي جنَّةٌ واحدةٌ، فثُنِّيَ على عادةِ العربِ في إجراءِ الواحدِ مُجرى التَّثنيةِ، وأنشدَ:

ومَهْمَهَينِ قَـذَفَـيْـــنِ مَرْتَـيْـنِ قطَعْتُه بالسَّـمْتِ لا بالسَّمْتَيْنِ(٢)

وقولُ الفرَّاءِ ضعيفٌ؛ لقولِه: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٦٢].

***

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٣٧)، والسمعاني في «تفسيره» (٥/ ٣٣٣) عن الضحاك.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١١٨)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٧٢) واستغربه.

ونسب الرجز لهميان بن قحافة في «أمالي ابن الشجري» (٢/ ٤٩٦)، ولخطام المجاشعي في «شرح المفصل» (٣/ ٢١١)، و«لسان العرب» (٢/ ٨٩). والمهمه: القفر المخوف والمفازة البعيدة. والقَذْف: ما ارتفع من الأرض، والمَرْتُ: التي لا ماء بها ولا نبات فيها. والواوُ بمعنى: رُبَّ، وقوله: «قَطَعْتُه بالسَّمْتِ لا بالسَّمْتَيْن» معناه: قَطَعْتُه على طريقٍ واحدٍ لا على طريقين. وروي: «بالنعت لا بالنعتين»؛ أي: نُعتا لي مرةً واحدة، فلم أحتج إلى نعتهما إلى مرة أخرى، وصف نفسه بالحذق والمهارة. انظر: «فتوح الغيب» للطيبي (١٠/ ٢٧٢)، و«اللسان» مادة: (س م ت).

(٤٧ ـ ٤٨) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾ قيل: ألوانٍ وأنواعٍ منَ الأشجارِ والثِّمارِ وغيرِهما، جمعُ فَنٍّ.

وقيل: ﴿أَفْنَانٍ﴾: أغصانٍ، جمعُ فَنَنٍ.

وقيل: ذواتا فِناءٍ واسعةٍ، حكاه الماورديُّ[1]، وهو بعيدٌ.

وجاءَ: شجرةٌ فَنْواءُ: كثيرةُ الأفنانِ.

الأخفشُ: ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾: ذواتا أشجارٍ[2].

عكرمةُ: أفنانٌ: أطرافُ الأغصانِ، وأنشدَ:

ما هاجَ شَوقَكَ من هَدِيرِ حَمامَةٍ ... تدعُو على فَنَنِ الغُصُونِ حَماما
تدعُو أبا فَرخَينِ صادَفَ ضارياً ... ذا مخلَبَينِ منَ الصُّقورِ قَطاما[3]

***

(٤٩ ـ ٥٠) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ﴾ في الجنَّتينِ عينانِ منَ الماءِ ﴿تَجْرِيَانِ﴾ إلى حيثُ يشاءُ.

---

(١) انظر: «النكت والعيون» (٥/ ٤٣٨).

(٢) لم أجد عنه تفسيرها بالأشجار، وجاء عنه تفسيرها بالأغصان، ففي «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٥٣٠): «﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾ واحدها: الفنن»، وفي «النكت والعيون» (٥/ ٤٣٨): «ذواتا أغصان، قاله الأخفش وابن بحر».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٤٠)، ولفظه: «ظل الأغصان على الحيطان»، ثم ذكر البيتين، ورواه أبو بكر الأنباري في «الوقف والابتداء» (١/ ٦٥) بلفظ: «ذواتا ظل وأغصان»، ثم ذكر البيتين، ولم أقف على قائلهما. ويقال: صقر قطامٌ وقطاميّ؛ أي: لَحِمٌ. انظر: «المحكم» مادة: (ف ط م) (٦/ ٢٩٥).

(٥١ ـ ٥٢) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥١ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥١ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾؛ أي: من جميعِ أجناسِها صِنفانِ؛ رَطبٌ ويابسٌ، كالرُّطبِ والتَّمرِ والعِنَبِ والزَّبيبِ.

ابنُ عبَّاسٍ: ما في الدُّنيا ثمرةٌ حُلوٌ ولا مُرٌّ إلَّا وهي في الجنَّةِ حتّى الحنظَلُ(١).

* * *

(٥٣ ـ ٥٤) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥٣ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥٣ مُتَّكِـِٔينَ﴾: جالسينَ جُلوسَ راحةٍ ودَعةٍ ﴿عَلَىٰ فُرُشٍۭ﴾: جمعُ فِراشٍ، وهو ما استُمْهِدَ للجلوسِ والنَّومِ.

﴿بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾: جمعُ بِطانةٍ، والإستبرَقُ: الدِّيباجُ الثَّخينُ الغليظُ بكثرةِ الإبْرِيْسَمِ، ولم يذكرِ الظِّهارةِ لعِلْمِ النَّاسِ بفضلِ الظِّهارةِ على البِطانةِ.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: وصفَ لكم البطائنَ، وظواهرُها لا يعلمُها إلا الله(٢).

قال الفرَّاءُ: أرادَ بالبطائنِ: الظَّهائرَ، كما تقولُ: باطنُ السَّماءِ، تُريدُ: ظاهرَها(٣).

﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾: قريبٌ لا يرُدُّهُ بُعدٌ ولا شوكٌ.

وقيل: ﴿دَانٍ﴾ لمَن أرادَ تناوُلَه قائمًا وقاعدًا بيدِه أو بفيه.

و(الجنَى) اسمٌ بمعنى المجنيِّ.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ٢٣٢) وفيه: «حتى الحنظل إلا أنه حلو».

(٢) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٣٨٧)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٣٩)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٢١٣).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١١٨).

(٥٥ - ٥٦) - ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ جَمعَ بعدَ[1] التَّثنيةِ؛ لأنَّ المُرادَ: في قُصورِ الجنَّتَينِ.

وقيل: يعودُ إلى الجنانِ؛ لأنَّه ذكرَ ثنتَينِ، وعن قريبٍ يذكرُ أُخرَيَينِ.

وقيل: يعودُ إلى الفُرُشِ، وهو الوجهُ.

ومعنى ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾: حبَسْنَ الطَّرفَ على أزواجِهنَّ من غيرِهم، والطَّرفُ: النَّظرُ بطرفِ العَينِ، وهو الجَفْنُ، ولـم يُجمَعْ في الآيةِ لأنَّ المُرادَ به المصدرُ.

﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ﴾: لـم يمسَّهُنَّ ﴿إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ قيل: ما أدماهُنَّ بالجماعِ أحدٌ، والطَّمثُ: المُجامَعةُ بالتَّدميةِ، والضَّمُّ فيه لغةٌ[2]، وقولُه: ﴿إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾؛ أي: حورُ الإنسِ[3] لـم يطمِثْهُنَّ إنسٌ، وحورُ الجنِّ[4] لـم يطمِثْهُنَّ جِنٌّ، وهذا دليلٌ أنَّ الجنَّ يُجامِعُ.

وقيل: لـم يُجامِعْ حورَ الإنسِ الجنُّ، فقد رُوِيَ أنَّ الرَّجلَ إذا لـم يذكرِ اسمَ الله تعالى عندَ الجماعِ شاركَه في جماعِه الشَّيطانُ يُجامِعُ امرأتَه معه[5].

---

(١) في (ف): «بين».

(٢) ضمُّ الميم رواية عن الكسائي، وقرأ الباقون بكسرها. انظر: «السبعة» (ص: ٦٢١)، و«التيسير» (ص: ٢٠٧).

(٣) في (ف): «للإنس».

(٤) في (ف): «للجن».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٤٨) عن مجاهد.

وقد صح مشاركة الشيطان للرجل غير الذاكر في المبيت والطعام، فقد روى مسلم (٢٠١٨) عن جابر بن عبد الله، أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إذا دخل الرجل بيته، فذكر الله عند دخوله وعند طعامه، =

الحسنُ: يقولُ: هُنَّ المُؤمناتُ لم يمسَّهُنَّ قبل أزواجِهنَّ في الجنَّةِ أحدٌ بعد خلقِ الله تعالى إيَّاهُنَّ الخلقَ الثّانيَ(١).

* * *

(٥٧ ـ ٥٨) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾؛ أي: كأنَّهنَّ الياقوتُ حُمرةً وصفاءً، والمرجانُ بياضًا وضياءً.

* * *

(٥٩ ـ ٦٠) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾؛ أي: ذلك جزاءُ المؤمنينَ، أحسَنُوا في الدُّنيا فأحسَنَ الله إليهم في العُقْبى.

ابنُ عبّاسٍ: هل جزاءُ «لا إلهَ إلَّا اللهُ» إلا الجنَّةُ ونعيمُها(٢).

وعن ابنِ عبّاسٍ أيضًا وابنِ عمرَ رضي الله عنهم قالا: قالَ رسولُ الله ﷺ:

= قال الشيطان: لا مبيت لكم، ولا عشاء، وإذا دخل، فلم يذكر الله عند دخوله، قال الشيطان: أدركتم المبيت، وإذا لم يذكر الله عند طعامه، قال: أدركتم المبيت والعشاء».

وصح أيضاً استحباب ذكر الله تعالى قبل الجماع، فقد روى البخاري (١٤١)، ومسلم (١٤٣٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أن أحدهم إذا أراد أن يأتي أهله، قال: باسم الله، اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا، فإنه إن يقدر بينهما ولد في ذلك، لم يضره شيطان أبدًا».

(١) ذكره ابن أبي زمنين في «تفسيره» (٤/ ٣٣٣) دون نسبة.

(٢) رواه عنه عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٧/ ٧١٤)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ٣٦٨)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٤٠).

«يقولُ الله تعالى: ما جزاءُ مَن أنعمتُ عليه بمعرفَتي وتوحيدي إلّا أن أُسكِنَه جنَّتي وحظيرةَ قُدسي برحمَتي»(١).

***

(٦١ ـ ٦٢) ـ ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾.

﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾؛ أي: دونَ الجنَّتينِ اللَّتينِ تقدَّمَتا جنَّتانِ أُخريانِ.

ومعنى ﴿دُونِهِمَا﴾ قيل: في الدَّرجةِ.

وقيل: في المكانِ؛ أي: أقربُ منهما إلى قصرِه.

وقيل: معنى ﴿دُونِهِمَا﴾: معَهما، فيكونُ لكلِّ مُؤمنٍ أربعُ جنانٍ في الجهاتِ الأربعِ: بينَ يدَيه، ومن خلفِه، ويمينِه، وشمالِه.

وقيل: أربعُ جنانٍ على التَّوالي؛ ليتَضاعفَ له السُّرورُ بالتَّنقُّلِ من جنَّةٍ إلى جنَّةٍ.

المُبرِّدُ: جنَّتانِ عُلْييَانِ وجنَّتان سُفلَيَانِ؛ فالعُلْيَيَانِ: جنَّةُ عدنٍ وجنَّةُ النَّعيمِ، والسُّفْليَانِ جنَّةُ الفِردوسِ وجنَّةُ المأوى.

وقيل: الأُوْلَيَانِ جنتان في القصر، والأُخْرَيَان جنتان خارجَ القصر(٢).

وقيل: الأوليانِ للرِّجالِ والولدانِ، والأُخريانِ للنِّساءِ والحورِ العينِ.

---

(١) رواه من حديث ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهما الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٩٢)، وفيه بشر بن عبيد وهو منكر الحديث. وروى نحوه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤٢٥) عن ابن عمر رضي الله عنه، وقال: تفرد به إبراهيم بن محمد الكوفي، وهو منكر، وذكر نحوه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٢/ ٢٦٦) عن أنس رضي الله عنه.

(٢) «وقيل الأوليان جنتان في القصر والأخريان جنتان خارج القصر» من (ف).

الحسنُ: الأوليانِ للسَّابقينَ إلى الأنبياءِ بالإيمانِ، والجنَّتانِ دونَهما للأتباعِ[1].

وقيل: المُرادُ بالتَّثنيةِ هاهنا الجمعُ كقولِك: لبَّيكَ وسعدَيكَ وحنانَيكَ، وما جاء مثنًّى والمُرادُ به الجمعُ والدَّوامُ، والمعنى: لهم الجنان مُتَّصلةً بعضُها ببعضٍ.

***

(٦٣ ـ ٦٤) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٦٣ مُدْهَآمَّتَانِ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٦٣ مُدْهَآمَّتَانِ﴾؛ أي: مُرتَويَتانِ ناعِمَتانِ.

وقيل: خَضراوانِ تضرِبُ خُضرتُهما إلى السَّوادِ، والدُّهمةُ: السَّوادُ؛ أي: الغالبُ على هاتَينِ الجنَّتينِ النَّباتُ والرَّياحينُ المُنبسطةُ على وجهِ الأرضِ، وفي الأولَيينِ الأشجارُ والفواكهُ.

***

(٦٥ ـ ٦٦) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٦٥ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٦٥ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ النَّضخُ: دُونَ الجري.

وقيل: ﴿نَضَّاخَتَانِ﴾: فوَّارتانِ بالماءِ.

وقيل: جاريتانِ.

وقيل: مملوءتانِ لا تنقَطِعانِ.

أنسٌ رضي الله عنه: نضَّاختانِ بالمسكِ والعنبرِ[2].

---

(١) ذكره عن الحسن الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ٣٧١)، وابن أبي زمنين في «تفسيره» (٤/ ٣٣٣)، وروى نحوه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٤٨١٤)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٣٨) عن أبي موسى.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٢٨)، وابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٦٨)، وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٢٠٣).

الحسنُ: بالخيرِ والبركةِ[1].

سعيدُ بنُ جُبيرٍ: بأنواعِ الفاكهةِ[2].

* * *

(٦٧ ـ ٦٨) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ هذه دونَ الأُولى؛ لأنَّه ذكرَ في الأولى: ﴿مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ﴾.

والنَّخلُ والرُّمانُ عند بعضِ الفُقهاءِ ليسا منَ الفاكهةِ؛ لأنَّ المعطوفَ غيرُ المعطوفِ عليه، قال: ولو حلَفَ لا يأكلُ الفاكهةَ، ثمَّ أكلَ تمرًا أو رُمَّانًا لا يحنَثُ.

وعند بعضِهم هما منَ الفاكهةِ، وأُفرِدا بالذِّكرِ لفضلِهما عند العربِ، ومثلُه: ﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة: ٩٨].

* * *

(٦٩ ـ ٧٠) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾: في الجنانِ الأربعِ.

وقيل: تعودُ إلى الخيامِ المذكورةِ بعدُ.

والخَيْراتُ: جمعُ خَيْرةٍ، والأصلُ: (خَيِّرةٌ) بالتَّشديدِ فخُفِّفَ؛ كهَيِّنٍ وهَيْنٍ، ولَيِّنٍ ولَيْنٍ.

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٤١).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٤١)، ورواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٤٠٥٥) بلفظ: «بالماء والفاكهة».

وقيل: ﴿خَيْرَٰتٌ﴾: عَذارى حِسانُ الوجوهِ.

وقيل: ﴿حِسَانٌ﴾: فيهنَّ محاسنُ: من فعلِ الخيرِ، وحُسنِ الخلقِ، وذَكَرَ[1] أنَّ الفعلَ منَ الأوَّلِ: «حَسُنَ وجهُه» بالضَّمِّ، ومنَ الثَّاني: «حَسِنَ» بالكسرِ.

والجمهورُ على أنَّهنَّ الحورُ العينُ أنشأهُنَّ الله للمُؤمنينَ.

وقيل: هنَّ نساءُ المؤمنين[2].

وقيل: هُنَّ النِّساءُ المُؤمناتُ الخيِّراتُ الصَّالحاتُ.

* * *

(٧١ ـ ٧٢) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾: محبوساتٌ في الحِجالِ.

وقيل: مقصوراتُ الطَّرفِ على أزواجِهنَّ.

وقيل: مُخدَّراتٌ.

وقيل: مُبيَّضاتٌ، من قِصارةِ الثَّوبِ، وهو تبييضُه، وفيه بُعدٌ.

وفي ﴿ٱلْخِيَامِ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: أنَّها البيوتُ.

والثَّاني: لأهلِ الجنَّةِ خيامٌ خارجَ القصورِ كهيئةِ البدوِ.

والثَّالثُ: هي الخيامُ منَ الدُّرِّ فيهنَّ الحورُ العينُ.

* * *

(١) قوله: «وذَكَر» هكذا ضبط في (ف) بالمبني للمعلوم، فيكون المراد به صاحب هذا القيل.

(٢) «وقيل هن نساء المؤمنين» من (ف).

(٧٣ ـ ٧٤) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ كُرِّرَ لأنَّهنَّ غيرُ الأُوْلَيَاتِ.

* * *

(٧٥ ـ ٧٦) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾ وسائدَ ونَمارِقَ، الواحدُ: رَفْرفةٌ؛ أي: كما اتَّكَؤوا في الأُولَيينِ على فُرُشٍ بطائِنُها من إستبرقٍ، اتَّكؤُوا في هاتَينِ على رَفْرفٍ خُضْرٍ.

وقيل: الرَّفرَفُ: رياضُ الجنانِ، واحدُها: رَفرفةٌ، من (رَفَّ النَّبْتُ يَرِفُّ)؛ إذا صارَ غضًّا طريًّا نضِرًا.

وقيل: الرَّفرفُ: المجالسُ.

وقيل: فُضولُ المجالسِ، والرَّفرفُ هو فضلُ الثِّيابِ.

وقيل: ذُيولُ الخيامِ يتَّكئونَ عليها، والرَّفرفُ في كتابِ «العين»: كِسْرُ الخباءِ وما يُحاطُ في أسفلِ السُّرادقِ[١].

﴿وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾: بُسُطٍ، وقيل: ديباجٍ. وقيل: طَنافِسَ ثِخانٍ.

وقيل: العبقريُّ صفةٌ لكلِّ ما بُولِغَ في وصفِه، ومنه قولُه عليه السَّلامُ في عمرَ رضي الله عنه: «لم أرَ عبقريًّا يفرِي فَرِيَّه»[٢]؛ أي: يعملُ عملَه، وأصلُ عَبْقَر: بلدٌ كانَ يُوَشَّى فيه البُسُطُ وغيرُها، فنُسِبَ إليه كلُّ شيءٍ جيِّدٍ حسَنٍ.

---

(١) انظر: «العين» (٨/ ٢٥٥)، وفيه: والرَّفْرَف: كِسْر الخِباء ونحوه، وهو أيضاً خِرْقة تُخاط في أَسْفَلِ السُّرادِق والفُسطاط ونحوه. وكلمة «يحاط» في المتن كذا وقعت بالحاء في النسختين.

(٢) رواه البخاري (٣٦٨٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

وقيل: عَبْقَرُ: اسمُ رجلٍ كانَ بمكَّةَ يتَّخِذُ الزَّرابيَ ويُجيدُها فنُسِبَ إليه.

وقيل: عَبْقَرُ: اسمُ أرضٍ يسكنُها الجنُّ، يُنسَبُ إليها خيارُ كلِّ شيءٍ.

وجُمِعَ ﴿خُضْرٍ﴾ حملًا على الجنسِ.

***

(٧٧ ـ ٧٨) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧٧) تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧٧) تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾: تعالى صفتُه عن صفاتِ المخلوقينَ.

وقيل: تبارَكَ ربُّكَ، والاسمُ صلةٌ، كقولِه: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى﴾ [الفرقان: ١].

﴿ذِى ٱلْجَلَٰلِ﴾: ذي العظَمةِ، والجلالُ لا يُستعمَلُ إلا لله تعالى، وقُرِئَ: ﴿ذو الجلال﴾[1] حملًا على الاسمِ.

﴿وَٱلْإِكْرَامِ﴾: يُكرِمُ أولياءَه بالإنعامِ عليهِم والإحسانِ إليهِم.

***

(١) قراءة ابن عامر، والباقون: ﴿ذِى ٱلْجَلَٰلِ﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٦٢١)، و«التيسير» (ص: ٢٠٧).

سُورَةُ الوَاقِعَةِ

سُورَةُ الوَاقِعَةِ

ستٌّ وتسعونَ آيةً[(١)]، مكِّيَّةٌ.

ابنُ عبَّاسٍ وقتادةُ: إلَّا آيةً نزلَتْ بالمدينةِ، وهي: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٨٢][(٢)].

وقيل: إلَّا قولَه: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ [الواقعة: ٣٩-٤٠]، وقولَه: ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ [الواقعة: ٨١][(٣)].

ورَوَى جماعةٌ منَ المُفسِّرين أنَّ عثمانَ بنَ عفَّانَ دخلَ على ابنِ مسعودٍ رضي الله عنهما في مرضِه الذي ماتَ فيه فقالَ له: ما تشتكي؟ فقال: ذُنوبي، قال: ما تشتَهي؟ قال: رحمةَ ربِّي، قال: أفلا نَدعُو الطَّبيبَ؟ قال: الطَّبيبُ أمرَضَني، قال: ألَا نأمرُ بعطائِكَ؟ قال: لا حاجةَ لي فيه، فقال: تدفعُه إلى بناتِكَ، قال: لا حاجةَ لهنَّ فيه، قد أمرتُهنَّ أن يقرَأْنَ سورةَ الواقعةِ؛ فإنِّي سمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «مَن قرأ سورةَ الواقعةِ كلَّ ليلةٍ لم تُصِبهُ فاقةٌ أبدًا»[(٤)].

---

(١) «ست وتسعون آية»: ليس في (ف). وانظر: «البيان في عد آي القرآن» (ص: ٢٣٩)، وفيه: وهي تسعون وست آيات كوفي، وسبع بَصري، وتسع في عدد الباقيين.

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٤٥)، والجرجاني في «درج الدرر» (٤/ ١٥٩١).

(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٨/ ٢٤) عن الكلبي.

(٤) رواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ٢٥٧)، والإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (١٢٤٧)، =

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾.

﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ قيل: تقديرُه: اذكُرْ إذا وقعتِ الواقعةُ.

وقيل: ﴿إِذَا﴾ شرطٌ جوابُه محذوفٌ دلَّ عليه: ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾؛ أي: إذا وقعَتْ خفَضَتْ ورفَعَتْ.

قال سيبويهِ: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً﴾ [الواقعة: ٧] مُكتفًى به عن الجوابِ.

الفرَّاءُ في جماعةٍ: ﴿وَكُنتُمْ﴾ جوابُه، والواوُ زيادةٌ[١].

وقيل: هو جوابُ قولِهم: ﴿أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ [النازعات: ٤٢][٢].

وقيل: ﴿إِذَا﴾ مُبتدأٌ خبرُه: ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [الواقعة: ٤][٣]؛ أي: وقتُ هذا وقتُ ذاك.

ويحتمِلُ أنَّ العاملَ فيه ﴿وَقَعَتِ﴾؛ لأنَّ ﴿إِذَا﴾ شرطٌ، وإنَّما يمتنِعُ ما بعدَه عن

= وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٦٨٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٢٧٠). قال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٣/ ٤١٣ ـ ٤١٤): «قد تبين ضعف هذا الحديث من وجوه:

أحدها: الانقطاع، كما ذكره الدارقطني وابن أبي حاتم في «علله» نقلًا عن أبيه.

والثاني: نكارة متنه، كما قال أحمد.

والثالث: ضعف رواته، كما ذكره ابن الجوزي.

والرابع: الاضطراب، فذكر الاضطراب في اسم بعض رواته ثم قال: وقد اجتمع على ضعفه الإمام أحمد وأبو حاتم وابنه والدارقطني والبيهقي وابن الجوزي تلويحًا وتصريحًا».

(١) ذكر القولين عن سيبويه والفراء المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٧٥)، ولم أجدهما عند غيره.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٧٥)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٧٥)، وعده من العجائب.

العملِ فيه إذا كانَ مُضافًا إلى الفعلِ، نحو: آتيكَ إذا احـمَرَّ البُسْرُ.

***

(٢) ـ ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾.

﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾؛ أي: كذِبٌ، والمعنى: لا كذِبَ في وُقوعِها، فيكونُ اللَّامُ بمعنى: في، والوقوعُ: ظهورٌ بالحدوثِ.

وقيل: ليسَ لـها مرَدٌّ.

وقيل: لا رُجوعَ فيها ولا مَثْنويَّةَ.

وقيل: ليس لأَجْلِ وقعتِها كاذبةٌ، والمعنى: مَن أخبرَ عنها صَدَقَ ولـم يَكذِبْ.

والتَّاءُ لتأنيثِ النَّفسِ، أو للمُبالغةِ، وقيل: قضيَّةٌ[1] كاذِبةٌ.

وقيل: ليس الخبرُ عن وُقوعِها كذبًا.

***

(٣) ـ ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾.

﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾؛ أي: هي تخفِضُ أعداءَ الله في النَّارِ وإنْ كانوا أعزَّةً في الدُّنيا، وترفعُ أولياءَ الله إلى الجنَّةِ وإنْ كانوا أذلَّاءَ في الدُّنيا.

وقيل: تخفِضُ فيسمَعُها القريبُ، وترفعُ فيسمُعها البعيدُ، فالقريبُ والبعيدُ فيها سواءٌ.

وقيل: خفضَتْ فأماتَتِ الخلقَ كلَّهم، ورفعَتْ فأحيَتِ الخلقَ كلَّهم، حكاه أقضى القُضاةِ[2].

---

(١) في (ف): «قصته».

(٢) انظر: «النكت والعيون» (٥/ ٤٤٦)، وفيه: «خفضت بالنفخة الأولى من أماتت، ورفعت بالنفخة =

وقُرِئَ بالنَّصبِ على الحالِ الدَّائمِ[1].

***

(٤) ـ ﴿ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴾.

﴿ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴾ قيل: ﴿ إِذَا ﴾ بدلٌ منَ الأوَّلِ.

وقيل: خبرٌ عنِ الأوَّلِ كما سبقَ.

وقيل: العاملُ فيه ﴿وَقَعَتِ ﴾.

ومعنى ﴿رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴾: حُرِّكتِ الأرضُ تحريكًا شديدًا لقيامِ السَّاعةِ، والرَّجُّ: حركةٌ شديدةٌ لها صوتٌ.

وقيل: يُرَجُّ ما فيها كما يُرَجُّ الغِرْبالُ.

***

(٥) ـ ﴿ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴾.

﴿ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴾؛ أي: سُيِّرتْ سيرًا، والبَسُّ: السَّوقُ.

وقيل: كُسِرَتْ كسرًا بليغًا، والبَسُّ: اللَّتُّ كما يُبَسُّ السَّويقُ.

وقيل: البَسُّ: الطَّحْنُ.

وقيل: البَسُّ: الفَتُّ. وكلٌّ قريبٌ.

وقيل: سالَتْ سيلًا.

= الثانية من أحيت».

(١) نسبت لليزيدي والحسن والثقفي وأبي حيوة. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٥١)، و«المحتسب» (٢/ ٣٠٥).

وقيل: هُدَّتْ هدًّا.

وقيل: قُطِعَتْ قطعًا، وقُلِعَتْ قَلْعًا.

* * *

(٦) ـ ﴿فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾.

﴿فَكَانَتْ﴾؛ أي: الجبالُ ﴿هَبَآءً﴾: غُبارًا، كما يُرى في الكُوَّةِ مع الشَّمسِ.

وقيل: هي نفسُ الهواءِ أُدرِكَ بالبصرِ، وقد سبق.

﴿مُّنۢبَثًّا﴾: مُتفرِّقًا أجزاؤُه في الجهاتِ مُنتَشرًا.

* * *

(٧) ـ ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً﴾.

﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا﴾: أصنافًا ﴿ثَلَٰثَةً﴾:

قيل: في كلِّ صنفٍ مُستكثِرٌ ومُقصِّرٌ، فكان زوجًا.

وقيل: في كلِّ صنفٍ رجالٌ ونساءٌ، فكانَ زوجًا.

وجاء مَرفوعًا: أنَّهم أصحابُ الميمنةِ وأصحابُ المشأمةِ والسَّابقونَ[1].

* * *

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٤٢) عن النعمان بن بشير، عن النبي ﷺ، والنعمان عن عمر، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٣٠) عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ [التكوير: ٧] قال: «الضُّرباء كل رجل مع قوم كانوا يعملون بعمله، وذلك بأن الله تعالى يقول: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۝٧ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝٩ وَٱلسَّٰبِقُونَ﴾ قال: «هم الضرباء».

(٨ ـ ٩) ـ ﴿ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴾.

وقولُه: ﴿ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴾ هذا تعظيمٌ للمذكورِ، وكذلك أمثالُـها في القرآنِ تجري مَجرى التَّعجيبِ من أمرِهم.

وأصحابُ الميمنةِ منَ (اليمينِ)؛ أي: هم الذين يأخُذونَ كتبَهم بأيمانِهم.

وقيل: يدخُلونَ الجنَّةَ، وهي على يمينِ العرشِ.

وقيل: كانوا على يمينِ آدمَ صلَواتُ الله عليه يومَ أُخِذَ الميثاقُ.

وقيـل: هو مـن (اليُمْـنِ)؛ أي: هـم المَيامينُ على أنفُسِـهم، وهـؤلاءِ أصحابُ الحسناتِ.

وأصحابُ المشأمةِ: العربُ تُسمِّي الشِّمالَ: الشُّومَى، والمعنى: يُؤتَونَ كتبَهم بشمالِـهم، ويدخُلونَ النّارَ، وهي على يسارِ العرشِ، وكانوا على يسارِ آدمَ عليه السَّلامُ.

وقيل: هم المشائيمُ على أنفُسِهم، وهؤلاءِ أصحابُ السَّيِّئاتِ.

و(أَصْحَابُ) رفعٌ بالابتداءِ، ﴿مَآ أَصْحَٰبُ﴾ جملةٌ من مبتدأ وخبرٍ هي خبرُ المبتدأ الأوَّلِ، والصَّريحُ قامَ[1] مَقامَ الضَّميرِ العائدِ.

وأجمـعَ أهـلُ الإعـرابِ أنَّ ﴿مَآ﴾ رفـعٌ بالابتـداءِ، و﴿أَصْحَٰبُ﴾ رفـعٌ بالخبـرِ، وكذلـك: ﴿مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾، و﴿ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴾.

ويحتمِلُ أنَّ ﴿مَآ﴾ رفعٌ بالخبرِ، وما بعدَه رفعٌ بالابتداءِ، فإنَّ ﴿مَآ﴾ نكرةٌ، وتقديرُه: أيُّ شيءٍ، وهي بالخبرِ أولى، لكنْ قُدِّمَ للاستفهامِ كما قُدِّمَ الخبرُ تقديمًا

(١) في (ف): «قائم».

لازِمًا في: أينَ زيدٌ؟ و: متى القيامُ؟ و: كيفَ بكرٌ؟ للاستفهامِ، وهذا ظاهرٌ.

***

(١٠ ـ ١٢) ـ ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾.

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ قيل: هم الذين سبقُوا إلى الإيمانِ في جميعِ الأديانِ.

وقيل: هم الأنبياءُ عليهم السَّلامُ.

وقيل: هم الذين سبقُوا إلى الطّاعاتِ.

ابنُ عبَّاسٍ: هم خِرْبيلُ مُؤمِنُ آلِ فرعونَ، وحبيبٌ النَّجَّارُ صاحبُ أنطاكِيّةَ، وأبو بكرٍ وعليٌّ رضي الله عنهما[1].

وقيل: هم المذكورونَ في قولِه: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقيل: هم أهلُ القرآنِ، وهم المُتوَّجُونَ يومَ القيامةِ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾: المُكرَّمون المُبجَّلون ﴿فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾.

وقيل: المُقرَّبونَ من رحمةِ الله وجزيلِ ثوابِه.

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ﴾ رفعٌ بالابتداءِ ﴿ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ خبرُه، والتَّقديرُ: والسَّابقون إلى الإيمانِ والطَّاعةِ السَّابقونَ إلى الجنَّةِ والرِّضوانِ.

وقيل: الأوَّلُ رفعٌ بالابتداءِ، والثّاني تأكيدٌ له، و﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ خبرُه، كما تقولُ: زيدٌ زيدٌ قائمٌ.

وقيل: السّابقونَ الأوَّلُ رفعٌ بالخبرِ، والتَّقديرُ: هم أصحابُ الميمنةِ وأصحابُ

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٤٨)، وفيه: «حزقيل» بدل «خربيل».

المشأمةِ والسَّابقونَ، ثمَّ ابتدأ فقالَ: ﴿السَّابِقُونَ﴾ فهو رفعٌ بالابتداءِ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾ خبرُه.

هذا جملةُ كلامِ النُّحاةِ.

ويحتمِلُ أنَّ تقديرَ الآيةِ: والسّابقونَ ما السّابقونَ، فحُذِفَ (ما) لأنَّ الأُوْلَيين تدُلَّانِ عليه، فيكُونُ الكلامُ في الثَّلاثةِ على نَسَقٍ واحدٍ. والله أعلَمُ.

وقيل: إنَّ ﴿مَآ﴾ في الأوليَين زيادةٌ، ومعنى الميمَنتَينِ والمشأمتَينِ مُختلِفٌ.

***

(١٣ ـ ١٤) ـ ﴿ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٣ وَقَلِيلٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ﴾.

﴿ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٣ وَقَلِيلٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: أنَّ سابقي سائرِ الأممِ الذين آمَنُوا بأنبيائِهم أكثرُ من سابقي أمّةِ محمَّدٍ ﷺ؛ لكثرةِ الأنبياءِ، وهذا لا ينقضُ قولَه عليه السَّلامُ: «إنَّ أمَّتي يَكْثُرونَ سائرَ الأممِ»(١)؛ لأنَّه عليه السَّلامُ قال: «أمَّتي»، ولم يقُلْ: سابِقُو أمَّتي.

والثّاني: أنَّ ﴿ثُلَّةٞ﴾ في معنى: قليلٌ منَ النّاس؛ لأنَّ اشتقاقَه منَ الثَّلِّ، وهو القطعُ، قالَه الزَّجَّاجُ(٢).

والثّالثُ: أنَّ الثُّلَّةَ: الشَّطرُ، وهو النِّصفُ، عن الضَّحَّاكِ(٣).

---

(١) قال المناوي في «الفتح السماوي» (٣/ ١٠٢٢): «لم أقف عليه»، قلت: روى معناه البزار في «مسنده» (٨٢٢٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا بلفظ: «يأتي معي من أمتي يوم القيامة مثل السيل والليل فتحطم حطمة فتقول الملائكة: لما جاء مع محمد أكثر مما جاء مع سائر الأمم أو الأنبياء».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ١٠٩).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٤٩).

أبو عُبيدةَ: الثُّلَّةُ: البقيَّةُ[١].

وقيل: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ كلاهما من أمّةِ محمَّدٍ عليه السَّلامُ، وقد جاء مرفوعًا أنه قال: «كِلْتا الثُّلَّثينِ أُمَّتي»[٢].

ورُوِيَ أيضًا أنَّه قال عليه السَّلامُ: «أهلُ الجنّةِ مئةٌ وعشرونَ صفًّا، ثمانون صفًّا منها أُمَّتي، وهم الفائزون الأخيارُ»[٣].

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٢٤٨)، وفيه: «ثلة: تجيء جماعة وأمة وتجيء بقية».

(٢) روي من حديث ابن عباس ومن حديث أبي بكرة رضي الله عنهم:

حديث ابن عباس رضي الله عنهما رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٣٤)، وابن عدي في «الكامل» (١/ ٣٨٦)، من طريق أبان بن أبي عياش، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس مرفوعاً بلفظ: «هما جميعا من أمتي»، وأبان متروك.

وحديث أبي بكرة روي مرفوعاً وموقوفاً:

أما المرفوع فرواه مُسَدَّد في «مسنده» كما في «المطالب العالية» (٣٧٤٥) عن خاقان بن عبد الله بن الأهتم، عن علي بن زيد، عن عقبة بن صَهْبان، عن أبي بكرة عن النَّبي ﷺ.

ورواه الطبراني كما في «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٣/ ٤٠٣) من طريق حجاج بن المنهال عن حَمَّاد بن سَلَمَة عن علي بن زيد به.

قال الدارقطني في «العلل» (٧/ ١٦٤): «وخاقانُ ليس بالقوي، وكان يحيى القَطَّانُ حَدَّث به عن حَمَّادِ بن سلمةَ عن عليِّ بن زيد عن عقبةَ بن صهبانَ عن أبي بكرةَ عن النبي ﷺ ثم تركه».

وأما الموقوف فرواه أبو داود الطيالسي في «مسنده» (٩٢٧): ثنا حَمَّاد بن زيد عن علي بن زيد عن عقبة بن صهْبَان عن أبي بكرة. قال الحافظ في «الكافي الشاف» (ص: ١٦٢): «والموقوف أولى بالصواب، وعلي ضعيف».

(٣) رواه الترمذي (٢٥٤٦)، وابن ماجه (٤٢٨٩)، من حديث بريدة رضي الله عنه، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن».

ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٤٣٢٨)، والبزار في «مسنده» (١٩٩٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٣٥٠) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

وفي سببِ النُّزولِ: أنه لمَّا نزَلَ ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴾ بكى عمرُ بن الخطّابِ رضي الله عنه، وقال: يا نبيَّ الله! آمنّا بكَ وصدَّقناك، وما ينجو منَّا قليلٌ، فأنزلَ الله تعالى: ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴾، فدعا عليه السَّلامُ عمرَ رضي الله عنه وقالَ: «يا بنَ الخطّابِ، قد أنزَلَ الله كما قُلتَ، فجعلَ ثلَّةً منَ الأوَّلينَ، وثُلَّةً من الآخِرينَ»(١).

***

(١٥) ـ ﴿ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴾.

قولُه: ﴿ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴾: مَرمولةٍ(٢) بالذَّهبِ، مُشبَّكةٍ بالدُّرِّ والياقوتِ، مَرصوفةٍ(٣) منسوجةِ السُّطوحِ، وذلك ألينُ للجالسِ عليها.

وقيل: ﴿مَّوْضُونَةٍ﴾: جُعِلَ كلُّ سريرٍ بجنبِ سريرٍ.

***

(١٦) ـ ﴿ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ ﴾.

﴿ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ ﴾؛ أي: يتَّكئونَ على تلك السُّررِ، ويتوانسونَ بالتَّقابلِ حالةَ الزِّيارةِ.

***

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ٤٨١) عن عروة بن رويم مرسلاً، ووصله الطبراني في «مسند الشاميين» (٥٢٠)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٠/ ٢٢٩) من طريق عروة بن رويم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال ابن كثير في «تفسيره» (٧/ ٥١٨): «في إسناده نظر».

(٢) أي: منسوخة. انظر: «جمهرة اللغة» (٢/ ٨٠١)، و«التلخيص» للعسكري (ص: ٣٦٦).

(٣) في (ف): «مضفورة».

(١٧) ـ ﴿يَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ﴾.

﴿يَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ﴾ يخدمُهم وينقلبُ إليهم ﴿وِلۡدَٰنٞ﴾: غِلمانٌ، جمعُ وليدٍ، وخدمةُ الغلمانِ أمتعُ من خدمةِ الكبارِ، وهم وِلدانٌ أنشأَهُم الله تعالى لخدمةِ أهلِ الجنّةِ.

الحسنُ: هم الأطفالُ لم يستوجِبُوا النَّارَ ولا الدَّرجاتِ(١)، مُشتَقٌّ منَ الولادةِ.

﴿مُّخَلَّدُونَ﴾: باقونَ لا يموتونَ.

وقيل: يبقَونَ على غُلومتِهم لا تتغيَّرُ نَضارتُهم.

وقيل: مُقرَّطونَ مُزيَّنونَ، منَ الخُلْدةِ، وهي القُرْطُ.

وقيل: لا ينصرِفُونَ عنهم.

***

(١٨) ـ ﴿بِأَكۡوَابٖ وَأَبَارِيقَ وَكَأۡسٖ مِّن مَّعِينٖ﴾.

﴿بِأَكۡوَابٖ﴾: جمعُ كُوبٍ، وهو الإناءُ لا عُروةَ لها ولا خُرطومَ.

﴿وَأَبَارِيقَ﴾: جمعُ إبريقٍ، وهو الإناءُ له عروةٌ وخرطومٌ، مُشتقٌّ منَ البَريقِ.

وقيل: مُعرَّبُ «آب ريز»(٢).

﴿وَكَأۡسٖ﴾ قَدَحٍ مملوءٍ ﴿مِّن مَّعِينٖ﴾ من خمرٍ، واختُلِفَ في وزنِ ﴿مَّعِينٖ﴾، وقد سبقَ(٣).

الكوبُ للماءِ وغيرِه، والإبريقُ لغسلِ الأيدي، والكأسُ لشُربِ الخمرِ.

---

(١) روي نحوه في «تفسير مجاهد» (ص: ٦٤١) عن الحسن بلفظ: «لم يكن لهم حسنات فيجزون بها، ولا سيئات فيعاقبون عليها، فوضعوا بهذا الموضع»، وهكذا ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٢٢٠) عن الحسن.

(٢) انظر: «الصحاح» مادة: (ب ر ق) (٤/ ١٤٤٩)، و«التلخيص» للعسكري (ص: ١٩٠).

(٣) في تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبۡوَةٖ ذَاتِ قَرَارٖ وَمَعِينٖ﴾ [المؤمنون: ٥٠].

(١٩) ـ ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴾.

﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا ﴾: تُطْرِبُهم ولا تُؤذِيهِم بصُداعٍ.

وقيل: لا يتفرَّقونَ عنها، تقول: صَدَعتُهم فانصَدَعوا.

وقيل: لا يُمنَعون عنها.

﴿وَلَا يُنْزَفُونَ﴾: لا يُنزَفُ عقولُـهم.

وقيل: لا يتقيَّؤون.

وقيل: لا يبُولونَ.

يُقالُ لكلِّ ما استُقصِيَ عليه حتَّى يذهبَ كلُّه: نُزِفَ وأنزَفَ.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: في الخمرِ أربعُ خصالٍ: السُّكرُ والصُّداعُ والقَيءُ والبولُ، والله عزَّ وجلَّ نزَّهَ خمرَ الجنَّةِ عنها كلِّها[١].

وقُرِئَ: ﴿يُنزِفُونَ ﴾ بالكسرِ[٢]، وفُسِّرَ: لا يَنْفَدُ شرابُهم، تقولُ: أَنْزَفَ القومُ؛ إذا فنيَ شرابُهم.

وقيل: أنزَفَ: سكِرَ، قال الشَّاعرُ:

لَعَمْـري لَئِـنْ أنزَفْتُـمُ أو صـحَـوْتُـم   لَبِـئسَ النَّدامَـى كُنتُـمُ آلَ أَبْجَـرا[٣]

***

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢١١)، وابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٧/ ٨٨).

(٢) قرأ بها عاصم وحمزة والكسائي، والباقون بفتح الزاي، ولا خلاف في ضم الياء. انظر: «السبعة» (ص: ٥٤٧)، و«التيسير» (ص: ١٨٦).

(٣) البيت للأبيرد الرياحي كما في «مجاز القرآن» (٢/ ١٦٩ و٢٤٩)، و«تفسير الطبري» (١٩/ ٥٣٧)، و«معاني القرآن» للنحاس (٦/ ٢٦).

(٢٠) ـ ﴿وَفَٰكِهَةٖ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾.

﴿وَفَٰكِهَةٖ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾: يختارونَ؛ أي: كلُّها خِيارٌ.

وقيل: التَّخيُّـرُ لذلك: إرادتُه وشهوتُه.

* * *

(٢١) ـ ﴿وَلَحۡمِ طَيۡرٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ﴾.

﴿وَلَحۡمِ طَيۡرٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ﴾؛ أي: يجدونَ لذَّةً وشهوةً في أكلِه من غيرِ قَرَمٍ[1].

قولُه: ﴿مِّمَّا﴾ يحتمَلُ جنسَ الطَّيرِ كالدَّجاجِ والقَبَجِ وغيرِ ذلك، ويحتمِلُ اتِّخاذَ الألوانِ كالمطبوخِ والمشويِّ، ويحتمِلُ أجزاءَ الطَّيرِ، فقد جاء مرفوعاً: «طيرُ الجنَّةِ مثلُ البُخْتِ»[2].

* * *

(٢٢) ـ ﴿وَحُورٌ عِينٞ﴾.

﴿وَحُورٌ﴾: جمعُ حَوراءَ، منَ الحوَرِ، وهو شدَّةُ بياضِ العينِ وسوادِها.

مجاهدٌ: تحارُ في حُسنِها العينُ[3]، وفيه ضَعفٌ.

﴿عِينٞ﴾: جمعُ عَيناء، وهي الواسعةُ العينِ.

* * *

---

(١) في هامش (ن): «الأقرم الاشتهاء». والصواب: «القَرَم» وهو شدة شهوة اللحم. انظر: «القاموس» مادة: (ق ر م).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٣٣١١) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٠٤).

(٢٣) ـ ﴿كَأَمْثَـٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ﴾.

﴿كَأَمْثَـٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ﴾ في الصَّفاءِ والنَّقاءِ.

المكنُونِ: المصونِ عمَّا يُضِرُّ به. وقيل: المكنونِ في الصَّدفِ.

أنسٌ رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قالَ: «إنَّ الله تعالى خلقَ الحورَ العِينَ منَ الزَّعفَرانِ»[1].

وقُرِئَ ﴿وحُوْر عِيْن﴾ بالرَّفعِ والخفضِ[2].

أبو عليٍّ في «الحجَّةِ»: الرَّفعُ محمولٌ على المعنى؛ أي: لهم أكوابٌ وحورٌ

---

(١) رواه من حديث أنس رضي الله عنه الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ٤٤١)، والبيهقي في «البعث والنشور» (٣٥٥)، والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٧/ ٥٨٨)، وقال البيهقي: «وهذا منكر بهذا الإسناد لا يصح عن ابن علية».

ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٩٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٧٨١٣)، و«الأوسط» (٢٨٨)، وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٣٨٣) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٤١٩): «رواه الطبراني في «الكبير» و«الأوسط»، وفي إسنادهما ضعفاء».

ورواه أبو نعيم في «صفة الجنة» (٢١٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وروي موقوفًا على مجاهد وابن عباس: رواه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٢٩٩)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٠٣)، وابن حبان في «الثقات» (٨/ ٥٢٨) من قول مجاهد، وكذا ذكره ابن قيم الجوزية في «حادي الأرواح» (ص: ٢٣٣) عن مجاهد، وقال: «وهو أشبه بالصواب، ورواه عقبة بن مكرم عن عبد الله بن زياد عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس قوله، ولا يصح رفع الحديث، وحسبه أن يصل إلى ابن عباس».

وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٧٧)، واستغربه.

(٢) قرأ عاصم وحمزة والكسائي بالجر، والباقون بالرفع. انظر: «السبعة» (ص: ٦٢٢)، و«التيسير» (ص: ٢٠٧).

عينٌ، قال: ويجوزُ أن يُحمَلَ على ﴿سُرُرٍ مَّوۡضُونَةٍ﴾؛ أي: على سُرُرٍ موضونةٍ حورٌ عينٌ، قال: ويجوزُ أن يكونَ عطفًا على الضَّميرِ في ﴿مُّتَّكِـِٔينَ﴾ أو ﴿مُتَقَٰبِلِينَ﴾، ولـم يُؤكِّدْ لطُولِ الكلامِ.

قال: ووجهُ الجرِّ: أن يُحمَلَ على قولِه: ﴿فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ وفي حورٍ عينٍ؛ أي: في مُقارنةِ حورٍ عينٍ، قال: وحملُه على الباءِ في ﴿بِأَكۡوَابٍ﴾ ممكنٌ إلا أنَّ الأخفشَ قالَ: في هذا بعضُ الوحشةِ(١).

الفرَّاءُ: الجرُّ على الجِوارِ، وإنْ لـم يحسُـنْ(٢) في آخرِه ما حَسُـنَ فـي أوَّلِه، وأنشدَ:

علفتُهـا تبنًـا ومـاءً بـاردًا(٣)

وزَجَّجْـنَ الحواجـبَ والعُيونـا(٤)

ويحتمِلُ أن يرتفعَ «حورٌ عينٌ» بالعطفِ على ﴿وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ﴾، ولا أدري لـمَ سكتَ عنه أبو عليٍّ، ولا يمتنِعُ الجرُّ منَ العطفِ على ﴿بِأَكۡوَابٍ﴾ كما لـم يمتنِعْ

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٦/ ٢٥٥ ـ ٢٥٧).

(٢) في هامش (ن): «في نسخة: يكن».

(٣) أي: وسقيتها ماء. وهذا صدر بيت أنشده الفراء لبعض بني دُبَير ـ قبيلة من أسد ـ يصف فرسه. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ١٤) و(٣/ ١٢٤)، و«تفسير الطبري» (١/ ٢٦٤)، و«الخصائص» لابن جني (٢/ ٤٣٣)، و«خزانة الأدب» للبغدادي (١/ ٤٩٩). وعجزه:

حَتَّـى شَـتَتْ هَمَّالَـةً عَيْناهَـا

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٢٣ ـ ١٢٤). وقوله: «والعيون»؛ أي: وكحَّلْنَ العيونَ. وهذا عجز بيت للراعي النميري وهو في «ديوانه» (ص: ١٥٠). وصدره:

إذا مـا الغانيـات بـرزن يومًـا

منه الفاكهةُ واللَّحمُ، ويكونُ الطَّائفُ بالحورِ العينِ مَن اختصَّ بخِدمتِهنَّ كالخَصِيِّ والمجبوبِ في المعهودِ(١). واللهُ أعلَمُ.

***

(٢٤) ـ ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾.

﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ جزاءً للسّابقينَ على أعمالِـهم.

***

(٢٥) ـ ﴿لَا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا تَأۡثِيمًا﴾.

﴿لَا يَسۡمَعُونَ فِيهَا﴾: في الجنّةِ ﴿لَغۡوٗا﴾: باطلًا.

وقيل: يمينًا كاذبًا.

وقيل: صياحًا وصخَبًا وعبَثًا.

﴿وَلَا تَأۡثِيمًا﴾؛ أي: لا يُقالُ لهم: أثِمْتُم وأسأْتُم.

وقيل: لا يأثَمونَ إثمًا، فيكونُ كقولكَ: أكلتُ خُبزًا ولبنًا؛ لأنَّ التَّأثيمَ لا يُسمَعُ.

***

(٢٦) ـ ﴿إِلَّا قِيلٗا سَلَٰمٗا سَلَٰمٗا﴾.

﴿إِلَّا قِيلٗا سَلَٰمٗا سَلَٰمٗا﴾: إلّا قولًا ذا سلامةٍ، والاستثناءُ مُنقطعٌ؛ أي: لكنْ قيلاً سلامًا يسمعون.

وقيل: إلّا: سلامٌ عليكم، من قولِه: ﴿تَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞ﴾.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٧٧)، واستغربه، ثم عقبه بقوله: «فلا يكون بعض الوحشة».

وفي نصبِ «سلامًا» ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: أن يكونَ صفةً للقيلِ، كما ذكرت.

والثّاني: أن ينتصِبَ بالقولِ؛ أي: إلّا أن يقولوا: سلامًا.

والثّالثُ: على المصدرِ، وتقديرُه: إلّا أن يقولوا: سلَّمَكَ الله سلامًا، كقولِه: ﴿أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [نوح: ١٧].

وقيل: إلّا قولًا سارًّا وكلامًا حسنًا.

وقيل: إلّا قيلًا هنيئًا مريئًا، حكاه الماورديُّ(١).

***

(٢٧) ـ ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾.

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾ التَّقديرُ هاهنا: ما لأصحابِ اليمينِ؟! على التَّعجيب(٢) ممّا لهم.

وفي سببِ النُّزولِ: قالَ أبو العاليةِ والضَّحّاكُ: نظرَ المسلمون إلى وَجٍّ، وهو وادٍ مخصبٌ بالطّائفِ، فأعجبَتْهم سدرةٌ، فقالوا: يا ليتَ لنا مثلَ هذا، فأنزلَ الله تعالى هذه الآياتِ(٣).

***

(٢٨) ـ ﴿فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾.

﴿فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾ السِّدرُ: شجرُ النَّبقِ، والمخضودُ: الذي لا شوكَ له.

وقيل: المخضودُ: الذي قُطِعَ شوكُه.

---

(١) انظر: «النكت والعيون» (٥/ ٤٥٢).

(٢) في (ن): «المتعجب»، والمثبت من (ف)، وهو أليق.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ٤٤٩)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٠٣).

وقيل: المخضودُ: السَّريعُ الانثِناءِ.

***

(٢٩) - ﴿وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ﴾.

﴿وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ﴾ قيل: شجرُ أمِّ غَيلانَ، وله نَورٌ رائحتُه طيِّبةٌ جدًّا.

وقيل: الموزُ، وثمرُه يكونُ منضودًا بعضُه فوقَ بعضٍ.

وعن عليٍّ رضي الله عنه أنَّه قُرِئَ عنده: ﴿وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ﴾، فقال: ما بالُ الطَّلحِ؟ إنَّما هو الطَّلعُ، فقال القارئُ: أفلا نُحوِّلُـها؟ فقال[1] عليٌّ كرَّمَ الله وجهَه: إنَّ القرآنَ لا يُهاجُ اليومَ ولا يُحوَّلُ[2].

***

(٣٠) - ﴿وَظِلّٖ مَّمۡدُودٖ﴾.

﴿وَظِلّٖ مَّمۡدُودٖ﴾: دائمٍ لا تنسخُه الشَّمسُ[3].

مُقاتل: هو ظلُّ العرشِ[4].

---

(١) في (ف): «فقال أمير المؤمنين».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٠٩)، ومن طريقه الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ٤٥٣). وفي إسناده مجالد بن سعيد قال في «التقريب»: ليس بالقوي.

وقال الجاربردي في «الحاشية على الكشاف» (ج٢/ ٣٨٩أ): هذا الحديث لم يثبت عن علي رضي الله عنه.

(٣) في (ف): «لا ينتسخه الشمي». وروى البخاري (٣٢١٥٢)، ومسلم (٢٨٦٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ، قال: «إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة، واقرؤوا إن شئتم: ﴿وَظِلّٖ مَّمۡدُودٖ﴾».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ٤٥٥) عن الربيع بن أنس.

ويحتمِلُ: أنَّه عبارةٌ عن الحفظِ، تقولُ: فلانٌ في ظلِّ فلانٍ؛ أي: في كنَفِه؛ لأنَّه لا شمسَ هناك.

* * *

(٣١) ـ ﴿وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ﴾.

﴿وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ﴾: جارٍ.

وقيل: مصبوبٍ سائلٍ.

وقيل: لا يتعبونَ فيه، بل ينسَكِبُ لهم كما يُحبُّونَ.

وقيل: يجري في غيرِ أُخدودٍ.

وقيل: يُسكَبُ على الخمرِ فيُشرَبُ ممزوجًا.

* * *

(٣٢ ـ ٣٣) ـ ﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ۝٣٢ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾.

﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ﴾؛ أي: كثيرةِ الأجناسِ والأنواعِ ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ﴾ بالزَّمنِ ﴿وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ بالثَّمنِ.

وقيل: ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ﴾: كلَّما قُطِعَ نبتَ آخرُ، ﴿وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾: لا محظورةٍ بالجدارِ.

وقيل: لا ممنوعةٍ بشوكٍ أو بُعدِ مُتَناوَلٍ.

* * *

(٣٤) ـ ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾.

﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾: رفيعةِ القَدْرِ.

وقيل: طويلةٍ في الهواءِ، طولُها مسيرةُ خمسِ مئةِ عامٍ، بعضُها فوقَ بعضٍ.

وقيل: هي النِّساءُ بلغةِ خَثعَمَ، واحدُها: فَريشٌ، يُقالُ: استفْرَشَتِ المرأةُ؛ إذا طلَبَتْ فحلًا[١].

وقيل: كنايةٌ عن النِّساءِ[٢]، كما قالَ ﷺ: «الولدُ للفراشِ»[٣].

ومعنى ﴿مَّرْفُوعَةٍ﴾؛ أي: رفيعةِ القدرِ.

***

(٣٥) ـ ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً﴾.

﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً﴾ قيل: يعودُ الضَّميرُ إلى الحورِ[٤]، واستبعَدَه المُحقِّقونَ، وقالوا: إنَّها في قصَّةٍ، وهذه في قصَّةٍ أُخرى، بل يعودُ إلى الفُرشِ؛ فإنَّها النِّساءُ، أو كنايةٌ عن النِّساءِ كما سبقَ، وتقولُ: «افترَشَها» كنايةً عن الوَطْءِ.

وقيل: الفُرشُ: محلُّ النِّساءِ، فدلَّتْ على النِّساءِ، ومعنى[٥]: ﴿أَنشَأْنَٰهُنَّ﴾: خلقَهُنَّ اللهُ ابتداءً لأوليائِه، لَسْنَ ممَّن وقعَتْ عليهنَّ الولادةُ.

الضَّحَّاكُ: هنَّ المُؤمناتُ منَ النِّساءِ[٦].

الحسنُ: هنَّ عجائزُكم الغُمْصُ الرُّمْصُ صيَّرَهنَّ اللهُ كما تسمعونَ[٧].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٧٨)، وعده من العجائب.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٧٨)، واستغربه.

(٣) رواه البخاري (٢٢١٨)، ومسلم (١٤٥٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٧٨)، وعده من العجائب.

(٥) في (ن): «أو معنى».

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٧٨)، واستغربه. وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٥٥) بلفظ: «إعادتهن بعد الشمط والكبر صغاراً أبكارًا».

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٢٢)، والطبراني في «الأوسط» (٣١٦٥)، من طريق سليمان بن أبي =

قال مجاهدٌ: قالَ رسول الله ﷺ في امرأةٍ كانت عند عائشةَ رضي الله عنها من بني عامرٍ وكانت عجوزًا: «إنَّ الجنّةَ لا يدخلُها العُجَّزُ»، فوَلَّتْ تبكي، فقال ﷺ: «أخبِروها أنَّها ليسَتْ بعجوزٍ يومَئذٍ[1]، إنَّ الله تعالى يقولُ: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً﴾»[2].

* * *

= كريمة، عن هشام بن حسان، عن الحسن، عن أمه، عن أمّ سلمة رضي الله عنها عن النبي ﷺ بلفظ: «هن اللواتي قبضن في الدنيا عجائز رمصاً شمطاً، خلقهن الله بعد الكبر فجعلهن عذارى». قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١١٩): «فيه سليمان بن أبي كريمة ضعفه أبو حاتم وابن عدي».

ورواه الترمذي (٣٢٩٦) عن أنس رضي الله عنه بلفظ: قال رسول الله ﷺ في قوله: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً﴾ قال: «إن من المنشآت اللائي كن في الدنيا عجائز عمشاً رمصًا»، وقال: «هذا حديث غريب، لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث موسى بن عبيدة، وموسى بن عبيدة ويزيد بن أبان الرقاشي يضعفان في الحديث».

(١) في (ف): «أنها يومئذ ليست بعجوز».

(٢) رواه أبو الشيخ في «أخلاق النبي» (١٨٥)، والثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٠٩)، عن مجاهد. ووصله الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٤٢٩) من طريق ليث، عن مجاهد، عن عائشة، قالت: دخل عليّ رسول الله ﷺ وعندي عجوز، الحديث، وليث هو ابن أبي سليم وهو ضعيف. وأشار ابن حجر في «الكافي الشاف» (ص: ١٦٣) إلى ضعف كل ما اتصل من رواياته.

ورواه الطبراني في «الأوسط» (٥٥٤٥)، وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٣٩١)، من طريق مسعدة بن اليسع عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن عائشة رضي الله عنها، ومسعدة ضعيف كما قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٤١٩). وقال عنه الذهبي في «الميزان»: «هالك، كذبه أبو داود، وقال أحمد: حرقنا حديثه منذ دهر»، وقد رواه هناد بن السري في «الزهد» (٢٤) عن عبدة عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب مرسلاً، وعبدة هو ابن سليمان الكلابي، وهو ثقة ثبت كما في «التقريب»، فهذا وإن كان مرسلاً لكن رجاله كلهم ثقات رجال الصحيح.

(٣٦ ـ ٣٧) ـ ﴿فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ۝٣٦ عُرُبًا أَتْرَابًا﴾.

﴿فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا﴾: عَذارَى لا يأتيها الرَّجلُ إلّا وجدَها بِكْرًا.

﴿عُرُبًا﴾: جمعُ عَروبٍ.

ابنُ عبّاسٍ في جماعةٍ: هي العواشِقُ للأزواجِ[١].

قالَ ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: تقولُ للنّاقةِ إذا أرادَتْ فحلًا: هي عَرِبَةٌ[٢].

الزَّجَّاجُ: غَنِجةٌ مُتحبِّبةٌ إلى زوجِها[٣].

أبو عبيدةَ: الحسنةُ التبعُّلِ[٤].

وقيل: هي الخَفِرَةُ[٥] المبتذِلةُ لزوجِها.

وقيل: هي اللَّعوبُ بزوجِها أُنْسًا به.

وفي بعضِ التَّفاسيرِ مرفوعًا: «﴿عُرُبًا﴾: كلامُهنَّ عربيٌّ»[٦].

﴿أَتْرَابًا﴾: جمعُ تِرْبٍ؛ أي: مُستوياتٍ على سنٍّ واحدةٍ، قيل: ثلاثٌ وثلاثونَ سنةً[٧].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٢٣)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ٤٦٦) عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وسعيد بن جبير.

(٢) لم أجده عن ابن عباس، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٢٧) عن عبد الله بن عبيد بن عمير.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ١١٢).

(٤) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ٢٥١).

(٥) في هامش (ن): «الخفرة: الحيِيَّة».

(٦) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٣٢) عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده مرفوعًا، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٥٦)، قال ابن حجر في «فتح الباري» (٦/ ٣٢٢): «ضعيف منقطع».

(٧) روى الترمذي (٢٥٤٥) عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يدخل أهل الجنة الجنة =

وقيل: هي اللَّواتي نشأنَ معًا، مأخوذٌ من لعبِ الصِّبيانِ بالتُّرابِ.

وقيل: جُعِلْنَ أشكالًا لأزواجِهنَّ في الجسمِ والمقدارِ لأصحابِ اليمينِ.

***

(٣٨ ـ ٤٠) ـ ﴿لِأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾.

﴿لِأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ قيل: هُنَّ لأصحابِ اليمينِ[1].

وقيل: أنشأناهُنَّ لأصحابِ اليمينِ.

وعن بعضِ القرَّاءِ الوقفُ على ﴿أَتْرَابًا﴾، ثمَّ قالَ الله تعالى: ﴿لِأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾[2].

وقيل: تقديرُه: أصحابُ اليمينِ ثلةٌ من الأولين وثلةٌ من الآخرين.

***

(٤١ ـ ٤٤) ـ ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾.

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾ المشأمةُ والشِّمالُ واحدٌ.

﴿فِي سَمُومٍ﴾: وهي الرِّيحُ الحارّةُ تدخُلُ في المسامِّ ﴿وَحَمِيمٍ﴾ وهو الماءُ الحارُّ في النِّهايةِ.

= جردًا مردًا مكحلين أبناء ثلاثين أو ثلاث وثلاثين سنة»، وقال: «هذا حديث حسن غريب وبعض أصحاب قتادة رووا هذا عن قتادة مرسلًا، ولم يسندوه».

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٧٩)، واستغربه.

(٢) فيكون ﴿ثُلَّةٌ﴾ رفع بالابتداء، ﴿وَثُلَّةٌ﴾ عطف عليه، ﴿لِأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ خبر تقدم عليه، فيحسن عندها الوقف على ﴿أَتْرَابًا﴾، هكذا قال المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٧٩)، وعد هذا القول من العجائب.

﴿ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴾: وهو دخانٌ شديدُ السَّوادِ، من (الحُمَمَةِ)، و(يَحْمُومٌ) يَفْعولٌ منه، قابَلَ بهذا الظِّلِّ ظلَّ أصحابِ الميمنةِ.

وقيل: اليَحْمومُ: هو النَّارُ السَّوداءُ.

ابنُ كيسانَ: اليَحْمومُ: من أسماءِ النَّارِ[1].

وقيل: ﴿يَحْمُومٍ﴾: جبلٌ في النَّارِ يستغيثُ إلى ظلِّه أهلُ النَّارِ.

وقيل: في نارٍ لا ضوءَ لها.

الزَّجَّاجُ: في نارٍ يُعذَّبونَ؛ كقولِه: ﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ﴾ [الزمر: ١٦][2].

﴿لَّا بَارِدٍ﴾ كسائرِ الظِّلالِ ﴿وَلَا كَرِيمٍ ﴾ على صاحبِه.

وقيل: لا باردِ المدخلِ ولا كريمِ المخرجِ، والعربُ إذا بالغَتْ في ذمِّ شيءٍ نفَتْ عنه الكرمَ.

***

(٤٥) ـ ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴾.

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ ﴾ يعني: في الدُّنيا ﴿مُتْرَفِينَ ﴾: مُتنعِّمين، فمنعَهُم ذلك عن الانزِجارِ، وشغَلَهُم عنِ الاعتبارِ.

وقيل: وصفَهم بالتُّرْفةِ؛ لأنَّ عذابَ المُترَفِ أشدُّ ألـمًا.

وقيل: مُترَفين فيما حرَّمَ الله عليهم.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ٤٨٧)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٤٦).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ١١٣)، وزاد: «إلا أنه موصوف في هذا الموضع بِشِدة السواد».

السُّدِّيُّ: ﴿مُتْرَفِينَ﴾: مُشركينَ[1].

* * *

(٤٦ ـ ٤٧) ـ ﴿وَكَانُواْ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُواْ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾.

﴿وَكَانُواْ يُصِرُّونَ﴾: يُداوِمونَ، والإصرارُ: الإقامةُ على الشَّيءِ، بخلافِ التَّوبةِ.

﴿عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ﴾؛ أي: الشِّركِ، والحِنْثُ: نَقضُ العهدِ المُؤكَّدِ باليمينِ.

وقيل: على الكذبِ.

وقيل: على الذَّنبِ العظيمِ.

وقيل: اليمينُ الغَموسُ هو قولُه: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ [النحل: ٣٨]، يُقوِّيه ما بعدَه:

﴿وَكَانُواْ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ تقديرُه: أنُبعَثُ إذا مِتْنا؟ وهو العاملُ في الظَّرفِ، وجازَ حذفُه لأنَّ قولَه: (مَبْعُوثُونَ) يدلُّ عليه، ولا يعملُ فيه (مَبْعُوثُونَ)؛ لِمكانِ (إنَّ) ولمكانِ الاستفهامِ، وكلُّ واحدٍ منهما يمنعُ أن يعملَ ما بعدَه فيما قبلَه.

* * *

(٤٨) ـ ﴿أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾.

﴿أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾؛ أي: لا نُبعَثُ نحنُ ولا آباؤُنا، مَن حرَّكَ الواوَ جعلَه عطفًا واستفهامًا، ومَن سكَّنَه[2] جعلَه عطفًا.

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٥٧).

(٢) قراءة قالون وابن عامر، والباقون بتحريك الواو. انظر: «التيسير» (ص: ١٨٦).

(٤٩ ـ ٥٠) ـ ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾.

﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾؛ أي: يُحشَرونَ إلى مكانِ الحسابِ أو زمانِ الحسابِ في يومٍ معلومٍ عندَ الله تعالى.

وقيل: لَمجمُوعونَ في القبرِ إلى ميقاتِ المحشرِ.

ورُوِيَ عن بعضِ القُرَّاءِ الوقفُ على قولِه: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ ﴾، كأنَّه خرجَ مخرجَ الجوابِ، ثمَّ ابتدأ فقالَ: ﴿ لَمَجْمُوعُونَ ﴾؛ أي: لهُمْ مجموعونَ، وهذا الوقفُ حسَنٌ من حيثُ المعنى، وإنْ كانَ فيه بعضُ تعسُّفٍ(١).

***

(٥١ ـ ٥٥) ـ ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴾.

﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ﴾: منَ الشَّجرِ ﴿ ٱلْبُطُونَ ﴾ لأنَّ اللهَ تعالى يُسلِّطُ عليهم جوعًا شديدًا، فيملؤُونَ بُطونَهم بأكلِها رجاءَ زوالِ الجوعِ، فإذا امتلؤُوا منه وجَدُوا عطشًا شديدًا، فيُعرَضُ عليهم الحميمُ، فيشربونَ ﴿شربَ الهيمِ﴾؛ الإبلِ أصابَتْها علّةُ الهُيَـامِ، وهو داءٌ يأخذُ الإبلَ منَ العطشِ، فلا تزالُ تشربُ حتَّى تَهلِكَ، وهو قولُه:

﴿ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ ﴾؛ أي: على الزَّقُّومِ، أو على الأكلِ، أو على الشَّجرِ فذكَّرَ للجنسِ.

﴿ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴾ الفتحُ والضَّمُّ لُغتانِ(٢).

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٧٩)، وعده من العجائب.

(٢) قرأ عاصم ونافع وحمزة ﴿شرب﴾ بضم الشين، والباقون بفتحها. انظر: «السبعة» (ص: ٦٢٣)، و«التيسير» (ص: ٢٠٧).

وقيل: ﴿ٱلْهِيمِ﴾: الرَّملُ[1].

وقيل: هي الإبلُ الضَّوالُّ؛ لأنَّها تهيمُ في الأرضِ القَفْرِ ولا تجدُ ماءً، فإذا وجدَتْه فلا شيءَ أكثرُ منها شربًا.

* * *

(٥٦) ـ ﴿هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾.

﴿هَٰذَا﴾؛ أي: الطعامُ والشَّرابُ ﴿نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾: ما أُعِدَّ لضيافتِهم يومَ الجزاءِ.

* * *

(٥٧) ـ ﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾.

﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾: فهلَّا تُصدِّقونَ بالبعثِ والحسابِ.

وقيل: فهلَّا تُصدِّقونَ بأنَّا خلقْناكُم.

* * *

(٥٨ ـ ٥٩) ـ ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ۝٥٨ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾.

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ﴾: تُريقُونَ مِنَ المنيِّ ﴿ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ﴾ وتجعلونَه بشرًا سويًّا ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ فتذكَّروا بالإبداءِ والإعادةِ[2].

* * *

---

(١) قوله: «﴿ٱلْهِيمِ﴾: الرمل» وجهُه: أن يكون جمعَ (الهَيَام) بفتح الهاء، وهو الرَّمْلُ الَّذي لا يتَماسَكُ، جُمِعَ على فُعُل؛ كسَحابٍ وسُحُبٍ، ثم خُفِّفَ وفُعِل به ما فُعِل بجَمْع أبيَض، وأصله: بُيْضٌ بضم الباء، وأبدلوا الضمة كسرة لتصحَّ الباء. انظر: «الكشاف» (٤/ ٤٦٤)، و«الصحاح» مادة: (ب ي ض).

(٢) في (ن): «بالإبداء والإعادة»، والمثبت من (ف)، وهو الصواب.

(٦٠ ـ ٦١) ـ ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۝٦٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ﴾: قضَيْنا عليكم الفناءَ في الدُّنيا.

وقيل: بيَّنَّا وقتَه وزمانَه فلا يزيدُ ولا ينقصُ، ولا يتقدَّمُ ولا يتأخَّرُ.

وقيل: سوَّينا بينكم الموتَ؛ بين المُطيعِ والعاصي، وبين أهلِ السَّماءِ والأرضِ.

﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾: لا يسبقُنا أحدٌ فيهربَ منَ الموتِ أو يُؤخِّرَ وقتَه أو يُقدِّمَه.

وقيل: لا يسبقُنا أحدٌ إلى إماتتِكُم قبل الوقتِ.

﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ﴾: لنبُدِّلَ أمثالَكم، و﴿عَلَىٰٓ﴾ بمعنى اللّامِ، وهو متَّصلٌ بقولِه: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا .. وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾، أو حالٌ.

وقيل: السَّبقُ بمعنى الغلبةِ، و﴿عَلَىٰٓ﴾ مُتَّصلٌ بالغَلَبةِ؛ أي: وما نحنُ بمغلوبينَ على أن نستبدلَ أمثالَكم في الدُّنيا فنخلقَ فيها بدلَكم غيرَكم، والتَّقديرُ: نُبدِّلَكم بأمثالِكم، فحُذِفَ المفعولُ الأوَّلُ، وحُذِفَ الجارُّ منَ المفعولِ الثَّاني.

ويحتمِلُ أنَّ (المِثْلَ) زيادةٌ[٣]، والتَّقديرُ: نُبدِّلَكم، وتبديلُهم: نقلُهم من صورةٍ إلى صورةٍ، أو حالٍ إلى حالٍ، أو منَ الحيوانِ إلى الجمادِ.

ويحتمِلُ أيضًا: أنَّ (المِثْلَ) هاهنا الشَّخصُ، من قولِهم: مَثَلَ بينَ يدَيه[٤].

﴿وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: نخترِعَكم في صورٍ[٥] لا تعلَمونَها.

---

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٧٩)، واستغربه.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٧٩)، وعده من العجائب.

(٥) في (ن): «صورة».

ومعنى الآيةِ: نحنُ قادرونَ على إحيائِكم وإنشائِكم ثانيًا وإنْ كنتُم لا تعلمونَ النَّشأةَ الثّانيةَ.

* * *

(٦٢) ـ ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ نُطفةً ثمَّ علقةً إلى تمامِ الخِلقةِ، ﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أنَّ مَن قدرَ على شيءٍ مرَّةً لـم يعجزْ عنه ثانيًا.

* * *

(٦٣ ـ ٦٧) ـ ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾.

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ﴾: تُثيرونَ الأرضَ وتُلْقُونَ فيها البِذْرَ ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ﴾: تُنبِتُونَه ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾: المُنبِتُونَ؟

والحرْثُ فعلُ العبدِ، والزَّرعُ فعلُ الله تعالى وحدَه، ولهذا قالَ ﷺ: «لا يقولَنَّ أحدُكم: زرَعْتُ، ولكنْ: حَرَثْتُ»[1]، وقد يُسمَّى الحارثُ زارعًا على أنَّه فعَلَ أسبابَ الزَّرعِ والإنباتِ.

﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا﴾: هشيمًا مُتكسِّرًا قبل إدراكِه وأوانِه بآفةٍ تُصيبُه.

﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾: دُمتم بعدَ[2] أنْ صارَ حُطامًا تعجَبُونَ.

---

(١) رواه البزار في «مسنده» (١٠٠٦٤)، وأبو يعلى في «معجمه» (٢٩٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٥٧٢٣)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٦/ ٢٢٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وأشار البيهقي إلى تضعيفه، وكان قد رواه قبله من قول مجاهد، وقد ذكر الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٥/ ٤) أنه غير قوي.

(٢) في هامش الأصل: «في نسخة قبل».

وقيل: تندَمُونَ.

وقيل: تحزَنُونَ.

وأصلُ التَّفكُّهِ: التَّنقُّلُ[١] بضُروبِ الفاكهةِ، ويُستعملُ أيضًا في التَّفكُّهِ بالحديثِ، ومنه: الفُكاهةُ، وهي المِزاحُ، والمعنى: فظَلْتُم تتحدَّثونَ: مِمَّ كانَ؟ وما مُوجِبُه؟ وأشباه هذا، يُقوِّيه قولُ مَن قالَ تقديرُه: تفكَّهونَ بقولِكم: ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ۝٦٦ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾.

وقيل: معنى ﴿تَفَكَّهُونَ﴾: تتنعَّمُونَ، وفيه تقديمٌ وتأخيرٌ، وتقديرُه: ﴿أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾: تتنعَّمُونَ بذلك ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا﴾[٢]، وفيه بُعدٌ؛ لأنَّ ما بعدَه يبقَى كلامًا غيرَ مُفيدٍ.

ومعنى: ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾: أصابَنا غُرمٌ في أموالِنا، والغُرمُ: ذهابُ المالِ بغيرِ عِوَضٍ.

قتادةُ: مغرمون: مُعذَّبونَ[٣]، منَ الغرامِ، وهو العذابُ.

مجاهدٌ: مُولَعٌ بنا[٤].

﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾: حُرِمْنا ومُنِعْنا رزقَنا.

وقيل: محدودونَ لا مَجْدُودونَ.

---

(١) قوله: «التنقل» من النَّقْل، وهو مَا يُتنقل بِهِ على الشَّرَاب من فواكه وكوامخ وغَيرهَا وما يُتفكه به من جوز ولوز وبندق ونحوِها. انظر: «المعجم الوسيط» مادة: (ن ق ل).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٨٠)، واستغربه.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٥٢).

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣١٤٤)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٥١)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٦١) عن عكرمة.

قوله: ﴿أَفَرَءَيْتُم﴾ قيل: هي من رُؤيةِ العينِ، ﴿مَّا تَحْرُثُونَ﴾ مفعولُه.

وقيل: من رُؤيةِ القلبِ، وقولُه: ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥ﴾ في موضعِ المفعولِ الثّاني.

وقيل: معناه: تَنبَّهْ، فلا مفعولَ له إذًا.

***

(٦٨ ـ ٧٠) ـ ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾.

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ﴾ يعني: العذْبَ ﴿ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ﴾ وهو السَّحابُ، واحدُها: مُزْنةٌ، ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ﴾ بقُدْرتنا؟

﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا﴾: مِلْحًا، وقيل: مرًّا، مشتقٌّ منَ (الأجيجِ)، يُحرِقُ الفمَ بمُلوحتِه ومرارتِه ﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾.

***

(٧١ ـ ٧٣) ـ ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾.

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ﴾: تقدَحُونَ ﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ﴾ وهي المَرْخُ والعفارُ تُقدَحُ بهما النَّارُ، ومنه: «في كلِّ شجرٍ نارٌ، واستَمْجَدَ المرخُ والعفَارُ»[1].

وقيل: ﴿تُورُونَ﴾ منَ الشَّجرِ والحديدِ والحجرِ ﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ﴾: أصلَها ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ﴾: الخالقونَ لها ابتداءً.

﴿نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا﴾ في الهاءِ ثلاثةُ أقوالٍ:

---

(١) يضرب مثلاً في تفضيل الرجال بعضهم على بعض. انظر: «جمهرة الأمثال» (٢/ ٩٢)، وانظر ما تقدم في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا﴾ [يس: ٨٠].

أحدُها: يعودُ إلى خروجِ النّارِ من الشَّجرةِ الخضراءِ ﴿تَذْكِرَةً﴾ لقُدرتِنا.

والثّاني: جعَلْنا نارَ الدُّنيا ﴿تَذْكِرَةً﴾ لنارِ جهنَّمَ، قالَ النَّبيُّ ﷺ: «نارُكم هذه جزءٌ من سبعينَ جُزءًا من حرِّ نارِ جهنَّمَ»[1].

وقيل: تبصرةً للنَّاسِ في الظّلامِ.

والثّالثُ: جعَلْنا النِّعمَ التي تقدَّمَتْ ﴿تَذْكِرَةً﴾ لحقِّ الله تعالى، وما يجبُ من طاعتِه.

والأكثَرونَ: على أنَّها تعودُ إلى النّارِ، ولهذا لـم يذكُرْ بعدَها: لو نشاءُ لأطفَأناها، أو: أخمَدْناها، كما قالَ في الأوليَينِ؛ لأنَّها تذكرةٌ يُذكِّرُ بها نارُ الآخرةِ.

قولُـه: ﴿وَمَتَٰعًا﴾ متعـةً يتمتَّعـونَ بهـا ﴿لِّلۡمُقۡوِينَ﴾ لمـنَ نـزلَ بالقَـواءِ[2]؛ أي: المُسـافرينَ.

وقيل: لمن نفدَ زادُهم، من قولِـهم: أقوَتِ الدّارُ؛ إذا خلَتْ من ساكنيها.

وقيل: للجائعينَ في إصلاحِ زادِهم.

وقيل: ﴿لِّلۡمُقۡوِينَ﴾: لمَن أصحابُه أقوياءُ، تقولُ: «أقوى الرَّجلُ»: صارَ أصحابُه أقوياءَ، وكذلك: «أضْعَفَ»: صارَ أصحابُه ضُعفاءَ.

وقيل: ﴿لِّلۡمُقۡوِينَ﴾: أصحابُ القُوّةِ؛ أي: يستمتِعُ بها الغنيُّ والفقيرُ.

بدأ بذكرِ خلقِ الإنسانِ فقالَ: ﴿أَفَرَءَيۡتُم مَّا تُمۡنُونَ﴾؛ لأنَّ النِّعمةَ فيه سابقةٌ على جميعِ النِّعمِ، ثمَّ بما فيه قِوامُ النّاسِ ـ وهو الحَبُّ ـ فقالَ: ﴿أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَحۡرُثُونَ﴾، ثمَّ بالماءِ الذي يُعجَنُ به ويُشرَبُ عليه، فقال: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱلۡمَآءَ ٱلَّذِي تَشۡرَبُونَ﴾، ثمَّ بالنّارِ التي

---

(١) رواه البخاري (٣٢٦٥)، ومسلم (٢٨٤٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) في هامش (ن): «في نسخة: القواء: الأرض الخالية».

يُخبَزُ بها، فقال: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ﴾، فصارَ مجموعُ الثَّلاثةِ طعامًا لا يستَغني عنه الجسدُ ما دام حيًّا، ثمَّ قالَ:

* * *

(٧٤) - ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾.

﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾: نزِّهِ اللهَ عمَّا لا يَليقُ به.

وقيل: قل: سُبحانَ ربِّي العظيمِ.

وجاءَ مرفوعًا: أنَّه لـمَّا نزلَتْ هذه الآيةُ قالَ ﷺ: «اجعَلُوها في رُكوعِكُم»، ولـمَّا نزلَ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ قالَ عليه السَّلامُ: «اجعَلُوها في سُجودِكُم»[١].

* * *

(٧٥) - ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾ في (لا) أقوالٌ:

أحدُها: أنَّه صلةٌ للكلامِ وليس بنفيٍ؛ كما في قولِه: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الحديد: ٢٩]؛ أي: ليعلَمَ.

وقيل: ردٌّ لكلامٍ سابقٍ؛ أي: ليس الأمرُ كذلك.

وقيل: أصلُه: فلَأُقسِمُ، فأُشبعَ اللّامَ فصارَ (لا)، وكذلك قرأه الحسنُ[٢].

وقيل: إنَّه نفيٌ للقسمِ؛ أي: الكلامُ أوضَحُ من أن يُحتاجَ معه إلى قسمٍ.

وقيل: إنَّه نفيٌ للقسمِ، والمقصودُ بالقسمِ ثابتٌ، كما يقولُ الرَّجلُ: «لا أحلفُ لقد كانَ كذا» يريدُ بذلك تحقيقَ الكلامِ، وهي مُستعملةٌ في كلامِ العربِ والعجمِ.

---

(١) رواه أبو داود (٨٦٩)، وابن ماجه (٨٨٧)، من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه.

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٥٢)، و«المحتسب» (٢/ ٣٠٩).

وقولُ مَن قالَ: التَّقديرُ في هذه الأقسامِ: ورَبِّ مواقعِ النُّجومِ، ورَبِّ الشَّمسِ، وربِّ النَّجمِ، وربِّ التِّينِ؛ عدولٌ عنِ الظَّاهرِ، ثمَّ لا يطَّرِدُ في الكلامِ، لا يقولُ الرَّجلُ: وأبي ما فعلتُ، ورأسِكَ لقد فعلتُ، ومقصودُه: ورَبِّ رأسِكَ، وربِّ أبي، ولو ساغَ هذا لـم يُمنَعْ عن الحَلِفِ بغيرِ الله.

وقولُه: ﴿بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ قيل: المُرادُ به المصدرُ، وجُمِعَ لاختلافِ أجناسِه، ويُقوِّيه قراءةُ مَن قرأ بالتَّوحيدِ[١].

وقيل: المُرادُ به المكانُ، وهي مغاربُها ومطالعُها، ومجاريها وأفلاكُها[٢].

وقيل: مواقعُ النُّجومِ: منازلُ النُّجومِ.

وقيل: مواقعُ النُّجومِ: السَّماءُ، فهي قسَمٌ بالسَّماءِ.

وقيل: المُرادُ به الزَّمانُ، وهو يومُ القيامةِ يومُ انتشارِها وانكدارِها.

وقيل: هي نجومُ القرآنِ وأوقاتُ نزولِـها.

وقيل: نجومُ القرآنِ هي المُحكَماتُ منه.

ابنُ بحرٍ: المُرادُ بها النُّجومُ ذواتُ الأنواءِ، والنَّوءُ: سقوطُ نجمٍ وطُلوعُ رقيبِه في البرجِ السَّابعِ منه، وكانت العربُ تُراعي ذلك.

ويحتمِلُ: أنَّ النُّجومَ نجومُ الرُّجومِ ورُماتُها؛ لأنَّها حدثَتْ عند مولدِه وبعثِه.

ويحتملُ أيضًا على مَن حملَه على نجومِ القرآنِ: أنَّه قسَمٌ بمُحمَّدٍ ﷺ؛ لأنَّ قلبَه محلُّ وقوعِه. والله أعلَمُ.

* * *

---

(١) قرأ حمزة والكسائي (بمَوْقِعِ)، وقرأ الباقون بالجمع. انظر: «السبعة» (ص: ٦٢٤).

(٢) في (ف): «في أفلاكها».

(٧٦) ـ ﴿ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾.

﴿ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ هذا اعتراضٌ بينَ القسَمِ والمُقسَمِ عليه، والمعنى: القسَمُ بمواقعِ النُّجومِ قسمٌ عظيمُ القَدْرِ ﴿لَّوْ تَعْلَمُونَ ﴾، وهذا اعتراضٌ بينَ الصِّفةِ والموصوفِ في اعتراضٍ.

***

(٧٧) ـ ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴾.

﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴾: كثيرُ الخيرِ عامُّ المنافعِ، تُنالُ ببركتِه الدُّنيا والآخرةُ، والرُّؤيةُ والنَّعيمُ.

وقيل: كريمٌ عندَ الله.

وقيل: ﴿كَرِيمٌ ﴾: يُكرَمُ حافِظُه، ويُكرَمُ قارِئُه.

وقيل: ﴿كَرِيمٌ ﴾: يُكرِمُه المُؤمنونَ والملائكةُ المُقرَّبون.

***

(٧٨) ـ ﴿ فِى كِتَـٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴾.

﴿ فِى كِتَـٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴾: مَصونٍ محروسٍ.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: هو اللَّوحُ المحفوظُ[١].

وقيل: هو المُصحَفُ.

***

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٦٣).

(٧٩) ـ ﴿ لَا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾.

﴿ لَا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾؛ أي: لا يمسُّ اللَّوحَ المحفوظَ إلّا الملائكةُ.

وقيل: لا يمسُّ المُصحَفَ إلّا المُطهَّرونَ منَ الأحداثِ، واللَّفظُ نفيٌ والمُرادُ به نَهيٌ.

وقيل: لا يقرَؤُه إلّا المُطهَّرونَ منَ الجنابةِ.

وقيل: لا يمَسُّه إلّا المُطهَّرونَ منَ الشِّركِ.

وقيل: معنى ﴿ لَا يَمَسُّهُۥٓ ﴾: لا يطلُبُه إلا المؤمنونَ.

وقيل: لا يمَسُّ تأويلَه ولا يفهمُ معانيَه إلّا المُطهَّرونَ.

***

(٨٠) ـ ﴿ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

﴿ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾: لا يفتَريه ولا يتقوَّلُه محمَّدٌ ﷺ.

***

(٨١) ـ ﴿ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴾.

﴿ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ﴾ يعني: القرآن، وفيه ذكرُ حوادثِ الأمورِ ﴿ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴾: مُكذِّبونَ.

وقيل: كاذِبونَ.

وقيل: مُنافِقونَ.

وقيل: كافِرونَ.

وأَدْهَنَ ودَاهَنَ: أسرَّ خلافَ ما أظهرَ.

وقيل: تُليِّنونَ القولَ وتُساهِلُونَ كالدُّهنِ.

وقيل: مُعرِضُونَ.

وقيل: مُمالِئونَ ومعاونون[١].

وقيل: الإِدْهانُ ضدُّ الحزمِ، والمعنى: تتساهلونَ فيه وتستَهينُونَ به.

***

(٨٢) ـ ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾.

﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ الجمهورُ على أنَّ هذا ردٌّ على مَن يقولُ بالأنواءِ، والمعنى: تجعلونَ شكرَ رزقِكم بتكذيبِكم، فحُذِفَ المُضافُ.

وقيل: الرِّزقُ: الشُّكرُ. ذكرَه الزَّجَّاجُ[٢].

وذهبَ بعضُهم إلى أنَّ الرِّزقَ: الحظُّ، والمعنى: تجعَلون حظَّكم منَ الرِّزقِ التَّكذيبَ.

عِكرمةُ: هو الاكتسابُ بالسِّحرِ[٣].

وقيل: هو ما كانوا ينالونَه من سَفِلَتِهم على تكذيبِهم محمَّدًا ﷺ. حكاه الماورديُّ[٤].

قال الشَّعبيُّ: التَّكذيبُ على وجهَينِ: تكذيبُ جحدٍ، وتكذيبُ تركِ الأمرِ[٥].

---

(١) «ومعاونون» من (ف)، وفيها: «ممالون».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ١١٦).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٦٥).

(٤) انظر: «النكت والعيون» (٥/ ٤٦٥).

(٥) لم أقف عليه.

(٨٣ ـ ٨٤) ـ ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ﴾.

﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ﴾؛ أي: الرُّوحُ ﴿ٱلْحُلْقُومَ﴾: مـمَرَّ الطَّعامِ والشَّرابِ فـي الحلقِ ﴿وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ﴾: لا يُمكِنُكم دفعُها.

والجمهورُ على أنَّ قولَه: ﴿وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ﴾ خطابٌ لمَن حضرَ الميِّتَ تلك السّاعةِ؛ أي: أنتم تنظُرونَ إلى الميِّتِ.

وقيل: إلى سُلطانِ الله وقُدرتِه.

وقيل: وأنتم تنظُرونَ أن يَحِلَّ بكم كما حلَّ به، وفي الخبرِ: لا يموتُ أحدٌ حتَّى يعلمَ أهو من أهلِ الجنَّةِ أم أهلِ النّارِ(١).

* * *

(٨٥) ـ ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾.

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾: إلى ذلك الميِّتِ ﴿مِنكُمْ﴾ يراهُ اللهُ سبحانه من غيرِ مسافةٍ.

وقيل: تدبيرُنا أقربُ إليه منكم.

وقيل: ملَكُ الموتِ ورسلُنا أقربُ إليه منكم.

﴿وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ اللهَ وتدبيرَه وملكَ الموتِ ورسلَه.

---

(١) ذكر العراقي أن ابن أبي الدُّنيا أخرجه في «الموت» من رواية رجل لم يسم عن علي موقوفاً: «لا تخرج نَفْس ابن آدم من الدُّنيا حتَّى يعلم أين مصيره إلى الجنة أم إلى النَّار» وفي رواية: «حرام على نَفْس أن تخرج من الدُّنيا حتى تعلم من أهل الجنة هي أم من أهل النَّار»، وفي «الصَّحيحين» من حديث عبادة بن الصَّامت ما يشهد لذلك: «إن المؤمن إذا حَضَره الموت بُشِّر برضوان الله وكرامته... وإن الكافر إذا حُضِر بُشِّر بعذاب الله وعقوبته» الحديث. انظر: «تخريج أحاديث الإحياء» للعراقي (ص: ١٨٤٤)، ولم أجده في كتب ابن أبي الدنيا المطبوعة، وحديث عبادة رواه البخاري (٦٥٠٧)، ومسلم (٢٦٨٣)، ورواية مسلم مختصرة ليس فيها القطعة المذكورة.

وقيل: معنى ﴿لَّا تُبۡصِرُونَ﴾: لا تعقِلونَ ولا تعلمونَ.

* * *

(٨٦ ـ ٨٧) ـ ﴿فَلَوۡلَآ إِن كُنتُمۡ غَيۡرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرۡجِعُونَهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾.

﴿فَلَوۡلَآ إِن كُنتُمۡ غَيۡرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرۡجِعُونَهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾؛ أي: هلَّا رددْتُم الأرواحَ والنُّفوسَ من حُلوقِكم إلى أبدانِكم إذا بلغتِ الحلقومَ ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ أنَّكم غيرُ مُحاسَبين مجزيِّين في القيامةِ.

وقيل: إنْ كنتُم غيرَ مملوكينَ مقهورينَ مربُوبينَ فهلَّا تمتنِعونَ منَ الموتِ فتَرُدُّونَ الرُّوحَ إلى النَّفسِ فتبقَونَ أحياءً.

الحسنُ: معنى ﴿مَدِينِينَ﴾: مَبعوثينَ[1].

والتَّقديرُ: إنْ لـم أكُنْ قادرًا على البعثِ لـم أكُنْ قادرًا على النَّزعِ، فكما أنَّ القبضَ إليَّ مع عجزِكم كذلك البَعثُ إليَّ.

و(لولا) في الآيتَين للتَّحضيضِ يستَدعي فعلًا، وهو قولُه: ﴿تَرۡجِعُونَهَآ﴾، فاكتَفى من ذكرِ الفعلِ على مرَّةٍ واحدةٍ.

وقولُه: ﴿إِن كُنتُمۡ﴾ شرطٌ دخلَ على شرطٍ، فيكونُ الثَّاني مُقدَّمًا في التَّقديرِ؛ أي: إن كنتُم صادِقين إنْ كنتُم غيرَ مملوكينَ مجزيِّين فارجِعُوا أرواحَكُم إلى أبدانِكم ممتَنِعينَ عن الموتِ. والله أعلَمُ.

الزَّجَّاجُ: هذا جوابٌ لقولِـهم: ﴿لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ﴾ [آل عمران: ١٦٨]، ﴿لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ﴾ [آل عمران: ١٥٦]، أي: لو كانَ الحياةُ والموتُ بأيديكُم فادفعُوا

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٧٥)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٦٥).

عن أنفُسِكم الموتَ[١]، وزُيِّفَ هذا القولُ؛ لأنَّ سورةَ (الواقعةِ) مكِّيةٌ، وذلك القولُ كانَ منَ المنافقين بعدَها بمدَّةٍ.

***

(٨٨ ـ ٩٤) ـ ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴾.

﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾ ختمَ السُّورةَ بذكرِ الفِرَقِ الثَّلاثةِ، فقال: فأمَّا إنْ كانَ المُتوفَّى منَ المُقرَّبين؛ أي: السَّابقينَ؛ لقولِه أوَّلَ السُّورةِ: ﴿ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾.

وقيل: المُقرَّبونَ: أهلُ جنَّةِ عدنٍ.

﴿ فَرَوْحٌ ﴾؛ أي: فلَه رَوحٌ ﴿وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾.

(الرَّوحُ) بالفتحِ: الفرَحُ، وبالضَّمِّ: الحياةُ الدّائمةُ[٢].

وقيل: الرَّوحُ: الهواءُ الذي يُلِذُّ النَّفسَ ويُزيلُ الهمَّ عنها.

﴿وَرَيْحَانٌ﴾: رِزقٌ، وقيل: هو المشمومُ.

وقيل: يُشَمُّ عندَ الموتِ رَيحانةً فيخرجُ بها رُوحُه، اللَّهمَّ اجعَلْنا منهم.

وقيل: رَيحانٌ: رحمةٌ ومغفرةٌ ورزقٌ طيِّبٌ هنيءٌ.

الزَّجَّاجُ: الرَّيحانُ هاهنا: التَّحيَّةُ لأهلِ الجنَّةِ[٣].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ١١٧).

(٢) قراءة الضم قراءة شاذة نسبت للنبي ﷺ وابن عباس وقتادة والحسن وغيرهم. انظر: «المحتسب» (٢/ ٣١٠)، و«الكامل» للهذلي (ص: ٦٤٥)، و«شواذ القراءات» محمد بن أبي نصر الكرماني (ص: ٤٦٤).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ١١٧).

وقيل: الرَّوحُ في القبرِ، والرَّيحانُ في الجنّةِ.

وقيل: الرَّوحُ للقلبِ، والرَّيحانُ للنَّفسِ، والجنَّةُ للبدنِ.

﴿وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾: ابنُ عيسى: النِّعمةُ مضمونٌ بالشُّكرِ؛ لأنَّها فعلُ المُنعمِ، من (أنعَمَ نعمةً)، وليس كذلك النَّعيمُ؛ لأنَّه من (نَعِمَ نعيمًا)، كقولهم: انتفَعَ انتفاعًا[1].

والفاءُ في ﴿فَرَوْحٌ﴾ جوابُ (أمَّا)؛ لأنَّ معناه: مهما يكُنْ شيءٌ فله رَوْحٌ، و(أمَّا) لا يلي الفعلَ لأنَّه نابَ عن الفعلِ، وإنَّما يلي الأسماءَ والجملَ[2]، وجوابُ الشَّرطِ محذوفٌ.

وقيل: مُقدَّمٌ لأنَّه لم يُجزَمْ.

وقيل: الفاءُ تنوبُ عن الجوابَينِ.

﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ﴾ هم أصحابُ الميمَنةِ ﴿فَسَلَٰمٞ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ﴾؛ أي: أنَّك ترى فيهم ما تحبُّ منَ السَّلامةِ.

وقيل: سلامٌ عليك منهم لأنَّهم معكَ في الجنّةِ، واللّامُ نابَ عن (على).

وقيل: هو صلاتُهم وتسليمُهم عليه في الدُّنيا.

وقيل: فسلامٌ لك منَ العذابِ؛ أي: أمانٌ لك أن[3] لا يُعذَّبوا.

وقيل: تقديرُه: وأمَّا إنْ كانَ من أصحابِ اليمينِ فمُسلَّمٌ لك، ثمَّ استأنفَ فقالَ: إنَّك ـ أو: أنتَ ـ من أصحابِ اليمينِ، فحُذِفَ (إنَّك) أو (أنتَ).

---

(١) ذكر ابن فورك في «تفسيره» (٣/ ٢٦٧) نحوه فقال: «النعمة كالإنعام في التضمين لمعنى: منعم أنعم إنعاماً ونعمة، والشكر يتعلق بهما، وليس كذلك النعيم؛ لأنه من (نعِم نعيماً)، وذلك لا يوجب شكراً».

(٢) قوله: «و(أما) لا يلي الفعل...» مراده: لا يأتي بعدها الفعل...

(٣) في (ن): «أي».

وقيل: هذا خطابٌ لكلِّ مَن ماتَ منهم، تقولُ له الملائكةُ يُبشِّرونَه عند قَبضِ رُوحِه: سلامٌ لك إنَّكَ من أصحابِ اليمينِ.

وقيل: يُبشِّرونَه في القبرِ.

وقيل: عندَ الخروجِ منَ القبرِ.

﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ هم أصحابُ المشأمةِ ﴿فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾؛ أي: فله رزقٌ ممَّا أُعدَّ له في النّارِ.

* * *

(٩٥) ـ ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾.

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾؛ أي: الذي ذكرتُ لهؤلاءِ الفِرَقِ الثَّلاثِ ﴿لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾.

وقيل: كلُّ ما ذكَرْنا في هذه السُّورةِ فهو يقينٌ.

﴿حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾؛ أي: الخبرُ الذي لا شكَّ فيه، وذهبَ بعضُهم إلى أنَّ هذا إضافةُ الشَّيءِ إلى نفسِه، وامتنَعَ عنه البصريُّونَ وقالوا: التَّقديرُ: حقُّ الأمرِ اليقينِ.

واليقينُ: علمٌ يحصلُ به ثَلَجُ الصَّدرِ، ويُسمَّى: بردَ اليقينِ.

وقيل: هو علمٌ يحصلُ بالدَّليلِ.

* * *

(٩٦) ـ ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾.

﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ اذكُرْه بأسمائِه العُلَى وصفاتِه الحسنَى. والله أعلَمُ.

* * *

سُورَةُ الحَدِيدِ

سُورَةُ الحَدِيدِ

تسعٌ وعشرونَ آيةً، مدَنيَّةٌ عند الأكثرين.

قال الكلبيُّ: مكِّيةٌ[1].

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾.

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ بدأ سورةَ (بني إسرائيلَ) بلفظِ المصدرِ، وبدأ سورةَ (الحديدِ) و(الحشرِ) و(الصَّفِّ) بلفظِ الماضي، و(الجمعةَ) و(التَّغابنَ) بلفظِ المُستقبلِ، وسورةَ (الأعلى) بلفظِ الأمرِ؛ استيعابًا لهذه الكلمةِ من جميعِ جهاتِها، وهي أربعٌ: المصدرُ والماضي والمُستقبلُ وأمرُ المخاطَبِ فحسبُ.

والتَّسبيحُ يأتي بمعنى: الصَّلاةِ والتَّنزيهِ والتَّمجيدِ والتَّبرئةِ ورفعِ الصَّوتِ بالدُّعاءِ، فحمَلَه ابنُ عبّاسٍ في الآيةِ على الصَّلاةِ[2]، فيكونُ ﴿مَا﴾ بمعنى: مَن، وكذلك إنْ حُمِلَ على رفعِ الصَّوتِ بالدُّعاءِ.

وإنْ حمَلْتَه على التَّنزيهِ والتَّمجيدِ ففيه قولانِ:

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٦٨)، وابن حزم في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٥٩)، والسمعاني في «تفسيره» (٥/ ٣٦٤).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ١١).

أحدُهما: أنَّ ذلك عامٌّ في جميعِ ما خلقَه الله تعالى، يقوله قولًا إلَّا الكافر[1]؛ لقولِه: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُ﴾ الآيةَ [الحج: ١٨].

والثّاني: أنَّ ذلك بالدَّلالةِ على التَّوحيدِ وحملِ الغيرِ على التَّسبيحِ، وذلك مُطَّردٌ لا مثنويَّةَ فيه، وقد سبقَ.

وجاءَ: سبَّحَه، وسبَّحَ له، وسبَّح اسمَه، وسبَّح باسمِه، وسبَّحَ بحمدِه؛ فمعنَى سبَّحَه: نزَّهَه ومجَّدَه.

ومعنى سبَّحَ لله: سبَّحَ اللهَ لأجلِ استِحقاقِه التَّسبيحَ، أو صلَّى لله كما فسَّرَه ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما، أو رفعَ صوتَه بالدُّعاءِ لله.

ومعنى سبَّحَ اسمَه: جعلَ صفتَه ذاتَ براءةٍ ممَّا لا يليقُ به.

ومعنى سبَّحَ باسمِه: تلفَّظَ بما يدُلُّ على براءتِه.

ومعنى سبَّحَ بحمدِه: سبَّحَ اللهَ بأنْ حمِدَه وأثنَى عليه وقالَ: الحمدُ لله. والله أعلَمُ.

وفي هذه السُّورةِ: ﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾، وكذلك آخِرَ (الحشرِ)، وفي سائرِها: ﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾، وهو القياسُ، لكنْ في هذه السُّورةِ نزَّلَ المكانَين منزلةَ مكانٍ واحدٍ، وجعلَ الخلقَ فيهما خلقًا واحدًا مُوافقةً لِـمَا بعدَه؛ لأنَّ في هذه الآياتِ الخمسِ أربعَ مرّاتٍ (السَّماوات والأرض)، فلذلك نزَّلَهما منزلةَ خَلْقٍ[2] واحدٍ، وأمَّا آخرَ (الحشرِ) فقد تقدَّمَ ذكرُ ﴿ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ﴾ [الحشر: ٢٤] فنزَّلَهما منزلةَ مكانٍ واحدٍ؛ لأنَّ ما فيهما منَ الخلقِ مُنزَّلٌ منزلةَ خلقٍ واحدٍ؛ كأنَّه قالَ: خالقُ الخلقِ وباريهم، وليس كذلك سائرُ السُّورِ[3]. والله أعلَمُ.

---

(١) في (ن): «الكافرين».

(٢) في (ن): «مكان».

(٣) انظر: «درة التنزيل» للخطيب الإسكافي (٣/ ١٢٥٠ ـ ١٢٥٤)، و«البرهان» للمصنف (ص: ٢٣٣).

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في أمرِه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في قضائِه.

وقيل: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ في حجَّتِه وعُذرِه إلى عبادِه.

* * *

(٢) ـ ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ لا يملِكُهما غيرُه.

وقيل: خزائنُ المطرِ والنَّباتِ وسائرِ الرِّزقِ.

﴿يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ أي: في الدُّنيا.

وقيل: يُحيي في الآخرةِ، ويُميتُ في الدُّنيا.

﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ منَ الإحياءِ والإماتةِ ﴿قَدِيرٌ﴾: قادرٌ بالكمالِ.

* * *

(٣) ـ ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾ معنى ﴿ٱلْأَوَّلُ﴾ عندَ الجمهورِ: أنَّه قبلَ كلِّ شيءٍ.

﴿وَٱلْءَاخِرُ﴾: هو الباقي بعدَ كلِّ شيءٍ.

وقيل: ﴿ٱلْأَوَّلُ﴾: كانَ ولا شيءَ معه، ﴿وَٱلْءَاخِرُ﴾: يكونُ ولا شيءَ معه.

وقال المُحقِّقونَ: لا يُقالُ لله: أوَّلُ الأشياءِ، ولا: أوَّلُ كلِّ شيءٍ؛ لأنَّها لا تُوافقُه، ولا هو مثلُها، و(أفعَلُ) يضافُ إلى ما هو منه.

و(أوَّلُ) يأتي على ثلاثةِ أوجهٍ:

اسمٌ مُنصرِفٌ، تقولُ: ما تركتُ له أوَّلًا ولا آخِرًا؛ أي: لا قديمًا ولا حديثًا.

ويأتي صِفةً، ويلزمُه (من) أو الألفُ واللَّامُ والإضافةُ كبابِ (أفعل مِن)، وقد

تُحذَفُ (مِن) وهي مُرادةٌ، كما تُحذَفُ من قولِه: ﴿يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٧]، وقولِه: ﴿أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧].

ويأتي ظَرفًا، نحو: ما رأيتُه مذ عامٍ أوّلُ، ويُبنَى على الضَّمِّ[1] كما يُبنَى على الغاياتِ.

والذي جاءَ في حقِّ الله هو الاسمُ لا الوصفُ، و﴿ٱلْأَوَّلُ﴾: اسمٌ لمفردٍ سابقٍ، ووزنُه «أفعلُ»، وفاءُ فعلِه وعينُه واوانِ، وليس له في كلامِ العربِ نظيرٌ، ولا يُعرَفُ اشتقاقُه، وقولُ مَن قالَ[2]: وزنُه: «فَوعَلُ» أو: «أفعلُ» من (آلَ يؤولُ)، مردودٌ عندَ النُّحاةِ.

﴿وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ للظَّاهرِ ثلاثةُ تأويلاتٍ:

الغالبُ، من قولِه تعالى: ﴿فَأَصْبَحُوا۟ ظَاهِرِينَ﴾ [الصف: ١٤].

والعالـمُ، من قولِ الشَّاعرِ:

ولقد ظهَرْتُ على أمورِك بعدَما ... قد كان أمرُكَ عندَنا مجهولا[3]

والجليُّ الموجودُ، من ظُهورِ الشَّيءِ جدًّا.

﴿وَٱلْبَاطِنُ﴾ قيل: هو العالـمُ بما بطَنَ.

وقيل: الباطنُ عن إحساسِ خلقِه.

وقيل: معنى ﴿ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾؛ أي: على أمرِه يكونُ، وبه تتمُّ الأمورُ.

﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ﴾ من أمورِ الدُّنيا والآخرةِ والظاهرِ والباطنِ ﴿عَلِيمٌ﴾.

* * *

(١) انظر: «الكتاب» (٣/ ٢٨٨ ـ ٢٨٩)، و«شرح المفصل» لابن يعيش (٤/ ١٣٢).

(٢) انظر: «اشتقاق أسماء الله» للزجاجي (ص: ٢٠٤)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ٢٣٢).

(٣) لم أقف عليه.

(٤) ـ ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: كلُّ يومٍ كألفِ سنةٍ ممَّا تعُدُّونَ(١).

الحسنُ: ستَّةُ أيامٍ منَ أيَّامِ الدُّنيا(٢). ولو أرادَ أن يجعلَها في طرفةِ عينٍ كانَ قادرًا على ذلك.

وقيل: إنَّما خلقَه في ستَّةِ أيامٍ لتُشاهدَ الملائكةُ حدوثَه شيئًا بعد شيءٍ، والمُرادُ بـ﴿سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾: مقدارُ ستَّةِ أيّام.

وقيل: كانَ خلقُه في(٣) أقلَّ من ذلك على الحدِّ الذي هو مُركَّبٌ عليه مُستحيلًا؛ لأنَّه يُؤدِّي إلى الجمعِ بينَ أضدادٍ(٤)، والله سُبحانَه لا يُوصَفُ بالقدرةِ على المُستحيلِ(٥).

ابنُ بحرٍ: جمعَ اللهُ لنا في الإخبارِ عن مدَّةِ خلقِ العالَمِ في ستَّةِ أيّامٍ عِلْمَ الحسابِ بتصييرِ السِّتَّةِ أصلًا له، إليها المرجعُ وعليها المَدارُ(٦).

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾: علمُه محيطٌ بكم، لا يخفَى عليه شيءٌ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٥٩٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٠٤).

(٢) ذكره ابن طاهر المقدسي في «البدء والتاريخ» (٢/ ٥٢)، والسمرقندي في «تفسيره» (٢/ ١٣٩)، والسمعاني في «تفسيره» (٤/ ٢٤٢).

(٣) «في» من (ن).

(٤) في (ف): «أضداده».

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٠٦)، وعده من العجائب، وقد ذكر نحوه في تفسير سورة (ق) الآية: ٣٨.

(٦) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٢٢٩)، والمصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٠٦).

وقيل: قُدرتُه معكم لا يُعجِزُه شيء.

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ فيُجازيكُم على أعمالِكم.

***

(٥) ـ ﴿لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾.

﴿لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ كرَّرَ لأنَّ المُرادَ بالأولى حالةُ الدُّنيا، والمُرادَ بالثّانيةِ الدّارُ الآخرةُ، ولهذا ختمَ بقولِه: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾.

***

(٦) ـ ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۚ وَهُوَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾.

﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ﴾ قد سبق ﴿وَهُوَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ سبق.

***

(٧) ـ ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَأَنفَقُواْ لَهُمۡ أَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾.

﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ﴾ في الزَّكاةِ والجهادِ ووجوهِ البرِّ ﴿مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِ﴾؛ أي: جعلَكُم خُلفاءَ في المالِ بالوراثةِ ممَّن قَبْلَكم.

وقيل: معناه: جعَلَكُم مملَّكينَ، وهو رزقُه وعطيَّتُه.

وقيل: استخلَفَكُم بعدَ الذينَ كانوا قبلكم.

وقيل: جعلَكُم مُستخلَفين على القيامِ بأداءِ حقوقِه. حكاه الماورديُّ[1].

﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ﴾ أي: باللهِ ورُسلِه ﴿وَأَنفَقُواْ﴾ من مالِه في الوجوهِ المندوبِ إليها ﴿لَهُمۡ أَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾.

---

(١) انظر: «النكت والعيون» (٥/ ٤٧١).

(٨) ـ ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ﴾ أي: أيُّ عُذرٍ لكم في حالِ ترككُم الإيمانَ ودُعاءُ الرَّسولِ إيَّاكم إلى الإيمانِ حاصلٌ موجودٌ؟

﴿وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ﴾ قيلَ: من قولِه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ﴾ الآية [الأعراف: ١٧٢].

وقيل: هو ما نُصِبَ منَ الأدلَّةِ ووُضِعَ في الجبلَّةِ منَ العقلِ، فنُزِّلَ ذلك منزلةَ العهدِ وأخذِ الميثاقِ.

وقُرِئَ: ﴿أُخِذَ﴾ بالضَّمِّ ﴿ميثاقُكم﴾ رفعٌ[1]، والمعنيانِ واحدٌ.

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: مُقرِّين بذلك.

* * *

(٩) ـ ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿هُوَ الَّذِي﴾؛ أي: اللهُ الذي ﴿يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ﴾ محمَّدٍ ﷺ ﴿ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾: القرآنَ، فيه نبأُ الأوَّلينَ والآخِرينَ.

وقيل: ذاتِ بيانٍ مُستقِلَّةٍ بأنفسِها في الدَّلالةِ على ما جُعِلَتْ علامةً له ودَلالةً عليه، بخلافِ قولِ مَن قالَ: إنَّ معنى القرآنِ لا يتبيَّنُ من[2] لفظِه.

---

(١) هي قراءة أبي عمرو، والباقون بالمبني للمعلوم. انظر: «السبعة» (ص: ٦٢٥)، و«التيسير» (ص: ٢٠٨).

(٢) في (ف): «عن».

﴿لِيُخْرِجَكُم﴾؛ أي: اللهُ تعالى.

وقيل: محمَّدٌ ﷺ.

وقيل: القرآنُ، أيُّها المُخاطَبونَ ومَن بلغَه القرآنُ أو يبلُغُه.

﴿مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: الكفرِ والضَّلالِ والباطلِ، وقيل: ظُلُماتِ الجهلِ.

﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾: نورِ الإيمانِ والهدى والحقِّ، وقيل: نورِ العلمِ.

﴿وَإِنَّ اللهَ بِكُمْ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ﴾ الرَّأفةُ: أشدُّ الرَّحمة، ووزنُه: يَقُظٌ، ومَن أشبعَ[1] فوزنُه: صَبورٌ شَكورٌ.

***

(١٠) ـ ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟﴾: أيُّ شيءٍ لكم في تركِ الإنفاقِ ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾؟

وقيلَ: أيُّ شيءٍ يمنَعُكُم؟ فتكونُ (لا) زيادةً[2].

﴿وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الواوُ للحالِ، والمعنى: تصيرُ الأمورُ إلى الله بانقِراضِ مَن في السَّماواتِ والأرضِ.

وقيل: ملكُ السَّماواتِ والأرضِ.

﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً﴾؛ أي: لا يستَوِيانِ

---

(١) قرأ أبو عمرو وشعبة وحمزة والكسائي: (لرؤف) قصرًا، والباقون: ﴿لَرَءُوفٌ﴾ بالإشباع. انظر: «السبعة» (ص: ١٧١)، و«التيسير» (ص: ٧٧).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٨٤)، واستغربه.

في الثَّوابِ والمنزلةِ، فإنَّ السَّابقينَ أعظَمُ درجةً وأعلى رُتبةً؛ لأنَّه على حَسَبِ الأحوالِ تتفاضَلُ الأعمالُ.

والفتحُ فتحُ مكَّةَ، وقيل: فتحُ الحُدَيبيةِ.

﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَقَٰتَلُواْۚ﴾ بعدَ الفتحِ.

﴿وَكُلّٗا﴾: للسّابقِ واللّاحقِ ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾: الجنّةَ.

وقيل: قَبولَ الحسناتِ.

مَن نَصَبَ (كلًّا) جعلَه المفعولَ الأوّلَ لـ﴿وَعَدَ﴾، و﴿ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ المفعولُ الثّاني.

ومَن رفعَه[1] فعلى الابتداءِ[2]، وأُضمِرَ العائدُ وهو المفعولُ؛ أي: كلٌّ وعدَه.

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ فيُجازيكُم بقَدْرِ أعمالِكم.

في سببِ النُّزولِ: أنَّ هذه الآيةَ نزلَتْ في أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه[3].

وفي هذه الآيةِ دليلٌ واضحٌ وبرهانٌ لائحٌ على فضلِ أبي بكرٍ وتقديمِه؛ لأنَّه أوَّلُ مَن أسلَمَ.

وعن أمير المؤمنينَ[4] عليٍّ رضي الله عنه أنَّه قال: سبقَ رسولُ الله ﷺ، وصلَّى[5] أبو بكرٍ، وثلَّثَ عمرُ، فلا أُوتَى برجلٍ فضَّلَني على أبي بكرٍ وعمرَ إلّا جلدْتُه جَلْدَ المُفتَري، وطَرْحَ الشَّهادةِ[6].

---

(١) هو ابن عامر. انظر: «السبعة» (ص: ٦٢٥)، و«التيسير» (ص: ٢٠٨).

(٢) في (ف): «فبالابتداء».

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ٣٠)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٠٦) عن الكلبي.

(٤) «أمير المؤمنين» ليست في (ن).

(٥) في (ن): «وثنَّى»، ومعنى (صلّى) هنا: جاء ثانياً. انظر: «المطلع» للبعلي (ص: ٣٢٢)، و«لسان العرب» (٢/ ١٢٣).

(٦) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ٣٦) بلفظ المصنف، ورواه الإمام أحمد في «المسند» (١٠٢٠)، =

(١١) - ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجۡرٞ كَرِيمٞ﴾.

﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا﴾ استعارَ لفظَ القَرْضِ التِزامًا للجزاءِ، والقرضُ: هو الإنفاقُ في سبيلِ الله.

وقيل: التَّطوُّعُ بالعباداتِ.

وقيل: النَّفقةُ على الأهلِ والأولادِ.

وقيل: جميعُ أعمالِ الخيرِ.

وقيل: هو قولُ: سُبحانَ الله، والحمدُ لله، ولا إلهَ إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ.

﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ﴾ يَكتبُ له بالواحدِ عشرًا.

وقيل: يُضاعِفُ ثوابَه أضعافًا مُضاعفةً.

﴿وَلَهُۥٓ أَجۡرٞ كَرِيمٞ﴾: الجنَّةُ.

وقيل: يكرُمُ على مَن نالَه.

وقيل: كريمٌ لأنَّه لـم يُبْتَذَلْ في طلبِه.

وقيل: كريمٌ صاحبُه.

وقيل: يُخلِفُهُ الله في الدُّنيا.

قُرِئَ بالرَّفعِ والنَّصبِ[1]، وقد سبقَ.

= والحاكم في «المستدرك» (٤٤٢٦) وصححه، بلفظ: «سبق رسول الله ﷺ، وصلَّى أبو بكر، وثلَّث عمر، ثم خبطتنا فتنة فما شاء الله».

(١) قرأ ابن كثير: ﴿فيضعِّفُه له﴾ بتشديد العين ورفع الفاء، ومثله ابن عامر لكن بنصب الفاء، وقرأ عاصم: ﴿فيُضاعفَه﴾ بالألف ونصبِ الفاء، ومثله الباقون إلَّا أنَّهم رفعوا الفاء. انظر: «السبعة» (ص: ٦٢٥)، و«التيسير» (ص: ٨١).

(١٢) - ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم﴾: يمضي نورُهم ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾، وهو أعمالُهم الصَّالحةُ.

قتادةُ: هو ضياءٌ يُكرَمونَ به في الآخرةِ يسعَى بينَ أيديهم[1].

﴿وَبِأَيْمَانِهِم﴾؛ أي: النُّورُ الذي يسعى بينَ أيديهم وبأيمانِهم.

وعن ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه: نورُهم على قَدْرِ أعمالِـهم، يمرُّونَ على الصِّراطِ، ومنهم مَن نُورُه مِثْلُ الجبلِ، ومنهم مَن نورُه مثلُ النَّخلةِ، وأدناهُم نورًا مَن نورُه في إبهامِه يتَّقِدُ مرَّةً ويُطفَأُ أخرى[2].

وقيل: ويُؤتَونَ كتبَهم بأيمانِهم.

وقيل: الباءُ بمعنى: في؛ أي: في أيمانِهم كتبُهم ومنها نورُهم.

وقيل: الباءُ بمعنى: عن، والتَّقديرُ: يسعى نورُهم بينَ أيديهم وعن أيمانِهم، يُريدُ: وعن شمائِلِهم، فاكتَفَى بذكرِ أحدِهما عن الآخرِ.

وقيل: ﴿بأيمانِهم﴾: بسببِ صدَقاتِهم التي أعطَوها بأيمانِهم[3]؛ لأنَّ الغالبَ في إعطاءِ الصَّدقاتِ أن يكونَ بالأيمانِ.

وقيل: يسعى ثوابُ أعمالِـهم.

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٧٣).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٧/ ١٠٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٣٦)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٩٧٦٣)، والحاكم في «المستدرك» (٣٤٢٤) وصححه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٨٥)، واستغربه.

﴿بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ﴾ يجوزُ أن يكونَ البُشرى اسمًا؛ أي: المُبشَّرُ به جنَّاتٌ. ويجوزُ أن يكونَ مصدرًا، والتَّقديرُ: بُشراكُم اليومَ دخولُ جنَّاتٍ، فحُذِفَ المُضافُ.

﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

***

(١٣) ـ ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾.

﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾؛ أي: يقولونَ لهم إذا رأَوهُم في ضياءٍ ونورٍ والمُنافقونَ خلفَهم في ظُلمةٍ لا يُبصِرونَ مواقعَ أقدامِهم: ﴿ٱنظُرُونَا﴾: انتظِرونا.

ومَن قطعَ[1] فمعناه: أخِّرونا.

وقيل: انتَظِرونا.

﴿نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾: نأخُذْ من نُورِكُم قبسًا سراجًا، أو شُعلةً.

وقيل: معنى ﴿نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾: نمشي فيه معَكُم[2].

﴿قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا﴾؛ أي: يقولُ لهم المُؤمنون، وقيل: تقولُ لهم الملائكةُ: ﴿ٱرْجِعُوا۟﴾ إلى الموضعِ الذي أخَذْنا منه النُّورَ فاطلُبوا منه النُّورَ.

ابنُ بحرٍ: هذا كما يقولُ للرَّجلِ إذا أرادَ منعَه: وراءَكَ أوسَعُ لك[3].

---

(١) قرأ حمزة: ﴿أَنظِرونا﴾ بقطع الهمزة وكسر الظاء، والباقون بالألف موصولة وضم الظاء. انظر: «السبعة» (ص: ٦٢٥)، و«التيسير» (ص: ٢٠٨).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٨٥)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٨٥)، واستغربه.

وقيل: هذا استِهزاءٌ بهم جزاءً على استهزائهم في الدُّنيا.

وقيل: ﴿وَرَآءَكُمْ﴾ هاهنا اسمٌ منَ الأسماءِ التي سُمِّيَتْ الأفعالُ بها، والمعنى: ارجِعوا ارجِعوا، وليس بظرفٍ؛ لأنَّ لفظَ ﴿ٱرْجِعُواْ﴾ يُنبِئُ عن الوراءِ(١).

وقيل: يُؤيِسُهم بذلك من وجودِ النُّورِ.

ويحتمِلُ: ارجِعُوا إلى الدُّنيا؛ فإنَّ النُّورَ يُلتَمَسُ هناكَ بالإيمانِ والإخلاصِ.

﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ﴾ وفي بعضِ التَّفاسيرِ: فيرجِعونَ إذا قيلَ لهم: ﴿ٱرْجِعُواْ﴾ فيُضرَبُ بينَهم بسورٍ، والباءُ زيادةٌ.

وقيل: الضَّربُ هاهنا ليس من «ضربتُ فلانًا»، وإنَّما هو بمعنَى: حيلَ بينَهم بسورٍ.

والسُّورُ: هو الأعرافُ في قولِه: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾ [الأعراف: ٤٦].

وقيل: هو حائطٌ بينَ الجنَّةِ والنَّارِ سوى الأعرافِ.

وفي بعضِ التَّفاسيرِ: عن عبدِ الله بنِ عمرِو بنِ العاصِ: أنَّه سورُ المسجدِ الشَّرقيُّ - يعني: بيتَ المقدسِ - ﴿بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ﴾ هو المسجدُ ﴿وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ يعني: وادي جهنَّمَ(٢).

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٨٥)، واستغربه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٠٣)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ٤٧)، قال ابن كثير في «تفسيره» (٨/ ١٨): «وهذا محمول منهم على أنهم أرادوا بهذا تقريب المعنى ومثالاً لذلك، لا أن هذا هو الذي أريد من القرآن هذا الجدار المعين ونفس المسجد وما وراءه من الوادي المعروف بوادي جهنم؛ فإن الجنة في السماوات في أعلى عليين، والنار في الدركات أسفل سافلين»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٨٦)، وعده من العجائب.

غيرُه: ﴿بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ﴾: الجنّةُ، وقيل: النُّورُ، ﴿وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ﴾: من قبلِ الظّاهرِ ﴿ٱلْعَذَابُ﴾ يعني: جهنّمَ، وقيل: الظُّلمةَ.

الكعبيُّ: هذا مثَلٌ معروفٌ، يقولُ الرَّجلُ: «بيني وبينَكَ حجابٌ فما أسمَعُكَ ولا أراكَ» إذا أرادَ البراءةَ منه، قال: وقولُه: ﴿لَّهُۥ بَابٌۢ﴾ مثلُ قولِكَ: بابٌ منَ العلمِ، وبابُ هذا الأمرِ كذا.

***

(١٤) ـ ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾.

﴿يُنَادُونَهُمْ﴾؛ أي: يُنادي المُنافقونَ المؤمنينَ: ﴿أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ أي: في حُكمِ الإسلامِ ﴿قَالُوا۟﴾؛ أي: المؤمنونَ: ﴿بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ بإبطانِكُم النِّفاقَ.

وقيل: رجَعتُم عمَّا أَعطَيْتُم بألسنتِكُم.

وقيل: استعمَلْتُموها في الفتنةِ.

وقيل: بالمعاصي وبالشَّهواتِ.

﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ بمُحمَّدٍ ﷺ وبالمؤمنين الهلاكَ.

وقيل: تربَّصتُم بالتَّوبةِ.

﴿وَٱرْتَبْتُمْ﴾: شكَكْتُم في التَّوحيدِ.

﴿وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ﴾: خدَعَتكُم الدُّنيا.

وقيل: اليومَ وغدًا.

وقيل: الطَّمعُ فيما لا مطمعَ فيه.

وقيل: هو قولُهم: سيُغفَرُ لنا.

﴿حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾: ظهورُ الإسلامِ.

وقيل: الموتُ.

وقيل: البَعثُ والنُّشورُ.

﴿وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾: غرَّكم الشَّيطانُ؛ إذ أطمَعَكُم في بُطلانِ الإسلامِ، وأنْ لا بعثَ ولا حسابَ.

وقيل: الغرورُ: الدُّنيا.

وقيل: الباءُ في ﴿بِٱللَّهِ﴾ للقسَمِ تأكيدًا للكلامِ(١).

***

(١٥) ـ ﴿فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُؤۡخَذُ مِنكُمۡ فِدۡيَةٞ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ مَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُۖ هِيَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾.

﴿فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُؤۡخَذُ مِنكُمۡ﴾ أيُّها المُنافقونَ ﴿فِدۡيَةٞ﴾: فِداءٌ ولا عِوَضٌ(٢).

﴿وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾؛ أي: منَ المُشركينَ.

﴿مَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ﴾: مرجِعُكم ومَصيرُكم ﴿هِيَ مَوۡلَىٰكُمۡ﴾ جلُّ المُفسِّرين على أنَّ المعنى: هي أولى بكم، وهذا تأويلُه من حيثُ المعنى، وأمَّا اللَّفظُ فلا يُنبِئُ عن التَّفضيلِ(٣)؛ لأنَّه (مَفعَل) فيحتمِلُ أنَّ التَّقديرَ: المُتضمِّنُ لجزائِكم والقائمُ بأمرِكم النّارُ، ومنه: (المولى) لابنِ العمِّ.

ويجوزُ أيضًا أن يكونَ مصدرًا مُضافًا إلى المفعولِ؛ أي: النَّارُ تمسُّكم وتليكُم.

﴿وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ النّارُ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٨٦)، وعده من العجائب.

(٢) في (ف): «فداء وعوض».

(٣) في النسختين: «التفصيل»، والصواب المثبت.

(١٦) ـ ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾.

﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ الكلبيُّ ومُقاتلٌ: نزلَتْ في المُنافقين[1]، والمعنى: أمَا حانَ وقتُ الإخلاصِ وقد ظهرَتِ المُعجزةُ والآياتُ؟!

الزَّجَّاجُ: نزلَتْ في فريقٍ منَ المُؤمنين استُعتِبُوا لتقصيرٍ كانَ منهم[2].

وذهبَ بعضُهم إلى أنَّ المؤمنينَ قالوا: يا رسولَ الله، لو قصَصْتَ، فأنزَلَ الله تعالى: ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ﴾، وقالوا: لو حدَّثتَنا، فأنزَلَ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا﴾، وقالوا: لو ذكَّرْتَنا، فأنزَلَ الله: ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾[3].

وقيل: كثُرَ في أصحابِ رسولِ الله ﷺ المِزاحُ والضَّحكُ، فأنزلَ الله هذه الآيةَ[4].

مُقاتلُ بنُ حيَّانَ: نزلَتْ في اليهودِ[5].

الحسنُ: نزلَتْ في المُؤمنين، استَبْطَأهم الله تعالى، وهم أحبُّ الخلقِ إليه[6].

---

(١) ذكره عنهما الثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ٥٧)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٠٦).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ١٢٥) وفيه: «نزلت في طائفة من المؤمنين حُثوا على الرقة والرحمة والخشوع».

(٣) رواه البخاري في «التاريخ الكبير» (٦/ ٣٧٤)، والبزار في «مسنده» (١١٥٣)، وأبو يعلى في «مسنده» (٧٤٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٢٠٩)، والحاكم في «المستدرك» (٣٣١٩) وصححه، عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٤) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٥٧١٥) عن عبد العزيز بن أبي رواد، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٣٨) عن مقاتل بن حيان.

(٥) ذكره السمعاني في «تفسيره» (٥/ ٣٧٢) وفيه: «هو في مؤمني أهل الكتاب، حثهم على الإيمان بالرسول».

(٦) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٧٧).

ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: ما كانَ بين أنْ أسلَمْنا وبينَ أن عُوتِبْنا بهذه الآيةِ إلا أربعُ سنينَ، فجعَلَ بعضُنا ينظرُ إلى بعضٍ ويقولُ: ما أحدَثْنا(١)؟

ابنُ عبّاسٍ: استبطأَ قلوبَ المهاجرين [فعاتبهم] على رأسِ ثلاثَ عشرةَ سنةً لنُزولِ القرآنِ(٢).

قولُه: ﴿يَأْنِ﴾ من «أنَى يأني أَنْيًا وإِنًى» و«آنَ يئينُ» بمعناه، وقُرِئَ به في الشَّواذِ(٣).

﴿أَن تَخْشَعَ﴾: تخضَعَ وتلينَ.

﴿لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾: القرآنِ. وقيل: خوفِ الله.

﴿وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾: القرآنِ، وقيل: الهدى والحلالِ والحرامِ.

قُرِئَ بالتَّشديدِ؛ أي: نزَّلَه الله، و﴿ما﴾ بمعنى: الذي، ويجوزُ أن يكونَ للمصدرِ.

وقُرِئَ بالتَّخفيفِ(٤)، و﴿ما﴾ بمعنى: الذي، وفي ﴿نَزَلَ﴾ ضميرٌ يعودُ إليه، ولا يجوزُ أن يكونَ للمصدرِ.

﴿وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلُ﴾ يعني: اليهودَ والنَّصارى، يجوزُ أن يكونَ عطفًا على ﴿أَن﴾ فيكونَ نصبًا، ويجوزُ أن يكونَ جزمًا على النَّهيِ كقراءةِ يعقوبَ بالتَّاءِ(٥).

---

(١) رواه مسلم (٣٠٢٧)، وأبو يعلى في «مسنده» (٥٢٥٦)، وليس في رواية مسلم: «فجعل بعضنا...»، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٧٧).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٣٨)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ٥٩)، وما بين معكوفتين منهما.

(٣) أي: (ألم يَئِن) نسبت للحسن. انظر: «الكشاف» (٤/ ٤٧٧)، و«البحر» (٢٠/ ٢١٧).

(٤) قرأ نافع وحفص: ﴿نَزَلَ﴾ بتخفيف الزاي، والباقون بتشديدها. انظر: «السبعة» (ص: ٦٢٦)، و«التيسير» (ص: ٢٠٨).

(٥) هي قراءة رويس عن يعقوب. انظر: «النشر» (٢/ ٣٨٤).

(١٩) - ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ﴾: المُبالغونَ في الصِّدقِ ﴿وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾؛ أي: هم عُدولُ الآخرةِ كقولِه: ﴿وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٨].

وذهبَ ابنُ عبَّاسٍ في جماعةٍ إلى أنَّ الكلامَ تمَّ على قولِه: ﴿هُمُ الصِّدِّيقُونَ﴾[1]، ﴿وَالشُّهَدَاءُ﴾ رفعٌ بالابتداءِ، وهم الذين قُتِلوا في سبيلِ الله؛ لأنَّ الشَّهيدَ إذا أُطلِقَ تناولَ المقتولَ في سبيلِ الله.

وقيل: الشُّهداءُ هم الأنبياءُ.

﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾: جزاءُ أعمالِهم ﴿وَنُورُهُمْ﴾ الذي يسعى بينَ أيديهم يومَ القيامةِ.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾.

***

(٢٠) - ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾.

﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾: الأقربُ إلى الحيِّ ﴿لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ في الآيةِ إضمارٌ تقديرُه: متاعُ الحياةِ هذه الأشياءُ.

وقيلَ: الحياةُ الدُّنيا ونعيمُها مُنقسِمةٌ إلى هذه الأشياءِ[2].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤١٣)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ٧٤)، والداني في «المكتفى في الوقف والابتدا» (ص: ٢١٢).

(٢) «وقيل الحياة ونعيمها منقسمة إلى هذه الأشياء»: ليس في (ف)، وهذا القول وإن كان مشابهاً لما بعده، لكنه مغاير له، وقد أوردهما المصنف كقولين في «غرائب التفسير».

وقيل: لذّةُ الحياةِ ونعيمُها مُنقسِمةٌ إلى هذه الأشياءِ.

الحسنُ: أهلُ الحياةِ الدُّنيا أهلُ لعبٍ ولهوٍ(١).

وقيل: أكثرُ أهلِ الحياةِ الدُّنيا، فأخرَجَه مُخرَجَ الأعمِّ.

﴿لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾؛ أي: يزولُ سريعًا ويفنَى.

وقيل: يُحبُّونَها كما يُحَبُّ اللَّعبُ واللَّهوُ.

﴿وَزِينَةٌ﴾: هي ما يكونُ في الملابسِ والمراكبِ(٢) والمنازلِ.

﴿وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ﴾ يفخرُ البعضُ على البعضِ.

والتَّفاخرُ: ادِّعاءُ ما يُوجِبُ الرِّئاسةَ.

﴿وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾؛ أي: مُباهاةٌ بهما.

والتَّكاثرُ: ادِّعاءُ الاستكثارِ منَ المنافعِ.

وقيل: اللَّعبُ: ما رغَّبَ في الدُّنيا، واللَّهوُ: ما ألهى عن الآخرةِ.

وقيل: اللعبُ: الاقتِناءُ، واللَّهوُ: النِّساءُ.

وقيل: لعبٌ كلعبِ الصِّبيانِ، ولهوٌ كلهوِ الشُّبَّانِ، وزينةٌ كزينةِ النِّسوانِ، وتفاخرٌ كتفاخُرِ الأقرانِ، وتكاثرٌ كتكاثُرِ السُّلطانِ. حكاه الثَّعلبيُّ(٣).

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ١٠٧)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٨٨)، واستغربه.

(٢) في (ف): «والمواكب».

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢٦/ ٧٩)، وفيه: «كتكاثر الدهقان» بدل «كتكاثر السلطان»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٨٨)، واستغربه.

﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ﴾: مطرٍ ﴿أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ﴾؛ أي: الحُرّاثَ ﴿نَبَاتُهُۥ﴾: ما ينبُتُ بذلك الغيثِ، وهو قولُ الجمهورِ.

وقيل: هم الكفّارُ المُشرِكونَ؛ لأنّهم أكثرُ إعجابًا بالدُّنيا وأشدُّ حِرْصًا عليها.

وقيل: لأنَّ المؤمنَ يعرفُ مُوجِبَه فلا يُعجِبُه، والكافرَ لا يعرِفُ الموجِبَ فيُعجِبُه .

﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾: ييْبَسُ ذلك النَّباتُ ﴿فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا﴾ بعد خُضرتِه.

وقيل: تهيجُ ريحٌ باردةٌ؛ أي: تهُبُّ، فتجعلُ الزَّرعَ مُصفرًّا، فتراه كذلك.

وقيل: يُسمَعُ له بدخولِ الرِّيحِ فيه صوتٌ.

﴿ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا﴾: مُتفتِّتًا؛ أي: فلا ينبَغي للعاقلِ أن يغترَّ بما هذا سبيلُه.

والجمهورُ على أنَّ الكلامَ تمَّ، ثمَّ استأنفَ فقالَ: ﴿وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ للكفّارِ ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ﴾؛ أي: للمؤمنين؛ أي: إمَّا هذا وإما ذاكَ.

وقيل: ﴿وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ متَّصلٌ بالأوَّلِ، و﴿مغفرةٌ منَ الله﴾ مُبتدأٌ، ﴿وَرِضْوَٰنٌ﴾ عطفٌ عليه، والخبرُ محذوفٌ؛ أي: خيرٌ من ذلك.

﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ﴾ أي: ملاذُّها ﴿إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ سريع الفناء سريعُ الانقضاءِ.

ابنُ بحرٍ: الغُرورُ: جمعُ (غِرِّ الثَّوبِ) وهو طيُّه؛ أي: متاعًا ينطَوي وينقَضي سريعًا[1].

* * *

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٨٨)، وعده من العجائب.

(٢١) ـ ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾.

﴿سَابِقُوٓاْ﴾: بادِرُوا في السَّبقِ واجتَهِدوا كلَّ الجهدِ، وسابَقَ: طلَبَ ذلك مع طلَبِ غيرِه له.

﴿إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ يعني: إلى محمَّدٍ ﷺ.

وقيل: إلى التَّوبةِ.

وقيل: إلى التَّكبيرةِ الأولى مع الإمامِ.

وقيل: إلى الصَّفِّ الأوّلِ.

﴿وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾؛ أي: عَرضُها كجميعِ السَّماواتِ والأرضِ مبسوطاتٍ كلٌّ واحدةٍ إلى صاحبتِها.

وخُصَّ العَرضُ بالذِّكرِ دونَ الطُّولِ؛ لأنَّ العادةَ جرَتْ بأنَّ العرضَ أقلُّ منَ الطُّولِ، فإذا كانَ العرضُ على هذا فما ظنُّكَ بالطُّولِ؟

وقيل: العرضُ ثَـمَنُها وما يُقابلُها، وقد سبقَ في (آلِ عمرانَ).

﴿أُعِدَّتۡ﴾ الإعدادُ: وضعُ الشَّيءِ للحاجةِ إليه في المُستأنَفِ، وهذا دليلٌ على أنَّها مخلوقةٌ، وهو المَذهَبُ.

وذهبَ بعضُهم إلى أنَّها لـم تُخلَقْ بعدُ.

وذهبَ بعضُهم إلى أنَّ الجنَّةَ في السَّماءِ الرّابعةِ، والتي في إحدى السَّماواتِ لا تكونُ في عرضِ السَّماواتِ والأرضِ، قالوا: فالله تعالى يُفْنيها ثمَّ يُعيدُها في الآخرةِ، ويزيدُ في طولِـها وعرضِها.

وذهبَ بعضُهم إلى أنَّ الجنَّةَ والنّارَ خَلْقَينِ مُفردَينِ منَ السَّماءِ والأرضِ.

﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ﴾؛ أي: ذلك الجزاءُ تفضُّلٌ منه.

وقيل: التَّوفيقُ لذلك فضلُ الله ﴿يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ منَ المُؤمنين.

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى الدِّينِ ﴿يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ من عبادِه(١).

﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾.

***

(٢٢) ـ ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ﴾؛ أي: لم يُصِبْ ولا يُصيبُ مُصيبةٌ ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ منَ الغلاءِ والقَحْطِ والجوائحِ.

﴿وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: في الدُّنيا والدِّينِ(٢).

وقيل: الأمراضُ والأوصابُ وضيقُ المعاشِ وموتُ الأولادِ.

وقيل: إقامةُ الحدودِ.

وقولُه: ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ظرفٌ لـ﴿أَصَابَ﴾، وقيل: ظرفٌ لـ﴿مُّصِيبَةٍ﴾.

وقيل: صفةٌ لـ﴿مُّصِيبَةٍ﴾، وهذا ضعيفٌ لمكانِ ﴿لا﴾، أو يُقالُ: ﴿لا﴾ زيادةٌ.

﴿إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾ يعني: اللَّوحَ المحفوظَ ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾: نخلُقَ المُصيبةَ.

وقيل: نخلقَ الأرضَ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٦٣٢) بلفظ: «الفضل: الدين».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٢٠).

وقيل: النَّفسَ.

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: علمَ ما سيكونُ، وقيل: كَتْبَ ذلك في اللَّوحِ المحفوظِ.

﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾: سهلٌ هيِّنٌ.

* * *

(٢٣) - ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾.

﴿لِّكَيْلَا﴾؛ أي: كَتَبَ لكيلا، وقيل: عرَّفكُم ذلك لكيلا ﴿تَأْسَوْا۟﴾: تحزَنُوا حُزنًا يُؤدِّي إلى تركِ الشُّكرِ.

﴿عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ منَ الدُّنيا وخِصْبِها، أو منَ العافيةِ وصحَّتِها.

﴿وَلَا تَفْرَحُوا۟﴾ فرحَ الخُيلاءِ؛ أي: لا تَأْشَروا ﴿بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾: أعطاكُم الله منَ الدُّنيا.

وقُرِئَ: ﴿أتاكُمْ﴾[1]؛ أي: جاءَكُم منَ الله.

﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ﴾ يستطيلُ لنِعَمِه ﴿فَخُورٍ﴾ بعد ذلك احتقارًا للغيرِ.

* * *

(٢٤) - ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ﴾؛ أي: يبخلونَ بالإنفاقِ المأمورِ في السُّورةِ، ويحضُّونَ غيرَهم على البُخلِ.

---

(١) بقصر الهمزة قراءة أبي عمرو، والباقون بمدها. انظر: «السبعة» (ص: ٦٢٦)، و«التيسير» (ص: ٢٠٨).

وقيل: هم اليهودُ بخِلُوا بتعريفِ النَّاسِ ما كانَ في التَّوراةِ من صفةِ محمَّدٍ ﷺ، ويحثُّونَ النّاسَ على كتمانِه.

وقيل: ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ﴾ بالعلمِ ﴿وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ﴾ أنْ لا يُعلِّموا أحدًا شيئًا.

﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ يُعرِضْ عنِ الإنفاقِ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾؛ أي: ﴿ٱلۡغَنِيُّ﴾ عن إنفاقِهم ﴿ٱلۡحَمِيدُ﴾ على أفعالِه.

وقُرِئَ بغيرِ ﴿هُوَ﴾ لأنَّه كان فصلًا وعمادًا، فجازَ حذفُه[1].

* * *

(٢٥) ـ ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ﴾.

﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾؛ أي: أرسَلْنا الأنبياءَ بالمُعجِزاتِ الدَّالَّةِ على صدقِهم ﴿وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾؛ أي: مع الأنبياءِ الكتبَ التي تتضمَّنُ مصالحَ دينِهم ودُنياهم.

وقيل: الرُّسلُ هاهنا: الملائكةُ؛ لقولِه: ﴿مَعَهُمُ﴾، ولأنَّ الأنبياءَ ينزلُ عليهم وإليهم.

﴿وَٱلۡمِيزَانَ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: أنزَلَ عينَ الميزانِ زمنَ نوحٍ عليه السَّلامُ، وقيل: على آدمَ عليه السَّلامُ.

والثّاني: أنزَلَ عليهم وَضْعَه[2]، وعرَّفَهم كيفَ يتَّخِذونَه.

---

(١) وهي قراءة نافع وابن عامر. انظر: «السبعة» (ص: ٦٢٧)، و«التيسير» (ص: ٢٠٨).

(٢) في (ن): «وضفه»، ولعلها: «وصفه» ولها وجه.

والثّالثُ: الميزانُ: هو العَدلُ، بدليلِ قولِه: ﴿مَعَهُمُ﴾ بلفظِ الجمعِ[(١)]؛ فإنَّ الميزانَ الذي يُتعامَلُ عليه إنَّما نزلَ على واحدٍ منهم، والأمرُ بالعدلِ مع جميعِ الأنبياءِ.

﴿لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾؛ أي: بالعدلِ في مُعاملاتِهم إيفاءً واستيفاءً، ولا يَظلمَ أحدٌ أحدًا في ذلك[(٢)].

﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ﴾ جمهورُ المُفسِّرينَ على أنَّ آدمَ عليه السَّلامُ هبطَ بالعَلاةِ والمِطرَقةِ والكلبتَينِ[(٣)].

وعن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما: نزلَتْ مع آدمَ عليه السَّلامُ ثلاثةُ أشياءَ: الحجرُ الأسودُ وكان أشدَّ بياضًا منَ الثَّلجِ، وعَصا موسى عليه السَّلامُ وكانت من آسِ الجنَّةِ طولُها عشَرةُ أذرُعٍ، والحديدُ[(٤)].

ورَوى ابنُ عمرَ رضي الله عنهما، عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «أنزَلَ الله تعالى أربعَ بركاتٍ منَ السَّماءِ: الحديدُ والنّارُ والماءُ والملحُ»[(٥)].

وقيل: معنى (أنزَلَ): خَلَقَ وأظهرَ، كقولِه: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [الزمر: ٦].

---

(١) في (ف): «الجميع».

(٢) «في ذلك»: ليس في (ف).

(٣) ذكره دون عزو ابن قتيبة في «غريب القرآن» (ص: ٤٥٤)، والزجاج في «معاني القرآن» (٥/ ١٢٩)، والسمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٤١٠)، والسمعاني في «تفسيره» (٥/ ٣٧٨). الكلبتان: ما يأخذ به الحداد الحديد المحمى. قال الزجاج: «والعلاة هي التي يسميها الحدادونَ السِّنْدَانَ».

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٨٣).

(٥) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ٩٥)، قال ابن حجر في «الكافي الشاف» (ص: ١٦٤): «في إسناده من لا أعرفه».

وقيل: وأنزَلَ: هيَّأ[١] منَ النُّزلِ[٢]، تقولُ: أنزَلَ الأميرُ لفُلانٍ نُزلًا حسنًا[٣].

وقيل: أنزَلَ الماءَ فانعقَدَ به جوهرُ الحديدِ[٤]، فأصلُه منَ الماءِ، وهو مُنزلٌ.

والقولُ هو الأوَّلُ؛ لأنَّه لولا ذلك لَمَا تهيَّأ استِخراجُ شيءٍ منَ المعادنِ واتِّخاذُ شيءٍ منَ الآلاتِ؛ لأنَّه لا يُستغنَى في شيءٍ من ذلك عن الحديدِ، والحديدُ لا يُعملُ إلَّا بالحديدِ.

﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾؛ أي يُتحصَّنُ به عن العدوِّ باتِّخاذِ الدِّرعِ والمِغْفَرِ وغيرِ ذلك منه، ويُقتَلُ به العدوُّ باتِّخاذِ السَّيفِ والسِّنانِ والزُّجِّ وغيرِ ذلك منه.

﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ في الحرثِ والحصدِ وسائرِ الصِّناعاتِ.

﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ﴾ قيل: أنزَلَ الحديدَ لينصُرَ عبادُه ربَّهم ورسلَه وأولياءَه بهذا الحديدِ.

الزَّجّاجُ: ليعلَمَ من يُقاتلُ في سبيلِه[٥].

وقيل: أنزلَ الكتبَ والميزانَ وأرسلَ الرُّسلَ ليختبرَ النّاسَ بذلك، فيعلمَ وُقوعَ الفعلِ في نُصرتِهم.

ويحتمِلُ: ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ﴾ فعَلَ ما فعَلَ[٦].

---

(١) في (ن): «هنا»، والمثبت من (ف)، وهو الموافق لما في «غرائب التفسير».

(٢) في (ن): «النزول... لفلان نزولاً».

(٣) عده المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٨٩) من العجائب، ولفظه: «العجيب: أنزل بمعنى: هيأ، من نُزُلِ الضيف».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٨٩)، واستغربه.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ١٢٩).

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٨٩)، واستغربه.

ومعنى (يعلم الله) قد سبقَ(١).

وقولُه: ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ متعلِّقٌ بقولِه: ﴿يَنصُرُهُۥ﴾، وقولُه: ﴿وَرُسُلَهُۥ﴾ عطفٌ على الهاءِ.

ولا يجوزُ في العربيَّةِ أن يكونَ عطفًا على ﴿مَن﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾؛ أي: ﴿قَوِيٌّ﴾ على الامتناعِ ﴿عَزِيزٌ﴾ عن الاعتراضِ عليه.

* * *

(٢٦) - ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ﴾ خُصّا بالذِّكرِ لأنَّهما أبَوانِ للأنبياءِ عليهم السَّلامُ ﴿وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا﴾: أولادِهما ﴿ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾؛ أي: الكتبَ، فهو للجنسِ.

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: الخطُّ بالقلمِ(٢).

﴿فَمِنْهُم﴾: مِنَ الذُّرِّيةِ، ﴿مُّهْتَدٍ﴾: مَن اهتدَى باتِّباعِ الرُّسلِ ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾: خارِجُونَ عنِ الإيمانِ والطّاعةِ.

* * *

(٢٧) - ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾.

﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا﴾؛ أي: أرسَلْنا رسولًا بعد رسولٍ على إثرِ نوحٍ

---

(١) انظر تفسير الآية (١٤٠) من (آل عمران).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٥٢)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٩٠)، واستغربه.

وإبراهيمَ عليهما السَّلامُ ومَن مضى منَ الأنبياءِ، ولا يعودُ الضَّميرُ إلى الذُّرِّيةِ لأنَّ الذُّرِّيةَ باقيةٌ بعدُ.

﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾: أتبَعْناهُم جميعًا عيسى ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ﴾ قيل: جاءَه دفعةً واحدةً ﴿وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾: سارُوا بسيرتِه واتَّبعوا منهاجَه ﴿رَأْفَةً﴾: مودَّةً وليناً ﴿وَرَحْمَةً﴾: شفقةً وعطفًا؛ أي: أمَرْناهُم بالرَّحمةِ فيما بينَهم.

وقيل: أُمِروا بالصَّفحِ عن أذى النّاسِ، وقيل لهم: مَن لطَمَ خدَّكَ الأيمنَ فولِّه خدَّكَ الأيسرَ، ومَن سلَبَ رِداءَكَ فأعطِه قميصَكَ، وُصِفُوا بالرَّحمةِ خلافَ اليهودِ الذين وُصِفُوا بالقسوةِ(١).

﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا﴾؛ أي: ابتدَعُوا رهبانيَّةً ابتدعُوها، فهي منصوبةٌ بفعلٍ دلَّ عليه ما بعدَه.

والرَّهبانيَّةُ منَ الرَّهبةِ، ومعناها: البلوغُ في النُّسكِ أعلى المبالغِ مع الانقطاعِ عن النّاسِ وملاذِّ الدُّنيا.

وقيل: هي التَّبتُّلُ والخلوةُ بالعبادةِ.

﴿ٱبْتَدَعُوهَا﴾ من تلقاءِ أنفُسِهم لم يؤمَروا(٢) بها.

والابتداعُ: إحداثُ شيءٍ على غيرِ مثالٍ سابقٍ.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: هم قومٌ رأَوا المُنكرَ فلم يقدرُوا على تغييرِه، فساحُوا في الأرضِ، ولزِمُوا البراريَ(٣).

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٩٠)، وعده من العجائب.

(٢) في (ن): «يأمرهم».

(٣) رواه النسائي (٥٤٠٠) عن ابن عباس رضي الله عنه موقوفًا من حديث طويل، وفيه: «كانت ملوك بعد عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام بدلوا التوراة والإنجيل، وكان فيهم مؤمنون يقرؤون =

قتادةُ: رفَضُوا النِّساءَ، واتَّخذوا الصَّوامعَ[١].

﴿مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ﴾: لـم نأمُرْهم بها، ولـم نُوجِبْها عليهم.

﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: ما كتَبْناها عليهم ولـم يفعَلُوها إلَّا ابتغاءَ مرضاتِ الله، فهو نصبٌ على أنَّها مفعولٌ له.

الزَّجَّاجُ: هو بدلٌ منَ الهاءِ في قولِه: ﴿مَا كَتَبْنَٰهَا﴾، والتَّقديرُ: ما كتَبْنا عليهم إلَّا ابتغاءَ رضوانِ الله، فيكونُ مفعولًا به[٢].

الحسنُ: تطوَّعُوا بابتداعِها، ثمَّ كُتِبَتْ بعد ذلك عليهم[٣].

وقيل: ذلك كالتَّطوُّعِ مَن التزَمَه لزِمَه، ولهذا ذمَّهم الله فقالَ: ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾؛ أي: ما قامُوا بها حقَّ القيامِ بها، بل قصَّرُوا فيها.

وقيل: ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ إذ بدَّلوا دينَهم.

= التوراة، قيل لملوكهم: ما نجد شتماً أشدَّ مِن شتمٍ يَشتِمونا هؤلاء، إنهم يقرءون: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، وهؤلاء الآيات مع ما يعيبونا به في أعمالنا في قراءتهم، فادعهم فليقرؤوا كما نقرأ، وليؤمنوا كما آمنا، فدعاهم، فجمعهم، وعرض عليهم القتل أو يتركوا قراءة التوراة والإنجيل، إلا ما بدلوا منها، فقالوا: ما تريدون إلى ذلك، دعونا، فقالت طائفة منهم: ابنوا لنا أسطوانة ثم ارفعونا إليها، ثم أعطونا شيئاً نرفع به طعامنا وشرابنا، فلا نرد عليكم. وقالت طائفة منهم: دعونا نسيح في الأرض، ونهيم ونشرب كما يشرب الوحش، فإن قدرتم علينا في أرضكم فاقتلونا. وقالت طائفة منهم: ابنوا لنا دوراً في الفيافي، ونحتفر الآبار، ونحترث البقول، فلا نرد عليكم، ولا نمر بكم، وليس أحد من القبائل إلا وله حميم فيهم. قال: ففعلوا ذلك، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾...».

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٢٨).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ١٣٠).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٨٥).

وقيل: إذ لـم يُؤمِنُوا بمحمَّدٍ ﷺ، فيكونُ المُرادُ بهم مَن كانَ منهم في زمنِ النَّبيِّ عليه السَّلامُ.

﴿فَـَٔاتَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۡهُمۡ﴾ ولـم يُبدِّلوا دينَهم.

وقيل: آمَنُوا بمحمَّدٍ ﷺ.

﴿أَجۡرَهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾: كافِرونَ.

***

(٢٨) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ الخطابُ لأهلِ الكتابِ ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ ولا تُشرِكُوا بهِ، ﴿وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ﴾ محمَّدٍ ﷺ ﴿يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ﴾: نصيبَينِ ﴿مِن رَّحۡمَتِهِۦ﴾؛ كِفْلًا بإيمانِكُم بنبيِّكُم الأوَّلِ، وكِفْلًا بإيمانِكُم بمحمَّدٍ ﷺ حينَ بُعِثَ.

وقيل: الكِفْلُ: الضِّعْفُ.

وقيل: الكِفْلُ: الأجرُ.

الزَّجَّاجُ وغيرُه: الكِفْلُ في الأصلِ: الكِساءُ الذي يجعلُه الرّاكبُ حولَه إذا ارتدَفَ ليحفظَه عنِ السُّقوطِ(١).

الفرَّاءُ: يُحصِّنُكم هذا الفعلُ من عذابِ الله كما يُحصِّنُ الكِفْلُ مَن يتكفَّلُ به منَ السُّقوطِ(٢).

﴿وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ﴾ من قولِه: ﴿يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ﴾ [الحديد: ١٢].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ١٣١).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٣٧).

وقيل: ضياءً يومَ القيامةِ.

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: النُّورُ: القرآنُ[١].

وقيل: النُّورُ: الهدى.

وقيل: ﴿نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ في النّاسِ تدعُونَهم به إلى الله.

وقيل: تمشُونَ به إلى الجنّةِ.

﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

* * *

(٢٩) - ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾.

﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾؛ أي: جعَلْنا لمُؤمني أهلِ الكتابِ كِفْلَينِ منَ الأجرِ؛ ليعلمَ أهلُ الكتابِ ـ وهم الذين لـم يُؤمِنُوا وحسَدُوا مَن آمنَ منهم ـ ﴿أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: لا ينالُونَ رحمةً وجنّةً، و(لا) صلةٌ عندَ الجمهورِ.

وقرأ ابنُ مسعودٍ رضيَ الله عنه: (ليعلَمَ)[٢].

الفرَّاءُ: العربُ تزيدُ (لا) في كلِّ كلامٍ دخلَ في آخرِه أو أوَّلِه جحدٌ[٣].

وقيل: (لا) الأخيرةُ زيادةٌ، والتَّقديرُ: لئَلّا يعلمَ أهلُ الكتابِ أنَّهم يقدرونَ على شيءٍ من فضلِ الله بغيرِ إيمانِ محمَّدٍ ﷺ، فلمَّا خُفِّفَ (أنَّ) زيدَ (لا) ليصيرَ حائلًا بينَه وبينَ الفعلِ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٤٢)، وعبد بن حميد كما في «الدر المنثور» (٨/ ٦٧).

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٥٣).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٣٧).

وقيل: كلاهما واقعانِ موقعَهما، ولكنَّ الضَّميرَ في ﴿يَقْدِرُونَ﴾ يعودُ إلى مَن آمنَ منهم.

الزَّجَّاجُ: الآيةُ خطابٌ لأصحابِ النَّبيِّ ﷺ، أمرَهُم بالثَّباتِ على الإيمانِ(١).

وقيل: يا أيُّها الذينَ آمَنُوا بعيسى آمِنُوا بمحمَّدٍ عليهما السلام ليعلَمَ أهلُ التَّوراةِ.

قولُه: ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾ عطفٌ على اللّامِ؛ أي: لئلّا يعلَمَ ولأنَّ الفضلَ.

وقيل: عطفٌ على أنَّهم لا يقدرونَ، والمعنى: وأنَّ القرآنَ والأجرَ والنُّبوّةَ والرِّزقَ بيدِ الله، يملكُه دونَهم، يُؤتيه مَن يشاءُ، يُعطيه مَن هو أهلٌ لذلك.

﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾: ذو الإفضالِ على مَن يشاءُ من عبادِه المؤمنينَ. والله أعلَمُ.

***

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ١٣١)، وفيه: «المعنى: فعل الله بكم ذلك كما فعل بمن آمن من أهل الكتاب لأن يعلموا».

جُزْءُ قَدْ سَمِعَ

سُورَةُ المُجَادلَة

اثنتانِ وعشرونَ آيةً[1]، مدنيّةٌ.

الكلبيُّ: مدنيةٌ إلّا قولَه: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَـٰثَةٍ﴾؛ فإنَّها نزلَتْ بمكّةَ[2].

عَطاءٌ: العشرُ الأوَّلُ منها مدَنيٌّ، والباقي مكّيٌّ[3].

بسمِ اللّه الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾.

﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾ جُلُّ المُفسِّرينَ على أنَّ هذه الآياتِ نزلَتْ في خولةَ، وقيل: خُوَيلةَ، بالتَّصغيرِ.

وقيل: اسمُها: جميلةُ بنتُ ثعلبةَ.

وقيل: بنتُ خُوَيلدٍ.

وقيل: ثعلبةُ وخُوَيلدٌ، أحدُهما أبوها، والآخَرُ جدُّها.

وزوجُها: أوسُ بنُ الصَّامتِ، أخو عبادةَ بنِ الصَّامتِ.

---

(١) «اثنان وعشرون آية»: ليس في (ف).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٨٧)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٢٤١).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٨٧)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٢٤١).

وقيل: نزلَتْ في سلمةَ بنِ صخرٍ وامرأةٍ له. والصَّحيحُ الأوَّلُ.

وكان أوسُ بنُ الصَّامتِ رجلًا فيه سرعةٌ ولَـمَمٌ، فغضبَ ذاتَ يومٍ عليها، وقال لها: أنتِ عليَّ كظهرِ أمِّي، وكانَ ذلك أوَّلَ ظِهارٍ في الإسلامِ، وكان طلاقُ الجاهليّةِ الظِّهارَ والإيلاءَ.

ثمَّ ندِمَ على ما قالَ، فقالَ لها: ما أظُنُّكِ إلّا حَرُمْتِ عليَّ، قالت: لا تقُلْ ذاك، وَأْتِ رسولَ الله ﷺ فسَلْه، فقال: إنِّي أجِدُني أستحيي منه أن أسألَه عن هذا، قالت: فدَعْني أسأَلْه، قال: سليه.

فـأتتِ النَّبيَّ علـيه السَّلامُ وعائـشةُ رضـي الله عنها تغسلُ رأسَه، فقالت: يا رسولَ الله، إنَّ زوجي أوسَ بنَ الصّامتِ تزوَّجَني وأنا شابّةٌ غنيّةٌ ذاتُ مالٍ وأهلٍ، حتَّى إذا أكلَ مالي وأفنَى شبابي، ونفضْتُ[١] له بطني، وتفرَّقَ أهلي، وكبِرَتْ سِنِّي، ظاهرَ منِّي، فقال عليه السَّلامُ: «حرُمْتِ عليه»، فقالت: أشكو إلى الله فَقري وفاقَتي وضَعْفي ووحدَتي، وصِبيةً صِغارًا، إنْ ضمَمْتُهم إليه ضاعُوا، وإنْ ضمَمْتُهم إليَّ جاعُوا، فقال عليه السَّلامُ: «ما أراكِ إلّا حرُمْتِ عليه»، فجعلَتْ ترفعُ صوتَها وتقولُ: اللهُمَّ إنِّي أشكو إليكَ، فأنزلَ اللهُ تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ﴾ الآيات، فدَعا أوسَ بنَ الصّامتِ فتلا عليه: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ﴾، وحُكمَ الظِّهارِ، وبيانَ الكفّارةِ[٢].

---

(١) في (ن): «ونقضت».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ١٢٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وذكره مقاتل في «تفسيره» (٤/ ٢٥٧)، والزجاج في «معاني القرآن» (٥/ ١٣٣)، والواحدي في «البسيط» (٢١/ ٣٢٦)، وروى الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٤٦ ـ ٤٥١) في هذا المعنى روايات عن ابن عباس وقتادة وأبي العالية ومحمد بن كعب القرظي، أقربها إلى لفظ المصنف ما رواه عن محمد بن كعب، وروى بعضه ابن ماجه (٢٠٦٣) عن عائشة رضي الله عنها.

قالت عائشةُ رضي الله عنها: تبارَكَ الله، وسِعَ سمعُه كلَّ شيءٍ، إنِّي لأسمعُ كلامَ خولةَ وخفِيَ عليَّ بعضُه وهي تُحاوِرُ رسولَ الله ﷺ، فما برِحَتْ حتَّى جاءَ جبريلُ بهذه الآياتِ[(١)].

فقال له رسولُ الله ﷺ: «أعتِقْ رقبةً»، قال: ما لي بذاك يدانِ، قال: «فصُمْ شهرَينِ مُتَتابعَينِ»، قال: أمَا إنِّي إذا أخطأ أن آكُلَ في اليومِ مرَّتَينِ كَلَّ بصرِي، قال: «فأطعِمْ ستِّينَ مِسكينًا»، قال: لا أجِدُ إلّا أن تُعينَني منكَ بعونٍ وصلةٍ، فأعانَه رسولُ الله ﷺ بخمسةَ عشرَ صاعًا، حتَّى جمعَ الله له، وكانوا يرَونَ أنَّ عندَه مثلَها، وذلك لستِّين مسكينًا[(٢)].

قولُه: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ﴾ وفي بعضِ المصاحفِ: (قد يسمَعُ الله)[(٣)].

﴿قَوْلَ ٱلَّتِي﴾؛ أي: المرأةِ التي ﴿تُجَـٰدِلُكَ﴾: تُخاصِمُكَ ﴿فِى زَوْجِهَا﴾: في أمرِ زوجِها، فحُذِفَ المُضافُ.

﴿وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾: تُظهِرُ ما بها منَ المكروهِ، والاشتِكاءُ: إظهارُ ما بالإنسانِ منَ المكروهِ، والشَّكوَى: إظهارُ ما يصنعُه به غيرُه.

﴿وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾: مُراجعَتَكما الكلامَ، من (حارَ): إذا رجعَ، وليس هذا تكرارًا؛ لأنَّ الأوَّلَ لِمَا حكَتْه من زَوجِها، والثَّانيَ لِمَا كانَ يجري بينَها وبينَ رسولِ الله، ولأنَّ الأوَّلَ ماضٍ، والثَّانيَ مُستقبلٌ.

---

(١) رواه النسائي (٣٤٦٠)، وابن ماجه (١٨٨)، وذكره البخاري معلقًا قبل حديث: (٧٣٨٦).

(٢) روى نحوه أبو داود (٢٢١٤) عن خويلة بنت مالك بن ثعلبة، وذكر عدة روايات أخرى (٢٢١٥ ـ ٢٢١٨)، ورواه الدارقطني في «سننه» (٤/ ٤٨٨)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٠٩) عن أنس رضي الله عنه.

(٣) نسب لمصحف عبد الله. انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٣٨)، و«إعراب القراءات السبع» لابن خالويه (ص: ٤٣٦).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لكلامِها ﴿بَصِيرٌ﴾ بحالِـها.

* * *

(٢) ـ ﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدْنَهُمْۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ﴾ هذا فعلٌ مُشتَقٌّ من اسمٍ، نحوَ ما تقولُ: رأستُه، وبطَنْتُه، ورجَلتُه، وكذلك (ظاهَرَ)؛ أي: قال لها: أنتِ عليَّ كظهرِ أمِّي.

وقيل: هو منَ الظَّهرِ الذي يُذْكرُ والمُرادُ به المركوبُ؛ أي: حرُمَ عليَّ ركوبُكِ كما حرُمَ عليَّ رُكوبُ أمِّي.

وقيل: هو منَ الظَّهرِ الذي هو العلوُّ والغلبةُ، من قولِه: ﴿فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ﴾ [الصف: ١٤]؛ أي: عُلوِّي عليكِ حرامٌ كعُلوِّي على أُمِّي.

وهذانِ الوجهانِ أولى منَ الأوَّلِ؛ ليدخُلَ فيه البطنُ والفخِذُ والفرجُ وغيرُها.

وفيه لغاتٌ: ظاهرَ وتظاهرَ وتظهَّرَ واظَّاهرَ واظَّهَّرَ، وبكلٍّ قُرِئَ(١).

﴿مِنكُم﴾؛ أي: حكمُ الظِّهارِ بين المسلمينَ دونَ غيرِهم.

﴿مِّن نِّسَآئِهِم﴾: زوجاتِهم.

﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ﴾؛ أي: لـم يجعلِ الأزواجَ كالأمَّهاتِ في شيءٍ منَ الأحكامِ.

﴿إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾: ما أمَّهاتُهم ﴿إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدْنَهُمْ﴾: خرَجُوا من بُطونِهنَّ.

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع: ﴿يَظَّهَّرون﴾ بفتح الياء وتشديد الظاء من غير الألف من: اظَّهَّر، بمعنى: تَظَهَّر، وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائيُّ: ﴿يظَّاهَرون﴾ بتشديد الظاء وزيادة الألف بفتح الياء من: اظَّاهرَ، بمعنى: تَظَاهَرَ، وقرأ عاصم: ﴿يُظَٰهِرُونَ﴾ من: ظَاهَر. انظر: «السبعة» (ص: ٦٢٨)، و«التيسير» (ص: ٢٠٨).

﴿وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ﴾ بالظِّهارِ ﴿مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ﴾: لا يُعرَفُ ﴿وَزُورًا﴾: كذِبًا.

﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ﴾ لِمَا مضَى ﴿غَفُورٌ﴾: لـمَنْ تاب.

***

(٣) - ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ﴾ بيَّنَ في الآيةِ الأولى أنَّ[1] ذلك من قائليه مُنكَرٌ وزورٌ، وبيَّنَ في الثّانيةِ حكمَ مَن قالَ ذلك، ولـم يقُلْ: «منكم» في هذه الآيةِ؛ لأنَّه بيانٌ للأوَّلِ.

﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾ حملَه بعضُهم على معنى القولِ، وبعضُهم على عينِ القولِ.

فمَن حملَه على معنى القولِ قالوا: تقديرُه: يعودون لنَقْضِ ما قالوا وإفسادِه.

وقيل: يعودُونَ إلى ما قالوا وفيما قالوا منَ التَّحريمِ.

وقيل: يرجِعُونَ عمَّا قالوا.

ثمَّ اختلَفُوا على ثلاثةِ أقوالٍ:

أحدُها: أنَّ العودَ إنَّما يكونُ بالعزمِ على الوَطْءِ، فيلزمُه الكفَّارةُ بالعزمِ.

والثّاني: أنَّ العودَ يكونُ بالإمساكِ، ويلزَمُه الكفَّارةُ بالإمساكِ.

والثّالثُ: أنَّ العودَ يكونُ بالوَطْءِ، فيلزَمُه الكفَّارةُ بالوطءِ.

ومَن حملَه على ظاهرِ القولِ وعينِه اختلَفُوا على قولَينِ:

أحدُهما: أنَّ العودَ إنَّما يكونُ بتكرارِ اللَّفظِ، وهو أن يقولَ: أنتِ عليَّ كظهرِ أمِّي، أنتِ عليَّ كظهرِ أمِّي، فإذا قالَـها مرَّتَينِ صارَ مُظاهِرًا، ولزِمَه الكفَّارةُ لتكرارِه اللَّفظَ.

---

(١) أُلحقت في هامش (ن): «ما» قبل «أنَّ»، وعدم الإلحاق أولى.

والثّاني: أنَّهم كانوا في الجاهليّةِ يقولونَ للنِّساءِ إذا أرادوا الطَّلاقَ: أنتِ عليَّ كظهرِ أمِّي، فإذا عادَ في الإسلامِ إلى مثلِ ذلك القولِ لزِمَه الكفَّارةُ، فعلى هذا يلزمُه الكفَّارةُ بمُجرَّدِ الظِّهارِ.

الأخفشُ: تقديرُ الآيةِ: الذينَ يُظاهِرونَ من نسائِهم فتحريرُ رقبةٍ لِـمَا قالوا، ثمَّ يعودُونَ[1].

أبو عليٍّ: (ما قالوا) في تقديرِ مصدرٍ وقعَ موقعَ المفعولِ؛ أي: يعودونَ في القولِ فيه[2].

ابنُ بحرٍ: الظِّهارُ يمينٌ يلزَمُه الكفَّارةُ بالحِنثِ[3]. واللهُ أعلَمُ.

﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾؛ أي: فعليه إعتاقُ رقبةٍ ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا﴾: يُجامعَها.

وقيل: عنَى به كلَّ أنواع المسيسِ[4]؛ لأنَّ اللَّفظَ عامٌّ.

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ إشارةٌ إلى الكفَّارةِ ﴿تُوعَظُونَ بِهِۦ﴾ فلا تأتونَ ما هو مُنكرٌ وزورٌ، ولا تُطلِّقونَ إلا على الوجهِ المشروعِ ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

* * *

(١) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٥٣٧)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ٢٤٨)، و«الحجة» لأبي علي الفارسي (٢/ ١٣٩)، و«البسيط» للواحدي (٢١/ ٣٣٤) واللفظ له، وهو معنى كلام الأخفش كما أشار أبو علي في «الحجة» (٢/ ١٤٢).

(٢) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٢/ ١٤٠)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٩٢)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٩٢)، وعده من العجائب.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٩٢)، واستغربه.

(٤) ـ ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾؛ أي: الرَّقبةَ ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ﴾؛ أي: فعلَيه صيامُ شهرَينِ ﴿مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا﴾ فإنْ أفطرَ بينَهما لغيرِ عذرٍ فعلَيه الاستئنافُ، وإنْ أفطرَ لعُذرٍ ففيه خلافٌ.

﴿فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ﴾؛ أي: الصَّومَ ﴿فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾؛ أي: فعليه إطعامُ ستِّينَ مسكينًا، لكلِّ مسكينٍ مُدٌّ، وقيل: نصفُ صاعٍ.

وجوَّزَ بعضُهم في الإطعامِ أن يكونَ بعد أن يتماسَّا[1]؛ لأنَّه لـم يُشترَطْ في الآيةِ كما اشتُرِطَ مع الرَّقبةِ ومع الصَّومِ.

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى الصَّومِ والإطعامِ، وقيل: يعودُ إلى الكلِّ.

﴿لِتُؤْمِنُوا﴾؛ أي: فُرِضَ ذلك لتؤمِنُوا ﴿بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾، ولا تستعمِلُوا أحكامَ الجاهليّةِ.

﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾: أوامرُه ونواهيه ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

* * *

(٥) ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: يُعادُونَ ويُخالفونَ، وأصلُه عندَ النُّحاةِ منَ (الحدِّ)؛ أي: يصيرونَ في حدٍّ غيرِ حدِّه، وكذلك (يُشاقُّونَ الله) و(يُعادُونَ) منَ (الشِّقِّ) و(عُدوةِ الوادي)، وقد سبقَ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٩٢)، واستغربه.

ابنُ جريرٍ: يُخالفونَ في حدودِ الله وفرائضِه فيضَعونَ حدودًا غيرَ حدودِه(١).

ابنُ بحرٍ: ﴿يُحَآدُّونَ﴾: يُفاعِلُونَ منَ الحديدِ؛ أي: يُقاتلونَ(٢).

﴿كُبِتُواْ﴾: أُخِّروا، وقيل: أُهلِكُوا وأُذِلُّوا. وقيل: كُسِروا.

وقيل: بمعنى: كُبُّوا على وُجوهِهم.

النَّقَّاشُ: أصلُه: كُبِدُوا؛ أي: أُصيبُوا في أكبادِهم، قُلِبَ الدَّالُ تاءً(٣).

﴿كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾: كفارُ الأممِ الخاليةِ.

وقيل: يومَ بدرٍ.

﴿وَقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ﴾ قيل: هي القرآنُ.

وقيل: مُعجِزاتُ النَّبيِّ ﷺ.

وقيل: الدَّلالاتُ العقليَّاتُ.

قال صاحبُ «النَّظمِ»: تقديرُه: آياتٍ في المُحادِّين؛ ليكونَ بينَهما اتِّصالٌ.

﴿وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾؛ أي: النَّارُ.

* * *

(٦) - ﴿يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ أَحۡصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾.

﴿يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ﴾؛ أي: يُجازَون يومَ يبعثهم(٤) ﴿ٱللَّهُ جَمِيعٗا﴾ منَ الأرضِ.

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢٢/ ٤٦٦).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٩٣)، واستغربه.

(٣) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٤/ ٢٤٩) عن بعض أهل اللغة، وذكره مكي بن أبي طالب في «الهداية» (٧٣٥٨) عن أبي عبيدة.

(٤) في (ن): «أي يجازون بالعذاب».

﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ﴾ تقريرًا على ما يستحِقُّونَ.

﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ﴾؛ أي: أحصى ما عمِلُوا إحصاءَ عددٍ وإحاطةٍ به.

﴿وَنَسُوهُ﴾ لكثرتِه وطُولِ الزَّمانِ.

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ لا يغيبُ عنه شيءٌ.

وقيل: يشهدُ عليهم فلا يستطيعونَ ردَّها دفعًا وإنكارًا.

* * *

(٧) - ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ﴾: ألم تعلَمْ؟

وقيل: ترَ رُؤيةَ العينِ؛ أي: ألـم ترَ الدَّلائلَ على أنَّه عالِمٌ؟

وقيل: معناه: تنبَّهْ.

﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ﴾: مـا يقـعُ ﴿مِن نَّجْوَىٰ﴾: مـن مُناجـاةِ ﴿ثَلَٰثَةٍ﴾ النَّجـوَى: السَّـرائرُ، مصدرٌ على وزنِ (فَعْلَى) مُشـتقٌّ مـنَ النَّجوةِ، وهـي الارتفاعُ؛ لبُعـدِ الحاضريـنَ عنها.

ابنُ سماعةَ: لا يكونُ إلّا بينَ ثلاثةٍ، حكاه أقضَى القُضاةِ[1].

---

(١) انظر: «النكت والعيون» للماوردي (٥/ ٤٩٠)، وتصحف اسم (ابن سماعة) في المطبوع منه إلى (سراقة)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٩٣)، وعده من العجائب. وابنُ سَمَاعةَ هو قاضي بغداد، العلّامةُ أبو عبد الله محمدُ بنُ سماعةَ بنِ عُبيد الله التَّيْمِيُّ الكوفيُّ، صاحبُ أبي يوسف ومحمد، حَدَّث عن: الليثِ والمسيَّبِ بن شَرِيكٍ وصنَّف التصانيفَ. وقال عنه ابن مَعين: لو =

النقَّاشُ: النَّجوَى: الكلامُ يكونُ بينَ القليلِ والكثيرِ.

وقيل: النَّجوَى: المُتَناجُونَ، كقولِه: ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ﴾، و﴿ثَلَٰثَةٍ﴾ بدلٌ[1]، ويجوزُ أن يكونَ مضافًا إليه.

﴿إِلَّا هُوَ﴾: إلا اللهُ ﴿رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾، الرّابعُ هاهنا اسمٌ للفاعلِ، وكذلك السَّادِسُ.

وأمَّا رابعُ أربعةٍ، وخامسُ خمسةٍ، وسادسُ ستَّةٍ؛ فأسماءٌ بمعنَى: واحدٌ من أربعةٍ.

ويجوزُ في الأوَّلِ التَّنوينُ ونصبُ ما بعدَه، ولا يجوزُ في الثّاني.

﴿وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ﴾؛ أي: ولا أقلَّ منَ الثَّلاثةِ ﴿وَلَآ أَكْثَرَ﴾ أي: منَ الخمسةِ.

﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾ يعلمُ ما يأتُونَ كما يعلَمُ مَن هو معَهم.

﴿أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾ منَ السَّماءِ والأرضِ.

﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: يُخبِرُهم فيُجازيهم عليه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾.

* * *

(٨) - ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ﴾ في سببِ النُّزولِ: قال ابنُ عبّاسٍ ومجاهدٌ: نزلَتْ

= أن المحدِّثين يَصدُقُون في الحديث كما يَصْدُقُ ابنُ سماعةَ في الفقه لكانوا فيه على نهايةٍ. توفي سنة (٢٣٣هـ)، وقد تجاوز المئة. انظر: «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٦٤٦).

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٩٣)، واستغربه.

في اليهودِ والمُنافقينَ، كانوا يتناجَونَ فيما بينَهم وينظُرونَ إلى المؤمنين، ويتغامَزُونَ بأعيُنِهم، فإذا رأى المُؤمنونَ ذلك قالوا: ما نَراهُم إلّا وقد بلَغَهم عن إخوانِنا وأقربائِنا الذين خرَجُوا في السَّرايا قتلٌ أو مُصيبةٌ أو هزيمةٌ، فيقعُ ذلك في قلوبِهم ويُحزِنُهم، فلمَّا طالَ ذلك شكَوا إلى رسولِ الله، فأمرَهُم أنْ لا يتناجَوا دونَ المسلمينَ، فلم ينتهُوا وعادوا إلى مُناجاتِهم، فأنزَلَ الله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ﴾[١].

﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ لأنَّ المسلمينَ كانوا يحزَنُونَ ويخافُونَ من ذلك، فكان ذلك إثمًا وعُدوانًا منهم.

﴿وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ﴾؛ أي: وبما يصيرُونَ عاصينَ للرَّسولِ؛ إذ كانَ نهاهُم عن ذلك.

﴿يتناجَونَ﴾ و﴿يَنْتَجونَ﴾[٢] بمعنًى، نحو: تعاوَنُوا واعتَوَنُوا.

﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾ يريدُ: اليهودَ؛ فإنَّهم كانوا إذا دخلوا على رسولِ الله ﷺ قالوا: السَّامُ عليك، وكانَ ﷺ يقولُ لهم: «وعليكم»، فسمِعَتْ عائشةُ رضي الله عنها يومًا، فقالَتْ: عليكم السَّامُ والذَّامُ، فقالَ عليه السَّلامُ: «يا عائشةُ، إنَّ الله يُحِبُّ الرِّفقَ، ويكرَهُ الفُحْشَ والتَّفحُّشَ»، فقالت: يا رسولَ الله، ألستَ ترى ما يقولون؟ فقالَ رسولُ الله ﷺ: «ألستِ تَرينَ ما أردُّ عليهم؟» ثمَّ قال: «إذا سلَّمَ عليكم كتابيٌّ فقولوا: وعليكَ»؛ أي: عليكَ ما قُلتَ، فنزلَتْ هذه الآيةُ[٣].

---

(١) ذكره عن ابن عباس ومجاهد الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤١٠)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ١٣٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وروى الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٦٩) عن مجاهد في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ﴾ قال: اليهود.

(٢) قرأ حمزة (وينْتَجون) بغيرِ ألف، والباقون ﴿وَيَتَنَاجَوْنَ﴾ بألف. انظر: «السبعة» (ص: ٦٢٨).

(٣) جمع المصنف بين حديثين:

الأول: ما رواه البخاري (٦٠٣٠) واللفظ له، ومسلم (٢١٦٥) عن عائشة رضي الله عنها أن يهود =

قال المُفسِّرونَ: السّامُ: الموتُ.

وقيل: السَّيفُ.

وقيل: معناه: ستَسأَمُونَ دينكم.

ابنُ بحرٍ: كانوا يُحيُّونَه بتحيَّةِ الجاهليّةِ: أنعِمْ صباحًا، وأمثالِه، واللهُ أمرَ بالتَّسليمِ عليه والصَّلاةِ.

وقيل: السّامُ: الموتُ بلغةِ اليهودِ، وهي في لغةِ العربِ: عُروقُ الذَّهبِ والفِضّةِ.

ويحتمِلُ أنَّهم كانوا يقولونَ لعنَهم الله: السَّامُّ ـ بالتَّشديدِ ـ من (سَمِّ الموتِ).

﴿وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمۡ لَوۡلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾؛ أي: يقولونَ فيما بينَهم: لو كان نبيًّا لعاقَبَنا الله بما نقولُ.

وقيل: لو كانَ محمَّدٌ نبيًّا لاستُجيبَ دُعاؤُه علينا بقولِه: «وعليكم».

فقالَ الله: ﴿حَسۡبُهُمۡ جَهَنَّمُ﴾؛ أي: فيما أُعدَّ لهم في الآخرةِ كفايةٌ عن عذابِ الدُّنيا ﴿يَصۡلَوۡنَهَا﴾: يدخُلونها ويلزَمُونَها ﴿فَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾: المرجعُ جهنَّمُ.

ثمَّ خاطبَ المُؤمنينَ فقالَ:

= أتوا النبي ﷺ فقالوا: السام عليكم، فقالت عائشة: عليكم، ولعنكم الله، وغضب الله عليكم. قال: «مهلاً يا عائشة، عليك بالرفق، وإياك والعنف والفحش» قالت: أولم تسمع ما قالوا؟ قال: «أولم تسمعي ما قلت؟ رددت عليهم، فيستجاب لي فيهم، ولا يستجاب لهم فيَّ».

والثاني: ما رواه البخاري (٦٩٢٦)، والترمذي (٣٣٠١) واللفظ له عن أنس رضي الله عنه: أن يهوديًا أتى على النبي ﷺ وأصحابه فقال: السام عليكم، فرد عليه القوم، فقال نبي الله ﷺ: «هل تدرون ما قال هذا؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، سلَّم يا نبي الله. قال: «لا، ولكنه قال كذا وكذا، ردوه عليَّ»، فردوه قال: «قلت: السام عليكم؟» قال: نعم. قال نبي الله ﷺ عند ذلك: « إذا سلم عليكم أحد من أهل الكتاب فقولوا: عليك ما قلت»، قال: ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوۡكَ بِمَا لَمۡ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾.

ورواه مسلم (٢١٦٤) عن ابن عمر رضي الله عنه بلفظ قريب.

(٩) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيۡتُمۡ فَلَا تَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيۡتُمۡ فَلَا تَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ﴾ فِعْلَ المُنافقينَ واليهودِ ﴿وَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰ﴾: بالطّاعةِ والخيرِ، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ﴾؛ أي: إلى جزائِه ﴿تُحۡشَرُونَ﴾.

وقيل: هذا خطابٌ للمُنافقينَ، يُريدُ: يا أيُّها الذينَ آمَنُوا في الظّاهرِ.

***

(١٠) ـ ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيۡسَ بِضَآرِّهِمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾.

﴿إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾؛ أي: النَّجوَى بالإثمِ والعُدوانِ من فعلِ الشَّيطانِ ﴿لِيَحۡزُنَ﴾ قيل: الشَّيطانُ. وقيل: النَّجوى[1].

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بما يتوهَّمُونَه أنَّه لوقوعِ[2] بليَّةٍ ومُصيبةٍ.

﴿وَلَيۡسَ﴾ الشَّيطانُ أو النَّجوَى ﴿بِضَآرِّهِمۡ﴾؛ أي: المُؤمنين ﴿شَيۡـًٔا إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾: بعلمِه وقضائِه وقَدَرِه.

وقيل: لا يضرُّهم شيئًا إلّا ما أرادَ الله.

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾: فلْيُفوِّضُوا أمورَهم إليه، ولْيثِقُوا به.

ابنُ بحرٍ: أمرَ الله بالتَّوكُّلِ، ومَن لم يتوكَّلْ عليه فقد أذِنَ الله أن يَحْزنَ عقوبةً له.

---

(١) في (ف) زيادة: «ليحزن».

(٢) في (ف): «كوقوع».

وقيل في معنى قولِه: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾: هو أحلامُ النَّومِ التي يراها الإنسانُ في نومِه فتُحزِنُه(١).

***

(١١) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ﴾ في سببِ النُّزولِ: عن المُقاتِلَين(٢): كانَ النَّبيُّ ﷺ في الصُّفَّةِ، وفي المكانِ ضِيقٌ، وكان يومَ جمعةٍ، فجاء ناسٌ من أهلِ بدرٍ، وقد سُبِقُوا إلى المجلسِ، فقامُوا حيالَ رسولِ الله ﷺ على أرجُلِهم ينتَظِرونَ أن يُوسَّعَ لهم، فلم يفسَحُوا لهم، وشقَّ ذلك على رسولِ الله؛ لأنَّه كانَ يُكرِمُ أهلَ بدرٍ منَ المهاجِرينَ والأنصارِ، فقال لمَن حولَه من غيرِ أهلِ بدرٍ: «قُمْ يا فُلانُ، وأنتَ يا فُلانُ»، فأقامَ منَ المجلسِ بقَدْرِ القومِ الذين قامُوا بينَ يدَيه من أهلِ بدرٍ، فشقَّ ذلك على مَن أُقيمَ من مجلِسِه، وعرفَ رسولُ الله ﷺ الكراهةَ في وُجوهِهم، وقال المُنافقونَ للمُسلمينَ: ألستُمْ تزعُمونَ أنَّ صاحبَكُم يعدلُ بينَ النّاسِ؟ فوالله ما عدَلَ على هؤلاءِ القومِ، أخذُوا مجالسَهم، وأحبُّوا القُربَ من نبيِّهم، فأقامَهم وأجلَسَ مَن أبطأ عنهم مكانَهم، فأنزلَ الله تعالى هذه الآيةَ(٣).

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٩٤)، وعده من العجائب.

(٢) في هامش (ن): «مقاتل بن سليمان ومقاتل بن حيان».

(٣) انظر: «تفسير مقاتل بن سليمان» (٤/ ٢٦٢)، وذكره أبو حفص النسفي في «التيسير في التفسير» عند هذه الآية عن مقاتل بن حيان، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤١٢) عن مقاتل ولم يعيِّن.

الكلبيُّ عن أبي صالحٍ عن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّها نزلَتْ في ثابتِ بنِ قيسٍ، وقد سبقَ في سورةِ (الحجُراتِ)[١].

مجاهدٌ: هذا في مجلسِ النَّبيِّ خاصّةً[٢].

وقيل: عامٌّ في مجالسِ الخيرِ كلِّها.

الحسنُ: ذلك في الغَزْوِ[٣].

﴿فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ ذلك المجلسَ بإزالةِ وحشةِ التَّضايقِ وتطييبِ النُّفوسِ به.

وقيل: ﴿يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ في الجنّةِ.

وقيل: ﴿يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ في القبرِ.

وقيل: ﴿يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾[٤] بأن يخلُقَ هناك سعةً تسعُكم.

﴿وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ﴾: ارتفعُوا في المجلسِ.

وقيل: ذلك عند النُّهوضِ منَ المجلسِ، ومعناه: قومُوا.

وقيل: هو عندَ الدُّعاءِ إلى كلِّ خيرٍ.

وقيل: هو الصَّلاةُ.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٤/ ٣٩٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٧٦)، وراه عبد بن حميد وابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٨/ ٨١).

(٣) رواه عبد بن حميد كما في «الدر المنثور» (٨/ ٨١)، وذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٩/ ٥٧٢)، والسمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٤١٧)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٩٢).

(٤) «وقيل يفسح الله لكم»: ليس في (ف).

وقيل: ذلك عندَ القتالِ مع رسولِ الله ﷺ خاصّةً.

﴿فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖ﴾ ذهبَ بعضُهم إلى أنَّ الدَّرجاتِ لأُولي العلمِ خاصَّةً؛ أي: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ﴾ ويرفعِ الذين أوتوا العلمَ درجاتٍ.

ورَوَى الزَّجَّاجُ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «عبادةُ العالـمِ يومًا تعدِلُ عبادةَ العابدِ أربعينَ سنةً»[١].

وقيل: تقديرُه: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ﴾ لإيمانِه وطاعتِه درجةً ومنزلةً، ويرفعِ الذين أوتُوا العلمَ منَ المُؤمنينَ على مَن ليس بعالـمٍ درجاتٍ.

وفي الدَّرجاتِ قولانِ:

أحدُهما: في الدُّنيا بالمرتبةِ والشَّرفِ والقُربِ منَ النَّبيِّ عليه السَّلامُ؛ ليتبيَّنَ أهلُ العلمِ والحلمِ والنُّهَى من غيرِهم.

وقيل: الدَّرجاتُ في الجنّةِ.

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ فيه تهديدٌ؛ أي: امتَثِلُوا أوامرَه ونواهيَه.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ١٣٩)، ولم أقف عليه مسندًا بهذا اللفظ، وروى ابن عدي في «الكامل» (٣/ ٥٠٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه: «فضل العالم على العابد سبعون درجة».
ورواه الدارقطني في «علله» (٩/ ٢٦٧) مرسلًا ومسندًا، وقال: «والمرسل أصح».
وفي فضل العالم على العابد أحاديث: منها: ما رواه أبو داود (٢٢٣) و(٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨١)، من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، وفيه: «وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب».
وروى نحوه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (٩٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: «فضل المؤمن العالم على المؤمن العابد سبعون درجة».

(١٢) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ﴾ في سببِ النُّزولِ: قال مقاتلُ بنُ حيّانَ: نزلَتِ الآيةُ في الأغنياءِ، وذلك أنَّهم كانُوا يأتونَ النَّبيَّ ﷺ فيُكثِرونَ مُناجاتِه ويغلبونَ على المجالسِ، حتَّى كرِهَ رسولُ الله ﷺ ذلك من طولِ جُلوسِهم ومُناجاتِهم، فأنزَلَ الله هذه الآيَةَ، وأمرَ بالصَّدقةِ عندَ المُناجاةِ، فأمَّا أهلُ العسرةِ فلم يجِدُوا شيئًا، وأمَّا أهلُ الميسرةِ فبخِلُوا، واشتدَّ ذلك على أصحابِ النَّبيِّ ﷺ، فنزلَتِ الرُّخصةُ[1].

قالَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه: إنَّ في كتابِ الله لآيةً ما عمِلَ بها أحدٌ قبلي ولا يعملُ بها أحدٌ بعدي: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ﴾، كان لي دينارٌ فبِعتُه بدراهمَ، وكنتُ إذا ناجَيتُ الرَّسولَ تصدَّقتُ بدرهمٍ حتَّى نَفِدَ، فنُسِخَتْ بالآيةِ الأُخرَى: ﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ﴾[2].

وعن عليٍّ رضي الله عنه أيضًا قال: لمَّا نزلَتْ هذه الآيةُ دَعاني رسولُ الله ﷺ فقالَ لي: «ما ترَى؟ ترَى دينارًا؟» قلتُ: لا يُطيقُونَه، قال: «كم؟» قلتُ: حبَّةً أو شعيرةً، قال لي: «إنَّكَ لزَهيدٌ»[3]، فنزلَتِ الآيةُ الثَّانيةُ[4].

---

(١) ذكره مقاتل بن سليمان في «تفسيره» (٤/ ٢٦٣)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ١٥٤)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤١٣) عن مقاتل بن حيان، وكذا رواه ابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٨/ ٨٤).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣١٧٧)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٢١٢٥)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٨٣)، والحاكم في «المستدرك» (٣٧٩٤) وصححه.

(٣) في هامش (ن): «زهيد في القول؛ أي: قليل».

(٤) رواه الترمذي (٣٣٠٠)، وقال: «هذا حديث حسن غريب إنما نعرفه من هذا الوجه، ومعنى قوله شعيرة: يعني وزن شعيرة من ذهب».

قولُه: ﴿إِذَا نَـٰجَيۡتُمُ﴾؛ أي: إذا أردتُم أن تُناجُوا رسولَ الله ﴿فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ﴾: أعطُوا أمامَ مُناجاتِكم الفقراءَ ﴿صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: التَّصدُّق ﴿خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ منَ البُخلِ ﴿وَأَطۡهَرُۚ﴾ أي: لأنفُسِكُم وأزكَى لها.

﴿فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ﴾ ما تتصدَّقُونَه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ﴾ لمَن لا يجدُ ﴿رَّحِيمٌ﴾: رخَّصَ له في المُناجاةِ من غيرِ صدقةٍ يُقدِّمُها.

وقيل: إنْ لـم تجِدُوا فإنَّ الرُّخصةَ فيه كالمغفرةِ رحمةً منه لكم، فدلَّ بالصِّفةِ على هذا المعنى، قالَه ابنُ عيسى.

ثمَّ نُسِخَ؛ فقالَ بعضُهم: عملَ النّاسُ بهذا الفرضِ أيّامًا ثمَّ نُسِخَ.

وقيل: إنَّه كانَ ساعةً من نهارٍ ثمَّ نُسِخَ.

واتِّصالُه بالآيةِ لا يمنعُ من حصولِ التَّراخي.

* * *

(١٣) ـ ﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾.

﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖ﴾؛ أي: أخشيتُم الفقرَ والفاقةَ من هذه الصَّدقةِ وعصَيتُم الله بأنْ لـم تفعلُوا ما أمرَكُم به، ثمَّ قالَ:

﴿فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ﴾ مـن هـذه المعصيـةِ وأسـقطَ عنكـم هـذا الفرضَ ﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ المفروضـةَ في مالِكم؛ فإنَّ هذا لا يُوضَعُ عنكم بوجهٍ، ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾.

* * *

(١٤) ـ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا﴾ في «صحيحِ البخاريِّ» عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّ رسولَ الله ﷺ كانَ في ظلِّ حجرةٍ من حُجَرِه، وعندَه نفرٌ منَ المسلمينَ قد كادَ الظِّلُّ يَقلِصُ عنهم، فقال لهم: «إنَّه سيأتيكُم إنسانٌ ينظرُ إليكم بعينِ شيطانٍ، فإذا أتاكُم فلا تُكلِّمُوه»، فجاءَ عبدُ الله بنُ نَبْتَلٍ، وكانَ أزرقَ، فدَعاه رسولُ الله ﷺ فكلَّمَه، فقالَ: «علامَ تشتُمُني أنتَ وفلانٌ وفلانٌ»، نفرٌ سمَّاهم[1] بأسمائِهم، فانطلقَ فدَعاهم فحلَفُوا بالله واعتَذَرُوا إليه، فأنزَلَ الله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم﴾[2]؛ أي: يُوالونَ اليهودَ، وهم المغضوبُ عليهم.

﴿مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ﴾ كقولِه: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ [النساء: ١٤٣]، بل هم مُنافقونَ

---

(١) في (ف): «فسماهم».

(٢) لم أقف عليه في صحيح البخاري، والحديث ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ١٦٠) عن السدي ومقاتل.

وروى نحوه الإمام أحمد في «مسنده» (٢١٤٧) (٢٤٠٧) (٣٢٧٧)، والبزار في «مسنده» (٥٠١٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٣٠٧)، والحاكم في «المستدرك» (٣٧٩٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنه، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٢٢): «رواه أحمد والبزار، ورجال الجميع رجال الصحيح».

ولفظ الإمام أحمد: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ جالسًا في ظل حجرته فقال لأصحابه: «يجيئكم رجل ينظر إليكم بعين شيطان، فإذا رأيتموه فلا تكلموه»، فجاء رجل أزرق، فلمَّا رآه النبي ﷺ دعاه، فقال: «علامَ تشتمني أنت وأصحابك؟» قال: كما أنت حتى آتيك بهم، قال: فذهب، فجاء بهم، فجعلوا يحلفون بالله ما قالوا، وما فعلوا، وأنزل الله عز وجل: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ إلى آخر الآية.

﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ﴾ أنَّهم ليسوا مُنافقين ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنَّهم كاذبونَ[1] مُنافقونَ.

***

(١٥ ـ ١٦) ـ ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.

﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ﴾ الكاذبةَ ﴿جُنَّةً﴾: وقايةً دونَ دمائِهم وأموالِـهم ﴿فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: عن طاعتِه والإيمانِ به.

وقيل: صَدُّوا المؤمنينَ عن سبيلِ حُكمِه منَ القتلِ في أمثالِـهم الكفرةِ.

﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.

***

(١٧) ـ ﴿لَّن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

﴿لَّن تُغْنِىَ﴾: لن تدفعَ ﴿عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

***

(١٨) ـ ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾.

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ﴾: لله في الآخرةِ: إنَّهم كانوا مُخلِصينَ في الدُّنيا غيرَ مُنافقين ﴿كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ في الدُّنيا.

وقيل: هو قولُـهم: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣].

---

(١) في (ن): «يكذبون».

﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ﴾ في الدُّنيا ﴿عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾.

وقيل: ليس في القيامةِ كذبٌ، وإنَّهم يحلفُونَ أنَّهم لم يكونوا كفَّارًا عندَ أنفُسِهم.

الحسنُ: في مواطنَ يُدهَشُونَ فيكذبُونَ كما يكذبُ الصَّبيُّ، ثمَّ يعرفُونَ قُبحَ الكذبِ فيترُكونَ[1].

وقيل: هو من قولِه: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤]؛ أي: يتكلَّمونَ بمثلِ ما كانوا يتكلَّمونَ في الدُّنيا.

***

(١٩) - ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾.

﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: استولَى وغلَبَ، من قولِ العربِ: حُذْتُ الإبلَ وحُزْتُها؛ إذا استَولى عليها، ورجلٌ أحوذيٌّ: نافذٌ في الأمورِ، والاستِيحاذُ: الاستيلاءُ، وشذَّ عن القياسِ؛ لأنَّهم لم يستعمِلوهُ إلا بزيادةٍ.

﴿فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ﴾: الإيمانَ به، وقيل: الأمرَ والنَّهيَ.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾: جنودُه ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾.

***

(٢٠) - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ﴾: الأسفلين الصَّاغِرين في الدُّنيا بالقتلِ والسَّبْيِ، وفي الآخرةِ بالعذابِ والنَّارِ.

---

(١) في (ف): «فيقولون». والخبر ذكر الثعلبي نحوه في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٢).

(٢١) ـ ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِيٓ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِيٓ﴾: قضى وحكمَ.

وقيل: مضى حكمُه.

وقيل: أوجَبَ ذلك.

وقيل: كتَبَ الله في اللَّوحِ المحفوظِ أنَّ رُسلَه غالبونَ وأخبرَ به، فهو كذلك لا محالةَ.

ويحتمِلُ: أنَّ ﴿كَتَبَ اللَّهُ﴾ بمعنَى: أقسمَ، ولهذا وقعَ بعدَه اللّامُ ونونُ التَّأكيدِ، وهذا ظاهرٌ.

والمعنى: لأغلِبَنَّ أنا، وتَغلِبُ رُسُلي بالسَّيفِ والحجَّةِ.

﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ﴾ لا يمتنعُ عليه ما يُريدُ ﴿عَزِيزٌ﴾: غالبٌ غيرُ مغلوبٍ.

* * *

(٢٢) ـ ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوٓا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰٓئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾؛ أي: لا يُوادُّونَ أعداءَ الله ولو كانَ ذلك العدوُّ أقربَ النَّاسِ إليهم.

ابنُ جُرَيجٍ: نزَلَتْ في أبي بكرٍ؛ سبَّ أبو قُحافةَ رسولَ الله ﷺ فصكَّه[1] أبو بكرٍ صكَّةً شديدةً سقطَ منها، ثمَّ ذكرَ ذلك للنَّبيِّ عليه السَّلامُ، فقالَ: «أوَفعَلْتَه؟» قال:

---

(١) في هامش (ن): «أي: ضربه».

نعم، قال: «فلا تعُدْ إليه»، فقال أبو بكرٍ رضيَ الله عنه: والله لو كانَ السَّيفُ حاضرًا لضربتُه به(١).

وعن ابنِ مسعودٍ رضيَ الله عنه: أنَّها نزلَتْ في أبي عُبيدةَ بنِ الجرَّاحِ، قتلَ أباه يومَ أُحدٍ(٢).

وفي أبي بكرٍ دعا ابنَه يومَ بدرٍ إلى البرازِ، وقال: يا رسولَ الله، دَعْني أكُنْ في الرَّعْلةِ(٣) الأولى، فقال له رسولُ الله ﷺ: «متِّعْنا بنفسِكَ يا أبا بكرٍ، أما تعلَمُ أنَّكَ عندي بمنزلةِ سمعي وبصري».

وفي مصعبِ بنِ عُميرٍ قتلَ أخاه عُبيدَ بنَ عُمَيرٍ يومَ أحدٍ.

---

(١) رواه ابن المنذر في «تفسيره» كما في «الدر المنثور» (٨/ ٨٦)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ١٦٧)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٩٧)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤١٤). وإسناده ضعيف لإرساله.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ١٦٨)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤١٤)، قال الحافظ في «الكافي الشاف» (ص: ١٦٦): هو في «تفسير مقاتل بن حيّان» عن مرَّة الهمداني، عن عبد الله بن مسعود، وذكره الثعلبي عن تفسير مقاتل.

وذكره الواحدي في «البسيط» (٢١/ ٢٥٨) من طريق عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وكونه قتل أباه منظور فيه، فقد قال الواقدي كما ذكر الثعلبي: كذلك يقول أهل الشام، ولقد سألت رجالًا من بني الحارث بن فهر فقالوا: توفي أبوه من قبل الإسلام.

وكون ذلك يوم أحد ورد ما يخالفه، فقد روى الطبراني في «الكبير» (٣٦٠)، والحاكم في «المستدرك» (٥١٥٢)، عن عبد الله بنِ شَوْذَبٍ أن ذلك حدث يوم بدر، لكنه ضعيف لإرساله، وقال الحافظ في «التلخيص الحبير» (٤/ ١٠٢): «هذا معضل، وكان الواقدي ينكره...».

(٣) في هامش (ن): «أي: الجيش». والرعلة: القطعة من الفرسان، وجماعة الخيل. انظر: «غريب الحديث» لابن قتيبة (١/ ٤٨٣)، و«المنتخب» لكراع النمل (ص: ٢٩٠)، و«شرح كفاية المتحفظ» للفاسي (ص: ٢٩٩).

وفي عمرَ رضيَ الله عنه قتلَ خالَه العاصَ بنَ هشامٍ.

وفي عليٍّ وحمزةَ وعُبيدةَ قتلُوا عُتبةَ وشيبةَ ابنَي ربيعةَ والوليدَ بنَ عتبةَ يومَ بدرٍ(١).

وذلك قولُه: ﴿وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾، قيل: خرجَ مخرجَ المدحِ. وقيل: خرجَ مخرجَ النَّهيِ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾؛ أي: أثبتَه، فيكونُ ﴿فِى﴾ من صلةِ ﴿كَتَبَ﴾.

وقيل: كتَبَ في اللَّوحِ المحفوظِ في قلوبِهم الإيمانَ، فيكونُ مُتعلِّقًا بالإيمانِ، وفيه نظرٌ.

وقيل: حكمَ الله.

وقيل: حكمَ بذلك وأوجَبَ.

وقيل: قضى، و﴿فِى﴾ بمعنى: اللّامِ، والمُرادُ بالقلوبِ أصحابُها.

وقيل: كتبَ في قُلوبِهم علامةَ الإيمانِ، بخلافِ الطَّبعِ على القلبِ(٢).

﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ قيل: القرآنُ.

وقيل: جبريلُ.

وقيل: بنورِ القلبِ.

وقيل: بشرحِ الصُّدورِ.

---

(١) كل هذا ورد في خبر ابن مسعود رضي الله عنه المتقدم الذي رواه مقاتل وأورده الثعلبي والواحدي.

وخبر ابن عباس رضي الله عنها المتقدم أيضاً الذي ذكره الواحدي.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٩٥)، واستغربه.

وقيل: برحمةٍ منه.

﴿وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ﴾؛ أي: في الدُّنيا بطاعاتِهم ﴿وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾ في الآخرةِ بالجنّةِ والثَّوابِ.

وقيل: رضُوا عنه بما قضَى عليهم في الدُّنيا من غيرِ كراهةٍ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ﴾: أنصارُ حقِّه ودُعاةُ خلقِه ﴿أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾: الباقونَ في النَّعيمِ المُقيمِ.

والحمدُ لله حقَّ حمدِه[1].

***

(١) «والحمد لله حق حمده» من (ف).

سُورَةُ الحَشْرِ

أربعٌ وعشرونَ آيةً[1]، مدَنيَّةٌ بالإجماعِ.

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ سبَقَ أوَّلَ سورةِ (الحديدِ).

وفي سببِ النُّزولِ: أنَّ هذه السُّورةَ نزلَتْ بأسرِها في بني النَّضيرِ، وذلك أنَّ النَّبيَّ ﷺ لـمَّا قدِمَ المدينةَ صالحَه بنو النَّضيرِ على أن لا يُقاتِلوه ولا يُقاتِلوا معَه، وقبِلَ رسولُ الله ﷺ ذلك منهم، فلمَّا غزا رسولُ الله ﷺ بدرًا وظهرَ على المُشركين، قالَتْ بنو النَّضيرِ: إنَّه النَّبيُّ الذي وجَدْنا نعتَه في التَّوراةِ لا تُرَدُّ له رايةٌ، فلمَّا غزا أُحدًا وهُزِمَ المسلمونَ، نقَضُوا العهدَ، وأظهَرُوا العداوةَ لرسولِ الله ﷺ والمُؤمنينَ.

فحاصرَهُم رسولُ الله ﷺ، ثمَّ صالحَهم على الجلاءِ منَ المدينةِ، وعلى أنَّ لهم ما أقلَّتِ الإبلُ إلّا الحَلْقةَ، وهي السِّلاحُ ـ وفي روايةٍ: إلا السِّلاحَ والذَّهبَ والفِضَّةَ ـ

---

(١) في (ن): «تسع وعشرون آية»، وليس في (ف). والصواب المثبت، قال الداني في «البيان في عد آي القرآن» (ص: ٢٤٣): «وهي عشرون وأربع آيات في جميع العدَد ليس فيها اختلاف».

وكانوا يُخرِّبون بُيوتَهم فيأخُذونَ منها ما وافقَهم من خشَبِها، فأنزلَ الله: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾ حتَّى بلغَ ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1].

***

(٢) ـ ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا ۖ وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾.

﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ يعني: بني النَّضيرِ ﴿مِن دِيَارِهِمْ﴾ التي كانُوا فيها بأرضِ المدينةِ ﴿لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ قيل: اللَّامُ للعلَّةِ، والمعنى: أُخرِجُوا ليكونَ حشرُهم إلى الشَّامِ أوَّلَ الحشرِ.

وقيل: هو بمعنى: في.

واختلَفُوا في أوَّلِ الحشرِ:

قال ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: مَن شكَّ أنَّ المحشرَ بالشَّامِ فليقرَأْ هذه الآيةَ[2]، فهو الحشرُ الأوَّلُ، وسائرُ النَّاسِ الحشرُ الثّاني.

الحسنُ: قال لهم رسولُ الله ﷺ لـمَّا خرَجُوا: «امضُوا فإنَّكم أوَّلُ الحشرِ ونحنُ على الأثرِ»[3].

---

(١) انظر: «مغازي الواقدي» (١/ ٣٦٤ ـ ٣٧٦)، و«السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ١٩٠ ـ ١٩٣)، و«السيرة النبوية» لابن حبان (١/ ٢٣٤).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ١٨٥).

(٣) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٢/ ٤٥)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٩٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٤٥)، وهو مرسل.

قتادةُ: إذا كانَ آخرُ الزَّمانِ جاءَتْ نارٌ من قِبَلِ المشرقِ، فحشرَتِ النّاسَ إلى أرضِ الشّامِ، وبها تقومُ عليهم القيامةُ، وبنو النَّضيرِ لـمَّا حُشِروا إلى الشّامِ قبلَ سائرِ النّاسِ كانُوا أُخرِجُوا لأوَّلِ الحشرِ[١]، وإليه ذهبَ الزُّهريُّ[٢].

وذهبَ جماعةٌ إلى أنَّ المعنى: هم أوَّلُ مَن أُجلِيَ من جزيرةِ العربِ.

الخليلُ بنُ أحمدَ: مبدَؤُها من حَفْرِ أبي موسى إلى اليمنِ في الطُّولِ، ومِن رملِ يَبْرِيْنَ إلى مُنقطَعِ السَّماوةِ في العرضِ[٣].

وسُمِّيت جزيرةً لأنَّ بحرَ الحَبَشِ وبحرَ فارسَ ودجلةَ والفراتَ قد أحاطَتْ بها[٤].

وقيل: كانَ هذا أوَّلَ الحشرِ منَ المدينةِ، والحشرُ الثّاني من خيبرَ وجميعِ جزيرةِ العربِ إلى أذرعاتٍ وأريحا منَ الشّامِ في أيّامِ عمرَ رضي الله عنه، وعلى[٥] يدَيه، وذلك أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال في مرضِه: «لا يكونَنَّ في جزيرةِ العربِ دينانِ»[٦].

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢١/ ٣٦٤)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٩٧)، واستغربه. وروى الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٩٩) عن قتادة قال: «تجيء نار من مشرق الأرض، تحشر الناس إلى مغاربها، فتبيت معهم حيث باتوا، وتقيل معهم حيث قالوا، وتأكل من تخلف».

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣١٨٣)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٩٨) بلفظ: «كان جلاؤهم أول الحشر في الدنيا إلى الشام».

(٣) لم أقف عليه عن الخليل. وقاله أبو عبيد في «غريب الحديث» (٢/ ٦٧)، وابن قتيبة في «المعارف» (١/ ٥٦٦).

(٤) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» (٥/ ١٤٤) عن الخليل، وذكر القول السابق في تحديد الجزيرة عن أبي عبيدة، وكذا في «إكمال المعلم» (٨/ ٤٤٠)، و«المغني» لابن قدامة (١٣/ ٢٤٣).

(٥) في (ن): «فتح على».

(٦) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (٢/ ٨٩٢) عن ابن شهاب، وقال: قال ابن شهاب: ففحص عن =

وقال يمانٌ: إنَّما قالَ: أول الحشر لأنَّ الله فتحَ على نبيِّه أوَّلَ ما قاتلَهم. حكاه الثَّعلبيُّ[١].

ابنُ بحرٍ: الحشرُ والإخراجُ واحدٌ، لكنَّ الحشرَ لا يُقالُ إلّا في الكثيرِ[٢].

﴿مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا﴾ لعِزَّتهم ومنَعَتِهم.

﴿وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ﴾؛ أي: تمنعُهم ﴿حُصُونُهُم﴾ وارتفاعُها بكونِها فاعلةً لا بالابتداءِ.

﴿مِّنَ اللَّهِ﴾: من أمرِه وقضائِه. ويحتمِلُ: من رسولِ الله.

﴿فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾: أتاهُم أمرُه وعقابُه ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ بقتلِ كعبِ بنِ الأشرفِ، وقالَ ﷺ: «نُصِرْتُ بالرُّعبِ مسيرةَ شهرٍ»[٣].

﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ﴾ كانوا ينقُضونَ الدُّورَ المبنيَّةَ بالآجُرِّ ليرمُوا المؤمنينَ بالحجارةِ.

الزَّجَّاجُ: يُخربونَ ليسُدُّوا أبوابَ أزِقَّتِهم[٤].

وقيل: كانَ يُعجِبُهم البابُ أو الخشبةُ فيقلعُونَها ليحمِلُوها معَهم. وقد سبقَ.

= ذلك عمر بن الخطاب حتى أتاه الثلَج واليقين: أن رسول الله ﷺ قال: «لا يجتمع دينان في جزيرة العرب»، فأجلى يهود خيبر، ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٦٣٥١) من حديث عائشة رضي الله عنها، وروى البخاري (٣٠٥٣)، ومسلم (١٦٣٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول اللهِ ﷺ قال: «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب».

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢٦/ ١٨٧).

(٢) في (ف): «الكبير».

(٣) رواه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١)، عن جابر رضي الله عنه.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ١٤٤).

﴿وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ وكان المؤمنونَ يُخرِبُونَها ليتَّسِعَ لهم موضعُ القتالِ، وأضافَ التَّخريبَ بالأيدي إليهم لأنَّهم مكَّنُوهم وتسبَّبوا له.

وقيل ﴿بِأَيۡدِيهِمۡ﴾ لنقضِ العهدِ ﴿وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ بالقتالِ.

وقيل: ﴿بِأَيۡدِيهِمۡ﴾ في تركِها ﴿وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ في إجلائِهم.

والتَّخريبُ والإخرابُ بمعنًى، وهو الهدمُ والنَّقضُ.

وفرَّقَ أبو عمرٍو فقالَ: الإخرابُ: التَّعطيلُ، والتَّخريبُ: الهدمُ[1].

﴿فَٱعۡتَبِرُواْ﴾: اتَّعِظُوا، واعبُروا منَ الشَّكِّ إلى اليقينِ.

وقيل: معنى (اعتبِروا): تبيَّنُوا، واعتبَرْتُ[2] الشَّيءَ: طلبْتُ بيانَه، وعبَّرْتُ الدِّرهمَ: تعرَّفتُ[3] وزنَه.

﴿يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾: يا ذَوي العقولِ.

وقيل: يا مَن رأى ذلك بعينِه.

* * *

(٣) - ﴿وَلَوۡلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ﴾.

﴿وَلَوۡلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡجَلَآءَ﴾: الخروجَ منَ الوطنِ معَ الأهلِ والولدِ.

وقيل: الفناءَ. حكاه الماورديُّ[4].

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢٢/ ٥٠٣)، و«تفسير الثعلبي» (٢٦/ ١٨٩)، وقد قرأ أبو عمرو بالتشديد، والباقون بالتخفيف. انظر: «السبعة» (ص: ٦٣٢)، و«التيسير» (ص: ٢٠٩).

(٢) في (ن): «واعبرت».

(٣) في (ن): «فعرفت».

(٤) انظر: «النكت والعيون» (٥/ ٥٠٠)، وذكر المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٩٨) كون الجلاء بمعنى الهلاك، واستغربه.

﴿لَعَذَّبَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا﴾ بالقتلِ والسَّبْيِ.

﴿وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ﴾ استئنافُ كلامٍ، وليس بعطفٍ على جوابِ (لولا).

***

(٤) ـ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ أي: أصابَهم ذلك بسببِ أنهم ﴿شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ﴾: خالَفُوا الله ﴿وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ ينالُه العذابُ الأليمُ.

***

(٥) ـ ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾.

﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ﴾ في سببِ النُّزولِ: أنَّ رسولَ الله ﷺ أمرَ بقطعِ نخلِهم لـمَّا تحصَّنُوا، فجزِعُوا عندَ ذلك وقالوا: زعمْتَ أنَّك تُريدُ الصَّلاحَ، وقَطعُ الشَّجرةِ المُثمرةِ وعقرُ النَّخيلِ فسادٌ في الأرضِ، فأنزَلَ الله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ﴾[1].

﴿أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: بإذنِ الله قَطعُها وتركُها، أذِنَ لكم في ذلك وأمرَكُم به على لسانِ نبيِّكم، وما كان بأمرِه يكونُ صلاحًا لا فسادًا.

﴿وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾؛ أي: فعلتُم ذلك لأنَّ الله أذِنَ فيه، ﴿وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾: يُذِلَّهم ويفضَحَهم.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل بن سليمان» (٤/ ٢٧٧)، و«النكت والعيون» (٥/ ٥٠١)، ورواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٣٥٨) عن مقاتل بن حيان، وروى البخاري (٤٨٨٤)، ومسلم (١٧٤٦) عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ حرق نخل بني النضير وقطع، وهي البويرة، فأنزل الله عز وجل: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً﴾.

وقيل: ﴿وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾ أذِنَ فيه.

واللِّينةُ: النَّخلةُ، وجمعُها: ألوانٌ، من ألوانِ النَّخلِ، وأصلُه: لِوْنَةٌ، قُلبت ياءً لانكسارِ ما قبلَها.

وقيل: لينةٌ، من لانَ يلينُ، وجمعُها: أليانٌ، والأوَّلُ أصحُّ.

وقيلَ: اللِّينةُ: كرامُ النَّخلِ.

وقيل: البَرْنيُّ والعجوةُ لا يُسمَّيانِ لينةً، وما سِواهما لينةٌ.

***

(٦) ـ ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾: أعادَه عليه، والفَيءُ كالعودِ والرُّجوعِ يُستعملُ بمعنى المصيرِ وإنْ لم يتقدَّمْ ذلك.

قولُه: ﴿مِنْهُمْ﴾؛ أي: من مالِ بني النَّضيرِ.

وقيل: نُزِّلَ ما في أيدي المُشركين تنزيلَ شيءٍ غلبُوا[1] عليه، فردَّه الله على[2] المُسلمينَ.

﴿فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾: لم تسيروا إليها على خيلٍ ولا إبلٍ، إنَّما كانَت[3] ناحيةً منَ المدينةِ، مشَوا إليها مشيًا.

وقيل: على ميلَينِ منَ المدينةِ، وكانَ رسولُ الله ﷺ راكبًا على حمارٍ فحَسْبُ.

والإيجافُ: الحملُ على الوَجيفِ، وهو السَّيرُ الشَّديدُ، مثلُ الإيضاعِ.

---

(١) ضبطت في النسختين بالمبني للمجهول، والبناء للمعلوم أظهر فيه.

(٢) في (ف): «إلى».

(٣) في (ن): «كان».

وقيل: الإيجافُ للخيلِ، والإيضاعُ للرِّكابِ.

والرِّكابُ: الإبلُ.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾؛ أي: يُمكِّنُهم مِن عدوِّهم من غيرِ قتالٍ، ويقذفُ في قلوبِ أعدائِهم الرُّعبَ.

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فجعلَ ما أخَذُوا من بني النَّضيرِ خالصًا لرسولِه يضَعُه حيثُ يشاءُ، فقسمَه النَّبيُّ عليه السَّلامُ بينَ المُهاجِرينَ، إلّا أبا دُجانةَ وسُهَيلَ ابنَ حنيفٍ، فإنَّهما شكَوا فقرًا، فأعطاهُما(١).

***

(٧) ـ ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾.

﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ﴾ في هذه الآيةِ ستَّةُ أقوالٍ:

أحدُها: أنَّ هذه الآيةَ تفسيرٌ للأولى، وزيَّفَ هذا القولَ بعضٌ منَ المُفسِّرين، فقالَ: الآيةُ الأولى نزلَتْ في أموالِ بني النَّضيرِ، وقد جعلَها الله تعالى لرسولِه خاصّةً، والآيةُ الثّانيةُ لأصنافٍ بعينِهم، فلا تكونُ الأولى.

والثّاني: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ﴾ هو الجزيةُ والخراجُ.

والثّالثُ: قال قتادةُ: هي منسوخةٌ، والفَيءُ والغَنيمةُ واحدٌ، وكانَ في بدءِ الإسلامِ تُقسَمُ الغنيمةُ على هذه الأصنافِ، ولم يكُنْ لمَن قاتلَ عليها شيءٌ، إلا أن يكونَ من هذه الأصنافِ، ثمَّ نُسِخَ بما في (الأنفالِ)، فجُعِلَ لهؤلاءِ الخمُسُ،

---

(١) في هامش (ن): «وفي «الوسيط» أعطى عليه السَّلامُ أبا دجانة، وسهيل بن حنيف، والحارث بن الصمة»، وانظر: «الوسيط» للواحدي (٤/ ٢٧٢).

وجُعِلَ الأربعةُ الأخماسِ لمَن حارَبَ فقالَ: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ الآية[١].

والرّابعُ: قال سُفيانُ الثَّوريُّ: الفَيءُ خلافُ الغنيمةِ، والغنيمةُ؛ ما أُخِذَ عَنْوةً بالغلبةِ والحربِ فيكونُ خمسُه لهذه الأصنافِ، وأربعةُ أخماسِه للَّذين قاتلُوا عليه، والفيءُ: ما صولحَ[٢] أهلُ الحربِ عليه، فيكونُ مقسومًا في هذه الأربعةِ الأصنافِ، ولا يُخمَّسُ[٣].

والخامسُ: ذهبَ بعضُ الفُقهاءِ إلى أنَّ الفيءَ غيرُ الغنيمةِ أيضًا، وهو ما صُولِحَ[٤] عليه، إلّا أنَّه يُخرَجُ خمسُه في هذه الأصنافِ، فيكونُ أربعةُ أخماسِه خارجةً في صلاحِ المُسلمين.

والسّادسُ: قالَ يزيدُ بنُ رومانَ: الفيءُ: ما قُوتِلَ عليه، وأُوجِفَ عليه بالخيلِ والرِّكابِ[٥]. والله أعلَمُ.

قولُه: ﴿فَلِلَّهِ﴾ بدأ بذكرِه تعظيمًا كقولِه: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾، وكذلك: ﴿ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ﴾، وقد سبق.

وقيل: أصولُ الأشياءِ لله.

وقيل: معناه: أنَّه باقٍ على مِلْكيَّتِه.

---

(١) انظر: «الناسخ والمنسوخ» لقتادة (ص: ٤٨)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٨٥).

(٢) في (ن): «صالح».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٨٥)، وذكره النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٧٠٣)، والثعلبي في «تفسيره» (١٣/ ١٠٠)، والماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٣١٩).

(٤) في (ف): «صولحوا».

(٥) ذكره النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٧٠٤).

وقيل: معناه: فلِلَّه أن يأمُرَكم فيه بما أحبَّ.

وقيل: للهِ سهمٌ يُصرَفُ إلى عمارةِ الكعبةِ والمساجدِ.

﴿وَلِلرَّسُولِ﴾ قيل[1]: ذِكْرُه أيضًا للتَّيمُّنِ والتَّبرُّكِ كذكرِ الله.

وقيل: أضافَ توليةَ القسمةِ إليه.

وقيل: له سهمٌ يُصرَفُ إلى الخليفةِ بعدَه.

وقيل: يُصرَفُ إلى الكُراعِ والسِّلاحِ ومصالحِ المسلمين.

﴿وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾: القرابةِ من رسولِ الله ﷺ.

وذهبَ بعضُهم إلى أنَّه سقطَ سهمُهم بموتِه ﷺ، وهم في ذلك كسائرِ المسلمينَ، ومنهم مَن ذهبَ إلى أنَّه ثابتٌ كما كانَ.

﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾؛ أي: المُحتاجينَ منهم.

﴿وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾؛ أي: المُحتاجين.

﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: المُسافرِ المُنقطِعِ عن مالِه.

﴿كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ﴾: كي لا يغلبَ الأغنياءُ الفقراءَ على الفيءِ فيقسِمُوه بينَهم.

ابنُ عيسى: الدَّولةُ: المرَّةُ منَ الاستيلاءِ، والدُّولةُ بالضَّمِّ: نُقْلةُ النِّعمةِ من قومٍ إلى قومٍ.

وقيل: الدَّولة في الحربِ، والدُّولةُ في المالِ[2].

﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾؛ أي: وما أعطاكُم من مالِ الفيءِ فخُذوه واقبَلُوه.

---

(١) «قيل» من (ف).

(٢) انظر: «الفروق اللغوية» للعسكري (ص: ١٨٨).

﴿وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾: ما يمنَعُكم منه ﴿فَٱنتَهُوا۟﴾ ولا تطلُبُوه.

وقيل: هو عامٌّ في جميعِ أوامرِه ونواهيه.

الكلبيُّ: نزلَتْ في رُؤساءِ المُسلمينَ، قالوا فيما ظهرَ عليه رسولُ الله ﷺ من أموالِ المُشركينَ: يا رسولَ الله، خُذْ صفيَّتَكَ والرُّبعَ، ودَعْنا والباقيَ كما كنَّا نفعلُ في الجاهليَّةِ، وأنشَدُوا:

لــكَ المِربــاعُ منهــا والصَّـفــايا   وحُكمُكَ والنَّشـيطةُ والفُضُــولُ[1]

فنزلَتْ هذه الآيةُ، فقالوا: سمعًا وطاعةً لأمرِ الله وأمرِ رسولِه[2].

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ في مُخالفةِ رسولِه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾.

***

(٨) ـ ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾.

﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ بدلٌ منَ ﴿المساكينِ﴾، وأعادَ اللّامَ لأنَّ العاملَ في البدلِ غيرُ العاملِ في المُبدَلِ، كقولِه: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾ [الأعراف: ٧٥].

﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ﴾: هم الذين هجَروا أوطانَهم بمكَّةَ وقومَهم واختارُوا النَّبيَّ ﷺ والإسلامَ.

---

(١) البيت لعبد الله بن عنمة الضبي. انظر: «شرح نقائض جرير والفرزدق» (٢/ ٤١٠)، و«الأصمعيات» (ص: ٣٧)، و«البيان والتبيين» (١: ٣٠٢)، و«المعاني الكبير» لابن قتيبة (٢/ ٩٤٩) وفيه: المرباع: ربع الغنيمة، والصفايا: ما يصطفيه الرئيس لنفسه، والنشيطة: ما أخذوه في قَفْلهم، والفضول: ما فضَل عن القَسْم، هذه كانت تُجعل للرئيس في غزواتهم.

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٥٠٤).

﴿يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا﴾: يطلُبونَ الجنّةَ ورِضا الله لم يقصِدُوا سوى هذَين.

﴿وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ في إيمانِهم.

فهؤلاءِ هم[1] المُهاجِرون، ثمَّ ذكَرَ الأنصارَ فقالَ:

* * *

(٩) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ﴾: لزِمُوا المدينةَ ودُورَهم بها ﴿وَٱلۡإِيمَٰنَ﴾ وقبِلُوا الإيمانَ وآثَرُوه، فهو منصوبٌ بفعلٍ مُضمَرٍ.

وقيل: مواضعَ الإيمانِ.

وقيل: هذا مجازٌ ومَثَلٌ؛ كما تقولُ: تبوَّأَ أشرفَ المنزلةِ.

وذكرَ النَّقَّاشُ: أنَّ الإيمانَ اسمُ المدينةِ، سمَّاها النَّبيُّ ﷺ بها[2].

﴿مِن قَبۡلِهِمۡ﴾: قبلَ المُهاجرينَ، والأكثَرون على أنَّ الأنصارَ آمنُوا قبلَ المُهاجِرينَ استدلالًا بهذه الآيةِ.

وقيل: فيه تقديمٌ وتأخيرٌ، تقديرُه: تبوَّؤوا الدّارَ من قبلِهم، وقبِلُوا الإيمانَ من بعدِهم[3].

---

(١) «هم»: ليس في (ف).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٩٨)، وعده من العجائب.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٩٨)، واستغربه.

﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾؛ أي: يُحبُّ الأنصارُ المُهاجِرينَ بقُلوبِهم حتَّى شاطَرُوهم أموالَهم وأنزَلُوهم مساكِنَهم، ومَن كانت عندَه امرأتانِ نزلَ عن واحدةٍ منهما لواحدٍ منهم.

﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ﴾؛ أي: حسَدًا وحزازةً على ما أعطَى النَّبيُّ عليه السَّلامُ المُهاجرينَ وخصَّهُم به.

وقيل: مـمَّا أُعطُوا منَ الفضلِ والتَّقدُّمِ عليهم.

وقيل: ضيقًا لِـمَا يُنفِقُونَ عليهم.

وقيل: معناه: هم راضُونَ بما أوتوا؛ أي: من جهةِ قناعتِهم بما أوتوا لا من جهةِ كثرةِ أموالِـهم.

وقيل: لا يجِدُونَ في أنفُسِهم مِساسَ حاجةٍ مِن فَقْدِ ما أُوتوا، فحُذِفَ المُضافانِ(١).

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾؛ أي: يُقدِّمونَ المُهاجرينَ على أنفُسِهم.

﴿وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾: وإن كانوا فقراءَ، وأصلُ(٢) الخَصاصةِ: منَ الخَصاصِ، وهي: الفُرَجُ يتخلَّلُها البَصَرُ، والخُصُّ: البيتُ منَ القصَبِ لتخلُّلِ(٣) الهواءِ إيَّاه، وأصلُ الاختصاصِ منَ الانفرادِ بالأمرِ، والخَصاصةُ(٤): الانفرادُ عمَّا يَحتاجُ إليه، والخاصَّةُ: انفرادُ المعنى، والخُصُّ: لانفرادِ كلِّ قصبةٍ عن الأُخرى.

﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ﴾: يَدفعُ ويمنَعُ ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٩٩)، واستغربه.

(٢) «وإن كانوا فقراء، وأصل» من (ف).

(٣) في (ف): «يتخلل».

(٤) «من الانفراد بالأمر والخصاصة»: ليس في (ف).

الشُّحُّ: منعُ الواجبِ، وقيل: أكلُ مالِ الغيرِ ظُلمًا، وقال ﷺ: «بريءٌ منَ الشُّحِّ مَن آتى الزَّكاةِ، وقَرَى الضَّيفَ، وأعطَى في النَّائبةِ»[١].

وقيل: الشُّحُّ: أن تطمحَ عينُ الرَّجلِ إلى ما ليس له[٢]، فقال ﷺ: «منَ الشُّحِّ نظرُكَ إلى امرأةِ غيرِك»[٣].

الحسنُ: هو العملُ بمعاصي الله[٤].

طاوسٌ: الشُّحُّ بما في يدِ غيرِك، والبخلُ بما في يدِك[٥].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥٣٠)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ٢٣٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٣٤٨) من حديث أنس رضي الله عنه.

ورواه ابن حبان في «الثقات» (٤/ ٢٠٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٤٠٩٦)، من حديث خالد بن زيد الأنصاري. وقال الحافظ في «الإصابة» (٢/ ٢٣٦): «إسناده حسن، لكن ذكره (أي: خالد بن زيد) البخاري وابن حبان في التابعين» يريد الحافظ أن في كونه صحابيًّا خلافاً، فإن كان تابعيًّا فهذه الرواية مرسلة.

ورواه الطبراني في «المعجم الصغير» (١٢٦) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ٦٨): «فيه زكريا بن يحيى الوقار، وهو ضعيف».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ٥١٣) من قول ابن عمر رضي الله عنهما، وكذا رواه عبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٨/ ١٠٨) من قول ابن عمر رضي الله عنهما، وذكره مكي بن أبي طالب في «الهداية» (١٢/ ٧٥١٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) رواه ابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٨/ ١٠٨) من قول الحسن بلفظ: «النظر إلى المرأة لا يملكها من الشح».

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٥٠٧).

(٥) رواه ابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٨/ ١٠٨)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ٢٣٣)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٥٠٧).

قيل: محلُّ ﴿الذين﴾ رفعٌ بالابتداءِ؛ لأنَّ النَّبيَّ عليه السَّلامُ لم يُعطِهم الفيءَ إلّا الرَّجلَينِ تقدَّما؛ أعطاهما منها أرضًا.

والأظهرُ أنَّه جرٌّ بالعطفِ على (الفقراءِ)، وكذلك الذي بعدَه وهو قولُه:

(١٠) ـ ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ وإلى هذا ذهبَ عمرُ رضي الله عنه، فقال: استوعبَتْ هذه الآيةُ النَّاسَ، ولم يبقَ أحدٌ من المسلمين إلّا وله في الفيءِ حقٌّ إلا بعضُ مَن تملكونَ، وإن عشتُ ليُأتيَنَّ كلَّ مسلمٍ حظَّه[1].

قولُه: ﴿مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ قيل: بعدَ المُهاجرينَ والأنصارِ، وهم التَّابعون، ولفظُ ﴿مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ يدلُّ عليه.

وقيل: هم مَن هاجرَ بعدَ المُهاجِرينَ الأوَّلين.

وقيل: هم المُؤمنونَ إلى يومِ القيامةِ كما سبقَ، والصِّفةُ تدلُّ على ذلك، وهي قولُه:

﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾؛ أي: من هذه الأمّةِ.

وقيل: ﴿الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾: المُهاجرونَ والأنصارُ.

وقيل: مُؤمِنُو أهلِ الكتابِ.

والقولُ هو الأوَّلُ، ومعنى ﴿سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾: سبقُونا إلى الإسلامِ بأن آمَنُوا قبلَ إيمانِنا.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣١٩٠)، وابن زنجويه في «الأموال» (١/ ١٠٨)، وابن المنذر في «الإقناع» (٢/ ٥٠١).

﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا﴾: غِشًّا وبُغضًا وحقدًا ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

***

(١١ ـ ١٢) ـ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ ثمَّ عجَّبَ نبيَّه فقالَ: ألـم ترَ يا محمَّدُ إلى عبدِ الله بنِ أبيٍّ ابنِ سلولَ وأشياعِه ﴿يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ قيل: هم بنو النَّضيرِ، والآيةُ نزلَتْ قبلَ إجلائِهم، راسَلُوا إليهم[١] بما في الآيةِ[٢].

الحسنُ: ضمِنُوا من جميعِ اليهودِ[٣].

وسمَّاهم إخوانَهم لمُوافقتِهم[٤] في مقاصدِ الكفرِ وعداوةِ محمَّدٍ ﷺ.

﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ﴾؛ أي: من دياركم ﴿لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا﴾ يعني: محمَّدًا ﷺ؛ أي: لا نمتثِلُ أمرَه في إيذائِكم.

﴿وَإِن قُوتِلْتُمْ﴾؛ أي: قاتلَكُم محمَّدٌ عليه السَّلامُ ﴿لَنَنصُرَنَّكُمْ﴾: لنُعاوِنَنَّكم أحسنَ المُعاونةِ.

﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ سمَّاهم كاذِبين بما آلَ إليه أمرُهم؛ فإنَّ الكذبَ يكونُ في الماضي، والحَلِفَ يكونُ في المستقبلِ.

---

(١) كذا في النسختين، والمعروف «راسلهم» أو «أرسل إليهم».

(٢) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ١٩٤)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ٢٦٣).

(٣) انظر: «تفسير ابن أبي زمنين» (٤/ ٣٧٠)، وفيه: «تفسير الحسن: يعني قريظة والنضير».

(٤) في (ف): «بموافقتهم».

﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ﴾؛ أي: هم لا يَفُونَ بما عاهَدُوا.

واللّامُ الأوَّلُ لامُ توطئةِ القسمِ، والثّاني لامُ القسمِ[1]، وصارَ الحكمُ للقسمِ دونَ جزاءِ الشَّرطِ، وقد يُحذَفُ لامُ توطئةِ القسمِ[2] اكتفاءً بدلالةِ جوابِ القسمِ عليه، كقولِه: ﴿وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ﴾ أراد: ولَئِنْ قُوتلتُم.

وفي قولِه: ﴿وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ بعدَ قولِه: ﴿لَا يَنصُرُونَهُمْ﴾ أقوالٌ؛ فإنَّ الله تعالى إذا أخبرَ عن شيءٍ لم يُوجدِ المُخبَرُ بخلافِ ما أخبرَ به:

أحدُها: أي: إن تعاطَوا نصرَهم ما نصرُوهم.

وقيل: إذا نصرُوهم ووَلَّوا الأدبارَ يكونُ خُذْلانًا لا نصرًا؛ لأنَّ النَّصرَ صدقُ المُعاونةِ وإجمالُ المُظاهرةِ.

وقيل: ﴿لَا يَنصُرُونَهُمْ﴾؛ أي: لا يدومونَ على النَّصرِ.

وقيل: لا ينصُرونَهم طائعينَ وإنْ نصرُوهم كارِهين.

وقيل: الفعلُ في قولِه: ﴿وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ﴾ لغيرِ الذين أخبرَ أنَّهم لا ينصرونَهم.

وقيل: ولَئِنْ نصرَ اليهودُ المنافقينَ، والضَّميرانِ مُختلفانِ.

وقيل: أخبرَ عمَّا لم يكُنْ بأنه لو كانَ كيفَ كانَ.

* * *

(١٣) ـ ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾.

﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: من رهبةِ الله، فحُذِفَ المُضافُ؛ أي: أوقعَ اللهُ الرُّعبَ في قلوبِهم.

---

(١) الأول هو اللام في ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ﴾، والثاني هو اللام في ﴿لَنَخْرُجَنَّ﴾.

(٢) في (ف): «لام التوطئة».

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ فإنَّ الفقهَ هو: العلمُ بمفهومِ الكلامِ وظاهرِه الجليِّ وغامضِه الخفيِّ بسرعةِ فطنةٍ وجودةِ قريحةٍ، وهؤلاءِ لو فقِهُوا لعلِمُوا أنَّ قوّةَ النَّبيِّ عليه السَّلامُ بقوَّةِ الله.

ثمَّ أُخرِجَ بنو النَّضيرِ فلم يخرُجوا معهم، وقُوتِلَ قُريظةُ فلم ينصُرْهم منافقٌ.

* * *

(١٤) - ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾.

﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا﴾؛ أي: مُؤتَلِفِينَ مُجتَمِعِينَ ﴿إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ﴾؛ أي: إذا اجتمَعُوا لقتالِكم لم يجرُؤوا[1] على البروزِ، وإنَّما يُقاتِلونكم وراءَ حُصونِهم المُحصَّنةِ بالسُّورِ.

﴿أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ﴾ بالنَّبلِ والحجرِ.

مَن وحَّدَ حملَ على الجنسِ، ومَن جمعَ[2] فلجمعِ[3] القُرى.

﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾؛ أي: هم مُتعادُونَ مُحتنِقُونَ، شديدٌ بعضُهم على بعضٍ.

وقيل: نِكايتُهم فيما بينَهم شديدٌ[4] إذا تحارَبُوا، فأمَّا معكُم فاللهُ تعالى أرهبَهم منكم، ولا يُغنُون شيئًا.

وقيل: هذا امتنانٌ منَ الله؛ أي: هم مع قُوَّتِهم وشِدَّتِهم يخافُونَ منكم.

---

(١) في (ف): «لم يجسروا».

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿جِدَارٍ﴾ بألف على التوحيد، والباقون: ﴿جُدُرٍ﴾ على الجمع. انظر: «السبعة» (ص: ٦٣٢)، و«التيسير» (ص: ٢٠٩).

(٣) في (ن): «فلم يجمع»، وهو تحريف.

(٤) كذا في النسختين، والجادة: «شديدة».

﴿تَحْسَبُهُمْ﴾ أي: اليهودَ والمُنافقين ﴿جَمِيعًا﴾: مُجتَمعينَ في الرَّأيِ ﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾: مختلفةٌ مُتفرِّقةٌ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ فإنَّ العداوةَ لا تقعُ بين العُقلاءِ.

ابنُ بحرٍ: المعنى: ألقى الله في قلوبِهم اليأسَ[1] الشَّديدَ فتفرَّقُوا خلافَ ما فعلَ بالمُؤمنين من قولِه: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ [الأنفال: ٦٣]، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ أمرَه ونهيَه.

* * *

(١٥) ـ ﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾؛ أي: مَثَلُ اليهودِ كمَثَلِ الذينَ من قبلِهم ﴿قَرِيبًا﴾:

قيل: هم أهلُ بدرٍ.

وقيل: بني قينُقاع، وكانَ رسولُ الله ﷺ أخرجَهم قبلَ النَّضيرِ، وهذا قولُ ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما[2].

وقيل: كمَثلِ مَن أَهْلَكَ اللهُ منَ الأُمم.

وقيل: تقديرُه: ولَئِنْ نَصروهُم لَيُوَلُّنَّ الأدبارَ كمثَلِ الذينَ من قبلِهم[3] يومَ بدرٍ.

﴿ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾: عقوبةَ كُفرِهم في الدُّنيا ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مع ذلك في النّارِ.

* * *

(١٦) ـ ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ﴾؛ أي: ومثلُهم أيضًا كمثَلِ الشَّيطانِ ﴿إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ﴾

---

(١) في النسختين: «البأس»، وهو تحريف، والصواب المثبت.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥٣٩)، وذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٤/ ٢٦٤).

(٣) في (ف) زيادة: «قريبًا».

قيل: المُرادُ به هاهنا ما قالَه إبليسُ لأبي جهلٍ يومَ بدرٍ: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٨][١].

وقيل: هذا عامٌّ في جميعِ الكفَّارِ في دُعائِه إيَّاهم إلى الكفرِ والمعاصي ووعدِه لهم بالغُرورِ.

وأكثرُ المُفسِّرين على أنَّ هذا الإنسانَ راهبٌ يُقالُ له: بَرْصِيْصا، تَعَبَّدَ ستِّينَ سنةً في صومعةٍ، فأرادَه الشَّيطانُ فأعياه، فعمدَ إلى امرأةٍ فأَجَنَّها[٢]، وقال لإخوةٍ لها: عليكم بهذا القَسِّ[٣] فيُداويها، فجاؤوا بها إليه فداواها، فلمَّا عادَ إليها جمالُها أعجبَتْه، فأتاها فأحبَلَها ثمَّ قتلَها ودفنَها مخافةَ الشُّنْعةِ، فلمَّا عُثِرَ على صنيعِه قال له الشَّيطانُ: أنا أوقَعْتُك فيما أنتَ فيه ولا أُنجيكَ[٤] إلا أن تسجدَ لي، فسجدَ له، ﴿فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، فلمَّا فعل قال: إنِّي بريءٌ منك[٥] فصُلِبَ وماتَ[٦].

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ٢٦١).

(٢) في (ن): «فأمرضها»، والمثبت من (ف)، وهو الموافق لما في «تفسير الطبري».

(٣) في هامش (ف): «القس بفتح القاف وتشديد السين: القسيس؛ يعني: الرهبان».

(٤) في (ف): «فلا ينجيك».

(٥) «قال: إني بريء منك» من (ن).

(٦) رواه بهذا اللفظ الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥٤١) عن علي رضي الله عنه موقوفاً، وبنحوه عن علي رضي الله عنه رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣١٩٤)، ومن طريقه ابن راهويه كما في «المطالب العالية» (٣٧٤٨)، والحاكم في «المستدرك» (٣٨٠١) وصححه، ولفظه عندهم: «كان راهب يتعبد في صومعة، وإن امرأة كان لها إخوةٌ فعَرَضَ لها شيءٌ فأتَوه بها، فزينت له نفسها فوقع عليها فحملت، فجاءه الشيطان فقال: اقتلها فإنهم إن ظهروا عليك افتُضِحتَ، فقتلها فدفنها، فجاءوه فأخذوه فذهبوا به، فبينما هم يمشون إذ جاءه الشيطان، فقال: أنا الذي زينت لك فاسجد لي سجدة أنجيك، فسجد له، فأنزل الله عز وجل: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكَ﴾». =

وعن ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه: أنَّها كانتِ امرأةً ترعى الغنمَ، وتأوي إلى صومعةِ هذا القَسِّ، ففعلَ بها ذلك، فأرى الله تعالى إخوةً لها في المنامِ[1].

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: هي امرأةٌ مرِضَتْ، واتَّفقَ لإخوتِها سفرٌ، فجاؤوا إلى الرّاهبِ بها وقالوا: إنْ ماتَتْ فادفِنْها، وإنْ عاشَتْ فاحفَظْها إلى أن نعودَ، ففعلَ بها ما سبقَ ذِكرُه[2].

***

(١٧) ـ ﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ﴾ عاقبةَ هذا الإنسانِ والشَّيطانِ ﴿أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

***

(١٨) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾: تُوبُوا إليه واجتَنِبُوا المعاصيَ ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ يعني: يومَ القيامةِ، ووحَّدَ بعدَ الجمعِ؛ أي: اتَّقوا الله مُجتَمعينَ وفُرادى، وأصلُ غدٍ: غَدْوٌ.

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ التَّكرارُ[3] للتَّأكيدِ، وقيل: دومُوا عليها في المُستأنفِ.

= ورواه بنحو هذا ابن أبي الدنيا في «مكائد الشيطان» (٦١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥٠٦٦) عن عبيد بن رفاعة الزرقيِّ يَبْلُغُ به النبيَّ ﷺ.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥٤٢).

(٢) رواه مطولًا الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥٤٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٤٨).

(٣) في (ف): «تكرار».

﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾.

* * *

(١٩) ـ ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾.

﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ ﴾: تركُوا أمرَ الله وذِكرَه ﴿فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡ﴾ أن يعملُوا لها خيرًا.

وقيل: نسُوا الله عند الذُّنوبِ، فأنساهُم أنفُسَهم عند التَّوبةِ.

وقيل: أنساهُم حظوظَ أنفُسِهم، فحُذِفَ المُضافُ.

وقيل: ترَكَ ذِكرَهم بالرَّحمةِ والتَّوفيقِ.

وقيل: أنزَلَ بهم منَ العذابِ ما نسيَ به بعضُهم بعضًا؛ لِمَا شُغِلَ به كلُّ واحدٍ منَ العذابِ؛ كقولِه: ﴿فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ [النور: ٦١].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾: الكاذِبون العاصونَ.

* * *

(٢٠) ـ ﴿ لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴾.

﴿ لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ ﴾ لأنَّهم في النَّعيمِ المُقيمِ، وهم في العذابِ الأليمِ.

وقيل: لا يستَويانِ عندَ الله؛ لأنَّهم أولياؤُه، وأصحابُ النّارِ أعداؤُه.

﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴾: المُقرَّبون المُكرَمون النَّاجونَ منَ النّارِ.

* * *

(٢١) ـ ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ﴾ مع أمرِه ونهيِه ووعدِه ووعيدِه وكثرةِ عجائبه ﴿عَلَىٰ جَبَلٍ﴾ مع شدَّتِه وغِلظتِه ﴿لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا﴾: خاضعًا مُنقادًا ﴿مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾: من فَرَقِ عذابِه، وإنَّ قلوبَ بني آدمَ لـم تلِنْ ولـم ترِقَّ.

وقيل: الجبلُ: الأممُ الخاليةُ، ولعلَّ هذا القائلَ أخذَه مـن قولِه: ﴿وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٤]، وفيه ضعفٌ[١].

وقيل: هذا امتنانٌ على النَّبيِّ ﷺ؛ أي: لو أنزَلْنا هذا القرآنَ على جبلٍ لَمَا ثبتَ له، وتصدَّعَ لنُزولِه عليه، وقد أنزَلْناه عليك وثبَّتناكَ له. حكاه الماورديُّ[٢].

قال الزَّجَّاجُ: لو أُنزلَ هذا القرآنُ على جبلٍ، وجُعِلَ فيه تمييزٌ؛ لرأيتَه خاشعًا، وهذا على وجهِ المثَلِ[٣]. ثم قال[٤]: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في أمثالِ الله.

***

(٢٢ ـ ٢٣) ـ ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ۖ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ قيل: هذه الآيةُ ترجعُ إلى أوَّلِ السُّورةِ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٠٠)، واستغربه.

(٢) انظر: «النكت والعيون» (٥/ ٥١٢)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٠٠)، وعده من العجائب.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ١٥٠).

(٤) «ثم قال»، من (ن).

المُبرِّدُ: ترجعُ إلى قولِه: ﴿مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ ﴿ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾.

وقيل: هو جوابٌ لمَن شبَّهَه بخلقِه.

﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾: السرِّ والعلانيةِ.

وقيل: الآخرةِ والدُّنيا.

وقيل: الغيبُ: ما لم يكُنْ، والشَّهادةُ: ما كانَ.

وقيل: الغيبُ: ما لم يروه، والشَّهادةُ: ما رأَوهُ.

﴿هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ﴾: الطّاهرُ، ومنه: القدُسُ: لِمَا يُتطهَّرُ منه.

وقيل: تُقدِّسُه الملائكةُ.

وقيل: المُباركُ.

﴿ٱلسَّلَٰمُ﴾ مصدرٌ؛ أي: ذو السلامٍ، والمعنى: سلِمَ منَ الأوصافِ التي لا تليقُ به.

وقيلَ: سلِمَ عبادُه من ظُلمِه.

﴿ٱلْمُؤْمِنُ﴾: مُؤمنٌ عبادَه منَ الخوفِ.

وقيل: يُصَدِّقُهم وعدَه، وقيل: رسلَه بإظهارِ معجزاتهم لهم(١).

وقيل: الدّاعي إلى الإيمانِ.

---

(١) قوله: «وقيل يصدقهم وعده وقيل رسله بإظهار معجزاتهم لهم» من (ف)، وكلمة «يُصَدِّقهم» هكذا ضبطت فيها.

الزَّجَّاجُ: الذي وحَّدَ نفسَه بقولِه: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾[١].

﴿ٱلْمُهَيْمِنُ ﴾: الأمينُ.

وقيل: الشَّهيدُ.

وقيل: المُصدِّقُ كالمُؤمِنِ.

وقيل: اسمٌ من أسماءِ الله تعالى في الكتبِ اللهُ أعلَمُ بتأويلِه، وكذلك القُدُّوسُ فيها قِدِّيشا[٢].

وقيل: أصلُه: مُؤَيمِنٌ[٣]، منَ الأمنِ والأمانةِ، قُلِبَت الهمزةُ هاءً.

وقيل: مأمونٌ على خلقِه.

وقيل: الرَّقيبُ.

وقيل: المُطَّلعُ.

وقيل: القاضي.

وقيل الحَدِبُ.

وقيل: الدَّالُّ.

﴿ٱلْعَزِيزُ﴾: الغالبُ غيرُ المغلوبِ.

وقيل: لا يُرامُ، ولا يَمتنِعُ عليه ما يَرومُ.

﴿ٱلْجَبَّارُ ﴾: العظيمُ، وجبَروتُه: عظَمتُه.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ١٥٠).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ٢٦٥) عن ابن كيسان، وذكره في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٠٠)، وعده من العجائب.

(٣) ذكره ابن دريد في «جمهرة اللغة» (٣/ ١٢٧٢)، وأبو القاسم الزجاجي في «اشتقاق أسماء الله» (ص: ٢٢٧)، وذكره في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٠٠)، وعده من العجائب أيضاً.

وقيل: الجبَّارُ مِن أجبرَ؛ أي: (أجبرَ) خلقَه على ما أرادَ منهم، أجبرَ فهو جبَّارٌ، وأدرَكَ فهو درَّاكٌ.

وقيل: منَ الجبرِ؛ أي: يَجْبُرُ أحوالَ عبادِه ويُصلِحُ أمورَ خَلْقِه.

وقيل: لا يُنالُ ولا يُقهَرُ، ومنه: جبَّارُ النَّخلِ؛ لا يلحقُه كلُّ أحدٍ.

﴿ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾: تكبَّرَ عن كلِّ سوءٍ.

وقيل: تكبَّرَ وتعالى وتنزَّه بمعنًى.

وقيل: المُستحِقُّ لصفاتِ التَّعظيمِ.

﴿سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

* * *

(٢٤) ـ ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَـٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَـٰلِقُ﴾: المُوجِدُ للأشياءِ.

وقيل: الذي يَفعلُ على مقدارٍ تقتَضيه الحكمةُ.

﴿ٱلْبَارِئُ﴾: المُنشِئُ للأعيانِ منَ العدَمِ إلى الوجودِ.

﴿ٱلْمُصَوِّرُ﴾: الذي يجعلُ لكلِّ ما يخلقُ هيئةً وشكلًا يتميَّزُ بها البعضُ عنِ البعضِ.

وقيل: هو الذي يُغيِّرُه من حالٍ إلى حالٍ، نُطفةٍ ثمَّ علقةٍ إلى تمامِ خلقِه.

﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ لأنَّها مُشتقَّةٌ من أفعالٍ كلُّها حسنةٌ.

﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: يُنزِّهُه عمَّا لا يليقُ به.

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ ختمَ السُّورةَ بما فتحَها به، فسُبحانَ الله على كلِّ حالٍ.

* * *

سُورَةُ المُمْتَحِنَةِ

ثلاثَ عَشْرةَ آيةً(1)، مدَنيَّةٌ.

بسم الله الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِي سَبِيلِي وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِيۚ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ﴾ رَوى البخاريُّ ومسلمٌ في صحيحَيهما أنَّ هذه الآياتِ نزلَتْ في حاطبِ بنِ أبي بَلتَعةَ.

وذلك أنَّ رسولَ الله ﷺ لمَّا أرادَ أن يغزُوَ أهلَ مكّةَ قدِمَتْ عليه امرأةٌ يُقالُ لها: سارةُ، من موالي بني المُطَّلبِ، فحثَّ رسولُ الله ﷺ بني عبدِ المُطَّلبِ فكَسَوها وأعطَوْها، فلمَّا أرادتِ الانصرافَ أتاها حاطبٌ وكتَبَ معها كتابًا إلى أهلِ مكّةَ، في الكتابِ: مِن حاطبٍ إلى أهلِ مكّةَ، إنَّ رسولَ الله يُريدُكم فخُذوا حِذْرَكم، وأعطاها عشرةَ دنانيرَ على أن تُوصِلَ الكتابَ إلى أهلِ مكّةَ، فخرجَتْ سارةُ، ونزلَ جبريلُ وأخبرَ النَّبيَّ ﷺ بما فعلَ حاطبٌ، فبعثَ رسولُ الله ﷺ عليًّا وعمّارًا والزُّبيرَ وطلحةَ

---

(١) «ثلاث عشر آية»: ليس في (ف).

والمقدادَ بنَ الأسودِ وأبا مرثدٍ رضي الله عنهم، وكانوا كلُّهم فُرسانًا، وقال لهم: «انطلِقُوا حتَّى تأتوا روضةَ خاخٍ[١]؛ فإنَّ بها ظعينةً[٢] معها كتابٌ من حاطبٍ إلى المشركين، فخُذوه منها، وخلُّوا سبيلَها، فإنْ لـم تدفَعْ إليكم فاضرِبُوا عنُقَها».

فخرَجُوا حتَّى أدرَكُوها في ذلك المكانِ، فقالوا لها: أين الكتابُ؟ فحلَفَتْ ما معَها كتابٌ، فلمَّا رأتِ الجدَّ أخرجَتْه من ذُؤابتِها، فخَلَّوا سبيلَها، ورجعُوا بالكتابِ إلى رسولِ الله ﷺ، فأرسلَ رسولُ الله ﷺ إلى حاطبٍ فأتاه، فقال: «ما حمَلَكَ على ما صنَعْتَ؟» قال: يا رسولَ الله، والله ما كفرتُ منذ أسلَمْتُ، ولا غشَشْتُكَ منذ نصحتُك، ولكنْ حملَني على ذلك أنِّي كنتُ مُلصَقًا في القومِ، وليس في أصحابِك إلَّا مَن له في[٣] أقربائِه مَن يذُبُّ عن عيالِه، فأحبَبْتُ أن أتَّخِذَ عندَهم يدًا، وقد علمتُ أنَّ الله يُنزِلُ بهم بأسَه، وأنَّ كتابي لا يُغني عنهم شيئًا، فصدَّقَه رسولُ الله وعذَرَه، فقال عمرُ بنُ الخطّابِ رضي الله عنه: دَعْني يا رسولَ الله أضرِبْ عنُقَ هذا المُنافقِ، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «وما يُدريكَ يا عمرُ؟ لعلَّ الله قد اطَّلعَ على أهلِ بدرٍ فقالَ لهم: اعمَلُوا ما شئتُم فقد غفَرْتُ لكم». ونزلَتْ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ فسمَّاه مُؤمِنًا[٤].

﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾؛ أي: لا تتَّخِذوا الكافرينَ أعوانًا وأنصارًا.

---

(١) في هامش (ن): «موضع».

(٢) في هامش (ن): «وفي القاموس: الظعينة: الهودج فيه امرأة أم لا، والمرأة ما دامت في الهودج، وهنا يجوز كلاهما أن يكون مراداً».

(٣) في (ف): «من».

(٤) رواه بنحوه البخاري (٣٠٠٧) و(٤٢٧٤)، ومسلم (٢٤٩٤)، من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه. واللفظ الذي ساقه المصنف قريب مما ساقه الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٢١).

﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم﴾: تكتُبون وتبعَثُون، فالجملةُ صفةٌ لـ﴿أَوْلِيَآءَ﴾.

وقيل: حالٌ للمُخاطَبين.

وقيل: استِئنافٌ؛ أي: أنتم تُلقونَ إليهم ﴿بِٱلْمَوَدَّةِ﴾[1].

وقيل: الاستفهامُ مُقدَّرٌ؛ أي: أَتُلقُونَ إليهم بالمودّةِ[2]؟

الأخفشُ: الباءُ زيادةٌ[3].

المُبرِّدُ: ألقَيتُ إليه المودَّةَ وبالمودَّةِ، لغتانِ.

وقيل: الباءُ للسَّببِ؛ أي: بسببِ أن تَودُّوا.

الزَّجَّاجُ: ﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم﴾ أخبارَ النَّبيِّ ﷺ وسرَّه ﴿بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ التي بينكم وبينَهم[4].

﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ يعني: النَّبيَّ ﷺ والقرآنَ.

﴿يُخْرِجُونَ﴾ حالٌ منَ المُضمَرين في ﴿كَفَرُوا﴾.

﴿ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾؛ أي: من مكّةَ ﴿أَن تُؤْمِنُوا بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ﴾: بأنْ، ولأنْ؛ أي: بسببِ إيمانِكم، ولأجلِ إيمانِكم، وذُكِرَ بلفظِ المُستقبلِ؛ أي: لأنَّكم الساعةَ تُؤمِنُونَ به.

﴿إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا﴾؛ أي: خرجْتُم من أوطانِكُم للجهادِ ﴿فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى﴾ هذا مُؤخَّرٌ في اللَّفظِ مُقدَّمٌ في المعنى، والتَّقديرُ: إنْ كنتُم خرجتُم للجهادِ ولطلبِ مرضاةِ الله فلا تتَّخِذُوا عدوِّي وعدوَّكم أولياءَ.

﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ بدلٌ من قولِه: ﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٠٣)، وعده من العجائب.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٠٣)، واستغربه، وجعله من الاستفهام الإنكاري.

(٣) ذكره المصنف في «البرهان» (ص: ٢٣٥).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ١٥٥).

﴿وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡ﴾، قيل: الباءُ زيادةٌ؛ أي: أعلمُ إظهارَكم المودَّةَ وإسرارَكم إيّاها[1].

وقيل: ما أخفَيتُم المودَّةَ وما أعلنتُم الإيمانَ.

وقيل: ﴿أَعۡلَمُ﴾ للتَّفضيلِ، وهو الأظهرُ.

﴿وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ﴾؛ أي: الاتِّخاذَ المنهيَّ عنه بعد النَّهيِ، ﴿فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾: أخطأَ طريقَ الرَّشادِ، وبَعُدَ عنِ الصِّراطِ[2] المستقيمِ.

* * *

(٢) ـ ﴿إِن يَثۡقَفُوكُمۡ يَكُونُواْ لَكُمۡ أَعۡدَآءٗ وَيَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ وَأَلۡسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ﴾.

﴿إِن يَثۡقَفُوكُمۡ﴾: يأخُذوكُم، ويأسِرُوكم، ويظفَرُوا بكم.

﴿يَكُونُواْ لَكُمۡ أَعۡدَآءٗ﴾ ولا ينفعُكم إلقاءُ المودَّةِ إليهم.

﴿وَيَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ﴾ بالقتلِ والضَّربِ ﴿وَأَلۡسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ﴾ بالشَّتمِ والسَّبِّ.

﴿وَوَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ﴾: ويتمنَّوا أن تكونُوا كفَّارًا مثلَهم، وجازَ وقوعُ الماضي موقعَ المُستقبلِ بمعنَى الشَّرطِ.

وقيل: هو عطفٌ على ﴿وَقَدۡ كَفَرُواْ﴾؛ أي: كفَروا ووَدُّوا لو تكفُرون[3].

* * *

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٠٤)، وعده من العجائب، و﴿أَعۡلَمُ﴾ على هذا القول فعل مضارع.

(٢) في (ف): «الطريق».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٠٤)، واستغربه.

(٣) ـ ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْۚ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ﴾ فلا تُهلِكُوا أنفُسَكم بسببِ مَن لا ينفعُكم.

﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾: يُفرِّقُ بين الوالدِ وولدِه، وبينَ القريبِ والقريبِ.

وقيل: يحكمُ بينكم.

ويجوزُ أن يتعلَّقَ ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ بقولِه: ﴿يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾.

وقُرِئَ ﴿يَفْصِلُ﴾ على وجوهٍ[1] كلُّها ظاهرٌ، ومَن قرأ بلفظِ المجهولِ فالظَّرفُ أُقيمَ مُقامَ الفاعلِ، ومثلُه: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤]، وكذلك: ﴿مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ [الجن: ١١]، ذكرَه في «الحجّةِ»[2].

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيُجازيكُم بأعمالِكم[3].

* * *

(٤) ـ ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾.

﴿قَدْ كانَتْ لَكُمْ إِسْوَةٌ﴾: قدوةٌ وسُنَّةٌ ﴿حَسَنَةٌ﴾، والضَّمُّ[4] فيها لغةٌ.

---

(١) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو: ﴿يُفْصَلُ﴾ بضم الياء والصاد مخفَّفة مفتوحة على البناء للمفعول، وعاصم: ﴿يَفْصِلُ﴾ بفتح الياء والصاد مخفَّفة مكسورة على البناء للفاعل، وابن عامر: ﴿يُفَصَّل﴾ بضم الياء والصاد مشدَّدة مفتوحة، وقرأ حمزة والكسائي: ﴿يُفَصِّل﴾ بضم الياء والصاد مشدَّدة مكسورة. انظر: «السبعة» (ص: ٦٣٣)، و«التيسير» (ص: ٢١٠).

(٢) انظر: «الحجة» لأبي علي (٦/ ٢٨٥).

(٣) في (ف): «أعمالكم».

(٤) قرأ عاصم بضمِّ الألف، والباقون بكسرها. انظر: «السبعة» (ص: ٦٣٣)، و«التيسير» (ص: ١٧٨).

﴿فِىٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾؛ أي: في أقوالِه ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ منَ المُؤمنين.

وقيل: كانوا أنبياءَ.

﴿إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ﴾؛ أي: للكافرينَ[١] منهم.

﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ﴾: جمعُ بريءٍ؛ كظَريفٍ وظُرَفاء؛ أي: من قرابتِكُم.

﴿وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: مُعبودِكم.

﴿كَفَرۡنَا بِكُمۡ﴾: تبرَّأنا منكم ﴿وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا﴾ بالسَّيفِ والغلَبةِ[٢].

﴿حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ﴾؛ أي: تُؤمِنوا بالله[٣] بأنَّه واحدٌ لا شريكَ له، فحينَئذٍ نتركُ عداوتَكُم ونُواليكم، والمعنَى: هلَّا قُلتَ يا حاطِبُ كما قالَ إبراهيمُ ومَن كانَ معه.

قولُه: ﴿إِلَّا قَوۡلَ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ﴾ وذلك لموعدةٍ وعدَها إيَّاه، وقد سبقَ.

﴿وَمَآ أَمۡلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍ﴾: من عذابٍ.

وقيل: من هدايةٍ ومعرفةٍ وتوفيقٍ.

والاستثناءُ منَ المُضمرِ مع إبراهيمَ وهو: أقوالُه[٤].

وقيل: الاستثناءُ مُنقطعٌ؛ أي: لكنْ قولُ إبراهيمَ لأبيه فليسَ لكم به أسوةٌ.

---

(١) في (ف): «أي الكافرون».

(٢) في (ف): «والغلب».

(٣) «بالله» من (ف).

(٤) أي: أنه استثناءٌ متصلٌ من قوله: ﴿فِىٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ ولكنْ لا بُدَّ مِن حذفِ مضافٍ ليصحَّ الكلامُ، تقديرُه: في أقوال إبراهيم إلا قولَه كيت وكيت.

﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا﴾: فوَّضْنا إليكَ أُمورَنا.

قيل: هذا من تمامِ كلامِ إبراهيمَ(١).

وقيل: استئنافٌ؛ أي: قُولُوا.

وقيل: خطابٌ لحاطبٍ؛ أي: لو قلتَ هذا فلمْ تحتَجْ إلى ما فعلتَ(٢).

﴿وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا﴾: أقبَلْنا ﴿وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾: المرجِعُ.

***

(٥) ـ ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾؛ أي: لا تُسلِّطْهم علينا فيفتِنُونا بعذابٍ لا طاقةَ لنا به.

وقيل: لا تُعذِّبْنا بعذابٍ من عندِك.

وقيل: لا تُرِهم ما يشمَتُونَ له بنا.

وقيل: لا تُظفِرْهُم علينا، فيظُنُّوا أنَّهم على الحقِّ ونحنُ على الباطلِ.

وقيل: احفَظْنا منَ الشَّيطانِ، لا نتَّبِعهم فنصيرَ فتنةً لهم.

﴿وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

***

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٠٤)، وعده من العجائب.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٠٥)، واستغربه.

(٦) ـ ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾.

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ قيل: فـي إبراهيمَ وقومِه.

وكُرِّرَ لأنَّ الأوَّلَ أسوةٌ بأقوالِه، والثَّاني بأفعالِه.

وقيل: في محمَّدٍ عليه السَّلامُ والمُؤمنين.

﴿لِّمَن كَانَ﴾ بدلٌ من ﴿لَكُمْ﴾.

﴿يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ﴾؛ أي: ثوابَه ﴿وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾ وما يُعطي اللهُ في ذلك اليومِ أولياءَه[1].

وقيل: يخشَى اللهَ واليومَ الآخرَ.

﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ عن أمرِنا ووالى الكفَّارَ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾ عنِ الخلقِ ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾: المُستحِقُّ للحمدِ.

وقيل: المحمودُ.

* * *

(٧) ـ ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ﴾ لمَّا نزلَ ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ عادَى المُؤمنونَ أقارِبَهم المُشركينَ، وأظهَرُوا لهم العداوةَ والبراءةَ، وعلِمَ اللهُ شدَّةَ وَجْدِ المُؤمنينَ بذلك، فأنزَلَ: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً﴾ فأسلَمَ كثيرٌ منهم وصارُوا لهم أولياءَ وإخوانًا، وخالَطُوهم وناكَحُوهم[2].

---

(١) «أولياءه» من (ف).

(٢) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٢٣).

وتزوَّجَ رسولُ الله ﷺ أمَّ حبيبةَ بنتَ أبي سُفيانَ، فلانَ لهم أبو سفيانَ وبلغَه ذلك وهو مشركٌ فقالَ: ذلك الفحلُ لا يُقرَعُ أنفُه[1].

وقيل: المُرادُ به أهلُ مكّةَ حينَ أسلَمُوا عامَ الفتحِ.

وقيل: المُرادُ به إسلامُ أبي سفيانَ.

وقال الزُّهريُّ: هو أنَّ أبا سفيانَ استعملَه ﷺ على بعضِ اليمنِ، فلما قُبِضَ عليه السَّلامُ أقبلَ ذو الخمارِ مُرتدًّا فقاتلَه، وكانَ أوَّلَ مَن قاتلَ في الرِّدّةِ وجاهدَ في الدِّين[2].

و﴿عَسَى﴾ منَ الله واجبٌ، والمعنى: ليجعَلَ.

وقيل: معناه: كونُوا على رجاءٍ وطمعٍ.

﴿وَٱللَّهُ قَدِيرٌۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

***

(٨) - ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾.

﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ﴾ في سببِ النُّزولِ: قدِمَتْ قُتيلةُ بنتُ عبدِ العُزَّى على أسماءَ بنتِ أبي بكرٍ رضي الله عنهما منَ الباديةِ بهدايا سَمْنٍ وأقِطٍ وضِبابٍ[3]، وقيل: سمنٌ وتمرٌ وقَرَظٌ، فلم تقبَلْ هداياها، ولم تُدخِلْها بيتَها، فسألَتْ لها عائشةُ النَّبيَّ عليه السَّلامُ عن ذلك، فأنزَلَ الله هذه

---

(١) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٨/ ٧٩)، والحاكم في «المستدرك» (٦٧٧٣).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٤٩)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٥١٩).

(٣) في هامش (ن): «الضباب: جمع ضب».

الآيَةَ، فأدخَلَتْها منزِلَها وقبِلَتْ منها هداياها، وكان أبو بكرٍ رضي الله عنه طلَّقَها في الجاهليّةِ[١].

قتادةُ: الآيةُ منسوخةٌ بقولِه: ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [التوبة: ٥][٢].

مجاهدٌ: الذين لم يُقاتِلُوكم في الدِّينِ هم الذين آمَنُوا وأقامُوا بمكَّةَ ولم يُهاجِرُوا[٣].

الحسنُ: هم خُزاعةُ وبنو الحارثِ، أمرَهم بأنْ يُوفُوا لهم بالعهدِ الذي كانَ[٤] بينَهم[٥].

وقيل: هم النِّساءُ والصِّبيانُ.

وقيل: عامّةٌ مُحكمةٌ، وسببُ النُّزولِ يدلُّ على هذا.

قولُه: ﴿أَن تَبَرُّوهُمۡ﴾: تُحسِنُوا إليهم بالقولِ والفعلِ، ومحلُّ ﴿أَن تَبَرُّوهُمۡ﴾ جرٌّ بالبدلِ عن ﴿ٱلَّذِينَ﴾ بدلَ الاشتمالِ.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ٣٠٤)، ورواه بنحوه الإمام أحمد في «المسند» (١٦١١١)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥٧٢)، والحاكم في «المستدرك» (٣٨٠٤) وصححه، من حديث عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما. وأصل الحديث رواه مسلم (١٠٠٣) من حديث أسماء رضي الله عنها.

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٢٠٠)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥٧٣)، وذكره النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٧١١).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥٧٢)، وذكره النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٧١١).

(٤) «كان»: ليس في (ف).

(٥) ذكره النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٧١١)، ومكي بن أبي طالب في «الهداية» (١١/ ٧٤٢٢).

﴿وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ﴾: تُحسِنُوا إليهم، وتُعطُوهم ممَّا تملِكُونَ من طعامٍ وغيرِه قسطًا.

والإقساطُ: أن تُعطُوهم مثلَ ما يُعطون، تقولُ: أقسَطَ: إذا عدَلَ وسُلِبَ القِسْطَ، وهو الجَورُ.

وقيل: أقسطَ: أعطى قِسْطَه، وأنصَفَ: أعطى نصفَه؛ أي: نصيبَه، وعُدِّي بـ(إلى) لتضمُّنِه معنى الإحسانِ.

وقيل: انتَهوا إليهم بالقِسطِ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾.

* * *

(٩) ـ ﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾: هم أهلُ الحربِ؛ أي: ينهاكُم عن برِّهم ﴿وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾؛ أي: المُشركينَ ﴿وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ﴾.

﴿أَن تَوَلَّوْهُمْ﴾ بدلٌ عن ﴿ٱلَّذِينَ﴾، والمعنى: تُناصِحُوهم.

﴿وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: الذينَ وضَعوا الولايةَ غيرَ موضِعِها.

* * *

(١٠) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ مُهَـٰجِرَٰتٍ﴾ قال ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: إنَّ مُشركي مكَّةَ صالَحوا رسولَ الله ﷺ عامَ الحُدَيبيةِ على أنَّ مَن أتاهُ من أهلِ مكَّةَ ردَّه إليهم، ومَن أتاهُم من أصحابِه فهو لهم، وكتبُوا بذلك كتابًا وختَمُوه، فجاءتْ سبيعةُ بنتُ الحارثِ ـ وقيل: سعيدةُ، وقيل: أمُّ كلثومٍ، والصَّحيحُ: سبيعةُ ـ بعدَ الفراغِ منَ الكتابِ والنَّبيُّ عليه السَّلامُ بالحديبيةِ، فأقبلَ زوجُها ـ واسمُه: مسافرٌ ـ وكانَ كافِرًا، فقال: يا محمَّدُ اردُدْ عليَّ امرأتي؛ فإنَّك شرطْتَ لنا أن تَرُدَّ علينا مَن أتاك منَّا، وهذه طِينةُ الكتابِ لـم تجِفَّ بعدُ، فأنزَلَ الله هذه الآيةَ(١) تُبيِّنُ أنَّ ذلك في الرِّجالِ لا في النِّساءِ؛ لأنَّ المسلمةَ لا تحلُّ لكافرٍ بوجهٍ مّا.

وقيل: لـمَّا نزلَتْ صارَ ذلك في الرِّجالِ دونَ النِّساءِ.

وقيل: نسخَتْ هذه الآيةُ الحكمَ الأوَّلَ(٢).

قولُـه: ﴿جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ﴾ فسـمَّاهُنَّ مُؤمنـاتٍ بمُجـرَّدِ الهجـرةِ، ثـمَّ قـالَ: ﴿فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾؛ أي: اختَبِروهُنَّ.

وقيل: سلُوهُنَّ.

وقيل: حلِّفُوهُنَّ ما خرَجْنَ إلا حِرْصًا على الإسلامِ، وطلبًا لِرضا الله تعالى ورسولِه، لا بُغضًا للزَّوجِ، ولا رغبةً في الدُّنيا.

وعن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما: امتِحانُها أن تقولَ: أشهدُ أنْ لا إلهَ إلا الله، وأنَّ محمَّدًا رسولُ الله(٣).

---

(١) رواه الفاكهي في «أخبار مكة» (٥/ ٤٢)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ٣٠٦)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٢٤).

(٢) انظر: «الناسخ والمنسوخ» للنحاس (ص: ٧١٦).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥٧٦)، وابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٨/ ١٣٤).

وعن عائشةَ رضي الله عنها: امتِحانُها بما في الآيةِ الأُخرى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ﴾(١).

وقيل: امتِحانُها في ردِّها مهرَ زوجِها.

﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ﴾ فإنَّكم تعلَمونَ الظّاهرَ، واللهُ يتولَّى السَّرائرَ.

﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ﴾؛ أي: بغالبِ الظَّنِّ ﴿فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ﴾: لا تردُّوهُنَّ ﴿إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ تكرارٌ للازدِواجِ والمُطابقةِ، والمعنى: وقعتِ الفرقةُ بينَهما بخُروجِها مسلمةً، وليس عليها العِدَّةُ عند بعضِهم، وعند بعضِهم عليها العِدّةُ.

﴿وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟﴾ يعني: المهرَ الذي أعطاها الحربيُّ.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾؛ أي: لا جُناحَ في نكاحِ المُهاجراتِ ﴿إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾: مُهورَهُنَّ.

﴿وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾؛ أي: ولا تُبقوا نكاحَ الكافراتِ، بل طلِّقوهُنَّ إن لم يُؤمِنَّ.

وأمسَكَ ومَسَّكَ بمعنًى(٢)، والباءُ صلةٌ.

والعِصَمُ: جمعُ عِصمةٍ، وهي: الحَبْلُ؛ أي: حَبْلُ النِّكاحِ، وهو العَقْدُ.

والكوافرُ: جمعُ كافرةٍ، وهي التي بقيَتْ في دارِ الحربِ، أو هرَبَتْ منكم إلى دارِ الحربِ.

وقالَ بعضُهم: معناه: لا خطرَ عليكم في نكاحِ المُهاجرةِ لعصمةِ زوجِها(٣)، وهذا بعيدٌ؛ لأنَّ (الكوافرَ) جمعُ (كافرةٍ) كما سبقَ، لا (كافرٍ)، ولا يُحمَلُ على الشُّذوذِ.

---

(١) رواه البخاري (٤١٨٢)، ومسلم (١٨٦٦).

(٢) قرأ أبو عمرو ويعقوب (ولا تَمَسَّكوا)، والباقون ﴿وَلَا تُمْسِكُوا۟﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٦٣٤)، و«المبسوط» (ص: ٤٣٤).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٠٥)، وعده من العجائب.

ولمَّا نزلَتْ هذه الآيةُ طلَّقَ عمرُ رضي الله عنه امرأتَين له[١]، وطلَّقَ طلحةُ امرأةً له[٢]، بقينَ في دارِ الحربِ.

﴿وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟﴾؛ أي: إنْ ذهبَ بعضُ أزواجِكم إلى الكفَّارِ الذينَ بينكَم وبينَهم عهدٌ فاسألوهُم أن يُعطوكُم[٣] ما أعطيتُموهُنَّ منَ المهرِ، كما يأخذونَ منكم ما أعطَوا نساءَهم منَ المهرِ إذا صِرْنَ إليكم مُؤمناتٍ.

﴿ذَٰلِكُمْ﴾؛ أي: ما تقدَّمَ ﴿حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ وهو منسوخٌ على ما سبقَ، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

***

(١١) ـ ﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ﴾؛ أي: واحدةٌ منهنَّ، وهكذا هو في حرفِ ابنِ مسعودٍ رضيَ الله عنه[٤].

﴿إِلَى ٱلْكُفَّارِ﴾؛ أي: مَن[٥] فاتَتْه زوجتُه بأنْ كفرَتْ ولحقَتْ بالمُشركين ولم يصِلْ إليه مهرُها من جهتِهم.

﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾: اقتصَصْتُم.

---

(١) رواه البخاري (٢٧٣٣) عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥٨٤) عن الزهري، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٥٠) عن طلحة رضي الله عنه.

(٣) في (ف): «يعطوهم».

(٤) أي: قرأ ابن مسعود: (وإن فاتكم أحد من أزواجكم). انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٥١)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ٢٧٤).

(٥) في (ف): «أي إن».

وقيل: فيكونُ لكم منهم عُقبَى؛ أي: ظفرٌ وغنيمةٌ.

وقيل: معناه: غزوتُم مرّةً بعدَ أُخرى.

وقيل: عاقَبْتُم: غنِمْتُم.

وقيل: عاقَبْتُم: فعَلْتُم بهم مثلَ ما فعلُوا بكم.

وعاقَبَ وعقَّبَ واعتَقَبَ وأَعْقَبَ[1] وتعقَّبَ وعَقَبَ كلُّه بمعنى: كانتِ العاقبةُ له.

﴿فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتۡ أَزۡوَٰجُهُم﴾؛ أي: ارتدَّتْ ولحقَتْ بالمُشركين.

وقيل: لَحِقَتْ بأهلِ الهدنةِ من قُريشٍ.

﴿مِّثۡلَ مَآ أَنفَقُوا۟﴾ يعني: مهرَ زوجتِه منَ الغنيمةِ.

قيل: منَ الخُمسِ.

وقيل: منَ الفيءِ.

وقيل: من صَداقِ مَن أسلمَتْ منهُنَّ عن زوجٍ كافرٍ، فيكونُ معنى ﴿فَعَاقَبۡتُمۡ﴾: بمصيرِ أزواجِهم إليكُم مُؤمناتٍ، أو من جهةِ السَّبيِ[2].

ابنُ بحرٍ: أي: عاقَبْتُم المُرتدَّةَ فقتلتُموها، فأعطُوا زوجَها[3] منَ الغنيمةِ صداقَها، فجعلَ (عاقَبْتُم) منَ العقوبةِ، وفيه بُعدٌ.

وهذا أيضًا منسوخٌ، وذهبَ بعضُهم إلى أنَّ هذه أحكامٌ تبِعَتِ الهجرةَ والهدنةَ التي كانت بينَهم، فلمَّا انقَضَتْ زالَتْ تلك الأحكامُ.

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ﴾.

---

(١) «وأعقب» من (ف).

(٢) في (ف): «سبي».

(٣) في (ن): «أزواجها»، ولا يصحُّ.

(١٢) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشۡرِكۡنَ بِٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡرِقۡنَ وَلَا يَزۡنِينَ وَلَا يَقۡتُلۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأۡتِينَ بِبُهۡتَٰنٖ يَفۡتَرِينَهُۥ بَيۡنَ أَيۡدِيهِنَّ وَأَرۡجُلِهِنَّ وَلَا يَعۡصِينَكَ فِي مَعۡرُوفٖ فَبَايِعۡهُنَّ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُنَّ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشۡرِكۡنَ بِٱللَّهِ شَيۡـٔٗا﴾ الجمهورُ على أنَّ هذه المُبايعةَ كانت قبلَ فتحِ مكَّةَ[١]، بايعَهُنَّ ﷺ بنفسِه وعلى يدِه صلى الله عليه ثوبٌ[٢].

وقيل: وضعَ بينَ يديه قَعْبًا[٣] فيه ماءٌ، وغمسَ يدَه فيه، وأمرَهُنَّ أن يغمِسْنَ أيديَهُنَّ فيه[٤].

وقيل: قال ﷺ: «إنِّي لا أُصافِحُ النِّساءَ، وإنِّي آخذٌ على مائةٍ بأخْذي على واحدةٍ»[٥].

---

(١) في هامش (ن): «الثعلبي ذكر في تفسيره أن هذه المبايعة يوم فتح مكة لما فرغ النبي عليه السَّلامُ من بيعة الرجال». انظر: «تفسير الثعلبي» (٢٦/ ٣١٨).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٢٠٢) عن إبراهيم النخعي، ورواه ابن سعد في «الطبقات» (٨/ ٥)، وسعيد بن منصور كما في «الدر المنثور» (٨/ ١٤٠) عن الشعبي.

(٣) في هامش (ن): «القعب: الصحن». والقعب: ما يروي الرجل الواحد، والصحن أكبر منه يروي قرابة العشرين رجلاً. انظر: «غريب الحديث» لابن قتيبة (١/ ٤٦٨).

(٤) رواه ابن سعد في «الطبقات» (٨/ ١١)، وفيه شيخه الواقدي، وهو متروك. ورواه الطبراني في «الكبير» (١٧/ ١٤٩) عن عروة بن مسعود الثقفي، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٣٩): «فيه عبد الله بن حكيم، أبو بكر الداهري، وهو ضعيف».

(٥) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (٢/ ٩٨٢)، والترمذي (١٥٩٧)، والنسائي (٤١٨١)، وابن ماجه (٢٨٧٤)، والحاكم في «المستدرك» (٦٩٤٦)، من حديث أميمة بنت رقيقة رضي الله عنها. قال الترمذي: «حسن صحيح».

قال مُقاتلٌ: جلسَ ﷺ على الصَّفا، وعمرُ بنُ الخطّابِ رضي الله عنه دونَ الصَّفا، فأمرَه أن يُبايعَ النِّساءَ(١).

وقيل: أمرَ أُختَ خديجةَ خالةَ فاطمةَ فبايعتِ النِّساءَ(٢).

قولُه: ﴿وَلَا يَسْرِقْنَ﴾ جاء في التَّفاسيرِ: وكانَتْ في جُملتِهنَّ هندُ امرأةُ أبي سفيانَ، فقالت: إنِّي لأُصبتُ من أبي سفيانَ الـهَنةَ ما أدري أيحِلُّ لي أم لا؟ فقال أبو سفيان: ما أصبتِ من شيءٍ مضى أو بقيَ فهو لكِ حلالٌ، فضحِكَ رسولُ الله وعرَفَها، فقال: «أنتِ هندٌ»، قالت: اعفُ عنِّي ما سلفَ عفا الله عنك؛ تريدُ ما صنعَتْ بحمزةَ.

ثمَّ قالَ: ﴿وَلَا يَزْنِينَ﴾ فقالَتْ هندٌ: وهل تزني الحرّةُ؟ فقال عليه السَّلامُ: «لا والله ما تزني الحرّةُ».

﴿وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ﴾ يُريدُ: وَأْدَ البناتِ، فقالَتْ هندٌ: نحنُ ربَّيناهُم صغارًا وأنتم قتلتُموهم كبارًا ـ تريدُ: يومَ بدرٍ ـ وأنتم وهم أعلَمُ، فضحكَ عمرُ رضي الله عنه حتَّى استلقَى(٣).

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٣٠٦)، وفيه: «لما فرغ النبي ﷺ من بيعة الرجال، وهو جالس على الصفا، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه أسفل منه، فقال النبي ﷺ: أبايعكن....».

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٥٢٤)، وسماها: أميمة، وأميمة هذه هي بنت رقيقة، ورقيقة هي بنت خويلد أخت خديجة. انظر: «الإصابة» (٧/ ٥١٠) ترجمة أميمة بنت رقيقة. ولعل هذا القول مبني على حديث أميمة المتقدم قريباً.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٣٠٦)، ورواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٨/ ٦) عن الشعبي، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥٩٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما بإسناد ضعيف.
ورواه بنحوه أبو يعلى في «مسنده» (٤٧٥٤)، ومن طريقه المزي في «تهذيب الكمال» (٣٥/ ٢٤٥)، وابن الملقن في «البدر المنير» (٨/ ٥٩٣)، من حديث عائشة رضي الله عنها. وإسناده ضعيف أيضاً، قال ابن الملقن: «وفي إسناده نسوة لا يعرفن».

وفـي بعـضِ التَّفاسـيرِ: فضحِـكَ عمـرُ رضـي الله عنـه حيـنَ قالـت هنـدٌ: هل تزني الحـرّةُ[١]؟

﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ فيه أقوالٌ:

أحدُها: لا يُلحِقْنَ بأزواجهنَّ غيرَ أولادِهم، وهو على وجهين:

أحدُهما ـ كانتِ المرأةُ تأتي باللُّقطةِ فتضعُها بينَ يدَيها ورِجلَيها فتقولُ: هذا ولدُكَ ولدتُه منكَ، وليس الولدُ له، ولا حملَتْ به.

والثَّاني ـ أن تحبلَ بالولدِ من غيرِ زوجِها فتُلحِقَه به.

وقيـل: ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ﴾ عبـارةٌ عنِ اللُّقطـةِ، ﴿وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ عبارةٌ عـن الولدِ منَ الزِّنى.

وقيل: البُهتانُ في الآيةِ الكذبُ والنَّميمةُ والمشيُ بالسِّعايةِ يختلِقْنَه من تلقاءِ أنفُسِهنَّ.

وقيل: قذفُ المُحصَنين والمُحصَناتِ، والكذبُ على النّاسِ.

وقيل: البُهتانُ: السِّحرُ والتَّمويهُ.

ورُوِيَ أنَّ هندًا قالت: والله إنَّ البُهتانَ لأمرٌ قبيحٌ، وما تأمرُ إلَّا بالأرشدِ ومكارمِ الأخلاقِ[٢].

ورُوِيَ أيضًا أنَّها قالَت: أمَّا ولي ضرَّةٌ فلا أدَعُ البهتَ[٣].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٥٢)، و«تفسير السمرقندي» (٣/ ٤٤٠).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٣٠٦)، و«تفسير السمرقندي» (٣/ ٤٤٠)، و«تفسير الثعلبي» (٢٦/ ٣١٩)، و«النكت والعيون» (٥/ ٥٢٥)، و«الوسيط» للواحدي (٤/ ٢٨٧).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٠٦)، واستغربه.

﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ جميعُ ما أمرَ رسولُ الله ﷺ أو نهى عنه معروفٌ، يقبلُه العقلُ ويعرِفُه ويدعو إليه.

وقيل: أُمِرْنَ أن لا يعصينَه في تركِ النَّوحِ، وخَدْشِ الوجهِ، وقطعِ الشَّعرِ.

ورُوِيَ أنَّ هندًا قالت: ما جلَسْنا هذا المجلسَ وفي أنفُسِنا أن نعصيَكَ في شيءٍ[1].

﴿فَبَايِعْهُنَّ﴾: اضمَنْ لهنَّ الجنَّةَ بشرطِ الوفاءِ بهذه الأشياءِ إلى المماتِ.

﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ﴾ عمَّا مضى ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

* * *

(١٣) ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ في القومِ قولانِ:

أحدُهما: أنَّهم اليهود ﴿قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ فيه وجوهٌ:

أحدُها: أنَّهم وصفُوها بغيرِ ما وصفَها الله به منَ الطَّعامِ والشَّرابِ والنِّساءِ في الجنَّةِ، ومنَ العذابِ والنَّكالِ في النَّارِ، فصاروا كالكفَّارِ الذين أنكَرُوها أصلًا، وقولُه: ﴿مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ صفةٌ للكفَّارِ؛ أي: في الحكمِ كالموتَى.

الوجهُ الثَّاني: أنَّهم يئِسُوا من ثوابِها لِمَا أتوا في شأنِ محمَّدٍ عليه السَّلامُ من

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٣٠٧)، و«تفسير السمرقندي» (٣/ ٤٤٠)، و«تفسير الثعلبي» (٢٦/ ٣١٩).

إنكارِهم نعتَه وتغييرِهم وصفَه(١)، فصارُوا كالكفَّارِ الذين يئسُوا من رجوعِ أصحابِ القُبورِ إليهم.

الجاحظُ: أي: لا حظَّ لهم في الآخرةِ وإنْ كانوا منها على طمعٍ، كما لا حظَّ لمن ماتَ كافرًا(٢).

وقيل: يئسَ اليهودُ عن الثَّوابِ كما يئسَ موتى الكفَّارِ؛ لأنَّهم علموا بعدَ موتِهم أنْ لا حظَّ لهم في نعيمِ الآخرةِ.

والقولُ الثّاني: أنَّ القومَ هم الكفَّارُ ﴿يَئِسُواْ مِنَ ٱلْأَخِرَةِ﴾ لأنَّهم يُنكِرونَ البعثَ والنُّشورَ ﴿كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ﴾؛ أي: كما يئسُوا من أن ينالَهم من أهلِ القبورِ خيرٌ، فوُضِعَ الظّاهرُ موضعَ الضَّميرِ.

***

---

(١) في (ف): «صفته».

(٢) لم أقف عليه عن الجاحظ، وذكر نحوه الزجاج في «معاني القرآن» (٥/ ١٦١).

سُورَةُ الصَّفِّ

ويقالُ لها: سورةُ عيسى عليه السَّلامُ[1].

ويقالُ لها: سورةُ الحواريِّين[2].

أربعَ عشرةَ آيةً[3]، مدَنيَّةٌ.

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ سبقَ، بدأ بالتَّسبيحِ لحسنِ الاستفتاحِ، كما بدأ بـ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ للتيمُّنِ والتَّبرُّكِ.

* * *

(٢) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ في سببِ النُّزولِ: كان المسلمونَ يقولون: لو نعلمُ أحبَّ الأعمالِ إلى الله لبذَلْنا فيه أموالَنا وأنفُسَنا، فدلَّهم الله على

---

(١) وردت تسميتها بذلك في بعض الكتب التي ذكرت حديث أبي بن كعب رضي الله عنه المعروف في فضائل السور، وهو حديث موضوع. انظر: «الوسيط» للواحدي (٤/ ٢٩٠).

(٢) انظر: «زاد المسير» (٤/ ٢٧٦)، و«فتح الباري» (٨/ ٦٤١)، و«الإتقان في علوم القرآن» (١/ ١٩٥).

(٣) «أربع عشر آية»: ليس في (ف).

أحبِّ الأعمالِ إليه، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ﴾ الآية، فابتُلوا يومَ أحدٍ بذلك فولَّوا مُدبِرينَ، فأنزَلَ الله: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾(١).

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: نزلَتْ في قومٍ قالوا: لو علِمْنا أحبَّ الأعمالِ إلى الله سارَعْنا إليه، فلمَّا نزلَ فرضُ الجهادِ تثاقَلُوا عنه(٢).

عِكرمةُ: نزلَتْ في قومٍ كانَ الرَّجلُ منهم يقولُ: قاتلتُ ولم يُقاتِلْ، وطَعنْتُ ولم يَطْعَنْ، وضرَبْتُ ولم يَضرِبْ، وصبَرْتُ ولم يَصبِرْ(٣).

الحسنُ: نزلَتْ في المُنافقين(٤)، وسمَّاهُم مؤمنينَ بزعمِهم.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٥٤) عن مقاتل بن حيان. وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ٣٤١) عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه من حديث ابن عباس عبد بن حميد وابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٨/ ١٤٦)، لكن فيه بدل «فابتُلوا يومَ أحدٍ بذلك فولَّوا مُدبِرينَ»: «فكرهوا ذلك». وبنحو هذا رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٦٠٧) من طريق عطية العوفي عن ابن عباس، وعطية ضعيف.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٦٠٦ ـ ٦٠٧) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وروى نحوه الترمذي (٣٣٠٩) عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه، ولفظه: «قعدنا نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فتذاكرنا، فقلنا: لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله لعملناه، فأنزل الله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾، قال عبد الله بن سلام: فقرأها علينا رسول الله ﷺ، قال أبو سلمة: فقرأها علينا ابن سلام، قال يحيى: فقرأها علينا أبو سلمة، قال ابن كثير: فقرأها علينا الأوزاعي، قال عبد الله: فقرأها علينا ابن كثير»، وهو الحديث المعروف بالمسلسل بسورة (الصف).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٥٢٧).

(٤) ذكره عن الحسن ابن أبي زمنين في «تفسيره» (٤/ ٣٨٢)، والثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٣٠٢)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٦٠٩) عن ابن زيد.

وقال أبو موسى: لقد نزلَتْ سورةٌ كنَّا نُسمِّيها المُسبِّحاتِ، أوَّلُـها: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾، حفِظْتُ منها: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾، فتُكتَبُ شهادةً في أعناقِكُم، ثمَّ عنها يومَ القيامةِ تُسألونَ[1].

قال الماورديُّ: الآيةُ وإنْ كانَ ظاهرُها الإنكارَ لمَن قالَ ما لا يفعلُ، فالمُرادُ به الإنكارُ لمَن لـم يفعَلْ ما قالَ؛ لأنَّ المقصودَ بها الالتزامُ دونَ الإسقاطِ[2].

وعن سفيانَ بنِ عُيينةَ: إنَّ المعنى: لِـمَ تقولونَ ما ليس الأمرُ فيه إليكم، فلا تدرونَ هل تفعَلُونَ أم لا تفعَلُونَ[3]؟

وأصلُ ﴿لِمَ﴾: لِـمَا، فحُذِفَ الألفُ في الاستفهامِ، وتقولُ في الوقفِ: ﴿لِمْ﴾، وإن شئتَ: (لِمَهْ)، وهي قراءةُ يعقوبَ[4].

﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ﴾؛ أي: بُغضًا، ومَن مقتَه الله فله النَّارُ، كما أنَّ مَن أحبَّه الله فله الجنَّةُ.

﴿أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ تقديـرُه عنـدَ النُّحـاةِ: كَبُـرَ المقـتُ مقتـاً عند الله أن تقولـوا، فهـو فـي محلِّ رفـعٍ بالابتـداءِ، و﴿مَقْتًا﴾ نصـبٌ علـى التَّمييزِ، نحـو: نِعْمَ الرَّجـلُ رجـلًا زيدٌ.

وقال بعضُهم: كبُرَ مقتُهم مقتًا هو أنْ تقولوا ما لا تفعلونَ. والأوَّلُ أولى.

***

---

(١) رواه مسلم (١٠٥٠).

(٢) انظر: «النكت والعيون» (٥/ ٥٢٧).

(٣) ذكره التستري في «تفسيره» (ص: ١٦٧)، وفيه: «فلا تدرون تفعلون أم لا تفعلون»، وفي عبارة المصنف إشكال من جهة دخول (أم) المعادلة بعد (هل). انظر: «شرح الكتاب» للسيرافي (٣/ ٤٢١).

(٤) قرأ بها يعقوب والبزي عن ابن كثير بخلف. انظر: «النشر» (٢/ ١٣٤).

(٤) ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا﴾؛ أي: مُصطَفِّينَ، مصدرٌ وقعَ موقعَ الحالِ.

﴿كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ﴾: شديدُ اللُّصوقِ، مِن (رَصِّ البناءِ)، وهو إحكامُه في اتِّصالٍ واستقامةٍ.

وقيل: ﴿بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ﴾: بُنِيَ بالرَّصاصِ، والمعنى: لاصِقٌ بعضُه إلى بعضٍ لا يُغادِرُ شيءٌ منه شيئًا.

وقيل: يريدُ استواءَ نيَّاتِهم في حربِ عدوِّهم، حتَّى يكونوا لاجتماعِ كلمتِهم كالبناءِ لا خلَلَ فيه ولا فُرَجَ.

وفي بعضِ التَّفاسيرِ: وكانَ بعضُهم يُؤثِرُ القتالَ راجلًا على القتالِ راكبًا؛ لأنَّ الفرسانَ لا يصطفُّونَ، وأنَّ ذلك من وصفِ الرَّجَّالةِ(١).

***

(٥) ـ ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ لِمَ تُؤۡذُونَنِي وَقَد تَّعۡلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡۖ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾.

﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ لِمَ تُؤۡذُونَنِي وَقَد تَّعۡلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡۖ﴾ بما جئتُكم منَ المُعجِزاتِ.

وما آذَوا به موسى سبقَ في قولِه: ﴿لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ﴾ [الأحزاب: ٦٩]، وفي

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٦١٢) عن أبي بحرية قال: «كانوا يكرهون القتال على الخيل، ويستحبون القتال على الأرض؛ لقول الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ﴾.

الآية تسليةٌ للنَّبيِّ ﷺ؛ أي: إذا آذاكَ المُنافقون فتذكَّرْ موسى وإيذاءَ قومِه إيَّاه.

﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟﴾: عدَلُوا ومالُوا عن الحقِّ[1].

وقيل: شكُّوا بعدَما أيقنُوا، يريدُ قومَ موسى الذين آذَوه.

وقيل: كانَ في قومِه أيضًا مُنافِقونَ.

وقيل: هم الخوارجُ.

﴿أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾: أضلَّهم وصرَفَ قلوبهم وخذَلَهم.

وقيل: أزاغَهم عنِ الثَّوابِ.

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾: لا يُرشِدُهم.

وقيل: لا يهديهم إلى الجنَّةِ.

* * *

(٦) - ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾.

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾: وتذكَّرْ أيضًا عيسى ابنَ مريمَ إذ قالَ لقومِه: ﴿يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾؛ أي: بحَضْرتي وقُدَّامي، وتصديقُه لها: إقرارُه بأنَّها حقٌّ.

وقيل: تصديقُه لها: أنَّ في التوراةِ حديثَ عيسى[2]، ووقوعُ المُخبَرِ به يُصدِّقُ المُخبِرَ المُتقدِّمَ.

---

(١) في (ن): «الطريق المستقيم» بدل «الحق»، وفي هامشها: «في نسخة: الحق»، وهي كذلك في (ف).

(٢) في (ن): «موسى»، ولا يصحُّ.

﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ يعني: محمَّدًا عليه السَّلامُ، سمَّاه الله أحمدَ ومحمَّدًا، ولهذا قالَ ﷺ: «أنا دعوةُ إبراهيمَ، وبُشرى عيسى»[١]. وأرادَ بدعوةِ إبراهيمَ قولَه تعالى حاكيًا عن إبراهيمَ عليه السَّلامُ: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٩]، وقد سبق. وتقديرُه: اسمُه قولُ أحمَدَ[٢]، فحُذِفَ المُضافُ.

القفَّالُ والنَّقَّاشُ: اسمُه في الإنجيلِ فارقليطا؛ أي: ليس بمذمومٍ[٣].

وقالَ ابنُ هيضمٍ: اسمُه في الإنجيلِ فارقطيطا، وفي التَّوراةِ بمادماد[٤].

وزعموا أنَّ المُرادَ به ما يُوافقُ منَ الأسماءِ هذه العِدَّةَ من حسابِ الجُمَّلِ، فالميمانِ في مُقابلةِ الميمَينِ من محمَّدٍ، وإحدى الدّالَينِ في مُقابلةِ الدّالِ من محمَّدٍ، وبقيَ ألفانِ وباءٌ ودالٌ ومجموعُها ثمانيةٌ، والحاءُ في محمَّدٍ ثمانيةٌ. والله أعلَمُ.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ يعني: جاءَهم عيسى عليه السَّلامُ بالمُعجِزاتِ.

وقيل: جاءَهم محمَّدٌ ﷺ.

﴿قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾؛ أي: ما جاء به سحرٌ، ومَن قرأ بالألفِ[٥]؛ أي: عيسى ساحرٌ مُبينٌ.

* * *

(٧) ـ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾؛ أي: نسَبَ النبيَّ إلى السِّحرَ.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٧١٥٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٤٠٤)، والحاكم في «المستدرك» (٣٥٦٦) وصححه.

(٢) وذلك لأن (أحمد) عبارة عن الشخص، والاسم قول، والقول لا يكون الشخص. انظر: «الحجة» لأبي علي (٦/ ٢٨٩).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٠٨).

(٤) في (ف): «مادمابد»، والمثبت من (ن)، وهو موافق لما في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٠٨).

(٥) أي: ﴿ساحر﴾ قراءة حمزة والكسائي، والباقون: ﴿سِحْرٌ﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٢٤٩)، و«التيسير» (ص: ١٠١).

﴿وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ﴾: وهو يدعوه النَّبيُّ إلى الإسلامِ، والمعنى: لا أحدَ أظلَمُ منه.

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: لا يُرشِدُهم.

وذكرَ الكذبَ مُعرَّفًا وفي أمثالِه منَ القرآنِ مُنكَّرًا لأنَّه أشارَ به إلى كذبِ اليهودِ والنَّصارَى، وقد تقدَّمَ ذِكرُهما(١).

* * *

(٨) - ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ﴾ هذا مثلٌ ضربَه الله؛ أي: مَن أرادَ إطفاءَ نورِ الشَّمسِ بفيه كما يُطفَأُ السِّراجُ وجدَ مطلوبَه مُستحيلًا، كذلك مَن أرادَ إبطالَ الحقِّ.

وقيل: يُريدونَ إبطالَ نورِ الله، وهو القرآنُ.

وقيل: محمَّدٌ صلى الله عليه.

وقيل: الإسلامُ.

وقيل: حُجَجُ الله.

﴿بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾: بكلامِهم وإنكارِهم ذلك.

واللّامُ في ﴿لِيُطْفِـُٔوا۟﴾ بمعنى (أنْ) عند بعضِ المُفسِّرين(٢)، وعندَ بعضِهم زائدةٌ، و(أنْ) مُقدَّرةٌ بعدها.

وقيل: محمولٌ على المصدرِ.

والصَّحيحُ: أنَّ المفعولَ محذوفٌ، واللَّامَ للعلَّةِ، والتَّقديرُ: يُريدونَ الكذبَ ليُطفِئُوا نورَ الله.

---

(١) انظر: «درة التنزيل» للخطيب الإسكافي (٣/ ١٢٧٠).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٠٨)، واستغربه.

﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ الْكَٰفِرُونَ﴾ قُرِئَ بالتَّنوينِ وبالإضافةِ[١]، وحقُّ ما وقعَ الإضافةُ، وحقُّ ما لـم يقعِ التَّنوينُ، والمعنى: أتمَّ نورَه ويُتمُّه أبدًا.

وعن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما: أبطأ الوحيُ عن النَّبيِّ ﷺ أربعينَ يومًا، فقال كعبُ بنُ الأشرفِ لليهودِ: أبشِرُوا فقد أطفأ اللهُ نورَ محمَّدٍ ممَّا كان ينزلُ عليه، وما كانَ الله ليُتِمَّ نورَه، فحزنَ رسولُ الله ﷺ، فأنزَلَ الله هذه الآيةَ، ثمَّ اتَّصلَ الوحيُ[٢].

***

(٩) - ﴿هُوَ الَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾.

﴿هُوَ الَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِالْهُدَىٰ﴾؛ أي: بالقرآنِ ﴿وَدِينِ الْحَقِّ﴾: الإسلامِ، و﴿الْحَقِّ﴾: صفتُه. وقيل: الحقُّ هو الله تعالى[٣].

﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾؛ أي: يُظهِرَه بالغلبةِ والاستعلاءِ، وقد حصلَ لأنَّ الإسلامَ ما لقيَ دينًا إلا غلبَه وعَلَاه.

وقيل: ليُظهِرَه بالحُجَجِ والبيِّناتِ.

وقيل: ليُطلِعَه على جميعِ الأديانِ، وما خالفَ أهلُها فيه رسلَهم، حتَّى يكونَ عالـمًا بذلك.

وقيل: ليُظهِرَه على الدِّينِ كلِّه بنزولِ عيسى عليه السَّلامُ ودخولِ أهلِ

---

(١) قرأ ابن كثير وحمزة والكسائيُّ وعاصم في رواية حفص: ﴿مُتِمُّ نُورِهِۦ﴾ بالإضافة، والباقون: ﴿مُتِمٌّ نُورَهُۥ﴾ بالتنوين. انظر: «السبعة» (ص: ٦٣٥)، و«التيسير» (ص: ٢١٠).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٥٣٠).

(٣) و﴿الْحَقِّ﴾ على هذا مضاف إليه.

الأرضِ قاطبـةً فـي الإسـلامِ، قالـه أبـو هريـرةَ رضـيَ الله عنـه[١].

* * *

(١٠) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ النِّداءُ للمُخاطبين.

وقيل: عامٌّ كما في أوَّلِ السُّورةِ.

وقيل: هذا وإن تأخَّرَ في التِّلاوةِ فهو أوَّلُ نُزولًا.

﴿هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ﴾ استفهامٌ في اللَّفظِ إيجابٌ في المعنى، والتِّجارةُ: طلبُ الرِّبحِ بالمُبايعةِ، والمُراد بها هاهنا: طاعةُ الله.

﴿تُنجِيكُم﴾: تُخلِّصُكم وتُبعِدُكم ﴿مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ و﴿تُنجِّيكُم﴾ بالتَّشديدِ[٢] بمعناه.

* * *

(١١) ـ ﴿تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾.

﴿تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾: تثبُتونَ على إيمانِكم ﴿وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ﴾ أي: الإيمانُ والجهادُ ﴿خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾.

قيلَ: ﴿تُؤۡمِنُونَ﴾ بدلٌ منَ التِّجارةِ؛ أي: هي أن تُؤمِنُوا، فلمَّا حُذِفَ (أنْ) رُفِعَ، وكذلك ﴿تُجاهِدونَ﴾، وعندَ سيبويهِ ﴿تُؤۡمِنُونَ... وَتُجَٰهِدُونَ﴾ واقعانِ موقعَ (آمِنُوا... وجاهِدوا)[٣].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٤٢٣) و(٢٢/ ٦١٥)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٣٥٥).

(٢) قرأ بها ابن عامر، والباقون بالتخفيف. انظر: «السبعة» (ص: ٦٣٥)، و«التيسير» (ص: ٢١٠).

(٣) انظر: «الكتاب» (٣/ ٩٤).

(١٢) ـ ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ مجزومٌ عندَ الفرَّاءِ لأنَّه جوابٌ للاستفهامِ[١]، وفيه بُعدٌ عندَ البصريِّينَ، وعندَ سيبويهِ مجزومٌ على أنَّه جوابُ الأمرِ[٢]، وكذلك ﴿وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ سبقَ.

* * *

(١٣) ـ ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ قيل: ولكم خلَّةٌ أخرى، ثمَّ فسَّرها فقال: ﴿نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ يعني: فتحَ مكَّةَ، وقيل: فارسَ والرُّومِ.

وقيل: عطفٌ على (التِّجارةِ)؛ أي: وأدلُّكم على تجارةٍ أُخرى تُحبُّونَها؛ أي: محبوبةٍ في الجبلَّةِ، ثمَّ فسَّرَها فقال: ﴿نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ يفتحُ لكم البلادَ والأمصارَ.

﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بهذَين الثَّوابَين عاجلًا وآجلًا.

* * *

(١٤) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾[٣] الخطابُ لأهلِ المدينةِ، وهم الأنصارُ،

---

(١) في (ف): «الاستفهام». انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٥٤).

(٢) انظر: «الكتاب» (٣/ ٩٤).

(٣) ضُبطت بالإضافة في (ف)، وبالإضافة والتنوين في (ن).

وكانـوا سـبعينَ نفـرًا بايعـوا[١] النَّبيَّ عليـه السَّـلامُ ليلةَ العقبـةِ[٢].

﴿كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّنَ﴾ قيل: معناه: إنِّي أدعوكُم إلى هذا كما دعا عيسى عليه السَّلامُ قومَه فقال: ﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾.

وقيل: انصُروا اللهَ مثلَ نُصرةِ الحواريِّينَ لدينِ الله.

قُرِئَ ﴿أنصارًا لله﴾ بالتَّنوينِ؛ أي: دومُوا واثبُتوا أنصارًا.

وقُرِئَ بالإضافةِ[٣] قياسًا على قولِه: ﴿نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾.

والحواريُّونَ أصحابُ عيسى عليه السَّلامُ، وكانوا اثني عشرَ رجلًا، أوَّلُ مَن آمنَ به، وقد سبقَ[٤].

وفي بعضِ التَّفاسيرِ[٥]: الغَسَّالُ بلغةِ النبطيّةِ حوارِيٌّ[٦].

ومعنى ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ عندَ بعضِهم: مع الله، كما جاءَ: الذَّودُ إلى الذَّودِ إبلٌ[٧].

وقيل: معناه: مَن يضُمُّ نُصرةً إلى نُصرةِ[٨] الله.

﴿قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾؛ أي: أنصارُ الحقِّ.

---

(١) في (ن): «تابعوا».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٦٢٠) عن قتادة.

(٣) قرأ بها عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي، والباقون بالتنوين. انظر: «السبعة» (ص: ٦٣٥)، و«التيسير» (ص: ٢١٠).

(٤) في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ﴾ الآية [آل عمران: ٥٢].

(٥) في (ف): «التفسير».

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٦٢١) عن الضحاك.

(٧) من أمثال العرب، ومعناه: أن القليل إذا جمع إلى القليل كثر، والذود ما بين الثلاث إلى العشر من إناث الإبل. انظر: «جمهرة الأمثال» (١/ ٤٦٢).

(٨) في (ف): «نصر».

﴿فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾؛ أي: بعيسى ﴿وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ﴾: قوَّيناهُم ونصرناهُم ﴿فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾: غالِبينَ.

قيل: قاتلَ أصحابُ عيسى بعدَ عيسى عليه السَّلامُ فنصرَهُم الله، ولم يكُنْ عيسى أُمِرَ بالقتالِ والقتلِ.

وقيل: ظاهِرين بالحجَّةِ لا بالحربِ.

وقيل: حارَبَ مُؤمِنُو أصحابِ عيسى كافري أصحابِه ذبًّا عن دينِهم، فغلَبَ المؤمنونَ الكافرينَ.

وقيل: ﴿فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ بمحمَّدٍ عليه السَّلامُ، ﴿وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ﴾.

وعن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما في قولِه: ﴿فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾؛ أي: قاتَلُوا ليلًا فأصبَحُوا ظاهِرينَ[1]. والله أعلمُ.

* * *

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٠٩)، واستغربه.

سُورَةُ الجُمُعَةِ

إحدى عشرةَ آيةً[1]، مدنيَّةٌ بالإجماع[2].

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾.

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ سبق.

* * *

(٢) ـ ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ﴾: أرسلَ فيهم، وفيه[3] ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: أنَّهم قُريشٌ.

والثّاني: أنَّهم العربُ جميعًا، وكانوا أُمِّيِّينَ لا يكتُبونَ ولا يقرؤُونَ، وإنَّما وقعتِ الكتابةُ إليهم بعدُ منَ الطّائفِ والحيرةِ والأنبارِ.

وقيل: يجوزُ تسميتُهم «أُمِّيِّينَ» على الأغلبِ.

---

(١) «إحدى عشرة آية»: ليس في (ف).

(٢) «بالإجماع» من (ف).

(٣) في (ف): «فيهم» بدل: «أرسل فيهم وفيه».

والأُمِّيُّ منسوبٌ إلى (الأمِّ)؛ أي: هو على أصلِ الولادةِ لـم يتعلَّمْ كتابةً.

الحسـنُ: سُـمُّوا «أُمِّيِّـنَ» لأنَّـه لـم يأتِهـم كتـابٌ كمـا أتـى اليهـودَ والنصارى وغيرَهـم[1].

الثالث: الأميُّون أمَّةُ محمدٍ ﷺ، نُسِبوا إلى (الأمَّة)؛ كما تقول: أُمَّةُ نوحٍ وأُمَّةُ هودٍ، والمُرادُ بهم هاهنا: هم الذين كانوا في زمانِه عليه السَّلامُ.

﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ يعني: محمَّدًا عليه السَّلامُ؛ ليكونَ مثلَهم، فالجنسُ إلى الجنسِ أميَلُ.

وقيل: ليكونَ أبعدَ منَ الرِّيبِ.

وقيل: ليكونَ مُوافقًا لِمَا في الكتبِ المُتقدِّمةِ؛ لأنَّ وصفَه فيها: النَّبيُّ الأُمِّيُّ.

﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾: القرآنَ ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾: يُطهِّرُهم منَ الذُّنوبِ.

وقيل: يُعرِّضُهم لِمَا يصيرونَ به أزكياءَ.

﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾: القرآنَ ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾: مواعظَ القرآنِ.

وقيل: السُّنَّةَ.

وقيل: الفِقهَ في الدِّينِ[2].

وقيل: الكتابةَ؛ لأنَّهم تعلَّموها وفشَتْ فيهم بعدَ الشَّريعةِ.

﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ﴾: وإنَّهم كانوا من قبلِ محمَّدٍ عليه السَّلامُ ﴿لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾: كُفرٍ وجَهالةٍ.

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٥) عن ابن زيد، وذكره مكي بن أبي طالب في «الهداية» (١٢/ ٧٤٥٤) بلا نسبة.

(٢) في (ن): «الفقه والدين».

(٣) ـ ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ﴾: هم الذين جاؤوا بعدَ الصَّحابةِ؛ أي: التّابعينَ إلى يومِ الدِّينِ ﴿لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ﴾؛ أي: لـم يلحَقُوا بعدُ.

وقيل: هم أولادُ الصَّحابةِ مَن أدرَكُوا النَّبيَّ عليه السَّلامُ.

وقيل: هم العجَمُ.

ومحلُّ ﴿آخَرين﴾ نصبٌ عطفًا على ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾: ويُعلِّمُ آخرينَ[1].

وقيل: في محلِّ جرٍّ عطفًا على ﴿ٱلْأُمِّيِّـۧنَ﴾، وهذا أظهرُ.

و(مِنْ) في ﴿مِنْهُمْ﴾ للتَّبعيضِ.

وقيل: هو الذي يصحَبُ أفعلَ للتَّفضيلِ، وفيه بُعدٌ، لا يُستعمَلُ (من) مع (آخَرَ) ولا مع (أوَّل).

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾: لا يمتنعُ عليه شيءٌ، ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: يضعُ الشَّيءَ موضعَه.

* * *

(٤) ـ ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾ قيل: النُّبوةُ.

وقيل: انقيادُ النّاسِ لأمرِه.

وقيل: الإسلامُ.

﴿فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ يشملُ فضلُه الدُّنيا والآخرةَ.

* * *

---

(١) فهو عطف على الضمير المتصل في ﴿يعلمهم﴾.

(٥) ـ ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾؛ أي: عُلِّموها وكُلِّفوا العملَ بما فيها ﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾؛ أي: لم يفعلوا ما أُمروا فيها من إظهارِ صفةِ محمَّدٍ ﷺ ونعتِه، بل غيَّروها وحرَّفوا الكلمَ عن مواضعِها.

وقيل: ﴿حُمِّلُواْ﴾ منَ (الحَمالةِ)، وهي الكَفالةُ، لا منَ (الحملِ).

وقيل: ﴿حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾: قرؤُوها ﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾؛ أي: لم يعلَمُوا معانيَها.

﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾: كتُبًا لا يدري ما فيها، وعليه ثِقْلُها، ولا نفعَ له فيها.

والأسفارُ: جمعُ (سِفْرٍ)، وهو الكتابُ الكبيرُ.

وقيل: هو الكتابُ يُطوَى.

وقيل: لأنَّها تَكشفُ عن المعنى بإظهارِها له كما تُسفِرُ المرأةُ وجهَها.

وقيل: نَبطيَّةٌ، وهو قولُ الضَّحّاكِ(١).

المُبرِّدُ: جمعٌ لا واحدَ له(٢).

﴿بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: بئسَ هذا المثلُ المذكورُ مثَلُ القومِ.

قال أبو عليٍّ: بئسَ مثَلُ القومِ مثَلُ الذينَ كذَّبوا بآياتِ الله، فحُذِفَ المُضافُ، و﴿ٱلَّذِينَ﴾ في محلِّ رفعٍ(٣).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٦٣٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٥٥)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢١١)، وعده من العجائب، وانظر: «المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب» للسيوطي (ص: ٧٢).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢١١)، واستغربه.

(٣) انظر: «الإيضاح العضدي» لأبي علي الفارسي (ص: ٨٨)، ومعنى هذا الوجه: أنَّ ﴿مَثَلُ ٱلْقَوْمِ﴾

قـال: وإنْ شـئتَ جرَرْتَ، والمذمـومُ محذوفٌ كمـا حُذِفَ الممـدوحُ في قولِه: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾ [ص: ٣٠](١).

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: لا يُرشِدُهم.

***

(٦) ـ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ﴾ يُريدُ قولَـهم: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة: ١٨]، وقولَـهم: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا﴾ [البقرة: ١١١].

﴿فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾: ادعُوا على أنفسِكُم.

وقيل: تمنَّوها(٢) بقلوبِكم؛ فإنَّ مَن هذه حالُه فالجنةُ آثَرُ عندَه.

***

(٧) ـ ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ فـي شـأنِ محمَّـدٍ ﷺ وكتمـانِ نعتِـه وتغييرِ

فاعلُ ﴿بِئْسَ﴾ والمخصوصُ بالذَّمِّ الموصولُ بعده، فَيُشْكِلُ لأنه لا بُدَّ مِنْ تصادُقِ فاعلِ «نِعْم وبِئْسَ» والمخصوصِ، وهنا المَثَلُ ليس القومَ المكذِّبين، والجواب: أنَّه على حَذْفِ مضافٍ، أي: بِئْسَ مَثَلُ القومِ مَثَلُ الذين كَذَّبوا. وهذا هو الظاهرُ المشهور في إعرابه. انظر: «الدر المصون» (١٠/ ٣٢٧).

(١) ومعنى هذا الوجه: أنَّ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ صفةٌ لـ﴿ٱلْقَوْمِ﴾ فيكونُ مجرورَ المحلِّ، والمخصوصُ بالذمِّ محذوفٌ لِفَهْمِ المعنى، تقديره: بِئْس مَثَلُ القومِ المكذِّبين مَثَلُ هؤلاء، وهو قريبٌ من الأولِ. انظر: المصدر السابق، وثمة وجوه أخر تنظر فيه.

(٢) كذا في النسختين، فكانه أعاد الضمير على الوفاة، لأنها بمعنى الموت، ولو قال: «تمنوه» لكان أظهر، والله أعلم.

وصفِه[١]، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ سبقَ بيانُ هذه الآيةِ في سورةِ (البقرةِ).

***

(٨) - ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡمَوۡتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنۡهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمۡۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾.

﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡمَوۡتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنۡهُ﴾؛ أي: تكرَهُونَه.

وقيل: تهربونَ منه.

وقيل: لا تلتفِتُونَ إليه. والأوَّلُ أظهرُ؛ لأنَّ الفِرارَ منه لا يُمكِنُ.

﴿فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمۡ﴾: يحلُّ بكم ويأتيكم ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ﴾ بالموتِ ﴿إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ لا يخفَى عليه خافيةٌ.

﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ يُخبِرُكم ويُجازيكم عليه، والفاءُ دخلَ خبرَ المبتدأ؛ لأنَّ المبتدأ وإنْ لم يكُنْ موصولًا فهو موصوفٌ بموصولٍ، والصِّفةُ والموصوفُ شيءٌ واحدٌ.

الأخفشُ: الفاءُ زيادةٌ[٢].

وفي حرفِ ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه: (إنَّ الموتَ الذي تفِرُّونَ منه مُلاقيكم)[٣].

وقيل: تمَّ الكلامُ عند قولِه: ﴿تَفِرُّونَ مِنۡهُ﴾، ثمَّ قال: ﴿فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمۡ﴾

---

(١) في (ف): «صفته».

(٢) انظر: «الحجة» للفارسي (١/ ٤٣ و٤٩)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢١٢)، واستغربه.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٥٦)، و«البسيط» للواحدي (٢١/ ٤٥١).

علـى تقديـرِ: فِـرُّوا أو لا تفِرُّوا فإنَّـه مُلاقيكـم(١)، وفيه بُعدٌ.

وقال صاحبُ «النَّظمِ»: دخلتِ الفاءُ لأنَّه جوابٌ لقولِه: ﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ﴾ ﴿فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾(٢)، والقولُ هو الأوَّلُ، وهو مذهبُ أبي عليٍّ(٣).

***

(٩) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ﴾ المُرادُ به الأذانُ لصلاةِ الجمعةِ، وسُمِّيت الجمعةُ جمعةً لاجتماعِ النّاس فيها(٤) للصَّلاةِ، وكانت العربُ تُسمِّيه: العَروبة.

وقيل: أوَّلُ مَن سمَّاه يومَ الجمعةِ كعبُ بنُ لؤيِّ بنِ غالبٍ(٥)؛ لاجتماعِ النَّاسِ فيه إلى كعبٍ.

وعن النَّبيِّ عليه السَّلامُ: «إنَّما سُمِّيَ يومَ الجمعةِ لأنَّه جُمِعَ فيه طينةُ آدمَ عليه السَّلامُ»(٦).

---

(١) ومعنى هذا القول: أن ﴿ٱلَّذِى تَفِرُّونَ﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾ والفاء لعطف جملة على جملة مقدرة من معنى ﴿تَفِرُّونَ﴾. هكذا ذكر المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢١٢)، وعده من العجائب.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢١٢)، وعده من العجائب.

(٣) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (١/ ٤٣ و٤٩).

(٤) في (ن): «فيه».

(٥) انظر: «أدب الكاتب» للصولي (ص: ٣٦)، و«تفسير الثعلبي» (٢٦/ ٣٩٣)، و«النكت والعيون» للماوردي (٦/ ٩).

(٦) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٨١٠٢)، والحارث في «مسنده» (١٩٤)، من طريق فرج بن فضالة عن علي بن أبي طلحة عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً. قال ابن حجر في «فتح الباري» (٢/ ٤١٨): «فرج بن فضالة ضعيف وعلي لم يسمع من أبي هريرة».

ويجوزُ تسكينُ الميمِ في الشَّاذِّ[١].

﴿فَاسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾: امشُوا على القَدَمِ.

وقيل: اقصِدوا.

وقيل: امضُوا مُسرِعينَ غيرَ مُتثاقِلينَ.

وقيل: فاسعَوا بالنِّيَّةِ في القلوبِ والإرادةِ والخشوعِ.

وقيل: أجيبُوا.

وقيل: السَّعيُ: قصُّ الشَّاربِ، ونتفُ الإبطِ، وتقليمُ الأظفارِ، والغُسلُ، والتَّطييبُ للجمعةِ، ولُبسُ أفضلِ الثِّيابِ[٢].

وكان عمرُ وابنُ مسعودٍ رضي الله عنهما يقرآنِ: (فامضُوا)[٣].

وقال عبدُ الله: لو كانَ (فاسعَوا) لعَدَوْتُ واشتَدَدْتُ حتَى يسقُطَ ردائي[٤].

وقرأ رجلٌ عندَ عمرَ رضي الله عنه، فقالَ: مَن أقرأكَ هذا؟ قال: أُبيٌّ، فقال: كانَ أُبيٌّ أقرأَنا للمنسوخِ[٥].

---

(١) كذا في النسختين، ولعل فيه سقطاً، ولعل أصل العبارة: «ويجوز تسكين الميم، وقرئ به في الشاذ»، والقراءة نسبت للأعمش كما في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٥٧).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢١٢)، واستغربه.

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٥٧)، و«المحتسب» (٢/ ٣٢١)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢١٢)، وعده من العجائب.

(٤) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٥٣٤٩)، وأبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ٣١٤)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٥٥٥٨)، والقاضي إسماعيل في «أحكام القرآن» (٣٠٥) و(٣٠٦)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٦٣٩ و٦٤٠)، والطبراني في «الكبير» (٩٥٣٩).

(٥) رواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ٣١٤)، والقاضي إسماعيل في «أحكام القرآن» (٣٠٤).

قال القاضي إسماعيل: «قد كانوا قبل أن يُجمِع الناس على مصحف واحد يختلف بعض القارئين =

قولُه: ﴿مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ﴾ قيل: ﴿مِن﴾ زيادةٌ؛ أي: نُودِيَ يومَ الجمعةِ.

وقيل: هو بمعنى: في؛ أي: نُودِيَ للصَّلاةِ في يومِ الجمعةِ.

وقيل: هو للتَّبعيضِ على أصلِه؛ لأنَّ النِّداءَ يكونُ في وقتٍ منَ الجمعةِ.

قولُه: ﴿إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ الجمهورُ على أنَّه الخُطبةُ.

وقيل: الصَّلاةُ.

السُّدِّيُّ: إلى الوقتِ(١).

﴿وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَ﴾ أرادَ: البيعَ والشِّراءَ، فاكتَفَى بأحدِهما لأنَّه لا يتأتَّى إلا به.

وقيل: لأنَّ البائعَ والمُشتريَ يقعُ عليهما البيِّعانِ.

وعند الفُقهاءِ: البيعُ يصِحُّ وإنْ كانَ مُحرَّمًا(٢).

الضَّحَّاكُ: إذا زالتِ الشَّمسُ حرُمَ البيعُ والشِّراءُ(٣).

= في هذا وفيما أشبه غير أن المعاني تتقارب، وقد روي عن النبي صلي الله عليه وسلم: أن القرآن أنزل على سبعة أحرف، فوسع على الناس في اختلافهم بعض الألفاظ إذا تقاربت المعاني، فلما أجمع الناس على مصحف واحد كانت القراءة على ذلك اللفظ، وإنما المنكَر في رواية مَن روى أن عمر أنكر على أبيٍّ قراءته ﴿فَٱسۡعَوۡاْ﴾ وأنه قال: أبيٌّ أقرؤنا للمنسوخ، وهذا موضع ليس فيه ناسخ ولا منسوخ، وما يؤيد تضعيفه ما رويناه عن أبي العالية أن أبيًّا كان يقرؤها: (فامضوا الى ذكر الله)».

وقال ابن العربي في «أحكام القرآن» (٤/ ٢٤٨): «وهو كله تفسير منهم، لا قراءة قرآن منزل، وجائز قراءة القرآن بالتفسير في معرض التفسير».

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٩).

(٢) هذا مذهب الشافعية والحنفية، ويرى الإمام مالك فسخ البيع، أما الحنابلة فيرون أنه لا ينعقد أصلاً. انظر: «مختصر اختلاف العلماء» للطحاوي (٣/ ٦٢)، و«المحلى» لابن حزم (٣/ ٢٩٠)، «الفقه على المذاهب الأربعة» للجزري (١/ ٣٤٢).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٢١٨)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٦٤٢)، والطحاوي في «أحكام القرآن» (١/ ١٥١).

الحسنُ: كلُّ بيعٍ تفوتُ معه الصَّلاةُ فهو محرَّمٌ، ويَحرُمُ البيعُ حالَ أذانِ الخُطبةِ دونَ ما تقدَّمَ(١).

﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾؛ أي: السَّعيُ إلى ذكرِ الله خيرٌ منَ البيعِ والشِّراءِ.

﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ فلا تُؤْثِرُوا الشِّراءَ على الخيرِ.

وقيل: ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾؛ أي: مُؤمنين، وكذلك جميعُ ما جاء في القرآنِ.

* * *

(١٠) ـ ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ﴾: أُدِّيَتْ؛ أي: أدَّيتُم وفرَغْتُم.

﴿فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ هذا إطلاقٌ للحظرِ المُتقدِّمِ ذِكرُه، وكلُّ أمرٍ وقعَ بعد حظرٍ فهو للإباحةِ.

وفضلُ الله: الرِّزقُ في البيعِ والشِّراءِ(٢).

وعن أنسٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: ﴿وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ قال: «ليس بطلبَ دُنيا(٣)، لكنْ من عيادةٍ، وحضورِ جنازةٍ، وزيارةِ أخٍ في الله»(٤).

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢١/ ٤٥٧) عن الحسن بلفظ: «إذا أذن المؤذن يوم الجمعة لم يحل البيع والشراء»، وذكر السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٤٤٨) عن الحسن نحو قول الضحاك المتقدم.

(٢) في (ن): «والشرى».

(٣) في (ن): «ليس هو من طلب الدنيا».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٦٤٤)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ٤٢٧)، وفيه أبو عامر الصائغ، متهم بالوضع. انظر: «ديوان الضعفاء» للذهبي (: ٤٦٢).

وفي بعضِ التَّفاسير: ﴿فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلۡأَرۡضِ﴾: أرضِ المسجدِ[١].

الحسنُ وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ: ﴿وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ﴾: هو طلبُ العلمِ[٢].

وقيل: ﴿وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ﴾ يومَ السَّبتِ، وحرَّمَ بعضُهم المكاسبَ يومَ الجمعةِ، وأوَّلُوا قولَه: ﴿فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلۡأَرۡضِ﴾ على إباحةِ السَّفرِ أو الغزوِ بعد الصَّلاةِ لا غير.

﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾: اشكرُوه على ما وفَّقَكُم لطاعتِه وأداءِ فرائضِه.

وقيل: واذكرُوه في تجاراتِكم وأسواقِكم.

وقيل: واذكروا الله في الصَّلاةِ.

﴿لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾: لكي تَسعَدُوا وتبقَوا في الجنَّةِ.

***

(١١) - ﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗاۚ قُلۡ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾.

﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا﴾ في سببِ النُّزولِ: في «الصَّحيحَينِ» عن جابرِ بنِ عبدِ الله رضي الله عنه قال: كنَّا معَ رسولِ الله ﷺ في الجمعةِ، فمرَّتْ عِيرٌ تحملُ الطَّعامَ، فخرجَ النَّاسُ إلا اثني عشرَ رجلًا، فنزلَتْ: ﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا﴾[٣].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢١٣)، وعده من العجائب.

(٢) ذكره عنهما الثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ٤٢٨)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٢٨٤)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢١٣)، واستغربه.

(٣) رواه البخاري (٩٣٦)، ومسلم (٨٦٣).

وذلك أنَّ أهلَ المدينةِ أصابَهم جوعٌ وغلاءُ سعرٍ، فقدِمَ دِحيةُ بنُ خليفةَ الكلبيُّ بتجارةٍ منَ الشَّامِ، وضُرِبَ طبلٌ ليعلمَ النّاسُ بقُدومِه[١]، ورسولُ الله ﷺ يخطُبُ يومَ الجمعةِ، فخرجَ إليه النَّاسُ، ولـم يبقَ في المسجدِ إلّا اثنَي عشرَ رجلًا، فيهم أبو بكرٍ وعمرُ رضي الله عنهما، فنزلَتْ هذه الآيةُ، فقال ﷺ: «لو تتابعتُم حتَّى لا يبقى أحدٌ منكم لسالَ بكم الوادي نارًا»[٢].

وقيل: بقيَ اثنا عشرَ رجلًا وامرأةً[٣].

وقيل: بقيَ ثمانيةُ رجالٍ.

وقيل: اللَّهوُ في الآيةِ: المزاميرُ.

وقيل: الغِناءُ.

قولُه: ﴿ٱنفَضُّوٓاْ﴾؛ أي: تفرَّقُوا عن الخطبةِ.

وقيل: ذهبُوا.

﴿إِلَيۡهَا﴾ إلى التَّجارةِ.

وقيل: إليهما، فأجرَى التَّثنيةَ مُجرَى الجمعِ.

وقيل: إذا رأوا تجارةً انفضُّوا إليها، أو لهوًا انفَضُّوا إليه، فاقتصرَ على ذكرِ أحدِهما[٤].

---

(١) في (ف) زيادة: «﴿وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗا﴾».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ٤٣٠) عن الحسن وأبي مالك، وعزاه الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٢٩) للمفسرين.

(٣) كذا ضُبطت في (ف)، والأظهر أن تكون بالضم؛ لتكون (امرأة) على (اثنا)، وليس على (رجلاً)؛ فقد ثبت أنه بقي معه ﷺ اثنا عشر رجلاً، كما في «صحيح مسلم» (٨٦٣)، ويكون ذكر المرأة زيادة على ما ثبت في مسلم، وقد ذكرها مقاتل في «تفسيره» (٤/ ٣٢٨).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢١٣)، واستغربه.

وقيل: كان قصدُهم إلى التِّجارةِ دونَ اللَّهوِ، مـمَّا كانوا فيه منَ الجهدِ.

وقيل: انفَضَّ الشُّيوخُ للتِّجارةِ، والشَّبابُ للَّهوِ.

وقيل: انفَضُّوا مرّةً لهذه، ومرّةً لهذا، وهذا أولى لقولِه:

﴿وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا﴾ أي: على المنبرِ قائمًا تخطُبُ.

وأوَّلُ مَن استراحَ على المنبرِ عثمانُ رضي الله عنه؛ فإنَّه جلسَ ولـم يتكلَّمْ، ثمَّ عادَ قائمًا(١).

وأوَّلُ مَن خطَبَ جالسًا مُعاويةُ(٢).

﴿قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ منَ الثَّوابِ ﴿خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ﴾.

وقيل: ﴿مَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ منَ الرِّزقِ ﴿خَيْرٌ﴾(٣).

﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾؛ أي: لـم يكُـنْ يفوتُكـم الـرِّزقُ لـو أقمتُـم؛ لأنَّ الله خيـرُ الرّازِقيـنَ.

والحمدُ للهِ ربِّ العالَمين(٤).

* * *

---

(١) رواه سعيد بن منصور عن الحسن كما في «فتح الباري» (٢/ ٤٠١)، واشتهر في الكتب أنه أرتج عليه، قال الزيلعي في «نصب الراية» (٢/ ١٩٧): «غريب واشتهر في الكتب». وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٠/ ٢١٦): «هو شيءٌ يذكره صاحبُ «العِقد» وغيره مِمَّن يَذكرُ طُرفَ الفوائد، ولكنْ لَمْ أَرَ هذا بإسنادٍ تسكنُ النفسُ إليه».

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٥٧٣٥)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٥٢٠)، والعسكري في «الأوائل» (ص: ٢٤٠)، عن الشعبي.

(٣) «﴿خَيْرٌ﴾» من (ف).

(٤) «والحمد لله رب العالمين» من (ف).

سُورَةُ المُنَافِقُونَ

إحدى عشرةَ آيةً[1]، مدنيَّةٌ.

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾.

﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ في سببِ النُّزولِ: عن زيدِ بنِ أرقمَ رضي الله عنه قالَ: غزَوْنا مع رسولِ الله ﷺ ومعنا ناسٌ منَ الأعرابِ، وكنَّا نبتدِرُ الماءَ، وكان الأعرابُ يسبِقونَنا، فيسبقُ الأعرابيُّ أصحابَه فيملأُ الحوضَ، ويجعلُ حولَه حجارةً، ويجعلُ النِّطَعَ عليه، حتَّى يجيءَ أصحابُه.

فأتى رجلٌ منَ الأنصارِ فأرخَى زمامَ ناقتِه لتشربَ، فأبى أن يدَعَه الأعرابيُّ، فانتزَعَ حجرًا ففاضَ الماءُ، فرفعَ الأعرابيُّ خشبةً فضربَ بها رأسَ الأنصاريِّ فشجَّه، فأتى الأنصاريُّ عبدَ الله بنَ أُبيٍّ رأسَ المُنافقين فأخبرَه، وكانَ من أصحابِه، فغضِبَ عبدُ الله بنُ أبيٍّ، ثمَّ قال: لا تُنفِقُوا على مَن عندَ رسولِ الله حتَّى ينفَضُّوا من حولِه؛ يعني: الأعرابَ.

وفي روايةٍ أخرى قال: والله ما مثَلُنا ومثَلُهم إلّا كما قيل: سمِّنْ كلبَكَ

---

(١) «إحدى عشرة آية»: ليس في (ف).

يأكُلْكَ، ثمَّ قال لأصحابِه: إذا رجعتُم إلى المدينةِ فليُخْرِجِ الأعزُّ منها الأذلَّ.

قال زيدُ بنُ أرقمَ: وأنا رِدْفُ عمِّي، فسمِعْتُ عبدَ الله يقولُ ذلك، فأخبَرْتُ عمِّي، فانطلَقَ فأخبرَ رسولَ الله ﷺ، فأرسلَ إليه رسولُ الله فحلَفَ وجحَدَ، فصدَّقَه رسولُ الله ﷺ وكذَّبَني، فجاء إليَّ عمِّي فقال: ما أردْتَ إلا أنْ مقَتَكَ رسولُ الله وكذَّبَكَ المسلمون، فوقعَ عليَّ منَ الغمِّ ما لم يقَعْ على أحدٍ قطُّ، فبينا أنا أسيرُ مع رسولِ الله ﷺ إذ أتاني فعرَكَ[1] أُذني وضحِكَ في وجهي، فما كانَ يسرُّني أنَّ لي بها الدُّنيا، فلما أصبَحْنا قرأ رسولُ الله سورةَ (المُنافقينَ): ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾، حتَّى إذا بلغَ ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟﴾، حتَّى بلغَ: ﴿لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾[2].

وذُكِرَ أنَّ الماءَ الذي نزلُوا عليه يُقالُ له: المُرَيسيعُ[3].

﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ إذا حضرُوكَ شهِدُوا شهادةً مُؤكَّدةً بأنَّكَ رسولُ الله.

وقيل: معنى ﴿نَشْهَدُ﴾: نحلفُ، ولهذا وقعَ بعدَه (إنَّ) واللَّامُ.

وقيل: معنى ﴿نَشْهَدُ﴾: نعلمُ.

---

(١) في (ن): «ففرك».

(٢) رواه الترمذي (٣٣١٣)، وقال: «هذا حديث حسن»، والرواية المعترضة التي ذكرها المصنف من قول ابن أبي: «سمن كلبك يأكلك....» رواها عبد الرزاق في «مصنفه» (٣٢٢٥)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٦٦٤) عن قتادة، وانظر: «مغازي الواقدي» (٢/ ٤١٦)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٢٩١). وأصل الحديث رواه البخاري (٤٩٠١)، ومسلم (٢٧٧٢) مختصرًا.

(٣) ورد ذكر ذلك في خبر رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٦٦٧) عن محمد بن يحيى بن حبان.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾ لأنَّـه أرسـلَكَ إلـى الخلـقِ، وهذا اعتـراضٌ، وهو من كلامِ الله سـبحانَه فيـه تعظيـمٌ لنبيِّه عليه السَّـلامُ.

﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ﴾ قيل: يحلفُ. وقيل: يعلمُ.

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ في قولِـهم: ﴿نَشْهَدُ﴾ لأنَّهم لا يشهَدُون إذا خلَوا، بل يقولونَ: إنَّما نحنُ مُستهزِئون، وهذا كما يقولُ الرَّجلُ: أنا أقرأُ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، أو أكتبُ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، أو سمعتُ «زيدًا يذهبُ»، فتقولُ له: كذَبْتَ؛ أي: لا تقرأُ ولا تكتبُ ولا تسمعُ، ولا يكونُ ذلك مصروفًا إلى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، ولا إلى ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، ولا إلى قولِه: «زيدٌ يذهبُ».

وليس هذا كما زعمَ بعضُهم: أنَّ الكذبَ مصروفٌ إلى قولِه سبحانَه: ﴿إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾، وأنَّهم قالوا غيرَ ما في ضميرِهم؛ لأنَّ التَّصديقَ والتَّكذيبَ والصِّدقَ والكذبَ يُحمَلانِ على الخبرِ لا غير، والخبر هاهنا ﴿نَشْهَدُ﴾، وقد كَذَبوا؛ فإنَّهم لا يشهدونَ إذا خلَوا إلى شياطينِهم.

وقيل ﴿لَكَاذِبُونَ﴾ بمعنى: مُكذِّبونَ[1].

* * *

(٢) ـ ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ﴾؛ أي: حلِفَهم الكاذبَ ﴿جُنَّةً﴾: وقايةً تقيهم الأذى، وسُترةً يتستَّرونَ بها منَ القتلِ، ﴿فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: أعرَضُوا عن طاعةِ الله.

وقيل: صدُّوا غيرَهم عن الإيمانِ بإلقاءِ الشُّبهِ.

---

(١) في (ف): «بمعنى كذبوا والله أعلم».

وقيل: فصدُّوا اليهودَ، وكانوا يقولون لهم: نحنُ في الباطنِ[1] معكم.

وقيل: ﴿فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾؛ أي: عن الأحكامِ التي تجبُ فيهم منَ القتلِ والسَّبي لولا ما أظهَرُوه.

وقيل: تخلَّفُوا عن الجهادِ فاقتدَى بهم غيرُهم.

﴿إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾؛ أي: بئسَ العملُ عملُهم حين أظهَروا خلافَ ما أضمَروا، وحلَفُوا عليه كاذِبين، وأفادَ ﴿كَانُواْ﴾ أنَّهم بهذه الصِّفةِ مذ كانُوا.

* * *

(٣) ـ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: ذلك الكذبُ ﴿بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ﴾ في الظّاهرِ والقولِ[2]، ﴿ثُمَّ كَفَرُواْ﴾ في السِّرِّ وبالقلبِ، ﴿فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾[3]: خُتمَ عليها حتَّى لا يدخلَها الإيمانُ جزاءً على نفاقِهم.

وقيل: وُسِمَتْ بسمةِ الكفرِ.

﴿فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ﴾: لا يتدبَّرونَ.

---

(١) في (ف): «الباطل».

(٢) في (ن): «بالقول».

(٣) في (ن): «فَطَبع اللهُ على قلوبهم». وقراءة: (فطَبَع) بالمبني للمعلوم قراءة شاذة وردت دون نسبة في «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ١٧٥)، و«الكامل» للهذلي (ص: ٦٤٨)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٣١٢)، ونسبها في «البحر» (١٠/ ١٨٠) لزيد بن علي. قال الزجاج: والقراءة المعروفة المجمع عليها هاهنا ﴿فَطُبِعَ﴾ على ما لم يسمَّ فاعله.

قلت: وقد قرئ أيضاً في الشاذ: (فطبع الله)، وهي في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٥٧) عن الأعمش، وفي «البحر» (١٠/ ١٨٠) عن الأعمش وزيد بن علي.

وقيل: لا يعرِفُونَ صِحَّةَ الإيمانِ كما يعرفُه المؤمنونَ.

* * *

(٤) - ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ كانَ عبدُ الله بنُ أبيٍّ حسنَ الجسمِ، حلوَ الكلامِ، يُصغي النَّبيُّ عليه السَّلامُ إلى كلامِه[1]، وهو قولُه: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾.

﴿وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾؛ أي: لقولِـهم: لا إلهَ إلا الله.

﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾؛ أي: هـم فـي قلَّةِ تفقُّهِهـم[2] وعدمِ عقلِهـم وتدبُّرِهم[3] خُشـبٌ منصوبةٌ.

وقيل: مُـمالةٌ إلى الجدارِ[4]، فهم أشباحٌ بلا ألبابٍ.

وقيل: كأنَّهم خُشبٌ نَخِرةٌ مُتأكِّلةٌ، يُعجِبُ الرَّائي ظواهِرَها، وإذا وقَفَ على بواطنِها عَلِمَ أنْ لا خيرَ فيها.

المُبرِّدُ: ﴿مُّسَنَّدَةٌ﴾ طِوالٌ، تقولُ: رجلٌ مُسنَّدٌ؛ أي: طويلٌ[5].

و(الخُشُبُ) بضمَّتَينِ: جمعُ خشَبةٍ، كثمرةٍ وثُمُرٍ، وبضمَّةٍ واحدةٍ كبدَنةٍ وبُدْنٍ[6].

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٣٣٧)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ٤٤٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) في (ف): «تفهمهم».

(٣) في (ن): «وتدبيرهم».

(٤) «إلى الجدار» من (ف).

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢١٥) دون نسبة، واستغربه.

(٦) قرأ أبو عمرو والكسائي وقنبل عن ابن كثير (خُشْبٌ)، والباقون ﴿خُشُبٌ﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٦٣٦)، و«التيسير» (ص: ٢١١).

وقيل: هو تخفيفُ كرُسْلٍ.

﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ ﴿كُلَّ صَيْحَةٍ﴾ المفعولُ الأوَّلُ، و﴿عَلَيْهِمْ﴾ المفعولُ الثَّاني، وتمَّ الكلامُ. والمعنى: هم جُبَناءُ مُتَّهمونَ فكلَّما صاحَ صائحٌ أو تكلَّمَ متكلِّمٌ ظنُّوا أنَّه قد عُرِفَ دَخيلَتُهم(١)، فيَفضَحون(٢).

ثمَّ قال: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ﴾ ولا تأمَنْ معرَّتَهم ومُمايلتَهم لأعدائِكَ، ولا تثِقْ بهم.

وقيل: هم لجُبنِهم إذا سمِعُوا صوتًا ظنُّوا أنَ القتلَ حلَّ بهم، وأنَّ العدوَّ قد أتاهُم وقيل: كلَّما سمعوا صوتاً ظنُّوا أنَّ النبيَّ أمرَ بقتلهم(٣).

﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ﴾؛ أي: لعنَهم وطردَهم.

ابنُ عيسى: أحلَّهم محلَ مَن يقاتلُه عدوٌّ قاهرٌ له(٤).

﴿أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾: يُصرَفُونَ عن الحقِّ، ويعدِلُونَ عنِ الصَّوابِ.

وقيل: يكذِبونَ.

* * *

(٥) ـ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾: لعبدِ الله بنِ أُبيٍّ ومَن مالَ إليه.

---

(١) في (ف): «دخلتهم».

(٢) أي: يظهر أمرهم، وقد ضبطت بفتح الياء في النسختين، فلعلها من (فَضَحَ الصبحُ) بمعنى: بدا. انظر: «المخصص» لابن سيده (٤/ ٣٥١).

(٣) «وقيل كلما سمعوا صوتاً ظنوا أنَّ النَّبيَّ أمر بقتلهم» من (ف).

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٦).

﴿تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ﴾ وذلك أنَّ بني أبيه[1] قالوا لعبدِ الله: نزلَتْ فيك آيٌ شديدةٌ[2]، فَأْتِ محمَّدًا ـ عليه السَّلامُ ـ واعتذِرْ إليه يستغفِرْ لك، فجعلَ يَلْوي رأسَه؛ أي: لستُ أفعلُ ذلك[3].

ومعنى (لَوَى رأسَه): أعرَضَ عن الشَّيءِ أَنَفَةً عنه. وقيل: حرَّكَ رأسَه.

والتَّشديدُ للتَّكرارِ، والتَّخفيفُ للعمومِ[4].

﴿وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾؛ أي: يُعرِضُونَ مُتكبِّرينَ عن الاعتذارِ، وعن مسألةِ النَّبيِّ الاستغفارَ.

* * *

(٦) ـ ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾؛ أي: لن يغفِرَ الله لهم ما داموا مُصرِّينَ على النِّفاقِ.

وقيل: كانَ النَّبيُّ عليه السَّلامُ يستغفرُ لهم، فنزلَتْ هذه الآيةُ.

وقيل: هذا بعد موتِ عبدِ الله.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

---

(١) في (ن): «أمية»، وبنو أمية قومه، والله أعلم.

(٢) في (ن): «شديد».

(٣) روى نحوه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٢٢٦)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٦٥٧) عن قتادة. ورواه الطبري أيضاً عن بشير بن مسلم ومجاهد.

(٤) قرأ نافع (لَوَوْا) بتخفيف الواو، والباقون بتشديدها. انظر: «السبعة» (ص: ٦٣٦)، و«التيسير» (ص: ٢١١). ومعنى قوله: «التخفيف للعموم» أنه يصلح للقليل والكثير، فيدخل فيه مَن فعل الفعل مرة، ومَن أكثر من فعله. انظر: «الحجة» لأبي علي (٦/ ٢٩٣).

(٧) ـ ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾.

﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟﴾: يتفرَّقُوا.

﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: أنَّه يرزقُ المُهاجرينَ لا هؤلاءِ، وهو يرزقُ المؤمنينَ والكافرينَ جميعًا.

ابنُ عيسى: خزائنُ الله: مَقدوراتُه التي يُخرجُ منها ما يشاءُ[1].

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾.

* * *

(٨) ـ ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ﴾ عنى به نفسَه ﴿مِنْهَا﴾: من المدينةِ ﴿ٱلْأَذَلَّ﴾ يعني: محمَّدًا ﷺ.

﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ﴾ بإعزازِ كلمتِه وإظهارِ دينِه ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ بنصرِ الله إيّاهُم على مَن ناوَأَهُم.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنَّهم لا يقدرونَ على إخراجِ الرَّسولِ.

* * *

(٩) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ أي: لا

---

(١) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ١٩٢).

يشغَلْكم عنِ الصَّلواتِ الخمسِ، والتَّقديرُ: لا تَلْهوا بها عن ذكرِ الله، فنُسبَ الفعلُ إليها، والدَّليلُ عليه قولُه:

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: اشتغَلَ بشيءٍ من ذلك عن ذكرِ الله ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

والمعنى: لا تُؤثِرُوا حبَّها على ما فيه فَلاحُكم؛ فإنَّ مَن بَخَسَ نفسَه حقَّها فقد خسرَ خُسرانًا مُبينًا.

* * *

(١٠) - ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾.

﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم﴾؛ أي: اجعَلُوا المالَ فداءَ أنفسِكُم وأدُّوا الزَّكاةَ.

﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾؛ أي: أسبابُه، ويصيرَ إلى حالِ اليأسِ ﴿فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا﴾: هلّا ﴿أَخَّرْتَنِي﴾: أمهلْتَني ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾؛ أي: أبقِني زمانًا غيرَ طويلٍ ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾: أتصدَّقَ وأُزكِّيَ وأُنفِقَ مالي في طاعتِكَ كما أمرتَ.

﴿وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ ابنُ عبّاسٍ: أحجَّ(١).

الضحّاكُ: لا ينزلُ بأحدٍ الموتُ لم يحجَّ ولم يُؤدِّ الزَّكاةَ إلا سألَ الرَّجعةَ، وقرأ هذه الآيةَ(٢).

---

(١) رواه الفاكهي في «أخبار مكة» (١/ ٣٧٢)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٦٧١).

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢١/ ٤٧٨) عن الضحاك، ورواه الترمذي (٣٣١٦) من طريق الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: من كان له مال يبلغه حج بيت ربه، أو يجب عليه فيه زكاة، فلم يفعل، يسأل الرجعة عند الموت، فقال رجل: يا ابن عباس، اتق الله، فإنما يسأل الرجعة =

قُرِئَ بالجزمِ عطفًا على محلِّ ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾ وبالنَّصبِ عطفًا على اللفظِ(١)، وزيادةُ الواوِ(٢) ليس بخلافِ الإمامِ(٣)؛ فإنَّ حروفَ المدِّ واللِّين(٤) قد زيدَتْ في مواضعَ لا حاجةَ إليها، وحُذِفَتْ في مواضعَ تخفيفًا، لو أُثبِتَتْ لجازَ.

***

(١١) ـ ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا﴾ عنِ الموتِ ﴿إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا﴾: إذا انقضى أجلُها المكتوبُ في اللَّوحِ المحفوظِ.

﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ قيل: معناه: لو بقَّاه لـم يتُبْ من جُرمِه.

قُرِئَ بالتَّاء حملًا على الآيةِ الأولى، وقُرِئَ بالياءِ حملًا على الثَّانيةِ(٥).

***

= الكفار؟ فقال: سأتلو عليك بذلك قرآنًا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ...﴾ الآيات».

(١) قرأ أبو عمرو: (وأكونَ) نصبًا، والباقون: ﴿وَأَكُن﴾ جزمًا. انظر: «السبعة» (ص: ٦٣٧)، و«التيسير» (ص: ٢١١).

(٢) في (وأكون) على قراءة أبي عمرو.

(٣) في (ف): «للإمام».

(٤) «واللين» من (ف)، ونسخة مذكورة في هامش (ن).

(٥) قرأ أبو بكر بالياء، والباقون بالتاء. انظر: «السبعة» (ص: ٦٣٧)، و«التيسير» (ص: ٢١١).

سُورَةُ التَّغابُنِ

ثماني عشرةَ آيةً(١)، مدنيَّةٌ(٢).

الضَّحَّاكُ: مكِّيَّةٌ(٣).

الكلبيُّ: مكِّيَّةٌ إلَّا قولَه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ﴾ إلى آخرِ السُّورةِ(٤).

بسم الله الرَّحمنِ الرَّحيم

(١) - ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾.

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾؛ أي: التَّسبيحُ في الأزمنةِ الثَّلاثةِ من أهلِ السَّماءِ وأهلِ الأرضِ لله، وهو الملِكُ المحمودُ القديرُ على ما يُريدُ.

* * *

(٢) - ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞ﴾ فيه قولانِ:

---

(١) هذا قول الجمهور، وذُكر عن ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة وقتادة. انظر: «زاد المسير» لابن الجوزي (٤/ ٢٩١).

(٢) «ثماني عشرة آية»: ليس في (ف).

(٣) ذكره السمعاني في «تفسيره» (٥/ ٤٤٨)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٢٩١).

(٤) انظر: «النكت والعيون» (٦/ ٢٠).

أحدُهما: خلَقَكُم في بطونِ أمَّهاتِكم كفَّارًا ومؤمنين.

وجاء في التَّفاسيرِ: أنَّ يحيى بنَ زكريَّا عليهما السَّلامُ خُلِقَ في بطنِ أمِّه مُؤمنًا، وأنَّ فرعونَ خُلِقَ في بطنِ أمِّه كافرًا(١).

والثَّاني: خلقَكُم؛ فمنكم كافرٌ بأنَّ الله خلقَه، ومنكم مُؤمنٌ بأنَّ الله خلقَه.

والفاءُ يدُلُّ على المعنى الثَّاني.

ورُوِيَ عن النَّبيِّ عليه السَّلامُ أنَّه قال: «إنَّ بني آدمَ خُلِقُوا على طبقاتٍ شتَّى؛ فمنهم مَن وُلِدَ مُؤمنًا ويموتُ مُؤمنًا، ومنهم مَن وُلِدَ كافرًا ويموتُ كافرًا، ومنهم مَن وُلِدَ مؤمنًا ويموتُ كافرًا، ومنهم مَن وُلِدَ كافرًا ويموتُ مُؤمِنًا» رواه أبو اللَّيث في «تفسيره»(٢).

الحسن: أراد فمنكم كافر ومنكم مؤمن ومنكم فاسقٌ ومنكم مُنافقٌ، فاقتصرَ على ذكر الكافرِ والمؤمنِ(٣).

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: عالـمٌ بأعمالِكم فيُجازيكم عليها.

***

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٥٤٣)، وابن عدي في «الكامل» (٢/ ٩) و(٧/ ٤٤٣) و(٨/ ٢٧٧)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ٤٩٠) عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٩٣): «وإسناده جيد».

(٢) ذكر طرفه السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٤٥٤)، ورواه ضمن حديث طويل في «تنبيه الغافلين» (ص: ٦٠٨)، ورواه الترمذي (٢١٩١) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وقال: «حديث حسن».

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٢١)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢١٧)، واستغربه.

(٣) ـ ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ قيل: للحقِّ دونَ الباطلِ.

وقيل: بالعدلِ.

وقيل: على ما تقتَضيه الحكمةُ.

وقيل: بقولِه: كُنْ.

﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾؛ أي: جعَلَ صورةَ الإنسانِ أحسنَ صورِ الحيوانِ، ولم يُشارِكْ بني آدمَ في صورتِه وشكلِه غيرُهم منَ الموجوداتِ، وهذا معنى قولِه عليه السَّلامُ: «إنَّ الله خلقَ آدمَ على صورتِه فأحسَنَ صورتَه»[1]؛ أي: صورتَه التي صوَّرَه عليها.

وقيل: الهاءُ تعودُ إلى الله تعالى، وأضافَه إلى نفسِه سبحانَه إجلالًا لآدمَ عليه السَّلامُ؛ كبيتِ الله وناقةِ الله.

وقيل في قوله: ﴿فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾: يُريدُ: حَسَّنَه في العقلِ والحكمةِ، ولم يُرِد استِحلاءَ النَّاظرِ، فقد قيلَ: كلُّ ما كانَ على مُلائمةٍ لا تفاوُتَ فيه فهو حسَنٌ.

وقيل: الحُسْنُ هاهنا: قَبولُ الطَّبعِ؛ فإنَّ ابنَ آدمَ لو خُيِّرَ بينَ الصُّورِ ما اختارَ إلا صورتَه.

﴿وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ فأحسِنُوا سرائرَكم فقد أحسَنَ الله علانيتَكُم.

---

(١) رواه البخاري (٦٢٢٧)، ومسلم (٢٨٤١)، عن أبي هريرة رضي الله عنه دون قوله: «فأحسن صورته»، وهذه الجملة وردت في حديث آخر رواه أبو داود (٧٦٠)، والنسائي (١١٢٦)، وفيه: «وإذا سجد قال: اللهم لك سجدت، وبك آمنت ولك أسلمت، سجد وجهي للذي خلقه وصوره، فأحسن صورته...».

(٤) ـ ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.

﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ فارتدِعُوا عنِ المعاصي، وأقبِلُوا على الطّاعاتِ؛ فإنَّ الله يتولّى المُجازاةَ.

***

(٥) ـ ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾ يا أهلَ مكّةَ ﴿نَبَؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ﴾ قومِ نوحٍ وهودٍ وصالحٍ ولوطٍ ﴿فَذَاقُوا﴾ الفاءُ للتَّعقيبِ؛ أي: كفَرُوا فذاقوا ﴿وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ الوَبالُ: مصدرُ الوبيلِ، وهو الطعامُ الثَّقيلُ الذي لا يوافقُ آكلَه[1]؛ أي: ذاقُوا وَبالَ كُفرِهم في الدُّنيا، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في العُقبَى.

***

(٦) ـ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾.

﴿ذَلِكَ﴾؛ أي: ذلك العذابُ ﴿بِأَنَّهُ﴾: بسببِ أنَّه، والهاءُ كنايةٌ عن الأمرِ والشَّأنِ.

﴿كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾: بالمُعجزاتِ والآياتِ.

﴿فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾ أنكروا أن يكونَ الرُّسلُ من بني آدمَ، والبشرُ يقعُ على الواحدِ والجمعِ.

﴿فَكَفَرُوا﴾ بالرُّسلِ ﴿وَتَوَلَّوا﴾: أعرَضُوا عن التَّفكُّرِ في البيِّناتِ.

﴿وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ﴾ بما أرسلَ معهم منَ البيِّناتِ عن زيادةٍ تَدْعو إلى الرَّشادِ.

---

(١) في (ف): «أكله»، وهي غير واضحة في (ن). والصواب المثبت، والطعام الوبيل: الذي يثقل على المعدة فلا يُستمرأ. انظر: «المخصص» (١/ ٤٨٠)، و«الكشاف» (١/ ٦٧٩).

﴿وَٱللَّهُ غَنِيٌّ﴾ عن عبادتِهم ﴿حَمِيدٌ﴾: مُستحِقٌّ للحمدِ.

* * *

(٧) ـ ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾.

﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْ﴾ المُؤرِّجُ: زعمَ بمعنى: كذَبَ بلغةِ حميرَ[1].

شُرَيحٌ: زعمَ كنايةٌ عن الكذبِ[2]؛ أي: زَعمُوا أنَّهم لا يُبعَثون ولا يُحشَرون للحسابِ والثَّوابِ والعقابِ.

﴿قُلۡ بَلَىٰ﴾؛ أي: ليس الأمرُ كما زعمتُم ﴿وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ﴾ أكَّدَ الإخبارَ باليمينِ.

﴿ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡ﴾: لتُخبَرُنَّ ولتُحاسَبُنَّ بعملِكم وتُجازَونَ عليه.

﴿وَذَٰلِكَ﴾ البعثُ ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾: هيِّنٌ لا يلحقُه مشقَّةٌ.

* * *

(٨) ـ ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾.

﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ محمَّدٍ ﷺ ﴿وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَا﴾ يعني: القرآنَ، فيه بيانُ كلِّ شيءٍ، ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾.

* * *

(٩) ـ ﴿يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾.

﴿يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ﴾ قيل: ظرفٌ لقولِه: ﴿لَتُبۡعَثُنَّ﴾.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢١٨) عن المؤرج، وذكره ابن حسنون في «لغات القرآن» (ص: ٥٠) بلا نسبة.

(٢) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٦/ ١٩٠)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٥٧٩٦) بلفظ: «زعموا كنية الكذب»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢١٨)، واستغربه.

وقيل: واذكُروا يومَ يجمعُكم.

ابنُ جريرٍ: خبيرٌ بأعمالِكم يومَ يجمعُكُم(١)، وفيه كلامٌ.

﴿لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِ﴾: لحضورِ يومِ الجمعِ ولأجْلِه، وهو يومُ القيامةِ يُجمَعُ فيه الأوَّلونَ والآخِرونَ، والملائكةُ والإنسُ والجنُّ أجمعونَ.

وقيل: يُجمَعُ فيه الثَّوابُ والعقابُ، والظّالـمُ والمظلومُ، والنَّبيُّ ومَن آمنَ به.

﴿ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ﴾: يومُ القيامةِ؛ أي: يتغابَنونَ في المنازلِ عندَ الله تعالى؛ ففريقٌ في الجنّةِ، وفريقٌ في السَّعيرِ.

وقيل: يَغبِنُ أهلُ الجنّةِ أهلَ النّارِ، ويَغبِنُ المظلومُ الظّالـمَ.

ابنُ بحرٍ: ﴿يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾ منَ الغَبْنِ، وهو الإخفاءُ؛ أي: اليومُ الذي أخفاه الله، ومنه: المغابنُ، ومنه الغَبنُ للموضعِ الذي يُخفَى فيه شيءٌ(٢).

ابنُ عيسى: التَّغابنُ: التَّفاوُتُ في أخذِ الشَّيءِ بدونِ قيمتِه(٣).

﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ﴾: يُصدِّقْ بوحدانيَّتِه.

﴿وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا﴾: يُؤدِّي الفرائضَ.

﴿يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ﴾؛ أي: يغفِرْ له.

﴿وَيُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾: النَّجاةُ التّامّةُ.

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢٣/ ٩)، وذكره العكبري في «التبيان» (٢/ ١٢٢٦)، والإشكال فيه من جهة أن الله خبير في ذلك اليوم وفي غيره؛ فتقييد (خبير) بـ(يوم يجمع) مشكل لهذا، والله أعلم.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢١٨)، وعده من العجائب.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢١٨)، واستغربه.

(١٠) ـ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾: بالرُّسلِ وبالقُرآنِ ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ مرجعُ المغبونينَ.

* * *

(١١) ـ ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿مَا أَصَابَ﴾: ما لحقَ بني آدمَ، والصَّوابُ مُشتَقٌّ منه، وهو لحوقُ المقصودِ.

﴿مِنْ مُصِيبَةٍ﴾: شدّةٍ ومرضٍ وموتِ أهلٍ، أو شيءٍ يقتضي همًّا مـمَّا يفعلُه الله.

وقيل: عامٌّ في الظُّلمِ والسَّرقةِ وما يكونُ بين العبادِ.

﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بعلمِه(١) وإرادتِه(٢) وأمرِه.

﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ﴾: يُصدِّقْ به، ويعلَمْ أنَّ المصيبةَ منَ الله.

﴿يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ للاسترجاعِ، ويُوفِّقْه لذلك، فيقولُ: إنَّا لله وإنَّا إليه راجِعونَ.

وقيل: ﴿يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ فيصبرُ على البلاءِ ويشكرُ على النَّعماءِ.

وقيل: يزِدْ قلبَه هدايةً، ويُثبِّتْه عليها.

ويحتمِلُ أنَّه على القلبِ؛ أي: ومَن يهدِ قلبَه يُؤمِنْ بالله(٣)، وله في القرآنِ نظائرُ(٤).

---

(١) في (ن): «بفعله».

(٢) في هامش (ن):

«مريدُ الخيرِ والشرِّ القبيحِ ولكن ليس يرضى بالمِحالِ

أي: بالكفر والفسوق والعصيان والظلم».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢١٩)، واستغربه.

(٤) منها ما ذكر المصنف في تفسير قوله تعالى: ﴿كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٠٠]، و﴿بَلَغَنِيَ =

﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾.

* * *

(١٢) ـ ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾.

﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ﴾ فيما يأمُركم ﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ فيما يُؤدِّي عن الله وفي سنَّتِه.

وقيل: أطيعُوا الله في الرِّضا بقضائِه، وأطيعُوا الرَّسولَ فيما يأمُركم بالصَّبرِ وتركِ الجزَعِ.

﴿فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ﴾ عن الإيمانِ بالله ورسولِه ﴿فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾؛ أي: عليه الإبلاغُ، وقد فعلَ.

وقيل: عليه البلوغُ، وقد حصَلَ.

* * *

(١٣) ـ ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾.

* * *

(١٤) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡ﴾ في سببِ النُّزولِ: عن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما: كانَ الرَّجلُ يُسلِمُ، فإذا أرادَ أن يُهاجِرَ منعَه أهلُه وولدُه، فقالوا: انشدتُكَ[1] الله أن تذهَبَ وتدعَ أهلَكَ وعشيرتَكَ

= ﴿ٱلۡكِبَرُ﴾ [آل عمران: ٤٠] وغيرها.

(١) في (ن): «أنشدتك»، ولا يصحُّ. انظر: «الإبانة» للعوتبي (٤/ ٤٥٠)، و«النهاية» لابن الأثير (٥/ ٥٣).

وتصيرَ إلى المدينةِ بلا أهلٍ ولا مالٍ، فمنهم مَن يرِقُّ لهم ويُقيمُ ولا يُهاجِرُ(١).

عن عكرمةَ عن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما: فلمَّا هاجَرَ(٢) هؤلاءِ ورأوا النّاسَ قد فَقِهُوا في الدِّينِ هَمُّوا أن يُعاقِبُوا أهليهم الذين منعُوهم، فأنزَلَ الله: ﴿وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٣).

وقيل: نزَلَتْ في عَوفِ بنِ مالكٍ الأشجعيِّ، شكا إلى النَّبيِّ عليه السَّلامُ جفاءَ أهلِه وولدِه، وهذه الآياتُ نزلَتْ بالمدينةِ(٤).

وفي قولِه: ﴿عَدُوًّا لَّكُمْ﴾ قولانِ:

أحدُهما: يحمِلانِه على البخلِ بالأموالِ عن الفرائضِ ووجوهِ البرِّ، وعلى أن يعصيَ الله في طلبِ مرضاتِهما، وهذا فعلُ العدوِّ؛ لأنَّه ينالُه من ذلك ضررٌ فوقَ كلِّ ضررٍ.

وجاء في الخبرِ: ليس عدوُّك الذي ألفَيتَه(٥) فقتلتَه، وآجرَكَ الله على قتلِه، ولكنَّ أعدَى عدوِّكَ نفسُك التي بينَ جنبَيك، وامرأتُك التي تُضاجِعُكَ على فراشِكَ، وولدُكَ الذي من صُلبِك(٦).

---

(١) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٣٤)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٦) عن الضحاك، وفي رواية الترمذي الآتية من طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما: «هؤلاء رجال أسلموا من أهل مكة وأرادوا أن يأتوا النبي ﷺ، فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم أن يأتوا رسول الله ﷺ».

(٢) في (ن): «هاجروا»، وكأن الواو والألف أدخلت في الخط، والأولى تركها، كما في (ف).

(٣) رواه الترمذي (٣٣١٧)، وقال: «حديث حسن صحيح».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٥) عن عطاء بن يسار، وذكره النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٧٤٥) بلا نسبة، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ٥٠٧) عن عطاء الخرساني وعطاء بن يسار.

(٥) في (ن): «ألقيته».

(٦) روى نحوه الطبراني في «المعجم الكبير» (٣٤٤٥) عن أبي مالك الأشعري مرفوعًا، ولفظه: «ليس عدوك الذي إن قتلته كان لك نوراً، وإن قتلك دخلت الجنة، ولكن أعدى عدوك ولدك الذي =

والثّاني: يُريدونَ هلاكَه كما يُريدُ العدوُّ.

وقال بعضُهم: مَن منعَ منَ الأزواجِ والأولادِ عن طاعةِ الله فهو عدوٌّ يجبُ أن يُحذَرَ.

الحسنُ: يعني: الكفَّارَ منَ الأزواجِ والأولادِ[1].

قولُه: ﴿وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ﴾ تكرارٌ للتَّأكيدِ، والمرادُ به واحدٌ.

وقيل: ﴿تَعْفُواْ﴾: تترُكُوا عقابَهم، وأصلُه: المحوُ، ﴿وَتَصْفَحُواْ﴾: تُولُّوهم صَفْحةَ أعناقِكم بالإعراضِ عن التَّوبيخِ، ﴿وَتَغْفِرُواْ﴾: تستُروا ذُنوبَهم.

* * *

(١٥) ـ ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾: مِحنةٌ وبليَّةٌ واختبارٌ لكم، فمَن كسبَ الحرامَ لأجلِ الأولادِ، ومنعَ مالَه عن الحقوقِ، فهو مفتونٌ بالمالِ والولدِ.

وقيل: هما فتنةٌ لأنَّه يلهو بهما عن آخرتِه، ويتوفَّرُ لأجلِهما على دُنياه، فيمنعُ حقَّ الله لأجلِهما.

وأدخَلَ ﴿مِنْ﴾ في الأولى ولم يُدخِلْ في الثّانيةِ لأنَّ كلَّهم فتنةٌ على ما ذكرنا[2]، فإنَّ الإنسانَ يثقُلُ عليه المُواساةُ بالمالِ بعد وُجودِ الزَّوجةِ والولدِ، ويخِفُّ عليه قبلَ

= خرج من صلبك، ثم أعدى عدو لك مالك الذي ملكت يمينك»، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٤٥): «رواه الطبراني، وفيه محمد بن إسماعيل بن عياش، وهو ضعيف».

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٢٢٨)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٦)، عن قتادة بلفظ: «ينهون عن الإسلام ويبطئون عنه وهم من الكفار فاحذروهم».

(٢) أي: وليس كلّهم عدو، وإنما بعضهم عدو، فلذلك دخلت (من) في الآية الأولى.

ذلك، ولهذا قال: ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾؛ أي: في الآخرةِ، وذلك أعظمُ من منفعتِكم بأموالِكم وأولادِكم.

* * *

(١٦) ـ ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾.

﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ قيل: هي ناسخةٌ لقولِه: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢][١]؛ لأنَّ استطاعةَ العبدِ دونَ حقِّ تقواه.

وقيل: بل هي تفسيرٌ[٢] لها؛ لأنَّ حقَّ تُقاتِه هو قَدْرُ[٣] الاستطاعةِ.

﴿وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ﴾ في الجهادِ.

وقيل: هو الصَّدقةُ.

وقيل: نفقةُ المُؤمنِ على نفسِه.

﴿خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡ﴾؛ أي: قدِّموا خيرًا لأنفُسِكم.

وقيل: إنفاقًا خيرًا لأنفُسِكم.

الكسائيُّ: يكُنْ[٤] خيرًا لأنفُسِكم[٥].

---

(١) ذكره قتادة في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٣٨)، ورواه عنه عبد الرزاق في «تفسيره» (٤٣٩)، والطبري في «تفسيره» (٥/ ٦٤٣)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٣١٧).

(٢) في (ن): «مفسرة».

(٣) في (ن): «قدرة».

(٤) في (ن) زيادة مستدركة على الهامش: «إن تنفقوا يكن»، ورغم أن عليها علامة تصحيح لكننا أثبتنا ما في (ف)؛ لأنه موافق لما في «غرائب التفسير» وعامة المصادر. وانظر: «غاية الأماني» للكوراني (ص: ١٧٦).

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢١٩)، واستغربه، وكذا ذكره النسفي في «تفسيره» =

﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ﴾: بُخلَها وحِرْصَها، وقد سبقَ(١) ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

* * *

(١٧ ـ ١٨) ـ ﴿إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

﴿إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ على نيّةٍ وإخلاصٍ ﴿يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ﴾ يقبلُ القليلَ ويُعطي الجزيلَ ﴿حَلِيمٌ﴾ عنِ البخيلِ ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

* * *

= (٣/ ٤٩٤). والمشهور أن هذا قول أبي عبيدة وأن الذي قبله هو قول الكسائي والفراء وقد ذكر الفراء نحوه في «معاني القرآن» (١/ ٢٩٥ ـ ٢٩٦) بلا نسبة، وردَّه، وانظر: «مجاز القرآن» (١/ ١٤٣)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ٢٩٤)، و«إعراب مشكل القرآن» لمكي وفي «تفسير القرطبي» (١٨/ ١٤٦): «﴿خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ﴾ (خيرًا) نصب بفعل مضمر عند سيبويه، دل عليه ﴿وَأَنفِقُواْ﴾، كأنه قال: ايتوا في الإنفاق خيرًا لأنفسكم، أو قدموا خيرًا لأنفسكم من أموالكم. وهو عند الكسائي والفراء نعت لمصدر محذوف؛ أي: أنفقوا إنفاقًا خيرًا لأنفسكم. وهو عند أبي عبيدة خبر (كان) مضمرة؛ أي: يكن خيرًا لكم. ومن جعل الخير المال فهو منصوب بـ(أنفقوا)».

(١) «وقد سبق»: ليس في (ف). وقد سبق عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾ [النساء: ١٢٨] قوله: «والشُّحُّ: الغايةُ في البُخل».

سُورَةُ الطَّلَاقِ

وتُسمَّى: سورةَ النِّساءِ القُصرَى[1].

اثنتا عشرةَ آيةً[2]، مدنيَّةٌ.

بسمِ اللَّه الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡۖ لَا تُخۡرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخۡرُجۡنَ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ في سببِ النُّزولِ: رَوى قتادةُ عن أنسٍ قال: طلَّقَ رسولُ الله ﷺ حفصةَ، فأنزَلَ الله تعالى هذه الآيةَ، وقيلَ له: راجِعْها؛ فإنَّها صوَّامةٌ قوَّامةٌ، وهي إحدى أزواجِكَ ونسائِكَ في الجنّةِ[3].

---

(١) ورد ذلك في عدة أخبار، منها ما رواه البخاري (٤٩١٠) عن عبد الله بن مسعود قال: «أتجعلون عليها التغليظ، ولا تجعلون عليها الرخصة؟ لنزلت سورة النساء القصرى بعد الطولى: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّ﴾»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٢١)، واستغربه.

(٢) «اثنتا عشرة آية»: ليس في (ف). وانظر: «البيان في عد آي القرآن» للداني (ص: ٢٤٩)، وفيه: «وهي إحدى عشرة آية في البَصري واثنتا عشرة في عدد الباقين».

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٥٩)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ٥٢٣)، ورجح الدارقطني إرساله عن قتادة في «العلل» (١٢/ ١٤٧).

=

السُّدِّيُّ: نزَلَتْ في عبدِ الله بنِ عمرَ رضي الله عنهما(١).

وذلك أنَّه طلَّقَ امرأتَه حائضًا، فأمرَه رسولُ الله ﷺ أن يُراجِعَها ويُمسِكَها حتَّى تطهُرَ ثمَّ تحيضَ حيضةً أُخرى، فإذا طهُرَتْ طلَّقَها إنْ شاءَ(٢) قبل أن يُجامِعَها؛ فإنَّها العدَّةَ التي أمرَ الله تعالى بها، وهذا في «الصَّحيحَينِ»(٣).

مقاتلُ بنُ حيّانَ: نزلَتْ في عبدِ الله بنِ عمرِو بنِ العاصِ(٤).

النَّقَّاشُ: نزلَتْ في عبدِ الرَّحمنِ بنِ الخطَّابِ، وعُتبةَ بنِ عمرٍو المازنيِّ(٥).

والوجهُ هما الأوَّلانِ.

= ورواه الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٤٦١٥)، والحاكم في «المستدرك» (٦٧٥٤)، من طريق ثابت عن أنس، وليس فيه ذكر نزول الآية، وفي إسناده الحسن بن أبي جعفر، وهو ضعيف.

ورواه البزار في «مسنده» (١٤٠١)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ١٨٨) من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه، وفيه أيضاً الحسن بن أبي جعفر، وهو ضعيف كما ذكرنا.

وقال ابن كثير في «تفسيره» أول سورة (الطلاق): «وقد ورد من غير وجه أن رسول الله ﷺ طلق حفصة ثم راجعها».

(١) ذكره عنه الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٣٥).

(٢) في (ن): «شئت قبل أن تجامعها فإن».

(٣) رواه البخاري (٥٢٥١)، ومسلم (١٤٧١)، عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٥٩)، وفي «البسيط» للواحدي (٢١/ ٤٩٣): «وذكر المقاتلان: أن رجالًا فعلوا مثل ما فعل ابن عمر، منهم عبد الله بن عمرو، وعمرو بن سعيد بن العاص، وعتبة بن غزوان، فنزلت الآية فيهم».

(٥) لم أقف على من ذكر أنها نزلت في عبد الرحمن بن الخطاب، ولم أقف في الصحابة على عبد الرحمن بن الخطاب. أما عتبة بن عمرو فقد ذكره مقاتل في «تفسيره» (٤/ ٣٦٣)، وجاء في «البسيط» (٢١/ ٤٩٣): عتبة بن غزوان، كما تقدم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ إذا خاطبَه في خاصَّةِ نفسِه، أو في شيءٍ يُريدُ أن يَتْبعَه عليه المؤمنونَ خاطبَه بالنُّبوَّةِ، فإذا خاطبَه خطابًا عامًّا خاطبَه بالرِّسالةِ.

وفي قولِه: ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ بلفظِ الجمعِ أقوالٌ:

أحدُها: أنَّه جاءَ بلفظِ الجمعِ تعظيمًا له، كما تُخاطَبُ الملوكُ بلفظِ الجمعِ.

والثّاني: أنَّه خطابٌ له، والمُرادُ به أمَّتُه.

والثّالثُ: أنَّ التَّقديرَ: يا أيُّها النَّبيُّ والمُؤمنونَ إذا طلَّقتُم، فحُذِفَ لأنَّ الحكمَ يدلُّ عليه(١).

والرّابعُ: يا أيُّها النَّبيُّ قُلْ للمُؤمنين إذا طلَّقتُم(٢).

أي: إذا أرَدْتُم طلاقَهُنَّ، والطَّلاقُ: حلُّ عُقدةِ النِّكاحِ.

﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾؛ أي: في حالِ طهرِهنَّ، من غيرِ أن تكونوا جامَعْتُموهُنَّ منذ طهُرْنَ تطليقةً واحدةً، وهو طلاقُ السُّنَّةِ.

وذهبَ بعضُهم إلى أنَّه إذا طلَّقَها طاهرًا من غيرِ جماعٍ فهو مُطلِّقٌ للسُّنَّةِ طلَّق(٣) واحدةً أو اثنتَين أو ثلاثًا، وهذا القولُ يُذهِبُ فائدةَ قولِه: ﴿لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾.

فإنْ طلَّقَها في حيضٍ أو طُهرٍ جامعَها فيه يقعُ الطَّلاقُ لغيرِ السُّنَّةِ.

وذهبَ بعضُهم إلى أنَّه إذا طلَّقها ثلاثًا تقعُ واحدةً(٤).

---

(١) ذكره المصنف في «مصنفه» (٢/ ١٢٢١)، وعده من العجائب.

(٢) ذكره المصنف في «مصنفه» (٢/ ١٢٢١)، واستغربه.

(٣) في (ن): «طلقة».

(٤) قال بهذا القول عدد من العلماء منهم عطاء وطاوس وسعيد بن جبير وأبو الشعثاء وعمرو بن دينار وغيرهم. انظر: «المغني» (٧/ ٣٧٠).

وذهبَ بعضُهم إلى أنَّها لا تقعُ(١) أصلًا؛ لأنَّها ليست كما أمرَ اللهُ.

وهذانِ القولانِ مذهبا الشِّيعةِ، وهو خلافٌ للمسلمينَ(٢)؛ لأنَّ النَّهيَ لا يُوجِبُ فسادَ المنهيِّ عنه(٣)، بل يُوجِبُ العصيانَ.

وكذلك إذا راجعَها ضرارًا فالنِّكاحُ صحيحٌ، والرَّجلُ عاصٍ.

قولُه: ﴿لِعِدَّتِهِنَّ﴾؛ أي: لوقتٍ يقدِرْنَ على أن يعتَدِدْنَ عقيبَ الطَّلاقِ، وذلك حالةَ الطُّهرِ بلا خلافٍ.

وقيل: المُرادُ بالعِدَّةِ عَددُ الطَّلاقِ(٤)؛ أي: إذا طلَّقتُموهُنَّ فطلِّقوهُنَّ لمعرفتِكم عَددَ الطَّلاقِ.

وقيل: هي إشارةٌ إلى العِدَّةِ المُبيَّنةِ في قولِه: ﴿ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

ويحتمِلُ أنَّ اللّامَ لامُ التَّاريخِ(٥)، كما تقولُ: كتبتُ لثلاثٍ بقينَ، وخمسٍ بقينَ.

وفي الشَّواذِّ: (فطلِّقوهنَّ لِقُبُلِ عدَّتهنَّ)(٦)؛ أي: طاهرًا من غيرِ جماعٍ.

---

(١) في (ف): «أنه لا يقع».

(٢) تقدم ذكر الخلاف في إيقاع الثلاث واحدة ومن قال بهذا المذهب من أهل السنة، ففي قول المصنف: «وهو خلاف للمسلمين» نظر.

(٣) هذه مسألة خلاف ينظر فيها: «الفصول» للجصاص (٢/ ١٩١)، و«العدة» لأبي يعلى (٢/ ٤٣٤)، و«قواطع الأدلة» للسمعاني (١/ ١٤٠)، و«المستصفى» للغزالي (ص: ٢٢١)، و«البحر المحيط» للزركشي (٣/ ٣٨٠)، وللعلائي رسالة سماها «تحقيق المراد في أن النهي يقتضي الفساد» فلتنظر.

(٤) ذكره المصنف في «مصنفه» (٢/ ١٢٢١)، واستغربه.

(٥) ذكره المصنف في «مصنفه» (٢/ ١٢٢١)، واستغربه.

(٦) رواها بهذا اللفظ الإمام مالك في «الموطأ» (٢/ ٥٨٧) عن ابن عمر رضي الله عنه.

ورواها مسلم (١٤٧١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ بلفظ: (في قُبُل عدتهن).

قال النووي في «شرح مسلم» (١٠/ ٦٩): وهي شاذةٌ لا تَثْبُتُ قرآنًا بالإجماع، ولا يكونُ لها حكمُ =

﴿وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ﴾: عَدَدَ الحيضِ للمُراجعةِ إنْ أردتُم ذلك.

وقيل: عَدَدَ الطَّلاقِ.

والعِدَّةُ والعَددُ واحدٌ، كقولِه(١) تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ﴾ [التوبة: ٣٦].

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ﴾؛ أي: المواضعِ التي كُنَّ يسكُنَّ فيها؛ أي: أمسِكُوا المُطلَّقاتِ في بُيوتِكُم إلى أن تنقضيَ عدَّتُهنَّ.

وأضافَ البيوتَ إليهنَّ لاستِحقاقِهنَّ السُّكنَى فيها بعدَ الطَّلاقِ إلى انقضاءِ العِدَّةِ، ولأنَّهنَّ كنَّ يسكُنَّ فيها، وليست بإضافةِ مِلْكٍ.

﴿وَلَا يَخْرُجْنَ﴾ نهاهُنَّ عن الخروجِ باختيارِ أنفُسِهنَّ قبلَ انقضاءِ العِدَّةِ(٢).

﴿إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ الاستثناءُ عندَ الجمهورِ مِنَ الجملةِ الأولى، والتَّقديرُ: لا تُخرِجُوهُنَّ إلا أن يأتينَ بفاحشةٍ، وهي الزِّنى عندَ أكثرِهم.

وقيل: كلُّ معصيةٍ فيها حدُّ الله كالزِّنى والسَّرقةِ، تُخْرَجُ لإقامةِ الحدِّ.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: الفاحشةُ: البَذاءُ(٣).

قتادةُ: النُّشوزُ(٤).

= خبر الواحد عندنا وعند محقِّقي الأصوليين.

(١) في (ف): «لقوله».

(٢) في (ف): «عدتهن».

(٣) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١١٠٢٢)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٣٤)، بلفظ: «﴿إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ﴾: هُوَ أَنْ تَبْذُوَ عَلَى أَهْلِهِ».

وذكر أبو حفص النسفي في «التيسير في التفسير» عند هذه الآية عن عائشة رضي الله عنها والأسود وسعيد بن المسيِّب في رواية وابن عبَّاس: هي أن تبذو على أحمائها، فتُخرج إلى موضع آخر.

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٥٤١)، والطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٣٤).

وقيل: الاستثناءُ منقطعٌ؛ أي: إلَّا أنْ تَفْحَشَ فتخرجَ، والمعنى: مَن خرجَتْ فقد أتَتْ بفاحشةٍ(١).

السُّدِّيُّ: الفاحشةُ نفسُ الخروجِ(٢).

ويحتمِلُ على هذَينِ القولَين أن يُجعلَ الاستثناءُ من الجملةِ الثّانيةِ.

ويحتملُ أيضًا أن يكونَ قولُه: ﴿وَلَا يَخْرُجْنَ﴾ نفيًا لا نهيًا(٣).

﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾؛ أي: الأحكامُ المذكورةُ.

﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾: استَحقَّ عقابَ الله.

وقيل: منعَ نفسَه ما كانَ اللهُ جعلَه له، وهي المُراجعةُ.

﴿لَا تَدْرِى﴾؛ أي: النَّفسُ.

وقيل: أنتَ يا أيُّها النَّبيُّ، أو: أنتَ أيُّها المُطلِّقُ.

﴿لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾؛ أي: يُحدِثُ في العِدَّةِ بعدَ الطَّلاقِ رغبةً في المُطلَّقةِ.

وقيل: بعد نُفورِ قلبِه عنها ميلًا إليها.

وقيل: ﴿أَمْرًا﴾: رجعةً في العِدّةِ(٤)، أو نكاحًا جديدًا بعد البينونةِ.

***

---

(١) ذكره المصنف في «مصنفه» (٢/ ١٢٢٢)، واستغربه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٣٥).

(٣) ذكره المصنف في «مصنفه» (٢/ ١٢٢٢)، وعده من العجائب.

(٤) «بعد الطلاق رغبة في المطلقة وقيل بعد نفور قلبه عنها ميلاً إليها وقيل أمرا رجعة في العدة»: ليس في (ف).

(٢) ـ ﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴾.

﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ ﴾: أي: قارَبْنَ القُرْءَ الثَّالثَ ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾: راجِعُوهُنَّ ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾: مِنَ النَّفقةِ والكِسوةِ وحُسنِ العِشرةِ.

وقيل: معنى ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾: غيرَ مُضارٍّ.

﴿أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ﴾: قيل: بإيفاءِ الصِّداقِ والمُتعةِ.

وقيل: بتركِها حتَّى تَبِينَ بانقضاءِ العِدَّةِ.

﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾: ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: على الرَّجعةِ[1].

وقيل: ندبٌ، كقولِه: ﴿وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ [هود: ٥٤].

وقيل: على الطَّلاقِ.

وقيل: إنْ لـم يُشهِدوا فالطَّلاقُ غيرُ واقعٍ، وليس هذا مذهبَ الفُقهاءِ[2].

﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ﴾؛ أي: إقامتُها واجبةٌ عندَ الحاجةِ إليها.

﴿ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ قيل: (ذلك) يعودُ إلى جميعِ ما في الآيةِ.

وقيـل: يعـودُ إلـى إقامـةِ الشَّـهادةِ، كقولـه: ﴿وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾ [البقـرة: ٢٨٣].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤١) وفيه: «عند الطلاق وعند المراجعة»، وكذا ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٤/ ٢٩٧).

(٢) ذكره المصنف في «مصنفه» (٢/ ١٢٢٢) وعده من العجائب.

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾؛ أي: يتَّقِ الله في طلاقِ السُّنَّةِ ﴿يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾ بالمُراجعةِ.

وقيل: هو عامٌّ؛ أي: مَن يتَّقِ الله يجعَلْ له مخرجًا منَ الحرامِ إلى الحلالِ، ومنَ العقابِ إلى الثَّوابِ، ومنَ الجحيمِ إلى النَّعيمِ.

الحسنُ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾ فيما أمرَه به ﴿يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾ عمَّا نهاه عنه[1].

وقيل: مَن فارَقَ امرأتَه غيرَ مُضارٍّ بها رزَقَه الله غيرَها وألهمَه الصَّبرَ عنها.

* * *

(٣) ـ ﴿وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا﴾.

﴿وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ﴾: يأتيه ما يحتاجُ إليه من حيثُ لا يرجوه ولا يتأمَّلُ.

وقيل: هو البركةُ في الرِّزقِ.

وقيل: هذا في الآخرةِ.

وعن النَّبيِّ عليه السَّلامُ أنَّه قالَ: «إنِّي لَأعرِفُ آيةً لو أخذَ النّاسُ بها لكفتْهُم[2]: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾»، يقولُها ويُعيدُها[3].

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ٥٦٢)، وابن قيم الجوزية في «مدارج السالكين» (١/ ٤٦٨).

(٢) في (ف): «كفتهم».

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢١٥٥١)، والنسائي في «الكبرى» (١١٥٣٩)، وابن ماجه (٤٢٢٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٦٦٩)، والحاكم في «المستدرك» (٣٨١٩) وصححه، من طريق أبي السليل عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ. وأبو السليل ـ وهو ضُريب بن نُقَير ـ لم يدرك أبا ذر.

وفي سببِ النُّزولِ: أنَّ المشركينَ أَسَروا ابنًا لعوفِ بنِ مالكٍ الأشجعيِّ، فأتى رسولَ الله ﷺ وشكا إليه الفاقةَ، وقال: إنَّ العدوَّ أسرَ ابني وجزِعَتِ الأمُّ، فما تأمُرُني؟ فقالَ النَّبيُّ[1] ﷺ: «اتَّقِ الله واصبِرْ، وآمُرُكَ وإيّاها أن تستكثِرُوا من قولِ: لا حولَ ولا قوّةَ إلا بالله»، فعادَ إلى بيتِه وقالَ لامرأتِه: إنَّ رسولَ الله ﷺ أمرَني وإيّاكِ أن نستكثِرَ من قولِ: «لا حولَ ولا قوّةَ إلا بالله» فقالت: نِعْمَ ما أَمَرَنا به، فجَعَلا يقولانِ، فغَفَلَ العدوُّ عن ابنِه فساقَ غنمَهُم، وجاءَ بها إلى أبيه، وهو أربعةُ آلافِ شاةٍ، فنزلَتْ هذه الآيةُ[2].

﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾: يَكِلْ أمرَه إليه، مشتَقٌّ منَ الدابَّةِ المُواكِلِ: الذي[3] يسيرُ بسيرِ غيرِه مُنقادًا له.

﴿فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾: كافيهِ في الدُّنيا وفي الآخرةِ.

﴿إنَّ اللهَ بالغُ أمرِه﴾ سيبلغُ أمرُه إلى ما يُريدُ في خلقِه، ومَن أضافَ[4] فللتَّخفيفِ.

﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾: قيل: يُريدُ الطَّلاقَ والعِدَّةَ وغيرَ ذلك مـمَّا تقدَّمَ.

---

(١) في (ف): «رسول الله».

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ٥٥٦) من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما. والكلبي متروك.
وروى نحو هذه القصة الحاكم في «المستدرك» (١٩٩٣) من طريق أبي عبيدة عن أبيه ابن مسعود رضي الله عنه، وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه». وأبو عبيدة لم يسمع من أبيه.
وروى نحوها أيضاً الحاكم أيضاً (٣٨٢٠) من طريق سالم بن أبي الجعد عن جابر. وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. فتعقبه الذهبي بقوله: «بل منكر».

(٣) بعدها في (ف): «ليس». ولعله خطأ، ففي «مجمل اللغة» (ص: ٩٣٥): الوِكَال في الدابة: أن تسير بسير الأخرى. ومثله في «مقاييس اللغة» (٦/ ١٣٦)، وفيه أيضاً: والوكال في الدابة: أنْ يَتأخَّر أبدًا خَلْفَ الدَّوابِّ، كأنه يَكِلُ الأمرَ في الجري إلى غيره.

(٤) قرأ بالإضافة حفص، والباقون بالتنوين. انظر: «السبعة» (ص: ٦٣٩)، و«التيسير» (ص: ٢١١).

وقيل: عامٌّ؛ أي: لكلِّ شيءٍ ميقاتًا وأجلًا.

وقيل: مُنتهًى وغايةً.

وقيل: مقدارًا معلومًا لا يزيدُ ولا ينقصُ.

وقيل: متَّصِلٌ بقولِه: ﴿بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦ﴾، ومُرادُه: في الوقتِ الذي قدَّرَه.

***

(٤) - ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا﴾.

﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ﴾: عن أُبيِّ بنِ كعبٍ رضي الله عنه قال: قلتُ: يا رسولَ الله، إنَّ ناسًا من أهلِ المدينةِ قالوا لـمَّا نزلَتِ الآيةُ التي في البقرةِ في عِدَّةِ النِّساءِ: بقيَ من عِدَّةِ النِّساءِ عِدَدٌ لـم تُذكَرْ في القرآنِ: الصَّغيرةُ، والآيسةُ، وذاتُ الحملِ، قال: فنزلَت التي في النِّساءِ القُصرَى[1].

﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ﴾؛ أي: قَعَدْنَ عن الحيضِ ﴿إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ﴾: شكَكْتُم في عدَّتِهِنَّ، ولـم تعلَمُوها، ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ﴾.

مجاهدٌ وقتادةُ في جماعةٍ: أي: ارتبتُم بما يظهرُ منها منَ الدَّمِ فلم تدرُوا؛ أدَمُ حيضٍ أم دَمُ استحاضةٍ؟ من كِبَرِ ذلك أم علَّةٍ[2]؟ لأنَّه لو كانَ كذلك لقالَ: إنْ أشكلَ عليكم.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٧١٠٤)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٦٠)، والحاكم في «المستدرك» (٣٨٢١).

(٢) ذكره عن مجاهد معلقًا البخاري قبل الحديث (٤٩٠٨) بلفظ: «إنْ لم تعلموا: أتحيضُ أم لا تَحيضُ؟ فاللائي قَعَدْنَ عن المَحيض، واللائي لم يَحِضْنَ بعدُ، فعِدَّتُهن ثلاثةُ أشهرٍ»، وهكذا رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٩). وأعاده البخاري بنحو هذا قبل الحديث (٥٣١٨).

ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٢) عن قتادة بلفظ: «إن من الريبة المرأة المستحاضة، والتي لا =

وقيل: في الآيةِ تقديمٌ وتأخيرٌ، والتَّقديرُ: واللّائي لـم يحِضْنَ إن ارتبتُم[١] في حيضِهِنَّ.

والجمهورُ على القولِ الأوَّلِ.

﴿وَٱلَّٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَ﴾: تقديرُه: واللّائي لـم يحِضْنَ عدَّتُهنَّ ثلاثةُ أشهرٍ، فحُذِفَ الخبرُ لأنَّ خبرَ المبتدأ الأوَّلِ يدُلُّ عليه.

﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ﴾: أي: عدَّتُهنَّ ﴿أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾.

وقيل: أجلُهنَّ في الانقطاعِ فيما بينهنَّ وبينَ أزواجهنَّ أن يضَعْنَ حملَهُنَّ في الطَّلاقِ والوفاةِ جميعًا.

وعـن علـيٍّ وابنِ عبّـاسٍ رضي الله عنهـم: أنَّ عـدَّةَ المُتوفَّى عنهـا زوجُها آخرُ الأجلَينِ[٢].

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾ بطاعتِه ﴿يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾: يُسهِّلْ عليه أمرَه ويُوفِّقْه للخيرِ.

قيل: أمرَ بالتَّقوى في أحكامِ الطَّلاقِ ثلاثَ مرَّاتٍ، ووعدَ في كلِّ مرَّةٍ نوعًا منَ الجزاءِ؛ فقال أوَّلًا: ﴿يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾: يُخرِجْه مـمَّا دخلَ فيه وهو يكرهُه، ويُتيحُ له محبوبَه من حيثُ لا يتأمَّلُ.

وقالَ في الثاني: يُسهِّلُ عليه الصَّعبَ من أمرِه، ويُتيحُ له خيرًا مـمَّن طلَّقَها إنْ كانَ الطَّلاقُ من جهتِها.

= يستقيم لها الحيض، تحيض في الشهر مراراً، وفي الأشهر مرة، فعدتها ثلاثة أشهر».

(١) بعدها في (ف): «أي إن ارتبتم».

(٢) رواه عن عليٍّ رضي الله عنه ابنُ أبي شيبة في «مصنفه» (١٧١٠٣)، والطحاوي في «أحكام القرآن» (٢/ ٣٣٥)، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٢٤٢). و قول ابن عباس رضي الله عنهما رواه البخاري (٤٩٠٩)، ومسلم (١٤٨٥).

والثَّالثُ: وعدَ عليه أفضلَ الجزاءِ، وهو ما يكونُ في الآخرةِ منَ النَّعماءِ.

***

(٥) ـ ﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾.

﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾؛ أي: المفروضُ المُتقدِّمُ ذكرُه فرضُ الله ﴿أَنزَلَهُۥٓ﴾ منَ اللَّوحِ المحفوظِ ﴿إِلَيْكُمْ﴾.

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾: سبقَ.

***

(٦) ـ ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَـٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ﴾.

﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم﴾؛ أي: أنزِلُوهُنَّ الدّارَ والمسكنَ الذي أنتم به سكنتُم ونزلتُم.

﴿مِّن وُجْدِكُمْ﴾: من غِناكُم الذي به مَلَكتُم المساكنَ.

وقيلَ: الأمرُ بالسُّكنَى قد تقدَّمَ، وهذا أمرٌ بالإنفاقِ عليهنَّ، والمعنى: أشركوهُنَّ[1] فيما وجدتُم منَ المالِ.

وقيل: ﴿مِّن وُجْدِكُمْ﴾: سَعَتِكُم وقُدرتِكُم.

﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ﴾؛ أي: في السُّكنى ولا في النَّفقةِ، والمُضارَّةُ: المُضايقةُ والمُزاحمةُ.

---

(١) في (ن): «اتركوهن».

﴿لِتُضَيِّقُواْ عَلَيْهِنَّ﴾: فتحوِجُوهُنَّ إلى الخروجِ.

﴿وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمْلٍ﴾؛ أي: المُطلَّقاتُ ذواتُ الأحمالِ ﴿فَأَنفِقُواْ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾: أجمَعُوا على أنَّ المُطلَّقةَ إذا كانت حامِلًا فلها النَّفقةُ، وكذلك كلُّ مُطلَّقةٍ ما دامَتْ في العِدَّةِ فلها السُّكنَى والنَّفقةُ.

وقال بعضُهم: إذا بانَتْ فلها السُّكنَى دونَ النَّفقةِ.

﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ﴾ ـ يعني: النِّساءَ البوائنَ ـ أولادَكم منهُنَّ.

﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ على الإرضاعِ؛ لأنَّه لا يجبُ عليها الإرضاعُ.

﴿وَأْتَمِرُواْ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ﴾: ليأمُرْ بعضُكم بعضًا بالجميلِ في إرضاعِ الولدِ.

وقيل: ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾: بمشورةٍ في الإرضاعِ.

وقيل: هو أن لا يضُرَّ الرَّجلُ بالمرأةِ ولا المرأةُ بالرَّجلِ في الإرضاعِ.

﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ﴾: تضايَقْتُم، واختلفتُم في الإرضاعِ، فأبَتِ الأمُّ أو أبى الأبُ، أو تضايقتُم في الأجرةِ، ﴿فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ﴾: يُدفَعُ الصَّبيُّ إلى امرأةٍ أُخرى، ولا تُجبَرُ الأمُّ على الإرضاعِ، فإنْ لم يقبلِ الصَّبيُّ ثديَ غيرِها أُجبِرَتْ على إرضاعِه بأجرةِ المثلِ.

***

(٧) ـ ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾.

﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾: أي: ليُنفِقِ الكثيرُ المالِ على المُطلَّقةِ وعلى أمِّ الولدِ من غناه وثروتِه.

﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ﴾: أي: رَزَقَه الله على قَدْرِ قُوْتِه.

وقيل: ضُيِّقَ وقُتِّـرَ.

﴿فَلۡيُنفِقۡ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ﴾؛ أي: فليُنفِقْ من ذلك الذي يُؤتَى وإنْ كانَ قليلًا.

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾: ما أعطاها منَ الرِّزقِ.

وقيـل: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾؛ أي: بقَـدْرِ عقلِهـا. حـكاه النَّقَّـاشُ، فعلى هـذا التَّأويـلِ لا يكـونُ مُتَّصلًا بمـا قبلَها.

﴿سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا﴾؛ أي: بعد ضيقٍ فـي المعيشةِ سعةً، وهذا وعدٌ للمُؤمنينَ، كقولِه: ﴿إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرٗا﴾ [الشرح: ٦]؛ أي: عاجِلًا أو آجِلًا[١].

* * *

(٨) ـ ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ عَتَتۡ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبۡنَٰهَا حِسَابٗا شَدِيدٗا وَعَذَّبۡنَٰهَا عَذَابٗا نُّكۡرٗا﴾.

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ﴾: أهلِ قريةٍ ﴿عَتَتۡ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ﴾: خالفَتِ اللهَ ورسلَه.

وقيل: هم قومٌ عُذِّبوا بمعصيتِهم وتعدِّيهم في الطَّلاقِ.

﴿فَحَاسَبۡنَٰهَا حِسَابٗا شَدِيدٗا وَعَذَّبۡنَٰهَا عَذَابٗا نُّكۡرٗا﴾: قيل: فيه تقديمٌ وتأخيرٌ؛ أي: عذَّبْناها عذابًا شديدًا في الدُّنيا، ونُحاسبُها حسابًا شديدًا في القيامةِ، وجاء بلفظِ الماضي للتَّحقيقِ كأكثرِ ألفاظِ القيامةِ.

وقيل: حاسَبْناها في الدُّنيا، أخَذْنا ما لنا وأعطَيْنا ما لهم، والمعنى: أخَذْناهُم بالذُّنوبِ.

وقيل: جازَيناها، من قولِه: ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ﴾ [المؤمنون: ١١٧].

---

(١) في (ف): «وآجلاً».

وقيل: ضيَّقْنا عليها، ومعنى ﴿نُكْرًا﴾: فظيعًا شديدًا.

وقيل: لا يُعهَدُ مثلُه.

***

(٩ ـ ١٠) ـ ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ۝٩ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾.

﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾: نالَتْ وبيلَ فعلِها وعُقوبةَ صُنعِها.

﴿وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾؛ أي: آخرُ أمرِها خُسرانًا لا ربحَ فيه، ثمَّ فسَّرَ فقالَ:

﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾: يا ذَوي العقولِ، ولُبُّ كلِّ شيءٍ خالصُه.

وقيل: اللُّبُّ: القلبُ.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾؛ أي: القرآنَ.

***

(١١) ـ ﴿رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾.

﴿رَسُولًا﴾: وأرسلَ رسولًا؛ يعني: محمَّدًا ﷺ.

وقيل: جبريلَ عليه السَّلامُ.

وقيل: تقديرُه: ذا ذِكرٍ وشرفٍ ﴿رَسُولًا﴾؛ يعني: محمَّدًا، فيكونُ بدلًا من: ﴿ذِكْرًا﴾.

وقيل: ﴿رَّسُولًا﴾؛ أي: رسالةً، فيكونُ بدلًا من ﴿ذِكْرًا﴾ أيضًا.

وقيل: ﴿ذِكْرًا﴾ منصوبٌ بـ﴿أَنزَلَ﴾[1]، و﴿رَّسُولًا﴾ بالمصدرِ؛ أي: ذِكرَ رسولٍ، قالَه أبو عليٍّ[2].

وقيل: تمَّ الكلامُ على ﴿ذِكْرًا﴾، و﴿رَّسُولًا﴾ نصبٌ على الإغراءِ[3].

وقيل: تقديرُه: أنزَلْنا إليكم ذكرًا آتاهُ رَسولًا[4].

﴿يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ﴾: أي: الرَّسولُ يتلو عليكم، وقيل: الفِعلُ لله.

﴿ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ﴾: اللهُ، وقيل: ليُخرِجُ الرَّسولُ.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: الكفرِ ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾: الإيمانِ.

وقيل: منَ الجهلِ إلى العلمِ.

وقيل: منَ النّارِ إلى الجنّةِ.

وقيل: منَ الضَّلالِ إلى الرَّشادِ.

وقيل: منَ الباطلِ إلى الحقِّ، ومعناهُنَّ واحدٌ.

﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا﴾: أي: يرزقُه فيها رزقًا حسنًا، ووحَّدَ ﴿يُدْخِلْهُ﴾ حملًا على لفظِ ﴿مَن﴾،

---

(١) في النسختين: «بأنزلنا»، والمثبت هو الموافق للآية، ولما في «الحجة» و«غرائب التفسير» (٢/ ١٢٢٣).

(٢) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٢/ ٤٣٠).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٢٣)، واستغربه.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٢٣)، وعده من العجائب.

وجمعَ ﴿خَالِدِينَ﴾ حملًا على المعنى، ثمَّ وحَّدَ قولَه: ﴿لَهُ﴾ على اللَّفظِ، وليس لهذا في القرآنِ نظيرٌ.

***

(١٢) ـ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾: أجمعَ المُفسِّرون على أنَّ السَّماءَ سبعٌ، غِلَظُ كلِّ سماءٍ مسيرةُ خمس مئةِ عامٍ، وبينَ كلِّ سماءٍ وسماءٍ مسيرةُ خمس مئةِ عامٍ، في كلِّ سماءٍ نوعٌ منَ الملائكةِ يُسبِّحونَ الله ويُمَجِّدونَه ويُقدِّسُونَه.

واختلَفُوا في الأرضِ على أقوالٍ:

أحدُها: أنَّ الأرضَ واحدةٌ، وقولُه: ﴿مِثْلَهُنَّ﴾؛ أي: في الخلقِ لا في العددِ، وليس في القرآنِ ما يدلُّ على أنَّها سبعٌ.

والثَّاني: أنَّ المُرادَ بها الأقاليمُ السَّبعةُ، والدَّعوةُ شاملةٌ جميعَها.

والثَّالثُ: أنَّها سبعُ أرضينَ مُتَّصلةٌ بعضُها ببعضٍ، والحائلُ بينَ كلِّ أرضٍ وأرضٍ بحارٌ لا يُمكِنُ قطعُها، ولا الوصولُ إلى الأرضِ الأُخرَى، ولا تصلُ الدَّعوةُ إليهم.

والرَّابعُ: أنَّها سبعُ أرضينَ بعضُها فوقَ بعضٍ، مُتَّصلةٌ لا فرجةَ بينها.

والخامسُ: أنَّ بينَ كلِّ واحدةٍ منها إلى الأُخرى مسيرةَ خمسِ مئةِ عامٍ، كما جاءَ في ذكرِ السَّماءِ، وفي كلِّ أرضٍ منها خلقٌ، حتَّى قالوا: في كلِّ أرضٍ آدمُ

وحـوّاءُ، ونوحٌ وإبراهيمُ، وهـم يُشـاهدونَ السَّـماءَ من جانبِ أرضِهم، ويسـتمِدُّونَ[١] الضِّيـاءَ منها[٢].

وقيل: جعَلَ الله لهم نورًا يستضيئونَ به.

وذكرَ النقَّاشُ في «تفسيرِه» فصلًا في خلائقِ السَّماواتِ والأرضينَ[٣] وأشكالِـهم وأسمائِهم، ولم يكُنْ ذلك في سائرِ التَّفاسيرِ، فأضرَبْتُ عن إيرادِه، واللهُ أعلمُ بذلك.

قولُه: ﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾: قيل: نصبٌ بالعطفِ على ﴿سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾.

وقيل: بفعلٍ آخرَ دلَّ عليه الأوَّلُ؛ أي: خلقَ منَ الأرضِ مثلَهُنَّ؛ لأنَّه لا يُحالُ بين واوِ العطفِ والمعمولِ، وبابُه الشِّعرُ، وقد سبقَ في سورةِ (هودٍ).

قولُـه: ﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾؛ أي: بيـنَ السَّـماءِ والأرضِ، يريـدُ: الأمـرَ والنَّهـيَ والرُّسـلَ والوحيَ.

وقيل: ﴿بَيْنَهُنَّ﴾: بينَ كلِّ سماءٍ وسماءٍ، وأرضٍ وأرضٍ.

والأمرُ: القَضاءُ والقدَرُ.

﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ اللَّامُ متعلِّقٌ بالخلقِ.

وقيل: بقولِه: ﴿يَتَنَزَّلُ﴾[٤]، والأوَّلُ أولى.

---

(١) في (ف): «ويشهدون».

(٢) ذكره السمعاني في «تفسيره» (٥/ ٤٦٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما نقلاً عن النقاش، وذكر نحوه ابن طاهر المقدسي في «البدء والتاريخ» (٢/ ٤٢) عن عطاء بن يسار، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٢٣)، وعده من العجائب.

(٣) في (ف): «والأرض».

(٤) ذكره المصنف في «مصنفه» (٢/ ١٢٢٤)، واستغربه.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾: فلا تخفَى عليه خافيةٌ.

و﴿عِلْمًا﴾: مصدرٌ من غيرِ لفظِ الأوَّلِ؛ أي: علِمَ كلَّ شيءٍ علمًا.

***

سُورَةُ التَّحْرِيمِ

اثنتا عشرةَ آيةً[1]، مدنيّةٌ.

بسم الله الرَّحمنِ الرَّحيم

(١) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾: في سببِ النُّزولِ: عن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّ النَّبيَّ ﷺ دخلَ على حفصةَ في يومِ نوبتِها، فخرجَتْ هي لبعضِ شأنِها، فأرسلَ رسولُ الله ﷺ إلى ماريةَ جاريتِه أمِّ إبراهيمَ وأدخلَها بيتَ حفصةَ وواقعَها، فلمّا رجعَتْ حفصةُ علمَتْ بذلك، فغضِبَتْ وبكَتْ، فقالَتْ: أمَا لي حرمةٌ عندَكَ وحقٌّ؟ فقالَ رسولُ الله ﷺ: «اسكُتي فهي حرامٌ عليَّ، أبتَغي بذلك رضاكِ»، وحلَفَ ألّا يقربَها، وبشَّرَها بأنَّ الخليفةَ من بعدِه أبوها وأبو عائشةَ، وقالَ لها: لا تُخبِري أحدًا بما أسرَرْتُ إليكِ من أمرِ الجاريةِ، وأمرِ الخليفةِ بعدي.

فلمّا خرَجَ رسولُ الله ﷺ أخبرَتْ عائشةَ بذلك، وقالت: قد أراحَنا الله من ماريةَ؛ فإنَّ رسولَ الله حرَّمَها على نفسِه، وقصَّتْ عليها القِصّةَ، وكان بينهما مُصافاةٌ وتظاهرٌ، فأنزَلَ الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ﴾[2].

---

(١) «اثنتا عشرة آية»: ليس في (ف).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٣٧٥)، ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٦٤٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ١٧٨): «فيه إسماعيل البجلي وهو ضعيف، =

وذهبَ جماعةٌ منَ المُفسِّرين إلى أنَّها في يومِ عائشةَ، فاطَّلعَتْ حفصةُ على ذلك، فقال لـها: «لا تُخبِري عائشةَ واسكُتي، فهي عليَّ حرامٌ»[١].

وفي «صحيحِ البخاريِّ»: عن هشامِ بنِ عروةَ، عن عروةَ، عن عائشةَ رضي الله عنها: أنَّ حفصةَ أهدَتْ لها امرأةٌ من قومِها عُكَّةَ عسلٍ، وكانت تسقي النَّبيَّ عليه السَّلامُ من ذلك، قلتُ: إنَّا والله لنَحْتالَنَّ له، فقلتُ لسودةَ بنتِ زمعةَ: إنَّه سيدنُو منكِ إذا دخلَ عليكِ، فقولي له: يا رسولَ الله، أكلتَ مغافيرَ؟ فإنَّه سيقولُ لكِ: سقَتْني حفصةُ شربةَ عسلٍ، فقولي له: جَرَسَتْ نَحْلُه العُرْفُطَ، وسأقولُ ذلك، وقولي أنتِ يا صفيّةُ ذلك، قالت عائشةُ: قالت سودةُ: فوالله ما هو إلا أنْ قامَ على البابِ فكِدْتُ أن أُنادِيَه بما أمرَتْني به، فلمَّا دنا ﷺ منها قالَتْ له سودةُ: يا رسولَ الله، أكلْتَ مغافيرَ؟ قال: «لا، سقَتْني حفصةُ شربةَ عسلٍ»، قالت: جَرَسَتْ نَحْلُه العُرْفُطَ، قالت: فلما دخَلَ عليَّ قُلتُ له مثلَ ذلك، فلمّا جاءَ[٢] إلى صفيّةَ قالَتْ له مثلَ ذلك، فلمَّا دارَ إلى حفصةَ قالَتْ: يا رسولَ الله، أسقيكَ منه؟ قال: «لا حاجةَ لي فيه»، قالَتْ: قالت

= والضحاك لم يسمع من ابن عباس رضي الله عنهما».

ورواه العقيلي في «الضعفاء» (٤/ ١٥٥)، والطبراني في «الأوسط» (٢٣١٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٢٧): «رواه الطبراني في «الأوسط» من طريق موسى بن جعفر بن أبي كثير عن عمه، قال الذهبي: مجهول، وخبره ساقط».

ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٨٨) من حديث ابن عباس عن عمر رضي الله عنهم، وليس فيه ذكر البشارة بخلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

(١) رواه ابن سعد في «الطبقات» (٨/ ١٨٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وفيه أن ذلك كان في يوم عائشة لكن في بيت حفصة، وليس فيه ذكر البشارة بخلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وجاء في آخره: «فأمر فكفر يمينه وحبس نساءه عليه». وفيه الواقدي شيخ ابن سعد، وهو متروك.

(٢) في (ف): «دار».

سودةُ: سبحانَ اللهِ! واللهِ لقد حرَمْناه، قالَتْ: قلتُ لها: اسكُتي(١).

وروَى ابنُ أبي مليكةَ: أنَّه عليه السَّلامُ شربَ في بيتِ سودةَ بنتِ زمعةَ(٢).

وروَى أسباطٌ عن السُّدِّيِّ: أنَّه شربَ عندَ أمِّ سلمةَ(٣).

وذكرَ أقضى القُضاةِ عن عكرمةَ(٤): أنَّ الآيةَ نزلَتْ في المرأةِ التي وهبَتْ نفسَها للنَّبيِّ ﷺ فلم يقبَلْها(٥).

والأكثَرونَ على أنَّه حرَّمَ ماريةَ على نفسِه، وطلَّقَ حفصةَ، وعزَلَ النِّساءَ تسعًا

---

(١) رواه البخاري (٥٢٦٧)، ومسلم (١٤٧٤). وقال النووي في «شرح مسلم»: «الصحيح أنها في قصة العسل، لا في قصة مارية المروية في غير الصحيحين، ولم تأت قصة مارية من طريق صحيح». انظر: «شرح مسلم» للنووي (١٠/ ٧٧)، وكلامه منقول عن القاضي عياض في «إكمال المعلم» (٥/ ٢٠)، وزاد: قال النسائي: «حديث عائشة في العسل إسناده جيد صحيح غاية». وقال ابن حجر في «فتح الباري» (١٢/ ٣٤٣): «الصحيح أنه نزل في كلا الأمرين».

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١٢٢٦) من طريق ابن أبي مليكة عن ابن عباس رضي الله عنهما، وعزاه ابن حجر في «فتح الباري» (١٢/ ٣٤٣) إلى الطبراني وابن مردويه في «تفسيره» ثم قال: «ورواته موثقون إلا أن أبا عامر وهم في قوله سودة».

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٣٩)، وابن العربي في «أحكام القرآن» (٦/ ٣٩)، قال ابن حجر في «فتح الباري» (٩/ ٣٧٧): «ووقع في تفسير السدي أن شرب العسل كان عند أم سلمة أخرجه الطبري وغيره وهو مرجوح لإرساله وشذوذه».

(٤) في (ف): «أقضى القضاة والنقاش».

(٥) ذكره عن عكرمة الثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ١٨)، أما الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٣٨) فأورده عن ابن عباس رضي الله عنهما، وكذا رواه ابن أبي حاتم وابن مردويه كما ذكر السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢١٧) وضعَّف إسناده، ونقله ابن كثير في «تفسيره» (٨/ ١٦٠) عن ابن أبي حاتم ثم قال: «وهذا قول غريب، والصحيح أن ذلك كان في تحريمه العسل، كما قال البخاري عند هذه الآية».

وعشرينَ يومًا، وكان جَعَلَ[1] على نفسِه أن لا يدخلَ عليهنَّ شهرًا، فأنزَلَ الله هذه الآيةَ[2]، وأخبرَ النَّبيَّ عليه السَّلامُ أنَّ حفصةَ صوَّامةٌ قوّامةٌ، وأنَّها إحدى نسائِكَ في الجنّةِ[3].

قال أبو القاسمِ: لـم يُطلِّقْ حفصةَ[4].

مُقاتلٌ: همَّ أن يُطلِّقَها، فجاءَ جبريلُ عليه السَّلامُ، وأخبرَ أنَّ حفصةَ صوَّامةٌ قوَّامةٌ، وأنَّها إحدى نسائِكَ في الجنّةِ[5]، فأمسكَ عن طلاقِها، وراجعَها على قولِ مَن يقولُ: طلَّقَها، واستحَلَّ ماريةَ، وعادَ إلى سائرِ نسائِه.

قولُه: ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾: قيل: حلَفَ يمينًا فحرَّمَها بها، فأُمِرَ بالكفَّارةِ في اليمينِ.

وقيل: حرَّمَها على نفسِه من غيرِ يمينٍ، وكانَ التَّحريمُ مُوجِبًا لكفَّارةِ اليمينِ، وهي ما في سورةِ (المائدةِ).

قولُه: ﴿تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ﴾: تطلُبُ رِضاهُنَّ.

قيل: في محلِّ نصبٍ على الحالِ.

وقيل: ابتغاءَ مَرضاتِهنَّ[6] على أنَّه مفعولٌ له. واللَّفظُ لا يحتمِلُ هذا[7].

---

(١) في (ن): «حرم».

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٣٩) عن الحسن وقتادة والشعبي ومسروق والكلبي.

(٣) تقدم في أول تفسير سورة الطلاق.

(٤) كذا قال، وقد ذكرنا في أول سورة (الطلاق) قول ابن كثير في «تفسيره»: وقد ورد من غير وجه أن رسول الله ﷺ طلق حفصة ثم راجعها.

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٣٧٧).

(٦) في (ف): «رضاهن».

(٧) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٢٥)، وعده من العجائب.

ويحتمِلُ أنَّ الاستفهامَ مُقدَّرٌ؛ أي: أتبتَغي مرضاةَ أزواجِكَ بتحريمِ ما أحلَّ الله[١]؟

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾: قد غفرَ لك ما تقدَّمَ من ذنبِكَ وما تأخَّرَ.

* * *

(٢) ـ ﴿قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾.

﴿قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾: قيل: أوجَبَ.

وقيل: بيَّنَ لكم.

وقيل: قدَّرَ.

﴿تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡ﴾: تحليلَها، وهو إطلاقٌ يُحِلُّ ما حظَرَه عقدُ التَّحريمِ، وتحليلُ القَسَمِ: إزالةُ الحنثُ عنه.

﴿وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡ﴾: فاتَّبِعوا[٢] تحليلَه وتحريمَه ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾.

* * *

(٣) ـ ﴿وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتۡ مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾.

﴿وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ﴾ يعني: حفصةَ ﴿حَدِيثٗا﴾: حديثَ ماريةَ والخلافةِ، وقيل: ذكرَ تحريمِ العسلِ والخلافةِ.

﴿فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ﴾؛ أي: أخبرَتْ حفصةُ عائشةَ بالحديثِ[٣].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٢٥)، واستغربه.

(٢) في (ن): «فابتغوا».

(٣) في (ف): «الحديث».

﴿وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾: أَطْلعَ الله محمَّدًا عليه السَّلامُ على إفشائها[١] الحديثَ.

﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ﴾: عـرَّفَ حفصـةَ بعـضَ مـا أفشَـتْ؛ يعنـي: حديـثَ ماريـةَ، أو ذكرَ العسـلِ.

﴿وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾: فلم يُخبِرْها به كرمًا ـ وهو حديثُ الخلافةِ ـ كراهةَ أن ينتشِرَ.

سفيانُ: مازالَ التَّغافلُ من فعلِ الكرامِ[٢].

الحسنُ: ما استقصَى[٣] كريمٌ قطُّ[٤].

﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ﴾: نبَّأَ النَّبيُّ عليه السَّلامُ حفصةَ بما أفشَتْ منَ السِّرِّ إلى عائشةَ ﴿قَالَتْ﴾؛ أي: حفصةُ للنَّبيِّ عليه السَّلامُ: ﴿مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا﴾: مَن أخبرَكَ بما فعلتُ؟ ﴿قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ﴾ بخفِيَّاتِ القلوبِ ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ فلا يخفَى عليه شيءٌ.

* * *

(٤) ـ ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾.

---

(١) في (ن): «إفشاء».

(٢) لم أقف على من ذكره عن سفيان قبل المصنف، وذكر عنه في كثير من الكتب بعد المصنف، وقد رواه أبو الشيخ الأصبهاني في «أمثال الحديث» (٣٧٣) من قول أكثم بن صيفي.
وذكره الآبي في «نثر الدرر» (٣/ ٥٤)، وابن الجوزي في «المنتظم» (٧/ ٣٠٠) من كلام أبي العباس السفاح.

(٣) في (ف): «ما استفصى».

(٤) ذكره عن الحسن الثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ٢٨)، ورواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (١/ ٢٨٧) عن سفيان بن عيينة، ورواه الخطيب البغدادي في «البخلاء» (٧٢) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ يُريدُ: حفصةَ وعائشةَ رضي الله عنهما.

﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾: مالَتْ عن الواجبِ، وزاغَتْ بسرورِكما بما كرِهَ النَّبيُّ عليه السَّلامُ من تحريمِ ماريةَ، وجمعَ (القلوبَ) في موضعِ التَّثنيةِ؛ لأنَّ الأعضاءَ الوِتْرَ إذا أُضيفت إلى إنسانين جُمعَ في موضع التثنية لزوالِ الالتباسِ[1].

وجوابُ الشَّرطِ محذوفٌ، والتَّقديرُ: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ فهو الواجبُ.

وقيل: قُبِلَتْ توبتُكما.

وقيل: إنْ لا تتوبا إلى الله فقد صغَتْ قلوبُكما[2].

وقيل: إن تتوبا إلى الله فقد صغَتْ قلوبُكما إلى الحقِّ[3].

﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ﴾: تعاوَنا على إيذائِه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ﴾: ناصِرُه ووليُّه ﴿وَجِبْرِيلُ﴾ وليُّه ومُعينُه ﴿وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: المُخلِصونَ من المؤمنينَ.

قتادةُ: هم الأنبياءُ[4].

وقيل: هم الصَّحابةُ.

وقيل: المُرادُ به أبو بكرٍ وعمرُ رضي الله عنهما[5]؛ فإنَّهما أبوا عائشةَ وحفصةَ،

---

(١) تقدم الكلام عليه في تفسير قوله تعالى: ﴿فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨].

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٢٦)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٢٦)، وعده من العجائب.

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ ٣٢٣)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٩٨).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٩٧) عن الضحاك ومجاهد.

ورواه الحاكم في «المستدرك» (٤٤٣٣) من قول أبي أمامة رضي الله عنه وصححه، فتعقبه الذهبي بقوله: «موسى بن عمير واه».

وروى أبو الليث السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٤٦٨) عن عبد الله بن عثمان، عن عكرمة في قوله: ﴿وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ قال: أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، قال عبد الله: فذكرت ذلك لسعيد بن جبير، =

وهو تفسيرُ النَّبيِّ ﷺ(١).

وقيل: المُرادُ به عليٌّ كرَّمَ الله وجهَه ورضيَ عنهم(٢).

قال ابنُ زيدٍ: هم الملائكةُ(٣).

والجمهورُ على أنَّه واحدٌ وقعَ موقعَ الجمعِ.

وقيل: أصلُه: «صالِحُو» فحُذِفَ الواوُ كما حُذِفَ من قولِه: ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ [العلق: ١٨] ﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ﴾ [الشورى: ٢٤](٤).

﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ﴾: بعد نصرِ مَن تقدَّمَ ذِكرُهم، وقيل: مع ذلك.

﴿ظَهِيرٌ﴾: أعوانٌ مُتظاهِرونَ على مَن يُؤذيه، و(فَعيلٌ) يقعُ للجمعِ، قال الشّاعرُ:

إنَّ العـــواذلَ لسْــنَ لي بأمـــيرِ(٥)

وقد سبقَ(٦).

= قال: صدق عكرمة. وروي ذلك عن جمع آخرين من الصحابة والتابعين جمع رواياتهم السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٢٣ ـ ٢٢٤).

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٤٧٧) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٢٧): «فيه عبد الرحمن بن زيد العمي وهو متروك».

(٢) عزاه ابن كثير في «تفسيره» (٨/ ١٦٤)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٢٤) إلى ابن أبي حاتم عن علي رضي الله عنه، وضعفا إسناده. وعزاه السيوطي أيضًا في الموضع السابق إلى ابن مردويه عن أسماء، وإلى ابن مردويه وابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٤١).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٢٦)، وعده من العجائب.

(٥) البيت بلا نسبة في «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ٢٦١)، و«معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٤٦٠). وصدره كما في «معاني القرآن» للأخفش:

يــا عــاذلاتي لا تــردن ملامتــي

(٦) في تفسير قوله تعالى: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ﴾ [ق: ١٧].

ومنَ القُرّاءِ مَن اختارَ الوقفَ على: ﴿هُوَ مَوْلَىٰهُ﴾، ثمَّ آخرَ الآيةِ[1]، ومنهم مَن اختارَ على ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[2]، ويجوزُ على ﴿جبريل﴾.

***

(٥) - ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾.

﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾: هذا دليلٌ لمَن قال: لـم يُطلِّقْ حفصةَ، وفي الآيةِ تخويفٌ لنسائِه، وإخبارٌ عن قدرةِ الله على تبديلِه خيرًا منهنَّ إن طلَّقَ أزواجَه، و(عسى) منَ الله واجبٌ.

وقيل: كلُّ (عسى) منَ الله في القرآنِ واجبٌ إلّا هذا[3].

ومعنى: ﴿خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾: قيل: أطوَعَ له منكنَّ.

وقيل: أحبَّ إليه منكنَّ.

السُّدِّيُّ: خيرًا منكنَّ في الدُّنيا[4].

والآيةُ واردةٌ في الإخبارِ عن القدرةِ لا عن الكونِ في الوقتِ؛ لأنَّه قال: ﴿إِن طَلَّقَكُنَّ﴾ وعُلمَ أنَّه لا يُطلِّقهنَّ، وإذا لـم يُطلِّقْهُنَّ فهنَّ خيرُ نساءِ الأمَّةِ.

قوله: ﴿مُسْلِمَٰتٍ﴾: قيل: منَ الإسلامِ، ولـم تصلُحْ للنَّبيِّ غيرُ مسلمةٍ.

وقيل: مُستَسلماتٍ لأمرِ الله وأمرِ رسولِه.

﴿مُّؤْمِنَٰتٍ﴾؛ أي: بالله وكتُبِه ورُسلِه، مُنقاداتٍ لأوامرِه ونواهيه.

---

(١) فيكون قوله: ﴿وَجِبْرِيلُ﴾ على الابتداء. انظر: «القطع والائتناف» للنحاس (ص: ٧٤٨).

(٢) انظر المصدر السابق عن نافع.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٢٦).

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٤١).

﴿قَٰنِتَٰتٍ﴾ قيل: مُصلِّياتٍ. وقيل: ثابتاتٍ على الطّاعةِ.

﴿تَٰٓئِبَٰتٍ﴾؛ أي: عن الذُّنوبِ راجعاتٍ إلى أمرِ الله.

﴿عَٰبِدَٰتٍ﴾؛ أي: عابداتٍ لله، وقيل: مُتذلِّلاتٍ لأمرِ الرَّسولِ بالطّاعةِ.

﴿سَٰٓئِحَٰتٍ﴾ قيل: صائماتٍ، وسُمِّيَ الصّائمُ سائحًا لأنَّه يسيحُ في النَّهارِ بلا زادٍ.

وقيل: مُهاجراتٍ.

وقيل: يسُحْنُ حيثُ يسيحُ.

﴿ثَيِّبَٰتٍ﴾: جمعُ (ثيِّبٍ)، وهي التي ثابَ إليها الزَّوجُ.

﴿وَأَبْكَارًا﴾: جمعُ (بِكْرٍ)، وهي التي على خلقَتِها القُدْمى، مُشتقَّةٌ منَ البُكرةِ والباكورةِ.

والمعنى: على حَسَبِ ما يشتَهيه منها.

قال ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: وعدَ الله نبيَّه أن يُزوِّجَه في الجنّةِ آسيةَ امرأةَ فرعونَ، وهي الثَّيِّبُ، ومريمَ بنتَ عمرانَ وهي البِكرُ، ويكونُ في الجنّةِ وليمةٌ فيجتمعُ عليها أهلُها[1].

ولـم يتكلَّمْ من المُفسِّرين أحدٌ في هذه الواوِ، ووجهُ ذلك أن يُقالَ: لـمَّا لـم يُمكِنِ الجمعُ بينَ الثيِّبِ والبكارةِ كما أمكنَ الجمعُ بين سائرِ الأوصافِ قطعَ بالواوِ، فيَحْسُنُ الوقفُ على ﴿ثَيِّبَٰتٍ﴾، والابتداءُ بقولِه: ﴿وَأَبْكَارًا﴾، على تقديرِ: وأبكارًا موصوفاتٍ بالأوصافِ التي تقدَّمَتْ إلّا التَّثيُّب، تقولُ: ما كانَتْ ثيِّبًا، ولقد تثيَّبَتْ تثيُّبًا.

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٤٢) عن الكلبي، قال القرطبي في «المفهم» (٤/ ٢٥٣): «وفيه نظر وبعد»، وساق ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٤٣٥) عدة أحاديث في ذلك، ثم قال: «غريب جدًّا، وكل من هذه الأحاديث في أسانيدها نظر».

ومَن ذهبَ إلى أنَّ الواوَ للثَّمانيةِ[١] فهذا من حجَّتِه أيضًا[٢]، وقد سبقَ في (التَّوبةِ) مع قولِه: ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلۡعَـٰبِدُونَ﴾ [التوبة: ١١٢]. والله أعلَمُ.

* * *

(٦ ـ ٧) ـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۝٦ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ أي: اجعلُوا بينكم وبينَ النّارِ وقايةً من طاعةِ الله، وقُوا أهليكم بتعليمِهم الخيرَ وأمرِهم ونهيِهم وأخذِهم بما يُنجيهم منها.

الضَّحَّاكُ: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ وليَقُوا أهلوكُم أنفُسَهم[٣]، وهذا يستدعي الرَّفعَ والواوَ.

ويحتمِلُ على قولِ الضَّحاكِ أن يكونَ مفعولًا معه[٤] حملًا على الواوِ في ﴿قُوٓاْ﴾، وهذا فعلٌ حُذِفَ فاء فعلِه ولامُ فعلِه.

﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ﴾؛ أي: حطَبُها وما تُوقَدُ به النَّاسُ، اقتصرَ على ذكرِ النّاسِ دونَ الجنِّ لأنَّ المقصودَ في الآيةِ تحذيرُ الإنسِ.

﴿وَٱلۡحِجَارَةُ﴾: هي حجارةٌ يُعذَّبونَ بها.

---

(١) في (ف): «أن للثمانية واوًا».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٢٧)، واستغربه.

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٤٤). ولفظه: «وأهلوكم فليقوا أنفسهم» ولفظ المصنف جاء على لغة (أكلوني البراغيث). وانظر: «الدر المنثور» (٨/ ٢٢٥).

(٤) كذا ذكره هنا احتمالًا، وجزم في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٢٧) بنسبته للضحاك، واستغربه، فقال: «الغريب: الضحاك: بمعنى «مع» فيكون مفعولاً معه على قول الضحاك».

وقيل: هي حجارةُ الكبريتِ.

وقيل: هي الأصنامُ.

وقيل: هي كنوزُ الذَّهبِ والفِضّةِ؛ لأنَّهما منَ الحجارةِ.

﴿عَلَيْهَا﴾: على النّارِ ﴿مَلَٰٓئِكَةٌ﴾: مُوكَّلونَ، وهم الزَّبانيةُ التِّسعةَ عشرَ وأعوانُهم.

﴿غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾؛ أي: غلاظُ الأقوالِ شِدادُ الأفعالِ.

وقيل: غِلاظُ الخلقِ أقوياءُ يعملونَ بأرجُلِهم كما يعمَلُون بأيديهم، لم يخلُقِ الله فيهم رحمةً.

ابنُ عيسى: غلاظٌ في[1] الأخلاقِ، رقاقٌ في الأجسامِ؛ لأنَّهم روحانيُّونَ.

﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ﴾ قيل: الآنَ في دارِ التَّكليفِ، وأمَّا في دار الآخرةِ فلا هم يعصونَ، ولا الإنسُ ولا الجنُّ.

وقيل: الزَّبانيةُ يَلتَذُّونَ عذابَ الكفَّارِ الْتِذاذَ أهلِ الجنَّةِ الأكلَ والشُّربَ.

﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾: من غيرِ تأخيرٍ وزيادةٍ ونُقصانٍ.

وقيل: هذا تكرارٌ.

وقيل: معناه: لا يضعُفونَ كما يضعُفُ الإنسانُ إذا كُلِّفَ أمرًا عظيمًا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

* * *

---

(١) «في»: ليس في (ف).

(٨) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ خيثمةُ: كلُّ ما في القرآنِ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ ففي التَّوراةِ: يا أيُّها المساكينُ[١].

﴿تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾: قيل: هي منَ (النَّصيحةِ)؛ أي: يبالغُ فيها في نصيحةِ نفسِه.

وقيل: منَ (النِّصاحةِ)، وهي الخياطةُ؛ أي: مُوثقةً كما يُوثقُ المِخيطُ.

ويحتمِلُ أنَّه جعلَ الذَّنبَ كالخَرْقِ يقعُ في الثَّوبِ، والتَّوبةَ نِصاحةً لذلك الخرقِ.

الأخفشُ: نصحْتُه بمعنى: صدَقْتُه، وتوبةٌ نصوحٌ: صادقةٌ[٢].

وقُرِئَ: ﴿نُصُوحًا﴾[٣] وهو مصدرٌ؛ أي: ينصحُ نفسَه بالتَّوبةِ نُصوحًا.

وقيل: جمعُ (نُصْحٍ) كبُرْدٍ وبُرودٍ.

وقد أكثَروا القولَ في وصفِ التَّوبةِ النَّصوحِ، وأجمعُه ما جاءَ مرفوعًا: «إنَّ التَّوبةَ النَّصوحَ أن يتوبَ ثمَّ لا يعودَ إلى الذَّنبِ كما لا يعودُ اللَّبنُ إلى الضَّرعِ»[٤].

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٣٧١)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٥٠٢٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٧١٨).

(٢) ذكره أبو علي الفارسي في «الحجة» (٦/ ٣٠٤).

(٣) قرأ بها شعبة. انظر: «السبعة» (ص: ٦٤١)، و«التيسير» (ص: ٢١٢).

(٤) ورد ضمن حديث طويل رواه عبد الملك بن حبيب في «أشراط الساعة» (٢/ ١٠٨) عن عبد الله بن =

ابنُ عيسى: التَّوبةُ النَّصوحُ هي التي يُناصحُ الإنسانُ فيها نفسَه بإخلاصِ النَّدمِ مع العزمِ على تركِ المُعاودةِ من غيرِ تضجيعٍ في ذلك ولا تقصيرٍ.

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾؛ أي: لا يُؤاخذَكم بذُنوبِكم.

وقيل: تُوبوا منَ الكبائرِ يغفِرْ لكم الصَّغائرَ.

وتكفيرُ السَّيِّئاتِ: سترُها وحطُّها.

﴿وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾؛ أي: لا يُذِلُّهم ولا يفعلُ بهم ما يفعلُه بالكفَّارِ.

وقيل: لا يُخزي النَّبيَّ؛ أي: لا يُشوِّرُه[1] فيما يَشفعُ، ولا يقعُ خُلفٌ فيما وعدَ المُؤمنينَ منَ الله.

وقيل: الكلامُ تامٌّ على ﴿ٱلنَّبِىَّ﴾، ثمَّ استأنفَ فقالَ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾[2].

﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ﴾: سبقَ في سورةِ (الحديدِ).

﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾: يقولون ذلك إذا طَفِئَ نورُ المُنافقينَ.

﴿وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

* * *

= عمرو بن العاص رضي الله عنهما، وكذا في حديث طويل آخر رواه الطبري في «تاريخه» (١/ ٧٣)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١١٧٥)، والثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ٢٦٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وفيها جميعًا أن معاذ بن جبل رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ عن التوبة النصوح، فقاله.

(١) أي: لا يخجله: انظر: «معجم ديوان الأدب» للفارابي (٣/ ٤٥٤)، و«المحكم» مادة: (ش و ر) (٨/ ١١٨).

(٢) ذكره أبو عمرو الداني في «المكتفى في الوقف والابتدا» (ص: ٢١٩)، وذكر أن الأجود أن يكون التمام ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾.

(٩) ـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ﴾ بالسَّيفِ ﴿وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ﴾ بالوعيدِ واللِّسانِ.

وقيل: إذا ظهرَ منهم النِّفاقُ قاتِلْهُم.

الحسنُ: جاهِدِ المُنافقينَ بإقامةِ الحدودِ عليهم[1]. وكانَ أكثرُ مَن يصيبُ الحدودَ هم المُنافقونَ.

وقيل: جهادُهم: الغِلظةُ واكفِهرارُ الوجوهِ.

﴿وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ بالقولِ والزَّجرِ والإبعادِ والهجرِ ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ﴾؛ أي: المُنافقينَ والكافرينَ ﴿جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾.

* * *

(١٠) ـ ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَـٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾.

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ﴾: ختمَ السُّورةَ بما يعودُ إلى أوَّلِها من وَعظِ نساءِ النَّبيِّ وإعلامِهنَّ أنَّ اتِّصالَهُنَّ برسولِ الله ﷺ لا يدفعُ عنهنَّ العذابَ، كما لم يدفَعْ ولم ينفَعِ امرأةَ نوحٍ واسمُها: واعلةُ، وامرأةَ لوطٍ واسمُها: واهِلةُ، وإنَّما ينفعُ العملُ الصَّالحُ.

﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَـٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾: بالنِّفاقِ وإبطانِ الكفرِ

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١١١٠)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٦٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨١٤).

وإفشاءِ أسرارِهما، وكانت امرأةُ نوحٍ تقولُ: إنَّه مجنونٌ، وتُخبِرُ الجبابرةَ بإيمانِ مَن آمنَ به ليقتُلوه ويفتِنُوه.

وكانت امرأةُ لوطٍ تُخبِرُ القومَ إذا أتاه ضيفٌ ليتعرَّضُوا له بالفُجورِ.

ولـم تكُنْ خيانتُهما في الفَرْجِ، فقد عصَمَ الله أنبياءَه من ذلك، ومَن ذهبَ إلى ذلك فقد أساءَ القولَ[1].

﴿فَلَمْ يُغْنِيَا﴾ يعني: نوحًا ولوطًا ﴿عَنْهُمَا﴾: عن امرأتَيهما ﴿مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾؛ أي: دفعَ عذابٍ.

﴿وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾؛ أي: يُقالُ لهما في القيامةِ، وقيلَ: يقال لهما عندَ النَّزعِ.

وذُكِرَ بلفظِ المُذكَّرِ لأنَّهنَّ لا يَنْفرِدْنَ بالدُّخولِ، وإذا اجتَمعا فالغلبةُ للمُذكَّرِ[2].

وكذلك قولُه: ﴿مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ [التحريم: ١٢].

* * *

(١١) ـ ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾: وهي آسيةُ بنتُ مُزاحمٍ، وفرعونُ أعتَى الناسِ وأكفرُهم.

﴿إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ﴾: وذلك أنَّه لـمَّا اطَّلعَ على إيمانِها وتَّدَ لها أربعةَ أوتادٍ شدَّ بها يدَيها ورجلَيها ووضعَ على صدرِها رَحًى، وجعلَها في

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٢٧)، وعده من العجائب.

(٢) في (ف): «للذكور».

الشَّمسِ، وإنَّ الله تعالى أفرجَ لها فرأَتْ بيتَها في الجنّةِ فقالَتْ: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ﴾.

﴿وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ﴾: خلِّصْني من فرعونَ ﴿وَعَمَلِهِۦ﴾: تعذيبه إيّايَ.

وقيل: عملُه: كُفرُه وشِركُه.

وقيل: أرادَتْ بعملِه: جزاءَ عملِه، وهو النَّارُ[1].

وقيل: مُضاجعَتِه، حُكِيَ عن أحمدَ بنِ حنبلٍ رحمَه الله[2].

﴿وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: الكافرين.

وقيل: أهلِ مصرَ.

وجاء في التَّفسيرِ: أنَّ الملائكةَ كانت تُظِلُّها بأجنحتِها[3].

الحسنُ: رفعَ الله امرأتَه بجسدِها وهي حيَّةٌ إلى الجنَّةِ فهي فيها[4].

***

(١٢) - ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾.

﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ عنِ الرِّجالِ ﴿فَنَفَخْنَا﴾ يعني: نفخَ جبريلُ بأمرِنا ﴿فِيهِ﴾: في جَيْبِ درعِها.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٢٧)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٢٧)، وعده من العجائب.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٦٥٦)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١١٥)، والحاكم في «المستدرك» (٣٨٣٤) وصححه، من قول سلمان الفارسي رضي الله عنه.

(٤) ذكره الزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٥٧٢) بلفظ: «فنجاها الله أكرم نجاة، فرفعها إلى الجنة فهي تأكل وتشرب وتتنعم فيها».

وقيل: في فرجِها[١].

وقيل: في عيسى.

﴿مِن رُّوحِنَا﴾: المخلوقةِ[٢] لنا.

﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا﴾: بعيسى، وهو كلمةُ الله.

وقيل: بوعدِ ربِّها.

وقيل: بعجائبِ الله وبدائعِه من خلقِه.

﴿وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾: الدَّائمينَ على طاعةِ الله.

* * *

---

(١) «وقيل: في فرجها»: ليس في (ف).

(٢) في (ن): «المخلوق».

جزء تبارك

سُورَةُ المُلْكِ

ثلاثونَ آيةً[1]، مكِّيَّةٌ.

ويُقالُ لها: المُنجِيةُ، تُنجي قارِئَها من عذابِ القبرِ[2].

---

(١) «ثلاثون آية»: ليس في (ف).

(٢) رواه الترمذي (٢٨٩٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما، ولفظه: ضرب بعض أصحاب النبي ﷺ خباءه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر، فإذا فيه إنسان يقرأ سورة تبارك الذي بيده الملك حتى ختمها، فأتى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، إني ضربت خبائي على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر، فإذا فيه إنسان يقرأ سورة تبارك الملك حتى ختمها. فقال رسول الله ﷺ: «هي المانعة، هي المنجية، تنجيه من عذاب القبر»، قال الترمذي: «وقال: حديث غريب من هذا الوجه»، ورواه البيهقي في «إثبات عذاب القبر» (ص: ١٥٠) وقال: «تفرد به يحيى بن عمرو بن مالك، وهو ضعيف».

وله شاهد من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٦٠٢٥)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٨٦٥١)، والحاكم في «المستدرك» (٣٨٣٩)، وصححه، وأبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٢٤)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٧/ ٤١)، وفي «إثبات عذاب القبر» (ص: ١٤٩) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا بألفاظ متقاربة، ولفظ الحاكم: «يؤتى الرجل في قبره فتؤتى رجلاه فتقول رجلاه: ليس لكم على ما قبلي سبيل كان يقوم يقرأ بي سورة الملك، ثم يؤتى من قبل صدره أو قال بطنه، فيقول: ليس لكم على ما قبلي سبيل كان يقرأ بي سورة الملك، ثم يؤتى رأسه فيقول: ليس لكم على ما قبلي سبيل كان يقرأ بي سورة الملك، قال: فهي المانعة تمنع من عذاب القبر، وهي في التوراة سورة الملك، ومن قرأها في ليلة فقد أكثر وأطنب».

ورواه النسائي في «السنن الكبرى» (١٠٤٧٩) عن عبد الله بن مسعود من قوله، ولفظه: من قرأ =

وجاء مرفوعًا: «مَن قرأها في ليلةٍ فقد أكثَرَ وأطنَبَ»[١].

بسم الله الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿تَبَٰرَكَ﴾: تفاعَلَ منَ البركةِ، وكذلك ﴿تَعَٰلَىٰ﴾ بمعنَى: علا؛ أي: امتَدَّ بقاؤُه ودامَ، والبركةُ: البقاءُ والدَّوامُ.

وقيل: تعالى وتعظَّمَ؛ لأنَّ الشَّيءَ إذا زادَ ارتفعَ وعظُمَ، والبركةُ: الزِّيادةُ.

وقيل: ﴿تَبَٰرَكَ﴾: جاء من قِبَلِه البركةُ، وهي الكثرةُ والخيرُ.

﴿ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾: يُؤتيه مَن يشاءُ، وينزعُه ممَّن يشاء، وهو الملِكُ مالكُ المُلْكِ غيرُ المملَّكِ.

واليدُ: عبارةٌ عن القدرةِ والتَّصرُّفِ والاستيلاءِ على الشَّيءِ.

وقيل: اليدُ: صلةٌ، والمُلكُ: مُلكُ السَّماواتِ والأرضِ.

وقيل: النُّبوَّةُ يُعِزُّ بها مَن اتَّبعَ النَّبيَّ، ويُذِلُّ بها مَن خالفَه.

﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾: أي: منَ الإنعامِ والانتقامِ ﴿قَدِيرٌ﴾: قادِرٌ بالكمالِ.

= ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ كل ليلة منعه الله بها من عذاب القبر، وكنا في عهد رسول الله ﷺ نسميها المانعة، وإنها في كتاب الله سورة من قرأ بها في كل ليلة فقد أكثر وأطاب.

وروى أبو داود (١٤٠٠)، والترمذي (٢٨٩١) وحسنه، وابن ماجه (٣٧٨٦)، عن أبي هريرة، رضي الله عنه مرفوعًا: «إن سورة من القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له، وهي سورة ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾».

وقال المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٢٩): «الغريب: سورة المنجية، تنجي قارئها من عذاب القبر».

(١) انظر التعليق السابق.

(٢) ـ ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾: أنكرَ بعضُهم أنَّ يكونَ الموتُ جنساً منَ المخلوقاتِ، وتوقَّفَ بعضُهم فيه، وأثبتَه بعضُهم عقلًا، وهما حالتانِ تتعاقبانِ على الإنسانِ وغيرِه، واللهُ خالقُ الذَّواتِ والحالاتِ.

وقيل: معناه: خلقَكُم للموتِ والحياةِ[1].

وقيل: خلقَ الموتَ على صورةِ كبشٍ أملحَ، لا يمُرُّ بشيءٍ ولا يجدُ ريحَه شيءٌ ولا يطَأُ على شيءٍ إلّا ماتَ[2].

وعن النَّبيِّ عليه السَّلامُ: «يُؤتَى بالموتِ يومَ القيامةِ على صورةِ كبشٍ أملَحَ فيُذبَحُ بين الجنّةِ والنّارِ»[3].

وخلَقَ الحياةَ على صورةِ فرسٍ أُنثى لا يمُرُّ بشيءٍ ولا يجدُ ريحَها شيءٌ ولا تطأُ على شيءٍ إلا حيَّ[4].

ويحتمِلُ ـ واللهُ أعلمُ ـ: خلَقَ المواتَ والحيوانَ[5][6].

وقيل: الدُّنيا والآخرةَ.

وقيل: خلَقَ الحياةَ نعمةً ليشكُروا، وخلَقَ الموتَ ليصبِرُوا إذا ماتَ أحياؤُهم.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٢٩)، وعده من العجائب.

(٢) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» (٥/ ١٩٧) عن الكلبي.

(٣) رواه البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩)، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٤) تتمة الخبر السابق عن الكلبي.

(٥) في (ف): «الموت والحياة». وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٢٩)، واستغربه، وفيه: «الموت والحيوان».

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٢٩)، واستغربه.

وبدأ بالموتِ لكونِ التُّرابِ والنُّطفةِ[١] بالوصفِ الأوَّلِ؛ أي: موتًا ثمَّ حياةً، ثمَّ موتًا ثمَّ حياةً لا موتَ بعدَها.

﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾: طاعةً له، وجاءَ مرفوعًا: «أحسَنُ عقلًا»[٢].

وقيل: ﴿أَحْسَنُ عَمَلًا﴾: أتركُ للمعاصي.

وقيل: أخلَصُه.

وقيل: أصبرُ على المصائبِ[٣].

و﴿أَيُّكُمْ﴾: رفعٌ بالابتداءِ، والفعلُ قبلَه مُقدَّرٌ[٤]، والتَّقديرُ: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ فيَعلمَ أيُّكم أحسنُ عملًا؛ كقولِه: ﴿لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى﴾ [الكهف: ١٢].

وقيل: ليبلوَكم فينظرَ ﴿أَيُّكُمْ﴾، كقولِه: ﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم﴾ [القلم: ٤٠]؛ أي: فانظُرْ أيُّهم.

وقيل: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ فيقولُ: ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾، والقولُ هو الأوَّلُ.

---

(١) في (ن): «التراب في النطفة»، والمثبت من (ف)، وهو الموافق لما في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٢٩).

(٢) وتمام الحديث: «أيكم أحسن عقلاً وأورع عن محارم الله وأسرع في طاعة الله»، رواه داود بن المحبر في كتاب «العقل» كما في «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٢/ ١٤٥)، ومن طريقه الحارث بن أبي أسامة في «مسنده» (٨٣١ ـ زوائد)، والطبري في «تفسيره» (١٢/ ٣٣٥)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ٨٨ ـ ٨٩)، عن عبد الواحد بن زياد عن كليب بن وائل عن ابن عمر عن النبي ﷺ، وداود ساقط. ورواه ابن مردويه من طريق آخر عن كليب كذلك، وإسناده أسقط من الأول. انظر: «الكافي الشاف» (ص: ٨٦).

(٣) في (ف) زيادة: «في الطاعات».

(٤) في (ف): «معلق»، والمثبت من (ن)، وكلاهما صواب، فهو مقدر ومعلق.

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ لمَن أساءَ عملَه ﴿ٱلْغَفُورُ﴾: لمن تابَ.

* * *

(٣) - ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾: بعضُها فوقَ بعضٍ، جمعُ (طَبَقٍ) كجَبَلٍ وجبالٍ.

وقيل: جمعُ (طَبَقةٍ) كرَحبةٍ ورِحابٍ.

وقيل: ﴿طِبَاقًا﴾ مصدرُ طابقَ، تقولُ: طابقَ بينَ ثوبَيه؛ إذا لبسَ أحدَهما فوقَ الآخرِ.

و﴿طِبَاقًا﴾ صفةٌ، وقيل: نصبٌ على المصدرِ.

﴿مَّا تَرَىٰ﴾: أيُّها الإنسانُ ﴿فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾: و: ﴿تفوُّتٍ﴾[1].

التَّفاوُتُ: بُعدُ ما بينَ الشَّيئين في الصِّحَّةِ، والتَّفوُّتُ: بمعناه؛ كالتَّعاهُدِ والتَّعهُّدِ.

وقيل: هو أن يفوتَ الشَّيءُ بعضُه بعضًا، وفي الآيةِ قولانِ:

أحدُهما: ما ترى في خلقِ الرَّحمنِ السَّماءَ من تفاوتٍ؛ أي: خلَلٍ واضطرابٍ وتفرُّقٍ.

والثَّاني: أنَّه عامٌّ في جميعِ خلقِ الرَّحمنِ؛ أي: لم يفُتْه شيءٌ أرادَه[2]، ولم يخرُجْ شيءٌ عن مُوجَبِ الحكمةِ.

---

(١) قراءة حمزة والكسائي، والباقون: ﴿تَفَٰوُتٍ﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٦٤٤)، و«التيسير» (ص: ٢١٢).

(٢) في (ف): «إرادةً».

وقيل: الخلقُ في الآيةِ مصدرٌ، وأنَّ المعنى: يخلُقُ كلَّ شيءٍ صغيرًا وكبيرًا بأمرٍ واحدٍ لا تفاوُتَ في ذلك، وهو قولُه: «كُنْ»[1].

وقيل: الرُّؤيةُ في الآيةِ بمعنى العلمِ؛ لبُعدِ السَّماءِ عن الإدراكِ بحاسّةِ البصرِ.

﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ﴾: أيُّها الإنسانُ، وقيل: الخطابُ للنَّبيِّ عليه السَّلامُ، وفيه بُعدٌ.

أي: قد نظرتَ إليها غيرَ مُتفكِّرٍ فيها، فارجعِ البصرَ الآنَ وتفكَّرْ فيها.

الفرّاءُ: تقديرُه: فانظُرْ إليها، ثمَّ ارجعِ البصرَ[2].

﴿هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾: شقوقٍ وخَلَلٍ ووَهْيٍ وصُدوعٍ.

***

(٤) ـ ﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾.

﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾: أي: كرِّرِ النَّظرَ مرَّتَينِ؛ أي: كرَّتَينِ[3] مع الأولى.

وقيل: سِوَى الأولى، فيكونُ ثلاثَ مرّاتٍ[4].

ويحتملُ على قولِ الفرَّاءِ أن يكونَ أربعَ مرَّاتٍ؛ أي: انظُرْ إليها فارجعِ البصرَ، فهاتانِ كرَّتانِ، ثمَّ ارجعِ البصرَ كرَّتَينِ أُخريَينِ.

الحسنُ: لو كرَّرْتَ النَّظرَ إلى يومِ القيامةِ لم ترَ فُطورًا[5].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٣٠)، واستغربه.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٧٠).

(٣) «أي كرتين»: ليس في (ف).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٣٠) عن الفراء، واستغربه.

(٥) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (١٠/ ١٠٧).

وقيل: المُرادُ بالتَّثنيةِ الجمعُ كما يُقالُ: لبَّيكَ وسعدَيكَ؛ فإنَّ البصرَ لا يصيرُ حسيرًا بمرَّتَينِ اثنتَينِ.

والمعنى: رَدِّدْ[1] طرفَكَ وعقلَكَ في المحسوسِ والمعقولِ هل ترى خللًا أو تتبيَّنُ مَعيبًا؟

قولُه: ﴿يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ﴾: يرجِعْ إليك.

وقيل: لأنَّه لا ترى فطورًا فينْفُذَ.

﴿خَاسِئٗا﴾: صاغِرًا.

وقيل: ذليلًا.

وقيل: مُنقطِعًا.

وقيل: بعيدًا مـمَّا يُريدُ، من قولِه: ﴿ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا﴾ [المؤمنون: ١٠٨]؛ أي: ابعُدوا مـمَّا سألتُم.

وقيل: ﴿خَاسِئٗا﴾: مطرودًا طردَ إهانةٍ؛ لأنَّ مَن طلبَ عيبَ مَن لا يليقُ به العيبُ استحقَّ الطَّردَ والإهانةَ، تقولُ: خسَأْتُه فخَسِئَ.

﴿وَهُوَ حَسِيرٞ﴾؛ أي: مُعْيٍ.

وقيل: كليلٌ.

وقيل: مُتحسِّرٌ على ما لـم يجِدْه.

* * *

(١) في (ن): «رُدَّ».

(٥) ـ ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾.

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا﴾: وهي التي تلي الأرضَ ﴿بِمَصَابِيحَ﴾: بكواكبَ تُضيئُها كإضاءةِ الصُّبحِ.

﴿وَجَعَلْنَاهَا﴾؛ أي: بعضَها ﴿رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾: جمعُ «رَجْمٍ» بالفتحِ كالقَبْضِ.

ويقالُ لها: كواكبُ الأخذِ.

قتادةُ: خلقَ الله النُّجومَ لثلاثةِ أشياءَ: زينةً للسَّماءِ، ورُجومًا للشَّياطينِ، وليُهتَدَى بها في ظلماتِ البرِّ والبحرِ، فمَن أوَّلَـها على غيرِ ذلك فقد قالَ رأيَه وأخطأَ حظَّه[1].

الضحَّاكُ: الكواكبُ التي تُرى لا يُرجَمُ بها، والتي تُرجَمُ بها الشَّياطينُ لا يراها النَّاسُ[2].

أبو عليٍّ: الكواكبُ أنفسُها لا تَرْجُمُ؛ لأنَّ الكواكبَ ثابتةٌ لا تزولُ عن السَّماءِ ولا تُفقَدُ، إنَّما ينفصلُ عنها شهابٌ مُحرِقٌ[3].

﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ﴾: للشَّياطينِ ﴿عَذَابَ السَّعِيرِ﴾: النَّارَ المسعورةَ سوى هذه الرُّجومِ؛ أي: في الآخرةِ.

ويحتمِلُ أنَّ ﴿عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ هو ما يُصيبُهم منَ الشُّهبِ.

وقيل: ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ﴾؛ أي: للكفَّارِ.

والأوَّلُ أظهرُ.

---

(١) علقه البخاري بعد حديث (٣١٩٨)، ووصله الطبري في «تفسيره» (١٤/ ١٩٣)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٢٢٦).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٣١)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٣١)، واستغربه.

(٦) ـ ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾.

﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾: هذا استئنافٌ، وقُرِئَ في الشَّواذِّ بالنَّصبِ[1]، وفيه كلامٌ.

﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾: المرجعُ جهنَّمُ.

***

(٧) ـ ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ﴾.

﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا﴾: صوتًا كصوتِ الحمارِ، وهو أنكرُ الأصواتِ وأعلاها، من قولِهم: جبلٌ شاهقٌ.

﴿وَهِيَ تَفُورُ﴾: ترتفعُ بالغليانِ.

***

(٨) ـ ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾.

﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾: تكادُ تنقطعُ.

وقيل: تتفرَّقُ من شدَّةِ الغضبِ على الكفّارِ.

وقيل: صوتُها يُشبِهُ صوتَ المُغتاظِ.

وقيل: غيظُها: غلَيانُها.

﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ﴾: قومٌ وجماعةٌ منَ الكفّارِ ﴿سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾؟ يُخوِّفُكم هذا العذابَ، وهذا سؤالُ تبكيتٍ وتقريعٍ.

---

(١) نُسبت قراءة النصب في «إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ٣٠٨) لأُسيد، وفي: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦٠) للضحاك والأعرج.

(٩) ـ ﴿قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ﴾.

﴿قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ﴾: يعني: الرَّسولَ ﴿فَكَذَّبۡنَا﴾؛ أي: كذَّبناه ﴿وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ﴾؛ أي: كتابٍ ولا رسولٍ ﴿إِنۡ أَنتُمۡ﴾: ما أنتم ﴿إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ﴾ في قولِكم ودَعواكُم.

وقعَ (النَّذيرُ) موقعَ الجمعِ، ويجوزُ أن يكونَ نذيرُ كلِّ فوجٍ رسولَـهم، ثمَّ جُمِعَ على ما سبقَ أنَّ مَن كذَّبَ رسولًا فقد كذَّبَ الرُّسلَ جميعًا.

***

(١٠) ـ ﴿وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾.

﴿وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ﴾؛ أي: ﴿نَسۡمَعُ﴾ سمعَ مُنتفعٍ، ﴿أَوۡ نَعۡقِلُ﴾ عقلَ مُتفكِّرٍ مُعتبرٍ، ﴿مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾؛ أي: من جملةِ أهلِ النَّارِ.

***

(١١) ـ ﴿فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾.

﴿فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ﴾: أقرُّوا بكُفرِهم. والاعترافُ: إقرارٌ عن معرفةٍ.

والذَّنبُ في الأصلِ مصدرٌ فلم يُجمَعْ.

﴿فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾؛ أي: أسحقَهُم الله إِسحاقًا: أبعدَهُم إبعادًا، فوقعَ (سُحقًا) موقعَ (إسحاقًا) كـ﴿أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا﴾ [نوح: ١٧]، وهذا إثباتُ الوعيدِ وتوكيدُه.

وقيل: السُّحقُ وادٍ في جهنَّمَ(١).

---

(١) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٣١٥) عن سعيد بن جبير وأبي صالح، وانظر: «الدر المنثور» (٨/ ٢٣٦).

(١٢) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ ﴾: يخافُونَ الله ويترُكونَ معصيتَه حيثُ لا يراهم أحدٌ منَ النّاسِ(١).

وقيل: ﴿بِٱلْغَيْبِ ﴾؛ أي: بقلوبِهم ونيَّاتِهم، لا كالذينَ قالوا بأفواهِهم ما ليس في قلوبِهم(٢).

وقيل: يخافُونَه وهم لم يرَوه.

وقيل: يخشَونَ ربَّهم قبلَ المصيرِ إليه.

﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ ﴾: لذُنوبِهم.

﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾: عظيمٌ في الآخرةِ.

* * *

(١٣) ـ ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾.

﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾: في سببِ النُّزولِ: ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: نزلَتْ في المُشركينَ، كانُوا ينالونَ من رسولِ الله ﷺ، فيُخبِرُه جبريلُ عليه السَّلامُ بما قالُوا فيه ونالُوا منه، فيقولُ بعضُهم لبعضٍ: أسِرُّوا قولَكُم كي لا يسمعَ إلهُ محمَّدٍ(٣).

والمعنى: سواءٌ على الله تعالى الإسرارُ والإجهارُ؛ لأنَّه يعلمُ مُضمَراتِ القلوبِ وما تُخفي الصُّدورُ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٣٢)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٣٢)، وعده من العجائب.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ١٠٥)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٤٢)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٣١٥).

(١٤) ـ ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾.

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾؛ أي: ﴿أَلَا يَعْلَمُ﴾ السرَّ ﴿مَنْ خَلَقَ﴾ السِّرَّ؟

وقيل: ﴿أَلَا يَعْلَمُ﴾ ما في الصُّدورِ ﴿مَنْ خَلَقَ﴾ الصُّدورَ؟

وقيل: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ الأشياءَ ما في صدورِ عبادِه؟

و﴿مَنْ﴾ في هذه الوجوهِ رفعٌ.

وقيل: التَّقديرُ: ﴿أَلَا يَعْلَمُ﴾ الله ﴿مَنْ خَلَقَ﴾؛ أي: خلقَهم، فيكونُ ﴿مَنْ﴾ في محلِّ نصبٍ.

وقيل: ﴿مَنْ﴾ بمعنى: ما، وفيه بُعدٌ.

﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾: العالمُ بدقائقِ الأشياءِ وبواطِنِها.

* * *

(١٥) ـ ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾.

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا﴾: ليِّنةً سهلةً مُذلَّلةً يسهُلُ لكم السُّلوكُ فيها، وقيل: ليَّنَها بالجبالِ حتَّى تستقِرَّ ولا تزولَ بأهلِها[١].

﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾: جوانبِها، ومَنْكِبا الرَّجلِ: جانِباه.

وقيل: في جبالِها.

وقيل: في طُرُقِها.

﴿وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾: والتَمِسُوا منَ الله الرِّزقَ ﴿وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾: المرجعُ، فيُجازيكم بأعمالِكم.

---

(١) «لينة سهلة... بأهلها» من (ن).

(١٦) ـ ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾.

﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾: قيل: هو الله تعالى على تقديرِ: مَن في السَّماءِ عرشُه وسلطانُه[١].

وقيل: هم الملائكةُ.

﴿أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ بأمرِ الله.

وقيل: خاطبَ العربَ على ما كانوا يعتَقِدُونَه؛ فإنَّهم زعمُوا أنَّ الأصنامَ آلهةٌ للأرضِ، وأنَّ الله إلهُ السَّماءِ.

وقيل: خصَّ السَّماءَ بالذِّكرِ تعظيمًا لها وتفخيمًا لشأنِها.

قال أبو القاسمِ: قال الله تعالى: إنَّه في السَّماءِ، ولـم يقُلْ: إنَّه ليس في غيرِها، قال: ونحنُ نقولُ: بكلِّ مكانٍ، على أنَّه حافِظٌ لكلِّ مكانٍ عالـمٌ به مُدبِّرٌ له[٢].

وقيل: ﴿مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾؛ أي: على السَّماءِ، كقولِه: ﴿فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ﴾.

﴿أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾: يشقَّ الأرضَ فيُغيِّبكم فيها، كما خسَفَ بقارونَ.

﴿فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾: تضطرِبُ وتتحرَّكُ. والمورُ: التَّردُّدُ في المجيءِ والذَّهابِ.

و﴿أَن يَخۡسِفَ﴾ بدلٌ مِن ﴿مَّن﴾.

وأجازَ النَّحَّاسُ أن يكونَ مفعولًا به[٣].

وقدَّمَ الخسفَ على الحَصْبِ لأنَّ المُخاطَبين في الأرضِ، فهي إليهم أقربُ.

---

(١) كذا أول المصنف الآية، وفيها الخلاف المشهور. انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (١٠/ ١١٧)، و«تفسير الثعلبي» (٢٧/ ١٠٩)، و«العلو للعلي الغفار» للذهبي، و«إعلام الموقعين» (٢/ ٢١٥ ـ ٢١٧).

(٢) أوضح المصنف مذهبه في المسألة، فهو على مذهب المؤولة من الخلف، وأبو القاسم هو المصنف في الظاهر، وورود عبارة «قال أبو القاسم» يدلّ على أن المصنف أملى كتابه إملاء على عادة المتقدمين.

(٣) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ٣٠٩)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٣٢)، واستغربه.

(١٧) ـ ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾.

﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾: حجارةً.

والحاصِبُ والحصباءُ واحدٌ.

وقيل: الحاصِبُ مطرٌ فيه حَصباءُ كما فُعِلَ بأصحابِ لوطٍ.

وقيل: ﴿حَاصِبًا﴾: سحابٌ فيه حجارةٌ.

وقيل: كانَ الحجرُ يَحصِبُ.

﴿فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾؛ أي: إن[1] لـم أُعاجِلْكُم بالعذابِ فستعلَمُونَ كيفَ عاقبةُ ما خوَّفتُكُم به.

وكان القياسُ أن يكونَ ﴿أَمْ﴾ لأحدِ المذكورَين؛ كما في قولِك: أزيدٌ جاءكَ أم عمرٌو؟ لكنَّ الآيةَ فيها معنى التَّخويفِ والتَّهديدِ، وليس باستفهامٍ، فجازَ الجمعُ بين المذكورَينِ.

***

(١٨) ـ ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾.

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: قبلَ قومِكَ ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾: إنكاري عليهم، وقيل: عُقوبَتي.

***

(١٩) ـ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَٰنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ﴾: ثمَّ نبَّه على قُدرتِه على الخسفِ وإرسالِ الحاصبِ فقال: ﴿أَوَلَمْ

(١) «إن» من (ف).

﴿يَرَوْا إِلَى ٱلطَّيْرِ﴾: جمعُ (طائرٍ) ﴿فَوْقَهُمْ﴾ في الهواءِ ﴿صَٰٓفَّٰتٍ﴾ أجنحَتَهُنَّ كالحِدأ والنَّسرِ.

﴿وَيَقْبِضْنَ﴾: أي: أجنِحَتَهُنَّ، يضرِبْنَ بها جُنوبَهنَّ كالحمامِ.

وقيل: يُصفِّفْنَ[1] أحيانًا، ويقبِضْنَ أحيانًا.

وقيل: ﴿صَٰٓفَّٰتٍ﴾: مُصطَفَّاتٍ واقفاتٍ ﴿وَيَقْبِضْنَ﴾ الأجنِحةَ إذا وقَفْنَ منَ الطَّيرانِ.

وقيل: في الهواءِ طيورٌ لا يقَعْنَ بالأرضِ أبدًا، طعامُها النَّملُ والبعوضُ، إذا طِرْنَ في الهواءِ قبَضْنَ[2] على أذنابِهنَّ وأجنِحَتِهنَّ. حكاه ابنُ هَيضمٍ[3].

﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾ في الجوِّ ﴿إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ بقُدرتِه، فإنَّ الثَّقيلَ يستفِلُ طبعًا ولا يعلُو.

﴿إِنَّهُۥ﴾: إنَّ الله ﴿بِكُلِّ شَيْءٍۭ بَصِيرٌ﴾: عالمٌ بمصلحةِ كلِّ شيءٍ.

* * *

(٢٠) - ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ﴾.

﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾؛ أي: مَن جندُكم الذي ينصرُكم ويحولُ بينكم وبينَ عذابِ الرَّحمنِ فأمِنْتُم عذابَه بسببِه؟

وقيل: معناه: هل شيءٌ من أصنامِكُم يدفعُ عنكم عذابَ الله؟

﴿إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ﴾؛ أي: هم مُغترُّونَ بغرورِ الشَّيطان، غيرُ مُتمسِّكينَ بحُجَّةٍ وبرهان.

وقيل: معناه: مَن ينصُرُكم سوى الرَّحمنِ؟

---

(١) في (ف): «يضعفن».

(٢) كذا في النسختين، وفي «غرائب التفسير»: «تبيض».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٣٢)، وعدّه من العجائب.

(٢١) ـ ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾.

﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ﴾؛ أي: ومَن يُرسِلُ المطرَ عليكم إنْ أمسكَ اللهُ المطرَ؟

وقيل: إنْ أمسَكَ جميعَ أسبابِ الرِّزقِ.

﴿بَل لَّجُّوا۟﴾: تمادَوا ﴿فِى عُتُوٍّ﴾: استكبارًا عن الحقِّ وعنِ الدّاعي إليه ﴿وَنُفُورٍ﴾ عنه.

***

(٢٢) ـ ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا﴾ ـ تقولُ: كبَبْتُه فأكَبَّ ـ ﴿عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ﴾؛ أي: مُطرِقًا لا يلتفتُ ولا يتأمَّلُ الطُّرقَ واختلافَها ﴿أَهْدَىٰٓ﴾: أرشدُ وأدلُّ ﴿أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ المعنى: أفمَنْ يمشي مُطرِقًا لا يلتفتُ إلى الطَّريقِ واختلافِها أرشدُ أم الذي يرفعُ رأسَه ينظرُ إلى الجادّةِ؟ وهذا مثَلٌ ضربَه الله.

وقيل: ﴿مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ﴾ يعملُ بالمعاصي أرشدُ ﴿أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا﴾ يعملُ بطاعةِ الله؟

وقيل: ﴿يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ﴾ إلى النّارِ، من قولِه: ﴿يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ [الفرقان: ٣٤] كمَن يمشي على قدمَيه إلى الجنَّةِ، وقد سبقَ.

وقيل: نزلَتْ في أبي جهلٍ وعمّارٍ[١]، أو ابنِ مسعودٍ رضيَ الله عنهما[٢].

***

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٥٦)، والواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٦١) عن عكرمة.

(٢) لم أقف عليه، وثمة أقوال أخر، ففي «البسيط» (٢٢/ ٦٠ ـ ٦١) عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه. وفي «تفسير مقاتل» (٤/ ٣٩٣) أنه رسول الله ﷺ.

(٢٣) ـ ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾.

﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ﴾: خلقكُم ابتداءً.

﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾: خصَّ هذه الثَّلاثةَ بالذِّكرِ؛ لأنَّ العلومَ والمعارفَ بها تحصلُ.

﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ أي: تشكرونَ شُكرًا قليلًا، و(ما) زيادةٌ.

وقيل: القِلَّةُ عبارةٌ عن العدمِ، كقولِ الشّاعرِ:

قليـلًا بهـا الأصـواتُ إلا بغامُهـا

أي: لا صوتَ بها إلا بغامُها، وقد سبقَ[1].

* * *

(٢٤) ـ ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.

﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: خلقكم فيها صِغارًا ﴿وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾: إلى دارِ الحسابِ والجزاءِ.

وقيل: إلى حيثُ لا يجري لغيره[2] أمرٌ.

* * *

(٢٥) ـ ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾: أي: ما وُعِدُوا منَ الخسفِ والحاصبِ.

وقيل: البعثُ والنُّشورُ.

﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾؛ أي: إنْ صدقتُم في كونِه فأعلِمُونا زمانَه، فإنَّ مَن عرفَ مجيءَ شيءٍ عرفَ كونَه وزمانَه.

---

(١) البيت لذي الرمة، وسبق في سورة (براءة) عند قوله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا﴾ [٨٢].

(٢) في (ف) زيادة: «فيه».

(٢٦) ـ ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾.

﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ﴾؛ أي: علمُ وقتِ العذابِ، وقيل: علمُ السّاعةِ.

﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾: لـم يُطلِعْ عليه أحدًا.

﴿وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾: أُخوِّفُكم بمجيئِه ولا أعلَمُ وقتَه.

* * *

(٢٧) ـ ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ﴾.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً﴾: عايَنُوا عذابَ الله قريبًا منهم ﴿سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾؛ أي: ورَدَ عليهم ما يسوؤُهم.

وقيل: أُنيلَتِ السُّوءَ؛ أي: ما ساءَها.

وقيل: كان يومَ بدرٍ.

﴿وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ﴾ أصلُه: (تفتَعِلونَ) منَ الدَّعوى؛ أي: تدَّعونَ أنّه كذبٌ.

وقيل: (تفتَعِلونَ) منَ الدُّعاء؛ أي: تدَّعونَ الله بإيقاعِه، وتستعجِلُونَ وتقولونَ: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الأعراف: ٧٠].

وقيل: دَعا وادَّعى بمعنًى.

وقُرِئَ: ﴿تَدْعُونَ﴾ خفيفًا(١).

* * *

(١) قرأ بها يعقوب. انظر: «النشر» (٢/ ٣٨٩).

(٢٨) ـ ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾.

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا ﴾: هذا جوابٌ لقولِـهم: ﴿نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ [الطور: ٣٠]، و: «إنَّ أمرَ محمَّدٍ لا يتِمُّ ولا يبقى»؛ أي: إن أماتَني الله وأماتَ مَن معيَ أو رحِمَنا وأخَّرَ آجالَنا ﴿فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾: فمَن يُنجِّيهم من العذابِ؛ فإنَّه نازلٌ بهم لا محالةَ، فأيُّ نفعٍ لكم في موتي؟

ابنُ جريرٍ: معناه: لا حاجةَ بكم إلى أن تستعجِلُوا قيامَ السّاعةِ ونُزولَ العذابِ؛ فإنَّ ذلك غيرُ نافعِكم، بل ذلك بلاءٌ عظيمٌ عليكم(١).

وقيل: معناه: لا تتمَنَّوا مَوتي فإنَّه لا ينفعُكم، وتـمَنَّوا ما يُجيرُكم من عذابِ الله فإنَّ ذلك أنفعُ لكم.

وقيل: معناه: نحنُ مع إيمانِنا خائفونَ، فمَن يمنعُكم من عذابِ الله(٢) وأنتم كافرونَ؟!

***

(٢٩) ـ ﴿ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾.

﴿ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾؛ أي: الذي أدعوكُم إليه اللهُ.

﴿وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾: فوَّضْنا إليه أمورَنا.

﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾: نحنُ أم أنتُم.

***

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢٣/ ١٣٧).

(٢) في (ن): «عذابه».

(٣٠) ـ ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا﴾: غائرًا ذاهبًا ناضِبًا لا تنالُه الأيدي والدِّلاءُ.

قال الكلبيُّ: بئرُ زمزمَ، وبئرُ ميمونِ بنِ الحضرميِّ أخي عمرِو بنِ الحضرميِّ[1]، وهي بئرٌ عاديّةٌ[2] قديمةٌ.

﴿فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾: ظاهرٍ تنالُه الأيدي.

وقيل: جارٍ.

وقيل: عذبٍ.

و﴿مَّعِينٍ﴾: (فعيلٌ) منَ المعنِ والإمعانِ.

وقيل: (مفعولٌ) من العينِ[3]، وقد سبقَ[4].

والفاء في قولِه: ﴿فَمَن يُجِيرُ﴾: قيل: هو زيادةٌ.

وقيل: جوابُ الشَّـرطِ، وهو ضعيـفٌ مزيَّفٌ، والفاءُ جـوابُ (انتبِه) الدالِّ عليه ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾، وليس بجوابِ الشَّرطِ، وإنَّما جوابُه مدلولٌ عليه. والله أعلَمُ.

* * *

---

(١) رواه الفاكهي في «أخبار مكة» (٤/ ٦٦)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ١٢٥). عن الكلبي ومقاتل.

(٢) أي: بئر قديمة، وهي منسوبة إلى (عاد)، ولكن لم يُرد بها عاداً بعينها، لكن لما كانت عاد في الزمن الأول، نسب إليها كل قديم. انظر: «المغني» لابن قدامة (٥/ ٤٣٨)، و«الدر النقي» لابن المبرد (٣/ ٥٤٦).

(٣) في (ف): «المعين»، ولا يصحُّ.

(٤) عند تفسير قوله تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ [الصافات: ٤٥].

سورة ﴿نٓ﴾[1]

اثنتانِ وخمسونَ آيةً، مكِّيَّةٌ.

قال ابنُ عبّاسٍ وقتادةُ: مكِّيَّةٌ من أولِـها إلى قولِه: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾، ومن قولِه: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ﴾ إلى قولِه: ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾: مدنيٌّ، ومن قولِه: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ إلى قولِه: ﴿يَكْتُبُونَ﴾: مكِّيٌّ، ومن قولِه: ﴿فَٱصْبِرْ﴾ إلى قولِه: ﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: مدنيٌّ، والباقي مكِّيٌّ[2]. والله أعلَمُ.

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٢) ـ ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾.

﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾: نزلَتْ هذه الآياتُ جوابًا للمُشركين حينَ قالوا لرسولِ الله ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر: ٦]، ﴿لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ [الصافات: ٣٦]، ﴿مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ﴾ [الدخان: ١٤]، فقال: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾[3].

---

(١) كذا ورد تسميتها في عدد من الكتب مثل «مجاز القرآن» و«تفسير عبد الرزاق»، و«جامع الترمذي»، وفي غيرها: (سورة ن والقلم) مثل «تفسير مقاتل» و«صحيح البخاري»، وفي المصحف وكثير من التفاسير وكتب علوم القرآن: (سورة القلم).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٥٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وذكره الجرجاني في «درج الدرر» (٢/ ٦٥٤) عن ابن عباس وقتادة.

(٣) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» (٥/ ٢٩٣)، والماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٦١).

والظَّاهرُ في (نون) أنَّه من حروفِ التَّهجِّي، وبناؤُه على السُّكونِ وكتابتُه في المُصحفِ يدُلَّانِ على ذلك.

ورُوِيَ عن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: أنَّ ﴿الٓر﴾ ﴿حمٓ﴾ ﴿نٓ﴾ مجموعُ الرَّحمنِ، وقد سبقَ[1].

والثّاني: أنَّه الحوتُ التي دُحِيَتِ الأرضُ عليه، وجاء ذلك مرفوعًا[2].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ١٠٣)، وسبق في تفسير سورة (غافر).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٥٩) وقال: قاله ابن عباس من رواية أبي الضحى عنه، وقد رفعه.

قلت: فهو يشير إلى ما رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٢٢٧) من طريق مؤمل بن إسماعيل، عن حماد بن زيد، عن عطاء بن السائب، عن أبي الضحى مسلم بن صبيح، عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا بلفظ: «إن أول ما خلق الله تعالى القلم والحوت قال: ما أكتب؟ قال: كل شيء كان إلى يوم القيامة» ثم قرأ ﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ﴾؛ فالنون: الحوت، والقلم: القلم. وقال: لم يرفعه عن حماد بن زيد إلا مؤمل بن إسماعيل.

قلت: مؤمل بن إسماعيل قال عنه البخاري: مُنكر الحديث، وقال أبو زرعة: في حديثه خطأ كثير. انظر: «المغني في الضعفاء» للذهبي (٢/ ٦٨٩)

ورواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٤٦٢)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٢/ ٨٨٦) في خبر طويل من طريق السدي عن أشياخه عن ابن عباس وابن مسعود وناس من أصحاب رسول الله ﷺ، وفيه: «فخلق الأرض على حوت، والحوت هو النون الذي ذكره الله في القرآن: ﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ﴾».

قلت: وهذا موقوف على الصحابة المذكورين، وهذا الإسناد من طريق السدي عن هؤلاء الصحابة من الأسانيد الكثيرة الدوران في «تفسير الطبري»، علماً أن الطبري نفسه قد ارتاب به ولكنه لم يبيّن علّة ارتيابه، فقد قال في «تفسيره» (١/ ٣٧٥) عن هذا الإسناد: «ولست أعلمه صحيحًا، إذ كنت بإسناده مرتابًا».

وقال ابن كثير عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ =

قال الكلبيُّ ومقاتلٌ: اسمُه يَهْموت[١].

الواقديُّ: ليوثا[٢].

كعبٌ: لويثا[٣].

وعن عليٍّ رضيَ الله عنه: بلهوت[٤]، وعنه رضي الله عنه في بعضِ رَجَزِه:

مـا لـي أراكُـم كلُّكـم سُـكوتًا ... والله ربِّـي خـالقِ البلهوتـا[٥]

الثّالثُ: الدَّواةُ، وهي أليَقُ بالقلمِ، وسمعتُ الثِّقاتِ أنَّ أصحابَ البحرِ يستخرجون من بعضِ الحيتانِ شيئًا أسودَ كالنِّقْسِ أو أشدَّ سوادًا منه يكتبُونَ به، فيكونُ النُّونُ ـ وهو الحوتُ ـ عبارةً عن الدَّواةِ، يُقوِّيه ما رُوِيَ عن النَّبيِّ عليه السَّلامُ أنَّه قال: «أوَّلُ شيءٍ خلقَه الله القلمُ، ثمَّ خلقَ النُّونَ، وهي الدَّواةُ، ثمَّ قالَ له: اكتُبْ ما هو كائنٌ من عملٍ أو أثرٍ أو رزقٍ أو أجلٍ، فكتَبَ ما كانَ وما هو كائنٌ إلى يومِ القيامةِ، ثمَّ ختمَ على القلمِ فلم ينطِقْ، ولا ينطِقُ إلى يومِ القيامةِ»[٦].

= ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤] عن الإسناد المذكور: «فهذا الإسناد إلى هؤلاء الصحابة مشهور في تفسير السدي، ويقع فيه إسرائيليات كثيرة، فلعل بعضها مدرج ليس من كلام الصحابة، أو أنهم أخذوه من بعض الكتب المتقدمة، والله أعلم».

(١) ذكره عنهما الثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ١٣٣)، والعيني في «عمدة القاري» (١٩/ ٢٥٥)، ورواه أبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٤١١) عن وهب، ووقع في (ف): «بهموث».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ١٣٣).

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «العقوبات» (٣٢٤)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٨). وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ١٣٣).

(٤) في (ن): «يلهوت». والاسم مضطرب في المصادر، ولا طائل من البحث فيه.

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ١٣٣).

(٦) رواه الفريابي في «القدر» (ص: ٤٠)، وابن عدي في «الكامل» (٧/ ٥٢٢)، وابن بطة في «الإبانة» =

وجاءَ في الشِّعرِ:

إذا ما الشَّوقُ برَّحَ بي إليهم ... أَلَقْتُ النُّونُ بالدَّمعِ السَّجومِ[(١)]

معاويةُ بنُ قرّةَ مرفوعًا: «إنَّ النُّونَ لوحٌ من نورٍ»[(٢)].

وقيل: النُّونُ قسَمٌ أقسمَ الله تعالى به.

وقيل: اسمٌ للسُّورةِ كأخواتِها.

وقيل: اسمُ نهرٍ في الجنَّةِ.

الضَّحَّاكُ: هو فارسيٌّ (أنون)، فترجمَ بعضُهم عنه فقالَ: اصنَعْ ما شئتَ[(٣)]. والله أعلمُ.

﴿وَٱلْقَلَمِ﴾ أقسمَ الله بالقلمِ أو بربِّ القلمِ كما سبقَ، وهو قلمٌ من نورٍ طولُه ما بين السَّماءِ والأرضِ.

= (٣/ ٣٣٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥/ ١٧٣ ـ ١٧٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه. وقال ابن عدي: «وهذا بهذا الإسناد باطل منكر»، وكذا ذكر الذهبي في «ميزان الاعتدال» (٤/ ٦١).
قلت: ولبعضه شاهد قوي رواه أبو يعلى (٢٣٢٩) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٠٣)، من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس بلفظ: «إن أول شيء خلقه الله تعالى القلم، وأمره فكتب كل شيء». وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٩٠): «رواه البزار ورجاله ثقات».

(١) البيت بلا نسبة في «تفسير الثعلبي» (٢٧/ ١٣٨)، و«البسيط» للواحدي (٢٢/ ٧٠)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٣٤٥) وفي هامش (ن): «ألقت؛ أي: سوَّدْتُ». ولاق الدواة وألاقها؛ أي: أصلح مدادها. انظر: «مختار الصحاح» مادة: (ل ي ق) (ص: ٢٨٧).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٤٤)، وساقه عنه ابن كثير في «تفسيره» (٨/ ١٨٦)، ثم قال: «وهذا مرسل غريب».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٣٥)، وعده من العجائب.

وذهبَ ابنُ بحرٍ إلى أنَّه القلمُ الذي يُكتَبُ به، من قولِه: ﴿عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾، وهي اليَراعةُ المَبْريَّةُ.

﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾؛ أي: يكتُبونَ، وقيل: يعلمون، كنايةٌ عن غيرِ سابقٍ؛ أي: يكتبُه الحفَظةُ من أفعالِ بني آدمَ.

ابنُ بحرٍ: ما نكتبُه نحنُ، من قولِه: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [القلم: ٥] يعني: الخطَّ والكتابةَ[1].

وذكرَ النَّقّاشُ: ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾؛ أي: يسطرُه القلمُ، وفيه نظرٌ، أو يُحمَلُ على أصحابِ القلمِ.

وفي ﴿ما﴾: قولانِ؛ أحدُهما: أنَّهُ بمعنى الذي، وقيلَ: هو للمصدَرِ.

وحكى محمدُ بنُ الهَيْصمِ عن بعضِهم[2]: أنَّ النُّونَ الفَمُ، والقَلَمَ اللِّسانُ، ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾: ما يكتبهُ الحَفَظَةُ[3].

وقال الحسنُ: عجِبْتُ مِن ابنِ آدمَ كيفَ يتكلَّمُ بالفُضولِ وحافِظَاهُ على نابَيْهِ، لسانُهُ قلمُهُما وريقُهُ مِدادُهُما، وهو فيمَا بينَ ذلكَ يتكلَّمُ بِما لا يعنيهِ[4].

﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾: جوابُ القَسَمِ، والمَجنونُ: مستورُ العقلِ، تقولُ[5]: جُنَّ فهوَ مَجنونٌ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٣٦)، واستغربه.

(٢) «عن بعضهم»: ليس في (ف).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٣٦)، وعده من العجائب.

(٤) تقدم عند تفسير قوله تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

(٥) في (ف): «والمجنون المستور، الفعل منه».

النَّحَّاسُ: أَجَنَّ فهوَ مَجنونٌ[١]، مثل: أحبَّ فهوَ مَحبوبٌ.

والنِّعمَةُ: الرَّحمةُ، والنِّعمةُ: النُّبوَّةُ.

والباءُ في ﴿بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ﴾ قيلَ: للسَّببِ؛ أيْ: ما أنتَ بمَجنونٍ بسببِ أنَّ اللهَ أنعمَ عليكَ بكمالِ العقلِ والمعرفةِ.

وقيلَ: نسبوهُ إلى الجنونِ لادِّعائهِ النُّبوَّةَ، فقالَ اللهُ تعالى: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ﴾؛ أيْ: ليسَتِ النُّبوَّةُ سببًا للجنونِ[٢].

وقيلَ: هو كقولِكَ: ما أنتَ بحمدِ اللهِ بمَجنونٍ، والمعنى: انْتفَى عنكَ الجنونُ بنعمَةِ ربِّكَ.

وقيلَ: الباءُ للقَسَمِ، حكاهُ أقضى القُضاةِ، وفيهِ ضَعْفٌ[٣]؛ لأنَّ القسمَ لا يدخُلُ على القَسَمِ.

***

(٣) - ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ﴾.

﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا﴾: ثوابًا على تبليغِ الرِّسالةِ وتحمُّلِ المشاقِّ.

﴿غَيۡرَ مَمۡنُونٖ﴾: غيرَ مقطوعٍ، غيرَ منقوصٍ، غيرَ محسوبٍ، غيرَ ممنونٍ به، فذلكَ كلُّه أقوالٌ.

الضحاكُ: أجرًا من غيرِ عَمَلٍ[٤]، وقد سبقَ[٥].

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٥/ ٤).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٣٦)، واستغربه.

(٣) انظر: «النكت والعيون» (٦/ ٦١)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٣٦)، وعده من العجائب.

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٦١).

(٥) في سورة (فصلت) الآية: ٨.

(٤) ـ ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾.

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾: قيلَ: على الدِّينِ العظيمِ.

وقيلَ: على الإسلامِ.

وقيلَ: على القرآنِ.

وقيلَ: على آدابِ القرآنِ.

وفي حُسنِ أخلاقِ النبيِّ عليه السَّلامُ كثرةٌ لا يأتي عليها العَدُّ.

وعن أبي الدَّرداءِ قالَ: سألتُ عائشةَ رضيَ اللهُ عنهُا عن خُلُقِ النبيِّ عليهِ السَّلامُ، فقالَتْ: كانَ خُلُقُه القُرآنُ، يسخطُ بِسَخَطِهِ ويَرضَى بِرِضَاهُ(١).

وعن عائشةَ رضيَ اللهُ عنهُا قالَتْ: ما دَعاهُ أَحَدٌ مِن أصحابِهِ ولا مِن أهلِ بيتِهِ إلَّا قالَ: لبَّيكَ(٢).

وقال رسولُ اللهِ ﷺ: «أكمَلُ المؤمِنينَ إيمانًا أحسَنُهُم خُلُقًا»(٣).

---

(١) رواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ١١١)، والفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٣/ ٣٠٦)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٤٤٣٤)، بلفظ: «... يرضى لرضاه ويسخط لسخطه». ورواه مسلم (٧٤٦) بلفظ: «فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن».

(٢) رواه أبو الشيخ في «أخلاق النبي» (٢)، وأبو نعيم الأصبهاني في «دلائل النبوة» (١١٩)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٤٣) وتمامه كما في مصادر التخريج: «ما كان أحد أحسن خلقاً من رسول الله ﷺ ما دعاه أحد من الصحابة ولا من أهل بيته إلا قال: «لبيك» ولذلك أنزل الله عز وجل: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾».

(٣) رواه أبو داود (٤٦٨٢)، والترمذي (١١٦٢)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وقال الترمذي: «حسن صحيح».

وفرَّقَ عليُّ بنُ عيسى بينَ الخُلُقِ والخِيمِ فقال: الخُلُقُ: ما يأخُذُ الإنسانُ بهِ نفسَهُ مِن الآدَابِ(١)، والخِيمُ: الطَّبعُ الغَريزيُّ(٢).

وقيلَ: أصلُهُ ما ذُكِرَ، ثمَّ كَثُرَ الخُلُقُ في الكلامِ حتى يُستعمَلُ مكانَ الطَّبعِ والجِبِلَّةِ.

***

(٥ ـ ٦) ـ ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥ بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ﴾.

﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥ بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ﴾: أي: عن قريبٍ تَرَى ويَرَوْنَ ﴿بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ﴾، وهذا وعيدٌ لَهُم لقولِهم له: إنَّهُ لمَجنونٌ.

والمفتونُ: الذي فُتِنَ، وقيلَ: المفتونُ: المَجنونُ، وقيلَ: الضَّالُّ، وقيلَ: الأَوْلى بالشَّيْطانِ.

وقيلَ: بأيِّكم: إبليسُ عَدوُّ اللهِ(٣)، والباءُ بمعنى: في؛ أي: في أيِّ الفَريقَيْنِ؛ فريقِ المؤمنينَ، وفريقِ الكافرينَ.

وقيلَ: الباءُ للإلصاقِ، و﴿الْمَفْتُونُ﴾: الفِتْنَةِ؛ كما تقولُ: به داءٌ.

أبو عبيدةَ: الباءُ زيادةٌ(٤).

ابنُ بحرٍ: أو يتبيَّنُ أنَّ المفتونَ بِمَن يصيرُ مفتونًا؟ أَبِدعائِكَ يا محمَّدُ أمْ بدُعاءِ رؤوسِ الضَّلالةِ وأتباعِهِم؟

---

(١) في (ن): «الأدب».

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٦١) دون نسبة، ونسبه ابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٣١٩) للماوردي، وانظر: «تاج العروس» مادة: (خ ي م) (٣٢/ ١٣٤).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٣٧)، وعده من العجائب.

(٤) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٢٦٤).

المبرِّدُ: بأيِّكُم فُتِنَ المفتونُ[1]؟

***

(٧) ـ ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾؛ أيْ: سيَمِيزُ بعضَهُم عن بعضٍ في الآخرَةِ.

***

(٨ ـ ٩) ـ ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝٨ وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾.

﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾؛ أي: في الكفِّ عنِ التَّشدُّدِ عليهم وعيبِ آلهَتِهِم، وذلكَ أنَّهم سألوهُ أنْ يكفَّ عنهُمْ ويُداريَهُم.

﴿وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾؛ أي: تُمائِلُهم وتُجامِلُهُم.

وقيلَ: تَوافَقُ معَهُم وتَترُكُ مُناصحتَهُم.

وقيلَ: تلينُ لَهُم، فيَلينونَ لك.

وقيلَ: لو تقارِبُهُم، فيقاربونَ لكَ.

وقيلَ: لو تَضعُفُ، وقيلَ: لو تكذِبُ، وقيلَ: لو تُرخِّصُ، وقيلَ: لو وهَنْتَ عن هذا الأمرِ.

والفاءُ للعطفِ لا للجَوابِ.

***

---

(١) ذكره أبو علي الفارسي في «البصريات» (١/ ٥٤٤)، ومكي بن أبي طالب في «الهداية» (١٢/ ٧٦٢١).

(١٠) ـ ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾.

﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ﴾ ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: هو أبو جهلٍ[1].

مقاتلٌ: الوليدُ بن المغيرةِ[2].

مجاهدٌ: هو الأسودُ بن عبدِ يَغُوثَ[3].

الكلبيُّ: الأخنَسُ بن شريقٍ[4].

قولُه: ﴿حَلَّافٍ﴾: كثيرُ الحَلِفِ بالباطلِ.

وقيلَ: الإكثارُ مِن اليمينِ مَذمومٌ؛ فإنَّ اللهَ تعالى عابَهُ على مجرَّدِ الحَلِفِ ولم يتعرَّضْ للصِّدقِ والكَذِبِ.

﴿مَّهِينٍ﴾: حَقيرٍ قليلٍ في الرأيِ والتَّمييزِ، مِن (المَهانَةِ)، تقولُ: مَهُنَ ـ بالضمِّ ـ فهوَ مَهينٌ، وقيلَ: مِن (المَهنَةِ)، وهيَ الخِدمَةُ، والفعل: مَهَن ـ بالفتحِ ـ مَهْنًا ومَهْنَةً، والمَاهِنُ: العَبْدُ، وليسَ مِن (الهَوَانِ).

الحسنُ: المَهِينُ: المِكثَارُ في الشَّرِّ[5].

(١) ذكره الزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٥٨٧)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٣٤٧).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٤٠٤).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٦٤)، وذكره الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٦٤) فقال: «وزعم ناس من بني زهرة أن الزنيم هو: الأسود بن عبد يغوث الزهري، وليس به».

(٤) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٨١) عن الكلبي والسدي وابن عباس رضي الله عنهما، ورواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٥٧٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٦٤) عن السدي، وذكره ابن هشام في «السيرة» (١/ ٣٦٠) عن ابن إسحاق.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٢٦٤) عن الحسن وقتادة.

الفَرَّاءُ: الفاجِرُ[1].

وقيلَ: الضَّعِيفُ القَلبِ.

وقيلَ: مَن أكثَرَ الحَلِفَ الكَاذبَةَ باللهِ فهوَ عندَ النَّاسِ مَهينٌ.

النَّحاسُ: ويجوزُ أن يكونَ بمعنى: مُهَانٍ[2]، وفيهِ تعسُّفٌ.

***

(١١) ـ ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ﴾.

﴿هَمَّازٍ﴾: هو الذي يَغتابُ النَّاسَ ويقَعُ فيهِمْ مِن ورائِهِم.

وقيلَ: الذي يهمِزُ النَّاسَ؛ أيْ: يكسِرُ عينَهُ إذا ولَّى صَاحِبُه.

وقيلَ: العَيَّابُ.

﴿مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ﴾: نقَّالٌ للحديثِ، وهوَ الواشي، والنَّمِيمُ: جمعُ نَميمَةٍ.

وقيلَ: النَّمِيمَةُ والنَّمِيمُ واحدٌ، والاسمُ: النَّمَّامُ.

***

(١٢) ـ ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾.

﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾: يبخَلُ بمالِهِ، وقيلَ: يمنَعُ النَّاسَ عن الإيمانِ.

﴿مُعْتَدٍ﴾: على النَّاسِ مِن غيرِ عَدْلٍ وإنصافٍ ﴿أَثِيمٍ﴾: كثيرِ[3] الإثمِ.

***

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٧٣).

(٢) القول المختار عند النحاس أنه من (المهانة)، ولكنه أجاز هذا أيضاً. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ٧٥) و(٥/ ٦)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٣٧) عن ابن بحر، وعده من العجائب.

(٣) في (ف): «كبير».

(١٣) - ﴿عُتُلٍّ بَعۡدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾.

﴿عُتُلٍّ﴾: جاءَ مرفوعًا: «الفاحِشُ اللَّئِيمُ»[١].

وقيلَ: العُتُلُّ: الشَّدِيدُ الخُصومَةِ.

وقيلَ: الأَكولُ الشَّرُوبُ القويُّ الشَّديدُ.

وقيلَ: الأَكُولُ الأَشِرُ.

وقيلَ: الغليظُ الجافي؛ مِن قوله: ﴿خُذُوهُ فَٱعۡتِلُوهُ﴾: أيْ: جُرُّوهُ على عُنْفٍ.

﴿بَعۡدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾؛ أي: بعدَ هذهِ الخَصائِلِ ومعَ هذهِ الرَّذائلِ مُلصَقٌ بالقومِ ليسَ مِنهم، مَأخوذٌ مِن زَنَمَتَي الشَّاةِ.

وقيلَ: لهُ زَنَمَةٌ في الشرِّ يُعرفُ بها، كما تُعرفُ الشَّاةُ بزَنَمَتَيْها[٢].

وجاءَ مَرْفوعًا: أنَّهُ اللَّئِيمُ[٣].

ابن عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: الفاجِرُ[٤].

---

(١) رواه ابن وهب في «جامعه» (٣٧٠)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٦٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٦٥) عن القاسم بن عبد الرحمن مولى معاوية عن النبي ﷺ، ورواه الطبري وابن أبي حاتم أيضاً عن موسى بن عقبة عن النبي ﷺ، وكلاهما مرسل.

(٢) رواه البخاري (٤٩١٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿عُتُلٍّ بَعۡدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ قال: «رجل من قريش له زنمة مثل زنمة الشاة»، قال ابن كثير في «تفسيره» عند هذه الآية: «ومعنى هذا: أنه كان مشهورًا بالشر كشهرة الشاة ذات الزنمة من بين أخواتها».

(٣) تقدم قريباً في حديثي القاسم بن عبد الرحمن مولى معاوية وموسى بن عقبة.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٦٩) عن أبي رزين، وكذا ذكره مكي بن أبي طالب في «الهداية» (١٢/ ٧٦٢٧)، ورواه عبد بن حميد كما في «الدر المنثور» (٨/ ٢٤٧) عن شهر بن حوشب.

الضَّحَّاكُ: كانتْ للوليدِ أسفلَ مِن أذنِهِ زَنَمةٌ كزَنَمةِ الشَّاةِ(١).

عِكرِمَةُ: ولدُ الزِّنى، وأنشدَ:

زنيـمٌ ليـسَ يُعـرَفُ مَـن أبـوهُ   بـغيُّ الأمِّ ذو حَسَـبٍ لَئيـمِ(٢)

وقيلَ: هو الذي يُعرَفُ بالأُبْنَةِ، رواهُ الماوَرديُّ(٣).

***

(١٤ ـ ١٥) ـ ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾: لِأَنْ كانَ، أيْ: لأجلِ كونِهِ ذا مالٍ وأولادٍ.

﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا﴾؛ أي: القرآنُ ﴿قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾؛ أي: هو كَذِبُهم وما كُتِبَ عنهُم ولا حقيقةَ لهُ.

والعاملُ في ﴿أَن كَانَ﴾ عندَ الزَّجَّاجِ أحدُ الفعلينِ:

أحدُهما: قوله: ﴿قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾(٤).

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٦٥).

(٢) رواه ابن الأنباري في «الوقف والابتداء» (١/ ٦٤)، وذكره الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٨٧)، والبيت بلا نسبة في «تفسير الطبري» (٢٣/ ١٦٤)، و«تأويلات أهل السنة» (١٠/ ١٤٢)، و«تفسير الثعلبي» (١٠/ ١٣).

(٣) انظر: «النكت والعيون» (٦/ ٦٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٣٨)، وعده من العجائب. وقوله: «الأُبنة»: العيب في الحَسَب، تقول: ليس في حسب فلان أبنة، كقولك: ليس فيه وصمة. انظر: «العين» (٨/ ٣٨٣).

(٤) فيكون ﴿أَن﴾ نصباً بمعنى: قال ذلك لأن كان ذا مال وبنين؛ أي: جعل مجازاة النعمة التي خولها في المال والبنين الكفرَ بآياتنا. وإذا جاءت ألف الاستفهام ـ على من قرأ بها ـ فهذا هو القول لا يصلح =

والثانـي: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ﴾ لأَجْـلِ ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾؛ أي: لا تُطِعْـهُ لِيَسـارِه[١].

ولم يُجِزْ أبو عليٍّ الوجهَ الأَوَّلَ، وقال: لأنَّ حكمَ الجوابِ أن يكونَ بعدَ ما هوَ جوابٌ له[٢].

وقرِئَ بالاستفهامِ[٣]، والتَّقديرِ: أَلِأَنْ كانَ ذا مالٍ تُطيعُهُ؟

وجاءَ في التَّفسيرِ: أنَّ الوليدَ كانَ له عَشرةُ بنينَ وتِسعةُ آلافِ مِثقالِ فضَّةٍ.

الضَّحَّاكُ: كانت له حديقةٌ في الطَّائفِ واثنا عشرَ ابنًا[٤].

***

(١٦) ـ ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلۡخُرۡطُومِ﴾.

﴿سَنَسِمُهُۥ﴾: مِن الوَسْمِ وهو الكَيُّ ﴿عَلَى ٱلۡخُرۡطُومِ﴾: وهو الأَنْفُ، والمُتَدَلِّي مِن وجهِ الفيلِ أَنفُهُ، وهوَ مِن السِّباعِ الشَّفَةُ، وفيهِ أقوالٌ:

أحدُها: أَنَّهُ الأَنفُ في الحقيقةِ، وقد أصابَهُ يومَ بدرٍ جِراحَةٌ فبقيَ أثرُهَا عليهِ.

وقيلَ: المرادُ بِهِ الوجهُ؛ أي: يسوَدُّ وجهُهُ يومَ تبيَضُّ وجوهٌ وتسوَدُّ وجوهٌ.

= غيره. هذا كلام الزجاج.

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٠٦)، وذكر المصنف هذا الوجه في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٣٨)، واستغربه، وذكر ثمة قولاً آخر وعده من العجائب وهو: أن يكون ﴿أَن كَانَ﴾ معمولاً لـ﴿عُتُلٍّ﴾؛ أي: ﴿عُتُلٍّ﴾ لأن كان ذا مال وبنين؛ أي: لأجل ماله وبنيه».

(٢) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٦/ ٣١٠).

(٣) قرأ شعبة وحمزة: ﴿أأن كان﴾ بهمزتين محققتين، وابن عامر بهمزة واحدة ممدودة، والباقون بهمزة واحدة مفتوحة على الخبر. انظر: «السبعة» (ص: ٦٤٦ ـ ٦٤٧)، و«التيسير» (ص: ٢١٣).

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٦٥).

وقيلَ: يسوَدُّ وجههُ ويُجعَلُ على أنفِهِ[١] علامةٌ؛ لعداوَتِه محمَّدًا ﷺ.

وقيلَ: هو استعارةٌ عن لزومِ العارِ والشَّنَارِ بما وصَفَهُ اللهُ بِهِ[٢]، كما قالَ:

لمَّا وَضعْتُ على الفَرَزْدَقِ مِيسَمِي وعَلَى البَعِيثِ جَدَعْتُ أَنْفَ الأَخْطَلِ[٣]

فإنَّ اللهَ لمْ يَصِفْ أحدًا بمثلِ ذلك.

وقال النَّضْرُ بنُ شُمَيْلٍ: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلۡخُرۡطُومِ﴾: سَنَحدُّهُ على شُربِ الخمرِ، وأنشدَ:

تَظَلُّ يومَكَ في لهوٍ وفي طَرَبٍ وأنتَ باللَّيلِ شَرَّابُ الخَرَاطِيمِ

حكاهُ الثعلبيُّ[٤]، وفيهِ تعسُّفٌ.

***

(١٧ ـ ١٨) ـ ﴿إِنَّا بَلَوۡنَٰهُمۡ كَمَا بَلَوۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ إِذۡ أَقۡسَمُواْ لَيَصۡرِمُنَّهَا مُصۡبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسۡتَثۡنُونَ﴾.

﴿إِنَّا بَلَوۡنَٰهُمۡ كَمَا بَلَوۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ﴾؛ أي: بَلَوْنا قُرَيشًا وأهلَ مَكَّةَ بالجُوعِ والقَحطِ بدُعاءِ النبيِّ ﷺ عليهِم حيثُ قالَ: «اللهمَّ اشدُدْ وَطأَتَكَ على مُضَرَ واجعَلْهَا سِنينَ كسِنِيْ يُوسُفَ»[٥].

---

(١) في (ن): «وجهه».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٣٩)، واستغربه.

(٣) انظر: «ديوان جرير» (٢/ ٩٤٠)، و«تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (ص: ١٠١)، و«أنساب الأشراف» للبلاذري (١٣/ ٢٧٣).

(٤) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢٧/ ٢٠٩)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٣٩)، وعده من العجائب. والبيت للأعرج المَعْني كما في «البحر المحيط» لأبي حيان (١٠/ ٢٣٣). والأعرج المعني هو عدي بن عمرو بن سويد الطائي، شاعر مخضرم. انظر: «معجم الشعراء» للمرزباني (ص: ٢٥١).

(٥) رواه البخاري (٨٠٤)، ومسلم (٦٧٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وأمـرَ أهـلَ هَجَـر أنْ لا يحمِلُـوا إلى مكّـةَ طعامًـا، وانقطـعَ عنهُـمُ الطَّريقُ مِن قِبَـلِ العِراقِ.

وأمَّا أصحابُ الجنَّةِ فقالَ المفسِّرونَ: هي جنَّةٌ بصَنْعاءَ، ويقالُ: دونَ صَنْعاءَ بفَرسَخينِ، اسمُها: حَرَد، وقيلَ: تُسمَّى: ضَرَوان[١].

وكانَ أهلُ القَريَةِ قومًا بينَ عيسى ومحمَّدٍ عليهما السَّلامُ متمسِّكينَ بشرائِعِ الإنجيلِ.

الحسنُ: كانوا كُفَّارًا[٢]. والجمهورُ على القولِ الأوَّلِ.

وكانَ فيهِمْ رَجلٌ ولهُ بستانٌ فيها زَرْعٌ ونخلٌ وعِنَبٌ ـ مجاهدٌ: زَرْعٌ وعِنَبٌ ـ

---

(١) في (ف): «صويان»، وفي (ن): «صوران». والمثبت من المصادر، فقد رواه هكذا الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٤٥) عن سعيد بن جُبير قال: هي أرض باليمن يقال لها: ضَرْوان، من صنعاء على ستة أميال. وهكذا ذكره مكي في «الهداية» (١٢/ ٧٦٣٥)، والماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٦٧).

وقال عبد الله بن الإمام أحمد: سمعت أبي يقول: مَرَرْت بها فيما بين صنعاء وقرية عبد الرزاق، فرأيت أنا الأرض، وهي يُقال لها: ضروان، أرض سوداء لا يَنبت فيها شيء إذا خرجت من آخرها أرض حمراء تعلم أنها محترقة.

ونقل عنه المروذي قوله: هذه مدينة ضروان قد مررت بها، وهي قريبة من عبد الرزاق، رأيتها سوداء حمراء، أثر النار يتبين فيها، ليس فيها أثر زرع ولا خضرة. انظر: «العلل برواية عبد الله» (٥٨٥٥)، و«بدائع الفوائد» (٣/ ١٠٩)، و«الجامع لعلوم الإمام أحمد» (١٣/ ٥٠٨).

وفي «معجم البلدان» (٣/ ٤٥٦): «ضروان بالتحريك: بليد قرب صنعاء، سمي باسم واد هو على طرفه... وهو واد ملعون جرج مشؤوم، حجارته تشبه أنياب الكلاب، لا يقدر أحد أن يطأه بوجه ولا سبب، ولا ينبت شيئاً، ولا يستطيع طائر أن يمرّ به فإذا قاربه مال عنه، وقيل: هي الأرض التي ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز، وقيل: إنها كانت أحسن بقاع الله في الأرض وأكثرها نخلاً وفاكهة وإن أهلها غدوا إليها وتواصوا ألّا يدخلها عليهم مسكين...».

(٢) ذكر أبو حيان في «البحر المحيط» (١٠/ ٢٤٤) أن الحسن توقف في كونهم مؤمنين.

يخرجُ وقتَ الصِّرَام إلى جنَّتِهِ وينادِي الفُقراءَ والمساكينَ فيَخرجونَ معهُ، فمَا أَذْرَتْه الرِّيحُ أوْ ألقَتْهُ[١] الطَّيرُ وأخطأَهُ المِنجَلُ أو بَعُدَ منَ البِساطِ الذي يُبسَطُ تحتَ النَّخلَةِ جعلَهُ للفقراءِ، ثم يُخرِجُ بعد ذلكَ صَدقةَ مَالِهِ وثِمارِهِ فيقسِمُها لهم، وكانَ في ذلكَ فضلٌ كثيرٌ، وكانَ على ذلكَ حتَّى ماتَ، وكانَ له بنونَ ثلاثةٌ فقالوا: لو صَنعْنا ما كانَ يصنَعُ أبونا ضاقَ عَلينا فقَدْ كَثُرَ عِيالُنا، فتعالَوْا لا نُعلِمُ المساكينَ إذا خَرَجْنَا لِصَرامِ جنَّتنا يَكُن ذلك الفَضلُ لنا، فاجتمَعُوا على ذلكَ، فقالَ أوسَطُهُم ـ أعدَلُهُم قولًا، وقيلَ: خِيارُهُم، من قوله: ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]؛ أي: خِيارًا ـ: لا تَفعَلُوا؛ فإنَّ الله تعالى كانَ يُبارِكُ لأبينَا لإخراجِهِ حقَّ اللهِ تعالى، فأَبَوْا عليهِ[٢].

﴿إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا﴾: ليَقطِفُنَّ[٣] ثِمارَها ﴿مُصْبِحِينَ﴾: وقتَ الصُّبحِ ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾: لَم يقولُوا: إنْ شاءَ اللهُ، وقَدْ أمرَهُم أوسَطُهُم بالاستثناءِ.

عكرمةُ: لا يَستثنونَ حقَّ المساكينِ[٤].

وقيلَ: معنى ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾: لم يقولوا: سُبحانَ اللهِ[٥].

---

(١) في (ف): «وألقته».

(٢) روى نحو هذه القصة الثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ٢١١ ـ ٢١٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما من طريق الكلبي.

(٣) في (ف): «ليقطعن».

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٦٧)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٧٢) بلفظ: «هم ناس من الحبشة كانت لأبيهم جنة كان يطعم المساكين منها، فلما مات أبوهم، قال بنوه: والله إن كان أبونا لأحمق حين يطعم المساكين، فأقسموا ليصرمنها مصبحين، ولا يستثنون، ولا يطعمون مسكينًا».

(٥) رواه عبد بن حميد وابن المنذر ـ كما في «الدر المنثور» (٨/ ٢٥١) ـ عن أبي صالح قال: «كان استثناؤهم: سبحان الله».

والاستثناءُ: أنْ يَشرِطَ الحالِفُ في فعلِهِ مَشيئَةَ اللهِ تعالى فيَصرِفَهُ عن الوُقوعِ.

***

(١٩ ـ ٢٠) ـ ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ۝١٩ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ﴾.

﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: أمرٌ مِن أمرِ ربِّكَ[١].

قتادةُ: عذابٌ مِن ربِّكَ[٢].

ابنُ جريجٍ: عنقٌ من النَّارِ[٣].

وقيلَ: إعصارٌ فيهِ نارٌ فاحترقَتْ.

﴿وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾؛ أي: بالليلِ ﴿فَأَصْبَحَتْ﴾؛ أي: الجنَّةُ ﴿كَٱلصَّرِيمِ﴾؛ أي: محترقةً سَوداءَ[٤] كالليلِ.

وقيلَ: بيضاءَ لم يبقَ فيها سَوادُ زرعٍ ولا شَجَرٍ كالنَّهارِ.

والصَّريمُ: الليلُ، والصَّريمُ: النَّهارُ[٥]؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ مِنهما ينصَرِمُ عن صاحبِهِ.

وقيلَ: ﴿كَٱلصَّرِيمِ﴾: كالبُستانِ الذي صُرِمَ زَرعُهُ وثمارُهُ، صَريمٌ بمعنى: مَصْرُومٍ، ولهذا لَمْ يَدخُلْهُ التَّاءُ؛ ككفٍّ خَضِيبٍ؛ وعَينٍ كَحِيلٍ.

المُؤَرِّجُ: كالرَّمْلَةِ الصَّرِمَةِ مِن مُعظَمِ الرَّمْلِ[٦].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٧٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٤٢).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٦٧).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٦٧).

(٤) في (ن): «سوادا».

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٣٩)، واستغربه.

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ٢١٥)، والواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٩٩)، وذكر المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٣٩)، وعده من العجائب.

(٢١ ـ ٢٢) ـ ﴿فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ (٢١) أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ﴾.

﴿فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ﴾: نادى بعضُهم بعضًا عند الصَّباحِ: ﴿أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ﴾: اخرُجوا إليهِ عندَ الغَداةِ ﴿إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ﴾؛ أيْ: قاطعينَ لها(١).

* * *

(٢٣ ـ ٢٤) ـ ﴿فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ (٢٣) أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ﴾.

﴿فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ﴾: يتسارُّونَ(٢) بينَهم ﴿أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا﴾؛ أيْ: الجنَّةَ ﴿الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ﴾.

وقيلَ: يُخْفُونَ أنفسَهُمْ مِنَ النَّاسِ.

وقيلَ: يخفونَ كلامَهُم.

وقيلَ: يتكلَّفونَ ذلكَ.

* * *

(٢٥) ـ ﴿وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ﴾.

﴿وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ﴾: على قَصْدٍ، مِن قولِ الشَّاعرِ:

يَحْرِدُ حَرْدَ الجَنَّةِ المُغِلَّةْ(٣)

---

(١) «لها»: ليس في (ف).

(٢) في (ف): «يتشاورون».

(٣) الرجز بلا نسبة في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٧٦)، و«مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ٢٦٦)، و«الكامل» للمبرد (١/ ٧٤). وعزاه ابن السيد في «شرح الكامل» لقطرب كما ذكر البغدادي في «خزانة الأدب» (١٠/ ٣٨٦)، وقال البكري في «شرح أمالي القالي» (١/ ٣١): قال أبو حاتم: «هذا البيت مصنوع، صنعه مَن لا أحسن الله ذكرَه»؛ يعني: قطرباً. ومعنى: حَرَد حردَ الجنَّة: قصد قصدها، وأغلَّت الضيعة: أعطت الغلة. وقبله: =

وقيلَ: على غَضَبٍ على المساكينِ، والحَرْدُ: الغَضَبُ، والفتحُ فيهِ أكثَرُ.

وقيلَ: على منعٍ، مِن قولِهم: حَارَدَتِ السَّنَةُ؛ إذا لَمْ يَكُنْ فيهَا مَطَرٌ.

وقيلَ: على قُدرَةٍ ونشاطٍ وجِدٍّ في أَنفُسِهم.

الحسنُ: على فاقةٍ وحَاجةٍ(١).

وقيلَ: على أمرٍ أسَّسوهُ وأجمَعُوا عليهِ.

وقيلَ: على حِرْصٍ(٢).

وقيلَ: هو اسمُ جنَّتِهِم(٣).

والأقوالُ الثَّلاثَةُ الأولى أقوالُ أهلِ اللُّغَةِ.

﴿قَٰدِرِينَ﴾ على جنَّتِهم لا يحولُ بينَهُم وبينَها أَحَدٌ؛ أي: عندَ أَنفُسِهم.

وقيلَ: ﴿قَٰدِرِينَ﴾؛ أيْ: خَرَجُوا في الوقتِ الذي قدَّرُوه.

وقيلَ: قَادِرينَ على المساكِينِ، وفيهِ ضَعفٌ.

***

(٢٦ ـ ٢٧) ـ ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا﴾ ـ أيْ: الجنَّةَ ـ بخلافِ مَا تركوها، ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾؛ أيْ: ضَلَلْنا طريقَ جنَّتِنا.

= أَقبَلَ سَيْلٌ جاءَ مِن أَمْرِ اللهْ

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٧٨)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١٧).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٤٠)، واستغربه. ووقع في مطبوعه: «على حرض» بالضاد.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٤٠)، وعده من العجائب.

وقيلَ: ﴿لَضَآلُّونَ﴾: لِمَنعِنا(١) حقَّ المَساكينِ.

فلمَّا عرفوا أنَّها جنَّتُهم، قالوا: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾: حُرِمْنا خيرَ جنَّتِنا وثَمَرَها.

وقيلَ: معنى ﴿مَحْرُومُونَ﴾: حُورِفْنا طَرِيقَنا(٢).

* * *

(٢٨) ـ ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾.

﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾: أعدَلُهم، وخيرُهم، وأفضَلُهم، وأعقَلُهم، كلُّها أقوال.

﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾: لولَا تَسْتَثنونَ عندَ قولِكُم: ﴿لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾، والاستثناءُ تسبيحٌ؛ لأنَّهُ تنزيهُ اللهِ والإقرارُ بأنَّهُ لا يقدِرُ أحَدٌ أنْ يفعَلَ فِعلًا إلَّا بِمشيئَةِ اللهِ، ولأنَّ التَّسبيحَ ذِكرُ اللهِ وهوَ موجودٌ في الاستثناءِ.

وقيلَ: لولا تَذْكُرونَ نعمَ اللهِ عليكُمْ، فتُؤَدُّوا(٣) حقَّ اللهِ مِن أَموالِكُم.

* * *

(٢٩ ـ ٣٢) ـ ﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٢٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ (٣٠) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ (٣١) عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾.

﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٢٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ﴾؛ أيْ: يحيلُ بعضُهم باللَّائِمَةِ على بعضٍ، ثمَّ أقرُّوا جميعًا أنَّهم تجاوَزُوا ما حدَّ اللهُ لهم، وهوَ قولُهُ:

---

(١) في (ف): «بمنعنا».

(٢) روى عبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ ٣٣٢) عن قتادة: «حورفنا: حرفنا»، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٥٣) عن مجاهد، ومعنى حُورف كسب فلان؛ أي: شدد عليه في معاشه، كأنه ميل برزقه عنه، كما في «الصحاح» مادة: (ح ر ف) (٤/ ١٣٤٢)، وحورف في معاشه: حُرِم، كما في «الأفعال» لابن القطاع (١/ ٢١٣)، فعبارة: «حورفنا طريقنا» فيها نظر.

(٣) في (ف): «فتردوا».

﴿ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴾: الوَيْلُ: غِلَظُ المكروهِ الشَّاقُّ على النَّفسِ.

﴿ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴾؛ أي: راغبونَ في المسألةِ أنْ يتوبَ علينا، وأنْ يرزُقَنا خيرًا مِنها.

وقيلَ: معناهُ: تائبونَ، قالَ المفسِّرونَ: تابوا فأبدَلَهمُ اللهُ بها جَنَّةً خيرًا مِنها، واسمُها: الحَيَوَانِ.

ابنُ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ: أبدَلَهُم[١] جنَّةً فيهَا عِنَبٌ يحمِلُ البَغْلُ مِنها عُنقودًا[٢].

قالَ الدِّمياطيُّ: حدَّثَني مَن رأى تِلكَ الجنَّةَ وقال: رأيتُ فِيها كلَّ عُنقودٍ مِنها كالرَّجُلِ الأسوَدِ القَائمِ[٣].

وذهبَ بعضُهُم إلى أنَّ هذا قولُ الفُقراءِ والمساكينِ؛ أي: ﴿ عَسَىٰ ﴾ أنْ يَرزُقَنا ﴿خَيْرًا﴾ مِن جنتهم ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ﴾: راجونَ واثِقونَ[٤].

والجمهورُ على القولِ الأوَّلِ.

* * *

(٣٣) ـ ﴿ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾.

﴿ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ﴾؛ أي: كمَا ذَكرنَا يقعُ العَذابُ في الدُّنيا بِمَن سلكَ سَبِيلَهُم ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ لأنَّهُ دائِمٌ لا ينقطِعُ ﴿لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ لَمَا أَقامُوا على مَا يُؤَدِّيهِم إلى هذا العذابِ.

ابنُ بحرٍ: أيْ: نعذِّبُ الهمَّازينَ المشَّائينَ بالنَّمائِمِ بمثلِ ما عذَّبْنا أصحابَ الجنَّةِ.

---

(١) في (ف): «بدلهم».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ٢٢٤)، والبغوي في «تفسيره» (٥/ ١٣٩).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ٢٢٤).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٤٠)، واستغربه.

(٣٤ ـ ٣٥) ـ ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٣٤ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ﴾.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾؛ أيْ: للَّذينَ يتَّقونَ الشِّركَ في الآخرةِ ﴿جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾؛ أي: بساتينَ نَعِيمُها مُقِيمٌ لا يَبيدُ ولا يَفنى، خِلافًا لِبساتينَ الدُّنْيا؛ فإنَّها فانيةٌ هالِكةٌ، صاحبُها في عَناءٍ مِن عِمارَتِها، فلا ترغَبوا بها عنْها.

فلمَّا نزلَتْ هذهِ الآيةُ أو ما بمعناها قالَ عتبةُ بن ربيعةِ وامرأتُه: لئِن كانَ ما يقولُهُ محمَّدٌ حقًّا من الثوابِ في الجنَّةِ[1] لنكونَنَّ أكثرَ ثوابًا مِنهُم كمَا نحنُ اليومَ أفضَلُ مِنهُم في الدُّنْيا فأنزلَ اللهُ: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ﴾[2]: استفهامُ إِنكارٍ؛ أي: لا نفعلُ؛ فإنَّ المسلمينَ في الجنَّةِ والمجرمينَ ـ وهمُ الكافرونَ ـ في النَّارِ.

***

(٣٦) ـ ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾.

﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾؛ أي: مِن أينَ حَكَمْتم بالتَّسوِيَةِ بينَ المُطيعِ والعَاصِي؟ وأيُّ عقلٍ[3] اقتضَى ذلكَ؟

***

(٣٧ ـ ٣٨) ـ ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ۝٣٧ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾.

﴿أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾: تَقْرَؤُونَ.

﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾: أمْ قلتُمْ ذلكَ مِن كتابٍ أنزلَهُ اللهُ إلَيْكُم وفيهِ أنَّ لكُم مِن اللهِ مَا تختارونَ لِأنفُسِكُم؟

---

(١) في (ف): «من الثواب والجنة».

(٢) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٤٨٤)، والسمعاني في «تفسيره» (٦/ ٢٧).

(٣) في (ف): «عدل».

و﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾ مفعولُ ﴿تَدْرُسُونَ﴾، وكسرُ ﴿إِنَّ﴾ للَّامِ.

وقيلَ: استئنافٌ على وجهِ الإنكارِ.

***

(٣٩) ـ ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾.

﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾؛ أي: أم لكم عُهودٌ ومَواثيقُ بالِغَةٌ مؤكَّدَةٌ باليمينِ فلا يَحسُنُ نقضُها، ﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ بهِ لأنفُسِكُم.

وفي ﴿إِنَّ﴾ وَجهانِ كالأوَّلِ.

وقوله: ﴿إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ في أكثرِ التَّفاسير: إنَّ لكُمْ حُكمَكُم إلى آخرِ الدُّنْيا.

وفي بعضِها: إنَّ لَكُم حُكمَكُم إلى أنْ يَنتهِيَ إلى يَومِ القِيامَةِ، فيَجتَمِعَ لَكُمْ بِتلك الأَيْمَانِ ما تحكُمونَ في الدُّنْيا والآخرَةِ.

وفي بعضِهَا: أَيْمانٌ بالغَةٌ لا يَصِحُّ نقضُها إلى يومِ القِيامَةِ. وهذا أولَى؛ لأنَّ ما بعدَ (إنَّ) لا يتقدَّمُ عليهِ، ويكونُ المعنى: بالغةٌ لا يجوزُ نقضُها أبدًا.

***

(٤٠) ـ ﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ﴾.

﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ﴾؛ أي: بما يقولونَ إنَّ لهم لَمَا تخيَّرونَ وتحكمونَ.

﴿زَعِيمٌ﴾: كفيلٌ بأنَّهُ يكونُ لهم ذلكَ، فإنَّ مَن كانَ على بصيرةٍ مِن شيءٍ تكفَّلَ بهِ، وإذا لم يتكفَّلُوا دلَّ على أنَّهم غيرُ واثقينَ بما يقولونَ.

الحسنُ: الزَّعيمُ في الآيةِ بمعنى: الرَّسولِ؛ أيْ: أفيهِمْ رسولٌ، أو: جاءَهُم رسولٌ بصحَّةِ ما يقولُونَ.

الأصمُّ: أي: أيُّكم يقومُ بالحجَّةِ والدَّعوى.

* * *

(٤١) ـ ﴿أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَآءُ فَلۡيَأۡتُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ﴾.

﴿أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَآءُ﴾: يريدُ: الأصنامَ، يقولونَ لهم ذلكَ.

وقيلَ: شركاءُ جعَلوا فيهِ مَا يَحكمُونُ.

وقيلَ: شُهداءُ يَشهَدُونَ لهم بصدقِ ما يدَّعونَ.

﴿فَلۡيَأۡتُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ﴾ فيما زَعَمُوا.

* * *

(٤٢) ـ ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ﴾.

﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ﴾: عن أمرٍ فظيعٍ شديدٍ، وهو ظهورُ أمرِ الآخرةِ، والجُمهورُ على أنَّ كَشْفَ السَّاقِ عِبارةٌ عن شِدَّةِ الأمرِ وصُعوبَتِهِ، وأنشدُوا أبياتًا مِنها:

قَدْ شَمَّرَتْ عَن سَاقِها فشُدُّوا ... وجَدَّتِ الحَربُ بِكُم فجُدُّوا[1]

وتوصَفُ سنةُ الجَدبِ بهِ، قالَ:

في سَنَةٍ قدْ كشفَتْ عنْ سَاقِهَا ... حمراءَ تَبْرِي اللَّحمَ عَن عُرَاقِهَا[2]

---

(١) أنشد الرجز الحجاج في خطبته المشهورة حين قدم أميرًا على العراق. انظر: «الكامل» (١/ ٢٨٩)، و«العقد الفريد» (٤/ ٢٠٩)، وذكره بلا نسبة الزجاج في «معاني القرآن» (٥/ ٢١٠)، والخطابي في «شرح صحيح البخاري» (٣/ ١٩٣٢).

(٢) نسب لرؤبة بن العجاج في «محاضرات الأدباء» (١/ ٢١٢)، وهو بلا نسبة في «غريب القرآن» (ص: ٤٨١)، و«الزاهر» (٢/ ٣٧١).

ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: هي أشدُّ ساعةٍ في القِيامَةِ(١).

أبو موسى الأشعريُّ رضيَ اللهُ عنهُ، عن النبي ﷺ: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾، قالَ: «عن نورٍ عَظيمٍ يَخِرُّونَ له سُجَّدًا»(٢).

وعن الحسنِ: عنْ ساقِ الآخرةِ(٣)، وهوَ السِّتْرُ الذي بينَ الدُّنيا والآخرةِ.

وقيل: عن ساق العرش(٤).

وقيلَ: يُكشَفُ ما كانَ خَفِيًّا؛ كقولِه: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ [الطارق: ٩].

وعنِ ابنِ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ: يومَ يَكشِفُ الرَّبُّ عَن ساقِهِ(٥)، وهذا يُؤوَّلُ كما يُؤوَّلُ غيرُهُ مِمَّا جاءَ في القُرآنِ، ولا يُوصَفُ اللهُ تعالى بالأَجْزاءِ والأَعْضاءِ والأَبْعاضِ.

وروى أبو بُردَةَ بنُ أبي موسى الأشعريِّ عن أبيهِ قالَ: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٨٨)، وابن منده في «الرد على الجهمية» (ص: ١٧).

(٢) رواه أبو يعلى في «مسنده» (٧٢٨٣)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٩٥)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ٢٣٣)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٧٥٢)، وقال: «تفرد به روح بن جناح، وهو شامي يأتي بأحاديث منكرة لا يتابع عليها». وضعف إسناده ابن حجر في «فتح الباري» (٨/ ٦٦٤)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٤١)، واستغربه.

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ١٢٤١).

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٣/ ٦٢١)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٤١)، واستغربه.

(٥) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ ٣٣٥)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٤١)، وعده من العجائب، وقد روى البخاري (٤٩١٩) عن أبي سعيد رضي الله عنه، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «يكشف ربنا عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، فيبقى كل من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة، فيذهب ليسجد، فيعود ظهره طبقًا واحدًا».

يقولُ: «إذا كانَ يومُ القيامةِ مُثِّل لكلِّ قومٍ ما كانوا يَعبدونَ في الدُّنْيا، وذهبَ كلُّ قومٍ إلى ما كانوا يَعبدُونَ في الدُّنيَا، فبَقِيَ أهلُ التَّوحيدِ فيُقالُ لهم: ما تَنْتَظِرونَ؟ قد ذهبَ النَّاسُ! فيقولونَ: إنَّ لنا ربًّا كنَّا نعبدُهُ في الدُّنْيا لمْ نَرَهُ، قالَ: وتَعرفونَهُ إذا رأيتموهُ؟ فيقولونَ: نعم، فيُقالُ لهم: وكيفَ تَعرِفُونَهُ ولم تَرَوهُ؟ قالوا: إنَّهُ لا شَبيهَ لهُ، فيُكشَفُ لهم الحِجَابُ فينظرونَ إلى اللهِ فيَخِرُّونَ له سُجَّدًا، ويبقى أقوامٌ ظُهورُهُم مِثلَ صَياصِي البَقَرِ فيريدونَ السُّجودَ فلا يَستَطِيعونَ، فيقولُ اللهُ: عِبادي ارفَعُوا رُؤُوسَكُم فقد جعلتُ بَدلَ[1] كلِّ واحدٍ مِنكُمْ واحدًا مِن اليهودِ والنَّصارَى في النَّارِ».

قال أبو بُرْدةَ رضيَ اللهُ عنهُ: فحدَّثتُ بهذا الحديثِ عُمَرَ بنَ عبد العزيزِ فقال: آللهُ الذي لا إلهَ إلَّا هوَ لَحدَّثَكَ بهذا الحديثِ أبوكَ؟ فحلفتُ لهُ ثلاثةَ أَيْمانٍ، فقال عُمَرُ: ما سمعتُ في أهلِ التَّوحيدِ حَدِيثًا هو أحبُّ إليَّ مِن هذا[2].

---

(١) في (ن): «بديل».

(٢) رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٦٣٠)، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٢٨٥)، والآجري في «الشريعة» (٢/ ١٠١٥)، والسمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٤٨٥).

ورواه بلفظ قريب عبد بن حميد كما في «المنتخب من مسند عبد بن حميد» (٥٤٠)، والإمام أحمد في «المسند» (١٩٦٥٤)، وآخر الحديث رواه مسلم (٢٧٦٧) بلفظ: «لا يموت رجل مسلم إلا أدخل الله مكانه النار يهوديًّا، أو نصرانيًّا»، قال: فاستحلفه عمر بن عبد العزيز بالله الذي لا إله إلا هو ثلاث مرات: أن أباه حدثه عن رسول الله ﷺ، قال: فحلف له...

وله شاهد من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه رواه البخاري (٧٤٣٩) من حديث طويل وفيه: «فيتساقطون في جهنم، حتى يبقى من كان يعبد الله من بر أو فاجر، فيقال لهم: ما يحبسكم وقد ذهب الناس؟ فيقولون: فارقناهم، ونحن أحوج منا إليه اليوم، وإنا سمعنا منادياً ينادي: ليلحق كل قوم بما كانوا يعبدون، وإنما ننتظر ربنا، قال: فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، فلا يكلمه إلا الأنبياء، فيقول: هل بينكم وبينه آية =

وقيلَ: هذهِ استعارةٌ؛ لأنَّ الرَّجلَ إذا وقعَ في الشِّدَّةِ شمَّرَ ساقَهُ.

ويَحتَمِلُ ـ واللهُ أعلَمُ ـ أنَّ هذا في الدُّنيا وقتَ النَّزعِ، مِن قوله: ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾ [القيامة: ٢٩].

وقوله: ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾؛ أيْ: دَعَتْهُم أنفسُهُم إلى الإيمانِ.

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾؛ لِذهابِ زَمانِ التَّكليفِ، والعِلمُ عندَ اللهِ.

* * *

(٤٣) ـ ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾.

قوله: ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ﴾: ذليلةً ﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾: يعلُوهُمْ صَغَارٌ ﴿وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾ في الدُّنْيا، وقيلَ: قبلَ المُعايَنَةِ ﴿وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾ فلَمْ يَسجُدُوا.

قوله: ﴿وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾: يدلُّ على الوَجهِ الذي أوَّلْناهُ؛ لأنَّ المعنى: وَهُم أَصِحَّاءُ.

* * *

(٤٤) ـ ﴿فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾؛ أي: بالقرآنِ، وقيلَ: بالقِيامَةِ؛ أي: دَعْ هؤلاءِ الذينَ لا يُؤمنونَ وفوِّضْ أمرَهُمْ إليَّ؛ فإنِّي كَافِيكَ وإنِّي قادِرٌ على أخذِهِم مَتى شِئتُ.

﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾: نُدْنِيهِم مِن العَذابِ دَرَجةً دَرَجةً مِن حيثُ لا يَعلمونَ أنَّ العَذابَ نازِلٌ بهم.

السُّدِّيُّ: كلَّما جَدَّدوا مَعصيةً جَدَّدْنا لهم نعمةً وأنسيناهُم شُكرَها[1].

= تعرفونه؟ فيقولون: الساق، فيكشف عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن، ويبقى من كان يسجد لله رياء وسمعة، فيذهب كيما يسجد، فيعود ظهره طبقاً واحدًا».

(١) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (١/ ٥٧١) و(٣/ ٤٨٦)، وذكره الواحدي نحوه في «الوسيط» (٢/ ٤٣١)، والجرجاني في «درج الدرر» (٢/ ٨١٨)، والبغوي في «تفسيره» (٢/ ٢٥٥) عن الضحاك.

وقيلَ: كانَ ذلكَ يومَ بدرٍ. وأصلهُ مِن الدَّرَجَةِ.

ابنُ بحرٍ: نأخذُهُم[١] حيثُ دبُّوا ودَرَجوا[٢]؛ أي: حيثُ يَسلكونَهُ فنحنُ بهِمْ مُحيطونَ، مُشتَقٌّ مِن (المَدْرَجَةِ)، وهيَ الطَّرِيقُ، وهُم لا يعلمونَ أينَ نَأخذُهُمْ ومَتى نَأخُذُهُمْ.

ابنُ عيسى: سَنَسْتدرِجُهُمْ إلى العقابِ حالًا بعد حالٍ.

وقيلَ: نُرَقِّيهِمْ إلى العذابِ دَرَجةً دَرَجةً بانقضاءِ أعمارِهِمْ، تقولُ: دَرَّجَهُ تَدرِيجًا: أوصلَهُ إليهِ شيئًا فشيئًا، واسْتَدْرَجَهُ: أَمَر غيرَهُ أنْ يُرْقَى[٣] إليهِ دَرَجةً بعدَ أُخرَى.

***

(٤٥) ـ ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾.

﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾: أُبْقِيهِمْ مَلَاوَةً مِن الدَّهرِ، ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾: لا يحالُ بيني وبينَ عذابهم.

***

(٤٦) ـ ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾.

﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾: سَبَقَ[٤]، وهو عطفٌ على قولِه: ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ﴾، ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ﴾.

***

(٤٧) ـ ﴿أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾.

﴿أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ﴾: أكثرُهم على أنَّ المرادَ بالغيبِ: اللَّوْحُ المحفوظُ ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ منهُ.

---

(١) في (ف): «نأخذ بهم».

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٧٢).

(٣) كذا ضبطت بالمبني للمجهول في النسختين، والبناء للمعلوم أظهر، والله أعلم.

(٤) في تفسير سورة (الطور)، الآية: ٤٠.

وقيلَ: أم لأنَّهم يعلمونَ الغَيبَ فهُمْ يَكتبونَ ذلكَ عَلِمُوا أنَّكَ لَستَ بمُحِقٍّ فيما أتيتَهُمْ بهِ.

ابنُ بحرٍ: ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ﴾: الذي هوَ مِن آياتِ إِعجازِ القُرآنِ فهُمْ يكتبونَ كِتابًا مثلَهُ[1] يأتونَ فيه بما في القُرآنِ مِن الأخبارِ عمَّا كانَ وعمَّا يكونُ.

***

(٤٨) ـ ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾.

﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾: على تبليغِ الوَحْيِ وتحمُّلِ الأذَى ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾: يونسَ عليهِ السلام.

قيلَ: لا تضْجَرْ كمَا ضَجِرَ.

وقيلَ: لا تغضَبْ كمَا غَضِبَ.

وقيلَ: لا تعْجَلْ كما عَجِلَ.

وقيلَ: لا تجبُنْ كمَا جَبُنَ.

﴿إِذْ نَادَىٰ﴾ ربَّهُ تعالى مِن بطنِ الحوتِ وقالَ: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

﴿وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ قيلَ: مَجْهودٌ، وقيلَ: مَكْروبٌ، وقيلَ: مَغْمومٌ، وقيلَ: مملوٌّ من الغَضَبِ، وقيلَ: محبوسٌ عنِ التَّصرُّفِ.

وهو مِن كَظَمَ غَيْظَهُ؛ أي: حَبَسَهُ، وكان القِياسُ: فهوَ كَاظِمٌ، لكنِ التقديرُ: فهوَ مَكظومٌ غَيْظُهُ.

***

(١) «مثله»: ليس في (ف).

(٤٩ ـ ٥٠) ـ ﴿لَوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ۝٤٩ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

﴿لَوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾: قيلَ: هيَ النُّبوَّةُ، وقيلَ: عبادتُهُ السَّابقةُ، وقيلَ: قولُه: لا إلهَ إلَّا أنتَ سُبحانَكَ، وقيلَ: رحمةُ ربِّه بقبولِ توبتِهِ.

﴿لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ﴾: حيثُ لا شَجرَ ولا خَمَرَ[1].

وقيلَ: العَرَاءُ وَجْهُ الأرضِ.

وقيلَ: العَرَاءُ أَرضُ المحشَرِ[2].

وقال أبو القاسِمِ: النَّبْذُ بالعَرَاءِ يَستَعمِلُها العَرَبُ في موضعِ الذَّمِّ، وفي الشَّيْءِ يُستخفُّ بهِ ويُطرَحُ[3]، وهو[4] وجهٌ لَولا قولُه: ﴿فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ١٤٥].

وقوله: ﴿وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾: أي: مُذنِبٌ مُبعَدٌ مِن الرَّحمَةِ، وقيلَ: مُليمٌ.

لكنْ تداركَتْهُ النِّعمَةُ فنُبِذَ غيرَ مَذمومٍ.

﴿فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾: اختارَهُ لِرسالَتِهِ ﴿فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: مِن الأَنبياءِ.

وقيلَ: حَكَمَ له بالصَّلاحِ.

* * *

---

(١) في (ن): «ولا غيره»، والمثبت من (ف) ونسخة في هامش (ن). والخَمَر: ما يُوارِي من شَجَرٍ أو غيره. انظر: «رسائل في اللغة» للبطليوسي (ص: ٩٨).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٤١)، وعده من العجائب.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٤٢)، وعده من العجائب.

(٤) في (ن): «وهذا».

(٥١) - ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾.

﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ﴾: نزلَتْ حينَ أرادَ الكُفَّارُ أنْ يَعِينوا رَسولَ اللهِ ﷺ فيُصيبوهُ بالعَيْنِ، فنَظَرَ إليهِ قومٌ مِن قُريشٍ وقالوا: ما رأَيْنا مِثلَهُ ولا مثلَ حُجَجِهِ.

وكانَتِ العَيْنُ في بني أسدٍ، حتى إنَّ الرَّجُلَ مِنهم ينظرُ إلى النَّاقةِ السَّمينةِ أو البقرَةِ السَّمينةِ ثمَّ يَعِينُها، ثم يقولُ للجاريَةِ: خُذي المِكْتَلَ والدِّرهَمَ فَأْتِينا مِن لحمِ هذهِ، فما تبرَحُ حتى تقعَ فتُنْحَرَ[١].

وكانَ الواحدُ إذا أرادَ أنْ يَعِين شيئًا يجوعُ له ثلاثَةَ أيَّامٍ، ثم يعرِضُ لهُ فيقول: تاللهِ ما رأيتُ مالًا أكثرَ ولا أحسَنَ مِن هذا! فيتساقَطُ ذلكَ الشَّيءُ.

فأرادوا مِثلَ ذلكَ برسولِ اللهِ ﷺ، فعصمَهُ اللهُ مِن ذلكَ[٢]، هذا قولُ الجُمهورِ.

وقال بعضُهُم: إنَّما يُصيبُ الإنسانُ بالعينِ ما يَستحسِنُهُ وتميلُ نفسهُ إليهِ، وكانَ نَظرُهُم إلى رسولِ اللهِ ﷺ نظرةَ البُغْضِ والغَيظِ، وذلكَ ضِدُّهُ.

وأنكرَ بعضُهم العين أصلًا، وقالوا: معنى الآيةِ: نَظَروا إليكَ نَظَرَ عَداوةٍ وتَوعُّدٍ[٣]، كما يقالُ: نَظَرَ إليَّ نَظرًا كادَ يَأكلُني بهِ.

والقولُ هوَ الأوَّلُ؛ فإنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: «إنَّ العَيْنَ حَقٌّ، ولَوْ كانَ شيءٌ يَسبقُ القَدَرَ لكانَ ذلكَ العَيْنَ»[٤].

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢٧/ ٢٥٩)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٤٤٣).

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢٧/ ٢٥٩)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٤٣) عن الكلبي.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٤٢)، واستغربه.

(٤) رواه مسلم (٢١٨٨) عن ابن عباس رضي الله عنه بلفظ: «العين حق، ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين، وإذا استغسلتم فاغسلوا»، وروى البخاري (٥٩٤٤)، ومسلم (٢١٨٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه أوله، ولفظه: «العين حق».

وقال ﷺ: «العَيْنُ تُدخِلُ الرَّجلَ القبرَ، والجملَ القِدْرَ»[1].

وجاءَ في الشِّعرِ:

وإِخَـالُ أنَّـكَ سَـيِّدٌ مَعْيـونُ[2]

و(يُزْلِقُونَـكَ) بالفتـحِ والضـمِّ لُغتـانِ[3]، تقـولُ: أَزْلَقْتُهُ: رَميتُـهُ، وأَزْلَقَ رَأْسَـهُ: حَلَقَـهُ مِـن أصلـهِ، وتقولُ أيضًـا: زَلَقْتُـهُ فزَلِقَ؛ كما تقـولُ: حَزَنْتُـهُ فحَزِنَ، وشَـتَرْتُ عينَهُ فشَـتِرَتْ.

﴿لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ﴾؛ أي: القرآنَ.

﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾: معـهُ جِنـيٌّ يُعلِّمُـهُ الكتـابَ. وقيـلَ: مختلِطُ العَقـلِ، قالوهُ حَسَـدًا. وقيـلَ: يَطلُـبُ مَا لا يليـقُ بهِ فهـو مَجنونٌ.

ختمَ السُّورةَ بذكرِ ما بدأَ بهِ:

(٥٢) ـ ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿وَمَا هُوَ﴾: ما القرآنُ، وقيلَ: ما محمَّدٌ ﷺ.

﴿إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾: الجنِّ والإنسِ.

---

(١) رواه ابن عدي في «الكامل» (٦/ ٣١٦)، و(٨/ ١٤٨)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٩٠)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١٠٥٩)، والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (١٠/ ٣٣٧)، عن جابر رضي الله عنه.

(٢) عجز بيت لعباس بن مرداس، وصدره:

قـد كان قومُـكَ يحسِـبُونَكَ سَـيِّدًا

انظر: «الألفاظ» لابن السكيت (ص: ٤٠٣)، و«جمهرة اللغة» لابن دريد (٢/ ٩٥٦)، و«الأغاني» للأصبهاني (٦/ ٣٥٨).

(٣) قرأ نافع بفتح الياء، والباقون بضمها. انظر: «السبعة» (ص: ٦٤٧)، و«التيسير» (ص: ٢١٣).

قالَ الحسنُ: دواءُ إصابَةِ العَين: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ إلى آخر السورة[١].

وبالله التوفيق والعون[٢].

* * *

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ٢٦٣)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٣٥٥).

(٢) «وبالله التوفيق والعون»: ليس في (ف).

سُورَةُ الحَاقَّةِ

اثنتانِ وخمسونَ آيةً[1]، مَكِّيةٌ بالإجماعِ.

بسمِ اللهِ الرحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿ٱلْحَآقَّةُ﴾.

﴿ٱلْحَآقَّةُ﴾: فيهَا ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: أنَّها اسمٌ مِن أسماءِ القِيامَةِ.

والثاني: أنَّها الصَّيْحَةُ التي تقومُ عِندَها القِيامَةُ ويموتُ الخلقُ[2].

وقيلَ: ﴿ٱلْحَآقَّةُ﴾: الكَلِمةُ التي حَقَّتْ، مِن قوله تعالى: ﴿حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ [يونس: ٣٣، وغافر: ٦] في مواضعَ[3]، وهيَ كَلِمَةُ العذابِ الواجِبِ بوعيدِ اللهِ.

والجمهورُ على القولِ الأوَّلِ.

---

(١) «اثنتان وخمسون آية»: ليس في (ف). وانظر: «البيان في عد آي القرآن» للداني (ص: ٢٥٣)، وفيه: «وهي إحدى وخمسون آية في البَصْري والشامي، واثنتان في عدد الباقين، اختلافها آيتان: ﴿ٱلْحَآقَّةُ﴾ الأولى عدها الكوفي ولم يَعُدَّها الباقون، ﴿كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ﴾ عدها المدنيان والمكي ولم يَعُدَّها الباقون».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٤٣)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٤٣)، وعده من العجائب.

واختَلَفُوا في لفظِها؛ فقيلَ: هو مَصْدَرٌ، كالكَاذِبَةِ والعَاقِبَةِ(١)، والجمهورُ على أَنَّها اسمُ الفَاعِلِ، وفيها خمسَةُ أقوالٍ:

أحدُها: أَنَّها مِن حَقَّ يَحِقُّ بالكسرِ؛ أي: وجبَ، وصحَّ مَجيئُها للجزاءِ على الطَّاعةِ ثوابًا وعلى المعصِيَةِ عقابًا، وقيلَ: فيها الثوابُ وحَوَاقُّ الأمورِ.

والثاني: مِن حَقَّ يَحُقُّ بالضمِّ؛ تقول: حَقَقْتُ عليهِ القضاءَ؛ أوجَبْتُه، والمعنى: تُوجِبَ لكلِّ أحدٍ ما استحقَّهُ.

والثالثُ: أَحَقَّ فهو حَاقٌّ، وهذا ضعيفٌ؛ لأنَّ حَقَقْتُ القضاءَ وأَحْقَقْتُه بمعنًى، فلا حاجةَ إلى أنْ يقالَ: أَفْعَلَ فهوَ فاعِلٌ.

والرابعُ: مِن حَقَّهُ يَحقُّهُ؛ إذا جَعلَهُ جديرًا وحقيقًا، والشيءُ مَحقُوقٌ(٢).

والخامسُ: مِن حاقَّهُ فحَقَّهُ؛ أي: غَلَبَهُ؛ لأنَّها تَحُقُّ كلَّ مُحَاقٍّ(٣) في دينِ اللهِ بالباطلِ(٤).

و﴿ٱلۡحَآقَّةُ﴾: رفعٌ بالابتداءِ، وقيلَ: بالخبرِ، والتَّقديرُ: هذهِ الحاقَّةُ.

***

(٢) ـ ﴿مَا ٱلۡحَآقَّةُ﴾.

﴿مَا ٱلۡحَآقَّةُ﴾: أيُّ شيءٍ هيَ؟ على التَّعظيمِ لِشأنِها والتَّهويلِ لها؛ أي: حقُّها أنْ يُستَفْهَم عنها لِعِظَمِها.

---

(١) في (ف): «والعافية».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٤٣)، واستغربه.

(٣) في (ف): «مجان».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٤٣)، وعده من العجائب.

﴿مَا﴾: رفعٌ بالابتداءِ ﴿الْحَاقَّةُ﴾: خَبرُهُ، والجملةُ خبرُ المبتدأ الأوَّلِ، وهذا قولُ جميعِ المفسِّرينَ والنُّحاةِ.

ويحتمِلُ أنْ يرتفعَ ﴿الْحَاقَّةُ﴾ الثَّانيةُ بالابتداءِ و﴿مَا﴾ يرتفعُ بالخبرِ؛ لأنَّها نَكرةٌ وجبَ تَقديمُهَا لمكانِ مَعنى الاستفهامِ[1]، كقولِهم: أينَ بَيتُكَ؟ و: متى السَّاعةُ؟ فإذا قلتَ: ما معكَ؟ ارتفعَ بالابتداءِ؛ إذ ليسَ لقولِه: (معكَ) صلاحيةُ الابتداءِ.

* * *

(٣) ـ ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ﴾.

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ﴾: أيُّ شيءٍ أعلمَكَ ما هيَ؟ ومِن أينَ عَلِمتَ ذلكَ؟

وقيلَ: معناهُ: ليسَ ذلك مِن عِلمِكَ ولا مِن عِلمِ قَومِكَ.

و﴿مَا﴾ رفعٌ بالابتداءِ، وكذلكَ ﴿الْحَاقَّةُ﴾ على ما سَبَقَ، والفعلُ قبلَهُ مُعلَّقٌ لأنَّهُ بمعنى: ما أعلَمَكَ؟

* * *

(٤) ـ ﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ وَعَادُۢ بِٱلۡقَارِعَةِ﴾.

﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ وَعَادُۢ بِٱلۡقَارِعَةِ﴾؛ أي: بالحاقَّةِ، فوَضَعَ (القَارِعَة) مَوضِعَها لأنَّهما مِن أسماءِ القيامةِ، وفيها أقوالٌ:

أحدُها: تَقرَعُ القلوبَ بأهوالِها.

والثاني: قَرَعَتْ كلَّ شيءٍ؛ أي: كَسَرَتْهُ وأَهلكَتْهُ.

وقيلَ: يُقرِّعُ اللهُ العبادَ فيها.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٤٣)، واستغربه.

وقيلَ: مِن القُرْعةِ؛ أي: يَقرَعُ بعضُهم بعضًا فيعلو بعضٌ ويَسْفُلُ بعضٌ(١).

وقيلَ: القارِعَةُ: العذابُ الذي أُهلِكَ عادٌ وثَمودُ بِهِ(٢).

***

(٥) ـ ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ﴾.

﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ﴾: أهلَكَ اللهُ قومَ صالحٍ بسببِ طُغيانِهم ومُجَاوزَتِهم الحدَّ في كُفرِهم.

وقيلَ: الطَّاغيَةُ: الصَّاعِقَةُ، مِن قوله: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ [النساء: ١٥٣].

وقيلَ: الطَّاغِيَةُ: الطاغي، وهو قُدَارُ بنُ سالِفٍ عاقرُ النَّاقةِ، والهاءُ للمبالَغَةِ.

وقيلَ: الفِرقَةُ الطَّاغيَةُ، وهُم قُدارٌ وأتباعُهُ(٣).

وقيلَ: الطَّاغِيَةُ: الصَّيْحةُ التي أُهلِكُوا بها.

وقيلَ: الطَّاغِيَةُ: اسمُ البُقعَةِ التي أُهلِكُوا فيها، حكاهُ ابنُ الهيصَمِ(٤).

وقيلَ: سُمِّيتْ طاغيةً ازدِواجًا، كقولِه: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠].

***

(٦) ـ ﴿وَأَمَّا عَادٞ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ﴾.

﴿وَأَمَّا عَادٞ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ﴾: وهي الدَّبُورُ؛ مِن قولِهِ عليه الصلاة والسلام:

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٤٤)، واستغربه، وهذا القول نسب للمبرد كما في «النكت والعيون» (٦/ ٧٦)، ولفظه: «مأخوذة من القرعة في رفع قوم وحط آخرين».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٤٤)، وعده من العجائب.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٤٤)، واستغربه.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٤٤)، وعده من العجائب.

«نُصِـرْتُ بالصَّبا، وأُهلِكَـتْ عادٌ بالدَّبـورِ»(١).

﴿صَرْصَرٍ﴾: باردةٍ في النهايةِ، والتَّضعيفُ يدلُّ على المبالغةِ.

وقيلَ: لها صِرٌّ؛ أي: صوتٌ، وقيلَ: شديدُ السُّمومِ.

والرِّيحُ: الهواءُ المتحرِّكُ، واشتقاقُها مِن راحَ يروحُ؛ إذا رَجَعَ.

﴿عَاتِيَةٍ﴾: عاصِيةٍ؛ عتَتْ خُزَّانَها غضبًا على أعداءِ اللهِ، أذنَ الله تعالى لها مِن دونِ الخُزَّانِ.

قتادةُ: لم تخرُجْ إلا مِقدارَ خاتَمٍ(٢).

ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: ما خرجتِ الريحُ إلا بمكيالٍ وميزانٍ بأمرِ خازِنِها(٣) إلَّا يومَ عادٍ عَتَتْ خُزَّانَها(٤).

وقيلَ: العَاتِيةُ: القاهِرَةُ، وقيلَ: الشَّديدَةُ(٥)، وقيلَ: ازدواجٌ كمَا سَبَقَ.

***

---

(١) رواه البخاري (١٠٣٥)، ومسلم (٩٠٠)، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) رواه البزار في «مسنده» (٤٩٤١) عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا وموقوفًا ورجح الموقوف، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٥٨)، والحاكم في «المستدرك» (٣٦٩٩) عن ابن عباس رضي الله عنه موقوفاً، وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) في (ف): «خزانها».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢١٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفاً، ورواه أبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٢٥٣)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ٢٧٨)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٦٥) عنه مرفوعًا، وانظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٤/ ٨٣).

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٤٤)، واستغربه، وفيه: «الغريب: العاتية القاهرة الشديدة».

(٧) - ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾.

﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ﴾: سلَّطَها عليهِم، وقيلَ: أدامَها، وقيلَ: حَبسَها عليهِم سبعَ ليالٍ وثمانيةَ أيامٍ.

وهبٌ: كانتِ الأيَّامُ التي تسمِّيها العربُ: أيامَ العَجوزِ، وهي ذاتُ بردٍ ورِياحٍ شَديدةٍ، قالَ: وإنَّما نُسِبَت إلى العَجوزِ؛ لأنَّ عجوزًا دخلَتْ سِربًا فتبِعَتها الرِّيحُ فقتَلَتْها اليومَ الثامنَ مِن نُزولِ العذابِ وانقطعَ العذابُ(١).

وقيلَ: سمِّيَتْ أيامَ العَجوزِ، لأنَّها تكونُ في عُجْزَةِ الشِّتاءِ؛ أي: أواخرُها.

وكانَ ابتداءُ العَذَابِ يومَ الأربعاءِ مِن آخرِ الشَّهرِ إلى الأربعاءِ الآخَرِ، وجاءَ مَرفوعًا: «إنَّ آخرَ الأربعاءِ مِن الشَّهرِ يومُ نحسٍ»(٢).

وأسماءُ العجوزِ عندَ العربِ سبعةٌ يجمَعُها قولُ الشاعرِ، أنشدهُ ثعلبُ:

كُسِعَ الشِّتاءُ بِسبعةٍ غُبْرٍ ... أيامَ شَهْلَتِنا مِنَ الشَّهرِ
فإذا مَضَتْ أيامُ شَهْلَتِنَا ... بالصِّنِّ والصِّنَّبْرِ والوَبْرِ

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ٢٧٩).

(٢) بهذا اللفظ رواه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (١٦/ ٥٨٤) عن ابن عباس رضي الله عنه، قال ابن حجر في «لسان الميزان» (٨/ ٥٩): «حديث منكر»، وذكر ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/ ٧٣) بابًا في ذم يوم الأربعاء، وساق فيه أحاديث عن ابن عباس وابن عمر وجابر رضي الله عنهم، ثم قال: «وهذه الأحاديث لا تصح عن رسول الله ﷺ... وفى الصحيح: «أن الله عز وجل خلق النور يوم الأربعاء»، وإنما أَخذ هذا مَن وضَعه من قول بعض المفسرين: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ﴾ قالوا: من الأربعاء إلى الأربعاء، ورأى في القرآن ﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾ فوضع هذا ورفعه»، وانظر: «اللآلئ المصنوعة» (١/ ٤٤٢).

وبآمِـرٍ وأخيـهِ مُؤْتَمِـرٍ ... ومُعَلِّـلٍ وبمُطفـئِ الجَمْـرِ

ذهـبَ الشِّـتاءُ مُوَلِّيًـا هَرَبًـا ... وأَتَتْكَ وَاقِـدَةٌ مِـنَ النَّجْـرِ[١]

واسمُ اليومِ الثَّامِنِ: مُكفِئُ الظُّعُنِ[٢].

﴿حُسُومًا﴾: تُذهِبُهُم وتُفنِيهِم، فهوَ نَصْبٌ على المَصدَرِ.

وقيلَ: ﴿حُسُومًا﴾: تِباعًا، مِنْ حَسَمْتُ الدَّابَّةَ؛ إذا تَابَعْتُ بين كَيِّهَا[٣].

الضحَّاكُ: الحُسُومُ: المُشائِمُ[٤]؛ أي: نُحُوسًا.

وقيلَ: ﴿حُسُومًا﴾: جمعُ حَاسِمٍ وهوَ القاطِعُ؛ أي: قاطعةً لدابرِ أولئكَ الكَفَرةِ، فيكونُ نصبًا على الصفة[٥].

المبرِّدُ: الفُعُولُ في التعدِّي لا يكونُ إلَّا جمعًا.

﴿فَتَرَى ٱلْقَوْمَ﴾؛ أي: لـو كنـتَ حاضـرًا هناكَ لرأيـتَ القـومَ ﴿فِيهَا﴾: في تلكَ الأيـامِ، وقيـلَ: فـي الرِّيـحِ، وقيلَ: فـي بيوتِهِـم، وقيلَ: فـي الطَّاغيـةِ؛ فيمَـن جعلَها اسـمَ بقعةٍ.

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢٧/ ٢٨٠)، والأبيات نسبت لأبي شبل عصم بن وهب بن عصمة التميمي كما في «معجم الشعراء» (ص: ٢٧٥)، ونسبت لابن أحمر في «الصحاح» (٣/ ٨٨٤)، ورجح الصغاني في «التكملة والذيل» (٣/ ٢٧٩): أنها ليست لابن أحمر، بل لأبي شبل عصم البرجمي.

(٢) أي: مُمِيلُها، وهو جمع ظعينة، وهو الهودج فيه امرأة أم لا. انظر: «روح البيان» لإسماعيل حقي (١٠/ ١٣٣).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٤٤)، واستغربه.

(٤) لم أقف عليه عن الضحاك، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٣٠٣) عن عكرمة.

(٥) في (ن): «المصدر» وهو خطأ.

﴿صَرْعَىٰ﴾: جمعُ صَرِيعٍ؛ أي: سُقُوطًا.

﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ﴾ جُذُوعُ نخلٍ، وقيلَ: أصولُ نخلٍ، وهيَ ما يبقى على المكانِ بعدَ قطعِ الجذعِ.

﴿خَاوِيَةٍ﴾: قيلَ: فارغةٍ مُتآكلةٍ، مِن قَولِهِم: خَوِي بطنُهُ؛ إذا خَلَا، وخَوِيَ المنزلُ عَنِ القُطَّانِ.

وقيلَ: ساقطةٍ؛ وصَفَهُم بعظمِ الأجسامِ وأنَّ الرِّيحَ قطعَتْهُم وقلعَتْ رؤوسَهُم.

وقيلَ: كان طولُهُم اثني عشرَ ذِراعًا.

وقيلَ: خاويةُ الأَجوافِ مِن الحياةِ.

وقيلَ: خاويةٌ مِن الأحشاءِ؛ لأنَّ الرِّيحَ أخرجَتْ ما في بطونِهِم.

وهذانِ القولانِ ضعيفانِ؛ لأنَّ قولَهُ: ﴿خَاوِيَةٍ﴾ بالجرِّ صِفةٌ لـ﴿نَخْلٍ﴾، أو يقالُ: لخلوِّهِمْ منَ الحياةِ أو من الأحشاءِ شبَّهَهُم بنخلٍ خاويةٍ.

* * *

(٨) ـ ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾.

﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾؛ أي: نفسٍ باقيةٍ، وقيلَ: مَصدَرٌ؛ أي: هل ترى لهُمْ من بقاءٍ؟

* * *

(٩) ـ ﴿وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ﴾.

﴿وجاء فرعون ومَنْ قِبَلَهُ﴾: أتباعُهُ.

سيبويهِ: يقالُ: (قِبَلُ) لِمَا وليَ الشَّيءَ[1]، تقولُ: اذهَبْ قِبَلَ المشرِقِ.

---

(١) انظر: «الكتاب» (٤/ ٢٣٢).

وقرئ ﴿وَمَن قِبَلَهُۥ﴾[1]؛ أي: مَن تقدَّمَهُ، والواوُ للجَمْعِ.

﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ﴾: فيها قولانِ:

أحدُهما: أنَّها قرياتُ قومِ لوطٍ ائتَفَكَتْ بهم؛ أي: انقلَبَتْ، وقيلَ: قرونٌ وكنوزٌ.

والثاني: هم الذينَ ائتُفِكُوا بذنوبِهِم.

والخاطئَةُ: الخطأُ العَظيمُ والذَّنبُ الكثيرُ[2].

* * *

(١٠) ـ ﴿فَعَصَوْاْ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً﴾.

﴿فَعَصَوْاْ رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾: قيلَ: قومُ لوطٍ لوطًا.

وقيلَ: رسلَ ربِّهم.

وقيلَ: كلُّ أمَّةٍ رسولَهُم.

وقيلَ: رِسالةَ ربِّهم.

﴿فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً﴾: شَديدةً تَربو وتَعظُمُ وتَزيدُ على الأَخْذاتِ، وقيلَ: مُرتفعةً سَمعَ بها الخَلقُ.

* * *

(١١) ـ ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِي ٱلْجَارِيَةِ﴾.

﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ﴾: ارتفعَ وتجاوزَ الحدَّ المُعتادَ.

وقيلَ: ﴿طَغَا﴾: ظهرَ.

---

(١) قرأ أبو عمرو والكسائي: (ومن قِبَلِه) بكسر القاف وفتح الباء، والباقون بفتح القاف وإسكان الباء. انظر: «السبعة» (ص: ٦٤٨)، و«التيسير» (ص: ٢١٣).

(٢) في (ف): «الخاطئة والخطاء الذنب الكبير».

مجاهدٌ: طغى الماءُ على كلِّ شيءٍ بمقدارِ خمسةَ عشرَ ذِراعًا(١).

ابنُ عباسٍ: طغى على خُزَّانه فخرجَ مِن الكَيْلِ والوَزنِ(٢).

وقيلَ: سُمِّيَ طاغيًا ازدِوَاجًا، وقد سَبَقا.

﴿حَمَلْنَٰكُمْ﴾: يا ذرية نوحٍ ﴿فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾.

وقيلَ: حَمَلنا آباءَكُم وأنتُمْ في أصلابِهِم ﴿فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾؛ أيْ: السَّفينَة؛ لأنَّ مِن شأنِها الجَريُ في الماءِ.

* * *

(١٢) ـ ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾.

﴿لِنَجْعَلَهَا﴾؛ أي: السَّفينةَ الجارية؛ فإنَّها بَقيَتْ ألواحُها دهرًا.

وقيلَ: لنجعلَ ما اتُّخِذَ على مثالِها.

وقيلَ: لنجعلَ هذهِ الحالاتِ التي تقدَّمَتْ.

﴿لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾: عبرةً وعِظةً.

﴿وَتَعِيَهَآ﴾: وتحفظَها ﴿أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾: أذنُ إنسانٍ شأنُهُ أنْ يحفَظَ ما يجبُ حِفظُهُ، تقولُ: وَعَيْتُه في قلبي، وأَوْعَيْتُهُ في وِعَائي.

وعن مكحولٍ قالَ: لَمَّا نزلَتْ: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «دعوتُ اللهَ أنْ يجعلَها أُذنَكَ يا عليُّ»، قالَ عليٌّ رضيَ اللهُ عنهُ: فما نَسيتُ شيئًا

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٣٠٥)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢١٩) عن قتادة، وانظر ما ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٣٦) عن مجاهد.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢١٠)، عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفًا، ورواه أبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٢٥٣)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ٢٧٨)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٦٥) عنه مرفوعًا. وتقدم قريباً.

بعـدَ ذلـك، ومـا كانَ لـيَ أنْ أنسـاهُ. رواه الثعلبـيُّ والنقَّـاشُ[1].

قتادةُ: هيَ أذنٌ عَقَلتْ عنِ اللهِ وانتفعَتْ بما سمعَتْ[2].

* * *

(١٣) - ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾.

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾: النَّفْخَةُ والنَّفْخُ واحِـدٌ، وذِكْـرُ الوَاحدَةِ للتَّأكيدِ، لأن النَّفخةَ لا تكونُ إلَّا واحدةً، وهي النَّفخَةُ الأولى فيمَنْ جعلَ النَّفخَةَ نفختَيْنِ: إحدَاهُما يموتُ عندَها النَّاسُ، والثَّانيةُ يُبعثونَ عندَها.

* * *

(١٤) - ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾.

﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ﴾: قُلِعَتْ مِن أماكنِها ﴿فَدُكَّتَا﴾؛ أي: الأرضُ والجبالُ ﴿دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾: كُسِرَتا كَسْرًا شديدًا فصارَتْ غُبارًا.

وقيلَ: ﴿فَدُكَّتَا﴾: قُلِعتا.

وقيلَ: جُعِلَتا بساطًا؛ والدَّكُّ: البَسْطُ، وناقةٌ دكَّاءُ: مُفترِشَةُ السَّنامِ، والدَّكَّاءُ: الأرضُ المتَّسِعَةُ.

الفرَّاءُ: دكُّها: زَلزلَتُها[3].

ابنُ بحرٍ: دكُّها: أنْ تصيرَ قِطعَةً واحدةً لا تَرى فيها عِوَجًا ولا أَمْتًا.

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ٢٨٨)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٣٤٥). قال الذهبي في «المنتقى» (ص: ٤٤٦): «موضوع».

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ ٣٣٩)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٢٢).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٨١).

المبرِّدُ: دُكَّتا: أُلصِقَتا، فجُعِلَتا مِثلَ الدَّكَّةِ الواحدةِ، وهوَ الدُّكَّانُ.

***

(١٥) ـ ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾.

﴿فَيَوْمَئِذٍ﴾: حِينَئـِذٍ ﴿وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾؛ أي: الواقعـةُ التـي تُوعَـدونَ، وهـيَ قيـامُ السَّـاعةِ وصَيْحَتُهـا، و﴿وَقَعَتِ﴾ جـوابُ (إذا)، و(يومئـذ) بـدلٌ مِـن (إذا) كُـرِّرَ لَمَّا طالَ الـكلامُ.

***

(١٦) ـ ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾.

﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ﴾: قالَ عليٌّ رضيَ اللهُ عنهُ: أي: عنِ المجرَّةِ[١].

ابنُ جريجٍ: فُتِحَت أبوابًا[٢].

والانشقاقُ: وقوعُ الفُرْجَةِ بينَ أجزاءِ الشَّيْءِ.

﴿فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾: ضعيفةٌ كالغَزْلِ المَنقُوضِ.

وقيلَ: مُتَخرِّقَةٌ.

وقيلَ: سَاقِطةٌ مُتَشَقِّقَةٌ.

***

(١٧) ـ ﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَاۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾.

﴿وَٱلْمَلَكُ﴾: اسمُ الجنسِ.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٧٠)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٨١).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٨١).

﴿عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا﴾: نواحِيها وأطرافُها، وقيلَ: أبوابِها، واحدُهَا: رَجاً[١].

وقيلَ: أَرجاءُ السَّماءِ، وقيلَ: أرجاءُ الأَرضِ، وقيلَ: أَرجاءُ الدُّنيا.

وقيلَ: على قِطَعِها التي ليسَتْ بمُتشقِّقَةٍ.

﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ﴾: فوقَ الخلقِ، وقيلَ: فوقَ الثَّمانيَةِ؛ لأنَّها في نيَّةِ التَّقديمِ.

﴿يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾؛ أي: ثمانيةُ أَملاكٍ أَرجُلُهم تحتَ الأرضِ السَّابعَةِ ورُؤوسُهم فوقَ السَّماءِ السَّابعةِ.

وقيلَ: ثَمانيةُ صُفوفٍ مِن الملائكةِ لا يعلَمُ عددَها إلا اللهُ.

وقيلَ: الخلقُ عشرةُ أَجزاءٍ: الإنسُ والجنُّ وسائرُ الحيوانِ جزءٌ، وجزءٌ ملائكةُ السَّماواتِ والأَرَضينَ[٢]، وثمانيةُ أجزاءٍ حملةُ العرشِ وهم الكَرُوبيُّونَ.

وجاءَ مرفوعًا: أنهمُ اليومَ أربعَةٌ فإذا كانَ يومُ القيامةِ أمدَّهُم بأربعةٍ آخرينَ[٣].

---

(١) ينظر: «المقصور والممدود» لأبي علي الفالي (ص: ٨٢).

(٢) في (ف): «والأرض».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٢٩)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٤٦٨) من طريق ابن إسحاق عن النبي ﷺ بلاغاً، ورواه الطبري أيضًا من طريق ابن زيد عن النبي ﷺ، وكلاهما معضل.
وجاء في حديث الصور الطويل: «والملائكة تحمل عرشه يومئذ ثمانية وهم اليوم أربعة». رواه إسحاق بن راهويه في «مسنده» (١٠)، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٢٧٣)، والبيهقي في «البعث والنشور» (٦٠٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. قال ابن كثير: «هذا حديث مشهور، وهو غريب جدًّا، ولبعضه شواهد في الأحاديث المتفرقة، وفي بعض ألفاظه نكارة، تفرد به إسماعيل بن رافع قاص أهل المدينة...
وقد اختلف عليه في إسناد هذا الحديث على وجوه كثيرة، قد أفردتها في جزء على حدة. وأما سياقه، فغريب جدًّا، ويقال: إنه جمعه من أحاديث كثيرة، وجعله سياقًا واحدًا، فأنكر عليه بسبب ذلك». وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٤٥) واستغربه.

مجاهدٌ: هـمُ اليومَ أربعَـةٌ؛ فواحـدٌ وجهـهُ وجهُ رجـلٍ، وواحـدٌ وجهُـهُ وجهُ ثـورٍ، وواحـدٌ وجهـهُ وجهُ نَسـرٍ، وواحـدٌ وجههُ وجـهُ أسـدٍ، وكلُّ واحدٍ يشـفَعُ لِمَا يُشبِهُه(١).

وقيلَ: لكلِّ واحدٍ أربعةُ أوجُهٍ على الوصفِ المذكورِ.

ورُوْيَ أنَّه أُنشدَ بينَ يديْ رسولِ اللهِ ﷺ قولُ أميَّةَ بن أبي الصَّلْتِ:

رَجُـلٌ وثـورٌ تحـتَ رِجْـلِ يَمينِـهِ   والنَّـسْرُ للأُخْـرَى ولَيْـثٌ مُرْصَـدُ

فقالَ النبيُّ ﷺ: «صدقَ»(٢).

والفائدةُ في ذكرِ العَرْشِ عقيبَ ما تقدَّمَ: أنَّ العَرشَ بحالِهِ خلافُ السَّماءِ والأرضِ.

***

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٤٥)، وعده من العجائب، ورواه أبو جعفر ابن أبي شيبة في «العرش» (٣٨)، وعبد الله بن الإمام أحمد في «السنة» (٢١٧)، والآجري في «الشريعة» (١٠٣٤)، وابن الجوزي في «العلل» (٢٠)، عن ابن عباس بلفظ: «يحمله أربعة من الملائكة؛ ملك في صورة رجل، وملك في صورة ثور، وملك في صورة أسد، وملك في صورة نسر». قال ابن الجوزي: «هذا حديث لا يصح».

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٢٣١٤)، والدارمي في «سننه» (٢٧٤٥)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١١٥٩١)، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٤٦)، وعده من العجائب. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ١٢٧): «رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني، ورجاله ثقات إلا أن ابن إسحاق مدلس». وقال محققو «المسند»: إسناده ضعيف، محمد بن إسحاق مدلس وقد رواه بالعنعنة، والتصريح بالتحديث في بعض الروايات عند غير المصنف إنما جاء عن غير الثقات من أصحابه، ولو ثبت تصريح ابن إسحاق فلا يعتدُّ به في مثل هذا المطلب.

(١٨) ـ ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾.

﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾: روى أبو موسى الأشعريُّ رضيَ اللهُ عنهُ عن النبيِّ ﷺ أنَّهُ قالَ: «يُعرَضُ النَّاسُ يومَ القيامةِ ثلاثَ عرضاتٍ، فأمَّا عَرضتانِ فجِدالٌ ومَعاذيرُ، وأمَّا العَرضةُ الثالثةُ فعندَها تَطيرُ الصُّحُفُ في الأيدي، فآخِذٌ باليمينِ وآخِذٌ بالشِّمالِ»[1].

وليسَ يعرِضُهُم ليَعلَمَ ما لم يكُنْ عَالِمًا بِهِ، ولكنَّهُم يُعرَضُون مُبالغةً ومُظاهرةً في العَدْلِ.

وقيلَ: معنى العَرْضِ: أن يُعرَّفَ كلُّ واحدٍ ما يَستحِقُّهُ مِن ثوابٍ أو عقابٍ[2].

ابنُ بحرٍ: يُعرَضُونَ بأعمالِهِم وأقوالِهِم كما يَعرِضُ السّلطانُ جُندَهُ بأسلحتِهِم ودَوابِّهِم.

﴿لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾: مَا أَسررْتُمُوهُ أَوْ أعلنتُمُوهُ.

* * *

---

(١) رواه وكيع في «الزهد» (٣٦٦)، وعنه الإمام أحمد في «المسند» (١٩٧١٥)، ومن طريقه ابن ماجه (٤٢٧٧)، عن علي بن علي بن رفاعة، عن الحسن، عن أبي موسى رضي الله عنه مرفوعًا. ورواه الترمذي (٢٥٩٤) من طريق وكيع، عن علي بن علي بن رفاعة، عن الحسن، عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا. وقال: «ولا يصح هذا الحديث من قِبَل أن الحسن لم يسمع من أبي هريرة، وقد رواه بعضهم عن علي بن علي، وهو الرفاعي، عن الحسن، عن أبي موسى، عن النبي ﷺ، ولا يصح هذا الحديث من قبل أن الحسن لم يسمع من أبي موسى». وقال الدارقطني في «العلل» (٧/ ٢٥١): «والموقوف هو الصحيح».

(٢) في (ف): «وعقاب».

(١٩) ـ ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ﴾.

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾: هذا إخبارٌ عَنْ قولِ الفريقَيْنِ إذا وصلَ إليهِمْ كِتابُ الحفظَة ﴿فَيَقُولُ﴾ المؤمنونُ: ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ﴾: تقديره: هاؤُمْ كتابيَ واقرؤوا كتابيَ، فحُذِفَ المفعولُ الأوَّلُ لأنَّ الثانيَ يدلُّ عليهِ.

وفي (هاء) لغاتٌ؛ أحدُها: هاءَ هاؤُمَا هاؤُمْ هائِي هاؤوا هاؤُنَّ، ومِنهم مَن قالَ: هَاء هَاآ هاؤُوا هَائِي، ومنهم مَن قالَ: هاكَ هاكُمَا.

وقيلَ: معنى ﴿هَآؤُمُ﴾: تعالَوْا[1].

وقيلَ: معناهُ: يا هؤلاءِ[2]. والوجهُ هو الأوَّلُ.

والهاء في ﴿كِتَٰبِيَهْ﴾ للاستراحَةِ، وحقُّهُ الحَذْفُ في الوَصلِ، فمَنْ أثبتَهُ فلِمُوافقَةِ الإِمامِ[3]، والمعنى: يقولُ ذلكَ سُرُورًا بهِ لِمَا يَرى فيهِ مِن الخيراتِ، وأنْ لا يكونَ فيهِ ما يَفضَحُهُ.

وقيلَ: ذلك كتابٌ سِوَى كتابِ الحفظةِ فيهِ البِشارَةُ مِن اللهِ؛ لأنَّ كتابَ الحفظَةِ بينَهُ وبينَ اللهِ.

* * *

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٤٦)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٤٦)، وعده من العجائب.

(٣) قرأ يعقوب بحذف الهاء في الأربعة في الوصل، وحمزة بحذفها في الوصل في ﴿مَالِيَهْ﴾، و﴿سُلْطَٰنِيَهْ﴾، والباقون بإثباتها في الحالين. انظر: «السبعة» (ص: ١٨٨)، و«التيسير» (ص: ٢١٤)، و«النشر» (٢/ ١٤٢).

(٢٠) ـ ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ﴾.

﴿إِنِّي ظَنَنتُ﴾؛ أي: عَلِمْتُ ﴿أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ﴾؛ أي: معايِنٌ حِسابي فكنتُ أستَعِدُّ له.

قالَ الكلبيُّ والضَّحَّاكُ: نزلَتْ في أبي سَلَمة بن عبد الأسدِ[1]، فيكونُ هوَ سببَ النُّزولِ، ويَعمُّ المعنى جميعَ أهلِ الإيمانِ.

* * *

(٢١) ـ ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ﴾.

﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ﴾: أي: أنواعٍ مِن العَيْشِ مَرضيَّةٍ، وقيلَ: ذاتِ رِضًا.

وقيلَ: تامَّةٍ، كأنَّها أُعطِيَتْ حتى رَضِيَتْ فتمَّتْ[2].

الفرَّاءُ: إنما يُصرَفُ مِن لفظِ المفعولِ إلى الفاعلِ إذا كانَ مَدْحًا أو ذَمًّا[3].

وعن النبيِّ ﷺ: «أنَّهم يعيشونَ فلا يموتونَ أبدًا، ويَصِحُّون فلا يمرضونَ أبدًا، ويتنعَّمُونَ فلا يَرَوْنَ بأسًا أبدًا»[4].

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٨٣) عن الضحاك، وذكره الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ١٦٣) عن ابن عباس والكلبي ومقاتل، وذكره الفراء في «معاني القرآن» (٣/ ١٨٢) بلا نسبة. وروى ابن أبي عاصم في «الأوائل» (٨٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «أول من يعطى كتابه بيمينه أبو سلمة بن عبد الأسد قال: وهو الذي يقول: ﴿هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ﴾، قال: وكان ابن عباس يقرؤها: (كل واشرب يا أبا سلمة بما أسلفت في الأيام الخالية)، وأما الذي يعطى كتابه بشماله فأول من يعطاه أخوه سفيان بن عبد الأسد»، ورفعه الطبراني في «الأوائل» (٨٢).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٤٦)، واستغربه.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٨٢).

(٤) ذكره بهذا اللفظ الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٨٤) وكثير من كتب التفسير، ورواه مسلم =

(٢٢) ـ ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾.

﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾: عاليةِ المكانِ، وقيلَ: عاليةِ القدرِ والشَّأنِ.

و﴿فِي﴾ متعلقةٌ بالعِيشَةِ[1]، وقيلَ: خبرٌ بعدَ خبرٍ، والأوَّلُ ضَعيفٌ[2].

* * *

(٢٣) ـ ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾.

﴿قُطُوفُهَا﴾: ثمارُها، جمعُ قِطْفٍ بالكسرِ، والقَطْفُ بالفتحِ المصدَرُ، وهو أخذُ الثَّمرةِ بسرعةٍ.

﴿دَانِيَةٌ﴾: قريبةٌ تُنالُ بالأفواهِ والأيدي قِيامًا وقعودًا.

وقيلَ: دَنَتْ فلا يَرُدُّ أيديَهُم عنها بعدٌ ولا شَوكٌ.

* * *

(٢٤) ـ ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾.

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ مِن نعيمِ الجنَّةِ ﴿هَنِيئًا﴾: سَلِيمًا من الآفاتِ والمكارِهِ لا تَنْغيصَ فيها ولا تَكْديرَ لها ﴿بِمَا أَسْلَفْتُمْ﴾: بسببِ ما قدَّمْتُم مِن الخَيراتِ والطَّاعاتِ ﴿فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾: الماضيةِ في الدُّنيا، وقيلَ: بدلُ (ما أسلَفْتُم).

= (٢٨٣٧) عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة، عن النبي ﷺ بلفظ: «ينادي منادٍ: إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدًا، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدًا، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدًا، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدًا، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣]».

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٤٦)، وعده من العجائب، واستبعده لأنه قد حيل بينهما بالوصف.

(٢) في (ف): «أولى»، وانظر التعليق السابق.

وعن ابنِ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: أنَّها نزلَتْ في الصَّائمينَ خاصَّةً[١] ﴿فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾؛ أي: الجائعَةِ؛ كما تقولُ: نهارُهُ صَائِمٌ.

* * *

(٢٥ ـ ٢٦) ـ ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ﴾.

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ﴾ يقولُ ذلكَ لِمَا يَرى فيهِ مِن الفضائحِ.

وقيلَ: لم أوتَ كتابي بشِمَالي.

وقيلَ: يا ليتَنِي لم أُبعَثْ ولم أُحاسَبْ.

﴿وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ﴾: ولم أدرِ مَا جزاءُ عَملي.

وقيلَ: هو كتابُ البراءةِ مِن اللهِ تعالى.

وقيلَ: نزلَتْ في أبي جهلٍ.

وقيلَ: في الأَسودِ بن عبدِ الأسدِ[٢]، فيكونُ هو سببَ النُّزولِ، والمعنى يعمُّ جميعَ الكفَّارِ كما سبقَ.

---

(١) ذكره عن ابن عباس رضي الله عنهما الجرجاني في «درج الدرر» (٤/ ١٦٥٦)، وذكره الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ١٧٣) عن الكلبي، ورواه ابن عدي في «الكامل» (٢/ ٣١٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٩٤٩) عن عبد العزيز بن رفيع، ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٣٣١) عن الحسن بن صالح، ورواه الجرجاني في «الأمالي» (٢/ ١٢٧) عن أبي جعفر.

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٨٣) عن الضحاك، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٤٩١) عن ابن عباس رضي الله عنهما، والواحدي في «البسيط» (٢٢/ ١٦٣) عن ابن عباس والكلبي ومقاتل، وذكره الفراء في «معاني القرآن» (٣/ ١٨٢) بلا نسبة.

(٢٧) ـ ﴿يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ﴾.

﴿يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ﴾: القارعة[1] القاطِعَةَ عن الحياةِ لم أحيَ بعدَها.

قيلَ: إنَّها تعودُ إلى الشَّدائدِ التي دُفعَ إليها.

وقيلَ: تعودُ إلى الصَّيحَةِ التي بُعِثَ عندَها.

وقيلَ: كنايةٌ عن السَّاعةِ التي هو فيها؛ أي: ليتَني متُّ الآنَ.

وقيلَ: تعودُ إلى ﴿ٱلۡقَاضِيَةَ﴾؛ أي: يا ليتَ القاضِيَةَ وقعَتْ؛ يعني: الموتَ.

وقيلَ: كنايةٌ عن الحياةِ الدُّنيا؛ أي: يا ليتَها كانَتْ مَوْتًا ولم أكُنْ قطُّ حتَّى لا أرى ما أراهُ اليَوْمَ.

* * *

(٢٨) ـ ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ﴾.

﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ﴾؛ أي: ما نفَعَني مالي ولا دَفَعَ عني، يجوز أنْ يكونَ ﴿مَآ﴾ للاستفهامِ ومحلُّهُ نصبٌ، ويجوزُ أنْ يكونَ نفيًا والمفعولُ محذوفٌ؛ أي: شيئًا، والمعنى: لَمْ ينفَعْنِي ما جمعْتُهُ في الدُّنْيَا.

* * *

(٢٩) ـ ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ﴾.

﴿هَلَكَ عَنِّي﴾: ذهبَ عني ﴿سُلۡطَٰنِيَهۡ﴾: كثرةُ مالي وأسبابُ مُلكِي.

وقيلَ: سُلطاني: حجَّتِي وبُرهاني.

---

(١) في النسختين: «الفارغة»، والصواب المثبت.

واختارَ لفظَ الهلاكِ وإنْ كانَ مُستَعْملًا للأعيانِ[1]؛ لأنَّ معَ الذَّهابِ يبقى رَجاءُ العَوْدِ، ولا يبقى معَ الهَلاكِ.

وقيلَ: شَبَابي وعُمري في الدُّنْيا.

وقيلَ: زالَ عِزِّي وصرتُ ذليلًا.

* * *

(٣٠) ـ ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾.

﴿خُذُوهُ﴾ يقولُ اللهُ لخزَنةِ النَّارِ ﴿فَغُلُّوهُ﴾: اجمَعُوا يمينَهُ[2] إلى عُنقِهِ.

* * *

(٣١) ـ ﴿ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾.

﴿ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾؛ أي: أَدخِلُوهُ فيها.

وقيلَ: أوقِدُوا النَّارَ واشوُوهُ بها.

وقيلَ: اجعَلُوهُ يَصْلَى.

* * *

(٣٢) ـ ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾.

﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا﴾: طولُها ﴿سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾.

ابنُ جريجٍ: بذراعِ المَلِكِ[3].

---

(١) في (ف): «يستعمل مع الأعيان».

(٢) في (ف) وهامش (ن): «يده».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٣٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وكذا ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ٣١٢)، وقال الأزهري في «تهذيب اللغة» (١١/ ٤٤) مادة: (ج ب ر): «يقال: =

الحسنُ: اللهُ أعلَمُ بأيِّ ذِراعٍ هوَ(١).

نوف(٢): الذَّرْعُ سبعونَ باعًا، كلُّ باعٍ ما بينَ الكُوفَةِ إلى مكَّةَ أَوْ أبعَدُ(٣).

وجاءَ: لَوْ أنَّ حَلْقةً مِنها وُضِعَتْ على ذروةِ جبلٍ لذابَ كما يذوبُ الرَّصاصُ(٤).

والذَّرْعُ: طولُ يدِ الإنسانِ وانبِسَاطُها، والذَّرْعُ: المصدَرُ أيضًا.

﴿فَاسْلُكُوهُ﴾ له وجهانِ:

أحدُهما: إذا شُدَّ بها فقَد اشتملَتْ عليهِ؛ لأنَّهُ يُدْخِلُ عنقَهُ فيها ويجرُّ بهِ.

والثاني: أنه مِن بابِ القَلبِ؛ أي: فاسلُكُوها فيهِ؛ كمَا تقولُ: جعلتُ الخاتَمَ في الإِصبَعِ، والخُفَّ في الرِّجْلِ.

قالَ الضَّحَّاكُ: تدخلُ في فيهِ وتخرجُ مِن دبرِهِ(٥).

= هو كذا وكذا ذراعاً بذراع المَلِك، وأحسبه ملكاً من ملوك العجم، نسب إليه هذا الذراع»، وفي «الأصل» للشيباني (٧/ ٥٤١): «وذراع المَلِك سبع مُشْتات، وذلك سبع قبضات، وذلك يزيد على ذراع العامة قيمة قبضة».

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ٣١٣)، والواحدي في «البسيط» (٢٢/ ١٧٩)، وذكره يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٨١٥) لكن في شرح حديث: «طول آدم ستون ذراعًا».

(٢) في هامش (ن): «نوف اسم مفسر، وهو نوف البكالي».

(٣) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٢/ ٨٣)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٣٣١٦)، وهناد بن السري في «الزهد» (٢٦٩)، وابن أبي الدنيا في «صفة النار» (١٣٨)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٣٧).

(٤) ذكره مقاتل بن سليمان في «تفسيره» (٤/ ٤٢٤) من حديث علي رضي الله عنه مرفوعًا، ورواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ٣١٥) عن سويد بن يحيى يبلغ به، وذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٣٦١) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٣٩).

ابنُ بحرٍ: اجعلوا هذهِ السِّلسَلَةَ لهُ بمنزلَةِ الخَيْطِ يُسلَكُ فيهِ الخَرزُ.

وسَلَكْتُهُ وأَسْلَكْتُهُ لغتانِ، ولغةُ القرآنِ: سَلَكَ.

* * *

(٣٣) ـ ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ﴾.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ﴾؛ أي: جزاءً على كفرِهِ وبُخلِهِ، وهو قوله:

* * *

(٣٤) ـ ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾.

﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾؛ أي: لا يُطعِمُ ولا يأمرُ بهِ.

* * *

(٣٥) ـ ﴿فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ﴾.

﴿فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ﴾؛ أي: قريبٌ يغتَمُّ لِمَكروهِ قريبِهِ أو يهتمُّ، وهما بمعنى، والمعنى: لا ينتفِعُ بحميمِهِ كما كانَ ينتَفِعُ في الدُّنْيا[1].

* * *

(٣٦) ـ ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾.

﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾: الغِسْلِينُ: غُسَالَةُ ما يُغسَلُ، والمرادُ به هاهنا: ما يَسِيلُ مِن أَجسَامِ المعذَّبينَ مِن القَيْحِ والصَّدِيدِ.

الأَصمُّ: الغِسْلِينُ: الطُّحْلُبُ[2].

وقيلَ: هو شرُّ طَعامٍ وأبشَعُهُ، والنارُ دَرَكاتٌ ولكلِّ دَرَكَةٍ نوعُ طعامٍ وشَرابٍ.

---

(١) في (ف): «في طعام».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٤٧)، وعدّه من العجائب.

(٣٧) ـ ﴿لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ﴾.

﴿لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ﴾: الكافرونَ الجائرونَ عَن طريقِ الحقِّ عَمْدًا.

* * *

(٣٨ ـ ٣٩) ـ ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ۝٣٨ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾: قيلَ: (لا) صِلَةٌ.

وقيلَ: ردٌّ لإنكارِهِم القرآنَ.

وقيلَ: نفيٌ للقَسَمِ، وهوَ يَجري مجرى القَسَمِ في التَّأْكيدِ.

﴿بِمَا تُبْصِرُونَ﴾: الدُّنْيا[١]، ﴿وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾: الآخرةُ.

وقيلَ: ﴿ما تبصرون﴾: السَّماءُ والأرضُ وما فيهِما، ﴿وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾: ما وراءَهُما.

وقيلَ: ﴿ما تبصرون﴾: البرُّ، ﴿وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾: البَحرُ.

وقيلَ: ﴿ما تبصرون﴾: ما على[٢] وجهِ الأرضِ، ﴿وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾: ما في بطنِها.

ابن عباسٍ: ﴿ما تبصرون﴾: في الكعبةِ[٣]، ﴿وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾: البيتُ المعمور[٤].

وقيلَ: ﴿ما تبصرون﴾ بتبليغِ محمَّدٍ ﷺ، ﴿وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ بتبليغِ جبريلَ عليهِ السَّلامُ.

* * *

---

(١) في (ن) «في الدنيا».

(٢) «ما على»: ليس في (ف).

(٣) كذا في (ن)، وقول ابن عباس ليس في (ف)، ولعل الصواب حذف «في».

(٤) لم أقف عليه، وروى الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٤٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في الآية: «بما ترون وبما لا ترون».

(٤٠) ـ ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾.

﴿إِنَّهُۥ﴾: إنَّ القرآنَ ﴿لَقَوۡلُ رَسُولٖ﴾: إبلاغُ رسولٍ؛ يعني: محمَّدًا ﷺ، وقيلَ: وحيُ جبريلَ.

﴿كَرِيمٖ﴾ على اللهِ تعالى.

وفي لفظِ الرَّسُولِ دليلٌ على أنَّهُ يبلِّغُ عنِ اللهِ ويحكيهِ، والقولُ يقعُ على الحِكايةِ.

* * *

(٤١ ـ ٤٢) ـ ﴿وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ٤١ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾.

﴿وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖ﴾؛ أي: ليسَ بشِعْرٍ ولا كَهانَةٍ كمَا زعموا ﴿قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ٤١ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾، ﴿مَّا﴾ صِلَةٌ، و﴿قَلِيلٗا﴾ صفةُ مَصدَرٍ محذوفٍ؛ أي: تؤمنونَ إيمانًا قليلًا، مِن قولِه[1]: ﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦].

وقيلَ: القِلَّةُ عبارةٌ عن النفيِ، وقد سبقَ[2].

وقيلَ: يجوزُ أنْ يكونَ هذا نعتًا للمؤمنينَ، وأرادَ أنَّ المؤمنينَ بهِ قَليلٌ.

* * *

(٤٣) ـ ﴿تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

﴿تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾: نزلَ بهِ جبريلُ على محمَّدٍ عليهِما السَّلامُ.

* * *

---

(١) «من قوله»: ليس في (ف).

(٢) في تفسير قوله تعالى: ﴿فَقَلِيلٗا مَّا يُؤۡمِنُونَ﴾.

(٤٤) ـ ﴿وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ﴾.

﴿وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ﴾؛ أي: كَذَبَ ـ أي: الرسولُ ﷺ[1] ـ علينا، وتكلَّفَ القولَ واخترعَهُ ثم أضافَهُ إلينا.

***

(٤٥) ـ ﴿لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ﴾.

﴿لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ﴾: لانتقَمْنا منهُ بالقوَّةِ والقُدرَةِ.

وقيلَ: لسَلَبْنا مِنهُ قوَّتَهُ[2]، قالَ الشاعرُ:

إذَا مَـا رايَـةٌ رُفِعَـتْ لِمَجْـدٍ ... تَلَـقَّـاها عَرابَـةُ باليَميـنِ[3]

وقيلَ: لقطَعْنا يدَهُ اليُمنى، عن الحسنِ[4].

وقيلَ: لأذلَلْناهُ واستَخْفَفْنا بهِ[5]، كما تقولُ: خُذْ بيدِهِ وأخرِجْهُ مِن مجلِسِه.

وقيلَ: ﴿بِٱلۡيَمِينِ﴾: بالحقِّ.

وقيلَ: سَلَبْنا مِنهُ يُمْنَهُ[6].

---

(١) «أي: الرسول ﷺ»: ليس في (ف).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٤٨)، واستغربه.

(٣) البيت للشماخ. انظر: «ديوانه» (ص: ٣٣٦)، و«الطبقات الكبرى» (٤/ ٣٧٠)، و«المعارف» لابن قتيبة (١/ ٣٣٠)، و«الكامل» (١/ ١٠٨).

(٤) ذكره ابن أبي زمنين في «تفسيره» (٥/ ٣٣)، والماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٨٦)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٤٨)، وعده من العجائب.

وفي «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (ص: ١٠٠) عن الحسن: «﴿بِٱلۡيَمِينِ﴾ أي: بالميامن، ثم عاقبناه بقطع الوتين».

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٤٨)، وعده من العجائب.

(٦) في (ن): «يمينه».

(٤٦) ـ ﴿ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ﴾.

﴿ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ﴾: أمَتْناهُ وأهلَكْناهُ.

والوَتِينُ: نِياطُ القلبِ، وقيلَ: عِرقٌ في القَلبِ مُتَّصلٌ بالظَّهرِ إذا قُطِعَ ماتَ صَاحِبُهُ.

* * *

(٤٧) ـ ﴿فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ﴾.

﴿فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ﴾؛ أي: لو تقوَّلَ لأَهْلَكناهُ ولَم يَكُن مِنكُمْ مِن أحدٍ يحجُزُهُ عنِ القَطعِ وعَن عذابِ اللهِ، وجُمِعَ ﴿حَٰجِزِينَ﴾ لأنَّ ﴿أَحَدٍ﴾ للعمومِ، ومحلُّهُ جرٌّ بالصِّفةِ.

وقيلَ: نصبٌ على أنَّهُ خبرُ ﴿ما﴾، و﴿أَحَدٍ﴾ اسمُ ﴿ما﴾، و﴿مِّنۡ﴾ صِلةٌ، و﴿مِنكُم﴾: حالٌ تقدَّمَ عليهِ، والوجهُ الأوَّلُ.

* * *

(٤٨) ـ ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَذۡكِرَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ﴾.

﴿وَإِنَّهُۥ﴾: إنَّ القُرآنَ ﴿لَتَذۡكِرَةٞ﴾: تَذكيرٌ ﴿لِّلۡمُتَّقِينَ﴾، وخصَّهُم بالذِّكرِ لانتِفَاعِهِم بهِ.

* * *

(٤٩) ـ ﴿وَإِنَّا لَنَعۡلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ﴾.

﴿وَإِنَّا لَنَعۡلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ﴾ يعني: الكفَّارَ[1]، والتَّقديرُ: لَنعلَمُ أنَّ مِنكُمْ مُكذِّبينَ ومِنكُمْ مُؤمنينَ صادقينَ، فاكتفى بذكرِ أحدِهما.

وقيلَ: ﴿مِنكُم﴾: منَ المؤمنينَ، وهم قومٌ كفرُوا بعدَ إيمانِهِم.

---

(١) في (ف): «الكافرين».

(٥٠) ـ ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَسۡرَةٌ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾.

﴿وَإِنَّهُۥ﴾؛ أي: التَّكذيب، وقيلَ: القرآنَ لحسرةٌ عليهِمْ حيثُ ضيَّعُوا العملَ بهِ.

وقيلَ: وإنَّ يومَ القِيامَةِ ﴿لَحَسۡرَةٌ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾؛ فإنَّهُ يومُ الحسرةِ والنَّدامَةِ.

* * *

(٥١) ـ ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلۡيَقِينِ﴾.

﴿وَإِنَّهُۥ﴾: وإنَّ القرآنَ ﴿لَحَقُّ ٱلۡيَقِينِ﴾؛ أي: اليقينُ حقُّ اليَقينِ، كما تقولُ: هو الجَوادُ عَيْنُ الجَوَادِ.

وقيلَ: أرادَ: لحَقٌّ يَقينٌ، فأضافَ إلى وصفِهِ، وهو قولُ الفرَّاءِ.

وقيلَ: هو كقولِكَ: هو حَقُّ الشَّيءِ.

وقيلَ: ﴿إنه﴾: إنَّ التَّحسُّرَ يومَ القيامةِ لَكائِنٌ لا محالَةَ.

* * *

(٥٢) ـ ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾.

﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾: صَلِّ لهُ، ونَزِّهْهُ عمَّا لا يليقُ به، فسُبحانَ اللهِ دائمًا.

* * *

سُورَةُ المَعَارِج

أربعٌ وأربعونَ آيةً[1]، مكِّيَّةٌ بالإجماعِ.

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ﴾.

﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ﴾ نزلَتْ في النَّضْرِ بنِ الحارثِ حينَ قالَ: ﴿إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ﴾ [الأنفال: ٣٢][2].

وقيلَ: نزلَتْ في أبي جهلٍ حينَ قالَ: ﴿فَأَسۡقِطۡ عَلَيۡنَا كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الشعراء: ١٨٧][3].

وقيلَ: نزلَتْ في جماعةٍ من الكفَّارِ قالوا: ﴿رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ [ص: ١٦] استهزاءً[4].

---

(١) «أربع وأربعون آية»: ليس في (ف).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٧٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٤٥) عن عطاء والسدي، ورواه البزار في «مسنده» (٥٠٩٨)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٥٥٦)، عن ابن عباس رضي الله عنهما لكن دون قوله: «حين قال...».

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٩٠)، لكنه ذكر أنه قال: ﴿إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنفال: ٣٢].

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٣١٣)، وذكر الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٤٥) عن المفسرين: «كان المشركون يجتمعون حول النبي ﷺ يستمعون كلامه ولا ينتفعون به، بل يكذبون به ويستهزءون ويقولون: لئن دخل هؤلاء الجنة لندخلنها قبلهم، وليكونن لنا فيها =

وقيلَ: نزلَتْ في النبيِّ ﷺ حين سألَ نزولَ العذابِ عليهِمْ، والسَّائِلُ محمَّدٌ ﷺ(١).

وقيلَ: المرادُ بهِ نوحٌ عليهِ السَّلامُ حينَ سألَ العَذابَ على الكُفَّارِ(٢).

وقيلَ: نزلَتْ حينَ قالوا: متى السَّاعَةُ؟

وقيلَ: نزلَتْ حينَ سَألوا عَنْ وقتِ العذابِ.

وفيهِ قراءتانِ ﴿سَأَلَ﴾ بالهمزِ و﴿سَالَ﴾ بغيرِ همزٍ(٣)، فمَن هَمَزَ جَعلَهُ مِن (سَأَلَ يَسْأَلُ سُؤالًا) لا غيرَ، ومَن تركَ الهمزَ فلَهُ وَجهانِ:

أحدُهُما: بمعنى الهَمزِ، قالَ الشاعرُ:

سَالَتْ هُذَيلُ رَسولَ اللهِ فاحِشَةً ... ضَلَّتْ هُذَيلُ بما قالَتْ ولَم تُصِبِ(٤)

والثاني: مِن سَالَ يَسِيلُ سَيْلًا. و(السَّائِلُ) فيهما بالهمزِ.

﴿بِعَذَابٍ﴾ قيلَ: عن(٥) عذابٍ، كقوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٩]؛ أي: عنهُ، قالَ الشَّاعرُ:

= أكثر مما لهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية».

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٤٩)، واستغربه.

(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٢٧٩)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٤٩)، وعده من العجائب.

(٣) قرأ نافع وابن عامر بغير همز، والباقون بالهمز. انظر: «السبعة» (ص: ٦٥٠)، و«التيسير» (ص: ٢١٤).

(٤) البيت لحسان بن ثابت رضي الله عنه، كما في «ديوانه» (ص: ٣٩)، و«الكتاب» (٣/ ٤٦٨)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ١٨٠)، و«المقتضب» (١/ ١٦٧).

(٥) في (ن): «من».

فـإِنْ تَسـأَلُوني بالنِّسـاءِ فإنَّنـي بَصيـرٌ بـأَدْوَاءِ النِّسـاءِ طَبيـبُ(١)

وقيلَ: الباءُ صِلَةٌ، تقديرُهُ: سألَ سَائِلٌ عذابًا.

وقيلَ: ﴿سَأَلَ﴾ بمعنى: دَعا؛ أي: دعا اللهَ بهذا.

وقيلَ: ﴿سَأَلَ﴾ بمعنى: طَلَبَ، وقيلَ: بمعنى نادى.

ومَن جَعلهُ مِن السَّيْلِ فالباءُ مُتَّصِلٌ بهِ، والسَّائِلُ هوَ السَّيْلُ، وقيلَ: السَّائِلُ: وادٍ في جهَنَّم؛ أي: سالَ الوادي بالعَذابِ.

﴿وَاقِعٍ﴾: نازلٍ.

* * *

(٢) ـ ﴿لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ﴾.

﴿لِّلْكَٰفِرِينَ﴾: قيلَ: اللَّامُ لامُ الاسْتحقاقِ مُتَّصِلٌ بالعذابِ؛ أي: عذابٍ يستَحِقُّهُ الكفَّارُ، وقيلَ: مُتَّصلٌ بـ﴿وَاقِعٍ﴾؛ أي: يقعُ لهم وينزِلُ بهم.

وقيلَ: بمعنى: على؛ أي: يقَعُ عليهِمْ ويحلُّ بهم(٢).

وقيلَ: سائِلٌ للكفَّارِ.

وقيلَ: بمعنى: مِن؛ أي: سائلٌ مِن الكفَّارِ(٣).

---

(١) لعلقمة بن عبدة بن النعمان بن قيس التميمي. انظر: «المفضليات» (ص: ٣٩٢)، و«غريب الحديث» لأبي عبيد (٢/ ٤٤)، و«البيان والتبيين» (٣/ ٢١٦)، و«الشعر والشعراء» (١/ ٢١٣).

(٢) قال المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٥٠): «العجيب: قول من قال: «اللام بمعنى: عن، والتقدير (ليس يقع عنهم) بعيد؛ لأن اللفظ لا ينبىء عنه، وإن جعل بمعنى: عن، ووصل بدافع صح؛ أي: ليس يدفع عن الكافرين».

(٣) والقولان الأخيران فيمن جعله من السَّيل.

﴿لَيۡسَ لَهُۥ﴾: لذلكَ العذابِ[١] ﴿دَافِعٞ﴾: مانِعٌ ورادٌّ.

***

(٣) - ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ﴾.

﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾: قيلَ: ﴿مِّنَ﴾ متعلِّقٌ بـ﴿وَاقِعٖ﴾؛ أي: يقَعُ مِن أمرِ اللهِ.

وقيلَ: متعلِّقٌ بـ﴿دَافِعٞ﴾؛ أي: يدفَعُه مِن اللهِ.

﴿ذِي ٱلۡمَعَارِجِ﴾: صِفةٌ لـ﴿ٱللَّهِ﴾، و(المعارجُ): جمعُ مَعْرَجٍ، وهو يصلُحُ للمصدَرِ وجُمعَ لاختلافِ ذلك؛ فإنَّ الملائكةَ تعرجُ والكَلِمُ الطيِّبُ تعرجُ ورسلُ اللهِ تعرجُ، ويَصلُحُ لموضعِ العُروجِ، وإليهِ ذهبَ الحسنُ ومجاهدٌ[٢].

وعلى هذا يجوزُ أن يكونَ الواحِدُ «مِعرَجًا» بكسرِ الميمِ؛ أي: معارِجِ الملائكةِ، ويصلُحُ لِمَوضعِ العُروجِ إليه، فقيلَ: هي السَّماواتُ، وقيلَ: الدَّرجاتُ دَرَجاتُ أهلِ الجنَّةِ ومنازِلُهم.

ابنُ عباسٍ: هي الفواضِلُ والنِّعمُ يُؤْتيها اللهُ المؤمنينَ[٣].

***

---

(١) في (ف): «العقاب».

(٢) روى الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٥٠)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٥٦٦) عن مجاهد أنه قال في الآية: «معارج السماء»، وذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٣٦٥) عن الحسن قوله: «هي المراقي إلى السماء».

(٣) رواه هكذا الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٥٠) عن قتادة، أما قول ابن عباس فرواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٥٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٧٣) بلفظ: «العلو والفواضل».

(٤) ـ ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾.

﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: تصعَدُ الملائكةُ.

﴿وَٱلرُّوحُ﴾ قيلَ: هو جبريلُ، خُصَّ بالذكرِ بعدَ العمومِ تَشريفًا له.

وقيلَ: هو أرواحُ المؤمنينَ عند الموتِ.

وقيلَ: هم قومٌ موكَّلونَ على الملائكةِ.

وقيلَ: هُم قومٌ يُشبِهونَ الإنسَ وليسُوا بهم.

﴿إِلَيْهِ﴾: إلى محلِّ الكرامةِ والزُّلفَى، وقيلَ: إلى حيثُ لا يكونُ لغيرِ اللهِ فيه حَلٌّ ولا عَقْدٌ ولا أمرٌ ولا نهيٌ.

﴿فِى يَوْمٍ﴾: مِن صلةِ ﴿وَاقِعٍ﴾؛ أي: يقعُ في يومٍ.

وقيلَ: مِن صلة ﴿تَعْرُجُ﴾، وهو أظهرُ.

﴿كَانَ مِقْدَارُهُۥ﴾: مقدارُ اليومِ ﴿خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾؛ أي: مِن سِنيْ الدُّنيا؛ يعني: يومَ القيامةِ، وجاءَ مرفوعًا أنه قيلَ لِرسولِ اللهِ ﷺ: يومٌ كان مقدارهُ خمسينَ ألفَ سنةٍ، مَا أطولَ هذا! فقالَ النبيُّ عليه السَّلامُ: «والذي نفسي بِيَدِه، إنَّه لَيُخفَّفُ على المؤمنينَ حتى يكونَ أخفَّ عليهِ مِن صَلاةٍ مَكتوبَةٍ يصلِّيها في الدُّنيا»[1].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١١٧١٧)، وأبو يعلى في «مسنده» (١٣٩٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٣٣٤)، من طريق ابنِ لَهِيعَةَ، عن دَرَّاجٍ، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً، وابن لهيعة ضعيف، وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٩/ ٤٠٤): «ودراج أبو السمح وشيخه أبو الهيثم سليمان بن عمرو العتواري ضعيفان»، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٣٧): «رواه أحمد وأبو يعلى، وإسناده حسن على ضعف في راويه»، وحسَّن إسناده ابن حجر في «فتح الباري» (١١/ ٤٤٨).

وله شاهد رواه أبو يعلى في «مسنده» (٦٠٢٥) وابن حبان في «صحيحه» (٧٣٣٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وسُئلَ ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما عن هذهِ الآيةِ وعن قولِه: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ﴾ [الحج: ٤٧] فقال: هما يومانِ ذكرَهُما اللهُ تعالى في كتابِه، وأكرَهُ أنْ أقولَ في كتابِ اللهِ مَا لا أعلَمُ[١].

وذهبَ جماعةٌ من المفسِّرينَ إلى أنَّ المعنى: أنَّ اللهَ يُفعَلُ[٢] فيهِ مِن محاسبَةِ العبادِ، ومِن الحكمِ بينَهُم، وتصييرِ أهلِ النَّارِ إلى النَّارِ وعقابِها، وتصييرِ[٣] أهلَ الجنَّةِ إلى الجنَّةِ ومنازِلِها= ما لا يكونُ في الدُّنيا إلا خمسينَ ألفَ سَنةٍ[٤].

وذهبَ جماعةٌ إلى أن المَلَكَ يصعَدُ في يومٍ مِن أيامِ الدُّنيا ما لو صعدَ فيهِ آدميٌّ لصعدَ في خمسينَ ألفَ سنةٍ، وذلك أنه يصعَدُ مِن منتهَى أسفلِ الأرضِ السَّابعةِ إلى ما فوقَ السَّماءِ السَّابعةِ إلى العرشِ، وقولُه: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [السجدة: ٥] إنَّما هو قَدْرُ مَسيرِهِم من السَّماءِ الدُّنيا إلى وجهِ الأرضِ مسيرةَ خمسِ مئةِ عامٍ هُبوطًا ومثلِهِ صُعودًا.

وقيلَ: لو تولَّى حسابَ العِبادِ غيرُ اللهِ لفرغَ مِنها[٥] في خمسينَ ألفَ سنةٍ.

وعن عكرمةَ وغيرِه: أنَّ اليومَ في الآيةِ عِبارةٌ عَن أولِ أيامِ الدُّنيا إلى انقضائها[٦]، وأنَّها خمسونَ ألفَ سنةٍ لا يَدري أحدٌ كم مضى وكمْ بقيَ إلا اللهُ[٧].

---

(١) رواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ٣٧٦)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٥٤)، والحاكم في «المستدرك» (٣٨٠٣).

(٢) في (ن): «يصير»، والمثبت من (ف)، وهو الموافق لما في المصدر.

(٣) في (ن): «ويصير» في الموضعين.

(٤) انظر: «درة التنزيل وغرة التأويل» للإسكافي (ص: ١٠٦٣).

(٥) كذا في النسختين، والظاهر: «لفرغ منه».

(٦) في (ن): «إلى انقضاء الدنيا».

(٧) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٣٢١)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٥٣)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٥١)، وعده من العجائب.

وقال بعضُهم: لا يمتَنِعُ أنْ يختلِفَ تقديرُ السَّنَةِ في الإضافةِ إلى أصنافِ خَلقِ اللهِ، فقَد نجِدُ المَنَّ(١) يختلِفُ حكمُهُ(٢) في تقديرِ قومٍ وقومٍ؛ فإنَّهُ مئتانِ وستُّونَ دِرْهمًا في تقديرِ قومٍ، وأربعُ مئةٍ في تقديرِ قومٍ، وستُّ مئةٍ في تقديرِ قومٍ، وذُكِرَ عن أهلِ الصِّينِ أنَّهُم يعدُّونَ كلَّ فصلٍ مِن الفصولِ الأربعةِ سنةً بانفرادِها(٣).

وذهبَ بعضُهُم إلى أنَّهُ خمسونَ مَوطِنًا، يبقى الخلقُ في كلِّ موطنٍ ألفَ سنةٍ.

وذهبَ بعضُهُم: إلى أنَّ أسماءَهُ في القرآنِ خمسونَ كالحاقَّةِ والقارعَةِ ويومِ التغابُنِ ويومِ التَّنادِ ويومِ الخروجِ ويومِ الوعيدِ إلى تمامِ خمسينَ اسمًا، وأنَّ كلَّ اسمٍ يُبنى عن معنًى يقَعُ في ألفِ سنةٍ(٤).

وذهب بعضُهُم إلى أنَّ المرادَ: شِدَّةُ أمرِ القيامةِ واستطالَةُ أهلِهِ إيَّاهُ كالعادةِ في استطالَةِ أيَّامِ الشِّدَّةِ واستقصارِ زمانِ(٥) الرَّخاءِ والنِّعمةِ، وهو في أشعارِ العربِ والعجمِ أكثرُ مِن أنْ يُذكَرَ، وهذا أظهَرُ ما قيلَ في الآيةِ؛ للخبَرِ الذي تقدَّمَ ذِكرُهُ، واللهُ أعلَمُ.

* * *

(٥) ـ ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾.

﴿فَاصْبِرْ﴾ على تكذيبِهِم إيَّاكَ ﴿صَبْرًا جَمِيلًا﴾: لا جزعَ فيهِ، وهذا قبلَ أن أُمِرَ بالقتالِ فنُسِخَ(٦).

---

(١) مكيال معروف أو ميزان. انظر: «تاج العروس» (٣٦/ ١٩٧).

(٢) «حكمه»: ليس في (ف).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٥١)، واستغربه.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٥١)، وعده من العجائب.

(٥) في (ف): «واستقصاء أيام».

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٥٥) عن ابن زيد، وقال الطبري: «لا وجه له»، وذكره النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٧٤٩).

وقيلَ: غيرُ منسوخٍ؛ فإنَّ الصَّبرَ الجميلَ: الانتظارُ مِن غيرِ استعجالٍ.

وقيلَ: الصَّبرُ: حبسُ النَّفسِ على ما تكرَهُهُ.

* * *

(٦ ـ ٧) ـ ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾.

﴿إِنَّهُمْ﴾: إنَّ الكفارَ ﴿يَرَوْنَهُۥ﴾؛ أيْ: العذابَ، وقيلَ: اليومَ المذكورَ ﴿بَعِيدًا﴾: مُستحيلًا لا يكونُ ﴿وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾: كائنًا لا محالةَ؛ لأنَّ ما هوَ آتٍ قريبٌ، والرُّؤيَةُ بمعنى العِلمِ، وقيلَ: يظنُّونَهُ بعيدًا ونعلَمُه قريبًا.

* * *

(٨) ـ ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ﴾.

﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ﴾: مِن صلةِ ﴿وَاقِعٍ﴾، والمهلُ: هو المذابُ في مَهَلٍ كالذَّهبِ والفِضَّةِ والصُّفرِ والنحاسِ[1] وسائرِ الفِلزَّاتِ.

وقيلَ: هو درديُّ الزيتِ وعكرُهُ، ويقويهِ قوله: ﴿كَٱلدِّهَانِ﴾ [الرحمن: ٣٧] فيمَن حملَهُ على الدُّهنِ.

ابنُ بحرٍ: وقعَ التشبيهُ[2] على الذَّوْبِ كقوله تعالى: ﴿تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا﴾ [الطور: ٩]، والمَوْرُ والسَّيَلانُ والذَّوْبُ واحدٌ.

ابن مجاهدٍ: كقيحٍ مِن دمٍ[3].

---

(١) «والنحاس» من (ف).

(٢) في (ن): «الشبه».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٤٨) عن مجاهد، وذكره يحيى بن سلام في «تفسيره» (١/ ١٨٣) عن ابن مجاهد عن أبيه.

(٩) - ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾.

﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾: كالصُّوفِ المَندوفِ؛ لخفَّةِ سيرِها، وأنَّها تَلينُ بعدَ الشِّدَّةِ، وتتفرَّقُ بعدَ الاجتماعِ.

* * *

(١٠) - ﴿وَلَا يَسْئَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾.

﴿وَلَا يَسْئَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾: لا يَسألُ قَريبٌ عنْ حالِ قَريبِهِ لاشتغالِهِ بنَفسِهِ.

وقيلَ: لا يسألُهُ لبَذْلِ[1] طاعتِهِ ولا لتحمُّلِ معصيتِهِ.

وقرئ ﴿ولا يُسْأَلُ﴾ بضمِّ الياءِ[2]؛ أي: لا يُسألُ قرابةٌ عن قَرابتِهِ، والمعنى: لا يُؤخَذُ أحدٌ بذنبِ غيرِهِ.

* * *

(١١ - ١٤) - ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾.

﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾: أي: يُعَرَّفُ بعضُهُم بعضًا، قيلَ: ببياضِ الوُجوهِ وسَوادِها، والواوُ ضَميرُ الحَميمِ الأوَّلِ، و(هُمْ) ضَميرُ الحَميمِ الثَّاني، وجُمع لأنَّ (فَعِيلًا) يقعُ موقِعَ الجَمعِ، وأصلُه: يُبَصَّرُونَ بهِم، فحُذِفَ الجارُّ.

وقيلَ: لا تعلُّقَ له بالأوَّلِ، والمعنى: يُبَصَّرُ الكافرونَ مَن أضلُّوهُم، ويُبَصَّرُ المقتولُ قاتِلَهُ، والمظلومُ مَن ظلَمَهُ.

وقيلَ: يُبَصَّرُ الإنسُ الملائكةَ.

---

(١) في (ن): «لبدَل» وهكذا ضبطت.

(٢) هي قراءة أبي جعفر، ورواية عن البزي. انظر: «السبعة» (ص: ٦٥٠)، و«النشر» (٢/ ٣٩٠).

﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ﴾: بولدِهِ وهُم أعزُّ الخلقِ إليهِ ﴿وَصَـٰحِبَتِهِۦ﴾: زوجَتِه وسَكَنِه ﴿وَأَخِيهِ﴾: الذي كانَ لهُ ناصرًا ومعينًا.

ويحتَمِلُ أنَّ قولَهُ: ﴿وَأَخِيهِ﴾: جمعُ أخٍ، فقَدْ جُمِعَ (أخٌ) و(أبٌ) جمعَ السَّلامةِ(١).

وقيلَ: أخيه لأمِّهِ وأبيهِ.

﴿وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ﴾: وقبيلَتِه التي تضمُّهُ لقَرابَتِهِ، وقيلَ: يأوي إليْهَا عندَ الخوفِ.

الفرَّاءُ: الفَصيلَةُ أقرَبُ آبائِهِ الذي ينتَمِي إليهِم(٢).

وقيلَ: أمُّه التي تربِّيهِ. رواهُ الماورديُّ لمالكٍ(٣).

﴿وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ من الإنسِ ﴿ثُمَّ يُنجِيهِ﴾ ذلكَ الافتِداءُ.

والمعنى: يوَدُّ لو يَفتَدِي بجميعِ الخَلائقِ فيدخلونَ النَّارَ مكانَهُ.

* * *

(١٥) ـ ﴿كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ﴾.

﴿كَلَّآ﴾: أي: لا يُنجيهِ ذلكَ الافتداءُ، وقيلَ: رَدعٌ وزَجرٌ، وقيلَ: معناهُ: حقٌّ.

﴿إِنَّهَا لَظَىٰ﴾ الهاءُ كنايةٌ عن القصَّةِ والشَّأنِ.

وقيلَ: كنايةٌ عن النَّارِ.

وقيل: كناية عن ﴿لَظَىٰ﴾، و﴿لَظَىٰ﴾ بدلٌ منه.

و﴿لَظَىٰ﴾: اسمٌ لجهنَّم، ولهذا لا ينصرِفُ.

---

(١) انظر: «الكتاب» (٣/ ٤٠٥).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٨٣). في (ف): «ينتهي إليهم»، والمثبت موافق للمصدر.

(٣) كذا في النسختين، وينبغي أن تكون العبارة: «ذكره الماوردي عن مالك» انظر: «النكت والعيون» (٦/ ٩٢)، وذكره ابن العربي في «أحكام القرآن» (٤/ ٣٠٨) عن الإمام مالك من طريق أشهب، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٥١)، واستغربه.

وقيلَ: اسمُ الدَّرَكَة الثَّانيةِ.

الخليل: اللَّظى: اللَّهَبُ الخالِصُ[١].

وقيلَ: مشتقٌّ مِن اللزومِ، وأصلهُ: (لظَظٌ) من الإِلْظَاظِ، قُلِبَ ياءً.

***

(١٦) ـ ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾.

﴿نزاعةٌ﴾: تَنزِعُ وتقطَعُ وتكشطُ ﴿لِّلشَّوَىٰ﴾ قيلَ: لأطرافِ الإنسانِ كاليدَيْنِ والرِّجلَيْنِ، وقيلَ: ما لَم يكُنْ مَقتلًا، من قولِهم: رَماهُ فأشوَاهُ.

وقيلَ: جِلدَةُ الرَّأسِ، وقيلَ: أمُّ الدِّماغِ. الحسنُ: مكارِمُ الوَجهِ.

وقيلَ: العَصَبُ والعَقِبُ، وقيلَ: الجلدُ واللَّحمُ.

أي: يُفصَلُ الأعضاءُ بعضُها مِن بعضٍ، ثم يعودُ إلى ما كانَ.

ويحتمِلُ: تنزِعُ الكفَّارَ لتَشويهِهم، واللَّامُ للعلَّةِ.

و﴿نزاعةٌ﴾: رفعٌ بالخبرِ، أو بالخبرِ بعدَ الخبرِ، أو بخبرِ المبتدأ، أو بخبرِ مُبتدأٍ محذوفٍ.

ومَن نصبَ[٢] فعلى الحالِ؛ كقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا﴾ [البقرة: ٩١]، أو كقوله: ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا﴾ [المدثر: ٣٥ ـ ٣٦].

***

(١٧) ـ ﴿تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ﴾.

﴿تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ﴾؛ أي: تَدعو النارُ الكافرَ والمنافقَ فتقولُ: إليَّ إليَّ أيُّها الكافِرُ أيُّها المنافِقُ.

---

(١) انظر: «العين» (٨/ ١٦٩).

(٢) قراءة حفص والباقون بالرفع. انظر: «السبعة» (ص: ٦٥٠)، و«التيسير» (ص: ٢١٤).

ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: تدعوهُم بأسمائِهِم بلسانٍ فصيحٍ ثم تلتَقِطُهم كما تلتقِطُ الطَّيْرُ الحَبَّ[1].

وقيلَ: الدعاءُ عبارةٌ عَن مَصيرِهِم إليها.

وقيلَ: تدعو الخَزَنَةُ، فجعلَ ذلك كأنَّهُ مِنها. ﴿مَنْ أَدْبَرَ﴾؛ أيْ: عن الإيمانِ والطَّاعةِ ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ عنِ الحقِّ، وقيلَ: أعرضَ عن الإيمانِ ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ إلى الكُفرِ.

المبردُ: ﴿تَدْعُوا﴾؛ أي: تعذِّبُ[2]، يقالُ: دعاهُ الله[3]؛ أي: عذَّبهُ.

***

(١٨) ـ ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ﴾.

﴿وَجَمَعَ﴾ المالَ عن غيرِ حِلِّهِ ﴿فَأَوْعَىٰ﴾: جعلَهُ في الوعاءِ والكنوزِ، ولم يؤدِّ حقَّ اللهِ تعالى مِنهُ.

***

(١٩ ـ ٢١) ـ ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾.

﴿إِنَّ الْإِنسَانَ﴾ اسمُ الجنسِ ﴿خُلِقَ هَلُوعًا﴾: ضَجورًا بخيلًا مَنُوعًا فَزِعًا جَزِعًا.

مجاهدٌ في جماعةٍ: معنى الهَلوعِ ما فسَّرَهُ اللهُ به[4]، وهوَ قوله: ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ﴾: الضرُّ والفقرُ ﴿جَزُوعًا﴾: جَزِعُ ولم يصبِرْ، ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ﴾: السَّعَةُ والغنى ﴿مَنُوعًا﴾: منعَ حقَّ الفُقراءِ.

---

(١) ذكره أبو عبيد الهروي في «الغريبين» (٢/ ٦٣٧)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ٣٥٤).

(٢) ذكره أبو عبيد الهروي في «الغريبين» (٢/ ٦٣٦).

(٣) لفظ الجلالة: «الله» من (ف).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٦١٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وكذا ذكره الماوردي عنه في «النكت والعيون» (٦/ ٩٤)، وذكر عن مجاهد أنه الشديد الجزع.

وأصلُ الكلمةِ: السُّرعَةُ، تقول: نَعَامَةٌ هالِعَةٌ؛ أي: مُسرِعَةٌ، وناقةٌ هِلْواعٌ؛ أي: مُسرِعَةٌ أيضًا. وهذهِ الأوصافُ طبائِعُ لها كالشَّهوَةِ، وقيلَ: حالاتٌ تصيرُ إليها؛ كقولِهم: معهُ صقرٌ صائدًا بهِ غدًا.

***

(٢٢) ـ ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ﴾.

﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ﴾: في الاسْتِثناءِ ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: مِن قوله: ﴿تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ... إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ﴾.

والثاني: أنَّه منقَطِعٌ؛ أي: لكنَّ المصلينَ[1].

والثالث: مِن قوله: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾.

مقاتلٌ: الهَلُوعُ دابَّةٌ من وراءِ جبلِ قافٍ، تأكلُ كلَّ يومٍ سبعَ صحارى مِن الحَشيشِ، وتشربُ سبعَ بحارٍ مِن ماءٍ، لا تصبِرُ مع الحرِّ ولا معَ البردِ، تُفكِّرُ[2] كلَّ ليلةٍ ماذا تأكلُ غدًا، فشبَّهَ اللهُ الإنسانَ بها[3].

***

(٢٣) ـ ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾.

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ﴾؛ أي: الصلواتِ الخَمسِ ﴿دَآئِمُونَ﴾: مُداوِمُونَ لا يشغَلُهُم عنها شاغِلٌ.

وقيلَ: ﴿دَآئِمُونَ﴾: خاشِعونَ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٥٣)، واستغربه. وعادة ما تُقدَّر في الاستثناء المنقطع (الكنْ) وليس (لكنّ).

(٢) في (ف): «تتفكر».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٥٢)، وعده من العجائب.

وقيلَ: لا يُزيلونَ وجوهَهُمْ عن سَمْتِ القِبلَةِ.

وأصلهُ: السُّكونُ، ومنه: (نَهى عن البولِ في الماءِ الدَّائِمِ)[1]؛ أي: السَّاكنِ.

* * *

(٢٤) ـ ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾.

﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾: معيَّنٌ؛ يعني: الزَّكاةَ.

وقيلَ: الصَّدقةُ وسائرُ أبوابِ البرِّ سِوى الزَّكاةِ.

* * *

(٢٥) ـ ﴿لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾.

﴿لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾: قد سبقَ في (الذَّارياتِ).

* * *

(٢٦) ـ ﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾.

﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾؛ أي: يُصدِّقونَ الأنبياءَ بسببِ إيمانِهم ﴿بِيَوْمِ الدِّينِ﴾: الجزاءِ والحسابِ، وهو يومُ القيامةِ.

وقيلَ: التَّصديقُ به: العملُ بالطَّاعاتِ.

* * *

(٢٧) ـ ﴿وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾: خائفونَ وَجِلُونَ.

---

(١) رواه البخاري (٢٣٩)، ومسلم (٢٨٢)، عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «لا يبولن أحدكم في الماء الدائم الذي لا يجري، ثم يغتسل فيه».

الحسنُ: يُشفِقُ المؤمِنُ أنْ لا تُقبَلَ حسناتُه[١].

***

(٢٨) ـ ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾.

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾: أنْ ينالَ مَن عَصاهُ.

***

(٢٩) ـ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾؛ أي: يَعِفُّونَ عمَّا حُرِّمَ عليهِم.

الحسنُ: ﴿لِفُرُوجِهِمْ﴾: لثيابِهِم ﴿حَافِظُونَ﴾، فلا يَكشِفُونَها على مُحَرَّمٍ[٢].

***

(٣٠) ـ ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾.

﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ يعني: الجواري، و﴿مَا﴾ بمعنى: مَن.

وقيلَ: ﴿مَا﴾ للمصدَرِ؛ أي: أو مِلْكِ يمينِهِم.

و﴿عَلَىٰ﴾ بمعنى: عَن، كقولِ الشَّاعرِ:

إذا رَضِيَتْ عَلَيَّ بنو قُشَيرٍ ... لَعَمْرُ اللهِ أعجَبَني رِضاها[٣]

وقيلَ: محمولٌ على المعنى؛ أي: يلامونَ على ذلكَ إلَّا على أزواجِهِم وإمائِهِم.

---

(١) انظر: «البسيط» للواحدي (١٦/ ٨) فقد ذكر نحوه عن الحسن في تفسير ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠].

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٥٣)، وعده من العجائب.

(٣) البيت لقُحَيف العُقَيلي في «النوادر» لأبي زيد (ص: ٤٨١)، و«أدب الكاتب» (ص: ٥٠٧)، و«المنتخب من كلام العرب» لكراع النمل (ص: ٦١١).

والفَرجُ عندَ العربِ: جميعُ ما بينَ الفَخِذيْنِ.

﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾: على تَركِ الحِفظِ.

* * *

(٣١) - ﴿فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾.

﴿فَمَنِ ابْتَغَى﴾: طلبَ مَنْكَحًا ﴿وَرَاءَ ذَلِكَ﴾: سِوى الزَّوجَةِ والجاريةِ، ومعنى ﴿وَرَاءَ ذَلِكَ﴾؛ أي: الخارجَ عن الحدِّ المذكورِ، ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾: المجاوِزُوْنَ مِن الحلالِ إلى الحرامِ.

* * *

(٣٢) - ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ﴾؛ أي: ما ائتمنَهُمُ اللهُ تعالى عليهِ وعاهَدَهُم بهِ مِن أحكامِ الشَّرعِ ظاهرًا وباطنًا، ولِأَماناتِهِم وعُهودِهِم فيمَا بينَهُم ﴿رَاعُونَ﴾: حافظونَ غيرُ خائنينَ ولا ناقضينَ.

وقيلَ: الأماناتُ[1] ما تدلُّ عليهِ العقولُ، والعَهْدُ ما أتى بهِ الرَّسولُ.

* * *

(٣٣) - ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ﴾؛ أي: بقولِ: لا إله إلا الله.

والجمهورُ على أنَّ المعنى: يُقيمُونَ على ما استُشْهِدُوا عليهِ عندَ الحُكَّامِ مِن غيرِ مَيلٍ إلى قريبٍ وبعيدٍ ووضيعٍ وشَريفٍ.

---

(١) في (ف): «الأمانة».

(٣٤) ـ ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾.

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾: كرَّرَ ذِكرَ الصَّلاةِ تأكيدًا لها.

وقيلَ: أحدُها للفرضِ والثَّانيةُ للنَّفلِ.

***

(٣٥) ـ ﴿أُولَٰئِكَ فِي جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ﴾.

﴿أُولَٰئِكَ﴾؛ أي: أهلُ هذهِ الصِّفاتِ ﴿فِي جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ﴾ بثوابِ اللهِ فيها.

***

(٣٦) ـ ﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ﴾.

﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ﴾: نحوكَ ﴿مُهْطِعِينَ﴾: مُسرِعينَ، والإِهْطَاعُ: الإِسْرَاعُ.

الحسنُ: إنَّما أنكرَ عليهم الإِسراعَ قِبَلَهُ لأنَّهم أسرَعُوا ليأخذوا الحديثَ مِنهُ، ثمَّ يتفرَّقوا ﴿عِزِينَ﴾ بالتَّكذيبِ عليهِ يأخذونَ يمينًا وشمالًا[1].

وقيلَ: ﴿مُهْطِعِينَ﴾: ناظرينَ إليكَ ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ﴾: غيرَ مُطرِقينَ.

وقيلَ: ﴿مُهْطِعِينَ﴾: مُشْرَئِبِّينَ إليكَ.

وقيلَ: مُقْبِلينَ بأبصارِهِم إليكَ لا يُزِيلُونَها ينظرونَ إليكَ نظرَ عَداوَةٍ؛ لأنَّهم كانوا كفَّارًا.

والآيةُ نزلَتْ في المُستَهزِئينَ مِنهُم.

وقيلَ: في المنافقينَ، كانوا يجتَمِعُونَ إليهِ ويُسارِعُونَ في الكُفْرِ.

---

(١) لم أقف عليه هكذا، وروى ابن وهب في «جامعه» (٣٢١) عن الحسن في هذه الآية: ﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ﴾: منطلقين ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾ قال: متفرقين.

وقال بعضُ المتأخِّرين: الظاهرُ أنَّها نزلَتْ في نَفَرٍ مِن الكُفَّارِ قَبِلَتْ نُفوسُهُم صِدْقَ النبيِّ ﷺ، وكانوا يُسرِعُونَ نحوَهُ ويَقصِدُونَ مَجلِسَهُ ويَتحلَّقونَ حَوالَيْهِ ولا يُؤمِنونَ بهِ؛ إمَّا حياءً عنِ الرُّجوعِ عن دينِ آبائهم، وإمَّا مساعدةً لعَشائِرِهم، وكانوا يَطمَعونَ في دُخولِ الجنَّةِ بالعُذرِ الذي كانَ مِنهُم.

***

(٣٧) ـ ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ﴾.

قوله: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ﴾؛ أي: عنْ يمينِ النبيِّ ﷺ وشمالِهِ ﴿عِزِينَ﴾: جماعاتٍ حَلَقًا حَلَقًا[1]، وأصلُهُ مِن: عَزَاهُ يَعْزُوهُ؛ أي: أضافَهُ إلى غيرِهِ، وأصلُهُ: عِزْوَةٌ[2]، جُمِعَ جَمْعَ السَّلامةِ للجَبْرِ[3].

و﴿مُهْطِعِينَ﴾ حالٌ، والعاملُ فيه اللَّامُ. و﴿عِزِينَ﴾ حالٌ، والعامِلُ فيهِ الإِهْطَاعُ، وقيلَ: بدلٌ مِن الأولِ، وقيلَ: صِفةٌ للأَوَّلِ، وفيهِ ضَعفٌ. وقيلَ: ﴿قِبَلَكَ﴾ حالٌ.

***

(٣٨) ـ ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾.

﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾: مَن حملَهُ على الكُفَّارِ قالَ: كانوا يقولونَ: لَئِنْ كانَ مَا يقولُ محمَّدٌ وأصحابُهُ حقًّا لَنحنُ أفضلُ فيهَا حظًّا مِنهُم كما لنا الفَضلُ عليهِم في الدُّنيا، ومَن حملَهُ على المنافقينَ فلِأنَّهم زَعموا أنَّهُم مؤمنونَ يَرجُونَ مَا يرجُو المؤمنونَ، ومَن حملَهُ على القَولِ الآخِرِ فقد سبقَ.

---

(١) جمع (حَلْقة) بسكون اللام.

(٢) أي: ﴿عِزِينَ﴾ جمع عِزَةٍ، وعزةٌ أصلها: عِزْوة. انظر: «الكشاف» (٤/ ٦١٤).

(٣) في (ن): «للخبر». وانظر: «سفر السعادة» للسخاوي (١/ ٣٣٥).

(٣٩) ـ ﴿كَلَّآۖ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّمَّا يَعۡلَمُونَ﴾.

﴿كَلَّآ﴾: رَدْعٌ وزَجْرٌ، وقيلَ: تأكيدٌ.

﴿إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّمَّا يَعۡلَمُونَ﴾؛ أي: مِن التُّرابِ، وقيلَ: مِن منيٍّ قَذرٍ.

قتادةُ: خُلقتَ يا ابنَ آدمَ من قذرٍ فاتَّقِ اللهَ[١].

وقيلَ: تقديرُهُ: مِن أجلِ ما يَعلمونَ، وهوَ المجازاةُ على الأَعمالِ إساءةً وإحسانًا، فحُذِفَ (أَجْل).

وقيلَ: ﴿ما﴾: بمعنى: مَن؛ أي: ﴿مِن﴾ مَن ﴿يَعۡلَمُونَ﴾؛ أي: مِن العُقَلاء، لا مِن البَهائِمِ والجمادِ.

وقيلَ: ﴿خَلَقۡنَٰهُم﴾ مِن نُطفَةٍ، فهَلْ يَستَوْجِبونَ على اللهِ شيئًا مِن غيرِ طاعةٍ؟

وقيلَ: ﴿خَلَقۡنَٰهُم مِّمَّا يَعۡلَمُونَ﴾ فلِمَ يتجبَّرونَ ويتكبَّرونَ[٢]؟

وقيلَ: تمَّ الكلامُ على قولِه: ﴿كَلَّآ﴾، ثمَّ ذَكَرَ إنكارَهُم البَعثَ، وقدرَتَهُ على الإعادةِ فقال: ﴿إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّمَّا يَعۡلَمُونَ﴾.

ويحتَمِلُ ـ واللهُ أعلمُ ـ أنَّ ﴿ما﴾ بمعنى: مَن، كمَا قد قيلَ في الآيةِ وفي غيرِها، ويكونُ المرادُ بِهِ آدمَ عليهِ السَّلامُ[٣]، والمعنى: أَيطْمَعُ هؤلاءِ معَ كُفرِهِم ومَعاصِيهِم أنْ يَدخُلوا الجنَّة وقد أَخرَجْنا أباهُم مِنها بمَعصِيَةٍ واحِدَةٍ؟ كلَّا، لا تطمَعُوا فيهَا، والعِلمُ عندَ اللهِ.

***

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٣٣٢)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٨٢).

(٢) في (ن): «فلا يتجبرون ولا يتكبرون».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٥٤)، واستغربه.

(٤٠ ـ ٤١) ـ ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾ سبقَ[1] ﴿إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾: على أنْ نُهلِكَهُم حينَ عَصَوْكَ ونأتيَ بخَلْقٍ أمثلَ مِنهُم وأطوعَ للهِ تعالى وأرضى مِنْهُم، ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾: بمغلوبينَ إنْ أردْنا ذلكَ.

وقيلَ: ﴿لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ﴾ مُحمَّدًا ﴿خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ وهُمْ أهلُ المدينةِ، وقدْ فعلَ ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾: عاجزينَ؛ لأنَّ مَن سُبِقَ إلى شيءٍ فقَدْ عَجَزَ، وحقيقةُ السَّبقِ: التَّقدُّمُ إلى الشَّيءِ.

* * *

(٤٢) ـ ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾.

﴿فَذَرْهُمْ﴾: دَعْهُم[2]، أمرُ تَهديدٍ لَهُم، وقيلَ: منسوخٌ بالقتالِ.

﴿يَخُوضُوا۟﴾ في الباطلِ ﴿وَيَلْعَبُوا۟﴾: ويَلْهو في دُنْياهُم ﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾ فيهِ العذابَ، قيلَ: يومَ بَدرٍ، وقيلَ: يومَ البَعثِ.

* * *

(٤٣) ـ ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾.

﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا﴾ إلى الدَّاعِي، جمعُ سَريعٍ، والفِعْلُ منهُ: أَسْرَعَ. ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ﴾ قُرِئَ: ﴿نَصْبٍ﴾ بفتحِ النُّونِ وسُكونِ الصَّادِ[3]، وفي تفسيرِهِ ثلاثةُ أقوالٍ:

---

(١) في سورة (الصافات) الآية: ٥.

(٢) في (ف): «دعوهم».

(٣) قرأ ابن عامر وحفص: ﴿نُصُبٍ﴾ بضمتين، والباقون بفتح فسكون. نظر: «السبعة» (ص: ٦٥١)، و«التيسير» (ص: ٢١٤).

أحدُها: صَنَمٍ، وكانوا يُسارِعونَ إلى عِبادَتِهِ، وقيلَ: حِجَارَةٌ طِوالٌ كانوا يَعبدُونَها. الحسنُ: كانوا يَبتَدِرونَ إلى الصَّنَمِ أَيُّهُم يَستَلِمُه أَوَّلًا[١].

والثاني: إلى عَلَمٍ.

والثالثُ: إلى غَايَةٍ[٢].

وقُرِئَ: ﴿نُصُبٍ﴾ بضمَّتينِ، والظَّاهِرُ أَنَّهُ الصَّنَمُ؛ لِقَوْلِه[٣]: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ [المائدة: ٣]، وقيلَ: جَمْعُ: نَصْبٍ؛ كرَهْنٍ ورُهُنْ.

﴿يُوفِضُونَ﴾: يُسرِعُونَ، والإِفَاضَةُ: الإِسْرَاعُ.

***

(٤٤) ـ ﴿خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾.

﴿خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ﴾: مَحزونِينَ مُتفكِّرِينَ فيما دَهاهُم ﴿تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞ﴾: تَغشَاهُم وتَعلُوهُم هوانٌ، وقيلَ: ذُلٌّ.

﴿ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾؛ أي: في الدُّنْيا وهُمْ يُكذِّبُونَ، واللهُ أعلَمُ.

***

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٨٧).

(٢) في هامش (ن): «الغاية: العَلَم أيضاً».

(٣) في (ف): «كقوله».

سُورَةُ نُوحٍ

ثماني وعِشرونَ آيةً[1]، مَكِّيَّةٌ.

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) - ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾.

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ﴾: قتادةُ: أُرسِلَ مِن جَزيرةٍ[2].

أنسٌ رضيَ اللهُ عنهُ عن النبيِّ ﷺ أنه قالَ: «هوَ أوَّلُ نبيٍّ بُعِثَ»[3].

ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهما: بُعِثَ وهوَ ابنُ أربَعِينَ سَنةً[4].

وقيلَ: ابنُ ثلاثِ مئةٍ وخمسينَ سَنةً.

---

(١) «ثماني وعشرون آية»: ليس في (ف). وانظر: «البيان في عد آي القرآن» (ص: ٢٥٥)، وفيه: «وهي عشرون وثماني آيات في الكوفي وتسع في البَصْريّ والشامي وثلاثون آية في المدنيين والمكي، اختلافها أربع آيات...».

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٠٤)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٢٧٩) بلفظ: «وبعث من الجزيرة».

(٣) رواه البخاري (٧٤٤٠)، ومسلم (١٩٣)، وهو جزء من حديث الشفاعة، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٧٨)، واستغربه.

(٤) ذكره مكي بن أبي طالب في «الهداية» (٤/ ٢٤١٤)، والماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٩٨)، ورواه الواحدي في «الوسيط» (٢/ ٤١٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٢/ ٢٧٩).

وقيلَ: ابنُ أَربعِ مئةٍ وثمانينَ سَنةً.

ولبثَ فيهِمْ ألفَ سنةٍ إلَّا خَمسينَ عامًا، وعاشَ بعدَ الطُّوفانِ تِسعينَ سَنةً، وقدْ سبقَ(١).

ونوحٌ اسمٌ أَعجَمِيٌّ صُرِفَ لخِفَّتهِ(٢)، ومعناه في السُّرْيانيَّةِ: السَّاكِنُ(٣).

ومَعنى الآيةِ: أرسَلْنا نُوحًا إلى قومِهِ كمَا أَرْسلناكَ إلى قَوْمِكَ.

﴿أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ﴾: خَوِّفْهُم عِقابَ اللهِ، والتَّقديرُ: بأنْ أَنْذِرْهُم، فحُذِفَ الجارُّ، ومحلُّهُ عندَ الخليلِ خَفضٌ، وعندَ غيرِهِ نَصبٌ(٤).

وقيلَ: ﴿أَنْ﴾ هيَ المُفسِّرَةُ بمعنى: أي، وذكرَ المبردُ أنَّها المُخففَةُ مِن المُثقَّلَةِ(٥)، وكذلكَ القولُ في الثَّانيةِ.

﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: قيلَ: عذابُ الآخرةِ، وقيلَ: الطُّوفَانُ والغَرَقُ.

* * *

(٢) ـ ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ﴾: مُخَوِّفٌ ﴿مُّبِينٌ﴾: ظاهرٌ، وقيلَ: أُبَيِّنُ لكُمْ رِسالَةَ اللهِ بلُغَةٍ تَعرفُونَها.

* * *

---

(١) في تفسير سورة (هود) الآية: ٢٥.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٥٥)، واستغربه.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٤٤٩).

(٤) ذكر الخلاف في الإعراب دون نسبة: الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٨٨)، والزجاج في «معاني القرآن» (٥/ ٢٢٧)، والنحاس في «إعراب القرآن» (٥/ ٢٦)، وقد تقدم ذكره مراراً.

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٥٥)، واستغربه.

(٣) ـ ﴿ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴾.

﴿ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ ﴾: وَحِّدوهُ ﴿وَٱتَّقُوهُ﴾: واحذَرُوا عِصيانَهُ وعِقابَهُ ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ فيمَا آمرُكُم بهِ وأنهاكُمْ عنهُ، وأَسنَدَ الإطاعةَ إلى نَفسِهِ لأنَّ الإِجابَةَ كانَتْ تقَعُ لهُ في الظَّاهرِ، ولأنَّ طاعَةَ الرَّسولِ طاعَةُ اللهِ.

***

(٤) ـ ﴿ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾.

﴿ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ ﴾: في (مِن) أربعةُ أقوالٍ:

أحدُها: أنَّهُ للتَّبيينِ؛ كقوله: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ﴾ [الحج: ٣٠].

والثاني: صِلَةٌ؛ أي: يغفرْ ذُنوبَكُمْ.

والثالثُ: للتَّبعيضِ؛ أي: ما سبقَ مِن ذُنوبِكُم، وقيلَ: بحسبِ ما يقَعُ مِن الإِقلاعِ عَنها.

الرَّابعُ: أنَّ التَّقديرَ: يُخرِجْكُم مِن ذُنوبكُمْ(١).

﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: الزَّجَّاجُ: يُؤَخِّرْكُم عنِ العَذابِ فتَمُوتُوا غيرَ مِيتَةِ المُستأْصَلِينَ بالعذابِ(٢).

الفرَّاءُ: ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾؛ أي: إلى أجلٍ تَعرِفُونَه كذلكَ(٣).

وقيلَ: يؤخِّرُ آجالَكُمْ فلا يُغرِقُكُم إلى الأَجلِ الذي كتبَ لَكم.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٥٦)، واستغربه.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٢٨).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٨٧).

وقيلَ: وَعَدَهُم أَجلًا يُعطِيهِمْ إنْ آمِنُوا، وعَلِمَ أَنَّهُم لا يُؤمِنونَ.

الحسنُ: أي: إنْ آمَنْتُم بي أُخِّرتُم بعدَ ذلك إلى يومِ القيامَةِ لا يُؤاخِذُكُم بذنبٍ في الدُّنيا[١].

ابنُ عيسى: في الآيةِ دليلٌ على إثباتِ أجَلَيْنِ؛ لأَنَّ الوعدَ بالأَجلِ المسمَّى مَشروطٌ بالعِبادَةِ والتَّقوى، فلمَّا لم يقَع اقتُلِعُوا بعذابِ الاسْتِئصالِ قبل الأجَلِ الأقْصى[٢]، واللهُ أعلَمُ.

﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ﴾ بحلولِ العَذابِ أو بالمَوْتِ ﴿لَا يُؤَخَّرُ﴾.

وقيلَ: ﴿أَجَلَ ٱللَّهِ﴾: القيامَةَ.

﴿لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ جوابُهُ: أي: لآمنتُمْ، وقيلَ: ﴿لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ لعَلِمتُم ذلكَ.

* * *

(٥) ـ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾.

﴿قَالَ﴾ يعني: نوحًا عليهِ السَّلام يشكو إلى اللهِ ما قاسَاهُ مِن قومِهِ: ﴿رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾؛ أي: واصَلْتُ الدَّعوةَ.

وقيلَ: دعَوْتُهم أَحيانًا بالليلِ وأحيانًا بالنَّهارِ.

وقيلَ: معناهُ: سِرًّا وعَلانِيَةً.

وجاءَ في التَّفسيرِ: أَنَّهُ كانَ يأتي بابَ أَحدِهِم لَيْلًا فيُقرَعُ البابُ فيقولُ صَاحِبُ الدَّارِ: مَن على البابِ؟ فيقول: أنا نوحٌ، قل: لا إله إلا اللهُ.

---

(١) ذكره ابن أبي زمنين في «تفسيره» (٥/ ٣٩) بلفظ: «قوله: ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلى مدتكم، فيكون موتكم بغير عذاب ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ﴾ يعني: القيامة».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٥٦)، واستغربه.

وقيلَ: المرادُ باللَّيلِ والنَّهارِ: فُرادَى وجَماعاتٍ.

***

(٦) - ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا﴾.

﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا﴾؛ أي: لَمْ يزدادوا إلا تَمادِيًا في الغيِّ وإِعراضًا، ونَسَبَ ذلكَ إلى دُعَائِهِ لمَّا ازدادوا عِندَهُ.

***

(٧) - ﴿وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا﴾.

﴿وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ﴾؛ أي: دَعوتُهُم إلى الإيمانِ ليؤمنوا فتغفرَ لهم.

﴿جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ﴾؛ أي: سَدُّوا آذانَهُم كراهَةَ استماعِ مُحاوَرَتي ودُعائي إِيَّاهُم إلى اللهِ.

﴿وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ﴾: وغَطَّوْا رُؤوسَهُم بثِيابِهِم كيْ لا يَرَوْني فضلًا عن سماعِ كلامي وقَبولِ وعظي.

وقيلَ: ﴿وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ﴾: تنكَّرُوا عنِّي حتَّى لا أعرِفَهُم[١].

الحسنُ: نَفَضُوا ثِيابَهُم وقاموا عنِّي[٢].

﴿وَأَصَرُّوا۟﴾: أقامُوا على كفرِهِم.

الحسنُ: أصرَّ على الذَّنبِ: إذا أذنَبَ عَمْدًا[٣].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٥٦)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٥٦)، وعده من العجائب.

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٠٠).

﴿وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾: تعظَّموا وأخذَتهمُ العِزَّةُ عَن قبولِ كَلامِي، وترفَّعُوا عَن الإذعانِ للحَقِّ فقالوا: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١].

* * *

(٨) ـ ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا﴾.

﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا﴾: ظاهرًا يرى بعضُهم بعضًا.

* * *

(٩) ـ ﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾.

﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ﴾؛ أي: أعلَنْتُ الدُّعاءَ لِبعضٍ، ﴿وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾؛ أي: لبعضٍ.

وقيلَ: ﴿أَعْلَنتُ﴾ أحيانًا، ﴿وَأَسْرَرْتُ﴾ أحيانًا.

وقيلَ: ﴿أَعْلَنتُ﴾ لِمَن أسررَتُ، ﴿وَأَسْرَرْتُ﴾ لِمَن أعلَنْتُ.

وفي بعضِ التَّفاسيرِ: أنَّ نوحًا عليهِ السَّلامِ لَمَّا بَلَّغَ قومَهُ رسالةَ اللهِ وآذَوْهُ إيذاءً شديدًا ـ حتَّى كانوا يضرِبُونَهُ في اليومِ مرَّاتٍ ـ عِيلَ صَبرُهُ، فسأَلَ اللهَ أَنْ يُوارِيَهُ عن أبصارِهِم ويَستُرَهُ عَن أعينِهِم بحيثُ يسمَعونَ كلامَهُ ولا يَرونَهُ فينالوهُ بمكروهٍ، ففعلَ اللهُ ذلكَ بهِ، فدعاهُم كذلكَ زمانًا فلَمْ يُؤمِنُوا، فسأَلَ اللهَ تعالى أنْ يُعيدَهُ إلى ما كانَ، وهو قولُهُ: ﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ وهذا غريبٌ[1]، واللهُ أعلَمُ.

والمعنى: بالغْتُ في طلبِ نَجاحِهِم وتَعجيلِ فَلاحِهِم وذهبتُ فيهِ كلَّ مذهَبٍ، فلم ينتفعوا بهِ، بَلْ أصرُّوا على الكُفرِ والعِصيانِ، واستكبَرُوا عَن قَبولِ الإيمانِ.

* * *

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٥٦)، وعده من العجائب.

(١٠) - ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾.

﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾: لَمَّا دعاهُم نوحٌ عليهِ السَّلامُ إلى الإيمانِ زمانًا طويلًا فلَمْ يُؤمِنُوا وكذَّبوهُ حَبسَ اللهُ عنهمُ القَطْرَ أربعينَ سَنةً وأعقَمَ أرحامَ نِسائِهم فيها، فقالَ لهم نوحٌ عليهِ السَّلامُ لِحِرصِهِم على الدُّنيا ورُكونِهم إليها: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ عَن ذُنوبِكُم بإيمانِكُم ﴿إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾: دائمَ الغُفرانِ.

***

(١١) - ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾.

﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ﴾؛ أي: المطرَ ﴿عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾: دريرًا كثيرًا دائمًا.

***

(١٢) - ﴿وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾.

﴿وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾: يَزِدْكُم أموالًا وأولادًا ذكورًا، ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ﴾: بساتينَ وأشجارًا، ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾: مياهًا جاريةً في اتِّساعٍ.

***

(١٣) - ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾.

﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: لا ترَوْنَ للهِ عَظمَةً[١].

الأخفشُ: لا تخافونَ للهِ عَظمَةً، قالَ: والرَّجاءُ هاهنا خوفٌ، والوَقارُ عَظمَةٌ[٢].

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٤٧٩٠)، وأبو داود في «الزهد» (٣٤١)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٩٦).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٥٥٠).

قتادةُ: لا ترجونَ للهِ عاقِبَةً(١).

الزجَّاجُ: ما لَكُم لا ترجونَ عاقبةَ الإيمانِ ولا تُوحِّدونَ اللهَ وقد جعلَ لكم في أنفسِكُم آيةً تدلُّ على التَّوحيدِ مِن خلقِهِ إيَّاكُم أطوارًا(٢)؟

الحسنُ: ما لَكُم لا تشكرونَ للهِ نعمَهُ، ولا تَعرفونَ لهُ حقًّا(٣)؟

ابنُ بحرٍ: معناه: ما لكُمْ لا تعتقدونَ تثبيتَ اللهِ وتَوحيدَهُ وقد نصبَ الأدلَّةَ؟ قالَ: والوقارُ الثَّباتُ(٤).

ابنُ زيدٍ: لا تلزمونَ للهِ طاعةً(٥).

وذهبَ بعضُهُم إلى أنَّ الوَقارَ صِفةٌ للهِ، قالَ: ومعنى وقارِ اللهِ: سَعَةُ عِلمِه وعِظَمُ(٦) عفوِهِ وجُودِهِ(٧).

ابنُ عيسى: الوقارُ هاهُنا: العَظَمَةُ وسَعةُ المقدورِ.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٣٣٦)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٩٦).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٢٩).

(٣) رواه الدولابي في «الكنى والأسماء» (١٥٨٩)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ٣٩٠)، والماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٠١).

(٤) ذكر نحوه الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٠١)، وفيه: «أن الوقار الثبات، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٣] أي: اثبتن، ومعناه: لا تثبتون وحدانية الله وأنه إلهكم الذي لا إله لكم سواه، قال ابن بحر: دلهم على ذلك فقال: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٩٧) بلفظ: «الوقار الطاعة»، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٠١) بلفظ: «لا تؤدون للّه طاعة».

(٦) في (ف): «وعظمة».

(٧) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٥٧)، واستغربه.

وأنكرَهُ بعضُهُم وقال: الوَقارُ مِن صِفةِ الهيئةِ واللهُ سُبحانَهُ مُنزَّهٌ عنها[1].

ويحتمِلُ أنَّ ﴿لِلَّهِ﴾ صفةٌ لقوله: ﴿وَقَارًا﴾ على ما فُسِّرَ، ثم تقدَّمَ عليهِ وانتصبَ على الحالِ، ويحتملُ أنَّ اللَّامَ زيادةٌ ﴿وَقَارًا﴾: مفعولٌ لهُ؛ أي: لا تخافونَ اللهَ توقيرًا، واللهُ أعلَمُ.

* * *

(١٤) ـ ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾.

﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾: نطفةً، ثم علقةً إلى تمام الخلق.

وقيلَ: أراد بالأطوار: اختلافَ الأحوالِ حالًا بعدَ حالٍ.

والطورُ: الحال، والطورُ: المرة.

وقيلَ: ﴿أَطْوَارًا﴾: أنواعًا مختلِفِي الأخلاقِ والمناظر.

* * *

(١٥) ـ ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾.

﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾: بعضُها على بعضٍ.

الحسن: كلُّ سماءٍ طبقٌ لأرضها؛ الأولى للأولى، والثانية للثانية، ثم على الولاء[2].

و﴿طِبَاقًا﴾: جمع طَبَق، وهي صفةٌ لـ﴿سَبْعَ﴾، وقيلَ: نصبٌ على المصدر؛ أي: طابَقَها طباقًا، وقيلَ: حالٌ.

* * *

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٥٧) عقب القول السابق لقول ابن عيسى.

(٢) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٥٥١) بلفظ: « بعضهم فوق بعض بين كل سماء خلق وأمر».

(١٦) ـ ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾.

﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾؛ أي: في إحداهنَّ وهي السماءُ الدنيا؛ كما قالَ اللهُ تعالى: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾ [النحل: ١٥]؛ أي: في بعضها.

وقيلَ: ﴿فِيهِنَّ﴾ ظرفٌ لنور القمر لا لجِرْمِ القمر.

وقيلَ: ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ﴾؛ أي: بين السَّماءِ والأرضِ؛ لأنَّ القمرَ ضَوْؤهُ بينَ السَّماءِ والأرضِ، وليسَ لهُ ضَوءٌ في سائرِ السَّماواتِ.

وقال بعضُهُم: لا نورَ لجِرمِ القمرِ، والقَمْراءُ[1]: شُعاعُ الشَّمسِ انعكسَ عنِ القمَرِ.

وقيلَ: وجعلَ القَمَرَ معهنَّ نورًا.

﴿وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾: مِصباحًا، والتَّقديرُ: وجعلَ الشَّمسَ سِراجًا فيهنَّ، فحذفَ لأنَّ الأوَّلَ يدلُّ عليهِ.

وفي التفسيرِ: أنَّ وجهَ الشَّمسِ يُضيءُ لأهلِ الأرضِ، وقَفاها لأهلِ السَّماواتِ، وكذلكَ القمرُ.

وعن ابنِ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُما على الضدِّ[2].

وأجمعوا على أنَّ الشَّمسَ في السَّماءِ الرَّابعةِ[3]، واللهُ أعلَمُ.

* * *

(١) القمراء: ضوء القمر. انظر: «تهذيب اللغة» (٩/ ١٢٥).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٣٣٩)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٣٠٠)، لكن عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

(٣) لم أقف على هذا الإجماع.

(١٧) ـ ﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾.

﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾؛ أي: خلقَ آدمَ عليهِ السَّلامُ مِن تُرابٍ وأنتُم أولادُه.

وقيلَ: جعلَ نَشأَكُم ونَماءَكُم بالغذاءِ الذي مِن الأرضِ.

و﴿نَبَاتًا﴾: مَصدرُ (أَنْبَتَ)، بحَذفِ[١] الزَّوائدِ، وقيلَ: تقديرُهُ: تَنبُتونَ نباتًا.

* * *

(١٨) ـ ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾.

﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾ بعدَ الموتِ والبِلى، ﴿وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾؛ أي: من الأرضِ للبَعثِ والجزاءِ، وأكَّدَ بالمصدَرِ؛ أي: أيَّ إخراجٍ.

* * *

(١٩ ـ ٢٠) ـ ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا (١٩) لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾.

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾: مَبسوطَةً ﴿لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا﴾: لتَنصرِفوا عليها مجيئًا وذهابًا ﴿سُبُلًا فِجَاجًا﴾ ﴿سُبُلًا﴾؛ أي: طرقًا بيِّنَةً، وقيلَ: طُرُقًا مختلفَةً، وقيلَ: واسعةً، وقيلَ: بعيدةً.

وقيلَ: السُّبلُ: الطُّرقُ[٢]، والفِجَاجُ: ما يتشعَّبُ مِنها.

* * *

(٢١) ـ ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾.

﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي﴾: فيما أمرتُهُم بهِ مِن التَّوبةِ والإيمانِ ﴿وَاتَّبَعُوا﴾؛ أيْ:

---

(١) في (ن): «فحذف».

(٢) في (ن): «السبل الطريق».

تَبعَتِ السَّفلَةُ ﴿مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا﴾: خُسرانًا وهلاكًا؛ لأَنَّهُ لم يقُمْ بشُكْرِ ما أنعمْتَ عليهِ.

وقرئ: ﴿وَوَلَدُهُۥ﴾ بفتحتينِ ﴿ووُلْدُهُ﴾ بالضمِّ والسكونِ[1]، قيلَ: هما لغتانِ كالحَزَنِ والحُزْنِ. وقيلَ: الوَلَدُ بالفتحِ واحدٌ، وبالضمِّ جمعٌ كالأَسَدِ والأُسْدِ.

وقيلَ: الوَلَدَ بالفتحِ للصُّلْبِ، وبالضمِّ: العَشيرَةُ والقومُ.

فمَن جعلَهُ جمعًا قالَ: الهاءُ يعودُ إلى ﴿مَن﴾ وهوَ جمعٌ في المعنى، ومَن وحَّدَ وأضافَ إلى الجمعِ جعلَهُ كقولِهِ: في بطنِكُمْ وحَلْقِكم[2].

* * *

(٢٢) ـ ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا﴾.

﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا﴾: جَعَلوا للهِ شريكًا وصاحبَةً وولدًا، و﴿كُبَّارًا﴾ أبلغُ

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي بضم الواو وإسكان اللام، والباقون بفتح الواو واللاَّم. انظر: «السبعة» (ص: ٦٥٢)، و«التيسير» (ص: ٢١٥).

(٢) أي: اكتَفَى بجمعِ المُضافِ إليه عن جمعِ المُضافِ، وقولِه: «في بطنكم»، يشير إلى بيت «الكتاب» (١/ ٢١٠)، و«المقتضب» (٢/ ١٧٢)، و«الأصول في النحو» لابن السراج (١/ ٣١٣)، و«تفسير الثعلبي» (١/ ١٥١)، و«أساس البلاغة» مادة: (خ م ص)، وهو:

كُلُوا فِي بَعْضِ بَطْنِكُمُ تَعِفُّوا ... فَإِنَّ زمانَكمْ زمنٌ خَمِيصُ

وقوله: «وحلقكم» هو قطعة من رجز للمسيب بن زيد مناة الغنوي يخاطب حنظلة بن الأعرف الضبابيّ كما في «شرح كتاب سيبويه» لأبي سعيد السيرافي (٢/ ١٠٢)، ودون نسبة في «الكتاب» (١/ ٢٠٩)، و«مجاز القرآن» (١/ ٧٩) و(٢/ ٤٤ و١٩٥)، و«معاني القرآن» للأخفش (١/ ٢٤٩)، و«المقتضب» (٢/ ١٧٢)، و«الأصول في النحو» لابن السراج (١/ ٣١٤)، وتمامه:

لا تُنكِرُوا القَتْلَ وقد سُبِينا ... في حَلقِكُمْ عَظْمٌ وقد شَجِينا

مِـن (كُبَـارٍ) بالتَّخفيـفِ، و(كُبَّـارًا)[1] أبلغُ مِـن (كَبيرٍ).

* * *

(٢٣) ـ ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾.

﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ﴾؛ أي: عبادَتَها ﴿وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾: هذهِ أسماءٌ لِقومٍ صالحينَ كانَ النَّاسُ يقتدونَ بهِمْ بينَ آدمَ ونوحٍ عليهما السَّلامُ، فلمَّا ماتوا صَوَّروهُمْ ليكونَ ذلكَ أدعى لهُم إلى العِبادَةِ وأبعَدَ مِن النِّسيانِ فيمتَثِلُوا بما كانوا يَدعونَهُم إليهِ، فلمَّا طالَ الزَّمانُ عُبِدوا مِن دونِ اللهِ إلى زمانِ نوحٍ عليه السلام، ثمَّ بعدَ الطُّوفانِ وهلاكِ قومِ نوحٍ صَارتْ إلى العربِ فعَبَدوها كما كانَ يَعبُدُ قومُ نوحٍ ومَن كانَ قَبلَهُم.

وكانَ وَدٌّ لِكَلْبٍ، والفَتْحُ والضمُّ فيهِ لغتانِ[2].

مجاهدٌ: وَدٌّ صُورَةُ شِيثٍ.

وسُوَاعٌ لهَمْدانَ، ويَغُوثُ لمَذْحِجٍ، ويَعوقُ لِكنانَةَ، وهما لا يَنصرِفانِ لوَزْنِ الفعلِ والتَّعريفِ، ونَسْرٌ لِحِمْيَرَ، وقدْ أطنبَ الكَلبيُّ في ذكرِ هذهِ الأصنامِ[3]، ولا فائدةَ في ذكرِها فأَضْرَبتُ عنهُ.

* * *

---

(١) قرأ الجمهور بالتشديد، وقرأ بالتخفيف مع ضم الكاف عيسى وأبو السمال، وبه مع كسرها ابن محيصن، وقد ذكر المصنف أن قراءة الجمهور هي الأبلغ، ثم قراءة عيسى وأبي السمال، ثم قراءة ابن محيصن؛ فـ(كِبارا) جمع كبير. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦٢).

(٢) قرأ نافع بضم الواو، والباقون بفتحها. انظر: «السبعة» (ص: ٦٥٣)، و«التيسير» (ص: ٢١٥).

(٣) انظر: «كتاب الأصنام» لهشام بن محمد بن السائب الكلبي (ص: ١٠) وما بعدها.

(٢٤) ـ ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾.

﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾؛ أي: أَضلَّتِ الأَصنامُ، والمعنى: ضلَّ بسببِها.

ابنُ بحرٍ: الضَّميرُ يعودُ إلى أكابرِ قومِهِ الذي لم يَزِدهُم مالُهُم وولَدُهُم إلا خَسارًا[1].

﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾: هلاكًا، وقيلَ: عذابًا، وقيلَ: عُدولًا عن وجهِ[2] الصَّوابِ.

دَعا عليهِمْ حينَ قالَ اللهُ له: ﴿لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ [هود: ٣٦].

وجاءَ في التَّفسيرِ: أنَّ الرَّجُلَ مِن قَومِ نوحٍ يَنطلِقُ بولدِهِ إلى نوحٍ فيقولُ لهُ: احذَرْ[3] هذا؛ فإنَّهُ كَذَّابٌ، وإنَّ والدِي قدْ حَذَّرَنيهِ، فيموتُ الكَبيرُ على كُفرِهِ، ويَنشَأُ الصَّغيرُ عليهِ.

***

(٢٥) ـ ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا﴾.

﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا﴾؛ أيْ: مِن خطاياهُمْ، و(ما) صلةٌ أفادَ التَّفخيمَ؛ أي: مِن خطاياهُمُ العَظيمَةِ، وسمَّاها خَطَايا وإن كانوا عَامِدينَ فِيها؛ لأنَّها خِلافُ الحقِّ، وخِلافُ الحقِّ خَطَأٌ، والمعنى: بسببِ خَطاياهُمْ.

وقيلَ: للتَّبعيضِ؛ أي: مِن بعضِ خَطاياهُم أُغرِقُوا ﴿فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾.

---

(١) انظر: «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٥٧)، وفيه: «الغريب: ابن بحر: الضمير يعود إلى قوله: ﴿وَمَكَرُوا﴾».

(٢) «وجه»: ليس في (ف).

(٣) في (ف) زيادة: «من».

دخولُ الفاءِ دَليلٌ على إثباتِ عذابِ القبرِ؛ لأنَّها للتَّعقيبِ.

﴿فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا﴾؛ أيْ: لم تَنفعْهُم أصنامُهُم الخمسَةُ ولا غيرُها مِن عذابِ اللهِ.

***

(٢٦) - ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾.

﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾: أحدًا، وهذهِ كلمَةٌ تُستعمَلُ في النفيِ، وأصلُها: دَيْوارٌ، فَيْعَالٌ مِن دَارَ يَدورُ؛ أي: ساكنُ دارٍ.

وقيلَ: من لفظِ دَيْرٍ.

وقيلَ: مِن الدَّورانِ؛ أيْ: أحدًا يدورُ في الأرضِ، وأنكرَ هذا بعضُهُم وقال: لَوْ كانَ مِن الدَّوَرانِ لَمَا بقيَ في الأرضِ جِنٌّ ولا شَيطانٌ.

وعن عمرَ بن عبدِ العزيزِ رحمَهُ اللهُ أنَّهُ قالَ: مَن كانَ بالغًا مِنهُم فالغرقُ كانَ عقوبةً لهُ، ومَن لَمْ يُدرِكْ كانَ ذلكَ لَهُم شَهادةً وموتًا بآجالِهِم(١).

وعن ابنِ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: أنَّ قبلَ الغَرقِ لم تَلِدْ لهم امرأَةٌ أربعينَ سَنةً(٢).

---

(١) لم أقف عليه، وروى ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٨/ ٢٦٦) خبرًا يشير إلى ما نحن فيه، قال: «أتي عمر بن عبد العزيز بغلمة من أولاد المهالبة لم يبلغوا الحنث وعنده رجاء بن حيوة الكندي ورياح بن عثمان المري، فقال عمر: يا رياح ما تقول في هؤلاء الغلمة؟ قال: أقول ما قال نوح...: ﴿لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (٢٦) إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ قال: فلم يوافقه فيما قال، والتفت إلى رجاء بن حيوة فقال: ما تقول [في] هؤلاء الغلمة يا رجاء؟ قال: وما سبيلك على هؤلاء الغلمة؟ لم يبلغوا الحنث ولم تجب عليهم الأحكام. فأخذ بقول رجاء وخلى سبيلهم...».

(٢) ذكره مكي بن أبي طالب في «الهداية» (٥/ ٣٣٩٥)، والسمعاني في «تفسيره» (٦/ ٥٦) دون نسبة، =

(٢٧) ـ ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾.

﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ﴾: ولا تهلِكْهُم ﴿يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ قالَ بعضهم: في الآيةِ دليلٌ على أنَّ أطفالَ الكُفَّارِ كَفَرةٌ مِثلُهُمْ.

وليسَ كذلكَ؛ فإنَّ هذا كمَا يُقالُ[1] لأبي المولودِ: ليَهْنِكَ الفارسُ؛ أي: يصيرُ فارسًا، كذلكَ الآيةُ سمَّاهُم باسمِ مَا يَؤُولُ إليهِ أمرُهُم، ولأنَّهُم بالإِجماعِ ليسُوا كافرينَ ولا فاجِرينَ ولم يوجَدْ مِنهُمْ كُفرٌ ولا فجورٌ.

وقيلَ: ﴿فَاجِرًا كَفَّارًا﴾[2] حالٌ للآباءِ، ووُحِّدَ كقوله: ﴿أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ﴾ [البقرة: ٤١].

***

(٢٨) ـ ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا﴾.

﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ﴾ وكانا مُسلِمَيْنِ، واسمُ أبيهِ: لمك، واسمُ أمِّهِ: هيجل.

وقيلَ: آباؤُهُ وأجدادُهُ إلى آدمَ عليه السَّلامُ كلُّهُم مُؤمنونَ.

﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا﴾: دخلَ داري.

ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: يعني: صَديقي[3].

وقيلَ: معنى ﴿بَيْتِىَ﴾: مَسجِدِي، وقيلَ: سَفينَتِي، وقيلَ: مُؤمني أهلِ بيتي.

ثم عَمَّمَ فقال: ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ إلى يومِ القيامةِ.

= وذكره الواحدي في «البسيط» (١١/ ٤٣١) عن كثير من المفسرين.

(١) في (ف): «تقول».

(٢) «كفارًا»: ليس في (ن).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١٢/ ٤٣٨)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٥٨) دون نسبة، وعده من العجائب.

قالَ ابن عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: كما استجابَ اللهُ دعاءَهُ في الكافرينَ ولم يذَرْ مِنهُم أحدًا كذلكَ يَستجيبُ في المؤمنينَ والمؤمناتِ إلى يومِ القيامةِ[1].

﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾؛ أي: الكافرينَ ﴿إِلَّا تَبَارًا﴾: هلاكًا وكسرًا، والتِّبْرُ: دُقاقُ الذَّهبِ.

وقال في الأولى: ﴿ضَلَـٰلًا﴾، وفي الثانية: ﴿تَبَارًا﴾؛ لأنَّ في الآيةِ الأولى: ﴿أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا﴾؛ أي: جازِهِم بالإضلالِ ضَلالًا ثم دمِّرْهُم تدميرًا.

***

---

(١) لم أجده.

سُورَةُ الجِنِّ

اثنانِ وعشرونَ آيةً[١]، مَكِّيةٌ.

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٢) ـ ﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ١ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا﴾.

﴿قُلۡ﴾ يا محمَّدُ؛ أي: أخبِرْ قومَكَ ما ليسَ لهم بهِ عِلمٌ، ثمَّ بيَّنَ فقالَ: ﴿أُوحِيَ إِلَيَّ﴾: أُخبِرْتُ بالوحيِ مِن اللهِ ﴿أَنَّهُ﴾: أنَّ الأمرَ والشأنَ ﴿ٱسۡتَمَعَ﴾؛ أي: استمعَ القُرآنَ، فحُذِفَ لأنَّ ما بعدَهُ يدلُّ عليهِ، والاستماعُ: طلبُ السَّماعِ بالإصغاءِ إليهِ.

﴿نَفَرٞ﴾: جماعةٌ، والنَّفرُ مِن الثَّلاثةِ إلى العشرةِ.

ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: كانوا سَبعةً[٢].

غيرُه: كانوا تِسعةً.

﴿مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾: الجنُّ جيلٌ رِقاقُ الأجسامِ خفيَّةٌ[٣]، خُلِقَ من النارِ على صُورةٍ تُخالِفُ صورةَ الملَكِ والإنسِ، مَوصوفٌ بالعقلِ كالإنسِ والملَكِ، ولا يَظهرونَ للإنسِ وَلا يُكلِّمونَ[٤]..........

---

(١) «اثنا وعشرون آية»: ليس في (ف).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٦٥)، وذكره الواحدي في «البسيط» (٢٠/ ١٩٩).

(٣) في (ن): «خفيفة» والمثبت من (ف) ونسخة في هامش (ن).

(٤) في (ن): «ولا يكلمون هم».

إِلَّا صاحبَ مُعجزةٍ، بل يوسوسونَ سائرَ النَّاسِ[(١)]، وهُم أولادُ إبليسَ، مِنهُم مُؤمِنٌ ومِنهُم كافِرٌ، والكافِرُ مِنهُمْ يسمَّى شيطانًا.

ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: الجنُّ ولدُ الجانِّ وليسوا بشياطينَ، والشَّياطينُ أولادُ إبليسَ[(٢)].

وقَدْ سبقَ الكَلامُ في ذكرِ ليلةِ الجنِّ في سُورَةِ (الأَحقافِ).

ونذكرُ هاهنا خبرًا رواهُ البُخارِيُّ ومُسلِمٌ في صحيحيهما، عن سَعيدِ بن جُبَيرٍ، عن ابنِ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُم قالَ: ما قرأَ رَسولُ اللهِ ﷺ على الجنِّ وما رآهُمْ، انطلقَ رَسولُ اللهِ ﷺ في طائفةٍ مِن أصحابِهِ عامدِينَ إلى سوقِ عُكاظٍ، وقَدْ حِيلَ بينَ الشَّياطينِ وبينَ خَبرِ السَّماءِ، فرَجعتِ الشَّياطينُ إلى قومِهِم، قالوا: ما لكم؟ قالوا: حِيلَ بينَنا وبينَ خَبرِ السَّماءِ وأُرسِلَتْ علينا الشُّهُبُ، قالوا: ما ذلكَ إلَّا مِن شيءٍ قدْ حدثَ في الأرضِ، فاضرِبُوا مَشارِقَ الأَرضِ ومَغارِبَها، فمرَّ النَّفرُ الذينَ أَخذوا نحوَ تِهامَةَ بالنبيِّ ﷺ وهو يصلِّي بأصحابِهِ صلاةَ الفَجرِ، فلمَّا سَمِعوا القُرآنَ استَمعوا لهُ، وقالوا: هذا الذي حالَ بينَنا وبينَ خبرِ السَّماءِ فرَجعُوا إلى قومِهِم، ﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ١ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا﴾ فأوحى اللهُ إلى نبيِّهِ: ﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا﴾[(٣)]: مُبايِنًا لكلامِ الخَلقِ في النَّظْمِ والمعنى لَا يقدِرُ أحدٌ على الإِتيانِ بمِثلِهِ.

والعَجَبُ: ما يكونُ خارجًا مِن العادَةِ المعروفَةِ.

---

(١) يقال: وسوسَ الرجلَ، ووسوس إليه، ووسوس له؛ أي: كلَّمه بكلام خفي. انظر: «المحكم» (٨/ ٥٣٩)، و«معجم اللغة العربية المعاصرة» (٣/ ٢٤٤٣).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٠٩)، وقال ابن رجب في «فتح الباري» (٧/ ٦٢): «روي عن ابن عباس بإسناد فيه نظر».

(٣) رواه البخاري (٧٧٣)، ومسلم (٤٤٩).

﴿يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾: يدعو إليهِ ويدلُّ عليه، والرُّشْدُ: صلاحُ الأَمرِ مِن جميعِ جِهاتِهِ. وقيلَ: إلى الإيمانِ والتَّوحيدِ.

﴿فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾؛ أي: إبليسَ، وقيلَ: الصَّنمَ كما كنَّا نُشرِكُ قبلَهُ.

استدلَّ بعضُهُم بالآيةِ على أنَّهُم كانوا كافرينَ، وقال بعضُهُم: تقديرُهُ: كمَا أشرَكَتِ العَربُ، وقال بعضُهُم: كانوا هُودًا لقولِهِم: أُنزِلَ مِن بعدَ مُوسى.

***

(٣) ـ ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾.

﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾(١): عظمةُ ربِّنا، جَلالُ ربِّنا، غِنى ربِّنا عنِ الصَّاحبةِ والولدِ، أَمرُ ربِّنا، مُلكُ ربِّنا وسُلطانُهُ، وقدرةُ ربِّنا، هذا كلُّه أقوالٌ.

والجَدُّ: العَظمَةُ، ومنهُ قولُ أنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ: كانَ الرَّجلُ إذا قرأَ البقرةَ وآلَ عِمرانَ جدَّ فينا(٢)؛ أيْ: عَظُمَ، ورَجُلٌ مجدودٌ مِن هذا.

قالَ ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: لو عَلمَتِ الجنُّ أنَّ في الإنسِ جَدًّا ما قالتِ: ﴿تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾(٣).

الرَّبيعُ بن أنسٍ: ليسَ للهِ جَدٌّ، وإنما قالَتْهُ الجنُّ بالجهالَةِ فلَمْ يُؤخَذُوا بهِ(٤).

---

(١) في هامش (ن) عند قوله: ﴿وَأَنَّهُۥ﴾: «قال: نُرى أنه بالفتح عطفًا على قوله: ﴿أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ﴾: وهو في اثني عشر موضعًا لفتح ﴿أَنَّ﴾ وبعضهم لا يجعلون عطفًا على ﴿أنه﴾».

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٢٢١٥).

(٣) رواه أبو عبيد في «غريب الحديث» (١/ ٣٢٥)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ٤٢٢)، والمصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٦٠)، واستغربه.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ٤٢٣)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٦٠)، وعده من العجائب.

وهذانِ القولانِ فيهما تَعسُّفٌ، والجَدُّ: القَطعُ.

﴿مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ كما يقولُ كُفَّارُ الجنِّ والإنسِ.

قرئَ: ﴿وَأَنَّهُۥ﴾: بالفتحِ إلى قولِهِ: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ﴾، عَطْفًا على قولِهِ: ﴿أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ﴾.

الفرَّاءُ: عَطفًا على ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾[١]، وهو ضَعيفٌ؛ لأنَّ العَطفَ على ضميرِ المجرورِ مِن غَيرِ إعادةِ الجارِّ مُمتَنِعٌ[٢].

والزَّجَّاجُ حملَهُ على معنى ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ لأنَّ المعنى: صَدَّقْنَاهُ[٣].

وقرئَ بالكسرِ عَطْفًا على قولِه: ﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا﴾[٤].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٩١)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٥٩)، واستغربه.

(٢) قوله: «ممتنع» فيه نظر، فإن هذه المسألة محل خلاف بين النحويين، وأقوى رد على من قالوا بالامتناع قراءة حمزة: ﴿والأرحامِ﴾ [النساء: ١] بالجر عطفاً على المجرور في ﴿به﴾، وقد وقع في هذه القراءة خلاف طويل بين العلماء ما بين مجيز وينسب للكوفيين، ومانع وينسب للبصريين. انظر: «الإنصاف في مسائل الخلاف» (٢/ ٣٨٠)، ومن أوائل مَن ردَّ على المضعِّفين لقراءة حمزة ابنُ جني رحمه الله في «الخصائص» (١/ ٢٨٥)، وكان رده من أحسن الردود وألطفها وأقواها، ومنهم ابن زنجلة في «حجة القراءات» (ص: ١٩٠). ومنهم ابن مالك حيث قال في ألفيَّته:

وعَوْدُ خافضٍ لَدَى عطفٍ على ... ضميرِ خفضٍ لازمًا قد جُعِلا

وليس عندي لازمًا إذ قد أتى ... في النظم والنثر الصحيح مُثْبَتا

ويعني بالنظم شواهد شعرية كثيرة ذكرها في «شرح التسهيل» (٣/ ٣٧٦)، أما النثر الصحيح فقد أراد به قراءة حمزة. انظر: «شرح الأشموني لألفية ابن مالك» (٢/ ٣٩٤ ـ ٣٩٦). وممن تشدد في الرد على المانعين أبو حيان والآلوسي في تفسيريهما.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٣٤).

(٤) قرأ ابن عامر وحفص وحمزة والكسائي بفتح الهمزة من ﴿وَأَنَّهُۥ﴾ ﴿وَأَنَّا﴾ ﴿وَأَنَّهُمْ﴾ من لدن قوله =

وأبـو جَعفـرٍ يَزيـدُ: فتحُ ﴿أَنَّهُ﴾ عطفًـا علـى ﴿أَنَّهُ﴾، وكَسـرُ ﴿إِنَّا﴾ عطفًا على ﴿إِنَّا﴾[1].

***

(٤) ـ ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا﴾.

﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ﴾؛ أي: الجهالُ مِنَّا.

وقيلَ: ﴿سَفِيهُنَا﴾: هو إبليسُ؛ أي: السَّفيهُ الذي ليسَ فوقَهُ سَفيهٌ.

﴿شَطَطًا﴾: كذبًا وجَورًا وزُورًا وعُدوانًا وقولًا عظيمًا، والشَّطَطُ: البَعيدُ؛ أي: ما هوَ بَعيدٌ من وصفِ اللهِ، تقولُ: أَشَطَّ الرَّجلُ: أتى بما هوَ بعيدٌ.

***

(٥) ـ ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾.

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾: هذا اعتذارٌ مِنهُم؛ أيْ: اتَّبعناهُمْ فيما قالوا على ظنٍّ أنَّ أحدًا لا يكذِبُ على اللهِ.

تمَّ كلامُ الجنِّ هاهنا، ثم استأنفَ فقالَ اللهُ:

(٦) ـ ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾.

﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾: وذلكَ أنَّ الرَّجُلَ مِنهُم كانَ إذا أمسى بأرضٍ قَفْرٍ أو باتَ في مَفازَةٍ يقولُ: أعوذُ بسَيِّدِ هذا الوادي مِن شَرِّ سُفهاءِ قَومِهِ، فيكونُ في أَمانِهِم تلكَ اللَّيلةِ.

= تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ﴾ في ابتداء كل آية، والباقون بكسرها. انظر: «السبعة» (ص: ٦٥٦)، و«التيسير» (١/ ٢١٥).

(١) انظر: «النشر» (٢/ ٣٩١).

والجمهورُ على أنَّ في الجنِّ رجالًا ونِساءً كما في الإنسِ رِجالٌ ونساءٌ.

وقيلَ: رِجالٌ من الإنسِ يَعوذونَ برجالٍ آدميِّينَ أيضًا، وقوله: ﴿مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ متعلِّقٌ بـ ﴿يَعُوذُونَ﴾ كما تقولُ: أَعوذُ باللهِ مِن الشَّيطانِ الرَّجيمِ، وكانَ أهلُ مَكَّةَ يقولون[1]: أَعوذُ بحذيفةَ بن بدرٍ مِن جنِّ هذا الوادي.

ابنُ بحرٍ: هو انقطاعُهُم إلى الشَّيطانِ وحِزبِهِ بالطَّاعةِ لَهُم والقَبولِ مِنهُم[2].

﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾؛ أيْ: زادَ الإنسُ الجنَّ عَظمةً بذلكَ القَوْلِ؛ فإنَّهم قالوا: قَدْ سُدنا الإنسَ والجنَّ، وقيلَ: فزادَ الجنُّ الإنسَ خوفًا وفَرَقًا.

الفرَّاءُ: زادَ الجنُّ فيهِمْ ظُلْمًا[3].

وقيلَ: فزادَ الإنسُ أنفُسَهم ظُلمًا بتلكَ الاستِعاذَةِ وتركِ الاستعاذَةِ باللهِ[4]، وفيهِ ضَعفٌ.

وقيلَ: هذا مِن كلامِ الجنِّ أيضًا، والقولُ هوَ الأوَّلُ.

وفُسِّرَ ﴿رَهَقًا﴾: جرأَةً، وإثمًا، وخوفًا، وذلَّةً، وهوانًا، وطغيانًا، وكفرًا، وجهلًا، وقلةَ مَعرفةٍ، وهلاكًا، وبعدًا عن الحقِّ. وأصلُ الرَّهَقِ: اللُّحوقُ، وقيلَ: الخوفُ.

* * *

(٧) ـ ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا﴾.

﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا﴾: هذا أيضًا مِنْ كلامِ اللهِ تعالى؛ أي: أنَّ الجنَّ حَسِبوا كما حَسِبتُمْ أيُّها الإنسُ أنْ لن يبعثَ اللهُ أحدًا بعدَ الموتِ.

---

(١) كذا في النسختين، والمثبت من «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٦٠).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٦٠)، واستغربه.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٩٣)، قال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا رَهَقًا﴾: «ولا ظلماً».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٦٠) واستغربه.

وقيلَ: لنْ يبعثَ اللهُ أَحَدًا بالرِّسالَةِ.

وقيلَ: لنْ يبعثَ اللهُ نبيًّا بالرسالةِ بعدَ موسى؛ لأنَّهُم كانوا هودًا.

وقيلَ: هذا مِن كلامِ مُؤمِني الجنِّ للكافرينَ مِنْهُم؛ أي: إنَّ بعضَ الإنسِ وهُم الذينَ يَعوذونَ بِكُم ﴿ظَنُّواْ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا﴾. والأوَّلُ أظهَرُ.

***

(٨) - ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾.

﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾؛ أي: طلَبْنا خبَرَ السَّماءِ، أو المصيرَ إلى السَّماءِ، فحُذِفَ المضافُ.

واللَّمسُ: طلبُ إدراكِ الملموسِ بحاسَّةِ اللَّمسِ، وهو اليدُ في الغالبِ والرِّجْلُ وظاهرُ الجسدِ(١).

وقيلَ: جعلَ مَصيرَهُم إلَيْها لمسًا. وهوَ مِن الأوَّلِ أيضًا.

وقيلَ: معنى ﴿لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾: قارَبْنا السَّماءَ، وهذا كلامُ الجنِّ بعضِهم لبعضٍ(٢)؛ أي: أتينا لنَسْتمعَ إلى ما يكونُ فيها.

﴿فَوَجَدْنَٰهَا﴾؛ أي: السَّماءَ، وقيلَ: أبوابَها، وقيلَ: طُرُقَها. ﴿مُلِئَتْ حَرَسًا﴾: حفظةً، جمعُ حارسٍ، وقيلَ: مَصدَرٌ؛ أي: يحرسُها الملائكةُ حَرَسًا ﴿شَدِيدًا﴾: قويًّا ﴿وَشُهُبًا﴾: جمعُ شِهابٍ، وهوَ المُضيءُ المتوَقِّدُ من النَّارِ.

***

---

(١) في (ن): «وهو في اليدِ في الغالب والرجلِ وظاهرِ الجسد».

(٢) في (ف): «بعضًا».

(٩) ـ ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا﴾.

﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا﴾؛ أي: مِن السَّماءِ ﴿مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ﴾؛ أي: للاستماعِ مِن[1] الملائكةِ ما يقولونَ فِيما بينَهُم مِنَ الكَوائِنِ قبلَ اليومِ.

﴿فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ﴾: طلبَ السَّمعَ مِن جِهةِ السَّماءِ ﴿يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا﴾: جمعُ رَاصِدٍ؛ أي: حَفظةً تَمنعُ مِن الاستماعِ، وهو بَدلٌ مِن قولِهِ: ﴿شِهَابًا﴾.

وقيلَ: ﴿رَّصَدًا﴾ يَرصدُونَهُ ليرجموهُ بهِ.

وقيلَ: نجمًا رُصِدَ له[2] يمنَعُهُ ويزجرُهُ عنِ الاستماعِ.

والجمهورُ على أنَّ ذلكَ لم يكُنْ قبلَ مَبعَثِ محمَّدٍ ﷺ.

وقيلَ: كانَ الانقِضاضُ، ولم يكُنْ يُرجَمُ بها الشَّياطِينُ حتى بُعِثَ محمَّدٌ عليهِ السَّلامُ[3].

الزُّهريُّ: كانَ يُرمَى بالنُّجومِ ويُرجَمُ بها الشَّياطينُ في الجاهليَّةِ، لكن غُلِّظَ وشُدِّدَ أمرُها حينَ بُعِثَ النبيُّ ﷺ[4].

***

(١٠) ـ ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾.

﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ﴾؛ أي: عذابٌ وهَلاكٌ حينَ اشتدَّتْ حِراسَةُ السَّماءِ ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾: خَيرًا؟

---

(١) في (ف): «عن».

(٢) بعدها في (ن): «أي».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٦١)، واستغربه.

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٣٤٩)، وعبد بن حميد كما في «المنتخب» (٦٨٣)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٢٣٧ ـ ٢٣٨).

وقيلَ: ﴿رَشَدًا﴾: إرسالَ رسولٍ يُرشِدُهم.

وقيلَ: لا ندري: أرادَ اللهُ رَشَدًا ببعثِ هذا الرَّسولِ فيُرشِدَهم، أمْ أرادَ أنْ يَكْفُروا بهِ فيُهلِكَهُم؟

***

(١١) ـ ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾.

﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ﴾؛ أي: المؤمنونَ، ﴿وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: الكافرونَ.

وقيلَ: ﴿ٱلصَّٰلِحُونَ﴾: أصحابُ الخيرِ، و﴿دُونَ ذَٰلِكَ﴾: أصحابُ الشرِّ.

﴿كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾: كنَّا ذوي مَذاهِبَ مُتفرِّقةٍ وأَديانٍ مُختلِفةٍ.

وقيلَ: فِرَقًا شتَّى، ويقالُ لشَريفِ القومِ: الطَّريقةُ[1].

والقِدَدُ: جمعُ قِدَّةٍ، وهي: الطريقةُ، مُشتَقَّةٌ مِن القَدِّ، وهوَ: القَطْعُ.

***

(١٢) ـ ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا﴾.

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ﴾: علِمْنا وأَيْقنَّا ﴿أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: إنْ أرادَ بنا أَمْرًا، ﴿وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا﴾: لَنْ نفوتَهُ.

ويحتمِلُ: ﴿وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا﴾ إنْ صَعدْنَا إلى السَّماءِ.

***

(١٣) ـ ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾.

﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾؛ أيْ: لَمَّا سَمعْنا القُرآنَ ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾؛ أي: بالقُرآنِ.

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٦١)، واستغربه.

وقيلَ: بمحمَّدٍ عليهِ السَّلامُ، ولن[1] يبعثَ اللهُ نبيًّا إلى الجنِّ إلا محمَّدًا ﷺ.

وقيلَ: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾؛ أي: باللهِ.

﴿فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا﴾: نقصًا في الحسناتِ، ﴿وَلَا رَهَقًا﴾: زيادةً في السَّيِّئاتِ.

ويقال: الرهقُ: العَذابُ هاهنا.

* * *

(١٤ ـ ١٥) ـ ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾.

﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ﴾؛ أي: المؤمنونَ ﴿وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ﴾؛ أي: الكافِرونَ[2] الجائِرونَ، والقَسْطُ بالفَتحِ: الجَوْرُ.

﴿فَمَنْ أَسْلَمَ﴾: أخلَصَ إيمانَهُ ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا﴾: قَصدوا وتوجَّهوا صَوابًا مِن القَولِ والفِعْلِ، ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ﴾: الجائِرونَ ﴿فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾؛ أي: كانوا في علمِ اللهِ ـ فيكونُ كذلكَ ـ وَقودَ النَّارِ.

* * *

(١٦) ـ ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾.

﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم﴾: فيهِ أقوالٌ:

أحدُها: لو استقامَ الجنُّ والإنسُ على طَريقَةِ الإِسلامِ ﴿لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾؛ أي: لجعَلْنا لَهُم سَقْيًا، وهو الماءُ[3] العَتيدُ لوقتِ الحاجةِ، والمعنى: لوَسَّعْنا عليهِمُ الرِّزْقَ وكثَّرْنا مَواشِيَهُم وأَمْوالَهُم.

---

(١) هذا القول ليس في (ف)، وهو هكذا بلفظ «لمن»، والسياق يقتضي «لم»، وانظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٣٠)، و«تفسير القرطبي» (١٦/ ٢١٧).

(٢) «الكافرون»: ليس في (ن).

(٣) في (ف): «إما».

وقيلَ: أرادَ بهِ نَعيمَ الجنَّةِ.

الثاني: قالَ ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: لو استقامَ أهلُ مَكَّةَ على طريقَةِ الإسلامِ وآمَنُوا ﴿لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾؛ أي: لهديناهُم إلى الصِّراطِ المستقيم(١)، فهوَ مَثَلٌ.

والثالثُ: لو استقامَ أهلُ الكُفرِ على كُفْرِهِم ﴿لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾: وسَّعْنا عليهِم الدُّنْيا.

والرابعُ: لو كَفَروا ﴿لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾: كنايةً عن الإهلاكِ بالماءِ كما كانَ لِقومِ نوحٍ عليهِ السَّلامُ(٢).

***

(١٧) ـ ﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾.

﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾: لنُعذِّبهم بهِ، ولِنَخْتبرَهُم بذلكَ.

﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ﴾؛ أي: عنِ القرآنِ، وقيلَ: عن التَّوحيدِ ﴿يَسْلُكْهُ﴾: يُدخِلْهُ ﴿عَذَابًا صَعَدًا﴾: شاقًّا؛ كقولِه: ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ [المدثر: ١٧]، وهوَ كِنايةٌ عن غايةِ الشِّدَّةِ.

ابنُ عيسى: مُتَصَعِّدًا في العِظَمِ(٣).

ابنُ عباسٍ: الصَّعَدُ: جبلٌ في جهنَّمَ(٤).

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٦٢)، وعده من العجائب. وانظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٤٦٤).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٦٢)، واستغربه.

(٣) في (ف): «في الشدة».

(٤) رواه هناد بن السري في «الزهد» (٢٧٩)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٣٣٩)، والحاكم في «المستدرك» (٣٨٥٩).

(١٨) ـ ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾.

﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ تقديرُهُ: ولأنَّ المساجِدَ للهِ ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾.

وقيلَ: ﴿أَنَّ﴾: عطفٌ على ما تقدَّمَ[١].

وقيلَ: محلُّهُ رفعٌ بالابتداءِ[٢]، وهذا بعيدٌ؛ لأنَّ (أنَّ) معَ ما بعدَهُ إذا وقعَ مُبتدأً تقدَّمَ الخبرُ عليهِ أَلْبَتَّةَ.

والمساجِدُ: جَمعُ (مَسجِدٍ) بالكسرِ، وأرادَ به: بيوتَ العِبادَةِ.

قتادةُ: كانَتِ اليهودُ والنَّصارَى إذا دخلوا كنائِسَهُم وبِيَعَهُم أَشْركوا باللهِ، فأمرَ اللهُ تعالى المُسلمينَ[٣] بتوحيدِهِ[٤].

وقيلَ: المساجِدُ: المواضعُ التي يَسجُدُ علَيْها العَبدُ.

وقيلَ: هو جمعُ (مَسجَدٍ) بالفتحِ؛ أي: الأعضاءُ السَّبعةُ التي يَسجُدُ عَليها الإِنسانُ؛ اليَدانِ والرِّجلانِ والرُّكبتانِ والجَبهَةُ[٥].

وقيلَ: جمعُ (مَسجَدٍ) الذي هو المَصدَرُ، والمعنى: السَّجَداتُ للهِ.

وقيلَ: أرادَ بالمساجِدِ وجوهَ العِبادَةِ والخُضوعِ.

ويَحتمِلُ أنَّ المرادَ بالمساجِدِ الأَرْضُ؛ لقولِهِ عليهِ السَّلامُ: «جُعِلَتْ لِيَ

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٦٢)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٦٢)، وعده من العجائب.

(٣) في (ف): «المؤمنين».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٣٤١)، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٥٠٧).

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٦٢)، وعده من العجائب.

الأَرْضُ مَسـجِدًا وطَهُـورًا»[١]، والمعنـى: لا تَعبُـدُوا غيـرَ اللهِ فـي أرضِ اللهِ[٢].

﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾؛ أي: لا تُراؤُوا فيها. ومَن حَملَهُ على الأعضاءِ؛ أي: لا تَضَعُوا جِباهَكُم ولا أيدِيَكُم على الأَرضِ خِدمَةً إلا للهِ.

سعيدُ بن جُبَيرٍ وسُفيانُ قالا: قالتِ الجنُّ: كيفَ لنا بمَسجِدِكَ ونحنُ بالبُعْدِ منكَ؟ فأنزلَ اللهُ تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾[٣].

***

(١٩) ـ ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾.

﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ﴾: محمَّدٌ ﷺ ببطنِ نخلة ليلةَ الجنِّ ﴿يَدْعُوهُ﴾: يقولُ: لا إلهَ إلا اللهُ، وقيلَ: يقرأُ القرآنَ، وقيلَ: يصلِّي.

﴿كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾؛ أي: يسقطونَ عليهِ جَماعاتٍ حِرصًا على ما سَمِعُوا مِن القرآنِ ورغبةً في الإسلامِ.

مَكحولٌ: إنَّ الجنَّ بايَعُوا رسولَ اللهِ ﷺ في هذهِ اللَّيلَةِ وكانوا سَبعينَ ألفًا، وفرغَ مِن البَيعَةِ عندَ انشقاقِ الفَجرِ[٤].

---

(١) رواه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١)، من حديث جابر رضي الله عنه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٦٢) واستغربه.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٣٤١) عن سعيد بن جبير، وعزاه الشبلي في «آكام المرجان» (ص: ١٠١) إلى سفيان فقال: «وروى سفيان الثوري في تفسيره عن إسماعيل البجلي عن سعيد بن جبير»، وذكره. وكذا فعل السيوطي في «الأشباه والنظائر» (ص:٢٥٨)، وابن حجر الهيتمي في «الفتاوى الحديثية» (ص: ١٦٦)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٦٠)، وعده من العجائب.

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٢١) من رواية مكحول عن ابن مسعود رضي الله عنه، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٦٠) عن مكحول، واستغربه.

سعيدُ بنُ جُبَيرٍ: هذا أيضًا مِن كَلامِ الجِنِّ؛ أي: قالتِ الجنُّ لإِخْوانِهِم: رأينا أصحابَ محمَّدٍ عليهِ السَّلامُ يركعونَ بِركوعِهِ، ويَسجُدُونَ بِسُجُودِهِ، وكادوا ينثالون عليهِ مُجتمِعينَ[١].

قتادَةُ: أرادَ: كادَ الإِنسُ والجنُّ يجتَمِعُونَ على إبطالِ الحقِّ، ويأبَى اللهُ إلَّا أنْ يُتِمَّ نُورَهُ[٢].

و﴿لِبَدًا﴾: جَمْعُ لِبْدَةٍ[٣]، وهي الرِّجْلُ منَ الجرادِ، وأصلهُ مِن الجَمْعِ.

***

(٢٠) ـ ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا﴾.

﴿قال﴾ يعني: محمَّدًا عليهِ السَّلامُ: ﴿إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي﴾ في صلاتي، ﴿وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا﴾ من الأوثانِ، فكونوا أنتُمْ كذلكَ.

---

(١) رواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٣٤٤). ورواه بنحوه أيضاً الإمام أحمد في «المسند» (٢٤٣١)، والترمذي (٣٣٢٣)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٣٤٤)، والحاكم في «المستدرك» (٣٨٦٠)، من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقال الترمذي: «حسن صحيح»، وصححه الحاكم، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٦٣)، وعده من العجائب.

وقوله: «ينثالون»؛ قال في «القاموس» مادة: (ث و ل): انثال: انصبَّ.

وعبارة: «وكادوا ينثالون عليهِ مُجتمِعينَ» لم أجدها في مصادر التخريج.

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٣٥٦)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٣٤٤)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٦٣) دون نسبة، واستغربه.

(٣) وقرأ هشام عن ابن عامر: ﴿لبداً﴾ بضم اللام. انظر: «السبعة» (ص: ٦٥٦)، و«التيسير» (ص: ٢١٥). و(لُبَد) بضم اللام: جمع لُبْدة، وهي في معنى اللِّبدة. انظر: «الكشاف» (٤/ ٦٣٠).

وروى سفيانُ الثوريُّ في «تفسيره» عن إسماعيلَ البَجَليِّ عن سعيدِ بن جُبيرٍ: قرئ ﴿قُلْ﴾ على الأمرِ مُوافقَةً لِمَا بعدَهُ[1].

***

(٢١) ـ ﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾.

﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا﴾: في دينِكُم ودُنْياكُم ﴿وَلَا رَشَدًا﴾: أرشدكُم.

وقيلَ: عذابًا ولا نَعيمًا.

وقيلَ: لا موتًا ولا حَياةً.

وقيلَ: لا ضَلالًا ولا هِدايةً؛ لأني عبدٌ مِثلُكُم، بلْ ذلكَ إلى اللهِ تعالى القادرِ على كلِّ شيءٍ.

***

(٢٢) ـ ﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾.

﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ﴾: لن يمنَعَني مِن عَذابِهِ مَانِعٌ إنْ عَصيْتُهُ.

وقيلَ: لَنْ يمنَعَني ممَّا قُدِّرَ عليَّ.

وجاءَ في التَّفسيرِ: أنَّ جِنيًّا مِن أشرافِ الجِنِّ ذا تَبَعٍ قـالَ: إنَّ محمَّدًا يريدُ أنْ يُجيرَهُ أَحَدٌ فأنا أُجِيرُهُ، فأنزلَ اللهُ تعالى هذهِ الآيةَ[2].

---

(١) وهي قراءة عاصم وحمزة من السبعة، والباقون: ﴿قال﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٦٥٧)، و«التيسير» (ص: ٢١٥).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٣٤٨) عن المعتمر بن سليمان عن أبيه قال: زعم حضرمي، فذكره. وحضرمي شيخ بالبصرة، وكان قاصًا، وقال أحمد: لا أعلم يروي عنه غير سليمان التيمي. قاله في «التهذيب».

وروَى الماورديُّ أنَّ ابنَ مَسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ: لَمَّا تقدَّمَ النَّبيُّ ﷺ إلى الجنِّ ازدَحمُوا عليهِ فقالَ سَيِّدٌ لهُم ـ يُقالُ لهُ: وَرْدَان ـ: أنا أزجلهم[١] عنكَ، فقالَ له: ﴿إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ﴾[٢].

قولُه: ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾: مَذهبًا ومَدخلًا في الأرضِ.

وقيلَ: وليًّا ومَوئِلًا.

الحسنُ: مُستندًا يومَ القيامةِ[٣].

والمُلتَحَدُ: المَوضِعُ أو الشَّيءُ يميلُ إليهِ الإنسانُ، مِن اللَّحدِ والإلحادُ، وهوَ المَيلُ، والمُلتجَأُ مِثلُهُ.

* * *

(٢٣) ـ ﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾.

﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ ﴿بَلَٰغًا﴾: نصبٌ على البَدلِ مِن قولِه: ﴿مُلْتَحَدًا﴾، والمعنى: لا ينجِّينِي إلَّا أنْ أُبلِّغَ عنِ اللهِ ما أُرسِلْتُ بِهِ.

وقيلَ: المعنى: لا أملِكُ لكُمْ ضرًا ولا رَشَدًا إلا أنْ أُبلِّغَكُم مَا أُرسِلتُ بهِ.

الفَرَّاءُ: هذا شرطٌ وجَزاءٌ، وليسَ باستثناءٍ، و(إنْ) منفصلةٌ مِن (لا)، وتقديرُه:

---

(١) في (ف) و«دلائل النبوة»: «أرحلهم»، وفي «النكت والعيون» و«غرائب التفسير»: «أزجلهم»، وفي «تفسير السمعاني»: «أجيرك»، وفي (ن): «أرجئهم»، ومعنى أزجلهم: أبعدهم وأزجُّهم. انظر: «المخصص» (٤/ ١٠١).

(٢) انظر: «النكت والعيون» (٦/ ١٢١)، ورواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٢٣٢)، وذكره السمعاني في «تفسيره» (٦/ ٧٢)، والمصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٦٣)، واستغربه.

(٣) لم أقف عليه.

إنْ لَا بلاغًا، والمعنى: إنْ لم أُبلِّغْ فلَا مُجيرَ لي، كما تقولُ العربُ: إنْ لا إعطاءً فردًّا جميلًا، والمعنى: إنْ لم تُعطِ فرُدَّ[1].

وقيلَ: تقديرُه: ﴿لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا ... إِلَّا بَلَٰغٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾.

والبلاغُ في هذهِ الوُجوهِ واقعٌ مَوقِعَ التَّبليغِ.

ابنُ بحرٍ: لن يجيرَني إلَّا العَمَلُ بما يَبلُغُني مِن اللهِ[2].

﴿وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾: أوامرِهِ ونواهِيهِ. ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ فيما يدعوهُ إليهِ منَ التَّوحيدِ ﴿فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾.

***

(٢٤) ـ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ أَضۡعَفُ نَاصِرٗا وَأَقَلُّ عَدَدٗا﴾.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ﴾ في الآخرةِ، وقيلَ: يومَ بدرٍ[3].

﴿فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ أَضۡعَفُ نَاصِرٗا وَأَقَلُّ عَدَدٗا﴾: هذا جوابٌ لمشركي مكّةَ[4] حينَ استعجلوا العذابَ وقالوا: هُم بالإضافةِ إلينا كالحَصاةِ مِن جَبلٍ.

***

(٢٥) ـ ﴿قُلۡ إِنۡ أَدۡرِيٓ أَقَرِيبٞ مَّا تُوعَدُونَ أَمۡ يَجۡعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا﴾.

﴿قُلۡ إِنۡ أَدۡرِيٓ﴾: مَا أدري ﴿أَقَرِيبٞ مَّا تُوعَدُونَ﴾ مِن العذابِ في الدُّنيا، وقيلَ: هوَ يومُ القيامَةِ، ﴿أَمۡ يَجۡعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا﴾: غايةً تَطولُ مُدَّتُها.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٩٥)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٦٣)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٦٣)، وعده من العجائب.

(٣) «في الآخرة، وقيل: يوم بدر» جاءت في (ن) متقدمة على الآية عقب قوله: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾.

(٤) في (ن): «العرب»، والمثبت من (ف) وهامش (ن).

(٢٦) - ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا﴾.

﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ﴾: صِفةٌ لـ﴿رَبِّيٓ﴾: وقيلَ: بدلٌ، وقيلَ: هو عالمُ السِّرِّ.

وقيلَ: الغيبُ ما هوَ كائِنٌ [ممَّا][1] لم يكُنْ.

وقيلَ: الغَيبُ أمرُ القِيامَةِ.

ابن زيدٍ: الغيبُ القُرآنُ[2].

﴿فَلَا يُظۡهِرُ﴾: لا يُطلِعُ ﴿عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا﴾ مِن خلقهِ، فيَعلمَهُ.

* * *

(٢٧) - ﴿إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا﴾.

﴿إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ﴾؛ أي: إلَّا رسولًا قد ارتضاهُ لعِلْمِ بعضِ الغَيبِ؛ لِيكونَ إخبارُهُ عن الغيبِ مُعجِزَةً له، وقيلَ: هو جبريلُ عليهِ السَّلامُ.

﴿فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا﴾: حرسًا مِن الملائكةِ يحفَظونَ الوَحيَ.

وقيلَ: يحفظونَ الرَّسولَ، ويَزجرونَ[3] الشَّياطينَ عنهُ فلا يَقْربوهُ.

وقيلَ: يحفظونَ جِبريلَ؛ لأنَّ جِبريلَ عليهِ السَّلامُ إذا بُعِثَ إلى نبيٍّ من الأنبياءِ انحدرَ مَعهُ عِدَّةٌ من كلِّ سماءٍ إلى التي تَليها، ويَنحَدِرُ مِن السَّماءِ الدُّنيا عِدَّةٌ، فيحيطونَ به وبالوحيِ حتى يَفرغَ مِن وَحيِهِ؛ كيلا يقربَهُ شَيطانٌ ولا جانٌّ فيذهبَ بهِ إلى الكاهنِ، حتى يكونَ الرَّسولُ هو أولُ مَن يَتكلَّمُ بهِ.

---

(١) ما بين معكوفتين من «تفسير الطبري» (٩/ ٢٨٣) و(١٠/ ٦١٦) و(١٨/ ٥٩٦).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٣٥٢)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٢٢).

(٣) في (ف): «ويدحرون».

الزجَّاج في جماعةٍ: يُنَزِّلُ اللهُ مع جبريلَ أربعةً مِن الملائكةِ يحفظونَهُ من الجنِّ[١].

ابنُ بحرٍ: ﴿رَصَدًا﴾: طريقًا؛ يعني: فإنَّهُ يجعَلُ للرَّسولِ إلى علمِ بعضِ ما كانَ قبلَهُ وما يكونُ بعدَهُ طَريقًا، فيكونُ لهُ عونًا ومُعجِزَةً على صِدقِ ما أتى بهِ[٢].

***

(٢٨) - ﴿لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾.

﴿لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ﴾:

قيلَ: ليعلَمَ الرَّسولُ أنَّهُ أتاهُ[٣] ولَمْ يأتِ غيرَهُ.

وقيلَ: ليعلَمَ الرَّسولُ أنَّ الرُّسُلَ قبلَهُ قدْ أبلَغُوا رِسالاتِ رَبِّهم.

وقيلَ: ليعلمَ محمَّدٌ ﷺ، وقيلَ: ليعلَمَ الجنُّ، وقيلَ: ليعلَمَ مَن كذَّبَ الرُّسُلَ: أنَّ الرُّسُلَ قَدْ بلَّغَتْ عنِ اللهِ ما أمرَهُم بهِ.

الزَّجَّاجُ: ﴿لِيَعْلَمَ﴾ اللهُ ﴿أَن قَدْ أَبْلَغُوا﴾؛ أي: الرُّسُلُ ﴿رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ﴾[٤].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٣٨)، وفيه: «إذا نزل الملك بالوحي أرسل الله معه رصداً يحفظون الملك من أن يأتي أحد من الجن فيستمع الوحي فيخبر به الكهنة فيخبروا به الناس فيساؤوا الأنبياء».

ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٣٥٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: «أربعة حفظة من الملائكة مع جبرائيل».

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٢٢).

(٣) في (ف): «أتاهم».

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٣٨).

﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ الفعلُ للهِ تعالى بالإجماعِ، وهو عَطْفٌ على قولِه: ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا﴾.

﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾: عَلِمَ عَددَ الأَشياءِ كُلِّها[١].

وأجازَ الزَّجَّاجُ أنْ يَنتصِبَ قولُه: ﴿عَدَدًا﴾ على الحالِ، وعلى المصدَرِ[٢]، واللهُ أعلَمُ.

***

(١) فـ ﴿عَدَدًا﴾ على هذا تمييز محوَّل عن مفعول به.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٣٨).

سُورَةُ المُزَّمِّل

عِشرونَ آيةً[1]، مَكيَّةٌ.

ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: إلا آيتينِ مِنها، وهما: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ﴾ إلى آخرِها[2].

وقيلَ: مَكيَّةٌ إلا قولَه: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ والتي بعدَها[3].

بِسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾؛ أي: المُتزَمِّلُ بثيابهِ، والتَّزمُّلُ: التَّلفُّفُ، فأُدْغمَ التاءُ في الزَّايِ.

ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: يريدُ النبيَّ ﷺ، وكان يَفرَقُ مِن جبريلَ عليهِ السَّلامُ، ويتزَمَّلُ في الثِّيابِ أوَّلَ ما جاءَهُ[4]، ويأتي بيانُهُ في (المُدَّثِرِ)، فأتاهُ وهو

---

(١) «عشرون آية»: ليس في (ف). وانظر: «البيان في عد آي القرآن» للداني (ص: ٢٥٧)، وفيه: «ثماني عشرة آية في المدني الأخير، وتسع عشرة في المكِّي بخلاف عنه وفي البَصْري، وعشرون في عدد الباقين وفي المكِّيّ من روايتنا، اختلافها أربع آيات...».

(٢) ذكره عنه النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٧٥١)، والداني في «البيان في عد آي القرآن» (ص: ٢٥٧).

(٣) انظر: «النكت والعيون» (٦/ ١٢٤) عن ابن عباس وقتادة، وذكره الجرجاني في «درج الدرر» (٤/ ١٦٦٩) عن قتادة.

(٤) ذكره مكي في «الهداية» (١٢/ ٧٧٨٤)، والواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٣٤٢)، والسمعاني في «تفسيره» (٦/ ٧٦).

متلفِّفٌ في قَطيفَةٍ[١]، هذا فيمَنْ لم يجعَلْهُ مِن أوائلِ القُرآنِ.

عائشةُ رضيَ اللهُ عنها: كان متلفِّفًا في مِرْطٍ لهُ طُولُهُ أربعةَ عشرَ ذِراعًا نصفُهُ عليَّ وأنا نائمةٌ، ونصفُهُ على رسولِ اللهِ ﷺ وهو قائمٌ يُصلِّي[٢].

السُّدِّيُّ: يا أيُّها النَّائِمُ. قالَ: وكانَ مُتلفِّفًا في ثيابِ نَومِهِ[٣].

وقيلَ: كانَ مُتَلَفِّفًا بثيابِهِ للصَّلاةِ.

وعن ابن عباسٍ أيضًا: المتزمِّلُ بالقرآنِ[٤].

عكرمةُ: المتزمِّلُ بالنبوَّةِ[٥].

وقيلَ: هو مِن (الزِّمْلِ) بمعنى: الحِملِ، ومنهُ: الزَّامِلَةُ؛ أي: المُتحمِّلُ بأعباءِ النُّبوَّةِ، وإلى هذا المعنى ذهبَ عِكرمَةُ[٦].

وقيلَ: ناداهُ بالمزَّمِّلِ والمُدَّثرِ في أوَّلِ أمرِهِ؛ لأنه لم يكُنْ قد شَرعَ بعدُ في الأمرِ، فلمَّا شرعَ خاطبَهُ بالنبوَّةِ والرِّسالةِ.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٨/ ٣١٣) عن إبراهيم النَّخعي قال: «نزلت وهو في قطيفة».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ٤٦٩ـ٤٧٠). وقال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٤/ ١٠٧): «غريب». وقال ابن حجر في «الكافي الشاف» (ص: ١٧٨): «لم أره هكذا». ورده عدد من المفسرين بأن السورة مكية، وأن ذلك كان في بيت خديجة رضي الله عنها كما هو مشهور ومعلوم.

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٣٤٢)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ٤٧١) بلفظ: «يا أيها النائم، قم فصل».

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٢٥).

(٥) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٢٥)، ورواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٦٥٥٩)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٣٥٨) بلفظ: «زملت هذا الأمر فقم به»، وبهذا اللفظ رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٨٦٣) من طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما، وصححه.

(٦) انظر التعليق السابق.

وقيلَ: هذا إبداءُ إيناسٍ وإزالةُ وَحشَةٍ كما قالَ لموسى عليهِ السَّلامُ: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ١٧].

وقيلَ: معناهُ: يا حامِلَ الذِّكرِ سنرفَعُ لكَ ذِكرَكَ[1].

***

(٢) - ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

﴿قُمِ ٱلَّيْلَ﴾؛ أي: للصَّلاةِ[2] عندَ الجمهورِ، وقيامُ اللَّيلِ عِبارَةٌ عن الصَّلاةِ فيهِ.

وقيلَ: ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ﴾ لِقراءَةِ القُرآنِ؛ لقوله: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤].

﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾؛ أي: مِن اللَّيلِ تنامُ فيهِ.

وكانَ قِيامُ اللَّيلِ فرضًا عليهِ وحدَهُ؛ لقولِهِ: ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ﴾.

وقيلَ: عليهِ وعلى أصحابِهِ؛ لقوله: ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ [المزمل: ٢٠]. حتى نُسِخَ بالصَّلواتِ الخمسِ بعدَ سَنةٍ، وقيلَ: بعدَ ثمانيةِ أَشهُرٍ، وقيلَ: بعدَ سِتَّة عشرَ شهرًا.

وقيلَ: نُسِخَ بآخرِ السُّورَةِ، وهو قولُه: ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾.

ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: بينَ أَوَّلِ سورةِ المزَّملِ وآخرِهَا سَنةٌ[3].

وقيلَ: بقيَ في حقِّ النبيِّ ﷺ فرضًا إلى عشرِ سنينَ، ثم خُفِّف عنهُ[4].

وقيلَ: كان فرضًا عليهِ إلى أَنْ قُبِضَ صلواتُ اللهِ عليهِ[5].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٦٥)، وعده من العجائب.

(٢) في (ف): «الصلاة».

(٣) رواه أبو داود (١٣٠٥).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٣٦١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٧٩)، عن سعيد بن جبير مرسلًا.

(٥) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (١٠/ ٢٩٣) دون نسبة. وإلى هذا ذهب من قال: إن =

وقيلَ: لم يكُنْ قيامُ الليلِ فرضًا عليهِ بَل كانَ تَطوُّعًا؛ لأنه جعلَ الاختيارَ إليهِ في المقدارِ في قوله:

(٣ ـ ٤) ـ ﴿ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾.

﴿ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ ﴾ الجمهورُ على أنَّ اللهَ تعالى خيَّرَهُ بين أن يقومَ ثلثي الليلِ أو نصفَهُ أو ثلثَهُ، واختلفوا في التَّقديرِ:

فذهبَ بعضُهُم إلى أنَّ ﴿ نِّصْفَهُۥٓ ﴾ بدلٌ من القليلِ، وفيهِ ضَعفٌ؛ لأنَّ أحدَ النِّصفينِ مُسَاوٍ للنِّصفِ الآخرِ، فلا يكونُ أحدُهُما قليلًا والآخرُ كثيرًا.

وقيلَ: بدلٌ من ﴿ ٱلَّيْلَ ﴾ بعد الاستثناءِ، وهذا أيضًا ضعيفٌ؛ لتلكَ العلَّةِ.

وقيلَ: بدلٌ من ﴿ ٱلَّيْلَ ﴾ قبلَ الاستثناءِ، وتقديرُه: قم الليلَ نصفَهُ إلا قليلًا، وقال بعضُهُم: تقديرهُ: قم الليلَ نصفَهُ إلا قليلًا من النِّصفِ، فقَدَّمَ المستثنَى على المستثنَى منهُ كقولهِ:

ومـا لـيَ إلَّا آلَ أحـمـدَ شِيـعَـةٌ ... وما ليَ إلَّا مَشْعَبَ الحقِّ مَشْعَبُ[1]

فعلى هذينِ القولينِ لا يكونُ في الآيةِ نصٌّ على النصف.

وقال بعضُهم: ﴿ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ هو الثلثُ، ثم قالَ: قم نصفَه.

وقال بعضُهم: لمَّا قالَ: ﴿ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ كان مبهَمًا، ففسَّره بما بَعْدَه فقال: ﴿ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ ﴾ من النصف إلى الثلث ﴿ أَوْ زِدْ ﴾ على النصف إلى الثُّلُثين.

= قيام الليل نسخ فرضه عن الأمة وبقي في حق الرسول ﷺ. انظر: «النكت والعيون» (٦/ ١٢٥)، و«المصفى بأكف أهل الرسوخ» لابن الجوزي (ص/ ٥٨).

(١) في (ن): «وما ليَ إلاَّ مَذهَبَ الحقِّ مَذهَبُ». والبيت للكميت كما في «ديوانه» (ص: ٥١٧)، و«العين» (١/ ٢٦٣)، و«الكامل» (٢/ ٦٩).

وقال بعضُهم: ﴿أَوِ انقُصْ﴾ من النصف ﴿قَلِيلًا﴾ إلى الرُّبع، قاس القليلَ الثانيَ على القليلِ الأولِ فجعَله نصفَ النِّصفِ ﴿أَوْزِدْ عَلَيْهِ﴾: على الرُّبع إلى الثُّلث، فيكونُ الحَتْمُ(١) ثلثَ اللَّيل.

وقال بَعضُهُم: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ يعودُ إلى أعدادِ اللَّيلِ، وجازَ لأنَّ الليلَ للجنسِ، وتقديرُهُ: قمِ اللَّيالِيَ جميعًا إلا قليلًا مِن الأَعدادِ يقعُ لك فيها أعذارٌ(٢)، ثمَّ بيَّنَ مِقدارَ ما يقومُ من الليلِ فقال: ﴿نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْزِدْ عَلَيْهِ﴾.

وقال الأخفشُ: تقديرُه: إلا قليلًا أو نصفَهُ أو انقُصْ منهُ قليلًا أو زِدْ عليهِ، فحُذِفَ (أو) لأنَّ ما بعدَهُ يدلُّ عليهِ؛ كما تقولُ: له عليَّ دِرهَمٌ دِرهمانِ أو ثلاثةٌ(٣).

وقال بعضُهم: هذا على حَسَبِ طولِ اللَّيلِ(٤) وقصرِه(٥)، فالنِّصفُ إذا استوى الليلُ والنَّهارُ، ﴿أَوِ انقُصْ﴾ إذا قصُرَ الليلُ ﴿أَوْزِدْ عَلَيْهِ﴾: إذا طالَ اللَّيلُ(٦)، واللهُ أعلَمُ.

﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾: ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: بيِّنْه تبيينًا(٧)؛ أي: بيِّن الحروفَ ووَفِّ حقَّها كأنَّكَ تفصِلُ بين الحرفِ والحرفِ، مُشتَقٌّ مِن قولهم: ثَغْرٌ رَتْلٌ ورَتِلٌ؛ إذا كان مُفلَّجًا، والترتيلُ: أداءُ الحروفِ، وحفظُ الوقوفِ.

وقيلَ: معناه: اقرَأْ ثلاثَ آياتٍ وأربعَ آياتٍ؛ لأنَّ ذلكَ أبلَغُ في التَّدبُّرِ والتفكُّرِ.

---

(١) في (ف): «الختم».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٦٦)، واستغربه.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٥٥٢).

(٤) في (ف): «حسب الطول».

(٥) في النسختين: «وقصرها»، والمثبت أولى.

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٦٦)، وعده من العجائب.

(٧) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٨٧٢٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٨٠).

سعيدُ بن جبيرٍ: معناه: فسِّره تفسيرًا[1].

وقيلَ: اقرَأْ على ترتيبِهِ؛ لا تقدِّمْ مُؤخَّرًا، ولا تؤخِّرْ مُقدَّمًا.

وقيلَ: تفهَّمْهُ تاليًا له.

وقيلَ: فصِّله تَفصيلًا، ولا تَعْجَلْ في قِراءَتِهِ.

قطرب: رَتِّلْ؛ أي: ضعِّفْ صوتَكَ، واقرَأْ بصوتٍ حزينٍ[2].

أمُّ سلمةَ رضيَ اللهُ عنها: كان رسولُ اللهِ ﷺ يقطِّعُ قراءَتَهُ آيةً آيةً[3].

أنسُ رضيَ اللهُ عنهُ: كان النبيُّ ﷺ يمدُّ صوتَهُ مَدًّا[4].

* * *

(٥) ـ ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾.

﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ﴾: سننزِّلُ عليكَ ﴿قَوْلًا ثَقِيلًا﴾: يريدُ القرآنَ؛ أي: رَصِينًا رزينًا ليس بسَفْسافٍ خَفِيفٍ.

وقيلَ: ﴿ثَقِيلًا﴾ في الميزانِ يومَ الحسابِ.

وقيلَ: ﴿ثَقِيلًا﴾ حقًّا؛ لأنَّ الحقَّ ثَقيلٌ.

وقيلَ: ﴿ثَقِيلًا﴾ على الكفَّارِ والمنافقينَ.

---

(١) ذكره بكر بن العلاء في «أحكام القرآن» (٢/ ٦٣٢)، والماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٢٦).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٦٦)، واستغربه.

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٦٥٨٣)، وأبو داود (٤٠٠١)، ورواه الترمذي (٢٩٢٧) وقال: «غريب»، وبلفظ قريب (٢٩٢٣) وقال: «هذا حديث حسن صحيح غريب».

(٤) رواه البخاري (٥٠٤٥)، ولفظه عن قتادة: سألت أنس بن مالك، عن قراءة النبي ﷺ فقال: «كان يمد مدًّا».

وقيـلَ: ﴿ثَقِيلًا﴾ علـى النبيِّ عليهِ السَّـلامُ؛ لِمَا يلحقُهُ مِن المشـاقِّ فـي إبلاغِهِ، والمجاهـدةِ به مـع الكفَّارِ.

وقيلَ: ﴿ثَقِيلًا﴾ بالأمرِ والنَّهيِ والحدودِ والأحكامِ.

ويحتمِلُ أنَّ ﴿ثَقِيلًا﴾ صفةٌ للمَصدَرِ(١)؛ أي: إلقاءً ثقيلًا؛ لِمَا رويَ عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها قالت: لقد رأيتُهُ ـ يعني: النبيَّ ﷺ ـ ينزلُ عليهِ الوَحْيُ في اليومِ الشَّديدِ البردِ فينفَصِمُ عنهُ وإنَّ جبينَهُ ليَرْفَضُّ عَرَقًا(٢).

وعنها أيضًا أنها قالَتْ: إنْ كانَ لَيوحَى إلى رسولِ اللهِ ﷺ وهوَ على راحلَتِهِ فتضربُ بجرانِها(٣).

وعن عائشَةَ رضيَ اللهُ عنها: أنَّ الحارثَ بن هشامٍ سألَ رسولَ اللهِ ﷺ فقال: يا رسولَ اللهِ! كيفَ يأتيك الوَحْيُ؟ فقال: «أحيانًا يأتيني مثلَ صَلصلَةِ الجرسِ وهوَ أشدُّهُ عليَّ، فينفَصِمُ عني وقَدْ وَعَيْتُ ما قالَ، وأحيانًا يتمثَّلُ الملكُ رجلًا فأَعِي ما يقولُ»(٤).

* * *

(٦) ـ ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾.

﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ﴾: ابنُ عباسٍ وعكرمةُ: الليلُ كلُّهُ نَاشئةٌ(٥)؛ لأنَّها تنشأُ بعدَ النَّهارِ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٦٧)، واستغربه.

(٢) رواه البخاري (٢) بلفظ: «ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقًا».

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٤٨٦٨)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٢٥٧): «رجاله رجال الصحيح».

(٤) رواه البخاري (٢)، ومسلم (٢٣٣٣).

(٥) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٣٦٧ ـ ٣٦٨).

أنسٌ رضيَ اللهُ عنهُ: ما بينَ المغربِ والعشاءِ(١).

وقيلَ: أولُ الليلِ.

وقيلَ: بعدَ العشاءِ الآخرةِ إلى الصُّبحِ نَاشئَةٌ.

وقيلَ: الصَّلاةُ بعدَ النَّومِ نَاشئَةٌ.

وقيلَ: ما أحياه المصلِّي مِن اللَّيلِ فهوَ ناشِئَةٌ.

ابنُ مَسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ: ناشئةُ الليلِ: قيامُ اللَّيلِ بلُغةِ الحبشَةِ(٢)؛ يقولون: نشَأَ؛ إذا قامَ. والوَجْهُ الساعات(٣)، تقولُ العربُ: نشأتْ؛ إذا ابتدأتْ وأقبَلَتْ شيئًا فشيئًا.

وقيلَ: ﴿نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ﴾: مصدَرٌ(٤)؛ أي: ما ينشِئُهُ الرَّجلُ بالليلِ مِن القراءةِ والصَّلاةِ.

ابنُ بحرٍ: المعاني المستنبطَةُ مِن القُرآنِ(٥).

﴿هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا﴾: أثقَلُ على البدَنِ، مِن قولِهِ عليهِ السَّلامُ: «اشدُدْ وَطأَتَكَ على مُضَرَ»(٦)؛ لأنَّ الليلَ للنَّومِ والدَّعَةِ، فإذا صُرِفَ إلى الصَّلاةِ ثَقُلَ على المصلِّي.

---

(١) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١٢٦٣)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٥٩٢٦)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٤٧٥٢).

(٢) رواه عن ابن مسعود رضي الله عنه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٩٩٧٠)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٣٦٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وكذا علقه البخاري قبل حديث (١١٤١)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٦٧)، وعده من العجائب.

(٣) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٢٧٣)، وفيه: «﴿نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ﴾: ساعات الليل، وهي آناء الليل ناشئة بعد ناشئة».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٦٧)، واستغربه.

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٦٧)، وعده من العجائب.

(٦) رواه البخاري (٨٠٤)، ومسلم (٦٧٥)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وقيـلَ: ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا﴾: أبلَـغُ فـي الثوابِ، وقيلَ: أشـدُّ ثباتًـا مِن النَّهـارِ، وأثبَتُ فـي القلبِ، وقيـلَ: أبلَغُ.

ابنُ عيسى: ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا﴾ أي: قوةُ الفكرِ فيهِ أمكَنُ وَقْعًا، ﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾: أصحُّ قولًا.

وقُرِئَ ﴿أشدُّ وِطاءً﴾ بالمدِّ[1]؛ أي: مُوافَقَةً، والمعنى: يواطِئُ السَّمعُ والبَصرُ القلبَ[2] فيها أكثرَ ممَّا يواطِئُ في ساعاتِ النَّهارِ.

﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾: أشدُّ استقامةً وصَوابًا لفراغ البال، وقيلَ: أكثرُ نَشاطًا.

ابنُ بحرٍ: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ الَّيْلِ﴾[3]: المعاني المستنبطَةُ من القرآنِ بترتيلِهِ ليلًا ﴿أَشَدُّ وَطْئًا﴾: أثبَتُ وأبيَنُ أثرًا ﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾: أصحُّ ممَّا يُخرِجُهُ الأفكارُ نهارًا؛ لخلوِّ السَّمعِ والبَصرِ عن الاشتغالِ بالمدرَكاتِ لأجلِ الظُّلمَةِ.

وقيلَ: ﴿أقومُ قيلاً﴾ أعجَلُ إجابةً للدُّعاءِ.

* * *

(٧) - ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾.

﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾: تصرُّفًا في حوائجِكَ وإقبالًا وإدبارًا.

وقيلَ: فراغًا طويلًا لنومِكَ وراحتِكَ.

ابنُ عيسى: السَّبْحُ: المرُّ السَّهلُ في الشيءِ كالمرورِ في الماءِ، ومنه: السَّبْحُ في الماءِ[4].

---

(١) قـرأ بهـا أبو عمـرو وابن عامر، والباقـون بفتح الواو وسـكون الطاء. انظر: «السـبعة» (ص: ٦٥٨)، و«التيسير» (ص: ٢١٦).

(٢) في (ف): «والقلبُ».

(٣) في (ف): «لفراغ البال، ابنُ بحرٍ: أكثر نشاطًا و﴿نَاشِئَةَ الَّيْلِ﴾».

(٤) ذكره ابن فورك في «تفسيره» (٣/ ٧٠) دون نسبة.

وقيلَ: السَّبْحُ: العملُ والتقلُّبُ.

وقرئَ بالخاءِ[1]؛ أي: تخفيفًا، من قولهِ عليهِ السَّلامُ لعائشةَ رضيَ اللهُ عنها وقد دعَتْ على سارقٍ سرَقَها: «لا تُسبِّخي عنهُ بدعائكِ عليهِ»[2]؛ أي: لا تخفِّفي عنهُ بدعائكِ عليهِ.

***

(٨) ـ ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾.

﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾: ادعُه بأسمائِهِ الحُسنى.

وقيلَ: اذكُرْهُ في صلاتِكَ التي أُمِرْتَ بها.

وذهبَ جماعةٌ إلى أنَّ المعنى: اذكرُ بِسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ إذا أردتَ قِراءَةَ القُرآنِ أو الصَّلاةَ.

﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾: انقطِعْ إليهِ بعبادتِكَ وأخلِصْ إليهِ إخلاصًا، والقياسُ: تَبَتُّلًا؛ ولكنْ لَمَّا كانَ التَّبتيلُ مِن حُروفهِ عدلَ إليهِ لموافقةِ رُؤوسِ الآيِ؛ لأنَّ خطَّ القرآنِ مِن جنسِ النَّظمِ، والوَصفِ فوقَ كلِّ خطٍّ[3].

ويحتمِلُ أنَّ المعنى: تبتَّلْ إليهِ يُبَتِّلْكَ[4] تبتيلًا؛ كما قالَ: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [نوح: ١٧]؛ أي: وتنبتونَ نباتًا.

---

(١) أي: (سبخاً) نسبت ليحيى بن يعمر. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦٥)، و«تفسير الطبري» (٢٣/ ٣٧٦)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٦٧)، واستغربه.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٤١٨٣) و(٢٥٠٥١) و(٢٥٠٥٢) و(٢٥٧٩٨)، وأبو داود (١٤٩٧) و(٤٩٠٩).

(٣) في (ف): «لأن حظ القرآن... فوق كل حظٍّ».

(٤) في النسختين: «تبتلك»، والصواب المثبت إن شاء الله.

والتبتُّلُ: الانقطاعُ إلى اللهِ بتأميلِ الخيرِ منهُ دونَ غيرِه.

* * *

(٩) ـ ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾.

﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾؛ أي: هو ربُّ المشرقِ والمغربِ. وقيلَ: رفعٌ بالابتداءِ ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ خبرُهُ. وقرئَ بالجرِّ[1] بدلٌ من قولِه: ﴿ٱسْمَ رَبِّكَ﴾.

وقيلَ: بدلٌ من الهاءِ في قوله: ﴿إِلَيْهِ﴾.

والمعنى: ربُّ العالَمِ بما فيهِ، وقيلَ: ربُّ الليلِ والنَّهارِ، وقد سبقَ.

﴿فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾: حفيظًا يحفظُكَ ويتولَّاكَ، وقيلَ: كَفِيلًا بما وعدَكَ، وقيلَ: قيِّمًا بأمورِكَ.

* * *

(١٠) ـ ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾.

﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾؛ أي: للهِ مِن الولدِ والصَّاحبةِ والشَّريكِ.

وقيلَ: ﴿عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ لكَ مِن السَّاحرِ والكَاهنِ والمجنونِ.

﴿وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾: قيلَ: هو كقولِهِ: ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥]، وكقوله: ﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ﴾ [الزخرف: ٨٩].

وقيلَ: هو إظهارُ الجَفْوةِ مِن غيرِ تَركِ الدَّعوةِ.

وقيلَ: هو كقولِه: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ﴾ [النساء: ٦٣].

---

(١) قرأ بها ابن عامر وحمزة والكسائيُّ وشعبة، والباقون بالرَّفع. انظر: «السبعة» (ص: ٦٥٨)، و«التيسير» (ص: ٢١٦).

الكلبيُّ وقتادةُ: مَنسوخةٌ بآيةِ السَّيفِ[١].

* * *

(١١) - ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾.

﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ﴾؛ أي: دَعْني وإيَّاهُم، ولا تهتمَّ بِشأنِهِم؛ فإني أكفيكَهُ.

﴿أُولِي النَّعْمَةِ﴾: التَّنعُّمِ بالنِّعمةِ، والنِّعمَةُ بالكَسرِ: الثَّروةُ، والنُّعْمَةُ بالضمِّ: السُّرورُ.

وهذا وعيدٌ للمطعِمِينَ يومَ بدرٍ، وقد سبقَ.

وقيلَ: في صَناديدِ قُريشٍ، وقيلَ: في بني المغيرَةِ، ووصفَهُم بالنِّعمَةِ توبيخًا لهم على تركِ الشُّكرِ، وتبيينًا أنَّهُ أطغاهُم اسْتغناؤُهُمْ.

﴿وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾: إلى يومِ بدرٍ، وكانَ بينَ نزولِ الآيةِ وبينَ يومِ بدرٍ زمانٌ يَسيرٌ.

وقيلَ: إلى يومِ القيامَةِ.

* * *

(١٢) - ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا وَجَحِيمًا﴾.

﴿إِنَّ لَدَيْنَا﴾؛ أي: للكافرينِ ﴿أَنكَالًا﴾: قيودًا وأغلالًا إهانةً لهُمْ لا خوفًا مِن فِرارِهِم.

مقاتلٌ: أنواعًا مِن العذابِ يوجبُ النُّكولَ عما يُوجِبُ ذلكَ[٢].

﴿وَجَحِيمًا﴾: نارًا عظيمًا.

* * *

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٤٧٦)، وذكره الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٣٧٠).

(٢) أي: يوجب النكول عن الذي يسبِّب العذاب. انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٤٧٧)، وفيه: «فالأنكال عقوبة من ألوان العذاب».

(١٣) ـ ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾.

﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾: الضَّرِيعُ والزَّقُّومُ يغصُّ في الحلقِ ولا يَسوغُ.

﴿وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾: يَخلُصُ وجعُهُ إلى القلبِ.

وجاءَ في التَّفسيرِ: أنَّهُ لمَّا نزلَتْ هذهِ الآيةُ خرَّ النبيُّ ﷺ مَغشِيًّا عليهِ[١].

***

(١٤) ـ ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾.

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾: تتحرَّكُ أغلظَ حركةٍ بمَنْ عليها، وهي الزَّلزلَةُ.

﴿وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾: وتَصيرُ الجبالُ رَمْلًا مَصبوبًا، وقيلَ: سَائلًا.

الفرَّاءُ: هو الذي إذا حرَّكتَ أسفلَهُ يَنهالُ عليكَ[٢].

***

(١٥) ـ ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ﴾ يا أهلَ مكَّةَ ﴿رَسُولًا﴾ يعني: محمَّدًا ﷺ ﴿شَاهِدًا عَلَيْكُمْ﴾:

---

(١) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (١٤٦)، وهناد بن السري في «الزهد» (٢٦٧) عن حمران بن أعين مرسلًا بلفظ: «أن النبي ﷺ قرأ: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا وَجَحِيمًا ۝١٢ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ فصعق». ورواه ابن عدي في «الكامل» (٣/ ٣٦٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨٨٩) عن حمران بن أعين عن أبي حرب بن أبي الأسود، قال البيهقي: «وهو مع ذكره فيه مرسل».

ورواه الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٣٧٥) موصولاً عن ابن عمر رضي الله عنهما. وفيه طاهر بن الفضل قال ابن حبان: «يضع الحديث على الثقات وضعاً، لا يحل كتب حديثه إلا على جهة التعجب. وقال الحاكم: روى الموضوعات». انظر: «لسان الميزان» (٤/ ٣٤٨).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٩٨).

يومَ القيامةِ بالإجابةِ والامْتناعِ ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ يعني: موسى[1] عليهِ السَّلامُ.

* * *

(١٦) ـ ﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾.

﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾: ثقيلًا شديداً[2]، وقيلَ: متتابعًا، وقيلَ: مُهلِكًا، والوابِلُ: الشَّديدُ من المطرِ.

وقيل: هو من قولهم: استَوْبَلْتُ: استثقلتُ.

* * *

(١٧) ـ ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾.

﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا﴾؛ أي: كيفَ تتَّقونَ عذابَ يومٍ؟ فحُذِفَ المضافُ، و﴿يَوْمًا﴾ مفعولٌ بهِ.

وقيلَ: معناه: كيفَ لكُم التَّقوى يومَ القيامَةِ وقد كفرتُم في الدُّنيا؟ أي: لا تنفَعُ التَّقوى إذا وافيتُم القيامَةَ كفَّارًا، فيكونُ (اليومُ) ظرفًا، وقولُه: ﴿يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾: صفةٌ لليومِ، والفاعلُ مُضمَرٌ يعودُ إليهِ.

وقيلَ: تقديرُهُ: يجعلُ اللهُ فيهِ الوِلدانَ شِيبًا مِن هَولِهِ وشِدَّتِهِ، وذلكَ حينَ يُقالُ لآدمَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: «قُمْ فابعَثْ بعثَ النَّارِ مِن ذُرِّيَّتِكَ»[3].

---

(١) في (ف) زيادة: «ابن عمران».

(٢) «شديدًا» من (ف).

(٣) رواه مسلم (٢٩٤٠) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وفيه: «ثم يقال: أخرجوا بعث النار، فيقال: من كم؟ فيقال: من كل ألف تسعمئة وتسعة وتسعين، قال: فذاك يوم يجعل الولدان شيباً، وذلك يوم يكشف عن ساق»، ورواه البخاري (٦٥٣٠) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، =

وقيلَ: هُمْ أولادُ الزِّنى.

وقيلَ: أولادُ الكُفَّارِ(١).

وقيلَ: هذا مثلٌ ضُرِبَ للشِّدَّةِ(٢).

وقيلَ: يجعَلُ الوِلدانَ شبابًا، وهذا خطأٌ حكاهُ النَّقاشُ(٣).

* * *

(١٨) - ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦۚ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَفۡعُولًا﴾.

﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ﴾؛ أي: مُنشقَّةٌ واهِيةٌ ﴿بِهِۦ﴾ قيلَ: الباءُ بمعنى: في؛ أي: في ذلكَ اليومِ، وقيلَ: بسببِ ذلكَ اليومِ.

الزَّجَّاجُ: مُتعلِّقَةٌ باللهِ(٤).

الحسنُ: مُتعلِّقَةٌ بيومِ القيامَةِ(٥).

﴿كَانَ وَعۡدُهُۥ مَفۡعُولًا﴾: كائنًا.

* * *

= ولفظه: «يقول الله: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك، قال: يقول: أخرج بعث النار، قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسع مائة وتسعة وتسعين، فذاك حين يشيب الصغير».

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٦٨)، وعده من العجائب.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٦٨)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٦٨)، وعده من العجائب.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٤٣)، وفيه: «وقيل في التفسير: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾ أي: السماء مثقلة بالله عز وجل».

(٥) رواه ابن أبي الدنيا في «الهم والحزن» (١٥٤)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٣٩٠) بلفظ: «محزونة مثقلة بيوم القيامة».

(١٩) - ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾.

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ﴾؛ أي: السُّورَةَ أو الموعِظَةَ[1] ﴿تَذۡكِرَةٞ﴾: تذكيرٌ للخلقِ ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾؛ أي: بالإيمانِ.

وقيلَ: مَن شاءَ أن يرغَبَ فليرغَبْ.

وقيلَ: فليعمَلْ عَمَلًا صَالحًا.

* * *

(٢٠) - ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمُۢ﴾.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ﴾: معنى ﴿أَدۡنَىٰ﴾: أقربُ، وقيلَ: أسفَلُ، مِن قوله: ﴿يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٩]، وقيلَ: معناه: أقلُّ.

قرئَ ﴿ونِصْفهُ وثُلُثهُ﴾ بالنصبِ والجرِّ[2]، فمَن جرَّهُ جعلَ المعنى: تقومُ قريبًا مِن هذهِ المقاديرِ، ومَن نصبَهُ عطفَهُ على ﴿أَدۡنَىٰ﴾ فيكونُ المعنى: تَقومُ أقلَّ مِن الثُّلُثينِ وتقومُ نِصفَهُ وثُلُثَهُ.

وقالَ بعضُهم: لم يَعرِفوا[3] المقاديرَ فقاموا الليلَ كلَّهُ، فيكونُ المعنى: إنَّ ربَّكَ

---

(١) في (ف): «والموعظة».

(٢) قرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر بالجر، والباقون بالنصب. انظر: «السبعة» (ص: ٦٥٨)، و«التيسير» (ص: ٢١٦).

(٣) في (ن): «لم تُعرف».

يعلَمُ أنَّكَ أُمِرتَ أن تقومَ أَدنى مِن هذهِ المقاديرِ وتقومُ أنتَ الليلَ كُلَّهُ(١).

وقيلَ: أدنى مِن ثُلثيهِ مَرَّةً ووقتًا، ومِن نصفِهِ وقتًا، ومِن ثُلثِهِ وقتًا.

ابنُ بحرٍ: معناهُ: أنَّهُ أدَّاهُ كما أُمِرَ أوَّلَ السُّورَةِ(٢).

﴿وَطَآئِفَةٌ﴾؛ أي: وتقومُ طائفةٌ ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ﴾؛ أي: آمنوا معكَ؛ يعني: الصَّحابَةَ.

﴿وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ﴾؛ أي: هو سبحانَهُ وتعالى يعلَمُ مَقاديرَها ومواقيتَها، وليسَ تحقيقُ ذلكَ في طَوقِ البَشرِ.

﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ﴾: لن تُطيقوهُ على هذهِ المقاديرِ.

وقيلَ: لن تَقدِرُوا على إِحصاءِ أَجزاءِ اللَّيلِ ودَقائقِهِ.

ويحتَمِلُ: لن تَعلَمُوا مَواقيتَهُ، مِن الحَصاةِ، وهي العَقْلُ.

﴿فَتَابَ عَلَيۡكُمۡ﴾: فخفَّفَ عليكُمْ ووَضعَ عَنكُم.

وقيلَ: ﴿فَتَابَ عَلَيۡكُمۡ﴾ أن لَزِمَكُم ذنبٌ بتركِهِ.

وقيلَ: رخَّصَ لكُم في تركِ ذلك.

﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ﴾: ما أحببْتُم وأَرَدْتُم ﴿مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ﴾؛ أي: مِـن السُّوَرِ القِصارِ، يريدُ: في الصَّلاةِ النَّافلةِ، وقيلَ: في الفَرضِ.

وقيلَ: خارجَ الصَّلاةِ، وهذا حُجَّةُ مَن قالَ: ﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ﴾ لقراءةِ القرآنِ.

السُّدِّيُّ: ﴿مَا تَيَسَّرَ﴾: مئتا آيةٍ(٣).

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٦٩)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٦٩)، وعده من العجائب.

(٣) بهذا اللفظ ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٣٣)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٣٩٦) بلفظ: «مئة آية»، وهكذا ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ٥٢٥)، ومكي بن أبي =

ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: مئةُ آيةٍ(١).

الحسنُ: مَن قرأَ مئةَ آيةٍ في ليلةٍ لم يحاجَّهُ القرآنُ(٢).

وقيلَ: ثلاثُ آياتٍ كأقصَرِ سُورةٍ.

ثم ذكرَ سببَ التَّخفيفِ فقال: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ﴾؛ أي: أنَّهُ سيكونُ ـ فخفَّفَ ـ ﴿مِنكُم مَّرْضَىٰ﴾ فيشُقُّ عليكم قيامُ الليلِ ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ يريد: يسافرونَ للتِّجارَةِ، وجاءَ مرفوعًا: «﴿مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ لطلبِ العلم»(٣).

﴿وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: هم المجاهدونَ.

﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾: في صلاةِ المغربِ والعِشاءِ.

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾؛ أيْ: المفروضةَ، ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾: الواجبةَ، وقيلَ: صدقةَ الفِطرِ.

ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: الطَّاعةَ والإخلاصَ له(٤).

= طالب في «الهداية» (١٢/ ٧٨٠٨).

(١) رواه بكر بن العلاء في «أحكام القرآن» (٢/ ٦٣٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٩٤٠)، والقزويني في «أخبار قزوين» (٢/ ٢٧) مرفوعًا، وقال ابن كثير في «تفسيره» (٨/ ٢٥٩): «حديث غريب جدًّا». قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٣٠): «رواه الطبراني، وفيه عبد الرحمن بن طاوس، ولم أعرفه، وبقية رجاله وثقوا».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٣٩٦) من قول الحسن، وروي عنه مرفوعاً مرسلاً، رواه الدارمي في «سننه» (٣٥٠٢)، والحارث كما في «بغية الباحث» (٧٣٢).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ٤٢٨) من قول الحسن وسعيد بن جبير ومكحول بلفظ: «﴿وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠] هو طلب العلم»، وكذا ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢١٣) من قول الحسن وسعيد، واستغربه.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٣٢٤).

﴿وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾: النَّوافِلَ مِن الصَّدقةِ، سمَّاهُ قرضًا تأكيدًا للجَزاءِ.

وقيلَ: القَرضُ الحسنُ يقَعُ على جَميعِ الطَّاعاتِ، وقوله: ﴿حَسَنًا﴾؛ أي: خَالِصًا.

﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟﴾: تُسلفوا ﴿لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ﴾: حسنةٍ ﴿تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾؛ لأنَّ اللهَ يعطي المؤمنينَ أجرَهُم بغيرِ حِسَابٍ.

وقيلَ: خيرًا من الشُّحِّ والمنعِ.

﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ مِن تَقصيرٍ وذَنبٍ وقعَ مِنكم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لِمَن تابَ ﴿رَّحِيمٌۢ﴾ لِمَن استغفرَ.

* * *

سُورَةُ المُدَّثِّر

ستةٌ وخمسونَ آيةً[1]، مكيَّةٌ.

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيم

(١) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾ في سببِ النُّزولِ: قال جابرٌ رضيَ اللهُ عنهُ: أُحدِّثكم ما حدَّثنا رسولُ اللهِ ﷺ، قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «إني جاوَرْتُ بحِرَاءَ شهرًا، فلمَّا قضيتُ جواري نزلتُ فاستَبْطَنْتُ بطنَ[2] الوادي، فنُودِيْتُ، فنظَرْتُ أمامي وخَلْفي وعَن يميني وعَن شمالي، ثمَّ نظرتُ إلى السَّماءِ، فإذا هوَ على العرشِ في الهواءِ؛ يعني: جبريلَ عليه السلام، فأخذَتْني رجفةٌ، فأتيتُ خديجةَ فأمرْتُهُم فدَثَّروني ثمَّ صبُّوا عليَّ الماءَ؛ فأنزلَ الله تعالى عليَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾»[3].

***

(٢) ـ ﴿قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾.

﴿قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾: فهو خِطابٌ للنبيِّ ﷺ، وأصلُهُ: المتَدثِّرُ، فأُدغِمَ، والمعنى:

---

(١) «ستة وخمسون آية»: ليس في (ف). وانظر: «البيان في عد آي القرآن» (ص: ٢٥٨) وفيه: «وهي خمسون وخمس آيات في المدني الأخير والمكي والشامي، وست في عدد الباقين».

(٢) «بطن»: من (ن)، وهي رواية مسلم، وليست في (ف)، وهي رواية البخاري.

(٣) رواه البخاري (٤٩٢٢)، ومسلم (١٦١).

المتدثرُ للنومِ، واشتقاقهُ من الدِّثارِ، وهو ما يعلو الشِّعارَ.

عكرمةُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾ بالنبوَّةِ وأثقالها، قد تدثَّرتَ هذا الأمرَ فقمْ بهِ(١).

المبرِّد: ﴿ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾ هو المُلْقَى عليهِ الدِّثار.

ابن عيسى: هو مِن دَثَرَ الرَّسْمُ: إذا انمحى أثرهُ، كأنه قيلَ: يا أيها الطالبُ صرفَ الأذى بالدثارِ اطلبْهُ بالإنذارِ(٢).

وقيلَ: معناهُ: لا تَنَمْ عمَّا أمرتكَ بهِ، ولا تستعمِلِ الهُوَينى فيهِ، بل قمْ وارفضِ الرَّاحةَ، وبلِّغِ الرسالةَ، وأنذرِ الكفرةَ موضعَ المخافةِ مما هم عليهِ؛ ليتَّقُوهُ بطاعتي.

وقيلَ: أنذرهم عذابَ اللهِ ووقائعهُ في الأممِ الخاليةِ.

وهو أولُ ما نزلَ(٣).

وقيلَ: أولُ ما نزلَ بعدَ سورةِ (اقرأ)(٤).

وقيلَ: لمَّا قالَ الوليدُ بنُ المغيرةِ في دارِ الندوةِ: ليسَ كلامُهُ شعرًا ولا هو كاهنٌ، ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ يُؤۡثَرُ ٢٤ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٤ـ٢٥]، عادَ إلى منزلِهِ

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٦٥٥٩)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٠٤)، ورواه الحاكم في «المستدرك» (٣٨٦٨) من طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٢) ذكره ابن فورك في «تفسيره» (٣/ ٧٦) بلا نسبة.

(٣) وهو مذكور في حديث جابر رضي الله عنه السابق، ففي أوله: «عن يحيى بن أبي كثير، سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن عن أول ما نزل من القرآن، قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾ [المدثر: ١] قلت: يقولون: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١] فقال أبو سلمة: سألت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن ذلك، وقلت له مثل الذي قلت: فقال جابر: لا أحدثك إلا ما حدثنا رسول الله ﷺ...» الحديث.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٠٣) عن الزهري.

وقـال: «دثِّرونـي»، فأُلقِيَـتْ عليـهِ قَطيفـةٌ حمـراءُ اسـتراحةً إلـى النـومِ مـن الغـمِّ، فنزلـت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾[1].

* * *

(٣) ـ ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ﴾.

﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ﴾: صِفْهُ بكبرِ الشأنِ وجلالةِ السُّلطانِ.

* * *

(٤) ـ ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ﴾.

﴿وَثِيَابَكَ﴾؛ أي: الثيابَ الملبوسةَ ﴿فَطَهِّرۡ﴾: نقِّها ممَّا يُفسدُ الصَّلاةَ.

وقيلَ: طهِّرها من الذنوبِ فيها، من قولهم: فلان نقيُّ الثِّيابِ، وضدُّهُ: خبيثُ الثِّيابِ.

وقيلَ: لا تكنْ غادرًا؛ فإنَّ الغادرَ يسمَّى: دَنِسَ الثِّيابِ.

وقيلَ: لا تلبسْ من مكتسَبٍ غيرِ طيِّبٍ.

وقيلَ: قصِّرها.

وقيلَ: ﴿ثيابَك﴾: قلبَك؛ أي: فَرِّغْ قلبَكَ من قولِ الوليدِ بن المغيرة.

وقيلَ: عملَك، قال النبيُّ عليهِ السَّلامُ: «يُحشرُ المرءُ في ثوبيهِ اللَّذينِ ماتَ فيهما»[2]؛ يعني: عملَهُ الصَّالحَ أو الطَّالحَ.

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١٢٥٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال الهيثمي في المجمع (٧/ ١٣١): «وفيه إبراهيم بن يزيد الخوزي، وهو متروك»، وضعفه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٣٢٥). ورواه بكر بن العلاء في «أحكام القرآن» (٢/ ٦٤١) عن يعلى بن عطاء.

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٣٦)، والعز بن عبد السلام في «تفسيره» (٣/ ٣٨٤)، =

وقيلَ: كنايةٌ عنِ النساء؛ أي: اخترْ أزواجًا مؤمناتٍ، من قوله: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧][(١)].

وقيلَ: من الحيضِ.

وقيلَ: نفسَك؛ أي: أصلحْ نفسَكَ، من قولهم: فداكَ ثوبي؛ أي: نفسِي.

* * *

(٥) - ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾.

﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾؛ أي: فاهجُرْ ما يؤدِّي إلى العذابِ، وقيلَ: الرُّجزُ: الصَّنمُ.

والكسرُ والضمُّ لغتان[(٢)]. وقيلَ: الكسرُ: العذابُ، من قوله: ﴿لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ﴾ [الأعراف: ١٣٤]، والرُّجز: الصَّنمُ، وسُميَ الصنمُ رُجزًا؛ لأنه يؤدِّي إلى

= والقرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٦٣) دون نسبة، وذكره الماوردي في «الحاوي الكبير» (٣/ ١٤) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، كلهم بلفظ الحشر، ورواه أبو داود (٣١١٤) عن أبي سلمة، عن أبي سعيد الخدري: أنه لما حضره الموت، دعا بثياب جدد فلبسها، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «إن الميت يبعث في ثيابه التي يموت فيها»، وصحح إسناده النووي في «خلاصة الأحكام» (٣٢٥٥)، وكذا رواه ابن حبان في «صحيحه» (٧٣١٦)، وقال: «أراد به: في أعماله، كقوله جل وعلا: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ يريد به: وأعمالك فأصلحها، لا أن الميت يبعث في ثيابه التي قبض فيها، إذ الأخبار الجمة تصرح عن المصطفى ﷺ بأن الناس يحشرون يوم القيامة حفاة عراة غرلًا».

وتعقبه ابن حجر في «التلخيص الحبير» (٢/ ٢٢٣) بقوله: «والقصة التي في حديث أبي سعيد ترد ذلك، وهو أعلم بالمراد ممن بعده، وحكى الخطابي في الجمع بينهما: أنه يبعث في ثيابه، ثم يحشر عرياناً، والله أعلم». وانظر: «فتح الباري» (١١/ ٣٨٣، ٣٨٤) فقد ذكر أوجهًا للجمع بين الحديثين، وأقوالًا أخرى.

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٧٢)، واستغربه.

(٢) قرأ حفص بضم الراء، والباقون بكسرها. انظر: «السبعة» (ص: ٢٥٩)، و«التيسير» (ص: ٢١٦).

العذاب، وقيل: لأنهُ يعذَّبُ الكافرُ به، من قوله: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [البقرة: ٢٤]، وقيلَ: الرُّجزُ: الشِّرك، وقيلَ: الذنبُ والإثمُ، وقيلَ: الظُّلم.

ومعنى ﴿فَٱهْجُرْ﴾: اتركْ، والهجرانُ يأتي بمعنى الدَّوامِ على التَّرك، وهذا منه.

***

(٦) ـ ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾.

﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾؛ أي: لا تُعطِ أحدًا عطيَّةً تلتمِسُ بها أفضلَ منها؛ فإنكَ مأمورٌ بأجلِّ الأخلاقِ.

وقيلَ: لا تمنُنْ على اللهِ بحسناتكَ(١).

وقيلَ: لا تمنُنْ على الناسِ بأداءِ الرسالةِ مستكثرًا بها الأجرَ منهم.

وقيلَ: معنى ﴿وَلَا تَمْنُن﴾: لا تضعُفْ أن تستكثرَ من الخيرِ.

و﴿تَسْتَكْثِرُ﴾ حكايةُ حالٍ، أو تقديرُ حالٍ(٢).

***

(٧) ـ ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾.

﴿وَلِرَبِّكَ﴾؛ أي: لأمرِهِ، وقيلَ: لوعدِهِ، وقيلَ: لوجههِ ﴿فَٱصْبِرْ﴾ على أداءِ الرِّسالةِ وتعظيمِ الحقِّ، وقيلَ: على انتظارِ ثوابِ عملكَ من اللهِ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٧٢)، واستغربه.

(٢) يريد والله أعلم: أنه إما أن يكون المعنى: «لا تَمْنُنْ مُسْتَكْثِراً ما أعطَيْتَ» فهو حكاية حال، أو يكون معناه: «لِتَأْخُذْ أكثرَ مِمَّا أَعْطَيْتَ مستكثراً» فهو تقدير حال؛ أي: حال مقدرة، وهي التي لا تقارن الفعل في الوقوع؛ كقوله تعالى: ﴿وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا﴾ [الأعراف: ٧٤]، وكما تقول: «خِطْ هذا الثوبَ قميصاً»، و: «اِبْرِ هذه القصبَةَ قلماً»، فهذه كلها من الحال المقدَّرة؛ لأن الجبَل لا يكون بيتاً في حال النَّحت، ولا الثوبُ والقصَبَةُ قميصاً وقلماً في حال الخياطةِ والبَرْي. وكذا قولهم: «مَررتُ برَجُلٍ معه صَقْرٌ صائداً بِهِ غداً»؛ أي: مقدِّراً به الصيد غدًا، أو: قاصِداً به الصَّيْدَ غداً، وكذا كل حال مقدرة.

(٨) ـ ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ﴾.

﴿فَإِذَا نُقِرَ﴾: نُفِخَ ﴿فِي ٱلنَّاقُورِ﴾: في الصُّورِ، فاعولٌ من النَّقرِ؛ أي: من شأنِهِ أن يُنقَر، وأصلهُ: التصويتُ؛ كنقرِ الطائرِ الشيءَ بمنقارِهِ، وقيلَ: هي النفخةُ الأولى، وقيلَ: الثانيةُ يحيى الناسُ عندها، وهذا حجةٌ لمن جعلَ الصُّورَ ما يُنفخُ فيه، لا جمعَ (صُورةٍ) كما ذهب إليه بعضُهم[١].

وقيلَ: الناقورُ: القلبُ[٢]، فهو كقولِه: ﴿فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [النمل: ٨٧].

* * *

(٩) ـ ﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾.

﴿فَذَٰلِكَ﴾: إشارةٌ إلى وقتِ النَّقرِ، وهو مبتدأٌ، و﴿يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ خبرُهُ[٣].

وقيلَ: إشارةٌ إلى النَّقرِ، و﴿يَوْمَئِذٍ﴾ من صلتهِ، و﴿يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ خبرُهُ على تقديرِ: نَقْرُ يومٍ عسيرٍ[٤]؛ تشتدُّ فيهِ الكُلفةُ.

---

(١) هو أبو عبيدة ومن تبعه. انظر: «مجاز القرآن» (١/ ١٩٦).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٧٢)، واستغربه.

(٣) قوله: «خبره» ليس في (ف)، وقوله: «﴿يَوْمَئِذٍ﴾» ليس في (ن)، والمثبت هو الصواب والله أعلم.

(٤) قوله: «نَقْرُ يومٍ عسيرٍ» ضبط في النسختين هكذا: «نُقِرَ يومٌ عسيرٌ» وهذا خطأ؛ لأن التقدير: «فذلك النقرُ يومئذٍ نقرُ يوم عسير»، فحذف المضاف الذي هو «نقرُ» وهو في الحقيقة الخبر. انظر: «الحجة» للفارسي (١/ ٣٣)، و«باهر البرهان» للغزنوي (٣/ ١٥٧٩)، و«الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد» للمنتجب الهمذاني (٦/ ٢٦٢).

قال القزويني في «الكشف على الكشاف»: ﴿ذَٰلِكَ﴾ ابتداء، وهو إشارة إلى المصدر؛ أي: فذلك النقر، وهو العامل في ﴿يَوْمَئِذٍ﴾، و﴿يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ خبر المبتدأ، والمضاف مُقدر؛ أي: فذلك النقرُ في =

(١٠) ـ ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾.

﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾: توكيدٌ، وهو القليلُ الكُلفةِ.

***

(١١) ـ ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾.

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ نزلتْ في الوليدِ بن المغيرة(١)؛ أي: لا تهتمَّ لأمرِهِ فإني أكفيكَهُ، وقوله: ﴿وَحِيدًا﴾: يجوزُ أن يكونَ من صفةِ اللهِ تعالى؛ أي: خلقتُهُ بلا مُعِينٍ، ويجوزُ أن يكونَ من صفةِ الوليدِ؛ أي: خلقتُهُ وحيدًا صغيرًا ضعيفًا لا مالَ لهُ ولا ولدَ.

وقيلَ: ﴿وَحِيدًا﴾: لغيرِ رِشْدةٍ؛ كما نزلَ فيهِ: ﴿زَنِيمٍ﴾ [القلم: ١٣]؛ أي: ملحقٍ بالقومِ ليسَ منهم(٢).

قال الحسنُ: كان يُدْعى: الوليدَ الوحيدَ(٣).

وأنكرَ صاحبُ «النَّظمِ» أن يكونَ ﴿وَحِيدًا﴾ صفةً للهِ تعالى؛ لأنهُ يدلُّ على تفرُّدٍ بعدَ تَجَمُّعٍ(٤) واللهُ تعالى لا يوصفُ بذلكَ(٥). والجمهورُ على الأوَّلِ.

***

= ذلك الوقتِ نَقْرُ يومٍ عسير. انظر: حاشية الطيبي على الكشاف المسماة «فتوح الغيب» (١٦/ ١١٧).

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٢١ ـ ٤٢٢) عن ابن عباس ومجاهد وابن زيد والضحاك وقتادة.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٧٣)، وعده من العجائب.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٧٣) عن الحسن، واستغربه، وذكره بلا نسبة: مقاتل في «تفسيره» (٤/ ٤٩١)، وابن الكلبي في «جمهرة أنساب العرب» (ص: ١٧)، والفراء في «معاني القرآن» (٣/ ٢٠١)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٨/ ٤١) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) في (ن): «جمع»، والمثبت من (ف)، وهو الموافق لما في «غرائب التفسير».

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٧٣)، واستغربه.

(١٢) ـ ﴿وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا﴾.

﴿وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا﴾: ابـنُ عباسٍ رضي الله عنهما: ألفَ دينارٍ[١]. وقيلَ: أربعةَ آلافِ دينارٍ. وقيلَ: مئةَ ألفٍ.

وقيلَ: الأنعامَ تَنْمِي بالنَّتاجِ، وتمتدُّ في الأرضِ بالرَّعيِ.

وقيلَ: أرضٌ مُغِلَّةٌ لا تَنقضي لها غَلَّةٌ حتى تأتيَ لها أخرى.

وقيلَ: نخيلًا وأشجارًا.

* * *

(١٣) ـ ﴿وَبَنِينَ شُهُودًا﴾.

﴿وَبَنِينَ شُهُودًا﴾: حضورًا معهُ يستمتعُ برؤيتهم ويستمتعونَ، لا يغيبونَ في طلبِ المعاشِ لغِناهُ، وكانوا عشرةً، وقيلَ: اثني عشرَ.

وقيلَ: ﴿شُهُودًا﴾: نجباءَ أخيارًا يشهدونَ مَواضعَ الفَخَارِ وبِقَاعَ النِّزالِ.

وقيلَ: إذا ذُكِرَ ذُكِرُوا معهُ[٢].

* * *

(١٤) ـ ﴿وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا﴾.

﴿وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا﴾: بسطتُ لـهُ في الأرضِ ورئاسـةِ القومِ، ومَكَّنتُهُ من التَّمتُّعِ فـي صِحَّةٍ مـن البدنِ.

* * *

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٣٩)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٣٦٢).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٧٣)، واستغربه.

(١٥) ـ ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾.

﴿ثُمَّ يَطْمَعُ﴾ تقديرُهُ: فعاندَ وكفرَ ثمَّ يطمعُ ﴿أَنْ أَزِيدَ﴾، فحذِفَ؛ لأنَّ أوَّلَ الكلامِ يدلُّ عليهِ، وقيلَ: يطمعُ أن أدخلهُ الجنَّةَ، وقيلَ: يطمعُ أن أنصرَهُ.

* * *

(١٦) ـ ﴿كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا﴾.

﴿كَلَّا﴾: رَدعٌ وزَجرٌ؛ أي: لا يُجمَعُ لهُ بعدَ اليومِ بينَ الكُفرِ والمزيدِ منِ النِّعمِ. فلم يزلْ بعدَ نزولِ الآيةِ في نقصانٍ من المالِ والجاهِ وماتَ فقيرًا.

وقيلَ: زَجرٌ عنِ الطمعِ في الجنَّةِ.

﴿إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا﴾: للقرآنِ، وقيلَ: لمحمَّدٍ ﷺ، وقيلَ: للحقِّ.

والعنيدُ الذَّاهبُ عن الشَّيءِ على طريقِ الغَباوةِ.

وقيلَ: مُعاندًا، وقيلَ: جَاحدًا.

وقيلَ: مُعرِضًا؛ من قولهم: ناقةٌ عنودٌ؛ إذا نَفرتْ، و: عَنَدَ العِرقِ؛ إذا نَفَرَ.

* * *

(١٧) ـ ﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا﴾.

﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا﴾: سأحملُهُ على شاقٍّ منَ العذابِ، والإرهاقُ: إعجالٌ بعنفٍ.

وقيلَ: هو عقبةٌ في النَّارِ يُكلَّفُ ارتقاءَها بضربِ المقامعِ، كلَّمَا وضعَ رجلهُ ليرتقيَ ذابتْ، ثمَّ تعودُ.

وقيلَ: المرادُ بهِ: الحملُ على الأمرِ الشَّديدِ.

* * *

(١٨ ـ ٢٠) ـ ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۝١٨ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝١٩ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾.

﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾ أجمعَ المفسرونَ على أنَّ الآيةَ نزلتْ في الوليدِ بن المغيرةِ، وذلكَ أنهُ جمعَ رؤساءَ مكَّةَ فقال لهم: إنَّ الموسمَ قد دنا، وقد فشا أمرُ هذا الرَّجلِ في الناسِ، وهم سائلوكم عنهُ، فماذا تردُّون عليهم؟ قالوا: نقول: إنهُ مجنونٌ يَخنُقُ(١)، فقال: يأتونهُ فيكلِّمونهُ فيجدونهُ صحيحًا عاقلًا فيكذِّبونكم، قالوا: نقولُ: شاعرٌ، قال: فَهُمُ العربُ، وقد روَوا الشِّعرَ وفيهمُ الشُّعراءُ، وقولُه لا يشبهُ الشِّعرَ فيكذِّبونكم، قالوا: نقولُ: كاهنٌ، قال: الكهنةُ لا يذكرونَ اللهَ تعالى ولا يقولونَ: إن شاءَ اللهُ، وهو يقولُهُ، وأنا واللهِ سمعتُ منهُ كلامًا آنفًا ما هوَ من كلامِ الإنسِ ولا هوَ من كلامِ الجِنِّ، وإنَّ أسفلهُ لمُغدِقٌ، وإنَّ أعلاهُ لمثمِرٌ، وإنَّ لهُ لحلاوةً، وإنَّ لهُ لطلاوةً، وإنهُ ليعلو ولا يُعلى. ثمَّ انصرفَ إلى منزلِهِ. فقالت قريش: صبأَ الوليدُ. وكانَ يقالُ للوليدِ: ريحانةُ قريشٍ، فقالَ ابنُ أخيهِ أبو جهل: أنا أكفيكُمُوهُ. فجاءهُ حزينًا فقالَ له الوليدُ: ما لكَ يا ابنَ أخي؟ فقال: إنَّ قريشًا تزعمُ أنَّكَ قد صبَأْتَ لتصيبَ من فضولِ أصحابِ محمَّدٍ، وهم يجمعونَ لكَ مالاً تستعينُ به على حاجتِكَ. قال: ويحكَ! ما يَشبعُ أصحابُ محمَّدٍ من الطَّعامِ وإني لأكثرُ قريشٍ مالًا، ولكنِّي فكرتُ في أمرِ هذا الرَّجلِ فوجدتهُ ساحرًا، أمَا تعلمونَ أنَّهُ فرَّقَ بين فلانٍ وفلانةَ زوجتِهِ، وبينَ فلانٍ وأبيهِ، وبينَ فلانٍ وأخيهِ، وفلانٍ وابنهِ، وفلانٍ ومواليهِ فلا ينفعُهم ولا يلتفتُ إليهم؟ قالوا: بلى، فأجمعَ رأيُهم على أن يقولوا: هوَ ساحرٌ يفرِّقُ بينَ النَّاسِ، وما يقولهُ سحرٌ. فأنزلَ الله هذهِ الآياتِ(٢).

---

(١) أي: يأخذ بخناق من يحدِّثه. وفي «تفسير القرطبي» (١٩/ ٦١): «المجنون يخنق الناس، وما خنق محمد قط».

(٢) ذكر نحوه دون عزوٍ الثعلبي في «تفسيره» (٢٨/ ٥٢)، والبغوي في «تفسيره» (٨/ ٢٦٩)، ورواه بنحوه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٣٨٣) عن عكرمة، ورواه الحاكم في «المستدرك» (٣٨٧٢) وصححه، =

﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ﴾ في شـأنِ محمَّدٍ ﷺ وما أتى بـهِ، ﴿وَقَدَّرَ﴾ ماذا يمكنهُ أن يقولَ فيهما، ﴿فَقُتِلَ﴾: لُعِـن وعُـذِّبَ وعُوقـبَ ﴿كَيْفَ قَدَّرَ ١٩ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ اسـتفهامٌ علـى وجـهِ التعجُّـبِ، وقيـلَ: علـى وجـهِ الإنـكارِ.

وقوله: ﴿قُتِلَ﴾: هو أشدُّ دعاءٍ، لا يُدْعى به إلَّا على مَن لا بقيَّةَ في أمرِه.

والتكرارُ للتأكيدِ.

وقيلَ: أحدُهما لتقديرِه القولَ في محمدٍ عليهِ السَّلام، والثاني لتقديرِه القولَ في القرآنِ[1].

وقيلَ: أحدُهما لنفيهِ عنهُ الجنونَ والكهانةَ والشِّعرَ لا على وجهٍ قُصِدَ به الإيمانُ، والثاني لإثباتِ صفةِ السِّحرِ له[2].

* * *

(٢١ ـ ٢٥) ـ ﴿ثُمَّ نَظَرَ ٢١ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ٢٢ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ٢٣ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ٢٤ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾.

﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ فيما قدَّرَ معجبًا بذلكَ نظرةَ تفكُّرٍ، ﴿ثُمَّ عَبَسَ﴾: قبَضَ ما بينَ عينيهِ تكرُّهًا في وجوهِ المؤمنينَ، وقيلَ: ﴿عَبَسَ﴾ حيثُ عجزَ عنِ القولِ فيهما.

﴿وَبَسَرَ﴾: إتباعٌ ومبالغةٌ[3]، وقيلَ: تضاحَكَ متعجِّبًا، وقيلَ: نَفَرَ، وقيلَ: تكرَّهَ.

= والبيهقي في «الدلائل» (٢/ ١٩٨)، عن ابن عباس رضي الله عنهما. وجود إسناده العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ٢٢٣)، وانظر القصة أيضاً في «تفسير مقاتل» (٤/ ٤٩٢)، و«السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٢٧٠).

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٧٤) واستغربه.

(٢) انظر: «درة التنزيل» للخطيب الإسكافي (٣/ ١٣٠٧ ـ ١٣٠٩).

(٣) فمعنى بسر: كلم، وهي بمعنى: عبس، ولكنها ذكرت بعدها توكيداً، هذا ما أراده المصنف، أما أن يكون =

﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾: تولى إلى قومِهِ ﴿وَاسْتَكْبَرَ﴾: تكبَّر عنِ الإيمانِ ﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَا﴾: ما هذا ﴿إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾: يُروى؛ أي: يرويهِ محمدٌ عن جبرٍ ويسارٍ، وقيلَ: عن مسيلمةَ، وقيلَ: عن أهلِ بابلَ.

صاحبُ «النَّظمِ»: ﴿يُؤْثَرُ﴾: يُتعلَّمُ، من قولهِ: ﴿أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ [الأحقاف: ٤].

﴿إِنْ هَٰذَا﴾: ما هذا ﴿إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾، كما قالوا: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ [النحل: ١٠٣].

* * *

(٢٦ ـ ٣٠) ـ ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾.

﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾: سأدخلهُ، والإصلاءُ: إلزامُ موضعِ النَّار.

ابنُ بحرٍ: أجعلُهُ صلًا لسقرَ؛ أي: وقودًا.

وسقرُ: اسمُ علمٍ لجهنمَ، وقيلَ: للدَّرْكِ الرَّابعِ منها، واشتقاقُهُ من سَقَرَتْهُ الشَّمسُ؛ أي: أذابتهُ.

﴿وَمَا أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ﴾ تفخيمٌ لشأنها.

﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾: لا تبقي لحمًا ولا تذرُ عَظْمًا.

وقيلَ: لا تبقي لحمًا ولا عظمًا إلَّا أكلَتْهُ، ولا تذرُهُم كذلكَ، بل يُعادونَ خلقًا جديدًا.

وقيلَ: لا تُبقي حيًّا ولا تذرُ ميتًا؛ كقوله تعالى: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [طه: ٧٤].

وقيلَ: لا تبقي مَن يَدخلُها ولا تذرُ أحدًا خُلقَ لها حتَّى تأخذَهُ.

وقيلَ: هذا مثلٌ يضربُ لمن يأتي على كلِّ شيءٍ.

= (بسر) إتباعاً بالمعنى الإصطلاحي فلا؛ لأن (بسر) لها معنى مستقل، ولأن عطف الإتباع على المتبوع غير معروف، إنما المعروف ذكرهما بلا واسطة، يقال: هو عفريت نفريت، ولأن كتب اللغة التي عنيت بذكر الإتباع لم تذكر هذا، وهذا مما يثبت بالسماع. وانظر: «روح البيان» لإسماعيل حقي (١٠/ ٢٣٠).

﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾: مسوِّدَةٌ لها، وقيلَ: محرِّقةٌ لها ثمَّ تعودُ.

وقيلَ: تأتي على كلِّ شيءٍ إلَّا الفؤادَ[1].

والبَشَرُ: جمعُ بَشَرةٍ، وهي ظاهرُ الجلدِ.

الأخفش: معطِّشَةٌ للخلقِ، من اللُّوحِ، وهو العَطَش[2].

وقيلَ: ﴿لَوَّاحَةٌ﴾: تَلُوحُ للخلقِ إذا رأوها وهي بعيدةٌ[3]، والبشرُ على هذينِ القولينِ: الناسُ.

﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ الجمهورُ: تسعةَ عشرَ ملكًا، وقيلَ: تسعةَ عشرَ صنفًا من الملائكةِ، وقيلَ: تسعةَ عشرَ صفًّا منهم، والهاءُ يعودُ إلى ﴿سَقَرُ﴾.

فلمَّا نزلت هذه الآية قال أبو جهلٍ: زعمَ ابنُ أبي كبشةَ أنَّ خَزَنَةَ النَّارِ تسعةَ عشرَ وأنتمُ الدَّهماءُ، أفَيَعجزُ كلُّ عشرةٍ منكم أن يأخذوا واحدًا ثمَّ يخرجونَ منَ النَّارِ[4]!

وقالَ أبو الأشدِّ بنُ كَلَدةَ بنِ الأُسَيدِ[5] وكانَ يوصفُ بالقوَّةِ: أنا أكفيكُم سبعةَ عشرَ منهم فاكفوني اثنين فأنزلَ اللهُ تعالى:

* * *

(١) هنا جاءت في النسخ، وهي تفسير ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾.

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٤٣)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٧٤)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٧٤)، واستغربه.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٨/ ٦٠) عن ابن عباس وقتادة والضحاك، رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٣٦) عن ابن عباس بإسناد ضعيف، وعن قتادة.

(٥) اختلف اسمه وكنيته في المصادر، وفي «تفسير مقاتل»: «أبو الأشدين اسمه أسيد بن كلدة بن خلف الجمحي»، وفي «أنساب الأشراف» (١/ ١٣٣): «أبو الأسدين، واسمه كلدة بن أسيد بن خلف الجمحي».

(٣١) ـ ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾.

﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾[1].

أصحابُ النار هاهنا: الخزنةُ لا أهلُها، وقيلَ: تقديرُهُ: وما جعلنا خزنَةَ أصحابِ النَّارِ، فحذفَ المضافَ، وهذا في المعنى كقوله: ﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ [التحريم: ٦]، فمَن ذا الذي يَغلبُ الملائكةَ والواحدُ منهم يأخذُ أرواحَ جميعِ الخلقِ، وللواحدِ منهم قوةُ الثقلينِ؟!

﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ﴾: عَدَدَهم في القِلَّةِ ﴿إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: بليَّةً عليهم وضَلالًا حتى قالوا فيهم ما قالُوا، وقيلَ: مِحنَةً؛ ليَظهرَ ما يقولُ كلُّ واحدٍ منهم ويعتقدُهُ.

﴿لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾: ليوقنوا أنَّ عددَهم تسعةَ عشرَ إذا وافقَ ما في كتبهم. وقيلَ: ليتيقَّنُوا أنَّ محمدًا ﷺ نبيٌّ صادقٌ حينَ أخبرهم بما يُوافِقُه كتبُهم وهو أمِّيٌّ لا يكتبُ ولا يقرأُ من الكتابِ.

﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ بإيمانهم بهذا ﴿إِيمَٰنًا﴾؛ أي: يقينًا ﴿وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ هذا توكيدٌ للاستيقانِ والزيادةِ في الإيمانِ.

﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: شكٌّ، وقيلَ: نفاقٌ، والأوَّلُ أظهرُ في هذهِ الآيةِ ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾: ليسَ في الآيةِ مَثَلٌ، ولكنَّهم استغربوا هذا العددَ فقالوا: لعلَّهُ مثلٌ مضروبٌ. واللامُ لامُ كي، وقيلَ: لامُ العاقبةِ.

---

(١) روى نحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٨٤) عن السدي. وذكره مقاتل «تفسيره» (٤/ ٤٩٧)، والفراء في «معاني القرآن» (٣/ ٢٠٤) دون نسبة.

وفي تخصيصِ خزنةِ النَّارِ بهذا العددِ أقوالٌ كلُّها ضِعافٌ، لكنِّي حكيتُ لكَ لأنها لا تخلو من فائدةٍ:

أحدُها: أنَّ جهنَّمَ أطباقٌ سبعةٌ، ومالكٌ خازنُ النَّارِ في الطَّبقةِ الأولى، وفيها المذنبونَ من المؤمنينَ، فيَرْفقُ بهم إلى أن يخلِّصَهمُ اللهُ منها، ثم في كلِّ طبقةٍ منها ثلاثةٌ منهم يعذِّبونَ أهلَها بأنواعِ العذابِ، ومجموعُهم تسعةَ عشرَ.

الثاني: «بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ» تسعةَ عشرَ حرفًا، وعددُ الزَّبانيَةِ تسعةَ عشَرَ ملَكًا، فيدفعُ المؤمنُ بكلِّ حرفٍ منها واحدًا منهم، وقد سبقتْ رحمتُهُ غضبَهُ.

والثالثُ: حَفِظَ اللهُ تعالى نظامَ العالَمِ(١) باثني عشرَ برجًا وسبعَ سياراتٍ، ومجموعُها تسعةَ عشرَ، كذلكَ حفظَ نظامَ جهنَّمَ بمثلِ هذا العددِ ملائكةً.

والرابعُ: أنَّ ساعاتِ اللَّيلِ والنَّهارِ أربعٌ وعشرونَ ساعةً: خمسٌ منها جُعلتْ للصَّلواتِ الخمسِ، وبقيتْ تسعةَ عشرَ ساعةً، فمَن ضيَّعَها عُذِّبَ بتسعةَ عشَرَ ملَكًا في النَّارِ، ومَن حَفِظَها بذكرِ اللهِ تعالى ذَبَّتْ كلُّ ساعةٍ منهُ ملكًا منهم.

والخامسُ: جعلَ اللهُ أوتادَ الأرضِ ـ وهي الجبالُ ـ تسعةَ عشرَ جبلًا، كذلكَ جعلَ أوتادَ النَّارِ تسعةَ عشَرَ ملكًا، وزعمَ هذا القائلُ أنَّ جبالَ الأرضِ تسعةَ عشَرَ، والباقي تشعَّبَ(٢) عنها، وقد عُدَّت جبالُ الأرضِ المتشعِّبةُ عنها فبلغت مئةً وتسعينَ جبلًا.

والسادسُ: الأعدادُ على وجهينِ: قليلٌ وكثيرٌ؛ وحدُّ القليلِ: من الواحدِ إلى التسعةِ، وهي آخرُ الآحادِ، وحدُّ الكثيرِ: من العشرةِ إلى ما لا نهايةَ لهُ، فجمعَ بينَ نهايةَ القليلِ وبدايةِ الكثيرِ فصارَ تسعةَ عشرَ.

---

(١) في (ف): «الملك».

(٢) في (ف): «يتشعب».

والسابعُ: أنَّ هذا السؤالَ ساقطٌ؛ لأنهُ لا عددَ إلَّا ويتَّجهُ عليهِ هذا السُّؤالُ، فصارَ دَورًا، وسؤالُ الدَّورِ ساقطٌ، واللهُ أعلمُ.

﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾؛ أي: كافتراقِهم عندَ هذا الامتحانِ يفرِّقُ بينهم بالإضلالِ والعذابِ، والهدايةِ والثوابِ.

وقيلَ: كافتِتانِ أقوالِهم في الخزنةِ وإصابةِ البعضِ وإخطاءِ البعضِ ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ﴾ عن الصوابِ ﴿وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾ إليهِ.

وقيلَ: يعودُ إلى تعذيبِ العنيدِ[1] في سَقَرَ؛ أي: كذلكَ يعذِّبُ من يشاءُ منَ الضَّالينَ ويهدي مَن يشاءُ مِن المؤمنينَ.

﴿وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾؛ أي: جموعَ ملائكةِ ربِّكَ، وقيلَ: لا يعلمُ جميعُ الخلائقِ كُنْهَهَمْ وكيفيَّتهم وكَمِّيَّتهم إلَّا اللهُ.

﴿وَمَا هِيَ﴾؛ أي: سَقَرُ، وقيلَ: نارُ الدُّنيا، وقيلَ: عِدَّةُ الخزنةِ، وقيلَ: السُّورةُ.

وقيلَ: الجنودُ؛ أي: [إن] الجنودُ ﴿إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡبَشَرِ﴾: ليسَ أنَّ اللهَ تعالى محتاجٌ إلى ناصرٍ ومُعِينٍ تعالى عن ذلكَ.

* * *

(٣٢ ـ ٣٥) ـ ﴿كَلَّا وَٱلۡقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحۡدَى ٱلۡكُبَرِ﴾.

﴿كَلَّا﴾: ردعٌ لِمَن زعمَ أنَّ جنودهُ لحاجتِهِ إليهم.

وقيلَ: ردعٌ لمن زعمَ أنَّهُ يكفي أمرَ الخزنةِ فيخرجُ منها؛ وهو أبو جهلٍ وأبو الأَشَدِّ بن كلدةَ.

وقيلَ: ردعٌ للوليدِ عائدٌ إلى أوَّلِ الكَلامِ.

وقيلَ: معناهُ: حقًا، وقيلَ: ألَا؛ للتنبيهِ.

---

(١) في (ن): «العبيد».

﴿وَٱلْقَمَرِ ۝٣٢ وَٱلَّيْلِ إِذْ دَبَرَ﴾: جاءَ بعدَ النَّهارِ، و﴿أَدْبَرَ﴾[١]: ذهبَ، وقيلَ: جاءَ. وقيلَ: هُمَا لغتانِ. وقيلَ: دَبَرَ: انقضَى، وأدبرَ: ولَّى.

﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ﴾: أضاءَ.

﴿إِنَّهَا﴾: إنَّ سقرَ ﴿لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ﴾: والكُبَرُ: العَظَائمُ، واحدتها: الكُبرى؛ وهي جماعةُ أطباقِ النَّارِ: جهنمُ، ثمَّ لظَى، ثمَّ الحُطَمَةُ، ثمَّ السَّعيرُ، ثمَّ سَقَرُ، ثمَّ الجحيمُ، ثمَّ هاويةُ.

وقيلَ: كنايةٌ عن جهنَّمَ، وقيلَ: عنِ النَّارِ.

وقيلَ: عن آياتِ القرآنِ[٢].

وقيلَ: كنايةٌ عن الذِّكرى.

الحسنُ: إنَّ تكذيبَكُم محمَّدًا عليهِ السَّلامُ من الكبائرِ[٣].

* * *

(٣٦ - ٣٧) - ﴿نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ۝٣٦ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾.

﴿نَذِيرًا﴾: منذرًا، وقيلَ: مصدرٌ كنكيرٍ وعذيرٍ، وهو حالٌ عن (إحدى) أو عن ﴿ٱلْكُبَرِ﴾، والعاملُ فيهِ معنى التَّفرُّدِ أو ﴿ٱلْكُبَرِ﴾، وقيلَ: حالٌ عنِ النبيِّ ﷺ؛ أي: قُم منذرًا، وقيلَ: عنِ القرآنِ، وقيلَ: عنِ اللهِ سبحانهُ[٤].

---

(١) قرأ حفص ونافع وحمزة ﴿والليل إذ أدبر﴾، وقرأ الباقون (إذا دَبَرَ). انظر: «السبعة» (ص: ٦٥٩)، و«التيسير» (ص: ٢١٦).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٧٥)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٧٥)، وعده من العجائب. وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٤٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) أطال المصنف في ذكر الناصب لـ ﴿نَذِيرًا﴾ في «غرائب التفسير» (/ ١٢٧٦)، وقد ذكر أنه أضاف ثلاثين وجهًا، فعدد بعضها، وفيها من التكلف ما فيها، كما ذكر السمين في «الدر المصون» (١٠/ ٥٥٢) لها ستة عشر وجهاً من الإعراب.

﴿لِلْبَشَرِ (٣٦) لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ﴾ بالطَّاعةِ ﴿أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ بالمعصيةِ.

* * *

(٣٨ ـ ٤٢) ـ ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨) إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ (٣٩) فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِينَ (٤١) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾.

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾؛ أي: عندَ الحسابِ مرهونةٌ بعملها إمَّا يخلِّصُها أو يوبِقُها ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾: قيلَ: همُ الأطفالُ، وقيلَ: همُ الملائكةُ، وقيلَ: أصحابُ الجنَّةِ، وقيلَ: الميامِينُ[1] على أنفسِهِم.

﴿فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِينَ﴾: عنِ الكفَّارِ، وقيلَ: عن كلِّ من في النَّارِ: ﴿مَا سَلَكَكُمْ﴾: ما أدخلكُم ﴿فِي سَقَرَ﴾؟

* * *

(٤٣ ـ ٤٧) ـ ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (٤٦) حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ﴾.

﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾: قيلَ: لم نعتقِدْ وجوبَها وفرضَها[2] ﴿وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ﴾: لمْ نأتِهِ ولمْ نأمُرْ به ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾: نكذِّبُ معَ المكذِّبينَ.

وقيلَ: ما غَوَى غاوٍ إلَّا وغَوَينا معهُ.

وقيلَ: هو قولُهُم: محمَّدٌ ساحرٌ، أو شاعرٌ، أو مجنونٌ.

---

(١) في (ن): «الميامن».

(٢) في هامش (ن): «قال الشيخ: هذا حجة لأصحاب الإمام الشافعي: أن الكفار مخاطبون بالصلاة وأركانها وجميع العبادات، خلافًا للإمام أبي حنيفة رضي الله عنهما، وهذا بناء على أن الإيمان قول واعتقاد، والشافعي يضيف إليه العمل بالأركان، وأبو حنيفة يقول: إن الكفار مخاطبون بالإيمان ثم بفعل الأركان».

﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾: القيامةِ.

﴿حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ﴾: الموتُ، وقيلَ: البعثُ.

وقيلَ: أصحابُ النارِ يومئذٍ أربعةُ أصنافٍ، وكلُّ واحدٍ من هذهِ الأربعةِ كلامُ صنفٍ منهم(١).

***

(٤٨) ـ ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾.

﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾؛ أي: ليسَ لهم منَ الملائكةِ والنَّاسِ شفيعٌ.

***

(٤٩) ـ ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾.

﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ﴾: عنِ القرآنِ ﴿مُعْرِضِينَ﴾: مولِّينَ.

***

(٥٠ ـ ٥١) ـ ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ۝٥٠ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ﴾.

﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ﴾: جمعُ حِمَارٍ ﴿مُّسْتَنفِرَةٌ﴾ بالكسرِ: نَافِرةٌ، يقوِّيهِ قولُه: ﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ﴾.

و﴿مُسْتَنْفَرةٌ﴾ بالفتحِ(٢): محمولةٌ على النِّفَارِ، أو: موجودةٌ نافِرة.

﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ﴾: الأسدُ، مشتقٌّ من قَسَرَهُ؛ أي: قَهرَهُ.

وقيلَ: الرِّجالُ القنَّاصونَ الرُّماةُ.

---

(١) في هامش (ن): «قال: الأربعة أراد بها أنَّ كل صنف يقول شيئًا، فصنف يقول: ﴿لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ﴾ وصنف يقول: ﴿وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ﴾ إلى آخرها.

(٢) قرأ بها نافع وابن عامر، والباقون بكسر الفاء. انظر: «السبعة» (ص: ٦٦٠)، و«التيسير» (ص: ٢١٦).

ابن عباسٍ رضي الله عنهما: رِكْزُ الناسِ[١]؛ أي: صوتُهُم وحِسُّهُم.

وقيلَ: من سوادِ اللَّيلِ[٢].

***

(٥٢) - ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾.

﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾: هو قولُهم: إنْ أحببتَ يا محمَّدُ أنْ نَتَّبعَكَ فأتِنَا بكُتُبٍ منَ اللهِ فيها: منَ اللهِ إلى فلانِ ابنِ فلانٍ أنِ اتَّبعْ مُحمَّدًا[٣].

وقيلَ: كانَ مَن أذنَبَ من بني إسرائيلَ ذنبًا وجدَ ذنبَهُ مكتوبًا على بابهِ في غدٍ، فسألوا مثلَهُ لهم[٤].

وقيلَ: سألوا براءةً منَ النَّارِ.

***

---

(١) علقه البخاري قبل الحديث (٤٩٢٢)، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٤٠٠)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٥٨)، والخطابي في «غريب الحديث» (٢/ ٤٤٩)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٧٦)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٧٧)، وعده من العجائب.

(٣) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٦١) عن قتادة ومجاهد، وذكره يحيى بن سلام في «تفسيره» (١/ ١٦٣) عن الحسن، وذكره الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٤٦٤) عن مجاهد ومقاتل وقتادة والحسن.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٨/ ٩٧) والواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٤٦٤) عن الكلبي، وهو بلا نسبة في «تفسير مقاتل» (٤/ ٥٠٠)، و«معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٥٠)، و«تأويلات أهل السنة» للماتريدي (١٠/ ٣٣٠).

(٥٣) ـ ﴿كَلَّاۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾.

﴿كَلَّا﴾: ردعٌ وزجرٌ عن اقتراحِ الكُتُبِ.

وقيلَ: إعلامٌ أنهمْ لا يؤمنونَ وإن جاءَهُمُ الكتابُ؛ كقولِهِ: ﴿وَلَوۡ أَنَّنَا نَزَّلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ﴾ الآية [الأنعام: ١١١].

وقيلَ: قَسَمٌ.

﴿بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾: لا يقدِّرُونَ وقوعَها وكونَها.

* * *

(٥٤ ـ ٥٥) ـ ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذۡكِرَةٞ ٥٤ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾.

﴿كَلَّآ﴾: ردعٌ وقسَمٌ ﴿إِنَّهُۥ﴾: إنَّ القرآنَ ﴿تَذۡكِرَةٞ﴾: تذكيرٌ للخلقِ ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾: إذ يسَّرهُ للخَلْقِ.

* * *

(٥٦) ـ ﴿وَمَا يَذۡكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ هُوَ أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ﴾.

﴿وَمَا يَذۡكُرُونَ﴾؛ أي: لا يؤمنونَ ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾: إلَّا بمشيئةِ اللهِ وإرادتهِ ﴿هُوَ أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ﴾: أهلُ أن تُتَّقى معصيتُهُ ﴿وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ﴾: أهلُ أن يغفِرَ للمتَّقي.

وقيلَ: هو أهلُ الانتقامِ وأهلُ الإنعامِ.

* * *

سُورَةُ القِيَامَةِ

تسعٌ وثلاثونَ آيةً[1]، مكيَّةٌ.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾.

﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾: فيهِ وفي أمثالِهِ خمسةُ أقوالٍ:

أحدها ـ وهو قولُ الجُمهورِ ـ: أنَّ ﴿لَآ﴾ صلةٌ؛ كقولِهِ: ﴿لِّئَلَّا يَعۡلَمَ﴾ [الحديد: ٢٩].

الثاني: المبرِّدُ: ﴿لَآ﴾ تأكيدٌ للقسمِ، وأنشدَ:

فـلا وأبيـكِ ابـنـةَ الـعـامِـرِيْـ ـــيِ لا يدَّعـي القَـومُ أني أَفِـرّ[2]

الثالثُ: الفرَّاءُ: ﴿لَآ﴾ ردٌّ لإنكارِ المشركينَ البعثَ[3].

الرابع: أصلهُ: لَأُقْسِمُ؛ اعتبارًا بقراءةِ ابنِ كثيرٍ[4]، ثمَّ أُشبعَ فظهرَ منَ الإشباعِ ألِفٌ، وهذا اللَّامُ يصحبهُ نونُ التَّأكيدِ في الأغلبِ وقد يفارقُهُ[5].

---

(١) «تسع وثلاثون آية»: ليس في (ف). وانظر: «البيان في عد آي القرآن» (ص: ٢٥٩)، وفيه: «أربعون آية في الكوفي وتسع وثلاثون في عدد الباقين».

(٢) البيت لامرىء القيس كما في «ديوانه» (ص: ١٠٥)، و«الشعر والشعراء» (١/ ١٢٢).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٠٧).

(٤) قرأ بها ابن كثير بخلف عن البزي. انظر: «السبعة» (ص: ٦٦١)، و«التيسير» (ص: ٢١٦).

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٧٩)، واستغربه.

الخامسُ: ﴿لَآ﴾ نفيٌ للإقسامِ؛ لأنَّ النَّاسَ يؤكِّدونَ أخبارهم بنفيِ القسَمِ كمَا يؤكِّدونها بالقَسَمِ، فإنَّ ذِكرَ تركِ القَسَمِ يقومُ مقامَ القَسَمِ(١).

***

(٢) - ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾.

﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾: الجُمْهورُ على أنَّهُ سبحانهُ أقسَمَ بها، والحسنُ ذهبَ إلى أنهُ أقسمَ بيومِ القيامةِ، ولم يُقسِمْ بالنَّفسِ اللَّوَّامةِ(٢).

وذهبَ بعضُهم إلى أنَّ التقديرَ في هذا وأخواتِهِ: لا أقسِمُ بيومِ القيامةِ بل أقسمُ بربِّ القيامةِ. وهذا بعيدٌ ضعيفٌ غيرُ مطَّرِدٍ كقولهِ: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ﴾ وأمثالِهِ.

ومعنى ﴿ٱللَّوَّامَةِ﴾: ما رويَ عنِ النبيِّ ﷺ، وهو أنَّهُ قالَ: «ليسَ من نفسٍ برَّةٍ ولا فاجرةٍ إلا وتَلومُ نفسَها يومَ القيامةِ؛ إنْ عملت خيرًا قالت: كيفَ لم أزدَدْ؟! وإن عملتْ شرًّا قالت: ليتني كنتُ قصَّرتُ»(٣).

ابنُ عباسٍ رضيَ الله عنهما: ﴿ٱللَّوَّامَةِ﴾: المَذمُومة(٤).

قتادةُ: الفاجِرة(٥).

وقيلَ: يريدُ: تلومُ نفسَها في أمورِ الدُّنيا وغيرِها والزَّمانِ، فهوَ صفةُ ذمٍّ. ومَن جعلَ تقديرَهُ: تلومُ على اكتسابِ السَّيئاتِ والتقصيرِ في الخيراتِ، فهوَ صفةُ مدحٍ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٧٩)، وعده من العجائب، وقال: «وهذا ضعيف».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٦٧)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١٠/ ٣٣٤).

(٣) رواه النعالي في «فوائده - مخطوط» (٤) عن واثلة بن الأسقع مرفوعًا، وذكره الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٤٧٥)، والنووي في «التبيان» (ص: ١٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفًا.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٧٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٨٦).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٧٠)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٨/ ١١٣).

(٣) ـ ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ﴾.

﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ يعني: الكافرَ ﴿أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ﴾ خصَّ العِظامَ بالذِّكرِ لقوله[1]: ﴿مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨].

والآيةُ نَزَلتْ في عدِيٍّ بن رَبيعةَ ـ ختَنِ الأخنَسِ بن شريقٍ ـ حينَ أتى النَّبيَّ عليهِ السَّلامُ فقال: حدِّثْني عن يومِ القيامةِ متَى يكونُ؟ وكيفَ أمرُها وحالُها؟ فأخبرَهُ بذلكَ، فقال: لو عاينتُ ذلكَ اليومَ لم أصدِّقْكَ ولمْ أؤمِنْ بهِ، أو يجمعُ اللهُ هذهِ العظامَ؛ فأنزلَ اللهُ هذهِ الآيةَ[2].

* * *

(٤) ـ ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ﴾.

ثمَّ قال: ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ﴾: معناهُ عندَ أكثرهم: نجعلُها كخُفِّ البعيرِ أو حافرِ الفَرَسِ.

الفرَّاءُ: نعيدُ أصغرَ العظامِ إلى ما كانَ[3].

الزَّجَّاجُ: نسوِّي بنانَهُ على ما كانتْ[4].

والمرادُ به: جميعُ البَدَنِ.

وقيلَ: نسوِّي بنانَهُ الخمسَ فنجعلُها كلَّها كالوُسطَى أو كالخِنْصَرِ[5] والإبهامِ؛ فلا ينتفِعُ بها.

---

(١) في (ف): «كقوله»، ولا يصحُّ.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٥٠٩)، و«تفسير الثعلبي» (٢٨/ ١١٥)، و«تفسير البغوي» (٨/ ٢٨٠)، ولم يذكروا له سنداً ولا راوياً.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٠٨).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٥١).

(٥) في (ف): «وكالخنصر».

و﴿قَٰدِرِينَ﴾ حالٌ، والعاملُ فيهِ: نجمعُ أو نَقدِرُ[1].

ومـا ذكرَهُ الفَـرَّاءُ[2] من قولـهِ: فلْيَحْسَـبْنا قادرين[3]، ضعيـفٌ؛ لأنَّ المأمورَ في حـقِّ اللهِ تعالـى العلـمُ دونَ الحُسـبانِ، أو يُحمَـلُ علـى ازدواجِ اللَّفظِ، وهـذا أبعدُ؛ لأنَّهُ ليـس بملفوظٍ.

***

(٥) ـ ﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ﴾.

﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ﴾ ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: هو الكافرُ يكذِّبُ بالقيامةِ[4].

المبرِّدُ: يُسَوِّفُ التوبةَ ويركبُ المعاصِيَ[5].

أبو عليٍّ: يعزمُ على المعصيةِ في أوقاتٍ لعلَّهُ لا يبلُغُهَا[6].

وقيلَ: يقدِّمُ ذنبَهُ ويؤخِّرُ توبتَهُ.

الحسنُ: يمضِي في معاصِي اللهِ قُدمًا قُدمًا لا ينزِعُ عنها[7].

---

(١) أي: الفعل المقدَّر بعد ﴿بَلَىٰ﴾. انظر: «روح المعاني» (٢٨/ ٩٤).

(٢) في (ن): «القائل»: والمثبت من (ف) ونسخة في هامش (ن).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٠٨)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٨٠)، وعده من العجائب، والتقدير فيه: «بلى احسبنا قادرين؛ لأنا مأمورون بالعلم والإيقان، لا بالشك والحسبان».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٧٧).

(٥) وذكر نحوه البخاري معلقاً عن ابن عباس رضي الله عنهما قبل الحديث (٤٩٢٧) بلفظ: «﴿لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ﴾: سوف أتوب، سوف أعمل».

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٨٠) دون نسبة، واستغربه.

(٧) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٤٠٥)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٧٥).

(٦) ـ ﴿يَسْئَلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾.

﴿يَسْئَلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: متَى يكونُ؟ استبعادًا واستهزاءً.

* * *

(٧) ـ ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ﴾.

﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ﴾ ﴿بَرِقَ﴾ بالكسرِ: فزِعَ، وبالفتح[1]: شَخَصَ.

وقيلَ: هما بمعنى حَارَ؛ أي: تحيَّرَ.

* * *

(٨) ـ ﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ﴾.

﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ﴾: ذهبَ ضوؤُهُ.

ابنُ كيسانَ: غابَ، مِن قوله: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ﴾ [القصص: ٨١][2].

* * *

(٩) ـ ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾.

﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾؛ أي: جُمِعَا في ذهابِ ضوئِهِمَا.

وقيلَ: يُجمَعَانِ كالثَّورين العقيرينِ فيُلقَيانِ في النَّارِ.

وقيلَ: يدرِكُ أحدُهُما الآخرَ بخلافِ الدُّنيا؛ لقوله: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ﴾ [يس: ٤٠].

مجاهدٌ: معناهُ: يُكوَّرانِ[3]، من قوله: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: ١].

---

(١) قرأ نافع بالفتح، والباقون بالكسر. انظر: «السبعة» (ص: ٦٦١)، و«التيسير» (ص: ٢١٦).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٨/ ١٢٥).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٨٢).

وذكَّرَ الشَّمسَ حَملًا على النُّورِ، وقيلَ: لعطفِ القمرِ عليهِ، ويحتمِلُ أنَّهُ عَطَف فحَمَلَ على المعنى؛ أي: فجُمِعَ القمرانِ، وكرَّرَ ذِكرَ القَمَرِ لأنَّ الخبرَ عنه مختلِفٌ.

وقيلَ: القمرُ الأوَّلُ بياضُ العينِ، وفيهِ بُعدٌ[1].

* * *

(١٠) ـ ﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ﴾.

﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾: اسمُ الجنسِ ﴿يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ﴾ قيلَ: عن اللهِ استحياءً منهُ، وقيلَ: عن جهنَّمَ. والمفَرُّ المصدرُ، والمَفِرُّ بالكسرِ: المكانُ، والمِفَرُّ الجادُّ، وهما في القراءةِ من الشَّواذِّ[2].

* * *

(١١) ـ ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾.

﴿كَلَّا﴾: ردعٌ عن تمنِّي الفِرَارِ ﴿لَا وَزَرَ﴾: لا حِرزَ لهم، والوَزَرُ: ما لَجَأَ إليهِ الإنسانُ من ملجأٍ أو مَنجًى أو جبلٍ، قال الشاعر:

لعمرُكَ ما للفتى من وَزَرْ ... منَ المَوتِ يُلْجِئُهُ والكِبَرْ[3]

* * *

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٨٠)، واستغربه.

(٢) نسبت القراءة بفتح الميم وكسر الفاء للحسين بن علي وابن عباس والحسن بن يزيد وعكرمة. انظر: «المختصر في شواذ لابن خالويه (ص: ١٦٥). ونسبت القراءة بكسر الميم وفتح الفاء للزهري. انظر: «المحتسب» لابن جني (٢/ ٣٤١).

(٣) البيت لابن الذئبة كما في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٧٧)، ودون نسبة في «الزاهر» لابن الأنباري (١/ ٢٠٧). وابن الذئبة اسمه: ربيعة، والذئبة أمه وأبوه عبد ياليل بن سالم، شاعر فارس. انظر: «المؤتلف والمختلف» للآمدي (ص: ١٥٢).

(١٢) ـ ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ﴾.

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ﴾: المنتهى؛ إذا جعلْتَهُ مصدرًا، وإنْ جعلتَهُ مكانًا فالجنَّةُ أو النَّارُ؛ أي: لا يُنَزَّلُ أحدٌ منزلَهُ إلَّا اللهُ.

***

(١٣) ـ ﴿يُنَبَّؤُا ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾.

﴿يُنَبَّؤُا ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾: ابنُ عباسٍ رضيَ الله عنهما: ﴿بِمَا قَدَّمَ﴾ من خيرٍ وشرٍّ ﴿وَأَخَّرَ﴾: سنَّ سنَّةً فعُمِل بها بعدَهُ[1].

عكرمةُ: ما قدَّمَ فعملَ، وما أخَّرَ فلم يعمل بهِ وكانَ عليهِ أن يعمَلَ بهِ[2].

مجاهدٌ: بأوَّلِ عملِهِ وآخِرِهِ[3].

وقيلَ: ما قدَّمَ لدنياهُ وأخَّرَ لآخِرتهِ، وهوَ مسؤولٌ عنِ الجَميعِ؛ لأنَّ اللَّفظَ عامٌّ.

***

(١٤) ـ ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ﴾.

﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ﴾: عالِمٌ بعملِهِ شاهدٌ عليهِ، فالهاءُ دخلت للمبالغةِ كالعَلَّامةِ.

وقيلَ: عينٌ بصيرةٌ، فحُذفَ الموصوف.

وقيلَ: ذو بصيرةٍ، فحُذفَ المُضافُ.

وقيلَ: البصيرةُ رفعٌ بالابتداءِ، وخبَرُهُ ﴿عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ تقدَّمَ عليهِ، والجملةُ خبرُ

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٨٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٨٦).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٥٤) بلفظ: «بما قدم من الشر وأخر من الخير».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٩٠)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٢٨٣).

المبتدأ الأوَّلِ؛ كما تقول: زيدٌ على رأسهِ عِمامةٌ، والبصيرةُ على هذا الوجهِ: الملَكُ الموَكَّلُ عليهِ أو جوارحُهُ[١].

وقيلَ: على نفسهِ علامةٌ ودلالةٌ، من قولِ الشَّاعرِ:

راحـوا بصائرُهـم عـلى أكتافِهـم وبصيرتي يعـدُو بهـا عتـدٌ وَأَى[٢][٣]

***

(١٥) ـ ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾.

﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾: المعاذيرُ: جمعُ مِعذار، وهو العُذرُ؛ أي: لو تكلَّمَ بعذرهِ وجادَلَ واعتذَرَ، وعُذْرُه قولُه: ﴿إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا﴾ الآية [الأحزاب: ٦٧].

ابن عيسى: المعَاذيرُ: ذكرُ موانعَ تقطعُ عنِ الفعلِ المطلوبِ.

الضَّحاكُ: ﴿أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾: أرخَى ستورَهُ[٤]، والمعذارُ: السِّترُ، قالَ الشاعرُ:

ولكنَّهـا ضنَّـت بمنـزلِ ساعـةٍ فغابَتْ وألقَـتْ دُونَهـا بالمعـاذِرِ[٥]

ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: ﴿أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾: تجرَّدَ عن ثيابِهِ[٦].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٨٠)، واستغربه.

(٢) في (ن): «عتدٌ وعدو أي».

(٣) البيت للأسعر بن حمران الجعفي. انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٢٣٨)، و«الأصمعيات» (ص: ١٤١)، و«الوحشيات» (ص: ٤٤). والعَتِد والعَتَد: الفرسُ المُعَدّ للرُّكُوب. والوأى: الشديد الصلب.

(٤) رواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ٣٤٢)، وابن معين في «تاريخه» (٤/ ٤٣)، والدولابي في «الكنى والأسماء» (١/ ٣٩١).

(٥) البيت بلا نسبة في «النكت والعيون» (٦/ ١٥٥)، و«تفسير القرطبي» (١٩/ ١٠٠).

(٦) رواه العجلي في «الثقات» (٢/ ٤١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٨٧)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٩٥) بلفظ: «لو تجرد»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٨١)، واستغربه.

وقيلَ: ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾: سَكتَ عنها لم يَنفَعْه[1].

* * *

(١٦) ـ ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾.

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ هذا اعتراضٌ بينَ قولِه: ﴿أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾ وبينَ قولِه: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ﴾، وذلكَ أنَّ النبيَّ ﷺ كانَ إذا أتاهُ الوحيُ تلاهُ قبلَ فراغِ جبريلَ عليهِ السَّلامُ مخافةَ أن يَنْفَلِتَ منهُ شيءٌ، فأنزلَ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ﴾[2]؛ أي: بالقرآنِ ﴿لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾: لتحفظَهُ مستعجلًا.

وقيلَ: كانَ النبيُّ ﷺ يكثرُ قراءةَ القرآنِ مخافةَ النِّسيانِ، فأنزلَ اللهُ هذهِ الآيةَ[3]. والأوَّلُ أظهرُ.

وقال بعضُهم: هذا يقوِّي قولَهُ: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤] ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾.

* * *

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٨١)، وعده من العجائب.

(٢) رواه البخاري (٥)، ومسلم (٤٤٨)، عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: « ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ [القيامة: ١٦] قال: كان رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل شدة، وكان مما يحرك شفتيه... فأنزل الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٦ ـ ١٧] قال: جمعه لك في صدرك وتقرأه: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٨] قال: فاستمع له وأنصت: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٩] ثم إن علينا أن تقرأه، فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع، فإذا انطلق جبريل قرأه النبي ﷺ كما قرأه». وفي رواية للبخاري (٤٩٢٧): «أن النبي ﷺ إذا نزل عليه الوحي حرك به لسانه يريد أن يحفظه».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٩٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد والحسن وقتادة.

(١٧) - ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾.

﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ﴾؛ أي: أن نجمعَهُ في صدرِكَ ﴿وَقُرْءَانَهُۥ﴾: وأنْ نقرأَهُ عليكَ حتى يمكنَكَ تلاوتُهُ.

قتادة: علينا تأليفُهُ على ما نزلَ عليكَ(١).

* * *

(١٨) - ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾.

﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾: ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: إذا أنزلناهُ فاتَّبعْ قراءتهُ(٢).

قتادة: إذا تُليَ عليكَ فاتَّبعْ أحكامَهُ(٣).

الحسن: إنَّ علينا أن نجزيَ بهِ يومَ القيامةِ على ما قلنا في الدُّنيا من الوَعدِ والوَعيدِ(٤).

وقيل: يريدُ(٥) بيانَ ما يتضمَّنُهُ من الأخبارِ عمَّا كانَ وسيكونُ كقولِهِ: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ﴾ [ص: ٨٨].

وقيلَ: هذا خطابٌ للعبدِ يومَ القيامةِ، والهاءُ يعودُ إلى كتابِ العبدِ؛ أي: لا

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٠١) بلفظ: «حفظه وتأليفه»، وكذا ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٥٦).

(٢) في (ن): «قرآنه». ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٠٣) بلفظ: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ﴾: فإذا أنزلناه إليك ﴿فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾: فاستمع قرآنه. وفي رواية: فاستمع له. وفي رواية: إذا تُلي عليك فاتَّبعْ ما فيه. قال الطبري: فقد صرَّح هذا الخبرُ عن ابن عباس: أنّ معنى القرآن عنده: القراءة.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٠٣) بلفظ: «اتبع حلاله واجتنب حرامه».

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٥٦)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٣٧١).

(٥) «وقيل» من (ن).

تعجلْ فإنَّ علينا أن نجمعَ أفعالَكَ في صحيفتِكَ وقد فُعِلَ، وعلينا أن نقرأَ عليكَ كتابكَ، ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾؛ هل غادرَ شيئًا أو احتوى على زيادةٍ؟

***

(١٩) ـ ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾.

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾: إظهارَ الجزاءِ عليهِ.

***

(٢٠ ـ ٢١) ـ ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ۝٢٠ وَتَذَرُونَ ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾.

﴿كَلَّا﴾؛ أي: لا تنسَ القرآنَ، وقيلَ: يعودُ إلى إنكارِهمْ للبعثِ، وقيلَ: افتتاحُ كلامٍ.

﴿بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ﴾: الدُّنيا وشهواتِها ﴿وَتَذَرُونَ ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾: الدَّارَ الآخرةَ ونعيمَهَا.

***

(٢٢ ـ ٢٣) ـ ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾: حسنةٌ متهلِّلَةٌ فيها أثرُ النِّعمةِ والحُبورِ ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾: الجمهورُ على أنَّ المرادَ به رؤيةُ اللهِ تعالى.

وقيلَ: هوَ بمعنى الانتظارِ، وهو بعيدٌ من وجهينِ:

أحدهما: أن (إلى) لا يستعملُ معَ النَّظرِ إذا كانَ معناهُ الانتظارُ، كقوله: ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [الحديد: ١٣].

والثاني: أنَّ الانتظارَ لا يضافُ إلى الوجهِ.

وقولُ مَن جعلَ ﴿إِلَىٰ﴾ واحدَ الآلاءِ إلغازٌ، وكلامُ[1] اللهِ منزَّهٌ عن ذلكَ[2].

* * *

(٢٤ ـ ٢٥) ـ ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ۝٢٤ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾.

﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾: مقطِّبةٌ كريهةٌ ﴿تَظُنُّ﴾: تُوقِنُ؛ أي: أصحابُ الوجوهِ ﴿أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾: نازِلٌ بها أشدُّ العذابِ، والفاقرةُ: الداهيةُ الكاسرةُ لفقَارِ الظَّهرِ.

الأخفشُ: الفاقرةُ من السِّمَةِ التي تفقِرُ الأنفَ؛ أي: تَحُزُّ فيهِ، يقالُ: فَقَرَ يَفقِرُ ويَفْقُرُ.

* * *

(٢٦) ـ ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾.

﴿كَلَّا﴾: افتتاحٌ ﴿إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾؛ أي: بلغتِ الرُّوحُ، كنَّى عنها ولم يتقدَّم ذكرُها لأنَّ الآيةَ تدلُّ عليها، و﴿التَّرَاقِيَ﴾: جمعُ تَرْقُوَةٍ، وهيَ العظمُ المشرِفُ على الصَّدرِ، وهما ترقوَتانِ.

* * *

(٢٧) ـ ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾.

﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾: هذا قولُ مَن يحضرُهُ؛ أي: هل طبيبٌ يداويهِ؟ أو هل راقٍ يَرْقي فيَشْفَى برُقيتِهِ؟

وقيلَ: هذا من كلامِ المحتَضَرِ.

---

(١) في (ن): «وقول».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٨٢)، وعده من العجائب، وفيه: «العجيب: ﴿إِلَىٰ﴾ في الآية بمعنى النعمة، وما بعده مجرور بالإضافة؛ أي: منتظرة نِعَمَ ربها، وهذا بعيد سحيق».

وقيلَ: إنَّهُ من كلامِ الملائكةِ؛ أي: أملائكةُ الرَّحمةِ يؤمرونَ برَقيِ روحِهِ أم ملائكةُ العذابِ؟ وهذا قولُ ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُمَا[1].

وقيلَ: هذا على الإياسِ؛ أي: مَن هذهِ الحالَةُ حالُه؟

***

(٢٨) ـ ﴿وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ﴾.

﴿وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ﴾: وأيْقنَ أنَّ الذي نزلَ بهِ الفراقُ من الدنيا والأهلِ والمالِ.

***

(٢٩) ـ ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾.

﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾: الْتَفَّتْ: الْتَصقتْ، وأكثرُ المفسِّرينَ على أنَّ المُرادَ بالسَّاقِ: الشِّدةُ، والتفافُ السَّاقِ: نهايةُ الدُّنيا ﴿بِٱلسَّاقِ﴾: ببدايةِ الآخرةِ.

الحسن: أي: ماتت ساقاهُ فلم تحمِلاهُ إلى شيءٍ وكانَ عليهما جوَّالًا[2].

وقيلَ: كثُرَتْ عليهِ الشَّدائدُ.

وقيلَ: لُفَّت ساقاهُ في الكَفَنِ[3].

السُّدِّيُ: أرادَ: يَبَسَها عندَ الموتِ[4].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥١٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٨٨).

(٢) لم أجده عن الحسن، وهو في «الدر المنثور» (٨/ ٣٦١) عن أبي قلابة.

(٣) رواه وكيع في «الزهد» (٥٠)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥١٩) عن الحسن بلفظ: «هما ساقاك إذا التفَّتا في الكفن».

(٤) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١٥١٨)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٢١) عن السدي عن أبي مالك.

(٣٠) ـ ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ﴾.

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ﴾: هو مصدرُ ساقَهُ، والمعنى: يسوقُ كاتبُ السَّيئاتِ صاحبَهُ إلى حكمِ اللهِ في القيامةِ، ويشهدُ عليهِ كاتبُ الحسَنَاتِ.

وقيلَ: مساقُ العبدِ[١] إلى حيثُ أمرَ اللهُ؛ إمَّا إلى جنَّةٍ، وإمَّا إلى نارٍ، وإمَّا إلى علِّيينَ، وإمَّا إلى سجِّين.

* * *

(٣١) ـ ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾.

﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾: الجمهورُ على أنَّها نزلت في أبي جهلٍ[٢].

وقيلَ: راجعٌ إلى السَّائلِ: ﴿أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾؟.

و(لا) بمعنى: لمْ؛ أي: لم يصدِّقْ بكتابِ اللهِ ولا بنبيِّهِ ﷺ، ﴿وَلَا صَلَّىٰ﴾ للهِ عبادةً، وحسَّن دخولَ ﴿لا﴾ على الماضي تكرارُه؛ كما تقول: لا قامَ ولا قعدَ.

وعن الحسنِ: لم يتصدَّق ولمْ يصلِّ[٣].

وقيلَ: ﴿صَلَّىٰ﴾ من قولِ الشَّاعرِ:

تَلْـقَ السَـوابِقَ منَّـا والمصَلِّينَـا[٤]

---

(١) في (ف): «العباد».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٢٤) عن ابن زيد.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٨٢)، واستغربه.

(٤) عجز بيت وصدره:

إن تُبتَـدَرْ غايـةٌ يومـاً لمَكْرُمـةٍ

ونسب لنهشل بن حري، كما في «الشعر والشعراء» (٢/ ٦٢٣)، و«عيار الشعر» (ص: ١٠٤)، و«زهر الآداب» (٤/ ١١٥٩).

=

والمعنى: لم يتَّبعِ الرَّسولَ[1].

* * *

(٣٢) ـ ﴿وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾.

﴿وَلَٰكِن كَذَّبَ﴾: نبيَّ اللهِ وكتابَهُ ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾: عن طاعةِ اللهِ وطاعةِ رسولِهِ.

* * *

(٣٣) ـ ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰ﴾.

﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰ﴾: يتبخترُ، وأصلُهُ: يتمطَّطُ، قُلِبَ الأخيرُ لاجتماعِ ثلاثةِ أحرفٍ متماثلةٍ ياءً، وهذا بابٌ واسعٌ، وقيلَ: هوَ من المطَا، وهو الظَّهرُ؛ أي: حرَّكَ مطَاهُ في مِشيتِهِ.

* * *

(٣٤ ـ ٣٥) ـ ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾.

﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾: العربُ تستعملُ هذهِ اللَّفظةَ للتهديدِ والوعيدِ كما في الآية، وقد يُستعملُ للتعجُّبِ، واختُلِفَ في وزنهِ:

فذهبَ بعضُهم إلى أنَّهُ فِعْلٌ؛ أي: أولاكَ عملُكَ أو الزَّبانيَةُ المكروهَ، واللامُ زيادةٌ، كقولِه: ﴿رَدِفَ لَكُم﴾ [النمل: ٧٢]، وكذلكَ الثَّاني؛ لكنَّه حَذَفَ (لَكَ) لأنَّ الأوَّلَ يدلُّ عليهِ.

= ولبشامة بن حزن النهشلي، كما في «عيون الأشعار» (١/ ٢٨٧)، و«المؤتلف والمختلف» (ص: ٨١). ولأبي مخزوم النهشلي، كما في «الكامل» (١/ ٩٥)، و«الحماسة المغربية» (١/ ٦٢٦). وانظر الخلاف في نسبته في «خزانة الأدب» (٨/ ٣١٢).

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٨٢)، وعده من العجائب.

وقال بعضهم: هو اسمٌ، ووزنُهُ: أفعَلُ، وهو معرفةٌ، والمعنى: الذمُّ أولى لكَ من تركِهِ، فهو خبرُ المبتدَأِ، وقيلَ: هو الذمُّ[1]؛ أي: الذَّمُّ لكَ، فيكونُ الذَّمُّ مبتدأً، و﴿لَكَ﴾ خبرُهُ، وحُذِفَ من الثاني.

وقال بعضُهم: هو (أفعَلُ) من (الوَيلِ) بعدَ القَلبِ، كمَا قيلَ في (أدنى): إنَّهُ (أفعَلُ) من لفظِ دونَ.

وقيلَ: هو (فَعْلَى) من آلَ يؤُولُ؛ أي: عُقبَاكَ النَّارُ.

وقولُ الزَّجَّاجُ: معناهُ: وليكَ المكرُوهُ[2]. هوَ القولُ الأوَّلُ.

والتَّكرارُ للتأكيدِ، وقيلَ: أولَى لكَ الموتُ؛ فأولى لكَ العذابُ في القبرِ، ثمَّ أولى لكَ هولُ القيامَةِ؛ فأولى لكَ عذابُ النَّارِ على الدَّوامِ.

* * *

(٣٦) ـ ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾.

﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾: أيحسبُ الكافرُ أن يتركَ مهمَلًا لا يُؤمَرُ ولا يُنهَى ولا يُجَازى بعملِهِ؟ وقيلَ: أن لا يُبعَثَ؟

الحسنُ: ﴿يُتْرَكَ سُدًى﴾: سَرمَدًا في الدُّنيا دائمًا لا يموتُ[3].

* * *

(٣٧) ـ ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ﴾.

﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ﴾: النُّطفةُ والمَنِيُّ: ماءُ الرَّجلِ ﴿يُمْنَىٰ﴾: يُصبُّ في الرَّحِمِ، والمنيُّ مشتَقٌّ من المَنَى، وهو القَدَرُ.

---

(١) في (ن): «للذمِّ».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٥٤).

(٣) لم أجده.

(٣٨) - ﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾.

﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً﴾؛ أي: صارَ المنيُّ قطعةَ دمٍ جامِدٍ بعدَ أربعينَ يومًا ﴿فَخَلَقَ﴾؛ أي: فقدَّرَهُ اللهُ تعالى ﴿فَسَوَّىٰ﴾: فسوَّاهُ إنسانًا.

***

(٣٩) - ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾.

﴿فَجَعَلَ مِنْهُ﴾؛ أي: من هذا الإنسانِ، وقيلَ: ﴿مِنْهُ﴾ يعودُ إلى المَنِيِّ.

﴿الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾؛ أي: خلقَ منهُ أولادًا ذكورًا وإناثًا.

***

(٤٠) - ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾.

﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾؛ أي: مَن قدرَ على إيجادِهِ بهذهِ الصِّفَةِ ابتداءً يقدرُ على إعادتِهِ؛ إذ ليسَ إعادتُهُ بأصعبَ من ابتدائِهِ، ورويَ مرفوعًا أنَّ النبيَّ ﷺ كانَ إذا قرأَ هذهِ الآيةَ قال: «سبحانَكَ اللهمَّ بلى»[1].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٢٨) عن قتادة قال: ذُكِرَ لنا أنَّ نبي الله ﷺ كان إذا قرأها قال: «سبحانك وبلى».

ورواه أبو داود (٨٨٤)، ومن طريقه البغوي في «شرح السنة» (٦٢٤)، عن موسى بن أبي عائشة قال: كان رجل يصلي فوق بيته، فكان إذا قرأ: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾، قال: سبحانك فبلى. فسألوه عن ذلك، قال: سمعته من رسول الله ﷺ. ورجاله ثقات إلا أن موسى بن أبي عائشة لم يرو عن أحد من الصحابة، وروايته إنما هي عن التابعين، وقد ذكروا أنه كثير الإرسال، ويؤيد هذا رواية أبي عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ١٥١) عن موسى بن أبي عائشةَ، عن رجلٍ، عن آخرَ، عن آخرَ: أنه كان يَقرأ فوق بيتٍ له... الحديث.

ورواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ١٥١)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣١٠)، عن =

= ابن عباس رضي الله عنهما موقوفاً بلفظ: «سبحانك اللهم وبلى». وهكذا رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٤٠٥١) لكن دون واو قبل «بلى».

ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٧٣٩١)، وأبو داود (٨٨٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «فليقل: بلى».

سُورَةُ الإِنسَانِ

إحدى وثلاثون آيةً[1]، مدنيَّةٌ. وقيلَ: مكيَّةٌ[2].

وقيلَ: مكيَّةٌ إلى قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ والباقي مَدنيٌّ[3].

ويقال لها: «سورة الدَّهرِ» أيضًا.

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾.

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾: هذا استفهامُ تقريرٍ، والمعنى: ألمْ يأتِ؟

وقيلَ: ﴿هَلْ﴾ هاهنا بمعنى: قدْ، والإنسانُ آدمُ عليهِ السَّلامُ، والحينُ في الآيةِ زمانٌ محدودٌ، وهو أربعونَ سنةً.

قال ابن مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ: خلقَ اللهُ آدمَ عليهِ السَّلامُ من تُرابٍ فأقامَ أربعينَ سنةً، ثمَّ من طينٍ أربعينَ سنةً، ثمَّ من صَلصَالٍ أربعينَ سنةً، ثمَّ من

---

(١) «إحدى وثلاثون آية»: ليس في (ف).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٦١) عن ابن عباس ومقاتل والكلبي.

(٣) ذكر الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٦١)، وعنه ابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٣٧٤) هذا القول معكوسًا فقال: «وقال آخرون فيها مكي من قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا﴾ إلى آخرها، وما تقدم مدني».

حمأٍ مسنونٍ أربعينَ سنةً، ثمَّ خلقهُ بعدَ ستينَ ومئةِ سنةٍ[١].

ولو لم يكن محدودًا لَمَا قال: ﴿أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ﴾.

وقيلَ: هو غيرُ محدودٍ، وقوله: ﴿عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ﴾؛ أي: عليهِ في علمِ اللهِ = ﴿لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾، وقيل: لم يكنْ شيئًا أصلًا، وقيل: كان ولم يكنْ مذكورًا[٢].

وقيلَ: الإنسانُ: بنو آدمَ، والحينُ: مدَّةُ لُبثِهِ في بطنِ أمِّهِ تسعةَ أشهرٍ إلى أنْ صارَ شيئًا مذكورًا[٣].

ويحتملُ أن ﴿ٱلْإِنسَـٰنِ﴾ عامٌّ، و﴿حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾ زمانُ فترةِ الرُّسُلِ بعدَ عيسى عليهِ السَّلام ﴿لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾؛ أي: لم يُذكَرُوا بوحيٍ ولم يبعث إليهم رسولٌ في تلكَ المُدَّةِ، واللهُ أعلمُ.

والدَّهرُ أعمُّ من الحينِ؛ فإنَّ الحينَ جزءٌ[٤] منهُ.

الحسنُ: خَلَقَ أصولَ الأشياءِ في الأيَّامِ السِّتَّةِ، ثمَّ خَلَقَ آدمَ عليهِ السَّلامُ فكانَ غيرَ مذكورٍ في جملةِ المخلوقاتِ[٥].

وقيلَ: آخرُ شيءٍ خلقهُ اللهُ آدمُ صلواتُ اللهِ عليهِ.

***

(٢) ـ ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَـٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾.

﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ﴾: بَني آدمَ ﴿مِن نُّطْفَةٍ﴾: مِن منيٍّ ﴿أَمْشَاجٍ﴾: أخلاطٍ،

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٨)، والقرطبي في «تفسيره» (١٩/ ١١٩).

(٢) «وقيل لم يكن شيئًا أصلاً وقيل كان ولم يكن مذكورًا» من (ف).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٨٥)، واستغربه.

(٤) في (ف): «كان الحين جزءًا» بدل: «فإن الحين جزء».

(٥) لم أجده.

واحِدها: مَشِج، وقيل: مشيج، وقيلَ: (مَشَج) بفتحتَين، مُشتقٌّ مِن مَشَجتُ الشَّيء؛ أي: خَلَطْتُه، والمرادُ بها: ماءُ الرَّجُلِ وماءُ المرأةِ.

وقيلَ: لأنها تنتقِلُ أحوالًا: نطفةً ثمَّ علقةً... إلى آخِرَ تمامِ الخِلْقَةِ[1].

وقيلَ: لاختلافِ ألوانها؛ لأنَّ ماءَ الرجلِ أبيضُ، وماءَ المرأةِ أخضرُ، ثمَّ يخضرَّان.

وقيلَ: ماءُ المرأةِ أصفرُ.

وقيلَ: الأمشاجُ: العروقُ التي تُرى في النُّطفة[2].

ابنُ عيسَى: الأمشاجُ: الحرارةُ والبُرودةُ، والرُّطوبةُ واليُبوسةُ؛ ولهذا جُمعَ[3].

وقيلَ: إنَّما جُمعَ كقولهم: بُرْمَةٌ أعشارٌ وثوبٌ أسمالٌ[4].

﴿نَّبۡتَلِيهِ﴾: نختبرهُ بالتَّكليفِ، وهوَ حالٌ؛ أي: خلقناهُ مبتلِينَ، ويحتمِلُ أن يكونَ حالًا من ﴿ٱلۡإِنسَٰنَ﴾؛ أي: خلقناهُ مبتلًى[5].

---

(١) في (ف): «الخلق».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٨٥) واستغربه.

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ١٤) عن أهل المعاني، وعده المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٨٦) من العجائب.

(٤) قوله: «بُرمة أعشار»، البُرمة: القِدْر، وبُرمةٌ أعشار: إذا انكسرت قطعاً، وقوله: «وبُرد أسمال»، السَمَلُ: الخَلَقُ من الثياب، أخلق الثوبُ: إذا بلي. وقالوا أيضاً: «ثوب أخلاق» يَصِفون به الواحدَ إذا كانت الخُلُوقة فيه كلِّه، كما قالوا: «حبْلٌ أَرْمامٌ» و«أرضٌ سَباسِب». انظر: «الصحاح» و«اللسان» مادة: (عشر وخلق وسمل)، و«الكشاف» (٤/ ٦٦٦)، وقال الزمخشري: «وهي ألفاظ مفردة غير جموع، ولذلك وقعت صفات للأفراد».

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٨٦)، واستغربه.

وقيلَ: لنبتليَهُ، فحذفَ اللَّام وسكّنَ الياء، والمعنى عليهِ.

ويحتملُ أن يكونَ خبرَ مبتدأٍ محذوفٍ؛ أي: نحنُ نبتليهِ.

﴿فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾: هو السَّمعُ والبصرُ الظَّاهرانِ، وقيلَ: العقلُ.

قال الفرَّاءُ: وفيه تقديمٌ وتأخيرٌ؛ أيْ: جعلناهُ سميعًا بصيرًا لنبتليهِ(١).

وزيَّفهُ بعضهم فقال: إرادةُ التكليفُ أوجبت كونَهُ سميعًا بصيرًا(٢).

* * *

(٣) ـ ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾.

﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾: سبيلَ الخيرِ والشَّرِّ.

وقيلَ: نَصَبْنا الأدلَّة.

وقيلَ: سبيلَ المعاشِ.

وقيلَ: سبيلَ خروجهِ من الرَّحمِ.

﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾؛ أي: هديناهُ شاكرًا أو كفورًا، فهما حالانِ من الهاءِ.

و﴿إِمَّا﴾ يأتي للجزاءِ؛ أي: شَكَرَ أو كَفَرَ فقد هديناهُ، ويأتيَ للتخييرِ؛ أي: فلْيَخْتَرْ إمَّا هذا وإما ذاك فقد هُديَ السبيلَ.

* * *

(٤) ـ ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا﴾.

﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ﴾: الإعتادُ والإعدادُ في اللُّغةِ: تحصيلُ الشيءِ لوقتِ

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢١٤)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٨٦)، واستغربه.

(٢) ذكر المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٨٦) هذا التزييف لقول الفراء، وعده من العجائب.

الحاجةِ إليهِ ﴿سَلَٰسِلَاْ﴾: جمعُ سلسلةٍ الواحدُ منها سبعونَ ذراعًا ﴿وَأَغْلَٰلًا﴾: جمعُ غِلٍّ؛ وهو القيدُ الذي يَجمعُ اليمينَ والعنقَ[1] ﴿وَسَعِيرًا﴾: نارًا موقَدةً.

***

(٥) ـ ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾.

﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ﴾: جمعُ بارٍّ ﴿يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ﴾: خمرٍ، وقيلَ: هي إناءٌ فيهِ خمرٌ يأخذونَها كأسًا ويردُّونها إناءً ﴿كَانَ مِزَاجُهَا﴾: ما يمزَجُ بها ﴿كَافُورًا﴾ قيلَ: هو اسمُ ماءٍ.

وقيلَ: يُمزَجُ بالكافورِ لبَردِهِ وعذوبتِهِ وطيبِ عَرْفِهِ.

وقيلَ: يخلطُ برائحةِ الكافورِ[2].

***

(٦) ـ ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾.

﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾؛ أي: يَرْوَى، والعينُ: ينبوعُ الماءِ، ويستعملُ للماءِ، ونصبُهُ يجوزُ أن يكونَ بدلًا من (الكافورِ) إذا جعلتَهُ اسمَ ماءٍ، أو صفةً لـ(لكأسِ) على المحلِّ، ويجوزُ أن ينتصبَ بـ(يشربون)[3]، ويجوزُ أن يكونَ حالًا من ضميرِ (الكأسِ).

ويجوزُ أن ينتصبَ على المدحِ[4].

---

(١) في (ف): «والشمال».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٨٦)، وعده من العجائب.

(٣) أي: نصب بـ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾، كما تقول: زيدًا مررت به. قاله المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٨٧) واستغربه.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٨٧) عن الأخفش، وعده من العجائب.

وقوله: ﴿بِهَا﴾: الباء: زيادةٌ؛ أي: يشربها.

وقيلَ: بمعنى: مِن؛ أي: يشربُ منها.

وقيلَ: بمعنى: في؛ أي: يشربُ في ذلكَ الموضِعِ؛ كما تقول: شربتُ ببغدادَ، قال:

شـــربَتْ بمـــاءِ الدُّحْرُضَيْـــنِ فأصبَحَـــتْ[1]

﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾: يفتحونها إليهم ويُجْرُونَها حيثُ يريدونَ، وقيلَ: يفجِّرونها في الكأسِ.

***

(٧) ـ ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾.

﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾؛ أي: يوفونَ بنذورِهمُ التي نذروها في طاعةِ اللهِ، والنَّذرُ: وعدٌ بطاعةٍ مؤكَّدٌ[2] بعَقدٍ.

---

(١) صدر بيت لعنترة، وعجزه:

زوراءَ تَنْفِـرُ عَـنْ حِيـاضِ الدَّيْلَـمِ

انظر: «ديوان عنترة» (ص: ٢٠١)، و«جمهرة أشعار العرب» (ص: ٣٥٨). وذكره ابن قتيبة في «أدب الكاتب»(ص: ٥١٥)، و«تأويل مشكل القرآن» (ص: ٣٠٢) شاهداً على مجيء الباء بمعنى (مِن)، وكذا شرح ابن الأنباري في «شرح القصائد السبع الطوال» (ص: ٣٢٤)، وفيه: قوله: «شربت بماء الدحرضين» أراد: من ماء الدحرضين، فالباء بمعنى مِن، حُكي عن العرب: سقاك الله بحوض الرسول؛ أي: من حوض الرسول ﷺ. و(الدحرضان): ماءان يقال لأحدهما: دحرض، وللآخر: وسيع، فلما جمعهما غلَّب أحدَ الاسمين، ومعنى البيت: شربت بماء الدحرضين فهي به آمنة ريًّا تنفر عن حياض الديلم؛ أي: مياه الديلم، والديلم عند الأصمعي: الأعداء وإن كانوا غرباء، وهذا كما يقال للأعداء: كأنهم الترك والديلم، يريد أن عدواتهم كعداوة أولئك.

(٢) في (ن): «مؤكدة».

وقيلَ: النَّذرُ: هو الوفاءُ بما ألزمَ اللهُ تعالى من العباداتِ.

﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ﴾: شدائدهُ ﴿مُسْتَطِيرًا﴾: فاشيًا ممتدًّا بالغًا أقصى المبالغِ، من قولهم: استطارَ الفجرُ، واستطارَ الحريق(١).

***

(٨) ـ ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾.

قوله: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾؛ أي: على حبِّ الطَّعامِ وعِزَّتِهِ.

وقيلَ: هو على حبِّ الإطعامِ(٢).

وقيلَ: على حبِّ اللهِ، فيكونُ المصدرُ مُضافًا(٣) إلى المفعولِ.

ويحتمِلُ: على حبِّ اللهِ الإطعامَ؛ فيكونُ المصدرُ مُضافًا إلى الفاعلِ.

﴿مِسْكِينًا﴾: هو الذي ضَمَّ إلى فقرِهِ الذِّلَّةَ وانقطاعَ المعونةِ.

﴿وَيَتِيمًا﴾: هو الذي فقدَ أباهُ قبلَ الحُلُمِ إلى الحُلُمِ.

﴿وَأَسِيرًا﴾: يريدُ: أسرى الكفَّارِ والمؤمنينَ، وقيلَ: العبيدُ والإماءُ.

***

(٩) ـ ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾.

﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: يضمِرونَ هذهِ الآياتِ في أنفسهم، وليس المعنى أنَّهم تكلَّموا بها.

---

(١) في (ن): «النار».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٨٧)، واستغربه.

(٣) في (ف): «على حب الله مصدر مضاف».

قوله: ﴿لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: لطلَبِ ثوابِهِ.

المفضَّل: الوجهُ: القصدُ إلى الشَّيءِ والعملُ فيهِ.

﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً﴾: مكافأةً ﴿وَلَا شُكُورًا﴾: ولا أن يُثْنَى بهِ علينا، وهو مصدرُ شَكَرَ، وقيلَ: جَمعُ شُكرٍ؛ أي: شُكرًا بعدَ شُكرٍ.

***

(١٠) ـ ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾.

﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا﴾: عذابَ يومٍ ﴿عَبُوسًا﴾: تَعبسُ فيهِ الوجوهُ، وقيلَ: ضيِّقًا كريهًا.

﴿قَمْطَرِيرًا﴾: أشدُّ ما يكونُ من الأيَّامِ وأطولُها، وكذلكَ: قَماطِرُ؛ أي: شرُّهُ ملتفٌّ، وأصلُهُ من قولِ العربِ: اقْمَطرَّتِ النَّاقةُ؛ إذا رفعت ذَنبَهَا وجمعت بينَ طرفَي ذَنبِهَا.

وقيلَ: كلاهما من صفةِ وجهِ الإنسانِ في ذلكَ اليومِ؛ والعُبوسُ بالشَّفتينِ، والقمطريرُ بالجبهةِ والحاجبينِ، حكاهُ الماورديُّ[(١)].

وسُئلَ الحسنُ عن القمطريرِ فقال: سبحانَ اللهِ ما أشدَّ اسمَهُ! وهوَ أشدُّ من اسمِهِ[(٢)].

***

(١١) ـ ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾.

﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ﴾؛ أي: صانَهم من شدائدِهِ ﴿وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً﴾؛ أي: في الوجوهِ، وهي أثرُ النِّعمةِ، وحسنُ اللَّونِ والبهاءِ ﴿وَسُرُورًا﴾: وفرحًا في القلوبِ.

---

(١) انظر: «النكت والعيون» للماوردي (٦/ ١٦٧)، وعزاه لمجاهد.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٨٧)، واستغربه.

(١٢) ـ ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾.

﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ﴾؛ أي: بصبرهم ﴿جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾: أدخلهمُ الجنَّةَ وألبسهمُ الحريرَ.

وقيلَ: الحريرُ كنايةٌ عن لِيْنِ العَيشِ[1].

* * *

(١٣) ـ ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾.

﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾: على السُّرُرِ في الحجالِ، واحدُها: أريكةٌ، وهيَ السَّريرُ عليهِ قبَّةٌ من حريرٍ، وقيلَ: الأريكةُ: ما يُتَّكأُ عليهِ.

و﴿مُّتَّكِـِٔينَ﴾ نصبٌ على الحالِ من ﴿جَزَاهُمْ﴾.

وقيلَ: حالٌ عنِ الجنَّةِ[2]، وفيهِ ضعفٌ؛ لأنه يستدعي إبرازَ الضَّميرِ.

وقيلَ: نصبٌ على المدحِ[3].

﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾؛ أي: لا ينالونَ في الجنَّةِ حرًّا ولا بردًا[4].

وقيلَ: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا﴾؛ لأنهم في ضياءٍ مستديمٍ لا شمسَ فيها ﴿وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ عطفٌ على المعنى؛ لأنَّ الزَّمهريرَ لا يُرى، والتقديرُ: لا ينالونَ زمهريرًا، وهو البَردُ الذي يأتي على الأطرافِ من شدَّتِهِ.

وقيلَ: الزَّمهريرُ: القمرُ، فيكونُ عطفًا على الرُّؤيةِ، وأنشدَ ثعلبُ:

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٨٨)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٨٨)، وعده من العجائب.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٨٨)، واستغربه.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٨٨)، واستغربه.

وليلـةٍ ظلامُهـا فيهـا اعتَكَـرْ قطَعتها والزَّمهَريـرُ مـا زَهَـرْ(١)

***

(١٤) ـ ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾.

﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا﴾؛ أي: قَرُبت أشجارُ الجنَّةِ منهم حتَّى صارت كالمِظلَّةِ عليهم وإن لم يكن هناكَ شمسٌ.

﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾: سُـهِّلَت لهـم فينالونَهـا كيـفَ شـاؤوا، من (الـذِّلِّ) ضدِّ الصُّعوبـةِ، و﴿قُطُوفُهَا﴾: ثمارُهـا.

و﴿دانية﴾: نصبٌ على الحالِ، عطفٌ على ﴿مُتَّكِئِينَ﴾.

وقيلَ: صفةٌ للجنَّةِ، فتكونُ الواوُ زيادةً.

أبو عليٍّ: وجنةً دانيةً، فحُذفَ الموصوفُ، ومثلُهُ في المعنى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦](٢).

في نزولِ هذهِ الآياتِ قولان:

أحدهما: نزلت في عليِّ بنِ أبي طالبٍ وفاطمةَ رضيَ اللهُ عنهما(٣).

---

(١) رواه عن ثعلب: الثعلبي في «تفسيره» (٢٨/ ٢٢١)، وذكره عنه الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٦٩)، وأبو موسى المديني في «المجموع المغيث» مادة: (ز م هـ ر)، وفيه: أي: لم يطلع القمر. وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٨٨)، وعده من العجائب.

(٢) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٦/ ٣٥٥)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٨٨)، واستغربه.

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٩٨ ـ ١٠٢) وذكر له قصة طويلة. وقد أفاض ابن تيمية في «منهاج السنة» (٧/ ١٧٥ ـ ١٨٧) في بيان وجوه بطلانها. ونقل السيوطي في «المصنوع في معرفة الحديث الموضوع» (١/ ٣٤١) عن الحكيم الترمذي قال: «هذا حديث مفتعل».

والثاني: نزلت في مُطعِمِ بنِ ورقاءَ الأنصاريِّ[١].

* * *

(١٥) ـ ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠﴾.

﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ﴾: الطَّوفُ: الدَّورُ بالتنقُّلِ من واحدٍ إلى آخرَ؛ أي: يُديرُ عليهم خدمُهم كؤوسَ الشَّرابِ وهي من فضةٍ، وقيل: أواني بيوتِهم من فضَّةٍ.

﴿وَأَكْوَابٍ﴾: جمعُ كوبٍ، وهو الإبريقُ لا عروةَ لهُ.

مجاهدٌ: الأقداحُ[٢].

﴿كَانَتْ قَوَارِيرَا۠﴾: القوارير: الزُّجَاجُ.

* * *

(١٦) ـ ﴿قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾.

﴿قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ﴾؛ أي: في صفاءِ[٣] فضَّةٍ، فحذفَ المضافَ، وقيلَ: لها صفاءُ الزُّجَاجِ ورِقَّتُهُ وبياضُ الفضَّةِ، فناهيكَ حسنًا ولطافةً.

وقيلَ: كانت قواريرَ، فحوَّلها اللهُ فضَّةً.

وقيلَ: إذا شابهَ الشيءُ الشيءَ قيلَ: هوَ هوَ، قال:

فهــنَّ إضــاءٌ صافيــاتُ الغلائــلِ[٤]

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٦٨).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٥٦).

(٣) في (ف): «أي من منا».

(٤) عجز بيت للنابغة، وصدره:

عُلِـينَ بِكَدْيَـونٍ وأُبْطِـنَّ كُـرَّةً =

الزَّجَّاجُ: قواريـرُ الدُّنيـا مـن الرَّمـلِ، وقواريـرُ الجنَّةِ مـنَ الفضَّةِ ومـن صفائِها ونقائِها[١].

وقيـلَ: القواريـرُ: جمـعُ قـارورةٍ، وهيَ ما اسـتدارَ من الأواني، وليسـت هاهنا اسمًا للزُّجاجِ[٢].

مَـن نـوَّن[٣] فلموافقـةِ الآيـاتِ التـي تقدَّمـت والتـي تأخَّـرت، وقيلَ: جـاءَ بها علـى الأصـلِ المرفوضِ كاسـتَحْوذَ وأخواتِـه، ومَن قالَ: تشـبيهًا بإنشـادِ بني تميمٍ، فسـهوٌ؛ لأنَّ ذلـكَ يكونُ في الوقـفِ، وهذا يكونُ فـي الوَصلِ؛ لأنَّ مَـن نوَّنها وقفَ بالألفِ عليها.

= انظر: «ديوان النابغة» (ص: ٩٤)، و«الجيم» (٣/ ١٧٦)، و«شرح نقائض جرير والفرزدق» (٢/ ٦٧٥)، و«المعاني الكبير» (٢/ ١٠٣٦)، وفيه: الكديون: دُرْدِيُّ الزيت، والكُرُّ: البعر تجلى به الدروع، (فهن إضاء)؛ أي: مثل الغدران، يقول: مسحن بعكَرِ الزيت ثم ألقيت الكُرة في الأوعية وجعلت فيها الدروع لئلا تصدأ ولا تختلَّ فيضرَّ ذلك بمساميرها، والغلائل الواحدة غلالة وهو الثوب يكون تحت الدرع وتكون مساميرَ الدروع، الواحد: غليلٌ فعيلٌ بمعنى مفعولٍ، وإنما قيل: غليل؛ لأن المسمار غُلَّ في الحَلَق ثم أُدخل ثم جمع. وفي هامش (ن): «الغلائل: الثياب التي تحت الدرع». وفي التاج مادة: (أ ض ى): «أرادَ: مثْلَ إضَاء، والأضاة: الغدير، أو أراد: وِضاء؛ أي: فهنَّ وِضاءٌ حِسَانٌ نِقاءٌ، ثم أبدل الهمزة من الواو».

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٦٠).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٨٩)، واستغربه، وعبارته: «الغريب: القارورة من الظروف ما استقر فيها المائع، وليست في الآية اسماً للزجاج».

(٣) قرأ نافع والكسائي وأبو بكر بتنوينهما ووقفوا عليهما بالألف، وابن كثير في الأول بالتنوين ووقف عليه بالألف والثاني بغير تنوين ووقف عليه بغير ألف، والباقون بغير تنوين فيهما، ووقف حمزة عليهما بغير ألف، ووقف هشام عليهما بالألف صلة للفتحة. انظر: «السبعة» (ص: ٦٦٣)، و«التيسير» (ص: ٢١٧).

﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾: الجمهورُ: جُعلَت على قَدْرِ رِيِّهم.

ابنُ عباسٍ رضيَ الله عنهما: على قَدْرِ كفِّ الشَّارِبِ(١).

والواوُ ضميرُ الملائكةِ.

المبرِّدُ: قدَّروا في أنفسهم شيئًا وتمنَّوهُ فكانَ كما تمنَّوهُ.

وقيلَ: قُدِّرَت هذهِ الآنيةُ من فضَّةٍ على تقديرِ ما عُهِدَ من مثلِها منَ القواريرِ.

***

(١٧) ـ ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا﴾.

﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا﴾: الفرَّاءُ: الزَّنجبيلُ اسمُ للْعَينِ(٢)، يشربُها المقربونَ صِرفًا، وتمزجُ لسائرِ أهلِ الجنَّةِ(٣).

وقيلَ: دلَّ بذلكَ على لذاذةِ المقطَعِ(٤).

ابنُ عيسى: إذا مُزِجَ الشرابُ بالزنجبيلِ فاقَ في الإلذاذِ(٥).

وقيلَ: إنَّما قالَ ذلكَ لشدَّةِ ميلِ العربِ إلى الزَّنجبيلِ وكثرةِ وُلوعِها بهِ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٥٩)، والبيهقي في «البعث والنشور» (٣١٢) بلفظ: «قدرت للكف».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢١٧).

(٣) روى الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٦١) عن قتادة قال: «رقيقة يشربها المقربون صرفا، وتمزج لسائر أهل الجنة».

(٤) قال الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٣٤٠): «والمعنى: إنهم إذا شربوا هذا الرحيق ففني ما في الكأس وانقطع الشرب انختم ذلك بطعم المسك ورائحته، والمعنى لذاذة المقطع، وذكاء الرائحة وأرجها مع طيب الطعم».

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٨٩).

(١٨) ـ ﴿عَيۡنٗا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلۡسَبِيلٗا﴾.

﴿عَيۡنٗا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلۡسَبِيلٗا﴾: ﴿عَيۡنٗا﴾ بدلٌ من الزَّنجبيلِ عندَ الفرَّاءِ[١].

الزَّجَّاجُ: يُسقونَ عينًا، وسلسبيلٌ: اسمٌ للعينِ[٢]؛ لقوله تعالى: ﴿تُسَمَّىٰ سَلۡسَبِيلٗا﴾ وحقُّهُ أن لا ينصرفَ لاجتماعِ التعريفِ والتأنيثِ، لكنهُ صُرفَ كما صُرِفَ ﴿قَوَارِيرَا۠﴾.

وقيلَ: معناهُ: سَلِسٌ عذبٌ ماؤها.

وقيلَ: السلسبيلُ: الحديدُ الجَرْيِ، وقيلَ: السهلُ الصَّافي.

وإذا جُعلَ صفةً كانَ صفةً للْعينِ، ومعنى ﴿تُسَمَّىٰ﴾: تُذكَرُ؛ فيتعدَّى إلى مفعولٍ واحدٍ[٣]، كما تقول: لم يسمَّ فاعلُهُ؛ أي: لم يُذكر.

وفي تفسيرِ ابنِ المباركِ عن عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ هذهِ الروايةُ[٤] معناهُ: سلْ مِنَ اللهِ إليها سبيلًا[٥].

ويحتمِلُ أن يكونَ العينُ مسماةً بهذهِ الجملةِ كـ«تأبَّطَ شرًّا» و«بَرَقَ نحرُه».

ويحتمِلُ أَنْ يكونَ الكلامُ قد تمَّ على قوله: ﴿تُسَمَّىٰ﴾؛ أي: تُذكرُ، ثمَّ استأنفَ فقال: (سلْ سبيلاً)، واتصالُهُ في المصحفِ لا يمنعُ صِحَّةَ هذا التَّأويلِ لكثرةِ أمثالِهِ[٦].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢١٧)، وفيه: «ذكر أن الزنجبيل هو العين، وأن الزنجبيل اسم لها».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٦١).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٨٩)، واستغربه، وضم إليه وجه البدل، وفيه: «الغريب: ﴿سَلۡسَبِيلٗا﴾ صفة للعين أو بدل، ومعنى ﴿تُسَمَّىٰ﴾: تُذكَرُ...».

(٤) «عن علي رضي الله عنه هذه الرواية»: ليس في (ف).

(٥) ذكره عن علي رضي الله عنه الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٧١).

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٨٩)، وعده من العجائب. وقال أبو بكر الأنباري في =

(١٩) ـ ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾.

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ﴾: الجمهورُ على أنهم غلمانٌ يُنشئهمُ اللهُ لخدمةِ المؤمنينَ.

وقيلَ: همُ الأطفالُ؛ لتسميتهم وِلدانا، وهي من الوِلادَةِ.

﴿مُّخَلَّدُونَ﴾: دائمونَ لا يشيبونَ، وقيلَ: مقرَّطونَ، وقيلَ: من السِّوار والخُلدةِ يجمعُها.

﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ﴾: لبياضِهم وحسنِهم وصفائِهم ﴿لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾: وجَعَلهم منثورًا ـ والمنظومُ أحسَنُ ـ لكثرتهم وتردُّدِهم في مجيئِهم وذهابِهم.

* * *

(٢٠) ـ ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾: الفرَّاءُ: رأيتَ ما ثمَّ[1]، وأنكرهُ الزَّجَّاجُ وقال: لا يجوزُ حذفُ الموصولِ وإقامةُ الصِّلَةِ مُقامَهُ، وجَعَلَ ﴿ثَمَّ﴾ مفعولًا به، و﴿رَأَيْتَ﴾ هوَ المتعدِّي إلى مفعولٍ واحدٍ[2].

ويقوِّيهِ قولُ المبرِّدِ: وإذا رأيتَ الجنَّةَ.

ابنُ عيسى: رأيت الأشياءَ ثَمَّ[3]، فالأشياءُ مفعولٌ بها، و﴿ثَمَّ﴾ ظرفٌ.

= «الزاهر» (٢/ ١٩٧): «وهذا عندنا خطأ؛ لأنه لو كان كذلك، لقطعت اللام من السين ولم توصل بها، ولبقي ﴿تُسَمَّىٰ﴾ غير واقع على منصوب، وسبيله أن يصحبه المنصوب، كقولك: المرأة تُسمّى هنداً، والجارية تُسمّى جُملاً، وغير جائز أن يقع على (سَلْ)؛ لأنّ (سَلْ) فعلٌ معناه الأمر، ولا يقع فعل على فعلٍ، فخلا ﴿تُسَمَّىٰ﴾ من المنصوب، واتصال اللام بالسين أكبر دليل على غلط القوم، وأوضح برهان على أنها حرف واحد، لا ينفصل بعضه من بعض».

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢١٨).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٦١).

(٣) ذكره ابن فورك في «تفسيره» (٣/ ١٠٩) بلا نسبة.

قولُه: ﴿رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ جزاء الشَّرط.

قيلَ: وكِبَرُ ملكِهم أنَّهُ يدومُ ولا ينقطعُ، وتسلِّمَ عليهمُ الملائكةُ ويستأذنونَ في الدخولِ عليهم، وأن «أدناهم منزلةً مَن ينظُرُ في ملكِهِ في مسيرةِ ألفي عامٍ يرى أقصاهُ كما يرى أدناهُ»(١).

***

(٢١) - ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾.

﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾؛ أي: يعلوهم ثيابُ الحريرِ، والسُّندسُ: ما رقَّ منها، والإستبرقُ: ما غَلُظَ، ونُصبَ ﴿عَالِيَهُمْ﴾ من وجهينِ:

أحدهما: الظَّرفُ؛ أي: فوقَهم؛ كقوله: ﴿وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٢].

والثاني: الحالُ، والعاملُ فيها ﴿وَلَقَّاهُمْ﴾ أو ﴿وَجَزَاهُم﴾؛ هذا إذا جعلتَ الضميرَ للأبرارِ، فإنَّ جعلتَ الضَّميرَ للوِلدانِ فالعاملُ في الحالِ ﴿رَأَيْتَهُمْ﴾.

و﴿ثِيَابُ﴾: يرتفعُ بما في ﴿عَالِيَهُمْ﴾ من معنى الفعلِ؛ لأنَّ إضافتهُ في نيَّةِ الانفصالِ، ومَن سكَّنَ الياءَ(٢) جعلَهُ مبتدأً و﴿ثِيَابُ سُندُسٍ﴾: خبرُهُ.

﴿وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾: قيلَ: الفضَّةُ للخَدَمِ، والذَّهبُ للمَخدُومِ، وقيلَ: الفضَّةُ للرِّجالِ والذهبُ للنِّساءِ، وقيلَ: يُجمعُ بينهما.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤٦٢٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٣٧٧١)، والحاكم في «المستدرك» (٣٨٨٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. وضعف الذهبي إسناده بثوير بن أبي فاختة، وقال: «واهي الحديث».

(٢) قرأ بها نافع وحمزة، والباقون بالفتح. انظر: «السبعة» (ص: ٦٦٤)، و«التيسير» (ص: ٢١٨).

﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾: لا يَبُولونَ عنهُ ولا يتغوَّطونَ.

وقيلَ: شرابُ الدُّنيا نجسٌ ـ يعني: الخمرَ ـ وشرابُ الآخرةِ طاهرٌ.

***

(٢٢) ـ ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾.

﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾؛ أي: كانَ عملُكم محمُودًا يثنَى بهِ عليكم، وقيلَ: سمَّى المكافأةَ شُكرًا على التوسُّعِ.

قال الكلبي: مقبولًا جُزيتم بهِ الجنَّةَ[١].

***

(٢٣) ـ ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا﴾.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا﴾: نزَّهَهُ عن الافتراءِ والسِّحرِ والكَهانة.

ابن جرير: ﴿نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ اختبارًا[٢].

***

(٢٤) ـ ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾.

﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾: الآثمُ دونَ الكافرِ، وقيلَ: هو المنافقُ، و﴿أَوْ﴾ بمعنى الواوِ، وأفادَ أنَّ كلَّ واحدٍ منهم أهلٌ أن يُعصى.

والآثمُ الوليدُ بن المغيرةِ، والكَفورُ عتبةُ بن ربيعةَ[٣].

---

(١) ذكر نحوه الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٥٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما، ولفظه: «يريد: إني قبلت اليسير من أعمالكم وشكرتكم عليه، وأثبتكم أفضل الثواب وأعظمه».

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٢٣/ ٥٧٢).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٥٣٣)، و«تفسير السمرقندي» (٣/ ٥٢٩)، و«تفسير الثعلبي» (٢٨/ ٢٥٩).

وقيلَ: نزلت في أبي جهلٍ[1].

***

(٢٥) ـ ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾.

﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً﴾: صلاة الفجرِ ﴿وَأَصِيلًا﴾: صلاة الظهرِ والعصرِ.

***

(٢٦) ـ ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾.

﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ﴾: صلاة العشاءينِ ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾؛ أي: التَّطوعُ بصلاةِ الليلِ، وقيلَ: المرادُ: الإدامةُ على ذكرِ اللهِ في الأوقاتِ كلِّها.

***

(٢٧) ـ ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾.

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾؛ أي: يحبُّونَ الدُّنيا ويُؤْثِرونها على الأُخرَى[2] والاستعدادِ ليومٍ ثقيلٍ على الكفَّارِ؛ لشدَّةِ عذابِهِ عليهم، ولإنكارهم إيَّاهُ.

***

(٢٨) ـ ﴿نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا﴾.

﴿نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ﴾: وأحكَمْنا خَلْقَهم ومفاصِلَهم وقُواهم، وربَطْنا بعضَها ببعضٍ، وقيلَ: قوَّينا أقوياءَهم.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٤٣٩)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٧٢)، عن قتادة.

(٢) في (ف): «الآخرة».

وقيل: شدَدْنا مصرَّتيهِ؛ يمسكُهما متى شاءَ، ويرسِلُهما متى شاءَ.

﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَـٰلَهُمْ تَبْدِيلًا﴾: إذا شئنا أهلكناهم وجِئنا بآخرينَ بدلًا منهم.

* * *

(٢٩) ـ ﴿إِنَّ هَـٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾.

﴿إِنَّ هَـٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ﴾؛ أي: هذهِ السُّورةُ تذكيرٌ للخلقِ وتبيينُ ما هوَ خيرٌ لكم.

﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾: بأن يسلكَ طريقَ طاعتِهِ باتِّباعِ أنبيائِهِ ورُسُلِهِ.

* * *

(٣٠) ـ ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾؛ أي: لا تقدرونَ على المشيئةِ إلا بعدَ أن يشاءَ اللهُ ذلكَ، وقيلَ: إلَّا أن يشاءَ اللهُ بالتكليفِ والأمرِ والنَّهيِ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

* * *

(٣١) ـ ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّـٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا﴾.

﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾ يعني: المطيعينَ في الجنَّةِ.

وقيلَ: مَن يشاءُ في رحمتِهِ[1] في الدنيا ومغفرَتِهِ في الأخرى[2].

وقيلَ: ﴿فِى رَحْمَتِهِۦ﴾؛ أي: في دينِهِ.

﴿وَٱلظَّـٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا﴾: نصبَ ﴿الظالمين﴾ بفعلٍ مُضمَرٍ دلَّ عليهِ ﴿أَعَدَّ﴾.

---

(١) في (ف): «نعمته».

(٢) في (ف): «الآخرة».

وقُرِئَ في الشَّواذِّ بالرفعِ على الابتداءِ[1]، ولا يؤخذُ بهِ لمخالفَتِهِ الإمامَ.

* * *

(١) نسبت لابن الزبير وأبان بن عثمان. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦٧)، و«المحتسب» (٢/ ٣٤٤).

سُورَةُ المُرسَلَاتِ

خَمسونَ آيةً، مَكِّيَّةٌ[1].

ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: مَكِّيَّةٌ إلَّا قولَهُ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟﴾، فإنَّها مَدنيَّةٌ[2].

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا﴾.

﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا﴾ ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: الرِّياحُ[3]، أُرسِلَتْ ﴿عُرْفًا﴾: مُتتابعةً كعُرفِ الفرسِ يَتلو بعضُها بعضًا.

وقيلَ: العُرفُ: جَرْيُها على التَّعارُفِ، وهو توسُّطُها في الهبوبِ.

ابنُ مَسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ والفرَّاءُ: همُ الملائِكَةُ[4]؛ جبريلُ ومِيكائيلُ وإِسرافيلُ، والعُرفُ: أمرُهُ ونَهيُهُ.

وقيلَ: همُ الملائِكَةُ يتتابعونَ بوحيِ اللهِ.

---

(١) في (ف): «سورة والمرسلات مكية».

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٧٥)، والجرجاني في «درج الدرر» (٤/ ١٦٨٧)، والسمعاني في «تفسيره» (٦/ ١٢٥).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٨٠) عن ابن عباس وابن مسعود ومجاهد وقتادة وغيرهم.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٨٢) عن ابن مسعود رضي الله عنه، وانظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٢١).

الزَّجَّاجُ: ﴿المرسلات﴾: الرُّسُلُ[١].

***

(٢) ـ ﴿فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا﴾.

﴿فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا﴾: هي الرِّياحُ.

الزَّجَّاجُ: هي الملائكةُ تعصِفُ بروحِ الكَافرِ[٢].

***

(٣) ـ ﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا﴾.

﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا﴾: الجمهورُ: هي الرِّياحُ، وقيلَ: الأمطارُ تَنشرُ النَّباتَ.

الربيعُ: البَعثُ للقيامَةِ تُنْشَرُ فيهِ الأرواحُ.

الضَّحَّاكُ: كتبُ الأَعمالِ[٣].

***

(٤) ـ ﴿فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا﴾.

﴿فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا﴾ ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: الملائكَةُ تَفرُقُ بينَ الأُمورِ[٤].

الحسنُ: آياتُ القرآنِ[٥].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٦٥).

(٢) المصدر السابق.

(٣) ذكر القولين الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٧٦).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٨٨) بلفظ: «الملائكة»، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٨/ ٢٧٤)، والماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٧٦) بلفظ: «الملائكة تفرق بين الحق والباطل».

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٨/ ٢٧٤)، والواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٧٧)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٣٨٣).

الزَّجَّاجُ: الرُّسُلُ[١].

مجاهدٌ: الرِّياحُ[٢].

وقيلَ: الرِّياحُ الحوامِلُ، مِن قولهم: ناقَةٌ فارِقٌ؛ إذا ضربَها المخاضُ وذهبَتْ في الأرضِ.

* * *

(٥) ـ ﴿فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا﴾.

﴿فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا﴾: الملائِكَةُ.

الزجَّاجُ: الرُّسُلُ[٣].

الحسنُ: المُرسلاتُ: السَّحابُ[٤].

* * *

(٦) ـ ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾.

﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾: هما مصدرانِ كالنُّكْرِ، ويكونانِ جَمْعَينِ[٥] لعَذِيرٍ ونَذيرٍ، والحركةُ والسُّكونُ بمعنًى[٦]، ونصبُهُما يجوزُ أنْ يكونَ على المفعولِ لَهُ؛ أي: للإعذارِ والإنذارِ.

ويَحتَمِلُ المفعولَ بهِ مِن المصدَرِ، وهو: الذِّكْرُ.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٦٥).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٧٦).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٦٥).

(٤) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٤١٦). وحقه التقديم كما جاء عند ابن عطية عند تفسير المرسلات، إلا إن كان مراد المصنف أن (المرسلات السحاب) تفسير للملقيات ذكراً.

(٥) في (ف): «جميعًا».

(٦) قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر (عُذْراً) و(نُذُراً)، والباقون ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٦٦٦).

ويحتَمِلُ البدَلَ مِن الذِّكرِ، والصِّفةَ؛ أي: ذا عذرٍ أو ذا نذرٍ[١].

ويَحتمِلُ الحالَ مِن الملقياتِ[٢]، وعطفَ بـ(أو)؛ لأنَّ المعنى: جالبةً للنِّعَمِ أو آتيةً بالنِّقَمِ.

والأحسَنُ أن يُجعَلَ الكلامُ مُتَّصلًا ومنتظِمًا لمعنًى واحدٍ، فيكونَ الكلُّ للملائكةِ، ويُحمَلَ العاصفاتُ على ما قالَهُ الزَّجَّاجُ: تَعْصِفُ بروحِ الكافرِ.

ويحتمِلُ أنْ يكونَ الكلُّ للرِّياحِ؛ فتكونَ الملقياتُ ذكرًا معناها: يَتَّعظُ بها ذوو الأبصارِ.

ويحتمِلُ أنْ يكونَ الكلُّ للرُّسُلِ.

وعُطِفَ ﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ﴾: بالواوِ؛ لأنَّهُ قسَّمَها قسمينِ: عاصفًا للعذابِ وناشرًا للرَّحمةِ.

* * *

(٧) ـ ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ﴾.

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ﴾ جوابُ القسمِ؛ أي: ما وعدْتُم مِن البَعثِ والحسابِ لكائنٌ عَن قريبٍ.

* * *

(٨ ـ ١١) ـ ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾.

﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ﴾: أُذهِبَ ضوؤُها ومُحِيَت آثارُها كما يُمحَى الكِتابُ.

---

(١) في (ف): «ذا عذر ونذر».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٩١)، واستغربه.

﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ﴾: صُدِعَـتْ وشُـقَّتْ ووقَعَتْ فيها الفُروجُ التـي نفاها بقوله: ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [ق: ٦]، وقيلَ: فُتِحَتْ.

﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾: حُرِّكَت وقُلِعَت مِن أَماكِنِها وأُذهِبَتْ بسرعةٍ فنُسِفَت نَسْفًا.

﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾: جُعِلَ يومُ الفَصلِ لهم وقتًا؛ كمَا قالَ: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الدخان: ٤٠]، وقيلَ: أُجِّلَت للاجتماعِ لوقتٍ هوَ يومُ القيامةِ.

ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: جُمِعَت[١].

وأصله: (وُقِّتَتْ)[٢] مِن الوَقتِ، قُلِبَت همزةً لضمَّتِها.

وقيلَ: عَرفَتْ وقتَ ثوابها، وإنما يُعرَفُ[٣] ذلكَ في القيامَةِ.

وقيلَ: بُيِّنَ لها[٤] مواقيتُها ومواقيتُ أُمَّتِها[٥].

* * *

(١٢ ـ ١٥) ـ ﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ﴾: تعجيبٌ[٦] مِن ذلك اليَومِ؛ أي[٧]: ما أعظمَهُ!

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٩١)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٧٧).

(٢) وقرئ به، فقد قرأ أبو عمرو بالواو وتشديد القاف، وقرأ أبو جعفر بالواو والتخفيف بخلف عن ابن جماز، والباقون بالهمز والتشديد وهو الوجه الثاني لابن جماز. انظر: «السبعة» (ص: ٦٦٦)، و«التيسير» (ص: ٢١٨)، و«النشر» (٢/ ٣٩٦).

(٣) في (ف): «نعرِّف».

(٤) في (ن): «لهم».

(٥) في (ف): «أمها».

(٦) في (ف): «تعجبتُ»، وفي (ن): «تُعُجِّبت». والصواب المثبت. انظر: «الكشاف» (٤/ ٦٧٨).

(٧) في (ن): «الذي».

وقيلَ: وإذا الرُّسلُ أُعلِمَتْ لأيِّ يومٍ أُجِّلَتْ؛ فيكونُ ﴿لِأَيِّ يَوْمٍ﴾ في تقديرِ مفعولٍ ثانٍ لأُعْلِمَتْ.

﴿لِيَوْمِ الْفَصْلِ﴾: يفصِلُ بينَ المحسنِ والمسيءِ، وبينَ الرُّسلِ ومُكذِّبيها.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾: مِن أينَ تعلَمُ كُنهَهُ ولم تَعهَدْ مِثلَهُ؟!

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ في التَّفاسيرِ: وادٍ في جهنَّم، وقيلَ: عبارةٌ عَن أعظمِ البَلايا والمكارِهِ، وهذهِ الآيةُ تتكرَّرُ في هذهِ السُّورةِ عشرَ مرَّاتٍ، وفي ذلكَ أقوالٌ:

أحدُها: أنَّ القرآنَ عربيٌّ؛ ومن عادَتِهم التَّكرارُ والإطنابُ، كما في عادَتِهم الاقتصارُ والإيجازُ.

والثاني: أنَّ كلَّ واحدَةٍ مِنها ذُكِرَتْ عقيبَ آيةٍ غيرِ الأُولى، فلا يكونُ تكرارًا مُستَهْجَنًا، ولَوْ لم يكرَّرْ كانَ متوعّدًا على بعضٍ دونَ بعضٍ.

والثالثُ: أنَّ بَسطَ الكَلامِ في التَّرغيبِ والتَّرهيبِ أَدْعى إلى إدراكِ البُغيَةِ مِن الإيجازِ، وقَدْ يجدُ كلُّ أحدٍ في نفسِهِ مِن تأثيرِ التَّكرارِ مَا لَا خَفَاءَ بِهِ.

***

(١٦ ـ ١٩) ـ ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.

﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ﴾ يعني: قومَ نُوحٍ وعادًا وثمودًا ﴿ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ﴾؛ أي: مَن سَلكوا سَبيلَهُم، ذهبَ كَثيرٌ مِن المفسِّرينَ إلى أنَّهم الذين أُهلِكُوا في العصرِ الأَقرَبِ إلى أمَّةِ محمَّدٍ عليهِ السَّلامُ، وذلكَ يَستدعي جَزْمَ ﴿نُتْبِعُهُمْ﴾ وهوَ شاذٌّ[1]،

---

(١) نسبت للأعرج. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦٧)، و«المحتسب» (٢/ ٣٤٦).

و﴿نُتۡبِعُهُمُ﴾ في الآيةِ رفعٌ بالاستئنافِ أو خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ، وفي حرفِ ابن مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ: (وسنتبعُهُم الآخرينَ)[1].

والوجهُ ما ذكرَ: أنَّهم الذينَ قُتِلُوا ببدرٍ بعدَ نُزولِ الآيةِ، ثم قالَ:

﴿كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ١٨ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾: مِن كفَّارِ العَرَبِ وسائرِ أمَّتِك[2].

***

(٢٠ ـ ٢٤) ـ ﴿أَلَمۡ نَخۡلُقكُّم مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ٢٠ فَجَعَلۡنَٰهُ فِي قَرَارٖ مَّكِينٍ ٢١ إِلَىٰ قَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ٢٢ فَقَدَرۡنَا فَنِعۡمَ ٱلۡقَٰدِرُونَ ٢٣ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾.

﴿أَلَمۡ نَخۡلُقكُّم مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ﴾: نطفةٍ ضعيفةٍ، والمهينُ: الحقيرُ الذَّليلُ.

﴿فَجَعَلۡنَٰهُ فِي قَرَارٖ مَّكِينٍ﴾ يعني: الرَّحِمَ يستقرُّ فيهِ الماءُ ويتمكَّنُ، وقيلَ: يتمكَّنُ فيه الوَلَدُ.

وقيلَ: من المكانةِ والمنزلَةِ؛ لكونِها مَكانَ خلقِ الوَلَدِ وتصويرِ الحيوانِ[3].

﴿إِلَىٰ قَدَرٖ مَّعۡلُومٖ﴾: إلى وقتِ الولادةِ.

ابنُ عيسى: القَدَرُ: المِقدارُ، وهو خاصَّةً: التَّسوِيَةُ مِن غيرِ زيادةٍ ولا نُقصانٍ.

﴿فَقَدَرۡنَا فَنِعۡمَ ٱلۡقَٰدِرُونَ﴾ قُرِئَ (قَدرْنا) بالتَّخفيفِ والتَّشديدِ[4]، وهما بمعنًى واحدٍ،

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦٧).

(٢) في (ف) زيادة: «أجمعين».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٩٣)، واستغربه.

(٤) قرأ نافع وابن عامر بالتشديد، والباقون بالتخفيف. انظر: «السبعة» (ص: ٦٦٦)، و«التيسير» (ص: ٢١٨).

والتَّخفيفُ أكثرُ مُشاكلَةً بقولِه: ﴿فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾، والتَّشديدُ على الجمعِ بينَ اللَّفظَيْنِ كقولِهِ: ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾ [الطارق: ١٧].

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

* * *

(٢٥ ـ ٢٨) ـ ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا﴾ ﴿كِفَاتًا﴾: مَصدَرُ كفتَ؛ أي: جمَعَ، والمعنى: تَكْفِتُ الأحياءَ على ظَهرِها والأمواتَ على بَطنِها، وهما منصوبانِ بالمصدَرِ.

وقيلَ: ﴿كِفَاتًا﴾: جمعُ كافِتَةٍ.

ابنُ عيسى: الكِفَاتُ: كلُّ ما ضمَّ شيئًا واحتوى عليهِ.

فيكونُ التَّقديرُ على هذينِ القولَينِ: ﴿كِفَاتًا﴾ للخلقِ ﴿أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا﴾، فيكونُ الأحياءُ والأمواتُ حالَيْنِ مِن الخَلقِ.

أبـو عبـيدةَ: ﴿كِفَاتًا﴾: أوعيةً، جمعُ كِفْتٍ وكَفِيتٍ[١]، فيكونُ ﴿أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا﴾ حالَينِ مِن الأرضِ، وهوَ ما يُنبِتُ وما لا يُنبِتُ[٢].

وقيلَ: الكِفاتُ: اسمٌ لِمَا يُكفَتُ بهِ كالصِّمَامِ والعِقالِ[٣].

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٢٨١).

(٢) في (ن): «ما تنبت وما لا تنبت». وهذا القول ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٩٣)، واستغربه.

(٣) قوله: «اسمٌ لِمَا يُكفَتُ بِهِ كالصِّمَامِ والعِقالِ». كذا في النسختين فقد جعله المصنف اسم آلة، وجاء عند غيره: «اسمٌ لما يَكْفِتُ؛ كالضِّمام والجِمَاع: اسم لمَا يَضُمُّ ويَجمَعُ، يُقال: هذا البابُ جِمَاعُ =

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِىَ شَامِخَاتٍ﴾؛ أي: جِبالًا ثوابِتَ طِوالًا ﴿وَأَسْقَيْنَاكُم مَّآءً فُرَاتًا﴾: مكَّنَّاكُم مِن شُربِهِ وسَقيِهِ دوابَّكُم ومَزارِعَكُم.

ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: أصولُ أنهارِ الأَرضِ أربعَةٌ: سَيحانُ والفُراتُ والنِّيلُ وجَيحانُ، فسَيْحانُ دِجلَةُ، وجَيحانُ نهرُ بلخَ، وهيَ مِن الجنَّةِ، وتنبعُ من الأرضِ مِن تحتِ صَخرةٍ عندَ بيتِ المقدسِ(١).

ومعنى الفراتِ: أعذَبُ العُذوبَةِ، ضدُّ الأُجاجِ.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

* * *

(٢٩ ـ ٣٤) ـ ﴿انطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ انطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

﴿انطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾: الخزَنَةُ تقولُ لهم: امْضُوا إلى النَّارِ التي كُنتُم تكذِّبونَ مَن أخبرَكُم بها.

قيلَ: انطلَقَ مُطاوِعُ أطلقَ، وهذا شاذٌّ.

وقيلَ: مُطاوِعُ طَلَقَهُ، قالَ:

أُطلُقْ يديْكَ تنفعَاكَ يا رَجُلْ(٢)

= الأَبوابِ، مِن كفَتَ الشَّيءَ: إذا ضمَّه وجمعَه». انظر: «الكشاف» (٤/ ٦٧٩)، و«تفسير البضاوي» (٥/ ٢٧٦)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٣٧٢)، وغيرها.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٩٩)، وروى مسلم (٢٨٣٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة».

(٢) الرجز ذكره ثعلب في «الفصيح» (ص: ٢٨٤)، وعن ثعلب ذكره الأزهري في «تهذيب اللغة» =

وذهبَ بعضُهُم إلى أنَّ هذا إياسٌ مِن المأمولِ، وليسَ بأمرٍ بالانطِلاقِ[١].

﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلّٖ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٖ﴾ يعني: دخانَ جهنَّمَ، وسُمِّيَ ظِلًّا لكثافَتِهِ ومَنعِهِ رؤيةَ ما وراءَهُ.

وقيلَ: الظلُّ: النَّارُ نفسُها؛ لأنَّهُم يصيرونَ إليها لا إلى ظلِّها[٢]، ولقولِه: ﴿إِنَّهَا تَرۡمِي بِشَرَرٖ كَٱلۡقَصۡرِ﴾ وأنَّثَ الضَّميرُ حملًا على المعنى، و﴿ثَلَٰثِ شُعَبٖ﴾: شعبةٌ عن اليمينِ وشُعبةٌ عن اليَسارِ، وشعبةٌ مِن فوقُ، فتحيطُ بهم، كقوله: ﴿أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: ٢٩].

وقيلَ: ﴿ثَلَٰثِ شُعَبٖ﴾: ثلاثِ صفاتٍ: ﴿لَّا ظَلِيلٖ وَلَا يُغۡنِي مِنَ ٱللَّهَبِ ۝٣١ إِنَّهَا تَرۡمِي بِشَرَرٖ﴾[٣].

وقيلَ: ﴿ثَلَٰثِ شُعَبٖ﴾: شعبةٌ مِن النَّارِ، وشُعبَةٌ من الدُّخانِ، وشعبةٌ مِن الزَّمْهريرِ[٤].

واللَّهبُ: ما يعلو النارَ إذا اضطرمَتْ مِن أحمرَ وأصفرَ وأخضرَ، والشَّرَرُ: ما تطايرَ مِنَ النَّارِ إذا حُرِّكَتْ.

﴿كَٱلۡقَصۡرِ﴾: الحسنُ: الحطَبُ الجَزْلُ، جمعُ قَصْرَةٍ كتَمْرٍ وتَمْرةٍ[٥].

= (٩/ ٢١)، وابن فارس في «مقاييس اللغة» (٣/ ٤٢١) مادة: (ط ل ق). قال ثعلب: «وبعضهم يقول: أطلق يديك».

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٩٣)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٩٣)، واستغربه.

(٣) انظر: «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٩٤)، وفيه: «الغريب: ﴿ثَلَٰثِ شُعَبٖ﴾ هو ما فسره الله: ﴿لَّا ظَلِيلٖ وَلَا يُغۡنِي مِنَ ٱللَّهَبِ ۝٣١ إِنَّهَا تَرۡمِي بِشَرَرٖ﴾ أي: ثلاث صفات».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٩٤)، وعده من العجائب.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٦٠٤).

وقيلَ: الغليظُ مِن الشَّجرِ.

الفرَّاءُ: القَصْرُ مِن قصورِ مياهِ العَرَبِ[١].

وقيلَ: هو القَصْرُ المعروفُ.

﴿كأنَّه جِمَالاتٌ﴾[٢]: جمعُ جِمَالَةٍ، والجِمَالَةُ: جمعُ جَمَلٍ؛ كحَجَرٍ وحِجَارَةٍ.

«الحجَّة»: ﴿جِمَالاتٌ﴾: جمعُ جِمالٍ[٣].

وقرئ: (جُمالاتٌ) بالضمِّ[٤]، الزَّجَّاجُ: قَلْسُ سُفُنِ البحرِ[٥].

ابن عباسٍ: قِطَعُ النُّحاسِ والشَّرَر، الواحدَةُ شبهُ القَصْرِ فإذا توارَتْ[٦] صارَتْ كالجِمالاتِ[٧]، وقيلَ: تفرَّقَتْ فصارَتْ كالجِمالاتِ.

﴿صُفْرٌ﴾: قيلَ: سُودٌ، وقيلَ: هو اللونُ المعروفُ.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٦/ ١٩٧).

(٢) قرأ حمزة والكسائي وحفص: ﴿جِمَالَةٌ﴾، والباقون: ﴿جِمَالاتٌ﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٦٦٦)، و«التيسير» (ص: ٢١٨).

(٣) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٦/ ٣٦٥).

(٤) نسبت لابن عباس وغيره. انظر: «المحتسب» (٢/ ٣٤٧).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٦٨)، وفيه: ومن قرأ (جُمَالاتٌ) بالضم فهو جمع جمالة، وهو القَلْسُ من قلوس سفن البحر، ويقال كالقَلْسِ من قلوس الجسر. والقَلْس: حَبْلٌ تشد به الجسور أو سفن البحار.

(٦) في (ف): «تواتر».

(٧) لم أجده هكذا، وروى الطبري وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٨/ ٣٨٤) عن ابن عباس: ﴿بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾ قال: كالقصر العظيم ﴿جِمَالَتٌ صُفْرٌ﴾ قال: قطع النحاس. وهكذا رواه الطبري مقطعاً (٢٣/ ٦٠١ و٦٠٨).

(٣٥ ـ ٣٧) ـ ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ۝٣٥ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ۝٣٦ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ﴾: يومُ القيامَةِ يومٌ ممتَدٌّ فيهِ حالاتٌ ومواقِفُ، فيمكَّنونَ مِنَ الكلامِ في بعضِها، ويُمنَعُونَهُ في بعضِها، وإضافتُهُ إلى الفعلِ يدلُّ على أنَّ المرادَ مِنهُ زمانٌ أو ساعةٌ، كقولك: آتيكَ يومَ يقدمُ زيدٌ، وإنما يقدُمُ في ساعةٍ.

وقيلَ: لا ينطقونَ بحجَّةٍ[1].

﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾؛ أي: ليسَ لهم عُذرٌ فيؤذَنَ لهم في الاعتِذارِ، ولَوْ كانَ لهم عُذرٌ لم يُمنَعُوا.

وقيلَ: معنى ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ﴾: لا يُسمَعُ مِنهُم[2] عذرٌ، مِن: أَذِنَ له؛ إذا استَمَعَ قولَه[3].

﴿فَيَعْتَذِرُونَ﴾: عطفٌ على ﴿لَا يَنطِقُونَ﴾، وليسَ بجوابٍ.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

* * *

(٣٨ ـ ٤٠) ـ ﴿هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ۝٣٨ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ۝٣٩ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

﴿هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ للقضاءِ ﴿جَمَعْنَاكُمْ﴾ يا مكذِّبي أمَّةِ محمَّدٍ عليهِ السَّلامُ ﴿وَالْأَوَّلِينَ﴾ من بني آدمَ ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ﴾: حِيلَةٌ في التَّخلُّصِ مِن العذابِ ﴿فَكِيدُونِ﴾: فاحتالوا عليَّ، والكَيدُ مُتعَدٍّ، تقولُ: كِدْتُ فلانًا؛ إذا احتَلْتَ عليهِ، وهذا تقريرٌ بالعَجزِ وتوبيخٌ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٩٤)، واستغربه.

(٢) في (ف): «لهم».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٩٤)، واستغربه.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.

***

(٤١ ـ ٤٥) ـ ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ (٤١) وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٤٢) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٤٣) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٤٤) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ﴾؛ أي: في جنَّةٍ ظَليلَةٍ تَصونُ من الحرِّ ولا تؤذي بالبردِ ﴿وَعُيُونٍ﴾: عيونِ ماءٍ ﴿وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾: لَذيذَةٍ مُشتهاةٍ.

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: لا يشوبُهُ مَكروهٌ ولا ينقطِعُ.

﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾؛ أي: المؤمنينَ ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.

***

(٤٦ ـ ٤٧) ـ ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ (٤٦) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.

﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ﴾: رجعَ عَجزُ الكَلامِ إلى صَدرِهِ، فخاطبَ الكفَّارَ؛ أي: إنَّكُم تتمتَّعونَ بالأكلِ والشُّربِ تمتُّعًا قليلًا، وقيلَ: زماناً قليلاً، وبعدَهُ عذابٌ لا انقطاعَ له، ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.

***

(٤٨ ـ ٤٩) ـ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ (٤٨) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا﴾؛ أي: أطيعوا واخضَعُوا ﴿لَا يَرْكَعُونَ﴾: لا يعبدونَ اللهَ ولا يخضعونَ لهُ، وقيلَ: هو في القِيامَةِ، مِن قولِه: ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم: ٤٢]، ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.

***

(٥٠) ـ ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴾.

﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴾؛ أي: ما على هذهِ البراهينِ مِن مَزيدٍ، فإذا لم يؤمنوا عندَ سَماعِهِم لها فبأيِّ كَلامٍ يخاطَبونَ بهِ بعدَ القرآنِ يُؤمنونَ؟

***

لُبَابُ التَّفَاسِيرِ

تأليفُ الإمامِ المُفسِّرِ

تاجِ القُرَّاءِ الكرْمانِيِّ

بُرْهانِ الدِّينِ أبي القاسِمِ محْمُودِ بنِ حمْزَةَ بنِ نصرٍ الكرْمانِيِّ

المُتوفَّى بعْدَ سنَةِ ٥٠٠هـ

يُطبع أوّل مرّةٍ محقّقاً على ثلاث نُسَخٍ خطّيّة

تحْقيقُ وتعْليقُ

محمّد عبد الحليم بعّاج

المجلّد العاشر

دار اللُّبَاب

لباب التفاسير

(١٠)

حُقوقُ الطّبْع مَحفُوظَة

الطبعَة الأولىٰ
١٤٤٣هـ ـ ٢٠٢١م

يُمنع طباعةُ هذا الكتاب أو ترجمته أو تصويرُه ورقياً أو إلكترونياً
إلا بإذن خطي من الدار الناشرة
تحت المُساءلة الدُّنيوية والأُخروية

9 789933 930271

دار اللُّباب
للدِّراسَاتِ وتَحقِيقِ التُّراثِ

DAR-ALLOBAB
Lubab Yazma Eserleri İhya ve İlmi Araştırma Yayınları

بيروت ـ لبنان
009615813966
0096170112990

دمشق ـ سوريا
00963993151546
info@allobab.com
Www.allobab.com

اسطنبول ـ تركيا
00902125255551
00905454729850

İskenderpaşa mh. Kıztaşı cd. No:7 D:5 Fatih (Özel Fatih Hastanesi Karşısı)

بسم الله الرحمن الرحيم

جُزْءُ عَمَّ

سورة ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾

أربعونَ آيةً، مَكِّيَّةٌ. ويقال: سورَةُ التَّساؤُلِ، وقيل: سورة النبأ[1].

بسم الله الرَّحمنِ الرَّحيم

(١ ـ ٣) ـ ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾.

﴿عَمَّ﴾؛ أي: عن أيِّ شيءٍ ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾ أصلُهُ: عَنْ مَا، فحُذِفَ الألِفُ لَمَّا سبقَ اللفظَ استفهامٌ[2]، والمعنى: تفخيمٌ للشَّأنِ.

ومعنى ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾: يسألُ بعضُهُم بَعْضًا.

﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾ الفرَّاءُ ومجاهدٌ: القرآنُ[3] ﴿ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾: اختلَفُوا فقالوا: هوَ مِن اللهِ، أَمْ كلامُ بَشرٍ، أم سِحرٌ وكهانَةٌ؟ فآمَن بِهِ بَعضٌ وكفرَ بِهِ بعضٌ.

قتادةُ والزجَّاجُ: هو القيامةُ والبَعثُ، بدليلِ قولِهِ عقيبَهُ: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَـٰتًا﴾[4].

---

(١) بعدها في (ن): «مكية»، وهو تكرار. وجاء مطلع السورة في (ف): «سورة عم يتساءلون، ويقال: سورَةُ التَّساؤُلِ، مكية».

(٢) في (ف): «استفهام».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٢٧)، وعلقه البخاري عن مجاهد بعد حديث (٧٥١٩)، ووصله الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٧١)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦) عن قتادة.

وقيلَ: ﴿ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾: أمرُ محمَّدٍ عليهِ السَّلامُ ونبوَّتِه[(١)].

والضَّميرُ في ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾ قيلَ: للكفَّارِ وحدَهُم، وقيلَ: للكفَّارِ والمؤمنينَ جميعًا.

و﴿عَنِ﴾ الأولى مُتصلٌ بالاستخبارِ، والثاني بالخبرِ، وتقديرُهُ: عمَّ يتساءلونَ يَتساءلونَ عنِ النَّبأِ العظيمِ، فحُذِفَ.

الفرَّاءُ: الأولى بمعنى (لِمَ)؛ أي: لِمَ يتساءلونَ عنِ النَّبأِ العَظيمِ[(٢)]؟

* * *

(٤ ـ ٥) ـ ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾.

﴿كَلَّا﴾: ردعٌ عن الاختلافِ، وقيلَ: معناهُ: حَقًّا ﴿سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾: سيعرفونَ مُشاهدَةً وعيانًا، والتَّكرارُ للتَّأكيدِ.

وقيلَ: الأوَّلُ للكفَّارِ، والثاني: للمُؤمنينَ.

وقيلَ: الأوَّلُ في الدُّنْيا عندَ النَّزعِ، والثاني في القِيامَةِ[(٣)].

ثمَّ عَدَّد أفعالًا تدلُّ على قُدرَتِهِ سبحانَهُ وتعالى على البَعثِ، فقال:

(٦) ـ ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا﴾.

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ﴾: استفهامُ تَقريرٍ ﴿مِهَٰدًا﴾: فراشًا يمكنُ الاستقرارُ عليها؟

و(مهادٌ) يجوزُ أنْ يكونَ واحدًا، ويجوزُ أنْ يَكونَ جمعَ مَهدٍ، وجازَ جمعُهُ لاختلافِ أماكنِها مِن القُرى والبلادِ.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٧١).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٢٧)، وعبارته: «لأي شيء يتساءلون عن القرآن»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٩٢) دون نسبة، واستغربه.

(٣) ذكر هذا الوجه الخطيب الإسكافي في «درة التنزيل» (٣/ ١٣٢٨)، وذكر وجهاً آخر: أن الأول توعد بالقيامة وهولها. والثاني توعد بما بعدها من النار وحرِّها. وذكر المصنف في «البرهان» (ص: ٢٤٥) وجهاً آخر، وهو: أن الأول ردع عن الاختلاف، والثاني عن الكفر.

وقيلَ: لاختلافِ التَّصرُّفِ فيها حفرًا وزرعًا وبناءً وسَيرًا.

***

(٧) ـ ﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾.

﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾: لولاهَا لارتجَّتْ بالزَّلازلِ والرِّياحِ.

وقيلَ: هيأَتُها على الأرضِ كهَيئَةِ الأوتادِ مُرتفعةٌ[١].

***

(٨) ـ ﴿وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا﴾.

﴿وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا﴾: ذكرًا وأنثى، وقيلَ: ضُروبًا وأَصْنافًا.

***

(٩) ـ ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾.

﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾: قَطْعًا عن العملِ راحةً لأبدانِكُم، وأصلُهُ: المدُّ عندَ النَّومِ.

وقيلَ: أصلهُ: القَطعُ، ومنهُ: سَبتَ رأسَهُ؛ أي: حَلَقَه.

المفضَّلُ: ﴿نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾: جعلْنا لهُ ابتِداءً لتأْخُذوا أُهْبَتَهُ، ولم يصرَعْكُم في مواضِعَ تُهلِكُكُم[٢].

***

(١٠) ـ ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾.

﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾: الزَّجَّاجُ: سكنًا[٣]. وقيلَ: غطاءً ساترًا مماسًّا لِمَا ستَرَ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٩٥)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٩٦)، واستغربه.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٧٢).

(١١) ـ ﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾.

﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾: النَّهارُ: وقتُ اتِّساعِ الضِّياءِ المنبثِّ في الآفاقِ، جعلَهُ اللهُ سببًا للمعاشِ، وهو مصدرُ عاشَ عَيْشًا ومَعاشًا.

وقيلَ: زمانًا للعَيشِ واللذَّةِ[١].

***

(١٢) ـ ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾.

﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾: سبعَ سماواتٍ وِثاقًا، لا يُبلِيهَنَّ الأيامُ والليالي.

***

(١٣) ـ ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾.

﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا﴾؛ أي: وخلَقْنَا سِراجًا؛ يعني: الشَّمسَ ﴿وَهَّاجًا﴾: نيِّرًا متلألئًا[٢] وقَّادًا مِن (الوَهجِ).

***

(١٤) ـ ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا﴾.

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً﴾ قيلَ: ﴿ٱلْمُعْصِرَٰتِ﴾: الرياحُ ذاتُ الأعاصيرِ، مِن قولِه: ﴿إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ﴾ [البقرة: ٢٦٦][٣].

وقيلَ: ﴿ٱلْمُعْصِرَٰتِ﴾: السَّحابُ؛ أي: حانَ[٤] أن تُعصِرَ؛ كأَحصَدَ وأجزَّ، والعَصِيرُ: السَّحابُ.

---

(١) فهو اسم زمان على هذا التقدير، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٩٦)، واستغربه، وفيه: «للعشرة» بدل «للعيش»، ولا يصحُّ.

(٢) في (ن): «يتلألأ».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٩٦)، واستغربه.

(٤) في (ف): «جاز».

الحسنُ وقتادةُ: ﴿ٱلْمُعْصِرَٰتِ﴾: السَّماءُ(١).

و﴿مِنَ﴾ على القولِ الأوَّلِ بمعنى الباءِ.

﴿ثَجَّاجًا﴾: دفَّاقًا دفَّاعًا في انصبابِهِ.

* * *

(١٥) ـ ﴿لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا﴾.

﴿لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا﴾: الحَبُّ: ما تضمَّنَهُ كِمامُ الزَّرعِ، والنَّباتُ: ما يُرعَى مِن الحَشيشِ والزُّروعِ(٢).

وقيلَ: الحَبُّ: اللؤلؤُ؛ وأصلُهُ مِن المطرِ على ما ذُكِرَ(٣)، والنَّباتُ: ما ينبتُ على الأرضِ.

وقيلَ: الحَبُّ: ما يُحرَثُ ويُزرَعُ، والنَّباتُ: ما ينبتُ مِن الأَرضِ بنفسِهِ.

* * *

(١٦) ـ ﴿وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا﴾.

﴿وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا﴾؛ أي: وأشجارِ جَناتٍ، فحُذِفَ المُضافُ. والألفافُ: التي التفَّ بعضُها ببعضٍ لتكاثُفِها، واحدُها: لِفٌّ؛ كجِذْعٍ وأجذاعٍ، وقيلَ: لَفِيفٌ كشَرِيفٍ، وقيلَ: شَجرةٌ لفَّاءُ، والجمعُ: لُفٌّ، وجمعُ الجمعِ: أَلفافٌ.

* * *

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٤٥٣) عن قتادة، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٣) عن الحسن وقتادة، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٩٦)، واستغربه.

(٢) في (ف): «والزرع».

(٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾.

(١٧) ـ ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَـٰتًا﴾.

﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ﴾: يـومَ القيامـةِ ﴿كَانَ مِيقَـٰتًا﴾: وقتًـا مَحْـدودًا ومُنتَهًـى معلومًـا لوقـوعِ الجزاءِ.

***

(١٨) ـ ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾.

﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾: فـي القَـرنِ، وقيـلَ: فـي الخَلْـقِ ﴿فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾: زُمَـرًا وجَماعـاتٍ.

***

(١٩) ـ ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا﴾.

﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا﴾؛ أي: شُقَّتْ فصارَتْ ذاتَ أبوابٍ وطرقٍ وخَلَلٍ وفروجٍ، وما لها اليومَ[1] مِن فُروجٍ.

***

(٢٠) ـ ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾.

﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾؛ أي: قُلِعَت ونُسِفَت فصارَتْ بعدَ الشِّدَّةِ والثَّباتِ عن وجهِ الأرضِ[2] هباءً منثورًا[3].

قوله: ﴿فَكَانَتْ سَرَابًا﴾؛ أي: هباءً، تُخيِّلُ الشَّمسُ أنَّهُ ماءٌ.

***

---

(١) في (ف): «لليوم».

(٢) «عن وجه الأرض»: ليس في (ف).

(٣) في (ف): «منبثًّا».

(٢١) ـ ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾.

﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾: هو مِفْعالٌ مِن (رَصَدَ)؛ كالمِطْعَانِ مِن (طَعَنَ)؛ أي: ترصدُ أهلَ الكُفرِ، ومعنى رَصَدَه؛ أي: حَفِظَ عليهِ طَرِيقَهُ؛ كَيلا يجوزَ مِن دُونِ إذنِهِ.

الحسنُ: لا يجاوِزُونَها إلا بجوازٍ[1].

وقيلَ: هو مِن (أرصَدَ)؛ كالمِطعامِ مِن (أَطعَمَ)، وأَرصَدَ فلانٌ فلانًا: إذا كانَ له عندَهُ يَدٌ، فهو يترقَّبُ مُكافأَتَهُ علَيْها.

وقيلَ: مجلسًا وموضعَ رَصدٍ؛ كالمِضمَارِ لحبلةِ[2] الخيلِ.

وقيلَ: هو لفظٌ وُضِعَ للتَّهديدِ والوَعيدِ.

***

(٢٢) ـ ﴿لِّلطَّاغِينَ مَآبًا﴾.

﴿لِّلطَّاغِينَ مَآبًا﴾: للكافرينَ مَرجِعًا ومَأوًى.

***

(٢٣ ـ ٢٤) ـ ﴿لَّابِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾.

﴿لَّابِثِينَ﴾: ماكثينَ، مِن اللَّبثِ، و﴿لَبِثِينَ﴾ بمعناهُ[3].

وقيلَ: ﴿لَبِثِينَ﴾ أبلغُ؛ لأنَّهُ البطيءُ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨٧٤). ولفظه: «ألا إنّ على الباب الرّصَد، فمن جاء بجواز جاز، ومن لم يجئ بجواز احتبس».

(٢) في (ف): «كحلبة».

(٣) قرأ بهذه حمزة، والباقون بالأولى. انظر: «السبعة» (ص: ٦٦٨)، و«التيسير» (ص: ٢١٩).

﴿فِيهَآ﴾: في جهنَّمَ ﴿أَحۡقَابًا﴾: جمعُ حُقُبٍ، مِن قوله: ﴿أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبًا﴾ [الكهف: ٦٠].

وقيلَ: حِقْبَةٌ وحِقَبٌ كقِرْبَةٍ وقِرَبٍ.

أبو هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ: ثلاثونَ سنةً[١].

ابنُ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُما: أربعونَ سَنةً[٢].

السُّدِّيُّ: سبعونَ سَنةً[٣]، وقيلَ: ثمانونَ سَنةً.

الحسنُ: أمَّا الأَحقابُ فليسَ لها عِدَّةٌ إلا الخلودَ في النَّارِ، لكنْ ذكروا أنَّ الحقبَ الواحدَ سبعونَ ألفَ سَنةٍ[٤]، كلُّ يومٍ كألفِ سَنةٍ مما تعدُّونَ[٥].

وقيلَ: أحقابًا في نوعٍ مِن العَذابِ.

وعن خالدِ بن مَعْدانَ قالَ: هذهِ الآيةُ في أَهلِ القِبلَةِ؛ لأنَّهم لا يُخلَّدُون فِيها[٦].

---

(١) كذا ذكر، والمروي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه ثمانون سنة، رواه هناد بن السري في «الزهد» (٢١٩)، وأبو حاتم في «الزهد» (٤١)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٤)، عنه موقوفاً، ورواه البزار في «مسنده» (٩٠٤٩) مرفوعاً. وقال الدارقطني في «العلل» (٨/ ٢٠٩): «رفعه لا يثبت».

(٢) ذكره عن ابن عمر رضي الله عنهما الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٨٦)، ورواه ابن أبي الدنيا في «صفة النار» (١١٩) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وكذا ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٨/ ٣٢١).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٨٦).

(٤) في هامش (ن): «كل سنة ثلاثمائة وستون يومًا».

(٥) رواه عبد الله بن الإمام أحمد في «الزهد» (١٦٦٥)، وابن أبي الدنيا في «صفة النار» (١١٨)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٥).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٦)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٩٦)، واستغربه.

وقيلَ: إنَّ ذلك حدٌّ لجميعِ أَهلِ النَّارِ(١)، واللهُ أعلَمُ.

وفي تفسيرِ مقاتلٍ: أنَّ هذهِ الآيةَ مَنسوخَةٌ(٢).

وقيلَ: تمَّ الكلامُ على قولِه: ﴿فِيهَآ﴾، ثم قالَ: ﴿أَحْقَابًا ۝٢٣ لَّا يَذُوقُونَ﴾(٣).

﴿فِيهَآ﴾: في جهنَّمَ، ويحتمِلُ: في الأحقابِ.

﴿بَرْدًا﴾: بردَ الهواءِ وبردَ الماءِ، وقيلَ: راحةً، وقيلَ: نومًا، ومنه: مَنَعَ البردُ البردَ(٤).

ويحتمِلُ الموتَ، من قولِهم: ضَربَهُ بالسَّيفِ فبردَ(٥).

﴿وَلَا شَرَابًا﴾ يُبرِّد غلتَهُمْ ويسكِّنُ ظَمأَهُم.

***

(٢٥) - ﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾.

﴿إِلَّا حَمِيمًا﴾: ماءً حارًّا مِن حَميمِ جهنَّمَ يحرِقُ ما يأتي عَليهِ.

وقيلَ: هو دُموعُ عُيونِ أهلِ النَّارِ.

﴿وَغَسَّاقًا﴾: وهو ما سالَ مِن جلودِ أَهلِ النَّارِ.

ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: الزَّمْهَريرُ(٦).

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٩٦)، وعده من العجائب، وقال: «وفيه بعد».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٧) عن مقاتل بن حيان، وقال: «ولا معنى لهذا القول؛ لأن قوله: ﴿لَّبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾ خبر، والأخبار لا يكون فيها نسخ، وإنما النسخ يكون في الأمر والنهي»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٩٦)، وعده من العجائب.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٩٧)، واستغربه.

(٤) انظر: «العشرات» لغلام ثعلب (ص: ١١٤)، و«عروس الأفراح» للسبكي (٢/ ٢٨٦).

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٩٧)، واستغربه.

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٩٥)، والبيهقي في «البعث والنشور» (١٠٩٤).

غيرُه: غُسالَةُ أهلِ النَّارِ، وقيلَ: هو المُنتِنُ، وقيلَ: هو الأسوَدُ.

***

(٢٦) ـ ﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾.

﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾؛ أي: جُوْزُوا جزاءً فوافَقَ الأَعْمالَ وِفَاقًا، وقيلَ: جمعُ وَفْقٍ.

ثم وَصَفَ أعمالَهُم فقالَ:

(٢٧) ـ ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾: لا يخافونَ مُحاسبَةَ اللهِ إيَّاهِم.

الزَّجَّاجُ: لا يُؤمِنونَ بالبعثِ فيرجونَ[1] ثَوابَ حِسابٍ[2].

***

(٢٨) ـ ﴿وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا﴾.

﴿وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا﴾: تكذيبًا[3]؛ أي: كذَّبُوا رُسلَنَا بردِّهِمْ آياتِنا وترِكِهِم تَدبُّرَها والاعتبارَ بِها.

***

(٢٩) ـ ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ كِتَـٰبًا﴾.

﴿وَكُلَّ شَىْءٍ﴾: مِن أعمَالِهم ﴿أَحْصَيْنَـٰهُ كِتَـٰبًا﴾: كَتَبْنا عددَهُ وقَدْرَهُ لا يعزُبُ عنهُ شيءٌ؛ أي: في صُحُفِ الأَعمالِ، وقيلَ: في اللَّوحِ المحفوظِ.

---

(١) في (ف): «فيرجوا»، وعند الزجاج: «ويرجون».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٧٤).

(٣) «تكذيبًا»: ليس في (ف).

و﴿كِتَٰبًا﴾: مَصدَرُ فعلٍ مُضمَرٍ؛ أي: كتبناهُ كتابًا لِنحاسِبَهُم عليه، ويجوزُ أنْ يَنتصِبَ بقولِهِ: ﴿أَحۡصَيۡنَٰهُ﴾؛ لأنَّ الإِحصاءَ أكثَرُ ما يكونُ بالكِتابَةِ، ويحتَمِلُ أنْ يكونَ حَالًا؛ أي: مَكْتُوبًا.

* * *

(٣٠) ـ ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمۡ إِلَّا عَذَابًا﴾.

﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمۡ إِلَّا عَذَابًا﴾؛ أي: عذابًا على عَذابٍ.

ابنُ عُمَرَ رضيَ اللهُ عنهُما: لم ينزِلْ على أهلِ النَّارِ آيَةٌ أشدُّ مِن هذهِ[1].

والذَّوْقُ استعارَةٌ، وقَد سَبَقَ.

* * *

(٣١ ـ ٣٤) ـ ﴿إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ مَفَازًا ٣١ حَدَآئِقَ وَأَعۡنَٰبٗا ٣٢ وَكَوَاعِبَ أَتۡرَابٗا ٣٣ وَكَأۡسٗا دِهَاقٗا﴾.

﴿إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾: مَفعَلٌ مِن الفوزِ؛ يصلُحُ للمَصدَرِ؛ أي: نجاةً مِن كلِّ مَكروهٍ، وظَفَرًا بكلِّ مَحبوبٍ، ويصلحُ للمَكانِ، وهوَ الجنَّةُ، ثمَّ أَبدَلَ عنهُ بدلَ البعضِ مِن الكلِّ فقال:

﴿حَدَآئِقَ﴾: جمعُ حَديقَةٍ وهي البُستانُ المُحاطُ بهِ ﴿وَأَعۡنَٰبٗا﴾: وأشجارَ العنبِ ﴿وَكَوَاعِبَ﴾: جمعُ كاعِبَةٍ، وهي التي نهدَ ثَدياها مُتكَعِّبًا ﴿أَتۡرَابٗا﴾: على سِنٍّ واحِدَةٍ، وقد سَبَقَ.

﴿وَكَأۡسٗا دِهَاقٗا﴾: مُترعَةً، وقيلَ: مُتتابِعَةً[2]، وقيلَ: صافيةً.

---

(١) ذكره عن ابن عمر النحاس في «إعراب القرآن» (٥/ ٨٥)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٦) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٢) بعدها في (ن): «مستويات».

(٣٥) ـ ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا﴾.

﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾ قيل: في الجنَّةِ، وقيل: في الكَأسِ، والمرادُ: حالةَ شُربِ الكَأسِ.

﴿لَغْوًا﴾: باطلًا ومأثماً؛ وهو ما يُلْغَى مِن هُجْرِ الكَلامِ.

﴿وَلَا كِذَّٰبًا﴾؛ أي: لا يتكاذبونَ.

***

(٣٦) ـ ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا﴾.

﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا﴾؛ أي: جازاهُمْ جَزاءً وأعطاهُم عَطاءً، فهُمَا يُنصَبانِ بالمصدَرِ، وقوله: ﴿حِسَابًا﴾؛ أي: كافِيًا، مِن قَولِكَ: حَسْبي وكَفَاني.

وقيلَ: على حِسابِ العَمَلِ وعندَ اللهِ المزيدُ[1].

***

(٣٧) ـ ﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾.

﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾؛ أي: لا يملِكونَ خِطابَهُ[2] إلَّا بإِذنِهِ.

نُصيرٌ صاحبُ الكسائيِّ[3]: هو كقولِكَ: لا أستطيعُ مِنهُ انتصارًا.

***

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٩٨)، واستغربه.

(٢) في (الأصل): «خطابًا».

(٣) نصير بن يوسف بن أبي نصر الرازي، المقرئ النحوي، أبو المنذر، صاحب الكسائي، كان من الأئمة الحُذَّاق، لاسيما في رسم المصحف، وله فيه مصنَّف. توفي في حدود سنة (٢٤٠هـ). انظر: «معرفة القراء الكبار» للذهبي (ص: ١٢٥).

(٣٨) ـ ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾.

﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾: ﴿ٱلرُّوحُ﴾: جِبريلُ.

مجاهدٌ: خَلْقٌ في صُورَةِ بني آدمَ لهم أَيْدٍ وأَرجُلٌ ورُؤوسٌ، يأكلونَ ويَشربونَ، وليسوا بني آدمَ[١].

الحسنُ: أَرواحُ بني آدمَ قبلَ وُصولِها إلى الأَجسادِ[٢].

قتادةُ: بنو آدمَ[٣].

ابنُ مَسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ: مَلَكٌ مَوصوفٌ بالعَظمةِ[٤].

ومعنى ﴿صَفًّا﴾: صُفُوفًا، وقيلَ: مُصطَفِّينَ.

﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾؛ أي: أَذِنَ لهُ في التَّكلُّمِ ﴿وَقَالَ صَوَابًا﴾: حقًّا، وقيلَ: قال: لا إله إلا الله.

الحسنُ: مَعناهُ: لا يَشفَعونَ لأَحدٍ إلَّا لِمَن أذنَ اللهُ أنْ يُشفَعَ لهُ، وقال المشفوعُ له في الدُّنيا صوابًا وصِدقًا ولا إله إلا الله[٥].

* * *

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٨/ ٣٤٩)، والواحدي في «البسيط» (٢٣/ ١٤٦)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٨) بلفظ: «خلق كخلق آدم».

(٢) ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٩)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٧٨٤)، عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: «حين تقوم أرواح الناس مع الملائكة فيما بين النفختين قبل أن تردّ الأرواح إلى الأجساد».

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٤٦٦)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٩).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٦)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٨/ ٣٤٧).

(٥) ذكره ابن أبي زمنين في «تفسيره» (٥/ ٨٦)، والماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٩٠).

(٣٩) ـ ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا﴾.

﴿ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلۡحَقُّ﴾: لا باطلَ فيهِ ولا ظُلمَ، وذلكَ اليومُ حقٌّ كائِنٌ لا مَحالَةَ ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا﴾؛ أي: بطاعتهِ في الدُّنيا؛ لِيكونَ المَرجِعُ إلى الثَّوابِ.

* * *

(٤٠) ـ ﴿إِنَّآ أَنذَرۡنَٰكُمۡ عَذَابًا قَرِيبًا يَوۡمَ يَنظُرُ ٱلۡمَرۡءُ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلۡكَافِرُ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا﴾.

﴿إِنَّآ أَنذَرۡنَٰكُمۡ عَذَابًا قَرِيبًا﴾: قيلَ: في الدُّنيا، وقيلَ: هو يومُ بدرٍ، وقيلَ: عذابُ الآخرَةِ؛ لأنَّ ما هوَ آتٍ قَريبٌ.

﴿يَوۡمَ يَنظُرُ ٱلۡمَرۡءُ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُ﴾؛ أي: يرى الذي قدَّمَهُ مِن خيرٍ وشَرٍّ؛ أي: جزاءَ ذلكَ.

الحسن: قَدَّم فقُدِّم على ما قَدَّمَ[1].

وقيلَ: ﴿مَا﴾ للاستفهامِ ومحلُّهُ نَصبٌ بـ﴿قَدَّمَتۡ﴾[2]؛ أي: أيَّ شيءٍ قدَّمَ أخيرًا أم شرًّا؟

﴿وَيَقُولُ ٱلۡكَافِرُ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا﴾؛ أي: لم أُنْشَرْ بعدَ الموتِ فبَقِيتُ تُرابًا.

وقيلَ: يا ليتَنِي لَم أُخلَقْ وكنتُ تُرابًا.

وقيلَ: لَمَّا رأى الكافِرُ البَهائِمَ والوُحوشَ والطُّيورَ صارَتْ ترابًا بعدَما انتُصِفَ للجَمَّاءِ مِن القَرْناءِ تمنَّى تلكَ المَثابَةَ.

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٩١).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٩٨)، واستغربه.

ومِن المفسِّرينَ مَن زَعمَ: أنَّ ما أحياهُ اللهُ مِن البَهائِمِ لا يُميتُهُ ثانياً[١].

ومِنهُم مَن زعمَ: أنَّ الأطفالَ يَموتونَ معَ الوُحوشِ والبَهائِمِ؛ إذ ليسَ لهم ثَوابٌ ولا عَليهِم عِقابٌ[٢].

وقيلَ: ﴿يقولُ ٱلْكَافِرُ﴾ يعني: إبليسَ: ﴿يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا﴾؛ أي: خُلِقتُ مِن التُّرابِ، نَدَمًا على ما قالَ: ﴿خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾ [الأعراف: ١٢][٣].

* * *

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٩٩)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٩٩)، وعده من العجائب.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٩٩)، واستغربه.

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

سِتٌّ وأربعونَ آيةً[1]، مَكِّيَّةٌ.

بسم الله الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٥) ـ ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ٢ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ٣ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ٤ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا﴾.

﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ٢ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ٣ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ٤ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا﴾: المفسِّرونَ فَسَّروا هذهِ الآياتِ على أربعةٍ: الملائِكَةُ، والأَرواحُ، والنُّجومُ، والغُزاةُ؛ فمَن حملَهُ على الملائِكَةِ قالَ: إنَّهم ينزعونَ نُفوسَ بني آدمَ بإِغراقٍ كَما يُغْرِقُ النَّازِعُ في القوسِ[2].

الفرَّاءُ: الغَرْقُ: اسمٌ أُقيمَ مَقامَ المصدَرِ مِن أَغرَقَ؛ أي: والنَّازِعاتِ إِغراقًا[3].

---

(١) «ست وأربعون آية»: ليس في (ف). وانظر: «البيان في عد آي القرآن» (ص: ٢٦٣)، وفيه: «وهي أربعون وست آيات في الكوفي وخمس في عدد الباقين».

(٢) أغرق النازع في القوس: إذا شدها، وجاوز الحد في مد القوس، وبلغ النصلُ كبد القوس. وقولهم: (أغرق في النزع) مثلٌ في الغلو والإفراط. فمعنى الآية: تَنْزِعُ الملائكة الأرواح من أقاصي الأجسادِ مِن أناملها وأظفارها.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٣٠).

المفضَّل: الغَرْقُ مِن صفةِ النَّفسِ، وصَفَها بالمصدرِ؛ أي: والنَّازِعاتِ نَفساً غَرِقَتْ غرقًا[١].

﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا﴾: يَنشُطونَ نفوسَ المؤمنينَ بِسهولَةٍ؛ مِن قولِ العَرَبِ: نَشَطتُ الدَّلوَ؛ إذا أخرَجْتَها مِن البِئرِ.

وحمَلَها بعضُ المفسِّرينَ على الأُنشوطَةِ، وهيَ العُقدةُ[٢] يمدُّ أحدُ طَرفَيْها فينحلُّ خلافَ المبرَمِ، وهذا يقتضي: المُنْشِطاتِ[٣].

وحملَهَا بَعضُهُم على نَشِطَ؛ أي: بادرَ إلى الشَّيءِ فَرَحًا به، وهذا يَقتضي: والناشطات نشاطًا[٤].

﴿وَٱلسَّٰبِحَٰتِ﴾؛ أي: تَسبَحُ بوحيِ الله، وقيلَ: تَسبَحُ بروحِ المؤمنين[٥].

﴿فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا﴾: إلى[٦] ما أمرَهُ اللهُ تعالى.

﴿فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا﴾: يعني: جبريلَ ومِيكائيلَ وإِسرافيلَ وعَزرائيلَ عليهم السَّلام.

وحَملُها على الملائكةِ قولُ عليٍّ وابنِ عباسٍ وابنِ مَسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُم[٧].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٠١)، واستغربه.

(٢) في النسختين: «العقد»، والمثبت من «غرائب التفسير».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٠٢)، واستغربه، وصرح بتضعيفه للاقتضاء المذكور.

(٤) في (ن): «نشطًا».

(٥) في (ف): «المؤمن».

(٦) في (ف): «فالسابقات سبق إلى»، و«إلى» ليست في (ن).

(٧) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢٨/ ٣٦٢)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٧) عن ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٩٧) عن علي وابن مسعود رضي الله عنهما.

وللتَّأنيثِ بعدَ نَفيِهِ سُبحانَهُ مِنهُم وإنكارِهِ على قائليهِ وَجهان:

أحدُهما: أنَّهُ مَحمولٌ على الملائكةِ النَّازِعَةِ، والتَّأنيثُ للجَمعِ، ثم جَمَعَ النَّازعة فقال: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ﴾.

والثاني: مَحمولٌ على أيدي الملائكَةِ.

وعطفَ ﴿فَٱلسَّٰبِقَٰتِ﴾ ﴿فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ﴾ بالفاءِ؛ لِمَا فيهما مِن مَعنى التَّعقيبِ؛ أي: يسبَحُ فيسبِقُ فيدبِّرُ.

ومَن حملَها على الأرواحِ قالَ: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ﴾ مِن قولهم: نَزَعَ الخيلُ؛ إذا جَرتْ، قالَ:

والخيلُ تنزِعُ قُبًّا في أعنَّتِها كالطَّيرِ تَنجو مِن الشُّؤبوبِ ذِي البَرَدِ[(١)]

والمعنى: أنها تخرُجُ مِن الصُّدورِ على[(٢)] كراهةٍ.

﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ﴾: من نَشَطَ يَنشِطُ ـ بالضم والكسر ـ: إذا مضى مِن بلدٍ إلى بَلدٍ، ومِن قَولهم: الهمومُ تَنشُطُ بصاحِبِها، قالَ:

أمسَتْ هُمومِي تَنشِطُ المناشِطا الشَّامَ بي طَورًا وطَورًا واسِطَا[(٣)]

---

(١) البيت للنابغة الذبياني. انظر: «ديوانه» (ص: ٣٦)، و«العين» (١/ ٣٥٨)، و«الصحاح» مادة: (غ ر ب)، و«مجمل اللغة» (ص: ٦٦٥) مادة: (ع ر ب)، و«أدب الخواص» لأبي القاسم المغربي (ص: ١١٣)، وفي أكثر المصادر: «عَرْبًا» أو «غَرْبًا» بدل «قُبًّا»، وقال المغربي: «وقد رواه الناس قاطبةً بالغين معجمة، إلا أن الخليل أورده في باب العين، وقد نوزع فيه». وجاء بلفظ «قُبًّا» في «تهذيب اللغة» (٢/ ٨٥)، و«البسيط» للواحدي (٢٣/ ٨٥). وغَرْبُ الفرس كما قال الجوهري: حِدَّتُه وأوَّل جريه. والعَرْب: النشاط كما قال ابن فارس. والشؤبوب: الدفعة من المطر وغيره.

(٢) في (ن): «من الصدر»، وليس فيها: «على».

(٣) الرجز لهميان بن قحافة كما في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٨٤)، و«تفسير الطبري» (٢٤/ ٦٢)، =

والمعنى: تخرجُ بِسهولةٍ.

﴿وَٱلسَّٰبِحَٰتِ﴾: تسبَحُ في الهواءِ، فتسبقُ إلى الحاجةِ(١)، فتدبِّرُ أمرَها بعدَ البعثِ؛ وهذا قولُ السُّدِّيِّ(٢).

ومَن حملَها على النُّجومِ قالَ: إنها تُنزَعُ مِن أماكنِها طالعةً وغاربةً وخانِسةً وكانِسةً، تنشطُ مِن مكانٍ إلى مَكانٍ وتسبَحُ في الفلكِ، مِن قوله: ﴿كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣]، فيسبقُ إلى الطلوعِ والغُروبِ.

وأما ﴿المدبرات أَمْرًا﴾؛ فقيلَ: هي النُّجومُ القائماتُ بإِصلاحِ مَا في العَالمِ الأسفَلِ وإِفسادِهِ، وهذا لا يكادُ يوُافِقهُ الشَّرعُ إلا أنْ يُرادَ بالمدبِّراتِ: المؤثِّراتُ؛ فإنَّ تأثيرَ النيِّرَيْنِ ظَاهِرٌ، كذلك الخَمسةُ الباقيةُ وسَائرُها. وهذا قولُ الحسنِ وقَتادةَ، إلا المدبِّرات فإنهما حَمَلا الآياتِ على النُّجومِ، والمدبِّراتِ على الملائكةِ(٣).

ومعاذُ بن جبلٍ ذهبَ في ﴿المدبرات أَمْرًا﴾ إلى النُّجومِ أيضًا(٤).

= و«تهذيب اللغة» (١١/ ٢١٥)، و«غريب الحديث» للخطابي (٢/ ٥٠٤).

(١) في (ف): «سبح في الهواء فيسبق إلى الجنة».

(٢) روى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٩٧) عن السدي قوله: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا﴾ قال: النفس حين تغرق في الصدور ﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا﴾ قال: الملائكة حين تنشط الروح من الأصابع والقدمين ﴿وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا﴾ حين تسبح النفس في الجوف تتردد عن الموت».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٨) عن الحسن وقتادة في ﴿النازعات غرقاً﴾ قالا: «النجوم»، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦٥) عن قتادة في ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾ قال: «هي الملائكة». وفي «الهداية» لمكي بن أبي طالب (١٢/ ٨٠٢٥) عن الحسن: «أنه كله في النجوم إلاّ ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾، فإنه في الملائكة تنزل بالحلال والحرام والأمطار وغير ذلك من الأمر المدبر المحكم من عند الله جل ذكره».

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٩٤)، والسمعاني في «تفسيره» (٦/ ١٤٦) عن خالد بن معدان عن معاذ بن جبل رضي الله عنه. وقال السمعاني: «رواية غريبة».

ومَـن حملَها على الغُزاةِ قالَ: هم ينزعونَ القَوْسَ إِغراقًا، وينشطونَ بالسَّهمِ للرَّمي أو الأوهاقِ(١)، فيسبَحونَ؛ أي: يَسعَوْنَ في البرِّ والبَحرِ، فتسبقُ خَيلُهُم، ويدبِّرُ أمراؤهُم وقادَتُهم أمورَ الحربِ، وهذا قولُ عطاءٍ(٢).

فهذهِ الوجوهُ حَسنةٌ؛ وفأنَّها(٣) جمعَتْ بينَ أوَّلِها وآخرِها.

وبعدُ:

فقَدْ قيلَ في ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ﴾ ﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ﴾: إنها الوَحشُ.

وقيلَ: النَّازعاتُ: النَّفخَةُ الأولى، والنَّاشِطاتُ: النَّفخَةُ الثَّانيةُ.

وقيلَ: السَّابحاتُ: السُّفنُ.

وقيلَ: هنَّ جميعًا: الموتُ.

وقيلَ: تقديرُها: وربِّ النازعاتِ، وقد سبقَ(٤).

وجوابُ القسمِ عند الزَّجَّاجِ مُضمَرٌ تقديرُهُ: لَتُبعَثُنَّ، ودلَّ عليهِ ما بعدَهُ(٥).

المبرِّدُ: جوابُه ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةً﴾، وما حيلَ بينَهُما اعتراضٌ مؤكِّدٌ غيرُ فاصلٍ.

---

(١) الأوهاق: جمع الوهق، وهو الحبل الذي يطرح في أعناق الدواب حتى تُؤخَذ. انظر: «جمهرة اللغة» لابن دريد (٢/ ٩٨٠). وهو معطوف على (السهم) في عبارة المصنف.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٩ ـ ٦٤) عن عطاء مفرقًا؛ في ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا﴾ قال: «القسي»، وفي ﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا﴾ قال: «الأوهاق»، وفي ﴿وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا﴾ قال: «السفن»، وفي ﴿فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا﴾ قال: «الخيل».

(٣) في (ن): «بإنها».

(٤) سبق في ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ﴾ ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ﴾ وغيرها، وقد تقدم تنبيه المصنف إلى أنه لا يطرد في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٧٨)، وهذا القول الذي استحسنه النحاس في «إعراب القرآن» (٥/ ٨٩).

الحسنُ: جوابُه: ﴿قُلُوبٌ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ﴾.

وأجازَ الأخفَشُ أن يكونَ جَوابُهُ ﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ﴾ على تقديرِ: لَيومَ[1].

قالَ صاحبُ «النظم»: جوابُه: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ﴾؛ لأنَّ ﴿هَلۡ﴾ بمعنى: قد.

والأحسنُ قولُ المبردِ؛ لأنَّهُ لا يحتاجُ إلى إِضمارٍ.

***

(٦ ـ ٧) ـ ﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾.

﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ﴾ الرَّجفُ: شدَّةُ الحركَةِ، والرَّاجفَةُ: الصَّيحةُ الأُولى.

﴿تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾؛ أي: التابعَةُ؛ مِن الرِّدفِ والرَّديفِ؛ هي الصيحَةُ الثَّانيةُ، وجاءَ في الخبرِ: «بينَهُما أربعونَ»[2] غيرَ مفسَّرٍ، والأكثرونَ على أنه السِّنونَ.

وقيلَ: ﴿ٱلرَّاجِفَةُ﴾: الأرضُ؛ من قولِه: ﴿تَرۡجُفُ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ﴾ [المزمل: ١٤]، والرادِفَةُ من قولِه: ﴿وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ [الحاقة: ١٤][3].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٥٦٥)، وذكر ثلاثة أوجه المذكور واحد منها، فقال: «﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا﴾ فأقسم ـ والله أعلم ـ على ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰٓ﴾، وإن شئت جعلته على ﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾ ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ﴾، وإن شئت جعلته على ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ﴾ لـ ﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾ فحذفت اللام».

(٢) رواه البخاري (٤٨١٤)، ومسلم (٢٩٥٥)، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «بين النفختين أربعون» قالوا: يا أبا هريرة، أربعون يومًا؟ قال: أبيت، قال: أربعون سنة؟ قال: أبيت، قال: أربعون شهراً؟ قال: أبيت، «ويبلى كل شيء من الإنسان، إلا عجب ذنبه فيه يركب الخلق.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٠٢)، واستغربه.

أبو هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ: النفخاتُ ثلاثٌ[١]، وقد سبقَ.

* * *

(٨) ـ ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾.

﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ﴾: نكَّرَ القُلوبَ؛ والمرادُ بِهِ قلوبُ الكفَّارِ والمنافقينِ ﴿وَاجِفَةٌ﴾: قَلِقَةٌ، والوَجْفُ والوَجيفُ: الحركَةُ، ومنه: الوُجوفُ في السَّيرِ والإِيجافُ؛ أي: السُّرعَةُ والإِسراعُ في السَّيرِ.

* * *

(٩) ـ ﴿أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ﴾.

﴿أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ﴾: خاضِعَةٌ بذلِّ أَصحابِها وخَوفِهم، وأَضافَ الأَبصارَ إلى القُلوبِ والمرادُ أَصحابُها؛ لأَنَّها محلُّ الخَوفِ.

* * *

(١٠) ـ ﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ﴾.

﴿يَقُولُونَ﴾؛ أي: مُنكرو البَعثِ في الدُّنيا: ﴿أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ﴾؛ أي: نُعادُ كما كنَّا أحياءً، والحافِرَةُ: أَوَّلُ الأمرِ، مِن قولِ العَرَبِ: «النَّقدُ عندَ الحافِرَةِ»[٢]، وأَصلُهُ

---

(١) جاء في سياق حديث الصور الطويل، رواه إسحاق بن راهويه في «مسنده» (١٠)، وابن أبي الدنيا في «الأهوال» (٥٥)، والمروزي في «الصلاة» (٢٧٣)، والطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٢٥٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٦٦٢١)، والطبراني في «الأحاديث الطوال» (٣٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه. قال ابن حجر في «فتح الباري» (١١/ ٣٦٩): «سنده ضعيف مضطرب، وقد ثبت في «صحيح مسلم» [٢٩٤٠] من حديث عبد الله بن عمرو: أنهما نفختان»، وسبق كلام المصنف في تفسير سورة (يس) الآية: ٤٩.

(٢) ويقال أيضاً: عند الحافر. انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٣٣)، و«الفائق» للزمخشري (١/ ٢٩٣): ومعنى «عند الحافر»؛ أي: عند بيع الحافر في أول وهلةِ العقد من غير تأخير، والمراد =

في الفَرسِ يُباعُ؛ أي: ينقَدُ الثمنُ قبلَ أن يَزولَ حافرُهُ عن مكانِ العَرضِ.

وقيلَ: الحافرَةُ: الأرضُ التي فيها تُحفَرُ القُبورُ[١]، فيكونُ بمعنى: المحفورة؛ كماءٍ دافقٍ[٢].

ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: الحافِرَةُ: الحياةُ؛ أي: نُبعَثُ ونُعادُ إلى حالِ حَياتِنا الأولى[٣].

ابنُ زَيدٍ: الحافرَةُ: مِن أسماءِ جهنَّمَ[٤].

ابنُ جريرٍ: هو مَثَلٌ لِمَن يرجِعُ إلى ما كانَ عليهِ؛ قال:

أَحافِرَةً على صَلعٍ وشَيبِ ... معاذَ اللهِ مِن سفَهٍ وطَيشِ[٥]

= بالحافر: ذات الحافر وهي الفرس. قال الزمخشري: ومَن قال: «عند الحافرة»، فله وجهان: أحدهما: أنه لما جُعل الحافر في معنى الدَّابَّة نفسها وكثر استعماله على ذلك من غير ذكر الذَّات فقيل: اقتنى فلان الخُف والحافر؛ أي: ذواتهما، ألحقت به علامة التأنيث إشعاراً بتسميَة الذات بها. والثاني: أن يكون فاعلة من الحفر؛ لأن الفرس بشدَّة دوسها تحفر الأرض، كما سميت فرساً؛ لأنها تفرسها؛ أي: تَدُقها، هذا أصل الكلمة ثمَّ كثرت حتى استعملت في كل أولية، فقيل: رَجَع إلى حافره وحافرته، وفعل كذا عند الحافر.

(١) في (ف): «قبورهم».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٠٢)، واستغربه.

(٣) علقه البخاري بعد حديث (٤٩٣٥)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧٠)، والبيهقي في «البعث والنشور» (٢٥١).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧١)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٠٣)، واستغربه.

(٥) انظر: «تفسير الطبري» (٢٤/ ٦٩). والبيت بلا نسبة في «أدب الكاتب» (ص: ٤١٥)، و«إصلاح المنطق» (ص: ٢١٢)، و«الأضداد» (ص: ١٩٣)، و«مجالس ثعلب» (ص: ١٠٦). =

وقيلَ: أصلهُ مِن الفَرسِ يرجعُ فيضَعُ حافرَهُ على مواضعِهِ الأُولى ويدورُ عليها.

المبردُ: يقال: رجعَ عودَهُ على يديهِ، ورجعَ على حافرتِهِ؛ إذا رجعَ في الطريقِ الذي جاءَ منه[1].

وقيلَ: أصلُهُ: الموضِعُ الذي تضربُ فيه خيمتكَ.

وقيلَ: هذا من كلامِ الكفَّارِ يومَ القِيامةِ يتمنَّونَ أن يُرَدُّوا إلى الدُّنْيا وإلى الحَياةِ الأُولى بعدَ أَنْ يَصيروا عِظامًا باليَةً[2]. والجمهورُ على القَوْلِ الأَوَّلِ.

* * *

(١١) ـ ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً﴾.

﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً﴾: و﴿نَاخِرَةً﴾[3] هما لغتانِ، والمعنى: بَاليةً عَفِنَةً.

وقيلَ: ﴿نَاخِرَةً﴾: مُتجوِّفَةٌ بنخرٍ إذا مرَّتْ عليها الرِّيحُ، و﴿نَّخِرَةً﴾: عَفِنَةٌ.

أبو عمرو: النَّاخرَةُ التي لم تُنخرْ بَعدُ، والنَّخِرَةُ التي قد بَلِيَتْ[4].

= وقال البطليوسي في «الاقتضاب شرح أدب الكتاب» (٣/ ٢٥٧): «هذا البيت لا أعلم قائله وأظنه لعمران بن حطان، ومعناه: أأرجع إلى ما كنت عليه في شبابي من الغزل والصبا؟ معاذ الله من أن آتيَ بمثل هذا السفه، ويُتحدثَ به عني».

(١) لم أقف عليه عن المبرد، وذكر نحوه الزجاج في «معاني القرآن» (٥/ ٢٧٨)، وفي «جمهرة الأمثال» (١/ ٤٨٥): «رجع في حافرته؛ أي: الطريق الذي جاء فيه ومنه قوله تعالى ﴿أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ﴾ يعني إلى الحياة بعد الموت».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٠٣)، وعده من العجائب.

(٣) قرأ حمزة والكسائي في رواية وعاصم في رواية أبي بكر: (ناخرة) بألف، والباقون: ﴿نَّخِرَةً﴾ بلا ألف. انظر: «السبعة» (ص: ٦٧٠ ـ ٦٧١)، و«التيسير» (ص: ٢١٩).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٨/ ٣٨٨)، والواحدي في «البسيط» (٢٣/ ١٧٩).

(١٢) ـ ﴿قَالُواْ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾.

﴿قَالُواْ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾: ذات خسرانٍ؛ أي: أهلُها خاسِرونَ.

وقيلَ: ﴿خَاسِرَةٌ﴾: باطِلَةٌ لا تكونُ[١].

ثم أخبرَ عَن سُهولةِ البَعثِ فقال:

(١٣) ـ ﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾.

﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ يعني: النفخةَ الأُخرى[٢].

الحسنُ: غَضبٌ واحِدٌ[٣].

* * *

(١٤) ـ ﴿فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾.

﴿فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾: قيلَ: بظاهِرِ الأَرضِ.

أبو عبيدةَ: السَّاهِرَةُ: الفَلاةُ ووَجهُ الأَرضِ[٤].

الحسنُ: المكانُ المستوي[٥].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٠٣)، واستغربه.

(٢) في (ف): «الآخرة».

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٩٦)، ورواه ابن أبي الدنيا في «العقوبات» (٢٦٦) بلفظ: «الزجرة من الغضب»، وروى عبد الملك بن حبيب في «أشراط الساعة» (١٢)، والداني في «الفتن» (٣٨٠) عن الحسن قال: « لا تقوم الساعة إلا من غضبة يغضبها الله ربكم».

(٤) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٢٨٥).

(٥) لم أقف عليه عن الحسن، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧٦)، والبيهقي في «البعث والنشور» (٢٥٢)، عن مجاهد.

وهبُ بن منبِّهٍ: هي أرضٌ بعَينِها بالشَّامِ إلى جَنبِ بيتِ المقدِسِ[١].

وعنه أيضًا: جبلٌ ببيتِ المقدِسِ[٢].

وعن ابنِ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: السَّاهرةُ: أرضُ مَكَّةَ[٣].

قتادةُ: هي اسمٌ مِن أسماءِ جهنَّمَ[٤].

الفرَّاءُ: سُمِّيت الأَرضُ سَاهِرَةً لأنَّها يُسهَرُ فِيها ولا يُنامُ[٥].

ابن عيسى: هي أرضُ القيامَةِ[٦]، وسُمِّيَت ساهرةً كالفَلاةِ سُمِّيت سَاهِرَةً لأَنَّه يُسهَرُ فيها خوفًا مِنها.

وقيلَ: سُمِّيَت أرضُ القِيامَةِ السَّاهِرَةَ؛ لِكثرةِ ما تُوطأُ باجتماعِ الخلائقِ، كما قالَ:

إذا نحنُ سِرنا بينَ شرقٍ ومَغربٍ ... تحرَّكَ يَقظانُ التُّرابِ ونائِمُه[٧]

---

(١) رواه البيهقي في «البعث والنشور» (٢٥٣) ولفظه عن وهب بن منبه: أنه قرأ ﴿فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾ ـ وهو يومئذ ببيت المقدس ـ قال: «هاهنا الساهرة»؛ يعني: بيت المقدس.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧٨).

(٣) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٤٣٣)، ورواه ابن وهب في «جامعه ـ التفسير» (٣١٢)، وأبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ٣٤٤)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧٥) بلفظ: «﴿فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾ قال: على الأرض» دون ذكر مكة.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧٨) عن قتادة بلفظ: «﴿بِالسَّاهِرَةِ﴾: في جهنم»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٠٣)، وعده من العجائب.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٣٢)، وفيه: «وهو وجه الأرض، كأنها سميت بهذا الاسم؛ لأن فيها الحيوان؛ نومهم، وسهرهم».

(٦) ذكره بلا نسبة السجستاني في «غريب القرآن» (ص: ٢٧١)، وابن فورك في «تفسيره» (٣/ ١٣٩).

(٧) البيت لأبان بن عبدة بن العيار في «شرح ديوان الحماسة» للمرزوقي (ص: ٤٥٢)، و«التذكرة الحمدونية» (٥/ ٣٦٨). ولحريث بن عناب الطائي في «الحماسة البصرية» (١/ ٨)، وأنكر نسبته لأبان. وانظر: «المفردات» للراغب الأصفهاني (ص: ٤٣٠).

وقيلَ: سُمِّيت الأَرضُ سَاهرَةً لأنَّ عملَها في النبات[1] ليلًا كعَملِها نهارًا[2].

***

(١٥ ـ ١٦) ـ ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾.

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ﴾: هذا استفهامٌ يتضمَّنُ التَّنبيهَ على أنَّ هذا مما يُحَبُّ أن يُعلَمَ، ويتضمَّنُ التَّشريفَ للمُخاطَبِ بهِ، والحثَّ على استماعِه.

وقيلَ: بمعنى: قد أتاكَ، وقد سبقَ.

وقيلَ: هذا أولُ قِصَّةِ موسى عليهِ السَّلامُ.

﴿حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾: ما حُدِّثَ وعُومِلَ به حينَ ناداه ﴿بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ﴾: مِن ناحيةِ الشَّامِ ﴿طُوًى﴾: هو اسمهُ، مَن صَرفَهُ جعلَهُ اسمًا لموضعٍ أو صِفةً كقوله: ﴿مَالًا لُّبَدًا﴾ [البلد: ٦]، ومَن لَم يَصرِفْهُ[3] جعلَهُ اسمَ بُقعَةٍ أو مَعدولًا كعُمَرَ وزُفَرَ.

وقيلَ: معنى ﴿طُوًى﴾: مرَّتينِ؛ أي: قُدِّسَ مرَّتين، وقيلَ: نُودِيَ مرَّتينِ.

وقُرِئَ بالكسرِ في الشَّاذِّ[4]، وهو بمعنى: مرَّتينِ لا غير.

وقيلَ: ﴿طُوًى﴾: ليلًا؛ كما تقول: جِئتُكَ بعد طُوًى مِن الليلِ[5].

---

(١) في (ن): «البيات».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٠٣)، واستغربه.

(٣) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو: (طوى) غير منونة، والباقون منونة. انظر: «السبعة» (ص: ٦٧١)، و«التيسير» (ص: ١٥٠).

(٤) ذكر ابن مجاهد في «السبعة» (ص: ٤١٧) عن أبي زيد عن أبي عمرو: (طِوى) بكسر الطاء، وهي خلاف المشهور عنه.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٥٦٦)، وفيه: «وقال بعضهم: لا بل هو مصروف، وإنما يريد بـ ﴿طُوًى﴾: طوىً من الليل؛ لأنك تقول: جِئْتُكَ بعدَ طُوًى من الليل».

ابن عباسٍ: ﴿طُوًى﴾ بالعبريَّةِ: يا رَجلُ[١].

السُّدِّيُّ: ﴿طُوًى﴾: جوعًا؛ أي: ذا جوعٍ[٢].

* * *

(١٧) ـ ﴿ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾.

﴿ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ﴾: متعلِّقٌ بالنِّداءِ محمولٌ على معنى القولِ؛ لأنَّ النِّداءَ قَولٌ، وقيلَ: تقديرُهُ: بأن اذهَبْ إلى فرعونَ، ﴿إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾: تجاوزَ الحدَّ في الكُفرِ والفَسادِ.

* * *

(١٨) ـ ﴿فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾.

﴿فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾؛ أي: هل لكَ مَيلٌ وحاجَةٌ إلى أنْ تَصيرَ زاكيًا طاهرًا عنِ العَيبِ والدَّنسِ بتركِ العِصيانِ والرُّجوعِ إلى الله.

ابنُ عيسى: التزكِّي: طلبُ الزَّكاءِ، والزَّكاءُ النُّموُّ في الخيرِ.

* * *

(١٩) ـ ﴿وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ﴾.

﴿وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ﴾: أدلُّكَ على ما إذا فعلْتَهُ كنتَ مِن الذينَ يخشَوْنَه؛ أي: يعظِّمونَهُ باجتنابِ المعصِيَةِ ولُزومِ الطَّاعةِ.

وقيلَ: أعرِّفَكَ صِفاتِ ربِّكَ؛ فأدلُّكَ على معرفتِهِ، فتَخشى مِن عذابِهِ إذا عرَفْتَهُ.

---

(١) ذكره أبو حفص النسفي في «التيسير في التفسير» عند هذه الآية، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧١٢)، وعده من العجائب، ونقله السيوطي عن الكرماني في «المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب» (ص: ١١٤).

(٢) لم أجده.

(٢٠) ـ ﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْـَٔايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾.

﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْـَٔايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾: تقديره: فذهبَ ﴿فَأَرَىٰهُ﴾. والآيةُ الكبرى؛ قيل: هي العَصا، وقيلَ: هي اليدُ البَيضاءُ، وقيلَ: جميعُ الآياتِ التي بُعِثَ بها.

ويحتمِلُ أنَّ فاعلَ ﴿فَأَرَىٰهُ﴾: هوَ اللهُ؛ لانقطاعِ الكلامِ الأوَّلِ[1].

* * *

(٢١) ـ ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ﴾.

﴿فَكَذَّبَ﴾: فرعونُ موسى ﴿وَعَصَىٰ﴾[2] اللهَ ولم يُطِعْهُ.

وقيلَ: ازدادَ بتكذيبِهِ على مَعاصيهِ مَعصيةً.

* * *

(٢٢) ـ ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ﴾.

﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ عَن طاعةِ اللهِ واتِّباعِ موسى عليهِ السَّلامُ ﴿يَسْعَىٰ﴾ في إبطالِ الدِّينِ والنُّبُوَّةِ، وقيلَ: لمَّا رأى الحيَّةَ في عِظَمِها خافَ فـ﴿أَدْبَرَ يَسْعَىٰ﴾: يشتَدُّ في الإدبارِ.

* * *

(٢٣ ـ ٢٤) ـ ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾.

﴿فَحَشَرَ﴾ جنودَهُ؛ أي: جمَعَهُم ﴿فَنَادَىٰ﴾ بصوتٍ رَفيعٍ ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾؛ أي: أعلى كلِّ عليٍّ[3] قدرةً وسلطانًا.

وقيلَ: تقديرُهُ: فنادى فحشرَ السَّحرةَ ليغلِبَ بهم موسى.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٠٤)، واستغربه.

(٢) في (ف) زيادة: «فعصى».

(٣) في (ن): «كل علاء».

(٢٥) ـ ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْآخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ﴾.

﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْآخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ﴾: عذَّبَهُ وعاقبَه، والنَّكالُ: عذابٌ ينكلُ مَن رآهُ عن الإقدامِ على المعصيةِ خوفًا من مثلِهِ، ونُصبَ على المصدرِ؛ لأنَّ في الأخذِ معنى النَّكالِ.

ابنُ عباسٍ ومجاهدٌ: ﴿الأولى﴾ قولُه: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨]، و﴿ٱلْآخِرَةِ﴾ قوله: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]، وبينهما أربعونَ سنةً[١].

الحسنُ وقتادةُ: نكَّلَ بهِ في الدُّنيا بالغرقِ، وفي الآخرةِ بالنَّارِ[٢].

وقيلَ: هما قوله: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر: ٤٦]؛ أي: في الدُّنيا ويومَ تقومُ السَّاعةُ.

وقيلَ: أولُ أعمالِها وآخرُها.

***

(٢٦) ـ ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ﴾.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾؛ أي: فيما فعلَ بموسى[٣] ﴿لَعِبْرَةً﴾: عِظةً ﴿لِّمَن يَخْشَىٰٓ﴾: يخافُ أنْ يُعاقَبَ.

وقيلَ: إنَّ فيما قصَصْناهُ عِبرةً لِمَن يخشى اللهَ.

وقيلَ: ﴿يَخْشَىٰٓ﴾ اللهَ بمعنى: يَعْلمُ اللهَ.

---

(١) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٨٤).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٤٨٨) عن قتادة، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٨٦) عن الحسن، وعن قتادة عن الحسن، كلهم بلفظ: «الدنيا والآخرة».

(٣) كذا في النسختين، والأظهر: «فعل بفرعون»، والله أعلم.

(٢٧) ـ ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَآءُ بَنَىٰهَا﴾.

﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَآءُ﴾: رجعَ إلى الكلامِ إلى مُنكري البَعثِ فقال: ﴿ءَأَنتُمْ﴾ أصعَبُ أنْ تُخلَقُوا في تَقدِيرِكُم ﴿أَمِ السَّمَآءُ﴾ بعِظَمِها وكَثرةِ أَجزائِها، فمَن قَدَرَ على خَلقِها قَدَرَ على إعادَتِكُم وإنشائِكُم.

﴿بَنَىٰهَا﴾؛ أي: بنى اللهُ السَّماءَ ووصفَها بالبناءِ.

وقوله: ﴿بَنَىٰهَا﴾ عند الزَّجَّاجِ: صِلةٌ، وتقديره: التي بناها[1]، وهذا بعيدٌ؛ لا يجوزُ حذفُ الموصولِ وإقامَةُ الصِّلَةِ مُقامَهُ.

وقيلَ: حالٌ مِن السَّماءِ[2]، وفيه أيضًا بُعدٌ.

وقيلَ: استئنافٌ، وهوَ الصَّوابُ.

وتقدير الآيةِ: أم السماءُ أشدُّ خَلقًا؟

* * *

(٢٨) ـ ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا﴾.

﴿رَفَعَ سَمْكَهَا﴾: بعَّد ما بينَها وبينَ الأرضِ، ﴿فَسَوَّىٰهَا﴾: جعلَ أجزاءَها مُتلائِمَةً لا شقوقَ فيها ولا فُطورَ[3].

* * *

(٢٩) ـ ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا﴾.

﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾: أظلَمَها، والغَطَشُ: الظُّلمَةُ، والأَغْطَشُ: الذي لا يُبصِرُ.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٨٠).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٠٣)، وعده من العجائب.

(٣) في (ف): «لا سقوف فيها ولا قطوف».

﴿وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا﴾: أظهرَ النَّهارَ بإخراجِ الشَّمسِ عَن مَغيبِها، وأصلُ الضُّحى مِن البُروزِ؛ تقول: ضَحَى للشمس[1]؛ إذا برزَ لها.

وأضافَ اللَّيلَ والضُّحى إلى السَّماءِ؛ لأنَّ مِنها ضياءَ النَّهارِ، ومنها ظُلمَةَ الليلِ بزوالِ الضِّياءِ.

***

(٣٠) ـ ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾.

﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾: أبو عبيدةَ: بسطَها، يقال: دَحَوْتُ ودَحَيْتُ[2] بالكُرةِ؛ أي: قذفَها[3].

وقيلَ: دَحاها: خرَّبها وشقَّها، وكانتِ الأَرضُ مثلَ الكُرَةِ فلمَّا خلقَ السَّماءَ دَحا الأَرضَ.

وقيلَ: ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: معَ ذلكَ؛ كقوله: ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ [القلم: ١٣]؛ أي: معَ ذلكَ.

---

(١) في النسختين: «الشمس»، وهو خطأ، والصواب المثبت. انظر: «جمهرة اللغة» (٢/ ٦٨٣)، و«الزاهر» للأزهري (ص: ٦١١)، و«تهذيب اللغة» له (٥/ ٩٨) و(٨/ ٢٣٥)، و«البسيط» للواحدي (٩/ ٢٥٢)، و«مختار الصحاح» مادة: (ض ح ا). وفيه لغتان، قال في «مختار الصحاح»: ضَحِيَ للشمس ـ بالكسر ـ ضَحَاءً بالفتح والمدِّ، وضَحَى يَضْحَى ـ كسَعَى يَسْعَى ـ ضَحَاءً أيضًا بالفتح والمدِّ مثلُه.

(٢) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٢٨٥)، وما بعده لم يرد في مطبوعه.

(٣) انظر: «تفسير الرازي» (٣١/ ٤٦)، وفيه: «وقيل: أصل الدحو: الإزالة للشيء من مكان إلى مكان، ومنه يقال: إن الصبي يدحو بالكرة؛ أي: يقذفها على وجه الأرض، وأدحى النعامة موضعه الذي يكون فيه؛ أي: بسطته وأزالت ما فيه من حصى حتى يتمهد له، وهذا يدل على أن معنى الدحو يرجع إلى الإزالة والتمهيد».

وقيلَ: قبلَ ذلكَ، وقَدْ سبقَ.

وقيلَ: تقديرُه: أأنتم أشدُّ خلقاً أم السماء؟ أأنتُمْ أشدُّ خَلْقًا أَمِ الأَرْضُ بعدَ ذلكَ؟ وانتصابُ الأَرْضِ يَدفَعُ هذا التَّأويلَ.

***

(٣١) ـ ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا﴾.

﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا﴾: بتفجيرِ العُيونِ ﴿وَمَرْعَىٰهَا﴾: قيلَ: هو الكَلأُ الذي يُرعى.

وقيلَ: مَوضِعُ الرَّعيِ.

وقيلَ: مصدَرٌ، وفيهِ بُعدٌ.

وقيلَ: المرعى يعمُّ الأشجارَ والثِّمارَ والزُّروعَ وأنواعَ العُشبِ.

***

(٣٢ ـ ٣٣) ـ ﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾.

﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا﴾: أثبتَها ﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾: منفعةً لكُم ولدوابِّكُم.

***

(٣٤) ـ ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ﴾.

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ﴾: ﴿ٱلطَّآمَّةُ﴾ في اللغةِ: الدَّاهيةُ الشَّديدَةُ التي توفي على كلِّ شيءٍ[١]، مُشتقَّةٌ من طَمَمْتُ البئرَ: إذا كبستَها، والطَّمُّ: البَحرُ؛ لأنَّه يغمرُ[٢] كلَّ شيءٍ.

---

(١) بعدها في (ن): «شديد».

(٢) في (ف): «يعم».

ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: هي القِيامَةُ(١).

الحسنُ والزجَّاجُ: هي النفخَةُ الثَّانيةُ(٢)؛ لأنها تُنسي بشِدَّتها ما تقدَّمَ مِن شَدائدِ الدُّنيا؛ ولهذا قالَ ﴿ٱلْكُبْرَىٰ﴾.

***

(٣٥) - ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ﴾.

﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ﴾؛ أي: يُذكِّرُهُ اللهُ جميعَ ما عَمِلَهُ في الدُّنيا فيتذكَّرُ، وقيلَ: يُذَكِّرُهُ كتابُ الحفظَةِ، و﴿مَا﴾ معَ الفعلِ في تأويلِ المصدَرِ؛ أي: سعيَهُ، وهو كَسبُهُ.

***

(٣٦) - ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾.

﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾؛ أي: أُظهِرَتْ للنَّاظرينَ فرَأَوْهَا بعدَ أنْ كانوا يَسمَعونَ بها، وقيلَ: معنى ﴿لِمَن يَرَىٰ﴾: لكلِّ راءٍ، ولكلِّ مَن لهُ عَينٌ، والمرادُ للكلِّ لا للبَعضِ.

***

(٣٧ - ٣٩) - ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾.

﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ﴾: جاوزَ الحدَّ في الكُفرِ(٣) ﴿وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾: فلَمْ يَسعَ إلَّا لها ﴿فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾؛ أي: له، وهذا مذهَبُ سِيبويهِ والبَصريِّينَ، وتقديرُهُ عندَ الكوفيِّينَ: هي مأواهُ، فسدَّ الألِفُ واللَّامُ مسدَّ الإضافةِ(٤).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٩٧) بلفظ: «من أسماء يوم القيامة، عظمه الله وحذره عباده».

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٢٠٠) عن الحسن. وانظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٨١).

(٣) في (ف): «كفره».

(٤) ذكر القولين عن البصريين والكوفيين النحاس في «إعراب القرآن» (٥/ ٩٣). وانظر: «شرح =

(٤٠ ـ ٤١) ـ ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾؛ أي: مقامَهُ بينَ يدَيْ ربِّهِ، فحُذِفَ تخفيفًا للعِلمِ بهِ، فإن بابَ الإضافةِ بابٌ واسِعٌ.

وقيلَ: ﴿مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾: مسألةَ ربِّهِ إيَّاهُ عن عملِه.

وقيلَ: المقامَ الذي أعلمَهُ ربُّهُ أنه يقومُ بهِ[1] للحِسابِ.

﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾؛ أي: المرجِعُ، والتقديرُ: هواهُ ومأواهُ؛ كما سبقَ.

***

(٤٢ ـ ٤٤) ـ ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۝٤٢ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ۝٤٣ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ﴾.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾؛ أي: متى زمانُ كونِها وثَباتِها؟ استفهامُ إنكارٍ واستبعادٍ.

﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ﴾: متَّصِلٌ بالسؤالِ وتقديرُه: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾: ويقولونَ: أينَ أنتَ مِن ذِكراها؟ ثمَّ استأنَفَ فقال: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ﴾.

ويُروى عن يعقوبَ الوَقفُ على ﴿فِيمَ﴾ كأنه جعلَها متَّصِلَةً بالسؤالِ[2]. ويجوزُ أنْ يكونَ مِن كلامِ اللهِ، أي: فيمَ تُسأَلُ، أو: فيمَ تَسأَلُ، ثم ابتدأَ فقال: ﴿أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ﴾ يا محمَّدُ؛ أي: مِن أَشراطِها؛ كقولِه ﷺ: «بُعِثْتُ أنا والسَّاعةُ كهاتينِ»[3].

= المفصل» لابن يعيش (٤/ ١١٧)، و«شرح التسهيل» لابن مالك (١/ ٢٦٢).

(١) في (ف): «يقومه».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٠٥) دون نسبة، وعده من العجائب.

(٣) رواه البخاري (٦٥٠٤)، ومسلم (٢٩٥١) من حديث أنس رضي الله عنه بلفظ: «بُعِثْتُ أنا والساعةُ كهاتين».

وقُرِئَ في الشَّواذِّ: (وإنه لعَلَم للساعةِ)[١] على هذا المعنى.

***

(٤٥) ـ ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا﴾.

﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا﴾: المعنى: إنَّما ينفعُ إنذارُكَ ﴿مَن يَخۡشَىٰهَا﴾ يَعْلَمُها فيَخافُ شَدائدَها.

***

(٤٦) ـ ﴿كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَهَا لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوۡ ضُحَىٰهَا﴾.

﴿كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَهَا لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوۡ ضُحَىٰهَا﴾؛ أي: إذا صاروا إلى السَّاعةِ التي طلبوا مَعرِفَةَ وَقتِها استقصَروا مُدَّةَ لَبثِهِم في قُبورِهِم لمَّا دُفِعوا إليه، وأضافَ الضُّحى إلى العَشِيَّةِ كمَا تقولُ العربُ: آتيكَ صباحًا ومساءَهُ.

الزَّجَّاجُ:أي: مساءً يَلِي ذلكَ الصَّباحَ[٢]، واللهُ أعلَمُ.

***

---

(١) نسبت لابن عباس وأبي هريرة رضي الله عنهم وقتادة ومالك بن دينار والضحاك. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣٦).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٨٢).

سُورَةُ عَبَسَ

اثنتان وأربعون آية(١)، مكيَّة.

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٢) ـ ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ﴾.

﴿عَبَسَ﴾: قطَّبَ وَجهَهُ تكرُّهًا؛ يعني: النبيَّ ﷺ ﴿وَتَوَلَّىٰٓ﴾: أعرضَ ﴿أَن جَآءَهُ﴾: لِأَنْ جاءَهُ ﴿ٱلْأَعْمَىٰ﴾: هو عبدُ الله ابن أمِّ مكتومٍ، وأُمُّ مَكتومٍ اسمُ أمِّ أبيهِ، واسمُ أبيهِ: زَائدَةُ، وقيلَ: شُريحٌ، وذلك أنَّ النبيَّ ﷺ كان يدعو أشرافَ قُريشٍ، فأتاهُ عبدُ الله يكلِّمُهُ ويسألُهُ عَن أمرٍ يتعلَّقُ بالدِّينِ، وكانَ قَد أسلَمَ، فكَرِهَ النبيُّ ﷺ قَطْعَ كَلامِ مَن كانَ يَدعوهُ وظهرَ كَراهَةُ ذلكَ في وَجهِهِ وأعرَضَ عَنهُ، فرجَعَ عبدُ اللهِ مَحزونًا خائفًا أنْ يَكونَ عُبوسُهُ وإعراضُهُ عَنهُ إنَّما هوَ لِشيْءٍ أنكرَهُ اللهُ مِنهُ، فعاتَبَ اللهُ نبيَّهُ وأنكرَ عليهِ فِعلَهُ بهذهِ الآياتِ(٢).

---

(١) «اثنتان وأربعون آية»: ليس في (ف). وانظر: «البيان في عد آي القرآن» (ص: ٢٦٤)، وفيه: «وهي أربعون آية في الشَّامي، وإحدى وأربعون في عدد أبي جعفر والبصري، واثنتان وأربعون في عدد الباقين، اختلافها ثلاث آيات...».

(٢) الرواية التي ساقها المصنف ساقها بالمعنى، وقد رواه الترمذي (٣٣٣١) عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها بلفظ: «أنزل: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ في ابن أم مكتوم الأعمى، أتى رسول الله ﷺ فجعل يقول: يا رسول الله أرشدني، وعند رسول الله ﷺ رجل من عظماء المشركين، فجعل رسول الله ﷺ يعرض عنه ويقبل على الآخر، ويقول: «أترى بما أقول بأسا؟» فيقول: لا، ففي هذا أنزل» =

قالَ الأصمُّ: بقيَ النبيُّ ﷺ ووَجهُهُ كالرَّمادِ حُزنًا ينتَظِرُ ما يَحكُمُ اللهُ علَيْهِ فيما عاتبَهُ، فلمَّا نزلَ ﴿كَلَّآ﴾ سُرِّيَ عنهُ؛ لأنَّ مَعناهُ: لا تفعَلْ ذلكَ بعدَ هذا[١].

وذكرَ المبرِّد: بَلَغنا أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ لمَّا قامَ أُخِذَ بِبَصرِهِ حتى كانَ يُصادِمُ جُدُرَ مكَّةَ، وقيلَ: كانَ ذلكَ ساعةً، وقيلَ: بقيَ سَبعَ ساعاتٍ[٢].

وكان رسولُ اللهِ ﷺ بعدَ ذلكَ يُبالِغُ في إكرامِهِ ويَبسُطُ لهُ رِداءَهُ، ويقولُ له: «مَرحبًا بمَن عاتَبني اللهُ فيهِ»[٣].

واستخلَفَهُ على المدينةِ عندَ غَزوِهِ مرَّتينِ[٤]. وكانَ يَخْلُفُه في الإِمامَةِ ويؤذِّنُ لهُ.

= قال الترمذي: «هذا حديث غريب». ورواه الإمام مالك في «الموطأ» (١/ ٢٠٣) مرسلًا دون ذكر عائشة رضي الله عنها.

وروى نحوه أبو يعلى في «مسنده» (٣١٢٣) عن أنس رضي الله عنه.

وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٠٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٩٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٠٧)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٠٨)، وعده من العجائب. وقد ورد نحو ذلك في حديث ابن عباس رضي الله عنهما فيما رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٠٣)، وفيه: «وكره كلامه، وأقبل على الآخرين؛ فلما قضى رسول الله ﷺ، وأخذ ينقلب إلى أهله، أمسك الله بعض بصره، ثم خفق برأسه، ثم أنزل الله: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾». قال ابن كثير في «تفسيره» (٨/ ٣٢٠): «فيه غرابة ونكارة، وقد تكلم في إسناده».

(٣) ذكره مكي بن أبي طالب في «الهداية» (١٢/ ٨٠٥٣) والسمعاني في «تفسيره» (٦/ ١٥٧) عن سفيان. وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٨/ ٤١٧)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٤٩) بلا نسبة.

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٣٠٠٠)، وأبو داود (٢٩٣١) عن أنس رضي الله عنه. قال الخطابي في «معالم السنن» (٣/ ٣): «إنما ولاه النبي ﷺ الصلاة دون القضايا والأحكام؛ فإن الضرير لا يجوز =

(٣) ـ ﴿ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴾.

﴿ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴾: أخبرَ عَن نبيِّه بالعُبوسِ، ولَم يُخاطِبهُ؛ مُعاتَبةً[١] له، وقيلَ: تعظيمًا لحرمَتِه، ثمَّ عادَ إلى خِطابهِ فقال: ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ﴾؛ أي: إنَّكَ لا تَدري لعلَّ هذا الذي أَعرضْتَ عنهُ أكرَمُ عندَ اللهِ؛ لأنَّهُ ﴿يَزَّكَّىٰٓ﴾؛ أي: يطلبُ أنْ يكونَ زَكِيًّا بالعملِ الصَّالحِ، والزَّاكي: النَّامِي في الخَيرِ.

* * *

(٤) ـ ﴿أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ﴾.

﴿أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ﴾: يتَّعِظُ بما يتعلَّمُهُ منكَ فيَنفعَهُ ذلكَ؛ الرَّفعُ على العطفِ، والنَّصبُ[٢] على جوابِ التَّرجِّي، وعَطفَ بـ﴿أَوۡ﴾ لأنَّ التزكِّيَ أعلى درجةً مِن التَّذكُّرِ، والتَّذكُّرُ دونَهُ، فكأنَّهُ أرادَ مَرتبةً دونَ مَرتبةٍ، وقيلَ: ﴿أَوۡ﴾ هاهنا بمعنى الواوِ.

ثم فصَّل ذِكْرَ ما عاتبَهُ عليهِ مِن توفُّرِه[٣] على الكافرِ الغنيِّ حِرصًا على استمالَتِهِ، وغُفولِهِ عَن المؤمنِ الفَقيرِ استهانَةً بِهِ، فقال:

(٥ ـ ٧) ـ ﴿أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾.

﴿أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ﴾: تتعرَّضُ لهُ بالتَّوقيرِ والإكرامِ، والتَّصدي: التَّعرُّضُ للشَّيءِ على حِرصٍ كتعرُّضِ الصديانِ للماءِ.

= له أن يقضي بين الناس؛ لأنه لا يدرك الأشخاص ولا يثبت الأعيان ولا يدري لمن يحكم وعلى من يحكم، وهو مقلد في كل ما يليه من هذه الأمور، والحكم بالتقليد غير جائز».

(١) في (ن): «معاينة».

(٢) قرأ: ﴿فَتَنفَعَهُ﴾ بالنصب عاصم، والباقون بالرفع. انظر: «السبعة» (ص: ٦٧٢)، و«التيسير» (ص: ٢٢٠).

(٣) في (ن): «توقُّره».

﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾؛ أي: لا حَرجَ عليكَ ولا يَضرُّكَ أنْ لا يؤمِنَ هذا الكافِرُ، وإنَّما عليكَ البَلاغُ.

* * *

(٨ ـ ١٠) ـ ﴿وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾.

﴿وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ﴾ للإيمانِ ﴿وَهُوَ يَخْشَىٰ﴾ الله ﴿فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾: تغفلُ.

* * *

(١١ ـ ١٢) ـ ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ﴾.

﴿كَلَّا﴾: ارتدِعْ عَن هذا ولا تفعَلْهُ؛ فإنَّهُ غيرُ مَرضِيٍّ عندَ اللهِ.

وقيلَ: هو بمعنى: حقًّا. وقيلَ: بمعنى: ألَا.

﴿إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ﴾ الزَّجَّاجُ: هذه المواعظُ التي وُعِظَ بها النَّبيُّ ﷺ، وذكَّر حملًا على الوَعظِ[1].

الفَرَّاءُ: إنَّ هذهِ السُّورَةَ ﴿تَذْكِرَةٌ﴾؛ أي: تذكيرٌ ﴿فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ﴾[2].

وقيلَ: إنَّ آياتِ القرآنِ تَذكِرَةٌ فمَنْ شاءَ ذكرَهُ؛ أي: القُرآن.

* * *

(١٣) ـ ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ﴾.

﴿فِي صُحُفٍ﴾: أي: في اللَّوحِ المَحفوظِ، وهي جمعُ صَحيفَةٍ، وكلُّ مَكتوبٍ عندَ العربِ صَحيفَةٌ.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٨٤)، وفيه: «ذكَّر لأن الموعظة والوعظ واحد، والمعنى راجع إلى جملة القرآن، المعنى: فمن شاء أن يذكره ذكره».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٣٦)، وفيه: «هذه السورة تذكرة، وإن شئت جعلت الهاء عماداً لتأنيث التذكرة، ﴿فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ﴾ ذكر القرآن».

﴿مُكَرَّمَةٍ﴾؛ أي: عندَ اللهِ، وقيلَ: مكرَّمَةٌ بما جُعِلَ فيها مِن العِلمِ والحِكمَةِ.

***

(١٤) ـ ﴿مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ﴾.

﴿مَرْفُوعَةٍ﴾: رفيعَةِ القَدْرِ ﴿مُطَهَّرَةٍ﴾: لا يمسُّها إلا طاهِرٌ.

وقيلَ: مطهَّرَةٌ عن أنْ تنالَها أيدي الكفَّارِ.

وقيلَ: مطهرَةٌ لا يكونُ فيها ما ليسَ مِن كلامِ اللهِ، فهوَ الوَحيُ الخالِصُ والحقُّ المحضُ.

***

(١٥) ـ ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾.

﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾: ملائكةٍ؛ لأنَّهُم يَسْفُرونَ بينَ اللهِ ورُسلِهِ بالوَحيِ.

ابنُ عباسٍ: كَتَبَةٍ[1]؛ لأنَّهم موكَّلونَ بحفظِ كتبِ اللهِ، وهي الأَسفارُ.

وقيلَ: السَّفَرَةُ: الأَنبياءُ.

وقيلَ: القُرَّاءُ، وهو قولُ قتادةَ[2].

وقيلَ: هم الصَّحابَةُ، وقيلَ: المؤمنونَ.

***

(١٦) ـ ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾.

﴿كِرَامٍ﴾؛ أي: على اللهِ، وقيلَ: ﴿كِرَامٍ﴾ عن المعاصي، مِن قوله: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢].

---

(١) ذكره البخاري تعليقاً قبل حديث (٤٩٣٧)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٠٨).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٠٨)، وذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٥/ ٩٥).

﴿بَرَرَةٍ﴾: صادقينَ، جمع (بارٍّ) قياسًا، والمستعمَلُ: برٌّ وبرَّةٌ.

وقيلَ: السَّفرةُ مِن الملائكةِ همُ الذينَ يكتبونَ، والبررَةُ: الذينَ لا يكتبونَ.

* * *

(١٧) ـ ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾.

﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾: لُعِنَ وعُذِّبَ، وقيلَ: هذا تعليمٌ؛ أي: قولوا ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾.

وهو عتبةُ بنُ أبي لهب بعينهِ[١]، وذلك أنه قالَ: كفرتُ بربِّ النَّجمِ إذا هوى، فقالَ النبيُّ ﷺ: «اللهمَّ سَلِّطْ عليهِ كلبًا مِن كلابِكَ» فأخذَهُ الأسدُ في طريقِ الشَّامِ كما سبقَ في سورةِ (النَّجم)[٢].

﴿مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾: قيلَ: استِفهامٌ، أي: أيُّ شيءٍ حملَهُ على الكُفرِ؟

وقيلَ: معناه: التَّعجُّبُ، واللهُ سبحانَه وتعالى لا يتعجَّبُ، ولكن المعنى: هذا موضِعُ التَّعجُّبِ لمن يتعجَّبُ كقوله: ﴿فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٧٥]!

* * *

(١٨ ـ ١٩) ـ ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ ۝١٨ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ﴾.

﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ﴾: هذا تقريرٌ وتنبيهٌ على القُدرةِ والنِّعمَةِ ﴿مِن نُّطْفَةٍ﴾: كلامٌ كافٍ[٣]، ﴿خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ﴾؛ أي: أحوالًا؛ نطفةً ثمَّ علقةً... إلى آخرِ تمامِ الخِلْقةِ.

الزجَّاجُ: خلقهُ على استواءٍ، من قوله: ﴿ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾ [الكهف: ٣٧][٤].

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٢٢١) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٢٠٥) عن ابن جريج والكلبي، وهو في «تفسير مقاتل» (٤/ ٥٩١).

(٢) في مطلعها عند تفسير الآية الأولى منها.

(٣) أي: مفيد بنفسه غير محتاج إلى ما بعده لإيضاح معناه.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٨٥).

وقيلَ: قدَّرَهُ على هذه الصورةِ التي عليها.

وقيلَ: ﴿قدَّره﴾؛ أي: جعلَهُ قادرًا.

* * *

(٢٠) - ﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ﴾.

﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ﴾: طريقَ الدِّينِ، وقيلَ: طريقَ خُروجِهِ مِن بطنِ أمِّه ﴿يَسَّرَهُۥ﴾: يسَّرَ لهُ، فحُذِفَ الجارُّ.

* * *

(٢١) - ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ﴾.

﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ﴾: جعلَ لهُ قبرًا يُوارَى فيه، ولم يجعَلْهُ مما يُطرَحُ للسباعِ أو يُلقى في النَّواويسِ.

وقيلَ: ﴿أقبرهُ﴾: أمرَ بأنْ يُقبرَ؛ كما تقولُ: أَبعْتُ الفرسَ(١).

* * *

(٢٢) - ﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾.

﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾: أحياهُ، تقولُ: أنشرَ اللهُ الميتَ فنشَرَ، وقيلَ: أحياهُ في قبرِهِ.

* * *

(٢٣) - ﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ﴾.

﴿كَلَّا﴾: رَدعٌ عن الكُفرِ.

﴿لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ﴾ مجاهدٌ: لا يقضي أحدٌ أبدًا ما افتُرِضَ عليهِ(٢).

---

(١) في هامش (ن): «قال: أبعت الفرس؛ أي: حملته على البيع».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١١٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٩٩).

الفرَّاء: لم يقضِ بعضَ ما أمرَهُ الله تعالى(١).

وتقديرُهُ: أمرَهُ بهِ، فحُذِفَ الجارُّ ثم حُذِفَ أحدُ الهاءينِ، والأَولى بالحذفِ ضميرُ الموصولِ.

***

(٢٤) ـ ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾.

﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ﴾؛ أي: هذا الذي يَستبعِدُ الإِعادَةَ ﴿إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾، ولْيتأمَّلْ قُدرتَنا في ابتدائِه وإِتمامِه.

وقيلَ: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾ عندَ خُروجهِ مِن بطنِه كيفَ كانَ ثمَّ كيفَ صارَ؛ ليعلَمَ أنَّهُ محلُّ الأقذارِ فلا يَطْغَى(٢).

وقيلَ: ليستدلَّ على استحالَةِ الأَجسامِ فلا يَنْسَى.

وعن الحسنِ: وكِّلَ بابنِ آدمَ ملكٌ يَثْني رقبتَهُ في الخلاءِ؛ ليَنظُرَ ماذا يَخرجُ مِنهُ(٣).

***

(٢٥) ـ ﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا﴾.

﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا﴾: الكسرُ على الاستئنافِ، والفتحُ على العِلَّةِ(٤).

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٣٨).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٠٩)، واستغربه.

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٠١)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٢٠٧)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٠٩)، وعده من العجائب.

(٤) قرأ حمزة والكسائيُّ وعاصم بفتح الهمزة في ﴿أَنَّا صَبَبْنَا﴾، والباقون بالكسر. انظر: «السبعة» (ص: ٦٧٢)، و«التيسير» (ص: ٢٢٠).

«الحُجَّة»: الفتحُ بدلُ اشتمالٍ من الطعامِ(١).

ويحتمل أنه بمعنى: كيفَ، فيجوزُ فيه الإمالةُ(٢).

والمعنـى: صَببنـا من السـماءِ المـاءَ على السَّـحابِ، ثـمَّ أنزلناهُ مِن السَّـحابِ قَطـرةً قطرةً.

وقيلَ: الصَّبُّ يُستعمَلُ في القَليلِ وَالكَثيرِ.

***

(٢٦ ـ ٣٢) ـ ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾.

﴿ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا﴾: بالنَّباتِ ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا﴾: هـو ما يُقتاتُ بهِ ﴿وَعِنَبًا﴾: ثمرةُ الكَرْمِ، ﴿وَقَضْبًا﴾: هو الرطبةُ.

الحسنُ: المرادُ بالقَضبِ: العَلَفُ(٣).

﴿وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا﴾: غِلاظُ الأَشجارِ.

قتادةُ: الغُلْبُ: الكِرامُ مِن الشَّجرِ(٤).

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٦/ ٣٧٨).

(٢) أي: (أنى صببنا)، وقرئ به في الشواذ، نسبت للحسن بن علي. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ١٦٩)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٠٩)، واستغربه.

(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٢٢١)، والعز بن عبد السلام في «تفسيره» (٣/ ٤٢٢).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١١٨)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣١٠)، واستغربه.

الزَّجَّاجُ: متكاثفةً(١) عِظامًا(٢).

﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾: الأَبُّ: كلُّ ما رعاهُ الأَنعامُ، وقيلَ: الأَبُّ: المرعى ما كانَ رطبًا.

وقيلَ: الفاكِهةُ: الرطبُ من الثِّمارِ، والأَبُّ: اليابسُ منها(٣).

وقيلَ: الأبُّ: ما لانَ مِن الثِّمارِ.

وعن ابنِ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: أنه قالَ بين يدي عُمَرَ رضيَ اللهُ عنهُ: نباتُ الأَرضِ سَبعةٌ، فقال عُمَرُ: ما أفهَمُ ما تقولُ، فقال: ﴿فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ۝٢٧ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ۝٢٨ وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا ۝٢٩ وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا ۝٣٠ وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا﴾ مرعى الأنعامِ، فقال: هكذا فتكلَّموا كما تكلَّمَ هذا الفتى، حكاهُ النَّحَّاسُ(٤).

﴿مَّتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ﴾.

* * *

(٣٣) ـ ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ﴾.

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ﴾ ابنُ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: اسمٌ مِن أَسماءِ القِيامَةِ(٥).

---

(١) في (ن): «متتابعة».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٨٦).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣١٠)، واستغربه.

(٤) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٥/ ٩٦)، وروى نحوه ابن إسحاق في «السيرة» (ص: ١٣١)، ويعقوب بن أبي شيبة في «مسند عمر» (ص: ٩٦)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٢١٧٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٦١٨)، والحاكم في «المستدرك» (٦٢٩٧)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣١٠)، وعده من العجائب.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٢٤)، والنحاس في «إعراب القرآن» (٥/ ٩٦).

عِكرِمَةُ: النَّفخَةُ الأُولى[١].

الزَّجَّاجُ: الصَّيحَةُ التي يحيا النَّاسُ عِندَها[٢].

الحسنُ: يَصخُّ لها كلُّ شيءٍ[٣]؛ أيْ: يَصمُتُ.

وقيلَ: سُمِّيتْ صاخَّةً لأنها تَصُخُّ الآذانَ فلا يَسمَعُ إلا ما دُعِي إليهِ بهِ لإحيائِها[٤]، والأَصَخُّ: الأَصَمُّ.

المبرِّدُ: يقال: صخَّ رأسَهُ بصخرَةٍ؛ أي: شدَخَهُ[٥]. ويقال: صخَّتْ عليهِم صاخَّةٌ؛ أي: أَتَتْ عليهِم داهِيَةٌ أَفنَتْهُم.

* * *

(٣٤ ـ ٣٧) ـ ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾.

﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾ لإتيانِ ما يَشغَلُهُ عَنهُم.

وقيلَ: يهرُبُ مِنهُم مَخافَةَ أنْ يَتوجَّهَ عليهِ لأحدِهِم حقٌّ فيُطالِبَهُ بهِ ولا يحابِيهِ.

وقيلَ: يهرُبُ مِنهم كي لا يَطْمَعوا في حَسناتِهِ.

وقيلَ: يهرُبُ مِنهُم كي لا يرى ما يَنزِلُ بِهم.

---

(١) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٥/ ٩٦)، ومكي بن أبي طالب في «الهداية» (١٢/ ٨٠٦٧).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٨٧)، ولفظه: «﴿الصَّاخَّةُ﴾: التي تكون عليها القيامةُ».

(٣) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٥/ ٩٦)، ومكي بن أبي طالب في «الهداية» (١٢/ ٨٠٦٧)، والماوردي في «النكت والعيون» (١٠/ ٤٢٧).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٨٧)، وفيه: «تَصُخُّ الأسماع؛ أي: تُصِمُّها، فلا يَسمَعُ إلا ما يدعى فيه لإحيائها».

(٥) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٢٣٧).

وقيلَ: ليسَ ثَمَّ فِرارٌ، وإنما المعنى: لا يُهِمُّهُ أمرُ أقربائِهِ لشدَّةِ ما يَنوبُهُ.

ويحتمِلُ أنَّ في هذا التَّرتيبِ فائدةً وهي: أنَّ هذا مَثَلٌ ضُرِبَ في حقِّ الأقربِ فالأقربِ رؤيةً واتصالًا ومعرفةً، والمرادُ بالأخِ: التَّوأَمُ؛ فإنه يراهُ الجنينُ في بَطنِ أمِّهِ قبلَ كلِّ أَحدٍ، ثم يرى أمَّهُ بعدَ الوِلادةِ، ثمَّ أباهُ، ثمَّ صاحبتَهُ، ثم بنيهِ، واللهُ أعلَمُ[١].

* * *

(٣٧) ـ ﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾.

﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾: يكفيهِ عَن زيادةٍ عليهِ.

وقرئ: (يَعْنِيه)[٢]؛ أي: لا يُعْنَى معَهُ بغيرِهِ.

* * *

(٣٨ ـ ٣٩) ـ ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾: وجوهُ المؤمنينَ مُضيئةٌ حَسَنةٌ لعِلمِهَا بما لها مِن الفَوزِ ﴿ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ لِمَا يرى مِنَ النَّعيمِ.

وقيلَ: ﴿ضَاحِكَةٌ﴾ من الكفارِ شماتَةً وغيظًا.

* * *

(٤٠ ـ ٤١) ـ ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾.

﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾ ذكرَ أنَّ التُّرابَ الذي يَصيرُ إليهِ البَهائِمُ يَحُولُ غَبرةً في

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣١٠)، واستغربه.

(٢) نسبت لابن محيصن والزهري. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ١٦٩)، و«المحتسب» لابن جني (٢/ ٣٥٢)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣١٠)، وعده من العجائب.

وجوهِ الكَفرةِ ﴿تَرْهَقُهَا﴾: تَعلو الغَبرةَ ﴿قَتَرَةٌ﴾: سَوادٌ، والقَتَرةُ: ظلمَةُ الدُّخانِ، والقَتارُ: رِيحُ المرَقِ لارتفاعِها معَ الدُّخانِ.

ابنُ جريرٍ: مَا يعلو مِن الغُبارِ فيلحقُ بالهواءِ قَترةٌ، وما يعودُ إلى الأَرضِ فهوَ غَبرةٌ[1].

***

(٤٢) ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَفَرَةُ ٱلۡفَجَرَةُ﴾.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَفَرَةُ ٱلۡفَجَرَةُ﴾؛ أي: أَصحابُ الغَبرةِ والقَترةِ همُ الكُفَّارُ، وتركَ ذكرَ أصحابِ الوُجوهِ الأُخرى عِلْمًا بهِم، واللهُ أعلَمُ بالصَّوابِ.

***

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢٤/ ١٢٧).

سُورَةُ التَّكْوِيرِ

تسعٌ وعِشرونَ آيةً[1]، مَكِّيَّةٌ.

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾.

﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾: ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: ذهبَ ضَوؤُها[2].

مجاهدٌ: اضمحلَّتْ وبطلَتْ[3].

قتادةُ: غُوِّرَت[4]، وقال: إنه فارسي [معرَّب] كوركرِد، حكاهُ سعيدٌ عنهُ[5].

الضحَّاكُ: تكويرُها: ذهابُها[6].

الزَّجَّاجُ: جُمِعَ ضَوؤُها، ولُفَّتْ كما تُلفُّ العمامَةُ[7].

---

(١) «تسع وعشرون آية»: ليس في (ف).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٢٩) بلفظ: «أظلمت»، وبلفظ: «ذهبت».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٢٩).

(٤) في (ف): «عُوِّرت».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٣٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٠٢) عن سعيد به، وفيهما: «كورتكور»، وفي «اللسان» مادة: (ك و ر): «كُورْبِكِر»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣١١)، وعده من العجائب، وما بين معكوفتين منه.

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٣٠).

(٧) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٨٩).

ابن عيسى: تَكويرها: تَلفِيفُها على وجهِ[1] الاستِدارَةِ، تقول: كَوَّرتُ العمامَةَ، ومنه: كارةُ القصَّارِ.

وقيلَ: التَّكويرُ واللفُّ والطيُّ واحِدٌ، وقد قالَ سبحانَهُ وتعالى: ﴿يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ﴾ الآيةَ، وفي طيِّها تَكويرٌ للشَّمسِ.

وقيلَ: كأنَّها لذهابِ ضَوئِها جُعِلَت في كارَةٍ.

وقيلَ: يُنزَعُ ضَوؤها بتكويرِ[2] ليلِها على نهارِها.

ويحتمِلُ أنَّ تكويرَها: جَمعُها ولَفُّها معَ القَمرِ، مِن قوله: ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ﴾ [القيامة: ٩]، ولهذا لم يُذكَرِ القَمرُ في هذهِ الآياتِ[3].

* * *

(٢) ـ ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ﴾.

﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ﴾: تناثَرَتْ وانصبَّتْ وتهافتَتْ؛ مِن قولِ الشَّاعرِ:

آنَسَ خِرْبانَ فضاءٍ فانكَدَرْ[4]

ومثله: ﴿وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ﴾ [الانفطار: ٢].

---

(١) في (ف): «جهة».

(٢) في (ف): «فيكور».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣١١)، واستغربه.

(٤) الرجز للعَجَّاج يمدح عمر بن معمر التيمي، وهو في «ديوانه» (ص: ٨٣)، و«الأزمنة وتلبية الجاهلية» لقطرب (ص: ٣٠)، و«مجاز القرآن» (٢/ ٢٨٧)، و«تفسير الطبري» (٢٤/ ١٣٢)، و«الزاهر» لابن الأنباري (١/ ٤٢٣). و«خِربانٌ» بكسر الخاء المعجمة وسكون الراء المهملة: جمع خَرَبٍ بفتحتين، وهو ذكَر الحُبَارى وهي طائر معروف. انظر: «حاشية الشهاب على البيضاوي» (٨/ ٣٢٦). وقوله: «فانكدر» كتب فوقه في (ن): «هوى».

وقيلَ: ذهبَ ضَوؤُها، مِن كَدَرْتُ الماءَ فانكدَرَ[١].

***

(٣) ـ ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾.

﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾؛ أي: عَن وَجهِ الأَرْضِ، فصارَتِ الأَرضُ كما كانَتْ قَبلَ خَلقِ الجبالِ.

***

(٤) ـ ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾.

﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾: جمعُ عُشَرَاءَ؛ كنِفَاسٍ: جمعُ نُفَساءَ، وهي التي أتى على حَملِهَا عَشرَةُ أَشهُرٍ، وذلكَ أحبُّ الأَموالِ إليهِم، عَطَّلَها أربابُها وأهملَها أصْحابُها لِفظاعَةِ ما يَحلُّ بهِم، وهذا مَثَلٌ.

وقيلَ: ﴿ٱلْعِشَارُ﴾: السَّحابُ عُطِّلَتْ عنِ[٢] المطرِ.

وقيلَ: ﴿ٱلْعِشَارُ﴾ الأَرضُ عُطِّلَتْ عَن الحرثِ والزَّرعِ[٣].

***

(٥) ـ ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾.

﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾: ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: حَشرُ الوُحوشِ مَوتُها[٤].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣١١)، واستغربه.

(٢) في (ف): «من».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣١٢)، وعده من العجائب.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٣٦)، والحاكم في «المستدرك» (٣٩٠١)، وصححه.

وقيلَ: تُحشَرُ في الدُّنيا، فتُجمَعُ الوحوشُ المتعاديَةُ، فلا يَضرُّ بعضُها بعضًا مِن هَولِ ذلكَ اليَومِ(١).

وقيلَ: تُحشَرُ لِتصديقِ الوَعدِ بالإحياءِ؛ لأنَّ اللهَ حكَمَ بإحياءِ كلِّ مَيتٍ، وجاءَ في الحديثِ: أنَّها تُحشَرُ للقِصاصِ في الموقِفِ، فتقتَصُّ الجمَّاءُ مِن القَرناءِ، ثمَّ تصيرُ ترابًا(٢).

ومِنهُم مَن قالَ: إنَّ القِصاصَ سَاقِطٌ عنها فلا يُؤلِم بعضُها بَعضًا، وأمَّا ما ينالها مِن الآلامِ والشَّدائِدِ فإنَّها لا محالةَ تُعوَّضُ عَنها.

ثم إنَّ مِنهم مَن يقولُ: إنَّها تُعَوَّضُ في الدُّنيا، ومِنهم مَن يقولُ: في الآخرةِ، ومِنهُم مَن يقولُ: في الجنَّة.

وقال بعضُهُم: يخلقُ اللهُ لها رياضًا فترْعَى فيها.

وقال بعضُهُم: يعني: ما ليسَ لأهلِ الجنَّةِ في لقائِها أُنسٌ، وما كان لهم في لِقائِها أو صَوتِها أُنسٌ يُدخِلُها اللهُ الجنَّةَ(٣).

* * *

(٦) ـ ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾.

﴿وإذا البحار سُجِرَتْ﴾: أُحمِيَتْ وأُوقِدَتْ نارًا، ومَن شدَّدَ(٤) أرادَ: مرَّةً بعدَ أُخرى، وكذلكَ مَا بعدَها إذا قُرِئَ بالتَّشديدِ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣١٢)، واستغربه.

(٢) روى مسلم (٢٥٨٢) عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ، قال: «لتؤدَّنَّ الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣١٢)، وعده من العجائب.

(٤) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بالتخفيف، والباقون بالتشديد. انظر: «السبعة» (ص: ٦٧٣)، و«التيسير» (ص: ٢٢٠).

وقيلَ: معنى ﴿سُجِرَتْ﴾: مُلِئَت ففاضَتْ، والسَّجْرُ: المَلْءُ.

وقيلَ: يَبِسَت وغاضَت ولم يبقَ فيها قَطرةٌ.

وقيلَ: ﴿سُجِرَتْ﴾: خُلِطَت؛ أي: العذبُ بالملحِ، وأُحميَتْ، وجُعِلَت شرابًا لأَهلِ النَّارِ، والسَّجيرُ: الخَليطُ.

* * *

(٧) ـ ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾.

﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ الجمهورُ: أُعيدَتِ الأَرواحُ إلى الأبدانِ.

وقيلَ: أُلحِقَ كلُّ أَحدٍ بجنسِهِ وشَكلِه، مِن قوله: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾ [الصافات: ٢٢].

وقيلَ: يجمَعُ بينَ المرءِ وزوجتِهِ التي يهواها، من قوله: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾ [الزخرف: ٧٠].

وقيلَ: زُوِّجَت معَ أعمالِها.

وقيلَ: هوَ مِن قولِه: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً﴾ [الواقعة: ٧].

* * *

(٨ ـ ٩) ـ ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾.

﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ كانت العَرَبُ تَئِدُ البناتِ خَشيَةَ الإملاقِ وخوفَ الاسترقاقِ.

و﴿ٱلْمَوْءُۥدَةُ﴾: هي المدفونةُ حيَّةً، وسُؤالُها تَهديدٌ لوائِدِها؛ كما قُلنا في قصَّةِ عيسى عليهِ السَّلامُ: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ﴾ [المائدة: ١١٦]؛ أي: يُنتَصَفُ لها ويُطلَبُ دَمُها.

قتادةُ: الضَّميرُ يعودُ إلى القَتَلَةِ، أي: يُسأَلُ القَتَلَةُ: لمَ قَتلوها[1]؟

وقيلَ: أرادَ بالموءودَةِ: الوَائِدَ[2].

وقيلَ: وإذا المَوءودَةُ طُلِبَت حتى تدَّعيَ على الوائِدِ؛ مِن قولهم: سَألْتُ حقِّي؛ أي: طَلبتُهُ مِنهُ.

وقرئَ في الشواذِّ على وُجوهٍ لا يُؤخَذ بها.

***

(١٠) ـ ﴿ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ ﴾.

﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ﴾؛ أي: كتبُ الأَعمالِ تُنشَرُ؛ لِيَقِفَ كلٌّ على ما عَمِلَه بقراءَةِ كتابِهِ.

وقيلَ: ﴿نُشِرَتۡ﴾: فُرِّقَت بكثرةٍ، فأعطِيَتْ أصحابَها.

وقيلَ: فيكونُ الكِتابُ كالذرَّةِ أو كالخردَلَةِ.

***

(١١) ـ ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ﴾.

﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ﴾: نُزِعَت وطُوِيَت[3].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٤٧) بلفظ: «هي في بعض القراءات: سألَتْ بأيِّ ذنب قُتِلْتُ لا بذنب».
ونسبت هذه القراءة لعلي وابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم، وعشرة من أصحاب رسول الله ﷺ. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦٩)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣١٢)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣١٢)، وعده من العجائب.

(٣) في (ن): «فطويت».

الزَّجَّاجُ: قُلِعَت كما يُقلَعُ السَّقفُ[1].

ابنُ عيسى: الكَشْطُ: القَلْعُ عن شدَّةِ التزاقٍ[2].

وقيلَ: يُنزَعُ ما فيها مِن الشَّمسِ والقمَرِ والنُّجُومِ.

***

(١٢) ـ ﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾.

﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾: أُوقِدَت وأُلهِبَت.

وقيلَ: سعَّرَها غَضبُ اللهِ مِن خَطايا بني آدمَ.

***

(١٣) ـ ﴿وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾.

﴿وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾: قُرِّبَت مِن مُستحقِّيها، والإزلافُ: الإدناءُ إلى المَحبوبِ.

***

(١٤) ـ ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾.

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ هذا جوابُ ﴿إذا﴾.

قالَ ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: إنها اثنتَا عَشرةَ؛ سِتٌّ مِنها في الدُّنيا، وسِتٌّ في الآخرةِ[3].

والمعنى: أنَّها تُجازَى على عَملِها فتعلَمُهُ حاصلًا موجودًا.

قوله: ﴿مَّآ أَحْضَرَتْ﴾: جاءَتْ بهِ وفعلَتْهُ، ويحتمِلُ: مِن حُجَّةٍ وعُذرٍ فيما يُسأَلُ عنهُ.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٩١).

(٢) ذكره ابن فورك في «تفسيره» (٣/ ١٦٠) بلا نسبة.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٨/ ٤٩٠)، وذكره الزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٧٠٩) بلا نسبة.

(١٥) ـ ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ﴾.

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ﴾ (لا): صِلةٌ، وتأكيدٌ، وردٌّ، ونفيٌ للإقسامِ؛ كما سبقَ.

﴿بِٱلۡخُنَّسِ ١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ﴾ الخُنَّسُ: جمعُ خانِسٍ، والكُنَّسُ: جمعُ كانِسٍ.

والخَنَسُ: التأخُّرُ، والأَخْنَسُ: المتأخِّرُ الأَنفِ.

والكَنْسُ: الدُّخولُ في الكِناسِ، وهو بيتٌ تتخذُهُ الوُحوشُ من أغصانِ الشَّجرِ.

والمرادُ بها النُّجومُ عندَ أكثرِهِم؛ أي: تجري دائمًا، وخُنوسُهَا: غَيبوبَتُها نهارًا، وكَنسُها: دُخولُها مَغاربها[١].

وقيلَ: هُم الملائِكَةُ لأَنَّها تخنسُ فلا تُرى.

الفرَّاء: هي النُّجومُ الخمسَةُ: بهرامٌ وزُحَلُ وعُطارِدٌ والزُّهرَةُ وبرجيسُ؛ أي: المشتري[٢].

ابنُ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ: هي بقرُ الوَحْشِ[٣].

وقيلَ: الخُنَّسُ: البقَرُ، والكُنَّسُ: الظِّباءُ[٤].

* * *

---

(١) في (ن): «مغارتها».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٤٢).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٥١٤)، وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٦/ ١٦٣)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٥٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٩٠٦٣)، والحاكم في «المستدرك» (٣٩٠٣)، وصححه.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣١٣)، واستغربه.

(١٧) ـ ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ﴾.

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ﴾: أقبـلَ بظلامِـهِ، وقيلَ: أدبـَرَ، وحقيقَتُهُ: أظلَـمَ، والظَّلامُ بعدَ العتمـةِ وقبلَ الفجرِ أشـدُّ منـهُ في بُهـرَةِ اللَّيلِ(١).

***

(١٨) ـ ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾.

﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾: أضاءَ.

الزَّجَّاجُ: هوَ امتدادُهُ حتَّى يَصيرَ نهارًا(٢).

المبردُ: تقولُ العَربُ: تنفَّسَ الصُّبحُ عَن ريحانه(٣)؛ أي: عَن نَسيمِهِ.

***

(١٩) ـ ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾.

﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾ جوابُ القَسمِ، وهو ممتَدٌّ إلى آخرِ السُّورَةِ، فالسُّورَةُ مُشتمِلَةٌ على فِعلٍ وفاعِلٍ وقَسمٍ وجَوابٍ(٤).

والرَّسولُ الكَريمُ: جِبريلُ عليهِ السَّلامُ.

وقيلَ: محمَّدٌ ﷺ.

ومعنى ﴿قول رسول﴾: وحيُهُ وتَنزيلُهُ، والقُرآنُ قولُ اللهِ وحيًا، وقولُ جِبريلَ تَنزيلًا، وقَولُ محمَّدٍ ﷺ إنذارًا وإبلاغًا.

---

(١) بهرة الليل: وسطه. انظر: «غريب الحديث» للخطابي (٢/ ٢٣٢).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٩٢).

(٣) في (ن): «ديجانهم».

(٤) في (ف) زيادة: «والله أعلم».

(٢٠) ـ ﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾.

﴿ذِى قُوَّةٍ﴾ مِن صِفةِ الرَّسولِ؛ أي: قويٌّ في نفسِهِ، ومِن قُوَّةِ جِبريلَ قلعُ المؤتفِكَاتِ بقوادِمِ جَناحِهِ.

وقيلَ: قويٌّ على طاعَةِ اللهِ تعالى.

وقيلَ: القُوَّةُ: المنزِلَةُ، تقولُ: قَوِيَ أمرُ فُلانٍ عندَ السُّلطانِ؛ أي: صارَتْ له مَنزلةٌ.

وعلى هذينِ القَولينِ يجوزُ أنْ يَكونَ صِفةً للنبيِّ ﷺ.

﴿عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ﴾ هوَ اللهُ تعالى ﴿مَكِينٍ﴾: ذي مكانةٍ ومنزلةٍ وقَدْرٍ.

* * *

(٢١) ـ ﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾.

﴿مُّطَاعٍ﴾: تُطيعُهُ الملائِكَةُ فيما يأمرُهُم بهِ وينهاهُم عَنهُ، وطاعتُهُ واجِبةٌ على أهلِ السَّماواتِ كطاعةِ النبيِّ على أهلِ الأَرضِ.

وقيلَ: إذا دعا استُجِيبَ دعوتُهُ، والطَّاعةُ هاهنا: الإسعافُ، مِن قولِه: ﴿وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨]، فإنَّ الطَّاعةَ جوابُ الأَمرِ، والإسعافَ جوابُ المسألةِ.

﴿ثَمَّ أَمِينٍ﴾ على الوَحيِ لا يخونُ، وقوله: ﴿ثَمَّ﴾ إشارةٌ إلى مَسكنِ الملائكةِ، وهو السَّماءُ.

* * *

(٢٢) ـ ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾.

﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ﴾ محمَّدٌ ﷺ ﴿بِمَجْنُونٍ﴾ كما زعمَ السُّفهاءُ، وهو عَطفٌ على جَوابِ القَسمِ، وكذلك:

(٢٣) ـ ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾.

﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ﴾: رأى محمَّدٌ جبريلَ عليهِمَا السَّلامِ على صُورَتِهِ[1].

﴿بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ الأُفُقُ: أَحدُ أَرجاءِ السَّماءِ، وجمعُهُ: آفاقٌ، والمرادُ به هاهنا: مطلِعُ الشَّمسِ، عن مجاهدٍ وقتادةَ[2].

الحسنُ: رآهُ في الهواءِ إذ[3] كانتِ الأَرضُ لا تسعُهُ.

وقيلَ: الأُفقُ السَّماءُ.

وقيلَ: رآهُ بأَجيادٍ وهوَ مَشرِقُ مكَّةَ[4].

و﴿ٱلْمُبِينِ﴾ صِفَةٌ للأفقِ، وقيلَ: صِفةٌ لِمَن رآهُ. وفيه بُعدٌ.

أبو الدَّرداءِ: رآه بقلبِهِ[5]. وهذا أبعَدُ[6].

---

(١) اختلف المفسرون في هذه الآية؛ فقال بعضهم: رأى جبريل، وقال بعضهم: رأى ربه عز وجل، والاختلاف الذي سيذكره المصنف مبني على هذا الاختلاف.

(٢) ذكره عنهما الثعلبي في «تفسيره» (٢٨/ ٤٩٩)، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٥٢١)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٦٦) عن قتادة، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٦٦) عن مجاهد بلفظ: «بأفق من نحو أجياد».

(٣) في النسختين: «إذا»، والتصويب من «غرائب التفسير» (٢/ ١٣١٣).

(٤) ذكره المصنف هذه الأقوال الثلاثة في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣١٣) واستغربها.

(٥) لم أقف عليه عن أبي الدرداء إلا عند المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣١٣)، ورواه ابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٥١٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢١٩)، والدارقطني في «الرؤية» (٢٥٨)، عن أبي ذر رضي الله عنه. وروى عنه مسلم (١٧٨) أنه قال: سألت رسول الله ﷺ، هل رأيت ربك؟ قال: «نور أنى أراه».

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣١٣)، وعده من العجائب.

(٢٤) ـ ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾.

﴿وَمَا هُوَ﴾: وما محمَّدٌ عليهِ السَّلامُ ﴿عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾: على الوَحيِ ﴿بظَنِينٍ﴾: بمتَّهَمٍ؛ أي: يجبُ أنْ لا يُتَّهَم بزيادةٍ ونُقصانٍ فيما أتى بهِ.

وحكى الفرَّاءُ: أنَّ بعضَهُم جعلَهُ بمعنى الضَّعفِ[1]، مِن قَولِهِم: رأيٌ ظَنينٌ وظَنونٌ: ضَعيفٌ، وبئرٌ ظَنونٌ: قليلٌ ماؤُها.

وقيلَ: هو من[2] صِفَةِ جبريلَ.

ومَن قرأَ بالضَّادِ[3] فهو النبيُّ ﷺ؛ أي: ليسَ ببخيلٍ يطلُبُ حُلوانًا على ما يُعلِّمُ فعلَ الكاهِنِ في إعلامِهِ.

***

(٢٥) ـ ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ﴾.

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ﴾: طَريدٍ، مِن قولِهِ ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ [الشعراء: ٢١٠].

***

(٢٦) ـ ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾.

﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾؛ أي: عنِ الحقِّ حينَ تَصِفونَ محمَّدًا بالجنونِ، والقرآنَ بأنَّه قولُ شيطانٍ رجيمٍ؟

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٤٣)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣١٣)، واستغربه.

(٢) «من» من (ف).

(٣) قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي بالظاء، والباقون بالضاد. انظر: «السبعة» (ص: ٦٧٣)، و«التيسير» (ص: ٢٢٠).

المبـرِّدُ: يقـالُ لِمَن عـدَلَ عن الحقِّ وتتبَّـعَ بُنيَّاتِ الطَّريـقِ[١]: أينَ تذهَـبُ، وأينَ يُذهَـبُ بكَ؟

ابنُ عيسى: أيَّ طريقٍ تسلكونَ أهدَى لكُمْ وأَرشَدُ[٢]؟

وقيلَ: أينَ تَذهبُونَ عَن عَذابِ اللهِ أو عَن ثَوابِ اللهِ.

* * *

(٢٧ ـ ٢٨) ـ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾.

﴿إِنْ هُوَ﴾: ما القُرآنُ ﴿إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾: تذكيرٌ للخَلقِ كلِّهم، ثمَّ أَبدَلَ فقال: ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾؛ أي: القرآنُ نذيرٌ[٣] لِمَن أحبَّ الاستقامَةَ.

* * *

(٢٩) ـ ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾؛ أي: مَـن اسـتقامَ فللـه المنَّـةُ عليـهِ؛ لأنَّـهُ شـاءَ اسـتقامَتَهُ.

الزجَّاجُ: لا تقدرونَ على مَشيئَةِ الاستقامَةِ إلا بتوفيقِ اللهِ[٤].

قالَ ابنُ جريرٍ: لمَّا نزلَتْ ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ قالَ أبو جهلٍ: ذلكَ إلينا إنْ شِئنا استقَمْنا وإنْ لَم نَشأْ لم نستقِم، فأنزلَ اللهُ تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾[٥]؛

---

(١) في (ف): «الطرق».

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٢١٩).

(٣) في (ف): «يدبِّر».

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٩٣).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٧٢) عن سليمان بن موسى، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» =

أي: لا تَقدِرُونَ على الاستقامَةِ إلا بمشيئَةِ اللهِ ذلكَ وبتوفيقِهِ.

﴿رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: مالكُ الخَلقِ أَجمعينَ.

* * *

= (٣٥٢٥) عن القاسم بن مخيمرة، ورواه ابن بطة في «الإبانة» (١٨١١) عن سعيد بن عبد العزيز، و(١٨٩٧) عن سليمان بن موسى.

سُورَةُ الانفِطَارِ

تسعَ عشرَةَ آيةً[1]، مكِّيَّةٌ.

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) - ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ﴾.

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ﴾: تقطَّعَتْ في بدءِ ما يُريدُ اللهُ إفناءَها.

الزَّجَّاجُ: تشقَّقَت بالغَمامِ[2].

وقيلَ: سقَطَتْ.

***

(٢) - ﴿وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ﴾.

﴿وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ﴾: تَساقَطَتْ مُتفرِّقَةً في الجِهاتِ لا ضَوءَ لها.

***

(٣) - ﴿وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ﴾.

﴿وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ﴾ زال الحاجِزُ بينهما، وهي سَبعَةٌ فصارَتْ بحرًا واحدًا.

وقيلَ: إذا امتزجَ العَذبُ بالملحِ.

---

(١) في (ن): «تسع عشر آية»، وهي ليس في (ف)، والصواب المثبت.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٩٥)، وفيه: «أي: انشقت، تتشقق السماء يوم القيامة بالغمام».

الحسنُ: يبسَتْ[١].

وقيلَ: جُمِعَت مِياهُها في بَطنِ البقرِ الذي عليهِ الأَرضُ.

***

(٤) ـ ﴿وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾.

﴿وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾: جُعِلَ أسفلُها أعلاها، وقُلِبَ تُرابُها بإخراجِ مَوتاهَا.

وقيلَ: يخرجُ ذهبُها وفِضَّتُها ـ وهيَ مِن أشراطِ السَّاعةِ ـ ثمَّ مَوتاهَا.

***

(٥) ـ ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾.

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ هذا جوابُ ﴿إذا﴾، أي: عَلِمَ كلُّ نفسٍ ما قدَّمَت مِن خيرٍ وشَرٍّ وأَخَّرتْ مِن سُنَّةٍ عُمِلَ بها.

وقيلَ: ﴿مَّا قَدَّمَتْ﴾ فعَمِلَت بهِ ﴿و﴾ما ﴿أَخَّرَت﴾ فلَم تعمَلْ بهِ.

وقيلَ: ذلكَ عِبارةٌ عَن جميعِ أَحوالِهِ وأَعمالِهِ، وقد سبَقَ.

***

(٦) ـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾؛ أي: خَدعَكَ وسوَّلَ لكَ حتى أَضعْتَ مَا

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٢٢٠)، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٥٢٦)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٧٤) بلفظ: «فجر بعضها في بعض، فذهب ماؤها».
ورواه عن الحسن باللفظ المذكور الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٤٠) لكن في قوله: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: ٦].
وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣١٥)، واستغربه.

يجِبُ عليكَ، والمعنى: ما الذِي حملَكَ على هذا معَ ربٍّ كريمٍ قد أنعَمَ عليكَ بالخلقِ والتَّسويَةِ والتَّعديلِ؟

وقيلَ: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ﴾؛ أي: أغفلَكَ عنهُ، تقولُ العربُ: ما غرَّكَ مِنِّي؟؛ أي: لِمَ وَثِقْتَ بي؟ و: مَا غرَّكَ بي؛ أي: ما أجرأَكَ عليَّ؟ و: ما غرَّكَ عنِّي؛ أي: أغفلَكَ؟ والغِرَّةُ: الغفلَةُ.

والمعنى: ما حملَكَ على الغُفولِ عَن طاعةِ رَبٍّ خَيرُه عندَكَ كَثيرٌ؟

عن ابنِ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما قالَ: نزلَتْ في أُبيِّ بن خلفٍ(١).

وقيلَ: في أبي الأشدِّ بن كَلَدَةَ(٢).

وقيلَ: في الأعوَرِ بن أسيد بن خلفٍ(٣).

وقيلَ: عامٌّ في جميعِ الكفارِ.

وعنِ النَّبيِّ ﷺ أنه قرأ هذهِ الآيَةَ ثمَّ قالَ: «جَهْلُهُ»، رواهُ الثعلبيُّ(٤).

---

(١) رواه ابن المنذر عن عكرمة كما في «الدر المنثور» (٨/ ٤٣٩)، وكذا ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٢٢١)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٤١٠).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٦١٣)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٢٢١) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وذكره الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٢٩٣) عن الكلبي.

(٣) لم أجد من ذكره هكذا، وقد جاء في «تفسير مقاتل» (٤/ ٦١٣): «نزلت في أبي الأشدين، اسمه أسيد بن كلدة، وكان أعور...»، وهذا هو نفسه المذكور في القول السابق، فإنه يقال له: أبو الأشد وأبو الأشدين، ويقال: كلدة بن خلف الجمحي، كما ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٣٦٤)، فلعله تصحف على المؤلف أو على من نقل عنه المؤلف.

(٤) رواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ١٥١)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ١٢)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٤٣٥)، عن صالح بن مسمارٍ، قال: بلَغَنا أنَّ رسولَ الله ﷺ تلا هذه الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ فقال: «جَهْلُهُ». وهو مرسل، صالح بن مسمار بصري روى عن الحسن وابن سيرين.

مقاتلٌ: غرَّهُ عفوُ اللهِ حينَ لم يَعْجَلْ عليهِ بالعُقوبَةِ[١].

وقالَ آخر: غرَّهُ كرَمُ الكَريمِ[٢].

* * *

(٧) ـ ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ﴾: جمعَ فيكَ كلَّ فَضيلَةٍ كقولِهِ: ﴿خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤].

﴿فعدَّلك﴾ بالتَّشديدِ: قوَّم خلقَكَ، و﴿فَعَدَلَكَ﴾[٣] بالتَّخفيفِ؛ أي: عدَلَ بعضَكَ ببعضٍ فكُنتَ مُعتدِلَ الخِلقَةِ مُتناسِبًا[٤].

* * *

(٨) ـ ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾.

﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ﴾ مِن دَميمٍ وجَميلٍ وقَصيرٍ وطَويلٍ ﴿رَكَّبَكَ﴾.

---

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٤٣٤)، والمصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣١٥)، واستغربه. وفي «تفسير مقاتل بن سليمان» (٤/ ٦١٣): «غره الشيطان»، فلعل المراد بقائل القول المذكور مقاتل بن حيان.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣١٥)، واستغربه، قال ابن كثير في «تفسيره» (٨/ ٣٤٢) عند هذه الآية: «وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ هذا تهديد، لا كما يتوهمه بعض الناس من أنه إرشاد إلى الجواب حيث قال: ﴿ٱلْكَرِيمِ﴾ حتى يقول قائلهم: غره كرمه، بل المعنى في هذه الآية: ما غرك يا ابن آدم بربك الكريم ـ أي: العظيم ـ حتى أقدمت على معصيته وقابَلْته بما لا يليق؟».

(٣) قرأ حمزة والكسائيُّ وعاصم بالتخفيف، والباقون بالتشديد. انظر: «السبعة» (ص: ٦٧٤)، و«التيسير» (ص: ٢٢٠).

(٤) في (ف): «مناسبًا».

وقيلَ: إلى صورةِ خالِكَ أو عَمِّكَ أو قَريبٍ مِنكَ أو غَريبٍ.

وفي ﴿مَّا﴾ وجهانِ:

أحدُهُما: أنْ تكونَ صِلَةً؛ أي: في أيِّ صورةٍ شاءَها.

الثاني: ﴿مَّا﴾ شرطٌ، و﴿شَآءَ﴾ في محلِّ الجزمِ، و﴿رَكَّبَكَ﴾ جزاءُ الشَّرطِ، فلا تكونُ ﴿فِيٓ﴾ صِلةً لـ﴿رَكَّبَكَ﴾؛ لأنَّ ما بعدَ الشَّرطِ لا يتقدَّمُ عليهِ، ولا يجوزُ أَنْ تكونَ صِلةً لـ﴿عدلك﴾ لأنَّ (أيًّا) للاستفهامِ، ولا يعمَلُ في الاستِفهامِ ما قبلَهُ، فهو إذًا مُتَّصلٌ بمضمَرٍ.

* * *

(٩) ـ ﴿كَلَّا بَلۡ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ﴾.

﴿كَلَّا﴾ ردعٌ عَنِ الغفلَةِ عنِ اللهِ والاغترارِ، ﴿بَلۡ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ﴾؛ أي: بَلْ ستغفلونَ عنِ الحقِّ والإسلامِ، وتغترُّونَ بالأَباطيلِ، وتُكذِّبونَ بالبعثِ والجزاءِ والعَدلِ والقَضاءِ.

* * *

(١٠ ـ ١٢) ـ ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ﴾.

﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ﴾؛ أي: ملائِكةٌ حَفَظَةٌ كِرامٌ على اللهِ كتبَةٌ لا يَخْفَى عليهِم شيءٌ مِن أَفعالِ بني آدمَ، ولَولا أنَّهُ يُبعَثُ ويُجازَى على أعمالِهِ لَمَا كانَ يُكتَبُ لهُ وعليهِ أفعالُه.

وقيلَ: كرامٌ يُسارعونَ إلى كَتبِ الحسناتِ، ويتوقَّفونَ في كتبِ السَّيئاتِ رجاءَ أنْ يَستغْفِرَ ويتوبَ، فيكتبونَ الذَّنبَ والتَّوبَةَ معًا.

* * *

(١٣ ـ ١٥) ـ ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾.

﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ﴾؛ أي: المؤمنينَ ﴿لَفِى نَعِيمٍ﴾: في الجنَّةِ ولذَّاتِها، ﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ﴾: الكفَّارَ ﴿لَفِى جَحِيمٍ﴾: في النَّارِ والمهادِ، و(إنَّ) واللَّامُ يأتيانِ[1] للحَالِ، لكن المعنى على الحُكمِ والاستحقَاقِ.

﴿يَصْلَوْنَهَا﴾: يقاسونَ حرَّها، وقيلَ: يَصِيرونَ صَلاهَا؛ أي: حَطبَها.

﴿يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾: يومَ الحِسابِ والجَزاءِ.

***

(١٦) ـ ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ﴾.

﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ﴾: لا يُخْرَجونَ مِنها ولا يَغيبُونَ عَنها.

***

(١٧ ـ ١٨) ـ ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ استِفهامٌ على وَجهِ التَّعجيبِ[2]، والتَّكرارُ للتَّأكيدِ.

وقيلَ: أحدُهُما في حقِّ الكفَّارِ والآخرُ في حَقِّ المؤمنينَ.

***

(١٩) ـ ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾.

﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا﴾: جذبَ منفعةٍ أو دفعَ أَذِيَّةٍ.

---

(١) في (ف): «ثابتان».

(٢) في (ن): «التعجب».

﴿وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ﴾؛ أي: لا يخلِّي اللهُ في القِيامَةِ بينَ أَحدٍ وبينَ المُلْكِ والتَّغلُّبِ كما خلَّى في الدُّنيا، ولا يجعَلُ المُلْكَ لأَحدٍ كما جعلَهُ لِغيرِ واحدٍ في الدُّنْيا.

* * *

سُورَةُ المُطَفِّفِينَ

ستٌّ وثلاثونَ آيةً[1]، مكيَّةٌ.

الحسنُ: مَدنيَّةٌ[2].

مقاتلٌ: هي أولُ سورَةٍ نزلَتْ بالمدينَةِ[3].

وقيلَ: نزلَتْ بينَ مكَّةَ والمدينَةِ[4].

---

(١) «ست وثلاثون آية»: ليس في (ف).

(٢) لم أقف عليه عن الحسن، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ٢٩) دون نسبة.

(٣) ورواه الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٣) عن علي بن الحسين، وذكره الداني في «البيان» (ص: ٢٦٧)، والسمعاني في «تفسيره» (٦/ ١٧٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) ذكره هبة الله بن سلامة في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ١٩٥)، وابن حزم في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٦٤) دون نسبة.

وقد ذكر ابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٤١٣) الاختلاف فيها فقال: فيها ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها مكِّيَّة، قاله ابن مسعود والضَّحَّاك ويحيى بن سلام.

والثاني: مدنيَّة، قاله ابن عباس والحسن وعكرمة وقتادة ومقاتل، إلَّا أنَّ ابن عباس وقتادة قالا: فيها ثمان آيات مكيّة، من قوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ﴾ [المطففين: ٢٩] إلى آخرها. وقال مقاتل: فيها آية مكِّيَّة، وهي قوله عزّ وجلّ: ﴿إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [القلم: ١٥].

والثالث: أنها نزلت بين مكّة والمدينة، قاله جابر بن زيد وابن السّائب، وذكر هبة الله بن سلامة المفسِّر: أنها نزلت في الهجرة بين مكَّة والمدينة؛ نصفها يقارب مكَّة، ونصفها يقارب المدينة.

بسم الله الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ﴾.

﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ﴾ عن ابنِ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما قالَ: كانَ أهلُ المدينةِ مِن أخبَثِ النَّاسِ كيلًا إلى أنْ أنزَلَ اللهُ تعالى: ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ﴾، فأحسَنُوا الكَيلَ، فهُمْ أَوفى النَّاسِ كيلًا إلى يومِهم[١].

قالَ السُّدِّيُّ: قَدِمَ رسولُ اللهِ ﷺ المدينةَ وبها رَجلٌ يقالُ لهُ: أبو جُهينَةَ، ومعَهُ[٢] صاعانِ يكيلُ بأحدِهما ويكتالُ بالآخرِ، فنزلَتْ فيهِ ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ﴾[٣].

﴿وَيۡلٞ﴾ اسمُ وادٍ في جهنَّمَ، عن ابنِ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما[٤].

أبو عبيدةَ: هي كلمَةٌ تستعمَلُ لِمَن لا يُرجى فَلاحُهُ، وتَدخُلُه الألِفُ واللَّامُ نحوُ قولِه: ﴿وَلَكُمُ ٱلۡوَيۡلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١٨]، خِلافًا للمبرِّدِ فإنَّهُ زعمَ أنَّ الألفَ واللامَ لا تَدخُلَانهِ[٥].

---

(١) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١١٥٩٠)، وابن ماجه (٢٢٢٣)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٩١٩).

(٢) في (ف): «وله».

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ٣٧)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٥٢).

(٤) رواه عن ابن عباس رضي الله عنهما أسد بن موسى في «الزهد» (١٦). ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٩١١٤)، والبيهقي في «البعث والنشور» (٤٦٧) عن ابن مسعود رضي الله عنه.
وروي مرفوعًا من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه بلفظ: «الويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره»، رواه الترمذي (٣١٦٤)، وقال: «هذا حديث غريب، لا نعرفه مرفوعًا إلا من حديث ابن لهيعة».

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣١٧)، واستغربه.

والمطفِّفُ: المقلِّلُ حقَّ صاحبِ الحقِّ عمَّا لهُ مِن التَّمامِ، مُفَعِّلٌ مِن الطَّفيفِ[(١)]؛ كالمحقِّرِ من الحقيرِ.

ابنُ عيسى: تقولُ طفَّ الشَّيءُ يطِفُّ ويَطُفُّ؛ إذا نقصَ، فهوَ طَفيفٌ، وطفَّفَه غيرُه: إذا جعلَهُ ناقصًا.

قالَ الزَّجَّاجُ: إنَّما قيلَ له: مطفِّفٌ؛ لأنَّهُ لا يكادُ يَسْرِقُ[(٢)] في الميزانِ والكيلِ إلَّا الشَّيءَ الطَّفيفَ، وإنَّما أُخِذَ مِن طفِّ الشَّيءِ، وهو جانِبُه[(٣)].

وطفَّ الصَّاعُ: قَرُبَ مَلْؤُه[(٤)]، وإناءٌ طَفَّانُ: إذا لَم يَكُن مملوءًا.

* * *

(٢) ـ ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ﴾؛ أي: إذا كالوا لأنفُسِهِم يأخذونَ مِن النَّاسِ حُقوقَهُم وافيةً تامَّةً، و(مِن) و(على) يَصْحَبانِ هاهنا لأنَّهُ حقٌّ عليهِ.

* * *

(٣) ـ ﴿وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ﴾.

﴿وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ﴾؛ أي: كالوا لَهُم أو وَزَنُوا لَهُم الطَّعامَ، فحُذِفَ الجارُّ، وحذفُ الجارِّ مِن المفعولِ الثَّاني أكثرُ، وقد جاءَ مِن الأوَّلِ أيضًا، قالَ:

ولقَدْ جَنيتُكَ أكمُؤًا وعَساقِلًا ... ولقَدْ نهيتُكَ عَن بناتِ الأَوْبَرِ[(٥)]

---

(١) في (ف): «التطفيف».

(٢) في (ف): «يُسْرِفُ» وهكذا ضبطت، والمثبت من (ن)، وهو الموافق لما عند الزجاج.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٩٧).

(٤) في (ف): «وطف الصاع ظرف ملئه».

(٥) البيت بلا نسبة في «العين» (٢/ ٢٩٠)، و«الجيم» لأبي عمرو الشيباني (٢/ ٣٣٣)، و«شرح =

أي: جنيتُ لك. وقيلَ: (هم) رفعٌ بالبدلِ، وهو يستدعي إِثباتَ الألفِ، وهذا القولُ مَروِيٌّ عَن بعضِ القُرَّاءِ(١).

والمعنى: إذا استوفَى لنفسِهِ أتمَّهُ وإذا أعطى غيرَهُ نقصَهُ، والوعيدُ على الثاني دونَ الأوَّلِ.

وقيلَ: عليهِما جميعًا.

وقيلَ: الوعيدُ لاحِقٌ بمَن طفَّفَ مقدارَ خمسَةِ دراهِمَ أو عزَمَ على تَطفيفِ ذلكَ القَدْرِ، وكلُّ مَن نقصَ حقَّ اللهِ مِن زكاةٍ وصَلاةٍ وصَومٍ فهوَ داخِلٌ تحتَ الوَعيدِ.

ولم يذكَرْ في الأوَّلِ الوَزنُ اكتفاءً بالثاني.

قوله ﴿يُخْسِرُونَ﴾؛ أي: يُنقصونَ، وخَسِرَ وأَخْسَرَ لغتانِ.

***

(٤ ـ ٥) ـ ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: لِمَجيءِ يومٍ عَظيمٍ؛ أي: ليسَ هذا فعلَ مَن يعلَمُ أنَّهُ يُبعَثُ ويُجازى.

ذهبَ بعضُهُم إلى أنَّهُ في الكفَّارِ فالظنُّ في موضِعِه، وذهبَ الحسنُ إلى أنَّهُ في المؤمنينَ، فيكونُ المعنى: أليسَ يعلمونَ أنَّهم يُبعَثُونَ فما عُذرُهُم في التَّطفيفِ(٢)؟

= نقائض جرير والفرزدق» لأبي عبيدة (١/ ٣٣٥)، و«الجراثيم» لابن قتيبة (٢/ ٦٩)، و«المقتضب» (٤/ ٤٨)، و«مجالس ثعلب» (ص: ١٠٦).

(١) وهو مذهب عيسى بن عمر الثقفي النحوي، فموضع (هم) على قول عيسى رفع على التوكيد، وأُسند إلى القاسم بن سلام قال: رأيتهما في «الإمام؛ مصحف عثمان رضي الله عنه» موصولتين بغير ألف، وهذا مذهب أئمة القراء فيهما. انظر: «الدر النثير» للمالقي (٤/ ٣٠١).

(٢) لم أجده، وروى البيهقي في «الزهد الكبير» (٩٧٨) عن الحسن وقد تلا هذه الآية أنه قال: «إن القوم =

(٦) ـ ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾؛ أي: يقومونَ مِن قُبورِهِم لِحُكمِ ربِّ العالمينَ بينَهُم[١]، فيقفونَ في العَرَصاتِ على أَرجُلِهم ينتظرونَ[٢] حُكْمَ اللهِ فيهم قَدْرَ ثلاثِ مئةِ عامٍ[٣]، لا يُكلِّمُهم أحدٌ حتى أنَّ أقلَّهُم رَشحًا يغيبُ فيه إلى أَنصافِ أُذُنيهِ[٤]، وقيلَ: أربعينَ سنةً.

و﴿يَوۡمَ﴾ نصبٌ بدلٌ من الأولِ مَحمولٌ على المحلِّ، وقيلَ: مبنيٌّ لإضافتِهِ إلى الجملَةِ، وهذا قولُ الكوفيِّينَ.

***

(٧) ـ ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٖ﴾.

﴿كَلَّآ﴾ ردعٌ[٥] عن التَّطفيفِ، وقيلَ: تأكيدٌ.

﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ﴾: صحائِفَ أعمالِهِم.

ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: أعمالَ الكفَّارِ[٦]، وقيلَ: أعمالَ الفُجَّارِ.

= والله لو ظنوا ذلك لقاربوا العدل».

(١) في (ف): «فيهم».

(٢) في (ف): «ينظرون».

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٥٣١)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٩٢) عن كعب.

(٤) روى البخاري (٤٩٣٨)، ومسلم (٢٨٦٢) عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾: حتى يغيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه».

(٥) في (ف): «رد».

(٦) في (ف): «أرواح الكفار». والمثبت من (ن)، وقد روى الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٩٤) عن ابن عباس قوله: «﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٖ﴾: أعمالهم في كتاب في الأرض السفلى».

أما على النسخة الأخرى فروى الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٩٣) أن ابن عباس قال لكعب =

﴿لَفِي سِجِّينٍ﴾ أبو عمرٍو: (سجينٌ): فِعِّيلٌ من السَّجنِ[١]. غيره: من الشِّدَّةِ.
كَعبٌ: تحتَ حدِّ إبليسَ؛ لأنَّهُ أضلُّهم[٢].
ابن عباسٍ: الأرضُ السَّابعةُ[٣].
وعنهُ أيضًا: صخرةٌ تحتَ الأرضِ السَّابعَةِ[٤].
ابنُ زيدٍ: السَّماءُ الثَّانيةُ، وفي هذا القولِ بُعدٌ[٥].
وقيلَ: هو جبٌّ في جهنَّمَ مَفتوحٌ، والفَلَقُ جبٌّ مغطًّى[٦].

= الأحبار: أخبرني عن ﴿سِجِّينٍ﴾؟ قال كعب: «أما سجين فإنها الأرض السابعة السفلى، وفيها أرواح الكفار تحت حد إبليس».

وفي رواية: حدثني عن قول الله: ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ الآية، قال كعب: «إن روح الفاجر يصعد بها إلى السماء فتأبى السماء أن تقبلها، ويهبط بها إلى الأرض فتأبى الأرض أن تقبلها، فتهبط فتدخل تحت سبع أرضين حتى يُنتهى بها إلى سجين وهو حد إبليس، فيخرج لها من سجين من تحت حد إبليس رق فيرقم ويختم، يوضع تحت حد إبليس بمعرفتها الهلاك إلى يوم القيامة».

(١) لم أقف عليه عن أبي عمرو، وذكره أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٨٩)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٩٣)، وفي «تهذيب اللغة» للأزهري (١٠/ ٣١٤) مادة: (س ج ن) عن أبي عمرو أنه قال: «السجين: الشديد». قال: «وقال غيره: هو فعيل من السجن، كأنه يثبت من وقع به فلا يبرح مكانه».

(٢) تقدم قريباً.

(٣) رواه ابن وهب في «جامعه ـ التفسير» (٢/ ١٠)، وذكره ابن فورك في «تفسيره» (٣/ ١٧٤)، وانظر التعليق السابق. وروى الإمام أحمد في «المسند» (١٨٥٣٤) من حديث البراء رضي الله عنه في حديث سؤال القبر الطويل: «اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى، فتطرح روحه طرحًا».

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤١٦) عن السدي.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٩٥) بلفظ: «يقال سجين: الأرض السافلة، وسجين: بالسماء الدنيا»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣١٨)، واستغربه.

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٩٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً. وقال ابن كثير عند تفسير هذه الآية: «حديث غريب منكر لا يصح».

الأزهريُّ: معناهُ: في خَسَارٍ[١]، والمعنى: أنَّ مصيرَ أصحابِه إلى ضيقٍ وشِدَّةٍ وسَفالٍ.

وقيلَ: معناهُ: ما كُتبَ عليهِم لا يتبدَّلُ ولا يُمحَى كالنَّقشِ في الحَجرِ[٢].

***

(٨ ـ ٩) ـ ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٞ ٨ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ﴾.

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٞ﴾ تعظيمٌ لشأنِه.

﴿كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ﴾؛ أي: السِّجِّينُ كتابٌ مرقومٌ، قيلَ: مكتوبٌ.

وقيلَ: مختومٌ، وهذا قول أكثرِ المفسِّرينَ.

ويحتمِلُ أن يكونَ التَّقديرُ: وما أدراكَ ما كتابُ سِجينٍ؟ فحُذِفَ المضافُ، ثم فسَّرَهُ فقال: ﴿كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ﴾؛ أي: كتابُ سِجِّينٍ كتابٌ مرقومٌ. هذا وجهٌ.

وقيلَ: تقديرُهُ: محلُّ كتابٍ مَرقومٍ؛ أي: السِّجِّينُ محلُّ كتابٍ. هذا وجهُ الآية.

أما[٣] ما قيلَ من التَّقديمِ والتَّأخيرِ؛ أي: «إنَّ كتابَ الفُجَّارِ لكتابٌ مَرقومٌ في سِجِّينٍ»[٤]، فلَمَّا تقدَّمَ الصِّلةُ وتأخَّرَ الخبرُ دخلَ اللامُ الصِّلةَ، كما تقول: إنَّ زيدًا لِطعامِكَ آكِلٌ.

---

(١) لم أقف عليه عن الأزهري إلا في «غرائب التفسير» (٢/١٣١٨)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١٥٢)، والماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٢٢٧) عن عكرمة.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣١٨)، وعده من العجائب.

(٣) في (ف): «أو».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣١٨) ثم عقبه بقوله: «وهذا إن جعل (في) من صلة ﴿مَّرۡقُومٞ﴾ لا يصح؛ لأن الصلة لا تعمل فيما قبل الموصوف، وإن جعل خبراً بعد خبر صح، وربما يقول القائل: صح؛ لأنه ظرف، والظرفُ يُتَّسعُ فيه».

(١٠ ـ ١١) ـ ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۝١٠ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾؛ أي: يومَ يُخرجُ المكتوبُ ويُبعثُ المَدفونُ ﴿الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾: الجزاءِ والحِسابِ.

***

(١٢ ـ ١٣) ـ ﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾.

﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ﴾: بذلكَ اليومِ ﴿إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ﴾ مُتجاوزٍ الحقَّ إلى الباطلِ ﴿أَثِيمٍ﴾ آثمٍ.

ثم بيَّن كيفَ تكذيبُهُ بيومِ القيامَةِ فقالَ:

﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا﴾ يعني: القرآنَ ﴿قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾: أحاديثُهُم وأباطيلُهُم.

***

(١٤) ـ ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

﴿كَلَّا﴾ ردعٌ عَن هذا القَولِ، ﴿بَلْ﴾ نفيٌ لِمَا قالوهُ، ﴿رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾؛ أي: غطَّاها كَسبُهُم، والرَّيْنُ: التَّغطيَةُ.

وقيلَ: رانَ: طُبِعَ.

أبو هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ عن النَّبيِّ ﷺ أنه قالَ: «إنَّ العبدَ إذا أخطأَ خَطيئةً نُكِتَ في قلبِهِ نُكتَةٌ سَوداءُ، فإنْ هوَ نزعَ واستغفَرَ وتابَ صُقِلَت، فإنْ عادَ عادَتْ، حتى يُغطَّى، وهو ما ذكرَ اللهُ سبحانَهُ: ﴿بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾»[1].

---

(١) رواه الترمذي (٣٣٣٤)، وابن ماجه (٤٢٤٤). وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح».

الحسنُ: الذَّنبُ ثمَّ الذَّنبُ حتى يموتَ القَلبُ[١].

المبرِّدُ: أي: غلبَ على قُلوبِهم وغطَّاها ذنبٌ على ذنبٍ حتى اسودَّ القَلبُ بأعمالِ السُّوءِ.

الضَّحَّاكُ: الرَّيْنُ: موتُ القَلْبِ. وهوَ قَولُ الحَسنِ[٢].

***

(١٥) ـ ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾.

﴿كَلَّآ﴾ تكرارٌ للرَّدعِ، وقيلَ: حَقًّا.

﴿إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ﴾؛ أي: عنْ رُؤيَةِ ربِّهم، وقيلَ: عَن كَرامَةِ رَبِّهم ﴿يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾: ممنوعونَ، والحَجْبُ: المنعُ.

وقيلَ: مَردودونَ غيرُ مَقبولينَ ولا مَرضيِّينَ.

الزَّجَّاجُ: في الآيةِ دَليلٌ على أنَّ اللهَ سُبحانَهُ يُرى في القِيامَةِ، ولولا ذلكَ لم يَكُن في هذهِ الآيَةِ فائدَةٌ[٣].

***

(١٦) ـ ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾.

﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾: لازِمُو النَّارِ، وقيلَ: يَصيرونَ صَلاها، وهو الوَقودُ.

***

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٥٣٧)، وابن أبي الدنيا في «التوبة» (١٩٦)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٠١).

(٢) لم أقف عليه عن الضحاك، وتقدم عن الحسن.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٢٩).

(١٧) ـ ﴿ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾.

﴿ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾؛ أي: هذا جَزاءُ ما كُنتُمْ بهِ تكذِّبونَ.

وقيلَ: هذا العذابُ هوَ الذي كُنتُمْ تُنكِرُونَ وُقوعَهُ.

* * *

(١٨) ـ ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ﴾.

﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ﴾ الحسنُ: همُ الذينَ لا يؤذونَ الذَّرَّ[١].

وقيلَ: هم الذينَ صَدَقوا فيما وَعدوا، والبرُّ: الصِّدْقُ.

﴿لَفِى عِلِّيِّينَ﴾: في مكانٍ عليٍّ.

وقيلَ: معناهُ: في علوٍّ مُضاعَفٍ ورِفعَةٍ مكرَّرَةٍ، فجُمعَ جمعَ السَّلامَةِ، تقولُ العربُ إذا أَصابها الوَابِلُ بعدَ الوَابِلِ: أصابَنا الوَابِلُونَ، وتقولُ للمرقَةِ يطبَخُ فيها اللَّحمُ مرةً بعدَ أخرى: أَصبْنا مَرقَةَ مَرقِينَ.

وقيلَ: هو اسمٌ مُفرَدٌ لا واحدَ له مِن لفظِهِ؛ كقَوْلهم: قِنَّسْرُونَ ويَبرونَ وقِنَّسْرينَ ويَبرِينَ، وكذلكَ: عِشرونَ وثَلاثونَ.

وقيلَ: صفةٌ للملائكةِ، جمعُ (عِلِّيٍّ)[٢].

والجمهورُ على أنَّهُ السَّماءُ السَّابعَةُ[٣].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (٢٢٤٤)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٠٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٨٤٦).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣١٩)، واستغربه.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٠٧) عن قتادة والضحاك وكعب ومجاهد وأسامة بن زيد عن أبيه رضي الله عنهم.

قتادةُ: قائمَةُ العَرشِ اليُمنى[١].

ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: الجنَّةُ[٢].

الضحَّاكُ: سِدرَةُ المنتهى[٣].

***

(١٩ ـ ٢٠) ـ ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ١٩ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ﴾.

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾ تعظيمٌ لِشأنِهِ.

وقيلَ: معناهُ: ليسَ هذا مِن عِلمِكَ ولا مِن علمِ قومِكَ.

﴿كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ﴾ تقديرُهُ: ومَا أدراكَ ما كتابُ عِلِّيِّينَ؟ ثم فسَّرَ فقالَ: ﴿كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ﴾؛ أي: كتابُ عِلِّيِّينَ كتابٌ مَرقومٌ.

وقيلَ: تقديرُهُ: عِلِّيُّونَ محلُّ كتابٍ مَرقومٍ.

وقيلَ: تقديرُهُ: إنَّ كتابَ الأبرارِ لكتابٌ[٤] مَرقومٌ في عِلِّيِّينَ. وفيهِ ضَعفٌ؛ لأنَّ ما يتعلَّقُ بالصِّفَةِ لا يتقدَّمُ على الموصوفِ.

ويجوزُ أنْ يكونَ خبرًا بعدَ خبرٍ لـ(إنَّ).

ويجوزُ أنْ يكونَ تقديرُهُ: هو كتابٌ مَرقومٌ، على أنْ تكونَ الكنايةُ تعودُ إلى كِتابِ الأَبرارِ، ولم يَكُن تفسيرًا لـ﴿عِلِّيِّينَ﴾، وكذلكَ الكلامُ في ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ﴾، واللهُ أعلَمُ.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٥٣٩)، وعثمان بن أبي شيبة في «العرش» (ص: ٤٢٨)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٠٨).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٠٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٠٩).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٠٩)، وذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٥/ ١١٢).

(٤) «لكتاب» من (ف).

(٢١) ـ ﴿يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾.

﴿يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾: تحضُرُهُ الملائكةُ.

وذُكرَ في التَّفاسيرِ: أنَّهُ يشهَدُ عملَ الأبرارِ مُقرَّبو كلِّ سماءٍ.

***

(٢٢ ـ ٢٣) ـ ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾: تنعُّمٍ في الجِنانِ ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ إلى ما يَسرُّهُم ممَّا أنعَمَ اللهُ عَليهِم مِن النَّعيمِ والحورِ العِينِ.

وقيلَ: يَنظرُون إلى النَّارِ وما أَعدَّ اللهُ للكفَّارِ مِن العذابِ.

***

(٢٤) ـ ﴿تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾.

﴿تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾: بَريقَهُ ونَداهُ، والنَّعيمُ: لِينُ العَيشِ واتِّساعُ الملاذِّ.

***

(٢٥) ـ ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ﴾.

﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ﴾: الخمرُ الصَّافِيَةُ.

الزَّجَّاجُ: الشَّرابُ الذي لا غشَّ فيهِ(١).

الخليلُ: أفضَلُ الخمرِ وأجوَدُها(٢).

﴿مَّخْتُومٍ﴾: أمرَ اللهُ بالختمِ عليهِ إكرامًا لأصحَابِهِ.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣٠٠).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٢٣٠) بلفظ: «أصفى الخمر وأجوده»، وفي «العين» (٣/ ٤٥): «الرحيق: من أسماء الخمر».

(٢٦) ـ ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ﴾.

﴿خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞ﴾؛ أي ما خُتِمَ بهِ مِسكٌ رطبٌ يتطبَّعُ فيهِ الخاتَمُ.

ابنُ مَسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ: مِزاجُهُ مِسكٌ[1].

وقيلَ: عاقبتُهُ مِسكٌ.

وقُرِئ: ﴿خاتِمُهُ مِسْكٌ﴾[2]، الفرَّاءُ: الخاتَمُ: الاسمُ، والخِتامُ: المصدَرُ[3].

الخليلُ: الخِتامُ: الطِّينُ الذي يُختَمُ عليهِ، والخاتَمُ: ما يُختَمُ بهِ[4].

ويحتمِلُ أنَّ المعنى: يفوحُ مِن شاربِهِ ريحُ المسكِ من غيرِ خمارٍ وتغيُّرِ نكهَةٍ وصُداعٍ.

﴿وَفِي ذَٰلِكَ﴾ قيلَ: إشارةٌ الى الرَّحيقِ، وقيلَ: إلى نعيمِ الجنَّةِ.

﴿فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ﴾ التَّنافُسُ في الشَّيءِ: أنْ يُضَنَّ بِهِ على الغَيرِ لنَفاسَتِه.

وقيلَ: يطلبُهُ كلُّ أحدٍ لنَفسِهِ.

وقيلَ: فليرغَبِ الرَّاغبونَ.

***

---

(١) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٢/ ٧٨)، وابن وهب في «جامعه ـ التفسير» (٣٣٤)، وابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (١٢٥)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢١٦)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٩٠٦٢)، والحاكم في «المستدرك» (٣٩٠٩).

(٢) بالألف قبل التاء، قرأ بها الكسائي، والباقون: ﴿خِتَٰمُهُۥ﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٦٧٦)، و«التيسير» (ص: ٢٢١).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٤٨).

(٤) انظر: «العين» (٤/ ٢٤١ ـ ٢٤٢).

(٢٧) ـ ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ﴾.

﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ﴾ ابنُ عباسٍ وابنُ مَسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُم: اسمٌ لِمَاءٍ ينحَدِرُ مِن تحتِ العَرشِ، وهوَ أشرَفُ شَرابٍ في الجنَّةِ يمزَجُ بهِ شَرابُ أصحَابِ اليَمينِ، والمقرَّبونَ يُسقَوْنَ صِرفًا غيرَ ممزوجٍ[١]، وهوَ قوله:

* * *

(٢٨) ـ ﴿عَيۡنًا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾.

﴿عَيۡنًا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾ يجوزُ أنْ تكونَ الباءُ زِيادةً، ويجوزُ أنْ تكونَ بمعنى (مِن)، ويجوزُ أنْ تكونَ للظَّرفِ.

والتَّسنيمُ في اللغةِ: تَفعِيلٌ مِن تسَنَّمَه؛ أي: عَلَاه.

و﴿عَيۡنًا﴾ منصوبٌ عندَ الأخفَشِ بـ﴿يُسۡقَوۡنَ﴾[٢].

الفرَّاء: ﴿تَسۡنِيمٍ﴾: مَصدَرٌ عَملَ في العينِ بعدَما نُوِّنَ؛ كقولِه: ﴿إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ١٤ يَتِيمٗا﴾ [البلد: ١٤ ـ ١٥][٣]، فـ﴿عين﴾ مفعولٌ بهِ عندَه.

المبردُ: منصوبٌ بإضمارِ: أعني[٤].

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٥٤٢)، وابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٣٣٦)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٢٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٤٠٩١)، وهناد بن السري في «الزهد» (٦٥)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٢٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤١٠) عن ابن مسعود رضي الله عنه، كلهم دون ذكر أنها من تحت العرش، وروى الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٢٤) عن ابن زيد قال: «بلغنا أنها عين تخرج من تحت العرش».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٥٧٣)، وذكر قولًا آخر مثل قول المبرد الآتي.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٤٩).

(٤) ذكره مكي بن أبي طالب في «إعراب القرآن» (٢/ ٨٠٧).

وقيـلَ: نصـبٌ على الحـالِ(١)؛ أي: جاريًا، وذو الحالِ ﴿تَسۡنِيمٍ﴾، وهو اسـمُ عَلَمٍ للماءِ عندَ هـذا القائِلِ.

* * *

(٢٩) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ﴾: كفروا، نزلَتْ في أَبي جَهلٍ وأَصحابِهِ(٢).

﴿كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ﴾ في الدُّنيا.

* * *

(٣٠) ـ ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ﴾.

﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ﴾: وإذا اجتازَ بِهِـم مُـؤمِـنٌ، ويجـوزُ: وإذا اجتازوا بمُؤمِنٍ، ﴿يَتَغَامَزُونَ﴾ غمزَ بعضُهم إلى بعضٍ إشارةً إليهِ؛ أيْ: تأمَّلْ هذا الرَّقيعَ(٣) اتَّبعَ محمَّدًا وتركَ مَلاذَّهُ لجنَّةٍ لا تكونُ أبدًا.

* * *

(٣١) ـ ﴿وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ﴾.

﴿وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ﴾ رَجَعـوا إلـى مَنازِلِهـم ﴿ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ﴾ يتفكَّهـونَ بعيـبِ(٤) المؤمنيـنَ، وقيـلَ: مُعجَبيـنَ، وقيـلَ: لاهيـنَ.

وقيلَ: الفَكِهُ: المَرِحُ، والفاكِهُ(٥): المعجَبُ بما فيهِ(٦).

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣٠١).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ٨٥)، والسمعاني في «تفسيره» (٦/ ١٨٤) دون نسبة.

(٣) الرقيع: الأحمق. انظر: «العين» (١/ ١٥٧).

(٤) في (ن): «بغيب».

(٥) بعدها في (ن): «الطالب».

(٦) قرأ حفص وحده ﴿فَكِهِينَ﴾، قرأ الباقون (فاكهين). انظر: «السبعة» (ص: ٦٧٦).

وقيلَ: هما بمعنى كطَمِعٍ وطَامِعٍ.

ابنُ عيسى: الفاكِه: الطالبُ ما يتفكَّهُ بِهِ مِن نَوادِرِ الأُمورِ، والفَكِهُ: المتمتِّعُ بالمأكولِ مِن غيرِ أخذِه للقُوتِ.

***

(٣٢ ـ ٣٣) ـ ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ۝٣٢ وَمَآ أُرْسِلُواْ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ﴾.

﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ﴾؛ أي: إذا رأَوْا المؤمنينَ قالوا: خَدعَ محمَّدٌ هؤلاءِ فضلُّوا، ﴿وَمَآ أُرْسِلُواْ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ﴾؛ أي: لم يجعَلِ اللهُ هؤلاءِ الكفارَ رسلًا يحفظونَ أعمالَ الناسِ، وذمَّهُم باشتِغَالِهِم بما لَم يُكلَّفُوا وتركِهِم ما يَعنِيهِم مِن الإيمانِ.

***

(٣٤) ـ ﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾.

﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: إذا رأوا أعداءَهُم وقد حلَّ بهم العَذابُ سُرُّوا بذلكَ وكانَ أحدَ لذَّاتِهِم[1].

وقيلَ: يقرِّرونَ الكفَّارَ أنَّهم كانوا بالضَّحِكِ مِنهم في دارِ الدُّنيا أولى.

وقيلَ: هوَ قوله: ﴿ٱرْجِعُواْ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُواْ نُورًا﴾ [الحديد: ١٣].

***

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٢٨) بلفظ: «السور بين أهل الجنة والنار، فيفتح لأهل الجنة أبواب، فينظرون وهم على السرر إلى أهل النار كيف يعذبون، فيضحكون منهم، ويكون ذلك مما يقر الله به أعينهم أن ينظروا إلى عدوهم كيف ينتقم الله منهم».

(٣٥ ـ ٣٦) ـ ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ۝٣٥ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾.

﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ۝٣٥ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ أصلُ التَّثْويبِ: الدَّعاءُ بعدَ الدُّعاءِ، ثم جُعلَ كلُّ مكافأةٍ ثوابًا.

ويجوزُ أن يكونَ: ﴿هَلْ ثُوِّبَ﴾ في موضعِ مَفعولِ ﴿يَنظُرُونَ﴾؛ أي: ينظرونَ هل عُذِّبوا؟ تشفِّيًا منهم بذلكَ[1].

ويجوزُ أن يكونَ استئنافًا، والمعنى: إذا فُعلَ بالكفَّارِ ما ذُكرَ، فهَلْ جُوزُوا على سُوءِ صَنيعِهِم؟ واللهُ أعلَمُ.

* * *

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٢٠)، واستغربه.

سُورَةُ الانْشِقَاقِ

خمسٌ وعشرونَ آيةً، مَكِّيَّةٌ، ويقال: سورَةُ الكَدحِ[1].

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾.

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾: تشقَّقَتْ وتقطَّعَت ذاتُها.

وقيلَ: تشقَّقَتْ بالغَمامِ؛ مِن قولِه: ﴿وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ﴾ [الفرقان: ٢٥].

وعن عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ: تتشقَّقُ مِن المجرَّةِ[2].

***

(٢) ـ ﴿وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ﴾.

﴿وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا﴾: سمِعَتْ وأطاعَتْ، وحقيقَتُهُ مِن أَذِنَ للشَّيْءِ: إذا أصغى إليهِ أُذُنَه للاستماعِ، والسَّماعُ يُستعمَلُ للإسعافِ والإجابةِ، كذلكَ الأَذَنُ؛ أي: أجابَتْ ربَّها إلى الانشقاقِ وما أرادَهُ مِنها.

وقيل: هي مجازٌ وكِنايَةٌ عن حُصولها على مُرادِ الله تعالى.

---

(١) في (ف): «سورة الانشقاق ويقال سورة الكدح مكية».

(٢) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير عند قوله تعالى: ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٞ﴾ [الحاقة: ١٦] من طريق سِمَاكٍ عن شيخٍ من بني أسدٍ عن عليٍّ، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٢٣٣).

﴿وَحُقَّتْ﴾: صُيِّرَتْ مَحقوقَةً بالسَّمعِ والطَّاعةِ؛ أي: ذلكَ مِنهُ حَقٌّ غيرُ باطلٍ.

* * *

(٣) ـ ﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ﴾.

﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ الفرَّاءُ: بُسِطَتْ ومُدَّتْ كما يمَدُّ الأَديمُ[1].

الزَّجَّاجُ: أُزيلَتْ عَن هَيئَتِها فبُدِّلَت[2].

ابنُ عيسى: بُسِطَت باندِكاكِ جِبالها وآكامِها حتى تصيرَ كالصَّحيفَةِ المَلساءِ[3].

ابنُ بحرٍ: مَدُّها تَفريجُها عما تتَضمَّنُ حتى يخرجَ ما في بَطنِها، قالَ: ومعنى ذلكَ معنى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [الزلزلة: ١ ـ ٢].

وعن النبيِّ ﷺ: «إذا كانَ يومُ القِيامَةِ مَدَّ اللهُ الأَرضَ مدَّ الأَديمِ، فأكونُ أولَ مَن يُدعى، فَأرى جِبريلَ عليهِ السَّلامُ فأقولُ: يا رب! هذا جِبريلُ [أخبرني أنكَ] أرسلتَهُ إليَّ، فيقولُ اللهُ: صدقَ، ثم أُشفَّعُ فأقولُ: عِبادُكَ عَبدوكَ في أطرافِ الأَرضِ، وهوَ المقامُ المحمُودُ»[4].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٥٠).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣٠٣).

(٣) ذكره القشيري في «لطائف الإشارات» (٣/ ٧٠٥) بلا نسبة.

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٥٤٦)، وابن أبي الدنيا في «الأهوال» (١٥٠)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٩) و(٢٤/ ٢٣٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٤٣)، من طريق علي بن الحسين عن النبي ﷺ مرسلاً.

ورواه ابن المبارك في «الزهد» (٢/ ١١١)، والدارمي في «الرد على الجهمية» (١٨٣)، والحاكم في «المستدرك» (٨٧٠٢) عن علي بن الحسين أن رجلًا من أهل العلم أخبره، وذكر الحديث مرفوعًا. قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٨/ ٤٠٠): «رجاله ثقات، وهو صحيح إن كان الرجل صحابيًّا»، ووصله الحاكم في «المستدرك» (٨٧٠١) عن علي بن الحسين عن جابر رضي الله عنه. وصححه. وما بين معكوفتين أو معناه من المصادر.

(٤) ـ ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾.

﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا﴾: أخرجَتِ الأمواتَ والكُنوزَ.

مجاهدٌ وقتادةُ: أخرجتِ الأمواتَ[1].

وقيل: أخرجتِ المعادنَ والكنوزَ المدفونَةَ فيها قبلَ القِيامَةِ، وذلكَ أحدُ أشراطِ السَّاعةِ.

﴿وَتَخَلَّتْ﴾: خَلَتْ منها ومِنهم.

***

(٥ ـ ٦) ـ ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٥ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ﴾.

﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾؛ أي: الأَرضُ ﴿وَحُقَّتْ﴾، وليسَ هذا بتكرارٍ.

واختلفَ المفسِّرونَ والنُّحاةُ في جوابِ ﴿إِذَا﴾:

فقيلَ: تقديرُهُ: اذكُرْ إذا السَّماءُ.

الفرَّاءُ: جوابُه: ﴿وَأَذِنَتْ﴾، والواوُ زيادةٌ، قاسَ هذا على ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا﴾، وفيه ضَعْفٌ[2].

---

(١) ذكره عنهما ابن فورك في «تفسيره» (٣/ ١٨١)، رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٣٣) عن مجاهد، ورواه الحاكم في «المستدرك» (٣٩١٠) من طريق مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما. ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٣٣) عن قتادة بلفظ: «أخرجت أثقالها وما فيها».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٤٩ ـ ٢٥٠)، وقد نقل هذا القول عن بعض المفسرين ثم أنكره، فقال: «وقال بعض المفسرين: جواب ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ قوله: ﴿وَأَذِنَتْ﴾ ونُرى أنه رأي ارتآه المفسر، وشبهه بقول الله تبارك وتعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧٣]؛ لأنَّا لم نسمع جواباً بالواو في (إذ) مبتدأةً، ولا قبلها كلام، ولا في (إذا) إذا ابتدئت، وإنما تجيب العرب بالواو في قوله: «حتى إذا كان»، و«فلما أن كان» لم يجاوزوا ذلك». =

الزجَّاجُ: جوابُهُ ما يدلُّ عليهِ: ﴿فَمُلَٰقِيهِ﴾[١].

وقيلَ: فيه تقديمٌ وتأخيرٌ تقديرُهُ: يا أيُّها الإنسانُ إنَّكَ كادِحٌ إلى ربِّكَ كدحًا فملاقيه إذا السماء انشقت[٢]؛ أي: جزاءَهُ.

وقيلَ: جوابُهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ على إضمارِ الفاءِ؛ أي: فيا أيها الإنسانُ تجدُ ما تعمَلُهُ.

وقيلَ: العامِلُ فيهِ ﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ﴾، و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ اعتراضٌ.

﴿إِنَّكَ كَادِحٌ﴾: عاملٌ ناصِبٌ ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾: أنْ تصيرَ إلى ربِّكَ.

﴿كَدۡحٗا﴾: عملًا، والكَدْحُ: السَّعيُ المتعِبُ، وقيلَ: الكَدْحُ: سَعْيٌ يَبقى لهُ أثرٌ.

﴿فَمُلَٰقِيهِ﴾: فمُلاقٍ كدحَكَ؛ أي: جزاءَهُ؛ خيرًا كانَ أو شرًّا، وقيلَ: فملاقٍ ربَّكَ.

* * *

(٧ ـ ٨) ـ ﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ٧ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا﴾.

﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ٧ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا﴾ عن النبيِّ ﷺ أنه قالَ: «الحسابُ اليسيرُ: التجاوُزُ عن السيِّئات والاحتسابُ بالحَسَنات»[٣].

= ثم قال: «والجواب في: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾ وفي ﴿وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ﴾ كالمتروك؛ لأن المعنى معروف قد تردد في القرآن معناه فعُرِف، وإن شئت كان جوابه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ﴾، كقول القائل: إذا كان كذا وكذا فيأيها الناس ترون ما عملتم من خير أو شر، تجعل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ هو الجواب، وتضمر فيه الفاء».

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣٠٣).

(٢) «إذا السماء انشقت» من (ف).

(٣) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وإنما ذكره ابن فورك في «تفسيره» (٣/ ١٨٢) كتفسير للحساب اليسير دون نسبة لقائل. وروى معناه الإمام أحمد في «المسند» (٢٤٢١٥)، وابن خزيمة في «صحيحه» =

وقيلَ: هوَ العَرْضُ[1].

***

(٩) ـ ﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا﴾.

﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ﴾ قيلَ: همُ الذينَ أعدَّهُم اللهُ للمُؤمنينَ في الجنَّةِ ﴿مَسۡرُورٗا﴾ بهم أتمَّ السُّرورِ.

وقيلَ: هُم إِخوانُهُ مِن المؤمنينَ، يُدعَى مِن بَينِهِم للمُحاسَبة، فيرجعُ إِليهِم مَسرورًا.

ولفظُ ﴿ينقلب﴾ يدلُّ على المعنى الثَّاني؛ لأنَّ[2] الانقلابَ يَكونُ بعدَ المفارقَةِ.

***

(١٠) ـ ﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ﴾.

﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ﴾ قيلَ: لأنَّ يَديهِ غُلَّتا إلى عُنقِهِ فيؤتى كتابَهُ وراءَ ظَهرِهِ.

الكلبيُّ: تغلُّ يمينُ الكافرِ إلى عنقِهِ وتُلوى شِمالُهُ وراءَ ظَهرِهِ.

وقيلَ: يصيرُ وَجهُهُ قفاهُ فيقرأُهُ كذلكَ.

= (٨٤٩)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٣٧٢) عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت النبي ﷺ يقول في بعض صلاته: «اللهم حاسبني حسابا يسيرًا» فلما انصرف، قلت: يا نبي الله، ما الحساب اليسير؟ قال: «أن ينظر في كتابه فيتجاوز عنه، إنه من نوقش الحساب يومئذ يا عائشة هلك، وكل ما يصيب المؤمن، يكفر الله عز وجل به عنه، حتى الشوكة تشوكه».

(١) رواه البخاري (١٠٣)، ومسلم (٢٨٧٦)، عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «من نوقش الحساب عذب» قالت: قلت: أليس يقول الله تعالى: ﴿فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا﴾ قال: «ذلك العرض».

(٢) في (ف): «من أن».

وقيلَ: المرادُ بقوله: ﴿وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ﴾: ما سَنَّ مِن سُنَّةٍ سَيِّئةٍ فعُمِلَ بها بعدَهُ، تقولُ العَربُ: أظهَرْتُ بفلانٍ؛ أي: فعلتُ بعدَهُ ما يَفعَلُ هوَ، وهذا تَعسُّفٌ.

* * *

(١١ ـ ١٢) ـ ﴿فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾.

﴿فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا﴾: هلاكًا، وهو قولُهُ: واهلاكاهُ.

وقيلَ: هو لفظٌ يُستعمَلُ لِمَن أيقنَ بالهلاكِ.

﴿وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾: يُدخَلُ جهنَّمَ.

* * *

(١٣) ـ ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ﴾ في الدُّنيا ﴿مَسْرُورًا﴾؛ أي: بالكفرِ والباطلِ اللَّذين كانَ فيهما.

وقيلَ: مسرورًا بمعاصي اللهِ لا يندَمُ عليها.

وقيلَ: ﴿مَسْرُورًا﴾: تابعًا(١) لهواهُ.

* * *

(١٤ ـ ١٥) ـ ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا﴾.

﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾: لن يرجِعَ ولَن يُبعَثَ ﴿بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا﴾؛ أي: عالمًا بعملِهِ وبما يَصيرُ إليهِ.

ابنُ عيسى: ﴿ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾، واللهُ يخبرُ أنَّهُ يحورُ، واللهُ عالِمٌ بذلكَ وبجميعِ أُمورِهِ.

---

(١) في (ف): «نافعًا».

(١٦) ـ ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ﴾.

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ﴾ سَبَق ﴿بِٱلشَّفَقِ﴾ هـو الحُمرَةُ، وقيلَ: البَياضُ، وقيلَ: النهارُ كلُّهُ ولهذا قرنَهُ باللَّيلِ، وقيلَ: الشَّفقُ: الشَّمسُ.

***

(١٧) ـ ﴿وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ﴾.

﴿وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ﴾: جَمَعَ، مِن وَسْقِ النَّاقةِ[١].

وقيلَ: ﴿وَسَقَ﴾: طَرَدَ، من الوَسيقَةِ[٢]؛ أي: رجعَ كلُّ شيءٍ إلى مستقرِّهِ ومأواهُ.

وقيلَ: طردَ بإظهارِ ما أخفاهُ ضَوءُ الشَّمسِ بالنَّهارِ، والنُّجومُ مَطرودَةٌ بالنَّهارِ.

***

(١٨) ـ ﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ﴾.

﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ﴾: تمَّ بدرًا، افتعلَ من الوَسْقِ.

***

(١٩) ـ ﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ﴾.

﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ﴾ جوابُ القسمِ، الجمهورُ: حالًا بعد حالٍ، وأمرًا بعد أمرٍ، ومنزلةً بعد منزلةٍ؛ مِن عزٍّ وذُلٍّ، وفقرٍ وسَعَةٍ، وإحياءٍ وإماتَةٍ، وبَعثٍ ومحاسبةٍ والدخولِ في جنَّةٍ أو نَارٍ.

---

(١) الوَسْق: وزن خمس مئة رطل، والمراد: وِقْرُها الذي يُحمل عليها. انظر: «جمهرة اللغة» (٢/ ١١٨٤)، وفي «مقاييس اللغة» (٦/ ١٠٩): الوَسْقُ: سِتُّونَ صاعًا، وأَوْسَقْتُ البعيرَ: حَمَّلْتُه حِمْلَه.

(٢) «الوسيقة»: هي من الإبل كالرفقة من الناس، فإذا سرقت طردت معاً. انظر: «القاموس» مادة: (و س ق).

أبو عبيدةَ: سُنَّةُ الأوَّلينَ في سُنَّةِ مَن كانَ قبلَهُم(١).

وقيلَ: شدَّةً بعدَ شِدَّةٍ؛ من الموتِ والحَشرِ والحسابِ، مِن قولهم للدَّوَاهِي: بناتُ طبقٍ، و: أمُّ طبقٍ(٢).

وقيلَ: ﴿طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾: طفولةٌ وشَبابٌ وشَيخوخَةٌ وهرمٌ، وموتٌ وإحياء(٣)، وثوابٌ أو عِقابٌ.

وقرئ: ﴿لتركَبَنَّ﴾(٤)؛ أي: لتركَبَنَّ يا محمَّدُ طبقًا بعدَ(٥) طبقٍ مِن طِباقِ(٦) السَّماءِ؛ يعني: ليلةَ المعراجِ. عن ابنِ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ(٧).

وقيلَ: الآخرَةَ بعدَ الأولى.

و﴿عَن﴾ هاهنا للمجاوزَةِ، وقيلَ: ﴿عَن﴾ بمعنى: بعد، قالَ:

وكابـرًا سَـادوكَ عـن كَابـرِ(٨)

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ٢٩٢).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٢٢)، واستغربه.

(٣) في (ن): «وحياة».

(٤) بفتح الباء على خطاب الواحد، قرأ بها ابن كثير وحمزة والكسائيُّ، وقرأ الباقون: ﴿لَتَرۡكَبُنَّ﴾ بضم الباء على خطاب الجمع. انظر: «السبعة» (ص: ٦٧٧)، و«التيسير» (ص: ٢٢١).

(٥) في (ن): «عن».

(٦) في (ن): «أطباق».

(٧) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٥٥٦)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٥٥)، والحاكم في «المستدرك» (٣٩١٣).

(٨) عجز بيت للأعشى. انظر: «ديوان الأعشى الكبير» (ص: ١٤١)، و«الحجة» لأبي علي الفارسي (٦/ ٣٩١)، و«ديوان المعاني» (١/ ١٧٢)، و«البسيط» للواحدي (٢٣/ ٣٧٢). وصدره:

ســـاد وألفـــى قومه ســـادة

أي: بعدَ كابرٍ.

***

(٢٠) ـ ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الفرَّاءُ: ما يمنَعُهُم من ذلكَ[١]؟

الكسائيُّ: ما لهُم في أنْ لا يُؤمِنُوا؟

***

(٢١) ـ ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ﴾.

﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ﴾ قيلَ: سجدَةَ التِّلاوَةِ[٢].

وقيلَ: لا يخضَعُونَ ولا يُطيعونَ، والخِطابُ للكفَّارِ[٣].

***

(٢٢ ـ ٢٣) ـ ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ (٢٢) وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾.

﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ (٢٢) وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾: يُخْفونَ في صُدورِهِم ويجمعُونَ مِن التَّكذيبِ بالنبيِّ عليهِ السَّلامُ.

وقيلَ: المرادُ: بما يفعلونَهُ؛ لأنَّ أعمالَ الإنسانِ خَيرَها وشَرَّهَا كالذَّخيرَةِ في الوعاءِ لهُ، تقولُ: أَوعَيْتَ المتاعَ في الوِعاءِ؛ إذا جعلته فيه، وأوعيتَ في أُذنِهِ فوعَتْ، والأُذُنُ واعِيَةٌ.

***

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ١٦٣).

(٢) فالخطاب على هذا للمؤمنين.

(٣) في (ف): «ولا يطيعون والمراد به الكفار».

(٢٤) ـ ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ استهزاءٌ، وقيلَ: أخبِرهُمْ خبرًا يَظْهَرُ أثره على بشرَتِهم.

* * *

(٢٥) ـ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ قيلَ: استثناءٌ منقطِعٌ؛ أي: لكنَّ المؤمنينَ ﴿لَهُمْ أَجْرٌ﴾.

وقيلَ: متَّصلٌ، وهو مِن الضَّميرِ في ﴿فَبَشِّرْهُم﴾.

﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾: غير مقطوعٍ، وقيلَ: غيرَ منقوصٍ.

وقيلَ: غيرَ ممنونٍ به عليهم، فإنَّ المنَّةَ تكدِّرُ النِّعمَةِ، واللهُ أعلَمُ.

* * *

سُورَةُ البُرُوج

اثنتان وعشرونَ آيةً[1]، مَكيَّةٌ.

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) - ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾.

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾ قيلَ: المرادُ بها جَميعُ السَّماوات.

وقيلَ: السَّماءُ الدُّنيا، فإنَّها ذاتُ البُروجِ.

ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: البُروجُ: قُصورٌ في السَّماءِ[2].

الزَّجّاجُ: البُروجُ: النُّجومُ والكواكِبُ[3].

ابنُ عيسى وابنُ جَريرٍ: مَنازِلُ الشَّمسِ والقَمرِ[4].

وقسَّمَت العربُ مجاريَ الكواكِبِ اثنا عشرَ قِسمًا، وهيَ جُملَةُ عرضِ الفلكِ: الحمَلُ والثَّورُ والجَوزاءُ والسَّرَطانُ والأَسَدُ والسُّنبُلَةُ والميزانُ والعَقرَبُ والقَوسُ والجَديُ والدَّلوُ والحوتُ.

---

(١) «اثنان وعشرون آية» كذا في (ن)، وليس في (ف)، والصواب المثبت.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٦٠).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣٠٧).

(٤) انظر: «تفسير الطبري» (٢٤/ ٢٦١)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ١٥٢) عن علي بن عيسى.

وقيلَ: ﴿ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾: الظُّهورِ.

وقيلَ: ﴿ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾: الخَلْقِ الحسَنِ(١).

وقيلَ: ﴿ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾: الرَّملِ والماءِ، حكاه أبو مُسلمٍ، ولا أعرفُ لذلكَ وَجْهًا(٢).

* * *

(٢) ـ ﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ﴾.

﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ﴾: هو يومُ القِيامَةِ، وُعِدَ الأولونَ والآخِرونَ بِهِ القضاءَ والجزاءَ والثوابَ والعقابَ.

* * *

(٣) ـ ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾.

﴿وَشَاهِدٍ﴾: يومُ الجمعةِ، ﴿وَمَشْهُودٍ﴾: يومُ عرفَةَ.

وقيلَ: الشَّاهِدُ: يومُ النَّحرِ، والمشهودُ: يَومُ عرفَةَ.

وقيلَ: الشَّاهِدُ: النبيُّ، والمشهودُ: أمَّتُهُ؛ مِن قوله: ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١].

وقيلَ: الشَّاهدُ هوَ اللهُ؛ مِن قوله: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٨]، والمشهودُ: ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: ١٨]؛ يعني: التَّوحيدَ.

وقيلَ: الشَّاهدُ: الملائكةُ، والمشهودُ: النَّاسُ.

وقيلَ: الشَّاهدُ: الناسُ، والمشهودُ: عَملهُ.

---

(١) ذكر القولين المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٢٣)، واستغربهما.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٦١) عن سفيان بن حسين، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٢٣)، وعده من العجائب.

ابنُ بحرٍ: الشَّاهدُ: مَن يشهَدُ القيامَةَ ويحضُرُها، والمشهودُ: ما يحضُرُه.

وقيلَ: المشهودُ: القيامَةُ، والشَّاهدُ: النبيُّ ﷺ.

وقيلَ: الشَّاهدُ: عيسى، وقيلَ: آدمُ عليهما السلام، وقيلَ: ابنُ آدمَ.

وقيلَ: الشَّاهدُ: المدرِكاتُ، والمشهود: المدرَكات.

وقيلَ: الشَّاهدُ: جوارِحُ الإنسانِ، والمشهودُ: الإنسانُ، واللهُ أعلَمُ.

* * *

(٤) ـ ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾.

﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾ جوابُ القَسمِ، والتَّقديرُ: لقَدْ قُتِلَ، ومثلُه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩].

الزجَّاجُ: جوابُه: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾[1].

صاحِبُ «النَّظمِ»: جوابُهُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[2].

وقيلَ: تقديرُهُ: قُتل أصحابُ الأخدودِ والسماءِ ذاتِ البروج.

ومعنى ﴿قُتِلَ﴾: لُعِنَ وعُذِّب.

وقيلَ: أرادَ بِهِ حَقيقَةَ القتلِ والإهلاكِ.

وقيل: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾ همُ المؤمنونَ، فيكونُ القَتلُ حَقيقةً أيضًا.

واختلفوا في أصحابِ الأُخدودِ[3]:

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣٠٧).

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٣٨٤).

(٣) لم يذكر المصنف في الأقوال ما رواه مسلم (٣٠٠٥) عن صهيب رضي الله عنه في قصة أصحاب الأخدود، وهو الأولى هنا.

فرويَ عنِ ابنِ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: أَنَّهُم ناسٌ مِن بَني إسرائيلَ آمنوا بدانيالَ النبيِّ عليهِ السَّلامُ، فأخذَهُم ملِكٌ مِن بني إسرائيلَ وأحرَقَهُم بالنَّارِ في الأُخدودِ(١).

وذكرَ الكلبيُّ: أنَّ مَلِكًا بنَجرانَ أحرَقَ قَوْمًا منَ المؤمنينَ فخَدَّ لهم سَبعَةَ أَخاديدَ، وجمَعَ فِيها نِفْطًا وحَطَبًا ثمَّ ألقاهُم فيها، فارتفعَتِ النَّارُ حتى أحرقَتْ أصحابَ الأُخدودِ(٢).

وذكرَ الفرَّاءُ: أَحرقَتْ أصحابَ الأُخدودِ ونجا المُؤمنونَ(٣).

ورُوِيَ عن عليِّ بن أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ: أنَّهُم قومٌ مِن بقاياهُم المجوسُ، كانوا يستَحِلُّونَ نكاحَ البناتِ والأخواتِ(٤).

قتادةُ: كانوا مِن الحَبَشِ(٥).

الحسنُ والرَّبيعُ: أصحابُ الأُخدودِ قَومٌ آمَنوا في الفَترةِ واعتَزَلُوا عبدةَ الأَصنامِ، وكانوا بِضعةً وثمانينَ رجلًا وامرأةً، فعَلِمَ قَومُهُم بهم وخَدُّوا الأُخدودَ، فتوعَّدُوهُم بالإلقاءِ فيها إن لم يَرجِعُوا عن الإيمانِ، فاقتَحَموا النَّارَ ولم يرجعوا، وبَقِيَت عَجوزٌ

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٧٢) من طريق عطية العوفي عن ابن عباس، وهو من الأسانيد الضعيفة جدًّا.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ١٧٠) في خبر طويل، وفيه: «فارتفعت النار اثنا عشر ذراعاً» ليس فيه: «حتى أحرقَتْ أصحابَ الأُخدودِ». وجاء في (ن) بعد كلمة «الأخدود»: «ونجا المؤمنون» وليست في هذا الخبر أيضاً.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٥٣)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٢٤)، واستغربه.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٧٠).

(٥) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤١٣)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ١٦٨) من قول علي رضي الله عنه.

مَعَها ابنٌ لها طِفلٌ، فنكصَتْ فصاحَ بها الابنُ: يا أُمَّاهُ قِفي ولا تُنافِقِي، واسمُ الطِّفلِ، قيلَ: النَّاقوذسُ(١).

السُّدِّيُّ: الأُخدودُ ثلاثةٌ: خدٌّ بالشَّامِ، وخدٌّ بالعراقِ، وخدٌّ باليمنِ(٢)، هذا لفظهُ.

والأُخدودُ: الشقُّ في الأرضِ، وجمعُهُ: أَخادِيدُ.

المبرِّدُ: الأُخدُودُ كانَتْ في مَشهدينِ؛ أحدُهُما: لبُخْتَنَصَّرَ على نصفِ فرسخٍ مِن الكوفَةِ نَصَبَ عليها تمثالًا ودعا إلى السُّجودِ لها فمَن أبى قُذِفَ في النارِ، والأخرى: في دِيارِ نَجرانَ، خدَّها يُوسُفُ ذو نُوَاسٍ الحِميَرِيُّ(٣)، واللهُ أعلَمُ.

***

(٥) ـ ﴿ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ﴾.

﴿ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ﴾ بدلٌ مِن ﴿ٱلْأُخْدُودِ﴾ بدلَ الاشتِمالِ.

---

(١) روى الطبري نحوه في «تفسيره» (٢٤/ ٢٧٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤١٤) عن الربيع، وليس فيه قصة العجوز والصبي، ونحوه في «تفسير مجاهد» (ص: ٧١٨)، و«تفسير ابن أبي زمنين» (٥/ ١١٤) عن الحسن، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٢٤)، واستغربه.

(٢) رواه ابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» (٨/ ٢٧١)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٢٤٢).

(٣) روى نحوه ابن أبي حاتم كما ذكر ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ١٣١) عن عبد الرحمن بن جبير قال: «كانت الأخدود في اليمن زمان تبع، وفي القسطنطينية زمان قسطنطين حين صرف النصارى قبلتهم عن دين المسيح والتوحيد، فاتخذوا أتونا، وألقى فيه النصارى الذين كانوا على دين المسيح والتوحيد. وفي العراق في أرض بابل بختنصر، الذي وضع الصنم وأمر الناس أن يسجدوا له، فامتنع دانيال وصاحباه: عزريا وميشائيل، فأوقد لهم أتونا وألقى فيه الحطب والنار، ثم ألقاهما فيه، فجعلها الله عليهما برداً وسلاماً وأنقذهما منها، وألقى فيها الذين بغوا عليه وهم تسعة رهط فأكلتهم النار».

وقيلَ: بالنارِ، فحَذَفَ الباءَ، وهذا القولُ لا وَجهَ لهُ(١).

والوَقودُ: ما توقَدُ بهِ النَّارُ مِن الحطبِ وغيرِهِ، وكلُّ نارٍ ذاتُ وَقودٍ، وإنما ذكرَ هاهنا ليدلَّ على عظمِ النارِ بكثرةِ وقودِها، وقيلَ: احترازٌ عن نارِ الحجَرِ وغيرِهِ.

* * *

(٦) ـ ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾.

﴿إِذْ هُمْ﴾ يعني: الكفَّارَ ﴿عَلَيْهَا﴾: على حافَّةِ النارِ ﴿قُعُودٌ﴾: جلوسٌ على كراسيَّ.

* * *

(٧) ـ ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾.

﴿وَهُمْ﴾؛ أي: الكفارُ ﴿عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾: حضورٌ يرونَ ذلكَ.

مقاتلٌ: ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾: يشهدونَ عليهِم بالضَّلالِ حينَ تركوا عبادةَ الأَصنامِ(٢).

ابنُ بحرٍ: ظاهرُ الآيةِ يقتضي أنَّ هناكَ جماعةً كانوا يَصْطلونَ على حُفَيرةٍ فيها نارٌ، وبين أَيديهِمْ قَومٌ آخرونَ كانوا يَفتِنونَ نفرًا مِن المؤمنينَ بنَوعٍ مِن العَذابِ، فلَمْ يُنكِرُوا عليهِمْ ولَم يَنصُروهُمْ، فمَقَتَهُم اللهُ معَ الكفَّارِ وجعلَ لِجميعِهِمْ عَذابَ جهنَّمَ وعَذابَ الحَريقِ(٣).

* * *

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٢٤)، وعده من العجائب.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ١٧٩)، والماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٢٤٢).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٢٤)، وعده من العجائب.

(٨) ـ ﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾.

﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾؛ أي: ما رَأَوْا مِنهُم مَذمومًا وجبَتْ مَضرَّتُهم[١] لـه؛ أي: لم يَكرَهُوا مِنهُم ذنبًا[٢] ﴿إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟﴾؛ أي: إيمانَهم، وذُكِرَ بلفظِ المستقبلِ: إلَّا أنْ يُذمُّوا[٣] على الإيمانِ.

﴿بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ﴾ الذي لا يُرامُ ﴿ٱلْحَمِيدِ﴾ المستحِقِّ للحَمدِ.

* * *

(٩) ـ ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾.

﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾: عالِمٌ بكلِّ ما يَجرِي فيهنَّ.

* * *

(١٠) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾؛ أي: أحرَقُوهُمْ بالنَّارِ في الأُخدودِ.

وقيلَ: امتَحَنوهُمْ ليرجِعوا إلى الكفرِ.

﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟﴾ مِـن الكُفـرِ والقَتـلِ ﴿فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ بكفرِهـم ﴿وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾ قيـلَ: فـي الدُّنيا، وهـوَ ما سـبَقَ: أنَّ النَّارَ ارتفعَـتْ مِن الأُخـدودِ فأهلَكَتْهُم.

وقيلَ: في الآخرةِ.

---

(١) في (ف): «نصرتهم».

(٢) في (ف): «دينًا».

(٣) في (ن): «يديموا»، ولعلّ الصواب فيها: «يدوموا»، والله أعلم.

ومعنى ﴿عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾؛ أي: بإحراقِهم المؤمنينَ.

وقيلَ: إنَّما قالَ: ﴿عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾ بعدَ قولِهِ: ﴿عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ لأنَّ في جهنَّمَ سِوى عَذابِ الحريقِ أنواعًا مِن العَذابِ.

وقوله: ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟﴾ دليلٌ على أنَّ التَّوبةَ تُزيلُ عقابَ القَتلِ وعِقابَ كلِّ ذَنبٍ.

* * *

(١١) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ﴾؛ أي: النَّجاةُ ﴿ٱلْكَبِيرُ﴾: العَظيمُ.

قيلَ: هذا وَصْفٌ للمُؤمنينَ الذين صَبروا على تَعذيبِ أَصحابِ الأُخدودِ.

وقيلَ: عامٌّ. وهذا أظهَرُ.

* * *

(١٢) ـ ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾.

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾؛ أي: أخذَهُ بالانتقامِ والعُنْفِ مُتضاعِفٌ مَكروهُه وإيلامُهُ.

* * *

(١٣) ـ ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾: ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهما: يُبدِئُ العَذابَ ويُعيدُهُ[(١)].

غيرُهُ: يُبدِئُ الخلقَ مِن العَدمِ فيُوجِدُهُ ابتداءً، ثمَّ يُعيدُهُ بعدَ أنْ صيَّرَهُ تُرابًا.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٨٣)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٢٤٣).

وقيلَ: يُوجِدُهُ مِن العَدمِ ثانيًا.

* * *

(١٤ ـ ١٥) ـ ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ﴾ لِمَن تابَ مِن ذَنبِهِ ﴿ٱلْوَدُودُ﴾: المُحِبُّ أَولياءَهُ.

﴿ذُو ٱلْعَرْشِ﴾: خالقُهُ ومُوجِدُهُ، وقيلَ: ﴿ٱلْعَرْشِ﴾: المُلكُ.

﴿ٱلْمَجِيدُ﴾: الجامِعُ لمحاسنِ[1] الشَّرفِ والكَرمِ والعِظَمِ.

الرَّفعُ صفةُ اللهِ، والجرُّ أيضًا[2] صِفةُ الله في قوله: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾، ذكرَهُ أبو عليٍّ في «الحجَّةِ»[3].

وقيل: صفة العرش[4].

وقيلَ: معنى ﴿ٱلْوَدُودُ﴾: المحبوبُ المَودودُ، كالرَّكُوبِ والحَلوبِ.

وقيلَ: المُحِبُّ[5] نفسَهُ إلى أوليائِهِ بالإنعامِ.

* * *

(١٦) ـ ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾.

﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ لا يتخلَّفُ عَن إرادَتِهِ[6] مِن أَفعالِ نَفسِهِ، ولِمَا يُريدُ مِن أَفعالِ عِبادِهِ.

---

(١) في (ف): «لخلال».

(٢) قرأ حمزة والكسائي بالجر، وقرأ الباقون بالرفع. انظر: «السبعة» (ص: ٦٧٨)، و«التيسير» (ص: ٢٢١).

(٣) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٦/ ٣٩٣ ـ ٣٩٥).

(٤) «وقيل صفة العرش» ليس في (ن).

(٥) كذا في النسختين، ولعل الأولى: «المحبِّب».

(٦) «لا يتخلف عن إرادته»: ليس في (ف).

(١٧ ـ ١٨) ـ ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ۝١٧ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾.

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ۝١٧ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾؛ أي: تذكَّرْ مَا كانَ مِن حَدِيثِهما وجُندِهِما، وحَذِّرْ قَومَكَ مثلَ ما أصابَهُم، واصبِرْ فإنَّ العَاقبةَ لكَ.

* * *

(١٩) ـ ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ﴾.

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ﴾؛ أي: لا يتذكَّرونَ.

* * *

(٢٠) ـ ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ﴾.

﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ﴾: لا يَفوتونَهُ ولا يُعجِزونَهُ.

الزَّجَّاجُ: قُدرتُهُ مُشتمِلَةٌ عَليهِم[1].

وقيلَ: الإِحاطَةُ بالشَّيءِ: مُلكُهُ والقُدرَةُ عَليهِ.

* * *

(٢١) ـ ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ﴾.

﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ﴾: كَريمٌ ذُو خَيرٍ كَثيرٍ لا يُناسِبُ السِّحرَ والكهانَةَ.

* * *

(٢٢) ـ ﴿فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾.

﴿فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾؛ أي: مَحفوظٍ مِن أنْ يغيَّرَ أو يُبدَّلَ ما فيهِ.

وقيلَ: تحفظُهُ الملائِكَةُ.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣٠٩).

وقـرئَ بالرَّفـعِ[1] صفـةً للقـرآنِ؛ كقولِـه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجـر: ٩].

***

(١) قرأ بها نافع، والباقون بالجر. انظر: «السبعة» (ص: ٦٧٨)، و«التيسير» (ص: ٢٢١).

سُورَةُ الطَّارِقِ

سبعَ عشرَةَ آيةً[1]، مَكِّيَّةٌ.

بِسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٢) ـ ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ﴾.

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ﴾ في سَببِ النُّزولِ: أنَّها نَزلَتْ في أبي طالبٍ، وذلكَ أنَّهُ أتى النَّبيَّ ﷺ[2] فأتحفَهُ بخُبزٍ ولبنٍ، وبينَما هو جَالِسٌ يأكُلُ إذ انحطَّ نَجمٌ فامتلأَ ما ثمَّ ناراً، ففزِعَ أبو طالبٍ وقالَ: أيُّ شيءٍ هذا؟ فقال: «هذا نجمٌ رُمِيَ بهِ، وهوَ آيةٌ مِن آياتِ الله»، فعَجِبَ أبو طالبٍ، وأنزلَ اللهُ هذهِ الآياتِ[3].

قوله: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾: هو ما طَرَقَ ليلًا، وأصلُهُ: الطَّرْقُ، وهوَ الدَّقُّ؛ لأنَّ مَن أتى ليلًا احتاجَ إلى الدَّقِّ للتَّنبيهِ، ومنهُ: المِطرقَةُ، والطَّريقُ هوَ الذي تدقُّهُ المارَّةُ.

وأطرَقَ: أمسَكَ، والألِفُ للسَّلْبِ[4].

---

(١) «سبع عشر آية»: ليس في (ف).

(٢) بعدها في هامش (ن) في نسخة: «ليلًا».

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ١٩٨)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٥٣) دون سند ولا راو، وذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٢٠٢) من طريق أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما، وذكره البغوي في «تفسيره» (٨/ ٣٩١) عن الكلبي، ولعله مما روي من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، ولا يصح.

(٤) أي: زيادة الهمزة في أول الفعل للدلالة على الإزالة؛ فمعنى (أطرق): أزال الطرق، وهو الدقُّ، كما =

وقيلَ: الطَّارِقُ: السَّاكنُ.

والمرادُ بالآيةِ فيما ذهبَ إليهِ الجُمهُورُ: النَّجْمُ، وهوَ اسمٌ للجِنسِ، وطُروقُهَا: ظُهُورُها بالليلِ.

وذهبَ بَعضُهُم إلى أَنَّهُ الثُّرَيَّا كما سبقَ في ﴿وَٱلنَّجۡمِ﴾ [النجم: ١].

وقال بعضُهُم: هو زُحَلُ.

وعن ابنِ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: أنَّ زُحَلَ إذا أخذَتِ النُّجومُ أمكِنَتَها مِن السَّماءِ هبطَ فكانَ مَعَها، ثمَّ يرجِعُ إلى مَكانِهِ من السَّماءِ السَّابعَةِ(١). وجاءَ عَن عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ أيضًا(٢).

ولعلَّهُما أرادا: هَبَطَ مِن حيثُ مَرأى العَينِ، فإنَّها كلَّهَا في العَينِ تُضيءُ(٣) مِن السَّماءِ الدُّنيا، فإنَّ النُّجومَ لا تُفارِقُ أَفلاكَهَا، واللهُ أَعلَمُ.

***

(٣) ـ ﴿ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ﴾.

﴿ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ﴾: المضيءُ، مِن الثُّقوبِ وهو الإضاءَةُ.

وقيلَ: المرتَفِعُ، مِن قَولِهِم: ثَقَبَ الطائرُ: إذا لحقَ ببَطنِ السَّماءِ ارتفاعًا(٤).

وقيلَ: ﴿ٱلثَّاقِبُ﴾ مِن الثَّقْبُ وهو النُّفوذُ، ونُفوذُهُ قيلَ: إضاءَتُه من السماءِ السَّابعةِ إلى الأَرضِ، وقيلَ: نفوذُهُ: طُلوعُهُ.

= يقال: أقسط: أزال القَسط، وهو الظلم.

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ٢٠٦)، والمصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٢٧)، وعده من العجائب.

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٢٤٣)، والسمعاني في «تفسيره» (٦/ ٢٠٢).

(٣) في (ف): «بُصرَ».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٢٧)، واستغربه.

وقيلَ: الثَّاقِبُ للشَّيطانِ حينَ يُرمَى بهِ، فلا يَكونُ وَصفًا لزُحلَ، بلْ يَكونُ وَصْفًا لنُجومِ القَذفِ[1].

وقيلَ: ﴿ٱلثَّاقِبُ﴾: المتَّضِحُ. وقيلَ: المبيضُّ. وكلٌّ قريبٌ.

***

(٤) ـ ﴿إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ﴾.

﴿إِن كُلُّ نَفۡسٖ﴾ جوابُ القَسمِ، ﴿لَمَا عليها﴾ (ما) زيادَةٌ؛ أي: لَعَليها، والمعنى: إنَّ على كلِّ نَفسٍ حَافِظًا يحفَظُ عمَلَهُ ورِزقَهُ وأَجلَهُ ونفسَهُ، وقيلَ: يحفَظُهُ إلى أَجلِهِ.

ومَن شَدَّدَ[2] جعلَ ﴿إِن﴾ للنَّفيِ، فيكونُ ﴿لَّمَّا﴾ بمعنى: إلَّا، قالَ سيبويهِ: تأتي (لمَّا) بمعنى: إلَّا[3]، تقولُ: نَشَدْتُكَ اللهَ لَمَّا فعلتَ كذا، وإلَّا فعلتَ، والمعنى: ما نَفسٌ إلَّا علَيْها حافظٌ مِن ربِّها.

***

(٥) ـ ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ﴾.

﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ يعني: الكافِرَ المُنكِرَ قدرةَ اللهِ عَلى البَعثِ ﴿مِمَّ خُلِقَ﴾.

ثمَّ بيَّنَ فقال:

(٦) ـ ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ﴾.

﴿خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ﴾؛ أي: ما بينَ ماءِ الرَّجُلِ وماءِ المرأَةِ، فوحَّدَ لامتزاجِهما،

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٢٧)، وعده من العجائب.

(٢) قرأ بها عاصم وحمزة وابن عامر، والباقون مخففة. انظر: «السبعة» (ص: ٦٧٨)، و«التسيير» (ص: ٢٢١).

(٣) انظر: «الكتاب» (٢/ ١٣٩) (٣/ ١٠٩) (٣/ ١٥٢).

ومعنى ﴿دَافِقٍ﴾: مُنصَبٌّ باعتمادٍ شَديدٍ، تقولُ: دَفَقْتُ الماءَ فاندفَقَ وتدفَّقَ، ودافِقٌ بمعنى مَدفُوقٍ عندَ الكوفيِّينَ، وكذلك: لَيلٌ نائِمٌ وسِرٌّ كاتِمٌ[١]، وعندَ البَصريِّينَ تقديرُهُ: ذو دَفْقٍ كتَامِرٍ ولابِنٍ[٢].

***

(٧) ـ ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَآئِبِ﴾.

﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَآئِبِ﴾ الصُّلبُ: الظَّهرُ، والتَّرائِبُ: عِظامُ الصَّدرِ، قالَ:

ترائِبُهــا مَصقُولَــةٌ كالسَّــجَنْجَلِ[٣]

فماءُ الرَّجُلِ مِن الصُّلبِ وماءُ المرأَةِ مِن التَّرائِبِ.

وقيلَ: مِن بينِ صُلبِ الرَّجُلِ وتَرائِبِهِ.

وعَن الضَّحَّاكِ: التَّرائِبُ العَينانِ واليَدانِ والرِّجلانِ[٤].

وعَن سعيدٍ: التَّرائِبُ: الأَضلاعُ التي أَسْفَلَ الصُّلبِ[٥]؛ أربعٌ مِن هذا الجانبِ، وأَربعٌ مِن هذا الجانبِ.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٣٢).

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٥/ ١٢٤).

(٣) عجز بيت لامرئ القيس، وصدره:

مهفهفــةٌ بيضــاءُ غــيرُ مفاضــةٍ

انظر: «ديوان امرئ القيس» (ص: ٤٠)، و«جمهرة أشعار العرب» (ص: ١٢٧).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٩٥)، وذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٥/ ١٢٤)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٢٨)، واستغربه.

(٥) إلى هنا رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٩٦)، وذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٥/ ١٢٤). وروى الحاكم في «المستدرك» (٣٩١٨) من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «﴿الصُّلْبِ وَالتَّرَآئِبِ﴾ الصلب: هو الصلب، والترائب: أربعة أضلاع من كل جانب من أسفل الأضلاع»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٢٨)، واستغربه.

مجاهدٌ: مِن بينِ المنكِبَينِ والصَّدرِ[١].

وقيلَ: هي عُصارَةُ القَلبِ، ومِنهُ يكونُ الوَلدُ[٢].

***

(٨) ـ ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ﴾.

﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ﴾ عِكرمَةُ ومُجاهِدٌ: على ردِّ الماءِ في الإِحليلِ بعدَ دُفوقِهِ[٣].

الضَّحَّاكُ: أي: هوَ قادِرٌ على أَنْ يردَّهُ ماءً كما كانَ[٤]، فيُردُّ مِن الشَّيخوخَةِ إلى الشَّبابِ، ومنَ الشَّبابِ إلى الطُّفُولَةِ والصِّغَرِ حتى يصيرَ ماءً كمَا كانَ.

قَتادةُ: على بَعثِهِ وإِعادَتِهِ بعدَ مَوتِهِ ﴿لَقَادِرٞ﴾[٥].

***

(٩) ـ ﴿يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾.

﴿يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾: يُمتحَنُ ويُستخرَجُ المكتومُ، قيلَ: هي فرائضُ اللهِ مِن الأَعمالِ التي لو شاءَ العَبدُ أنْ يَقولَ: «فَعَلْتُها» ولم يَكُن فَعَلَها أَمكنَهُ كالصَّومِ والوُضوءِ وغُسلِ الجنابَةِ.

***

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٩٤)، وذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٥/ ١٢٤).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٢٨)، وعده من العجائب.

(٣) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٩٧)، ولفظه عن عكرمة: «رده في صلبه لقادر».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٩٨).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٩٩) عن قتادة، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٢٤٧) عن الحسن وعكرمة وقتادة.

(١٠) ـ ﴿فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٖ وَلَا نَاصِرٖ﴾.

﴿فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٖ﴾ في نفسِهِ ﴿وَلَا نَاصِرٖ﴾: عَشيرةٍ ومَنَعةٍ.

* * *

(١١) ـ ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ﴾.

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ﴾: ترجِعُ بالغَيثِ وأرزاقِ العِبادِ كلَّ عامٍ.

وقيلَ: ﴿ٱلرَّجۡعِ﴾: المطرِ والماءِ، قال:

أبيَضُ كالرَّجعِ رَسوبٌ إذا ... مَا ثاخَ في مُحتَفَلٍ يَختَلِي[(١)]

وعن ابن عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ﴾ السَّحابِ فيهِ المطَرُ[(٢)].

وقيلَ: رَجعُها: طلوعُ شَمسِها كلَّ نهارٍ ونُجومِها كلَّ ليلٍ[(٣)].

* * *

(١٢) ـ ﴿وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ﴾.

﴿وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ﴾: الشقِّ بالنَّباتِ، ومِثلُه: ﴿شَقَقۡنَا ٱلۡأَرۡضَ شَقّٗا﴾ [عبس: ٢٦].

---

(١) البيت للمتنخل الهذلي في صفة سيف. انظر: «ديوان الهذليين» (٢/ ١٢)، و«مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ٢٩٤)، و«الحيوان» للجاحظ (٥/ ١٥٩)، و«المعاني الكبير» لابن قتيبة (٢/ ١٠٧٢). شبهه بماء المطر من صفائه، قال شارح ديوان الهذليين: «الرجع: الغدير فيه ماء المطر، والمحتفَل: معظم الشيء، ومحتفَل الوادي: معظمه، وثاخ وساخ واحد؛ أي: غاب. يختلي: يَقطع. والرَّسوب: الذي إذا وقع غَمُض مكانُه لسرعة قَطْعِه».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٠٢) بلفظ المصنف، ورواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٣٥٧١)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٢٦٣)، والحاكم في «المستدرك» (٣٩١٩) بلفظ: «الرجع: المطر».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٢٨)، واستغربه.

مجاهدٌ: هما السَّدَّانِ بينَهُما طريقٌ نافذٌ مثلُ مأزِمَيْ عَرفةَ[1].

وقيلَ: ذاتِ الأَودِيَةِ.

***

(١٣) ـ ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ﴾.

﴿إِنَّهُۥ﴾؛ أي: القرآنَ ﴿لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ﴾: حَقٌّ وجِدٌّ وجَزلٌ يفصِلُ بين الحقِّ والباطِلِ.

ويحتمِلُ: أنَّ ذكرَ القيامَةِ قولٌ فصلٌ قاطِعٌ لا مَثنويَّةَ فيهِ.

***

(١٤) ـ ﴿وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ﴾.

﴿وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ﴾: بالكَذبِ واللَّعبِ في البَاطلِ[2].

***

(١٥) ـ ﴿إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا﴾.

﴿إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا﴾ يعني: أهلَ مكَّةَ، مِن قولِهِ: ﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الآية [الأنفال: ٣٠].

***

(١٦) ـ ﴿وَأَكِيدُ كَيۡدٗا﴾.

﴿وَأَكِيدُ كَيۡدٗا﴾ قيلَ: هو استِدراجُ اللهِ إيَّاهُم[3] مِن حيثُ لا يَعلمونَ.

وقيلَ: أنتقِمُ مِنهُم في الآخرةِ بالنَّارِ وبالسَّيفِ في الدُّنيا.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٠٥).

(٢) في (ف): «واللعب والباطل».

(٣) في (ف): «أتاهم».

وقيلَ: نقضُ اللهُ كيدَهُم وإبطالُه عَليْهِم كَيدٌ.

* * *

(١٧) ـ ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا﴾.

﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ﴾: اجعَلْ لَهُم مُهلَةً وأَجَلًا ولا تستَعْجِلْ هَلاكَهُم، والتَّمهِيلُ والإِمهالُ لُغتانِ.

﴿رُوَيْدًۢا﴾ صِفةُ مَصدرٍ مَحذوفٍ؛ أي: إمهالًا قليلًا.

قالَ ابنُ جِنِّي: هذِهِ أَلفاظٌ مُختلِفَةٌ والمعنى واحدٌ، وإنما اختلفَتْ اجتنابًا للتَّكرارِ(١).

وتَقديرُها: مَهِّلْ ثمَّ أَمهِلْ ثمَّ رُوَيدًا؛ أي: أَرْوِدْهُمْ رُويدًا، وأَرْوِدْ وأَمهِلْ بمعنًى، ورُوَيدٌ تَصغِيرُ أَروادٍ بالتَّرخيمِ.

قيلَ: هو ما وقعَ بهم يومَ بَدرٍ.

وقيلَ: هو يقَعُ في القِيامَةِ.

وقيلَ: هذا مَنسوخٌ، وقيلَ: مُحكَمٌ، واللهُ أعلَمُ.

* * *

(١) انظر: «المحتسب» لابن جني (٢/ ٣٥٥)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٢٨)، واستغربه.

سُورَةُ الأَعْلَى

تسعَ عَشرةَ آيةً[1]، مَكِّيَّةٌ، وقيلَ: مَدنيَّةٌ.

بِسمِ اللّٰهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾.

﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾ أصلُ التَّسبيحِ: التَّنزيهُ، وقد تقدَّمَ، و(الاسمُ) زِيادةٌ، والتَّقديرُ: سبِّحْ ربَّكَ.

وقيلَ: اسمُهُ صِفتُهُ، ومعناهُ: نزِّهْ وصفَهُ عمَّا لا يَليقُ بهِ.

وقيلَ: نزِّهْ اسمَهُ عن أنْ تُسمِّيَ بهِ غيرَهُ[2].

وقيلَ: صلِّ، وجاءَ مرفوعًا: أنَّ النبيَّ ﷺ لَمَّا نزلَتْ هذهِ الآيةُ[3] قالَ: «اجعَلُوها في سُجودِكُم»[4].

وعَن أُبيٍّ رضيَ اللهُ عنهُ: أنه كانَ يفتَتِحُ هذهِ السُّورةَ بـ(سُبحانَ ربيَ الأَعلى)، ويقولُ: مَعناهُ: قلْ: سُبحانَ ربِّيَ الأَعلى[5].

---

(١) «تسع عشر آية»: ليس في (ف).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٢٩) واستغربه.

(٣) في (ن): «السورة».

(٤) رواه أبو داود (٨٦٩)، وابن ماجه (٨٨٧)، من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه.

(٥) لم أجده هكذا عن أبي، وروى الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٠٩)، والحاكم في «المستدرك» =

وقيلَ: ارفَعْ صَوتَكَ بقراءَتِهِ(١)، قالَ الشَّاعرُ:

قَبَحَ الإلَهُ وُجوهَ تَغلِبَ كُلَّما سَبَحَ الحَجِيجُ وكَبَّرُوا إهلالا(٢)

﴿ٱلْأَعْلَى﴾: علا كلَّ شَيءٍ قُدرَةً وسُلطانًا، والألِفُ للمبالغَةِ لا للمُقابَلَةِ(٣).

***

(٢) - ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ﴾؛ أي: الخَلائِقَ ﴿فَسَوَّىٰ﴾: مستويًا أشهدَهُ على نَفسِهِ أنَّهُ ربُّهُ وأنَّهُ خلَقَهُ على الفِطرَةِ.

وقيلَ: ﴿فَسَوَّىٰ﴾: أحسنَ.

ابنُ جريرٍ: عدَّلَ، والتَّسويَةُ: التَّعديلُ(٤).

***

(٣) - ﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾.

﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ﴾؛ أي: قدَّرَ الأشياءَ، والتَّخفيفُ والتَّشديدُ بمعنى(٥).

= (٣٩٢٣) عن سعيد بن جبير قال: «عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنه كان إذا قرأ ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ قال: سبحان ربي الأعلى الذي خلق فسوى، قال: وهي قراءة أبي بن كعب»، ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٢٩)، وعده من العجائب. وذكره ابن فورك في «تفسيره» (٣/ ١٩٩) عن ابن عباس، وذكر ابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٤٣١) أنه قول الجمهور.

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٢٩)، وعده من العجائب.

(٢) البيت لجرير. انظر: «ديوانه» (١/ ٥٢)، و«النكت والعيون» (٦/ ٢٥١). ورواية الديوان: (شبح) بدل (سبح)، قال الشارح محمد بن حبيب: «الشبح: رفع الأيدي بالدعاء، والإهلال: رفع الصوت».

(٣) يعني: أنه صفة مشبهة، لا اسم تفضيل، والألف هي الزائدة في وزن (أفعل)، والله أعلم.

(٤) انظر: «تفسير الطبري» (٢٤/ ٣١١).

(٥) قرأ الكسائي بالتخفيف، والباقون بالتشديد. انظر: «السبعة» (ص: ٦٨٠)، و«التيسير» (ص: ٢٢١).

وقيلَ: ﴿قَدَرَ﴾ بالتَّخفيفِ: مَلَك، و﴿قَدَّرَ﴾ بالتَّشديدِ: جعلَهُ قادرًا.

﴿فَهَدَىٰ﴾ الفرَّاءُ: فهَدَى وأضلَّ، فاقتصرَ على أَحدِ الضِّدَّينِ(١).

الزجَّاجُ: فهداهُ السَّبيلَ؛ إمَّا شَاكِرًا، وإمَّا كَفُورًا(٢).

وقيلَ: هَدَى الإنسانَ لِمَصالحِهِ والبَهائِمَ لمراتِعِه.

وقيلَ: هَدَى الذَّكَر لمآتي الإناثِ، وقيلَ: هَداهُ لِمَعاشِهِ.

***

(٤) ـ ﴿وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ﴾.

﴿وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ﴾: أنبتَ ما ترعاهُ الدَّوابُّ.

***

(٥) ـ ﴿فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ﴾.

﴿فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً﴾ هو ما جفَّ مِن النَّبْتِ وهُشِمَ فحملَهُ السَّيلُ.

وقيلَ: الغُثَاءُ: الأَخلاطُ مِن أصنافٍ شتَّى.

﴿أَحْوَىٰ﴾: أسوَدَ مُحترِقًا.

الفرَّاءُ والزَّجَّاجُ: فيهِ تَقديمٌ وتأخيرٌ تقديره: أخرجَ المرعَى أحوى أَسْودَ مِن شدَّةِ خُضرَتِه وكَثرةِ ريِّه(٣).

وقيلَ: مِن كلِّ لَونٍ، و﴿أَحْوَىٰ﴾ على هذا الوَجهِ حالٌ لـ﴿ٱلْمَرْعَىٰ (٤) فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً﴾.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٥٦).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣١٥).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٥٦)، و«معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣١٥).

(٦) ـ ﴿سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾.

﴿سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ عن ابنِ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: أنَّ النبيَّ عليهِ السَّلامُ كانَ إذا نزلَ عليهِ جِبريلُ بالوَحيِ يَقرؤُهُ مخافَةَ أنْ يَنساهُ، فأنزلَ اللهُ تعالى: ﴿سَنُقۡرِئُكَ﴾[١]؛ أي: نُعلِّمُكَ ونحفَظُ عليكَ ما تقرؤُهُ فلا تَنساهُ؛ أي: وأنتَ لا تَنساهُ، إخبارٌ.

وقيلَ: نَهيٌ، وألفُهُ ألِفُ الفَواصِلِ[٢]؛ كقولِهِ ﴿ٱلظُّنُونَا۠﴾ و﴿ٱلسَّبِيلَا۠﴾. وهذا تَعسُّفٌ[٣].

***

(٧) ـ ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ وَمَا يَخۡفَىٰ﴾.

﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ الفرَّاءُ: وهو لا يَشاءُ، وما نسيَ ﷺ شيئًا مِن القرآنِ[٤].

الحسنُ وقَتادَةُ: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ أن ينسخَهُ فينساهُ[٥].

ابنُ جريرٍ: لا تنساهُ إذا دَرَسْتَهُ ولم تترُكْ قراءَتَهُ، وتنساهُ إذا تركْتَ قراءتَهُ حين نُسِخَ[٦].

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٦٤٩)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٣٦): «رواه الطبراني، وفيه جويبر وهو ضعيف».

(٢) انظر: «إعراب ثلاثين سورة» لابن خالويه (ص: ٥٧ ـ ٥٨).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٣٠)، وعده من العجائب، ثم قال: وهذا بعيد؛ لأن الاستثناء من الشيء يكون مؤقتًا، ولأن ألف الفاصلة كلام ضعيف.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٥٦).

(٥) ذكره عنهما الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٢٥٣)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣١٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤١٧) عن قتادة بلفظ: «﴿سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ كان ﷺ لا ينسى شيئًا ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾».

(٦) في (ف): «حتى نسخ». ولم أقف عليه في «تفسير الطبري».

وقيلَ: معنى ﴿لا تنسى﴾: لا تترُكُ العَملَ بما أُمِرتَ بِهِ ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ أنْ لا تَعملَ بهِ بالنسخِ.

الزَّجَّاجُ: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ ثمَّ تَذْكُرُه[1]، مِن قوله: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف: ٢٤].

ابنُ عيسى: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ أنْ يُؤخِّرَ إنزالَهُ[2].

﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾ ابنُ جريرٍ: ﴿ٱلْجَهْرَ﴾: ما ظهرَ ﴿وَمَا يَخْفَىٰ﴾: الوَسْوَسةُ[3].

وقيلَ: ﴿ٱلْجَهْرَ﴾: ما تحفَظُهُ ﴿وَمَا يَخْفَىٰ﴾: ما تَنساهُ بعدَ النَّسخِ.

وقيلَ: ﴿ٱلْجَهْرَ﴾: قراءَتُهُ ﴿وَمَا يَخْفَىٰ﴾: مخافَةَ نِسيانَه[4].

* * *

(٨) ـ ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ﴾.

﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ﴾: للخَلَّةِ اليُسرى، وهو سُهولَةُ عَملِ الخَيرِ.

وقيلَ: اليُسرى: الجنَّةُ؛ أي: نيسِّرُ لكَ أَسبابَ دُخولِها.

* * *

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣١٦).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٢٥٣)، وذكره الزجاج في «معاني القرآن» (٥/ ٣١٦) قولًا.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٢٤/ ٣١٦)، وفيه: «إن الله يعلم الجهر يا محمد من عملك؛ ما أظهرته وأعلنته، ﴿وَمَا يَخْفَىٰ﴾ يقول: وما يخفى منه فلم تظهره مما كتمته».

(٤) في (ف): «مخافة بنسيانه».

(٩) ـ ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾.

﴿فَذَكِّرْ﴾؛ أي: بالقُرآنِ، وقيلَ: باللهِ رغبةً ورهبةً.

﴿إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾؛ أي: الذِّكرى نافعةٌ، و﴿إِن﴾ مخفَّفةٌ مِن المثقَّلَةِ[1].

وقيلَ: تقديرُه: إنْ نفَعَتِ الذكرى وإن لم تَنفَعْ، فيكونُ الشَّرطُ غيرَ معتدٍّ بهِ، وقد سبقَ أمثالُهُ.

وقيلَ: ذكِّرهُم إنْ طَمعتَ في قَبولِهم.

وقيلَ: ﴿إِن﴾ بمعنى النَّفْيِ[2].

* * *

(١٠ ـ ١١) ـ ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝١٠ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى﴾.

﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ﴾: سيتَّعِظُ مَن يَخشَى اللهَ ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى﴾: ويتجنَّبُ الذِّكرَى الأَشقَى الكافِرُ.

* * *

(١٢) ـ ﴿ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾.

﴿ٱلَّذِى يَصْلَى﴾: يدخُلُ ﴿ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾: نارَ جهنَّمَ، والصُّغرى: نارُ الدُّنيا.

ورَوَى أبو هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ عن النبيِّ ﷺ أنه قالَ: «إنَّ نارَكُم هذهِ جزءٌ مِن سَبعينَ جُزءًا مِن نارِ جهنَّمَ غُسلَتْ بماءِ البَحرِ مرَّتينِ، ولولا ذلكَ لَمَا خُلِقَت فيهَا مَنفَعَةٌ»[3].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٣٠)، وعده من العجائب.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٣٠)، واستغربه.

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٢/ ٢٨٠)، والبيهقي في «البعث والنشور» (٥٠٠)، وصحح =

وقيلَ: الطَّبَقَةُ السُّفلى مِنها.

***

(١٣) ـ ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾.

﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ نفى مَوتًا بصفةٍ وحياةً بصِفَةٍ؛ أي: لا يموتُ موتًا مُريحًا، ولا يحيا حياةً مُلِذَّةٍ.

وقيلَ: هي عبارةٌ عَن شِدَّةٍ بلغَتْ النِّهايةَ.

***

(١٤) ـ ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾.

﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾[١]: صادفَ البقاءَ ونالَ الفَوزَ ﴿مَن تَزَكَّىٰ﴾ عِكرمَةُ قال: لا إلهَ إلا اللهُ[٢].

الزَّجَّاجُ: تكثَّرَ بالتَّقوى[٣].

وقيلَ: يتطهَّرُ مِن المعاصي.

قَتادَةُ: أخرجَ الزَّكاةَ المفروضَةَ[٤]، وقيلَ: صدقةَ الفِطْرِ.

= إسناده ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ١٨٩) عند تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا﴾، وأصل الحديث رواه البخاري (٣٢٦٥)، ومسلم (٢٨٤٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ بلفظ: «ناركم هذه التي يوقد ابن آدم جزء من سبعين جزءًا من حر جهنم» قالوا: والله إن كانت لكافية يا رسول الله، قال: «فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءًا، كلها مثل حرها».

(١) في (ف) زيادة: «بمن».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣١٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤١٧)، والطبراني في «الدعاء» (١٥٥٢).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣١٦).

(٤) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٥/ ١٢٨)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٢٠) بلفظ: =

(١٥) ـ ﴿وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾.

﴿وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ﴾؛ أيْ: التَّكبيرَ يومَ العيدِ ﴿فَصَلَّىٰ﴾ صلاةَ العِيدِ. وقيلَ: الصَّلواتِ الخمسَ. وقيلَ: صَلاةَ اللَّيلِ.

* * *

(١٦) ـ ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾.

﴿بل يُؤْثِرُونَ الحياة الدنيا﴾ على الآخرَةِ، والضَّميرُ للأَشْقَين.

وقُرِئَ بالتَّاءِ[1] على تَقديرِ: قلْ لهم، فالخِطابُ لهم أيضًا.

وقيلَ: الخطابُ للمؤمنينَ؛ أي: بل تؤثرونَ الاستكثارَ مِن الدُّنيا على الاستكثارِ مِن الآخرَةِ.

* * *

(١٧) ـ ﴿وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾.

﴿وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾؛ أي: خيرٌ للمُؤمِنِ وأَبقى للجَزاءِ والثَّوابِ.

قَتادَةُ: خَيرٌ في الخَيرِ وأَبقى في البَقاءِ[2]، وهذا تَفسيرٌ لا يَخفى عَلى أَحَدٍ.

* * *

= «تزكى رجل من ماله وأرضى خالقه».

(١) قرأ أبو عمرو: (يؤثرون) بالياء، والباقون بالتاء. انظر: «السبعة» (ص: ٦٨٠)، و«التيسير» (ص: ٢٢١).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٢٢)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٣١)، وعده من العجائب.

(١٨ ـ ١٩) ـ ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾ ﴿هَٰذَا﴾: إشارةٌ إلى فلاحِ المتزكِّي وكَونِ الآخرةِ خيرٌ وأبقى.

وقيلَ: إشارةٌ إلى ما في السُّورَةِ أجمعَ.

وقيلَ: إشارةٌ إلى جَميعِ القُرآنِ.

والصُّحُفُ جَمعُ صَحيفَةٍ وكلُّ مَكتوبٍ عندَ العَربِ صَحيفَةٌ، ثم أبدلَ فقال: ﴿صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾؛ أي: ما أُنزِلَ عَليهِمَا، صلواتُ اللهِ عَليهِمْ أَجمعِينَ.

* * *

سُورَةُ الغَاشِيَةِ

سِتٌّ وعشرونَ آيةً[1]، مكِّيَّةٌ.

بسمِ اللّه الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ﴾.

﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ﴾: ﴿هَلۡ﴾: استِفْهَامٌ، ومَعناهُ هاهنا تَعظيمُ المُستَفْهَم عَنه؛ أي: تَنبَّه الغاشية.

الزَّجَّاجُ: أي: لَمْ يَكُن هذا مِن عِلمِكَ ولا مِن عِلْمِ قَومِكَ حتى أَعلَمْتُكُم[2].

والغَاشِيَةُ: القيامَةُ؛ لأنَّها تَغشى القُلوبَ بشَدائدِهَا.

سعيدٌ: الغاشِيَةُ: النَّارُ[3]، مِن قَولِه ﴿وَتَغۡشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [إبراهيم: ٥٠].

***

(٢) ـ ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ﴾.

﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ﴾؛ أي: وجوهُ الكُفَّارِ، وعبَّر بها عَن أَصحابِها؛ لأنَّها تَشتَمِلُ على الحواسِّ الخَمسِ، ﴿خَٰشِعَةٌ﴾: ذَليلَةٌ.

***

---

(١) «ست وعشرون آية»: ليس في (ف).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣١٧).

(٣) رواه إبراهيم الحربي في «غريب الحديث» (٢/ ٦٥٧)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٢٧).

(٣) ـ ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾.

﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾: تُعالِجُ السَّلاسِلَ والأَغلالَ، وقيلَ: تقاسي الشَّدائِدَ وتُكابِدُ المَكارِهَ.

السُّدِّيُّ: ﴿عَامِلَةٌ﴾ في الدُّنيا ﴿نَّاصِبَةٌ﴾ في الأُخرَى.

وقيلَ: ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ في الدُّنيا؛ أي: في غَيرِ ما أمرَهُ اللهُ.

وقيلَ: هُم نسَّاكُ اليَهودِ والنَّصارَى مِن الرَّهابِنَةِ وغَيرِهِم[١].

* * *

(٤) ـ ﴿تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾.

﴿تَصْلَىٰ نَارًا﴾: تَدخُلُ، مِن: صَلِيَ يَصْلَى، و﴿تُصْلَى﴾ مِن: أَصْلَاهُ اللهُ.

﴿حَامِيَةً﴾؛ أي: مُتناهِيَةً في الحَرارَةِ.

* * *

(٥) ـ ﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ﴾.

﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ﴾ بلغَتْ أَناها في نُضجِها وإدراكِها.

وقيلَ: بلغَتْ وقتَها وحانَ شُربُها، مِن: آناءِ اللَّيلِ.

* * *

(٦ ـ ٧) ـ ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾.

﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾ سَعيدٌ: الضَّريعُ: الحِجارَةُ[٢].

---

(١) ذكر المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٣٣) القولين الأخيرين وجعلهما قولًا واحداً، واستغربه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٣٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٢١)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٢٨٨).

الحسنُ: الضَّرِيعُ: هوَ الذي يَضرَعُونَ عندَهُ ويَذِلُّونَ؛ لِمَا في أَكلِهِ مِن الشِّدَّةِ(١).

الضَّحَّاكُ: شَجرَةٌ في النَّارِ مِن جِنسِ النَّارِ تُشبِهُ الضَّريعَ، أو مِن جِنسٍ لا تُفنيهِ النَّارُ(٢).

وقيلَ: هذا مثلٌ، والضَّريعُ عندَ العَربِ: نبتٌ لاطِئٌ بالأرضِ لهُ شَوكٌ يقالُ لرَطْبِهِ: الشِّبرقُ، فإذا يَبِسَ سمِّيَ ضَرِيعًا، ويقالُ: إنَّهُ يُسمِّنُ الإبلَ رطبًا، وذُكرَ أنَّ أبا جَهلٍ قالَ لما نزلَتْ هذهِ الآيةُ استهزاءً: وما بالُ الضَّريعِ؟ سيسَمِّنُنا كمَا يُسمِّنُ في الدُّنيا إبلَنَا، فأنزلَ اللهُ تَعالى: ﴿لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾ فضلًا عنِ السِّمَنِ(٣).

المبرِّدُ: هوَ أبشَمُ مطعَمٍ وأخبَثُهُ.

وقيلَ: الضَّريعُ سُمٌّ(٤).

***

(٨) ـ ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾؛ أي: وُجوهُ المؤمنينَ، قيلَ: أرادَ: وَوُجوه، بواوِ العَطفِ فحَذَفَ الواوَ، ﴿نَّاعِمَةٌ﴾: مُتنعِّمَةٌ في لينِ العَيشِ.

***

(١) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٥/ ١٣١).

(٢) لم أجده، وروى عنه ابن أبي الدنيا في «صفة النار» (٨١) في قوله تعالى: ﴿غِسْلِينٍ﴾ [الحاقة: ٣٦] قال: «هو الضريع، شجرة يأكل منها أهل النار»، وذكر المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٣٤) أقوال سعيد والحسن والضحاك، واستغربها.

(٣) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» (٥/ ٣١٧)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ٢٧١)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٤٧٥) دون نسبة، ودون تسمية أبي جهل.

(٤) ذكرهما المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٣٤)، وعدهما من العجائب.

(٩) ـ ﴿لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾.

﴿لِّسَعْيِهَا﴾: طاعَتِها وعَملِهَا في الدُّنيا، والمعنى: لِأَجلِ سَعيِها ﴿رَاضِيَةٌ﴾: رَضِيَت عَملَها إذا رَأَتْ حَميدَ عَاقِبَتِها.

وقيلَ: فيهِ تَقدِيمٌ، والتَّقْديرُ: راضيةٌ لِسَعيِها، واللَّامُ زِيادَةٌ كمَا تقولُ: ضَارِبٌ لِزَيْدٍ، وأنتَ تريدُ: ضَارِبٌ زَيْدًا.

* * *

(١٠) ـ ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾.

﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾: غُرَفٌ فوقَ غُرَفٍ، وقيلَ: عَاليَةِ الشَّأنِ.

* * *

(١١) ـ ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً﴾.

﴿لَّا تَسْمَعُ﴾؛ أي: الوُجوهُ ﴿فِيهَا لَاغِيَةً﴾: كلمةً ذاتَ لغوٍ، وهوَ الكَلامُ السَّاقطُ غيرُ المرضيِّ.

الفرَّاءُ: نفسٌ لاغيةٌ تحلِفُ كاذبَةً[١].

قتادةُ والزَّجَّاجُ: مَأثمًا[٢].

* * *

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٥٧).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣١٨)، ورواه عن قتادة عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٥٨٧) بلفظ: «لا تسمع فيها باطلاً ولا إثماً»، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٣٥) بلفظ: «لا تسمع فيها باطلاً ولا شاتمًا».

(١٢) ـ ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾.

﴿فِيهَا﴾: في الجنَّةِ ﴿عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾: عينُ ماءٍ جَارِيَةٌ على وجهِ أَرضِها مِن غَيرِ أُخدودٍ لا تَنقَطِعُ أبدًا.

* * *

(١٣ ـ ١٦) ـ ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾.

﴿فِيهَا سُرُرٌ﴾: جمعُ سَريرٍ ﴿مَّرْفُوعَةٌ﴾؛ أي: طوالٌ قوائِمُها مَنصوبَةٌ على أنشازٍ، يطَّلِعُ القاعِدُ عليه على ما خوَّلَهُ اللهُ تعالى مِن النَّعيمِ، طولُهُ مئةُ فَرسَخٍ.

﴿وَأَكْوَابٌ﴾: جمع كوبٍ، وهوَ الآنِيَةُ لا عُروَةَ لها ولا خُرطومَ.

وقيلَ: الكُوبُ: القَدَحُ.

﴿مَّوْضُوعَةٌ﴾: وُضِعَت على حافاتِ الأنهارِ، وقيلَ: وُضِعَت تزيينًا للمَجالِسِ.

﴿وَنَمَارِقُ﴾: جمعُ نُمرُقَةٍ بالفتحِ والضمِّ، وهي الوَسائدُ، وقيلَ: أَنصافُها[1].

﴿مَصْفُوفَةٌ﴾: مَوضوعةٌ بَعضُها إلى جنبِ بَعضٍ على الطُّولِ.

﴿وَزَرَابِيُّ﴾: جمعُ زِرْبِيٍّ، وهوَ البِساطُ.

﴿مَبْثُوثَةٌ﴾: مُتفرِّقَةٌ في المجالِسِ مُختلِفَةُ الألوانِ، وقيلَ: مَفروشَةٌ.

* * *

(١٧ ـ ١٩) ـ ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾.

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ خصَّ الإبِلَ بالذِّكرِ لحُبِّ العَربِ إيَّاها

---

(١) كذا ضبطت في (ف)، ورسمت في (ن).

وممارسَتِهم أَحوالَهـا، وأَنَّهـا تَنقَـادُ مـعَ عِظَـمِ جُثَّتِهـا وجِسـمِها(١) وكَثـرَةِ أَجزائِهـا للصَّبـيِّ الطِّفلِ.

وقيلَ: تَلفِيقُها بالأَوَّلِ مِن وَجهٍ، وهوَ أَنَّهم قالوا: كيفَ يصعَدُ المُؤمِنُ السَّريرَ المَوصوفَ بالطُّولِ المَذكورِ؟! فذكرَ اللهُ الإِبلَ؛ أي: إنَّ السُّرُرَ تُطأطِئُ للمُؤمِنِ كما تُطَأطِئُ الإِبلُ رأسَها لِراكِبِها.

ابنُ عيسى: الإِبلُ: السَّحابُ، ذكرَهُ في «كِتابِ الاشتِقاقِ»(٢).

﴿وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ﴾؛ أي: رُفِعَت عنِ الأَرضِ مُنفَصِلَةً.

﴿وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ﴾ على الأرضِ غيرَ مُنفَصِلَةٍ.

المبردُ: الفَائِدةُ في ذكرِ الجبلِ أَنَّهم يَصعدُونَ إلى الجَبلِ الصيخودِ(٣) عامَّةَ يومٍ، فإذا أفضَوْا إلى أَعلاهُ أَفضَوْا إلى عُيونٍ مُنفَجِرَةٍ وثِمارٍ مُتهدِّلَةٍ لم تحرُثْها الأَيدي نِعمَةً مِن اللهِ وبُلغَةً إلى أَجَلٍ، أَليسَ الذي خلقَ هذا بِقادِرٍ على أنْ يَخلُقَ ما أرادَ في الجنَّةِ؟

***

(٢٠) ـ ﴿وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ﴾.

﴿وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ﴾: بُسِطَت، استدلَّ بعضُهُم بهذا على أنَّ الأَرضَ

---

(١) في (ف): «مع عظم جسمها».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٣٥)، واستغربه، لكنه نقل عن ابن عيسى في المصدر المذكور أن الإبل هنا بالتشديد، ولابن عيسى الرماني: «الاشتقاق الكبير»، و«الاشتقاق الصغير». انظر: «الفهرست» (ص: ٨٨)، و«هدية العارفين» (١/ ٦٨٣).

(٣) الصَّيخُود: الصخرة الملساء الصُّلبة لا تُحرَّكُ من مكانها، ولا يَعمل فيها الحديد، شمرٌ عن ابن شُمَيل: الصَّيخودُ: الصَّخرةُ العظيمة التي لا يَرفعُها شيء ولا يأخذ فيها منقارٌ ولا شيء. انظر: «تهذيب اللغة» (٧/ ٥٨ و٥٩).

مَبسوطَةٌ وليسَتْ على شَكلِ الكُرَةِ، ومَن قالَ: إنَّها على شَكلِ الكُرَةِ، أجابَ فقال: بُسطَتْ في مرأى العَينِ.

***

(٢١) ـ ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾.

﴿فَذَكِّرْ﴾؛ أي: ذكِّرْهُم الأدلَّةَ وحُثَّهُم على التَّفكُّرِ[١] فيها، ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾: ليسَ عليكَ إلَّا الدُّعاءُ والتَّذكيرُ.

***

(٢٢) ـ ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾.

﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾: بمسلَّطٍ جبَّارٍ، وقيلَ: حَفيظٍ تكتُبُ عليهِمْ ما يفعلونَ.

الحسَنُ: برَبٍّ تُجبِرُهُم على ما تُريدُ[٢].

***

(٢٣) ـ ﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ﴾.

﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ﴾؛ أي: تولَّى عنكَ ﴿وَكَفَرَ﴾ باللهِ، والاستثناءُ عندَ الجُمهُورِ مُنقَطِعٌ تَقديرُهُ: لكن مَن تولَّى وكفَرَ فيُعذِّبُه اللهُ.

وقيلَ: مُتَّصِلٌ، وتَقديرُهُ: لستَ عَليهِم بمسلَّطٍ إلا الكافرَ، فإنَّكَ مُسلَّطٌ عليهِ بالجهادِ[٣].

---

(١) في (ن): «التفكير».

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٢٦٣).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٣٥)، واستغربه.

الفـرَّاءُ: يجـوزُ أنْ يكونَ اسـتثناءً مُتَّصِـلًا مِـن ﴿مُذَكِّرٌ﴾؛ أي: إلَّا مَن لا يقبَلُ فلسْـتَ بمُذَكِّرٍ لـهُ إذ لَم ينفَعْـهُ ذلكَ(١).

الزجَّاجُ: الآيةُ مَنسوخَةٌ بآيةِ السَّيفِ(٢).

***

(٢٤) ـ ﴿فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ﴾.

﴿فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ﴾ أي: في النَّارِ.

***

(٢٥) ـ ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ﴾.

﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ﴾: رُجوعَهم، لا يَفوتُونَنا وإنْ طالَ المدَى.

***

(٢٦) ـ ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾.

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ فـي القيامَـةِ، فنُجَـازِي المُحسِـنَ بإحسَـانِهِ، والمُسِـيءَ بإساءَتِهِ.

***

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٥٨)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٣٥)، وعده من العجائب.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣١٩).

سُورَةُ الفَجْرِ

ثلاثونَ آيةً[1]، مَكيَّةٌ.

بِسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿وَٱلْفَجْرِ﴾.

﴿وَٱلْفَجْرِ﴾: هوَ شقُّ عَمودِ الصُّبحِ، والمرادُ بهِ: فجرُ كُلِّ يومٍ.

وقيلَ: فَجرُ يومِ النَّحرِ.

وقيلَ: فَجرُ يومِ عَرفةَ.

ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: صَلاةُ الفَجرِ[2].

عليٌّ رضيَ اللهُ عنهُ: فَجرُ أوَّلِ يَومٍ مِن المحرَّمِ[3].

وقيلَ: فَجرُ أوَّلِ يَومٍ مِن ذي الحجَّةِ.

---

(١) «ثلاثون آية»: ليس في (ف). وانظر: «البيان في عد آي القرآن» (ص: ٢٧٣)، وفيه: «وهي تسع وعشرون آية في البصري وثلاثون في الكوفي والشامي واثنتان وثلاثون في المدنيين والمكي، اختلافها أربع آيات...».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٤٤).

(٣) لم أقف عليه عن علي رضي الله عنه، ورواه الطبري في «تاريخه» (٢/ ٣٩٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٤٩٤)، عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: «الفجر هو المحرم فجر السنة». وذكره المبرد في «الكامل» (٢/ ١٠٧)، والنحاس في «إعراب القرآن» (٥/ ١٣٥)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٤٧٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

والفَجرُ فَجرانِ: مُستَطيلٌ وهوَ مِن اللَّيلِ، ومُعتَرِضٌ وهوَ مِن النَّهارِ، والقَسَمُ واقِعٌ عليهِ.

وقيلَ: انفجارُ الماءِ مِن العُيونِ، والنَّباتِ من الأرضِ.

قتادةُ: انفجارُ الماءِ مِن بين[1] أصابعِ رَسولِ اللهِ ﷺ يومَ الطَّائفِ[2].

الحسنُ: انفِجارُ النَّاقةِ مِن الصَّخرَةِ لصَالحٍ عليهِ السَّلامُ[3].

* * *

(٢) ـ ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾.

﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ الجمهورُ على أنَّها عشرُ ذي الحجَّةِ.

وقيلَ: العَشرُ الأُوَلُ مِن المحرَّمِ.

وقيلَ: العَشرُ الآخِرُ مِن شَهرِ رَمضانَ.

* * *

(٣) ـ ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾.

﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: الشَّفْعُ: الخَلقُ، والوتْرُ: الخالِقُ سُبحانَهُ وتعالى[4].

وعنه أيضًا: الشَّفعُ: يومُ النَّحرِ، والوترُ: يومُ عَرفَةَ.

وقيلَ: الشَّفْعُ والوتْرُ: الصَّلواتُ؛ فإنَّ فِيها شفعًا ووترًا.

---

(١) «بين»: ليس في (ف).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٣٧)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٣٧)، وعده من العجائب.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٥١)، وذكره مكي بن أبي طالب في «الهداية» (١٢/ ٨٢٣٦).

وقيلَ: الشَّفعُ والوترُ: الخَلْقُ؛ فإنَّ فيهِم شفعًا ووترًا.

وقيلَ: الشَّفعُ: أيَّامُ الدُّنيا، والوترُ: يومُ القِيامَةِ.

وقيلَ: الشَّفعُ: أبوابُ الجنَّةِ، والوترُ: أبوابُ النَّارِ.

الحسنُ: الشَّفعُ والوترُ: العَدَدُ كلُّهُ[1].

وقيلَ: الشَّفعُ: يوما مِنًى، والوترُ: اليومُ[2] الثَّالثُ.

وقيلَ: الشَّفعُ: العَشرُ، والوترُ: أيامُ مِنى الثَّلاثَة.

وقيلَ: هوَ آدَمُ وكانَ فردًا فشُفِعَ بحوَّاءَ، واللهُ أعلَمُ.

والوَترُ والوِترُ لُغتانِ[3]، وهوَ الفَردُ، والشَّفْعُ: ما معَهُ مثلُه، ومنهُ الشَّفيعُ والشَّفاعَةُ.

***

(٤) ـ ﴿وَالَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾.

﴿وَالَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾: أقبلَ، وقيلَ: أدبرَ.

وقيلَ: يَسري مِن أوَّلِه إلى آخرِهِ.

وقيلَ: يَسري فيهِ السَّاري.

---

(١) ذكره أبو علي الفارسي في «الحجة» (٦/ ٤٠٢)، وابن فورك في «تفسيره» (٣/ ٢١١)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٥٢) بلفظ: «الخلق كله شفع، كان أبي يقول: كل شيء خلق الله شفع ووتر، فأقسم بما خلق»، ورواه عبد بن حميد كما في «الدر المنثور» (٨/ ٥٠٣) بلفظ: «هو العدد مِنْهُ شفع وَمِنْه وتر».

(٢) في (ن): «يوم».

(٣) قرأ حمزة والكسائي بكسر الواو، والباقون بفتحها. انظر: «السبعة» (ص: ٦٨٣)، و«التيسير» (ص: ٢٢٢).

وقيلَ: لَيلَةُ القَدرِ، وقيلَ: لَيلَةُ براءةَ، وقيلَ: ليلةُ المُزدَلِفَةِ.

أقسمَ اللهُ بهذِهِ كلِّها، وقيلَ: بربِّ هذهِ الأشياءِ، وهوَ ضَعيفٌ، وقد سَبَقَ.

وجوابُ القَسَمِ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾.

* * *

(٥) - ﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾.

﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ﴾؛ أي: في القَسَمِ بهذِهِ الأَشياءِ ﴿قَسَمٌ﴾ مُكتَفًى ومَقْنَعٌ في القَسَمِ ﴿لِّذِي حِجْرٍ﴾: عَقلٍ ولبٍّ وحلمٍ.

* * *

(٦ - ٨) - ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ هو اسمُ قَبيلَةٍ هيَ قومُ هودٍ عليهِ السَّلامُ.

﴿إِرَمَ﴾ قيلَ: هو اسمُ الإسكندريَّةِ، وقيلَ: دمشقَ، وقيلَ: اسمُ بلدٍ وبساتينَ.

مجاهدٌ: اسمُ أمِّ عادٍ[1].

وقيلَ: أبو عادٍ.

والتَّقديرُ: صاحِبُ إرمَ، أو: ابنُ إرمَ، وقيلَ: سِبطُ إرمَ، وهو عادُ بن عوصِ بنِ إرمَ، فحُذِفَ المضافُ، أو له اسمانِ كما قالَ الزجَّاج: هما عادانِ، أُولاهُما إِرَمُ ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾[2].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٦٢) بلفظ: «أمة»، وكذا ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ٣٢٠)، ومكي بن أبي طالب في «الهداية» (١٢/ ٨٢٤٢).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣٢٢).

قَتادَةُ: إِرَمُ قَبيلَةٌ مِن عادٍ[1].

وقيلَ: معنى (إِرَم): القَديمَةُ، وقيلَ: الهَالِكَةُ.

وقيلَ: (إِرَمُ) هي الحِجارَةُ المجموعَةُ على الطُّرُقِ كهَيئَةِ الأَعلامِ، وجمعُها: الآرامُ، وكانوا يَنتجِعُونَ الغَيثِ[2]، ويجعَلُ كلُّ واحدٍ في منزلِهِ إرماً يعرَفُ بهِ.

وقيلَ: (إِرَمُ) مِن قَولِهِم: هذا مَأرومٌ على هذا؛ أي: مبنِيٌّ عليهِ، فيكونُ مِن صفَةِ البلَدِ أو البُستانِ.

﴿ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾: ذاتِ البناءِ الرَّفيعُ.

وقيلَ: ذاتِ الأَجسامِ الطَّويلَةِ، وكانَ طُولُ الواحِدِ مِنهُم اثني عشرَ ذِراعًا، وقيلَ: كانَ أطوَلُهُم مئةَ ذراعٍ وأقصرُهُم سبعينَ ذراعًا.

وقيلَ: ذاتِ الرِّفعةِ والقوةِ والثباتِ.

وقيلَ: ذاتِ عُمُدٍ سيَّارَة يَنتجِعونَ الغَيثَ والكَلأَ.

﴿ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ﴾ قيلَ: الضَّميرُ يَعودُ إِليهِم.

وقيلَ: يَعودُ إلى الأَبنِيَةِ والعُمُدِ.

* * *

(٩) ـ ﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ﴾.

﴿وَثَمُودَ﴾ هم بنو عمٍّ عادٍ ﴿ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ﴾: قطعوهُ واتَّخذوهُ مَنازِلَ، وقيلَ: اتَّخذوا مِنْها مَنازِلَ ﴿بِٱلْوَادِ﴾: وادي القُرَى.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٦٠٠)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٦٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٢٦).

(٢) الغيث: المطر؛ يعني: أنهم كانوا ينتقلون حيث يكون المطر طلباً للكلأ فلا تستقر بهم الدار.

(١٠ ـ ١٤) ـ ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾.

﴿وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ﴾: ذي الجنودِ الكَثيرَةِ.

وقيلَ: ذي الأَبنِيَةِ.

وقيلَ: أوتادٌ يُعذِّبُ النَّاسَ بها[1].

وقيلَ: أَوتادٌ يُلعَبُ عليها عِندَهُ.

وقيلَ: أرادَ أَوتادَ الخِيامِ.

﴿ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾: تجاوَزُوا الحدَّ في الكُفْرِ والتَّكبُّرِ ﴿فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ﴾: بالكُفرِ والقَتلِ والسَّبيِ والنَّهبِ، وبمَنعِ النَّاسِ عَن عِبادَةِ اللهِ وطاعَتِهِ.

﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ المبردُ: كلُّ شَيءٍ عذَّبَ اللهُ بِهِ فهُوَ سَوْطُ عَذابٍ.

ابن عيسى: ﴿سَوْطَ عَذَابٍ﴾: هوَ ما يُخالِطُ اللَّحمَ والدَّمَ، يقال: ساطَهُ يَسُوطُه[2].

الزَّجَّاجُ: جعلَ سَوْطَهُ الذي ضَربَهُم بِهِ العَذابَ[3].

الفرَّاءُ: يقالُ لكلِّ نَوعٍ مِن العَذابِ: سَوْطٌ، وإِنْ كانَ بغيره؛ لأَنَّهُ أَشدُّهُ عندَهم[4].

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ بحيثُ يرى ويَسمَعُ.

الزَّجَّاجُ: يرصدُ مَن كفَرَ بِهِ[5].

---

(١) في (ن): «فيها».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٣٨)، واستغربه.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣٢٢).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٦١).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣٢٢).

الفرَّاءُ: إليهِ المصيرُ[١].

وقيلَ: عذابهُ بالمِرصادِ بحيثُ لا يَفوتُونَهُ.

وقيلَ: يَرصُدُهم في الآخرَةِ على قَناطِرِ جهنَّمَ.

* * *

(١٥) ـ ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ﴾.

﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ الزجَّاجُ: يعني بهِ الكافِرَ الذي لا يُؤمِنُ بالبَعثِ[٢].

ابنُ عباسٍ: عتبةُ بن ربيعةَ[٣].

الكلبيُّ: أُبيُّ بن خلفٍ[٤].

مقاتلٌ: أميَّةُ بن خلفٍ[٥].

﴿إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ﴾: اختبرَهُ بالغنى واليُسرِ، ﴿فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ﴾: رزقَهُ وأنعَمَ عليهِ، ﴿فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ﴾: فضَّلني بما أعطاني، يَرى الإكرامَ في كثرةِ الحظِّ مِن الدُّنيا.

* * *

(١٦) ـ ﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ﴾.

﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ﴾ بالفقرِ ﴿فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ﴾: ضيَّقَ عليهِ، وقيلَ: جعلَهُ بمقدارِ بُلْغَتِه، ﴿فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ﴾: يَرى الهوانَ في قلَّةِ الحظِّ مِنْها.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٦١).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣٢٣).

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٥٠٨)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٤٤٣).

(٤) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٥٠٨)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٤٤٣).

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٦٨٩)، وذكره الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٥٠٨)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٤٤٣).

(١٧) ـ ﴿كَلَّاۖ بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ﴾.

﴿كَلَّا﴾: ليسَ الإكرامُ والإهانَةُ في كَثرةِ المالِ وَقِلَّتِه، وإنَّما الإِكرامُ والإهانَةُ في الطَّاعةِ والمَعصِيَةِ.

وقيلَ: معنى ﴿كَلَّا﴾ هاهنا: أي: لَم يَكُن يَنبَغِي أنْ يَكونَ حَمدُهُ على نِعَمِهِ دونَ فَقرِه، بَل يَنبغي أنْ يَكونَ حَمدُهُ على الحَالَينِ جميعًا.

﴿بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ﴾؛ أي: إهانَتِي إيَّاهُم لِترَكِهِم إكرامَ اليَتيمِ.

مقاتلٌ: نزلَتْ في قُدامَةَ بنِ مَظعونٍ وكانَ يتيمًا في حِجرِ أُميَّةَ بنِ خلفٍ يدفَعُهُ عن حَقِّهِ[1]؛ أي: لا يُكرِمُونَهُ بإيصالِ حقِّهِ إليهِ، وقيلَ: لا يُحسنُونَ إليهِ ولا يَبرُّونه[2].

* * *

(١٨) ـ ﴿وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ﴾.

﴿وَلَا تحضُّون عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ﴾؛ أي: لا يأتونَهُ ولا يَأمرونَ بهِ، والتَّقديرُ: على إِطعامِ طعامِ اليَتيمِ، وقيلَ: وقعَ الطَّعامُ مَوقِعَ الإِطعامِ كالنَّباتِ موقعَ الإِنباتِ.

وقرِئ: ﴿وَلَا تَحَٰٓضُّونَ﴾[3]؛ أي: لا يأمرُ بعضُهُم بَعْضًا.

* * *

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٥١١)، و«الوسيط» (٤/ ٤٨٤)، والبغوي في «تفسيره» (٨/ ٤٢١).

(٢) في (ف): «ولا يرونه».

(٣) بالألف قرأ بها عاصم وحمزة والكسائي، والباقون عدا أبا عمرو دون ألف. انظر: «السبعة» (ص: ٦٨٥)، و«التيسير» (ص: ٢٢٢). وقرأ أبو عمرو: ﴿يُكرِمونَ﴾ و﴿يَحُضُّونَ﴾ و﴿يَأكُلُونَ﴾ و﴿يُحِبونَ﴾ كلُّهنَّ بياء المغايبة.

(١٩) ـ ﴿وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا﴾.

﴿وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ﴾: الميراثَ، وأَصلُهُ: الوِراثُ، قُلبَ الواوُ تاءً.

﴿أَكْلًا لَّمًّا﴾: يأتي على جميعِهِ.

الزَّجَّاجُ: يُلِمُّونَ بجميعِهِ[1]، وذلك أنَّهُم كانوا لا يُورِّثُونَ صِغارَ الأولادِ ولا النِّساءَ.

الفرَّاءُ: ﴿لَّمًّا﴾: شديدًا[2].

وقيلَ: لا يميِّزُونَ الحلالَ مِن الحرامِ والمُطلَقَ مِن المَحظورِ.

***

(٢٠) ـ ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾.

﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾: كثيرًا يمنعُهُ عَن إخراجِ حقِّ اللهِ تعالى، وقوله: ﴿جَمًّا﴾ يجوزُ أنْ يكونَ صِفَةً للمَصدَرِ، ويجوزُ أنْ يَكونَ حالًا مِن (المالِ)[3].

***

(٢١) ـ ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾.

﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ﴾؛ أي: ما يَنبغِي أنْ يكونَ الأمرُ هكذا.

وقيلَ: مَعناهُ: حقًّا إذا دُكَّت الأرضُ.

ابنُ عباسٍ: مُدَّتْ كما يُمَدُّ الأَدِيمُ فتصيرُ مَلساءَ بذهابِ الأَبنيَةِ والجبالِ[4].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣٢٣).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٦٢).

(٣) في (ف): «حالاً للمال».

(٤) لم أجده، والمروي عن ابن عباس في هذه الآية قوله: ﴿إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ قال: «تحريكها»، =

الزَّجَّاجُ: ﴿دُكَّتِ﴾: زُلزِلَتْ[١].

ابنُ عيسى: الدَّكُّ: حطُّ المُرتفِعِ بالبَسطِ، مِن قَولِهِم: ناقَةٌ دَكَّاءُ: لا سنامَ لها.

﴿دَكًّا دَكًّا﴾؛ أي: تُدَكُّ مِرارًا.

***

(٢٢) - ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾.

﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: أمرُ ربِّكَ وقَضاءُ ربِّكَ[٢].

وقيلَ: جاءَ بلا كيفٍ. وقيلَ: ظهرَ بضرورةِ المعرفَةِ.

﴿وَٱلْمَلَكُ﴾ اسمُ جِنسٍ ﴿صَفًّا صَفًّا﴾: صفوفًا أهلُ كلِّ سماءٍ صَفٌّ.

***

(٢٣) - ﴿وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَـٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾.

﴿وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ عن النبيِّ ﷺ أنه قالَ: «يؤتَى بجهنَّمَ يومئذٍ لها سبعونَ ألفَ زِمامٍ معَ كلِّ زِمامٍ سَبعونَ أَلفَ مَلكٍ يجرُّونَها»[٣].

﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَـٰنُ﴾؛ أي: يتذكَّرُ ما أُخبرَ بهِ في الدُّنيا، فيتَّعظُ ويَتوبُ، ﴿وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾: ومِن أينَ لهُ التَّوبَةُ وليسَ بدارِ تَكليفٍ؟

***

= رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٨٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٢٩)، وذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٥/ ١٣٩)، ومكي في «الهداية» (١٢/ ٨٢٥٥).

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣٢٣).

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (٤/ ٤٨٤) من رواية الكلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) رواه مسلم (٢٨٤٢) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢٤) - ﴿يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي﴾.

﴿يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي﴾: تمنَّى أنْ يكونَ قد قدَّمَ في الحياةِ الدُّنيا أعمالًا صالِحةً لأجلِ الحياةِ التي لا فناءَ لها.

***

(٢٥) - ﴿فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ﴾.

﴿فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ﴾؛ أي: لا يكِلُ اللهُ التَّعذيبَ إلى أحدٍ مِن الملائكةِ وغيرِهم، بل يتولَّى بنفسِهِ سُبحانَهُ.

وقيلَ: لا يَبلُغُ أحدٌ يومئِذٍ مِن الملائِكَةِ وغيرِهم بلاغَ اللهِ في العَذابِ.

وقيلَ: يومئذٍ لا يعذِّبُ أحدٌ في الدُّنيا كعذابِ اللهِ في الأخرى[1]، أوردَهُ أبو عليٍّ في «الحجَّةِ»[2].

ووَجهُ هذا أن يجعلَ ﴿يومئذ﴾ مبتدأً وهو مبنيٌّ على الفتحِ، و﴿لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ﴾ خبرَه، والتَّقديرُ: فيهِ.

والهاءُ تعودُ على هذهِ الوُجوهِ إلى اللهِ، و(عذابٌ) واقِعٌ موقعَ: تَعذيبٍ، والمرادُ بـ﴿أَحَدٞ﴾: الملائكةُ.

وقرأَهُ الكِسائيُّ بالفتحِ[3] على وَجهين:

---

(١) في (ف): «الآخرة».

(٢) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٦/ ٤١٢)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٣٩)، واستغربه.

(٣) قرأ الكسائي: ﴿يُعَذَّبُ﴾ بفتح الذال، و﴿يُوثَقُ﴾ بفتح الثاء، والباقون بكسرهما. انظر: «السبعة» (ص: ٦٨٥)، و«التيسير» (ص: ٢٢٢).

أَحدُهُما: أنه بمعنى لا يَبلغُ بلاغَ اللهِ، و﴿أَحَدٌ﴾ الملفوظُ رفعٌ، وهو المقدَّرُ في الوجهِ الأوَّلِ؛ لأنَّ تقديرَ الأُولى[1]: لا يعذِّبُ أحدٌ أحدًا.

والثاني: أنَّ الهاءَ تَعودُ إلى الكافرِ المتقدِّمِ ذِكرُهُ، والمعنى: لا يعذِّبُ بعذابِ هذا الكافرِ أحدٌ؛ كقولِهِ: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤]. وكذلكَ الكلامُ في قوله:

(٢٦) ـ ﴿وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ﴾.

﴿وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ والوثاقُ: الشدُّ في الأَغلالِ والسَّلاسلِ.

* * *

(٢٧ ـ ٢٨) ـ ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾.

﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾؛ أي: المطمئِنَّةُ باللهِ وبالإيمانِ؛ مِن قولِه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم﴾ [الرعد: ٢٨].

وقيلَ: اطمأَنَّتْ بالبُشرى مِن الملائكَةِ؛ مِن قوله: ﴿وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠].

وقيلَ: اطمأَنَّتْ إذا أُوتِيَتْ كتابَها بيَمينِها.

ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: الخِطابُ لروحِ المُؤمنِ يأمرُها اللهُ بالرُّجوعِ إلى الجَسدِ[2]، فيكونُ قولُه: ﴿إِلَىٰ رَبِّكِ﴾: إلى أمرِ ربِّكِ.

---

(١) في (ف): «الأول».

(٢) روى الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٩٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾: المصدقة»، و(٢٤/ ٣٩٧) قال: «ترد الأرواح المطمئنة يوم القيامة في الأجساد»، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٢٧٢).

وقيلَ: ﴿رَبِّكِ﴾: بدنِ صاحبِكِ(١).

وقيلَ: هذا خطابٌ لهَا يومَ النَّزعِ؛ أي: ﴿ٱرْجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً﴾ عنِ اللهِ تعالى بما تَصيرينَ إليهِ مِن الثَّوابِ العَظيمِ والعَيشِ النَّعيمِ، ﴿مَّرْضِيَّةً﴾: رَضِيَها اللهُ تعالى.

ثمَّ يقالُ لها في القِيامَةِ:

(٢٩) ـ ﴿فَٱدْخُلِي فِي عِبَٰدِي﴾.

﴿فَٱدْخُلِي فِي عِبَٰدِي﴾؛ أي: في كلٍّ مِنهُم، وقيلَ: في جملةِ عِبادِي، وقيلَ: معَ عِبادِي.

وقيلَ: ﴿فِي عِبَٰدِي﴾: عبادَتي وطاعتي، فحَذَفَ التَّاءَ؛ كإقامِ الصَّلاةِ(٢).

وقُرِئَ في الشَّواذِّ: (في عبدي)(٣).

* * *

(٣٠) ـ ﴿وَٱدْخُلِي جَنَّتِي﴾.

﴿وَٱدْخُلِي جَنَّتِي﴾ التي أَعددتُ لِعبادي الصَّالحينَ.

وفي بعض التَّفاسيرِ: هذهِ الآيةُ نَزلَتْ في عُثمانَ بنِ عفَّانَ رضيَ اللهُ عنهُ(٤)، بيَّنَ اللهُ تعالى أنَّ عُثمانَ سَيُقتَلُ شَهيدًا مَظلومًا(٥)، واللهُ أعلَمُ.

* * *

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٤٠)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٤٠)، وعده من العجائب.

(٣) نسبت لابن عباس رضي الله عنهما وغيره. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٧٤)، و«المحتسب» (٢/ ٣٦٠).

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٣٠)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٢٧٣) عن الضحاك، وذلك حين وقف بئر رومة.

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٤٠)، وعده من العجائب.

سُورَةُ البَلَدِ

عِشرونَ آيةً(١)، مَكِّيَّةٌ.

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٢) ـ ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾.

﴿لَآ أُقۡسِمُ﴾ سَبقَ نظائرُه(٢)، وقيلَ: تَقديرُهُ(٣): ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ يعني: مكَّة، وقيلَ: الحرمَ كلَّهُ ﴿وَأَنتَ حِلُّۢ﴾: وأنتَ حاضرٌ؛ أي: القَسَمُ بعُمرِكَ أولى مِنهُ بهِ(٤).

وقيلَ: أُقسمُ بهِ ﴿وَأَنتَ حِلُّۢ﴾: حالٌّ نازلٌ فيهِ، أي: لِنُزولِكَ فيهِ أُقسمُ بهِ(٥).

وقيلَ: أُقسمُ بهِ ﴿وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾؛ أي: حلالٌ تصنعُ فيهِ ما تُريدُ، وذلكَ أنَّ اللهَ تعالى أحلَّ لهُ مكَّةَ ساعةً مِن النَّهارِ حتَّى قتلَ مَن شاءَ وأَسرَ مَن شاءَ، وقتلَ ابنَ خطلٍ يومئذٍ وهوَ متعلِّقٌ بأستارِ الكَعبَةِ.

وقيلَ: معناهُ: وأنتَ في حلٍّ مما(٦) صنعتَ في هذا البلدِ.

---

(١) «عشرون آية»: ليس في (ف).

(٢) في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ [الواقعة: ٧٥].

(٣) «تقديره»: ليس في (ف).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٤١)، وعده من العجائب.

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٤١)، وعده من العجائب.

(٦) في (ن): «ما».

وقيلَ: تقديرُهُ: لا أُقسِمُ بهذا البلدِ وأنتَ بهِ مُستحَلُّ الحرمَةِ مُضاعُ الحقِّ فيهِ[(١)].

***

(٣) ـ ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾.

﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ قيلَ: آدمُ وأولادُهُ، و﴿ما﴾ بمعنى: مَن.

وقيلَ: هو للمَصدَرِ؛ أي: وولادتِهِ.

وقيلَ: هو إبراهيمُ عليهِ السَّلامُ وأولادُه.

وقيلَ: ﴿ما﴾ بمعنى: الذي، والمرادُ بهِ: المتناسِلُ مِن جَميعِ الخلقِ. قاله أبو عليٍّ[(٢)].

وعن ابنِ عباسٍ وعكرمَةَ: ﴿وَوَالِدٍ﴾: الذي ولدَ ﴿وَمَا وَلَدَ﴾ للعاقرِ[(٣)]، فجَعَلا ﴿ما﴾ نفيًا، أو لهُ وجهٌ آخرُ، واللهُ أعلَمُ.

***

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٤١)، وعده من العجائب.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٤٢) دون نسبة، واستغربه.

(٣) رواه عن ابن عباس الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٠٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٣٣)، بلفظ: الوالد: الذي يلد ﴿وَمَا وَلَدَ﴾: العاقر الذي لا يولد له. لكن قول عكرمة فيهما بعكسه؛ ولفظه: «الوالد: العاقر ﴿وَمَا وَلَدَ﴾: الذي يَلِدُ».

وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٤٢)، وعده من العجائب.

(٤) ـ ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ جوابٌ للقَسمِ، يعني: بني آدمَ كلَّهُم ﴿فِى كَبَدٍ﴾: في شِدَّةٍ ومُقاسَاةٍ وتَكابُدِ أمرِ الدُّنيا وشَدائدِها.

وقيلَ: مِن نُطفَةٍ ثمَّ مِن عَلَقةٍ يتكبَّدُ في الخلقِ، مِن تكبُّدِ الدَّمِ وغلظِهِ[١].

وقيلَ: مُنتصبًا مُعتدِلًا.

وقيلَ: المرادُ بِهِ آدمُ عليهِ السَّلامُ خُلِقَ في كَبدِ السَّماءِ، قاله ابنُ زيدٍ[٢].

وقيلَ: ﴿فِى كَبَدٍ﴾ جريئًا[٣] غليظَ الكَبدِ، تقولُ: كبدَ الرَّجلُ يكبَدُ كَبَدًا؛ إذا صارَ غليظَ الكَبِدِ[٤].

وقيلَ: ﴿فِى﴾ بمعنى اللامِ؛ أي: خُلِقَ للكَبَدِ، وهو التَّعَبُ[٥].

وقيلَ: ﴿وَوَالِدٍ﴾: محمَّدٌ عليهِ السَّلامُ ﴿وَمَا وَلَدَ﴾: أمَّتُه[٦]؛ لأنَّهُ لهم بمنزلةِ

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٢٧٦) بلفظ: «من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة، يتكبد في الخلق، مأخوذ من تكبد الدم وهو غلظه، ومنه أخذ اسم الكبد لأنه دم قد غلظ»، قال: «وهو معنى قول مجاهد».

(٢) ذكره بهذا اللفظ الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٢٧٦)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤١٢) بلفظ: «في السماء خلقه، خلق آدم في السماء فسمي ذلك الكبد»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٤٢)، وعده من العجائب، وقال: «وهذا غير مفهوم»، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ٣٨٨) ثم قال: «وذلك حين رفع إلى الجنة».

(٣) في (ف): «حربا». والمثبت من (ن)، وتوضيحه في «تفسير الثعلبي» (٢٩/ ٣٨٨) وفيه: «جريء القلب غليظ الكبد، مع ضعف خلقه ومهانة مادته».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٤٢)، واستغربه.

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٤٢)، واستغربه.

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٤٢)، وعده من العجائب.

الأَبِ؛ لقولِهِ: «إنَّما أنا لَكُم مثلُ الوالدِ»[1]، وفي مصحفِ أُبيٍّ: (وأزواجُه أمَّهاتهم وهوَ لهم أَبٌ)[2].

ويحتمِلُ ـ والله أعلم ـ أنَّ قولَهُ: ﴿وَمَا وَلَدَ﴾ بمعنى الوالدَةِ، والتَّقديرُ: ووالدٍ ووالدةٍ، ولم يؤنَّثْ حملًا على لَفظِ ﴿ما﴾، و﴿ما﴾ بمعنى التي؛ كمَا في قولِهِ: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ [النساء: ٣].

* * *

(٥) ـ ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾.

﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ نزلَتْ في أَبي الأَشدِّ بن كَلَدةَ بن أَسيدٍ، وكانَ رجلًا قويًّا يُجعَلُ تحتَ قدميهِ أَديمٌ عُكاظيٌّ ويجذبُه[3] العشرةُ وزيادَةٌ فينقطِعُ الأَديمُ ولا تَزولُ قَدماهُ[4].

والمعنى: أيحسبُ لقوَّتِهِ وبَطشِهِ أن لَن يقدِرَ عليهِ أحدٌ مِن الخَلقِ؟

وقيلَ: ﴿أَحَدٌ﴾ هوَ اللهُ سُبحانَهُ.

* * *

(١) رواه أبو داود (٨)، والنسائي (٤٠)، وابن ماجه (٣١٣)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وصحح إسناده النووي في «المجموع» (٢/ ٩٥).

(٢) نسبت لأبي بن كعب وابن عبّاسٍ وجعفر بن محمد. انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٣٥)، و«شواذ القراءات» لشمس القراء الكرماني (ص: ٣٨٣).

(٣) في (ن): «ويجره».

(٤) انظر: «أنساب الأشراف» للبلاذري (١٠/ ٢٥٣)، و«معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣٢٨)، و«تفسير الثعلبي» (٢٩/ ٣٨٧)، و«تفسير البغوي» (٨/ ٤٣٠)، وتقدم الخلاف في اسمه.

(٦) ـ ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا﴾.

﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا﴾: كثيرًا، وهو صيغةُ الواحِدِ مُشتَقٌّ مِن تلبَّدَ الشَّيءُ: إذا كَثُرَ واجتمعَ؛ أي: أنفقتُ مالًا كثيرًا في عداوَةِ رَسولِ اللهِ[1] ﷺ.

* * *

(٧) ـ ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ﴾.

﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ الأحدُ هوَ اللهُ تعالى، أي: أيظنُّ أنَّ اللهَ لا يُطالِبُهُ مِن أينَ اكتسبَ وأينَ أنفقَ؟

وقيلَ: هوَ كاذِبٌ فيما يقولُ، يحسَبُ أنْ لم يرَهُ أحدٌ من الناسِ، فيكذِّبُهُ.

ثم عدَّدَ نعمَهُ عليهِ وعلى غيرِهِ مِن خَلقهِ فقالَ:

(٨ ـ ٩) ـ ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾.

﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ﴾ يبصرُ بِهمَا ﴿وَلِسَانًا﴾ يعبِّرُ بهِ عمَّا في ضَميرِهِ ﴿وَشَفَتَيْنِ﴾ يسترُ بهمَا ثُغورَهُ.

* * *

(١٠) ـ ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾.

﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾: طريقَ الخَيرِ وطريقَ الشَّرِّ المفضِيَانِ إلى الجنَّةِ أو النَّارِ.

قتادةُ: النَّجدان: الثَّديان[2]، والنَّجدُ: المرتَفِعُ.

---

(١) في (ف): «عداوة محمد».

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٢٧٧)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٤٤٨)، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٦١٩)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤١٩)، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٤٣)، واستغربه.

(١١) ـ ﴿فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ﴾.

﴿فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ﴾؛ أي: هذا الكافِرُ لم يقتَحِم العقبَةَ، والاقتحامُ: الدُّخولُ في الشَّيءِ والمجاوزةُ لهُ بصُعوبةٍ، و(لا) بمعنى: لم، وهي مُكرَّرةٌ معنًى[١].

الفرَّاءُ: لمَّا فسرَ اقتحامُ العقبةِ بثلاثةِ أشياءَ صارَ كأنَّهُ أعادَ (لا) ثلاثَ مرَّاتٍ[٢].

قالَ أبو عليٍّ: لا يلزمُ تكرارُ (لا) إذا كانَ بمعنى: لم[٣].

والعَقبةُ: هيَ عَقبةٌ في جهنَّمَ يكلَّفُ الكافِرُ صُعودَها، عَن جماعةٍ.

وقيلَ: العَقبةُ: طاعَةُ اللهِ، سُمِّيَت عَقبةً لِكثرَةِ دواعي ضِدِّها.

وقيلَ: العَقبةُ حملُ النَّفسِ على المشقَّةِ.

***

(١٢ ـ ١٦) ـ ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ﴿١٤﴾ يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ﴾.

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ﴾ تعظيمًا لِشأنِها.

﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾: تخليصُها مِن الرقِّ بالعتقِ أو الإعانةِ في مالِ الكتابَةِ.

وقيلَ: فكُّ رقبَتِهِ وخلاصُ نَفسِهِ[٤].

---

(١) هي مُتكرِّرةٌ في المَعنى؛ لأنَّ مَعنى ﴿فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ﴾: فلا فكَّ رقبةً ولا أَطعَمَ مِسْكيناً، ألا تَرى أنَّه فسَّر اقتحامَ العقَبة بذلك. وقال الزَّجاجُ قَولُه: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يَدُلُّ على مَعنى: فلا اقْتَحَم العَقَبةَ ولا آمنَ. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣٢٩)، و«الكشاف» (٤/ ٧٥٦).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٦٥).

(٣) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٦/ ٤١٥).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٤٣)، واستغربه.

﴿أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ﴾ زمانِ قَحطٍ وجُوعٍ ﴿يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ﴾: قرابةٍ في النَّسبِ ﴿أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ﴾: لاصقًا[1] بالتُّرابِ مِن الفَقْرِ لا يصونهُ عنهُ شيءٌ.

سعيدٌ: ذا عيالٍ لا مالَ لهُ[2].

عِكرمَةُ: هوَ المديونُ[3].

وأرادَ بقولِهِ: ﴿مَا ٱلۡعَقَبَةُ﴾: ما اقتحامُها؟ ثم فسَّرَ فقالَ: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ١٣ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ﴾.

ومَن قرأَ بلَفظِ الفِعلِ[4] جعلَهُ بدلًا مِن قولِهِ: ﴿فَلَا ٱقۡتَحَمَ﴾؛ أي: فلا فكَّ رقبةً ولا أَطعمَ مِسكينًا.

***

(١٧) ـ ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ﴾.

﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾؛ أي: أقامَ على إيمانِهِ.

وقيلَ: ﴿ثُمَّ﴾ معَ الجُملَةِ لا يدلُّ[5] على التَّراخي، وتقديرُهُ: وقبلَ ذلكَ كانَ مِن الذينَ آمنوا؛ لأنَّهُ إذا لم يكُنْ مُؤمِنًا لا ينفعُهُ قُربُهُ.

وقيلَ: ﴿ثُمَّ﴾ على أصلِهِ، والتَّراخي هاهنا في إخبارِ اللهِ لا في الإيمانِ.

﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾: أوصى بعضُهُم بعضًا بالصَّبرِ على أداءِ الطَّاعاتِ وعَن ارتكابِ المُحرمَاتِ ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ﴾ بأنْ يرقَّ للفقيرِ والمسكينِ بالإنعامِ علَيهِم.

---

(١) في (ف): «لاصق».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٣٠) عن سعيد بن جبير.

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٢٧٩).

(٤) قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي: (فكَّ رقبةً أو أَطْعَمَ). انظر: «السبعة» (ص: ٦٨٦)، و«التيسير» (ص: ٢٢٣).

(٥) بعدها في (ن): «إلا»، وهو خطأ.

وقيلَ: تواصَوْا بالآخرَةِ؛ لأنَّها دارُ الرَّحمَةِ.

***

(١٨) ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ﴾.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾؛ أي: الموصوفونَ بالصِّفاتِ المتقدِّمَةِ ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ﴾؛ أي: يأخذونَ نحوَ[1] اليَمينِ إلى الجنَّةِ.

وقيلَ: يؤتَوْنَ كتبَهُم في أَيمانِهِم[2].

وقيلَ: همُ الميامِينُ[3] على أَنفُسِهم.

***

(١٩) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: بمحمَّدٍ ﷺ والقرآنِ ﴿هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ﴾؛ أي: يأخذونَ نحو[4] الشمالِ إلى النَّارِ.

وقيلَ: يؤتَوْنَ كُتبَهُم بشمالِهِم.

وقيلَ: همُ المشائِمُ على أَنفُسِهم.

***

(٢٠) ـ ﴿عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ﴾.

﴿عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ﴾: مُطبقَةٌ، من آصدتُ البابَ: أطبَقْتُه.

---

(١) في (ف): «بحق».

(٢) في (ف): «بأيمانهم».

(٣) في (ن): «الميامن».

(٤) في (ف): «بحق».

وقـرئ ﴿مُوصَـدةٌ﴾ بغيـرِ همـزٍ أصـلًا[1]، مـن الوَصيـدِ، وهـو البـابُ؛ أي: مُقفلَـةٌ، واللهُ أعلَـمُ.

***

(١) قرأ حمزة وأبو عمرو وحفص بالهمز، والباقون بغير همز. انظر: «السبعة» (ص: ٦٨٦)، و«التيسير» (ص: ٢٢٣).

سُورَةُ الشَّمْسِ

خمسَ عشرةَ آيةً[1]، مكيَّةٌ.

بسم الله الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) - ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا﴾.

﴿وَٱلشَّمْسِ﴾: سراجُ النهارِ ﴿وَضُحَىٰهَا﴾ مجاهدٌ: ضوؤها[2].

قتادةُ والفرَّاءُ: النهارُ كلُّه[3].

وقيلَ: ﴿ضحاها﴾: ارتفاعها وبلوغها ضحَى النهار، وقيلَ: إشراقُها وحرُّها.

* * *

(٢) - ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾.

﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾ مجاهد: ساواها[4].

---

(١) «خمس عشر آية»: ليس في (ف). وانظر: «البيان في عد آي القرآن» (ص: ٢٧٣)، وفيه: «وهي ستّ عشرة آية في المدني الأول، ويُقال: في المكِّي كذلك، وخمس عشرة في عدد الباقين، اختلافها آية ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ عدها المدني الأول والمكي بخلاف عنه، ولم يعدها الباقون».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٣٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٣٧)، ورواه الحاكم في «المستدرك» (٣٩٣٨) من طريق مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٣٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٣٧) عن قتادة، وانظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٦٦).

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٢٨١)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٤٥٠).

غيرُه: تَبِعَها، واتِّباعُها؛ قيل: ليلةَ الهلال، وقيلَ: في النصفِ الأول من الشهر، وقيلَ: ليلةَ البدر، يتلوها في الإضاءة والنور الكامل.

الفرَّاء: يتلوها فيأخذُ من نورها، كما يقال: فلان يتلو فلانًا؛ أي: يأخذ من علمه، والاتِّباع والتُّلُوُّ واحد[1].

* * *

(٣) ـ ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا﴾.

﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا﴾: جلَّى الظُّلْمةَ وكَشَفها، كنَى عنها ولم يتقدَّم ذكرُها؛ كقولهم: والذي شقَّهن خمسًا من واحدة؛ أي: الأصابعَ[2]، وهبَّت شمالًا؛ أي: الريحُ[3].

وقيلَ: جلَّى الشمس وأظهَرَها للرَّائينَ[4].

* * *

(٤) ـ ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا﴾.

﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا﴾: سَتَر الشمسَ وأظلَمَها.

وقيلَ: يغشَى الأفقَ بظلامه.

وقيلَ: يغشَى الأرض.

* * *

(٥) ـ ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا﴾.

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا﴾ مجاهد والحسن: ومَن بناها، وهو اللهُ تعالى[5].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٦٦).

(٢) انظر: «أمالي القالي» (١/ ١٠٢)، و«البرهان» للمصنف (ص: ١٦٠).

(٣) انظر: «الكامل» للمبرد (٣/ ٥٠).

(٤) في (ف): «للناس».

(٥) ذكره عنهما الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٢٨٢)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٣٨)،

و﴿ما﴾ بمعنى: مَن.

قتادةُ وغيره: وبنائِها[1]، هكذا في أكثر التفاسير، والصواب: وبناءِ الله إياها؛ لأنَّ فيما تقدَّمَ ذِكْرَ الفاعل.

***

(٦) ـ ﴿وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا﴾.

﴿وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا﴾؛ أي: مدَّها وبسَطَها، و﴿ما﴾ بمعنى: مَن.

وقيلَ: وطَحْوِ اللهِ إياها.

***

(٧) ـ ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾.

﴿وَنَفْسٍ﴾ قيلَ: آدمُ عليهِ السَّلامُ، وقيلَ: عامٌّ.

﴿وَمَا سَوَّىٰهَا﴾: ومَن سوَّاها، وقيلَ: وتسويةِ اللهِ إياها؛ أي: خَلَقَها في أحسنِ صورةٍ، وجَعَل فيها العقلَ والتمييز، وقيلَ: عَدَل فيهم.

***

(٨) ـ ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾.

﴿فَأَلْهَمَهَا﴾: أَعْلَمَها وأَوْدَعَها، وهو من الإلهامِ الذي بمعنى الالتقام[2] ﴿فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾. الزجَّاج: وفَّقَها وخَذَلها[3].

وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٣٧)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٥٥٥) كلهم عن مجاهد بلفظ: «الله بنى السماء».

(١) ذكره بهذا اللفظ ابن فورك في «تفسيره» (٣/ ٢٢٦)، والماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٢٨٢)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٣٨) بلفظ: «وبناؤها: خلقها».

(٢) في (ن): «الالتقاف»، والمثبت من (ف)، ولم أجد من ذكر أيًّا منهما في تفسير الآية.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣٣٢).

ابن عباسٍ: الطاعةَ والمعصيةَ[١].

وقيلَ: الشقاوةَ والسعادةَ.

وقيلَ: أَلْزمَها الخيرَ والشرَّ.

* * *

(٩) - ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾.

﴿قَدۡ أَفۡلَحَ﴾ جوابُ القسم، والتقدير: لقد أفلح.

﴿مَن زَكَّىٰهَا﴾ ابن عباسٍ: زكَّى اللهُ نفسَه[٢].

غيرُه: زكَّى الإنسانُ نفسَه بطاعة الله؛ أي: طهَّرها وأصلحها وجعَلَها زاكيةً.

* * *

(١٠) - ﴿وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾.

﴿وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾: فات الظَّفَرُ ﴿مَن دَسَّىٰهَا﴾: وَضَع قَدْرَها وأَخْملَها، من التَّدْسيَةِ، وهو الغَمْسُ والإخفاءُ، وأصلُه مِن دَسَّ الشيءَ، وفاعلُ (دسَّى) كفاعلِ (زكَّى).

وقيلَ: زكَّى نَفْسَه بالصَّدقةِ، ودسَّى نفسَه في أهلِ الخيرِ وليس منهم.

* * *

(١١) - ﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِطَغۡوَىٰهَآ﴾.

﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِطَغۡوَىٰهَآ﴾: بمجاوزتها الحالَ المحمودةَ إلى الحالِ المذمومة.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٤١)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٢١٣).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٤٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٣٨)، واللالكائي في «الاعتقاد» (٩٥٥)، وذكره دون نسبة المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٤٦)، واستغربه، وأورد فيه مناقشة تنظر ثمة.

وقيـلَ: ﴿بِطَغْوَىٰهَآ﴾: بعذابهـا، وهـو اسـمٌ لذلـك العـذاب كقولـه: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ﴾ [الحاقة: ٥].

وقيلَ: بأجمعها.

* * *

(١٢) - ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا﴾.

﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ﴾: حين قام ﴿أَشۡقَىٰهَا﴾: أشقى ثمودَ، وهو قُدَارُ بنُ سالفٍ الأحمرُ.

قالَ الفرَّاء: يقال: إنهما كانا رجلين؛ فلانُ بنُ دهر، والآخرُ قُدَارُ بن سالف، قالَ: ولم يقل: (أشقَيَاها) للآية[1].

قـالَ الكلبـي: همـا رجـلان: قُـدَارُ بن سـالفٍ[2] ومِصْـدَعُ بـنُ دهـر[3]، وقيلَ: مِصْـدَع بـن بهرج.

* * *

(١٣) - ﴿فَقَالَ لَهُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَٰهَا﴾.

﴿فَقَالَ لَهُمۡ﴾: للقوم كلِّهم ﴿رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ صالحٌ عليهِ السَّلامُ ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: احفَظُوها واحذَرُوا أن تنالوها بسوءٍ ﴿وَسُقۡيَٰهَا﴾: شِرْبَها في يومِ نصيبها، وقيلَ: ذَرُوها وشِرْبَها.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٦٨). وقول المؤلف: «للآية»؛ يعني: لروي الآية؛ أي: للفاصلة. أما عبارة الفراء فهي: «ولم يقل: (أشقياها) وذلك جائز لو أتى؛ لأن العرب إذا أضافت (أفعل) التي يمدحون بها وتدخل فيها (مِن) إلى أسماء وحَّدوها في موضع الاثنين والمؤنث والجمع، فيقولون للاثنين: هذان أفضل الناس، وهذان خير الناس».

(٢) «قال: ولم يقل: أشقياها... قدار بن سالف» ليس في (ف).

(٣) ذكر المصنف قول الفراء والكلبي في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٤٦)، واستغربهما.

(١٤) ـ ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا﴾.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾؛ أي: كذَّبوه فيما أخبرَهم بحلولِ العذابِ ﴿فَعَقَرُوهَا﴾؛ أي: الناقةَ، أَسْنَدَ الفعلَ إليهم جميعًا لمَّا رَضُوا به[١].

الفرَّاء: ﴿فَعَقَرُوهَا﴾: فكذبوه، فيكون العَقْرُ تكذيبًا؛ أي: كفى بعَقْرِهم إياها تكذيبًا[٢].

﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ﴾؛ أي: أهلكَهم وأَطْبَقَ عليهم العذاب.

المفضَّل: غَضِب عليهم، والدَّمدمةُ: الكلامُ بغضبٍ[٣].

﴿فَسَوَّىٰهَا﴾؛ أي: الدَّمدمةُ.

وقيلَ: فسوَّى ثمودَ بالهلاك.

وقيلَ: فسوَّى أشجارَها وأبنيتَها.

* * *

(١٥) ـ ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا﴾.

﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا﴾: عاقبةَ تلك الفعلةِ، والفِعلُ للهِ سبحانه؛ أي: لم يبالِ.

وقيلَ: الفعلُ للأشقى.

وقيلَ: لرسول الله صالحٍ عليهِ السَّلامُ.

وقرئ بالفاء[٤]، وهو للتعقيب.

---

(١) «﴿فَعَقَرُوهَا﴾ أي الناقة أسند الفعل إليهم جميعًا لما رضوا به»: ليس في (ن).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٦٩).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٤٧)، واستغربه.

(٤) قرأ بها نافع وابن عامر، والباقون بالواو. انظر: «السبعة» (ص: ٦٨٩)، و«التيسير» (ص: ٢٢٣).

سورة ﴿وَٱلَّيۡلِ﴾

إحدى وعشرونَ آيةً[1]، مَكيَّةٌ.

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾.

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾؛ أي: يغشى النَّهارَ فيَذهَبُ بهِ ويُذهِبُ ضوءهُ، عن الحسنِ[2].

وقيل[3]: يَغْشَى الأُفُقَ بظَلامِهِ.

***

(٢) ـ ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾.

﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾: ظهرَ وبانَ، وقيلَ: تَجَلَّى الليلَ فيُزيلُ ظَلامَهُ، وقيلَ: أنارَ وأَضاءَ.

***

(٣) ـ ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾.

﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾؛ أي: ومَن خلقَ، وهوَ اللهُ تعالى، ويريدُ بهمَا: آدمَ وحوَّاءَ عَليهِما السلامُ، وقيلَ: عامٌّ في بني آدمَ، وقيلَ: عامٌّ في كلِّ ذي زَوجٍ[4].

---

(١) «إحدى وعشرون آية»: ليس في (ف).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٤٩)، وانظر: «غريب الحديث» لإبراهيم الحربي (٢/ ٦٥٧).

(٣) «وقيل»: ليس في (ف).

(٤) في (ف): «روح».

وقيلَ: ﴿ما﴾ للمصدَرِ؛ أي: وخَلْقِ اللهِ الذَّكرَ والأُنثى.

وقيلَ: تَقديرُهُ: وما خلقَهُ، والذكرُ والأُنثى بَدَلانِ مِن الهاءِ(١).

وقرئَ في الشواذِّ بالخَفضِ على البَدلِ مِن ﴿ما﴾(٢).

وفي مُصحَفِ ابنِ مَسعودٍ (والذَّكرِ والأنثى) بغيرِ ﴿ما﴾(٣)، وجاءَ مرفوعًا أيضًا(٤).

* * *

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٤٩)، واستغربه.

(٢) عن الكسائي في غير المشهور عنه. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٧٥)، و«المحتسب» (٢/ ٣٦٤).

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٧٥)، و«المحتسب» (٢/ ٣٦٤)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٥٠)، وعده من العجائب.

(٤) روى البخاري (٤٩٤٣)، ومسلم (٨٢٤)، عن أبي الدرداء مثل قراءة ابن مسعود: (والذَّكرِ والأُنْثى)، وأنه قال: وأنا واللهِ هكذا سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يَقرؤها.

وهذا الحديث وأمثاله مما فيه مخالفة لمصحف الإمام محمول على أن هذا كان قرآناً ثم نسخ، ولم يعلم بعضُ مَن خالف بالنسخ فبقي على الأول، ولعل هذا إنما يقع من بعضهم قبلَ أن يتصل به مصحف عثمان رضي الله عنه المجمَعُ عليه المحذوفُ منه كلُّ منسوخ قرئ به، وأما بعد ظهور مصحف عثمان واشتهاره فلا يُظن بأحدٍ منهم أنه أَبْدَى فيه خلافاً، وأما ما روي عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ مما يخالفه إن صح فهو محمول على أنه كان يكتب في مصحفه القرآن، ويلحق به من بعض الأحكام والتفاسير ما يعتقد أنه ليس بقرآن، ولكن لم ير تحريم ذلك عليه، وكان من رأي عثمان والجماعة منع ذلك، فيعود الخلاف إلى مسألة فقهية، وهي جواز إلحاق بعض التفاسير بأثناء المصحف أو منع ذلك. انظر: «إكمال المعلم» (٣/ ٢٠١).

(٤) ـ ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾.

﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾: إنَّ عملَكُم وكسبَكُم لَمُختلفٌ ومُتباعِدٌ جدًّا؛ فساعٍ للدُّنيا الفانِيَةِ والمعصيةِ والعِقابِ، وساعٍ للدَّارِ الباقيَةِ والطَّاعةِ والثوابِ.

وفي سببِ النُّزولِ: عنِ ابن عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: أنها نزلَتْ[١] في رَجُلٍ كانَتْ لهُ نخلَةٌ فرعُها في دارِ رَجلٍ فقيرٍ ذي عيالٍ، وكانَ الرَّجلُ إذا جاءَ فدخلَ الدارَ وصعدَ النَّخلةَ ليأخُذَ منها التَّمرَ فربَّما سقطَت التَّمرَةُ فيأخذُها صِبيانُ الفَقيرِ، فينزلُ الرَّجلُ مِن نخلَتِهِ حتى يأخذَ التَّمرةَ مِن بينِ أَيديهِم، فإنْ وجدَ تمرةً في في أَحدِهِم أدخلَ أصبعَهُ حتى يخرِجَ التَّمرَةَ مِن فيهِ، فشكا الرجلُ إلى النبيِّ ﷺ وأخبرَهُ بما يَلْقى مِن صاحبِ النَّخلَةِ فقالَ له عليهِ السَّلامُ: اذهَبْ، فلقيَ النبيُّ ﷺ صاحبَ النَّخلَةِ فقالَ له: «تُعطيني نخلتَكَ المائِلَةَ التي فرعُها في دارِ فلانٍ ولكَ به نخلَةٌ في الجنَّةِ؟» فقال له الرجلُ: إنَّ لي نخلًا كثيرةً وما فيها نخلةٌ أعجَبُ إليَّ ثمرةً مِنها، ثمَّ ذهبَ الرَّجلُ وفي المجلسِ رَجلٌ كانَ سَمِعَ الكلامَ مِن رَسولِ اللهِ ﷺ، فقال: يا رسولَ الله! أتعطيني ما أعطيتَ الرَّجلَ نخلةً في الجنَّةِ إنْ أنا أَخذتُها؟ قالَ «نعم»، فذهبَ الرَّجلُ فابتاعَها منهُ بأربعينَ نخلةً، فجاءَ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقال: يا رسولَ اللهِ! إنَّ النَّخلةَ قد صارَتْ في مُلكِي وهيَ لكَ، فذهبَ رسولُ اللهِ ﷺ إلى الرَّجلِ الفَقيرِ فقالَ لهُ: النَّخلَةُ لكَ ولعيالِكَ، فأنزلَ اللهُ: ﴿وَالَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾[٢].

وعن ابن مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ: أنها نزلَتْ في أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ رضيَ اللهُ عنهُ،

---

(١) في (ف): «عن ابن عباس إلى هاهنا نزلت».

(٢) رواه عن ابن عباس رضي الله عنهما الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٥٤ ـ ٤٥٥)، وروى الإمام أحمد في «مسنده» (٢٣٠٧١) من حديث أنس رضي الله عنه نحوه دون ذكر النزول، وسمى الرجل الذي اشترى: أبا الدحداح، و(٢٣٠٨٥) عن أبي صالح ذكوان عن بعض أصحاب النبي ﷺ.

وفي أُميَّةَ وأُبيٍّ ابني خلفٍ حينَ عَذَّبَا بلالًا على إسلامِهِ، فاشتراهُ أبو بكرٍ مِنهُما ببُردٍ وعشرِ أَواقٍ مِن ذهبٍ وأعتقَهُ[1].

***

(٥ ـ ٧) ـ ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾.

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ﴾؛ أي: ما أُمرَ بهِ أو نُدِبَ إليهِ ﴿وَٱتَّقَىٰ﴾ ربَّهُ، واجتنَبَ محارِمَهُ.

﴿وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾ ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: لا إلهَ إلا اللهُ[2].

مجاهدٌ: الجنَّةُ والثَّوابُ[3].

ابنُ جريرٍ: بالخَلَفِ مِن اللهِ على نَفقَتِهِ[4].

﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ﴾: نهيِّئُهُ ﴿لِلْيُسْرَىٰ﴾: للخَلَّةِ اليُسرى، وهو الأمرُ السَّهلُ الذي لا يقدِرُ عليهِ إلا المؤمنونَ، قالَ الفرَّاءُ: العودِ إلى العَملِ الصَّالحِ[5]، وقيلَ: الجنَّةُ.

***

(٨ ـ ١٠) ـ ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾.

﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ﴾ بما أُمرَ بإعطائهِ أو نُدِبَ إليهِ ﴿وَٱسْتَغْنَىٰ﴾ عن ربِّهِ بزعمِهِ،

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٤٠)، والآجري في «الشريعة» (١٢٩٠)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٤٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٠/ ٦٩).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٦٣).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٦٤)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ٤٤٥)، والماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٢٨٨).

(٤) انظر: «تفسير الطبري» (٢٤/ ٤٦٥)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٥٠)، واستغربه.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٧٠)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٥٠)، واستغربه.

وقيـلَ: واسـتغنى بمالِـهِ، وقيـلَ: طلـبَ الغِنَـى بنَخلِـهِ.

﴿وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾: بلا إلهَ إلا اللهُ، وبالجنَّةِ، وبالخَلَفِ.

﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ﴾: نهيِّئُـهُ ﴿لِلْعُسْرَىٰ﴾: للخلَّـةِ المؤدِّيَةِ إلـى النَّارِ، وقيلَ: للنَّـارِ[1]، ولفظُ التَّيسـيرِ للازدِوَاجِ.

***

(١١) ـ ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾.

﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾: ماتَ، تَفَعَّلَ مِن الرَّدَى، وهو الهَلاكُ.

وقيلَ: سقطَ في النَّارِ.

الفَرَّاءُ: نزلَتْ في أَبي سُفيانَ[2].

الزَّجَّاجُ: نزلَتْ في رَجُلٍ أَكرَهُ ذِكرَهُ[3]. وإِيَّاهُ عنَى أيضًا، وإنما كَرِهَ ذكرَهُ لأَنَّهُ نزلَ فيهِ قبلَ إِسلامِهِ[4].

***

(١) في (ن): «وقيل إلى النار».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٧٠).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣٣٦).

(٤) لم يثبت نزول الآية في أبي سفيان رضي الله عنه بسند صحيح، فقد ذكره الثعلبي «تفسيره» (٢٩/ ٤٤٩) عن الكلبي. ورواه عبد بن حميد وابن مردويه وابن عساكر من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما، كما في «الدر المنثور» للسيوطي (٨/ ٥٣٦). والكلبي متروك، ورواياته عن ابن عباس لا تصح، وكلامه مردود، فإن أبا سفيان رضي الله عنه قد أسلم وحسن إسلامه. وقال السيوطي في «معترك الأقران» (٢/ ٤٦٧): «هذا ضعيف... وقد أسلم أبو سفيان بعد ذلك».

(١٢) ـ ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾.

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾: دلالةَ الرُّشدِ.

الزَّجَّاجُ: أن نبيِّنَ طريقَ الهدى مِن طريقِ الضَّلالِ(١).

وقيلَ: مَن اهتدى فطريقُهُ على اللهِ، كقولِه: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ [النحل: ٩].

***

(١٣) ـ ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ﴾.

﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ﴾ فنعطي مِنهما مَن نَشاءُ ونَحرِمُ مَن نشاءَ.

وقيلَ: معناهُ: فمَن طلبَهُما مِن غيرِ مالِكِهمَا فقَدْ أخطأَ الطَّريقَ.

***

(١٤ ـ ١٥) ـ ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى﴾.

﴿فَأَنذَرْتُكُمْ﴾: أعلَمْتُكُم مُخوِّفًا ﴿نَارًا تَلَظَّىٰ﴾: تتوهَّجُ وتتغيَّظُ ﴿لَا يَصْلَىٰهَآ﴾: لا يَدخُلُها ﴿إِلَّا ٱلْأَشْقَى﴾: الكافِرُ.

أبو عبيدةَ: الأَشقى بمعنى الشَّقِيِّ(٢)، وقد سبقَ نَظائِرُه.

***

(١٦) ـ ﴿ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾.

﴿ٱلَّذِى كَذَّبَ﴾؛ أي: كذَّبَ الرُّسُلَ(٣) ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ أعرضَ عنِ الإيمانِ.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣٣٦).

(٢) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٣٠١)، وفيه: «والعرب تضع أفعل في موضع فاعل».

(٣) في (ف): «رسل الله».

الفَرَّاءُ: ﴿كَذَّبَ﴾: قصَّرَ فيمَا أُمِرَ بِهِ[١].

واستدلَّ المُرجِئةُ بالآيةِ على ما يَزعمونَ أَنَّهُ لا يَدخلُ النَّارَ إلا كافرٌ مكذِّبٌ متولٍّ، وليسَ فيهِ دليلٌ؛ لأنَّ هذهِ نارٌ خُصَّ الكافرونَ بها، والنارُ دركاتٌ. هذا معنى كلامِ الزَّجَّاجِ[٢]، وتَنكيرُ النَّارِ في الآيةِ يدلُّ على صِحَّةِ هذا التَّأويلِ.

***

(١٧ ـ ١٨) ـ ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾.

﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾: المؤمنُ ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ﴾ الفقراءَ، ومَن أُمِرَ بصرفِهِ إليهِ، ﴿يَتَزَكَّى﴾: يخرجُ زكاةَ مالِه، ويطلُبُ أنْ يكونَ زاكيًا عندَ اللهِ.

***

(١٩) ـ ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ﴾.

﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ﴾ قتادةُ: ما لِأحدٍ عندَ اللهِ نِعمَةٌ يجازيهِ بها إلا أن يفعلَ فِعْلًا يبتغي وجهَ ربِّهِ فيستحقَّ الجزاءَ والثوابَ[٣].

غيرُه: نزلَتْ في أبي بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ، وذلكَ أَنَّهُ لمَّا اشترى بلالًا في جماعةٍ فأعتقَهُم، قالَ المشركونَ: ما فعلَ ذلكَ إلا ليدٍ كانَت عِندَهُ لبلالٍ، فنفَى اللهُ تعالى

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٧٢)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٥١)، واستغربه.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣٣٦).

(٣) بهذا اللفظ ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٢٩٠)، وروى الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٧٩) عن قتادة في الآية قال: «ليس به مثابة الناس ولا مجازاتهم، إنما عطيته لله»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٥١)، وعده من العجائب.

ذلك عنهُ، فقال ﴿وَمَا لِأَحَدٍ﴾؛ أي: لِبلالٍ وغيرِه: ﴿عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ﴾: جازاهُ لها[1].

* * *

(٢٠) ـ ﴿إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾.

﴿إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ لكن فعلَ ما فَعَلَ ابتغاءَ اللهِ، قيلَ: الاستثناءُ مَحمولٌ على المعنى؛ أي: لم يعطِ لشيءٍ إلا لِطلَبِ وجهِ اللهِ.

* * *

(٢١) ـ ﴿وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ﴾.

﴿وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ﴾: ينالُ ما يتمنَّاهُ.

قالَ الفرَّاءُ: هذا اللامُ[2] مُتَّصِلةٌ في المعنى بالهاءِ، وتَقديرُهُ: ما لهُ عندَ أحدٍ مِن نِعمَةٍ تُجزى؛ أي: ما لأبي بكرٍ عندَ أَحدٍ نِعمَةٌ يتوقَّعُ عليها المكافأةَ في المستأنَفِ، والمعنى: أنفَقَ ما أنفقَ لوجهِ اللهِ لا يريدُ جَزاءً ولا شُكورًا، واستدلَّ على هذا المعنى بقولِ الشَّاعرِ:

لقد خِفتُ حتى ما تزيدُ مخافتي   على وَعِلٍ في ذي المطارةِ عاقلِ

أي: ما تزيدُ مخافةُ وَعِلٍ [على مخافتي][3].

وهذا المعنى حَسنٌ، ولكنَّ اللفظَ مُتَعسِّفٌ، واللهُ أعلَمُ.

---

(١) رواه الآجري في «الشريعة» (٤/ ١٨٢٧) عن ابن مسعود رضي الله عنه، وذكر نحوه الثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ٤٥٨) عن سعيد بن المسيب، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٥٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) كذا في النسختين، ولو قال: «هذه اللام متصلة» أو «هذا اللام متصل» أو حذف «هذا»، لكان أظهر.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٧٣) وما بين معكوفتين منه، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٥١) دون البيت، واستغربه. والبيت للنابغة في «ديوانه» (ص: ٩٣)، و«مجاز القرآن» (١/ ١٣٩)، و«تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (ص: ١٢٤)، و«تفسير الطبري» (٢٤/ ٤٧٩). وذو المطارة: اسم جبل.

سورة والضحى

إحدى عشرةَ آيةً[1]، مكيّةٌ.

بِسمِ اللّٰه الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾.

﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ يعني: النَّهارَ كلَّهُ[2].

ابن عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: الضَّوءُ[3].

قتادةُ: ساعةٌ من ساعاتِ النَّهارِ[4].

قطربٌ: طلوعُ الشَّمسِ[5].

وقيلَ: أوَّلُ ساعةٍ مِنهُ.

وقيلَ: صَدرُ النَّهارِ.

* * *

---

(١) «إحدى عشرة آية»: ليس في (ف).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٧٣).

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٤/ ٤٤) عن مجاهد والكلبي، وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٤٥٠) عن مجاهد.

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٦٣٤)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٨١).

(٥) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٢٩١).

(٢) ـ ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ﴾.

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: أقبلَ[١]، وعنه: أدبرَ[٢].

الحسنُ: غشَى بظلامِهِ وسَترَ[٣]؛ مِن قولهم: رأيتُ فلانًا مُتَسجِّيًا بثوبِهِ.

الفرَّاءُ: أظلَم[٤].

غيرهم: سكَنَ؛ مِن قولهم: طَرْفٌ ساجٍ.

ويحتمِلُ: سجى فيه الخَلْقُ؛ أي: سكَنَ[٥].

***

(٣) ـ ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾.

﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾ جوابُ القسمِ، ومعناه: ما ترَكَكَ مِن إنعامِهِ وإكرامِهِ ووَحيِهِ وإلهامِهِ، واشتقاقُهُ مِن توديعِ المسافرِ، وقيلَ: مِن تَوديعِ الثَّوبِ، وهو صَونُهُ عن الابتذالِ.

﴿وَمَا قَلَىٰ﴾: ولا أبغضَكَ مُذْ أحبَّكَ، وحُذِفَ المفعولُ لفواصِلِ الآيِ.

وسببُ النُّزولِ[٦]: أنَّهُ تأخَّرَ الوَحيُ أيامًا ـ قيلَ: خمسةَ عشرَ، وقيلَ: أربعينَ يومًا، وقيلَ: ثلاثةَ أيامٍ ـ فقالت قُريشٌ: إنَّ محمَّدًا قد وَدَّعَهُ ربُّهُ وقلاهُ[٧].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٨١) من طريق عطية العوفي عن ابن عباس، وإسناده ضعيف جدًّا.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٨٢) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وإسناده أصلح من السابق رغم انقطاعه.

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٦٣٥)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٨٢).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٧٣).

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٥٤)، واستغربه.

(٦) في (ف): «نزوله».

(٧) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٦٣٧) عن قتادة، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٨٥ ـ ٤٨٧) =

وذكرَ البخاريُّ ومسلمٌ رحمهما الله: أنَّ امرأةً مِن قريشٍ قالت للنبيِّ ﷺ: ما أَرى شَيطانَكَ إلا قد ودَّعكَ، فنزلت ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾[١].

وذُكِرَ أنَّها كانَت أمَّ جميلٍ أختَ أبي سُفيانَ[٢].

وذُكِرَ أيضًا أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ ذلكَ في شكواهُ عند[٣] خديجةَ رضيَ اللهُ عنها حينَ انقطعَ الوحيُ، فأنزلَ اللهُ: ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾[٤].

واختلفوا في سببِ انقِطاعِ الوَحيِ؛ فرُوِيَ عنْ خولةَ: أنَّ جروًا قدْ دخلَ البيتَ فدخلَ تحتَ السَّريرِ فماتَ، فمكثَ نبيُّ اللهِ أيامًا لا ينزِلُ عليهِ الوَحيُ، فقال: «يا خَولَةُ! ما حدثَ في بيتي؟ لا يأتيني جِبريلُ!»، قالتْ خولةُ: فقلتُ: لو هيَّأتُ البيتَ

= عن قتادة والضحاك وابن عباس رضي الله عنهما. وهي إحدى روايات مسلم (١٧٩٧/ ١١٤) لحديث جندب الآتي، ولفظه: «أبطأ جبريل على رسول الله ﷺ، فقال المشركون: قد ودع محمد، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾».

(١) رواه البخاري (١١٢٥)، ومسلم (١٧٩٧)، عن جندب بن سفيان رضي الله عنه، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٥٣)، واستغربه.

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٩٤٥) عن زيد بن أرقم رضي الله عنه، وقال: «إسناده صحيح إلا أني وجدت له علة»، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ٤٧١)، والمصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٥٣)، واستغربه.

(٣) في (ف): «إلى».

(٤) روى ابن إسحاق في «السيرة» (ص: ١٣٥)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣١٧٦٤)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٨٧)، والحاكم في «المستدرك» (٤٢١٤) عن هشام بن عروة عن أبيه مرسلًا عن خديجة رضي الله عنها: أنها قالت: لما أبطأ عن رسول الله ﷺ الوحي جزع من ذلك جزعاً شديداً فقلت مما رأيت من جزعه: لقد قلاك ربك لما يرى من جزعك، فأنزل الله: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾. وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٥٣)، وعده من العجائب.

وكنستُهُ، فأهويتُ بالمكنسَةِ تحتَ السَّريرِ فإذا شيءٌ ثقيلٌ، فلم أزَلْ حتى أخرَجْتُه فإذا جروٌ ميتٌ، فأخذتهُ فألقيتهُ خلفَ الجدارِ، فجاءَ نبي الله ﷺ يُرْعَدُ وكانَ ذلكَ علامةَ الوَحيِ فقال: يا خولَةُ دثِّريني، فأنزلَ اللهُ: ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾(١).

وروى الأسودُ بن قيسٍ عن جندبٍ: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ رُمِيَ بالحَجرِ في أصبعِهِ فدَمِيَت فقالَ:

هل أنتِ إلَّا إصبعٌ دَمِيتِ ... وفي سَبيلِ اللهِ ما لَقِيتِ

فمكثَ ليلَتينِ أوْ ثلاثًا لا يقومُ، فقالت لهُ امرأةٌ: يا محمَّدُ ما أرى شيطانَكَ إلا تركَكَ، فأنزلَ اللهُ تعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾(٢).

وقال جماعةٌ مِن المفسِّرينَ: سببُ انقطاعِ الوَحيِ تركُهُ الاستثناءَ كما سبقَ في (الكَهفِ).

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٣٤٤٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٤/ ٢٤٩)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٧٦١٠)، قال ابن عبد البر في «الاستيعاب» (٤/ ١٨٣٤): «وليس إسناد حديثها فِي ذلك مما يحتج به». قال ابن حجر في «فتح الباري» (٨/ ٧١٠): «وقصة إبطاء جبريل بسبب كون الكلب تحت سريره مشهورة، لكن كونها سبب نزول هذه الآية غريب، بل شاذ مردود بما في الصحيح». والقصة التي أشار إليها ابن حجر هي ما رواه مسلم (٢١٠٤) عن عائشة أنها قالت: واعد رسول الله ﷺ جبريل عليه السلام في ساعة يأتيه فيها، فجاءت تلك الساعة ولم يأته، وفي يده عصا، فألقاها من يده، وقال: «ما يخلف الله وعده ولا رسله»، ثم التفت، فإذا جرو كلب تحت سريره، فقال: «يا عائشة، متى دخل هذا الكلب هاهنا؟» فقالت: والله ما دريت، فأمر به فأخرج، فجاء جبريل، فقال رسول الله ﷺ: «واعدتني فجلست لك فلم تأت»، فقال: «منعني الكلب الذي كان في بيتك، إنا لا ندخل بيتاً فيه كلب ولا صورة».

(٢) رواه الترمذي (٣٣٤٥)، وقال: «حسن صحيح»، وذكر هذا السبب المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٥٣)، واستغربه.

وقالَ بعضُهُم: جاءَهُ سائِلٌ فأعطاهُ مرَّةً بعدَ أخرى، فألحَّ فزجَرَهُ عليهِ السَّلامُ، فانقطعَ الوَحيُ[١]، واللهُ أعلَمُ.

* * *

(٤) ـ ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾.

﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾؛ أي: وللدارُ الآخرَةُ وما أعدَّ اللهُ لكَ فيها خَيرٌ لكَ مِن الدَّارِ الدُّنيا وما فِيها؛ لأنَّها تَدومُ وتَبقى، وهذهِ تَبيدُ وتَفنى.

وقيلَ: ولآخِرُ عُمرِكَ خيرٌ لكَ مِن أوَّلِهِ؛ لِمَا تَنالُ فيهِ مِن النَّصرِ والفَتحِ والظَّفرِ.

* * *

(٥) ـ ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾.

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: أَلْفُ قَصرٍ مِن لؤلؤٍ تُرابُهنَّ المسكُ، وفيها ما يليقُ بها مِن الأَزواجِ وغَيرِها[٢].

وقيلَ: الشَّفاعةُ في أمَّتِكَ، ورويَ أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ لمَّا نزلَتْ هذهِ الآيَةُ: «إذًا لا أرضَى وواحدٌ مِن أمَّتي في النَّارِ»[٣].

---

(١) ذكره الداني في «جامع البيان» (٤/ ١٧٥٠)، والجزري في «النشر» (٢/ ٤٠٦) عن ابن أبي بزة. وقال: «وهذا سياق غريب جدًا، وهو مما انفرد به ابن أبي بزة أيضاً، وهو معضل».

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٣٩٨٠)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٨٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٤٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٦٥٠)، والحاكم في «المستدرك» (٣٩٤٣)، وصححه، وقال ابن كثير في «تفسيره» (٨/ ٤٢٦) بعد أن ساق سند الطبري: «وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس، ومثل هذا ما يقال إلا عن توقيف».

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ٤٨١)، والواحدي في «البسيط» (٢٤/ ١٠٧) دون نسبة. ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٨٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفًا عليه، ولفظه: «من رضا =

وقيلَ: هيَ في الدُّنيا بالنَّصرِ والفَتحِ.

***

(٦) ـ ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ﴾.

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ﴾؛ أي: لا أبا لك ولا كافلَ لكَ، فآواكَ إلى مَن كفلكَ وربَّاكَ، وهوَ عمُّكَ أبو طالبٍ.

وقيلَ: هذا متَّصِلٌ بأوَّلِ السُّورةِ؛ أي: لم يودِّعكَ كما لم يودِّعكَ حينَ كنتَ يتيمًا.

وقيلَ: ﴿يَجِدْكَ يَتِيمًا﴾: فريدًا عديمَ النَّظيرِ، مِن الدرَّةِ اليَتيمَةِ، فآواكَ إلى كَرامَتِهِ واصْطفاكَ لِرسالَتِهِ[١].

***

(٧) ـ ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾.

﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا﴾ الزَّجَّاجُ: ضالًّا عمَّا أنتَ عَليهِ اليومَ مِن الإيمانِ والقُرآنِ[٢]؛ مِن قولِه: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ [النساء: ١١٣]، ومِن قَولِهِ: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ [الشورى: ٥٢].

= محمد ﷺ ألا يدخل أحد من أهل بيته النار».

والمعروف في حديث الشفاعة ما رواه مسلم (٢٠٢) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وفيه: «فرفع يديه وقال: اللّهم أمّتي أمّتي، وبكى، فقال الله عز وجل: يا جبريل اذهب إلى محمد، وربك أعلم، فسله ما يبكيك؟ فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام، فسأله فأخبره رسول الله ﷺ بما قال، وهو أعلم، فقال الله: يا جبريل، اذهب إلى محمد، فقل: إنا سنرضيك في أمتك، ولا نسوؤك».

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٥٤)، وعده من العجائب.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣٣٩).

وقيلَ: وجدَ أمَّتكَ ضالًّا فهداهُم بكَ.

وقيـلَ: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا﴾ فـي طريـقِ الشَّـامِ، وقيـلَ: فـي شِـعابِ مكَّـةَ، فهداكَ إلى الطَّريـقِ(١).

وقيـلَ: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا﴾؛ أي: ضالَّـةً لا تُعـرَفُ منزلتُـكُ عنـدَ اللهِ، ﴿فَهَدَىٰ﴾ قومـكَ إليـكَ(٢).

وقيلَ: وجدَكَ مُحِبًّا فهداكَ إلى المحبوبِ؛ مِن قولِهِ: ﴿إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾ [يوسف: ٩٥]؛ أي حُبِّكَ(٣).

* * *

(٨) ـ ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾.

﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا﴾: فقيرًا لا مالَ لكَ، وقيلَ: ذا عيالٍ، ﴿فَأَغْنَىٰ﴾؛ أي(٤): بالقَناعةِ، عَن الفرَّاءِ(٥).

غيرُهُ: بمالِ خَديجَةَ رضيَ اللهُ عنها تبذلُهُ لكَ، ثمَّ بمالِ الغنائمِ حيثُ أحلَّها لكَ.

* * *

(٩) ـ ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾.

﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾؛ أي: لا تَظلِمْهُ واذكُرْ يُتمَكَ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٥٤)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٥٤)، وعده من العجائب.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٥٤)، وعده من العجائب.

(٤) في (ف): «﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ فقيراً لا مال لك، وقيلَ: ذا عيال فأغناك بالقناعة».

(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٧٤)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٥٥)، واستغربه.

(١٠) ـ ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ﴾.

﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ﴾: سائلَ البرِّ ﴿فَلَا تَنۡهَرۡ﴾: لا تَزجُرْهُ ولا تَردَّهُ خائبًا، بل بذلٌ قليلٌ أو رَدٌّ جميلٌ.

السُّدِّيُّ: سائلَ العِلمِ فلا تَنهَرْهُ وأجِبهُ برفقٍ ولينٍ[1].

***

(١١) ـ ﴿وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ﴾.

﴿وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ﴾: النُّبوَّةِ والقُرآنِ وكلمَةِ الإخلاصِ ﴿فَحَدِّثۡ﴾: بلِّغْ أمَّتكَ.

وقيلَ: حدِّثْ كلَّ يومٍ شكرًا جديدًا.

وعن ابنِ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «سألتُ ربي مسألةً ووددْتُ[2] أني لم أكُنْ سَألتُهُ، قلتُ: أي ربِّ، إنه قد كانَ أنبياءُ قبلي مِنهُم مَن سخَّرت لهُ الرِّيحَ ـ وذكرَ سليمانَ ـ ومِنهُم مَن كان يُحيي الموتى ـ وذكرَ عيسى ابنَ مريمَ ـ ومِنهُم... قال: فقالَ اللهُ سبحانَهُ: ألمْ أجِدْكَ عائلًا فأغنيتُكَ؟ قالَ: قلتُ: بَلَى أيْ رب، قالَ: ألمْ أشرَح لك صدرَكَ ووضعتُ عنكَ وِزْركَ؟ قالَ: قلتُ: بَلَى يا ربِّ»[3].

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ٥٠٨) عن الحسن، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٢٩٥) عن سفيان، وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٤٥٩) عن يحيى بن آدم، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٥٥) دون نسبة، واستغربه.

(٢) في (ف): «وددت».

(٣) رواه الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (١٠/ ١٢٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٤٥)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٢٨٩)، و«الأوسط» (٣٦٥١)، والحاكم في «المستدرك» (٣٩٤٤)، وصححه. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٢٥٤): «فيه عطاء بن السائب وقد اختلط».

سُورَةُ الشَّرحِ[1]

ثماني آياتٍ[2]، مكيَّةٌ.

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾.

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ استفهامُ تَقريرٍ، أي: أَزَلْنا الهمَّ ونَفيْنا الحُزنَ عَن قَلبِكَ، ووسَّعناهُ ولَم نجعَلْهُ ضَيِّقًا حَرجًا.

ابنُ كَيسانَ: كان النبيُّ ﷺ في بدءِ الأَمرِ إذا أتاهُ جِبريلُ بالوَحيِ شقَّ عليهِ استماعُهُ والنَّظرُ إلى جِبريلَ عليهِ السَّلامُ فوسَّعَ اللهُ قلبَهُ لذلكَ[3].

وعن عُمَرَ رضيَ اللهُ عنهُ: أنَّ جبريلَ عليهِ السَّلامُ أتى رَسولَ اللهِ ﷺ فاستخرَجَ قلبَهُ فغسلَهُ ثمَّ مَلأَهُ إيمانًا وحِكمَةً[4].

---

(١) في (ف): «سورة الانشراح».

(٢) في (ن): «ثمان آية»، وليست في (ف)، والصواب المثبت.

(٣) لم أجده.

(٤) رواه البخاري (٣٤٩)، ومسلم (١٦٣)، عن أنس عن أبي ذر رضي الله عنهما، ورواه البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤) عن أنس عن مالك بن صعصعة رضي الله عنهما، وذلك عند الإسراء، ورواه مسلم (١٦٢) عن أنس رضي الله عنه، وفيه أن الحادثة وقعت وهو غلام. وأكثر العلماء على أن حادثة شق الصدر قد تكررت. انظر: «فتح الباري» (٧/ ٢٠٥).

قيلَ: كانَ هذا حينَ تمَّ لِرسولِ اللهِ ﷺ حَولانِ مِن رَضاعِهِ، وقيلَ: كانَ هذا يومَ الميثاقِ.

الزَّجَّاجُ: شرَحَ اللهُ صدرَهُ للإسلامِ ووسَّعهُ للإيمانِ(١).

وقيلَ: شرحَ بالحكمةِ والإيمانِ(٢) والقُرآنِ، وقيلَ: بما نصبَ مِن الأَدِلَّةِ.

الفرَّاءُ: نليِّنْ قلبَكَ(٣).

***

(٢) - ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾.

﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾: غَفَرْنا لكَ ما تَقدَّمَ مِن ذَنبِكَ وما تأَخَّرَ.

وقيلَ: وزرَ أمَّتِكَ، فأضافَ إليهِ لاهتمامِهِ بهِ.

وقيلَ: خَفَّفنا عليكَ(٤) أعباءَ النُّبوَّةِ.

وقيلَ: لم نُكلِّفكَ فوقَ طاقَتِكَ.

قالَ الضَّحَّاكُ: وِزْرٌ اسمُ صَنَمٍ وُضِعَ على ظَهرِهِ، فجاءَ جبريلُ فحطَّهُ، ولو لم يحطَّهُ لأثقلَ ظهرَهُ، وهذا تَفسيرٌ يُستَحْيَى مِن ذكرِهِ(٥).

ولفظُ (وَضَعَ) لا يقتضي وجوبًا؛ كما تقولُ: «رُفِعَ القلمُ عن الصَّبيِّ» ولم يكُن القَلمُ مَوضوعًا عليهِ.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣٤١).

(٢) «والإيمان»: ليس في (ف).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٧٤).

(٤) في (ف): «عنك».

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٥٧)، وعده من العجيب، وقال: «وهذا كلام بعيد سحيق».

(٣) ـ ﴿ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾.

﴿ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾ أي: أثقلَهُ حتَّى سُمعَ لهُ نَقيضٌ، وهوَ صوتُ الرَّحلِ والنَّعامَةِ وغيرِهما.

وقيلَ: هوَ مِن النِّقْضِ، وهو البَعيرُ المَهزولُ؛ أي: خفَّفنا عنكَ ما كانَ أثقلَهُ حتى صارَ كالنِّقْضِ.

وكلاهما مَثَلَانِ.

* * *

(٤) ـ ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾.

﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ قيلَ: بالنبوَّةِ.

وقيلَ: رفعنا لك ذكرك في الآخرَةِ كمَا رُفِعَ في الدُّنيا.

والجمهورُ على أنَّ المعنى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ فلَم أُذكَرْ إلا ذُكرْتَ مَعي.

وجاءَ مَرفوعًا أيضًا: أنَّ جِبريلَ عليهِ السَّلامُ جاءَهُ فقال: إنَّ اللهَ يقولُ: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾، فلَم أُذكَرْ إلا ذُكِرتَ مَعي(١).

* * *

(٥ ـ ٦) ـ ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾.

﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ﴾؛ أي: معَ الشِّدَّةِ والاجتهادِ في الدِّينِ ومُقاساةِ الكُفَّارِ ﴿يُسْرًا﴾: رخاءً وجزاءً، والتَّكرارُ للتَّأكيدِ.

---

(١) رواه بنحوه أبو يعلى في «مسنده» (١٣٨٠)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٩٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٤٥)، وابن حبان في «صحيحه» (٣٣٨٢)، من طريق دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وفي رواية دراج عن أبي الهيثم ضعف كما في «التقريب».

وقيل(١): ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ﴾ الذي أنتَ فيهِ مِن مُقاسَاةِ الكفَّارِ ﴿يُسْرًا﴾ في الدُّنيا بالظَّفَرِ والغَنيمَةِ، ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ﴾ الذي أنتَ فيهِ ﴿يُسْرًا﴾ في الآخرَةِ بالجنَّةِ والثَّوابِ؛ فالعُسرُ واحِدٌ لِكونِهِ معرفةً، واليُسرُ اثنانِ لكَونهِ نَكرةً، وكما جاءَ في الحديثِ: «لن يغلِبَ عُسرٌ يُسرَيْنِ»(٢).

وقال بعضُهُم: لا يحتمِلُ اللَّفظُ هذا المعنى كما لا يحتَمِلُهُ قولُ القائلِ: «إنَّ مع الفارسِ رمحًا إنَّ معَ الفارسِ رمحًا» أنْ يكونَ معَهُ رمحانِ.

قلتُ: وليسَ هذا وِزانُ الآيةِ؛ لأنَّ الرُّمحَ جُثَّةٌ واليسرَ حَدَثٌ، ووزانُ هذا أن يقولَ: إنَّ للصائمِ فَرحَةً إنَّ للصَّائمِ فرحَةً؛ أي: فرحةً عندَ الإفطارِ، وفرحةً عندَ لقاءِ اللهِ تعالى(٣).

***

(٧) ـ ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ﴾.

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾؛ أي: منَ التَّبليغِ ﴿فَٱنصَبْ﴾؛ أي: اتعَبْ بالعبادَةِ.

وقيلَ: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾ مِن الصَّلاةِ ﴿فَٱنصَبْ﴾ في الدُّعاءِ؛ قيلَ: قبلَ التَّسليمِ، وهذا قولُ ابنِ مَسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ(٤)، وقيلَ: بعدَ التَّسليمِ، وهوَ قَولُ الأكثرينَ.

---

(١) كلمة «قيل» ليست في (ف).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٦٤٣)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٩٦)، والحاكم في «المستدرك» (٣٩٥٠)، عن الحسن البصري عن النبي ﷺ مرسلاً. قال ابن حجر في «الكافي الشاف» (ص: ١٨٦): «وله طريق أخرى أخرجها ابن مردويه من رواية عطية عن جابر موصولاً، وإسناده ضعيف».

(٣) انظر: «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٥٨).

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٤٦) بلفظ: «عن الضحاك قال: كان ابن مسعود يقول: =

وقيلَ: إذا فرَغتَ مِن الفَرائِضِ فاتعَبْ بالنَّوافلِ.

* * *

(٨) ـ ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب﴾.

﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب﴾: ابنُ مَسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ: فارغَبْ إليهِ بدُعائِكَ[1].

وقيلَ: ارغَبْ إليهِ دونَ غَيرِه.

المبـردُ: ﴿فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب﴾؛ أي: دُمْ علـى الطَّاعـاتِ مِـن غيـرِ فُتـورٍ، واطلُـبْ إليـهِ مِن غيـرِ قُصورٍ.

* * *

= أيما رجل أحدث في آخر صلاته فقد تمت صلاته، وذلك قوله: ﴿فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ﴾ قال: فراغك من الركوع والسجود ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب﴾ قال: في المسألة وأنت جالس».

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٢٩٩).

سُورَةُ ﴿وَٱلتِّينِ﴾

ثماني آياتٍ[1]، مَكِّيةٌ.

ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: مَدنيَّةٌ[2].

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾.

﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾ ابنُ عباسٍ والحسنُ في جَماعةٍ: تينُكُم الذي تأكلونَ وزَيتونُكُم الذي تَعصرونَ[3].

وخُصَّ التِّينُ بالقَسَمِ لأَنَّهُ يشبِهُ ثمارَ الجنَّةِ ليسَ فيهِ ما يُنفى ويُطرَحُ، وخُصَّ الزيتونُ لكثرةِ منافعِهِ، ولأَنَّهُ لا دُخانَ لدهنِهِ ولا لحطبِ شَجرِهِ عندَ الإيقادِ[4].

ابنُ عيسى: التِّينُ ثَمرةُ شَجرةٍ كالخَبيصِ مُهيَّأَةٌ على التَّدويرِ مخلَّصَةٌ مِن شائبِ التَّنغيصِ، وأمَّا الزَّيتونُ فيُعتصَرُ مِنها الزَّيتُ الذي للاصطباغِ والادِّهانِ واتِّخاذِ الصَّابونِ[5].

---

(١) في (ن): «ثمان آية»، وليست في (ف)، والصواب المثبت.

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٣٠٠)، والجرجاني في «درج الدرر» (٤/ ١٧٣٩).

(٣) رواه ابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٨/ ٥٥٥)، والحاكم في «المستدرك» (٣٩٥١) وصححه عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٠١ ـ ٥٠٣) عن مجاهد والحسن وعكرمة وإبراهيم والكلبي.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٥٩)، واستغربه.

(٥) ذكر نحوه ابن فورك في «تفسيره» (٣/ ٢٤١) بلا نسبة.

وقيلَ: هما جَبَلانِ يُنْبِتان التينَ والزَّيتونَ بالشَّامِ سُمِّيا باسمِهِما.

ورُوِيَ عن كعبٍ: التِّينُ دِمشقُ والزَّيتونُ بيتُ المقدِسِ[1]. وقيلَ: جَبَلاهُما. وقيلَ: مَسجِداهُما.

وعن ابنِ عباسٍ أيضًا: التِّينُ مَسجِدُ نوحٍ عليهِ السَّلامُ على الجوديِّ، والزَّيتونُ مَسجِدُ بيتِ المقدِسِ[2].

وقيلَ: التِّينُ والزَّيتونُ مَسجِدُ أصحابِ الكَهفِ ومَسجِدُ إيلياء.

وقيلَ: قَسَمٌ بجَميعِ نِعَمِ اللهِ التي مِنها التِّينُ وهوَ طعامٌ، والزَّيتونُ وهوَ إدامٌ، واللهُ أعلَمُ.

* * *

(٢) ـ ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾.

﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾: هو جبلُ موسى عليهِ السَّلامُ بمديَنَ واسمُهُ زُبيرٌ، ومعنى ﴿سِينِينَ﴾: المبارَكُ، وقيلَ: الحسَنُ، وقيلَ: المشجَّرُ.

* * *

(٣) ـ ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾.

﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ يعني: مكَّةَ بالإجماعِ؛ مِن قولِه: ﴿حَرَمًا ءَامِنًا﴾ [القصص: ٥٧]، ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٠٣)، والدولابي في «الكنى والأسماء» (١٤٧٥) بلفظ: «التين: مسجد دمشق، والزيتون: بيت المقدس».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٠٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٤٧).

والأَمِينُ بمعنى الآمنِ أيضًا، وقيلَ: أَمينٌ: آمِنٌ يأمَنُ فيهِ الخلقُ، وقيلَ: مأمونٌ على ما أودعَهُ اللهُ مِن مَعالِمِ دينِهِ.

المبردُ: هي أربعةُ أَجبُلٍ: طورُ تِينًا وهو دِمشقُ، وطورُ زِيْتَا وهو بيتُ المقدِسِ، وطورُ سِينا وهوَ جبلُ موسى عليهِ السَّلامُ، وطورُ تيمنايا وهو[1] مكَّةُ[2].

* * *

(٤) ـ ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ جوابُ القَسمِ، والإنسانُ عامٌّ.

ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: أبو الأشدِّين[3].

مقاتلٌ: أبو جهلٍ[4].

عطاء: الوليدُ بن المغيرةِ[5].

قتادةُ[6]: عتبةُ وشَيبَةُ[7].

---

(١) بعدها في (ن): «جبل».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٥٩)، وعده من العجائب، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ١٦) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وفيه: «تيمانا» بدل: «تيمنايا»، ورواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢/ ٢٣٦) عن يزيد بن ميسرة، وفيه: «تيمنانا».

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٣٠٢)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٤٦٤)، وسماه: «كلدة بن أسيد»، وجاء في (ف): «أبو الأشد بن كلدة»، وتقدم الخلاف في اسمه.

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٣٠٢).

(٥) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٤٦٤).

(٦) في (ف): «مقاتل».

(٧) نقله ابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٤٦٤) عن الماوردي دون نسبة، ولعله ساقط من مطبوع «النكت والعيون».

﴿فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ﴾: منتصِبَ القامَةِ مُعتدِلَها، يتناوَلُ مأكولَهُ بيدِهِ وسائرُ الحيوانِ مُنكَبٌّ.

مجاهد: في أحسنِ صورةٍ[1].

عطيةُ: أرادَ: في شبابِهِ أولَ ما نشأَ[2]، والتَّقديرُ: في تَقويمٍ أَحسنِ تقويمٍ.

***

(٥) ـ ﴿ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ﴾.

﴿ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ﴾؛ أي: الإنسانَ ﴿أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ﴾؛ أي: إلى الهَرمِ والخَرفِ؛ لكيلا يعلَمَ بعدَ علمٍ شيئًا، والسَّافلونَ همُ الزمنَى والضَّعفَى ومَن لا يجدُ حيلةً ولا يَهتدِي سبيلًا.

***

(٦) ـ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ﴾.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ﴾ ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما جَعَلَ الاستثناءَ منقطعًا؛ أي: لكِن الذينَ آمنوا وإنْ رُدُّوا إلى أرذَلِ العُمرِ؛ فإنَّ أجرَهُم يُكتَبُ لهم كمَا كانوا يَعمَلُونَهُ في صِحَّتِهِم[3].

وجاءَ في الآثارِ: مَن قرأَ القُرآنَ واتَّبعَ ما فيهِ لم يُردَّ إلى أَرذَلِ العُمرِ[4].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥١١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٤٨)، وعلقه البخاري قبل حديث (٣٣٢٦).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥١٢) من طريق عطية عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥١٨)، وذكره مكي بن أبي طالب في «الهداية» (١٢/ ٨٣٤٦).

(٤) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٩٩٥٧)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥١٧) عن عكرمة، ورواه الحاكم في «المستدرك» (٣٩٥٢) وصححه، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٤٥٠)، من طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٦٠)، واستغربه.

وقيلَ: الاستثناءُ صَحيحٌ على تقديرِ: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ فانقطعَتْ أعمَالهُم فلا يُكتَبُ[1] لهم حَسنةٌ إلا الذينَ آمنوا؛ فإنَّ أجرَهُم لا ينقَطِعُ.

والأكثرُ على أنَّ ﴿أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ النار، والتقدير: أسفَلَ قومٍ سافلينَ، والاستثناءُ صحيحٌ.

و﴿أَسْفَلَ﴾ نصبٌ على الحالِ، وقيلَ: على الظَّرفِ؛ أي: مكانًا أسفلَ سافلينَ.

وقوله: ﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾: غيرُ مَقطوعٍ، وقيلَ: غيرُ منقوصٍ، وقيلَ: غيرُ ممنونٍ بهِ عَليهِم.

***

(٧) ـ ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ﴾.

﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ﴾ الأخفشُ والمبرِّدُ: ﴿ما﴾ بمعنى: مَن[2].

وقيلَ: أيُّ شيءٍ يكذِّبك؟

وفي المخاطَب به قولان:

أحدهما: أنه الإنسان، والمعنى: فمِن يَحْمِلك على الكذب؟ وقيلَ: ومَن يجدك كاذبًا ﴿بَعْدُ﴾؛ أي: بعد هذا القسم، وقيلَ: بعد هذا البيان.

﴿بِٱلدِّينِ﴾: بالجزاء والبعث.

والثاني: أنه النبي ﷺ، والمعنى: مَن يَنْسبُكَ إلى الكذب؟ وقيلَ: مَن يُبينُ أنك كاذب بعد هذا البيان وبعد قُدرتنا على خلق الإنسان وتقويمه؛ أي: كلُّ شيء يصدِّقك ويشهد لِمَا جئتَ به.

---

(١) في (ف): «يثبت».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٥٨١)، وذكره مكي بن أبي طالب في «الهداية» (١٢/ ٨٣٤٧) عن الفراء والأخفش، وانظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٧٧).

(٨) ـ ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴾.

﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴾ قيلَ: هو مِن الحُكم والقَضاءِ.

وقيلَ: مِن الحكمةِ، والحاكمين: هم الحُكماءُ.

ويجوزُ أن يكونَ (أحكَمُ) مِن الحِكمَةِ و﴿الْحَاكِمِينَ﴾ من الحُكْمِ.

وعن قتادةَ في جماعةٍ: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ إذا قرأ هذهِ السُّورةَ قالَ: «بلى، وأنا على ذلكَ مِن الشَّاهدين»[1].

* * *

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٢٥) عن قتادة مرسلاً. ورواه أبو داود (٨٨٧)، والترمذي (٣٣٤٧)، من طريق إسماعيل بن أميةَ، قال: سمعت أعرابيًا يقول: سمعتُ أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «مَن قرأ منكم بـ ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾ فانتهى إلى آخرها ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴾ فليقل: بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين». وإسناده ضعيف لإبهام الراوي عن أبي هريرة، وقال الترمذي: «هذا حديث إنما يروى بهذا الإسناد عن هذا الأعرابي عن أبي هريرة، ولا يسمى».

سُورَةُ العَلَقِ

تسعَ عشرةَ آيةً[1]، مكِّيَّةٌ.

بِسمِ اللّٰهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

ذكَرَ البُخارِيُّ ومُسلِمٌ رحمَهُما الله في «صَحِيحَيهِما»: أنَّ أوَّلَ ما بُدِئَ بِهِ رسولُ اللهِ ﷺ مِن الوَحيِ الرُّؤيا الصَّادِقةُ في النَّومِ، فكانَ لا يرى رُؤيا إلا جاءَتْ مثلَ فَلَقِ الصُّبحِ، ثمَّ حُبِّبَ إليهِ الخلاءُ، وكانَ يأتي حراءَ فيتحنَّثُ فيهِ ـ والتَّحنُّثُ: التعبُّدُ ليالِيَ ذواتِ العَددِ ـ ويتزوَّدُ لذلكَ، ثمَّ يرجِعُ إلى خديجةَ رضيَ اللهُ عنها فتزوِّدُهُ بمثلِها، حتى فَجَأه الحقُّ وهو في غارِ حِراءَ، فجاءَهُ الملكُ فقالَ: اقرأ، قالَ رسولُ اللهِ: «فقلتُ له: ما أنا بِقارِئٍ، قالَ: فأخذني فغَطَّني حتَّى بلغَ مني الجهدَ، ثمَّ أرسلني فقالَ: اقرأْ، فقلتُ: ما أنا بقارئٍ، فأخذَني فغطَّني الثانيَةَ حتى بلغَ مني الجهدَ، ثمَّ أرسلَني فقالَ: اقرَأْ، فقلتُ: ما أنا بِقارِئٍ، فأخذَني فغطَّني الثَّالثَةَ حتى بلغَ مني الجهد فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ حتى بلغَ ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾» فرجَعَ بها ترجُفُ بوادرُهُ حتى دخلَ على خَديجةَ فقال: «زَمِّلوني» فزمَّلوهُ حتى ذهبَ عنهُ الرَّوعُ[2].

---

(١) «تسع عشرة آية»: ليس في (ف). وانظر: «البيان في عد آي القرآن» للداني (ص: ٢٨٠)، وفيه: «ثماني عشرة آية في الشَّامي، وتسع عشرة في الكوفي والبصري، وعشرون في المدنيين والمكي».

(٢) رواه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠)، عن عائشة رضي الله عنها.

وعن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها: أنَّ أوَّلَ ما نزلَ مِن القُرآنِ: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾[١].

***

(١ ـ ٥) ـ ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾.

قوله: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ أبو عبيدةَ: الباءُ زِيادَةٌ وتقديرُهُ: اقرأ اسمَ ربِّكَ[٢].

وقيلَ: اقرأ القُرآنَ باسمِ ربِّكَ تيمُّنًا وتبرُّكًا، وهو أنْ يَفتَتِحَ بذكرِهِ؛ كقولِهِ: ﴿ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآ﴾ [هود: ٤١].

﴿ٱلَّذِي خَلَقَ﴾؛ أي: خلقَ المكوَّناتِ كلَّها، فحُذِفَ المفعولُ؛ لأنَّ حذفَ المفعولِ في مواضِعَ أبلَغُ مِن ذكرِه؛ كما تقولُ: فلانٌ يعطي ويهبُ.

المبرِّدُ: المرادُ به ذكرُ الفاعِلِ فحسبُ.

ثمَّ خصَّ مِنها ما هوَ أعلى مَرتبةً فقال:

﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ يعني: بني آدمَ، واللَّامُ للجِنسِ. ﴿مِنۡ عَلَقٍ﴾: جمعُ علقَةٍ، والمرادُ بها: ابتداءُ الخلقَةِ إلى تمامِها.

وقيلَ: آدمُ عليهِ السَّلامُ. وقيلَ: ﴿مِنۡ عَلَقٍ﴾: مِن طينٍ يعلَقُ بالكفِّ.

ثم كرَّرَ للتَّأكيدِ فقال: ﴿ٱقۡرَأۡ﴾.

ويحتَمِلُ أنَّ الأولَ للعمومِ والثانيَ للخصوصِ كما قُلنا في ﴿خَلَقَ ١ خَلَقَ﴾.

﴿وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ﴾: الأعظَمُ كرمًا، وقيلَ: الحَليمُ عن جهلِ العِبادِ.

---

(١) رواه الفاكهي في «أخبار مكة» (٣/ ٣٨٥)، وابن أبي عاصم في «الأوائل» (٨٨/ ١٠٣)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٣٠)، والحاكم في «المستدرك» (٢٨٧٣).

(٢) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٣٠٤).

﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾ الحسنُ: علَّمَ الإنسانَ الكِتابَةَ بالقَلمِ[١]؛ أي: بخَلْقِ القَلمِ.

وقيلَ: علَّمَ القرآنَ بأنْ كتبَهُ اللهُ بالقلَمِ في اللَّوحِ المَحفوظِ فقُرِئَ ونُقِلَ.

﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ يعني: الكتابةَ والحَرفَ وغيرَهُ ممَّا فيهِ صَلاحُ دُنياه ودِينه.

ويحتملُ أنَّ الأوَّلَ عامٌّ، ثم خُصَّ كما سبقَ.

* * *

(٦ ـ ٧) ـ ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾.

﴿كَلَّآ﴾: تأكيدٌ بمعنى: حقًا.

وقيلَ: زجرٌ عمَّا يأتي ذِكرُهُ في الآيةِ مِن الطُّغيانِ.

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ﴾ نزلَتْ في أَبي جَهلٍ إلى آخرِ السُّورَةِ[٢].

ومعنى ﴿لَيَطْغَىٰٓ﴾: لَيَبْطَرُ في غِناهُ ويتجاوزُ حدَّهُ ويستكبِرُ على رَبِّهِ.

﴿أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾: رأى نفسَهُ غَنِيًّا.

* * *

(٨) ـ ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ﴾.

﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ﴾: المرجِعُ في الآخرَةِ، فيُجازَى على طُغيانِهِ ومجاوزَتِهِ حدَّهُ في كُفرِهِ.

* * *

---

(١) لم أقف عليه عن الحسن، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ٢٩٠) عن يمان.

(٢) رواه مسلم (٢٧٩٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وسيذكره المصنف قريبًا.

(٩ ـ ١٠) ـ ﴿أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ ٩ عَبۡدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾.

﴿أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ ٩ عَبۡدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾ عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ: قالَ أبو جهلٍ: هل يعفِّرُ محمَّدٌ وجهَهُ بينَ أظهُرِكُم؟! قالوا: نعم، قالَ: واللاتِ والعُزَّى لئن رأيتُهُ يفعَلُ ذلكَ لأطأنَّ رقبته، قالَ: فقيلَ له: ها هو ذا يصلِّي، فانطلَقَ ليطأَ رقبَتَهُ، قالَ: فما فَجِئَهُم [منه] إلا وهو ينكصُ على عَقِبَيهِ ويتَّقي بيديهِ، فقيلَ له: ما لكَ يا أبا حكم؟ قالَ: إنَّ بيني وبينَهُ خندقًا من النَّارِ وهولًا وأجنحَةً، قالَ النبيُّ ﷺ: «ولو دنا مِني لاختطفَتْهُ الملائِكَةُ، فجعلَتْهُ عُضوًا عضوًا»، فأنزلَ اللهُ تعالى: ﴿أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ ٩ عَبۡدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾[٣].

الحسنُ: كان أميَّةُ بن أبي الصَّلْتِ يَنهَى عن الصَّلاةِ[٤].

وقيلَ: عامٌّ في النَّاسِ جميعًا. والظاهرُ: أرأيتَ أبا جهلٍ ينهى محمَّدًا ﷺ عن الصَّلاةِ؟

* * *

(١١ ـ ١٢) ـ ﴿أَرَءَيۡتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلۡهُدَىٰٓ ١١ أَوۡ أَمَرَ بِٱلتَّقۡوَىٰٓ﴾.

﴿أَرَءَيۡتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلۡهُدَىٰٓ﴾ يعني: المصلِّيَ ﴿أَوۡ أَمَرَ بِٱلتَّقۡوَىٰٓ﴾: يأمرُ بتقوى اللهِ واجتنابِ مَعاصِيهِ.

* * *

---

(٣) رواه مسلم (٢٧٩٧)، وما بين معكوفتين منه.

(٤) ذكره الزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٧٧٨) بلفظ: «أُمَيَّةُ بن خَلفٍ كان يَنهَى سَلمان عن الصَّلاة»، وهذا لا يصح؛ لأنه لا خلاف في أن إسلام سلمان رضي الله تعالى عنه كان بالمدنية بعد الهجرة، ولا خلاف في أن السورة مكية. انظر: «حاشية الشهاب على البيضاوي» (٨/ ٣٧٩)، و«روح المعاني» (١٧٦/٢٩).

(١٣ ـ ١٤) ـ ﴿أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١٣ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾.

﴿أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾: يعني: الناهي، والمعنى: أرأيتَ الذي ينهَى عبدًا إذا صلَّى، والمنهيُّ على الهدى آمرٌ بالتقوى، والنَّاهي كاذبٌ ومتولٍّ، فما أعجبُ[1] مِن ذا؟

و﴿أَرَءَيْتَ﴾ من بابِ ظننتَ، والمفعولُ محذوفٌ كما يحذَفُ خبرُ المبتدَأِ لدلالَةِ الحالِ عليه، والتَّقديرُ: أرأيتَ الذي ينهَى مُبْطِلًا؟

قال الأخفشُ: الثاني بدلٌ مِن الأوَّلِ، والثالثُ: بدلٌ من الثاني[2]، وقوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ خَبرُه.

وقيلَ: المعنى: أرأيتَ الذي فعَلَ هذا الفِعْلَ ما الذي يَستحقُّ بذلكَ مِن العِقابِ؟

* * *

(١٥) ـ ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ﴾.

﴿كَلَّا﴾: رَدعٌ وزَجرٌ ﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ﴾ عَن إيذاءِ رَسولِ اللهِ ﷺ ومنعِهِ عن الصَّلاةِ ﴿لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ﴾: نأخذَنَّها، والسَّفعُ: الأَخذُ.

وقيلَ: لنجرَّنَّ بناصيتِهِ إلى النَّارِ، والسَّفعُ: الجرُّ.

وقيلَ: لنسوِّدَنَّ وجهَهُ، وكنى عن الوجهِ بالنَّاصيةِ، والسَّفعُ تأثيرُ النَّارِ والشَّمسِ.

ثم أبدلَ فقال:

---

(١) قوله: «أعجب» ضبط في النسختين بالفتح، وكأنه على توهم أنه فعل تعجب، وليس كذلك، بل هو أفعل تفضيل.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٥٨٢)، وفيه: «﴿أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ﴾ ثم قال: ﴿أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ فجعلها بدلًا منها، وجعل الخبر ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾».

(١٦) ـ ﴿نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾.

﴿نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾؛ أي: صاحِبُها كاذبٌ خاطئٌ.

* * *

(١٧) ـ ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ﴾.

﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ﴾: وذلكَ أنَّ النبيَّ ﷺ زَجَرَهُ حينَ نهاهُ عن الصَّلاةِ، فقال أبو جهلٍ: يا محمَّدُ، لقَد علمتَ ما بها أكثرُ ناديًا مني، فأنزلَ اللهُ تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ﴾[١]؛ أي: قومَ ناديهِ، والنَّادي: المجلِسُ، والمعنى: عَشيرتَهُ وقومَهُ.

* * *

(١٨) ـ ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾.

﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾: وهم خَزنةُ النَّارِ، واشتقاقُه مِن الزَّبْنِ، وهو الدَّفعُ، واختلفوا في واحِدِها؛ فقيلَ: زَبانيٌّ، وقيلَ: زِبْنيٌّ، وقيلَ: زابنٌ.

وقيلَ: لا واحدَ لهُ مِن لَفظِهِ.

وجاءَ في التَّفسيرِ: «لو دَعاهُم لأخذَتْهُم الملائكةُ عيانًا»[٢].

وقيلَ: هذا في القِيامَةِ.

* * *

---

(١) رواه الترمذي (٣٣٤٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقال: «حسن صحيح».

(٢) قطعة من الحديث السابق دون كلمة: «عياناً»، ورواه بنحوه البخاري (٤٩٥٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، ومسلم (٢٧٩٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وليس فيهما: «عياناً» أيضاً.

(١٩) ـ ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾.

﴿كَلَّا﴾: ليسَ الأمرُ على ما يظنُّهُ أبو جهلٍ ﴿لَا تُطِعْهُ﴾ فيما يريدُ مِن تَركِ الصَّلاةِ، ﴿وَٱسْجُدْ﴾ على رَغْمِهِ.

﴿وَٱقْتَرِب﴾: تقرَّبْ إلى اللهِ بطاعَتكَ.

وقيلَ: واقترِبْ بالسَّجدةِ؛ فإنَّ أقربَ ما يكونُ العَبدُ إلى اللهِ إذا كانَ ساجدًا.

وقيلَ: تَقديرُهُ: ﴿وَٱسْجُدْ﴾، وقلْ لأَبي جَهلٍ: ﴿اقتَرِبْ﴾ على وَجهِ الوَعيدِ[١]، كما قالَ عليهِ السَّلامُ: «لو دنا مِني لاختطفَتْهُ الملائِكَةُ عيانًا»[٢].

* * *

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٦٣)، واستغربه.

(٢) سبق قريباً، وفي أول السورة.

سُورَةُ القَدْرِ

خمسُ آياتٍ[1]، مكيَّةٌ، الضَّحاكُ: مَدنيَّةٌ[2].

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

***

(١) - ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾.

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾؛ أي: القرآنَ، وإنْ لم يتقدَّمْ ذِكرهُ في السُّورَةِ.

وقيلَ: أنزلنا جِبريلَ.

وقيلَ: أنزلنا أوَّلَ القُرآنِ ﴿فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾.

وقيلَ: أنزلْنا بعضَ القُرآنِ؛ لِمَا قالَ مقاتلٌ: كان ينزلُ كلَّ ليلةٍ قَدْرُ ما يُحتاجُ إلى مِثلِها مِن قابلٍ[3].

والأوَّلُ أصحُّ؛ لِمَا رُوِيَ عن ابنِ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما أنه قالَ: أُنزِلَ القُرآنُ جُملةً واحدةً من اللوحِ المحفوظِ ليلةَ القَدرِ إلى السَّماءِ الدُّنيا، ثمَّ أُنزِلَ

---

(١) في (ن): «خمس آية»، وليست في (ف)، والصواب المثبت. وانظر: «البيان في عد آي القرآن» (ص: ٢٨١)، وفيه: «وهي سِتّ آيات في المكّيّ والشامي، وخمس في عدد الباقين، اختلافها آية ﴿لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ الثّالث، عدها المكّيّ والشامي ولم يعدها الباقون».

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٣١١)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٤٦٩).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٧٧١).

علـى النَّبـيِّ ﷺ نجمًـا نجمًا في عشـرينَ سـنةً(١).

ويحتمِلُ: إنَّا أنزلنا القُرآنَ في ليلةِ القَدرِ؛ أي: في شأنِ ليلةِ القَدْرِ ومَنزلتِها(٢)؛ كمَا تقولُ: نزلَتْ سُورةُ ﴿وَٱلَّيۡلِ﴾ في أبي بكرٍ؛ أي: في شَأنِه.

ويَحتمِلُ أنَّ الهاءَ يعودُ إلى القَضاءِ والقدرِ النَّازلِ في لَيلةِ القدرِ(٣).

وسمِّي ليلَةَ القَدْرِ لمكانِ القَضاءِ والقَدَرِ الجاري فِيها. وقيلَ: سمِّي ليلَةَ القَدْرِ مِن القَدْرِ والمَنزِلَةِ.

***

(٢) ـ ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ﴾.

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ﴾ على التَّعظيمِ والتَّفخيمِ.

***

(٣) ـ ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾.

﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾؛ أي: الطاعةُ والعِبادَةُ فيها تقومُ مَقامَ الطَّاعةِ والعِبادَةِ في أَلفِ شَهرٍ ليسَ فيها لَيلةُ القَدرِ.

وفي سَببِ النُّزولِ: أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ ذكرَ رجلًا مِن بني إسرائيلَ حملَ السِّلاحَ على عاتِقهِ ألفَ شَهرٍ، فعَجِبَ لذلكَ عَجبًا شديدًا، وتمنَّى أن يكونَ ذلكَ في أمَّتِهِ، فقال: «ربِّ(٤) جعلتَ أمَّتي أقصرَ الأُمَمِ أعمارًا وأقلَّهُم أعمالًا»، فأعطاهُ اللهُ تعالى

---

(١) رواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ٣٦٧)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٣٠٨).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٦٥)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٦٥)، وعده من العجائب.

(٤) في (ف): «يا رب».

ليلةَ القَدرِ، فقال: ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾: الذي حملَ فيه الإسرائيليُّ السِّلاحَ في سَبيلِ اللهِ(١).

***

(٤) ـ ﴿تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ﴾.

﴿تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ﴾: جبريلُ ﴿فِيهَا﴾: في ليلةِ القَدرِ، وأُفرِدَ جبريلُ بالذِّكرِ تَخصِيصًا كقوله: ﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ﴾ [البقرة: ٩٨].

وقيلَ: الروحُ: القُرآنُ؛ مِن قوله: ﴿يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ﴾ [النحل: ٢].

وقيلَ: هُم جيلٌ غيرُ الملائكَةِ.

وقيلَ: هُم حَفظَةُ الملائكَةِ.

﴿بِإِذۡنِ رَبِّهِم﴾؛ أي: بإذنِ اللهِ ﴿مِّن كُلِّ أَمۡرٖ﴾؛ أي: مِن جِهةِ كلِّ أَمرٍ يُقضَى في تلكَ اللَّيلةِ.

وقيلَ: بكلِّ أَمرٍ، فـ﴿مِّن﴾ بمعنى الباءِ؛ أي: بكلِّ أَمرٍ مَقدورٍ.

***

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٤/ ١٩٣)، والبغوي في «تفسيره» (٨/ ٤٩٠)، من طريق عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما، وإسناده ضعيف جدًّا. وروى نحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٥٢)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٨٥٢٢) عن مجاهد وقال: «هذا مرسل». وقال الإمام مالك في «الموطأ» (١/ ٣٢١): «إنه سمع من يثق به من أهل العلم يقول: إن رسول الله ﷺ: أري أعمار الناس قبله، أو ما شاء الله من ذلك، فكأنه تقاصر أعمار أمته أن لا يبلغوا من العمل مثل الذي بلغ غيرهم في طول العمر، فأعطاه الله ليلة القدر، خير من ألف شهر». قال ابن عبد البر في «الاستذكار» (٣/ ٤١٦): «لا أعلم هذا الحديث يروى مسندًا ولا مرسلًا من وجه من الوجوه إلا ما في الموطأ وهو أحد الأربعة الأحاديث التي لا توجد في غير الموطأ».

(٥) ـ ﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ﴾.

﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ﴾: ﴿سَلَٰمٌ﴾ خبرٌ، والمبتدأُ ﴿هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ﴾: والمعنى ليلةُ القدرِ[1] تلكَ الليلةُ سالمةٌ مِن أنْ يحدُثَ فيها داءٌ أو يستطيعَ أنْ يعمَلَ فيها شَيطانٌ.

وقيلَ: هو تَسليمُ الملائِكَةِ على أولياءِ اللهِ وأَهلِ طاعَتِهِ كما جاءَ في الأخبارِ[2].

وقوله: ﴿حَتَّىٰ﴾ متَّصلٌ بقوله: ﴿تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾.

وقيلَ: متَّصلٌ بـ﴿سَلَٰمٌ﴾ على أنه بمعنَى: مُسلَّمةٌ[3].

وقيلَ: خبرُ المبتدَأ، و﴿هِيَ﴾ المبتدَأُ[4]، وفيه ضعفٌ؛ لأنَّ جميعَ اللَّيالي بهذِهِ الصِّفةِ، فإنْ قلتَ: تَقديرُهُ: ﴿هِيَ﴾ مَنعوتٌ بما سبقَ ذِكرُهُ ﴿حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ﴾ جازَ أن يكونَ ﴿حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ﴾ خبرَ المُبتدَأِ.

واختلفوا في وَقتِها:

فقالَ بعضُهُم: إنها مُستَتِرةٌ في السُّنَّةِ.

وقال بعضُهُم: مُستتِرَةٌ في شَهرِ رَمضانَ[5].

---

(١) «ليلة القدر» ليست في (ف).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٦٦)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٦٦)، وعده من العجائب، وقال: «وهذا لا يجوز؛ لأن ﴿هِيَ﴾ قد حالت بينه ـ وهو مصدر ـ وبين ﴿حَتَّىٰ﴾، فإن جعلت ﴿هِيَ﴾ فاعل ﴿سَلَٰمٌ﴾ جاز حينئذٍ؛ لأنه لا يكون حينئذٍ أجنبيًّا».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٦٦)، وعده من العجائب.

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٦٥)، واستغربه، وقال: «حتى لو قال في النصف من رمضان: أنت طالق ليلة القدر، لا يقع الطلاق إلا بعد انقضاء الشهر من قابل؛ لاحتمال أن يكون في =

وقيلَ: في العَشرِ الأَخير.

وقيلَ: ليلةَ الحادي والعِشرين.

وقال بعضُهُم: إنها كانَتْ خاصَّةً لِرسولِ اللهِ ﷺ فرُفِعَت بموتِهِ[1]، واللهُ أعلَمُ.

* * *

= هذه السنة في النصف الأول من شهر رمضان، وفي السنة الثانية في النصف الأخير منه».

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٦٦)، وعده من العجيب جدًّا. وذكر من العجيب أيضاً: أنها الليلة السابعة والعشرون استدلالاً بأن سورة القدر ثلاثون كلمة، وقوله: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ﴾ إشارة إلى الليلة، وهي الكلمة السابعة والعشرون من السورة.

سورة ﴿لَمۡ يَكُنِ﴾

ثماني آياتٍ، مدنيّةٌ[1]، وقيلَ: مكيّةٌ.

بسم الله الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ﴾.

﴿لَمۡ يَكُنِ﴾ معناهُ: لم يزَل[2] ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾.

﴿مِنۡ﴾ للتَّبيينِ، وقيلَ: للتَّبعيضِ، وأهلُ الكتاب: اليَهودُ والنَّصارى.

قوله: ﴿وَٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾؛ أي: ومِن العَربِ وغَيرِهم مِن عَبدَةِ الأَوثانِ.

قالَ: ويحتمِلُ أنْ تكونَ الواوُ في قوله: ﴿وَٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ بمعنى: مَع[3].

﴿مُنفَكِّينَ﴾: مُنفصِلينَ ومُنتهينَ، والتَّقديرُ: منفكِّينَ عن الكُفرِ، وحُذفَ لأنَّ صِلَةَ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ تدلُّ عليهِ، و(انفكَّ) لازِمُ[4] (فكَّ الشَّيءَ)؛ أيْ: فصلَهُ عَن غيرهِ بشدَّةٍ، وهو يأتي على وَجهينِ:

بمعنى: انفصَلَ، فتحتاجُ إلى فاعلٍ فحسب.

وتأتي مُفتقرةً إلى اسمٍ وخبرٍ كـ(كانَ)، ويلزَمُه حرفُ النَّفيِ، ومعناه: لا يزالُ.

---

(١) في (ن): «ثمان آية مدنية»، وليست في (ف)، والصواب المثبت. وانظر: «البيان في عد آي القرآن» (ص: ٢٨٢)، وفيه: «وهي تسع آيات في البَصري والشامي بخلاف عنه، وثمانٌ في عدد الباقين».

(٢) «معناه لم يزل»: ليس في (ف).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٦٩)، واستغربه، وذكر له وجهين.

(٤) أي: مُطاوِع، تقول: فككته فانفكَّ؛ فالأول المتعدي والثاني لازمه.

﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾: القرآنُ، هذا قولُ قتادةَ(١).

وقيلَ: ﴿مُنفَكِّينَ﴾: مفارقينَ بعضَهُم بعضًا؛ أي: متفرِّقينَ، ودلَّ على ذلكَ قولُه: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ﴾.

وقيلَ: معنى الآيةِ: لا يؤمنونَ حتى يتبيَّنَ لهم الحقُّ.

الفرَّاءُ: لم يكونوا تاركينَ لِصفَةِ محمَّدٍ ﷺ وفي كتابهم أنَّهُ نبيٌّ حتى ظهرَ، فلما ظَهَرَ تفرَّقُوا واختلفوا(٢)، كقولِهِ: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ﴾ [البقرة: ٨٩].

ابنُ جَريرٍ: لم يكونوا متفرِّقينَ في أمرِ محمَّدٍ عليهِ السَّلامُ ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾؛ أي: إرسالُ اللهِ إيَّاهُ إلى خَلقِهِ(٣).

وعلى هذينِ القولينِ لا يَحْسُنُ عطفُ ﴿المشركينَ﴾ على ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ﴾؛ لأنَّ المشركينَ لم يكونوا مُؤمنينَ بهِ.

وقيلَ: لم يكونوا لِيُترَكُوا مُنفكِّينَ عَن حُجَجِ اللهِ وتبيانِهِ(٤) ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾(٥): الحججُ ودلالاتُهُ، فتقومُ الحُجَّةُ عليهِم.

وقيلَ: لا ينفكُّونَ عَن كُفرِهِم حتى يأتيَهُم كتابٌ مِن السَّماءِ كقولِهِ: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَـٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾.

وقيلَ: لا يَنتهونَ عَن كُفرِهِم حتى يأتيَهُمُ المَوتُ.

* * *

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٥٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٥٤).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٨١).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٢٤/ ٥٥٢).

(٤) في (ف): «وبيانه».

(٥) «البينة»: ليس في (ف).

(٢ ـ ٣) ـ ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝٢ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾.

﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾: يعني: محمدًا عليهِ السَّلامُ، وهو بَدلٌ مِن ﴿ٱلْبَيِّنَةُ﴾ فيمَن فسَّرها بهِ.

وقيلَ: رفعٌ بالابتداءِ[1] على الاستئنافِ؛ أي: الذينَ كفَروا بهِ ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: جاءَ مِن عِندِ اللهِ.

﴿يَتْلُوا۟﴾: يقرأُ عليهم ﴿صُحُفًا﴾؛ أي: القرآنَ.

﴿مُّطَهَّرَةً﴾: مِن الباطلِ، وقيلَ: لا يمسُّهُ إلا المطهَّرونَ.

قتادةُ: ﴿يَتْلُوا۟ صُحُفًا﴾: يذكرُ القرآنَ بأحسنِ الذِّكرِ ويُثني عَليهِ بأحسنِ الثَّناءِ[2].

وقيلَ: يتلو بِتلاوتهِ القُرآنَ ﴿صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾؛ يعني: اللوحَ المحفوظَ.

وقيلَ: صحفَ إبراهيمَ وموسى عليهِمَا السَّلامُ[3].

وقيلَ: ذُكِرَ القرآنُ بلفظِ الجمعِ تعظيمًا لهُ، ولأنَّهُ يجمَعُ ما في كُتُبِ اللهِ.

﴿فِيهَا﴾: في الصُّحُفِ ﴿كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾: مُستقيمَةٌ غيرُ ذاتِ عِوَجٍ.

ابنُ عيسى: القَيِّمَةُ: المستمرَّةُ في جِهةِ الصَّوابِ[4].

وقيلَ: ﴿قَيِّمَةٌ﴾: داعيةٌ إلى الحقِّ. وقيلَ: عادلَةٌ.

---

(١) في (ن) زيادة «بالابتداء»، وظاهر السياق أنه مرتفع على أنه خبر.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٥٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٥٤).

(٣) ذكر المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٧٠) القولين الأخيرين، واستغربهما.

(٤) ذكر الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٣١٦) عن ابن عيسى في تفسير ﴿قَيِّمَةٌ﴾ قوله: «يعني: كتبَ الله المستقيمةَ التي جاء القرآن بذكرها، وثبت فيه صدقها».

قيلَ: المرادُ بالكتبِ السُّوَرُ، وقيلَ: الأحكامُ.

وقيلَ: الصَّحيفَةُ: اسمُ المكتوبِ فيهِ، والكتابُ: اسمُ المكتوبِ.

وقيلَ: الصُّحُفُ: الأوراقُ، والكُتُبُ: السُّطورُ[1].

***

(٤) - ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾.

﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾: محمَّدٌ والقرآنُ؛ أي: لم يختلِفُوا في مَبعَثِهِ وكَونِهِ نبيًّا إلا بعدَ ظُهورِهِ؛ بَغْيًا وحَسَدًا.

***

(٥) - ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾.

﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾: ليوحِّدوهُ ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾: مِن غيرِ شِركٍ وشَكٍّ ونِفاقٍ ﴿حُنَفَآءَ﴾: على دينِ إبراهيمَ عليهِ السَّلامُ مائلًا عن الأَديانِ كلِّها حاجِّينَ مُختَتِنينَ، وقدَ سبقَ.

﴿وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾؛ أي: الملَّةِ القيِّمَةِ والشَّريعَةِ القيِّمَةِ.

ومَن جعلَهُ وصفًا للدِّينِ ثمَّ أضافَ إلى الوَصفِ واعتذرَ بأنَّ التاءَ للمُبالَغةِ كالعَلَّامَةِ، فقولُهُ بعيدٌ، وعُذرُهُ أبعَدُ[2].

***

(١) في (ف): «المسطورة»، والمثبت من (ن)، وهو الموافق لما في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٧٠)، وقد ذكر المصنف فيه هذا القول والذي قبله، وعدهما من العجائب.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٧٠)، وعده من العجائب.

(٦) - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ﴾؛ أي: في يومِ القيامَةِ، وقيلَ: في حُكمِ اللهِ.

وقيلَ: أكثرُ أَلفاظِ القِيامَةِ جاءَتْ بلَفظِ الماضي؛ لأنَّ قولكَ: «إنَّ زيدًا في الدارِ» يُوجِبُ أن يكونَ فيها حالةَ الإخبارِ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾؛ أي: شِرارُهُم.

و(البَرِيَّةُ): الخَلقُ؛ مشتقَّةٌ مِن بَرَأَ اللهُ الخلقَ[١].

الفرَّاءُ: هو مِن البَرَى، وهو التُّرابُ، وقال: العَربُ تقول: «بفيهِ البَرَى، وحُمَّى الخَيبَرَى، وشرُّ ما يرى»[٢].

وقال الكسائيُّ: هي مِن: بَرَيتُ العُودَ[٣]. وقراءةُ مَن هَمزَ[٤] تدفَعُ قولَ الشَّيخَيْنِ[٥].

---

(١) «الخلق» ليس في (ف).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٨٢)، وفيه: «... وحمى خيبرى، وشر ما يرى، فإنه خيسرى».
قال القالي في «الأمالي» (٢/ ٢٢١): «بفيه البرى» وهو التراب، «وحمى خيبرى»؛ أي: خبير، «فإنه خيسرى»؛ أي: ذو خسرة.
وفي «مجمع الأمثال» (١/ ٩٦): و«الخيسرى»: الخسار، وأراد: أنه ذو خيسرى؛ أي: ذو خسار وهلاك، والغرض من قولهم: «بفيه البرى»: الخيبة.

(٣) ذكره ابن قتيبة في «غريب القرآن» (ص: ١٥)، والطبري في «تفسيره» (١/ ٦٨٥) دون نسبة.

(٤) قرأ نافع وابن ذكوان: ﴿البَرِيئة﴾ بالهمز، والباقون بلا همز. انظر: «السبعة» (ص: ٦٩٣)، و«التيسير» (ص: ٢٢٤).

(٥) ذكر المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٧٠، ١٣٧١) القولين، واستغربهما.

(٧) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾: خِيارُهُم.

***

(٨) ـ ﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾.

﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ﴾؛ أي: دخولُ جُناتِ ﴿عَدْنٍ﴾: إقامةٍ، ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾: لا يموتونَ ولا يُخرجونَ.

﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بإيمانِهم ﴿وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ إذ نالوا ما أرادوا.

﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: الخلودُ في جنَّاتِ عدنٍ، وقيلَ: رِضا اللهِ ﴿لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾: أطاعَهُ واجتنبَ مَعاصيَه.

وقيلَ: ﴿خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾: عَلِمَه؛ مِن قوله: ﴿فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا﴾ [الكهف: ٨٠].

قالَ بعضُ المفسِّرينَ: فالعلماءُ خِيارُ الأمَّةِ بالنَّصِّ إذًا[١].

***

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٧١)، واستغربه.

سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ[1]

ثماني آياتٍ[2]، مكِّيَّةٌ، وقيلَ: مدنيَّةٌ.

بِسمِ اللّه الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾.

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾؛ أي: حُرِّكَت حركةً شديدةً لقيامِ السَّاعَةِ وفناءِ الأرضِ.

وقيلَ: قبلَ السَّاعةِ، وهيَ من أشراطِ السَّاعةِ.

وأصلُهُ عندَ الكوفيينَ من (زلَّ)، فعدِّيَ بتكرارِ العينِ، ثمَّ قلَبَ الوسطى إلى جنسِ الفَاءِ، وعندَ البصريينَ من مضاعَفِ الرُّباعيِّ[3].

---

(١) في (ن): «الزلزال».

(٢) في (ن): «ثمان آية» وليست في (ف)، والصواب المثبت. وانظر: «البيان في عد آي القرآن» (ص: ٢٨٣)، وفيه: «وهي ثماني آيات في المدني الأول والكوفي، وتسع في عدد الباقين».

(٣) في هامش (ن): «قال الشيخ: إن الكوفيين يقولون في مثل كب: كبكب، فتنقل إحدى الباءات إلى فاء الفعل وهو الكاف؛ لأنه قد اجتمع ثلاثة أحرف من جنس واحد، والبصريون لا يجعلونه من هذا الباب بل مذهبهم كما ذكرنا، وعند الكوفيين هذا قياس مطرد في جميع الأفعال الأصمة، وعند البصريين تقلب إذا اجتمعت ثلاثة أحرف من جنس واحد الحرف الآخِر إلى الياء، فتقول في مثل شدَّدت: شدَّيت، وهذا قياس مطرد».

وأضافَ ﴿زِلْزَالَهَا﴾ إليها لأنَّ المعنى: زلزالَهَا الذي يليقُ بها.

وقيلَ: زلزالَهَا الموعودَ[١].

وقيلَ: لرويِّ الآيةِ.

والزِّلزالُ بالكسرِ: المصدرُ، وبالفتحِ: الاسمُ.

* * *

(٢) ـ ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾.

﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾: كنوزَها وموتاهَا.

ومَن جعلَهُ في الدُّنيا قالَ: تُخرِجُ كنوزَها، و(أثقالَ) عندَهُ جمعُ (ثَقَل) بفتحتينِ، وهو: الشَّيءُ المصونُ الكريمُ على صاحبِهِ.

وعندَ غيرِهِ: جمعُ (ثِقْل)، والإنسانُ حيًّا ثِقْلٌ عليها، وميتًا ثِقْلٌ بها[٢].

ويحتمِلُ: أنَّ الأثقالَ جمعٌ لقولِهِ عزَّ وجلَّ: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ [الرحمن: ٣١]: فيكونُ المعنى: أخرجتِ الأرضُ الجنَّ والإنسَ من باطنها إلى ظاهرها[٣]، واللهُ أعلمُ.

* * *

(٣) ـ ﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَا لَهَا﴾.

﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَا لَهَا﴾: قيلَ: هو عامٌّ.

وقيلَ: ﴿ٱلْإِنسَـٰنُ﴾ الكافرُ؛ لأنَّ المؤمنَ يعلمُ ذلكَ فلا ينكرُ وقوعَهُ.

* * *

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٧٣)، واستغربه.

(٢) في (ف): «ثقل لها».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٧٣)، واستغربه.

(٤) ـ ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾.

﴿يَوْمَئِذٍ﴾: بدلٌ من ﴿إِذَا﴾، والعاملُ فيهِ ﴿تُحَدِّثُ﴾[1]، والمعنى: تخبرُ ﴿أَخْبَارَهَا﴾.

أبو عبيدةَ: ما عُمِلَ عليها من خيرٍ وشرٍّ[2].

وقيلَ: شهدَت بما شاهدَت، بأنْ يَجعلَها اللهُ حيوانًا ناطقًا قادرًا على الكلامِ.

وقيلَ: يُنطِقُها بقدرتِهِ سبحانَهُ.

وقيلَ: يخلقُ لها كلامًا.

وقيلَ: تحديثُها: إخراجُها الأثقالَ، وخبرُها: بيانٌ يقومُ مقامَ الكلامِ بأنَّ أمرَ الدُّنيا قد انقضى وأمرَ الآخرةِ قد أتى، وأنَّهُ لابدَّ من الجزاءِ والفوزِ لمنِ اتَّقَى والنَّارِ لمن عصَى.

وقيلَ: تحدِّثُ أنتَ أيها الإنسانُ بما عَملْتَ عليها.

وقال صاحبُ «النَّظمِ»: تقديرُهُ: وقالَ الإنسانُ يومئذٍ: ما لها تحدثُ أخبارَها[3]؟

* * *

(٥) ـ ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾.

﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾: أَمَرَها. وقيل: قالَ لها، وقيلَ: ألهمَها.

وقيلَ: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ جوابُ ﴿مَا لَهَا﴾[4].

* * *

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٧٣)، واستغربه.

(٢) لم أقف عليه عن أبي عبيدة، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٦٧٤)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٦١) عن سفيان الثوري.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٧٤) دون نسبة، واستغربه.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٧٤)، وعده من العجائب.

(٦) ـ ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ﴾.

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا﴾: قيلَ: يصدُرونَ عن قبورِهم إلى موضعِ المحاسبةِ متفرِّقينَ متبدِّدينَ لا يَلوي أحدٌ على أحدٍ للهولِ الواقعِ.

وقيلَ: متفرِّقينَ بالأديانِ والنِّحَلِ.

وقيلَ: ﴿يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ﴾ عن موقفِ[1] الحسابِ إلى مثواهم؛ فآخذٌ ذاتَ اليمينِ إلى الجنةِ، وآخذٌ ذاتَ الشِّمالِ إلى النَّارِ.

و﴿أَشْتَاتًا﴾: جمعُ شتٍّ وشِتٍّ ـ بالكسرِ والفتحِ ـ وشَتيتٍ.

﴿لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ﴾؛ أي: صحائفَ أعمالهم، فحذفَ المُضاف[2].

وقيلَ: جزاءَ أعمالِهم، فحُذِفَ.

وقيلَ: ليُعَرَّفوا ما عمِلُوا، من رؤيةِ القَلبِ.

***

(٧ ـ ٨) ـ ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾.

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾: قيلَ: نملةٍ صغيرةٍ.

وقيلَ: ﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾: رأسِ نملةٍ[3].

وقيلَ: هيَ الذُّرَةُ تقعُ في الكوَّةِ.

---

(١) في (ن): «موقع».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٧٤)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٧٤)، واستغربه.

﴿خَيْرًا يَرَهُۥ﴾: يراهُ مكتوبًا في الصَّحيفةِ، وقيلَ: جزاءَهُ، وقيلَ: يَعرفُ.

فمَن قالَ: «يرى جزاءَهُ» قالَ: يراه المؤمنُ في الدُّنيا والآخرة، والكافرُ يرى جزاءَهُ في الدُّنيا بالصِّحَّةِ والأمنِ والمالِ والولدِ، ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾: على الأوجهِ الثَّلاثةِ، فالمؤمنُ يراهُ في الدُّنيا بالأحزانِ والمصائبِ والأمراضِ، والكافرُ يراهُ في الدُّنيا والآخرةِ.

مقاتلٌ: نزلت في رجلينِ كانَ أحدُهما يأتيهِ السَّائلُ فيستقلُّ أن يعطيَهُ التمرةَ واللُّقمةَ والكِسرةَ ويقولُ: إنما نؤجَرُ على ما نُعطي ونحنُ نحبُّهُ، والآخرُ يتهاونُ بالذنبِ الصغيرِ والكِذبةِ والغيبةِ والنظرةِ ويقولُ: ما مِن هذا عليَّ شيءٌ، إنَّما أوعدَ اللهُ بالنارِ على الكبيرةِ[1]، فأنزلَ اللهُ: ﴿وَمَن يَعْمَلْ﴾ إلى آخرِ السُّورَةِ[2].

***

(١) في (ف): «الكبائر».

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٧٩٢).

سورة ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ﴾

إحدى عشْرَةَ آيةً[1]، مكِّيَّةٌ، وقيلَ: مدنيةٌ.

بِسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

وسببُ نزولها: ما روى سِماكٌ عن عكرمةَ عن ابنِ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ بعثَ خيلًا فأسهَبَتْ؛ أي: أقامَتْ شهرًا لم يأتِهِ منها خبرٌ، فأُرْجِفَ بهم، فنزلَتْ:

(١) ـ ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾.

﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾[2].

مقاتلُ: بعثَ رسولُ اللهِ ﷺ سريةً إلى حيٍّ من كنانةَ واستعملَ عليهمُ المنذرَ بن عمرٍو الأنصاريَّ، فتأخرَ خبرُهم، فقالَ المنافقونَ: قُتِلوا جميعًا، فأَخبرَ اللهُ تعالى عنهم، وأنزل: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾[3].

---

(١) «إحدى عشرة آية»: ليس في (ف).

(٢) رواه الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٦٣)، ورواه ابن أبي حاتم في «العلل» (٤/ ٦٠٨ ـ ٦١٠) وقال سألت أبا زرعة عنه فقال: «هذا حديث منكر، والصحيح: عن عكرمة فقط، وحفص بن جميع ليس بالقوي».

(٣) ذكر مقاتل في «تفسيره» (٤/ ٨٠١) سببين للنزول، فجمع المصنف بينهما تبعًا للثعلبيِّ في «تفسيره» (٣٠/ ١٧١)، ففي «تفسير مقاتل»: «وذلك أن النبي ﷺ بعث سرية إلى حنين من كنانة، واستعمل =

(العاديات): جمعُ عاديةٍ، وهي التي تعدو، والعَدْوُ: السرعةُ في المشيِ والتباعُدُ في الخطوِ، وأصلهُ: المجاوزةُ، ومنهُ: العَداوةُ والعُدْوانُ والعُدْوةُ.

و﴿ضَبْحًا﴾: مصدرٌ وقعَ موقعَ الحالِ؛ أي: يَضْبَحْنَ ضبحًا.

والمرادُ بها: خيولُ الغزاةِ - عنِ ابنِ عباسٍ ومَن تابعهُ[1] - أقسمَ اللهُ بها شرفًا للغزاةِ.

ورويَ عن عليٍّ وابنِ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُما: أنها إبلُ الحاجِّ[2].

ورويَ أنَّ عليًّا أنكرَ على ابنِ عباسٍ حملَه العادياتِ على الخيلِ، وقال: إنها نزلت في وقعةِ بدرٍ، ولم يكن معنا حينئذٍ إلَّا فَرَسانِ؛ أحدُهما للمقدادِ، والآخرُ للزُّبَيرِ[3].

= عليهم المنذر بن عمرو الأنصاري أحد النقباء، فغابت فلم يأت النبي ﷺ خبرها، فأخبره الله - عز وجل - عنها فقال: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾؛ يعني: الخيل»، وهذا السبب الأول، ثم قال: «وقيل: إن رسول الله ﷺ بعث سرية إلى أرض تهامة، وأبطأ عليه الخبر، فجعلت اليهود والمنافقون إذا رأوا رجلًا من الأنصار أو من المهاجرين تناجوا بأمره، فكان الرجل يظن أنه قد مات، أو قتل أخوه، أو أبوه، أو عمه، وكان يجد من ذلك أمراً عظيماً، فجاءه جبريل - عليه السلام - يوم الجمعة عند وقت الضحى، فقال: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾».

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٧٠ - ٥٧٢) عن ابن عباس وجمع، والحاكم في «المستدرك» (٣٩٦٧).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٧٣ - ٥٧٤) عن علي وابن مسعود رضي الله عنهما، ورواه الحاكم في «المستدرك» (٢٥٠٧) عن علي رضي الله عنه.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٧٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٥٧)، والحاكم في «المستدرك» (٢٥٠٧) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، فقد احتجا بأبي صخر وهو حميد بن زياد الخراط المصري، وبأبي معاوية البجلي وهو والد عمار بن أبي =

واحتجَّ ابن عباسٍ بالضَّبحِ، وقال: إنَّ الإبلَ لا تضبحُ[١]؛ فإنَّ الضَّبْحَ أصواتُ أجوافِها إذا عَدَتْ، ليس بالصهيلِ ولا الحمحمةِ.

وقيلَ: الضَّبْحُ: الخَضيعةُ[٢].

وقالَ الخليلُ: الضَّبْحُ نوعٌ من العَدْوِ[٣]، وعلى هذا يصحُّ القولانِ.

***

(٢) ـ ﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا﴾.

﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا﴾ ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: يُوْرِي فرسانُها النَّارَ؛ ليُظَنَّ فيهمُ الكثرةُ[٤].

عطاءٌ: هي الخيلُ تَستخرِجُ النَّارَ بنعالِها إذا عدَت في الأرضِ ذاتِ الحجارةِ[٥].

= معاوية الدهني الكوفي»، فتعقبه الذهبي فقال: «لا والله، ولا ذكرَ لأبي معاوية في الكتب الستة، ولا احتجَّ البخاري بأبي صخر، والخبر منكر».

(١) روى عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٦٧٨)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٧٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «ليس شيء من الدواب يضبح إلا كلب أو فرس».

(٢) انظر: «جمهرة اللغة» (١/ ٢٨٠)، وفيه عن قوم: «الضبح: الخضيعة الَّتي تُسمع من جَوف الفرس». وفي «العين» (١/ ١١٣): «والخَضِيعةُ: صوتُ بَطنِ الفرسِ».

(٣) لم أجده عن الخليل، وفي «العين» (٣/ ١٠٩ ـ ١١٠): «والخيل تضبح في عدوها ضبحًا: تسمع من أفواهها صوتاً ليس بصهيل ولا حمحمة».

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٣٢٤) بلفظ: «نيران المجاهدين إذا اشتعلت فكثرت نيرانها إرهاباً». وروى الحاكم في «المستدرك» (٣٩٦٧) عن ابن عباس قوله: «﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا﴾: الرجل إذا أورى زنده».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٧٦)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٣٢٤).

مجاهدٌ: هي أفكارِ العُلماءِ تَستنبطُ المعاني[١].

عِكرمةُ: هيَ الألسنةُ تُظهرُ الحقَّ بالنُّطقِ[٢].

وقيلَ: هيَ الخيلُ تهيجُ الحربُ بينَ أصحابها.

وقيلَ: هي مكرُ الرِّجالِ[٣].

وقيلَ: هي الإبلُ تَنسِفُ بمناسِمِها الحصَى فيصطكُّ بعضُهَا بعضًا[٤] فتنقدحُ منها النارُ[٥]، ويسمَّى تلكَ النارُ: نارَ أبي حُبَاحِب.

وقيلَ: شُبِّهت بها، وكانَ أبو حُبَاحِب رجلًا بخيلًا[٦].

---

(١) ذكره أبو حفص النسفي في «التيسير في التفسير» عند هذه الآية دون قوله: «تستنبط المعاني»، ولم أجده عند غيره، والمروي عن مجاهد تفسيرها بمكر الرجال، وسيأتي.

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٣٢٤) بلفظ: «الألسنة إذا ظهرت بها الحجج، وأقيمت بها الدلائل، وأوضح بها الحق، وفضح بها الباطل»، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٧٧) مقتصرًا على قوله: «هي الألسنة».

(٣) روي عن ابن عباس ومجاهد؛ فرواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٦٧٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٧٧) عن مجاهد، وهو في «تفسير مجاهد» (ص: ٧٤٣). وذكره الواحدي في «البسيط» (٢٤/ ٢٤٢) بلفظ: «هي أفكار الرجال توري نار المكر والخديعة». وروى الفريابي وعبد بن حميد عن مجاهد: «﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا﴾ قال: المكر، تقول العرب إذا أراد الرجل أن يمكر بصاحبه: أما والله لأقدحن لك ثمَّ لأورين».
وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٧٨)، وعده من العجائب.

(٤) كذا في النسختين و«غرائب التفسير» (٢/ ١٣٧٨)، والمعروف في (اصطك) أنه لازم يتعدى بالباء، فيقال: اصطك بعضها ببعض.

(٥) في (ف): «فتنقدح النار فيها».

(٦) في «تفسير مقاتل» (٤/ ٨٠٢) و«جمهرة اللغة» (٢/ ١٢١٢): أنه رجل بخيل له نار تقدح مرة وتخمد أخرى؛ لكيلا يمرّ به ضيف، فضرب به المثل، ثم قال: نار الحباحب.

(٣) - ﴿فَٱلۡمُغِيرَٰتِ صُبۡحٗا﴾.

﴿فَٱلۡمُغِيرَٰتِ صُبۡحٗا﴾؛ أي: يُغِيرُ أصحابُ الخيلِ وقتَ الصُّبحِ، وقيلَ: نهارًا جِهارًا.

وقيلَ: هيَ الإبلُ إذا أفاضت من عرفاتٍ، ومعنى أغارَ: أتى الغَورَ.

وقيلَ: إغارتُهم: اشتراؤهُمُ الذبائحَ وذبحُهم إياها كأنَّهم أغاروها[1]. واستدلَّ هذا القائلُ بقولِ العربِ: أشرِقْ ثَبيرُ كيما نُغِيرُ[2].

***

(٤) - ﴿فَأَثَرۡنَ بِهِۦ نَقۡعٗا﴾.

﴿فَأَثَرۡنَ بِهِۦ﴾: هيَّجْنَ بهِ.

الفرَّاءُ: بمكانٍ[3] الذي هنَّ فيهِ[4].

وقيلَ: بالعَدْوِ[5]، ودلَّ عليهِ العادياتُ.

وقيلَ: بالصُّبحِ؛ أي: فيه.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٧٨)، واستغربه.

(٢) روى البخاري (١٦٨٤) عن عمر رضي الله عنه قال: «إن المشركين كانوا لا يفيضون حتى تطلع الشمس ويقولون: أشرق ثبير، وأن النبي ﷺ خالفهم ثم أفاض قبل أن تطلع الشمس»، وثَبير: جبل عند مكة، والمعنى: ادخل أيها الجبل في الشروق؛ أي: في نور الشمس؛ لأنهم كانوا لا يفيضون من هناك إلا بعد ظهور نور الشمس على الجبال، وقولهم: كيما نغير؛ أي: ندفع للنحر، يقال: أغار يغير إغارة: إذا أسرع ودفع في عَدْوه. انظر: «جامع الأصول» لابن الأثير (٣/ ٢٤٧).

(٣) كذا في النسختين، وينبغي أن يكون «المكان الذي هنا فيه» أو «مكان .... فيه»، والله أعلم.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٨٥)، وفيه: «﴿بِهِۦ نَقۡعٗا﴾: بالوادي، ولم يذكره قبل ذلك، وهو جائز لأن الغبار لا يثار إلا من موضع وإن لم يذكر، وإذا عرف اسم الشيء كني عنه وإن لم يجر له ذكر».

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٧٧)، واستغربه.

﴿نَقْعًا﴾: غبارًا.

وقيلَ: ﴿نَقْعًا﴾: صوتًا[١].

وقيلَ: ﴿نَقْعًا﴾: اسمٌ لما بينَ عرفاتٍ إلى مزدلفةَ، وهذا بعيدٌ[٢].

* * *

(٥) ـ ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا﴾.

﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا﴾؛ أي: الخيلُ دخلت وسطَ جَمْعٍ من العدُوِّ، وتُغيرُ[٣] عليهِم.

وقيلَ: الإبلُ توسَّطْنَ المزدلفَةَ، وهي جَمْعٌ.

تقول: وَسَطَ يَسِطُ، وكذلك وَسَّطَ بالتشديدِ، وتوسَّطَ.

وجازَ عطفُ ﴿فَأَثَرْنَ﴾ و﴿وسطن﴾ ـ وهو فعلٌ ـ على ﴿المغيراتِ﴾ وهي اسمٌ؛ لأنها في المعنى: والتي أغارت، وعُطِفَ بالفاءِ لأنَّ التقديرَ: عَدَتْ فأَوْرَتْ فأغارت.

* * *

(٦) ـ ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾.

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾: جوابُ القَسَمِ، وهو عامٌّ.

﴿لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾ ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهما: لكفورٌ[٤].

وقيلَ: لبخيلٌ يمنعُ حقَّ اللهِ.

وقيلَ: لجاحدٌ نِعَمَ اللهِ غيرَ شاكرٍ، عن الحَسَنِ[٥].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٧٨)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٧٨)، وعده من العجائب.

(٣) في (ن): «ويغير».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٨٤)، والأصبهاني في «طبقات المحدثين» (١/ ٤٢٧).

(٥) رواه ابن أبي الدنيا في «المصائب والكفارات» (٢٢٢)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٨٧) =

وقيلَ: هوَ العاصي.

وفسَّرَ النبيُّ ﷺ فقال: «الكنودُ: الذي يأكلُ وحدَهُ، ويمنعُ رِفدَهُ، ويضرِبُ عبدَهُ»(١).

* * *

(٧) ـ ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾.

﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾؛ أي: وإنَّ اللهَ على كُنودِهِ شهيدٌ.

وقيلَ: إنَّ الإنسانَ، من قوله: ﴿يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ﴾ [النور: ٢٤].

* * *

(٨) ـ ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ﴾.

﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ﴾؛ أي: لأجلِ حبِّ المالِ ﴿لَشَدِيدٌ﴾: بخيلٌ.

وقيلَ: إنَّهُ لشديدُ الحبِّ للخيرِ، وهوَ المالُ.

وقيلَ: معنى شديدٌ: قويٌّ.

* * *

(٩) ـ ﴿أَفَلَا يَعۡلَمُ إِذَا بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ﴾.

﴿أَفَلَا يَعۡلَمُ﴾؛ أي: هذا الإنسانُ ﴿إِذَا بُعۡثِرَ﴾: قُلِبَ وبُحِثَ وأُثيرَ ﴿مَا فِي ٱلۡقُبُورِ﴾: من الموتى، و﴿مَا﴾ بمعنى: مَن.

= بلفظ: «لوام لربه، يعد المصائب، وينسى النعم»، وكذا ذكره الفراء في «معاني القرآن» (/ ١٨٥)، والماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٣٢٥).

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧٩٥٨) و(٧٧٧٨) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٤٢): «رواه الطبراني بإسنادين، في أحدهما جعفر بن الزبير وهو ضعيف، وفي الآخر من لم أعرفه».

(١٠) ـ ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾.

﴿وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾: الزَّجَّاجُ: بُيِّنَ ما فيها من الخيرِ والشرِّ[١].

ويحتمِلُ أَنَّهُ من قوله: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ [الطارق: ٩].

***

(١١) ـ ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾.

﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾: عالِمٌ فيجازيهم على جميعِ أعمالهم من الخيرِ والشرِّ.

وخصَّ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بالذِّكرِ واللهُ عالمٌ بهم في جميعِ الأزمانِ؛ لأنَّ الجزاءَ يقعُ يومئذٍ.

وقيلَ: تقديرُهُ: ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾ يومئذٍ[٢].

وقولُه[٣]: ﴿إِذَا بُعْثِرَ﴾ لا يجوز أن يكونَ ظرفًا لـ﴿يَعْلَمُ﴾؛ لأنَّ العلم الآنَ، ولا يجوز أن يكونَ ظرفًا لقولِهِ: ﴿بُعْثِرَ﴾؛ لأنهُ مضافٌ إليهِ، ولا يعملُ المُضافُ إليهِ في المُضافِ، ولا يجوزُ أن يكونَ ظرفًا ﴿لَّخَبِيرٌ﴾؛ لأنَّ ما بعدَ (إنَّ) لا يعملَ فيما قبلهُ، فهو منصوبٌ بفعلٍ دلَّ عليهِ (خبيرٌ)؛ أي: يعلمُ اللهُ إذا بُعثِرَ، والمرادُ بِهِ الجزاءُ، واللهُ أعلمُ.

***

---

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٥٤٥) بلا نسبة.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٧٩)، وعده من العجائب.

(٣) في (ف): «وقيل».

سُورَةُ القَارِعَةِ

إحدى عشرةَ آيةً[1]، مكِّيَّةٌ.

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿ٱلْقَارِعَةُ﴾.

﴿ٱلْقَارِعَةُ﴾ يعني: القيامةَ؛ لأنها تقرعُ القلوبَ.

ابنُ عيسى: البليَّةُ التي تقرعُ القلوبَ بشدَّةِ المَخافةِ[2].

وقيلَ: هي الصيحةُ التي ذُكِرَت في القرآنِ.

وقيلَ: هي النَّارُ[3].

***

(٢) ـ ﴿مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾.

﴿مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾؛ أي: هي عظيمةُ الشَّأنِ فظيعةُ الحالِ.

***

---

(١) «إحدى عشرة آية»: ليس في (ف).

(٢) ذكره ابن فورك في «تفسيره» (٣/ ٢٦٣)، والواحدي في «البسيط» (٢٤/ ٢٦٢) بلا نسبة.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٨١)، واستغربه.

(٣) ـ ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ﴾.

﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ﴾؛ أي: لا تعرفُها؛ لأنَّكَ لم تَعْهَدْ مِثْلَها.

* * *

(٤) ـ ﴿ يَوۡمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ ﴾.

﴿ يَوۡمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ ﴾؛ أي: هي واقعةٌ ﴿ يَوۡمَ يَكُونُ ﴾.

الزَّجَّاجُ: إعرابُ ﴿ٱلۡقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ﴾ كإعرابِ ﴿ٱلۡحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ﴾[1].

وقيلَ: ﴿ٱلۡقَارِعَةُ ﴾ مبتدأٌ، ﴿ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ﴾ صفتُهُ، ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ﴾ اعتراضٌ، ﴿ يَوۡمَ يَكُونُ ﴾: خبرُهُ، والتَّقديرُ: القارعةُ الهائلةُ واقعةٌ يومَ يكون، والأوَّلُ أظهرُ.

والقرعُ: ضربٌ لهُ صوتٌ كقرعِ البابِ والنابِ، ومنهُ: مِقرعَةُ الدَّوابِّ، والمقارعةُ في الحِرابِ.

﴿ يَوۡمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ ﴾: عامٌّ

﴿كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ ﴾: قيلَ: كغوغاءِ الجرادِ، ومثلُه: ﴿يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ كَأَنَّهُمۡ جَرَادٞ مُّنتَشِرٞ ﴾ [القمر: ٧].

الزَّجَّاجُ: ما تراهُ كصغارِ البقِّ يتهافتُ في النَّارِ[2].

المبرِّدُ: أشياءُ بينَ الذُّبابِ والبعوضِ يُضربُ بها المثلُ في الجهلِ.

أبو عبيدةَ: طائرٌ يتساقطُ في النَّارِ والسِّراجِ، ليسَ ببعوضٍ ولا ذُبابٍ[3].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣٥٥).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣٥٥).

(٣) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٣٠٩)، وفيه: «طير لا بعوض ولا ذباب هو الفراش، والمبثوث المتفرق».

وقيـلَ: ﴿ٱلنَّـاسُ﴾ خـاصٌّ فـي الكفـارِ، وهـم يتهافتـونَ في النَّـارِ يـومَ القيامةِ كتهافُـتِ الفَراشِ.

ومعنـى ﴿ٱلْمَبْثُوثِ﴾: المتفـرِّقِ لا يتَّجـهُ لجهةٍ واحـدةٍ، بل يمـوجُ بعضُهم في بعضٍ.

***

(٥) ـ ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾.

﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ﴾: كالصُّوفِ.

أبو عبيدةَ: ذي الألوانِ(١)، كقولِهِ: ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ﴾ الآية [فاطر: ٢٧].

وقيلَ: المصبوغِ.

﴿ٱلْمَنفُوشِ﴾: المندوفِ؛ لخِفَّةِ سيرِهَا.

***

(٦) ـ ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾.

﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾: جمعُ ميزانٍ.

الحسنُ: هو ميزانٌ له كِفَّتانِ(٢)، جعلَ اللهُ رجحانَ إحدى كفتيهِ علامةَ سعادةِ صاحبِهِ.

وقيلَ: ثَقُلت بالحسناتِ.

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٣٠٩).

(٢) رواه اللالكائي في «الاعتقاد» (٢٢١٠)، وذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٤/ ٣٦١)، وابن فورك في «تفسيره» (١/ ١٠١)، والماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٢٠١).

وقيلَ: الموازينُ: جمعُ موزونٍ[1].

وقيلَ: الميزانُ: الوزنُ. والمعنى: مَن عَظُمَ قدرُهُ عندَ اللهِ.

* * *

(٧) ـ ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾.

﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾: ذاتِ رضًا.

وقيلَ: في معنى مفعولٍ؛ أي: مَرْضيَّةٍ.

وقيلَ: راضٍ صاحبُها؛ كيومٍ صائمٍ وليلٍ نائمٍ.

وقيلَ: كاملةٍ[2]، كأنها أُعطِيَت ما تَكمُلُ به صفاتُها حتَّى رضيتْ.

وقيلَ: رضيَتْ صاحبَها فقرَّت.

ويحتمِلُ: في عيشةٍ راضٍ صاحبُها، فلمَّا حُذِفَ الصاحبُ أُنِّثَ حملًا على اللَّفظِ.

* * *

(٨) ـ ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾.

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾: ضدُّ[3] الوجوهِ المتقدمةِ.

* * *

(٩) ـ ﴿ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴾.

﴿ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴾؛ أي: مسكنُهُ ومأواهُ، و﴿ هَاوِيَةٌ ﴾: من أسماءِ جهنَّمَ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٨١)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٨٢)، واستغربه.

(٣) في (ف): «بضد».

قتادةُ وعكرمةُ: فأمُّ رأسهِ هاويةٌ مُنجدِرةٌ في النَّارِ من أعلى إلى أسفلَ(١).

وقيلَ: ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ مثلَ قولِ العربِ: هَوَتْ أُمُّهُ، وهي كلمةٌ تستعملُ عندَ عِظَمِ المكروهِ وشِدَّةِ المُصيبةِ(٢).

***

(١٠ ـ ١١) ـ ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةُۢ﴾.

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ﴾ الجمهورُ على أنَّ الضَّميرِ يعودُ عائدٌ إلى ﴿هَاوِيَةٌ﴾.

وقيلَ: إلى ﴿ٱلۡقَارِعَةُ﴾.

وقيلَ: إلى الفَعلةِ المذكورةِ، والهاءُ للاستراحةِ، ثمَّ فسَّرَ فقال:

﴿نَارٌ حَامِيَةُۢ﴾؛ أي: بلغت النِّهايةَ في الحرارةِ، نعوذُ باللهِ منَ النَّارِ ونكالِها.

***

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٩٦) عن قتادة بلفظ: «يهوي في النار على رأسه»، وذكره بنحوه الثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ١٩٦) عن قتادة وأبي صالح، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٥٨)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٣٢٩) عن عكرمة، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٨٢)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٨٢)، وعده من العجائب.

سُورَةُ التَّكَاثُرِ

ثماني آيات[1]، مكِّيَّةٌ، وقيلَ: مدنيةٌ.

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾.

﴿أَلْهَىٰكُمُ﴾: شغلكم، تقولُ: لها: لَعِبَ، ولَهِيَ عن الشَّيءِ: غَفَلَ.

و﴿ٱلتَّكَاثُرُ﴾: هو تكلُّفُ الكثرةِ مالًا وعددًا.

و﴿ٱلتَّكَاثُرُ﴾ أيضًا: التفاخرُ بكثرةٍ.

و﴿ٱلتَّكَاثُرُ﴾ أيضًا: الكثرةُ.

***

(٢) ـ ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾.

﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾؛ أي: حتَّى متُّم.

وقيلَ: معنَى ﴿زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾: ذكَرْتُم موتاكم في مُكاثَرَتكِم، وذلك أنهُ تفاخرَ بنو عبدِ منافٍ وبنو سهمٍ، فكَثَرَتْ بنو عبدِ منافٍ بني سهمٍ، فقالت بنو سهمٍ: البغيُ أهلَكَنا في الجاهليةِ، ثمَّ تكاثروا بالأمواتِ، فكثَرَت بنو سهمٍ بني عبدِ منافٍ، فأنزلَ اللهُ تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾[2].

---

(١) في (ن): «ثمان آية»، وليست في (ف)، والصواب المثبت.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٨١٩)، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٦١٣) عن الكلبي، وذكره =

الزَّجَّاجُ وغيرُه: هو عامٌّ فيمَن يبلغُ بهم حبُّ الدُّنيا والحرصُ على الإكثارِ فيها حتَّى يغفلوا عن طاعةِ اللهِ فيموتوا على ذلكَ(١).

وقيلَ: يُقالُ لهم هذا في الآخرةِ إذا خفَّت موازينُهم: شُغِلتُم بالإكثارِ من الدُّنيا عن طاعةِ اللهِ حتَّى متُّم.

ورويَ عنِ النبيِ ﷺ أنهُ قرأَ هذهِ السُّورةَ فقالَ: «ابنُ آدمَ يقولُ: مالي مالي، وإنَّما لكَ من مالِكَ ما أكلتَ فأفنيتَ، أو لبستَ فأبليتَ، أو أعطيتَ فأمضيتَ»(٢).

و: «لو أنَّ لابنِ آدمَ واديينِ من مالٍ لابتغى إليهما ثالثًا، ولا يملأُ جوفَ ابنِ آدمَ إلا التُّرابُ، ويتوبُ اللهُ على مَن تابَ»(٣).

* * *

(٣) ـ ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾.

﴿ كَلَّا ﴾؛ أي: ليسَ الأمرُ الذي يَنبغِي أن تكونوا عليهِ التكاثرُ.

وقيلَ: توكيدٌ ينوبُ عنِ اليمينِ.

وقيلَ: ردعٌ وزجرٌ عنِ التَّكاثُرِ افتخارًا.

﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾: ستعلمونَ بعدَ هذا أنَّ الاشتغالَ بطلبِ الإكثارِ خطأٌ عظيمٌ.

* * *

= الثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ٢٠٤)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٦٤)، عن مقاتل والكلبي.

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣٥٧).

(٢) رواه مسلم (٢٩٥٨) عن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري (٦٤٣٩) عن أنس رضي الله عنه.

(٤) ـ ﴿ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾.

﴿ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾: التِّكرارُ تأكيدٌ للوعيدِ وتغليظٌ للمَنهيِّ عنهُ.

وقيلَ: إنَّهُما في وقتينِ؛ أحدُهُما في القبرِ، والآخرُ في القيامةِ.

ورويَ عن عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ أنه قالَ: ما زلنا نشكُّ في عذابِ القبرِ حتَّى نزلت ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ إلى قوله: ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾(١)؛ لأنهُ وعيدٌ بعذابِ القبرِ.

وقيلَ: الأوَّلُ للكفَّارِ والثاني للمؤمنينَ(٢)، ثم قالَ:

(٥) ـ ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴾.

﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ ﴾ أيها النَّاسُ ما لكم وعليكم ﴿عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴾: علمًا يقينًا، وهو ما يَثْلَجُ بِهِ الصَّدرُ بعدَ اضطرابِ الشَّكِّ.

وجوابُ ﴿لَوْ﴾ محذوفٌ تقديرهُ: لشغلَكُم ذلكَ عن غيرِهِ.

قتادةُ: علمُ اليقينِ: أن يعلمَ الإنسانُ أنَّ اللهَ باعثُهُ بعدَ الموتِ(٣).

* * *

(٦) ـ ﴿ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴾.

﴿ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴾: اللامُ لامُ القسَمِ، أقسَمَ اللهُ تعالى أنهم يرونَ الجحيمِ.

* * *

(٧) ـ ﴿ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴾.

﴿ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴾: عِياناً لستُم عنها بغائبينَ، والتِّكرارُ تأكيدٌ.

---

(١) رواه الترمذي (٣٣٥٥)، وقال: «حديث غريب».

(٢) ذكره المصنف في «البرهان» (ص: ٢٥٤)، وانظر: «درة التنزيل» (٣/ ١٣٦٨).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦٠٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٦٠).

وقيلَ: الأوَّلُ قبلَ الدُّخولِ، والثاني بعدَ الدُّخولِ.

وقيلَ: الأوَّلُ من رؤيةِ العينِ، والثَّاني من رؤيةِ القَلبِ(١).

***

(٨) ـ ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾.

﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ ابنُ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ: عنِ الصِّحَّةِ والأمنِ فيمَ أَفنَيْتُموها(٢)؟

ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: كلُّ ما أنعمَ اللهُ بهِ منَ الصِّحةِ والأمنِ والسمعِ والبَصرِ، وقرأَ: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦](٣).

وعن عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ: خبزِ الشَّعيرِ والماءِ الباردِ(٤).

مجاهدٌ وقتادةُ: كلُّ ما التذَّهُ الإنسانُ فإنَّهُ نعيمٌ(٥).

---

(١) ذكر المصنف هذا القول والذي قبله في «البرهان» (ص: ٢٥٤).

(٢) رواه هناد بن السري في «الزهد» (٢/ ٣٦٤)، وابن أبي الدنيا في «الإشراف» (٢١٥)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦٠٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٢٩٥). وروي مرفوعاً رواه عبد الله ابن الإمام أحمد في «الزهد» (٨٥٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٦٠)، والثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ٢١٥).

(٣) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦٠٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٢٩٣).

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٦٠) بلفظ: «عن أكل خبز البر وشرب ماء الفرات مبرداً، وكان له منزله يسكنه، فذاك من النعيم الذي يسأل عنه»، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٦١٢) إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه، ورواه الثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ٢١١) بلفظ: «الرطب والماء البارد».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦١٠)، والثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ٢٢٧)، عن مجاهد بلفظ: «عن كل شيء من لذة الدنيا»، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٦٨٩)، والطبري في «تفسيره» =

و﴿ ثُمَّ ﴾ لترتيبِ الخبرِ.

وقيلَ: يُسأَلُونَ في النَّارِ تبكيتًا لهم وتنديمًا كقولِهِ: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا﴾ الآيةَ [الأحقاف: ٢٠]، واللهُ أعلمُ.

* * *

= (٢٤/ ٦١٠)، عن قتادة بلفظ: «إن الله سائل كل ذي نعمة فيما أنعم عليه».

سُورَةُ العَصْرِ

ثلاثُ آياتٍ[1]، مكِّيَّةٌ. قتادةُ: مدنيَّةٌ[2].

بِسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿وَٱلْعَصْرِ﴾.

﴿وَٱلْعَصْرِ﴾: الدَّهرِ.

الحسنُ: أحدُ طَرَفي النَّهارِ[3].

والعربُ تسمِّي الغداةَ والعشيَّ: العَصْرينِ، واليومَ واللَّيلَ: العصرينِ، والشِّتاءَ والصيفَ: العصرينِ[4].

وعن عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ: ونوائبِ العصرِ[5].

---

(١) في (ن): «ثلاث آية»، وليست في (ف)، والصواب المثبت.

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٣٣٣).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤: ٦١٢) بلفظ: «العشي»، وذكره بهذا اللفظ أيضًا ابن فورك في «تفسيره» (٣/ ٢٦٩)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ٢٤١) بلفظ: «بعد زوال الشمس إلى غروبها»، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٣٣٣) بلفظ: «العشي ما بين زوال الشمس وغروبها».

(٤) انظر: «إصلاح المنطق» لابن السكيت (ص: ٢٧٧).

(٥) روى أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ٣١٨)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦١٣)، والدينوري في «المجالسة» (٦/ ١٩٨)، والحاكم في «المستدرك» (٣٩٧١)، عن علي رضي الله عنه أنه قرأ: =

وقيلَ: أراد: وأهلِ العصرِ، وقيلَ: وربِّ العصرِ، وقيلَ: وصلاةِ العصرِ.

***

(٢) ـ ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾.

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ عامٌّ ﴿لَفِى خُسْرٍ﴾: هلاكٍ، وأصلُه: ذهابُ رأسِ المالِ.

قتادةُ: خسرُوا منازلَهم وأهاليَهم في الجنَّةِ[١].

الفرَّاءُ: ﴿لَفِى خُسْرٍ﴾: عقوبةٍ بذنوبِهِ[٢].

وقيلَ: في خسرٍ من عمرِهِ[٣]، فقد قالَ بعضُ الصَّالحينَ: يا ابنَ آدمَ، أنتَ في هدمِ عمرِكَ منذ سقطتَ من بطنِ أمِّكَ[٤].

وقيلَ أيضًا: الإنسانُ إذا تنفَّسَ تنقَّصَ.

***

(٣) ـ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ بما دعا إليهِ الشَّرعُ ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ﴾: بالإقامةِ على الحقِّ قولًا وفعلًا.

= (والعصر ونوائب الدهر إن الإنسان لفي خسر).

(١) لم أقف عليه عن قتادة، وذكر نحوه الفراء دون نسبة. انظر التعليق الآتي.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٨٩)، وفيه: «لفي عقوبة بذنوبه، وأن يخسر أهله ومنزله في الجنة».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٨٥)، واستغربه.

(٤) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٨٥٢)، وأبو حاتم في «الزهد» (١٢)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ١٥٥)، عن الحسن، ورواه ابن أبي الدنيا في «الزهد» (٤٢٦)، والبيهقي في «الزهد الكبير» (٥١١)، عن أبي الدرداء رضي الله عنه.

الحسنُ: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: كتابِ اللهِ[(١)].

وقيلَ: طاعةِ اللهِ واجتنابِ معاصيهِ.

﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾: على تحمُّلِ المشاقِّ في اللهِ.

وأعادَ لفظَ ﴿وَتَوَاصَوْاْ﴾: تعظيمًا لشأنِ الصَّبرِ.

ورَوَى أبو أمامةَ عن أبيِّ بنِ كعبٍ رضيَ اللهُ عنهُما قالَ: قرأتُ هذهِ السُّورةَ على رسولِ اللهِ ﷺ فقال: «أقسمَ ربُّكم بآخرِ النَّهارِ ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾: أبو جهلٍ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: أبو بكرٍ ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: عمرُ ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ﴾: عثمانُ ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾: عليٌّ»[(٢)]، رضوان الله عليهم أجمعين.

* * *

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٦٩٣)، وابن أبي الدنيا في «الإشراف» (١٣٦)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦١٤).

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ٢٤٤)، وذكره ابن تيمية في «منهاج السنة النبوية» (٧/ ٢٤٦) كمثال لتفسير جهال المنتسبين للسنة في فضائل الخلفاء الأربعة.

سُورَةُ الهُمَزَةِ

تسعُ آياتٍ[1]، مكِّيَّةٌ.

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾.

﴿وَيْلٌ﴾ سبقَ ﴿لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: هو المشَّاءِ بالنميمةِ، المفرِّقِ بينَ الأحبَّةِ، الباغي[2] للبريءِ العيبَ[3].

قالَ الخليلُ: الهُمَزَةُ: الذي يَعيبُ الناسَ من خَلفِهم، واللُّمَزَةُ: الذي يَعيب مواجهةً[4].

---

(١) في (ن): «تسع آية»، وليست في (ف)، والصواب المثبت.

(٢) كتب تحتها في (ن): «الطالب»، وهو معناها.

(٣) رواه وكيع في «الزهد» (٤٤٧)، وهناد في «الزهد» (١٢١٤)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦١٦ ـ ٦١٧). وفي بعض المصادر: «العنت» بدل «العيب».

وروى الإمام أحمد في «المسند» (٢٧٥٩٩)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣٢٣)، من حديث أسماء بنت يزيد رضي الله عنها عن النبي ﷺ: «ألا أخبركم بخياركم؟» قالوا: بلى قال: «الذين إذا رؤوا ذكر الله. أفلا أخبركم بشراركم؟» قالوا بلى. قال: «المشاءون بالنميمة المفسدون بين الأحبة الباغون البرآء العنت».

(٤) انظر: «العين» (٧/ ٣٧٢).

وقيلَ: الهُمَزَةُ باليدِ، واللُّمَزَةُ باللِّسانِ[١].

الحسنُ: الهُمَزَةُ: الذي يهمزُ جليسَهُ بعينِهِ؛ أي: يكسِرُها ويومئُ إليهِ، واللُّمَزَةُ: الذي يستقبلُ أخاهُ بوجهٍ، ويغيبُ لهُ بآخرَ[٢].

نزلت في الوليدِ بنِ المغيرةِ[٣].

وقيلَ: في الأخنسِ بنِ شَرِيقٍ[٤].

وقيلَ: في جميلِ بن عامرٍ الجُمَحِيِّ[٥].

وقيلَ: هو عامٌّ.

***

(٢) ـ ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ﴾.

﴿ٱلَّذِى جَمَعَ﴾ قيل: محلُّهُ رَفعٌ بالابتداءِ[٦]؛ أي: هو الذي جمعَ، وليسَ بوصفٍ

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٨٧)، واستغربه.

(٢) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» بلفظ: «الهمزة الذي يهمز الإنسان في وجهه، واللمزة: يلمزه إذا أدبر عنه».

(٣) ذكره ابن إسحاق كما في «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٣٥٦).

(٤) ذكره السمعاني في «تفسيره» (٦/ ٢٨٠)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٤٨٨)، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وصرح ابن الجوزي أنه من رواية أبي صالح عن ابن عباس فهو منقطع، وذكره البغوي في «تفسيره» (٨/ ٥٣٠) عن الكلبي.

ووردت أيضاً من رواية الضحاك عن ابن عباس كما في «تفسير القرطبي» (٢٢/ ٤٧٠)، وإسناده منقطع أيضاً.

ورواه ابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٨/ ٦٢٣) من قول السدي.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦١٩) من طريق ابن أبي نجيح عن رجل من أهل الرقة.

(٦) أي: بالاستئناف، والتقدير الذي ذكره المصنف ظاهره أنه خبر لمبتدأ محذوف.

لِمَا قبلَهُ لاختلافِهما في التعريفِ والتنكيرِ، ولا يجوزُ أن يكونَ بدلًا من ﴿هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾؛ لأنهُ يصيرُ تقديرُهُ: ويلٌ لكلِّ الذي جمعَ مالًا، وهذا لا يصحُّ.

ولا يَمتنِعُ[1] أن يكونَ بدلًا من (كلِّ)، فيكونَ التَّقديرُ: ويلٌ للَّذي جمعَ، فيكونَ محلُّهُ جرًّا.

ويجوزُ أن يكونَ نصبًا بإضمارِ (أعني).

ومعنى ﴿جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ﴾: أحرزَهُ واتَّخذهُ عدَّةً، والتَّشديدُ يقتضي الجمعَ شيئًا بعدَ شيءٍ.

وقيلَ: أحصاهُ مرةً بعدَ أُخرى، وحفظَ عددهُ، والتعديدُ: الحفظُ.

وقيلَ: أكثرَهُ؛ لأنَّ في تكثيرِ عينِهِ تكثيرَ عددِهِ.

المبرِّدُ والحسنُ: صنَّفهُ إبلًا وغنمًا وأرضًا وذهبًا وفضةً[2].

* * *

(٣) ـ ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ﴾.

﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ﴾ الزَّجَّاجُ: أي: يعملُ عملَ مَن لا يظنُّ أنهُ يموتُ[3].

* * *

(٤) ـ ﴿كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ﴾.

﴿كَلَّا﴾: ردعٌ عن هذا الحُسبانِ.

---

(١) من هنا يبدأ سقط في النسخة (ف)، وسنشير إلى نهايته في موضعه.

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١٠/ ٦١٦) عن الحسن، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٨٧)، واستغربه.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣٦٢).

وقيلَ: معناهُ: لا يخلدُ أحدٌ في الدُّنيا.

وقيلَ: هو متصلٌ بما بعدهُ بمعنى: حقًّا.

﴿لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ﴾: ليُطرَحنَّ في جهنَّمَ.

وقيلَ: هي اسمٌ من أسماءِ النَّارِ؛ أي: تَحطِمُ كلَّ شيءٍ وتكسِّرُه.

وقيلَ: اسمُ الدركِ الأسفلِ، وقيلَ: الدَّركِ الثَّاني.

* * *

(٥ ـ ٧) ـ ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ﴾: تعجيبٌ وتعظيمٌ ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ﴾: تفسيرٌ لها ﴿ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾: تصلُ إلى القلوبِ بإحراقها الأجسادَ المشتملةَ عليها والعظامَ والجلودَ.

وقيلَ: يبلغُ ألمُها إلى القلبِ، والألمُ إذا وصلَ إلى القلبِ ماتَ صاحبُهُ، فهم في حالِ مَن يموتُ ولا يموتُ؛ كقولِه: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [طه: ٧٤].

* * *

(٨) ـ ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾.

﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم﴾؛ أي: النارُ أو الحطمةُ ﴿مُّؤْصَدَةٌ﴾: مطبقةٌ لا يدخلُها رَوحٌ ولا مزجٌ، من آصدتُ البابَ: أطبقتُهُ.

وقيلَ: منَ الوصيدِ ـ وهو البابُ ـ فيمَن لم يهمِز أصلًا(١).

* * *

(١) قرأ حمزة وأبو عمرو وحفص: ﴿مُّؤْصَدَةٌ﴾ بالهمز، والباقون بغير همز. انظر: «السبعة» (ص: ٦٨٦)، و«التيسير» (ص: ٢٢٣).

(٩) - ﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾.

﴿في عُمُدٍ مُمَدَّدةٍ﴾: قيلَ: هي عُمُدٌ يعذَّبونَ بها في النَّارِ، جمعُ عمودُ.

وقيلَ: ﴿ٱلْحُطَمَةُ﴾: مُطبَقةٌ عليهم بعُمُدٍ، و﴿فِي﴾ بمعنى الباءِ.

والعُمُدُ: جمعُ عِمادٍ وعَمَدٍ بفتحتينِ؛ كإهابٍ وأَهَبٍ، وأَدِيمٍ وأَدَمٍ[1].

وقيلَ: هي عمدٌ تطرحُ على الأبوابِ إذا أُغلِقَت فتُمدُّ عليهم؛ ليَتأكَّدَ يأسُهُم في الخروجِ[2].

الحسنُ: تفسيرُ ذلكَ في الكهفِ: ﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: ٢٩]: فلجهنَّم سرادقٌ وللسرادقِ عَمَدٌ[3].

ورويَ عنِ الحسنِ أيضًا: ﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾: في دهرٍ طويلٍ لا انقطاعَ لهُ[4].

وقيلَ: العَمَدُ الممددةُ: قيودٌ طوالٌ.

* * *

(١) قرأ حمزة والكسائي وشعبة ﴿في عُمُدٍ﴾، والباقون: ﴿في عَمَدٍ﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٢٩٧)، و«التيسير» (ص: ٢٢٥).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٨٨)، وعده من العجائب.

(٣) ذكره عن الحسن أبو حفص النسفي عند هذه الآية، وزاد: «فإذا مُدَّت تلك العمد أُطْبقت جهنم على أهلها».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٨٨)، وعده من العجائب.

سُورَةُ الفِيلِ

خمسُ آياتٍ، مكِّيَّةٌ.

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ﴾: الفرَّاءُ: معناهُ: ألم تُخبر[١]؟

وقيلَ: معناهُ الأمرُ؛ أي: اِعلم.

المبرِّدُ: ألم تعلمْ[٢]، ومفعولاهُ محذوفانِ، و﴿كَيْفَ﴾ مفعولُ ﴿فَعَلَ رَبُّكَ﴾.

وفي ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: تعجيبٌ، عجَّبَ اللهُ نبيَّهُ من كفرِ العَربِ وقد شاهدَتْ هذهِ العظيمةَ من آياتِ اللهِ.

وقيلَ: هذهِ معجزةٌ لا يُظهرُها اللهُ إلا لنبيٍّ.

وقيلَ: كانَ في ذلكَ الوقتِ نبيٌّ يقالُ لهُ: خالدُ بن سنانٍ العبسيُّ[٣].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٩١).

(٢) انظر: «المقتضب» (٤/ ٩٦)، وفيه: «رأيت تكون من رؤية العين وتكون من العلم، كقوله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ [الفرقان: ٤٥]».

(٣) وردت فيه عدة أخبار مرسلة، قال ابن كثير في «السيرة النبوية» (١/ ١٠٦): «المرسلات التي فيها أنه نبي لا يحتج بها هاهنا. والأشبه أنه كان رجلًا صالحاً له أحوال وكرامات، فإنه إن كان في زمن الفترة فقد ثبت في «صحيح البخاري» عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن أولى الناس بعيسى ابن مريم =

وقيلَ: ذلكَ معجزةٌ لرسولِ اللهِ ﷺ لأنـهُ ولدَ تلكَ السَّنةَ، وقيلَ: ذلـكَ اليومَ، وقيلَ: بعدَ تلكَ الوقعةِ لخمسٍ وخمسينَ يـومًا، وقيلَ: كانَ قبلَ مولدِهِ ﷺ بثلاثٍ وعشرينَ سنةً.

﴿بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾: هـم قومٌ مـن الحبشةِ ملكُهم أبرهةُ بن الصَّبَّاحِ الملقَّبُ بأشرمَ، وكنيتهُ: أبو يكسومَ ـ ابنُ جريرٍ: أبرهةُ دونَ الملكِ الأعظمِ[1] بالحبشةِ، وكانَ الملكُ النجاشيَّ، واسمهُ: أصحمةُ، ومعناهُ: العَطِيَّةُ ـ فبنى بيتًا باليمنِ ودعا الناسَ إلى الحجِّ بدلَ الكعبةِ، وهمَّ بتخريبِ الكعبةِ؛ ليصرفَ الناسَ عنِ الكعبةِ إلى بنائِهِ، وكانَ اسمُ بنائِهِ: القُلَّيْسَ. وقيلَ: بنى بيعةً، فحضرها قومٌ من قريشٍ وأوقدوا نارًا لحاجَتِهم، ثمَّ رحلوا عنها ولم يطفِئوها، فهبَّت ريحٌ وهيَّجت النَّارَ وأحرقت البيتَ، فقيلَ لهُ: إنَّما فعلَ ذلكَ أهلُ مكَّةَ مكايدةً، فهمَّ بتخريبِ الكعبةِ واستباحةِ أهلِها، فلمَّا وصلَ إلى ذي المجازِ امتنعت الفيَلَةُ منَ التوجُّهِ نحوَ مكَّةَ، وإذا صُرفت عنها إلى غيرِها أسرعت مشيًا، وكان معهُ اثنا عشرَ فيلًا، وفيها واحدٌ كبيرٌ لم يُرَ مثلُهُ، وكانَ اسمُهُ محمودٌ، وكنيتُهُ أبو العبَّاسِ، وقيلَ: لم يكن معهُ إلَّا هذا الواحدُ، واسمُ بيعتِهِ بالعربيَّةِ: الهيكلُ، وبالحبشيَّةِ: ماسرجسان، فقدِمَ بعضُ كبارِ عساكرِهِ، فاستاقَ ما بها من المواشي والنَّعَمِ وكانَ فيها مئتا بعيرٍ لعبدِ المطَّلِبِ، وكانَ هوَ رئيسَ مكَّةَ، فأتى أبرهةَ وكلَّمَهُ في إبلِهِ، فحقَّرَهُ حيثُ لم يتكلم في أمرِ الكعبةِ، فقيلَ لعبدِ المطَّلِبِ ذلكَ فقال: اردُدْ عليَّ إبلي ودونَكَ البيتَ؛ فإنَّ لهُ ربًّا سيمنعُهُ، فأمرَ بإبلِهِ فرُدَّت عليهِ، وأتى عبدُ المطَّلِبِ وأخذَ حلقةَ بابِ الكعبةِ وهو يقولُ:

= أنا؛ لأنه ليس بيني وبينه نبي »، وإن كان قبلها فلا يمكن أن يكون نبياً؛ لأن الله تعالى قال: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾، وقد قال غير واحد من العلماء: إن الله تعالى لم يبعث بعد إسماعيل نبيًّا في العرب إلا محمداً ﷺ خاتم الأنبياء»، وانظر: «الإصابة» لابن حجر (٢/ ٣٠٩ ـ ٣١٤).

(١) إلى هنا انتهى السقط من النسخة (ف).

يـــا ربِّ لا أرجـــو لهم سِـــواكا   يـــا ربِّ فامنـــعْ عَنهـــمُ حِمـــاكَا

إنَّ عـــدوَّ البيـــتِ مَـــن عـــاداكا   اِمنعهـــمُ أن يُخْرِبـــوا قـــراكا

ثمَّ أصبحَ عبدُ المطلبِ وارتفعَ على الجبلِ وأقبلَ نحوَ الكعبةِ رافعًا يدهُ يدعو ويقولُ:

لا هـــمَّ إنَّ الـمـــرءَ يـمْـــ   ـــنعُ رَحْلَهُ فامنـــعْ رِحَالَكْ

لا يَـغـلِبـــنَّ[1] صـلـيـبُـهـم   ومِـحـــالُـهم غدوًا[2] مِحَالَكْ

إن كُنـــتَ تاركَـهُـــم وقـبـ   ـــلَتَنا فأمـــرٌ مـــا بـــدا لكْ

ثمَّ إنَّ أبرهةَ تهيَّأَ للدُّخولِ وعبَّأَ الجيشَ وهيَّأَ الفِيَلَةَ[3]، فأنشأَ اللهُ تعالى من شاطئِ[4] البحرِ طيرًا سُودًا صِغارَ المناقيرِ خُضرَ الأعناقِ طِوالَها، قد أقبلت كاللَّيلِ يكسعُ بعضُها بعضًا، أمامَ كلِّ فرقةٍ طيرٌ يقودُها أحمرُ المنقارِ، وكانَ في مناقيرها وأظافيرها ثلاثةُ أحجارٍ، فجاءت حتَّى حاذت[5] بعسكرِ القومِ ركدت[6] فوقَ رؤوسهم، فلمَّا توافت الرِّعاكُ[7] كلُّها أهالت[8] ما في مناقِرِها على مَن تحتَهَا،

---

(١) في (ف): «يغلبن».

(٢) في (ف): «عدوًا».

(٣) في (ف): «فيله».

(٤) كتب تحتها في (ن) كلمة: «كنار».

(٥) في (ف): «جازت».

(٦) قوله: «ركدت» جاء في هامش (ن): «دارت»، ولعل المراد بيان المعنى.

(٧) قوله: «الرعاك» جاء في هامش (ن): «قطع طيور».

(٨) قوله: «أهالت» جاء في هامش (ن): «صبت».

مكتوبٌ على كلِّ حجرٍ اسمُ مَن يقتُلُهُ، فجعلَ الحجرُ يقعُ على رأسِ صاحبِهِ فيصلُ إلى جوفِهِ، وكانتِ الحجارةُ أكبرَ من العدَسة وأصغرَ من الحمِّصَةِ، لا يصيبُ منها أحدًا إلا هلكَ، وليسَ كلُّهم يصيبُ، فتولَّى أبرهةُ بمن بقيَ هاربينَ، فجعلَ أبرهةُ يسقطُ عضوًا عضوًا، وقيلَ: لم يفلِت منهم إلا أبو يكسومَ، فسَار وطارَ طائرٌ فوقَهُ[(١)] ولا يشعرُ بِهِ، حتى دخلَ على النجاشيِّ فأخبرهُ بما أصابهم، فلما استتمَّ كلامَهُ أتاهُ الطائرُ فرماهُ بِهِ فسقطَ فماتَ، فأرَى اللهُ النجاشيَّ كيفَ كانَ هلاكُ أصحابِهِ.

قتادةُ: أبو يكسومَ هوَ أبرهةُ، ونجَا الفيلُ الملقَّبُ بمحمودٍ لإحجامِهِ عنِ الإقدامِ على الحرمِ، ثمَّ إنَّ الطيرَ انصاعت راجعةً من حيثُ جاءت، فلما أبطأَ على عبدِ المطَّلبِ مجيءُ القومِ ذهبَ ينظرُ ما خبرُهم، فوجدَهُم قد بادوا، فحملَ ما شاءَ من صفراءَ وبيضاءَ، وآذَنَ أهلَ مكةَ، فصاروا إلى معسكرِهم، فانتهبوا ما فيهِ[(٢)].

* * *

(٢) ـ ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾.

قولُـه: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ﴾: عزمَهـم علـى هـدمِ الكعبـةِ وإبطـالِ ديـنِ اللهِ ﴿فِي تَضْلِيلٍ﴾: إبطـالٍ وإذهـابٍ.

وقيلَ: ﴿كَيْدَهُمْ﴾: مرادَهم، من قوله: ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ [يوسف: ٧٦].

* * *

(١) في (ف) زيادة: «فسار وطائر فوقه يطير».

(٢) تنظر القصة في «السير والمغازي» لابن إسحاق (ص: ٦١ ـ ٦٤)، و«السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٤٣ ـ ٥٣)، و«تفسير الطبري» (٢٤/ ٦٣٥ ـ ٦٤٢). ورواها الثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ٢٦٦) فقال: «قال محمد بن إسحاق: كان من قصة أصحاب الفيل فيما ذكر بعض أهل العلم عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس، وعمَّن لقي من علماء أهل اليمن وغيرهم...» وذكر القصة.

(٣) ـ ﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴾.

﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴾: الزَّجَّاجُ: جماعاتٍ من هاهنا وجماعاتٍ من هاهنا[١].

أبو عبيدةَ: جماعاتٍ في تفرقةٍ[٢].

قتادةُ: ﴿أَبَابِيلَ ﴾: كثيرةً[٣].

وقيلَ: هي العنقاءُ المغْرِبُ[٤].

واحدُها: إبَّالةٌ، وقيلَ: إيْبَالةٌ، وقيلَ: إبِّيلٌ، وقيلَ: إبَّولٌ، وقيلَ: هيَ جمعٌ لا واحدَ لهُ من لفظِهِ كعبادِيدَ[٥].

***

(٤) ـ ﴿ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴾.

﴿ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴾: أكثرُ المفسرينَ على أنهُ فارسيٌّ معرَّبٌ، وهو الآجُرُّ، يقوِّيهِ قولُه: ﴿حِجَارَةً مِّن طِينٍ﴾ [الذاريات: ٣٣] في غيرِ هذهِ القصَّةِ؛ لأنَّ الحجارةَ قد تكونُ منَ الماءِ فيذوبُ كالبَرَدِ[٦].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣٦٣).

(٢) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ٣١٢).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٦٩٨)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦٤٣)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٩٠)، واستغربه.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٩٠)، وعده من العجائب.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٩٢).

(٦) في (ف): «فيذوب وهو البرد».

أبو عبيدةَ والزَّجَّاجُ: إنهُ من السَّجْل، وهو الكثير[١].

وقيلَ: من السجل[٢] وهو الشديد.

وقيلَ: من السَّجْلِ، وهو ملءُ الدَّلوِ؛ أي: المكروهِ الذي يَغمرهم.

وقيلَ: السِّجِّيلُ اسمُ السَّماءِ الدُّنيا.

وقيل[٣]: (من سجِّينٍ) فقلبَ النُّونَ لامًا، وقد سبقَ[٤].

***

(٥) ـ ﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾.

﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾: العصفُ: ورقُ الزَّرعِ.

قتادةُ: هو التِّبنُ[٥].

وقيلَ[٦]: هو ما على حبِّ الحنطةِ من القُشورِ.

---

(١) ما ذكره أبو عبيدة والزجاج هو أن معنى سجيل: الشديد؛ ففي «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ٣١٢): «سجيل: هو كل شيء شديد»، وفي «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣٦٤): «من سجيل؛ أي: من شديد عذابه، والعرب إذا وصفت المكروه بسجيل كأنها تعني به الشدة ولا يوصف به غير المكروه»، وهو ما نقله المصنف عن أبي عبيدة في تفسير سورة (هود).

(٢) «السجل» كذا في النسختين، وفي «اللسان» و«القاموس» مادة: (س ج ل): «السجيل: الصلب الشديد».

(٣) كلمة: «قيل» من (ف).

(٤) في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴾ [هود: ٨٢].

(٥) في (ف): «عطف».

(٦) في (ف): «وبه قيل».

ومعنى ﴿مَّأۡكُولِۭ﴾: أكلَتهُ الدَّوابُّ فراثتهُ ـ من الرَّوثِ ـ فصارَ ذنينًا[١].

الزَّجَّاجُ: ﴿مَّأۡكُولِۭ﴾: وقعَ فيهِ الأُكالُ من قِدَمِهِ[٢].

ابنُ عيسى: مأكولٍ ثمرُهُ.

وقيلَ: (عصفٌ مأكولٌ) كقولكَ: طعامٌ مطعومٌ، وشرابٌ مشروبٌ؛ أي: شأنهُ أن يُطعمَ ويُشربَ؛ أي: تأكلهُ الدَّوابُّ.

ورأيتُ في بعضِ التَّفاسيرِ: أنَّ العَصْفَ هو العَفْصُ[٣]، والمأكولُ: هو الذي فيهِ ثقبٌ. وهذا غلطٌ بعيدٌ[٤]، واللهُ أعلمُ.

***

---

(١) في هامش (ن): «الذنين: ما يسيل من المنخرين من البلغم والمخاط وغير ذلك». وانظر: «تاج العروس» مادة: (ن غ ف)، (٢٤/ ٤٢٩).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣٦٤)، وليس فيه: «من قِدَمه»، و«قِدَمه» هكذا ضبطت في (ف)، ولم تضبط في (ن).

(٣) العَفْص: حَمْلُ شجرة البَلُّوط، تحمل سنة بَلُّوطاً وسنة عَفْصاً، عن الليث. انظر: «تهذيب اللغة» (٢/ ٢٧)، وزاد في «القاموس»: «وهو دواءٌ قابضٌ مُجَفِّف يَرُدُّ الموادَّ المُنْصبَّة، ويَشُدُّ الأعضاء الرِّخوةَ الضعيفة، وإذا نُقِعَ في الخلِّ سوَّدَ الشَّعرَ».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٩٠)، وعده من العجائب. وجاء في هامش (ن): «ومن قرأ في الصلاة: كعفص مأكول، فقد فسدت صلاته».

سورة قريش

أربع آياتٍ[1]، مكِّيَّةٌ، وقيلَ: مدنيَّةٌ.

بسم الله الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ﴾.

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ﴾ قيلَ: هذهِ اللَّامُ متصلةٌ بالسورةِ الأولى، والمعنى: أهلكَهم ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ﴾[2]، واللَّامُ لامُ الصَّيرورةِ والعاقبةِ كقوله: ﴿لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا وَحَزَنًا﴾ [القصص: ٨].

ويُروَى عن الكسائيِّ تركُ التَّسميةِ بينهما، وجاءَ ذلكَ عن غيرِهِ أيضًا لهذا، وسماهُ بعضُهم: لامَ العِلَّةِ، وفيهِ بُعدٌ؛ لأنَّ اللهَ أهلكهم لكُفرِهم.

وقيلَ: اللَّامُ لامُ التعجُّبِ؛ أي: اِعْجَبوا من إيلافِ قريشٍ؛ أي: من إيلافِهِمُ الرِّحلَتين وتركِهم عِبادةَ ربِّ هذا البيتِ.

وقيلَ: فيهِ تقديمٌ وتأخيرٌ، والمعنى: ﴿فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ﴾ ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ﴾؛ أي: لِمَا أنعمَ عليكم من إيلافِكُم. تقول: أَلِفَ يألَفُ إلفًا وإلافاً وآلَفَ يؤلِفُ إيلافًا بمعنًى، وهوَ نقيضُ الإيحاشِ، ومثلُهُ الإيناسِ.

---

(١) في (ن): «أربع آية»، وليست في (ف)، والصواب المثبت.

(٢) في هامش (ن): «ويعضده وجودها في مصحف أبيٍّ بلا فصل سورة واحدة، وقرأ عمر بها في ثانية المغرب، وقرأ سورة ﴿وَٱلتِّينِ﴾ في الأولى».

وقيلَ: آلَفَ حَمَلهُ على الأُلفةِ. وكلٌّ قد قُرِئَ به[1].

وقيلَ: الإيلافُ: هي[2] العهودُ التي كانت يأخذُها رجالُ قريشٍ من ملوكِ العربِ إذا خرجوا في أسفارِهم يأمنونَ بها.

وقريشٌ هم بنو النَّضرِ بنِ كنانةَ، وقيلَ: بنو فهرِ بن مالكِ بن النَّضرِ بن كنانةَ.

وسُمُّوا قريشًا لتجمُّعهم بعدَ التفرّقِ، والقَرْشُ: الجمعُ.

ورويَ أنَّ معاويةَ سألَ ابنَ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما عن معنى قريشٍ، فقال: هي دابَّةٌ تسكنُ البحرَ من أعظمِ الدَّوابِّ[3]، وأنشدَ:

قريشٌ هيَ التي تسـكنُ البحـ ... ـرَ بـها سُمِّيت قريشٌ قريشا

تـأكلُ الغثَّ والسَّمينَ ولا ... تتركُ يومًا لذي جناحينِ ريشا[4]

وقيلَ: القَرْشُ: الكَسبُ، وكانوا يأكلونَ من كَسْبِهم فسُمُّوا بهِ.

* * *

(٢) ـ ﴿إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ﴾.

﴿إِۦلَٰفِهِمۡ﴾ بدلٌ من الأوّلِ ﴿رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ﴾ الرحلةُ: السَّيرُ على

---

(١) قرأ ابن عامر: (لإلاف) بلا ياء، والباقون بالياء. انظر: «السبعة» (ص: ٦٩٨)، و«التيسير» (ص: ٢٢٥).

(٢) في (ن): «هو».

(٣) في (ف): «من أعظمها دابة».

(٤) رواه الفاكهي في «أخبار مكة» (٩٢)، والختلي في «الديباج» (ص: ٦٩)، والطبراني في «الكبير» (١٠٥٨٩)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (١/ ١٨٠)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٥٥٦). والبيت من قصيدة نسبها المرزباني في «معجم الشعراء» (ص: ٤٦٩) للمشمرج بن عمرو الحميري جاهلي قديم، قال: وقد روي لغيره. وتعقب الحموي هذا الخبر والشعر في «معجم البلدان» (٤/ ٣٦٦ ـ ٣٦٧) بقوله: «وهذا الوجه عندي بارد، والشعر مصنوع جامد».

الراحلةِ، وهي الناقةُ القويةُ، والرَّحلُ والارتحالُ: احتمالُ الرَّحلِ للسيرِ، والرَّحلُ: متاعُ المسافرِ.

وقيلَ: الرِّحلةُ لا تكونُ إلا في طلبِ المعاشِ.

وكانت لهم رحلتانِ: رحلةٌ في الشِّتاءِ إلى اليمنِ، ورحلةٌ في الصَّيفِ إلى الشَّامِ.

عكرمةُ: كلتا(١) الرحلتينِ كانت إلى فلسطينَ(٢).

وقيلَ: كانوا يَشْتونَ بمكةَ ويَصِيفونَ بالطَّائفِ، وبالرحلتينِ كانت تقومُ معايشُهم، فمنَّ اللهُ عليهم بذلكَ.

وقيلَ: كانَ الناسُ يرتحلونَ إليهم رحلةً في الشتاءِ ورحلةً في الصيفِ، يحملونَ إليهم الميرةَ وغيرَها، فمنَّ اللهُ عليهم بأنَّ كفاهم مؤنةَ الارتحالِ بأنفسهم.

قتادةُ: ذكَّرَهمُ اللهُ نعمتَهُ عليهم إذ جعلَهم آمنينَ بالحرمِ يسافرونَ ويُتخطَّفُ الناسُ من حولهم(٣).

وعنِ ابن عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: أنَّهُ نهاهم عن الرِّحلتينِ وأمرهم أن يعبدوا ربَّ هذا البيتِ ويقيموا بمكَّةَ كما أَلِفوا الرحلتينِ(٤). فتكونُ اللَّامُ بمعنى الكافِ، وهذا معنًى رابعٌ للَامِ ﴿لِإِيلَٰفِ﴾.

* * *

(١) في (ن): «تلك».

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٣٤٧)، وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٦٧) عن عكرمة أن رحلة الشتاء إلى فلسطين، ورحلة الصيف إلى بصرى وأذرعات.

(٣) روى معناه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٧٠٦)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦٥٤).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦٥٠) بإسناد ضعيف، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٩٢) دون نسبة، وعده من العجائب.

(٣ ـ ٤) ـ ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾.

﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ﴾؛ أي: بعدَ الجوعِ الذي أصابهم في سَنِي القحطِ حتى أكلوا الجِيَفَ والعِلْهِزَ(١).

قالَ سيبويهُ: قامَ ﴿مِّن﴾ مَقامِ (عن)(٢).

والفرقُ بينهما: أنَّ (عن) يقتضي حصولَ جوعٍ فزالَ بالإطعامِ، و(مِن) يقتضي المنعَ من لحاقِ الجوعِ، فيكونُ المعنى: أطعمهم فلم يَلْحَقْهم جوعٌ.

﴿وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾: وكانُوا لا يَتعرَّضُ لهم أحدٌ، ولا يُغارُ عليهم كما يُغيرُ الناسُ بعضُهم على بعضٍ.

وقيلَ: من خوفِ العدوِّ.

وقيلَ: من خوفِ أبرهَة.

وقيلَ: من خوفِ الجُذامِ الذي وقعَ وراءَ مكَّةَ.

وعن علي رضيَ اللهُ عنهُ أنه قالَ: آمنَ قريشًا أن لا تكونَ الخلافةُ إلا فيهم(٣).

ورَوَت أمُّ هانئ بنتِ أبي طالبٍ عن النبيِّ ﷺ أنه قالَ: إنَّ اللهَ تعالى فضَّل قريشًا بسبعِ خصالٍ لم يُعطِها أحدًا قبلهم، ولا يعطيها أحدًا بعدهم: أنَّ الخلافةَ فيهم، والحجابةَ، والسقايةَ، والنبوَّةَ، ونُصِرُوا على الفيلِ، وعبدوا اللهَ سبعَ سنينَ

---

(١) العلهز: طعام من الدم والوبر كان يتخذ في المجاعة. انظر: «القاموس» مادة: (ع ل هـ ز).

(٢) انظر: «الكتاب» (٤/ ٢٢٧).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ٣٠٣)، والماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٣٤٩)، وجعله الزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٨٠٣) من بدع التفاسير.

لـم يعبـدهُ أحـدٌ غيرُهـم، ونزلـت فيهم سـورةٌ لـم يُذكَر فيهـا أحـدٌ غيرُهـم(١)، وهي سـورةُ ﴿لِإِيلَٰفِ قُـرَيْشٍ﴾.

***

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٩٧٥)، وصححه الحاكم، فتعقبه الذهبي بقوله: «يعقوب ضعيف، وإبراهيم صاحب مناكير هذا أنكرها»، ورواه من طريق آخر عن أم هانئ: الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٤/ ٤٠٩)، والحاكم في «المستدرك» (٦٨٧٧)، قال البخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ٣٢٠): «هذا بإرساله أشبه».

ولـه شـاهد من حديـث الزبيـر رضـي الله عنـه، رواه الطبراني فـي «المعجـم الأوسـط» (٩١٧٣)، وأبـو نعيـم فـي «معرفـة الصحابـة» (٤٤٧)، والبيهقـي فـي «المدخـل إلـى السـنن» (٤٥)، قـال الهيثمـي فـي «مجمـع الزوائـد» (١٠/ ٢٥): «رواه الطبرانـي فـي «الأوسـط»، وفيـه مَـن ضُعِّـف، ووثقهـم ابـن حبـان».

سُورَةُ المَاعُونِ

سبع آيات[١]، مكِّيَّةٌ، وقيلَ: مدنيَّةٌ.

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) - ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴾.

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴾ في سببِ النُّزولِ:

قالَ مقاتلٌ والكلبيُّ: نزلت في العاصِ بن وائلِ السهميِّ[٢].

قالَ ابنُ جريجٍ: كانَ أبو سفيانَ بنُ حربٍ ينحرُ كلَّ أسبوعٍ جزورينِ، فأتاهُ يتيمٌ فسألهُ[٣] شيئًا، فقرعَهُ بعصاهُ[٤].

وقيلَ: نزلت في أبي جهلٍ[٥]. وقيلَ: عامٌّ.

قولُهُ: ﴿أَرَءَيْتَ ﴾: استفهامُ تنبيهٍ على المذكورِ وتعجيبٍ منهُ.

---

(١) في (ن): «سبع آية»، وليست في (ف)، والصواب المثبت.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ٣٣١)، والماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٣٥٠)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٦٥)، وانظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٨٧١).

(٣) في (ف): «يسأله».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ٣٣١)، والماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٣٥٠)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٦٥). ولا يصح لأن أبا سفيان رضي الله عنه قد أسلم وحسن إسلامه.

(٥) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٣٥٠) دون نسبة.

﴿ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴾؛ أي: الدِّينِ[١] الذي أتى بهِ محمَّدٌ ﷺ، والتكذيبُ بهِ: نسبةُ المخبِرِ بصحتِهِ إلى الكَذبِ فيما أخبرهُ بهِ.

والجمهورُ على أنَّ (الدين) هاهُنا: الحسابُ والجزاءُ بعدَ الموتِ.

ابنُ عيسى: التكذيبُ بالجزاءِ من أضرِّ الأشياءِ؛ لأنَّهُ يُعدَمُ بهِ الداعي إلى الخيرِ والصَّارفُ عنِ الشَّرِّ[٢].

* * *

(٢) ـ ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴾.

﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴾: الفاءُ تؤذِنُ أنَّ هذا سببُ الدَّعِّ وتركِ الحضِّ، والدَّعُّ: الدفعُ بجفاءٍ وعنفٍ؛ أي: يدفعُهُ عن حقِّهِ بظُلمهِ لعَدمِهِ الوالِدَ الذَّابَّ عنهُ.

* * *

(٣) ـ ﴿ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴾.

﴿ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴾ بخلًا بمالِ غيرِهِ فكيفَ بمالِهِ؟

* * *

(٤) ـ ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴾.

﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴾ دخولُ الفاءِ يدلُّ على أنَّهم هُمُ المذكورونَ قبلُ، وأُقيمَ المظهَرُ مُقامَ[٣] المُضمَرِ.

---

(١) «الدين»: ليس في (ف).

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٤/ ٣٥٦)، ونسبه لأصل المعاني، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٩٥).

(٣) في (ف): «مكان».

(٥) ـ ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ﴾: المفروضَةِ ﴿سَاهُونَ﴾ الفرّاءُ والزَّجّاجُ: لا يصلُّونَها سرًّا لأنهم لا يعتقدونَ وجوبَها، ويصلُّونَها علانيةً رياءً(١).

وعنِ الحسنِ أنهُ قالَ: الحمدُ للهِ الذي لم يجعلها (في صلاتِهم)، وجعلَها ﴿عَن صَلَاتِهِمۡ﴾(٢).

ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: أي: يؤخِّرونَها عن وقتِها(٣).

***

(٦) ـ ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ﴾: لا يقصدونَ وجهَ اللهِ، إنَّما يريدونَ أن يراهمُ المسلمونَ فيَحمدُوهُم علَيها.

***

(٧) ـ ﴿وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ﴾.

﴿وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ﴾ أبو عبيدةَ: ﴿ٱلۡمَاعُونَ﴾ في الجاهليةِ: كلُّ منفعةٍ وعطيَّةٍ، وفي الإسلامِ: الطاعةُ والزكاةُ(٤).

الزَّجّاجُ: كلُّ ما فيهِ منفعةٌ كالفأسِ والقِدْرِ والدَّلْوِ(٥).

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٩٥)، و«معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣٦٧)، إلا أن الفراء ذكر هذا الكلام في تفسير الآية التي بعدها، وقال هنا: «ساهون: لاهون».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦٦٤)، والثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ٣٣٥، ٣٣٦) عن عطاء بن دينار، وذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (١٠/ ٦٢٥)، ومكي بن أبي طالب في «الهداية» (١٢/ ٨٤٦٣) عن عطاء بن يسار، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٩٥)، واستغربه.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦٦٠).

(٤) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٣١٣).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣٦٨).

وقيلَ: هو الذي يبذلهُ الجيرانُ بعضُهم لبعضٍ.

الفرَّاءُ: الماعونُ: الماءُ، وأنشدَ:

يمـجُّ صبيـرُهُ الماعـونَ صبًّا(١)

والصَّبيرُ السَّحابُ.

ابنُ عيسى: الماعونُ: القليلُ القيمةِ، وأصلُ المعنِ: القليل(٢)، وأنشد:

فإنَّ هـلاكَ مالِكَ غيـرُ مَعْنٍ(٣)

أي: غيرُ قليلٍ.

أبو عليٍّ: مَعَنَ الشَّيءُ: سَهُلَ، فهو مَعْنٌ(٤). وقيلَ: الماعونُ: المالُ.

***

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٩٥)، والشطر الذي استشهد به الفراء لا يعرف قائله، وكذا نقله عنه كثيرون، وذكر عجزه ابن سيده في «المخصص» (٢/ ٤٣٧)، وصاحب «اللسان» مادة: (م ع ن)، وهو:

إذا نَسَـمٌ مـن الهَيْـفِ اعْـتَراهُ

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٣٥٣) عن ابن عيسى والطبري.

(٣) عجز بيت للنمر بن تولب. انظر: «ديوانه» (ص: ١٣٤)، و«الأمثال» لأبي عبيد (ص: ٣٨٩)، و«مجالس ثعلب» (ص: ٥٤)، و«جمهرة اللغة» (٢/ ٩٥٢)، و«ديوان الأدب» (١/ ١٣٣)، و«تهذيب اللغة» (٢/ ٦٣)، والبيت كما في الديوان:

ولا ضيَّعتُـه فـأُلامَ فيـهِ ... فـإنَّ ضيـاعَ مالـكَ غـيرُ معـنِ

(٤) ذكر الواحدي في «البسيط» (١٥/ ٥٩٩) عند تفسير: ﴿ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ عن الفراء قال: «لك أن تجعل المعين مفعولًا من العين، وأن تجعله فعيلًا من الماعون، يكون أصله المَعْن»، ثم ذكر من اختار القول الأول، ثم قال: «واختار أبو علي القول الثاني، وزيف القول الأول، وقال: ليس المعن في اللغة الشيء القليل، ولكنَّه السهل الذي ينقاد ولا يعتاص».

وقال أبو علي الفارسي في «المسائل العسكريات» (ص: ٨٠) بعد أن ذكر البيت السابق: «غير معن: غير سهل، فالمعنى على هذا وصف، والميم فاء الفعل، معناه: سهل غير معتاص».

سُورَةُ الكَوثَرِ

ثلاثُ آياتٍ[1]، مكِّيَّةٌ، وقيلَ: مدنيَّةٌ.

بِسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾.

﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾: في سببِ النُّزولِ: أنَّ العاصَ بنَ وائلٍ السهميِّ قالَ: إنَّ محمَّدًا صُنْبورٌ[2] أبترُ فإذا ماتَ انقطعَ ذكرُهُ[3].

وقيلَ: نزلت في عقبةَ بنِ أبي مُعيطٍ[4].

---

(١) في (ن): «ثلاث آية»، وليست في (ف)، والصواب المثبت.

(٢) كتب تحتها في (ن): «لمن لا ولد له».

(٣) رواه بنحوه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٧٢٠) عن الكلبي، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦٩٧ـ٦٩٩) عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة، وذكره ابن هشام في «السيرة» (٢/ ٣٠) عن ابن إسحاق، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٣٠٧)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٦٦)، عن ابن عباس وفيه قصة. ولم ترد كلمة (صنبور) في هذه المصادر من قول العاص بن وائل، وإنما وردت في سياق آخر كما رواه أبو عبيد في «غريب الحديث» (١/ ١٢٧) عن الشعبي مرسلًا، وفي سياق ثالث مختلف رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١٦٤٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦٩٩) عن شمر بن عطية، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٧١) عن شمر بن عطية عن إبراهيم.

وقيلَ: في أبي جهلٍ[١].

وقيلَ: في كعبِ بنِ الأشرفِ[٢].

والأوَّلُ أكثرُ، سمَّى النبيَّ عليهِ السَّلامُ - عندَ موتِ ابنهِ عبدِ اللهِ، وقيلَ: القاسم - أبترَ، فأنزلَ اللهُ هذهِ السُّورةَ.

والكوثرُ: الفَوعلُ منَ الكَثرةِ.

ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: هوَ الخيرُ الكثيرُ[٣].

وأُنْشِدَ:

وأنـتَ كثيـرٌ يـا بـنَ مـروانَ طيِّـبٌ وكانَ أبـوكَ ابـنُ العقائـلِ كوثـرا[٤]

الحسنُ: الكوثرُ: القرآنُ[٥].

عكرمةُ: النبوَّةُ[٦].

وقيلَ: الإسلامُ.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٧١) عن عطاء.

(٢) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١١٦٤٣)، والطبري في «تفسيره» (٧/ ١٤٢)، و(٢٤/ ٦٩٩ـ٧٠٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٥٧٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) رواه البخاري (٦٥٧٨) عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «الكوثر: الخير الكثير الذي أعطاه الله إياه». فقيل لسعيد: إن أناساً يزعمون أنه نهر في الجنة؟ فقال سعيد: النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه.

(٤) البيت للكميت، وهو في «ديوانه» (ص: ١٧٧)، و«الغريب المصنف» لأبي عبيد (١/ ٣٥١).

(٥) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٥/ ١٨٨)، والثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ٣٦٥)، والماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٣٥٤).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦٨٤).

ابنُ عباسٍ في جماعةٍ: نهرٌ في بطنانِ الجنَّةِ يجري على الياقوتِ، حافَتاهُ ذهبٌ وفضةٌ، ماؤُهُ أشدُّ بياضًا من اللَّبنِ وأحلى من العسَلِ، تربتُهُ أطيبُ منَ المسكِ، على حافَتيهِ من الآنيةِ مثلُ عددِ النُّجومِ(١).

وعن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها: مَن أحبَّ أن يسمعَ خَريرَهُ فليجعلْ إصبعيهِ في أذنيهِ(٢).

وعن مجاهدٍ: ماؤُهُ الخمرُ(٣).

وقيلَ: الكوثرُ: خيرُ الدُّنيا وخيرُ الآخرةِ، وهو القولُ الأوَّلُ.

عطاءٌ: حوضُ النبيِّ ﷺ الذي يكثرُ الناسُ عليهِ يومَ القيامةِ(٤).

---

(١) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (١٤١) و(١٤٦)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦٧٩).
وجاء في صفته أحاديث كثيرة منها ما رواه البخاري (٤٩٦٥) عن عائشة رضي الله عنها قالت: «نهر أعطيه نبيكم ﷺ، شاطئاه عليه در مجوف، آنيته كعدد النجوم».
وما رواه الترمذي (٣٣٦١) وصححه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «الكوثر نهر في الجنة، حافتاه من ذهب، ومجراه على الدر والياقوت، تربته أطيب من المسك، وماؤه أحلى من العسل، وأبيض من الثلج».

(٢) رواه هناد في «الزهد» (١٤١)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦٨١)، والبيهقي في «البعث» (١٤٣)، من طريق ابن أبي نجيح عن عائشة رضي الله عنها، وإسناده ضعيف لانقطاعه. ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦٨٠) من طريق مجاهد عن رجل عن عائشة، وإسناده ضعيف لإبهام الراوي عن أم المؤمنين، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٩٧)، واستغربه.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦٨١).

(٤) بهذا اللفظ ذكره ابن فورك في «تفسيره» (٣/ ٢٨٣)، والماوردي في «تفسيره» (٦/ ٣٥٤)، ورواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣١٧٩٥)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦٨٥) عن عطاء بلفظ: «حوض رسول الله ﷺ في الجنة». وروى مسلم (٤٠٠) عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «نهر وعدنيه ربي عز وجل، عليه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم».

سُورَةُ الكَافِرُون

ستُّ آياتٍ[1]، مكِّيَّةٌ.

بِسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾.

﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ وسببُ نزولِهِ: أنَّ رهطًا من قريشٍ قالوا: يا محمَّدُ، هلمَّ فاتَّبِعْ دينَنَا ونتَّبِعْ دينَكَ، تعبُدُ آلهتَنا سنةً ونعبُدُ إلهَكَ سنةً، فإن كانَ الذي جئتَ بهِ خَيرًا ممَّا في أيدينا كُنَّا قد شركنَاكَ فيهِ وأخذنا بحَظِّنَا، وإن كانَ الذي بأيدينا خيرًا ممَّا في يديكَ كُنتَ قد شركتَ في أمرِنا وأخذتَ بِحظِّكَ منهُ، فقال: «معاذَ اللهِ أن أشركَ بهِ غيرَهُ»، فأنزلَ اللهُ تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ إلى آخرِ السُّورةِ، فغدا رسولُ اللهِ ﷺ إلى المسجدِ الحرامِ وفيهِ الملأُ من قريشٍ فقرأَ عليهم حتَّى فرغَ منَ السُّورةِ، فأيِسُوا منهُ عندَ ذلكَ[2].

وإنَّما صارَ ﴿قُلْ﴾ متلوًّا في السُّورِ الخَمسِ؛ لأنَّها نزلت جَوابًا.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾: خطابٌ لجماعةٍ مخصوصينَ أعلمَهُ اللهُ أنَّهم لا يؤمنونَ.

---

(١) في (ن): «ست آية»، وليست في (ف)، والصواب المثبت.

(٢) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧٠٣) عن ابن عباس وسعيد بن مينا مولى البختري، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ٣٩٨)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٦٧) دون نسبة، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٣٥٧) عن ابن إسحاق.

وقيلَ: هو عامٌّ، والمعنى معنى الشَّرطِ؛ أي: إنْ عبدتُمُ اللهَ بشرطِ أن أعبدَ آلهتكُم فلن تعبدوهُ؛ لأني(١) لا أعبدُها أبدًا.

***

(٢) ـ ﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ﴾.

﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ﴾؛ أي: الأصنامَ وغيرَها مما يعبدُهُ المشركونَ؛ لأنَّ العبادةَ أعلى مراتبِ الشُّكرِ لأعلى مراتبِ النِّعَمِ، والوَثَنُ لا يستحقُّهَا.

***

(٣) ـ ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ﴾.

﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ﴾ يعني: اللهَ تعالى؛ للجهلِ بوجوبِ العِبادةِ، وذُكرَ بلفظِ ﴿مَآ﴾ ليتقابلَ اللَّفظانِ ولا يتنافرا، ولم يصحَّ في الأوَّلِ (مَنْ)، وصحَّ في الثاني ﴿مَآ﴾ بمعنى: الذي.

***

(٤ ـ ٥) ـ ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ۝٤ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ﴾.

﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ۝٤ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ﴾: قيلَ: الثَّاني تكرارٌ وتوكيدٌ لحسمِ أطماعِهِم من عبادَتِهِ آلهتَهُم أبدًا.

وقيلَ: الأوَّلُ للحالِ، والثاني للمَاضِي.

وقيلَ: الأوَّلُ للحَالِ، والثاني للاستقبالِ.

وقيلَ: الأوَّلُ في سَنَةٍ، والثاني في سَنَةٍ أخرى؛ لقولِهم لهُ: تعبدُ آلهتَنَا سنةً ونعبدُ إلهكَ سنةً(٢).

---

(١) في (ف): «فأني».

(٢) انظر: «درة التنزيل» (٣/ ١٣٧٠)، و«البرهان» للمصنف (ص: ٢٥٦).

وقيلَ: الأوَّلُ عبادةُ التَّوحيدِ، والثاني عبادةُ الطاعة.

وقيلَ: ﴿مَآ﴾ في الأوَّل بمعنى: الذي، وفي الثاني بمعنى المصدرِ؛ أي: ولا أنا عابدٌ عبادَتكم ولا أنتم عابدونَ عبادَتَنا؛ أي: مثلَها، والمعنى: لا معبودُنا واحدٌ ولا عباداتُنا واحدةٌ.

وقيلَ: بينَ نزولَيهما زمانٌ، فصارَ كتكرارِ القصصِ في سائرِ السُّورِ.

وقيلَ: ذكرَ الأوَّلَ بلفظِ الفِعلِ، ولفظُ الفعلِ يدلُّ على جزءٍ منَ الزَّمانِ، فذكرَ الثاني بلفظِ الاسمِ ليدلَّ على الأزمنةِ كلِّها.

وقيلَ: في هذا التِّكرارِ اختصارٌ وإيجازٌ هوَ إعجازٌ؛ لأنَّهُ سبحانهُ نفَى عن نبيِّه ﷺ عبادةَ الأصنامِ في الحالِ والماضي والاستقبالِ، ونفَى عنِ الكفَّارِ المذكورينَ عبادةَ اللهِ في الأزمنةِ الثلاثَةِ أيضًا، فكانَ القياسُ يقتضي تكرارَ هذهِ اللَّفظةِ ستَّ مراتٍ، فذكرَ لفظي الحالِ؛ لأنَّ الحالَ هو الزَّمانُ الموجودُ، واقتصرَ منَ الماضي على المُسنَدِ إليهم فقال: ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾، فكانَ اسمُ الفاعلِ بمعنى الماضي، واقتصرَ مَنَ المستقبلِ على المُسندِ إليهِ فقالَ: ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾، فكانَ اسمُ الفاعِلِ[1] بمعنى المستقبَلِ[2]، ولهذا نظائرُ.

***

(٦) ـ ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾.

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾: الشِركُ ﴿وَلِىَ دِينِ﴾: الإسلامُ. وهذا قبلَ أن أُمرَ بالقتالِ.

---

(١) في (ف): «الفاعلين».

(٢) ذكر المصنف هذا القيل في «غرائب التفسير» (٢/ ١٤٠٠)، واستغربه، وذكره في «البرهان» (ص: ٦٥٢)، وهو من كلامه كما يظهر في «البرهان».

وقيلَ: لكم جزاؤكُم وليَ جزائِي.

ورُويَ أنَّ ابنَ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ دخلَ المسجدَ والنبيُّ ﷺ جالسٌ فقال له: «نابذِ يا ابنَ مسعودٍ» فقرأ: ﴿قُلۡ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَـٰفِرُونَ﴾ ثمَّ قالَ لهُ في الرَّكعةِ الثَّانيةِ: «أخلِصْ» فقرأ: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾ فلمَّا سلَّمَ قالَ: «يا ابنَ مسعودٍ سلْ تُجَبْ»[1].

وعنهُ ﷺ أيضاً أنه قالَ: «نابذوا[2] عندَ الموتِ» فقالُوا: كيفَ نُنابذُ؟ فقالَ: «اقرؤوا ﴿قُلۡ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَـٰفِرُونَ﴾»[3].

***

---

(١) رواه ابن أبي عمر في «مسنده» كما في «المطالب العالية» (٤٠٦٣) من طريق علي بن رباح عن ابن مسعود، ورواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٣/ ١٠٤) عن علي بن رباح قال: دخل ابن مسعود المسجد... الحديث، وهو على هذا مرسل.

(٢) في هامش (ن): «يعني النبذ إلى الشيطان وهو الرمي».

(٣) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وروى ابن الضريس في «فضائل القرآن» (٢٤١) عن أبي الجوزاء قال: «أكثروا قراءة ﴿قُلۡ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَـٰفِرُونَ﴾ وابرؤوا منهم».

سُورَةُ النَّصرِ

ثلاثُ آياتٍ[1]، مدنيَّةٌ.

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾.

﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ﴾ عكرمةُ عنِ ابنِ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما قالَ: لمَّا أقبلَ رسولُ اللهِ ﷺ من غزوةِ حُنينٍ أُنزلَ عليهِ ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ﴾[2]؛ أي: معونَتُهُ على قريشٍ.

وقيلَ: عامٌّ في جميعِ الكُفَّارِ.

والمفعولُ محذوفٌ تقديرُهُ: نصرُ اللهِ إيَّاكَ.

﴿وَٱلۡفَتۡحُ﴾: الاستيلاءُ على البلادِ.

الحسنُ: هو فتحُ مكَّةَ؛ لأنَّ العربَ أسلمت بإسلامِ أهلِ مكَّةَ[3].

---

(١) في (ن): «ثلاث آية»، وليست في (ف)، والصواب المثبت.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٠٤٢)، والثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ٤٤٩)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٦٨)، والضياء المقدسي في «المختارة» (١٢/ ١٢٨)، ووقع في مطبوع «المعجم الكبير»: (خيبر) بدل (حنين)، وهي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٨٠): (حنين)، فلعلها صحفت، وقال الهيثمي: «فيه عبد الله بن كيسان، قال البخاري: منكر الحديث».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧٠٥) مقتصراً على قول: «فتح مكة»، وذكره الثعلبي في «تفسيره» =

ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: فتحُ المدائنِ والقصورِ[١].

***

(٢) ـ ﴿وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا﴾.

﴿وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ أبو عبيدةَ: جماعاتٍ في تفرقةٍ[٢].

الفرَّاءُ: أسلمَ الحيُّ بأسرِهِ[٣].

الزَّجَّاجُ: جماعاتٍ كثيرةً[٤].

ابنُ عيسى: جماعةً من جماعةٍ كزُمرةٍ من قبيلَةٍ[٥].

وقيلَ: هم أهلُ اليمنِ[٦].

= (٣٠/ ٤٣٨)، والواحدي في «البسيط» (٢٤/ ٤٠٠) بلفظ: «لما فتح رسول الله ﷺ مكة قالت العرب بعضها لبعض: أما إذ ظفر محمد بأهل الحرم، وقد كان الله أجارهم من أصحاب الفيل فليس لكم به يدان، فكانوا يدخلون في دين الله أفواجاً».

(١) رواه البخاري (٤٩٦٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: أن عمر رضي الله عنه سألهم عن قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾، قالوا: فتح المدائن والقصور، قال: ما تقول يا ابن عباس؟ قال: أجل، أو مثل ضرب لمحمد ﷺ نعيت له نفسه.

(٢) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٣١٥).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٩٧).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣٧٣).

(٥) ذكر نحوه ابن فورك في «تفسيره» (٣/ ٢٩٤) بلا نسبة.

(٦) يشير إلى ذلك ما رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٧٢٦)، والإمام أحمد في «مسنده» (٧٧٢٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما نزلت: إذا جاء نصر الله والفتح، قال النبي ﷺ: «أتاكم أهل اليمن، هم أرق قلوباً، الإيمان يمان، الفقه يمان، الحكمة يمانية».

وروى نحوه الدارمي في «مسنده» (٨٠)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٦٤٨) عن ابن عباس رضي الله عنه.

وعنِ ابنِ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: «الإيمانُ يمانٍ[١]، والحكمةُ يمانيةٌ»[٢]؛ لأنَّ أهلَ اليمنِ أعانوهُ على أعدائِهِ، ولهذا قالَ عليهِ السَّلامُ: «أجدُ نَفَسَ ربِّكم من قِبَلِ اليمنِ»[٣]، والمعنَى: ينفِّسُ الكربَ عن نبيِّهِ بأهلِ اليمنِ.

* * *

(٣) ـ ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا﴾.

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾: نزِّهْهُ، والباءُ للسَّببِ؛ أي: احمدهُ لتكونَ مسبِّحًا.

وقيلَ: فسبِّحهُ بالتحميدِ.

ويجوزُ أن تكونَ الباءُ للحَالِ؛ أي: فسبِّحْ حامدًا[٤].

﴿وَٱسْتَغْفِرْهُ﴾: عنِ ابنِ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: أنَّ هذا تعريضٌ بقُرْب أجلِهِ عليهِ السَّلامُ، وأنَّهُ نُعيَتْ إليهِ نفسُهُ[٥]، ....

---

(١) في هامش (ن): «أي: يماني؛ أي: مكي؛ لأنه بدأ من مكة؛ لأن مكة من أرض تهامةَ، وتهامةُ من أرض اليمن».

(٢) رواه البخاري (٤٣٨٨)، ومسلم (٥٢)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٠٩٧٨)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٤٦٦١)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٥٦): «رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح غير شبيب، وهو ثقة».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٤٠١)، واستغربه.

(٥) رواه البخاري (٤٩٧٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر فكأن بعضهم وجد في نفسه، فقال: لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله، فقال عمر: إنه من قد علمتم، فدعاه ذات يوم فأدخله معهم، فما رُئيتُ أنه دعاني يومئذ إلا ليريهم، قال: ما تقولون في قول الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ [النصر: ١]؟ فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً، فقال لي: أكذاك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له، قال: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ وذلك علامة =

وأُمِرَ لقربِ أجلِهِ أن يستغفرَ من ذنوبِهِ[١] ويزيدَ في التسبيحِ؛ ليكونَ في آخرِ عُمرِهِ أحسنَ طاعةً وأكثرَ عبادةً.

وكان يقولُ عليهِ السَّلامُ: «نعَى اللهُ إليَّ نفسي»[٢].

﴿إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾: يقبلُ توبةَ عبدِهِ إذا تابَ.

ابنُ عيسى: يقبلُ توبةَ مَن بقيَ كما قبِلَ توبةَ مَن مضى[٣].

وعن عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ: لمَّا نزلتْ هذهِ السُّورةُ مرضَ النبيُّ ﷺ فخرجَ إلى النَّاسِ وخطَبَهم وودَّعهم، ثمَّ دخلَ المنزِلَ فتوفيَ[٤].

ورويَ أيضًا: أنهُ عاشَ بعدَها سنتينِ[٥].

= أجلك، ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾، فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تقول».
وتقدم قريباً من البخاري أيضاً قول ابن عباس لعمر: أو مثل ضرب لمحمد ﷺ نعيت له نفسه.

(١) قوله: «من ذنوبه» في حق النبي ﷺ فيه نظر.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٨٧٣)، والدارمي في «سننه» (٨٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١١٩٠٧)، عن ابن عباس رضي الله عنهما. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٤٤): «في إسناده هلال بن خباب قال: يحيى ثقة مأمون لم يتغير، ووثقه ابن حبان وفيه ضعف، وبقية رجاله رجال الصحيح، وفي إسناد أحمد عطاء بن السائب وقد اختلط».
ورواه النسائي في «السنن الكبرى» (١١٩٠٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفًا بلفظ: «نعيت لرسول الله ﷺ نفسه»، وانظر التعليق السابق.

(٣) ذكره ابن فورك في «تفسيره» (٣/ ٢٩٥) بلا نسبة.

(٤) كذا ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٦٣١) مختصرًا، وهو اختصار لحديث وفاة النبي ﷺ الطويل رواه السمرقندي في «تنبيه الغافلين» (٨٩٨). وكون النبي ﷺ توفي عقب نزولها أو بعد سنة رده ابن كثير في «البداية والنهاية» (٦/ ٦٢٤) بقوله: «وهذا باطل، فإن الفتح كان في سنة ثمان في رمضان منها، وهذا ما لا خلاف فيه، وقد توفي رسول الله ﷺ في ربيع الأول من سنة إحدى عشرة، بلا خلاف أيضاً».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧١٢) عن قتادة. وهذا أيضاً بعيد بناء على كلام ابن كثير السابق.

وقيلَ: معنى (استغفِرْهُ): دُمْ على الاستغفارِ.

وقيلَ: صغِّرْ نفسَكَ ولا تستكبِر.

وقيلَ: استغفِرْ لأمتكَ.

وقيلَ: عاشَ بعدها سنةً[1].

وتُسمَّى هذهِ السورةُ: سورةَ التَّودِيعِ[2].

وجوابُ ﴿إِذَا﴾ مضمَرٌ تقديرُهُ: إذا جاء نصر الله حضَر أجلُكَ.

وقيلَ: جوابُهُ: ﴿ فَسَبِّحْ ﴾، وهوَ الأظهرُ، واللهُ أعلمُ[3].

***

---

(١) وهذا أيضاً باطل على ما بينه ابن كثير.

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٣٠/ ٤٤٨).

(٣) «والله أعلم»: ليس في (ف).

سُورَةُ المَسَدِ

خمسُ آياتٍ[1]، مكِّيَّةٌ.

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) - ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾.

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾: عنِ ابنِ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: لمَّا نزلَ قولُهُ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] صعِدَ رسولُ اللهِ ﷺ الصَّفَا، ثمَّ نادى بأعلى صوتِهِ: «يا صَباحَاهُ»[2].

وفي روايةٍ قالَ: «يا لَغالِبٍ، يا لَلُؤيٍّ، يا لِـمُرَّةَ، ويا لَكلابٍ، يا لَقُصيٍّ، يا لَعبدِ منافٍ»، فاجتمعَ إليهِ قريشٌ[3].

---

(١) في (ن): «خمس آية»، وليست في (ف)، والصواب المثبت.

(٢) رواه البخاري (٤٨٠١)، ومسلم (٢٠٨/ ٣٥٥).

(٣) رواه الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٦٩) من طريق يزيد بن زريع عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس بلفظ: «يا آل غالب، يا آل لؤي، يا آل مرة، يا آل كلاب، يا آل عبد مناف، يا آل قصي».
ورواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٧٤) من طريق هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عباس بلفظ: «يا لفهر»، فجاءته قريش فقال أبو لهب بن عبد المطلب: هذه فهر عندك فقل، فقال: «يا لغالب» فرجع بنو محارب وبنو الحارث ابنا فهر، فقال: «يا للؤي بن غالب» فرجع بنو تيم الأدرم بن غالب، فقال: «يا لكعب بن لؤي» فرجع بنو عامر بن لؤي، فقال: «يا لمرة بن كعب» فرجع بنو عدي بن كعب وبنو سهم وبنو جمح ابنا عمرو بن هصيص بن كعب بن =

وفي روايةٍ: فاجتمعَ إليهِ النَّاسُ بينَ رجلٍ يجيءُ وبينَ رجلٍ يَبعثُ إليهِ رسولَهُ(١).

وفي روايةٍ: دعا عمومَتَه وصنعَ طعامًا وقدَّمَهُ إليهم في صحفَةٍ، وكانوا أربعينَ نفرًا، فأكلوا وشبعُوا، ولم ينقُص منهُ شيءٌ، ثمَّ قالوا لهُ: مالَكَ(٢)؟ قالَ: «أرأيتم لو أخبرتُكُم أنَّ العدُوَّ مصبِّحُكُم أو ممسِّيكُم، أفكنتُم تصدقونني؟» قالوا: بلى(٣).

وفي روايةٍ: «لو أخبرتُكُم أنَّ خيلًا بسفحِ هذا الجبلِ تريدُ أن تُغيرَ عليكُم، صدَّقتموني؟»(٤) قالوا: نعم.

قالَ: «فإنِّي نذيرٌ لكم بينَ يدي عذابٍ شديدٍ»، فقالَ أبو لهبٍ: تبًّا لكَ ألهذا دعوتَنا جميعًا، فأنزلَ اللهُ ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾ إلى آخرِ السُّورةِ(٥).

= لؤي، فقال: «يا لكلاب بن مرة» فرجع بنو مخزوم بن يقظة بن مرة وبنو تيم بن مرة، فقال: «يا لقصي» فرجع بنو زهرة بن كلاب، فقال: «يا لعبد مناف» فرجع بنو عبد الدار بن قصي وبنو أسد بن عبد العزى بن قصي وبنو عبد بن قصي فقال أبو لهب: هذه بنو عبد مناف عندك فقل، فقال رسول الله ﷺ: «إن الله قد أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين وأنتم الأقربون من قريش...». وهشام وأبوه متروكان، وأبو صالح لم يسمع من ابن عباس.

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٨٠١)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٥٥٠).

(٢) ذكر نحوه مقاتل في «تفسيره» (٤/ ٩١٣)، والزجاج في «معاني القرآن» (٥/ ٣٧٥).

(٣) رواه البخاري (٤٩٧٢).

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٨٠١)، وعند مسلم (٢٠٨/ ٣٥٥): «أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج بسفح هذا الجبل، أكنتم مصدقي؟».

(٥) سياق المصنف من مجموع روايات بعضها في الصحيحين وبعضها في غيره كما بينا في تخريجها، وأصل الحديث رواه البخاري (٤٧٧٠)، ومسلم (٢٠٨)، وكرره البخاري في عدة أبواب بألفاظ متقاربة.

ورويَ أيضًا أنَّ أبا لهبٍ أتى النبيَّ ﷺ فقال: ماذا أُعطَى إن آمنتُ بكَ يا محمَّدُ؟ قالَ: «كما يُعطَى المسلِمونَ»، فقال: ما لي عليهم فضلٌ؟ فقال: «وأيُّ شيءٍ تبتغي؟» قالَ: تبًّا لهذا من دينٍ أن أكونَ أنا وهؤلاءِ سواءٌ، فأنزلَ اللهُ فيهِ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾[1] أي: خسرَتْ وخابَت.

وقيلَ: هلكَتْ، والتَّبابُ: الهلاكُ، من قولِه: ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ [غافر: ٣٧]؛ أي: هلاكٍ.

وذِكرُ اليدِ استعارةٌ، والمعنى: تبَّ هوَ، وقيلَ: تبَّ عملُهُ، وسُمِّيَ العملُ يدًا لأنَّ العملَ بها يكونُ.

وقيلَ: يداهُ: مالُهُ وملكُهُ.

وقيلَ: معناهُ: صَفرَتْ يدُهُ من كلِّ خيرٍ[2].

وأبو لهبٍ كنيتُهُ، كنِّيَ بهِ لتلهُّبٍ في وجنتيهِ، وليسَ في القرآنِ كُنيةٌ غيرُ هذهِ.

وطعنَ بعضُ الملحدينَ فقال: نسبةُ الرَّجلِ إلى مَن ليسَ لهُ بابنٍ لا يصحُّ.

والجوابُ: أنَّ الكُنيةَ تجري مجرى الأسماءِ في التَّعريفِ، وأسماءُ الأعلامِ لا نَطلبُ لها تحقيقًا، ألَا تَرى أنَّ الرَّجلَ يسمَّى كافورًا وعنبرًا وأسدًا وكلبًا ثمَّ لا يراعى في المسمَّينَ بها تحقيقُ ذلكَ؛ لأنها منقولةٌ من الجِنسِ إلى العَلَمِ، وكذلكَ المنقولُ من الوَصفِ كرَجلٍ يُسمَّى ضارِبًا أو مضروبًا ولم يَضربْ قطُّ ولا ضُرِبَ، وقد يأتي في الأعلامِ ما هوَ مُرتجلٌ لا معنَى لهُ أصلًا كغطفانَ اسمُ رجلٍ كذلكَ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧١٤) عن ابن زيد مرسلًا.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٤٠٣)، واستغربه.

هذا واعترضَ آخرُ فقالَ: إنَّما تذكرُ الكُنَى تعظيمًا، وهذا موضعُ تحقيرٍ.

والجوابُ عن هذا من وجهينِ:

أحدُهما: أنَّ اسمَهُ: عبدُ العُزَّى، ولم يُرِد سبحانَهُ نسبتَهُ إليها.

والثاني: أنَّ المُرَادَ باللَّهبِ النَّارُ، فكأنه قالَ: أبو النَّارِ، فيكونُ النِّهايةَ في الذَّمِّ، سمَّاهُ بما يؤُولُ إليهِ.

وقيلَ: إنَّ اسمَهُ وكُنيتَهُ واحدٌ، واللهُ أعلمُ.

﴿وَتَبَّ﴾: توكيدٌ يعودُ إليه؛ أي: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ أبو لهبٍ.

وقيلَ: الأوَّلُ يجري مجرى الدُّعاءِ وتعليمِ الدُّعاءِ، والثاني إخبارٌ؛ أي: وقد تبَّ.

وقيلَ: إنَّهُ أرادَ أن يرميَ رسولَ اللهِ ﷺ بحجَرٍ فمنعَ اللهُ يديهِ عن ذلكَ، فأضافَ الخُسرانَ إليهما، وأضافَ العِقابَ إليهِ في الآخرةِ[١].

وعن مجاهدٍ: وتبَّ ابنُهُ[٢]؛ يعني: عتبةَ بنَ أبي لهبٍ بدعاءِ النبيِّ عليهِ السَّلامُ لمَّا قالَ: «اللهمَّ سلِّط عليهِ كلبًا من كِلَابكَ»[٣].

* * *

(٢) ـ ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾.

﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾: وذلكَ أنَّهُ قالَ: إنْ كانَ ما يقولُهُ ابنُ أخي

(١) ذكره ابن فورك في «تفسيره» (٣/ ٢٩٧)، ومكي بن أبي طالب في «الهداية» (١٢/ ٨٤٨٢).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٣٦٥)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٥٠٢)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٤٠٤)، وعده من العجائب.

(٣) تقدم تخريجه والخلاف في اسمه في مطلع سورة (النجم) عند تفسير الآية الأولى منها.

حقًّا فأنا[١] أفتدي منهُ بمالي وولدي، فأنزلَ اللهُ: ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ﴾[٢]؛ أي: لا يَدفعُ ولا يُغنِي عنهُ مالُهُ.

﴿وَمَا كَسَبَ﴾ الجمهورُ: ولدُهُ.

الزَّجَّاجُ: ﴿وَمَا كَسَبَ﴾: حِيلُهُ ومكايِدُهُ[٣].

وقيلَ: ﴿مَالُهُۥ﴾: ما وَرِثَ ﴿وَمَا كَسَبَ﴾: استفادَ.

و﴿مَآ أَغۡنَىٰ﴾ يجوزُ أن يكونَ للنفيِ، ويجوزُ أن يكونَ للاستفهامِ.

﴿وَمَا كَسَبَ﴾: يجوزُ أن يكونَ للنَّفيِ؛ أي: لم يكتسبْ[٤] خيرًا، ويجوزُ أن يكونَ للاستفهامِ، ويجوزُ أن تكونَ الموصولةَ بمعنى: الذي؛ أي: والذي كسبَ، ويجوزُ أن يكونَ للمصدرِ؛ أي: وكسبُه، ويجوزُ أن تكونَ نكرةً وقولُه: ﴿كَسَبَ﴾: صفتُه؛ أي: وشيءٌ كسَبَهُ.

* * *

(٣) - ﴿سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ﴾.

﴿سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ﴾: سيدخلُ نارًا ذاتَ تلهُّبٍ واشتعالٍ.

* * *

---

(١) في (ف): «فإني».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ٤٦٧)، والواحدي في «البسيط» (٢٤/ ٤١١)، عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) لم أجده هكذا، والذي في «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣٧٥): «موضع (ما) رفع، المعنى: ما أغنى عنه ماله وكسبه».

(٤) في (ف): «يكسب».

(٤) ـ ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾.

﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ﴾: وهي أمُّ جميلٍ أختُ أبي سفيانَ، وكانت تُفرِطُ في إيذاءِ رسولِ اللهِ ﷺ وتقول:

مُذمَّماً أبينا

ودِينَه قلَينا

وأمرَه عصَينا[١].

﴿حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾ ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: كانت تحتطِبُ الشَّوكَ وتُلقيهِ في طريقِ رسولِ اللهِ ﷺ ليلًا ليتأذَّى بهِ[٢].

الحسن: الحمَّالةُ: النمَّامَةُ[٣]. والحَطَبُ: النميمةُ، وحطبَ بهِ؛ أي: سعَى بهِ.

وقيلَ: كانت في الحقيقةِ تحملُ الحَطَبَ على ظهرِها بحبلٍ في عُنُقِها، فأخبرَ اللهُ بتخسيسِ حالِها.

وقيلَ: يجوزُ أن يكونَ لهُ امرأتانِ، فوُصِفَت بهذهِ الصِّفَةِ لتمتازَ منَ الأُخرَى.

وقيلَ: تحمِلُ الحطبَ في النَّارِ[٤].

ويحتمِلُ أن يكونَ الحطَبُ كنايةً عن الذنبِ، كما يُسمَّى وِزرًا[٥].

---

(١) رواه الحميدي في «مسنده» (٣٢٥)، وأبو يعلى في «مسنده» (٥٣)، والحاكم في «المستدرك» (٣٣٧٦)، عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما، وللحديث قصة.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧١٩)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ١٨٣).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٣٦٧) عن الحسن والسدي، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧٢٠ ـ ٧٢١) عن عكرمة ومجاهد وقتادة. وجاء في هامش (ن): «أي: نقالة الحديث الماشية بالنميمة».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٤٠٤)، وعده من العجائب.

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٤٠٤)، واستغربه.

(٥) ـ ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾.

﴿فِي جِيدِهَا﴾؛ أي: في عُنُقِهَا ﴿حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ أبو عبيدةَ: المسدُ: الحبلُ المفتولُ من ضروبٍ[1].

وجاءَ في التَّفسيرِ[2]: أنهُ سلسلةٌ من حديدٍ يَدخُلُ في فيها ويخرجُ من دُبُرِها، ويُلوَى سائرُها في عُنُقِها[3].

ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: المسدُ: حبالٌ بمكَّةَ[4].

قتادةُ: المسدُ: قلادةٌ من وَدَعٍ[5]، وهو جمعُ وَدَعَةٍ، وهي هَنَاتٌ صغارٌ تُخرجُ من البَحرِ.

ابنُ جريرٍ: حبلٌ جُمِعَ من أنواعٍ مختلفَةٍ، وأنشدَ:

ومَسَدٍ أُمِرَّ من أيانقٍ[6]

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ٣١٥).

(٢) في (ف): «التفاسير».

(٣) ذكره بهذا اللفظ: الثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ٤٧٨)، والبغوي في «تفسيره» (٨/ ٥٨٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما وعروة بن الزبير، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٣) عن عروة مقتصرًا على قوله: «سلسلة من حديد، ذرعها سبعون ذراعاً».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧٢٣)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ١٨٣).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧٢٥)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٤٠٥)، واستغربه.

(٦) انظر: «تفسير الطبري» (٢٤/ ٧٢٥)، والرجز نسبه صاحب «اللسان» مادة: (ز هـ ق) لعثمان بن طارق، وقال في مادة: (م س د): «وأنشد الأَصمعي لعُمَارةَ بن طارق، وقال أبو عُبيدٍ: هو لعُقبةَ الهُجَيمي». وهو دون نسبة في «مجاز القرآن» (٢/ ٣١٥)، و«النوادر في اللغة» لأبي زيد (ص: ٣٩١)، و«تأويل مشكل القرآن» (ص: ١٠٤)، و«غريب الحديث» للحربي (٢/ ٥١٩).

وقيلَ: المسدُ: شجرٌ بمكَّةَ كانت تحتطِبُ منهُ(١).

وقيلَ: شجرةٌ تَنْبتُ باليمنِ.

وقيلَ: المسدُ: الجريدُ.

مجاهدٌ: المسدُ عودُ البَكَرَةِ إذا كانَ من حديدٍ(٢).

ابنُ عيسى: كلُّ ما أُحكِمَ فتلُهُ فهو مَسَدٌ(٣).

وفي بعضِ التفاسيرِ: أنها كانت تَحتطِبُ بحبلٍ من ليفٍ، فوضعَتْهُ ليلةً على دُكانٍ، فخنقَها جبريلُ عليهِ السَّلامُ بحبلِ حُزمَتِهَا فقتلَها بهِ(٤).

قولـه: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ﴾ مرفوعٌ بالعطفِ على الضَّميرِ في ﴿سَيَصۡلَىٰ﴾؛ أي: سيصلى(٥) هوَ ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ﴾، و﴿حَمَّالَةَ﴾ نصبٌ على الذَّمِّ، ومَن رفعَ(٦) جعلَ ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ﴾: رفعٌ(٧) بالابتداءِ، ﴿حمَّالةُ الحطَبِ﴾: خبرُهُ، ﴿فِي جِيدِهَا﴾: حالٌ. و﴿حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ﴾(٨): يرفعُ بالظَّرفِ.

* * *

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٤٠٥)، وعده من العجائب.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧٢٤).

(٣) ذكره ابن خالويه في «إعراب ثلاثين سورة» (ص: ٢٢٧) دون نسبة.

(٤) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٦٣٣)، والثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ٤٧٨).

(٥) «أي: سيصلى» من (ف).

(٦) قرأ عاصم: ﴿حَمَّالَةَ﴾ بالنصب، والباقون بالرفع. انظر: «السبعة» (ص: ٧٠٠)، و«التيسير» (ص: ٢٢٥).

(٧) كذا في النسختين، والوجه: «رفعاً».

(٨) «حبل من»: ليس في (ف).

سُورَةُ الإِخْلَاصِ

أربعُ آياتٍ[1]، مكِّيَّةٌ، وقيلَ: مدنيَّةٌ.

بِسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) - ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾.

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾: جاءَ في الأخبارِ: «من قرأَ سورةَ الإخلاصِ فقد قرأَ ثُلُثَ القُرآنِ»[2]؛ لأنَّ القرآنَ كلَّهُ مشتمِلٌ على ثلاثةِ أشياءَ:

أحدُها: توحيدُ اللهِ وذكرُ صفاتِهِ.

والثاني: الأوامرُ والنَّواهي التي هيَ من تكاليفِ الشَّرعِ.

والثالثُ: قِصَصُ الأنبياءِ والمواعظُ.

وسورةُ الإخلاصِ متجرِّدةٌ للتوحيدِ، فقد تضمَّنت ثُلُثَ القرآنِ على طريقِ الإجمالِ، فلذلكَ من قرأها أُعطيَ من الأجرِ مثلَ مَن قرأَ ثُلُثَ القُرآنِ.

---

(١) في (ن): «أربع آية»، وليست في (ف)، والصواب المثبت.

(٢) ورد ذلك في عدة أحاديث منها ما رواه البخاري (٥٠١٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن».

وروى الترمذي (٢٨٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن» وقال: «هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ».

وسببُ نزولِها في قولِ قتادةَ ومقاتلٍ والضَّحَّاكِ: أنَّ ناسًا من اليهودِ جاؤوا إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقالوا: صِف لنا ربَّكَ، فإنَّ اللهَ أنزلَ نَعتَهُ في التَّوراة، فأخبِرنا من أيِّ شيءٍ هُوَ؟ ومن أيِّ جنسٍ؟ أمِنْ ذَهَبٍ هُوَ أم من نحاسٍ أم فضةٍ؟ وما يأكُلُ وما يشربُ؟ وممَّن ورِثَ الدُّنيا؟ ومَن يُورثُها؟ فأنزلَ اللهُ تعالى هذهِ السُّورةَ(١).

وقيلَ: سألَهُ ابنُ سَلَامٍ امتحانًا، فلمَّا أجابَ بذلكَ عرفَ صِدقَهُ وآمنَ بِهِ(٢).

وعن أبيِّ بن كعبٍ وجابرٍ رضيَ اللهُ عنهُما أنَّ المشركينَ قالوا: يا محمَّدُ، انسبْ لنا ربَّكَ، فأنزلَ اللهُ هذهِ السُّورةَ(٣).

---

(١) ذكره عنهم الثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ٥٠٣)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٧١). وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧٢٨) عن سعيد.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٣٧٢)، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (٢٤٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣/ ٣٨٧).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢١٢١٩)، والترمذي (٣٣٦٤) عن أبي بن كعب رضي الله عنه، ورواه الترمذي عن أبي العالية عن النبي ﷺ مرسلاً، ولم يذكر عن أُبيّ، قال: «وهذا أصحُّ»، وكلا الروايتين فيها أبو جعفر الرازي صدوق سيئ الحفظ، إلا أن الرواية الأولى فيها أيضًا أبو سعد محمد بن ميسر الصاغاني وهو ضعيف. انظر: «ميزان الاعتدال» (٤/ ٥٢).

ورواه الطبري (٢٤/ ٧٢٨)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٥٦٨٧)، وابن عدي في «الكامل» (١/ ٥١٩)، وقال الطبراني: «لم يرو هذا الحديث عن مجالد إلا ابنه إسماعيل، تفرد به سريج بن يونس، ولا يروى عن جابر إلا بهذا الإسناد»، ومجالد بن سعيد ضعيف. انظر: «التاريخ الكبير» للبخاري (١٩٥٠)، و«ميزان الاعتدال» (٣/ ٤٣٨).

ورواه بنحوه عبد الله بن الإمام أحمد في «السنة» (١١٨٥)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٦٠٨) عن جابر رضي الله عنه، وفيه أن السائل أعرابي، وفي إسناده مجالد بن سعيد أيضًا.

وقيلَ: نزلت في سؤالِ عامرِ بن الطُّفيلِ وأربدَ بن قيسٍ، وقد مضى القولُ فيهِ في سورةِ (الرَّعدِ)[1].

وتسمَّى هذهِ السُّورةَ: «نسبَ الرَّبِّ» سبحانَهُ، وفي الحديثِ: «صحبَهُ سبعونَ ألفَ ملَكٍ كلَّما مروا بأهلِ سماءٍ سألوهم عمَّا معهم فقالوا: نسبَةُ الرَّبِّ سبحانهُ وتعالى»[2].

وفي ﴿هُوَ﴾ قولان:

أحدُهما: أنَّهُ ضميرُ الأمرِ والشأنِ، فيكونُ ﴿ٱللَّهُ﴾ مبتدأً، و﴿أَحَدٌ﴾ خبرَهُ[3].

والثاني: أن يكونَ كنايةً عنِ اللهِ؛ أي: الذي سألتموني نسبَهُ هوَ اللهُ، فيكونُ ﴿أَحَدٌ﴾: خبرًا بعدَ خبرٍ، أو خبرَ مبتدَأٍ محذوفٍ، أو بدلًا منَ الخَبرِ، أو ﴿ٱللَّهُ﴾ بدَلٌ عنِ الضَّميرِ و﴿أَحَدٌ﴾ خبرُ ﴿هُوَ﴾.

ويحتَمِلُ أنَّ ﴿هُوَ﴾ يعودُ إلى اسمِ ﴿ٱللَّهُ﴾ في قولِه: (بِسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ)، ويقوِّيهِ قولُ ابنِ عباسٍ وابنِ مسعودٍ وابنِ عُمَرَ رضيَ اللهُ عنهُم:

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ٥٠٢)، والواحدي في «البسيط» (٢٤/ ٤٢٧)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٥٠٥)، عن ابن عباس رضي الله عنهما. وتقدمت قصة عامر بن الطفيل وأربد بن قيس عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ﴾ [الرعد: ١٣].

(٢) روى نحوه الثعلبي في «تفسيره» (١٣/ ١٥٨) عن عائشة رضي الله عنها مرفوعًا، ولفظه: «إنه ما نزل عليَّ القرآن إلا آية آية وحرفًا حرفًا، خلا سورة براءة و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فإنهما أنزلتا عليّ ومعهما سبعون ألف صف من الملائكة، كلٌّ يقول: يا محمَّد، استوصوا بنسبة الله خيرًا» قال ابن حجر في «الكافي الشاف» (ص ٨٣): «أخرجه الثعلبي من حديث عائشة بإسناد واه».

(٣) في هامش (ن): «كقولك: هو زيد منطلق، كأنه قيلَ: الشأن هذا، وهو أن الله تعالى واحدٌ فلا ثاني له».

مـا كانَ يعـرفُ رسـولُ اللهِ ﷺ ختـمَ السُّـورةِ حتَّـى ينـزلَ عليـهِ (بِسـمِ اللهِ الرَّحمـنِ الرَّحيـمِ)(١).

ومعنى ﴿أَحَدٌ﴾: المتفرِّدُ بصفاتِهِ.

وقيلَ: الأحدُ: بمعنى الأوَّلِ، لأنَّهُ أوَّلُ الأشياءِ وسابقُ الكلِّ.

و(أحدٌ) يأتي على وجهينِ:

أحدُهما: بمعنى واحدٌ، هو الذي لا ثانيَ لهُ؛ إمَّا في الوجودِ، وإمَّا في الصِّفَةِ، واللهُ واحدٌ من حيثُ لا موجودَ يوصفُ بما يوصفُ بِهِ، ولا شيءَ يسدُّ مسدَّهُ تعالى، وأصلُهُ: وَحَدٌ، قُلبَتْ واوُهُ همزةً.

والثاني: أن يكونَ بمعنى العمومِ والشَّياعِ، وذلكَ لا يستعملُ إلَّا في النَّفيِ كقولِهِ: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٧].

وقيلَ: ليسَ أصلُ هذا من الواوِ كالأوَّلِ.

* * *

(١) رواه أبو داود (٧٨٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

ورواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢١٢٩)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٧) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

ولم أجده عن ابن عمر رضي الله عنهما صريحاً، لكن روي عنه ما يشير إليه؛ فقد روى البيهقي في «شعب الإيمان» (٢١٣٢) عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنه كان يقرأ في الصلاة ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾، وإذا ختم السورة قرأها ويقول: ما كتبت في المصحف إلا لتقرأ؛ يعني: أنه كان يقرؤها للفاتحة، وإذا ختمها قرأها للسورة التي بعدها. وروى الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٨) عن ابن عمر قال: «نزلت ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ في كلِّ سورة».

(٢) ـ ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾.

﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾: ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: السَّيِّدُ الذي تناهى سؤدُدُهُ، ويُصمَدُ بالحوائجِ إليهِ[1]؛ أي: يُقصَدُ، وهذا قولُ الجمهورِ.

مجاهدٌ والضَّحَّاكُ وجاءَ مرفوعًا أيضًا: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾: الذي ليسَ بأجوفَ[2].

---

(١) جمع المصنف بين قولين في تفسير الصمد عن ابن عباس رضي الله عنهما:

الأول: السيد الذي تناهى في سؤدده، وهذا رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧٣٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٧٤)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٩٦) بلفظ: «السيد الذي قد كمل في سؤدده، والشريف الذي قد كمل في شرفه، والعظيم الذي قد عظم في عظمته، والحليم الذي قد كمل في حلمه، والغني الذي قد كمل في غناه، والجبار الذي قد كمل في جبروته، والعالم الذي قد كمل في علمه، والحكيم الذي قد كمل في حكمته، وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد، وهو الله سبحانه هذه صفته، لا تنبغي إلا له».

والثاني: الذي يُصمد بالحوائج إليه، وهذا رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٩٢)، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٦٠٨)، والثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٤)، والماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٣٧١)، ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٥٩٧) في حديثه الطويل في سؤال نافع بن الأزرق لابن عباس رضي الله عنهما.

وذكره الواحدي في «البسيط» (٢٤/ ٤٣٥) من طريق عطاء عن ابن عباس مرفوعًا.

وقد فرق الواحدي في «البسيط» (٢٤/ ٤٣٥ ـ ٤٣٧) بين قولي ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) في هامش (ن): «أي: لا جوف له ولا يأكل ولا يشرب». والخبر رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٧٣٨)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٦٧٣) و(٦٧٤) و(٦٧٦)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧٣١) عن مجاهد.

ورواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٦٦٥)، والخطيب في «موضح أوهام الجمع والتفريق» (٢/ ٢١٥)، من طريق مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما.

ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧٣١)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١٠٠)، من طريق =

قتادةُ: ﴿ٱلصَّـمَدُ﴾: الباقي الذي لا يَفْنَى[(١)].

وقيلَ: ﴿ٱلصَّـمَدُ﴾: خالقُ الأشياءِ.

وقيلَ: ﴿ٱلصَّـمَدُ﴾: الذي لا يَستغني عنهُ شيءٌ.

وقيلَ: ﴿ٱلصَّـمَدُ﴾: الذي فسَّرهُ اللهُ تعالى بقوله: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾.

* * *

(٣) ـ ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾.

﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ ﴿لَمْ يَلِدْ﴾: نفيُ الأولادِ والصَّاحبةِ ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾: نفي الوالدينِ.

وقدَّمَ ذِكرَ ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ لأنَّ مِنَ الكُفَّارِ مَن ادَّعى أنَّ لهُ ولدًا، ولم يدَّعِ أحدٌ أنهُ مولودٌ.

وقيلَ: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ فيورَثَ ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ فورِثَ.

* * *

= عطية عن ابن عباس رضي الله عنهما.

ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧٣٢ ـ ٧٣٣) عن الحسن وسعيد بن جبير والضحاك وعكرمة.

ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧٣١)، والطبراني في «الكبير» (١١٦٢) عن عبد الله بن بريدة رضي الله عنه يرفعه، وقال ابن كثير عند تفسير هذه الآية: «وهذا غريب جدًّا، والصحيح أنه موقوف على عبد الله بن بريدة».

(١) رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٦٧٩)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧٣٦)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١٠٤)، جميعهم عن الحسن وقتادة.

(٤) ـ ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾.

﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾؛ أي: لا يماثِلُه ولا يساويهِ أحدٌ.

و﴿أَحَدٌۢ ﴾: هاهنا للعمومِ كما سبقَ.

مجاهدٌ: لا صاحبةَ لهُ[١]؛ لأنَّ المرأةَ كفؤُ الرَّجلِ.

الزَّجَّاجُ: أي: شبيهًا ومِثْلًا[٢].

والتَّقديرُ: ولم يكن أحدٌ كُفُوًا لهُ، فـ﴿أَحَدٌۢ ﴾ اسمُ (كانَ) و﴿كُفُوًا ﴾: خبرُهُ، و﴿لَّهُۥ﴾ صلةٌ عندَ سيبويهِ[٣].

قال أبو عليٍّ: ويجوزُ أن يكونَ ﴿لَّهُۥ﴾ صفةَ (كفؤٍ)[٤]، فلمَّا تقدَّمَ انتصبَ على الحالِ[٥].

***

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧٣٩)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٣٠٠)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٤٠٨)، واستغربه.

(٢) لم أجده.

(٣) انظر: «الكتاب» (١/ ٥٦)، وفيه: «وجميعُ ما ذكرت لك من التقديم والتأخير والإلغاء والاستقرار عربي جيّد كثير، فمن ذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾، وأهل الجَفاء من العرب يقولون: ولم يكن كفواً له أَحدٌ، كأنهم أخّروها حيث كانت غيرَ مستقَرَّة».

(٤) في (ف): «لكفؤ».

(٥) انظر: «المسائل الحلبيات» (ص: ٢٥٤)، وقد ذكر فيه قول سيبويه السابق.

سُورَةُ الفَلَقِ

خمسُ آياتٍ[1]، مكيَّةٌ، وقيلَ: مَدنيَّةٌ.

بِسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾.

﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾: وسبَبُ نُزولِ المُعوِّذتينِ ما رَواهُ البُخاريُّ في «صَحيحِهِ» وذكرَهُ المفسِّرونَ، وذلك أنَّ غُلامًا من اليَهودِ كانَ يَخدِمُ رسولَ اللهِ ﷺ، فدنَتْ[2] إليهِ اليَهودُ ولم يَزالوا بهِ حتى أخذَ مُشاطَةَ رأسِ رَسولِ الله ﷺ وعِدَّةَ أَسنانٍ مِن مُشطِهِ، فأَعطاها اليَهودَ فسَحروهُ فيها، وكانَ الذي تولَّى ذلكَ لَبيدُ بن أعصَمَ اليَهوديُّ، ثم دسَّها في بئرٍ [لبني] زُريقٍ يقالُ لها: ذَرْوانُ[3]، فمَرِضَ ﷺ وانتشَرَ شَعرُ رأسِهِ، وكانَ يرى أنَّهُ يأتي النِّساءَ ولا يأتيهِنَّ، وجعلَ يذوبُ ولا يدري ما عَرَاهُ[4]، فبينا هو نائمٌ ذاتَ يومٍ أتاهُ ملكانِ فقعدَ أَحدُهُما عندَ رأسِهِ والآخرُ عندَ رِجلِهِ، فقال الذي عندَ رِجلِهِ للَّذي عندَ رأسِهِ: ما بالُ الرَّجُلِ؟ قالَ: طُبَّ، قالَ: وما طُبَّ؟ قالَ:

---

(١) في (ن): «خمس آية»، وليست في (ف)، والصواب المثبت.

(٢) في (ف): «فدبت».

(٣) في (ن): «ذي أروان»، وهي كذلك في رواية مسلم وإحدى روايات البخاري. والمثبت من (ف) ونسخة في هامش (ن)، وهي كذلك في أكثر روايات البخاري.

(٤) كتب تحتها في (ن): «أي: ما عرضه».

سُحِرَ، قالَ: ومَن سحرَهُ؟ قالَ: لبيدُ بن أعصمَ اليهوديُّ، قالَ: فبمَ طَبَّهُ؟ قالَ: بمُشطٍ ومُشاطَةٍ، قالَ: وأينَ هوَ؟ قالَ: في جُفِّ طلعةٍ تحتَ راعوفَةٍ في بئرِ ذروان[١]، فانتبَهَ النبيُّ ﷺ وقال: «يا عائشَةُ، أما عَلمتِ أنَّ اللهَ أخبرني بدائي؟» ثم بعثَ عليًّا والزُّبيرَ وعمَّار بن ياسرٍ رضيَ اللهُ عنهُم، فنزحوا ماءَ البئرِ كأنَّهُ نقاعَةُ الحِنَّاءِ، ثم رفعوا الصَّخرَةَ وأخرَجُوا الجفَّ، فإذا فيهِ مُشاطَةُ رأسِه وأسنانُ مُشطِهِ، وإذا وَترٌ معقَّدَةٌ فيه إحدى عشرةَ عقدَةً مغروزةً بالإبرِ، فأنزلَ اللهُ سورَتَي المعوِّذتينِ، فجعَلَ كلَّما قرأَ آيَةً انحلَّتْ عُقدَةٌ ووجدَ رسولُ اللهِ ﷺ خِفَّةً، حتى انحلَّتِ العُقدَةُ الأَخيرةُ قامَ عليهِ السَّلامُ كأنما أنشِطَ مِن عِقالٍ، وجعلَ جبريلُ عليهِ السَّلامُ يقول: بسمِ اللهِ أرقيكَ مِن كلِّ شيءٍ يؤذيكَ ومِن حاسِدٍ وعينٍ واللهُ يَشفيكَ، فقيلَ: يا رسولَ اللهِ! أفلا نأخذُ الخَبيثَ فنقتلَهُ؟ فقال: «أمَّا أنا فقَدْ شفاني اللهُ، وأكرَهُ أنْ أُثيرَ على النَّاسِ شَرًّا»[٢].

الجفُّ: قِشرُ الطَّلعِ، والرَّاعُوفَةُ: حجرٌ في أسفلِ البئرِ يقوم عليها المائحُ[٣]، والمُشاطَةُ: ما يسقُطُ مِن الشَّعرِ معَ المشطِ.

قوله: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾ يعني: الصُّبحَ؛ أي: أحترِزُ وأستجيرُ، ومعاذَ اللهِ مِن كذا؛ أي: أحترِزُ بِهِ منه، والعَربُ تقولُ: أطيَبُ اللحمِ عُوَّذُهُ؛ أي: ما عاذَ بالعَظمِ؛ أي: لَزِقَ بهِ.

﴿بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾: ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما في جماعَةٍ: الصُّبحُ[٤]؛ لقولِهِ:

---

(١) في (ن): «ذي أروان»، والمثبت من (ف) ونسخة في هامش (ن).

(٢) رواه بمعناه البخاري (٦٣٩١)، ومسلم (٢١٨٩)، واللفظ الذي ساقه المصنف فيه زيادات عما في «الصحيحين».

(٣) من ينزل إلى البئر ليغترف منها إذا قلَّ الماء. انظر: «غريب الحديث» للقاسم بن سلام (١/ ٤٢).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧٤٣).

﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ [الأنعام: ٩٦]، ولقولِهِم: هو أبينُ مِن فَلَقِ الصُّبحِ.

وقيلَ: هو بيتٌ في جهنَّمَ إذا فُتِحَ بابُه استغاثَ أهلُ النَّارِ مِن شدَّةِ حرِّهِ.

وعن ابنِ عباسٍ أيضًا وأبي هريرةَ وكعبٍ رضيَ اللهُ عنهُم: اسمُ بئرٍ ذاتِ أوديَةٍ لها شِعابٌ(١)، واسمُها الهَبْهَبُ(٢).

وقيلَ: اسمٌ لجهنَّمَ.

الزجَّاجُ: الفلقُ: الخَلْقُ(٣).

***

(٢) ـ ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾.

﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾: هو كلُّ شيءٍ سِوى اللهِ وصِفاتِهِ.

---

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وقد روى الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧٤٢-٧٤٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ﴿ٱلْفَلَقِ﴾: «جب في جهنم مغطى»، قال ابن كثير في «تفسيره» (٨/ ٥٣٥): «إسناده غريب، ولا يصح رفعه».
وروى الطبري أيضاً عن كعب قال: «بيت في جهنم إذا فتح صاح جميع أهل النار من شدة حره»، وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: «الفلق: سجن في جهنم».

(٢) ورد تسمية الوادي بالهبهب في حديث رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٤١٥٩)، والدارمي في «سننه» (٢٨٥٨)، وابن أبي الدنيا في «صفة النار» (٣٥)، وأبو يعلى في «مسنده» (٧٢٤٩)، والحاكم في «المستدرك» (٨٧٦٥)، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، وقال الحاكم: «هذا حديث تفرد به أزهر بن سنان، عن محمد بن واسع لم يكتبه عاليًا إلا من هذا الوجه»، وأزهر بن سنان ضعيف. هذا، ولم يذكر في الحديث أنه تفسير للفلق.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣٧٩)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧٤٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٧٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وقيلَ: أيْ: النارِ.

وقيلَ: الشَّيطانِ.

* * *

(٣) ـ ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾.

﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ ﴾: ابنُ عباسٍ والفرَّاءُ والزجَّاجُ: هو الليلُ(١)، والغَسَقُ الظَّلامُ.

الزَّجَّاجُ: لأنَّ الليلَ أبرَدُ مِن النَّهارِ، والغاسِقُ: البارِدُ(٢).

ابنُ عيسى: الغاسِقُ: الهاجِمُ بضررٍ، مِن قَولِهِم: غَسَقَتْ عينُهُ: جرى دَمْعُها، وغسَقَتْ القرحَةُ: جرى صَديدُهَا.

أبو هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ مرفوعًا: الغاسِقُ الثُّرَيَّا؛ فإنَّ الأَسقامَ تكثُرُ عندَ وُقوعِها وترتَفِعُ عندَ طُلوعِها(٣).

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٣٠١)، و«معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣٧٩)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧٤٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣٧٩).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٤١٢)، واستغربه، وروى قريباً من هذا اللفظ الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧٤٧) عن ابن زيد قال: «كانت العرب تقول: الغاسق: سقوط الثريا، وكانت الأسقام والطواعين تكثر عند وقوعها، وترتفع عند طلوعها»، ثم قال الطبري: «ولقائلي هذا القول علة من أثر عن النبي ﷺ» ثم روى حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ قال: «النجم الغاسق»، ورواه أبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٢١٨) عن أبي هريرة مرفوعًا بلفظ: «الغاسق النجم، وهو الثريا».

وروى الحربي في «غريب الحديث» (٢/ ٧١٥)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧٤٧)، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «﴿غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾: كوكب».

وقيلَ: الغاسِقُ: القمَرُ إذا امتلأَ[١].

ورُوِيَ عَن عَائِشَةَ رضيَ اللهُ عنها أنها قالتْ: أخذَ النَّبيُّ عليهِ السَّلامُ بيدي ونظرَ إلى القَمرِ فقال: «تعوَّذِي باللهِ مِن هذا؛ فإنَّهُ الغَاسِقُ إذا وقب»[٢].

وقيلَ: هوَ الشَّمسُ. والكلُّ مرادٌ فإنَّ اللفظَ يحتَمِلُ.

﴿إِذَا وَقَبَ﴾: دخلَ، وقيلَ: أدبرَ، واشتقاقُهُ مِن الوَقْبِ، وهوَ كلُّ ثَقْبٍ أو حُفرَةٍ يَستنقِعُ فيهِ الماءُ، ووقبَ: دخلَ الوَقْبَ، وأوقبَهُ: أَدخَلَهُ.

***

(٤) - ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلْعُقَدِ﴾.

﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلْعُقَدِ﴾: النَّفْثُ: النَّفخُ مِن غيرِ ريقٍ[٣] بخلافِ التَّفلِ.

والمرادُ بهنَّ بناتُ لَبيدٍ السَّواحِرُ وغيرُهنَّ.

والعُقَدُ: جمعُ عُقْدَةٍ.

وفي كيفيَّةِ ذلكَ أقوالٌ:

أحدُها: أنه إيهامُ الأَذى وتَخييلُ المَرضِ ولا تأثيرَ لهُ.

والثاني: أنه يؤثِّرُ كتَأثيرِ العَينِ في المَعيونِ.

---

(١) «إذا امتلأ»: ليس في (ف).

(٢) رواه الترمذي (٣٣٦٦) وقال: «حديث حسن صحيح»، وقال ابن حجر في «فتح الباري» (٨/ ٧٤١): «إسناده حسن».

(٣) في هامش (ن): «يعني: السواحر تنفث في العقد كأنها تنفخ فيها بشيء تقرؤه»، وسيأتي في موضعه قريباً

والثالث: أنَّهُ بمعونَةِ الجنِّ.

وفي سِحرِ النبيِّ ﷺ قولانِ:

قالَ بَعضُهُم: سحَرَهُ لَبيدٌ بما سَحَرَ، وقَد سبَقَ، وعليهِ الجمهورُ.

وأنكرَهُ بَعضُهُم وقالوا: إنَّ اللهَ تعالى أنكرَ على مَن قالَ هذا في صِفَةِ النبيِّ عليهِ السَّلامُ حيثُ يقولُ: ﴿وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ الآيات [الفرقان: ٨].

وقيلَ: أرادَ بـ(النَّافثاتِ في العُقَدِ): النِّساءَ اللواتي يَسلُبْنَ قُلوبَ الرِّجالِ بحبِّهِنَّ، قالَ أبو تمام:

السَّالباتُ الفتى عَزيمَتَهُ بالسْـ ـــسِحرِ والنَّافِثاتُ في عُقَدِه[1]

وقيلَ: هنَّ السَّواحِرُ تنفُثُ في العُقَدِ كأنَّها تَنفُخُ فيهَا بِشيءٍ تَقرؤُهُ[2].

***

(٥) ـ ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾.

﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ يعني: لبيدًا الذي سَحَرَهُ[3].

وقيلَ: اليَهودَ كلَّهم.

وقيلَ: ﴿حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ المؤمنينَ.

والحَسدُ: تمني زوالِ النِّعمَةِ مِن صاحِبِها، وشرُّ الحاسدِ عَينُهُ، وقيلَ: شرُّهُ إيقاعُ الشرِّ بالمحسودِ بتتبُّعِ عَثراتِهِ وابتغاءِ مَساويهِ، واللهُ أعلَمُ[4].

---

(١) «ديوان أبي تمام» (ص: ٤٦)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٤١٢)، وعده من العجائب.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٤١٢)، واستغربه.

(٣) «الذي سحره»: ليس في (ف).

(٤) «والله أعلم»: ليس في (ف).

سُورَةُ النَّاسِ

سِتُّ آياتٍ[1]، مَكيَّةٌ، وقيلَ: مَدنيَّةٌ.

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾.

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾؛ أي: أَحترِزُ باللهِ ربِّ النَّاسِ، فحُذِفَ المَوصوفُ، وربُّ الشَّيءِ: مُصلِحُهُ ومُنَمِّيه.

***

(٢) ـ ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾.

﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾: هوَ الذي يَسوسُهُم ويُدبِّرُ أُمورَهُم.

***

(٣) ـ ﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾.

﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾: مَعبودِهم ومَقصودِهم.

***

(٤) ـ ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾.

﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ﴾؛ أي: الموسْوِسِ، والتَّقديرُ: ذي الوسواسِ، وهو الشَّيطانُ.

---

(١) في (ن): «ست آية»، وليست في (ف)، والصواب المثبت.

و(الوَسواسُ) مَصدَرٌ كالزَّلزالِ(١) والقَلْقال، والوَسوسَةُ: الحَدِيثُ الخَفِيُّ؛ كقَولِه(٢): ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ [طه: ١٢٠]، وصوتُ الحليِّ يسمَّى وَسواسًا، والمُوسْوِسُ: الذي يُكثِرُ الحَديثَ في نَفسِه.

ووَسوسَةُ الشَّيطانِ تَصِلُ إلى القَلْبِ في خَفاءٍ.

وقيلَ: وَسواسُ النَّاسِ مِن نَفسِهِ وهيَ وَسوَسَتُهُ التي يحدِّثُ فيهَا نَفسَهُ.

﴿ٱلْخَنَّاسِ﴾: هو الذي يُكثِرُ الخُنُوسَ، وهوَ التَّأَخُّرُ؛ كمَا جاءَ في الحديثِ: «إنَّ الشَّيطانَ جَاثِمٌ على قَلبِ ابنِ آدمَ(٣)، فإذا ذكرَ اللهَ تنحَّى وخَنَسَ(٤)، وإذا غَفَلَ الْتقَمَ قلبَهُ فحدَّثَهُ ومنَّاهُ»(٥).

***

(٥ ـ ٦) ـ ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾.

﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾ قالَ الفرَّاءُ: يجوزُ أَنْ يكونَ المرادُ

---

(١) كتب تحتها في (ن): «بمعنى الزلزلة وكذلك».

(٢) في (ف): «لقوله».

(٣) بعدها في هامش (ن): «الأيسر؛ أيْ: لاصق». وكتب فوقها: «قاعد».

(٤) كتب فوقها في (ن): «أي: تأخر».

(٥) رواه ابن أبي الدنيا في «مكائد الشيطان» (٢٢)، وأبو يعلى في «مسنده» (٤٣٠١) عن أنس رضي الله عنه مرفوعًا، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٤٩): «رواه أبو يعلى، وفيه عدي بن أبي عمارة وهو ضعيف»، وضعف إسناده ابن حجر في «فتح الباري» (٨/ ٧٤٢).
وروي نحوه موقوفًا عن ابن عباس رضي الله عنه، رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٧٥٠)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧٥٣)، والحاكم في «المستدرك» (٣٩٩١) وصححه، والضياء في «المختارة» (١٧٢).

بالناسِ هاهنا: الجنَّ، وكما جعلَ مِن الإنسِ شياطينَ كذلكَ هاهنا جَعَلَ مِن الجنِّ ناسًا، فيكونُ المعنى: في صُدورِ جَمعٍ مِن الجِنَّةِ، وجمعٍ مِن النَّاسِ[1].

قوله: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ﴾: جمعُ جانٍّ.

وقالَ غيرُهُ: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ﴾ متَّصِلٌ بقولِه: ﴿شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ... مِنَ ٱلْجِنَّةِ﴾ فهوَ بيانُ أنَّ الموسوِسَ مِنهُم.

قولُه: ﴿وَٱلنَّاسِ﴾: هو عطفٌ على ﴿ٱلْوَسْوَاسِ﴾؛ أي: من شرِّ الوسواسِ والناس.

وعلى قولِ الفرَّاءِ ومَن تابعَهُ: عطفٌ على ﴿ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ﴾ كما سَبَقَ.

ابنُ عيسى: تَقديرُهُ: من شرِّ الوسواسِ الذي يَقَعُ مِن الجنِّ والإنسِ.

وكرَّرَ لفظَ ﴿ٱلنَّاسِ﴾ تبجيلًا لَهُم وتَكرِمَةً.

وقيلَ: كرَّر لانفصالِ كلِّ آيةٍ مِن الأُخرى؛ لعَدمِ حرفِ العَطفِ.

وقيلَ: المرادُ بالأوَّلِ: الأَطفالُ، ومعنى الرُّبوبيَّةِ يدلُّ عليهِ، وبالثاني: الشُّبَّانُ، ولفظُ الملكِ المنبئِ عن السِّياسَةِ يدلُّ عليهِ، وبالثالثِ: الشُّيوخُ، ولفظُ ﴿إِلَٰهِ﴾ المنبئ عن العِبادَةِ والطاعَةِ يدلُّ عليهِ، وبالرابعِ: الصَّالحونَ، والشَّيطانُ حريصٌ مولَعٌ بإغوائِهِم دونَ غَيْرِهِم، وبالخامسِ: المُفسِدُونَ، وعطفُهُ على المَعوذِ مِنهُم يدلُّ عليهِ.

واللهُ أعلَمُ بالصَّواب، وإليهِ المرجعُ والمآب.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٣٠٢).

قالَ رضيَ اللهُ عنهُ[(١)]: كملَ[(٢)] «كتابُ لبابِ التَّفاسيرِ»، أسألُ اللهَ عزَّ اسمُهُ أنْ يعمَّ نفعَ المسلمينَ بِهِ، فإنِّي جمعتُ ذلكَ خالصًا لِوَجهِ اللهِ تعالى؛ فإنَّ العِلمَ يأبى أنْ يَكونَ إلَّا للهِ، وما عسى أَن يَذكرَنِي مَن يَستفيدُ مِنه كلمةً أو مسألةً في صالحِ دعائهِ، فإنَّ ذلكَ عندَ اللهِ بمكانٍ.

والصَّلاةُ والسَّلامُ على خَيرِ خلقِهِ وآلِهِ الطَّيِّبينَ الطَّاهرين.

وكان بينَ الابتداءِ به والشُّروعِ فيهِ وبين البُلوغِ آخرَهُ مدَّةُ[(٣)] سبعِ سنين.

وحسبُنا اللهُ ونعمَ الوكيلُ ونِعمَ النَّصير[(٤)].

---

(١) «بالصواب وإليه المرجع والمآب، قالَ رضيَ اللهُ عنهُ»: ليس في (ف).

(٢) في (ف) زيادة: «والحمد لله».

(٣) «مدة»: ليس في (ف).

(٤) جاء بعدها في (ف):

«تـم الكتـاب وربنـا مـحـمـود ... وله الفضائـل والعلـى والجـود

اتَّفقَ الفراغُ مِن كتابتِهِ يومَ السَّبتِ منتصفَ شهرِ جمادى الأولِ مِن سنةِ أربعٍ وخمسينَ وستِّ مئةٍ هجرية، كاتبُه العبدُ الضَّعيفُ المحتاجُ إلى رحمةِ اللهِ تعالى علي بن عبدِ الله بن محمود المؤذِّنُ بجامعِ غربي عسكر، غفرَ اللهُ لهُ ولوالديهِ ولجميعِ المؤمنينَ آمين رب العالمين».

وفي (ن): «تمَّ الجزء الثاني مِن كتابِ «لبابِ التَّفاسير» بتوفيقِ الملكِ الخالقِ البَصير، على يدِ العَبدِ الضَّعيف النَّحيف، الرَّاجي رحمةَ ربِّهِ اللطيف، خويدمِ العُلماءِ والفُقراء النَّظيف، المرتجي عفوَ اللهِ الكَريم، الملتجي إلى جِوارِ هذا النبيِّ الرَّحيم، الفَقير إلى اللهِ الغَنِي الوَفِي، أشرف الحسيني الحَنَفي الغزنَوِي، عفا اللهُ عنه وعن والديه، وأحسنَ إليهما وإليهِ، وعَن كافَّة المسلمينَ بالمدينَةِ المشرَّفةِ على مُشرِّفِها مِن الصَّلوات أفضلُها، ومن التحيَّاتِ أكمَلُها، برباطِ الأصفهانيِّ في قبَّةِ مُنشِئِها رحمه الله المحاذية شباكَها بشبَّاكِ مَسجدِ النبيِّ عندَ قدمهِ الشَّريفةِ صلى الله عليه، في اليومِ العيدِ الأضحى سنةَ أربعٍ وتسعينَ وسبع مئة حامدًا ومصليًا ومسلِّمًا: =

= غفر الإله ذنوب هذا الساطر ... وذنوب قاريه معاً والناظر
يا ناظرًا فيه سل بالله مرحمةً ... على المؤلف واستغفر لصاحبه
واطلب لنفسك من حاج تريد بها ... من بعد ذلك غفرانًا لكاتبه
والحمد لله على التمام ... على النبي أفضل السلام
تم الكتاب وربنا المحمود ... وله المكارم والعلا والجود

تمت المقابلة مع النسخة المنقول عنها، وهي التي كانت بخطِّ الشيخِ العالمِ العاملِ الفاضلِ الكاملِ المحقِّق المدقِّق السَّالك في الطريقين، المحظوظِ عن الفريقين، أبي طاهر محمد بن روذبهان ابن الشيخِ السَّالك أحمد بن علي رحمَهُم الله، وكانَ اختتامُ المقابلَةِ بالمدينةِ المشرَّفةِ صلواتُ الله على مشرِّفها بالرباطِ المذكورِ تحتَ هذه الأسطرِ في (٢١) من شهر الله الحرامِ الأصمِّ رجب، عمَّتْ مَيامِنُه مِن سنةِ (٧٩٥)».

الفهارس العامّة

فهرس الآيات القرآنية الكريمة التي استشهد بها المؤلف

فهرس الآيات التي ذُكرت فيها وجوه القراءات المتواترة

فهرس القراءات الشواذ

فهرس أسباب النزول

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

فهرس الآثار

فهرس الأشعار

فهرس الأرجاز

فهرس الأعلام

فهرس المصادر والمراجع

الفهرس العام

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

التي استشهد بها المؤلف

رقم الآية	الجزء والصفحة
سورة الفاتحة	
١	٤/ ١٤٤
سورة البقرة	
٢	٤/ ١٥٠
٦	٣/ ٥٨٥، ٧/ ٥٣٤
٧	٣/ ٥١٦
١٥	٣/ ١٨٤، ٧/ ٤١٤
١٧	١/ ٧٨، ٤/ ٣٤٣
١٨	١/ ٤٩، ٣/ ٢١٥
١٩	١/ ٧٨
٢٣	٤/ ٩٨
٢٤	٩/ ٥٥٥
٣٠	١/ ٩٣، ٢٠٧، ٧/ ٥٣٦
٣١	٣/ ٣٦٤
٣٥	٣/ ٢٠٦
٣٧	٨/ ٤٨٦
٤١	٩/ ٥٠٨
٤٥	٤/ ٤٢
٥١	٣/ ٤٥٣
٥٤	٣/ ٤٦٧
٥٥	٣/ ٤٧١
٥٦	١/ ١٢٦
٦١	١/ ١٠٤، ١٣٠
٦٦	١/ ١٤٩
٦٨	٤/ ٣٢٤، ٥/ ٢٨٦، ٦/ ٣٣٢
٧٢	١/ ٢٧، ١٥١
٧٣	١/ ٤٦٤
٧٤	٧/ ٢٥٤
٨٨	٨/ ٣٨٩
٨٩	١٠/ ٢٢٠

رقم الآية	الجزء والصفحة
٩١	١/ ١٩٠، ١٩٣، ٩/ ٤٨١
٩٥	٣/ ٤٥٧
٩٨	٣/ ٥٧١
٩٨	٩/ ١٤٢، ١٠/ ٢١٥
١١١	١/ ١٩٤، ٩/ ٣١٧
١١٦	٥/ ٢٩٥، ٦/ ٢١٤، ٧/ ٣٥٣
١٢٢	١/ ٢٤٥
١٢٣	١/ ٢٤٥
١٢٤	١/ ٢٤٧، ٢٥٠
١٢٥	٥/ ٢٥٩
١٢٧	٦/ ٢٨٣، ٧/ ٤٤٤
١٢٨	٦/ ١٦٣
١٢٩	٩/ ٣٠٦
١٣٦	٤/ ٢١٠
١٤٠	٥/ ٣١٠
١٤٢	١/ ٢٦٨
١٤٣	٨/ ٦٢، ٩/ ٤٢٥
١٤٤	١/ ٢٣١، ٢٣٢، ٢٦٣
١٤٥	١/ ٢٧٢
١٥٠	٦/ ٢٤٠

رقم الآية	الجزء والصفحة
١٥٢	٧/ ٢١٨، ٨/ ٣٧٤
١٥٤	٢/ ٢٣٢
١٦١	١/ ٢٨٥
١٦٦	٥/ ٤٨٩، ٧/ ٦٧، ٨/ ٣٣٢
١٧٥	١٠/ ٥٠
١٧٨	١/ ٣٨٤
١٨٢	١/ ٣١٨
١٨٥	٨/ ٢٧٠
١٨٦	٨/ ١١١
١٨٧	٩/ ٥٥٤
١٨٩	٣/ ٣٦٢
١٩١	٤/ ١٩
١٩٤	١/ ٥٩، ٢/ ٨٦، ٧/ ٢٨٥
١٩٦	٤/ ٩٢
١٩٧	٣/ ٥٩٤
٢٠٥	١/ ٣٥٧
٢١٠	١/ ١٢٧، ٦/ ٣٤٧
٢١١	١/ ٣٦٧، ٨/ ٢٤٣
٢١٤	٧/ ٩، ١٨٧
٢١٦	٨/ ١٣٤

رقم الآية	الجزء والصفحة
٢١٩	٣/ ١٤٣، ٥١٧
٢٢٠	٣/ ٣١٧
٢٢٢	١/ ٣٣١
٢٢٥	٣/ ١٤٠
٢٢٦	٦/ ٢٦٨
٢٢٨	٩/ ٣٥٢
٢٢٩	١/ ٤٠٩
٢٣١	١/ ٤٠٤
٢٣٤	١/ ٤٢٩، ٥/ ٣٣٠، ٧/ ٢٣١
٢٣٥	١/ ٢٥٢، ٣/ ٢٢٦
٢٣٦	١/ ٤٣٠
٢٣٧	١/ ٤٢٣
٢٣٩	٢/ ٤١٦
٢٤٣	١/ ٤٥٠
٢٤٥	٢/ ٢٤٥، ٣/ ٣٤٧، ٨/ ٣١٠
٢٤٦	١/ ٤٥٠
٢٤٧	١/ ٤٤٢
٢٥٥	٣/ ٣٦٠
٢٥٦	٢/ ٤٨٠
٢٥٩	١/ ٥٢
٢٥٩	٣/ ٤٠١
٢٦٠	٣/ ١٧٨، ٤٥٧، ٤/ ٤٥٥، ٧/ ٧٦، ١٥٠
٢٦١	٣/ ٣٤٧، ٦/ ٥٤٠، ٨/ ١٨
٢٦٦	١٠/ ١٠
٢٦٩	٧/ ١٢٨
٢٧٣	٥/ ٥٦١
٢٧٥	١/ ٤٩٩
٢٨٢	١/ ٣٤٩
٢٨٣	١/ ٥٠٧، ٩/ ٣٥٥

سورة آل عمران

رقم الآية	الجزء والصفحة
٧	٨/ ٢٨
١٣	٤/ ٢٤٦
١٨	١٠/ ١١٠
١٩	٣/ ٩٢، ٦/ ١٩٩، ٧/ ٢٠٤
٢٠	٧/ ١٢٦
٢٦	١/ ١٦، ٣/ ١١٩
٤١	٤/ ٤٦١
٤٢	٦/ ٥٤٩
٤٣	١/ ٢٣٤

رقم الآية	الجزء والصفحة
٤٩	٤/ ٣٧٢
٥٠	٤/ ٧٢
٥٢	١/ ١٤٥
٥٤	٣/ ١٨٤، ٧/ ٤١٤
٥٥	٣/ ١٨٥
٥٩	٦/ ٣٥٤، ٨/ ٢٥٠، ٢٥٢، ٩/ ١٢٠
٦٤	٧/ ٣٠٨
٦٧	١/ ٢٦١
٧٢	٢/ ٤٥١
٧٣	٣/ ١١٩
٨١	١/ ٨١، ٢٥٨
٨٣	٥/ ١٠٤
٩٧	١/ ٣٤٤، ٣/ ١٥٥، ١٠/ ٢٠٠
١٠٢	٦/ ١٦٢، ٩/ ٣٤٧
١٠٦	٨/ ٥٣، ٩/ ١٣٣
١٠٧	٢/ ١٥٠
١١٢	٦/ ١٥٧
١١٨	٦/ ٢٥٧
١١٩	٤/ ٥٠٠
١٢١	٦/ ١١٥

رقم الآية	الجزء والصفحة
١٢٩	٤/ ٤٤٨
١٣٤	٤/ ٤١٣
١٣٥	٢/ ١٨١
١٤٤	٦/ ٥٣٦
١٤٥	٣/ ٢٢٦
١٥٦	٩/ ١٨٧
١٦٨	٩/ ١٨٧
١٦٩ـ١٧٠	١/ ١٥٤
١٨٥	١/ ١٩٧
١٨٧	١/ ١٠٦، ١٧٤
١٩٤	٤/ ٥٣٦، ٦/ ٣٣٧
١٩٥	٨/ ١٩٦

سورة النساء

رقم الآية	الجزء والصفحة
١	٦/ ٣٧٦
٢	٦/ ٤٠٦
٣	١/ ٣٤٦، ٦/ ٤١٢، ١٠/ ١٦٤
٦	٦/ ٢٦٢، ٣١٥، ٤٧٦، ٨/ ٣٥٩
٧	١/ ٣١٦، ٣١٧
٨	١/ ٣١٧، ٧/ ٣٠٣
١٠	١/ ٣٠٣، ٣٨٥، ٤٩٨، ٢/ ٢٧٥، ٣/ ٩٠

رقم الآية	الجزء والصفحة
١١	١/٣١٦،٣١٨،٢/ ٢٧٧، ٦/ ٥٤
١٦	٣/ ٨٤
٢٠	١/ ٤٠٦
٢٣	٦/ ٣٧٢
٢٤	١/ ٤٢٣
٢٩	٦/ ٣١٠
٣١	٨/ ٢٠٣، ٩/ ٥٧،٥٨
٣٦	٨/ ٥١
٤٠	٢/ ١٥
٤١	٤/ ١٨٠،٢٣٧، ١٠/ ١١٠
٤٣	١/ ٣٨١، ٣/ ١٤٣
٤٧	٣/ ٤٥
٤٨	٢/٣١٩،٤٠٦،٤٣٠،٦/ ٣٨٧
٥٤	١/ ٤٦١
٥٩	٨/ ١٧٧
٦٣	٣/ ٢٥٣،٥/ ٤٩،١٦٧،٩/ ٥٤١
٦٦	٢/ ٤١٠، ٧/ ١٨٤، ٢٤٧
٦٩	٥/ ١٨٠،٩/ ٥٧
٧٩	٧/ ٤٤
٨٦	٤/ ٢٧٧، ٨/ ٥٣٠

رقم الآية	الجزء والصفحة
٩٣	٦/ ٣٨٧
٩٧	٧/ ١٥، ٨/ ١٨
١٠١	١/ ٥١٠
١٠٢	٢/ ٤١٧
١١٣	١٠/ ١٩٠
١١٦	٢/ ٤٣٠
١٢٠	٢/ ٤٣٤
١٢٥	٥/ ٣٦٩
١٤٣	٦/ ٩٩، ٩/ ٢٤٧
١٤٥	٥/ ٣٢
١٥٣	١/١٣١،٢٣٦، ٣/ ٤٥٦، ٩/٤٤٦
١٦٠	٣/ ٤٧٧
١٧٦	١/ ٣٩٥، ٣/ ٢٥٤

سورة المائدة

٣	١/٢٦٦،٣/ ٧، ٦/ ١٢١،٩/ ٤٩١
٥	١/ ٣٨٨
٦	١/ ٢٣٥
١٨	١/ ١٩٤، ٩/ ٣١٧
٢٠	١/ ١١٣
٢١	١/ ١٣٩

رقم الآية	الجزء والصفحة
٣٠	٨/ ١٣٤
٣١	٣/ ٦٧
٣٢	١/ ٤٦١، ٣/ ٦٦
٣٨	٢/ ٤٠٧
٤٠	٨/ ٤٣٥
٤١	٨/ ٣١٧
٤٨	٣/ ٩٠
٥٤	٨/ ٤٥٨
٦٤	١/ ١٨٨
٦٧	٦/ ٥٢٧، ٨/ ٥٤٢
٧٣	٥/ ٣٢٣
٩٥	١/ ٢٧، ٦/ ٥٥
١٠١	١/ ٢٢٠
١٠٣	٤/ ١٨٥
١٠٦	٥/ ٣٦٨، ٧/ ٢٤
١٠٩	٧/ ١٧٥
١١٠	١/ ٢٨
١١٢	٣/ ١٧٦
١١٤	١/ ٢٣٦، ٢/ ٢٧٧
١١٦	٤/ ٢٠٩، ٦/ ٣٣٨، ٥٩٩، ٧/ ٣٠٤، ١٠/ ٦٣

سورة الأنعام

رقم الآية	الجزء والصفحة
١	٨/ ٦٨
٩	٣/ ٣٩٢
٢٣	٣/ ٢١٧، ٧/ ٣٩٤، ٨/ ٣٣٢، ٩/ ٢٤٨
٢٥	٨/ ١٢٧، ٣٣٨
٢٨	٣/ ٤٣٠، ٦/ ٢١٠، ٧/ ٣٥١
٢٩	٨/ ٤٧٩
٣٠	٣/ ٢١٧
٣١	٥/ ٥٧٥
٣٥	٦/ ١٠٣
٣٨	١/ ٢٢٣، ٩/ ٥١
٤١	١/ ٣٢٩
٤٣	٢/ ٢٦
٥٤	٣/ ٥٩٨، ٨/ ١٦٠
٥٩	٦/ ٦٠٨، ٨/ ٤٠٨
٦٠	٣/ ٢٤، ١٩٥، ٨/ ٤٢
٦١	٧/ ١٤٦
٦٢	٣/ ٢١٩
٦٧	٣/ ٤٠٠

رقم الآية	الجزء والصفحة
٦٨	٢/ ٤٥٣
٧٦-٧٩	٧/ ٤٣٤
٧٦	٦/ ٤٣٣
٧٩	٦/ ٤٠
٩١	٣/ ١٩٥
٩٤	٣/ ١٦٧، ٤/ ٢٠٦، ٩/ ٢٨٥
٩٦	١٠/ ٣١٢
٩٨	٤/ ٢٢٩
١٠٩	٣/ ٢٩٧
١١١	٤/ ٤٧٣، ٦/ ٤٦١، ٩/ ٥٧١
١١٥	٨/ ٤٩٥
١٣٢	٨/ ٣٤٤
١٣٦	٤/ ١٨٥، ٨/ ٢٢٨
١٣٩	٣/ ٣٢٧
١٤١	٣/ ١٩٥
١٤٣	٤/ ٢٥٥، ٨/ ١٢
١٤٤	٨/ ١٢
١٤٥	١/ ٣٠١، ٣٤٩
١٤٦	٢/ ٨٠، ٤٦٧، ٥/ ١٥٩
١٥١	١/ ١٤٢، ٢/ ١٥، ٣/ ١٩١، ٥/ ٢٠٩

رقم الآية	الجزء والصفحة
١٥٢	١/ ٣٨٥
١٥٧	٧/ ٣٥٣
١٥٨	٦/ ٥٣٢
١٦٠	٨/ ١٨، ٤٩٥
١٦٤	٣/ ٢٢٠، ٩/ ٦٣، ١٠/ ١٥٨

سورة الأعراف

رقم الآية	الجزء والصفحة
١٢	١٠/ ٢١
١٧	٧/ ٢٩٠
١٨	٨/ ٣٤٥
٢٠	١/ ١٠١
٢١	١/ ١٠٠
٢٧	٤/ ٥١٢
٢٨	٨/ ٢٣٠
٣١	٣/ ٣٧٩
٣٢	٨/ ٣١٥
٣٤	٧/ ٣٣٠
٣٨	١/ ٢٨٦، ٦/ ٣٤٠، ٧/ ٢٣
٤٠	٣/ ٤٢٤
٤٣	٤/ ١٥٨
٤٤	٦/ ٥٢٥، ٥٣٨، ٨/ ٩٣

رقم الآية	الجزء والصفحة
٤٦	٩/ ٢٠٥
٤٨	٥/ ٦٥، ٨/ ٩٣
٥٣	١/ ١٩٤
٥٤	٢/ ٣٨٧، ٨/ ٣٢٨، ٩/ ٤١
٥٥	٥/ ٤٣٠
٥٦	١/ ٣٢٨، ٥/ ٤٤٧، ٧/ ٢٤٩
٥٨	٧/ ٢٨٣
٧٠	٨/ ٥٢١،٩/ ٤٠٦
٧٥	٨/ ٢٣٦، ٩/ ٢٦٥
٧٧	٤/ ٥٠٥، ٦/ ٥١٤
٨٥	٣/ ٤٢٠
٨٨	٣/ ٤٢٤
٨٩	٣/ ١٠٤
٩٥	١/ ٣٨٤
١١١	٨/ ٨٨
١١٦	١/ ٢٠٧، ٦/ ٢١٤
١٢٩	٣/ ٤٥٠
١٣٤	٣/ ٤٤٨، ٩/ ٥٥٤
١٣٥	٨/ ٣٠٧
١٣٧	١/ ٤٦٥، ٢/ ٢٤٠

رقم الآية	الجزء والصفحة
١٣٨	١/ ٢٢١
١٤٢	٤/ ٩٥،٥/ ٥٦٦
١٤٣	١/ ١٢٦،١٦٣، ٧/ ١٥٥
١٤٥	٣/ ٤٦٥
١٤٩	٤/ ٣١١
١٥٠	٥/ ٥٦٥
١٥٥	١/ ١٢٤، ٦/ ٦٠٥
١٥٦	١/ ١٤٤، ٦/ ٥٨٧
١٥٧	١/ ١٠٦،٦/ ٥٨٧
١٥٩	٣/ ٥٠١
١٦٣	١/ ٣٦٦، ٣/ ٣٥٥
١٦٤	٣/ ١٣٤
١٦٩	١/ ٣٠٦
١٧٢	١/ ٨١، ٣/ ٣٥، ٧/ ٣٩٢، ٩/ ١٩٩
١٧٩	٨/ ٥٤٢
١٨٦	٥/ ٩٤
١٨٧	١/ ٣٦٧، ٢/ ١٦
١٨٨	٨/ ٣٣٥
١٩٥	٣/ ٥١٤
٢٠٦	٥/ ٢٥٦

رقم الآية	الجزء والصفحة
سورة الأنفال	
٩	٢/ ١٧٠
١٢	٢/ ٢٨٢
١٦	١/ ٢٦٣
١٧	١/ ١١٧، ٢/ ١٧٥، ٤٣٢
١٨	١/ ٢٧
٢٤	٦/ ٣٢٠، ٣/ ٥٤٨
٢٥	٣/ ٤٧٣
٣٠	٣/ ٥٢٥، ٤/ ١٩، ٧/ ٣٢٩، ١٠/ ١٢٧
٣١	٣/ ٢٧٢، ٥٤٨
٣٢	٤/ ٤٤٧، ٥٠٥، ٥/ ١٨٩، ٣٦٢، ٧/ ٤٤، ٩/ ٤٧١
٣٣	٤/ ٥٣٣
٣٩	١/ ٣٤٠
٤١	٣/ ٥٢٨، ٧/ ١٩٨، ٢٠٧، ٢٤٣
٤٢	٩/ ٦٠٦
٤٣	٢/ ٢٤، ٥/ ٢٣٤
٤٨	٩/ ٢٧٤
٥٨	٣/ ٤٧

رقم الآية	الجزء والصفحة
٦٣	٥/ ٣٢، ٩/ ٢٧٣
٦٤	٨/ ٤٣٨
٦٦	٢/ ٢٤
٧٢	٧/ ١٧٣
٧٥	٢/ ٣٢٢، ٣/ ٦٠٢
سورة التوبة	
٢	٣/ ٥٨٧
٤	٤/ ٩
٥	١/ ٢١٧، ٣/ ١٥، ٢٥٢، ٥٩١، ٨/ ٣٧٢، ٩/ ٢٩٠
٢٤	٣/ ٢٩٨
٢٩	١/ ٢٢٣، ٧/ ٣٩، ٨/ ١٨٦، ٥٠٦
٣٠	١/ ١٨٨، ٢٣٣
٣١	١/ ٢٩٢
٣٦	١/ ٢٢٣، ٣٣٨، ٩/ ٣٥٣
٣٧	٣/ ١٥
٣٩	٤/ ١٤٠
٤٠	٣/ ٥٧٤، ٥/ ٣٢٣
٤٣	٤/ ١٣٢، ٦/ ٣٢٠
٥٢	٤/ ٦٣

رقم الآية	الجزء والصفحة
٥٦	٤/ ٧٨
٦٠	٦/ ٢٧٤
٦١	١/ ١٦٤، ٢/ ٤٦٩
٦٢	١/ ١٠٣، ٣/ ٥٤٨، ٧/ ٢٠٧، ٢٤٢
٦٣	٣/ ٥٧٢
٧٣	٦/ ٢٥٥
٨١	٤/ ٢٣٢
٨٣	٨/ ٤٢٠
٨٤	٤/ ١١٤
٩١	٤/ ٥٥
٩٢	٥/ ٢٤٤
١٠٠	٩/ ١٥٥
١٠١	٨/ ٤٢٢
١٠٢	٨/ ٤٢٢
١٠٣	٤/ ١١٢
١٠٦	٨/ ٤٢٢
١٠٨	٤/ ١١٦
١٠٩	١/ ٢٤٦
١١١	٨/ ٤١٥

رقم الآية	الجزء والصفحة
١١٢	١/ ٢٤٢، ٥/ ٣٢٥، ٨/ ٦٥، ٩/ ٣٧٩
١١٣	٥/ ٢٠٣، ٦/ ٥٩٣
١١٤	٦/ ٤٣٥
١١٨	٤/ ١١٥
١٢٠	٤/ ١٤٠
١٢٢	٤/ ٤٩
١٢٨	٢/ ٢٢٦، ٤/ ٧

سورة يونس

رقم الآية	الجزء والصفحة
٢	٨/ ٤٩٧، ٩/ ٧١
٣	١/ ٤٥٤
٥	٩/ ١١١
١٠	٧/ ٧٠، ٢٦٢، ٨/ ٦٨
١١	٥/ ١٨٧
١٥	٤/ ١٧٦
٢٢	٨/ ٢٢٤
٢٤	٤/ ١٦٨
٢٨	٨/ ٤٣١
٣٣	٩/ ٤٤٣
٣٩	٨/ ٣٣٨

رقم الآية	الجزء والصفحة
٤٥	٥/ ٤٤٧
٤٨	٨/ ٥٢١
٤٩	٦/ ٢١٨
٥٩	٨/ ١٩١
٨٢	٧/ ٥٤١
٩٣	٦/ ١١٥
٩٤	٤/ ١٤٩، ٦/ ٣٧٥، ٨/ ٢٤٢
١٠٤	٤/ ٢١٠

سورة هود

١	٢/ ١٦، ٨/ ٣٨٥
٦	١/ ٢٩٠
١٨	٤/ ٢١١
٢٧	٤/ ٢٤٩
٣٦	٩/ ٥٠٦
٤١	١/ ٩، ١٠/ ٢٠٦
٤٤	٣/ ٤٠٠
٥٤	٩/ ٣٥٥
٦٢	٤/ ٢١٦، ٣٠٠
٦٥	٥/ ٣٦٤، ٨/ ٥٣٧
٦٩	٦/ ٤٩

رقم الآية	الجزء والصفحة
٧١	٥/ ٣٥، ٧/ ٤٤٢، ٤٤٣
٧٢	٦/ ٤٧٤
٧٣	٧/ ٢٠٢
٨١	٤/ ١٧١، ٥/ ١٧٤، ٧/ ٤٦٩
٨٢	٨/ ٥٣٤
٨٢_٨٣	٣/ ٤١٨
٩٢	٦/ ٣٧٣
٩٨	٥/ ٤٨١
١٠٢	٨/ ٧٦
١٠٤	٤/ ١٦٤
١٠٨	٤/ ٣١٣
١٠٩	٤/ ٣١٤
١١٤	٤/ ٢٢١
١١٨_١١٩	٨/ ١٧٨
١١٩	٤/ ٢١١، ٨/ ٦٤، ٨/ ٤٩٥، ٨/ ٤٩٦

سورة يوسف

٣	٤/ ٣٢٩
٨	٦/ ٦٠٨
١٠	٥/ ١٢٩

رقم الآية	الجزء والصفحة
١٢	٤/ ٣٩٤
١٧	١/ ٤٤
١٨	٦/ ٢٤٦
١٩	٣/ ٣٧١
٢٠	١/ ٦١، ١٠٨، ١٧٢، ٤/ ٢٦٤
٣٥	٥/ ٥٨٤
٤٣	٢/ ٣١٤، ٦/ ٥٢٨
٤٥	٤/ ٢٣١
٦٦	٤/ ٤٠٨
٧٠	٦/ ٤٤
٧٦	٨/ ١٧٣، ١٠/ ٢٦٤
٨٢	٧/ ٢٥٥
٨٥	١/ ٣٩٥
٨٩	٤/ ٣٤٥
٩٤	١/ ٤٤٣
٩٥	١٠/ ١٩١
١٠٠	١/ ١٧٥
١٠٦	٩/ ٤٦٧

سورة الرعد

رقم الآية	الجزء والصفحة
٥	٥/ ٣٧٢، ٧/ ٤١٤
٨	٩/ ١٠٣
١١	٧/ ٢٨٧
١٧	١/ ٤٢٤
٢٦	٩/ ٦٧
٢٨	١٠/ ١٥٨
٣٣	٤/ ٥٠٤، ٨/ ١٩١
٣٨	٣/ ٢٢٦
٤٣	٤/ ٤٣٩

سورة إبراهيم

رقم الآية	الجزء والصفحة
٧	٧/ ١١٥، ٨/ ٣٧٤
١٠	٨/ ١٠٥
١٥	٨/ ٤٩٧
١٦	٥/ ٣٨٨
١٧	٨/ ٢٨٦
٢٢	٥/ ١٤٧، ٦/ ٥٩٨
٢٣	٣/ ٣١٠، ٤/ ١٦٩، ٦/ ١١١، ٣٩١
٢٨	٤/ ٤٩٣
٣٤	٦/ ٣٢٦، ٧/ ١٢٤
٣٥	١/ ٢٤٧، ٢/ ٣٢٩
٣٧	١/ ٢٤٧

رقم الآية	الجزء والصفحة
٤٣	٦/ ١٢٨، ٥٥٥
٤٤	١/ ٢٨٧
٤٥	٨/ ٢٢٤
٤٨	٤/ ٣١٠، ٧/ ٢٨٥، ٨/ ٥٨
٥٠	٦/ ١٠٩، ١٠/ ١٣٩

سورة الحجر

رقم الآية	الجزء والصفحة
١	٦/ ٤٧١
٦	٩/ ٤٠٩
٩	١٠/ ١١٩
٢٦	٩/ ١٢٠
٢٩	٣/ ٣٦٤
٣٠	٧/ ٩٥
٤٤	٥/ ٨٨، ٨/ ٦٤
٧٣	٣/ ٤١٥، ٤٢٥
٨٥	٥/ ٧، ٩/ ٥٤١
٩٢	٩/ ١٣٢
٩٤	٥/ ٧، ٧/ ٢٢١
٣٩	٧/ ٢٩٠

سورة النحل

رقم الآية	الجزء والصفحة
١	١/ ٢٨، ٣/ ١٨٢
٢	١٠/ ٢١٥
٥	٣/ ١٠
٧	٨/ ١١٩
٨	٣/ ١٠
٩	١٠/ ١٨٢
١٠	٢/ ٢٨
١٥	٩/ ٥٠٢
١٨	١/ ١٠٥
٢٦	٦/ ٣٤٥
٢٨	٧/ ١٤٦
٣٠	٢/ ٨٧
٣٨	٤/ ٥٣٢، ٩/ ١٧٣
٤١	١/ ١٤١
٤٣	٥/ ٩٩
٤٨	٦/ ٣٦٤
٥٣	٣/ ٢٢٨
٥٨	٢/ ١٤٥
٦٢	٣/ ٣٢٢، ٤/ ٢٤١
٦٦	٦/ ١٨٥، ٨/ ١٧٨، ٢٢٦
٧٢	٢/ ٢٦٥

رقم الآية	الجزء والصفحة
٧٧	٣/ ٣٥٠، ٩/ ١٠٤
٨١	٥/ ٦٧
٨٤	٦/ ٦١١
٩٥	٥/ ٦٣
٩٨	٣/ ٣٠
١٠١	١/ ٢١٦
١٠٣	٦/ ٣٢٨، ٨/ ٢٧٧، ٩/ ١١٠، ٩/ ٥٦٢
١٠٨	٥/ ٢١٩
١١٠	٧/ ٨
١١٢	٣/ ٣٧٤
١٢٠	٣/ ٣٨٣
١٢٦	٥/ ٦٣، ٦/ ١٥١، ٧/ ٢٨٥

سورة الإسراء

رقم الآية	الجزء والصفحة
١	٣/ ٤٥٠
٤	٤/ ١٩٢
١١	٤/ ١٥٨، ٥/ ٣٣٦، ٨/ ١٩٥
١٨	٧/ ٤١١، ٨/ ١٩٠
٢٣	٢/ ١٥
٢٩	٣/ ١١٧
٣٣	١/ ٣١١
٣٦	١٠/ ٢٤٨
٤٤	٣/ ٢٢٦، ٦/ ١٠٦، ٨/ ٤٩٦، ٩/ ١١٢
٤٥	١/ ٢٣٥، ٣/ ٢١٥، ٥/ ٤١٤، ٨/ ١٢٧
٤٧	٢/ ٤٢٨
٥٣	١/ ٢٣٥
٥٧	٥/ ٢١٧
٦٢	٧/ ٢٩٠
٦٤	٣/ ٣٧٦
٧١	٨/ ٢٣١
٧٢	٦/ ١٣٩
٧٣	٥/ ١٧١
٨٠	٥/ ١٧١
٨١	٧/ ٣١١
٨٥	٥/ ٢٦٢، ٤١٩، ٧/ ١٢٨، ٥٣٧
٩٠	١/ ٢٢١، ٣/ ٢٩٤
٩٠_٩٣	٦/ ٤٦٢
٩٠	٤/ ١٦٥، ٧/ ٤٣
٩٧	٣/ ٣٩٠

رقم الآية	الجزء والصفحة
٩٧	٧/ ٣٤٩
١٠١	٦/ ٤٨١
١١٠	١/ ٩

سورة الكهف

رقم الآية	الجزء والصفحة
٦	٦/ ٤٠٠
٧	٢/ ٢٦
٩	٥/ ٢٦٢
١١	٤/ ٣١١
١٢	٣/ ٣١٧، ٩/ ٣٩٢
٢٢	٤/ ١٢٦
٢٤	١٠/ ١٢٣
٢٦	٨/ ٣٥٩
٢٨	٥/ ٢٩١
٢٩	٣/ ٣١٦، ٥/ ٢٨٣، ٨/ ٢٠، ٩/ ٦٢٠، ١٠/ ٢٥٩
٣٢	٧/ ٤٢٤
٣٧	١٠/ ٥٠
٤٠	٣/ ٢٧٨
٥٠	٣/ ٣٧٦
٥٧	٥/ ٢١٩
٥٩	٥/ ٣٦٠
٦٠	١٠/ ١٤
٦١	٩/ ١٢٣
٧٧	٤/ ٤٠٣
٧٩	٤/ ٦٨، ٧/ ٩٠
٨٠	٧/ ٣٤١، ١٠/ ٢٢٤
٨٣	٥/ ٢٦٢
١٠٩	٧/ ١٢٨

سورة مريم

رقم الآية	الجزء والصفحة
٥	٢/ ٦٠
١٥	٥/ ٤٥٤
٢٩	٢/ ١٥٠، ٦/ ٤٣٥
٣٠	٥/ ٤٦٠
٣٥	٤/ ٤٨٣
٣٩	٨/ ٤٩٥
٤٦	٤/ ١٢٨
٤٧	٤/ ١٢٨، ٨/ ٣٩٦
٥٩	٣/ ٣٦٧
٦٠	٥/ ٤٧٣
٦١	٥/ ٢١٩

رقم الآية	الجزء والصفحة
٦٩	٦/ ٥٣٥
٧٢	٥/ ٤٨٢
٩٠	٧/ ٢٥٥
٩٣	٨/ ٥٤٣

سورة طه

رقم الآية	الجزء والصفحة
٧	٩/ ١٩٦
١٧	١/ ١٧٨، ٩/ ٥٣٣
٢٩ـ٣٠	٥/ ٤٧٠
٣٩	٦/ ٥٥٠
٤٦	٨/ ٢٨٠
٤٧	٥/ ٥٣٢، ٦/ ٤٠٧
٦٠	٥/ ٥٤٥
٦١	٣/ ٩٠
٦٣	٣/ ١٢٧
٦٦	١/ ٢٠٧
٧٤	٩/ ٥٦٢، ١٠/ ٢٥٨
٧٧	٨/ ٢٨١
٨٢	٢/ ٤٠٦، ٥/ ٥٦٠، ٦/ ٣٨٧، ٨/ ١١، ٨/ ١٣٣
٩٩	٥/ ٥٧٥
١٠٢	٩/ ١٣٣
١١٥	١/ ٩٦، ٨/ ٣٦١
١٢٠	١/ ١٠٠، ١٠/ ٣١٨
١٢١	١/ ١٠٠
١٣٠	٨/ ٥٠٦
١٣٢	٤/ ٣٢١
١٣٤	٢/ ٤٧١

سورة الأنبياء

رقم الآية	الجزء والصفحة
١	٥/ ٦٤
٣	٦/ ٨
٣	٧/ ٣٠٠
٨	٧/ ٢٢٣
١٨	٧/ ٣١١، ١٠/ ٨٢
٢٢	٥/ ٩٩
٢٦	٨/ ٥٢٩
٢٨	٩/ ٥٥
٣٠	٦/ ٣٦٦
٣٣	١٠/ ٢٦
٣٥	١/ ١١٧
٤٨	١/ ١٢٢

رقم الآية	الجزء والصفحة
٤٩	١/ ٤٥
٥٧	٦/ ٤٣، ٧/ ٤٣٦
٦٣	٦/ ٤٣٣، ٧/ ٤٣٥
٨٧	٧/ ٤٥٧، ٩/ ٤٣٨
٩٦	٥/ ٤١٠
٩٧	٤/ ٥٣٠، ٥/ ١٨٢
٩٨	١/ ٧٥، ٥/ ٤٨١، ٨/ ٢٥١
٩٩	٥/ ٤٨٢
١٠٤	٤/ ٥٣٨، ٨/ ٥٩
١٠٦	٤/ ٥٤١
١٠٧	٨/ ١٦٠، ٢٧٣
١٠٩	٤/ ٢٠٩، ٦/ ١٩
١١١	٤/ ٥٣٣

سورة الحج

رقم الآية	الجزء والصفحة
٤	٣/ ٥٧٢
٥	٤/ ٢٥٥، ٦/ ٤٠٧، ٧/ ٢٢٣، ٨/ ١٦٥
١٤	٨/ ٣٧٨
١٨	٧/ ٢٥٤، ٩/ ١٩٤
١٩	٤/ ٤٢، ٥/ ٤٠٦، ٦/ ٥١٣
١٩ـ ٢٢	٦/ ٨٧
٣٠	٢/ ٨٠، ٦/ ١٢٨، ٨/ ٣٦١، ٩/ ٤٩٥
٣٢	٦/ ١٢٨
٣٨	٦/ ٨٧، ١١٥
٤٥	٤/ ٣٠٧، ٦/ ٣٥٨
٤٦	٥/ ٤١٤، ٦/ ٧٤
٤٧	٥/ ١٨٩، ٩/ ٤٧٦
٥٢	١/ ١٦٩
٥٣ـ ٥٧	٦/ ٨٧
٧٨	٩/ ٢١٢

سورة المؤمنون

رقم الآية	الجزء والصفحة
١٢	١/ ٢٣٥، ٢/ ١٥
٢٣	٦/ ١٩٠
٣٥	١/ ١٨٧
٣٦	٧/ ٣١٥
٩٩	١/ ٢١٣
١٠٠	٧/ ١٠٠
١٠٧	١/ ٢٨٧
١٠٨	١/ ٢٨٧، ٩/ ٣٩٥

رقم الآية	الجزء والصفحة
١١٧	٩/ ٣٦٢

سورة النور

رقم الآية	الجزء والصفحة
١	٥/ ٤٣٨
٢	٢/ ٤٠٧، ٣/ ٨٤، ٤/ ٧٧
١١	٨/ ١٠٦
١٢	٨/ ٤٦٢
٢٢	٦/ ٢٤٩
٢٤	٥/ ٢١٤، ٩/ ٢٤٩، ١٠/ ٢٣٧
٢٧	٦/ ٣١٣
٢٨	٦/ ٢٦٣
٣١	٥/ ٥٠٦، ٦/ ٩٣
٣٢	٦/ ٢٣٤، ٢٧٥
٣٣	١/ ٥١٠، ٢/ ٤١٨
٣٦	٨/ ١٧٢
٣٧	٢/ ٨٧
٤٣	٤/ ٣٤٣
٥٥	٤/ ١٨٨
٥٨	٧/ ٦٩
٦١	٧/ ١٧١،٨/ ٤٨٦، ٩/ ٢٧٦
٦٣	١/ ٢١٤

سورة الفرقان

رقم الآية	الجزء والصفحة
١	٩/ ١٤٥
٥	٥/ ٨٢
٧	٦/ ٣٣٢، ٣٤٢
٨	٦/ ٣٣٢، ٣٣٦، ١٠/ ٣١٦
١٠	٦/ ٣٣٦
٧ـ٨	٤/ ٢٣٣
٢٤	٣/ ٤٦٠، ٤/ ٣٣٢، ٦/ ٣٣٦، ٧/ ٧٨، ١٧٠، ٤٣٩
٢٥	٨/ ٥٢٧، ١٠/ ٩٩
٣٢	٦/ ٣٥٤
٣٤	٩/ ٤٠٤
٥٠	٦/ ٣٦٩
٥٣	٩/ ١٢٤
٥٩	٩/ ٣٧، ٩/ ٤٧٢
٦٠	١/ ٢١، ٤/ ٤٧٢، ٨/ ٢٣٩، ٩/ ١٠٩
٦٣	٨/ ٢٦٦
٦٦	٦/ ٣٩٣
٦٨ـ٧٠	٦/ ٣٢٥

رقم الآية	الجزء والصفحة
٧٠	٢/ ٤٠٥
٧٢	١٠/ ٤٩
٧٥	٦/ ٣٨٠

سورة الشعراء

رقم الآية	الجزء والصفحة
٥	٦/ ٤٥٩
١٦	٦/ ٤٢٠
١٧	٦/ ٤١٠، ٤١٦
٢٣	٦/ ٤١٠
٢٩	٦/ ٤١٣
٣٠_٣٢	٥/ ٥٣٤
٣٣	٥/ ٥٣٤
٣٦	٦/ ٤٢٣
٦٠	٤/ ٢٠٣،٦/ ٤٢٣
٦٢	٤/ ٢٠٤
٨٤	٧/ ٥٢٦
٨٩	٤/ ٥٦
٩٠	٨/ ٤٩٩
٩٥	٣/ ٣٧٦
١٠٠_١٠١	٦/ ٣١٥
١٠٥	٢/ ٢٤٠
١١١	٩/ ٤٩٨
١١٣	٣/ ٢٣٨
١١٩	١/ ٢٨٩
١٥٤	٣/ ٤١٣
١٨٤	٩/ ٢٧٧
١٨٧	٤/ ٤٤٧،٩/ ٤٧١
١٩٣	١/ ٢٠٠
١٩٥	٣/ ٤٤٩، ٥/ ٤٢٨
١٩٩	٦/ ٤٦٢
٢١٠	١٠/ ٢٥
٢١٤	١٠/ ٢٩٥
٢٢٣	٥/ ٢٤٤، ٨/ ٥٠٣
٢٢٦	٦/ ٤٦٦،٤٦٨
٢٢٤_٢٢٧	٦/ ٣٩٩

سورة النمل

رقم الآية	الجزء والصفحة
٧	٦/ ٢٦٢
١٠	٦/ ٤١٥، ٥٧٧
١١	٦/ ٢٤٠
١٤	٥/ ٢٧٩
١٨	٣/ ٥٥٢

رقم الآية	الجزء والصفحة
٢٣	٤/ ٥٢٣، ٦/ ٣٢٧
٣٠	٥/ ٢٨٥
٣٤	٦/ ٥٠٧
٣٨	٦/ ٤٩٥
٤٨	٥/ ٥٣
٥٥	٣/ ٤١٧
٥٩	٤/ ٢٧٧، ٧/ ٤٣٠
٦٠	٥/ ٥١٠، ٦/ ٩٠
٧٢	٢/ ١٠١، ٣١٤، ٩/ ٥٨٧
٨٢	٢/ ١٦
٨٦	٦/ ٥٣٦
٨٧	٩/ ٥٥٦
٨٩	٦/ ٥٣٨

سورة القصص

٤	٥/ ١٨١، ٧/ ٥٣٨
٥	٣/ ٤٥٠
٧	٥/ ٥٢٩
٨	٤/ ٢٠٠، ١٠/ ٢٦٩
٢٠	٨/ ٩٠
٢٣	٥/ ٤٨٢

رقم الآية	الجزء والصفحة
٢٦	٤/ ٣٤٥
٢٩	٦/ ٤٧٦
٣٤	٦/ ٤٠٦
٣٨	٣/ ٤٣٣، ١٠/ ٣٧
٥٥	٨/ ٢٦٦
٥٢_٥٥	٦/ ٥٤٥
٥٧	١٠/ ٢٠٠
٦٠	٤/ ٢٩٨
٦١	٦/ ٥٩٧
٦٣	٦/ ٥٩٧
٦٦	٦/ ٥٩٩
٧٣	٧/ ٢٩٥
٧٦	٤/ ٢٣٢، ٧/ ٨٦
٧٧	١/ ١٧٥
٧٨	٨/ ٤٧، ٨/ ٤٨
٨١	٩/ ٥٧٧
٨٥	٣/ ٥٣٢، ٦/ ٥٤٥
٨٨	٣/ ٢٣٧، ٩/ ١٢٦

رقم الآية	الجزء والصفحة

سورة العنكبوت

رقم الآية	الجزء والصفحة
١	٩/ ٦٣
٨	٧/ ٧
١٠	٧/ ٧
١٢	٥/ ٥٢٧
١٣	٥/ ٨٢
١٤	٧/ ٣١
١٧	٦/ ١٧٨
٢٠	٧/ ٢٠
٢٢	٩/ ١٢٩
٢٥	١/ ٢٨٦،٨/ ٣٣٢
٢٦	٧/ ٤٣٩
٣٢	٤/ ٢٨٨
٤٨	٦/ ٣٢٩

سورة الروم

رقم الآية	الجزء والصفحة
١٧ـ١٨	٧/ ٥٧
١٨	٦/ ٦٠٢
٢٧	٧/ ٤٣٨، ٩/ ١٩٦
٣٥	١/ ٢٥٣
٣٩	٢/ ٢٥
٤٦	٣/ ٤٠٥، ٦/ ٣٦٧
٥١	٧/ ٩٥

سورة لقمان

رقم الآية	الجزء والصفحة
٤	٧/ ١٠٥
١٣	٣/ ٢٦٤
١٤	٨/ ٣٤٠
٢٧ـ٢٩	٧/ ١٠٥
٣٢	٣/ ٢٢٨
٣٤	٣/ ٢٤٤، ٥/ ١٢٩

سورة السجدة

رقم الآية	الجزء والصفحة
٥	٩/ ٤٧٦
٨	٦/ ١٧٥
١٠	٧/ ١٥٦
١١	٧/ ١٤٦، ٨/ ٤٢
١٣	٦/ ٥٣٢، ٧/ ٣٦٢
٣٠	١/ ٢١٧

سورة الأحزاب

رقم الآية	الجزء والصفحة
١	٤/ ٢٠٩
١٠	١/ ٣٧١، ٥/ ٥٥٤
١٨	٣/ ٣٣٣

رقم الآية	الجزء والصفحة
٣٥	١/ ٢٤٢، ٣/ ٣٤٧
٤٤	٣/ ٣١٠
٤٩	١/ ٤٠١
٥٣	٦/ ٣١٣
٥٦	٧/ ٢١٨
٥٩	٩/ ٥٤٦
٦٣	٥/ ٤٢٨
٦٦	٥/ ٥٥٤
٦٧	٩/ ٥٨٠
٦٩	٩/ ٣٠٤

سورة سبأ

رقم الآية	الجزء والصفحة
٦	٧/ ٢٦١
٩	٥/ ٢٧٠
١٢	٦/ ٥٧
١٣	٧/ ٥١٨
١٦	٧/ ٢٨٥
١٨	٧/ ٣٠٥
٢٠	٣/ ٣٦٨
٢٤	٨/ ٢٦١
٢٦	٧/ ٢٩٧
٤٠	٦/ ٢٢
٤١	٧/ ٣٣٤
٤٤	٧/ ١٤٠، ٣٦١
٤٦	٧/ ٦٣
٤٧	٨/ ١٩٣

سورة فاطر

رقم الآية	الجزء والصفحة
٨	٦/ ٤٠٠
١٠	٤/ ٥١٥، ٦/ ١٢٩
١٤	٤/ ٥١٣
٢٤	٣/ ٢٢٦
٢٧	١٠/ ٢٤١
٢٩ـ٣٠	٧/ ٣١٩
٣٤	٧/ ٢٦٢
٤٢	١/ ٨٢
٤٣	٩/ ٢٦

سورة يس

رقم الآية	الجزء والصفحة
٦	٦/ ٢٠٧
١٠	١/ ٣٠٥
٣٩	٤/ ٤٢٤
٤٠	٩/ ٥٧٧

رقم الآية	الجزء والصفحة
٥٠	١/ ٣١٨
٥٢	٣/ ٤٠٦
٧١	١/ ٢٦، ٣/ ١١٩، ٧/ ٥٣٨
٧٨	٥/ ٤٤٧، ٩/ ٥٧٥

سورة الصافات

رقم الآية	الجزء والصفحة
٦	٢/ ٢٦
١١	٩/ ١٢٠
٢٢	١٠/ ٦٣
٢٧	٦/ ٢٢٠
٣٦	٩/ ٤٠٩
٦٤	٥/ ٢٣٤
٦٥	٨/ ٤٨٣
٧٧	٤/ ٢٦٤
٨٩	٦/ ٤٣٣، ٧/ ٤٣٥
٩٩	٢/ ٨٩، ٧/ ١٤٢
١٠٣	٤/ ٣٤٦
١٠٥	٧/ ٤٤٨
١٠٨_١٠٩	٧/ ٥٢٦
١٠٩	٦/ ٤٩
١١٢	٧/ ٤٤٢،٤٤٣

رقم الآية	الجزء والصفحة
١٤٥	٩/ ٤٣٩
١٤٧	٦/ ٦٧
١٥٨	٣/ ٢٨٦، ٩/ ٥٢
١٦٤	٢/ ٣٤٦
١٧١	٣/ ٢٢٣
١٨٠_١٨٢	٧/ ٧٠
١٨١	٧/ ٤٥٥،٥٢٦

سورة ص

رقم الآية	الجزء والصفحة
٤	٨/ ٤٧٧
٥	٧/ ٤٠٨
٦	٢/ ٣٢٦، ٨/ ١٤٣
٧	٩/ ١١٠
١٦	٤/ ١٥٨،٩/ ٤٧١
١٧	٧/ ٥٠٧
٢٤	٧/ ١١٨
٢٩	١/ ٤
٣٠	٩/ ٣١٧
٤١	٦/ ٦٠
٤٢	٦/ ٦١
٧٥	٣/ ١١٩

رقم الآية	الجزء والصفحة
٨٣	٧/ ٢٩٠
٨٨	٩/ ٥٨٢

سورة الزمر

رقم الآية	الجزء والصفحة
٥	٣/ ٤٠١
٦	٣/ ٣٧٣، ٩/ ٢١٩
٨	٣/ ٢٢٨
١٠	٣/ ٣٤٧
١٦	٩/ ١٧٢
١٨	٨/ ٥٠٨
٢٠	٤/ ٥٣٦، ٦/ ٣٩٢
٢٣	٢/ ١٦، ٤/ ٣٢٩، ٥/ ٥٠، ٨/ ٣٠٥
٣٠	٥/ ٨١، ٧/ ٤٢٥
٣٦	٢/ ٢٣٦، ٨/ ٤٣
٤٢	٣/ ٢٤٥، ٥/ ٨٦، ٦/ ٣٦٧، ٧/ ١٤٦
٥٣	٦/ ٣٨٧
٧١	٧/ ٣٦٢
٧٣	٤/ ١٢٦، ٥/ ٣٢٥
٧٤	٧/ ٢٦١

سورة غافر

رقم الآية	الجزء والصفحة
٧	٨/ ١٧٤
٧_٩	٧/ ٢١٨
٨	٦/ ٣٣٧
١١	٨/ ٢٨٦
١٦	٦/ ١٤٩
١٨	١٠/ ٦٨
٢٦	٥/ ٥٤٣
٢٩	٢/ ٣٤٥، ٤/ ٣٠٦
٣٧	١٠/ ٢٩٧
٤٠	١/ ٣٦٨
٤٦	١٠/ ٣٧
٥١	٣/ ٢٢٣، ٧/ ٤٦٧
٥٦	٨/ ٧١
٥٧	٧/ ٤١٣
٦٠	١/ ٣٢٨
٧١_٧٢	٩/ ١٣٤

سورة فصلت

رقم الآية	الجزء والصفحة
٥	١/ ١٨٤، ٢/ ٤٦٢، ٨/ ٣٨٩
٩	١/ ٣٤٧
١٠	١/ ٣٤٧، ٢/ ٢٧٠

رقم الآية	الجزء والصفحة
١١	٣/ ٢٥٦، ٦/ ٣٣٤، ٧/ ٢٥٤، ٨/ ٤٩٦
١٢	١/ ٢٣٥
١٦	٩/ ٩٢
٢٥	٥/ ٤٨٩
٢٦	١/ ٤١، ٨/ ١٥٥
٢٩	٨/ ١٤٧
٣٠	١٠/ ١٥٨
٣٥	٦/ ٤٧٥
٤٨	٧/ ٦٣
٥٠	٨/ ٤٧٩

سورة الشورى

رقم الآية	الجزء والصفحة
١١	٧/ ٣٣٤
١٩	٢/ ٣٥٠
٢٣	٣/ ٢٩٨، ٧/ ٣٠٩، ٨/ ٢٤٣، ٢٦٣
٢٤	٩/ ٣٧٦
٢٧	٥/ ٢٠٨
٤٠	٥/ ١٦٧، ٧/ ٢٨٥، ٨/ ٤٧، ٩/ ٤٤٦
٤٩	٧/ ٥٠٧
٥٢	٨/ ٤٩٠، ١٠/ ١٩٠

سورة الزخرف

رقم الآية	الجزء والصفحة
٣	٥/ ٤٢٨
٩	٩/ ١٢٥
١٩	٦/ ٥٨٣، ٨/ ٢٢٠
٣١	٦/ ٦٠٠
٣٢	٧/ ٤٨٥
٤٥	٨/ ٢١٩
٤٩	٥/ ٥٠٦
٥١	١/ ٧٧
٦٠	١/ ١٣٠
٦٧	٥/ ٣٦٠، ٧/ ٢٣
٧٠	١٠/ ٦٣
٧١	٦/ ٣٣٧، ٨/ ٥٠١
٧٧	٣/ ٤٥٧
٨٤	٣/ ١٩٦
٨٩	١/ ٢١٧، ٩/ ٥٤١

سورة الدخان

رقم الآية	الجزء والصفحة
٣	١/ ٣٢٥، ٦/ ٣٢٦
١٤	٩/ ٢١، ٤٠٩

رقم الآية	الجزء والصفحة
٢٥ـ٢٨	٦/ ٥٤٨
٤٠	٩/ ٦١٥
٤٩	١/ ٥٩
٥٦	٢/ ٣٠٠، ٦/ ٤٣٢

سورة الجاثية

رقم الآية	الجزء والصفحة
١٣	٣/ ٤٠٢
١٦	١/ ٢٤
٢١	٣/ ٢٤٦
٢٣	٥/ ٢١٩
٢٩	٧/ ٨٥
٣٢	٨/ ٤٧٩

سورة الأحقاف

رقم الآية	الجزء والصفحة
٤	٩/ ٥٦١
٩	٨/ ٤٠٤، ٤١٢
١١	٣/ ٢٣٨
١٥	١/ ١٧٥، ٤١٤
٢٠	١٠/ ٢٤٩
٢٤	١/ ٢٧
٢٩	٣/ ٣١٤
٣٥	٦/ ٦٥

سورة محمد

رقم الآية	الجزء والصفحة
٤	٤/ ١٤
٧	٨/ ٤١٥
١٣	٨/ ٣٦٧
٢٤	١/ ٤، ٨/ ٥٠٣
٣٠	٢/ ١٦١
٣٥	٣/ ٥٩١
٣٨	٢/ ٢٤٦

سورة الفتح

رقم الآية	الجزء والصفحة
٢	٦/ ٤٣٤، ٨/ ٣٣٤
١٦	٤/ ٥٠٤
١٧	٦/ ٣١٢
١٨	٩/ ٤٦
٢٧	٢/ ٤١٨، ٤/ ٤٢٧، ٥/ ٢٣٣، ٧/ ٤٤٦
٢٩	٣/ ٤٧٣، ٤٧٧، ٧/ ٤٤، ٨/ ٣٧٨

سورة الحجرات

رقم الآية	الجزء والصفحة
٢	١/ ٢١٤
٢	٦/ ٣٢٠
١١	١/ ٣٥٠، ٧/ ٧٢

رقم الآية	الجزء والصفحة
١٣	٨/ ٤٤٥

سورة ق

رقم الآية	الجزء والصفحة
٢	٨/ ٤٧٧
٤	٨/ ٤٧٦
٥	٩/ ١٢٢
٦	٩/ ٦١٥
١٦	٣/ ٥٥٠
١٨	٨/ ٤٧٧
٢٢	٦/ ٢٨٦
٢٧	٨/ ٣٣٢
٣٠	٦/ ٣٣٤، ٧/ ٢٥٤
٣١	٥/ ٤٤٧

سورة الذاريات

رقم الآية	الجزء والصفحة
٣٣	٤/ ٢٩٥، ٢٩٦، ١٠/ ٢٦٥
٣٩	٥/ ٢٧٨
٥٦	٣/ ٤٩٨، ٦/ ٣٩٤، ٧/ ٨١
٥٧	٣/ ٢٠٧
٥٨	٩/ ٤١

سورة الطور

رقم الآية	الجزء والصفحة
٩	٩/ ٤٧٨
٢١	٩/ ٦٣
٣٠	٦/ ٢٩، ٨/ ٣٥، ٩/ ٤٠٧

سورة النجم

رقم الآية	الجزء والصفحة
١	٦/ ١٤٤، ١٠/ ١٢٢
٩	٧/ ٤٦٠
١٨	٩/ ٤٤
١٩ـ٢٠	٦/ ١٤٤
٢٦	٩/ ٥٢
٢٨	١/ ١١٣
٤٧	٥/ ٥٣٨

سورة القمر

رقم الآية	الجزء والصفحة
١	٥/ ٦٤
٧	١٠/ ٢٤٠
١٩	٨/ ١٣٨
٢٤	٩/ ١٠٢
٤٤	٧/ ٤١٧
٤٥	٩/ ٧٧
٤٦	٨/ ١٦٠، ١٨٤

رقم الآية	الجزء والصفحة
٤٨	٩/ ١٣٣

سورة الرحمن

رقم الآية	الجزء والصفحة
٥	٣/ ٢٧٨، ٤/ ٤٤، ٥/ ٣٤٧
١٠	٩/ ١١٧، ١٢٥
٢٢	٥/ ٣٦٨، ٨/ ٢٠٠
٢٧	٣/ ٢٣٧
٢٩	٩/ ١٠٩
٣١	٩/ ١١٧، ١٠/ ٢٢٦
٣٣	١/ ٢٣٢
٣٧	٩/ ٤٧٨
٤١	٤/ ٢٦٨
٤٦	٩/ ٦٠٠
٦٠	٤/ ١٥٤، ٧/ ٣٠٢
٦٢	٩/ ١٣٥
٧٠	٤/ ٩٩

سورة الواقعة

رقم الآية	الجزء والصفحة
٤	٩/ ١٥٠
٧	٧/ ٤١٦، ٩/ ١٥٠، ١٠/ ٦٣
٧_١٠	٧/ ٣٤٤
٢٦	٣/ ٣١٠
٣٩_٤٠	٩/ ١٤٩
٦٦	٦/ ٣٨٢
٨١	٩/ ١٤٩
٨٢	٩/ ١٤٩
٨٨	٧/ ٣٤٤
٩٠	٧/ ٣٤٤
٩٢	٧/ ٣٤٤

سورة الحديد

رقم الآية	الجزء والصفحة
١	٧/ ٦٩
٧	٧/ ٣٠٣
١٢	٩/ ٢٢٤
١٣	١/ ٥٩، ٢١٥، ٣/ ٣٩١، ٩/ ٥٨٣، ١٠/ ٩٦
١٦	٧/ ٣٠٠
٢٥	٥/ ٢٨١
٢٩	١/ ٢٨٣، ٣/ ٣٦٤، ٥/ ٥٦٤، ٩/ ١٨١، ٥٧٣

سورة المجادلة

رقم الآية	الجزء والصفحة
٧	١/ ٢٣٢
١٩	٢/ ٤٥٤

رقم الآية	الجزء والصفحة
٢١	٣/ ٢٢٣، ٤/ ٥٢
٢٢	٥/ ٣٣٦، ٩/ ٩

سورة الحشر

رقم الآية	الجزء والصفحة
٩	١/ ١٤١
١٤	٣/ ١٢٠، ٦/ ٤٢٤
٢١	١/ ١٦٣، ٧/ ٢٥٥
٢٤	٩/ ١٩٤

سورة الممتحنة

رقم الآية	الجزء والصفحة
٤	٥/ ٤٦١
٨	٨/ ٤٥٧

سورة الصف

رقم الآية	الجزء والصفحة
٥	٢/ ١٨
٦	٣/ ٥٠
١١	١/ ١٧٤
١٢	١/ ١٧٤
١٤	٩/ ١٩٦، ٢٣٢

سورة الجمعة

رقم الآية	الجزء والصفحة
٥	١/ ١٤٩
١١	١/ ١٠٣، ٤/ ٤٢، ٦/ ٢٨٥

سورة المنافقون

رقم الآية	الجزء والصفحة
٦	٤/ ٩١
٨	٤/ ٨٦
١٠	١/ ٢٣٦

سورة التغابن

رقم الآية	الجزء والصفحة
٢	٣/ ٣٧٧
١٥	٣/ ٥٥١
١٦	٢/ ١٣٩، ٦/ ١٦٢

سورة الطلاق

رقم الآية	الجزء والصفحة
١	٢/ ٣٠٨، ٤/ ٢٠٩، ٧/ ٨١، ٨/ ٢٨٧
٣	١/ ٢٧
٤	١/ ٤٠١
٧	٤/ ٤٦٩، ٦/ ٦٥، ٧/ ٣٠٣

سورة التحريم

رقم الآية	الجزء والصفحة
٤	٣/ ٨٣، ٨/ ٤٨٦، ٩/ ٥٧
٥	٤/ ١٢٦، ٥/ ٣٢٥
٦	٩/ ٥٦٤
١٠	٤/ ٢٥٩
١١	٥/ ٢٥٧

رقم الآية	الجزء والصفحة
١٢	٩/ ٣٨٤

سورة الملك

رقم الآية	الجزء والصفحة
٣	٤/ ٣٧٧، ٨/ ٤٨٠
٤	٦/ ٥٠٧
١٦	٣/ ١٩٦

سورة القلم

رقم الآية	الجزء والصفحة
٥	٩/ ٤١٣
٩	٤/ ٣١٧
١٠	١/ ٣٩٦
١٣	٩/ ٥٥٧، ١٠/ ٣٩
٢٨	١/ ٢٦٥
٤٠	٩/ ٣٩٢
٤٢	٩/ ٦٢٣
٤٤	٨/ ٥٤٢
٤٨	٤/ ٤١٢، ٥/ ١٠٨، ٦/ ٦٥، ٨/ ٣٦١
٥١	٤/ ٣٩٧

سورة الحاقة

رقم الآية	الجزء والصفحة
٥	٣/ ٤١٥، ١٠/ ١٧٥
٧	٦/ ١٩٣

رقم الآية	الجزء والصفحة
١١	٨/ ٢٠٢
١٤	٥/ ٤١٠، ١٠/ ٢٨
١٩	٧/ ٤٩٠
٢١	٣/ ١٧٧، ٤/ ٢٦٠
٢٧	٣/ ٤٥٧
٤٤ـ٤٥	٨/ ٧٣
٤٦	٨/ ١٩٥
٤٧	١/ ٢١٠، ٥/ ٣٢١، ١٠/ ٣٠٦

سورة المعارج

رقم الآية	الجزء والصفحة
١	١/ ٣٦٦، ٦/ ٣٧٦
٤	٧/ ١٤٣
٥	٥/ ٤٩

سورة نوح

رقم الآية	الجزء والصفحة
١٣	٨/ ٤١٥
١٦	٦/ ٣٧٨
١٧	٤/ ٢٧١، ٥/ ٢١٧، ٦/ ٤٠٣، ٧/ ٣٢٧، ٨/ ٤٨١، ٩/ ١٦٥، ٣٩٨، ٥٤٠
٢٢	٤/ ٥٣٤
٢٦	٤/ ٢٥١، ٢٦٣، ٦/ ٥٢

رقم الآية	الجزء والصفحة
سورة الجن	
٨	٣/ ٢٠١
٨ـ٩	٧/ ٢٦٢
١١	٩/ ٢٨٥
١٥	١/ ٥١٣
٢٥	٤/ ٥٣٣
٢٦ـ٢٧	٢/ ٢٤٢
سورة المزمل	
٤	٦/ ٣٥٤، ٩/ ٥٣٣، ٥٨١
٥	١/ ٤٢، ٨/ ١٧٣
١٠	٥/ ٤٩
١٤	١٠/ ٢٨
٢٠	١/ ٣٩٣، ٩/ ٥٣٣
سورة المدثر	
٦	٧/ ٨٨
٩ـ١٠	٩/ ٨٣
١١	٣/ ٢٥٣
١٧	٩/ ٥٢١
٢٤ـ٢٥	٩/ ٥٥٢
٣٥ـ٣٦	٩/ ٤٨١

رقم الآية	الجزء والصفحة
٤٢	٥/ ٥٣٧، ٦/ ١٨٨
سورة القيامة	
١	٥/ ٤٨٨
٩	١٠/ ٦٠
٢٩	٩/ ٤٣٦
٢٢ـ٢٣	١/ ٣، ٣/ ٢٨٨، ٢/ ٨٧
سورة الإنسان	
٦	٨/ ١٣
١١	٤/ ٢٣٢
٢١	٥/ ٣٣٩
سورة المرسلات	
٣	٣/ ٤٠٥، ٦/ ٣٦٧
٣٣	١/ ١٥٦
سورة النبأ	
١ـ٣	٨/ ٥١٨
٦ـ٧	٧/ ١١٩
١٤	٤/ ٣٨٣
٤٠	٢/ ٣٣٥، ٧/ ٣٦٢
سورة النازعات	
٥	٧/ ١٤١

رقم الآية	الجزء والصفحة
٦	٧/ ٢٤٥
١٧	٥/ ٥٣٣
٢٤	٣/ ٦،٤٤٠/ ٥٧٩،٤١٦،١٠/ ٣٧
١٣_١٤	٥/ ٤١٣
٣٠	٥/ ١٩، ٦/ ٨١، ٨/ ١٣٢
٣٧_٤١	٧/ ٤٦٦
٤٢	٩/ ١٥٠

سورة عبس

رقم الآية	الجزء والصفحة
٢٦	١٠/ ١٢٦

سورة التكوير

رقم الآية	الجزء والصفحة
١	٩/ ٥٧٧
٨	٥/ ٢١٢

سورة الانفطار

رقم الآية	الجزء والصفحة
١	٣/ ٥٠٥
٢	١٠/ ٦٠
٣	٦/ ٣٧١

سورة المطففين

رقم الآية	الجزء والصفحة
٩	٥/ ٣٠٠
١٥	١/ ٣

سورة الانشقاق

رقم الآية	الجزء والصفحة
١	٣/ ٥٠٥، ٦/ ٣٤٧، ٩/ ٧٨
٢	٨/ ١٦١
٧_٨	١٠/ ١٠٢

سورة البروج

رقم الآية	الجزء والصفحة
٣	٤/ ٣٠٨

سورة الطارق

رقم الآية	الجزء والصفحة
٦	٣/ ١٧٧، ٤/ ٢٦٠
٩	٩/ ٤٣٤، ١٠/ ٢٣٨
١٧	٩/ ٦١٨

سورة الأعلى

رقم الآية	الجزء والصفحة
١٨	٦/ ٤٦٠، ٨/ ٢٩

سورة الغاشية

رقم الآية	الجزء والصفحة
٢٢	٥/ ١٦٧
٢٣_٢٤	٦/ ٢٤٠

سورة الفجر

رقم الآية	الجزء والصفحة
١٤	٤/ ٢٦٩، ٥/ ٣١، ٧٢
١٩	٤/ ٣١٦
٢١	٥/ ٤١٠
٢٣	٨/ ٣٨٣

رقم الآية	الجزء والصفحة
سورة البلد	
٦	١٠/ ٣٤
١٤_١٥	١٠/ ٩٤
١٦	٤/ ٦٨
١٧	٨/ ١١، ١٣٣
سورة الشمس	
٩	١٠/ ١١١
سورة الضحى	
٣	٥/ ٢٩٩، ٧/ ٣٩٨
٥	٥/ ٥٨٥
٦	٩/ ٤١
١٠	٥/ ٢٠٢
سورة الشرح	
١	٣/ ٣٥٦
٤	٢/ ٨٩
٦	٩/ ٣٦٢
سورة التين	
٤	١٠/ ٧٦
سورة العلق	
١٥	٤/ ٢٦٨، ٣٦٨، ٩/ ١٣٣

رقم الآية	الجزء والصفحة
١٨	٨/ ١٩٥، ٩/ ٣٧٦
سورة القدر	
١	١/ ٣٢٥، ٤٢٤، ٨/ ٢١٩، ٢٧٠
سورة الزلزلة	
١_٢	١٠/ ١٠٠
٢	٥/ ٦٩
سورة العاديات	
١	٧/ ٤٠٨
سورة القارعة	
٤	١/ ٢٩٠،٦/ ٣٥٦
سورة العصر	
٢	٧/ ٢٢٣
سورة قريش	
٤	٦/ ٣٢١
سورة الكافرون	
١	٢/ ٣٣٧
٦	١/ ٢١٧،٣/ ٣٤٩

* * *

فهرس الآيات

التي ذكرت فيها وجوه القراءات المتواترة

الآية	اسم السورة، وما اختُلف في قراءته منها	ج/ ص
	سورة الفاتحة	
٤	﴿مَٰلِكِ﴾	١/ ٢٥
٦	﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾	١/ ٣٢
٧	﴿صِرَٰطَ﴾	١/ ٣٢
	سورة البقرة	
٩	﴿يَخۡدَعُونَ﴾	١/ ٥٢
١٠	﴿يَكۡذِبُونَ﴾	١/ ٥٥
٣٦	﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾	١/ ١٠٠
٣٧	﴿ءَادَمُ﴾	١/ ١٠٢
٣٧	﴿كَلِمَٰتٖ﴾	١/ ١٠٢
٥١	﴿وَٰعَدۡنَا﴾	١/ ١٢٠
٦١	﴿ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾	١/ ١٤٢
٦٢	﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾	١/ ١٤٥
٦٧	﴿هُزُوٗا﴾	١/ ١٥٢
٧٤	﴿تَعۡمَلُونَ﴾	١/ ١٦٤
٨٣	﴿تَعۡبُدُونَ﴾	١/ ١٧٤
٨٦	﴿تَعۡمَلُونَ﴾	١/ ١٨١
٨٨	﴿غُلۡفُۢ﴾	١/ ١٨٤
٩٨	﴿وَجِبۡرِيلَ﴾	١/ ١٩٩
٩٨	﴿وَمِيكَىٰلَ﴾	١/ ١٩٩
١٠٦	﴿نَنسَخۡ﴾	١/ ٢١٩
١٠٦	﴿نُنسِهَا﴾	١/ ٢١٩
١١٦	﴿وَقَالُواْ﴾	١/ ٢٣٤
١١٧	﴿فَيَكُونُ﴾	١/ ٢٣٥
١١٩	﴿وَلَا تُسۡـَٔلُ﴾	١/ ٢٣٧
١٢٤	﴿إِبۡرَٰهِـۧمَ﴾	١/ ٢٤٠

الآية	اسم السورة، وما اختُلف في قراءته منها	ج/ ص
١٢٥	﴿وَٱتَّخِذُواْ﴾	١/ ٢٤٥
١٢٦	﴿فَأُمَتِّعُهُۥ﴾	١/ ٢٤٨
١٣٢	﴿وَوَصَّىٰ﴾	١/ ٢٥٤
١٤٨	﴿مُوَلِّيهَا﴾	١/ ٢٧٢
١٦٥	﴿يَرَى﴾	١/ ٢٩٢
١٦٥	﴿يَرَوْنَ﴾	١/ ٢٩٢
١٦٥	﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ﴾	١/ ٢٩٤
١٨٢	﴿مُّوصٍ﴾	١/ ٣١٨
١٨٤	﴿فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾	١/ ٣٢٣
١٩١	﴿تُقَٰتِلُوهُمْ﴾	١/ ٣٣٩
٢٠٨	﴿ٱلسِّلْمِ﴾	١/ ٣٦٣
٢١٠	﴿تُرْجَعُ﴾	١/ ٣٦٥
٢١٣	﴿لِيَحْكُمَ﴾	١/ ٣٦٩
٢١٤	﴿إِنَّ نَصْرَ﴾	١/ ٣٧٣
٢٢٢	﴿يَطْهُرْنَ﴾	١/ ٣٩١
٢٢٣	﴿تُضَآرَّ﴾	١/ ٤١٥
٢٣٣	﴿ءَاتَيْتُم﴾	١/ ٤١٧
٢٣٦	﴿تَمَسُّوهُنَّ﴾	١/ ٤٢٢
٢٣٦	﴿قَدَرُهُۥ﴾	١/ ٤٢٤
٢٤٠	﴿وَصِيَّةً﴾	١/ ٤٢٩
٢٤٥	﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ﴾	١/ ٤٣٥
٢٤٩	﴿غُرْفَةًۢ﴾	١/ ٤٤٤
٢٥٩	﴿يَتَسَنَّهْ﴾	١/ ٤٦٧
٢٥٩	﴿نُنشِزُهَا﴾	١/ ٤٦٩
٢٥٩	﴿أَعْلَمُ﴾	١/ ٥٢، ٤٦٩
٢٦٠	﴿فَصُرْهُنَّ﴾	١/ ٤٧٣
٢٧٩	﴿فَأْذَنُواْ﴾	١/ ٥٠٢
٢٨٢	﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ﴾	١/ ٥١٢

سورة آل عمران

الآية	اسم السورة، وما اختُلف في قراءته منها	ج/ ص
١٣	﴿يَرَوْنَهُم﴾	٢/ ٢٤
١٨	﴿إِنَّ ٱلدِّينَ﴾	٢/ ٣٤
٢٨	﴿تُقَىٰةً﴾	٢/ ٤٧
٣٦	﴿وَضَعَتْ﴾	٢/ ٥٤
٣٧	﴿زَكَرِيَّا﴾	٢/ ٥٧
٣٩	﴿أَنَّ ٱللَّهَ﴾	٢/ ٦١

الآية	اسم السورة، وما اختُلف في قراءته منها	ج/ ص
٣٩	﴿يُبَشِّرُكَ﴾	٢/ ٦١
٧٩	﴿تُعَلِّمُونَ﴾	٢/ ١١٢
٨٠	﴿يَأْمُرَكُمْ﴾	٢/ ١١٣
٨١	﴿لَمَآ﴾	٢/ ١١٦
٨٣	﴿يَبْغُونَ﴾	٢/ ١١٧
٨٣	﴿يُرْجَعُونَ﴾	٢/ ١١٩
٩٧	﴿حِجُّ﴾	٢/ ١٣٥
١١٥	﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ﴾	٢/ ١٥٧
١٢٠	﴿يَضُرُّكُمْ﴾	٢/ ١٦٥
١٤٠	﴿قَرْحٌ﴾	٢/ ١٨٦
١٤٦	﴿وَكَأَيِّن﴾	٢/ ١٩٧
١٤٦	﴿قَاتَلَ﴾	٢/ ١٩٨
١٥٤	﴿يَغْشَىٰ﴾	٢/ ٢٠٩
١٦١	﴿يَغُلَّ﴾	٢/ ٢٢١
١٧١	﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ﴾	٢/ ٢٣٣
١٧٨	﴿يَحْسَبَنَّ﴾	٢/ ٢٣٩
١٨٠	﴿يَحْسَبَنَّ﴾	٢/ ٢٤٣

سورة النساء

الآية	اسم السورة، وما اختُلف في قراءته منها	ج/ ص
١	﴿وَٱلْأَرْحَامَ﴾	٢/ ٢٦٦
٥	﴿قِيَمًا﴾	٢/ ٢٧٣
٢٥	﴿أُحْصِنَّ﴾	٢/ ٣١٢
٢٩	﴿تِجَٰرَةً﴾	٢/ ٣١٦
٣٣	﴿عَقَدَتْ﴾	٢/ ٣٢٣
٤٠	﴿حَسَنَةً﴾	٢/ ٣٣٤
٤٢	﴿تُسَوَّىٰ﴾	٢/ ٣٣٥
٨١	﴿طَآئِفَةٌ﴾	٢/ ٣٨٥
١٣٥	﴿تَلْوُۥٓا﴾	٢/ ٤٤٩

سورة المائدة

الآية	اسم السورة، وما اختُلف في قراءته منها	ج/ ص
٢	﴿شَنَـَٔانُ﴾	٣/ ١٦
٢	﴿صَدُّوكُمْ﴾	٣/ ١٧
٦	﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾	٣/ ٣٣
١٣	﴿قَٰسِيَةً﴾	٣/ ٤٥
٤٥	﴿أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾	٣/ ٩٥

الآية	اسم السورة، وما اختُلف في قراءته منها	ج/ ص
٥٣	﴿وَيَقُولُ﴾	٣/ ١٠٥
٥٧	﴿وَٱلْكُفَّارَ﴾	٣/ ١١٠
٦٠	﴿وَعَبَدَ﴾	٣/ ١١٤
٩٥	﴿فَجَزَآءٌ مِّثْلُ﴾	٣/ ١٤٩
٩٧	﴿قِيَـٰمًا﴾	٣/ ١٥٢
١٥٠	﴿يَضُرُّكُم﴾	٣/ ١٦٣
١٠٧	﴿ٱسْتَحَقَّ﴾	٣/ ١٧٠
١٠٧	﴿ٱلْأَوْلَيَـٰنِ﴾	٣/ ١٧١
١١٢	﴿يَسْتَطِيعُ﴾	٣/ ١٧٦
١٩١	﴿يَنفَعُ﴾	٣/ ١٨٨

سورة الأنعام

الآية	اسم السورة، وما اختُلف في قراءته منها	ج/ ص
٢٧	﴿وَنَكُونَ﴾	٣/ ٢١٧
٥٢	﴿بِٱلْغَدَوٰةِ﴾	٣/ ٢٣٧
٥٤	﴿أَنَّهُۥ﴾	٣/ ٢٤٠
٥٤	﴿فَأَنَّهُۥ﴾	٣/ ٢٤٠
٩٤	﴿بَيْنَكُمْ﴾	٣/ ٢٧٥
٩٦	﴿وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ﴾	٣/ ٢٧٧
٩٨	﴿فَمُسْتَقَرٌّ﴾	٣/ ٢٨٠
١٠٥	﴿وَلِيَقُولُوا۟﴾	٣/ ٢٩٠
١٠٨	﴿حَرَجًا﴾	٣/ ٣٠٩
١٣٧	﴿زَيَّنَ﴾	٣/ ٣١٩
١٣٧	﴿قَتْلَ﴾	٣/ ٣١٩
١٣٧	﴿أَوْلَـٰدِهِمْ﴾	٣/ ٣١٩
١٣٧	﴿شُرَكَآؤُهُمْ﴾	٣/ ٣١٩
١٤٣	﴿ٱلْمَعْزِ﴾	٣/ ٣٢٧
١٥٩	﴿فَرَّقُوا۟﴾	٣/ ٣٤٥

سورة الأعراف

الآية	اسم السورة، وما اختُلف في قراءته منها	ج/ ص
٢٦	﴿وَلِبَاسُ﴾	٣/ ٣٧٥
٣٢	﴿خَالِصَةً﴾	٣/ ٣٨١
٣٨	﴿تَعْلَمُونَ﴾	٣/ ٣٨٦
٤٤	﴿نَعَمْ﴾	٣/ ٣٩٠
٤٤	﴿أَن لَّعْنَةُ﴾	٣/ ٣٩٠
٥٧	﴿نُشْرًا﴾	٣/ ٤٠٥
١٠٥	﴿عَلَىٰٓ﴾	٣/ ٤٣٢
١١١	﴿أَرْجِهْ﴾	٣/ ٤٣٥
١٤٣	﴿دَكًّا﴾	٣/ ٤٥٥

الآية	اسم السورة، وما اختُلف في قراءته منها	ج/ ص
١٤٩	﴿يَرْحَمْنَا رَبُّنَا﴾	٣/ ٤٦٤
١٦٤	﴿مَعْذِرَةً﴾	٣/ ٤٨٣
١٩٠	﴿شُرَكَآءَ﴾	٣/ ٥١٢
٢٠١	﴿طَٰٓئِفٌ﴾	٣/ ٥١٨
٢٠٢	﴿يَمُدُّونَهُمْ﴾	٣/ ٥١٩

سورة الأنفال

الآية	اسم السورة، وما اختُلف في قراءته منها	ج/ ص
٩	﴿مُرْدِفِينَ﴾	٣/ ٥٣٦
١٠	﴿يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ﴾	٣/ ٥٣٧
١٨	﴿مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾	١/ ٢٧
٥٠	﴿يَضْرِبُونَ﴾	٣/ ٥٨٢
٥٩	﴿يَحْسَبَنَّ﴾	٣/ ٥٨٧
٦٦	﴿ضَعْفًا﴾	٣/ ٥٩٥

سورة التوبة

الآية	اسم السورة، وما اختُلف في قراءته منها	ج/ ص
٣٠	﴿عُزَيْرٌ﴾	٤/ ٣٦
٣٠	﴿يُضَٰهِـُٔونَ﴾	٤/ ٣٧
٣٧	﴿يُضَلُّ﴾	٤/ ٤٧
٦١	﴿وَرَحْمَةٌ﴾	٤/ ٧٢
٩٠	﴿ٱلْمُعَذِّرُونَ﴾	٤/ ١٠٠
٩٨	﴿ٱلسَّوْءِ﴾	٤/ ١٠٧
١٠٠	﴿وَٱلْأَنصَارِ﴾	٤/ ١٠٨
١٠٠	﴿تَحْتَهَا﴾	٤/ ١٠٩
١٠٦	﴿مُرْجَوْنَ﴾	٤/ ١١٥
١٠٧	﴿وَٱلَّذِينَ﴾	٤/ ١١٧
١١٧	﴿يَزِيغُ﴾	٤/ ١٣٤
١٢٦	﴿يَرَوْنَ﴾	٤/ ١٤٣

سورة يونس

الآية	اسم السورة، وما اختُلف في قراءته منها	ج/ ص
٢	﴿لَسَٰحِرٌ﴾	٤/ ١٥١
٤	﴿إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟﴾	٤/ ١٥٣
٥	﴿يُفَصِّلُ﴾	٤/ ١٥٦
٢٣	﴿مَّتَٰعَ﴾	٤/ ١٦٧
٢٧	﴿قِطَعًا﴾	٤/ ١٧١
٣٠	﴿تَبْلُوا۟﴾	٤/ ١٧٢
٦١	﴿وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ﴾	٤/ ١٨٦
٧١	﴿وَشُرَكَآءَكُمْ﴾	٤/ ١٩٢
٨١	﴿ٱلسِّحْرُ﴾	٤/ ١٩٦

الآية	اسم السورة، وما اختُلف في قراءته منها	ج/ ص
٨٨	﴿لِيُضِلُّواْ﴾	٤/ ٢٠٠
٨٩	﴿وَلَا تَتَّبِعَآنِّ﴾	٤/ ٢٠٣
٩٠	﴿أَنَّهُۥ لَآ﴾	٤/ ٢٠٥

سورة هود

الآية	اسم السورة، وما اختُلف في قراءته منها	ج/ ص
٣	﴿تَوَلَّوۡاْ﴾	٤/ ٢٢٦
٧	﴿سِحۡرٞ﴾	٤/ ٢٣٠
٢٥	﴿إِنِّي لَكُمۡ﴾	٤/ ٢٤٤
٢٧	﴿بَادِيَ﴾	٤/ ٢٤٦
٢٨	﴿فَعُمِّيَتۡ﴾	٤/ ٢٤٧
٤٠	﴿كُلٍّ﴾	٤/ ٢٥٥
٤١	﴿مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآ﴾	٤/ ٢٥٨
٤٦	﴿عَمَلٌ غَيۡرُ﴾	٤/ ٢٦٣
٦٩	﴿سَلَٰمٞ﴾	٤/ ٢٧٨
٧١	﴿يَعۡقُوبَ﴾	٤/ ٢٨٤
٨١	﴿ٱمۡرَأَتَكَ﴾	٤/ ٢٩٤
١١١	﴿وَإِنَّ كُلّٗا لَّمَّا﴾	٤/ ٣١٥

سورة يوسف

الآية	اسم السورة، وما اختُلف في قراءته منها	ج/ ص
٧	﴿ءَايَٰتٞ﴾	٤/ ٣٣٩
١١	﴿تَأۡمَ۬نَّا﴾	٤/ ٣٤١
١٢	﴿يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ﴾	٤/ ٣٤٢
١٩	﴿يَٰبُشۡرَىٰ﴾	٤/ ٣٥٠
٢٣	﴿هَيۡتَ﴾	٤/ ٣٥٦
٢٤	﴿ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾	٤/ ٣٦٠
٥٦	﴿يَتَبَوَّأُ﴾	٤/ ٣٨٩
٦٢	﴿لِفِتۡيَٰنِهِ﴾	٤/ ٣٩٢
٦٣	﴿نَكۡتَلۡ﴾	٤/ ٣٩٣
٦٤	﴿حَٰفِظٗا﴾	٤/ ٣٩٤
٨٠	﴿ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ﴾	٤/ ٤٠٧
٩٠	﴿أَءِنَّكَ لَأَنتَ﴾	٤/ ٤١٩
١٠٩	﴿تَعۡقِلُونَ﴾	٤/ ٤٣٤
١١٠	﴿كُذِبُواْ﴾	٤/ ٤٣٥

سورة الرعد

الآية	اسم السورة، وما اختُلف في قراءته منها	ج/ ص
٥	﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا﴾	٤/ ٤٤٦
٣٣	﴿وَصُدُّواْ﴾	٤/ ٤٨٠

سورة إبراهيم

الآية	اسم السورة، وما اختُلف في قراءته منها	ج/ ص
٢	﴿ٱللَّهِ ٱلَّذِي﴾	٤/ ٤٩٤

الآية	اسم السورة، وما اختُلف في قراءته منها	ج/ ص
١٩	﴿خَلَقَ﴾	٤/ ٥٠٩
٢٢	﴿بِمُصْرِخِيَّ﴾	٤/ ٥١٢
٣٠	﴿لِّيُضِلُّواْ﴾	٤/ ٥٢٠
٤٦	﴿لِتَزُولَ﴾	٤/ ٥٣٤

سورة الحجر

الآية	اسم السورة، وما اختُلف في قراءته منها	ج/ ص
٢	﴿رُّبَمَا﴾	٥/ ٩
١٥	﴿سُكِّرَتْ﴾	٥/ ١٦
٢٢	﴿ٱلرِّيَٰحَ﴾	٥/ ٢٤
٤٠	﴿ٱلْمُخْلَصِينَ﴾	٥/ ٣٠
٤١	﴿عَلَيَّ﴾	٥/ ٣١
٥٦	﴿يَقْنَطُ﴾	٥/ ٣٧

سورة النحل

الآية	اسم السورة، وما اختُلف في قراءته منها	ج/ ص
١	﴿يُشْرِكُونَ﴾	٥/ ٦٥
٢	﴿بِشِقِّ﴾	٥/ ٦٩
٢٧	﴿تُشَٰٓقُّونَ﴾	٥/ ٨٥
٣٧	﴿لَا يَهْدِى﴾	٥/ ٩٤
٦٢	﴿مُّفْرَطُونَ﴾	٥/ ١١٢
١٠٣	﴿يُلْحِدُونَ﴾	٥/ ١٥١

الآية	اسم السورة، وما اختُلف في قراءته منها	ج/ ص
١١٠	﴿فُتِنُواْ﴾	٥/ ١٥٥

سورة الإسراء

الآية	اسم السورة، وما اختُلف في قراءته منها	ج/ ص
٨١	﴿فَأَسْرِ﴾	٥/ ١٧٤
٢	﴿تَتَّخِذُواْ﴾	٥/ ١٧٩
٧	﴿لِيَسُـُٔواْ﴾	٥/ ١٨٥
١٣	﴿وَنُخْرِجُ﴾	٥/ ١٩٣
١٣	﴿يَلْقَىٰهُ﴾	٥/ ١٩٣
٢٣	﴿أُفٍّ﴾	٥/ ٢٠١
٣٣	﴿يُسْرِف﴾	٥/ ٢١١
٣٨	﴿سَيِّئُهُۥ﴾	٥/ ٢١٥
٤١	﴿لِيَذَّكَّرُواْ﴾	٥/ ٢١٧
٧٦	﴿خِلَٰفَكَ﴾	٥/ ٢٥٢
٩٠	﴿تَفْجُرَ﴾	٥/ ٢٦٩
٩٣	﴿قُلْ﴾	٥/ ٢٧١
١٠٢	﴿عَلِمْتَ﴾	٥/ ٢٧٩

سورة الكهف

الآية	اسم السورة، وما اختُلف في قراءته منها	ج/ ص
١٦	﴿مِرْفَقًا﴾	٥/ ٣١٤

الآية	اسم السورة، وما اختُلف في قراءته منها	ج/ ص
٢٥	﴿مِائَةٍ﴾	٥/ ٣٣٠
٢٦	﴿يُشْرِكُ﴾	٥/ ٣٣٢
٣٤	﴿ثَمَرٌ﴾	٥/ ٣٤٣
٣٦	﴿مِّنْهَا﴾	٥/ ٣٤٤
٤٤	﴿ٱلْوَلَٰيَةُ﴾	٥/ ٣٤٩
٤٤	﴿ٱلْحَقِّ﴾	٥/ ٣٥٠
٥٥	﴿قُبُلًا﴾	٥/ ٣٦٢
٥٩	﴿لِمَهْلِكِهِم﴾	٥/ ٣٦٤
٦٦	﴿رُشْدًا﴾	٥/ ٣٧٦
٧٧	﴿لَتَّخَذْتَ﴾	٥/ ٣٨٦
٨٥	﴿فَأَتْبَعَ﴾	٥/ ٣٩٨
٨٦	﴿حَمِئَةٍ﴾	٥/ ٣٩٩
٨٨	﴿جَزَآءً﴾	٥/ ٤٠١
٩٣	﴿ٱلسَّدَّيْنِ﴾	٥/ ٤٠٤
٩٣	﴿يَفْقَهُونَ﴾	٥/ ٤٠٥
٩٤	﴿يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾	٥/ ٤٠٦
٩٥	﴿مَكَّنِّي﴾	٥/ ٤٠٧
٩٦	﴿ءَاتُونِي﴾	٥/ ٤٠٨

الآية	اسم السورة، وما اختُلف في قراءته منها	ج/ ص
٩٦	﴿ٱلصَّدَفَيْنِ﴾	٥/ ٤٠٨
٩٧	﴿ٱسْطَٰعُوٓاْ﴾	٥/ ٤٠٩
٩٨	﴿دَكَّآءَ﴾	٥/ ٤١١

سورة مريم

الآية	اسم السورة، وما اختُلف في قراءته منها	ج/ ص
٦	﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ﴾	٥/ ٤٣٤
١٩	﴿لِأَهَبَ﴾	٥/ ٤٤٦
٢٣	﴿نَسْيًا﴾	٥/ ٤٥١
٢٤	﴿مِن تَحْتِهَآ﴾	٥/ ٤٥١
٢٥	﴿تُسَٰقِطْ﴾	٥/ ٤٥٤
٣٤	﴿قَوْلَ﴾	٥/ ٤٦١
٣٦	﴿وَإِنَّ﴾	٥/ ٤٦٢
٥١	﴿مُخْلَصًا﴾	٥/ ٤٦٩
٦٨	﴿يَذَّكَّرُ﴾	٥/ ٤٨٠
٧٤	﴿وَرِءْيًا﴾	٥/ ٤٨٤
٩٠	﴿يَنفَطِرْنَ﴾	٥/ ٤٩٢

سورة طه

الآية	اسم السورة، وما اختُلف في قراءته منها	ج/ ص
١	﴿طه﴾	٥/ ٥٠٥

الآية	اسم السورة، وما اختُلف في قراءته منها	ج/ ص
١٢	﴿إِنِّيٓ﴾	٥/ ٥١٢
١٢	﴿طُوًى﴾	٥/ ٥١٣
٣١	﴿ٱشْدُدْ﴾	٥/ ٥٢٥
٣٢	﴿وَأَشْرِكْهُ﴾	٥/ ٥٢٥
٥٣	﴿مَهْدًا﴾	٥/ ٥٣٧
٥٨	﴿سُوًى﴾	٥/ ٥٣٩
٦٤	﴿إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾	٥/ ٥٤٥
٦٦	﴿يُخَيَّلُ﴾	٥/ ٥٤٧
٦٩	﴿تَلْقَفْ﴾	٥/ ٥٤٨
٧٧	﴿تَخَٰفُ﴾	٥/ ٥٥٤
٨١	﴿فَيَحِلَّ﴾	٥/ ٥٥٦
٨١	﴿يَحْلِلْ﴾	٥/ ٥٥٦
٨٧	﴿بِمَلْكِنَا﴾	٥/ ٥٦١
٩٧	﴿تُخْلَفَهُۥ﴾	٥/ ٥٦٨
٩٧	﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾	٥/ ٥٦٩
١١٢	﴿يَخَافُ﴾	٥/ ٥٧٥
١١٩	﴿وَأَنَّكَ﴾	٥/ ٥٧٩

الآية	اسم السورة، وما اختُلف في قراءته منها	ج/ ص
	سورة الأنبياء	
٤	﴿قَالَ﴾	٦/ ١٠
٣٠	﴿يَرَ﴾	٦/ ٢٥
٤٧	﴿مِثْقَالَ﴾	٦/ ٣٩
٨٠	﴿لِتُحْصِنَكُم﴾	٦/ ٥٦
٨٧	﴿نَّقْدِرَ﴾	٦/ ٦٦
٨٨	﴿نُـجِي﴾	٦/ ٦٨
١٠٤	﴿لِلْكُتُبِ﴾	٦/ ٧٩
١٠٥	﴿ٱلزَّبُورِ﴾	٦/ ٨٠
١١٢	﴿قَٰلَ﴾	٦/ ٨٤
	سورة الحج	
٢	﴿سُكَٰرَىٰ﴾	٦/ ٩٠
٢٣	﴿وَلُؤْلُؤًا﴾	٦/ ١١٠
٢٥	﴿سَوَآءً﴾	٦/ ١١٢
٣٤	﴿مَنسَكًا﴾	٦/ ١٢٥
٣٩	﴿يُدَٰفِعُ﴾	٦/ ١٣٠
٣٩	﴿يُقَٰتَلُونَ﴾	٦/ ١٣١
٥٠	﴿مُعَٰجِزِينَ﴾	٦/ ١٤٢

الآية	اسم السورة، وما اختُلف في قراءته منها	ج/ ص
٥٩	﴿مُّدۡخَلٗا﴾	٦/ ١٥٠

سورة المؤمنون

الآية	اسم السورة، وما اختُلف في قراءته منها	ج/ ص
٢٠	﴿تَنۢبُتُ﴾	٦/ ١٨٣
٢١	﴿نُّسۡقِيكُم﴾	٦/ ١٨٥
٢٩	﴿أَنزِلۡنِي﴾	٦/ ١٨٨
٤٤	﴿تَتۡرَا﴾	٦/ ١٩٤
٥٢	﴿وَإِنَّ﴾	٦/ ١٩٨
٦٧	﴿تَهۡجُرُونَ﴾	٦/ ٢٠٦
٧٢	﴿خَرۡجٗا فَخَرَاجُ﴾	٦/ ٢٠٩
٨٩	﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾	٦/ ٢١٤
١٠٦	﴿شِقۡوَتُنَا﴾	٦/ ٢٢٢
١١١	﴿أَنَّهُمۡ﴾	٦/ ٢٢٤
١١٢	﴿قَٰلَ﴾	٦/ ٢٢٤

سورة النور

الآية	اسم السورة، وما اختُلف في قراءته منها	ج/ ص
١	﴿وَفَرَضۡنَٰهَا﴾	٦/ ٢٣٢
٢	﴿رَأۡفَةٞ﴾	٦/ ٢٣٣
٦	﴿أَرۡبَعُ﴾	٦/ ٢٤٣
٧	﴿أَنَّ لَعۡنَتَ ٱللَّهِ﴾	٦/ ٢٤٤
٩	﴿وَٱلۡخَٰمِسَةَ﴾	٦/ ٢٤٤
٩	﴿أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ﴾	٦/ ٢٤٤
١١	﴿كِبۡرَهُۥ﴾	٦/ ٢٥٠
٢٢	﴿يَأۡتَلِ﴾	٦/ ٢٥٧
٢٥	﴿ٱلۡحَقَّ﴾	٦/ ٢٥٩
٣٥	﴿دُرِّيّٞ﴾	٦/ ٢٧٩
٣٥	﴿يُوقَدُ﴾	٦/ ٢٧٩
٣٦	﴿يُسَبِّحُ﴾	٦/ ٢٨٤
٥٧	﴿تَحۡسَبَنَّ﴾	٦/ ٣٠٤

سورة الفرقان

الآية	اسم السورة، وما اختُلف في قراءته منها	ج/ ص
٨	﴿يَأۡكُلُ﴾	٦/ ٣٣٠
١٠	﴿وَيَجۡعَل﴾	٦/ ٣٣٢
١٨	﴿نَّتَّخِذَ﴾	٦/ ٣٣٩
١٩	﴿تَسۡتَطِيعُونَ﴾	٦/ ٣٤١
٢٥	﴿وَنُزِّلَ﴾	٦/ ٣٤٨
٤٨	﴿ٱلرِّيَٰحَ﴾	٦/ ٣٦٧
٤٨	﴿بُشۡرَۢا﴾	٦/ ٣٦٧
٦٠	﴿تَأۡمُرُنَا﴾	٦/ ٣٧٧

الآية	اسم السورة، وما اختُلف في قراءته منها	ج/ ص
٦١	﴿سِرَٰجًا﴾	٦/ ٣٧٨
٦٩	﴿يُضَٰعَفۡ﴾	٦/ ٣٨٦
٦٩	﴿وَيَخۡلُدۡ﴾	٦/ ٣٨٦
٧٥	﴿وَيُلَقَّوۡنَ﴾	٦/ ٣٩٣

سورة الشعراء

الآية	اسم السورة، وما اختُلف في قراءته منها	ج/ ص
٣٦	﴿أَرۡجِهۡ﴾	٦/ ٤١٦
٤٥	﴿تَلۡقَفُ﴾	٦/ ٤١٩
٥٦	﴿حَٰذِرُونَ﴾	٦/ ٤٢٤
١٣٧	﴿خُلُقُ﴾	٦/ ٤٤٧
١٤٩	﴿فَٰرِهِينَ﴾	٦/ ٤٥٠
١٧٦	﴿لۡـَٔيۡكَةِ﴾	٦/ ٤٥٥

سورة النمل

الآية	اسم السورة، وما اختُلف في قراءته منها	ج/ ص
٧	﴿قَبَسٍ﴾	٦/ ٤٧٧
٢٥	﴿أَلَّا يَسۡجُدُواْ﴾	٦/ ٤٩٦
٤٩	﴿لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ﴾	٦/ ٥١٦
٤٩	﴿مَهۡلِكَ﴾	٦/ ٥١٦
٥١	﴿أَنَّا دَمَّرۡنَٰهُمۡ﴾	٦/ ٥١٧
٦٦	﴿ٱدَّٰرَكَ﴾	٦/ ٥٢٤
٨٢	﴿أَنَّ ٱلنَّاسَ﴾	٦/ ٥٣٢
٩٣	﴿تَعۡمَلُونَ﴾	٦/ ٥٤٢

سورة القصص

الآية	اسم السورة، وما اختُلف في قراءته منها	ج/ ص
٦	﴿وَنُرِيَ فِرۡعَوۡنَ﴾	٦/ ٥٤٩
٨	﴿وَحَزَنًا﴾	٦/ ٥٥١
٢٣	﴿يُصۡدِرَ﴾	٦/ ٥٦٨
٣٢	﴿ٱلرَّهۡبِ﴾	٦/ ٥٧٨
٤٨	﴿سِحۡرَانِ﴾	٦/ ٥٨٩

سورة العنكبوت

الآية	اسم السورة، وما اختُلف في قراءته منها	ج/ ص
٢٠	﴿ٱلنَّشۡأَةَ﴾	٧/ ٢٠
٢٥	﴿مَّوَدَّةَ﴾	٧/ ٢٤
٥٥	﴿وَيَقُولُ﴾	٧/ ٤٥
٥٨	﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم﴾	٧/ ٤٧

سورة الروم

الآية	اسم السورة، وما اختُلف في قراءته منها	ج/ ص
١٠	﴿عَٰقِبَةَ﴾	٧/ ٦٥
٢	﴿لِّلۡعَٰلِمِينَ﴾	٧/ ٧٤

الآية	اسم السورة، وما اختلف في قراءته منها	ج/ ص

سورة لقمان

الآية	اسم السورة، وما اختلف في قراءته منها	ج/ ص
٣	﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾	٧/ ١٠٦
١٦	﴿مِثْقَالَ﴾	٧/ ١١٩
٢٠	﴿نِعَمَهُۥ﴾	٧/ ١٢٤
٢٧	﴿وَٱلْبَحْرُ﴾	٧/ ١٢٩
٣٠	﴿يَدْعُونَ﴾	٧/ ١٣٠

سورة السجدة

الآية	اسم السورة، وما اختلف في قراءته منها	ج/ ص
٧	﴿خَلَقَهُۥ﴾	٧/ ١٤٤
١٧	﴿أُخْفِىَ﴾	٧/ ١٥١
٢٤	﴿لَمَّا﴾	٧/ ١٥٦

سورة الأحزاب

الآية	اسم السورة، وما اختلف في قراءته منها	ج/ ص
٤	﴿ٱلَّٰٓـِٔى﴾	٧/ ١٦٨
٤	﴿تُظَٰهِرُونَ﴾	٧/ ١٦٩
٩	﴿تَعْمَلُونَ﴾	٧/ ١٧٦
١٤	﴿لَأَتَوْهَا﴾	٧/ ١٨١
٣٠	﴿يُضَٰعَفْ﴾	٧/ ١٩٧
٣٣	﴿وَقَرْنَ﴾	٧/ ١٩٩
٤٠	﴿وَخَاتَمَ﴾	٧/ ٢١٦
٥١	﴿تُرْجِى﴾	٧/ ٢٢٨

سورة سبأ

الآية	اسم السورة، وما اختلف في قراءته منها	ج/ ص
٣	﴿عَٰلِمِ﴾	٧/ ٢٦٣
٥	﴿مُعَٰجِزِينَ﴾	٧/ ٢٦٥
٥	﴿أَلِيمٌ﴾	٧/ ٢٦٥
١٢	﴿ٱلرِّيحَ﴾	٧/ ٢٧٢
١٤	﴿تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ﴾	٧/ ٢٧٩
١٤	﴿مِنسَأَتَهُۥ﴾	٧/ ٢٧٧
١٥	﴿لِسَبَإٍ﴾	٧/ ٢٨١
١٥	﴿مَسْكَنِهِمْ﴾	٧/ ٢٨٢
١٦	﴿ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ﴾	٧/ ٢٨٦
١٩	﴿رَبَّنَا بَٰعِدْ﴾	٧/ ٢٨٩
٢٠	﴿صَدَّقَ﴾	٧/ ٢٩٠
٢٣	﴿فُزِّعَ﴾	٧/ ٢٩٣
٥٢	﴿ٱلتَّنَاوُشُ﴾	٧/ ٣١٤

سورة فاطر

الآية	اسم السورة، وما اختلف في قراءته منها	ج/ ص
٣	﴿ٱللَّهِ﴾	٧/ ٣٢٢
٣٣	﴿وَلُؤْلُؤًا﴾	٧/ ٣٤٧

الآية	اسم السورة، وما اختُلف في قراءته منها	ج/ ص
	سورة يس	
٥	﴿تَنزِيلَ﴾	٧/ ٣٦١
١٤	﴿فَعَزَّزْنَا﴾	٧/ ٣٦٦
٣٥	﴿عَمِلَتْهُ﴾	٧/ ٣٧٧
٤١	﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾	٧/ ٣٨٤
٧٠	﴿لِّيُنذِرَ﴾	٧/ ٣٩٩
	سورة الصافات	
٥	﴿بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾	٧/ ٤٠٩
٨	﴿يَسَّمَّعُونَ﴾	٧/ ٤١٠
١٢	﴿عَجِبْتَ﴾	٧/ ٤١٤
١٧	﴿أَوَءَابَآؤُنَا﴾	٧/ ٤١٥
٤٠	﴿ٱلْمُخْلَصِينَ﴾	٧/ ٤٢١
٤٧	﴿يُنزَفُونَ﴾	٧/ ٤٢٢
٩٤	﴿يَزِفُّونَ﴾	٧/ ٤٣٧
١٠٢	﴿تَرَىٰ﴾	٧/ ٤٤٤
١٣٠	﴿إِلْ يَاسِينَ﴾	٧/ ٤٥٤
١٥٣	﴿أَصْطَفَى﴾	٧/ ٤٦٢

الآية	اسم السورة، وما اختُلف في قراءته منها	ج/ ص
	سورة ص	
٣	﴿وَلَاتَ﴾	٧/ ٤٨٠
١٥	﴿فَوَاقٍ﴾	٧/ ٤٨٩
٤١	﴿بِنُصْبٍ﴾	٧/ ٥٢١
٤٥	﴿عِبَدَنَآ﴾	٧/ ٥٢٥
٤٦	﴿بِخَالِصَةٍ﴾	٧/ ٥٢٦
٥٧	﴿وَغَسَّاقٌ﴾	٧/ ٥٣١
٦٣	﴿أَتَّخَذْنَٰهُمْ﴾	٧/ ٥٣٤
٦٣	﴿سِخْرِيًّا﴾	٧/ ٥٣٤
٨٤	﴿فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ﴾	٧/ ٥٤٠
	سورة الزمر	
٨	﴿لِّيُضِلَّ﴾	٨/ ١٤
٩	﴿أَمَّنْ﴾	٨/ ١٥
٢٩	﴿سَلَمًا﴾	٨/ ٣٣
٣٦	﴿عَبْدَهُۥ﴾	٨/ ٣٩
٦٥	﴿تَأْمُرُوٓنِّيٓ﴾	٨/ ٥٧
	سورة غافر	
٢١	﴿مِنْهُمْ﴾	٨/ ٨٦

الآية	اسم السورة، وما اختُلف في قراءته منها	ج/ ص
٢٦	﴿أَوْ أَن﴾	٨/ ٨٩
٣٥	﴿قَلْبِ﴾	٨/ ٩٥
٣٧	﴿فَأَطَّلِعَ﴾	٨/ ٩٧
٤٦	﴿أَدْخِلُوٓاْ﴾	٨/ ١٠٢
	سورة فصلت	
١١	﴿سَوَآءً﴾	٨/ ١٣٢
١٦	﴿نَّحِسَاتٍ﴾	٨/ ١٣٨
٥١	﴿وَنَئَا﴾	٨/ ١٦٣
	سورة فصلت	
٣	﴿يُوحِىٓ﴾	٨/ ١٧٢
٥	﴿يَتَفَطَّرْنَ﴾	٨/ ١٧٣
٢٩	﴿فَبِمَا كَسَبَتْ﴾	٨/ ٢٠٠
٣٤	﴿وَيَعْفُ﴾	٨/ ٢٠٣
٣٥	﴿وَيَعْلَمَ﴾	٨/ ٢٠٢
٥١	﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾	٨/ ٢١٣
	سورة الزخرف	
٥	﴿أَن كُنتُمْ﴾	٨/ ٢٢٣
١٠	﴿مَهْدًا﴾	٨/ ٢٢٥

الآية	اسم السورة، وما اختُلف في قراءته منها	ج/ ص
١٩	﴿عِبَٰدُ﴾	٨/ ٢٢٩
١٩	﴿أَشَهِدُواْ﴾	٨/ ٢٣٠
٢٤	﴿قَٰلَ﴾	٨/ ٢٣٢
٣٣	﴿سُقُفًا﴾	٨/ ٢٣٦
٣٥	﴿لَمَّا﴾	٨/ ٢٣٨
٣٨	﴿جَآءَنَا﴾	٨/ ٢٤٠
٥٣	﴿أَسْوِرَةٌ﴾	٨/ ٢٤٨
٥٦	﴿سَلَفًا﴾	٨/ ٢٤٩
٥٧	﴿يَصِدُّونَ﴾	٨/ ٢٥١
٧١	﴿تَشْتَهِيهِ﴾	٨/ ٢٥٧
٨٨	﴿وَقِيلِهِۦ﴾	٨/ ٢٦٥
٨٩	﴿يَعْلَمُونَ﴾	٨/ ٢٦٦
	سورة الدخان	
٧	﴿رَبِّ﴾	٨/ ٢٧٣
٤٦	﴿يَغْلِى﴾	٨/ ٢٩١
٤٧	﴿فَاعْتِلُوهُ﴾	٨/ ٢٩٢
٤٩	﴿إِنَّكَ﴾	٨/ ٢٩٣
٥١	﴿إِنَّ﴾	٨/ ٢٩٤

الآية	اسم السورة، وما اختُلف في قراءته منها	ج/ ص
	سورة الجاثية	
٥	﴿ءَايَٰتٌ﴾	٨/ ٣٠٣
٦	﴿يُؤْمِنُونَ﴾	٨/ ٣٠٥
١٣	﴿أَلِيمٌ﴾	٨/ ٣٠٨
١٤	﴿لِيَجْزِيَ﴾	٨/ ٣١١
٢١	﴿سَوَآءً﴾	٨/ ٣١٥
	سورة الأحقاف	
١٥	﴿كُرْهًا﴾	٨/ ٣٤٠
٢٠	﴿أَذْهَبْتُمْ﴾	٨/ ٣٤٦
٢٦	﴿لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ﴾	٨/ ٣٥١
	سورة محمد	
٥	﴿قُتِلُوا۟﴾	٨/ ٣٧٣
١٥	﴿ءَاسِنٍ﴾	٨/ ٣٧٩
٢٥	﴿وَأَمْلَىٰ﴾	٨/ ٣٩٠
٢٦	﴿إِسْرَارَهُمْ﴾	٨/ ٣٩١
٣٧	﴿ٱلسَّلْمِ﴾	٨/ ٣٩٥
	سورة الفتح	
٦	﴿ٱلسَّوْءِ﴾	٨/ ٤١٣

الآية	اسم السورة، وما اختُلف في قراءته منها	ج/ ص
٩	﴿لِّتُؤْمِنُوا۟﴾	٨/ ٤١٤
١٥	﴿كَلَٰمَ﴾	٨/ ٤٢٠
٢٩	﴿شَطْـَٔهُۥ﴾	٨/ ٤٤٠
٢٩	﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾	٨/ ٤٤٠
	سورة الحجرات	
١	﴿تُقَدِّمُوا۟﴾	٨/ ٤٤٦
١٠	﴿أَخَوَيْكُمْ﴾	٨/ ٤٥٨
١٤	﴿يَلِتْكُم﴾	٨/ ٤٦٨
٣٠	﴿نَقُولُ﴾	٨/ ٤٩٦
٤٠	﴿وَأَدْبَٰرَ﴾	٨/ ٥٠٧
	سورة الذاريات	
٢٣	﴿مِّثْلَ﴾	٨/ ٥٢٨
٢٥	﴿سَلَٰمٌ﴾	٨/ ٥٣٠
٤٤	﴿ٱلصَّٰعِقَةُ﴾	٨/ ٥٣٨
٤٦	﴿وَقَوْمَ﴾	٨/ ٥٣٨
	سورة الطور	
٢١	﴿ذُرِّيَّتُهُم﴾	٩/ ١٥
٢١	﴿أَلَتْنَٰهُم﴾	٩/ ١٧

الآية	اسم السورة، وما اختُلف في قراءته منها	ج/ ص
٤٥	﴿يُصْعَقُونَ﴾	٩/ ٢٧
	سورة النجم	
١١	﴿كَذَبَ﴾	٩/ ٤٤
١٢	﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ﴾	٩/ ٤٥
١٩	﴿ٱللَّٰتَ﴾	٩/ ٥١
٢٢	﴿ضِيزَىٰٓ﴾	٩/ ٥٣
٣٢	﴿كَبَٰٓئِرَ﴾	٩/ ٥٧
	سورة القمر	
٦	﴿نُّكُرٍ﴾	٩/ ٨١
	سورة الرحمن	
١٢	﴿وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ﴾	٩/ ١١٦
٢٤	﴿ٱلْمُنشَـَٔاتُ﴾	٩/ ١٢٤
٣٥	﴿وَنُحَاسٌ﴾	٩/ ١٣٠
٧٨	﴿ذِى ٱلْجَلَٰلِ﴾	٩/ ١٤٥
	سورة الواقعة	
١٩	﴿يُنزِفُونَ﴾	٩/ ١٦٠
٢٢	﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾	٩/ ١٦٢
٤٨	﴿أَوَءَابَآؤُنَا﴾	٩/ ١٧٣

الآية	اسم السورة، وما اختُلف في قراءته منها	ج/ ص
	سورة الحديد	
٨	﴿أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ﴾	٩/ ١٩٩
٩	﴿لَرَءُوفٌ﴾	٩/ ٢٠٠
١٠	﴿وَكُلًّا﴾	٩/ ٢٠١
١١	﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ﴾	٩/ ٢٠٢
١٣	﴿ٱنظُرُونَا﴾	٩/ ٢٠٤
١٦	﴿نَزَلَ﴾	٩/ ٢٠٩
١٦	﴿يَكُونُوا۟﴾	٩/ ٢٠٩
١٨	﴿ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ﴾	٩/ ٢١١
٢٣	﴿ءَاتَىٰكُمْ﴾	٩/ ٢١٧
٢٤	﴿هُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾	٩/ ٢١٨
	سورة المجادلة	
٢	﴿يُظَٰهِرُونَ﴾	٩/ ٢٣٢
	سورة الحشر	
٢	﴿يُخْرِبُونَ﴾	٩/ ٢٥٩
١٤	﴿جُدُرٍۭ﴾	٩/ ٢٧٢
	سورة الممتحنة	
٣	﴿يَفْصِلُ﴾	٩/ ٢٨٥

الآية	اسم السورة، وما اختُلف في قراءته منها	ج/ ص
٤	﴿أُسْوَةٌ﴾	٩/ ٢٨٦
	سورة الصف	
٢	﴿لِمَ﴾	٩/ ٣٠٣
٦	﴿سِحْرٌ﴾	٩/ ٣٠٦
٨	﴿مُتِمُّ﴾	٩/ ٣٠٨
١٠	﴿تُنجِيكُم﴾	٩/ ٣٠٩
١٤	﴿أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾	٩/ ٣١١
	سورة المنافقون	
١٠	﴿وَأَكُن﴾	٩/ ٣٣٦
	سورة الطلاق	
٣	﴿بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾	١/ ٢٧، ٩/ ٣٥٧
	سورة التحريم	
٨	﴿نَّصُوحًا﴾	٩/ ٣٨١
	سورة الملك	
٣	﴿تَفَٰوُتٍ﴾	٩/ ٣٩٣
٢٧	﴿تَدَّعُونَ﴾	٩/ ٤٠٦
	سورة القلم	
١٤	﴿أَن كَانَ﴾	٩/ ٤٢٢

الآية	اسم السورة، وما اختُلف في قراءته منها	ج/ ص
٥١	﴿لَيُزْلِقُونَكَ﴾	٩/ ٤٤١
	سورة الحاقة	
٩	﴿وَمَن قَبْلَهُۥ﴾	٩/ ٤٥١
١٩	﴿كِتَٰبِيَهْ﴾	٩/ ٤٥٨
	سورة المعارج	
١	﴿سَأَلَ﴾	٩/ ٤٧٢
١٠	﴿يَسْـَٔلُ﴾	٩/ ٤٧٩
١٦	﴿نَزَّاعَةً﴾	٩/ ٤٨١
٤٣	﴿نُصُبٍ﴾	٩/ ٤٩٠
	سورة نوح	
٢١	﴿وَوَلَدُهُۥٓ﴾	٩/ ٥٠٤
٢٣	﴿وَدًّا﴾	٩/ ٥٠٥
	سورة الجن	
٣	﴿وَأَنَّهُۥ﴾	٩/ ٥١٤
١٩	﴿لِبَدًا﴾	٩/ ٥٢٤
٢٠	﴿قُلْ﴾	٩/ ٥٢٥
	سورة المزمل	
٦	﴿وَطْـًٔا﴾	٩/ ٥٣٩

الآية	اسم السورة، وما اختُلف في قراءته منها	ج/ ص
٩	﴿رَبُّ﴾	٩/ ٥٤١
٢٠	﴿وَنِصفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ﴾	٩/ ٥٤٦
	سورة المدثر	
٥	﴿وَٱلرُّجۡزَ﴾	٩/ ٥٥٤
٥٠	﴿مُّسۡتَنفِرَةٞ﴾	٩/ ٥٦٩
	سورة القيامة	
١	﴿لَآ أُقۡسِمُ﴾	٩/ ٥٧٣
٧	﴿بَرِقَ﴾	٩/ ٥٧٧
	سورة الإنسان	
١٦	﴿قَوَارِيرَاْ﴾	٩/ ٦٠٢
٢١	﴿عَٰلِيَهُمۡ﴾	٩/ ٦٠٦
	سورة المرسلات	
١١	﴿أُقِّتَتۡ﴾	٩/ ٦١٥
٢٣	﴿فَقَدَرۡنَا﴾	٩/ ٦١٧
٣٣	﴿جِمَٰلَتٞ﴾	٩/ ٦٢١
	سورة النبأ	
٢٢	﴿لَّٰبِثِينَ﴾	١٠/ ١٣

الآية	اسم السورة، وما اختُلف في قراءته منها	ج/ ص
	سورة النازعات	
١١	﴿نَّخِرَةٗ﴾	١٠/ ٣١
١٦	﴿طُوًى﴾	١٠/ ٣٤
	سورة عبس	
٤٧	﴿فَتَنفَعَهُ﴾	١٠/ ٤٧
٥٢	﴿أَنَّا صَبَبۡنَا﴾	١٠/ ٥٢
	سورة التكوير	
٦	﴿سُجِّرَتۡ﴾	١٠/ ٦٢
٢٤	﴿بِضَنِينٖ﴾	١٠/ ٧٠
	سورة الانفطار	
٧	﴿فَعَدَلَكَ﴾	١٠/ ٧٦
	سورة المطففين	
٢٦	﴿خِتَٰمُهُۥ﴾	١٠/ ٩٣
	سورة الانشقاق	
١٩	﴿لَتَرۡكَبُنَّ﴾	١٠/ ١٠٦
	سورة البروج	
١٥	﴿ٱلۡمَجِيدُ﴾	١٠/ ١١٧
٢٢	﴿مَّحۡفُوظِۭ﴾	١٠/ ١١٩

الآية	اسم السورة، وما اختُلف في قراءته منها	ج/ ص
	سورة الطارق	
٤	﴿لَّمَّا﴾	١٠/ ١٢٣
	سورة الأعلى	
٣	﴿قَدَّرَ﴾	١٠/ ١٣٠
١٦	﴿تُؤْثِرُونَ﴾	١٠/ ١٣٦
	سورة الفجر	
٣	﴿وَٱلْوَتْرِ﴾	١٠/ ١٤٩
١٧	﴿تُكْرِمُونَ﴾	١٠/ ١٥٤
١٨	﴿تَحَٰٓضُّونَ﴾	١٠/ ١٥٤
١٩	﴿وَتَأْكُلُونَ﴾	١٠/ ١٥٤
٢٠	﴿وَتُحِبُّونَ﴾	١٠/ ١٥٤
٢٥	﴿يُعَذِّبُ﴾	١٠/ ١٥٧
٢٦	﴿يُوثِقُ﴾	١٠/ ١٥٧
	سورة البلد	
١٣ - ١٤	﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ﴾	١٠/ ١٦٧
٢٠	﴿مُّؤْصَدَةٌ﴾	١٠/ ١٦٩
	سورة الشمس	
١٥	﴿وَلَا﴾	١٠/ ١٧٦

الآية	اسم السورة، وما اختُلف في قراءته منها	ج/ ص
	سورة البينة	
٦	﴿ٱلْبَرِيَّةِ﴾	١٠/ ٢٢٣
	سورة الهمزة	
٨	﴿مُّؤْصَدَةٌ﴾	١٠/ ٢٥٨
٩	﴿عَمَدٍ﴾	١٠/ ٢٥٩
	سورة قريش	
١	﴿لِإِيلَٰفِ﴾	١٠/ ٢٧٠
	سورة المسد	
٥	﴿حَمَّالَةَ﴾	١٠/ ٣٠٢

***

فهرس القراءات الشواذ

الآية	القراءة الشاذة	ج/ ص

سورة الفاتحة

الآية	القراءة الشاذة	ج/ ص
٢	الحمدُ لاهِ ربِّ العالمين	١/ ١٥
٤	مالكٌ [بالتَّنوين]	١/ ٢٨
٤	يومَ [بالنَّصب]	١/ ٢٨

سورة البقرة

الآية	القراءة الشاذة	ج/ ص
٢٦	بعوضةٌ (بالرفع)	١/ ٧٩
٦١	وثومِها	١/ ١٣٧
٦١	أدْنأُ (بالهمز)	١/ ١٣٨
٦١	مِصْرَ (غير مصروفة)	١/ ١٣٩
١٠٤	راعونا	١/ ٢١٣
١٠٤	راعنًا	١/ ٢١٤
١٢٤	ذريتي (بالفتح والكسر)	١/ ٢٤٢
١٢٤	الظالمون (بالرفع)	١/ ٢٤٣
١٥٨	أن لا يَطَّوَّفَ	١/ ٢٨٣
١٩٩	الناسِ (بالكسر)	١/ ٣٥٢
٢١٣	فاختلفوا، فبعث الله النَّبيين	١/ ٣٦٩
٢٤٨	تابوه [بالهاء]	١/ ٤٣٩
٢٨٠	وإنْ كانَ ذا عُسرة	١/ ٥٠٤
٢٨٣	قَلْبَه [بالفتح]	١/ ٥١٦

سورة آل عمران

الآية	القراءة الشاذة	ج/ ص
٧	ويقولُ الرّاسخون	٢/ ١٨
٣٧	زكريٌّ [بالتَّشديدِ منوَّنٌ]	٢/ ٥٧
٨١	وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لما آتيتكم	٢/ ١١٥
١٢١	تبوئ للمؤمنين	٢/ ١٦٦
١٥٩	وشاورهم في بعض الأمر	٢/ ٢١٨

سورة النساء

الآية	القراءة الشاذة	ج/ ص
١٢	يُورِثُ [بالكسر]	٢/ ٢٨٧
١٢	أو أخت من أم	٢/ ٢٨٧
٢٤	فما استمتعتم به منهنّ إلى أجلٍ مسمًّى فآتوهنَّ	٢/ ٣٠٨

الآية	القراءة الشاذة	ج/ ص
٤٠	مثقال نملةٍ	٢/ ٣٣٤
٧٩	فمَن نفسُك	٢/ ٣٨٢
٧٩	مَنٌّ اللهِ	٢/ ٣٨٣
٧٩	أفمِن نفسِك وأنا قدَّرتها عليك	٢/ ٣٨٣
	سورة المائدة	
٢٣	يُخافون [بالضَّمِّ]	٣/ ٦١
٣٨	والسّارقون والسّارقات تقطع إيمانهم	٣/ ٨٣
٨٩	أيامٍ متتابعات	٣/ ١٤٢
	سورة الأنعام	
٩	للبَّسنا [بالتشديد]	٣/ ٢٠٣
٥٩	ولا حبةٌ.. ولا رطبٌ ولا يابسٌ [بالرَّفعِ]	٣/ ٢٤٥
٧٥	الملكوثُ [بالثاء]	٣/ ٢٦٠
٩٦	الأَصباح [بالفتحِ]	٣/ ٢٧٧
٩٩	ويُنْعِهِ [بضم الياء]	٣/ ٢٨٤
٩٩	ويانِعِهِ	٣/ ٢٨٤
١٥٤	أحسَنُ [بالرفع]	٣/ ٣٣٩

الآية	القراءة الشاذة	ج/ ص
	سورة الأعراف	
١٢٧	وإِلاهَتَكَ	١/ ١١، ٣/ ٤٤١
١٢٧	ويذرَكَ وإلاهتك	١/ ١١
١٣٣	والقَمْل [بفتح القاف وتسكين الميم]	٣/ ٤٤٧
١٦٣	يُسْبِتُونَ [بضم الياء]	٣/ ٤٨٢
١٨٩	فاستمرت به	٣/ ٥٠٨
	سورة الأنفال	
١	يسألونك عن	٣/ ٥٢٧
٥٧	فشرذ [بالمعجمة]	٣/ ٥٨٦
٥٩	ولا يحسبن الذين كفروا أنهم سبقوا	٣/ ٥٨٧
	سورة التوبة	
٤	ينقضوكم [بالضاد]	٤/ ١٣
٣٠	أحدُ اللهُ [بحذفِ التَّنوينِ]	٤/ ٣٦
٦٣	فإن له [بكسر همزة إن]	٤/ ٧٣
١١٩	منَ الصَّادِقِينَ	٤/ ١٣٦
	سورة يوسف	
١٠	أن الحمد لله [مخفف من المشدد]	٤/ ١٥٨

الآية	القراءة الشاذة	ج/ ص
٦٥	أنَّ العِزّةَ [بالفتح]	٤/ ١٨٩
٨٨	ليضلوا عن سبيلك [استفهام]	٤/ ٢٠١

سورة هود

الآية	القراءة الشاذة	ج/ ص
٢٢	لا جرمَ إنَّه [بالكسرِ]	٤/ ٢٤٢
٢٢	لا جَرَ أنَّه [بحذفِ الميم]	٤/ ٢٤٢
٤٢	نوح ابنَها	٤/ ٢٥٩
٤٢	نوح ابنهَ [بفتح الهاء]	٤/ ٢٥٩
٧١	وامرأتُه قائمةٌ وهو جالسٌ	٤/ ٢٨١
٧٨	وأزواجُه أمَّهاتُهم وهو لهم أبٌ	٤/ ٢٩٠
٨٧	تترك [بالتاء]	٤/ ٢٩٩
١١١	لمًّا [بالتنوين]	٤/ ٣١٦

سورة يوسف

الآية	القراءة الشاذة	ج/ ص
٤	يؤسِف [بكسر السين]	٤/ ٣٣٤
٤	يؤسُف [بضم السين]	٤/ ٣٣٤
١٨	بدمٍ كَدِبٍ [بالدَّالِ]	٤/ ٣٤٨
١٨	بدمِ كَذْبٍ [بالإضافةِ وفتحِ الكافِ وسُكونِ الذَّالِ]	٤/ ٣٤٨
١٩	يا بُشرايْ [بسكونِ الياءِ]	٤/ ٣٥٠
١٩	يا بُشْرَيَّ [بتشديدِ الياءِ]	٤/ ٣٥٠
٤٥	أَمَهٍ [بفتحتَين]	٤/ ٣٨٠
٤٥	أمْهٍ [بسكونِ الميمِ]	٤/ ٣٨٠
٤٧	فَذَرُوهُ في سُنبُلِه هو أبقَى له	٤/ ٣٨١
٤٩	وفيه يُعْصَرُون [على المجهولِ]	٤/ ٣٨٣
٨١	سُرِّقَ [بالتَّشديدِ]	٤/ ٤٠٩
١٠٥	الأرضَ [بالنصب]	٤/ ٤٣٠
١٠٥	الأرضُ [بالرفع]	٤/ ٤٣٠
١٠٥	يمشون عليها	٤/ ٤٣١

سورة الرعد

الآية	القراءة الشاذة	ج/ ص
٣١	أفلَمْ يَتبيَّنِ الذين آمَنُوا	٤/ ٤٧٥
٣١	أفلم يتبيَّن للَّذين آمنوا	٤/ ٤٧٥
٤٣	ومِنْ عندِه عِلْمُ الكتابِ	٤/ ٤٨٩
٤٣	ومِنْ عندِه عُلِمَ الكتابُ	٤/ ٤٨٩

سورة إبراهيم

الآية	القراءة الشاذة	ج/ ص
٣٤	من كلٍ [بالتنوين]	٤/ ٥٢٣
٣٧	تَهْوَى [بالفتحِ]	٤/ ٥٢٧
٤١	ولولديَّ	٤/ ٥٢٩
٥٠	مِنْ قِطْرٍ آنٍ	٤/ ٥٤٠

الآية	القراءة الشاذة	ج/ص
	سورة الحجر	
٥٦	يقنُطُ [بالضَّمِّ]	٥/ ٣٧
٦٦	وقُلنا له إنَّ دابرَ هؤلاءِ	٥/ ٤١
	سورة النحل	
٩	ومنكُم جائِرٌ	٥/ ٧٢
١٦	وبالنُّجُمِ	٥/ ٢٣٦
٨١	تَسْلَمون [بفتح التاء وفتح اللام]	٥/ ١٣٤
١٢٠	إنَّ مُعاذًا كانَ أمَّةً قانتًا	٥/ ١٦١
	سورة الإسراء	
٢٣	وَوَصَّى	٥/ ١٩٩
٩٣	بيتٌ من ذهبٍ	٥/ ٢٧١
١٠٦	فرَّقناه [بالتشديد]	٥/ ٢٨٢
	سورة الكهف	
١٦	وما يعبدون مِن دون الله	٥/ ٣١٤
٧٩	لمسَّاكين [بتشديد السين]	٥/ ٣٨٨
٧٩	كلَّ سفينةٍ صحيحةٍ	٥/ ٣٨٩
٧٩	كلَّ سفينةٍ صالحةٍ	٥/ ٣٨٩
٩٤	قال الذين مِن دُونِهم يا ذا القرنين	٥/ ٤٠٥
٩٧	فما أسطاعوا [بالقطع]	٥/ ٤١٠
١٠٢	أفَحَسْبُ الذين [بالرَّفع]	٥/ ٤١٥
١٠٩	مِدادًا	٥/ ٤٢٠
	سورة مريم	
٢	عبدُه [بالرَّفع]	٥/ ٤٣٠
٥	خَفَّتِ الموالي مِن ورائي	٥/ ٤٣٣
١٧	روحَنًا [بالتَّشديد]	٥/ ٤٤٤
٢٣	فاجَأَها	٥/ ٤٥٠
٧٤	وزِيًّا [بالزَّاي]	٥/ ٤٨٤
	سورة طه	
١	طَهْ [بسكونِ الهاء]	٥/ ٥٠٥
١٥	أُخفِيْها عن نفسي	٥/ ٥١٦
١٥	أَخْفِيها [بالفتح]	٥/ ٥١٧
٥٨	سوى [بالضم والكسر بلا تنوين]	٥/ ٥٣٩
٧٨	فاتَّبَعهم [بهمزة وصل وتشديد التاء]	٥/ ٥٥٥
١٢٨	نهدِ [بالنون]	٥/ ٥٨٤
١٣٥	الصِّراط السَّوء	٥/ ٥٨٨
١٣٥	الصِّراط السُّوأى	٥/ ٥٨٨
	سورة الأنبياء	
٣٠	حيًّا [بالنصب]	٦/ ٢٦

الآية	القراءة الشاذة	ج/ ص
٣٧	خُلِقَ العَجَلُ مِن الإنسان	٦/ ٣٣
٤٨	ضياء [بحذف الواو]	٦/ ٣٩
٨٧	نقدِّر [بالتَّشديد]	٦/ ٦٥
١١٢	أَحْكَمُ [على التَّفضيل]	٦/ ٨٤

سورة الحج

الآية	القراءة الشاذة	ج/ ص
١٨	من مُكْرَمٍ [بالفتح]	٦/ ١٠٧
٣٦	صَوَافِنَ	٦/ ١٢٧
٣٦	صوافي	٦/ ١٢٧
٣٦	المُعْتَرِ [بكسر الراء]	٦/ ١٢٨
٤٠	وصُلُوب	٦/ ١٣٤

سورة المؤمنون

الآية	القراءة الشاذة	ج/ ص
٥٣	زُبَرًا [بفتحِ الباءِ]	٦/ ١٩٩

سورة النور

الآية	القراءة الشاذة	ج/ ص
١	سورةً [بالنصب]	٦/ ٢٣٢
١٥	تَلِقُونَه	٦/ ٢٥٣
٢٥	يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللهُ الحَقُّ دِينَهُمُ	٦/ ٢٥٩
٢٧	حتَّى تستأذِنُوا	٦/ ٢٦١
٣٣	مِنْ بَعْدِ إِكْراهِهِنَّ لهن غَفُورٌ رَحِيمٌ	٦/ ٢٧٥
٣٥	نوَّرَ [بتشديد الواو وفتح الراء]	٦/ ٢٧٦
٣٥	زَجاجةَ [بالفتح]	٦/ ٢٧٨
٤٣	يُذْهِبُ [بضم الياء وكسر الهاء]	٦/ ٢٩٤
٤٥	ومنهم مَن يمشي على أكثرَ من ذلك	٦/ ٢٩٦
٧٤	قُرَّاتِ أَعْيُنٍ	٦/ ٣٩١

سورة الشعراء

الآية	القراءة الشاذة	ج/ ص
١١	تتقون [بالتاء]	٦/ ٤٠٥

سورة النمل

الآية	القراءة الشاذة	ج/ ص
٨	بُورِكَتِ النَّارُ ومَن حولَها	٦/ ٤٧٨
٤٩	لَيُبَيِّتُنَّه وأهلَه ثم لَيَقولُنَّ	٦/ ٥١٦
٨٢	تَكْلِمُهُم [بفتح التاء وسكون التاء]	٦/ ٥٣٢

سورة العنكبوت

الآية	القراءة الشاذة	ج/ ص
٤٨	ولا تَخُطَّهُ [بالفتحِ]	٧/ ٤١

سورة الروم

الآية	القراءة الشاذة	ج/ ص
٢	غَلَبَتِ الرُّوم [بالفتحِ]	٧/ ٦٠
٣	سيُغْلَبون [بالضَّمِّ]	٧/ ٦٠
٣٤	يعلَمُونَ [بالياءِ]	٧/ ٨٥

الآية	القراءة الشاذة	ج/ ص
	سورة السجدة	
٢٦	نَهْدِ [بالنُّونِ]	٧/ ١٥٧
	سورة الأحزاب	
٦	وهو لهم أبٌ	٧/ ١٧٢، ١٠/ ١٦٤
١٩	كدَوَرانِ الذي يُغشَى عليه	٧/ ١٨٤
٤٠	وهو لهم أبٌ	٧/ ٢١٧
٥٠	أنْ وهَبَتْ [بالفتحِ]	٧/ ٢٢٤
٥٠	وَهَبَتْ [من غير إن]	٧/ ٢٢٤
٥٣	غيرِ [بالجرِّ]	٧/ ٢٣٤
	سورة سبأ	
١٤	تَبَيَّنَتِ الإنسُ أنْ لو كانوا	٧/ ٢٨٠
١٤	تَبَيَّنَتِ الإنسُ أنَّ الجنَّ لو كانوا	٧/ ٢٨٠
٣٣	مَكَرُّ اللَّيلِ والنَّهارِ	٧/ ٣٠٠
	سورة فاطر	
١	الحَلْقِ [بالحاءِ]	٧/ ٣٢١
١٠	والعملَ الصالح [بالنَّصبِ]	٧/ ٣٢٩
٢٨	إِنَّمَا يَخْشَى اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءَ	٧/ ٣٤٠

الآية	القراءة الشاذة	ج/ ص
	سورة يس	
٣٨	لا مُستَقَرَّ لها	٧/ ٣٨٠
	سورة الصافات	
٩	دَحُورًا [بفتح الدال]	٧/ ٤١١
١٢٣	وإنَّ إدريسَ لَمِنَ المُرسَلين	٧/ ٤٥٠
١٢٣	وإنَّ إيليسَ لَمِنَ المُرسَلين	٧/ ٤٥٠
١٣٠	سلامٌ على إيليسين	٧/ ٤٥٠
١٣٠	سلامٌ على إدْراسين	٧/ ٤٥٠
	سورة ص	
٢٢	ولا تَشْطُطْ	٧/ ٤٩٧
٢٣	نعجةٌ أُنثى	٧/ ٤٩٨
٢٤	إنما فَتَنَاه	٧/ ٥٠٠
٢٤	تَسع وتَسعون [بالفتح]	٧/ ٥٠٣
٣٢	حبَّ الخيلِ	٧/ ٥٠٨
	سورة الزمر	
٣٠	مائِتٌ	٨/ ٣٥
	سورة غافر	
٣٢	التَّنادِّ [بتشديد الدال]	٨/ ٩٣
٣٧	زَيَّنَ [بالفتح]	٨/ ٩٧

الآية	القراءة الشاذة	ج/ ص
	سورة الشورى	
١	حم سق	٨/ ١٧١
	سورة الزخرف	
٦١	لَعَلَمٌ للسَّاعة	٨/ ٢٥٢، ١٠/ ٤٣
٨٤	وهو الذي في السَّماءِ اللهُ وفي الأرضِ اللهُ	١/ ١٤، ٨/ ٢٦٢
٨٤	وهو الذي في السَّماءِ لاهٌ وفي الأرض لاهٌ	٨/ ٢٦٢
	سورة الجاثية	
١٣	مِنَّةً [بتشديد النون وتاء مربوطة]	٨/ ٣٠٩
٢١	محياهم ومماتِهم [بالجر]	٨/ ٣١٥
٢١	محياهم ومماتَهم [بالنصب]	٨/ ٣١٥
	سورة الأحقاف	
٤	إثارةٍ [بالكسر]	٨/ ٣٢٩
١٢	مصدِّقٌ لِمَا بين يديه	٨/ ٣٣٨
	سورة محمد	
٢٦	وكانوا أهلَها وأَحَقَّ بها	٨/ ٤٣٣
	سورة الفتح	
٢٥	والهَدِيُّ [بالتشديد]	٨/ ٤٢٩

الآية	القراءة الشاذة	ج/ ص
	سورة الحجرات	
١٠	بين إِخْوَانِكُم	٨/ ٤٥٨
١٢	تحسسوا [بالحاء]	٨/ ٤٦٤
	سورة الذاريات	
١٢	أيان [بالكسر]	٨/ ٥٢٠
٥٨	المتينِ [بكسر النون]	٨/ ٥٤٤
	سورة الطور	
٢١	لِتْناهُم	٩/ ١٧
٢١	ما لَتْناهُم [بفتحِ اللّامِ]	٩/ ١٧
	سورة القمر	
١	اقتربتِ السّاعةُ وقد انشقَّ القمرُ	٩/ ٧٩
١٢	الماءانِ [بالتثنية]	٩/ ٨٥
١٤	كَفَرَ [بفتحتَين]	٩/ ٨٨
٣١	المُحتَظَرُ [بفتح الظاء]	٩/ ٩٧
	سورة الواقعة	
٣	خافضة رافعة [بالنصب على الحال]	٩/ ١٥٢
	سورة الحديد	
١٦	ألم يَئِن	٩/ ٢٠٩
٢٩	ليعلَمَ	٩/ ٢٢٥

الآية	القراءة الشاذة	ج/ص
سورة المجادلة		
١	قد يسمَعُ الله	٩/ ٢٣١
سورة الجمعة		
٨	إنَّ الموتَ الذي تِفِرُّونَ منه مُلاقيكم	٩/ ٣١٨
٩	فامضُوا	٩/ ٣٢٠
سورة الطلاق		
١	فطلِّقوهنَّ لِقُبُلِ عدَّتهنَّ	٩/ ٣٥٢
سورة الملك		
٦	عذابَ [بالنصب]	٩/ ٣٩٧
سورة المزمل		
٧	سبخاً [بالخاء]	٩/ ٥٤٠
سورة القيامة		
١١	المَفِر [بفتح الميم وكسر الفاء]	٩/ ٥٧٨
١١	المِفَر [بكسر الميم وفتح الفاء]	٩/ ٥٧٨
سورة الإنسان		
٣١	الظالمون [بالرفع على الابتداء]	٩/ ٦١٠

الآية	القراءة الشاذة	ج/ص
سورة المرسلات		
١٧	نتبعْهم [بالجزم]	٩/ ٦١٦
١٧	وسنتبعُهُم الآخرينَ	٩/ ٦١٧
٣٣	جُمالاتٌ [بالضمِّ]	٩/ ٦٢١
سورة النازعات		
١٦	طِوى [بكسر الطاء]	١٠/ ٣٤
سورة عبس		
٢٥	أنى صببنا [بالإمالة]	١٠/ ٥٣
٣٧	يَعْنِيه [بالعين]	١٠/ ٥٦
سورة التكوير		
٨	سألت	١٠/ ٦٤
سورة الفجر		
٩	في عبدي	١٠/ ١٥٩
سورة الليل		
٣	والذَّكرِ [بالخفض على البدل]	١٠/ ١٧٨
٣	والذَّكرِ والأنثى [بغير ما]	١٠/ ١٧٨

* * *

فهرس أسباب النزول

الآية	سبب النزول	ج/ ص
سورة البقرة		
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ﴾	نزلت في اليهود	١/ ٥٠
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾	نزلت في المنافقين	١/ ٥٠
﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾	نزلت في عبد الله بن أُبيٍّ وأصحابه	١/ ٦٠
﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ﴾	نزلت في يهودِ أهلِ المدينة	١/ ١١٠
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾	نزلَتْ في سلمانَ الفارسيِّ	١/ ١٤٣
﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾	نزلت في منافقِي اليهود	١/ ١٦٦
﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٌ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمۡ﴾	نزلت في يهود خيبر	١/ ١٨٦
﴿قُلۡ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبۡرِيلَ﴾	نزلت في قول اليهود إنَّ جبريلَ عدوُّنا، أُمِرَ أنْ يجعلَ النُّبوّةَ فينا فجعلَها في غيرِنا	١/ ١٩٨
﴿وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ وَمَا يَكۡفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾	نزلت في قول ابن صوريا لرسول الله: ما جئتنا بشيءٍ نعرفُه، وما أُنزِلَ عليك من آيةٍ بيِّنةٍ فنتَّبعَك لها	١/ ٢٠١

الآية	سبب النزول	ج/ ص
﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾	نزلت في قول بعض أحبار اليهود إنَّ محمَّدًا يزعمُ أنَّ سليمانَ كان نبيًّا! واللهِ ما كان إلّا ساحرًا	١/ ٢٠٥
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا﴾	نزلت في منع المؤمنين من قول راعنا لأنها في لغة اليهود السَّبّ والقبيح	١/ ٢١٣
﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾	نزلت في عبد الله بن أبي أميّة ورهطٍ من قريشٍ	١/ ٢٢٠
﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا﴾	نزلَتْ في نفرٍ من اليهود قالوا للمسلمين بعد أحدٍ: ألم تروا إلى ما أصابكم؟! ولو كنتم على الحقِّ ما هُزِمْتُم، فارجعوا إلى ديننا؛ فهو خيرٌ لكم	١/ ٢٢٢
﴿فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟﴾	نزلت في كعبِ بن الأشرف	١/ ٢٢٣
﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ...﴾	نزلَتْ في يهود المدينة ونصارى نجران	١/ ٢٢٧
﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾	نزلت في مشركي أهل مكّة ومَنْعِهم المسلمين عن البيت	١/ ٢٢٨
﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾	نزلت رخصةً للمتحرِّي عندَ اشتباه القِبلة	١/ ٢٣٠
﴿وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾	نزلت في قول رسول الله: لو أنزل اللهُ بأسَه باليهود لآمنوا	١/ ٢٣٨
﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾	نزلَتْ في شأن القِبْلة	١/ ٢٣٨
﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾	نزلَت فيمن آمنَ من اليهود	١/ ٢٣٩

الآية	سبب النزول	ج/ ص
﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾	نزلت في قول عمر لرسول الله: أفلا تتَّخِذُ مقامَ إبراهيم مصلًّى	١/ ٢٤٤
﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ﴾	نزلت في قول اليهود لرسول الله: ألسْتَ تعلمُ أنَّ يعقوبَ يوم مات أوصى بنيه باليهوديّة	١/ ٢٥٥
﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ﴾	نزلت في قول أهل الكتاب: كونوا على دينِنا، فلا دينَ إلَّا ذلك	١/ ٢٥٦
﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾	نزلت في قول أصحاب رسول الله: تُوفِّيَ إخوانُنا وهم يصلُّون إلى القِبلةِ الأولى	١/ ٢٦٧
﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾	نزلت في قول رسول الله: وددت أنَّ الله صرفني عن قِبلةِ اليهود إلى غيرها	١/ ٢٦٨
﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾	نزلت في مؤمني أهل الكتاب	١/ ٢٧٠
﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ﴾	نزلَتْ في قتلى بدرٍ من المسلمين	١/ ٢٧٨
﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾	نزلت في ناسٍ من الأنصار كانوا إذا أهَلُّوا أهلُّوا لمناةَ في الجاهليّة ولا يحلُّ لهم أن يطَّوفوا بين الصَّفا والمروة	١/ ٢٨٢
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾	نزلت في علماء أهل الكتاب في كتمانِهم آية الرجم	١/ ٢٨٤
﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	نزلت في قول المشركين: إلهٌ واحدٌ! إن كان صادقًا فليأتِنا بآيةٍ	١/ ٢٨٨
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾	نزلت في ثقيفٍ وخزاعةَ وعامرِ بن صعصعةَ حرَّموا على أنفسِهم من الحرث والأنعام	١/ ٢٩٦

الآية	سبب النزول	ج/ص
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾	نزلت في رؤساءِ اليهودِ وعلمائِهم وتغييرِهم نعتَ النَّبيِّ ﷺ	١/ ٣٠٢
﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ﴾	نزلت في رجلٍ سأل النبي عن البرِّ	١/ ٣٠٦
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ﴾	نزلت في حيَّين من أحياء العرب كان بينهم قتال وكان لأحدِ الحيَّين طَوْلٌ على الآخر فقالوا: نقتلُ بالعبدِ منّا الحرَّ منكم وبالمرأةِ الرَّجل	١/ ٣١٠
﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي﴾	نزلت في رجل سأل رسول الله: أقريبٌ ربُّنا فنُناجيه أم بعيدٌ فنُناديه؟!	١/ ٣٢٧
﴿وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ﴾	نزلت في امرئِ القيسِ بن عابسٍ الكنديِّ وعبدانَ بنِ أشْوَع، اختصما إلى رسول الله ﷺ في أرضٍ	١/ ٣٣٣
﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِ﴾	نزلت في سؤال معاذ وثعلبة الأنصاريين: إنَّ اليهود تغشانا ويكثرونَ مسألَتنا عن الأهلّة	١/ ٣٣٥
﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ﴾	نزلت في صُلحِ الحُدَيْبية	١/ ٣٣٨
﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ بِهِۦٓ أَذٗى مِّن رَّأۡسِهِۦ﴾	نزلت في كعبِ بنِ عُجرةَ	١/ ٣٤٥
﴿لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡ﴾	نزلت في التُّجار والجمّالين؛ وكانوا يتَّقون البيعَ والتِّجارةَ في الحجِّ ويقولون: هذه أيّامُ ذكرِ الله	١/ ٣٥١
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ﴾	نزلت في الأخنسِ بنِ شَرِيقٍ	١/ ٣٥٧
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ﴾	نزلت في صهيب الرومي	١/ ٣٦٠

الآية	سبب النزول	ج/ ص
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً ﴾	نزلت في عبد الله بن سلام وأصحابه	١/ ٣٦٢
﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ ﴾	نزلت في غزوةِ الخندقِ حين أصاب المسلمين ما أصابهم من الجهدِ	١/ ٣٧١
﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ﴾	نزلت في عَمرِو بنِ الجَموح الأنصاري	١/ ٣٧٣
﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ﴾	نزلت في سرية أرسلها رسول الله لترصد عير قريش	١/ ٣٧٥
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ ﴾	نزلت في سؤال أهل السرية أن يكون لهم أجر المجاهدين	١/ ٣٨٠
﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ﴾	نزلت في عمرَ بنِ الخطّابِ ومعاذِ بن جبلٍ ونفرٍ من الأنصار أتَوا رسولَ الله عليه السَّلام وقالوا: أفْتِنا في الخمر والميسر	١/ ٣٨١
﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ﴾	نزلت في سؤال عَمرو بن الجَموح عن المقدار	١/ ٣٨٣
﴿ وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ﴾	نزلت في أبي مَرْثَدٍ الغَنَويِّ وعَناق	١/ ٣٨٧
﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ﴾	نزلت في سؤال أبي الدحداح لرسول الله: كيف نصنعُ بالنِّساء إذا حاضت؟!	١/ ٣٨٩
﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾	نزلت في قول اليهود: إذا أتى الرجل أهلَه باركةً كان الولد أحول	١/ ٣٩٢
﴿ وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ ﴾	نزلت في عبد الله بن رواحةَ ينهاه عن قطيعة خَتَنِهِ بشيرِ بن النعمان	١/ ٣٩٤

الآية	سبب النزول	ج/ ص
﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾	نزلت في امرأة أتت عائشة تسألها عن شيء من الطلاق	١/ ٤٠٥
﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾	نزلت في ثابت بن قيس وزوجته	١/ ٤٠٦
﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا﴾	نزلت في رجل كان يطلق ويقول: إنَّما طلَّقتُ وأنا لاعبٌ؛ يرجعُ فيها	١/ ٤١٠
﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾	نزلَتْ في مَعْقلِ بن يسارٍ	١/ ٤١١
﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾	نزلت في رجلٍ من الأنصار كان له غلامٌ وكان يُكرهُه على الإسلام	١/ ٤٥٧
﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾	نزلَت في قومٍ ارتدُّوا	١/ ٤٦٠
﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾	نزلت في عثمانَ بنِ عفّانَ وعبدِ الرَّحمن بن عوفٍ	١/ ٤٧٧
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾	نزلت في قوم من الأنصار كانت تخرج جداد النخل من حيطانها أقناء من التمر والبسر	١/ ٤٨٧
﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ﴾	نزلت في سؤال الصحابة لرسول الله: صدقة السر أفضل أم صدقة العلانية؟	١/ ٤٨٩
﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ﴾	نزلت في أهل الصفة	١/ ٤٩٣
﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾	نزلَت في علي بن أبي طالب	١/ ٤٩٦

الآية	سبب النزول	ج/ ص
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟﴾	نزلَت في بني عَمرو بنِ عُميرِ بن عوف بن ثقيفٍ، وفي بني المغيرةِ من بني مخزومٍ	١/ ٥٠١
﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾	لَمّا أنزلَ الله: ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ اشتدَّ ذلك على أصحابِ رسولِ الله فأنزل الله هذه الآية	١/ ٥١٩

سورة آل عمران

الآية	سبب النزول	ج/ ص
﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾	نزلت في اليهود	٢/ ٢٢
﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾	نزلت في سؤال حبرين لرسول الله عن أعظم شهادةٍ في كتاب الله	٢/ ٣٢
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾	نزلت في دعوى نعمان بن أوفى رسول الله للمخاصمة إلى الأحبار	٢/ ٣٩
﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾	نزلت في سؤال رسول الله ربَّه أن يجعل ملك فارس والرُّوم في أمته	٢/ ٤٢
﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾	نزلَت في عُبادةَ بنِ الصّامتِ الأنصاريِّ، وكان بدريًّا نقيبًا، وكان له حلفاءُ من اليهود	٢/ ٤٦
﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ﴾	نزلت في قول المشركين: إنّا نعبدُ هذه الأصنام حبًّا لله؛ ليقرِّبونا إلى الله زُلفى	٢/ ٤٩
﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾	نزلت في قول وفد نجران لرسول الله: هل رأيت إنسانًا قطُّ من غيرِ أبٍ، فإنْ كنتَ صادقًا فأرنا مثلَه؟!	٢/ ٩٠

الآية	سبب النزول	ج/ص
﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾	نزلت في العاقب والسيد دعاهما رسول الله إلى المباهلة فأبيا أن يُجيبا	٢/ ٩٢
﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾	نزلت في قول نصارى نجران: إن إبراهيم ما كان إلا نصرانيًّا وقول اليهود ما كان إلا يهوديًّا	٢/ ٩٦
﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ﴾	نزلَت في معاذٍ وحذيفةَ وعمّارٍ حين دعاهم اليهودُ إلى دينِهم	٢/ ٩٨
﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ﴾	نزلت في قول كعبِ بنِ الأشرفِ لأصحابه: آمنوا بالكعبة، وصلُّوا إليها أوّلَ النّهارِ، واكفروا بها آخرَ النّهار، وصلّوا إلى الصَّخرة، لعلَّهم يرجعون	٢/ ١٠٠
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾	نزلَت في أبي رافعٍ ولبابةَ بنِ أبي الحُقيقِ وحييِّ بنِ أخطبَ وغيرهم من رؤوس اليهود	٢/ ١٠٦
﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ﴾	نزلَت في قول أبي رافع اليهودي ورئيس نصارى نجران لرسول الله أتريدُ أن نعبدَك ونتَّخذَك ربًّا؟	٢/ ١٠٩
﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ﴾	نزلت في رجلٍ من الأنصارِ ارتدَّ فلحقَ بالمشركين ثم رجع تائباً	٢/ ١٢٠
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا﴾	نزلَت في اليهودِ كفروا بعيسى والإنجيل، ثم ازدادوا كفرًا بمحمَّدٍ والقرآنِ	٢/ ١٢٢
﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾	نزلت تكذيباً لليهود في قولهم: كلُّ شيءٍ أصبحنا اليومَ نحرِّمُه، فإنَّه كان حرامًا على نوحٍ وإبراهيمَ حتى انتهى إلينا	٢/ ١٢٥

الآية	سبب النزول	ج/ ص
﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾	نزلت في تفاخر المسلمين بالكعبة وتفاخر اليهود ببيت المقدس	٢/ ١٣٠
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾	نزلَت في الأوس والخزرج	٢/ ١٣٨
﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾	نزلت في قول مالكِ بنِ الضَّيفِ ووهبِ بنِ يهوذا لبعض الصحابة: إنَّ دينَنا خيرٌ ممّا تدعوننا إليه، ونحن خيرٌ وأفضلُ منكم	٢/ ١٤٨
﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى﴾	نزلت في إيذاء رؤوس اليهودِ لعبدِ الله بنِ سلامٍ وأصحابِه لإسلامِهم	٢/ ١٥١
﴿لَيْسُواْ سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾	نزلت في قول اليهود: ما آمنَ بمحمَّدٍ إلّا شرارُنا، ولو كانوا من خيارِنا لَما تركُوا دينَ آبائِهم	٢/ ١٥٥
﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ﴾	نزلَت في أبي سفيانَ وأهلِ مكَّةَ وإنفاقِهم يومَ بدر	٢/ ١٥٩
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾	نزلَت في قومٍ من المؤمنين كانوا يُصافونَ المنافقين	٢/ ١٦٠
﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾	نزلت في قول رسول الله: كيفَ يفلحُ قومٌ خضبُوا وجهَ نبيِّهم بالدَّمِ	٢/ ١٧٤
﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾	نزلَت في نبهانَ التَّمّارِ	٢/ ١٨٠
﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾	نزلت في دعاء رسول الله: اللَّهمَّ لا يعلُونَّ علينا	٢/ ١٨٥

الآية	سبب النزول	ج/ ص
﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ﴾	نزلت في قول رسول الله لما انصرف من أحد كئيباً حزيناً: أهكذا تفعلُ برسولك؟	٢/ ١٨٦
﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾	نزلت في أُحُد لما أصيب رسول الله ﷺ	٢/ ١٩٤
﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ﴾	نزلت فيمن بلغَ المدينةَ في الهزيمة من أُحد	٢/ ٢١٤
﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾	نزلت في اتهام المنافقين لرسول الله في شيءٍ من الغنيمة	٢/ ٢٢١
﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾	نزلَت في شهداء أُحدٍ	٢/ ٢٣٠
﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾	نزلت في عصابة انطلقوا للّحاق بالمشركين بعد أُحد على ما بهم من الجهد	٢/ ٢٣٤
﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾	نزلت في قول المنافقين: إنَّ محمَّدًا يزعمُ أنَّه يعرفُ من يؤمنُ به ومن يكفر ونحن معه فلا يعرفُنا	٢/ ٢٤٠
﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾	نزلَت في مانعي الزَّكاة	٢/ ٢٤٢
﴿لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ﴾	نزلت رداً لفنحاص بن عازوراء وتصديقاً لأبي بكر الصديق	٢/ ٢٤٥
﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا﴾	نزلت في قول كعب ومالك ووهب وزيد وفنحاص وحيي لرسول الله: إن الله قد عهد إلينا في التوراة أن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار	٢/ ٢٤٧

الآية	سبب النزول	ج/ ص
﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا ﴾	نزلَت في أهلِ الكتاب الّذين فرحُوا بالاجتماعِ على التّكذيب بالنّبيِّ عليه السَّلام وكتمانِ أمره	٢/ ٢٥١
﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾	نزلت في طلب قريش من رسول الله أن يجعل لهم الصفا ذهباً ليكون له آية	٢/ ٢٥٣
﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ﴾	نزلت في قول أم سلمة: يا رسول الله لا أسمعُ الله ذَكَرَ النِّساء في الهجرةِ بشيءٍ؟	٢/ ٢٥٧
﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴾	نزلت في قول بعض المؤمنين: إنَّ أعداءَ الله فيما نَرى من الخير، وقد هلكنا من الجوع والجهد	٢/ ٢٥٨
﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ﴾	نزلَت في عبدِ الله بنِ سلامٍ وأصحابِه من المؤمنين	٢/ ٢٦٠

سورة النساء

الآية	سبب النزول	ج/ ص
﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ ﴾	نزلَت في ثابتِ بنِ رفاعةَ، وفي عمِّه	٢/ ٢٧٦
﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ ﴾	نزلت في أم كُجّة	٢/ ٢٧٦
﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ﴾	نزلت في سؤال جابر لرسول الله: كيف أصنع في مالي؟	٢/ ٢٨١
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ﴾	نزلت في كبشةَ بنتِ معنٍ الأنصاريّةِ	٢/ ٢٩٥
﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم ﴾	نزلت في جماعة تزوجوا بحلائل آبائهم	٢/ ٢٩٩
﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾	نزلت في سبايا يوم أوطاس وكان لهن أزواج	٢/ ٣٠٤
﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾	نزلت في نساء سألن الجهاد	٢/ ٣١٩

الآية	سبب النزول	ج/ص
﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾	نزلَت في سعدِ بنِ الرَّبيع وامرأتِهِ حبيبةَ بنتِ زيد	٢/ ٣٢٣
﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾	نزلت في اليهود	٢/ ٣٣١
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾	نزلت في أحد الصحابة صلَّى المغربَ وهو سكران، فقرأ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ ولم يُقِمْها، فقرأ: أعبدُ ما تعبدون	٢/ ٣٣٧
﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾	نزلت لما حبس رسول الله والناس معه في بعض أسفاره ولم يكن معهم ماء	٢/ ٣٣٩
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾	نزلَت في وحشيٍّ وأصحابِهِ	٢/ ٣٥٠
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ﴾	نزلَت في رجالٍ من اليهودِ قالوا لرسول الله: ما من ذنبٍ نعملُه بالنَّهارِ إلَّا كُفِّرَ عنّا باللَّيلِ، وما من ذنبٍ نعملُه باللَّيلِ إلَّا كُفِّرَ عنّا بالنَّهار	٢/ ٣٥٢
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ﴾	نزلَت في كعبِ بنِ الأشرفِ وحييِّ بنِ أخطب	٢/ ٣٥٣
﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾	نزلَت في عثمانَ بنِ طلحةَ سادن الكعبة	٢/ ٣٥٩
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾	نزلت في خالد بن الوليد وعمار بن ياسر	٢/ ٣٦١
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾	نزلت في قوم من بني أسلم تحاكموا إلى أبي بردة الأسلميِّ كاهن يقضي بين اليهود في تنافرهم	٢/ ٣٦٣

الآية	سبب النزول	ج/ ص
﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ ﴾	نزلت في رجل خاصم الزبير فقضى رسول الله للزبير، فقال الرجل: قضى له لأنَّه ابنُ عمَّتِه	٢/ ٣٦٨
﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾	نزلت في ثوبانَ مولى رسولِ الله	٢/ ٣٧٠
﴿ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾	نزلت في عبد الله بن أبي وأصحابه	٢/ ٣٧٤
﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ﴾	نزلَت الآيةُ في نفرٍ من أصحابِ رسولِ الله كان يقولون لرسول الله: ائذن لنا في قتال المشركين	٢/ ٣٧٨
﴿ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ ﴾	نزلت في قول المنافقين الذين تخلفوا عن الجهاد: لو كان إخواننا الذين قتلوا عندنا ما قتلوا	٢/ ٣٨٠
﴿فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ ﴾	نزلَت في الذين تخلَّفوا يومَ أحدٍ وقالوا: لو نعلمُ قتالاً لاتَّبعناكم	٢/ ٣٩٥
﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا ﴾	نزلَت في حارثِ بنِ زيدٍ، كان قد أسلمَ ولم يشعر به عيّاشُ بنُ أبي ربيعة، فلقيَه في الطَّريق، فحملَ عليه وقتلَه	٢/ ٤٠١
﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا ﴾	نزلت في مقيس بن صبابة	٢/ ٤٠٩
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾	نزلت في المقداد بن الأسود لما خرج في سرية فمر برجل فقال: لا إله إلا الله، فقتله	٢/ ٤٠٨
﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ﴾	نزلت في ابن أم مكتوم	٢/ ٤١١

الآية	سبب النزول	ج/ ص
﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ﴾	نزلَت في حبيبِ بنِ ضمرةَ	٢/ ٤١٥
﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾	نزلَت في طُعْمةَ بنِ أُبَيْرِقٍ أحدِ بني ظَفَرِ بنِ الحارث	٢/ ٤٢٣
﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾	نزلت في الكفار	٢/ ٤٣٦
﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا﴾	نزلَت في المرأة تكونُ عند الرَّجل ولا يستكثرُ منها ويريدُ فراقَها فتقولُ له: لا تطلِّقني وأمسكني وأنتَ في حلٍّ من شأني	٢/ ٤٤٢
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾	نزلَت في رسول الله عليه السَّلام، اختصمَ إليه غنيٌّ وفقيرٌ، وكان صَغْوُه مع الفقير، يرى أنَّ الفقيرَ لا يظلمُ الغنيَّ	٢/ ٤٤٧
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾	نزلَت في قول جماعة من مؤمني أهل الكتاب: يا رسولَ الله! أنؤمنُ بك وبكتابِك وبموسى والتَّوراةِ وعُزيرٍ، ونكفرُ بما سواه؟!	٢/ ٤٤٩
﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾	نزلت في رجل ضافَ قومًا فأساؤوا قِراه فاشتكاهم	٢/ ٤٥٩
﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾	نزلَت في اليهودِ، قالوا: ائتنا بكتابٍ من السَّماءِ جملةً	٢/ ٤٦١
﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ﴾	نزلت في رؤساء أهلِ مكَّةَ قالوا: سألْنا عنك اليهودُ، فزعمُوا أنَّهم لا يعرفونَك، فائتنا بمَن يشهدُ أنَّك نبيُّه، وأنَّه بعثَكَ إلينا رسولًا	٢/ ٤٧١

الآية	سبب النزول	ج/ ص
﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾	نزلت في وفد نجران قالوا لرسول الله: لم تعيبُ صاحبنا وتقول إنه عبد الله ورسوله؟!	٢/ ٤٧٦
﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ﴾	نزلت في جابر بن عبد الله	٢/ ٤٧٨

سورة المائدة

الآية	سبب النزول	ج/ ص
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾	نزلَت في الحُطَمِ	٣/ ١٣
﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ﴾	نزلَت في سؤال عديٍّ وزيدٍ لرسول الله: إنّا قومٌ نصيدُ بالكلاب وقد حرَّمَ الله الميتةَ، فماذا يحلُّ لنا منه؟	٣/ ٢٤
﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾	نزلَت في اليهود، ذهبَ رسول الله ﷺ يستعينُهم في ديةٍ فهمُّوا بقتله	٣/ ٣٦
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾	نزلَت في الذين صدُّوا رسول الله عن الحجِّ، وهمُّوا بالتَّعرُّض له وللمؤمنين، فألقى الله في قلوبهم الرُّعب، فكفُّوا عمّا همُّوا	٣/ ٣٨
﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾	نزلت في رهط من عُكْلٍ وعُرَيْنَةَ	٣/ ٧٧
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾	نزلت في اليهود	٣/ ٨٦
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾	نزلَت في أبي لُبابةَ	٣/ ١٠٣

الآية	سبب النزول	ج/ ص
﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾	نزلَت في أبي بكرٍ وأصحابِه رضي الله عنهم	٣/ ١٠٧
﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾	نزلت في عبد الله بن سلام وأصحابه	٣/ ١٠٨
﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾	نزلت في علي بن أبي طالب	٣/ ١٠٨
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا﴾	نزلت في رفاعة بن زيدٍ وسُويد بن الحارث كانا قد أظهرا الإسلام ثم نافقا، وكان رجالٌ من المسلمين يُوادُّونهما	٣/ ١١٠
﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا﴾	نزلت في استهزاء اليهود من صلاة المسلمين: كان إذا نادى المنادي إلى الصلاة قالوا: قد قاموا لا قاموا، قد صلُّوا لا صلُّوا، قد ركعوا لا ركعوا	٣/ ١١١
﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ﴾	نزلت في قول اليهود: والله لا نعلمُ دينًا شرًّا من دينِكم	٣/ ١١٣
﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُوا۟ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا۟ بِهِۦ﴾	نزلت في منافقي اليهود	٣/ ١١٥
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾	نزلت في قول رسول الله: لـمّا بعثَني اللهُ برسالتِه، ضِقْتُ بها ذَرعًا، وعرفْتُ أنَّ مِن النَّاسِ مَنْ يُكذِّبُني	٣/ ١٢٢
﴿وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ﴾	نزلت في منافقي اليهود	٣/ ١٣٥
﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ﴾	نزلت في النجاشي وقومه	٣/ ١٣٥

الآية	سبب النزول	ج/ ص
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ ﴾	نزلت في قوم من الصحابة حرموا على أنفسهم النساء والطعام والطيب والنوم وشهوات الدنيا	٣/ ١٣٩
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ﴾	نزلت في دعاء عمر: اللَّهمَّ بيِّن لنا في الخمر بيانًا شافيًا	٣/ ١٤٣
﴿ لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ فِيمَا طَعِمُوٓاْ ﴾	نزلت في أناس سألوا رسول الله عن أصحابهم الذين ماتوا وهم يشربون الخمر قبل تحريمها	٣/ ١٤٦
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ ﴾	نزلت في قوم كانوا يسألون النبي أشياء لا يَعنيهم علمُها إعناتًا واستهزاءً وامتحانًا	٣/ ١٥٤
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ ﴾	نزلَت في ثلاثةِ نفرٍ من التُّجّارِ خرجوا من المدينة إلى الشّام	٣/ ١٦٤

سورة الأنعام

﴿ وَلَوۡ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ كِتَٰبٗا فِي قِرۡطَاسٖ ﴾	نزلت في قول مشركي قريش لرسول الله: لن نُؤمِنَ لك حتّى تأتِينا بكتابٍ من عندِ الله ومعه أربعةٌ من الملائكةِ يشهدون أنّه من عندِ الله وأنّك رسولُه	٣/ ٢٠٠
﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾	نزلت في كفار قريش قالوا: يا محمَّدُ، إنَّا قد علِمْنا أنَّه إنَّما يحملُك على ما تدعُوْنا إليه الحاجةُ	٣/ ٢٠٦
﴿قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗ ﴾	نزلت في رؤساءَ مكَّة قالوا: يا محمَّدُ، ما نرى أحدًا يُصدِّقُك بما تقولُ من أمرِ الرِّسالة	٣/ ٢٠٩
﴿ وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَ ﴾	نزلت في النضر بن الحارث وعتبة وشيبة ابني ربيعة وأبي بن خلف	٣/ ٢١٣

الآية	سبب النزول	ج/ ص
﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾	نزلت في أبي طالبٍ، كان ينهَى المشركين أن يُؤذوا رسولَ الله عليه السَّلامُ، ويتباعدُ عمَّا جاء به	٣/ ٢١٥
﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ﴾	نزلت في قول أبو جهلٍ: يا محمد إنا والله لا نُكذِّبُكَ، إنَّكَ عندَنا لصادقٌ، ولكنْ نُكذِّبُ بما جئْتَ به	٣/ ٢٢١
﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ﴾	نزلت في قول قريش لرسول الله: إنَّا من أشرافِ قومِنا، وإنَّا نكرهُ أن يرَونا مع الضعفاء، فاطرُدْهم إذا جالَسْناك	٣/ ٢٣٦
﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا فَقُلْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾	نزلت في الذين نهى اللهُ نبيَّه عن طَردِهم	٣/ ٢٣٩
﴿قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى﴾	نزلت في النَّضْرِ بنِ الحارثِ ورُؤساءِ قُريشٍ، كانوا يقولون: يا محمَّدُ، ائتِنا بالعذابِ الذي تعِدُنا به؛ استهزاءً منهم	٣/ ٢٤٢
﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ﴾	نزلت في قول المسلمين: لَئِنْ كنَّا كلَّما استهزأ المُشركون بالقرآنِ قُمْنا وترَكْناهم، لا نُطيقُ أن نجلسَ في المسجدِ الحرامِ ولا نطوفَ بالبيتِ	٣/ ٢٥٢
﴿لَهُۥٓ أَصْحَـٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا﴾	نزلَتْ في عبدِ الرَّحمنِ بنِ أبي بكرٍ وأبوَيه	٣/ ٢٥٤
﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾	نزلت في قول اليهود: والله ما أنزَلَ الله من السَّماءِ كتابًا	٣/ ٢٦٨
﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾	نزلت في مُسَيلِمةَ الكذَّابِ والأسودِ العَنسيِّ	٣/ ٢٧١

الآية	سبب النزول	ج/ص
﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾	نزلت في الزَّنادقةِ، قالوا: إنَّ اللهَ وإبليسَ أخوان	٣/ ٢٨٥
﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾	نزلت في قول المشركين لرسول الله: لتَنْتهِيَنَّ عن سبِّ آلهتِنا أو لنهجُوَنَّ ربَّك، فنهاهُم الله أن يسُبُّوا أوثانَهم فيسُبُّوا الله عَدْوًا	٣/ ٢٩٣
﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾	نزلَتْ في حمزةَ وأبي جهلٍ	٣/ ٣٠٥
﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾	نزلت في معاذ بن جبل جَدَّ نخلَه فلم يزَلْ يتصدَّقُ حتَّى لم يبقَ منه شيءٌ	٣/ ٣٢٥
﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ﴾	نزلت في مالك بن عوف جادلَ النبيَّ في مخالفة تحريمهم البحيرة والسائبة	٣/ ٣٢٧
﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾	نزلَتْ في الأعرابِ وضُعَفاءِ المُهاجرين	٣/ ٣٤٦

سورة الأعراف

الآية	سبب النزول	ج/ص
﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾	نزلت في ناسٍ منَ الأعرابِ كانوا يطوفون بالبيتِ عُراةً	٣/ ٣٧٨
﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾	نزلت في أهل بدر	٣/ ٣٨٩
﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا﴾	نزَلَتْ في أُميَّةَ بنِ أبي الصَّلْتِ الثَّقفيِّ	٣/ ٤٩٤
﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾	نزلت في قول قريش لرسول الله: إنَّ بينَنا وبينَك قرابةً فأسِرَّ إلينا متى الساعة	٣/ ٥٠٤
﴿قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾	نزلت في قول أهل مكة لرسول الله: ألا أخبرتَنا بالسِّعرِ الرَّخيصِ قبل أن يغلُوَ فنشتريَ به	٣/ ٥٠٦

الآية	سبب النزول	ج/ ص
﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾	نزَلَتْ في رفعِ الأصواتِ في الصَّلاةِ خلفَ رسولِ الله	٣/ ٥٢٠

سورة الأنفال

الآية	سبب النزول	ج/ ص
﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾	نزلت في قول رسول الله: مَن قتَلَ قتيلًا فله كذا وكذا	٣/ ٥٢٦
﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾	نزلت في يوم بدر أخذ رسول الله قبضةً من حصباءِ الوادي فرماهُم بها وقال: «شاهتِ الوجوهُ»، فلم تبقَ عينُ مُشركٍ إلّا دخلَها منها شيءٌ	٣/ ٥٤٣
﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾	نزَلَتْ في النَّضرِ بنِ الحارثِ	٣/ ٥٤٨
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾	نزلت في أبي لبابة بن عبد المنذر الأنصاري	٣/ ٥٥٤
﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾	نزلت في رؤساء قريش اجتمعوا في دار الندوة ليتشاوروا في أمر محمد عليه السلام	٣/ ٥٥٨
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾	نزَلَتْ في المُطعِمين للمشركين يومَ بدرٍ	٣/ ٥٦٦
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾	نزلت في من أسلم مع النبي ﷺ	٣/ ٥٩٢
﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾	نزلت في أسرى بدر	٣/ ٥٩٦
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ﴾	نزَلَتْ في العبّاسِ بنِ عبد المُطَّلِبِ وعقيلِ بنِ أبي طالبٍ ونَوفلِ بن الحارثِ	٣/ ٥٩٩

الآية	سبب النزول	ج/ ص
سورة التوبة		
﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ ﴾	نزلت في قول العباس لما أسر يوم بدر: ما لكم تذكُرونَ مساوِئَنا ولا تذكُرونَ محاسِننَا	٤/ ١٣
﴿لَا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ﴾	نزلَتْ في مُناظرةِ عليٍّ والعبَّاسِ	٤/ ٢٣
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾	نزلت في الذين تخلَّفوا بمكَّةَ ولم يُهاجِروا	٤/ ٢٥
﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً ﴾	نزلت في قول بعض المسلمين لما نزلت ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ ﴾: الآن تنقطعُ عنَّا الميرةُ	٤/ ٣٢
﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا﴾	نزلت في مانعي الزكاة	٤/ ٤٠
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ﴾	نزلَتْ في الحثِّ على غزوةِ تَبوكَ	٤/ ٤٨
﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾	نزلَتْ في الذين اعتَذَروا واعتَلُّوا بالضَّيعةِ والشُّغلِ وانتشارِ الأمرِ	٤/ ٥٢
﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا ﴾	نزلَتْ في المُتخلِّفين عن غزوةِ تبوكَ منَ المُنافقين	٤/ ٥٥
﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا ﴾	نزلت في تخلف عبد الله بن أبي وأصحابه يوم أحد عن اللحاق بالنبي ﷺ	٤/ ٥٩
﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي ﴾	نزلَتْ في جَدِّ بنِ قيسٍ المنافقِ	٤/ ٦١

الآية	سبب النزول	ج/ص
﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ﴾	نزلَتْ في جماعةٍ منَ المُنافقين كانوا يقولون نقولُ ما شِئْنا ثمَّ نأتيه فيُصدِّقُنا بما نقولُ، وإنَّما محمَّدٌ أُذُنٌ سامعةٌ	٤/ ٧٠
﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ ﴾	نزلت في قول بعض المنافقين والله لوَدِدْتُ أنِّي قُدِّمْتُ فجُلِدْتُ مئةً، ولا ينزلُ فينا شيءٌ يفضَحُنا	٤/ ٧٣
﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾	نزلت في رجل منَ المُنافقين في غزوةِ تبوكَ كان يقول ما رأيتُ مثلَ قُرَّائنا هؤلاءِ أرغبَ بُطونًا ولا أكذَبَ لسانًا ولا أجبَنَ عندَ اللِّقاء	٤/ ٧٥
﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ ﴾	نزلَتْ في الجُلاسِ بنِ سُوَيدٍ، قال: لَئِنْ كانَ ما جاء به محمَّدٌ حقًّا لنحنُ شرٌّ منَ الحميرِ، ثمَّ حلَفَ بالله ما قالَه	٤/ ٨٥
﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾	نزلت في قول المنافقين ما أعطى عبدُ الرَّحمنِ وعاصمٌ إلا رياءً، ولقد كانَ اللهُ ورسولُه غنيًّا عن صاعِ أبي عقيلٍ، ولكنَّه أحبَّ أن يذكُرَ نفسَه	٤/ ٩٠
﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا ﴾	نزلت في صلاة رسول الله على عبد الله بن أبي ابن سلول	٤/ ٩٥
﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ ﴾	نزلَتْ في أبي موسى وأصحابِه	٤/ ١٠٢
﴿ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ ﴾	نزلَتْ في عبدِ الله بنِ أُبيٍّ حلَفَ أنْ لا يتخلَّفَ عنه بعدَها وأن يكونَ معَه على عدوِّه	٤/ ١٠٤

الآية	سبب النزول	ج/ ص
﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا ﴾	نزلَتْ في أعاريبَ من أسدٍ وغَطَفانَ، وأعاريبَ من أعرابِ حاضري المدينةِ	٤/ ١٠٥
﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ﴾	نزلَتْ في جُهَينةَ ومُزَينةَ وأشجَعَ وأسلَمَ وغِفارٍ	٤/ ١٠٩
﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ﴾	نزلت في ابنِ أُبيٍّ، وجدِّ بنِ قيسٍ، ومُعتِّبِ بنِ قُشَيرٍ، والجُلاسِ بنِ سُوَيدٍ، وأبي عامرٍ الرّاهبِ	٤/ ١٠٩
﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ ﴾	نزلَتْ في قومٍ كانوا تخلَّفُوا عن غزوةِ تبوكَ ثمَّ ندِمُوا	٤/ ١١١
﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا ﴾	نزلت في المنافقين الذين بنوا مسجداً يضاهون به مسجد قباء	٤/ ١١٦
﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ ﴾	نزلت في مبايعة الأنصار لرسول الله ليلة العقبة بمكة	٤/ ١٢٢
﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ﴾	نزلت في قول رجلٍ من المُهاجرينَ لـمَّا نزَلَ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ ﴾: وإنْ زنا وإنْ سرقَ	٤/ ١٢٤
﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ ﴾	نزلت في قول رسول الله لعمه أبي طالب: لأستَغفِرَنَّ لكَ ما لم أُنْهَ عنه	٤/ ١٢٧
﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ ﴾	نزلت في قوم منَ الأعرابِ أسلَمُوا وعادوا إلى بلادِهم فعملوا بما شاهَدُوا رسولَ الله يفعله	٤/ ١٣٢
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾	نزلت في كعب بن مالك وصاحبيه	٤/ ١٣٧
﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً﴾	نزلت في قول المؤمنين: والله لا نتخَلَّفُ عن غزوةٍ يغزُوها رسولُ الله عليه السَّلامُ ولا سريّةٍ أبدًا	٤/ ١٣٩

الآية	سبب النزول	ج/ص
سورة يونس		
﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾	نزلت في قول الكفار: اللهُ أعظَمُ من أن يكونَ رسولُه بشرًا مثلَ محمَّدٍ	٤/ ١٥٠
﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ﴾	نزلَتْ في النَّضرِ	٤/ ١٥٩
﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ﴾	نزلَتْ في هشامِ بنِ المُغيرةِ المخزوميِّ	٤/ ١٦٠
﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ﴾	نزلَتْ في مُشركي مكَّةَ	٤/ ١٦٢
﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾	نزلَتْ في أبي طالبٍ	٤/ ٢١٣
سورة هود		
﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾	نزلَتْ في الأخنَسِ بنِ شَريقٍ	٤/ ٢٢٦
﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾	نزلَتْ في قومٍ كانوا لا يتعرَّونَ ولا يُبدونَ أجسادَهُم للسَّماءِ ويزعُمونَ أنَّ ذلك يُقرِّبُهم منَ الله	٤/ ٢٢٨
﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾	نزلت في همِّ رسول الله أن لا يقرأ على المشركين ما يكرهون حرصاً على إيمانهم	٤/ ٢٣٣
﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾	نزلَتْ في المنافقين الذين كانوا يغزُونَ مع النَّبيِّ عليه السَّلامُ	٤/ ٢٣٥
﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾	نزلَتْ في رجلٍ أتى النَّبيَّ عليه السَّلامُ فقال: إنِّي أصبتُ من امرأةٍ غيرَ أنِّي لـم آتِها	٤/ ٣١٨

الآية	سبب النزول	ج/ص
سورة يوسف		
﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾	نزلت في رجاء رسول الله إيمان قريش واليهود	٤/ ٤٣٠
﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ﴾	نزلَتْ في تلبيةِ المُشركين	٤/ ٤٣١
سورة الرعد		
﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾	نزلت في قول العرب: إنَّ محمَّدًا يتقوَّلُ القرآنَ من تلقاءِ نفسِه	٤/ ٤٤٠
﴿وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ﴾	نزلت في عامرِ بنِ الطُّفَيلِ وأَرْبَدَ بنِ ربيعةَ	٤/ ٤٥٥
﴿أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ﴾	نزلَتْ بمكَّةَ في حمزةَ وأبي جهلٍ	٤/ ٤٦٦
﴿وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِ﴾	نزلَتْ في صُلحِ الحُديبيةِ حين أرادوا كتابةَ الصُّلحِ	٤/ ٤٧٢
﴿وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ﴾	نزلت في قول قريش لرسول الله: يا محمَّدُ، إنْ سَرَّكَ أن نتَّبعَكَ فسيِّرْ لنا جبالَ مكَّةَ بالقرآنِ	٤/ ٤٧٣
﴿وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾	نزلت في عبد الله بن سلام	٤/ ٤٨٨
سورة إبراهيم		
﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ﴾	نزلَتْ في عذابِ القبرِ	٤/ ٥١٨
﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا﴾	نزَلَتْ في الأفجَرَين من قُريشٍ؛ بني المُغيرةِ وبني أميَّةَ	٤/ ٥١٩

الآية	سبب النزول	ج/ ص
سورة الحجر		
﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ﴾	نزلت في بني عذرة كانت دورهم قاصية عن المسجد فأرادوا أن يبيعوا دورهم ويشتروا دوراً قريبة ليلحقوا الصلاة بالصف بالأول	٥/ ٢٥
﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾	نزلَتْ في أبي بكرٍ وعمرَ وعليٍّ	٥/ ٣٣
﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾	نزلت في قول رسول الله للصحابة: لا أراكُم تضحَكُونَ	٥/ ٣٤
سورة النحل		
﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾	نزلت في قول المشركين لرسول الله: يا محمَّدُ ما نرى شيئًا ممَّا تُخوِّفُنا به	٥/ ٦٤
﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾	نزلَتْ في أُبيِّ بنِ خلَفٍ، أخذَ عظمًا باليًا ففتَّته فقالَ: مَن يُحيي العظامَ وهي رَميمٌ	٥/ ٦٧
﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾	نزلَتْ في قومٍ أسلَمُوا بمكّةَ ولـم يُهاجِروا	٥/ ٨٦
﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾	نزلت في رجل من المشركين أقسَمَ بالله لا يَبعثُ الله مَن يموتُ	٥/ ٩٤
﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟﴾	نزَلَتْ في أصحابِ النَّبيِّ أخذَهم المشركون بمكّةَ فعذَّبوهم وآذوهم، فبوَّأهم الله المدينةَ بعد ذلك	٥/ ٩٦
﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ﴾	نزلَتْ في مُشركي مكَّةَ، أنكَرُوا نُبوَّةَ محمَّدٍ عليه السلام	٥/ ٩٨

الآية	سبب النزول	ج/ص
﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ﴾	نزلَتْ في وفدِ نجرانَ	٥/ ١٢٣
﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ ﴾	نزلت في عثمانَ بنِ عفَّانَ ومولاه أَسِيدِ بنِ أبي العِيْصِ	٥/ ١٢٨
﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾	نزلت في سؤال كفار قريش رسول الله عن الساعة	٥/ ١٢٨
﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ ﴾	نزلَتْ في الذين بايَعُوا رسولَ الله عليه السَّلامُ	٥/ ١٤١
﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ﴾	نزلت في قول المشركين: إنَّ محمَّدًا يَسخرُ بأصحابِه؛ يأمرُهم اليومَ بأمرٍ وينهاهُم عنه غدًا	٥/ ١٤٨
﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ﴾	نزلت في قول المشركين: إن رسول الله يتعلم من غلامين نصرانيين	٥/ ١٤٩
﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ ﴾	نزلَتْ في عمَّارِ بنِ ياسرٍ	٥/ ١٥٢
﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ﴾	نزلت في قوم آمنوا بمكة ولم يهاجروا	٥/ ١٥٥
﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ﴾	نزلت في قول رسول الله يومَ قُتِلَ حمزةُ ومُثِّلَ به: «لَئِنْ ظَفِرْتُ بقُريشٍ لأُمثِّلَنَّ بسبعين رجلًا منهم»	٥/ ١٦٦

سورة الإسراء

﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ﴾	نزلت في قول رسول الله: اللَّهمَّ إنَّما أنا بشرٌ، فمَن دعوتُ عليه فاجعلْ دُعائي رحمةً له	٥/ ١٨٧

الآية	سبب النزول	ج/ ص
﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ﴾	نزلت في المنافقين، كانوا يغزُون مع المسلمين وغرضُهم أن يغنَموا لا يقصدون بذلكَ الثَّوابَ	٥/ ١٩٧
﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا﴾	نزلت في إعراض وسكوت رسول الله عن الفقراء إذا سألوه حياء منهم	٥/ ٢٠٥
﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً﴾	نزلت في إعطاء رسول الله لسائل قميصه الذي عليه فلم يبق عنده شيء	٥/ ٢٠٧
﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾	نزلَت في عمرَ بنِ الخطَّابِ، وذلك أنَّ رجلاً من العربِ شتمَه، فهمَّ به	٥/ ٢٢٥
﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم﴾	نزلَت في قريش حين شكَتْ إلى رسولِ اللهِ عليه السَّلامُ ما نزلَ بهم من القحطِ	٥/ ٢٢٨
﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ﴾	نزلت في سؤال أهلِ مكَّةَ النَّبيَّ عليه السَّلام أن يجعلَ لهم الصَّفا ذهباً	٥/ ٢٣٠
﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾	نزلت في هم رسول الله أن يعطي وفد ثَقيف ما سألوه بأن يمتِّعْهم باللَّات سنةً ويحرِّمْ واديهم كما حرِّمت مكَّة وأن يقول: الله أمرني بذلك	٥/ ٢٤٨
﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾	نزلت في قول اليهود إن كنتَ صادقاً أنَّك نبيٌّ فالحقْ بالشَّامِ، فإنَّ الشَّامَ أرضُ الحشرِ والنَّشرِ وأرضُ الأنبياءِ، فصدَّق ما قالوا وغزا غزوةَ تبوك	٥/ ٢٥١
﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾	نزلت في الوليد بن المغيرة	٥/ ٢٦٠

الآية	سبب النزول	ج/ص
﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ﴾	نزلت في سؤال قريش لليهودِ: أعطونا شيئاً نسألُ عنه الرَّجلَ، فقالوا: سلُوه عن الرُّوح	٥/ ٢٦١
﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ ﴾	نزلت في قول أحبار اليهود لرسول الله: إنْ كنتَ نبيًّا فائتنا بآيةٍ كآيةِ موسى	٥/ ٢٦٥
﴿ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴾	نزلت في قوم من المشركين خاصموا رسول الله عليه السلام	٥/ ٢٦٧
﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ﴾	نزلت في قول أهل الكتاب لرسول الله: إنكَ لتُقِلُّ ذكرَ الرَّحمنِ؟!	٥/ ٢٨٥
﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا ﴾	نزلت في مكة والنَّبيُّ عليه السَّلام مختفٍ بمكَّةَ وكان المشركون إذا سمعوا القرآنَ سبُّوا القرآنَ ومَن أنزله ومَن جاءَ به	٥/ ٢٨٦

سورة الكهف

الآية	سبب النزول	ج/ص
﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴾	نزلت في قول يهود المدينة لقريش: سَلُوا محمَّدًا عن ثلاثِ خِصالٍ أصحابِ الكهف، وعن ذي القَرْنَين، وعن الرُّوح	٥/ ٢٩٨
﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ ﴾	نزلت في قول المؤلفة قلوبهم لرسول الله: لو نحيت عنا الفقراء لجلسنا إليك وأخذنا عنك	٥/ ٣٣٣
﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا ﴾	نزلت في أميَّةَ بنِ خلفٍ الجمحيِّ، دعا النَّبيَّ عليه السَّلامُ إلى طرد الفقراءِ عنه وتقريبِ صناديدِ قريشٍ	٥/ ٣٣٥
﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى ﴾	نزلت في قول اليهود: قد أُوتينا التَّوراة ومَن أُوتي التَّوراة فقد أُوتي خيرًا كثيرًا	٥/ ٤١٩

الآية	سبب النزول	ج/ ص
﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾	نزلت في قول رجل من الصحابة: يا نبيَّ الله، إنِّي أحبُّ الجهاد في سبيل الله، وأحبُّ يُرى مكاني	٥/ ٤٢١

سورة مريم

﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾	نزلت في أبيِّ بنِ خلفٍ حينَ أخذ عظامًا باليةً ففتَّها بيده وقال: يَزْعُم محمَّدٌ لكم أنَّا نُبعَثُ بعدما نموت	٥/ ٤٧٩
﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا﴾	نزلت في النَّضْر بن الحارث	٥/ ٤٨٣
﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾	نزلت في العاصِ بن وائلٍ	٥/ ٤٨٦
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وُدًّا﴾	نزلت في علي بن أبي طالب	٥/ ٤٩٥

سورة طه

﴿طه ① مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾	نزلت في قول المشركين لرسول الله: إنَّك لتَشقَى بتركِ ديننا وذلك لِمَا رأَوْا من طولِ عبادتِه وشدَّةِ اجتهاده	٥/ ٥٠١
﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾	نزلت تعزية رسول الله عن الدنيا	٥/ ٥٨٥

سورة الأنبياء

﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾	نزلت في أبي جهل وأبي سفيان	٦/ ٣٠

الآية	سبب النزول	ج/ ص
﴿سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾.	نزلت في النَّضر بن الحارث حين استعجَلَ العذابَ	٦/ ٣٤
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾	نزلت في محاججة المشركين لرسول الله لما نزل ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾	٦/ ٧٦

سورة الحج

الآية	سبب النزول	ج/ ص
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾	نزلت في النَّضْر بن الحارث	٦/ ٩١، ٩٦
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾	نزلت في أعرابٍ كانوا يَقْدمون على رسول الله ﷺ المدينة	٦/ ٩٧
﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾	نزلت في قومٍ من أسدٍ وغطفانَ تباطَؤوا عن الإسلام وقالوا: نخافُ أن لا يُنصَرَ محمَّدٌ	٦/ ١٠٢
﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِي رَبِّهِمْ﴾	نزلَتْ في المبارَزة يومَ بدرٍ	٦/ ١٠٧
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾	نزلتْ في أبي سفيانَ وأصحابِه حين صَدُّوا رسولَ الله عن البيت	٦/ ١١٢
﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟﴾	نزلت في أقوامٍ بأعيانهم أرادوا الخروج من مكَّةَ إلى المدينةِ للهجرة، فمُنعوا، فأَذِنَ اللهُ لهم في قتالِ الذين يمنعونهم من الهجرة	٦/ ١٣١
﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾	نزلت في قول ابن أم مكتوم لرسول الله: يا رسولَ الله، أنا في الدُّنيا أعمى، أفأكونُ في الآخرةِ أعمى؟	٦/ ١٣٩

الآية	سبب النزول	ج/ص
﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾	نزلت في النَّضر بن الحارث	٦/ ١٤٠
﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ﴾	نزلتْ في قومٍ من المشركين أرادوا قتالَ قومٍ من المسلمين لِلَيلتَينِ بَقِيَتا من المحرَّم فقاتَلَهم المسلمون ونصَر اللهُ المسلمين	٦/ ١٥٠
﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾	نزلت في مالكِ بن الصَّيفِ وكعبِ بن الأشرف وجماعةٍ من اليهود	٦/ ١٥٩

سورة المؤمنون

الآية	سبب النزول	ج/ص
﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾	نزلت في رسول الله كانَ ينظرُ في الصَّلاةِ إلى السَّماءِ	٦/ ١٦٧
﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُواْ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾	نزلت في قول أبي سفيان لرسولِ اللهِ: يامحمَّدُ، أنشُدُكَ اللهَ والرَّحِمَ لقد أكلْنا العِلْهِزَ	٦/ ٢١٠

سورة النور

الآية	سبب النزول	ج/ص
﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾	نزَلَتْ في مَرْثَدٍ الغَنَوِيِّ، أرادَ أن يتزوَّجَ عَناقَ، وكانت زانيةً مُشركةً	٦/ ٢٣٦
﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾	نزلَتْ في إفكِ عائشةَ رضي الله عنها	٦/ ٢٣٩
﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ﴾	نزلت في قصة هلال بن أمية	٦/ ٢٤٢
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ﴾	نزلت في براءة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها من حادثة الإفك	٦/ ٢٤٥
﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ﴾	نزلَتِ في يتيمٍ كان في حِجرِ أبي بكرٍ حلَفَ ألا يُنفِقَ عليه	٦/ ٢٤٩، ٢٥٧
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾	نزلت في امرأة من الأنصار قالت لرسول الله: إنِّي أكونُ في بيتي على حالٍ لا أُحِبُّ أن يراني عليها أحد	٦/ ٢٦١

الآية	سبب النزول	ج/ص
﴿ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ ﴾	نزلت في سؤال أبي بكر لرسول الله: أرأيتَ الخاناتِ والمساكنَ في طريقِ الشَّامِ ليس فيها ساكنٌ	٦/ ٢٦١
﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾	نزلت في غلامٍ لحُويطبِ بنِ عبدِ العُزَّى سألَ مولاه أن يُكاتِبَه فأبى عليه	٦/ ٢٧٣
﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ ﴾	نزلت في عبدِ اللهِ بنِ أبيٍّ ابنِ سَلُولَ كان يجبر جواريه على الزنا	٦/ ٢٧٤
﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ ﴾	نزلت في شيبةَ بنِ ربيعةَ، وكان يترهَّبُ في الجاهليَّةِ، ويلبسُ الصُّوفَ، ويطلبُ الدِّينَ، فكفَرَ في الإسلامِ	٦/ ٢٨٨
﴿ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ ﴾	نزلت في بِشرٍ المُنافقِ، كان بينَه وبين يهوديٍّ خُصومةٌ واليهوديُّ يدعوه إلى النَّبيِّ وبِشرٌ يدعوه إلى كعبِ بنِ الأشرفِ	٦/ ٢٩٧
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾	نزلت في قول أسماء بنت مرشد لرسول الله: إنَّ خدَمَنا وغلمانَنا يدخُلون علينا في حالٍ نكرَهُها	٦/ ٣٠٥
﴿ لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ ﴾	نزلت في تحرُّجَ المسلمين عن مُؤاكَلةِ المرضى والزَّمْنَى والعُمْيِ والعُرْجِ	٦/ ٣١١
﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾	نزلَتْ في قومٍ منَ الأنصارِ كانوا لا يأكلون إذا نزلَ بهم ضيفٌ إلّا مع ضيفِهم	٦/ ٣١٦
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾	نزلت في عمرَ بنِ الخطَّابِ	٦/ ٣١٩

الآية	سبب النزول	ج/ ص
سورة الفرقان		
﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾	نزلَتْ في أصحابِ رسولِ الله ﷺ حين قالت قُريشٌ: انظُروا إلى أصحابِ محمَّدٍ هم مَوالِيْنا وعبيدُنا	٦/ ٣٤٢
﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾	نزلَتْ في عُقبةَ بنِ أبي مُعَيطٍ وأُبيِّ بنِ خلَفٍ	٦/ ٣٤٩
﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾	نزلَتْ في أبي جهلٍ	٦/ ٣٥٢
﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾	نزلَتْ في الحارثِ بنِ قيسٍ كان إذا هوى شيئًا عبدَه	٦/ ٣٦٣
﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾	نزلت تصديقاً لكلام رسول الله لما سأله ابن مسعود عن أي الذنب أعظم	٦/ ٣٨٤
﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾	نزلَتْ في الوحشيِّ قاتلِ حمزةَ	٦/ ٣٨٦
سورة القصص		
﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾	نزلت في أبي طالب	٦/ ٥٩٢
﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ﴾	نزلَتْ في قول الحارثِ بنِ عثمانَ: إنَّا لنعلَمُ أنَّ الذي تقولُه حقٌّ ولكنْ منعَنا من اتِّباعِك أنَّ العربَ تَخْطَفُنا من أرضِنا	٦/ ٥٩٣
﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا﴾	نزلَتْ في عليٍّ وحمزةَ رضي الله عنهما وأبي جهلٍ	٦/ ٥٩٦
﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾	نزلَتْ جوابًا للوليدِ بنِ المُغيرةِ	٦/ ٦٠٠

الآية	سبب النزول	ج/ ص
سورة العنكبوت		
﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾	نزلت في مهجع مولى بن عمر قتل يوم بدر	٧/ ٨
﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾	نزلت في سعدِ بنِ أبي وقّاصٍ وأمِّه حَـمْنَةَ	٧/ ١٢
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾	نزلَتْ في المنافقين	٧/ ١٤
﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾	نزلت في أبي جهل	٧/ ٤٤
سورة لقمان		
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ﴾	نزلَتْ في شراءِ القِيَانِ والمُغنِّياتِ	٧/ ١٠٧
﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ﴾	نزلَتْ في سعدِ بنِ أبي وقّاصٍ	٧/ ١١٦
﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ﴾	نزلت في أبي بكر الصديق	٧/ ١١٨
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾	نزلَتْ في النَّضرِ بنِ الحارِثِ	٧/ ١٢٥
﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ﴾	نزلت في قول اليهود: كيف يجتمع علمٌ قليلٌ وخيرٌ كثيرٌ؟!	٧/ ١٢٨
﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾	نزلَتْ في الوارثِ بنِ عمرٍو من أهلِ الباديةِ، أتى النَّبيَّ ﷺ فسألَه عن السَّاعةِ ووقتِها	٧/ ١٣٣
سورة السجدة		
﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾	نزلَتْ في المُتهجِّدين	٧/ ١٤٩
﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا﴾	نزلت في علي بن أبي طالب والوليد بن عقبة	٧/ ١٥١

الآية	سبب النزول	ج/ ص
﴿قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَـٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾	نزلَتْ في قومٍ قتلَهم خالدُ بنُ الوليدِ يومَ فتحِ مكّةَ	٧/ ١٥٩

سورة الأحزاب

﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ﴾	نزلت في جميلِ بنِ مَعْمَرٍ الفِهرِيِّ كان يقولُ: إنَّ لي قلبَين؛ أعقِلُ بكلٍّ واحدٍ منهما أفضلَ من عقلِ محمَّدٍ	٧/ ١٦٥
﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّـٰٓـِٔى تُظَـٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَـٰتِكُمْ﴾	نزلَتْ في أوسِ بنِ الصَّامتِ وامرأتِه خولةَ بنتِ ثعلبةَ	٧/ ١٦٨
﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ﴾	نزلَتْ في زيدِ بنِ الحارثةِ	٧/ ١٦٩
﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾	نزلَتْ في قول مُعتِّبِ بنِ قُشَيرٍ يوم الأحزاب: يعِدُنا أن يُفتحَ علينا قصورُ الرُّومِ والفُرسِ واليمنِ، ولا يستطيعُ أحدُنا أن يذهبَ إلى الخلاءِ	٧/ ١٧٨
﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾	نزلَتْ في أنسِ بنِ النَّضرِ	٧/ ١٨٨
إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾	نزلت في رسول الله وعليٍّ، وفاطمةَ، والحسنِ، والحسَينِ	٧/ ٢٠١
﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ﴾	نزلت في قول نساء من المسلمات لأزواج النبي: ذُكِرْتُنَّ ولـم نُذْكَرْ، ولو كان فينا خيرٌ ذُكِرْنا	٧/ ٢٠٤
﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا﴾	نزلَتْ في زينبَ بنتِ جحشٍ وأخيها خطَبها لزيدٍ فكرِهَتْ ذلك وكرِهَه أخوها	٧/ ٢٠٦

الآية	سبب النزول	ج/ ص
﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ﴾	نزلت في قصة زينب وزيد بن حارثة	٧/ ٢٠٧
﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ﴾	نزلَتْ حين غارَ بعضُ نساءِ النَّبيِّ ﷺ وآذَينه بالغَيرةِ وطَلَبِ زيادةِ النَّفقةِ	٧/ ٢٢٧
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ ﴾	نزلَتْ في ناسٍ منَ المُؤمنين كانوا يتحيَّنون طعامَ رسول الله فيدخُلون عليه قبل الطَّعامِ إلى أن يُدْرِكَ، ثمَّ يأكُلون ولا يخرُجون	٧/ ٢٣٣
﴿وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ﴾	نزلت في قول رجل من سادة قريش: لو تُوفِّيَ رسولُ الله لتزوَّجْتُ عائشة	٧/ ٢٣٨
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ﴾	نزلت في قول أحد الصحابة: قد عرَفْنا السَّلامَ عليك، فكيف الصَّلاةُ عليك؟	٧/ ٢٤٠
﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ ﴾	نزلت في أناس منَ المُنافقين كانوا يُؤذونَ علي بن أبي طالب ويُسمِعونه	٧/ ٢٤٣
﴿ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا ﴾	نزلت في المُطعِمينَ للمشركين يومَ بدرٍ	٧/ ٢٥٠

سورة سبأ

﴿لَن نُّؤْمِنَ بِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾	نزلَتْ في اليهودِ، والكتابُ الذي بين يدَيه الإنجيلُ	٧/ ٢٩٨
﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾	نزلَتْ في السُّفيانيَّةِ	٧/ ٣١٢

سورة فاطر

﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ﴾	نزلَتْ في العاصِ بنِ وائلٍ والأسودِ بنِ المُطَّلبِ	٧/ ٣٢٥
﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾	نزلَتْ في أبي بكرٍ رضي الله عنه	٧/ ٣٤١

الآية	سبب النزول	ج/ ص
سورة يس		
﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا ﴾	نزلَتْ في أبي جهلٍ، حلَفَ أن يرضَخَ رأسَ محمَّدٍ ﷺ	٧/ ٣٦٣
﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾	نزلت في اشتكاء بني سَلِمةَ إلى رسولِ الله ﷺ بُعْدَ منازِلِهم من المسجد	٧/ ٣٦٤
﴿ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴾	نزلت في أُبيِّ بنِ خلَفٍ	٧/ ٤٠٢
سورة الصافات		
﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا ﴾	نزَلَتْ في أبي الأشدِّ بنِ كَلَدةَ بنِ أَسِيْدٍ	٧/ ٤١٢
سورة ص		
﴿ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا ﴾	نزلت في أبي جهل والوليد بن المغيرة	٧/ ٤٨١
﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ ﴾	نزلَتْ في رهطٍ: عليٍّ وحمزةَ وعُبيدةَ بنَ الحارثِ وعُتبةَ وشَيبةَ ابنَي ربيعةَ، والوليدِ بنِ عتبة	٧/ ٥٠٦
سورة الزمر		
﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا ﴾	نزلت في أبي حُذَيفةَ بنِ المُغيرةِ	٨/ ١٤
﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ ﴾	نزلَتْ في أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه	٨/ ١٥
﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ ﴾	نزلَتْ في ثلاثةِ نفرٍ كانوا في الجاهليَّةِ يقولونَ: «لا إلهَ إلا الله»	٨/ ٢١
﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ﴾	نزلَتْ في حمزةَ وعليٍّ وأبي لهبٍ وولدِه	٨/ ٢٦
﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ ﴾	نزلت في قول الصحابة لرسول الله لو حدثتنا	٨/ ٢٧

الآية	سبب النزول	ج/ ص
﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾	نزلَتْ في أهلِ مكّةَ قالوا: يزعُمُ محمَّدٌ أنَّ مَن عبدَ الأوثانَ وقتلَ النَّفسَ التي حرَّمَ الله لن يُغفرَ له	٨/ ٤٨
﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾	نزلت في رجل من أهل الكتاب قال لرسول الله: بلغَكَ أنَّ الله يحملُ الخلائقَ على إصبعٍ، والأرضَ على إصبعٍ، والسَّماءَ على إصبعٍ، والبحورَ على إصبعٍ، والثَّرى على إصبعٍ	٨/ ٥٨

سورة غافر

الآية	سبب النزول	ج/ ص
﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾	نزلَتْ في الحارثِ بنِ قيسٍ السَّهميِّ أحدِ المُستَهزئينَ	٨/ ٧٥
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ﴾	نزلَتْ في مُشركي مكّةَ	٨/ ١٠٦
﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ﴾	نزلت في قول بعض المشركين: أترَى اللهَ يسمعُ ما نقولُ؟	٨/ ١٤١

سورة فصلت

الآية	سبب النزول	ج/ ص
﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ﴾	نزلَتْ في أبي جهلٍ وأصحابِه، كانوا يقولون: إذا سمعتُم القرآنَ من محمَّدٍ فارفعُوا أصواتَكم بالشِّعرِ والكلامِ في وجهِه حتَّى تُلبِّسُوا عليه	٨/ ١٤٦
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾	نزلَتْ في أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ	٨/ ١٤٨
﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾	نزلت في بلال بن رباح	٨/ ١٥١
﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾	نزلت في أبي سفيان	٨/ ١٥٢

الآية	سبب النزول	ج/ ص
سورة الشورى		
﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۚ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ﴾	نزلَتْ في الوليدِ بنِ المُغيرةِ وشيبةَ بنِ ربيعةَ	٨/ ١٨٦
﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾	نزلَتْ في الذين حارَبُوا مع رسولِ الله ﷺ	٨/ ١٩٠
﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا﴾	نزلت في قول المشركين: أترَونَ محمَّدًا يَسأَلُ على ما يتعاطاه أجرًا	٨/ ١٩٣
﴿وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ﴾	نزلَتْ في أصحابِ الصُّفَّةِ تمَنَّوا الغِنَى	٨/ ١٩٨
﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾	نزلَتْ في أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ	٨/ ٢٠٧
سورة الزخرف		
﴿بَلۡ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ﴾	نزلت في الوليدِ، وأبي سفيانَ، وأبي جهلٍ، وعُتبةَ وشيبةَ ابني رَبيعةَ من قريشٍ	٨/ ٢٣١
﴿أَمۡ أَبۡرَمُوٓاْ أَمۡرٗا فَإِنَّا مُبۡرِمُونَ﴾	نزلتْ في كفارِ قريشٍ حين اجتمَعوا في دارِ الندوة وأَجْمَعوا على الاغتيالِ بمحمدٍ ﷺ	٨/ ٢٥٩
سورة الجاثية		
﴿يَسۡمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسۡتَكۡبِرٗا﴾	نزلت في النَّضرِ بنِ الحارثِ	٨/ ٣٠٦
﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾	نزلتْ في عمرَ بنِ الخطابِ اشتمَل بسيفِه يريد التوجه إلى عبد الله بن أبي	٨/ ٣٠٩
﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾	نزلت فيمَن قالوا: نُعطَى في الآخرةِ خيراً مما يُعطَى المؤمنون	٨/ ٣١٤

الآية	سبب النزول	ج/ ص
سورة الأحقاف		
﴿وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ﴾	نزلت في مراجعة الصحابة للنبي في رؤيا رآها في المنام لمَّا بَطُؤَ حصولها	٨/ ٣٣٤
﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ قَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ﴾	نزلت في أبو بكر الصديق	٨/ ٣٤١
﴿وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفّٖ لَّكُمَآ﴾	نزلت في عبدِ الرحمن بنِ أبي بكرٍ رضي الله عنهما قبل الإسلام	٨/ ٣٤٣
سورة محمد		
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ﴾	نزلتْ في قومٍ آمَنوا ثم ارتدُّوا	٨/ ٣٩٣
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ﴾	نزلتْ في رؤساءِ أهلِ بدرٍ	٨/ ٣٩٤
سورة الفتح		
﴿لِّيُدۡخِلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾	نزلت في قول رجل من الصحابة لرسول الله هنيئاً مريئاً لك يا نبيَّ الله، قد بَيَّنَ اللهُ لنا ما يُفْعَلُ بك، فماذا يُفعَلُ بنا؟	٨/ ٤١٢
﴿سَيَقُولُ ٱلۡمُخَلَّفُونَ﴾	نزلت في غزوةِ تبوكَ	٨/ ٤٢١
﴿وَهُوَ ٱلَّذِي كَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ عَنۡهُم﴾	نزلت في ثمانين رجلاً من أهلِ مكةَ هَبَطُوا على رسولِ الله ﷺ من جبلِ التنعيم متسلِّحينَ يريدونَ غِرَّةَ النبيِّ وأصحابِه، فأَخَذهم فاستَحْيَاهم	٨/ ٤٢٦

الآية	سبب النزول	ج/ ص
﴿لَقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ﴾	نزلت في قول بعض الصحابة: أليس كان يَعِدُنا رسولُ الله ﷺ أن نأتيَ البيتَ فنطوفَ به؟!	٨/ ٤٣٤

سورة الحجرات

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾	نزلت في اختلاف أبي بكر وعمر في التأمير على ركب بني تميم حتى ارتفعت أصواتهما	٨/ ٤٤٥
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾	نزلتْ في ثابتِ بنِ قيسِ بنِ شماسٍ، كان في أذنَيْه وَقْرٌ	٨/ ٤٤٨
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾	نزلت في قول أبي بكر: آليتُ على نفسي أنْ لا أكلِّمَ النبيَّ ﷺ إلا كأخِي السِّرار	٨/ ٤٤٩
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ﴾	نزلتْ في الوليدِ بن عُقبةَ	٨/ ٤٥٢
﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟﴾	نزلت في الأوسَ والخزرجَ كان بينهُما حربٌ في عهدِ رسولِ الله ﷺ بالسَّعف والنِّعال	٨/ ٤٥٦
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾	نزلَتْ في كعبِ بنِ مالكٍ قال لعبد الله: يا أعرابيّ، فقال له عبدُ الله: يا يهوديّ	٨/ ٤٥٩
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾	نزلتْ في ثابتِ بنِ قيسٍ حينَ قال: فلانُ ابنُ فلانةَ	٨/ ٤٦٥
﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا﴾	نزلتْ في أعرابٍ من بني أسدِ بنِ خُزَيمةَ قَدِموا على رسولِ الله ﷺ في سنةٍ جَدْبةٍ وأَظْهَروا الشهادتَينِ	٨/ ٤٦٧
﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟﴾	نزلتْ في قومٍ من المؤمنين مَنُّوا بإيمانهم على رسولِ الله ﷺ	٨/ ٤٧٠

الآية	سبب النزول	ج/ ص

سورة ق

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾	نزلت في سؤال اليهود النَّبيَّ ﷺ عن خلقِ السَّماواتِ والأرضِ	٨/ ٥٠٤

سورة النجم

﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾	نزلَتْ في نبهانَ التَّمَّارِ	٨/ ٥٩
﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾	نزلت في قول رسول الله: ما من نسمةٍ يخلقُه الله في بطنِ أمِّه إلا وهو شقيٌّ أو سعيدٌ	٨/ ٦٠
﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ﴾	نزلَتْ في الوليدِ بنِ المُغيرةِ	٨/ ٦٠

سورة القمر

﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾	نزلت في انشقاق القمر على عهد رسول الله	٨/ ٧٧
﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾	نزلَتْ في أبي جهلٍ، كان له فرسٌ كميت وكان يحلف باللَّات والعُزَّى ليقتُلَنَّ عليه محمَّدًا	٨/ ١٠١
﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾	نزلت في قُريش جاءوا يختَصِمونَ في القَدَرِ	٨/ ١٠٣

سورة الرحمن

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾	نزلَتْ في قول المشركين: ﴿وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾	٨/ ١٠٩
﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾	نزلَتْ في أبي بكرٍ رضي الله عنه؛ شرِبَ لبنًا، فقيلَ له: إنَّه من غيرِ حلٍّ، فاستقاءَ	٨/ ١٣٥

الآية	سبب النزول	ج/ص
سورة الواقعة		
﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴾	نزلت في قول عمر بن الخطاب لرسول الله: آمنّا بكَ وصدَّقناك، وما ينجو منَّا قليلٌ	٩/ ١٥٨
﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾	نزلت في تمني المسلمين لو أن لهم مثل وادي وَجٍّ	٨/ ١٦٥
سورة الحديد		
﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟﴾	نزلَتْ في أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ	٨/ ٢٠٠
﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ	نزَلَتْ في فريقٍ منَ المُؤمنين استُعتِبُوا لتقصيرٍ كانَ منهم	٨/ ٢٠٨
سورة المجادلة		
﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾	نزلَتْ في خولةَ وأوس بن الصامت	٩/ ٢٢٩
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ﴾	نزلَتْ في اليهودِ والمُنافقينَ	٩/ ٢٣٨
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ ﴾	نزلَتْ في ثابتِ بنِ قيسٍ	٩/ ٢٤٣
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ﴾	نزلَتِ في الأغنياءِ	٩/ ٢٤٥
﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾	نزلَتْ في أبي عُبيدةَ بنِ الجرَّاحِ، قتلَ أباه يومَ أُحدٍ	٩/ ٢٥١

الآية	سبب النزول	ج/ص
	سورة الحشر	
﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ﴾	نزلت في قول اليهود لرسول الله: زعمْتَ أنَّك تُريُد الصَّلاحَ، وقَطعُ الشَّجرةِ المُثمرةِ وعقرُ النَّخيلِ فسادٌ في الأرضِ	٩/ ٢٦٠
	سورة الممتحنة	
﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾	نزلت في قُتَيلة بنت عبدِ العُزَّى أم أسماء بنت أبي بكر لم تقبل هداياها ولم تدخلها بيتها	٩/ ٢٨٩
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ﴾	نزلت في صلح الحديبية	٩/ ٢٩٢
	سورة الصف	
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾	نزلَتْ في قومٍ قالوا: لو علِمْنا أحبَّ الأعمالِ إلى الله سارَعْنا إليه، فلمَّا نزلَ فرضُ الجهادِ تثاقَلُوا عنه	٩/ ٣٠٢
	سورة الجمعة	
﴿وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا﴾	نزلت في قوم كانوا مع رسول الله في الجمعة فمرَّتْ عِيرٌ تحملُ الطَّعامَ، فخرجَ النَّاسُ إلا اثنَي عشرَ رجلًا	٩/ ٣٢٣
	سورة المنافقون	
﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾	نزلت في الأعراب والمنافقين	٩/ ٣٢٧

الآية	سبب النزول	ج/ ص
سورة التغابن		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡ﴾	نزلت في الرَّجل يُسلِمُ، فإذا أرادَ أن يُهاجِرَ منعَه أهلُه وولدُه	٩/ ٣٤٤
سورة الطلاق		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾	نَزَلَتْ في عبدِ الله بنِ عمرَ وذلك أنَّه طلَّقَ امرأتَه حائضًا	٩/ ٣٥٠
﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾	نزلت في اشتكاء عوف بن مالك لرسول الله الفاقة بعد أن أسر ابنه فأمره رسول الله بإكثار قول: لا حول ولا قوة إلا بالله	٩/ ٣٥٧
سورة التحريم		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾	نزلت في تحريم رسول الله مارية جاريته على نفسه	٩/ ٣٦٩
سورة الملك		
﴿وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾	نزلَتْ في المُشركينَ، كانُوا ينالونَ من رسولِ الله ﷺ، فيُخبِرُه جبريلُ عليه السَّلامُ بما قالُوا فيه ونالُوا منه	٩/ ٣٩٩
﴿أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ أَهۡدَىٰٓ أَمَّن يَمۡشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾	نزلَتْ في أبي جهلٍ وعمَّارٍ	٩/ ٤٠٤
سورة القلم		
﴿مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ﴾	نزلَتْ جوابًا للمُشركين حينَ قالوا لرسول الله ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ﴾	٩/ ٤٠٩

الآية	سبب النزول	ج/ص
﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾	نزلت في قول عتبة بن ربيعة وامرأته: لئِن كانَ ما يقولُهُ محمَّدٌ حقًّا من الثوابِ في الجنَّةِ لنكونَنَّ أكثرَ ثوابًا مِنهُم	٩/ ٤٣١
﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ﴾	نزلَتْ حينَ أرادَ الكُفَّارُ أنْ يَعِينوا رَسولَ اللهِ ﷺ فيُصيبوهُ بالعَيْنِ	٩/ ٤٤٠

سورة الحاقة

الآية	سبب النزول	ج/ص
﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾	نزلَتْ في أبي سَلَمة بن عبد الأسدِ	٩/ ٤٥٩
﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾	نزلَتْ في الصَّائِمينَ خاصَّةً	٩/ ٤٦٠
﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ﴾	نزلَتْ في أبي جهلٍ	٩/ ٤٦١

سورة المعارج

الآية	سبب النزول	ج/ص
﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾	نزلَتْ في أبي جَهلٍ حينَ قالَ: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ﴾	٩/ ٤٧١
﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ﴾	نزلَتْ في المُستَهْزِئينَ	٩/ ٤٨٧

سورة المدثر

الآية	سبب النزول	ج/ص
﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾	نزلت في رسول الله لما رأى جبريل أخذته الرجفة فأتى خديجة فأمرها أن تدثره وتصب عليه الماء	٩/ ٥٥١
﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾	نزلتْ في الوليدِ بن المغيرة	٩/ ٥٥٧

الآية	سبب النزول	ج/ص
﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾	نزلتْ في الوليدِ بن المغيرة	٩/ ٥٦٠
﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾	نزلت في قول ابن كلدة لما نزل ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾: أنا أكفيكم سبعةَ عشرَ منهم فاكفوني اثنين	٩/ ٥٦٤

سورة القيامة

الآية	سبب النزول	ج/ص
﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ﴾	نَزَلتْ في عدِيٍّ بن رَبيعةَ قال لرسول الله: أو يجمعُ اللهُ هذهِ العظامَ؟!	٩/ ٥٧٥
﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾	نزلت في أبي جهلٍ	٩/ ٥٨٦

سورة الإنسان

الآية	سبب النزول	ج/ص
﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾	نزلت في عليٍّ بنِ أبي طالبٍ وفاطمةَ رضيَ اللهُ عنهما	٩/ ٦٠٠
﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾	نزلت في أبي جهلٍ	٩/ ٦٠٨

سورة عبس

الآية	سبب النزول	ج/ص
﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ﴾	نزلت في عتاب رسول الله لإعراضه عن عبد الله ابن أم مكتوم	١٠/ ٨

سورة التكوير

الآية	سبب النزول	ج/ص
﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾	نزلت في قول أبي جهل لما نزل قوله تعالى ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾: ذلكَ إلينا إنْ شِئنا استقَمْنا وإنْ لَم نَشأْ لم نَستقِم	١٠/ ٧١

الآية	سبب النزول	ج/ ص
سورة الانفطار		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾	نزلَتْ في أُبيٍّ بن خلفٍ	١٠/ ٧٥
سورة المطففين		
﴿وَيۡلٌ لِّلۡمُطَفِّفِينَ﴾	نزلت في أبي جهينة كان له صاعان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر	١٠/ ٨٢
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ﴾	نزلَتْ في أَبي جَهلٍ وأَصحابِهِ	١٠/ ٩٥
سورة الطارق		
﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾	نزلت في سؤال أبي طالب لرسول الله عن النجم الساقط	١٠/ ١٢١
سورة الغاشية		
﴿لَّا يُسۡمِنُ وَلَا يُغۡنِي مِن جُوعٍ﴾	نزلت في استهزاء أبي جهل بقوله وما بالُ الضَّريعِ سيسمننا كما يسمِّنُ في الدنيا إبلَنَا	١٠/ ١٤١
سورة الفجر		
﴿كَلَّاۖ بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ﴾	نزلَتْ في قُدامَةَ بنِ مَظعونٍ وكانَ يتيمًا في حِجرِ أُميَّةَ بنِ خلفٍ يدفعُهُ عن حَقِّهِ	١٠/ ١٥٤
سورة البلد		
﴿أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ﴾	نزلَتْ في أَبي الأَشدِّ بن كَلَدةَ بن أَسيدٍ	١٠/ ١٦٤

الآية	سبب النزول	ج/ ص
سورة الليل		
﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾	نزلَتْ في أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ وفي أُميَّةَ وأُبيٍّ ابني خلفٍ	١٠/ ١٧٩
﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾	نزلَتْ في أَبي سُفيانَ	١٠/ ١٨١
﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ﴾	نزلت في قول المشركين عن أبي بكر لما أعتق بلالاً: ما فعل ذلكَ إلا ليدٍ كانَت عِندَهُ لبلالٍ	١٠/ ١٨٣
سورة الضحى		
﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾	نزلت في قول المشركين: إنَّ محمَّدًا قد وَدَّعَهُ ربُّهُ وقلاه	١٠/ ١٨٦
سورة العلق		
﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ﴾	نزلَتْ في أَبي جَهلٍ	١٠/ ٢٠٧
﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ﴾	نزلت في قول أبي جهل: واللاتِ والعُزَّى لئن رأيتُهُ يصلي لأطأنَّ رقبته	١٠/ ٢٠٨
﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ﴾	نزلت في قول أبي جهل لرسول الله: لقَد علمتَ ما بها أكثرُ ناديًا مني	١٠/ ٢١٠
سورة القدر		
﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾	نزلت في دعاء رسول الله: ربِّ جعلتَ أمَّتي أقصرَ الأُمَمِ أعمارًا وأقلَّهم أعمالًا	١٠/ ٢١٤

الآية	سبب النزول	ج/ ص
سورة الزلزلة		
﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾	نزلت في رجلينِ كانَ أحدُهما يأتيهِ السَّائلُ فيستقلُّ أن يعطيَهُ والآخرُ يتهاونُ بالذنبِ الصغيرِ والكِذبةِ والغيبةِ والنظرةِ	١٠/ ٢٢٩
سورة العاديات		
﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾	نزلت في قول المنافقين عن سرية أرسلها رسول الله إلى حي من كنانة: إنهم قتلوا جميعاً	١٠/ ٢٣١
سورة التكاثر		
﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾	نزلت في مفاخرة بني عبد مناف وبني سهم بالمكاثرة	١٠/ ٢٤٥
سورة الهمزة		
﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾	نزلت في الوليدِ بنِ المغيرةِ	١٠/ ٢٥٦
سورة الماعون		
﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾	نزلت في العاصِ بن وائلٍ السهميِّ	١٠/ ٢٧٥
سورة الكوثر		
﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾	نزلت في العاص بن وائلٍ السهميِّ قالَ: إنَّ محمَّدًا صُنْبورٌ أبترُ فإذا ماتَ انقطعَ ذكرُهُ	١٠/ ٢٧٩
﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾	نزلت في الحديبيةِ حينَ صُدَّ النبيُّ عليهِ السَّلامُ عنِ البيتِ، فأمرَهُ اللهُ تعالى أن يصليَ وينحرَ وينصرفَ	١٠/ ٢٨٢

الآية	سبب النزول	ج/ص
سورة الكافرون		
﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾	نزلت في رهط من قريش قالوا لرسول الله: هلمَّ فاتبعْ دينَنا ونتبعْ دينَكَ	١٠/ ٢٨٥
سورة المسد		
﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾	نزلت في قول أبي لهب لرسول الله لما دعاهم لينذرهم: تبًّا لكَ ألهذا دعوتَنا جميعًا؟!	١٠/ ٢٩٧

* * *

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
أبطأتَ عليَّ حتَّى ساء ظنِّي	عكرمة	٥/ ٤٧٨
أبغضُ الرِّجالِ إلى الله	عائشة	٥/ ٤٩٦
أبكي للَّذي عرَضَ عليَّ أصحابُك من الفِداءِ	عمر بن الخطاب	٣/ ٥٩٦
ابنُ آدمَ يقولُ: مالي مالي	عبد الله بن الشخير	١٠/ ٢٤٦
أتاني مَلَكٌ فقال: يا محمدُ	عبد الله بن مسعود	٨/ ٢٤٣
اتَّخذَ الله إبراهيمَ خليلاً	أبو هريرة	٢/ ٤٤٠
أتُعطونَني كلمةً واحدةً	عبد الله بن عباس	٧/ ٤٨٢
اتَّقِ الله واصبر	عبد الله بن عباس	٩/ ٣٥٧
الأَثَامُ والغيُّ بئرانِ في النَّارِ	أبو أمامة الباهلي	٦/ ٣٨٥
أجِبْ عنِّي، اللَّهمَّ أيِّدْه بروحِ القُدُسِ	أبو هريرة	٦/ ٤٦٩
أجِدُ نَفَسَ ربِّكم		١٠/ ٢٩١
اجعلها بين آيتي الرِّبا والدَّين		١/ ٥٠٥
اجعَلُوها في رُكوعِكُم	عقبة بن عامر	٩/ ١٨١
اجعَلُوها في سُجودِكُم	عقبة بن عامر	١٠/ ١٢٩
أجيبوه لا سَواءٌ؛ قَتلانا في الجنّةِ وقَتلاكم في النّارِ		٢/ ١٨٧

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
احْتَرِسوا من النَّاسِ بسوءِ الظَّنِّ	أنس بن مالك	٨/ ٤٦٣
أحسَنُ عقلًا	عبد الله بن عمر	٩/ ٣٩٢
أَحْسِنوا أسماءَكم	أنس بن مالك	٨/ ٣٨٣
أحيانًا يأتيني مثلَ صَلصلَةِ الجرسِ	عائشة	٩/ ٥٣٧
أخافُ أنْ يَثْلَغُوا رأسي فيجعَلوه كالخُبْزَةِ	عياض بن حمار	٣/ ٣٥٦
اختَتَنَ وكان ابنَ ثمانين سنةً ـ إبراهيم عليه السلام ـ	أبو هريرة	١/ ٢٤١
أخذتُموهُنَّ بأمانةِ الله	جابر بن عبد الله	٢/ ٢٩٩
اخرُجوا معي إليها لعلَّنا نأتي بخيرٍ	عبد الله بن عباس	٣/ ٥٣١
أدبارُ السُّجودِ: ركعتانِ	عبد الله بن عباس	٨/ ٥٠٧
ادْعِي لي زوجَكِ وابنَيك	أم سلمة	٧/ ٢٠١
أدناهم منزلةً مَن ينظُرُ في ملكِهِ	عبد الله بن عمر	٩/ ٦٠٦
إذا أحبَّ الله عبدًا قال لجبريل	أبو هريرة	٥/ ٤٩٤
إذا رأيتم السَّاحرَ فاقتُلوه	جندب بن عبد الله البجلي	٥/ ٥٤٩
إذا سلَّمْتُم عليَّ فسلِّموا على المُرسَلين	أنس بن مالك	٧/ ٤٧٠
إذا طلعَ النَّجمُ ارتفعَتِ العاهاتُ	أبو هريرة	٩/ ٣٥
إذا كان يومُ القيامةِ اجتمعَ أهلُ النَّارِ	أبو موسى الأشعري	٥/ ٨
إذا كانَ يومُ القيامةِ مُثِّل لكلِّ قومٍ	أبو موسى الأشعري	٩/ ٤٣٥
إذا كانَ يومُ القِيامَةِ مَدَّ اللهُ الأَرضَ	علي بن الحسين	١٠/ ١٠٠
إذًا لا أرضَى	عبد الله بن عباس	١٠/ ١٨٩
إذا لم تمشِ إلى ذي رَحِمِك برِجلِكَ		٤/ ٤٦٩

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
إذا نَعَسَ الرَّجلُ وهو يصلِّي فلينصرف	عائشة	٢/ ٣٣٧
أذن رسول الله في اقتناءِ الكلابِ التي يُنتَفَعُ بها		٣/ ٢٤
اذهَبْ إليه فادعُه لي	أنس بن مالك	٤/ ٤٥٦
اذهَبْ فاسقِه عسلاً	أبو سعيد الخدري	٥/ ١٢٠
اذهَبْ فاطرَحْهُ في القَبَضِ	سعد بن أبي وقاص	٣/ ٥٢٥
ارجِعوا غدًا أخبركم	عبد الله بن عباس	٥/ ٢٩٩
أردنا أمرًا وأرادَ الله أمرًا		٢/ ٣٢٤
ارفع شيئًا	عبد الله بن رباح	٥/ ٢٨٧
ارفَعُوا طعامَكم	أنس بن مالك	٧/ ٢٣٣
استَمْخِروا الرِّيحَ وأعدُّوا النُّبُلَ		٧/ ٣٣٣
اسكُتي فهي حرامٌ عليَّ	عبد الله بن عباس	٩/ ٣٦٩
اسمُ الله الذي إذا دُعي به أجابَ	سعد بن أبي وقاص	٦/ ٦٧
أشترِطُ لربِّي أن تعبُدوه	محمد بن كعب القرظي	٤/ ١٢٢
اشهَدُوا ـ انشقاق القمر ـ	أنس بن مالك	٩/ ٧٩
اصْبِروا؛ فإنِّي لم أُؤْمَرْ بالقتالِ	قتادة	٦/ ١٣٠
أضيافُ الله	أبو أيوب الأنصاري	٤/ ٥٣٩
اطلُبوا الغِنَى في هذه الآيةِ	عبد الله بن عباس	٦/ ٢٧١
أعتق رقبةً	خولة بنت مالك بن ثعلبة	٩/ ٢٣١
أعدَدْتُ لعبادِيَ الصَّالحين	أبو هريرة	٧/ ١٥٠
أعياني أزواجُ الأخواتِ أن يتحابُّوا		٢/ ٢١٤

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
أفزَعَكُم بُكائي؟	عبد الله بن مسعود	٤/ ١٢٧
أفضلُ الصَّدقةِ أن تتصدَّقَ وأنت صحيحٌ شحيحٌ	أبو هريرة	١/ ٣٠٨
أفلا أكونُ عبداً شكوراً	المغيرة بن شعبة	٥/ ٥٠٢
أقامُوا عليه ولم يَرْجِعوا عنه	أنس بن مالك	٨/ ٣٣٩
أقسمَ ربُّكم بآخرِ النَّهارِ	أبي بن كعب	١٠/ ٢٥٣
اكتُبْ: بسمِ الله الرَّحمنِ الرحيمِ	المسور بن مخرمة	٤/ ٤٧٢
اكتبْ، هكذا أُنزِلَتْ	عبد الله بن عباس	٦/ ١٧٨
أكثِروا منَ النِّعالِ	أبو هريرة	٤/ ١٠٢
أكمَلُ المؤمِنينَ إيمانًا	أبو هريرة	٩/ ٤١٥
ألا أخبرُكم بخيرٍ من ذلك		٢/ ١٨٢
ألا إنَّ الزَّمانَ قد استدار	أبو بكرة	٤/ ٤٦
ألا إنَّ القوَّةَ الرَّميُ	عكرمة	٣/ ٥٨٨
ألا إنَّ كُلَّ رِبًا من رِبا الجاهليّةِ موضوعٌ	جابر بن عبد الله	١/ ٥٠٢
ألَا تسمَعُونَ يا معشرَ الأنصارِ	عبد الله بن عباس	٦/ ٢٤٢
ألا رجلٌ صالحٌ يحرسُني اللَّيلةَ	عائشة	٣/ ١٢٣
ألا عصابةٌ تَتَشدَّدُ لأمرِ الله فتطلبَ عدوَّها		٢/ ٢٣٣
ألم أُنبَأْ أنَّكم اتَّفقتم على كذا وكذا		٣/ ١٣٩
إليَّ عبادَ الله	عبد الله بن عباس	٢/ ٢٠٦
أمَّا الذين سبَقُوا	أبو الدرداء	٧/ ٣٤٤
أما تَحزَنُ؟ أما تَمرَضُ	أبو بكر الصديق	٢/ ٤٣٧

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
أمّا معاويةُ فصُعلوكٌ لا مالَ له		٧/ ٢٠٨
الأمانةُ ثلاثٌ	زيد بن أسلم	٧/ ٢٥٤
أمّتي الغُرُّ المحجَّلون	أبو هريرة	٨/ ٤٣٩
أُمِرْنا معاشرَ الأنبياءِ أن نُكلِّمَ النّاسَ	أبي بن كعب	٥/ ١٦٥
امضُوا فإنَّكم أوّلُ الحشرِ	الحسن البصري	٩/ ٢٥٦
إنَّ إبراهيمَ لمَّا أُلقِيَ في النّارِ	عائشة	٧/ ٤٣٨
إنَّ آخرَ الأربعاءِ مِن الشَّهرِ يومُ نحسٍ	عبد الله بن عباس	٩/ ٤٤٨
إنَّ أخي الخضرَ لَيَقْضي ثلاثَ ساعاتٍ		٥/ ٣٧٥
إنَّ الإسلامَ لا يُقال	أبو سعيد الخدري	٦/ ٩٨
إنَّ الأممَ السّالفةَ تقولُ لهم: كيفَ تشهدونَ علينا		١/ ٢٦٥
إنَّ التَّوبةَ النَّصوحَ	عبد الله بن عمرو	٩/ ٣٨١
إنَّ الجنّةَ لا يدخلُها العُجَّزُ	مجاهد	٩/ ١٦٩
إنَّ الرَّجلَ ليقولُ في الجنَّةِ	جابر بن عبد الله	٦/ ٤٤٠
إنَّ الشمسَ والقمرَ آيتانِ	عائشة	٨/ ٢٨٤
إنَّ الشَّيطانَ جاثِمٌ	أنس بن مالك	١٠/ ٣١٨
إنَّ الشَّيطانَ لا يخبلُ أحدًا في بيتِه فرسٌ عَتيقٌ من الخيلِ		١/ ٤٩٦
إنَّ العبدَ إذا أخطأَ خَطيئةً	أبو هريرة	١٠/ ٨٨
إنَّ العَيْنَ حَقٌّ	عبد الله بن عباس	٩/ ٤٤٠
إنَّ الله تعالى خلقَ أرضًا بيضاءَ		٥/ ٧١
إنَّ الله تعالى خلقَ الأرضَ يومَ الأحدِ		٨/ ١٣٤

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
إنَّ الله تعالى خلقَ الحورَ العِينَ	أنس بن مالك	٩/ ١٦٢
إنَّ اللهَ تعالى فضَّل قريشًا	أم هانئ	١٠/ ٢٧٢
إن الله تعالى قال لموسى قل للظَّلَمةِ لا تذكروني	عبد الله بن عباس	١/ ٢٧٧
إن الله تعالى لمَّا ذرأ لجهنَّمَ ما ذرأ	عبد الله بن عمرو	٣/ ٤٩٩
إنَّ اللهَ تعالى يقبلُ توبةَ عبدِه ما لم يُغَرغِر	عبد الله بن عمر	٢/ ٢٩٣
إنَّ الله تعالى يقولُ: كذَّبَني ابنُ آدمَ	أبو هريرة	٥/ ٩٥
إنَّ الله خلقَ آدمَ على صورتِه	أبو هريرة	٩/ ٣٣٩
إنَّ الله طيِّبٌ لا يَقبلُ إلَّا الطَّيِّبَ	عبد الله بن عباس	٥/ ٤٢١
إنَّ الله يُبغِضُ ثلاثةَ أصواتٍ	أم سعد الأنصارية	٧/ ١٢٣
إنَّ اللهَ يسأَلُ كلَّ واحدٍ بكلامِه	عدي بن حاتم	٣/ ٣٥٩
إنَّ الله يقولُ لأهلِ الجنَّةِ: يا أهلَ الجنَّةِ	أبو سعيد الخدري	٤/ ٨٣
إنَّ المؤمنَ إذا قال: سبحانَ الله	عبد الله بن مسعود	٧/ ٣٢٧
إنَّ النّاسَ إذا رأوا الظّالمَ فلم يَأخذُوا على يدَيْهِ	أبو هريرة	٣/ ١٦٣
إنَّ النُّونَ لوحٌ من نورٍ	معاوية بن قرة	٩/ ٤١٢
إنَّ أمَّتي يَكْثُرونَ سائرَ الأممِ	أبو هريرة	٩/ ١٥٦
إنَّ أهلَ الجنَّةِ كلَّما جامَعوا نساءَهُم		٧/ ٣٨٩
إنَّ أهلَ الموقفِ ثلاثةُ أثلاثٍ	أبو هريرة	٥/ ٢٧٣
إنَّ أَوَّلَ النَّاسِ دُخولً في الجنَّةِ	محمد بن كعب القرظي	٦/ ٣٥٩
إنَّ بني آدمَ خُلِقُوا على طبقاتٍ شتَّى	أبو سعيد الخدري	٩/ ٣٣٨
إنَّ بين أعلى أهلِ الجنةَّ وأسفلهم درجةً كالنجمِ	قتادة	٥/ ١٩٩

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
أن تجعَلَ لله نِدًّا وهو خلقَكَ	عبد الله بن مسعود	٦/ ٣٨٤
إنْ تغفرِ اللهمَّ تغفِرْ جمّا	عبد الله بن عباس	٩/ ٥٨
إنّ ثلاثةَ نفرٍ خرجوا يرتادون لأهليهم	النعمان بن بشير	٥/ ٣٠٠
إنَّ جهنَّمَ لتزفِرُ زفرةً	عبيد بن عمير	٦/ ٣٣٥
إنَّ حُسْنَ الظنِّ مِن الإيمانِ	أبو هريرة	٨/ ٤٦٢
إنَّ ذا القرنين ملِكٌ	خالد بن معدان الكلاعي	٥/ ٣٩٦
إنَّ ذلك شيءٌ دَسَرَه البحرُ	عبد الله بن عباس	٩/ ٨٦
إنَّ ذلك لُحمانُ الإبلِ وألبانُها ـ ما حرم يعقوب على نفسه ـ	عبد الله بن عباس	٢/ ١٢٧
إن رسول الله ﷺ نهى عن المتعة	علي بن أبي طالب	٢/ ٣٠٩
إنَّ شجرةً منَ الشَّجرِ لا تطرحُ ورقَها	عبد الله بن عمر	٤/ ٥١٤
إنَّ عمرَ فرَّقَ بينَ الحقِّ والباطلِ		٢/ ٣٦٤
إنَّ فرعونَ قال: أمَّا أنا	عبد الله بن عباس	٦/ ٥٥٣
إنَّ في الجنَّةِ مئةَ درجةٍ	أبو هريرة	٦/ ١٧٤
إنَّ قبلَ خروجِ الدَّجَّالِ ثلاثَ سنين	أسماء بنت يزيد	٨/ ١٠٧
إن قتلتموهم سلمْتُم	علي بن أبي طالب	٢/ ٢٢٧
إنَّ قومَ لوطٍ كانوا يجلسون في مجالسِهم	معاوية بن أبي سفيان	٧/ ٢٨
أنْ لا تشركوا باللهِ شيئاً		٥/ ٢٧٧
أَنْ لا تُصلُّوا العصرَ إلا ببني قُريظةَ	قتادة	٧/ ١٩٣
أن لا يحجَّ بعد العام مشركٌ	أبو هريرة	١/ ٢٣٠

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
إنَّ لله تعالى تسعةً وتسعين اسمًا	أبو هريرة	٣/ ٥٠٠، ٥/ ٥١٠
إنَّ موسى عليه السَّلامُ قضى أتمَّ الأجلَين	عبد الله بن عباس	٦/ ٥٧٤
إنَّ موسى كان رجلًا حييًّا ستِّيرًا	أبو هريرة	٧/ ٢٥١
إنَّ نارَكُم هذهِ جزءٌ	أبو هريرة	١٠/ ١٣٤
إنَّ هذه الآيَةَ نزلَتْ في أُناسٍ من آخر هذه الأمة يكذبون بقدر الله	زرارة الأنصاري	٩/ ١٠٣
إنَّ يأجوج ومأجوج يحفرون الرَّدم كلَّ يومٍ	أبو هريرة	٥/ ٤١١
أنَّ يونسَ لمَّا استقرَّ به الحوتُ		٦/ ٦٧
أنا ابنُ الذَّبيحَين		٧/ ٤٤١
أنا النَّبيُّ لا كَذِب	البراء بن عازب	٧/ ٣٩٧
أنا أَوْلَى الناسِ بعيسى	أبو هريرة	٨/ ٢٥٣
أنا أولى بكلِّ مؤمنٍ من نفسِه	أبو هريرة	٧/ ١٧٢
أنا دعوةُ إبراهيمَ	العرباض بن سارية	١/ ٢٥١
أنا دعوةُ إبراهيمَ، وبُشرى عيسى		٩/ ٣٠٦
أنا عند ظنِّ عبدي بي	أبو هريرة	١/ ٢٧٧
إنَّا معاشرَ الأنبياء لا نورِّث	عائشة	٥/ ٤٣٤، ٦/ ٤٨٤
أنتِ هندٌ	عبد الله بن عباس	٩/ ٢٩٧
أنتَ ومالُكَ لأبيكَ	جابر بن عبد الله	٦/ ٣١٣
انتزَعتِ الرِّيحُ النَّاسَ من قُبورِهم	قرظة بن كعب	٩/ ٩٢
انتهَيا إلى الصَّخرة فناما	أبي بن كعب	٥/ ٣٧١
أنزَلَ الله تعالى أربعَ بركاتٍ	عبد الله بن عمر	٩/ ٢١٩

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
أنشُدُكَ بالذي أنزلَ على موسى التَّوراةَ		٣/ ٢٦٨
انطلقْ فواللهِ ما أنتَ بمُنافقٍ ولا مُرتابٍ		٦/ ٣١٩
انطلِقُوا إلى هذا المسجدِ الظَّالمِ أهلُه		٤/ ١١٦
انطلِقُوا حتَّى تأتوا روضةَ خاخٍ	علي بن أبي طالب	٩/ ٢٨٢
إنّك إذًا لعريضُ الوِسادِ	عدي بن حاتم	١/ ٣٣٢
إنَّما أنا لَكُم مثلُ الوالدِ	أبو هريرة	١٠/ ١٦٤
إنَّما ذلكمُ اللهُ الذي مَدْحُه زَينٌ	جابر بن عبد الله	٨/ ٤٥٠
إنَّما سمِّي الخَضِرُ خَضِرًا	أبو هريرة	٥/ ٣٧٣
إنَّما سُمِّيَ يومَ الجمعةِ	أبو هريرة	٩/ ٣١٩
أنَّه أوَّلُ ما يُخلَق، وآخِرُ ما يَبلَى ـ عجب الذنب ـ		١/ ١٦١
إنَّه بيتٌ في السَّماءِ	قتادة	٩/ ٩
إنَّه سيأتيكُم إنسانٌ	عبد الله بن عباس	٩/ ٢٤٧
أنَّه لا يَقرأ أهلُ الجنَّة في الجنَّة إلَّا طه ويس	الحسن البصري	٥/ ٥٠١
إنَّها الحنظلُ	أنس بن مالك	٤/ ٥١٦
إنَّها أمَّتي، وقد أُعطِيَ القومُ بين أيديكم مثلَها		٣/ ٥٠١
إنها لا تقومُ حتَّى ترَوا قبلَها عشرَ أماراتٍ	حذيفة بن أسيد	٣/ ٣٤٢
إنَّها نزلَتْ في القَدْرِيّةِ	أبو أمامة الباهلي	٩/ ١٠٣
إنَّهم قد خرجُوا عليكم		٧/ ١٨٧
إنَّهم قومٌ خرَجُوا إلى الجهادِ في سبيلِ الله	أبو هريرة	٣/ ٣٩٢
أنَّهم يعيشونَ فلا يموتونَ أبدًا	أبو سعيد الخدري	٩/ ٤٥٩

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
أنّهما خيرٌ منَ الدُّنيا جميعًا	عائشة	٩/ ٣٠
إنِّي أعطيتُهم الأمانَ		٧/ ١٦٣
إنِّي أُمِرْتُ أن أقرأَ القرآنَ	عبد الله بن مسعود	٨/ ٣٥٤
إني جاوَرْتُ بحِرَاءَ شهرًا	جابر بن عبد الله	٩/ ٥٥١
إنِّي رأيتُ في المنامِ كأنِّي في جُنّةٍ حَصينةٍ	عبد الله بن عباس	٢/ ٢٢٧
إنِّي لا أُصافِحُ النِّساءَ	أميمة بنت رقيقة	٩/ ٢٩٦
إنِّي لأعرِفُ آيةً لو أخذَ النّاسُ بها لكفَتْهُم	أبو ذر	٩/ ٣٥٦
اُهْجُ المُشركينَ فإنَّ جبريلَ معك	البراء بن عازب	٦/ ٤٦٩
أهلُ الجنّةِ مئةٌ وعشرونَ صفًّا	بريدة	٩/ ١٥٧
أهلكَكَ حبُّ اليهودِ	أسامة بن زيد	٤/ ٩٦
أَوْجَبَ طلحةُ الجنّةَ	الزبير بن العوام	٧/ ١٨٩
أوحَى اللهُ إلى أيُّوبَ	عقبة بن عامر	٦/ ٦١
أوَفعَلْتَه؟	ابن جريج	٩/ ٢٥٠
أولُ الآياتِ الدُّخانُ	حذيفة بن اليمان	٨/ ٢٧٦
أوَّلُ شيءٍ خلقَه الله القلمُ	أبو هريرة	٩/ ٤١١
أيُّ رجلٍ هو فيكم؟	عوف بن مالك	٨/ ٣٣٥
أي عمِّ، قل: لا إلهَ إلّا الله	سعيد بن المسيب	٤/ ١٢٧
إياكُم والخذْفَ فإنّه لا ينكَأُ عدوًا	عبد الله بن مغفل المزني	٧/ ٢٨
إيَّاكم والزُّورَ	خريم بن فاتك	٦/ ١٢٢
أيُّكُم أحسَنُ عقلاً	عبد الله بن عمر	٤/ ٢٣٠

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
الإيمانُ يمانٍ	عبد الله بن عباس	١٠/ ٢٩١
أَيُّها الناسُ، ارْبَعوا على أنفُسِكُم	أبو موسى الأشعري	٣/ ٤٠٣
بادِرُوا بالعملِ الصّالحِ قبل أن يُغلَقَ بابُ التَّوبةِ	أبو ذر الغفاري	٣/ ٣٤٣
باركَ الله لك فيما أمسكْتَ وفيما أعطيْتَ	عبد الرحمن بن عوف	١/ ٤٧٨، ٤/ ٨٩
البحرُ المسجورُ نارٌ في نارٍ		٩/ ١٠
بريءٌ منَ الشُّحِّ مَن آتى الزَّكاة	أنس بن مالك	٩/ ٢٦٨
بُعِثْتُ أنا والسّاعةُ كهاتَين	عبد الله بن عباس	٥/ ٦٤
بُعِثْتُ أنا والسَّاعَةُ كهاتينِ	أنس بن مالك	١٠/ ٤٢
بُعِثْتُ والساعةَ كَهَاتَيْنِ	سهل بن سعد	٨/ ٣٨٢
بعَلِيِّ بنُ أبي طالبٍ	جابر بن عبد الله	٨/ ٢٤١
بل أنا أقتُلُ أُبيًّا		٣/ ٥٤٣
بل هو من أهلِ الجنة	أنس بن مالك	٨/ ٤٤٨
بلى، وأنا على ذلكَ مِن الشَّاهدين	قتادة	١٠/ ٢٠٤
بهذا أمرَني ربِّي	أنس بن مالك	٥/ ٥١
بئسَ خطيبُ القومِ أنتَ	عدي بن حاتم	٣/ ٥٤٨
بينا أنا عند البيتِ بين النَّائمِ واليقظانِ	أنس بن مالك	٥/ ١٧٥
بينا أنا نائمٌ رأيتُ كأنَّ في يديَّ سِوارَيْنِ مِن ذَهَبٍ	عبد الله بن عباس	٣/ ٢٧١
بينَهُما أربعونَ	أبو هريرة	١٠/ ٢٨
تبًّا للذَّهب تبًّا للفضَّة	ثوبان	٤/ ٤١
التَّبيُّنُ من اللهِ، والعجلةُ من الشَّيطانِ	سهل بن سعد الساعدي	٢/ ٤١٠

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
تحاجَّتِ الجنَّةُ والنَّارُ	أبو هريرة	٦/ ١٠٨
التَّسريحُ بإحسانٍ	أبو رزين الأسدي	١/ ٤٠٦
تصَدَّقْ به	الشعبي	٧/ ٥٩
تصدَّقوا على أهلِ الأديانِ	عبد الله بن عباس	١/ ٤٩٠
تُعطني نخلتَكَ المائِلةَ	عبد الله بن عباس	١٠/ ١٧٩
تعوَّذِي باللهِ مِن هذا	عائشة	١٠/ ٣١٥
تلك العُزَّى لن تُعبَدَ أبدًا	أبو الطفيل	٩/ ٥٠
تلكَ الغَرانيقُ العُلا		٨/ ٤٤
تمرةٌ طيِّبةٌ وماءٌ طهور	عبد الله بن مسعود	٨/ ٣٥٥
جاءَ الحقُّ وزهقَ الباطلُ	عبد الله بن مسعود	٥/ ٢٥٩
جُرْحُ العَجْماءِ جُبارٌ	أبو هريرة	٦/ ٥٥
جعل النَّبيُّ عليه السَّلام على الأنصار اثني عشر نقيبًا ليلةَ العقبة		٣/ ٤٣
جُعِلَتْ لي الأرضُ مَسجدًا وطَهورًا	جابر بن عبد الله	١/ ٢٢٨، ٩/ ٥٢٣
جنَّاتُ عدنٍ: دارُ الله التي لم ترَها عينٌ	أبو الدرداء	٤/ ٨٣
الجنَّةُ مئةُ درجةٍ	أبو هريرة	٥/ ٤١٨
الجيرانُ ثلاثةٌ	عبد الله بن عمرو	٢/ ٣٢٩
حرُمَتِ عليه	عبد الله بن عباس	٩/ ٢٣٠
الحزمُ سوءُ الظنِّ	عبد الرحمن بن عائذ	٨/ ٤٦٣
الحسابُ اليسيرُ		١٠/ ١٠٢

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
الحمدُ لله إذ لم يُمِتْني حتَّى أمرَني	سلمان الفارسي	٥/ ٣٣٤
الحمدُ لله الذي جعَلَ في أُمَّتي مَن أمرَني أن أبدَأَهُم بالسَّلامِ	أبو سعيد الخدري	٣/ ٢٣٩
خذوه؛ فإنَّه خبيثُ الجيفةِ خبيثُ الدِّية		١/ ٣٧٧
خذوها يا بني طلحةَ بأمانةِ الله خالدةً تالدةً		٢/ ٣٥٩
خَرِبَتْ خيبرُ	أنس بن مالك	٨/ ٤١٩
خرجَ رسول الله إلى أحدٍ في ألفِ رجلٍ		٢/ ١٦٨
الخطُّ الحسَنُ يزيدُ الحقَّ وُضوحًا	مهاجر الكلاعي	٧/ ٣٢١
الخلافةُ بعدي ثلاثون سنةً	سفينة	٦/ ٣٠٣
خلَقَ الله الأرضَ يومَ الأحدِ والاثنيَن	عبد الله بن عباس	٨/ ٥٠٤
خَلَقَ اللهُ الأرواحَ قبلَ الأجسادِ	عبد الله بن عباس	٨/ ١٣١
خيرُ الأقوالِ: سبحانَ اللهِ	سمرة بن جندب	٥/ ٢٨٨
دابَّةُ الأرضِ طولُها ستُّونَ ذراعًا	حذيفة بن أسيد	٦/ ٥٣٣
دثِّروني	عبد الله بن عباس	٩/ ٥٥٣
الدُّعاء هو العبادة	النعمان بن بشير	١/ ٣٢٩
دَعْه فإنْ يُرِدِ الله به خيرًا يَهْدِه	عبد الله بن عباس	٤/ ٤٥٧
دعوتُ اللهَ أنْ يجعَلَها أُذنَكَ يا عليُّ	مكحول	٩/ ٤٥٢
دَعِي الصَّلاةَ أيّامَ أقرائِكِ	عائشة	١/ ٤٠٢
الدِّيكُ إذا صاحَ يقولُ	الحسن البصري	٦/ ٤٨٨
رأيتُ ليلةَ أُسرِيَ بي موسى	عبد الله بن عباس	٧/ ١٥٥

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
رأيتُ نهرًا، ورأيتُ وراءَ النَّهرِ حجابًا	أبو العالية	٩/ ٤٣
رأيتُه بفُؤادي ولم أرَه بعينيَّ	محمد بن كعب القرظي	٩/ ٤٣
ربِّ جعلتَ أمَّتي أقصرَ الأُمَمِ	عبد الله بن عباس	١٠/ ٢١٥
ربِّ زِدْني	عبد الله بن عمر	٣/ ٣٤٨
ربِحَ البيعُ أبا يحيى		١/ ٣٦١
رحمَ اللهُ أخي لوطًا	أبو هريرة	٤/ ٢٩٢
رحِمَ اللهُ أخي يوسُفَ	أبو هريرة	٤/ ٣٧٦، ٤/ ٣٨٣
رَحِمَ اللهُ زكريَّا	قتادة	٥/ ٤٣٣
رحمةُ الله عليَّ وعلى أخي موسى	أبي بن كعب	٥/ ٣٨٤
رِضا الله في رِضا الوالدَين	عبد الله بن عمرو	٧/ ١١٨
سابِقُنا سابقٌ	عمر بن الخطاب	٧/ ٣٤٥
سألتُ ربي مسألةً	عبد الله بن عباس	١٠/ ١٩٢
سامُ بنُ نوحٍ أبو العربِ	سمرة بن جندب	٤/ ٢٦٤
سبأٌ اسمُ رجلٍ له عشرةُ بنينَ	فروة بن مسيك	٦/ ٤٩٤
سبحان الله، والحمد لله	أبو سعيد الخدري	٥/ ٣٥١
سُبحانَ مَن يُسبِّحُ الرَّعدُ بحمدِه	أبو هريرة	٤/ ٤٥٥
سبحانَكَ اللهمَّ	قتادة	٩/ ٥٨٩
سبقَتْ رحمَتي غضبي		٩/ ٨
ستَّةٌ منهم تقتُلُهم الدُّبَيْلَةُ		٤/ ١١٠
ستَرَوْنَ ربَّكُم كما ترَوْنَ الشَّمسَ ليس دونَها سَحابٌ	أبو هريرة	٣/ ٢٨٨

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
ستَرَوْنَ ربَّكُم كما ترَوْنَ القمرَ ليلةَ البدرِ	جرير بن عبد الله	٣/ ٢٨٨
سِرْ على اسمِ اللهِ، ولا تنظرْ في الكتاب حتَّى تسيرَ يومَين		١/ ٣٧٥
سُرعةُ المشيِ تُذهِبُ بهاءَ المُؤمنِ	عبد الله بن عمر	٧/ ١٢٢
سُنُّوا بهم سُنَّةَ أهلِ الكتابِ	عبد الرحمن بن عوف	٤/ ٣٤
سياحةُ أمَّتي الجهادُ في سبيلِ الله	أبو أمامة	٤/ ١٢٥
سياحةُ أمَّتي الصَّومُ	أبو هريرة	٤/ ١٢٤
سيِّدُ الشُّهداءِ مِهْجَعٌ	مقاتل	٧/ ٨
سيشتَدُّ بكم الأمرُ		٧/ ١٨٧
شأنُه أن يغفرَ ذنبًا	أبو الدرداء	٩/ ١٢٧
شاهتِ الوجوهُ	سلمة بن الأكوع	٣/ ٥٤٣
الشَّفاعة (المقام المحمود)	أبو هريرة	٥/ ٢٥٦
الشَّفاعةُ لمَن وجبَتْ له النّارُ	عبد الله بن مسعود	٨/ ١٩٧
شيَّبَتْني سورةُ هودٍ وأخواتُها	أبو جحيفة	٤/ ٢٢١، ٣١٧
صحبَهُ سبعونَ ألفَ ملَكٍ	عائشة	١٠/ ٣٠٥
صدَقَ عمرُ	عبد الله بن عباس	٤/ ٣١٨
صلاةُ الأوَّابين إذا رَمِضَتِ الفِصالُ من الضُّحى	زيد بن أرقم	٥/ ٢٠٤
ضحِكْتُ عجَبًا من مُجادلةِ العبدِ ربَّه	أنس بن مالك	٨/ ١٤٠
طيرُ الجنَّةِ مثلُ البُخْتِ	أنس بن مالك	٩/ ١٦١
ظننتُم أنّا نَغُلُّ فلا نقسِمُ لكم		٢/ ٢٢٢

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
عبادةُ العالمِ يومًا تعدِلُ عبادةَ العابدِ		٩/ ٢٤٤
عُرِضَتْ عليَّ أمَّتي في صُوَرِها كما عُرِضَتْ على آدمَ		٢/ ٢٤٠
على الصِّراطِ	عائشة	٤/ ٥٣٩
على ملّةِ إبراهيم	عبد الله بن عباس	٢/ ٤٠
عليٌّ وفاطمةُ وولدُها	عبد الله بن عباس	٨/ ١٩٣
عليكم بالأبكارِ	عويم بن ساعدة الأنصاري	٣/ ٤٨٨
عليكم بالشِّفاءَين: العسلِ والقرآنِ	عبد الله بن مسعود	٥/ ١٢١
عُمَّالُكم أعمالُكم		٣/ ٣١٣
عن نورٍ عَظيمٍ يَخِرُّونَ له سُجَّدًا	أبو موسى الأشعري	٩/ ٤٣٤
العيادةُ قَدْرُ فُواقِ النّاقةِ	أنس بن مالك	٧/ ٤٨٩
العينُ تُدخِلُ الرَّجلَ القبرَ	جابر بن عبد الله	٤/ ٣٩٧، ٩/ ٤٤١
العينُ حقٌّ	أبو هريرة	٤/ ٣٩٧
العينانِ تزنِيانِ	عبد الله بن عباس	٩/ ٥٨
الغاسِقُ الثُّرَيّا	أبو هريرة	١٠/ ٣١٤
غِلَظُ جلدِ الكافرِ في النّارِ	أبو هريرة	٨/ ٤٩٧
الفاحِشُ اللَّئِيمُ	القاسم بن عبد الرحمن	٩/ ٤٢٠
فتُعادُ رُوحُه في جسدِه	البراء بن عازب	٤/ ٥١٨
فقلتُ له: ما أنا بِقارِئٍ	عائشة	١٠/ ٢٠٥
فلَمْ أَرَ عَبْقرِيًّا يَفْرِي فَرِيَّه	عبد الله بن عمر	٥/ ٤٥٦
في الظُّلمةِ دونَ الجسرِ	ثوبان	٤/ ٥٣٩

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
قاتلَ الله أقوامًا	الحسن البصري	٨/ ٥٢٧
قال سليمانُ بنُ داودَ عليهما السَّلامُ: لأطوفَنَّ	أبو هريرة	٧/ ٥١٢
القبرُ روضةٌ من رياضِ الجنةِ	أبو سعيد الخدري	٥/ ٨٨، ٨/ ٣١٤
قتلَتْ بنو إسرائيلَ ثلاثةً وأربعين نبيًّا		٢/ ٣٩
قد جَعَلَ اللهُ في الصِّديقِ البارِّ	القاسم بن محمد	٦/ ٣١٦
قد جعلَ الله لهنَّ سبيلًا	عبادة بن الصامت	٢/ ٢٩٠
قد كنتُ أحبُّ أن أراكَ على غيرِ جوارٍ	عبد الله بن عباس	٦/ ٣٨٦
قَصرٌ في الجنّةِ من لؤلؤةٍ بيضاءَ	أبو هريرة	٤/ ٨٢
قُلْ: السَّلامُ عليكم	عبد الله بن عباس	٦/ ٢٦٣
قُلْ: لا إلهَ إلا اللهُ أشهدُ لك بها	أبو هريرة	٦/ ٥٩٣
قُمْ فابعَثْ بعثَ النَّارِ مِن ذُرِّيَّتِكَ	عبد الله بن عمرو	٩/ ٥٤٤
قُمْ يا فُلانُ، وأنتَ يا فُلانُ	مقاتل بن حيان	٩/ ٢٤٢
قولوا: اللهمَّ صلِّ على محمَّدٍ	كعب بن عجرة	٧/ ٢٤٠
كان ابنَ ملكٍ من الملوك		٥/ ٣٧٣
كان ذهبًا وفضَّةً	أبو الدرداء	٥/ ٣٩١
كان رسول الله يكتب في أوَّل الأمر باسمك اللَّهمَّ		١/ ٩
كان نبيٌّ من الأنبياءِ يَخُطُّ	معاوية بن الحكم السلمي	٨/ ٣٣٠
كانوا أهلَ قريةٍ لئامًا	أبي بن كعب	٥/ ٣٨٥
الكبائر سبع	أبو هريرة	٢/ ٣١٨
كتابُ اللهِ هوَ حبلُ الله الممدود	أبو سعيد الخدري	٢/ ١٤٠

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
كَتَبَ الله الجمعةَ على مَن كانَ قبلَنا	أبو هريرة	٥/ ١٦٤
كذَبَ النَّسَّابون	عبد الله بن عباس	٣/ ٢٥٨، ٤/ ٤٩٩
كذبتِ اليهودُ، ما من نسمةٍ	ثابت بن الحارث	٩/ ٦٠
كذبْتُما، يمنعكُما من الإسلامِ دعاؤكما لله ولدًا		٢/ ٧
كَرَمُ الكتابِ خَتْمُه	عبد الله بن عباس	٦/ ٤٩٩
الكريمُ ابنُ الكريمِ ابنِ الكريمِ	أبو هريرة	٤/ ٣٣٤
كَفى بالمرءِ إثمًا أنْ يُضيِّعَ مَنْ يَقُوتُ	عبد الله بن عمرو	٢/ ٣٩٣
كفى بخشيةِ الله علمًا	عبد الله بن مسعود	٧/ ٣٤١
كلُّ بني ابنةٍ منسوبون إلى أبيهم	عمر بن الخطاب	٧/ ٢١٦
كلُّ بني آدمَ يَلقى اللهَ بذنبٍ أذنبَه	أبو هريرة	٢/ ٦٤
كلُّ شيءٍ يُؤذي المؤمنَ فهو مصيبةٌ		١/ ٢٨٠
كلُّ ما أدِّيت زكاتُه فليس بكنزٍ	عبد الله بن عباس	٤/ ٤١
كلُّ مولودٍ يُولَدُ على الفطرةِ	أبو هريرة	٧/ ٨١
كُلًّا قد عنَيْتُ	عبد الله بن عباس	٧/ ١٢٨
كلَّا، إنَّ عمّارًا مُلِئَ إيمانًا	عبد الله بن عباس	٥/ ١٥٢
كِلْتا الثُّلُثينِ أُمَّتي	عبد الله بن عباس	٩/ ١٥٧
كلُّهم في الجنّةِ	أسامة بن زيد	٧/ ٣٤٥
كما تكونون تُبْعَثون		٦/ ٩٠
كما يربي أحدُكُمْ فَلُوَّهُ	أبو هريرة	١/ ٥٠٠
كما يُعطَى المسلِمونَ	ابن زيد	١٠/ ٢٩٧

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
كنتُ أوَّلَهم في الخَلْقِ	أبو هريرة	٧/ ١٧٤
الكنودُ: الذي يأكلُ وحدَهُ	أبو أمامة	١٠/ ٢٣٧
كيفَ تِيكُم؟	أبو الربيع الزهراني	٦/ ٢٤٦
كيفَ يفلحُ قومٌ خضبُوا وجهَ نبيِّهم بالدَّمِ	أنس بن مالك	٢/ ١٧٤
لا أجدُ ما أحملكم عليه	عطاء الخراساني	٤/ ١٠٢، ٥/ ٢٠٦
لا أَدْري تُبَّعٌ نبيًّا كان	أبو هريرة	٨/ ٢٨٧
لا أراكُم تضحَكُونَ		٥/ ٣٤
لا أشُكُّ ولا أسألُ	قتادة	٤/ ٢٠٩
لا أعافي رجلاً قتَلَ بعدَ أخذِ الدِّيةِ	جابر بن عبد الله	١/ ٣١٣
لا إلهَ إلا اللهُ ـ ثلاثاً ـ ويلٌ للعربِ	أم سلمة	٦/ ٧٣
لا بل اِستَأْنِ بهم	عبد الله بن عباس	٥/ ٢٣٠
لا تحزَنْ إنَّ الله معَنا	أسماء بنت أبي بكر	٤/ ٥١
لا تُخبِري عائشةَ واسكُتِي	عبد الله بن عباس	٩/ ٣٧٠
لا تدخُلوا مساكنَ الذينَ ظلَمُوا أنفُسَهم	عبد الله بن عمر	٥/ ٤٧
لا تسألوني عن شيءٍ إلا أجبتكم عليه ما دمْتُ في مقامي هذا	عبد الله بن عباس	٣/ ١٥٤
لا تُسبِّخي عنهُ بدعائكِ عليهِ	عائشة	٩/ ٥٤٠
لا تسبُّوا الدهرَ فأنا الدهرُ	أبو هريرة	٨/ ٣١٨
لا تسمُّوا العنبَ كرمًا	أبو هريرة	١/ ٢١٤
لا تُصدِّقُوا أهلَ الكتابِ ولا تُكذِّبوهم	أبو هريرة	٧/ ٣٩

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
لا تقُلْ ذلك، إنَّها منَ المنِّ	أبو هريرة	٤/ ٥١٧
لا تقولوا: رمضان	أبو هريرة	١/ ٣٢٤
لا تُنزِلُوهُنَّ الغُرَفَ	عائشة	٦/ ٢٣١
لا تُنْكَحُ المرأةُ على عمَّتِها	أبو هريرة	٢/ ٣٠٣
لا حاجةَ لي فيه	عائشة	٩/ ٣٧٠
لا عدوى ولا طِيرةَ	جابر بن عبد الله	٥/ ١٩٢
لا نَبْرَحُ حتى نناجِزَ القومَ	المسور بن مخرمة	٨/ ٤٠٧
لا يبقَى على الأرضِ بيتُ مَدَرٍ ولا وَبَرٍ	مقداد بن الأسود	٦/ ٣٠٣
لا يُبلِّغُ عنيِّ إلا رجلٌ منيِّ	جابر بن عبد الله	٤/ ١٠
لا يَتِمُّ إيمانُ العبدِ حتَّى يستثنيَ	أبو هريرة	٥/ ٣٢٧
لا يحلُّ تعليمُ المُغنِّياتِ	أبو أمامة	٧/ ١٠٧
لا يحلُّ للعالمِ إلّا أن يبذُلَ علمَه	محمد بن كعب القرظي	٥/ ٩٩
لا يَدْخُلُ الجنَّةَ أحدٌ	أبو هريرة	٨/ ٢٩٧
لا يُصلِّينَّ أحدُكم وهو زَنَاءٌ		٢/ ٣٣٨
لا يُصلِّينَّ أحدُكم وهو يُدافعُ الأخبثَيْن	عائشة	٢/ ٣٣٨
لا يقولَنَّ أحدُكم: زرَعْتُ	أبو هريرة	٩/ ١٧٧
لا يكونَنَّ في جزيرةِ العربِ دينانِ	عائشة	٩/ ٢٥٧
لا يموتَنَّ أحدُكم	جابر بن عبد الله	٨/ ٤٦٢
لا ينبغي أن يسجدَ لأحدٍ من دونِ الله		٢/ ١١٠
لا، بل لكلِّ مَن عُبد من دون الله	عبد الله بن عباس	٦/ ٧٧

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
لا، ولو قلتُ: نعم، لوجَبَ ـ الحج في كل عام ـ	أبو هريرة	٣/ ١٥٥
لإبراهيمَ ثلاثُ كذباتٍ	أبو هريرة	٦/ ٤٤
لأَزِيدَنَّ على السَّبعينَ لعلَّ الله يغفرُ لهم	عبد الله بن عمر	٤/ ٩١
لعلِّي أبطأتُ؟	مجاهد	٥/ ٤٧٧
لقد أُنزلت عَلَيَّ آيةٌ	أنس بن مالك	٨/ ٤٠٣
لقد ذهبتُم فيها عريضة		٢/ ٢١٣
لقد رأيتُ في الضَّربةِ الأولى	عوف المزني	٧/ ١٧٨
لقد صُوِّرَتْ لي الجنّةُ والنّارُ آنفًا في عرضِ هذا الحائط	أنس بن مالك	٣/ ١٥٦
لقد كذَبَ إبراهيمُ عليه السَّلامُ	أبو هريرة	٧/ ٤٣٥
لكلِّ شيءٍ عروسٌ	علي بن أبي طالب	٩/ ١٠٩
لكمْ بالرَّوثةِ كلَّ تربةٍ تمرُّون بها		٨/ ٣٥٧
للسَّائلِ حقٌ وإنْ جاءَ على فرَسٍ	الحسن بن علي	٨/ ٥٢٤
للناّسِ عامّةً في التَّوبةِ	عبد الله بن عباس	٢/ ١٨١
لم أرَ عبقريًّا يفرِي فَرِيَّه	عبد الله بن عمر	٩/ ١٤٤
لِمَ دخلْتَ مِنَ البابِ وأنتَ مُحرِمٌ؟		١/ ٣٣٦
لِمَ لَمْ تُجِبْني إذْ دَعَوتُكَ	أبو هريرة	٣/ ٥٥٠
لم يُعطَ أحدٌ منَ الأممِ	عبد الله بن عباس	٤/ ٤١٢
لم يمسَخِ الله شيئًا فجعَلَ له نسلاً وعاقبةً	عبد الله بن مسعود	٣/ ٤٨٤
لمّا أُصِيبَ إخوانُكم بأُحدٍ	عبد الله بن عباس	٢/ ٢٣١
لَمّا افتتحَ رسولُ اللهِ مكَّة وعدَ أمَّتَه مُلْكَ فارس والرُّوم	عبد الله بن عباس	٢/ ٤٢

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
لمّا خرج موسى يطلبُ العالِمَ	عبيد بن عمير	٥/ ٣٧٢
لمّا قدم رسول الله ﷺ المدينةَ فصلَّى نحو بيت المقدس	البراء بن عازب	١/ ٢٦٣
لمّا نزلت: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ صلَّى رسولُ الله ﷺ نحو بيت المقدس		١/ ٢٣١
لن تمتَلِئَ النّارُ	أبو هريرة	٨/ ٤٩٧
لن نُغلَبَ اليومَ من قلّةٍ		٤/ ٢٧، ٣٠
لن يغلِبَ عُسرٌ يُسرَيْنِ	الحسن البصري	١٠/ ١٩٦
اللَّهمَّ أحيِني مسكينًا	أنس بن مالك	٤/ ٦٨
اللهمَّ اشدُدْ وَطأَتَكَ على مُضَرَ	أبو هريرة	٢/ ١٧٤، ٨/ ٢٧٥، ٤٣٠، ٩/ ٤٢٣، ٥٣٨
اللَّهمَّ اشدُدْ وطأتكَ عليهم	أبو هريرة	٥/ ١٥٧
اللَّهمَّ إنَّما أنا بشرٌ		٥/ ١٨٧
اللهمَّ سَلِّطْ عليهِ كلبًا مِن كلابِكَ	عبد الله بن عباس	٩/ ٣٦، ١٠/ ٥٠، ٢٩٨
اللَّهمَّ صلِّ على آلِ أبي أوفى	عبد الله بن أبي أوفى	٤/ ١١٤
لو أنَّ لابنِ آدمَ واديينِ	أنس بن مالك	١٠/ ٢٤٦
لو تتابعتُم حتَّى لا يبقى أحدٌ منكم	الحسن البصري	٩/ ٣٢٤
لو خشَعَ قلبُ هذا لخشَعَتْ جوارِحُه	أبو هريرة	٦/ ١٦٨
لو عُذِّبْنا في هذا الأمرِ يا عمرُ ما نجا غيرُك		٣/ ٥٩٨
لو كانَ شيءٌ يُنجي منَ الموتِ	أبو أبي بن أم حرام	٥/ ١٢٠

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
لو كنْتُ متَّخذًا أحدًا خليلاً	عبد الله بن مسعود	٢/ ٤٤٠
لو لم يَستثنوا لَما بُيِّنَتْ لهم آخِرَ الأبدِ		١/ ١٥٨
لو نزل عذاب من السماء لم ينج منه إلا سعد بن معاذ		٣/ ٥٩٨
لو يعلَمُ العبدُ قَدْرَ عفوِ الله		٥/ ٣٤
لولا بَنُو إسرائيلَ ما خَنَزَ الخبْزُ	أبو هريرة	١/ ١٣٠
لَيْتَ شِعْري ما فعلَ أبواي		١/ ٢٣٧
ليس بجبلٍ ولا أرضٍ ولا امرأةٍ	فروة بن مسيك	٧/ ٢٨١
ليس بطلب دُنيا	أنس بن مالك	٩/ ٣٢٢
ليس عدوُّك الذي ألفيتَه فقتلتَه	أبو مالك الأشعري	٩/ ٣٤٥
ليسَ في التَّوراةِ تحريمُ ذلك	عبد الله بن عباس	٢/ ١٢٨
ليسَ مِن أهلِ الأديانِ أحَدٌ يَذكُرُ الله في هذهِ السّاعةِ غيرُكم	عبد الله بن مسعود	٢/ ١٥٥
ليسَ من نفسٍ برَّةٍ	واثلة بن الأسقع	٩/ ٥٧٤
ليس هو ما تظنُّون	عبد الله بن مسعود	٣/ ٢٦٤
لِيَعْمَلِ البَرُّ ما شاءَ	ابن عباس	٥/ ٢٠٣
لَئِنْ ظفِرْتُ بقُريشٍ لأُمثِّلَنَّ	عبد الله بن عباس	٥/ ١٦٦
ما اجتمعَ ملأٌ على ذكرِ الله	الحسن البصري	٦/ ٤٤٠
ما أُحِبُّ أنَّ لي الدُّنيا وما فيها	ثوبان	٨/ ٤٩
ما أنا بآكلٍ طعامَكَ حتَّى تشهدَ	عبد الله بن عباس	٦/ ٣٤٩
ما أُوحِيَ إليَّ أن اجمَعِ المالَ	أبو مسلم الخولاني	٥/ ٥٩

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
ما بي ما تقولون	عبد الله بن عباس	٥/ ٢٦٧
ما تَرَى؟ تَرَى دينارًا؟	علي بن أبي طالب	٩/ ٢٤٥
ما سألَني أحدٌ عنها	عبد الله بن عمر	٨/ ١٨١
ما سببُ هذا الثَّناءِ عليكم منَ الله؟	أبو أيوب الأنصاري	٤/ ١١٩
ما في السَّماءِ الدُّنيا موضعُ قدمٍ	عائشة	٧/ ٤٦٦
ما لي أراكُم سكوتًا؟	جابر بن عبد الله	٩/ ١١٩
ما مِن رجلٍ لا يُؤدِّي زكاةَ مالِه	عبد الله بن مسعود	٢/ ٢٤٤
ما من مولودٍ إلا عصرَهُ الشَّيطانُ عصرةً	أبو هريرة	٢/ ٥٦
ما هكذا ذكرتُ، إنَّما البِضْعُ	عكرمة	٧/ ٥٨
ما يمنعُكَ أن تَزورَنا	عبد الله بن عباس	٥/ ٤٧٧
ما عُلِّمْتُ الشِّعْرَ	عائشة	٧/ ٣٩٦
متِّعْنا بنفسِكَ يا أبا بكرٍ		٩/ ٢٥١
مثَلُ المؤمنِ الذي يقرأ القرآنَ	أبو موسى الأشعري	٤/ ٥١٧
مَرحبًا بمَن عاتَبني اللهُ فيهِ	سفيان الثوري	١٠/ ٤٦
مسحَ اللهُ ظهرَ آدمَ بيدِه اليُمنَى	عبد الله بن عباس	٣/ ٤٩١
مسحَ اللهُ ظهرَ آدمَ بيدِه اليُمنَى	أبو هريرة	٣/ ٤٩٢
معاذَ اللهِ أن أشركَ بهِ غيرَهُ	عبد الله بن عباس	١٠/ ٢٨٥
معاذَ الله أن نعبدَ غيرَ الله	عبد الله بن عباس	٢/ ١٠٩
المعدةُ بيتُ الدّاءِ		٣/ ٣٨٠
مفاتِحُ الغَيبِ خمسٌ	عبد الله بن عباس	٣/ ٢٤٤

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
مفاتيحُ الغيبِ خمسٌ	عبد الله بن عمر	٧/ ١٣٤
مقاليدُ السَّمواتِ والأرضِ	عثمان بن عفان	٨/ ٥٥
مُكرَ بالقومِ وربِّ الكعبةِ	عقبة بن عامر	٣/ ٢٣٠
مَن أرادَ أن يرتعَ في رياض الجنَّةِ	إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة	٨/ ٧٢
مَن أرادَ أن ينظُرَ إلى الشَّيطانِ	عبد الله بن عباس	٤/ ٧١
مَن أُعطيَ خيرًا من أهلٍ ومالٍ	أنس بن مالك	٥/ ٣٤٥
مَن الذَّاكِرُ فلانةَ؟	الكلبي	٨/ ٤٦٥
منَ الشُّحِّ نظرُكَ إلى امرأةٍ غيرِك	الحسن البصري	٩/ ٢٦٨
مِنَ الماءِ ـ الخلق ـ	أبو هريرة	٦/ ٢٩٦
مَن تعلَّمَ القرآنَ وعلَّقَ مُصحفَه	أنس بن مالك	٦/ ٣٥٢
مَن جلسَ في مجلسٍ كثُرَ فيه لغَطُه	أبو هريرة	٩/ ٢٩
مَن حَجَّ فلم يَرفُثْ ولم يَفسُقْ	أبو هريرة	١/ ٣٥٦
مَن حلَفَ بغيرِ الله فقد أشرَكَ	عبد الله بن عمر	٤/ ٤٣٢
مَنْ حَلفَ على يَمينٍ هوَ فيها فاجرٌ	عبد الله بن مسعود	٢/ ١٠٦
مَن رأى شيئًا فأعجبه	أنس بن مالك	٥/ ٣٤٥
من ساعةٍ إلى ساعةٍ يظهرُ	جابر بن عبد الله	٥/ ٢٠٧
مَن سرَّه أن يُكالَ له بالقفيزِ الأوفى	أنس بن مالك	٧/ ٧٠
مَنْ سَنَّ سُنَّةً سيِّئةً	جرير بن عبد الله	٣/ ٧٦، ٧/ ١٦
مَنْ سُئِلَ عن عِلْمٍ يَعْلَمُهُ فَكَتَمَهُ	أبو هريرة	١/ ٢٨٤

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
مَن صامَ رمضانَ وأتبَعَه بِستٍّ من شوّالٍ	أبو أيوب الأنصاري	٣/ ٣٤٦
مَن صلَّى عليَّ واحدةً	أبو هريرة	٧/ ٢٤١
مَن قال للمدينةِ: يثرب	البراء بن عازب	٧/ ١٧٩
مَن قُتِلَ دونَ مالِه فهو شهيدٌ	عبد الله بن عمرو	٤/ ٤٤٧
مَن قتَلَ قتيلاً فله كذا وكذا	عبد الله بن عباس	٣/ ٥٢٦
مَن قرأَ القرآنَ في أقلَّ من ثلاثٍ	عبد الله بن عمرو	٥/ ٢٨٤
من قرأ سورةَ الإخلاصِ	أبو سعيد الخدري	١٠/ ٣٠٣
مَن قرأ سورةَ الكهف فهو معصومٌ	أبي بن كعب	٥/ ٤٢٢
مَن قرأ سورةَ الواقعةِ		٩/ ١٤٩
مَن قرأها في ليلةٍ فقد أكثَرَ وأطنَبَ	عبد الله بن مسعود	٩/ ٣٩٠
مَن كَثُرَ صَلاتُه باللَّيل	جابر بن عبد الله	٨/ ٤٣٩
من كلِّ ألفٍ تسعُ مئةٍ وتسعٌ وتسعون، وواحدٌ لله		٢/ ٤٣٣
من لَقِيَ اللهَ لا يُشرِكُ به شيئًا دخلَ الجنّةَ	عبد الله بن عمرو	٢/ ٣٥٠
مَن لم تنهَهُ صلاتُه عنِ الفحشاءِ	عبد الله بن عباس	٧/ ٣٧
مَن له أجرٌ على الله فليقُمْ	أنس بن مالك	٨/ ٢٠٦
مَن منعَ مِن حقٍّ فقد قتَّرَ	معاذ بن جبل	٦/ ٣٨٤
مَن نَسيَ صلاةً أو نامَ عنها فلْيُصلِّها	أنس بن مالك	٥/ ٥١٥
من يمنعك منِّي		٣/ ٣٨
منازِلَكُم فإنَّما تُكتَبُ آثارُكُم	أبو سعيد الخدري	٧/ ٣٦٥
نابذ يا ابنَ مسعودٍ	عبد الله بن مسعود	١٠/ ٢٨٨

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
نابذوا عندَ الموتِ	أبو الجوزاء	١٠/ ٢٨٨
نادِ: يا معشرَ الأنصارِ	العباس بن عبد المطلب	٤/ ٢٩
نارُكم هذه جزءٌ من سبعينَ	أبو هريرة	٩/ ١٨٠
نزلت عليَّ سورةُ الأنعامِ جُملةً واحدةً		٣/ ١٩١
نُصِرْتُ بالرُّعب	جابر بن عبد الله	٨/ ٤٢٨، ٩/ ٢٥٨
نُصِرْتُ بالصَّبا	عبد الله بن عباس	٣/ ٥٧٨، ٨/ ٣٥١، ٩/ ٤٤٧
نِعْمَ صَوْمَعَةُ المُؤمِنِ بيتُه	أبو أمامة	٦/ ١٣٣
نعَمْ ويبعَثُكَ ويُدخِلُكَ النّارَ	قتادة	٧/ ٤٠٢
نعوذُ بالله من بَوَارِ الأَيِّم	مجاهد	٦/ ٣٣٩
نعَى اللهُ إليَّ نفسي	عبد الله بن عباس	١٠/ ٢٩٢
نورٌ يقذِفُه اللهُ في قلبِ المُؤمنِ ـ شرح الصدر ـ	عبد الله بن مسعود	٣/ ٣٠٨
هدَمه ثمَّ قَعَدَ يَبنِيْهِ	أبي بن كعب	٥/ ٣٨٦
هذا ابنُ عمِّك قد أتاكَ في الخيل	ابن أبزى	٨/ ٤٢٧
هذا ممَّن قضى نحْبَه	معاوية بن أبي سفيان	٧/ ١٨٩
هذا منَ العلمِ المكنونِ	الحسن بن علي	٧/ ٢٤١
هذا نجمٌ رُمِيَ بهِ	عبد الله بن عباس	١٠/ ١٢١
هذا وقومُه	أبو هريرة	٨/ ٣٩٨
هكذا أُنزِلَ	عمر بن الخطاب	٦/ ١٧٨
هكذا أُنزِلَتْ		٣/ ٢٧٢

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
هل النَّاسُ إلَّا هم	أبو هريرة	٤/ ٧٩
هل أنتِ إلّا إصبعٌ دَمِيتِ	جندب بن سفيان البجلي	٧/ ٣٩٧، ٣٩٨، ١٠/ ١٨٨
هل أنتَ تُؤمِنُ إنْ أخبرتُكَ بأسمائِها؟	جابر بن عبد الله	٤/ ٣٣٦
هلاّ قلتِ: إن أبي هارونُ	عبد الله بن عباس	٨/ ٤٦٠
هل كنتُم في عهدِ أحدٍ؟	عبد الله بن مغفل	٨/ ٤٢٧
هلاّ شَققْتَ عن قَلبه	حرملة مولى أسامة	٢/ ٤٠٩
هم الذين يصلُّون بين المغربِ والعشاءِ	ابن المنكدر	٥/ ٢٠٤
هم قومُ هذا ـ سلمان الفارسي ـ	أبو هريرة	٢/ ٤٤٧
هو الجَدْيُ يا ابنَ عبّاسٍ	عبد الله بن عباس	٥/ ٧٩
هو أنْ تقولَ لأخيكَ ما فيه	أبو هريرة	٨/ ٤٦٤
هوَ أوّلُ نبيٍّ بُعِثَ	أنس بن مالك	٩/ ٤٩٣
هو حظُّهم في الدُّنيا	سعيد بن المسيب	٥/ ٢٣٣
هو عملُ الرَّجلِ بيدِه	رافع بن خديج	١/ ٤٨٦
هو في النَّار	أنس بن مالك	٨/ ٣٩٤
هو مسجدي هذا	أبو سعيد الخدري	٤/ ١١٨
وأُعيذُكما من كلِّ عينٍ لامَّةٍ	عبد الله بن عباس	٤/ ٣٩٧
والَّذي نفسُ محمَّدٍ بيدِهِ، لو اعترضوا بقرةً فذبحوها لأجزَتْ عنهم	أبو هريرة	١/ ١٥٣
والذي نفسي بِيَدِه إنَّه لَيُخفِّفُ	أبو سعيد الخدري	٩/ ٤٧٥

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
والذي نَفْسي بيدِه لو كان الدِّين مَنُوطاً	أبو هريرة	٨/ ٣٩٨
والله إنِّي لأمينٌ في السَّماء	أبو رافع	٥/ ٥٨٥
واللهِ لا يقولُها أحدٌ منهم إلا غَصَّ بِرِيْقِهِ	عبد الله بن عباس	١/ ١٩٥
وإِنَّ آخِرَ وَطْأَةٍ وَطِئَهَا اللهُ بوَجٍّ	يعلى بن مرة	٨/ ٤٣٠
وأنا آخر الأنبياء وأنتم آخرُ الأممِ	أبو أمامة الباهلي	٨/ ١٠٧
وأنا أُقسِمُ لا أُطلِقُهم ولا أعذُرُهم	عبد الله بن عباس	٤/ ١١١
وإنَّا بكم لاحقونَ إنْ شاءَ الله	أبو هريرة	٤/ ٤٢٧، ٨/ ٤٣٥
وددت أنَّ الله صرفني عن قِبلةِ اليهود إلى غيرها		١/ ٢٦٨
ورُفِعَتْ لي سدرةٌ	أنس بن مالك	٩/ ٤٦
وضعَ النَّبيُّ عليه السَّلامُ الإبهامَ على المفصلِ الأعلى من الخنصرِ	أنس بن مالك	٣/ ٤٥٧
الولدُ للفراشِ	أبو هريرة	٩/ ١٦٨
ولو دنا مِني لاختطفَتْهُ الملائِكَةُ	أبو هريرة	١٠/ ٢٠٨،٢١٠،٢١١
وما الذي أهلكَكَ	عبد الله بن عباس	١/ ٣٩٣
ومِمَّ ذاك؟	مقاتل بن حيان	٧/ ٢٠٤
وهل ترَكَ لنا عقيلٌ من دارٍ؟	أسامة بن زيد	٨/ ٤٩٦
ويحكَ يا ثعلبةُ، قليلٌ تُؤدِّي شُكرَه	أبو أمامة الباهلي	٤/ ٨٧
ويلٌ للعراقيبِ من النار	أبو هريرة	٣/ ٣٣
ويلٌ وادٍ في جهنَّمَ	أبو سعيد الخدري	١/ ١٦٩
ويلَكَ، إنَّ هذا كلامُ الله وتنزيلُه		٣/ ٥٦٠

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
يا أبا الحُبابِ، ما بخلت به مِن ولايةِ اليهودِ	عبادة بن الصامت	٣/ ١٠٣
يا ابنَ عمرَ، مالَكَ لا تأكلُ؟	عبد الله بن عمر	٧/ ٤٧
يا إخوانَ القِردةِ والخنازِير ـ منافقِي اليهود ـ		١/ ١٦٧
يا أكثمُ، رأيتُ عمرَو بنَ لحيٍّ يجرُّ قصبَه في النار	أبو هريرة	٣/ ١٥٩
يا أمَّ هانئٍ هذه صلاةُ الإشراقِ	عبد الله بن عباس	٧/ ٤٩٢
يا أمَّ هانئٍ، لقد صلَّيتُ معكم العشاءَ الآخرةَ	أم هانئ	٥/ ١٧٥
يا أهلَ النِّفاقِ، ما هذا الذي بلغَني عنكم؟	حذيفة بن اليمان	٤/ ٨٥
يا أيها الناس إنَّ سورةَ المائدةِ من آخرِ القرآنِ نزولاً	عائشة	٣/ ٧
يا بنَ الخطّابِ، قد أنزَلَ الله	عروة بن رويم	٩/ ١٥٨
يا جابرُ، إنِّي لا أراكَ تموتُ في مرضِك	جابر بن عبد الله	٢/ ٤٧٨
يا جبريلُ، لمَ اتَّخذَ الله إبراهيمَ خليلاً		٢/ ٤٣٩
يا جَدُّ، هل لك في جِلادِ بني الأصفرِ	عبد الله بن عباس	٤/ ٦١
يا خَولَةُ! ما حدثَ في بيتي		١٠/ ١٨٨
يا ربِّ، عثمان بن عفّان، رضيْتُ عنه فارضَ عنه	أبو سعيد الخدري	١/ ٤٧٧
يا رحمنَ الدُّنيا		١/ ٢٠
يا رحمنُ يا رحيمُ	عبد الله بن عباس	٥/ ٢٨٥
يا رضوانُ لا حاجةَ لي فيها	عبد الله بن عباس	٦/ ٣٣٣
يا صباحاهُ	عبد الله بن عباس	٦/ ٤٦٥، ١٠/ ٢٩٥
يا عائشَةُ، أما عَلمتِ		١٠/ ٣١٢
يا عائشةُ، إنَّ الله يُحِبُّ الرِّفقَ	عائشة	٩/ ٢٣٩

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
يا عمّ، قل: لا إلهَ إلا الله	المسيب بن حزن	٦/ ٥٩٢
يا عمّاه، إنَّ الله قد عصمَني من الجنِّ والإنس	عبد الله بن عباس	٣/ ١٢٣
يا محمَّد، استغفر ثم قل: بسم الله الرَّحمن الرَّحيم	عبد الله بن عباس	١/ ٨
يا محمَّدُ، إنَّ ربَّك يأمرُكَ أن تصِلَ مَن قطعَكَ	جابر بن عبد الله	٣/ ٥١٦
يأتيني في صَلْصَلةٍ كصَلْصَلةِ الجرسِ		٧/ ٢٩٤
يُجاءُ بالموتِ على صورةِ كبشٍ أَمْلَحَ	أبو سعيد الخدري	٥/ ٤٦٤
يَجزيك الثُّلثُ أن تتصدَّقَ به		٣/ ٥٥٥
يَجيءُ ناسٌ يومَ القيامةِ مُفَدَّمةً أفواهُهم	معاوية بن حيدة	٧/ ٣٩٤
يَحْرُمُ مِنَ الرَّضاعِ ما يَحْرُمُ مِنَ النَّسَبِ	عبد الله بن عباس	٢/ ٣٠١
يُحشرُ المرءُ في ثوبيهِ	أبو سعيد الخدري	٩/ ٥٥٣
يُحشَرُ النّاسُ يوم القيامةِ على ثلاثِ طبقاتٍ	أبو هريرة	٦/ ٣٥٥
يُحشَرُ يومَ القيامةِ أمَّةً	عبد الله بن عباس	٥/ ١٦١
يحشرون حفاةً عراةً غرلًا	عبد الله بن عباس	٥/ ٣٥٤
اليدُ العُلْيَا خيرٌ من اليدِ السُّفْلَى	عبد الله بن عمر	٨/ ٤١٦
يُدْعَى كلُّ قومٍ بإمامِ زمانِهم	علي بن أبي طالب	٥/ ٢٤٦
يُدنيني فيُقعِدُني معهُ على العرشِ	عبد الله بن عمر	٥/ ٢٥٦
يرحمُكَ الله	أبو هريرة	٤/ ١٦٤
يس تُدعَى المُعِمّةَ	أبو بكر الصديق	٧/ ٣٥٩
يشهدُه اللهُ سبحانه ثمَّ ملائكةُ اللَّيلِ والنَّهارِ	أبو الدرداء	٥/ ٢٥٥
يعجَبُ ربُّكَ منَ الشَّابِّ	عقبة بن عامر	٧/ ٤١٤

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
يُعرَضُ النَّاسُ يومَ القيامةِ	أبو موسى الأشعري	٩/ ٤٥٧
يقولُ الله: أنا اللهُ لا إلهَ إلا أنا	أبو الدرداء	٣/ ٣١٣
يقولُ الله تعالى: ما جزاءُ مَن أنعمتُ عليه	عبد الله بن عباس	٩/ ١٤٠
يمنعُني الله منك	جابر بن عبد الله	٣/ ٣٩
يُؤتَى بالموتِ يومَ القيامةِ	أبو سعيد الخدري	٩/ ٣٩١
يؤتَى بجهنَّمَ يومئذٍ	عبد الله بن مسعود	١٠/ ١٥٦
يوسفُ بنُ يعقوبَ بنِ إسحاقَ		٧/ ٤٤٣
يوسفُ صِدِّيقُ الله	عبد الله بن عباس	٧/ ٤٤٢
يوشِكُ مَن عاش منكم أن يَلْقَى عيسَى	أبو هريرة	٨/ ٣٧١

* * *

فهرس الآثار

الأثر	القائل	الجزء والصفحة
أحسَنُ النَّاسِ فِراسةً ثلاثةٌ	عبد الله بن مسعود	٤/ ٣٥٤
آدمُ أبو البشرِ، والجانُّ أبو الجِنِّ	عبد الله بن عباس	٥/ ٢٧
إذا تكلَّمَ الله بالوحيِ	عبد الله بن عباس	٧/ ٢٩٣
إذا دخلتُم المساجدَ فسلِّموا على مَن فيها	عبد الله بن عباس	٦/ ٣١٧
إذا قُلتُم: «لا إلهَ إلا الله» فصِلُوه	عبد الله بن عباس	٨/ ١١٣
أربعةُ آلافٍ وما دونَها نفقةٌ، وما فوقَها كنزٌ	علي بن أبي طالب	٤/ ٤٠
أرى ربَّكَ يُسارِعُ لك في هواك	عائشة	٧/ ٢٢٨
استَمْخِرُوا الرِّيحَ، وأعِدُّوا النُّبَلَ	سراقة بن مالك	٥/ ٧٦
استوعبَتْ هذه الآيةُ النّاسَ	عمر بن الخطاب	٩/ ٢٦٩
أصولُ أنهارِ الأَرضِ أربعَةٌ	عبد الله بن عباس	٩/ ٦١٩
أمَا ترضَوْن أن تَسَمَّوا بأسماءِ الأنبياء	عمر بن الخطاب	٥/ ٣٩٦
أنَّ إبليسَ من حيٍّ من أحياءِ الملائكةِ	عبد الله بن عباس	٥/ ٢٧
أنَّ أشدَّ النّاسِ عذابًا يومَ القيامةِ	عبد الله بن عمرو	٣/ ١٨٢
إنَّ الجُعَلَ يُهلَكُ بخطيئةِ ابنِ آدمَ	عبد الله بن مسعود	٧/ ٣٥٥
إنَّ الضَّبَّ ليموتُ هُزْلاً في جُحرِه	أنس بن مالك	٧/ ٣٥٥

الأثر	القائل	الجزء والصفحة
إنَّ القرآنَ لا يُهاجُ اليومَ ولا يُحوَّلُ	علي بن أبي طالب	٩/ ١٦٦
إنَّ الله بعَثَ جميعَ الكتبِ إلى جبريلَ بالعربيَّةِ	الكلبي	٤/ ٤٩٦
إنَّ الله تعالى خلقَ البيتَ قبلَ الأرضِ بألفي عامٍ	عبد الله بن عمرو	٢/ ١٣٠
إنَّ الله تعالى قال: ذَرُوا الأعمالَ في يومِ الجمعةِ	عبد الله بن عباس	٥/ ١٦٤
إنَّ الله تولَّى إنكاحي	زينب بنت جحش	٧/ ٢١٣
أنَّ الله جزَّأَ الإنسَ عشرةَ أجزاءٍ	عبد الله بن عمر	٥/ ٤٠٦
إنَّ المحكمَ النّاسخُ الذي يُعمَل به	عبد الله بن عباس	٢/ ١٤
أنَّ زُحَلَ إذا أخذَتِ النُّجومُ أمكِنَتَها	عبد الله بن عباس	١٠/ ١٢٢
إنَّ عن يمينِ العرشِ نهرًا	مقاتل	٥/ ٧١
إنَّ في كتابِ الله لآيةً	علي بن أبي طالب	٩/ ٢٤٥
إنْ كان ذلك إليَّ لم أُوثِرْ أحدًا	عائشة	٧/ ٢٢٨
أنا أعلمُ بالعَيش	عمر بن الخطاب	٨/ ٣٤٦
إنَّك والله ما علمْتُ لمباركة ـ عائشة ـ	أبو بكر الصديق	٢/ ٣٤٠
إنَّما خلقَ الله النُّجومَ لثلاثةِ أشياءَ	قتادة	٥/ ٧٩
إنِّي لأَدُلُّ عليك بثلاثٍ	زينب بنت جحش	٧/ ٢١٣
أوحشُ ما يكونُ المرءُ في ثلاثةِ مواطنَ	سفيان بن عيينة	٥/ ٤٤١
الأوسطُ في المقدار على قدرِ العُسرِ واليُسر	عبد الله بن عباس	٣/ ١٤١
بعَثَ الله نبيًّا حبشيًّا	علي بن أبي طالب	٤/ ٤٩٦
التَمِسُوا الغِنَى في الباءةِ	عمر بن الخطاب	٦/ ٢٧١
جهنَّمُ أسرعُ الدّارَين عذابًا وأسرعُهما خَرابًا	الشعبي	٤/ ٣١٣

الأثر	القائل	الجزء والصفحة
الحسنةُ قولُ لا إلهَ إلا اللهُ، والسَّيِّئةُ الشِّركُ	عبد الله بن عباس	٣/ ٣٤٦
خلقَ اللهُ آدمَ عليهِ السَّلامُ من تُرابٍ	عبد الله بن مسعود	٩/ ٥٩١
خمسٌ مضَيْنَ؛ الدُّخانُ، واللِّزامُ	عبد الله بن مسعود	٦/ ٣٩٥
خيرُ واديَيْنِ في الناسِ وادٍ بمكةَ	علي بن أبي طالب	٨/ ٣٤٨
الرِّياحُ ثمانٍ	عبد الله بن عمر	٨/ ٥١٤
الرِّيحُ الجنوبُ منَ الجنّةِ	أبو هريرة	٥/ ٢٤
سابقُنا أهلُ جهادنا	عثمان بن عفان	٧/ ٣٤٦
سلامةُ القلبِ شهادةُ أنْ لا إلهَ إلا الله	عبد الله بن عباس	٦/ ٤٣٧
سُمِّي مسيحًا؛ لأنَّه مُسِحَ بالبركة	الحسن البصري	٢/ ٧٣
الشَّيخُ والشَّيخةُ إذا زَنَيا فارجموهما البتّة	عمر بن الخطاب	١/ ٢١٧
صلاةُ المسافرِ ركعتان، تمامٌ غيرُ قصرٍ	عائشة	٢/ ٤١٧
الصَّلاة من الله رحمةٌ	عبد الله بن عباس	١/ ٢٨١
طهِّروا بيوتَكم من نسجِ العنكبوتِ	علي بن أبي طالب	٧/ ٣٥
عجِبتُ لابنِ آدمَ، ملَكاه على نابَيه	الحسن البصري	٨/ ٤٨٧
عجِبْتُ مِن ابنِ آدمَ كيفَ يتكلَّمُ بالفُضولِ	الحسن البصري	٩/ ٤١٣
فررتُ يومَ أحدٍ حتى صعدتُ الجبل	عمر بن الخطاب	٢/ ٢١٣
في الخمرِ أربعُ خصالٍ	عبد الله بن عباس	٩/ ١٦٠
القرآنُ ليس بمربوبٍ	عبد الله بن عباس	٧/ ٤٧٠
القرآنُ يُفسِّرُ بعضُه بعضًا	عبد الله بن عباس	٨/ ٢٩
كان أبو قُبَيسٍ أوَّلَ جبلٍ وُضِعَ على الأرضِ	عبد الله بن عباس	٤/ ٤٤٣

الأثر	القائل	الجزء والصفحة
كانَ الرَّجلُ إذا قرأَ البقرةَ	أنس بن مالك	٩/ ٥١٣
كانَ خُلُقُه القُرآنُ	عائشة	٩/ ٤١٥
كان فيما نزلَ من القرآن: (عَشْرُ رَضَعاتٍ معلوماتٍ)	عائشة	١/ ٢١٨
كان رسولُ الله لا يعرف ختمَ السُّورة حتى يُنزَل عليه بسم الله الرَّحمن الرَّحيم	عبد الله بن عباس	١/ ٨
كانت الشَّياطينُ لا يُحجَبون عن السَّماواتِ	عبد الله بن عباس	٥/ ١٨
كانت بنو إسرائيلَ إذا كانَ لأحدِهم خادمٌ وامرأةٌ ودابّةٌ يُكتَبُ ملكًا	أبو سعيد الخدري	٣/ ٥٥
الكبائرُ أربعٌ	عبد الله بن مسعود	٢/ ٣١٨
الكبائرُ: كلُّ ما نهى عنه من أوَّلِ سورةُ النِّساء، إلى قوله: ﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ﴾	عبد الله بن مسعود	٢/ ٣١٨
كلُّ تسبيحٍ في القرآنِ فإنَّه الصَّلاةُ	عبد الله بن عباس	٦/ ٢٨٤
كلُّ عبادةٍ في القرآنِ فهي توحيدٌ	عبد الله بن عباس	١/ ٦٩
كلُّ كلمةٍ فيها جَحْدٌ لنعمةِ الله فهي كُفرٌ	ابن عيسى	٤/ ٨٦
كلُّ ما خُتِمَ بنار أو غضبٍ أو لعنةٍ أو عذابٍ، فهو كبيرةٌ	أبو بكر الصديق	٢/ ٣١٨
كنَّا نأكلُ لحمَ الخيلِ	جابر بن عبد الله	٥/ ٧٠
كنا نقرأ: أخبروا قومَنا أنّا لَقِيْنا ربَّنا فأرضانا ورضيَ عَنَّا	أنس بن مالك	١/ ٢١٧
كنا نقرأ: لا ترغبوا عن آبائكم إنَّه كفرٌ	أبو بكر الصديق	١/ ٢١٧
كنا نقرأ: لو أنَّ لابنِ آدمَ واديَيْنِ مِنْ ذهبٍ	أنس بن مالك	١/ ٢١٨
الكنزُ: الذي لا يُؤدَّى زكاتُه	عبد الله بن عباس	٤/ ٤٠

الأثر	القائل	الجزء والصفحة
لا تحلفوا بالله وإن بررتم	عائشة	١/ ٣٩٦
لا توبةَ لقاذفِ أزواجِ النَّبيِّ ﷺ	عبد الله بن عباس	٦/ ٢٥٦
لا يجوزُ أن يُؤكَلَ ما صادَه كلابُ المجوس	الحسن البصري	٣/ ٢٥
لا يَحجب أقلُّ من ثلاثةٍ	عبد الله بن عباس	٢/ ٢٨٤
لا يَدَّخِرُ شيءٌ مما خَلَقَ الله	عبد الله بن عباس	٧/ ٤٨
لا يزالُ ناسٌ من ولدِ إبراهيمَ على الفطرةِ	عبد الله بن عباس	٤/ ٥٢٨
لَأنْ أقرأَ البقرةَ وأرتِّلَها	عبد الله بن عباس	٥/ ٢٨٣
لأنْ تكونَ الكبائرُ سبعَمئةٍ أقربُ منها إلى أن تكونَ سبعًا	عبد الله بن عباس	٢/ ٣١٩
لكلِّ كتابٍ صفوة	علي بن أبي طالب	١/ ٤١
لله عزَّ وجلَّ في كلِّ كتابٍ سرٌّ	أبو بكر الصديق	١/ ٤١
لم يكنْ في الإسلام فتحٌ أعظمُ	ابن شهاب الزهري	٨/ ٤٠٥
لم يمُتْ رسولُ الله ﷺ حتَّى أحلَّ الله له	أم سلمة	٧/ ٢٣١
اللَّهمَّ إنِّي أتوبُ إليك من قولي في المتعةِ والصَّرف	عبد الله بن عباس	٢/ ٣٠٩
لو حجَّبْتَ أمَّهاتِ المؤمنين	عمر بن الخطاب	٧/ ٢٣٦
لو منعوني عِقالاً	أبو بكر الصديق	١/ ٢٢٩
ليأتينَّ على جهنَّمَ زمانٌ تُطبِقُ أبوابَها ليس فيها أحدٌ	عبد الله بن عباس	٤/ ٣١٢
ليس أرضٌ بأمطرَ من أرضٍ	عبد الله بن مسعود	٥/ ٢٥
ليس أمَّةٌ أعلمَ من أمَّةِ محمَّدٍ ﷺ	عبد الله بن عباس	٧/ ٣٠٧
ليس في الدُّنيا شيءٌ يُشبِهُ ثمرَ الجنَّةِ إلّا الموزُ	مالك بن أنس	٤/ ٤٨١

الأثر	القائل	الجزء والصفحة
ليس للجُنبِ التَّيمُّمُ	عمر بن الخطاب	٢/ ٣٤٣
ليست سَنَةٌ بأمطرَ من سنةٍ	عبد الله بن مسعود	٦/ ١٨١
ما بعثَ الله نبيًّا إلا أخذَ عليه العهدَ في محمَّدٍ	علي بن أبي طالب	٢/ ١١٤
ما دَعاهُ أَحَدٌ مِن أصحابِهِ	عائشة	٩/ ٤١٥
ما رأيت قومًا كانوا خيرًا من أصحاب رسول الله	عبد الله بن عباس	١/ ٣٧٧
ما على الأرضِ شجرةٌ إلا وُكِّلَ بها ملكانِ	كعب الأحبار	٣/ ٢٤٤
ما في القرآنِ آيةٌ أحبُّ إليَّ من هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ...﴾	علي بن أبي طالب	٢/ ٣٥١
ما ماتَ رسولُ الله ﷺ حتَّى أحلَّ الله	عائشة	٧/ ٢٣١
ما همَّ به العبدُ من خطيئةٍ	عائشة	١/ ٥١٨
ما يستقرُّ لعبدٍ ثناءٌ في الأرض	كعب الأحبار	٥/ ٤٩٥
المحكمُ ما يُعلَم تأويلُه	جابر بن عبد الله	٢/ ١٦
المساجدُ بيوتُ اللهِ في الأرضِ	عبد الله بن عباس	٦/ ٢٨٣
مَن أحبَّ أن يكتالَ بالمكيالِ الأوفى	علي بن أبي طالب	٧/ ٤٧١
من الإلحادِ فيه أن يقولَ الرَّجلُ	عبد الله بن عمرو	٦/ ١١٣
مَن بلغَه القرآنُ فقد بلَّغَه محمَّدٌ عليه السَّلامُ	محمد بن كعب القرظي	٣/ ٢١٠
مَن سمعَ صوتَ الرَّعدِ	عبد الله بن عباس	٤/ ٤٥٥
مَن صلَّى في ليلةٍ ركعتَين بعد صلاةِ العشاءِ	عبد الله بن عباس	٦/ ٣٨٢
مَن قرأ القرآن قبلَ أن يحتلِمَ	عبد الله بن عباس	٥/ ٤٣٩
مَن لا يرثُ لا يَحجب	عبد الله بن عباس	٢/ ٢٨٤

الأثر	القائل	الجزء والصفحة
نحن أهلُ الذِّكر	علي بن أبي طالب	٦/ ١٢
نزلَتْ مع آدمَ عليه السَّلامُ ثلاثةُ أشياءَ	عبد الله بن عباس	٩/ ٢١٩
نِعْمَ العِدْلان، ونِعْمَ العِلاوة	عمر بن الخطاب	١/ ٢٨١
نِعمَ خِباءُ الظَّعينةِ	عمر بن الخطاب	٧/ ٢١٤
وعدَ الله نبيَّه أن يُزوِّجَه في الجنَّةِ آسيةَ	عبد الله بن عباس	٩/ ٣٧٨
ولحمُ الخيلِ حرامٌ	عبد الله بن عباس	٥/ ٧٠
يا مَن يُجِيرُ ولا يُجارُ عليه	الربيع بن أنس	٥/ ٤٢٩
يأتي كلُّ نبيٍّ مع أمَّته	عبد الله بن عباس	١/ ٢٦٥
يُخرَجُ منَ النّارِ حتَّى يُقالَ	عبد الله بن عباس	٥/ ٨
يقولُ النَّسرُ: يا ابنَ آدمَ فإن آخره الموت	زين العابدين بن علي	٦/ ٤٨٩
يهبطُ الله حينَ يهبطُ بينَه وبينَ خلقِه	عبد الله بن عمرو	٦/ ٣٤٧

* * *

فهرس الأشعار

صدر البيت	عجز البيت	القائل	ج/ ص
	ء		
راحـوا بصائرُهم علـى أكتافِهم	وبصيرتـي يعـدُو بهـا عتـدٌ وَأَى	الأسعر بن حمران الجعفي	٩/ ٥٨٠
إذا طلـعَ النَّجـمُ عِشـاءَا	ابـتَـغَـى الرّاعي كسـاءَا		٩/ ٣٤
ملكت بهـا كفّي فأنهـرت فتقها	يـرى قائمٌ مـن دونها مـا وراءها	قيس بن الخطيم	١/ ٢٦
فصَحَوْتُ عَنها بَعدَ حُبٍّ داخِلٍ	والحُـبُّ يُشْـرَبُهُ فـؤادُكَ داءُ	زهير بن أبي سلمى	١/ ١٩٣
فمَـن يهجـو رسـولَ الله منكـم	ويمدَحُـه وينصـرُه سـواءُ	حسان بن ثابت	٧/ ٢١
لعلَّـكَ والموعـودُ حـقٌّ لقـاؤُهُ	بَدا لكَ في تلكَ القَلوصِ بَداءُ	الشماخ	٤/ ٣٧٠
وما أَدْرِي وسَـوْفَ إِخَـالُ أَدْرِي	أَقَـوْمٌ آلُ حِصْـنٍ أَمْ نِسـاءُ		٨/ ٤٦١
فَـأَوْهِ بذِكْراهـا إذا مـا ذكرْتُهـا	ومِـنْ بُعْـدِ أرضٍ دُونَنـا وسـماءِ	عتي بن مالك العقيلي	٤/ ١٢٩
	ب		
إذا شِئْتَ أن تُحصِي فواضِلَ كفِّه	فكُـنْ كاتبًـا أو فاتَّخِذْ لـك كاتِبا	أبو تمام	٨/ ٤٧٨
الانَ وقـد فَرَغْـتُ إلـى نُمَيـرٍ	وهـذا حيـنَ كنتُ لهـم عذابـا	جرير	٩/ ١٢٨
تروَّحنـا مِـنَ اللَّعبـاءِ عَصـرًا	وأعجلْنـا الإلاهـةَ أنْ تَؤُوبـا	بنت عتيبة بن الحارث	١/ ١٢
وَكائِـنْ بِالأباطِـحِ مِـنْ صَدِيـقٍ	يَرانـي لـو أُصِبْتُ هـو المُصابا	جرير	٢/ ١٩٧

صدر البيت	عجز البيت	القائل	ج/ ص
فـإنْ تَسـألُوني بالنِّسـاءِ فإنَّنـي	بَصيـرٌ بـأَدْوَاءِ النِّسـاءِ طَبيـبُ	علقمة بن عبدة	٦/ ٣٧٦، ٩/ ٤٧٣
فَلَسْـتَ لإنسِـيٍّ ولكِـنْ لِمَـلْأَكٍ	تَنَـزَّلَ مِـنْ جَـوِّ السَّـماءِ يَصُوبُ	علقمة بن عبدة	١/ ٨٦
فمَن يكُ أمسى بالمدينـةِ رحلُهُ	فإنـي وَقَيّـارٌ بهـا لغريـبُ	ضابئ بن الحارث	٣/ ١٢٦
والمـرءُ مـا عـاش فـي تكذيبٍ	طـولُ الحيـاةِ لـه تعذيـبُ	عبيد بن الأبرص	٧/ ٢٦٨
وأورَثْتُ سيفي عن حُصَينِ بنِ معقلٍ	إلـى جـدِّه إنِّـي لثـأري لطالـبُ	عنترة بن شداد	٧/ ٣٤٣
وساقت الشِّعْرَيَانِ الفجرَ بعضُهما	فيـه وبعضُهما باللَّيـل مُحتجِبُ	الكميت	٧/ ٤٩٧
ولقـد طَعنْـتَ أبـا عُيَيْنـةَ طَعْنـةً	جَرَمَتْ فـزارةَ بعدَها أنْ يَغْضَبوا	أبو أسماء بن الضريبة ـ عطاية بن عفيف	٣/ ١٦، ٤/ ٢٤١
ومـا لـيَ إلَّا آلَ أحمـدَ شِـيعَةٌ	وما ليَ إلاَّ مَشْعَبَ الحقِّ مَشْعَبُ	الكميت	٩/ ٥٣٤
يَحُفُّ بهم بِيضُ الوُجُوهِ وَعُصْبَةٌ	كَراسِـيُّ بالأحـداثِ حينَ تَنوبُ		١/ ٤٥٦
أَحَقًّـا عبـادَ الله أنْ لسـتُ لاقِيًـا	بُثَيْنَـةَ أو يَلْقَـى الثُّريـا رَقِيبُهـا	جميل بثينة	٤/ ١٥٣
إنَّ مَـن لامَ فـي بنـي بنت حسَّـا	ن أَلُمْـهُ وأَعْصِـه فـي الخُطـوبِ	الأعشى	٥/ ٥٤٣
بُثَينـةُ مِـن آلِ النِّسـاءِ وإنَّمـا	يَكُـنَّ لأدْنَـى لا وِصـالَ لِغائِـبِ	جميل بثينة	١/ ٤٤٢
تِلْـكَ خَيْلِـي منها وتِلْـكَ رِكابي	هُـنَّ صُفْـرٌ أولادُهـا كالزَّبِيـبِ	الأعشى	١/ ١٥٦
حُساماً كَلَوْنِ المِلْحِ صافٍ حَدِيدُهُ	جُرازًا مِنَ اقْطارِ الحدِيدِ المُثقَّبِ	الشنفرى	٥/ ٤٠٩
سَالَتْ هُذَيلُ رَسولَ اللهِ فاحِشَةً	ضَلَّتْ هُذَيلُ بما قالَتْ ولَم تُصِبِ	حسان بن ثابت	٩/ ٤٧٢
فهل لك في البدالِ أبا حروبٍ	فأرضـى بـالأكارعِ والعُجـوبِ	الأصمعي	٧/ ٢٠١
لِـدُوا للمَـوتِ وابنُـوا للخَـرابِ	فكلكـم يصيـر إلـى ذهـابِ	مختلف النسبة	٢/ ٢٣٨
لقـد نقَّبْـتُ فـي الآفـاقِ حتَّـى	رَضِيـتُ مِـن الغَنيمـةِ بالإيـابِ	امرؤ القيس	٨/ ٥٠٢
لـه مَلَـكٌ يُنـادي كلَّ يـومٍ	لِـدُوا للمـوتِ وابنـوا للخرابِ	علي بن أبي طالب	٦/ ٥٥١

صدر البيت	عجز البيت	القائل	ج/ص
ت			
وأرَتْـكَ قبـرَكَ فـي القُبـور	وأنـتَ حـيٌّ لـم تمُـتْ	أبو العتاهية	٧/ ٨٦
وَعَظَتْـكَ أَجْـداثٌ صُمُـتْ	ونَعَتْـكَ أزمِنـةٌ خُفُـتْ	أبو العتاهية	٧/ ٨٦
وذي ضِغْنٍ كَفَفْتُ الضِّغْنَ عنهُ	وكُنْتُ علـى مَسـاءَتِهِ مُقِيتـا	مختلف النسبة	٢/ ٣٩٢
إذا نَظَـرَتْ نحوي تكَلَّـمَ طَرْفُها	وجاوَبَها طَرْفي ونحنُ سكوتُ	القحيف العجلي	٧/ ٣٩٤
قليـلُ الألَايـا حافِـظٌ ليمينِـه	وإنْ سَبَقَتْ مِنْـهُ الأَلِيَّـةُ بَـرَّتِ	كثير عزة	١/ ٣٩٦
المُطعِمـونَ الطَّعـامَ فـي السَّـنةِ	الأَزمـةِ والفاعِلُـونَ للزَّكَـواتِ	أمية بن أبي الصلت	٦/ ١٧٠
والـذي سـدَّ مهَـبَّ الـرْ	رِيـحِ أيَّـامَ البَلِيَّـاتِ		٩/ ٩٢
ح			
فقلـتُ لصاحبـي لا تَحْبِسـانا	بنـزعِ أصولِـه واجتَـزَّ شِـيْحا	يزيد بن الطثرية	٨/ ٤٩٢
يـا ليـتَ زَوْجَـكِ قـد غَـدَا	مُتَقلِّـداً سَـيْفاً ورُمحـا	عبد الله بن الزبعرى	٦/ ١٣٤، ٣٣٢، ٧/ ٢٠٣
فمـا الدَّهـرُ إلا تارتـانِ فمنهمـا	أموتُ وأُخرى أبتَغي العيشَ أكدَحُ	ابن مقبل	٧/ ٧٥
لِيُبْـكَ يَزيـدُ ضـارِعٌ لِخُصُومَـةٍ	وَمُختَبِـطٌ ممَّـا تُطِيحُ الطَّوائِحُ	نهشل بن حري	٦/ ٢٨٤، ٨/ ١٧٢
أَلَسْتُمْ خَيْـرَ مَـنْ رَكِـبَ المَطايا	وأنْـدَى العالَمِيـنَ بُطُـونَ راحِ	جرير	١/ ٨٧
فانْضَـحْ جَوانِـبَ قَبْـرِهِ بِدِمائِهـا	فلقَـدْ يكـونُ أخـا دمٍ وذَبائِـحِ	زياد الأعجم	١/ ٢٠٥
وأنـتَ مِـنَ الغوائلِ حيـنَ تُرمَى	ومـن ذَمِّ الرِّجـالِ بمُنتَـزاحِ	إبراهيم بن هرمة	٢/ ٢٠٠
د			
مـرَجَ الدِّيـنُ فأعـدَدْتُ لـه	مُشرِفَ الحارِكِ محبوكَ الكَتَدْ	أبو دؤاد الإيادي	٨/ ٤٧٩

صدر البيت	عجز البيت	القائل	ج/ ص
إِذا ما انْتَسَبْنا لَمْ تَلِدْني لَئِيمَةٌ	ولم تَجِدِي مِنْ أَنْ تُقِرِّي بها بُدّا	زائد بن صعصعة الفقعسي	٣/ ١٧
أَلاَ حَيَّ نَدْمَاني عُمَيْر بْنَ عامِرٍ	إذا ما تلاقَينا مِنَ اليومِ أو غدا	كعب بن جعيل	٤/ ٢٧١، ٦/ ٥٨٤
فإِنْ شئْتِ حَرَّمْتُ النِّساءَ سِواكُمُ	وإِنْ شِئْتِ لم أَطْعَمْ نُقاخًا ولا بَرْدا	العرجي- عمر بن أبي ربيعة	١/ ٤٤٤
مَتى تَنْجُ حَبْوًا مِنْ سنينٍ مُلِحَّةٍ	نُشمِّرْ لأُخرى تُنزِلُ الأعصمَ الفَرْدا		٥/ ٣٣١
ولا تقرَبَنَّ جارةً إنَّ سِرَّها	عليكَ حرامٌ فانكِحَنْ أو تأَبَّدا	الأعشى	١/ ٣٨٧
ألا حبَّذا هِندٌ وأرضٌ بها هندُ	وهِنْدٌ أتى من دونِها النَّأْيُ والبُعْدُ	الحطيئة	١/ ١٢٢
أَمَّا الفَقِيرُ الَّذِي كانَتْ حَلُوبتُهُ	وَفقَ العِيالِ فلَم يُترَكْ لَهُ سَبَدُ	الراعي النميري	٤/ ٦٧، ٦٨
رَجُلٌ وثورٌ تحتَ رِجْلِ يَمينِهِ	والنَّسرُ للأُخْرَى ولَيْثٌ مُرْصَدُ	أمية بن أبي الصلت	٩/ ٤٥٦
رِكابي على حَرْفٍ وَقَلْبي مُشَيَّعٌ	وغيرُ بِلادِ الباخِلِيْنَ بِلادُ	بشار بن برد	٦/ ٩٩
سُبْحَانَهُ ثُمَّ سُبْحَاناً نَعُوذُ بِهِ	وَقَبْلَنَا سَبَّحَ الْجُودِيُّ وَالجُمُدُ	أمية بن أبي الصلت	٥/ ١٧٢
عزمت على إقامة ذي صباح	لأمرٍ ما يُسَوَّدُ مَنْ يَسودُ	أنس بن مدركة الخثعمي	٣/ ٤٥
عَشِيَّةَ لا عَفْرَاءُ مِنْكَ قَرِيبَةٌ	فَتَدْنُو وَلا عَفْرَاءُ مِنْكَ بَعِيدُ	عروة بن حزام	٣/ ٤٠٤
لكلِّ زمانٍ واحدٌ يُقتدَى به	وهذا زمانٌ أنتَ لا شكَّ واحدُه	البحتري	١/ ٢٨٧
وغَنِيتُ دَهرًا قَبلَ مُجْرى داحسٍ	لو كانَ للنَّفسِ اللَّجُوجِ خُلودُ	لبيد بن ربيعة	٣/ ٤٢٦
إنَّ مَن سادَ ثمَّ سادَ أَبُوه	ثمَّ قد سادَ بعد ذلكَ جَدُّه	أبو نواس	٣/ ٣٣٨
أَزِفَ التَّرَحُّلُ غيرَ أنَّ رِكابَنا	لَمّا تَزَلْ بِرِحالِنا وَكَأَنْ قَدِ	النابغة الذبياني	١/ ٣٧١
ألا أيُّهذا الزّاجِرِي أحضُرُ الوَغَى	وأنْ أشهَدَ اللَّذّاتِ هل أنتَ مُخْلِدي	طرفة بن العبد	١/ ١٧٤، ٧/ ٧٤
أَلَمْ يَأْتِيكَ والأنْباءُ تَنْمي	بِما لاقَتْ لَبونُ بَني زِيادِ	قيس بن زهير العبسي	٣/ ٢٩٨

صدر البيت	عجز البيت	القائل	ج/ ص
أَلِهْنـا بِـدارٍ مـا تَبِـْدُ رُسُـومُها	كأنَّ بقاياهـا وِشـامٌ علـى اليَـدِ		١/ ١٣
بَلَغَ المشـارِقَ والمغارِبَ يَبْتَغي	أسبابَ أمرٍ مِن حَكيمٍ مُرْشِدِ		٥/ ٣٩٩
دعَتْـكَ إليهـا مُقلتَاهـا وَجِيدُهـا	فمِلتَ كما مالَ المُحِبُّ على عَمْدِ	أبو ذؤيب	٧/ ٥٠٩
السَّـالباتُ الفتـى عَزيمَتَـهُ بالسْ	سِـحرِ والنَّافِثـاتُ فـي عُقَـدِه	أبو تمام	١٠/ ٣١٦
صادِيًـا يسـتغِيْثُ غيـرَ مُغـاثٍ	ولقـدْ كانَ عُصْـرَةَ المَنْجُـوْدِ	أبو زبيد الطائي	٤/ ٣٨٣
فـرَأى مَغارَ الشـمسِ عنـدَ مآبِها	في عينِ ذِي خُلُـبٍ وثَأْطٍ حَرْمَدِ		٥/ ٣٩٩
كأنَّـه خارِجًا من جنـبِ صَفْحَتِهِ	سَـفُّودُ شَـرْبٍ نَسُـوهُ عندَ مُفتَأَدِ	النابغة الذبياني	٤/ ٣٢٥
لَشَـتَّانَ مَـا بَينـي وَبَيـن رُعِاتِهـا	كماصَرْصَرَالعُصفُورُفيالرُّطَبِالثَّعْدِ		٩/ ٩٠
والخيـلُ تنـزِعُ قُبًّـا فـي أعنَّتِهـا	كالطَّيرِتنجومِنالشُّؤبوبِذِيالبَرَدِ	النابغة الذبياني	١٠/ ٢٥
وإنَّ الذي حانَـتْ بفَلْجٍ دِماؤُهم	هُمُ القَـومُ كلُّ القَومِ يـا أُمَّ خالدِ	الأشهب بن رميلة	٣/ ٣٣٨
وإنّـي لعبدُ الضَّيفِ مـا دامَ ثاويًا	وما فيَّ إلا تلك مِنْ شـيمةِ العبدِ	حاتم الطائي	٣/ ٥١١
	ر		
إلىالحولِثمَّاسمُالسَّلامِعليكما	ومَنْ يبكِ حولًا كاملاً فقدِ اعتذرْ	لبيد بن ربيعة	١/ ١٠
لعمـرُكَ مـا للفتـى مـن وَزَرْ	مـنَ المَـوتِ يُلْجِئُـهِ والكِبَـرْ	ابن الذئبة	٩/ ٥٧٨
وقتلَـى كمِثْـلِ جُـذوعِ النَّخيْـ	ـلِ تَغَشَّـاهُمُ سَـبَلٌ مُنهَمِـرْ	أوس بن حجر	٨/ ١٧٩
وليلـةٍ ظلامُهـا فيهـا اعتكَـرْ	قطَعتهـا والزَّمهَريـرُ مـا زَهَـرْ	ثعلب	٩/ ٦٠٠
فـلا وأبيـكِ ابنـةَ العامِـرِيْ	يِ لا يدَّعـي القَـومُ أنـي أَفِـرّ	امرؤ القيس	٩/ ٥٧٣
	إنْ كنْتَ ريحًا فقد لاقيْتَ إعصارا		١/ ٤٨٤
	جعلْـتَ أعـراضَ الكرامِ سَـكَرا	جندل بن المثنى الطهوي	٥/ ١١٧

صدر البيت	عجز البيت	القائل	ج/ ص
إذا ماتُّ عَنْ ذِكْرِ الْقَوافِي فَلَنْ تَرَى وَأَكْثَرَ بَيْتاً شاعرا ضُرِبَتْ بهِ	لَها شاعِرًا مِثْلِي أَطَبَّ وَأَشْعَرا بطونُ جبالِ الشِّعْرِ حَتَّى تيسَّرا	ابن مقبل	٦/ ٢٩٣
أصبحْتُ لا أمْلِكُ السِّلاحَ ولا	أمْلِكُ رأسَ البعيرِ إنْ نَفَرا	الربيع بن ضبع الفزاري	١/ ٢٦، ٧/ ٤٠٠
أكُلَّ امرئٍ تَحْسَبينَ امْرَأً	ونارٍ تَوَقَّدُ باللَّيْلِ نارا	حارثة بن الحجاج	٨/ ٣٠٤
بَيِّتَ قَولِي عندَ المليكِ	قاتَلَكَ الله عبدًا كَفُورا	الأسود بن عامر	٢/ ٣٨٦
فَأُرْكِسوا في حَميمِ النّارِ إنَّهُمُ	كانوا عُصاةً وقالُوا الإفْكَ والزُّورا	أمية بن أبي الصلت	٢/ ٣٩٧
لا أرى الموتَ يَسبِقُ الموتَ شيءٌ	نغَّصَ الموتُ ذا الغِنى والفقيرا	عدي بن زيد ـ سواد بن عدي	٢/ ١٤٨
لَعَمْري لَئِنْ أنزَفْتُمُ أو صحَوْتُمُ	لَبِئسَ النَّدامَى كُنتُمُ آلَ أَبْجَرا	الأبيرد الرياحي	٩/ ١٦٠
نأتي النِّساءَ على أطهارِهِنَّ ولا	نأتي النِّساءَ إذا أكْبَرْنَ إكبارا		٤/ ٣٦٦
نَهانا رَسُولُ اللهِ أنْ نَقْرَبَ الزِّنى	وأنْ نَشْرَبَ الإثْمَ الذي يُوجِبُ الوِزْرا		٣/ ٣٨٢
وأنتَ كثيرٌ يا بنَ مروانَ طيِّبٌ	وكانَ أبوكَ ابنُ العقائلِ كوثرا	الكميت	١٠/ ٢٨٠
يمجُّ صبيرُهُ الماعونَ صبًّا	إذا نَسَمٌ منَ الهَيْفِ اعْتَراهُ		١٠/ ٢٧٨
أفي الحقِّ أنّي مُغرَمٌ بكِ هائمٌ	وأنَّك لا خَلٌّ هواك ولا خمرُ	عائذ بن المنذر القشيري	٥/ ٥٨٠
تَرْتَعُ ما رَتَعَتْ حتَّى إذا ادكَرَتْ	فإنَّما هي إقبالٌ وإدبارُ	الخنساء	١/ ٣٠٧، ٣٤٩
تَمَنَّى نَئِيشًا أَن يكُونَ أطَاعَني	وقد حدثَتْ بعدَ الأمورِ أمورُ	نهشل بن حري	٧/ ٣١٤
في ليلةٍ مَرِضَتْ في كلِّ ناحيةٍ	فما يضيءُ لها شمسٌ ولا قَمَرُ	أبو حية النميري	١/ ٥٣
كَحَلْفةٍ مِنْ أبي رِياحِ	يَسمعُها لاهُهُ الكُبارُ	الأعشى	١/ ١٤
لَه زَجَلٌ كأنَّه صَوْتُ حادٍ	إذا طلبَ الوَسيقةَ أو زَميرُ	الشماخ	٨/ ٦٣
ما كان يرضَى رسولُ اللهِ دينَهمُ	والطَّيِّبانِ أبو بكرٍ ولا عُمرُ	جرير	١/ ٣٤

صدر البيت	عجز البيت	القائل	ج/ ص
وعيَّرها الواشون أنّي أحبُّها	وتِلْكَ شَكاةٌ ظاهرٌ عنكَ عارُها	أبو ذؤيب الهذلي	٤/ ٤٧٩
وقاسَمَها بالله جَهْدًا لأنْتُمُ	ألذُّ مِنَ السَّلْوى إذا ما نَشُورُها	خالد بن زهير الهذلي	١/ ١٢٩
أقولُ لمّا جاءَني فَخْرُهُ	سُبْحانَ مِنْ عَلْقَمةَ الفاخِرِ	الأعشى	١/ ٨٩، ٥/ ١٧٣
ذهبَ الشّتاءُ مُوَلِّيا هَرَبًا	وأَتَتْكَ وَاقِدَةٌ مِنَ النَّجْرِ	أبو شبل التميمي	٩/ ٤٤٩
رُهبانُ مَدْينَ لو رأوكِ تَنَزَّلُوا	والعُصْمُ من شَعَفِ العَقُولِ الفادِرِ	جرير	٣/ ٤١٩
سادَ وألفى قومَه سادةً	وكابرًا سادوكَ عن كَابرِ	الأعشى	١٠/١٠٦
سألَتاني الطَلاقَ أنْ رأتاني	قَلَّ مالي، قد جِئتُماني بِنُكْرِ	زيد بن عمرو بن نفيل ـ سعيد بن زيد	١/ ٣٦٦
عَلَى أنْ ليسَ عَدْلاً من كليبٍ	إذا طُرِدَ اليتيمُ عنِ الجَزُورِ	مهلهل بن ربيعة	٩/ ١١٨
عَلَى أنْ ليسَ عَدْلاً من كليبٍ	إذا ما ضِيمَ جِيرَانُ المُجيرِ	مهلهل بن ربيعة	٩/ ١١٨
عَلَى أنْ ليسَ عَدْلاً من كليبٍ	إذا خرَجَتْ مُخبَّأةُ الخُدُورِ	مهلهل بن ربيعة	٩/ ١١٨
فإذا مَضَتْ أيامُ شَهْلَتِنا	بالصِّنِّ والصِّنَّبْرِ والوَبْرِ	أبو شبل التميمي	٩/ ٤٤٨
فما لله تابَ أبو كبيرٍ	ولكِنْ تابَ خوفَ سعيدِ زيرِ		٦/ ٣٨٨
كَسااللُّؤْمُ تَيْمًا خُضرةً في جُلُودِها	فَوَيْلاً لِتَيْمٍ مِنْ سَرابِيلِها الخُضْرِ	جرير	٢/ ٣٥٩
كُسِعَ الشّتاءُ بِسبعةٍ غُبْرِ	أيامَ شَهْلَتِنا مِنَ الشَّهرِ	أبو شبل التميمي	٩/ ٤٤٨
لِمَنِ الدِّيارُ بقُنَّةِ الحَجْرِ	أَقْوَيْنَ مِن حِجَجٍ ومِنْ شَهْرِ	زهير بن أبي سلمى	٤/ ١١٩
مُخَلَّفونَ وَيَقْضِي النَّاس أمْرَهُمْ	غُشُّو الأمانَةِ صُنبورٌ فصُنْبُورِ	أوس بن حجر	٨/ ٤١٧
وإنّي لتعروني لذكراكِ هِزّة	كما انتفضَ السَّلْواةُ مِنْ بَلَلِ القَطْرِ	أبو صخر الهذلي	١/ ١٢٩
وبآمِرٍ وأخيهِ مُؤْتَمِرٍ	ومُعَلِّلٍ وبمُطفئِ الجَمْرِ	أبو شبل التميمي	٩/ ٤٤٩
وكانَ أخي رُكني وكانَ مُؤازِري	ففارَقَني رُكني وماتَ وزيري		٦/ ٣٥٦

صدر البيت	عجز البيت	القائل	ج/ ص
ولأنـتَ تَفرِي مـا خَلَقْـتَ وبعـ	ـضُ القومِ يخلقُ ثـم لا يَفْرِي	زهير بن أبي سلمى	٥/ ٤٥٥
ولقَـدْ جَنيتُـك أكمُؤًا وعَسـاقِلاً	ولقَـدْ نهيتُك عَـن بنـاتِ الأَوْبَرِ		١٠/ ٨٣
ولكنَّهـا ضنَّـت بمنـزِلِ سـاعةٍ	فغابَـتْ وألقَتْ دُونَهـا بالمعاذِرِ		٩/ ٥٨٠
وهل يأثِمَنِّي اللهُ في أنْ ذَكَرْتُها	وعلَّلْتُ أصحابي بها ليلةَ النَّفْرِ	نصيب بن رباح الأسود	٦/ ٣٨٥
وَيْ كَأَنْ مَنْ يَكُن لهُ نَشَبٌ يُحَبْ	بَبْ ومَنْ يَفتَقِرْ يَعِشْ عَيْشَ ضُرِّ	زيد بن عمرو بن نفيل	٦/ ٦١٤
يـا عاذلاتـي لا تـردن ملامتـي	إنَّ العـواذلَ لسْـنَ لـي بأميـرِ		٩/ ٣٧٦
يـا لعنـةُ الله والأقـوامِ كلِّهـمُ	والصَّالحينَ على سِمعانَ من جاري		٦/ ٤٩٦

س

صدر البيت	عجز البيت	القائل	ج/ ص
إذا مـا الضَّجيـعُ ثَنَـى جِيْدَهـا	تَثَنَّـتْ فكانَـتْ عَلَيْـهِ لِباسـا	النابغة الجعدي	١/ ٣٣١
اضْـرِبَ عنـك الهمُـومَ طارِقَها	ضَرْبَكَ بالسَّيْفِ قَوْنَسَ الفَرَسِ	طرفة بن العبد	٨/ ٢٢٢

ش

صدر البيت	عجز البيت	القائل	ج/ ص
قريـشٌ هـيَ التـي تسـكنُ البحـ تـأكلُ الغـثَّ والسَّـمينَ ولا	رَ بهـا سُـمِّيت قريـشٌ قريشـا تتـركُ يومًـا لذي جناحينِ ريشـا	المشمرج بن عمرو الحميري	١٠/ ٢٧٠
أَحافِـرَةً علـى صَلـعٍ وشَـيبٍ	معـاذَ اللهِ مِـن سـفَهٍ وطَيـشِ		١٠/ ٣٠

ص

صدر البيت	عجز البيت	القائل	ج/ ص
كُلُـوا فِـي بَعْـضِ بَطْنِكُـمُ تَعِفُّوا	فـإنَّ زمانَكـمْ زمـنٌ خَميـصُ		٧/ ٢٨٢

ض

صدر البيت	عجز البيت	القائل	ج/ ص
أبـا منذر أفنيـتَ فاستَبْقِ بَعْضَنا	حَنانَيْكَ بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ من بَعْضِ	طرفة بن العبد	٥/ ٤٤٠
فَإنْ كانَ لا يُرْضِيكَ حَتَّى تَرُدَّني	إلَـى قَطَـرِيٍّ لا إخالُـكَ راضِيـا	سوار بن مضرب السعدي	٢/ ١٦٥
وفي البقلِ إنْ لم يَدْفعِ اللهُ شرَّه	شياطينُ ينزُو بعضُهنَّ على بعضِ		٨/ ١٩٨

صدر البيت	عجز البيت	القائل	ج/ ص
	ع		
إذا قالَ قَطْني قلتُ آليْتُ حلفةً	لَتُغْنِـيَ عنـي ذا إنائـكَ أجمَعـا	أبو عناب الطائي	٤/ ١٣٨، ٨/ ٤٠٩
بِتِسْعينَ ألفًا تَأَلَهُ العينُ وَسْطَها	متى تَرَهـا عَيْـنُ الطَّرامـةِ تَدْمَعا	الأخطل	١/ ١٣
فإنْ تزجُراني يا ابنَ عفَّانَ أنزَجِرْ	وإنْ تدَعانـي أحْـمِ عِرْضًا مُمَنَّعا	سويد بن كراع	٨/ ٤٩٢، ٩/ ١١٨
فَلَوْ كانَ أَوْلى يُطْعِمُ القَوْمَ صِدْتُهُمْ	ولكِنَّ أَوْلى يَتركُ القَوْمَ جُوَّعَا		٨/ ٣٨٧
وأنْكَرَتْني وما كانَ الذي نَكِرَتْ	منَ الحوادثِ إلَّا الشيبَ والصَّلَعا	الأعشى	٤/ ٢٨٠
لا يكُــنْ بَرْقُــكَ بَرْقًــا خُلَّبًــا	إنَّ خيـرَ البـرقِ مـا الغيـثُ معَـه	أبو الأسود الدؤلي	٧/ ٧٥
ولا تُــذِلَّ الضَّعِيْــفَ عَلَّــكَ أنْ	تَركَـعَ يومًـا والدَّهْـرُ قَـدْ رفَعَـهْ	الأضبط السعدي	١/ ١١٠
	كأنَّ بيــاضَ غُرَّتِــه صَديــعُ	عمرو بن معد يكرب	٥/ ٥٤
أبيَــضُ اللَّــوْنِ لَذِيــذٌ طَعْمُــهُ	طَيِّـبُ الرِّيْـقِ إذا الرِّيْـقُ خَـدَعْ	سويد بن أبي كاهل	١/ ٥١
أمـا تتَّقـنَ اللهَ فـي جنبِ عاشـقٍ	لـه كبـدٌ حـرَّى عليـكِ تقطَّـعُ	كثير عزة	٨/ ٥١
حَلَفْتُ فَلَمْ أترُكْ لِنَفسِكَ رِيْبَةً	وهـل يأثمَـنْ ذُو أُمَّةٍ وهـوَ طائِعُ	النابغة الذبياني	١/ ٣٦٩، ٢/ ١٥٦
حُمَيْدُ الـذي أَمَـجٌ دارُه عَـلاهُ المشـيبُ علـى حُبِّهـا	أخو الخمـرِ ذو الشَّـيبةِ الأصلَعُ وكان كريمًـا فلـم يُقلِـعُ		٦/ ٤٦٨
فَجِئْنا إلى مَوْجٍ مِنَ البَحْرِ وَسْطَهُ ثَلاثَـةُ آلافٍ ونحـنُ نَصِيَّـةٌ	أَحَابِيـشُ مِنْهُـمْ حاسِـرٌ وَمُقَنَّـعُ ثَـلاثُ مِئِيـنٍ إنْ كَثُرْنـا وَأَرْبَـعُ	كعب بن مالك	٣/ ٥٦٦
منّا الذي اختِيرَ الرِّجالَ سَماحَةً	وجُودًا إذا هَبَّ الرِّياحُ الزَّعازِعُ	الفرزدق	٣/ ٤٦٩
وعليهِمـا مَسْـرُودَتان قَضاهُـا	داوُدُ أو صَنَـعُ السَّـوابغِ تُبَّـعُ	أبو ذؤيب الهذلي	١/ ٢٣٤
وكلَّفْتَنـي ذَنْـبَ امْـرئٍ وتَركْتَـهُ	كَذي العُرِّ يُكْوى غَيْرُهُ وهوَ راتِعُ	النابغة الذبياني	٤/ ٣٤٢

صدر البيت	عجز البيت	القائل	ج/ ص
أَلِهْتُ إليها والرَّكائبُ وُقَّفٌ	بكلِّ رَبيطِ الجأشِ عاري الأشاجعِ	تأبط شراً	١/ ١٢
حَدَّثْتَ نَفْسَكَ بِالوَفاءِ ولم تَكُنْ	لِلغَـدْرِ خائِنَـةً مُغِـلَّ الإِصْبَـعِ	رجل من بني أبي بكر بن كلاب	٣/ ٤٦
قَتَلْتُ بِهِ فِهْرًا وَحَمَّلْتُ عَقْلَه وَأَدْرَكْتُ ثَأْرِي واضْطَجَعْتُ مُوَسَّدًا	سَراةَ بَنِي النَّجَّارِ أَرْبابَ فارِعِ وَكُنْتُ إِلَى الأوثانِ أَوَّلَ راجِعِ	مقيس بن صبابة	٢/ ٤٠٨
لقد آلَيْتُ أَغْدِرُ في جَداعِ	ولو مُنِّيتُ أُمَّاتِ الرِّبَاعِ	أبو حنبل الطائي	٤/ ٤١٤

ف

صدر البيت	عجز البيت	القائل	ج/ ص
قلْتُ لها قفي فقالَتْ قاف	لا تحسبي آنّا نَسِينا الإيجاف	الوليد بن عقبة بن أبي معيط	٨/ ٤٧٦، ١/ ٤٠
إذا جُمادَى منَعَتْ قطرَها	زانَ جَنابِيْ عَطَنٌ مُعْصِفُ	أبو قيس بن الأسلت	٩/ ١١٦
عَمْرُو العُلا هَشَمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ	ورِجالُ مَكَّةَ مُسْنِتونَ عِجافُ	عبد الله بن الزبعرى	٣/ ٤٤٣
فسوفَ تقولُ إذ هي لم تجِدْني	أخانَ العَهْدَ أم أثِمَ الحليفُ	أبو ذؤيب	٨/ ١١٥
نَحْنُ بِما عِنْدَنا، وأَنْتَ بِما	عِنْدَكَ راضٍ، والرَّأْيُ مُخْتَلِفُ	مختلف النسبة	٣/ ١٢٦
وذبيانيّةٍ أوصَتْ بنيها	بأنْ كذبَ القراطفُ والقروف	معقر بن حمار البارقي	١/ ٥٥
وما زَوَّدُوني غيرَ سَحقِ عِمامةٍ	وخَمسِ مِئٍ مِنها قَسِيٌّ وزائفُ	مزرد بن ضرار	٣/ ٤٦

ق

صدر البيت	عجز البيت	القائل	ج/ ص
خَفِ اللهَ واستُرْ ذا الجمالَ ببُرْقُعٍ	فإنْ لُحْتَ حاضَتْ في الخدورِ العَوَاتِقُ	المتنبي	٤/ ٣٦٧

صدر البيت	عجز البيت	القائل	ج/ ص
عَـدَسْ مـا لعبَّـادٍ عليـكِ إمـارةٌ	نجَـوْتِ وهـذا تحمِلِيـنَ طليـقُ	يزيد بن مفرغ الحميري	٥/ ٥١٨
وإنِّي لأسْقِي الشَّرْبَ صَفراءَ فاقِعًا	كأنَّ ذكِـيَّ المِسْـكِ فيهـا يُفَتَّـقُ	عدي بن زيد	١/ ١٥٧
ولا تَدْفِنَنِّـي بالفَـلاةِ فإنَّنـي	أخـافُ إذا ما مِـتُّ أنْ لا أذوقُها	أبو محجن الثقفي	١/ ٣١٨
حَسِبْتُ بُغـامَ راحِلَتِـي عَنـاقًـا	ومـا هـيَ وَيْـبَ غَيْـرِكَ بِالعَناقِ	ذو الخرق الطهوي	١/ ١٩٢
قـد اسـتَوَى بِشْـرٌ علـى العِراقِ	مِـن غيـرِ سـيفٍ ولا دمٍ مُهْـراقِ	البعيث ـ الأخطل	٣/ ٣٩٩
في سَنَةٍ قدْ كشفَتْ عنْ سَاقِهَا	حمراءَ تَبْرِي اللَّحمَ عَن عُرَاقِهَا	رؤبة بن العجاج	٩/ ٤٣٣

ك

صدر البيت	عجز البيت	القائل	ج/ ص
لا هـــمَّ إنَّ المـــرءَ يـــمْ لا يَـغـلِـبـــنَّ صليـبُهم إن كُنتَ تـــاركَهُم وقـــب	نـعُ رَحْلَـهُ فامنـعْ رِحَالَـكْ ومِحـالُـهم غـدوًا مِحَالَـكْ لَتَنـا فأمـرٌ مـا بـدا لـكْ	عبد المطلب بن هاشم	١٠/ ٢٦٣
أقُـولُ لَـهُ والرُّمْـحُ يأطِرُ مَتْنَهُ	تأمَّـلْ خُفافًـا إنَّنـي أنـا ذَلِـكا	خفاف بن ندبة	١/ ٤٢
لـو كنـتُ مـن بالِكَ لـم تَنْسَـني	لكنَّنـي لـم أكُ مِـن بالِـكا		٨/ ٣٦٩
ويَقْبُـحُ مِنْ سِـواكَ الفِعْلُ عندي	وتفعلُـه فيحسُـنُ مِنـكَ ذاكا	الظهراني	٢/ ٨٨
كما قد عَمَمْتَ المؤمنينَ بِنائِلٍ	أبا خالدٍ صَلَّتْ عَلَيْكَ المَلائِكُ	كثير عزة	١/ ٨٦
باكَرْتُهُـم بِسِـبَاءِ جَـوْنٍ ذَارِعٍ	قبـلَ الصَّبـاحِ وقبلَ لغوِ الدِّيكِ	ثعلبة بن صعير	٩/ ١٨

ل

صدر البيت	عجز البيت	القائل	ج/ ص
إنَّ للخيـرِ وللشَّـرِّ مَـدى	وكِلا ذلـكَ وَجْـهٌ وَقَبَـلْ	عبد الله بن الزبعرى	١/ ١٥٥
وتَداعَـى مَنْخَـراهُ بـدَمٍ	مِثْـلَ مـا أثمَـرَ حُمَّـاضُ الجبَـلْ		٨/ ٥٢٤
وغـلامٍ أرْسَـلَتْهُ أُمُّـهُ	بِأَلُـوكٍ فَبَذَلْنـا مـا سَـألْ	لبيد بن ربيعة	١/ ٨٦
أقبـلَ سَـيلٌ جـاءَ مِـنْ عِنْـدِ اللهْ	يَحْـرُدُ حَـرْدَ الجَنَّـةِ المُغِلَّـهْ		١/ ١٧

صدر البيت	عجز البيت	القائل	ج/ ص
تلكَ المكارمُ لا قَعْبانِ من لَبَنٍ	شِـيْبا بمـاءٍ فعـادا بَعْـدُ أبـوالا	أمية بن أبي الصلت، أبو الصلت بن ربيعة	٣/ ٤٢٢
خالـي لأنـتَ ومَـن جَريـرٌ خالُه	يَنَـلِ العَـلاءَ ويُكْـرِمِ الأخْـوالا		٥/ ٥٤٤
طَرَقا، فَتِلْكَ هَماهِمِي، أَقْرِيهِما	قُلُصًـا لَواقِـحَ كالقِسِيِّ وَحُـولا	الراعي النميري	٣/ ٥٢
عَطَـاءُ فَتًى تَمَكَّـنَ فِـي المَعَالِي	فَأَعْرَضَ فِي الْمَكَارِمِ واسْتَطَالَا	ذو الرمة	٥/ ٢٤١
قَبَـحَ الإلـهُ وجـوهَ تَغْلِـبَ كلَّما	شَـبَحَ الحجيـجُ وكبَّـروا إهـالا	جرير	١/ ٩٠، ٧/ ٧٠، ١٠/ ١٣٠
منَ اللّاءِ لم يحْجُجْنَ يبغينَ حِسْبَةً	ولكـنْ ليَقْتُلْـنَ البـريءَ المُغَفَّلا	عمرو بن أبي ربيعة	٧/ ١٦٩
وجاعِلُ الشَّمسِ مِصرًا لا خَفاءَ بِهِ	بينَ النَّهارِ وبينَ اللَّيلِ قد فَصلا	عدي بن زيد العبادي	١/ ١٣٩
وَجَدْنـا الصّالحيـنَ لهـم جـزاءٌ	وجَنّـاتٍ وعَينًـا سلسـبيلا	عبد العزيز بن زرارة	٣/ ٣٧
ولقد ظهَرْتُ على أمورِك بعدَما	قـد كان أمـرُكَ عندَنـا مجهـولا		٩/ ١٩٦
يَوْمًـا تراهـا كشِـبْهِ أَرْدِيـةِ الـ	ـعُصْبِ ويومًـا أديْمَهـا نَغِـلا	الأعشى	٤/ ٢٨٤
اليـومَ يَبْـدُو بَعْضُـهُ أو كُلُّـهُ	فمـا بَـدا منـهُ فـلا أُحِلُّـهُ		٣/ ٣٧٨
أَبُـوكَ خَلِيفَـةٌ وَلَدَتْـهُ أُخْـرَى	وَأَنْـتَ خَلِيفَـةٌ، ذاكَ الكَمـالُ		٢/ ٦٠
أستغفرُ الله ذنبًا لستُ مُحصِيَه	ربَّ العبـادِ إليه الوجـهُ والعملُ		١/ ٢٣٢، ٦/ ٦١٩
دَعَـوْتُ اللهَ حَتـى خِفْـتُ أَنْ لا	يَكُـونَ اللهُ يَسْـمَعُ مَـا أَقُـولُ	شمير بن الحارث الضبي	٣/ ٤٣٠
رَأَيْتُ بَنِي الحاجاتِ حَوْلَ بُيُوتِهِمْ	قَطِينًا لَهُمْ حَتَّى إذا أَنْبَتَ البَقْلُ	زهير بن أبي سلمى	٦/ ١٨٤
فقد صِرْتِ أُذْنًا للوُشاةِ سَميعَةً	يَنالونَ مِنْ عِرْضي ولو شِئْتِ ما نالُوا	عمرو بن أبي بكر العدوي	٤/ ٧١
فمرَّ بنا رجلٌ منَ النّاسِ وانزَوَى	إليهم منَ الحيِّ اليَماني أرجُلُ		٨/ ٤٩٨
قالوا الركوبُ فقلنا تلك عادتُنا	أو تَنْزِلـونَ فإنّـا مَعْشَـرٌ نُـزُل	الأعشى	٨/ ١٥٠

صدر البيت	عجز البيت	القائل	ج/ ص
كأنَّ مِشْيَتَها مِن بيتِ جارَتِها	مَرُّ السَّحابةِ لا رَيْثٌ ولا عَجَلُ	الأعشى	٦/ ٥٣٩
لخولةَ مُوحِشًا طلَلُ	يلوحُ كأنه خِلَلُ	كثير عزة	٨/ ١٧
لكَ المِرباعُ منها والصَّفايا	وحُكمُكَ والنَّشيطةُ والفُضُولُ	عبد الله بن غنمة	٩/ ٢٦٥
لِمَنْ زُحْلُوقَةٌ زُلُّ	بِها العَيْنانِ تَنهَلُّ	امرؤ القيس	٥/ ٣٣٥
وعَزْبةُ أَرضٌ ما يُحِلّ حرامَها	منَ النَّاسِ إلّا اللَّوذَعِيُّ الحُلاحِلُ		٤/ ٣٣١
وَلَيلةِ نحسٍ يصطَلي القَوسَ رَبُّها	وأقطُعَه اللّاتي بها يتنَبَّلُ	الشنفرى	٩/ ٩٠
وما كلُّ مَنْ يَظنُّني أنا مُعْتِبٌ	وما كلُّ ما يُرْوَى عليَّ أقولُ		١/ ٢٠٤
ومَلَّكَ باللِّيْطِ الَّذي تَحتَ قِشْرِها	كَغِرْقِئِ بَيْضٍ كَنَّهُ القَيْضُ مِنْ عَلُ	أوس بن حجر	١/ ٢٦
أبيَضُ كالرَّجعِ رَسوبٌ إذا	مَا ثاخَ في مُحتَفَلٍ يَختَلِي	المتنخل الهذلي	١٠/ ١٢٦
أُرِيدُ لِأَنْسى ذِكْرَها فَكَأَنَّما	تَمَثَّلُ لِي لَيْلى بِكُلِّ سَبِيلِ	كثير عزة	٢/ ٣١٤
النَّبعُ في الصَّخرة الصَّماء مَنْبَتُه	والنَّخلُ مَنْبَتُه في الماء والعَجَل	أبو عبيدة الثعلبي	٦/ ٣٣
أغَرّكِ مني أنّ حبَّكِ قاتِلي	وأنَّكِ مهما تأمُري القلبَ يفعلِ	امرؤ القيس	٨/ ٥٠٣
ألا لا باركَ اللهُ في سُهيلٍ	إذا ما اللهُ باركَ في الرِّجالِ		١/ ١٧
ألسْتَ كُلَيْبِيًّا إذا سِيْمَ خُطَّةً	أقرَّ كإقرارِ الحَليلةِ للبَعْلِ	البعيث	١/ ١٧٨
تَمَنَّى كِتابَ اللهِ آخِرَ لَيلةٍ	تَمَنِّيَ داودَ الزَّبورَ عَلى رِسْلِ		١/ ١٦٩، ٦/ ١٤٣
حَصانٌ رَزانٌ ما تُزَنُّ بِرِيبَةٍ	وَتُصْبِحُ غَرْثَى مِنْ لُحُومِ الغَوافِلِ	حسان بن ثابت	٦/ ٢٥١
شَرِبْتُ الإثْمَ حَتّى ضَلَّ عَقْلي	كَذاكَ الإثْمُ يَذْهَبُ بالعُقُولِ	أبو نواس	٣/ ٣٨٢
عُلِينَ بِكَدْيَونٍ وأُبْطِنَّ كُرَّةً	فهنَّ إضاءٌ صافياتُ الغلائلِ	النابغة	٩/ ٦٠١
فألحقَهُ بالهادِياتِ ودُونَهُ	جَواحِرُها في صَرَّةٍ لم تَزَيَّلِ	امرؤ القيس	٨/ ٥٣٣
فَقَدْ كَذَبَ الواشونَ ما بُحْتُ عِنْدَهُمْ	بِلَيْلَى ولا أَرْسَلْتُهُمْ بِرَسُولِ	كثير	١/ ٢٠٣

صدر البيت	عجز البيت	القائل	ج/ ص
فلمَّا أجَزْنا ساحةَ الحيِّ وانْتَحى	بنا بَطْنُ خَبْتٍ ذي قِفافٍ عَقَنْقَلِ	امرؤ القيس	٤/ ٣٤٦
قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ ومَنْزِلِ	بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ	امرؤ القيس	٨/ ٤٩٢
قــومٌ إذا نبَــتَ الرَّبيــعُ لهــم	نبتَــتْ عداوتُهــم مــعَ البقــلِ	الحارث بن دوس	٨/ ١٩٨
كأنَّ قلـوب الطيـر رطباً ويابسـاً	لدَى وَكْرِها العُنَّابُ والحَشَفُ البالي	امرؤ القيس	٦/ ٦٠٣
لقد خِفتُ حتى ما تزيدُ مخافتي	على وَعَلٍ في ذي المطارةِ عاقلِ	النابغة	١٠/ ١٨٤
لمَّا وَضَعْتُ على الفَرَزْدَقِ مِيسَمِي	وعَلَى البَعِيثِ جَدَعْتُ أَنْفَ الأَخْطَلِ	جرير	٩/ ٤٢٣
مهفهفــةٌ بيضــاءُ غيــرُ مفاضــةٍ	ترائِبُهــا مَصقُولَــةٌ كالسَّــجَنْجَلِ	امرؤ القيس	١٠/ ١٢٤
وَلَقَـدْ يَغْنَـى بِهـا جِيرَانُـكِ الـ	ـمُمْسِكُو مِنْـكِ بِعَهْـدٍ وَوِصَالِ	عبيد بن الأبرص	٣/ ٤٢٦
ومِثْلِكِ بَيضاءِ العوارِضِ طَفْلَةٍ	لعوبٍ تَنَاسَاني إذا قُمتُ سِرْبالي	امرؤ القيس	٥/ ٤٥٤
فظَلِلْنــا بنِعْمــةٍ واتَّكَأْنــا	وشــرِبْنا الحــالَ مِــنْ قُلَلِــهْ	جميل بن معمر	٤/ ٣٦٥

م

صدر البيت	عجز البيت	القائل	ج/ ص
إلـى المَلِـكِ القَرْمِ وَابـنِ الهُمامِ	وَلَيْــثِ الكَتِيبَــةِ فــي المُزدَحَــمْ		٤/ ٢٤٣، ٤٤٠، ٦/ ٤٣٣، ٧/ ١٧٨
تدعُو أبا فَرخَينِ صادَفَ ضارياً	ذا مخلَبَيــنِ مــنَ الصُّقــورِ قَطاما		٩/ ١٣٦
فأَطْرَقَ إطراقَ الشجاعِ ولو يَرَى	مســاغاً لنابــاه الشــجاعُ لصمَّما	المتلمس بن عبد المسيح الضبعي	٥/ ٥٤٤
فَرِيشِـي منكُـمُ وهَـوَايَ معْكُـمْ	وإنْ كانَــتْ زيارتُكُــمْ لِمَامَــا	الراعي النميري-الجرير	٣/ ٣٧٣
فمَن يَلْقَ خيراً يَحمدِ الناسُ أمرَه	ومَن يَغْوِ لا يَعْدَمْ على الغَيِّ لائما	المرقش الأصغر	٥/ ٤٧٤
ما هاجَ شَوقَكَ من هَدِيرِ حَمامَةٍ	تدعُو على فَنَنِ الغُصُونِ حَماما		٩/ ١٣٦
وعَهْدي بسَلْمَى ضاحِكاً في لُبَابَةٍ	ولم يَعْـدُ حُقَّـا ثَدْيِهـا أنْ تَحَلَّما		٤/ ٢٨٢
	قليلاً بهــا الأصــواتُ إلا بغامُها	ذو الرمة	٩/ ٤٠٥

صدر البيت	عجز البيت	القائل	ج/ ص
إذا اتَّصَلَتْ قالَتْ: أَبَكْرَ بنَ وائِلِ	وبَكْـرٌ سَـبَتْها والأنـوفُ رَواغِمُ	الأعشى	٢/ ٣٩٨
إذا نحنُ سِرنا بينَ شرقٍ ومَغربٍ	تحـرَّكَ يَقظـانُ التـرابِ ونائِمُـه	أبان بن عبدة	١٠/ ٣٣
ألا وَيْـكَ المسـرَّةُ لا تـدومُ	ولا يبقَـى علـى البُـؤسِ النَّعيـمُ		٦/ ٦١٥
إنِّي امرؤٌ لجَّ بي حبٌّ فأَحْرَضَنِي	حتَّى بَلِيْتُ وحتَّى شَفَّنِي السَّقَمُ	العرجي	٤/ ٤١٥
أُنيخَتْ فأَلقَتْ بَلْدةً فوقَ بَلدةٍ	قليـلٍ بهـا الأصـواتُ إلا بُغامُها	ذو الرمة	٢/ ٣٤٨، ٤/ ٩٤
تـرّاكُ أمْكِنـةٍ إذا لَـمْ يرْضَهـا	أوْ يَرْتَبِطْ بَعْضَ النُّفوسِ حِمامُها	لبيد بن ربيعة	٢/ ٨١، ٨/ ٩١
داوِيَّـةٌ وَدُجَـى لَيْـلٍ كأَنَّهُمـا	يَـمٌّ تَراطَـنُ فِـي حافاتِـهِ الـرُّومُ	ذو الرمة	٣/ ٤٤٩
لا تَنْـهَ عـن خُلُـقٍ وتأتـيَ مِثلَـهُ	عـارٌ عَليـكَ إذا فعلْـتَ عظيـمُ	مختلف النسبة	٢/ ١٩١
مُعْرَوْرِياًرَمَضَ الرَّضراضِ يَرْكُضُهُ	والشَّمسُ حيرى لهابالجوِّتدويمُ	ذو الرمة	٧/ ٣٧٩
وإنْ أتـاهُ خليـلٌ يـومَ مَسْـألةٍ	يقـول لا غائـبٌ مالـي ولا حَرَمُ	زهير بن أبي سلمى	٢/ ٤٣٨
ولاتَغْلُ في شيءٍمِن الأمرِ واقْتَصِدْ	كلا طَرَفَـيْ قَصْـدِ الأمـورِ ذَميمُ		٧/ ١٢١
يَلُومُوننـي فـي اشـتراءِ النَّخـي	لِ أهلـي وكلُّهـمُ ألـومُ	أحيحة بن الجلاح	٦/ ٩
أَتَغضَـبُ إنْ أُذْنـا قُتَيْبَـةَ حُزَّتـا	جِهاراًولم تَغْضَبْ لقَتْلِ ابنِ خازمِ	الفرزدق	٣/ ١٧
إذا رأونـي أطـالَ اللهُ غيظَهُـمُ	عَضُّوا مِنَ الغَيْظِ أطرافَ الأباهيمِ	الفرزدق	٢/ ١٦٣
إذا مـا الشَّـوقُ بـرحَ بـي إليهـم	أَلَقَـتُ النُّـونُ بالدَّمـعِ السَّـجومِ		٩/ ٤١٢
تَظَلُّ يومَكَ في لهوٍ وفي طَرَبٍ	وأنتَ باللَّيلِ شرَّابُ الخَرَاطِيمِ	الأعرج المعني	٩/ ٤٢٣
ثـلاثٌ واثنتـانِ فهُـنَّ خَمْـسٌ	وسادسـةٌ تميـلُ إلـى شِـمامِ	الفرزدق	١/ ٣٤٧
جالَتْ لتَصرَعَني فقُلتُ لهااقصِري	إني امْرُؤٌ صَرْعي عَلَيكِ حَرامِ	امرؤ القيس	٣/ ٦٣
زنيـمٌ ليـسَ يُعـرَفُ مَـن أبـوهُ	بغـيُّ الأمِّ ذو حَسَـبٍ لَئيـمِ		٩/ ٤٢١

صدر البيت	عجز البيت	القائل	ج/ ص
كانَتْ فريضـةَ مـا تقـولُ كمـا	كان الزِّنـاءُ فريضـةَ الرَّجْـمِ	النابغة الجعدي	١/ ٢٩٩
شربَتْ بماءِ الدُّحْرُضَيْنِ فأصبَحَتْ	زوراءَ تَنْفِـرُ عَنْ حِيـاضِ الدَّيْلَمِ	عنترة	٩/ ٥٩٦
العاطِفونَ تَحينَ مَا من عاطفٍ	والمُطعِمونَ زمانَ مَا مِن مُطعِمِ	أبو وجزة السعدي	٧/ ٤٧٩
قد كنْتُ أحسَبُني كأغنى واحِدٍ	وَرَدَ المدينـةَ عَـنْ زراعـةِ فُـومِ	أبو محجن الثقفي	١/ ١٣٨
وحَليـلِ غانيـةٍ تركـتُ مُجـدَّلاً	تَمكُـو فَريصَتُـه كشِـدْقِ الأعلَمِ	عنترة	٣/ ٥٦٤
وَرَبِّ أَسْـرَابِ حَجيـجٍ كُظَّـمِ	عَـنِ اللَّغـا وَرَفَـثِ التَّكَلُّـمِ	رؤبة بن العجاج	١/ ٣٥٠
وقـد أرِدُ الميـاهَ بغيـرِ هـادٍ	سـوى عَـدِّي لهـا بَـرْقَ الغمـامِ	المتنبي	٧/ ٧٦
ولقد شَفَى نَفْسِي وأبرأ سُقْمَها	قِيلُ الفَوَارِسِ وَيْكَ عَنْتَرَ أقدمِ	عنترة بن شداد	٦/ ٦١٥
وَلِهَـتْ نفسـيَ الطَّـروبُ إليكُم	وَلَهًـا حـالَ دُونَ طَعْـمِ الطَّعـامِ	الكميت	١/ ١٩
وَمَنْ يَجْعَلِ المَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ	يَفِـرْهُ ومَـن لا يَتَّقِ الشَّـتْمَ يُشْـتَمِ	زهير بن أبي سلمى	٥/ ٢٣٧
وَوَطِئْتَنـا وَطـأً علـى حَنَـقٍ	وَطءَ المُقيَّـدِ نَابِـتَ الهَـرْمِ		٨/ ٤٣٠

ن

صدر البيت	عجز البيت	القائل	ج/ ص
ألا لا يجهَلَـنْ أحـدٌ علينـا	فنجهَـلَ فـوقَ جهـلِ الجاهلينـا	عمرو بن كلثوم	١/ ٥٩
إذا الجـوزاءُ أَرْدَفَـتِ الثُّرَيَّـا	ظَنَنْـتُ بـآلِ فاطمـةَ الظُّنونـا	خزيمة بن نهد	٣/ ٥٣٦
إذا مـا الغانيـات بـرزن يومًـا	وزَجَّجْـنَ الحواجـبَ والعُيونـا	الراعي النميري	٩/ ١٦٣
إذا ما المَلْكُ سامَ النَّاسَ خَسْفًا	أَبَيْنـا أنْ نُقِـرَّ الخَسْـفَ فِيْنـا	عمرو بن كلثوم	١/ ١١٦
إنْ أَجْزأتْ حُرَّةٌ يوماً فلا عَجَبٌ	قد تُجْزِئُ الحُرَّةُ المِذْكارُ أحيانا		٨/ ٢٢٧
كَذاكَ تُخْبِرُ عنها العالِماتُ بها	وقـد قَتَلْـتُ بعلْمِـي ذاكُـمُ يَقَنـا	المقنع الكندي	٢/ ٤٦٦
قـال الخليـطُ غـدًا تَرَحُّلُنـا	أو شَـيْعَهُ فمتَـى تُودِّعُنـا	عمر بن أبي ربيعة	٧/ ٤٣١
إن تُبتَـدَرْ غايـةٌ يومـاً لمَكْرُمـةٍ	تَلْـقَ السَـوابِقَ منّـا والمصَلِّينَـا	نهشل بن حري	٩/ ٥٨٦

صدر البيت	عجز البيت	القائل	ج/ ص
مـا بالمدينـةِ دارٌ غَيْـرُ واحـدةٍ	دارُ الخليفـةِ إلا دارُ مروانـا	الفرزدق	١/ ٢٧٥، ٣/ ٢٤٥
نوِّلـي قبـلَ نـأيِ دارِي جُمانـا	وَصِلِينـا كَمـا زَعَمْـتِ تَلانـا	جميل بثينة	٧/ ٤٨٠
هذا ابنُ عمِّي في دمشقَ خليفةً	لـو شـئتُ سـاقكمُ إلـيَّ قَطينـا	جرير	٦/ ٥٦١
فـردّ قواصِـي الأحيـاء منهـم	فقـد رَجَعـوا كحـيّ واحدينـا	الكميت	٦/ ٤٢٣
لا تنكـروا القتـل وقـد سُـبينا	فـي حَلْقِكُـم عَظْـمٌ وقَدْ شُـجِينا	مسيب بن زيد مناة الغنوي	١/ ٤٩
هـلَّا سـألْتَ جُمـوعَ كِنْـ	ـدةَ يـومَ ولَّـوا: أيْـنَ أيْنـا	عبيد بن الأبرص	١/ ٢٥
واللهِ لَنْ يَصِلوا إليك بجمعِهم فاصدَعْ بأمرِكَ ما عليكَ غضاضةٌ لولا الملامةُ أو حَذَاري سُبَّةً	حتَّـى أُوَسَّـدَ فـي التُّـرابِ دَفينـا وَابشِـرْ وَقَـرَّ بـذاكَ منـكَ عُيونـا لَوَجَدْتنـي سَـمْحًا بـذاكَ مَتينـا	أبو طالب	٣/ ٢١٦
يَجْزُونَ مِن ظُلمِ أهلِ الظُّلمِ مَغْفِرةً	ومِنْ إساءةِ أهلِ السُّوءِ إحسانا	قريط بن أنيف	٤/ ٤٦٧
ويَقُلْـنَ: شـيبٌ قـد عـلا	كَ وقـد كبـرتَ، فقلـتُ: إنَّـهْ	عبيدالله بن قيس الرقيات	٥/ ٥٤٣
لا بـدَّ مـن شـيبٍ ومِـن	كبـرٍ، فدَعْـنَ مَلَامَكُنَّـه	عبيدالله بن قيس الرقيات	٥/ ٥٤٣
تخـوَّفَ السَّـيرُ منها تامـكًا قَرِدًا	كما تخوَّفَ عُودَ النَّبعةِ السَّفَنُ	أبو كبير الهذلي	٥/ ١٠٠
قد كان قَومُكَ يَحسبُونَكَ سَيِّدًا	وإخـالُ أنَّـكَ سَـيِّدٌ مَعْيُـونُ	عباس بن مرداس	٦/ ١٩٧، ٩/ ٤٤١
أبا واصِـلٍ فاكْسُـوهُما حُلَّتَيْهِما	فإنَّكُمـا إنْ تَفْعَـلا فَتَيـانِ		١/ ٤٠٩
إذا مـا رايـةٌ رُفِعَـتْ لمجـدٍ	تلقَّاهـا عَرَابـةُ باليَميـنِ	الشماخ بن ضرار الذبياني	٧/ ٤٣٦، ٨/ ٥٨، ٩/ ٤٦٨
إذا مـا قُمْـتُ أَرْحَلُهـا بِلَيْـلٍ	تَـأَوَّهُ آهـةَ الرَّجُـلِ الحزيـنِ	المثقب العبدي	٤/ ١٣٠
إنَّ السَّـفاهَةَ طَاهَا في خلائقكُم	لا قَـدَّسَ اللهُ أخـلاقَ المَلاعِينِ	يزيد بن مهلهل	٥/ ٥٠٤

صدر البيت	عجز البيت	القائل	ج/ص
تَـراه كالثَّغَـامِ يُعَـلُّ مِسـكاً	يسـوءُ الفاليـاتِ إذا فَلَيْنـي	عمرو بن معد يكرب	٥/ ٨٥
ذَعَـرْتُ بِـهِ القَطـا ونَفَيْـتُ عَنْـهُ	مَقـامَ الذِّئـبِ كالرَّجُـلِ اللَّعِيـنِ	الشماخ بن ضرار	١/ ١٨٥
فَلَيْـتَ لنا مِـنْ مـاءِ زَمْزَمَ شَـرْبةً	مُبَـرَّدةً باتَـتْ علـى الطَّهْيـانِ	الأحول الكندي	١/ ١٣٠، ٢١١
كُنْـتَ أمينـي وكنْـتَ خَالِصتِـي	وليـسَ كلُّ امـرئٍ بمُؤتَمَـنِ		٣/ ٣٢١
لاهِ ابنُ عَمِّكَ لا أفضَلْتَ في حَسَبٍ	عنِّي ولا أنْـتَ ديّانـي فتَخْزوني	ذو الإصبع العدواني	١/ ١٥
أألخيـرُ الـذي أنـا أبْتَغِيْـه	أم الشـر الَّـذِي لا يأتَلِينـي	المثقب العبدي	٩/ ١١٧
إذا حاوَلْـتَ فـي أسَـدٍ فُجُـورًا	فإنِّـي لسْـتُ منـكَ ولسْـتَ منِّي	النابغة الذبياني	٢/ ٤٧، ٣/ ٣٤٥
ما عايَنَ النّاسُ مِنْ فَضْلٍ كَفَضْلِكُمُ	ولا رَأَوْا مِثْلَكُمْ فِي سالِفِ السُّنَنِ		٢/ ١٨٤
ولا أدري إذا يَمَّمْـتُ أرضًـا	أُريـدُ الخيـرَ أيُّهمـا يَلينـي	المثقب العبدي	٩/ ١١٧
ولا ضَيَّعْتُـه فـألامَ فيـهِ	فـإنَّ هـلاكَ مالِـكَ غيـرُ مَعْـنِ	النمر بن تولب	١٠/ ٢٧٨
ولقَـد أمـرُّ على اللَّئيـمِ يَسُـبُّني	فمضيـتُ ثُمَّتَ قلـتُ لا يعنيني	شمر بن عمر الحنفي	٦/ ١٥٣

هـ

صدر البيت	عجز البيت	القائل	ج/ص
إذا رَضِيَـتْ عَلَـيَّ بنـو قُشَـيرٍ	لَعَمْـرُ اللهِ أعجَبَنـي رِضَاهَـا	قحيف العقيلي	٩/ ٤٨٥
علفتُهـا تبنًـا ومـاءً بـاردًا	حَتَّـى شَـتَتْ هَمّالَـةً عَيْناهَـا		٩/ ١٦٣
لاهَتْ فما عُرِفَتْ يومًا بخارِجةٍ	يـا ليتَهـا خَرَجَتْ حتَّى عَرَفْناها		١/ ١٤

ي

صدر البيت	عجز البيت	القائل	ج/ص
إذا طلـعَ النَّجـمُ غُدَيَّـة	طلـبَ الرّاعـي شُـكَيَّة		٩/ ٣٤
ألَـمْ يَيْـأسِ الأقـوامُ أنّي أنـا ابنُه	وإنْ كنتُ عن أرضِ العشيرةِ نائيا	رباح بن عدي	٤/ ٤٧٤

فهرس الأرجاز

الرجز	القائل	ج/ ص
ب		
فَأَوَّهَ الرَّاعِي وَضَوْضَى أَكْلُبُهْ		٤/ ١٣٠
لكم ذَنوبٌ ولنا ذَنوبُ وإنْ أَبَيْتُم فلَنا القَليبُ		٨/ ٥٤٤
أمَّهَتي خِنْدفُ والْياسُ أبي	قصي بن كلاب	٥/ ١٣٠
ت		
أَشْكُو إِلَيْكُمْ سَنَةً قَدْ أَجْحَفَتْ وَاحْتَنَكَتْ أَمْوَالَنَا وجَلَّفَتْ	الزفيان السعدي رؤبة بن العجاج	٥/ ٢٣٦
أنَّ العراقَ وأهلَها عُنُقٌ إليكَ فهَيْتَ هَيْتَا		٦/ ٤٠١
ما لي أراكُم كلَّكم سُكوتًا والله ربِّي خالقِ البلهوتا	علي بن أبي طالب	٩/ ٤١١
مالي إذا نَزَعْتُها صَأَيْتُ أَكِبَرٌ غَيَّرني أم بَيْتُ	رؤبة بن العجاج	٧/ ٢٣٧
وليلةٍ ذاتِ نَدًى سَرَيتُ ولم يَلِتْني عنْ سُرَاها لَيْتُ	رؤبة بن العجاج	٨/ ٤٦٨
يا قبَّحَ اللهُ بني السِّعْلاتِ عَمرَو بنَ يَربُوعٍ شِرارَ النَّاتِ	علباء بن أرقم	٧/ ٤٧٩
ج		
نضربُ بالسَّيفِ ونرجو بالفَرَجْ	النابغة الجعدي	٦/ ١٨٤، ٤٨٢
ومَهْمَهٍ هالِكِ مَن تَعَرَّجا	رؤبة بن العجاج	٥/ ٣٦٥

الرجز		القائل	ج/ص
ح			
قـد كادَ مِـنْ طُـولِ البِلـى أن يَمْصَحا		رؤبة بن العجاج	٤/ ١٣٤
د			
إنَّ بَنِـي الأدْرَمِ لَيْسـوا مِـنْ أَحَدْ	وَلا تَوَفَّاهُـمْ قُرَيْـشٌ فـي العَـدَدْ	منظور الوبري	٣/ ٢٤٦
قدْ شَـمَّرَتْ عن سَـاقِها فشُـدُّوا	وجَدَّتِ الحَربُ بِكُم فجُدُّوا	الحجاج	٩/ ٤٣٣
ر			
آنَـسَ خِرْبـانَ فضـاءٍ فانكَـدَرْ		رؤبة بن العجاج	٥/ ٥١١، ١٠/ ٦٠
تَقَضِّـيَ البـازي إذا البـازي كَسَـرْ		رؤبة بن العجاج	١/ ٤٦٨
نعلِفُهـا اللَّحـمَ إذا عـزَّ الشَّـجرْ		النمر بن تولب	٥/ ٧٣
يـا سـارِقَ اللَّيلـةِ أهْـلَ الـدّارِ			١/ ٢٦
ط			
أمسَـتْ هُمومِي تَنشِطُ المناشِطا	الشَّامَ بي طَوْرًا وطورًا واسِطَا	هميان بن قحافة	١٠/ ٢٥
ومَنْهَـلٍ وَرَدْتُـه التِقاطـا إلاّ الحمـامَ الـوُرْقَ والغَطاطـا	لـم ألـقَ إذ وَرَدتُـه فُرَّاطـا	رؤبة بن العجاج نقادة الأسدي	٦/ ٥٥١
ع			
والعنـزُ لا تَمْشـي علـى الهَمَلَّـعِ			٧/ ٤٨٣
ق			
نحـنُ بَنـاتُ طـارِقْ إن تُقبِلُـوا نُعانِـقْ فِـــراقَ غيـــرِ وامِـــقِ	نَمشِـي علـى النَّمـارِقْ أو تُدبِـرُوا نُفـارِقْ	هند بنت عتبة	٢/ ١٩٣

الرجز		القائل	ج/ ص
دَعْهـا فَمـا النَّحْـويُّ مِـنْ صَدِيقِهـا		رؤبة بن العجاج	٦/ ٣١٥
ومَسَـدٍ أُمِـرَّ مِـن أيانـقِ		عثمان بن طارق	١٠/ ٣٠١
ك			
يـا ربِّ لا أرجـو لهـم سِـواكا إنَّ عـدوَّ البيـتِ مَـن عـاداكا	يـا ربِّ فامنـعْ عَنهـمُ حِمـاكَا اِمنعهـمُ أن يُخْرِبـوا قـراكا	عبد المطلب بن هاشم	١٠/ ٢٦٣
يـا عُـزُّ كُفرانَـكِ لا سُـبحانَكِ	إنِّـي رأيـتُ الله قـد أهانَـكِ		٩/ ٥٠
ل			
أُطلُـقْ يديْـكَ تنفعَـاكَ يـا رَجُـلْ			٩/ ٦١٩
هــذا الـرَّجُـلْ أهــدَى بصَــلْ	لـمَّـا احـتَـفَـلْ	عبد الصمد بن المعذل	٧/ ٣٩٧
لبِّـثْ رُوَيـدًا يلحَـقِ الهيجـا جَمَـلْ		حمل بن سعدان	٧/ ١٩١
باتَتْ تَنُوشُ الحَوْضَ نَوْشًا من عَلَا	نَوْشًـا بـه تَقْطـعُ أجْـوازَ الفـلا	غيلان بن حريث	٧/ ٣١٤
ثُـمَّ جَـزاهُ اللهُ عَنّـا إذْ جَـزَى	جَنّاتِ عَـدْنٍ فِي العَلالِيِّ العُلا	أبو النجم العلي	٣/ ١٨٢
يَحْـرِدُ حَـرْدَ الجَنَّـةِ المُغِلَّـةْ		قطرب	٩/ ٤٢٧
فَهْـيَ علـى الأُفْـقِ كَعَيْـنِ الأحْـوَلِ		أبو النجم العجلي	١/ ٢٠٤
م			
باتـوا نيامًـا وابـنُ هِنْـدٍ لـم يَنَـمْ خَدَلَّـجُ السّـاقَيْنِ خَفّـاقُ القَـدَم ليـسَ براعـي إبـلٍ ولا غَنَـمْ هـذا أوانُ الشَّـدِّ فاشـتَدِّي زِيَـمْ	بـاتَ يقاسـيها غُـلامٌ كالزَّلَـمْ قـد لفَّهـا اللَّيـلُ بسـوّاقٍ حُطَـمْ ولا بِجَـزّارٍ علـى ظَهْـرِ وَضَـمْ	مختلف النسبة	٣/ ١٣

الرجز		القائل	ج/ ص
كـم نعمـةٍ كانَـتْ لكُـم كَـمْ كَـمْ وكَمْ			٩/ ١١٨
إنِّـي إذا مـا حَـدَثٌ أَلَمّـا	أقـولُ يـا اللّهـمَّ يـا اللّهمّـا	أبو خراش الهذلي	١/ ١٦
ومـا عليـكِ أنْ تَقولـي كلَّمـا	صلَّيْـتِ أو سبَّحْتِ يـا اللّهمّـا		١/ ١٦
ارْدُدْ علينـا شـيخَنا مُسَـلَّما			
قلـتُ لزيـرٍ لـم تصِلـهُ مَرْيَمُـهْ		رؤبة بن العجاج	٢/ ٥٥، ٥/ ٤٤٢
اليـومُ يـومٌ بـارِدٌ سُـمومُهُ	مَـن جَـزِعَ اليـومَ فـلا ألومُـهُ		٩/ ٢٠
لمّـا تَبَيَّنّـا أَخـا تَمِيـمِ	أَعْطَـى عَطـاءَ اللَّحِـزِ اللَّئيـمِ		٢/ ٣٨٥
لَوْ قُلْتَ ما فِي قَوْمِها لَمْ تِيثَمِ	يَفْضُلُهـا فـي حَسَـبٍ وَمِيسـمِ	أبو الأسود الحماني	٢/ ٣٤٦

ن

الرجز		القائل	ج/ ص
فـي خِـدْرِ مَيَّـاسِ الدُّمـى مُعَرْجَـنْ		رؤبة بن العجاج	٧/ ٣٨٢
فـي حَلقِكُـمْ عَظْـمٌ وقـد شَـجِينَا		المسيب بن زيد مناة الغنوي	٧/ ٢٨٢
امتـلأ الحَـوْضُ وقـال قَطْنـي	مَهـلاً رُويـدًا قـد مَـلأتَ بَطْنـي	أبو النجم العجلي	٤/ ٣٧، ٨/ ٤٩٦
يـا أيُّـا الكاسِـرُ عَنْـنَ الأغْصُـنِ		رؤبة بن العجاج	٧/ ٣٨٢
ومَهْمَهَيـنِ قَذَفَيْـنِ مَرْتَيْـنِ	قطَعْتُـه بالسَّـمْتِ لا بالسَّـمْتَيْنِ	هميان بن قحافة	٩/ ١٣٥

و

الرجز		القائل	ج/ ص
والدَّلْـوُ فـي إصْعادِها عَجْلَـى الهُوِيّ			٩/ ٣٤

***

فهرس الأعلام

اسم العلم	الجزء والصفحة
إبراهيم النخعي	١/ ٣٩٧، ٤٠٣، ٥٠٣، ٤/ ١٣١، ٣٩٦، ٦/ ٢٤١
ابن أبي مُليكة	٨/ ٤٤٥، ٩/ ٣٧١
ابن الأعرابي	١/ ٣٤٧، ٥/ ٤٤٠
ابن الأنباري	١/ ٢٣، ٣/ ٩٥، ٤/ ٢٣٣، ٥/ ٣٩٨، ٥٠٥، ٦/ ٢٥٣، ٨/ ٤٠٨، ٩/ ٣٨
ابن الجوزاء	١/ ٣١٤
ابن الزِّبعرى	٨/ ٢٩١
ابن السَّرَّاج	١/ ٢٥، ١٧٠، ١٨١، ٥/ ١٠
ابن الكَوَّاء	٥/ ١٨٩، ٨/ ٣٧٦، ٥١٦
ابن المنكدر	٥/ ٢٠٤
ابن بحر، أبو مسلم الأصبهاني	١/ [٤٣]، ٤١٦، ٢/ ٢٩، ٧١، ٩٣، ١٧٥، ١٨٣، ٢٠٩، ٢١١، ٢٤٤، ٢٦٥، ٢٩٢، ٣١٢، ٣٢٣، ٣٤٨، ٣٨١، ٤٢٣، ٤٦٥، ٣/ ٢٩، ٣٥، ٧٢، ١١٣، ١٩٨، ٢١٧، ٢١٩، ٢٢٦، ٢٤٨، ٢٥٣، ٢٨٠، ٣٠٦، ٣٥١، ٣٦٩، ٣٧٤، ٣٩٥، ٣٩٩، ٤٠١، ٤١١، ٤١٢، ٤١٨، ٤٩٧، ٥١٨، ٥٦٥، ٥٨٠، ٤/ ٤٤، ٥٢، ٥٨، ١٠٠، ١٥٢، ١٥٨، ١٩٢، ٢٨٤، ٣٢١، ٣٥٢، ٤١٥، ٤٢١، ٤٤٨، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٦، ٥٢٦، ٥/ ٢٢، ٣٦، ٥٥، ٥٦، ٥٩، ٧٢، ٨٤، ١٠١، ١٠٦، ١١٧، ١٢٩، ١٤٢، ١٤٨، ١٨٩، ١٩٢، ٢٤٩، ٢٥٥، ٢٥٦، ٣١٠، ٣٢٦، ٣٣٤، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٥٣، ٣٦٢، ٤٣٨، ٤٦٤، ٤٧٨، ٤٩٤،

٦/ ١٩، ٢٦٧، ٢٩٤، ٣٠١، ٣١٨، ٣٧٩، ٤١٠، ٥٠٢، ٥٣٧، ٥٥٥، ٥٧٦، ٦٠٨، ٧/ ٣٦، ٣٧، ٤٠٧، ٥٠٧، ٥١٣، ٥٢٢، ٥٢٥، ٥٢٨، ٥٣١، ٨/ ٢٩، ٤٧، ٥١، ٨٤، ١١٩، ١٢٨، ١٤٥، ١٧٥، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٦٠، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٣٣٥، ٣٧٩، ٣٩٠، ٣٩٥، ٣٩٦، ٤٠٧، ٤٥٧، ٥١٥، ٥١٦، ٩/ ٩، ٢٥، ٤٦، ٦٤، ٧٨، ٩٣، ١٠٣، ١٢٨، ١٨٢، ١٩٧، ٢٠٤، ٢١٤، ٢٣٤، ٢٣٦، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٥٨، ٢٧٣، ٢٩٥، ٣٤٢، ٤١٣، ٤١٦، ٤٣٠، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٥٣، ٤٥٧، ٤٦٥، ٤٧٨، ٥٠٦، ٥١٦، ٥٢٧، ٥٢٩، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٧، ٥٦٢، ١٠/ ١٠٠، ١١١، ١١٤

ابن جريج ١/ ٧٣، ٣١٣، ٤٠٦، ٤٣٢، ٤٧١، ٤٧٤، ٢/ ١٠٥، ٣/ ٩، ٦٩، ٤/ ٣٧٢، ٥/ ٣٢٣، ٣٩١، ٥٤٧، ٦/ ٣٤٨، ٤٢٢، ٧/ ٤٨، ١٠٨، ٨/ ٣٦١، ٩/ ٢٥١، ٤٢٦، ٤٥٤، ٤٦٣، ١٠/ ٢٧٥

ابن جني ١٠/ ١٢٨

ابن حبيب، أبو القاسم النيسابوري ٣/ [٤٣٢]

ابن حرملة ٣/ ٥٤٨

ابن زيد = عبد الرحمن ١/ ٢٩٩، ٣٣٨، ٣٤٩، ٤٣٠، ٤٦٢، ٤٦٥، ٤٧١، ٤٨١، ٥٠٧، ٥١٤، ٢/ ١٥، ٢٩، ٦٣، ٩٤، ١١١، ١٣٦، ٢٩٠، ٢٩٨، ٣٠٤، ٣١٥، ٣٣٠، ٣٤١، ٣٥٤، ٣٨١، ٣٩٢، ٣٩٦، ٤٠٩، ٤١٤، ٤٣٦، ٤٤٤، ٣/ ٩، ٥٧، ٧٥، ٣٧٤، ٤٢١، ٥٩٠، ٤/ ١٤٠، ١٥١، ٥/ ٥٣، ٩٨، ١١٨، ١٢١، ٢٠٦، ٢٢٨، ٢٤٥، ٢٦٠، ٢٨٠، ٣٢٦، ٣٤٧، ٣٥٢، ٤٨٣، ٦/ ٣٢، ١٢١، ١٩٧، ٢٣٥، ٢٦٠، ٢٦٥، ٢٦٦، ٣١٢، ٤٥٠، ٧/ ٣٩، ٢٢٦، ٢٧٦، ٨/ ٢١، ٢٠٥، ٤٤٦، ٤٨٩، ٥٢٣، ٩/ ٥٤، ٦٠، ٩٧، ١٣٠، ٣٧٦، ٥٠٠، ٥٢٨، ١٠/ ٣٠، ٨٦، ١٦٣

ابن سماعة ٩/ ٢٣٧

ابن سيرين ١/ ١٥٢، ٣٨٢، ٥٠٧، ٤/ ٤٢٦، ٦/ ١٦٧، ٧/ ٣٤٠

ابن شبرمة ٣/ ٥٩٤

ابن شريك ٩/ ٦١

ابن شعبة ٥/ ٥٠٢

ابن شهاب الزهري ١/ ٣١٥، ٣٨٠، ٢/ ٢٦٧، ٣٤٠، ٣٤٣، ٣/ ٢٧١، ٥٢١، ٦/ ٢٣٥، ٢٤١، ٢٤٥، ٧/ ١٧٢، ٣٨٢، ٨/ ٤٠٣، ٤٠٥، ٤١٩، ٩/ ٢٥٧، ٢٨٩، ٥١٨

ابن عامر ١/ ٩، ٣/ ٢٣٧، ٦/ ٦٨، ٧/ ٢٤٧

ابن عبد ياليل ٨/ ٢٣٤

ابن فارس، صاحب المجمل ١/ ٣٦٠

ابن كثير القارئ ١/ ٨، ٣/ ٣٦، ٩٢، ٤/ ١٠٩، ٢٢٦، ٤٠٧، ٥/ ١٩٠، ٣١٧، ٩/ ٥٣

ابن كيسان ٩/ ١٧٢، ٥٧٧، ١٠/ ١٩٣

ابن لهيعة ٥/ ٣٧٣، ٦/ ٥٠٧

ابن مجاهد ٩/ ٤٧٨

ابن مهران ٥/ ٤٤٤

أبو الدحداح ١/ ٣٨٩

أبو الدرداء ١/ ٤٩٦، ٢/ ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٩، ٧/ ٦٠، ٣٤٤، ٨/ ٣٨١، ٣٩٩، ٩/ ٤١٥، ١٠/ ٦٩

أبو الربيع الزهراني ٦/ ٢٤٩

أبو الزبير ٦/ ٥٣٤

أبو الضحى ١/ ٢٨٨، ٤/ ٥٣

أبو العالية	١/ ٣١، ٤١، ١٠٧، ١٢٢، ٤١٨، ٤٢٣، ٤٥٨، ٢/ ١٢٣، ١٤١، ٢٤١، ٣٥٦، ٣/ ١١، ٦/ ٢٦٥، ٧/ ٢٥٢، ٣٦٠، ٨/ ٣٥، ٣٦، ٣٦١، ٣٩٤، ٩/ ٤٣، ١٦٥
أبو الفضل الرازي	٤/ ٣٤٨
أبو القاسم الكعبي	٧/ [١٠٩]، ٢٥٢، ٣٥٦، ٤٩١، ٨/ ٨٨، ٩/ ٢٠٦، ٣٧٢، ٤٠١، ٤٣٩
أبو الليث السمرقندي	٤/ ٨، ٥٦، ٥/ ١٥٨، ٢٢٦، ٥١٥، ٨/ ٢٠، ٩٢، ٣٠٧، ٩/ ٦٩، ٣٣٨
أبو المعالي	٣/ ٦٢
أبو الهيثم	١/ ١٥
أبو اليسر عمرو بن غزية الأنصاري	٤/ ٣١٩
أبو أمامة	١/ ٤٩٦، ٤/ ٨٧، ٥/ ٥٧٨، ٧/ ١٠٧، ٨/ ١٠٧، ٩/ ١٠٣، ١٠/ ٢٥٣
أبو بردة الأسلمي	٢/ ٣٦٣، ٣٦٤، ٣/ ٧٧
أبو بردة بن أبي موسى الأشعري	٩/ ٤٣٤، ٤٣٥
أبو بكر الصديق	١/ ٣٤، ٤١، ٦٠، ٢١٧، ٢٢٩، ٢/ ٢١٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٨١، ٣٤٠، ٣٧١، ٤٣٧، ٤٤٠، ٣/ ٣٩، ١٠٧، ١٦٣، ٥٥٩، ٥٩٦، ٥٩٧، ٤/ ١٠، ٤٦، ٥٠، ٥١، ٨٨، ١٣٣، ١٣٦، ٢٣٧، ٣٥٤، ٥/ ٣٣، ١٢٦، ٢٢٦، ٢٣٣، ٢٨٦، ٢٨٧، ٦/ ١٣١، ٢٤٦، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥٧، ٢٥٧، ٢٦١، ٣٥١، ٧/ ٥٨، ٥٩، ١١٨، ٢٤١، ٣٤١، ٣٥٩، ٣٩٦، ٤٤١، ٨/ ١٥، ٢٢، ٣٧، ١٤٨، ٢٠٧، ٣١٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٤٠٦، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٤١، ٤٤٦، ٤٤٩، ٩/ ١٣٥، ١٥٥، ٢٠١، ٢٥١، ٢٥١، ٢٩٠، ٣٢٤، ٣٧٥، ١٠/ ١٧٩، ١٨٠، ١٨٣، ١٨٤، ٢١٤، ٢٥٣
أبو بكر القارئ	٦/ ٦٨
أبو بكر الوراق	٧/ ٨٢

أبو بكر بن عياش	٣/ ٤٠٥، ٦/ ٧٦
أبو تمام	٨/ ٤٧٨
أبو جعفر القارئ	٥/ ١٩٣، ٦/ ٢٥٧، ٢٩٤، ٣٣٩، ٩/ ٥١٥
أبو جعفر النحاس	٥/ ٤٨٢
أبو جندل بن سهيل	٥/ ٩٦
أبو حاتم	١/ ١٥٨، ٥/ ٤٤٨، ٦/ ٣٥٣، ٨/ ٣٦٢
أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة	١/ ٣٧٥، ٢/ ٤٠٢، ٤٠٧
أبو حنيفة	٣/ ٢٦، ٧/ ٣٤٠
أبو حيوة	٥/ ٤٤٤
أبو دجانة	٩/ ٢٦٢
أبو ذر الغفاري	٤/ ٤٠، ٥/ ٣٣٣، ٨/ ٢١
أبو رافع مولى رسول الله	٥/ ٥٨٥
أبو رزين الأسدي	١/ ٤٠٦، ٥/ ١١٦
أبو روق	١/ ٤٣٢، ٢/ ١٢٥
أبو زيد	١/ ١٥، ٤/ ٥٣٠، ٩/ ١١
أبو سعيد الخدري	١/ ١٦٩، ٤٧٧، ٥٠٧، ٢/ ١٤٠، ٢٥١، ٣٠٤، ٣/ ٥٥، ٤/ ٨٣، ٦/ ٩٨، ٥٨٥، ٧/ ٢٠١، ٣٦٥
أبو سعيد الفريابي	٤/ ٥٦
أبو سفيان	٢/ ١٥٩، ١٨٧، ٢٠٣، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٣/ ٢١٤، ٥٣٠، ٥٥٥، ٥٦٧، ٥٦٦، ٥٦٩، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٥، ٤/ ١٧، ١٨، ٢٠، ٦/ ٣١، ١١٢، ٢١٠، ٧/ ١٦، ١٦٣، ١٩٢، ٢٦٣، ٨/ ١٥١، ٢٣١، ٤٦٦، ٩/ ٢٦٣، ٢٨٩، ٢٩٧، ١٠/ ١٨١، ١٨٧، ٢٧٥، ٣٠٠
أبو سلمة بن عبد الأسد	٩/ ٤٥٩

أبو سلمة بن عبد الرحمن ٢/ ٢٦١، ٣٦٨، ٧/ ٣٩

أبو سليمان الخطابي ٨/ ٣٣١

أبو سهل محمد بن عبد الرحمن بن أبي الفضل النيسابوري ١/ ٧، ٧/٢/ ٧

أبو صالح ١/ ٣٠٢، ٣٢٧، ٣٣٨، ٣٨٧، ٢/ ٢٢، ٥٠، ٣٦٣، ٤٠٧، ٤٣٩، ٣/ ١٠٨، ٢١٤، ٥/ ٣٠٨، ٩/ ٢٤٣

أبو عامر الراهب ٢/ ١٢١

أبو عبيد، القاسم بن سلام ٥/ ٣٣٤، ٣٤٠، ٤٢٠، ٤٧١، ٤٧٤، ٧/ ٤٨٠

أبو عبيدة = معمر بن المثنى ١/ [٢١]، ٣٩، ٤٢، ٥٨، ٨٥، ١٠٢، ١٣٥، ١٦٨، ٢٥٢، ٢٦٧، ٢٧٥، ٢٩٦، ٢٩٩، ٣٥٠، ٣٨٦، ٣٩٣، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٨١
٢/ ٢٠، ٢٨، ٣٢، ٤٥، ٥٣، ٦٢، ٨١، ٨٣، ١١٢، ١٤٢، ١٤٧، ١٥٥، ١٦٠، ١٨٤، ١٩٩، ٢٢٤، ٤٥٤، ٣/ ٤٣، ٨٠، ٩٠، ١٠٠، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ٢١٤، ٢٣١، ٢٦٩، ٢٧٨، ٣١٧، ٣٩١، ٤٤١، ٤٦١، ٥٠٥، ٤/ ١٣١، ١٣١، ٢٩٥، ٣٤٢، ٣٦٧، ٣٨٢، ٤١٤، ٤٤٨، ٥/ ٥٥، ٦٦، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١٩٢، ٢٠٠، ٢١٣، ٢٢٠، ٢٥٤، ٢٦٣، ٢٧٦، ٢٩٢، ٢٩٥، ٣٣٨، ٣٥٧، ٣٦٠، ٣٦٢، ٤١٣، ٦/ ١٢٨، ٢٩٦، ٣٣٩، ٣٥٩، ٧/ ١٢٨، ١٢٩، ١٩٦، ١٩٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٣٧، ٣٨٨، ٥١٦، ٨/ ٢٥، ١٨٨، ٢٢٦، ٢٨٨، ٢٩٠، ٤٨٣، ٩/ ١٥٧، ١٧٠، ٦١٨، ٤١٦، ٦١٨، ١٠/ ٣٢، ٣٩، ٨٢، ١٠٦، ١٨٢، ٢٠٦، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٧٧، ٢٩٠، ٣٠١

أبو عبيدة بن الجراح ٨/ ٤٤١، ٩/ ٢٥١

أبو عقيل الأنصاري ٤/ ٩٠

أبو علي الجبَّائي ٤/ [٣٩٧]، ٧/ ٤٥٤، ٨/ ١٩٥

أبو علي الفارسي ١/ ٥١، ٥٤، ١٠٨، ١١٥، ١٥٥، ٢١٨، ٣٤٢، ٢/ ٢٥، ٤٣، ٩٩، ٢٠٠، ٢٣٦، ٣١٠، ٣٤٥، ٣٩٩، ٣/ ١٦٧، ١٧١، ١٩٦، ١٩٧، ٤/ ٧٣، ١٢١، ١٩٩، ٢٤٦، ٢٦٤، ٣١٦، ٣٦٢، ٣٦٨، ٤٠٥، ٤٠٦، ٥٣٤، ٥/ ٩، ١٦، ١٦، ٢٢٩، ٢٣٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣٧٤، ٣٧٧، ٣٩٨، ٤٥٣، ٤٨٤، ٥٥٦، ٥٥٦، ٦/ ٩٢، ٩٥، ١٠١، ١٩١، ٢٥٠، ٢٧٢، ٢٨٤، ٤٠١، ٧/ ٢٠٤، ٢٤٢، ٤٣٧، ٤٥٨، ٤٧٦، ٨/ ٩٢، ٩٨، ٢٦٥، ٣٠٤، ٣٢٢، ٥٢٨، ٩/ ١٦٢، ١٦٣، ٣١٦، ٣١٩، ٣٦٤، ٣٩٦، ٥٧٦، ٦٠٠، ١٠/ ١١٧، ١٥٧، ١٦٢، ١٦٦، ٢٧٨، ٣٠٩

أبو عمرو بن العلاء ١/ ٩، ٢١٩، ١٧٩، ٣٤٧، ٢/ ٥٧، ٣٨٥، ٣/ ٤١١، ٤/ ٣٦، ١٥٥، ٣٤٣، ٣٤٩، ٥/ ١٥، ٣٨٣، ٥٤٥، ٦/ ٣٢، ٣٩١، ٤٥٠، ٩/ ١٠، ١٠/ ١٠، ٣١، ٨٦

أبو عياش ٢/ ٤١٨

أبو فكيهة ٣/ ٢٩٠

أبو قلابة ٣/ ٤٤٧، ٦/ ٣٠٨

أبو قيس بن الأسلت ٢/ ٢٩٦

أبو لبابة بن عبد المنذر ٣/ [١٠٣]، ٥٥٤، ٥٥٧، ٤/ ١١٢

أبو مالك ١/ ٣٨٧، ٤٣٢، ٤/ ٥٣

أبو مجلز ٢/ ٤٠٧

أبو محجن الثقفي ١/ ١٣٨، ٣١٨

أبو محمد البصري ٦/ ١١٩

أبو مرثد الغنوي ١/ ٣٨٧، ٩/ ٢٨٢

أبو مسعود الأنصاري ٧/ ٢٤٠

أبو مسعود الثقفي ٨/ ٢٣٥

أبو مسلم الأصبهاني المعتزلي = ابن مهربِزد ١/ [٣٤٧]، ٥١١ ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٨١، ٢/ ١٠، ١٦٢، ٥/ ١٠٧، ٤٤٥، ٧/ ١٣، ٣٣٩، ٣٧٠، ٨/ ١٧١

أبو موسى الأشعري ١/ ٥٠٧، ٣/ ١٠٧، ٤٠٣، ٤/ ١٠٢، ٥١٧، ٩/ ٣٠٣، ٤٣٤، ٤٥٧

أبو ميسرة ٣/ ٢٢١

أبو نضرة ٢/ ٢٧

أبو هريرة ١/ ٤٧٣، ٥١٩، ٢/ ٢٧، ٦٤، ١٧٤، ٣٦١، ٤٤٠، ٤٤٦، ٣/ ١٥٩، ٣٤٦، ٣٥٦، ٥٠٠، ٥٢٠، ٥٥٠، ٤/ ١١، ٨٢، ٥١٧، ٥/ ٢٤، ٢٥٦، ٣٢٧، ٤١١، ٤٩٤، ٦/ ١٠٨، ١٦٧، ١٧٤، ١٩٧، ٢٩٦، ٤٦٩، ٧/ ٣٩، ١٧٢، ٢٤١، ٢٥١، ٨/ ٢٨٧، ٣٧١، ٤٦٤، ٩/ ١٠٣، ٣٠٩، ١٠/ ١٤، ٢٩، ٨٨، ١٣٤، ٢٠٨، ٣١٣، ٣١٤

أبو وائل، شقيق بن سلمة ٢/ ٢٤٤، ٣/ ٣٢٠

أبو يوسف ٣/ ٣١

أبي بن كعب ١/ ٩٥، ٢/ ٢٧، ١١٥، ١٤٦، ١٤٨، ٣/ ١٧٩، ١٩١، ٥٥٠، ٤/ ٨، ١٠٩، ٥/ ٣٦٦، ٣٨٥، ٤٤٤، ٤٤٨، ٦/ ٢٥٨، ٢٧٧، ٢٩٦، ٧/ ١٧٢، ١٨٤، ٢١٧، ٢٢٦، ٤٥٠، ٨/ ١٨٤، ٩/ ٣٢٠، ٣٥٨، ١٠/ ١٢٩، ١٦٤، ٢٥٣، ٣٠٤

أحمد بن حمدان الهروي ٤/ ٢٣٨

أحمد بن حنبل ٩/ ٣٨٥

الأخطل ١/ ١٢، ٩/ ٤٢٣

الأخفش ١/ ٤٠، ٤٥، ٩٣، ١٠٧، ٢٣٥، ٢٤٤، ٢٥٢، ٣٧٠، ٤٠٢، ٤١٨، ٥١٠، ٢/ ٣٦، ٥٣، ١٥٦، ١٩٢، ١٩٨، ٣/ ١٥٧، ١٧١، ٣٦٣، ٤٠٤، ٤١٦، ٤٤٦، ٥/ ٥٣، ٧٧، ٢٥٤، ٣٤٦، ٤٨٧، ٦/ ٣٣، ١٥٧، ٣٦١، ٣٧٥، ٥٥٤، ٦١٤، ٦١٦، ٧/ ٩٥، ٢٠٧، ٨/ ٢٩٥، ٣٠٤، ٣٢٢، ٩/ ١٢، ١٣٦، ١٦٣، ٢٣٤، ٢٨٣، ٣١٨، ٣٨١، ٤٩٩، ٥٣٥، ٥٦٢، ٥٨٤، ١٠/ ٢٨، ٢٠٣، ٢٠٩

الأزهري ١/ ٣٤٨، ٢/ ٢٠٠، ٤/ ٩٢، ٧/ ٤٣٤، ٤٨٣، ٩/ ٣٤، ١٠/ ٨٧

أسامة بن زيد ٢/ ٤٠٩، ٦/ ٢٤٧، ٧/ ٣٤٥

أسباط ٢/ ٤٤٧، ٩/ ٣٧١

أسد بن كعب ٢/ ٤٤٩

أسماء بنت أبي بكر ١/ ٤٩١، ٩/ ٢٨٩

أسماء بنت عميس ٧/ ٢٠٤، ٢١٤

أسماء بنت مرشد ٦/ ٣٠٦

أسماء بنت يزيد ٨/ ١٠٧

إسماعيل بن حكيم ٧/ ٢٣٥

الأسود بن قيس ١٠/ ١٨٨

أسيد بن أبي العيص ٥/ ١٢٨

أسيد بن حضير ٢/ ٣٤٠، ٦/ ٢٤٨

أسيد بن كعب ٢/ ٤٤٩

الأشعث بن قيس ٢/ ١٠٦

الأصم ١/ ٤٢، ٥/ ١١٧، ٩/ ٤٣٣، ٤٦٥، ١٠/ ٤٦

الأصمعي ١/ ١٧٠، ٤٠٢، ٣/ ٧٣، ٤/ ١٥٥، ٣٤٩، ٥/ ١٨٣، ٩/ ١٠، ٢١

الأضبط السعدي ١/ ١١٠

الأعشى ١/ ٣٨٧، ٢/ ٣٩٨، ٤/ ٢٧٩، ١/ ٢١٤، ٦/ ٣٢٢، ٨/ ٥٨

الأقرع بن حابس ٥/ ٣٣٣، ٨/ ٤٤٦، ٤٥٠

أكثم بن جون الخزاعي ٣/ ١٥٩

أم حبيبة ٧/ ٢٢٨، ٩/ ٢٨٩

أم سلمة ٢/ ٢٥٧، ٣١٩، ٦/ ٧٣، ٧/ ٢٠١، ٢٣١، ٢٣٣، ٨/ ٥٣، ٤٦٠، ٩/ ٥٣٦

أم شريك بنت جابر ٧/ ٢٢٥

أم كجة ٢/ ٢٨١، ٤٤١، ٢٧٦

أم كلثوم بنت عقبة ٧/ ٢٠٦

أم مسطح بنت أبي رهم ٦/ ٢٤٦

أم هانئ بنت أبي طالب ٥/ ١٧٥، ٧/ ٤٩٢، ١٠/ ٢٧٢

امرؤ القيس ١/ ٣٣٣

أمية بن أبي الصلت ٢/ ٣٩٧، ٥/ ١٧٢، ٩/ ٤٥٦

أنس بن النضر ٧/ ١٨٨

أنس بن مالك ١/ ٢١٧، ٢/ ٣١، ٤٢، ١٧٤، ٣/ ٧٦، ٣٢٤، ٤٥٧، ٥٦١، ٤/ ٤٥٦، ٥/ ٥٠، ٣٤٥، ٥١٥، ٧/ ٧٠، ١٤٩، ١٨٨، ١٨٩، ٢١٣، ٢٣٣، ٣٥٥، ٤٧٠، ٨/ ٣٨٣، ٤٠٣، ٤٢٦، ٤٥٥، ٤٦٠، ٩/ ٤٦، ٧٩، ١٤١، ١٦٢، ٣٢٢، ٣٤٩، ٤٩٣، ٥٣٦، ٥٣٨، ١٠/ ٢٨٢

الأوزاعي ١/ ٤٩٦، ٣/ ٢٦، ٣٢، ٨٢، ٥/ ٣١٧

أوس بن الصامت ٩/ ٢٢٩، ٢٣٠

أوس بن ثابت ٢/ ٢٧٦

بازان ٢/ ٣٦٠

البخاري ٣/ ٢٢، ٤/ ١٢٧، ٣٢٩، ٥/ ٢٦١، ٢٨٦، ٥/ ٣٧٥، ٦/ ٢٤٩، ٧/ ١٨٨، ٩/ ٧٨، ٢٨١، ٥١٢، ١٠/ ١٨٧، ٢٠٥، ٣١١

بديل بن أبي مارية ٣/ ١٦٤

البراء بن عازب ١/ ٢٦٣، ٣٣٠، ٣٤٢، ٤٨٧، ٣/ ٨٦، ١٤٦، ٣٤٢، ٤/ ٥١٨، ٦/ ٥٥، ٤٦٩، ٧/ ١٧٩

بريرة جارية عائشة	٦/ ٢٤٧
البُعيْث	١/ ١٧٧
بكر بن سهل الدمياطي	٢/ [٢١٦]
بلال بن رباح	٣/ ٢٣٦، ٣٩٤، ٣٩٥، ٥/ ٩٦، ١٥٢، ٢٠٧، ٨/ ١٥١، ٤٦٦، ١٠/ ١٨٠، ١٨٣
تميم بن أوس الداري	٣/ ١٦٤، ١٦٦
ثابت بن رفاعة	٢/ ٢٧٦
ثابت بن قيس	١/ ٤٠٦، ٢/ ٢٨١، ٨/ ٤٤٧، ٤٥١، ٤٦٥، ٩/ ٢٤٣
ثعلب = أبو العباس، أحمد بن يحيى	١/ [٢١]، ٥٣، ٧/ ٣١٤، ٤٣٤، ٨/ ٢٩١، ٩/ ٤٤٨، ٥٩٩
ثعلبة بن حاطب	٢/ ٣٦٨
ثعلبة بن غنمة	١/ ٣٣٥، ٤/ ١٠٢
ثعلبة بن قيس	٢/ ٤٤٩
الثعلبي	١/ ٧، ٢٠٨، ٣٢٤، ٢/ ٨٧، ٣/ ٦٨، ٣٦٦، ٣٧١، ٣٨٠، ٤١٢، ٤٣٢، ٥٥٥، ٥٦٣، ٥٦٥، ٤/ ٢٣٧، ٢٦٢، ٣٠٢، ٣١٩، ٤٧١، ٤٨٩، ٥٠٤، ٥٣٥، ٥/ ٢٢، ٢٦، ٩٥، ١٨٥، ٣١٧، ٣٢٩، ٤٤٥، ٤٩٥، ٥٠٥، ٥١٣، ٥١٥، ٥٢٩، ٥٣٤، ٥٤١، ٦/ ٤٥، ٢٧٧، ٤٨٦، ٧/ ٢٥٢، ٢٦٩، ٢٧٣، ٣١٢، ٤١٢، ٤٥١، ٥١٥، ٨/ ١٧٠، ٢٢٠، ٢٤٣، ٤٩٨، ٩/ ٤٢، ٦١، ٩٢، ١١٣، ١٢٤، ٤٢٣، ٤٥٣، ١٠/ ٧٥
ثوبان	٤/ ٤١
جابر بن عبد الله	١/ ٢٣٠، ٣٣٧، ٣٩٢، ٤٢٧، ٢/ ١٦، ١٧، ٩٣، ٢٨١، ٣١١، ٤٧٨، ٣/ ٣٩، ٤/ ١٢١، ٣٣٥، ٥/ ٤٧، ٧٠، ١٩١، ٢٠٦، ٨/ ٢٤١، ٤١٩، ٩/ ٣٢٣، ٥٥١، ١٠/ ٣٠٤

الجاحظ	٢/ ٣٨٧، ٨/ ٣٢٠، ٩/ ٣٠٠
الجرجاني	١/ ٣١٧، ٤٠٧، ٤٦٤، ٤٩١، ٢/ ١٤٥، ٣/ ٢٠٥، ٤/ ١٢٦، ٢٠٢، ٢٣٠، ٣٤٧، ٣٨٧، ٣٩١، ٣٩٥، ٤٧٩، ٥/ ٦٩، ١٠٧، ١٠٩، ٢٥٠، ٦/ ٢٣٨، ٣٠٧، ٧/ ٩٥، ١٤٣، ١٥٥، ٤٥٣، ٥٠٨، ٨/ ١٩، ١٧٥، ٢٦٩، ٣٤٠، ٩/ ٢٣٦، ٣١٩، ٥٥٧، ٥٥٦، ١٠/ ٢٨، ١١١، ٢٢٧
الجرمي	٨/ ٥٢٨
جرير	١/ ٩٠، ٢/ ١٩٧، ٦/ ٥٦١، ٩/ ١٢٨
جعفر الصادق	٦/ ٤٨٩
جعفر بن أبي طالب	١/ ٢٣٩، ٣/ ١٣٥، ٧/ ٢٠٤، ٢٣٢
جميلة بنت ثعلبة	٩/ ٢٢٩
جندب بن زهير	٥/ ٤٢١، ١٠/ ١٨٨
الجنيد	٢/ ٨٧
جويبر	٢/ ٤٦، ٤٩، ١٢٦، ٤٤٣، ٣/ ٢٠٣، ٤/ ٥٤، ٣٩٥، ٥/ ٥٠٢، ٨/ ١٩٠
جويرية أم المؤمنين	٧/ ٢٢٣، ٢٢٨
حارث بن زيد	٢/ ٤٠٢
الحارث بن سويد	٢/ ١٢١
حاطب بن أبي بلتعة	٢/ ٣٦٨، ٩/ ٢٨١، ٢٨٢
حبيب بن ضمرة	٢/ ٤١٥
حبيب بن عمرو الثقفي	٨/ ٢٣٤
حبيبة بنت زيد بن أبي زهير	٢/ ٣٢٣

الحجاج الثقفي ٦/ ١٣٤، ٧/ ٤٤٣

حذيفة بن أسيد ٣/ ٣٤٢

حذيفة بن اليمان ٢/ ٩٨، ٣/ ١٢٣، ٤/ ٨٥، ١٠٩، ١٤٢، ٦/ ٥٣٣، ٧/ ٣١٢، ٨/ ٢٧٦

حسان بن ثابت ٦/ ٢٥١، ٤٦٩، ٨/ ٤٥١

الحسن البصري ١/ ٣١، ٤٤، ٤٥، ٥٦، ٧٨، ٨٢، ٩٦، ١١٨، ١٢٧، ١٣٢، ١٣٤، ١٣٩، ١٤٨، ١٥٠، ١٥٣، ١٥٩، ١٦٦، ١٦٧، ١٧١، ١٧٥، ١٨٣، ١٩٢، ١٩٣، ٢٠٥، ٢٠٧، ٢١١، ٢١٥، ٢٣٢، ٢٣٦، ٢٤١، ٢٤٣، ٢٥٤، ٢٦٩، ٢٩٨، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٤، ٣١٢، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٦، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢٢، ٣٢٥، ٣٢٨، ٣٣٨، ٣٤٢، ٣٤٥، ٣٤٩، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٩، ٣٦٢، ٣٦٧، ٣٧٤، ٣٧٩، ٣٨٢، ٣٨٢، ٣٨٤، ٣٨٨، ٣٩٠، ٣٩٥، ٣٩٧، ٣٩٩، ٤٠١، ٤٠٣، ٤٢٣، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٤٩، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٦٤، ٤٦٦، ٤٧١، ٤٧٤، ٤٧٩، ٤٨١، ٤٨٦، ٤٩٩، ٥٠٧، ٥١٢، ٥١٤، ٢/ ٢٦، ٢٧، ٣٣، ٥١، ٥٢، ٥٨، ٥٩، ٦٩، ٧٣، ٨٣، ٨٨، ٩٤، ٩٦، ١٠٠، ١٠١، ١٠٥، ١١٠، ١١٢، ١١٤، ١٢٢، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٧، ١٢٩، ١٣٦، ١٣٨، ١٣٩، ١٤١، ١٤٦، ١٥٢، ١٥٩، ١٦٤، ١٦٧، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٨، ١٨٥، ١٨٩، ١٩٦، ١٩٨، ٢٠٢، ٢١٠، ٢١٩، ٢٥٦، ٢٦١، ٢٦٨، ٢٧٨، ٢٩٠، ٢٩٢، ٢٩٧، ٢٩٨، ٣٠٨، ٣١٦، ٣٢٦، ٣٣٦، ٣٣٨، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٩، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٨١، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٢، ٣٩٦، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤١٢، ٤١٧، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٣١، ٤٣٤، ٤٣٦، ٤٤٤، ٤٥١، ٣/ ٩، ١١، ١٤، ٢٠، ٢٣، ٢٥، ٢٧، ٢٨، ٣٥، ٣٦، ٣٨، ٤١، ٤٣، ٤٨، ٥٥، ٦٤، ٧٠، ٧٢، ٧٥، ٨٣، ١٠٧، ١١٧، ١٢٠، ١٢٢، ١٣٤، ١٥٣، ١٧٤، ١٨١، ١٨١، ٢٠٤، ٢٠٨، ٢٣١، ٢٣٣، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤٢، ٢٤٦، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥٦، ٢٨٣، ٢٨٦، ٣٠٢، ٣١٠، ٣٢٤، ٣٣١، ٣٤٥، ٣٥٦، ٣٦٨، ٣٨٩، ٣٩٩، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٤١، ٤٤٧، ٤٥١، ٤٥٩، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٧، ٤٨٤، ٤٩٥، ٤٩٧، ٥٠٧، ٥٢٠، ٥٢٨، ٥٣٥، ٥٣١، ٥٤١، ٥٥٢، ٥٨٠، ٥٩٤،

٤/ ١٣، ٣٢، ٥٣، ٨٠، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ١٢٤، ١٢٤، ١٣٩، ١٤١، ١٤٢،
١٤٥، ١٦٣، ٢٠٠، ٢٠٨، ٢٢٣، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣٦، ٢٥٣، ٢٥٩، ٢٦٣،
٢٦٣، ٢٧٩، ٢٧٩، ٢٨٧، ٢٩٠، ٢٩٨، ٣٢٠، ٣٢٣، ٣٥٨، ٣٦٥، ٣٨٦،
٤٠٤، ٤٠٥، ٤١٣، ٤٢٢، ٤٢٤، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٣١، ٤٤٨، ٤٥٨، ٤٧٩،
٥٠٠، ٥/ ١١، ١٥، ١٦، ١٨، ١٩، ٢٦، ٤٢، ٥٧، ٧٧، ٨٦، ١٠٣، ١١٥،
١١٦، ١٢٤، ١٣٢، ١٣٨، ١٤٥، ١٥٦، ١٦٣، ١٦٤، ١٧٣، ١٧٨، ١٨٢،
١٨٦، ١٨٨، ١٩٤، ٢١٢، ٢٢٣، ٢٢٨، ٢٣٢، ٢٤٦، ٢٥٠، ٢٥٢، ٢٥٨،
٢٦٣، ٢٦٦، ٢٧٣، ٢٧٧، ٢٨٣، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٤٧، ٣٥١، ٣٥٦، ٣٨٢،
٣٩٢، ٣٩٧، ٤١٣، ٤٣٧، ٤٣٩، ٤٥٨، ٤٦٧، ٤٧٤، ٤٨٧، ٤٩٦، ٤٩٧،
٥٠٩، ٥١٣، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٧٤، ٦/ ١٥، ١٧، ١٨، ٢٨، ٣٣، ٤٨، ٥٥،
٥٦، ٦٢، ٨٩، ٩٤، ١٠٥، ١٠٨، ١١٦، ١٢٨، ١٣٢، ١٣٤، ١٣٥، ١٤٦،
١٤٧، ١٥١، ١٦٩، ١٧١، ١٧٤، ١٧٦، ١٧٧، ١٨٠، ١٩٥، ٢٠٣، ٢١٦،
٢٢٠، ٢٢٣، ٢٣٤، ٢٣٨، ٢٥٠، ٢٥٧، ٢٦٦، ٢٧٣، ٢٧٦، ٢٨٠، ٣١٢،
٣٢١، ٣٢٥، ٣٣٠، ٣٤٨، ٣٨٢، ٤١٠، ٤٢٦، ٤٢٨، ٤٤١، ٤٤٦، ٤٦٧،
٤٨٠، ٤٨٨، ٤٩٥، ٥٠٥، ٥٠٧، ٥٢٩، ٥٥٥، ٥٥٨، ٥٦٥، ٥٧٠،
٥٧٠، ٥٨٥، ٧/ ٢٧، ٥٧، ٧٢، ٧/ ١٠٥، ١٠٨، ١٢٢، ١٤٨، ١٤٩،
١٥٣، ١٦٧، ١٧٣، ٢١١، ٢٢١، ٢٢٩، ٢٣١، ٢٣٥، ٢٧٢، ٢٧٥، ٢٨١،
٣١٩، ٣٥٠، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٨٠، ٤٠٢، ٤١٠، ٤١٣، ٤٤٦، ٤٥١، ٤٦٣،
٤٦٥، ٥٠٣، ٥٢٠، ٥٢٧، ٥٣٤، ٨/ ٥١، ٦٠، ٧١، ٨٠، ٩٧، ١٠٤،
١٠٥، ١٢٨، ١٢٨، ١٩٤، ٢٠٠، ٢٤١، ٢٥٣، ٢٩٢، ٣٤٥، ٣٤٨، ٣٦٢،
٣٧١، ٤٤٧، ٤٧٩، ٤٨٥، ٤٨٧، ٥٢٢، ٥٢٧، ٥٣٩، ٥٤٤، ٩/ ٩، ١٩،
٤٤، ٦٨، ١٣٠، ١٣٩، ١٤١، ١٤٢، ١٥٩، ١٦٨، ١٨٧، ١٩٧، ٢٠٨،
٢١٣، ٢٢٣، ٢٤٣، ٢٤٩، ٢٥٦، ٢٦٨، ٢٧٠، ٢٩٠، ٣٠٢، ٣١٤، ٣٢٢،
٣٢٣، ٣٣٨، ٣٤٦، ٣٥٦، ٣٧٤، ٣٨٣، ٣٨٥، ٣٩٤، ٤١٣، ٤١٨، ٤٢٤،
٤٢٨، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٤٢، ٤٦٤، ٤٦٨، ٤٨٥، ٤٨٧، ٤٩١، ٤٩٦، ٤٩٧،
٥٠٠، ٥٠١، ٥٢٦، ٥٤٥، ٥٤٨، ٥٥٧، ٥٦٧، ٥٧٦، ٥٨٢، ٥٨٥، ٥٨٦،
٥٨٨، ٥٩٢، ٥٩٨، ٦١٢، ٦١٣، ٦٢٠،

١٠/ ١١، ١٣، ١٤، ١٩، ٢٠، ٢٦، ٢٧، ٣٢، ٣٧، ٤١، ٥٢، ٥٣، ٥٥، ٧٤، ٨١، ٨٩، ٩٠، ١١٢، ١٤١، ١٤٥، ١٤٨، ١٤٩، ١٧٢، ١٨٦، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠٧، ٢٣٦، ٢٤١، ٢٥١، ٢٥٣، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٩، ٢٧٧، ٢٨٠، ٢٨٩، ٣٠٠

الحسن بن علي ٢/ ٩٣، ٩٣، ٤/ ٣٩٧، ٢٣٧، ٣٩٧، ٧/ ٢٠١، ٢١٦، ٢٣٩، ٩/ ١٢٤

الحسين بن الفضل ٥/ ١٨٥، ٦/ ٧٧، ٧/ ٣٤٦

الحسين بن علي ٧/ ٢٠١، ٢١٦، ٢٣٩، ٨/ ١٧٤، ٩/ ١٢٤

حفصة أم المؤمنين ٥/ ١٥٦، ٨/ ٤٦٠، ٩/ ٣٤٩، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧

الحكم بن كيسان ١/ ٣٧٦، ٣٧٧

حماد بن ثابت ٣/ ٤٥٧

حمزة بن حبيب الزيات، القارئ ١/ ٨، ٢/ ٢٣٩، ٢٦٦، ٣٨٥، ٤/ ٥١٢، ٧/ ٧٩

حمزة بن عبد المطلب ٢/ ٢٣١، ٣/ ١٤٣، ٣٠٥، ٤/ ٤٦٦، ٥/ ١٤٥، ١٦٦، ٦/ ١٠٧، ٣٨٦، ٥٩٣، ٥٩٦، ٧/ ١٨٩، ٥٠٦، ٨/ ٢٦، ٣١٤، ٩/ ٢٥٢

خالد الربعي ٧/ ١١٣

خالد بن الوليد ١/ ٥٠١، ٢/ ١٨٥، ١٩٣، ٣٦٠، ٣٦١، ٤١٩، ٧/ ١٥٩، ٨/ ٣٩، ٤٢٧، ٤٥٣، ٩/ ٥٠

خالد بن بكير ١/ ٣٧٥

خالد بن معدان ١٠/ ١٤

خباب بن الأرت ٣/ ٢٣٦، ٣٩٥، ٥/ ٩٦، ١٥٢، ٤٨٦

خديجة أم المؤمنين ٥/ ١٤٩، ٧/ ١٦٩، ١٠/ ١٨٧، ١٩١

الخلال ٥/ ١٨٣

الخليل بن أحمد ١/ ١٢٩، ١٣٧، ١٤٥، ٢/ ٢٣٣، ٣/ ٦٤، ١٥٧، ١٥٨، ٥٩٤، ٤/ ١٦، ٢٧٨، ٢٨٢، ٥/ ٢٥٣، ٤٨١، ٦/ ٤٥٠، ٤٥٥، ٧/ ١٨٣، ٣٠٧، ٩/ ٢٥٧، ٤٨١، ٤٩٤، ١٠/ ٩٢، ٩٣، ٢٣٣، ٢٥٥

الخنساء ١/ ٣٤٨

خولة بنت حكيم ٧/ ٢٢٤، ٩/ ٢٢٩، ٢٣١، ١٠/ ١٨٧، ١٨٨

خيثمة ٩/ ٣٨١

دُعثور بن الحارث ٣/ ٣٨

الدمياطي ١/ ٥٠٥، ٢/ ٢٥٦، ٢٩٣، ٣٨٢، ٤٠٢، ٤٧٢، ٣/ ٤٧، ٦٥، ٨٠، ١٦٢، ٢٢٦، ٢٣١، ٩/ ٤٣٠

الدوري ٢/ ٢٢١

ذو الإصبع العداوني ١/ ١٥

ذو الرمة ٥/ ٢٤١، ٩/ ١٠

راشد بن سعد ٢/ ١٨٦

رافع بن خديج ٢/ ٤٤٣

رباح بن يزيد ١/ ٤٩٦

الربيع بن أنس ١/ ٦٧، ٧١، ٩١، ١٢٨، ١٣٩، ٢٠٧، ٣٢٠، ٣٣٨، ٤٣٧، ٤٦٢، ٤٦٥، ٤٧٥، ٥١٠، ٢/ ٩، ١٧، ٣٥، ٦٧، ٧١، ٨٨، ٩٤، ١١٥، ١٣٩، ١٧٣، ٢٨٠، ٢٩٤، ٣/ ٤٣، ٤٨، ٤٥٩، ٤/ ٥٠٦، ٥/ ٢٥، ٩٤، ٤٢٩، ٩/ ٥١٣، ٦١٢، ١٠/ ١١٢

رفاعة بن المنذر ٢/ ٤٦

الرقاشي ٨/ ٣٥

رؤبة بن العجاج ١/ ٣٥٠، ٥/ ٥٥، ٧/ ٣٨٢

روح القارئ ٧/ ٢٧٠

الرياش ٣/ ٣٧٤

الزبرقان بن بدر ٨/ ٤٥٠

الزبير بن العوام ٢/ ١٩٣، ٣٦٨، ٨/ ٢٢، ٤٤١، ٩/ ٢٨١، ١٠/ ٢٣٢، ٣١٢

الزبير بن بكار ٨/ ٤٦٦

الزجاج ١/ ٢٤، ٣١، ٤٠، ٤٥، ٤٦، ٥١، ٥٣، ٦٥، ٦٦، ٧٠، ٧٣، ٧٩، ٨٥، ٨٧، ٩٠، ٩٧، ١٠٢، ١٠٧، ١٢٦، ١٢٨، ١٣٧، ١٤١، ١٤٤، ١٤٦، ١٥٥، ١٥٨، ١٦٠، ١٦٢، ١٧٨، ١٩٤، ٢٠٤، ٢١٠، ٢٢٣، ٢٢٩، ٢٤٤، ٢٤٨، ٢٥٢، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٩، ٢٩٦، ٢٩٨، ٣٠١، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣١٢، ٣١٤، ٣٣٢، ٣٣٤، ٣٤٦، ٣٥٩، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٧٠، ٣٨٠، ٣٨٦، ٣٨٨، ٣٩٣، ٤١٨، ٤٢٠، ٤٢٢، ٤٢٩، ٤٣١، ٤٣٤، ٤٤٩، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٨٧، ٤٩١/١، ٤٩٥، ٥٠٩، ٥١٢، ٥١٨، ٢/ ١٨، ٢٤، ٣٢، ٣٦، ٣٧، ٤١، ٤٣، ٤٦، ٤٧، ٤٩، ٥٢، ٥٣، ٥٧، ٦٧، ٧٤، ٧٦، ٨٣، ٩٥، ٩٩، ١٠٢، ١١١، ١١٢، ١١٧، ١٢٣، ١٢٥، ١٢٩، ١٣٣، ١٤٣، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٩، ١٥٤، ١٥٦، ١٥٩، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٨، ١٨٤، ١٩٢، ١٩٩، ٢٠٧، ٢٠٩، ٢١٢، ٢٢٧، ٢٣٢، ٢٣٦، ٢٤٨، ٢٥٥، ٢٧٧، ٣٣٦، ٣٤٥، ٣٤٧، ٣٤٩، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٨٣، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٢، ٣٩٤، ٣٩٧، ٤٢٩، ٤٣٢، ٤٤٨، ٤٦٢، ٤٧٢، ٤٧٥، ٣/ ٣٦، ٤٠، ٤١، ٤٣، ٦٤، ٦٦، ٧٢، ٩٢، ٩٣، ١٠٤، ١١٣، ١٢٠، ١٢٨، ١٣٦، ١٤١، ١٤٩، ١٦٧، ١٦٨، ١٨٦، ١٩٩، ٢٠٢، ٢٠٤، ٢١٥، ٢٢٦، ٢٣٠، ٢٣٠، ٢٤١، ٢٧٠، ٢٨٤، ٣٠٣، ٣١٠، ٣١٤، ٣١٧، ٣٣٤، ٣٣٦، ٣٧٤، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٣٣، ٤٣٧، ٤٦٥، ٤٧٢، ٤٩٦، ٥٠٦، ٤/ ١٨، ٧٣، ٧٤، ١١٠، ١٣١، ١٥٠، ١٥١، ١٨٥، ٢٢٥، ٢٥٤، ٢٦٦، ٢٧٨، ٣٥١، ٣٥٥، ٣٥٧، ٣٦٢، ٣٧٢، ٣٨٣، ٤٠٥، ٤٢٠، ٤٦٣، ٤٦٨، ٥١٩، ٥٢٤،

٥/ ١٥، ٣٨، ٥٠، ٥٤، ٦٥، ٧٣، ٨١، ٨٢، ٨٤، ٩١، ٩٧، ١٠٨، ١١٠،
١١١، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٩، ١٣١، ١٤٢، ١٥٣، ١٦٥، ١٨٠، ١٨٣، ١٨٤،
١٨٧، ٢٠٢، ٢٠٥، ٢٠٨، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٨، ٢٢٢، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٣٦،
٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٣، ٢٥٠، ٢٥٤، ٢٦٥، ٢٧٠، ٢٧٦، ٢٧٩، ٢٩٤، ٢٩٧،
٣١٩، ٣٢٠، ٣٢٦، ٣٢٩، ٣٣٣، ٣٤١، ٣٤٧، ٣٥٤، ٣٥٨، ٣٦٢، ٣٦٥،
٣٩٠، ٣٩٧، ٤١٢، ٤٢٢، ٤٤٤، ٤٧٤، ٤٧٦، ٤٩٠، ٥١٧، ٥١٨، ٥٣٠،
٥٤٣، ٥٤٤، ٥٦٥، ٦/ ١٦، ١٨، ٤٩، ٩٢، ٩٥، ١٠١، ١١٤، ١١٩،
١٢٣، ١٣٥، ١٧١، ١٩٨، ٢٠٥، ٢١٠، ٢١٨، ٢٥١، ٢٥٣، ٢٦٣، ٢٩٠،
٢٩٦، ٣٠٧، ٣٨٩، ٤١٥، ٤٢٤، ٤٥١، ٤٥٣، ٤٥٨، ٤٦٧، ٤٩٣، ٥٠٠،
٥٠٦، ٥١٢، ٥٤٧، ٥٤٩، ٥٦٥، ٥٧٧، ٥٩٩، ٦٠١، ٦٠٣، ٧/ ١٠، ١٥،
٣٤، ٥٠، ٦٠، ٧٢، ٧٦، ٩٠، ١١٣، ١١٤، ١١٤، ١٥٩، ١٦٤، ١٦٤،
١٧١، ١٧٤، ١٩٦، ٢٠٦، ٢٣٤، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٧٣، ٢٩٠، ٣١٩، ٣٤٧،
٣٦٥، ٣٧١، ٣٧٥، ٣٨١، ٣٨٣، ٤٦٤، ٤٩٢، ٥١٠، ٥٣٠، ٨/ ١٦،
٢٣، ٢٥، ٥١، ٦١، ٦٨، ١٤٧، ١٨٢، ١٨٨، ٢٢٧، ٢٨١، ٣٤٤، ٣٩٨،
٤٢٠، ٤٤٧، ٤٧٠، ٥٠١، ٥٢٨، ٥٣٤، ٥٤٥، ٩/ ٢٢، ٢٥، ٩٦، ١٧٠،
١٧٢، ١٨٥، ١٨٧، ١٨٨، ٢٠٨، ٢٢٠، ٢٢٣، ٢٢٦، ٢٤٤، ٢٥٨، ٢٧٧،
٢٧٩، ٢٨٣، ٤٢١، ٤٩٥، ٥٠٠، ٥١٤، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٤٥، ٥٧٥، ٥٨٨،
٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٣، ٦٢١، ١٠/ ٧، ٩، ١٦،
٢٧، ٣٩، ٤١، ٤٣، ٤٨، ٥٠، ٥٤، ٥٥، ٥٩، ٦٥، ٦٧، ٧١، ٧٣، ٨٣،
٨٩، ٩٢، ١٠٠، ١٠٢، ١٠٩، ١١١، ١١٨، ١٣١، ١٣٣، ١٣٥، ١٣٩،
١٤٢، ١٤٦، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٥، ١٥٦، ١٧٣، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣،
١٩٠، ١٩٤، ٢٣٨، ٢٤٠، ٢٤٦، ٢٥٧، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٨٣، ٢٩٠، ٢٩٩،
٣٠٩، ٣١٣، ٣١٤

زر بن حبيش ٣/ ١٩١، ٨/ ٣٥٦

زهير بن أبي سلمى ١/ ١٩٢

زيد بن أرقم ٥/ ٢٠٤، ٨/ ٤٥١، ٩/ ٣٢٧، ٣٢٨

زيد بن أسلم ٤/ ٧٥، ٥/ ٥٠٩

زيد بن ثابت ١/ ٤٠٢، ٢/ ٣٩٦، ٤٠٦، ٤١١، ٤/ ١٠٨، ١٠٩، ٢٩٢، ٧/ ٢٧٠

زيد بن حارثة ٢/ ٣٠٣، ٧/ ١٦٩، ١٧٠، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢١٣

زيد بن عمرو ٨/ ٢١

زينب بن جحش ٧/ ٢١٤، ١٦٩، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٩، ٢١٢، ٢١٣، ٢٣٣، ٢٣٦

زينب بنت خزيمة ٧/ ٢٢٥

سالم بن عمير ٤/ ١٠٢

سالم مولى أبي حذيفة ٢/ ١٤٨، ٥/ ١٥٢

سبيعة بنت الحارث ٩/ ٢٩٢

السدي ١/ ٣٩، ٩٨، ١٢٨، ١٤٣، ١٤٥، ١٥٣، ١٨٠، ٢٠٤، ٢٠٩، ٢١٣، ٢٤٦، ٢٦٣، ٢٩٢، ٣٠٤، ٣٢٠، ٣٢٠، ٣٢٢، ٣٤٤، ٣٧١، ٣٨٤، ٤٣٣، ٤٣٧، ٤٤٠، ٤٤٥، ٤٥٧، ٤٦٥، ٤٧٠، ٤٧٤، ٤٨١، ٤٨٥، ٤٨٨، ٤٩٤، ٤٩٥، ٥٠١، ٥٠٨، ٥٠٩، ٢/ ١٤، ٢٨، ٣٩، ٨٦، ٩٤، ٩٦، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٤، ١٠٥، ١٢٧، ١٤٠، ١٤٨، ١٥٩، ١٧٢، ١٧٣، ٢٠٣، ٢١٤، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٤، ٢٤٧، ٢٩١، ٣٥٨، ٣٦١، ٣٦٤، ٢٨٠، ٣٩٢، ٣٩٦، ٤٠٢، ٤١٤، ٤٢٤، ٤٤٧، ٤٦١، ٣/ ٢٨، ٥٢، ٥٧، ٦٠، ١٠٧، ١٨٣، ١٨٦، ١٨٧، ٣/٢١٦، ٢٢١، ٤٢١، ٤٣٦، ٥٥٥، ٥٩٠، ٤/ ٢٧٩، ٣١٧، ٣٣٥، ٣٣٥، ٣٧١، ٣٨٦، ٤١٣، ٥/ ١٣٥، ١٩٢، ٢٠٥، ٢١٢، ٢٩٧، ٣٠٤، ٣١٨، ٣٣٢، ٣٧٩، ٣٩٥، ٤١٨، ٤٢٠، ٤٦٧، ٥٠٣، ٥٤٦، ٥٧٦، ٦/ ١٨، ٤٨، ٧٩، ٧٩، ١٦٩، ٢٨٣، ٣٩٠، ٥٤٧، ٥٥٨، ٥٩٦، ٦١٩، ٧/ ١٨٠، ٢٣٥، ٢٤٤، ٣٩٢، ٤٦٤، ٤٩٠، ٨/ ٩٠، ١٩٤، ٢٢٢، ٣٤٣، ٣٤٣، ٣٦١، ٩/ ٣٥، ٦١، ١٧٣، ٣٢١، ٣٥٤، ٣٧١، ٣٧٧، ٤٣٦، ٥٣٢، ٥٤٧، ٥٨٥، ١٠/ ١٤، ٢٦، ٣٥، ٨٢، ١١٣، ١٤٠، ١٩٢

سراقة بن مالك ٣/ ١٥٥

سعد بن أبي وقاص ١/ ٣٧٥، ٣٧٥، ٢/ ٢١٣، ٣٧٨، ٤١٦، ٣/ ١٢٣، ١٤٤، ٥٢٥، ٤/ ١١٦، ٣٢٩، ٧/ ١٢، ١١٦، ١١٨، ٨/ ٢٢، ٣٤٠

سعد بن الربيع ٢/ ٣٢٣

سعد بن خيثمة ٢/ ٤٦

سعد بن عبادة ١/ ٢١٣، ٢/ ١٦٩، ٦/ ٢٤٢، ٢٤٨

سعد بن عبد الرحمن بن عوف ٨/ ٤٤١

سعد بن مالك ٧/ ١٣

سعد بن معاذ ٣/ ٥٩٨، ٦/ ٢٤٧، ٧/ ١٨٨، ١٩٣، ٨/ ٢٧

سعيد بن المسيب ١/ ١٠٠، ٣٠١، ٣٦١، ٣٩٠، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٨، ٤١٨، ٤٢٣، ٢/ ٦٣، ٦٤، ٣٢٢، ٣/ ١٣٥، ٤٩٥، ٥/ ١٠٠، ١٨٢، ٢٣٣، ٣٧٣، ٥٤٠، ٦/ ٣٢، ٦٧، ١٩٦، ٢٣٦، ٢٤١، ٣٠٨، ٣١٢، ٥١٥، ٧/ ١١٣، ٤٤١، ٥١٣، ٥١٥، ٨/ ٣٧١

سعيد بن جبير ١/ ٨، ٤٢، ١٣٢، ٢٤٦، ٣١٣، ٣٢٥، ٣٤٩، ٣٨٨، ٣٩٣، ٤٥٨، ٤٧٠، ٤٩٠، ٤٩٤، ٢/ ٤٠، ٧٣، ٣٥٤، ٤٠٨، ٣/ ٢١، ٢٤، ٢٧، ٢٨، ٥٦، ١٣٦، ٢٦٨، ٣٢٤، ٤٨٥، ٥٢١، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٩٢، ٤/ ١٣٦، ٢٠٠، ٢٢٥، ٤٠٥، ٤١٢، ٤٢٣، ٥٢٧، ٥٣٧، ٥/ ٨، ١٥٠، ١٦٣، ١٨٢، ١٩٩، ٢٢٣، ٢٤٩، ٣٠٨، ٣١٥، ٣١٨، ٣٧٥، ٣٩٢، ٥٠٣، ٥٨٢، ٣١٩، ٦/ ٥٧، ١٠٩، ٢٣٩، ٢٦٢، ٢٦٨، ٣١٠، ٣٥٨، ٥٠٢، ٥٥٩، ٥٦٩، ٧/ ٢٤١، ٣٦٠، ٤٠٢، ٤٧٥، ٨/ ١٩٣، ٢٨٢، ٢٨٧، ٢٩٣، ٤٥٦، ٩/ ٩٦، ١١٠، ١٤٢، ٣٢٣، ٥١٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٣٦، ١٠/ ١٢٤، ١٣٩، ١٤٠، ١٦٧، ٢٨٢

سعيد بن زيد ٧/ ١١٨، ٨/ ٢٢

سعيد بن عبد الرحمن بن عوف ٨/ ٤٤١

سعيد بن عثمان الأنصاري ٢/ ٢١٣

سفيان الثوري ١/ ١٥، ٣/ ٣٢، ٣٢٤، ٣٤٧، ٤/ ٣٠٠، ٦/ ٣٠٨، ٧/ ١٢٣، ٣٩٦، ٩/ ٥٢٥

سفيان بن عيينة ١/ ٥١٢، ٣/ ٤٦١، ٥/ ٤٤١، ٨/ ٢٦١، ٩/ ٣٠٣

سفيان بن وكيع ٣/ ٢١

سلمان الفارسي ١/ ٥٥، ١٤٣، ٢/ ٤٤٧، ٣/ ٥٤، ١٧٩، ٣٩٤، ٣٩٥، ٥/ ١٥٠، ١٨٨، ٣٣٣، ٧/ ١٧٨، ٨/ ٢١، ٣٩٨

سلمة بن سلامة ٤/ ٢٨

سلمة بن صخر ٩/ ٢٣٠

سليم ٥/ ١٤٥

سماك ١٠/ ٢٣١

سمرة بن جندب ٨/ ٤٠٦

سمية أم عمار بن ياسر ٥/ ١٥٢

سهل بن سعد ١/ ٣٣٢

سهل بن عبد الله ٧/ ٣٤٦، ٩/ ٩

سهل بن محمد السجستاني ٨/ ٤٠٨

سهيل بن بيضاء ١/ ٣٧٥

سهيل بن حنيف ٩/ ٢٦٢

سودة بنت زمعة أم المؤمنين ٢/ ٤٤٢، ٥/ ١٨٧، ٧/ ٢٢٨، ٩/ ٣٧٠، ٣٧١

سويد بن مقرن ٢/ ٢٧٦، ٤/ ١٠٢

سيبويه	١/ ١١، ١٣، ١٤، ٢٠، ٥٤، ٧٠، ١٢٣، ٢/ ٤٣، ٢٣٣، ٣١٤، ٤٧٣، ٤٧٥، ٣/ ١٢٦، ١٥٨، ٤/ ٣٧٨، ٤٨٠، ٥/ ١٣، ٢٦، ٢٠٠، ٣١١، ٤٨١، ٦/ ٣٨٠، ٣٨١، ٦١٤، ٧/ ٣١٤، ٨/ ١٢٠، ١٨٨، ٢٤٧، ٩/ ٨١، ١٥٠، ٤٥١، ١٠/ ٤١، ١٢٣، ٢٧٢
الشافعي	١/ ٢١٨، ٢٨٠، ٢/ ٢٧٠، ٣/ ٢٦، ٣٢، ٨/ ٤١٢
شريح	١/ ٣٩٠، ٥٠٣، ٣/ ٣٢٠، ٩/ ٣٤١
الشعبي	١/ ٩، ٣١٠، ٣١٦، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢٢، ٤٢٥، ٥٠٧، ٥١٤، ٢/ ٥٣، ٣٦٨، ٣/ ٢٨، ٤/ ٣١٣، ٣٤٨، ٥/ ١١٦، ٦/ ٢٦٨، ٣٥٠، ٤٠٣، ٤٨٦، ٧/ ٨، ٤١، ١١٢، ٢١٣، ٥١٢، ٨/ ٣٣٦، ٤٠٥، ٥٢٥، ٩/ ١٨٥
شقيق بن سلمة	٦/ ٣٢٢
شهر بن حوشب	٥/ ١٦١، ٣٥٦
صالح بن عبيد	٣/ ٤١٣
صخر بن خنساء	٤/ ١٠٢
صفوان بن المعطل السلمي	٦/ ٢٤٦، ٢٦٠
صفوان بن أمية	٢/ ٢٩٩، ٥/ ٢٧٧، ٧/ ٢٤٤
صفية بنت حيي أم المؤمنين	٧/ ٢٢٣، ٢٢٨، ٨/ ٤٦٠، ٩/ ٣٧٠
صهيب الرومي	١/ ٣٦٠، ٣٦١، ٣/ ٢٣٦، ٣٩٥، ٥/ ٩٦، ١٥٢
الضحاك	١/ ٨، ٤١، ٥٠، ١٧١، ٢١٠، ٢٣٩، ٣١٧، ٣٢٧، ٣٤٢، ٣٥٠، ٣٦٧، ٣٩٧، ٤٣٤، ٤٥٧، ٤٧١، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥١٠، ٥١٤، ٢/ ١٤، ٢٧، ٤٦، ٤٩، ٦٣، ٦٤، ٦٧، ١٠٣، ١٠٩، ١٢٦، ١٤٨، ٢٢١، ٢٦٧، ٢٦٩، ٣٣٧، ٣٥٤، ٣٨٨، ٤٠٠، ٤٢٤، ٣/ ٢٥، ٥٤، ٥٦، ٧٢، ٣/ ٢١٦، ٣١٤، ٤/ ٨٥، ٨٥، ٢٠٨، ٢٢٥، ٢٥٨، ٣١٩، ٣٥٥، ٣٩٣، ٣٩٥، ٤٧٢، ٤٨٨، ٥٤٠،

٥/ ١٥، ٣٢، ١٥٠، ١٩٢، ١٩٩، ٢٢٣، ٢٤٣، ٢٤٥، ٢٧٤، ٢٨٥، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٨٢، ٤٣٥، ٤٧٨، ٥٠٢، ٥١٤، ٦/ ٢٢، ١٣٤، ١٣٨، ١٧٧، ١٨٣، ٢٥٢، ٣٥٠، ٤٢٣، ٤٢٥، ٤٥٠، ٤٥٧، ٤٦٧، ٦١٥، ٦٢٠، ٧/ ١٤، ٩٤، ١٨٠، ٢٣٠، ٢٤٤، ٣٩٢، ٤١٣، ٤٤١، ٨/ ١٩٠، ١٩٧، ٢٤٧، ٣٤٨، ٥٠٥، ٥٤٢، ٩/ ١٥، ٢٠، ٥٠، ٦١، ٨٦، ٩٩، ١٥٦، ١٦٥، ١٦٨، ٣٢١، ٣٣٥، ٣٣٧، ٣٧٩، ٣٩٦، ٤١٢، ٤١٤، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٤٩، ٤٥٩، ٤٦٤، ٥٨٠، ٦١٢، ١٠/ ٥٩، ٨٩، ٩١، ١٢٤، ١٢٥، ١٤١، ١٩٤، ٣٠٤، ٣٠٧

ضمضم بن عمرو ٢/ ٤١٦

طاوس ١/ ٣١٧، ٣٩٧، ٢/ ١١٤، ١٣٩، ٥/ ٤٢١، ٦/ ٤٨٨، ٨/ ٢٢٧، ٩/ ٢٦٨

الطبراني ٢/ ٨٧

طلحة بن الزبير ٢/ ٢١٣، ٣/ ٣٩، ٥/ ٣٣، ٧/ ١١٨، ٨/ ٢٢، ٩/ ٢٨١، ٢٩٤، ٧/ ١٨٩

طلحة بن عبيد الله ٨/ ٤٤١

طلحة بن عمرو ٥/ ١٤٩

طلحة بن مصرف ١/ ٥١٩

عابس ٥/ ٩٦

عاصم بن أبي النجود ١/ ٨، ٩، ٣/ ٣٢٠، ٦/ ٦٨، ٧٦

عاصم بن عدي بن العجلان ٤/ ٩٠

عامر بن السكن ٤/ ١١٦

عامر بن ربيعة ١/ ٢٣٠، ٣٧٥

عائشة ١/ ٢٠٩، ٢١٨، ٣٥٢، ٣٩٠، ٣٩٦، ٣٩٧، ٤٠٢، ٤٠٥، ٥١٨، ٢/ ١٦٦، ٢٦٨، ٣٣٧، ٣٣٩، ٣٩٦، ٤٤١، ٤٤٢، ٣/ ١٢٣، ١٧٧، ٤/ ٨، ٣١٧، ٥٣٩، ٥/ ١٧٧، ٢٨٦، ٤٥٦، ٦/ ٢٣١، ٢٣٧، ٢٤٥، ٢٤٧، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٨، ٢٦٠، ٧/ ٢٧، ١٩١، ٢١١، ٢٢٤، ٢٢٨، ٢٢٨، ٢٣١، ٢٣٦، ٢٣٨، ٢٤٤، ٣٩٦، ٤٣٨، ٤٦٦، ٨/ ٢٨٧، ٣٤٤، ٤٤٧، ٤٦٠، ٩/ ٤٣، ٤٨، ١٦٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٩، ٢٨٩، ٢٩٣، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٤١٥، ٥٣٢، ٥٣٧، ١٠/ ٢٠٦، ٢٨١، ٣١٢، ٣١٥

عبادة بن الصامت ٢/ ٤٦، ٢٩٠، ٣/ ١٠٢، ١٠٩، ٤٩٥، ٩/ ٢٢٩

العباس بن عبد المطلب ١/ ٥٠١، ٣/ ٥٩٩، ٦٠٠، ٤/ ٢٢، ٢٤، ٢٩، ٦/ ٤٧٤، ٥٩٣

عبد الرحمن بن أبي بكر ٣/ ٢٥٥، ٨/ ٣٤٣، ٣٤٤

عبد الرحمن بن الخطاب ٩/ ٣٥٠

عبد الرحمن بن عوف ١/ ٤٧٨، ٢/ ١٦٧، ٢١٣، ٣٣٧، ٣٧٨، ٣/ ٣٩، ٤/ ٩٨، ٥/ ٤٩٥، ٧/ ١١٨، ٨/ ٢٢

عبد الرحمن بن غنم ٥/ ٢٥١

عبد الله بن أبي أوفى ٢/ ١٠٦، ٤/ ١١٤

عبد الله بن الزبير ٧/ ٤٤٣، ٨/ ٤٤٦

عبد الله بن المبارك ٦/ ١٦٢، ٧/ ٢٥٢، ٨/ ٢٤٦، ٩/ ٦٠٤

عبد الله بن أم مكتوم ٢/ ٤١١، ٦/ ١٣٩، ١٠/ ٤٥

عبد الله بن بريدة ٨/ ٣٨١

عبد الله بن جبير ٢/ ٤٦، ١٩٢

عبد الله بن جحش ١/ ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٢/ ٢٣١

عبد الله بن حذاقة ٢/ ٣٦١

عبد الله بن رواحة ١/ ٣٨٧، ٤/ ١٢٢، ٦/ ٤٦٩

عبد الله بن سلام ١/ ٢٧٠، ٣٦٢، ٢/ ١٠٤، ١٥٢، ١٥٥، ٢٦٠، ٤٤٩، ٤٦٢، ٤٦٨، ٣/ ٤٧، ١٠٨، ٤٧٩، ٤/ ٢١٠، ٢٣٨، ٤٨٨، ٥/ ١٤٩، ٣١٨، ٧/ ٢٦٦، ٨/ ٣٣٥، ٣٣٦، ١٠/ ٣٠٤

عبد الله بن شداد ٤/ ٢٢٧

عبد الله بن عباس ١/ ٨، ٢٤، ٣١، ٣٥، ٣٩، ٤٠، ٤٤، ٥٥، ٥٨، ٦٠، ٦٥، ٦٧، ٦٩، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٨٣، ٨٤، ٨٧، ٨٩، ٩١، ٩٥، ٩٦، ٩٨، ١٠٢، ١٠٥، ١١٠، ١١٢، ١٢٥، ١٢٧، ١٢٨، ١٣٠، ١٣٢، ١٣٥، ١٣٨، ١٤٣، ١٤٦، ١٤٧، ١٥٠، ١٥٤، ١٦٢، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٩، ١٧١، ١٨٠، ١٨٦، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٦، ١٩٨، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٥، ٢٠٧، ٢١٢، ٢١٤، ٢٢٠، ٢٢٢، ٢٢٤، ٢٢٨، ٢٣١، ٢٣٦، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٦، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦٥، ٢٦٧، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٥، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٨، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣١٢، ٣١٦، ٣١٨، ٣٢٢، ٣٢٥، ٣٣١، ٣٣٨، ٣٤٢، ٣٤٥، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٦، ٣٦٢، ٣٧٣، ٣٧٧، ٣٨٢، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٧، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٩٠، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠١، ٤٠٣، ٤٠٧، ٤١٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٣١، ٤٣٣، ٤٤٣، ٤٤٥، ٤٥٤، ٤٥٧، ٤٧٠، ٤٧٢، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٨٥، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٩٧، ٥٠١، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥١٧، ٥١٩، ٥٢١، ٢/ ١٠، ١٢، ١٤، ٢٢، ٢٧، ٢٨، ٤٠، ٤٢، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٩، ٥٠، ٦٢، ٦٣، ٦٧، ٧٢، ٩٦، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١٤، ١١٥، ١١٥، ١١٧، ١٢٠، ١٣٢، ١٣٥، ١٣٩، ١٤٨، ١٥٠، ١٥٢، ١٥٥، ١٥٩، ١٦٠، ١٧٠، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨٥، ١٨٧، ١٨٩، ١٩٠، ١٩٨، ٢٠١، ٢١٥، ٢١٨، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٤، ٢٣١، ٢٤٢، ٢٥١، ٢٥٣، ٢٥٦، ٢٦٠، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٥، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٨٢، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٨، ٢٩٠، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٣٠١، ٣٠٥، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٢، ٣٢٢، ٣٢٥، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣١، ٣٣٣، ٣٣٦، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤١، ٣٤٦، ٣٥٢، ٣٥٤، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٣، ٣٨٠، ٣٨٤، ٣٩٢، ٣٩٥، ٣٩٧، ٣٩٩، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٧، ٤١٢، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٩، ٤٢١، ٤٣١، ٤٣٤، ٤٣٩، ٤٤١، ٤٤٤، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٩، ٤٥٩، ٤٦٥،

٣/ ٩، ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٨، ١٩، ٢١، ٢٢، ٢٧، ٢٨، ٣٠، ٣٥،
٤٦، ٤٧، ٥٤، ٥٦، ٥٧، ٥٩، ٦٠، ٦٥، ٦٩، ٧١، ٧٥، ٩٤، ٩٥، ٩٨،
١٠٨، ١١٠، ١١٣، ١١٦، ١٢٣، ١٤٠، ١٤١، ١٤٩، ١٥١، ١٥٤، ١٦٠،
١٦٦، ١٧٠، ١٧٤، ١٧٩، ١٩٥، ١٩٨، ٢٠١، ٢٠٣، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧،
٢١٠، ٢١٠، ٢١٣، ٢٢٤، ٢٢٧، ٢٤٤، ٢٤٧، ٢٥٠، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٥،
٢٥٧، ٢٦٠، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٧، ٢٨٠، ٢٩٣، ٢٩٥، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٣،
٣٠٤، ٣١٢، ٣١٤، ٣١٧، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٤٦، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٦٠،
٣٦٣، ٣٦٨، ٣٧٢، ٣٧٨، ٣٨٤، ٣٨٦، ٤٠٠، ٤١٨، ٤٢٥، ٤٣٥، ٤٤٢،
٤٤٦، ٤٥٧، ٤٧١، ٤٨٤، ٤٩٣، ٥٠١، ٥٠٤، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٨، ٥٢٥،
٥٢٧، ٥٣٢، ٥٤٢، ٥٦٢، ٥٧١، ٥٧٨، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٦، ٥٩٧،
٥٩٨، ٦٠٠، ٤/ ٨، ٩، ١٨، ٢١، ٤٠، ٤١، ٤٥، ٤٩، ٥٤، ٧٧، ٧٩، ٨٢،
٩٥، ١٠٠، ١٠٤، ١١١، ١١٢، ١٢٤، ١٢٥، ١٤١، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١،
١٧٩، ١٩٧، ٢٠٦، ٢٢١، ٢٢٣، ٢٢٥، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٦، ٢٤٢، ٢٤٤،
٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٦، ٢٧٤، ٢٩٢، ٢٩٥، ٢٩٦، ٣١٢، ٣١٧،
٣١٩، ٣٢٥، ٣٣٥، ٣٥١، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٩، ٣٦١، ٣٨٢، ٣٨٥، ٣٨٦،
٣٩٠، ٣٩٥، ٤٠٦، ٤١٠، ٤١٢، ٤١٤، ٤١٥، ٤٢٢، ٤٢٤، ٤٢٧، ٤٣١،
٤٤٠، ٤٤٢، ٤٤٩، ٤٥٢، ٤٥٥، ٤٥٨، ٤٧٢، ٤٧٥، ٤٧٥، ٤٧٧، ٤٧٨،
٤٨٦، ٥١٤، ٥١٦، ٥٢٨، ٥٣٠، ٥٣٧، ٥/ ٨، ١٨، ٢٤، ٢٧، ٤٠، ٤٤،
٤٥، ٥٢، ٥٦، ٦٣، ٦٥، ٧٠، ٧٩، ٨٣، ٩٤، ١٠٢، ١١٥، ١٣٣، ١٣٨،
١٣٩، ١٤٩، ١٥٢، ١٥٦، ١٦٤، ١٦٦، ١٧٣، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٩، ١٩١،
١٩٢، ١٩٩، ١٩٩، ٢٠٤، ٢١٥، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٨، ٢٣٠، ٢٣٢، ٢٣٣،
٢٣٥، ٢٣٨، ٢٤٣، ٢٤٨، ٢٥١، ٢٥٣، ٢٥٧، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٧٣،
٢٧٧، ٢٧٩، ٢٨٣، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٦، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٣،
٣٠٨، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣٢٠، ٣٢٤، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٨،
٣٣٥، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٤٣، ٣٤٦، ٣٥٢، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٦٠، ٣٦٧، ٣٧١،
٣٧٥، ٣٨٠، ٣٨٣، ٣٨٥، ٣٨٧، ٣٩٢، ٣٩٤، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠٢، ٤١٢،

٤١٩، ٤٢١، ٤٢٨، ٤٣٥، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤٨، ٤٥٠، ٤٧٤، ٤٧٧،
٤٩٥، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١،
٥٣٢، ٥٣٥، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٣، ٥٥٦، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٦٩، ٥٧٦، ٥٨٢،
٦/ ٢٨، ٣٦، ٣٨، ٤٦، ٤٨، ٥٠، ٦١، ٦٢، ٦٧، ٧٦، ٧٩، ٧٩، ٨٢،
١٠٧، ١١٧، ١٢٧، ١٣١، ١٣٨، ١٣٩، ١٤١، ١٥٩، ١٦٣، ١٦٩، ١٧٢،
١٧٥، ١٧٧، ١٨٣، ١٩١، ١٩٣، ١٩٧، ٢٠٤، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢١٠، ٢٢٠،
٢٣٣، ٢٣٥، ٢٣٧، ٢٤٠، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٣، ٢٦٩، ٢٧٣،
٢٧٤، ٢٧٦، ٢٨٠، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٩٠، ٢٩٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٩، ٣١٠،
٣١٤، ٣١٥، ٣١٧، ٣٢٠، ٣٢٢، ٣٢٥، ٣٢٨، ٣٣٢، ٣٣٧، ٣٤٥، ٣٥٣،
٣٥٩، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٨٠، ٣٨٢، ٣٨٦، ٤٠٢، ٤١٢، ٤٣٧، ٤٤٢، ٤٤٩،
٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٩، ٤٦٧، ٤٧٤، ٤٩١، ٥٠٢، ٥٠٥، ٥٣٣،
٥٣٤، ٥٤٠، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٧، ٥٦٩، ٥٧٢،
٦٠٦، ٦١٤، ٧/ ٧، ٣٧، ٣٨، ٤٨، ٦٧، ٦٨، ٧٧، ٨٨، ٨٨، ١٠٨، ١٢٤،
١٥١، ١٥٥، ١٧٢، ٢٠٠، ٢٠٢، ٢٢٤، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣٣، ٢٣٨، ٢٣٩،
٢٤٣، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٧٢، ٢٧٥، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٩٤، ٣٠٧، ٣١٩،
٣٤٥، ٣٤٨، ٣٥٠، ٣٥٥، ٣٦٠، ٣٦٧، ٣٧٠، ٣٧٩، ٣٨٩، ٤٠٢، ٤٠٧،
٤١٠، ٤١٣، ٤١٦، ٤١٧، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٤١، ٤٥٩، ٤٧٠، ٤٧٥، ٤٨١،
٤٩٢، ٥٠٢، ٥٠٧، ٥١١، ٥١٣، ٥١٩، ٨/ ١٥، ٢٢، ٢٣، ٢٨، ٢٩، ٣٦،
٤٨، ٥٢، ٥٦، ٧١، ٧٣، ٨٦، ٩٤، ٩٦، ١١٣، ١٢٩، ١٣١، ١٣٨، ١٤٢،
١٤٨، ١٥١، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٣، ١٨٦، ١٩٠، ١٩٢، ١٩٧، ١٩٧،
٢٠٣، ٢١٢، ٢٤٣، ٢٨٧، ٣٠١، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١٦، ٣٢٠، ٣٢٧،
٣٣١، ٣٤١، ٣٤٧، ٣٥٦، ٣٥٨، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٨١، ٣٨٦، ٣٨٧، ٤٠٣،
٤٢٣، ٤٢٥، ٤٣٩، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٦٠، ٤٧٥، ٤٨٤، ٤٨٧، ٤٩٤، ٥٠٠،
٥٠٤، ٥١٠، ٥١٧، ٥٢٧، ٥٣٠، ٥٤٢، ٩/ ٧، ١٠، ٢٦، ٣٣، ٣٨، ٤٣،
٤٥، ٤٧، ٤٨، ٥٨، ٦٠، ٦١، ٦٣، ٧٢، ٧٧، ٧٨، ٨٦، ٨٧، ٩١، ٩٤،
٩٦، ١٠٩، ١١٠، ١٢٢، ١٢٣، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٧، ١٣٩، ١٤٩،

١٥٥، ١٦٠، ١٧٠، ١٨٣، ١٩٣، ١٩٧، ٢٠٩، ٢١٢، ٢١٦، ٢١٩، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٥، ٢٣٨، ٢٤٣، ٢٤٧، ٢٥٦، ٢٧٣، ٢٧٥، ٢٩٢، ٣٠٢، ٣٠٨، ٣١٢، ٣٣٥، ٣٤٤، ٣٥٣، ٣٥٥، ٣٥٩، ٣٧٨، ٣٩٩، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١٨، ٤٢٠، ٤٢٦، ٤٣٤، ٤٤٧، ٤٥٢، ٤٦١، ٤٤٦، ٤٧٤، ٤٧٦، ٤٨٢، ٤٩٣، ٤٩٩، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١١، ٥١٢، ٥١٢، ٥١٣، ٥٢١، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٥، ٥٣٧، ٥٤٨، ٥٥٨، ٥٧٠، ٥٧٤، ٥٧٦، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨٢، ٥٨٥، ٦٠٣، ٦١١، ٦١٢، ٦١٥، ٦١٩، ٦٢١، ١٠/ ١٥، ٢٤، ٣٠، ٣٣، ٣٥، ٣٧، ٤١، ٥٤، ٥٤، ٥٩، ٦١، ٦٥، ٧٥، ٨٢، ٨٥، ٩١، ٩٤، ٩٦، ١٠٩، ١١٢، ١١٦، ١٢٢، ١٢٦، ١٣٢، ١٤٧، ١٤٨، ١٥٣، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٨، ١٦٢، ١٧٤، ١٧٩، ١٨٠، ١٨٥، ١٨٩، ١٩٢، ١٩٩، ٢٠١، ٢٠٢، ٢١٣، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٦، ٢٤٨، ٢٥٥، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٧، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩١، ٢٩٥، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٥، ٣٠٧، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤

عبد الله بن عمر ١/ ٢٣١، ٢٨٢، ٣٤٩، ٣٥١، ٣٦٢، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٢٦، ٥٠٧، ٢/ ٢٧، ٣٤٢، ٤٠٦، ٣/ ١١، ٢٥، ٣١، ٥٦٤، ٤/ ٥٤، ٧٥، ٢٣٠، ٤٣٢، ٥١٤، ٥/ ٤٧، ٢٥٦، ٤٠٦، ٦/ ٤٧، ١١٩، ٢٣٧، ٢٨١، ٣٠٦، ٣٠٨، ٧/ ٣٦، ٣٧، ٤٧، ١٣٤، ١٧٠، ٤٤١، ٨/ ١٥، ٣٥، ٤٩، ١٨٠، ٢٧١، ٥١٤، ٥١٥، ٩/ ١٣٩، ٢١٩، ٣٥٠، ٥٠٢، ١٠/ ١٤، ١٧، ٣٠٥

عبد الله بن عمرو بن العاص ٢/ ١٣٠، ٣٥٠، ٤٣٨، ٣/ ١٨٢، ١٦٦، ٤٩٤، ٤٩٩، ٥/ ٣٩٩، ٦/ ١١٣، ٣٤٧، ٩/ ٢٠٥، ٣٥٠

عبد الله بن عمرو بن حرام ٢/ [٢٢٩]

عبد الله بن كعب الأنصاري ٤/ ١٠٢

عبد الله بن مسعود ١/ ٣١، ٦٠، ٦٥، ٨٣، ٨٧، ٩٥، ١٣٧، ١٤٣، ٢٠٩، ٢١٣، ٢٤٠، ٢٦٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٩، ٣٥٦، ٣٨٢، ٣٩٩، ٤٠١، ٥١٤، ٢/ ٢٤، ٦٣، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٨، ١٥٥، ١٥٦، ١٦٦، ٢٤٤، ٣٠٤، ٣١٨، ٣٣٠، ٣٤٠، ٣٤٢، ٣٤٣، ٤٥٧، ٣/ ٧١، ٧٥، ٨٢، ٨٣، ١٤٢، ٢٣٦، ٢٦٤، ٢٨٠، ٣٠٨، ٤٨٤، ٥٢٧، ٥٣٨، ٥٥١، ٥٧٦، ٥٨٧، ٤/ ٨٤، ١٢٧، ٣٥٤، ٣٨١، ٥٠٠، ٥٣٧، ٥/ ٢٣، ٤١، ٧٢، ١٣٩، ١٦١، ١٧٩، ١٩٩، ٢٢٨، ٢٥٣، ٢٥٩، ٢٧١، ٣١٤، ٤٠٥، ٦/ ٧، ٣٣، ٥٣، ١٤٠، ١٨١، ٢٣٧، ٢٦٦، ٢٧٥، ٣٦٩، ٣٨٤، ٣٩٥، ٥٣٤، ٧/ ٧٥، ١٢٢، ٢٥٢، ٢٨٠، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٨٠، ٤٤٢، ٤٥٠، ٤٩٨، ٥٠٢، ٨/ ٥٨، ٧٢، ١٠١، ١٤١، ١٧١، ٢٤٣، ٢٧٦، ٣٣٨، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٨١، ٣٨٥، ٩/ ٣٣، ٤٢، ٤٥، ٤٦، ٧٧، ١٠٩، ١٢٣، ١٤٩، ٢٠٣، ٢٠٩، ٢٢٥، ٢٧٥، ٢٩٤، ٣١٨، ٣٢٠، ٤٠٤، ٤٣٠، ٤٣٤، ٥٢٦، ٥٣٨، ٥٩١، ٦١١، ٦١٧، ١٠/ ١٩، ٢٤، ٦٦، ٩٣، ٩٤، ١٠٦، ١٧٨، ١٧٩، ١٩٧، ٢٤٨، ٢٨٨، ٣٠٥

عبد الله بن مغفل ٤/ ١٠٢، ٨/ ٤٢٦

عبد الوهاب بن مجاهد ١/ ٤٩٧

عبدان بن أشوع ١/ ٣٣٤

عبيد بن الأبرص ٧/ ٢٦٨

عبيد بن عمير ٥/ ٣٠٤

عبيدة السلماني ١/ ٣٩١، ٢/ ٣٣٧

عبيدة بن الحارث ٦/ ١٠٧، ٧/ ٥٠٦، ٨/ ٣١٤، ٩/ ٢٥٢

عتاب بن أسيد ٢/ [٣٧٧]

عتبة بن عمرو المازني ٩/ ٣٥٠

عتبة بن غزوان السلمي ١/ ٣٧٥

عثمان بن شماس ٢/ ٢٣١

عثمان بن عفان ١/ ١٧٠، ٤٧٧، ٥٠١، ٢/ ٢١٣، ٢١٤، ٣/ ٣٩، ٥٥٥، ٤/ ٨٨، ٥/ ١٢٨، ١٥٦، ٦/ ٧٨، ٢٩٨، ٣٠١، ٧/ ١١٨، ٣٤٦، ٤٨٠، ٨/ ١٥، ٢٢، ٢٦، ٣٦، ١٥٥، ١٨٠، ٤٠٥، ٤٤١، ٥٤٠، ٩/ ٦١، ١٤٩، ١٠/ ١٥٩، ٢٥٣

عثمان بن مظعون ٣/ ١٣٩

عدي بن ثابت ٦/ ٢٦١

عدي بن حاتم ١/ ٣٣٢

عرباض بن سارية ٤/ ١٠٢

عرفجة ٢/ ٢٧٦

عروة بن الزبير ١/ ٤٠٥، ٣/ ١٣٥، ٧/ ٢٢٨، ٨/ ٤٠٣، ٩/ ٣٧٠

عروة بن مسعود ٨/ ٢٣٥، ٤٠٦

عطاء الخراساني ١/ ٤٥، ٩٨، ١٥١، ٢١٤، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٣١، ٢٤٥، ٢٤٨، ٢٨٨، ٣٢٢، ١/ ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٥٣، ٣٧١، ٣٧٩، ٣٨٤، ٤٣٢، ٤٤١، ٤٥٥، ٤٧١، ٤٧٣، ٥٠١، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥١٤، ٢/ ٢٧، ١١٨، ١٢٢، ١٤١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٦٢، ٣٣٨، ٦/ ١٦٨، ١٧٥، ٣٨٦

عطاء بن أبي رباح ١/ ٤٣٢، ٣/ ١٥، ١٩١، ٣٠٠، ٥٤١، ٥٥٥، ٥٦١، ٤/ ٧٧، ٤٣٩، ٥/ ٤١، ١٢٦، ٢٤٣، ٢٧٧، ٣١٨، ٤٧٠، ٧/ ٣٤، ٣٤١، ٤٨٨، ٤٩٠، ٨/ ٣٠٩، ٣٤١، ٤٠٣، ٩/ ٦٠، ١٠/ ٢٠١، ٢٣٣، ٢٨١، ٢٠٢

عطية العوفي ١/ ٥٠٥، ٢/ ١٤، ١٢٨، ٣/ ١٠٢، ٥/ ٥٢٨، ٦/ ٩٨

عقبة بن عامر ٣/ ٥٨٨، ٦/ ٦١

عقبة بن عثمان الأنصاري ٢/ ٢١٣

عقيل بن أبي طالب ٣/ ٥٩٩

عكاشة بن محصن الأسدي ١/ ٣٧٥، ٣٧٦

عكرمة بن أبي جهل ٢/ ١٩٣، ٨/ ٤٢٧

عكرمة مولى ابن عباس ١/ ٧٧، ١٣٢، ١٥٠، ١٥١، ١٥٤، ١٥٤، ١٧١، ٢٣٩، ٣١٣، ٣٤٥، ٥٠١، ٢/ ٤٠، ٧٧، ١٠٦، ١٢٠، ١٢٧، ١٤٨، ٢٢١، ٢٤٤، ٢٩٣، ٣١٦، ٣١٩، ٣٢٦، ٣٦٣، ٣٩٩، ٤٠٢، ٤٠٦، ٤١٢، ٤٢٢، ٣/ ٣٩، ٥٩، ١٠٣، ١٢٣، ٢٣٩، ٣٠٥، ٣١٧، ٤٣٦، ٥٨٨، ٤/ ١٢٥، ١٤٠، ٢٤٤، ٢٦٧، ٢٨٢، ٢٩١، ٣٦٦، ٤٠٤، ٤١٠، ٤٥٣، ٤٧٥، ٥٣٥، ٥/ ٢٥، ٥٢، ٦٩، ٨٦، ١٥٠، ٣٢٠، ٣٢٩، ٤٧٨، ٥٠٣، ٦/ ١٠٨، ١٨٢، ٢٠٧، ٢٣٥، ٢٦٩، ٣١٦، ٤٤٢، ٥٠٢، ٥٥٩، ٥٦٤، ٧/ ١٤، ١١٢، ١٢٢، ٢٠٢، ٣٤٨، ٤٤١، ٤٦٣، ٨/ ٢٧٠، ٣١٨، ٣٥٦، ٣٨١، ٥٠٤، ٩/ ٧٢، ١٣٦، ١٨٥، ٣٠٢، ٣٧١، ٤٢١، ٤٢٥، ٤٧٦، ٥٣٢، ٥٣٧، ٥٥٢، ٥٧٩، ١٠/ ٥٥، ١٢٥، ١٣٥، ١٦٢، ١٦٧، ٢٣١، ٢٣٤، ٢٤٣، ٢٧١، ٢٨٠، ٢٨٩

علقمة ١/ ٦٩، ٣٥٦، ٤٢٥، ٨/ ٥٨

علي بن أبي طالب ١/ ٧، ٣١، ٤١، ٦٠، ٩٨، ٣١٥، ٣٤٤، ٣٥٦، ٣٦٢، ٣٩٩، ٤٠١، ٤٢٦، ٤٤٠، ٤٩٧، ٢/ ٢٤، ٩٣، ١١٠، ١١٤، ١١٧، ١٢٩، ١٦٩، ٢١٣، ٢١٤، ٢٢٧، ٣٠٢، ٣٠٢، ٣٠٤، ٣٠٩، ٣٣٧، ٣٣٩، ٣٤١، ٣٥١، ٤٠٩، ٤٥١، ٤٥٥، ٣/ ١٩، ٣٠، ٣٩، ٨٢، ٨٣، ٩٠، ١٠٧، ١٠٩، ١٤٣، ٢٦٤، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٨٩، ٤٧١، ٥٩٦، ٤/ ٨، ١٠، ١١، ٢٢، ٢٤، ٤٠، ٢٣٧، ٢٥٤، ٢٥٩، ٤٥٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٨٩، ٤٩٦، ٥٢٠، ٥٣٤، ٥٣٧، ٥/ ٣٣، ٩٤، ٩٥، ١٢١، ١٨٩، ٢٤٦، ٢٦٢، ٢٧٩، ٣١٧، ٣٩٥، ٤١٦، ٤٢٨، ٤٩٥، ٦/ ١٢، ٧٨، ١٠٧، ١٦١، ٢٣٨، ٢٤٧، ٢٤٧، ٢٩٨، ٣٠١، ٣٤٥، ٥٣٤، ٥٤٨، ٥٩٦،

٧/ ٧، ٣٥، ١٥١، ١٩٣، ٢٠١، ٢٣٠، ٢٤٤، ٢٥٢، ٤٤٢، ٤٧١، ٥٠٢، ٥٠٦، ٥١٣، ٨/ ٢٦، ٣٧، ١١٨، ١٧٠، ١٧١، ١٧٤، ١٨٣، ١٩٣، ٢١٥، ٢٤١، ٢٤٣، ٣١٤، ٣٤٨، ٣٧٦، ٤٠٧، ٤٤١، ٤٥٨، ٥١٦، ٩/ ٣٥، ٧٢، ٨٤، ١٥٥، ١٦٦، ٢٠١، ٢٤٥، ٢٥٢، ٢٨١، ٣٥٩، ٤١١، ٤٥٢، ٤٥٤، ٦٠٠، ٦٠٤، ١٠/ ٢٤، ٩٩، ١١٢، ١٢٢، ١٤٧، ٢٣٢، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٥١، ٢٥٣، ٢٧٢، ٢٨٢، ٢٩٢، ٣١٢

علي بن الحسين ١/ ٥٠٥، ٥/ ٣٣، ٢٠٥، ٧/ ٢١٠

علي بن الحسين الواقدي ٣/ ٣٨٠

علي بن عطاء ٩/ ٧٨

علي بن عيسى = ابن عيسى، أبو الحسن الرُّمَّاني ١/ [٢٠]، ٢٣، ٢٥، ٣٠، ٣٢، ٤٣، ٤٥، ٤٦، ٥٠، ٥٢، ٥٤، ٥٩، ٦٠، ٦٢، ٦٥، ٦٨، ٦٩، ١١٦، ١٥٩، ١٦٢، ١٦٥، ١٦٧، ١٧٦، ١٧٨، ١٨٥، ١٩٤، ٢٠١، ٢١١، ٢٢٣، ٢٢٥، ٢٦٢، ٢٩٩، ٣٦٠، ٣٩٣، ٤٠٣، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢٢، ٤٢٤، ٤٢٦، ٤٢٨، ٤٣٥، ٤٣٧، ٤٣٩، ٤٥٦، ٤٨٤، ٤٧٨، ٤٩٣، ٢/ ١٩، ٢٠، ٤٩، ٧١، ٨٣، ٨٦، ٩٥، ١١١، ١٢٤، ١٣٧، ١٣٩، ١٤٦، ١٥١، ١٥٣، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٨، ١٧١، ١٧٤، ١٧٩، ١٨٢، ١٨٥، ١٩٠، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠٢، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢١٢، ٢١٦، ٢٢٣، ٢٢٥، ٢٣٢، ٢٣٦، ٢٤٩، ٢٦٨، ٢٧٢، ٢٩٥، ٣١٣، ٣٢٦، ٣٣٣، ٣٤٤، ٣٧٣، ٣٩٢، ٣٩٢، ٤٠٥، ٤١٤، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٢، ٤٥٢، ٣/ ٥٩، ٧٤، ١٠٠، ١٤٧، ١٥٧، ١٨٣، ١٩٩، ٢٠١، ٢١٨، ٢٣١، ٢٤١، ٢٩١، ٣١٧، ٣٦٢، ٣٧١، ٣٧٩، ٣٨٣، ٤٠٢، ٤٣٣، ٤٦٤، ٤٦٨، ٤٧٦، ٤٧٨، ٤٨٦، ٥٥٦، ٥٧٢، ٤/ ١٤، ٢٦، ٤٣، ٥٤، ٥٥، ٨٦، ٩٩، ١٠١، ١٢٢، ١٢٦، ١٤٢، ١٥٢، ١٥٣، ١٦٧، ١٧٢، ١٨٢، ٢٢٤، ٢٣٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٥١، ٢٧٢، ٢٧٦، ٢٨٠، ٢٨٩، ٢٩٦، ٣٠٣، ٣٢١، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٣٧، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٤، ٣٥٤، ٣٥٦، ٣٦٩، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٥، ٣٩١، ٣٩٦، ٤٠٣، ٤١١، ٤١٤، ٤١٨، ٤٢١، ٤٣٣، ٤٤١، ٤٤٧، ٤٦٣، ٤٨٧، ٤٩٥، ٥٠٢، ٥٠٥، ٥٠٨، ٥٣٠، ٥٣٦،

٥/ ١٢، ١٦، ١٨، ٢٠، ٢٢، ٣٦، ٣٧، ٥٥، ٧٨، ٩٠، ١٠٢، ١٠٣، ١٦٠، ١٦٥، ١٩١، ١٩٣، ٢٠١، ٢١٤، ٢٥٤، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٦٤، ٢٦٩، ٢٨٣، ٣١٥، ٣٢٥، ٣٣٤، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٤٧، ٣٧٩، ٣٨١، ٤٠٧، ٤٣١، ٤٤٠، ٤٨٦، ٥٢٥، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٦، ٥٤١، ٥٥٠، ٥٥٣، ٥٥٩، ٥٦٥، ٦/ ٧، ١٤، ١٨، ٣٣، ١٤٠، ١٤٦، ١٥٦، ١٧٤، ٢٧٣، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٩٣، ٣٢٢، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٤٢، ٣٥٧، ٣٦٥، ٣٨٩، ٤٣٩، ٤٥٥، ٤٩٠، ٥٧٢، ٧/ ٤٧، ٥٠، ٦٩، ٨٣، ٩٥، ١٠٦، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٣١٠، ٣٢٠، ٣٣٢، ٣٤٠، ٣٨٣، ٣٩٠، ٤٥٥، ٤٥٦، ٧/ ٤٨٣، ٤٨٦، ٤٩٩، ٥٠٨، ٥١٠، ٨/ ٥١، ٦٣، ٨٧، ١٣٣، ١٥٣، ١٧١، ١٧٨، ١٨٦، ١٩٤، ١٩٥، ٢٢٠، ٢٦٦، ٣١٣، ٣٥٠، ٣٧٥، ٣٨١، ٣٨٤، ٤٠٨، ٤١١، ٤١٦، ٤٦٥، ٥١٩، ٥٤٣، ٩/ ١١، ٢١، ٢٥، ٦٥، ٨٤، ١٨٩، ٢٦٤، ٣٣٢، ٣٣٤، ٣٤٢، ٣٨٠، ٣٨٢، ٤١٦، ٤٣٧، ٤٩٦، ٥٠٠، ٥٢١، ٥٣٩، ٥٥٢، ٥٨٠، ٥٩٣، ٦٠٣، ٦٠٥، ٦١٧، ٦١٨، ١٠/ ٣٣، ٣٥، ٦٠، ٦٥، ٧١، ٨٣، ٩٦، ١٠٠، ١٠٤، ١٠٩، ١٣٣، ١٤٤، ١٥٢، ١٩٩، ٢٢١، ٢٣٩، ٢٦٧، ٢٧٦، ٢٧٨، ٢٩٠، ٢٩٢، ٣٠٢، ٣١٤، ٣١٩

عمار بن ياسر ٢/ ٩٨، ٣٦٠، ٣٦١، ٣/ ١٨١، ٢٣٦، ٣٠٥، ٣٩٤، ٥/ ٩٦، ١٥٢، ٦/ ٥٩٦، ٧/ ٩، ٨/ ٢٦، ١٥٥، ٩/ ٢٨١، ٤٠٤، ١٠/ ٣١٢

عمر بن الخطاب ١/ ٣٤، ٦٠، ٢١٧، ٢٤٤، ٢٧٠، ٢٨١، ٣٣٠، ٣٥٦، ٣٨١، ٣٩٣، ٤١٦، ٤٣٠، ٤٥٨، ٢/ ١٤٨، ١٨١، ٢١٣، ٣٤٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٤١٧، ٤٤٤، ٣/ ٢٢، ٣٩، ٨٢، ١٠٧، ١٤٣، ١٥٦، ٣٠٥، ٣٤٦، ٤٧٦، ٥٩٢، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٤/ ٣٥، ٨٨، ٩٧، ١٠٨، ١٠٩، ١٣٣، ١٣٦، ٣١٨، ٣٥٤، ٥١٩، ٥/ ٣٣، ٩٧، ١٠٠، ١٠١، ٢٠٢، ٢٢٥، ٢٨٧، ٤٥٦، ٦/ ١٧٨، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٧١، ٣٠٥، ٣١٩، ٣٥١، ٤٦٨، ٤٦٩، ٥٦٩، ٥٧٠، ٧/ ٨، ١٦، ١٦٣، ١٧٢، ٢١٤، ٢٣٦، ٢٤٣، ٣٣٠، ٣٤٥، ٤٨١، ٨/ ٤٩، ١٥٥، ٣٠١، ٣٠٩، ٣١٠، ٣٤٦، ٣٤٧، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٤١، ٤٤٦، ٤٤٩، ٩/ ١٠١، ١٤٤، ١٥٨، ٢٠١، ٢٥١، ٢٦٩، ٢٨٢، ٢٩٤، ٢٩٧، ٢٩٧، ٣٢٠، ٣٢٤، ٣٧٥، ١٠/ ٥٤، ١٩٣، ٢٥٣

عمر بن حبشي ١/ ٢٨٢

عمر بن عبد العزيز ٧/ ٣٤٠، ٨/ ٥٢٤، ٩/ ٤٣٥، ٥٠٧

عمران بن حصين ٢/ ٣٠٧، ٤/ ٨٢

عمرو بن الجموح الأنصاري ١/ ٣٧٣، ٣٨٣

عمرو بن العاص ٣/ ١٦٤، ١٦٦

عمرو بن أمية الضمري ٣/ ١٣٥

عمرو بن دينار ١/ ٢٤٩، ٢/ ٣٦٨، ٥/ ٢٧، ٧/ ٢٣٩

عمير بن أبي وقاص ٣/ ٥٢٥

عوف بن مالك الأشجعي ٩/ ٣٥٧

عياش بن أبي ربيعة ٢/ ٤٠٢، ٧/ ٩

عيينة بن حصين ٥/ ٣٣٣، ٨/ ٤٥٠

فاختة ٢/ ٢٩٩

فاطمة بنت رسول الله ٢/ ٩٣، ٢١٤، ٣/ ١٤٣، ٧/ ٢٠١، ٨/ ١٩٣، ٩/ ٦٠٠

الفراء
١/ ٤١، ٧٩، ١٠٧، ١٠٨، ١١٩، ١٢٣، ١٣٧، ١٧٤، ١٨٨، ٢١٢، ٢٢٦،
٢٢٩، ٢٣٤، ٢٥٢، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٤، ٣١٥، ٣٧٩، ٤٠٢، ٤١٨، ٤٢١،
٤٦٣، ٤٨٣، ٤٩٥، ٢/ ١٦، ٢٤، ٢٨، ٥٢، ٧٦، ٨٨، ٩٩، ١٠٣، ١٣١،
١٥٢، ١٥٤، ١٦٥، ١٨٩، ٢٠٥، ٢٠٧، ٢٢٦، ٢٣٦، ٢٩٨، ٣٢٠، ٣٥٨،
٣/ ١٢٥، ٢٥٣، ٢٦٩، ٢٩٤، ٣١٤، ٣٥٨، ٣٨٢، ٤١٩، ٤٧٢، ٥٧٢،
٥٨٩، ٤/ ١٨، ٥٤، ٢٠٩، ٢٢٥، ٢٦٦، ٢٧٤، ٢٧٨، ٣١٢، ٣١٦،
٤٦١، ٤٨١، ٥٠٠، ٥٣٦، ٥/ ٢٦، ٥٣، ٧٧، ١٣١، ١٥٠، ١٦٠، ٢٠٦،
٢١٣، ٢٢٢، ٢٣٢، ٢٣٩، ٢٤٣، ٢٨٠، ٣٠٩، ٣١٥، ٣٢٧، ٣٦٠، ٣٧٨،
٥٥٧، ٦/ ٣٣، ٧٤، ١٨٥، ٢٨٩، ٣٣٩، ٣٧١، ٤١٠، ٤٨٧، ٥٠٣، ٥٢٥،
٥٧٧، ٥٨٦، ٦٠٣،

٧/ ٢٤، ٢٥، ٦٠، ٦٢، ٨٨، ١١٣، ١٥٩، ١٧٧، ١٨٩، ٢١٩، ٢٣٤، ٢٤٧، ٣٠٢، ٣٦١، ٣٦٧، ٣٧٦، ٤٣٢، ٤٦٤، ٤٧٦، ٤٧٧، ٥٣١، ٨/ ٢٤، ٤٢، ٦٦، ٦٧، ١٢٦، ٢٠٠، ٢٦٠، ٣٣٦، ٣٧١، ٣٨٥، ٣٨٧، ٣٩٧، ٤٩٤، ٥٢٩، ٩/ ٢٢، ٤٢، ٨٧، ٩٣، ١٣٥، ١٣٧، ١٥٠، ٢٢٤، ٢٢٥، ٣١٠، ٣٩٤، ٤١٩، ٤٥٣، ٤٥٩، ٤٨٠، ٤٩٥، ٥١٤، ٥١٦، ٥٢٦، ٥٤٣، ٥٧٣، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٩٤، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦١١، ٦٢١، ١٠/ ٧، ٨، ٢٣، ٣٣، ٤٨، ٥٢، ٦٦، ٧٠، ٩٣، ٩٤، ١٠٠، ١٠١، ١١٢، ١٣١، ١٣٢، ١٤٢، ١٤٦، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٥، ١٦٦، ١٧١، ١٧٢، ١٧٦، ١٨١، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٦، ١٩١، ١٩٤، ٢٢٠، ٢٢٣، ٢٣٥، ٢٥٢، ٢٦١، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٩٠، ٣١٨، ٣١٩

الفرزدق ٩/ ٤٢٣

فرقد السبخي ٦/ ٤٨٨

الفضل بن العباس ١/ ٣٨٤، ٣/ ٦٠٠

قبيصة بن ذؤيب ١/ ٤٢٧

قتادة ١/ ٣٩، ٧٣، ٧٨، ٨٢، ٨٣، ١٢٨، ١٣٢، ١٤٥، ١٥٩، ١٦٩، ١٧١، ٢٠٢، ٢٠٤، ٢١١، ٢٣١، ٢٣٦، ٢٣٩، ٢٩٠، ٢٩٤، ٣٠١، ٣٠٤، ٣٠٦، ٣١٢، ٣٢٠، ٣٣١، ٣٤٠، ٣٤٢، ٣٧١، ٣٨٢، ٣٨٤، ٣٨٨، ٣٩٥، ٤٠٣، ٤١٦، ٤٣٣، ٤٤٣، ٤٤٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٦٠، ٤٦٢، ٤٦٥، ٤٧١، ٤٧٤، ٤٧٥، ٥١٤، ٢/ ١٠، ١٤، ٢٤، ٢٧، ٢٨، ٣١، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٥٢، ٦٣، ٦٧، ٦٩، ٧٩، ٩٤، ٩٦، ٩٩، ١٠١، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٨، ١١٨، ١٢٢، ١٢٣، ١٣٠، ١٣٩، ١٤٠، ١٤٦، ١٥٢، ١٦٤، ١٧١، ١٧٣، ١٨٥، ١٨٩، ٢٢٥، ٢٣٣، ٢٤١، ٢٦١، ٢٦٩، ٢٧١، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٣٢٥، ٣٣٠، ٣٥٣، ٣٩٢، ٣٩٧، ٤١٥، ٤١٨، ٤٢٤، ٤٣٦، ٤٤٨، ٤٥٠، ٤٥٥، ٣/ ١٥، ٤١، ٥٤، ٥٥، ٥٧، ٦٤، ٧٦، ١٢٠، ١٥٩، ٢٥٢، ٢٧٨، ٢٨١، ٣١٢، ٣٧٠، ٣٧٢، ٤١٩، ٤٢٨، ٥٠٤، ٥٢٠، ٥٩١،

٤/ ٣٢، ٨٥، ٨٩، ٩١، ١٠٠، ١٠٩، ١٤٢، ١٥١، ٢٠٨، ٢٥٥، ٣٠٣، ٣٤٠، ٣٤٧، ٣٥١، ٣٥٩، ٣٦٧، ٣٨٦، ٣٩٢، ٣٩٦، ٤٣٩، ٤٤٦، ٤٥٩، ٤٩٣، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٢٤، ٥٤٠، ٥/ ١٥، ١٦، ١٦، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٦٣، ٦٨، ٧٩، ٩٤، ١٠٢، ١٢٠، ١٢١، ١٣١، ١٤١، ١٥٠، ١٥٥، ١٦٣، ١٧١، ١٨٢، ١٩٠، ١٩١، ١٩٤، ١٩٥، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٨، ٢١١، ٢١٨، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٨، ٢٣٩، ٢٤٩، ٢٥٢، ٢٥٨، ٢٦٠، ٢٦٢، ٢٦٩، ٢٩١، ٢٩٨، ٣١٠، ٣١٣، ٣١٦، ٣٣٠، ٣٤٦، ٣٥٦، ٣٦٧، ٣٩٤، ٤٠٢، ٤١٠، ٤١٣، ٤١٨، ٤٣٣، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٥٧، ٤٦٣، ٤٧٨، ٥٠٣، ٥١٥، ٥٢٨، ٦/ ١٥، ٢٨، ٣٨، ٤٦، ٥٣، ٩٦، ١٣٢، ١٤٥، ١٧٧، ١٩٦، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٩٠، ٢٩٤، ٣١٤، ٣٢٠، ٣٢٥، ٣٤٥، ٣٥٨، ٣٨٥، ٤٥١، ٥٠٠، ٥٤٧، ٥٧١، ٧/ ٣٠، ٣٩، ٤٢، ١٠٠، ١٠٩، ٢٠٤، ٢٢٩، ٢٨١، ٤٠٢، ٤٥٠، ٤٥٧، ٤٦٦، ٤٨٥، ٥٢٤، ٥٢٧، ٨/ ١٨، ٣٠، ٣٤، ٥٢، ٧١، ٧٦، ١٩٣، ٢٦٠، ٢٨٠، ٢٨٧، ٣٠١، ٣٠٦، ٣١٣، ٣١٨، ٣٢٧، ٣٤٨، ٣٦٧، ٣٧١، ٣٧٤، ٣٨٥، ٥٢٢، ٥٤٤، ٩/ ٣٣، ٤٩، ١٠٩، ١٤٩، ١٧٨، ٢٠٣، ٢٢٣، ٢٥٧، ٢٦٢، ٢٩٠، ٣٤٩، ٣٥٣، ٣٥٨، ٣٧٥، ٣٩٦، ٤٠٩، ٤٢٦، ٤٤٧، ٤٥٣، ٤٨٩، ٤٩٣، ٥٠٠، ٥٢٢، ٥٢٤، ٥٤٢، ٥٧٤، ٥٨٢، ١٠/ ٧، ١١، ١٩، ٢٦، ٣٣، ٣٧، ٥٣، ٦٤، ٦٩، ٩١، ١٠١، ١١٢، ١٢٥، ١٣٥، ١٣٦، ١٤٢، ١٤٨، ١٥١، ١٦٥، ١٧١، ١٧٣، ١٨٣، ١٨٥، ٢٠١، ٢٠٤، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٤٣، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٥٢، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٧١، ٢٨٣، ٣٠١، ٣٠٤، ٣٠٨

القتبي ١/ [٣٧٢]، ٣٨٢، ٢/ ١٨، ٣٨٧، ٤/ ١٨٩، ٤٣٥

قثم بن العباس ٣/ ٦٠٠

قدامة بن مظعون ٢/ ٣٧٨

القرظي ١/ ٢٣٧، ٤/ ٣١٩، ٥/ ٩٩، ٥٠٤، ٨/ ٨٠

قس بن ساعدة ٥/ ١٦١

قطبة بن عامر الأنصاري ١/ ٣٣٧

قطرب ١/ ٤١، ٧٠، ١٧٤، ٢٣٤، ٢٧٥، ٢٨٣، ٢/ ٣٥٤، ٤٥٩، ٣/ ١٨٣، ٢٣١، ٤/ ٣٢، ١٢٩، ٢٠٥، ٣٧٨، ٥٣٦، ٥/ ١١١، ٢١٣، ٢٣٨، ٢٤٢، ٢٥٠، ٣١٥، ٣٣٦، ٣٣٨، ٥٢٤، ٧/ ٩٥، ١٩٦، ٤٢٧، ٨/ ٤٦٩، ٩/ ٥٣٦، ١٠/ ١٨٥

القعقاع بن معبد ٨/ ٤٤٦

القفال ١/ ٢٠٦، ٢١١، ٢١٣، ٢١٣، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٥٣، ٢٦٠، ٢٦٢، ٢٧٢، ٢٧٨، ٢٨٧، ٣٤٧، ٣٥٠، ٣٨١، ٤٣٩، ٤٤١، ٤٤٧، ٤٤٩، ٤٦١، ٤٦٧، ٤٧٤، ٤٧٨، ٤٨٢، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٧، ٥٢٢، ٦/ ٣٦٨، ٣٧٩، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٩، ٤١٨، ٥٠٢، ٥٠٤، ٥٥٧، ٥٦٣، ٧/ ٢٥، ١١٠، ١٢٩، ١٥٣، ١٧٢، ١٧٤، ١٨٠، ١٩٠، ٢١١، ٢١٥، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٦٨، ٢٨٠، ٢٨٧، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٦، ٨/ ٢١٩، ٢٢٢، ٢٣٢، ٢٤٣، ٢٤٩، ٢٥٧، ٢٦١، ٢٦٥، ٢٨٦، ٣٣٠، ٣٥٧، ٤١٦، ٤٢٤، ٤٢٨، ٤٣١، ٤٤٢، ٤٦٦، ٤٨٠، ٩/ ٣٠٦

قيس بن أبي قيس ٢/ ٢٩٩

قيس بن عاصم ٨/ ٤٥٠

كبشة بن معن الأنصارية ٢/ ٢٩٦، ٢٩٩

كثير عزة ١/ ٣٩٦

الكسائي ١/ ٨، ١٥، ١٣٧، ١٤٠، ٣٠٤، ٤٠٢، ٤١٨، ٢/ ١٠٣، ٣٩٢، ٣/ ٩٨، ١٢٥، ١٥٧، ٤٤٥، ٤/ ١٢٩، ١٣٥، ٢٨٩، ٥/ ٢٧٩، ٦/ ٩، ٤٥، ٤٩٢، ٥٦٣، ١٣٨، ٨/ ٣٧٩، ٣٨٠، ٥٤٤، ٩/ ٥١، ٨٧، ٣٤٨، ١٠/ ١٨، ١٠٧، ١٥٧، ٢٢٣، ٢٦٩

كعب الأحبار ٣/ ٢٤٤، ٤/ ٨٢، ٣٢٦، ٥٣٨، ٥/ ٣١٨، ٣٩٩، ٤٠٥، ٤١٨، ٤٥٦، ٤٩٥، ٥٢٩، ٦/ ٤٨٨، ٧/ ٣٣٠، ٤٤٢، ٨/ ٢٨٨، ٩/ ٤١١، ١٠/ ٢٠٠

كعب بن زهير ٦/ ٤٦٩

كعب بن عجرة ١/ ٣٤٥، ٧/ ٢٤٠

كعب بن مالك ٣/ ٥٦٦، ٤/ ٣٩٤، ٦/ ٤٦٩، ٧/ ٣٦٦، ٨/ ٤٥٩، ١٠/ ٨٦، ٣١٣

الكعبي ٩/ ٢٠٦

الكلبي = محمد بن السَّائب ١/ ٥٨، ٩٩، ١٢٥، ١٢٧، ١٣١، ١٥١، ١٧٠، ١٧٤، ١٩٠، ٢٢٨، ٢٣٩، ٢٩٦، ٣٠٢، ٣٢٧، ٣٣٨، ٣٩٤، ٤٦٥، ٤٨٩، ٥٠٣، ٢/ ٢٢، ٣٢، ٤٠، ٤٦، ٥٠، ٧٩، ١٠٠، ١٠٩، ١٢٥، ٢٢٢، ٣٠٨، ٣٣٠، ٣٥٠، ٣٥٢، ٣٦٣، ٣٧٠، ٣٧٤، ٣٧٨، ٤٠٠، ٤٠٧، ٤٣٩، ٤٤٩، ٤٧١، ٤٧٦، ٣/ ٣٩، ٧٧، ١٠٨، ١١١، ١٣٣، ٢٠٠، ٢٠٦، ٢٠٩، ٢٤٢، ٢٨٥، ٣١٧، ٣٧٩، ٤١٠، ٤٣٦، ٥٠٦، ٥٦٦، ٤/ ٢٥، ٢٩، ٨٨، ١٣١، ١٤٠، ١٥٧، ٢٢٦، ٢٣٤، ٢٤٣، ٢٥٠، ٢٨٨، ٤٨٣، ٤٩٦، ٥/ ١٦، ٢٧، ٦٧، ٦٧، ١٣٢، ٢٢٣، ٢٢٦، ٢٩٦، ٢٩٩، ٣٨٢، ٣٩٠، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٧١، ٤٧٨، ٤٧٩، ٥٠٣، ٥١١، ٥٢٢، ٥٤٠، ٥٦٠، ٦/ ١٦، ٤٩، ٩٩، ١٦١، ١٦٩، ١٨٢، ٢٨٩، ٣٠١، ٣٩٩، ٧/ ١٣٩، ٢١٤، ٢٤٤، ٢٦١، ٣٠٩، ٣١٢، ٤٦٣، ٤٦٨، ٨/ ٢٦، ٢٩، ٦٠، ٣٩٢، ٣٩٩، ٥١٣، ٩/ ٤٩، ٦١، ٧٢، ١٢١، ١٩٣، ٢٠٨، ٢٢٩، ٢٤٣، ٢٦٥، ٣٣٧، ٤٠٨، ٤١١، ٨/ ٤١٨، ٤٥٩، ٥٤٢، ٦٠٧، ١٠/ ١٠٣، ١١٢، ١٥٣، ١٧٥، ٢٧٥

الكميت ٧/ ٤٩٧

الليث بن المظفر ١/ ٢٢

مارية القبطية ٧/ ٢٢٣، ٩/ ٣٦٩، ٣٧٣

المازني ١/ ١٣، ٢/ ٤٧٩، ٤/ ٣١٦، ٥٤١، ٦/ ٩٠، ٤٩٤، ٨/ ٣٢٢، ٥٢٨

مالك بن الدخشم ٤/ ١١٦

مالك بن أنس ٣/ ٢٦، ٣١، ٣٢، ٨٢، ٣٢٩، ٤/ ٤٨١

مالك بن دينار ٧/ ١٤٩

ماهان الحنفي ٣/ [٢٣٩]

الماوردي ١/ ٩٩، ٣/ ٣٨٨، ٤٧٦، ٥٣٠، ٤/ ١٢، ٥٢، ٢٦١، ٢٧٢، ٢٨٦، ٣٠٠، ٤٩٥، ٥/ ١١، ١٤، ١٠٩، ١٢٢، ١٢٩، ٢٠٦، ٣٤٨، ٣٥٩، ٦/ ٣٣١، ٤٢٥، ٤٨٣، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥٣٥، ٥٤٨، ٥٦٣، ٧/ ١٧، ٢٦، ٧٠، ٨٢، ٩١، ١٢٣، ٤٣٩، ٨/ ٥٤، ١٣٠، ١٧٤، ٢٧٨، ٣٧٤، ٣٨٩، ٤٧٦، ٥٢٥، ٩/ ٧، ٣٦، ٨٣، ١٢١، ١٣٦، ١٦٥، ١٨٥، ١٩٨، ٢٧٧، ٣٠٣، ٥٢٦

المبرد ١/ ١٣، ١٤١، ٣٠٤، ٣٤٧، ٣٥٨، ٤١٨، ٤٣٧، ٤٦٤، ٢/ ٢٠، ٤٣، ٣/ ٢٠، ١٨٦، ٢٣٩، ٤/ ٢٨١، ٣٠٤، ٣٦٢، ٣٦٥، ٣٧١، ٤١٣، ٤٦٩، ٤٧٤، ٥٣٢، ٥٤٢، ٥/ ٣٨، ٤٢، ٤٣، ٧٢، ٨٤، ١٤٢، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٦، ٢١٦، ٢١٩، ٢٢٩، ٢٤٦، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٩٩، ٣٢٦، ٤٤٨، ٤٥٣، ٤٨٥، ٦/ ٦٢، ١٧١، ١٧٦، ٢٠٦، ٣٢٨، ٣٨١، ٤٥١، ٥٠٦، ٥٥٢، ٥٦١، ٥٧٣، ٥٧٧، ٧/ ١٠، ٩٥، ١١٧، ١٢١، ٢٢٣، ٢٤٥، ٣٧٦، ٤٧٧، ٨/ ١١٥، ١٤٥، ٣٢٨، ٣٧٦، ٣٧٩، ٣٨٧، ٤٣٣، ٤٣٦، ٩/ ٤٠، ٩٠، ١٢٥، ١٤٠، ٢٧٨، ٢٨٣، ٣١٦، ٣٣١، ٤١٧، ٤٤٩، ٤٥٤، ٤٨٢، ٥٥٢، ٥٧٣، ٥٧٦، ٦٠٣، ١٠/ ٢٧، ٣١، ٤٦، ٥٥، ٦٧، ٧١، ٨٩، ٩٤، ١١٣، ١٤١، ١٤٤، ١٥٢، ١٩٧، ٢٠١، ٢٠٣، ٢٠٦، ٢٤٠، ٢٥٧، ٢٦١

المتنبي ٤/ ٣٦٧، ٧/ ٧٦

مجاهد ١/ ٧، ٦١، ٦٦، ٧٠، ٩٨، ١٠٢، ١٢٨، ١٤٣، ١٤٥، ١٤٩، ١٦٣، ١٦٦، ٢١٤، ٢٣٢، ٢٣٦، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٩، ٢٦١، ٢٨٥، ٣٠١، ٣٠٤، ٣١٢، ٣١٦، ٣١٨، ٣٢٠، ٣٢٨، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٥٣، ٣٨٢، ٣٨٤، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٢، ٣٩٧، ٤٢٧، ٤٤٠، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦٢، ٤٧٤، ٤٨١، ٤٨٥، ٤٨٨، ٤٩٥، ٤٩٧، ٥٠٧، ٥٠٩، ٥١٤، ٥١٨، ٥٢١،

٢/ ٩، ١٠، ١٥، ١٧، ٢٧، ٢٨، ٤٣، ٥٤، ٦٩، ٧٥، ٧٧، ١٠٠، ١٠٤،
١١١، ١١٨، ١٢١، ١٢٧، ١٢٩، ١٣٠، ١٣٥، ١٤٩، ١٦٧، ١٧٢، ٢٢٥،
٢٣٥، ٢٣٧، ٢٤١، ٢٦٧، ٢٧٨، ٢٨٥، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٨، ٣٠٥، ٣٠٨،
٣١٤، ٣١٥، ٣١٩، ٣٢٥، ٣٢٥، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٥٤، ٣٦٢، ٣٦٨، ٣٩٢،
٣٩٤، ٣٩٦، ٤٠٢، ٤١٣، ٤١٧، ٤١٨، ٤٢٢، ٤٣٦، ٤٤٨، ٤٥١، ٤٥٩،
٣/ ٢١، ٢٨، ٢٩، ٣٥، ٣٩، ٤٨، ٥٦، ٥٧، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٨، ٩٦،
١٠٧، ١٤٨، ١٨١، ١٨١، ٢٦٠، ٣٢٠، ٣٧٥، ٣٧٦، ٤٤٣، ٤٨٥، ٤٩٥،
٥٢٨، ٥٩٠، ٤/ ٧٤، ٩١، ١١٢، ١٩٧، ٢٢٢، ٢٧٢، ٢٧٨، ٢٨٢، ٢٩٤،
٣٤٠، ٣٥٥، ٣٦٢، ٣٦٦، ٤٠٤، ٤٢٣، ٤٥٢، ٤٦٤، ٤٨٦، ٤٨٨، ٥٢٧،
٥/ ١٦، ٢٠، ٣٥، ٥٢، ٥٥، ٦٦، ٧٢، ٩٠، ٩٧، ١٠٣، ١١٨، ١٣٥، ١٤١،
١٤٢، ١٥٣، ١٦٠، ١٦٥، ١٧٣، ١٨٠، ١٩٢، ٢٠٠، ٢٠٤، ٢١١، ٢٢٣،
٢٣٨، ٢٤٥، ٢٥٢، ٢٥٤، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٦٣، ٢٧١، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩،
٣٠٠، ٣١١، ٣٢٦، ٣٣٩، ٣٤٣، ٣٥٦، ٣٦٠، ٣٦٧، ٣٧٣، ٣٧٩، ٤٢٠،
٤٢١، ٤٣٥، ٤٧٧، ٤٨٢، ٤٨٥، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٢٢، ٥/ ٥٢٤، ٥٤٣، ٦/
١٣، ١٥، ٣٢، ٤٦، ١٢٧، ١٣١، ١٣٣، ١٥١، ١٧٧، ٢٣٦، ٢٥٧، ٢٦٣،
٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٧، ٣١١، ٣١٤، ٣٢٠، ٣٣٨، ٣٦١، ٣٧١، ٤٣٤، ٤٤٥،
٤٦٦، ٤٦٧، ٥٥٩، ٥٩٦، ٦١٩، ٧/ ١٤، ٢٨، ٣٩، ١٠٧، ١١٣، ١٤٩،
٢٢٤، ٢٢٦، ٢٢٩، ٢٤١، ٢٦١، ٢٧٩، ٤١٣، ٤٤١، ٤٦٤، ٤٨٧، ٥١٣،
٥٢٤، ٨/ ٧١، ٢٠٥، ٢١١، ٢٣٦، ٢٤٥، ٢٥٥، ٢٧٢، ٢٩١، ٣٤٥،
٣٥٦، ٣٧١، ٤٠٤، ٤٣٣، ٤٤٦، ٥١٧، ٥٤٤، ٩/ ٤٠، ٥٠، ٥٢، ٦٠، ٧٢،
٨٣، ٨٦، ٨٧، ٩٥، ٩٧، ١٦١، ١٦٩، ٢٣٨، ٢٤٣، ٢٩٠، ٣٥٨، ٨/ ٤١٨،
٤٢٤، ٤٥٢، ٤٥٦، ٤٨٢، ٥٠٥، ٥٧٧، ٥٧٩، ٦٠١، ٦١٣، ١٠/ ٧، ١٩،
٣٧، ٥٩، ٦٩، ١٠١، ١٢٥، ١٢٧، ١٥٠، ١٧١، ١٧١، ١٧٢، ١٨٠، ٢٠٢،
٢٣٤، ٢٤٨، ٢٨١، ٢٩٨، ٣٠٢، ٣٠٧، ٣٠٩

محلم بن جثامة بن قيس ٢/ ٤٠٩

محمد بن إسحاق بن يسار	١/ ٢٠٥، ٤٧٢، ٢/ ٥٠، ٢١٤، ٣/ ٥٧، ١٦٠، ١٦١، ٥٦٣، ٥٦٧، ٤/ ٧١، ٥/ ٣٢٣، ٣٧٤، ٦/ ٤٩٠
محمد بن الحسن الشيباني	٣/ ٢٤، ٣٣
محمد ابن الحنفية	١/ ٣٩١، ٤٩١، ٣/ ٢١٦، ٤/ ٢٣٧، ٥/ ٢١٣، ٦/ ٢٦٥، ٧/ ٣٦٠، ٨/ ٢١٢
محمد بن الهيصم	٤/ [٢٣٧]، ٢٣٩، ٤١٨، ٥٢٦، ٥/ ٤٠٦، ٤٤٩، ٧/ ٢٦٤، ٢٧١، ٩/ ٣٠٦، ٤١٣، ٤٤٦
محمد بن جرير الطبري	١/ ٣١، ٧٣، ١٠٩، ١٢٨، ٢١١، ٢٩٩، ٣٦٥، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٩٤، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٣٨، ٤٤٠، ٤٥٣، ٤٧١، ٥٠٧، ٢/ ٣٦، ١٠، ٢١، ٣٢، ٣٥، ٤٩، ١٠٨، ١١٤، ١٢٤، ١٣٢، ١٤٣، ١٤٧، ١٥٢، ١٦١، ١٦٦، ١٧٢، ٢٧١، ٢٧٦، ٢٨٥، ٣٢٦، ٤٥٥، ٣/ ٦٥، ٩٨، ١١٨، ١٢٠، ١٥٣، ١٦٣، ١٨٣، ١٩٦، ٢١٢، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٩٩، ٣٢٥، ٥٢٨، ٥٩٠، ٥٩٤، ٤/ ٩٧، ١١١، ١٣٩، ١٥١، ١٥٥، ١٩٧، ٢٠٠، ٤٢٩، ٤٣٢، ٥١٢، ٥/ ١٦، ٣٩، ١٠٣، ١١٤، ١١٦، ١٢٤، ١٣٣، ١٣٨، ١٦٥، ١٨٠، ١٩٠، ١٩٩، ٢٠٢، ٢٢٤، ٢٣٢، ٢٣٨، ٢٤٠، ٢٤٤، ٢٥٤، ٢٦٥، ٢٧٣، ٢٧٨، ٣١٠، ٣٣٢، ٣٣٦، ٣٥٢، ٣٦٣، ٤١٣، ٤١٧، ٤٤١، ٤٥٠، ٥٢٣، ٦/ ١٨٣، ١٩٠، ٢٦٧، ٣١٤، ٣٢٢، ٥٦٣، ٦١٥، ٧/ ٥٠٨، ٥٢٥، ٨/ ٣٠، ٦٢، ١٩٨، ٤٩٠، ٩/ ١٩، ٥٤، ٢٣٦، ٣٤٢، ٤٠٧، ٦٠٧، ١٠/ ٣٠، ٥٧، ٧١، ١٠٩، ١٣٢، ١٨٠، ٢٢٠، ٢٦٢، ٢٨٣، ٣٠١
محمد بن جعفر بن الزبير	٢/ ٩، ١٥، ٥٠
محمد بن علي بن الحسين بن علي	٣/ ٦٧
محمد بن قيس	٤/ ٢٨١
محمد بن كعب القرظي	١/ ٦١، ٢/ ٢٠٤، ٣/ ١٢٣، ٤/ ٧٥، ١٢٢، ٢٠٤، ٥٣٧، ٥/ ١٩١، ٢٤٣، ٢٤٦، ٣٦٦، ٦/ ٣٨٣، ٤٨٦، ٢٨١، ٧/ ٤٤١

محمد بن مروان	٣/ ١٠٨، ٦/ ٣٦٠
مخشي بن حمير	٤/ ٧٧
مدلج بن عمرو	٦/ ٣٠٥
مرارة بن الربيع	٤/ ١٣٥
مرّة	١/ ٥١٩
مروان بن الحكم	٨/ ٣٤٤، ٤٠٣
المزني	٨/ ٣٨٩
مسروق	١/ ٣٩٧، ٢/ ٤٣٦، ٥/ ١٣٩
مسطح بن أثاثة	٦/ ٢٤٦، ٢٥٢، ٢٥٦
مسلم، صاحب الصحيح	٤/ ١٢٧، ٥/ ٢٦١، ٢٨٦، ٦/ ٢٤٩، ٩/ ٧٨، ٢٨١، ٥١٢، ١٠/ ١٨٧، ٢٠٥
المسور بن مخرمة	٢/ ١٦٦، ٨/ ٤٠٣
مصعب بن عمير	٢/ ١٩٤، ٢٣١، ٣/ ٥٤٨، ٩/ ٢٥١
مطعم بن ورقاء	٩/ ٦٠١
المطلب بن أبي وداعة	٣/ ١٦٦
معاذ بن جبل	١/ ٣٣٥، ٣٨١، ٢/ ٢٧، ٩٨، ١٤٨، ٣/ ٣٢٥، ٤/ ٣٣٠، ٥/ ١٦١، ١٦٢، ٦/ ١٧٨، ٣٨٤، ١٠/ ٢٦
معاذة	٧/ ٢٢٨
معاوية بن أبي سفيان	٤/ ٤٠، ٥/ ١٧٨، ٣٩٩، ٧/ ٢٠٨، ٨/ ١٧١، ٣٤٤، ١٠/ ٢٧٠
معاوية بن عمار	٣/ ٦٨
معاوية بن قرة	٩/ ٤١٢

معقل بن مقرن ٤/ ١٠٢

معقل بن يسار ١/ ٤١١، ٤/ ١٠٢

معمر بن راشد ٣/ ٢٧١، ٧/ ١٧٢

معن بن عدي ٤/ ١١٦

المغيرة بن شعبة ٣/ ٥٥٥

المفضل بن محمد ١/ [٧٢]، ٨٥، ٩٠، ٩١، ١٠٠، ١٠٣، ١٠٩، ١١٤، ١١٦، ١٢٣، ١٢٩، ١٣٣، ١٤١، ١٦٣، ١٦٧، ١٦٨، ١٩٠، ١٩١، ١٩٣، ٢٣٣، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٦٤، ٢٧٣، ٣٤٧، ٣٥٣، ٣٩٠، ٥٢١، ٢/ ٥٩، ٨٦، ١٠٨، ١٤٣، ١٨٤، ٢٠٧، ٢١٢، ٢٨٧، ٣٥٥، ٣/ ٥٨، ٣٨٢، ٥٢٢، ٥/ ٤٦، ١٢٩، ٣٣٥، ٣٣٩، ٤٤٠، ٣٨٣، ٥٦٠، ٨/ ٣٥٠، ٣٩٠، ١٠/ ٩، ٢٤، ١٧٦

مقاتل بن حيان ١/ ٣٣٣، ٢/ ١٠٠، ١٠٩، ١٢٦، ١٤٨، ١٥١، ١٥٥، ٢٢٢، ٢٤٤، ٣٢٣، ٣/ ٢١، ٢١٥، ٢٢٢، ٥٦٦، ٤/ ١٣١، ١٦٨، ١٨٢، ٢٤٨، ٣١٩، ٣٤٢، ٦/ ١٣٩، ٣٠٦، ٤٨٧، ٥٤٥، ٥٤٧، ٦١٧، ٧/ ١٣٩، ٢١٤، ٢٦١، ٣٦٦، ٤٢٨، ٤٣٧، ٥١٦، ٨/ ١٤، ١٥، ٢٦، ١٥١، ١٥٦، ١٦٩، ١٧٧، ١٩٥، ٢١٩، ٢٥٣، ٢٥٥، ٢٨٥، ٣٦٣، ٣٦٨، ٤١٨، ٤٦٣، ٤٦٦، ٤٨٣، ٥٤٢، ٩/ ٦٠، ٧٧، ٨٧، ١٦٦، ٢٠٨، ٢٤٢، ٢٤٥، ٢٩٧، ٣٧٢، ١٠/ ١٥، ٧٦، ٨١، ١١٤، ١٥٤، ١٥٣، ٢٠١، ١٠/ ٢٣٢، ٢٣١، ٢٧٥، ٣٠٤

مقاتل بن سليمان ١/ ٥٣، ٩٨، ١٤٤، ١٩٩، ٢٤٦، ٤٣٢، ٤٧٥، ٥/ ٤٠، ٥٣، ٧١، ١٢٨، ٢٢٤، ٢٤٤، ٢٩٦، ٣٧٠، ٣٧٦، ٤٠٧، ٤ ٢٢، ٤٤٩، ٤٦٩، ٤٧٨، ٤٨٠، ٥٢٢، ٥٢٨، ٨/ ١٠٨، ٩/ ٢٤٢

المقداد بن الأسود ٢/ ٣٧٨، ٤٠٨، ٣/ ٢٣٦، ٤/ ٥٣، ٦/ ٣٠٣، ٩/ ٢٨٢

مكحول ١/ ٤٩٦، ٢/ ٣٤٢، ٩/ ٤٥٢، ٥٢٣

مليكة ٢/ ٢٩٩

منظور بن زبان ٢/ ٢٩٩

مهجع مولى عمر بن الخطاب ٧/ ٨

المؤرج ٢/ ٣٣، ٣/ ٥٥، ٤/ ٥٢٦، ٥/ ٤٦، ١٣٣، ١٦١، ٢١٢، ٥٢٩، ٦/ ٦١٥، ٧/ ٩٠، ١٢٠، ١٢٢، ٢٠٠، ٤٨٤، ٩/ ٣٤١

ميمون بن مهران ٤/ ٥٢٩، ٥/ ٢٨٥، ٨/ ٣١٠

ميمونة أم المؤمنين ٧/ ٢٢٥، ٢٢٨

النابغة الذبياني ٢/ ١٥٦

نافع بن الأزرق ٦/ ٤٩١

نافع مولى ابن عمر ١/ ٩، ٥/ ٨٥، ٢٥٦، ٦/ ٥٥٣

نبهان التمار ٢/ ١٨٠

النجاشي ٣/ ١٣٥، ١٣٦، ١٦٤

النحاس ٤/ ٤٥٤، ٦/ ١١٤، ٧/ ٤٩٧، ٩/ ٤٠١، ٤١٤، ٤١٩، ١٠/ ٥٤

نصير بن يوسف ١٠/ [١٨]

النضر بن شميل ٩/ ٤٢٣

النعمان بن بشير ٥/ ٣٠٠

النعمان بن مقرن ٤/ ١٠٢

النقاش ٣/ ٣٦٤، ٤٤٨، ٤/ ٤٩٦، ٥/ ٥٥، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٨٢، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٨٣، ٦/ ٤٩، ٣١٦، ٤٠٦، ٤١٠، ٥٥٢، ٥٦٠، ٧/ ١٠٠، ١٥٤، ١٥٥، ١٧٢، ٢٨٥، ٢٨٩، ٢٩٦، ٨/ ٢٦، ٩٤، ١٣٩، ٢٢٣، ٢٦٥، ٢٦٩، ٢٩١، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٣، ٩/ ٢٣٦، ٢٣٨، ٢٦٦، ٣٠٦، ٣٥٠، ٣٦٢، ٣٦٦، ٤١٣، ٤٥٣، ٥٤٥

نوف البكالي ٥/ ٣٧٥، ٦/ ١٣٨، ٩/ ٤٦٤

نوفل بن الحارث ٣/ ٥٩٩
هارون الرشيد ٣/ ٣٨٠
هارون، صاحب أبي عمرو ٤/ ٣٤٣
هشام بن صبابة ٢/ ٤٠٧
هشام بن عروة ١/ ٤٠٥، ٧/ ٢٢٨، ٩/ ٣٧٠
هلال بن أمية ٤/ ١٣٥
هند بنت عتبة ٢/ ١٩٣
الواحدي = علي بن أحمد ١/ ٧، ٢/ ٣١، ١٦٣، ٢/ ٧، ٢٤٣، ٣/ ٣٧١، ٥/ ٣٦٠
واقد بن عبد الله ١/ ٣٧٥
الواقدي ١/ ٢٦٤، ٣/ ٣٨، ٦/ ١٣٨، ٩/ ٤١١
الوالبي ٣/ ٢٦٨، ٢٩٣
وحشي ٤/ ١١٦، ٦/ ٣٨٦، ٨/ ٤٩
وكيع ٥/ ١٧٣
الوليد بن عقبة ٨/ ٤٥٢
وهب بن منبه ١/ ١٢٨، ٤٣٣، ٤٣٧، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٤، ٤٦٥، ٢/ ٤٦٥، ٣/ ١٩٣، ٤٤٦، ٤/ ٢٤٤، ٢٥٣، ٢٩٦، ٣٦٧، ٣٩٩، ٥/ ٧٨، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣١٨، ٣٧١، ٣٨٢، ٣٨٦، ٣٨٩، ٣٩٥، ٣٩٨، ٤٤٩، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٤٦، ٦/ ٥٥٢، ٤٧، ٥٨، ٥٩، ٦٤، ٣٥٨، ٥٣٥، ٧/ ٢٨٤، ٣٥٠، ٣٦٦، ٣٦٨، ٩/ ٤٤٨، ١٠/ ٣٣
يحيى بن سلام ٧/ ٧، ٢١٣
يزيد القارئ ٥/ ٦٩

اليزيدي ٢/ ٢٢١

يعقوب بن إسحاق ٤/ ٥٢٣، ٥/ ١٩٣، ٥٨٤، ٧/ ٢٧٠، ٢٨٠، ٢٨٩، ٩/ ٣٠، ٢٠٩

يونس بن حبيب ٥/ ٤١٨

* * *

فهرس المصادر والمراجع

١ ـ الآراء الغريبة في تخريج بعض الألفاظ والتراكيب في القرآن الكريم في كتاب غرائب التفسير وعجائب التأويل للشيخ تاج القراء الكرماني، لعبد الرشيد هأمني، رسالة ماجستير، كلية اللغة العربية، القاهرة، ١٩٩٨م.

٢ ـ الأباطيل والمناكير، للجوزقاني، حققه: عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوائي، دار الصميعي، الرياض، ط٤، ٢٠٠٢م.

٣ ـ الإبانة عن أصول الديانة، لأبي الحسن الأشعري، حققه: الدكتورة فوقية حسين محمود، دار الأنصار، القاهرة، ط١، ١٣٩٧هـ.

٤ ـ الإبانة في اللغة، للعَوْتبي الصُّحاري، حققه: الدكتور عبد الكريم خليفة وغيره، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، ط١، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

٥ ـ الإبانة الكبرى، لابن بطة العكبري، حققه: رضا معطي وغيره، دار الراية، الرياض.

٦ ـ أبنية الأسماء والأفعال والمصادر، لابن القطَّاع الصقلي، حققه: الدكتور أحمد محمد عبد الدايم، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٩٩٩م.

٧ ـ الإتباع، لأبي علي القالي، حققه: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة.

٨ ـ الإتباع، لأبي الطيب اللغوي، حققه: عز الدين التنوخي، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٣٨٠هـ، ١٩٦١م.

٩ ـ إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، للبوصيري، حققه: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار الوطن، الرياض.

١٠ ـ اتفاق المباني وافتراق المعاني، لابن بنين الدقيقي، حققه: يحيى عبد الرؤوف جبر، دار عمار، الأردن، ط١، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

١١ ـ الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، حققه: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م.

١٢ ـ إثبات عذاب القبر وسؤال الملكين، للبيهقي، حققه: الدكتور شرف محمود القضاة، دار الفرقان، عمّان، ط٢، ١٤٠٥هـ.

١٣ ـ الآحاد والمثاني، لابن أبي عاصم، حققه: باسم الجوابرة، دار الراية، الرياض، ط١، ١٩٩١م.

١٤ ـ الأحاديث الطوال، للطبراني، حققه: حمدي عبد المجيد السلفي، وزارة الأوقاف العراقية.

١٥ ـ الأحاديث المختارة، للضياء المقدسي، حققه: عبد الملك بن دهيش، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ١٩٩٠م.

١٦ ـ أحكام القرآن للشافعي، جمعه: البيهقي، حققه: عبد الغني عبد الخالق، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.

١٧ ـ أحكام القرآن، لأبي بكر ابن العربي، حققه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.

١٨ ـ أحكام القرآن، للجصاص، حققه: عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ ١٩٩٤م.

١٩ ـ أخبار أبي القاسم الزجاجي، حققه: عبد الحسين المبارك، دار الرشيد، بغداد، ١٤٠١هـ ١٩٨٠م.

٢٠ ـ أخبار أصبهان، لأبي نعيم الأصبهاني، حققه: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.

٢١ ـ أخبار المدينة، لابن شبة، حققه: علي محمد دندل وياسين سعد الدين بيان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

٢٢ ـ أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، للأزرقي، حققه: رشدي الصالح ملحس، دار الأندلس، بيروت.

٢٣ ـ أخبار مكة، للفاكهي، حققه: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مطبعة النهضة الحديثة، ١٩٨٦م.

٢٤ ـ اختلاف الفقهاء، للمروزي، حققه: الدكتور محمد طاهر حكيم، أضواء السلف، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م

٢٥ ـ اختلاف المفسرين أسبابه وآثاره، للدكتور سعود بن عبد الله الفنيسان، دار إشبيليا، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.

٢٦ ـ أخلاق النبي وآدابه، لأبي الشيخ الأصبهاني، حققه: صالح بن محمد الونيان، دار المسلم، ط١، ١٩٩٨م.

٢٧ ـ الأخلاق والسير في مداواة النفوس، لابن حزم الأندلسي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٢، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

٢٨ ـ آداب الصحبة، لأبي عبد الرحمن السلمي، حققه: مجدي فتحي السيد، دار الصحابة للتراث، طنطا، مصر، ط١، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.

٢٩ ـ أدب الخواص، للوزير المغربي، حققه: حمد الجاسر، دار اليمامة، الرياض، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.

٣٠ ـ أدب الدنيا والدين، للماوردي، دار مكتبة الحياة، ١٩٨٦م.

٣١ ـ أدب الكاتب، لابن قتيبة الدينوري، حققه: الدكتور محمد الدالي، مؤسسة الرسالة.

٣٢ ـ أدب الكاتب، لأبي بكر الصولي، حققه: محمد بهجة الأثري، المطبعة السلفية بمصر، المكتبة العربية ببغداد، ١٣٤١هـ.

٣٣ ـ الأدب المفرد، للبخاري، حققه: محمد فؤاد عبد الباقي، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٧٥هـ.

٣٤ ـ ارتشاف الضرب من لسان العرب، لأبي حيان الأندلسي، حققه: رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.

٣٥ ـ إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، للقسطلاني، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط٧، ١٣٢٣هـ.

٣٦ ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبي السعود)، لأبي السعود العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣٧ ـ الأزمنة والأمكنة، لأبي علي المرزوقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.

٣٨ ـ الأزمنة وتلبية الجاهلية، لقطرب، حققه: الدكتور حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

٣٩ ـ أساس البلاغة، للزمخشري، حققه: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

٤٠ ـ أسباب النزول، للواحدي، حققه: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح، الدمام، ط٢، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.

٤١ ـ الاستذكار، لابن عبد البر، حققه: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.

٤٢ ـ الاستيعاب، لابن عبد البر، حققه: سالم محمد عطا ومحمد علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

٤٣ ـ أسد الغابة، لابن الأثير، حققه: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ ١٩٩٤م.

٤٤ ـ أسرار التكرار في القرآن، للكرماني، حققه: عبد القادر أحمد عطا، دار الفضيلة.

٤٥ ـ أسرار العربية، لأبي البركات الأنباري، دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط١، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.

٤٦ ـ الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، لمحمد بن محمد أبو شهبة، مكتبة السنة، القاهرة، ط٤، ١٤٠٨هـ.

٤٧ ـ إسفار الفصيح، لأبي سهل الهروي، حققه: أحمد بن سعيد بن محمد قشاش، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط١، ١٤٢٠هـ.

٤٨ ـ الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة، للخطيب البغدادي، حققه: الدكتور عز الدين علي السيد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.

٤٩ ـ الأسماء والصفات، للبيهقي، حققه: عبد الله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي، جدة، ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.

٥٠ ـ أسنى المطالب في شرح روض الطالب، لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري، دار الكتاب الإسلامي.

٥١ ـ الأشباه والنظائر، لتاج الدين السبكي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١١هـ ١٩٩١م.

٥٢ ـ الأشباه والنظائر، للسيوطي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١١هـ ١٩٩٠م.

٥٣ ـ الأشباه والنظائر على مذهب أبي حنيفة النعمان، لابن نجيم المصري، حققه: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.

٥٤ ـ اشتقاق أسماء الله، للزَّجَّاجي، حققه: الدكتور عبد الحسين المبارك، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

٥٥ ـ الإشراف على مذاهب العلماء، لابن المنذر النيسابوري، حققه: صغير أحمد الأنصاري، مكتبة مكة الثقافية، رأس الخيمة، الإمارات العربية المتحدة، ط١، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

٥٦ ـ أشعار النساء، للمرزباني، حققه: الدكتور سامي مكي العاني وهلال ناجي، دار عالم الكتب، ط١، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

٥٧ ـ الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، حققه: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.

٥٨ ـ الأصل، لمحمد بن الحسن الشيباني، حققه: الدكتور محمّد بوينوكالن، دار ابن حزم، بيروت، ١٤٣٣هـ ٢٠١٢م.

٥٩ ـ إصلاح المنطق، لابن السكيت، حققه: محمد مرعب، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

٦٠ ـ إصلاح غلط أبي عبيد في غريب الحديث، لابن قتيبة الدينوري، حققه: عبد الله الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

٦١ ـ الأصمعيات، للأصمعي، حققه: أحمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، مصر.

٦٢ ـ الأصول في النحو، لابن السراج، حققه: الدكتور عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٩٦م.

٦٣ ـ الأضداد، لأبي بكر الأنباري، حققه: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٧م.

٦٤ ـ اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة، لابن تيمية، حققه: أشرف بن عبد المقصود، أضواء السلف، الرياض، ط٢، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

٦٥ ـ الاعتقاد، للبيهقي، حققه: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب، ط١، ١٩٨٣م.

٦٦ ـ إعراب القرآن المنسوب للباقولي، حققه: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ودار الكتب اللبنانية، بيروت، ط٤، ١٤٢٠هـ.

٦٧ ـ إعراب القرآن، لأبي جعفر النَّحَّاس، حققه: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.

٦٨ ـ إعراب القرآن، لقوام السنة الأصبهاني، حققه: الدكتورة فائزة بنت عمر المؤيد، ط١، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.

٦٩ ـ إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، لابن خالويه، دار الكتب المصرية، ١٣٦٠هـ ١٩٤١م.

٧٠ ـ إعراب ما يشكل من ألفاظ الحديث النبوي، لأبي البقاء العكبري، حققه: الدكتور عبد الحميد هنداوي، مؤسسة المختار، القاهرة، ط١، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.

٧١ ـ الأعلام، للزركلي، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢م.

٧٢ ـ الإعلام بفوائد عمدة الأحكام، لسراج الدين ابن الملقن، حققه: عبد العزيز بن أحمد بن محمد المشيقح، دار العاصمة، السعودية، ط١، ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.

٧٣ ـ الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٦م.

٧٤ ـ الإغفال، لأبي علي الفارسي، حققه: عبد الله بن عمر الحاج ابراهيم، المجمع الثقافي ومركز جمعة الماجد، ٢٠٠٣م.

٧٥ ـ الأفعال، لابن القَطَّاع الصقلي، عالم الكتب، ط١، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

٧٦ ـ الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، للبطليوسي، حققه: مصطفى السقا والدكتور حامد عبد المجيد، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٦م.

٧٧ ـ الإقناع في القراءات السبع، لابن البَاذِش، دار الصحابة للتراث.

٧٨ ـ الإقناع في مسائل الإجماع، لابن القطان، حققه: حسن فوزي الصعيدي، الفاروق الحديثة، ط١، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م.

٧٩ ـ آكام المرجان في أحكام الجان، لبدر الدين الشبلي، حققه: إبراهيم محمد الجمل، مكتبة القرآن، مصر، القاهرة.

٨٠ ـ الإكليل، لابن الحائك الهمداني، طبعت بعض أجزائه في دور نشر مختلفة.

٨١ ـ إكمال الأعلام بتثليث الكلام، لابن مالك، حققه: سعد بن حمدان الغامدي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.

٨٢ ـ إكمال المعلم بفوائد مسلم، للقاضي عياض، حققه: الدكتور يحيى إسماعيل، دار الوفاء، مصر، ط١، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

٨٣ ـ الأم، للإمام الشافعي، حققه: رفعت فوزي عبد المطلب، دار الوفاء، مصر، ١٤٢٢هـ.

٨٤ ـ أمالي ابن الحاجب، حققه: الدكتور فخر صالح سليمان قدارة، دار عمار، الأردن، دار الجيل، بيروت، ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م.

٨٥ ـ أمالي ابن الشجري، حققه: الدكتور محمود الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة.

٨٦ ـ الأمالي الخميسية = ترتيب الأمالي الخميسية.

٨٧ ـ أمالي القالي، حققه: محمد عبد الجواد الأصمعي، دار الكتب المصرية، ط٢، ١٣٤٤هـ ١٩٢٦م.

٨٨ ـ أمالي المرتضى= غرر الفوائد ودرر القلائد.

٨٩ ـ أمالي الزجاجي، حققه: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت ط٢، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

٩٠ ـ أمالي اليزيدي، حققه: مطبعة جمعية دائرة المعارف، حيدر آباد الدكن، الهند، ط١، ١٣٩٧هـ ١٩٣٨م.

٩١ ـ أمثال الحديث المروية عن النبي ﷺ، للرامهرمزي، حققه: أحمد عبد الفتاح تمام، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ.

٩٢ ـ أمثال العرب، للمفضل الضبي، حققه: إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

٩٣ ـ الأمثال، لأبي عبيد القاسم بن سلام، حققه: عبد المجيد قطامش، ط١، دار المأمون للتراث، ١٩٨٠م.

٩٤ ـ الإملاء المختصر في شرح غريب السير، للخشني، حققه: بولس برونله، دار الكتب العلمية، بيروت.

٩٥ ـ الأموال، لابن زنجويه، حققه: شاكر ذيب فياض، مركز الملك فيصل للبحوث، السعودية، ط١، ١٩٨٦م.

٩٦ ـ الأموال، لأبي عبيد، حققه: محمد حامد الفقي، المطبعة التجارية، القاهرة، ١٣٥٣هـ.

٩٧ ـ الإنباء في تاريخ الخلفاء، لابن العمراني، حققه: قاسم السامرائي، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م.

٩٨ ـ إنباه الرواة، للقفطي، حققه: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية، ١٩٥٠م.

٩٩ ـ الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، ليحيى بن أبي الخير العمراني، حققه: سعود بن عبد العزيز الخلف، أضواء السلف، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.

١٠٠ ـ الانتصار لسيبويه على المبرد، لابن ولّاد، حققه: الدكتور زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.

١٠١ ـ الانتصار للقرآن، للباقلاني، حققه: الدكتور محمد عصام القضاة، دار الفتح، عمّان، ودار ابن حزم، بيروت، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

١٠٢ ـ الأنساب، للسمعاني، حققه: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، مجلس دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد، ١٣٨٢هـ، ١٩٦٢م.

١٠٣ ـ أنساب الأشراف، للبلاذري، حققه: سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.

١٠٤ ـ الأنساب المتفقة في الخط المتماثلة في النقط والضبط، لابن القيسراني، حققه: دي يونج، مطبعة بريل، ليدن، ١٢٨٢هـ، ١٨٦٥م.

١٠٥ ـ الإنصاف في مسائل الخلاف، لأبي البركات الأنباري، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.

١٠٦ ـ الأهوال، لابن أبي الدنيا، حققه: مجدي فتحي السيد، مكتبة آل ياسر، مصر، ١٤١٣هـ.

١٠٧ ـ الأوائل، للطبراني، حققه: محمد شكور بن محمود الحاجي أمرير، مؤسسة الرسالة، دار الفرقان، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ.

١٠٨ ـ إيجاز البيان عن معاني القرآن، لنجم الدين النيسابوري، حققه: الدكتور حنيف بن حسن القاسمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

١٠٩ ـ أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، لأبي بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط٥، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.

١١٠ ـ الإيضاح العضدي، لأبي علي الفارسي، حققه: الدكتور حسن شاذلي فرهود، ط١، ١٣٨٩هـ، ١٩٦٩م.

١١١ ـ إيضاح الوقف والابتداء، لابن الأنباري، حققه: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٧١م.

١١٢ ـ إيضاح شواهد الإيضاح، لأبي علي القيسي، حققه: الدكتور محمد بن حمود الدعجاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٧م.

١١٣ ـ الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القزويني، حققه: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ط٣.

١١٤ ـ البارع في اللغة، لأبي علي القالي، حققه: هشام الطعان، مكتبة النهضة، بغداد، ودار الحضارة العربية، بيروت، ١٩٧٥م.

١١٥ ـ باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن، لأبي القاسم النيسابوري الشهير ببيان الحق، حققه: سعاد بنت صالح بن سعيد بابقي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.

١١٦ ـ البحر الزخار (مسند البزار)، للبزار، حققه: محفوظ الرحمن زين الله، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، ومكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٤٠٩هـ.

١١٧ ـ بحر العلوم (تفسير أبي الليث السمرقندي)، حققه: الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد الموجود والدكتور زكريا عبد المجيد النوتي، دار الكتب العلمية، ١٩٩٣م.

١١٨ ـ بحر الفوائد (المشهور بمعاني الأخبار)، لأبي بكر الكلاباذي، حققه: محمد حسن محمد حسن إسماعيل وأحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

١١٩ ـ البحر المحيط في أصول الفقه، للزركشي، دار الكتبي، ط١، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.

١٢٠ ـ البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، حققه: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.

١٢١ ـ البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لابن عجيبة، حققه: أحمد عبد الله القرشي رسلان والدكتور حسن عباس زكي، القاهرة، ١٤١٩هـ.

١٢٢ ـ بحوث في أصول التفسير ومناهجه، للدكتور فهد الرومي، مكتبه التوبة، ط٤، ١٤٩١هـ.

١٢٣ ـ البخلاء، للجاحظ، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط٢، ١٤١٩هـ.

١٢٤ ـ البدء والتاريخ، للمطهر بن طاهر المقدسي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.

١٢٥ ـ بداية المجتهد ونهاية المقتصد، لابن رشد الحفيد، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

١٢٦ ـ البداية والنهاية، لابن كثير، حققه: الدكتور عبد الله التركي، دار هجر، ١٩٩٧م.

١٢٧ ـ بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، للكاساني، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

١٢٨ ـ بدائع الفوائد، لابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

١٢٩ ـ البدر المنير، لابن الملقن، حققه: مصطفى أبو الغيط وغيره، دار الهجرة، الرياض، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

١٣٠ ـ البديع في البديع، لابن المعتز، دار الجيل، ١٤١٩هـ، ١٩٩٠م.

١٣١ ـ البديع لابن الأثير، حققه: الدكتور فتحي أحمد علي الدين، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٠هـ.

١٣٢ ـ البرصان والعرجان والعميان والحولان، للجاحظ، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ.

١٣٣ ـ البرهان في علوم القرآن، للزركشي، حققه: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٣٧٦هـ، ١٩٥٧م.

١٣٤ ـ البرهان في متشابه القرآن، لتاج القراء الكرماني = أسرار التكرار في القرآن.

١٣٥ ـ بصائر ذوي التمييز، للفيروزابادي، حققه: محمد علي النجار، وزارة الأوقاف، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ط٣، ١٤١٦هـ.

١٣٦ ـ البصائر والذخائر، لأبي حيان التوحيدي، حققه: وداد القاضي، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٨٨م.

١٣٧ ـ البعث والنشور، للبيهقي، حققه: أبو عاصم الشوامي، دار الحجاز، الرياض، ١٤٣٦هـ.

١٣٨ ـ البغال، للجاحظ، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط٢، ١٤١٨هـ.

١٣٩ ـ بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، للهيثمي، حققه: حسين أحمد صالح الباكري، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية، المدينة، ط١، ١٩٩٢م.

١٤٠ ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي، حققه: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان، صيدا.

١٤١ ـ بلاغات النساء، لابن طيفور، حققه: أحمد الألفي، مطبعة مدرسة والدة عباس الأول، القاهرة، ١٣٢٦هـ، ١٩٠٨م.

١٤٢ ـ البلدان، لابن الفقيه، حققه: يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.

١٤٣ ـ البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، للفيروزابادي، دار سعد الدين، ط١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

١٤٤ ـ بهجة المجالس وأنس المجالس، لابن عبد البر، حققه: محمد مرسي الخولي، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٤٥ ـ بيان الوهم والإيهام، لابن القطان، حققه: الدكتور الحسين سعيد، دار طيبة، الرياض، ١٩٩٧م.

١٤٦ ـ البيان في عدّ آي القرآن، لأبي عمرو الداني، حققه: غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث، الكويت، ط١، ١٩٩٤م.

١٤٧ ـ البيان والتبيين، للجاحظ، حققه: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بمصر، ومكتبة المثنى ببغداد، ١٩٦٠م.

١٤٨ ـ تاج العروس، للزّبيدي، طبعة وزارة الإرشاد (الكويت)، وطبعة دار مكتبة الحياة (بيروت).

١٤٩ ـ تاريخ ابن خلدون = ديوان المبتدأ والخبر.

١٥٠ ـ تاريخ ابن يونس المصري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.

١٥١ ـ تاريخ الأدب العربي، لبروكلمان، النسخة الألمانية، والنسخة العربية، ترجمة: عبد الحليم النجار، دار المعارف، ط٤.

١٥٢ ـ تاريخ إربل، لابن المستوفي، حققه: سامي بن سيد خماس الصقار، وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد، العراق، ١٩٨٠م.

١٥٣ ـ تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، للدكتور حسن إبراهيم حسن، دار الجيل، بيروت، ومكتبة النهضة المصرية، مصر، ط١٥، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

١٥٤ ـ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، للذهبي، حققه: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٩م.

١٥٥ ـ تاريخ أصبهان = أخبار أصبهان.

١٥٦ ـ تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، حققه: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م.

١٥٧ ـ تاريخ بيهق، لظهير الدين البيهقي، حققه: أحمد بهمنيار، ترجمه عن الفارسية: يوسف الهادي، دار اقرأ، دمشق، ط١، ١٤٢٥هـ.

١٥٨ ـ تاريخ جرجان، للسهمي، حققه: المعلمي اليماني، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠١هـ.

١٥٩ ـ تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، لحسين بن محمَّد الدِّيار بَكْري، دار صادر، بيروت.

١٦٠ ـ تاريخ دمشق، لابن عساكر، حققه: عمرة العمروي، دار الفكر، ١٩٩٥م.

١٦١ ـ تاريخ الطبري، دار التراث، بيروت، ط٢، ١٣٨٧هـ.

١٦٢ ـ تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم، لأبي المحاسن المفضل بن محمد التنوخي المعري، حققه: الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، دار هجر، القاهرة، ط٢، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

١٦٣ ـ التاريخ الكبير، للبخاري، دار المعارف العثمانية، الهند، ١٣٨٠هـ.

١٦٤ ـ تاريخ المدينة لابن شبة = أخبار المدينة.

١٦٥ ـ تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف، لابن الضياء، حققه: علاء إبراهيم وأيمن نصر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م.

١٦٦ ـ تالي تلخيص المتشابه، للخطيب البغدادي، حققه: مشهور بن حسن آل سلمان وأحمد الشقيرات، دار الصميعي، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ.

١٦٧ ـ تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة، حققه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١٦٨ ـ تأويلات أهل السنة، للماتريدي، حققه: الدكتور مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

١٦٩ ـ التبصرة، لأبي الحسن اللخمي، حققه: الدكتور أحمد عبد الكريم نجيب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط١، ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م.

١٧٠ ـ تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، لابن حجر العسقلاني، حققه: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان.

١٧١ ـ التبيان في إعراب القرآن، لأبي البقاء العكبري، حققه: علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه.

١٧٢ ـ تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، لفخر الدين الزيلعي، المطبعة الكبرى الأميرية بولاق، القاهرة، ط١، ١٣١٣هـ.

١٧٣ ـ تثقيف اللسان وتلقيح الجنان، للصقلي، حققه: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.

١٧٤ ـ تجريد أسماء الصحابة، للذهبي، حققه: صالحة شرف الدين، مطبعة شرف الدين الكتبي، الكويت، ١٩٧٠م.

١٧٥ ـ التجريد، للقدوري، حققه: الدكتور محمد أحمد سراج والدكتور علي جمعة محمد، دار السلام، القاهرة، ط٢، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.

١٧٦ ـ التحبير لعلم التفسير، للسيوطي، دار اللباب، إسطنبول.

١٧٧ ـ التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، دار سحنون، تونس.

١٧٨ ـ تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، للمزي، حققه: عبد الصمد شرف الدين، المكتب الإسلامي، والدار القيّمة، ط٢، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

١٧٩ ـ تحفة المودود بأحكام المولود، لابن قيم الجوزية، حققه: عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان، دمشق، ط١، ١٣٩١هـ، ١٩٧١م.

١٨٠ ـ تحقيق الفوائد الغياثية، لمحمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين الكرماني، تحقيق ودراسة: الدكتور علي بن دخيل الله بن عجيان العوفي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٤هـ.

١٨١ ـ تخريج أحاديث الإحياء (المغني عن حمل الأسفار)، للحافظ العراقي، حققه: أشرف عبد المقصود، مكتبة طبرية، الرياض ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م، وطبعة دار ابن حزم، بيروت، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

١٨٢ ـ تخريج أحاديث الكشاف، لجمال الدين الزيلعي، حققه: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، دار ابن خزيمة، الرياض، ط١، ١٤١٤هـ.

١٨٣ ـ تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، للسيوطي، حققه: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار طيبة.

١٨٤ ـ التدوين في أخبار قزوين، للرافعي، حققه: عزيز الله العطاردي، دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م.

١٨٥ ـ التذكرة الحمدونية، لابن حمدون، حققه: الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

١٨٦ ـ التذييل والتكميل في شرح التسهيل، لأبي حيان الأندلسي، حققه: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق.

١٨٧ ـ ترتيب الأمالي الخميسية للشجري، رتبها: القاضي محيي الدين القرشي العبشمي، حققه: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.

١٨٨ ـ التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي الغرناطي، حققه: الدكتور عبد الله الخالدي، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ.

١٨٩ ـ التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسماؤه وتصرفت معانيه، ليحيى بن سلام ابن أبي ثعلبة، حققه: هند شلبي، الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٧٩م.

١٩٠ ـ تصحيح التصحيف وتحرير التحريف، للصفدي، حققه: السيد الشرقاوي، راجعه: الدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

١٩١ ـ تصحيح الفصيح، لابن درستويه، حققه: محمد بدوي المختون، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٨م.

١٩٢ ـ التعازي والمراثي، للمبرد، حققه: إبراهيم محمد حسن الجمل، دار نهضة مصر.

١٩٣ ـ تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة، لابن حجر العسقلاني، حققه: الدكتور إكرام الله إمداد الحق، دار البشائر، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

١٩٤ ـ التعريف والإعلام، للسهيلي، حققه: الأستاذ عبد مهنا، دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م.

١٩٥ ـ تعظيم قدر الصلاة، لأبي عبد الله المروزي، حققه: الدكتور عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٦هـ.

١٩٦ ـ تعليق من أمالي ابن دريد، حققه: السيد مصطفى السنوسي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط١، ١٤٠١هـ ١٩٨٤م.

١٩٧ ـ التعليقة على كتاب سيبويه، لأبي علي الفارسي، حققه: الدكتور عوض بن حمد القوزي، ط١، ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.

١٩٨ ـ تغليق التعليق، لابن حجر العسقلاني، المكتب الإسلامي، دار عمار، بيروت وعمان، ط١، ١٤٠٥هـ.

١٩٩ ـ تفسير ابن أبي حاتم، حققه: أسعد الطيب، مكتبة نزار الباز، مكة والرياض، ١٩٩٩م.

٢٠٠ ـ تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل.

٢٠١ ـ تفسير ابن المنذر، حققه: سعد بن محمد السعد، دار المآثر، المدينة النبوية، ١٤٢٣هـ.

٢٠٢ ـ تفسير ابن فورك، حققه: مجموعة من الباحثين (رسائل جامعية)، جامعة أم القرى، السعودية، ط١، ٢٠٠٩م.

٢٠٣ ـ تفسير ابن كثير، حققه: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط٢، ١٩٩٩م.

٢٠٤ ـ تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم.

٢٠٥ ـ تفسير أبي الليث السمرقندي = بحر العلوم.

٢٠٦ ـ تفسير أسماء الله الحسنى، للزجاج، حققه: أحمد يوسف الدقاق، دار المأمون للتراث، دمشق وبيروت، ط٢، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

٢٠٧ ـ التفسير البسيط، للواحدي، حققه: مجموعة من الباحثين (رسائل جامعية)، عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٠هـ.

٢٠٨ ـ تفسير البيضاوي، حققه: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي.

٢٠٩ ـ تفسير الثعلبي، حققه: مجموعة من الباحثين (رسائل جامعية)، دار التفسير، جدة، ٢٠١٥م.

٢١٠ ـ التفسير الكبير، للفخر الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.

٢١١ ـ تفسير الراغب الأصفهاني (من أوله إلى نهاية البقرة)، حققه: الدكتور محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب، جامعة طنطا، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.

٢١٢ ـ تفسير الراغب الأصفهاني (من أول آل عمران إلى الآية ١١٣ من النساء)، حققه: الدكتور عادل بن علي الشِّدِي، دار الوطن، الرياض، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.

٢١٣ ـ تفسير الراغب الأصفهاني (من الآية ١١٤ من النساء إلى آخر المائدة)، حققه: الدكتورة هند بنت محمد بن زاهد سردار، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

٢١٤ ـ تفسير السمعاني، حققه: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، ١٩٩٧م.

٢١٥ ـ تفسير الإمام الشافعي، حققه: أحمد بن مصطفى الفرَّان (رسالة دكتوراه)، دار التدمرية، ط١، ١٤٢٧، ٢٠٠٦م.

٢١٦ ـ تفسير الطبري، حققه: الدكتور عبد الله التركي، دار هجر، مصر، ٢٠٠١م.

٢١٧ ـ تفسير القرآن العزيز، لابن أبي زمنين، حققه: أبو عبد الله حسين بن عكاشة ومحمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة، القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

٢١٨ ـ تفسير القرآن الكريم، لابن قيم الجوزية، حققه: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ.

٢١٩ ـ تفسير القرآن من الجامع لابن وهب، حققه: ميكلوش موراني، دار الغرب الإسلامي، ط١، ٢٠٠٣م.

٢٢٠ ـ تفسير القرطبي، حققه: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٤م.

٢٢١ ـ تفسير القشيري = لطائف الإشارات.

٢٢٢ ـ تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

٢٢٣ ـ تفسير عبد الرزاق الصنعاني، حققه: الدكتور محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ.

٢٢٤ ـ تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة.

٢٢٥ ـ تفسير الماوردي = النكت والعيون.

٢٢٦ ـ تفسير مجاهد بن جبر، حققه: محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة، القاهرة، ١٤١٠هـ.

٢٢٧ ـ تفسير مقاتل بن سليمان، حققه: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٣هـ.

٢٢٨ ـ التفسير النبوي مقدمة تأصيلية مع دراسة حديثية لأحاديث التفسير النبوي الصَّريح، للدكتور خالد بن عبد العزيز الباتلي، دار كنوز، الرياض، ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م.

٢٢٩ ـ التفسير والمفسرون، للدكتور محمد السيد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة.

٢٣٠ ـ تفسير يحيى بن سلام (التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسماؤه وتصرفت معانيه)، حققه: هند شلبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.

٢٣١ ـ التقرير والتحبير، لابن الموقت، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

٢٣٢ ـ التقفية في اللغة، للبندنيجي، حققه: خليل إبراهيم العطية، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٦م.

٢٣٣ ـ التقييد الكبير في تفسير كتاب الله المجيد، لأبي العباس البسيلي التونسي، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.

٢٣٤ ـ تكملة المعاجم العربية، لرينهارت بيتر آن دُوزِي، نقله إلى العربية: محمد سليم النعيمي وجمال الخياط، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، ط١، من ١٩٧٩هـ، إلى ٢٠٠٠م.

٢٣٥ ـ التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية، للصغاني، حققه: مجموعة من المحققين، دار الكتب، القاهرة.

٢٣٦ ـ التلخيص الحبير، لابن حجر، المدينة المنورة، ١٣٨٤هـ.

٢٣٧ ـ تلخيص المتشابه، للخطيب البغدادي، حققه: سكينة الشهابي، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط١، ١٩٨٥م.

٢٣٨ ـ التلخيص في معرفة أسماء الأشياء، لأبي هلال العسكري، حققه: عزة حسن، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط٢، ١٩٩٦م.

٢٣٩ ـ التمثيل والمحاضرة، للثعالبي، حققه: عبد الفتاح الحلو، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٣م.

٢٤٠ ـ التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر، وزارة الأوقاف المغربية، ١٩٦٧م.

٢٤١ ـ تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين، لأبي الليث السمرقندي، حققه: يوسف علي بديوي، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط٣، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

٢٤٢ ـ التنبيه والإشراف، للمسعودي، صححه: عبد الله إسماعيل الصاوي، دار الصاوي، القاهرة.

٢٤٣ ـ تنزيه الشريعة المرفوعة، لابن عراق الكناني، حققه: عبد الوهاب عبد اللطيف وعبد الله محمد الصديق، دار الكتب العلمية، ١٩٧٩م.

٢٤٤ ـ تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزابادي، دار الكتب العلمية، لبنان.

٢٤٥ ـ تهذيب الآثار، للطبري، حققه: محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ١٣٧٥هـ.

٢٤٦ ـ تهذيب الأسماء واللغات، للنووي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٤٧ ـ تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط١، ١٣٢٦هـ.

٢٤٨ ـ تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للمزي، حققه: الدكتور بشار عواد، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥م.

٢٤٩ ـ تهذيب اللغة، للأزهري، حققه: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م.

٢٥٠ ـ التوحيد، لأبي منصور الماتريدي، حققه: الدكتور فتح الله خليف، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية.

٢٥١ ـ توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، للحسن بن قاسم المرادي، حققه: عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، ط١، ١٤٢٨هـ ٢٠٠٨م.

٢٥٢ ـ تيسير التحرير، لأمير بادشاه، مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٥١هـ ١٩٣٢م.

٢٥٣ ـ التيسير في التفسير، لأبي حفص النسفي، حققه: ماهر أديب حبوش، دار اللباب، إسطنبول، ٢٠١٩م.

٢٥٤ ـ التيسير في القراءات السبع، لأبي عمرو الداني، حققه: أوتو تريزل، دار الكتاب العربي، ط٢، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.

٢٥٥ ـ الثقات، لابن حبان، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، الهند، ط١، ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م.

٢٥٦ ـ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، لأبي منصور الثعالبي، دار المعارف، القاهرة.

٢٥٧ ـ الثمر الداني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، صالح بن عبد السميع الآبي الأزهري، المكتبة الثقافية، بيروت.

٢٥٨ ـ جامع الأصول في أحاديث الرسول، لمجد الدين ابن الأثير، حققه: عبد القادر الأرناؤوط وبشير عيون، مكتبة الحلواني ومطبعة الملاح ومكتبة دار البيان، ط١.

٢٥٩ ـ جامع البيان في القراءات السبع، للداني، جامعة الشارقة، ط١، ٢٠٠٧م.

٢٦٠ ـ جامع الدروس العربية، لمصطفى بن محمد سليم الغلاييني، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط٢٨، ١٤١٤هـ ١٩٩٣م.

٢٦١ ـ جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي، حققه: شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، ١٩٩١م.

٢٦٢ ـ جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر، حققه: أبو الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، السعودية، ١٩٩٨م.

٢٦٣ ـ الجامع في العلل ومعرفة الرجال لأحمد بن حنبل (رواية المروزي وغيره)، حققه: الدكتور وصي الله بن محمد عباس، الدار السلفية، بومباي، الهند، ط١، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

٢٦٤ ـ الجامع لمسائل المدونة، لأبي بكر الصقلي، حققه: مجموعة من الباحثين في رسائل جامعية، دار الفكر، ط١، ١٤٣٤هـ ٢٠١٣م.

٢٦٥ ـ الجراثيم، ينسب لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، حققه: محمد جاسم الحميدي، وزارة الثقافة، دمشق.

٢٦٦ ـ الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٩٥٣م.

٢٦٧ ـ جزء فيه قراءات النبي ﷺ، لأبي عمر الدُّوري القارئ، حققه: حكمت بشير ياسين، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

٢٦٨ ـ الجليس الصالح الكافي، للمعافى بن زكريا، حققه: عبد الكريم سامي الجندي، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٥م.

٢٦٩ ـ الجمل في النحو، يُنسب للخليل بن أحمد الفراهيدي، حققه: الدكتور فخر الدين قباوة، ط٥، ١٤١٦هـ ١٩٩٥م.

٢٧٠ ـ جمهرة أشعار العرب، لأبي زيد القرشي، حققه: علي محمد البجادي، نهضة مصر.

٢٧١ ـ جمهرة اللغة، لابن دريد، حققه: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، ط١، ١٩٨٧م.

٢٧٢ ـ الجنى الداني في حروف المعاني، للمرادي، حققه: الدكتور فخر الدين قباوة والأستاذ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.

٢٧٣ ـ جهود علماء المسلمين في نقد الكتاب المقدس من القرن الثامن الهجري إلى العصر الحاضر، رسالة دكتوراة محفوظة بمكتبة كلية أصول الدين، جامعة الأزهر، فرع المنصورة.

٢٧٤ ـ الجوهر النقي على سنن البيهقي، لابن التركماني، دار الفكر.

٢٧٥ ـ جياد المسلسلات، للسيوطي، حققه: الشيخ محمد عوامة، دار البشائر الإسلامية، ط١، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

٢٧٦ ـ الجيم، لأبي عمرو إسحاق بن مرار الشيباني، حققه: إبراهيم الأبياري، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٣٩٤هـ، ١٩٧٤م.

٢٧٧ ـ حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، لابن قيم الجوزية، مطبعة المدني، القاهرة.

٢٧٨ ـ حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي = نواهد الأبكار وشوارد الأفكار.

٢٧٩ ـ حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، للشهاب الخفاجي، دار صادر، بيروت.

٢٨٠ ـ حاشية الطيبي على الكشاف = فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب.

٢٨١ ـ الحاوي الكبير، للماوردي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٤م.

٢٨٢ ـ حجة القراءات، لابن زنجلة، حققه: سعيد الأفغاني، دار الرسالة.

٢٨٣ ـ الحجة على أهل المدينة، لمحمد بن الحسن الشيباني، حققه: مهدي حسن الكيلاني القادري، عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ.

٢٨٤ ـ الحجة في القراءات السبع، لابن خالويه، حققه: الدكتور عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، بيروت، ١٤٠١هـ.

٢٨٥ ـ الحجة للقراء السبعة، لأبي علي الفارسي، حققه: بدر الدين قهوجي وبشير جويجاتي، دار المأمون للتراث، دمشق وبيروت، ط٢، ١٤١٣ هـ، ١٩٩٣م.

٢٨٦ ـ الحلل في شرح أبيات الجمل، لأبي محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي.

٢٨٧ ـ حلية الأولياء، لأبي نعيم الأصفهاني، دار الكتب العلمية (مصورة)، ١٤٠٩هـ.

٢٨٨ ـ حلية المحاضرة، لمحمد بن الحسن بن المظفر الحاتمي.

٢٨٩ ـ الحماسة البصرية، لأبي الحسن البصري، عالم الكتب، بيروت.

٢٩٠ ـ الحماسة المغربية، لأبي العباس الجراوي، حققه: محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩١هـ.

٢٩١ ـ الحماسة بشرح المرزوقي = شرح ديوان الحماسة.

٢٩٢ ـ حياة الحيوان الكبرى، للدميري، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٢٤هـ.

٢٩٣ ـ الحيوان، للجاحظ، حققه: عبد السلام هارون، المجمع العلمي العربي الإسلامي.

٢٩٤ ـ خزانة الأدب وغاية الأرب، لابن حجة الحموي، حققه: عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال بيروت، ودار البحار بيروت، ٢٠٠٤م.

٢٩٥ ـ الخصائص، لابن جني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٤.

٢٩٦ ـ الخطط والاعتبار = المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار.

٢٩٧ ـ خلاصة الأحكام، للنووي، حققه: حسين إسماعيل الجمل، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.

٢٩٨ ـ خلق أفعال العباد، للبخاري، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٤هـ.

٢٩٩ ـ الدر الثمين في أسماء المصنفين، لابن الساعي، حققه: حمد شوقي بنبين ومحمد سعيد حنشي، دار الغرب الاسلامي، تونس، ط١، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.

٣٠٠ ـ الدر الفريد وبيت القصيد، لمحمد بن أيدمر المستعصمي، حققه: الدكتور كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، ١٤٣٦هـ، ٢٠١٥م.

٣٠١ ـ الدر المصون، للسمين الحلبي، حققه: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، ١٩٩٣م.

٣٠٢ ـ الدر المنثور، للسيوطي، دار الفكر، بيروت، ٢٠١١م.

٣٠٣ ـ الدر النثير والعذب النمير، لعبد الواحد المالقي، حققه: أحمد عبد الله أحمد المقرئ، دار الفنون، جدة، ١٤١١هـ، ١٩٩٠م.

٣٠٤ ـ دراسات لأسلوب القرآن الكريم، لمحمد عبد الخالق عضيمة، قدَّم له: محمود محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة.

٣٠٥ ـ الدراية في تخريج أحاديث الهداية، لابن حجر العسقلاني، حققه: عبد الله هاشم اليماني المدني، مطبعة الفجالة الجديدة، القاهرة، ١٩٦٤م.

٣٠٦ ـ درة التنزيل وغرة التأويل، للخطيب الإسكافي، حققه: الدكتور محمد مصطفى آيدين، جامعة أم القرى، ط١، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.

٣٠٧ ـ درة الغواص في أوهام الخواص، للحريري، حققه: عرفات مطرجي، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت، ط١، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.

٣٠٨ ـ درج الدُّرر في تفسير الآيِ والسور، يُنسب لعبد القاهر الجرجاني، حققه: طلعت صلاح الفرحان ومحمد أديب شكور أمرير، دار الفكر، عمان، ط١، ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م.

٣٠٩ ـ الدعاء، للطبراني، حققه: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ.

٣١٠ ـ الدعوات الكبير، للبيهقي، حققه: بدر بن عبد الله البدر، غراس للنشر والتوزيع، الكويت، ٢٠٠٩م.

٣١١ ـ دلائل الإعجاز، لعبد القاهر الجرجاني، حققه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، ودار المدني بجدة، ط٣، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.

٣١٢ ـ دلائل النبوة، لأبي نعيم الأصبهاني، حققه: محمد رواس قلعه جي وعبد البر عباس، دار النفائس، بيروت، ط٢، ١٩٨٦م.

٣١٣ ـ دلائل النبوة، للبيهقي، حققه: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، ١٤٠٥م.

٣١٤ ـ الدلائل في غريب الحديث، لقاسم بن ثابت السرقسطي، حققه: الدكتور محمد بن عبد الله القناص، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.

٣١٥ ـ دولة السلاجقة وبروز مشروع إسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي، للدكتور علي الصلابي، مؤسسة اقرأ، القاهرة، ط١، ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م.

٣١٦ ـ الديباج، لأبي القاسم الختلي، حققه: إبراهيم صالح، دار البشائر، ١٩٩٤م.

٣١٧ـ الديباج المذهب، لابن فرحون برهان الدين اليعمري، حققه: محمد الأحمدي، دار التراث، القاهرة.

٣١٨ـ ديوان إبراهيم ابن هرمة، حققه: محمد جبار المعيبد، مكتبة الأندلس، بغداد، ١٣٨٦هـ ١٩٦٩م.

٣١٩ـ ديوان أبي الأسود الدؤلي، صنعة: أبي سعيد السكري، حققه: محمد حسن آل ياسين، دار الهلال، بيروت، ط٢، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.

٣٢٠ـ ديوان أبي العتاهية، حققه: كرم البستاني، دار بيروت، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

٣٢١ـ ديوان أبي النجم العجلي، صنعه وشرحه: علاء الدين آغا، الرياض، ١٩٨١م.

٣٢٢ـ ديوان أبي نواس، دار صادر، بيروت، ط ٣، ٢٠١١م.

٣٢٣ـ ديوان الأخطل، طبعة علي بن عبد الله آل ثاني، ١٩٦٢م.

٣٢٤ـ ديوان الأعشى الكبير، حققه: محمد محمد حسين، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٥٠م.

٣٢٥ـ ديوان امرئ القيس، حققه: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م.

٣٢٦ـ ديوان أمية بن أبي الصلت، جمعه وحققه: الدكتور سجيع الجبيلي، دار صادر، بيروت، ١٩٩٨م.

٣٢٧ـ ديوان أوس بن حجر، حققه: الدكتور محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩م.

٣٢٨ـ ديوان تأبط شرًّا، حققه: علي شاكر، دار الغرب الإسلامي، ط٢، ١٩٩٩م.

٣٢٩ـ ديوان تميم بن أبيٍّ بن مقبل، حققه: عزة حسن، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٦٢م.

٣٣٠ـ ديوان جرير، دار بيروت، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

٣٣١ـ ديوان جميل بن عبد الله، حققه: الدكتور حسين نصار، مكتبة مصر، ١٩٦٧م.

٣٣٢ـ ديوان حاتم الطائي، دار صادر، ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

٣٣٣ـ ديوان حسان بن ثابت، ضبطه وصحَّحه: عبد الرحمن البرقوقي، دار الأندلس، ١٩٩٦م.

٣٣٤ ـ ديوان الحطيئة بشرح ابن السكيت والسجستاني والسكري، حققه: نعمان طه، مصطفى البابي الحلبي، ١٩٥٨م.

٣٣٥ ـ ديوان الخنساء، حققه: كرم البستاني، دار صادر، بيروت، ٢٠١٠م.

٣٣٦ ـ ديوان ذي الرمة، حققه: عبد القدوس أبو صالح، دار الرسالة، ط٣، ١٤١٤هـ ١٩٩٣م.

٣٣٧ ـ ديوان الراعي النميري، حققه: راينهرت فايبرت، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، بيروت، ١٤٠١هـ١٩٨٠م.

٣٣٨ ـ ديوان رؤبة بن العجاج، حققه: وليم بن الورد البروسي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٠هـ.

٣٣٩ ـ ديوان زهير، حققه: حمدو طماس، دار المعرفة، ط٢، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.

٣٤٠ ـ ديوان الشماخ بن ضرار، حققه: صلاح الدين الهادي، دار المعارف، مصر.

٣٤١ ـ ديوان صفي الدين الحلي، حققه: أكرم البستاني، دار صادر، ط ٢، ٢٠٠٨م.

٣٤٢ ـ ديوان الضعفاء، للذهبي، حققه: حماد بن محمد الأنصاري، مكتبة النهضة الحديثة، مكة، ط٢، ١٣٨٧هـ ١٩٦٧م.

٣٤٣ ـ ديوان عبيد بن الأبرص، دار صادر.

٣٤٤ ـ ديوان العجاج، حققه: عبد الحفيظ السطلي، مكتبة أطلس، دمشق، ١٩٧١م.

٣٤٥ ـ ديوان عدي بن زيد، حققه: محمد جبار المعيبد، دار الجمهورية، بغداد.

٣٤٦ ـ ديوان علي بن أبي طالب رضي الله عنه، اعتنى به: عبد الرحمن المصطلاوي، دار المعرفة، بيروت، ط٣، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

٣٤٧ ـ ديوان عمر بن أبي ربيعة، علّق عليه: محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية، مصر، ١٩٦٠م.

٣٤٨ ـ ديوان عنترة، دار صادر، ط٣، ٢٠١٢م.

٣٤٩ ـ ديوان الفرزدق، حققه: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

٣٥٠ ـ ديوان قيس بن الخطيم، حققه: الدكتور ناصر الدين الأسد، دار صادر، بيروت، ١٩٦٧م.

٣٥١ ـ ديوان كثير عزة، جمعه وشرحه: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٣٩١هـ ١٩٧١م.

٣٥٢ ـ ديوان الكميت بن زيد، حققه: الدكتور محمد نبيل طريفي، دار صادر ٢٠٠٠م.

٣٥٣ ـ ديوان لبيد بن ربيعة، حققه: إحسان عباس، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت، ١٩٦٢م.

٣٥٤ ـ ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، لابن خلدون، حققه: خليل شحادة، راجعه: الدكتور سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

٣٥٥ ـ ديوان المعاني، لأبي هلال العسكري، دار الجيل، بيروت.

٣٥٦ ـ ديوان النابغة الجعدي، المكتب الإسلامي، ١٩٦٤م.

٣٥٧ ـ ديوان النابغة الذبياني، حققه: كرم البستاني، دار صادر، بيروت، ١٣٨٣هـ ١٩٦٣م.

٣٥٨ ـ ديوان الهذليين، حققه: محمّد محمود الشنقيطي، الدار القومية، القاهرة، ١٣٨٥هـ ١٩٦٥م.

٣٥٩ ـ ذم الدنيا، لابن أبي الدنيا، حققه: محمد عبد القادر أحمد عطا، مؤسسة الكتب الثقافية، ط١، ١٤١٤هـ ١٩٩٣م.

٣٦٠ ـ ذم الكلام وأهله، للهروي، حققه: عبد الرحمن عبد العزيز الشبل، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.

٣٦١ ـ ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، للزمخشري، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.

٣٦٢ ـ رحلة بنيامين التطيلي، الرابي بنيامين بن الرابي يونة التطيلي النباري الإسباني اليهودي، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط١، ٢٠٠٢م.

٣٦٣ ـ الرحلة في طلب الحديث، للخطيب البغدادي، حققه: الدكتور نور الدين عتر، دار الكتب العلمية، ١٩٧٥م. والرحلة في طلب الحديث، للخطيب البغدادي، اعتنى به: صبحي البدري السامرائي، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ١٩٦٩م.

٣٦٤ ـ الرد على الجهمية، لأبي سعيد السجستاني، حققه: بدر بن عبد الله البدر، دار ابن الأثير، الكويت، ط٢، ١٤١٦هـ ١٩٩٥م.

٣٦٥ ـ الرد على الجهمية، لابن مَنْدَه العبدي، حققه: علي محمد ناصر الفقيهي، المكتبة الأثرية، باكستان.

٣٦٦ ـ ردود الكرماني على النحاة في كتابه غرائب التفسير وعجائب التأويل، لعلي عبد الله محيسن، جامعة ديالى، كلية التربية، قسم اللغة العربية، رسالة ماجستير، ٢٠١٢م.

٣٦٧ ـ الرسالة، للإمام الشافعي، حققه: أحمد شاكر، مكتبه الحلبي، مصر، ط١، ١٣٥٨هـ ١٩٤٠م.

٣٦٨ ـ رسالة الملائكة، لأبي العلاء المعري، حققه: عبد العزيز الميمني، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.

٣٦٩ ـ رسالة منازل الحروف، لأبي الحسن الرماني = منازل الحروف.

٣٧٠ ـ روح البيان، لإسماعيل حقي الإستانبولي، دار الفكر، بيروت.

٣٧١ ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين الآلوسي، حققه: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ.

٣٧٢ ـ زاد المسير، لابن الجوزي، حققه: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢٢هـ.

٣٧٣ ـ الزاهر في غريب ألفاظ الإمام الشافعي، للأزهري، حققه: الدكتور المنعم طوعي بشنّاتي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

٣٧٤ ـ الزاهر في معاني كلام الناس، لأبي بكر الأنباري، حققه: الدكتور حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٢م.

٣٧٥ ـ الزهد وصفة الزاهدين، لأبي سعيد بن الأعرابي الصوفي، حققه: مجدي فتحي السيد، دار الصحابة للتراث، طنطا، ط١، ١٤٠٨.

٣٧٦ ـ الزهد، لابن المبارك، حققه: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية.

٣٧٧ ـ الزهد، لأحمد بن حنبل، وضع حواشيه: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

٣٧٨ ـ الزهد، للمعافى بن عمران، حققه: عامر حسن صبري، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٩٩٩م.

٣٧٩ ـ زهر الآداب وثمر الألباب، لأبي إسحاق الحصري، دار الجيل، بيروت.

٣٨٠ ـ السبعة في القراءات، لابن مجاهد، حققه: الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف، مصر.

٣٨١ ـ سر صناعة الإعراب، لابن جني، حققه: حسن هنداوي، دار القلم، ١٩٨٥م.

٣٨٢ ـ السلاجقة تاريخهم السياسي والعسكري، للدكتور محمد يوسف أبو نصر، عين للدراسات والبحوث، مصر، ط١، ٢٠٠١م.

٣٨٣ـ السلاجقة في التاريخ والحضارة، للدكتور أحمد كمال الدين حلمي، دار البحوث العلمية، الكويت، ط١، ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م.

٣٨٤ـ السلاح، لأبي عُبيد القاسم بن سلام، حققه: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

٣٨٥ـ سلسلة الأحاديث الضعيفة، لناصر الدين الألباني، دار المعارف، الرياض، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

٣٨٦ـ سلم الوصول إلى طبقات الفحول، لحاجي خليفة، حققه: محمود عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة إرسيكا، إستانبول، ٢٠١٠م.

٣٨٧ـ سمط اللآلي في شرح أمالي القالي، لأبي عبيد الأندلسي، حققه: عبد العزيز الميمني، دار الكتب العلمية.

٣٨٨ـ السنة، لعبد الله بن الإمام أحمد، حققه: محمد بن سعيد بن سالم القحطاني، دار ابن القيم، الدمام، ط١، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

٣٨٩ـ سنن أبي داود، حققه: شعيب الأرناؤوط، دار الرسالة العالمية، ط١، ٢٠٠٩م.

٣٩٠ـ سنن الترمذي، حققه: أحمد شاكر وفؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض، مطبعة البابي الحلبي،

٣٩١ـ مصر، ط٢، ١٩٧٥م.

٣٩٢ـ سنن الدارقطني، حققه: شعيب الأرناؤوط وحسن عبد المنعم شلبي وعبد اللطيف حرز الله وأحمد برهوم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م.

٣٩٣ـ سنن الدارمي = مسند الدارمي.

٣٩٤ـ السنن الصغير للبيهقي، حققه: عبد المعطي أمين قلعجي، جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي، ط١، ١٤١٠هـ، ١٩٨٩م.

٣٩٥ـ السنن الكبرى، للبيهقي، حققه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية،، لبنان، ط٣، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.

٣٩٦ـ السنن الكبرى، للبيهقي، حققه: محمد عبد القادر عطا، دار الباز، مكة المكرمة، ط٣، ١٤١٤هـ. وطبعة الهند، ١٣٥٢هـ.

٣٩٧ ـ السنن الكبرى، للنسائي، حققه: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

٣٩٨ ـ سنن سعيد بن منصور (تفسير)، حققه: الدكتور سعد آل حميد، دار الصميعي، الرياض، ١٩٩٣م.

٣٩٩ ـ سنن سعيد بن منصور، حققه: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، ١٩٨٥م.

٤٠٠ ـ سير أعلام النبلاء، حققه: شعيب الأرناؤوط وغيره، مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ.

٤٠١ ـ سيرة ابن إسحاق= السير والمغازي.

٤٠٢ ـ السير والمغازي (سيرة ابن إسحاق)، حققه: الدكتور سهيل زكار، دار الفكر، ١٩٧٨م.

٤٠٣ ـ السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، للدارمي، حققه: الحافظ السيد عزيز بك وجماعة من العلماء، الكتب الثقافية، بيروت، ط٣، ١٤١٧هـ.

٤٠٤ ـ السيرة النبوية، لابن هشام، حققه: مصطفى السقا وغيره، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٥٥م.

٤٠٥ ـ الشافية في علمي التصريف والخط، لابن الحاجب، حققه: الدكتور صالح عبد العظيم الشاعر، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠١٠م.

٤٠٦ ـ الشاهد الشعري في تفسير القرآن الكريم أهميته وأثره ومناهج المفسرين في الاستشهاد به، لعبد الرحمن بن معاضة الشهري، دار المنهاج، الرياض، ط١، ١٤٣١هـ.

٤٠٧ ـ شدُّ الإزار في حطِّ الأوزار عن زوّار المزار، لمعين الدِّين الجنيد بن محمود الشِّيرازي، صححه: محمد قزويني وعباس إقبال، طهران، ١٣٢٨هـ.

٤٠٨ ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد، حققه: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق وبيروت، ط١، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

٤٠٩ ـ شرح أبيات سيبويه، لأبي محمد السيرافي، حققه: محمد علي الريح هاشم، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٣٩٤هـ، ١٩٧٤م.

٤١٠ ـ شرح أبيات مغني اللبيب، للبغدادي، حققه: عبد العزيز رباح وأحمد دقاق، دار المأمون للتراث، دمشق، ط، ١٩٧٣م.

٤١١ ـ شرح تسهيل الفوائد، لابن مالك، حققه: الدكتور عبد الرحمن السيد والدكتور محمد بدوي المختون، دار هجر، ط١، ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.

٤١٢ ـ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي، حققه: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة، السعودية، ط٨، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م.

٤١٣ ـ شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، لأبي الحسن الأُشْمُوني، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

٤١٤ ـ شرح الإلمام بأحاديث الأحكام، لابن دقيق العيد، حققه: محمد خلوف العبد الله، دار النوادر، سوريا، ط٢، ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م.

٤١٥ ـ شرح أمالي القالي = سمط اللآلي في شرح أمالي القالي.

٤١٦ ـ شرح التعريف بضروري التصريف، لابن إياز، حققه: الدكتور هادي نهر والدكتور هلال ناجي المحامي، دار الفكر، الأردن، ط١، ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م.

٤١٧ ـ شرح التلقين، لأبي عبد الله المازري المالكي، حققه: الشيخ محمَّد المختار السّلامي، دار الغرب الإسلامي، ط١، ٢٠٠٨م.

٤١٨ ـ شرح ديوان أبي تمام، للخطيب التبريزي، حققه: محمد عبده عزام، دار المعارف، مصر، ١٩٦٤م.

٤١٩ ـ شرح ديوان جرير، لمحمد بن حبيب، حققه: الدكتور نعمان محمد أمين طه، دار المعارف، القاهرة، ط٣.

٤٢٠ ـ شرح ديوان الحماسة، لأبي القاسم زيد بن علي الفارسيّ، حققه: لمحمد عثمان علي، دار الأوزاعي، بيروت، ط١.

٤٢١ ـ شرح ديوان الحماسة، للتبريزي، دار القلم، بيروت.

٤٢٢ ـ شرح ديوان الحماسة، للمرزوقي، حققه: غريد الشيخ، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.

٤٢٣ ـ شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، للأعلم الشنتمري، المكتبة التجارية الكبرى، مصر.

٤٢٤ ـ شرح ديوان طرفة بن العبد، للأعلم الشنتمري، حققه: درية الخطيب ولطفي الصقال، إدارة الثقافة والفنون (البحرين)، والمؤسسة العربية (لبنان)، ط٢، ٢٠٠٠م.

٤٢٥ ـ شرح ديوان كثير عزة، لقدري مايو، دار الجيل، ١٩٩٥م.

٤٢٦ ـ شرح ديوان المتنبي، للبرقوقي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر.

٤٢٧ ـ شرح ديوان المتنبي، للعكبري، حققه: مصطفى السقا إبراهيم الأبياري عبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة بيروت.

٤٢٨ ـ شرح ديوان أمية بن أبي الصلت، لسيف الدين الكاتب وأحمد عصام الكاتب، دار مكتبة الحياة، بيروت.

٤٢٩ ـ شرح السنة، للبغوي، حققه: شعيب الأرناؤوط ومحمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق وبيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

٤٣٠ ـ شرح شافية ابن الحاجب، للرضي الأسترابادي، حققه: محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م.

٤٣١ ـ شرح شذور الذهب، لابن هشام، حققه: عبد الغني الدقر، الشركة المتحدة للتوزيع، سوريا.

٤٣٢ ـ شرح صحيح البخاري، لابن بطال، حققه: أبو تميم ياسر بن إبراهيم مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، ط٢، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م.

٤٣٣ ـ شرح طيبة النشر في القراءات، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، حققه: الشيخ أنس مهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.

٤٣٤ ـ شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز، حققه: شعيب الأرناؤوط وعبد الله بن المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١٠، ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.

٤٣٥ ـ شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، لمحمد بن القاسم الأنباري، حققه: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، ط٥.

٤٣٦ ـ شرح القصائد العشر، للتبريزي، إدارة الطباعة المنيرية، ١٣٥٢هـ.

٤٣٧ ـ شرح الكافية الشافية، لابن مالك، حققه: عبد المنعم أحمد هريدي، جامعة أم القرى، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

٤٣٨ ـ شرح كتاب سيبويه، لأبي سعيد السيرافي، حققه: أحمد حسن مهدلي وعلي سيد علي، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٨م.

٤٣٩ ـ شرح كتاب سيبويه (جزء من الكتاب)، للرماني، حققه: سيف بن عبد الرحمن بن ناصر العريفي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.

٤٤٠ ـ شرح الكوكب المنير، لابن النجار الحنبلي، حققه: محمد الزحيلي ونزيه حماد، مكتبة العبيكان، ط ٢، ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.

٤٤١ ـ شرح مختصر الطحاوي، للجصاص، حققه: الدكتور عصمت الله عناية الله محمد والدكتور سائد بكداش والدكتور محمد عبيد الله خان والدكتورة زينب محمد حسن فلاتة، دار البشائر الإسلامية، ودار السراج، ط١، ١٤٣١هـ ٢٠١٠م.

٤٤٢ ـ شرح مذاهب أهل السنة ومعرفة شرائع الدين والتمسك بالسنن، لابن شاهين، حققه: عادل بن محمد، مؤسسة قرطبة للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.

٤٤٣ ـ شرح مسلم للنووي= المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج.

٤٤٤ ـ شرح مشكل الآثار، للطحاوي، حققه: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٤م.

٤٤٥ ـ شرح معاني الآثار، للطحاوي، حققه: محمد زهري النجار، دار الكتب العلمية، ١٣٣٩هـ.

٤٤٦ ـ شرح المعلقات السبع، للزوزني، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.

٤٤٧ ـ شرح المفصل، لابن يعيش، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.

٤٤٨ ـ شرح المقدمة المحسبة، لابن بابشاذ، حققه: خالد عبد الكريم، المطبعة العصرية، الكويت، ط١، ١٩٧٧م.

٤٤٩ ـ شرح نقائض جرير والفرزدق، لأبي عبيدة، حققه: محمد إبراهيم حور وليد محمود خالص، المجمع الثقافي، ط٢، لأبي ظبي، الإمارات، ١٩٩٨م.

٤٥٠ ـ الشريعة، للآجري، حققه: عبد الله بن عمر الدميجي، دار الوطن، الرياض، ط٢، ١٩٩٩م.

٤٥١ ـ شعب الإيمان، للبيهقي، حققه: عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٣م.

٤٥٢ ـ الشعر والشعراء، لابن قتيبة الدينوري، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣هـ.

٤٥٣ ـ الشفا بتعريف حقوق المصطفى (مع حاشية الشمني)، للقاضي عياض، دار الفكر، ١٩٨٨م.

٤٥٤ ـ شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، لنشوان بن سعيد الحميري، حققه: حسين بن عبد الله العمري ومطهر بن علي الإرياني ويوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر بيروت، ودار الفكر دمشق، ط١، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.

٤٥٥ ـ شواذ القراءات، للكرماني، حققه: الدكتور شمران العجلي، مؤسسة البلاغ، بيروت.

٤٥٦ ـ الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، لابن فارس، حققه: محمد علي بيضون، ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.

٤٥٧ ـ صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، لأحمد بن علي القلقشندي، دار الكتب العلمية.

٤٥٨ ـ الصحاح، للجوهري، حققه: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٩٨٧م.

٤٥٩ ـ صحيح ابن حبان، حققه: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣م.

٤٦٠ ـ صحيح ابن خزيمة، حققه: الدكتور محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.

٤٦١ ـ صحيح البخاري، دار طوق النجاة، مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي.

٤٦٢ ـ صحيح مسلم، حققه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العلمية، بيروت، ١٣٧٤هـ.

٤٦٣ ـ صفة جزيرة العرب، لابن الحائك، مطبعة بريل، ليدن، ١٨٨٤م.

٤٦٤ ـ صفة الجنة وما أعد الله لأهلها من النعيم، لابن أبي الدنيا، حققه: عمرو عبد المنعم سليم، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ومكتبة العلم، جدة.

٤٦٥ ـ صفة الصفوة، لابن الجوزي، حققه: أحمد بن علي، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

٤٦٦ ـ صفة النار، لابن أبي الدنيا، حققه: محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، لبنان، ط١، ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.

٤٦٧ ـ الصلاة للمروزي = تعظيم قدر الصلاة.

٤٦٨ ـ الصناعتين، للعسكري، حققه: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية، بيروت، ١٤١٩هـ.

٤٦٩ ـ ضرائر الشعر، لابن عصفور، حققه: السيد إبراهيم محمد، دار الأندلس، ١٩٨٠م.

٤٧٠ ـ الضعفاء الكبير، للعقيلي، حققه: عبد المعطي أمين قلعجي، دار المكتبة العلمية، بيروت، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

٤٧١ ـ الضعفاء والمتروكون، لابن الجوزي، حققه: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٧٢ ـ الضعفاء والمتروكون، للدارقطني، حققه: عبد الرحيم القشقري، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

٤٧٣ ـ الطب النبوي، لأبي نعيم الأصبهاني، حققه: مصطفى خضر دونمز التركي، دار ابن حزم، ط١، ٢٠٠٦م.

٤٧٤ ـ طبقات فحول الشعراء، لابن سلام، حققه: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٣٢م.

٤٧٥ ـ الطبقات الكبرى، لابن سعد، حققه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.

٤٧٦ ـ طبقات المحدثين بأصبهان، لأبي الشيخ الأصبهاني، حققه: عبد الغفور عبد الحق حسين البلوشي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

٤٧٧ ـ طبقات المفسِّرين، للأدنه وي، حققه: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، ط١، ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.

٤٧٨ ـ طبقات المفسرين، للداودي، حققه: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، مصر، ١٩٧٢م.

٤٧٩ ـ طبقات المفسرين العشرين، للسيوطي، حققه: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٣٩٦هـ.

٤٨٠ ـ طبقات النحويين واللغويين، لأبي بكر الإشبيلي، حققه: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط٢.

٤٨١ ـ الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، للمؤيد بالله الطالبي، المكتبة العنصرية، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ.

٤٨٢ ـ طريق الهجرتين وباب السعادتين، لابن قيم الجوزية، دار السلفية، القاهرة، مصر، ط٢، ١٣٩٤هـ.

٤٨٣ ـ طلبة الطلبة، لنجم الدين النسفي، المطبعة العامرة، ومكتبة المثنى ببغداد، ١٣١١هـ.

٤٨٤ ـ الظواهر اللغوية في كتاب غرائب التّفسير وعجائب التأويل، لأحمد عبد الرحيم عبد العال حميدة، رسالة ماجستير، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية، ٢٠٠٤م.

٤٨٥ ـ العبر في خبر من غبر، للذهبي، حققه: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٨٦ ـ العجاب في بيان الأسباب، لابن حجر العسقلاني، حققه: عبد الحكيم محمد الأنيس، دار ابن الجوزي، ١٩٩٧م.

٤٨٧ ـ العدة في أصول الفقه، للقاضي أبو يعلى الفراء، حققه: الدكتور أحمد بن علي بن سير المباركي، ط٢، ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.

٤٨٨ ـ العرش، للذهبي، حققه: محمد بن خليفة بن علي التميمي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط٢، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.

٤٨٩ ـ عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، لبهاء الدين السبكي، حققه: الدكتور عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ٢٠٠٣م.

٤٩٠ ـ العزلة، للخطابي، المطبعة السلفية، القاهرة، ط٢، ١٣٩٩هـ.

٤٩١ ـ العشرات في غريب اللغة، لأبي عمر الزاهد المطرز الباوَرْدي، حققه: يحيى عبد الرؤوف جبر، المطبعة الوطنية، عمان.

٤٩٢ ـ العظمة، لأبي الشيخ، حققه: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، دار العاصمة، الرياض.

٤٩٣ ـ العقد الفريد، لابن عبد ربه، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٤هـ.

٤٩٤ ـ العقوبات، لابن أبي الدنيا، حققه: محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ ١٩٩٦م.

٤٩٥ ـ العقيدة الواسطية، اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة.

٤٩٦ ـ العلل، للدارقطني، حققه: محفوظ الرحمن السلفي ومحمد بن صالح الدباسي، دار طيبة، الرياض، ط١، ١٩٨٥م، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٧هـ.

٤٩٧ ـ عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، للسمين الحلبي، حققه: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

٤٩٨ ـ العمدة في محاسن الشعر وآدابه، لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني، حققه: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط٥، ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

٤٩٩ ـ عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للعيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٥٠٠ ـ عمدة الكتاب، لأبي جعفر النحاس، حققه: بسام عبد الوهاب الجابي، دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م.

٥٠١ ـ عمل اليوم والليلة، لابن السني، حققه: عبد الرحمن البرني، دار القبلة ومؤسسة علوم القرآن.

٥٠٢ ـ عناية القاضي وكفاية الراضي = حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي.

٥٠٣ ـ العناية شرح الهداية، للبابرتي، دار الفكر، بيروت.

٥٠٤ ـ العنوان، لتاج القراء الكرماني، حققه: الدكتور حازم سعيد البياتي والدكتورة منال صلاح الدين عزيز، دار البحوث للدراسات الإسلاميّة وإحياء التراث، دبي.

٥٠٥ ـ العنوان في القراءات السبع، للسرقسطي، حققه: الدكتور زهير زاهد والدكتور خليل العطية، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٥هـ.

٥٠٦ ـ عيار الشعر، لأبي الحسن ابن طباطبا، حققه: عبد العزيز بن ناصر المانع، مكتبة الخانجي، القاهرة.

٥٠٧ ـ العين، يُنسب للخليل، حققه: الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي، دار الهجرة، إيران، ١٤٠٥هـ.

٥٠٨ ـ عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، لأبي الفتح اليعمري، حققه: إبراهيم محمد رمضان، دار القلم، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ ١٩٩٣م.

٥٠٩ ـ عيون الأخبار، لابن قتيبة، دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ.

٥١٠ ـ عيون الأنباء في طبقات الأطباء، لابن أبي أصيبعة، حققه: الدكتور نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت.

٥١١ ـ غاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري، حققه: ج. برجستراسر، مكتبة ابن تيمية.

٥١٢ ـ غرائب التفسير وعجائب التأويل، لتاج القراء الكرماني، حققه: الدكتور شمران العجلي، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، ومؤسسة علوم القرآن، بيروت.

٥١٣ ـ غرائب القرآن ورغائب الفرقان، لنظام القمي النيسابوري، حققه: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٦هـ.

٥١٤ ـ غرر الفوائد ودرر القلائد (أمالي المرتضى)، للشريف المرتضى، حققه: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي وشركاه)، ١٣٧٣هـ ١٩٥٤م.

٥١٥ ـ غريب الحديث، لإبراهيم الحربي، حققه: سليمان إبراهيم محمد العايد، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٥هـ.

٥١٦ ـ غريب الحديث، لابن قتيبة، حققه: الدكتور عبد الله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، ١٣٩٧هـ.

٥١٧ ـ غريب الحديث، لأبي عبيد القاسم بن سلّام، حققه: حسين محمد شرف، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٤٠٤هـ.

٥١٨ ـ غريب الحديث، للخطابي، حققه: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٢م.

٥١٩ ـ غريب القرآن (المسمى بنزهة القلوب)، للسجستاني، حققه: محمد أديب عبد الواحد جمران، دار قتيبة، سوريا، ط ١، ١٤١٦هـ ١٩٩٥م.

٥٢٠ ـ الغريب المصنف، لأبي عبيد القاسم بن سلام، مكتبة نزار الباز، السعودية، ط١، ١٩٩٧م.

٥٢١ ـ الغريبين في القرآن والحديث، لأحمد بن محمد الهروي، حققه: أحمد فريد المزيدي، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٩هـ ١٩٩٩م.

٥٢٢ ـ غوامض الأسماء المبهمة الواقعة في متون الأحاديث المسندة، لأبي القاسم الأنصاري الأندلسي، حققه: الدكتور عز الدين علي السيد ومحمد كمال الدين عز الدين، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.

٥٢٣ ـ الغيلانيات، للبزّاز أبي بكر الشافعي، حققه: حلمي كامل وأسعد عبد الهادي، دار ابن الجوزي، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.

٥٢٤ ـ الفائق في غريب الحديث، للزمخشري، حققه: علي البجاوي، عيسى البابي الحلبي، ١٩٧١م.

٥٢٥ ـ الفاخر، للمفضل بن سلمة، حققه: عبد العليم الطحاوي، دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي)، ١٣٨٠هـ.

٥٢٦ ـ الفتاوى الحديثية، للهيتمي، دار الفكر.

٥٢٧ ـ فتح الباري، لابن حجر العسقلاني، حققه: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

٥٢٨ ـ فتح الرحمن، للعليمي، حققه: نور الدين طالب، دار النوادر، ط١، ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م.

٥٢٩ ـ الفتح السماوي، للمناوي، حققه: أحمد مجتبى، دار العاصمة، الرياض.

٥٣٠ ـ فتح القدير، لكمال الدين ابن الهمام، دار الفكر.

٥٣١ ـ فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، للحافظ العراقي، حققه: علي حسين علي، مكتبة السنة، مصر، ط١، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.

٥٣٢ ـ الفتن، لنعيم بن حماد، حققه: سمير أمين الزهيري، مكتبة التوحيد، القاهرة، ١٤٢١هـ.

٥٣٣ ـ فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)، للطيبي، حققه: الدكتور جميل بني عطا، ١٤٣٤هـ، ٢٠١٣م.

٥٣٤ ـ فتوح مصر والمغرب، لأبي القاسم المصري، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٥هـ.

٥٣٥ ـ فحولة الشعراء، للأصمعي، حققه: ش. توري، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط٢، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.

٥٣٦ ـ الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، للأسفراييني، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٢، ١٩٧٧م.

٥٣٧ ـ الفروق اللغوية، لابن مهران العسكري، حققه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.

٥٣٨ ـ الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم الأندلسي، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٩٧٥م.

٥٣٩ ـ فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، لأبي عبيد البكري، حققه: إحسان عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧١م.

٥٤٠ ـ الفصول في الأصول، لأحمد بن علي الجصاص، وزارة الأوقاف الكويتية، ط٢، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.

٥٤١ ـ الفصيح، لثعلب، حققه: دكتور عاطف مدكور، دار المعارف.

٥٤٢ ـ فضائل الأعمال، لضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.

٥٤٣ ـ فضائل الصحابة، للإمام أحمد بن حنبل، حققه: وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٣م.

٥٤٤ ـ فضل الصلاة على النبي ﷺ، للقاضي أبي إسحاق الجهضمي، حققه: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٣٩٧م.

٥٤٥ ـ فضائل القرآن، لابن الضريس، حققه: غزوة بدير، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٨هـ.

٥٤٦ ـ فضائل القرآن، لأبي عبيد، حققه: مروان العطية ومحسن خرابة ووفاء تقي الدين، دار ابن كثير، دمشق وبيروت، ط١، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.

٥٤٧ ـ الفقه الأكبر، ينسب للإمام أبي حنيفة، مكتبة الفرقان، الإمارات العربية، ط١، ١٤١٩هـ ١٩٩٩م.

٥٤٨ ـ فقه اللغة وسر العربية، للثعالبي، حققه: عبد الرزاق المهدي، إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م.

٥٤٩ ـ الفن ومذاهبه في النثر العربي، للدكتور شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط١٢ .

٥٥٠ ـ فنون العجائب في أخبار الماضين من بني إسرائيل وغيرهم من العباد والزاهدين، لأبي سعيد الأصبهاني، حققه: طارق الطنطاوي، مكتبة القرآن، القاهرة.

٥٥١ ـ الفهرست، لابن النديم، حققه: إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.

٥٥٢ ـ فهم القرآن ومعانيه، للحارث بن أسد المحاسبي، حققه: حسين القوتلي، دار الكندي، ودار الفكر، بيروت، ط٢، ١٣٩٨هـ.

٥٥٣ ـ فوات الوفيات، لابن شاكر، حققه: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٧٣ و١٩٧٤م.

٥٥٤ ـ الفوائد، لأبي القاسم الرازي، حققه: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤١٢هـ.

٥٥٥ ـ الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، للشوكاني، حققه: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، دار الكتب العلمية، لبنان.

٥٥٦ ـ القاموس المحيط، للفيروزابادي، حققه: مكتب التحقيق في مؤسسة الرسالة بدمشق، ١٩٨٧م.

٥٥٧ ـ قبول الأخبار ومعرفة الرجال، لأبي القاسم البلخي، حققه: أبو عمرو الحسيني بن عمر بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية،، لبنان، ط١، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

٥٥٨ ـ القدر، للفريابي، حققه: عبد الله بن حمد المنصور، أضواء السلف، السعودية، ط١، ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.

٥٥٩ ـ قراءة الكسائي، لمحمد بن أبي نصر الكرماني، حققه: الدكتور حاتم صالح الضامن، دار نينوى، دمشق، ٢٠٠٥م.

٥٦٠ ـ القضاء والقدر، للبيهقي، حققه: محمد بن عبد الله آل عامر، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

٥٦١ ـ القطع والائتناف، لأبي جعفر النحاس، حققه: عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي، دار عالم الكتب، السعودية، ط١، ١٩٩٢م.

٥٦٢ ـ القلب والإبدال، لابن السكيت.

٥٦٣ ـ قواعد الترجيح المتعلقة بالنص عند ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير دراسة تأصيلية تطبيقية، للدكتورة عبير بنت عبد الله النعيم، دار التدمرية، الرياض، ط١، ١٤٣٦هـ ٢٠١٥م.

٥٦٤ ـ قواعد الشعر، لأبي العباس ثعلب، حققه: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٩٩٥م.

٥٦٥ ـ الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف، لابن حجر، مصورة عن طبعة دار المعرفة، بيروت.

٥٦٦ ـ الكامل، للمبرد، حققه: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٣، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

٥٦٧ ـ الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها، لأبي القاسم الهُذَلي، حققه: جمال بن السيد بن رفاعي الشايب، مؤسسة سما، ط١، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م.

٥٦٨ ـ الكتاب، لسيبويه، حققه: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

٥٦٩ ـ كتاب الأصنام، لأبي المنذر هشام بن محمد الكلبي، حققه: أحمد زكي باشا، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٤، ٢٠٠٠م.

٥٧٠ ـ كتاب الأفعال، لابن الحداد، حققه: حسين محمد محمد شرف، مؤسسة دار الشعب، القاهرة، ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م.

٥٧١ ـ كتاب الألفاظ، لابن السكيت، حققه: الدكتور فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٨م.

٥٧٢ ـ كتاب الشعر (أو شرح الأبيات المشكلة الإعراب)، لأبي علي الفارسي، حققه: الدكتور محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

٥٧٣ ـ الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد، للمنتجب الهمذاني، حققه: محمد نظام الدين الفتيح، دار الزمان، المدينة المنورة، ط١، ٢٠٠٦م.

٥٧٤ ـ الكشاف، للزمخشري، دار الكتاب العربي، ط٣،، ١٤٠٧هـ، وطبعة دار اللباب في إسطنبول بتحقيق الأستاذ ماهر أديب حبوش، ط١، ١٤٤٢هـ، ٢٠٢١م.

٥٧٥ ـ كشف الأستار عن زوائد البزار، للهيثمي، حققه: حبيب الرحمن الأعظمي، مؤسسة الرسالة، ١٩٧٩م.

٥٧٦ ـ كشف الخفا، للعجلوني، حققه: أحمد القلاش، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٦م.

٥٧٧ ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٤١م.

٥٧٨ ـ كشف المشكل، لابن الجوزي، حققه: علي حسين البواب، دار الوطن، الرياض.

٥٧٩ ـ الكليات، للكفوي، حققه: عدنان درويش محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٥٨٠ ـ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، للمتقي الهندي، حققه: بكري حياني وصفوة السقا، مؤسسة الرسالة، ط٥، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.

٥٨١ ـ الكنز اللغوي في اللسن العربي، لابن السكيت، حققه: أوغست هفنر، مكتبة المتنبي، القاهرة.

٥٨٢ ـ الكنى والأسماء، للدولابي، حققه: نظر محمد الفاريابي، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.

٥٨٣ ـ الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، للكرماني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.

٥٨٤ ـ اللآلئ المصنوعة، للسيوطي، حققه: صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.

٥٨٥ ـ اللامات، للزجاجي، حققه: مازن المبارك، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

٥٨٦ ـ اللباب في تهذيب الأنساب، لابن الأثير، دار صادر، بيروت، ١٩٩٤م.

٥٨٧ ـ اللباب في علل البناء والإعراب، لأبي البقاء العكبري، حققه: الدكتور عبد الإله النبهان، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م.

٥٨٨ ـ اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل، حققه: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.

٥٨٩ ـ لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، ١٩٩٧م.

٥٩٠ ـ لسان الميزان، لابن حجر، دائرة المعرف النظامية الهند، ومؤسسة الأعلمي، بيروت، ط٢، ١٣٩٠هـ، ١٩٧١م.

٥٩١ ـ لطائف الإشارات، للقشيري، حققه: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط٣.

٥٩٢ ـ اللغات في القرآن، لعبد الله بن الحسين بن حسنون بإسناده إلى ابن عباس، حققه: صلاح الدين المنجد، مطبعة الرسالة، القاهرة، ط١، ١٣٦٥هـ ١٩٤٦م.

٥٩٣ ـ لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم (طبع باسم كتاب اللغات في القرآن)، لإسماعيل بن عمرو المقرئ، ويُنسب لأبي عُبيد القاسم بن سلام، حققه: صلاح الدين المنجد، مطبعة الرسالة، القاهرة.

٥٩٤ ـ ليس في كلام العرب، لابن خالويه، حققه: أحمد عبد الغفور عطار، ط٢، مكة المكرمة، ١٣٩٩هـ١٩٧٩م.

٥٩٥ ـ المبسوط، للسرخسي، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٤هـ ١٩٩٣م.

٥٩٦ ـ المبسوط في القراءات العشر، لأبي بكر النيسابوري، حققه: سبيع حمزة حاكيمي، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٨١م.

٥٩٧ ـ المتواري على تراجم أبواب البخاري، لابن المنير الجذامي، حققه: صلاح الدين مقبول أحمد، مكتبة المعلا، الكويت.

٥٩٨ ـ مجاز القرآن، لأبي عبيدة، حققه: محمد فؤاد سزكين، مؤسسة الرسالة.

٥٩٩ ـ مجالس ثعلب، حققه: عبد السلام هارون، دار المعارف، مصر.

٦٠٠ ـ المجالسة وجواهر العلم، للدينوري، حققه: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن حزم، الرياض، ط١، ١٩٩٨م.

٦٠١ ـ المجتبى من مشكل إعراب القرآن، للدكتور أحمد بن محمد الخراط، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤٢٦هـ.

٦٠٢ ـ المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، لابن حبان، حققه: محمود زايد، دار الوعي، حلب، ١٩٣٦م.

٦٠٣ ـ مجمع الأمثال، للميداني، حققه: محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السنة المحمدية.

٦٠٤ ـ مجمع البيان، للطبرسي، دار مكتبة الحياة، بيروت.

٦٠٥ ـ مجمع الزوائد، للهيثمي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٣٥٢هـ.

٦٠٦ ـ مجمع الغرائب ومنبع الرغائب، لعبد الغافر بن إسماعيل الفارسي، حققه: ماهر أديب حبوش، ط١، جائزة دبي، ٢٠١٨م.

٦٠٧ ـ مجمل اللغة، لابن فارس، حققه: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٤م.

٦٠٨ ـ المجموع شرح المهذب، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (مع تكملة السبكي والمطيعي)، دار الفكر.

٦٠٩ ـ مجموع الفتاوى، لابن تيمية، حققه: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، ١٤١٦هـ ١٩٩٥م.

٦١٠ ـ المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث، لأبي موسى الأصبهاني، حققه: عبد الكريم العزباوي، دار المدني، جدة، ط١.

٦١١ ـ محاسن التأويل، لجمال الدين القاسمي، حققه: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ.

٦١٢ ـ محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، للراغب الأصفهاني، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.

٦١٣ ـ المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، لابن جني، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.

٦١٤ ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية، حققه: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

٦١٥ ـ المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده، حققه: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٠م.

٦١٦ ـ المحلى، لابن حزم، دار الآفاق، بيروت.

٦١٧ ـ المحيط البرهاني في الفقه النعماني فقه الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه، لأبي المعالي البخاري الحنفي، حققه: عبد الكريم سامي الجندي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م.

٦١٨ ـ المحيط في اللغة، للصاحب بن عباد، حققه: محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، ط١، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.

٦١٩ ـ مختار الصحاح، لزين الدين الرازي، حققه: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، ط٥، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.

٦٢٠ ـ مختارات شعراء العرب، لابن الشجري، حققه: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ.

٦٢١ ـ مختصر اختلاف العلماء، للطحاوي، حققه: الدكتور عبد الله نذير أحمد، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط٢، ١٤١٧هـ.

٦٢٢ ـ المختصر في شواذ القراءات، لابن خالويه، حققه: ج برجستراسر، مكتبة المتنبي، القاهرة.

٦٢٣ ـ مختصر المزني، لأبي إبراهيم المزني، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.

٦٢٤ ـ المخصص، لابن سيده، حققه: خليل ابراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٦٢٥ ـ المخلصيات وأجزاء أخرى، لأبي طاهر المخلص، حققه: نبيل سعد الدين جرار، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دولة قطر، ط١، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.

٦٢٦ ـ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن قيم الجوزية، حققه: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.

٦٢٧ ـ مدارك التنزيل وحقائق التأويل، لأبي البركات النسفي، حققه: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

٦٢٨ ـ المدخل إلى السنن الكبرى، للبيهقي، حققه: الدكتور محمد ضياء الرحمن الأعظمي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت.

٦٢٩ ـ المدونة الكبرى، للإمام مالك رواية سحنون، دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ.

٦٣٠ ـ المذكر والمؤنث، لأبي بكر الأنباري، حققه: محمد عبد الخالق عضيمة، لجنة إحياء التراث في وزارة الأوقاف المصرية، القاهرة، ١٤٠١هـ.

٦٣١ ـ المذكر والمؤنث، للسجستاني، حققه: عزة حسن، دار الشروق العربي.

٦٣٢ ـ مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، لسبط ابن الجوزي، حققه: محمد رضوان عرقسوسي وإبراهيم الزيبق ومحمد بركات ومجموعة من الباحثين، دار الرسالة العالمية، دمشق، ط١، ١٤٣٤هـ ٢٠١٣م.

٦٣٣ ـ المراسيل، لابن أبي حاتم، حققه: شكر الله قوجاني، مؤسسة الرسالة، ١٩٧٧م.

٦٣٤ ـ المراسيل، لأبي داود، حققه: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٨هـ.

٦٣٥ ـ مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، لابن شمائل القطيعي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.

٦٣٦ ـ مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع، للسيوطي، حققه: الدكتور عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر، دار المنهاج، الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ.

٦٣٧ ـ المرتجل (في شرح الجمل)، لابن الخشاب، حققه: علي حيدر، ١٣٩٢هـ، ١٩٧٢م.

٦٣٨ ـ المرض والكفارات، لابن أبي الدنيا، حققه: عبد الوكيل الندوي، الدار السلفية، بومباي، ط١، ١٤١١هـ، ١٩٩١م.

٦٣٩ ـ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، للملا علي القاري، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م.

٦٤٠ ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر، للمسعودي، حققه: أسعد داغر، دار الهجرة، إيران، ١٤٠٩هـ.

٦٤١ ـ المزهر في علوم اللغة وأنواعها، للسيوطي، حققه: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.

٦٤٢ ـ المسالك والممالك، لأبي عبيد الأندلسي، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٢م.

٦٤٣ ـ مساوئ الأخلاق ومذمومها، للخرائطي، حققه: مصطفى بن أبو النصر الشلبي، مكتبة السوادي، جدة، ط١، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.

٦٤٤ ـ المسائل البصريات، لأبي علي الفارسي، حققه: الدكتور محمد الشاطر وأحمد محمد أحمد، مطبعة المدني، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥هـ.

٦٤٥ ـ المسائل الحلبيات، لأبي علي الفارسي، حققه: الدكتور حسن هنداوي، دار القلم بدمشق، ودار المنارة ببيروت، ط١، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

٦٤٦ ـ المسائل العسكريات، لأبي علي الفارسي، حققه: الدكتور علي جابر المنصوري، الدار العلمية، عمان، ٢٠٠٢م.

٦٤٧ ـ المسائل النحوية والصرفية في غرائب التفسير وعجائب التأويل لمحمود بن حمزة بن نصر الكرماني، للدكتور عبد الحميد السيد خضر دومة، رسالة دكتوراه، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية، ٢٠٠٠م.

٦٤٨ ـ مستخرج أبي عوانة، للإسفراييني، حققه: أيمن بن عارف الدمشقي، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.

٦٤٩ ـ المستدرك على الصحيحين، للحاكم، حققه: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ، ١٩٩٠م.

٦٥٠ ـ المستقصى في أمثال العرب، للزمخشري، دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م.

٦٥١ ـ مسلسل العيدين، لأبي محمد الكتاني الدمشقي، والخطيب البغدادي، حققه: مجدي فتحي السيد، مكتبة الفؤاد، ط١، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م.

٦٥٢ ـ مسند أبي يعلى، حققه: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، ط١، ١٩٨٤م.

٦٥٣ ـ مسند أحمد بن حنبل، حققه: شعيب الأرناؤوط ومجموعة من الباحثين، مؤسسة الرسالة.

٦٥٤ ـ مسند إسحاق بن راهويه، حققه: الدكتور عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي، مكتبة الإيمان، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٢هـ ١٩٩١م.

٦٥٥ ـ مسند الإمام الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٠هـ.

٦٥٦ ـ مسند البزار = البحر الزخار.

٦٥٧ ـ مسند الدارمي (سنن الدارمي)، حققه: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤١٢هـ ٢٠٠٠م.

٦٥٨ ـ مسند الشاميين، للطبراني، حققه: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ ١٩٨٤م.

٦٥٩ ـ مسند الشهاب، للقضاعي، حققه: حمدي السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٦م.

٦٦٠ ـ مسند الفاروق، لابن كثير، حققه: إمام بن علي بن إمام، دار الفلاح، مصر، ط١، ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م.

٦٦١ ـ مسند الفردوس، للديلمي، حققه: السعيد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦م.

٦٦٢ ـ مشارق الأنوار على صحاح الآثار، للقاضي عياض، المكتبة العتيقة، ودار التراث.

٦٦٣ ـ المشترك وضعًا والمفترق صقعًا، لياقوت للحموي، عالم الكتب، ط٢، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

٦٦٤ ـ مشكل إعراب القرآن، لمكي بن أبي طالب، حققه: الدكتور حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٤م.

٦٦٥ ـ مصابيح الجامع، للدماميني، حققه: مجموعة من الباحثين، دار النوادر، سوريا، ط١، ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م.

٦٦٦ ـ المصاحف، للسجستاني، حققه: محمد بن عبده، دار الفاروق الحديثة، مصر، ط١، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.

٦٦٧ ـ مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، لشهاب الدين البوصيري، حققه: محمد المنتقى الكشناوي، دار العربية، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ.

٦٦٨ ـ المصباح المنير، للفيومي، مكتبة لبنان، بيروت.

٦٦٩ ـ المصفى بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ، لابن الجوزي، حققه: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.

٦٧٠ ـ المصنف، لعبد الرزاق الصنعاني، حققه: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي، الهند، ط٣، ١٤٠٣هـ.

٦٧١ ـ المصنف، لابن أبي شيبة، حققه: محمد عوامة، دار القبلة، مؤسسة علوم القرآن، ط١، ٢٠٠٦م. والطبعة التي حققها: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ.

٦٧٢ ـ المصنوع في معرفة الحديث الموضوع (الموضوعات الصغرى)، لملا القاري، حققه: عبد الفتاح أبو غدة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٣٩٨هـ.

٦٧٣ ـ المطالب العالية، لابن حجر العسقلاني، حققه: سعد بن عاصم الشتري، دار العاصمة، السعودية، ط١، ١٤١٩هـ.

٦٧٤ ـ المطر والرعد والبرق، لابن أبي الدنيا، حققه: طارق محمد سكلوع العمودي، دار ابن الجوزي، السعودية، ط١، ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.

٦٧٥ ـ المطلع على ألفاظ المقنع، لأبي الفضل البعلي، حققه: محمود الأرناؤوط وياسين محمود الخطيب، مكتبة السوادي، ط١، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م.

٦٧٦ ـ المعارف، لابن قتيبة، حققه: الدكتور ثروت عكاشة، دار المعارف، مصر.

٦٧٧ ـ المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، لمحمد بن محمد حسن شُرَّاب، دار القلم، دمشق وبيروت، ط١، ١٤١١هـ.

٦٧٨ ـ معالم التنزيل، للبغوي، حققه: محمد عبد الله النمر وعثمان ضميرية وسليمان الحرش، دار طيبة، الرياض، ١٤٠٩هـ.

٦٧٩ ـ معالم السنن، للخطابي، المطبعة العلمية، حلب، ط١، ١٣٥١هـ ١٩٣٢م.

٦٨٠ ـ معاني الأخبار للكلاباذي = بحر الفوائد.

٦٨١ ـ المعاني البديعة في معرفة اختلاف أهل الشريعة، لأبي بكر الحثيثي، حققه: سيد محمد مهنى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ ١٩٩٩م.

٦٨٢ ـ معاني القراءات، للأزهري، مركز البحوث في كلية الآداب، جامعة الملك سعود، ط١، ١٤١٢هـ ١٩٩١م.

٦٨٣ ـ معاني القرآن، للأخفش، حققه: هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١١هـ.

٦٨٤ ـ معاني القرآن، للزجاج، حققه: الدكتور عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

٦٨٥ ـ معاني القرآن، للفراء، حققه: أحمد يوسف النجاتي ومحمد علي النجار وعبد الفتاح الشلبي، دار المصرية، مصر، ط١.

٦٨٦ ـ معاني القرآن، للنحاس، حققه: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، ١٤٠٨هـ.

٦٨٧ ـ المعاني الكبير، لابن قتيبة، صححه: المستشرق سالم الكرنكوي، دار النهضة الحديثة، بيروت، ١٨٧٢م.

٦٨٨ ـ معترك الأقران في إعجاز القرآن (إعجاز القرآن ومعترك الأقران)، للسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

٦٨٩ ـ المعجزة القرآنية حقائق علمية قاطعة، لأحمد عمر أبو شوفة، دار الكتب الوطنية، ليبيا، ٢٠٠٣م.

٦٩٠ ـ معجم الأدباء، لياقوت الحموي، حققه: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م.

٦٩١ ـ المعجم الأوسط، للطبراني، حققه: طارق بن عوض الله وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة.

٦٩٢ ـ معجم البلدان، لياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م.

٦٩٣ ـ معجم تاريخ التراث الإسلام، لعلي رضا قره بلوط وأحمد طوران قره بلوط، دار العقبة، قيصري، تركيا، ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

٦٩٤ ـ معجم ديوان الأدب، لأبي إبراهيم الفارابي، حققه: الدكتور أحمد مختار عمر، دار الشعب، القاهرة، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.

٦٩٥ ـ معجم الشعراء، للمرزباني، حققه: ف. كرنكو، مكتبة القدسي، ودار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.

٦٩٦ ـ المعجم الصغير، للطبراني، حققه: محمد شكور الحاج امرير، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥م.

٦٩٧ ـ المعجم الكبير، للطبراني، حققه: حمدي السلفي، وزارة الأوقاف العراقية، ١٩٨٣م.

٦٩٨ ـ معجم اللغة العربية المعاصرة، للدكتور أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.

٦٩٩ ـ معجم ما استعجم، للبكري، عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ.

٧٠٠ ـ معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة، مكتبة المثنى ودار إحياء التراث العربي، بيروت.

٧٠١ ـ معجم متن اللغة، لأحمد رضا، دار الحياة، بيروت، ١٣٧٧هـ.

٧٠٢ ـ المعجم الوسيط، أشرف على طبعه: عبد السلام هارون، مكتبة النوري، دمشق، ط٣.

٧٠٣ ـ معرفة السنن والآثار، للبيهقي، حققه: عبد المعطي أمين قلعجي، ط: جامعة الدراسات الإسلامية (كراتشي باكستان)، دار قتيبة (دمشق وبيروت)، دار الوعي (حلب ودمشق)، دار الوفاء (المنصورة والقاهرة)، ١٤١٢هـ ١٩٩١م.

٧٠٤ ـ معرفة الصحابة، لأبي نعيم، حققه: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن، الرياض، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

٧٠٥ ـ معرفة القراء الكبار، للذهبي، حققه: الدكتور طيار آلتي قولاج، إستانبول، ١٩٩٥م.

٧٠٦ ـ المعرفة والتاريخ، ليعقوب بن سفيان الفسوي، حققه: الدكتور أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨١م.

٧٠٧ ـ المغازي، للواقدي، حققه: مارسدن جونس، دار الأعلمي، ط٣، ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م.

٧٠٨ ـ المغرب في ترتيب المعرب، للمطرزي، حققه: محمود فاخوري وعبد الحميد مختار، مكتبة أسامة بن زيد، حلب، ط١، ١٩٧٩م.

٧٠٩ ـ مغني اللبيب، لابن هشام، حققه: الدكتور مازن المبارك والدكتور علي حمد الله، دار الفكر، ١٩٩٢م.

٧١٠ ـ المغني عن حمل الأسفار = تخريج أحاديث الإحياء.

٧١١ ـ المغني عن حمل الأسفار (تخريج أحاديث الإحياء)، للعراقي (بهامش إحياء علوم الدين)، دار المعرفة.

٧١٢ ـ المغني، لابن قدامة المقدسي، مكتبة القاهرة، ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م.

٧١٣ـ مفاتيح العلوم، للبلخي الخوارزمي، حققه: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، ط٢.

٧١٤ـ مفاتيح الغيب، للفخر الرازي = التفسير الكبير.

٧١٥ـ مفتاح العلوم، للسكاكي، حققه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

٧١٦ـ المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، حققه: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، دمشق وبيروت، ط١، ١٤١٢هـ.

٧١٧ـ المفضليات، للمفضل الضبي، حققه: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ط٦.

٧١٨ـ مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر، للدكتور مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤٢٧هـ.

٧١٩ـ المقاصد الحسنة، للسخاوي، حققه: محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٥هـ.

٧٢٠ـ المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية (شرح ألفية ابن مالك)، للشاطبي، حققه: مجموعة محققين، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م.

٧٢١ـ المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية (شرح الشواهد الكبرى)، للعيني، حققه: علي محمد فاخر وأحمد محمد توفيق السوداني وعبد العزيز محمد فاخر، دار السلام، القاهرة، ١٤٣١هـ.

٧٢٢ـ مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، لأبي الحسن الأشعري، حققه: نعيم زرزور، المكتبة العصرية، ط١، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.

٧٢٣ـ مقاييس اللغة، لابن فارس، حققه: عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م.

٧٢٤ـ المقتضب، للمبرد، حققه: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت.

٧٢٥ـ المقصور والممدود، للقالي، حققه: الدكتور أحمد عبد المجيد هريدي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٩هـ ١٩٩٩م.

٧٢٦ـ مكارم الأخلاق، للخرائطي، حققه: أيمن البحيري، دار الآفاق العربية، القاهرة، ١٤١٩هـ ١٩٩٩م.

٧٢٧ـ المكتفى في الوقف والابتدا، لأبي عمرو الداني، حققه: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، دار عمار، ط١، ٢٠٠١م.

٧٢٨ـ الملل والنحل، للشهرستاني، حققه: عبد العزيز محمد الوكيل، مؤسسة الحلبي، ١٣٨٧هـ ١٩٦٨م.

٧٢٩ـ الممتع في صنعة الشعر، للقيرواني، حققه: الدكتور محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية.

٧٣٠ـ منار الهدى في بيان الوقف والابتدا، للأشموني، حققه: عبد الرحيم الطرهوني، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٨م.

٧٣١ـ منازل الحروف، لأبي الحسن الرماني، حققه: إبراهيم السامرائي، دار الفكر، عمان.

٧٣٢ـ المنتخب من غريب كلام العرب، لكراع النمل، حققه: الدكتور محمد بن أحمد العمري، جامعة أم القرى، ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م.

٧٣٣ـ المنتخب من مسند عبد بن حميد، حققه: صبحي البدري السامرائي ومحمود محمد خليل الصعيدي، مكتبة السنة، القاهرة، ط١، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

٧٣٤ـ المنتظم، لابن الجوزي، حققه: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ١٩٩٥م.

٧٣٥ـ المنتقى من السنن المسندة، لابن الجارود النيسابوري، حققه: عبد الله عمر البارودي، مؤسسة الكتاب الثقافية، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

٧٣٦ـ المنجد في اللغة، لكراع النمل، حققه: الدكتور أحمد مختار عمر والدكتور ضاحي عبد الباقي، عالم الكتب، القاهرة، ط٢، ١٩٨٨م.

٧٣٧ـ المنصف، لابن جني، دار إحياء التراث القديم، ١٣٧٣هـ ١٩٥٤م.

٧٣٨ـ منهاج السنة النبوية، لابن تيمية، حققه: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤٠٦هـ.

٧٣٩ـ المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي، المطبعة المصرية، ١٣٤٧هـ.

٧٤٠ـ المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب، للسيوطي، حققه: التهامي الراجي الهاشمي، مطبعة فضالة.

٧٤١ ـ الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، للآمدي، حقَّق المجلد الأول والثاني: السيد أحمد صقر، والمجلد الثالث: الدكتور عبد الله المحارب، دار المعارف ومكتبة الخانجي، ط ٤، ١٩٩٤م.

٧٤٢ ـ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، لتقي الدين المقريزي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

٧٤٣ ـ المؤتلف والمختلف، للآمدي، حققه: ف. كرنكو، دار الجيل، بيروت، ١٤١١هـ.

٧٤٤ ـ المؤتلف والمختلف، للدارقطني، حققه: موفق بن عبد الله، دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٦هـ.

٧٤٥ ـ موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، للدكتور حكمت بن بشير بن ياسين، دار المآثر، المدينة النبوية، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

٧٤٦ ـ موضح أوهام الجمع والتفريق، للخطيب البغدادي، حققه: الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.

٧٤٧ ـ الموضوعات، لابن الجوزي، حققه: توفيق حمدان، دار الكتب العلمية، ١٩٩٥م.

٧٤٨ ـ الموضوعات، لابن الجوزي، حققه: عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ط١، ١٩٦٦م-١٩٦٨م.

٧٤٩ ـ الموطأ برواية أبي مصعب الزهري، حققه: بشار عواد معروف ومحمود خليل، مؤسسة الرسالة، ١٤١٢هـ.

٧٥٠ ـ الموطأ برواية محمد بن الحسن الشيباني، حققه: عبد الوهاب عبد اللطيف، المكتبة العلمية، ط٢.

٧٥١ ـ ميزان الاعتدال، للذهبي، حققه: رضوان عرقسوسي وغيره، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٩م.

٧٥٢ ـ الناسخ والمنسوخ، لأبي جعفر النحاس، حققه: الدكتور محمد عبد السلام محمد، مكتبة الفلاح، الكويت، ١٤٠٨هـ.

٧٥٣ ـ الناسخ والمنسوخ، لأبي الخطاب السدوسي البصري، حققه: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، ط ٣، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.

٧٥٤ ـ الناسخ والمنسوخ، للبغدادي المقري، حققه: زهير الشاويش ومحمد كنعان، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.

٧٥٥ ـ الناسخ والمنسوخ، لأبي عبيد الهروي، حققه: محمد المديفر، مكتبة الرشد، الرياض، ١٩٩٠م.

٧٥٦ـ نتائج الفكر في النحو، لأبي القاسم السهيلي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

٧٥٧ـ نثر الدر في المحاضرات، لأبي سعد الآبي، حققه: خالد عبد الغني محفوظ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م.

٧٥٨ـ النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، حققه: علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت.

٧٥٩ـ نصب الراية لأحاديث الهداية، للزيلعي، حققه: محمد يوسف البنوري، دار الحديث، مصر.

٧٦٠ـ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٧٦١ـ نقد الشعر، لقدامة بن جعفر، مطبعة الجوائب، القسطنطينية، ط١، ١٣٠٢هـ.

٧٦٢ـ النكت في إعجاز القرآن (مطبوع ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، لأبي الحسن الرماني المعتزلي، حققه: محمد خلف الله والدكتور محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط٣، ١٩٧٦م.

٧٦٣ـ النكت والعيون، للماوردي، حققه: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، مؤسسة الكتب الثقافية، ودار الكتب العلمية.

٧٦٤ـ نهاية الأرب في فنون الأدب، لشهاب الدين النويري، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط٣، ١٤٢٣هـ.

٧٦٥ـ نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز، رفاعة الطهطاوي، دار الذخائر، القاهرة، ط١، ١٤١٩هـ.

٧٦٦ـ النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، حققه: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

٧٦٧ـ نوادر الأصول، للحكيم الترمذي، اعتنى به: إسماعيل إبراهيم متولي عوض، مكتبة الإمام البخاري، ١٤٢٩هـ. والطبعة التي حققها: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت.

٧٦٨ـ كتاب النوادر، لأبي مسحل الأعرابي، حققه: عزة حسن، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٣٨٠هـ، ١٩٦١م.

٧٦٩ـ النوادر في اللغة، لأبي زيد، حققه: الدكتور محمد عبد القادر أحمد، دار الشروق، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.

٧٧٠ ـ نواسخ القرآن، لابن الجوزي، حققه: محمد أشرف علي المليباري، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط٢، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م.

٧٧١ ـ نواهد الأبكار وشوارد الأفكار (حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي)، للسيوطي، جامعة أم القرى كلية الدعوة وأصول الدين، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٥م.

٧٧٢ ـ الهداية إلى بلوغ النهاية، لمكي بن أبي طالب، حققه: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي في جامعة الشارقة، إشراف أ. د. الشاهد البوشيخي.

٧٧٣ ـ هدية العارفين، لإسماعيل باشا البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٧٧٤ ـ همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، للسيوطي، حققه: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، مصر.

٧٧٥ ـ الوافي بالوفيات، للصلاح الصفدي، حققه: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.

٧٧٦ ـ الوجوه والنظائر، لأبي هلال العسكري، حققه: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م.

٧٧٧ ـ الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للواحدي النيسابوري، حققه: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق وبيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

٧٧٨ ـ الوحشيَّات (وهو الحماسة الصغرى)، لأبي تمام، حققه: عبد العزيز الميمني الراجكوتي، وزاد في حواشيه: محمود محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، ط٣.

٧٧٩ ـ الوسيط، للواحدي، حققه: عادل عبد الموجود وعلي معوض وأحمد صيرة وأحمد الجمل، دار الكتب العلمية، ١٩٩٤م.

٧٨٠ ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لشمس الدين الإربلي، حققه: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

٧٨١ ـ الوقف والابتداء، لأبي بكر الأنباري = إيضاح الوقف والابتداء.

٧٨٢ ـ يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، لأبي منصور الثعالبي، حققه: الدكتور مفيد محمد قمحية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

* * *

الفهرس العام

الموضوع	الجزء والصفحة
مقدمة التحقيق	١/ 5
مقدمة المؤلف	١/ ٣
سورة الفاتحة	١/ ٥
سورة البقرة	١/ ٣٧
سورة آل عمران	٢/ ٥
سورة النساء	٢/ ٢٦٣
سورة المائدة	٣/ ٥
سورة الأنعام	٣/ ١٨٩
سورة الأعراف	٣/ ٣٥٣
سورة الأنفال	٣/ ٥٢٣
سورة التوبة	٤/ ٥
سورة يونس	٤/ ١٤٧
سورة هود	٤/ ٢١٩
سورة يوسف	٤/ ٣٢٧

الموضوع	الجزء والصفحة
سورة الرعد	٤/ ٤٣٧
سورة إبراهيم	٤/ ٤٩١
سورة الحجر	٥/ ٥
سورة النحل	٥/ ٦١
سورة الإسراء	٥/ ١٦٩
سورة الكهف	٥/ ٢٨٩
سورة مريم	٥/ ٤٢٥
سورة طه	٥/ ٤٩٩
سورة الأنبياء	٦/ ٥
سورة الحج	٦/ ٨٥
سورة المؤمنون	٦/ ١٦٥
سورة النور	٦/ ٢٢٩
سورة الفرقان	٦/ ٣٢٣
سورة الشعراء	٦/ ٣٩٧
سورة النمل	٦/ ٤٧١
سورة القصص	٦/ ٥٤٣
سورة العنكبوت	٧/ ٥
سورة الروم	٧/ ٥٥
سورة لقمان	٧/ ١٠٣
سورة السجدة	٧/ ١٣٧

الموضوع	الجزء والصفحة
سورة الأحزاب	٧/ ١٦١
سورة سبأ	٧/ ٢٥٩
سورة فاطر	٧/ ٣١٧
سورة يس	٧/ ٣٥٧
سورة الصافات	٧/ ٤٠٥
سورة ص	٧/ ٤٧٣
سورة الزمر	٨/ ٥
سورة غافر	٨/ ٦٩
سورة فصلت	٨/ ١٢٣
سورة الشورى	٨/ ١٦٧
سورة الزخرف	٨/ ٢١٧
سورة الدخان	٨/ ٢٦٧
سورة الجاثية	٨/ ٢٩٩
سورة الأحقاف	٨/ ٣٢٥
سورة محمد	٨/ ٣٦٥
سورة الفتح	٨/ ٤٠١
سورة الحجرات	٨/ ٤٤٣
سورة ق	٨/ ٤٧٣
سورة الذاريات	٨/ ٥١١
سورة الطور	٩/ ٥

الموضوع	الجزء والصفحة
سورة النجم	٩/ ٣١
سورة القمر	٩/ ٧٥
سورة الرحمن	٩/ ١٠٧
سورة الواقعة	٩/ ١٤٧
سورة الحديد	٩/ ١٩١
سورة المجادلة	٩/ ٢٢٩
سورة الحشر	٩/ ٢٥٥
سورة الممتحنة	٩/ ٢٨١
سورة الصف	٩/ ٣٠١
سورة الجمعة	٩/ ٣١٣
سورة المنافقين	٩/ ٣٢٧
سورة التغابن	٩/ ٣٣٧
سورة الطلاق	٩/ ٣٤٩
سورة التحريم	٩/ ٣٦٩
سورة الملك	٩/ ٣٨٩
سورة القلم	٩/ ٤٠٩
سورة الحاقة	٩/ ٤٤٣
سورة المعارج	٩/ ٤٧١
سورة نوح	٩/ ٤٩٣
سورة الجن	٩/ ٥١١

الموضوع	الجزء والصفحة
سورة المزمل	٩/ ٥٣١
سورة المدثر	٩/ ٥٥١
سورة القيامة	٩/ ٥٧٣
سورة الإنسان	٩/ ٥٩١
سورة المرسلات	٩/ ٦١١
سورة النبأ	١٠/ ٧
سورة النازعات	١٠/ ٢٣
سورة عبس	١٠/ ٤٥
سورة التكوير	١٠/ ٥٩
سورة الانفطار	١٠/ ٧٣
سورة المطففين	١٠/ ٨١
سورة الانشقاق	١٠/ ٩٩
سورة البروج	١٠/ ١٠٩
سورة الطارق	١٠/ ١٢١
سورة الأعلى	١٠/ ١٢٩
سورة الغاشية	١٠/ ١٣٩
سورة الفجر	١٠/ ١٤٧
سورة البلد	١٠/ ١٦١
سورة الشمس	١٠/ ١٧١
سورة الليل	١٠/ ١٧٧

الموضوع	الجزء والصفحة
سورة الضحى	١٠/ ١٨٥
سورة الشرح	١٠/ ١٩٣
سورة التين	١٠/ ١٩٩
سورة العلق	١٠/ ٢٠٥
سورة القدر	١٠/ ٢١٣
سورة البينة	١٠/ ٢١٩
سورة الزلزلة	١٠/ ٢٢٥
سورة العاديات	١٠/ ٢٣١
سورة القارعة	١٠/ ٢٣٩
سورة التكاثر	١٠/ ٢٤٥
سورة العصر	١٠/ ٢٥١
سورة الهمزة	١٠/ ٢٥٥
سورة الفيل	١٠/ ٢٦١
سورة قريش	١٠/ ٢٦٩
سورة الماعون	١٠/ ٢٧٥
سورة الكوثر	١٠/ ٢٧٩
سورة الكافرون	١٠/ ٢٨٥
سورة النصر	١٠/ ٢٨٩
سورة المسد	١٠/ ٢٩٥
سورة الإخلاص	١٠/ ٣٠٣

الموضوع	الجزء والصفحة
سورة الفلق	١٠/ ٣١١
سورة الناس	١٠/ ٣١٧
الفهارس العامة	١٠/ ٣٢٣
فهرس الآيات القرآنية الكريمة التي استشهد بها المؤلف	١٠/ ٣٢٥
فهرس الآيات التي ذكرت فيها وجوه القراءات المتواترة	١٠/ ٣٥٩
فهرس القراءات الشواذ	١٠/ ٣٧٩
فهرس أسباب النزول	١٠/ ٣٨٧
فهرس الأحاديث النبوية الشريفة	١٠/ ٤٣٩
فهرس الآثار	١٠/ ٤٧١
فهرس الأشعار	١٠/ ٤٧٩
فهرس الأرجاز	١٠/ ٤٩٧
فهرس الأعلام	١٠/ ٥٠١
فهرس المصادر والمراجع	١٠/ ٥٤٧
الفهرس العام	١٠/ ٦٠١

***